

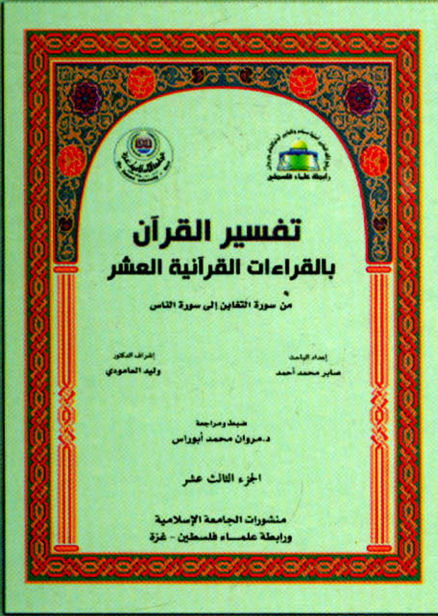


تفسير القرآن
بالقراءات القرآنية العشر

منشورات الجامعة الإسلامية
ورابطة علمـــاء فلسطين - غزة

تفسير القرآن

بالقراءات القرآنية العشر



الناشـــــر

تتواصل جهود الأمة، ويحمل العلم كابرٌ عن كابر، للعناية بكتاب الله عز وجل، وذلك منذ العصر الأول إلى أيامنا وحتى يرث الله الأرض ومن عليها.

فلقد مر جمع القرآن الكريم بثلاث مراحل:

١. في صدور الرجال، وذلك في عهد النبي صلى الله عليه وسلم.

٢. في مصحف واحد، وذلك في عهد سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وسبب الجمع كثرة القتلى من حفاظ القرآن الكريم.

٣. توحيد المصاحف المختلفة في مصحف واحد أطلق عليه اسم «المصحف الإمام»، وذلك في عهد الخليفة الراشد سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه.

ثم ظهرت القراءات في عهد التابعين، فحُفظ القرآنُ الكريمُ في السطور والصدور بالسند المتواتر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وهذا الجهد المبارك الذي قامت به الجامعة الإسلامية في غزة، يسجل لها ولطلابها ولإدارتها وللمشرفين على مشروع «تفسير غزة»، كوسام عزة لخدمة كتاب الله عز وجل.

ويأتي هذا التفسير كعقد فريد من نوعه في زماننا، فلقد رأينا المفسرين القدامى منهم والمعاصرين قد تناولوا بعضا من القراءات كزهور متفرقة في ثنايا تفاسيرهم، وينفرد «تفسير غزة»، بجمع هذه الزهور المتفرقة في دوحة غنّاء، تزهو بها غزة، ويستنشق عبيرها الفواح كل مسلم.

فبوركت الجامعة الإسلامية، وبورك علماؤها، ورجالها، ونساؤها، وبوركت أرض الرباط، وبورك الإخوة الأكارم الذين ساهموا في طباعة هذا التفسير العظيم، وأكثرهم من منتدى الأعمال الفلسطيني اللبناني، وإلى الملتقى لندرس وندرس هذا التفسير في حنايا المسجد الأقصى المبارك محررا بإذن الله تعالى..

الشيخ علي اليوسف



روابي القدس
للطباعة والنشر والتوزيع

لبنان -صيدا- ساحة القدس
شارع الشيخ محرم العارفي
جوال: 091 235 03 - هاتف: 320 753 07
www.rawabialqudus.com
ralqudus@yhoo.com

الجامعة الإسلامية-غـزة
عمادة الدراسات العليـا
كليـة أصـول الديـن
قسم تفسير القرآن وعلومه

تفسير القرآن
بالقراءات القرآنية العشر
من خلال سور: الفاتحة والبقرة وآل عمران

إعداد الباحث
عبد الله علي الملاحي

ضبط و إشراف
د. مروان محمد أبوراس

الجزء الأول

منشورات الجامعة الإسلامية
ورابطة علماء فلسطين - غزة

هذا البحث هو رسالة ماجستير صادرة عن كلية أصول الدين بالجامعة الإسلامية بغزة تمت المناقشة في ربيع الآخر ١٤٢٣هـ - يوليو ٢٠٠٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾ ﴾

الشورى: ٥٢ - ٥٣

بسم الله الرحمن الرحيم
مقدمة الجزء الأول

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد ..

يسعدني ويشرفني أن أكون سبباً في إخراج هذا الموضوع الرباني العظيم إلى حيز الوجود، ليكون إضافة نوعية وبياناً لميزةٍ عظيمة لهذا القرآن العظيم، وما أجمل وما أحلى أن يشتغل المسلم بكتاب رب العالمين، يستخرج درره، ويكتشف أسراره، ويتعرف على بعض عجائبه التي لا تنقضي، وذلك من عظيم التدبر الذي أمر الله سبحانه به حيث قال: « كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب » ص ٢٩، من أجل ذلك نزل هذا الكتاب العظيم، لم ينزل ليعلق على الجدران أو يقرأ على المقابر والأموات، أو لتقام به مراسم العزاء، وإنما نزل للتدبر والتفكر، وقد حذر ربنا سبحانه من عدم التفكر فيه حتى لو قرء لأي غرض لأن يبقى هو القرآن العظيم الذي يجب أن يشتغل العقل والقلب في كل سورة وآية وعبارة وكلمة وحرف فكل في موضعه لا يغني ولا يسد عنه غيره قال سبحانه: « أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً » النساء ٨٢، والقلب الذي لا يتدبر القرآن ويتشربُ بكليته قلب مغلق مريض متصلد – والعياذ بالله « ... الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون » ، وقد بين الله سبحانه صورة من صور تعامل الكافرين مع هذا الكلام الرباني المعجز حيث إن عقولهم مقفلة، وقلوبهم متحجرة، فقد قال سبحانه « أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها » محمد ٢٤، وبالجملة فقد بين وصفهم للقرآن بشكل دقيق حيث قال: «الذين جعلوا القرآن عضين»

الحجر ٩١، «وعضين» فرق متفرقة في وصفه فقــال بعضهم سحر، وقال بعضهم شعر، وقال بعضهم كهانة ....، فالقرآن جاء هداية وصلاحاً وشفاءً، وتعليماً، وإرشادا، وتقويماً، وتوجيهاً، وتذكيراً، ونصحاً، وغير ذلك الكثير من المعاني والفوائد والتوجيهات، ولكنهم قوم لا يفقهون، « ولقد صرفنا في هذا القرآن ليذكروا وما يزيدهم إلا نفورا » الإسراء ٤١، وحتى في القراءة أغلقوا مفاتيح الفهم، فأغلق الله عليهم أدوات الاستيعاب« وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً، وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقراً، وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولو على أدبارهم نفوراً، نحن أعلم بما يستمعون به إذ يستمعون إليك وإذ هم نجوى إذ يقول الظالمون إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً ...» الإسراء ٤٥ – ٤٧ .

حكاية هذا الموضوع:-

لقد من الله عليّ عند دراستي للدكتوراه في جامعة محمد الخامس بالرباط على يد الشيخ التهامي الراجي الهاشمي وهو عالم من علماء المغرب في القراءات القرآنية أن أحضر بعض محاضرات القراءات، وأتعلم بعض هذا العلم العظيم من علوم كتاب الله تعالى، والحق أنه لم تكن لي اهتمامات معمقة بهذا الموضوع قبل ذلك، غير أن أموراً أبجدية لم تكن تخفى على دارس التفسير كانت معلومة لدي ومنها على سبيل المثال: تواتر القراءات وتساويها في قوة الثبوت وقطعيته، ولما عشت القراءات مع شيخي الجديد في مدرجات كلية الآداب والعلوم الإنسانية شعبة الدراسات الإسلامية بدأت أدرك شيئاً جديداً أحدثُ به في نفسي أولاً وأقول أليست هذه القراءات كلها قرآناً نزل من السماء على قلب محمد - صلى الله عليه وسلم – يعبد الله بها وبدرجة واحدة؟ إذاً لماذا جاءت؟ وما فائدة ذلك على

المعاني؟ وهل أضافت شيئاً جديداً؟ ولماذا لم يتعرض كثير من المفسرين للربط بينها في تفسيراتهم؟، وهنا وقع في قلبي أنه لا بد من بحث هذا الموضوع وبشكل متخصص وعميق، وفور عودتي إلى عملي في قسم التفسير في كلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية بغزة حفظها الله، بدأت أبحث ذلك مع الزملاء الأكارم، وشرحت ذلك في محاضرات علمية أمام الطلبة والمتخصصين وأثبتُ أن القراءات لها فائدة من ثلاث:

الأولى: إما أن تأتي القراءة مؤكدة لمعنى موجود في قراءة أخرى وتضفي عليه المزيد من القوة، وتزيد التأكيد على ضرورة الاهتمام به، ومثال ذلك شائع لدى الجميع حيث قوله تعالى في سورة الحجرات: « يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا » والقراءة الأخرى « فتثبتوا» والتثبت تبين وزيادة، ففيها التأكيد على البيان والتأكد من الخبر.

الثانية: أن تكون القراءة شارحة لقراءة أخرى ومبينة لما فيها ما لم يظهر إلا بالقراءة الأخرى، ومثال ذلك قوله تعالى: « ... فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة ... » قُرأت (وَرِق) بكسر الراء وتسكينها والوَرِق المكسورة هي الفضة عموماً، والورْق بالسكون هي المضروبة أي التي عليها شكل العملة ويبدو أنها كانت عليها صورة ملك زمانهم القديم، بذلك يتضح من القراءتين أن فضتهم نوعان: نوع عادي غير مضروب ونوع مضروب وبذلك تم العثور عليهم ومعرفة زمانهم من الناس الحاضرين في زمن بعثهم.

الثالثة: أن تأتي القراءة بمعنى جديد غير موجود أصلاً في القراءة الأخرى مثال ذلك: قوله تعالى: « ما ننسخ من آية أو ننسها نأتِ بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير » البقرة ١٠٦، فقد قرئت « نُنسِها » وقرئت « نَنسَأها » والفرق بينهما واضح حيث إن معنى نُنسِها أي نجعلك تنساها، أما نَنسَأها أي نؤخرها في النزول، وهما طريقتان

في نزول القرآن على قلب محمد – صلى الله عليه وسلم- تخفيفاً عليه وعلى الأمة، وبعد اتضاح الصورة بدأنا إعطاء الطلبة دراسة هذا الموضوع مجزأ برسائل ماجستير فلقي إقبالا كبيراً ولله الحمد عند الطلبة النجباء وعند الأساتذة الزملاء، حتى أوشك طلبتنا أن يتموا شرح القرآن كله بهذه الطريقة العلمية الجميلة، وإنني في هذا المقام الطاهر والمبارك أتوجه بالشكر الجزيل إلى جميع إخواني الزملاء الأعزاء أساتذة قسم التفسير وعلوم القرآن في كلية أصول الدين الحبيبة وعمادة الكلية الراشدة، وإدارة الجامعة الغالية على كل قلب مؤمن محب للحق وأهله، وكذلك طلبة العلم الذين أظهروا جهداً فريداً في تتبعهم لهذا الموضوع ومحاولة استقصائه، وإنني أدعو جميع المهتمين والمتتبعين أن يزودونا بآرائهم وتوجيهاتهم إذا ما وجدوا شيئاً مهما يحتاج إلى مراجعة وإعادة نظر، وذلك عبر العناوين الموجودة في صدر هذا الكتاب.

وفي الختام أسأل الله تعالى أن يجعل ذلك العمل في ميزان حسنات كل من ساهم في إخراجه إلى النور، وأن يتقبل منا ومنهم صالح الأعمال إنه سميع مجيب (وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين).

د . مروان محمد أبو راس

أستاذ في قسم التفسير وعلوم القرآن

كلية أصول الدين – الجامعة الإسلامية بغزة سابقاً

رئيس رابطة علماء فلسطين . غزة - حالياً

دمشق في يوم الاثنين ١ / ربيع الأول / ١٤٣١ هـ

١٥ / مارس / ٢٠١٠ م

للمراسلة وارسال الملاحظات
نرجو التواصل مع
كلية أصول الدين - الجامعة الاسلامية - بغزة
أو عنوان
abuaasem2010@gmail.com

شكر وتقدير

امتثالا لقوله تعالى: (وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِه) لقمان.١٢، وانطلاقا من قول الرسول - ﷺ -: (لا يشكرُ اللَّه مَنْ لا يشكرُ الناسَ).[1]

لا يسعني إلا أن أتقدم بجزيل الشكر والعرفان، وعظيم الثناء والامتنان إلى المربي الفاضل، أستاذي ومعلمي، فضيلة الدكتور: مروان محمد أبو راس حفظه الله الذي تفضل بالإشراف على هذا البحث، منذ اللحظة الأولى، حتى خرج بهذا الحال، وبذل الكثير من وقته انصحي وإرشادي من أجل إثراء هذه الرسالة وإخراجها في أحسن صورة حتى خرجت إلى حيز الوجود واضحة المعالم مبينة الأهداف، فأشكره على صبره وتحمله لي طيلة فترة الإشراف، وأسأل الله -ﷺ-أن يثيبه على عمله وأن يحفظه من كل سوء.

كماوأتقدم بعظيم الشكر والامتنان إلى كل من أستاذيَّ الفاضلين:
فضيلة الدكتور: عبد الرحمن يوسف الجمل

عميد كلية أصول الدين حفظه الله

وفضيلة الدكتور: زهدي محمد أبو نعمة

الأستاذ المساعد في كلية أصول الدين حفظه الله

الذين تفضلا مشكورين بدراسة هذا البحث والتنقيب عن نواقصه وإرشادي لإكماله، والبحث عن أخطائه وهدايتي لتصويبه؛ لإخراجه في أفضل صورة ممكنة، فجزاهما الله عني خير الجزاء وأسأل الله عز وجل أن يجعل ذلك في ميزان حسناتهما.

١- سنن الترمذي - كتاب البر والصلة عن رسول الله-ﷺ- باب: ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك -ح ١٩٥٤ - ج٤ ص٣٣٩. قال أبو عيسى الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. ومسند الإمام أحمد ج٢ ص٢٩٥، ٣٠٢، ٣٨٨.



مقدمة الباحث

أولاً: توطئة:

إن الحمد لله نحمده ونستعين به ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإن أشرف العلوم على الإطلاق، وأولاها بالرعاية والاهتمام هو علم التفسير لكلام القوي القدير، على الوجه المعتبر، القريب من الأثر.

يقول المولى: -ﷻ- (الَّذينَ آتَيْنَاهُمُ الْكتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تلاوَته أُولَئكَ يُؤْمنُونَ به وَمَنْ يَكْفُرْ به فَأُولَئكَ هُمُ الْخَاسرُونَ) البقرة ١٢١ .

ويقول-ﷺ -: (خيركم من تعلم القرآن وعلمه.)[٢]

ولهذا فإن باب: تفسير القرآن لا يمكن أن يغلق، لأن القرآن رسالة حية حتى قيام الساعة، ولا يزال المسلمون يُقبلون على القرآن يتلونه ويتدبرونه، ويفسرونه ويطبقونه، ويتحركون به ويعيشون في ظلاله.

وهذا معناه أن تظهر تفاسير للقرآن في كل فترة، وأن يضيف العلماء أبعاداً جديدة إلى التفسير، وأن يقدموا مناهج وأسسا جديدة، يضيفونها إلى مناهج التفسير السابقة.

---

٢ - رواه البخاري في صحيحه، انظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري - لابن حجر العسقلاني: تحقيق عبد العزيز بن عبد الله بن باز - كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن وعلّمه ج٩ ص٧٤ - رقم ٥٠٢٧ - دار المعرفة - بيروت.

ومن هنا كانت هذه الدراسة الموسومة بـ«تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر من خلال سور: الفاتحة، والبقرة، وآل عمران» لتعطيَ بعداً جديداً وتفتح باباً من أبواب التفسير من خلال تفسير القرآن بالقراءات القرآنية.

ثانياً: أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

١. إن موضوع تفسير القرآن بالقراءات القرآنية هو موضوع جديد لم يتم الحديث عنه بشكل مستقل وإن كانت أصوله موجودة في كتب التفسير والقراءات.
٢. القرآن هو كلام الله المعجز له وجوه متعددة في الإعجاز.
٣. إقبال المسلمين على تعلم التجويد وأحكام التلاوة وتعلم القراءات المختلفة.
٤. أهمية التفسير في حياة الناس.
٥. تأثير القراءات على الاستنباطات الفقهية.

ثالثاً: أهداف البحث:

١. إبراز ارتباط القراءات القرآنية بعضها ببعض من الناحية التفسيرية.
٢. إبراز أهمية القراءات في التفسير.
٣. التعرف على وجوه الإعجاز من خلال القراءات القرآنية. فأردت من خلال هذه الدراسة بيان وجه جديد من وجوه الإعجاز في القرآن وهو الإعجاز في الإيجاز بمعنى أن كل قراءة تقوم مقام آية مستقلة، وهذا ما ثبت لدي في التمهيد للرسالة.
٤. وضع لبنة جديدة ولون جديد من ألوان التفسير بشكل مستقل ، وهو

تفسير القران بالقراءات القرآنية.

٥. تشجيع المسلمين عموماً وخريجي الجامعات خصوصاً للإقبال علي حفظ القراءات ودراستها وفهمها.

٦. إثراء المكتبة الإسلامية بما هو جديد لينتفع به المسلمون.

رابعاً: منهج البحث:

١. التمهيد للموضوع من خلال الحديث عن القراءات القرآنية وعلاقتها بالإعجاز ووضع مقدمات للتفسير أبرزت من خلالها معني التفسير والتأويل والفرق بينهما وعلاقة القراءات بالتفسير، ومعني الأحرف السبعة وفوائدها وعلاقتها بالقراءات، ومعني القراءات وأقسامها لتكون مدخلا للموضوع.

٢. بيان أثر القراءات على المعاني من خلال بيان الأثر البلاغي، والأثر البياني، والأثر النحوي، والأثر الفقهي للقراءات القرآنية.

٣. وضع تفسير للآيات من سور: الفاتحة والبقرة وآل عمران من خلال الجمع بين القراءات القرآنية الصحيحة في الكلمة الواحدة والتي لها علاقة بالمعاني، ولقد اعتمدت على منهج واحد في التفسير وهو:

أ - كتابة الآية القرآنية مدار البحث كاملة ومشكلة برواية حفص عن عاصم.

ب - بيان القراءات المختلفة في الآية بالرجوع لكتب القراءات المشهورة.

ت - بيان المعنى اللغوي للقراءات الغريبة بالرجوع لكتب اللغة وقواميسها.

ث - تفسير الآية تفسيرا مجملا، مع الالتزام بالقواعد المقررة في التفسير وهي:

- تفسير القرآن بالقرآن.
- تفسير القرآن بالسنة.

- تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين.
- تفسير القرآن بمقتضى اللغة والسياق والشرع في إطار ضوابط المفسرين المعروفة.

ج - بيان العلاقة التفسيرية بين القراءات القرآنية وكنت أحاول من خلال هذا المقطع من الفصل أن أبين الجمع بين القراءات وذلك بالرجوع إلى كتب أخرى تناولت الموضوع وأجتهد للوصول إلى الصواب ما استطعت.

٤. عزو الآيات إلى سورها ، وذكر اسم السورة ورقم الآية.
٥. ذكر الأحاديث النبوية الشريفة المتعلقة بالتفسير وتخريجها حسب الأصول والحكم عليها .
٦. الرجوع إلى كتب القراءات والاحتجاج لها من مظانها .
٧. الرجوع إلى كتب التفسير القديمة والحديثة .
٨. بيان معاني المفردات الغريبة في الحاشية.
٩. الرجوع إلى أمهات كتب اللغة وقواميسها كلما لزم الأمر.
١٠. الترجمة للأعلام غير المشهورين من مظانها .

خامسا: الجهود السابقة:

١. بعد البحث والتدقيق لم يصل إلى علمي أن أحدًا تطرق لبيان تفسير القرآن من خلال القراءات القرآنية المختلفة والتي لها علاقة بالمعاني بشكل مستقل.
٢. تعرض الكثير من المفسرين للقراءات وتوجيهها ولكن من دون الربط بين المعاني إلا أحياناً .
٣. تعرض الكثير من العلماء في كتبهم لتوجيه القراءات والاحتجاج لها

ومن ذلك:

كتاب الحجة في القراءات السبع / أبو علي الفارسي.

- الكشف عن وجوه القراءات السبع / مكي بن أبي طالب.
- حجة القراءات / ابن زنجلة.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن / أبو جعفر محمد بن جرير الطبري.
- الكشاف / الزمخشري ...

وغيرها من الكتب إلا أنهم كانوا يُعنَون بتوجيه كل قراءة على حدة وأحيانا كانوا يجمعون بين القراءات ويوفِقون بينها، وأحيانا يختارون قراءة على الأخرى أو يردُّون بعض القراءات على الرغم من تواترها .

❖ أسماء الرسائل التي كتبت حول الموضوع حسب ما ورد عن مركز فيصل الإسلامي بالرياض وغيره:

- القراءات وأثرها في التفسير والأحكام.

رسالة دكتوراه / أم القرى ١٤١٣هـ.

- القراءات مصدرا للتفسير عند ابن عطية في المحرر الوجيز.

رسالة ماجستير / الإسكندرية ١٩٨٩ م.

- مكانة القراءات من خلال منهج القراء في التفسير.

رسالة ماجستير / محمد الخامس ١٩٩٥ م.

- القراءات القرآنية وقواعد اللغة العربية من خلال تفسير ابن حيان النحوي في سورة البقرة.

رسالة دكتوراه / محمد الخامس.

- القراءات القرآنية من الوجهة البلاغية.

د. فضل حسن عباس.

- أثر القراءات القرآنية في الدراسات النَّحوية.

د. عبد العال سالم مكرم.

سادساً: خطة البحث:

يتكون هذا البحث من تمهيد وثلاثة فصول وخاتمة.

أما التمهيد:

فقد أبرزت من خلاله أن القراءات القرآنية لون من ألوان الإعجاز القرآني.

وأما الفصل الأول والذي جاء بعنوان: مقدمات للتفسير:

فقد اشتمل على ثلاثة مباحث:

❖ المبحث الأول: التفسير و التأويل و فيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: معنى التفسير لغة و اصطلاحاً.
- المطلب الثاني: معنى التأويل لغة و اصطلاحاً.
- المطلب الثالث: علاقة القراءات بالتفسير.

❖ المبحث الثاني: الأحرف السبعة و فيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: أحاديث نزول القرآن على سبعة أحرف.
- المطلب الثاني: معنى الأحرف السبعة والرأي الراجح منها.
- المطلب الثالث: فوائد نزول القرآن على سبعة أحرف.

❖ المبحث الثالث: القراءات القرآنية و فيه أربعة مطالب:

- المطلب الأول: تعريف القراءة القرآنية لغة واصطلاحاً.

- المطلب الثاني: العلاقة بين القراءات القرآنية والقرآن.
- المطلب الثالث: نشأة القراءات القرآنية وأقسامها وحكم الاحتجاج بها .
- المطلب الرابع: التعريف بالقرّاء العشرة ورواتهم.

وأما الفصل الثاني والذي جاء بعنوان: أثر القراءات في المعاني:

فقد اشتمل على أربعة مباحث:

❖ المبحث الأول: الأثر البياني للقراءات.

❖ المبحث الثاني: الأثر النحوي للقراءات.

❖ المبحث الثالث: الأثر البلاغي للقراءات.

❖ المبحث الرابع: الأثر الفقهي للقراءات.

وأما الفصل الثالث والذي جاء بعنوان: تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر من خلال سور: الفاتحة، والبقرة، وآل عمران:

فقد اشتمل على ثلاثة مباحث:

❖ المبحث الأول: تفسير سورة الفاتحة.

❖ المبحث الثاني: تفسير سورة البقرة.

❖ المبحث الثالث: تفسير سورة آل عمران.

الخاتمة:

و تشتمل على أهم النتائج و التوصيات.

الفهارس و المراجع:

و تشتمل على:

1. فهرس آيات القراءات القرآنية.

٢. فهرس الأحاديث النبوية.

٣. فهرس الأعلام المترجم لهم.

٤. فهرس المراجع و المصادر.

٥. فهرس المواضيع.

و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الباحث



التمهيد

القراءات القرآنية وعلاقتها بالإعجاز

إن الإعجاز القرآني من أهم القضايا وأكثرها حساسية لأنه يتعلق بكتاب الله عز وجل ولذا اهتم به العلماء قديما وحديثا، فتحدثوا عن وجوه الإعجاز فأحسنوا، وعددوا فأكثروا، وفصلوا فبينوا، فمنهم من أوصل وجوه الإعجاز إلى خمسة وثلاثين وجهاً كما فعل الحافظ جلال الدين السيوطي[٣] حيث ذكر أن بعضهم قد أنهى وجوه إعجازه إلى ثمانين وجها.[٤]

قال الدكتور / فضل حسن عباس: «وإذا كان المسلمون والمنصفون من غيرهم مجمعين على أن القرآن الكريم كتاب معجز، وهو المعجزة العظمى لسيدنا رسول الله - ﷺ - أقول إذا كان هؤلاء وأولئك متفقين على هذا، ومتفقين كذلك على أن بيان القرآن وبلاغته ونَظْمِه من أعظم وجوه إعجازه وأهمها، فلقد اختلفوا فيما وراء ذلك:

فرأى بعضهم أن القرآن معجز ببيانه فحسب، وذهب أكثر العلماء إلى أن وجوه الإعجاز كثيرة ومتعددة فهناك الإعجاز البياني والإعجاز التشريعي والخُلقي، وهناك الإعجاز العلمي .. إلى غير ما هنالك من وجوه الإعجاز، والقائلون بتعدد هذه الوجوه يُجمعون على أن الإعجاز البياني هو أعظم هذه الوجوه وأهمها وأعمها؛ ذلك لأنه لا تخلو منه آية من كتاب الله تعالى،

---

٣ - عبد الرحمن بن كمال الدين أبي بكر بن محمد بن سابق الدين بن فخر الدين الخضيري ، الإمام جلال الدين السيوطي، المصري ، الشافعي إمام حافظ مؤرخ محدث مفسر أديب، له نحو ٦٠٠ مصنف في فنون متنوعة. توفي سنة ٩١١ هـ ﴿انظر: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون – العلامة مصطفى بن عبدالله القسطنطيني الحنفي المعروف بحاجي خليفة – ج٥ ص٤٣٤ – دار الفكر – بيروت – ١٤١٤هـ . وحيث يأتي سأكتفي بقولي: كشف الظنون ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب / أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي: ج٨ ص٥١ – دار الفكر – بيروت – ط١ – ١٣٩٩هـ ، وحيث يأتي سأكتفي بقولي: شذرات الذهب﴾.

٤ - انظر معترك الأقران في إعجاز القرآن / جلال الدين السيوطي: ج١ ص٥ – دار الكتب العلمية / تحقيق أحمد شمس الدين – ط١ – سنة ١٩٨٨م.

وأما الوجوه الأخرى فليست كذلك، فهي مفرقة في القرآن الكريم.[٥]
ولقد اعتبر الرمّاني[٦] أن وجوه إعجاز القرآن تظهر من سبع جهات، ذكر منها البلاغة وفصّل فيها فقال: «والبلاغة على عشرة أقسام: الإيجاز والتشبيه والاستعارة والتلازم والفواصل والتجانس والتصريف والتضمين والمبالغة وحسن البيان. ثم قال: الإيجاز تقليل من غير إخلال بالمعنى، وإذا كان المعنى يمكن أن يُعَبَّر عنه بألفاظٍ كثيرة ويمكن أن يعبر عنه بألفاظ قليلة، فالألفاظ القليلة إيجاز.[٧]

وبالوقوف عند القراءات القرآنية والتأمل فيها نجد أنها تمثل وجها من وجوه الإعجاز وذلك من خلال أن كل قراءة تسد مسد آية مستقلة.
قال ابن الجزري[٨] عند حديثه عن فوائد القراءات: «ومنها ما في ذلك من نهاية البلاغة، وكمال الإعجاز وغاية الاختصار، وجمال الإيجاز ؛ إذ كل قراءة بمنزلة الآية ؛ إذ كان تنوع اللفظ بكلمة تقوم مقام آيات ولو جعلت دلالة كل لفظ آية على حدتها لم يخف ما كان في ذلك من التطويل».[٩]
وقال السيوطي مبينا فوائد القراءات: «ومنها المبالغة في إعجازه بإيجازه

٥ – إعجاز القرآن الكريم – د. فضل حسن عباس وسناء فضل عباس: ص ٢٩ باختصار – عمان – الأردن – المكتبة الوطنية ١٩٩١م.

٦ – علي بن عيسى بن علي بن عبد الله، أبو الحسن الرماني، كان إماما في العربية، علامة في الأدب، وكان معتزلي المذهب، له مصنفات كثيرة منها: التفسير والحدود الأكبر وشرح سيبويه، توفي سنة ٣٨٤هـ ﴿انظر: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة / جلال الدين السيوطي – ج٢ ص١٨٠ – تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم – المكتبة العصرية – بيروت ﴾ وحيث يأتي سأكتفي بقولي: بغية الوعاة.

٧ – النكت في إعجاز القرآن – ضمن كتاب ثلاث رسائل في الإعجاز – أبو الحسن الرماني: تحقيق محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام – ص ٧٥، ٧٦ باختصار – دار المعارف بمصر – ط٣.

٨ – محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف بن الجزري ، أبو الخير، ألف في التفسير والحديث والفقه والعربية له كتب كثيرة، منها كتاب النشر في القراءات العشر وهو من أجل مؤلفاته، وغاية النهاية في طبقات القراء، وغيرهما توفي سنة ٨٣٣ هـ ﴿ انظر: غاية النهاية في طبقات القراء ج١ ص٢٤٧ ، دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ الطبعة الأولى سنة ١٣٥٢هـ ﴾ وحيث يأتي سأكتفي بقولي: غاية النهاية.

٩ – النشر في القراءات لعشر – محمد بن محمد بن محمد الجزري: ج١ ص٥٢ ، تصحيح: علي محمد الضباع –دار الفكر . وحيث يأتي سأكتفي بقولي: النشر.

إذ تنوع القراءات بمنزلة الآيات».[10]

وقال الطاهر بن عاشور في مقدمة تفسيره: « وأنا أرى أن على المفسر أن يبين اختلاف القراءات المتواترة لأن في اختلافها توفيرا لمعاني الآية غالبا فيقوم تعدد القراءات مقام تعدد كلمات القرآن».[11]

ولقد اعتبر الشيخ الزرقاني تعدد القراءات ضربا من ضروب البلاغة إذ قال: «والخلاصة: أن تعدد القراءات، يقوم مقام تعدد الآيات وذلك ضرب من ضروب البلاغة، يبتدئ من جمال هذا الإيجاز وينتهي إلى كمال الإعجاز.

أضف إلى ذلك ما في تنوع القراءات من البراهين الساطعة على أن القرآن كلام الله، وعلى صدق من جاء به وهو رسول الله -ﷺ- فإن هذه الاختلافات في القراءة على كثرتها لا تؤدي إلى تناقض في المقروء وتضاد، ولا إلى تهافت وتخاذل، بل القرآن كله على تنوع قراءاته، يصدق بعضه بعضا، ويشهد بعضه لبعض، على نمط واحد في علو الأسلوب والتعبير، وهدف واحد من سمو الهداية والتعليم، وذلك - من غير شك - يفيد تعدد الإعجاز بتعدد القراءات والحروف.

ومعنى هذا أن القرآن يُعجز إذا قرئ بهذه القراءة، ويُعجز أيضاً إذا قرئ بهذه القراءة الثانية، ويُعجز أيضا إذا قرئ بهذه القراءة الثالثة، وهلم جرا. ومن هنا تتعدد المعجزات بتعدد تلك الوجوه.[12]

ولقد صرح الدكتور عبد الرحمن الجمل - حفظه الله - بأن اختلاف القراءات القرآنية لون من ألوان الإعجاز حيث قال تحت عنوان القراءات

---

١٠ - الإتقان في علوم القرآن - جلال الدين السيوطي: ج١ ص٢٢٧ - تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم - دار التراث.

١١ - تفسير التحرير والتنوير - الشيخ محمد الطاهر بن عاشور: المجلد الأول ج١ ص٥٦ ـ دار سحنون للنشر ـ تونس - ١٩٩٧م.

١٢ - مناهل العرفان في علوم القرآن - محمد عبد العظيم الزرقاني: ص١١١ - تحقيق الشيخ أمين سليم الكردي المكتبة التدمرية - دار إحياء التراث العربي - ط٢ - ١٤١٩هـ . وحيث يأتي سأكتفي بقولي مناهل العرفان.

القرآنية لون من ألوان الإعجاز:

« فقد يقال إن القراءات المتواترة والتي هي جزء من الأحرف السبعة لا يتضح فيها معنى التيسير؛ وذلك لسهولة القراءة بها على أي قراءة من القراءتين أو القراءات وذلك نحو قوله تعالى (تجري تحتها الأنهار) التوبة ١٠٠، (تجري من تحتها الأنهار) بزيادة من، وقوله تعالى (وما الله بغافل عما يعملون) البقرة ١٤٩ ، بالياء على الغيب، (وما الله بغافل عما تعملون) بالتاء على الخطاب . ويجاب عن ذلك بأن اختلاف القراءات القرآنية يرجع إلى سببين:

أولهما : ما كان مرجعه اختلاف اللغات العربية، والذي لأجله نزل القرآن الكريم على سبعة أحرف، تيسيرا على الناس، كالاختلافات في تحقيق الهمز وتسهيله، والإمالة والفتح وغير ذلك.

ثانيهما : ما كان راجعا إلى خاصية في القرآن نفسه، وهي الإعجاز.

فالقراءات القرآنية لون من ألوان الإعجاز ووجه من وجوهه في هذا الكتاب العظيم، فهي تثري المعاني وتزيدها، وذلك نحو الاختلاف في قراءة قوله تعالى (ولو يرى الذين ظلموا ...) البقرة ١٦٥ ، فقد قرأها نافع وابن عامر ويعقوب وعيسى – أي ابن وردان – بخلاف عنه – أي عن أبي جعفر[١٣] – بالخطاب، هكذا (ولو ترى ...) وقرأها الباقون ومنهم حفص بالغيب، هكذا (ولو يرى ...) على أن (الذين ظلموا) فاعل. أما القراءة الأولى فالخطاب فيها للنبي -ﷺ- والمراد تنبيه غيره، و(الذين ظلموا) مفعول به، فيلاحظ اختلاف المعنى على كل قراءة اختلاف تنوع وتغاير لا اختلاف تناقض وتضاد. فكل قراءة تثري معنى الآية بالمعاني العظيمة والكثيرة، وكل قراءة تسد مسد آية مستقلة.[(١٤)]

١٣ – ستأتي الترجمة عنهم بتفصيل.

١٤ – انظر منهج الإمام الطبري في القراءات في تفسيره / الدكتور عبد الرحمن يوسف الجمل ص٩٧ . رسالة ماجستير

ومن هنا كانت هذه الرسالة المتواضعة من أجل إبراز هذا الجانب المعجز للقراءات القرآنية وأثرها على التفسير من خلال تفسير لسور الفاتحة والبقرة وآل عمران بالقراءات القرآنية العشر راجيا من المولى -عز وجل- السداد والتوفيق، والإخلاص في القول والعمل.



الفصل الأول
مقدمات للتفسير

❖ المبحث الأول: التفسير والتأويل وفيه ثلاثة مطالب:
- المطلب الأول: معنى التفسير لغةً واصطلاحاً.
- المطلب الثاني: معنى التأويل لغةً واصطلاحاً.
- المطلب الثالث: علاقة القراءات بالتفسير.

❖ المبحث الثاني: الأحرف السبعة وفيه ثلاثة مطالب:
- المطلب الأول: أحاديث نزول القرآن على سبعة أحرف.
- المطلب الثاني: معنى الأحرف السبعة والرأي الراجح منها.
- المطلب الثالث: فوائد نزول القرآن على سبعة أحرف.

❖ المبحث الثالث: القراءات القرآنية وفيه أربعة مطالب:
- المطلب الأول: تعريف القراءات القرآنية لغةً واصطلاحاً.
- المطلب الثاني: العلاقة بين القراءات القرآنية والقرآن.
- المطلب الثالث: نشأة القراءات وأقسامها وحكم الاحتجاج بها.
- المطلب الرابع: التعريف بالقراء العشرة ورواتهم.

الفصل الأول: مقدمات للتفسير

بعد أن ذكرنا في التمهيد أهمية القراءات القرآنية وكيف أنها تعتبر وجهاً من وجوه الإعجاز في القرآن، كان لابد من ذكر بعض المقدمات قبل الخوض في التفسير، لما لهذه المقدمات من أهمية كبرى تتعلق بموضوعنا وهو تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر.

المبحث الأول: التفسير والتأويل

المطلب الأول: معنى التفسير لغةً واصطلاحاً:

أ- التفسير لغةً:

مصدر على وزن تفعيل فعله الماضي فسّر وهو مضعف بالتشديد.

قال ابن فارس(١٥): «الفسْر: كلمة تدل على بيان الشيء وإيضاحه، تقول فسَرت الشيء، وفسّرته. والتفسرة: نظر الطبيب إلى الماء وحكمه فيه». (١٦)

وقال الراغب الأصفهاني(١٧): «الفسْر: إظهار المعنى المعقول. والتفسير في المبالغة كالفسْر».(١٨)

وقال ابن منظور(١٩): «الفسْر: البيان، فسَر الشيء يفسِره بالكسر، ويفسُره

---

١٥ – أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب الرازي اللغوي، أبو الحسين، كان إماما في علوم شتى خصوصا في اللغة فإنه أتقنها، وألف كتابه المجمل في اللغة، توفي بالري سنة ٣٩٠هـ ﴿انظر: شذرات الذهب ج٣ ص١٣٢﴾.

١٦ – معجم مقاييس اللغة / لأبي الحسين أحمد بن فارس ج٤ ص٥٠٤ – تحقيق: عبد السلام محمد هارون – دار الجيل – بيروت.

١٧ – الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم المعروف بالراغب الأصفهاني، أو الأصبهاني، أديب، اشتهر بالتفسير واللغة، له مؤلفات كثيرة منها: كتاب مفردات ألفاظ القرآن، وأفانين البلاغة وغيرهما. قال السيوطي: كان في أوائل المائة الخامسة﴿ انظر: بغية الوعاة ج٢ ص٢٩٧، ومقدمة كتاب مفردات ألفاظ القرآن - العلامة الراغب الأصفهاني: تحقيق صفوان عدنان داوودي - ص١ – دار القلم – دمشق – ط٢ – ١٤١٨هـ، وانظر: كشف الظنون ﴾ج١ ص٣٦.

١٨ – مفردات ألفاظ القرآن ص٦٣٦.

١٩ – محمد بن مكرم بن علي بن أحمد بن أبي القاسم بن حقة بن منظور، أبو الفضل الأنصاري الأفريقي المصري، ولي قضاء

بالضم فسْراً، وفسّره: أبانه، والفسْر: كشف المغطى، والتفسير: كشف المراد عن اللفظ المشكل.

والتفسرة: البول الذي يستدل به على المرض وينظر فيه الأطباء يستدلون بلونه على العليل... وكل شيء يعرف به تفسير الشيء ومعناه فهو تفسرته.[٢٠]

مما سبق يتضح أن المعنى الأصلي لمادة فسر هو: البيان والكشف والإيضاح والإظهار.

ب- التفسير اصطلاحاً:

لقد اختلف العلماء في تحديد المعنى الاصطلاحي للتفسير:

قال الزركشي[٢١]: «التفسير علم نزول الآية وسورتها وأقاصيصها والإشارات النازلة فيها ثم ترتيب مكيها ومدنيها ومحكمها ومتشابهها وناسخها ومنسوخها وخاصها وعامها ومطلقها ومقيدها ومجملها ومفسرها.[٢٢]

وقال أبو حيان[٢٣]: «التفسير علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن الكريم ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب وتتمات لذلك.[٢٤]

طرابلس، صاحب لسان العرب في اللغة، توفي سنة ٧١١هـ ﴿ انظر: بغية الوعاة – ج١ ص٢٤٨﴾ .

٢٠ – لسان العرب ج٦ ص٣٤١٢ –٣٤١٣ باختصار – مكتبة ابن تيمية – دار المعارف – القاهرة.

٢١ – محمد بن عبد الله بن بهادر، أبو عبد الله المصري الزركشي الشافعي، كان فقيهاً، أصولياً، مفسراً، له مؤلفات نافعة، منها: البرهان في علوم القرآن. توفي سنة ٧٩٤هـ ﴿ انظر: طبقات المفسرين – الحافظ شمس الدين محمد بن علي الداوودي: ج٢ ص١٦٢ – دار الكتب العلمية – بيروت – ط١ – ١٤٠٣هـ﴾ .

٢٢ – البرهان في علوم القرآن – الإمام بدر الدين الزركشي: تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم – ج٢ ص١٤٨ – دار التراث – القاهرة .

٢٣ – محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان، أبو عبد الله، ولد بغرناطة، نشأ محبا للعلم متتلمذا على العلماء، يجلس إليهم ويأخذ عنهم، رحل لطلب العلم، برع في عدة علوم في القراءات والنحو واللغة والتفسير وترك العديد من المؤلفات منها : تفسيره البحر المحيط، توفي سنة ٧٤٥هـ انظر: غاية النهاية في طبقات القراء – شمس الدين بن الجزري: ج٢ ص٢٨٥ – دار الكتب العلمية – بيروت – ط٣ – ١٤٠٢هـ . وحيث يأتي سأكتفي بقولي: غاية النهاية ، ومقدمة كتاب تفسير أبي حيان ٢٧/١.

٢٤ – البحر المحيط / أبو حيان الأندلسي ١ /١٢١ –– تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرون – دار الكتب العلمية – بيروت – ط١ – ١٤١٣هـ .

والتعريف الأقرب للصواب، والذي أميل إليه، والموافق للأصل اللغوي هو تعريف الزرقاني:

«التفسير علم يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية.[٢٥]

المطلب الثاني: معنى التأويل لغةً واصطلاحاً:

أ- التأويل لغةً:

التأويل: مصدر على وزن تفعيل، فعله الماضي أَوّل وهو رباعي مضعف.

قال ابن فارس: «أوّل: الهمزة والواو واللام أصلان: ابتداء الأمر وانتهاؤه ... آل يؤول: أي رجع. الإيالة: السياسة لأن مرجع الرعية إلى راعيها، آل الرجل: أهل بيته لأنه إليه مآلهم وإليهم مآله، تأويل الكلام: هو عاقبته وما يؤول إليه.[٢٦]

وقال الراغب الأصفهاني: «التأويل من الأَوْل، أي الرجوع إلى الأصل، ومنه المَوئِل للموضع الذي يرجع إليه، وذلك هو رد الشيء إلى الغاية المرادة منه علما أو فعلا.

ففي العلم نحو قوله تعالى (وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم) آل عمران ٧.

وفي الفعل نحو قوله تعالى (هل ينظرون إلا تأويله، يوم يأتي تأويله) الأعراف ٥٣، أي بيانه الأوّل: السياسة التي تراعى مآلها.[٢٧]

وقال ابن منظور: «الأوْل: الرجوع، آل الشيء يؤول أولاً ومآلاً رجع، أوّل إليه الشيء: رجعه، أُلت عن الشيء: ارتددت، أوّل الكلام وتأوّله: دبره وقدره،

٢٥ - مناهل العرفان ص٣٣٤.

٢٦ - معجم مقاييس اللغة ج١ ص١٥٨ - ١٦٢ باختصار.

٢٧ - مفردات ألفاظ القرآن ص٩٩.

أوّله وتأوّله: فسّره

الإيالة: السياسة..آل الملك رعيته يؤولها أولا وإيالة: ساسهم وأحسن سياستهم.[٢٨]

من خلال ما سبق نرى أن المعنى الجامع للأول هو:

الرد والرجوع إلى الأصل، بمعنى أن تأويل الكلام هو رد معانيه وإرجاعها إلى أصلها الذي تحمل عليه وتنتهي إليه.

ب- التأويل اصطلاحا:

اختلف العلماء في تحديد المعنى الاصطلاحي للتأويل:

قال الدكتور محمد حسين الذهبي: «التأويل عند السلف له معنيان:

أحدهما: تفسير الكلام وبيان معناه، سواء أوافق ظاهره أو خالفه، فيكون التأويل والتفسير على هذا مترادفين، وهذا هو ما عناه مجاهد[٢٩] من قوله: (إن العلماء يعلمون تأويله)

يعني القرآن، وما يعنيه ابن جرير الطبري[٣٠] بقوله في تفسيره (القول في تأويل قوله تعالى كذا وكذا) وبقوله (اختلف أهل التأويل في هذه الآية) ونحو ذلك، فإن مراده التفسير.

ثانيهما: هو نفس المراد بالكلام، فإن كان الكلام طلبا كان تأويله نفس الفعل المطلوب، وإن كان خبرا كان تأويله نفس الشيء المخبر به ...

أما التأويل عند المتأخرين من المتفقهة، والمتكلمة، والمحدثة والمتصوفة:

٢٨ - لسان العرب ١ /١٧١-١٧٣.

٢٩ - مجاهد بن جبر،أبو الحجاج، المكي أحد الأعلام من التابعين والأئمة المفسرين، قرأ على ابن عباس بضعا وعشرين ختمة، ويقال ثلاثين عرضة، ومن جملتها سأله عن كل آية فيم كانت، توفي سنة ١٠٣ هـ، وقيل سنة أربع، وقيل سنة ٢ ﴿ انظر: غاية النهاية ج٢ ص٤١ ﴾

٣٠ - محمد بن جرير بن يزيد، الإمام أبو جعفر الطبري الأملي البغدادي، أحد الأعلام، وصاحب التصانيف الكثيرة والمشهورة منها: التفسير المشهور جامع البيان عن تأويل آي القرآن، والتاريخ، وغيرهما، توفي سنة ٣١٠هـ ﴿انظر: غاية النهاية ج٢ ص١٠٦ ، وشذرات الذهب ج٢ ص٣٦١ ﴾

التأويل عند هؤلاء جميعا: هو صرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح لدليل يقترن به.[31]

وقال الدكتور صلاح الخالدي: «هو علم يتم به حسن فهم القرآن وإزالة اللبس والإشكال عن بعض آياته وذلك بردها إلى الغاية المرادة منها، وحملها على الآيات الأخرى التي لا لبس فيها ولا إشكال.[32]

والتعريف الأقرب للصواب – والذي أميل إليه هو التعريف الذي رجحه أستاذي الدكتور مروان أبو راس -حفظه الله- والموافق للأصل اللغوي وهو: محاولة رد الألفاظ في القرآن الكريم إلى مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية.

الفرق بين التفسير والتأويل والراجح منها:

لقد ذكر العلماء أقوالا كثيرة في الفرق بين التفسير والتأويل ذكرها صاحب كتاب التفسير والمفسرون، حيث قال: اختلف العلماء في بيان الفرق بين التفسير والتأويل، وفي تحديد النسبة بينهما اختلافاً نتجت عنه أقوال كثيرة: منها أن التفسير والتأويل بمعنى واحد، وقيل: التفسير أعم من التأويل، وقيل التفسير يتعلق بالرواية، والتأويل يتعلق بالدراية..إلى غير ذلك من أقوال الراجح منها هو:

أن التفسير والتأويل بمعنى واحد، فهما مترادفان. وهذا هو الشائع عند المتقدمين من علماء التفسير.[33]

المطلب الثالث: علاقة القراءات بالتفسير:-

إن للقراءات القرآنية تعلقا شديدا بالتفسير باعتبار أن القراءات القرآنية

٣١- التفسير والمفسرون- د. محمد حسين الذهبي ج١ ص١٩-٢٠ بتصرف. مكتبة وهبة – القاهرة – الطبعة الخامسة ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م.

٣٢ – التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق / صلاح عبد الفتاح الخالدي ص١٤ – دار النفائس – الأردن – ط١ – ١٤١٨هـ.

٣٣ – انظر المصدر السابق ص٢٠ -٢٣.

هي جزء من القرآن، وسيأتي تفصيل ذلك عند الحديث عن العلاقة بين القراءات القرآنية والقرآن.

وطالما أن القراءات القرآنية تعتبر أداة من أدوات التفسير، فهي من باب تفسير القرآن بالقرآن. وطالما أن تفسير القرآن بالقرآن هو من أشرف أنواع التفسير وأجلها. فيكون تفسير القرآن بالقراءات القرآنية من أشرف أنواع التفسير وأجلها.

قال ابن كثير[٣٤]: «فإن قال قائل فما أحسن التفسير؟ فالجواب إن أصح الطريق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن فما أجمل في مكان فإنه قد بسط في موضع آخر.[٣٥]

ولقد اعتبر الشيخ محمد الأمين الشنقيطي[٣٦] أن تفسير القرآن بالقراءات القرآنية هو من تفسير القرآن بالقرآن والذي يعتبر من أشرف أنواع التفسير وأجلها فقال في معرض حديثه عن مقصوده من تأليفه أمران:

أحدهما: بيان القرآن بالقرآن لإجماع العلماء على أن أشرف أنواع التفسير وأجلها تفسير كتاب الله بكتاب الله، إذ لا أحد أعلم بمعنى كلام الله - ﷻ- من الله جل وعلا، وقد التزمنا أنا لا نبين القرآن إلا بقراءة سبعية، سواء كانت قراءة أخرى في الآية المبينة نفسها، أو آية أخرى غيرها، ولا نعتمد على البيان بالقراءة الشاذة، وربما ذكرنا القراءة الشاذة استشهاداً للبيان

٣٤ - عماد الدين إسماعيل بن عمر بن ضوء بن كثير، أبو الفداء الحافظ الدمشقي صاحب التصانيف الكثيرة منها تفسيره المشهور المسمى تفسير القرآن العظيم، وكتاب البداية والنهاية، توفي سنة ٧٧٤هـ ﴿انظر: شذرات الذهب ج٦ ص٢٣١، ومقدمة كتاب البداية والنهاية ١/س - تحقيق د. أحمد أبو ملحم وآخرون - دار الكتب العلمية - بيروت - ط٤ - سنة ١٠٤٨هـ﴾.

٣٥ - تفسير القرآن العظيم والمعروف بتفسير ابن كثير - لأبي الفداء إسماعيل بن كثير: قدم له عبد القادر الأرناؤوط - ج١ ص١٩ - دار الفيحاء - دمشق - دار السلام - الرياض - ط١ - سنة ١٤١٤هـ. وحيث يأتي سأكتفي بقولي: تفسير ابن كثير.

٣٦ - محمد الأمين بن محمد المختار، ولد بالقطر المسمى شنقيط، وهو الجزء الشرقي من دولة موريتانيا الإسلامية الآن، نشأ في بيت علم، حفظ القرآن في بيت أخواله، دَرَّسَ في المسجد النبوي الشريف، من مؤلفاته: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، توفي سنة ١٣٩٣ هـ. انظر ترجمته في مقدمة تفسيره: أضواء البيان لتلميذه: عطية محمد سالم ج١ ص٩-٢٦ دار إحياء التراث العربي - بيروت - ط١ - سنة ١٩٩٦م. وحيث يأتي سأكتفي بقولي: أضواء البيان.

بقراءة سبعية، وقراءة أبي جعفر ويعقوب وخلف[٣٧] ليست من الشاذ عندنا ولا عند المحققين من أهل العلم بالقراءات.[٣٨]

وكذلك نجد أن الدكتور محمد حسين الذهبي قد اعتبر القراءات القرآنية وجها من أوجه تفسير القرآن بالقرآن حيث قال: «ومن تفسير القرآن بالقرآن: حمل بعض القراءات على غيرها ..إلى أن قال ...ومما يؤيد أن القراءات مرجع مهم من مراجع تفسير القرآن بالقرآن، ما روي عن مجاهد أنه قال: لو كنت قرأت قراءة ابن مسعود قبل أن أسأل ابن عباس ما احتجت أن أسأله عن كثير مما سألته عنه[٣٩].

ولهذا نجد أن كثيراً من المفسرين قد صرّحوا في مقدمة تفاسيرهم أن علم القراءات من العلوم التي ينبغي للمفسر أن يكون على علم بها.

فنجد أن أبا حيان يذكر في مقدمة تفسيره عند حديثه عن العلوم التي يحتاج إليها المفسر:

«الوجه السابع: اختلاف الألفاظ بزيادة أو نقص، أو تغيير حركة أو إتيان بلفظ بدل لفظ، وذلك بتواتر وآحاد، ويؤخذ هذا الوجه من علم القراءات».[٤٠]

وكذلك ذكر الألوسي[٤١] في مقدمة تفسيره فيما يحتاجه التفسير: « ..السابع: علم القراءات لأنه به يعرف كيفية النطق بالقرآن، وبالقراءات ترجح بعض الوجوه المحتملة على بعض».[٤٢]

---

٣٧ - ستأتي الترجمة لهم مفصلة.

٣٨ - أضواء البيان ج١ ص٣٠ .

٣٩ - التفسير والمفسرون - د. محمد حسين الذهبي: ج١ ص٤٢-٤٣ - مكتبة وهبة - القاهرة - ط٥ - سنة ١٤١٣هـ.

٤٠ - تفسير البحر المحيط ج١ ص١٠٨.

٤١ - محمود بن عبد الله بن محمود بن درويش الحسيني الألوسي، شهاب الدين، أبو الثناء، شيخ علماء العراق في عصره، مفسر، محدث، فقيه، أديب، لغوي، له تصانيف كثيرة أشهرها تفسيره: روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، توفي سنة ١٢٧٠هـ ﴿ انظر: الأعلام - للزركلي ج٧ ص١٧٦﴾ .

٤٢ - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني - شهاب الدين الألوسي: ج١ ص٦ - دار إحياء التراث العربي -بيروت - وحيث يأتي سأكتفي بقولي: روح المعاني.

وليس معنى هذا أن كل ما يتعلق بعلم القراءات له علاقة بالتفسير، فهناك جانب من علم القراءات ليس له علاقة بالتفسير وجانب له علاقة بالتفسير.

قال ابن عاشور في مقدمة تفسيره: «أرى أن للقراءات حالتين: إحداهما لا تعلق لها بالتفسير بحال، والثانية لها تعلق به من جهات متفاوتة.

أما الحالة الأولى: فهي اختلاف القراء في وجوه النطق بالحروف والحركات كمقادير المد والإمالات والتخفيف والتسهيل والجهر والهمس ...ومزية القراءات من هذه الجهة عائدة إلى أنها حفظت على أبناء العربية ما لم يحفظه غيرها ...وهذا غرض مهم جداً لكنه لا تعلق له بالتفسير لعدم تأثيره في اختلاف معاني الآي...وأما الحالة الثانية: فهي اختلاف القراء في حروف الكلمات مثل (مالك يوم الدين) الفاتحة ٤ ، (ملك يوم الدين) و (نُنْشِرُها) البقرة ٢٥٩، (نُنْشِزُها) ...وهي من هذه الجهة لها مزيد تعلق بالتفسير لأن ثبوت أحد اللفظين في قراءة قد يبين المراد من نظيره في القراءة الأخرى، أو يثير معنى غيره، ولأن اختلاف القراء في ألفاظ القرآن يكثر المعاني في الآية الواحدة ...وأنا أرى أن على المفسر أن يبين اختلاف القراءات المتواترة لأن في اختلافها توفيراً لمعاني الآية غالبا فيقوم تعدد القراءات مقام تعدد كلمات القرآن ...»[٤٣]

ولقد أبرز ابن الجزري العلاقة بين التفسير والقراءات عندما تطرق لبيان بعض الحكم المستفادة من اختلاف القراءات فقال: «وأما على أي شيء يتوجه اختلاف هذه السبعة فإنه يتوجه على أنحاء ووجوه مع السلامة من التضاد والتناقض كما سيأتي إيضاحه في حقيقة اختلاف هذه السبعة:

١. فمنها ما يكون لبيان حكم مجمع عليها كقراءة سعد بن أبي وقاص وغيره (وله أخ أو أخت من أم)[٤٤] النساء ١٢ ، فإن هذه القراءة تبين

٤٣ - التحرير والتنوير المجلد الأول ج١ ص٥٦.

٤٤ - وهي قراءة شاذة ليست في القراءات العشر ولا في القراءات الأربع عشرة.

أن المراد بالأخوة هنا هو الأخوة للأم وهذا أمر مجمع عليه، ولذلك اختلف العلماء في المسألة المشركة، وهي زوج وأم أو جدة واثنان من أخوة الأم وواحد أو أكثر من اخوة الأب والأم، فقال الأكثرون من الصحابة وغيرهم بالتشريك بين الأخوة لأنهم من أم واحدة وهو مذهب الشافعي[٤٥] ومالك[٤٦] وغيرهما. وقال جماعة من الصحابة وغيرهم يجعل الثلث لإخوة الأم ولا شيء لإخوة الأبوين لظاهر القراءة الصحيحة، وهو مذهب أبي حنيفة[٤٧] وأصحابه الثلاثة وأحمد بن حنبل[٤٨] وداود الظاهري[٤٩] وغيرهم.

٢. ومنها ما يكون مرجحاً لحكم اختلف فيه كقراءة (أو تحرير رقبة مؤمنة)[٥٠] المائدة ٨٩، في كفارة اليمين فكان فيها ترجيح لاشتراط الإيمان فيها كما ذهب إليه الشافعي وغيره ولم يشترطه أبو حنيفة.

٣. ومنها ما يكون للجمع بين حكمين مختلفين كقراءة (يطْهرن)[٥١] البقرة ٢٢٢، (يطّهّرن) بالتخفيف والتشديد ينبغي الجمع بينهما وهو

٤٥ – محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع، ينتهي نسبه إلى قصي بن كلاب، أبو عبد الله الشافعي، الغزي المولد، أحد أئمة الإسلام توفي بمصر سنة ٢٠٤هـ ﴿انظر: غاية النهاية ج٢ ص٩٥، شذرات الذهب ج٢ ص٩﴾.

٤٦ – الإمام مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث، أبو عبد الله، إمام دار الهجرة، ابن أنس الصحابي الجليل خادم الرسول صلى الله عليه وسلم، له كتاب الموطأ، توفي سنة ١٧٩هـ ﴿انظر: سير أعلام النبلاء – شمس الدين الذهبي: تحقيق – شعيب الأرناؤوط – ج٨ ص٤٨ – مؤسسة الرسالة – ط٦ – سنة ١٤٠٩هـ، البداية والنهاية ج١٠ ص١٨٠، شذرات الذهب ج١ ص٢٨٩﴾.

٤٧ – النعمان بن ثابت بن زويطي التيمي مولاهم الكوفي، فقيه العراق وأحد أئمة الإسلام، والسادة الأعلام، وأحد الأئمة الأربع أصحاب المذاهب المتنوعة، وهو أقدمهم وفاة، لأنه أدرك عصر الصحابة، ورأى أنس بن مالك، قيل وغيره مات سنة ١٥٠هـ ﴿انظر: البداية والنهاية ج١٠ ص١١٠، سير أعلام النبلاء ج٦ ص٣٩٠، شذرات الذهب ج١ ص٢٢٧﴾.

٤٨ – أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال، أبو عبد الله الشيباني ثم المروزي ثم البغدادي، أحد الأئمة الأربع، صاحب المسند، توفي سنة ٢٤١هـ ﴿انظر: البداية والنهاية ج١٠ ص٣٤٠، سير أعلام النبلاء ج١١ ص١٧٧﴾.

٤٩ – داود بن علي، الأصبهاني ثم البغدادي، الفقيه الظاهر إمام أهل الظاهر، كان من المتعصبين للشافعي، وصنف مناقبه، مات سنة ٢٧٠هـ ﴿انظر: البداية والنهاية ج١١ ص٥١، تذكرة الحفاظ – الإمام شمس الدين محمد الذهبي: ج٢ ص٥٧٢، دار الفكر – بيروت، شذرات الذهب ج٢ ص١٥٨﴾.

٥٠ – وهي قراءة شاذة ليست في القراءات العشر ولا في القراءات الأربع عشرة.

٥١ – قرأ أبو بكر وحمزة والكسائي وخلف (يطَّهَّرن) والباقون (يطْهُرن).

أن الحائض لا يقربها زوجها حتى تطهر بانقطاع حيضها وتطهر بالاغتسال.

4. ومنها ما يكون لأجل اختلاف حكمين شرعيين كقراءة (وأرجلَكم)[٥٢] المائدة ٦ ، بالخفض والنصب فإن الخفض يقتضي فرض المسح، والنصب يقتضي فرض الغسل فبيَّنَهُما النبي-ﷺ - فجعل المسح للابس الخف، والغسل لغيره ...

5. ومنها ما يكون لإيضاح حكم يقتضي الظاهر خلافه كقراءة (فامضوا إلى ذكر الله)[٥٣] الجمعة ٩، فإن قراءة (فاسعوا) يقتضي ظاهرها المشي السريع وليس كذلك فكانت القراءة الأخرى موضحة لذلك ورافعة لما يتوهم منه.

6. ومنها ما يكون مفسراً لما لعله لا يعرف مثل قراءة (كالصوف المنفوش)[٥٤] القارعة ٥.

7. ومنها ما يكون حجة لأهل الحق ودفعاً لأهل الزيغ كقراءة (وملكاً كبيرا)[٥٥] الإنسان ٢٠ ، بكسر اللام وردت عن ابن كثير[٥٦] وغيره وهي أعظم دليل على رؤية الله تعالى في الآخرة.

8. ومنها ما يكون حجة بترجيح لقول بعض العلماء كقراءة (أو لمستم النساء)[٥٧] النساء ٤٣ ، إذ اللمس يطلق على الجس والمس كقوله تعالى (فلمسوه بأيديهم) الأنعام ٧ ، أي مسوه.

---

٥٢ - قرأ حمزة (والأرحامِ) بالكسر وقرأ الباقون (والأرحامَ) بالفتح. انظر: النشر ج٢ ص٢٤٧ .

٥٣ - وهي قراءة شاذة ليست في القراءات العشر ولا في الأربع عشرة.

٥٤ - وهي قراءة شاذة ليست في القراءات العشر ولا في الأربع عشرة.

٥٥ - وهي قراءة شاذة لم تثبت عن ابن كثير ضمن القراءات الصحيحة المنسوبة إليه.

٥٦ - ستأتي ترجمته عند ذكر القراء العشرة ص٢٦.

٥٧ - قرأ حمزة والكسائي وخلف بغير ألف (لمستم) وقرأ الباقون بالألف (لامستم).

٩. ومنها ما يكون حجة لقول بعض أهل العربية كقراءة (والأرحامِ)[٥٨] المائدة ٦ .

١٠. بالخفض، (ولِيُجْزَي قوماً)[٥٩] الجاثية ١٤ ، على ما لم يسم فاعله مع النصب».[٦٠]



٥٨ - قرأ حمزة (والأرحامِ) بالكسر وقرأ الباقون (والأرحامَ) بالفتح.

٥٩ - وهي قراءة عشرية صحيحة قرأ بها أبو جعفر يزيد بن القعقاع. انظر النشر ج٢ ص٣٧٢

٦٠ - النشر ج١ ص٢٨-٢٩ باختصار

المبحث الثاني: الأحرف السبعة

المطلب الأول: أحاديث نزول القرآن على سبعة أحرف:

لقد تعددت الروايات في نزول القرآن على سبعة أحرف، وتنوعت مصادرها، فهي مروية في أمهات كتب السنة منها الكتب الستة ومسند الإمام احمد ومصنف ابن أبي شيبة ومستدرك الحاكم وصحيح ابن حبان ومعجم الطبراني وغيرها.

ولقد استفاضت هذه الأحاديث واشتهرت وتعددت أسانيدها وكثر من رواها من الصحابة بما يمتنع معه تواطؤهم على الكذب.

قال ابن الجزري: "وقد نص الإمام الكبير أبو عبيد القاسم ابن سلام[٦١] - رحمه الله -على أن هذا الحديث تواتر عن النبي-ﷺ- قلت: وقد تتبعت طرق هذا الحديث في جزء مفرد جمعته في ذلك فرويناه من حديث عمر بن الخطاب، وهشام بن حكيم بن حزام،..[٦٢]

فمن هذه الأحاديث:

١- روى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن ابن عباس - رض الله عنهما - أنه قال: قال رسول الله - ﷺ -(أقرأني جبريل على حرف فراجعته، فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف.)[٦٣]

٢- روى البخاري ومسلم – واللفظ للبخاري – أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: (سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة النبي-ﷺ-فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرؤها على حروف كثيرة،

---

٦١ – القاسم بن سلام، أبو عبيد الخرساني الأنصاري مولاهم البغدادي، الإمام الكبير الحافظ العلامة أحد الأعلام المجتهدين وصاحب التصانيف في القراءات والحديث والفقه واللغة والشعر، توفي سنة ٢٢٤هـ ﴿انظر: غاية النهاية ج٢ ص١٧﴾.

٦٢ – النشر ج١ ص٢١.

٦٣ – انظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، كتاب فضائل القرآن ، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف ج٩ ص٢٣ رقم ٤٩٩١ –دار المعرفة/ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، صحيح مسلم ، كتاب صلاة المسافرين ، باب بيان أن القرآن أنزل على سبعة أحرف ج١ ص٥٦١ رقم٢٧٢ –رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء بالسعودية/ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي – سنة ١٩٨٠م.

لم يقرئنيها رسول الله-ﷺ-فكدت أساوره في الصلاة، فانتظرته حتى سلم، ثم لببته بردائه، فقلت من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ ؟ قال: أقرأنيها رسول الله-ﷺ-فقلت له كذبت، فوالله إن رسول الله-ﷺ-أقرأني هذه السورة التي سمعتك تقرؤها: فانطلقت به إلى رسول الله-ﷺ فقلت يا رسول الله إني سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها، وأنت أقرأتني سورة الفرقان، فقال رسول الله-ﷺ-: أرسله يا عمر. اقرأ يا هشام فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرؤها قال رسول الله-ﷺ-هكذا أنزلت. ثم قال رسول الله-ﷺ-: اقرأ يا عمر، فقرأت القراءة التي أقرأني، فقال رسول الله-ﷺ-كذلك أنزلت: إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤا ما تيسر منه.)[٦٤]

٣- روى مسلم بسنده عن أبي بن كعب رضي الله عنه: (أن النبي-ﷺ-كان عند أضاة[٦٥] بني غفار قال: فأتاه جبريل عليه السلام فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرف فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتي لا تطيق ذلك. ثم أتاه الثانية فقال إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرفين فقال أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتي لا تطيق ذلك.

ثم جاءه الثالثة فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على ثلاثة أحرف فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتي لا تطيق ذلك ثم جاءه الرابعة فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على سبعة أحرف، فأيما حرف قرؤا عليه أصابوا.)[٦٦]

---

٦٤ – انظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف ج٩ ص٢٣ رقم٤٩٩٢، صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب بيان أن القرآن أنزل على سبعة أحرف ج١ ص٥٦٠ رقم ٢٧٠.

٦٥ – الأضاة: الماء المستنقع، كالغدير.

٦٦ – صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب بيان أن القرآن أنزل على سبعة أحرف ج ١ ص٥٦١-٥٦٢ رقم ٢٧٤.

٤- روى الترمذي عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: (لقي رسول الله- ﷺ-جبريل فقال: (يا جبريل: إني بعثت إلى أمة أميين منهم العجوز والشيخ الكبير والغلام والجارية والرجل الذي لم يقرأ كتابا قط، قال: يا محمد إن القرآن أنزل على سبعة أحرف. قال الترمذي: حسن صحيح.)[٦٧]

المطلب الثاني: معنى الأحرف السبعة والرأي الراجح منها:

أ- في اللغة:

قال الفيروزآبادي[٦٨]: «الحرف من كل شيء: طرفه، وشفيره، وحدّه، ومن الجبل: أعلاه المحدد.[٦٩]

وقال الراغب الأصبهاني: «حرف الشيء: طرفه، وجمعه أحرف وحروف، يقال حرف السيف وحرف السفينة، وحرف الجبل.[٧٠]

وقال ابن منظور: «الحرف من حروف الهجاء معروف واحد حروف التهجي. والحرف الأداة التي تسمى الرابطة لأنها تربط الاسم بالاسم والفعل بالفعل كـ عن وعلى.. وكل كلمة تقرأ على الوجوه من القرآن تسمى حرفا، تقول هذا حرف ابن مسعود أي في قراءة ابن مسعود ... والحرف القراءة التي تقرأ على أوجه، وما جاء في الحديث من قوله عليه السلام: (أنزل القرآن على سبعة أحرف)[٧١]،

٦٧ - سنن الترمذي كتاب القراءات عن رسول الله ، باب ما جاء أنزل القرآن على سبعة أحرف ج ٤ ص٤٣٤ رقم ٢٩٥٣ -دار الفكر / تحقيق صدقي محمد العطار ومحمد عرفان حسونة -طبعة سنة ١٩٩٤م.

٦٨ - محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيرازي، الإمام الهمام قاضي القضاة مجد الدين، أبو طاهر الفيروزآبادي، ابن شيخ الإسلام سراج الدين يعقوب، شافعي المذهب، له تصانيف متعددة منها: القاموس المحيط، توفي سنة ٨١٧هـ ﴿انظر: انظر ترجمته في مقدمة القاموس المحيط - للعلامة أبي الوفاء الهوريني: إعداد وتقديم محمد عبد الرحمن المرعشلي - ج١ ص٦١ - دار إحياء التراث العربي - بيروت - ط١ - سنة ١٤١٧هـ ، شذرات الذهب ج٧ ص١٢٦ ﴾.

٦٩ - القاموس المحيط ج٢ ص١٠٦٦.

٧٠ - مفردات ألفاظ القرآن ص٢٢٨.

٧١ - سبق تخريجه في ص١٤.

أراد بالحرف اللغة.. وحرف الشيء: ناحيته، وفلان على حرف من أمره أي ناحية منه كأنه ينظر ويتوقع، فإن رأى من ناحية ما يحب وإلا مال إلى غيرها . وفي التنزيل (ومن الناس من يعبد الله على حرف) الحج١١، أي إذا لم ير ما يحب انقلب على وجهه، قيل هو أن يعبده على السراء دون الضراء.[٧٢]

ب- في الاصطلاح:

لقد جاءت أحاديث الأحرف السبعة مجملة لم تبين المقصود منها، ولهذا نجد أن العلماء قد اختلفوا في المراد منها وتشعبت أقوالهم:

فنجد أن القرطبي[٧٣] يقول:«وقد اختلف العلماء في المراد بالأحرف السبعة على خمسة وثلاثين قولا .[٧٤]

وأما السيوطي فقد ذكر أنه اختلف في معنى هذا الحديث على نحو أربعين قولا ذكر منها خمسة وثلاثون.. ثم قال:«قال ابن حبان[٧٥] فهذه خمسة وثلاثون قولاً لأهل العلم واللغة في معنى إنزال القرآن على سبعة أحرف وهي أقاويل يشبه بعضها بعضا وكلها محتملة وتحتمل غيرها . قال المرسي[٧٦]: هذه الوجوه أكثرها متداخلة، ولا أدري مستندها، ولا عمن نقلت ولا أدري لم خص كل واحد منهم هذه الأحرف السبعة بما ذكر

٧٢ - لسان العرب ج٢ ص٨٣٧-٨٤٠ باختصار.

٧٣ - محمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري، شمس الدين أبو عبد الله القرطبي المالكي، صاحب التفسير الكبير المسمى الجامع لأحكام القرآن، والتذكرة في أحوال الأخرة، وغيرهما من الكتب، كان ورعا متعبدا، توفي سنة ٦٧١هـ ﴿انظر: مقدمة تفسيره الجامع ١/ز –الهيئة المصرية العامة للكتاب – سنة ١٩٨٧م ، شذرات الذهب ج٥ ص٣٣٥ ، كشف الظنون ج٦ ص١٠٣ .﴾.

٧٤ - الجامع لأحكام القرآن ج١ ص٤٢

٧٥ - محمد بن حبان بن أحمد بن معاذ التميمي البستي الشافعي، أبو حاتم، صاحب الصحيح، كان حافظا ثبتا إماما حجة، كان من أوعية العلم في الحديث والفقه واللغة والوعظ، توفي بنيسابور سنة ٣٥٤هـ ﴿انظر: شذرات الذهب ج٣ ص١٦﴾ .

٧٦ - محمد بن عبد الله بن محمد بن أبي الفضل، أبو عبد الله السلمي الأندلسي، المحدث النحوي المفسر، تلقى عن كبار العلماء في عصره، له مصنفات مفيدة، مع زهد، توفي سنة ٦٥٥هـ ﴿انظر: شذرات الذهب ج٥ ص٢٦٩ ، وسير أعلام النبلاء ج٢٣ ص٣١٢﴾ .

مع أن كلها موجودة في القرآن، فلا أدري معنى التخصيص وفيها أشياء لا أفهم معناها على الحقيقة وأكثرها يعارضه حديث عمر مع هشام بن حكيم الذي في الصحيح فإنهما لم يختلفا في تفسيره ولا أحكامه إنما اختلفا في قراءة حروفه وقد ظن كثير من العوام أن المراد بها القراءات السبعة وهو جهل قبيح.[٧٧]

وأرجح الأقوال في المراد بالأحرف السبعة هذه قولان:

القول الأول: أن المراد بالأحرف السبعة الأوجه التي يقع بها التغاير:

ودليلهم الاستقراء، فقد استقرأ العلماء القائلون بهذا القول وجوه الاختلاف بين القراءات المتعددة فوجدوها سبعة أوجه، ففسروا بها حديث النبي-ﷺ-: (أنزل القرآن على سبعة أحرف.)[٧٨]

وقد ذهب إلى هذا القول طائفة من العلماء منهم: ابن قتيبة[٧٩]، والقاضي ابن الطيب[٨٠]، وأبو الفضل الرازي[٨١]، وابن الجزري وآخرون، ورجحه من المتأخرين الشيخ عبد العظيم الزرقاني وصبحي الصالح رحمهما الله تعالى.[٨٢]

ومع اتفاق هؤلاء العلماء على أن المراد بالأحرف السبعة هي الأوجه التي يقع بها التغاير إلا أنهم اختلفوا في تحديد هذه الأوجه، وسنقتصر منها

٧٧ – الإتقان في علوم القرآن ج١ ص١٤١.

٧٨ – سبق تخريجه في ص١٤.

٧٩ – عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، أبو محمد الشهير بابن قتيبة، كان رأسا في العربية واللغة والأخبار وأيام الناس، ثقة دينا فاضلا، له تصانيف كثيرة نافعة منها: إعراب القرآن، ومعاني القرآن، ومختلف الحديث، وغيرها، توفي سنة ٢٧٦هـ ﴿طبقات المفسرين – للداوودي: ج١ ص٢٥١ – دار الكتب العلمية – بيروت – ط١ – سنة ١٤٠٣هـ﴾.

٨٠ – محمد بن الطيب بن جعفر، أبو بكر الباقلاني، رأس المتكلمين على مذهب الشافعي، وهو من أكثر الناس كلاما وتصنيفا في الكلام توفي سنة ٤٠٣هـ ﴿انظر: البداية والنهاية ج١١ ص٣٧٣ ، شذرات الذهب ج٣ ص١٦٩﴾.

٨١ – عبد الرحمن بن أحمد بن الحسن بن بندار بن إبراهيم بن جبريل، أبو الفضل الرازي العجلي، الإمام المقرئ، شيخ الإسلام، الثقة الورع الكامل، مؤلف كتاب جامع الوقوف وغيره، توفي سنة ٤٥٤هـ ﴿انظر: غاية النهاية ج١ ص٣٦١ ، وشذرات الذهب ج٣ ص٢٩٣ ، سير أعلام النبلاء ج١٨ ص١٣٥﴾.

٨٢ – انظر: منهج الإمام الطبري في القراءات في تفسيره / الدكتور عبد الرحمن يوسف الجمل ص٨٢.

على رأي ابن الجزري إذ يقول: «...ثم رأيت الإمام الكبير أبا الفضل الرازي حاول ما ذكرته فقال إن الكلام لا يخرج عن سبعة أوجه:

الأول: اختلاف الأسماء من الإفراد والتثنية والجمع والتذكير والتأنيث والمبالغة وغيرها

الثاني: اختلاف تصريف الأفعال وما يسند إليه من نحو الماضي والمضارع والأمر والإسناد إلى المذكر والمؤنث والمتكلم والمخاطب والفاعل والمفعول به.

الثالث: وجوه الإعراب.

الرابع: الزيادة والنقص.

الخامس: التقديم والتأخير.

السادس: القلب والإبدال في كلمة بأخرى وفي حرف بآخر.

السابع: اختلاف اللغات من فتح وإمالة وترقيق وتفخيم وتحقيق وتسهيل ونحو ذلك. [٨٣]

القول الثاني: أن المراد بالأحرف السبعة سبع لغات:

ولقد ذهب إلى هذا القول جمع كبير من العلماء منهم: أبو عبيد القاسم بن سلاّم، وثعلب[٨٤]، وأبو حاتم السجستاني[٨٥]، والإمام الطبري. واختاره ابن عطية[٨٦] في تفسيره، ومال إليه

---

٨٣ – النشر ج١ ص٢٧.

٨٤ – أحمد بن يحيى بن يزيد بن يسار الشيباني، أبو العباس ثعلب، الإمام اللغوي، نحوي بغدادي، ثقة كبير، له كتاب في القراءات، وكتاب الفصيح، توفي سنة ٢٩١هـ ﴿انظر: غاية النهاية ج١ ص١٤٨ ، وتذكرة الحفاظ ج٢ ص٦٦٦﴾ .

٨٥ – سهل بن محمد بن عثمان بن يزيد، أبو حاتم السجستاني، إمام البصرة في النحو والقراءة واللغة والعروض ، قال ابن الجزري: وأحسبه أول من صنف في القراءات، توفي سنة ٢٥٥هـ ﴿ انظر: غاية النهاية ج١ ص٣٢٠ ، وسير أعلام النبلاء ج١٢ ص٢٦٨﴾ .

٨٦ – عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي، من محارب بن قيس الغرناطي، أبو محمد مفسر فقيه أندلسي، ولي قضاء المرية، كان يكثر الغزوات في جيوش الملثمين، له المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، توفي سنة ٥٤٦هـ ﴿انظر: سير أعلام النبلاء ج١٩ ص٥٨٧ ، مقدمة تفسيره المحرر الوجيز – تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد ج١ ص٢٦ – دار الكتب العلمية – بيروت – ط١ – ١٤١٣هـ﴾ .

الألوسي في تفسيره. وقد نسبه ابن الجزري لأكثر العلماء.[87]

وقال الإمام الطبري في مقدمة تفسيره: «الأحرف السبعة التي أنزل الله بها القرآن، هن سبع لغات، في حرف واحد، وكلمة واحدة، باختلاف الألفاظ، واتفاق المعاني، كقول القائل: هلم وتعال وأقبل وإلي وقصدي ونحوي وقربي ونحو ذلك مما تختلف فيه الألفاظ، بضروب من النطق، وتتفق فيه المعاني، وإن اختلف بالبيان به الألسن.»[88]

الرأي المختار:

والذي أختاره في هذه المسألة وأميل إليه هو ما ذهب إليه أستاذي الدكتور عبد الرحمن الجمل حيث يقول:

«إن الأحرف السبعة سبع لغات بما فيها من نواحي الاختلاف الكثيرة التي تقتضي التيسير والتخفيف على الأمة بنزول القرآن عليها نحو اختلاف القبائل في الفتح والإمالة وبين بين، وتحقيق الهمز وتسهيله، والإظهار والإدغام ...»[89]

وسبب هذا الاختيار هو أن هذا القول جامع لأرجح الأقوال في المسألة إذ يشمل ما ذكره الإمام الطبري وهو الألفاظ التي تختلف في كيفية التلفظ بها وتتحد في المعنى أو تتقارب.

ويشمل غيره من وجوه الاختلاف الكثيرة في هيئات النطق التي تقتضي التخفيف والتيسير ورفع الحرج وغيرها من أوجه التغاير بين اللغات.

٨٧ – انظر النشر ج١ ص٢٤، وانظر: منهج الإمام الطبري في القراءات في تفسيره ص٦٤-٩٨.

٨٨ – جامع البيان عن تأويل آي القرآن – ابن جرير الطبري: ج١ ص٢٥ – دار الفكر – سنة ١٤٠٨هـ. وحيث يأتي سأكتفي بقولي: جامع البيان.

٨٩ – منهج الإمام الطبري في القراءات في تفسيره ص٩٤.

المطلب الثالث: فوائد نزول القرآن على سبعة أحرف:

إن لنزول القرآن على سبعة أحرف فوائد كثيرة ذكرها العلماء في كتبهم فمن ذلك ما أورده ابن الجزري في نشره عند حديثه عن فوائد اختلاف القراءات وتنوعها حيث قال:

«وأما فائدة اختلاف القراءات وتنوعها فإن في ذلك فوائد غير ما قدمنا من سبب التهوين والتسهيل والتخفيف على الأمة.

١. ومنها ما في ذلك من نهاية البلاغة، وكمال الإعجاز وغاية الاختصار، وجمال الإيجاز ؛ إذ كل قراءة بمنزلة الآية ...
٢. ومنها ما في ذلك من عظيم البرهان وواضح الدلالة إذ هو مع كثرة هذا الاختلاف وتنوعه لم يتطرق إليه تضاد ولا تناقض ولا تخالف بل كله يصدق بعضه بعضا، ويبين بعضه بعضا، ويشهد بعضه لبعض على نمط واحد وأسلوب واحد، وما ذاك إلا آية بالغة، وبرهان قاطع على صدق من جاء به-ﷺ-.
٣. ومنها سهولة حفظه وتيسير نقله على هذه الأمة إذ هو على هذه الصفة من البلاغة والوجازة، فإنه من يحفظ كلمة ذات أوجه أسهل عليه وأقرب إلى فهمه وأدعى لقبوله من حفظ جملا من الكلام تؤدي معاني تلك القراءات المختلفة لاسيما فيما كان خطه واحدا فإن ذلك أسهل حفظا وأيسر لفظا.
٤. ومنها إعظام أجور هذه الأمة من حيث إنهم يفرغون جهدهم ليبلغوا قصدهم في تتبع معاني ذلك واستنباط الحكم والأحكام من دلالة كل لفظ، واستخراج كمين أسراره وخفي إشاراته ...
٥. ومنها بيان فضل هذه الأمة وشرفها على سائر الأمم، من حيث تلقيهم

كتاب ربهم هذا التلقي، وإقبالهم عليه هذا الإقبال والبحث عن لفظة لفظة، والكشف عن صيغة صيغة، وبيان صوابه، وبيان تصحيحه، وإتقان تجويده ..

٦. ومنها ما ادخره الله من المنقبة العظيمة، والنعمة الجليلة الجسيمة لهذه الأمة الشريفة، من إسنادها كتاب ربها، واتصال هذا السبب الإلهي بسببها خصيصة الله تعالى لهذه الأمة المحمدية ...

٧. ومنها ظهور سر الله تعالى في توليه حفظ كتابه العزيز وصيانة كلامه المنزل بأوفى البيان والتمييز، فإن الله تعالى لم يخل عصرا من الأعصار، ولو في قطر من الأقطار، من إمام حجة قائم بنقل كتاب الله تعالى وإتقان حروفه ورواياته، وتصحيح وجوهه وقراءاته ...[٩٠]



٩٠ - النشر ج١ ص٥٢-٥٤ باختصار.

المبحث الثالث : القراءات القرآنية

المطلب الأول: تعريف القراءات القرآنية لغة واصطلاحا:-

أ- القراءات لغة:

قال ابن فارس: «القاف والراء والحرف المعتل أصلٌ صحيحٌ يدل على جمع واجتماع، من ذلك القرية سميت قرية لاجتماع الناس فيها، ويقولون: قريت الماء في المقراة: جمعته، وذلك الماء المجموع قري. وإذا همز هذا الباب كان والأول سواء. يقولون: ما قرأت هذه الناقة سلى كأنه يراد أنها ما حملت قط، قالوا ومنه القرآن كأنه سمي بذلك لجمعه ما فيه من الأحكام والقصص وغير ذلك.»[٩١]

وقال الراغب الأصبهاني: «القراءة ضم الحروف بعضها إلى بعض في الترتيل، وليس يقال ذلك لكل جمع ..القرآن في الأصل مصدر نحو كفران ورجحان. قال تعالى: (إن علينا جمعه وقرآنه، فإذا قرأناه فاتبع قرآنه) القيامة ١٧،١٨ قال ابن عباس: إذا جمعناه وأثبتناه في صدرك فاعمل به.»[٩٢]

وقال الفيروزآبادي: «القرآن: التنزيل، قرأه، وبه كنصره ومنعه، قرأ وقراءة وقرآنا، فهو قارئ من قرأة وقراء وقارئين.»[٩٣]

وقال ابن منظور: «قرأت الشيء قرآنا : جمعته وضممت بعضه إلى بعض... وقرأت الكتاب قراءة وقرآنا، ومنه سمي القرآن. وأقراه القرآن، فهو مقرئٌ... ويُقال للحُمَّى: قَرْءٌ؛ وللغائب: قَرْءٌ، وللبعيد : قَرْءٌ. والقَرْءُ والقُرْءُ: الحيض والطهر، ضد وذلك أن القَرْءَ الوقت، فقد يكون للحيض والطهر.»[٩٤]

٩١ - معجم مقاييس اللغة ج٥ ص٧٨-٧٩.

٩٢ - مفردات ألفاظ القرآن ص٦٦٨-٦٦٩ باختصار.

٩٣ - القاموس المحيط ج١ ص١١٥.

٩٤ - لسان العرب ج٦ ص٣٥٦٣-٣٥٦٤.

ب - القراءات اصطلاحاً:

قال الدمياطي الشهير بالبنا : « علم القراءات علم يعلم منه اتفاق الناقلين لكتاب الله تعالى واختلافهم في الحذف والإثبات والتحريك والتسكين والفصل والوصل وغير ذلك من هيئة النطق والإبدال وغيره من حيث السماع.»[٩٥]

وقال الزرقاني: «القراءات مذهب يذهب إليه إمام من أئمة القراء خالفاً به غيره في النطق بالقرآن الكريم مع اتفاق الروايات والطرق عنه، سواء أكانت هذه المخالفة في نطق الحروف أم في هيئاتها .»[٩٦]

وأضبط هذه التعريفات وأعمها وأشملها هو تعريف ابن الجزري إذ يقول: «القراءات علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها بعزو الناقلة». [٩٧]

المطلب الثاني: العلاقة بين القراءات القرآنية والقرآن:

لقد اختلف بعض العلماء في تحديد العلاقة بين القراءات القرآنية والقرآن فمنهم من اعتبرهما حقيقتان متغايرتان ومنهم من اعتبرهما حقيقتان متفقتان.

قال الزركشي: «القراءة والقرآن حقيقتان متغايرتان.

فالقرآن: هو الوحي المنزل على محمد- ﷺ -للبيان والإعجاز.

والقراءات هي اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتبه الحروف أو كيفيتها؛ من تخفيف وتثقيل، وغيرها»[٩٨]. وتبعه على ذلك صاحب إتحاف فضلاء البشر».[٩٩]

---

٩٥ - إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشرة – العلامة شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الغني الدمياطي، الشهير بالبناء – وضع حواشيه الشيخ أنس مهرة – ص٦ - دار الكتب العلمية بيروت – ط١ – سنة ١٤١٩هـ . وحيث يأتي سأكتفي بقولي: إتحاف فضلاء البشر.

٩٦ – مناهل العرفان في علوم القرآن ص٢٨٨.

٩٧ – منجد المقرئين ومرشد الطالبين – شمس الدين محمد بن الجزري: ص١٣ – مكتبة القدس – ط١ – ١٤١٦هـ .

٩٨ – البرهان في علوم القرآن ج١ ص٣١٨.

٩٩ – إتحاف فضلاء البشر ص٧.

وقال الدكتور/ محمد سالم محيسن: «القرآن والقراءات حقيقتان بمعنى واحد، يتضح ذلك بجلاء من تعريف كل منهما ومن الأحاديث الصحيحة الواردة في نزول القراءات».[100]

ولقد ناقش هذين القولين الدكتور شعبان إسماعيل فأصاب وأفاد حيث قال: «إن كان الزركشي يقصد بالتغاير التغاير التام فلست معه، إذ ليس بين القرآن والقراءات تغاير تام، فالقراءات الصحيحة التي تلقتها الأمة بالقبول ما هي إلا جزء من القرآن الكريم، فبينهما ارتباط وثيق ارتباط الجزء بالكل. وأما ما قاله الدكتور/ محمد محيسن فمردود وغير مقبول، ولم يقل به أحد من علمائنا السابقين، فلا يمكن أن يقال إن القرآن والقراءات حقيقتان متحدتان:

أولا: لأن القراءات على اختلاف أنواعها لا تشمل كلمات القرآن الكريم كله، بل هي موجودة في بعض ألفاظه فقط، فكيف يقال إنهما حقيقتان متحدتان.

ثانيا: التعريف المتقدم للقراءات يشمل القراءات المتواترة التي يصح أن يقرأ بها القرآن، كما يشمل القراءات الشاذة، والتي أجمع العلماء على أنه لا يصح قراءة القرآن بها؛ لأنها لم تستجمع أركان القراءة الصحيحة وهي التواتر، وموافقة الرسم العثماني، وموافقة وجه من وجوه اللغة العربية. فالقراءة التي تفقد أهم الأركان، وهو التواتر لا يصح أن نطلق عليها اسم القرآن، ولا تصح قراءته بها، لأن من تعريف القرآن أنه المنقول إلينا بالتواتر.

فكيف يسوغ القول بأن القرآن والقراءات شيء واحد، مع عدم انطباق ذلك على القراءات غير الصحيحة، فالواقع أنهما ليسا متغايرين تغايرا

١٠٠ – المغني في توجيه القراءات العشر / د. محمد سالم محيسن – ج١ ص٤٦ – دار الجيل – بيروت – ط٢ – ١٤٠٨هـ.

تاما، كما أنهما ليسا متحدين اتحادا حقيقيا ، بل بينهما ارتباط وثيق، ارتباط الجزء بالكل والله أعلم.[١٠١]

المطلب الثالث: نشأة القراءات وأقسامها وحكم الاحتجاج بها:

أولا: نشأة القراءات وأقسامها:

أقرأ النبي-ﷺ-الصحابة القرآن على الأحرف السبعة التي نزل عليها القرآن، فكان كل منهم يقرأ القرآن على الحرف الذي تلقاه من النبي-ﷺ- وعند الاختلاف يرجعون إليه عليه السلام فيفصل بينهم كما حصل مع عمر بن الخطاب وهشام بن حكيم عندما اختلفا في قراءة سورة الفرقان.

استمر الحال على ذلك حتى وقع الخلاف بين المسلمين في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه.

قال ابن الجزري: "ولما كان في نحو ثلاثين من الهجرة في خلافة عثمان بن عفان - رضي الله عنه - حضر حذيفة بن اليمان فتح أرمينية[١٠٢] وآذربيجان[١٠٣] فرأى الناس يختلفون في القرآن ويقول أحدهم للآخر قراءتي أصح من قراءتك فأفزعه ذلك،وقدم على عثمان وقال: أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا اختلاف اليهود والنصارى. فأرسل عثمان إلى حفصة – أم المؤمنين رضي الله عنها -أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها ثم نردها إليك، فأرسلتها إليه، فأمر زيد بن ثابت، وعبد الله بن

١٠١ –القراءات أحكامها ومصدرها / الدكتور شعبان إسماعيل ص٢٤-٢٥ –مطبوعات رابطة العالم الإسلامي –ط٢ –سنة ١٤١٤هـ.

١٠٢ – إرمينية: بكسر أوله ويفتح، اسم لصُقع عظيم واسع في جهة الشمال. انظر معجم البلدان – ياقوت الحموي – تحقيق فريد عبد العزيز الجندي – ج١ ص١٩١ – دار الكتب العلمية – بيروت – ط١ – ١٩٩٠م.

١٠٣ – أذربيجان: يتصل حدها من جهة الشمال ببلاد الديلم، والجيل، والطرم، وهو إقليم واسع، ومن مشهور مدائنها تبريز – انظر معجم البلدان – ج١ ص١٥٦

الزبير، وسعيد بن العاص،[١٠٤] وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام[١٠٥] أن ينسخوها في المصاحف وقال: إذا اختلفتم أنتم وزيد في شيء فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم، فكتب منها عدة مصاحف، فوجه بمصحف إلى البصرة ومصحف إلى الكوفة ومصحف إلى الشام وترك مصحفا بالمدينة وأمسك لنفسه مصحفا الذي يقال له الإمام ووجه بمصحف إلى مكة وبمصحف إلى اليمن وبمصحف إلى البحرين، وأجمعت الأمة المعصومة من الخطأ على ما تضمنته هذه المصاحف وترك ما خالفها من زيادة ونقص وإبدال كلمة بأخرى مما كان مأذونا فيه توسعة عليهم ولم يثبت عندهم ثبوتا مستفيضا أنه من القرآن».[١٠٦]

وعليه فقد انقسمت القراءات في عهد عثمان رضي الله عنه إلى قسمين:

١- ما يقبل ويقرأ به، وهو ما وافق خط المصحف المجمع عليه مما نقله الثقاة وتلقوه مسلسلا عن النبي-ﷺ-.

٢- ما لا يقبل ولا يقرأ به، وهو ما خالف خط المصحف المجمع عليه مخالفة شديدة ظاهرة كزيادة كلمة وتبديل كلمة مكان أخرى، ونحو ذلك.[١٠٧]

استمر الناس يقرءون القرآن ويتلقونه مشافهة على الحرف الذي جمع عثمان - رضي الله عنه - الأمة عليه وما يحتمله رسم المصحف من الأحرف الأخرى.

قال ابن الجزري بعد أن ذكر القراء من الصحابة والتابعين:

---

١٠٤ - سعيد بن العاص بن أبي أحيحة بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي، القرشي الأموي المدني، نشأ في حجر عثمان بن عفان رضي الله عنه، وكان أشبههم برسول الله ﷺ، توفي سنة ٥٩هـ ﴿انظر: سير أعلام النبلاء ج٣ ص٤٤٤، وشذرات الذهب ج١ ص٦٥﴾.

١٠٥ - عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة بن عبد الله المخزومي، أبو محمد من أشراف بني مخزوم، لا صحبة له، بل له رؤية، توفي سنة ٥٩هـ ﴿انظر: سير أعلام النبلاء ج٣ ص٣٨٤﴾.

١٠٦ - النشر ج١ ص٧.

١٠٧ - منهج الإمام الطبري في القراءات في تفسيره ص١٦

«ثم تجرد قوم للقراءة والأخذ واعتنوا بضبط القراءة أتم عناية حتى صاروا في ذلك أئمة يقتدى بهم ويرحل إليهم ويؤخذ عنهم، أجمع أهل بلدهم على تلقي قراءتهم بالقبول ولم يختلف عليهم فيها اثنان ولتصديهم للقراءة نسبت إليهم ... ثم إن القراء بعد هؤلاء المذكورين كثروا وتفرقوا في البلاد وانتشروا وخلفهم أمم بعد أمم، عرفت طبقاتهم، واختلفت صفاتهم، فكان منهم المتقن للتلاوة المشهور بالرواية والدراية، ومنهم المقتصر على وصف من هذه الأوصاف، وكثر بينهم لذلك الاختلاف، وقل الضبط، واتسع الخرق، وكاد الباطل يلتبس بالحق ؛ فقام جهابذة علماء الأمة، وصناديد الأئمة، فبالغوا في الاجتهاد، وبينوا الحق المراد، وجمعوا الحروف والقراءات، وعزوا الوجوه والروايات، وميزوا بين المشهور والشاذ، والصحيح والفاذ، بأصول أصلوها وأركان فصلوها.»[١٠٨]

ولقد قسم العلماء بعد عهد الصحابة القراءات إلى أقسام:

أولاً: تقسيم ابن مجاهد للقراءات:

تصدى ابن مجاهد[١٠٩] لعمل جليل وهو الاقتصار من القراءات التي توافق خط المصحف على ما يسهل حفظه وتنضبط القراءة به، فاختار من بين القراء الكثيرين الذين كانوا في عصره سبعة قراء فجمع قراءاتهم وحرر طرقهم وتابعه الناس على ذلك فكان أول من سبع السبعة. قال الإمام مكي بن أبي طالب[١١٠]: «وأول من اقتصر على هؤلاء أبو بكر ابن مجاهد

١٠٨ - النشر ج١ ص٨-٩ باختصار.

١٠٩ - أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد، التميمي، الحافظ الأستاذ أبو بكر بن مجاهد البغدادي، شيخ الصنعة، وأول من سبع السبعة، توفي سنة ٣٢٤هـ ﴿انظر: غاية النهاية ج١ ص١٣٩ ، وسير أعلام النبلاء ج١٥ ص٢٧٢﴾ .

١١٠ - مكي بن أبي طالب بن حموش بن محمد بن مختار، أبو محمد القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي، إمام علامة محقق عارف أستاذ القراء والمجودين، كان عالما بمعاني القراءات، جلس للإقراء بجامع قرطبة، له تصانيف عدة في القراءات أهمها: التبصرة في القراءات والكشف عليها، توفي سنة ٤٣٧هـ ﴿انظر: غاية النهاية ج٢ ص٣٠٩﴾ .

قبل سنة ثلاث مائة أو في نحوها.»[111]

وبعد أن جمع ابن مجاهد قراءات الأئمة السبعة وأودعها كتابه السبعة في القراءات السبع، أصبح يطلق على ما عداها من القراءات شاذة أي ليست في السبعة رغم أن بعضها منقول عن الثقاة؛ فانقسمت القراءات بعد اختيار ابن مجاهد للقراءات السبع وبعد أن جمع ابن مجاهد قراءات الأئمة السبعة وأودعها كتابه السبعة في القراءات السبع إلى قسمين:

١- القراءات الصحيحة وهي التي أجمع عليها أكثر القراء، وهي قراءات الأئمة السبعة.

٢- القراءات الشاذة وهي ما خلا القراءات السبعة التي أودعها ابن مجاهد في كتابه.[112]

ثانيا: تقسيم مكي بن أبي طالب للقراءات:

استمر الناس بقراءة القراءات السبع مع قراءات أخرى كقراءة يعقوب وأبي جعفر وغيرهم إلى أن جاء الإمام مكي بن أبي طالب فقسم القراءات باعتبار قبولها والقراءة بها وعدم قبولها والقراءة بها إلى ثلاثة أقسام حيث قال: «فإن سأل سائل فقال: فما الذي يقبل من القراءات الآن فيقرأ به، وما الذي لا يقبل ولا يقرأ به، وما الذي يقبل ولا يقرأ به؟

فالجواب أن جميع ما روي من القراءات على ثلاث أقسام:

القسم الأول: وهو قسم يقرأ به اليوم، وذلك ما اجتمع فيه ثلاث خصال، وهي أن ينقل عن الثقات إلى النبي-ﷺ-ويكون وجهه في العربية التي نزل بها القرآن شائعا، ويكون موافقا لخط المصحف، فإذا اجتمعت فيه هذه الخصال الثلاث قرئ به وقطع على مغيبه وصحته وصدقه، لأنه أخذ عن

---

١١١ - الإبانة عن معاني القراءات - أبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي: تحقيق د. محي الدين رمضان - ص٦٤ - بيروت - دار المأمون للتراث - ط١ - سنة ١٣٩٩هـ.

١١٢ - منهج الإمام الطبري في القراءات في تفسيره ص١٨.

إجماع من جهة موافقته لخط المصحف، وكفر من جحده.

والقسم الثاني: ما صح نقله عن الآحاد، وصح وجهه في العربية، وخالف لفظه خط المصحف، فهذا يقبل، ولا يقرأ به لعلتين: إحداهما أنه لم يوجد بإجماع، إنما أخذ بأخبار الآحاد، ولا يثبت قرآن يقرأ به بخبر الواحد. والعلة الثانية أنه مخالف لما قد أجمع عليه، فلا يقطع على مغيبه وصحته، وما لم يقطع على صحته لا تجوز القراءة به، ولا يكفر من جحده، وبئسما صنع إذ جحده.

والقسم الثالث: هو ما نقله غير ثقة، أو نقله ثقة ولا وجه له في العربية. فهذا لا يقبل، وإن وافق خط المصحف، ولكل صنف من هذه الأقسام تمثيل،تركنا ذكره اختصارا.[113]

ثالثاً: تقسيم ابن الجزري للقراءات:

ثم جاء ابن الجزري فقسم القراءات إلى قسمين: متواترة وصحيحة حيث قال: «نقول كل قراءة وافقت العربية مطلقا ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو تقديراً وتواتر نقلها هذه القراءة المتواترة المقطوع بها. ومعنى العربية مطلقا أي ولو بوجه من الإعراب نحو قراءة حمزة (والأرحامِ) النساء ١، بالجر.

ومعنى أحد المصاحف العثمانية واحد من المصاحف التي وجهها عثمان رضي الله عنه إلى الأمصار كقراءة ابن كثير (جنات تجري من تحتها الأنهار) التوبة ١٠٠، بزيادة (من) فإنها لا توجد إلا في مصحف مكة.

ولو تقديراً ما يحتمله رسم المصحف كقراءة من قرأ (مالك يوم الدين) الفاتحة ٤، بالألف فإنها كتبت بغير ألف في جميع المصاحف فاحتملت الكتابة أن تكون (مالك)...

١١٣ - الإبانة عن معاني القراءات ص٣٩-٤٠.

والذي جمع في زماننا هذه الأركان الثلاثة هو قراءة الأئمة العشرة التي أجمع الناس على تلقيها بالقبول وهم: (أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو ويعقوب وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي وخلف)[114] أخذها الخلف عن السلف إلى أن وصلت إلى زماننا كما سنوضح ذلك فقراءة أحدهم كقراءة الباقين في كونها مقطوعا بها كما سيجيء وقول من قال إن المتواترة لا حد لها إن أراد في زماننا فغير صحيح لأنه لا يوجد اليوم قراءة متواترة وراء العشر وإن أراد في الصدر الأول فيحتمل إن شاء الله.

وأما القراءة الصحيحة فهي على قسمين:

القسم الأول: ما صح سنده بنقل العدل الضابط عن الضابط كذا إلى منتهاه ووافق العربية والرسم. وهذا على ضربين:

ضرب استفاض نقله وتلقاه الأئمة بالقبول كما انفرد به بعض الرواة وبعض الكتب المعتبرة أو كمراتب القراء في المد ونحو ذلك فهذا صحيح مقطوع به أنه منزل على النبي-ﷺ- من الأحرف السبعة كما نبين حكم المتلقى بالقبول وهذا الضرب يلحق بالقراءة المتواترة وإن لم يبلغ مبلغها كما سيأتي.

وضرب لم تتلقه الأمة بالقبول ولم يستفض فالذي يظهر من كلام كثير من العلماء جواز القراءة به والصلاة به والذي نص عليه أبو عمرو بن الصلاح[115] وغيره أن ما وراء العشرة ممنوع من القراءة به منع تحريم لا منع كراهة ..

القسم الثاني: ما وافق العربية وصح سنده وخالف الرسم كما ورد في

١١٤ – ستأتي الترجمة لهم .

١١٥ – تقي الدين عثمان بن صلاح الدين عبد الرحمن بن عثمان بن موسى، أبو عمرو بن الصلاح، الكردي الشافعي الإمام الحافظ المفتي شيخ الإسلام، صاحب كتاب علوم الحديث، صنف وأفتى، وكان من أعلام الدين وأحد فضلاء عصره في التفسير والحديث والفقه، توفي سنة ٦٤٣هـ ﴿انظر: سير أعلام النبلاء ج٢٣ ص١٤٠ ، تذكرة الحفاظ ج٤ ص١٤٣٠﴾ .

صحيح من زيادة ونقص وإبدال كلمة بأخرى ونحو ذلك مما جاء عن أبي الدرداء وعمر وابن مسعود وغيرهم فهذه القراءة تسمى اليوم شاذة لكونها شذت عن رسم المصحف المجمع عليه وإن كان إسنادها صحيحاً فلا تجوز القراءة بها لا في الصلاة ولا في غيرها.»[١١٦]

من خلال تقسيم ابن الجزري يمكن تقسيم القراءات إلى ثلاثة أقسام:

١- القراءة المتواترة:

وهي كل قراءة وافقت العربية مطلقا، ووافقت أحد المصاحف ولو تقديرا، وتواتر نقلها، ويلحق بها القراءة الصحيحة الجامعة للأركان الثلاثة المستفيضة والمتلقيات بالقبول وهي القراءات العشر.

٢- القراءات الصحيحة:

وهي الجامعة للأركان الثلاثة ولكنها لم يستفض نقلها ولم تتلقها الأمة بالقبول، وهو ما نجده في أكثر القراءات الأربع بعد العشر وهي: قراءة الحسن[١١٧]، وابن محيصن[١١٨]، واليزيدي[١١٩]، والأعمش[١٢٠].

٣- القراءات الشاذة:

وهي القراءات التي صح سندها ووافقت العربية وخالفت الرسم ومثاله

---

١١٦ - منجد المقرئين ومرشد الطالبين ص٢٣-٢٤ باختصار.

١١٧ - الحسن بن أبي الحسن يسار، السيد الإمام، أبو سعيد البصري أبوه مولى زيد بن ثابت الأنصاري، أمه مولاة أم سلمة، وهو إمام أهل البصرة وخير أهل زمانه، توفي سنة ١١٠هـ ﴿انظر: طبقات المفسرين ج١ ص١٥٠ ، غاية النهاية ج١ ص٢٣٥ ﴾.

١١٨ - محمد بن عبد الرحمن بن محيصن السهمي، مقرئ أهل مكة مع ابن كثير، ثقة، عرض على مجاهد بن جبر، ودرباس مولى ابن عباس، وسعيد بن جبير، عرض عليه شبل بن عباد وأبو عمر بن العلاء وغيرهم، له اختيار في القراءة على مذهب العربية فخرج به عن إجماع أهل بلده، فرغب الناس عن قراءته، توفي سنة ١٢٣هـ ﴿انظر: غاية النهاية ج٢ ص١٦٧ ﴾.

١١٩ - يحي بن المبارك بن المغيرة، الإمام أبو محمد العدوي البصري المعروف باليزيدي، نحوي مقرئ ثقة علامة كبير في النحو والعربية والقراءة، كان مؤدب أولاد يزيد بن منصور الحميري خال المهدي، وإليه ينتسب، توفي في خرسان سنة ٢٠٢هـ ﴿انظر: غاية النهاية ج٢ ص٣٧٥ ﴾.

١٢٠ - سليمان بن مهران الأعمش، أبو محمد الأسدي الكاهلي، مولاهم الكوفي، الإمام الجليل قرأ القرآن على يحي بن وثاب وزر بن حبيش، وعرض القرآن على أبي العالية الرياحي، ومجاهد وعاصم بن أبي النجود، وإبراهيم النخعي، أقرأ الناس ونشر العلم دهرا طويلا، قرأ عليه حمزة الزيات وغيره، توفي سنة ١٤٨هـ ﴿انظر: غاية النهاية ج١ ص٣١٥ ﴾.

ما ورد بأسانيد صحاح في كتب الحديث من زيادة أو نقص أو إبدال كلمة بأخرى ونحو ذلك.(١٢١)

ثانيا: حكم الاحتجاج بالقراءات:

إن قراءة الأئمة العشرة بحكم ما استجمعته من الأركان الثلاثة وما توفر لها من التواتر عند من يرون ذلك من أصحاب الشأن في القراءات هي المعتبرة عند الفقهاء، والأصوليين والمحدثين وأئمة المذاهب في الاستدلال على صحة الأحكام الشرعية ؛ لأنها أبعاض القرآن وأجزاؤه ؛ فهي من باب تفسير القرآن بالقرآن والذي يعتبر من أجل أنواع التفسير وأشرفها كما بينا ذلك سابقا.

إن تنوعها يغني عن تعدد الآيات، وذلك ضرب من ضروب البلاغة يبتدئ من جمال هذا الإيجاز، وينتهي إلى كمال الإعجاز كما بينا ذلك في التمهيد.

هذه هي القراءات المتواترة والتي تمثل القسم الأول عند مكي بن أبي طالب السابق، وهو القسم الذي يقبل من القرآن ويقرأ به؛ حيث قال ابن الجزري وهو يمثل لهذا الجزء:

«ومثال القسم الأول: مَالك ومَلك، ويَخدعون ويُخادعون، وأَوصى ووَصَّى، ويَطَّوع وتَطَّوع ونحو ذلك من القراءات المشهورة.»(١٢٢)

وهي نفسها القراءات المتواترة عند ابن الجزري وما يلحق بها من القراءات الصحيحة الجامعة للأركان الثلاثة المستفيضة والمتلقاة بالقبول وهي القراءات العشر.

وأما ما سوى القراءات العشر وهي كل قراءة اختلت فيها الأركان الثلاثة كلا أو بعضا فهي القراءة الشاذة، ولقد اختلف العلماء في صحة الاحتجاج

---

١٢١ - انظر منهج الإمام الطبري في القراءات في تفسيره ص٢٣.

١٢٢ - النشر في القراءات العشر ج١ ص١٤.

بالشواذ على مذهبين:

قال الإمام السيوطي: «اختلف في العمل بالقراءة الشاذة فنقل إمام الحرمين[١٢٣] في البرهان عن ظاهر مذهب الشافعي - رضي الله عنه - أنه لا يجوز، وتبعه أبو نصر القشيري[١٢٤]، وجزم به ابن الحاجب[١٢٥] لأنه نقله على أنه قرآن ولم يثبت. وذكر القاضيان أبو الطيب والحسين[١٢٦] والروياني[١٢٧] والرافعي[١٢٨] العمل بها تنزيلاً لها منزلة خبر الآحاد، وقد احتج الأصحاب على قطع يمين السارق بقراءة ابن مسعود، وعليه أبو حنيفة أيضاً، واحتج على وجوب التتابع في صوم كفارة اليمين بقراءته (متتابعات) ولم يحتج بها أصحابنا لثبوت نسخها.»[١٢٩]

وقال الآمدي[١٣٠] عند حديثه عن خبر الواحد والعمل به: «فذهبَ الشافعيُ ومالك وأحمدُ بنُ حنبل في أصحِّ الروايتين عنهُ، وأكثرُ المتكلمين إلى وجوبِ العمل به.»[١٣١]

وسبب عدم حجيتها أن رواية الشواذ لا تكون إلا آحاداً، فإن ذكرها

١٢٣ - عبد الملك بن الشيخ أبي محمد عبد الله بن يوسف، أبو المعالي الجويني، الملقب بإمام الحرمين، شيخ الشافعية، توفي سنة ٤٧٨هـ ﴿انظر: البداية والنهاية ج١٢ ص١٣٦ ، سير أعلام النبلاء ج١٨ ص٤٦٨﴾ .

١٢٤ - عبد الرحيم بن عبد الكبير، أبو هوازن، أبو نصر القشيري، واعظ من علماء نبسابور، كان فصيحا جريئا، حدث ببغداد فحدثت بسببه فتنة بين الحنابلة والشافعية، توفي سنة ٥١٤هـ ﴿انظر: البداية والنهاية ج١٢ ص٢٠٠ ، سير أعلام النبلاء ج١٩ ص٤٢٤﴾ .

١٢٥ - عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس، أبو عمرو بن الحاجب فقيه مالكي، من كبار علماء العربية، كردي الأصل، له تصانيف كثيرة، توفي سنة ٦٤٦هـ ﴿انظر: غاية النهاية ج١ ص٥٠٨ ، سير أعلام النبلاء ج٢٣ ص٢٦٤﴾ .

١٢٦ - الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم البخاري، أبو عبد الله، فقيه شافعي قاض، له وجه في المذهب، كان رئيس أهل الحديث في ما وراء النهر، له المنهاج وغيره، توفي سنة ٤٠٣هـ ﴿انظر: سير أعلام النبلاء ج١٧ ص٢٣١ ، وتذكرة الحفاظ ج٣ ص١٥٦، شذرات الذهب ج٣ ص١٦٧﴾ .

١٢٧ - عبد الواحد بن إسماعيل بن أحمد، أبو المحاسن، القاضي العلامة فخر الإسلام الروياني، شيخ الشافعية، له تصانيف كثيرة منها: مناصيص الإمام الشافعي، توفي سنة ٥٠٢هـ ﴿انظر: سير أعلام النبلاء ج١٩ ص٢٦٠ ، وشذرات الذهب ج٤ ص٤﴾ .

١٢٨ - عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم، أبو القاسم الرافعي، فقيه من كبار الشافعية، له تصانيف كثيرة منها الشرح الكبير على المحرر، وصاحب الوجيز، توفي سنة ٦٢٣هـ ﴿انظر: سير أعلام النبلاء ج٢٢ ص٢٥٢ ، شذرات الذهب ج٥ ص١٠٨﴾ .

١٢٩ - الإتقان في علوم القرآن ج١ ص٢٢٨.

١٣٠ - أحمد بن عبد الله الآمدي سبط الأغلاقي، قرأ عليه محمد بن أحمد بن بختيار الميداني ﴿انظر: غاية النهاية ج١ ص٧٦﴾ .

١٣١ - الإحكام في أصول الأحكام / للآمدي ج٢ ص١٥١ - دار الحديث — القاهرة.

راويها على أنها قرآن فهو خطأ، وإن لم يروها قرآنا، فقد تردد أن يكون خبراً عن النبي-ﷺ-، وبين أن يكون مذهباً له فلا يكون حجة.
قال الإمام النووي[١٣٢] في شرح مسلم: «مذهبنا أن القراءة الشاذة لا يحتج بها، ولا يكون لها حكم الخبر عن رسول الله-ﷺ-؛ لأن ناقلها لم ينقلها إلا على أنها قرآن، والقرآن لا يثبت إلا بالتواتر بالإجماع، وإذا لم يثبت قرآنا لا يثبت خبرا.[١٣٣]

الراجح في المسألة:

إن القراءات الشاذة والتي خالفت رسم المصحف بالزيادة أو النقص ليست من القرآن ولا من قراءاته وإنما هي رواية تفسيرية زادها أصحاب المخطوطات من الصحابة في مخطوطاتهم بجانب النص القرآني؛ لبيان مجمل، أو تقدير محذوف، أو تفسير لفظ، أو تعيين حكم بمقتضى فهمهم لأسباب النزول ومقاصد التشريع. هذا إن صح الإسناد إلى من نسبت إليه.
قال السيوطي: «قال أبو عبيد في فضائل القرآن: المقصد من القراءة الشاذة تفسير القراءة المشهورة وتبيين معانيها كقراءة عائشة وحفصة: (والصلاة الوسطى صلاة العصر) البقرة ٢٣٨ ، وقراءة ابن مسعود (فاقطعوا أيمانهما) المائدة ٣٨ ، وقراءة جابر (فإن الله من بعد إكراههن لهن غفور رحيم) النور ٣٣ ، قال فهذه الحروف وما شاكلها قد صارت مفسرة للقرآن وقد كان يروى مثل هذا عن التابعين في التفسير فيستحسن

١٣٢ – يحي بن شرف بن حسن الحازمي العالم، محي الدين أبو زكريا النووي ثم الدمشقي الشافعي العلامة شيخ المذهب، وكبير الفقهاء في زمانه، أبدع وأجاد في فنون كثيرة ومتعددة منها: شرح صحيح مسلم، وكتاب المجموع شرح المهذب في فقه الشافعية، توفي سنة ٦٧٦هـ ﴿انظر: البداية والنهاية ج١٣ ص٢٩٤﴾

١٣٣ – صحيح مسلم بشرح النووي ج٥ ص١٣٠ – كتاب المساجد ومواضع الصلاة – باب دليل من قال الصلاة الوسطى صلاة العصر – دار إحياء التراث العربي – بيروت – ط٣

فكيف إذا روي عن كبار الصحابة ثم صار في نفس القراءة فهو أكثر من التفسير وأقوى فأدنى ما يستنبط من هذه الحروف معرفة صحة التأويل انتهى.»[١٣٤]

وإذا كان الأمر على ما حققناه من أن هذه الشواذ ليست سوى روايات تفسيرية فقد خرجت من دائرة القراءات فلا يحتج بها احتجاج القراءات المعتبرة، وإنما يعتضد بها –إن صح إسنادها – في حكم ثبت بالقرآن أو السنة أو يترجح بها رأي في أمر وقع فيه خلاف باعتبار أنها قول صحابي ويكون هذا التفسير من باب تفسير القرآن بأقوال الصحابة.

ونظرا لأن موضوعنا في هذه الرسالة هو تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر الصحيحة فسنقتصر في التفسير على القراءات العشر المتواترة المتفق على أنها قرآن، مع أنه لا مانع من الاحتجاج بالشاذ في التفسير.

المطلب الرابع: التعريف بالقرّاء العشرة ورواتهم :

أفردهم بالتأليف جماعة من العلماء منهم الذهبي في كتابه معرفة القراء الكبار، وابن الجزري في كتابه غاية النهاية في طبقات القراء:

١- نافع[١٣٥]:

نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم أبو رويم الليثي مولاهم، أخذ القراءة عرضاً عن جماعة من تابعي أهل المدينة، أقرأ الناس دهراً طويلاً نيفاً عن سبعين سنة وانتهت إليه رياسة القراءة بالمدينة وصار الناس إليها، كان إذا تكلم يشم من فيه المسك، مات سنة تسع وستين ومائة وقيل غير ذلك .

اشتهر بالرواية عنه قالون وورش.

١٣٤ – الإتقان في علوم القرآن ج١ ص٢٢٧ –٢٢٨

١٣٥ – غاية النهاية ج٢ ص٣٣٠-٣٣١ باختصار ، وانظر: النشر ج١ ص٩٩-١١٥.

أ- قالون[١٣٦]:

عيسى بن مينا بن وردان مولى بني زهرة أبو موسى الملقب قالون، قارئ المدينة ونحويها، يقال إنه ربيب نافع وقد اختص به كثيراً وهو الذي سماه قالون لجودة قراءته، توفي سنة عشرين ومائتين.

ب- ورش[١٣٧]:

فهو عثمان بن سعيد أبو سعيد القرشي مولاهم القبطي المصري الملقب بورش شيخ القراء المحققين وإمام أهل الأداء المرتلين انتهت إليه رئاسة الإقراء بالديار المصرية في زمانه، كان جيد القراءة حسن الصوت، لقب بورش لشدة بياضه ولد سنة عشر ومائة بمصر، وتوفي بها سنة سبع وتسعين ومائة.

٢-ابن كثير[١٣٨]:

عبد الله بن كثير بن عمرو أبو معبد المكي الداري، إمام أهل مكة في القراءة، ولد بمكة سنة خمس وأربعين ولقي من الصحابة عبد الله بن الزبير وأنس بن مالك.

روى عن مجاهد عن ابن عباس عن أبي بن كعب عن رسول الله- ﷺ-، توفي سنة عشرين ومائة بمكة المكرمة، وقد اشتهر بالرواية عنه ولكن بواسطة أصحابه البزي وقنبل.

أ- البزي[١٣٩]:

فهو أحمد بن محمد بن عبد الله بن القاسم بن نافع بن أبي بزة أبو

---

١٣٦ – غاية النهاية ج١ ص٦١٥-٦١٦ باختصار.

١٣٧ – غاية النهاية ج١ ص٥٠٢-٥٠٣ باختصار.

١٣٨ – غاية النهاية ج١ ص١٤٣-١٤٥ باختصار، وانظر: النشر ج١ ص١١٥-١٢٣.

١٣٩ – غاية النهاية ج١ ص١١٩-١٢٠ باختصار.

الحسن البزي المكي مقرئ مكة ومؤذن المسجد الحرام، ولد سنة سبعين ومائة أستاذ محقق ضابط متقن انتهت إليه مشيخة الإقراء بمكة، توفي البزي سنة خمسين ومائتين عن ثمانين سنة.

ب- قنبل[١٤٠]**:**

فهو محمد بن عبد الرحمن بن خالد بن محمد أبو عمر المخزومي مولاهم المكي الملقب بقنبل شيخ القراء بالحجاز، ولد سنة خمس وتسعين ومائة، كان إماماً في القراءة ضابطاً ثقة يؤمه الناس من أقطار الأرض، مات سنة إحدى وتسعين ومائتين.

٣- أبو عمرو[١٤١]**:**

زبان بن العلاء بن عمار أبو عمرو التميمي المازني البصري أحد القراء السبعة، ولد سنة ثمان وستين، قرأ بمكة والمدينة وقرأ أيضاً بالكوفة والبصرة على جماعة كثيرة فليس في القراء أحد أكثرَ شيوخاً منه سمع أنس بن مالك وغيره، كان أعلم الناس بالقرآن والعربية مع الصدق والثقة والزهد، مات بالكوفة سنة أربع وخمسين ومائة. وممن اشتهر بالرواية عنه السوسي والدوري ولكن بواسطة اليزيدي.

أ- السوسي[١٤٢]**:**

فهو صالح بن زياد بن عبد الله أبو شعيب السوسي الرقي مقرئ ضابط محرر ثقة، أخذ القراءة عرضاً وسماعاً عن أبي محمد اليزيدي، مات سنة إحدى وستين ومائتين، وقد قارب السبعين.

ب- الدوري[١٤٣]**:**

١٤٠ – غاية النهاية ج٢ ص١٦٥-١٦٦ باختصار.

١٤١ – غاية النهاية ج١ ص٢٨٨-٢٩٢ باختصار، وانظر: النشر ج١ ص١٢٣-١٣٥.

١٤٢ – غاية النهاية ج١ ص٣٣٢-٣٣٣ باختصار.

١٤٣ – غاية النهاية ج١ ص٢٥٥-٢٥٧ باختصار

فهو حفص بن عمر بن عبد العزيز أبو عمر الدوري الأزدي البغدادي النحوي الضرير، إمام القراءة وشيخ الناس في زمانه، ثقة ثبت كبير ضابط أول من جمع القراءات، توفي في شوال سنة ست وأربعين ومائتين.

٤- ابن عامر(١٤٤):

عبد الله بن عامر بن يزيد اليحصبي نسبة إلى يحصب بضم الصاد وكسرها، وقد اختلف في كنيته كثيراً والأشهر أنه أبو عمران، إمام أهل الشام في القراءة والذي انتهت إليه مشيخة الإقراء بها، كان إماماً عالماً ثقة فيما أتاه حافظاً لما رواه، ولي القضاء بدمشق، وهو تابعي جليل، وقد أخذ القراءة عن المغيرة بن أبي شهاب المخزومي[١٤٥] وقيل إنه قرأ على عثمان توفي سنة ثماني عشرة ومائة. وقد اشتهر برواية قراءته هشام وابن ذكوان ولكن بواسطة.

أ- هشام(١٤٦):

هشام بن عمار بن نصير بن ميسرة أبو الوليد السلمي الدمشقي، إمام أهل دمشق وخطيبهم ومقرئهم ومحدثهم ومفتيهم، ولد سنة ثلاث وخمسين ومائة، توفي سنة خمس وأربعين ومائتين وقيل سنة أربع وأربعين.

ب- ابن ذكوان(١٤٧):

فهو عبد الله بن أحمد بن بشير بن ذكوان أبو عمرو القرشي الدمشقي، الإمام الأستاذ الشهير الراوي الثقة شيخ الإقراء بالشام وإمام جامع دمشق، ولد يوم عاشوراء سنة ثلاث وسبعين ومائة وتوفي يوم الاثنين سنة اثنين

١٤٤ - غاية النهاية ج١ ص٤٢٣-٤٢٥ باختصار، وانظر: النشر ج١ ص١٣٥-١٤٦

١٤٥ - المغيرة بن أبي شهاب عبد الله بن عمرو بن المغيرة بن ربيعة بن عمرو بن مخزوم، أبو هاشم المخزومي الشامي، أخذ القراءة عرضا عن عثمان بن عفان رضي الله عنه، أخذ القراءة عنه عبد الله بن عامر، توفي سنة ٩١هـ ﴿انظر: غاية النهاية ج٢ ص٣٠٥﴾.

١٤٦ - غاية النهاية ج٢ ص٣٥٤-٣٤٦ باختصار.

١٤٧ - غاية النهاية ج١ ص٤٠٤-٤٠٥ باختصار.

وأربعين ومائتين.

٥- عاصم[١٤٨]:

عاصم بن بهدلة أبي النجود بفتح النون وضم الجيم، أبو بكر الأسدي مولاهم الكوفي، شيخ الإقراء بالكوفة وأحد القراء السبعة، وهو الإمام الذي انتهت إليه رئاسة الإقراء بالكوفة بعد أبي عبد الرحمن السلمي[١٤٩] في موضعه جمع بين الفصاحة والإتقان والتحرير والتجويد، وكان أحسن الناس صوتا بالقرآن، أخذ القراءة عرضا عن زر بن حبيش[١٥٠] وأبي عبد الرحمن السلمي توفي بالكوفة أو بالسماوة[١٥١] سنة سبع وعشرين ومائة، وقيل سنة ثمان وعشرين. روى عنه شعبة وحفص كلاهما بدون واسطة.

أ- شعبة[١٥٢]:

فهو شعبة بن عياش بن سالم أبو بكر الحناط الأسدي الكوفي الإمام العلم راوي عاصم، كان إماماً كبيراً عالماً عاملاً وكان من أئمة السنة، توفي بالكوفة سنة ثلاث وتسعين ومائة.

ب- حفص[١٥٣]:

فهو حفص بن سليمان بن المغيرة البزاز أبو عمر أخذ القراءة عرضاً وتلقيناً عن عاصم وكان ربيبه ابن زوجته، ولد سنة تسعين، ثقة ثبت ضابط، كان الأولون يعدونه في الحفظ فوق أبي بكر بن عياش ويصفونه بضبط

---

١٤٨ - غاية النهاية ج١ ص٣٤٦-٣٤٩ باختصار، وانظر: النشر ج١ ص١٤٦-١٥٨.

١٤٩ - عبد الله بن حبيب بن ربيعة، أبو عبد الله السلمي الضرير مقري الكوفة، ولد في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ولأبيه صحبة، إليه انتهت القراءة تجويدا وضبطا، أخذ القراءة عرضا عن عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وعبد الله بن مسعود وزيد بن ثابت وأبي بن كعب، أخذ القراءة عنه عرضا عاصم وعطاء بن السائب وغيرهما، توفي سنة ٧٤ وقيل ٧٣هـ ﴿انظر: غاية النهاية ج١ ص٤١٣﴾.

١٥٠ - زر بن حبيش بن خباشة، أبو مريم، الأسدي الكوفي، عرض على ابن مسعود وعثمان وعلي رضي الله عنهم أجمعين، عرض عليه عاصم وسليمان الأعمش وغيرهما، توفي سنة ٨١هـ ﴿انظر: غاية النهاية ج١ ص٢٩٤، وسير أعلام النبلاء ج٤ ص١٦٦﴾.

١٥١ - السَّماوة: بفتح أوله، بين الكوفة والشام – انظر معجم البلدان – ج٣ ص٢٧٨.

١٥٢ - غاية النهاية ج١ ص٣٢٥-٣٢٧ باختصار.

١٥٣ - المصدر السابق ج١ ص٢٥٤-٢٥٥ باختصار.

الحروف التي قرأ على عاصم، توفي سنة ثمانين ومائة على الصحيح.

٦- حمزة[١٥٤]**:**

حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل الإمام الحبر أبو عمارة الكوفي مولاهم الزيات، أحد القراء السبعة، أدرك الصحابة بالسن، أخذ القراءة عرضاً على سليمان الأعمش وغيره، كان إماماً حجةً ثقةً ثبتاً قيما بكتاب الله بصيرا بالفرائض عارفاً بالعربية حافظاً للحديث عابداً، توفي بحلوان سنة ست وخمسين ومائة. وممن اشتهر بالرواية عنه خلف وخلاد لكن بواسطة.

أ- خلف[١٥٥]**:**

فهو خلف بن هشام بن ثعلب أبو محمد البزار البغدادي، ولد سنة خمسين ومائة وحفظ القرآن وهو ابن عشر سنين وابتدأ بالطلب وهو ابن ثلاث عشرة وكان ثقةً كبيراً زاهداً عابداً عالماً، توفي سنة تسع وعشرين ومائتين.

ب- خلاد[١٥٦]**:**

فهو خلاد بن خالد أبو عيسى الشيباني مولاهم الصيرفي الكوفي إمام في القراءة ثقة عارف محقق أستاذ، روى عن سليم بن عيسى[١٥٧] عن حمزة، وكان أضبط أصحاب سليم وأجلهم، توفي بالكوفة سنة عشرين ومائتين.

٧- الكسائي[١٥٨]**:**

هو علي بن حمزة بن عبد الله أبو الحسن الكسائي الإمام الذي انتهت إليه

١٥٤ – المصدر السابق ج١ ص٢٦١-٢٦٣ باختصار ، وانظر: النشر ج١ ص١٥٨-١٦٧.

١٥٥ – المصدر السابق ج١ ص٢٧٢-٢٧٤ باختصار.

١٥٦ – غاية النهاية ج١ ص٢٧٤-٢٧٥ باختصار.

١٥٧ – سليم بن عيسى بن سليم بن عامر بن غالب بن سعيد بن سليم بن داود، أبو عيسى ويقال أبو محمد الحنفي مولاهم الكوفي المقري، ضابط محرر حاذق، توفي سنة ١٨٨وقيل ١٨٩ هـ ﴿انظر: غاية النهاية ج١ ص٣١٨﴾ .

١٥٨ – غاية النهاية ج١ ص ٥٣٥-٥٤٠ باختصار ، وانظر: النشر ج١ ص١٦٧-١٧٣.

رئاسة الإقراء بالكوفة بعد حمزة الزيات النحوي. قال أبو بكر الأنباري[١٥٩] اجتمعت في الكسائي أمور كان أعلم الناس بالنحو وأوحدهم بالغريب وكان أوحد الناس بالقرآن فكانوا يكثرون عليه حتى يضطر أن يجلس على الكرسي ويتلوا القرآن من أوله إلى آخره وهم يسمعون منه ويضبطون عنه، توفي سنة تسع وثمانين ومائة. وقد اشتهر بالرواية عنه أبو الحارث والدوري.

أ- أبو الحارث[١٦٠]:

فهو الليث بن خالد أبو الحارث البغدادي ثقة معروف حاذق ضابط، توفي سنة أربعين ومائتين.

ب- الدوري[١٦١]:

فقد تقدم الحديث عنه وهو أحد راويي أبي عمرو البصري.

٨- أبو جعفر الحضرمي[١٦٢]:

هو يزيد بن القعقاع الإمام أبو جعفر المخزومي المدني القارئ، أحد القراء العشرة تابعي مشهور كبير القدر، مات أبو جعفر بالمدينة سنة ثلاثين ومائة. وقد اشتهر بالرواية عنه ابن وردان، وابن جماز.

أ- ابن وردان[١٦٣]:

فهو عيسى بن وردان أبو الحارث المدني الحذاء إمام مقرئ حاذق وراو محقق ضابط، مات في سنة ستين ومائة.

١٥٩ - محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن الحسن، أبو بكر بن الأنباري، البغدادي الإمام الكبير والأستاذ الشهير، كان حافظا، ألف كتابا في الوقف والابتداء، توفي سنة ٣٢٨، وقيل ٢٧هـ ﴿انظر: غاية النهاية ج٢ ص٢٣٠﴾.

١٦٠ - غاية النهاية ج٢ ص ٣٤ باختصار.

١٦١ - راجع ص٣٢.

١٦٢ - غاية النهاية ج١ ص٣٨٢-٣٨٤ باختصار، وانظر: النشر ج١ ص١٧٤-١٨٠.

١٦٣ - غاية النهاية ج١ ص٦١٦ باختصار.

ب- ابن جماز[١٦٤]:

فهو سليمان بن مسلم بن جماز أبو الربيع الزهري مولاهم المدني مقرئ جليل ضابط، مات بعد سنة السبعين ومائة.

٩- يعقوب البصري[١٦٥]:

هو يعقوب بن إسحاق بن يزيد أبو محمد الحضرمي مولاهم البصري، أحد القراء العشرة وإمام أهل البصرة ومقريها، عالم باللغة والنحو، مات سنة خمس ومائتين وله ثمان وثمانون سنة. وممن اشتهر بالرواية عنه رويس، وروح.

أ- رويس[١٦٦]:

فهو محمد بن المتوكل أبو عبد الله اللؤلؤي البصري المعروف برويس مقرئ حاذق ضابط مشهور، توفي بالبصرة سنة ثمان وثلاثين ومائتين.

ب- روح[١٦٧]:

فهو روح بن عبد المؤمن أبو الحسن الهذلي مولاهم البصري النحوي مقرئ جليل ثقة ضابط مشهور روى عنه البخاري في صحيحه، مات سنة أربع أو خمس وثلاثين ومائتين.

١٠- خلف البزار[١٦٨]:

أحد راويي حمزة وقد تقدم الحديث عنه. وممن اشتهر بالرواية عنه:

أ- إسحاق[١٦٩]:

---

١٦٤ - غاية النهاية ج١ ص٣١٥.

١٦٥ - غاية النهاية ج٢ ص٣٨٦-٣٨٩ باختصار، وانظر: النشر ج١ ص١٨٠-١٨٨.

١٦٦ - غاية النهاية ج٢ ص٢٣٤-٢٣٥ باختصار.

١٦٧ - غاية النهاية ج١ ص٢٨٥ باختصار.

١٦٨ - انظر: النشر ج١ ص١٨٨-١٩٠.

١٦٩ - غاية النهاية ج١ ص١٥٥ باختصار.

وهو إسحاق بن إبراهيم بن عثمان بن عبد الله أبو يعقوب البغدادي وراق خلف، توفى سنة ست وثمانين ومائتين.

ب- إدريس(١٧٠):

إدريس بن عبد الكريم الحداد أبو الحسن البغدادي إمام ضابط متقن ثقة،توفى يوم الأضحى سنة اثنتين أو ثلاث وتسعين ومائتين، عن ثلاث وتسعين سنة.



١٧٠ - غاية النهاية ج١ ص١٥٤ باختصار.

الفصل الثاني

أثر القراءات في المعاني

المبحث الأول: الأثر البياني للقراءات.

المبحث الثاني: الأثر النحوي للقراءات.

المبحث الثالث: الأثر البلاغي للقراءات.

المبحث الرابع: الأثر الفقهي للقراءات.

الفصل الثاني: أثر القراءات في المعاني

المبحث الأول: الأثر البياني للقراءات

قد يختلف معنى القراءتين ولا يكون متضمنا لحكم فقهي، ولكنه يتضمن معاني كثيرة تبين المقصود وتزيل الإلباس دون تضاد ولا تناقض.

قال الزرقاني في كتابه مناهل العرفان: "أضف إلى ذلك ما في تنوع القراءات من البراهين الساطعة على أن القرآن كلام الله، وعلى صدق من جاء به وهو رسول الله-ﷺ-، فإن هذه الاختلافات في القراءة على كثرتها لا تؤدي إلى تناقض في المقروء وتضاد، ولا إلى تهافت وتخاذل، بل القرآن كله على تنوع قراءاته، يصدق بعضه بعضا، ويشهد بعضه لبعض، على نمط واحد في علو الأسلوب والتعبير، وهدف واحد من سمو الهداية والتعليم»[171].

وقال ابن عاشور في تفسيره: «ثم إن القراءات العشر الصحيحة المتواترة، قد تتفاوت بما يشتمل عليه بعضها من خصوصيات البلاغة أو الفصاحة أو كثرة المعاني أو الشهرة، وهو تمايز متقارب.»[172]

وقال في موضع آخر: «وأنا أرى أن على المفسر أن يبين اختلاف القراءات المتواترة لأن في اختلافها توفيرا لمعاني الآية غالبا، فيقوم تعدد القراءات مقام تعدد كلمات القرآن.»[173]

وهذه أمثلة على تعدد المعاني بتعدد القراءات:

١- ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ۝١٠ ﴾ البقرة: ١٠

١٧١- مناهل العرفان في علوم القرآن - ج١ ص١١١.

١٧٢ - تفسير التحرير والتنوير ج١ ص٦١.

١٧٣ - المصدر السابق ج١ ص٥٦.

القراءات:

١. قرأ الكوفيون (يَكذبون) بفتح الياء وتخفيف الذال .
٢. وقرأ الباقون (يُكذِّبون) بالضم والتشديد[١٧٤].

البيان:

لقد أفادت قراءة التخفيف (يَكْذِبون) أن هؤلاء المنافقين سيعاقبون بسبب كذبهم على الآخرين وقولهم (آمنا بالله وباليوم الآخر) .

وأما قراءة التشديد (يُكَذِّبون) فلقد أفادت أنهم سيعاقَبون بسبب تكذيبهم الآخرين، أو تكذيبهم بيوم الدين. فهم يستحقون العذاب بسبب كذبهم وتكذيبهم، ولا شك أن من كذَّب فقد اتصف بالكذب وليس العكس فبينهما عموم وخصوص، فكل مكذِّب كذَّاب وليس كل كذَّاب مكذِّب[١٧٥].

وبالجمع بين القراءتين: يتبين لنا أن من صفات المنافقين أنهم يَكْذبون ويُكَذِّبون .

٢- ﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ ﴾ البقرة: ٣٦

القراءات:

١. قرأ حمزة (فأزالَهما) بألف بعد الزاي وتخفيف اللام.
٢. وقرأ الباقون (فأزلَّهما) بالحذف والتشديد .[١٧٦]

البيان:

لقد أفادت قراءة (فأزلهما الشيطان عنها) أن الشيطان تسبب في إيقاعهما في الزلة وهي الخطيئة من خلال الأكل من الشجرة المنهي عنها .

وأفادت قراءة (فأزالهما الشيطان عنها) أن الشيطان تسبب في إبعادهما

---

١٧٤ - انظر النشر ج٢ ص٢٠٧-٢٠٨.

١٧٥ انظر مجمع البيان في تفسير القرآن – للطبرسي - ج١ ص٦٨ - وضع حواشيه وخرج آياته وشواهده إبراهيم شمس الدين –دار الكتب العلمية– بيروت – ط١ – سنة ١٤١٨ هـ - وحيث يأتي سأكتفي بقولي: مجمع البيان.

١٧٦ - انظر النشر ج٢ ص٢١١

عن الجنة وتنحيتهما عنها.

بالجمع بين القراءتين: يتبين أن الشيطان اللعين أوقعهما في الزلة من خلال الوسوسة لهما بالأكل من الشجرة المحرمة فكانت النتيجة أن أخرجهما من الجنة.

قال القرطبي: "والوسوسة هي إنما إدخالهما في الزلل بالمعصية وليس للشيطان قدرة على زوال أحد من مكان إلى مكان إنما قدرته على إدخاله في الزلل فيكون ذلك سببا إلى زواله من مكان إلى مكان بذنبه."[177]

٣- ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾ ﴾
البقرة: ١١٩

القراءات:

١. قرأ نافع ويعقوب (ولا تَسألْ) بفتح التاء وجزم اللام على النهي.
٢. وقرأ الباقون بضم التاء والرفع على الخبر (ولا تُسألُ).[178]

البيان:

لقد أفادت قراءة (ولا تُسألُ) أن النبي- ﷺ -غير مسؤول عن كفر من كفر من أصحاب النار كما قال تعالى)ما عليك من حسابهم من شيء) الأنعام ٥٢ ، وكما قال تعالى)فإنما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم) النور ٥٤ .

وأما قراءة (ولا تَسألْ) ففيه نهي النبي- ﷺ -عن السؤال عن أحوالهم وما ينتظرهم.

قال الإمام الطبري: "قرأت عامة القراء (ولا تُسأَلُ عن أصحاب الجحيم) بضم التاء من تسأل ورفع اللام منها على الخبر بمعنى: يا محمد إنا أرسلناك

١٧٧ - الجامع لأحكام القرآن ج١ ص ٣١٢

١٧٨ - انظر النشر ج٢ ص٢٢١.

بالحق بشيرا ونذيرا فبلغت ما أرسلت به وإنما عليك البلاغ والإنذار ولست مسئولاً عمن كفر بما أتيته به من الحق وكان من أهل الجحيم. وقرأ ذلك بعض أهل المدينة (ولا تَسألْ) جزما بمعنى النهي مفتوح التاء من تسأل وجزم اللام منها، ومعنى ذلك على قراءة هؤلاء: إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا لتبلغ ما أرسلت به لا لتَسأل عن أصحاب الجحيم فلا تَسأل عن حالهم.[179]

وبالجمع بين القراءتين: يظهر لنا أن رسالة النبي-ﷺ -قاصرة على البشارة والنذارة وأنه ليس فقط غير مسؤول عن أصحاب الجحيم بل منهي عن السؤال عن أحوالهم، كما ورد في بعض الأحاديث من نهي النبي عن السؤال عن أحوال أبويه، ولم يثبت منها شيء، أو يكون في النهي معنى التعظيم لما هم فيه من العذاب، أي لا تَسألْ يا محمد- ﷺ -عنهم فقد بلغوا غاية العذاب التي ليس بعدها مستزاد. قال تعالى (ما على الرسول إلا البلاغ) المائدة ٩٩، وقال تعالى (ليس عليك هداهم) البقرة ٢٧٢ .

٤- ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ ۚ فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾﴾ البقرة: ٢٤٩

القراءات:

١. قرأ المدنيان[180] وابن كثير وأبو عمرو (غَرفة) بفتح الغين.

١٧٩ - جامع البيان ج١ ص٥١٥ .

١٨٠ - المقصود بهما نافع وأبو جعفر المدنيان.

٢. وقرأ الباقون (غُرفة) بضمها.[١٨١]

البيان:

لقد أفادت كل قراءة معنى مستقلاً عن الآخر، ومكملاً له.

أما بالنسبة لقراءة (غُرفة) بالضم: فتعني المقدار الذي يباح لهم شربه.

وبالنسبة لقراءة (غَرفة) بالفتح: فتعني عدد المرات التي يباح لهم تناول الماء فيها وهي مرة واحدة. وهذا قول الطبري والقرطبي.[١٨٢]

قال الطبرسي[١٨٣]: « (إلا من اغترف غرفة بيده) إلا من أخذ الماء مرة واحدة باليد. ومن قرأ بالضم فمعناه إلا من شرب مقدار ملء كفه.»[١٨٤]

وقال الطاهر بن عاشور: «(والغَرفة) بفتح الغين المرَّة من الغَرْف، وهو أخذ الماء باليد. ومن قرأ (غُرفة) بضم الغين: هو المقدار المغروف من الماء. ووجه تقييده بقوله (بيده) مع أن الغرف لا يكون إلا باليد لدفع توهم أن يكون المراد تقديرَ مقدار الماء المشروب، فيتناوله بعضهم كرها، فربما زاد على المقدار فجعلت الرخصة الأخذ باليد.»[١٨٥]

وبالجمع بين القراءتين يصبح المعنى: إلا من تناول ماء ملء كفه مرة واحدة فقط.

٥- ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٦٠)﴾ البقرة: ٢٦٠

١٨١ – انظر النشر ج٢ ص٢٣٠.

١٨٢ – انظر جامع البيان ج٢ ص٦١٩، والجامع لأحكام القرآن ج٣ ص٢٥٣.

١٨٣ – أمين الدين أبو علي الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي الطوسي السبزواري الرضوي أو المشهدي، إمام شيعي، له عدة تصانيف منها: تفسيره مجمع البيان في تفسير القرآن، فسر به القرآن الكريم في عشر مجلدات، توفي سنة ٥٥٢هـ، وقيل سنة ٥٤٨هـ وقيل سنة ٥٦١هـ ﴿انظر كشف الظنون ج٤ ص٢٩٠ هـ، والأعلام ج٥ ص١٤٨، ومقدمة تفسيره مجمع البيان﴾.

١٨٤ – مجمع البيان ج٢ ص ١١٤

١٨٥ – تفسير التحرير والتنوير – المجلد الثاني ج٢ ص٤٩٨.

القراءات:

١. قرأ أبو جعفر وحمزة وخلف ورويس (فصِرهن) بكسر الصاد .
٢. وقرأ الباقون (فصُرهن) بالضم.[١٨٦]

البيان:

قيل إن قراءة الضم (فصُرهن) بمعنى أملهن وضمهن، وقراءة الكسر(فصِرهن) بمعنى قطعهن.[١٨٧]

قال الألوسي في تفسيره: «وعن الفراء إن صاره مقلوب صراه عن كذا قطعه..أي اجمعهن وضمهن إليك لتتأملها وتعرف شأنها مفصلة حتى تعلم بعد الإحياء أن جزءاً من أجزائها لم ينتقل من موضعه الأول أصلاً.»[١٨٨]

والمعنى: خذ أربعة من الطير فأمِلهن وضمهن إليك لتتعرف عليهن ثم قطعهن ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً.



١٨٦ - انظر النشر ج٢ ص٢٣٢.

١٨٧ - انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع - مكي بن أبي طالب: تحقيق د. محي الدين رمضان - ج١ ص٣١٣ - مؤسسة الرسالة - بيروت - ط٢ - سنة ١٤٠١هـ، وحيث يأتي سأكتفي بقولي: الكشف، وانظر جامع البيان ج٣ ص٥٢-٥٦.

١٨٨ - روح المعاني ج٣ ص٢٩ باختصار.

المبحث الثاني: الأثر النحوي للقراءات

لقد ذهب بعض النحاة والمفسرين إلى تخطئة بعض القراءات؛ لأنها –في ظنهم– مخالفة لبعض القواعد النحوية والأصول التي وضعوها.

وهذا أمر خطير؛ لأن تخطئة بعض القراءات الصحيحة والمتواترة خطأ واضح بين، فالقراءات هي الأصل الذي يلزم الرجوع إليه عند اختلاف النحاة، وليس العكس.

قال ابن الجزري نقلا عن أبي عمرو الداني[189]: «وأئمة القراء لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الأفشى في اللغة، والأقيس في العربية، بل على الأثبت في الأثر والأصح في النقل والرواية إذا ثبت عنهم لم يردها قياس عربية، ولا فشو لغة؛ لأن القراءة سنة متبعة يلزم قبولها والمصير إليها».[190]

وقال الدكتور عبد العال سالم مكرم: «ولما استقرت قواعد النحو مسجلة في الكتاب، وظهرت المدرسة البصرية، ثم الكوفية، اتجه النحاة إلى القراءات، آخذين منها ما يؤيد وجهة نظرهم من جهة، ورافضين ما لم يقبله القياس، أو يتفق مع الأصول من جهة أخرى.

وكانت دائرة الخلاف تتسع وتضيق تبعا لبعد هذه القراءات عن الأصول والمقاييس أو قربها منها. ولم تكن الخلافات النحوية في مجال القراءات وقفا على البصريين أو الكوفيين، بل تجاوزت ذلك إلى المذاهب الفردية والآراء الشخصية لمشاهير النحاة، حيث كثر بينهم الجدل حول هذه

١٨٩ – عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد بن عمر، أبو عمرو الداني، الأموي، مولاهم القرطبي المعروف في زمانه بابن الصيرفي، الإمام العلامة الحافظ، شيخ مشايخ المقرئين، له عدة مؤلفات في القراءات، توفي سنة ٤٤٤هـ ﴿انظر غاية النهاية ج١ ص٥٠٣﴾.

١٩٠ – انظر النشر ج١ ص١٠-١١.

القراءات، واحتدم النزاع ... البصريون كانوا لا يحتجون بالقراءات إلا في القليل النادر الذي يتفق مع أصولهم ويتناسق مع مقاييسهم .. والكوفيون لم يتحفظوا في مجال القراءات كما تحفظ البصريون ذلك لأنهم رأوا أن القراءات سندها الرواية، وهي من أجل هذا أقوى في مجال الاستشهاد من الشعر ..ومن ثم كانت في نظرهم مصدرا لتقعيد القواعد وبناء الأساليب، وتصحيح الكلام بغض النظر عن موافقتها للمقياس المأخوذ أو عدم موافقتها، لأنها في ذاتها يجب أن تشتق منها المقاييس، وتستمد الأصول. ومنهج الكوفيين في الواقع أسلم وأصح في مضمار القراءات من منهج البصريين لأن اتخاذ القراءات مصدرا للاستشهاد يثري اللغة، ويزيد من رصيدها ويجعلها غنية بأساليبها على الدوام ، فلا تمد يدها إلى تعريب أو إلى دخيل.[١٩١]

والمقصود من هذا البحث التعرض لبعض القراءات المشكلة وموقف النحاة منها ، حيث نجد أن هناك قراءات مشكلة، ظاهرها يدل على أنها متعارضة مع الأصول مخالفة للمقاييس.

ووقف النحاة أمام هذه القراءات المشكلة ليوضحوا غامضها، ويزيلوا إشكالها، واجتهد كل منهم ليدلي بدلوه بين الدلاء في مضمار هذه القراءات.

وبسبب هذه القراءات المشكلة بالإضافة للقراءات الصحيحة أُثرِيَ النحو، وتَعددت مسائله ، وفاضت كتبُه حتى امتلأت بالآراء العديدة.[١٩٢]

١٩١ – أثر القراءات القرآنية في الدراسات النحوية – باختصار– د. عبد العال سالم مكرم: ص٥٦–٥٨ – مؤسسة علي جراح الصباح – الكويت.

١٩٢ – انظر أثر القراءات القرآنية في الدراسات النحوية ص٦٣.

١- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ النساء: ١

القراءات:

١. قرأ حمزة (والأرحامِ) بخفض الميم.

٢. وقرأ الباقون (والأرحامَ) بنصبها[١٩٣].

البيان:

لقد رد الزمخشري[١٩٤] في تفسيره قراءة حمزة فقال: « والجر على عطف الظاهر على المضمر وليس بسديد؛ لأن الضمير المتصل متصل كاسمه، والجار والمجرور كشيء واحد.[١٩٥]

وقال القرطبي في تفسيره مبينا أقوال العلماء في توجيه قراءة الخفض: "وقرأ إبراهيم النخعي[١٩٦] وقتادة[١٩٧] والأعمش وحمزة (الأرحامِ) بالخفض وقد تكلم النحويون في ذلك:

فأما البصريون فقال رؤساؤهم: هو لحن لا تحل القراءة به.

وأما الكوفيون فقالوا: هو قبيح ولم يزيدوا على هذا ولم يذكروا علة قبحه.

---

١٩٣ - انظر النشر ج٢ ص٢٤٧.

١٩٤ - محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي، أبو القاسم، النحوي اللغوي المفسر المعتزلي، كان داعية للإعتزال، سمع ببغداد، وصنف عدة تصانيف منها: الكشاف، والمفصل، وهو إمام كبير في التفسير والنحو واللغة وعلم البيان، تشد إليه الرحال في فنونه، وتفسيره لم يصنف مثله، جاور بمكة زمانا، فصار يقال له: جار الله، توفي سنة ٥٣٨هـ ﴿انظر شذرات الذهب ج٤ ص١١٨﴾.

١٩٥ - تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل- الإمام جار الله الزمخشري: رتبه وضبطه محمد عبد السلام شاهين – ج١ ص٤٥٢ – دار الكتب العلمية – بيروت – ط١ – سنة ١٤١٥هـ. وحيث يأتي سأكتفي بقولي: الكشاف.

١٩٦ - إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود، أبو عمران النخعي، الإمام الصالح، الكوفي، توفي سنة ٩٦هـ ﴿انظر غاية النهاية ج١ ص٢٩، وسير أعلام النبلاء ج٤ ص٥٢٠﴾.

١٩٧ - قتادة بن دعامة السدوسي، أبو الخطاب السدوسي البصري، الأعمى المفسر، أحد الأئمة في حروف القرآن وله اختيار، توفي سنة ١١٧هـ ﴿انظر غاية النهاية ج٢ ص٢٥﴾.

وقال سيبويه[١٩٨]: لم يعطف على المضمر المخفوض لأنه بمنزلة التنوين والتنوين لا يعطف عليه وقال جماعة: هو معطوف على المكنى فإنهم كانوا يتساءلون بها يقول الرجل:

سألتك بالله والرحم. هكذا فسره الحسن والنخعي ومجاهد وهو الصحيح في المسألة على ما يأتي.

وضعفه أقوام منهم الزجاج[١٩٩] وقالوا: يقبح عطف الاسم الظاهر على المضمر في الخفض إلا بإظهار الخافض، كقوله (فخسفنا به وبداره الأرض) القصص ٨١ ، ويقبح مررت به وزيد. قال الزجاج عن المازني[٢٠٠]: لأن المعطوف والمعطوف عليه شريكان يحل كل واحد منهما محل صاحبه.

وأما سيبويه: فهي عنده قبيحة ولا تجوز إلا في الشعر.

وقال أبو علي[٢٠١]: ذلك ضعيف في القياس، وفي كتاب التذكرة المهدية عن الفارسي أن أبا العباس المبرد[٢٠٢] قال: لو صليت خلف إمام يقرأ (ما أنتم بمصرخيِّ) إبراهيم ٢٢ ، (واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحامِ) النساء ١ ، لأخذت نعلي ومضيت.

قال الزجاج: قراءة حمزة مع ضعفها وقبحها في العربية خطأ عظيم في

١٩٨ – عمرو بن عثمان بن قنبر، أبو بشر، المعروف بسيبويه الفارسي ثم البصري، توفي سنة ١٨٠هـ ﴿انظر سير أعلام النبلاء ج٨ ص٣٥١ ، والبداية والنهاية ج١٠ ص١٨٢﴾ .

١٩٩ – إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج، له تأليف جمة منها: العروض، توفي سنة ٣١١هـ ﴿انظر: البداية والنهاية ج١١ ص١٥٩﴾ .

٢٠٠ – بكر بن محمد بن حبيب بن بقية، أبو عثمان المازني، أحد أئمة النحو من أهل البصرة، توفي سنة ٢٤٩هـ ﴿انظر الأعلام للزركلي ج٢ ص٦٩﴾ .

٢٠١ – الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن سليمان بن أبان، الإمام أبو علي الفارسي النحوي المشهور، توفي سنة ٣٧٧هـ ﴿انظر غاية النهاية ج١ ص٢٠٦﴾ .

٢٠٢ – محمد بن يزيد المبرد، أبو العباس تلميذ المازني وأبي حاتم السجستاني، إمام أهل البصرة في النحو واللغة، له تصانيف كثيرة منها: كتاب الكامل والروضة، توفي ببغداد سنة ٢٨٦هـ ﴿انظر وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان- لأبي العباس شمس الدين أحمد بن خلكان: تحقيق د. إحسان عباس – ج٤ ص٣١٣ – دار الثقافة – بيروت ﴾وحيث يأتي سأكتفي بقولي: وفيات الأعيان.

أصول أمر الدين لأن النبي- ﷺ -قال: (لا تحلفوا بآبائكم)[٢٠٣] فإذا لم يجز الحلف بغير الله فكيف يجوز بالرحم.

قلت: هذا ما وقفت عليه من القول لعلماء اللسان في منع قراءة والأرحام بالخفض واختاره ابن عطية.

ورده الإمام أبو نصر عبد الرحيم بن عبد الكريم القشيري واختار العطف فقال: ومثل هذا الكلام مردود عند أئمة الدين لأن القراءات التي قرأ بها أئمة القراء ثبتت عن النبي- ﷺ - تواتراً يعرفه أهل الصنعة وإذا ثبت شئ عن النبي- ﷺ-فمن رد ذلك فقد رد على النبي- ﷺ - واستقبح ما قرأ به وهذا مقام محذور ولا يقلد فيه أئمة اللغة والنحو فإن العربية تتلقى من النبي-ﷺ - ولا يشك أحد في فصاحته.[٢٠٤]

وكذلك انتصر الفخر الرازي[٢٠٥] في تفسيره لقراءة حمزة، فبعد ذكره لأقوال بعض النحاة والمفسرين في هذه القراءة قال: « واعلم أن هذه الوجوه ليست وجوها قوية في دفع الروايات الواردة في اللغات، وذلك لأن حمزة أحد القراء السبعة، والظاهر أنه لم يأت بهذه القراءة من عند نفسه، بل رواها عن رسول الله- ﷺ -، وذلك يوجب القطع بصحة هذه اللغة، والقياس يتضاءل عند السماع لا سيما بمثل هذه الأقيسة التي هي أوهن من بيت العنكبوت، وأيضا فلهذه القراءة وجهان: أحدهما : أنها على تقدير تكرير الجار، كأنه قيل تساءلون به وبالأرحام. وثانيها : أنه ورد ذلك في الشعر.[٢٠٦]

٢٠٣ - رواه مسلم - كتاب الأيمان - باب النهي عن الحلف بغير الله تعالى - ج٣ ص١٢٦٦ - حديث ١٦٤٦.

٢٠٤ - الجامع في أحكام القرآن ج٥ ص٢-٥ باختصار.

٢٠٥ - محمد بن عمر بن حسين القرشي الطبرستاني الأصل، أبو عبد الله فخر الدين الرازي، الإمام المفسر، أوحد زمانه في المعقول والمنقول، وعلوم الأوائل، يقال له: ابن خطيب الري، صاحب التفسير الكبير مفاتيح الغيب، توفي سنة ٦٠٦هـ ﴿انظر سير أعلام النبلاء ج٢١ ص٥٠٠ ، وشذرات الذهب ج٥ ص٢١﴾ .

٢٠٦ - مفاتيح الغيب ج ١٠ص١٧٠.

قال الدكتور/ عبد العال سالم مكرم بعد عرضه لأقوال النحاة حول هذه القراءة:
« من هذه الآراء العديدة في قراءة حمزة نتبين في وضوح وجلاء أن النحويين انقسموا إزاءها فريقين: مؤيدين، ومعارضين.

أما المؤيدون فإن لهم من الأدلة ما يجعل آراءهم صحيحة لأن القراءة والأسلوب العربي لا ينكرها.

أما المعارضون فقد خانهم التوفيق، ولم يكن المبرد وتلاميذه كالزجاج أو الزمخشري ممن ينزعون نزعة في هذه القراءة محيطين بلغات العرب، وبكل ما قالوا، وكان الأجدر بهم أن يسلموا بهذه القراءة، لأنها قراءة متواترة لا سبيل إلى إنكارها، ولم يكن هناك ما يدعو إلى أن يقول المبرد بصددها: لو أني صليت خلف إمام يقرؤها لقطعت صلاتي.[٢٠٧]

وهذا الذي ذهب إليه الدكتور/ عبد العال سالم مكرم ومن سبقه، كالرازي، والقشيري وغيرهم هو الحق الذي لا يجوز القول بخلافة.

٢- ﴿ قَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخۡرِجَاكُم مِّنۡ أَرۡضِكُم بِسِحۡرِهِمَا وَيَذۡهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلۡمُثۡلَىٰ ﴿٦٣﴾ ﴾ طه: ٦٣

القراءات:

١. قرأ حفص (إنْ) بالتخفيف، (هذانِ) بالألف .
٢. وقرأ ابن كثير (إنْ) بالتخفيف، (هذانِّ) بالألف مع تشديد النون على أصله[٢٠٨]
٣. وقرأ أبو عمرو (إنَّ) بالتشديد، (هذين) بالياء.
٤. وقرأ الباقون (إنَّ) بالتشديد، (هذانِ) بالألف[٢٠٩]

٢٠٧ – انظر أثر القراءات القرآنية في الدراسات النحوية ص٧٨-٨٣.
٢٠٨ – أي أن ابن كثير يقف على (هذانّ) بتشديد النون، انظر النشر ج٢ ص١٢٧، ١٢٨.
٢٠٩ – انظر النشر ج٢ ص٣٢٠-٣٢١.

البيان:

لقد اختلف النحاة والمفسرون في توجيه هذه القراءات وإعرابها.

قال صاحب إتحاف فضلاء البشر في إعرابه لهذه القراءات: " (إنَّ هذانِ) فيها أوجه:

أحدهما: أن (إنَّ) بمعنى نعم، و(هذان) مبتدأ، (لساحران) خبره.

الثاني: اسمها ضمير الشأن محذوف وجملة (هذان لساحران) خبرها.

الثالث: أن (هذان) اسمها على لغة من أجرى المثنى بالألف دائما واختاره أبو حيان وهو مذهب سيبويه.

وأما قراءتي (إنْ هذانِ)، (إنْ هذانِّ) فهما أوضح القراءات في هذه الآية معنى ولفظا وخطا، وذلك أن (إنْ) المخففة من الثقيلة أهملت و (هذان) مبتدأ، (لساحران) الخبر واللام للفرق بين النافية والمخففة على رأي البصريين.

وأما قراءة (إنَّ هذين) فهذه القراءة واضحة من حيث الإعراب والمعنى؛ لأن (هذين) اسم (إنَّ) نصب بالياء، (لساحران) خبرها، ودخلت اللام للتأكيد، لكن استشكلت من حيث خط المصحف، وذلك أن (هذين) رسم بغير ألف ولا ياء، ولا يرد على أبي عمرو، وكم جاء في الرسم مما هو خارج عن القياس مع صحة القراءة به وتواترها، وحيث ثبت تواتر القراءة فلا يلتفت لطعن الطاعن فيها ."[210]

وقال ابن زنجلة[211]: « قرأ أبو عمرو (إنَّ هذين) بالياء، ؛ لأن تثنية المنصوب والمجرور بالياء في لغة فصحاء العرب.

وقرأ الباقون (إنَّ هذان) بالألف، وحجتهم أنها مكتوبة في مصحف الإمام

210 - إتحاف فضلاء البشر ص٣٨٤-٣٨٥ باختصار.

211 - عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة المقرئ، أبو زرعة، فقيه مالكي، ترك عدة مؤلفات منها: كتابه الشهير حجة القراءات ﴿انظر ترجمته في مقدمة تحقيق كتاب الحجة - سعيد الأفغاني ص٢٥﴾

- مصحف عثمان - وهذا الحرف في كتاب الله مشكل على أهل اللغة وقد كثر اختلافهم في تفسيره ونحن نذكر جميع ما قال النحويون:
أنها لغة كنانة يجعلون ألف الاثنين في الرفع والنصب والخفض على لفظ واحد .
وقال الزجاج: وقال النحويون القدماء: (ها) هنا هاء محذوفة والمعنى: (إنه هذان لساحران.)
وقال المبرد : أحسن ما قيل في هذا أن يجعل (إنَّ) بمعنى نعم، والمعنى: (نعم هذان لساحران) فيكون ابتداء وخبرا...»[212]

من خلال الإعراب السابق نجد أن الإشكال وقع في قراءة (إنَّ هذانِ) باعتبار أن (هذان) اسم إنَّ، والمعروف أن اسم إنَّ يكون منصوبا، فهنا (هذان) اسمها وهو مثنى ينصب بالياء أي: هذين وليس هذان كما هي القراءة.
ولقد عرض الدكتور/ عبد العال سالم مكرم لتأويلات وتقديرات بعض أئمة النحو في توجيه هذه القراءة وإعرابها ثم قال: «والواقع أنه لا داعي لهذه التأويلات والتقديرات التي تشتت الفكر وتحير العقل وتجعل طالب النحو يعيش في دوامة من اضطرابات الآراء وتناقض الأفكار التي يلمسها في دراسته لمسائل هذا العلم، لم لا نريح أنفسنا ونوفر هذا المجهود الذي لا يوصل إلى الهدف ونقول: إنها لغة، واللغة ظاهرة اجتماعية لا تخضع لهذه المقاييس النحوية، ولم تكن لغة قبيلة واحدة بل ذكر بعض النحاة أنها لغات قبائل متعددة كما قيل: إنها لغة بني الحارث وخثعم وهمدان وبني العنبر وعذرة ومراد وغيرهم.
ومن عجب أن تكون لغة لهذه القبائل العديدة ثم يأتي النحاة بعد ذلك يتأولون، ويخرجون، ونسوا أنه كان يجب أن تؤخذ هكذا كما رويت وكما قرء بها[213]

٢١٢ حجة القراءات ص٤٥٤ باختصار.
٢١٣ - انظر أثر القراءات القرآنية في الدراسات النحوية ص٦٤-٦٨.

المبحث الثالث: الأثر البلاغي للقراءات

يعالج هذا المبحث قضية القراءات من الوجهة البلاغية، أي أنه يتحدث عن صلة القراءات بالبلاغة، باعتبار أن مسائل البلاغة العظيمة مبثوثة فيما اتحد معناها من القراءات، وفيما تعدد على السواء، بحيث تريك أن قيمة القرآن عظيمة، ويظهر ذلك من جهات متعددة، فقد يكون للآية معنيان صحيحان، فتدل كل قراءة على معنى، وقد يكون للآية سببا نزول فتدل كل قراءة على سبب.

ولقد تعرض الدكتور فضل حسن عباس لهذا الموضوع في رسالته: القراءات القرآنية من الوجهة البلاغية، من خلال تتبع بعض أوجه الخلاف التي فسرت بها الأحرف السبعة عند الجمهور: كالاختلاف من حيث الحروف، والتنقيط، أي- الاختلاف في الضمائر- ومن حيث الحركات والإعراب، ومن حيث الحذف والذكر، ومن حيث التقديم والتأخير.

وسنعرض لنموذج واحد لكل وجه من الأوجه المذكورة.

أولا: اختلاف الأحرف:

﴿ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ البقرة: ٥١

القراءات:

١. قرأ أبو جعفر والبصريان (وعدنا) بقصر الألف من الوعد.
٢. وقرأ الباقون (واعدنا) بالمد من المواعدة.[٢١٤]

البيان:

أفادت قراءة القصر (وعدنا) أن الوعد بمعناه الحقيقي كان من الله.

٢١٤ - انظر النشر ج٢ ص٢١٢.

وأفادت قراءة المد (واعدنا) أن المواعدة كانت من اثنين: من الله بإنزال التوراة على موسى، ومن موسى بقبول الوعد والوفاء به والتزامه بما يقوم مقام الوعد.

وبالجمع بين القراءتين: يتضح أن الوعد كان من الله حقيقة ومن موسى رضى وتسليما.

قال الدكتور/ فضل حسن عباس: "وقراءة الجمهور فيها معنى المفاعلة. فالمواعدة تكون بين اثنين، فهناك وعد من الله لموسى بإعطائه التوراة، ووعد من موسى بالتنفيذ والالتزام والحضور.

أما قراءة أبي عمرو فإنها تدل على أن الوعد كان من الله - عز وجل- لموسى- عليه السلام-، فهو من جهة واحدة، فإذا كانت قراءة الجمهور دالة على ما كان يطمح إليه كليم الله - عز وجل- من فرحة اللقاء ونور المؤانسة التي ذاق حلاوتها من قبل وهو عائد من مدين حينما خوطب (إني أنا ربك) طه ١٢ ، وحين سئل (وما تلك بيمينك يا موسى) طه ١٧ ، فأطال القول (هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى) طه ١٨ .

أقول إذا كانت قراءة الجمهور دالة على ذلك كله ، فإن قراءة أبي عمرو تدل على أن الوعد كان فيه إكرام وتكليف لموسى- عليه السلام -.[٢١٥]

ثانيا: الاختلاف في الضمائر:

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ البقرة: ٨٣

٢١٥ - القراءات القرآنية من الوجهة البلاغية - د.فضل حسن عباس ص٩ / دراسات ، المجلد الرابعة عشر ، العدد السابع ١٩٨٧.

القراءات:

١. قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي (لا يَعبدون) بالغيب.

٢. وقرأ الباقون (لا تَعبدون) بالخطاب.[٢١٦]

البيان:

لقد أفادت قراءة (لا تعبدون) الزيادة في التشنيع على بني إسرائيل بما أُخذ عليهم من عهود ومواثيق بحيث واجههم بالخطاب مشفوعا بالقسم.

وأما قراءة (لا يعبدون) بالغيب فتتحدث عما يجب عليهم من الالتزام بالعهود والمواثيق. مع ما فيها من أسلوب الالتفات.

قال الدكتور فضل حسن عباس وهو يتكلم عن أسلوب الالتفات، وهو من الأساليب البلاغية في القرآن: "ذكر البيانيون البلاغيون أسلوب الالتفات، ولا يعنينا اختلافهم في بعض الجزئيات، وخلاصة القول في الالتفات أنه انتقال من التكلم إلى الغيبة أو الخطاب، أو من الغيبة إلى الخطاب أو التكلم، أو من الخطاب إلى التكلم أو الغيبة، والغرض منه لفت النفس وتوجيه ذهن المخاطب إلى ما يوجه إليه ويلقي عليه، وهذا هدف عام للالتفات، ولكن هناك هدفا خاصا لكل التفات على حدة.

ولقد أشار الزمخشري في كشافه إلى شيء من هذا في سورة الفاتحة عند قوله سبحانه (إياك نعبد وإياك نستعين)[٢١٧] الفاتحة ٥ .

والحق أن دراسة هذا الأسلوب في كتاب الله تعالى تفتح أبوابا من أسرار الإعجاز القرآني، فقد يكون الالتفات انتقالا من الخطاب إلى الغيبة، ويكون الغرض منه تعنيف أولئك المخاطبين والإعراض عنهم، كأنهم ليسوا أهلا للخطاب، نقرأ هذا في قوله سبحانه) ولقد كذب الذين من قبلهم

---

٢١٦ - انظر النشر ج٢ ص٢١٨.

٢١٧ - انظر الكشاف ج١ ص٢٣-٢٤.

فكيف كان نكير (الملك ١٨ ، بعد قوله (أم أمنتم من في السماء..) الملك ١٧ .
وقد يكون انتقالا من الغيبة إلى الخطاب وغرضه التضييق على المخاطبين وإلزامهم الحجة بحيث لا يدع لهم فرصة، ولا يبقي لهم طريقا لمهرب، وذلك مثل قوله تعالى (أمن هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن) الملك ٢٠ ، بعد قوله (أولم يروا إلى الطير فوقهم صافات ويقبضن) الملك ١٩ ، ولو أن هذا الحديث جاء بأسلوب الغيبة- أي (أمن هذا الذي هو جند لكم) – ما كان فيه هذا الإلزام، ولكن أسلوب الخطاب فيه تقريع بالإجابة على السؤال الموجه لهم.

بعد هذه المقدمة التي ليست استطرادا في الحقيقة، أقول إن الآيات الكريمة التي وردت تارة بأسلوب الغيبة وتارة بأسلوب الخطاب يمكن أن نفهمها على هذا التوجيه مراعين الأغراض البيانية لكل أسلوب.

فمثلا قوله سبحانه (وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا يعبدون إلا الله) البقرة ٨٣ ، أسلوب الغيبة هنا فيه نعي على بني إسرائيل وتبكيت وتقريع، فهم لم يراعوا حق هذا الميثاق، بل نقضوه. أما القراءة الأخرى (لا تعبدون إلا الله) ففيها إلزام لهم وإرخاء العنان علهم يرعوون ويرجعون عن غيهم ويتركون ما كان عليه آباؤهم من قبل ..

ونخلص من هذا كله أن أمر الالتفات والتنقيط دليل على تواتر القراءات حيث اتفق القراء في بعض المواضع كما رأينا واختلفوا في بعضها الآخر، هذا من جهة ، ويتجلى أمر الإعجاز في هذه القراءات من جهة أخرى.[٢١٨]

ثالثا: الاختلاف من حيث التقديم والتأخير:

﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم

٢١٨ – القراءات القرآنية من الوجهة البلاغية ص٢٨-٣١ باختصار.

﴿مِّنۢ بَعۡضٖۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ثَوَابٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلثَّوَابِ ١٩٥﴾ آل عمران: ١٩٥

القراءات:

١. قرأ حمزة والكسائي وخلف (وقُتِلوا وقاتلوا) بتقديم الفعل المبني للمفعول به على الفعل المبني للفاعل والتخفيف.

٢. وقرأ ابن كثير وابن عامر (وقاتلوا وقُتِّلوا) بتقديم (قاتلوا) وتشديد التاء من (قُتِّلوا).

٣. وقرأ الباقون (وقاتلوا وقتِلوا) بالتخفيف.[٢١٩]

البيان:

لقد جاءت هذه الآية لتبين الفئة التي استجاب الله دعائها، وماهية الأعمال التي قامت بها، ومنها الجهاد في سبيل الله، إلا أن القراءة بتقديم (قاتلوا) على (قتلوا) أفادت أن الإجابة خاصة بمن قاتل في سبيل الله حتى قُتِل في المعركة دون من لم يقتل.

وجاءت القراءة بالتشديد لتبين المبالغة والشدة في القتل والتقطيع الذي حل بهم.

وأما القراءة الأخرى بتقديم (قُتِلوا) على (قاتلوا) فتفيد أن الإجابة لمن صبر وقاتل الأعداء على الرغم مما حل بإخوانه، فلم يضعفوا ولم يجبنوا بل واصلوا القتال والجهاد في سبيل الله.

ولكنَّ للدكتور/ فضل حسن عباس رأيا آخر إذ يقول: « قد أشكلت قراءة (وقُتِلوا وقاتلوا) على كثير من العلماء إذ كيف يمكن أن يُقتَل ثم يَقتُل؟ وللعلماء أكثر من توجيه، فقد ذهب ابن جرير ومن بعده مكي بن أبي

٢١٩ - انظر النشر ج٢ ص٢٤٦

طالب إلى أن الضمير في الفعلين ليس مرجعه واحد، فالذين قتلوا وأكرموا بالشهادة في سبيل الله ليسوا هم الذين قاتلوا، بل هم آخرون رأوا إخوانهم قتلوا في سبيل الله فلم يحدث ذلك في نفوسهم جزعا ولا هلعا، فكروا على الأعداء ونالوا منهم.

ومع وجاهة هذا التوجيه الذي ارتضاه شيخ المفسرين ابن جرير وشيخ القراء مكي، إلا أنه لا يتسق مع جمال المعنى ودقة النظم في كتاب الله لأن فيه تفكيكا للضمائر المتجاورة المتقاربة.

والتوجيه الذي نختاره هو أن تقديم قراءة المبني للمفعول في كلتا السورتين سورة آل عمران وسورة براءة فيه إشارة بيانية وهو وصف أولئك المؤمنين بالمسارعة للشهادة في سبيل الله. وعلى هذا تكون القراءة الأولى وهي ما بني الفعل فيها للفاعل دالة على جرأة المسلمين وقوتهم، وانهزام عدوهم واندحاره أمامهم.

وتدل القراءة الثانية على رغبة المسلمين في الشهادة ومسارعتهم للفوز بها.

كل من القراءتين إذن تعطي معنى وتبين وصفا من أوصاف هؤلاء المؤمنين رضي الله عنهم: فتقديم الفعل المبني لفاعل فيه بيان شدة المسلمين وحرصهم على قتل أعدائهم، وتقديم قراءة المبني للمفعول فيها بيان حبهم للشهادة في سبيل الله وحرصهم عليها.

ويبدو لي أن صاحب روح المعاني[٢٢٠] قد اختار هذا التوجيه البياني قال: وقرأ حمزة والكسائي بتقديم المبني للمفعول رعاية لكون الشهادة عريقة في هذا الباب إيذانا بعدم مبالاتهم بالموت في سبيل الله، بل بكونه أحب إليهم من السلامة.[٢٢١]

---

٢٢٠ - روح المعاني ج١١ ص٢٩

٢٢١ - انظر القراءات القرآنية من الوجهة البلاغية ص٣١-٣٢

رابعا: الذكر والحذف:

﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ ۖ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ التوبة: ١٠٧

القراءات:

١. قرأ المدنيان وابن عامر (الذين) بغير واو وكذا هي في مصاحف أهل المدينة والشام

٢. وقرأ الباقون بالواو وكذا هي في مصاحفهم.[٢٢٢]

البيان:

إن حذف الواو وتركها من أدق المسالك في التعبير البلاغي، لذا كان موضوع الفصل والوصل هو البلاغة -كما يقولون- والذي يتتبع أسلوب القرآن الكريم يجد فيه ما يثلج الصدر ويبهر النفس من أسرار الفصل والوصل وحذف الواو في موضع وذكرها في موضع آخر.

إن حذف الواو قد يكون ناشئا عن سؤال مقدر في جملة سابقة فتأتي الجملة إجابة على هذا السؤال المقدر خالية من الواو، وهذا ما يعبرون عنه —أي البلاغيون - بشبه كمال الاتصال، ويسمى استئنافا، وقد يكون ناشئا عن تغاير بين الكلام السابق والذي يليه، وهو ما يسمونه كمال الانقطاع.

وعلى هذا يمكن أن نفهم ما جاء في قوله تعالى: (والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وإرصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل) التوبة ١٠٧ .

قراءة العطف تدل على اتصال هذه الأصناف التي ذكرت في سورة براءة ابتداء من قوله سبحانه (ومنهم من يلمزك في الصدقات)التوبة ٥٨ ،

٢٢٢ - انظر النشر ج٢ ص٢٨١

(ومنهم الذين يؤذون النبي) التوبة ٦١ ، (ومنهم من عاهد الله) التوبة ٧٥ ، فكأنه قيل ومنهم الذين اتخذوا مسجداً ضراراً.

وأما القراءة الثانية ففيها قطع لهؤلاء الذين اتخذوا مسجد الضرار وفيها من التشنيع والذم الكثير الكثير، وكيف لا وقد اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل، إلى جانب كذبهم.

القراءة الثانية إذن الخالية من حرف العطف تبين شناعة أفعال أولئك.

وهكذا حذف الحرف وذكره في كتاب الله تعالى في كل منها إشارة لمعنى جديد منسجم مع جلال الموقف المتحدث عنه.[٢٢٣]

خامسا: الاختلاف من حيث الحركات والإعراب:

﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ البقرة: ٣٧

القراءات:

١. قرأ ابن كثير بنصب (آدمَ) ورفع (كلماتٌ).
٢. وقرأ الباقون برفع (آدمُ) ونصب (كلماتٍ) بكسر التاء[٢٢٤].

البيان:

لقد أفادت قراءة الجمهور (آدمُ – كلماتٍ) أن آدم -عليه السلام -هو الذي تلقى الكلمات من ربه وهذا يدل على حرصه- عليه السلام -على التوبة بحيث أقبل على الله مستغفرا تائباً نادماً على ما فعل.

وأما قراءة ابن كثير (آدمَ – كلماتٌ) فتفيد أن الكلمات التي ألهم الله بها آدم ليدعوه بها هي التي تلقته وتداركته بالنجاة والرحمة، وفي هذا دلالة على

٢٢٣ – انظر القراءات القرآنية من الوجهة البلاغية ص٣٣-٣٥باختصار.

٢٢٤ – انظر النشر ج٢ ص٢١١

محبة الله لآدم بسبب حرصه على التوبة ورجوعه إلى الله.

وبالجمع بين القراءتين: نجد أن لكل منهما معنى مكملاً للآخر ؛ فحرص آدم على التوبة والاستغفار جعلته يقبل على الله مستغفرا منيبا، هذا الحرص على التوبة الإنابة والاستغفار إلى الله كانت سببا في محبة الله لآدم ورحمته به وإلهامه بكلمات يدعو الله بها، فتلقته هذه الكلمات وكانت سببا في قبول توبته.

قال الدكتور فضل حسن عباس: «جمهور القراء على رفع آدم على الفاعلية ونصب الكلمات على المفعولية، وقرأ ابن كثير بنصب آدم ورفع الكلمات، ولكل من القراءتين توجيهها البلاغي المقبول دونما قلق أو اضطراب.

فقراءة الجمهور دالة على ما كان يعانيه آدم بعد الزلة من أسف وندم وألم فها هو باحث عما ينجيه مما وقع فيه، ونادم على ما فرط منه.

ويدل لهذه المعنى قوله سبحانه (ربنا ظلمنا أنفسنا وأن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) الأعراف ٢٣ .

أما القراءة الثانية: فإنها تدل على جانب آخر من القضية إنها تدل على عناية الله تبارك وتعالى بآدم واصطفائه واجتبائه له، وهذا يتفق مع قوله سبحانه (إن الله اصطفى آدم ونوح) آل عمران ٣٣ ، وقوله (ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى) طه ١٢٢ .

وعلى هذا تحمل القراءة الثانية فكأن هذه الكلمات باحثة عن آدم فهي التي تتلقاه.

وهكذا نجد أن كلا من القراءتين تتفق مع جانب مما جاء في كتاب الله.[٢٢٥]

٢٢٥ – القراءات القرآنية من الوجهة البلاغية ص٣٣-٣٥باختصار .

المبحث الرابع: الأثر الفقهي للقراءات

إن للقراءات القرآنية صلة وثيقة بالفقه يؤكدها أن بعض الأحكام الفقهية راجع في الاستدلال على صحتها إلى قراءة من القراءات، وليس أدل على تلك العناية من تناول علم (أصول الفقه) القضية القرآنية باعتبارها مصدرا من مصادر التشريع؛ ليحدد من القراءات ما يحتج به، وما لا يحتج به.

وسنتناول في هذا المبحث بعض المسائل الفقهية ذات الصلة باختلاف القراءات، وما يترتب عليها من اختلاف الأحكام.

المسألة الأولى: طهر الحائض بين انقطاع الدم والاغتسال:

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ (٢٢٢) ﴾ البقرة: ٢٢٢

القراءات:

١. قرأ حمزة والكسائي وخلف وأبو بكر (يَطَّهَّرن) بتشديد الطاء والهاء.
٢. وقرأ الباقون (يَطْهُرْن) بتخفيفها. [٢٢٦]

البيان:

لقد أدى اختلاف هاتين القراءتين إلى اختلاف الفقهاء في الطهر الذي تحل به الحائض لزوجها. قال القرطبي في تفسيره: "قوله تعالى (فإذا تطهرن) يعني بالماء وإليه ذهب مالك وجمهور العلماء، وأن الطهر الذي يحل به

٢٢٦ - انظر النشر ج٢ ص٢٢٧.

جماع الحائض الذي يذهب عنها الدم هو تطهرها بالماء كطهر الجنب، ولا يجزئ من ذلك تيمم ولا غيره. وبه قال مالك والشافعي والطبري وأهل المدينة وغيرهم. وقال أبو حنيفة وأبو يوسف[٢٢٧] ومحمد[٢٢٨]:
إن انقطع دمها بعد مضى عشرة أيام جاز له أن يطأها قبل الغسل وإن كان انقطاعه قبل العشرة لم يجز حتى تغتسل أو يدخل عليها وقت الصلاة. وهذا تحكم لا وجه له. ودليلنا أن الله سبحانه علق الحكم فيها على شرطين: أحدهما انقطاع الدم وهو قوله تعالى (حتى يطْهُرن).
والثاني: الاغتسال بالماء وهو قوله تعالى (فإذا تَطَّهَّرن) أي يفعلن الغسل بالماء.
واحتج أبو حنيفة فقال: إن معنى الآية: الغاية في الشرط هو المذكور في الغاية قبلها، فيكون قوله (حتى يَطْهُرن) مخففاً هو بمعنى قوله (يَطَّهَّرن) مشدداً بعينه ولكنه جمع بين اللغتين في الآية، وأيضاً فإن القراءتين كالآيتين فيجب أن يعمل بهما ونحن نحمل كل واحدة منهما على معنى، فنحمل المخففة على ما إذا انقطع دمها للأقل، فإنا لا نجوز وطأها حتى تغتسل لأنه لا يؤمن عوده، ونحمل القراءة الأخرى على ما إذا انقطع دمها للأكثر فيجوز وطؤها وإن لم تغتسل.[٢٢٩]
وقال النسفي[٢٣٠] في تفسيره: « (حتى يَطَّهَّرن) بالتشديد كوفي غير حفص أي: يغتسلن وأصله يتطهرن فأدغم التاء في الطاء لقرب مخرجيهما.
غيرهم (يَطْهُرن) أي: ينقطع دمهن والقراءتان كآيتين فعملنا بهما وقلنا له

---

٢٢٧ - يعقوب بن إبراهيم بن حبيب، أبو يوسف الأنصاري، صاحب أبي حنيفة رضي اله عنهما، أصله من الكوفة وسكن بغداد، كان فقيها عالما حافظا، تولى القضاء لثلاثة من الخلفاء: المهدي والهادي والرشيد، وهو أول من سمى قاضي القضاة، وأول من جعل للعلماء زيا خاصا بهم، توفي ببغداد سنة ١٨٢هـ ﴿ انظر وفيات الأعيان ج٦ ص٣٧٨﴾ .

٢٢٨ - محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني بالولاء صاحب أبي حنيفة، وأبي يوسف، له تصانيف كثيرة نشر بها علم أبي حنيفة، وكان من أفصح الناس، توفي بالري سنة ١٨٩هـ ﴿انظر وفيات الأعيان ج ٤ ص١٨٤﴾ .

٢٢٩ - الجامع لأحكام القرآن ج٣ ص٨٨-٨٩ باختصار.

٢٣٠ - عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي – أبو البركات حافظ الدين، فقيه حنفي، مفسر، له مصنفات منها: مدارك التنزيل، توفي سنة ٧١٠هـ ﴿الأعلام – الزركلي ج ٤ ص٦٧﴾ .

أن يقربها في أكثر الحيض بعد انقطاع الدم وإن لم تغتسل عملا بقراءة التخفيف، وفى أقل منه لا يقربها حتى تغتسل أو يمضى عليها وقت الصلاة عملاً بقراءة التشديد، والحمل على هذا أولى من العكس لأنه حينئذ يجب ترك العمل بإحداهما لما عرف.

وعند الشافعي- رحمه الله -لا يقربها حتى تطهر وتتطهر، دليله قوله تعالى (فإذا تطَّهَّرن فأتوهن) فجامعوهن فجمع بينهما[٢٣١].

خلاصة المسألة:

إن أثر القراءتين في اختلاف المذاهب قد تحدد في حالة واحدة وهي ما إذا انقطع الدم لأكثره عند الأحناف حل للرجل أن يطأ زوجته وإن لم تغتسل. وفيما عدا هذه الحالة فالكل يشترط لحلها التطهير بالماء.[٢٣٢]

المسألة الثانية: فرض الرجلين بين الغسل والمسح:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٦ ﴾ المائدة: ٦

القراءات:

١. قرأ نافع وابن عامر والكسائي ويعقوب وحفص (وأرجلَكم) بنصب اللام.

---

٢٣١ - تفسير النسفي – ج١ ص١١١ – دار الكتاب العربي – بيروت.

٢٣٢ - راجع تفسير روح المعاني ج٢ ص١٢٢-١٢٣ ، تفسير جامع البيان ج٣ ص٣٨٥-٣٨٧ ، تفسير التحرير والتنوير - المجلد الثاني ج٢ ص٣٦٦-٣٦٩.

٢. وقرأ الباقون (وأرجلِكم) بالخفض.[٢٣٣]

البيان:

قال القرطبي في تفسيره: "وبحسب هذه القراءات اختلف الصحابة والتابعون:

فمن قرأ بالنصب جعل العامل اغسلوا وبنى على أن الفرض في الرجلين الغسل دون المسح وهذا مذهب الجمهور والكافة من العلماء، وهو الثابت من فعل النبي - ﷺ - واللازم من قوله في غير ما حديث. وقد رأى قوما يتوضئون وأعقابهم تلوح فنادى بأعلى صوته (ويل للأعقاب من النار أسبغوا الوضوء)[٢٣٤]. ثم إن الله حدهما فقال: إلى الكعبين، كما قال في اليدين إلى المرافق فدل على وجوب غسلهما والله أعلم.

ومن قرأ بالخفض جعل العامل الباء.[٢٣٥]

ولقد جمع الإمام الطبري بين القراءتين حيث قال: «اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأه جماعة من قراء الحجاز والعراق (وأرجلَكم إلى الكعبين) نصبا فتأويله: إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وأرجلكم إلى الكعبين وامسحوا برءوسكم.

وإذا قُرِئَ كذلك كان من المؤخر الذي معناه التقديم وتكون الأرجل منصوبة عطفا على الأيدي وتأول قارئو ذلك كذلك أن الله جل ثناؤه إنما أمر عباده بغسل الأرجل دون المسح بها.

وقرأ ذلك آخرون من قراء الحجاز والعراق (وامسحوا برءوسكم وأرجلِكم) بخفض الأرجل، وتأول قارئو ذلك كذلك أن الله إنما أمر عباده بمسح

---

٢٣٣ - انظر النشر ج٢ ص٢٥٤.

٢٣٤ - رواه البخاري - فتح الباري بشرح صحيح البخاري - كتاب الوضوء - باب ٢٩ - غسل الأعقاب - ج١ ص٢٦٧ ولفظه عن أبي هريرة أنه قال: (أسبغوا الوضوء فإن أبا القاسم قال: ويل للأعقاب من النار).

٢٣٥ - الجامع لأحكام القرآن ج٦ ص٩١.

الأرجل في الوضوء دون غسلها وجعلوا الأرجل عطفا على الرأس فخفضوها لذلك.

والصواب من القول عندنا في ذلك أن الله أمر بعموم مسح الرجلين بالماء في الوضوء كما أمر بعموم مسح الوجه بالتراب في التيمم وإذا فعل ذلك بهما المتوضئ كان مستحقا اسم ماسح غاسل لأن غسلهما إمرار الماء عليهما أو إصابتهما بالماء. ومسحهما إمرار اليد أو ما قام مقام اليد عليهما . فإذا فعل ذلك بهما فاعل فهو غاسل ماسح.

ولذلك من احتمال المسح المعنيين اللذين وصفت من العموم والخصوص اللذين أحدهما مسح ببعض والآخر مسح بالجميع اختلفت قراءة القراء في قوله وأرجلكم: فنصبها بعضهم توجيها منه ذلك إلى أن الفرض فيهما الغسل وإنكارا منه المسح عليهما مع تظاهر الأخبار عن رسول الله بعموم مسحهما بالماء. وخفضها بعضهم توجيها منه ذلك إلى أن الفرض فيهما المسح.(٢٣٦)

وهكذا نرى أن اختلاف القراءتين أدى إلى اختلاف الحكم، والقطع بالراجح في المسألة ليس بالأمر الهين نظراً لقوة حجة كل فريق وتعدد الأدلة من السنة، ويمكن الرجوع إلى المسألة في مظانها .(٢٣٧)

المسألة الثالثة: عقد الأيمان بين المرة والتكرار:

﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَـٰنِكُمْ وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَـٰنَ

٢٣٦ – جامع البيان ج٦ ص١٢٦– ١٣٠ باختصار .

٢٣٧ – انظر تفسير التحرير والتنوير ج٦ ص١٣٠–١٣١ ، روح المعاني ج٥ ص٧٦–٧٧ ، التفسير الكبير – الفخر الرازي: ج٦ ص١٦٤–١٦٦ – دار الفكر – ط٣ – سنة ١٤٠٥هـ ، الفقة الإسلامي وأدلته – الدكتور وهبة الزحيلي: ج١ ص٢٢٢–٢٢٥ – دار الفكر – ط٣ – سنة ١٤٠٩ هـ ، من فقه القراءات / د. إسماعيل أحمد الطحان ص٤٤ – حولية الشريعة والقانون والدراسات الإسلامية – جامعة قطر – العدد الحادي عشر – ١٤١٤هـ.

فَكَفَّـٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَـٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَـٰثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّـٰرَةُ أَيْمَـٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَاحْفَظُوٓا۟ أَيْمَـٰنَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾ المائدة: ٨٩

القراءات:

١. قرأ حمزة والكسائي وخلف وأبو بكر (عقَدتم) بالقصر -أي من غير ألف- والتخفيف.

٢. ورواه ابن ذكوان كذلك إلا أنه بالألف (عاقدتم).

٣. وقرأ الباقون (عقَّدتم) بالتشديد من غير ألف.[٢٣٨]

البيان:

لقد أدى اختلاف القراءات إلى الاختلاف في عقد الأيمان:

أيكون عقدها بالحلف مرة واحدة، ويكون الحنث فيها موجبا الكفارة؟ أم لا يكون عقدها إلا بتكرار الحلف، ولا كفارة إلا مع التكرار؟.

قال القرطبي في تفسيره: " وقرء (عقدتم) بتشديد القاف، قال مجاهد: معناه تعمدتم أي قصدتم، وروي عن ابن عمر أن التشديد يقتضي التكرار فلا تجب عليه الكفارة إلا إذا كرر وهذا يرده ما روي أن النبي- ﷺ -قال: (إني والله إن شاء الله لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيرا منها إلا أتيت الذي هو خير وكفرت عن يميني)[٢٣٩] فذكر وجوب الكفارة في اليمين التي لم تتكرر. قال أبو عبيد: التشديد يقتضي التكرير مرة بعد مرة ولست آمن أن يلزم من قرأ بتلك القراءة ألا توجب عليه كفارة في اليمين الواحدة حتى يرددها مرارا وهذا قول خلاف الإجماع.[٢٤٠]

٢٣٨ - انظر النشر ج٢ ص٢٥٥.

٢٣٩ - رواه البخاري في صحيحه، انظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري ج١١ ص٥١٧ - رقم ٦٦٢٣.

٢٤٠ - الجامع لأحكام القرآن / القرطبي ج٦ ص٢٦٧.

وقال الإمام الطبري في تفسيره: «وأولى القراءتين بالصواب[٢٤١] في ذلك قراءة من قرأ بتخفيف القاف وذلك أن العرب لا تكاد تستعمل فعلت في الكلام إلا فيما يكون فيه تردد مرة بعد مرة مثل قولهم شددت على فلان في كذا إذا كرر عليه الشد مرة بعد أخرى فإذا أرادوا الخبر عن فعل مرة واحدة قيل شددت عليه بالتخفيف. وقد أجمع الجميع لا خلاف بينهم أن اليمين التي تجب بالحنث فيها الكفارة تلزم بالحنث في حلف مرة واحدة وإن لم يكررها الحالف مرات وكان معلوماً بذلك أن الله مؤاخذ الحالف العاقد قلبه على حلفه وإن لم يكرره ولم يردده وإذا كان ذلك كذلك لم يكن لتشديد القاف من عقدتم وجه مفهوم. فتأويل الكلام إذن لا يؤاخذكم الله أيها المؤمنون من أيمانكم بما لغوتم فيه ولكن يؤاخذكم بما أوجبتموه على أنفسكم منها وعقدت عليه قلوبكم.[٢٤٢]

الخلاصة:

لقد ذهب بعض العلماء إلى أن قراءة (عقّدتم) بالتشديد تقتضي بظاهرها أن اليمين لا تنعقد إلا بتكرار الحلف، وتلك هي التي يؤاخذ الله عليها الحالف، بمعنى إن حنث فيها لزمته الكفارة، وكأن لا مؤاخذة ولا كفارة فيما دون التكرار.

ولكن هذا المقتضى من ظاهر الآية لم يعتمده أحد من الفقهاء تشريعا يعول عليه في قضية الإيمان، بل الإجماع على خلافه لما ثبت بالسنة الصحيحة عن النبي-ﷺ-أن الكفارة لازمة مع الحنث في اليمين وإن لم يتكرر الحلف على نحو ما أشار إليه حديث الرسول-ﷺ-السابق ذكره.

وبناء على ما سبق نجد أن كل قراءة جاءت لدفع التوهم عن القراءة الأخرى.

---

٢٤١ هذا القول مما يؤخذ عليه رحمه الله؛ فلا يجوز التفضيل بين القراءات الصحيحة إذا ثبتت قرآنيتها، راجع ما قاله الإمام القشيري وغيره في هذا الموضوع ص٤٥ من هذه الرسالة.

٢٤٢ – جامع البيان ج٧ ص١٣

فلما كانت قراءة التشديد تؤذن باحتمالات التكرار، جاءت قراءة (عقدتم) بالتخفيف لرفع توهم أن اليمين لا تنعقد إلا بالتكرار.

وجاءت قراءة التشديد (عقَّدتم) لرفع توهم أن الكفارة تجب باللغو في اليمين، بل لا بد من النطق باللسان والتوثيق بالجنان.

قال مكي بن أبي طالب: «فالتخفيف فيه إلزام الكفارة، وإن لم يكرر، وفيه رفع للإشكال. فالتشديد فيه إلزام الحالفين الكفارة على عددهم، وفيه إيهام ترك الكفارة عمن لم يكرر، فالقراءتان حسنتان.[٢٤٣]

وبالجمع بين القراءتين: نجد أن الكفارة تجب على من حلف ولو لمرة واحدة ثم حنث في يمينه شريطة أن يعقد اليمين بقلبه ولسانه، ولا كفارة باللغو في اليمين.



٢٤٣ - الكشف ج١ ص٤١٧.

الفصل الثالث

تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر
من خلال سور: الفاتحة، والبقرة، وآل عمران

المبحث الأول: سورة الفاتحة.

المبحث الثاني: سورة البقرة.

المبحث الثالث: سورة آل عمران.

الفصل الثالث:
تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر
من خلال سور: الفاتحة، والبقرة، وآل عمران

في هذا الفصل سأتناول التفسير للقراءات القرآنية العشر من خلال سور: الفاتحة والبقرة وآل عمران، والتي لها علاقة بالمعاني فقط، ولقد اعتمدت على منهج واحد في التفسير وهو:

أ. كتابة الآية القرآنية مدار البحث كاملة.

ب. بيان القراءات في الآية.

ج. بيان المعنى اللغوي للقراءات.

د. تفسير الآية كاملة.

ه. بيان العلاقة التفسيرية بين القراءات.

المبحث الأول: سورة الفاتحة

﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝ ﴾ الفاتحة: ٤

القراءات:

١. قرأ عاصم والكسائي ويعقوب وخلف (مالك) بالألف مداً.

٢. قرأ الباقون (ملك) بغير ألف قصراً.[٢٤٤]

المعنى اللغوي للقراءات:

المَلِك: هو القادر الواسع المقدرة الذي له السياسة والتدبير.

المَالِك: هو القادر على التصرف في ماله وله أن يتصرف فيه على وجه ليس لأحد منعه منه.[٢٤٥]

التفسير:

لمّا بين سبحانه وتعالى ملكَه التام في الدنيا بقوله (رب العالمين) أتبع ذلك ببيان ملكه التام والمطلق في الآخرة.

قال ابن كثير: "وتخصيص الملك بيوم الدين لا ينفيه عما عداه لأنه قد تقدم الإخبار بأنه رب العالمين وذلك في الدنيا والآخرة وإنما أضيف إلى يوم الدين لأنه لا يدعي أحد هنالك شيئاً ولا يتكلم أحد إلا بإذنه.[٢٤٦]

وقال القرطبي: «فيقال لمن خصص يوم الدين وهو مالك يوم الدين وغيره قيل له لأن في الدنيا كانوا منازعين في الملك مثل فرعون ونمروذ وغيرهما وفي ذلك اليوم لا ينازعه أحد في ملكه وكلهم خضعوا له كما قال تعالى (لمن الملك اليوم) غافر ١٦، فأجاب جميع الخلق (لله الواحد القهار) فلذلك قال (مالك يوم الدين) أي في ذلك اليوم لا يكون مالك ولا قاض ولا مجاز

٢٤٤ - انظر النشر ج١ ص٢٧١.

٢٤٥ - مجمع البيان - ج١ ص٣١.

٢٤٦ - تفسير ابن كثير ج١ ص٢٥ -٢٦.

غيره سبحانه لا إله إلا هو.(٢٤٧)

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لما كان المَلك لا يتم مُلكُه إلا بالملك المفيد لتمام التصرف، وكان المالك لا يتم ملكُه إلا بالمُلك المفيد للعزة المَقرون بالهيبة المثمر للبطش والقهر ونفوذ الأمرِ جاءت القراءتان لإثباتالأمرين معاً؛ فالله هو المَلك والمَالك حقيقة ليوم الدين.(٢٤٨)

قال الشعراوي في تفسيره: «إذا قال الحق -ﷻ- (مالك يوم الدين) أي الذي يملك هذا اليوم وحده يتصرف فيه كيف يشاء، وإذا قيل (مَلك يوم الدين) فتصرفه أعلى على المالكين لأن المالك لا يتصرف إلا في ملكه، ولكن المَلك يتصرف في مُلْكه ومُلْكِ غيره فيستطيع أن يصدر قوانين بمصادرة أو تأميم ما يملكه غيره.

الذين قالوا (مالك يوم الدين) أثبتوا لله- ﷻ -أنه مالك هذا اليوم يتصرف فيه كيف يشاء دون تدخل من أحد ولو ظاهرا، والذين يقرؤون (ملك) يقولون أن الله -ﷻ- في ذلك اليوم يقضي في أمر خلقه حتى الذين ملَّكهم في الدنيا ظاهرا. ونحن نقول عندما يأتي يوم القيامة لا مالك ولا ملك إلا الله.(٢٤٩)

وقال الدكتور/ فضل حسن عباس: «والذي ندين به، ونلقى الله عليه، أن كلتا القراءتين صحيحة أداء ومعنى. ولكل منهما معنى تبلغ به نهاية الإيجاز وغاية الإعجاز. بيان ذلك: أن الناس في هذه الدنيا يفرقون بين أمرين اثنين وهذان الأمران هما غاية كثير من الناس: أحدهما المُلك، وهو

---

٢٤٧ - الجامع لأحكام القرآن ج١ ص١٤٣.

٢٤٨ - انظر نظم الدرر في تناسب الآيات والسور - برهان الدين أبو الحسن البقاعي: خرج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه عبد الرزاق غالب مهدي - ج١ ص١٤ - دار الكتب العلمية - بيروت - ط١ - سنة ١٤١٥هـ.

٢٤٩ - تفسير الشعراوي ج١ ص٧٠ - أخبار اليوم.

حب الرياسة وطلب القوة. والآخر المِلك، وهو حب القنية والتملك وجمع الثروات الهائلة، ولكل وجهة، والآية الكريمة بقراءتيها جاءت مبينة هاتين الغايتين اللتين تسيطران على كثير من الناس، وبأن ليس لأحد منهما شيء في ذلك اليوم. فهما لله وحده. فالله مَلك يوم الدين صاحب السلطان، لا سلطان لأحد غيره، وهذا ما ترشد إليه قراءة (مَلك يوم الدين). وهو كذلك سبحانه المتصرف وحده في شؤون الناس والكون. هو الذي يملك كل شيء وهو الغني الحميد، وهذا ما ترشد إليه القراءة الثانية (مالك). كلتا القراءتين إذن تدل على معنى مستقل عن الآخر، وكل من المعنيين لابد منه في بيان اليوم الآخر.[250]



٢٥٠ - القراءات القرآنية من الوجهة البلاغية ص١٦ باختصار.

المبحث الثاني: سورة البقرة

١ -﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ ﴾
البقرة: ٩

القراءات:

١. قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو (وما يُخادِعون) بضم الياء وألف بعد الخاء وكسر الدال.
٢. قرأ الباقون (وما يَخْدَعون) بفتح الياء وسكون الخاء وفتح الدال من غير ألف.[٢٥١]

المعنى اللغوي للقراءات:

الخَدْعُ: إظهار خلاف ما تخفيه، خَدَعَه يَخْدَعُه خِدعا بالكسر، وخادَعه مُخادَعةً وخِداعاً.

وتَخادع القوم: خدع بعضُهم بعضا. وتَخادع وانْخدع: أَرَى أنه قد خُدِع، وخَدعتُه فانْخدع ويقال رجل خَدَّاع وخد وع وخُدعة إذا كان خَبًّا.[٢٥٢]

التفسير:

ذكر سبحانه في أول هذه السورة المؤمنين الخلَّص ثم ذكر بعدهم الكفرة الخلَّص ثم ذكر ثالثا المنافقين وهم الذين لم يكونوا من إحدى الطائفتين بل صاروا فرقة ثالثة لأنهم وافقوا في الظاهر الطائفة الأولى وفي الباطن الطائفة الثانية ومع ذلك فهم أهل الدرك الأسفل من النار.[٢٥٣]

ومن صفات هذه الطائفة المنافقة جهلهم القبيح بالله وظنهم السيئ به

٢٥١ - انظر النشر ج٢ ص٢٠٧.

٢٥٢ - انظر لسان العرب ج٢ ص١١١٢.

٢٥٣ - انظر فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير - محمد بن علي بن محمد الشوكاني: اعتنى به وراجع أصوله يوسف الغوش - ج١ ص٥٢-٥٣ - دار المعرفة - بيروت - ط٣ - ١٤١٧هـ. وحيث يأتي سأكتفي بقولي: فتح القدير.

سبحانه، حيث يظنون لقصور عقولهم أنهم بنفاقهم وإظهارهم خلاف ما يبطنون وقولهم (آمنا بالله وباليوم الآخر) يخدعون الله والمؤمنين والحقيقة أنهم يخدعون أنفسهم.

قال الطبري في تفسيره: «إن قال لنا قائل أو ليس المنافقون قد خدعوا المؤمنين بما أظهروا بألسنتهم من قيل الحق عن أنفسهم وأموالهم وذراريهم حتى سلمت لهم دنياهم وإن كانوا قد كانوا مخدوعين في أمر آخرتهم، قيل: خطأ أن يقال إنهم خدعوا المؤمنين لأنا إذا قلنا ذلك أوجبنا لهم حقيقة خدعة جاءت لهم على المؤمنين ولكنا نقول خادع المنافقون ربهم والمؤمنين ولم يخدعوهم بل خدعوا أنفسهم. كما تقول في رجل قاتل آخر فقتل نفسه ولم يقتل صاحبه قاتل فلان فلانا ولم يقتل إلا نفسه فتوجب له مقاتلة صاحبه وتنفي عنه قتله صاحبه وتوجب له قتل نفسه فكذلك تقول خادع المنافق ربه والمؤمنين ولم يخدع إلا نفسه فتثبت منه مخادعة ربه والمؤمنين وتنفي عنه أن يكون خدع غير نفسه لأن الخادع هو الذي قد صحت له الخديعة ووقع منه فعلها. والخادع من ختل[٢٥٤] غيره عن شيئه والمخدوع غير عالم بموضع خديعة خادعه، فأما والمخادع عارف بخداع صاحبه إياه وغير لاحقه من خداعه إياه مكروه بل إنما يتجافى للظان به أنه له مخادع استدراجا ليبلغ غاية يتكامل له عليه الحجة للعقوبة التي هو بها موقع عند بلوغه إياها. ولذلك نفى الله جل ثناؤه عن المنافق أن يكون خدع غير نفسه إذ كانت الصفة التي وصفنا صفته.[٢٥٥]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد ذهب بعض أهل اللغة والتفسير إلى أن القراءتين ترجعان إلى معنى واحد.

٢٥٤ الخَتْلُ: تخادع عن غفلة. لسان العرب ج١ ص١١٠٠

٢٥٥ جامع البيان ج١ ص١١٩ – ١٢٠ بتصرف.

قال مكي بن أبي طالب: "وعلة من قرأ بغير ألف أن أهل اللغة حكوا: خادع وخدع بمعنى واحد، والمفاعلة قد تكون من واحد كقولهم: داويت العليل، وعاقبت اللص.إلى أن قال: وحمل القراءتين على معنى واحد أحسن، وهو أن خادع وخدع بمعنى واحد في اللغة، فيكون (وما يُخادعون، وما يَخْدَعون) بمعنى واحد من فاعل واحد.[٢٥٦]

وقال ابن كثير في تفسيره: « (وما يخادعون إلا أنفسهم وما يشعرون) يقول: وما يغرون بصنيعهم هذا ولا يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون بذلك من أنفسهم كما قال تعالى (إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم) النساء ١٤٢ ،ومن القراء من قرأ (وما يخدعون إلا أنفسهم) وكلا القراءتين ترجع إلى معنى واحد.[٢٥٧]

وقال الشوكاني[٢٥٨]: « لما خادعوا من لا يُخدع كانوا مخادعين لأنفسهم؛ لأن الخداع إنما يكون مع من لا يعرف البواطن، وأما من عرف البواطن فمن دخل معه في الخداع فإنما يخدع نفسه وما يشعر بذلك، ومن هذا قول من قال: من خادعته فانخدع لك فقد خدعك.[٢٥٩]

والصواب أن كل قراءة تعطي معنى غاية في بابه دونما تناقض أو تضاد بين المعنيين بحيث تتم به الحكمة البيانية.

قال الدكتور/ فضل حسن عباس: « إن من عرف نفسية المنافق واضطرابه وقلقه أدرك أن كلتا القراءتين في القمة إيجازا وإعجازا، صحة معنى وروعة مبنى.

٢٥٦ - الكشف - ج١ ص٢٢٤-٢٢٧ باختصار.

٢٥٧ - تفسير ابن كثير ج١ ص٧٧.

٢٥٨ - محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن، من أهل صنعاء، له تصانيف كثيرة جدا منها: تفسيره المسمى فتح القدير، ونيل الأوطار، وغيرها، توفي سنة ١٢٥٠هـ ﴿انظر: مقدمة تفسيره فتح القدير - ج١ ص٥، الأعلام للزركلي ج٦ ص٢٩٨﴾.

٢٥٩ - فتح القدير ج١ ص٥٣.

فالقراءة الأولى (وما يَخدعون إلا أنفسهم) تطمئن المؤمنين بأن عمل هؤلاء المنافقين سينقلب وبالا عليهم، فنتيجة المخادعة ضرر محقق لأنفسهم، فهي بشارة للمؤمنين بما سيقع على أولئك المنافقين.

وأما القراءة الثانية وهي (يُخادعون) فإنها تدل على شيء آخر وهو ما يجده المنافقون في أنفسهم من إضطراب، وضيق وعدم استقرار وثبات؛ فهناك عملية مخادعة بينهم وبين أنفسهم، وهذا ما يدل عليه قوله سبحانه (يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم) التوبة٦٤، وهذا قريب من التجريد الذي ذكره علماء البديع، فهم يخادعون أنفسهم ويغرونها بالأماني، وأنفسهم كذلك تخادعهم.[٢٦٠]

٢-﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ البقرة: ١٠

القراءات:

١. قرأ الكوفيون (يَكذِبون) بفتح الياء وتخفيف الذال.
٢. قرأ الباقون (يُكذِّبون) بالضم والتشديد.[٢٦١]

المعنى اللغوي للقراءات:

الكَذِب: ضد الصدق وهو الإخبار عن الشيء لا على ما هو عليه، والكذب ضرب من القول.[٢٦٢]

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن صفة أخرى من صفات المنافقين ألا وهي صفة

٢٦٠ - القراءات القرآنية من الوجهة البلاغية ص١٨.
٢٦١ - انظر النشر ج٢ ص٢٠٧-٢٠٨.
٢٦٢ - انظر مجمع البيان ج١ ص٦٨.

الكذب وتكذيب الآخرين بسبب مرض النفاق الذي أصاب قلوبهم، وما ينتظرهم في الآخرة من العذاب الأليم.

قال ابن كثير في معنى الآية: " (في قلوبهم مرض) هم المنافقون والمرض الشك الذي دخلهم في الإسلام (فزادهم الله مرضاً) قال زادهم رجساً، وقرأ (فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون وأما الذين في قلوبهم مرض فزادهم رجسا إلى رجسهم) التوبة ١٢٤-١٢٥، قال شراً إلى شرهم وضلالة إلى ضلالتهم، وهذا الذي قاله عبد الرحمن رحمه الله حسن وهو الجزاء من جنس العمل وكذلك قاله الأولون وهو نظير قوله تعالى أيضا (والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم)محمد ١٧ ، وقوله (بما كانوا يَكْذبون) وقُرِئَ (يُكذّبون)، وقد كانوا متصفين بهذا وهذا فإنهم كانوا كَذبة ويكذبون بالغيب يجمعون بين هذا وهذا ."[٢٦٣]

ولقد جاءت نصوص كثيرة تتحدث عن صفة الكذب عند المنافقين منها قوله تعالى (إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون)المنافقون ١ ، وقوله تعالى (فأعقبهم نفاقا في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدهم وبما كانوا يكذبون) التوبة ٧٧.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد أفادت قراءة التخفيف (يَكْذبون) أن هؤلاء المنافقين سيعاقبون بسبب كذبهم على الآخرين وقولهم (آمنا بالله وباليوم الآخر).

وأما قراءة التشديد (يُكَذّبون) فلقد أفادت أنهم سيعاقَبون بسبب تكذيبهم الآخرين. فهم يستحقون العذاب بسبب كذبهم وتكذيبهم الآخرين، ولا

٢٦٣ - تفسير ابن كثير ج١ ص٧٨.

شك أن من كذَّب الآخرين فقد اتصف بالكذب وليس العكس فبينهما عموم وخصوص، فكل مكذِّب كذَّاب وليس كل كذَّاب مكذِّباً.

قال الطبرسي: " والتكذيب أكثر من الكذب لأن من كذَّب صادقاً فقد كذَب وليس كل من كذَب مكذِّبا. [264]

وبالجمع بين القراءتين: يتبين لنا أن من صفات المنافقين أنهم يَكْذِبون ويُكَذِّبون الآخرين.

٣- ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ البقرة: ٢٨

القراءات:

١. قرأ الجمهور (تُرجَعون) مبنيا للمفعول من رجع المتعدي.
٢. قرأ يعقوب (تَرجِعون) مبنيا للفاعل حيث وقع في القرآن من رجع اللازم لأن رجع يكون لازما ومتعديا. [265]

المعنى اللغوي للقراءات:

الرُجوع: العَود إلى ما كان منه البَدْء، والرَّجع: الإعادة، والرَّجْعَة، والرِّجعة في الطلاق، وفي العود إلى الدنيا بعد الممات. [266]

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن قدرة الله ووجوده وتصرفه في عباده.

قال ابن كثير: " يقول تعالى محتجا على وجوده وقدرته وأنه الخالق المتصرف في عباده (كيف تكفرون بالله) أي كيف تجحدون وجوده أو تعبدون معه

٢٦٤ - مجمع البيان ج١ ص٦٨.
٢٦٥ - انظر: النشر ج٢ ص٢٠٨.
٢٦٦ - انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٣٤٢.

غيره (وكنتم أمواتا فأحياكم) أي وقد كنتم عدما فأخرجكم إلى الوجود.
وعن ابن عباس (كنتم أمواتا فأحياكم) أمواتا في أصلاب آبائكم لم تكونوا شيئا حتى خلقكم ثم يميتكم موتة الحق ثم يحييكم حين يبعثكم قال وهي مثل قوله تعالى (أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين) غافر١١ .[٢٦٧]
وقال أبو حيان: « والمقصود هنا إظهار القدرة والتصرف التام بنسبة الإحياء والإماتة والإحياء والرجوع إليه تعالى، وإن كنا نعلم أن الله تعالى هو فاعل الأشياء جميعها، وفي قوله تعالى (ثم إليه ترجعون) من الترهيب والترغيب ما يزيد المسيء خشية ويرده عن بعض ما يرتكبه ويزيد المحسن رغبة في الخير ويدعوه رجاؤه إلى الازدياد من الإحسان.[٢٦٨]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد أفادت قراءة الجمهور (تُرجَعون) إلى وجود قوة خارجة عن الإرادة تدفع بالرجوع إليه بخلاف قراءة (تَرجِعون) أي بأنفسكم ولا يلزم تدخل الغير.
قال أبو حيان: " لا يلزم من رجوع الشخص إلى شيء أن غيره رجعه إليه، إذ قد يرجع بنفسه من غير رادّ.[٢٦٩]
وقال الشعراوي في تفسيره: « وقوله تعالى (وإلية ترجعون) تقرأ قراءتان: بضمة على التاء ومرة بفتحة على التاء.
الأولى (تُرجعون): معناها أننا نُجبر على الرجوع، فلا يكون الرجوع إلى الله تعالى بإرادتنا، وهذا ينطبق على الكفار الذين يتمنون عدم الرجوع إلى الله.
أما القراءة الثانية (تَرجعون) ففيها إرادة. وهي تنطبق على المؤمنين لأنهم

٢٦٧ – تفسير ابن كثير ج١ ص١٠١ باختصار.
٢٦٨ – تفسير البحر المحيط ج١ ص٢٧٨.
٢٦٩ – المصدر السابق.

يتمنون الرجوع إلى الله -عَجَّلَ- .(٢٧٠)

وبالجمع بين القراءتين: نجد أن في الآية تحذير للناس عامة وللكفار المنكرين للبعث خاصة، وأنهم سيبعثون بعد الموت سواء أحبوا لقاء الله أم كرهوا، فالكل سيقف بين يدي الله الجبار ليحاسبه على عمله إن خيرا فخير وإن شرا فشر.

٤- ﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ عَنۡهَا فَأَخۡرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِۖ وَقُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ﴿٣٦﴾ ﴾ البقرة: ٣٦

القراءات:

١. قرأ حمزة (فأزالَهما) بألف بعد الزاي وتخفيف اللام.
٢. قرأ الباقون (فأزلَّهما) بالحذف والتشديد.(٢٧١)

المعنى اللغوي للقراءات:

فأزالهما: أي نحاهما عن الحال التي كانا عليها من قول القائل أزال فلان فلانا عن موضعه إذا نحاه عنه وزال.

فأزلهما: من زللت وأزلني غيري أي أوقعهما في الزلل وهو أن يزل الإنسان عن الصواب إلى الخطأ والزلة.(٢٧٢)

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن زلة آدم – علي السلام – ونسيانه أمر ربه بالأكل من الشجرة المحرمة وما أعقبه من إبعاده وإخراجه من الجنة إلى الأرض والعداوة بينه وبين إبليس إلى يوم القيامة.

---

٢٧٠ – تفسير الشعراوي ج١ ص٢٣١ – أخبار اليوم.

٢٧١ – انظر النشر ج٢ ص٢١١.

٢٧٢ – انظر حجة القراءات – لأبي زرعة عبد الرحمن ابن زنجلة: تحقيق سعيد الأفغاني – مؤسسة الرسالة – بيروت – ط٤ – سنة ١٤٠٤هـ ص٩٤

قال النسفي: " (فأزلهما الشيطان عنها) أي عن الشجرة أي فحملهما الشيطان على الزلة بسببها، وتحقيقه فأصدر الشيطان زلتهما عنها، أو فأزلهما عن الجنة بمعنى أذهبهما عنها وأبعدهما، (فأزالهما) حمزة. وزلة آدم بالخطأ في التأويل: إما بحمل النهى على التنزيه دون التحريم أو بحمل اللام على تعريف العهد وكان الله تعالى أراد الجنس والأول الوجه.(٢٧٣)

ثم بين المولى- ﷻ-ما أعده لهم في الدنيا من المتاع. قال الإمام الطبري في تفسيره: "ولكم في الأرض منازل ومساكن تستقرون فيها استقراركم كان في السماوات، وفي الجنات في منازلكم منها، واستمتاع منكم بها وبما أخرجت لكم منها، وبما جعلت لكم فيها من المعاش والرياش والزين والملاذ، وبما أعطيتكم على ظهرها أيام حياتكم ومن بعد وفاتكم تدفنون فيها وتبلغون باستمتاعكم بها إلى أن أبدلكم بها غيرها.(٢٧٤)

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد أفادت قراءة (فأزلهما الشيطان عنها) أن الشيطان تسبب في إيقاعهما في الزلة وهي الخطيئة من خلال الأكل من الشجرة المنهي عنها بقوله تعالى (ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين) ويكون الضمير في عنها يعود إلى أقرب المذكورات وهي الشجرة، ويكون قوله تعالى (فأخرجهما مما كانا فيه) متمم للمعنى ومبينا عاقبة الزلة وهو الخروج والإبعاد عن الجنة. وأفادت قراءة (فأزالهما الشيطان عنها) أن الشيطان تسبب في إبعادهما عن الجنة وتنحيتهما عنها، ويكون الضمير في عنها يعود إلى الجنة، ويكون قوله تعالى (فأخرجهما مما كانا فيه) تأكيد لهذا الإبعاد.

قال ابن عاشور: " والضمير في عنها يجوز أن يعود إلى الشجرة لأنها اقرب

٢٧٣ - تفسير النسفي ج١ ص٤٣.

٢٧٤ - جامع البيان ج١ ص٢٤٢.

وليتبين سبب الزلة وسبب الخروج من الجنة إذ لو لم يجعل الضمير عائدا إلى الشجرة لخلت القصة عن ذكر سبب الخروج. وقرأ حمزة فأزالهما بألف بعد الزاي وهو من الإزالة بمعنى الإبعاد، وعلى هذه القراءة يتعين أن يكون ضمير عنها عائدا إلى الجنة لا إلى الشجرة.[٢٧٥]

وقال الألوسي: « فأزلهما الشيطان عنها أي حملهما على الزلة بسببها، وتحقيقه أصدر زلتهما عنها، والضمير على هذا للشجرة وقيل: أزلهما أي أذهبهما ويعضده قراءة حمزة فأزالهما وهما متقاربان في المعنى غير أن أزل يقتضي عثرة مع الزوال والضمير حينئذ للجنة وعوده إلى الشجرة بتجوز.[٢٧٦]

بالجمع بين القراءتين:

يتبين أن الشيطان اللعين أوقعهما في الزلة من خلال الوسوسة لهما بالأكل من الشجرة المحرمة فكانت النتيجة أن أخرجهما من الجنة.

قال القرطبي: « والوسوسة هي إنما إدخالهما في الزلل بالمعصية وليس للشيطان قدرة على زوال أحد من مكان إلى مكان إنما قدرته على إدخاله في الزلل فيكون ذلك سببا إلى زواله من مكان إلى مكان بذنبه.[٢٧٧]

٥- ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ البقرة: ٣٧

القراءات:

١. قرأ ابن كثير بنصبَ (آدمَ) ورفع (كلماتٌ).
٢. قرأ الباقون برفع (آدمُ) ونصب (كلماتٍ) بكسر التاء.[٢٧٨]

٢٧٥ - تفسير التحرير والتنوير المجلد الأول ج١ ص٤٣٣-٤٣٤ باختصار
٢٧٦ - روح المعاني ج١ ص٢٣٥ باختصار
٢٧٧ - الجامع لأحكام القرآن ج١ ص ٣١٢
٢٧٨ - انظر النشر ج٢ ص٢١١.

المعنى اللغوي للقراءات:

التلقي: نظير التلقين يقال تلقيت منه أي أخذت وقبلت.[٢٧٩]

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن توبة آدم بعد مخالفته لأمر الله وأكله من الشجرة المنهي عنها، وعن قبول الله لهذه التوبة، كما جاء ذلك صريحاً في موضع آخر، قال تعالى (فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى، فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة، وعصا آدم ربه فغوى، ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى) طه ١٢٠-١٢٢ . ولم تذكر الآية الكريمة الكلمات التي تلقاها آدم أو التي تلقته، ولكن جاء في موضع آخر بيان لهذه الكلمات في قوله تعالى (قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) [٢٨٠] الأعراف ٢٣ .

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد أفادت قراءة الجمهور (آدمُ – كلماتٍ) أن آدم- عليه السلام -هو الذي تلقى الكلمات من ربه وهذا يدل على حرصه عليه السلام على التوبة بحيث أقبل على الله مستغفرا تائباً نادماً على ما فعل.

وأما قراءة ابن كثير (آدمَ – كلماتٌ) فتفيد أن الكلمات التي ألهم الله بها آدم ليدعوه بها هي التي تلقته وتداركته بالنجاة والرحمة، وفي هذا دلالة على محبة الله لآدم بسبب حرصه على التوبة ورجوعه إلى الله.

قال الطبري: "فلقّى الله آدمَ كلمات توبة فتلقاها آدمُ من ربه وأخذها عنه تائبا فتاب الله عليه بقيله إياها وقبوله إياها من ربه.[٢٨١]

٢٧٩ - انظر مجمع البيان ج١ ص١٢٧.

٢٨٠ - انظر أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن – محمد الأمين الشنقيطي: اعتنى بها الشيخ صلاح الدين العلايلي - ج١ ص٦٧ – دار إحياء التراث العربي – بيروت – ط١ – ١٤١٧هـ.

٢٨١ - جامع البيان ج١ ص٢٤٣.

وقال الدكتور/ فضل حسن عباس: « ولكل من القراءتين توجيهها البلاغي المقبول، دونما قلق أو اضطراب. فقراءة الجمهور دالة على ما كان يعانيه آدم بعد الزلة من أسف وندم وألم. فها هو باحث عما ينجيه مما وقع فيه، نادم على ما فرط منه. ويدل لهذه القراءة قوله سبحانه (ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) الأعراف ٢٣.

أما القراءة الثانية: فإنها تدل على جانب آخر من القضية، إنها تدل على عناية الله-ﷻ -بآدم واصطفائه واجتبائه له. وهذا يتفق مع قوله سبحانه (إن الله اصطفى آدم ونوحا) آل عمران ٣٣ ، وقوله (ثم اجتباه ربه فتاب عليه) طه ١٢٢. وعلى هذا تحمل القراءة الثانية، فكأن هذه الكلمات باحثة عن آدم فهي التي تتلقاه. وهكذا نجد أن كلا القراءتين تتفق مع جانب مما جاء في كتاب الله. أحدهما تدلنا على نفسية آدم وما كان يعانيه. والأخرى تدلنا على تكريم الله تبارك وتعالى له.[٢٨٢]

وبالجمع بين للقراءتين: نجد أن لكل منهما معنى مكملاً للآخر؛ فحرص آدم على التوبة والاستغفار جعلته يقبل على الله مستغفرا منيبا، هذا الحرص على التوبة الإنابة والاستغفار إلى الله كانت سببا في محبة الله لآدم ورحمته به وإلهامه بكلمات يدعو الله بها، فتلقته هذه الكلمات وكانت سببا في قبول توبته.

وذهب بعض المفسرين إلى أن القراءتين بمعنى واحد. قال القرطبي: «القراءتان ترجعان إلى معنى واحد؛ لأن آدم إذا تلقى الكلمات فقد تلقته، وقيل لما كانت الكلمات هي المنقذة لآدم بتوفيق الله تعالى وقبوله إياها ودعائه بها كانت الكلمات فاعلة.[٢٨٣]

٢٨٢ - القراءات القرآنية من الوجهة البلاغية ص٣٥-٣٦.

٢٨٣ - الجامع لأحكام القرآن ج١ ص٣٢٦.

وهذا الذي قاله القرطبي وإن كان صحيحا من حيث اللغة إلا أن لكل قراءة مدلولها وأثرها في النفس بحيث تؤدي معنى لا يؤديه الآخر.

٦- ﴿ قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًاۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ البقرة: ٣٨

القراءات:

١. قرأ يعقوب (فلا خوفَ) حيث وقعت بفتح الفاء وحذف التنوين.

٢. قرأ الباقون (فلا خوفٌ) بالرفع والتنوين.[٢٨٤]

المعنى اللغوي للقراءات:

الخوف: توقع مكروه عن إمارة مظنونة أو معلومة، كما أن الرجاء والطمع توقع محبوب عن إمارة مظنونة أو معلومة، ويضاد الخوف الأمن.[٢٨٥]

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن إخراج آدم وزوجه، وإبليس من الجنة بعد المعصية التي وقع فيها آدم بالأكل من الشجرة المحرمة، وعن وعد الله لمن التزم بشرعه وسار على هدي نبيه ومصطفاه بعدم الخوف مما هو آت، وبعدم الحزن على ما فات.

قال ابن كثير: " (فمن تبع هداي) أي أقبل على ما أنزلت به الكتب وأرسلت به الرسل (فلا خوف عليهم) أي فيما يستقبلونه من أمر الآخرة (ولا هم يحزنون) على ما فاتهم من أمور الدنيا .[٢٨٦]

٢٨٤ – انظر النشر ج١ ص٢١١.

٢٨٥ – مفردات ألفاظ القرآن ص٣٠٣.

٢٨٦ – تفسير ابن كثير ج١ ص١٢١.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

العلاقة بين القراءات هي علاقة تفسيرية حيث اختلف العلماء في المقصود بالنفي في قوله تعالى (فلا خوف) هل المقصود به نفي الخوف في الدنيا والآخرة أم المقصود به نفي الخوف في الآخرة فقط؟ فجاءت قراءة الفتح لتبين المراد وهو نفي الخوف في الآخرة خاصة.

فعلى قراءة الجمهور (فلا خوفٌ) بالتنوين مع الرفع تكون (لا) هنا عاملة عمل ليس، فتحتمل نفي جنس الخوف مطلقا وهذا لا يكون إلا في الآخرة، وتحتمل نفي خوف معين وهو الخوف من المستقبل دون الخوف الفطري، وهذا يكون في الدنيا .

وأما على القراءة الثانية (فلا خوفَ) بالفتح من غير تنوين تكون (لا) نافية للجنس تعمل عمل إن، وهنا لا تحتمل الآية إلا نفي جنس الخوف مطلقا وهذا لا يكون إلا في الآخرة.

قال ابن عطية: «(فلا خوفَ) نصب على التبرئة ووجهه أنه أعم وأبلغ في رفع الخوف.[٢٨٧]

وبالجمع بين القراءتين: يكون المقصود من الآية هو نفي الخوف في الآخرة خاصة. قال الرازي: « فإن قيل: قوله تعالى (فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) يقتضي نفي الخوف والحزن مطلقا في الدنيا والآخرة وليس الأمر كذلك لأنهما حصلا في الدنيا للمؤمنين أكثر من حصولهما لغير المؤمنين، قال - ﷺ-: (خص البلاء بالأنبياء ثم الأولياء ثم الأمثل فالأمثل.)[٢٨٨] وأيضا فالمؤمن لا يمكنه القطع أنه أتى بالعبادات كما

---

٢٨٧ - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز / ابن عطية الأندلسي ج١ ص١٣٢ - تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد - دار الكتب العلمية - بيروت - ط١ - سنة ١٤١٣هـ.

٢٨٨ - رواه الترمذي بنحوه - كتاب الزهد - ج٤ ص١٧٩ - حديث ٢٤٠٦. قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

ينبغي فخوف التقصير حاصل وأيضا فخوف سوء العاقبة حاصل».[٢٨٩]

قال الدكتور/ محمد السيد الطنطاوي: «ونفي الخوف والحزن ورد في الآية على وجه الإطلاق، وظاهره أن المهتدين لا يعتريهم الخوف ولا الحزن في دنياهم ولا في آخرتهم. ولكن قوله فيما يقابله من جزاء الكافرين (أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) يرجح أن يكون المراد نفي الخوف والحزن في الدار الآخرة».[٢٩٠]

٧- ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ البقرة: ٤٨

القراءات:

١. قرأ ابن كثير والبصريان (تُقبل) بالتأنيث.
٢. قرأ الباقون (يُقبل) بالتذكير.[٢٩١]

التفسير:

تحذر الآية الكريمة من ذلك اليوم الرهيب الذي لا يغني فيه أحدٌ عن أحدٍ، كما أنها تنفي الشفاعة عن الكافرين. قال ابن كثير "لما ذكرهم تعالى بنعمه أولا عطف على ذلك التحذير من طول نقمه بهم يوم القيامة، فقال تعالى: (واتقوا يوما) يعني يوم القيامة (لا تجزي نفس عن نفس شيئا) أي لا يغني أحد عن أحد (ولا يقبل منها شفاعة) يعني من الكافرين (ولا يؤخذ منها عدل) أي لا يقبل منها فداء (ولا هم ينصرون) أي ولا أحد يغضب لهم فينصرهم وينقذهم من عذاب الله.[٢٩٢]

٢٨٩ - مفاتيح الغيب - الإمام فخر الدين الرازي: ج٢ ص٢٩ - دار الفكر - ط٥ - سنة ١٤٠٥هـ.

٢٩٠ - التفسير الوسيط للقرآن الكريم - د. محمد سيد طنطاوي ج١ ص١٢٩ - مطبعة السعادة - القاهرة - سنة ١٣٩٧هـ.

٢٩١ - انظر النشر ج٢ ص ٢١٢.

٢٩٢ - تفسير ابن كثير ج١ ص١٣٠ باختصار.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لاختلاف القراءات أثر نحوي من حيث جواز معاملة المؤنث الغير حقيقي معاملة المذكر. قال صاحب التحرير والتنوير: "ويجوز في كل مؤنث اللفظ غير حقيقي التأنيث أن يعامل معاملة المذكر؛ لأن صيغة التذكير هي الأصل في الكلام فلا تحتاج إلى سبب.[٢٩٣]

٨- ﴿ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ البقرة: ٥١

القراءات:

١. قرأ أبو جعفر والبصريان (وعدنا) بقصر الألف من الوعد.

٢. قرأ الباقون (واعدنا) بالمد من المواعدة[٢٩٤]

المعنى اللغوي للقراءات:

الوعد يكون في الخير والشر، يقال وعدته بنفع وضر وعدا وموعدا وميعادا، والوعيد في الشر خاصة، يقال منه: أوعدته، ويقال: واعدته وتواعدنا.[٢٩٥]

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن نعم الله على بني إسرائيل وعن تشريف الله لموسى بما وعده به من إنزال الشريعة وما كان من ظلم بني إسرائيل لأنفسهم حين عبدوا العجل.

قال ابن كثير: " يقول تعالى واذكروا نعمتي عليكم في عفوي عنكم لما عبدتم العجل بعد ذهاب موسى لميقات ربه عند انقضاء أمد المواعدة وكانت

٢٩٣ – تفسير التحرير والتنوير ج١ ص٣٨٠.

٢٩٤ – انظر النشر ج٢ ص٢١٢.

٢٩٥ – مفردات ألفاظ القرآن ٨٧٥.

أربعين يوما وهي مذكورة في الأعراف في قوله تعالى (وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر) الأعراف ١٤٣ . قيل إنها ذو القعدة بكماله وعشرة من ذي الحجة وكان ذلك بعد خلاصهم من فرعون وإنجائهم من البحر»[٢٩٦]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة القصر (وعدنا) أن الوعد بمعناه الحقيقي كان من الله.

وأفادت قراءة المد (واعدنا) أن المواعدة كانت من اثنين: من الله بإنزال التوراة على موسى، ومن موسى بقبول الوعد والوفاء به والتزامه بما يقوم مقام الوعد.

قال القرطبي: "قال أبو إسحاق الزجاج: واعدنا هاهنا بالألف جيد، لأن الطاعة في القبول بمنزلة المواعدة، فمن الله تعالى وعد، ومن موسى قبول واتباع يجري مجرى المواعدة."[٢٩٧] قال الفخر الرازي في معنى الآية: «فأما بغير ألف فوجهه ظاهر لأن الوعد كان من الله تعالى والمواعدة مفاعلة لا بد لها من اثنين، وأما بالألف فله وجوه:

أحدها: أن الوعد وإن كان من الله تعالى فقبوله كان من موسى- عليه السلام -وقبول الوعد يشبه الوعد لأن القابل للوعد لا بد وأن يقول أفعل ذلك.

وثانيهما: لا يبعد أن يكون الآدمي يعد الله ويكون معناه يعاهد الله.

وثالثهما: أنه أمر جرى بين اثنين فجاز أن يقال واعدنا.

ورابعها وهو الأقوى: أن الله تعالى وعده بالوحي وهو وعد الله المجيء للميقات إلى الطور[٢٩٨]

٢٩٦ - تفسير ابن كثير ج١ ص١٣٣.

٢٩٧ - الجامع لأحكام القرآن ج١ ص٣٩٤.

٢٩٨ - مفاتيح الغيب ج٢ ص٧٨.

وبالجمع بين القراءتين: نرى أن قراءة المد أظهرت ما كان يطمح إليه كليم الله من فرحة اللقاء، ونور المؤانسة التي ذاق حلاوتها من قبل وهو عائد من مدين، في حين أثبتت قراءة القصر أن الوعد بمعناه الحقيقي هو من الله، وهذا فيه إكرام وتكليف لموسى عليه السلام.[٢٩٩]

٩- ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾ البقرة: ٥٨

القراءات:

١. قرأ ابن عامر (تُغفَر) بضم التاء وفتح الفاء.
٢. قرأ نافع وأبو جعفر (يُغفَر) بضم الياء وفتح الفاء.
٣. قرأ الباقون (نَغفِر) بفتح النون وكسر الفاء.[٣٠٠]

المعنى اللغوي للقراءات:

الغَفْر: إلباس الشيء ما يصونه عن الدنس، ومنه قيل: اغفر ثوبك في الوعاء واصبغ ثوبك فإنه أغفر للوسخ، والغفران والمغفرة من الله هو أن يصون العبدَ من أن يمسه العذاب.[٣٠١] وقال ابن جرير الطبري: «أصل الغَفْر: التغطية والستر، فكل ساتر شيئا فهو غافره.[٣٠٢]

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن نعمة أخرى من نعم الله على بني إسرائيل وما وعدهم به إن هم استجابوا لأمره وأطاعوه فيما أمرهم به، أنه يتغمدهم برحمته ويستر عنهم خطاياهم فلا يفضحهم بالعقوبة عليها. قال ابن

٢٩٩ - انظر القراءات القرآنية من الجهة البلاغية ص٢٣.
٣٠٠ - انظر النشر ج٢ ص٢١٥.
٣٠١ - مفردات ألفاظ القرآن ص٦٠٩.
٣٠٢ - جامع البيان ج١ ص٣٠٢.

كثير: "هذا جواب الأمر أي إذا فعلتم ما أمرناكم غفرنا لكم الخطيئات وضعفنا لكم الحسنات، وحاصل الأمر أنهم أمُروا أن يخضعوا لله تعالى عند الفتح بالفعل والقول، وأن يعترفوا بذنوبهم ويستغفروا منها، والشكر على النعمة عندها والمبادرة إلى ذلك من المحبوب عند الله تعالى."[٣٠٣]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أما بالنسبة لقراءتي (تُغْفَر) و(يُغْفَر) فالعلاقة بينهما نحوية تتعلق بجواز معاملة المؤنث الغير حقيقي معاملة المذكر، كما تبين ذلك عند بيان قراءة (ولا يقبل منها شفاعة)البقرة ٤٨[٣٠٤]

وأما قراءة (نَغفِر) بنون العظمة فقد جاءت مفسرة للقراءتين الأخريين فقد أسند سبحانه وتعالى فعل المغفرة إلى نفسه بضمير الجمع لبيان أن الذي يغفر الذنوب والخطايا هو الله وحده.كما قال تعالى (ومن يغفر الذنوب إلا الله) آل عمران ١٣٥ .

قال القرطبي في توجيه القراءات: «وحسن الياء والتاء، وإن كان قبله إخبار عن الله تعالى في قوله (وإذ قلنا) لأنه قد عُلم أن ذنوب الخاطئين لا يغفرها إلا الله تعالى؛ فاستغنى عن النون ورد الفعل إلى الخطايا المغفورة.[٣٠٥]

١٠- ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ

٣٠٣ - تفسير ابن كثير ج١ ص١٤٢.

٣٠٤ - راجع ص٧٦.

٣٠٥ - الجامع لأحكام القرآن ج١ ص٤١٤.

بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾ البقرة: ٦١

القراءات:

١. قرأ نافع (النبيئين) بالهمزة على الأصل.

٢. قرأ الباقون (النبيِّين) بغير همز.[٣٠٦]

المعنى اللغوي للقراءات:

النبيئين بالهمز: من أنبأ إذا أخبر عن الله كما قال تعالى (من أنبأك هذا) التحريم ٣ . فالنبيّ: هو الذي ينبئ أي يخبر عن الله ...النبيِّين بغير همز: من نبا ينبو إذا ارتفع فيكون فعيلا من الرفعة، والنبوة: الارتفاع. وإنما قيل للنبيِّ نبيٌ: لارتفاع منزلته وشرفه تشبيها له بالمكان المرتفع على ما حوله.[٣٠٧]

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن طغيان وتكبر بني إسرائيل وظلمهم لأنفسهم ولأنبيائهم وتمردهم على أوامر الله حين طلبوا من نبيهم موسى- عليه السلام -أن يسأل ربه أن يستبدل لهم المن والسلوى ببعض الأطعمة المذكورة، وما كان من تعنيف الله لهم في استبدالهم الأدنى بالذي هو خير، بالإضافة لارتكابهم أبشع الجرائم من خلال قتلهم للأنبياء المخبرون عن الله أصحاب المكانة العالية. قال الإمام الشوكاني: "والمراد في الآية أنهم رجعوا بغضب من الله أو صاروا أحقاء بغضبه وقد تقدم تفسير الغضب. والإشارة بقوله (ذلك) إلى ما تقدم من حديث الذلة وما بعده بسبب كفرهم بالله وقتلهم لأنبيائه بغير حق يحق عليهم اتباعه والعمل به، ولم

٣٠٦ - انظر حجة القراءات - ابن زنجلة ص٩٨-٩٩ ، وانظر إتحاف فضلاء البشر ص١٨٠.

٣٠٧ - انظر حجة القراءات / ابن زنجلة ص٩٨-٩٩.

يخرج هذا مخرج التقييد حتى يقال إنه لا يكون قتل الأنبياء بحق في حال من الأحوال لمكان العصمة، بل المراد نعي هذا الأمر عليهم وتعظيمه وأنه ظلم بحت في نفس الأمر ويمكن أن يقال إنه ليس بحق في اعتقادهم الباطل لأن الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه لم يعارضوهم في مال ولا جاه بل أرشدوهم إلى مصالح الدين والدنيا كما كان من شعيبا وزكريا ويحيى فإنهم قتلوهم وهم يعلمون ويعتقدون أنهم ظالمون.(٣٠٨)

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تبين القراءتان صفات الأنبياء عليهم السلام ومكانتهم عند الله-ﷻ-؛ حيث أفادت قراءة (النبيئين) أن النبي هو المخبر عن ربه الوحي. في حين أفادت قراءة (النبيِّين) أن النبي هو صاحب المكانة العالية المترفع عن أي خبر كاذب الهادي إلى الطريق المستقيم. قال تعالى في وصف محمد صلى الله عيه وسلم (وما ينطق عن الهوى . إن هو إلا وحي يوحى)النجم ٣-٤ ، و قال تعالى (وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم) الشورى ٤٢ .

قال القرطبي: «فأما من همز فهو عنده من أنبأ إذا أخبر؛ واسم فاعله منبئ، ويجمع نبئ أنبياء، وقد جاء في جمع نبيّ نبآء...واختلف القائلون بترك الهمز؛ فمنهم من اشتقه من نبا ينبو إذا ظهر. فالنبيّ من النبوة وهو الارتفاع؛ فمنزل النبي رفيع. والنبي بترك الهمز أيضا الطريق، فسمي الرسول نبيا لاهتداء الخلق به كالطريق(٣٠٩)

وبالجمع بين القراءتين نجد أنَّ من صفات النبيّ أنه المخبر عن الله عز وجل صاحب المكانة العالية الهادي إلى الطريق المستقيم.

---

٣٠٨ - فتح القدير ج١ ص١١٩.

٣٠٩ - الجامع لأحكام القرآن ج١ ص٤٣١.

وفي هذا بيان لعظم الجرم الذي فعله اليهود بقتلهم الأنبياء والاعتداء عليهم وتكذيبهم.

١١-﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ البقرة: ٦٢

القراءات:

١. قرأ نافع وأبو جعفر (والصابين) بحذف الهمزة.
٢. قرأ الباقون (والصابئين) بالهمز.[٣١٠]

المعنى اللغوي للقراءات:

صبا فلان يصبو صَبْواً وصَبوَةً: إذا نزع واشتاق، وفعل فعل الصبيان، والصَّبَا: الريح المستقبل للقبلة، والصابئون: قوم كانوا على دين نوح، وقيل لكل خارج من الدين إلى دين آخر صابئ، من قولهم: صبأ ناب البعير: إذا طلع.[٣١١]

التفسير:

أخبر تبارك وتعالى أن أهل الملل والأديان، كل من آمن منهم بنبيه، وبكتابه في زمانه، إيمانا صادقا، وعمل صالحا دون أن يشرك بالله شيئا، فإن أجره لا يضيع عند الله، وهو يوم القيامة ناج من عذاب الله، وأنه يدخل الجنة مع المؤمنين، فاليهودي الذي تمسك بشريعة موسى في زمانه، والنصراني الذي تمسك بشريعة عيسى في زمانه، والذي مات على الفطرة وهو يؤمن بالله، كل هؤلاء يدخلون الجنة، لأنهم في زمانهم كانوا مؤمنين موحدين، وأما بعد بعثة محمد صلى الله عيه وسلم فلا يقبل من اليهودي

٣١٠ - انظر إتحاف فضلاء البشر ص١٨١.

٣١١ - انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٤٧٥.

أو النصراني أن يتمسك أحدهم بدينه، بل من شروط دخول الجنة الإيمان بمحمد-ﷺ-، والدخول في دين الإسلام، لأن كل دين قبله نُسخ، وانتهى العمل به، قال تعالى (ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين)[٣١٢] آل عمران ٨٥ .

قال ابن كثير عن الصابئين: «وأظهر الأقوال: والله أعلم قول مجاهد ومتابعيه أنهم قوم ليسوا على دين اليهود ولا النصارى ولا المجوس ولا المشركين وإنما هم قوم باقون على فطرتهم ولا دين مقرر لهم يتبعونه ويقتفونه ولهذا كان المشركون ينبزون من أسلم بالصابيء أي أنه قد خرج عن سائر أديان أهل الأرض إذ ذاك. وقال بعض العلماء الصابئون الذين لم تبلغهم دعوة نبي والله أعلم.»[٣١٣]

وقال الألوسي في تفسيره: «والصابئين هم قوم مدار مذاهبهم على التعصب للروحانيين واتخاذهم وسائط ولما لم يتيسر لهم التقرب إليها بأعيانها والتلقي منها بذواتها فزعت جماعة منهم إلى هياكلها فصابئة الروم مفزعها السيارات وصابئة الهند مفزعها الثوابت وجماعة نزلوا عن الهياكل إلى الأشخاص التي لا تسمع ولا تبصر ولا تغني عن أحد شيئا فالفرقة الأولى هم عبدة الكواكب والثانية هم عبدة الأصنام وكل من هاتين الفرقتين أصناف شتى مختلفون في الاعتقادات والتعبدات، والإمام أبو حنيفة - رضي الله تعالى - عنه يقول: إنهم ليسوا بعبدة أوثان وإنما يعظمون النجوم كما تعظم الكعبة، وقيل: هم قوم موحدون يعتقدون تأثير

٣١٢ - انظر المقتطف من عيون التفاسير ج١ ص ٩٨ - العلامة مصطفى الخيري المنصوري: تحقيق محمد علي الصابوني - دار السلام - القاهرة - ط١ - سنة ١٤١٧هـ.

٣١٣ - تفسير ابن كثير ج١ ص١٤٩.

النجوم ويقرون ببعض الأنبياء كيحيى- عليه السلام –،وقيل: إنهم يقرون بالله تعالى ويقرؤن الزبور ويعبدون الملائكة ويصلون إلى الكعبة، وقيل: إلى مهب الجنوب وقد أخذوا من كل دين شيئا وفي جواز مناكحتهم وأكل ذبائحهم كلام للفقهاء يطلب في محله.(٣١٤)

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد أفادت قراءة (الصابئين) أنهم الذين خرجوا من دينهم.

في حين أفادت القراءة الأخرى (الصابين) أنهم الذين مالوا إلى دين آخر.

قال ابن زنجلة: "الصابين: بغير همز من صبا يصبو أي مال، وحجته قوله تعالى (وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن) يوسف ٣٣ ،أي أمل إليهن ومنه سمي الصبي صبيا لأن قلبه يصبو إلى كل لعب لفراغ قلبه.

والصابئين: بالهمز أي الخارجين من دين إلى دين يقال صبأ فلان إذا خرج من دينه يصبأ ويقال صبأت النجوم إذا ظهرت وصبأ نابه إذا خرج.(٣١٥)

وبالجمع بين القراءتين يتبين لنا معنى الصابئين: فهم الخارجون من دينهم المائلون إلى دين آخر. قال الشعراوي في تفسيره:«وأيا كان المراد بالصابئين فهم كل من مال عن دينه إلى دين آخر.(٣١٦)

١٢-﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾ البقرة: ٧٤

٣١٤ - روح المعاني ج١ ص٢٧٩.

٣١٥ - حجة القراءات ص ١٠٠.

٣١٦ - تفسير الشعراوي ج٥ ص٣٨١.

القراءات:

١. قرأ ابن كثير (عما يَعملون) بالغيب.
٢. قرأ الباقون (تَعملون) بالخطاب.[٣١٧]

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن قسوة قلوب بني إسرائيل بعد كل الأدلة والبراهين والمعجزات التي رأوها، هذه القسوة التي فاقت قسوة الحجارة مع أن هذه الحجارة تلين وتتكسر، وقلوبهم لا تلين، ثم أتبعه بتهديد الله لهم لما ارتكبوه من جرائم.

قال الفخر الرازي: "المعنى أن الله تعالى بالمرصاد لهؤلاء القاسية قلوبهم وحافظ لأعمالهم محصيا لها؛ فهو مجازيهم بها في الدنيا والآخرة، وهو كقوله تعالى (وما كان ربك نسيا) مريم ٦٤، وفي هذا وعيد لهم وتخويف كبير لينزجروا.[٣١٨] وقال أبو حيان: «هذا فيه وعيد وذلك أنه لما قال: (ثم قست قلوبكم من بعد ذلك) أفهم أنه ينشأ عن قسوة القلوب أفعال فاسدة، وأعمال قبيحة من مخالفة الله تعالى ومعاندة رسله؛ فأعقب ذلك بتهديدهم بأن الله تعالى ليس بغافل عن أعمالهم، بل هو تعالى يحصيها عليهم، وإذا لم يغفل عنها كان مجازياً عليها.[٣١٩]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

العلاقة بين القراءات هي علاقة بلاغية باستخدام أسلوب الالتفات من الخطاب إلى الغيبة. فلقد استدل بعض العلماء بقراءة ابن كثير (يَعملون)

٣١٧ - النشر ج٢ ص٢١٧.
٣١٨ - مفاتيح الغيب ج٢ ص١٤١.
٣١٩ - تفسير البحر المحيط ج١ ص٤٣٣.

على أن المقصود من الخطاب الرسول صلى الله عيه وسلم أو بنو إسرائيل.

قال أبو حيان: "وقرأ ابن كثير بالياء فيحتمل أن يكون الخطاب مع رسول الله صلى الله عيه وسلم ويحتمل أن يكون الخطاب مع بني إسرائيل ويكون ذلك التفاتا إذ خرج من الخطاب في قوله تعالى (ثم قست قلوبكم) إلى الغيبة في قوله (يعملون)، لأن مخاطبة الشخص ومواجهته بالكلام إقبال من المخاطب عليه وتأنيس له، فقطع عنهم مواجهته لهم بالخطاب لكثرة ما صدر عنهم من المخالفات.[٣٢٠]

ولكن بالنظر إلى قراءة الجمهور(تعملون) والتي تفيد أن المقصود من الخطاب هم بنو إسرائيل، يترجح أن المقصود من قراءة (يعملون) أنهم بنو إسرائيل وليس الرسول-ﷺ-وأن ذلك من باب الالتفات، بمعنى أن أسلوب الغيبة (يعملون) يدل على تفظيع ما عملوه، فهم ليسوا حريين بهذا الخطاب، ولكن أسلوب الخطاب (تعملون) فيه نظر إلى جهة أخرى وهو توجيه التهديد توجيها مباشرا لهم.[٣٢١]

١٣- ﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ البقرة: ٨١

القراءات:

١. قرأ المدنيان (خطيئاته) على الجمع.

٢. قرأ الباقون (خطيئَته) على الإفراد.[٣٢٢]

٣٢٠ - تفسير البحر المحيط ج١ ص٤٣٣.

٣٢١ - انظر ص ٥٠ من هذه الرسالة.

٣٢٢ - انظر النشر ج٢ ص٢١٨.

المعنى اللغوي للقراءات:

الخطأ: العدول عن الجهة، والخطيئة والسيئة يتقاربان ولكن الخطيئة أكثر ما تقال فيما لا يكون مقصودا إليه في نفسه، بل يكون القصد سببا لتولد ذلك الفعل منه، كمن يرمي صيدا فأصاب إنسانا.[٣٢٣]

التفسير:

يرد المولى -عز وجل- في هذه الآية على مزاعم اليهود وادعاءاتهم الباطلة في أنهم لن يعذبوا إلا أياماً قلائلَ وهي مدة عبادتهم للعجل فجاءت هذه الآية لبيان الميزان الصحيح في الجزاء والعقاب.

قال ابن كثير: «يقول تعالى ليس الأمر كما تمنيتم ولا كما تشتهون بل الأمر أنه من عمل سيئة (وأحاطت به خطيئته) وهو من وافى يوم القيامة وليست له حسنة بل جميع أعماله سيئات فهذا من أهل النار.[٣٢٤] ولقد اختلف العلماء في المراد بالسيئة والخطيئة هنا:

فقال البعض المراد بالسيئة الكفر، والمراد بالخطيئة الذنوب والكبائر. وقال بعضهم عكس ذلك.[٣٢٥] والصحيح أن المقصود بالسيئة في الآية الكريمة هي الكفر، وأما الخطيئة: فهي الذنوب والكبائر عموما ومنها الكفر والشرك بالله.

قال ابن جرير الطبري في تأويل الآية: «من أشرك بالله واقترف ذنوبا جمة فمات عليها قبل الإنابة والتوبة، فأولئك أصحاب النار هم فيها مخلدون أبدا.[٣٢٦]

٣٢٣ - مفردات ألفاظ القرآن ص٢٨٧-٢٨٨.

٣٢٤ - تفسير ابن كثير ج١ ص١٦٨

٣٢٥ - انظر المحرر الوجيز ج١ ص١٧١

٣٢٦ - جامع البيان ج١ ص٣٨٦

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد ذهب بعض العلماء إلى أن القراءتين بمعنى واحد باعتبار أن قراءة الإفراد تعني جنس الكبائر وقراءة الجمع تعني الكثرة وكلاهما يؤدي نفس الغرض وهو التعدد والكثرة.

قال أبو حيان في تفسيره: "أفرد سيئة لأنه كنى به عن مفرد وهو الشرك، ومن أفرد الخطيئة أراد بها الجنس ومقابلة السيئة لأن السيئة مفردة، ومن جمعها فلأن الكبائر كثيرة فراعى المعنى وطابق اللفظ."[٣٢٧]

وقال القرطبي: «وقرأ نافع (خطيئاته) بالجمع والباقون بالإفراد، والمعنى الكثرة مثل قوله تعالى [وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها [٣٢٨] إبراهيم ٣٤ .

والصحيح أن هناك فرق بين القراءتين باعتبار أن قراءة (خطيئته) بالإفراد تعني الكفر، فتكون هذه القراءة مؤكدة لمعنى السيئة وهو الكفر، ويصبح المعنى أن من كفر بالله وأحدق به كفرُه من كل جانب ومات عليه فهو من الهالكين الخالدين في نار جهنم.

وعلى قراءة (خطيئاته) بالجمع فمعناها الذنوب والكبائر عموماً، ويصبح معنى الآية أن من كفر بالله وانغمس في الذنوب والكبائر بحيث أحاطته من كل جانب حتى مات عليها فهو من الهالكين الخالدين في نار جهنم.

وبالجمع بين القراءتين: يتبين لنا عظم جريمة الكفر باعتبارها أكبر الكبائر بحيث من أصر عليها حتى الممات فهو من المخلدين في نار جهنم سواء ارتكب معها الكبائر الأخرى أم لا. قال تعالى (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) النساء ٤٨ .

١٤- ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا

٣٢٧ - تفسير البحر المحيط ج١ ص٤٤٦

٣٢٨ - الجامع لأحكام القرآن ج٢ ص٣٤

وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾

البقرة: ٨٣

القراءات:

١. قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي (لا يَعبدون) بالغيب.

٢. قرأ الباقون (لا تَعبدون) بالخطاب.[٣٢٩]

المعنى اللغوي للقراءات:

العبودية: إظهار التذلل، والعبادة أبلغ منها؛ لأنها غاية التذلل، ولا يستحقها إلا من له الإفضال، وهو الله تعالى.[٣٣٠]

التفسير:

شروع في تعداد بعض آخر من جرائم وقبائح اليهود، حيث نقضوا الميثاق، وأزهقوا الأرواح، وطغوا في الأرض بالإفساد، واعتدوا على حرمات إخوانهم المؤمنين بالبغي والعدوان فقال تعالى (وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل) أي اذكروا يا معشر اليهود حين أخذنا على أسلافكم العهد الموثق المؤكد غاية التأكيد.[٣٣١]

جاء في تفسير الجلالين: « واذكر (إذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل) في التوراة وقلنا (لا تعبدون إلا الله) خبر بمعنى النهي وأحسنوا (بالوالدين إحسانا) برا (وذي القربى) القرابة عطف على الوالدين واليتامى (والمساكين وقولوا للناس حسنا) قولا حسنا من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصدق في شأن محمد -ﷺ- والرفق بهم (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) فقبلتم ذلك

٣٢٩ - انظر النشر ج٢ ص٢١٨.

٣٣٠ - انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٥٤٢

٣٣١ - انظر المقتطف من عيون التفاسير ج١ ص١١٥.

(ثم توليتم) أعرضتم عن الوفاء به، فيه التفات عن الغيبة، والمراد آباؤهم (إلا قليلا منكم وأنتم معرضون) عنه كآبائكم.[٣٣٢]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد أفادت قراءة (لا تعبدون) الزيادة في التشنيع على بني إسرائيل بما أُخذ عليهم من عهود ومواثيق بحيث واجههم بالخطاب مشفوعا بالقسم.

قال القرطبي في تفسيره: "فعلى قراءة (لا تعبدون) يكون متعلق بقسم، والمعنى: وإذ استحلفناهم والله لا تعبدون.[٣٣٣]

وأما قراءة (لا يعبدون) بالغيب فتتحدث عما يجب عليهم من الالتزام بالعهود والمواثيق.

قال القرطبي في توجيهه لقراءة لا يعبدون: «أنها في موضع حال، والمعنى: أخذنا ميثاقهم موحدين أو غير معاندين.»[٣٣٤] وذهب بعض العلماء إلى أنهما بمعنى واحد:

قال الإمام الطبري: «والقَرَأَةُ مختلفة في قراءة قوله (لا تعبدون) فبعضهم يقرؤها بالتاء وبعضهم يقرؤها، بالياء، والمعنى في ذلك واحد. وإنما جازت القراءة بالياء والتاء وأن يقال: لا تعبدون ولا يعبدون وهم غيب لأن أخذ الميثاق بمعنى الاستحلاف، فكما تقول: استحلفت أخاك ليقومن، فتخبر عنه خبرك عن الغائب لغيبته عنك، وتقول: استحلفته لتقومن فتخبر عنه خبرك عن المخاطب، لأنك قد كنت خاطبته بذلك، فيكون ذلك صحيحا جائزا، فكذلك قوله (وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله) ولا يعبدون. من قرأ ذلك بالتاء فمعنى الخطاب إذ كان الخطاب قد كان

---

٣٣٢ – تفسير الجلالين – جلال الدين محمد بن أحمد المحلي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي: ص١٢ باختصار – دار الكتب العلمية – بيروت.

٣٣٣ – أنظر الجامع لأحكام القرآن ج٢ ص١٣.

٣٣٤ – المرجع السابق.

بذلك. ومن قرأ بالياء فلأنهم ما كانوا مخاطبين بذلك في وقت الخبر عنهم.»[٣٣٥]

والصواب أن اختلاف القراءتين هو من باب الالتفات، بحيث تفيد كل قراءة معنى جديداً يبرز الجانب البلاغي للقراءات.

قال الدكتور فضل حسن عباس: «(لا يعبدون إلا الله)، أسلوب الغيبة هنا فيه نعي على بني إسرائيل وتبكيت وتقريع، فهم لم يراعوا حق هذا الميثاق، بل نقضوه.أما القراءة الأخرى(لا تعبدون إلا الله) ففيها إلزام لهم وإرخاء العنان علهم يرعوون ويرجعون عن غيهم ويتركون ما كان عليه آباؤهم من قبل.»[٣٣٦]

٩- (وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا) البقرة

القراءات:

١. قرأ حمزة والكسائي ويعقوب وخلف (للناس حَسَناً) بفتح الحاء والسين.
٢. قرأ الباقون (حُسْناً) بضم الحاء وإسكان السين.[٣٣٧]

المعنى اللغوي للقراءات:

الحُسْنُ: عبارة عن كل مبهج مرغوب فيه ...والحَسَنة يعبر عنها عن كل ما يَسُر من نعمة تنال الإنسان في نفسه وبدنه وأحواله، والسيئة تضادها ...والفرق بين الحَسْن والحَسَنة والحُسْنى أن الحَسَن يقال في الأعيان والأحداث، وكذلك الحَسَنة إذا كانت وصفا، وإذا كانت اسما فمتعارف في الأحداث، والحُسْنى لا يقال إلا في الأحداث دون الأعيان، والحَسَن أكثر

٣٣٥ - جامع البيان ج١ ص٣٨٨-٣٨٩.
٣٣٦ - القراءات القرآنية من الوجهة البلاغية ص٢٨.
٣٣٧ - انظر النشر ج٢ ص٢١٨.

ما يقال في تعارف العامة في المستحسن بالبصر.[٣٣٨]

التفسير:

يخبر المولى - ﷻ -عز وجل عن أمر آخر من الأوامر التي كُلف بها بنو إسرائيل فلم يلتزموا بها وأعرضوا عنها.

قال ابن كثير: "(وقولوا للناس حُسْنا) أي كلموهم طيبا ولينوا لهم جانبا ويدخل في ذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالمعروف، كما قال الحسن البصري في قوله تعالى (وقولوا للناس حُسْنا) فالحُسْن من القول: يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويحلم ويعفو ويصفح ويقول للناس حُسْنا كما قال الله، وهو كل خلق حسن رضيه الله.[٣٣٩]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد ذهب بعض المفسرين إلى أن القراءتين بمعنى واحد.

قال القرطبي: "(وقولوا للناس حُسْنا) حُسنا: نصب على المصدر على المعنى لأن المعنى ليَحْسُن قولكم، وقيل: التقدير وقولوا للناس قولا ذا حُسْن فهو مصدر لا على المعنى وقرأ حمزة والكسائي (حَسَنا) بفتح الحاء والسين.[٣٤٠]

والصحيح أن قراءة (حُسْنا) أفادت معنى زائد وهو المبالغة في قول الحَسَن من القول باعتبارها مصدر، فيدخل فيه القول الحسن والطريقة الحسنة في القول قال الله تعالى لموسى عليه السلام (وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها سأريكم دار الفاسقين) الأعراف ١٤٥ . وهذا بخلاف القراءة

٣٣٨ - انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٢٣٥-٢٣٦.

٣٣٩ - تفسير ابن كثير ج١ ص١٦٩.

٣٤٠ - الجامع لأحكام القرآن ج٢ ص١٦.

الأخرى (حَسَنا) فهي صفة مشبهة تفيد مجرد القول الحسن.

قال الطبري في تفسيره: «واختلف أهل العربية في فرق ما بين معنى قوله (حُسْنا)، (وحَسَنا) فقال بعض البصريين هو على أحد وجهين، إما أن يكون يراد بالحُسْن الحَسَن وكلاهما لغة كما يقال البُخْل والبَخَل. وإما أن يكون جعل الحُسْن هو الحَسَن في التشبيه وذلك أن الحُسْن مصدر والحَسَن هو الشيء الحسن، وقال آخر بل الحُسْن هو الاسم العام الجامع جميع معاني الحُسن، والحَسَن هو البعض من معاني الحُسْن.»[٣٤١]

وبالجمع بين القراءتين: يصبح المعنى: وقولوا للناس قولاً حسناً بطريقة حسنى.

١٥- ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾﴾ البقرة: ٨٥

القراءات:

١. قرأ الكوفيون (تظَاهرون) بالتخفيف.
٢. قرأ الباقون (تظَّاهرون) بالتشديد.[٣٤٢]

المعنى اللغوي للقراءات:

أصل المظاهرة المعاونة، مشتقة من الظهر، لأن بعضهم يقوي بعضا فيكون له كالظهر.[٣٤٣]

٣٤١ - جامع البيان ج١ ص٣٩١ باختصار.
٣٤٢ - انظر النشر ج٢ ص٢١٨.
٣٤٣ - فتح القدير ج١ ص١٤٠.

التفسير:

تتحدث الآيات عما كان عليه اليهود في زمان الرسول-ﷺ-لم من نقض للعهود والمواثيق المأخوذة على أسلافهم بأن لا يسفكوا دماءهم ولا يخرجوا أنفسهم من ديارهم ومع هذا فقد قتل بعضهم بعضا وأعان بعضهم غير اليهود في قتل إخوانهم من اليهود وإخراجهم من ديارهم إثماً وعدواناً.[344]

قال القرطبي: «الإثم هو الفعل الذي يستحق عليه صاحبه الذم. والعدوان: الإفراط في الظلم والتجاوز فيه.»[345]

فإذا وقع بعضهم في الأسر قاموا بفدائه استجابة لحكم التوراة تفريقا بين أوامر الله، فكانت العاقبة أن توعدهم الله بالخزي في الحياة الدنيا والعذاب الشديد يوم القيامة.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد ذهب بعض العلماء في توجيه القراءتين إلى أنهما من باب الاختلاف في أداء الألفاظ.

قال الطبرسي: "من قرأ تظَاهرون بالتخفيف فالأصل فيه تتظاهرون فحذفت التاء الثانية لاجتماع التاءين، ومن قرأ تظّاهرون بالتشديد فالأصل فيه أيضا تتظاهرون فأدغم التاء في الظاء لقرب المخرجين، وكل واحد من الفريقين كره اجتماع الأمثال ففريق خفف بالإدغام، وفريق بالحذف.[346] وقال الطبري: «وهاتان القراءتان وإن اختلفت ألفاظهما فإنهما متفقتان في المعنى، فسواء بأي ذلك قرأ القارئ لأنهما جميعا لغتان معروفتان وقراءتان مستفيضتان في أمصار الإسلام بمعنى واحد ليس

٣٤٤ - انظر تفسير ابن كثير ج١ ص١٧٠-١٧١.

٣٤٥ - الجامع لأحكام القرآن ج٢ ص٢٠.

٣٤٦ - مجمع البيان ج١ ص٢٢٦.

في إحداهما معنى تستحق به اختيارها على الأخرى إلا أن يختار مختار تظَّاهرون المشددة طلبا منه تتمة الكلمة.»[٣٤٧]

والصحيح أن قراءة التشديد (تظَّاهرون) أفادت المبالغة في التظاهر عن قراءة التخفيف (تظَاهرون) والحرص الشديد من قبل اليهود على نقض العهود وقتل إخوانهم اليهود، كما قال- ﷻ -(بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى) الحشر ١٤ ، وقال تعالى (أو كلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم بل أكثرهم لا يؤمنون) البقرة ١٠٠ ، باعتبار أن زيادة المبنى تفيد زيادة المعنى.

وَإِن يَأۡتُوكُمۡ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمۡ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيۡكُمۡ إِخۡرَاجُهُمۡ

القراءات:

١. قرأ حمزة (أَسْرى) بفتح الهمزة وسكون السين من غير ألف (تَفْدوهم) بفتح التاء وسكون الفاء من غير ألف.
٢. قرأ المدنيان وعاصم والكسائي ويعقوب (أُسَارى) بضم الهمزة وألف بعد السين (تُفادوهم) بضم التاء وألف بعد الفاء.
٣. قرأ الباقون (أُسَارى تفدوهم).[٣٤٨]

المعنى اللغوي للقراءات:

الأسر: الشد بالقيد ...وسمي الأسير بذلك، ثم قيل لكل مأخوذ ومقيد وإن لم يكن مشدودا ذلك. وقيل في جمعه: أَسارى وأُسارى وأَسْرى.[٣٤٩]

قال ابن منظور: «ومن قرأ أَسارى وأُسارى فهو جمع الجمع، يقال أسير

٣٤٧ - جامع البيان ج١ ص٣٩٨.
٣٤٨ - انظر النشر ج٢ ص٢١٨.
٣٤٩ - انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٧٦ .

وأسرى ثم أَسارى جمع الجمع.»[350] والفِدى والفداء: حفظ الإنسان عن النائبة بما يبذله عنه، قال تعالى (فإما منا بعد وإما فداء) محمد ٤ ، ويقال: فديته بمال، وفديته بنفسي، وفاديته بكذا.[351]

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن تناقض اليهود من حيث أخذهم بحكم التوراة في فداء الأسرى في حين يخالفونها في إباحة قتل بعضهم بعضا، وإخراج بعضهم بعضا.

"(وإن يأتوكم أسَارى تفادوهم) أي وإن وقعوا في أيدي حلفائكم، استنقذتموهم بدفع المال لتخليصهم من الأسر (وهو محرم عليكم إخراجهم) أي وإخراجهم من أوطانهم حرام عليكم، فكيف تستبيحون القتل والإخراج، ولا تستبيحون ترك الأسرى في أيدي الأعداء."[352]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد ذهب البعض إلى أن قراءة (أَسْرى، أُسَارى) كل منهما جمع لكلمة أسير، كما قاله صاحب المفردات، وكما نقله القرطبي عن ابن فارس (يُقال في جمع أسير أسرى وأسارى وقرئ بهما)[353]، إلا أننا نجد أن بعض العلماء كابن منظور في اللسان يرى أن أُسارى تفيد جمع الجمع. وعليه فإن قراءة (أسارى) تفيد المبالغة في فداء الأسرى وإن كثروا.

وأما بالنسبة لقراءة (تفادوهم، تفدوهم) فإن قراءة تفادوهم تفيد المبالغة والحرص على الفداء إن فدى الآخرون أسراهم. قال الطبرسي: «ومن قرأ تفادوهم فلأن لكل واحد من الفريقين فعلا، فمن الآسر دفع الأسير، ومن

٣٥٠ - انظر لسان العرب ج١ ص٧٨.

٣٥١ - انظر المصدر السابق ص٦٢٧.

٣٥٢ - المقتطف من عيون التفاسير ج١ ص١١٩.

٣٥٣ - الجامع لأحكام القرآن ج٢ ص٢١.

المأسور منهم دفع دائه.»[354] وقال الطاهر بن عاشور: «(تفادوهم) بصيغة المفاعلة المستعملة في الفداء أي تفدوهم فداءً حريصاً.»[355]

وأما قراءة (تفدوهم) فتفيد أن على اليهود فداء أسراهم عند غيرهم وإن لم يفد الآخرون أسراهم، قلوا أو كثروا. قال ابن زنجلة: «..وقرأ الباقون (تفدوهم) أي تشتروهم من العدو وحجتهم في ذلك أن في دين اليهود ألا يكون أسير من أهل ملتهم في إسار غيرهم وأن عليهم أن يفدوهم بكل حال وإن لم يفدهم القوم الآخرون كما قال ابن عباس.»[356] وقال الإمام الطبري: «وهذه القراءة أعجب إلي من الأولى[357] أعني أسرى تفادوهم لأن الذي على اليهود في دينهم فداء أسراهم بكل حال فدى الآسرون أسراهم منهم أم لم يفدوهم.»[358]

وبالجمع بين القراءات يتبين لنا قبح ما ارتكبه اليهود وشناعة ما فعلوه؛ إذ نراهم يحرصون كل الحرص على فكاك أسراهم بلغوا ما بلغوا، حتى ولو لم يفد الآخرون أسراهم، وفي حين يقتل بعضهم بعضا، فيفرقون بين نصوص توراتهم، فيأخذون بعضاً ويتركون بعضاً، وهذا تلاعب بدين الله -عز وجل-.

(وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ)البقرة

القراءات:

١. قرأ نافع وابن كثير ويعقوب وخلف وأبو بكر (يعملون) بالغيب.

٢. قرأ الباقون (تعملون) بالخطاب.[359]

٣٥٤ - مجمع البيان ج١ ص٢٢٦.

٣٥٥ - تفسير التحرير والتنوير ج١ ص٥٩٠-٥٩١.

٣٥٦ - حجة القراءات ص١٠٤.

٣٥٧ هذه العبارة غير جائزة منه رحمه الله، وقد سبق التعرض لمثلها في السابق.

٣٥٨ - جامع البيان ج١ ص٤٠٠.

٣٥٩ - انظر النشر ج٢ ص٢١٨.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

العلاقة بين القراءات هي علاقة بلاغية باستخدام أسلوب الالتفات في الخطاب.

فعلى قراءة (يعملون) ففيها التفات من الخطاب إلى الغيب القصد منه التحقير لهم بعدم مواجهتهم بالخطاب.

وأما قراءة الخطاب (تعملون) ففيها التهديد والوعيد لبني إسرائيل المعاصرين للرسول- ﷺ - بسبب مخالفتهم لأوامر الله وما أُخذ عليهم من عهود ومواثيق بحيث واجههم بالخطاب.

قال الدكتور/ فضل حسن عباس: "أسلوب الغيبة يدل على تفظيع ما عملوه، فهم ليسوا حريين بهذا الخطاب، ولكن أسلوب الخطاب فيه نظر إلى جهة أخرى وهو توجيه التهديد توجيها مباشراً لهم."(٣٦٠)

١٦- ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ البقرة: ٩٦

القراءات:

١. قرأ يعقوب (تَعملون) بالخطاب.
٢. قرأ الباقون (يَعملون) بالغيب.(٣٦١)

التفسير:

يبين المولى- ﷻ -في هذه الآية مدى حرص اليهود والمشركين على الحياة أي حياة ولو كانت حياة ذل ومهانة ولهذا نكر الحياة لبيان حقارتها، ومع

٣٦٠ – القراءات القرآنية من الوجهة البلاغية ص٢٨-٢٩.

٣٦١ – انظر النشر ج٢ ص٢١٩.

هذا فالموت لهم بالمرصاد مهما عمروا في هذه الحياة الدنيا.

قال الطبري: "يا محمد لتجدن أشد الناس حرصا على الحياة في الدنيا وأشدهم كراهة للموت اليهود، وإنما وصف الله -عز وجل- اليهود بأنهم أحرص الناس على الحياة لعلمهم بما قد أعد لهم في الآخرة على كفرهم بما لا يقر به أهل الشرك فهم للموت أكره من أهل الشرك الذين لا يؤمنون بالبعث؛ لأنهم يؤمنون بالبعث ويعلمون ما لهم هنالك من العذاب وأن المشركين لا يصدقون بالبعث ولا العقاب فاليهود أحرص منهم على الحياة وأكره للموت.[٣٦٢]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

العلاقة بين القراءات هي علاقة بلاغية من خلال استخدام أسلوب الالتفات من الغيب إلى الخطاب بقصد التهديد والوعيد للمخاطبين. وقد تقدم الحديث عن مثلها.[٣٦٣]

١٧- ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِي ٱلْأٓخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ١٠٢﴾ البقرة: ١٠٢

٣٦٢ - جامع البيان ج١ ص٤٢٨ باختصار.

٣٦٣ - راجع مبحث الأثر البلاغي للقراءات من هذا البحث ص٥٠، وانظر ص٩٢.

القراءات:

١. قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وخلف بتخفيف النون من (ولكنِ) ورفع الاسم بعدها (الشياطينُ).

٢. قرأ الباقون بالتشديد والنصب (ولكنَّ الشياطينَ).[٣٦٤]

التفسير:

يعني بقوله (واتبعوا ما تتلوا الشياطين) الفريق من أحبار اليهود وعلمائها الذين وصفهم الله جل ثناؤه بأنهم نبذوا كتابه الذي أنزله على موسى وراء ظهورهم تجاهلا منهم وكفرا بما هم به عالمون كأنهم لا يعلمون فأخبر عنهم أنهم رفضوا كتابه الذي يعلمون أنه منزل من عنده على نبيه ونقضوا عهده الذي أخذه عليهم في العمل بما فيه وآثروا السحر الذي تلته الشياطين في ملك سليمان بن داود فاتبعوه وذلك هو الخسار والضلال المبين، واختلف أهل التأويل في الذين عنوا بقوله (واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان)، فقال بعضهم عنى الله بذلك اليهود الذين كانوا بين ظهراني مهاجر رسول الله لأنهم خاصموا رسول الله-ﷺ- بالتوراة، فوجدوا التوراة للقرآن موافقة تأمره من اتباع محمد وتصديقه بمثل الذي يأمر به القرآن فخاصموا بالكتب التي كان الناس اكتتبوها من الكهنة على عهد سليمان، وقال آخرون بل عنى بذلك اليهود الذين كانوا على عهد سليمان.[٣٦٥]وقال الشيخ السعدي في تفسيره: «لما كان من العوائد القديمة والحكمة الإلاهية أن من ترك ما ينفعه، وأمكنه الانتفاع به فلم ينتفع، ابتلي بالاشتغال بما يضره، فمن ترك عبادة الرحمان ابتلي بعبادة الأوثان، ومن ترك محبة الله وخوفه ورجائه، ابتلي بمحبة غير الله وخوفه ورجائه، ومن لم ينفق ماله

٣٦٤ - انظر النشر ج٢ ص٢١٩.

٣٦٥ - انظر جامع البيان ج١ ص٤٤٤ – ٤٤٥.

في طاعة الله، أنفقه في طاعة الشيطان، ومن ترك الذل لربه، ابتلي بالذل للعبيد، كذلك هؤلاء اليهود لما نبذوا كتاب الله اتبعوا ما تتلوا الشياطين وتختلق من السحر على ملك سليمان حيث أخرجت الشياطين للناس السحر، وزعموا أن سليمان-عليه السلام-كان يستعمله، وبه حصل له الملك العظيم، وهم كذبة في ذلك فلم يستعمله سليمان-عليه السلام-بل نزهه الصادق في قيله (وما كفر سليمان) أي بتعلم السحر، فلم يتعلمه (ولكن الشياطين كفروا) بذلك.»[٣٦٦]

ثم تتحدث الآية عن فتنة الملكين الذين نزلا بالسحر لتعليمه للناس فتنة لهم وحتى لا يغتر به أحد. قال الزمخشري: «والذي أنزل عليهما هو السحر ابتلاء من الله للناس. مَن تعلمه منهم وعمل به كان كافرا، ومَن تجنبه أو تعلمه لا ليعمل به ولكن ليتوقاه، ولئلا يغتر به كان مؤمنا.»[٣٦٧] ثم بين تعالى أن السحر لا يقع ضرره إلا بإذن الله، وأن من استبدل ما تتلوا الشياطين على كتاب الله فليس له في الآخرة من نصيب.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد أفادت قراءة التشديد التأكيد على عصمة سليمان- عليه السلام -والمبالغة في نفي ما نسب إليه من السحر كما زعمه اليهود عليهم من الله ما يستحقون من اللعنات.

فبالنسبة لقراءة (ولكنِ الشياطينُ) على تخفيف النون ورفع الشياطين على الابتداء، فهي تفيد الاستدراك فقط. وأما قراءة التشديد مع النصب (لكنَّ الشياطينَ) فهي تفيد مع الاستدراك التأكيد على نفي السابق

٣٦٦ - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - عبد الرحمن السعدي: تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق - ص٦٠-٦١ باختصار - مؤسسة الرسالة - بيروت - ط١ - ١٤٢١هـ.

٣٦٧ - تفسير الكشاف ج١ ص١٧٢.

وإثبات اللاحق والمبالغة في الأمر. قال القرطبي: " (لكن) كلمة لها معنيان نفي الخبر الماضي وإثبات الخبر المستقبل."[٣٦٨] وقال مكي بن أبي طالب: «وحجة من شدد النون ونصب بها بعد (لكنَّ) أنه أجرى الكلام على أصله، فأعمل (لكنَّ) لأنها من أخوات إنَّ فشددها على أصلها، وحاول في ذلك معنى التأكيد، الذي فيه معنى الاستدراك.»[٣٦٩]

١٨- ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ ﴾ البقرة: ١٠٦

القراءات:

١. قرأ ابن عامر من غير طريق الداجواني[٣٧٠] عن هشام (ما نُنْسِخ) بضم النون الأولى وكسر السين.
٢. قرأ الباقون بفتح النون والسين (ما نَنْسَخ).
٣. قرأ ابن كثير وأبو عمرو (نَنْسَأها) بفتح النون والسين وهمزة ساكنة بين السين والهاء.
٤. قرأ الباقون (نُنْسِها) بضم النون وكسر السين من غير همز.[٣٧١]

المعنى اللغوي للقراءات:

النَّسخ: إزالة شيء بشيء يتعقبه، كنسخ الشمس بالظل، والظل بالشمس، والشيب بالشباب. فتارة يفهم منه الإزالة، وتارة يفهم منه الإثبات، وتارة يفهم منه الأمران، ونسخ الكتاب إزالة الحكم بحكم يتعقبه.[٣٧٢]

٣٦٨ - الجامع لأحكام القرآن ج٢ ص٤٣.

٣٦٩ - الكشف ج١ ص٢٥٧.

٣٧٠ - محمد بن أحمد بن عمر بن أحمد بن سليمان، أبو بكر الضرير الرملي، من رملة لد، يعف بالداجواني الكبير، إمام كامل ناقل رحال مشهور ثقة، صنف كتابا في القراءات، توفي سنة ٣٢٤هـ ﴿انظر غاية النهاية ج٢ ص٧٧﴾ .

٣٧١ - انظر النشر ج٢ ص٢١٩-٢٢٠.

٣٧٢ - انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٨٠١.

النسيان: ترك الإنسان ضبط ما استودع إما لضعف قلبه ؛ وإما عن غفلة وإما عن قصد حتى ينحذف عن القلب ذكره ...وقوله تعالى (ما ننسخ من آية أو ننسها) فإنسائها حذف ذكرها عن القلوب بقوة إلاهية.[٣٧٣]

التفسير:

مناسبة هذه الآية للآيات قبلها أن اليهود اعتذروا عن الإيمان بالنبي -ﷺ- بقولهم (نؤمن بما أنزل علينا) وأرادوا به أنهم يكفرون بغيره وهم في عذرهم ذلك يدعون أن شريعتهم لا تنسخ ويقولون إن محمداً وصف التوراة بأنها حق وأنه جاء مصدقاً لها فكيف يكون شرعه مبطل للتوراة ويموهون على الناس ...فجاءت هذه الآية لنقض تلك الشبهة التي راموا ترويجها على الناس.[٣٧٤]

أما معنى الآية فقد قال ابن الجوزي[٣٧٥]: «وفي المراد بهذا النسخ ثلاثة أقوال:

أحدها : رفع اللفظ والحكم.

والثاني: تبديل الآية بغيرها رويا عن ابن عباس.

والثالث: رفع الحكم مع بقاء اللفظ رواه مجاهد عن أصحاب ابن مسعود ... (أو نَنْسأها) نؤخرها ... (أو نُنْسِها) من النسيان. (نأت بخير منها) قال ابن عباس: بألين منها وأيسر على الناس (أو مثلها) أي في الثواب والمنفعة فتكون الحكمة في تبديلها بمثلها الاختبار. (ألم تعلم) لفظه لفظ الاستفهام ومعناه التوقيف والتقرير، والملك في اللغة تمام القدرة واستحكامها فالله

---

٣٧٣ – انظر المصدر السابق ص١٠٣-١٠٤.

٣٧٤ – تفسير التنوير والتحرير ج١ ص٦٥٤-٦٥٥ باختصار.

٣٧٥ – عبد الرحمن بن علي بن عبد الله بن حمادي بن أحمد بن محمد بن جعفر الجوزي أبو فرج المشهور بابن الجوزي، القرشي التميمي البغدادي الحنبلي، أحد أفراد العلماء، برز في علوم كثيرة، وجمع المصنفات الكبار والصغار نحوا من ثلاثمائة مصنف، وتفرد بفن الوعظ، توفي سنة ٥٩٧ هـ ﴿انظر البداية والنهاية ج١٣ ص٣١﴾.

عز وجل يحكم بما يشاء على عباده ويغير ما يشاء من أحكام.»[٣٧٦]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أما بالنسبة لقراءتي (ما نَنْسَخ) و (ما نُنْسِخ) فذهب البعض أنهما لغتان بمعنى واحد.

قال الطبرسي: «أما قراءة ابن عامر نُنْسِخ فلا يخلو من أن يكون أفعل لغة في فَعَلَ، نحو بدأ وأبدأ، وحل من إحرامه وأحل، أو تكون الهمزة للنقل نحو ضرب وأضربته ونسخ الكتاب وأنسخته الكتاب، أو يكون المعنى في أنسخت الآية وجدتها منسوخة كقولهم أحمدت زيدا وأبخلت، والوجه الصحيح هو الأول وهو أن يكون نسخ وأنسخ لغتين متفقتين في المعنى وإن اختلفتا في اللفظ.»[٣٧٧] وقال الألوسي: «وقرأ طائفة وابن عامر من السبعة (نُنسِخ) من باب الأفعال، والهمزة كما قال أبو علي الفارسي للوجدان على صفة نحو أحمدته أي: وجدته محمودا. فالمعنى ما نجده منسوخا وليس نجده كذلك إلا بأن ننسخه فتتفق القراءتان في المعنى وإن اختلفا في اللفظ وجوز ابن عطية كون الهمزة للتعدية فالفعل حينئذ متعد إلى مفعولين والتقدير: ما ننسخك من آية أي ما نبيح لك نسخه كأنه لما نسخها الله تعالى أباح لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم تركها بذلك النسخ فسمى تلك الإباحة إنساخا، وجعل بعضهم الإنساخ عبارة عن الأمر بالنسخ والمأمور هو النبي- ﷺ -أو جبرائيل عليه السلام واحتمال أن يكون من نسخ الكتاب أي ما نكتب وننزل من اللوح المحفوظ أو ما نؤخر فيه ونترك فلا ننزله.»[٣٧٨]

---

٣٧٦ - زاد المسير في علم التفسير - أبي الفرج جمال الدين الجوزي: خرج أياته وأحاديثه ووضع حواشيه أحمد شمس الدين - ج١ ص١١٠ بتصرف - دار الكتب العلمية - بيروت - ط١ - سنة ١٤١٤هـ، وحيث يأتي سأكتفي بقولي: زاد المسير.

٣٧٧ - مجمع البيان ج١ ص٢٦٤.

٣٧٨ - روح المعاني ج١ ص٣٥٢.

وأما بالنسبة لقراءتي (نَنْسَأها) و(نُنْسِها) فمختلفتان في الأصل اللغوي لكل منهما.

قال الطبرسي: «وأما نَنْسَأها فهي من النساء وهو التأخير يقال نسأت الإبل عن الحوض أنسأها نَسْأً إذا أخرتها عنه وانتسأت أنا أي تأخرت ومنه قولهم أنسأ الله أجلك ونسأ في أجلك، وأما القراءة الأخرى فمن النسيان الذي بمعنى السهو أو بمعنى الترك.»[٣٧٩] ومع هذا فإنهما تتفقان في معنى الترك والنسيان أي رفع الحكم بغير بدل. قال الطاهر بن عاشور: «فعلى قراءة ترك الهمز: فهو من النسيان والهمزة للتعدية ومفعوله محذوف للعموم أي ننسي الناس إياها وذلك بأمر النبي-ﷺ-بترك قراءتها حتى ينساها المسلمون.

وعلى قراءة الهمز: فالمعنى أو نؤخرها، أي نؤخر تلاوتها أو نؤخر العمل بها، والمراد إبطال العمل بقراءتها أو بحكمها فكني عنه بالنسئ وهو قسم آخر مقابل للنسخ وهو أن لا يذكر الرسول الناس بالعمل بحكم مشروع ولا يأمر من يتركه بقضائه حتى ينسى الناس العمل به فيكون ذلك إبطالا للحكم لأنه لو كان قائما لما سكت الرسول-ﷺ-عن إعادة الأمر به ولما أقر تاركه عند موجب العمل به.»[٣٨٠]

١٩-﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَانَهُ ۖ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ ﴿١١٦﴾﴾ البقرة: ١١٦

القراءات:

١. قرأ ابن عامر (قالوا) بغير واو، وكذا هو في المصحف الشامي.

---

٣٧٩ - مجمع البيان ج١ ص٢٦٤.

٣٨٠ - تفسير التحرير والتنوير ج١ ص٦٥٨-٦٥٩.

٢. قرأ الباقون (وقالوا) بالواو كما هو في مصاحفهم.[٣٨١]

التفسير:

اشتملت هذه الآية الكريمة والتي تليها على الرد على النصارى عليهم لعائن الله وكذا من أشبههم من اليهود ومن مشركي العرب ممن جعل الملائكة بنات الله فأكذب الله جميعهم في دعواهم وقولهم إن لله ولدا فقال تعالى (سبحانه) أي تعالى وتقدس وتنزه عن ذلك علوا كبيرا (بل له ما في السماوات والأرض) أي ليس الأمر كما افتروا وإنما له ملك السماوات والأرض ومن فيهن وهو المتصرف فيهم وهو خالقهم ورازقهم ومقدرهم ومسخرهم ومسيرهم ومصرفهم كما يشاء والجميع عبيد له وملك له... (كل له قانتون) قال عكرمة وأبو مالك مقرون له بالعبودية.[٣٨٢]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لاختلاف القراءات في إثبات الواو، أو حذفها أثر معنوي ونحوي من حيث جواز عطف جملة على جملة من غير الإتيان بحرف العطف استغناء بالترابط المعنوي بين الجملتين، مع ما يفيده إعادة حرف العطف من تأكيد في الربط.

فلقد أفادت قراءة (وقالوا) بإعادة حرف العطف (الواو) التأكيد على الربط بين الجملتين، في حين أن قراءة (قالوا) بغير (واو) أفادت جواز العطف من غير الإتيان بحرف العطف استغناء بالترابط المعنوي بين الجملتين.

قال أبو حيان: «والجمهور على قراءة (وقالوا) بالواو، وهو آكد في الربط، فيكون عطف جملة خبرية على جملة مثلها...وقرأ ابن عباس وابن عامر وغيرهما (قالوا) بغير واو ويكون على استئناف الكلام، أو ملحوظا فيه

---

٣٨١ – انظر النشر ج٢ ص٢٢٠.

٣٨٢ – انظر تفسير ابن كثير ج١ ص٢٢١-٢٢٢.

معنى العطف، واكتفى بالضمير والربط به عن الربط بالواو.»[٣٨٣]

وقال الدكتور/ فضل حسن عباس: «إن لوجود الواو وحذفها أسرار بيانية لا يسعنا الحديث عنها الآن. إن حذف الواو قد يكون ناشئا عن سؤال مقدر في جملة سابقة فتأتي الجملة إجابة على هذا السؤال المقدر خالية من الواو، وهذا ما يعبرون عنه بشبه كمال الاتصال، ويسمى استئنافا، وقد يكون ناشئا عن تغاير بين الكلام السابق والذي يليه، وهو ما يسمونه كمال الانقطاع. فقوله تعالى (وقالوا اتخذ الله ولدا) جاء قبلها قوله سبحانه (ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه) واختلف المفسرون في سبب نزول الآية الكريمة، فذهب بعضهم إلى أنها نزلت في بعض النصارى الذين خربوا بيت المقدس، وآخرون إلى أنها نزلت في أهل مكة، والآية محتملة لذلك كله ولغيره كذلك. وعلى هذا فيمكن أن تشير كل من القراءتين في الآية الكريمة إلى معنى، فالقراءة بحرف العطف فيها تعداد لجرائم أولئك الأقوام التي بدأت بقوله سبحانه (وقالوا لن يدخل الجنة..) ثم قال: (وقالت اليهود ليست النصارى.. وقالت النصارى ليست اليهود) ثم قال: (وقالوا اتخذ الله ولدا) وبعدها (وقال الذين لا يعلمون..)... وعلى هذا يكون قوله (ومن أظلم ممن منع مساجد الله) اعتراضا بين المعطوف (وقالوا اتخذ الله ولدا) والمعطوف عليه (وقالوا لن يدخل الجنة) ونرجح حينذاك أن يكون المقصود بالمانعين مشركي العرب.

وأما القراءة بحذف حرف العطف ففيها إشارة إلى تقبيح قولهم هذا كأنما غيره لا يعد شيئا إذا قيس به، فهو أفظع من سابقه وأشد وأنكى، فبعد أن أخبر القرآن الكريم عن بعض مفترياتهم وشرك بينها بالواو ذكر هذه

٣٨٣ - تفسير البحر المحيط ج١ ص٥٣٢.

الفرية بدون واو، فكأنه قيل: هل هناك شيء آخر اقترفه أولئك؟ فقيل إن هنالك ما هو أعظم من كل ما تقدم وأكثر استحقاقا للمقت والعذاب، وأعظم إيغالا في الكفر قالوا اتخذ الله ولدا، جل الله عن ذلك. وعلى هذه نرجح أن المقصود بالمانعين هم أهل الكتاب.»[٣٨٤]

٢٠- ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ ﴾ البقرة: ١١٧

القراءات:

١. قرأ ابن عامر (فيكونَ) بنصب النون.
٢. قرأ الباقون (فيكونُ) بالرفع.[٣٨٥]

التفسير:

هذه حجة ثانية لإبطال مقالة اليهود والنصارى ومشركي العرب في دعوى البنوة لله تعالى. قال ابن جرير الطبري: "فمعنى الكلام سبحان الله أن يكون له ولد وهو مالك ما في السماوات والأرض، تشهد له جميعها بدلالتها عليه بالوحدانية، وتقر له بالطاعة ؛ وهو بارئها وخالقها، وموجدها من غير أصل، ولا مثال احتذاها عليه، وهذا إعلام من الله جل ثناؤه عباده، أن مما يشهد له بذلك المسيح الذي أضافوا إلى الله- ﷻ-بنوته، وإخبار منه لهم أن الذي ابتدع السماوات والأرض من غير أصل، وعلى غير مثال، هو الذي ابتدع المسيح عيسى من غير والد بقدرته ... وأما قوله (فإنما يقول له كن فيكون) فإنه يعني بذلك وإذا أحكم أمرا فحتمه فإنما يقول لذلك

٣٨٤ – القراءات القرآنية من الوجهة البلاغية ص٣٤-٣٥.

٣٨٥ – انظر النشر ج٢ ص٢٢٠.

الأمر كن فيكون ذلك الأمر على ما أمره الله أن يكون وأراده."[٣٨٦]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

إن لاختلاف القراءات (فيكونَ) و (فيكونُ) أثر كبير على المعنى من الناحية العقدية من حيث بيان أن الأمر الإلهي لا يحتاج إلى مهلة لتحقيقه بل يتحقق بمجرد توجه الإرادة الإلهية إليه بحيث يعامل معاملة الخبر. وبيان ذلك أن قراءة (فيكونَ) توحي بأن الأمر في قوله (كن) حقيقي يحتاج إلى جواب. ولكن بالنظر إلى قراءة الجمهور (فيكونُ) يتحقق لدينا أن الأمر ليس حقيقيا، بل هو أمر في صورة الخبر. قال الطاهر ابن عاشور: « (كان) في الآية تامة لا تطلب خبرا أي يقول له إيجد فيوجد والظاهر أن القول والمقول والمسبب هنا تمثيل لسرعة وجود الكائنات عند تعلق الإرادة والقدرة بهما بأن شبه فعل الله تعالى بتكوين شيء وحصول المكون عقب ذلك بدون مهلة توجه الآمر للمأمور بكلمة الأمر وحصول امتثاله عقب ذلك لأن تلك أقرب الحالات المتعارفة التي يمكن التقريب بها في الأمور التي لا تتسع اللغة للتعبير عنها وإلى نحو هذا مال صاحب الكشاف.»[٣٨٧]

وقال القرطبي: « (فيكونُ) قُرء برفع النون على الاستئناف. قال سيبويه: فهو يكون أو فإنه يكون. وقال غيره: هو معطوف على يقول. فعلى الأول كائنا بعد الأمر وإن كان معدوما فانه بمنزلة الموجود إذ هو عنده معلوم على ما يأتي بيانه وعلى الثاني كائنا مع الأمر.»[٣٨٨] وقال أبو حيان: «ووجه النصب أنه جواب على لفظ كن، لأنه جاء بلفظ الأمر فشبه بالأمر

---

٣٨٦ - جامع البيان ج١ ص٥٠٨-٥٠٩ باختصار.

٣٨٧ - تفسير التحرير والتنوير ج١ ص٦٨٧-٦٨٨.

٣٨٨ - الجامع لأحكام القرآن ج٢ ص٩٠.

الحقيقي ولا يصح نصبه على جواب الأمر الحقيقي، لأن ذلك إنما يكون على فعلين ينتظم منهما شرط وجزاء نحو ائتني فأكرمك إذ المعنى إن تأتني أكرمك، وهنا لا ينتظم ذلك إذ يصير المعنى إن يكن يكن، فلا بد من اختلاف بين الشرط والجزاء، إما بالنسبة إلى الفاعل، وإما بالنسبة إلى الفعل في نفسه، أو في شيء من متعلقاته.»[٣٨٩]

وقال الإمام الطبري: «وإذا كان الأمر في قوله جل ثناؤه (وإذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون) هو ما وصفنا من أن حال أمره الشيء بالوجود حال وجود المأمور بالوجود فتبين بذلك أن الذي هو أولى بقوله (فيكون) رفع على العطف على قوله يقول لأن القول والكون حالهما واحد، وهو نظير قول القائل: تاب فلان فاهتدى واهتدى فلان فتاب ؛ لأنه لا يكون تائبا إلا وهو مهتد ولا مهتديا إلا وهو تائب. فكذلك لا يمكن أن يكون الله آمرا شيئا بالوجود إلا وهو موجود ولا موجودا إلا وهو آمره بالوجود ولذلك استجاز من استجاز نصب، فيكون من قرأ (إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن يقول له كن فيكون) بالمعنى الذي وصفنا على معنى أن نقول فيكون. وأما رفع من رفع ذلك فإنه رأى أن الخبر قد تم عند قوله (إذا أردناه أن نقول له كن) إذ كان معلوما أن الله إذا حتم قضاءه على شيء كان المحتوم عليه موجودا، ثم ابتدأ بقوله فيكون كما قال جل ثناؤه (لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء) الحج ٥ .[٣٩٠]

٢١- ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۖ وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ ﴾ (١١٩) البقرة: ١١٩

٣٨٩ – تفسير البحر المحيط ج١ ص٥٣٦.
٣٩٠ – جامع البيان ج١ ص٥١١.

القراءات:

١. قرأ نافع ويعقوب (ولا تَسألْ) بفتح الفاء وجزم اللام على النهي.

٢. قرأ الباقون بضم التاء والرفع على الخبر (ولا تُسألُ)[٣٩١]

المعنى اللغوي للقراءات:

السؤال: استدعاء معرفة، أو ما يؤدي إلى المعرفة، واستدعاء مال أو ما يؤدي إلى المال، والسؤال للمعرفة تارة يكون للاستعلام، وتارة للتبكيت، وتارة لتعريف المسؤول وتنبيهه لا ليُخبَر ويُعلَم.[٣٩٢]

التفسير:

يبين المولى عز وجل في هذه الآية الكريمة تأييده لنبيه صلى الله عيه وسلم بالحجج والبراهين وبعثه بالحق بشيرا ونذيرا.

"(إنَّا أرسلناك بالحق) ملتبسا ومؤيدا به، وفُسِّر الحق بالقرآن، وبالإسلام، وبقاؤه على عمومه أولى، والمعنى: نحن يا محمد أرسلناك بالشريعة النيرة، والدين القويم، وبالهدي الساطع، والحق المبين (بشيرا ونذيرا) أي تبشر المؤمنين بجنات النعيم، وتنذر الكافرين بعذاب الجحيم، وأكثر ما يستعمل الإنذار في التخويف، والبشارة بالخبر السار (ولا تسأل عن أصحاب الجحيم) أي ولست يا محمد مسؤولا عن أصحاب النار إن لم يؤمنوا، بعد أن أديت الأمانة، وبلغت الرسالة .[٣٩٣]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد أفادت قراءة (ولا تُسألُ) أن النبي- ﷺ -غير مسؤول عن كفر من كفر من أصحاب النار، كما قال تعالى (ما عليك من حسابهم من شيء) الأنعام

٣٩١ – انظر النشر ج٢ ص٢٢١.

٣٩٢ – انظر مفردات ألفاظ القرآن ص.٤٣٧.

٣٩٣ – المقتطف من عيون التفاسير ج١ ص١٤٧.

٥٢، وكما قال تعالى (فإنما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم)النور٥٤ .
وأما قراءة (ولا تَسألْ) ففيه نهي النبي-ﷺ-عن السؤال عن أحوالهم وما ينتظرهم.
قال مكي بن أبي طالب: "(ولا تَسألْ) قرأه نافع بفتح التاء والجزم، على النهي من السؤال عن ذلك. وفي النهي معنى التعظيم لما هم فيه من العذاب، أي: لا تَسأل يا محمد عنهم، فقد بلغوا غاية العذاب التي ليس بعدها مستزاد. وقرأه الباقون بضم التاء، والرفع على النفي والعطف على (بشيرا ونذيرا) فهو في موضع الحال تقديره: إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا، وغير سائل عن أصحاب الجحيم. ويجوز أن يرفع على الاستئناف.[٣٩٤]
قال الإمام الطبري: «قرأت عامة القراء (ولا تُسأَلُ عن أصحاب الجحيم) بضم التاء من تسأل ورفع اللام منها على الخبر بمعنى: يا محمد إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا فبلغت ما أرسلت به وإنما عليك البلاغ والإنذار ولست مسئولا عمن كفر بما أتيته به من الحق وكان من أهل الجحيم. وقرأ ذلك بعض أهل المدينة (ولا تَسألْ) جزما بمعنى النهي مفتوح التاء من تسأل وجزم اللام منها، ومعنى ذلك على قراءة هؤلاء: إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا لتبلغ ما أرسلت به لا لتَسأل عن أصحاب الجحيم فلا تَسأل عن حالهم.»[٣٩٥]
وبالجمع بين القراءتين: يظهر لنا أن رسالة النبي-ﷺ -قاصرة على البشارة والنذارة وأنه ليس فقط غير مسؤول عن أصحاب الجحيم بل منهي عن السؤال عن أحوالهم، كما ورد في بعض الأحاديث من نهي النبي عن السؤال

٣٩٤ - الكشف ج١ ص٢٦٢ باختصار.
٣٩٥ - جامع البيان ج١ ص٥١٥.

عن أحوال أبويه، ولم يثبت منها شيء، أو يكون في النهي معنى التعظيم لما هم فيه من العذاب، أي لا تَسألْ يا محمد-ﷺ -عنهم فقد بلغوا غاية العذاب التي ليس بعدها مستزاد. قال تعالى (ما على الرسول إلا البلاغ) المائدة ٩٩، وقال تعالى (ليس عليك هداهم) البقرة ٢٧٢.

٢٢-﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ ﴾ البقرة: ١٢٥

القراءات:

١. قرأ نافع وابن عامر (واتخَذوا) بفتح الخاء على الخبر.
٢. قرأ الباقون بكسرها على الأمر(واتخِذوا)[٣٩٦]

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن قصة بناء الكعبة وما حباها الله من تكريم وما شرعه من مناسك. قال ابن كثير في سبب نزول الآية "وقال البخاري باب قوله (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى) مثابة يثوبون يرجعون حدثنا مسدد أخبرنا يحيى عن حميد عن أنس بن مالك قال: قال عمر بن الخطاب وافقت ربي في ثلاث أو وافقني ربي في ثلاث قلت: يا رسول الله-ﷺ-لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى فنزلت (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى)."[٣٩٧]

٣٩٦ - انظر النشر ج٢ ص٢٢٢.

٣٩٧ - تفسير ابن كثير ج١ ص٢٣٣. الحديث رواه البخاري كما في فتح الباري – ج٨ ص١٦٨ - كتاب التفسير – باب٩ قوله (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى) – رقم الحديث ٤٤٨٣.

وقال النسفي في تفسير الآية: «(وإذ جعلنا البيت) أي الكعبة وهو اسم غالب لها كالنجم للثريا (مثابة للناس) مباءة ومرجعا للحجاج والعمار يتفرقون عنه ثم يثوبون إليه (وأمنا) وموضع أمن، فان الجاني يأوي إليه فلا يتعرض له حتى يخرج (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى) وقلنا اتخذوا منه موضع صلاة تصلون فيه، وقيل مصلى مدعى ومقام إبراهيم الحجر الذي فيه أثر قدميه وقيل الحرم كله مقام إبراهيم (وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل) أمرناهما(أن طهرا بيتي) بفتح الياء مدني وحفص أي: بأن طهرا أو أي طهرا، والمعنى طهراه من الأوثان والخبائث والأنجاس كلها(للطائفين) للدائرين حوله (والعاكفين) المجورين الذين عكفوا عنده أي أقاموا لا يبرحون أو المعتكفين وقيل للطائفين للنزاع إليه من البلاد والعاكفين والمقيمين من أهل مكة (والركع السجود) والمصلين جمعا راكع وساجد.»[٢٩٨]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة الفتح (واتخَذوا) بفتح الخاء أنه إخبار عما كان عليه الناس من أتباع إبراهيم عليه السلام قبل الإسلام من اتخاذ المقام كمصلى لهم.

في حين أن قراءة (واتخِذوا) بكسر الخاء فتبين أنه أمر من الله لهذه الأمة باتخاذ مقام إبراهيم مصلى.

قال ابن زنجلة: "قرأ ابن عامر ونافع (واتخَذوا من مقام إبراهيم) بفتح الخاء وحجتهما أن هذا إخبار عن ولد إبراهيم صلى الله عليهم أنهم اتخذوا مقام إبراهيم مصلى وهو مردود إلى قوله (وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى).

٣٩٨ - تفسير النسفي ج١ ص٧٣-٧٤.

وقرأ الباقون (واتخِذوا) بكسر الخاء وحجتهم في ذلك ما روي في التفسير أن النبي -ﷺ- أخذ بيد عمر فلما أتى على المقام قال له عمر هذا مقام أبينا إبراهيم -ﷺ- قال: نعم قال أفلا نتخذه مصلى فأنزل الله تعالى (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى) يقول وافعلوا.[399]

وبالجمع بين القراءتين يكون المعنى: اتخذوا مقام إبراهيم مصلى كما اتخذه أتباع إبراهيم عليه السلام. قال صاحب التحرير والتنوير: «والقراءتان تقتضيان أن اتخاذ مقام إبراهيم مصلى كان من عهد إبراهيم عليه السلام.»[400]

٢٣- ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ ﴾ البقرة: ١٢٦

القراءات:

١. قرأ ابن عامر (فأَمْتِعه) بتخفيف التاء.
٢. قرأ الباقون (فأُمَتِّعُه) بالتشديد.[401]

المعنى اللغوي للقراءات:

المتاع: انتفاع ممتد الوقت، يقال: متّعه الله بكذا، وأمتعه ؛ وتمتع به ...وكل موضع ذكر فيه تمتعوا في الدنيا فعلى طريق التهديد، وذلك لما فيه من معنى التوسع.[402]

٣٩٩ - حجة القراءات ج١ ص١١٣.
٤٠٠ - تفسير التحرير والتنوير المجلد الأول ج١ ص٧١١.
٤٠١ - انظر النشر ج٢ ص٢٢٢.
٤٠٢ - انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٧٥٧.

التفسير:

ذكر الطاهر بن عاشور في تفسيره مناسبة الآية بما قبلها حيث قال: "عطف على (وإذ جعلنا البيت مثابة) لإفادة منقبة ثالثة لإبراهيم- عليه السلام -في استجابة دعوته بفضل مكة والنعمة على ساكنيها إذا شكروا، وتنبيه ثالث لمشركي مكة يومئذ ليتذكروا دعوة أبيهم إبراهيم المشعرة بحرصه على إيمانهم بالله واليوم الآخر."[٤٠٣]

وقال الصابوني في تفسيره: «(وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا) أي اجعل هذا المكان والمراد مكة المكرمة بلدا ذا أمن يكون أهله في أمن واستقرار (وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر) أي وارزق يا رب المؤمنين من أهله وسكانه من أنواع الثمرات ليقبلوا على طاعتك ويتفرغوا لعبادتك وخص بدعوته المؤمنين فقط. قال تعالى جوابا له: (قال ومن كفر فأمتعه قليلا) أي قال الله وأرزق من كفر أيضا كما أرزق المؤمن، أأخلق خلقا ثم لا أرزقهم ؟ أما الكافر فأمتعه في الدنيا متاعا قليلا وذلك مدة حياته فيها (ثم أضطره إلى عذاب النار) أي ثم ألجئه في الآخرة وأسوقه إلى عذاب النار فلا يجد عنها محيصا (وبئس المصير) أي وبئس المآل والمرجع للكافر أن يكون مأواه نار جهنم. قاس الخليل الرزق على الإمامة فنبهه تعالى على أن الرزق رحمة دنيوية شاملة للبر والفاجر بخلاف الإمامة فإنها خاصة بالخواص من المؤمنين.»[٤٠٤]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد اختلف العلماء في صاحب القول في قوله تعالى (قال ومن كفر ...) على قولين بحسب اختلاف القراءات في قوله (فأمتعه).

٤٠٣ - تفسير التحرير والتنوير المجلد الأول ج١ ص٧١٣.

٤٠٤ - صفوة التفاسير - محمد علي الصابوني :ج١ ص٩٤ - دار القرآن الكريم - بيروت - ط٢ - سنة ١٤٠١ هـ.

قال القرطبي في تفسيره: "واختلف هل هذا القول من الله تعالى أو من إبراهيم عليه السلام فقال أبي بن كعب وغيره هو من الله تعالى وقرءوا (فأُمَتِّعُهُ) بضم الهمزة وفتح الميم وتشديد التاء (ثم أَضطرُّه) بقطع الألف وضم الراء وكذلك القراء السبعة خلا ابن عامر فإنه سكن الميم وخفف التاء ... وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة هذا القول من إبراهيم- عليه السلام -وقرءوا (فأَمْتِعْه) بفتح الهمزة وسكون الميم (ثم اضطرَّه) بوصل الألف وفتح الراء فكأن إبراهيم- عليه السلام -دعا للمؤمنين وعلى الكافرين وعليه فيكون الضمير في قال لإبراهيم وأعيد قال لطول الكلام أو لخروجه من الدعاء لقوم إلى الدعاء على آخرين."[٤٠٥]

وقال الطبري: «والصواب من القراءة في ذلك عندنا والتأويل ما قاله أبي بن كعب وقراءته لقيام الحجة بالنقل المستفيض دراية بتصويب ذلك وشذوذ ما خالفه من القراءة[٤٠٦] وغير جائز الاعتراض بمن كان جائزا عليه في نقله الخطأ والسهو على من كان ذلك غير جائز عليه في نقله. وإذ كان ذلك كذلك فتأويل الآية: قال الله يا إبراهيم قد أجبت دعوتك ورزقت مؤمني أهل هذا البلد من الثمرات وكفارهم متاعا لهم إلى بلوغ آجالهم ثم أضطر كفارهم بعد ذلك إلى النار. وأما قوله (فأمتعه قليلا) يعني فأجعل ما أرزقه من ذلك في حياته متاعا يتمتع به إلى وقت مماته وإنما قلنا إن ذلك كذلك لأن الله تعالى ذكره إنما قال ذلك لإبراهيم جوابا لمسألته ما سأل من رزق الثمرات لمؤمني أهل مكة فكان معلوما بذلك أن الجواب إنما هو فيما سأله إبراهيم لا في غيره.»[٤٠٧]

٤٠٥ – الجامع لأحكام القرآن ج٢ ص١١٩ باختصار.

٤٠٦ – يقصد بذلك قراءة ﴿ ثم اضطرُّه ﴾ بوصل الألف وفتح الراء وهي قراءة شاذة ليست في القراءات العشر.

٤٠٧ – جامع البيان ج١ ص٥٤٥.

وبالجمع بين القراءتين: نرى أن قراءة الجمهور بالتشديد قد فسَّرت المقصود من قراءة التخفيف وأن قائل (ومن كفر فأمتعه ...) هو الله- ﷻ - مع ما تفيده قراءة التشديد من معنى تكرير الفعل.

٢٤- ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَـٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾ البقرة: ١٣٢

القراءات:

١. قرأ المدنيان وابن عامر (وأوصى) بهمزة مفتوحة صورتها ألف بين الواوين مع تخفيف الصاد، وكذلك هو في مصاحف أهل المدينة والشام.
٢. قرأ الباقون (ووصَّى) بتشديد الصاد من غير همز بين الواوين وكذلك هو في مصاحفهم.[٤٠٨]

المعنى اللغوي للقراءات:

أوصاه ووصاه توصية: عهد إليه.[٤٠٩]

والوصية التقدم إلى الغير بما يعمل به مقترنا بوعظ، من قولهم أرض واصية: متصلة النبات، ويقال أوصاه ووصاه.[٤١٠]

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن وصية كل من إبراهيم ويعقوب -عليهما السلام- لأبنائهم باتباع ملة الإسلام والثبات عليها حتى الممات.

"(ووصَّى بها إبراهيم بنيه ويعقوب) أي وصَّى الخليل أبناءه باتباع ملة الإسلام، وكذلك وصَّى يعقوب بنيه بها أيضا، وإنما خص بنيه لأنهم كانوا

٤٠٨ - انظر النشر ج٢ ص٢٢٢-٢٢٣.
٤٠٩ - انظر القاموس المحيط ج١ ص١٧٥٩.
٤١٠ - انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٨٧٣-٨٧٤.

أئمة يقتدى بهم. ثم فصل الوصية التي أوصى بها (يا بني إن الله اصطفى لكم الدين) أي أعطاكم الدين الذي هو صفوة الأديان، وهو دين الإسلام (فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون) والمراد بالأمر الثبات على الإسلام.[٤١١]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءتان تتفقان في المعنى العام إلا أن قراءة التشديد (ووصّى) أبلغ في الوصية إذ تفيد الكثرة والتكرار في الفعل.

قال الطبري: "وقد قرأ جماعة من القراء (وأوصى بها إبراهيم) البقرة ١٣٢، بمعنى عهد. وأما من قرأ (ووصّى) مشددة فإنه يعني بذلك أنه عهد إليهم عهدا بعد عهد وأوصى وصية بعد وصية.[٤١٢] وقال ابن زنجلة: «وصّى أبلغ من أوصى لأن أوصى جائز أن يكون مرة، ووصّى لا يكون إلا مرات كثيرة.»[٤١٣] وقال مكي بن أبي طالب: «القراءتان متوافقتان، غير أن التشديد فيه معنى تكرير الفعل فكأنه أبلغ في المعنى.»[٤١٤]

وبالجمع بين القراءتين: يتضح أن إبراهيم ويعقوب- عليهما السلام -لم يكتفيا بالوصية لأبنائهم مرة واحدة، بل كررا ذلك مرة بعد أخرى لتأكيد الوصية ولترسخ في النفوس، وركزت على جانب واحد وهدف واحد وهو التمسك بالدين القويم. وهذا إن دل فإنما يدل على حرصهما الشديد على دعوة التوحيد. كما قال الله تعالى عن إبراهيم -عليه السلام- (وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتي) البقرة ١٢٤.

٤١١ - المقتطف من عيون التفاسير ج١ ص١٥٨-١٥٩بتصرف.

٤١٢ - جامع البيان ج١ ص٥٦١.

٤١٣ - حجة القراءات ص١١٥.

٤١٤ - الكشف ج١ ص١١٥.

٢٥-﴿ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ ﴾ البقرة: ١٤٠

القراءات:

١. قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وخلف وحفص ورويس (أم تَقولون) بالخطاب.

٢. قرأ الباقون (أم يقولون) بالغيب.[٤١٥]

التفسير:

ينكر المولى عز وجل في هذه الآية الكريمة على أهل الكتاب مجادلتهم بالباطل في حقيقة ما كان عليه إبراهيم عليه السلام وبنيه، وما زعموا في حقهم من أنهم كانوا هودا أو نصارى وهو استمرار للإنكار السابق ومجادلتهم في الله بالباطل.

قال الصابوني في تفسيره للآية الكريمة: "(أم تقولون إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هودا أو نصارى) ؟ أي أم تدَّعون يا معشر أهل الكتاب أن هؤلاء الرسل وأحفادهم كانوا هودا أو نصارى (قل ءأنتم أعلم أم الله) أي: هل أنتم أعلم بديانتهم من الله ؟ وقد شهد الله لهم بملة الإسلام وبرأهم من اليهودية والنصرانية (ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله) أي لا أحد أظلم ممن أخفى وكتم ما اشتملت عليه آيات التوراة والإنجيل من البشارة برسول الله، أو لا أحد أظلم ممن كتم ما أخبر الباري عنه من أن الأنبياء الكرام كانوا على الإسلام (وما الله بغافل عما تعملون) أي مطلع على أعمالهم ومجازيهم عليها وفيه وعيد شديد.[٤١٦]

٤١٥ – انظر النشر ج٢ ص٢٢٣.

٤١٦ – صفوة التفاسير ج١ ص٩٩-١٠٠ بتصرف.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

العلاقة بين القراءات هي علاقة بلاغية من خلال استخدام أسلوب الالتفات في مخاطبة أهل الكتاب بقصد الإنكار. قال القاضي شهاب الدين الخفاجي في حاشيته[٤١٧]: «إن قرئ (أم يقولون) بياء الغيبة لا تكون أم إلا منقطعة للإضراب عن الخطاب في أتحاجوننا أي: بل أتقولون.. الخ وهو للإنكار بمعنى ما كان ينبغي ذلك. وإن قرئ بالخطاب فيجوز الإضراب والمعنى ما ذكر، ويجوز الاتصال والمراد أيهما يكون بمعنى أنه لا ينبغي ذلك وإلا فالعلم حاصل بثبوت الأمرين.»[٤١٨] وقال الطبرسي في توجيهه للقراءتين: «على قراءة الخطاب تكون أم متصلة بما قبلها من الاستفهام كأنه قال أتحاجوننا في الله أم تقولون: إن الأنبياء كانوا على دينكم، والتقدير بأي الحجتين تتعلقون في أمرنا بالتوحيد فنحن موحدون أم باتباع دين الأنبياء فنحن لهم تبعون. وأما قراءة الياء (يقولون) فهي على العدول من الحجاج الأول إلى حجاج آخر فكأنه قال: بل تقولون: إن الأنبياء من قبل أن تنزل التوراة والإنجيل كانوا هودا أو نصارى، وتكون أم هذه هي المنقطعة فيكون قد أعرض عن خطابهم استجهالا لهم بما كان منهم كما يقبل العالم على من بحضرته بعد ارتكاب مخاطبه جهالة شنيعة فيقول: قد قامت عليه الحجة.»[٤١٩]

وبالجمع بين القراءات يتضح أنهم قد قالوا ذلك بالفعل كما قال تعالى (يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من

٤١٧ - شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري، قاضي القضاة، وصاحب التصانيف في الأدب واللغة، توفي سنة ١٠٦٩هـ ﴿الأعلام - خير الدين الزركلي ج١ ص٢٣٨ - دار العلم للملايين - ط٨ - سنة ١٩٨٩م﴾.

٤١٨ - حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي / للقاضي شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي: ضبطه عبد الرزاق المهدي - ج٢ ص٤٠٨-٤٠٩ - دار الكتب العلمية - بيروت - ط١ - سنة ١٤١٧ هـ.

٤١٩ - مجمع البيان ج١ ص٣٢١.

بعده أفلا تعقلون. ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وأنتم لا تعلمون) آل عمران ٦٥-٦٦ ، وادعوا أن الأنبياء المذكورين كانوا على ملتهم فاستحقوا أن يعرض الله عن مخاطبتهم لبشاعة جرمهم وشناعة موقفهم وافترائهم على الله، فاستخدم معهم أسلوب الالتفات كما ذهب إليه الطبرسي.

٢٦-﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ البقرة: ١٤٤

القراءات:

١. قرأ أبو جعفر وابن عامر وحمزة والكسائي وروح (تعملون)بالخطاب.
٢. قرأ الباقون (يعملون) بالغيب.[٤٢٠]

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن موضوع تحويل القبلة وما أعقبه من شبهات وأباطيل أثارها اليهود، قال ابن كثير في سبب نزول الآية: "عن ابن عباس كان أول ما نسخ من القرآن القبلة

وذلك أن رسول الله -ﷺ- لما هاجر إلى المدينة وكان أكثر أهلها اليهود فأمره الله أن يستقبل بيت المقدس ففرحت اليهود فاستقبلها رسول الله -ﷺ- بضعة عشر شهراً، وكان يحب قبلة إبراهيم، فكان يدعو إلى الله وينظر إلى السماء، فأنزل الله (قد نرى تقلب وجهك في السماء) إلى قوله (فولوا

٤٢٠ - انظر النشر ج٢ ص٢٢٣.

وجوهكم شطره.)[٤٢١] وقال البيضاوي[٤٢٢] في تفسيره «(قد نرى تقلب وجهك في السماء) تردد وجهك في جهة السماء تطلعا للوحي، وكان رسول الله -ﷺ- يقع في روعه ويتوقع من ربه أن يحوله إلى الكعبة؛ لأنها قبلة أبيه إبراهيم وأقدم القبلتين، وأدعى للعرب إلى الإيمان ولمخالفة اليهود؛ وذلك يدل على كمال أدبه حيث انتظر ولم يسأل (فلنولينك قبلة) فلنمكننك من استقبالها، أو فلنجعلنك تلي جهتها (ترضاها) تحبها وتتشوق إليها لمقاصد دينية وافقت مشيئة الله وحكمته (فول وجهك) اصرف وجهك (شطر المسجد الحرام) نحوه، (وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره) خص الرسول بالخطاب تعظيما له وإيجابا لرغبته، ثم عمم تصريحا بعموم الحكم وتأكيدا لأمر القبلة (وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم) جملة لعلمهم بأن عادته تعالى تخصيص كل شريعة بقبلة وتفصيلا لتضمن كتبهم أنه-ﷺ -يصلي إلى القبلتين والضمير للتحويل أو التوجه (وما الله بغافل عما تعملون) وعد ووعيد للفريقين.[٤٢٣]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

كل قراءة تتضمن وعد ووعيد. فعلى قراءة (يعملون) فإن الضمير يعود إلى الذين أوتوا الكتاب، فيكون تهديدا لهم لمخالفتهم وهذا يستلزم الوعد للمسلمين إن استجابوا بالأجر العظيم وعلى قراءة (تعملون) فالضمير يعود على المسلمين، وفيه وعد لهم إن امتثلوا أمر الله في تحويل القبلة

٤٢١ – تفسير ابن كثير ج١ ص٢٦٣.

٤٢٢ – عبد الله بن عمر بن محمد بن علي، الإمام ناصر الدين أبو الخير البيضاوي – إماما في فقه الشافعية، له منهاج الأصول وشرحه، وشرح مختصر ابن الحاجب، توفي سنة ٦٩١هـ ﴿ انظر: طبقات المفسرين – أحمد الأدنروي – ص٢٥٤ – مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة – سنة ١٩٩٧م. وحاشية الشهاب على البيضاوي – ج١ ص٥ ﴾.

٤٢٣ – تفسير البيضاوي المسمى: أنوار التنزيل وأسرار التأويل – الإمام البيضاوي: ج١ ص٨٨ باختصار – مطبعة مصطفى البابي الحلبي – ط٢ – سنة ١٣٨٨ هـ. وحيث يأتي سأكتفي بقولي: تفسير البيضاوي.

وهذا يستلزم التهديد والوعيد لأهل الكتاب إن خالفوا أمر الله وأثاروا الشبهات وبالجمع بين القراءتين يصبح المعنى: أن على المسلمين التمسك بأمر الله في تحويل القبلة لما فيه من الخير والأجر العظيم لهم، وعليهم أن لا يغتروا بما يثيره أعداء الإسلام من أهل الكتاب من شبهات حول تحويل القبلة فإن الله سيجازيهم على أعمالهم في الدنيا والآخرة.[٤٢٤]

قال الألوسي: «(وما الله بغافل عما يعملون) اعتراض بين الكلامين جيء به للوعد والوعيد للفريقين من أهل الكتاب الداخلين تحت العموم السابق المشار إليهما فيما سيجيء قريبا إن شاء الله تعالى وهما من كتم ومن لم يكتم، وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي (تعملون) بالتاء فهو وعد للمؤمنين. وقيل: على قراءة الخطاب وعد لهم، وعلى قراءة الغيبة وعيد لأهل الكتاب مطلقا وقيل: الضمير على القراءتين لجميع الناس فيكون وعدا ووعيدا لفريقين من المؤمنين والكافرين.»[٤٢٥]

٢٧-﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾ ﴾ البقرة: ١٤٨

القراءات:

١. قرأ ابن عامر (مُوَلاَّها) بفتح اللام وألف بعدها، أي مصروف إليها.
٢. قرأ الباقون (مُوَلِّيها) بكسر اللام وياء بعدها على معنى مستقبلها.[٤٢٦]

المعنى اللغوي للقراءات:

تولى: إذا عدي بنفسه اقتضى معنى الولاية، وحصوله في أقرب المواضع

٤٢٤ – انظر تفسير التحرير والتنوير – المجلد الثاني ج٢ ص٣٤-٣٥.

٤٢٥ – روح المعاني ج٢ ص١٠.

٤٢٦ – انظر النشر ج٢ ص٢٢٣.

منه، يقال: وليت سمعي كذا، ووليت عيني كذا، ووليت وجهي كذا: أقبلت به عليه.[٤٢٧]

وقال البغوي: «وليته ووليت إليه: إذا أقبلت إليه، ووليت عنه إذا أدبرت عنه.»[٤٢٨]

التفسير:

"يقول المولى عز وجل (ولكل وجهة) أي لأهل كل ملة قبلة، والوجهة اسم للمتوجه إليه (هو موليها) أي مستقبلها ويقبل إليها (فاستبقوا الخيرات) أي إلى الخيرات، يريد: بادروا بالطاعات، والمراد المبادرة إلى القبول (أينما تكونوا) أنتم وأهل الكتاب (يأت بكم الله جميعا) يوم القيامة فيجزيكم بأعمالكم (إن الله على كل شيء قدير)[٤٢٩]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد أفادت قراءة الجمهور (مُوَلِّيها) أن لكل صاحب ملة طريقة ومنهاج حياة هو متبعها وراضيها. في حين أفادت القراءة الأخرى (مُوَلاَّها) أن الله تعالى يولى صاحب كل طريقة ما تولاها. قال الألوسي في تفسيره: (هو مُوَلِّيها) الضمير المرفوع عائد إلى (كل) باعتبار لفظه، والمفعول الثاني للوصف محذوف أي: وجهه أو نفسه أي مستقبلها، ويحتمل أن يكون الضمير لله تعالى أي: الله موليها إياه. وقرأ ابن عامر (مُوَلاَّها) على صيغة اسم المفعول أي هو قد ولي تلك الجهة، فالضمير المرفوع حينئذ عائد إلى كل البتة، ولا يجوز رجوعه إلى الله تعالى لفساد المعنى.[٤٣٠]

---

٤٢٧ – انظر مفردات ألفاظ القرآن ص ٨٨٦.

٤٢٨ – معالم التنزيل – محي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي: تحقيق محمد عبد الله النمر وآخرون – ج١ ص١٦٤ – دار طيبة – الرياض – ط٢ – سنة ١٤١٤هـ.

٤٢٩ – معالم التنزيل ج١ ص١٦٤ باختصار.

٤٣٠ – روح المعاني ج٢ ص١٤–١٥ باختصار.

وبالجمع بين القراءتين يصبح المعنى: أن على كل إنسان أن يختار لنفسه ما يراه صوابا وأن يسعى في الخيرات فإن اختار الدين الحق ثبته الله عليه، وكان له الفوز والفلاح. وإن اختار غير سبيل المؤمنين واتبع غير ملتهم فله جهنم وبئس المصير، كما قال تعالى (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا) النساء ١١٥.

٢٨- ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ ﴾ البقرة: ١٤٩

القراءات:

١. قرأ أبو عمرو (يعملون) بالغيب.
٢. قرأ الباقون (تعملون) بالخطاب.[٤٣١]

التفسير:

قال الشوكاني في تفسيره: "كرر سبحانه هذا لتأكيد الأمر باستقبال الكعبة، وللاهتمام به؛ لأن موقع التحويل كان معتنى به في نفوسهم، وقيل: وجه التكرير أن النسخ من مظان الفتنة ومواطن الشبهة فإذا سمعوه مرة بعد أخرى ثبتوا واندفع ما يختلج في صدورهم، وقيل: إنه كرر هذا الحكم لتعدد علله فإنه سبحانه ذكر للتحويل ثلاث علل: الأولى: ابتغاء مرضاته، والثانية: جرى العادة الإلهية أن يولي كل أهل ملة وصاحب دعوة جهة يستقل بها، والثالثة: دفع حجج المخالفين فقرن بكل علة معلولها، وقيل: أراد بالأول ول وجهك شطر الكعبة إذا صليت تلقائها، ثم قال: وحيثما كنتم معاشر المسلمين في سائر المساجد بالمدينة وغيرها فولوا وجوهكم

٤٣١ - انظر النشر ج٢ ص ٢٢٣.

شطره، ثم قال: (ومن حيث خرجت) يعني وجوب الاستقبال في الأسفار فكان هذا أمر بالتوجه إلى الكعبة في جميع المواطن من نواحي الأرض.[٤٣٢]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد أفادت قراءة (تعملون) بالخطاب الوعيد للمؤمنين إن هم خالفوا أمر الله في نسخ القبلة والتوجه إلى المسجد الحرام.

وأما قراءة (يعملون) بالغيب ففيها الوعيد لليهود إن هم أصروا على مخالفة أوامر الله وانحرفوا عن جادة الصواب.

قال الألوسي في تفسيره: وما الله بغافل عما تعملون) فيجازيكم بذلك أحسن الجزاء فهو وعيد للمؤمنين، وقرء (يعملون) على صيغة الغيبة فهو وعيد للكافرين.[٤٣٣] وقال مكي بن أبي طالب: «ووجه القراءة بالياء أنه أجراه على لفظ الغيب والإخبار عن اليهود، الذين يخالفون النبي في القبلة وهم غيب. فالتقدير: ولِّ وجهك يا محمد نحو المسجد الحرام، وما الله بغافل عما يعمل من يخالفك من اليهود في القبلة. ووجه القراءة بالتاء أنه مردود على ما قبله، من الخطاب للنبي- ﷺ -وأصحابه، في قوله (فول وجهك)، والمعنى: فولُوا وجوهكم شطر المسجد الحرام، وما الله بغافل عما تعملون، أيها المؤمنون من توليتكم نحو المسجد الحرام.[٤٣٤]

وبالجمع بين القراءتين يصبح المعنى: التزموا أيها المؤمنون بشرع الله وما نزل في شأن القبلة واحذروا من مخالفته وعصيان أمره، ولا تلتفتوا إلى دسائس اليهود ومكرهم في شأن القبلة فإن الله مطلع عليكم جميعا وسيجازي المخالفين بالعقاب الأليم.

٤٣٢ - فتح القدير ج١ ص١٩٩.

٤٣٣ - روح المعاني ج٢ ص١٦.

٤٣٤ - الكشف ج١ ص٢٦٨.

٢٩ - ﴿ ۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ ﴾ البقرة: ١٥٨

القراءات:

١. قرأ حمزة والكسائي وخلف ويعقوب (يَطَّوَّعْ) بالغيب وتشديد الطاء وإسكان العين على الاستقبال.

٢. قرأ الباقون (تَطَوَّعَ) بالتاء وتخفيف الطاء فيها وفتح العين على المضي.(٤٣٥)

المعنى اللغوي للقراءات:

الطَّوْع: الانقياد وضده الكره، والتطوع في الأصل: تكلف الطاعة، وتكلف كذا: تحمله طوعا.(٤٣٦)

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن مشروعية الطواف بين الصفا والمروة وحكمه في الإسلام.

قال السيوطي في سبب نزول الآية: عن عائشة أن عروة قال لها: أرأيت قول الله تعالى: (إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما) فما أرى على أحد جناحا أن يطوف بهما، فقالت عائشة: بئسما قلت يا ابن أختي، إنها لو كانت على ما أولتها كانت فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما، ولكنها إنما أنزلت أن الأنصار قبل أن يسلموا كانوا يهلون لمناة الطاغية التي كانوا يعبدونها وكان من أهل لها يتحرج أن يطوف بالصفا والمروة فسألوا عن ذلك رسول الله-ﷺ-فقالوا: يا رسول الله إنا كنا نتحرج أن نطوف بالصفا والمروة في الجاهلية فأنزل

٤٣٥ - انظر النشر ج٢ ص٢٢٣.

٤٣٦ - انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٥٢٩-٥٣١.

الله (إن الصفا والمروة من شعائر الله) الآية.

قالت عائشة: ثم سن رسول الله-ﷺ-الطواف بهما فليس لأحد أن يدع الطواف بهما.[٤٣٧] وقال الصابوني في تفسيره: «(إن الصفا والمروة) اسم لجبلين بمقربة من البيت الحرام (من شعائر الله) أي من أعلام دينه ومناسكه التي تعبدنا الله بها (فمن حج البيت أو اعتمر) أي من قصد بيت الله للحج أو قصده للزيارة بأحد النسكين الحج أو العمرة (فلا جناح عليه أن يطوف بهما) أي لا حرج ولا إثم عليه أن يسعى بينهما، (ومن تطوع خيرا) أي من تطوع بالحج والعمرة بعد قضاء حجته المفروضة عليه، أو فعل خيرا فرضا كان أو نفلا (فإن الله شاكر عليم) أي أنه سبحانه شاكر له طاعته ومجازيه عليه الجزاء الحسن.»[٤٣٨]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لاختلاف القراءات أثر نحوي من حيث جواز الاستغناء بحرف الشرط عن لفظ الاستقبال فتكون القراءتان متفقتان في المعنى، وهو الاستقبال.

قال الطبري: "وكلتا القراءتين معروفة صحيحة متفق معنياهما غير مختلفين لأن الماضي من الفعل مع حروف الجزاء بمعنى المستقبل فبأي القراءتين قرأ ذلك قارئ فمصيب. ومعنى ذلك ومن تطوع بالحج والعمرة بعد قضاء حجته الواجبة عليه فإن الله شاكر له على تطوعه له بما تطوع به من ذلك ابتغاء وجهه فمجازيه به عليم بما قصد وأراد بتطوعه بما تطوع به. وإنما قلنا إن الصواب في معنى قوله فمن تطوع خيرا هو ما وصفنا دون قول من زعم أنه معني به فمن تطوع بالسعي والطواف بين

٤٣٧ - الدر المنثور في التفسير بالمأثور - جلال الدين السيوطي: ج١ ص٢٩١ ، وقال أخرجه البخاري ومسلم – دار الكتب العلمية – بيروت – ط١ – ١٤١١هـ. الحديث رواه البخاري كما ورد في فتح الباري ج٨ ص١٧٥ – كتاب التفسير – باب ٢١ قوله (ومن حيث خرجت فول وجهك..) – رقم الحديث ٤٤٩٥.

٤٣٨ - صفوة التفاسير ج١ ص١٠٨ باختصار.

الصفا والمروة لأن الساعي بينهما لا يكون متطوعا بالسعي بينهما إلا في حج تطوع أو عمرة تطوع لما وصفنا قبل، وإذ كان ذلك كذلك كان معلوما أنه إنما عنى بالتطوع بذلك التطوع بما يعمل ذلك فيه من حج أو عمرة.[٤٣٩]

وذهب بعض العلماء إلى أن لكل قراءة معنى مغاير عن الأخرى باعتبار أن قراءة (تطَوَّعَ) تعني في الماضي، وقراءة (يطَّوَّعْ) في المستقبل. قال العكبري[٤٤٠]: «(ومَن تَطَّوَّعَ) يُقرأ على لفظ الماضي، فـ(مَن) على هذا يجوز أن تكون بمعنى الذي، والخبر (فإن الله) والعائد محذوف تقديره له. ويجوز أن يكون (مَن) شرطا، والماضي بمعنى المستقبل. وقُرِئَ (يَطَّوَّعْ) على لفظ المستقبل، فـ(مَن) على هذا شرط لا غير ؛ لأنه جزم بها،وأدغم التاء في الطاء.»[٤٤١]

وعلى هذا الرأي يصبح المعنى: أن من فعل خيرا قبل نزول الآية قبل منه، ومن يفعل خيرا بعد نزولها يقبل منه.

٣٠- ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (١٦٤) ﴾ البقرة: ١٦٤

القراءات:

١. قرأ حمزة وخلف والكسائي (الرِّيح) على الإفراد.

٤٣٩ – جامع البيان ج٢ ص٥٢.

٤٤٠ – عبد الله بن الحسين بن العكبري،أبو البقاء، من تصانيفه شرح اللمع، توفي سنة ٦١٦هـ ﴿انظر شذرات الذهب ج٥ ص٦٦ ، مقدمة كتابه التبيان في إعراب القرآن – تحقيق محمد حسين شمس الدين – ج١ ص٦ – دار الكتب العلمية – بيروت – ط١ – سنة ١٤١٩هـ﴾.

٤٤١ – التبيان في إعراب القرآن ج١ ص١١٤.

٢. قرأ الباقون (الرِّياح) على الجمع.[٤٤٢]

المعنى اللغوي للقراءات:

الريح معروف، وهي فيما قيل الهواء المتحرك. وعامة المواضع التي ذكر الله تعالى فيها إرسال الريح بلفظ الواحد فعبارة عن العذاب، وكل موضع ذكر فيه بلفظ الجمع فعبارة عن الرحمة.[٤٤٣]

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن دلائل وحدانية الله ورحمته ومظاهر قدرته من خلال الكون المنظور؛ فبعد أن ذكر الله في الآيات السابقة (إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى ..خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون) حال الكافرين الجاحدين لآيات الله وحال من كتم الآيات وعقابهم بالطرد من رحمة الله والخلود في نار جهنم، أتى ببيان سبب الكفر وهو الشرك، وأراد تعالى أن يعالج داء كفرهم بإثبات وحدانية الله بالبرهان وتعداد مظاهر رحمته وأدلة قدرته، وأن الخير في اللجوء إليه وحده، فذكر أنه خالق السماوات وما فيها من عوالم وأفلاك، وجاعل الأرض وسطا صالحا للعيش الهادئ المطمئن، ويسر للإنسان سبل العيش الكريم من خلال تعاقب الليل والنهار، وتسخير البحار، وإنزال الأمطار وتوجيه الرياح، وتكاثف السحاب وتجميعه، كل هذه الظواهر عبر ومواعظ لمن يعقل ويتدبر وينظر ليدرك الأسرار والعجائب ويستدل بما فيها من إتقان وإحكام على قدرة الخالق المبدع ووحدانية الإله المدبر.[٤٤٤]

٤٤٢ – انظر النشر ج٢ ص٢٢٣.

٤٤٣ – انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٣٧٠.

٤٤٤ – انظر التفسير المنير ج٢ ص٥٩-٦٣.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد ذهب المفسرون إلى أنه لا فرق بين القراءتين من حيث المعنى باعتبار أن قراءة الإفراد (الريح) هي اسم جنس يدل على القليل والكثير فتتفق مع قراءة الجمع (الرياح).

قال ابن عاشور: "واستفادة العموم من اسم الجنس المعرف سواء كان مفردا أو جمعا سواء."[٤٤٥] وقال الألوسي: «(وتصريف الرياح) أي تقليب الله تعالى لها جنوبا وشمالا وقبولا ودبورا حارة وباردة وعاصفة ولينة وعقيما ولواقح وتارة بالرحمة ومرة بالعذاب. وقرأ حمزة والكسائي الريح على الأفراد وأريد به الجنس.»[٤٤٦] وقال القرطبي: «فمن وحد الريح فلأنه اسم للجنس يدل على القليل والكثير، ومن جمع فلاختلاف الجهات التي تهب منها الرياح.»[٤٤٧] وفي هذا رد على من اعتبر أن الريح إذا جاءت في القرآن مفردة فإنه يراد بها ريح العذاب خاصة.

قال القرطبي: «ومن جمع مع الرحمة ووحد مع العذاب فإنه فعل ذلك اعتبارا بالأغلب في القرآن نحو (الرياح مبشرات) الروم ٤٦ ، (الريح العقيم) الذاريات ٤١ ، فجاءت في القرآن مجموعة مع الرحمة مفردة مع العذاب إلا في قوله (وجرين بهم بريح طيبة) يونس٢٢ ، وذلك لأن ريح العذاب شديدة ملتئمة الأجزاء واحد، وريح الرحمة لينة متقطعة فلذلك هي رياح ...

فأفردت مع الفلك في يونس لأن ريح إجراء السفن إنما هي ريح واحدة متصلة ثم وصفت بالطيب فزال الاشتراك بينها وبين ريح العذاب.»[٤٤٨]

---

٤٤٥ - تفسير التحرير والتنوير - المجلد الثاني ج٢ ص٨٦.

٤٤٦ - روح المعاني ج٢ ص٣٢.

٤٤٧ - الجامع لأحكام القرآن ج٢ ص١٩٨-١٩٩.

٤٤٨ - الجامع لأحكام القرآن ج٢ ص١٩٨-١٩٩

وحيث إن المقام هنا هو مقام تذكير بنعم الله ومظاهر قدرته الدالة على وحدانيته فناسب أن يكون المقصود من قراءة الإفراد الجنس كما قاله المفسرون فتتفق القراءتان.

٣١- ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ ﴾ البقرة: ١٦٥

القراءات:

١. قرأ ابن عامر: ولو (تَرى) الذين ظلموا إذ (يُرَون) العذاب (أنَّ) القوة لله جميعا (وأنَّ) الله شديد العذاب.

٢. قرأ نافع: ولو (تَرى) الذين ظلموا إذ (يَرون) العذاب (أنَّ) القوة لله جميعا (وأنَّ) الله شديد العذاب.

٣. قرأ يعقوب: ولو (تَرى) الذين ظلموا إذ (يَرون) العذاب (إنَّ) القوة لله جميعا (وإنَّ) الله شديد العذاب.

٤. قرأ أبو جعفر: ولو (يَرى) الذين ظلموا إذ (يَرون) العذاب (إنَّ) القوة لله جميعا (وإنَّ) الله شديد العذاب.

٥. قرأ الباقون: ولو (يَرى) الذين ظلموا إذ (يَرون) العذاب (أنَّ) القوة لله جميعا (وأنَّ) الله شديد العذاب.[٤٤٩]

المعنى اللغوي للقراءات:

الرؤية: إدراك المرئي وذلك أضرب بحسب قوى النفس ...ورأى إذا عدّي إلى مفعولين اقتضى معنى العلم. والرأي: اعتقاد النفس أحد النقيضين

٤٤٩ - انظر النشر ج٢ ص٢٢٤.

عن غلبة الظن ...وإذا عدّي رأيت بـ (إلى) اقتضى معنى النظر المؤدي إلى الاعتبار.[450]

التفسير:

وجه اتصال هذه الآية بما قبلها أن الله-ﷻ-أخبر أن مع وضوح هذه الآيات والدلالات التي سبق ذكرها أقام قوم على الباطل وإنكار الحق فكأنه قال: أبعد هذا البيان وظهور البرهان يتخذون من دون الله أندادا.[451]

قال ابن كثير في تفسير الآية: «يذكر تعالى حال المشركين به في الدنيا ومالهم في الدار الآخرة حيث جعلوا له أندادا أي أمثالا ونظراء يعبدونهم معه ويحبونهم كحبه وهو الله لا إله إلا هو ولا ضد له ولا بدله ولا شريك معه، عن عبد الله بن مسعود قال: (قلت يا رسول الله أي الذنب أعظم قال: أن تجعل لله ندا وهو خلقك)[452] وقوله (والذين آمنوا أشد حبا لله) ولحبهم لله وتمام معرفتهم به وتوقيرهم وتوحيدهم له لا يشركون به شيئا بل يعبدونه وحده ويتوكلون عليه ويلجأون في جميع أمورهم إليه، ثم توعد تعالى المشركين به الظالمين لأنفسهم بذلك فقال (ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعا) قال بعضهم تقدير الكلام لو عاينوا العذاب لعلموا حينئذ أن القوة لله جميعا أي أن الحكم له وحده لا شريك له وأن جميع الأشياء تحت قهره وغلبته وسلطانه (وأن الله شديد العذاب) كما قال (فيومئذ لا يعذب عذابه أحد ولا يوثق وثاقه أحد) الفجر ٢٤-٢٥، يقول لو يعلمون ما يعاينونه هنالك وما يحل بهم من الأمر الفظيع

٤٥٠ - انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٣٧٤.

٤٥١ - انظر مجمع البيان ج١ ص٢٧٦.

٤٥٢ - رواه البخاري – انظر فتح البخاري بشرح صحيح البخاري - كتاب التوحيد - باب ٤٠ - ج١٣ ص٤٩٠ – رقم ٧٥٢٠ ، صحيح مسلم - كتاب الإيمان -ح ١٤١، ١٤٢.

المنكر الهائل على شركهم وكفرهم لانتهوا عما هم فيه من الضلال.»[٤٥٣]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

بالنسبة لقراءة نافع وابن عامر (ولو تَرى الذين ظلموا) فالمقصود بالخطاب هو الرسول-ﷺ - فهو الفاعل، ويصبح الذين ظلموا مفعول به، وجواب لو محذوف للتهويل.

والمعنى: ولو ترى يا محمد -ﷺ- هؤلاء المشركين عند رؤيتهم العذاب لرأيت أمرا عظيما ينزل بهم (وأنَّ) بمعنى لأن القوة لله جميعا ولأن الله شديد العذاب، وهذا خطاب للنبي-ﷺ- يراد به الناس أي لرأيتم أيها المخاطبون أن القوة لله أو لرأيتم أن الأنداد لم تنفع وإنما بلغت الغاية في الضرر.

وأما على قراءة الباقين (ولو يرى الذين ظلموا) بالياء فالمقصود من الخطاب المشركين فهم الفاعل. والمعنى: لو رأى الذين كانوا يشركون في الدنيا عذاب الآخرة لعلموا حين يرونه أن القوة لله جميعا.

وبالنسبة لقراءة ابن عامر (إذ يُرَون العذاب) بضم الياء على ما لم يسم فاعله والمقصود به الله. وقراءة الباقين (إذ يَرون) بفتح الياء يعني الكفار.[٤٥٤]

فالمعنى: إن الكفار يَرَون العذاب بأمر الله.

وأما قراءة أبي جعفر ويعقوب (إنَّ) في الموضعين بكسر الهمزة فهو على الاستئناف البياني كأن سائلا قال: ماذا أرى وما هذا التهويل ؟ فقيل إنَّ القوة لله.

وقراءة الباقين (إنَّ) في الموضعين فتكون على البدل، أو على التعليل باعتبار حذف لام التعليل والتقدير لأن القوة لله جميعا والتعليل بمضمون الجواب

---

٤٥٣ - تفسير ابن كثير ج١ ص٢٧٦ باختصار.

٤٥٤ - انظر حجة القراءات ص١٢٠، الكشف ج١ ص٢٧١-٢٧٣.

المقدر أي لرأيت ما هو هائل لأنه عذاب الله ولله القوة جميعا.[٤٥٥]
قال الطبري في تأويله للآية: «اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأه عامة أهل المدينة والشام (ولو تَرى الذين ظلموا) بالتاء (إذ يَرون العذاب) بالياء (أن القوة لله جميعا وأن الله شديد العذاب) بفتح أن وأن كلتيهما بمعنى: ولو ترى يا محمد -ﷺ- الذين كفروا وظلموا أنفسهم حين يرون عذاب الله ويعاينونه أن القوة لله جميعا وأن الله شديد العذاب.

وقرأ آخرون من سلف القراء (ولو تَرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب إن القوة لله جميعا وإن الله شديد العذاب) بمعنى: ولو ترى يا محمد-ﷺ- الذين ظلموا حين يعاينوا عذاب الله لعلمت الحال التي يصيرون إليها.[٤٥٦]
وبالجمع بين القراءات يصبح المعنى: لو رأيت أيها السامع حال الذين كفروا حين يريهم الله العذاب الهائل المخيف لرأيت عجبا لأن القوة لله جميعا ولأن الله شديد العذاب.

٣٢- ﴿ ۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَـٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَـٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّـٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾ البقرة: ١٧٧

القراءات:

١. قرأ حمزة وحفص (ليس البرَّ) بالنصب.

---

٤٥٥ - انظر تفسير التحرير والتنوير - المجلد الثاني ج٢ ص٩٥.

٤٥٦ - جامع البيان ج٢ ص٦٧ باختصار.

٢. قرأ الباقون (ليس البرُّ) بالرفع.[٤٥٧]

٣. قرأ نافع وابن عامر (ولكنِ البرُّ) بتخفيف نون لكن، مخففة من الثقيلة جيء بها لمجرد الاستدراك فلا عمل لها ورفع البر.

والباقون (ولكنَّ البرَّ) بتشديد النون ونصب البر.[٤٥٨]

المعنى اللغوي للقراءات:

البر: التوسع في الخير، وينسب ذلك إلى الله وإلى العبد، وبر الوالدين: التوسع في الإحسان إليهما، وضده العقوق.[٤٥٩]

التفسير:

وجه المناسبة بين هذه الآية والتي قبلها أنه تعالى ذكر في الآية السابقة أن أهل الكتاب اختلفوا في دينهم اختلافا كبيرا صاروا بسببه في شقاق بعيد، ومن أسباب شقاقهم أمر القبلة إذ أكثروا الخوض فيه وأنكروا على المسلمين التحول إلى استقبال القبلة، وادعى كل من الفريقين – اليهود والنصارى – أن الهدي مقصور على قبلته، فرد الله عليهم مبينا أن العبادة الحقة وعمل البر ليس بتوجه الإنسان جهة المشرق والمغرب، ولكن بطاعة الله وامتثال أوامره وبالإيمان الصادق الراسخ بالله واليوم الآخر والملائكة والنبيين وإعطاء المال على محبته له ذوي قرابته فهم أولى بالمعروف، واليتامى والمساكين والمنقطع عن ماله والتزم بأركان الإسلام من الصلاة والزكاة، والوفاء بالعهود والصبر على الشدائد من فقر ومرض، فأولئك هم الصادقون في إيمانهم الكاملون في تقواهم.[٤٦٠]

---

٤٥٧ – انظر النشر ج٢ ص٢٢٦.

٤٥٨ – انظر إتحاف فضلاء البشر ص١٩٩.

٤٥٩ – انظر مفردات ألفاظ القرآن ص١١٤.

٤٦٠ – انظر صفوة التفاسير ج١ ص ١١٧–١١٨.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

يرى بعض العلماء أن هناك أثر بلاغي من خلال التقديم والتأخير باعتبار أن الموقف موقف إنكار على كل من اليهود والنصارى بسبب اهتمامهم الزائد بأمر القبلة وما أثاروه من شبهات حولها فجاءت القراءتان (ليس البرَّ) و (ليس البرُ) لتأكيد هذا الإنكار، من خلال تقديم اسم ليس وتأخيره.

قال الطاهر بن عاشور: "بالنسبة لقراءة الجمهور (ليس البرُ) برفع البر على أنه اسم ليس، والخبر هو (أن تولوا)، وأما بالنسبة لقراءة حفص وحمزة (ليس البرَّ) بنصب البرَّ على أن قوله (أن تولوا) اسم ليس مؤخر، ويكثر في كلام العرب تقديم الخبر على الاسم في باب كان وأخواتها إذا كان أحد معمولي هذا الباب مركبا من أن المصدرية وفعلها، كان المتكلم بالخيار في المعمول الآخر بين أن يرفعه وأن ينصبه، وشأن اسم ليس أن يكون هو الجدير بكونه مبتدأ به، فوجه رفع البر: أن البرَّ أمر مشهور معروف لأهل الديار مرغوب للجميع، فإذا جعل المبتدأ في حال النفي أصغت الأسماع إلى الخبر. وأما توجيه قراءة النصب فلأن أمر استقبال القبلة هو الشغل الشاغل لهم فإذا ذكر خبره قبله ترقب السامع المبتدأ فإذا سمعه تقرر في علمه."[461]

ولكن بالجمع بين القراءتين نجد أنهما قد أفادتا استواء الأمرين تماما، وذلك لأن الآية تعاملت مع كل واحد منهما مرة على أنه اسم ليس ومرة أخرى على أنه خبر ليس فهما مستويان في الدرجة.

وأما بالنسبة لقراءة (ولكنِ البرُ) على تخفيف النون ورفع البر على الابتداء، فهي تفيد الاستدراك فقط، بخلاف القراءة الأخرى (لكنَّ البرَّ) فهي تفيد

٤٦١ – تفسير التحرير والتنوير – المجلد الثاني ج١ ص١٢٩.

مع الاستدراك التأكيد والمبالغة في الأمر باعتبار أن (لكنَّ) من أخوات إنَّ.

٣٢- ﴿ فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨٢﴾ ﴾ البقرة: ١٨٢

المعنى اللغوي للقراءات:

١. قرأ يعقوب وحمزة والكسائي وخلف وأبو بكر (مُوَصٍّ) بفتح الواو وتشديد الصاد.

٢. قرأ الباقون (مُوْصٍ) بالتخفيف مع إسكان الواو.[٤٦٢]

المعنى اللغوي للقراءات:

الوصية: التقدم إلى الغير بما يعمل به مقترنا بوعظ من قولهم: أرض واصية أي متصلة النبات، ويقال: أوصاه ووصاه، وتواصى القوم: إذا أوصى بعضهم إلى بعض.[٤٦٣]

التفسير:

"هذه الآية تفريع على الآية السابقة (فمن بدله بعدما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه إنَّ الله سميع عليم) وهو تحريم التبديل، فكما تفرع عن الأمر بالعدل في الوصية وعيد المُبَدِّل لها، تفرع عن وعيد المبدِّل الإذن في تبديل هو من المعروف، وهو تبديل الوصية التي فيها جور وحيف بطريقة الإصلاح بين المُوصَى لهم وبين من ناله الحيف من تلك الوصية. والمعنى: إنْ وجِد في وصية الموصِي إضرارا ببعض أقربائه، بأن حرمه من وصيته أو قدم عليه من هو أبعد نسبا ... فسعى في إصلاح ذلك وطلب من الموصِي تبديل وصيته، فلا إثم عليه في ذلك.[٤٦٤]

٤٦٢ - انظر النشر ج٢ ص٢٢٦.

٤٦٣ - انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٨٧٣-٨٧٤.

٤٦٤ - تفسير التحرير والتنوير - المجلد الثاني ج٢ ص١٥٣-١٥٤ باختصار.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد أفادت قراءة التشديد (مُوَصِّ) التكرار في الوصية، وهذا يدل على مدى الاهتمام بالوصية وتوثيقها، بخلاف قراءة التخفيف (مُوْصٍ) والتي تفيد الوصية من غير تكرار.

قال مكي بن أبي طالب: "في التشديد معنى التكرير والتكثير والقراءتان متكافئتان حسنتان."[٤٦٥]

وبالجمع بين القراءتين يصبح معنى الآية: أنه يجوز التبديل والتغيير في الوصية المشتملة على جور في كل حال، بما يوافق الشرع، وعليه أن لا يمتنع عن النصح للموصِي، سواء كانت الوصية مكتوبة وموثقة أو لم تكن كذلك، وسواء كرر المُوصِي الحديث عنها والإشهاد عليها أو لم يكرر. ولا إثم يقع على المبَدِّل ما دام التبديل للإصلاح ورفع الظلم عن الآخرين من أصحاب الحقوق.

٣٤- ﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١٨٤) ﴾ البقرة: ١٨٤

القراءات:

١. قرأ المدنيان وابن ذكوان عن ابن عامر (فديةُ طعامِ مساكين).
٢. قرأ هشام عن ابن عامر (فديةٌ طعامُ مساكين).
٣. قرأ الباقون (فديةٌ طعامُ مسكين).[٤٦٦]

---

٤٦٥ – الكشف ج١ ص ٢٨٢.

٤٦٦ – انظر النشر ج٢ ص٢٢٦.

المعنى اللغوي للقراءات:

الفدى والفداء: حفظ الإنسان عن النائبة بما يبذله عنه ... وما يقي به الإنسان نفسه من مال يبذله في عبادة قصَّر فيها يقال له: فدية، ككفارة اليمين وكفارة الظهار.[٤٦٧]

السكون: ثبات الشيء بعد تحرك، ويستعمل في الاستيطان ... والمسكين قيل هو الذي لا شيء له، وهو أبلغ من الفقير.[٤٦٨]

التفسير:

بعد أن أمر الله عباده المؤمنين بالصيام وهو الإمساك عن الطعام والشراب والجماع بنية خالصة لله تعالى، وأنه مما أوجبه الله على الأمم السابقة بين هنا مقدار الصوم، وأنه ليس في كل يوم لئلا يشق على النفوس فتضعف عن حمل أدائه، بل هو في أيام معدودات، ثم بين حكم الصيام على ما كان عليه الأمر في ابتداء الإسلام فقال (فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر) أي المريض والمسافر لا يصومان في حال المرض والسفر لما في ذلك من المشقة عليهما، بل يفطران ويقضيان بعدة ذلك من أيام أخر، وأما الصحيح المقيم الذي يطيق الصيام فقد كان مخيرا بين الصيام وبين الإطعام إن شاء صام وإن شاء أفطر وأطعم عن كل يوم مسكينا فإن أطعم أكثر من مسكين عن كل يوم فهو خير وإن صام فهو أفضل من الإطعام. قاله ابن مسعود وابن عباس وغيرهم من السلف، ولهذا قال تعالى (وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون).[٤٦٩]

٤٦٧ – انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٦٢٧.

٤٦٨ – انظر المصدر السابق ص٤١٧ باختصار.

٤٦٩ – تفسير ابن كثير ج١ ص٢٩٠ بتصرف.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد أفادت قراءة (فديةُ طعامِ مساكين) تحديد نوع الفدية، أي أن فدية الإفطار طعام مساكين باعتبار أن قوله: (طعامِ) بيان (للفدية). في حين أفادت القراءة الأخرى (فديةٌ طعامُ مسكين) بيان مقدار هذه الفدية باعتبار أن قوله: (طعامٌ مساكين) بدل من (فدية).

قال ابن عاشور: «وقد فسرت الفدية بالإطعام إما بإضافة المبيَّن إلى بيانه كما قرأ نافع، وابن ذكوان عن ابن عامر، وأبو جعفر: (فديةُ طعامِ مساكين)، بإضافة فدية إلى طعام، وقرأ الباقون بتنوين (فديةٌ) وإبدال طعام من فدية.»[٤٧٠]

وبالجمع بين قراءتي (فديةُ طعامِ) و(فديةٌ طعامُ) يتبين لنا: أن على من أفطر يوما بسبب العذر من مرض أو سفر فديةٌ بأن يطعم طعاماً.

وبالجمع بين قراءتي (مساكين) و (مسكين) يتبين لنا: جواز دفع طعام الفدية إلى مسكين واحد أو إلى مجموعة مساكين، إلا أن قراءة (فديةُ طعامِ مساكين) بإضافة فدية إلى طعام ترجح دفع الفدية لأكثر من مسكين.

وبالجمع بين القراءات يصبح المعنى: أن على من أفطر في رمضان بسبب العذر أن يطعم عن كل يوم مسكينا، وهو بالخيار بين أن يدفع هذا الطعام إلى مسكين واحد أو مجموعة مساكين، والأفضل أكثر من مسكين.

- فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ البقرة

القراءات:

١. قرأ حمزة والكسائي وخلف (يطَّوَّعْ) بالغيب وتشديد الطاء وإسكان العين على الاستقبال.

٤٧٠ – تفسير التحرير والتنوير – المجلد الثاني ج٢ ص١٦٧.

٢. وقرأ الباقون (تَطَوَّعَ) بالتاء وتخفيف الطاء وفتح العين على المضى.[٤٧١]

التفسير:

المقصود بالخير في الآية هو كل ما تشتمل عليه هذه الكلمة من معاني دون تخصيص قال الطبري في تأويل الآية: «والصواب من القول في ذلك عندنا أن الله تعالى ذكره عمم بقوله فمن تطوع خيرا فلم يخصص بعض معاني الخير دون بعض فإن جمع الصوم مع الفدية من تطوع الخير، وزيادة مسكين على جزاء الفدية من تطوع الخير، وجائز أن يكون تعالى ذكره عنى بقوله فمن تطوع خيرا أي هذه المعاني تطوع به المفتدي من صومه فهو خير له لأن كل ذلك من تطوع الخير ونوافل الفضل.»[٤٧٢]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

إن لاختلاف القراءات أثراً نحوياً من حيث جواز الاستغناء بحرف الشرط عن لفظ الاستقبال، لأن حرف الشرط يدل على الاستقبال، فتكون القراءتان متفقتان في المعنى، وهو الاستقبال، والمعنى: فمن تطوع فيما يستقبل خيرا فهو خير له.[٤٧٣]

٣٥-﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾ البقرة: ١٨٥

٤٧١ - انظر النشر ج٢ ص٢٢٣ ، وانظر إتحاف فضلاء البشر ص١٩٥.

٤٧٢ - جامع البيان ج٢ ص١٤٣.

٤٧٣ - انظر الكشف ج١ ص٢٦٩-٢٧٠.

القراءات:

١. قرأ يعقوب وأبو بكر (ولتكَمِّلوا العدة) بتشديد الميم.
٢. قرأ الباقون (ولتكْمِلوا) بالتخفيف.[٤٧٤]

المعنى اللغوي للقراءات:

كمال الشيء: حصول ما فيه الغرض منه، فإذا قيل: كمل ذلك، فمعناه حصل ما هو الغرض منه.[٤٧٥] وقال الفيروزآبادي: «الكمالُ: التَّمام، وأكمَلَه واستكْمَلَه وكَمَّلَه: أتمَّه وجمَّله.»[٤٧٦]

التفسير:

تبين الآية الكريمة أيام الصيام المذكورة في الآية السابقة. فهي شهر رمضان (الذي أنزل فيه القرآن) بمعنى أن القرآن أنزل جملة واحدة من اللوح المحفوظ في ليلة القدر من شهر رمضان إلى بيت العزة في السماء الدنيا، ثم نزل به جبريل-عليه السلام -على رسول الله-ﷺ- نجوما في ثلاث وعشرين سنة، هذا القرآن فيه هداية من الضلال ودلالات واضحات من الحلال والحرام والحدود والأحكام وفارق بين الحق والباطل من أدركه الشهر مقيما صحيحا فعليه صومه ومن كان مريضا أو مسافرا فله الفطر وعليه القضاء، ثم بين عز وجل أن هذه الرخصة يُراد بها التخفيف والتيسير على الأمة، مع وجوب إكمال عدة رمضان إما بصيام شهره كاملا أو بقضاء ما أفطره فيه. ثم أرشد الأمة لتعظيم الله عز وجل بالتكبير عقب انتهاء شهر الصيام ليكونوا من الشاكرين فينالوا الثواب العظيم.[٤٧٧]

---

٤٧٤ - انظر النشر ج٢ ص٢٢٦.
٤٧٥ - انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٧٢٦.
٤٧٦ - القاموس المحيط ج٢ ص١٣٩٢ باختصار.
٤٧٧ - انظر تفسير ابن كثير ج١ ص٢٩٢-٢٩٥.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد أفادت قراءة التشديد (ولِيُكَمِّلوا) التأكيد والتكرار. كما قال الإمام مكي بن أبي طالب: "هما لغتان، يقال أكملت العدد وكمَّلته ..... ويقوي معنى التشديد أن فيه معنى التأكيد والتكرير."[478] وهذا معناه الحرص والتأكيد على وجوب إكمال العدة.

ولقد ذكر القرطبي في تفسيره في بيان معنى قوله تعالى (ولتكملوا العدة) تأويلان: «أحدهما : إكمال عدة الأداء لمن أفطر في سفره أو مرضه، والثاني: عدة الهلال سواء كانت تسعا وعشرين أو ثلاثين.»[479]

وبالنظر إلى القراءتين نرى أن كل قراءة تحمل على معنى من المعنيين السابقين: فتحمل قراءة التخفيف (ولِتكْملوا العدة) على وجوب إكمال الشهر ثلاثين يوما عندما يلتبس الأمر ولا يُرى هلال شوال. وتحمل قراءة التشديد (ولِتكَمِّلوا العدة) على وجوب إكمال الشهر سواء كان تسعا وعشرين أو ثلاثين يوما بقضاء الأيام التي أفطرها الإنسان بسبب العذر أو الفدية عند العجز عن الصيام.

والذي دفعنا إلى هذا التأويل أن الأمر في الآية الكريمة جاء بإكمال العدة وليس الشهر، وهذا يوحي بأهمية العدد، وأنه المقصود في الآية.

فبالنظر إلى قراءة التخفيف نجد أنها لا توحي بوجود نقص في الشهر،والواجب علينا في هذه الحالة هو فقط إكمال شهر رمضان عند الغم ثلاثين يوما أطول العدتين.

وهذا بخلاف قراءة التشديد (ولتكَمِّلوا العدة) فإنها توحي بوجود نقص في الشهر لا بد من إكماله، وهذا لا يكون إلا عند إفطار بعض أيامه،

---

٤٧٨ – الكشف ج١ ص٢٨٣ باختصار

٤٧٩ – الجامع لأحكام القرآن ج٢ ص٣٠٢.

والواجب علينا في هذه الحالة إكمال النقص بالقضاء أو دفع الفدية، سواء كان الشهر تسعا وعشرين أو ثلاثين.

وعليه يصبح معنى الآية: أنه لابد من إكمال الشهر ثلاثين يوما عندما يغم الأمر علينا، مع قضاء الأيام التي أفطرها الإنسان بسبب العذر، أو الفدية عند العجز، والله أعلم.

٣٦-﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾ ﴾ البقرة: ١٨٩

القراءات:

١. قرأ نافع وابن عامر (ولكنِ البرُّ) بتخفيف النون ورفع البر.
٢. قرأ الباقون (ولكنَّ البرَّ) بتشديد النون ونصب البر.[480]

التفسير:

ذكر البخاري في صحيحه عن البراء قال: كانوا إذا أحرموا في الجاهلية أتوا البيت من ظهره فأنزل الله (وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها .)[481]

«نزلت الآية لتبين الحكمة الظاهرة في ذلك وهي كونها من معالم الناس، يوقّتون بها أمورهم، ومعالم لعباداتهم، وهذا هو الأولى لهم معرفته دون السؤال عن تفصيلات ذلك، وهذا ما يعرف في علم البديع بالأسلوب الحكيم. ثم أتبع ذلك بتوجيه المؤمنين إلى دخول البيوت من أبوابها لا كما جرت عليهم عادت الأنصار في الجاهلية من دخول البيوت من ظهورها

٤٨٠ – إتحاف فضلاء البشر ص٢٠٠.

٤٨١ – فتح الباري بشرح صحيح البخاري – ج٨ ص١٨٣ – كتاب التفسير – باب٢٩ (وليس البر بان تأتوا البيوت..) – رقم ٤٥١٢.

بعد القدوم من الحج فنزلت الآية لبيان ذلك، وأن هذا هو الخير لهم وفيه فلاحهم.»[٤٨٢]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

بالنسبة لقراءة (ولكنِ البرُّ) على تخفيف النون ورفع البرُّ على الابتداء، فهي تفيد الاستدراك فقط، بخلاف القراءة الأخرى (لكنَّ البرَّ) فهي تفيد مع الاستدراك التأكيد والمبالغة في الأمر ولقد تم تفسير مثلها عند قوله تعالى (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق أو المغرب ولكنَّ البرَّ من أمن بالله..) ١٧٧ من هذه السورة[٤٨٣].

٣٧- ﴿ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ وَأَخۡرِجُوهُم مِّنۡ حَيۡثُ أَخۡرَجُوكُمۡۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِيهِۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمۡ فَٱقۡتُلُوهُمۡۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٩١ ﴾ البقرة: ١٩١

القراءات:

١. قرأ حمزة والكسائي وخلف (ولا تَقتلوهم..حتى يقتلوكم، فإن قتلوكم) بحذف الألف فيهن.
٢. قرأ الباقون (ولا تقاتلوهم..حتى يقاتلوكم، فإن قاتلوكم) بإثبات الألف فيهن.[٤٨٤]

المعنى اللغوي للقراءات:

أصل القتل إزالة الروح عن الجسد كالموت، لكن إذا اعتبر بفعل المُتَولِّي لذلك يقال: قتل، وإذا اعتبر بفوت الحياة يقال: موت، والمقاتلة: المحاربة وتحري القتل.[٤٨٥]

٤٨٢ – انظر المقتطف من عيون التفاسير ج١ ص٢٠٩-٢١٠.

٤٨٣ – انظر ص١١٩.

٤٨٤ – انظر النشر ج٢ ص٢٢٧.

٤٨٥ – انظر مفردات ألفاظ القرآن ٦٥٥-٦٥٦.

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن فريضة الجهاد وقتال أعداء الله ووجوب قتال من قاتل منهم حتى ولو كان ذلك عند المسجد الحرام؛ لأن ما يقوم به أعداء الله من فتنة الناس عن دينهم، وإخراجهم من ديارهم أعظم عند الله من انتهاك حرمة الشهر، الذي يتظاهر بالتمسك به أعداء الله من المشركين. قال الطبرسي:" خاطب الله المؤمنين مبينا لهم كيفية القتال مع الكافرين فقال: (واقتلوهم) أي الكفار (حيث ثقفتموهم) أي وجدتموهم (وأخرجوهم من حيث خرجتم) يعني أخرجوهم من مكة كما أخرجوكم منها (والفتنة أشد من القتل) أي شركهم بالله وبرسوله أعظم من القتل في الشهر الحرام وسمّى الكفر فتنة لأن الكفر يؤدي إلى الهلاك، كما أن الفتنة تؤدي إلى الهلاك وقيل لأن الكفر فساد يظهر عند الاختبار (ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه) نهي عن ابتدائهم بقتال أو قتل في الحرم حتى يبتدئ المشركون بذلك (فإن قاتلوكم) أي بدأوكم بذلك (فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين) أن يقتلوا حيث ما وجدوا، وفي الآية دلالة على وجوب إخراج الكفار من مكة.»[486]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد أفادت قراءة (ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فإن قاتلوكم فاقتلوهم) بإثبات الألف فيهن النهي عن قتال الكفار حتى يبدأوا هم بقتال المسلمين، فتفيد التعميم. قال الإمام الطبري: «ولا تبتدئوا أيها المؤمنون المشركين بالقتال عند المسجد الحرام حتى يبدءوكم به، فإن بدءوكم به هنالك عند المسجد الحرام في الحرم فاقتلوهم، فإن الله جعل

٤٨٦ – مجمع البيان ج٢ ص٢.

ثواب الكافرين على كفرهم وأعمالهم السيئة القتل في الدنيا، والخزي الطويل في الآخرة.»[487]

في حين أفادت القراءة الأخرى (ولا تقتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقتلوكم فيه فإن قتلوكم فاقتلوهم) بحذف الألف فيهن النهي عن قتلهم حتى يقتلوا بعض المسلمين، فتفيد التخصيص. قال الطبري في تأويل هذه القراءة: «ولا تبدءوهم بقتل حتى يبدءوكم به.»[488] وقال البيضاوي: «(فإن قتلوكم) والمعنى يقتلوا بعضكم كقولهم قتلتنا بنو أسد.»[489]

وبالجمع بين القراءتين يحمل العام على الخاص فيصبح المعنى: أنه لا يجوز قتل الكفار ولا حتى بدؤهم بالقتال عند المسجد الحرام لحرمته حتى يبدأ الكفار بالقتال فيه، وقتل بعض المسلمين فحينها يجب قتالهم وإخراجهم، وإن أدى ذلك إلى قتلهم فيه، وهذا إن دل فإنما يدل على مدى حرمة المسجد الحرام ومكانته عند الله، كما أنه استجابة لدعوة إبراهيم، كما قال تعالى (وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا) البقرة ١٢٦.[490]

أما ما يتعلق بنسخ الآية أو كونها محكمة فهذا يُرجع فيه إلى كتب الفقه.

٣٨- ﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾ ﴾ البقرة: ١٩٧

القراءات:

١. قرأ ابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر ويعقوب (فلا رفثٌ ولا فسوقٌ).

٤٨٧ - جامع البيان ج٢ ص١٩٢.

٤٨٨ - جامع البيان ج٢ ص١٩٢.

٤٨٩ - تفسير البيضاوي ج١ ص١٠٥.

٤٩٠ - الجامع لأحكام القرآن ج٢ ص٣٤٧.

٢. زاد أبو جعفر وحده فرفع (ولا جدالٌ).

٣. قرأ الباقون (فلا رفثَ ولا فسوقَ ولا جدالَ) بالفتح.[٤٩١]

المعنى اللغوي للقراءات:

الرفث: كلام متضمن لما يستقبح ذكره من ذكر الجماع ودواعيه وجعل كناية عن الجماع.[٤٩٢]

فسق فلان: خرج من حَجْر الشرع، وذلك من قولهم: فسق الرطب، إذا خرج عن قشره وهو أعم من الكفر، والفسق يقع بالقليل من الذنوب والكثير، ولكن تُعورف فيما كان كثيرا، وسميت الفأرة فويسقة لما اعتقد فيها من الخبث والفسق وقيل لخروجها من بيتها مرة بعد أخرى.[٤٩٣]

الجدال: المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة، وأصله من جدلت الحبل: أي أحكمت فتله، فكأن المتجادلين يفتل كل واحد الآخر عن رأيه.[٤٩٤]

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن بعض محظورات الإحرام وما ينبغي أن يكون عليه الحاج إذا تلبس بالنسك. قال النسفي في تفسيره: "وقت الحج أشهر معلومات معروفات عند الناس لا يشكلن عليهم (فمن فرض) ألزمه على نفسه بالإحرام (فيهن الحج) في هذه الأشهر (فلا رفث) هو الجماع أو ذكره عند النساء أو الكلام الفاحش (ولا فسوق) هو المعاصي أو السباب (ولا جدال في الحج) ولا مراء مع الرفقاء والخدم والمكارين و إنما أمر باجتناب ذلك وهو واجب الاجتناب في كل حال لأنه مع الحج أسمج، والمراد بالنفي وجوب انتفائها، وأنها حقيقة بأن لا تكون، ثم حث على

٤٩١ – انظر إتحاف فضلاء البشر ص٢٠١.

٤٩٢ – انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٣٥٩.

٤٩٣ – انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٦٣٦-٦٣٧.

٤٩٤ – انظر المصدر السابق ص١٨٩.

الخير عقيب النهى عن الشر وأن يستعملوا مكان القبيح من الكلام الحسن ومكان الفسوق البر والتقوى ومكان الجدال الوفاق والأخلاق الجميلة بقوله تعالى (وما تفعلوا من خير يعلمه الله) أعلم بأنه عالم به يجازيكم (وتزودوا فإن خير الزاد التقوى) أي الاتقاء عن الإبرام والتثقيل عليهم، أو تزودوا للمعاد باتقاء المحظورات (فإن خير الزاد) اتقاؤها (واتقون) وخافوا عقابي، (يا أولى الألباب) يا ذوى العقول.[٤٩٥]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد أفادت قراءة النصب (فلا رفثَ ولا فسوقَ ولا جدالَ) المبالغة والتعميم في النهي باعتبار أن (لا) هنا نافية للجنس. قال ابن عاشور: "وقد نفي الرفث والفسوق والجدال نفي الجنس مبالغة في النهي عنها وإبعادها عن الحاج، حتى جعلت كأنها قد نهى الحاج عنها فانتهى فانتفت أجناسها.[٤٩٦]

وأما على قراءة أبي جعفر برفع الثلاثة مع التنوين فإن (لا) هنا ليست نافية للجنس، بل هي غير عاملة، تفيد نفيا مخصوصا، وهو نفي المشروعية لا نفي الوجود حسا. قال ابن العربي في توجيهه للآية الكريمة « ليس نفيا لوجود الرفث، بل نفي لمشروعيته، فإن الرفث يوجد من بعض الناس فيه، وأخبار الله لا يجوز أن تقع بخلاف مخبره، وإنما يرجع النفي إلى وجوده مشروعا لا إلى وجوده محسوسا.[٤٩٧]

وأما على قراءة ابن كثير وأبي عمرو ويعقوب (فلا رفثٌ ولا فسوقٌ ولا جدالَ) فقد قال الزمخشري في توجيهها: «أنهم حملوا الأولين على معنى النهي، كأنه قيل: فلا يكونن رفث ولا فسوق، والثالث على معنى الإخبار

٤٩٥ – تفسير النسفي ج١ ص١٠١ باختصار.

٤٩٦ – تفسير التحرير والتنوير – المجلد الثاني ج٢ ص٢٣٣.

٤٩٧ – أحكام القرآن – لابن العربي: تحقيق علي محمد البجاوي – ج١ ص١٣٤ – دار المعرفة – بيروت.

بانتفاء الجدال، كأنه قيل: ولا شك ولا خلاف في الحج.[498]

وبالجمع بين القراءات يصبح معنى الآية: يجب على مَن ألزم نفسه بالحج أن يتجنب الجماع ومقدماته وجميع أنواع الذنوب والمعاصي، والابتعاد عن الجدال سواء في مشروعية الحج أو غيره من خصومات، فهذه أمور ينبغي المبالغة في اجتنابها خصوصاً للحاج لحرمتها وأثرها السيئ عليه؛ حيث إن بعض صورها كالجماع والزنا والكفر تفسد الحج وتبطله.

٣٩- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِي ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ ﴾ البقرة: ٢٠٨

القراءات:

١. قرأ المدنيان وابن كثير والكسائي (السَّلم) بفتح السين.

٢. قرأ الباقون (السِّلم) بكسرها.[499]

المعنى اللغوي للقراءات:

السِّلم والسَّلامة: التعري من الآفات الظاهرة والباطنة. والسَّلام والسِّلم والسَّلم: الصلح. وقيل السِّلم: اسم بإزاء حرب، والإسلام الدخول في السِّلم وهو أن يَسْلَم كل واحد منهما أن يناله من ألم صاحبه.[500]

التفسير:

هذه الآية دعوة لجميع المؤمنين بالالتزام بجميع شرائع الإسلام وعدم الجري وراء الشيطان لما يجره ذلك من المصائب والآفات.

قال ابن كثير في تفسيره: "يقول الله تعالى آمرا عباده المؤمنين به المصدقين

٤٩٨ - الكشاف ج١ ص٢٤١.

٤٩٩ - انظر النشر ج٢ ص٢٢٧.

٥٠٠ - انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٤٢٣.

برسوله أن يأخذوا بجميع عرى الإسلام وشرائعه والعمل بجميع أوامره وترك جميع زواجره ما استطاعوا من ذلك، عن ابن عباس وغيره (ادخلوا في السلم) يعني الإسلام، وقيل: يعني الطاعة وقوله (كافة) أي اعملوا بجميع الأعمال ووجوه البر، ومن المفسرين من يجعل قوله (كافة) حالا من الداخلين أي أدخلوا في الإسلام كلكم، والصحيح الأول وهو أنهم أمروا كلهم أن يعملوا بجميع شعب الإيمان وشرائع الإسلام وهي كثيرة جدا ما استطاعوا منها. وقوله (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) أي اعملوا بالطاعات واجتنبوا ما يأمركم به الشيطان.[٥٠١]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

إن قراءة النصب (السَّلم) تعني المصالحة والمسالمة، في حين أن قراءة الكسر (السِّلم) تعني الإسلام. قال الإمام الطبري: "فأما الذين فتحوا السين من السلم فإنهم وجهوا تأويلها إلى المسالمة بمعنى ادخلوا في الصلح والمسالمة وترك الحرب وإعطاء الجزية. وأما الذين قرءوا ذلك بالكسر من السين فإنهم مختلفون في تأويله: فمنهم من يوجهه إلى الإسلام بمعنى ادخلوا في الإسلام كافة ومنهم من يوجهه إلى الصلح بمعنى ادخلوا في الصلح.[٥٠٢]

وبالجمع بين القراءتين يصبح المعنى: إن على المسلمين جميعا الدخول في الإسلام والتمسك بجميع شرائعه، ومن ذلك الرضى بصلح الحديبية الذي أبرمه الرسول-ﷺ-مع أهل مكة؛ لأن الرضى به دخول في الإسلام؛ باعتبار أن طاعة الرسول-ﷺ-من شرائع الإسلام. قال صاحب التحرير والتنوير: "فالذي يبدوا لي أن تكون مناسبة ذكر هذه الآية عقب ما تقدم هي أن قوله تعالى (وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم...الآيات) تهيئة لقتال

٥٠١ - تفسير ابن كثير ج١ ص٢٣٥ باختصار.

٥٠٢ - جامع البيان ج٢ ص٣٢٣.

المشركين لصدهم المسلمين عن البيت وإرجافهم بأنهم أجمعوا أمرهم على قتالهم، والإرجاف بقتل عثمان ابن عفان حين أرسله رسول الله-ﷺ- إلى قريش، فذكر ذلك واستطرد بعده ببيان أحكام الحج والعمرة، فلما قضى حق ذلك كله وألحق به ما أمر الله بوضعه في موضعه بين تلك الآيات، استؤنف هنا أمرهم بالرضا بالسلم والصلح الذي عقده رسول الله-ﷺ- مع أهل مكة عام الحديبية، لأن كثيرا من المسلمين كانوا آسفين من وقوعه ومنهم عمر بن الخطاب.[٥٠٣]

٤٠- ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾ ﴾ البقرة: ٢١٠

القراءات:

١. قرأ أبو جعفر (والملائكةِ) بالخفض.
٢. قرأ الباقون (والملائكةُ) بالرفع.[٥٠٤]
٣. قرأ يعقوب وابن عامر وحمزة والكسائي وخلف (تَرجِع) بفتح حرف المضارعة وكسر الجيم.
٤. قرأ الباقون (تُرجَع) بضم حرف المضارعة وفتح الجيم.[٥٠٥]

التفسير:

يقول تعالى مهددا للكافرين بمحمد-ﷺ- (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة) يعني يوم القيامة لفصل القضاء بين الأولين والآخرين فيجزى كل عامل بعمله إن خيرا فخير وإن شرا فشر ولهذا قال

٥٠٣ – تفسير التحرير والتنوير – المجلد الثاني ج٢ ص٢٧٦ – ٢٧٧.

٥٠٤ – انظر النشر ج٢ ص٢٢٧.

٥٠٥ – انظر النشر ج٢ ص٢٠٨-٢٠٩.

تعالى (وقضي الأمر وإلى الله ترجع الأمور)، كما قال تعالى (كلا إذا دكت الأرض دكا دكا وجاء ربك والملك صفاً صفاً وجيء يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الإنسان وأنى له الذكرى) الفجر ٢١- ٢٣ ، وقال (هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك)[٥٠٦] الأنعام ١٥٨ .

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

من قرأ (والملائكةِ) بالجر فإنه عطفها على الغمام أي في ظلل من الغمام وفي ظلل من الملائكة، أي جماعة من الملائكة. ومن قرأ (الملائكةُ) بالرفع عطفا على قوله (الله) أي إلا أن يأتيهم الله وإلا أن يأتيهم الملائكة.[٥٠٧]

قال أبو حيان: «وقيل في هذا الكلام تقديم وتأخير، فالإتيان في الظلل مضاف إلى الملائكة، والتقدير: إلا أن يأتيهم الله والملائكة في ظلل، فالمضاف إلى الله هو الإتيان فقط، ويؤيد هذا قراءة عبد الله (إلا أن يأتيهم الله والملائكة في ظلل).»[٥٠٨]

وخالفه الإمام الطبري فقال: «وأولى التأويلين بالصواب في ذلك تأويل من وجه قوله في ظلل من الغمام إلى أنه من صلة فعل الرب -عز وجل- وأن معناه هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام وتأتيهم الملائكة.[٥٠٩]

وبالجمع بين القراءات يصبح المعنى: ما ينظر هؤلاء الكافرون إلا أن يأتيهم الله إتيانا يليق بجلاله من غير تشبيه ولا تكييف ولا تعطيل ولا تحريف والملائكة صفوفا كالغمام للفصل بين العباد. كما قال تعالى في آية أخرى (وجاء ربك والملك صفاً صفاً) الفجر ٢٢.

---

٥٠٦ – انظر تفسير ابن كثير ج١ ص٣٣٦.

٥٠٧ – انظر مجمع البيان ج٢ ص٤٦.

٥٠٨ – تفسير البحر المحيط ج٢ ص ١٣٤ . وهذه قراءة شاذة ليست في القراءات العشر ولا في الأربع عشرة.

٥٠٩ – جامع البيان ج٢ ص٣٢٩.

أما قراءتي (تَرْجِع) و (تُرْجَع) فقد تم الحديث عن مثلها[٥١٠]عند قوله تعالى (كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون) البقرة ٢٨ .

٤١- ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ ﴾ البقرة: ٢١٣

القراءات:

١. قرأ أبو جعفر (ليُحكَم) بضم الياء وفتح الكاف.
٢. قرأ الباقون (ليَحكُم) بفتح الياء وضم الكاف.[٥١١]

المعنى اللغوي للقراءات:

الحُكم: بالضم القضاء. والحِكْمَة بالكسر: العدل، والعلم، والحلم، والنبوة، والقرآن، والإنجيل. وأحكمه: أتقنه فاستحكم، ومنعه من الفساد.[٥١٢]

قال الراغب الأصبهاني: «حَكَم أصله: منع منعا لإصلاح، ومنه سميت اللجام: حَكَمَة الدابة، فقيل حَكَمْته وحكمتُ الدابة: منعتها بالحَكَمَة، وأحكمتها: جعلت لها حَكَمة.

والحُكم بالشيء: أن تقضي بأنه كذا، أو ليس بكذا، سواء ألزمت ذلك غيرك أو لم تلزمه، والحِكْمَة: إصابة الحق بالعلم والعقل، والحُكْم أعم من الحِكمة، فكل حِكْمة حُكْم وليس كل حُكْم حِكْمة.[٥١٣]

٥١٠ - راجع صفحة ٦٩.

٥١١ - النشر ج٢ ص٢٢٧.

٥١٢ - انظر القاموس المحيط ج٢ ص١٤٤٤.

٥١٣ - انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٢٤٨-٢٤٩.

التفسير:

جاءت هذه الآية استئناف لتبين أن اختلاف الأديان أمر كان في البشر لحكمة اقتضته وأنه قد ارتفع ذلك ورجع الله بالناس إلى وحدة الدين بالإسلام.[٥١٤] قال النسفي في تفسيره: «(كان الناس أمة واحدة) متفقين على دين الإسلام من آدم إلى نوح عليهما السلام أو هم نوح ومن كان معه في السفينة فاختلفوا (فبعث الله النبيين مبشرين) بالثواب للمؤمنين (ومنذرين) بالعقاب للكافرين وهما حالان (وأنزل معهم الكتاب) أي مع كل واحد منهم كتابه (بالحق) بتبيان الحق (ليحكم) الله أو الكتاب أو النبي المنزل عليه (بين الناس فيما اختلفوا فيه) في دين الإسلام الذي اختلفوا فيه بعد الاتفاق (وما اختلف فيه) في الحق (إلا الذين أوتوه) أي الكتاب المنزل لإزالة الاختلاف أي ازدادوا في الاختلاف لمّا أنزل عليهم الكتاب (من بعد ما جاءتهم البينات) على صدقه (بغيا بينهم) مفعول له أي حسدا بينهم وظلما لحرصهم على الدنيا وقلة إنصاف منهم (فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه) أي هدى الله الذين آمنوا للحق الذي اختلف فيه من اختلف فيه (من الحق) بيان لما اختلفوا فيه (بإذنه) بعلمه (والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم).[٥١٥]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد أفادت قراءة الجمهور (ليَحكُم) بين علة الإنزال للكتب. قال أبو حيان في تفسيره: "اللام لام العلة ويتعلق بـ (أنزل) والضمير في (ليحكم) عائد على الله في قوله (فبعث) وهو المضمر في أنزل وهو الظاهر، والمعنى: أنه

٥١٤ – تفسير التحرير والتنوير – المجلد الثاني ج٢ ص٢٩٨.

٥١٥ – تفسير النسفي ج٢ ص١٠٦ باختصار.

تعالى أنزل الكتاب ليفصل بين الناس.[516]

أما قراءة أبي جعفر (ليُحكَم) فتفيد الغاية من إنزال الكتب، حيث جاء بناء الفعل للمفعول.

وبالجمع بين القراءتين: يتضح أن إنزال الكتب جاء لحكمة وهي أن تكون هي الحكم بين الناس والدستور الذي ينبغي الرجوع إليه خصوصا عند الاختلاف كما قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا) النساء ٥٩ ، ولما كانت القراءة الأولى تدل على أن الله أنزل الكتب ليُحكم بها بين الناس، والقراءة الثانية تدل على أن الكتب نزلت لتحكم بين الناس فهذا يدل على أن تحكيم كتاب الله يساوي تحكيم الله في المسألة، وهذا المعنى له ما له من قداسة وقيمة واعتبار.

٤٢-﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ ﴾ البقرة: ٢١٤

القراءات:

١. قرأ نافع (يقولُ) بالرفع.
٢. قرأ الباقون (يقولَ) بالنصب[517]

التفسير:

قال ابن كثير في تفسيره: "(أم حسبتم أن تدخلوا الجنة) قبل أن تبتلوا

٥١٦ - تفسير البحر المحيط ج٢ ص١٤٥.
٥١٧ - النشر ج٢ ص٢٢٧.

وتختبروا وتمتحنوا كما فعل بالذين من قبلكم من الأمم ولهذا قال (ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء) وهي الأمراض والأسقام والآلام والمصائب والنوائب، جاء في الحديث الصحيح عن خباب بن الأرت قال: (قلنا يا رسول الله-ﷺ-ألا تستنصر لنا ألا تدعو الله لنا فقال: إن من كان قبلكم كان أحدهم يوضع المنشار على مفرق رأسه فيخلص إلى قدميه لا يصرفه ذلك عن دينه ويمشط بأمشاط الحديد ما بين لحمه وعظمه لا يصرفه ذلك عن دينه ثم قال والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم قوم تستعجلون).[٥١٨] وقد حصل من هذا جانب عظيم للصحابة رضي الله عنهم في يوم الأحزاب كما قال الله تعالى (إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا) الأحزاب ١٠-١٢ ، وكما تكون الشدة ينزل من النصر مثلها .»[٥١٩]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

بالنظر إلى قراءتي الرفع والنصب نجد أنَّ كلاً منهما يؤدي إلى غرض مستقل. قال الطاهر بن عاشور في تفسيره: "لمَّا كانت الآية مخبرة عن مسٍ حل بمن تقدم من الأمم ومنذرة بحلول مثله بالمخاطبين وقت نزول الآية، جاز في فعل يقول أن يعتبر قولَ رسول أمة سابقة أي زلزلوا حتى يقول رسول

٥١٨ - رواه البخاري – انظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري -ج٦ ص٦١٩ – كتاب المناقب – باب علامات النبوة في الإسلام -رقم الحديث ٣٦١٢.

٥١٩ - تفسير ابن كثير ج١ ص٣٣٩ باختصار.

المزلزلين فـ (أل) للعهد، أو حتى يقول كل رسول لأمة سبقت فتكون (أل) للاستغراق، فيكون الفعل محكيا به تلك الحال العجيبة فيرفع بعد حتى؛ لأن الفعل المراد به الحال يكون مرفوعا، وبرفع الفعل قرأ نافع، وجاز فيه أن يعتبر قول رسول المخاطبين -ﷺ- فـ (أل) فيه للعهد والمعنى: وزلزلوا وتزلزلون مثلهم حتى يقولَ الرسول، فيكون الفعل منصوبا؛ لأن القول لمَّا يقع وقتئذ، وبذلك قرأ بقية العشرة، فقراءة الرفع أنسب بظاهر السياق وقراءة النصب أنسب بالغرض المسوق له الكلام، وبكلتا القراءتين يحصل كلا الغرضين.[٥٢٠]

فبالنظر إلى قراءة النصب تعتبر (حتى) غائية، والمعنى أن البأساء والضراء يستمران إلى أن يقول الرسول متى نصر الله وعندها يتوقف الابتلاء ويأتي الفرج والنصر من الله.

وأما على قراءة الرفع فلا يمكن اعتبار أن (حتى) تفيد الغاية وبالتالي يصبح المعنى أن البأساء والضراء يستمران حتى بعد أن يقول الرسول والذين معه متى نصر الله.

وبالجمع بين القراءتين: يتبين لنا أن الابتلاء سنة الأنبياء، وأن أشد الناس ابتلاء هم الأنبياء كما أخبر بذلك رسول الله -ﷺ- حيث قال: (خص البلاء بالأنبياء ثم الأولياء ثم الأمثل فالأمثل.) [٥٢١] وأن هذا الابتلاء قد يستمر حتى بعد أن يسأل النبي -ﷺ- ربه، وفي هذا تنبيه للمبتلين في الأرض بأن يثبتوا ويصبروا على ما أصابهم فلهم في نبين-ﷺ -وإخوانه من الأنبياء الأسوة الحسنة في الصبر على الشدائد.

---

٥٢٠ - تفسير التحرير والتنوير — المجلد الثاني ج٢ ص٣١٦ باختصار.

٥٢١ - رواه الترمذي بنحوه . وقد تقدم ص٧٥.

٤٣- ﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ ﴾ البقرة: ٢١٩

القراءات:

١. قرأ حمزة والكسائي (كثير) بالثاء المثلثة.

٢. قرأ الباقون (كبير) بالباء الموحدة.[٥٢٢]

التفسير:

(يسألونك عن الخمر والميسر) القمار ما حكمها (قل) لهم (فيهما) أي في تعاطيهما (إثم كبير) عظيم وفي قراءة بالمثلثة لما يحصل بسببهما من المخاصمة والمشاتمة وقول الفحش (ومنافع للناس) باللذة والفرح في الخمر وإصابة المال بلا كد في الميسر (وإثمهما) أي ما ينشأ عنهما من المفاسد (أكبر) أعظم (من نفعهما) ولما نزلت شربها قوم وامتنع عنها آخرون إلى أن حرمتها آية المائدة.[٥٢٣] قال الإمام الطبري: «والذي هو أولى بتأويل الآية الإثم الكبير الذي ذكر الله - جل ثناؤه - أنه في الخمر والميسر: فالخمر ما قاله السدي زوال عقل شارب الخمر إذا سكر من شربه إياها حتى يعزب عنه معرفة ربه وذلك أعظم الآثام وذلك معنى قول ابن عباس إن شاء الله. وأما في الميسر فما فيه من الشغل به عن ذكر الله وعن الصلاة ووقوع العداوة والبغضاء بين المتياسرين بسببه كما وصف ذلك به ربنا جل ثناؤه بقوله إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة.[٥٢٤]

٥٢٢ - انظر النشر ج٢ ص٢٢٧.

٥٢٣ - تفسير الجلالين ص ٣٤ . والآية هي (يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر ..) المائدة ٩٠.

٥٢٤ - جامع البيان ج٢ ص٣٥٩.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد أفادت قراءة (كثير) تعدد آثام الخمر والميسر على الفرد والمجتمع.
في حين أن القراءة الأخرى (كبير) أفادت أن ضرر الخمر والميسر عظيم.
قال مكي بن أبي طالب: "قوله (إثم كبير) قرأه حمزة والكسائي بالثاء، جعلاه من الكثرة حملا على المعنى، وذلك أن الخمر تحدث مع شربها آثام كثيرة من لغط وتخليط، وسب وأيمان، وعداوة وخيانة، وتفريط في الفرائض، وفي ذكر الله وفي غير ذلك، فوجب أن توصف بالكثرة. وقرأ الباقون بالباء من الكبر، على معنى العظم، أي: فيهما إثم عظيم، وقد أجمعوا أن شرب الخمر من الكبائر، فوجب أن يوصف إثمه بالكبر، والقراءتان حسنتان متداخلتان، لأن القراءة بالتاء مراد بها العظم، ولا شك أن ما عظم فقد كثر، وقد كبر.[٥٢٥]

وبالجمع بين القراءتين: فإن الآية تبين أن في الخمر والميسر آثام كثيرة وعظيمة على الفرد والمجتمع من خلال تعدد مضارهما، مما يوجب على الناس اجتنابهما والحذر منهما.
وهذا التحذير كان توطئة لتحريمهما فيما بعد.

- وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ البقرة

القراءات:

١. قرأ أبو عمرو (العفوُ) بالرفع.
٢. قرأ الباقون (العفوَ) بالنصب.[٥٢٦]

---

٥٢٥ - الكشف ج١ ص٢٩١ بتصرف.
٥٢٦ - انظر النشر ج٢ ص٢٢٧.

المعنى اللغوي للقراءات:

العفو: القصد لتناول الشيء، يقال: عفاه واعتفاه أي قصده متناولا ما عنده، وعفت الريح الدار: قصدتها متناولة آثارها.[527] وعفوت عنه: قصدت إزالة ذنبه صارفاً عنه، والعفو هو التجافي عن الذنب، قال تعالى (فمن عفا وأصلح) الشورى ٤٠.

التفسير:

يبين المولى عز وجل الشيء الذي تكون منه الصدقة وهو ما زاد عن الحاجة.

قال الإمام الطبري: "العفو: الفضل من مال الرجل عن نفسه وأهله في مؤنتهم وما لا بد لهم منه، وذلك هو الفضل الذي تظاهرت به الأخبار عن رسول الله بالإذن في الصدقة وصدقة في وجه البر.[528]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

بالنسبة لقراءة (العفوُ) و(العفوَ) فالعلاقة بينهما نحوية.

فمن قرأ (العفوُ) بالرفع جعل (ما) اسما و (ذا) خبرها وهي في موضع الذي، كأنه قال: ما الذي ينفقون ؟ فقال العفو أي الذي ينفقون العفو فيخرج الجواب على معنى لفظ السؤال.

ومن قرأ (العفوَ) بالنصب جعل (ماذا) اسما واحدا بمعنى الاستفهام أي: أي شيء ينفقون؟ رد: العفو عليه، فينصب: أي شيء ينفقون فخرج الجواب على لفظ السؤال منصوبا.[529]

فقراءة الرفع (العفوُ) تشير إلى اسمية الجملة والتي تفيد الثبات

---

٥٢٧ - انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٥٧٤.

٥٢٨ - جامع البيان ج٢ ص٣٦٥.

٥٢٩ - انظر حجة القراءات ص١٣٣-١٣٤.

والاستقرار. وقراءة النصب (العفوَ) تشير إلى فعلية الجملة والتي تفيد التجدد والاستمرار.

وبالجمع بين القراءتين: نجد أن فيهما حث للناس على الإنفاق مما زاد عن حاجتهم مع الثبات والاستمرار عليها ولو بالقليل.

٤٤- ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ ﴾ البقرة: ٢٢٢

القراءات:

١. قرأ حمزة والكسائي وخلف وأبو بكر (يَطَّهَّرن) بتشديد الطاء والهاء.
٢. قرأ الباقون (يَطْهُرْن) بتخفيفها.[٥٣٠]

المعنى اللغوي للقراءات:

الطُهْر: بالضم نقيض النجاسة، كالطهارة، طهَرَ، كنَصَرَ وكَرَمَ، فهو طاهر. طَهَرَت وطَهُرَت: انقطع دمها، واغتسلت من الحيض وغيره والتطهر: التنزه والكف عن الإثم.[٥٣١]

التفسير:

قال القرطبي في تفسيره عن سبب نزول الآية: "وفي صحيح مسلم عن أنس أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم لم يؤاكلوها ولم يجامعوهن في البيوت فسأل أصحاب النبي -ﷺ- فأنزل الله تعالى (ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض) إلى أخر الآية فقال

---

٥٣٠ - انظر النشر ج٢ ص٢٢٧.

٥٣١ - القاموس المحيط ج١ ص٦٠٥ باختصار.

رسول الله-ﷺ-: اصنعوا كل شيء إلا النكاح.»[٥٣٢]

«(يسألونك عن المحيض) أي الحيض أو مكانه ماذا يفعل النساء فيه (قل هو أذى) قذر أو محله (فاعتزلوا النساء) اتركوا وطأهن (في المحيض) أي وقته أو مكانه(ولا تقربوهن) بالجماع (حتى يطهرن) بسكون الطاء وتشديدها والهاء، أي يغتسلن بعد انقطاعه (فإذا تطهرن فأتوهن) بالجماع (من حيث أمركم الله) بتجنبه في الحيض وهو القبل ولا تعدوه إلى غيره (إن الله يحب) يثيب ويكرم (التوابين) من الذنوب (ويحب المتطهرين) من الأقذار.»[٥٣٣]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد اختلف العلماء في معنى قوله تعالى (حتى يطهرن) هل المقصود حتى انقطاع الدم بحيث يجوز وطأ الزوجة وإن لم تغتسل غسل الجنابة أو المقصود الغسل بعد انقطاع الدم ؟.

ولكن بالنظر إلى قراءة التشديد يترجح المعنى الثاني وهو وجوب الغسل بعد انقطاع الدم حتى يُباح للزوج وطأ الزوجة. قال ابن عاشور في تفسيره: "ولمَّا ذُكر أن المحيض أذىً علم السامع أن الطهر هنا هو النقاء من ذلك الأذى، فإن وصف حائض يُقابل بطاهر وقد سميت الأقراء أطهارا. وقد يراد بالتطهر الغسل بالماء كقوله تعالى]فيه رجال يحبون أن يتطهروا) التوبة ١٠٨ ، فإن تفسيره الاستنجاء في الخلاء بالماء. فإن كان الأول أفاد منع القربان إلى حصول النقاء من دم الحيض بالجفوف، وكان قوله تعالى (فإذا تطَهَّرن) بعد ذلك شرطا ثانيا دالاً على لزوم تطهر آخر وهو غسل

٥٣٢ - الجامع لأحكام القرآن ج٣ ص٨١ - الحديث أخرجه مسلم في كتاب الحيض - باب جواز غسل الحائض رأس زوجها وترجيله - رقم الحديث ٣٠٢.

٥٣٣ - تفسير الجلالين ص٣٥.

ذلك الأذى بالماء؛ لأن صيغة تطهر تدل على طهارة مُعْمَلة. وإن كان الثاني كان قوله (فإذا تطَهَّرن) تصريحا بمفهوم الغاية ليبني عليه قوله (فأتوهن)، وعلى الاحتمال الثاني جاءت قراءة (حتى يَطَّهَّرن) بتشديد الطاء والهاء فيكون المراد الطهر المكتسب وهو الطهر بالغسل، ويتعين على هذه القراءة أن يكون مرادا منه مع معناه لازمُه أيضا وهو النقاء من الدم ليقع الغسل موقعه بدليل قوله قبله (فاعتزلوا النساء في المحيض) وبذلك كان مآل القراءتين واحدا."[٥٣٤] وقال مكي بن أبي طالب: «فالقراءة بالتخفيف فيها بيان الحكم وفائدته. وهو الاختيار لأن فيها بيان إباحة الوطء بعد انقطاع الدم والتطهر بالماء. وقرأ الباقون بفتح الهاء مشددا، على معنى التطهر بالماء دليله إجماعهم على التشديد في قوله (فإذا تطهرن) فحمل الأول على الثاني، وأيضا فإن التخفيف في الأول يوهم جواز إتيان الحائض إذا ارتفع عنها الدم، وإن لم تطهر بالماء فكأن التشديد فيه رفع التوهم، أو هي في حكم الحائض ما لم تطهر.»[٥٣٥]

٤٥ - ﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٢٩ ﴾ البقرة: ٢٢٩

القراءات:

١. قرأ أبو جعفر ويعقوب وحمزة (يُخافا) بضم الياء.

---

٥٣٤ – تفسير التحرير والتنوير – المجلد الثاني ج٢ ص٣٦٧ .

٥٣٥ – الكشف ج١ ص٢٩٣-٢٩٤.

٢. قرأ الباقون (يَخافا) بفتحها.[٥٣٦]

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن أحكام الطلاق من حيث العدد، وكيفية إيقاعه، وعن حكم الخلع بين الزوجين.

قال ابن كثير في تفسيره: "هذه الآية الكريمة رافعة لما كان عليه الأمر في ابتداء الإسلام من أن الرجل كان أحق برجعة امرأته وإن طلقها مائة مرة ما دامت في العدة فلما كان هذا فيه ضرر على الزوجات قصرهم الله إلى ثلاث طلقات وأباح الرجعة في المرة والثنتين وأبانها بالكلية في الثالثة فقال (الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان)."[٥٣٧]

يبين المولى عز وجل أن التطليق الذي يراجع بعده (مرتان) أي اثنتان (فإمساك) فعليكم إمساكهن بعده بأن تراجعوهن (بمعروف) من غير ضرار (أو تسريح) أي إرسالهن (بإحسان ولا يحل لكم) أيها الأزواج (أن تأخذوا مما آتيتموهن) من المهور (شيئا) إذا طلقتموهن (إلا أن يَخافا) أي الزوجان (أن لا يقيما حدود الله) أي أن لا يأتيا بما حده لهما من الحقوق (فإن خفتم أن لا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به) نفسها من المال ليطلقها أي لا حرج على الزوج في أخذه ولا الزوجة في بذله (تلك) الأحكام المذكورة (حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون).[٥٣٨]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقدأفادت قراءة (يَخافا) أن الفاعل هم الأزواج أي إلا أن يخاف الزوجان.

٥٣٦ - انظر النشر ج٢ ص٢٢٧.

٥٣٧ - تفسير ابن كثير ج١ ص٣٦٦.

٥٣٨ - انظر تفسير الجلالين ص٣٦.

قال القرطبي في تفسيره: "(إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله) حرم الله تعالى في هذه الآية ألا يأخذ إلا بعد الخوف ألا يقيما حدود الله وأكد التحريم بالوعيد لمن تعدى الحد والمعنى أن يظن كل واحد منهما بنفسه ألا يقيما حق النكاح لصاحبه حسب ما يجب عليه فيه لكراهة يعتقدها فلا حرج على المرأة أن تفتدى ولا حرج على الزوج أن يأخذ والخطاب للزوجين والضمير في أن يخافا لهما و ألا يقيما مفعول به."[٥٣٩]

وأما على قراءة (يُخافا) فالفاعل المحذوف هنا: هم الولاة والحكام. قال القرطبي: «وقرأ حمزة إلا أن (يخافا) بضم الياء على ما لم يسم فاعله والفاعل محذوف وهو الولاة والحكام واختاره أبو عبيد قال لقوله عز وجل فإن خفتم قال فجعل الخوف لغير الزوجين ولو أراد الزوجين لقال فإن خافا وفى هذا حجة لمن جعل الخلع إلى السلطان قلت: وهو قول سعيد بن جبير[٥٤٠] والحسن وابن سيرين[٥٤١]. «[٥٤٢] وقال مكي بن أبي طالب: «وحجة قراءة حمزة بضم الياء أنه بنى الفعل للمفعول، والضمير في (يُخافا) مرفوع لم يُسم فاعله، يرجع للزوجين، والفاعل محذوف وهو الولاة والحكام. ووجه القراءة بفتح الياء أنه حُمل على ظاهر الخطاب، يُراد به الزوجان، إذا خاف كل واحد منهما ألا يقيما حدود الله حلَّ الافتداء، فهما الفاعلان.»[٥٤٣]

قال الإمام الطبري: «وأولى هذه الأقوال بالصحة قول من قال لا يحل

---

٥٣٩ – الجامع لأحكام القرآن ج٣ ص١٣٧.

٥٤٠ – سعيد بن جبير بن هشام الأسدي الوالي مولاهم، أبو محمد، تابعي كوفي، قتله الحجاج سنة ٩٥هـ ، وقيل سنة ٩٤هـ ﴿انظر غاية النهاية ج١ ص٣٠٥﴾ .

٥٤١ – محمد بن سيرين بن أبي عمرة البصري، أبو بكر، مولى أنس بن مالك، وردت عنه الرواية في حروف القرآن، توفي سنة ١٢٠هـ ﴿انظر غاية النهاية ج٢ ص١٥١﴾ .

٥٤٢ – الجامع لأحكام القرآن ج٣ ص١٣٧-١٣٨ ، وانظر حجة القراءات ص١٣٥.

٥٤٣ – الكشف ج١ ص٢٩٥ باختصار.

للرجل أخذ الفدية من امرأته على فراقه إياها حتى يكون خوف معصية الله من كل واحد منهما على نفسه في تفريطه في الواجب عليه لصاحبه، ومن قال في ذلك قولهما لأن الله تعالى ذكره إنما أباح للزوج أخذ الفدية من امرأته عند خوف المسلمين عليهما أن لا يقيما حدود الله.»[٥٤٤]

وبالجمع بين القراءتين: يتضح لنا أنه لا يجوز الخلع إلا إذا تحقق الخوف من الزوجين ومن الحكام بعدم قيام الزوجين بالحقوق الزوجية، كل تجاه صاحبه. ويحرم طلب الزوجة الخلع لمجرد الهوى من غير سبب شرعي مقنع؛ لأن مسألتها إياه الفرقة على ذلك الوجه معصية منها لله، عن ثوبان مولى رسول الله -ﷺ- عن النبي -ﷺ- أنه قال: (أيما امرأة سألت زوجها الطلاق في غير ما بأس حرم الله عليها رائحة الجنة.)[٥٤٥]

٤٦- ﴿ ۞ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾ ﴾ البقرة: ٢٣٣

القراءات:

١. قرأ ابن كثير والبصريان (لا تضارُّ) برفع الراء.
٢. واختلف عن أبي جعفر بين تسكين الراء وتخفيفها (لا تضارْ) وفتحها مع التشديد (لا تضارَّ).

٥٤٤- جامع البيان ج٢ ص٤٦٥ باختصار.

٥٤٥- رواه الترمذي وقال غريب من هذا الوجه، وليس إسناده بالقوي. ج٢ ص٤٠٢ ، حديث ١١٩٠

٣. وقرأ الباقون (لا تضارَّ) بفتحها.[٥٤٦]
٤. قرأ ابن كثير (ما أتيتم) بقصر الهمزة، من باب المجيء.
٥. وقرأ الباقون (ما آتيتم) بالمد من باب الإعطاء.[٥٤٧]

المعنى اللغوي للقراءات:

الضُرُّ: سوء الحال؛ إما في نفسه لقلة العلم والفضل والعفة؛ وإما في بدنه لعدم جارحةٍ ونقصٍ؛ وإما في حالةٍ ظاهرةٍ من قلة مال وجاه. والضراء يقابل بالسراء والنعماء، والضر بالنفع. والإضرار: حمل الإنسان على ما يضره، وهو في التعارف حمله على ما يكرهه.[٥٤٨]

التفسير:

انتقال من أحكام الطلاق والبينونة؛ فإنه لما نهى عن العضل، وكانت بعض المطلقات لهن أولاد في الرضاعة ويتعذر عليهن التزوج وهن مرضعات؛ لأن ذلك قد يضر بالأولاد، ويقلل رغبة الأزواج فيهن، كانت تلك الحالة مثار خلاف بين الآباء والأمهات، فلذلك ناسب التعرض لوجه الفصل بينهن في ذلك.[٥٤٩]

«قوله (والوالدات يرضعن أولادهن) خبر في معنى الأمر المؤكد، وهذا الأمر على وجه الندب أو على وجه الوجوب (حولين) ظرف (كاملين) تامين (لمن أراد أن يتم الرضاعة) (وعلى المولود له) وهو الوالد (رزقهن وكسوتهن بالمعروف) بلا إسراف ولا تقتير (لا تكلف نفس إلا وسعها) وجدها أو قدر إمكانها (لا تضار والدة بولدها) أي لا تضار والدة زوجها بسبب ولدها وهو أن تعنف به وتطلب منه ما ليس بعدل من الرزق والكسوة وأن تشغل

٥٤٦ – انظر النشر ج٢ ص٢٢٧-٢٢٨.
٥٤٧ – انظر النشر ج٢ ص٢٢٨.
٥٤٨ – انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٥٠٣-٥٠٤.
٥٤٩ – تفسير التحرير والتنوير – المجلد الثاني ج٢ ص٤٢٩.

قلبه بالتفريط في شأن الولد وأن تقول بعد ما ألفها الصبي اطلب له ظئراً[550] وما أشبه ذلك (ولا مولود له بولده) أي ولا يضار مولود له امرأته بسبب ولده بأن يمنعها شيئا مما وجب عليه من رزقها وكسوتها أو يأخذه منها وهي تريد إرضاعه (وعلى الوارث) عطف على قوله (وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن) وما بينهما تفسير للمعروف معترض بين المعطوف والمعطوف عليه أي وعلى وارث الصبي عند عدم الأب (مثل ذلك) أي مثل الذي كان على أبيه في حياته من الرزق والكسوة (فإن أرادا) يعنى الأبوين (فصالاً) فطاماً صادراً (عن تراض منهما وتشاور) بينهما (فلا جناح عليهما) في ذلك زاد على الحولين أو نقصا وهذه توسعة بعد التحديد والتشاور استخراج الرأي (و إن أردتم أن تسترضعوا أولادكم) أي لأولادكم (فلا جناح عليكم إذا سلمتم) إلى المراضع (ما آتيتم) ما أردتم إيتاءه من الأجرة (بالمعروف) متعلق بـ(سلمتم) أي سلمتم الأجرة إلى المراضع بطيب نفس وسرور (واتقوا الله واعلموا أن الله بما تعملون بصير) لا تخفى عليه أعمالكم فهو يجازيكم عليها .»[551]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد أفادت قراءة (لا تضارَّ) بالفتح، وموضعه جزم على النهي منع إضرار أي الزوجين بالآخر بسبب الولد . أي لا تأبى الأم أن ترضعه إضرارا بأبيه أو تطلب أكثر من أجر مثلها ولا يحل للأب أن يمنع الأم من ذلك مع رغبتها في الإرضاع.

وأما قراءة (لا تضارُّ) بالرفع على الخبر على أن الأمر لا يحتاج إلى نهي

٥٥٠ – الظئر هي المرضع

٥٥١ – تفسير النسفي ج١ ص١١٧–١١٨ باختصار.

صريح لفظاً؛ لأنه ينبغي أن يكون مركوز في نفس الزوج والزوجة الحرص على ابنيهما، وأن لا يدفعهما البعض إلى الإضرار بالولد.

قال ابن عاشور: "وأما قراءة الجمهور(لا تضارَّ) بفتح الراء المشددة على أن (لا) حرف نهي و(تضار) مجزوم بلا الناهية، والفتحة للتخلص من التقاء الساكنين، وقراءة الرفع على أن لا حرف نفي، والكلام خبر في معنى النهي. وكلتا القراءتين يجوز أن تكون على نية بناء الفعل للفاعل، بتقدير لا تضارِرْ، وبنائه للنائب بتقدير نهي أن يكلف أحدهما الآخر ما هو فوق طاقته، أو تضر الوالدة ولدها، ولا المولود له ولده أي: لا يكن أحد الأبوين سبباً في إلجاء الآخر إلى الامتناع مما يعين على إرضاع الأم ولدها."[552]

وأما بالنسبة لقراءة (ما أتيتم) والتي هي من باب المجيء، فإنها جاءت مفسرةً لقراءة الجمهور (ما آتيتم) والتي هي من باب الإعطاء، بمعني ما جئتم به من مال عن طيب نفس منكم وسلمتموه إلى المرضعة.

وبالجمع بين القراءات نجد أن الآية الكريمة تحث الأزواج ممن وقع بينهم طلاق وكان لديهم مولود أن يتقوا الله في أنفسهم وفي المولود فلا يضر أحدهما الآخر مستغلا وجوده؛ بل الواجب في حقهما الحرص عليه وتوفير الرعاية التامة له، وأن يبادر الأزواج إلى دفع نفقات المرضعة عن طيب نفس ومسارعة؛ حتى لا يتأذى المولود. وهذا إن دل فإنما يدل على حرص الإسلام على الأسرة المسلمة وعلى رعاية الأبناء والاهتمام بهم حتى في حال الفصال وتفرق الأزواج.

٥٥٢- تفسير التحرير والتنوير ج٢ ص٤٣٣، ٤٣٤ باختصار، وانظر الجامع لأحكام القرآن ج٣ ص١٦٧، وانظر حاشية حجة القراءات ص١٣٦.

٤٧- ﴿ لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾ ﴾ البقرة: ٢٣٦

القراءات:

١. قرأ حمزة والكسائي وخلف (تُماسُوهن) بضم التاء، وألف بعد الميم.
٢. وقرأ الباقون (تَمسوهن) بفتح التاء من غير ألف.
٣. وقرأ أبو جعفر وحمزة والكسائي وخلف وابن ذكوان وحفص (قَدَره) بفتح الدال فيهما.
٤. وقرأ الباقون (قَدْره) بإسكانها منهما.[٥٥٣]

المعنى اللغوي للقراءات:

المَس: كاللمس، والمس يقال فيما يكون معه إدراك بحاسة اللمس، وكني به عن النكاح، فقيل مسها وماسها.[٥٥٤]

القُدْرَة: إذا وصف بها الإنسان فاسم لهيئة له، بها يتمكن من فعل شيء ما.[٥٥٥] قال الفيروز آبادي: «القَدْرُ: الغنى، واليسار، والقوة، كالقدرة والمقدرة.»[٥٥٦]

التفسير:

لمَّا جرى الكلام في الآيات السابقة على الطلاق الذي تجب فيه العدة، وهو طلاق المدخول بهن، عرج هنا على الطلاق الواقع قبل الدخول. قال صاحب الجلالين: "(لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن) أي تجامعوهن (أو) لم (تفرضوا لهن فريضة) مهرا أي لا تبعة عليكم في

٥٥٣ - انظر النشر ج٢ ص٢٢٨.
٥٥٤ - انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٧٦٦-٧٦٧.
٥٥٥ - انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٦٥٧.
٥٥٦ - القاموس المحيط ج١ ص٦٤١.

الطلاق زمن عدم المسيس والفرض، بإثم ولا مهر فطلقوهن وأعطوهن ما يتمتعن به (على الموسع) الغني منكم (قدره وعلى المقتر) الضيق الرزق (قدره) يفيد أنه لا نظر إلى قدر الزوجة (متاعا) تمتيعا (بالمعروف) شرعا (حقا على المحسنين) المطيعين.[557]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أما بالنسبة لقراءتي (تُماسوهن)، (تَمسوهن) فالقراءتان بمعنى واحد أي تجامعوهن، على الرغم من أن قراءة (تُماسوهن) تعني المفاعلة من اثنين. قال القرطبي: "(تُماسوهن) من المفاعلة لأن الوطء تم بهما. وقد يرد في باب المفاعلة فاعل بمعنى فعل نحو: طارقت النعل وعاقبت اللص، والقراءة الأولى تقتضي معنى المفاعلة في هذا الباب بالمعنى المفهوم من المس."[558]

وقال الإمام الطبري: «والذي نرى في ذلك أنهما قراءتان صحيحتا المعنى متفقتا التأويل وإن كان في إحداهما زيادة معنى غير موجبة اختلافا في الحكم والمفهوم، وذلك أنه لا يجهل ذو فهم إذا قيل له مسست زوجتي أن الممسوسة قد لاقى من بدنها بدن الماس ما لاقاه مثله من بدن الماس فكل واحد منهما وإن أفرد الخبر عنه بأنه الذي ماس صاحبه معقول كذلك الخبر نفسه أن صاحبه الممسوس قد ماسه، فلا وجه للحكم لإحدى القراءتين مع اتفاق معانيهما وكثرة القراءة بكل واحدة منهما بأنها أولى بالصواب من الأخرى بل الواجب أن يكون القارئ بأيتهما قرأ مصيب الحق في قراءته.»[559]

---

٥٥٧ - تفسير الجلالين ج١ ص٥١ .

٥٥٨ - الجامع لأحكام القرآن ج٣ ص١٩٩.

٥٥٩ - جامع البيان ج٢ ص٥٢٩.

وأما بالنسبة لقراءتي «(قَدْره)، (قَدَره) فذهب بعض العلماء إلى أنهما لغتان بمعنى واحد . قال أبو حيان في تفسيره: (هما لغتان فصيحتان بمعنى حكاه الأخفش وغيره، ومعناه ما يطيقه الزوج، وعلى أنهما بمعنى واحد أكثر أئمة العربية. وقيل الساكن مصدر والمتحرك اسم كالعدّ والعدد، والمدّ والمدد، وكان القدر بالتسكين الوسع يقال هو ينفق على قدره أي: وسعه.»[٥٦٠]

ولكن بالتدقيق في معنى القراءتين: نجد أن قراءة (قدْره) بالتسكين تفيد أن على كل إنسان أن يبذل ما يستطيع من النفقة بقدر جهده. وأما قراءة (قدَره) فتفيد أن النفقة لا بد أن تكون بحسب حال المطلق من السعة أو القلة. قال الألوسي في تفسيره: «وقرأ أبو جعفر وأهل الكوفة إلا أبا بكر وابن ذكوان (قدره) بفتح الدال والباقون بإسكانها وهما لغتان فيه، وقيل: القدر بالتسكين الطاقة، وبالتحريك المقدار.»[٥٦١]

وبالجمع بين القراءتين: نجد أنه ينبغي على من طلق زوجته قبل الجماع وقبل أن يفرض لها مهرا، عليه أن يدفع لها متعة الطلاق بحسب حاله ووضعه المالي وأن يبذل جهده وطاقته في ذلك.

٤٨- ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ۚ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِى مَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾ ﴾ البقرة: ٢٤٠

القراءات:

١. قرأ أبو عمرو وابن عامر وحمزة وحفص (وصيةً) بالنصب.

٥٦٠ – تفسير البحر المحيط ج٢ ص٢٤٣.

٥٦١ – روح المعاني ج٢ ص١٥٣.

٢. قرأ الباقون (وصيةٌ) بالرفع.[٥٦٢]

المعنى اللغوي للقراءات:

الوصية: التقدم إلى الغير بما يعمل به مقترنا بوعظ، من قولهم أرض واصية: متصلة النبات.[٥٦٣]

التفسير:

يبين المولى عز وجل في هذه الآية ما كان عليه الحال من وجوب الوصية للمطلقة فقال تعالى: "(والذين يتوفون منكم) يا معشر الرجال ويتركون زوجات فليوصوا وصية (متاعا إلى الحول) والمتاع نفقة سنة لطعامها وكسوتها وسكنها وما تحتاج إليه من غير إخراج، (فإن خرجن) يعني من قبل أنفسهن قبل الحول من غير إخراج الورثة (فلا جناح عليكم) يا أولياء الميت (فيما فعلن في أنفسهن من معروف) يعني التزين للنكاح (والله عزيز حكيم)."[٥٦٤]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قال الإمام الطبري: "(وصيةً لأزواجهم) بنصب الوصية بمعنى: فليوصوا وصية لأزواجهم أو عليهم وصية لأزواجهم.

وقرأ آخرون (وصية لأزواجهم) برفع الوصية. ثم اختلف أهل العربية في وجه رفع الوصية فقال بعضهم رفعت بمعنى كتبت عليهم الوصية واعتل في ذلك بأنها كذلك في قراءة عبد الله. فتأويل الكلام على ما قاله هذا القائل: والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا كتبت عليهم وصية لأزواجهم ثم ترك ذكر كتبت ورفعت الوصية بذلك المعنى وإن كان متروكا ذكره. وقال

٥٦٢ - انظر النشر ج٢ ص٢٢٨.

٥٦٣ - انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٨٧٣.

٥٦٤ - انظر معالم التنزيل ج١ ص٢٩٠-٢٩١ .

آخرون منهم: بل الوصية مرفوعة بقوله (لأزواجهم) فتأول لأزواجهم وصية والقول الأول أولى بالصواب في ذلك وهو أن تكون الوصية في ذلك، وهو أن تكون الوصية إذا رفعت مرفوعة بمعنى كتب عليكم وصية لأزواجكم أما من قرأ (وصيةً) بالنصب فالمعنى: فليوصوا وصية لأزواجهم.[٥٦٥]

وبالجمع بين القراءتين: نرى أن قراءة الرفع (وصيةٌ) قد جاءت مفسرة لقراءة النصب (وصيةً) ومبينة حكم الوصية، بحيث أوجبت على من حضرته الوفاة الوصية، فهي واجبة في حقه ويصبح معنى الآية: أن على من حضرته الوفاة وترك أزواجاً أن يوصي لهن بالمتاع لأن هذا فرض لهن وحق لهن.[٥٦٦]

٤٩- ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾﴾ البقرة: ٢٤٥

القراءات:

١. قرأ نافع وأبو عمرو وحمزة والكسائي وخلف (فيضاعِفُه) بتخفيف العين وألف قبلها مع رفع الفاء على الاستئناف أي فهو يضاعفه.
٢. قرأ ابن كثير وأبو جعفر (فيضعِّفُه) بتشديد العين وحذف الألف مع رفع الفاء على الاستئناف أيضا.
٣. قرأ ابن عامر ويعقوب (فيضعِّفَه) بتشديد العين وحذف الألف مع نصب الفاء.
٤. قرأ عاصم (فيضاعِفَه) بتخفيف العين وألف قبلها مع نصب الفاء.[٥٦٧]

٥٦٥ - جامع البيان ج٢ ص٥٧٨.

٥٦٦ - انظر روح المعاني ج٢ ص١٥٨-١٥٩.

٥٦٧ - انظر النشر ج٢ ص٢٢٨.

المعنى اللغوي للقراءات:

الضِّعف هو من الألفاظ المتضايفة التي يقتضي وجود أحدهما وجود الآخر، ويختص بالعدد، فإذا قيل: أضعفت الشيء وضعَّفته وضاعفته: ضممت إليه مثله فصاعدا.

قال بعضهم ضاعفت أبلغ من ضعَّفت.(٥٦٨)

التفسير:

يبين المولى -عز وجل- في هذه الآية ما أعده الله للمنفقين في سبيل الله تعالى. قال الطبري في تفسيره: "من هذا الذي ينفق في سبيل الله، فيعين ذا ضعف، أو يقوي ذا فاقة أراد الجهاد في سبيل الله، ويعطي منهم مقترا، وذلك هو القرض الحسن الذي يقرض العبد ربه. وإنما جعله تعالى ذكره حسنا، لأن المعطي يعطي ذلك عن ندب الله إياه، وحثه له عليه احتسابا منه، فهو لله طاعة، وللشياطين معصية، وليس ذلك لحاجة بالله إلى أحد من خلقه، (والله يقبض ويبسط) يعني تعالى ذكره بذلك أنه الذي بيده قبض أرزاق العباد وبسطها دون غيره ممن ادعى أهل الشرك به أنهم آلهة. وأما قوله (فيضاعفه له أضعافا كثيرة) فإنه عدة من الله تعالى ذكره مقرضه ومنفق ماله في سبيل الله من إضعاف الجزاء له على قرضه ونفقته ما لا حد له ولا نهاية.(٥٦٩)

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

توجيه قراءة النصب أن الفعل منصوب بأن مضمرة بعد الفاء لوقوعها بعد الاستفهام.

---

٥٦٨ - انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٥٠٨.

٥٦٩ - جامع البيان ج٢ ص٥٩٢ باختصار.

ووجه التشديد والتخفيف في العين أنهما لغتان.[570]
قال مكي بن أبي طالب: "أما بالنسبة لقراءتي التشديد والتخفيف فهما لغتان بمعنى واحد يقصد بهما التكثير والمضاعفة."[571] وقال ابن زنجلة: «قال الكسائي: المعنى فيهما واحد ضعَّف وضاعَف.»[572] وقال القرطبي: «التشديد والتخفيف لغتان.»[573]

وأما بالنسبة لقراءتي الرفع والنصب فعلاقتهما نحوية، ومعناهما واحد. قال مكي بن أبي طالب: «وحجة من نصب حمل الكلام على المعنى، فجعله جوابا للشرط لأن المعنى: من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له. وحجة من رفعه أنه قطعه مما قبله، ولم يدخله في صلة (الذي) في قولك: من ذا الذي يقرض الله فالله يضاعفه له. ويجوز أن يرفع على العطف على ما في الصلة على يقرض.»[574] وقال الطاهر بن عاشور في تفسيره: «ورفع (فيضاعفه) على قراءة الجمهور، على العطف على (يقرض) ليدخل في حيز التحضيض معاقبا للإقراض في الحصول، وقرأه ابن عامر وعاصم ويعقوب: بنصب الفاء على جواب التحضيض، والمعنى على كلتا القراءتين واحد.»[575]

٥٠-﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِۦ

٥٧٠ - انظر المستنير في تخريج القراءات المتواترة - ج١ ص٧٠ د. محمد سالم محيسن: دار الطباعة المحمدية بالأزهر القاهرة - ط١ - ١٣٩٦هـ

٥٧١ - انظر الكشف ج١ ص٣٠٠.

٥٧٢ - حجة القراءات ص١٣٨.

٥٧٣ - الجامع لأحكام القرآن ج٣ ص٢٤٢.

٥٧٤ - الكشف ج١ ص٣٠٠-٣٠١ باختصار.

٥٧٥ - تفسير التحرير والتنوير - المجلد الثاني ج٢ ص٤٨٢-٤٨٣.

فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ البقرة: ٢٤٩

القراءات:

١. قرأ المدنيان وابن كثير وأبو عمرو (غَرفة) بفتح الغين.

٢. قرأ الباقون (غُرفة) بضمها.[٥٧٦]

المعنى اللغوي للقراءات:

الغَرْفُ: رفع الشيء وتناوله، يقال: غَرَفت الماء والمرق، والغُرْفَة: ما يُغْتَرَف، والغَرْفَة: للمرَّة، والمِغْرَفة: لما يتناول به.[٥٧٧]

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عما حصل للقائد طالوت وجنده بعد انفصالهم عن بيت المقدس وخروجهم لملاقاة الأعداء، والابتلاء الذي وضعهم فيه طالوت بأمر الله لتمحيص هذه الفئة فلا يبقى معه إلا الصادقون وهم الذين يكتب على أيديهم النصر بإذن الله. قال صاحب الجلالين: "(فلما فصل) خرج (طالوت بالجنود) من بيت المقدس وكان الحر شديدا وطلبوا منه الماء (قال إن الله مبتليكم) مختبركم (بنَهر) ليظهر المطيع منكم والعاصي (فمن شرب منه) أي من ماءه (فليس مني) أي من أتباعي (ومن لم يطعمه) يذقه (فإنه مني إلا من اغترف غرفة) بالفتح والضم (بيده) فاكتفى بها ولم يزد عليها فإنه مني (فشربوا منه) لما وافوه بكثرة (إلا قليلا منهم)

---

٥٧٦ – انظر النشر ج٢ ص٢٣٠.

٥٧٧ – انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٦٠٥.

فاقتصروا على الغرفة (فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه) وهم الذين اقتصروا على الغرفة (قالوا) أي الذين شربوا (لا طاقة) قوة (لنا اليوم بجالوت وجنوده) أي بقتالهم وجبنوا ولم يجاوزوه (قال الذين يظنون) يوقنون (أنهم ملاقوا الله) بالبعث وهم الذين جاوزوه (كم) خبرية بمعنى كثير (من فئة) جماعة (قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله) بإرادته (والله مع الصابرين) بالعون والنصر.[٥٧٨]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد أفادت كل قراءة معنى مستقلاً عن الآخر، ومكملاً له.

فبالنسبة لقراءة (غُرفة) بالضم: فتعني المقدار الذي يباح لهم شربه.

وبالنسبة لقراءة (غَرفة) بالفتح: فتعني عدد المرات التي يباح لهم تناول الماء فيها وهي مرة واحدة. وهذا قول الطبري والقرطبي.[٥٧٩] وقال مكي بن أبي طالب: «وحجة من ضم أنه جعله اسم الماء المغترف، فعدي الفعل إليه، لأنه مفعول به، كأنه قال: إلا من اغترف ماء على قدر مثل ملء اليد . وحجة من فتح أنه جعله مصدرا، فهو نصب على المصدر، والمفعول به محذوف، تقديره: إلا من اغترف ماء غرفة، أي مرة واحدة.»[٥٨٠] وقال الطبرسي: «(إلا من اغترف غرفة بيده) إلا من أخذ الماء مرة واحدة باليد، ومن قرأ بالضم فمعناه إلا من شرب مقدار ملء كفه.»[٥٨١] وقال الطاهر بن عاشور: «(والغَرفة) بفتح الغين المرَّة من الغَرْف، وهو أخذ الماء باليد. ومن قرأ (غُرفة) بضم الغين: هو المقدار المغروف من الماء. ووجه تقييده بقوله (بيده) مع أن الغرف لا يكون إلا باليد لدفع توهم أن يكون المراد

٥٧٨ – تفسير الجلالين ص٤١ باختصار.

٥٧٩ – انظر جامع البيان ج٢ ص٦١٩ ، والجامع لأحكام القرآن ج٣ ص٢٥٣.

٥٨٠ – الكشف ج١ ص ٣٠٤باختصار.

٥٨١ – مجمع البيان ج٢ ص ١١٤.

تقديرَ مقدار الماء المشروب، فيتناوله بعضهم كرها، فربما زاد على المقدار فجعلت الرخصة الأخذ باليد.»[٥٨٢]

وبالجمع بين القراءتين يصبح المعنى: إلا من تناول ماء ملء كفه مرةً واحدةً فقط.

٥١- ﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ ﴾ البقرة: ٢٥١

القراءات:

١. قرأ المدنيان ويعقوب (دِفاع) بكسر الدال وألف بعد الفاء.
٢. قرأ الباقون (دَفع) بفتح الدال وإسكان الفاء من غير ألف.[٥٨٣]

المعنى اللغوي للقراءات:

الدَّفع: إذا عُدِّي بـ (إلى) اقتضى معنى الإنالة، نحو قوله تعالى (فادفعوا إليهم أموالهم) النساء ٦ ، وإذا عُدِّي بـ (عن) اقتضى معنى الحماية، نحو قوله تعالى (إن الله يدافع عن الذين آمنوا) الحج ٣٨ ، وقال (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض)[٥٨٤] الحج ٤٠ .

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عما آلت إليه المعركة من انتصار كاسح للفئة المؤمنة على الفئة الكافرة، وبروز نجم داود ذاك الشاب الشجاع الذي تمكن

٥٨٢ - تفسير التحرير والتنوير - المجلد الثاني ج٢ ص٤٩٨.
٥٨٣ - انظر النشر ج٢ ص٢٣٠.
٥٨٤ - انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٣١٦.

من قتل الطاغية جالوت، وكيف أكرمه الله بالملك على بني إسرائيل، مع الحكمة والنبوة، كما تتحدث الآية عن حكمة الله في إيجاد قانون التدافع بين البشر من أجل استمرارية الحياة وصلاحها . قال النسفي في تفسيره: "(ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض) أي ولولا أن الله تعالى يدفع بعض الناس ببعض ويكف بهم فسادهم لغلب المفسدون وفسدت الأرض وبطلت منافعها من الحرث والنسل، أو ولولا أن الله تعالى ينصر المسلمين على الكافرين (لفسدت الأرض بغلبة الكفار وقتل الأبرار وتخريب البلاد وتعذيب العباد (ولكن الله ذو فضل على العالمين) بإزالة الفساد عنهم."[٥٨٥]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قال الإمام الطبري: "قرأت جماعة من القراء (ولولا دفع الله) على وجه المصدر من قول القائل دفع الله عن خلقه فهو يدفع دفعا واحتجت لاختيارها ذلك بأن الله تعالى ذكره هو المتفرد بالدفع عن خلقه ولا أحد يدافعه فيغالبه. وقرأت ذلك جماعة أخرى من القراء (ولولا دفاع الله الناس) على وجه المصدر من قول القائل دافع الله عن خلقه فهو يدافع مدافعة ودفاعا، واحتجت لاختيارها ذلك بأن كثيرا من خلقه يعادون أهل دين الله وولايته والمؤمنين به، فهو بمحاربتهم إياهم ومعاداتهم لهم لله مدافعون بباطلهم ومغالبون بجهلهم، والله مدافعهم عن أوليائه وأهل طاعته والإيمان به."[٥٨٦] وقال البغوي: «قد يكون الدفاع من واحد مثل قول العرب: أحسن الله عنك الدفاع.»[٥٨٧] وقال ابن عاشور: «والدفاع

٥٨٥ - تفسير النسفي ج١ ص١٢٦ باختصار.

٥٨٦ - جامع البيان ج٢ ص٦٣٤.

٥٨٧ - معالم التنزيل ج١ ص٣٠٧.

مصدر دافع الذي هو مبالغة في دفع، لا للمفاعلة.»[٥٨٨] فلا مانع من أن تكون (دفاع) هي من باب الفاعلة، كما ذهب إلى ذلك الطبري ولكن بين البشر أنفسهم بحيث نجد من كل فريق الحرص في الدفاع عن نفسه.
وهذا هو المطلوب من أصحاب الحقوق أن يدافعوا عنها بكل ما أوتوا من قوة، ورد الظلم عن المظلومين والأخذ على يد السفهاء والعابثين، لينعم المجتمع بالأمن والأمان.

٥٢-﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾ ﴾ البقرة: ٢٥٤

القراءات:

١. قرأ ابن كثير والبصريان (لا بيعَ فيه ولا خلةَ ولا شفاعةَ) بالفتح من غير تنوين.
٢. قرأ الباقون (لا بيعٌ فيه ولا خلةٌ ولا شفاعةٌ) بالرفع والتنوين.[٥٨٩]

المعنى اللغوي للقراءات:

البيع: إعطاء المُثَمن وأخذ الثَمن، والشراء: إعطاء الثمن وأخذ المُثَمن، ويقال للبيع: الشراء، وللشراء البيع، وذلك بحسب ما يتصور من الثمن والمثمن.[٥٩٠]

الخُلة: المودة، إما لأنها تتخلَّ النفس، أي تتوسطها، وإما لأنها تُخلُّ النفس فتؤثر فيها تأثير السهم في الرمية، وإما لفرط الحاجة إليها، يقال: خالَلته مُخالَّة وخِلالاً فهو خليل.[٥٩١]

٥٨٨ - تفسير التحرير والتنوير - المجلد الثاني ج٢ ص٥٠٠.
٥٨٩ - انظر النشر ج٢ ص٢١١.
٥٩٠ - انظر مفردات ألفاظ القرآن ص١٥٥.
٥٩١ - انظر المصدر السابق ص٢٩٠-٢٩١.

الشفاعة: الانضمام إلى آخر ناصرا له وسائلا عنه، وأكثر ما يستعمل في انضمام من هو أعلى حرمة ومرتبة إلى من هو أدنى.(٥٩٢)

التفسير:

مناسبة هذه الآية لما قبلها، هو أنه لما ذكر أن الله تعالى أراد الاختلاف إلى مؤمن وكافر، وأراد الاقتتال، وأمر به المؤمنين، وكان الجهاد يحتاج صاحبه إلى الإعانة عليه، أمر تعالى بالنفقة من بعض ما رزق، فشمل النفقة في الجهاد، وهي وإن لم ينص عليها مندرجة في قوله (أنفقوا) وداخلة فيها دخولا أوليا إذ جاء الأمر بها عقب ذكر المؤمن والكافر واقتتالهم.(٥٩٣)

قال ابن كثير: «يأمر تعالى عباده بالإنفاق مما رزقهم في سبيله سبيل الخير ليدخروا ثواب ذلك عند ربهم ومليكهم، وليبادروا إلى ذلك في هذه الحياة الدنيا (من قبل أن يأتي يوم) يعني يوم القيامة (لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة) أي لا يباع أحد من نفسه ولا يفادي بمال لو بذله ولو جاء بملء الأرض ذهبا، ولا تنفعه خلة أحد يعني صداقته بل ولا نسابته كما قال (فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون(المؤمنون١٠١ ، (ولا شفاعة) أي ولا تنفعهم (شفاعة الشافعين(المدثر ٤٨ ، وقوله (والكافرون هم الظالمون) مبتدأ محصور في خبره أي: ولا ظالم أظلم ممن وافى الله يومئذ كافرا.»(٥٩٤)

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءتان متساويتان معنى، وإنما أثرهما يظهر من الناحية النحوية فقط.

قال ابن زنجلة: "اعلم أن (لا) إذا وقعت نكرة جعلت هي والاسم الذي

٥٩٢ – انظر المصدر السابق ص٤٥٨.

٥٩٣ – تفسير البحر المحيط ج٢ ص٢٨٤–٢٨٥.

٥٩٤ – تفسير ابن كثير / ج١ ص٤٠٨.

بعدها كاسم واحد وبني ذلك على الفتح، فإذا كررت جاز الرفع والنصب، وإذا لم تكرر فالوجه فيه الفتح. قال تعالى (لا ريب فيه)البقرة ٢ .[٥٩٥] وقال ابن عاشور: «وقرأ الجمهور لا بيع – وما بعده – بالرفع لأن المراد بالبيع والخلة والشفاعة الأجناس لا محالة، إذ هي من أسماء المعاني التي لا أحاد لها في الخارج فهي أسماء أجناس لا نكرات، ولذلك لا يحتمل نفيها إرادة الواحد حتى يحتاج عند قصد التنصيص على إرادة نفي الجنس إلى بناء الاسم على الفتح، بخلاف نحو لا رجل في الدار ...وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب بالفتح لنفي الجنس نصا، فالقراءتان متساويتان معنى، ومن التكلف هنا قول البيضاوي إنَّ وجه قراءة الرفع وقوع النفي في تقدير جواب لسؤال قائل: هل بيع فيه أو خلة أو شفاعة.»[٥٩٦] وقال الألوسي في تفسيره: «وإنما رفعت هذه المنفيات الثلاثة مع أن المقام يقتضي التعميم والمناسب له الفتح لأن الكلام على تقدير هل بيع فيه أو خلة أو شفاعة والبيع وأخواه فيه مرفوعة فناسب رفعها في الجواب مع حصول العموم في الجملة وإن لم يكن بمثابة العموم الحاصل على تقدير الفتح، وقد فتحها ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب على الأصل في ذكر ما هو نص في العموم كذا قالوا. ولعل الأوجه القول بأن الرفع لضعف العموم في غالبها وهو الخلة والشفاعة للاستثناء الواقع في بعض الآيات والمغلوب منقاد لحكم الغالب.»[٥٩٧]

٥٣- ﴿ أَوْ كَالَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ

٥٩٥ – حجة القراءات ص١٤١.

٥٩٦ – تفسير التحرير والتنوير – المجلد الثاني ج٣ ص١٤-١٥.

٥٩٧ – روح المعاني ج٣ ص٤.

يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾ البقرة: ٢٥٩

القراءات:

١. قرأ ابن عامر والكوفيون (نُنْشِزُها) بالزاي المنقوطة.

٢. قرأ الباقون (نُنْشِرُها) بالراء المهملة.[598]

٣. قرأ حمزة والكسائي (قال اعلمْ) بالوصل وإسكان الميم على الأمر.

٤. قرأ الباقون (قال أعلمُ) بقطع الهمزة والرفع على الخبر.[599]

المعنى اللغوي للقراءات:

النَّشْر: الريح الطيبة، أو أعم، وإحياء الميت، كالنشور والانتشار، والحياة، نشره فنشر.[600]

النَّشْز: المرتفع من الأرض، ويعبر عن الإحياء بالنشر والإنشاز؛ لكونه ارتفاع بعد اتضاع ونشوز المرأة: بغضها لزوجها ورفع نفسها عن طاعته، وعينها عنه إلى غيره.[601]

التفسير:

القصة السابقة لإثبات وجود الله، وهذه القصة والتي تليها في قوله تعالى (وإذ قال إبراهيم) لإثبات الحشر والبعث بعد الفناء.[602] قال ابن عاشور في تفسيره: «وإذ قد قرر بالآية قبلها ثبوت انفراد الله بالألوهية، وذلك أصل

٥٩٨ - انظر النشر ج٢ ص٢٣١.

٥٩٩ - انظر النشر ج٢ ص٢٣١-٢٣٢.

٦٠٠ - انظر القاموس المحيط ج١ ص٦٦٩.

٦٠١ - انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٨٠٦.

٦٠٢ - انظر التفسير المنير ج٣ ص٣٣.

الإسلام، أعقب بإثبات البعث الذي إنكاره أصل أهل الإشراك.»[٦٠٣]

قال صاحب الجلالين: «(أو كالذي مر على قرية) هي بيت المقدس راكبا على حمار، وهو عزير (وهي خاوية) ساقطة (على عروشها) سقوطها لما خربها بختنصر (قال أنى) كيف (يحيي هذه الله بعد موتها) استعظاما لقدرته تعالى (فأماته الله) وألبثه (مائة عام ثم بعثه) أحياه ليريه كيفية ذلك (قال) تعالى له (كم لبثت) مكثت هنا (قال لبثت يوما أو بعض يوم) لأنه نام أول النهار فقبض وأحيي عند الغروب فظن أنه يوم النوم (قال بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه) لم يتغير مع طول الزمان (وانظر إلى حمارك) كيف هو فرآه ميتا وعظامه بيض تلوح، فعلنا ذلك لتعلم (ولنجعلك آية) على البعث (للناس وانظر إلى العظام) من حمارك (كيف ننشرها) نحييها بضم النون وقرئ بفتحها من أنشر ونشر لغتان، وفي قراءة بضمها والزاي نحركها نرفعها (ثم نكسوها لحما) فنظر إليه وقد تركبت وكسيت لحما ونفخ فيه الروح ونهق (فلما تبين له) ذلك بالمشاهدة (قال أعلم) علم مشاهدة (أن الله على كل شيء قدير) وفي قراءة (اعلمْ) أمر من الله له.»[٦٠٤]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد أفادت قراءة (نُنْشِزُها) الارتفاع بتركيب العظام بعضها على بعض.

في حين أفادت قراءة (نُنْشِرُها) الإحياء بعد الموت.

قال مكي بن أبي طالب: "النشز: وهو المرتفع من الأرض، أي وانظر إلى العظام كيف نرفع بعضها على بعض في التركيب للإحياء. وحجة من قرأ بالراء أنه جعله من النشور وهو الإحياء، فالمعنى: وانظر إلى عظام

٦٠٣ - تفسير التحرير والتنوير - المجلد الثالث ج٣ ص٣٤

٦٠٤ - تفسير الجلالين ص٤٣ باختصار.

حمارك، التي قد ابيضت من مرور الزمان عليها، كيف نحييها."[٦٠٥]
وقال الإمام الطبري: «(كيف نُنْشِزها) فإن القراء اختلفت في قراءته فقرأ بعضهم (وانظر إلى العظام كيف نُنْشِزُها) بضم النون وبالزاي وذلك قراءة عامة قراءة الكوفيين بمعنى: وانظر كيف نركب بعضها على بعض وننقل ذلك إلى مواضع من الجسم. وقرأ ذلك آخرون (وانظر إلى العظام كيف نُنْشِرها) بضم النون قالوا من قول القائل أنشر الله الموتى فهو ينشرهم إنشارا وذلك قراءة عامة قراء أهل المدينة بمعنى: وانظر إلى العظام كيف نحييها ثم نكسوها لحما.»[٦٠٦] وقال ابن عاشور: «فحصل من القراءتين معنيان لكلمة واحدة، فيصبح المعنى: وانظر إلى العظام كيف نرفعها حين نركب بعضها على بعض ثم تغلظ بإحاطة العصب واللحم والدم ثم نحييها بنفخ الروح فيها.»[٦٠٧]

وأما بالنسبة لقراءة القطع (أعلمُ) فهذا إخبار من الذي مر علي القرية عن نفسه. في حين أن قراءة الوصل (اعلمْ) أنه أمر من الله له. قال مكي بن أبي طالب: «وحجة من قرأ بالقطع أنه أخبر عن نفسه، عندما عاين من قدرة الله في إحياء الموتى، فتيقن ذلك بالمشاهدة، فأقر أنه يعلم أن الله على كل شيء قدير ...وحجة من قرأ بوصل الألف أنه جعلها أمرا، معناه الخبر ...وفي حرف عبد الله ما يدل على أنه أمر من الله له بالعلم، على معنى: الزم هذا العلم لما عاينت، وذلك أن في حرفه (قيل اعلم)، وأيضا فإنه موافق لما قبله من الأمر.»[٦٠٨]

---

٦٠٥ - الكشف ج١ ص٣١٠-٣١١ باختصار.
٦٠٦ - جامع البيان ج٣ ص ٤٣ باختصار.
٦٠٧ - تفسير التحرير والتنوير — المجلد الثالث ج٣ ص٣٧.
٦٠٨ - الكشف ج١ ص٣١٢ باختصار.

وبالجمع بين القراءتين يتبين أن الله تعالى أمره أن يقر بما شاهده عيانا من قدرة الله عز وجل فأقر بأن الله على كل شيء قدير.

٥٤- ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ ﴾

البقرة: ٢٦٠

القراءات:

١. قرأ أبو جعفر وحمزة وخلف ورويس (فصِرهن) بكسر الصاد.
٢. قرأ الباقون (فصُرهن) بالضم.[٦٠٩]

المعنى اللغوي للقراءات:

صُرْهُنَّ: معناه قطعهن، يقال: صار الشيء يَصُوره أي قطعه، والصَّور: القطع.[٦١٠]

قال الراغب الأصبهاني: «الصَّرَّة: الجماعة المنضم بعضهم إلى بعض كأنهم صُرُّوا، أي: جُمعوا في وعاء.»[٦١١]

التفسير:

هنا عطف على قوله (أو كالذي مر على قرية) فهو مثال ثالث لقضية قوله (الله ولي الذين آمنوا) الآية، ومثال ثاني لقضية (أو كالذي مر على قرية) فالتقدير: أو هو كإبراهيم إذ قال رب أرني ...الخ. فإن إبراهيم-عليه السلام-لفرط محبته الوصول إلى مرتبة المعاينة في دليل البعث رام

٦٠٩ - انظر النشر ج٢ ص٢٣٢.
٦١٠ - انظر الجامع لأحكام القرآن ج٣ ص٣٠١.
٦١١ - مفردات ألفاظ القرآن ص٤٨٢.

الانتقال من العلم النظري البرهاني إلى العلم الضروري فسأل الله أن يريه إحياء الموتى بالمحسوس.(٦١٢)

تتحدث الآية الكريمة عن طلب إبراهيم-عليه السلام -من ربه أن يريه كيفية إحياء الموتى عيانا، وإبراهيم عليه السلام ما كان شاكا في قدرة الله تعالى على إحياء الموتى وإنما أراد أن ينتقل من علم القين إلى عين اليقين.

قال النسفي في تفسيره: «وإنما قال له (أو لم تؤمن) وقد علم أنه أثبت الناس إيمانا ليجيب بما أجاب به لما فيه من الفائدة الجليلة للسامعين و(بلى) إيجابا لما بعد النفي معناه بلى آمنت ولكن لأزيد سكونا وطمأنينة (قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك) بكسر الصاد حمزة أي أملهن واضممهن إليك (ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا) ثم جزئهن وفرق أجزاءهن على الجبال التي بحضرتك وفى أرضك (ثم ادعهن) قل لهن تعالين بإذن الله (يأتينك سعيا) مصدر في موضع الحال أي ساعيات مسرعات في طيرانهن أو في مشيهن على أرجلهن، وإنما أمره بضمها إلى نفسه بعد أخذها ليتأملها ويعرف أشكالها وهيأتها وحلاها لئلا تلتبس عليه الأحياء ولا يتوهم أنها غير تلك (واعلم أن الله عزيز) لا يمتنع عليه ما يريده (حكيم) فيما يدبر لا يفعل إلا ما فيه الحكمة.»(٦١٣)

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد ذهب بعض العلماء إلى أن القراءتين بمعنى واحد باعتبار أن معنى (فصرهُن) بالكسر والضم واحد وهو: فقطعهن أو فأَملْهن. وقيل إن قراءة الضم (فصُرهن) بمعنى أملهن وضمهن، وقراءة الكسر (فصِرهن) بمعنى

٦١٢ - انظر تفسير التحرير والتنوير - المجلد الثالث ج ٣ ص٣٨.

٦١٣ - تفسير النسفي ج١ ص١٣٢-١٣٣ باختصار.

قطعهن.[٦١٤] قال الألوسي في تفسيره: «(فصرهن) قرأ حمزة ويعقوب بكسر الصاد والباقون بضمها مع التخفيف من صاره يصوره ويصيره: لغتان بمعنى قطعه أو أماله لأنه مشترك بينهما كما ذكره أبو علي[٦١٥]، وقال الفراء: الضم مشترك بين المعنيين، والكسر بمعنى القطع فقط. وقيل الكسر بمعنى القطع، والضم بمعنى الإمالة. وعن الفراء إن صاره مقلوب صراه عن كذا قطعه ...أي إجمعهن وضمهن إليك لتتأملها وتعرف شأنها مفصلة حتى تعلم بعد الإحياء أن جزءا من أجزائها لم ينتقل من موضعه الأول أصلا.»[٦١٦]

وعلي كلا الرأيين فمعنى القراءتين: خذ أربعة من الطير فأمِلهن وضمهن إليك لتتعرف عليهن ثم قطعهن ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا.

٥٥-﴿ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾ ﴾ البقرة: ٢٦٩

القراءات:

١. قرأ يعقوب (يُؤتِ) بكسر التاء وهو على أصله في الوقف على الياء، وذلك يقتضي أن تكون (مَن) عنده موصولة: أي والذي يؤتيه الله الحكمة؛ ولو كانت عنده شرطية لوقف عليها بالحذف كما يقف على (ومن تق السيئات) غافر ٩ ، ونحوه.
٢. قرأ الباقون (يُؤتَ) بفتح التاء ولا خلاف عنهم في الوقف على التاء.[٦١٧]

٦١٤ – انظر الكشف ج١ ص٣١٣ ، وانظر جامع البيان ج٣ ص٥٢-٥٦.

٦١٥ – المقصود به أبو علي الفارسي وقد تقدمت ترجمته.

٦١٦ – روح المعاني ج٣ ص٢٩ باختصار.

٦١٧ – انظر النشر ج٢ ص٢٣٥.

التفسير:

يصف الله تعالى نفسه فيقول (يؤتي الحكمة) أي يؤتي الله الحكمة (من يشاء) وذكر في معنى الحكمة وجوها، قيل إنه علم القرآن، وقيل: الإصابة في القول والفعل، وقيل: إنه علم الدين وقيل هي النبوة ..(ومن يؤت الحكمة) أي ومن يؤتى ما ذكرنا (فقد أوتي) أي أعطي (خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو ا الألباب) أي وما يتعظ بآيات الله إلا ذوو العقول.[٦١٨] قال الإمام الطبري بعد أن ذكر أقوال العلماء في معنى الحكمة: «فإذا كان ذلك كذلك معناه كان جميع الأقوال التي قالها القائلون الذين ذكرنا قولهم في ذلك داخلا فيما قلنا من ذلك لأن الإصابة في الأمور إنما تكون عن فهم بها وعلم ومعرفة. وإذا كان ذلك كذلك كان المصيب عن فهم منه بمواضع الصواب في أموره فهما خاشيا لله فقيها عالما وكانت النبوة من أقسامه لأن الأنبياء مسددون مفهمون وموفقون لإصابة الصواب في بعض الأمور والنبوة بعض معاني الحكمة.

فتأويل الكلام: يؤتي الله إصابة الصواب في القول والفعل من يشاء ومن يؤته الله ذلك فقد آتاه خيرا كثيرا.»[٦١٩]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد جاءت قراءة (يؤتَ) المبنية للمفعول مبهمةً للفاعل.

في حين أن قراءة (يؤتِ) المبنية للفاعل جاءت مبينه للفاعل وهو الله.[٦٢٠]

وبالجمع بين القراءتين يتبين معنى الحكمة الواردة في الآية: وهي الفهم الحقيقي للدين الذي يعطيها الله من اصطفاهم من عباده؛ باعتبار أن

٦١٨ - انظر مجمع البيان ج٢ ص١٥١-١٥٢.

٦١٩ - جامع البيان ج٣ ص٩١.

٦٢٠ - راجع كتاب المستنير في تخريج القراءات المتواترة / د . محمد سالم محيسن ج١ ص٨٣.

المعطي هو الله -ﷻ- وأن أصحاب هذه الحكمة هم الذين يستحقون أن يوصفوا بالحكماء. وبالتالي فإن غيرهم من أصحاب المعارف غير المؤمنين لا يسمون حكماء وإن وصلوا إلى أعلى المعارف الدنيوية حتى يجمعوا مع العلم والمعرفة الإسلام.

٥٦- ﴿ إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾ ﴾ البقرة: ٢٧١

القراءات:

١. قرأ ابن عامر وحفص (يكفرُ) بالياء والرفع.

٢. قرأ المدنيان وحمزة والكسائي وخلف (نكفرْ) بالنون والجزم.

٣. قرأ الباقون (نكفرُ) بالنون والرفع.[٦٢١]

المعنى اللغوي للقراءات:

الكفر: ستر الشيء، ووصف الليل بالكافر لستره الأشخاص، وكفر النعمة وكفرانها: سترها بترك أداء شكرها.[٦٢٢]

التفسير:

استئناف بياني عن قوله في الآية السابقة (وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فإن الله يعلمه) إذ أشعر تعميم (من نفقة) بحال الصدقات الخفية فيتساءل السامع في نفسه هل إبداء الصدقات يعد رياء، فجاء هذا الاستئناف يدفع توهما من شأنه تعطيل الصدقات والنفقات، وهو أن يمسك المرء عنها إذا لم يجد بدا من ظهورها فيخشى أن يصيبه

٦٢١ - انظر النشر ج٢ ص٢٣٦.

٦٢٢ - مفردات ألفاظ القرآن ص٧١٤ باختصار.

الرياء.[٦٢٣] جاء في تفسير تيسير الكريم الرحمن: «(إن تبدوا الصدقات) فتظهرونها وتكون علانية حيث كان القصد بها وجه الله (فنعما هي) أي: فنعم الشيء هي (وإن تخفوها) تسروها (وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم) ففي هذا أن صدقة السر على الفقير أفضل من صدقة العلانية، وأما إذا لم تؤت الصدقات الفقراء فمفهوم الآية أن السر ليس خيرا من العلانية، فيرجع في ذلك إلى المصلحة، فإن كان في إظهارها إظهار شعائر الدين وحصول الاقتداء ونحوه، فهو أفضل من الإسرار، ودل قوله (وتؤتوها الفقراء) على أنه ينبغي للمتصدق أن يتحرى بصدقته المحتاجين، ولا يعطي محتاجا وغيره أحوج منه، ولما ذكر تعالى أن الصدقة خير للمتصدق ويتضمن حصول الثواب قال (ويكفر عنكم من سيئاتكم) ففيه دفع العقاب (والله بما تعملون خبير) من خير وشر، قليل وكثير، والمقصود من ذلك المجازاة.»[٦٢٤]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أما بالنسبة لقراءتي (نكفرُ) بنون العظمة، (يكفرُ) فالمعنى فيهما واحد باعتبار أن الذي يكفر الذنوب هو الله وحده.

وأما بالنسبة لقراءتي (يكفرُ) بالياء والرفع، (نكفرْ) بالنون والجزم ففيهما تأثير على المعنى من حيث إن قراءة الجزم (نكفرْ) تفيد تخصيص التكفير بالإخفاء؛ لأنها معطوفة على جواب الشرط الثاني (فهو خير لكم).

في حين أن قراءة الرفع (يكفرُ) فتفيد العموم، باعتبار أنها جملة استئنافية، وأن التكفير يكون على الإنفاق سواء كان ذلك سراً أو جهراً، وإن كانت السرية خير من الجهرية عموماً.[٦٢٥]

٦٢٣ - انظر تفسير التحرير والتنوير - المجلد الثالث ج٣ ص٦٦-٦٧.

٦٢٤ - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان / عبد الرحمن السعدي ص١١٦.

٦٢٥ - راجع تفسير التحرير والتنوير - المجلد الثالث ج٣ ص٦٩ ، الكشف ج١ ص٣١٧.

وبالجمع بين القراءتين يتبين أن تكفير السيئات لا يتوقف على إخفاء الصدقات، وإن كان هو الأفضل عموما، بل مجرد الإنفاق في سبيل الله يكفر السيئات سواء كانت النفقة سرية أو جهرية، بل قد تكون الجهرية خير من السرية إن كان القصد منها تشجيع المسلمين على النفقة والبذل في سبيل الله.

٥٧- ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ ﴾ البقرة: ٢٧٩

القراءات:

١. قرأ حمزة وأبو بكر (فآذنوا) بقطع الهمزة ممدودة وكسر الذال.

٢. قرأ الباقون (فأذَنوا) بفتحها ووصل الهمزة.[٦٢٦]

المعنى اللغوي للقراءات:

أَذِن: استمع، ويستعمل ذلك في العلم الذي يتوصل إليه بالسماع، والإذن والأذان لما يسمع، ويُعبر بذلك عن العلم، إذ هو مبدأ كثير من العلم فينا، وأَذنته وآذنته بمعنى، والمؤذّن كل من يُعلِم بشيءٍ نداءً.[٦٢٧]

التفسير:

يحذر المولى -عَزَّ وَجَلَّ- في هذه الآية الكريمة من التعامل بالربا ويؤذن صاحبه بحرب لا قبل له بها، حرب مع الله. فأنى له القدرة على ذلك. قال الشوكاني في تفسيره: «قوله (فإن لم تفعلوا) يعني ما أمرتم به من الاتقاء، وترك ما بقي من الربا (فأذنوا بحرب من الله ورسوله) أي: فاعلموا بها، وقرأ أبو بكر عن عاصم وحمزة (فآذنوا) على معنى فأعلموا غيركم أنكم

٦٢٦ - انظر النشر ج٢ ص٢٣٦.

٦٢٧ - مفردات ألفاظ القرآن ص٧٠ بتصرف.

على حربهم. وقد دلت هذه على أن أكل الربا والعمل به من الكبائر ولا خلاف في ذلك، وتنكير الحرب للتعظيم، وزادها تعظيما نسبتها إلى اسم الله الأعظم وإلى رسوله -ﷺ- الذي هو أشرف خليقته.(٦٢٨) ثم بين تعالى أنه من تاب من الربا فعليه أن يقتصر على رأس ماله دون زيادة، على أن يلتزم المدين بسداد ما عليه دون إنقاص أو مطل.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

يلاحظ أن قراءة (فآذنوا) أعم من قراءة (فأذنوا) إذ هي تشتمل عليها وتزيد بإعلام الآخرين، حيث إن قراءة (فأذنوا) معناها: فاعلموا بها، وأما على قراءة (فآذنوا) فالمعنى: فأعلموا غيركم أنكم على حربهم، وهذا يقتضي أنهم علموا بها.

قال الإمام الطبري: "واختلف القراء في قراءة قوله (فأذنوا بحرب من الله ورسوله): فقرأته عامة قراء أهل المدينة (فأذَنوا) بقصر الألف من فأذنوا وفتح ذالها بمعنى: وكونوا على علم وإذن. وقرأه آخرون وهي قراءة عامة قراء الكوفيين فآذنوا بمد الألف من قوله (فآذِنوا) وكسر ذالها بمعنى فآذنوا غيركم أعلموهم وأخبروهم بأنكم على حربهم."(٦٢٩)

وبالجمع بين القراءتين يصبح المعنى: إن لم تتركوا ما بقي من الربا فاعلموا أنكم في حرب مع الله ورسوله، وأعلموا غيركم ممن لم ينته بمثل ذلك.

٥٨- ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ البقرة: ٢٨٠

٦٢٨ - فتح القدير ج١ ص٣٧٨ باختصار.

٦٢٩ - جامع البيان ج٣ ص١٠٧.

القراءات:

1. قرأ عاصم (تصَدقوا) بتخفيف الصاد.
2. قرأ الباقون (تصدَّقوا) بالتشديد.[٦٣٠]

المعنى اللغوي للقراءات:

الصدَقَة: ما يخرجه الإنسان من ماله على وجه القُربة كالزكاة، لكن الصدقة في الأصل تقال للمُتَطَوع به، والزكاة للواجب، وقد يسمى الواجب صدقة إذا تحرى صاحبها الصِّدق في فعله.[٦٣١] قال الفيروز آبادي: «الصَّدَقَة: ما أعطيته في ذات الله تعالى.»[٦٣٢]

التفسير:

يحث المولى -عز وجل- في هذه الآية على إنظار المعسرين وعدم التضييق عليهم، بل ويحث على ترك الدين كله صدقة لله لما في ذلك من الخير.

قال الشوكاني في تفسيره: "(وإن كان ذو عسرة) لما حكم سبحانه لأهل الربا برءوس أموالهم عند الواجدين للمال حكم في ذوي العسرة بالنظرة إلى يسار والعسرة ضيق الحال من جهة عدم المال، وأن تصدقوا على معسري غرمائكم بالإبراء خير لكم وفيه الترغيب لهم بأن يتصدقوا برءوس أموالهم على من أعسر وجعل ذلك خيرا من إنظاره."[٦٣٣]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد ذهب العلماء إلى أن الأصل في القراءتين تتصدقوا، فخفف في إحداهما بحذف إحدى التاءين، وفي الأخرى بالإدغام.[٦٣٤] ومع هذا فإن قراءة

٦٣٠ - انظر النشر ج٢ ص٢٣٦.

٦٣١ - انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٤٨٠.

٦٣٢ - القاموس المحيط ج٢ ص١١٩٤.

٦٣٣ - فتح القدير ج١ ص٣٧٨-٣٧٩ باختصار.

٦٣٤ - انظر مجمع البيان ج٢ ص١٦٤-١٦٥.

التشديد تفيد الإكثار من الصدقة والمبالغة في التصدق على المعسرين بترك رأس المال لهم، وأن الخيرية تكون في الصدقة القليلة والكثيرة إلا أنه في الصدقة الكثيرة أكثر. قال مكي بن أبي طالب في توجيه القراءتين: «هو مثل تظاهرون في الحجة في التخفيف والتشديد، لكن في التشديد معنى التكثير.»(٦٣٥)

٥٩- ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٢٨١) ﴾ البقرة: ٢٨١

القراءات:

١. قرأ يعقوب وأبو عمرو (تَرجِعون) بفتح التاء وكسر الجيم.

٢. قرأ الباقون (تُرجَعون) بضم التاء وفتح الجيم.(٦٣٦)

المعنى اللغوي للقراءات:

الرُّجوع: العَود إلى ما كان منه البَدْء، والرَّجع: الإعادة، والرَّجْعَة والرِّجعة في الطلاق، وفي العود إلى الدنيا بعد الممات.(٦٣٧)

التفسير:

يوجه المولى -عَزَّ وَجَلَّ- في هذه الآية الكريمة الأنظار إلى ذلك اليوم الرهيب -يوم القيامة- يوم الحساب والجزاء يوم العرض على الله للحساب. قال الشوكاني في تفسيره: "قوله (واتقوا يوما) هو يوم القيامة وتنكيره للتهويل، وقوله (ترجعون فيه إلى الله) وصف له، وقوله (إلى الله) فيه مضاف محذوف تقديره إلى حكم الله (ثم توفى كل نفس) من النفوس المكلفة (ما

٦٣٥ - الكشف ج١ ص٣١٩.

٦٣٦ - انظر النشر ج٢ ص٢٠٨-٢٠٩.

٦٣٧ - انظر المفردات ص٣٤٢.

كسبت) أي جزاء ما عملت من خير أو شر وجملة (وهم لا يظلمون) حالية، وهذه الآية فيها الموعظة الحسنة لجميع الناس."(٦٣٨)

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قال مكي بن أبي طالب: "قوله (يوما تُرجَعون فيه) قرأه أبو عمرو بفتح التاء وكسر الجيم، أضاف الفعل إلى المخاطبين، فهم الفاعلون. وقرأه الباقون بضم التاء وفتح الجيم، أضاف الفعل إلى من يُرجِع المخاطبين، فالمخاطبون مفعول بهم، قاموا مقام الفاعل."(٦٣٩) وعليه يمكن اعتبار قراءة الجمهور (تُرجَعون) بيان حال الكافر فهو لا يريد ولا يرغب في الرجوع، فيُرجَع رغما عنه. وأما قراءة (تَرجِعون) فتبين حال المؤمن المطمئن الراغب في لقاء الله والرجوع إليه. وقد تقدم عن مثلها.(٦٤٠)

٦٠- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَلَا يَأۡبَ كَاتِبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلۡيَكۡتُبۡ وَلۡيُمۡلِلِ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبۡخَسۡ مِنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ سَفِيهًا أَوۡ ضَعِيفًا أَوۡ لَا يَسۡتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلۡيُمۡلِلۡ وَلِيُّهُۥ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰۚ وَلَا يَأۡبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْۚ وَلَا تَسۡـَٔمُوٓاْ أَن تَكۡتُبُوهُ صَغِيرًا أَوۡ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقۡوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَرۡتَابُوٓاْ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةٗ تُدِيرُونَهَا بَيۡنَكُمۡ فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَلَّا تَكۡتُبُوهَاۗ وَأَشۡهِدُوٓاْ

٦٣٨ - فتح القدير ج١ ص٣٧٩ باختصار.

٦٣٩ - الكشف ج١ ص٣١٩-٣٢٠.

٦٤٠ - راجع ص ٦٩.

إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِن تَفْعَلُوا فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾ البقرة: ٢٨٢

القراءات:

١. قرأ حمزة (إن) بكسر الهمزة (فتذكِّرُ) بتشديد الكاف ورفع الراء.

٢. قرأ ابن كثير والبصريان (أن) بفتح الهمزة (فتذْكِرَ) بتخفيف الكاف وفتح الراء.

٣. قرأ الباقون (أن) بفتح الهمزة (فتذكِّرَ) بتشديد الكاف وفتح الراء.[٦٤١]

المعنى اللغوي للقراءات:

الضلال: العدول عن الطريق المستقيم، ويضاده الهداية .[٦٤٢]

الذِّكر: بالكسر حفظ للشيء، كالتذكار، والشيء يجري على اللسان.[٦٤٣]

التفسير:

هذه الآية هي أطول آية في القرآن الكريم وهي معروفة بآية الدين يتحدث فيها المولى -عز وجل- عن أحكام الدين وما ينبغي أن يكون عليه الحال. قال صاحب التفسير المنير: " لما ذكر الله تعالى الإنفاق وجزاءه الطيب، والربا وخطره، أعقبه بذكر القرض الحسن بلا فائدة، والتعامل بالدين المؤجل، وطريق توثيقه وحفظه بالكتابة والشهادة والرهن، وطريق تنميته بالتجارة التي تقتضي السرعة."[٦٤٤]

قال صاحب الجلالين: «(يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم) تعاملتم (بدين) كسلم وقرض (إلى أجل مسمى) معلوم (فاكتبوه) استيثاقا ودفعا للنزاع (وليكتب) كتاب الدين (بينكم كاتب بالعدل) بالحق في كتابته لا يزيد في

٦٤١ – انظر النشر ج٢ ص٢٣٦-٢٣٧ و إتحاف فضلاء البشر ص٢١٣.

٦٤٢ – انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٥٠٩.

٦٤٣ – انظر القاموس المحيط ج٢ ص٥٦٠ .

٦٤٤ – التفسير المنير ج٣ ص١٠٦.

المال والأجل ولا ينقص (ولا يأب) يمتنع (كاتب) من (أن يكتب) إذا دعي إليها (كما علمه الله) أي فضله بالكتابة فلا يبخل بها والكاف متعلقة بـ(يأب)، (فليكتب) تأكيد (وليملل) يمل الكاتب (الذي عليه الحق) الدين لأنه المشهود عليه فيقر ليعلم ما عليه (وليتق الله ربه) في إملائه (ولا يبخس) ينقص (منه) أي الحق (شيئا فإن كان الذي عليه الحق سفيها) مبذرا (أو ضعيفا) عن الإملاء لصغر أو كبر (أو لا يستطيع أن يمل هو) لخرس أو جهل باللغة أو نحو ذلك (فليملل وليه) متولي أمره من والد ووصي وقيم ومترجم (بالعدل واستشهدوا) أشهدوا على الدين (شهيدين) شاهدين (من رجالكم) أي بالغي المسلمين الأحرار (فإن لم يكونا) أي الشهيدان (رجلين فرجل وامرأتان) يشهدون (ممن ترضون من الشهداء) لدينه وعدالته وتعدد النساء لأجل (أن تضل) تنسى (إحداهما) الشهادة لنقص عقلهن وضبطهن (فتذكر) بالتخفيف والتشديد (إحداهما) الذاكرة (الأخرى الناسية وجملة الإذكار محل العلة أي لتذكر إن ضلت ودخلت على الضلال لأنه سببه وفي قراءة بكسر أن شرطية ورفع تذكر استئناف جوابه (ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا) إلى تحمل الشهادة وأدائها .»[٦٤٥]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد أفادت قراءة حمزة الشرطية (إن تضلَّ إحداهما فتذَكِّرُ) أن اتخاذ امرأتين مكان الرجل في الشهادة حتى إن ضلت إحداهما ذكرتها الأخرى، في حين أن قراءة الآخرين (أن تضلَّ إحداهما فتذَكِّرَ، فتذْكِرَ) أفادت بيان العلة من اتخاذ المرأتين كشاهدتين مكان الرجل، أي خشية أن تضل إحداهما فتذكرها الأخرى إلا أن قراءة التشديد أفادت معنى التكثير، على

٦٤٥ – تفسير الجلالين ص٤٨ باختصار.

معنى تذكير بعد تذكير. وذهب الفراء إلى أن من خفف (فتذْكِرَ) فهو من الذَّكر، الذي هو ضد الأنثى. والمعنى: إن المرأة الثانية إذا شهدت مع الأولى ذكَّرتها، أي جعلتها كالذَّكر، أي كالرجل الذي لا يحتاج إلى غيره.[٦٤٦] وقال الإمام الطبري: «اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأ عامة أهل الحجاز والمدينة وبعض أهل العراق (أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى) بفتح الألف من أن ونصب تضل وتذكر بمعنى فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان كي تذكر إحداهما الأخرى إن ضلت وهو عندهم من المقدم الذي معناه التأخير لأن التذكير عندهم هو الذي يجب أن يكون مكان تضل لأن المعنى ما وصفنا في قولهم. وقرأ ذلك آخرون كذلك غير أنهم كانوا يقرءونه بتسكين الذال من تذكر وتخفيف كافها وقارئو ذلك كذلك مختلفون فيما بينهم في تأويل قراءتهم إياه كذلك، وكان بعضهم يوجهه إلى أن معناه فَتُصَيِّر إحداهما الأخرى ذكرا باجتماعهما بمعنى أن شهادتها إذا اجتمعت وشهادة صاحبتها جازت كما تجوز شهادة الواحد من الذكور في الدين لأن شهادة كل واحدة منهما منفردة غير جائزة فيما جازت فيه من الديون إلا باجتماع اثنتين على شهادة واحد فتصير شهادتهما حينئذ منزلة شهادة واحد من الذكور، فكأن كل واحدة منهما في قول متأولي ذلك بهذا المعنى صيرت صاحبتها معها ذكرا. وقرأ ذلك آخرون (إن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى) بكسر إن من قوله إن تضل ورفع تذكر وتشديده. كأنه بمعنى ابتداء الخبر عما تفعل المرأتان إن نسيت إحداهما شهادتها تذكرها الأخرى من تثبيت الذاكرة الناسية وتذكيرها ذلك وانقطاع ذلك عما قبله، ومعنى الكلام عند قارئ ذلك كذلك: واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن

٦٤٦ - راجع الكشف ج٢ ص٣٢٠-٣٢١.

لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء فإن إحداهما إن ضلت ذكرتها الأخرى على استئناف الخبر عن فعلها إن نسيت إحداهما شهادتها من تذكير الأخرى منهما صاحبتها الناسية.»[٦٤٧]

وقال الإمام الطبري بعد أن خطأ قول القائل بأن تذكير إحداهما الأخرى تجعلها كالذكر: «إلا إن أراد أن الذاكرة إذا ضعفت صاحبتها عن ذكر شهادتها ستجرئها على ذكر ما ضعفت عن ذكره فنسيته فقوتها بالذكر حتى صيرتها كالرجل في قوتها في ذكر ما ضعفت عن ذكره من ذلك كما يقال للشيء القوي في عمله ذكر وكما يقال للسيف الماضي في ضربه سيف ذكر ورجل ذكر يراد به ماض في عمله قوي البطش صحيح العزم.»[٦٤٨]

وبالجمع بين القراءات: يتبين لنا أن اتخاذ المرأتين مكان الرجل في الشهادة خشية أن تضل إحداهما فتذكرها الأخرى، فإن نسيت إحداهما الشهادة فلابد للأخرى من تذكيرها مرة بعد مرة حتى تتذكر فتقومان مقام الذَّكر الذي لا يحتاج إلى غيره.

- وَلَا تَسْـَٔمُوٓاْ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦۚ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓاْۖ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا البقرة

القراءات:

١. قرأ عاصم (تجارةً حاضرةً) بالنصب.
٢. قرأ الباقون (تجارةٌ حاضرةٌ) بالرفع.[٦٤٩]

---

٦٤٧ - جامع البيان ج٣ ص١٢٤-١٢٥ باختصار.
٦٤٨ - المصدر السابق ج٣ ص١٢٥-١٢٦.
٦٤٩ - انظر النشر ج٢ ص٢٣٧.

التفسير:

ينهى المولى -ﷻ- عن ترك الكتابة حال الدين سواء كان الدين صغيرا أو كبيرا لما يترتب على ذلك من خلافات ناتجة من عدم توثيق الدين، كما أن في الكتابة بعد عن الشك، ويستثنى من الكتابة التجارة الحاضرة لما في الكتابة حينها من مشقة على الناس.

قال ابن عاشور في تفسيره: "(إلا أن تكون تجارة) استثناء من عموم الأحوال أو الأكوان في قوله (صغيرا أو كبيرا) وهو استثناء منقطع؛ لأن التجارة الحاضرة ليست من الدين، والتقدير: إلا كون تجارة حاضرة. وقيل الاستثناء متصل، والمراد بالتجارة الحاضرة المؤجلة إلى أجل قريب، فهي من جملة الديون، رخص فيها ترك الكتابة بها، وهذا بعيد."[٦٥٠]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لا تأثير لاختلاف القراءتين على المعنى، إنما يرجع الاختلاف في القراءتين إلى الناحية الإعرابية باعتبار كون (تكون) تامة أو ناقصة.

قال ابن زنجلة: «قرأ عاصم (إلا أن تكون تجارةً) بالنصب والمعنى إلا أن تكون المداينة تجارة حاضرة والمعاملة تجارة حاضرة. وقرأ الباقون بالرفع والمعنى إلا أن تقع تجارة حاضرة كقوله قبلها (وإن كان ذو عسرة) أي: وقع ذو عسرة.»[٦٥١]

وقال الألوسي في تفسيره: «ونصب عاصم تجارة على أنها خبر تكون واسمها مستتر فيها يعود إلى التجارة، كما قال الفراء: وعود الضمير في مثل ذلك على متأخر لفظا ورتبة جار في فصيح الكلام، وقال بعضهم: يعود إلى المداينة والمعاملة المفهومة من الكلام وعليه فالتجارة مصدر

٦٥٠ - تفسير التحرير والتنوير - المجلد الثالث ج٣ ص١١٥-١١٦ باختصار.

٦٥١ - حجة القراءات ص١٥١ ، وانظر الكشف ج١ ص٣٢١-٣٢٢.

لئلا يلزم الأخبار عن المعنى بالعين ورفعها الباقون على أنها اسم (تكون) والخبر جملة (تديرونها) ويجوز أن تكون (تكون) تامة فجملة (تديرونها) صفة.»[٦٥٢]

- ﴿وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِن تَفْعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾﴾

القراءات:

١. اختلف عن أبي جعفر في قوله (لا يضار) بين تخفيف الراء وسكونها (لا يضارْ)، وبين قراءتها مشددة مع الفتح (لا يضارَّ).
٢. قرأ الباقون (لا يضارَّ) بفتح الراء مع التشديد.[٦٥٣]

المعنى اللغوي للقراءات:

الضر: سوء الحال، يقال: ضَرَّهُ ضُراً: جلب إليه ضرا، والضراء: يقابل بالسراء. قال تعالى (ولا يضار كاتب ولا شهيد) يجوز أن يكون مسندا إلى الفاعل كأنه قال: لا يضارِرْ، وأن يكون مفعولا أي: لا يضارَر، بأن يُشغل عن صنعته ومعاشه باستدعاء شهادته.[٦٥٤]

التفسير:

(وأشهدوا إذا تبايعتم) عليه فإنه أدفع للاختلاف وهذا وما قبله أمر ندب (ولا يضار كاتب ولا شهيد) صاحب الحق ومن عليه بتحريف أو امتناع من الشهادة أو الكتابة ولا يضرهما صاحب الحق بتكليفهما ما لا يليق في الكتابة والشهادة (وإن تفعلوا) ما نهيتم عنه (فإنه فسوق) خروج عن

٦٥٢ - روح المعاني ج٣ ص٦١.
٦٥٣ - انظر النشر ج٢ ص٢٢٧-٢٢٨.
٦٥٤ - انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٥٠٣-٥٠٤.

الطاعة لا حق (بكم واتقوا الله) في أمره ونهيه (ويعلمكم الله) مصالح أموركم حال مقدرة أو مستأنف (والله بكل شيء عليم)."[٦٥٥]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد أفادت قراءة التشديد المبالغة في النهي عن الإضرار، سواء كان من جهة الكاتب والشهيد، أو من جهة المكتوب له والمشهود له. قال ابن عاشور: "نهى عن المضارة، وهي تحتمل أن يكون الكاتب والشهيد مصدرا للإضرار، أو أن يكون المكتوب له والمشهود له مصدرا للإضرار؛ لأن يضارّ يحتمل البناء للمعلوم وللمجهول، ولعل اختيار هذه المادة هنا مقصود، لاحتمالها حكمين، ليكون الكلام موجهاً فيحمل كلا معنييه لعدم تنافيهما، وهذا من وجه الإعجاز."[٦٥٦] وقال الجصاص في تفسيره: « كانت إحدى القراءتين نهيا لصاحب الحق عن مضارة الكاتب والشهيد والقراءة الأخرى فيها نهي الكاتب والشهيد عن مضارة صاحب الحق وكلاهما صحيح مستعمل فصاحب الحق منهي عن مضارة الكاتب والشهيد بأن يشغلهما عن حوائجهما ويلح عليهما في الاشتغال بكتابه وشهادته والكاتب والشهيد كل واحد منهما منهي عن مضارة الطالب بأن يكتب الكتاب ما لم يمل ويشهد الشهيد بما لم يستشهد ومن مضارة الشهيد للطالب القعود عن الشهادة وليس فيها إلا شاهدان فعليهما فرض أدائها وترك مضارة الطالب بالامتناع من إقامتها وكذلك على الكاتب أن يكتب إذا لم يجدا غيره.»[٦٥٧]

٦٥٥ - تفسير الجلالين ص٤٨ باختصار.

٦٥٦ - تفسير التحرير والتنوير - المجلد الثالث ج٣ ص١١٧.

٦٥٧ - أحكام القرآن للجصاص ج٢ ص٢٥٧-٢٥٨.

٦١- ﴿ ۞ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا۟ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾ ﴾ البقرة: ٢٨٣

القراءات:

١. قرأ ابن كثير وأبو عمرو (فرُهُن) بضم الراء والهاء من غير ألف.

٢. قرأ الباقون (فرِهَان) بكسر الراء وفتح الهاء وألف بعدها.[٦٥٨]

المعنى اللغوي للقراءات:

الرَّهن: ما يوضع وثيقة للدين، والرهان مثله، لكن يختص بما يوضع في الخطار[٦٥٩]، وأصلهما مصدر، يقال: رهنت الرهن وراهنته رهانا، فهو رهين ومرهون.

ويقال في جمع الرَّهن: رهانٌ ورهنٌ ورُهون.[٦٦٠]

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن الدين حال السفر وعدم وجود الكاتب، ففي هذه الحالة يجوز لصاحب الدين أن يضمن دينه من خلال أخذ ما يرتهن به من المدين كضمانة لدَينه بحيث إن قام المدين بسداد دَينه أعاد له صاحب الدين ما أخذه من رهن. قال الطبري في تفسيره: "وإن كنتم أيها المتداينون في سفر بحيث لا تجدون كاتبا يكتب لكم ولم يكن لكم إلى اكتتاب كتاب الدين الذي تداينتموه إلى أجل مسمى بينكم الذي أمرتكم باكتتابه والإشهاد عليه سبيل فارتهنوا بديونكم التي تداينتموها إلى الأجل المسمى رهونا تقبضونها ممن تداينونه كذلك ليكون ثقة لكم بأموالكم،

٦٥٨ – انظر النشر ج٢ ص٢٣٧.

٦٥٩ – الخَطَر: السبق الذي يُترامى عليه في التراهن، والجمع أخطار. لسان العرب ج٢ ص١١٩٦

٦٦٠ – انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٣٦٧-٣٦٨.

فإن كان المدين أمينا عند رب المال والدين فلم يرتهن منه في سفره رهنا بدينه لأمانته عنده على ماله وثقته فليتق الله المدينُ ربَه يقول فليخف الله ربه في الذي عليه من دين صاحبه أن يجحده أو يلط دونه أو يحاول الذهاب به فيتعرض من عقوبة الله ما لا قبل له به وليؤد دينه الذي ائتمنه عليه إليه."(٦٦١)

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد ذهب بعض العلماء إلى أن القراءتين بمعنى واحد. قال ابن عاشور في تفسيره: "الرِهان جمع رهن، ويجمع أيضا على رُهُن بضم الراء وضم الهاء."(٦٦٢)

إلا أن بعضهم الآخر ذهب إلى أن هناك فرق بينهما. قال الطبري في تفسيره: «(فرهان مقبوضة) فقرأ ذلك عامة قراء الحجاز والعراق (فرهان مقبوضة) بمعنى جماع رهن كما الكباش جماع كبش، والبغال جماع بغل، والنعال جماع نعل. وقرأ ذلك جماعة آخرون (فرهن مقبوضة) على معنى جمع رهان ورهن جمع الجمع وقد وجهه بعضهم إلى أنها جمع رهن مثل سقف وسقف.»(٦٦٣) وعلى الحالين فالمعنى: أنه في حالة عدم التمكن من الكتابة فلابد للمدين من دفع ما يمكن رهنه ولو كثر بما يضمن السداد.

٦٢- ﴿ لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ ﴾ البقرة: ٢٨٤

٦٦١ - جامع البيان ج٣ ص١٣٩-١٤١ باختصار.

٦٦٢ - تفسير التحرير والتنوير - المجلد الثالث ج٣ ص١٢٠.

٦٦٣ - جامع البيان ج٣ ص١٤٠.

القراءات:

١. قرأ ابن عامر وعاصم وأبو جعفر ويعقوب (فيغفرُ، ويعذبُ) برفع الراء والباء فيهما.

٢. قرأ الباقون (فيغفرْ، ويعذبْ) بجزمهما.(٦٦٤)

التفسير:

يخبر تعالى أن له ملك السماوات والأرض وما فيهن وما بينهن وأنه المطلع على ما فيهن لا تخفى عليه الظواهر ولا السرائر والضمائر وإن دقت وخفيت وأخبر أنه سيحاسب عباده على ما فعلوه وما أخفوه في صدورهم كما قال تعالى (قل إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله ويعلم ما في السماوات وما في الأرض والله على كل شيء قدير) آل عمران ٢٩، وقال (يعلم السر وأخفى) طه ٧ ، والآيات في ذلك كثيرة جدا وقد أخبر في هذه بمزيد على العلم وهو المحاسبة على ذلك ولهذا لما نزلت هذه الآية اشتد ذلك على الصحابة رضي الله عنهم وخافوا منها ومن محاسبة الله لهم على جليل الأعمال وحقيرها وهذا من شدة إيمانهم.(٦٦٥)

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد أفادت قراءة الجزم (فيغفرْ، ويعذبْ) العطف على (يحاسبكم). في حين أن قراءة الرفع (فيغفرُ، ويعذبُ) تفيد الاستئناف. قال ابن زنجلة: "(فيغفرُ لمن يشاء ويعذبُ من يشاء) برفع الراء والباء على الاستئناف وحجتهم أن قوله (إن تبدوا) شرط (يحاسبكم) جزم لأنه جواب وقد تم الكلام فيرفع فيغفر و يعذب على تقدير ضمير فهو يغفرُ ويعذبُ. وقرأ

٦٦٤ - انظر النشر ج٢ ص٢٣٧.

٦٦٥ - انظر تفسير ابن كثير ج١ ص٤٥١. والحديث أخرجه مسلم ج٢ ص١٤٥ ح١٢٥

الباقون بالجزم فيهما عطف على يحاسبكم به الله."[٦٦٦] وقال أبو حيان في تفسيره: «(فيغفرُ لمن يشاء ويعذبُ) بالرفع فيهما على القطع، وقرأ باقي السبعة بالجزم عطفا على الجواب.»[٦٦٧]

٦٣- ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾ البقرة: ٢٨٥

القراءات:

١. قرأ حمزة والكسائي وخلف (وكتابه) على التوحيد.
٢. قرأ الباقون (وكتبه) على الجمع.
٣. قرأ يعقوب (لا يفرقُ) بالياء.
٤. قرأ الباقون (لا نفرقُ) بالنون.[٦٦٨]

التفسير:

بدأ الله تعالى هذه السورة بالكلام على القرآن والمؤمنين ومقارنتهم بالكافرين، ولا سيما أخبار اليهود، ثم أرشد تعالى إلى كثير من الأحكام كالصيام والحج والطلاق ومحاجة الضالين، وختم السورة بالكلام عن إيمان الرسول محمد -ﷺ- والمؤمنين بالكتب السماوية وبالرسل الكرام دون تفريق أو تفضيل في أصل الرسالة والتشريع.[٦٦٩] قال الشوكاني في تفسيره: «(آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنين) أي بجميع ما أنزل الله (كل آمن بالله) أفرد الضمير في قوله (آمن بالله) مع رجوعه إلى كل

٦٦٦ – حجة القراءات ص١٥٢.

٦٦٧ – تفسير البحر المحيط ج٢ ص٣٧٦ باختصار.

٦٦٨ – انظر النشر ج٢ ص٢٣٧.

٦٦٩ – انظر التفسير المنير ج٣ ص١٣٢.

المؤمنين لما أن المراد بيان إيمان كل فرد منهم من غير اعتبار الاجتماع (وملائكته) أي من حيث كونهم عباده المكرمين المتوسطين بينه وبين أنبيائه في إنزال كتبه (وكتبه) لأنها المشتملة على الشرائع التي تعبد بها عباده (ورسله) لأنهم المبلغون لعباده ما نزل إليهم (وقالوا سمعنا وأطعنا) أدركناه بأسماعنا وفهمناه وأطعنا ما فيه (غفرانك) أي اغفر غفرانك قاله الزجاج وغيره، وقدم السمع والطاعة على طلب المغفرة لكون الوسيلة تتقدم على المتوسل إليه.»[٦٧٠]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

بالنسبة لقراءة (كتبه) بالجمع فلا شك أنها تعني جميع الكتب السابقة. أما بالنسبة لقراءة (كتابه) بالإفراد، فمن العلماء من اعتبر المقصود هو كتاب بعينه وهو القرآن، ومنهم من اعتبر أن المقصود بالكتاب اسم جنس يعم جميع الكتب السابقة. قال مكي بن أبي طالب: "فمن وحَّد أراد القرآن، ومن جمع أراد جميع الكتب التي أنزل الله، ويجوز في قراءة من وحَّد أن يراد به الجمع، يكون الكتاب اسما للجنس، فتستوي القراءتان."[٦٧١] قال الإمام الطبري: «واختلف القراء في قراءة قوله (وكتبه) فقرأ ذلك عامة قراء المدينة وبعض قراء أهل العراق (وكتبه) على وجه جمع الكتاب على معنى: والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وجميع كتبه التي أنزلها على أنبيائه ورسوله. وقرأ ذلك جماعة من قراء أهل الكوفة (وكتابه) بمعنى: والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وبالقرآن الذي أنزله على نبيه محمد -ﷺ-.[٦٧٢]

وبالجمع بين القراءتين: يكون الرسول -ﷺ- والمؤمنون قد آمنوا بجميع

٦٧٠ - فتح القدير ج١ ص٣٩٠ باختصار.

٦٧١ - الكشف ج١ ص٣٢٣.

٦٧٢ - جامع البيان ج٣ ص١٥٢.

الكتب السماوية السابقة إيمانا عاما، وبالقرآن الكريم إيمانا خاصا يتضمن الإيمان والعمل الفعلي. ويمكن أن نقول: إن قراءة (وكتبه) بالجمع يدخل فيها القرآن، وقراءة(وكتابه) بالإفراد أرادت تخصيص القرآن بمزيد ذكر لكونه مصدقا للكتب السابقة ومهيمنا عليها.

وأما بالنسبة لقراءة (لا يفرق) فالضمير فيها عائد على (كل آمن) على تقدير كل آمن وكل لا يفرق على سبيل الوصف العام.

وأما على قراءة (لا نفرق) فالضمير فيها يعود أيضا على (كل آمن) والتقدير: وقالوا لا نفرق على سبيل الإقرار، والله سبحانه وتعالى أراد الأمرين أن يقولوا فيكونوا، أو أن يكونوا قائلين ... قال الطاهر بن عاشور: "وقوله (لا نفرق بين أحد من رسله) قرأه الجمهور بنون المتكلم المشارَك، وهو يحتمل الالتفات: بأن يكون من مقول قول محذوف دل عليه السياق وعطف (وقالوا) عليه. أو النون فيه للجلالة أي آمنوا في حال أننا أمرناهم بذلك، لأننا لا نفرق. فالجملة معترضة. وقرأه يعقوب بالياء: على أن الضمير عائد على (كل آمن بالله) ."(٦٧٣)



٦٧٣ - تفسير التحرير والتنوير - المجلد الثالث ج٣ ص١٣٣ باختصار.

المبحث الثالث: سورة آل عمران

١- ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٢﴾ ﴾ آل عمران: ١٢

القراءات:

١. قرأ حمزة والكسائي وخلف (سَيُغلَبون ويُحشَرون) بالغيب.

٢. قرأ الباقون (ستُغلَبون وتُحشَرون) بالخطاب.[٦٧٤]

المعنى اللغوي للقراءات:

الغلبة: القهر، يقال: غلبته غَلْبا وغَلَبَة وغلَبا، فأنا غالب.[٦٧٥]

الحشر: إخراج الجماعة عن مقرّهم وإزعاجهم عنه إلى الحرب ونحوها.[٦٧٦]

التفسير:

استئناف ابتدائي، للانتقال من النذارة إلى التهديد، ومن ضرب المثل لهم بأحوال سلفهم في الكفر، إلى ضرب المثل لهم بسابق أحوالهم المؤذنة بأن أمرهم صائر إلى زوال، وأن أمر الإسلام ستندك له صم الجبال.[٦٧٧]

قال الطبرسي في تفسيره: لما تقدم ذكر ما أصاب القرون الخالية بالتكذيب للرسل من العذاب، حذر هؤلاء من أن يحل بهم ما حل بأولئك، فقال تعالى(قل للذين كفروا) إما مشركي مكة، أو اليهود (ستغلبون) ستهزمون وتصيرون مغلوبين في الدنيا (وتحشرون) أي تجمعون (إلى جهنم) في الآخرة. وقد فعل الله ذلك، فاليهود غُلبوا بوضع الجزية عليهم،

٦٧٤ - انظر النشر ج٢ ص٢٣٨.

٦٧٥ - انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٦١١.

٦٧٦ - انظر المصدر السابق ص٢٣٧.

٦٧٧ - انظر تفسير التحرير والتنوير - المجلد الثالث ج٣ ص١٧٤.

والمشركون غُلبوا بالسيف.(وبئس المهاد) أي بئس ما مهد لكم وبئس ما مهدتم لأنفسكم).[678]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد اختلف العلماء في المقصود من الكفار في قوله تعالى (قل للذين كفروا) هل المقصود بهم اليهود، أم المشركون، أم الجميع؟ وكذلك وقع الخلاف في عود الضمير في قوله تعالى (سيغلبون ويحشرون).

قال الألوسي في تفسيره: "فالمراد من الموصول اليهود والسين لقرب الوقوع أي تغلبون عن قريب وأريد منه في الدنيا وقد صدق الله تعالى وعده رسوله -ﷺ- فقتل كما قيل من بنى قريظة في يوم واحد ستمائة جمعهم في سوق بنى قيننقاع وأمر السياف بضرب أعناقهم وأمر بحفر حفيرة ورميهم فيها وأجلى بنى النضير وفتح خيبر وضرب الجزية عليهم وهذا من أوضح شواهد النبوة.[679] وقال الإمام الطبري: «والذي نختار من القراءة في ذلك قراءة من قرأه بالتاء بمعنى قل يا محمد للذين كفروا من يهود بني إسرائيل الذين يتبعون ما تشابه من آي الكتاب الذي أنزلته إليك ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد.»[680]

وعلى قراءة (سيغلبون ويحشرون) بالغيب، فالمعنى: قل يا محمد صلى الله عليه وسلم لليهود وبلغهم بأن المشركين سيغلبون ويحشرون إلى جهنم وبئس المهاد. قال الطبري في تفسيره: «وقرأت ذلك جماعة من قراء أهل الكوفة (سيغلبون ويحشرون) على معنى: قل لليهود سيغلب مشركو العرب ويحشرون إلى جهنم. ومن قرأ ذلك كذلك على هذا التأويل لم يجز في قراءته غير الياء.»[681]

٦٧٨ - مجمع البيان ج٢ ص١٩٢ باختصار.

٦٧٩ - روح المعاني ج٣ ص٩٤-٩٥.

٦٨٠ - جامع البيان ج٣ ص١٩٢.

٦٨١ - المصدر السابق ج٣ ص١٩١.

وبالجمع بين القراءات يصبح المعنى: قل يا محمد -ﷺ- لليهود ستغلبون أنتم والمشركين وستحشرون جميعكم إلى جهنم وبئس المهاد. وقد كان هذا فغُلبت اليهود وغُلب المشركون ولله الحمد والمنة.

٢-﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِي فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ ٱلْعَيْنِ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿١٣﴾ ﴾ آل عمران: ١٣

القراءات:

١. قرأ المدنيان ويعقوب (ترونهم) بالخطاب.

٢. قرأ الباقون (يرونهم) بالغيب.[٦٨٢]

التفسير:

يتحدث المولى عز وجل عما وقع في بدر من معجزات تمثلت في نصرة الله للفئة المؤمنة القليلة العدد والعدة على الفئة الكثيرة الكافرة، مع ما وقع في المعركة من تكثير عدد المسلمين في أعين الكافرين. قال ابن كثير في تفسيره: "قد كان لكم أيها اليهود القائلون ما قلتم آية أي دلالة على أن الله معز دينه وناصر رسوله ومظهر كلمته ومعل أمره (في فئتين) أي طائفتين (التقتا) أي للقتال (فئة تقاتل في سبيل الله) وهم المسلمون (وأخرى كافرة) وهم مشركو قريش يوم بدر وقوله (يرونهم مثليهم رأي العين) قال بعض العلماء فيما حكاه ابن جرير يرى المشركون يوم بدر أن المسلمين مثليهم في العدد (رأي أعينهم) أي جعل الله ذلك فيما رأوه سببا لنصرة الإسلام عليهم، والقول الثاني أن المعنى في قوله تعالى (يرونهم مثليهم رأي العين)

٦٨٢ - انظر النشر ج٢ ص٢٣٨.

أي يرى الفئة المسلمة الفئة الكافرة مثليهم أي ضعفيهم في العدد ومع هذا نصرهم الله عليهم (والله يؤيد بنصره من يشاء إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار) أي إن في ذلك لعبرة لمن له بصيرة وفهم ليهتدي به إلى حكم الله وأفعاله وقدره الجاري بنصر عباده المؤمنين في هذه الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد.[٦٨٣]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أما بالنسبة لقراءة (ترونهم) بالخطاب فيتوقف المقصود منها على المقصود من الخطاب في قوله تعالى (قد كان لكم آية في فئتين) وهذا أمر اختلف فيه العلماء، حيث قال ابن عطية في تفسيره: "الآية تحتمل أن يكون يخاطب بها المؤمنون وأن يخاطب بها جميع الكفار وأن يخاطب بها يهود المدينة، وبكل احتمال منها قد قال قوم.[٦٨٤]

ولكن بالنظر إلى القراءة الأخرى (يرونهم) بالغيب يتبين لنا أن المقصود من الخطاب الجميع فلقد قال ابن عاشور في توجيه هذه القراءة: «قرأ نافع وأبو جعفر ويعقوب ترونهم بتاء الخطاب وقرأه الباقون بياء الغيبة على أنه حال من (أخرى كافرة) أو من (فئة تقاتل في سبيل الله) أي مثلي عدد المرئيين إن كان الراءون هم المشركين، أو مثلي عدد الرائين، إن كان الراءون هم المسلمين؛ لأن كليهما جرى ضميره على الغيبة وكلتا الرؤيتين قد وقعت يوم بدر، وكل فئة علمت رؤيتها وتحديث بهاته الآية. وعلى هذه القراءة يكون العدول عن التعبير بفئتكم وفئتهم إلى قوله (فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة) لقصد صلوحية ضمير الغيبة لكلتا الفئتين،

٦٨٣ - تفسير ابن كثير ج١ ص٤٦٧-٤٦٨ باختصار.

٦٨٤ - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج١ ص٤٠٦.

فيفيد اللفظ آيتين على التوزيع، بطريقة التوجيه.»[٦٨٥] وقال الألوسي في تفسيره: «وقال بعض أئمة التحقيق: القول بأن الخطاب عام للمؤمنين واليهود ومشركي مكة هو الذي يقتضيه المقام لئلا يقتطع الكلام ويقع التذييل بقوله سبحانه (والله يؤيد) الخ موقع المسك في الختام ثم إن من عد التعبير عن جماعة بطريق من الطرق الثلاثة مع التعبير بعد عن البعض بطريق آخر يخالفه منها من الالتفات قال بوجوده في الآية على بعض احتمالاتها، ومن لم يعد ذلك منه كما هو الظاهر أنكر الالتفات فيها وبهذا يجمع بين أقوال الناظرين في الآية من هذه الحيثية واختلافهم في وجود الالتفات وعدمه فيها فأمعن النظر فإنه لمثل هذا المبحث كله يدخر.»[٦٨٦]

٣- ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾ ﴾ آل عمران: ١٩

القراءات:

١. قرأ الكسائي (أَن الدين) بفتح الهمزة.
٢. قرأ الباقون (إِن الدين) بكسرها.[٦٨٧]

المعنى اللغوي للقراءات:

الدين: يُقال للطاعة والجزاء، واستعير للشريعة، والدين كالملة، لكنه يُقال اعتبارا بالطاعة والانقياد للشريعة.[٦٨٨]

٦٨٥ - تفسير التحرير والتنوير – المجلد الثالث ج٣ ص١٧٨.
٦٨٦ - روح المعاني ج٣ ص٩٨، وانظر جامع البيان ج٣ ص١٩٤-١٩٨.
٦٨٧ - انظر النشر ج٢ ص٢٣٨.
٦٨٨ - انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٣٢٣.

التفسير:

هذه الآية لها علاقة بالآية التي سبقتها وهي قوله تعالى (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم) حيث جاءت هذه الآية لبيان الدين الحق والمقبول عند الله.

قال ابن كثير في تفسيره: "(إن الدين عند الله الإسلام) إخباراً منه -عَزَّ وَجَلَّ- بأنه لا دين عنده يقبله من أحد سوى الإسلام وهو إتباع الرسل فيما بعثهم الله به في كل حين حتى ختموا بمحمد -ﷺ- الذي سد جميع الطرق إليه إلا من جهة محمد -ﷺ- فمن لقي الله بعد بعثة محمد -ﷺ- بدين على غير شريعته فليس بمتقبل كما قال تعالى (ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه) آل عمران ٨٥ ، ثم أخبر تعالى بأن الذين أوتوا الكتاب الأول إنما اختلفوا بعد ما قامت الحجة بإرسال الرسل إليهم وإنزال الكتب عليهم فقال (وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم) أي بغى بعضهم على بعض فاختلفوا في الحق لتحاسدهم وتباغضهم وتدابرهم فحمل بعضهم بغض البعض الآخر على مخالفته في جميع أقواله وأفعاله وإن كانت حقا ثم قال تعالى (ومن يكفر بآيات الله) أي من جحد ما أنزل الله في كتابه (فإن الله سريع الحساب) أي فإن الله سيجازيه على ذلك ويحاسبه على تكذيبه ويعاقبه على مخالفته كتابه."[٦٨٩]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد أفادت قراءة (أن) على البدل: شهادة الله على أن الدين الحق ينحصر في الإسلام. والمعنى: شهد الله أنه لا إله إلا هو وأولوا العلم، وأن الدين الحق عند الله هو الإسلام.

٦٨٩ - تفسير ابن كثير ج١ ص٤٧٢ باختصار.

في حين أن قراءة (إن) الاستئنافية تفيد حصر الدين في الإسلام ولكن لا يندرج هذا ضمن الشهادة السابقة بل هي جملة ابتدائية، وتكون علاقتها بالآية السابقة أن المولى عز وجل بعد أن ذكر وحدانيته وأنه لا إله إلا هو، أعقبه بذكر الدين الواحد الذي لا يقبل الله سواه وهو الإسلام. قال ابن عاشور في تفسيره: "قرأ جمهور القراء (إن الدين) بكسر همزة إن، فهو استئناف ابتدائي لبيان فضيلة هذا الدين بأجمع عبارة وأوجزها."[٦٩٠] وجاء قوله (إن الدين عند الله) بصيغة الحصر، وهي تقتضي في اللسان حصر المسند إليه، وهو الدين، في المسند وهو الإسلام، على قاعدة الحصر بتعريف جزئي الجملة، أي لا دين إلا الإسلام، وقد أكد هذا الانحصار بحرف التوكيد.[٦٩١]

وقرأ الكسائي (أن الدين) بفتح همزة أن، على أنه بدل من قوله (أنه لا إله إلا الله) أي شهد الله بأن الدين عنده هو الإسلام. قال الألوسي في تفسيره: «وقرأ أبى (إن الدين عند الله للإسلام)، والكسائي (أن الدين) بفتح الهمزة على أنه بدل الشيء من الشيء إن فسر الإسلام بالإيمان وأريد به الإقرار بوحدانية الله تعالى والتصديق بها الذي هو الجزء الأعظم، وكذا إن فسر بالتصديق بما جاء به النبي -ﷺ- مما علم من الدين بالضرورة لان ذلك عين الشهادة بما ذكر باعتبار ما يلزمها فهي عينة مآلا، وأما إذا فسر بالشريعة فالبدل بدل اشتمال لان الشريعة شاملة للإيمان والإقرار بالوحدانية وفسرها بعضهم بعلم الأحكام.[٦٩٢]

٦٩٠ – تفسير التحرير والتنوير – المجلد الثالث ج٣ ص١٨٨.

٦٩١ – المصدر السابق ج٣ ص١٩٠.

٦٩٢ – روح المعاني ج٣ ص١٠٦.

وبالجمع بين القراءتين يصبح المعنى: إن الدين الحق المقبول عند الله ينحصر في الإسلام بشهادة الله تعالى. قال تعالى (ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين) آل عمران ٨٥

٤- ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ ﴾ آل عمران: ٢١

القراءات:

١. قرأ حمزة (ويُقاتِلون الذين يأمرون بالقسط) بضم الياء وألف بعد القاف وكسر التاء من القتال.
٢. قرأ الباقون (ويَقْتُلون) بفتح الياء وإسكان القاف وحذف الألف وضم التاء من القتل.[٦٩٣]

التفسير:

يتحدث المولى -ﷻ- في هذه الآية الكريمة عن بعض قبائح اليهود وظلمهم لأنفسهم بقتل الأنبياء والموحدين من الناس، وما أعده الله لهم في الآخرة من العذاب الأليم. قال أبو السعود في تفسيره: "(إن الذين يكفرون بآيات الله) أي آية كانت فيدخل فيهم الكافرون بالآيات الناطقة بحقية الإسلام (ويقتلون النبيين بغير حق) هم أهل الكتاب قتل أولوهم الأنبياء عليهم السلام وقتلوا أتباعهم وهم راضون بما فعلوا وكانوا - قاتلهم الله تعالى - حائمين حول قتل النبي لولا أن عصم الله تعالى ساحته المنيعة وقد أشير إليه بصيغة الاستقبال، والتقييد بغير حق للإيذان بأنه كان عندهم أيضا

٦٩٣ - انظر النشر ج٢ ص٢٣٨-٢٣٩.

بغير حق (ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس) أي بالعدل ولعل تكرير الفعل للإشعار بما بين القتلين من التفاوت أو باختلافها في الوقت.[٦٩٤]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

المقاتلة تعني: إعلان الحرب وإشهار السلاح والضرب به وقد يترتب عليها قتل وقد لا يترتب عليها قتل، وأما قراءة (يقتلون) فهي إخبار عنهم بالقتل. وبالجمع بين القراءتين: نجد أن العقوبة حاصلة سواء ترتب عليها إزهاق روح وهو القتل أو لم يترتب عليها ذلك، وفي هذا تهديد ووعيد لمن يحارب دين الله وأوليائه.

٥- ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ آل عمران: ٢٣

القراءات:

١. قرأ أبو جعفر (ليُحكَم) بضم الياء وفتح الكاف.
٢. قرأ الباقون (ليَحكُم) بفتح الياء وضم الكاف.[٦٩٥]

التفسير:

يقول تعالى منكراً على اليهود والنصارى المتمسكين فيما يزعمون بكتابيهم اللذين بأيديهم وهما التوراة والإنجيل وإذا دعوا إلى التحاكم إلى ما فيهما من طاعة الله فيما أمرهم به فيهما من إتباع محمد - r -تولوا وهم معرضون عنهما وهذا في غاية ما يكون من ذمهم والتنويه بذكرهم بالمخالفة والعناد.[٦٩٦]

٦٩٤ - تفسير أبي السعود ج١ ص٤٥٧-٤٥٨.
٦٩٥ - انظر النشر ج٢ ص٢٢٧.
٦٩٦ - انظر تفسير ابن كثير ج١ ص٤٧٤.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لما كانت القراءة الأولى (ليُحكَم) تدل على أن الله أنزل الكتب ليُحْكَم بها بين الناس، والقراءة الثانية (ليَحكُم) تدل على أن الكتب نزلت لتَحْكُم بين الناس، فهذا يدل على أن تحكيم كتاب الله يساوي تحكيم الله في المسألة، وهذا المعنى له ما له من قداسة وقيمة واعتبار. ولقد تقدم الحديث عن مثلها عند تفسير قوله تعالى (كان الناس أمة واحدة فبعث الله ...)[٦٩٧] البقرة ٢١٣

٦- ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ ﴾ آل عمران: ٣٦

القراءات:

١. قرأ ابن عامر ويعقوب وأبو بكر (وضَعْتُ) بإسكان العين وضم التاء.
٢. قرأ الباقون (وضَعَتْ) بفتح العين وإسكان التاء.[٦٩٨]

المعنى اللغوي للقراءات:

الوَضع أعم من الحط، ومنه الموضع، ويقال ذلك في الحَمل والحِمل، ويقال: وضعت الحَمل فهو موضوع.[٦٩٩] قال الفيروز آبادي: «وضَعه: حطه، والإبل وضيعة: رعت الحمض حول الماء ولم تبرح، كأوضعت، فهي واضعةٌ وواضعٌ ومُوضعةٌ.»[٧٠٠]

---

٦٩٧ – راجع ص ١٣٣ عند تفسير قوله تعالى (كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين ...) البقرة ٢١٣.

٦٩٨ – انظر النشر ج٢ ص٢٣٩.

٦٩٩ – مفردات ألفاظ القرآن ص٨٧٤ باختصار.

٧٠٠ – القاموس المحيط ج٢ ص١٠٣٢ باختصار.

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن ميلاد مريم عليها السلام بعد أن نذرت أمها ما في بطنها محررا لله. قال ابن كثير في تفسيره: "(فلما وضعتها قالت رب إني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت) قُرِئ برفع التاء على أنها تاء المتكلم وأن ذلك من تمام قولها، وقُرِئ بتسكين التاء على أنه من قول الله عز وجل، (وليس الذكر كالأنثى) أي في القوة والجلد في العبادة وخدمة المسجد الأقصى (وإني سميتها مريم) فيه دليل على جواز التسمية يوم الولادة كما هو الظاهر من السياق لأنه شرع من قبلنا، وقوله إخبارا عن أم مريم أنها قالت (وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم) أي عوذتها بالله عز وجل من شر الشيطان وعوذت ذريتها وهو ولدها عيسى عليه السلام فاستجاب الله لها ذلك."[٧٠١]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قال ابن عاشور في تفسيره: "وقوله (والله أعلم بما وضعتْ) جملة معترضة، وقرأ الجمهور: وضعتْ – بسكون التاء – فيكون الضمير راجعا إلى امرأة عمران. وهو حينئذ من كلام الله وليس من كلامها المحكي، والمقصود منه: أن الله أعلم منها بنفاسة ما وضعت. وأنها خير من مطلق الذكر الذي سألته، فالكلام إعلام لأهل القرآن بتغليطها. وتعليم بأن من فوض أمره إلى الله لا ينبغي أن يتعقب تدبيره.

وقرأ ابن عامر وأبو بكر عن عاصم ويعقوب: بضم التاء (وَضَعْتُ) على أنها ضمير المتكلمة امرأة عمران، فتكون الجملة من كلامها المحكي. وعليه فاسم الجلالة التفات من الخطاب إلى الغيبة فيكون قرينة لفظية على أن الخبر مستعمل في التحسر."[٧٠٢]

---

٧٠١ – تفسير ابن كثير ج١ ص٤٧٨-٤٧٦ باختصار.

٧٠٢ – تفسير التحرير والتنوير المجلد الثالث ج٣ ص٢٣٣.

وبالجمع بين القراءتين: يتضح لنا أنها قالت ذلك تحسرا على أنها أنثى ليست كالرجل في خدمة البيت فأعلمها الله بنفاسة ما وضعت وأنها خير من مطلق الذكر الذي سألته.

٧- ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ آل عمران: ٣٧

القراءات:

١. قرأ الكوفيون (وكفَّلها) بتشديد الفاء.
٢. قرأ الباقون (وكفَلها) بتخفيفها[٧٠٣]

المعنى اللغوي للقراءات:

الكفالة: الضمان تقول: تكفلت بكذا، وكفَّلته فلانا. وقرء (وكفَّلها زكريا) أي: كفَّلها الله، ومن خفف جعل الفعل لزكريا ، والمعنى: تضمنها.[٧٠٤]

التفسير:

يبين المولى -عز وجل- في هذه الآية استجابته لدعاء أم مريم، فأنشأها نشأة صالحة في كنف نبي الله زكريا عليه السلام، وأكرمها بالرزق الوفير في غير أوانه كرامة لها.

قال صاحب الجلالين: «(فتقبلها ربها) أي قبل مريم من أمها (بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا) أنشأها بخلق حسن، (وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب) الغرفة وهي أشرف المجالس (وجد عندها رزقا قال يا مريم أنى) من أين (لك هذا قالت) وهي صغيرة (هو من عند الله)

٧٠٣ - انظر النشر ج٢ ص٢٣٩.

٧٠٤ - انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٧١٧.

يأتيني به من الجنة (إن الله يرزق من يشاء بغير حساب) رزقا واسعا بلا تبعة.»[٧٠٥]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قال الطاهر بن عاشور في تفسيره: "قرأ الجمهور (وكفلها زكريا) بتخفيف الفاء من كفلها أي: تولى كفالتها.

وقرأ حمزة وعاصم والكسائي وخلف (وكفَّلها) بتشديد الفاء أي: أن الله جعل زكريا كافلا لها."[٧٠٦]

وبالجمع بين القراءتين يتضح أن الله -عز وجل- قد ألزم زكريا بكفالة مريم فتولى كفالتها. قال القرطبي في تفسيره: "(وكفَّلها) بالتشديد فهو يتعدى إلى مفعولين، والتقدير: وكفلها ربها زكريا أي ألزمه كفالتها وقدر ذلك عليه ويسَّره له."[٧٠٧]

٨ – ﴿ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾ آل عمران: ٣٩

القراءات:

١. قرأ حمزة (فناداه) بألف بعد الدال ممالة (إنَّ الله) بكسر الهمزة (يَبْشُرُك) بفتح الياء وفتح الشين وضمها من البشر وهو البشرى والبشارة.

٢. قرأ الكسائي (فناداه) بألف بعد الدال (أنَّ الله) بفتح الهمزة (يَبْشُرُك) بفتح الياء وفتح الشين وضمها.

٧٠٥ – تفسير الجلالين ص٥٤ باختصار.

٧٠٦ – تفسير التحرير والتنوير المجلد الثالث ج٣ ص٢٣٦.

٧٠٧ – الجامع لأحكام القرآن ج٣ ص٧٠.

٣. قرأ خلف (فناداه) بألف بعد الدال (أنَّ الله) بفتح الهمزة (يُبَشِّرُك) بضم الياء وتشديد الشين مكسورة من بشر المضعف على التكثير.
٤. قرأ ابن عامر (فنادته) بتاء ساكنة بعد الدال (إنَّ الله) بكسر الهمزة (يُبَشِّرك) بضم الياء وتشديد الشين مكسورة.
٥. قرأ الباقون (فنادته) بتاء ساكنة بعد الدال (أنَّ الله) بفتحها (يُبَشِّرك) بضم الياء وتشديد الشين مكسورة.[٧٠٨]

المعنى اللغوي للقراءات:

النداء: رفع الصوت وظهوره، وقد يقال ذلك للصوت المجرد.[٧٠٩] أبشَرْت الرجل وبشَّرته وبشَرته: أخبرته بسارٍّ بسط بشرة وجهه، واستبشر: إذا وجد ما يبشرُه من الفرح.[٧١٠]

التفسير:

في هذه الآية البشارة لزكريا- عليه السلام -بولادة يحيى- عليه السلام -واصطفائه بالنبوة.

قال صاحب التفسير المنير: "فخاطبته الملائكة شفاها، والمخاطب في رأي الجمهور: هو جبريل عليه السلام، والأظهر في رأي القرطبي: ناداه جميع الملائكة، أي جاء النداء من قبلهم. وهو قائم يدعو الله ويصلي في محراب عبادته، وقالت له: إن الله يبشرك بغلام اسمه يحيى، وهو أول من يصدق بعيسى بن مريم- عليه السلام -، ويحيى سيد قومه، ومعصوم من الذنوب، ومانع نفسه من شهواتها، ونبي يوحى إليه -وهذه بشارة ثانية بنبوة يحيى بعد البشارة بولادته، وهي أعلى من الأولى- وهو صالح ناشئ

٧٠٨ – انظر النشر ج٢ ص٢٣٩-٢٤٠.
٧٠٩ – انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٧٩٦.
٧١٠ – انظر المصدر السابق ص١٢٥.

من أصلاب الصالحين: أنبياء الله الكرام- صلوات الله عليهم -.[711]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أما بالنسبة لقراءتي (فناداه)، (فنادته) فأثرهما يظهر من الناحية النحوية والبلاغية من حيث جواز التذكير والتأنيث مع جمع التكسير، وجواز مخاطبة الفرد بصيغة الجمع. فنقول: (فناداه) جمع الملائكة، و(فنادته) جماعة الملائكة.

قال القرطبي: "وأما فناداه فهو جائز على تذكير الجمع ونادته على تأنيث الجماعة. قال مكي: والملائكة ممن يعقل في التكسير فجرى في التأنيث مجرى ما لا يعقل، تقول: هي الرجال وهي الجذوع وهى الجمال وقالت الأعراب، ويقوى ذلك قوله (وإذ قالت الملائكة) وقد ذكر في موضع آخر فقال (والملائكة باسطوا أيديهم) الأنعام ٩٣ ، وهذا إجماع وقال تعالى (والملائكة يدخلون عليهم من كل باب) الرعد ٢٣ ، فتأنيث هذا الجمع وتذكيره حسنان. وقال السدي[712]: ناداه جبريل وحده كذا في قراءة ابن مسعود وفي التنزيل (ينزل الملائكة بالروح من أمره) النحل ٢ ، يعنى جبريل والروح الوحي وجائز في العربية أن يخبر عن الواحد بلفظ الجمع وجاء في التنزيل (الذين قال لهم الناس) آل عمران ١٧٣ ، يعني نعيم بن مسعود على ما يأتي وقيل ناداه جميع الملائكة وهو الأظهر أي جاء النداء من قبلهم.»[713] وقال الإمام الطبري: (فإن قال قائل وكيف جاز أن يقال على هذا التأويل (فنادته الملائكة) والملائكة جمع لا واحد قيل ذلك جائز في كلام العرب بأن تخبر عن الواحد بمذهب الجمع كما يقال في الكلام

٧١١ - التفسير المنير ج٣ ص٢١٨ باختصار.

٧١٢ - إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة، أبو محمد، الإمام المفسر، الحجازي ثم الكوفي، الأعور السدي، ورد عنه أنه رأى أبا هريرة، والحسن بن علي، توفي سنة ١٢٧هـ ﴿انظر سير أعلام النبلاء ج٥ ص٢٦٤﴾.

٧١٣ - الجامع لأحكام القرآن ج٤ ص٧٤.

خرج فلان على بغال البرد وإنما ركب بغلا واحدا وركب السفن وإنما ركب سفينة واحدة.»[٧١٤]

وأما بالنسبة لقراءتي (إنَّ اللّه)، (أنَّ اللّه) فقد قال ابن زنجلة: «فمن فتح فالمعنى نادته بأن اللّه يبشرك أي نادته بالبشارة. ومن كسر أراد قالت له: إن اللّه يبشرك، ويجوز أن تقول إنما كسره على الاستئناف.»[٧١٥]

وبالجمع بين القراءات: يتضح لنا أن جبريل عليه السلام ممثلا عن الملائكة قد بشره بيحيى قائلا له: (إن اللّه يبشرك بيحيى ...). الآية

وأما بالنسبة لقراءتي (يَبْشُرك)، (يُبَشِّرك) فلقد ذهب البعض إلى أنها لغات بمعنى واحد.

قال الأخفش[٧١٦]: «هي ثلاث لغات بمعنى واحد.»[٧١٧] وقال الطوسي: «وأما يبشرك فقال أبو عبيدة يَبْشُرك ويُبَشِّرك واحد، وقال الزجاج هذا من بشر يبشر إذا فرح.»[٧١٨] وكذلك قال الإمام مكي بن أبي طالب: «والتخفيف والتشديد لغتان مشهورتان، يقال: بَشَر يُبشر، وبشّر يبشّر مبشّرا وبشورا.»[٧١٩] وقال الإمام الطبري: «وأما ما روي من الفرق بين معنى التخفيف والتشديد في ذلك فلم نجد أهل العلم بكلام العرب يعرفونه من وجه.»[٧٢٠] ومع هذا فإن قراءة التشديد أفادت المبالغة والتأكيد على البشارة أكثر مما أفادته قراءة التخفيف.

---

٧١٤ – جامع البيان ج٣ ص٢٤٩.

٧١٥ – حجة القراءات ص١٦٣.

٧١٦ – سعيد بن مسعدة، أبو الحسن، البلخي ثم البصري، لزم سيبويه حتى برع، توفي سنة ٢١٥هـ ﴿انظر: سير أعلام النبلاء ج١٠ ص٢٠٦﴾.

٧١٧ – الجامع لأحكام القرآن ج٤ ص٧٥.

٧١٨ – مجمع البيان ج٢ ص٢٢١.

٧١٩ – الكشف ج١ ص٣٤٤.

٧٢٠ – جامع البيان ج٣ ص٢٥٢ باختصار.

٩- ﴿ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ ﴾ آل عمران: ٤٨

القراءات:

١. قرا المدنيان وعاصم ويعقوب (يُعَلمُه) بالياء.
٢. قرأ الباقون (نُعَلمُه) بالنون.[٧٢١]

التفسير:

قال الإمام الطبري في تأويل الآية: "وهذا ابتداء خبر من الله -عز وجل- لمريم ما هو فاعل بالولد الذي بشرها به من الكرامة ورفعة المنزلة والفضيلة فقال كذلك الله يخلق منك ولدا من غير فحل ولا بعل فيعلمه الكتاب وهو الخط الذي يخطه بيده، والحكمة وهي السنة التي نوحيها إليه في غير كتاب، والتوراة وهي التوراة التي أنزلت على موسى كانت فيهم من عهد موسى، والإنجيل إنجيل عيسى ولم يكن قبله ولكن الله أخبر مريم قبل خلق عيسى أنه موحيه إليه. وإنما أخبرها بذلك فسماه لها لأنها قد كانت علمت فيما نزل من الكتب أن الله باعث نبيا يوحي إليه كتابا اسمه الإنجيل فأخبرها الله عز وجل أن ذلك النبي -ﷺ- الذي سمعت بصفته الذي وعد أنبياءه من قبل أنه منزل عليه الكتاب الذي يسمى إنجيلا هو الولد الذي وهبه لها وبشرها به.[٧٢٢]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قال الإمام الطبري: "والصواب من القول في ذلك عندنا أنهما قراءتان مختلفتان غير مختلفتي المعاني، فبأيتهما قرأ القارئ فهو مصيب الصواب في ذلك لاتفاق معنى القراءتين في أنه خبر عن الله بأنه يعلم عيسى الكتاب، وما ذكر أنه يعلمه."[٧٢٣]ومع هذا فقد أفادت قراءة (نعلمه) إظهار

٧٢١ - انظر النشر ج٢ ص٢٤٠.

٧٢٢ - جامع البيان ج٣ ص٢٧٤.

٧٢٣ - المصدر السابق ج٣ ص٢٧٣-٢٧٤.

العظمة مع ما فيها من التفات من الغيب إلى المخاطب وهو من الأساليب البلاغية في القرآن.

١٠-﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾ آل عمران: ٤٩

القراءات:

١. قرأ المدنيان (إنِّي) بكسر الهمزة.
٢. قرأ الباقون (أنِّي) بفتحها.
٣. قرأ أبو جعفر (كهيئة الطائر فأنفخ فيه فيكون طائراً).
٤. قرأ نافع ويعقوب (كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طائراً).
٥. قرأ الباقون (كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً).[٧٢٤]

المعنى اللغوي للقراءات:

الطائر: كل ذي جناح يسبح في الهواء، يقال: طار يطير طيرانا، وجمع الطائر: طَيْرٌ، كراكب وركْب.[٧٢٥]

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن معجزات عيسى- عليه السلام -التي أيده الله بها.

قال النسفي في تفسيره: «(ورسولا) أي ونجعله رسولا أو يكون في موضع الحال أي وجيها في الدنيا والآخرة ورسولا (إلى بنى إسرائيل أنى) بأني (قد جئتكم بآية من ربكم) بدلالة تدل على صدقي فيما أدعيه من النبوة

٧٢٤ - انظر النشر ج٢ ص٢٤٠.

٧٢٥ - انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٥٢٨.

(أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير) أي أقدر لكم شيئا مثل صورة الطير (فأنفخ فيه) الضمير للكاف أي في ذلك الشيء المماثل لهيئة الطير (فيكون طيراً) فيصير طيراً كسائر الطيور (بإذن الله) بأمره. قيل لم يخلق شيئا غير الخفاش (وأبرئ الأكمه) الذي ولد أعمى (والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله) كرر بإذن الله دفعا لوهم من يتوهم فيه اللاهوتية (وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم إنَّ في ذلك) أي فيما سبق (لآية لكم إن كنتم مؤمنين).»[٧٢٦]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد أفادت قراءة (أني أخلق) على الفتح أنها بدل من قوله (آية) بمعنى أن هذه المذكورات هي آية ومعجزة من عند الله على صدقه.

وأما قراءة (إني أخلق) على الكسر، فهي إما على الاستئناف، أو أنها تفسير لكلمة (آية) .

وبالجمع بين القراءتين يترجح أن المقصود من قراءة الكسر: هو البيان والتفسير لا الاستئناف. قال مكي بن أبي طالب: "من فتح جعل الكلام متصلا، فأبدل (أن) من (آية) فصار التقدير: جئتكم بأني أخلق. ومن كسر جعل الكلام مستأنفا، مبتدأ به، فكسر (إن)، ويجوز أن تكون (إن) وما بعدها تفسيرا لما قبلها، فيكون في المعنى بمنزلة من فتح، وأبدل من (آية)."[٧٢٧]

وأما بالنسبة لقراءة الجمهور (كهيئة الطير فيكون طيرا) تفيد أن المخلوق كان على هيئة الطير. في حين أن قراءة أبي جعفر (كهيئة الطائر فيكون طائرا) فهي تفيد أن المخلوق كان طائرا واحدا لا أكثر.

---

٧٢٦ - تفسير النسفي ج١ ص١٥٨-١٥٩ باختصار.

٧٢٧ - الكشف ج١ ص٣٤٤-٣٤٥ بتصرف.

وبالجمع بين القراءتين يتضح أن المخلوق كان طيرا واحدا لا أكثر. وقد ذُكر أنه الخفاش. قال الألوسي في تفسيره: «والمشهور أنه لم يخلق غير الخفاش.»(٧٢٨)

١١- ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ آل عمران: ٥٧

القراءات:

١. قرأ حفص ورويس (فيوفيهم) بالياء.
٢. قرأ الباقون (فنوفيهم) بالنون.(٧٢٩)

المعنى اللغوي للقراءات:

الوافي: الذي بلغ التمام. يقال: درهم واف، وكيل واف، وأوفى: إذا تمم العهد ولم ينقض حفظه.(٧٣٠)

التفسير:

هذه الآية والتي سبقتها (فأما الذين كفروا فأعذبهم..) تفصيل لما أجمل في قوله تعالى (فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون). قال ابن عاشور في تفسيره: "وتوفية الأجور في الدنيا تظهر في أمور كثيرة: منها رضا الله عنهم، وبركاته معهم، والحياة الطيبة، وحسن الذكر. وجملة (لا يحب الظالمين) تذييل، وفيها اكتفاء: أي ويحب الذين آمنوا وعملوا الصالحات."(٧٣١)

وقال الإمام الطبري: «وأما الذين آمنوا بك يا عيسى يقول صدقوك فأقروا بنبوتك وبما جئتهم به من الحق من عندي ودانوا بالإسلام الذي بعثتك

٧٢٨ - روح المعاني ج٣ ص١٦٨ ، وكذلك قال الطبري في تفسيره جامع البيان ج٣ ص٢٧٥-٢٧٦.
٧٢٩ - انظر النشر ج٢ ص٢٤٠.
٧٣٠ - انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٨٧٨.
٧٣١ - تفسير التحرير والتنوير - المجلد الثالث ج٣ ص٢٦٢.

به وعملوا بما فرضت من فرائضي على لسانك وشرعت من شرائعي وسننت من سنني، (فيوفيهم أجورهم) يقول فيعطيهم جزاء أعمالهم الصالحة كاملا لا يبخسون منه شيئا ولا ينقصونه. وأما قوله (والله لا يحب الظالمين) فإنه يعني والله لا يحب من ظلم غيره حقا له أو وضع شيئا في غير موضعه.»[٧٣٢]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

الضمير في القراءتين يرجع إلى فاعل واحد وهو الله إلا أن قراءة الجمهور (فنوفيهم) أفادت تعظيم المفعول. قال ابن عاشور: "وأسند فنوفيهم إلى نون العظمة تنبيها على عظمة مفعول هذا الفاعل؛ إذ العظيم يعطي عظيما."[٧٣٣]

وأما القراءة الأخرى (فيوفيهم) بياء الغائب على الالتفات وهو من الأساليب البلاغية في القرآن. قال الألوسي في تفسيره: «وقرأ حفص ورويس عن يعقوب فيوفيهم بياء الغيبة وزاد رويس ضم الهاء، وقرأ الباقون بالنون جريا على سنن العظمة والكبرياء، ولعل وجه الالتفات إلى الغيبة على القراءة الأولى الإيذان بأن توفية الأجر مما لا يقتضي لها نصب نفس لأنها من آثار الرحمة الواسعة، ولا كذلك العذاب.»[٧٣٤]

١٢- ﴿ وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ ﴾ آل عمران: ٧٣

٧٣٢ - جامع البيان ج٣ ص٢٩٤ باختصار.

٧٣٣ - تفسير التحرير والتنوير - المجلد الثالث ج٣ ص٢٦٢.

٧٣٤ - روح المعاني ج٣ ص١٨٥.

القراءات:

١. قرأ ابن كثير (آن يؤتى) بهمزتين ثانيتهما مسهلة بلا فصل لقصد التوبيخ.
٢. قرأ الباقون (أَن يؤتى) بهمزة مفتوحة.[٧٣٥]

التفسير:

هذه الآية استمرار لبيان ما كان يحيكه اليهود ويدبرونه من مكر وفساد بقصد فتنة المسلمين عن دينهم والتنبيه على أتباعهم بأن لا يؤمنوا الإيمان الحق إلا لدينهم. قال ابن كثير في تفسيره: "(ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم) أي لا تطمئنوا وتظهروا سروركم وما عندكم إلا لمن تبع دينكم ولا تظهروا ما بأيديكم إلى المسلمين فيؤمنوا به ويحتجوا به عليكم، قال الله تعالى (قل إن الهدى هدى الله) أي هو الذي يهدي قلوب المؤمنين إلى أتم الإيمان بما ينزله على عبده ورسوله محمد -ﷺ- من الآيات البينات والدلائل القاطعات والحجج الواضحات وإن كتمتم أيها اليهود ما بأيديكم من صفة محمد النبي الأمي في كتبكم التي نقلتموها عن الأنبياء الأقدمين وقوله (أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم عند ربكم) يقولون لا تظهروا ما عندكم من العلم للمسلمين فيتعلموه منكم ويساوونكم فيه ويمتازون به عليكم لشدة الإيمان به أو يحاجوكم به عند ربكم أي يتخذونه حجة عليكم بما في أيديكم فتقوم به عليكم الدلالة وتتركب الحجة في الدنيا والآخرة قال الله تعالى (قل إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء) أي الأمور كلها تحت تصرفه وهو المعطي المانع يمن على من يشاء بالإيمان والعلم والتصرف التام ويضل من يشاء فيعمي بصره وبصيرته ويختم على قلبه وسمعه ويجعل على بصره غشاوة وله الحجة التامة والحكمة البالغة (والله واسع عليم)."[٧٣٦]

---

٧٣٥ - انظر إتحاف فضلاء البشر ص٢٢٥.

٧٣٦ - تفسير ابن كثير ج١ ص٤٩٦-٤٩٧.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد أفادت كل قراءة معنى جديداً، حيث أفادت قراءة المد (آن) تأكيد الإنكار من اليهود بأن الله لا يؤتي أحدا مثل ما آتاهم. قال مكي بن أبي طالب في توجيهه لقراءة المد (آن يؤتى): "تأكيد الإنكار الذي قالوه، بأنه لا يؤتى أحد مثل ما أوتوا؛ لأن علماء اليهود قالت لعامتهم: لا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم آن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم. أي: لا يؤتى أحد مثل ما أوتيتم."[٧٣٧] وقال ابن عاشور في تفسيره: «أنهم أرادوا إنكار أن يؤتى أحد النبوة كما أوتيها أنبياء بني إسرائيل، فيكون الكلام استفهاما إنكاريا حذفت منه أداة الاستفهام لدلالة السياق، ويؤيده قراءة ابن كثير (آن يؤتى أحد) بهمزتين.»[٧٣٨]

وأما القراءة الأخرى (أن يؤتى) فلقد أفادت بيان علة الإنكار وهو أن لا يعلمه المسلمون كما قاله ابن كثير في معنى الآية.

وبالجمع بين القراءتين يتبين لنا أن إنكار طائفة اليهود على الأخرى لاعتقادهم أن لا أحد يمكن أن يؤتى مثلما أوتوا، وعليه فالواجب في حقهم عدم تعليمه للآخرين حتى لا يساووهم في العلم به وحتى لا يكون ذلك حجة عليهم.

١٣- ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ آل عمران: ٧٩

القراءات:

٧٣٧ - الكشف ج٢ ص٣٤٧.

٧٣٨ - تفسير التحرير والتنوير - المجلد الثالث ج٣ ص٢٨٢.

١. قرأ ابن عامر والكوفيون (تُعَلِّمون) بضم التاء وفتح العين وكسر اللام مشددة.
٢. قرأ الباقون (تَعْلَمون) بفتح التاء واللام وإسكان العين مخففا.[739]

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عما ينبغي أن يكون عليه العباد وخصوصا الأنبياء -عليهم السلام- الذين أكرمهم الله بالنبوة والرسالة من الالتزام بالحق الذي جاء من عند الله -ﷻ-، والدعوة إلى توحيد الله وإخلاص العبودية له وحده.

قال الطبري في تفسيره: "يعني بذلك جل ثناؤه وما ينبغي لأحد من البشر (أن يؤتيه الله الكتاب) يقول أن ينزل الله عليه كتابه (والحكم) يعني ويعلمه فصل الحكمة (والنبوة) يقول ويعطيه النبوة (ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله) يعني ثم يدعو الناس إلى عبادة نفسه دون الله وقد آتاه الله ما آتاه من الكتاب والحكم والنبوة، ولكن إذا آتاه الله ذلك فإنما يدعوهم إلى العلم بالله ويحدوهم على معرفة شرائع دينه وأن يكونوا رؤساء في المعرفة بأمر الله ونهيه وأئمة في طاعته وعبادته بكونهم معلمي الناس الكتاب وبكونهم دارسيه."[740]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد جاءت قراءة ابن عامر (تُعَلِّمون) مفسرة لقراءة الجمهور، بمعنى أن العَالِم لا يستحق أن يوصف بأنه رباني حتى يُعلم الناسَ العلم، ويعمل بعلمه.

قال الألوسي في تفسيره: "والمطلوب أن لا ينفك العلم عن العمل إذ لا يعتد بأحدهما بدون الآخر."[741]

٧٣٩ - انظر النشر ج٢ ص٢٤٠.
٧٤٠ - جامع البيان ج٣ ص٣٢٤.
٧٤١ - روح المعاني ج٣ ص٢٠٨

وقال الطوسي في تفسيره: «ومن قرأ بالتشديد أراد تعلمونه لسواكم فيفيد أنهم يَعلمون ويُعلمون غيرهم والتخفيف لا يفيد أكثر من كونهم عالمين.»(٧٤٢)

وقال مكي بن أبي طالب: «فالتشديد يدل على العلم والتعليم، والتخفيف إنما يدل على العلم فقط.»(٧٤٣)

وفي القراءتين دعوة للعلم والتعليم، فلا يكون العالم ربانياً حتى يعلم ويربي الناس بأفعاله وأقواله، كما أمر به تعالى نبيه بقوله)وقل رب زدني علما(طه ١١٤ ، وقال تعالى (قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب) الزمر ٩ ، وقال عليه الصلاة والسلام: خيركم من تعلم القرآن وعلمه.٧٤٤

١٤- ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ آل عمران: ٨٠

القراءات:

١. قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة وخلف ويعقوب (ولا يأمرَكم) بنصب الراء.
٢. قرأ الباقون (ولا يأمرُكم) بالرفع.(٧٤٥)

المعنى اللغوي للقراءات:

الأمر: الشأن، وجمعه أمور، ومصدرُ أمرته: إذا كلَّفته أن يفعل شيئاً.. والأمر: التقدم بالشيء سواء كان ذلك بقولهم افْعَل ولْيَفْعَل، أو كان ذلك بلفظ خبر.(٧٤٦)

٧٤٢ - مجمع البيان ج٢ ص٢٥٦ ، وبه قال الطبري في تفسيره جامع البيان ج٣ ص٣٢٧-٣٢٨.

٧٤٣ - الكشف ج٢ ص٣٥١ ، وانظر جامع البيان ج٣ ص٣٢٧-٣٢٨.

٧٤٤ - رواه البخاري في صحيحه، انظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه ج٩ ص٧٤ - رقم ٥٠٢٧.

٧٤٥ - انظر النشر ج٢ ص٢٤٠.

٧٤٦ - انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٨٨.

التفسير:

هذه الآية معطوفة على الآية السابقة، فهي تنفي عن الأنبياء- عليهم السلام -الدعوة لاتخاذ غير الله الاها يعبد، سواء كان هذا الشريك نبي أو ملك. قال ابن كثير في تفسيره: "(ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا) أي ولا يأمركم بعبادة أحد غير الله لا نبي مرسل ولا ملك مقرب (أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون) أي لا يفعل ذلك إلا من دعا إلى عبادة غير الله ومن دعا إلى عبادة غير الله فقد دعا إلى الكفر والأنبياء إنما يأمرون بالإيمان وهو عبادة الله وحده لا شريك له كما قال تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) الأنبياء ٢٥ ، وقال إخبارا عن الملائكة (ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين)»[٧٤٧] الأنبياء ٢٩.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد أفادت قراءة الرفع (يأمرُكم) أن الضمير يعود على لفظ الجلالة أو على بشر المتقدم.

في حين أفادت قراءة النصب أن الضمير في (يأمرَكم) يعود على (بشر) المتقدم ذكره.

قال أبو حيان في توجيه قراءة الرفع: "والمعنى على هذه القراءة أنه لا يقع من بشر موصوف بما وصف به أن يجعل نفسه ربا فيعبد، ولا هو أيضا يأمر باتخاذ غيره من ملائكة وأنبياء أربابا، فانتفى أن يدعو لنفسه ولغيره، وإن كان الضمير يعود على الله فيكون إخبارا من الله أنه لم يأمر بذلك فانتفى أمر الله بذلك وأمر أنبيائه. وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة (ولا يأمركم) بنصب الراء وخرجه أبو علي وغيره على أن يكون المعنى ولا له أن يأمركم

٧٤٧ - تفسير ابن كثير ج١ ص٥٠١-٥٠٢ باختصار.

فقدروا أن مضمرة بعد لا، فتكون لا مؤكدة معنى النفي السابق."(٧٤٨)
وقال مكي بن أبي طالب: «وحجة من نصبه أنه عطفه على (أن يؤتيه) ففي يأمركم ضمير (بشر) المتقدم ذكره، والمراد به النبي- r.-وحجة من رفع أنه قطعه مما قبله، ففيه ضمير اسم الله جل ذكره، والمعنى: أنه ابتدأ الكلام فقال: ولا يأمُركم الله أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا."(٧٤٩) وقال الألوسي في تفسيره: «قرأ ابن عامر وحمزة وعاصم ويعقوب (ولا يأمركم) بالنصب عطفا على (يقول)، (ولا) إما مزيدة لتأكيد معنى النفي الشائع في الاستعمال سيما عند طول العهد وتخلل الفصل والمعنى ما كان لبشر أن يؤتيه الله تعالى ذلك ويرسله للدعوة إلى اختصاصه بالعبادة وترك الأنداد ثم يأمر الناس بأن يكونوا عبادا له ويأمركم أن تتخذوا (الملائكة والنبيين أربابا)، وإما غير زائدة. وقرأ باقي السبعة (ولا يأمركم) بالرفع على الاستئناف ويحتمل الحالية.»(٧٥٠)
وبالجمع بين القراءتين يصبح المعنى: ولا ينبغي لله ولا للرسول أن يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا من دون الله كما قال ذلك أبو حيان.

١٥- ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ آل عمران: ٨١

٧٤٨- تفسير أبي حيان ج٢ ص٥٣٠.
٧٤٩- الكشف ج٢ ص٣٥٠-٣٥١ باختصار.
٧٥٠- روح المعاني ج٣ ص٢٠٨.

القراءات:

١. قرأ حمزة (لِما آتيتكم).

٢. قرأ المدنيان (لَما آتيناكم).

٣. قرأ الباقون (لَما آتيتكم).[٧٥١]

التفسير:

يخبر تعالى أنه أخذ ميثاق كل نبي بعثه من لدن آدم عليه السلام إلى عيسى عليه السلام لمهما آتى الله أحدهم من كتاب وحكمة، ثم جاء رسول من بعده ليؤمنن به ولينصرنه، ولا يمنعه ما هو فيه من العلم والنبوة من اتباع من بعث بعده ونصرته. قال الأمام الطبري: "وأولى الأقوال بالصواب عندنا في تأويل هذه الآية أن جميع ذلك خبر من الله - عَزَّ وَجَلَّ - عن أنبيائه أنه أخذ ميثاقهم به وألزمهم دعاء أممهم إليه والإقرار به لأن ابتداء الآية خبر من الله -عَزَّ وَجَلَّ- عن أنبيائه أنه أخذ ميثاقهم ثم وصف الذي أخذ به ميثاقهم فقال هو كذا وهو كذا. وإنما قلنا إن ما أخبر الله أنه أخذ به مواثيق أنبيائه من ذلك قد أخذت الأنبياء مواثيق أممها به لأنها أرسلت لتدعو عباد الله إلى الدينونة بما أمرت بالدينونة به في أنفسها من تصديق رسل الله. فتأويل الآية: واذكروا يا معشر أهل الكتاب إذ أخذ الله ميثاق النبيين لمهما آتيتكم أيها النبيون من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول من عندي مصدق لما معكم لتؤمنن به يقول لتصدقنه ولتنصرنه.»[٧٥٢]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد أدى اختلاف القراءات إلى اختلاف المعاني، فكل قراءة أفادت معنى مغايرا للآخر.

٧٥١ - انظر النشر ج٢ ص٢٤١.

٧٥٢ - جامع البيان ج٣ ص٣٣٣-٣٣٤.

فلقد ذكر ابن هشام "أن من معاني اللام الجارة: التعليل، ومثَّل لذلك بقراءة حمزة (وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لِما آتيتكم من كتاب وحكمة) الآية، فقال في معناها: أي لأجل إتياني إياكم بعض الكتاب والحكمة ثم لمجيء محمد -ﷺ- مصدقا لما معكم لتؤمنن به، فما: مصدرية فيهما، واللام تعليلية، وتعلقت بالجواب المؤخر على الاتساع في الظرف. ويجوز كون (ما) موصولا اسميا.

وأما قراءة الباقين بالفتح: فاللام لام التوطئة، وما: شرطية، أو اللام للابتداء، وما، موصولة، أي: الذي آتيتكموه، وهي مفعولة على الأول، ومبتدأ على الثاني."[٧٥٣] وقال الطبرسي في تفسيره: «الوجه في قراءة حمزة لِما آتيتكم بكسر اللام أنه يتعلق بالأخذ كأن المعنى أخذ ميثاقهم لهذا، ويكون (ما) على هذا موصولة. وأما بالنسبة لقراءة (لَما آتيتكم) بفتح اللام فقال أبو علي: ومن فتح اللام فقال (لَما آتيتكم) فإن (ما) فيه تحتمل وجهين: الأول: أن تكون ما موصولة. والتقدير: للذي آتيتكموه أي أعطيتكموه. والثاني: أن تكون للجزاء. والتقدير: أي شيء آتيتكم ومهما آتيتكم من كتاب لتؤمنن.»[٧٥٤]

وأما بالنسبة لقراءة (لَما آتيناكم) على الجمع فتفيد التعظيم زيادة على ما في قراءة التوحيد (آتيتكم).

وبالجمع بين القراءات يتبين عِظم ما جاء به النبيُون، والشرف العظيم الذي منحهم الله إياه بحمل الرسالة، وعظم الأمانة التي كُلِّفوا بها، بإبلاغه للناس، ومن أجلِّها التصديق بخاتم النبيين والإيمان به.

٧٥٣ - مغني اللبيب عن كتب الأعاريب / ابن هشام الأنصاري ص٢٧٦-٢٧٧ باختصار - تحقيق د. مازن المبارك، محمد علي حمد الله - بيروت - دار الفكر - ط٦ - سنة ١٩٨٥م.

٧٥٤ - انظر مجمع البيان ج٢ ص٢٥٧-٢٥٨.

١٦-﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ آل عمران: ٨٣

القراءات:

١. قرأ حفص (يَبغون) بالغيب، (يُرجَعون) بالخطاب.
٢. قرأ يعقوب (يَبغون – يَرجِعون) بالغيب.
٣. قرأ أبو عمرو البصري (يَبغون) بالغيب، (تُرجَعون) بالخطاب.
١. قرأ الباقون (تَبغون – تُرجَعون) بالخطاب فيهما.[٧٥٥]

المعنى اللغوي للقراءات:

البغي: طلب تجاوز الاقتصاد فيما يُتحرى، تجاوزه أم لم يتجاوزه، فتارة يعتبر في القدر الذي هو الكمية، وتارة يعتبر في الوصف الذي هو الكيفية، يقال: بغيت الشيء: إذا طلبت أكثر ما يجب، وابتغيت كذلك. والبغي على ضربين: أحدهما محمود: وهو تجاوز العدل إلى الإحسان، والفرض إلى التطوع، والثاني مذموم: وهو تجاوز الحق إلى الباطل، أو تجاوزه إلى الشبه، وبغى الجرح: تجاوز الحدَّ في فساده، وبغت المرأة بِغاءً: إذا فَجرت، وذلك لتجاوزها إلى ما ليس لها.[٧٥٦]

التفسير:

لما بين سبحانه بطلان اليهودية وسائر الملل غير الإسلام بين عقيبه أن من يبتغ غير دينه فهو ضال لا يجوز القبول منه فقال (أفغير دين الله يبغون) أي أفبعد هذه الآيات والحجج يطلبون دينا غير دين الله.[٧٥٧] قال ابن كثير: «يقول تعالى منكرا على من أراد دينا سوى دين الله الذي أنزل

٧٥٥ – المستنير في تخريج القراءات المتواترة ج١ ص١٠٩ ، وانظر النشر ج٢ ص٢٤١ .
٧٥٦ – انظر مفردات ألفاظ القرآن ص١٣٦.
٧٥٧ – مجمع البيان ج٢ ص٢٥٩.

به كتبه وأرسل به رسله وهو عبادة الله وحده لا شريك له الذي (له أسلم من في السماوات والأرض) أي استسلم له من فيهما (طوعا وكرها) كما قال تعالى (ولله يسجد من في السماوات والأرض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال) الرعد ١٥ ، فالمؤمن مستسلم بقلبه وقالبه لله والكافر مستسلم لله كرها فإنه تحت التسخير والقهر والسلطان العظيم الذي لا يخالف ولا يمانع (وإليه يرجعون) أي يوم المعاد فيجازي كلا بعمله.»[٧٥٨]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد أفادت قراءة الغيب (يَبغون) إبراز ناحية بلاغية وهي استخدام أسلوب الالتفات من الخطاب إلى الغيب من أجل تحقير أهل الكتاب الذين يبغون غير دين الله. قال ابن عاشور: "وقرأه الجمهور (تَبغون) بتاء الخطاب فهو خطاب لأهل الكتاب جار على طريقة الخطاب في قوله آنفا (ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة). وقرأه أبو عمرو وحفص ويعقوب: (يَبغون) بياء الغيبة فهو التفات من الخطاب إلى الغيبة، إعراضا عن مخاطبتهم إلى مخاطبة المسلمين بالتعجيب من أهل الكتاب. وكله تفريع ذكر أحوال خلف أولئك الأمم كيف اتبعوا غير ما أخذ عليهم العهد به. والاستفهام حينئذ للتعجب."[٧٥٩]

وكذلك الحال بالنسبة لقراءة (تَرجِعون) و (يَرجِعون)، قال الألوسي في تفسيره: «(وإليه يُرجَعون) قرأ عاصم بياء الغيبة، والضمير لمن عاد إليه ضمير (يبغون) فان قُرأ بالخطاب فهو التفات. وقرأ الباقون بالخطاب، والضمير عائد لمن عاد إليه ضمير (يبغون) فعلى الغيبة فيه التفات أيضا.»[٧٦٠]

٧٥٨ - تفسير ابن كثير ج١ ص٥٠٣ باختصار.

٧٥٩ - تفسير التحرير والتنوير - المجلد الثالث ج٣ ص٣٠٠-٣٠١.

٧٦٠ - روح المعاني ج٣ ص٢١٤.

وأما بالنسبة لقراءة (يَرجِعون) و(يُرجَون) بفتح حرف المضارعة وضمه فقد تقدم الحديث عن مثله.[761]

١٧- ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿١٠٩﴾ ﴾

آل عمران: ١٠٩

القراءات:

١. قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وكذا يعقوب وخلف (تَرجِع الأمور) بفتح التاء وكسر الجيم.

٢. قرأ الباقون (تُرجَع) بضم حرف المضارعة وفتح الجيم.[762]

التفسير:

يبين المولى عز وجل استحقاقه للعظمة والكبرياء من خلال ملكه للأشياء. قال الألوسي في تفسيره للآية: «أي له سبحانه وحده ما فيهما من المخلوقات ملكا وخلقا وتصرفا والتعبير بـ (ما) للتغليب أو للإيذان بأن غير العقلاء بالنسبة إلى عظمته كغيرهم (وإلى الله ترجع الأمور) أي أمورهم فيجازي كلا بما تقتضيه الحكمة من الثواب والعقاب وتقديم الجار للحصر أي إلى حكم الله تعالى وقضائه لا إلى غيره شركة أو استقلالا والجملة مقررة لمضمون ما ورد في جزاء الفريقين، وقيل معطوفة على ما قبلها مقررة لمضمونه والإظهار في مقام الإضمار لتربية المهابة.»[763]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تشير الآية إلى أن الأمور كلها ترجع إلى الله فالأمور الاختيارية ترجع، والأمور الاضطرارية ترجع كذلك. قال الشعراوي في تفسيره: «وفيه فرق

٧٦١ - راجع ص٦٩.

٧٦٢ - انظر النشر ج٢ ص٢٠٨-٢٠٩.

٧٦٣ - روح المعاني ج٤ ص٢٧.

بين (تَرجع الأمور) بفتح التاء، وبين (تُرجع الأمور) بضم التاء، فكأن الأمور مندفعة بذاتها، ومرة تُساق إلى الله. إن الراغب سيرجع إلى ربه بنفسه؛ لأنه ذاهب إلى الخير الذي ينتظره، أما غير الراغب والذي كان لا يرجو لقاء ربه فسَيُرجَع بالرغم عنه، تأتي قوة أخرى تُرجِعه، فمن لم يجيء رغبا يأتي رهباً.»[٧٦٤]

١٨-﴿ وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾ ﴾
آل عمران: ١١٥

القراءات:

١. قرأ حمزة والكسائي وخلف وحفص (يفعلوا – يكفروه) بالغيب فيهما.
٢. اختلف عن الدوري عن أبي عمرو فيهما.
٣. قرأ الباقون (تفعلوا – تكفروه) بالخطاب فيهما.[٧٦٥]

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن سعة علم الله وعدله فهو سبحانه لا يضيع أجر من أحسن عملا بل يثيب كلا بعمله. قال ابن كثير: «(وما يفعلوا من خير فلن يكفروه) أي لا يضيع عند الله بل يجزيهم به أوفر الجزاء (والله عليم بالمتقين) أي لا يخفى عليه عمل عامل ولا يضيع لديه أجر من أحسن عملا.»[٧٦٦]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد أفادت قراءة (يفعلوا – يكفروه) أنه إخبار عن أهل الكتاب السابق ذكرهم.

٧٦٤ – تفسير الشعراوي ج٢ ص٨٩٣، أخبار اليوم.
٧٦٥ – انظر النشر ج٢ ص٢٤١.
٧٦٦ – تفسير ابن كثير ج١ ص٥٢٧-٥٢٨.

في حين أن قراءة (تفعلوا – تكفروه) أفادت معنى زائدا وهو أن الخطاب فيه للجميع فيندرج تحته أهل الكتاب وغيرهم من المسلمين، قال ابن عاشور: «وقرأ الجمهور (تفعلوا) بالفوقية فهو وعد للحاضرين، ويعلم منه أن الصالحين السابقين مثلهم، بقرينة مقام الامتنان، ووقوعه عقب ذكرهم، فكأنه قيل: وما تفعلوا من خير ويفعلوا. ويجوز أن يكون التفاتا لخطاب أهل الكتاب. وقرأ حمزة، والكسائي، وحفص، وخلف بياء الغيبة عائدا إلى أمة قائمة.»[٧٦٧]

وبالجمع بين القراءتين نرى أنهما تدلان على عموم الأجر على الخير، سواء على الغائبين أو المخاطبين.

١٩- ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾﴾ آل عمران: ١٢٠

القراءات:

١. قرأ ابن عامر والكوفيون وأبو جعفر (لا يَضُرُّكم) بضم الضاد ورفع الراء وتشديدها.
٢. قرأ الباقون (لا يَضِرْكم) بكسر الضاد وجزم الراء مخففة.[٧٦٨]

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن المنافقين، وعن شدة عداوتهم للمسلمين، فهم يحزنون إذا أصاب المسلمون خيرا ولو قليل، ويفرحون لمصائبهم.

قال الطبري في تفسيره: "قال تعالى (إن تمسسكم حسنة تسؤهم) إن

---

٧٦٧ – تفسير التحرير والتنوير – المجلد الثالث ج٤ ص٥٩.

٧٦٨ – انظر النشر ج٢ ص٢٤٢.

تنالوا أيها المؤمنون سرورا بظهوركم على عدوكم، وتتابع الناس في الدخول في دينكم، وتصديق نبيكم ومعاونتكم على أعدائكم يسؤهم، وإن تنلكم مساءة بإخفاق سرية لكم، أو بإصابة عدو لكم منكم، أو اختلاف يكون بين جماعتكم يفرحوا بها. (وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا) فإنه يعني بذلك جل ثناؤه وإن تصبروا أيها المؤمنون على طاعة الله واتباع أمره فيما أمركم به واجتناب ما نهاكم عنه من اتخاذ بطانة لأنفسكم من هؤلاء اليهود الذين وصف الله صفتهم من دون المؤمنين وغير ذلك من سائر ما نهاكم وتتقوا ربكم فتخافوا التقدم بين يديه فيما ألزمكم وأوجب عليكم من حقه وحق رسوله لا يضركم كيدهم شيئا أي كيد هؤلاء الذين وصف صفتهم. ويعني بكيدهم غوائلهم التي يبتغونها للمسلمين ومكرهم بهم ليصدوهم عن الهدى وسبيل الحق."(٧٦٩) وقال ابن كثير: «يرشدهم تعالى إلى السلامة من شر الأشرار وكيد الفجار باستعمال الصبر والتقوى والتوكل على الله الذي هو محيط بأعدائهم فلا حول ولا قوة لهم إلا به وهو الذي ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ولا يقع في الوجود شيء إلا بتقديره ومشيئته ومن توكل عليه كفاه.»(٧٧٠)

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد ذهب أكثر العلماء إلى أن القراءتين ترجعان لمعنى واحد باعتبار أنهما لغتان للعرب. قال مكي بن أبي طالب: «وهما لغتان: ضرّه يضرّه، وضاره يضيره.»(٧٧١) وقال الطبرسي في تفسيره: «من قرأ (لا يضِرْكم) فهو من ضاره يضيره ضيراً. ومن قرأ (لا يضُرُكم) فهو من ضَرَّه يضُرُّ ضراً،

٧٦٩ - جامع البيان ج٤ ص٦٧-٦٨ باختصار.

٧٧٠ - تفسير ابن كثير ج١ ص٥٣٠.

٧٧١ - الكشف ج١ ص٣٥٥.

والضير والضرُّ بمعنى واحد .»[٧٧٢] إلا أن في التشديد معنى الكثرة، بخلاف قراءة التخفيف.

وعليه يصبح المعنى: إن تصبروا وتتقوا لا يصيبكم منهم ضرر لا كبير ولا صغير.

٢٠- ﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ آل عمران: ١٢٤

القراءات:

قرأ ابن عامر (منزَّلين) بتشديد الزاي.

قرأ الباقون (منزَلين) بتخفيفها .[٧٧٣]

المعنى اللغوي للقراءات:

النزول في الأصل هو انحطاط من علو، يقال: نزل عن دابته، ونزل في مكان كذا: حط رحله فيه، ونزل بكذا، وأنزله بمعنى.[٧٧٤]

التفسير:

تتحدث الآية عن معركة بدر وما وعد الله به المؤمنين من إنزال الملائكة تثبيتا للمؤمنين إن هم صبروا واتقوا. قال الطبري في تفسيره: "يعني تعالى ذكره (ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة) إذ تقول للمؤمنين بك من أصحابك (ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين) وذلك يوم بدر. ثم اختلف أهل التأويل في حضور الملائكة يوم بدر حربهم في أي يوم وعدوا ذلك. وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال إن الله أخبر عن

٧٧٢ - مجمع البيان ج٢ ص٢٨٩.

٧٧٣ - انظر النشر ج٢ ص٢٤٢.

٧٧٤ - انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٧٩٩.

نبيه محمد أنه قال للمؤمنين (ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة) فوعدهم الله بثلاثة آلاف من الملائكة مددا لهم ثم وعدهم بعد الثلاثة الآلاف خمسة آلاف إن صبروا لأعدائهم واتقوا الله. ولا دلالة في الآية على أنهم أمدوا بالثلاثة آلاف ولا بالخمسة آلاف ولا على أنهم لم يمدوا بهم. وقد يجوز أن يكون الله عز وجل أمدهم على نحو ما رواه الذين أثبتوا أنه أمدهم. وقد يجوز أن يكون لم يمدهم على نحو الذي ذكره من أنكر ذلك ولا خبر عندنا صح من الوجه الذي يثبت أنهم أمدوا بالثلاثة الآلاف ولا بالخمسة الآلاف. وغير جائز أن يقال في ذلك قول إلا بخبر تقوم الحجة به ولا خبر به كذلك فنسلم لأحد الفريقين قوله غير أن في القرآن دلالة على أنهم قد أمدوا يوم بدر بألف من الملائكة وذلك قوله (إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين) الأنفال ٩، فأما في يوم أحد فالدلالة على أنهم لم يمدوا أبين منها في أنهم أمدوا، وذلك أنهم لو أمدوا لم يهزموا، وينال منهم ما نيل منهم.»[٧٧٥]

وقال ابن عاشور في تفسيره: «وظرف (إذ تقول للمؤمنين) زماني وهو متعلق بـ (نصركم) لأن الوعد بنصرة الملائكة للمؤمنين كان يوم بدر لا يوم أحد. وهذا قول جمهور المفسرين. وخص هذا الوقت بالذكر لأنه كان وقت ظهور هذه المعجزة، وهذه النعمة، فكان جديرا بالتذكير والامتنان. والمعنى: إذ تعد المؤمنين بإمداد الله بالملائكة، فما كان قول النبي صلى الله عليه وسلم لهم تلك المقالة إلا بوعد أوحاه الله إليه أن يقوله. والاستفهام في قوله (ألن يكفيكم) تقريري. ووصف الملائكة (بمنزَلين) للدلالة على أنهم ينزلون إلى الأرض في موقع القتال عناية بالمسلمين.»[٧٧٦]

٧٧٥ – جامع البيان ج٤ ص٧٦.

٧٧٦ – تفسير التحرير والتنوير – المجلد الثالث ج٤ ص٧٢-٧٤ باختصار.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

ذهب بعض العلماء إلى أن القراءتين بمعنى واحد وهما لغتان. قال ابن عاشور في تفسيره: "وقرأ الجمهور (منْزَلين) بسكون النون وتخفيف الزاي، وقرأه ابن عامر بفتح النون وتشديد الزاي وأنزل ونزّل بمعنى واحد."[777]

وقال ابن زنجلة: «هما لغتان نزل وأنزل مثل كرم وأكرم.»[778]

وذهب آخرون إلا أن قراءة التشديد تفيد التكثير. قال مكي بن أبي طالب: «هما لغتان، من شدد جعله من نزل، ومن خفف جعله من أنزل. وفي التشديد معنى التكرير.»[779] وقال الألوسي في تفسيره: «وقرء (منزَّلين) بالتشديد للتكثير أو للتدريج.»[780]

وبناء على قول مكي بن أبي طالب والألوسي يمكن اعتبار أن قراءة التضعيف تفيد إنزال الملائكة على مراحل، والتخفيف إنزالهم على مرحلة واحدة. أو أن التضعيف تفيد إنزالهم أكثر من مرة، والتخفيف إنزالهم مرة واحدة. وعلى كلا المعنيين ففيه التثبيت لقلوب المؤمنين.

٢١- ﴿ بَلَىٰٓۚ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ آل عمران: ١٢٥

القراءات:

١. قرأ ابن كثير والبصريان وعاصم (مسوِّمين) بكسر الواو.
٢. قرأ الباقون (مسوَّمين) بفتحها.[781]

٧٧٧ – تفسير التحرير والتنوير – المجلد الثالث ج٤ ص٧٤.
٧٧٨ – حجة القراءات ص١٧٢.
٧٧٩ – الكشف ج١ ص٣٥٥.
٧٨٠ – روح المعاني ج٤ ص٤٤.
٧٨١ – انظر النشر ج٢ ص ٢٤٢.

المعنى اللغوي للقراءات:

الوَسم: التأثير، والسمة: الأثر. يقال: وسمت الشيء وسما : إذا أثرت فيه بسمة.[782]

التفسير:

تتحدث الآية عن وعد الله للمؤمنين إن هم صبروا واتقوا أن يمدهم بخمسة آلاف من الملائكة معلمين. قال القرطبي في تفسيره: "(بلى) وتم الكلام (إن تصبروا) شرط أي على لقاء العدو (وتتقوا) عطف عليه أي معصيته والجواب (يمددكم) ومعنى (من فورهم) من وجههم هذا وقيل من غضبهم. قوله تعالى (مسومين) بفتح الواو اسم مفعول وهي قراءة ابن عامر وحمزة والكسائي ونافع أي معلمين بعلامات و(مسومين) بكسر الواو اسم فاعل وهي قراءة أبي عمرو وابن كثير وعاصم فيحتمل من المعنى ماتقدم أي قد أعلموا أنفسهم بعلامة وأعلموا خيلهم."[783]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد أفادت كل قراءة معنى مغايرا للأخرى. قال الطبرسي في تفسيره: "وقوله (مسوِّمين) بالكسر أي معلمين أعلموا أنفسهم. و (مسوَّمين) بالفتح سوَّمهم الله أي أعلمهم."[784] وقال الإمام الطبري في تفسيره: (واختلف القراء في قراءة قوله (مسومين) فقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة والكوفة (مسوَّمين) بفتح الواو بمعنى أن الله سومها . وقرأ ذلك بعض قراء أهل الكوفة والبصرة (مسوِّمين) بكسر الواو بمعنى أن الملائكة سومت لنفسها .»[785] وقال ابن زنجلة: «قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم (مسوِّمين) بكسر الواو

---

٧٨٢ - مفردات ألفاظ القرآن ص٨٧١.

٧٨٣ - الجامع لأحكام القرآن ج٤ ص١٩٥-١٩٦ باختصار.

٧٨٤ - مجمع البيان ج٢ ص٢٩٥.

٧٨٥ - جامع البيان ج٤ ص٨١-٨٢.

أي معلمين أخذ من السُومة وهي العلامة وحجتهم ما جاء في التفسير قال مجاهد: كانوا سوموا نواصي خيولهم بالصوف الأبيض فهم على هذا التفسير مسوِّمون لأنهم فاعلون. ووردت الأخبار بأن الملائكة نزلت على رسول الله -ﷺ- معتمين بعمائم صفر فأضافوا الاعتمام إليهم ولم يقل معممين فيكونوا مفعولين وتكون القراءة بفتح الواو.[٧٨٦]

وبالجمع بين القراءتين يتضح أن الملائكة قد نزلت معلمة من الله بعمائم صفر وأنها أي الملائكة قد قامت بوسم خيلها بالصوف الأبيض كما ورد ذلك في الأخبار.[٧٨٧]

٢٢-﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ آل عمران: ١٣٣

القراءات:

١. قرأ المدنيان وابن عامر (سارعوا) بغير واو قبل السين وكذلك هي في مصاحف المدينة والشام.
٢. قرأ الباقون (وسارعوا) بالواو وكذلك هي في مصاحفهم.[٧٨٨]

التفسير:

يحث المولى عز وجل عباده المؤمنين أن يبادروا إلى نيل مرضاة الله وجنته الواسعة التي أعدها الله لعباده المتقين الذين جعلوا بينهم وبين عذاب الله وقاية بفعل ما أمر وترك ما نهى عنه وزجر. قال الشوكاني في تفسيره: «أي عرضها كعرض السماوات والأرض ومثله الآية الأخرى (عرضها كعرض

٧٨٦ - حجة القراءات ص١٧٣.
٧٨٧ - انظر جامع البيان ج٤ ص٨٢-٨٣.
٧٨٨ - انظر النشر ج٢ ص٢٤٢.

السماء والأرض) الحديد ٢١ ، وقد اختلف في معنى ذلك فذهب الجمهور إلى أنها تقرن السماوات والأرض بعضها إلى بعض كما تبسط الثياب ويوصل بعضها ببعض فذلك عرض الجنة ونبه بالعرض على الطول لأن الغالب أن الطول يكون أكثر من العرض، وقيل إن هذا الكلام جاء على نهج كلام العرب من الاستعارة دون الحقيقة وذلك أنها لما كانت الجنة من الاتساع والانفساح في غاية قصوى حسن التعبير عنها بعرض السماوات والأرض مبالغة لأنهما أوسع مخلوقات الله سبحانه فيما يعلمه عباده ولم يقصد بذلك التحديد.»[٧٨٩]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قال مكي بن أبي طالب: "(وسارعوا) قرأه نافع وابن عامر بغير واو، على الاستئناف والقطع، وكذا هو في مصاحف أهل المدينة وأهل الشام بغير واو، وهو مع الاستئناف ملتبس بما قبله ؛ لأن الضمائر غير مختلفة والمأمورين غير مختلفين. وقرأ الباقون بالواو، على العطف على ما قبله، من قوله (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول) وسارعوا، وهو عطف جملة على جملة، وكذلك هي في مصاحف أهل الكوفة، وأهل البصرة بالواو."[٧٩٠]

وقال الطاهر بن عاشور في تفسيره: «تتنزل جملة (سارعوا) منزلة البيان، أو بدل الاشتمال، لجملة (وأطيعوا الله والرسول)؛ لأن طاعة الله والرسول مسارعة إلى المغفرة والجنة فلذلك فصلت. ولكون الأمر بالمسارعة إلى المغفرة والجنة يؤول إلى الأمر بالأعمال الصالحة، جاز عطف الجملة على جملة الأمر بالطاعات، فلذلك قرأ بقية العشرة (وسارعوا) بالعطف.

---

٧٨٩ - فتح القدير ج١ ص٤٨٤.

٧٩٠ - الكشف ج١ ص٣٥٦.

وفي هذه الآية ما ينبئنا بأنه يجوز الفصل والوصل في بعض الجمل باعتبارين.»[٧٩١]

وبالجمع بين القراءتين: نرى أن المسارعة إلى نيل مغفرة الله وجنته لا يكون إلا بطاعة الله ورسوله.

٢٣-﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ ﴾ آل عمران: ١٤٠

القراءات:

١. قرأ حمزة والكسائي وخلف وأبو بكر (قُرْح) بضم القاف في الموضعين.
٢. قرأ الباقون (قَرْح) بفتحهما.[٧٩٢]

المعنى اللغوي للقراءات:

القَرح: الأثر من الجراحة من شيء يصيبه من خارج، والقُرح: أثرها من داخل كالبثرة ونحوها وقد يقال: القَرح للجراحة والقُرح للألم.[٧٩٣]

التفسير:

هذه الآية فيها تسلية للنبي -ﷺ- ومن معه من المؤمنين مبينا لهم أن ما أصابهم يوم أحد من جراحات وآلام وهزيمة قد أصاب أعدائهم من المشركين مثلها يوم بدر، وقد جرت سنة الله في ابتلاء المؤمنين وتمحيصهم. قال الإمام الطبري في تفسيره: "إن يمسسكم القتل والجراح يا معشر أصحاب

٧٩١ - تفسير التحرير والتنوير - المجلد الثالث ج٤ ص٨٨ .
٧٩٢ - انظر النشر ج٢ ص٢٤٢.
٧٩٣ - انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٦٦٥ .

محمد فقد مس القوم من أعدائكم من المشركين قرح قتل وجراح مثله، (وتلك الأيام نداولها بين الناس) أيام بدر وأحد ويعني بقوله (نداولها بين الناس) نجعلها دولا بين الناس مصرفة ويعني بالناس المسلمين والمشركين، وذلك أن الله -عز وجل- أدال المسلمين من المشركين ببدر فقتلوا منهم سبعين وأسروا سبعين وأدال المشركين من المسلمين بأحد فقتلوا منهم سبعين سوى من جرحوا منهم.»[٧٩٤] وقال الإمام البغوي في تفسيره: «(وليعلم الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء) ليُري الله الذين آمنوا فيميز المؤمن من المنافق، ويكرم أقواما بالشهادة.»[٧٩٥]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد اختلف العلماء في معنى القرح بالفتح والضم: ففي حين ذهب بعض العلماء إلى أنهما لغتان بمعنى واحد ذهب بعضهم الآخر إلى أن بينهما تغاير وهذا هو الصحيح. قال القرطبي في تفسيره: "القرح: الجرح، والضم والفتح فيه لغتان عن الكسائي والأخفش مثل عَقر وعُقر. الفراء: هو بالفتح الجرح وبالضم ألمه."[٧٩٦] وقال مكي ابن أبي طالب: «وأكثر الناس على أن القراءتين بمعنى الجراحات بلغتين كـ: الضَعف والضُعف، والكَره والكُره، وقال الأخفش: هما مصدران لـ: قَرِح قَرحا وقُرحا»[٧٩٧] زاد ابن عطية عن الأخفش قوله: «ومن قال (القَرح) بالفتح الجراحات بأعيانها، و (القرح) بضم القاف ألم الجراحات قُبل ذلك منه إذا أتى برواية ؛ لأن هذا مما لا يعلم بقياس، وقال بهذا التفسير الطبري.»[٧٩٨]

٧٩٤ - جامع البيان ج٤ ص١٠٤.

٧٩٥ - معالم التنزيل ج٢ ص١١١.

٧٩٦ - الجامع لأحكام القرآن ج٤ ص٢١٧.

٧٩٧ - الكشف ج١ ص٣٥٦.

٧٩٨ - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج١ ص٥١٣.

وبالرجوع إلى تفسير الطبري نجده يرد هذا القول ويضعفه فيقول: «اختلف القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء أهل الحجاز والمدينة والبصرة (إن يمسسكم قَرح فقد مس القوم قَرح مثله) كلاهما بفتح القاف بمعنى إن يمسسكم القتل والجراح يا معشر أصحاب محمد-ﷺ- فقد مس القوم من أعدائكم من المشركين قرح: قتل وجراح مثله. وقرأ عامة قراء الكوفة (إن يمسسكم قُرح فقد مس القوم قُرح مثله). وأولى القراءتين بالصواب قراءة من قرأ (إن يمسسكم قَرح فقد مس القوم قَرح مثله) بفتح القاف في الحرفين لإجماع أهل التأويل على أن معناه القتل والجراح فذلك يدل على أن القراءة هي الفتح. وكان بعض أهل العربية يزعم أن القَرح والقُرح لغتان بمعنى واحد والمعروف عند أهل العلم بكلام العرب ما قلنا."[٧٩٩]

وبالجمع بين القراءات: نرى أن في الآية تسلية لهم وتخفيف عما أصابهم من قتل وجراح وألم في أحد، وأن العدو قد تكبد من القتل والألم مثلهم، كما قال تعالى في آية أخرى (إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون، وترجون من الله ما لا يرجون) النساء ١٠٤ . قال الألوسي في تفسيره: «والمعنى: إن نالوا منكم يوم أحد فقد نلتم منهم قبله يوم بدر ثم لم يضعف ذلك قلوبهم ولم يثبطهم عن معاودتكم بالقتال، وأنتم أحق بأن لا تضعفوا فإنكم ترجون من الله تعالى مالا يرجون.»[٨٠٠]

٢٤- ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ آل عمران: ١٤٦

٧٩٩ - جامع البيان ج٤ ص١٠٣.

٨٠٠ - روح المعاني ج٤ ص٦٧.

القراءات:

١. قرأ نافع وابن كثير والبصريان (قُتِلَ) بضم القاف وكسر التاء من غير ألف.

٢. قرأ الباقون (قاتل) بفتح القاف والتاء وألف بينهما.[٨٠١]

التفسير:

قال تعالى مسليا للمؤمنين عما كان وقع في نفوسهم يوم أحد (وكأين من نبي قتل معه ربيون كثير) قيل معناه كم من نبي قتل وقتل معه ربيون من أصحابه كثير وهذا القول هو اختيار ابن جرير. (قاتل معه ربيون كثير) أي علماء كثير وقيل: علماء صبر أي أبرار أتقياء وقيل: هم الذين يعبدون الرب عز وجل[٨٠٢]، (فما وهنوا) أي فما جبنوا (لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا) عن الجهاد بما نالهم من ألم الجراح وقتل الأصحاب (وما استكانوا) قال مقاتل وما استسلموا وما خضعوا لعدوهم (والله يحب الصابرين).[٨٠٣]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد أفادت قراءة (قاتل) أن الأنبياء السابقين وأتباعهم قاتلوا الكفار وصبروا على ما أصابهم في سبيل الله، ولكن هذه القراءة لم تحدد نوع الابتلاء الذي أصابهم.

وأما القراءة الأخرى (قُتِل) فقد أظهرت أن الأنبياء السابقين قد ابتلوا وأتباعهم بالقتل فما أضعف ذلك من بقي من أتباع الرسل عن مواصلة مسيرة الجهاد والاستشهاد في سبيل الله. وفي هذا تعريض بالصحابة

٨٠١ – انظر النشر ج٢ ص٢٤٢.

٨٠٢ – انظر تفسير ابن كثير ج١ ص٥٤٤-٥٤٥.

٨٠٣ – معالم التنزيل ج٢ ص١١٧.

رضوان الله عليم فما كان ينبغي عليهم أن ينخذلوا بعد سماعهم نبأ مقتل النبي صلى الله عيه وسلم. قال ابن زنجلة: من قرأ «(وكأين من نبي قُتِل) بضم القاف وكسر التاء أي: وكم من نبي قتل قبل محمد ومعه ربيون كثير وحجتهم أن ذلك أنزل معاتبة لمن أدبر عن القتال يوم أحد إذ صاح الصائح قتل محمد -ﷺ- فلما تراجعوا كان اعتذارهم أن قالوا: سمعنا قتل محمد فأنزل الله (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم) ثم قال بعد ذلك (وكأين من نبي قتل معه ربيون كثير) أي جموع كثير فما تضعضع الجموع وما وهنوا لكن قاتلوا وصبروا فكذلك أنتم كان يجب عليكم ألا تهنوا لو قتل نبيكم فكيف ولم يقتل.»[٨٠٤] وقال القرطبي في تفسيره: «الوجه الثاني أن يكون القتل نال النبي ومن معه من الربيين ويكون وجه الكلام قتل بعض من كان معه. تقول العرب قتلنا بني تميم وبني سليم وإنما قتلوا بعضهم ويكون قوله فما وهنوا راجعا إلى من بقي منهم قلت وهذا القول أشبه بنزول الآية وأنسب فإن النبي -ﷺ- لم يقتل وقتل معه جماعة من أصحابه. وقرأ الكوفيون وابن عامر (قاتل) وهي قراءة ابن مسعود واختارها أبو عبيد وقال إن الله إذا حمد من قاتل كان من قتل داخلا فيه وإذا حمد من قتل لم يدخل فيه غيرهم فقاتل أعم وأمدح.»[٨٠٥]

وبالجمع بين القراءتين: نرى أن في الآية تعريض بالمؤمنين الذين انخذلوا عن رسول الله -ﷺ- في أحد، فإن من سبقهم من أتباع الأنبياء قد ابتلوا وأصيبوا بمثل ما أصابهم وقاتلوا وقتل بعضهم فلم يضعف ذلك من عزيمة من بقي بل صبروا في المعركة، وهذا هو الواجب في حق من جاء بعدهم.

٨٠٤ - حجة القراءات ص١٧٥.

٨٠٥ - الجامع لأحكام القرآن ج٤ ص٢٢٩-٢٣٠.

٢٥- ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ ﴾ آل عمران: ١٥٤

القراءات:

١. قرأ حمزة والكسائي وخلف (تغشى) بالتأنيث.
٢. قرأ الباقون (يغشى) بالتذكير.
٣. قرأ البصريان (كلُّه) بالرفع.
٤. قرأ الباقون (كلَّه).[٨٠٦]

المعنى اللغوي للقراءات:

الغشاوة: ما يغطى به الشيء.[٨٠٧]

قال صاحب القاموس: «غشاية: غطاء. وغشّى الله على بصره تغشية. استغشى ثوبه: تغطى به كيلا لا يسمع ولا يرى.»[٨٠٨]

التفسير:

يتحدث المولى -عَزَّوَجَلَّ- عما أكرم به عباده المؤمنين بعد الغم الذي أصابهم بسبب الهزيمة حيث أنزل عليهم الأمن وأزال عنهم الخوف الذي كان بهم حتى نعسوا وغلبهم النوم وهم أهل الصدق واليقين، وأما الطائفة الأخرى وهم المنافقون (قد أهمتهم أنفسهم) ما يهمهم إلا هم أنفسهم

٨٠٦ - انظر النشر ج٢ ص٢٤٢.

٨٠٧ - انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٦٠٧.

٨٠٨ - القاموس المحيط ج٢ ص١٧٢٧ باختصار.

وخلاصها، لا هم الدين ولاهم رسول الله -ﷺ-، والمسلمين رضوان الله عليهم. (يظنون بالله غير الحق) أي يظنون بالله غير الظن الحق الذي يحب أن يظن به وهو أن لا ينصر -ﷺ- (ظن الجاهلية) أي لا يظن مثل ذلك الظن إلا أهل الشرك الجاهلون بالله (يقولون هل لنا من الأمر من شيء) هل لنا معاشر المسلمين من أمر الله نصيب قط يعنون النصر والغلبة على العدو (قل إن الأمر) أي النصر والغلبة (كله لله) ولأوليائه المؤمنين، كله تأكيد للأمر (يخفون في أنفسهم مالا يبدون لك) خوفا من السيف (يقولون) في أنفسهم أو بعضهم لبعض منكرين لقولك لهم إن الأمر كله لله (لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا) أي لو كان الأمر كما قال محمد أن الأمر كله لله ولأوليائه وأنهم الغالبون لما غلبنا قط ولما قتل من المسلمين من قتل في هذه المعركة (قل لو كنتم في بيوتكم) أي من علم الله منه أنه يقتل في هذه المعركة وكتب ذلك في اللوح لم يكن بد من وجوده فلو قعدتم في بيوتكم (لبرز) من بينكم (الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم) مصارعهم (وليبتلى الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم) وليمتحن ما في صدور المؤمنين من الإخلاص ويمحص ما في قلوبهم من وساوس الشيطان (والله عليم بذات الصدور) بخفياتها.[٨٠٩]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قال الإمام البغوي في تفسيره: «(تغشى) بالتاء رداً إلى الأمنة، (يغشى) بالياء رداً إلى النعاس. قال ابن عباس رضي الله عنهما: أمنهم يومئذ بنعاس يغشاهم، وإنما ينعس من يأمن، والخائف لا ينام.»[٨١٠] وحيث أن النعاس بدل من الأمنة كما قال القرطبي: الأمنة والأمن سواء وقيل: الأمنة

٨٠٩ - تفسير النسفي ج١ ص١٨٨-١٨٩ باختصار.

٨١٠ - معالم التنزيل ج٢ ص١٢١.

إنما تكون مع أسباب الخوف والأمن مع عدمه وهي منصوبة بـ (أنزل) ونعاسا بدل منها.[٨١١]

وبالجمع بين القراءتين: يتبين لنا أن الأمن والنعاس كلاهما قد غشي هذه الطائفة، فكانت الأمنة نعاسا، وكان النعاس أمنة، وكلاهما قد غشي هذه الطائفة وليس أحدهما. قال الإمام الطبري في تفسيره: «والصواب من القول في ذلك عندي أنهما قراءتان معروفتان مستفيضتان في قراء الأمصار غير مختلفتين في معنى ولا غيره؛ لأن الأمنة في هذا الموضع هي النعاس والنعاس هو الأمنة.»[٨١٢]

أما بالنسبة لقراءة (كلُّه) بالرفع فعلى الابتداء. قال صاحب مغني اللبيب في بيان أوجه كلّ: «الثالث: أن تضاف إلى ضمير ملفوظ به، وحكمها ألا يعمل فيها غالبا إلا الابتداء، نحو (إنّ الأمرَ كلُّه لله) فيمن رفع كلاً.»[٨١٣]

ومن قرأ (كلَّه) بالنصب كما تقول: إن الأمر أجمع لله فهو توكيد وهو بمعنى أجمع في الإحاطة والعموم.[٨١٤] وقال الألوسي في تفسيره: «وقرأ أبو عمرو ويعقوب (كلُّه) بالرفع على الابتداء، والجار متعلق بمحذوف وقع خبرا له، والجملة خبر (إن). وأما على قراءة النصب فـ (كلَّ) توكيد لاسم (إن) و (لله) خبرها.»[٨١٥]

وبالجمع بين القراءتين: يتبين لنا أن الأمرَ كلَّ الأمر ثابت لله وحده لا يشاركه فيه أحد.

---

٨١١ - الجامع لأحكام القرآن ج٤ ص٢٤١.

٨١٢ - جامع البيان ج٤ ص١٣٩.

٨١٣ - مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ص٢٥٨.

٨١٤ - الجامع لأحكام القرآن ج٤ ص٢٤٢.

٨١٥ - روح المعاني ج٤ ص٩٥.

٢٦- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ ﴾ آل عمران: ١٥٦

القراءات:

١. قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي وخلف (يعملون) بالغيب.

٢. قرأ الباقون (تعملون) بالخطاب.[٨١٦]

التفسير:

يحذر المولى -ﷻ- عباده المؤمنين من محاكاة المنافقين الذين يثبطون المؤمنين عن القتال والجهاد في سبيل الله من خلال إثارة الشبهات حول من مات أو قتل في سفر أو تجارة زاعمين أن بقاءهم في بيوتهم كان يمكن أن يجنبهم الموت أو القتل، فكانت العاقبة الحسرة والندامة في قلوبهم. قال الطبرسي: «قالوا ذلك ليثبطوا المؤمنين عن الجهاد فلم يقبل المؤمنون ذلك وفرحوا ونالوا العز والغنيمة فصار حسرة في قلوبهم، واللام على هذا في (ليجعل) لام العاقبة.»[٨١٧] ثم بين لهم المولى عز وجل أن الإحياء والإماتة بإذن الله لا تتوقف على سبب، فالأمر كله يرجع إلى الله العالم بكل شيء وسيجازي كلا بعمله.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد أفادت قراءة الخطاب (تعملون) تحذير المؤمنين من مغبة متابعة المنافقين في أراجيفهم وادعاءاتهم الباطلة.

في حين أن قراءة الغيب (يعملون) أفادت تحذير المنافقين من مغبة تصرفاتهم وعاقبتها الوخيمة إن هم أصروا على نفاقهم، وتثبيطهم للمؤمنين.

٨١٦ - انظر النشر ج٢ ص٢٤٢.

٨١٧ - مجمع البيان ج٢ ص٣٢٧.

وبالجمع بين القراءتين نرى أن الآية فيها تحذير للجميع من كل ما يمكنه أن يثبط المجاهدين عن القتال والجهاد في سبيل الله. قال الألوسي في تفسيره: «(والله بما تعملون بصير) ترغيب في الطاعة وترهيب عن المعصية، أو تهديد للمؤمنين على أن يماثلوا الكفار؛ لأن رؤية الله تعالى كعلمه تستعمل في القرآن للمجازاة على المرئي كالمعلوم، والمؤمنون وإن لم يماثلوهم فيما ذكر لكن ندمهم على الخروج من المدينة يقتضيه. وقرأ ابن كثير وأهل الكوفة غير عاصم (يعملون) بالياء وضمير الجمع حينئذ للكفار.»[٨١٨]

٢٧- ﴿ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ آل عمران: ١٥٧

القراءات:

١. قرأ حفص (يَجْمَعون) بالغيب.
٢. قرأ الباقون (تَجْمَعون) بالخطاب.[٨١٩]

المعنى اللغوي للقراءات:

الجمع: ضم الشيء بتقريب بعضه من بعض، يقال: جمعته فاجتمع.[٨٢٠]

التفسير:

يبين المولى -عز وجل- في هذه الآية أن القتل في سبيل الله في أرض المعركة أو الموت لمن قصد الجهاد ومحاربة الكفار يوجب مغفرة الذنوب والفوز بالجنة وأن ذلك خير من حطام الدنيا الزائل. قال الطبرسي في تفسيره:

٨١٨ - روح المعاني ج٤ ص١٠٢.
٨١٩ - انظر النشر ج٢ ص٢٤٣.
٨٢٠ - انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٢٠١.

«(ولئن قتلتم) أيها المؤمنون (في سبيل الله) أي في الجهاد (أو متم) قاصدين مجاهدة الكفار استوجبتم الصفح عن الذنوب والرحمة والثواب والجنة.»[821]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قال مكي بن أبي طالب: «(مما يجمعون) قرأه حفص بالياء، على أنه حمله على لفظ الغيبة، على معنى: لمغفرة من الله لكم ورحمة خير مما يجمع غيركم، ممن ترك القتال في سبيل الله لجمع الدنيا، ولم يقاتل معكم. وقرأ الباقون بالتاء، ردوه على الخطاب الذي قبله، في قوله (ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم) على معنى: لمغفرة من الله ورحمة خير مما تجمعون من أعراض الدنيا لو بقيتم.»[822]

وبالجمع بين القراءتين: يتبين لنا أن مغفرة الله ورحمته خير مما يجمعه الناس كلهم من حطام هذه الدنيا الزائل، وهو كقوله تعالى (قل بفضل وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون) يونس ٥٨.

٢٨- ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ ﴾ آل عمران: ١٦١

القراءات:

١. قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم (يَغُل) بفتح الياء وضم الغين.
٢. قرأ الباقون (يُغَل) بضم الياء وفتح العين.[823]

المعنى اللغوي للقراءات:

الغلل أصله: تدرع الشيء وتوسطه، والغُلول: تدرُّع الخيانة، والغل: العداوة،

٨٢١ - مجمع البيان ج٢ ص٣٢٧.
٨٢٢ - الكشف ج١ ص٣٦٢.
٨٢٣ - انظر النشر ج٢ ص٢٤٣.

وأغل: أي صار ذا إغلال أي خيانة، وغل يغل: إذا خان. وأغللت فلانا: نسبته إلى الغلول قال تعالى (وما كان لنبي أن يغل) وقُرء (يُغل) أي ينسب إلى الخيانة من أغللته.[824]

التفسير:

يحذر المولى -عز وجل- في هذه الآية الكريمة من اتهام أي نبي من أنبيائه بالغلول، وهي السرقة من الغنيمة قبل القسمة؛ لأن من أخذ شيئا من الغنيمة قبل قسمتها يعاقبه المولى عز وجل بالفضيحة يوم القيامة بحمل ما غله على ظهره، ثم تجازى كل نفس بما كسبت إن خيرا فخير وإن شرا فشر لأنه سبحانه لا يظلم أحدا. قال الطاهر بن عاشور في تفسيره: «الأظهر أنه عطف على مجموع الكلام عطف الغرض على الغرض، وموقعه عقب جملة (إن ينصركم الله فلا غالب لكم) الآية، لأنها أفادت أن النصر بيد الله والخذل بيده، وذلك يستلزم التحريض على طلب مرضاته ليكون لطيفا بمن يرضونه. وإذ كانت هذه النصائح والمواعظ موجهة إليهم ليعملوا بها فيما يستقبل من غزواتهم، نُبهوا إلى شيء يستخف به الجيش في الغزوات، وهو الغلول ليعلموا أن ذلك لا يرضي الله تعالى فيحذره ويكونوا مما هو أدعى لغضب الله أشد حذرا. فهذه مناسبة التحذير من الغلول ويعضد ذلك أن سبب هزيمتهم يوم أحد هو تعجلهم في أخذ الغنائم.»[825]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد أفادت قراءة (يَغُل) بفتح الياء وضم الغين أي ما ينبغي لنبي أن يجور في القسم ولكن يعدل ويعطي كل ذي حق حقه.

824 – انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٦١٠ .

825 – تفسير التحرير والتنوير – المجلد الثالث ج٤ ص١٥٤.

وأما على قراءة (يُغَل) بضم الياء وفتح الغين أي ما كان لنبي أن يغله أصحابه أي يخونوه ثم أسقط الأصحاب فبقي الفعل غير مسمى فاعله وتأويله ما كان لنبي أن يُخان، وقال آخرون معنى ذلك وما كان لنبي أن يتهم بالغلول قال الفراء يغل أي يسرق ويخون أي ينسب إلى الغلول يقال أغللته أي نسبته إلى الغلول وقال آخرون (ما كان لنبي أن يغل) أي يلفى غالا: أي خائنا كما يقال أحمدت الرجل إذا وجدته محمودا.[826]

وبالجمع بين القراءتين يصبح المعنى: أنه لا ينبغي لنبي أن يخون في الغنائم فلا يعدل في قسمتها ولا أن يُتهم بذلك لعظم قدر النبي وفضله عند الله، بل لا يجوز أن تقع هذه الكبيرة في جيشه ومن أصحابه حيث تعظم الجريمة لشرف النبي -ﷺ- ومنزلته العالية عند الله.

٢٩- ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْ قُلْ فَٱدْرَءُواْ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٦٨﴾ ﴾ آل عمران: ١٦٨

القراءات:

١. روى هشام عن ابن عامر من طريق الداجواني (ما قُتِّلوا) بتشديد التاء، واختلف عن الحلواني عنه.

٢. قرأ الباقون (ما قُتلوا) بالتخفيف.

قال ابن الجزري «وروينا عن ابن عامر أنه قال: ما كان من القتل في سبيل الله فهو بالتشديد.»[827]

التفسير:

يخبر المولى-ﷻ- عن بعض صفات المنافقين من حيث تخذيل المسلمين

٨٢٦ - انظر حجة القراءات ص ١٨١.

٨٢٧ - انظر النشر ج٢ ص٢٤٣.

والتثبيط من عزائمهم وبث الشبهات من خلال قولهم في شأن إخوانهم المقتولين من الخزرج وهي أخوة نسب ومجاورة، أو للأحياء من المنافقين[٨٢٨]، لو أطاعونا في عدم الخروج ما أصابهم القتل، فرد الله عليهم شبهتهم مبينا عجزهم عن دفع الموت عن أنفسهم إن كانوا صادقين في دعواهم.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد أضافت قراءة التشديد (ما قُتِّلوا) التفظيع والمبالغة في القتل الذي حصل لقتلى أحد. زيادة عن القراءة الأخرى والتي تفيد مجرد القتل. قال ابن عاشور في تفسيره: «وقرأه هشام عن ابن عامر بتشديد التاء من التقتيل للمبالغة في القتل. وهو يفيد تفظيعهم ما أصاب إخوانهم من القتل طعنا في طاعتهم للنبي- ﷺ -.»[٨٢٩] وقال مكي بن أبي طالب: «ويلاحظ أن قراءة التشديد تفيد التكثير.»[٨٣٠]

وبالجمع بين القراءتين يتبين لنا مدى مكر المنافقين حيث استغلوا ما وقع لبعض الصحابة من قتل وتمثيل في إشاعة الأراجيف والشبهات حولهم، وأنه كان من الأفضل لهم القعود ليسلموا من القتل.

٣٠-﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾ آل عمران: ١٦٩

القراءات:

١. قرأ ابن عامر (قُتِّلوا) بالتشديد.
٢. قرأ الباقون (قُتِلوا) بالتخفيف.[٨٣١]

---

٨٢٨ – المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج١ ص٥٣٩ –٥٤٠.
٨٢٩ – تفسير التحرير والتنوير – المجلد الثالث ج٤ ص١٦٤.
٨٣٠ – الكشف ج١ ص٣١٤.
٨٣١ – انظر النشر ج٢ ص٢٤٣.

٣. اختلف في (تحسبن) فهشام من طريق الداجوني بالغيب واختلف عنه من طريق الحلواني.

٤. الباقون (يحسبن) بالخطاب.[٨٣٢]

المعنى اللغوي للقراءات:

الحسبان: أن يحكم لأحد النقيضين من غير أن يخطر الآخر بباله، ويقارب ذلك الظن، ولكن الظن أن يخطر النقيضين بباله فيغلّب أحدهما على الآخر.[٨٣٣]

التفسير:

يبين المولى -عز وجل- حال من قتل في سبيل الله فهم ليسوا أموات كسائر الأموات بل هم أحياء يحيون حياة خاصة فيها قرب من الله مع ما ينعمون به من رزق يأتيهم من الجنة. قال ابن كثير في تفسيره: «يخبر تعالى عن الشهداء بأنهم وإن قتلوا في هذه الدار، فإن أرواحهم حية مرزوقة في دار القرار.»[٨٣٤] وقال الطاهر بن عاشور في تفسيره: «وقد أثبت القرآن للمجاهدين موتا ظاهرا بقوله (قُتلوا) ونفى عنهم الموت الحقيقي بقوله (بل أحياء عند ربهم يرزقون) فعلمنا أنهم وإن كانوا أموات الأجسام فهم أحياء الأرواح، حياة زائدة على حقيقة بقاء الأرواح، غير مضمحلة. بل هي حية بمعنى تحقق آثار الحياة لأرواحهم من حصول اللذات والمدركات السارة لأنفسهم، ومسرتهم بإخوانهم، ولذلك كان قوله (عند ربهم) دليلا على أن حياتهم خاصة بهم، ليست هي الحياة المتعارفة في هذا العالم،

---

٨٣٢ - انظر إتحاف فضلاء البشر ص٢٣١-٢٣٢.

٨٣٣ - انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٢٣٤.

٨٣٤ - تفسير ابن كثير ج١ ص٥٦٥.

أعني حياة الأجسام وجريان الدم في العروق، ونبضات القلب، ولا هي حياة الأرواح الثابتة لأرواح جميع الناس، وكذلك الرزق يجب أن يكون ملائما لحياة الأرواح وهو رزق النعيم في الجنة.»[٨٣٥]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد اعتبر بعض العلماء أن قراءة التشديد (قُتِّلوا) تفيد كثرة القتلى. قال مكي بن أبي طالب: "قرأه ابن عامر بالتشديد على التكثير لأن المقتولين كُثْر والتشديد للتكثير."[٨٣٦] وقال ابن عاشور في تفسيره: «وقرأه ابن عامر – بتشديد التاء – أي قُتِّلوا قتلا كثيرا.»[٨٣٧] وقال الألوسي في تفسيره: «وقرأ ابن عامر (قتّلوا) بالتشديد لكثرة المقتولين.»[٨٣٨] والأولى اعتبار قراءة التشديد (قتّلوا) تفيد المبالغة في القتل والتمثيل بالمقتولين. وأما القراءة الأخرى (قتِلوا) بالتخفيف فتفيد مجرد القتل وقع معه تمثيل أم لم يقع.

وبالجمع بين القراءتين: يتبين لنا أن هذا الفضل العظيم من الله -عز وجل- يناله كل من قتل في سبيل الله سواء قتل ومثل به كما حصل لبعض قتلى أحد كحمزة بن عبد المطلب أو قتل من غير تمثيل، وهذا إنما يدل على عظم الشهادة في سبيل الله.

وأما بالنسبة لقراءة (ولا يحسبن) بياء الغيب ففيها حث على الجهاد والاستشهاد من خلال بيان ما أعد الله للمجاهدين في سبيل الله في الآخرة، باعتبار أن الفاعل (الذين قتلوا) و(أمواتا) مفعول ثان، والمفعول الأول محذوف، والمعنى: أي ولا يحسبن الشهداء أنفسهم أمواتاً.

٨٣٥ – تفسير التحرير والتنوير – المجلد الثالث ج٤ ص١٥٩-١٦٠.

٨٣٦ – الكشف ج١ ص٣١٤.

٨٣٧ – تفسير التحرير والتنوير – المجلد الثالث ج٤ ص١٦٥.

٨٣٨ – روح المعاني ج٤ ص١٢٢.

وأما على قراءة (ولا تحسبن) بتاء الخطاب ففيها مواساة لأولياء الشهيد، فلا يبكوا على قتلاهم ولا يحزنوا كما ورد في قصة جابر بن عبد الله[٨٣٩] باعتبار أن (الذين) مفعول أول، (أمواتا) مفعول ثان، أي: ولا تحسبن يا محمد أو يا مخاطب الشهداء أمواتا.[٨٤٠] قال الزمخشري في تفسيره: «(ولا تحسبنَّ) الخطاب لرسول اللهr - - أو لكل أحد. وقُرء بالياء على: ولا يحسبن رسول الله -ﷺ- أو لا يحسبنَّ حاسب.»[٨٤١]

ويجوز أن يكون المراد من قراءة الغيب الكفار أو المنافقون، ويصبح المعنى: ولا يحسبن الكافرون أو المنافقون الذين قُتلوا في سبيل الله أمواتا.

وبالجمع بين القراءتين نرى أن في الآية حثٌّ على الجهاد والاستشهاد في سبيل الله من خلال طمأنة المجاهدين بما أعد الله لهم من النعيم المقيم، ومواساة لأهلهم وذويهم فلا يحزنوا على شهدائهم، وردٌّ على المنافقين المرجفين الذين يسعون لبث الأراجيف والشبهات حول الشهداء.

٣١-﴿ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ ﴾ آل عمران: ١٧١

القراءات:

١. قرأ الكسائي (وإنَّ الله) بكسر الهمزة.
٢. قرأ الآخرون (وأنَّ الله) بفتح الهمزة.[٨٤٢]

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عما أعده الله للشهداء في الآخرة من النعيم المقيم.

---

٨٣٩ - انظر في الجامع لأحكام القرآن ج٤ ص٢٦٨ .

٨٤٠ - المستنير في تخريج القراءات المتواترة ج١ ص١٢٣.

٨٤١ - الكشاف ج١ ص٤٣٠.

٨٤٢ - انظر النشر ج٢ ص٢٤٤.

قال القرطبي في تفسيره: "(يستبشرون بنعمة من الله) أي بجنة من الله ويقال بمغفرة من الله (وفضل) هذا لزيادة البيان. والفضل داخل في النعمة، وفيه دليل على اتساعها وأنها ليست كنعم الدنيا. وقيل جاء الفضل بعد النعمة على وجه التأكيد."(٨٤٣)

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قال القرطبي في تفسيره: «(وأن الله) فمن قرأ بالنصب فمعناه يستبشرون بنعمة من الله ويستبشرون بأن الله لا يضيع أجر المؤمنين، ومن قرأ بالكسر فعلى الابتداء.»(٨٤٤) وقال ابن عاشور في تفسيره: «قرأ الجمهور بفتح همزة (أن) على أنه عطف على (نعمة من الله وفضل) والمقصود من ذلك تفخيم ما حصل لهم من الاستبشار وانشراح الأنفس بأن جمع لهم المسرة الجثمانية الجزئية والمسرة العقلية الكلية. وقرأه الكسائي بكسر همزة (إن) على أنه عطف على جملة (يستبشرون) في معنى التنزيل فهو غير داخل فيما استبشر به الشهداء. ويجوز أن تكون الجملة على هذا الوجه ابتداء كلام فتكون الواو للاستئناف.»(٨٤٥)

وبالجمع بين القراءتين: يتبين لنا أن الشهداء على موعد دائم مع البشرى فهي مستمرة زيادة في نعيمهم.

٣٢- ﴿ وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ ﴾ آل عمران: ١٧٦

٨٤٣ – الجامع لأحكام القرآن ج٤ ص٢٧٥ ، وانظر جامع البيان ج٤ ص١٧٥.

٨٤٤ – الجامع لأحكام القرآن ج٤ ص٢٧٦ ، وانظر التفسير الوجيز ج١ ص٥٤١.

٨٤٥ – تفسير التحرير والتنوير – المجلد الثالث ج٤ ص٢٧٦.

القراءات:

١. قرأ نافع (يُحزِنك) حيث وقع بضم الياء وكسر الزاي إلا حرف الأنبياء (لا يَحزُنهم).

٢. قرأ الباقون (يَحزُنك) بفتح الياء وضم الزاي.[٨٤٦]

المعنى اللغوي للقراءات:

الحَزَن والحزونة: خشونة في الأرض وخشونة في النفس لما يحصل فيه من الغم، ويضاده الفرح، ولاعتبار الخشونة بالغم قيل: خشَّنت بصدره: إذا حزنْتُه، يقال: حَزِنَ، يَحْزَن، وحَزَنتُه وأَحزنْتُه.[٨٤٧]

التفسير:

يقول -ﷻ- ولا يحزنك يا محمد كفر الذين يسارعون في الكفر مرتدين على أعقابهم من أهل النفاق فإنهم لن يضروا الله بمسارعتهم في الكفر شيئا كما أن مسارعتهم لو سارعوا إلى الإيمان لم تكن بنافعته، كذلك مسارعتهم إلى الكفر غير ضارته، يريد الله أن لا يجعل لهؤلاء الذين يسارعون في الكفر نصيبا في ثواب الآخرة فلذلك خذلهم فسارعوا فيه ثم أخبر أنهم مع حرمانهم ما حرموا من ثواب الآخرة لهم عذاب عظيم في الآخرة وذلك عذاب النار.[٨٤٨]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

العلاقة بين القراءتين هي علاقة لغوية باعتبار أنَّ (يَحزُن) و(يُحزِن) لغتان. قال مكي بن أبي طالب: «وهما لغتان، حكى سيبويه: أحزنت الرجل، إذا جعلته حزينا، فضُمَّت الياء في المستقبل، لأنه رباعي. ويقال: حَزِن الرجل

٨٤٦ - انظر النشر ج٢ ص٢٤٤.

٨٤٧ - انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٢٣١.

٨٤٨ - انظر جامع البيان ج٤ ص١٨٤-١٨٥.

يَحزَن، لغة. وحزَّن يحزِّن، لغة ومنه قوله تعالى)ولا هم يحزنون (البقرة ٣٨ ، ويقال حزنته، جعلت فيه حزنا، كما تقول كحلته، إذا جعلت فيه كحلا.»[٨٤٩] وقال القرطبي: «وهما لغتان: حزنني الأمر يحزنني وأحزنني أيضا وهي لغة قليلة.»[٨٥٠]

٣٣- ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْۚ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًاۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾ ﴾ آل عمران: ١٧٨

القراءات:

١. قرأ حمزة (ولا تحسبن) بالخطاب.

٢. قرأ الباقون (ولا يحسبن) بالغيب.[٨٥١]

التفسير:

يخبر المولى -ﷻ- رسوله الكريم عن حكمة الإملاء للكافرين بإطالة أعمارهم أحيانا أو ظفرهم في بعض المعارك أحيانا أخرى كما حصل في غزوة أحد بأن هذا الإملاء لهم لا خير فيه لأنه من باب الاستدراج وليس التكريم ليزدادوا آثاما ومعاصي فتزداد عقوبتهم، حتى إذا أخذهم لم يفلتهم. قال القرطبي في تفسيره: «(ولا يحسبن الذين كفروا أنما[٨٥٢] نملي لهم خير لأنفسهم) الإملاء طول العمر ورغد العيش والمعنى: لا يحسبن هؤلاء الذين يخوفون المسلمين فإن الله قادر على إهلاكهم وإنما يطول أعمارهم ليعملوا بالمعاصي لا لأنه خير لهم، ويقال أنما نملي لهم

٨٤٩ - الكشف ج١ ص٣٦٥.

٨٥٠ - الجامع لأحكام القرآن ج٤ ص٢٨٤-٢٨٥.

٨٥١ - انظر النشر ج٢ ص٢٤٤.

٨٥٢ - كتبت (إنما) بالكسر وهذا خطأ فلا توجد في هذا الموضع قراءة بالكسر ولعله تصحيف.

بما أصابوا من الظفر يوم أحد لم يكن ذلك خيرا لأنفسهم وإنما كان ذلك ليزدادوا عقوبة.»[853]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد أفادت قراءة (لا يحسبن) بالغيب التهديد والوعيد للكافرين من أجل التنغيص عليهم.

قال مكي بن أبي طالب: «ووجه من قرأ بالياء أنه أسند الفعل إلى (الذين كفروا) فهم الفاعلون، والتقدير: ولا يحسبن الذين كفروا أن الذي نملي لهم خير لأنفسهم، وإن شئت كان التقدير: ولا يحسبن الذين كفروا أن الإملاء خير لأنفسهم. ووجه القراءة بالتاء أنه جعل الفعل خطابا للنبي -ﷺ- فهو الفاعل، (الذين كفروا) مفعول أول لـ (يحسب)،(أنما) وما بعدها بدل من (الذين) في موضع نصب فيسد مسد مفعولين. والتقدير: ولا تحسبن يا محمد الذين كفروا أن الذي نمليه لهم خير لأنفسهم.»[854]

وبالجمع بين القراءتين: نرى أن فيهما وعد للمؤمنين ووعيد للكافرين، فيصبح المعنى: يا محمد -ﷺ- لتطمئن وليطمئن من معك من المؤمنين ولا تحزنوا على ما أصابكم يوم أحد من جراح وآلام، وليعلم الكافرون أن انتصارهم في جولة أو ما يحصلون عليه في هذه الحياة الدنيا من النعم الزائلة ما هو إلا استدراج لهم حتى إذا أخذناهم لم نفلتهم.

٣٤-﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾ ﴾ آل عمران: ١٧٩

٨٥٣ - الجامع لأحكام القرآن ج٤ ص٢٨٦-٢٨٧.

٨٥٤ - الكشف ج١ ص٣٦٦ باختصار، وانظر تفسير التحرير والتنوير ج٤ ص١٧٤-١٧٧، مجمع البيان ج٢ ص٣٤٨.

القراءات:

١. قرأ يعقوب وحمزة والكسائي وخلف (يُميِّز) بضم الياء الأولى وتشديد الياء الأخرى.

٢. قرأ الباقون (يَميز) بالفتح والتخفيف.[٨٥٥]

المعنى اللغوي للقراءات:

الميز والتمييز: الفصل بين المتشابهات، يقال: مازه يميزه ميزا، وميزه تمييزا.[٨٥٦]

التفسير:

يبين المولى -عَزَّ وَجَلَّ- في هذه الآية الكريمة عن سنة من سننه في الكون ألا وهي الابتلاء من أجل تمحيص المؤمنين فيظهر الصادق من الكاذب. قال ابن كثير في تفسيره: «(ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب) أي لابد أن يعقد شيئا من المحنة يظهر فيه وليه ويفضح به عدو يعرف به المؤمن الصابر والمنافق الفاجر يعني بذلك يوم أحد الذي أمتحن الله به المؤمنين فظهر به إيمانهم وصبرهم وجلدهم وثباتهم وطاعتهم لله ورسوله -ﷺ- وهتك به أستار المنافقين فظهر مخالفتهم ونكولهم عن الجهاد وخيانتهم لله ولرسوله-ﷺ-.»[٨٥٧] ثم بين تعالى أنه لا يطلع عباده على معرفة الغيب إنما يخص بمعرفة بعضها من اختارهم من أنبيائه ورسله، والواجب في حق العباد أن يطيعوا الله ورسوله فيما شرع لهم لما في ذلك من الأجر العظيم في الدنيا والآخرة.

---

٨٥٥ - انظر النشر ج٢ ص٢٤٤.

٨٥٦ - انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٧٨٣.

٨٥٧ - تفسير ابن كثير ج١ ص٥٧٤.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد ذهب البعض إلى أن القراءتين من باب اللغات، إلا أن قراءة التشديد تفيد التكثير.

قال مكي بن أبي طالب: «هما لغتان يُقال: ماز يميز، مثل كال يكيل، وميَّز يميِّز، مثل قتَّل يقتِّل، وفي التشديد معنى التكثير.»[858] وقال ابن زنجلة: «والتشديد إنما يدخل في الكلام للتكثير. قال أبو عمرو: لا يكون بالتشديد إلا كثيرا من كثير، فأما واحد من واحد فـ(يميز) على معنى يعزل. وتأويل الكلام: حتى يميز جنس الخبيث من جنس الطيب.»[859]

وربما كان الصواب أن في اختلاف القراءتين بيان لأنواع التمييز، فهناك حالات يكون التمييز فيها واضحا: كالكفر والإيمان، وهذه تناسبها قراءة التخفيف، وهناك حالات تحتاج إلى دقة وشدة في الامتحان: كتمييز صف المنافقين عن المؤمنين الصادقين، وهذه تناسبها قراءة التشديد، كما هو الحال في امتحان الدراسة ولله المثل الأعلى. ولهذا نجد أن الإمام الطبري يذكر اختلاف العلماء حول معنى الآية فيقول في تفسيره: «(حتى يميز الخبيث من الطيب) يعني بذلك حتى يميز الخبيث وهو المنافق المستسر للكفر، من الطيب، وهو المؤمن المخلص الصادق الإيمان بالمحن والاختبار، كما ميز بينهم يوم أحد عند لقاء العدو عند خروجهم إليهم. وقال آخرون معنى ذلك حتى يميز المؤمن من الكافر بالهجرة والجهاد.»[860]

وبالجمع بين القراءتين يصبح المعنى: ما كان الله ليدع المؤمنين على ما أنتم عليه من التباس المؤمن منكم بالمنافق فلا يعرف هذا من هذا، وذلك

٨٥٨ - الكشف ج١ ص٣٦٩.

٨٥٩ - حجة القراءات ص١٨٢ باختصار.

٨٦٠ - جامع البيان ج٤ ص١٨٧ باختصار.

بالمحن والشدائد، وكذلك بتمييز المؤمن من الكافر بالهجرة والجهاد.

٣٥- ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾ ﴾ آل عمران: ١٨٠

القراءات:

١. قرأ حمزة (ولا يَحْسَبن) بالخطاب.
٢. قرأ الباقون (ولا تَحْسَبن) بالغيب.
٣. قرأ ابن كثير والبصريان (يَعْملون) بالغيب.
٤. قرأ الباقون (تَعْملون) بالخطاب.[٨٦١]

التفسير:

يحذر المولى -عز وجل- من آفة البخل وعدم الإنفاق في سبيل الله ومنع الزكاة المفروضة بأن عاقبة ذلك وخيمة في الدنيا والآخرة. قال ابن عاشور في تفسيره: «(ولا يحسبن الذين يبخلون ...) الآية عطف على (ولا يحسبن الذين كفروا) لأن الظاهر أن هذا نزل في شأن المنافقين، فإنهم يبخلون ويأمرون الناس بالبخل كما حكى الله عنهم (الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل) النساء ٣٧ ، وكانوا يقولون (لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا) المنافقون ٧ ، وغير ذلك، ولا يجوز بحال أن يكون نازلا في شأن بعض المسلمين ؛ لأن المسلمين يومئذ مبرؤون من هذا الفعل ومن هذا الحسبان.»[٨٦٢] فلا يحسبن من يبخلون عن الإنفاق في سبيل الله وعن أداء الزكاة المفروضة أن هذا البخل هو خير لهم، بل هو شر لهم لما ينتظرهم

---

٨٦١ - انظر النشر ج٢ ص٢٤٤-٢٤٥.

٨٦٢ - تفسير التحرير والتنوير - المجلد الثالث ج٤ ص١٨٠-١٨١.

من العقوبة في الدنيا بمحق البركة منها وفي الآخرة بالعذاب الأليم حين يمثل لهم هذا المال بثعبان. قال -ﷺ-: من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له شجاعا أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة، يأخذ بلهزمتيه- يعني بشدقيه – ثم يقول: أنا مالك، أنا كنزك.»[٨٦٣] وقال الطبرسي في تفسيره: «وقد تضمنت الآية الحث على الإنفاق والمنع من الإمساك من قبل أن الأموال إذا كانت بمعرض الزوال إما بالموت أو غيره من الآفات، فأجدر بالعاقل أن لا يبخل بإنفاقه ولا يحرص على إمساكه فيكون عليه وزره ولغيره نفعه.»[٨٦٤]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد أدى اختلاف القراءتين (ولا يحسبن) بالغيب، (ولا تحسبن) بالخطاب، على تحديد الفاعل في الجملة، وبالتالي الاختلاف في المعنى. قال القرطبي في تفسيره: "(ولا يحسبن الذين) الذين في موضع رفع، والمفعول الأول محذوف. والمعنى: لا يحسبن الباخلون البخل خيرا لهم، وإنما حذف لدلالة يبخلون على البخل. وأما قراءة حمزة (ولا تحسبن) فالتقدير فيها: لا تحسبن بخل الذين يبخلون هو خيرا لهم."[٨٦٥] والخطاب في قراءة (ولا تحسبن) للنبي-ﷺ- أو للسامعين. وقال ابن زنجلة «(ولا تحسبن) بالتاء خطاب للنبي- ﷺ -.»[٨٦٦]

وأما بالنسبة لقراءة (يعملون) بالغيب، (تعملون) بالخطاب، ففي كل منهما وعد ووعيد، وعد للمنفقين ووعيد للمانعين. قال ابن عاشور في تفسيره:

٨٦٣ – فتح الباري – كتاب التفسير – سورة آل عمران ، باب: ١٤-(ولا يحسبن الذين يبخلون ..) ج٨ ص٢٣٠ – رقم ٤٥٦٥.

٨٦٤ – مجمع البيان ج٢ ص٣٥٣.

٨٦٥ – انظر الجامع لأحكام القرآن ج٤ ص٢٩٠.

٨٦٦ – حجة القراءات ص١٨٣ ، وانظر مجمع البيان ج٢ ص٣٥٢.

«وهو عليم بما يعمل الناس من بخل وصدقة، فالآية موعظة ووعيد ووعد لأن المقصود لازم قوله (خبير).»[٨٦٧]

وعلى قراءة حمزة (ولا يحسبن ... بما تعملون) يكون في الكلام التفات. قال الألوسي في تفسيره: «(والله بما تعملون) من المنع والبخل (خبير) فيجازيكم على ذلك، وإظهار الاسم الجليل لتربية المهابة والالتفات إلى الخطاب للمبالغة في الوعيد ؛ لأن تهديد العظيم بالمواجهة أشد.»[٨٦٨]

وبالجمع بين القراءات يصبح المعنى: اعلم يا محمد -ﷺ- وأعلم الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله بعاقبة بخلهم، وما أعده الله لهم يوم القيامة من عقاب، حيث يجازى المحسن على إحسانه والمسيء بإساءته. قال الإمام الطبري في تفسيره: «وإنما معنى الآية لا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة بعد ما يهلكون وتزول عنهم أملاكهم في الحين الذي لا يملكون شيئا وصار لله ميراثه وميراث غيره من خلقه. ثم أخبر تعالى ذكره أنه بما يعمل هؤلاء الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضل وغيرهم من سائر خلقه ذو خبرة وعلم محيط بذلك كله حتى يجازي كلا منهم على قدر استحقاقه المحسن بالإحسان والمسيء على ما يرى تعالى ذكره.»[٨٦٩]

٣٦- ﴿ لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ﴾

آل عمران: ١٨١

٨٦٧ - تفسير التحرير والتنوير - المجلد الثالث ج٤ ص١٨٣.

٨٦٨ - روح المعاني ج٤ ص١٤٠.

٨٦٩ - جامع البيان ج٤ ص١٩٣-١٩٤.

القراءات:

١. قرأ حمزة: (سيُكتَب) بالياء وضمها، ما قالوا (وقتلُهم) برفع اللام، الأنبياء بغير حق (ويقول) بالياء.

٢. قرأ الباقون: (سنَكتُب) بالنون وفتحها وضم التاء، ما قالوا (وقتلَهم) بالنصب، الأنبياء بغير حق (ونقول) بالنون[٨٧٠]

المعنى اللغوي للقراءات:

الكَتْبُ: ضم أديم إلى أديم بالخياطة، وفي التعارف ضم الحروف بعضها إلى بعض بالخط، وقد يقال ذلك للمضموم بعضها إلى بعض باللفظ.[٨٧١] قال ابن منظور: «الكتاب معروف، والجمع كُتُب وكُتْب. كَتَب الشيء يكتُبه كَتْبا وكِتابا وكِتابةً، وكَتبه: خَطَّه.»[٨٧٢]

التفسير:

بعد أن حث المولى -عز وجل- على الإنفاق قال بعض اليهود (إن الله فقير ونحن أغنياء) فجاء التهديد والوعيد من قبل الله لهم على هذه الفعلة الشنيعة مع ما سبقها من قتل للأنبياء، قال ابن كثير في تفسيره: «وقوله (سنكتب ما قالوا) تهديد ووعيد ولهذا قرنه تعالى بقوله (وقتلهم الأنبياء بغير حق) أي هذا قولهم في الله وهذه معاملتهم رسل الله وسيجزيهم الله على ذلك شر الجزاء ولهذا قال تعالى (ونقول ذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد) أي يقال لهم ذلك تقريعا وتوبيخا وتحقيرا وتصغيرا.»[٨٧٣]

٨٧٠ – انظر النشر ج٢ ص٢٤٥.

٨٧١ – انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٦٩٨.

٨٧٢ – لسان العرب ج٦ ص٣٨١٦.

٨٧٣ – تفسير ابن كثير ج١ ص٥٧٦.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد جاءت قراءة (سنكتب) بنون العظمة بإسناد الفعل إلى ما سُمي فاعله مفسرة للقراءة الأخرى (سيُكتب) والتي أسند فيها الفعل إلى ما لم يسم فاعله، مع ما فيها من المبالغة في التهديد والوعيد بحيث يتولى الله -عز وجل- محاسبتهم لعظم ما ارتكبوه وشناعة ما قالوه، وسوء الأدب مع الله ووصفه بما لا يليق بالبشر فكيف بخالق البشر الغني المعطي سبحانه.

كما أفادت قراءة (سنكتب) الالتفات. وهو من الأساليب البلاغية في القرآن قال د. محمد سالم محيسن: «وقرأ الباقون (سنكتب) بنون العظمة، وضم التاء، مبنيا للفاعل، والفاعل ضمير مستتر وجوبا تقديره نحن وهو يعود على الله تعالى، وذلك على الالتفات من الغيبة إلى التكلم.»[(٨٧٤)]

٣٧- ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾﴾ آل عمران: ١٨٤

القراءات:

١. قرأ ابن عامر (وبِالزُبر) بزيادة باء بعد الواو.
٢. اختلف عن هشام في (وبالكتاب) بين إثبات الباء وحذفها.
٣. قرأ الباقون (والزُبر والكتاب) بالحذف فيهما وكذا هو في مصاحفهم.[(٨٧٥)]

التفسير:

الخطاب للرسول -ﷺ- وذلك على سبيل التسلية لمّا ظهر كذبهم على الله بذكر العهد الذي افتروه، وكان في ضمنه تكذيبه، إذ علقوا الإيمان به على شيء مقترح منهم على سبيل التعنت، ولم يجبهم الله لذلك فسلى الرسول -ﷺ-

٨٧٤ - المغني في توجيه القراءات العشر المتواترة ج١ ص٣٨٣-٣٨٤.

٨٧٥ - انظر النشر ج٢ ص٢٤٥-٢٤٦.

بأن هذا دأبهم وسبق منهم تكذيبهم لرسل جاؤوا بما يوجب الإيمان من ظهور المعجزات الواضحة الدلالة على صدقهم، وبالكتب السماوية النيرة المزيلة لظلم الشبه.[٨٧٦]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد أفاد إعادة الباء التأكيد زيادة في إقامة الحجة عليهم. قال ابن عطية في تفسيره: «وقرأ ابن عامر (وبالزبر) بإعادة الباء، وسقوطها على قراءة الجمهور متجه ؛ لأن الواو شركت الزبر في الباء الأولى فاستغنى عن إعادة الباء، وإعادتها أيضا متجه لأجل التأكيد.»[٨٧٧] وكذلك قال أبو حيان في تفسيره: «وإعادة حرف الجر في العطف هو على سبيل التأكيد»[٨٧٨] وكذلك قال مكي بن أبي طالب: «أعاد الحرف للتأكيد.»[٨٧٩]

٣٨- ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْاْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾ آل عمران: ١٨٧

القراءات:

١. قرأ ابن كثير وأبو عمرو وأبو بكر (لَيُبَيِّننه للناس ولا يكتمونه).
٢. قرأ الباقون (لَتُبَيِّننه للناس ولا تكتمونه).[٨٨٠]

المعنى اللغوي للقراءات:

البينة:الدلالة الواضحة عقلية كانت أو محسوسة. والبيان الكشف عن الشيء.[٨٨١]

٨٧٦ – تفسير البحر المحيط ج٣ ص١٣٨.
٨٧٧ – المحرر الوجيز ج١ ص٥٤٩.
٨٧٨ – تفسير البحر المحيط ج٣ ص١٣٨.
٨٧٩ – الكشف ح١ ص٣٧٠.
٨٨٠ – انظر النشر ج٢ ص٢٤٦.
٨٨١ – انظر مفردات ألفاظ القرآن ص١٥٧.

التفسير:

يبين المولى عز وجل ما أخذه على أهل الكتاب من العهود والمواثيق ببيان ما جاء في كتبهم وخاصة ما جاء في صفة النبي- ﷺ -، فكتموه طمعا في حطام الدنيا الزائل فبئس هذا الذي اشتروه. قال ابن كثير في تفسيره: «هذا توبيخ من الله وتهديد لأهل الكتاب الذين أخذ الله عليهم العهد على ألسنة الأنبياء أن يؤمنوا بمحمد- ﷺ - وأن ينوهوا بذكره في الناس فيكونوا على أهبة من أمره فإذا أرسله الله تابعوه فكتموا ذلك وتعوضوا عما وعدوا عليه من الخير في الدنيا والآخرة بالدون الطفيف، والحظ الدنيوي السخيف فبئست الصفقة صفقتهم، وبيست البيعة بيعتهم، وفي هذا تحذير للعلماء أن يسلكوا مسلكهم فيصيبهم ما أصابهم، ويسلك بهم مسلكهم، فعلى العلماء أن يبذلوا ما بأيديهم من العلم النافع، الدال على العمل الصالح، ولا يكتموا منه شيئا، فقد ورد في الحديث المروي من طرق متعددة عن النبي- ﷺ - أنه قال: من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار[٨٨٢] .»[٨٨٣]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قال الطاهر بن عاشور في تفسيره: «وجملة (لتبيننه للناس) بيان للميثاق، فهو حكاية اليمين حين اقترحت عليهم، ولذلك جاءت بصيغة خطابهم بالمحلوف عليه كما قرأ بذلك الجمهور، وقرأه ابن كثير، وأبو عمرو، وأبو بكر عن عاصم: ليبيننه بياء الغيب على طريقة الحكاية بالمعنى، حيث كان المأخوذ عليهم هذا العهد غائبين في وقت الإخبار عنهم. وللعرب في مثل هذه الحكايات وجوه: باعتبار كلام الحاكي، وكلام المحكي عنه.»[٨٨٤]

٨٨٢ – رواه الترمذي في سننه – كتاب العلم – باب ما جاء في كتمان العلم – رقم الحديث ٢٦٤٩. وقال حديث حسن

٨٨٣ – تفسير ابن كثير ج١ ص ٥٧٩.

٨٨٤ – تفسير التحرير والتنوير – المجلد الثالث ج٤ ص١٩١.

ولقد أفادت القراءة بالتاء (لتبيننه للناس ولا تكتمونه) توكيد الأمر الذي أخذ عليهم. قال مكي بن أبي طالب: «وفي القراءة بالتاء معنى توكيد الأمر لأن التاء للمواجهة، فتقديره: وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب، فقال لهم لتبيننه للناس ولا تكتمونه.»[885]

٣٩- ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾ ﴾ آل عمران: ١٨٨

القراءات:

١. قرأ ابن كثير وأبو عمرو (لا يحسبَن، فلا يحسبُنهم) بالغيب فيهما وفتح الباء الأولى وضمها في الثاني.
٢. قرأ عاصم وحمزة والكسائي ويعقوب وخلف (لا تحسبَن، فلا تحسبَنهم) بتاء الخطاب فيهما، وفتح الباء فيهما معا.
٣. قرأ نافع وابن عامر وأبو جعفر (لا يحسبَن، فلا تحسبَنهم) بياء الغيب في الأول، وتاء الخطاب في الثاني وفتح الموحدة فيهما.[886]

التفسير:

في هذه الآية تحذير لمن كتم شيئا مما أوجب الله تبليغه وأحب أن يحمد على ذلك كما كانت اليهود تفعل مع رسول الله -ﷺ- كما جاء في سبب نزول الآية: لما دعا النبي -ﷺ- يهوداً وسألهم عن شيء، فكتموه إياه وأخبروه بغيره، فأروه أن قد استحمدوا إليه بما أخبروه عنه فيما سألهم وفرحوا بما أتوا من كتمانهم.[887] قال الإمام الطبري في تفسيره: «فتأويل الآية: لا تحسبن يا محمد الذين يفرحون بما أتوا من كتمانهم الناس أمرك وأنك

٨٨٥ - الكشف ج١ ص٣٧١.

٨٨٦ - انظر إتحاف فضلاء البشر ص٢٣٣-٢٣٤، النشر ج٢ ص٢٤٦.

٨٨٧ - فتح الباري بشرح صحيح البخاري - ج٨ ص٢٣٣ - كتاب التفسير - باب (لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا) ح ٤٥٦٨

لي رسول مرسل بالحق وهم يجدونك مكتوبا عندهم في كتبهم وقد أخذت عليهم الميثاق بالإقرار بنبوتك وبيان أمرك للناس وأن لا يكتموهم ذلك وهم مع نقضهم ميثاقي الذي أخذت عليهم بذلك يفرحون بمعصيتهم إياي في ذلك ومخالفتهم أمري ويحبون أن يحمدهم الناس بأنهم أهل طاعة لله وعبادة وصلاة وصوم واتباع لوحيه وتنزيله الذي أنزله على أنبيائه وهم من ذلك أبرياء أخلياء لتكذيبهم رسوله ونقضهم ميثاقه الذي أخذ عليهم لم يفعلوا شيئا مما يحبون أن يحمدهم الناس عليه فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم. وقوله (فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب) فلا تظنهم بمنجاة من عذاب الله الذي أعده لأعدائه في الدنيا من الخسف والمسخ والرجف والقتل وما أشبه ذلك من عقاب الله ولا هم ببعيد منه.»[888]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

يلاحظ أن من قرأ (لا تحسبَن، فلا تحسبَنهم) بالخطاب في الموضعين أن الفاعل فيهما واحد وهو الرسول-ﷺ-. وتكون (فلا تحسبنهم) تأكيد لـ (لا تحسبَن) .

وعلى قراءة (لا يحسبَن، فلا يحسبُنهم) أن الفاعل فيهما واحد أيضا وهم اليهود. وتكون (فلا يحسبن) تأكيد للقراءة الأولى (لا يحسبن).

وأما على قراءة (لا يحسبَن، فلا تحسبَنهم) فالفاعل في الأولى هم اليهود، وأما الفاعل في الثانية فهو الرسول-ﷺ-. قال القرطبي في تفسيره: «(والذين) فاعل بـ (يحسبن) بالياء، وهي قراءة نافع وابن عامر وابن كثير وأبي عمرو أي: لا يحسبن الفارحون فرحهم منجيا لهم من العذاب. وقيل المفعول الأول محذوف وهو أنفسهم والثاني (بمفازة). وقرأ الكوفيون

888 - جامع البيان ج٤ ص٢٠٨-٢٠٩.

(تحسبن) بالتاء على الخطاب للنبي -ﷺ- أي: لا تحسبن يا محمد-ﷺ- الفارحين بمفازة من العذاب. وأما القراءات الأخرى (فلا يحسبُنهم) و (فلا يحسبنَهم) فهي للتأكيد، وقوله (فلا تحسبَنَّهم) بالتاء وفتح الباء إعادة تأكيد، ومفعوله الأول الهاء والميم، والمفعول الثاني محذوف: أي كذلك. وقرأ مجاهد وابن كثير وأبو عمرو بالياء وضم الباء خبرا عن الفارحين أي: فلا يحسبن أنفسهم (بمفازة) المفعول الثاني، ويكون فلا يحسبنهم تأكيدا.»(٨٨٩)

وقال الطاهر بن عاشور في تفسيره: «وقد جاء تركيب الآية على نظم بديع إذ حُذف المفعول الثاني لفعل الحسبان الأول لدلالة ما يدل عليه وهو مفعول (فلا تحسبنهم)، والتقدير: لا يحسبن الذين يفرحون الخ أنفسهم. وأعيد فعل الحسبان في قوله (فلا تحسبنهم) مسندا إلى المخاطب على طريقة الاعتراض بالفاء وأتى بعده بالمفعول الثاني: وهو (بمفازة من العذاب) فتنازعه كلا الفعلين. وعلى قراءة الجمهور (لا تحسبن الذين يفرحون) بتاء الخطاب يكون خطابا لغير معين؛ ليعم كل مخاطب، ويكون قوله (فلا تحسبنهم) اعتراضا بالفاء أيضا والخطاب للنبي -ﷺ- مع ما في حذف المفعول الثاني لفعل الحسبان الأول، وهو محل الفائدة، من تشويق السامع إلى سماع المنهي عن حسابه. وقرأ الجمهور (فلا تحسبَنهم) بفتح الباء الموحدة إلى أن الفعل لخطاب الواحد، وقرأه ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب بضم الباء الموحدة على أنه لخطاب الجمع. وحيث إنهما قرءا أوله بياء الغيبة، فضم الباء يجعل فاعل (يحسبن) ومفعوله متحدين أي لا يحسبون أنفسهم، واتحاد الفاعل والمفعول للفعل الواحد من خصائص أفعال الظن

٨٨٩ - الجامع لأحكام القرآن ج٤ ص٣٠٧ باختصار ، وانظر حجة القراءات ص ١٨٦-١٨٧ ، مجمع البيان ج٢ ص٣٦٠-٣٦١ ، الكشف ج١ ص٣٧١-٣٧٢.

كما هنا وألحقت بها أفعال قليلة وهي: وَجد، وعَدِم، وفَقدَ.»[٨٩٠]
وبالجمع بين القراءات يصبح المعنى: لا تحسبن يا محمد ومن معك من المؤمنين ولا يحسبن الفارحون فرحهم منجيا لهم من العذاب، ولهم عذاب أليم. ففي الآية وعد للمؤمنين ووعيد للكافرين.

٤٠- ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ١٩٥﴾ آل عمران: ١٩٥

القراءات:

١. قرأ حمزة والكسائي وخلف (وقُتِلوا وقاتلوا) بتقديم الفعل المبني للمفعول به على الفعل المبني للفاعل والتخفيف.
٢. قرأ ابن كثير وابن عامر (وقاتلوا وقُتِّلوا) بتقديم (قاتلوا) وتشديد التاء من (قُتِّلوا).
٣. قرأ الباقون (وقاتلوا وقتِلوا) بالتخفيف).[٨٩١]

التفسير:

هذه الآية تعقيب على الآية السابقة والمتضمنة لدعوة المؤمنين لربهم أن يكفر عنهم سيئاتهم ويدخلهم الجنة مع الأبرار فجاءت الاستجابة من الله لهم متضمنة لأجَل الأعمال وما أعد الله لأهلها من الثواب العظيم.
قال ابن كثير في تفسيره: «(أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى) هذا تفسير للإجابة أي قال لهم مخبرا أنه لا يضيع عمل عامل منكم لديه

٨٩٠ - تفسير التحرير والتنوير - المجلد الثالث ج٤ ص١٩٤-١٩٥
٨٩١ - انظر النشر ج٢ ص٢٤٦

بل يوفى كل عامل بقسط عمله من ذكر أو أنثى وقوله (بعضكم من بعض) أي جميعكم في ثوابي سواء (فالذين هاجروا) أي تركوا دار الشرك وأتوا إلى دار الإيمان وفارقوا الأحباب والإخوان والخلان والجيران (وأخرجوا من ديارهم) أي ضايقهم المشركون بالأذى حتى الجؤوهم إلى الخروج من بين أظهرهم ولهذا قال (وأوذوا في سبيلي) أي إنما كان ذنبهم إلى الناس أنهم آمنوا بالله وحده (وقاتلوا وقتلوا) وهذا أعلى المقامات أن يقاتل في سبيل الله فيعقر جواده ويعفر وجهه بدمه وترابه (لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار) أي تجري في خلالها الأنهار من أنواع المشارب من لبن وعسل وخمر وماء غير آسن وغير ذلك ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (ثوابا من عند الله) أضافه إليه ونسبه إليه ليدل على أنه عظيم لأن العظيم الكريم لا يعطى إلا جزيلا كثيرا. (والله عنده حسن الثواب) أي عنده حسن الجزاء لمن عمل صالحا.»[٨٩٢]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد جاءت هذه الآية لتبين الفئة التي استجاب الله دعائها، وماهية الأعمال التي قامت بها، ومنها الجهاد في سبيل الله، إلا أن القراءة بتقديم (قاتلوا) على (قتلوا) أفادت أن الإجابة خاصة بمن قاتل في سبيل الله حتى قُتل في المعركة دون من لم يقتل. وجاءت القراءة بالتشديد لتبين المبالغة والشدة في القتل والتقطيع الذي حل بهم.

وأما القراءة الأخرى بتقديم (قُتلوا) على (قاتلوا) فتفيد أن الإجابة لمن صبر وقاتل الأعداء على الرغم مما حل بإخوانه، فلم يضعفوا ولم يجبنوا بل واصلوا القتال والجهاد في سبيل الله، قال الطبرسي في تفسيره: «وأما

٨٩٢ - تفسير ابن كثير ج١ ص٥٨٦-٥٨٧ باختصار.

تقديم (قُتلوا) على (قاتلوا) فلأن المعطوف بالواو يجوز أن يكون أولا في المعنى وإن كان مؤخرا في اللفظ ويمكن أن الوجه فيه أن يكون لما قُتِل منهم قاتلوا ولم يهنوا ولم يضعفوا للقتل الذي وقع بهم كقوله (فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله.)»[٨٩٣] آل عمران ١٤٦ .

وبالجمع بين القراءات يتبين: أن من الذين استجاب الله لهم دعائهم المجاهدون في سبيل الله. سواء كانوا من الذين استشهدوا في المعركة أو كانوا من الذين ثبتوا على قتال الأعداء على الرغم مما حل بإخوانهم من قتل وتمزيق حتى ولو لم ينالوا الشهادة في سبيل الله فهم جميعا داخلون في وعد الله تعالى لهم بتكفير السيئات والفوز بالجنات.

ولكنَّ للدكتور/ فضل حسن عباس رأيا آخر له وجاهته أحببت أن أذكره تتمة للفائدة إذ يقول: « قد أشكلت قراءة (وقُتلوا وقاتلوا) على كثير من العلماء إذ كيف يمكن أن يُقتَل ثم يَقتُل؟

وللعلماء أكثر من توجيه، فقد ذهب ابن جرير ومن بعده مكي بن أبي طالب إلى أن الضمير في الفعلين ليس مرجعه واحد، فالذين قتلوا وأكرموا بالشهادة في سبيل الله ليسوا هم الذين قاتلوا، بل هم آخرون رأوا إخوانهم قتلوا في سبيل الله فلم يحدث ذلك في نفوسهم جزعا ولا هلعا، فكروا على الأعداء ونالوا منهم. ومع وجاهة هذا التوجيه الذي ارتضاه شيخ المفسرين ابن جرير وشيخ القراء مكي، إلا أنه لا يتسق مع جمال المعنى ودقة النظم في كتاب الله لأن فيه تفكيكا للضمائر المتجاورة المتقاربة، والتوجيه الذي نختاره هو أن تقديم قراءة المبني للمفعول في كلتا السورتين سورة آل عمران وسورة براءة فيه إشارة بيانية وهو وصف أولئك المؤمنين بالمسارعة للشهادة في سبيل الله. وعلى هذا تكون القراءة الأولى وهي ما

٨٩٣ - مجمع البيان ج٢ ص٣٦٦.

بني الفعل فيها للفاعل دالة على جرأة المسلمين وقوتهم، وانهزام عدوهم واندحاره أمامهم. وتدل القراءة الثانية على رغبة المسلمين في الشهادة ومسارعتهم للفوز بها. كل من القراءتين إذن تعطي معنى وتبين وصفا من أوصاف هؤلاء المؤمنين رضي الله عنهم: فتقديم الفعل المبني لفاعل فيه بيان شدة المسلمين وحرصهم على قتل أعدائهم، وتقديم قراءة المبني للمفعول فيها بيان حبهم للشهادة في سبيل الله وحرصهم عليها.»[٨٩٤]

٤١- ﴿ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّلۡأَبۡرَارِ ﴿١٩٨﴾ ﴾ آل عمران: ١٩٨

القراءات:

١. قرأ أبو جعفر (لكنَّ)بتشديد النون.
٢. قرأ الباقون (لكنِ) بالتخفيف.[٨٩٥]

التفسير:

بعد أن ذكر المولى -عز وجل- في الآيات السابقة ما أعده للكافرين من العذاب بقوله تعالى (لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد) بين هنا ما أعده للمؤمنين من النعيم المقيم من جنات تجري من تحت بيوتها وأشجارها الأنهار أعدها الله لعباده الموحدين.
قال الإمام الطبري في تفسيره: «(لكن الذين اتقوا ربهم) لكن الذين اتقوا الله بطاعته واتباع مرضاته في العمل بما أمرهم به، واجتناب ما نهاهم عنه، (لهم جنات) يعني بساتين (تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها) يقول باقين فيها أبدا (نزلا من عند الله) يعني إنزالا من الله إياهم فيها

٨٩٤ – القراءات القرآنية من الوجهة البلاغية ص٣١-٣٢ باختصار.
٨٩٥ – انظر النشر ج٢ ص٢٤٧.

أنزلهموها ونصب نزلا على التفسير من قوله (لهم جنات تجري من تحتها الأنهار) وقوله (من عند الله) يعني من قبل الله ومن كرامة الله إياهم وعطاياه لهم، وقوله (وما عند الله خير للأبرار) يقول وما عند الله من الحياة والكرامة وحسن المآب خير للأبرار مما يتقلب فيه الذين كفروا فإن الذي يتقلبون فيه زائل فان وهو قليل من المتاع خسيس وما عند الله خير من كرامته للأبرار وهم أهل طاعته باق غير فان ولا زائل.»[٨٩٦]
وقال العلامة الألوسي في تفسيره: «(لكن) للاستدراك عند النحاة، وهو رفع توهم ناشئ من السابق، وعند علماء المعاني لقصر القلب ورد اعتقاد المخاطب. وتوجيه الآية على الأول: أنه لما وصف الكفار بقلة نفع تقلبهم في التجارة وتصرفهم في البلاد لأجلها جاز أن يتوهم متوهم أن التجارة من حيث هي مقتضية لذلك، فأستدرك أن المتقين وإن أخذوا في التجارة لا يضرهم ذلك وأن لهم ما وعدوا به، أو يقال إنه تعالى لما جعل تمتع المتقلبين قليلا مع سعة حالهم أوهم ذلك أن المسلمين الذين لا يزالون في الجهد والجوع في متاع في كمال القلة فدفع بأن تمتعهم للاتقاء وللاجتناب عن الدنيا، ولا تمتع من الدنيا فوقه لأنه وسيلة إلى نعمة عظيمة أبدية هي الخلود في الجنات. وعلى الثاني رد لاعتقاد الكفرة أنهم متمتعون من الحياة والمؤمنون في خسران عظيم.»[٨٩٧]

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

التأكيد يلزم في حالات، ولا يلزم في كل الحالات، فهو يلزم للمنكر أكثر من المعترف المُسَلِّم الموقن وعليه، فقد جاءت قراءة (لكنِ) للاستدراك بدون تأكيد ؛ لأنها مخففة، والأصل فيها التشديد، وكأن الأمر لا يحتاج إلى

٨٩٦ – جامع البيان ج٤ ص٢١٧-٢١٨ باختصار.

٨٩٧ – روح المعاني ج٤ ص١٧٢.

تأكيد، فقد تعامل مع المخاطب على هذا الأساس .

وأما القراءة الأخرى (لكنَّ) فقد أنزلت المخاطب منزلة المتشكك، فأكد به الخبر، فهو من باب تلوين الأسلوب والتعامل مع المخاطب على أي حال كان، وهذا من أعظم أساليب القرآن العظيم. والله أعلم.



الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

الحمد لله الذي أنعم علي بإتمام هذا العمل المتواضع سائلاً المولى عز وجل أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم وأن لا يحرمني أجره يوم الدين وبعد :

فهذه خلاصة لأهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها من خلال بحثي المتواضع:

أولا: أهم النتائج

١. إن دراسة القراءات القرآنية وتفسير القرآن بها يعتبر من أجل الدراسات وأشرفها ؛ لتعلقها بكلام الله -عَزَّ وَجَلَّ- .

٢. إن الأحرف السبعة هي أصلٌ للقراءات القرآنية باتفاق.

٣. القراءات القرآنية تمثل وجهاً من وجوه الإعجاز المتعددة لكتاب الله عز وجل؛ باعتبار أن كلَّ قراءة تسد مسد آية، وهو ما يمكن وصفه بأنه إعجاز بالإيجاز، وهذا يندرج تحت الإعجاز البياني للقرآن.

٤. يمكن الاحتجاج بالقراءات الشاذة في التفسير باعتبار أنها من تفسيرات الصحابة، دون الجزم بقرآنيتها ؛ لأن القرآن لا يثبت بها .

٥. القراءات القرآنية الصحيحة هي الحكم على ما وضعه علماء النحو من أصول وقواعد وأقيسة وليس العكس، ولا يجوز ردها بأي حال.

٦. القراءات القرآنية الصحيحة سنة متبعة أساسها التلقي والرواية يجب الأخذ بها والرجوع إليها خصوصا عند التفسير؛ لأن خير ما يفسر به القرآن هو القرآن باعتبار أن القراءات القرآنية جزء منه.

٧. للقراءات القرآنية آثار متعددة ومتنوعة، منها الأثر البلاغي، ومنها الأثر البياني، ومنها الأثر النحوي، ومنها الأثر الفقهي، وغيرها من

آثار تدل على عظمة القرآن وعظمة من أنزله - ﷻ -.

ثانيا: أهم التوصيات:

١. أوصي طلبة العلم بحفظ القراءات القرآنية من خلال التلقي عن المشايخ المتقنين، المتصل سندهم إلى رسول الله - ﷺ - لما في ذلك من حفظ لكلام الله-ﷻ- ما أمكن.
٢. كما أوصي طلبة العلم بالاهتمام بدراسة القراءات القرآنية وعلومها، وقرائها المعروفين.
٣. الاهتمام بالجانب التفسيري للقراءات القرآنية، وأثرها على المعاني البيانية والفقهية والنحوية والبلاغية وغيرها؛ من أجل ترغيب الناس بهذا العلم الجليل.
٤. أوصي أساتذتي في كلية أصول الدين في قسم التفسير وعلوم القرآن بزيادة الدراسة لما فات من القراءات؛ لما في ذلك من أهمية علمية بالغة.
٥. أوصي بإكمال هذه الرسالة من خلال وضع تفسير لباقي سور القرآن الكريم من خلال القراءات القرآنية الصحيحة.
٦. وأوصي أخيراً بإبراز دور القراءات الشاذة وأهميتها من خلال التعرض لما صح منها وإن لم يبلغ درجة المتواتر، والاستفادة منها في مجال التفسير باعتبار أنها أقوالٌ صحيحةٌ لمن نسبت إليه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

فهرس المصادر

١- الإبانة عن معاني القراءات-أبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي: تحقيق: د. محي الدين رمضان -بيروت -دار المأمون للتراث - ط١ - ١٣٩٩هـ

٢- إتحاف فضلاء البشر - شهاب الدين أحمد الدمياطي الشهير بالبناء: دار الكتب العلمية - بيروت - ط١ - ١٤١٩هـ

٣- الإتقان في علوم القرآن - جلال الدين السيوطي: تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - دار التراث - القاهرة

٤- أثر القراءات القرآنية في الدراسات النحوية - د. عبد العال سالم مكرم: مؤسسة علي جراح الصباح - الكويت

٥- أحكام القرآن - لابن العربي - تحقيق علي محمد البجاوي: دار المعرفة - بيروت

٦- الإحكام في أصول الأحكام - للآمدي: دار الحديث - القاهرة

٧- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن - محمد الأمين الشنقيطي: دار إحياء التراث العربي -بيروت- ط١ - ١٤١٧هـ

٨- إعجاز القرآن الكريم - د. فضل حسن عباس وسناء فضل عباس: عمان - المكتبة الوطنية - ١٩٩١م

٩- الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين: خير الدين الزركلي - دار العلم للملايين - ط٨ - ١٩٨٩م

١٠- البحر المحيط - أبو حيان الأندلسي: تحقيق الشيخ زكريا عبد المجيد النوني ، الدكتور أحمد النجولي الجمل - دار الكتب العلمية: بيروت - ط١ - ١٤١٣هـ

١١- البداية والنهاية -لأبي الفداء الحافظ ابن كثير: دار الفكر -ط٢ -١٤١٨هـ

١٢- البرهان في علوم القرآن – بدر الدين الزركشي: تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم – دار التراث – القاهرة

١٣- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة - جلال الدين السيوطي: تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم – المكتبة العصرية – صيدا

١٤- التبيان في إعراب القرآن - لأبي البقاع العكبري: دار الكتب العلمية – بيروت – ط١ – ١٤١٩هـ

١٥- التحرير والتنوير – الطاهر بن عاشور: دار سحنون للنشر - تونس .

١٦- تذكرة الحفاظ - شمس الدين الذهبي: دار الفكر – بيروت

١٧- تفسير أبي السعود أو إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب العزيز - لأبي السعود: تحقيق عبد القادر أحمد عطا – دار الفكر – بيروت – ١٤٠١هـ

١٨- تفسير البيضاوي المسمى: أنوار التنزيل وأسرار التأويل – الإمام البيضاوي: مطبعة مصطفى البابي الحلبي – ط٢ – ١٣٨٨ هـ

١٩- تفسير الجلالين - دار الكتب العلمية - بيروت

٢٠- تفسير الشعراوي - محمد متولي الشعراوي: أخبار اليوم

٢١- تفسير القرآن العظيم - ابن كثير الدمشقي: تحقيق عبد القادر الأرناؤوط – دار الفيحاء – دمشق – ط١ – ١٤١٤هـ

٢٢- التفسير الكبير ومفاتيح الغيب - فخر الدين الرازي: دار الفكر–ط٣–١٤٠٥هـ

٢٣- التفسير المنير–وهبة الزحيلي: دار الفكر المعاصر–بيروت–ط١ -١٤١١هـ

٢٤- التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق – د. صلاح عبد الفتاح الخالدي: دار النفائس – الأردن – ط١ - ١٤١٨هـ

٢٥- تفسير النسفي – لأبي البركات النسفي: دار الكتاب العربي – بيروت

٢٦- التفسير الوسيط للقرآن الكريم – د. محمد سيد طنطاوي: مطبعة السعادة – القاهرة – ١٣٩٧هـ

٢٧- التفسير والمفسرون – د. محمد حسين الذهبي مكتبة وهبة: القاهرة – ط٥ – ١٤١٣هـ

٢٨- تقريب التهذيب - الحافظ بن حجر العسقلاني: راجعه صدقي العطار – دار الفكر – بيروت – ط١ – ١٤١٥هـ

٢٩- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان – عبد الرحمن السعدي: تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق – مؤسسة الرسالة – ط١ – ١٤٢١هـ

٣٠- جامع البيان عن تأويل آي القرآن – ابن جرير الطبري: دار الفكر – بيروت – ١٤٠٨هـ

٣١- الجامع لأحكام القرآن – القرطبي: الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٨٧م

٣٢- حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي – للقاضي شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي: دار الكتب العلمية – بيروت – ط١ - ١٤١٧ هـ

٣٣- حجة القراءات - لأبي زرعة بن زنجلة: تحقيق سعيد الأفغاني - ط٤ – ١٤٠٤هـ

٣٤- الدر المنثور - جلال الدين السيوطي: دار الكتب العلمية، – بيروت – ط١ – ١٤١١هـ

٣٥- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني – شهاب الدين الألوسي: دار إحياء التراث العربي - بيروت

٣٦- زاد المسير في علم التفسير - لأبي الفرج جمال الدين الجوزي: خرج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه أحمد شمس الدين – دار الكتب العلمية – بيروت – ط١ – ١٤١٤هـ

٣٧- سنن الترمذي – تحقيق صدقي محمد العطار ومحمد عرفان حسونة – دار الفكر–١٩٩٤م
٣٨- سير أعلام النبلاء - محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي: دار الفكر – بيروت – ط١ – ١٤١٧هـ
٣٩- شذرات الذهب في أخبار من ذهب – الأديب أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي: دار الفكر –بيروت
٤٠- صحيح مسلم – رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء بالسعودية – تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي – ١٩٨٠م
٤١- صحيح مسلم بشرح النووي - دار إحياء التراث العربي – بيروت - ط٣
٤٢- صفوة التفاسير - محمد علي الصابوني: دار القرآن الكريم – بيروت - ط٢ – ١٤٠١هـ
٤٣- طبقات المفسرين – أحمد الأدنروي – مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة – ١٩٩٧م.
٤٤- طبقات المفسرين – للداوودي: ج١ ص٢٥١ – دار الكتب العلمية – بيروت – ط١ –١٤٠٣هـ.
٤٥- غاية النهاية في طبقات القراء – محمد بن الجزري: دار الكتب العلمية – ط٣ – ١٤٠٢هـ
٤٦- فتح الباري شرح صحيح البخاري – ابن حجر العسقلاني: دار المعرفة - تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي
٤٧- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير : محمد بن علي الشوكاني – اعتنى به وراجع أصوله: يوسف الغوش – دار المعرفة – بيروت – ط٣ – ١٤١٧هـ

٤٨- القاموس المحيط – الفيروزآبادي: تحقيق صفوان عدنان داوودي – دار القلم – دمشق – ط٢ – ١٤١٨هـ

٤٩- القراءات أحكامها ومصدرها – د. شعبان إسماعيل: مطبوعات رابطة العالم الإسلامي – ط٢ – ١٤١٤هـ

٥٠- القراءات القرآنية من الوجهة البلاغية – د. فضل حسن عباس: دراسات، المجلد الرابع عشر، العدد السابع ١٩٨٧م

٥١- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل - محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي جار الله الزمخشري: ضبطه محمد عبد السلام شاهين – دار الكتب العلمية – بيروت – ط١ – ١٤١٥هـ

٥٢- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: العلامة مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الحنفي المعروف بحلجي خليفة – دار الفكر – بيروت – ١٤١٤هـ

٥٣- الكشف عن وجوه القراءات السبع – مكي بن أبي طالب: تحقيق د. محي الدين رمضان – مؤسسة الرسالة –بيروت –ط٢ – ١٤٠١هـ

٥٤- لسان العرب – مكتبة ابن تيمية - دار المعارف – القاهرة

٥٥- مجمع البيان في تفسير القرآن – الطبرسي: وضع حواشيه وخرج آياته وشواهده إبراهيم شمس الدين –دار الكتب العلمية –بيروت –ط١ - ١٤١٨هـ

٥٦- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز –ابن عطية الأندلسي: تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد –دار الكتب العلمية –بيروت- ط١ – ١٤١٣هـ

٥٧- المستنير في تخريج القراءات المتواترة – د. محمد سالم محيسن: دار الطباعة المحمدية بالأزهر القاهرة – ط١ – ١٣٩٦هـ

٥٨- مسند الإمام محمد بن حنبل: دار الكتب العلمية –بيروت –ط١ –١٤١٣هـ.

٥٩- معالم التنزيل – أبي محمد الحسين البغوي: حققه محمد عبد الله النمر وآخران – دار طيبة - ط٢ – ١٤١٤هـ

٦٠- معترك الأقران في إعجاز القرآن – للسيوطي: دار الكتب العلمية – تحقيق: أحمد شمس الدين – ط١ – ١٩٨٨م

٦١- معجم البلدان – ياقوت الحموي – تحقيق فريد عبد العزيز الجندي – ج١ ص١٩١ - دار الكتب العلمية – بيروت – ط١ – ١٩٩٠م.

٦٢- معجم مقاييس اللغة - لأبي الحسين أحمد بن فارس: ج٤ ص٥٠٤ – تحقيق: عبد السلام محمد هارون – دار الجيل الجيل - بيروت

٦٣- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب - ابن هشام الأنصاري: تحقيق د. مازن المبارك ، محمد علي حمد الله – بيروت - دار الفكر- ط٦ – ١٩٨٥م

٦٤- المغني في توجيه القراءات العشر – د. محمد سالم محيسن: دار الجيل – بيروت – ط٢ – ١٤٠٨هـ

٦٥- مفردات ألفاظ القرآن - الراغب الأصبهاني: تحقيق صفوان عدنان داوودي – دار القلم – دمشق – ط٢ – ١٤١٨هـ

٦٦- المقتطف من عيون التفاسير – مصطفى الخيري المنصوري: تحقيق محمد علي الصابوني – دار السلام – القاهرة – ط١ – ١٤١٧هـ

٦٧- من فقه القراءات – د. إسماعيل أحمد الطحان: ص٤٤ – حولية الشريعة والقانون والدراسات الإسلامية – جامعة قطر - العدد الحادي عشر – ١٤١٤هـ

٦٨- مناهل العرفان في علوم القرآن – محمد عبد العظيم الزرقاني: المكتبة التدمرية –دار إحياء التراث العربي- تحقيق: الشيخ أمين سليم الكردي – الطبعة الثانية ١٤١٩هـ

٦٩- منجد المقرئين ومرشد الطالبين – ابن الجزري: مكتبة القدس – ط١ – ١٤١٦هـ

٧٠- منهج الإمام الطبري في القراءات في تفسيره – رسالة ماجستير / إعداد د. عبد الرحمن يوسف الجمل، بإشراف د. فضل حسن عباس – مقدمة لكية الشريعة في الجامعة الأردنية – ١٤١٢هـ

٧١- النشر في القراءات العشر – محمد بن الجزري: تصحيح علي محمد الضباع – دار الفكر - بيروت

٧٢- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور - برهان الدين أبي الحسن البقاعي: خرج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه هبد الرزاق غالب مهدي - ج١ ص١٤ – دار الكتب العلمية – بيروت – ط١ – ١٤١٥هـ

٧٣- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب – أحمد بن محمد المقرئ التلمساني: تحقيق يوسف محمد البقاعي – دار الفكر – ط١ – ١٤٠٦هـ

٧٤- النكت في إعجاز القرآن ضمن كتاب ثلاث رسائل في الإعجاز - أبو الحسن الرماني: تحقيق محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام - دار المعارف بمصر – ط٣



فهرس المواضيع



الجامعة الإسلامية
عمادة الدراسات العليا
كلية أصول الدين
قسم التفسير وعلوم القرآن

تفسير القرآن
بالقراءات القرآنية العشر
من خلال سورتي: النساء والمائدة

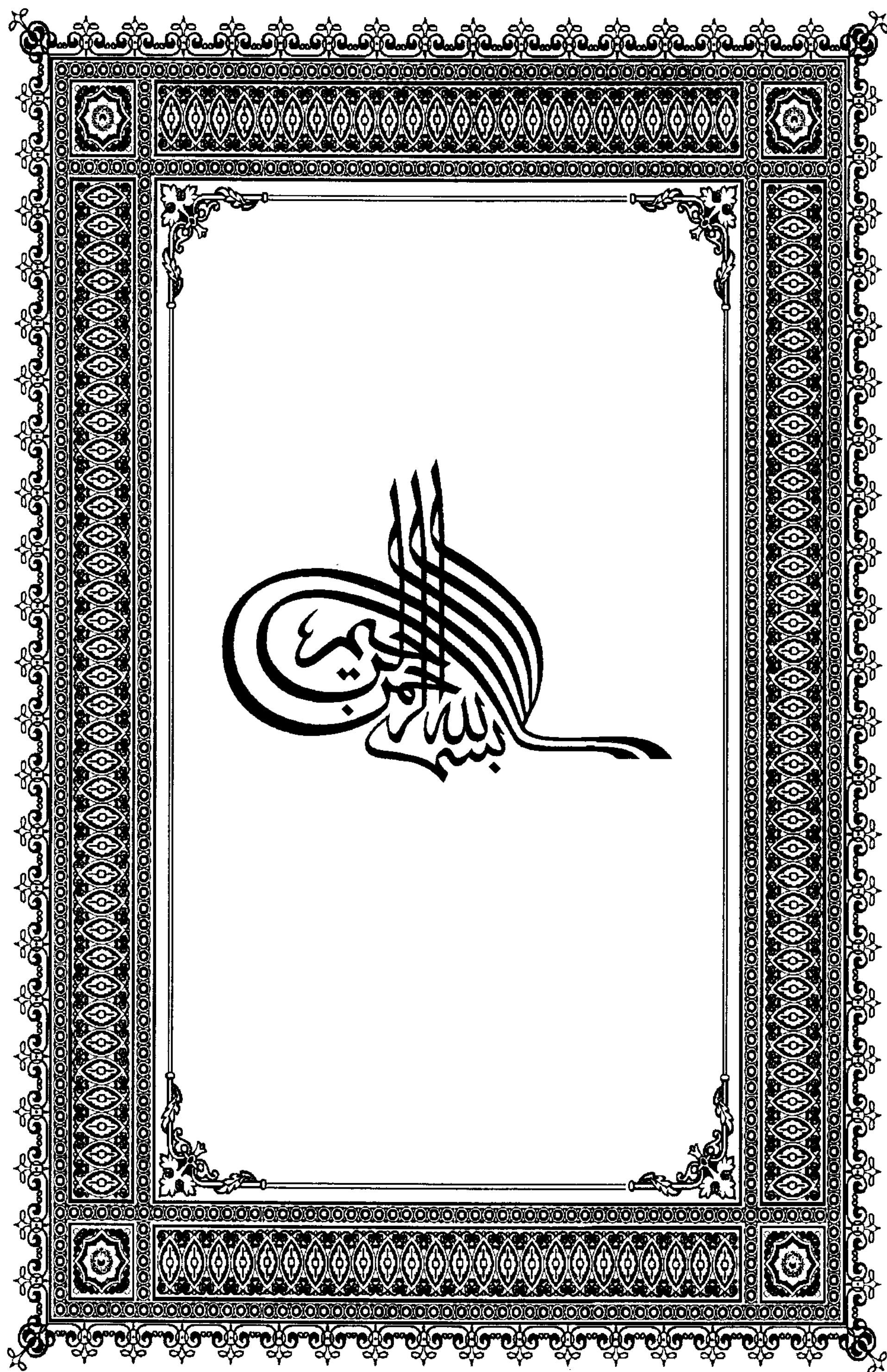
إعداد الطالب:
عزات أحمد السويركى

ضبط وإشراف:
د. مروان محمد أبو راس

الجزء الثاني

منشورات الجامعة الإسلامية
ورابطة علماء فلسطين ـ غزة

هذا البحث هو رسالة ماجستير صادرة عن كلية أصول الدين
بالجامعة الإسلامية بغزة تمت المناقشة في ربيع الآخر ١٤٢٣هـ ـ يوليو ٢٠٠٢م


بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ ﴿٥٣﴾﴾

[الشورى: ٥٢ ـ ٥٣].

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الجزء الثاني

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد...

يسعدني ويشرفني أن أكون سبباً في إخراج هذا الموضوع الرباني العظيم إلى حيز الوجود، ليكون إضافة نوعية وبياناً لميزةٍ عظيمة لهذا القرآن العظيم، وما أجمل وما أحلى أن يشتغل المسلم بكتاب رب العالمين، يستخرج درره، ويكتشف أسراره، ويتعرف على بعض عجائبه التي لا تنقضي، وذلك من عظيم التدبر الذي أمر الله سبحانه به حيث قال: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص: ٢٩]، من أجل ذلك نزل هذا الكتاب العظيم، لم ينزل ليعلق على الجدران أو يقرأ على المقابر والأموات، أو لتقام به مراسم العزاء، وإنما نزل للتدبر والتفكر، وقد حذر ربنا سبحانه من عدم التفكر فيه حتى لو قرئ لأي غرض لأن يبقى هو القرآن العظيم الذي يجب أن يشغل العقل والقلب في كل سورة وآية وعبارة وكلمة وحرف فكل في موضعه لا يغني ولا يسد عنه غيره قال سبحانه: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء: ٨٢]، والقلب الذي لا يتدبر القرآن ويتشربُ بكليته قلب مغلق

مريض متصلد ـ والعياذ بالله ﴿... ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾، وقد بين الله سبحانه صورة من صور تعامل الكافرين مع هذا الكلام الرباني المعجز حيث إن عقولهم مقفلة، وقلوبهم متحجرة، فقد قال سبحانه: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمد: ٢٤]، وبالجملة فقد بين وصفهم للقرآن بشكل دقيق حيث قال: ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾﴾ [الحجر: ٩١]، و﴿عِضِينَ﴾ فرق متفرقة في وصفه فقال بعضهم سحر، وقال بعضهم شعر، وقال بعضهم كهانة ...، فالقرآن جاء هداية وصلاحاً وشفاءً، وتعليماً، وإرشادا، وتقويماً، وتوجيهاً، وتذكيراً، ونصحاً، وغير ذلك الكثير من المعاني والفوائد والتوجيهات، ولكنهم قوم لا يفقهون، ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا۟ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾﴾ [الإسراء: ٤١]، وحتى في القراءة أغلقوا مفاتيح الفهم، فأغلق الله عليهم أدوات الاستيعاب ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾﴾ [الإسراء: ٤٥ ـ ٤٧].

حكاية هذا الموضوع:

لقد من الله عليّ عند دراستي للدكتوراه في جامعة محمد الخامس بالرباط على يد الشيخ التهامي الراجي الهاشمي وهو عالم من علماء المغرب في القراءات القرآنية أن أحضر بعض محاضرات القراءات، وأتعلم بعض هذا العلم العظيم من علوم كتاب الله تعالى، والحق أنه لم تكن لي اهتمامات معمقة بهذا الموضوع قبل ذلك، غير أن أموراً أبجدية لم تكن تخفى على دارس التفسير كانت معلومة لدي ومنها على سبيل المثال: تواتر القراءات وتساويها في قوة الثبوت وقطعيته، ولما عشت القراءات مع شيخي الجديد في مدرجات كلية الآداب والعلوم الإنسانية شعبة الدراسات الإسلامية بدأت أدرك شيئاً جديداً أحدث به في نفسي أولاً وأقول أليست هذه القراءات كلها

قرآناً نزل من السماء على قلب محمد ـ ﷺ ـ يعبد الله بها وبدرجة واحدة؟ إذاً لماذا جاءت؟ وما فائدة ذلك على المعاني؟ وهل أضافت شيئاً جديداً؟ ولماذا لم يتعرض كثير من المفسرين للربط بينها في تفسيراتهم؟، وهنا وقع في قلبي أنه لا بد من بحث هذا الموضوع وبشكل متخصص وعميق، وفور عودتي إلى عملي في قسم التفسير في كلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية بغزة حفظها الله، بدأت أبحث ذلك مع الزملاء الأكارم، وشرحت ذلك في محاضرات علمية أمام الطلبة والمتخصصين وأثبتُ أن القراءات لها فائدة من ثلاث:

الأولى: إما أن تأتي القراءة مؤكدة لمعنى موجود في قراءة أخرى وتضفي عليه المزيد من القوة، وتزيد التأكيد على ضرورة الاهتمام به، ومثال ذلك شائع لدى الجميع حيث قوله تعالى في سورة الحجرات: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ والقراءة الأخرى (فتثبتوا) والتثبت تبين وزيادة، ففيها التأكيد على البيان والتأكد من الخبر.

الثانية: أن تكون القراءة شارحة لقراءة أخرى ومبينة لما فيها ما لم يظهر إلا بالقراءة الأخرى، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿. . . فَٱبۡعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمۡ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ﴾ [الكهف: ١٩] قُرأت (وَرِق) بكسر الراء وتسكينها والوَرِق المكسورة هي الفضة عموماً، والورْق بالسكون هي المضروبة أي التي عليها شكل العملة ويبدو أنها كانت عليها صورة ملك زمانهم القديم، بذلك يتضح من القراءتين أن فضتهم نوعان: نوع عادي غير مضروب ونوع مضروب وبذلك تم العثور عليهم ومعرفة زمانهم من الناس الحاضرين في زمن بعثهم.

الثالثة: أن تأتي القراءة بمعنى جديد غير موجود أصلاً في القراءة الأخرى مثال ذلك: قوله تعالى: ﴿مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآۗ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١٠٦﴾ [البقرة: ١٠٦]، فقد قرئت (نُنسِها) وقرئت (نَنسَأها) والفرق بينهما واضح حيث إن معنى نُنسِها أي نجعلك تنساها، أما نَنسَأها أي نؤخرها في النزول، وهما طريقتان في نزول

القرآن على قلب محمد ـ ﷺ ـ تخفيفاً عليه وعلى الأمة، وبعد اتضاح الصورة بدأنا إعطاء الطلبة دراسة هذا الموضوع مجزأ برسائل ماجستير فلقي إقبالا كبيراً ولله الحمد عند الطلبة النجباء وعند الأساتذة الزملاء، حتى أوشك طلبتنا أن يتموا شرح القرآن كله بهذه الطريقة العلمية الجميلة، وإنني في هذا المقام الطاهر والمبارك أتوجه بالشكر الجزيل إلى جميع إخواني الزملاء الأعزاء أساتذة قسم التفسير وعلوم القرآن في كلية أصول الدين الحبيبة وعمادة الكلية الراشدة، وإدارة الجامعة الغالية على كل قلب مؤمن محب للحق وأهله، وكذلك طلبة العلم الذين أظهروا جهداً فريداً في تتبعهم لهذا الموضوع ومحاولة استقصائه، وإنني أدعو جميع المهتمين والمتتبعين أن يزودونا بآرائهم وتوجيهاتهم إذا ما وجدوا شيئاً مهما يحتاج إلى مراجعة وإعادة نظر، وذلك عبر العناوين الموجودة في صدر هذا الكتاب.

ملاحظة هامة على الجزء الثاني:

سيجد القارئ الكريم في المباحث الأولى من هذا الجزء تكراراً لموضوعات سبق أن ذكرها الباحث الذي أعد الجزء الأول مثل: تعريف التفسير، تعريف التأويل، والقراءات وتعريفات عن القراء الكرام والعلاقة بين القراءة والتفسير وقد فكرت أن أحذف هذا المدخل حتى نتجنب التكرار ولكنني آثرت أن أبقيه بكل ما فيه لأنه لا يخلو من فائدة وكذلك لا بد أن يكون فيه جديد، وإنني أعدُ القارئ الكريم أن هذا التكرار سنحاول التخلص منه في الأجزاء المكملة القادمة بإذن الله تعالى سائلين المولى ﷻ أن يعيننا على اتمام طباعة ونشر أجزاء القرآن بأكملها فيما يتعلق بهذا الموضوع المهم وهو تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشرة.

ونسأل الله تعالى الإخلاص في القول والعمل ونرجو من كل من يقع في يده هذا الكتاب أن يدعو لنا بالمغفرة والرحمة والقبول من الله سبحانه وتعالى.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

د. مروان محمد أبو راس
أستاذ في التفسير وعلوم القرآن
كلية أصول الدين ـ
الجامعة الإسلامية بغزة سابقاً
رئيس رابطة علماء فلسطين. غزة ـ حالياً
دمشق في يوم الجمعة ٤/شعبان/١٤٣١هـ
١٦ يوليو/٢٠١٠م



شكر وتقدير

بعد حمد الله تعالى حمداً يليقَ بجلال وجهه وعظيم سلطانه، والصلاة والسلام على خير خلقه، محمد وآله وصحبه، فإنه يطيب لي أن أتوجه بالشكر والعرفان، وعظيم الشكر والامتنان، إلى أستاذي ومشرفي فضيلة الدكتور الجليل، والعالم المجاهد والمربي الفاضل، مروان محمد أبو راس، حفظه الله ورعاه، وأنزل عليه من رحماته، ومتعه بكامل قوته، وأسكنه العلى من جناته، فقد كان لي نعم الأستاذ والمعلم، أفاض عليّ من علمه، وصبر عليّ صبرا جميلا حتى استوى بحثي على سوقه، ولقد مرَّت عليه خلال فترة إشرافه على رسالتي أحداث جسام، فقد هدم بيته، واستشهد ولده، وأخيرا وليس آخرا نال ثقة أبناء شعبه ليكون ممثلا لهم في البرلمان الفلسطيني، وهو إن شاء الله أهلا لهذه الثقة، فجزاه الله عني خير الجزاء.

كما أتقدم بالشكر والامتنان إلى أستاذيَّ الفاضلين الذين تفضلا مشكورين بدراسة هذا البحث والتنقيب عن نواقصه، لإرشادي لإكمالها لإخراجه في أجمل حلة وأبهى صورة:

الأستاذ الدكتور: عبدالرحمن الجمل، عضو المجلس التشريعي الفلسطيني الذي تشرفت بتلقي العديد من الروايات والقراءات القرآنية عنه، وكذلك القراءة بالسند المتصل لرسول الله ﷺ، فجزاه الله عني خير الجزاء.

والأستاذ الدكتور: زكريا الزميلي الذي كان له أثر في دفعي للالتحاق لدراسة الماجستير، فجزاه الله عني خير الجزاء.

كما لا يسعني إلا أن أتقدم بجزيل الشكر إلى الجامعة الإسلامية، هذا الصرح الشامخ والمنارة العلمية التي لا تنطفئ، ممثلة بإدارتها ومدرسيها والعاملين فيها، كما وأتقدم بجزيل الشكر لعمادة الدراسات العليا ممثلة بعميدها والعاملين فيها، وكلية أصول الدين ممثلة بعميدها ومدرسيَّ الأفاضل على ما يبذلون من جهود مضنية من أجل تذليل العقبات أمام طلاب العلم.

كما وأتوجه بجزيل الشكر والعرفان والدعاء والامتنان، لمن وقف بجانبي وتكفل بنفقات دراستي وأخص بالشكر الأخوين والزميلين الفاضلين: الأخ المهندس غالب أبو شعبان، رئيس جمعية القلوب الرحيمة والأخ المهندس منيب أبو غزالة، مدير الشركة الإلكترونية الحديثة على وقوفهما بجانبي ودعمهما المتواصل لي منذ أن التحقت ببرنامج الماجستير.

وفي الختام أشكر لكل من ساهم ولو بالقليل في إخراج هذا البحث ليصل إلى ما هو عليه، سائلا المولى أن يتقبل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن يغفر زلَّتي ويقيل عثرتي، فما كان فيه من صواب فمن الله وتوفيقه، وما كان فيه من خطأ فمن نفسي والشيطان.



المقدمة

أولاً: توطئة

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ۝١﴾ [الكهف: ١].

فجعله فرقاناً، ونوراً، وروحاً، ومعجزة خالدة، لا تنقضي عجائبه، ولا تغلق أبواب حِكَمه، ولا تحصى آلاؤه ونعمه، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٥٢﴾ [الشورى: ٥٢].

والصلاة والسلام على من تعطّر بالقرآن فمه، وتنزّلت عليه آياته، فتلاه حق تلاوته، ونشر في الآفاق شذاه وعطره، فعمّت رحمته، وانتشر عدله أما بعد:

فإن كتاب الله ممتلئ بالأسرار التي لا تنقضي، وبالعجائب التي لا تنتهي، فهو بحر لا يدرك له قرار، وهو مفجّر العلوم ومنبعها، أودع فيه سبحانه وتعالى علم كل شيء، فترى كل ذي فن منه يستمد وعليه يعتمد.

ومن العلوم التي تختص بكتاب الله، علم التفسير، والذي عنى العلماء به أيّما عناية، واهتموا به أيّما اهتمام، ورعوه حقّ رعايته، فكثرت فيه الكتب والمؤلفات، ودوّنت في حقه أشرف المصنفات، ولكن أيّاً منهم لم يدّعى أنه قد أحاط به علماً، وهذا معناه: أنّ باب التفسير لم يغلق، فهو كموج البحر يتدفق دون توقّف، وكأصله الذي لا يدرك له قرار ولا تنتهي أسراره.

من هنا كانت هذه المحاولة المتواضعة التي هي: «تفسير القرآن العظيم من خلال القراءات العشر المتواترة، تطبيقاً على سورتي النساء والمائدة»، أضمنها ثنايا هذا البحث، سائلاً المولى عزَّ وجل أن يلهمني الصواب والسداد وأن يرزقني حسن النظر والفهم والإخلاص.

وصلِّ اللهمَّ على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلم.



ثانياً: أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

تنبع أهمية الموضوع فيما يلي:

أولاً: أنه يتعلّق بكلام الله تبارك وتعالى وهو من أشرف العلوم وأفضلها قاطبة قال ﷺ: «**خيركم من تعلّم القرآن وعلّمه**»(١).

ثانياً: أنّه من المواضيع التي لم يتم التطرّق إليها من قبل بصفة مستقلة.

ثالثاً: تزايد عدد المقبلين على دراسة علوم القراءات، وتلقيها برواياتها المختلفة، عن المتمرسين فى هذا العلم، ومما لا شك فيه أنَّ إبراز علاقة القراءات بالتفسير؛ ممَّا يعضّد ويقوّى هذا الاتجاه.

رابعاً: كثرة المقبلين على كتاب الله قراءة، ودراسة، وفهما، فى ظل الصحوة الإسلامية المعاصرة، وذلك يتطلّب البحث والتعمّق، واستخراج المواضيع ذات الصلة بكتاب الله، من أجل تعميق هذه الصحوة، وإمدادها بعوامل البقاء والارتقاء.



(١) صحيح البخاري لمحمد بن إسماعيل البخاري (ج٤ / ص ١٩١٩) تحقيق: مصطفى ديب البغا ـ ط الثالثة ١٤٠٧ ـ ١٩٨٧ ـ دار ابن كثير ـ اليمامة ـ بيروت.

ثالثاً: أسباب اختيار الموضوع:

أولاَ: تأصيله للون جديد من ألوان التفسير لم تكن موجودة من قبل.

ثانياَ: إبراز جانب القراءات كأداة من أدوات التفسير وليس لمجرد النَّقل والرواية فقط.

ثالثاَ: لقد هداني ربي جلَّ وعلا إلى الاطلاع على بعض القراءات والروايات القرآنية، فأردت من خلال هذا الموضوع أن أكمل علمي بين الرواية والقراءة والتفسير بها.

رابعاَ: بيان أهمية تعلم القراءات القرآنية ودراستها وفهمها.



رابعاً: أهداف البحث:

١ ـ إبراز العلاقة الوثيقة بين علم القراءات وعلم التفسير.

٢ ـ بيان أن الاختلاف بين القراءات، إنما هو اختلاف تنّوع وهذا التنوع يؤدي إلى إثراء للمعاني، لا اختلاف تناقض وتضاد.

٣ ـ وضع لبنة للون جديد من ألوان التفسير، وهو تفسير القرآن من خلال القراءات.

٤ ـ تشجيع المسلمين عموماً، وطلبة العلم خصوصاً، على الإقبال على علم القراءات، دراسة، وفهماً، وحفظاً، ببيان العلاقة الوثيقة بين القرآن والقراءات.

٥ ـ الخروج من الإطار النظري الجامد في التعامل مع القراءات ومحاولة إدراك الحكم الإلهية والأسرار الربانية فيها.

٦ ـ إثراء المكتبة الإسلامية بما هو جديد.



خامساً: الجهود السابقة:

بعد البحث المتأنِّي الدقيق تبين أنه لم يتطرق أحد من قبل لتفسير القرآن من خلال القراءات.

إلا أنَّه قد سبقني في هذا المجال زميل فاضل وهو الأخ: عبدالله الملاَّحي متناولاً تفسير سور الفاتحة والبقرة وآل عمران برسالة ماجستير بالعنوان نفسه.

ومع ذلك فإنه لا يفوتني أن أرجع إلى المراجع التي تناولت القراءات بالشرح والتفسير والبيان. . . ومنها:

- الكشف عن وجوه القراءات السبع - لمكِّي ابن أبى طالب.

- الحجة في القراءات السبع - لأبى علي الفارسي.

- حجة القراءات - لابن زنجلة.

- كما ولا ينبغي أن نغفل جهود الكثير من المفسرين القدماء منهم والمحدثين في إرساء قواعد هذا العلم أمثال شيخ المفسرين الإمام الطبري وابن عاشور وغيرهم.

- ولا يفوتني أن أشير إلى أنّ هناك رسائل علمية تناولت القراءات من جوانب أخرى غير الجانب الذي نحن بصدد دراسته وذلك مثل:

١. القراءات وأثرها في التفسير والأحكام. . ./ لمحمد عمر بازمول - رسالة دكتوراه جامعة أم القرى ١٤١٣هـ.

٢. القراءات مصدرا للتفسير عند ابن عطية في: المحرر الوجيز: رسالة ماجستير ـ جامعة الإسكندرية ١٩٨٩م.

٣. اختلاف القراءات وأثره في التفسير واستنباط الأحكام / عبدالهادي حميتو رسالة ماجستير.

سادساً: منهج البحث:

١ـ قمت بوضع مقدمات عامة لعلم القراءات تشمل: تعريفه، ونشأته، وأنواع القراءات. . .الأحرف السبعة. . .التفسير والتأويل والفرق بينهما. . . .

٢ـ عندما قمت بالتفسير فإنّني اتّبعت المنهج التالي:

أولاً: تناولت الآيات التي فيها القراءات المختلفة فقط.

ثانياً: كتابة الآية التي ترد فيها القراءات، وفق ضوابط الرسم العثماني، على ما هو عليه رسم المصاحف التي بين أيدينا وفق رواية حفص عن عاصم، ثمّ أضع تحتها مواضع القراءات الواردة فيها.

ثالثاً: بيان القراءات الواردة في الآية، ثمّ الربط بين القراءتين، أو القراءات من النّاحية التفسيرية للآية، (العلاقة التفسيرية بين القراءتين) مع الالتزام بقواعد التفسير، التي التزم بها أهل السنة والجماعة وتشمل:

تفسير القرآن بالقرآن ـ تفسير القرآن بالحديث الشريف ـ تفسير القرآن بأقوال الصحابة رضوان الله عليهم ـ تفسير القرآن بأقوال التابعين.

رابعاً: بيان المعنى اللغوي للقراءات بالرجوع إلى كتب اللغة.

خامساً: التركيز في تفسير الآية، على مواضع القراءات العشر المتواترة، التي لها تعلُّق بالتفسير فقط، مع ذكر تفسير مختصر للآية وفق رواية حفص عن عاصم موافقاً لرسم المصحف.

سادساً: توثيق الآيات وفق الضوابط المعروفة، وهي: ذكر الآية متبوعاً بذكر رقمها وأسم السورة.

سابعاً: تخريج الأحاديث الواردة في التفسير وفق المنهج التالي:

إذا كان الحديث قد ورد في الصحيحين أو أحدهما فإنني اكتفي بالإشارة إلى ذلك، أما إذا لم يرد في الصحيحين أو أحدهما فإنَّني أعزوه إلى مصادره الأصلية التي ورد فيها.

ثامناً: بيان معاني الكلمات الغريبة في الآية، وتوثيق ذلك بالرجوع إلى أمَّهات كتب اللغة وغريب القرآن والتفسير.

تاسعاً: الترجمة للأعلام غير المشهورين من كتب التراجم المشتهرة.

عاشراً: بعد بيان معنى الآية من خلال القراءات قد أتبعها بنكتة أو خاطرة لها تعلّق بلطائف التفسير.

الحادي عشر: وضع مختصرات لأسماء المصادر والمراجع، والتوثيق في الحاشية عند أول ذكر لتلك الكتب.

سابعاً: خطة البحث:

ويشتمل البحث على مقدمة وخمسة فصول.

أولاً: المقدمة:

وتشمل المواضيع التالية:

١ ـ أهمية الموضوع وأسباب اختياره.

٢ ـ أهداف البحث.

٣ ـ الجهود السابقة.

٤ ـ منهج البحث.

ثانياً: الفصل الأول:

مدخل إلى علمي التفسير والقراءات.

ويشمل على أربع مباحث.

المبحث الأول: تعريف التفسير والتأويل والفرق بينهما.

المبحث الثاني: أنواع التفسير وأقسامه.

المبحث الثالث: تعريف القراءات.

المبحث الرابع: أنواع القراءات وأقسامها.

المبحث الخامس: التعريف بالقراء العشر ورواتهم.

ثالثاً: الفصل الثاني: علاقة القراءات بعلوم القرآن.

ويشمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: القرآن والقراءات القرآنية.

المبحث الثاني: علاقة القراءات بالأحرف السبعة.

المبحث الثالث: علاقة القراءات بالتفسير.

رابعاً: الفصل الثالث: أثر القراءات فى المعاني والأحكام.

ويشمل على مبحثين وأربعة مطالب.

المبحث الأول: أثر القراءات في علوم اللغة.

المطلب الأول: علاقة القراءات بقواعد النَّحو.

المطلب الثاني: علاقة القراءات في البلاغة والبيان.

المبحث الثاني: أثر القراءات في العقيدة والفقه.

المطلب الأول: أثر القراءات في العقيدة.

المطلب الثاني: أثر القراءات في الفقه.

خامساً: الفصل الرابع: تفسير سورة النساء من خلال القراءات العشر.

ويشمل على مبحثين وأربعة مطالب:

المبحث الأول: بين يدي السورة.

ويشمل خمسة مطالب هي:

المطلب الأول: مكان النزول وعدد الآيات.

المطلب الثاني: سبب التسمية.

المطلب الثالث: مناسبة السورة لما قبلها.

المطلب الرابع: أهداف السورة.

المطلب الخامس: فضل السورة.

المبحث الثاني: تفسير مواضع القراءات التي لها تعلُق في التفسير في السورة.

سادساً: الفصل الخامس: تفسير سورة المائدة من خلال القراءات العشر.

ويشمل مبحثين وخمسة مطالب:

المبحث الأول: بين يدي السورة

ويشمل عدة مطالب:

المطلب الأول: مكان النزول وعدد الآيات.

المطلب الثاني: سبب التسمية.

المطلب الثالث: مناسبة السورة لما قبلها.

المطلب الرابع: أهداف السورة.

المطلب الخامس: فضل السورة.

المبحث الثاني: تفسير مواضع القراءات التي لها تعلُق في التفسير في السورة.

سابعاً: الخاتمة:

وتشمل على أهم النتائج والتوصيات التي اشتمل عليها البحث.

ثامناً: الفهارس والمراجع:

وتشتمل على:

١ ـ فهرس المراجع.

٢ ـ فهرس المواضيع.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الباحث



الفصل الأول

مدخل إلى علمي التفسير والقراءات

ويشتمل على خمسة مباحث:

المبحث الأول: تعريف التفسير والتأويل والفرق بينهما.

المبحث الثاني: أنواع التفسير وأقسامه.

المبحث الثالث: تعريف القراءات.

المبحث الرابع: أنواع القراءات وأقسامها.

المبحث الخامس: التعريف بالقراء العَشْر ورواتهم.

بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ مما لا شك فيه، أنّ علم التفسير من أشرف العلوم وأجلِّها، وأعظمها وأدقها، ذلك لأنه يتعلق بأشرفِ كلام وأشرفِ كتاب، فالقرآن: كلام الله تعالى المُنزَّل على رسوله المُتعبَّد بتلاوته والمعجز بأقصر سورة منه، المنقول إلينا بالتواتر، حارت من فصاحته عقول أولي الألباب، وعجزت عن مباراته أولي النُّهى وأصحاب الكتاب، وهو الذي ما إن سمعته الجنُّ حتى قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾ [الجن: ١].

ولما كان الأمر كذلك، وجب على من خاض في غمار بحر التفسير، أن يتسلّح بسلاح المعرفة الواسعة وحسن التحرير، عالماً بالمأمور به في هذا العلم والمحظور، متقياً من ﴿الَّذِى خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَٰتِ وَالنُّورَ﴾ [الأنعام: ١] متتبعاً لأقوال وأفعال الهادي البشير.

وأول ما ينبغي على من يقبل على هذا العلم ملتمساً شرفه، وعلو مكانته، أن يعرف ماذا تعني كلمة التفسير والتأويل، وأنواعه، ثم لَمَا كان هذا البحث متعلقاً بإبراز لون جديد من ألوان التفسير، وهو التفسير من خلال القراءات، وجب على السالك فيه إضافة لما سبق أن يلمّ بالقراءات تعريفاً، وبياناً لأقسامها وقرّائها، وهو ما سوف نتعرض له ـ إن شاء الله تعالى ـ في المباحث الخمسة التالية.



المبحث الأول: تعريف التفسير والتأويل والفرق بينهما

المطلب الأول: تعريف التفسير لغة واصطلاحاً:

أولاً: التفسير لغة:

مصدر على وزن تفعيل، فعله الماضي فَسَّرَ، وهو مضعّف بالتشديد.

عند ابن فارس: الفسر: كلمة تدل على بيان الشيء وإيضاحه، تقول: فسرت الشيء وفسَّرته[٢].

وعند الراغب الأصفهاني: الفسر: إظهار المعنى المعقول، والتفسير في المبالغة كالفسر[٣].

وعند ابن منظور: الفسر: البيان، فسر الشيء يفسِر بالكسر، ويَفسُرُه بالضم فسراً، وفسَّره: أبانه، والفسر: كشف المغطَّى، والتفسير: كشف المراد عن اللفظ المشكل، واستفسرته كذا أي سألته أن يفسره لي[٤].

(٢) معجم مقاييس اللغة/ لأبي الحسين أحمد بن فارس (٥٠٤/٤) ـ تحقيق: عبدالسلام محمد هارون ـ شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ـ مصر. ط الثانية ١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٩م.

(٣) المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، (٥٧١). أعده للنشر الدكتور: محمد أحمد خلف الله ـ مكتبة الأنجلو المصرية.

(٤) لسان العرب لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (٥٥/٥) ـ دار صادر ـ بيروت ـ ط٢: ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

ومما سبق، يتضّح أن المعنى اللغوي لمادة فسر هو: البيان والإيضاح والكشف والإظهار، وكل تصاريف حروفه لا تخلو من ذلك.

وأكد ذلك الزركشي قال:

التفسير: تفعيل من الفسر، وهو لغة البيان والكشف، ... ويطلق التفسير على التعرية للانطلاق، يقال: فسرت الفرس، إذا عريّته لينطلق، ولعله يرجع لمعنى الكشف كما لا يخفى، بل كل تصاريف حروفه لا تخلو عن ذلك كما هو ظاهر لمن أمعن النظر(٥).

ثانياً: التفسير اصطلاحاً:

اختلف العلماء حول المعنى الاصطلاحي للتفسير، على أقوال عدة، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

تعريف أبي حيان في البحر المحيط: «التفسير: علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن الكريم، ومدلولاتها، وأحكامها الإفرادية والتركيبية، ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب وتتمات لذلك»(٦).

تعريف الزركشي في البرهان: «التفسير: علم يعرف به فهم كتاب الله، المنزل على نبيه محمد ـ ﷺ ـ، وبيان معانيه، واستخراج أحكامه، وحكمه، واستمداد ذلك من علم اللغة، والنحو، والتصريف، وعلم البيان، وأصول الفقه، والقراءات، ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ»(٧).

ج ـ تعريف الزرقاني: «التفسير: علم يبحث فيه عن القرآن الكريم،

---

(٥) البرهان في علوم القرآن، محمد بن بهادر بن عبدالله الزركشي أبو عبدالله ت٧٩٤، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ـ عيسى البابي الحلبي وشركاه ـ ط ـ الثانية.

(٦) تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي (١/٢٦) طبعة جديدة بعناية الشيخ عرفات العشا حسونة ـ دار الفكر ـ بيروت ـ ط١٤١٢ هـ.

(٧) البرهان في علوم القرآن (١/١٣) مرجع سابق.

من حيث دلالته على مراد الله تعالى، بقدر الطاقة البشرية»[٨].

د ـ تعريف الدكتور مصطفى مسلم: «إنه علم يُكشف به عن معاني آيات القرآن، وبيان مراد الله تعالى، حسب الطاقة البشرية»[٩].

والتعريف الذي أراه والله أعلم، هو أن التفسير: محاولة الكشف عن معاني آيات القرآن، وبيان مراد الله تعالى منها، ـ من خلال مجمل ما ورد فيها من نصوص وآثار وإشارات، ومدلولاتها الإفرادية، والتركيبية ـ بقدر الطاقة البشرية.



المطلب الثاني: تعريف التأويل لغة واصطلاحاً:

أولاً: التأويل لغة:

التأويل في اللغة: مصدر على وزن تفعيل، فعله الماضي: أوّل وهو رباعي مضعّف.

أ ـ عند الراغب الأصفهاني: «التأويل من الأَوْل، أي الرجوع إلى الأصل، وهو رد الشيء إلى الغاية المرادة منه علماً أو فعلاً، ففي العلم نحو قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾ [آل عمران: ٧]، وفي الفعل نحو قوله تعالى: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥۚ يَوۡمَ يَأۡتِي تَأۡوِيلُهُۥ﴾ [الأعراف: ٥٣]، أي: بيانه[١٠].

ب ـ عند ابن منظور: «الأَوْل»: الرجوع، آل الشيء يؤول أولاً ومآلاً: رجع، وأوّل إليه الشيء: رَجَعَه، وأُلت عن الشيء: ارتددت. . .وأول

(٨) مناهل العرفان في علوم القرآن ـ الشيخ محمد بن عبدالعظيم الزرقاني: (٣/٢). دار إحياء الكتب العربية ـ القاهرة ـ ط الثالثة.

(٩) مباحث في التفسير الموضوعي ـ الدكتور مصطفى مُسلِم ـ ص (١٥) ـ دار القلم ـ دمشق ـ ط الأولى ـ ١٤١٠هـ.

(١٠) مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني (ص٣٨) مرجع سابق.

الكلام وتأوله: دبره وقدره، وأوَّله وتأوَّله: فسَّره.

والإيالة: السياسة...آل الملك رعيته يؤولها أولاً وإيالة: ساسهم وأحسن سياستهم[(١١)]

والتأويل: رد أحد المحتملين إلى ما يطابق الظاهر، أو هو نقل ظاهر اللفظ عن وضعه الأصلي، إلى ما يحتاج إلى دليل لولاه ما تُرك ظاهر اللفظ[(١٢)].

ج ـ عند ابن فارس: أوْل: الهمزة والواو واللام أصلان: ابتداء الأمر وانتهاؤه...

آل يؤول: أي رجع...الأيالة: السياسة لأن مرجع الرعية إلى راعيها، آل الرجل أهل بيته، لأنه إليه مآلهم وإليهم مآله، تأويل الكلام: هو عاقبته وما يؤول إليه[(١٣)].

المعنى الجامع: ومن خلال ما سبق، يمكن القول: بأن المعنى الجامع للتأويل، في اللغة هو:

الرجوع والرد إلى الأصل، فيكون تأويل الكلام بمعنى: رد معانيه وإرجاعها إلى الغاية المرادة التي تُحمَلُ عليه، وتنتهي إليه.

ثانياً: التأويل اصطلاحاً:

تنوعت عبارات العلماء من السلف والخلف، في تحديد المعنى الاصطلاحي للتأويل، فالتأويل عند السلف له معنيان:

الأول: «تفسير الكلام وبيان معناه، سواء أوافق ظاهره أم خالفه،

(١١) لسان العرب (١١/٣٢ ـ ٣٤) مرجع سابق.
(١٢) المرجع السابق (٥/٥٥) مرجع سابق.
(١٣) معجم مقاييس اللغة (١/١٥٨ ـ ١٦٢) باختصار، مرجع سابق.

فيكون التأويل والتفسير على هذا الرأي مترادفين، وهذا ما عناه مجاهد من قوله (إن العلماء يعلمون تأويله) يعني القرآن»[١٤]. «وما يعنيه ابن جرير الطبري بقوله في تفسيره: (القول في تأويل قوله تعالى...)، وبقوله: (اختلف أهل التأويل في هذه الآية)، ونحو ذلك. فإن مراده التفسير»[١٥].

ومنه دعوة رسول الله ﷺ لابن عباس: «اللهمَّ فقهه في الدين وعلمه التأويل»[١٦].

الثاني: هو الحقيقة التي يؤول إليها الكلام، فتأويل الخبر: هو عين المخبر به، وتأويل الأمر: نفس الفعل المأمور به. كما قالت عائشة رضي الله عنها: «كان رسول الله ﷺ يقول في ركوعه: سبحانك اللهم وبحمدك، اللهم اغفر لي يتأوّل القرآن»[١٧]، أي: يتأوّل قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُۚ﴾ [النصر: ٣].

ـ أما التأويل عند المتأخرين من الفقهاء والمتكلمين: هو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح، لدلالة توجب ذلك...، فالتأويل الصحيح منه: الذي يوافق ما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة، وما خالف ذلك فهو التأويل الفاسد[١٨].

---

(١٤) تفسير مجاهد، للإمام أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي ـ تقديم وتحقيق: عبدالرحمن الطاهر بن السورتي ـ ص (١٢٢) مجمع البحوث الإسلامية ـ إسلام أباد ـ دار المنشورات العلمية ـ بيروت.

(١٥) التفسير والمفسرون، د. محمد حسين الذهبي (١٩/١ ـ ٢٠) باختصار ـ مكتبة وهبة القاهرة ـ ط٦ ـ ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م).

(١٦) رواه الإمام أحمد في مسنده (٩٥/٣ح رقم ٢٣٩٧)، تحقيق: أحمد شاكر ـ دار الحديث ـ القاهرة ـ ط الأولى ١٤١٦هـ. وصححه الألباني في شرح العقيدة الطحاوية ص (٢٣٤).

(١٧) رواه البخاري (ج ٤ / ص ١٩٠١/ ح٤٦٨٤) تحقيق: مصطفى البغا ـ ط الثالثة ـ ١٤٠٧ه ـ١٩٨٧ـ دار ابن كثير ـ اليمامة.

(١٨) شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق ومراجعة: جماعة من العلماء، خرَّج أحاديثه: محمد ناصر الدين الألباني ص (٢٣٢ ـ ٢٣٣) باختصار ـ ط السادسة ١٤٠٠ه ـ. المكتب الإسلامي ـ بيروت.

أما الدكتور صلاح الخالدي فعرَّف التأويل بأنه: «علم يتم به حسن فهم القرآن، وإزالة اللَّبس والإشكال عن بعض آياته، وذلك: بردِّها إلى الغاية المرادة منها، وحملها على الآيات الأخرى التي لا لبس فيها ولا إشكال»(١٩).

أما المعنى الذي يراه الباحث للتأويل فهو:

محاولة رد ألفاظ القرآن إلى مراد الله تعالى، وإزالة اللبس والإشكال عنها: بحملها على الآيات التي لا لبس فيها ولا إشكال، أو بصرفها عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح، لدليل يقترن به، وذلك بقدر الطاقة البشرية. والله تعالى أعلم.



المطلب الثالث: الفرق بين التفسير والتأويل والراجح منها:

بناءً على ما سبق من البيان الموجز لمعنى التفسير والتأويل، فإننا نرى: أن العلاقة بينهما عند العلماء في مجملها لا تتعدى إحدى ثلاث:

أ ـ أنهما مترادفان، والنسبة بينهما التساوي، وهذا المعنى شائع عند المتقدمين أمثال:

ابن مجاهد، وابن جرير، ومنه دعوة رسول الله ﷺ لابن عباس: «**اللهم فقهه في الدين وعلِمه التأويل**»(٢٠).

ب ـ أنهما متباينان، «فالتفسير: هو القطع بأن مراد الله كذا، والتأويل: ترجيح أحد المحتملات بدون قطع»(٢١).

(١٩) التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، للدكتور: صلاح الخالدي ص (١٤) ـ ط الأولى ـ ١٤١٨هـ ـ دار النفائس ـ الأردن.

(٢٠) سبق تخريجه ص (٣٦).

(٢١) الإتقان في علوم القرآن، للحافظ جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. (١٦٧/٤)، المكتبة العصرية ـ صيدا ـ بيروت.

ج ـ أن التفسير هو بيان المعنى المستفاد من وضع العبارة، أما التأويل فهو بيان المعنى المستفاد من طريق الإشارة، وهذا المعنى مشتهر به عند بعض المتأخرين، أمثال الألوسي(٢٢)، حيث جاء في مقدمة تفسيره: «إن التأويل إشارة قدسية، ومعارف سبحانية، تنكشف من عبارات السالكين، وتنهل من سُحب الغيب على قلوب العارفين، والتفسير غير ذلك»(٢٣).

ومن خلال عرضنا لما سبق، فإننا نرى: أن مسألة الفرق بين المصطلحين، مسألة لا يمكن الجزم بشأنها، إذ هي محل خلاف بين علماء التفسير في القديم والحديث، ومنشأ الخلاف فيها، عدم وجود دليل يقطع لأحد الأقوال، . . . إلا أن ذلك لا يعني غلق باب الترجيح لأحد الأقوال، لأدلة يستأنس بها، مثل حديث: «اللهم فقهه في الدين وعلِّمهُ التأويل»، والذي يعتبر من أدلة القائلين بالترادف بين المصطلحين، وهو أقرب الأقوال إلى الصواب.

ومع ذلك فإن الباحث يرى: أن العلاقة بين التفسير والتأويل لا توصف بالترادف، إذ لا يخفى وجود فرق وإن كان يسيراً بين الاصطلاحين، فالتأويل هو: «الرد والرجوع إلى الأصل»، والتفسير هو: «الكشف والبيان والإيضاح».

كما لا يمكننا وصف العلاقة بينهما بالتباين، لما لا يخفى من علاقة التقاطع والتقارب بينهما.

---

(٢٢) محمود بن عبدالله بن الحسين الألوسي، شهاب الدين أبو الثناء، شيخ علماء العراق في العراق في عصره، مفسر، محدث، أديب، له تصانيف كثيرة، أشهرها: تفسيره روح المعاني، توفي ـ رحمه الله ـ سنة ١٢٧٠هـ.
[انظر: الأعلام للزركلي (١٧٦/٧)].

(٢٣) انظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ـ للعلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي ت١٢٧٠هـ (٥/١) ـ ط الرابعة ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان.

المعنى الذي يرجّحه الباحث:

بناءً على الأصل اللغوي للمصطلحين: أن العلاقة بين التفسير والتأويل التكامل والتمام، فهما مكمّلان ومتمّمان لبعضهما البعض، فالكشف والبيان والإيضاح والإظهار - وهي معاني التفسير - لا يمكن أن تتم بدون الرد والرجوع إلى أصل الألفاظ الذي تحمل عليه وتنتهي إليه، - وهو معنى التأويل - وعلى ضوء ذلك نفهم قول ابن جرير: «القول في تأويل قوله تعالى كذا»، أنه الكشف والإيضاح لمعاني ألفاظ القرآن، وبيان مراد الله تعالى منها، وذلك بردها إلى أصلها الذي تحمل عليه وتنتهي إليه.

وعليه، فإنه يمكننا أن نجمع بين المصطلحين في تعريف واحد، وهو: محاولة الكشف والإيضاح لمعاني ألفاظ القرآن، وبيان مراد الله تعالى منها، وذلك بردها إلى أصلها[٢٤] الذي تحمل عليه وتنتهي إليه، وفق ضوابط مخصوصة[٢٥]، بقدر الطاقة البشرية.

---

(٢٤) لمعرفة معنى الأصل ارجع إلى التعريف اللغوي للتاويل عند الراغب الأصفهاني ص (٣٤) من نفس البحث.

(٢٥) لبيان هذه الضوابط، ارجع إلى تعريف أبي حيان والزركشي للتفسير ص (٣٣).

المبحث الثاني:
أنواع التفسير وأقسامه.

بالنظر إلى العديد من كتب أهل هذا الفن، فإنه يمكننا أن نقسم التفسير بالمجمل إلى ثلاثة أقسام رئيسة لاعتبارات عدة وهي:

أ ـ أقسام التفسير باعتبار العلم به وعدم العلم به.

ب ـ أقسام التفسير باعتبار مناهجه.

ت ـ أقسام التفسير باعتبار موضوعه.



المطلب الأول: أقسام التفسير باعتبار العلم به وعدم العلم به

وهو التقسيم الذي نقله الزركشي في برهانه، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وهو أربعة أقسام هي:

أولاً: قسم تعرفه العرب في كلامها:

وهو ما يُرجع فيه إلى لسانهم، وذلك شأن اللغة والإعراب، فأما اللغة: فعلى المفسِّر معرفة معانيها، ومسميات أسمائها، ولا يلزم ذلك القارئ، فإن كان مما يوجب العلم، فلا بد أن يستفيض ذلك اللفظ، وتكثر

شواهده من الشعر. وأما الإعراب، فما كان اختلافه محيلاً للمعنى وجب على المفسِّر والقارئ تعلّمه، ليتوصل المفسر إلى معرفة الحكم، وليسلم القارئ من اللحن.

ثانياً: قسم لا يعذر أحد بجهالته:

وهو ما تتبادر الأفهام إلى معرفة معناه، من النصوص المتضمنة شرائع الأحكام، ودلائل التوحيد. وكل لفظ أفاد معنى جلياً واحداً لا سواه، يعلم أنه مراد الله تعالى وهو مما لا يختلف حكمه، ولا يلتبس تأويله، مثل قوله تعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]، وكقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة: ١١٠]، فما كان من هذا المعنى، لا يقدر أحد على أن يدَّعي الجهل بمعاني ألفاظه، لأنها معلومة لكل أحد بالضرورة.

ثالثاً: قسم يعلمه العلماء خاصة:

وهو يرجع إلى اجتهاد العلماء، ويغلب عليه إطلاق التأويل، وهو صرف اللفظ إلى ما يؤول إليه، فالمفسِّر ناقل، والمؤول مستنبط، وذلك استنباط الأحكام، وبيان المجمل، وتخصيص العموم، وكل لفظ احتمل معنيين فصاعداً.

رابعاً: قسم لا يعلمه إلا الله تعالى:

ومن ادعى علمه فهو كاذب، وذلك يتضمن ما يجري مجرى الغيوب، نحو الآيات المتضمنة قيام الساعة، والروح، فهذه لا مساغ للاجتهاد في تفسيرها إلا بالتوقيف من ثلاثة أوجه، إما نص من التنزيل، أو بيان من النبي، أو إجماع الأمة على تأويله. فإذا لم يرد توقيف من هذه الجهات، علمنا أنه مما استأثر الله تعالى بعلمه[٢٦].

---

(٢٦) البرهان في علوم القرآن: (٢/١٦٤ ـ ١٧٠) بتصرف. وانظر الإتقان للسيوطي (٢/٥١٤) مرجع سابق.

المطلب الثاني: أقسام التفسير باعتبار مناهجه:

وينقسم التفسير باعتبار مناهجه إلى سبعة أقسام نذكرها باختصار وهي:

أولاً: التفسير بالمأثور:

وهو تفسير القرآن بالقرآن، فما أُجمِلَ في آية فُسرَ في آية أخرى، «وهو يشمل القراءات، فكثيراً ما تكون إحدى القراءات مفسرة للأخرى»(٢٧)، «ويشمل التفسير الوارد في سنة النبي ﷺ، فكم من آية جاءت عامة، أو مطلقة، أو مبهمة، فخصصتها السنة، أو قيدتها أو بينتها، كما يشمل كذلك ما نقل عن الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ الذين عاصروا زمن نزول الوحي، وشهدوا أسباب النزول، وعاينوا دواعيه، فكانوا أعلم الناس بتفسيره وتأويله»(٢٨)، «ويدخل ضمن ذلك أيضاً ما نقل عن التابعين وإن اختلف فيه، لما وُجد في تفسير ابن جرير الطبري عن نقله لأقوال التابعين، وعدم اقتصاره على ما ورد عن النبي ﷺوالصحابة رضوان الله عليهم»(٢٩).

ثانياً: التفسير الفقهي:

«وهو تتبع آيات الأحكام في القرآن الكريم وإفرادها بالتأليف، وتفسيرها حسب قواعد في استنباط الأحكام والتفاسير في هذا الباب لا تجد بينها وبين كتب الفقه كبير فارق، كما وأنها تنوعت حسب تنوع المذاهب الفقهية»(٣٠).

(٢٧) التفسير النبوي للقرآن الكريم وموقف المفسرين منه، للدكتور: محمد إبراهيم عبدالرحمن. ص (٢٨ ـ ٢٩)، مكتبة الثقافة الدينية ـ مصر ـ ١٩٩٥م.

(٢٨) مقدمة في أصول التفسير، لابن تيمية تقي الدين أحمد بن عبدالحليم ت٧٢٨هـ: تحقيق: الدكتور عدنان زرزور ص٩٣ـ ط الثالثة ١٣٩٩ ـ ١٩٧٩هـ ـ دار القرآن الكريم ـ بيروت ـ بتصرف.

(٢٩) التفسير والمفسرون (١٦٣/١) مرجع سابق.

(٣٠) بحوث في أصول التفسير ومناهجه، للدكتور: فهد بن عبدالرحمن بن سليمان الرومي. ص (٩٤) ـ ط الثالثة ـ ١٤١٦هـ. مكتبة التوبة ـ الرياض.

ثالثاً: التفسير العلمي:

«وهو توسع بعض المفسرين في الحديث في تفاسيرهم عن الآيات العلمية، مثل: الفلك ونظامه والكواكب والنجوم وسيرها، وأسرار خلق الإنسان، والمياه والبحار والأنهار والسحب والنبات والحيوانات والأنعام وغيرها...، وإعطائهم هذا النوع من الآيات عنايتهم واهتمامهم، وينطلقون في هذا كله من الآيات القرآنية واستنباط معانيها ودلالاتها الظاهرة والخفية».

رابعاً: التفسير العقلي:

ويسمى هذا اللون من التفسير (التفسير بالاجتهاد) والتفسير بالرأي أو التفسير بالدراية، وقد نشأ في عصر الصحابة ﷺ، عندما كانوا يفسرون ما لم يرد في القرآن ولا في السنة باجتهادهم، وكذلك فعل بعض التابعين مستندين في ذلك على المقتضى من معنى الكلام والمقتضب من قوة الشرع، واستمر الأمر على ذلك، إلى أن نشأت الفرق والمذاهب المنحرفة التي فسرت القرآن وفق مذاهبهم، مستندين إلى الرأي والهوى فقط.

خامساً: التفسير الاجتماعي:

وهو اتجاه طائفة من المفسرين إلى الاعتناء بالآيات التي تتحدث عن الأمراض الاجتماعية، والمشكلات السياسية، والقضايا الأسرية والأخلاق، ويتوسعون في تفسيرها، طالبين علاج مشكلات مجتمعاتهم بعد معرفتها بدقة، فيطيلون الوقوف عندها ويتوسعون في شرحها ويحثون قومهم على التزامها، بغية الإصلاح الاجتماعي لمجتمعاتهم.

سادساً: التفسير البياني:

وهو اتجاه طائفة من المفسرين إلى بيان الوجوه البيانية والتي تشمل

النظم الفريد العجيب الحسن، المخالف لأساليب العرب، والصور البيانية التي تؤلف أبدع تأليف، بين أنصع الألفاظ الجزلة وأصح المعاني الحسنة، فأولتها عنايتهم وأوسعت الدراسات والأبحاث حولها وخصوصاً أهل البلاغة واللغة الذين وضعوا معالم هذا المنهج.

سابعاً: التذوق الأدبي:

ويقصد به ذلك المعنى الدقيق الذي يشعر به كل من يواجه نصوص القرآن ابتداء، وينسكب في حسِّه بمجرد الاستماع لهذا القرآن، وقد يستطيع أن يصف هذه القيم الشعورية بكلمات وقد لا يستطيع، ويرجع هذا إلى الصلة بين القيم الشعورية والقيم التعبيرية، فتذوق القرآن الكريم حركة نفسية، وانطباع ذاتي، ويقدم على التوازن بين الذّات والموضوع[٣١].



المطلب الثالث: أقسام التفسير باعتبار موضوعه:

وينقسم التفسير باعتبار موضوعه وهو آيات القرآن الكريم وألفاظه إلى قسمين:

أولاً: التفسير اللفظي لآيات القرآن الكريم:

وهذا يعتمد على علم الألفاظ الغريبة ومعرفة مفردات اللغة وكذلك علم التصريف والإعراب وعلم القراءات المتواترة.

(٣١) بحوث في أصول التفسير ومناهجه (٩٤ ـ ١٠٠) باختصار مرجع سابق.

ثانيا: تفسير معاني الآيات:

وهو يعتمد على علم العقيدة المسمَّى (بأصول الدين)، وعلم الفقه والاستنباط المسمَّى (بأصول الفقه)، وعلم البيان والمعاني المسمَّى (بعلم البلاغة)، والمكتبة الإسلامية زاخرة بهذين النوعين من التفسير[٣٢].



(٣٢) أصول التفسير وقواعده، للشيخ خالد عبدالرحمن العَك. ص (٤٦ ـ ٤٧) ط الثانية: ١٤٠٦هـ ـ دار النفائس ـ بيروت.

المبحث الثالث: تعريف القراءات:

أولاً: تعريف القراءة لغة:

القراءات لغة جمع قراءة، وهي مصدر قرأ فلان، يقرأ قراءة، وهي بمعنى الجمع والضم.

قال ابن منظور ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: قرأه، ويقرَؤه ويقرُؤه، قَرْءاً وقراءة، وقرآناً. . .ومعنى القرآن معنى الجمع، وسمي قرآناً لأنه يجمع السور فيضمها، وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾﴾ [القيامة: ١٨] أي قراءته، وقرأت الشيء قرآناً: جمعته وضممت بعضه إلى بعض(٣٣).

وقال ابن فارس: «القاف والراء والحرف المتصل، أصل صحيح يدل على جمع واجتماع، من ذلك القرية، سميت قرية لاجتماع الناس فيها، ويقولون: قريت الماء في المقراة: جمعته. . .قالوا: ومنه القرآن كأنه سمي بذلك لجمعه ما فيه من الأحكام والقصص وغير ذلك»(٣٤).

وقال ابن الأثير ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: «تكرر في الحديث ذكر القراءة، والاقتراء، والقارئ، والقرآن، والأصل في هذه اللفظة الجمع، وكل شيء جمعته فقد قرأته»(٣٥).

---

(٣٣) لسان العرب (١/١١٥) مرجع سابق.

(٣٤) معجم مقاييس اللغة (٥/٧٨ ـ ٧٩) باختصار مرجع سابق.

(٣٥) النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، مادة (قرأ) (٤/٣٠).

قال الراغب ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: «والقراءة ضم الحروف والكلمات بعضها إلى بعض في الترتيل، وليس يقال في ذلك لكل جمع، ويدل ذلك على أنه لا يقال للحرف الواحد إذا تفوه به قراءة»(٣٦).

ثانياً: تعريف القراءات اصطلاحاً:

تنوعت عبارات العلماء في تعريف القراءات اصطلاحاً، لذا فقد جاء بعضها أعم وأكثر استيعاباً من البعض الآخر.

١. **تعريف الزركشي** ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: «القراءات: اختلاف ألفاظ الوحي في كتبة الحروف أو كيفيتها من تخفيف وتثقيل وغيرهما»(٣٧).

٢. **تعريف ابن الجزري** ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: «القراءات: علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها بعزو الناقلة»(٣٨).

٣. **تعريف أحمد عبدالغني الدمياطي**، المعروف بالبنا، عرَّف القراءات بأنها: «علم يعلم منه اتفاق الناقلين لكتاب الله تعالى، واختلافهم في الحذف والإثبات والتحريك والتسكين والفصل والوصل، وغير ذلك من هيئة النطق والإبدال وغيره، من حيث السماع»(٣٩).

٤. **تعريف محمد عبدالعظيم الزرقاني**، عرَّف القراءات بقوله: «مذهب يذهب إليه إمام من أئمة القراءات مخالفاً به غيره في النطق بالقرآن الكريم، مع اتفاق الروايات والطرق عنه، سواءً أكانت هذه المخالفة في نطق الحروف أم في نطق هيئاتها»(٤٠).

(٣٦) المفردات في غريب القرآن ص (٦٠٦) مرجع سابق.
(٣٧) البرهان في علوم القرآن (٣١٨/١) مرجع سابق.
(٣٨) منجد المقرئين ومرشد الطالبين لابن الجزري ـ ص (٣) ـ ط ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.
(٣٩) إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر ـ تأليف الشيخ العلامة أحمد بن محمد البنّا ت ـ ١١١٧هـ ـ تحقيق: الدكتور شعبان محمد إسماعيل ـ (٦٧/١) ـ ط الأولى ـ ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م ـ عالم الكتب ـ بيروت.
(٤٠) مناهل العرفان في علوم القرآن (٤١٢/١) مرجع سابق.

وبالنظر في التعريفات السابقة، نجد أن بعضها جاء أعم وأكثر استيعاباً من البعض الآخر، فنجد أن الزركشي - رَحِمَهُ اللَّهُ - حصر القراءات في الألفاظ المختلف عليها فقط، كما أنه أغفل قضية العزو والنقل، وهذا مجانب للصواب، كما أن تعريف الزرقاني فيه إيهام بأن القراءات إنما هي اجتهاد من عند القراء أنفسهم.

ما يرجحه الباحث:

وعليه فإن ما يرجحه الباحث من هذه التعاريف: هو تعريف ابن الجزري - رَحِمَهُ اللَّهُ - وهو أن القراءة: علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها معزواً لناقله، حيث إنه لم يحصر القراءات في المواضع المختلف فيها فقط، وأكد على أن القراءات علم يشتمل على شقين: الأول: العلم بالقراءة (الشِّق النظري)، والثاني: العلم بكيفية أداء هذه القراءة (الشِّق العملي)، وهذا لا يؤخذ إلا بالتلقي والمشافهة والسماع من الشيوخ المتقنين، الذين نقلوا هذه القراءات بأسانيدهم المتصلة إلى رسول الله ﷺ.



المبحث الرابع:
أقسام القراءات وأنواعها

المطلب الأول: أقسام القراءات باعتبار القبول بها وعدمه:

اختلفت عبارات العلماء في تقسيم القراءات اختلاف تنوع، ومرجع ذلك: أنه لم يرد في ذالك نص نبوي قاطع، كما أن كل واحد من هؤلاء العلماء، نظر إلى القراءات من زاوية معينة، وقسمها باعتبارات عدة، إضافة أن تطور العلوم في العصور المختلفة، كان له أثر في اختلاف نظرة العلماء لها. ونذكر من هذه التقسيمات:

أولاً: أقسام القراءات في زمن النبي ﷺ :

لم يكن للقراءات في زمن النبي ﷺ أقسام كتلك التي عُرفت فيما بعد، وذلك أن النبي ﷺ كان يُقرئ الصحابة القرآن على الأحرف السبعة التي أنزل عليها، كلٌ حسب لهجته. وكان ﷺ مرجعهم عند الخلاف كما جاء في حديث عمر بن الخطاب وهشام بن حكيم(٤١) واختلافهما في قراءة

(٤١) هشام بن حكيم بن حزام بن خويلد بن قصي القرشي الأسدي، صحابي جليل، من فضلاء الصحابة، مات قبل أبيه بسنين [انظر: معجم الصحابة للإمام الحافظ، أبي الحسين عبدالباقي البغدادي ت سنة ٣٥١هـ ـ (٥٢٦٥/١٥)، تحقيق: حمدي الدمرداش ـ ط الأولى ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م باختصار.]

سورة الفرقان، وقول النبي ﷺ لكل منهما: كذلك أُنزلت، ثم قال: «إن هذا القرآن أُنزل على سبعة أحرف فاقرأوا ما تيسر منه»(٤٢).

ثانياً: أقسام القراءات في زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه:

في زمن عثمان ـ رضي الله عنه ـ وقع خلاف بين المسلمين في القراءة، وكاد يُكفِّر بعضهم بعضاً، فحسم عثمان ـ رضي الله عنه ـ الخلاف بأن: «جمع الناس على مصحف واحد وحرف واحد، وحرق ما عدا المصحف الذي جمعهم عليه»(٤٣).

فانقسمت بذلك القراءات إلى قسمين باعتبار موافقتها لخط المصحف وما يحتمله الرسم ومخالفته للرسم:

الأول: ما يقبل به ويقرأ به:

وهو ما وافق خط المصحف المجمع عليه، مما نقله الثقات مسلسلاً إلى النبي ﷺ.

الثاني: ما لا يقبل ولا يقرأ به:

وهو ما خالف خط المصحف المجمع عليه مخالفة شديدة ظاهرة، كزيادة كلمة، وتبديل كلمة مكان أخرى، ونحو ذلك(٤٤).

---

(٤٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ـ ابن حجر العسقلاني ـ كتاب فضائل القرآن، باب أُنزل القرآن على سبعة أحرف (٢٣/١/ح٤٩٩٩) ـ تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ـ دار المعرفة.

(٤٣) جامع البيان عن تأويل القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، ت٣١٠هـ (٢٨/١) ـ ط الثالثة: ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م. مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ـ مصر.

(٤٤) منهج الإمام الطبري في القراءات في تفسيره، رسالة ماجستير للدكتور: عبدالرحمن يوسف الجمل، بإشراف الدكتور: فضل حسن عباس ـ مقدمة لكلية الشريعة في الجامعة الأردنية ١٤١٢هـ.

ثالثاً: أقسام القراءات عند ابن مجاهد:

«استمر الناس يقرأون القرآن ويتلقونه على الحرف الذي جمع عثمان الناس عليه، وما يحتمله رسم المصحف من الأحرف الأخرى، وكثر القراء وانتشروا في البلاد، فكان منهم الضابط المتقن ومن هو دون ذلك، حتى اختلط الأمر، ثم كثر الاختلاف أيضاً فيما يحتمله الرسم، وقرأ أهل البدع والأهواء بما لا يحل لمسلم تلاوته كقولهم: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء: ١٦٤] بنصب الهاء لنفي صفة الكلام عن الله تعالى، كما ذهبت إلى ذلك المعتزلة»[(٤٥)]

إلى أن جاء ابن مجاهد ـ رحمه الله ـ فتصدى لعمل جليل، كما أشار إلى ذلك مكي بن أبي طالب[(٤٦)] وهو: «الاقتصار من القراءات التي توافق خط المصحف على ما يسهل حفظه ونضبط القراءة به، فاختار من بين القراء الكثيرين الذين كانوا في عصره سبعة قراء، فجمع قراءاتهم وحرر طرقهم، وتابعه الناس على ذلك»[(٤٧)].

فبذلك العمل انقسمت القراءات في عصر ابن مجاهد إلى قسمين باعتبار القراءات التي اختارها في كتابه وما سواها من القراءات وهذا تفصيل بذلك:

الأول: «**القراءات الصحيحة**: التي أجمع عليها أكثر القراء، وهي قراءات الأئمة السبعة الذين اختارهم ابن مجاهد وأودعهم كتابه»[(٤٨)].

---

(٤٥) منجد المقرئين (٢٢ ـ ٢٣) بتصرف.

(٤٦) هو مكي بن أبي طالب حموشي بن مختار القيسي، أبو محمد القيرواني ثم الأندلسي، كان إماماً في القراءات، أستاذ القراء والمجوِّدين، له تصانيف كثيرة أهمها: التبصرة في القراءات والكشف عنها، توفي سنة ٤٣٧هـ.
(غاية النهاية في طبقات القراء ٢/٣٠٩).

(٤٧) الإبانة عن معاني القراءات، لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي: تحقيق د. محي الدين رمضان ـ ص٦٤ ـ ط الأولى ـ ١٣٩٩هـ ـ دار المأمون للتراث ـ بيروت.

(٤٨) منهج الإمام الطبري في القراءات في تفسيره، د. عبدالرحمن الجمل ص (١٨) مرجع سابق.

الثاني: القراءات الشاذة: وهي ما عدا القراءات العشر الصحيحة المقروء بها، وسميت بذلك: «لأنها خرجت عن قراءة القراء السبع السابق ذكرها، إلا أنه مع خروجها عنها فقد تنازعها بالثقة، ولعلها أو كثيراً منها مساوٍ في الفصاحة للمجمع عليها»(٤٩).

رابعاً: أقسام القراءات عند مكي بن أبي طالب:

قسَّم مكي بن أبي طالب ـ رحمه الله ـ القراءات إلى ثلاثة أقسام، وذلك باعتبار قبولها وعدمه

«**الأول: ما يقرأ به ويكفر من جحده:**

وهو ما اجتمع فيه ثلاث خصال، وهي أن ينقل عن الثقات إلى النبي ﷺ، ويكون وجهه في العربية شائعاً، وأن يكون موافقاً لخط المصحف، وهذا القسم يُقرأ به ويقطع على مغيبه وصحته وصدقه.

الثاني: ما لا تجوز القراءة به ولا يكفر من جحده:

وهو ما صح نقله عن الآحاد، وصح وجهه في العربية، وخالف لفظه خط المصحف، وهذا القسم يقبل ولا يقرأ به ولا يقطع على مغيبه (كونه غيباً) وصحته.

الثالث: ما لا يقبل ولا يقرأ به:

وهو ما نقله غير ثقة، أو نقله ثقة ولا وجه له في العربية، فهذا لا يقبل وإن وافق خط المصحف(٥٠).

خامساً: أقسام القراءات عند ابن الجزري:

قسم ابن الجزري ـ رحمه الله ـ القراءات إلى قسمين باعتبار التواتر والصحة والشواذ:

(٤٩) انظر: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، لأبي الفتح عثمان بن جنّي، ت٣٩٢هـ ـ (١٠٣/١) ـ تحقيق: محمد عبدالقادر عطا ـ ط الأولى: ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ . بتصرف.

(٥٠) انظر: الإبانة عن معاني القراءات لمكي بن أبي طالب (٣٩ ـ ٤٠).

الأول: المتواترة: وهي كل قراءة وافقت العربية مطلقاً، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو تقديراً، وتواتر نقلها،... معنى (العربية مطلقا): أي ولو بوجه من الإعراب، نحو قراءة حمزة ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ﴾ [النساء: ١] بالجر. ومعنى أحد (المصاحف العثمانية): أحد المصاحف التي وجهها عثمان ﷺ إلى الأمصار، كقراءة ابن كثير ﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [التوبة: ١٠٠] بزيادة (من)، فإنها لا توجد إلا في مصحف مكة. (ولو تقديراً): ما يحتمله رسم المصحف، كقراءة من قرأ: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾﴾ بالألف، فإنها كتبت بغير ألف في جميع المصاحف، فاحتملت الكتابة أن تكون (مالك).

والذي جمع في زماننا هذه الأركان الثلاثة هي قراءة الأئمة العشرة، التي أجمع الناس على تلقيها بالقبول وهم: أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو ويعقوب وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي وخلف[٥١]، وسيأتي التعريف بهم في مبحث التعريف بالقراء العشر.

الثاني: الصحيحة: وهى على قسمين:

الأول: ما صح سنده بنقل العدل الضابط عن الضابط كذا إلى منتهاه، ووافق العربية والرسم، وهذا على ضربين:

أ ـ ما استفاض نقله وتلقته الأمة بالقبول كما انفرد به بعض الرواة وبعض الكتب المعتبرة،

فهذا صحيح مقطوع به أنه من الأحرف السبعة، ويلحق بالقراءة المتواترة وإن لم يبلغ مبلغها.

ب ـ ما لم يستفض ولم تتلقه الأمة بالقبول، فالذي يظهر من كلام كثير من العلماء جواز القراءة به والصلاة به.

الثاني: ما صح سنده ووافق العربية وخالف الرسم، كما ورد في

(٥١) انظر: منجد المقرئين (١٥ ـ ١٧) باختصار.

صحيح من زيادة ونقص وإبدال كلمة بأخرى، ونحو ذلك مما جاء عن أبي الدرداء وعمر وابن مسعود وغيرهم، فهذه القراءة تسمى اليوم شاذة، لكونها شذت عن رسم المصحف المجمع عليه، وإن كان إسنادها صحيحاً فلا تجوز القراءة بها لا في صلاة ولا في غيرها[٥٢].

«ويمكن بيان ما ذكره ابن الجزري - رحمه الله - وجعله في ثلاثة أقسام هي:

القسم الأول: القراءات المتواترة: وهي كل قراءة وافقت العربية مطلقاً، ووافقت أحد المصاحف ولو تقديراً، وتواتر نقلها، ويلحق بها القراءات الصحيحة الجامعة للأركان الثلاثة المستفيضة المتلقاة بالقبول، وهي القراءات العشر.

القسم الثاني: القراءات الصحيحة: الجامعة للأركان الثلاثة، لكنها لم يستفض نقلها، ولم تتلقها الأمة بالقبول، وهو ما نجده في أكثر القراءات الأربع التي بعد العشرة، وهي قراءة الحسن البصري[٥٣]، وابن محيصن[٥٤]، واليزيدي[٥٥]، والأعمش[٥٦][٥٧].

(٥٢) انظر: منجد المقرئين ص (١٥ - ١٧) باختصار.

(٥٣) الحسن بن أبي الحسن يسار، أبو سعيد البصري، أبوه مولى زيد بن ثابت الأنصاري، وهو إمام أهل البصرة وخير أهل زمانه، توفي سنة ١١٠هـ [انظر: طبقات المفسرين (١/١٥٠)، وغاية النهاية (١/٢٣٥).] .

(٥٤) محمد بن عبدالرحمن بن محيصن السهمي، مقرئ مكة مع ابن كثير عرض على مجاهد بن جبر، وله اختيار في القراءة خرج به عن إجماع أهل بلده، توفي سنة١٢٣هـ[انظر: غاية النهاية (٢/١٦٧) .] .

(٥٥) هو الإمام يحيى بن المبارك البصري النحوي، عرف باليزيدي لاتّصاله بيزيد بن منصور خال المهدي يؤدب ولده، كان ثقة علامة فصيحا مفوها بارعا في اللغات والآداب توفي سنة ٢٠٢هـ [انظر: معرفة القراء الكبار (١/١٥١ - ١٥٢) باختصار.] .

(٥٦) سليمان بن مهران الأعمش، الأسدي الكاهلي مولاهم الكوفي، إمام علم، أقرأ الناس ونشر العلم دهرا طويلا، سُمي بالمصحف من صدقه، ثقة ثبت، توفي سنة١٤٨هـ [انظر: معرفة القراء الكبار (١/٩٤- ٩٦)باختصار].

(٥٧) منهج الإمام الطبري في تفسيره ص (٢٣).

«**القسم الثالث: القراءات الشاذة**: وهي القراءات التي صح سندها، ووافقت العربية، وخالفت الرسم، ومثاله: ما ورد بأسانيد صحاح في كتب الحديث من زيادة أو نقص، أو إبدال كلمة بأخرى، ونحو ذلك»(٥٨).

المطلب الثاني: أنواع القراءات من حيث السند:

تنقسم القراءات من حيث السند إلى ستة أنواع وهي:

١. **المتواترة**: وهو ما رواه جمع عن جمع عن أناس مثلهم، ولا يمكن أن يتواطئوا على الكذب، وهو ما اتفق عليه السبعة.

٢. **المشهورة**: وهي ما صح سندها، بأن رواها العدل الضابط عن مثله، ووافق العربية، ووافق أحد المصاحف العثمانية، ولم يعدّه القرّاء المشهورون من الشذوذ أو الخطأ.

٣. **الصحيحة**: وهو ما صح سنده، وخالف الرسم العثماني، أو العربية، أو لم يشتهر وهذا النوع لا يقرأ به، ولا يجب الاعتقاد بقرآنيته، مثل قراءة ﴿**لقدْ جاءَكُمْ رَسولٌ من أَنْفَسكم**﴾ [التوبة: ١٢٨] بفتح الفاء.

٤. **الشاذة**: وهي التي لم يصح سندها، كقراءة: (فاليومَ ننحّيك ببَدَنِكَ) بالحاء المهملة، (لتكونَ لمنْ خَلَفَك آية) [يونس: ٩٢] بفتح اللام في كلمة خَلْفَك.

٥. **الموضوعة**: وهي ما نسبت إلى قائلها من غير أصل.

٦. **الشبيهة بالمدرج**: وهو ما يشبه المدرج من أنواع الحديث، وما زيد في القراءات على وجه التفسير كقراءة سعد بن ابي وقاص (ولَهُ أخٌ أو اختٌ منْ أم) أي بزيادة لفظ (من أم)، وقراءة (ليسَ عليكمْ جُناحٌ أن تَبتغوا فضلاً من ربكمْ في مواسم الحج) [البقرة ١٩٨] بزيادة لفظ (في مواسم الحج)، وكقراءة، (ولتكنْ مِنكمْ أمةٌ يدعونَ إلى الخيرِ ويأمرونَ بالمعروفِ وينهونَ عنِ المنكرِ ويستعينونَ باللهِ على ما أصابهم)، أي بزيادة لفظ

(٥٨) منهج الإمام الطبري في تفسير ص ٢٣ رسالة ماجستير غير منشورة.

(ويستعينون بالله على ما أصابهم) (آل عمران ١٠٤)(٥٩).



المطلب الثالث: أنواع القراءات من حيث تعلُّقها بالتفسير:

تنقسم القراءات من حيث تعلُّقها بالتفسير إلى قسمين:

القسم الأول: لا تَعلُّق لها بالتفسير:

«وهي اختلاف القرّاء في وجوه النطق بالحروف والحركات، كمقادير المد والإمالات والتخفيف والتسهيل والتحقيق والجهر والهمس والغنَّة، مثل إسكان الهاء في (هو) و (هي) إذا سُبقت بواو أو فاء أو لام عند قالون وأبو عمرو والكسائي(٦٠) والباقون يحركونها، ومثل:

﴿ٱلْقُدُسِ﴾ [البقرة: ٨٧] فإن ابن كثير يقرؤها حيث وقعت بإسكان الدال، والباقون بضمها، ومثل ﴿حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾ [آل عمران: ٩٧] فقد قرأها حمزة والكسائي بكسر الحاء، والباقون بفتحها، ومثل ﴿طه﴾ [طه: ١] فقد قرأها شعبة وحمزة والكسائي بإمالة فتحة الطاء والهاء، وورش وأبو عمرو بإمالة الهاء خاصة، والباقون بفتحها»(٦١).

«ومزية القراءات من هذه الجهة، التيسير والإعجاز»(٦٢)، كما أنها حَفَظت على أبناء العربية ما لم يحفظه غيرها، وهو تحديد كيفيات نطق العرب بالحروف، وبيان اختلاف العرب في لهجات النطق، بتلقّي ذلك عن

---

(٥٩) القراءات القرآنية وموقف النحو والاستشراق منها تأليف: راضي نواصرة ص١١٩ - ١٢٠ مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع - أريد - الأردن.

(٦٠) انظر: تراجمهم في مبحث التعريف بالقراء العشر ورواتهم ص (٥٨ - ٦٩).

(٦١) التيسير في القراءات السبع للإمام أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني، ت٤٤٤هـ، ص (١٢٢)، عني بتصحيحه: أوتريرتزل - ط الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.

(٦٢) انظر: المغني في علم التجويد، للدكتور: عبدالرحمن يوسف الجمل (١٩- ٢٠) باختصار- مكتبة آفاق - غزة - ط - ١٤٢٠هـ.

قراء القرآن من الصحابة بالأسانيد الصحيحة.

القسم الثاني: لها تعلُّق بالتفسير:

وهي اختلاف القراء في حروف الكلمات مثل: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾﴾ و(مَلِكِ يَوم الدِّينِ) [الفاتحة: ٤]، و(نُنْشِرُها) و(نُنْشِزُها) [البقرة: ٢٥٩]، وكذلك اختلاف الحركات الذي يختلف معه معنى الفعل كقوله تعالى: ﴿۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوۡمُكَ مِنۡهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾﴾ [الزخرف: ٥٧] قرأ نافع بضم الصاد، وقرأ حمزة بكسر الصاد، فالأولى بمعنى يصدون غيرهم عن الإيمان، والثانية بمعنى صدودهم أنفسهم، وكلا المعنيين حاصل منهم، وهي من هذه الجهة لها مزيد تعلق بالتفسير، لأن ثبوت أحد اللفظين في قراءة قد يبين المراد من نظيره في القراءة الأخرى أو يثير معنى غيره[٦٣].



(٦٣) انظر: تفسير التحرير والتنوير لسماحة الأستاذ الشيخ: محمد الطاهر ابن عاشور (١/٥١ ـ ٥٥) باختصار ـ دار سحنون ـ تونس.

المبحث الخامس
التعريف بالقرّاء العشر ورواتهم

نافع المدني:

هو نافع بن عبدالرحمن بن أبي نعيم القاري المدني، أبو رويم ويقال أبو نعيم، ويقال أبو الحسن، أصله من أصبهان، وكان أسود اللون حالكاً، صبيح الوجه حسن الخلق وفيه دعابة، أخذ القراءة عن سبعين من التابعين، وأقرأ الناس دهراً طويلاً نيفاً عن سبعين سنة، وانتهت إليه رياسة القراءة بالمدينة، وكان عالماً بوجوه القراءات، كان إذا تكلم يُشَمُّ من فيه رائحة المسك لأنه رأى النبي في منامه وهو يقرأ القرآن في فمه، توفي - رحمه الله - سنة تسع وسبعين ومائة عن سن كبيرة(٦٤).

وأشهر الرواة عنه اثنان: قالون وورش.

أ - قالون:

وهو عيسى بن ميناء بن وردان بن عيسى الزُّرقي، كان قارئ المدينة المنورة، وقالون لقبه سماه به نافع لجودة قراءته، ويقال إنه ربيب نافع ومن قدماء أصحابه، وقد اختص به كثيراً، ومما روي عنه أنه كان أصم لا يسمع

(٦٤) انظر: التاريخ الكبير للبخاري (٨٧/٨)، ومعرفة القراء الكبار للذهبي (٣٣٦/٧)، وغاية النهاية لابن الجزري (٣٣٠/٢)، وميزان الاعتدال (٢٤٢/٤)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (٣٣٦/٧).

البوق، وكان إذا قرأ عليه قارئ فإنه يسمعه.

توفي - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - بالمدينة سنة عشرين ومائتين وله نيِّف وثمانون سنة، رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٦٥].

ب - ورش:

هو عثمان بن سعيد بن عدي بن غزوان بن داود بن سابق القبطي، مولى آل الزبير ابن العوام، وقيل سعيد بن عبدالله بن عمرو بن سليمان بن إبراهيم، الملقب بورش، ونافع هو الذي لقبه بورش لشدة بياضه.

ولد سنة عشر ومائة بمصر، ورحل إلى نافع فعرض عليه القرآن عدة ختمات، انتهت إليه رئاسة الإقراء بالديار المصرية في زمانه وكان ماهرا بالعربية.

توفي - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - بمصر سنة سبع وتسعين ومائة، عن سبع وثمانين سنة، رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٦٦].

٢ - ابن كثير:

هو عبدالله بن كثير بن المطلب، من بني عبدالدار المكي القرشي، إمام المكيين في القراءة، ولد بمكة سنة خمس وأربعين، كان عطاراً وكان فصيحاً بليغاً مفوهاً، أبيض اللحية طويلاً جسيماً وقوراً، وكان ثقة وله أحاديث صالحة، ولم يزل هو الإمام المجتمع عليه في القراءة بمكة حتى مات سنة عشرين ومائة[٦٧].

وأشهر الرواة عنه اثنان: البَزِّي وقُنبل.

(٦٥) انظر: معرفة القراء الكبار (١/١٥٦)، وغاية النهاية (١/٦١٥).

(٦٦) انظر: معرفة القـراء الكبار (١/١٥٢ - ١٥٥)، وغاية النـهاية (١/٥٠٢ - ٥٠٣)، وشذرات الذهب (١/٣٤٩).

(٦٧) انظر: التاريخ الكبير (٥/١٨١)، وطبقات ابن سعد (٥/٤٨٤)، وسير أعلام النبلاء (٥/٣١٨)، وغاية النهاية (١/٤٤٣)، وشذرات الذهب (١/١٥٧).

أ ـ البَزِّي:

وهو ابن القاسم أحمد بن محمد بن عبدالله بن القاسم نافع بن أبي بزة، ولد سنة سبعين ومائة، كان إماماً في القراءة محققاً ضابطاً متقناً، قارئ مكة، ومؤذن المسجد الحرام أربعين سنة، توفي ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ سنة خمسين ومائتين عن ثمانين سنة(٦٨).

ب ـ قُنبل:

هو محمد بن عبدالرحمن بن خالد بن محمد بن سعيد بن جرجة، أبو عمر المخزومي الملقب بقُنبل، ولد سنة خمس وتسعين ومائة، انتهت إليه رئاسة الإقراء بالحجاز، جوَّد القرآن على أبي الحسن القوّاس(٦٩)، وأخذ القراءة عن البَزِّي أيضاً.

قطع الإقراء قبل موته بسبع سنين، توفي ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ سنة إحدى وتسعين ومائتين عن ست وتسعين سنة(٧٠).

٣ ـ أبو عمرو البصري:

هو زبَّان(٧١) بن العلاء بن عمار بن العريان بن عبدالله التميمي المازني البصري، مقرئ البصرة، ولد أبو عمرو سنة ثمان وستين بمكة، وأمه من بني حنيفة، أخذ القراءة عن أهل الحجاز، وأهل البصرة وأهل الكوفة، فليس في القراء السبعة أكثر شيوخاً منه، انتهت إليه إمامة القراءة بالبصرة، وكان من أعلم الناس بالعربية والشعر وأيام العرب، يروى عنه قوله

---

(٦٨) انظر: غاية النهاية (١/١١٩ ـ ١٢٠)، وميزان الاعتدال (١/١٤٤)، وشذرات الذهب (٢/١٢٠)، ومعرفة القراء الكبار (١/١٧٣ ـ ١٧٨).

(٦٩) أبي الحسن أحمد بن محمد بن عون المعروف بالقوّاس، إمام مكة في القراءة، توفي سنة ٢٤٠ وقيل سنة ٢٤٥. [انظر: معرفة القراء الكبار (١/١٧٨ـ ١٧٩)، وغاية النهاية (١/١٢٣ـ ١٢٤)].

(٧٠) انظر: معرفة القراء الكبار (١/٢٣٠)، وغاية النهاية (٢/١٦٥ ـ ١٦٦).

(٧١) اختلف في اسمه فقيل العريان وقيل يحيى، وقيل محبوب، وقيل جنيد...، والأصح (زبَّان)، [انظر: معرفة القراء الكبار (١٠٠)].

ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «أول العلم الصمت، ثم حُسن السؤال، ثم حسن اللفظ، ثم نشره عند أهله».

توفي ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ بالكوفة سنة أربع وخمسين ومائة، وقيل خمس وخمسين عن ست وثمانين سنة[٧٢].

وأشهر من روى عنه القراءة اثنان هما: الدوري، والسوسي.

أ ـ الدوري:

هو حفص بن عمر بن عبدالعزيز بن صهبان بن عدي بن صهبان، ويقال صهيب أبو عمر الدوري الآزدي البغدادي الضرير إمام القراءة وشيخ الناس في زمانه، ثقة ثبت ضابط، رحل في طلب القراءات، وقرأ بسائر الحروف السبعة وبالشواذ، ويقال: إنه أول من جمع القراءات.

توفي ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ في شوال سنة ست وأربعين ومائتين[٧٣].

ب ـ السوسي:

هو صالح بن زياد بن عبدالله بن إسماعيل بن إبراهيم بن الجارود بن مسرح الرُّستُبيّ، أبو شعيب السوسي، مقرئ ضابط محرر ثقة صدوق، قرأ القرآن عرضاً وسماعاً عن أبي محمد اليزيدي[٧٤].

توفي ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ أول سنة إحدى وستين ومائتين، وقد قارب السبعين[٧٥].

(٧٢) انظر: معرفة القراء الكبار (١/١٠٠)، وغاية النهاية (١/٢٨٨)، سير أعلام النبلاء (٦/٤٠٧).

(٧٣) انظر: معرفة القراء الكبار (١/١٩١)، وغاية النهاية (١/٢٥٥)، شذرات الذهب (٢/١١١).

(٧٤) انظر ترجمته ص (٥٤).

(٧٥) انظر: معرفة القراء الكبار (١/١٩٣)، وغاية النهاية (١/٣٣٢ ـ ٣٣٣)، شذرات الذهب (٢/١٤٣).

٤ ـ ابن عامر الشامي:

هو عبدالله بن عامر بن يزيد بن تميم بن ربيعة اليعصبي، ويكنى بأبي عمران، وقيل: أبو عامر، تابعي جليل، ولد سنة إحدى وعشرين من الهجرة، قبل وفاة النبي ﷺ بسنتين، انتهت إليه مشيخة الإقراء بالشام، وكان إماماً عالماً ثقة فيما آتاه، حافظاً لِمَ رواه، متقناً صادقاً. تولّى القضاء بدمشق، وكان إمام الجامع فيها، وكان قليل الحديث.

توفي ـ رحمه الله ـ بدمشق يوم عاشوراء سنة ثماني عشرة ومائة[٧٦].

وأشهر من روى عنه القراءة اثنان هما: هشام، وابن ذكوان.

أ ـ هشام:

هو هشام بن عمار بن نصير بن ميسرة، أبو الوليد السُلَمِيّ الدمشقي، ولد سنة ثلاث وخمسين ومائة، كان إمام أهل دمشق وخطيبهم ومقرئهم ومحدثهم ومفتيهم، وكان مشهوراً بالنقل والفصاحة والعلم والرواية والدراية. أخذ القراءة عن أبي الدرداء وقيل عرض على عثمان رضي الله عنه نفسه، توفي ـ رحمه الله ـ سنة خمس وأربعين ومائتين[٧٧].

ب ـ ابن ذكوان:

وهو عبدالله بن أحمد بن بشر، ويقال بشير بن ذكوان، أبو عمرو القرشي الدمشقي، شيخ الإقراء بالشام، وإمام جامع دمشق، ألف كتاب (أقسام القرآن وجوابها وما يجب على قارئ القرآن عند حركة لسانه).

ولد يوم عاشوراء سنة ثلاث وسبعين ومائة، وتوفي ـ رحمه الله ـ يوم الاثنين سنة اثنتين وأربعين ومائتين[٧٨].

---

(٧٦) انظر: التاريخ الكبير (١٥٦/٥)، وطبقات ابن سعد (٤٤٩/٧)، وسير أعلام النبلاء (٢٩٢/٥)، وغاية النهاية (٤٢٣/١ ـ ٤٢٥)، ومعرفة القراء الكبار (٨٢/١ ـ ٨٦).

(٧٧) انظر: التاريخ الكبير (١٩٩/٨)، ومعرفة القراء الكبار (١٩٥/١ ـ ١٩٨)، وغاية النهاية (٣٥٤ ـ ٣٥٦).

(٧٨) انظر: معرفة القراء الكبار (١٩٨/١ ـ ٢٠١)، وغاية النهاية (٤٠٤/١ ـ ٤٠٥).

٥ ـ عاصم بن أبي النَّجود:

وهو عاصم بن أبي النَّجود ـ بفتح النون وضم الجيم ـ أبو بكر الأسدي مولاهم الكوفيّ، واسم أبيه بهدلة على الصحيح، وهو تابعيٌّ جليل، وأحد القراء السبعة، انتهت إليه رئاسة الإقراء بالكوفة بعد أبي عبدالرحمن السلمي[٧٩]، جمع بين الفصاحة والإتقان والتجويد، وكان أحسن الناس صوتاً بالقرآن، وحديثه مخرّج في الكتب الستة وليس حديثه بالكثير، أخذ القراءة عرضاً عن زر بن حبيش[٨٠] وأبي عبدالرحمن السلمي، توفي ـ رحمه الله ـ سنة ثمان وعشرين ومائة[٨١].

وأشهر من روى عنه القراءة اثنان: حفص بن سليمان، وشعبة بن عيّاش.

أ ـ حفص بن سليمان:

وهو حفص بن سليمان بن المغيرة بن أبي داود الأسدي الكوفي البزّار، ولقبه أبو عمر، ولد سنة تسعين، أخذ القراءة عرضاً وتلقيناً عن عاصم، وكان ربيبه، وكان أعلم الناس برواية عاصم، وكان الأولون يعدونه في الحفظ فوق أبو بكر بن عيّاش، وكانت له أحاديث، قال الذهبي: «أما القراءة فثقة ثبت ضابط لها بخلاف حاله في الحديث.

---

(٧٩) عبد الله بن حبيب بن ربيّعة، مقرئ الكوفة، ضرير، ولد في حياة النبي ـ ﷺ ـ ولأبيه صحبة أقرأ الناس في المسجد الأعظم أربعين سنة، وهو ثقة كبير القدر، توفي سنة ٧٤هـ [انظر: معرفة القراء (٦٢/٣٢/١)].

(٨٠) زر بن حُبيش بن حباشة، الأسدي الكوفي، تابعي جليل، عرض على ابن مسعود وعثمان وعلي ـ رضي الله عنه ـ وعرض عليه عاصم وسليمان الأعمش وغيرهما توفي سنة [انظر: غاية النهاية (٢٩٤/١) وسير أعلام النبلاء (١٦٦/٤)].

(٨١) انظر: التاريخ الكبير للبخاري (٤٨٧/٦)، وغاية النهاية (٣٤٦/١ ـ ٣٤٩)، ومعرفة القراء الكبار للذهبي (١ /٨٨ ـ ٩٤)، سير أعلام النبلاء (٢٥٦/٥ ـ ٢٦١)، وشذرات الذهبي (١٧٥/١).

توفي - رحمه الله - سنة ثمانين ومائة، وقد عاش تسعين عاماً(٨٢).

ب - شعبة بن عياش:

اختلف في اسمه على عشرة أقوال، وأصحها: أنه شعبة بن عياش بن سالم، أبو بكر الحنّاط الأسدي النهشلي الكوفي الإمام العلم، ولد سنة خمس وتسعين، عرض القرآن على عاصم ثلاث مرات، كان سيداً إماماً حجة، كثير العلم والعمل، منقطع القرين، وكان من أئمة السنة. يروى أنه عندما حضرته الوفاة بكت أخته، فقال لها: ما يبكيك، انظري إلى تلك الزاوية فقد ختمت فيها ثمان عشرة ألف ختمة.

توفي - رحمه الله - سنة ثلاث وتسعين ومائة(٨٣).

٦ - حمزة الزَيَّات:

وهو حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل، الإمام الحبر أبو عمارة الكوفي التَّيْميّ، وُلد سنة ثمانين، وأدرك الصحابة بالسن ويحتمل أن يكون رأى بعضهم، كان إماماً حجةً، قيماً بكتاب الله تعالى، حافظاً للحديث، بصيراً بالفرائض والعربية، وحديثه مخرَّج في صحيح مسلم، وفي السنن الأربعة انتهت إليه إمامة الإقراء في الكوفة بعد عاصم(٨٤) والأعمش(٨٥)، توفي - رحمه الله - بحلوان سنة ست وخمس ومائة(٨٦).

وأشهر من روى عنه اثنان هما: خلف، وخلّاد.

---

(٨٢) انظر: التاريخ الكبير للبخاري (٣٦٣/٢)، وغاية النهاية (٢٥٤/١ - ٢٥٥)، ومعرفة القراء الكبار (١٤٠/١ - ١٤١).

(٨٣) انظر: التاريخ الكبير للبخاري (١٤/٩)، وغاية النهاية لابن الجزري (٣٢٥/١ - ٣٢٧)، ومعرفة القراء الكبار للذهبي (١٣٤/١ - ١٣٨).

(٨٤) تقدمت ترجمته ص (٦٣).

(٨٥) تقدمت ترجمته ص (٥٤).

(٨٦) انظر: التاريخ الكبير للبخاري (٥٢/٣)، وسير أعلام النبلاء (٩٠/٧ - ٩٢)، وميزان الاعتدال (٦٠٥/١ - ٦٠٦)، وغاية النهاية (٢٦١/١ - ٢٦٣)، وشذرات الذهب (٢٤٠/١)، ومعرفة القراء الكبار (١١١/١ - ١١٨).

أ ـ خلف:

وهو خلف بن هشام، أبو محمد البغدادي البزَّار، أحد القرّاء العشرة وأحد الرواة، ولد سنة خمسين ومائة، حفظ القرآن وهو ابن عشر سنين، وكان ثقة كبيراً زاهداً عابداً عالماً.

توفي ـ رحمه الله ـ في جمادى الآخرة، سنة تسع وعشرين ومائتين ببغداد(٨٧).

ب ـ خلّاد:

هو خلّاد بن خالد، أبو عيسى، وقيل أبو عبدالله الشيباني، مولاهم الصَّيرفي الكوفي، كان إماماً في القراء، ثقة عارف محقق، أقرأ الناس مدة، وكان صدوقاً.

توفي ـ رحمه الله ـ سنة عشرين ومائتين(٨٨).

٧ ـ الكسائي:

هو علي بن حمزة بن عبدالله بن بهمن بن فيروز الأسدي، أبو الحسن الكسائي، وهو من أولاد الفرس من سواد العراق، ولد في حدود سنة عشرين ومائة، انتهت إليه رئاسة الإقراء بالكوفة بعد حمزة الزيات، وكان أعلم الناس بالنحو والقرآن، وله مؤلفات منها: كتاب معاني القرآن، وكتاب القراءات، وكتاب العدو، وكتاب مقطوع القرآن وموصوله وغيرها، واختلف في تسميته بالكسائي، فلما سُئلَ عن ذلك فقال: لأني أحرمت في كساء.

توفي ـ رحمه الله ـ بالري سنة تسع وثمانين ومائة(٨٩).

---

(٨٧) انظر: التاريخ الكبير للبخاري (١٩٦/٣)، وغاية النهاية لابن الجزري (٢٧٢/١ ـ ٢٧٤)، ومعرفة القراء الكبار للذهبي (٢٨/١ ـ ٢١٠).

(٨٨) انظر: التاريخ الكبير للبخاري (١٨٩/٣)، وغاية النهاية (٢٧٤/١ ـ ٢٧٥)، ومعرفة القراء الكبار (٢١٠/١).

(٨٩) انظر: التاريخ الكبير (٢٦٨/٦)، وغاية النهاية (٥٣٥/١ ـ ٢٤٠)، ومعرفة القراء الكبار (١٢٠/١ ـ ١٢٨)، وسير أعلام النبلاء (١٣١/٩ ـ ١٣٤)، وشذرات الذهب (٣٢١/١).

واشتهر بالرواية عنه اثنان هما: أبو الحارث والدوري.

أ ـ أبو الحارث:

هو الليث بن خالد أبو الحارث البغدادي، صاحب الكسائي، والمقدَّم من بين أصحابه، قرأ عليه وعُرف بالضبط والثقة والإتقان.

توفي ـ رحمه الله ـ سنة أربعين ومائتين(٩٠).

ب ـ الدوري:

سبقت ترجمته فيمن روى عن أبي عمرو البصري(٩١).

٨ ـ أبو جعفر المدني:

هو يزيد بن القعقاع، أبو جعفر المدني القارئ، أحد القراء العشرة، وهو تابعيٌّ مشهور كبير القدر، رُويَ أنه أُتِيَ به إلى أم سلمة وهو صغير فمسحت على رأسه ودعت له بالبركة، وصلى بابن عمر، وأقرأ الناس قبل وقعة الحرّة سنة ثلاث وستين في مسجد رسول الله ﷺ.

توفي ـ رحمه الله ـ سنة ثلاثين ومائة، فلما غُسِّلَ نظر من حضروه ما بين نحره إلى فؤاده مثل ورقة المصحف، فما شك من حضره أنه نور القرآن، رحمه الله(٩٢).

أشهر من روى عنه من القراء اثنان هما: ابن وردان، وابن جماز.

أ ـ ابن وردان:

وهو عيسى بن وردان الحذّاء، أبو الحارث المدني القارئ، إمامٌ مُقرئٌ حاذق، وراوٍ محقق ضابط، وهو من جملة أصحاب نافع(٩٣) وقدمائهم، وقد شاركه في الإسناد.

---

(٩٠) انظر: غاية النهاية (٣٤/٢)، ومعرفة القراء الكبار (٢١١/١).

(٩١) انظر ترجمته ص (٦٠).

(٩٢) انظر: التاريخ الكبير (٣٥٣/٨ ـ ٣٥٤)، وغاية النهاية (٣٨٢/٢ ـ ٣٨٤)، ومعرفة القراء الكبار (٧٢/١ ـ ٧٦)، وميزان الاعتدال (٥١١/٤)، وشذرات الذهب (١٧٦/١).

(٩٣) تقدمت ترجمته ص (٥٨).

توفي - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - في حدود الستين ومائة[٩٤].

ب - ابن جمَّاز:

هو سليمان بن مسلم بن جمَّاز، وقيل سليمان بن سالم بن جمَّاز، مع تشديد الميم، أبو الربيع الزهري مولاهم المدني، مقرئٌ جليلٌ ضابط، عرض على أبي جعفر المدني ونافع، وأقرأ بحرف أبي جعفر ونافع.

توفي - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - بعد السبعين ومائة[٩٥].

٩ - يعقوب الحضرميّ:

وهو يعقوب بن إسحاق بن زيد بن عبدالله بن أبي إسحاق النحوي، أبو محمد الحضرمي، مولاهم البصري، أحد القراء العشرة وإمام أهل البصرة ومقرئها، كان من أعلم الناس بالحروف والاختلاف في القرآن وعلله ومذاهبه، ومذاهب النحو، وأروى الناس لحروف القرآن، ولحديث الفقهاء، فاضلاً تقياً ورعاً، وكان إمام جامع البصرة.

توفي - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - في ذي الحجة سنة خمس ومائتين وله ثمان وثمانون سنة[٩٦].

وأشهر من روى عنه القراءة اثنان هما: رويس وروح.

أ - رويس:

وهو محمد بن المتوكل أبو عبدالله اللؤلؤي، البصري المعروف برويس، مقرئٌ حاذقٌ ضابطٌ مشهور، أخذ القراءة عَرَضاً عن يعقوب الحضرمي، وهو من أحذق أصحابه. توفي - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - بالبصرة سنة ثمان

---

(٩٤) انظر: معرفة القراء الكبار (١/١١١)، وغاية النهاية (١/٦١٦).

(٩٥) انظر: غاية النهاية (١/٣١٥).

(٩٦) انظر: التاريخ الكبير (٨/٣٩٩ - ٤٠٠)، غاية النهاية (٢/٣٨٦ - ٣٨٩)، ومعرفة القراء الكبار (١/١٥٧ - ١٥٨)، وشذرات الذهب (٢/١٤).

وثلاثين ومائتين[٩٧].

ب ـ روح:

وهو روح بن عبدالمؤمن، أبو الحسن البصري النحوي، مقرئٌ جليلٌ ثقةٌ ضابطٌ مشهور، قرأ على يعقوب الحضرمي، وهو من جلة أصحابه، روى عنه البخاري في صحيحه.

توفي ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ سنة أربع أو خمس وثلاثين ومائتين[٩٨].

١٠ ـ خلف البزار:

وقد سبقت ترجمته فيمن روى عن حمزة[٩٩]، وقد اختار لنفسه قراءة اشتهر بها[١٠٠]، وأشهر من روى عنه القراءة اثنان هما: إسحاق، وإدريس.

أ ـ إسحاق:

هو إسحاق بن عثمان بن عبدالله المروزي البغدادي، وكنيته أبو يعقوب ورَّاق خلف، وراوي اختياره عنه، وقام به بعده، وكان قيماً بالقراءة ثقة[١٠١].

ب ـ إدريس:

وهو إدريس بن عبدالكريم الحدّاد، البغدادي وكنيته أبو الحسن، روى عن خلف روايته واختياره، وهو إمام متقن ثقة، أقرأ الناس، ورُحِلَ إليه من البلاد لإتقانه وعلو إسناده، سُئِلَ عنه الدارقطني[١٠٢] فقال: «ثقة، وفوق الثقة بدرجة».

---

(٩٧) انظر: معرفة القراء الكبار (٢١٦/١)، وغاية النهاية (٢٣٤/٢ ـ ٢٣٥).

(٩٨) انظر: معرفة القراء الكبار (٢١٤/١)، وغاية النهاية (٢٨٥/١).

(٩٩) تقدمت ترجمته ص: (٦٥).

(١٠٠) تقدمت ترجمته فيمن روى عن حمزة ص (٦٥).

(١٠١) انظر: غاية النهاية (١٥٥/١).

(١٠٢) علي بن عمر بن أحمد بن مهدي، أبو الحسن البغدادي الدارقطني، الحافظ الكبير، صاحب المصنفات المفيدة منها: كتاب السنن، والعلل، كان إماما في النحو=

توفي - رَحِمَهُ اللَّهُ - يوم الأضحى سنة اثنين وتسعين ومائتين وله ثلاث وتسعون سنة(١٠٣).



= والقراءة، توفي ببغداد سنة٣٨٥هـ [انظر: طبقات الشافعية، لأبي بكر بن أحمد بن محمد تقي الدين ابن قضي شهبة الدمشقي - (١/١٦١- ١٦٢) اعتنى بتصحيحه وعلّق عليه: الدكتور: الحافظ عبدالعليم خان، ورتب فهارسه: الدكتور: أنيس الطباع - عالم الكتب - بيروت - ط أولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م].

(١٠٣) انظر: معرفة القراء الكبار (١/٢٥٤ - ٢٥٥)، وغاية النهاية (١/١٥٤).

الفصل الثاني

علاقة القراءات بعلوم القرآن

ويشمل ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: القرآن والقراءات القرآنية.

المبحث الثاني: علاقة القراءات بالأحرف السبعة.

المبحث الثالث: علاقة القراءات بالتفسير



المبحث الأول: علاقة القراءات بالقرآن

على قلة ما ذكر في علاقة القراءات بالقرآن من آراء، إلا أنها جاءت متباينة، فقد ذهب بعض العلماء إلى القول بأنهما حقيقتان متغايرتان، وخالف البعض الآخر، فذهبوا إلى أنهما حقيقتان متحدتان، وأما الطرف الثالث، فقد اتجه اتجاهاً وسطاً، عندما أنكر على القائلين بالتغاير والاتحاد على حد سواء، وذهب إلى القول بأن العلاقة بين القرآن والقراءات علاقة الجزء بالكل.

الرأي الأول: أن القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان:

وهو قول الزركشي - رحمه الله - في البرهان، حيث قال: «القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان، معتمداً في ذلك على اختلاف تعريفيهما، فالقرآن: هو الوحي المنزل على محمد ﷺ - للبيان والإعجاز، أما القراءات: فهي اختلاف ألفاظ الوحي في كتبة الحروف، أو كيفيتها، من تخفيف وتثقيل وغيرهما»[١٠٤].

وقد تبعه على هذا الرأي، كل من السيوطي في الإتقان[١٠٥] والبنَّا في كتابه إتحاف فضلاء البشر[١٠٦].

(١٠٤) البرهان في علوم القرآن (٣١٨/١) بتصرف.

(١٠٥) انظر: الإتقان في علوم القرآن (٢٧٣/١).

(١٠٦) انظر: إتحاف فضلاء البشر (٦٨/١).

الرأي الثاني: أنَّ القرآن والقراءات حقيقتان متطابقتان:

وهو قول الدكتور محمد سالم محيسن في كتابه المغني في توجيه القراءات العشر المتواترة، حيث ردَّ على الزركشي قوله بالتغاير بين القرآن والقراءات، معتمداً على ذلك بدليلين، هما:

١ ـ: التعريف اللغوي المتطابق للمصطلحين، فقال: «وأرى أن كلاً من القرآن والقراءات حقيقتان بمعنى واحد، يتضح ذلك بجلاء من تعريف كل منهما. . .فسبق أن قلنا: إن القرآن مصدر مرادف للقراءة، الخ كما قلنا: إن القراءات جمع قراءة، الخ»[١٠٧].

٢ ـ: الأحاديث الصحيحة الواردة في نزول القراءات، ودليله في ذلك حديث «أضاة بني غفار»[١٠٨] الذي ورد فيه: أن جبريل أتى النبي ـ ﷺ ـ فقال له: إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على حرف، فقال: أسأل الله معافاته، ومغفرته، وإن أمتي لا تطيق ذلك، إلى أن جاءه الرابعة فقال: إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على سبعة أحرف، فأيما حرف قرءوا عليه فقد أصابوا»[١٠٩]، . . . «وغير ذلك من الأحاديث الصحيحة، التي تدل كلها دلالة واضحة على أنه لا فرق بين كل من القرآن والقراءات، إذ كل منهما: الوحي المنزل على نبينا محمد ـ ﷺ ـ»[١١٠].

الرأي الثالث: أن العلاقة بينهما علاقة الجزء بالكل:

وهو رأي الدكتور شعبان إسماعيل، حيث ناقش القولين السابقين، فرد

---

(١٠٧) القراءات أحكامها ومصدرها، للدكتور شعبان إسماعيل ص (٢٤ ـ ٢٥) ـ ط الثانية ١٤١٤هـ. مطبوعات رابطة العالم الإسلامي.

(١٠٨) الاضاة: الماء المستنقع من سيل أو غيره، وغفار: قبيلة من كنانة وهو موضع قريب من مكة [انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي (٢٨٠/١)].

(١٠٩) صحيح مسلم ـ (١٠٣/٢) ـ رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء بالسعودية ـ تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ـ١٩٨٠ م.

(١١٠) المغني في توجيه القراءات العشر المتواترة. د. محمد سالم محيسن ـ (٤٧/١) ـ ط الثانية ـ ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م ـ دار الجيل ـ بيروت.

على الزركشي قوله بالتغاير بقوله: «إن كان الزركشي يقصد بالتغاير، التغاير التام، فلست معه، إذ ليس بين القرآن والقراءات تغاير تام، فالقراءات التي تلقتها الأمة بالقبول، ما هي إلا جزء من القرآن الكريم، فبينهما ارتباط وثيق، ارتباط الجزء بالكل.

وكذلك ردَّ على الدكتور محيسن الذي قال بالتطابق والاتحاد، معتمداً على ركيزتين:

الأولى: «إن القراءات على اختلاف أنواعها، لا تشمل كلمات القرآن الكريم كله، بل هي موجودة في بعض ألفاظه فقط، فكيف يقال: إنهما حقيقتان متحدتان.

الثانية : إن التعريف المتقدم للقراءات، يشمل القراءات المتواترة التي يقرأ بها الناس، والقراءات الشاذة التي لا يصح القراءة بها، لأنها لم تستجمع أركان القراءة، فالقراءة التي تفقد أهم الأركان الصحيحة، وهي: التواتر، وموافقة الرسم العثماني، وموافقة وجه من وجوه اللغة العربية»[(١١١)].

لا يصح أن نطلق عليها اسم القرآن، ولا تصح قراءته بها، مع أن من تعريف القرآن: أنه المنقول إلينا بالتواتر، فكيف يسوغ القول بأن القرآن والقراءات شيء واحد، مع عدم انطباق ذلك على القراءات غير الصحيحة. والواقع أنهما ليسا متغايرين تغايراً تاماً، كما أنهما ليسا متحدين اتحاداً حقيقياً، بل بينهما ارتباط وثيق، ارتباط الجزء بالكل والله أعلم»[(١١٢)].

تأصيل وترجيح:

بالنظر المتفحص لأقوال العلماء في العلاقة بين القراءات والقرآن، وحتى يتضح الأمر، فإنني أُأَصِّل لبعض الأمور، التي أستند إليها في بيان وجهة نظري ـ على قلة بضاعتي ـ في هذه المسألة، والحديث مقصور على

(١١١) القراءات أحكامها ومصدرها ص (٢٤ ـ ٢٥).

(١١٢) القراءات أحكامها ومصدرها، ص (٢٤ ـ ٢٥) بتصرف.

القراءات العشر المتواترة.

أولاً: إن القراءات العشر المتواترة، هي وحي من الله تعالى، قد ثبت تواترها بالدليل، فقد نص على تواترها ـ كما ذكر ابن الجزري ـ الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام(١١٣) ـ رحمه الله ـ وقد تتبع ابن الجزري طرق حديث نزول القراءات فرواه بسنده عن تسعة عشر صحابياً(١١٤).

ثانياً: إن الرسول ـ ﷺ ـ قرأ القرآن على صحابته بهذه القراءات، دون فصل أو تفريق بينها وبين القرآن. وهذا ما يفهم من روايات اختلاف الصحابة في القراءة «إذن هي قرآن. وكل واحدة منها يطلق عليها أنها قرآن»(١١٥).

ثالثاً: إن القراءات الصحيحة المتواترة، هي الكيفية الصحيحة، التي يقرأ بها كتاب الله تعالى، وهي لا تؤخذ إلا بالتلقي من أفواه المتقنين بأسانيدهم المتصلة إلى رسول الله ـ ﷺ ـ كما نص على ذلك الإمام ابن الجزري ـ رحمه الله ـ في تعريفه للقراءات، فهي تختص بالدرجة الأساسية بكيفية قراءة وأداء ألفاظ القرآن الكريم، وخصوصاً الألفاظ التي فيها خلاف بين اللهجات العربية في كيفية أدائها.

رابعاً: إنه لولا القراءات برواياتها المختلفة، لما استطعنا أداء ألفاظ القرآن وتلاوتها تلاوة صحيحة موافقة لقراءة الرسول ـ ﷺ ـ بالكيفية الموحى بها إليه، إذ إن تعليم القرآن في العالم الإسلامي اليوم، لا يتم إلا من خلال روايات القراءات المتواترة، مثل رواية حفص عن عاصم، ورواية ورش عن نافع وغيرهما، كما أنّه لولا القراءات لما اتضحت كثير من الأحكام الفقهية،

---

(١١٣) القاسم بن سلام، أبو عبيد الخرساني، الأنصاري، مولاهم البغدادي، الإمام الكبير، الحافظ العلامة، أحد الأعلام المجتهدين، وصاحب التصانيف في القراءات والحديث والفقه واللغة والشعر، توفي سنة ٢٢٤هـ [انظر: غاية النهاية (١/١٧)].

(١١٤) النشر في القراءات العشر تأليف: الحافظ أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي المعروف بابن الجزري، ت ٨٣٣ ص (٢١) تصحيح ومراجعة: محمد علي الضباع ـ دار الكتاب العربي.

(١١٥) مناهل العرفان (١/٣٢٩).

والمعاني التفسيرية، كما أنها مظهر من مظاهر الإعجاز القرآني العظيم.

خامساً: إنه لا خيار لكل مسلم إلا أن يختار رواية يقرأ بها، ومن شذ عن ذلك أو ابتدع فإنه يكون لاحن في كتاب الله تعالى، يلحقه الإثم.

سادساً: إن القراءات العشر المتواترة برواياتها المختلفة، لا تختلف في كل ألفاظ القرآن، بل إن خلافات القراء مفروشة في القرآن كله، وما اتفق عليه القراء جميعاً، أكثر مما اختلفوا فيه.

وبناءً على التأصيل السابق، فإن الباحث يرى:

إن طبيعة العلاقة بين القراءات والقرآن هي:

أ ـ علاقة التوافق، من حيث كونها وحيا من الله تعالى، نزلت مع نزول القرآن دون تفريق بينهما.

ب ـ وهي علاقة الجزء بالكل، لأنها لا تتناول كل ألفاظ القرآن الكريم، وإنما تتناول بعض ألفاظه فقط.

ج ـ وهي علاقة الكيفية بالماهية، إذ لا يمكن قبول قراءة القرآن صحيحة إلا بإحدى قراءاته المتواترة بالكيفية الصحيحة، وهي الكيفية التي قرأ بها جبريل القرآن على رسول الله ـ ﷺ ـ والله تعالى أعلم.



المبحث الثاني: علاقة القراءات بالأحرف السبعة

قبل الخوض في الحديث عن علاقة القراءات بالأحرف السبعة، لا بد لي أن أقف وقفات صغيرة، حول الأحرف السبعة، فأسرد بعضاً من الأحاديث الواردة فيها، ومن ثمَّ نتعرف على خلاصة أقوال العلماء بشأن معناها، ثم أختم هذا المبحث بالحديث عن علاقتها بالقراءات.



المطلب الأول: أحاديث الأحرف السبعة

وسنقتصر إن شاء الله تعالى، على ذكر ثلاثة أحاديث منها فقط كنماذج من هذه الأحاديث.

١ ـ ما رواه الإمامان: البخاري ومسلم في صحيحيهما، ـ واللفظ للبخاري ـ عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: «سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله ﷺ فاستمعت لقراءته، فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله ﷺ فكدت أساوره[١١٦] في الصلاة، فتصبَّرت حتى سلَّم، فلبَّبته بردائه. فقلت من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ؟ قال أقرئنيها رسول الله ﷺ فقلت: «كذبت، فإن رسول الله ﷺ قد أقرأنيها على غير ما قرأت، فانطلقت أقوده إلى

(١١٦) أساوره: أواثبه وأقاتله. [انظر: لسان العرب (٣٨٥/٤) مادة «سور»].

رسول الله ﷺ فقلت: «إني سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها. فقال ﷺ: «أرسله. اقرأ يا هشام»، فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ. فقال رسول الله ﷺ: «كذلك أنزلت»، ثم قال: «اقرأ يا عمر». فقرأت القراءة التي أقرأني. فقال رسول الله ﷺ: «كذلك أنزلت». «إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرءوا ما تيسَّر منه»[١١٧].

٢ ـ روى مسلم بسنده عن أبي بن كعب رضي الله عنه: «أن النبي ﷺ كان عند أضاة بني غفار[١١٨] فأتاه جبريل عليه السلام. فقال: «إن الله يأمرك أن تقرأ القرآن على حرف. فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتي لا تطيق ذلك. ثم أتاه الثانية فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرفين، فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتي لا تطيق ذلك، ثم جاءه الثالثة فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ القرآن على ثلاثة أحرف. فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتي لا تطيق ذلك، ثم جاءه الرابعة فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على سبعة أحرف، فأيما حرف قرءوا عليه فقد أصابوا»[١١٩].

٣ ـ روى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن ابن عباس رضي الله عنهما ـ واللفظ لمسلم ـ أن رسول الله ﷺ قال: «أقرأني جبريل عليه السلام على حرف، فراجعته فلم أزل استزيده فيزيدني، حتى انتهى إلى سبعة أحرف»[١٢٠].

---

(١١٧) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، للإمام الحافظ أحمد بن حجر العسقلاني، ت٨٥٢ ـ كتاب فضائل القرآن، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف (٢٨/١ح رقم ٤٩٩٢). تحقيق: عبدالعزيز بن باز، ترقيم: محمد فؤاد عبدالباقي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط الثانية ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م. صحيح مسلم ـ كتاب صلاة المسافرين ـ باب: بيان أن القرآن أنزل على سبعة أحرف (٥٦٠/١ ح رقم ٢٧٠).

(١١٨) سبق معناها، انظر ص (٧٤).

(١١٩) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين ـ باب: بيان أن القرآن أنزل على سبعة أحرف (٥٦٢/١ ـ ٥٦٣ ح رقم ٢٧٤).

(١٢٠) فتح الباري (٢٧/٩ ح رقم ٤٩٩١). وصحيح مسلم ـ كتاب صلاة المسافرين ـ باب بيان أن القرآن أنزل على سبعة أحرف (٥٦١/١ ح رقم ٢٧٢).

٤ـ روى الترمذي عن أبي بن كعب رضى الله عنه قال: «لقي رسول الله ﷺ جبريل، فقال: يا أخي يا جبريل: إني بعثت إلى أمة أميين منهم الشيخ الكبير، والغلام، والجارية، والرجل الذي لم يقرأ كتابا قط، قال: يا محمد إن القرآن أنزل على سبعة أحرف». قال الترمذي: حديث حسن صحيح[١٢١].



المطلب الثاني:
ذكر ملخص لأقوال العلماء في المراد بالأحرف السبعة

اجتهد العلماء قديماً وحديثاً في بيان المراد بالأحرف السبعة التي وردت في أحاديث رسول الله ﷺ السابقة، فتباينت أقوالهم، وتشعبت، وقضوا طويلاً أمام هذه الأحاديث، يلتمسون لها تفسيراً، حتى قال الإمام بن الجزري ـ رحمه الله ـ : «ولا زلت أستشكل هذا الحديث، وأفكر فيه، وأمعن النظر، من نيِّف وثلاثين سنة، حتى فتح الله عليَّ بما يمكن أن يكون صواباً...»[١٢٢]

وقال الشيخ عبدالعظيم الزرقاني عند الحديث عن نزول القرآن على سبعة أحرف: «هذا مبحث طريف وشائق، غير أنه مخيف وشائك»[١٢٣].

ومرجع ذلك التباين والاختلاف: أنه لم يرد في معنى الأحرف السبعة، نص يوضِّح معناها.

وقد ذكر الإمام السيوطي أنه اختلف في معنى هذا الحديث على نحو

(١٢١) سنن الترمذي، كتاب القراءات عن رسول الله، باب: ما جاء أنزل القرآن على سبعة أحرف (٤/٤٣٤/ح رقم ٢٩٥٣) ـ تحقيق: صدقي محمد العطار ومحمد عرفان حسونة ـ دار الفكر طبعة سنة ١٩٩٤م.

(١٢٢) النشر ص (١/٢٦) مرجع سابق.

(١٢٣) مناهل العرفان (١/١٠٣) مرجع سابق.

أربعين قولاً، وذكر منها خمسة وثلاثين، ثم قال: «قال ابن حيان: فهذه خمسة وثلاثون قولاً لأهل العلم واللغة في معنى إنزال القرآن على سبعة أحرف، وهي أقاويل يشبه بعضها بعضاً، وكلها محتملة، وتحتمل غيرها»(١٢٤).

وسنكتفي هنا إن شاء الله تعالى بإيراد أهم الآراء وأكثرها وجاهة وترجع إلى رأيين:

الرأي الأول: أن المراد بالأحرف السبعة سبع لغات.

وقد ذهب للقول بذلك جمع من العلماء، منهم: أبو عبيد القاسم بن سلام، وثعلب(١٢٥) والإمام الطبري، واختاره ابن عطية في مقدمة تفسيره وقال: «إنه المذهب الصحيح»(١٢٦).

قال ابن الجزري في ذلك: «وأكثر العلماء على أنها لغات»(١٢٧).

وقد اختلفوا في تحديد المراد باللغات:

القول الأول: أنها سبع لغات من لغات العرب أنزل بها القرآن، وهي: لغة قريش ولغة هزيل، ولغة ثقيف، ولغة هوازن، ولغة كنانة، ولغة تميم، ولغة اليمن، وأن هذه اللغات متفرقة في القرآن.

القول الثاني: أنها سبع لغات من لغات العرب المشهورة في كلمة واحدة تختلف فيها الألفاظ مع اتفاق المعاني، وعدم تناقضها، وذلك نحو:

---

(١٢٤) الإتقان في علوم القرآن (١٤١/١) مرجع سابق.

(١٢٥) أحمد بن يحيى بن يزيد بن يسار الشيباني، أبو العباس ثعلب، لغوي نحوي، ثقة كبير، له كتاب في القراءات وكتاب الفصيح، توفي سنة ٢٩١هـ [انظر: غاية النهاية (١٤٨/١)، وتذكرة الحفاظ (٦٦٦/٢)].

(١٢٦) انظر: مقدمة تفسير المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية ـ تحقيق: عبدالسلام عبدالشافي محمد (١٦/١) ـ ط أولى ١٤١٣هـ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.

(١٢٧) النشر (٢٤/١) مرجع سابق.

هلّم، وتعال، وأقبل، وإليّ، ونحوي، وقصدي، وقربي. وينسب هذا القول لعدد من العلماء منهم ابن جرير الطبري[١٢٨].

.الرأي الثاني: أن المراد بالأحرف السبعة: أوجه التغاير التي يقع بها الكلام.

وقد ذهب للقول بذلك جمع من العلماء منهم: أبو الفضل الرازي[١٢٩] وابن الجزري، وغيرهم[١٣٠].

وقد اختلفت أقوال العلماء في تحديد أوجه التغاير السبعة التي يقع بها الكلام، وقد اعتمدوا على الاستقراء فيما توصلوا إليه.

ولما كان المقام لا يحتمل التوسع في ذكر أقوال العلماء لكثرتها وتشعبِّها، فإنني سأكتفي بذكر ما قاله ابن الجزري مما نقله عن الإمام الكبير أبو الفضل الرازي، في بيانه لأوجه التغاير السبعة التي يقع بها الكلام وهي:

«**الأول**: اختلاف الأسماء من الإفراد والتثنية والجمع والتذكير والتأنيث والمبالغة وغيرها.

الثاني: اختلاف تصريف الأفعال وما يسند إليه، من نحو الماضي والمضارع والأمر، والإسناد إلى المذكر والمؤنث المتكلم والمخاطب الفاعل والمفعول به.

الثالث: وجوه الإعراب.

الرابع: الزيادة والنقص.

---

(١٢٨) انظر: مقدمة تفسير جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري (٢٥/١).

(١٢٩) عبدالرحمن بن أحمد بن الحسن بن بغدار بن إبراهيم بن جبريل، أبو الفضل الرازي العجلي، الإمام المقرئ، الثقة الورع، مؤلف كتاب جامع الوقوف وغيره، توفي - رحمه الله - سنة ٤٥٤هـ [انظر: غاية النهاية (٣٦١/١) وشذرات الذهب (٢٩٣/٣)].

(١٣٠) للمزيد انظر: منهج الإمام الطبري في القراءات في تفسيره ص (٨٢) مرجع سابق.

الخامس: التقديم والتأخير.

السادس: القلب والإبدال في كلمة بأخرى، وفي حرف بآخر.

السابع: اختلاف اللغات من فتح وإمالة وترقيق وتفخيم وتسهيل وإدغام وإظهار ونحو ذلك»[١٣١].

الرأي الثالث: وقد حاول هذا الرأي الخروج بتعريف جامع لأشهر الآراء في معنى الأحرف السبعة، وهو تعريف أستاذنا الدكتور عبدالرحمن الجمل ـ حفظه الله ـ وهو أن الأحرف السبعة:

«سبع لغات بكل ما فيها من نواحي الاختلاف الكثيرة ـ التي منها اختلاف الألفاظ مع اتفاق المعاني نحو: هلمَّ، وتعال، وأقبل، . . .والتي تقتضي التيسير والتخفيف على الأمة بنزول القرآن عليها، وذلك نحو: اختلاف القبائل في الفتح والإمالة وبين بين، وتحقيق الهمز وتسهيله، والإظهار والإدغام، وغير ذلك من الوجوه الكثيرة التي تختلف فيها اللغات، والتي يصعب على من اعتاد لسانه على شيء منها أن يتحول عنها، فكان التيسير من الله تعالى فأنزل القرآن على سبعة أحرف»[١٣٢].

وهذا الرأي جاء منسجماً مع أحاديث الباب، التي تشير إلى طلب الرسول ﷺ من جبريل التخفيف والتيسير على الأمة، كما أنه جمع لأرجح الأقوال في المسألة.

التعريف الذي يختاره الباحث:

بناءاً على ما سبق فإنّ التعريف الذي يختاره الباحث هو: «أن الأحرف السبعة، سبع لغات بكل ما فيها من نواحي الاختلاف الكثيرة ـ التي يصعب حصرها أو الجزم بأي منها لعدم وجود دليل ـ والتي منها: اختلاف الألفاظ مع اتفاق المعاني نحو: هلمَّ، وتعال، وأقبل، ومنها: اختلاف الألفاظ

(١٣١) النشر (٢٧/١) مرجع سابق.

(١٣٢) منهج الأمام الطبري في القراءات (٩٤) مرجع سابق.

والمعاني نحو فأزلهما وفأزالهما ويسيّركم وينشُرُكم، ومنها: اختلاف القبائل في الفتح والإمالة وبين بين، وتحقيق الهمز وتسهيله، وغير ذلك من الوجوه الكثيرة التي تختلف فيها اللغات والتي تقتضي التيسير والتخفيف على الأمة بنزول القرآن عليها. والله تعالى أعلم.



المبحث الثالث: علاقة القراءات بالتفسير

إن للقراءات تعلقاً شديداً بالتفسير، باعتبارها جزء من القرآن. كما وضحت ذلك في مبحث علاقة القراءات بالقرآن[١٣٣]، ولذلك فإن الباحث يجد الكثير من المفسرين القدماء والمحدثين قد تناولوا القراءات بالتفسير والبيان، والاستشهاد بها لتأكيد معنى ما، أو حكم شرعي، أو فقهي.

بل وذهب بعض العلماء إلى أبعد من ذلك، حيث رجَّح بين القراءات، وضعف البعض منها، انتصاراً لمذهب فقهي أو لغوي، ومن هؤلاء شيخ المفسرين الإمام الجليل محمد بن جرير الطبري.

وقد أكد العديد من المفسرين والعلماء الذين لهم صلة وثيقة بعلوم القرآن، على أهمية علم القراءات بالنسبة للتفسير، وتذكر من هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر:

* **المفسر الجليل: محمد بن جرير الطبري** - رَحِمَهُ اللَّهُ - الذي أفرد مساحة واسعة في بداية تفسيره للحديث عن القراءات، كما وتناولها في تفسيره بالشرح والإيضاح، والتحليل والترجيح.

* **المفسر الجليل: أبو حيان** صاحب تفسير البحر المحيط، الذي تحدث عن علم القراءات في مقدمة تفسيره، باعتبار أن اختلاف الألفاظ بالزيادة أو النقص أو تغيير الحركات وهي من العلوم التي يحتاج المفسر إلى

(١٣٣) انظر: ص (٧٣).

معرفتها لا يؤخذ إلا من علم القراءات، حيث يقول: «اختلاف الألفاظ بزيادة أو نقص أو تغيير حركة أو إتيان بلفظ بدل لفظ وذلك بتواتر وآحاد، ويؤخذ هذا الوجه من علم القراءات»(١٣٤).

* **المفسِّر الجليل: شهاب الدين الألوسي**، حيث تحدث عن أهمية علم القراءات بالنسبة للتفسير، وذلك من خلال أمرين:

«الأول: أنه يعرف به كيفية النطق بالقرآن.

الثاني: ترجيح بعض الوجوه المحتملة على بعض»(١٣٥).

* **المفسر الجليل: ابن عاشور** الذي ذهب إلى جعل القراءات من حيث تعلقُّها بالتفسير قسمين:

«**الأول**: لها تعلق بالتفسير وهي اختلاف القراءات في حروف الكلمات والحركات، الذي يختلف فيه معنى الفعل.

الثاني: لا تعلُّق لها بالتفسير، وهي اختلاف القراءات في وجوه النطق بالحروف والحركات، كمقادير المد والإمالات والتخفيف والتسهيل... إلخ»(١٣٦).

* **الدكتور محمد حسين الذهبي في** كتابه التفسير والمفسرون، اعتبر أن القراءات القرآنية وجه من وجوه تفسير القرآن بالقرآن، حيث قال: «ومن تفسير القرآن بالقرآن: حمل بعض القراءات على غيرها... ثم قال... ومما يؤيد أن القراءات مرجع مهم من مراجع تفسير القرآن بالقرآن، ما روي عن مجاهد أنه قال: «لو كنت قرأت قراءة ابن مسعود قبل أن أسأل ابن عباس، ما أصبحت أسأله عن كثير مما سألته عنه»(١٣٧).

---

(١٣٤) تفسير البحر المحيط (١٠٨/١).

(١٣٥) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ـ شهاب الدين محمود الألوسي أبو الفضل (٦/١) ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

(١٣٦) انظر: التحرير والتنوير المجلد الأول ج ١ ص ٥٦.

(١٣٧) التفسير والمفسرون (٤٢/١ ـ ٤٣).

*الإمام الجليل: **ابن الجزري** الذي تحدث عن أوجه الاستفادة من القراءات في علم التفسير فقال:

«فنقول وبالله التوفيق ـ: إن أوجه الاستفادة من القراءات في التفسير كثيرة، ذكر بعضاً منها ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ ونذكر منها:

١ ـ فمنها ما يكون لبيان حكم مجمع عليه كقراءة سعد بن أبي وقاص وغيره «وله أخ أو أخت من أم»[١٣٨] [النساء: ١٢]، فإن هذه القراءة تبين أن المراد بالإخوة هنا هو الإخوة للأم، وهذا أمر مجمع عليه.

٢ ـ ومنها ما يكون مرجحاً لحكم اختلف فيه كقراءة ﴿أو تحرير رقبة مؤمنة﴾ [المائدة: ٨٩][١٣٩]، في كفارة اليمين فكان فيها ترجيح لاشتراط الإيمان فيها كما ذهب إليه الشافعي وغيره.

٣ ـ ومنها ما يكون للجمع بين حكمين مختلفين كقراءة ﴿يَطْهُرن﴾[١٤٠] [البقرة: ٢٢٢] بالتخفيف والتشديد، فينبغي الجمع بينهما، وهو أن الحائض لا يقربها زوجها حتى تطهر بانقطاع حيضها وتطهر بالاغتسال.

٤ ـ ومنها ما يكون لأجل اختلاف حكمين شرعيين، كقراءة ﴿وأرجلِكم﴾ [المائدة: ٦]، بالخفض والنصب[١٤١] فإن الخفض يقتضي فرض المسح، والنصب يقتضي فرض الغسل، فبيّنها النبي ﷺ فجعل المسح للابس الخف، والغسل لغيره.

٥ ـ ومنها ما يكون لإيضاح حكم يقتضي الظاهر خلافه، كقراءة:

(١٣٨) قراءة شاذة (ليست من القراءات العشر وسأقتصر فيما هو آت على ذكر قراءة شاذة فقط).

(١٣٩) قراءة شاذة.

(١٤٠) قرأ أبو بكر وحمزة والكسائي وخلف (يطَّهَّرن) والباقون بالتخفيف (يَطْهُرن) (النشر٢/٢٢٧).

(١٤١) قرأ نافع، وابن عامر، والكسائي، ويعقوب وحفص بنصب اللام، وقرأ الباقون بالخفض (النشر ٢/٢٥٤).

﴿فامضوا إلى ذكر الله﴾ [الجمعة: ٩]، فإن قراءة «فاسْعَوا»[١٤٢] يقتضي ظاهرها المشي السريع، وليس كذلك، فكانت القراءة الأخرى موضحة لذلك رافعة لما يتوهم منه.

٦ ـ ومنها ما يكون مفسِّراً لما لعله لا يُعرف مثل قراءة «كالصوف المنفوش»[١٤٣] [القارعة: ٥].

٧ ـ ومنها ما يكون حجة لأهل الحق ودفعاً لأهل الزيغ كقراءة «ومَلِكاً كبيراً»[١٤٤] [الإنسان: ٢٠] بكسر اللام، وروت عن ابن كثير وغيره، وهي من أعظم دليل على رؤية الله تعالى في الآخرة.

٨ ـ ومنها ما يكون حجة بترجيح لقول بعض العلماء كقراءة «أو لمستم النساء»[١٤٥] [النساء: ٤٣]، إذ اللمس يطلق على الجس، والمس كقوله تعالى: «فلمسوه بأيديهم» [الأنعام: ٧]، أي مسوه، ومنه قوله ﷺ: «**لعلك قبلَّت أو لمست**»[١٤٦].

٩ ـ ومنها ما يكون حجة لقول بعض أهل العربية كقراءة «والأرحامِ»[١٤٧] [المائدة: ٦] بالخفض، «وليُجزى قوماً»[١٤٨] [الجاثية: ١٤]، على ما لَم يسمِّ فاعله مع النصب[١٤٩].

(١٤٢) قراءة شاذة.

(١٤٣) قراءة شاذة.

(١٤٤) قراءة شاذة.

(١٤٥) قرأ حمزة والكسائي وخلف بغير ألف (لمستم) وقرأ الباقون بالألف (لامستم) (النشر ٢/٢٥٠).

(١٤٦) صحيح ابن خزيمة لمحمد بن اسحق بن خزيمة أبو بكر النيسابوري (١/٢٠) ـ تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي ـالمكتب الإسلامي ـ بيروت.

(١٤٧) قرأ حمزة بخفض الميم وقرأ الباقون بنصبها (النشر ٢/٢٤٧).

(١٤٨) قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وخلف بالنون، وقرأ الباقون بالياء، وقرأ أبو جعفر بضم الياء وفتح الزاى (النشر٢/٣٧٢).

(١٤٩) انظر: النشر (١ /٢٨ و٢٩) باختصار.

الفصل الثالث

أثر القراءات في المعاني والأحكام

ويشتمل على مبحثين وخمس مطالب:

المبحث الأول: أثر القراءات في علوم اللغة.

المطلب الأول: أثر القراءات في قواعد النحو.

المطلب الثاني: أثر القراءات في البلاغة والبيان.

المطلب الثالث: الأثر الصرفي للقراءات.

المبحث الثاني: أثر القراءات في العقيدة والفقه.

المطلب الأول: أثر القراءات في العقيدة.

المطلب الثاني: أثر القراءات في الفقه.



المبحث الأول:
أثر القراءات في علوم اللغة.

المطلب الأول: أثر القراءات في قواعد النحو:

العلاقة بين القرآن الكريم وعلوم اللغة العربية علاقة واضحة لا تخفى على متأمل، «فالقرآن هو الأصل الأول من أصول النحو، والدليل المتواتر الذي يفيد العلم اليقيني من أدلته، والعربية وعاءه، وهو كتابها الأكبر وحارسها الخالد»[(١٥٠)]، «وعلم النحو والتصريف، واللغة مواد لهذا العلم»[(١٥١)]. ولم تك تلك العلاقة خفية أمام علمائنا الأفاضل مما دفعهم إلى تأكيد هذه الحقيقة، فهذا ابن مجاهد يقول: «لا يقوم بالتمام إلا نحوي عالم بالقراءات، عالم بالتفسير، عالم بالقصص وتلخيص بعضها، عالم باللغة التي نزل بها القرآن الكريم»[(١٥٢)]. ورغم اختلاف لهجات العرب وتعددها، «إلا أن لغة القرآن ائتلفت على وجه يستطيع العرب أن يقرءوه

(١٥٠) النحو وكتب التفسير للدكتور: إبراهيم عبدالله رفيدة (٩/١) ـ الطبعة الثالثة ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٩٠م ـ الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع.

(١٥١) الإكسير في علم التفسير، للفقيه الكوفي: سليمان بن عبدالقوي الصرصري البغدادي، ت٧١٦هـ (٤٧/١)ـ تحقيق الدكتور: عبدالقادر حسين ـ الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م ـ دار الأوزاعي للطباعة والنشر ـ بيروت ـ لبنان.

(١٥٢) ما انفرد به كل من القراء السبعة وتوجيهه في النحو العربي، ـ الطبعة الأولى ١٩٩٦م ـ منشورات جامعة قار يونس ـ مطبعة دار الكتب الوطنية ـ بنغازي.

بلحونهم وإن اختلفت وتناقضت، ثم بقي مع ذلك على فصاحته وخلوصه»[١٥٣].

ولقد كان للقراءات أثر واضح على النحو، كما شغلت أذهان النحاة الأول، ولا سيما أن بعضاً ممن نشأ النحو على أيديهم كانوا قرّاء كأبي عمرو بن العلاء البصري[١٥٤]، وكان إعراب القراءات القرآنية المتواترة والشاذة، «امتداد للاحتجاج بها والدفاع عنها. فمنذ كانت القراءات والقرّاء وجدت محاولات لتخريجها والدفاع عنها والاحتجاج لها، واشتغل النحاة والقرّاء بالاحتجاج لها، فوجَّهوها وكشفوا عن عللها وحججها على اختلاف بين الفريقين في النزعة ومنهج التناول»[١٥٥].

وقد ثارت نزاعات كثيرة بين مدارس النحو المختلفة حول القراءات، وخاصة تلك التي تخالف أقيسة النحو وقواعده المعروفة، «فانقسم بذلك النحو القرآني إلى قسمين رئيسين:

- قسم ارتضاه النحويون ووافقوا عليه كما وافقوا على نظائره من كلام العرب
- قسم لم يرتضوه، ولهذا تأوَّلوه أو عارضوه معارضة صريحة أو خفية»[١٥٦].

وظهر ذلك النزاع واضحاً بين مدرستي البصرة والكوفة «وكانت دائرة الخلاف تتسع وتضيق تبعاً لبعد القراءات عن الأصول والمقاييس التي يتخذها

(١٥٣) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، د. مصطفى صادق الرافعي - (٦٤) - - الطبعة الثالثة ١٢٢١هـ - ٢٠٠١م - دار الكتاب العربي - بيروت.

(١٥٤) مرت ترجمته ص (٥٤).

(١٥٥) موقف اللغويين من القراءات القرآنية الشاذة، إعداد: محمد السيد عزوز - مراجعة سعيد اللحام - ص (٤١) - الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م - عالم الكتب - بيروت - لبنان.

(١٥٦) نظرية النحو القرآني نشأتها وتطورها ومقوماتها الأساسية للدكتور: أحمد مكي الأنصاري (١/ ٤٩) - الطبعة الأولى.

كل فريق أو قربه منها. . .فالبصريون كانوا لا يحتجون بالقراءات إلا في التعليل النادر الذي يتفق مع أصولهم ويتناسق مع مقاييسهم. . .أما الكوفيون فلم يتحفظوا في مجال القراءات كما تحفظ البصريون، وذلك لأنهم رأوا أن القراءات سندها الرواية، وهي من أجل هذا أقوى في مجال الاستشهاد من الشعر وغيره»[(١٥٧)].

«قال ابن الحاجب في شرح المفصل: «والأولى الرد على النحويين. . .فليس قولهم بحجة عند الإجماع، ومن القراء جماعة من النحويين، فلا يكون إجماع النحويين حجة مع مخالفة القراء لهم، ولو قدّر أن القراء ليس فيهم نحوي فإنهم ناقلون لهذه اللغة، وهم مشاركون للنحويين في نقل اللغة، فلا يكون إجماع النحويين حجة دونهم، وإذا ثبت ذلك كان المصير إلى قول القرّاء أولى، لأنهم ناقلون عمن ثبتت عصمته عن الغلط في مثله، ولأن القراءة ثبتت متواترة وما نقله النحويون آحاد، ثم لو سلّم أنه ليس بمتواتر فالقرّاء أعدل وأثبت فكان الرجوع إليهم أولى»[(١٥٨)].

ولقد وقع بعض العلماء والمفسرين في خطأ عظيم عندما حاولوا أن يرجِّحوا بين القراءات رغم ثبوت تواترها، أو أن يصفوا بعضها بالضعف، أو بعدم الفصاحة، ومن ثم لا يستجيزون القراءة بغير ما ترجّح لديهم منها[(١٥٩)]. ولا يخفى ما في ذلك من خطر عظيم، يقول ابن الجزري - رحمه الله - «وأئمة القرّاء لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الأفشى في اللغة، والأقيس في العربية، بل على الأثبت في الأثر، والأصح في النقل والرواية»[(١٦٠)].

---

(١٥٧) القراءات القرآنية وأثرها في الدراسات النحوية للدكتور: عبدالعال سالم مكرم - (١٠٨ - ١١٠) - ط الثانية - ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م - مؤسسة الرسالة - بيروت.

(١٥٨) دراسات لأسلوب القرآن الكريم، تأليف: محمد عبدالخالق عضيمة (٢٧/١) - دار الحديث - مصر.

(١٥٩) كما نقل عن الإمام الطبري - رحمه الله - قوله: والقراءة التي لا أستجيز القراءة بغيرها. . .انظرتفسيرجامع البيان للطبري ص٢٧٧- في تفسير قوله تعالى: واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام. سورة النساء آية (١).

(١٦٠) النشر في القراءات العشر لابن الجزري (١٠/١ - ١١).

وعلى ذلك فإن القراءات تعتبر «أصل المصادر جميعاً في معرفة اللهجات العربية، لأن منهج علم القراءات في طريقة نقلها يختلف عن كل الطرق التي نقلت بها المصادر الأخرى كالشعر والنثر بل يختلف عن طرق نقل الحديث»(١٦١).

أثر القراءات في قواعد النحو:

ومن أثر القراءات على قواعد النحو ما يلي:

(١) استخدام القراءات في تصحيح الآراء النحوية وتقويتها.

مثال ذلك: ما جاء في قراءة ابن مسعود ﷺ ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾ [البقرة: ١٢٧]، ففي هذا دليل على صحة ما يذهب إليه بعض العلماء، من أنَّ القول مراد مقدَّر. وأنه ليس كما يذهب الكوفيون في أن الكلام محمول على معناه، ودون أن يكون القول مقدراً معه.

(٢) استخدام القراءات في استنباط قواعد نحوية، ومن ذلك:

أولاً: زيادة قاعدة جديدة في مواضع النصب بعد الفاء والواو:

قال السيوطي في الهمع: وزاد ابن مالك في مواضع النصب بعد الفاء والواو، النصب بعدهما بعد حصر، كقراءة ابن عامر ﴿إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٤٧] بالنصب.

ثانياً: تقديم خبر كان عليها.

بقراءة أبيّ وابن مسعود ﴿وباطلاً ما كانوا يعملون﴾ [الأعراف: ١٣٩]، قال أبو الفتح: «باطلاً» منصوب بيعملون، وما زائدة للتوكيد، فكأنه قال: «وباطلاً كانوا يعملون»، ثم قال: وفي هذه القراءة دلالة على جواز تقديم خبر كان عليها، كقولك: قائماً كان زيد، وواقفاً كان جعفر، ووجه الدلالة

(١٦١) اللهجات العربية في القراءات القرآنية للدكتور: عبده الراجحي ص (٨٣ ـ ٨٤) ـ دار المعرفة الجامعية ـ السويسي.

بين ذلك إنه إنما يجوز وقوع المعمول بحيث يجوز وقوع العامل، و«باطلاً» منصوب بيعملون، والموضع إذاً ليعملون، لوقوع معموله متقدماً عليه، فكأنه قال: «ويعملون باطلاً كانوا»(١٦٢).

ثالثاً: «حذف الفاء والمبتدأ معاً من جواب الشرط.

فمن وروده قراءة طاووس ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَـٰمَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ﴾ [البقرة: ٢٢٠]، أي أصلح لهم فهو خير، وهذا وإن لم يصرح فيه بأداة الشرط فإن الأمر مضمن معناها، فكان ذلك بمنزلة التصريح بها في استحقاق جواب، واستحقاق اقترانه بالفاء لكونه جملة اسمية»(١٦٣).

المطلب الثاني: أثر القراءات في البلاغة والبيان.

للقراءات أثر بلاغي عظيم، ذلك أن بلاغة القراءات تنبع من بلاغة الوحي وفصاحته، التي لا تبارى، ولا يمكن أن تصل إليها بلاغة البلغاء من الإنس والجن، ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨] رغم كون هذا القرآن بحروفه وكلماته نزل ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشعراء: ١٩٥].

وهو الذي ما إن سمعته الجن حتى دهشوا من فصاحته وبلاغته، فقالوا: ﴿فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾ [الجن: ١].

والقراءات القرآنية المتعددة تضيف معانٍ بلاغية جمة، سواء كانت هذه القراءات المختلفة للكلمة الواحدة بمعنى واحد، أو أنها تؤدي معان متعددة، فكل قراءة تسد مسد آية.

ومن الأمثلة الواضحة على الأثر البلاغي للقراءات ما يلي:

أولاً: ما ورد من قراءات متعددة لكلمة «سواء» في قوله تعالى:

(١٦٢) القراءات القرآنية وأثرها في الدراسات النحوية (١٥٥).

(١٦٣) القراءات القرآنية وأثرها في الدراسات النحوية (١٥٥) مرجع سابق.

﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾﴾ [فصلت: ١٠].

فقد قرئت «سواءً» و«سواءٍ» و«سواءٌ».

فقد انفرد أبو جعفر باختيار قراءة: «في أربعة أيام سواءٌ للسائلين» بالرفع ، و«سواءٌ» في هذه القراءة خبر عن مبتدأ محذوف، والتقدير: هي (أي الأرض) مستوية صالحة للعيش عليها. وقد ذكرت الأرض في الآية السابقة ﴿۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾﴾ [فصلت: ٩] وانفرد يعقوب بقراءة (في أربعة أيامٍ سواءٍ للسائلين) بالجر، فـ (سواءٍ)[١٦٤] في هذه القراءة صفة (أيام) والمعنى: كل ما تقدم ذكره تم في أربعة أيام متساوية المقدار، فليس فيها يوم أطول أو أقصر من الثلاثة الباقية[١٦٥].

«واختار سائر القرّاء (في أربعة أيام سواءً للسائلين) بالنصب. و(سواءً) في هذه القراءة منصوب على المصدريةً، والمعنى استوت تلك الأيام في المقدار، فلا تفاوت بينها.

والجار والمجرور في (السائلين) يجوز تعلّقه بمحذوف، والتقدير: في ذكر هذا العدد جواباً للسائلين القائلين: في كم يوم خلقت الأرض؟ وفي كم يوم قدّر الله أرزاق من سيعيش من الأحياء؟»[١٦٦].

ويجوز تعلّقه بـ (سواءً) على أنه حال من الضمير في (أقواتها) والمعنى: «أن الأقوات التي أودعها الله تعالى الأرض متساوية مع عدد

(١٦٤) النشر (٢/٣٦٦).

(١٦٥) تفسير الجلالين للعلامة جلال الدين المحلّي، والعلامة جلال الدين السيوطي ص (٤١٩) ـ تحقيق: فضيلة الشيخ مصطفى الحديدي الطير ـ مطبعة مكتبة مصر ـ الفجالة ـ القاهرة. نشر وتوزيع: مركز الحرمين التجاري ـ مكة المكرمة.

(١٦٦) الكشاف تأليف جار الله الزمخشري (٤/١٨٨) ـ ضبطه محمد عبدالسلام شاهين ـ ط الأولى ـ ١٤٠١ هـ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.

سكانها من جميع الأحياء»(١٦٧).

«والخلاصة: أن (سواء) صلح بمختلف قراءاته أن يكون وصفاً للأرض والأيام والأقوات»(١٦٨)

ثانياً: ما ورد من قراءات في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ [التوبة: ١٠٧].

«قرأ المدينان (نافع وأبو جعفر) وابن عامر (الذين) بغير واو، وكذا هي في مصاحف أهل المدينة والشام، وقرأ الباقون (باقي القرّاء العشرة) بالواو وكذا هي في مصاحفهم»(١٦٩).

«إن حذف الواو وتركها من أدق المسالك في التعبير البلاغي، لذا كان موضوع الفصل والوصل هو البلاغة ـ كما يقولون ـ والذي يتتبع أسلوب القرآن الكريم، يجد فيه ما يثلج الصدر ويبهر النفس، من أسرار الفصل والوصل، وحذف الواو في موضع وذكرها في موضع آخر».

«إنَّ حذف الواو قد يكون ناشئاً عن سؤال مقدر في جملة سابقة، فتأتي الجملة إجابة على هذا السؤال المقدر، خالية من الواو، وهذا ما يعبر عنه البلاغيون بشبه كمال الاتصال، ويسمى استئنافاً».

وقد يكون ناشئاً عن تغاير بين الكلام السابق والذي يليه، وهو ما يسمى كمال الانقطاع، وعلى هذا يمكن أن نفهم ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ﴾ فقراءة العطف تدل على اتصال هذه الأصناف

---

(١٦٧) روح المعاني (١٠٢/٢٤).

(١٦٨) الكشاف عما بين القراءات العشر من خلاف، للدكتور: أحمد محمد إسماعيل البيلي ـ (٣٣٩ ـ ٣٤٠) ـ ط الأولى ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م ـ الدار السودانية للكتب ـ السودان.

(١٦٩) النشر (٢٨١/٢).

التي ذكرت في سورة براءة ابتداءً من قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [التوبة: ٥٨] ﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ﴾ [التوبة: ٦١] ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ﴾ [التوبة: ٧٥]، فكأنه قيل: ومنهم الذين اتخذوا مسجداً ضراراً. . .، أما القراءة الثانية، ففيها قطع هؤلاء الذين اتخذوا مسجد الضرار، وفيها التشنيع والذم الكثير الكثير، وكيف لا وقد اتخذوا مسجداً ضراراً، وكفراً، وتفريقاً بين المؤمنين، وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل، إلى جانب كذبهم.

فالقراءة الثانية الخالية من حرف العطف تبين شناعة أفعال أولئك(١٧٠).

ثالثاً: ما ورد من قراءات في قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [البقرة: ٣٧].

«فجمهور القراء على رفع آدم على الفاعلية ونصب كلمات على المفعولية، وقرأ ابن كثير بنصب آدم ورفع كلمات»(١٧١).

«ولكل من القراءتين توجيهها البلاغي المقبول، دونما قلق أو اضطراب، فقراءة الجمهور دالة على ما كان يعانيه آدم بعد الزلة من أسف، وندم وألم، فها هو باحث عما ينجيه مما وقع فيه، ونادم على ما فرط منه ويدل على هذا المعنى، قوله سبحانه: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف: ٢٣].

أما القراءة الثانية: فإنها تدل على جانب آخر من القضية، إنها تدل على عناية الله تبارك وتعالى بآدم واصطفائه واجتبائه له، وهذا يتفق مع قوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا﴾ [آل عمران: ٣٣]، وقوله: ﴿ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾﴾ [طه: ١٢٢] وعلى هذا تحمل القراءة الثانية، فكأن

---

(١٧٠) القراءات القرآنية من الوجهة البلاغية ـ د. فضل حسن عباس (٣٣ ـ ٣٥) بتصرف يسير/ دراسات المجلد الرابع عشر ـ العدد السابع ١٩٨٧.

(١٧١) النشر (٢/٢١١).

هذه الكلمات باحثة عن آدم فهي التي تتلقاه»(١٧٢).

المطلب الثالث: الأثر الصرفي للقراءات:

ونسوق على ذلك مثالاً: ففي قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣] قراءتان، فقد قرأ حفص لرءوف على وزن (فعول)، وقرأ شعبة: (لرؤف)(١٧٣) على وزن «فَعُل». يقول الدكتور صبري المتولي: «والحق أن قراءة شعبة تفتح قضية وسيعة من قضايا البحث، وتحلّق في أفق رحيب من آفاق التفكير الصرفي عند العرب، قد استقر في كتب الصرف التقليدية أن صيغ المبالغة خمس هي: فعَّال ومفعال وفعول وفعيل وفعل، وقد يزيد المتخصص منها فعِّيل ومفْعَل مثل (شرِّيب ومِسْعَر) مثلاً، ولكنك لا تكاد تجد كتاباً يذكر في مقدمة الصيغ (فُعُّول) مثل (قُدُّوس) و(فَعُل) مثل (رَؤُف) وهي قراءة شعبة التي نحن بصدد الحديث عنها. وإنه لقصور شديد أن نقف بإزاء الجانب المعياري لا نبغي عنه حولا. فنكتفي بالقوانين اللغوية الموضوعة سلفاً. . .ونسينا أن هذه القوانين مؤسسة على مادة لغوية محددة جمعها الجامعون من قبائل معدودة ذات لهجات معينة، . . .وتبقى مادة لغوية خصبة في مصادر جليلية، في مقدمتها القراءات القرآنية»(١٧٤).



(١٧٢) القراءات القرآنية من الوجهة البلاغية ص (٣٥ ـ ٣٦).

(١٧٣) انظر: النشر (٢/٢٢٣).

(١٧٤) التوجيه اللغوي والبلاغي لقراءة الإمام عاصم للدكتور: صبري المتولي المتولي ـ ص (٥٠ ـ ٥١) ـ دار غريب للطباعة والنشر ـ القاهرة.

المبحث الثاني: أثر القراءات في العقيدة والفقه.

المطلب الأول: أثر القراءات في العقيدة.

المطلب الثاني: أثر القراءات في الفقه.



المطلب الأول: أثر القراءات في العقيدة

للقراءات أثر في العقيدة وإن لم يكن هذا الأثر بارزاً أو ملموساً، بل إنه قد يثير استغراب الكثيرين الذين يرون أن أمور العقيدة قد رست قواعدها منذ فجر الإسلام الأول، وأنه لا مجال للزيادة عليها إلا بنص قطعي الدلالة. وما دامت كل النصوص قد أشبعها العلماء بحثاً، وأفردوا لها الكتب والمصنفات، ولم يتركوا منها شاردة ولا واردة؛ فمعنى ذلك أنه لا مجال للزيادة عليها.

ونحن نقول: إن علم التفسير علم واسع متجدد، ففي كل الأزمنة المتعاقبة منذ نزول القرآن حتى يومنا ظهرت تفاسير كثيرة يصعب حصرها لكثرتها، ورغم ذلك فإن الكثير من هذه التفاسير كانت تضيف شيئاً جديداً أو منهجاً مغايراً أو أفكاراً جديدة لسابقتها.

والقراءات القرآنية هي جزء من هذا الكتاب المتجدد المعاني، والتي يمكن أن يتناولها الكثير من الباحثين كلٌ من الزاوية التي يفتح الله بها عليه، فيضيفون معاني جديدة وآفاقا لم تكن طرقت من قبل، أو أنها طرقت ولكن

في ثنايا البحوث والعبارات وبين الأسطر.

وهذا ما ينطبق على أثر القراءات في العقيدة، والذي سيتضح في الأمثلة والشواهد التالية، التي نوردها على سبيل المثال لا الحصر، فهي إما تؤكد أمراً أو تنبئ عن حدث أو تنشئ حكماً.

أولاً: في الإلهيات:

«قوله تعالى: ﴿فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف: ٦٤] قرأ حمزة، والكسائي، وحفص، وخلف: ﴿فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ﴾ بالألف وحجتهم قوله ﷻ حكاية عن إخوة يوسف: ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [يوسف: ٦٣] فقال يعقوب حينها ﴿فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ﴾ وقرأ الباقون: ﴿فالله خير حفظا﴾، وحجتهم: قوله تعالى: ﴿وَنَحۡفَظُ أَخَانَا﴾ [يوسف: ٦٥]، فلما أضافوا إلى أنفسهم قال يعقوب: ﴿فاللهُ خَيْرٌ حفِظاً﴾ من حفظكم الذي نسبتموه إلى أنفسكم»[(١٧٥)].

وثمرة الخلاف:

«أن قراءة حمزة والكسائي، أفادتنا حكماً ضرورياً وهو أن من أسماء الله الحسنى: الحافظ، ومثل الاسم لا يكون إلا عن توقيف، وحيث تواترت القراءة فقد وجب المصير إليها، . . .ورغم أن هذه القراءة لم تستقل بجواز إطلاق هذه التسمية فقد أكدت ذلك»[(١٧٦)]. وبذلك نرى أثر القراءات في تأكيد هذا الأمر المهم من أمور العقيدة.

ثانياً: في النبوَّات:

قوله تعالى: ﴿لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ ۝١٩﴾ [الانشقاق: ١٩].

---

(١٧٥) القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني والأحكام الشرعية ـ للدكتور محمد الحبشي ـ ص (١٥١) بتصرف ـ الطبعة الأولى ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م ـ دار الفكر ـ دمشق ـ سورية.

(١٧٦) القراءات المتواترة وأثرها في الرسم ص (١٥١ـ ١٥٢) باختصار وتصرف يسير.

قرأ ابن كثير، وحمزة، والكسائي، وخلف: «لتركَبَنَّ طبقاً» بفتح الباء[١٧٧]: أي لتركبن يا محمد حالاً بعد حال.

يذكر حالات النبي ﷺ من يوم أوحي إليه إلى يوم قبضه الله، وقد روى أيضاً لتركبن يا محمد سماء بعد سماء يعني المعارج.

وقال آخرون منهم ابن عباس: «لتركبن أي لتصيرن الأمور حالاً بعد حال بتغيرها واختلاف الأزمان».

وقرأ الباقون: «لتركبُنَّ» برفع الباء، والخطاب هنا للناس، لا ذكر من يؤتى كتابه بيمينه وشماله، والمعنى لتركبن حالاً بعد حال من إحياء، وإماتة، وبعث حتى تصيروا إلى الله.

وثمرة الخلاف:

أن الآية نصت على شيئين اثنين:

الأول: أن الناس يتقلبون في أحوال مختلفة من الموت إلى القبر إلى البرزخ إلى الحساب إلى حيث يؤمر بهم وهو ما دلّت عليه قراءة الجمهور.

الثاني: أن النبي - ﷺ - موعود من الله - ﷻ - أن يرقى به طبقاً عن طبق، وقد رأيت قوة التفسير الذي أشار إلى أنها العدة بالمعراج وقد دلَّت لهذا المعنى قراءة ابن كثير، وحمزة، والكسائي، وخلف العاشر[١٧٨].

ثالثاً: في الغيبيات:

قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَـٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٨﴾﴾ [الفرقان: ١٨].

(١٧٧) انظر: النشر (٢/٣٩٩).

(١٧٨) القراءات المتواترة وأثرها في الرسم ص (٢٠٣ - ٢٠٤) باختصار وتصرف يسير.

قرأ أبو جعفر المدني «ما كان ينبغي لنا أن نُتَّخَذَ» بضم النون بصيغة المبني للمجهول.

وقرأ الباقون بفتح النون وكسر الخاء: «ما كان لنا أن نتَّخِذَ»(١٧٩).

«نقل الزمخشري في الكشاف، في توجيهه قراءة أبي جعفر، أن هذا الفعل (اتخذ) يتعدى إلى مفعول واحد، كقولك: اتخذ زيدٌ ولياً، وإلى مفعولين، كقولك: اتخذ زيدٌ فلاناً ولياً. أي ما ينبغي لنا أن نُعبَد من دون الله.

وتكلم بعض النحويين في هذا الوجه، فقال أبو عمرو البصري: لو كانت نُتَخَذ لحذفت (من) الثانية، فتقول: أن نُتخذ من دونك أولياء، وقد قال برد هذه القراءة في اللغة الإمام القرطبي في الجامع في نقل عزاه إلى النحاس.

وثمرة الخلاف:

إن الآية دلت على أمرين اثنين:

الأول: إن الكائنات جميعاً في الأصل موحدة، ما ينبغي أن تتخِذ من دون الله من أولياء، وهو ما دلت له قراءة الجمهور.

الثاني: إن بعض المخلوقات عُبدت من دون الله، على غير إرادة منها - فهي موحدة طائعة، لا تحمل إثم عُبَّادها وزيغهم، إذا أقرَّت بين يدي الله بالتوحيد، كما عبد بعض الكفرة عيسى ابن مريم، وعبد بعضهم عزيراً، وكلاهما نبي كريم، لا يضره وزر عابديه وهذا المعنى دلّت له قراءة أبي جعفر(١٨٠).



(١٧٩) انظر: النشر (٢/٣٣٣).

(١٨٠) القراءات المتواترة وأثرها في الرسم - ص (٢١٣ - ٢١٤) بتصرف.

المطلب الثاني: أثر القراءات في الفقه

كما تبيَّنَّا أثر القراءات في اللغة وفي العقيدة من خلال المباحث السابقة، فلا بد أيضاً أن نعلم أن للقراءات أثر على بعض الأحكام الفقهية، يؤكد ذلك أن بعض هذه الأحكام راجع في الاستدلال على صحته بقراءة من القراءات.

ومن أمثلة تأثير القراءات على الأحكام الفقهية ما يلي:

أولاً: في مسائل العبادات:

ومثال ذلك: ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢٢٢].

فقد قرأ حمزة والكسائي وخلف وأبو بكر (يطَّهَّرن) بتشديد الطاء والهاء وقرأ الباقون (يطهُرن) بتخفيفها[(١٨١)].

ومن أثر اختلاف القراءات في هذه الآية: «اختلاف الفقهاء في الطهر الذي تحل به الحائض لزوجها. فقد ذهب مالك وجمهور العلماء أن الطهر الذي يحل به جماع الحائض التي يذهب عنها الدم، هو تطهرها بالماء كطهر الجنب، وبه قال مالك والشافعي والطبري... وغيرهم.

وقال أبو حنيفة.. .إن انقطع دمها بعد مضي عشرة أيام، جاز له أن يطأها قبل الغسل، وإن كان انقطاعه قبل العشرة لم يجز حتى تغتسل، أو يدخل عليها وقت الصلاة، ودليلنا أن الله سبحانه علق الحكم فيها على شرطين:

أحدهما: انقطاع الدم وهو قوله تعالى (حتى يطهُرن).

والثاني: الاغتسال بالماء وهو قوله تعالى: (فإذا تطهَّرن) إي فعلن

---

(١٨١) النشر (٢/٢٢٧).

الغسل بالماء»[١٨٢].

«أما الإمام أبو حنيفة، فقد جعل القراءتين كالآيتين، فيجب أن يعمل بهما . . .فقد حمل المخففة على إذا ما انقطع دمها للأقل، فلا يجوز وطؤها حتى تغتسل، لأنه لا يؤمن عوده، وحمل القراءة الأخرى، على ما إذا انقطع دمها للأكثر، فيجوز وطؤها وإن لم تغتسل»[١٨٣].

وقد ذهب الإمام النسفي في تفسيره إلى أعمال القراءتين، «وجوّز للرجل أن يقرب زوجته الحائض في أكثر الحيض بعد انقطاع الدم، وإن لم تغتسل عملاً بقراءة التخفيف، وفي أقل منه لا يقربها حتى تغتسل، أو يمضي عليها وقت الصلاة، عملاً بقراءة التشديد، والحمل على هذا أولى من العكس. وعند الشافعي ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ لا يقربها حتى تطهر وتتطهر دليله قوله تعالى: «فإذا تطهرنَّ فأتوهنَّ» أي فجامعوهنَّ فجمع بينهما»[١٨٤]. وبذلك نرى أن أثر القراءات في هذه المسألة قد تحدد في حالة واحدة، وهي ما إذا انقطع الدم لأكثره عند الأحناف حل للرجل أن يطأ زوجته وإن لم تغتسل، وفيما عدا هذه الحالة فالكل يشترط لحلها التطهر بالماء.

ثانياً: في مسائل المعاملات:

«قوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الروم: ٣٩].

قرأ ابن كثير: «وما أتيتم من ربا» من غير مد، أي ما جئتم. وقرأ الباقون: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا﴾ [الروم: ٣٩] أي ما أعطيتم[١٨٥]، من قوله:

(١٨٢) الجامع لأحكام القرآن للإمام أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (٣/٨٨ ـ ٨٩) ـ ط الأولى١٤٠٨هـ ١٩٨٨م ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت لبنان ـ بتصرف.

(١٨٣) الجامع لأحكام القرآن (٣/٨٨ ـ ٨٩) باختصار.

(١٨٤) انظر تفسير النسفي (١/١٠٧) بتصرف.

(١٨٥) تقريب النشر في القراءات العشر لابن الجزري (١٩٥) تحقيق: ابراهيم عطوة عوض ـ الطبعة الثانية ١٤١٢ ـ ١٩٩٢ـ دار الحديث ـ القاهرة.

﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [آل عمران: ١٤٨] أي: أعطاهم.

وثمرة الخلاف بين القراءتين:

«أن قراءة الجمهور جاءت بالنص على ذم إيتاء الربا، وبيان أنه كاسد عند الله، فكان أخذ الربا بمنزلة المسكوت عنه، فجاءت قراءة ابن كثير بذم إتيان الربا كله، أخذاً وعطاءً، وكما ترى فإن المعاني تتكامل بالقراءات، وتبقى قراءة الجمهور كالنص على تغليظ الزجر على المرابي، وقراءة ابن كثير على تغليظ الزجر على عموم الربا كلِّه»[١٨٦].

ثالثاً: في الجهاد:

قوله تعالى: ﴿فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ﴾ [التوبة: ١٢].

قرأ ابن عامر: «إنهم لا إيمان لهم» بكسر الألف[١٨٧]، أي لا سلام ولا دين لهم، وقال آخرون معناه لا أمان لهم، مصدر (آمنته إيماناً) والمعنى: إذا كنتم أنتم آمنتموهم، فنقضوا عهدهم، فقد بطل الأمان الذي أعطيتموهم.

وقرأ الباقون: «لا أيمان لهم» بالفتح جمع يمين. وحجتهم قوله: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً﴾ [المنافقون: ٢].

وهو الاختيار، لأنه في التفسير لا عهود لهم ولا ميثاق ولا حلف، فقد وصفهم بالنكث في العهود.

وثمرة الخلاف:

«أنَّ علة مقاتلة المشركين هي الكفر، كما قررتها قراءة ابن عامر وهي متواترة. وقد بيَّنت قراءة الجمهور معنىً آخر لقتال المشركين: وهو أنهم لا

---

(١٨٦) القراءات المتواترة وأثرها في الرسم، ص (٢٧٩ ـ ٢٨٠).

(١٨٧) انظر: النشر (٢٧٨/٢). مرجع سابق.

أيمان لهم، ولا عهود، ولا ميثاق، ولا حلف»[188] فيكون من الأسباب الملحة في قتالهم نقضهم للعهود والمواثيق.

رابعاً: في الأقضية:

قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ ﴿٦﴾﴾ [الحجرات: ٦] قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (فتثبّتوا). وقرأ الباقون (فتبيّنوا)[189].

والتثبّت والتبيّن معنيان متقاربان في المرادف اللغوي، ولكن غلب إطلاق الأول على التحقّق من الذوات والشخوص، وغلب إطلاق الثاني على التحقّق من الأحداث والفعال، وكلاهما من مهمة القاضي العادل.

وقد كان لهذه التوجيهات أعظم الأثر في إصلاح النظام القضائي، وإيجاد قضاء عادل حر نزيه في المجتمع الإسلامي.

ثمرة الخلاف:

أفادت قراءة حمزة، والكسائي: أنَّ على القاضي العادل، وجوب التثبّت والتَّحقق من الذوات والشخوص والأعيان، وفي ذلك تقرير لجانب مهم من أصول التقاضي، إذ ينبغي التحقق من شخصية المتخاصمين، ومداركهم العقلية، والاجتماعية، وصلاحيتهم للأهلية والتزام التكاليف.

كم دلّت قراءة الباقين على وجوب التحقق من الأحداث والوقائع، لئلا يأخذ القاضي أحداً بجريرة أحد، وهو ما دلت له قراءة (فتبيّنوا)[190].

---

(١٨٨) القراءات المتواترة وأثرها في الرسم (٣٣٥ ـ ٣٣٦) باختصار مرجع سابق.

(١٨٩) انظر: النشر (٣٧٦/٢) مرجع سابق.

(١٩٠) القراءات المتواترة وأثرها في الرسم (٣٣٧) مرجع سابق.

الفصل الرابع

تفسير سورة النساء
من خلال القراءات العشر المتواترة

ويشتمل الفصل الثالث على مبحثين وخمسة مطالب:

● المبحث الأول: بين يدي السورة

ويشمل أربعة مطالب هي:

- المطلب الأول: مكان النزول وعدد الآيات
- المطلب الثاني: سبب التسمية
- المطلب الثالث: مناسبة السورة لما قبلها
- المطلب الرابع: أهداف السورة
- المطلب الخامس: فضل السورة

● المبحث الثاني: تفسير مواضع القراءات التي لها تعلُق في التفسير في السورة



المبحث الأول
بين يدي السورة

المطلب الأول: مكان النزول وعدد الآيات:

«سورة النساء مدنية على الصحيح وزعم النَّحاس أنها مكية مستندا إلي قوله تعالي: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨]، فقد نزلت بمكة اتفاقا في شأن مفتاح الكعبة. وتعقَّبه السيوطي، بأن ذلك مستند واهٍ، لأنه لا يلزم من نزول آية، أو آيات بمكة من سورة طويلة نزل معظمها بالمدينة أن تكون مكية، خصوصا أن الأرجح أن ما نزل بعد الهجرة مدني ومن راجع أسباب نزول آياتها عرف الرد عليه، ومما يرد عليه أيضا ما أخرجه البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده ﷺ»[١٩١] وبناءه عليها ﷺ كان من الهجرة اتفاقا»[١٩٢].

«وعدة آياتها عند الشاميين مائة وسبع وسبعون، وعند الكوفيين ستة وسبعون وعند الباقين خمس وسبعون، والمختلف فيه منها آيتان: إحداهما: ﴿أَن تَضِلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ﴾ [النساء ٤٤]، وثانيتهما ﴿فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء ١٧٣]، فالكوفيون يثبتون الأولى آية فقط، والشاميون يثبتون الثانية أيضا،

(١٩١) صحيح البخاري (ج٤/ ص١٩١٠ / ح٤٧٠٧) ـ طبعة دار ابن كثير.

(١٩٢) روح المعاني (١٧٨/٤).

والباقون يقولون هما بعض آية(١٩٣).



المطلب الثاني: التسمية:

سميت سورة النساء بذلك: «لكثرة ما ورد فيها من الأحكام التي تتعلق بهنّ، بدرجة لم توجد في غيرها من السور، ولذلك أطلق عليها «سورة النساء الكبرى» في مقابلة «سورة النساء الصغرى» التي عرفت في القرآن بسورة الطلاق(١٩٤) وسميت بذلك لأن السبب الأعظم في الاجتماع والتواصل، مادة الأرحام العاطفة، التي مدارها النساء، ولأن بالاتقاء فيهن تتحقق العفة والعدل الذي لبابه التوحيد، وهو ما دعت إليه السورتان قبلها(١٩٥).

وقد تتبّعت كلمة النساء ومشتقاتها في السورة فوجدت أنها وردت كلمة في السورة بلفظ النساء عشرين مرة مما يعادل ١١٪ من عدد آيات السورة البالغة ١٧٦، أما مجموع الآيات التي تتحدث عن النساء باللفظ الصريح وغير الصريح فقد بلغت ٣٠ آية ما يعادل ١٧٪ من عدد آيات السورة الكلي، وبطرح العدد الإجمالي ١٧٪ من العدد الصريح يكون الناتج ٦ وهو عدد حروف كلمة النساء التي سميت بها السورة، والله تعالى أعلم.

وفي ذلك دليل دافع لكل الأباطيل، وداحض لكل الشبه التي تثار حول حقوق المرأة في الإسلام، وتدعي زورا وبهتاناً أن الإسلام قد هضم حقوقها، فهل هناك دليل لاحترام المرأة ورفع شأنها واحترام حقوقها في

---

(١٩٣) المرجع السابق، (١٧٨/٤).

(١٩٤) صفوة التفاسير، تأليف الشيخ محمد علي الصابوني (٢٣٥/١) ـ الطبعة الأولى ـ ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م ـ دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع ـ القاهرة.

(١٩٥) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام: برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي ـ سنة ٨٨٥هـ ـ خرج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه: عبدالرزاق غالب المهدي (٢٠٤/٢) ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان.

الإسلام، من ورود سورة من سور القرآن الكريم، وهي من السور الطوال، باسم النساء، لتكون بمثابة إقرار خالد لا يتطرق إليه التحريف الباطل بحقوق المرأة في الإسلام.

المطلب الثالث: مناسبة السورة لما قبلها (سورة آل عمران):

«أما وجه مناسبة السورة لما قبلها أي لسورة «آل عمران» فمن وجوه منها:

- **أولاً**: أن آل عمران ختمت بالأمر بالتقوى بقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]، وافتتحت سورة النساء بقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ [النساء: ١].

وهذا من أكبر وجوه المناسبات في ترتيب السور، وهو نوع من البديع يسمى: تشابه الأطراف

- **ثانياً**: ومنها أن سورة آل عمران ذُكر فيها قصة أُحد مستوفاة، وذُكر في هذه السورة ذيلها هو قوله ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ﴾ [النساء: ٨٨].

- **ثالثاً**: ومنها أن في آل عمران ذكرت الغزوة التي بعد أحد بقوله: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ﴾ [آل عمران: ١٧٢]، وأشير إليها هنا بقوله: ﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ﴾ [النساء: ١٠٤]»[١٩٦].

- **رابعاً**: «ومنها أنه ذكر في آل عمران قصة خلق عيسى بلا أب، وأقيمت له الحجة بآدم، وفي ذلك تبرئة لأمه، خلافا لما زعم اليهود، وتقرير لعبوديته، خلافا لما ادعته النصارى، وذكر في هذه السورة الرد على الفريقين معا، فرد على اليهود بقوله: ﴿وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ

(١٩٦) تناسق الدرر في تناسب السور ـ للحافظ جلال الدين السيوطي ـ دراسة وتحقيق عبدالقادر أحمد عطا ص (٧٦) ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان.

مَرْيَمَ بُهْتَنًا عَظِيمًا﴾ [سورة النساء: ١٥٦]، وعلى النصارى بقوله: ﴿لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ﴾ [النساء: ١٧١]»(١٩٧).

- خامساً: «أنه لما كانت أمهات الفضائل ـ كما تبيَّن في علم الأخلاق ـ أربعا: العلم والشجاعة والعدل والفقه... وكانت آل عمران داعية مع ما ذكر من مقاصدها إلى اثنتين منها، وهما العلم والشجاعة ـ كما أشير إلى ذلك من غير آية ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَبَ بِالْحَقِّ﴾ [آل عمران: ٣]، ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَئِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ١٨]، ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ [آل عمران]، ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَتًا﴾ [آل عمران: ١٦٩]... جاءت هذه السورة داعية إلى الفضيلتين الباقيتين، وهما العفة والعدل، مع تأكد الخصلتين الآخرتين حسبما تدعوا إليه المناسبة(١٩٨)، «الشواهد في ذلك أكبر من أن تحصى، منها: ﴿وَءَاتُوا الْيَتَمَى أَمْوَلَهُمْ﴾ [النساء: ٢]، ﴿وَءَاتُوا النِّسَاءَ صَدُقَتِهِنَّ﴾ [النساء: ٤]، ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَتُكُمْ﴾ [النساء: ٢٣] أما العدل ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾ [النساء: ١١]، ﴿وَالَّتِي يَأْتِينَ الْفَحِشَةَ مِن نِّسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً﴾ [النساء: ١٥] ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَنَتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ [النساء: ٥٨].

وبهذه الأوجه يعرف أن تأخير النساء عن آل عمران أنسب من تقديمها عليها، لأن المذكور هنا ذيل لما ذكر هناك، وتابع فكان الأنسب فيه التأخير، ومن أمعن نظره وجد كثيرا مما ذكر في هذه السورة مفصلا لما ذكر فيما قبلها، فحينئذ يظهر مزيد الارتباط وغاية الاحتباك(١٩٩).

(١٩٧) تناسق الدرر (٧٧).
(١٩٨) نظم الدرر (٢/٢٠٥).
(١٩٩) نظم الدرر (٢/٢٠٥).

المطلب الرابع: أهداف السورة:

من أعظم أهداف هذه السورة المباركة:

- **أولاً**: «الاجتماع على التوحيد الذي هدت إليه آل عمران، والكتاب الذي حدت إليه سورة البقرة، لأجل الدين الذي جمعته الفاتحة.. .فإنه لما تقرر أمر الكتاب الجامع الذي هو الطريق، ومثبت الأساس الحامل الذي هو التوحيد، احتيج إلى الاجتماع على ذلك، فجاءت هذه السورة داعية إلى الاجتماع والتواصل والتعاطف والتراحم»[200].

- **ثانياً**: تعرضت السورة لموضوع المرأة وتنظيم شؤون الأسرة، فصانت كرامتها، وحفظت كيانها، ودعت إلى إنصافها بإعطائها حقوقها التي فرضها الله تعالى لها، كما تناولت السورة الكريمة، تنظيم العلاقات الزوجية، وبينت أنها ليست علاقة جسد، وإنما علاقة إنسانية.

ولذلك فقد «تناولت السورة الكريمة حق الزوج على زوجته، وحق الزوجة على زوجها، وأرشدت إلى الخطوات التي ينبغي أن يسلكها الرجل لإصلاح الحياة الزوجية، عندما يبدأ الشقاق والخلاف بين الزوجين، ثم بيَّنت معنى قوامة الرجل، وأنها ليست قوامة استعباد وتسخير، إنما هي قوامة نصح وتأديب»[201]

- **ثالثاً**: «تقرير أصول التصور الإسلامي في تنظيم شؤون المجتمع والإصلاح الداخلي، ببيان حد الإيمان وشرط الإسلام، بيانا حاسماً جازما يكشف عن طبيعة النظام الإسلامي، ومنهج المسلمين في الطاعة والاتباع والتلقي من الله وحده، والتحاكم إلى منهج الله وإتباع أحكام رسوله وطاعته، وأداء الأمانات إلى أهلها، والحكم بين الناس بالعدل، وبيان أصول التكافل الاجتماعي، الذي يبدأ من الأسرة، ثم

---

(٢٠٠)(٢٠١) صفوة التفاسير (١/٢٣٦) طبعة المكتبة العصرية بتصرُّف.

يمتد ليشمل المحتاجين والضعاف في الجماعة كلها»[٢٠٢] وبيان ضرورة صيانة المجتمع والمحافظة على بناءه الداخلي، بالتوقف عن تداول الإشاعات، والتحذير من التعرض للمؤمنين بالسوء والقتل، وأن من يفعل ذلك متعمداً فجزاءه جهنم خالدا فيها.

- **رابعاً**: تقرير بعض أصول التصور الإسلامي في العلاقات الدولية والأمن الخارجي، وذلك ببيان قواعد المعاملات الدولية بين معسكر الإيمان وشتى المعسكرات الخارجية سواء المناوئة له أو المهادنة أو المعاهدة، مع بيان أصول قواعد الحدود المنظمة للعلاقات الإنسانية. واعتماد مبدأ الجهاد لحماية الجماعة المسلمة واستنقاذاً للضعفاء من المؤمنين، وتخليصاً للناس من شرور الظالمين، مع بيان ضرورة الإعداد المتواصل لمكافحة الأعداء. وقد رأينا الآيات تذهب بعيدا على هذا المجال وذلك بأمر النبي بالجهاد ولم يجد إلا نفسه بعد تحريض المؤمنين.

- **خامساً**: كشف مخططات وأهداف أهل الكتاب ومزاياهم الخبيثة تجاه الجماعة المسلحة وبيان مكرهم وكيدهم واعتبارهم خطراً كبيراً وعدواً للمسلمين، وتهديدهم بسوء المصير مع بيان مواقفهم التي أدت إلى اتخاذ هذا الموقف منهم، مثل: موقف اليهود من رسل الله، وموقف النصارى من عيسى عليه السلام وضلالاتهم بعد ما جاءهم الحق من ربهم.

- **سادساً**: توجيه أنظار المسلمين إلى الخطر الداخلي الكبير الذي يمثله المنافقين، فهم نابتة السوء وجرثومة الشر التي ينبغي الحذر منها، لأنها تنخر في جسد الجماعة المسلمة، هي بمثابة خنجر مسموم في خاصرة الأمة، لذا فقد تحدثت الآيات عن بعض صفاتهم، محذرة

(٢٠٢) في ظلال القرآن للشيخ سيد قطب (٢/٦١٥ ـ ٦١٦) ـ ط الثانية عشر ١٩٨٦م ـ ١٤٠٦هـ ـ بتصرّف ـ دار الشروق ـ بيروت.

المسلمين من الوقوع فيها، منها الولاء لغير الجماعة المسلمة منها، التهاون والتراخى في دينهم مجاملة أو مراعاة للعلاقات الاجتماعية.

- **سابعاً**: كما حثَّت السورة «على التوبة، ودعت إليها كوسيلة للتطهر، ودليل إلى تكامل الشخصية واستعادة الثقة بالنفس، والشعور بالأمن والاطمئنان»(٢٠٣).



المطلب الخامس: فضل سورة النساء

وقد ورد في فضل السورة أحاديث عدة منها: ما أخرجه الحاكم في مستدركه «عن عبدالله ابن مسعود ﷺ قال: إن في سورة النساء خمس آيات ما يسرني أنَّ لي بها الدنيا وما فيها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [النساء: ٤٠]، و﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾ [النساء: ٣١]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]، ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤].

﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾ [النساء: ١١٠] قال عبدالله: ما يسرني أن لي بها الدنيا وما فيها»(٢٠٤).

---

(٢٠٣) أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم ـ للدكتور: عبدالله محمود شحاتة (٤٥/١) ط الثانية (١٩٨١) الهيئة المصرية العامة للكتاب.

(٢٠٤) المستدرك على الصحيحين للإمام الحافظ ابي عبدالله محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري (٣٣٤/٢، ٣١١/٣١٩٤) دراسة وتحقيق: مصطفي عبدالقادر عطا ـ ط الأولى ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان.

وأخرج ابن جرير الطبري عن ابن مسعود ﷺ قال: في خمس آيات من سورة النساء، لهن أحب إلي من الدنيا جميعا ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [النساء: ٣١]، وقوله ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا﴾ [النساء: ٤٠]، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾ [النساء: ٤٨]، ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾ [النساء: ١١٠] وقوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾﴾ [النساء: ١٥٢][(٢٠٥)].

وأخرج مثله عن ابن عباس ﷺ قال: ثمان آيات نزلت في سورة النساء، هي خير لهذه الأمة مما طلعت عليه الشمس وغربت، وذكر ما ذكره ابن مسعود وزاد: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾﴾ [النساء: ٢٦] **والثانية**: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾﴾ [النساء: ٢٧] **والثالثة**: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾ [النساء: ٢٨][(٢٠٦)].

وأخرج الإمام أحمد في مسنده في فضل السورة عن عائشة ﷺ: أن النبي - ﷺ - قال: من أخذ السبع الأول فهو حبر»[(٢٠٧)]، وفي رواية عنها: «من أخذ السبع الأول من القرآن فهو حبر»[(٢٠٨)].

وقد أخرجه الحاكم في مستدركه ووافقه الذهبي عليه بلفظ: «من أخذ السبع الأول من القرآن فهو خير»[(٢٠٩)].

(٢٠٥) جامع البيان (٦٤/٤) دار الفكر.
(٢٠٦) جامع البيان (٦٥/٤).
(٢٠٧) مسند الأمام أحمد بن حنبل (٨١/٦ح رقم ٢٤٤٩٧ ـ دار الكتب العلمية ـ ـ، انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة للشيخ الألباني (٣٨٥/٥).
(٢٠٨) المرجع السابق (٦٥/٦ ح رقم ٢٤٥٨٥).
(٢٠٩) المستدرك على الصحيحين للحاكم: (٧٥٢/١ ح رقم ٥١/٢٠٧٠).

وأخرج البيهقي في شعب الإيمان أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «**أعطيت مكان التوراة السبع، وأعطيت مكان الزبور المئين وأعطيت مكان الإنجيل المثاني وفُضِّلت بالمفصل**»(٢١٠).

وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «**من قرأ سورة النساء فعلم مَّما يحجب من لا يحجب علم الفرائض**»(٢١١).

وأخرج ابن حبان في موارد الظمآن عن أنس قال: «وجد رسول ـ ﷺ ـ شيئا فلما أصبح قيل: يا رسول الله، إن أثر الوجع عليك بيِّن قال: إنى على ما ترون قرأت البارحة السبع الطوال»(٢١٢).



(٢١٠) شعب الإيمان للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (٤٨٧/٢ ـ ح رقم ٢٤٨٤و٢٤٥٨) تحقيق: أبي هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول ـ ط الأولى ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان. حسَّنه الألباني، انظر السلسلة الصحيحة للألباني (٤٦٩/٣).

.. السور التي تعرف بالمئين هي ما ولي السبع الطول، وإنما سميت بمئين لأن كل سورة منها تزيد على مائة آية أو تقاربها، والمثاني آيات سورة الفاتحة سميت مثاني لأنها تثنى في كل صلاة وفي كل ركعة، وأما المفصل فهو ما يلي المثاني من قصار السور وإنما سميت مفصلا لقصرها وكثرة الفصول فيها (انظر: غريب الأثر لابن قتيبة (٢٤٣/١)).

(٢١١) المصنف في الأحاديث والآثار للحافظ عبدالله بن محمد بن ابي شيبة الكوفي العبسي المتوفى سنة ٢٣هـ (٢٢٤/٧) كتاب الفرائض باب ما قالوا في تعليم الفرائض ح رقم (٥) ضبطه وعلق عليه: الأستاذ سعيد اللحام ـ دار الفكر ـ بيروت ـ لبنان ـ ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

(٢١٢) موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبَّان للحافظ نور الدين علي ابن أبي بكر الهيثمي (١٧٢/١) كتاب المواقيت ـ باب القراءة في صلاة الليل ـ ح رقم (٦٦٤) ـ تحقيق: محمد عبدالرازق حمزة ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.

المبحث الثاني
تفسير مواضع القراءات التي لها تعلّق بالتفسير في السورة

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١].

● **القراءات:**

أولاً: قوله تعالى: «تَسَآءَلون»:

قرأه عاصم وحمزة والكسائي، بالتخفيف أي بتخفيف السين «تَسَآءَلون»

وقرأه الباقون: «تسَّاءلون» بالتشديد بمعنى: تتساءلون ثم أدغم إحدى التاءين في السين فجعلها سينا مشددة(٢١٣).

معنى القراءات:

* «﴿ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ﴾ أي كما يقال: أسألك بالله والرحم.

* أو بمعنى: تعاقدون وتعاهدون»(٢١٤).

التفسير:

---

(٢١٣) انظر النشر (٢/٢٤٧).

(٢١٤) تفسير القرآن العظيم للإمام الحافظ: إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ـ ت٧٧٤ هـ (١/٤٤٨) ـ مكتبة دار التراث ـ القاهرة.

إن الله تعالى أمر الناس جميعا بتقواه بسبب ما أنعم عليهم من نِعَم، على رأسها أنه خلقهم من أب واحد وهو آدم عليه السلام، ثم خلق زوجه من ضلعه الأيسر، وبث منهما الأمم من الرجال والنساء، وحيث إنهم كانوا يكثرون الحلف به في عقودهم وعهودهم لتأكيدها، فمن باب أولى أن يتقوه سبحانه ويتقوا قطع أرحامهم، التي لا توصل إلا بهم[٢١٥].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أولاً: أفادت القراءة الأولى (تساءلون) بالتخفيف: بأن الله أمر الناس بتقواه بمَالَه من شأن في نفوسهم، إذ كانوا يعاقدون ويعاهدون به، في حين بيّنت القراءة الثانية صورة من الصور التي كان يحدث بها ذلك التعاقد، بأنهم كانوا يقولون في تعاقدهم وتعاهدهم: أسألك بالله والرحم.

ثانياً: ويمكن أن تكون قراءة التخفيف من باب الحلف أو الاستحلاف وهو أدنى درجات التعاقد والتواثق. والتشديد هو أشد الدرجات وما بينهما من باب أولى ولذلك فإن القراءتين لا تغني إحداهما عن الأخرى لأنهما بينتا جميع درجات التعاقد والتواثق من الأدنى بقراءة التخفيف إلى الأعلى بقراءة التشديد. كما أنَّ قراءة التشديد توحي بالتشديد في إنفاذ العقود الموثقة، عن طريق الحلف بالله، لما للمحلوف به من شأن في نفوس المتعاقدين.

أما قراءة التخفيف: فهي توحي بضرورة الإسراع في إنفاذ العقود.

«نكتة» المد الثابت في القراءتين، وهو ما أجمع القرّاء على وجوب مده، ومعناه: «إطالة زمن الصوت بحرف المد»[٢١٦] يوحي: بإكثار الناس وإطالتهم من الحلف بالله تعالى، لذا جاء التوجيه بالآية بتقوى الله، وتكرار الأمر في ذلك، فكأنه أراد القول: «كما أنكم تكثرون الحلف بالله وبالرحم، توثيقا لعهودكم فالأولى أن تتقوه في كل شئون حياتكم، وخاصة الأرحام

---

(٢١٥) تفسيرابن كثير (٤٤٨/١) بتصرف.

(٢١٦) المغنى في علم التجويد للدكتور عبدالرحمن يوسف الجمل الطبعة الأولى - مطبعة دار الأرقم - غزة.

وفي أموال اليتامى وفي ميراث النساء» موضع الآيات التالية.

ثانياً: قوله تعالى: «وَالأَرْحَامَ».

القراءات:

قرأ الجمهور بنصب الميم (الأرحامَ). وقرأ حمزة بخفض الميم (الأرحامِ)[٢١٧].

معنى القراءات:

* قراءة النصب: على عطف الأرحام على لفظ الجلالة، فيكون المعنى: اتقوا الله. «واتقوا الأرحام أن تقطعوها ولكن بروها وصلوها».

* وأما قراءة الخفض فهى تعنى: اتقوا الأرحام التي تتعاقدون بها بقولكم: أسألك الله والرحم.

وقراءة الخفض هذه قد أنكرها البصريون، «ولحنّوا القارئ به، وأبطلوه من وجوه: أحدها: أنه لا يعطف بالظاهر على مضمر إلا بإعادة الخافض، لأنه معه كشيء واحد لا ينفرد عنه، وثانيها: أن النبي - ﷺ - نهانا أن نحلف بغير الله فكيف نُنهى عن شيء ويؤتى به[٢١٨]»[٢١٩].

وقد لا يكون المقصود بها حلف ويمين، كما قال كثير من العلماء، وإنما هي من باب الاستعطاف والتوسل وطلب الحقوق، كما نقل القرطبي عن بعض أهل العلم[٢٢٠].

---

(٢١٧) النشر (٢٤٧/٢).

(٢١٨) تفسير ابن كثير (٤٤٨/١).

(٢١٩) الحجة في القراءات السبع للامام ابن خالوية تحقيق: الدكتور عبدالعال سالم مكرم - ص (١١٨) - الطبعة السادسة ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م مؤسسة الرسالة - بيروت بتصرف.

(٢٢٠) انظر تفسير القرطبي (ج٣/ ص٤).

وبذلك أنكر البصريون هذا، وليس بمنكر، «لأن الأئمة أسندوا قراءتهم إلى النبي - ﷺ - وأنكروا أيضا أن الظاهر لا يعطف على مضمر المجرور إلا بإظهار الخافض، وليس بمنكر، وإنما المنكر أن يعطف الظاهر على المضمر الذي لم يجر له ذكر.. فأما أن يتقدم للهاء ذكر فهو حسن، فكذلك الهاء في قوله «تساءلون به»[(٢٢١)].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد بين سبحانه أن من لوازم تقواه، برّ الأرحام والمحافظة على صلتها التي نحن وإياها من أصل واحد، وأداء حقوقها، وعدم قطعها، وهو ما أفادته قراءة النصب.

أما قراءة الخفض، فهي تبين قيمة الرحم عند الناس حيث يتساءلون بها ويستعطف بعضهم بعضا بها، ويطلبون حقوقهم بها، وتبيّن ما كانوا عليه من الحلف بالرحم في عقودهم، ومعاهداتهم، ومبالغتهم في ذلك، وليس ذلك إقراراً لهم فقد حرَّم الإسلام ذلك ولكن بيَّنت القراءة ذلك على سبيل الوصف.

وبذلك نرى أن قراءة الخفض وصفت ما كانوا عليه، في حين أن قراءة النصب بينت ما ينبغي أن يكونوا عليه. والله تعالى أعلى وأعلم.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟ ﴿٣﴾﴾ [النساء: ٣].

● **القراءات:**

قوله تعالى: «فَوَاحِدَةً».

(٢٢١) حجة القراءات للإمام ابي زرعة عبدالرحمن بن محمد بن زنجلة تحقيق: سعيد الأفغاني ص (١٩٨) الطبعة الرابعة: ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م مؤسسة الرسالة - بيروت.

قرأها أبو جعفر بالرفع «فواحدةٌ»، وقرأ الباقون بالنصب «فَواحِدةً»(٢٢٢).

معنى القراءات:

* قراءة الرفع على أنها خبر لمبتدأ محذوف ـ أي: فالمقنع واحدة، أو فاعل لفعل محذوف، تقديره فيكفي واحدة.

* وقراءة «فواحدةً» بنصب التاء، على أنها مفعول لفعل محذوف والتقدير: فانكحوا واحدة، وقيل التقدير: فالزموا أو فاختاروا واحدة(٢٢٣).

التفسير:

يوجه الله تعالى المؤمنين بقوله: إن خفتم ألا تعدلوا في يتامى النساء اللاتي تحت حجوركم وولايتكم، وخفتم ألا تقوموا بحقهنّ لعدم محبتكم لهنّ، فانكحوا من النساء بسبب ما يطيب لكم من أخلاقهنّ وجمالهنّ، بحيث لا تجمعوا أكثر من أربع، وإنما يباح ذلك إذا أمن المرؤ على نفسه الوقوع في الجور والظلم، ووثق من القيام بحقوقهن، فإن خاف شيئا من هذا فليقتصر على واحدة، أو على ما ملكت يمينه، ذلك أقرب إلى عدم الظلم الذي تفسد معه الحياة(٢٢٤).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أولاً: لقد جاء التوجيه في القراءة الأولى قراءة الرفع، بضرورة الاقتصار على زوجة واحدة، فهي تكفي وتقنع.

أما قراءة النصب، فقد بينت العلة التي من أجلها يفضل للإنسان الاقتصار على زوجة واحدة وهو الخوف، من عدم إمكانية العدل بين

---

(٢٢٢) انظر: النشر (٢/٢٤٧).

(٢٢٣) الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر والكشف عن علل القراءات وتوجيهها للدكتور محمد سالم محيسن (٢/١٤٠) ط الأولى ١٤١٧هـ ١٩٩٧م ـ دار الجيل بيروت.

(٢٢٤) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ـ تأليف: عبدالحمن ناصر السعدي ـ تقديم: محمد بن صالح العثيمين ـ ط الأولى ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م ـ مطابع دار البيان الحديثة ـ القاهرة.

الزوجات حال التعدد، في القسمة، ونحوه.

ثانياً: إن قراءة الرفع زادت قراءة النصب تأكيدا لأن الجملة الاسمية أقوى من الجملة الفعلية في المعنى، وهذا يدل على أن القرآن الكريم يؤكد على الواحدة مع خوف الظلم، بهذين الأسلوبين العربيين. والله تعالى أعلم.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَـٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۝٥﴾ [النساء: ٥].

القراءات:

قوله تعالى: «قياماً».

قرأه نافع وابن عامر «قيماً» بغير ألف. وقرأه الباقون بالألف «قياماً»[٢٢٥].

معني القراءات:

* **قيما**: على أنه جمع قيمة وليس بمصدر، لأنه معتل ولو كان مصدرا لم يعتل، فالمعنى: «أموالكم التي جعل الله لكم قيمة لأمتعتكم ومعايشكم»[٢٢٦].

* ومعنى قياماً: أي مصدر قام أي تقوم بها معايشكم من التجارات، وشؤون حياتكم وصلاح أولادكم، وسبب قيام أبدانكم[٢٢٧].

التفسير:

أيها الأولياء لا تؤتوا أموالكم التي جعلها الله قيمة لأمتعتكم، وبها

(٢٢٥) النشر (٢/٢٤٧).

(٢٢٦) طلائع البشر في توجيه القراءات العشر ـ محمد الصادق قمحاوي (٦٥/١) ط الأولى.

(٢٢٧) إتحاف فضلاء البشر (٥٠٣).

تقوم أمور معاشكم، فلا تؤتوها للسفهاء، الذين لا يحسنون التصرف في الأموال لسفه، أو لعدم رشد، فيضيّعوها بإنفاقها في غير وجهها، وأطعموهم منها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا في البر والصلة، وعدوهم بإعطائهم أموالهم إذا رشدوا[٢٢٨].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين يبين الله سبحانه أهمية المال وضرورة الحفاظ عليه، لأنه يلزمنا دوما في أن نقيّم به أشياءنا، وهو ما تشير إليه قراءة «قيماً» وبذلك تقوم به حياتنا، ومجتمعاتنا وهو ما تشير إليه قراءة «قياماً» وهذا أمر هام لا بد من الحفاظ عليه وعدم إهداره، وعدم تمكين غير المحسنين بالتعامل معه، وهو مع ذلك كله نعمة ينعم الله به علينا، وهي إشارات مهمة أفادتها هاتان القراءتان، وفيها إشارة كذلك أن لا قيمة للمجتمعات بدون المال ولذلك «لما كان المال سببا لقيام أمور الناس، ومعايشهم سمي بالقيام، إطلاقاً لاسم المسبب على السبب، على سبيل المبالغة يعنى كأن هذا المال نفس قيامكم وانتعاشكم»[٢٢٩].

وفي الآية تأكيد على أهمية أن يوكل أمر المال في المجتمع للراشدين العقلاء الخبراء، وإلى ضرورة ترشيد الإنفاق بوجود الرقابة المالية في شتى مناحي الحياة. والله تعالى أعلى وأعلم.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾﴾ [النساء: ١٠].

---

(٢٢٨) تفسير الجلالين (٦٥) بتصرف.

(٢٢٩) حاشية القونوي عصام الدين اسماعيل بن محمد الحنفي المتوفى سنة ١١٩٥هـ على تفسير الإمام البيضاوي ناصر الدين عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي المتوفى سنة ٦٨٥هـ ومعه حاشية ابن التمجيد مصلح الدين مصطفى بن إبراهيم الرومي الحنفي المتوفى سنة ٨٨٠هـ ضبطه وصححه وخرج آياته: عبدالله محمود محمد عمر (٣٣/٧) ط الأولى ١٤٣٢هـ - ٢٠٠١م دار الكتب العلمية - بيروت.

● **القراءات:**

قوله تعالى: (وَسَيَصْلَوْنَ):

قرأ ابن عامر وأبو بكر (شعبة) بضم الياء (وَسيُصلون).

وقرأ الباقون بفتحها «سَيَصلون»[٢٣٠].

معنى القراءات:

* قراءة الضم: على البناء للمفعول من الثلاثي معناها: أن يأمر الله من يصليهم سعيرا وأنهم يحرقون فيها من قوله تعالى: «سأصليه سقر» [المدثر: ٢٦].

* وقراءة الفتح: من صلى النار أي: لازمها، فأضيف الفعل إليهم كقوله تعالى: «اصلوها» [الطور: ١٦] وقيل: سيصلون بالفتح من صلى النار إذا دنا منها يصيبه حرها أو تعني التَّسخُن بقرب النار[٢٣١].

التفسير:

«إن الذين يعتدون على أموال اليتامى بغير حق إنما يأكلون ما يجرُّ إلى النار فكأنه نار في الحقيقة»[٢٣٢]، وسيدخلون النار يوم القيامة ويقاسون حرها سواء دخلوها بأنفسهم أم أُدخلوها راغمين.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد أشارت القراءة الأولى (سيصلون) بفتح الياء إلى أن هذا الصنف من الناس سيصلى النار، فأضافت الفعل إليهم، كما قال الله تعالى: ﴿ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ﴾ [القمر: ٤٨] وعلى اعتبار أن «سَيَصلون» تعني: التسخين بقرب النار، يكون المعنى: أنهم سيصلون النار بتسخُّنهم قربها.

وأما القراءة الثانية (سيُصلون) فهي تبينّ أن الله يأمر من يصليهم سعيرا

(٢٣٠) انظر النشر (٢/٢٤٧).

(٢٣١) انظر تفسير القرطبي (٣/٣٥) طبعة دار الحديث - القاهرة.

(٢٣٢) تفسير القرآن الكريم المسمى بالسراج المنير للامام الشيخ الخطيب الشربيني (١/٢٨٤) ط الثانية دار المعرفة بيروت لبنان.

ويحرقهم فيها كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾﴾ [الطور: ١٣].

فكل قراءة هنا أضافت معنى مكمل للأخرى، وبينتا أن العذاب قد يكون على مرحلتين، الأولى: أنهم يتسخنون بقرب النار ثم يُصلونها فيدخلون فيها فيحترقون.. أو أنهم يؤمر بهم إلى النار بعد الحساب فيصلون حرها فيمتنعون من دخولها فيدفعون إليها ويحرقون فيها. والله تعالى أعلى وأعلم.

وفي القراءتين، إشارة إلى تعدد وجوه العذاب في جهنم، بهذا الصنف من الناس، ويدلل على ذلك أنه جاء ذكر السعير منكرا، «فالتنكير هنا للتهويل، ويحتمل أن يكون للتنويع أي يصلون أو تصليهم الملائكة العذاب سعيرا خاصاً من السعر لا يصلاها إلا من هضم حقوق اليتامى وأكل أموالهم ظلماً»(٢٣٣).

ـ قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءٗ فَوۡقَ ٱثۡنَتَيۡنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَۖ وَإِن كَانَتۡ وَٰحِدَةٗ فَلَهَا ٱلنِّصۡفُۚ وَلِأَبَوَيۡهِ لِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٞۚ فَإِن لَّمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٞ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخۡوَةٞ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِي بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍۗ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ لَا تَدۡرُونَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ لَكُمۡ نَفۡعٗاۚ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿١١﴾﴾ [النساء: ١١].

- **القراءات:**

أولاً: قوله تعالى: «واحدةٌ».

قرأها المدنيان «نافع وأبو جعفر» بالرفع «واحدةٌ».

وقرأ الباقون بالنصب «واحدةً»(٢٣٤).

(٢٣٣) تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار تأليف: محمد رشيد رضا ـ (٣٩٤/٤) ط الثانية دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان.

(٢٣٤) انظر النشر (٢٤٧/٢).

معنى القراءات:

* قراءة الرفع على أن كان تامة، بمعنى: إن حدث أو وقع. ذلك أنه لما كان القضاء في إرث الواحدة لا في نفسها، وجب أن يكون التقدير: فإن وقع أو حدث إرث واحدة أو حكم واحدة(٢٣٥).

* وقراءة النصب على أنَّ: كان ناقصة وأضمر فيها اسمها، ونصب واحدة على الخبر ووفق في ذلك بين آخر الكلام وأوله، ألا ترى أوله ﴿فَإِن كُنَّ نِسَآءً﴾ فنصب، وأضمر في «كان» اسمها، فلما أجمع على النصب في «نساء» أجرى «واحدة» على ذلك لأن الآخر قسيم الأول فجرى على لفظه وحكمه(٢٣٦).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

إن وقع أو حدث أن ترك الميت واحدة من الإناث وهو ما تفيده قراءة الرفع، فإن إرثها يجري مجرى جماعة النساء في التأكيد والوجوب، وإن اختلف مقدار الأنصبة المستحقة من تركة الميت وهو ما تفيده قراءة النصب حيث أجرى الواحدة مجرى مجموعة النساء في اللفظ والحكم. وفي ذلك تأكيد لحَّق الواحدة في ميراث الميت، لأن الواحدة قد تكون أضعف من مجموعة النساء في المطالبة بميراثها، وأيضا للقضاء على مظنة إهمالها من الميراث والاستيلاء عليه، وفيه تأكيد على اهتمام الإسلام المنقطع النظير بأمور المرأة ومستحقاتها. والله تعالى أعلى وأعلم.

ـ ثانياً: قوله تعالى «يُوصِى»

القراءات:

قرأها ابن كثير، وابن عامر، وأبو بكر «شعبة» بفتح الصاد «يوصَى».

---

(٢٣٥) انظر طلائع البشر في توجيه القراءات العشر (٦٥/١).

(٢٣٦) الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها لأبي محمد مكي بن ابي طالب القيسي (٣٥٥ ـ ٤٣٧) هـ تحقيق الدكتور: محي الدين رمضان (٣٧٨/٢) ط الثانية ١٤٠١هـ ١٩٨١م مؤسسة الرسالة ـ بيروت.

وقرأ الباقون بكسر الصاد «يوصِى»[٢٣٧].

معنى القراءات:

* قراءة الكسر: على البناء للفاعل أي: يوصى المذكور أو الموروث، الذي ورد ذكره في صدر القصة، وهو قوله «ولأبويه» أي لأبوي الميت، وقوله: «إن كان له ولد» فقد جرى ذكر الميت[٢٣٨] على وجه الحصر وهو الضمير في يوصي.

* أما قراءة الفتح فهي على البناء للمفعول، والضمير في الكلمة في هذه الحالة يعود على الوصية ذاتها، «والمراد أن هذه الوصية يوصى بها»[٢٣٩] ومن قرأ بالفتح فإنما يحسبه ليس لميت معين، إنا هو شامل في الجميع»[٢٤٠].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

وظاهر الفرق بين القراءتين لفظى ليس له تعلق بالمعنى، والذي أراه خلاف ذلك، فالضمير في (يوصِي) بالكسر يشير إلى شخص محدد بعينه، وهو الميت، فكأن هذه القراءة تشير - والله أعلم - إلى ضرورة التأكد من نسبة الوصية لصاحبها أي للميت، والتثبت من ذلك بالقرائن، والدلائل المختلفة، فإن عدم الجزم في إثبات ذلك يؤدي إلى تنازع الورثة، وضياع الحقوق.

أما قراءة الفتح (يوصَى)، فالضمير يعود فيها إلى الوصية عينها، وفي ذلك تأكيد على «أهمية الوصية واتباعها والعمل بها لكل مسلم، كما هو سنة

---

(٢٣٧) النشر (٢٤٨/٢).

(٢٣٨) حجة القراءات للامام الجليل ابي زرعة عبدالرحمن بن محمد بن زنجلة (١٩٣/١) تحقيق: سعيد الأفغاني - ط الرابعة ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م مؤسسة الرسالة - بيروت.

(٢٣٩) الموضح في وجوه القراءات وعللها تأليف الإمام نصر بن علي بن محمد الشيرازي الفارسي النحوي ت (٥٦٥)هـ (٤٠٧/١) تحقيق: الدكتور عمر حمدان الكبيسي - ط الأولى ١٤١٤هـ ١٩٩٣م الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم - جدة.

(٢٤٠) حجة أبي زنجلة (١٩٣/١).

النبي - ﷺ -[٢٤١].

بما روى عن ابن عمر: أن رسول الله - ﷺ - قال: «**ما حق امرئ مسلم له شئ يوصى به يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده**»[٢٤٢].

فالقراءتين سدتا مكان آيتين في المعنى. والله تعالى أعلى وأعلم.

قوله تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ [النساء: ١٣ - ١٤].

القراءات:

قوله تعالى: ﴿يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ . . . ويُدْخِلْهُ نَارًا﴾ [النساء: ٥٧] قرأ المدنيان وابن عامر بالنون «ندخله» وقرأ الباقون بالياء[٢٤٣].

معنى القراءات:

«القراءة بالنون أنه أخرج الكلام على إخبار الله جلَّ ذكره عن نفسه، بعد لفظ الغيبة، وذلك مستعمل كثير، قال جلَّ ذكره: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ﴾ [العنكبوت: ٢٣]، فجرى الكلام على لفظ الغيبة ثم قال: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى﴾ فرجع بالكلام إلى الإخبار من الله عن نفسه، فكذلك هكذا.

أما القراءة بالياء «يدخله» فهو ردُّ آخر الكلام على أوله، فلما أتى أوله بلفظ الغيبة في قوله: «ومن يعص الله ورسوله . . .ومن يطع الله ورسوله»،

(٢٤١) الميراث في الشريعة الإسلامية تأليف الدكتور ياسين أحمد إبراهيم درادكة ص (٩٩) ط الثانية ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣م) مؤسسة الرسالة - بيروت.

(٢٤٢) صحيح البخاري (ج٣ - ص ١٠٠٥ - رقم ٢٥٨٧) تحقيق: د مصطفى البغا - ط الثالثة ١٩٨٧ - دارابن كثير.

(٢٤٣) النشر (٢٤٨/٢).

قال: «يعذبه ويدخله «ليتألف الكلام على نظام واحد»(٢٤٤).

التفسير:

أخبر جل ثناؤه أن من يطع الله ورسوله في قسمة المواريث وغيرها، ويجتنب ما نهاه عنه في ذلك وغيره، يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار، يعني تجري من تحت غروسها وأشجارها الأنهار، لا يموتون فيها ولا يفنون ولا يخرجون منها، وذلك الفوز العظيم، ومن يعص الله ورسوله في العمل بما أمره به من قسمة المواريث وغير ذلك من فرائض الله، مخالفا أمرهما إلى ما نهياه عنه، يدخله نارا باقيا فيها أبدا لا يموت ولا يخرج منها أبدا، وله عذاب مذل مخز له»(٢٤٥).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قد يرى القارئ الفرق بين القراءتين: لا يعدو كونه لفظيا، والصواب خلاف ذلك، فالالتفات من الغيبة إلى الخطاب والحديث بنون العظمة هو من أساليب القرآن الكريم، وفيه من إثراء المعاني وتنوعها، وسبك الكلام وتناسقه ففي الوقت الذي كانت القراءة بالياء جريا على نسق ما سبق من الكلام، كانت القراءة الثانية بالنون تؤكد هذه القراءة، وتؤكد على تحقيق ما فيها من وعد ووعيد، وكذلك فإن «النون من خطاب الملوك وأقوالهم فخوطبوا بالمتعارف»(٢٤٦).

قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًاۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَـٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ١٩﴾ [النساء: ١٩].

(٢٤٤) الكشف (٢/٣٨١).

(٢٤٥) تفسير الطبري (٤/٢٩١).

(٢٤٦) الموضَّح في وجوه القراءات (١/٤٠٨).

● **القراءات:**

أولاً: قوله تعالى: «كَرْهاً»:

قرأها حمزة، والكسائي وخلف بضم الكاف «كُرهاً».

والباقون بالفتح «كَرهاً»(٢٤٧).

معنى القراءات:

اختلف في الفرق بين الكلمتين، فقيل المعنى واحد وهما لغتان، مثل الفقر والفُقر وقيل:

* الكُره بالضم يعنى المشقة، أي ما يفعله الإنسان كارها من غير إكراه مما هو فيه مشقة.

* والكَره بالفتح الإجبار، وقد جعل ابن عباس «الكُره» فعل الإنسان و«الكَره» ما أُكره عليه صاحبه، تقول «كرهت الشيء كُرها، وأُكرهت على الشيء كَرها»، ويحتج في ذلك بقول الله ﷻ «﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦](٢٤٨).

التفسير:

لا يحل لكم أن ترثوا النساء كما يرث أحدكم المتاع والمال، فلا يحل إجبار الأرملة على نكاح من لا تريد بإكراهها على ذلك مما فيه مشقة لها، ولا يجوز أن تمنعوا أزواجكم من نكاح غيركم بإمساكهنّ ولا رغبة لكم فيهنّ ضراراً من أجل أن يفتدين أنفسهنّ ببعض مهرهنّ. وفي حال ارتكاب أزواجكم فاحشة كالزنى، أو نشوز ظاهر لا تحسن معه عشرة، يجوز لكم أن تضاجروهنَّ، أو تضيّقوا عليهنّ حتي يفتدين أنفسهن بالصداق، أو يطلبن

(٢٤٧) انظر النشر (٢/٢٤٩).

(٢٤٨) انظر: حجة ابن زنجلة (١/١٩٥)، الكشف (١/١٨)، إتحاف فضلاء البشر (١/٥٠٦).

الخلع، وعاشروهن بالمعروف في القول والنفقة والمبيت، فإن كرهتموهنّ فاصبروا فعسى الله أن يرزقكم منهنّ ولدا صالحاً، ويجعل فيه خيرا كثيراً[(٢٤٩)].

وسبب نزول الآية ما كان يجري في الجاهلية من أنهم «كانوا إذا مات الرجل كان أولياءه أحق بامرأته، إن شاء بعضهم تزوجها وإن شاءوا زوجوها، وإن شاءوا لم يزوجوها، فهم أحق بها من أهلها فنزلت هذه الآية في ذلك»[(٢٥٠)].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد أفادت قراءة الفتح (كَرها) أنه لا يحل إجبار المرأة التي تُوفي عنها زوجها أو إكراهها على نكاح من لا تريد أما قراءة الضم (كُرها) فأفادت أنه لا يحل أيضا إلجاؤها إلى ذلك، عن طريق منعها من الزواج، فتكون بذلك كارهة وإن لم يقع عليها فعل الإكراه صراحة، فالقراءتان أفادتا منع إكراه المرأة المطلقة من الزواج بمن تكره سواء كان ذلك الإكراه صريحا، أو كان بأساليب ملتوية، وفي ذلك حماية لحرية المرأة التي صانها لها الدين، وتأكيد على تحريم ما كان يجرى في الجاهلية. والله تعالى أعلم.

ثانياً: قوله تعالى: «مبيَّنَة».

قرأها ابن كثير وأبو بكر بفتح الياء «مبيَّنة».

وقرأها الباقون بالكسر «مبيِّنة»[(٢٥١)].

---

(٢٤٩) تفسير الجلالين (٦٧) بتصرف.

(٢٥٠) عمدة القاري شرح صحيح البخاري للإمام العلامة بدر الدين ابي محمد محمود بن أحمد العيني ٧٦٢هـ ٨٥٥هـ (٥/٩٨) ط الأولى ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده.

(٢٥١) النشر (٢٤٨/٢).

معني القراءات:

* القراءة بفتح الياء على البناء للمفعول بمعنى: مكشوفة، مظهرة، أي أوضح أمرها أو أنَّ الله بيَّنها كقوله تعالى: ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْآيَـٰتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [آل عمران: ١١٨].

* والقراءة بكسر الياء على البناء للفاعل بمعنى: إضافة الفعل إلى الفاحشة، لأنها تبيِّن عن نفسها لشدة قبحها، فهي ظاهرة كقوله تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَـٰبٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة: ١٥][٢٥٢].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد بيّنت قراءة الكسر (مبيِّنة) أنه يجوز لكم في حال ارتكاب أزواجكم فاحشة كالزنى، أو نشوز ظاهر لا تحسن معه عشرة، أن تضاجروهنَّ أو تضيِّقوا عليهنّ حتي يفتدين أنفسهن بالصداق، أو يطلبن الخلع ويحتمل أن يكون المعنى أن الفاحشة بيَّنت سوء خلق هذه الزوجة، بحيث يستحيل معه عشرتها. أما قراءة الفتح فقد أضافت حالة ثانية أنه يجوز لكم فعل ذلك في حال أن ظهر لكم أو اكتشفتم ارتكاب أزواجكم الفاحشة في الخفاء فأظهرها الله لكم. والله تعالى أعلم.

واشتراط كون الفاحشة مبيِّنة سواء كانت ظاهرة أو مظهرة، فيه دليل على منع التضييق والمضاجرة للمرأة بسوء الظن، لغيرة الرجل وتسرّعه في الحكم على الزوجة البريئة أو المرأة العفيفة، فيقع الرجل في الظلم حينئذ.

قوله تعالى: ﴿۞ وَٱلْمُحْصَنَـٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ ۖ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَـٰفِحِينَ ۚ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ

(٢٥٢) انظر حجة القراءات لإبن زرعة (١٩٦) الموضح في وجوه القراءات للنحوي (٤١١/١) الحجة لابن خالويه (١٢١).

﴿مِنۢ بَعۡدِ ٱلۡفَرِيضَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾﴾ [النساء: ٢٤].

- **القراءات:**

قوله تعالى: «وأحلّ»

قرأها أبو جعفر، والكسائي، وخلف، وحفص، بضم الهمزة وكسر الحاء «أُحِلَّ».

وقرأ الباقون بفتحها «أَحَلَّ»(٢٥٣).

معني القراءات:

* قراءة الضم، على البناء للمفعول انسجاماً مع قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمۡ أُمَّهَٰتُكُمۡ﴾ [النساء: ٢٣] وفيها يجرى التحليل عقب التحريم في الآية الأولى، وعلى لفظه فقد ابتدأ التحريم في الآية الأولى (حُرِّمت عليكم أمهاتكم ...) على ترك تسمية الفاعل، ليكون لفظ التحريم والتحليل على لفظ واحد، فكأنما قال: «حُرِّم عليكم كذا...وأُحل لكم كذا...».

* وقراءة الفتح أحلَّ بإسناد الفعل إلى الله تعالى، وذلك لقربه من لفظ الجلالة في قوله ﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ وَأُحِلَّ لَكُم﴾ [النساء: ٢٤]، أي أحل الله لكم(٢٥٤).

التفسير:

«لقد حرم الله على المؤمنين نكاح المتزوجات من النساء قبل مفارقة أزواجهن لهن، حرائر مسلمات كنّ أولا، إلا الإماء بالسبي فلكم وطؤهنّ وإن كان لهم أزواج في دار الحرب بعد الإستبراء.

وأحل لكم ما سوى ذلك مما لم يذكر في هذه الآية، فتطلبوهنّ حال كونكم مستعفين عن الزنا، ومعفين نساءكم، فمن تزوجتموهن فآتوهنّ مهورهن التي فرضتم لهنّ ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من حطٍّ بعضه أو الزيادة عليه، إنّ الله كان عليما بخلقه حكيما فيما دبَّره لهم»(٢٥٥).

---

(٢٥٣) النشر (٢/٢٤٩).

(٢٥٤) انظر: حجة ابن خالويه (١٢٢)، وحجة ابن زنجلة (١٩٨).

(٢٥٥) انظر: تفسير الجلالين (٦٩).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد جاءت القراءة الأولى (أُحل) على ما لم يسمى فاعله، وذلك لغرض بلاغي يتعلق بسبك الكلام، ورد بعضه على بعض، ليتناسق أوله مع آخره، ويتطابق معه، وينسجم مع قوله تعالى: (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ). أما القراءة الثانية، فقد جاءت بإسناد الفعل لاسم الله الظاهر، فكأنه أراد أن يقول: إن الله الذي حرم عليكم ما سبق أن فصل لكم من المحرمات، هو الذي برحمته أحل لكم نكاح ما بيَّن لكم من المباحات، فهو الذي بيده التحليل والتحريم، وليس لأحد كائنا من كان أن يتعدى هذه الخاصية، سواء أسند الفعل لاسمه الظاهر أم أضمر الإسناد، فقد كتب ذلك عليكم وأنزله في كتاب شاهداً عليكم، يطابق أول كلامه آخره بتجانس محكم وتوافق دقيق. والله تعالى أعلم.

ـ قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُم ۚ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ ۚ فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ ۚ وَأَن تَصْبِرُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٥﴾﴾ [النساء: ٢٥]

● **القراءات:**

أولاً: قوله تعالى: «المحْصَنَات»:

قرأها الكسائي بكسر الصاد المحصِنات.

وقرأها الباقون بالفتح: المحصَنات.

ثانياً: قوله تعالى: «أُحصِنَّ»:

قرأها حمزة والكسائي وخلف وشعبة بفتح الهمزة «أَحصَّن».

وقرأها الباقون بالضم «أُحْصِنَّ»[٢٥٦]

معاني القراءات:

*** أولاً: «المحصَنات»:**

قراءة الكسر (المحصِنات) بإسناد الفعل للنساء والمراد به: «الحرائر» ويدل عليه أنه تعالى أباح عند تعذر نكاح المحصنات نكاح الإماء، فلا بد وأن يكون المراد من المحصنات من يكّن ضد الإماء، والوجه في تسمية الحرائر بالمحصنات على قراءة من قرأ بفتح الصاد: أنهنّ أحصنَّ بحريتهنَّ عن الأحوال التي تقدم عليها الإماء. فإن الظاهر أن الأَمَة تكون خرَّاجة ولاّجة، ممتهنة مبتذلة، والحرة مصونة محصنه من النقائض.»[٢٥٧] ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَٱلَّتِىٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا﴾ [الأنبياء: ٩١].

* وقراءة الفتح (المحصنَات) على إسناد الفعل لغيرهن، فجعلهن أحصنهنَّ غيرهنّ من زوج أو وليّ أو بعفاف الإسلام[٢٥٨].

ثانيا: أحصنَّ:

* قراءة الضم على البناء للمفعول: «أي بالازواج على معنى: تزوجن»[٢٥٩].

أي أنهنّ أحصنَّ فروجهنَّ بالتزويج «وكان ابن عباس يقرأها «فإذا أُحِصِنَّ» ويفسِّره: «فإذا أُحِصِنَّ بزوج»[٢٦٠].

---

(٢٥٦) النشر (٢٤٩/٢).

(٢٥٧) انظر: التفسير الكبير للإمام الفخر الرازي (٥٧/١٠) الطبعة الثانية ـ دار الكتب العلمية ـ طهران.

(٢٥٨) انظر الكشف (٢٣/١) والموضح في وجوه القراءات وعللها (٤١١/١).

(٢٥٩) مفاتيح الأغاني في القراءات والمعاني لابي علاء الكرماني المتوفى٥٦٣ هـ (١٤٢) دراسة وتحقيق: الدكتور عبدالكريم مصطفى مدلج ـ ط الأولى ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م ـ دار ابن حزم للطباعة والنشر ـ بيروت.

(٢٦٠) معاني القراءات لأبي منصور الأزهري محمد بن أحمد المتوفى سنة ٣٧٠هـ (٣٠٢/١) تحقيق: د. عيد مصطفى درويش وعوض بن حمد القوزي ط الأولى ١٤١٢هـ ١٩٩١م.

* وقراءة الفتح على إسناد الفعل لهن، أي أنهنَّ يحصنَّ أنفسهن بالزواج، أو يحصنَّ أزواجهن، وذلك أن الزواج فيه إحصان للزوجة والزوج على حد سواء، فقد جاء في الحديث «من استطاع منكم الباءة فليتزوج لأنه أغضُّ للبصر وأحصنُ للفرج»(٢٦١).

التفسير:

«من لم يجد عنده سعة ومقدرة وغنى أن ينكح المؤمنات الحرائر، فلينكح المؤمنات من الإماء، واكتفوا بالظاهر من الإيمان، وكِلوا السرائر إلى الله فإنه العالم بها، فأنتم وهنَّ سواء في الدين فلا تستنكفوا من نكاحهنَّ، فانكحوهن بإذن مواليهنَّ، وأعطوهنَّ مهورهنَّ من غير مطل ونقص، عفائف غير زانيات جهراً، ولا متخذات أخِلَّاء يزنون بهنَّ سراً، فإذا تزوجن، ثم زنين فعقوبتهنّ نصف الحرائر الأبكار إذا زنين، ونكاح المملوكات يكون عند عدم الطول لمن خاف الزنا، بخلاف من لا يخافه من الأحرار فلا يحل له نكاحها، وأن تصبروا عن نكاح المملوكات خير لكم لئلا يصير الولد رقيقاً «والله غفور رحيم» بالتوسعة في ذلك»(٢٦٢).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة الكسر (المحصِنات وأحصَنّ) وقوع فعل الإحصان من النساء فهنّ أحصنَّ أنفسهن بالحرية والإسلام والعفة والزواج، وكذلك أحصنّ أزواجهنّ بالتزويج، وتحصّنّ بهذه الأشياء من الوقوع في الفاحشة، وفي تعدد وجوه الإحصان للمرأة إشارة لبيان تعدد وجوه الإغراء والغواية التي تقع من المرأة، وحرص الإسلام على سد هذه المنافذ.

وقراءة الفتح (المحصَنات، أُحصَّ) تفيد وقوع فعل الإحصان من غيرهنّ عليهنّ بالزواج، أو الحرية حيث كانت حصنا منيعا لهنّ من أن يبتذلن كالإماء أو أن يعتدى عليهنّ.

(٢٦١) رواه البخاري ـ كتاب النكاح باب قول النبي من استطاع منكم الباءة فليتزوج (ص٥٦ ج ١٧/ح رقم ٤٧٤٥).

(٢٦٢) انظر: تفسير ابن كثير (٤٧٥/١ ـ ٤٧٨) باختصار وتصرف.

وبذلك نرى أن تعدد القراءات في الآية أكَّد على أهمية العلاقة التبادلية بين الرجل والمرأة، وعلى أهمية الزواج لكلا الطرفين على اعتباره علاجاً فاعلاً للقضاء على التسيب الأخلاقي في المجتمع فهو إحصان للرجل والمرأة على حد سواء. والله تعالى أعلم.

- **قوله تعالى**: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾ [النساء: ٣١].

القراءات:

قوله تعالى: «مُدْخَلاً»:

قرأها المدنيان (نافع وأبو جعفر) بفتح الميم «مَدخَلاً».

وقرأ الباقون بالضم «**مُدْخَلاً**»(٢٦٣).

معنى القراءات:

* «قراءة الفتح على أنه مصدر من دخل يَدخُل مَدخَلاً ودُخولاً ودليله قوله تعالى: (حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ).

* وقراءة الضم على أنه مصدر من أدخل يُدخِل، ودليله قوله تعالي: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَـٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾﴾ [الإسراء: ٨٠]»(٢٦٤)

«ويجوز أن يكون مكاناً كأنه قال: يدخلكم مكاناً. لأنا رأينا المكان وصف بالكريم وهو قوله: ﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾﴾ [الدخان: ٢٥ - ٢٦]»(٢٦٥)

---

(٢٦٣) النشر (٢/٢٤٨).

(٢٦٤) انظر الحجة لابن خالويه (١٢٢).

(٢٦٥) الحجة للقراء السبعة أئمة الأمصار بالحجاز والعراق والشام الذين ذكرهم أبو بكر بن مجاهد تأليف: أبي علي الحسن بن أحمد بن الغفار الفارسي ت ٣٧٧هـ (٢/٧٩) وضع حواشيه وعلق عليه: كامل مصطفى الهنداوي (١٤٢١هـ - ٢٠٠١م) ط الأولى دار الكتب العلمية - بيروت.

«يقال فلان حسن المدخل والمخرج أي حسن الطريقة محمودها وكذلك هو حسن المذهب»(٢٦٦)

التفسير:

«إن تتركوا وتدعوا كبائر الذنوب التي نهيتم عنها، وهي كل ما فيه حد في الدنيا، أو وعيد في الآخرة، أو نفي إيمان، أو ترتيب لعنة أو غضب، فسوف نتجاوز لكم عن صغائر هذه الذنوب، فلا نؤاخذكم عليها، وندخلكم مُدخَلا بضم الميم وفتحها أي إدخالا أو موضعا «كريما» هو الجنة»(٢٦٧).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد بيّنت القراءة الأولى بالفتح (مَدخلا) صفة المكان الذي أعده الله لعباده الطائعين، فسوف ندخلكم مكاناً كريماً هو الجنة ووصف المكان بالكريم دليل على ما أعده الله لمن دخله من كرامة. أما قراءة الضم، فقد بيّنت صفة ذلك الدخول فهو دخولاً تكرمون فيه أو إدخالاً مع كرامة. والله تعالى أعلم.

١١ ـ قوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِيَ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾﴾ [النساء: ٣٣].

● **القراءات:**

قوله تعالى: «عَقَدَت»:

«قرأ (الكوفيون) عاصم وحمزة والكسائي: (وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ) بغير ألف.

وقرأ الباقون: (وَالَّذِينَ عَاقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ) بالألف»(٢٦٨).

معني القراءات:

«قراءة الألف هو إجراء اللفظ على ظاهره، من فاعِلَيْن حيث كان

---

(٢٦٦) لسان العرب ـ (٢٤٠/١١).

(٢٦٧) انظر: تفسير البيضاوي (١٧٩/٢).

(٢٦٨) النشر (٢٤٩/٢).

الرجل في الجاهلية يعاقد الرجل فيقول: دمي دمك وهدمي هدمك، وترثني وأرثك، وتطلب بي وأطلب بك، فلما جاء الإسلام بقي منهم ناس فأمروا أن يؤتوهم نصيبهم من الميراث وهو السدس، ثم نسخ ذلك بالميراث فقال: «وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله»[٢٦٩] وذهب النحاس إلى أن قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ﴾ ليس بناسخ ولا منسوخٌ والذي يجب أن يُحمل عليه الحديث أن يكون: «ولكل جعلنا موالي» ناسخاً لما كانوا يفعلونه»[٢٧٠] فحسنت «الألف ها هنا لأنها تجرد في بناء فعل الاثنين»[٢٧١].

* والقراءة بحذف الألف بإضافة الفعل إلى الأيمان، فاسند الفعل إليها دون أصحاب الأيمان، فلما أسند الفعل إلى الأيمان في ظاهر اللفظ لم يحتج إلى المفاعلة لأن يمين القوم الآخرين لا فعل لها، فهذا في هذه القراءة محمول على اللفظ، لفظ الأيمان دون أصحاب الأيمان[٢٧٢] وتقديره: الذي عقدت أيمانكم لهم الحلف.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

إن القراءتين في الآية قد بيَّنتا أن تأكيد التعاقد بين الناس على أي أمر ذي بال مثل الميراث، موضوع الآيات، كان يتم بطريقتين: **الأولى**: إبرام العقد من طرفين، وهي تحمل معنى المفاعلة، والتبادل وهي من التعاقد والمعاقدة، ويحدث بأن يحلف كلا الطرفين لصاحبه على أن يرث كل منهم الآخر، وتعتبر هذه الصيغة الأقوى في التعاقد لأن زيادة المبنى دليل على

(٢٦٩) ناسخ القرآن ومنسوخه «نواسخ القرآن» للحافظ المفسر الفقيه عبدالرحمن بن علي بن عبدالله ابن الجوزي ت ٥٩٧هـ ص (٣٣٤) تحقيق: حسين سلم الداراني، ط الأولى ـ ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م ـ دار الثقافة العربية ـ دمشق.

(٢٧٠) الناسخ والمنسوخ للنحاس (٣٣٣/١).

(٢٧١) الحجة لابن خالويه (١٢٣/١).

(٢٧٢) الكشف (٣٨٩/٢).

زيادة المعنى وهو ما أشارت إليه قراءة (عاقدت).

الثانية: بالأيمان الموثقة التي يحلفها طرف واحد للثاني، وهو المورِّث والتي ينعقد بها العقد، تعتبر بمثابة الرباط المتين، الذي يربط الاثنين معا وهو ما أشارت إليه قراءة (عقدت). وهي تمثل المستوى الأدنى الذي كان يتم به التعاقد والتوارث. والغرض من القراءتين هنا هو وصف ما كان يفعله المسلمون في فترة معينة، لا لإقراره فقد نسخ التوارث لغير أولي الأرحام. وهذا ما يمكن أن نطلق عليه الأثر الوصفي للقراءات. والله تعالى أعلم.

قوله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ۚ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾ [النساء: ٣٤].

● **القراءات:**

قوله تعالى: «بما حفظَ الله»:

«قرأ أبو جعفر بنصب الهاء «اللّهَ»، وقرأ الباقون برفعها «اللّهُ»[(٢٧٣)].

معني القراءات:

* قراءة الرفع: بإسناد فعل الحفظ إلى الله تعالى، والمعنى أنهّن حافظات لغيب أزواجهنَّ، بحفظ الله لهن، ومعونته، وتسديده، أو «حافظات له بما استحفظهنُّ من أداء الأمانة إلى أزواجهنَّ على الوجه الذي أمر الله»[(٢٧٤)] أي بما حفظ الله لهنَّ ودينهنَّ وحفظهنَّ من الانحراف. أو «بما أوصى الله الأزواج عليهنَّ»[(٢٧٥)].

---

(٢٧٣) النشر (٢/٢٤٩).

(٢٧٤) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير تأليف محمد بن علي بن محمد الشوكاني: ت ١٢٥٠هـ (٥٤٨/١) تحقيق: الدكتور عبدالرحمن عميرة ـ ط الأولى ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م دار الوفاء للطباعة والنشر ـ المنصورة.

(٢٧٥) انظر: تفسير الجلالين (٧٠).

* «وقراءة النصب على إسناد فعل الحفظ لهن والمعنى: بما حفظن الله أي: حفظن أمره، أو حفظن دينه»[٢٧٦].

التفسير:

«الرجال قوامون على النساء» يؤدبونهنَّ ويأخذون على أيديهنَّ بتفضيله لهم عليهنَّ بالعلم والعقل والولاية، وغير ذلك، وبما أنفقوا عليهنَّ من أموالهم فالصالحات منهنَّ مطيعات لأزواجهنَّ حافظات لفروجهنَّ وغيرها في غيبة أزواجهنَّ بما حفظن من أوامر الله فحفظهنَّ الله حيث أوصى عليهنَّ الأزواج، واللاتي تخافون عصيانهنَّ لكم بأن ظهرت أمارته، فخوِّفوهنَّ الله، واعتزلوا فراشهنَّ، واضربوهنَّ ضربا غير مبرح إن لم يرجعن بالهجران، فإن أطعنكم فيما يراد منهنَّ، فلا تضربوهنَّ ظلما واحذروا أن يعاقبكم الله إن ظلمتموهنَّ»[٢٧٧].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد بيَّنت القراءة الأولى برفع لفظ الجلالة: أن الله سبحانه وتعالى كما فضل الرجال على النساء بالقوامة، فقد خصَّ النساء الصالحات بحفظه، ومعونته وألهمهنَّ السبيل لحفظ أمره ودينه، أما القراءة الثانية بإسناد الحفظ للنساء، فقد بيَّنت ما يترتب على حفظ الله لهنَّ دينهنَّ بأنهنَّ يقمن بحفظ غيب أزواجهنَّ، وأداء الأمانة لهم على الوجه الذي أمر الله تعالى، مما يكون سببا في سعادتهنَّ في الدنيا والآخرة.

وفي ذلك تأكيد للمعنى الذي جاء في الحديث الشريف، بالحض على اختيار الزوجة المؤمنة الصالحة، لأنها هي التي تحافظ على أسرار الزوج وعرضه: «فعن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي - ﷺ - أنه كان يقول: «ثم ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خيراً له من زوجة صالحة، إن أمرها أطاعته،

---

(٢٧٦) انظر: إتحاف فضلاء البشر (١/٥١٠).

(٢٧٧) المرجع السابق (٧٠).

وإن نظر إليها سرته وإن أقسم عليها أبرته، وإن غاب عنها نصحته في نفسها وماله»[٢٧٨].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ۝٤٠﴾ [النساء: ٤٠].

● **القراءات:**

أولاً: قوله تعالى: «حسنة»:

قرأها المدنيان (نافع وأبو جعفر) بالرفع «**حسنةٌ**».

وقرأها الباقون بالنصب «**حسنةً**»[٢٧٩].

معني القراءات:

«قراءة الرفع: على أن كان تامة والمعنى: إن وقعت حسنة، أو حدثت حسنة.

وقراءة النصب: والتقدير وان تكن الحسنة مثل ذرة»[٢٨٠] وهي أصغر النمل[٢٨١] كناية عن التناهي في الصغر.

ثانياً: قوله تعالى: «يضاعفها»:

«قرأها ابن كثير، وابن عامر، وأبو جعفر، ويعقوب، بالقصر والتشديد: (يضعّفها).

---

(٢٧٨) سنن ابن ماجة محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني ـ ت ٢٧٥ هـ (٥٩٦/١) تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ـ دار الفكر ـ بيروت.

(٢٧٩) انظر النشر (٢٤٩/٢).

(٢٨٠) الكشف عن وجوه القراءات لمكي بن أبي طالب (٣٨٩/٢ ـ ٣٩٠).

(٢٨١) مختار الصحاح للشيخ الإمام محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي رحمه الله ـ مراجعه وتحقيق لجنة علماء العرب ترتيب محمود خاطر ـ دار الفكر للطباعة والنشر بيروت ـ لبنان.

والباقون بالألف بدون تشديد: (يضاعفها). وهما لغتان»[٢٨٢] والتضعيف هنا بعشرة أمثال، كما جاء في قوله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠].

التفسير: إن الله تبارك وتعالى، لا يبخس الناس ولا ينقصهم من ثواب أعمالهم وزن ذرة، بل يجازيهم بها ويثيبهم عليها، وإن وقعت حسنة أو أحدث حسنة مهما تناهت في الصغر فإن الله تعالى يضاعفها لهم أضعافا كثيرة.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

إن قراءة الرفع أفادت قبول الله تعالى للأعمال الحسنة دون التطرُّق لمقدار حجمهما، فهي تؤكد على أهمية وقوع الأفعال الحسنة، في حين أضافت قراءة النصب معنى دقيق للآية فهي تؤكد قبول الله تعالى للأعمال الحسنة مهما قلَّت في حجمها وإن كانت مثل الذرة حتى لا يستصغر الناس أعمالهم فيتركونها مظنة عدم قبولها لصغرها.

- **قوله تعالى**: ﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾﴾ [النساء: ٤٢].

- **القراءات:**

قوله تعالى «تَسَوَّى»:

«قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، بفتح التاء وتخفيف السين. (تَسَوَّى).

وقرأ المدنيان نافع وأبو جعفر وابن عامر، بفتح التاء وتشديد السين «تَسَّوَّى».

وقرأ الباقون بضم التاء وتخفيف السين (تُسوى)»[٢٨٣].

(٢٨٢) حجة ابن زنجلة (٣ ـ ٢).

(٢٨٣) انظر النشر (٢/٢٤٩).

معاني القراءات:

* قراءة الضم: «أنه جعله فعلاً لم يسمُّ فاعله من التسوية وأقام «الأرض» مقام الفاعل، على معنى: لو يُجعلون والأرض سواء أي تراباً»[٢٨٤] وذلك بعدما يروا ما يفعل بالبهائم، ودليله قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِي كُنتُ تُرَٰبًا﴾ [النبأ: ٤٠].

* «وقراءة الفتح وتشديد السين: أنه بنى الفعل على «يتفعّل» فأسنده إلى الأرض»[٢٨٥] ويجوز أن يراد بالكلام «يود الذين كفروا لو يستوون هم بالأرض فيكونوا من ترابها، ثم يحول الفعل إلى الأرض لأنهم إذا تسووا بها فقد تسوّت بهم، فيكون كل صنف منهما قد استوى بصاحبه، وقد استعملته العرب في كلامها»[٢٨٦] «واستوت به الأرض وتسوَّت وسويت عليه، هلك فيها»[٢٨٧].

التفسير:

يوم القيامة يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو أنهم تتسوى «بهم الأرض» بأن يكونوا ترابا مثلها لعظم هول ما يرونه، ولما يرون ما يحدث للبهائم كما في قوله تعالى: «ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا»، «ولا يكتمون الله حديثا» عما عملوه من أعمالهم التي كانوا يعملونها.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد أفادت القراءة الأولى والثانية (تسَّوى) أن الأرض هي التي تسوى بهم أي أنهم تمنوا لو انفتحت الأرض فساخوا فيها فيكونوا من ترابها لئلا يحاسبوا، أو تسوى عليهم الأرض، فيهلكون فيها في حين أن القراءة الثالثة (تُسوى) أفادت أن لو سوى الله بهم الأرض فيجعلهم وهي سواء حتى لا

(٢٨٤) انظر: الكشف (٤٢/٢).

(٢٨٥) المرجع السابق (٤٢/٢).

(٢٨٦) حجة ابن زنجلة (٢٠٤/١).

(٢٨٧) لسان العرب (٤١٥/١٤).

يبعثوا أو أنهم يصبحون كالبهائم يوم القيامة في مصيرها حيث تصبح ترابا. فالقراءتين افادتا معا تمني الكافرين الفرار من العذاب ولو بأي شكل من الأشكال. والله تعالى أعلم.

ـ قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا ۚ وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾﴾ [النساء: ٤٣].

● **القراءات:**

قوله تعالى: «لامستم»:

قرأه حمزة والكسائي وخلف بغير ألف «لمستم».

وقرأ الباقون بالألف «لامستم»[٢٨٨]

معنى القراءات:

* قراءة القصر: تعنى اللمس، وهو ما دون الجماع كالقبلة، والغمزة، واللمس باليد، وهو مذهب ابن عمر، وابن مسعود، وبذلك فإنهم يجعلون الفعل هنا للرجال دون النساء[٢٨٩].

* «أما القراءة بالألف لامستم: أي جامعتم وهي من المفاعلة، والملامسة لا تكون إلا من اثنين واستدلوا لذلك، بما روى في التفسير: أن عليا رضي الله عنه قال: «لامستم النساء» أي جامعتم، ولكن الله يكني»[٢٩٠].

أما الفرق من حيث اللغة، فليس هناك فرق بين اللمس والملامسة، إلا من جهة ألف المفاعلة، التي يشترك فيها اثنان قال ابن منظور: «لمسته

(٢٨٨) النشر (٢/٢٠٥).

(٢٨٩) انظر حجة ابن زنجلة (٢٥٠).

(٢٩٠) انظر حجة ابن زنجلة (٢٥٠).

لمساً، ولامسته ملامسة، يفرق بينهما فيقال: اللمس قد يكون مس الشيء بالشيء والملامسة أكثر ما جاءت من اثنين. وقال: اللمس كناية عن الجماع، لمسها يلمسها ولامسها، وكذلك الملامسة»[٢٩١].

الأثر الفقهي لاختلاف القراءات:

بناءاً على الاختلاف في القراءات، اختلفت أقوال العلماء وآرائهم في تأويل اللمس. فاختار الشافعية أن المقصود بـ «لمستم» مجرد اللمس دون الجماع.

وأما قراءة «لامستم»، فقد جعلوها مبالغة في اللمس، وقالوا أورد الجماع بقوله: «إلا جنبا» ولو كان المراد باللمس الجماع لكان تكرارا في الكلام[٢٩٢] والحكيم يتنزه منه.

واختار الأحناف أن اللمس والملامسة حقيقة في الجماع. ولكن الله يكنِّي[٢٩٣] مستدلين بما تقدم من مذاهب الصحابة كابن عباس: «عن سعيد بن جبير قال: كنا في حجرة ابن عباس، ومعنا نفر من الموالي، ونفر العرب، فتذاكرنا اللماس، فقلت أنا وعطاء، والموالي: اللماس: اللمس باليد. وقال عبيد بن عمير، والعرب، هو الجماع، فدخلت على ابن عباس فأخبرته، فقال: غُلبت الموالي، وأصابت العرب، ثم قال: إن اللمس، والمس المباشرة إلى الجماع ما هو ـ أي هي الجماع ـ ولكن الله يكني ما شاء بما شاء»[٢٩٤].

وتوسط المالكية فقالوا «ينتقض الوضوء بلمس المتوضئ البالغ لشخص

(٢٩١) انظر لسان العرب لابن منظور (٦/٤٠٩).

(٢٩٢) الجامع لأحكام القرآن (٥/١٤٦).

(٢٩٣) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للإمام عبدالرحمن جلال الدين السيوطي (٢/٥٥٠) ـ دار الفكر للطباعة والنشر ـ بيروت ـ لبنان طبعة ١٩٩٣م ١٤١٤هـ.

(٢٩٤) المرجع السابق (٢/٥٥٠).

يلتذُّ به عادة»[٢٩٥]، فجعلوا الضابط لنقض الوضوء حصول اللذة.

وهو ما دلت له عبارة ابن العربي المالكي: «راعى مالك في اللمس القصد وجعله الشافعي ناقضا للطهارة بصورته كسائر النواقض، ثم قال «إن الله تعالى أنزل اللمس المفضي إلى خروج المذي منزلة التقاء الختانين المفضي إلى خروج المني، فأما اللمس المطلق فلا معنى له، وذلك مقرر في مسائل الخلاف»[٢٩٦].

التفسير:

«يا أيها الذين آمنوا لا تصلُّوا وأنتم سكارى من الخمر حتى تعلموا ما تقولون بأن تصحوا ولا كونكم حال جنابة بسبب جماع إلا مجتازي طريق أي مسافرين فلكم أن تصلُّوا، وتعبروا المساجد من غير مكث، وإن كان بكم مرض يضره الماء أو مسافرين وأنتم جنب أو محدثين، أو جئتم من المكان المعد لقضاء الحاجة بعد قضائها، «أو لامستم النساء» بمعنى اللمس هو الجس باليد قاله ابن عمر وعليه الشافعي وألحق به الجس بباقي البشرة وعن ابن عباس هو الجماع، «فلم تجدوا ماء» تتطهرون به للصلاة بعد الطلب والتفتيش فاقصدوا بعد دخول الوقت ترابا طاهرا فاضربوا به ضربتين فامسحوا بالأولى الوجه والثانية اليدين مع المرفقين «إن الله كان عفوا غفورا»»[٢٩٧].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

بناءا على ما سبق من احتجاج كل فريق إلى ما ذهب إليه من قرائن الأحوال، فلا مطمع في الانتصار لمذهب دون مذهب، ولكن يمكن أن أؤكد من خلال ذلك أثر تنوّع القراءات واختلافها على الكثير من مسائل

---

(٢٩٥) موسوعة الفقه الإسلامي وأدلته تأليف الدكتور وهبة الزحيلي (٢٧٤/١) ط الثالثة ـ ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م ـ دار الفكر دمشق.

(٢٩٦) أحكام القرآن لأبي بكر محمد بن عبدالله المعروف بابن العربي ت ٥٤٣هـ (٢٤٥/١) تحقيق: على محمد اليجاوي ـ دار الجيل ـ بيروت.

(٢٩٧) تفسير الجلالين (٧١).

الفقه ويمكن الجمع بين القراءتين: بأن الله ﷻ أمر بالوضوء من غشيان النساء على سبيل الحتم، ثم أمر به من مسهنّ على سبيل الندب. وإنما صَرف المعنى هاهنا من الحتم إلى الندب ما روي «عن عائشة ﵂ أن رسول الله ﷺ قبّل بعض نسائه، ثم خرج للصلاة، ولم يتوضأ، قال عروة: قلت: من هي إلا أنت، فضحكت»(٢٩٨).

وهذا ما اختاره الحنابلة على المشهور حيث قالوا «وإذا لم ينتقض الوضوء بمس أنثى، فإنه يستحب»(٢٩٩) والله تعالى أعلم.

ـ **قوله تعالى**: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا تَبۡتَغُونَ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٞۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبۡلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَتَبَيَّنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ٩٤﴾ [النساء: ٩٤].

- **القراءات:**

أولاً: قوله تعالى: فتبينوا:

«قرأها حمزة والكسائي وخلف «فتثبتوا» من التثبت.

وقرأ الباقون «فتبّينوا من التبيُّن»(٣٠٠)

معاني القراءات:

واختلف في الفرق بين القراءتين فذهب البعض إلى أنهما بمعنىً متقارب(٣٠١)، وذهب البعض إلى التفريق بينهم وإن كان الفرق بسيطا، وهو

---

(٢٩٨) رواه البخاري (ج٢ / ص٦٨٠ / ح١٨٢٧).

(٢٩٩) الفقه الإسلامي وأدلته (٢٧٥/١).

(٣٠٠) النشر (٢٥١/٢).

(٣٠١) انظر الحجة لابن خالوية (١٢٦) إتحاف فضلاء البشر (٥١٨/١) ولسان العرب (٨١/١٣).

ما يميل إليه الباحث فقد جاء في الكشف لمكي بن أبي طالب قوله: «إنه لما كان معنى الآية الحض للمؤمنين على التأني وترك الإقدام على القتل دون تثبت وتبيُّن، أتى بالتثبت، لأنه خلاف الإقدام، والتثبت أفسح للمأمور من التبيُّن لأن كل من أراد أن يتثبت قدر على ذلك، وليس كل من أراد أن يتبين قدر على ذلك. . .وحجة من قرأ بالياء من البيان، أنه لما كان معنى الآية افحصوا عن أمر من لقيتموه، واكشفوا عن حاله قبل أن تبطشوا بقتله، حتى تتبين لكم حقيقة ما هو عليه من الدين حمل على التبيُّن، لأنه به يظهر الأمر، وأيضا فإن التبيُّن يعمّ التثبت، لأن كل من تبيَّن أمرا فليس يتبيَّنه، إلا بعد تثبت»[٣٠٢].

وقد جاء في حجة القراءات لابن زنجلة: «فتثبتوا بالتاء أي: فتأنوا وتوقفوا حتى تتيقنوا صحة الخبر، «فتبينوا»: أي فافحصوا واكشفوا»[٣٠٣]

وقد ورد في سبب نزول هذه الآية، ما ذكره الواحدي، عن ابن عباس ﷺ قال: «مر رجل من سليم على نفر من أصحاب رسول الله ﷺ ومعه غنم له فسلَّم عليهم، فقالوا: ما سلم عليكم إلا لتعوذ منكم، فقاموا إليه فقتلوه، وأخذوا غنمه وأتوا بها رسول الله ﷺ، فأنزل الله تعالى الآية»[٣٠٤] يأمرهم بالتثبت في شأن من يلقونه وأن يتبينوا أمره قبل أن يحكموا عليه.

التفسير:

«يا أيها الذين آمنوا إذا سافرتم للجهاد، «في سبيل الله فتبينوا» وفي قراءة فتثبتوا، «ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام» بألف أو دونها أي التحية أو الانقياد بكلمة الشهادة التي هي أمارة على الإسلام إنما قلت هذا تقية

---

(٣٠٢) الكشف (٢/٩٤).

(٣٠٣) حجة ابن زنجلة (٢٠٩).

(٣٠٤) أسباب النزول ـ للامام ابو الحسن علي بن أحمد الواحدي ـ ت ٢٦٨هـ (١٣٤) تحقيق: ابن صالح شعبان ـ ط الأولى دار الحديث ـ القاهرة.

لنفسك ومالك فتقتلوه، تطلبون بذلك متاع الحياة الدنيا من الغنيمة، فعند الله مغانم تغنيكم عن قتل مثله لماله، «كذلك كنتم من قبل» تعصم دماؤكم وأموالكم بمجرد قولكم الشهادة، وهذا من فضل الله عليكم «فتبينوا» أن تقتلوا مؤمناً وافعلوا بالداخل في الإسلام، كما فعل بكم، «إن الله كان بما تعملون خبيرا» فيجازيكم به»(٣٠٥).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد أفادت قراءة (فتثبتوا) ضرورة التثبت، وهو ترك الإقدام والتهور على فعل الأمر بغير دليل مع البدء في البحث ممَّا يثبت حال الشخص المراد البطش به. أما قراءة (فتبينوا) فقد أفادت معنى آخر لا يقل خطورة عن سابقه وهو التبيِّن والذي يعني: الفحص، والكشف، وبيان حقيقة ما عليه الشخص المعني من الدين والعقيدة، فالقراءتان أفادتا أنه ينبغي التثبُّت حتى نتبيَّن لأن الوقوع في خطأ في هذا المجال، يسبب حرجا شديدا للمسلمين، وقضية التبيِّن ينبغي أن تأخذ مداها في أي لحظة أو تخطيط أو تنفيذ، بدون أن يكون ذلك مثبطا للهمم وسببا في القعود عن الجهاد في سبيل الله، والله تعالى أعلم.

ثانياً: قوله تعالى: السَّلم:

«قرأها نافع، وابن عامر، وحمزة وأبو جعفر وخلف، بفتح اللام بدون ألف «السَّلم».

وقرأها الباقون بألف بعد اللام «السلام»(٣٠٦).

معاني القراءات:

* «وقيل في معنى السلم: الاستسلام والانقياد، كما قال تعالى:

(٣٠٥) تفسير الجلالين (٧٨).

(٣٠٦) انظر النشر (٢/٢٥١).

«وألقوا إلى الله يومئذ السلم» [النحل: ٨٧] جاء في اللسان: السلم: الاستسلام، والتسالم: التصالح، والمسالمة: المصالحة، قال الخطابي: أي الانقياد، وهو مصدر يقع على الواحد والاثنين والجمع، فإنهم لم يأخذوا عن صلح، وإنما أخذوا قهرا وأسلموا أنفسهم عجزاً»(٣٠٧).

* وقراءة السلام بالألف، هو تحية الإسلام: أي لا تقولوا لمن حَّياكم بتحية المسلمين «إنما قالها تعوذا، بل كفوا عنه، واقبلوا منه ظاهر ما أبداه لكم»(٣٠٨).

وقيل معناه: الإسلام بدليل قول الله تعالى «لست مؤمنا»(٣٠٩).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد بينت قراءة (السلام) قاعدة مهمة من قواعد العمل العسكري في الإسلام، وهي التعامل مع المحاربين فقد بينت أنَّ عصمة دماء المحاربين بأشياء وهي:

الأولى: إسلامهم: لقول النبي ﷺ فيما يرويه البخاري في الصحيح: **«أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم»**(٣١٠).

الثانية: إلقائهم تحية الإسلام وهي السلام، بدليل ما روي من سبب نزول في الآية، ولكن يجب التحفظ هنا، فلا نحكم بإسلامه بمجرد إلقاء السلام، بل نعصم دمه إلى أن يتبين حله. كما قال الإمام مالك رضي الله عنه في الكافر يوجد فيقول: جئت مستأمنا: هذه أمور مشكلة، أرى أن يرد إلى

(٣٠٧) انظر لسان العرب (٣٤٠/١٢) مادة سلم.

(٣٠٨) انظر الكشف (٣٩٥/٢) الموضح في وجوه القراءات (٤٢٥/١) حجة ابن زنجلة (٢٠٩).

(٣٠٩) الأساس في التفسير للشيخ سعيد حوَّي (١١٥٤/٢) ـ ط الاولى ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م ـ دار السلام ـ الغورية.

(٣١٠) صحيح البخاري (ج ٦ ص٢٥٣٨) باب قتل من أبي قبول الفرائض.

مأمنه، ولا يحكم عليه بحكم الإسلام، حتى يتكلم بالكلمة العاصمة لا إله إلا الله[311]، ووجه عصمة دمه لمجرد السلام أن سلامه بتحية الإسلام، مؤذن بطاعته وانقياده.

الثالثة: اعتزالهم قتال المسلمين أي «لا تقولوا لمن كف يده عنكم واعتزلكم لست مؤمنا، حكى الأخفش أنه يقال: أنا سلام، أي معتزل عنكم، لا نخالطكم، ومنه قوله: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَـٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَـٰمًا﴾ [الفرقان: ٦٣] لم يخبر عنهم أنهم حيوهم بالسلام، إنما معناه: قالوا براءة منكم لا نخالطكم[312]. بمعنى الانحياز والترك. والله تعالى أعلم.

أما القراءة بغير الألف (السَلَم)، فقد أضافت أمرين يستأمن بهما المحاربون لم يذكرا في القراءة الأولى، وهما:

أولا: إستسلامهم وانقيادهم للمسلمين بعد قهرهم.

ثانيا: مصالحتهم ومسالمتهم للمسلمين بعقد الصلح والهدنة والنزول عند شروط المسلمين. وبذلك نرى أن القراءتين قد بينت في تناسق وتكامل فريد، منهج القرآن في التعامل مع قضية من أخطر القضايا التي تهم المجتمع المسلم. والله تعالى أعلم.

قوله تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَـٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَـٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَـٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾﴾ [النساء: ٩٥].

- **القراءات**:

قوله تعالى (غير):

قرأها ابن كثير وأبو عمرو، وعاصم وحمزة، ويعقوب، بضم الراء «غيرُ».

---

(٣١١) انظر أحكام القرآن لابن العربي (٤٨٢/١).

(٣١٢) الكشف (٩٤/٢).

وقرأ الباقون بنصب الراء «غيرَ»[٣١٣].

معاني القراءات:

* «أما من رفع فمن جهتين: إحداهما أن يكون «غيرُ» صفة للقاعدين والمعنى عند ذلك: أي: لا يستوي القاعدون الأصحاء والمجاهدون وإن كانوا كلهم مؤمنين.

ثانيهما: أن يكون «غيرُ» رفعا على سبيل الاستثناء. فيكون المعنى:

لا يستوي القاعدون والمجاهدون إلا أولي الضرر فإنهم يساوون المجاهدين، لأن الذي أقعدهم عن الجهاد الضرر»[٣١٤].

* «ومن نصب جعله استثناء من القاعدين، لأنه ثبت أنه نزل بعد نزول: «لا يستوي القاعدون»، فلو كان صفة لم يكن النزول فيهما إلا في وقت واحد، فلما نزل «غير أولي الضرر» في وقت بعد «لا يستوي القاعدون» عُلم أنه استثناء بمعنى إلا والمعنى عند ذلك: لا يستوي القاعدون إلا أولي الضرر فإنهم يتساوون مع المجاهدين»[٣١٥]. والضرر: المرض أو العاهة من عمى أو عرج أو زمانة أو غيرها، «أو أي علة تضره وتقطعه عن الجهاد»[٣١٦]

التفسير:

لا يستوي القاعدون من المؤمنين عن الجهاد بسبب زمانة أو عمى أو ضرر ونحوه والمجاهدون في سبيل الله، فقد فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين لضرر درجة لاستوائهما في النية وزيادة المجاهدين

(٣١٣) تقريب النشر (١٠٦).

(٣١٤) انظر حجة ابن زنجلة (٢١٠)، الكشف (٩٥/٢)، الحجة لابن خالويه (١٢٦).

(٣١٥) انظر الكشف (٩٥/٢) تفسير القرطبي (٣٤٤/٥).

(٣١٦) انظر تفسير النسفي (٢٤٥/١)، لسان العرب (٤٨٣/٤).

لمباشرة الجهاد، وكلا الفريقين وعد الله الجنة، وفضل الله المجاهدين على القاعدين لغير ضرر أجرا عظيما.

وقد جاء في أسباب نزول الآية: ما رواه البخاري عن البراء قال لما نزلت: لا يستوي القاعدون من المؤمنين، دعا رسول الله زيدا فكتبها فجاء ابن أم مكتوم فشكا ضرارته، فأنزل الله: ﴿غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ﴾ [النساء: ٩٥][(٣١٧)].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد بيَّنت قراءة النصب أنه: لا يستوي القاعدون الأصحاء عن الجهاد والمجاهدون وإن كانوا كلهم مؤمنين فلم تنفِ عنهم صفة الإيمان ولكن حرموا من ثواب المجاهدين لأنهم تخلفوا عن الجهاد بغير عذر.

في حين أفادت قراءة الرفع أن هناك طائفة لم تشارك في الجهاد ولها ثواب المجاهدين وهم أصحاب الأعذار والضرر وهذا من رحمته تعالى بالمؤمنين، أن جعل لهم فسحة من دينهم، ورفع عنهم الحرج فيما لا يستطيعون من الأعمال التي كلفهم بها، ما داموا من أصحاب الأعذار. والله تعالى أعلم

قوله تعالى: ﴿۞ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾ [النساء: ١١٤].

- **القراءات:**

قوله تعالى: «نؤتيه»:

قرأ أبو عمرو وحمزة وخلف «يؤتيه» بالياء.

وقرأ الباقون بالنون «نؤتيه»[(٣١٨)].

---

(٣١٧) الجامع الصحيح المختصر لمحمد بن إسماعيل البخاري ت ٢٥٦هـ (٤/ ١٦٧٧ باب لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدين) تحقيق: د مصطفى البغا ـ ط الثانية ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م ـ دار ابن كثير ـ اليمامة.

(٣١٨) النشر (٢/٢٥١).

معنى القراءات:

* قراءة الياء لقرب الفعل من لفظ الجلالة وهو قوله «مرضاة الله»، فكان الفعل بعده على لفظ ما تقدّمه، أي: يؤتيه الله(٣١٩).

* وأما القراءة بالنون فهي كقوله تعالى: ﴿وَمَن يُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقۡتَلۡ أَوۡ يَغۡلِبۡ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ [النساء: ٧٤](٣٢٠).

وقد ذكر ابن خالويه في حجته، «أن قراءة الياء من إخبار الرسول عليه السلام عن الله ﷻ، وقراءة النون: من إخبار الله ﷻ عن نفسه»(٣٢١).

التفسير:

«لا خير في كثير مما يتناجى الناس فيه ويتحدثون إلا نجوى من أمر بصدقة أو معروف عمل بر أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك» المذكور طلبا لمرضاة الله لا غيره من أمور الدنيا. «فسوف نؤتيه» بالنون والياء أي الله «أجراً عظيماً»(٣٢٢).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قد يرى القارئ الفرق بين القراءتين: لا يعدو كونه لفظيا، والصواب خلاف ذلك، فالالتفات من الغيبة إلى الخطاب هو من أساليب القرآن الكريم، وفيه من إثراء المعاني وتنوعها، الكثير وبإظهار العلاقة التفسيرية بين القراءات يكون المعنى والله أعلم.

وإن من أمر بالصدقة أو المعروف أو الإصلاح بين الناس ابتغاء مرضاة الله، لا رياء، فقد وعده الله بالأجر العظيم بطريقتين: الأولى: بنفسه، وهو ما يفهم من قراءة (نؤتيه) وهو تأكيد على أهمية الوعد وحتمية تنفيذه. والثانية: على لسان رسوله ﷺ، وهو ما يفهم من قراءة يؤتيه وفي

(٣١٩) انظر: الكشف (٣٩٧/٢).

(٣٢٠) انظر: حجة ابن زنجلة (٢١٥).

(٣٢١) المرجع السابق (١٢٦).

(٣٢٢) تفسير الجلالين (٨١).

ذلك ما فيه من تأكيد تحقيق ذلك الوعد الرباني.

وفي الآية لفتة عظيمة إلى أن الأعمال المذكورة في الآية من التصدق، أو الأمر بالمعروف أو الإصلاح بين الناس، فيها مجال كبير لدخول الشرك والرياء فيها، لذا جاء التأكيد الإلهي، بعظم أجر من أخلص في هذه الأعمال بالأسلوبين المتكلم بصيغة التعظيم، والغائب كذلك.

ـ **قوله تعالى:** ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء: ١١٥].

● **القراءات:**

قوله تعالى: «نوله... نصله»:

قرئت بثلاثة أوجه:

الأولى: باختلاس كسرة الهاء: قالون ويعقوب، وهشام بخلف عنه.

الثانية: بإسكان الهاء: أبو عمرو وشعبة وحمزة وأبو جعفر.

الثالث: بإشباع الكسر: الباقون، والوجه الثاني لهشام[٣٢٣].

التفسير:

إن من يخالف الرسول ﷺ فيما جاء به من الحق من بعد ما ظهر له الحق بالمعجزات، ويتبع طريقاً غير طريق المؤمنين الذي هم عليه من الدين بأن يكفر، «نوله ما تولى» نجعله واليا لما تولاه من الضلال بأن نخلي بينه وبينه في الدنيا، «ونصله» ندخله في الآخرة «جهنم» فيحترق فيها، «وساءت مصيرا» مرجعا ومآلا.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

وقد أطلعت على معظم كتب التفسير والقراءات، علّي أجد شيئا يسد الرمق ويشفي الغليل في بيان الفرق بين القراءات في هاتين الكلمتين، إلا

(٣٢٣) انظر: مصحف القراءات العشر المتواترة (٩٧).

أني عدت صفر اليدين، وأغلب هذه الكتب لم تتطرق أصلا لإبراز الخلاف والتنوع، والبقية اكتفت بذكر الخلاف ودون توجيه، وإيمانا من الباحث بأن اختلاف القراءات إما أن يكون مرجعه لاختلاف اللهجات واللغات، أو لإثراء المعاني بإبراز معان جديدة لا تتأتى إلا من خلال تنوع القراءات للكلمة الواحدة، وبناءاً عليه: فإننا نستطيع أن نقسم القراءات في الكلمتين إلى قسمين كل قسم له مدلوله وإيحاءاته الخاصة:

الأول: إن قراءة الكلمتين ﴿نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ﴾ بترك المد في هاء الكناية وقراءتها بالإسكان أو الاختلاس، لها مدلولاتها فهي توحي بالسرعة، على منوال قوله تعالى: في سورة النحل على لسان سليمان عليه السلام، حين بعث الهدهد بالرسالة إلى قوم سبأ:

﴿ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [النمل: ٢٨]، وقوله: «وإن تشكروا يرضه لكم» فهي توحي بسرعة قبول الله تعالى لشكر الإنسان. وعلى هذا: فإن قراءة الاختلاس، توحي بسرعة ترك الله تعالى لمن شاقق الله ورسوله، أي: نتركه وما اختار لنفسه ونوكله إلى ما توكل عليه، وكذلك سرعة إنزال العقاب في الدنيا والآخرة، فالله سريع العقاب.

الثاني: وهي قراءة الكلمتين ﴿نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ﴾ بالمد بمقدار حركتين، فالمد يوحي هنا بشيئين، **الأول**: الترك والإهمال في الدنيا على نحو قوله تعالى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ﴾ [الأعراف: ١٨٢]، **والثاني**: بالإصلاء في جهنم أي لزوم النار(٣٢٤)، والمكوث فيها أحقابا وأزمانا لا يعلم مداها إلا الله.

وعليه فإن من اختار طريقة مشاقة الله ورسوله والمؤمنين بعد أن بان له طريق الهداية والرشاد، فقد جمع بين شرين في الدنيا، وهما: سرعة

---

(٣٢٤) انظر التفسير الكبير للرازي (٤٣/١١).

ترك الله له. . .وتركه وما اختار لنفسه، وشرّين في الآخرة وهما: سرعة تعذيبه. . .ومكوثه في العذاب أزمنة لا يعلمها إلا الله، والله تعالى أعلم.

- قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾﴾ [النساء: ١٢٤].

● **القراءات:**

قوله تعالى: «يدخلون»:

قرئت بوجهين، **الأول**: بضم الياء وفتح الخاء: «يُدخلون» وهي قراءة: ابن كثير، وأبو بكر، وأبو جعفر، وأبو بكر، وروح،

والوجه الثاني: بفتح الياء وضم الخاء «يَدخلون» وهي قراءة الباقين[٣٢٥].

معاني القراءات:

* قراءة الضم على إسناد الفعل إلى غير المؤمنين أي أن هناك من يدخلهم، كقوله تعالى: ﴿وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ [إبراهيم: ٢٣]، فهم لا يدخلون الجنة حتى يدخلهم الله جل ذكره إياها لقوله تعالى «ويُدخلهم جنات» [المجادلة: ٢٢].

* وقراءة الفتح على إسناد الفعل لهم لأنهم هم الداخلون كقوله تعالى: «ادخلوا الجنة» [الأعراف: ٤٩] وقوله: «ادخلوها بسلام» [الحجر: ٤٦][٣٢٦].

التفسير:

إن من يعمل شيئا من الأعمال الصالحة من ذكر أو أنثى وهو مؤمن، فأولئك يدخلون بالبناء للمفعول والفاعل الجنة ولا يظلمون قدر نقرة

(٣٢٥) انظر النشر (٢/٢٥٢).

(٣٢٦) انظر الموضح في وجوه القراءات (١/٤٢٧)، والكشف (٢/٣٩٧)، والحجة لابن خالويه (١٢٧).

النواة[٣٢٧].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد أفادت القراءة الأولى (يُدخلون) بالضم أن من فضل الله تعالى بالمؤمنين والمؤمنات الذين عملوا الصالحات، أنه يأذن لهم بدخول الجنة، برحمته، وهناك تتلقاهم الملائكة بموكب احتفالى، ويسوقونهم إلى الجنة كما يقود المضيف الضيف إلى مكان نزله، فتَفتَح لهم أبواب الجنة بإذن الله، وتُحسن استقبالهم ويقولون لهم: «سلام عليكم طبتم» [الزمر: ٧٣]، وهذا معنى الإدخال ثم يقال لهم «ادخلوها خالدين» فيدخلوها وهذا ما تفيده القراءة الثانية.

ومن هنا نلاحظ إن لتنوع القراءتين أثر مادي وهو التأكيد على دخول الجنة، وأثر معنوي وهو الحفاوة والتكريم والتبجيل الذي يستقبل به المؤمنون، وهو ما يفهم من تنوع القراءتين «يُدخلون ـ ويدخلون»... والله تعالى أعلم.

ـ **قوله تعالى**: ﴿وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضٗا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يُصۡلِحَا بَيۡنَهُمَا صُلۡحٗاۚ وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞۗ وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ وَإِن تُحۡسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ١٢٨﴾ [النساء: ١٢٨].

● **القراءات:**

قوله تعالى: «يُصۡلِحَا»:

«قرأها عاصم، وحمزة، والكسائي، وخلف، بضم الياء وإسكان الصاد وكسر اللام من غير ألف، (يُصلحا).

وقرأ الباقون بفتح الياء والصاد واللام وتشديد الصاد وألف بعدها «يَصَّالحا»[٣٢٨].

---

(٣٢٧) انظر: تفسير الجلالين (٨٢).

(٣٢٨) انظر النشر (٢/٢٥٢).

معاني القراءات:

قراءة الضم «يُصلحا» من الإصلاح، لأن الإصلاح يستعمل عند التنازع والتشاجر.

والعرب تستخدمها عند الإصلاح فيقال: «أصلح القوم بينهم وأصلح الرجلان بينهما» قال تعالى: «فأصلحوا بين أخويكم» [الحجرات: ١٠] وقال: «أو إصلاح بين الناس» [النساء: ١١٤][٣٢٩].

ومن هنا نفهم أن كلمة «يُصلحا» تفيد بضرورة تدخل طرف ثالث للإصلاح بين الزوجين وقراءة الفتح «يصَّالحا». من المفاعلة، حيث يقع الفعل بين اثنين، أي: الزوج والزوجة.

فهي مثل: تصالح الرجلان يتصالحان، ثم أدغمت الياء في الصاد، والأصل يتصالحا. والمعروف من كلام العرب إذا كان بين اثنين مشاجرة أن يقولوا «تصالح القوم فهم يتصالحون»[٣٣٠].

التفسير:

«إن امرأة توقعت من زوجها ترفعا عليها والتقصير في نفقتها لبغضها، وطموح عينه إلى أجمل منها، أو أعرض عنها بوجهه، فلا بأس أن يصلح بينهما الناس، أو يتصالحا في القسم والنفقة، بأن تترك له شيئا طلبا لبقاء الصحبة، فإن رضيت بذلك وإلا فعلى الزوج أن يوفيها حقها أو يفارقها، والصلح أفضل من الفرقة والنشوز والإعراض، ثم بين الله ما جبل عليه الإنسان من شدة البخل والمعنى: أن المرأة لا تكاد تسمح بنصيبها من زوجها، والرجل لا يكاد يسمح عليها بنفسه إذا أحب غيرها، وإن تحسنوا عشرة النساء وتتقوا الجور عليهن «فإن الله كان بما تعملون خبيرا» فيجازيكم به»[٣٣١].

---

(٣٢٩) انظر الكشف (١٢٨/٢) الموضح (٤٢٧/١) والحجة لابن زنجلة (٢١٣).
(٣٣٠) انظر الكشف (١٢٨/٢) الحجة لابن زنجلة (٢١٤).
(٣٣١) تفسير الجلالين (٨٢).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد أفادت قراءة (يصَّالحا) إلى ضرورة حل النزاعات بين الزوجين داخليا ما أمكن إلى ذلك سبيلا، لئلا تشاع أسرار البيوت، وهذه الوسيلة هي الأفضل، بدليل أن زيادة المبنى في قراءة «يصّالحا» دليل على زيادة المعنى، فإذا تفاقمت الأمور فهنا يندب أن يتدخل أهل الإصلاح فيصلحا بينهما، وهو المفهوم من قراءة «يُصلحا» وهذا فيه دليل على حرص الإسلام على استقرار الأسرة التي هي اللبنة الأساسية في المجتمع، وإشاعة جو التفاهم بين ركنيها (الزوج ـ والزوجة)، وحصار المشاكل بينهما بطرق شتى وهو ما أفادته كلتا القراءتين. والله تعالى أعلم.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾﴾ [النساء: ١٣٥].

- **القراءات:**

قوله تعالى: «تَـلـوُوا»:

قرأ ابن عامر وحمزة بضم اللام وواو ساكنة بعده «تَلُوا».

وقرأ الباقون بإسكان اللام وبعده واوان أولاهما مضمومة والأخرى ساكنة «تَـلـوُوا»(٣٣٢).

معنى القراءات:

* قراءة «تلُوا» على وزن (تفوا) وهو من ولىَ يلي، لأن ولاية الشيء إقباله عليه، وهو خلاف الإعراض، ومنها قولك: (ولِيت الحكم والقضاء بين الرجلين). ودليل حمله على ولي أن بعده «أو تعرضوا»، والمعنى إن تلوا الأمر فتقبلوا أو تعرضوا، «فإن الله كان بما تعملون خبيرا»، «وإن توليتم

(٣٣٢) النشر (٢٥٢).

أمر إقامة الشهادة أو أعرضتم عن ذلك فإن الله بما تعملون خبيرا»(٣٣٣).

* وقراءة «تلووا» بواوين واللام ساكنة هو من لوى يلوي، وهو من لَّي القاضي، وإعراضه لأحد الخصمين على الآخر، أو من ليّ الشهادة، وهو تحريفها، أو من ليّ الغريم هو مطله، يقال رجل ليَّان وامرأة ليَّانة أي مماطلة(٣٣٤)، واختلف في الضمير في الآية أيعود للشاهد أو للقاضي، يقول الجصاص في كتابه أحكام القرآن: وقوله تعالى: «وإن تلووا أو تعرضوا»، فإنه يحتمل ما روي عن ابن عباس: «أنه في القاضي يتقدم إليه الخصمان فيكون ليُّهُ وإعراضه على أحدهما...

فإذا أريد به القاضي كان معناه: دفعه الخصم عمَّا يجب له من العدل والتسوية، ويحتمل أن يريد به الشاهد، في أنه مأمور بإقامة الشهادة، وأن لا يدفع صاحب الحق عنها ويماطله بها، ويعرض عنه إذا طالبه بإقامتها، وليس يمتنع أن يكون أمرا للحاكم والشاهد جميعا لاحتمال اللفظ لهما»(٣٣٥).

التفسير:

يقول تعالى: «يا أيها المؤمنون كونوا قائمين بالعدل، تشهدون بالحق ولو كانت الشهادة على أنفسكم، بأن تقروا بالحق ولا تكتموه، أو على الوالدين والأقربين وإن يكن المشهود عليه غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما منكم وأعلم بمصالحهما، فلا تتبعوا الهوى في شهادتكم بأن تحابوا الغني لرضاه، أو الفقير رحمة له، فيؤدي بكم إلى الميل عن الحق، وإن تتولوا أمر الشهادة فتحرفوها، أو تعرضوا عن أدائها، «فإن الله كان بما تعملون خبيرا»

---

(٣٣٣) انظر الكشف (٣٩٩/٢)، والموضح (٤٢٨/١)، حجة ابن زنجلة (٢١٦)، الإتحاف (٥٢٢/١)، لسان العرب (٢٦٥/١٥).

(٣٣٤) انظر تفسير القرطبي (٢٦٥/٥)، والموضح (٤٢٩/١)، والكشف (٣٩٩/٢)، وتفسيرابن كثير (٥٦٦/١).

(٣٣٥) أحكام القرآن للأمام أبي بكر أحمد الرازي الجصاص ت ٣٧٠هـ (٤٠١/٢) مراجعة: صدقي محمد جميل ـ دار الفكر ـ بيروت ـ لبنان.

فيجازيكم به»[٣٣٦].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد أفادت القراءة الأولى إلى أهمية تولي أمر إقامة الشهادة والقضاء بين الناس لما في ذلك من أهمية في فض المنازعات بين الناس، فإن توليتم أمر إقامة الشهادة أو أعرضتم عن ذلك فإن الله بما تعملون خبيرا، أما القراءة الثانية فقد تحدثت عن بعض القضايا الإجرائية المهمة التي لا بد منها بعد تولي أداء الشهادة أو القضاء، حيث يشترط النزاهة وعدم الميل لأحد الخصمين أو أن يلوي الحق عن وجهه، وعلى القاضي أن يسوي بين الخصوم في المجلس والنظر والكلام، وترك إسرار أحدهما والخلوة به. والله تعالى أعلم.

قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾ [النساء: ١٣٦].

- **القراءات:**

قوله تعالى: «نَزَّلَ وأَنزَلَ»:

قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بضم النون وكسر الزاى فيهما على إسناد الفعل على مال يسمَّ فعله، «نُزِّل، أُنزِلَ» الأولى والثانية.

وقرأ الباقون بفتح النون والهمزة والزاى» نزَّل، وأَنزل «بإسناد الفعل إلى الله تعالى في الأولى والثانية[٣٣٧].

وعند النظر للوهلة الأولى يحسب القارئ أن لا فرق بين القراءتين، وهنا لا بد أن نسجل حقيقة: إن تنوع القراءات إما أن يكون مرده لتنوع

(٣٣٦) تفسير الجلالين (٨٣).

(٣٣٧) تفسير الجلالين (٨٣).

المعاني، أو لتأكيد معاني موجودة، أو لإظهار معاني جديدة لا تتوفر في قراءة واحدة، أو لخاصية إعجاز القرآن الكريم أو لاختلاف اللهجات، والذي هداني إليه ربي بعد النظر في الفرق بين القراءتين: أن نَزَّل وأَنزَل تشير بوضوح إلى أن المنزَل للكتاب هو الله تعالى، على اعتبار أنه سبحانه الذي أمر بالتنزيل، وفي ذلك تأكيد على أهمية المنزَّل، ألا وهو القرآن والكتب السابقة ـ ومثل ذلك قوله تعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩].

وأما القراءة الثانية بإسناد الفعل إلى ما يسمَّ فعله «البناء المجهول»، ففيه إشارة إلى التنزيل الفعلي للقرآن بواسطة الملك جبريل عليه السلام، كقوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝١٩٣﴾ [الشعراء: ١٩٣] وكيفية هذا التنزيل.

فقد جاءت هذه القراءة في معرض التأكيد على الإيمان بالله ورسوله، باعتبارها الأساس لأنواع الإيمان كلها.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد جاءت القراءة الأولى بالتضعيف «نزَّل ونُزِّل» للإشارة إلى التنجيم الذي نزل به القرآن حيث نزل منجما ومفرَّقا، وجاءت القراءتين على البناء للمجهول والبناء للمعلوم لتأكيد أمرين:

أولاً: أن المنزِّل للكتاب هو الله.

ثانياً: أن كيفية النزول «التنجيم».

أما القراءة الثانية بالتخفيف «أَنزل وأُنزل» فقد جاءت للحديث عن الكتب السابقة لتؤكد:

أولاً: أن المنزل هو الله.

ثانياً: أنها أنزلت دفعة واحدة.

وهكذا بينت القراءتان معا أن المنزل للقرآن والكتب السماوية السابقة هو الله تعالى ولكن القرآن نزل منجما وتلك الكتب نزلت دفعة واحدة وهذا

لم يكن ليوضَّح في هذا الموضع لولا وجود الخلاف بين القراءتين. والله تعالى أعلم.

- قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُواْ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُوْلَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾﴾ [النساء: ١٥٢].

- وقوله تعالى: ﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾﴾ [النساء: ١٦٢].

● **القراءات:**

أولاً قوله تعالى: «يؤتيهم» [آية: ١٥٢].

قرأها حفص بالياء.

والباقون بالنون «نؤتيهم»(٣٣٨).

ثانياً قوله تعالى: «سنؤتيهم» [آية: ١٦٢]

قرأها حمزة وخلف بالياء «سيؤتيهم».

وقرأ الباقون بالنون «سنؤتيهم»(٣٣٩).

معاني القراءات:

* وفي الآيتين نرى أن القراءة الأولى «يؤتيهم وسيؤتيهم» إخبار عن الله تعالى.

* والقراءة الثانية «نؤتيهم وسنؤتيهم» إخبار الله تعالى عن نفسه.

التفسير:

يبين الحق تعالى أن هناك طائفة من اليهود وهم الذين ثبت العلم في

---

(٣٣٨) انظر النشر (٢/٢٥٣).

(٣٣٩) النشر (٢/٢٥٢).

قلوبهم فأثمر الإيمان واليقين بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك من الكتب وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وآمنوا بالله واليوم الآخر أولئك سنؤتيهم بالنون والياء «أجرا عظيما» هو الجنة(٣٤٠).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لا يخفي ما في القراءتين من تنوع في أسلوب الخطاب والبيان، إضافة إلى تنوع في المعنى، فقد جاءت القراءة الأولى إخبارعن الله تعالى بما سيؤتي المؤمنين، أما القراءة الثانية فهي إخبار الله عن نفسه بما سيفيض على المؤمنين من أجور ورحمات وبركات، حيث يتفضل مالك الملك بإعطاء العاملين أجورهم بنفسه، وكفى بذلك نعيما وأجرا عظيما. والله تعالى أعلى وأعلم.

- قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾﴾ [النساء: ١٥٤].

● **القراءات:**

قوله تعالى: «لا تعدوا» قرئ بثلاثة أوجه:

الأول: «لا تَعَدُّوا» بفتح العين وتشديد الدال ورش.

الثاني: «لا تَعْدُّوا» بإسكان العين وتشديد الدال، أبو جعفر وقالون، إلا أن قالون له أيضا اختلاس فتحة العين مع تشديد الدال.

الثالث: «لا تَعْدوا» بإسكان العين وتخفيف الدال، الباقون(٣٤١).

معاني القراءات:

* قراءة تعدوا بإسكان العين وتخفيف الدال من عدا، يعدو، «عُدُوًّا»،

---

(٣٤٠) انظر: تفسير ابن كثير (١/٧٧٧) بتصرف.

(٣٤١) انظر النشر (٢٥٣).

وُعْدوانا، وعداءً، وعْدوَا: إذا جاوز الحق»[٣٤٢] مثل قوله: ﴿فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧﴾ [المؤمنون: ٧]، وقيل معناه «لا تظلموا باصطياد الحيتان»[٣٤٣].

* وقراءة التشديد: «تعدُّوا» أصلها تعتدوا فأدغمت التاء في الدال لتقاربهما، وأصله تفتعلوا من الاعتداء[٣٤٤].

التفسير:

تتحدث الآية عن بني إسرائيل وكيف أنَ الله قد رفع فوقهم الجبل في زمن موسى عليه السلام، وذلك لإخافتهم حتى يقبلوا الميثاق، ويعملوا بالتوراة، فقبلوه، وقلنا لهم ادخلوا باب القرية سجود انحناء، فدخلوا يزحفون على أستاههم وقال الله لهم لا تعتدوا في السبت أي لا تتجاوزوا باصطياد الحيتان فيه، فتظلموا أنفسكم، وأخذنا منهم على ذلك ميثاقا غليظا يعني عهدا مؤكداً شديداً بأنهم يعملون بما أمرهم الله به وينتهون عما نهاهم الله عنه فنقضوه[٣٤٥].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد أوضحت قراءة التشديد (تعدُّوا) أمر الله تعالى المباشر لبني إسرائيل بأن لا يفتعلوا الاعتداء على ما أمرهم الله به من عدم الصيد يوم السبت. أما القراءة الثانية (تَعْدوا) فقد جاءت لبيان النتيجة التي سوف يترتب عليها ذلك الاعتداء وهو ظلم أنفسهم بما سيترتب عليه من عقاب لتجاوزهم

(٣٤٢) معاني القرآن لأبي جعفر النحاس ت ٣٣٨هـ (٢٥٧/١) تحقيق: د / يحي مراد ـ دار الحديث ـ القاهرة وانظر جامع البيان (٢٧٧٢/٤) طبعة دار الفكر.

(٣٤٣) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم تفسير أبي السعود للقاضي محمد بن محمد بن مصطفى العماوي الحنفي ت ٩٨٢هـ (٣٩٩/٢) تخريج وتعليق: الشيخ محمد صبحي حلاق ـ ط الأولى ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م دار الفكر ـ بيروت ـ لبنان.

(٣٤٤) انظر جامع البيان (٢٧٧٢/٤)، وارشاد العقل السليم (٣٩٩/٢)، ومعاني القرآن للنحاس، (٢٥٧/١)، والحجة لابن خالويه (١٢٨).

(٣٤٥) انظر: تفسير الطبري (٣٤٨/٤).

حدود ما أمر الله واعتداءهم على حرمات الله،

أو أنها تكون وصفت فعلهم ألا وهو الاعتداء يوم السبت، بأنه تجاوز للحق. والله أعلم.

وفي تعدد القراءات في الآية إشارة لتعدد أوجه الجرائم التي ارتكبها اليهود في حق أنفسهم وفي حق غيرهم.

تمَّ تفسير سورة النِّساء ولله الحمد والمنَّة.

الفصل الخامس

تفسير سورة المائدة
من خلال القراءات العشر المتواترة

ويشمل مبحثين وخمسة مطالب:

المبحث الأول: بين يدي السورة.

ويشمل عدة مطالب:

المطلب الأول: مكان النزول وعدد الآيات.

المطلب الثاني: سبب التسمية.

المطلب الثالث: مناسبتها لما قبلها.

المطلب الرابع: أهداف السورة.

المطلب الخامس: فضل السورة.

المبحث الثاني: تفسير مواضع القراءات في السورة.



المبحث الأول: بين يدي السورة

المطلب الأول: مكان النزول وعدد الآيات:

سورة المائدة من السور المدنية الطويلة. قال أبو عبيد في فضائل القرآن: «نزلت بالمدينة سورة البقرة، وآل عمران، والنساء والمائدة. . .»(٣٤٦) على اعتبار أن نزولها بعد هجرة النبي ﷺ من مكة، وإن كان النزول بمكة.

أما مكان نزولها على وجه التحديد فقد جاء في ذلك، ما أخرجه ابن جرير، عن الربيع بن أنس قال نزلت سورة المائدة على رسول الله ﷺ في المسير في حجة الوداع، وهو راكب راحلته «فبركت به راحلته من ثقلها»(٣٤٧).

- أما اليوم الذي نزلت فيه فقد وردت فيه روايتان:

الأولى: أنها يوم عرفة، ووافق يوم الجمعة، فقد أورد الطبري «عن عمر بن الخطاب، أنها نزلت يوم عرفة ووافق يوم الجمعة»(٣٤٨).

---

(٣٤٦) الاتفان للسيوطي (٣٩/١).

(٣٤٧) تفسير الطبري (٨٣/٦) طبعة دار الفكر.

(٣٤٨) أخرجه البخاري (٩٧/١) كتاب الايمان باب زيادة الايمان ونقصانه بنحوه وفي تفسير سورة المائدة «اليوم اكملت لكم دينكم» ومسلم رقم (٣٠١٧) في اول التفسير (٢٣٩/٨).

الثانية: يوم الاثنين فعن ابن عباس رضي الله عنهما، «ولد نبيكم يوم الاثنين، وخرج من مكة يوم الاثنين ودخل المدينة يوم الاثنين وأنزلت سورة المائدة يوم الاثنين»[٣٤٩].

وقد رجح الطبري رواية عمر بن الخطاب، أنها نزلت يوم عرفة يوم جمعة لصحة سنده وهي أسانيد غيره، وقد ورد هذا الحديث في الصحيحين كما بيَّنا سابقا.

وقد جاء في بعض التفاسير نزولها بعد صلح الحديبية، على اعتبار أنها نزلت بعد سورة الفتح، وكان نزول سورة الفتح بعد صلح الحديبية في السنة السادسة من الهجرة[٣٥٠].

موقعها من النزول:

فهي أخر ما نزل من القرآن الكريم «وقد جاء في رواية عائشة رضي الله عنها، أنها آخر سورة نزلت، فقد روى ابن كثير في تفسيره عن جبير بن نفير قال: حججت، فدخلت عليّ عائشة، فقالت لي: يا جبير تقرأ المائدة، فقلت نعم، فقالت: إنها أخر سورة نزلت فما وجدتم من حلال فاستحلوه وما وجدتم من حرام فحرموه» ثم قال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه[٣٥١].

وقد جاء في بعض الراويات أن آخر سورة نزلت براءة وقيل الفتح ولعل كلاً ذكر ما عنده، وليس في ذلك شيء مرفوع إلى النبي ﷺ[٣٥٢].

---

(٣٤٩) صحيح السيرة النبوية لمحمد ناصر الدين الألباني (١٠٩) ـ ط الأولى ـ المكتبة الإسلامية ـ عمان ـ الأردن.

(٣٥٠) انظر صفوة التفاسير (٣٠١/١) اهداف كل سورة ومقاصدها (٥٩/١) والتفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج للاستاذ الدكتور وهبة الزحيلي (٦٠/٦) دار الفكر دمشق سورية.

(٣٥١) أخرجه الحاكم في المستدرك في كتاب التفسير، باب: تفسير سورة المائدة (٣١١/٢)، وقال صحيح، والنسائي في السنن الكبرى في كتاب التفسير، باب سورة المائدة (٣٣٣/٦/رقم١١١٣٨).

(٣٥٢) روح المعاني (٧١/٤).

● **كيفية نزولها:**

فقد ورد أنها نزلت على رسول الله ﷺ، وهو راكب على ناقته العضباء فقد روى الطبري وابن كثير عن أسماء بنت يزيد قالت: إني لأخذة بزمام العضباء ناقة رسول الله ﷺ، إذ نزلت عليه المائدة كلها، وكادت من ثقلها تدق عضد الناقة(٣٥٣).

عدد آياتها:

مائة وعشرون عند الكوفيين، وثلاث وعشرون عند البصريين، واثنان وعشرون عند غيرهم(٣٥٤).

وعدد كلماتها (٢٨٠٤) كلمة.

المطلب الثاني: سبب التسمية:

وتسمى هذه السورة بسورة المائدة، وذلك لتضمنها قصة نزول المائدة من السماء، بعد أن طلبها الحواريون من عيسى عليه السلام، لتدل على صدق نبوته، ولأنها السورة الوحيدة التي ذكر فيها المائدة.

والحكمة من تسميتها بهذا الاسم أن من زاغ عن الطمأنينة بعد الكشف الشافي والإنعام الوافي نوقش الحساب فأخذه العذاب، وهو اسم ملفت للنظر، فمن سمع به أو قرأه سأل عن ذلك، ثم أدرك مدى تفاهة بني إسرائيل ودناءتهم.

وتسمى السورة بسورة العقود؛ لما ورد فيها من ذكر العقود والعهود والمواثيق، وتسمى أيضا بسورة المنقذة لأنها كما قيل تنقذ صاحبها من أيدي الملائكة، وتسمى أيضا بسورة الأحبار(٣٥٥).

---

(٣٥٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٤٥٥/٦)، والطبراني في المعجم الكبير (١٧٨/٢٤)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١٠٩٦٣/٧٥/٧).

(٣٥٤) روح المعاني (٧٢/٤).

(٣٥٥) انظر نظم الدرر للبقاعي (٣٨٤/٢) روح المعاني (٧١/٤)، والتفسير المنير (٦٠/٦).

المطلب الثالث: مناسبتها لما قبلها:

هناك أوجه تشابه فيه بينها وبين سورة النساء، حتى جعلها البعض في التلازم والاتحاد، مثل البقرة وآل عمران(٣٥٦) وذلك من عدة أوجه.

الأول: اشتركتا في تقرير الفروع الحكمية، واشتمل كل منها على عدة عهود وعقود وأحكام.

ثانيا: جاء في سورة النساء الكلام على عقود الزواج، والأمان، والحلف، والمعاهدة، والوصايا، والودائع، والوكالات، والإجراءات، وابتدأت سورة المائدة بالأمر والوفاء بالعقود، وتحذير المؤمنين من نقضها، فيحل بهم ما حل باليهود والنصارى، كما ذكر في سورة النساء.

ثالثا: مهدت سورة النساء لتحريم الخمر بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ﴾ [النساء: ٤٣]، وحرمته المائدة بصورة قطعية بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۝٩٠﴾ [المائدة: ٩٠].

رابعا: تضمنت السورتان مناقشة أهل الكتاب والمشركين والمنافقين في عقائدهم، ومواقفهم من الرسالة المحمدية.

خامسا: تضمنت نهاية سورة النساء النهي الصريح عن الغلو في الدين لأهل الكتاب، «لا تغلوا في دينكم»، فناسبة أن تبدأ سورة المائدة بنهي المؤمنين عن ذلك، وبيان بعض مظاهر هذا الغلو.

سادسا: جاء في نهاية سورة النساء بيان فضل من اعتصم بالله تعالى من المؤمنين، ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعۡتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدۡخِلُهُمۡ فِي رَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَفَضۡلٖ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَيۡهِ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ۝١٧٥﴾ [النساء: ١٧٥].

---

(٣٥٦) انظر أسرار ترتيب القرآن للحافظ جلال الدين السيوطي ت ٩١١هـ ص (٧٧) - تحقيق: عبدالقادر أحمد عطا، ومرزوق علي إبراهيم - دار الفضيلة للنشر والتوزيع - القاهرة.

أما بداية المائدة فقد بينت كيفية ذلك بقول الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ﴾ [المائدة: ٢].

المطلب الرابع: أهداف السورة

أولا: بيان العديد من الأحكام الشرعية، مثل: أحكام العقود، ونكاح الكتابيات، والوصية عند الموت، الردة، أحكام الطهارة، حد السرقة، حد البغي والإفساد في الأرض، تحريم الخمر والميسر، والمطعومات من ذبائح وصيود، كفارة اليمين، حكم ترك العلم بما أنزل الله... إلى أخر ما هنالك من الأحكام الشرعية. قال العلماء: فيها ثمان عشرة فريضة ليست في غيرها(٣٥٧).

ثانيا: بيان العديد من المواعظ والعبر المستخلصة من بعض القصص التي وردت في السورة، مثل: قصة بني إسرائيل مع موسى، وهي ترمز إلى التمرد والعصيان والطغيان، حيث قالوا لرسولهم: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ﴾ [المائدة: ٢٤] وما حصل لهم من التشرد والضياع والتيه نتيجة ذلك.

وكذلك قصة ابني آدم آية «٢٧» التي ترمز إلى الصراع العنيف بين قوتي الخير والشر، ممثلة في قصة قابيل وهابيل حيث قتل قابيل أخاه هابيل، وكانت أول جريمة تحدث في الأرض فهي تعرض لنموذجين من نماذج البشرية: نموذج النفس الشريرة الأثيمة، ونموذج النفس الخيرة الكريمة.

كما ذكرت السورة قصة المائدة، التي كانت معجزة لعيسي عليه السلام، بعد أن طلب منه الحواريون ذلك، وهي تدلل على طبيعة بني إسرائيل، ومدى تمردهم وعدم إيمانهم إلا بعد حصول المعجزات.

ثالثا: تكشف السورة عن الوجه البشع لليهود والنصارى، بما نسبوه لله تعالى مما لا يليق من الذرية والبنين، وبما نقضوا من العهود والمواثيق،

(٣٥٧) انظر التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج (٦١/٦).

وبما حرفوا من التوراة والإنجيل، وتحذر من اتخاذهم أولياء من دون المؤمنين، وبما كفروا برسالة محمد عليه السلام، إلى أخر ما هنالك من ضلالات والأباطيل.

رابعا: بيان أن دين الله تعالى واحد وإن اختلفت الشرائع والأنبياء وتذكر الناس بنعم الله عليهم.

خامسا: بيان عموم بعثة النبي ﷺ، وأمره بالتبليغ العام (ما على الرسول إلا البلاغ).

سادساً: بيان أصول صلاح المجتمع الإسلامي، من خلال إصلاح النفوس، والوفاء بالعقود والعهود، وتحريم الاعتداء على الآخرين، والتعاون على البر والتقوى، وتحريم التعاون على الإثم والعدوان، وتحريم موالاة الكفار، ووجوب الشهادة بالعدل، والحكم بالقسط والمساواة بين المسلمين.

سابعاً: بيان أحكام المطعومات والمشروبات، من حيث الحل والحرمة، وتحريم العديد من العادات التي كانت سائدة في المجتمع آنذاك، مثل الخمر، الميسر، الأنصاب، والأزلام.

ثامناً: تقرير أهداف الشريعة الإسلامية ومقاصدها الخمسة وهي:

١ ـ حفظ الدين، وذلك من خلال قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ [المائدة: ٥٤].

٢ ـ حفظ المال، والنفس، وذلك من خلال قوله تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَـٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [المائدة: ٣٢].

٣ ـ حفظ العرض، وذلك من خلال قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ

لَهُمْۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُۖ فَكُلُواْ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤﴾﴾ [المائدة: ٤].

٤ ـ حفظ المال، وذلك من خلال قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾﴾ [المائدة: ٣٨].

٥ ـ حفظ العقل، وذلك من خلال قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [المائدة: ٩٠].

تاسعاً: : «التأكيد على الاقتصاد في العبادة وعدم تجاوز الحد والعدوان فقوله: «لا تعتدوا» إما أن يكون مختصا بجانب الأفعال العبادية، وإما أن يكون العدوان يشمل العدوان في العبادة والتحريم، وهذان النوعان هما اللذان ذم الله المشركين بهما في غير موضوع، حيث عبدوا عبادة لم يأذن الله بها، وحرموا ما لم يأذن الله به»(٣٥٨).

المطلب الخامس: فضل السورة:

ذكر أبو عبيد في فضائل القرآن قال: «في المائدة ثمان عشرة فريضة ليس في سورة من القرآن غيرها، وليس فيها منسوخ، المنخنقة، والموقوذة، والمتردية، والنطيحة، وما أكل السبع إلا ما ذكيتم، وما ذبح على النصب، وأن تستقسموا بالأزلام، والجوارح مكلِّبين، وطعام الذين أوتوا الكتاب، والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب، وتمام الطهور، وإذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا، والسارق والسارقة، وما جعل الله من بحيرة الآية»(٣٥٩).

---

(٣٥٨) التفسير الكامل وهو تفسير أي القرآن الكريم تأليف شيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبدالحليم الحراني الدمشقي المعروف بابن تيمية ت ٧٢٨هـ ٣/٤ تحقيق محمد بن غرافة العمري ـ ط الأولى ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢ ـ م دار الفكر لبنان ـ بيروت.

(٣٥٩) الدر المنثور (٣/٤)، أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن باب فضل المائدة والأنعام، ص (١٢٩).

وقد جاء في فضلها «أن رجل من اليهود قال لعمر بن الخطاب: يا أمير المؤمنين لو علينا أنزلت هذه الآية ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ لاتخذنا ذلك اليوم عيداً، فقال له عمر بن الخطاب: إني أعلم أي يوم أنزلت هذه الآية أنزلت يوم عرفة في يوم جمعة» رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح»[٣٦٠].

وقد جاء في التفسير الكامل لابن تيمية رضي الله عنه، قوله: «سورة المائدة أجمع سورة في القرآن لفروع الشرائع، من التحليل والتحريم، والأمر والنهي. . .وذكر فيها ما لم يذكر في غيرها»[٣٦١].

وقد روى الحاكم في المستدرك «عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ أنه كان يقول: تعلموا سورة البقرة، وسورة النساء، وسورة المائدة، وسورة الحج، وسورة النور، فإنَّ فيهنَّ، الفرائض. ثم قال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه»[٣٦٢].

---

(٣٦٠) سنن الترمذي لمحمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي (ج ٥ / ص ٢٥٠ / ح ٣٠٤٣) تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

(٣٦١) تفسير الكامل (٣/٣).

(٣٦٢) أخرجه الحاكم في كتاب التفسير باب تفسير سورة النور (٣٩٥/٢). والبيهقي في شعب الإيمان، باب في تعظيم القرآن، فصل في فضائل السور والآيات، ذكر سورة الحج والنور (٤٧٧/٢) رقم (٢٤٥١). انظر: الأحاديث والآثار الواردة في فضائل سور القرآن، دراسة ونقد (٢٣٠)، للدكتور: إبراهيم علي السيد عيسى ـ ط الثانية ـ ١٤٢٥ هـ ـ ٢٠٠٥ م ـ دار السلام ـ مصر ـ القاهرة.

المبحث الثاني
تفسير مواضع القراءات التي لها تعلق بالتفسير في السورة

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحِلُّوا۟ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟ ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟ ۘ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾﴾ [المائدة: ٢].

● **القراءات:**

الأولى: قوله تعالى «شنئان»:

«قراها: ابن عامر، وشعبة، وأبو جعفر، بإسكان النون شنْئان

وقرأها الباقون بالفتح «شنَئَان»[٣٦٣].

معاني القراءات:

* «قراءة الإسكان على أنها مصدر ل «شنئ»، نحو: لوتُيه ليَّانا، فليان مصدر على وزن فعلان فيكون المعنى: لا يكسبنَّكم شنئانكم قوما، أي بغضكم قوما لأن صدوكم عن المسجد الحرام الاعتداء.

(٣٦٣) القراءات العشر المتواترة من طريق الشاطبية والدرة في هامش القرآن الكريم - فكرة علوي بن محمد بن أحمد بلفقيه إعداد: محمد كريم راجح ط الثالثة ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م - دار المهاجر المدينة المنورة.

ويجوز أن يكون صفة، ومعناه مُبغضُ قوم، أو بغيض قوم، والتقدير على هذا: لا يحملنكم بغيض قوم: أي عداوة بغَيض قوم»[٣٦٤].

* «وقراءة الفتح «شنَئَان على أنها مصدر «شَنَأه» أي بالغ في بغضه، والمصدر يكثر على فعلان، «فيكون مصدرا مضافا إلى المفعول: أي لا يحملنكم بغضكم لقوم، ويجوز أن يكون مضافا إلى الفاعل: أي بغض قوم إياكم»[٣٦٥].

التفسير:

يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله أي معالم دينه بالصيد في الإحرام، ولا الشهر الحرام بالقتال فيه، ولا ما أهدي إلى الحرم من النعم بالتعرض له، ولا تتعرضوا لما كان يقلد به من شجر الحرم ليأمن ولا لأصحابها، ولا لمن جاء قاصدا بيت الله يبتغي فضلا من الله ورضوانا بالقتل. فإذا حللتم من الإحرام فإنه يباح لكم الصيد، ولايحملنكم أو يكسبنَّكم بغضكم لقوم لأجل أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا عليهم بالقتل وغيره، وتعاونوا فيما بينكم على البر بفعل ما أمرتم به وبترك ما نهيتم عنه، ولا تتعاونوا على المعاصي والتعدي في حدود الله، وخافوا عقابه بأن تطيعوه «إن الله شديد العقاب» لمن خالفه[٣٦٦].

أسباب النزول:

«وقد نزلت هذه الآية عام الفتح حين أراد المسلمون أن يستطيلوا على قريش، وأتباعها من القبائل الذين تظاهروا على صد رسول الله وأصحابه عام الحديبية، وذلك سنة ست من الهجرة فحصلت. بذلك بغضة في قلوب المؤمنين

---

(٣٦٤) الكشف (١/٤٠٤) ومفردات ألفاظ القرآن للأصفهاني (٤٦٥) طبعة دار القلم الشامية.

(٣٦٥) إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن ـ تأليف: ابو البقاء عبدالله بن الحسين بن عبدالله العكبري ت ٦١٦هـ (٢١٣) دار الفكر بيروت ـ لبنان.

(٣٦٦) انظر: تفسير الجلالين (٨٩)، وفتح القدير (٢/٧).

فنزلت الآية عام الفتح»[٣٦٧]، وروى السيوطي: «أنها نزلت في الحديبية، حين صد المشركون رسول الله وأصحابه عن البيت، «فمر بهم أناس من المشركين من أهل المشرق يردون العمرة، فقال أصحاب النبي ﷺ، نصد هؤلاء كما صدوا أصحابنا فأنزل الله لا يجرمنكم . . .الآية»[٣٦٨].

الثانية: قوله تعالى «أن صدوكم»:

«قرأ ابن كثير وأبو عمرو بكسر الهمزة «إن صدوكم».

وقرأ الباقون بفتحها»[٣٦٩].

معنى القراءات:

«قراءة الكسر، أنه جعله أمرا منتظرا وهي شرط والمعنى: إن يصدوكم مثل ذلك الصد الذي وقع منهم، أنُ يستديموا الصد، وإنما قدر بذلك لأن الصد كان قد وقع من الكفار للمسلمين»[٣٧٠] «ودل على ذلك أن في حرف ابن مسعود إن يصدوكم فالكسر يدل على أمر لم يقع[٣٧١] و«إن» للشرط والصد منتظر وقوعه، على معنى «إن هم صدوكم» وقد تقول ذلك وقد فعلوا كقوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ﴾ [يوسف: ٧٧][٣٧٢].

* وقراءة الفتح على أنها مصدرية، والتقدير: لأن صدوكم على أن الصد قد وقع من المشركين عام الحديبية، فيكون قد مضى لأن الآية نزلت

---

(٣٦٧) انظر: تفسير مبهمات القرآن للإمام أبي عبدالله محمد بن علي البلنسي ت ٧٨٢هـ (٣٧٢/١) - تحقيق: د. حنيف بن حسن القاسمي ط الأولى ١٤١٨هـ ١٩٩١م دار الغرب الإسلامي بيروت - لبنان، والمحرر الوجيز (١٤٩/٢).

(٣٦٨) لباب النقول في أسباب النزول تأليف جلال الدين السيوطي ص (٨٦) - ط الثالثة ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م - دار احياء العلوم - بيروت.

(٣٦٩) النشر (٢٥٤/٢).

(٣٧٠) التبيان في إعراب القرآن - لأبي البقاء محب الدين عبدالله بن أبي عبدالله الحسيني بن الحسن العكبري ت ٦١٦ (٢٠٦/١) - تحقيق: علي محمد البجاوي - دار إحياء الكتب العربية.

(٣٧١) مشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب القيسي ت ٤٣٧ (٢١٨/١) - تحقيق: د. حاتم صالح الضامن - ط الثانية ١٤٠٥هـ مؤسسة الرسالة - بيروت.

(٣٧٢) معاني القرآن للأخفش سعيد بن مسعدة البلخي المجاشعي (٤٦٠/٢) تحقيق: عبدالأمير محمد أمين الورد - ط الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م عالم الكتب.

عام الفتح سنة ثمان، وصد المشركين المسلمين عن البيت الحرام عام الحديبية سنة ست[٣٧٣].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة الأولى (شنَئان . . .أن صدوكم) أي لا يحملنكم بغض أهل مكة أن صدوكم عن المسجد الحرام عام الحديبية، فيما مضى، أن تعتدوا فيه، فتقاتلوهم وتأخذوا أموالهم إذا دخلتموه،

أما القراءة الثانية (شنْئان . . .إن صدوكم) فقد أضافت النهي عن الصد وتجاوز الحد في الاعتداء إن حدث من المشركين صد للمسلمين في المستقبل فهي تقول لهم: لا يحملنكم بغضاء أهل مكة وصدهم إياكم فيما هو آت، أن تعتدوا وتتجاوزوا الحد فيما لا يحل لكم، من الغارة على المعتمرين من المشركين[٣٧٤] على ما سبق في نزول الآية، فالقراءتين تنهى المسلمين عن الاعتداء على المعتمرين الآمنين لصد وقع منهم في الماضي، أو لما يتوقع منهم من صد في المستقبل. والله تعالى أعلم.

قوله تعالى ﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ۚ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُم ۚ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ ۚ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ ۚ فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنكُمْ ۚ وَأَن تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٥﴾﴾ [المائدة: ٥].

- **القراءات:**

قوله تعالى «المحصنات»:

قرأها الكسائي بكسر النون المحصنات على إسناد فعل الإحصان للنساء

(٣٧٣) انظر: الكشف (٤٠٥/١) وحجة ابن زنجلة (٢٢٠) مشكل اعراب القرآن (٢١٨/١).

(٣٧٤) انظر: زاد المسير في علم التفسير للحافظ ابي فرج عبدالرحمن بن علي ابن الجوزي ت٥٩٧ (٩٠٥/١) تحقيق: عبدالرزاق المهدي ـ ط الأولى ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م ـ دار الكتاب العربي بيروت ـ لبنان.

أي أنهن يحصنَّ أزواجهنّ من الوقوع في الفواحش والزنا بسبب الزواج، وقرأها الباقون بالفتح[٣٧٥] على إسناد فعل الإحصان لغيرهن، إما أن يكون الفعل أسند للإسلام فيحصنهنّ إسلامهن، أو الحرية فهي محصنة كونها حرة خلاف الأمة التي تكون خرّاجة ولاجّة ممتهنة مبتذلة، ومن ذلك قوله تعالى ﴿وَالَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩١﴾﴾ [الأنبياء: ٩١] وقد سبق الحديث في العلاقة التفسيرية للقراءات بما يغني عن الإعادة[٣٧٦].

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾﴾ [المائدة: ٦].

- **القراءات:**

قوله تعالى: وأرجلكم:

قرأ نافع، وابن عامر، والكسائي، ويعقوب، وحفص، بنصب اللام.

وقرأ الباقون بالخفض[٣٧٧].

معاني القراءات:

قراءة الفتح: على أنها معطوفة على الوجوه والأيدي، فأوجبوا الغسل فيهما «فغسل القدمين في الوضوء منقول عن النبي ﷺ نقلا متواترا، منقول عمله بذلك، وأمر به، كقوله في الحديث الصحيح من وجوه متعددة

(٣٧٥) انظر النشر (٢/٢٤٩).

(٣٧٦) راجع صفحة (١٣٩) من هذا البحث.

(٣٧٧) النشر (٢٥٤).

كحديث أبي هريرة، وعائشة: «**ويل للأعقاب من النار**»[(٣٧٨)] وفي حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، أن رسول الله ﷺ توضأ فغسل قدميه ثم قال: «**هذا وضوء لا يقبل الله الصلاة إلا به**»[(٣٧٩)] وحمل أصحاب هذا الرأي تأخير كلمة أرجلكم عن المغسولات، بأنه من باب التقديم والتأخير وفي القرآن منه كثير، مثال: قوله تعالى:

﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ﴾ [المائدة: ٥] فقد عطف المحصنات على الطيبات.

وكذلك أكدوا حجتهم بأنه «عطف محدود على محدود، لأن ما أوجب الله غسله فقد حصره بحدٍّ، وما أوجب مسحه أهمله بغير حد»[(٣٨٠)].

* أما قراءة الكسر «أرجلكم» فاختلف فيها على وجوه:

أولا: اعتبرها البعض من الأدلة على ثبوت المسح على الخفين «على أنه قد يقال قد ثبت في أية المائدة القراءة بالجر لأرجلكم عطفاً على الممسوح وهو الرأس، فيحمل على مسح الخفين، كما بينته السنة، ويتم ثبوت المسح بالسنة والكتاب، وهو أحسن الوجوه التي توجه به قراءة الجر»[(٣٨١)].

---

(٣٧٨) رواه البخاري في كتاب العلم ب ٣ ح ٣٠ وكتاب الوضوء ب٢٧ ح٢٩ ومسلم في كتاب الطهارة حديث ٢٥: ٣٠٢٨.

(٣٧٩) الفتاوى الكبرى للامام ابن تيمية (٣٦٣/١) تحقيق وتعليق: محمد عبدالقادر عطا ومصطفى عبدالقادر عطا ـ ط الأولى ١٤٠٨هـ ١٩٨٧ ـ م ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان.

(٣٨٠) انظر حجة ابن زنجلة (٢٢١).

(٣٨١) سبل السلام شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام للشيخ الإمام محمد بن اسماعيل الأمير اليمني الصنعاني ت١١٨٢هـ تحقيق: إبراهيم عصر ـ ط الثامنة ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م دار الحديث القاهرة. ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م عالم الكتب بيروت.

ثانيا: ومنهم من جعل سبب الكسر هو جوارها كلمة «برؤوسكم» ولكنها في المعنى تعود على الغسل، «المعنى الأول»، فقد يعطف بالاسم على الاسم ومعناه يختلف، كما قال ﷻ ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾﴾ [الواقعة: ١٧ ـ ١٨].

. . .ثم قال ﴿وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾﴾ وهنَّ لا يطاف بهن على أزواجهن[٣٨٢] فأطلق المسح أراد به الغسل.

ثالثا: من جعل عطف الرجلين على الرأس دليل على جواز مسحهما بالماء دون غسلهما، فقد روى ابن جرير عن أوس ابن أبي أوس[٣٨٣] قال: «رأيت رسول الله أتي سباطة[٣٨٤] قوم، فتوضأ ومسح على قدميه[٣٨٥] ثم قال: إن الله أمر بعموم مسح الرجلين بالماء في الوضوء. . .وإذا فعل ذلك بهما المتوضئ، كان مستحقا اسم ماسح غاسل، لأن غسلهما إمرار اليد عليهما أو إصابتهما بالماء، ومسحهما: إمرار اليد أو ما قام مقام اليد عليها. فإذا فعل ذلك فهو غاسل ماسح لذلك اختلفت قراءة، القراء في قوله وأرجلكم، فنصبها بعضهم توجيها منه ذلك إلى أن الفرض فيهما المسح[٣٨٦]، وقد رد الإمام ابن تيمية ذلك الرأي بقوله: «ومن يقول يمسحان بلا إسالة فو مخالف لكل واحد من القراءتين وللسنة المتواترة»[٣٨٧].

(٣٨٢) معاني القرآن لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء ت٢٠٧هـ (١/٢٠٣) ط الثالثة.

(٣٨٣) أوس بن أبي أوس واسمه حذيفة الثقفي، له صحبة، وهو والد عمرو بن أوس روى عن النبي ـ ﷺ ـ أحاديث وعن علي بن أبي طالب (انظر: تهذيب الكمال للمذي ٣/٣٨٨).

(٣٨٤) السباطة: الموضع الذي يرمى فيه التراب والأوساخ وما يكنس من المنزل وقيل هي الكناسة نفسها: لسان العرب (٧/٣٠٩).

(٣٨٥) رواه أبو داود في الطهارة باب (٦٢) بلفظ: «أتي كظامة قوم» فسر الكظامة بالميضأة وبهذا اللفظ أيضاً رواه أحمد في المسند (ج٥ حديث ١٦١٥٦).

(٣٨٦) انظر جامع البيان (١٧٧، ١٨٤) بتصرف.

(٣٨٧) انظر: الفتاوى الكبرى لابن تيمية (١/٣٦٧).

رابعا: التجاه التوفيقي، وهو ما ذهب إليه بعض أهل العلم والفقه، فقد جاء في الإقناع: «ما أطلقه الأصحاب هنا من أن غسل الرجلين فرض محمول كما قاله الرافعي على غير لابس الخف، أو على أن الأصل الغسل، والمسح بدل عنه»(٣٨٨).

وبذلك نرى كيف أثَّر اختلاف القراءتين على أقوال العلماء، والأحكام الفقهية المستنبطة منها «فقراءة من قرأ «أرجلكم» بالنصب عطفا على المغسول، ومن قرأ بالخفض عطفا على الممسوح، فمن ذهب إلى أن فرضهما واحد من هاتين الطهارتين على التعيين، إما الغسل، وإما المسح، ذهب إلى ترجيح ظاهر إحدى القراءتين، وحرف بالتأويل ظاهر القراءة الثانية إلى معنى ظاهر القراءة التي ترجحت عنده، ومن اعتقد أن دلالة كل واحدة من القراءتين على ظاهرها على السواء، جعل ذلك من الواجب المخير ككفارة اليمين وغير ذلك»(٣٨٩).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

ويمكن الجمع بين القراءتين بالتالي:

إن الله أمر بغسل القدمين في حال ظهورهما، لأنه لا يذهب دنسهما إلا الغسل وهو ما تؤكده قراءة الفتح مع ضرورة التنبيه إلى عدم الإسراف في الماء لأن الغسل فيه مظنَّة ذلك، وهو أشبه بإمرار اليد المبلولة بالماء على القدم. أما قراءة الكسر فبيّنت أنه يجوز المسح على الخفين والجوربين في حال لبسهما، مع مراعاة الشروط المعتبرة لذلك. . .

وبالتالي تصبح قراءة الفتح دليل على وجوب غسل القدمين في حال

---

(٣٨٨) الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع - تأليف الشيخ شمس الدين محمد بن محمد الخطيب الشربيني (١/١٨٥) - تعليق ضبط وتخريج: د. محمد محمد تامر - كلية دار العلوم.

(٣٨٩) بداية المجتهد ونهاية المقتصد تأليف الإمام محمد بن رشيد القرطبي - ص (١٥) - ط الثامنة ١٤٠٦هـ ١٩٨٦ - دار المعرفة - بيروت - لبنان.

ظهورهما، وقراءة الكسر دليل على جواز المسح على الخفين في حال سترهما للقدمين، فتصبح القراءتين كالآيتين. والله تعالى أعلم.

ثانيا: قوله تعالى: «لامستم»:

قرأها حمزة، والكسائي، وخلف، بدون ألف بعد اللام[390] «لمستم».

وقرأها الباقون لامستم بألف بعد اللام. وقد تقدم بيانه في تفسير سورة النساء[391].

قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝٨﴾ [المائدة: ٨].

القراءات:

قوله تعالى: (شنئان).

قرأها ابن عامر، وشعبة وأبو جعفر، بإسكان النون (شنْئان).

والباقون بفتحها[392]، وقد تقدم بيانه في السورة نفسها الآية الثانية[393].

قوله تعالى:

﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةًۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ

(٣٩٠) انظر النشر (٢/٢٥٠).
(٣٩١) راجع ص (١٤٨) في البحث.
(٣٩٢) راجع ص (١٨٣) في البحث.
(٣٩٣) النشر (٢/٢٤٥).

مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾ [المائدة: ١٣].

القراءات:

قوله تعالى: (قاسية):

قرأها حمزة، والكسائي، بتشديد الياء من غير ألف «قسيّة».

وقرأ الباقون بالألف وتخفيف الياء «قاسية»[٣٩٤].

معنى القراءات:

* القراءة بالألف تعني: «غليظة بائنة عن الإيمان، شديدة غليظة، نزع منها الرأفة والرحمة واللين»[٣٩٥]، فهذا الوصف لطبيعة قلوبهم، وما جبلوا عليه.

* القراءة بغير الألف تعني: إضافة إلى معنى القسوة، الرداءة، جاء في لسان العرب: «القسيُّ: هو الدرهم الرديء والشيء المرذول، وقيل قسيٌّ: خرب من الزيوف أي فضته صلبة رديئة»[٣٩٦].

وعلى هذا يكون معناه: التي ليست بخالصة الإيمان، أي قد خالطها كفر فهي فاسدة، ولهذا قيل للدراهم قد خالطها غش من نحاس أو غيره: «قسيّة»[٣٩٧]. وقد يكون هذا الوصف لطبيعة الإيمان الردئ والمغشوش في قلوبهم. لانهم نقضوا عهودهم ومواثيقهم مع الله تعالى، بعد أن أخذها منهم على الإيمان بالله وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة. . .كما هو في الآية السابقة.

التفسير:

«لقد جازى الله اليهود بسبب نقضهم للمواثيق والعهود، بأن لعنهم

---

(٣٩٤) النشر (٢/٢٥٤).

(٣٩٥) انظر لسان العرب (١٥/٢٠٨)، الكشف (٢/٤٠٨)، حجة القراءات لابن خالوية (١٢٩).

(٣٩٦) لسان العرب (١٥/٢٠٩).

(٣٩٧) انظر حجة ابن زنجلة (٢٢٤)، الكشاف للزمخشري (١/٦٠٠).

فأبعدهم عن رحمته، وطردهم عن الهدى، وجعل قلوبهم قاسية لا تلين لقبول الإيمان، فقد كانوا يحرفون الذي في التوراة من نعت محمد ﷺ وغيره «عن مواضعه» التي وضعه الله عليها أي يبدلونه، وتركوا كثيرا مما أمروا به في التوراة من اتباع محمد ﷺ، ولا تزال يا محمد تظهر لك خيانتهم بنقض العهد وغيره إلا قليلا ممن أسلم منهم، «فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين»(٣٩٨).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد بيَّنت القراءتان صفتان أساسيتان من صفات اليهود لا تنفك عنهم الأولى: قلوبهم قاسية، شديدة الغلظة، لا رحمة فيها ولا لين. والثانية: قسيِّة، فإضافة لكونها غليظة، فهى رديئة، كالدرهم المزيَّف لا تتشرب الإيمان ولا اليقين، فجمعت بين أرذل الخصائص وأحط الصفات.

وهذا كشف لخبايا قلوبهم، وما جبلوا عليه، «لأنه اختلط فيها الزيف بأصل الإيمان، فعندهم إيمان بالله من غير إذعان لأحكامه، ولا تصديق لرسله، ولا قيام بالتكاليف، والزيف أكثر من الأصل. فصلبت»(٣٩٩) وقست. والله تعالى أعلم.

قوله تعالى:

﴿۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ۛ سَمَّـٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّـٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَـٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟ ۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾﴾ [المائدة: ٤١].

(٣٩٨) انظر: تفسير ابن كثير (٢/٣٣)، وتفسير الجلالين (٩١).

(٣٩٩) زهرة التفاسير، للإمام محمد أبو زهرة ت ١٣٩٤ هـ (٤/٢٠٧٩) دار الفكر العربي - القاهرة.

القراءات:

قوله تعالى: «يَحزُنَكَ» قرأها نافع بضم الياء وكسر الزاي «يُحزِنكَ».

والباقون بفتح الياء وضم الزاي «يَحزُنَكَ»(٤٠٠).

معنى القراءات:

«الحُزن والحَزن نقيض الفرح وهو خلاف السرور وأحزنه جعله حزينا وحزنه جعل فيه حزنا»(٤٠١) وقيل معنى حزنه أحدث له الحزن ومعنى أحزنه عرضه للحزن.

التفسير:

يوجه الله تبارك وتعالى خطابه للنبي ﷺ بأن لا يتأثر ولا يحزن على إعراض المعرضين وكفر الكافرين والمنافقين الذين يسارعون بالكفر بعد أن آمنوا بألسنتهم، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ [النحل: ١٢٧].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد جاءت القراءتان تنهى النبي عن الحزن على الكافرين والمنافقين بطريقتين: الأولى: أن لا يَحزن لكفر الكافرين ومسارعة المنافقين إلى الكفر، والثانية: ألاّ يُحزنه أفعال الكافرين والمنا فقين، كما أن قراءة يحزُنك تترتب على قراءة يُحزنك، باعتبار أن سبب حزن النبي ﷺ هو بسبب ابتعاد هؤلاء عن طريق الهداية. والله تعالى أعلى وأعلم.

قوله تعالى:

﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ ۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ۖ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا ۖ وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ

(٤٠٠) النشر (٢٤٤/١).

(٤٠١) لسان العرب (١١٢/١٣).

إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ [المائدة: ٤٢]

القراءات:

قوله تعالى: (السُحت):

قرأ أبو جعفر، وابن كثير، وأبو عمرو، والكسائي، ويعقوب: أكّالون للسُحُت بضم الحاء حيث كان.

وقرأ نافع، وابن عامر، وعاصم، وحمزة، وخلف: «السُّحْت» ساكنة الحاء حين كان(٤٠٢).

معاني القراءات:

قيل في الفرق بين الكلمتين، يرجع إلى اختلاف اللغات، ولكن بالرجوع إلى معنى الكلمتين نجد أنهما تحملان معنيين متكاملين:

* فالمعنى الأول: هو أكل الحرام أو الرشا، أو هو كل ما لا يحل كسبه، أو هي الرشوة في الحكم، أو أن يأكل الرجل بجاهه(٤٠٣).

* المعنى الثاني: هو الاستئصال «وأصله من سحته وأسحته إذا أهلكه واستأصله»(٤٠٤) قال تعالى: «فيسحتكم بعذاب» [طه: ٦١] يستأصلكم(٤٠٥).

التفسير:

«لقد بيَّن الله تعالى أن من صفات اليهود أنهم كانوا سمَّاعون للكذب أكالون للسحت» بضم الحاء وسكونها أي الحرام كالرشا، فإن جاءوك لتحكم بينهم، «فاحكم بينهم أو أعرض عنهم» وهذا التخيير منسوخ بقوله تعالى: «وأنِ احْكُم بينهم بما أنْزَلَ الله» الآية فيجب الحكم بينهم إذا ترافعوا إلينا

(٤٠٢) المبسوط في القراءات العشر لأبي بكر أحمد بن الحسين بن مهران الأصبهاني ت ٣٨١هـ (١٠٦) ـ تحقيق: جمال الدين محمد شرف ـ دار الصحابة للتراث ـ طنطا.

(٤٠٣) انظر القرطبي (١٨٣/٦) وابن كثير (٦٠/٢) طبعة مكتبة دار التراث.

(٤٠٤) التبيان في تفسير غريب القرآن.

(٤٠٥) لسان العرب (٤١/٢).

وهو أصح قولي الشافعي فلو ترافعوا إلينا مع مسلم وجب إجماعا، أي الحكم بينهم، وإن أعرضت عنهم فلن يضروك شيئا فإذا حكمت بينهم، فاحكم بالعدل إن الله يحب العادلين في الحكم أي يثيبهم»(٤٠٦).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد بيَّنت القراءتان أنَّ هناك صفة مرذولة في اليهود يمقتهما الله تعالى والمؤمنون وهى: أكلهم الرشا والحرام وكل ما لا يحل من الكسب وما خبث وحرم من التجارات والربا، في حين بيَّن المعنى الثاني للقراءة أن فعل ذلك يعود بالوبال على صاحبه، وسيكون مصيره الفناء والاستئصال، فهما كالمقدمة والنتيجة المترتبة عليها، كما قال تعالى: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ﴾ [البقرة: ٢٧٦]. والله تعالى أعلم.

قوله تعالى:

﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [المائدة: ٤٥].

القراءات:

قوله تعالى: ﴿وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ﴾.

«قرا الكسائي بالرفع في في الخمسة «العينُ والأنفُ والأذنُ والسنُ والجروحُ»، ووافقه في الجروح «خاصة ابن كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر، وابن عامر، وقرأ الباقون بالنصب»(٤٠٧).

(٤٠٦) تفسير الجلالين (٩٥).

(٤٠٧) النشر (٢/٢٥٤).

معنى القراءات:

«قوله والعين بالعين وما بعده من الأسماء من نصبه عطفه على ما عملت فيه أن، وهو النفس، وبالنفس خبر أن وكذلك كل مخفوض خبر لما قبله ومن رفع العين والأنف والسن، عطفه على المعنى لأن معنى كتبنا عليهم قلنا لهم النفس بالنفس فرفع على الابتداء، وقيل هو مبتدأ مقطوع مما قبل، وقيل هو معطوف على المضمر المرفوع في بالنفس وان كان لم يؤكد فهو جائز كما قال» ما أشركنا ولا آباؤنا «وليس في زيادة لا بعد حرف العطف حجة في أنها فصلت لأنها بعد حرف العطف والمخفوض خبر كل مبتدأ، قوله «والجروح قصاص» من نصبه عطفه على النفس وقصاص خبره على أنه مكتوب في التوراة ومن رفعه عطفه على موضع أن وما عملت فيه فهو مبتدأ مكتوب أيضا وقصاص خبر الابتداء، وقيل هو ابتداء منقطع مما قبله على أنه غير مكتوب عندهم في التوراة»(٤٠٨).

«وإنما يكون هذا منقطعا على قراءة من نصب العين وما بعده ورفع الجروح، فأما من رفع العين وما بعده ورفع الجروح فهو كله معطوف بعضه على بعض وهي قراءة الكسائي»(٤٠٩).

التفسير:

«أنزل الله على بني إسرائل في التوراة أن النفس بالنفس، أن تقاد بها ذا قتلها بغير حق والعين تفقأ بالعين إذا فقئت بغير حق، والأنف يجدع بالأنف المقطوع بغير حق، والأذن تقطع بالأذن المقطوعة ظلما، والسن تقلع بالسن المقلوعة بغير حق، والجروح قصاص، أي ذات قصاص إذا كانت بحيث تعرف المساواة وعن ابن عباس رضي تعالى عنهما أنهم كانوا لا يقتلون الرجل بالمرأة فنزلت، فمن تصدق أي من المستحقين به أي بالقصاص أي فما عفا عنه والتعبير عنه بالتصدق للمبالغة في الترغيب فيه

(٤٠٨) مشكل إعراب القرآن (١/٢٢٧).

(٤٠٩) مشكل إعراب القرآن (١/٢٢٧).

فهو أي التصدق كفارة له أي للمتصدق يكفر الله تعالى بها ذنوبه، ومن لم يحكم بما أنزل الله من الأحكام والشرائع كائنا ما كان فأولئك هم الظالمون، المبالغون في الظلم المتعدون لحدوده تعالى، الواضعون للشيء في غير موضعه»[410].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد أفاد اختلاف القراءات في هذه الآية عدة وجوه:

الأول: من قرأ بنصب الأسماء الخمسة (العينَ والأنفَ والأذنَ والسنَّ والجروحَ) فقد عطف هذه الأسماء على (النفس) ولم يقطع الكلام من بعض، فكل هذه الأحكام كتبها الله على اليهود في التوراة للعمل بها.

الثاني: أن من قرأ برفع (الجروح) فقد رفعه على الابتداء، وقطعه عما قبله وجعل (قصاص) خبره، وعلى هذا يكون ليس مما كتب عليهم في التوراة، إنما استئناف إيجاب وابتداء شريعة لمحمد ﷺ. وهذا ما كان ليظهر لولا اختلاف القراءات في الآية[411].

والله تعالى أعلى وأعلم.

قوله تعالى:

﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [المائدة: ٤٧].

القراءات:

قوله تعالى: «ولْيحكمْ»:

قرأ حمزة وحده: «وَلِيَحكُمَ» بكسر اللام وفتح الميم.

---

(٤١٠) تفسير أبو السعود (٣/٤٣).

(٤١١) انظر: الكشف (٢/٤١٠)، وحجة ابن خالويه (١٣١)، وحجة ابن زنجلة (٢٢٧).

وقرأ الباقون «ولْيحكمْ» ساكنة اللام والميم على الأمر(٤١٢).

معاني القراءات:

* «قراءة كسر اللام، على أنه جعلها لام «كي» فنصب الفعل بها، على معنى:

آتيناه الإنجيل لكي يحكم أهل الإنجيل به، وذلك بمنزلة قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾﴾ [النساء: ١٠٥](٤١٣).

* «وقراءة إسكان اللام «ولْيحكم»: على أنه جعلها لام الأمر، فهو إلزام مستأنف به، أمر الله أهل الإنجيل بالحكم بما فيه، كما أمر النبي ﷺ بالحكم بما أنزل عليه. فهذا يدل على أنه أمر لازم، من الله لأهل الإنجيل»(٤١٤).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد بيَّنت القراءة الأولى الحكمة من إنزال الإنجيل، ألا وهو العمل بأحكامه، واتباع أوامره، ولما كان من طباع بني إسرائيل التنكر والجحود، واتباع أهوائهم، وترك العمل بما أنزل الله، جاءت القراءة الثانية لتأكيد العمل بما أنزل الله، والأمر بذلك على سبيل الإلزام. والله تعالى أعلم.

«جاء في تفسير الأمر بالعمل بأحكام الإنجيل أمور منها: أنه أمر

(٤١٢) تحبير التيسير في قراءات الأئمة العشرة، للإمام المحقق، محمد بن محمد بن علي بن يوسف الجذري. (١١٣) ـ تحقيق: أ. جمال الدين محمد شرف ـ دار الصحابة للتراث ـ طنطا.

(٤١٣) انظر الكشف (٤١٠/٢)، الموضح في وجوه القراءات (٤٤٢/١). الجامع لأحكام القرآن (٢٠٩/٦).

(٤١٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٢٠٩/٦)، فتح القدير (٥٠/٢)، الكشف ٤١٠/٢)، الحجة لابن زنجلة. (٢٢٨).

للنصاري في وقت نزول الإنجيل، أما الآن فهو منسوخ، وقيل هذا أمر للنصارى الآن بالإيمان بمحمد ﷺ، فإن في الإنجيل وجوب الإيمان به»(٤١٥).

قوله تعالى:

﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝٥٠﴾ [المائدة: ٥٠].

القراءات:

قوله تعالى: «يبغون»:

«قرأ ابن عامر وحده: «أفحكمَ الجاهلية تبغون» بالتاء.

وقرأ الباقون (يبغون) بالياء»(٤١٦).

معنى القراءات:

* القراءة بالتاء على الخطاب، على معنى: قل لهم يا محمد: إذا كنتم لا تحكمون بما كتب الله ﷻ أفتبتغون حكم الجاهلية؟ «وفيه مواجهتهم بالإنكار والردع والزجر»(٤١٧) «وتشديد التوبيخ»(٤١٨).

* والقراءة بالياء: على الغيبة، فيكون إخبار من الله تعالى عنهم في حال الغيبة، على نسق قوله تعالى: «وإن كثيرا من الناس لفاسقون» (المائدة٤٩)(٤١٩).

(٤١٥) انظر الجامع لأحكام القرآن (٢٠٩/٦)، التفسير الكبير للفخر الرازي (١٠/١٢).
(٤١٦) المبسوط في القراءات العشر (١٠٧/١).
(٤١٧) البحر المحيط في التفسير (٢٨٨/٤).
(٤١٨) تفسير أبو السعود (٢٨٢/٢).
(٤١٩) انظر: حجة ابن خالوية (١٣١) ـ الكشف (٤١١/٢).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

إن القرآن الكريم لم يكتف بإخبار المسلمين عن حال اليهود، وما اقترفوه من جرائم، ومنها أنهم لمَّا تحاكموا إلى رسول الله في خصومة قتل وقعت بينهم وبين بني قريظة، طلبوا إليه عليه الصلاة والسلام أن يحكم بينهم بما كان عليه أهل الجاهلية من التفاضل، فقال عليه الصلاة والسلام: «القتلي سواء» فقال بنو النضير: نحن لا نرضى بذلك فنزلت(٤٢٠): أما القراءة بالتاء فقد وجَّه الخطاب المباشر لهم يواجههم فيه، وينكر عليهم ويردعهم ويشدد عليهم التوبيخ، لما اقترفوه وهذا ما أفادته القراءة بتاء الخطاب. وفي تنوع الخطاب في القراءتين إثراء للمعنى بالانتقال من «الغيبة إلى الخطاب». والله تعالى اعلم.

قوله تعالى:

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ إِنَّهُمۡ لَمَعَكُمۡۚ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَأَصۡبَحُواْ خَٰسِرِينَ ٥٣﴾ [المائدة: ٥٣].

القراءات:

قوله تعالى: (ويقولُ) قرأ المدنيان وابن كثير وابن عامر (يقول) بغير واو، وقرأ الباقون (ويقول) بالواو.

وقرأ أبو عمرو ويعقوب بنصب اللام (يقولَ)، وقرأ الباقون بالضم (يقولُ)(٤٢١).

معنى القراءات:

وتأويل الكلام على القراءة بغير الواو فيصبح المنافقون إذا أتى الله بالفتح أو أمر من عنده على ما أسرو في أنفسهم نادمين، أو فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده حينئذ يقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا

---

(٤٢٠) تفسير أبو السعود (٢/٢٨٢)، تفسير الطبري (٦/٢٥٨).

(٤٢١) النشر (٢/٢٥٤).

بالله جهد إيمانهم إنهم لمعكم حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين، كذلك هي في مصاحف أهل المدينة بغير واو.

وأما القراءة بالواو ونصب يقول فعطفا به على (فعسى الله أن يأتي بالفتح) وإنما أريد بذلك فعسى الله أن يأتي بالفتح، وعسى أن يقول الذين آمنوا حينئذ هؤلاء الذين أقسموا بالله كذبا جهد أيمانهم إنهم لمعكم، وهي في مصاحف أهل العراق بالواو (ويقول الذين آمنوا).

أما القراءة برفع (يقول) فعلى الابتداء والسلامة من الجوازم والنواصب، وتأويل من قرأ ذلك كذلك: فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين ويقول المؤمنون أهؤلاء الذين حلفوا لنا بالله جهد أيمانهم كذبا إنهم لمعنا[٤٢٢].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد أفادت القراءة بالواو مع نصب (يقول) معنى العطف على قوله تعالى: (فعسى الله أن ياتى بالفتح أو أمر من عنده) وعسى أن يقول الذين آمنوا على سبيل الترجي لانكشاف أمر المنافقين بعد وقوع الفتح، في حين أن القراءة الثانية بالابتداء والرفع وحذف الواو بينت أن وقوع الأمر على سبيل التأكيد والحتم، وهذا فيه تأكيد أن أمر المنافقين مكشوف لا محالة. والله تعالى أعلى وأعلم.

قوله تعالى:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ [المائدة: ٥٤].

القراءات:

قوله تعالى: «يرتدّ»:

(٤٢٢) انظر: تفسير الطبري (٦/٢٨٠ ـ ٢٨١).

قرأ أبو جعفر، وابن عامر: «مَن يرتَدِدْ منكم» بدالين، الأولى مكسورة والثانية مجزومة وقرأ الباقون «يرتدَّ» بدال واحدة مفتوحة مشدَّدة(٤٢٣).

معنى القراءات:

لقد أرجع من كتبوا في توجيه القراءات وعللها الفرق بين الكلمتين إلى اللغة، «فالإظهار لغة الحجاز والإدغام لغة غيرهم»(٤٢٤)، وقد علل البعض ذلك، «لأنهم كانوا يدغمون الأفعال لثقلها، كقوله تعالى: «إنما نعدُّ لهم عدا» [مريم: ٨٤] ويظهرون الأسماء لخفتها كقوله: «عدد سنين» [المؤمنون: ١١٢]»(٤٢٥)، غير أن ابن الجزري نحى منحى آخر، عندما ربط إدغام أحرف الكلمة أو فكها، بطول السورة وقصرها، فقد اتفق القراء على أن كلمة يرتدد في سورة البقرة جاءت بحرفين «لأن طول سورة البقرة يقتضي الإطناب، وزيادة الحرف من ذلك، ألا ترى إلى قوله تعالى: «ومن يشاقق الله ورسوله» [الأنفال: ١٣] كيف أُجمع على فك إدغامه وقوله: «ومن يشاقِّ الله» [الحشر: ٤]، كيف أجمع إدغامه، وذلك لتقارب المقامين من الإطناب والإيجاز»(٤٢٦).

التفسير:

«يحذر الله تعالى المؤمنين بأن من يرتد بالفك والإدغام منهم أي يرجع عن دينه إلى الكفر، فسوف يأتي الله بدلهم بقوم يطيعونه فيحبهم ويحبونه عاطفين على المؤمنين أشداء على الكافرين يقاتلون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم من المنافقين والكفار، وهذا فضل من الله يؤتيه من يشاء والله كثير الفضل «عليم» بمن هو أهله»(٤٢٧).

---

(٤٢٣) النشر (٢/٢٥٥).

(٤٢٤) انظر الكشف (٢/٢١٤)، حجة ابن زنجلة (٢٣١).

(٤٢٥) حجة ابن خالويه (١٣٣).

(٤٢٦) النشر (٢/٢٥٥).

(٤٢٧) انظر: تفسير النسفي (١/٢٨٨).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

إن قراءة الإدغام تتعرض لفعل الردة، الذي قد يرتكبه بعض الذين آمنوا ـ بولائهم لليهود والنصاري، أو بغيره من الأفعال ـ بإيجاز، في مقابل الإسهاب في الحديث عن صفات العصبة المدَّخرة المختارة في علم الله لدينه. أما قراءة «يرتدد» فإن زيادة الأحرف فيها توحي بمدى بشاعة وشناعة هذا العمل، وفيه تهديد لمن يرتد عن دينه، وذلك من خلال الإطناب في بيان فعل الردة.

وقد يكون أن قراءة التخفيف تدل على درجة من الردة أقل، والتي يمكن أن يقع فيها المؤمنون، بولائهم لليهود والنصاري، وقراءة التشديد تدل على درجة من الردة أعلى وهي الكفر، والنهي منصب على الردة بكل درجاتها، وفيه بيان لخطورتها، كما أنّ قراءة التشديد فيها تأكيد على قراءة التخفيف. والله تعالى أعلم.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوٗا وَلَعِبٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [المائدة: ٥٧].

القراءات:

قوله تعالى: (والكفار) قرأ أبو عمرو، والكسائي، ويعقوب، بخفض الراء، وقرأ الباقون بنصبها[٤٢٨].

معنى القراءات:

القراءة بالنصب (الكفارَ) عطفاً على قوله تعالى: (لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا)، فيكون المعنى: ولا تتخذوا الكفارَ اولياء

والقراءة بالخفض أنه عطفه على أقرب العاملين منه وهو قوله تعالى:

---

(٤٢٨) النشر (٢/٢٥٥).

(من الذين اوتوا الكتاب) فيكون المعنى: من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومنِ الكفارِ(٤٢٩).

التفسير:

«يا أيها الذين آمنوا أي صدقوا الله ورسوله، لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم، يعني اليهود والنصارى، الذين جاءتهم الرسل والأنبياء وأنزلت عليهم الكتب من قبل بعث نبينا ﷺ ومن قبل نزول كتابنا أولياء، أي أنصاراً وإخواناً وحلفاء فإنهم لا يألونكم خبالا وإن أظهروا لكم مودة وصداقة حيث كان أحدهم يظهر للمؤمنين الإيمان وهو على كفره مقيم، وكذلك المشركون من عبدة الأوثان، واتقوا الله إن كنتم مقيمين على الإيمان»(٤٣٠).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد افادت قراءة الخفض العطف على أقرب العاملين منه وهو قوله تعالى: (من الذين أوتوا الكتاب) فنهى الله المؤمنين أن يتخذوا اليهود والمشركين أولياء، وأعلمهم أن الفريقين اتخذوا دين المؤمنين هزواً ولعباً.

أما قراءة من نصب فقد عطف على الذين الأول في قوله (لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا) والكفار أولياء، أي لا تتخذوا هؤلاء وهؤلاء أولياء فالموصوف بالهزء واللعب في هذه القراءة، اليهود لا غير، وكلاهما في القراءة بالخفض، موصوف بالهزؤ واللعب منهي عنه اتخاذهم أولياء(٤٣١).

واندراج اليهود في معنى القراءتين مع انفرادهم بمعنى الثانية، دليل على مدى حقدهم ومكرهم، وتحذير الله للمؤمنين بعدم اتخاذهم أولياء أكثر من غيرهم. والله تعالى أعلى وأعلم

---

(٤٢٩) النظر: الكشف (٤١٣/٢)، وحجة ابن زنجلة (٢٣١)، والحجة لابن خالويه (١٣٢).

(٤٣٠) تفسير الطبري (٢٨٩/٦ ـ ٢٩٠).

(٤٣١) انظر: تفسير القرطبي (٢٢٣/٦)، والكشف (٢ / ٤١٣ ٤١٤).

قوله تعالى:

﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُولَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾﴾ [المائدة: ٦٠].

القراءات:

قوله تعالى: (وعَبَدَ الطَّٰغُوتَ) قرأ حمزة بضم الباء (عبُدَ) وخفض (الطاغوتِ)، وقرأ الباقون بالفتح والنصب (وعَبَدَ الطَّٰغُوتَ)(٤٣٢).

معنى القراءات:

* من قرأ (عبُدَ الطاغوتِ)، أى جعل منهم عبدالطاغوت، بإضافة عبد إلى الطاغوت والمعنى: وجعل منهم من يبالغ فى عبادة الطاغوت أي ذهب في عبادة الطاغوت كل مذهب أو بلغ الغاية في عبادة الشيطان، لأن فَعُل من صيغ المبالغة كحُذر وفطُن للمبالغة فى الحذر والفطنة.

وقراءة الباقون بفتح الباء من عبدَ وفتح التاء من الطاغوتَ على أنه فعل ماض معطوف على فعل ماض وهو (غضب ولعن) أي أطاعه فيما سوَّل له وأغواه به، كأنه قيل ومن عبدالطاغوت أو معطوف على القردة والخنازير أي جعل منهم القردة والخنازير وجعل منهم عبدالطاغوت حملا على لفظ من(٤٣٣).

التفسير:

لقد خاطب الله النبي بقوله: «قل لهم يا محمد هل أخبركم بشر من الذي ذكرتم، ـ لم نر أهل دين أقل حظا في الدنيا والآخرة منكم، ولا دينا شرا من دينكم ـ النار مثوبة وجزاء عند الله، لمن لعنه الله وغضب عليه، يعني اليهود وجعل منهم القردة والخنازير، فالقردة أصحاب السبت والخنازير

---

(٤٣٢) النشر (٢/٢٥٥).

(٤٣٣) انظر: فتح القدير (٢/٥٥)، والكشف (٢/٤١٤)، وحجة ابن زنجلة (٢٣١).

كفار مائدة عيسى عليه السلام، أو أن الممسوخين كلاهم من أصحاب السبت فشبانهم مسخوا قردة ومشايخهم مسخوا خنازير، وجعل منهم من عبدالطاغوت أي أطاع الشيطان فيما سوَّل له، أولئك شر مكانا وأضل عن سواء السبيل عن طريق الحق»(٤٣٤).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد أفادت قراءة (وعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ) بالفتح على أنه فعل ماض والطاغوت منصوب به أي ذهب كل مذهب في طاعة شياطين الأنس والجنِّ.

في حين أنَّ القراءة الثانية (وعبُدَ الطاغوتِ) بالإضافة قد أضافت معنى جديداً على أن المعنى وهو أنهم لم يكتفوا بالطاعة العمياء للطواغيت بل بلغوا الغاية في عبادتهم، كما أنه قد يكون أن معنى العبادة في القراءة الثانية مترتب على بلوغ الغاية في الطاعة. والله تعالى أعلم.

قوله تعالى:

﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٦٧﴾ [المائدة: ٦٧].

القراءات:

قوله تعالى: «رسالته»:

قرئت بوجهين:

الأول: على الجمع «رسالاته» وكسر التاء، وهي قراءة نافع، وابن عامر، وشعبة، وأبو جعفر، ويعقوب. الثاني: على الأفراد «رسالته» الباقون(٤٣٥).

---

(٤٣٤) تفسير البغوي (٢/٤٩).

(٤٣٥) انظر النشر (٢/٢٥٥).

معاني القراءات:

«قراءة الجمع لأن جنس الرسالة مختلف، إذ أنَّ كل واحد من الرسل يأتي بضروب الشرائع المرسلة معهم مختلفة، لذلك حسن جمعة ليدل على ذلك، فليس ما جاءوا به رسالة واحدة، إنما هي رسالات»[٤٣٦]. وقيل: «أنه جعل كل وحي رسالة»[٤٣٧] وعلى هذا يكون الجمع يقصد به رسالة النبي ﷺ، حيث كان ينزل عليه الوحي شيئا فشيئا ثم يبينه، وهذا الرأي «فيه نظر، فإن نفي التبليغ عن الرسالة الواحدة، أبلغ من نفيه عن الرسالات كما ذكره علماء البيان»[٤٣٨].

وقد يكون المراد من الجمع: اجتماع الرسالات جميعا على عقيدة الإسلام، وكلمة التوحيد، فمن كذب بواحدة من الرسالات فإنما كذب جميع الرسل، كما قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾﴾ [ق: ١٢ - ١٣ - ١٤].

التفسير:

«يا أيها الرسول بلغ جميع ما أنزل إليك من ربك، ولا تكتم شيئا منه خوفا أن تنال بمكروه، فإن لم تبلغ جميع ما أنزل إليك، «فما بلغت رسالته» بالإفراد والجمع لأن كتمان بعضها ككتمان كلها، «والله يعصمك من الناس» أن يقتلوك «إن الله لا يهدي القوم الكافرين»[٤٣٩].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

يا أيها الرسول بلِّغ ما أنزل إليك من ربك، فإن لم تفعل ذلك، تكون قد ارتكبت أمرين خطيرين:

---

(٤٣٦) انظر الكشف (٢/٤١٥)، وطلائع البشر (٧٧).

(٤٣٧) حجة ابن خالويه (١٣٣).

(٤٣٨) فتح البيان في مقاصد القرآن، تأليف: السيد الإمام أبي الطيب صدِّيق بن حسن بن علي القِنوجي البخاري، ت ١٣٠٧هـ - (٤/١٨) - تقديم ومراجعة: عبدالله بن إبراهيم الأنصاري - المطبعة العصرية - بيروت - صيدا.

(٤٣٩) تفسير الجلالين (٦٢).

الأول: أنك لم تبلغ رسالة الله التي أرسلك وخَصّك بها وهذا ما أشارت إليه قراءة الإفراد.

والثاني: إنك إن فعلت ذلك فكأنما كتمت جميع الرسالات، لأنها أرسلت بعقيدة واحدة وهدف واحد وفيها أيضا دلالة على أنَّ رسالته ﷺ تضمنت سائر الرسالات السماوية السابقة فلو كتم رسالته فكأنما كتم جميع الرسالات المتضمنة فيها. هذا ما أشارت إليه قراءة الجمع.

أو أن يكون المعنى: إنك إن كتمت شيئا من الشريعة التي خصَّك الله بها، فلن تكون قد بلغت رسالته، وإن كتمت شيئا من أمور العقيدة التي اشترك بها جميع الأنبياء والمرسلين فكأنما كتمت جميع رسالاته. كما قال تعالى على لسان سيدنا نوح عليه السلام: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [الأعراف: ٦٢] والله تعالى أعلم.

قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [المائدة: ٦٩].

القراءات:

قوله تعالى: ﴿فَلَا خَوْفٌ﴾ قرأها يعقوب بالنصب (خوفَ) وقرأها الباقون بالضم(٤٤٠).

معنى القراءات:

أما قراءة الضم على أن «﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ في محل الرفع بالابتداء وخبره فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والجملة خبر إنَّ أو خبر المبتدأ والراجع محذوف أي من آمن منهم»(٤٤١) أو «رفعت

(٤٤٠) النشر (٢١١).

(٤٤١) تفسير البيضاوي (٣٥٠/٢).

على الابتداء، لأنه يكون جواب هل فيه خوف»[٤٤٢] والمعنى: أن من آمن من هذه الطوائف إيمانا خالصا على الوجه المطلوب، وعمل عملا صالحا، فهو الذي لا خوف عليه ولا حزن، وأما على تقدير كون المراد بالذين آمنوا جميع أهل الإسلام المخلص والمنافق، فالمراد بمن آمن من اتصف بالإيمان الخالص واستمر عليه ومن أحدث إيمانا خالصا بعد نفاقه»[٤٤٣].

أما قراءة النصب فهي على البدل من اسم إن وما عطف عليه، وهى تدل على نفي جميع أنواع الحزن والخوف لأنها نكرة وجاءت مبنية على الفتح.

التفسير:

إن الذين آمنوا واليهود والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم في الدنيا ولا هم يحزنون في الآخرة والصابئون كذلك.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد جاءت قراءة الضم لتبيِّن المراد بالذين آمنوا، وهم من اتصف بالإيمان الخالص واستمر عليه ومن أحدث إيمانا خالصا بعد نفاقه، وهو شامل للمؤمنين من كل الديانات، أما قراءة النصب فجاءت لنفي جميع أنواع الخوف عنهم، لأن (لا) إذا بُنِيَ مع النكرة على الفتح كان النفي عاما، نحو: لا رجل في الدار، فإنه نفي لجميع أجناس الرجال في الدار . . . فإذن (لا خوفَ) آكد في نفي الخوف لما فيه من عموم النفي بجنس الخوف»[٤٤٤]. والله تعالى أعلى وأعلم.

قوله تعالى:

﴿وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتۡنَةٞ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ ثُمَّ عَمُواْ

(٤٤٢) الموضح في وجوه القراءات (١/٢٧٠).
(٤٤٣) فتح القدير (٢/٦٣).
(٤٤٤) الموضح في وجوه القراءات (١/٢٧٠).

وَصَمُّواْ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾ ﴾ [المائدة: ٧١].

القراءات:

قوله تعالى: «ألاَّ تكونَ»:

قرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، ويعقوب، وخلف: برفع النون «تكونُ».

والباقون بنصبها «تكونَ»(٤٤٥).

معاني القراءات:

* قراءة الرفع على أنَّ «أنْ» مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن محذوف أي «أنّه» «ولا» نافيه و«تكونُ» تامة «وفتنة» فاعلها، «وحسب» حينئذ بمعنى علموا، من التيقن لا للشك، لأن أن للتأكد، والتأكيد لا يجوز إلا مع اليقين.

مثال ذلك قوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ﴾ [الزخرف: ٨٠].

وقراءة النصب على «أن» الناصبة للفعل المضارع، دخلت على فعل منفي بلا، «ولا» لا تمنع أن يعمل ما قبلها فيما بعدها، من ناصب أو جازم، وأن الناصبة للفعل، لا تكون إلا لأمر غير ثابت «فحسبوا» حينئذٍ للشك والظنّ(٤٤٦).

التفسير:

لقد شك اليهود أو تيقنوا أنه لن يترتب عليهم عذاب بسبب تكذيب الرسل وقتلهم فترتب وهو أنهم عموا عن الحق فلم يبصروه «وصموا» عن استماعه «ثم تاب الله عليهم» مما كانوا فيه لما تابوا «ثم عموا وصمُوا» أي

---

(٤٤٥) المبسوط (١٠٨).

(٤٤٦) انظر: إتحاف فضلاء البشر (١/٥٤١)، والبيان في إعراب القرآن. (١/٢٢٢)، ومشكل إعراب القرآن (١/٢٣٣). التفسير الكبير للرازي (٦/٥٦).

بعد ذلك الكثير منهم والله بصير بما يعملون مطلع عليهم فسوف يجازيهم به(٤٤٧).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد ارتكب اليهود الجرائم الكثيرة، ومنها تكذيب وقتل الأنبياء، ورغم ذلك شكُّوا في أنهم سيعاقبون على جرائمهم، وهذا ما أفادته قراءة الرفع أما قراءة النصب فأفادت بأنهم ذهبوا إلى ما هو أبعد من ذلك في تماديهم، عندما تيقنوا أن لن يقع عليهم العذاب بسبب ذلك.

وتنوُّع القراءات هنا، يكشف الستار عن خبايا نفوس اليهود الخبيثة وما جُبلت عليه، من إيمانهم بالفوقية على جميع البشر حتى الأنبياء، وأنهم مهما ارتكبوا من جرائم فلا رادع لهم، وحسبانهم سببه اغترارهم بإمهال الله لهم، وإمدادهم بطول الأعمار وسعة الأرزاق.

قوله تعالى:

﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ ۖ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٨٩)﴾ [المائدة: ٨٩].

القراءات:

قوله تعالى: «عقَّدتم»:

قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وأبو بكر: (عَقَدْتم) بالقصر والتخفيف.

وقرأ ابن ذكوان كذلك إلا أنه بالألف (عاقدتم).

(٤٤٧) تفسير ابن كثير (٢/٨٠).

وقرأ الباقون بالتشديد من غير ألف (عقَّدتم)[٤٤٨].

معاني القراءات:

قراءة عقدتم توحي بانعقاد اليمين من مرة واحدة. وقراءة التشديد عقَّدتم، توحي بأن اليمين لا تنعقد إلا بالتكرار، ولا كفارة إلا مع التكرار.

وقد روى القرطبي في تفسيره عن ابن عمر[٤٤٩] رضي الله عنهما: «أن التشديد يقتضي التكرار، فلا تجب عليه الكفارة إلا إذا كرر، وهذا يرده ما روي أن النبي ﷺ قال: «إني والله إن شاء الله لا أحلف على يمين، فأرى غيرها خيرا منها، إلا أتيت الذي هو خير وكفَّرت عن يميني»[٤٥٠] فذكر وجوب الكفارة في اليمين التي لم تتكرر، ثم نقل عن أبو عبيد قوله: التشديد يقتضي التكرير مرة بعد مرة، ولست آمن أن يلزم من قرأ بتلك القراءة ألا توجب عليه كفارة في اليمين الواحدة حتى يرددها مرارا. وهذا قول خلاف الإجماع»[٤٥١].

«وذلك أن العرب لا تكاد تستعمل فعَّلت في الكلام إلا فيما يكون فيه تردد مرة بعد مرة، مثل قولهم شدَّدت على فلان في كذا، إذا كرر عليه الشد مرة بعد أخرى، فإذا أرادوا الخبر عن فعل مرة واحدة قيل شددت عليه بالتخفيف، وقد أجمع الجميع لا خلاف بينهم أن اليمين التي تجب بالحنث في حلف مرة واحدة، وإن لم يكررها الحالف مرات...»[٤٥٢].

وقد أجاب البعض عن ذلك: «بأن هذا التكرير يحصل بأن يعقدها

---

(٤٤٨) انظر النشر (٢/٢٥٥).

(٤٤٩) عبد الله بن عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي، أبو عبدالرحمن المكي، أسلم وهو صغير، وهاجر مع أبيه شهد الخندق، وبيعة الرضوان، والمشاهد بعدها، مات رحمه الله سنة ٧٣ وقبل ٧٤ هـ (انظر: تقريب التهذيب (١/٤٠٧).

(٤٥٠) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري (ح ١١ ص ٥١٧ رقم ٦٦٣٢).

(٤٥١) الجامع لأحكام القرآن (٦/٢٦٧).

(٤٥٢) جامع البيان (٧/١٣).

بقلبه ولسانه، أما لو عقد اليمين بأحدهما دون الآخر لم يكن منعقدا»[٤٥٣].

* أما قراءة (عاقدتم) فهي من المفاعلة، التي قد تكون بين اثنين فأكثر، فتكون اليمين من كل واحد للآخر، على أمر عقدوه، أو أن تكون اليمين من واحد على فعل يفعله، أو على ترك فعل وتكون المفاعلة هنا تخص الواحد مثل: عافاه الله، وعاقبت اللص...[٤٥٤].

التفسير:

«لا يؤاخذكم الله باللغو» الكائن «في أيمانكم» وهو ما يسبق إليه اللسان من غير قصد الحلف، «ولكن يؤاخذكم بما عقدتم» بالتخفيف والتشديد وفي قراءة عاقدتم بأن حلفتم عن قصد، «فكفارة ذلك، أي اليمين إذا حنثتم فيه، «إطعام عشرة مساكين» لكل مسكين مد «من أوسط ما تطعمون أهليكم» منه، أي أقصده وأغلبه لا أعلاه ولا أدناه، «أو كسوتهم» بما يسمى كسوة كقميص وعمامة وإزار، أو عتق رقبة مؤمنة، فمن لم يجد واحدا مما ذكر، فصيام ثلاثة أيام ذلك هو كفارة أيمانكم إذا حلفتم وحنثتم، واحفظوا أيمانكم أن تنكثوها «كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون» على ذلك[٤٥٥].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد كان لاختلاف القراءات اثر فقهي حيث أدت قراءة التشديد للإيهام بأن اليمين لا تنعقد إلا بالتكرار مرة بعد مرة، في حين جاءت القراءة بالتخفيف لتزيل هذا التوّهم والتأكيد على انعقاد اليمين بالتلفظ بها مع انعقاد القلب عليها أو باليمين من كل واحد للآخر على أمر عقدتموه، سواء كان

---

(٤٥٣) انظر: التفسير الكبير للرازي (٦/٧٣) الجزء الثاني عشر.

(٤٥٤) انظر: الكشف (٢/٤١٧)، والتفسير الكبير للرازي (٦/٧٣)، وتفسير النسفي (١/٢٩٩).

(٤٥٥) انظر: تفسيرالجلالين (١٠٢).

ذلك بعد تكرار اليمين ـ وهو ما توهمه قراءة التشديد، وليس هو بشرط لانعقادها ـ أم كان مرة واحدة، وهو ما جاءت به قراءة التخفيف (عَقَدتم).

وبذلك نرى أن كل قراءة جاءت لتوضح شيئا لم توضحه القراءة الأخرى، لتشكل معنى متكامل دقيق، وتزيل التوَّهم الذي يمكن أن يحدث من قراءة واحدة.

قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْتُلُواْ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَۚ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُۚ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ۝٩٥﴾ [المائدة: ٩٥].

القراءات:

أولا: قوله تعالى: «فجزاءٌ مثلُ»

قرأ: عاصم، وحمزة، والكسائي، ويعقوب، وخلف: «فجزاءٌ» بالتنوين مثلُ ما بالرفع.

وقرأ الباقون «فجزاءُ» بغير تنوين «مثلِ ما» بالجر(٤٥٦).

معاني القراءات:

فالقراءة الأولى: «فجزاءٌ مثلُ» بالتنوين والرفع، على معنى: (فعليه جزاءٌ مثل الذي قتل)

«فمثل» هنا صفة لـ: «جزاء» فترك إضافة الموصوف إلى صفته، وأجراه على بابه، فرفع «جزاء» بالابتداء «ومثل» خبره، فيكون المعنى: (فجزاء ذلك الفعل مثل ما قتل).

---

(٤٥٦) التذكرة في القراءات الثمان، للإمام أبي الحسن طاهر بن عبدالمنعم بن غلبون المقرئ الحلبي ت ٣٩٩ هـ ـ تحقيق: أيمن رشدي سويد ـ ط الأولى ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م ـ الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن ـ جدة.

وبناء على هذا التأويل ذهب الإمام الشافعي - رضي الله عنه - أن الرجل إذا أصاب صيدا وهو مُحرم في الحرم، يجب عليه مثل المقتول، من الصيد من النَعم من طريق الخِلقة، فيحكم عليه فقيهان مسلمان، بمثل ما أصاب: إن أصاب حمار وحشي فعليه بدَنة، وإن أصاب ظبيا فعليه شاه، و(مثل) في الظاهر تقتضي المماثلة من طريق الصورة، لا من طريق القيمة.

والقراءة الثانية: فجزاءُ مثل على سبيل الإضافة، أي: (فعليه جزاءُ مثله) أو جزاء مثل المقتول واجب عليه، ووجه الدليل في هذا، أن الإضافة تقتضي المغايرة بين المضاف والمضاف إليه، لأن الشيء لا يضاف إلى نفسه، وعلى هذا ذهب الإمام أو حنيفة - رضي الله عنه - إلى: «أنه يجوز إخراج القيمة وإن وجد المثل، وأن المحرم مخيرّ»[٤٥٧]. «فيقوَّم الصيد المقتول قيمته من الدراهم، ثم يشتري القاتل بقيمته فداءا من النعم، ثم يهديه إلى الكعبة»[٤٥٨].

التفسير:

«أيها المؤمنون لا تقتلوا الصيد وأنتم محرمون بحج أو عمرة، ومن فعله متعمَّدا فعليه جزاء هو مثله وشبهه في الخلقة، يحكم به رجلان ذوا عدل منكم، لهما فطنة يميزان بها أشبه الأشياء به، فيبلغ به الحرم فيذبح فيه، ويتصدق به على مساكينه، فإن لم يكن للصيد مثل من النعم، كالعصفور فعليه قيمته، أو كفارة غير الجزاء وإن وجده هي طعام مساكين من غالب قوت البلد ما يساوي قيمة الجزاء لكل مسكين مد وفي قراءة بإضافة كفارة لما بعده وهي للبيان «أو» عليه «عدل» مثل «ذلك» الطعام «صياما» يصومه عن كل مد يوم، وإن وجده وجب ذلك عليه، ليذوق ثقل

(٤٥٧) نيل المرام في تفسير آيات الأحكام، تأليف السيد محمد الصدّيق حسن القنوجي - البخاري - (٣٤١) - تحقيق: على السيد صبح المدني - مطبعة المدني - القاهرة.

(٤٥٨) انظر: حجة ابن زنجلة (٢٣٦)، والموضَّح (٤٥٠)، وأحكام القرآن لابن العربي (٦٧٢/٢).

جزاء الذي فعله، ويغفر الله لمن قتل الصيد قبل تحريمه، ومن عاد إلى ذلك، فسوف ينتقم الله منه، والله عزيز ذو انتقام ممن عصاه»[٤٥٩].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

من خلال تعدد وتنوُّع القراءات في الآية يمكن أن نلحظ بوضوح أمرين:

الأول: أثر القراءات على الأحكام الشرعية، حيث كان لاختلاف القراءتين أثر واضح، على اختلاف الأحكام الشرعية، حيث يبني كل فقيه مذهبه على مقتضى قراءته، أو القراءة التي تترجح لديه، فهنا «يقول أهل الكوفة من الفقهاء: إن الجزاء غير المثل، ويقول المدنيون والمكيون والشاميون من الفقهاء، إن الجزاء هو المثل، فيبني كل واحد منهم مذهبه خلاف مقتضى ظاهر قراءة قراء بلده»[٤٦٠].

وعليه فلا مطمع لترجيح رأي على آخر أو الانتصار لمذهب.

الثاني: مدى سعة رحمة الله تعالى بالمسلمين، إذ أوجد هذه القراءات التي وُجد معها اختلاف الأحكام، ليكون ذلك من باب السعة على المسلمين، وحتى يكونوا في فسحة من أمر دينهم. والله تعالى أعلى وأعلم.

ثانيا: قوله تعالى: ﴿أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ﴾.

قرأ أبو جعفر ونافع وابن عامر «أو كفارةَ طعامِ مساكين» على الإضافة

وقرأ الباقون «أو كفارةٌ» بالرفع والتنوين «طعامُ» بالرفع[٤٦١].

---

(٤٥٩) انظر: تفسير الجلالين (١٠٣).
(٤٦٠) أحكام القرآن لابن العربي (٢/٦٧٢).
(٤٦١) المبسوط في القراءات العشر (١٠٨).

معنى القراءات:

* قراءة التنوين والرفع «كفارةٌ طعامَ» على أنها عطف على «جزاء» أو عطف على محل (من النَّعم) على أنه خبر مبتدأ محذوف، والجملة صفة ثانية لـ «جزاءٌ» وقوله تعالى: «طعام مساكين» عطف بيان لكفارة، أو بدل منه، ولم تضف الكفَّارة إلى الطعام، لأن الكفارة ليست للطعام، وإنما الكفارة لقتل الصيد[٤٦٢]، «وسمّي الإطعام كفارة لأنه ليس بجزاء، إذ الجزاء هو العوض، وهو مأخوذ فيه المماثلة، وأما الإطعام فلا يماثل الصيد، وإنما هو كفارة تكفَّر به الجريمة»[٤٦٣].

أما القراءة الثانية: «كفارةُ طعامِ» فهي على إضافة الكفارة إلى الطعام، لتبيين نوع الكفارة، أي كفارة من طعَام، كما يقال ثوب خزّ، فتكون الكفارة بمعنى المكفَّر به لتصبح إضافة بيان.

فالكفارة بينها الطعام، فكأنه لما كان المكفِّر مخيرا بين ثلاثة أشياء: الهدي والصيام والطعام، حسنت الإضافة، فكأنه قيل «كفارة طعام، لا كفارة هدي، ولا كفارة صيام، فاستقامت الإضافة لكون الكفارة من هذه الأشياء، وقيل: إن «كفارة» اسم مصدر عوضا عن الفعل، أضيف إلى فاعله، أي: يكفره طعام مساكين[٤٦٤]. «وسماه ليبيّن أن الطعام عن الصيد لا عن الهدي»[٤٦٥].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أن من قتل من الصيد حال إحرامه أو وجوده في الحرم معتمدا: فإن عليه جزءا ذلك مثل ما قتل من النَّعم أي الإبل والبقر والغنم، جزءا مثليا أو بإخراج القيمة، أو كفارة عليه جزاء ما فعل، وهذا ما بينته القراءة الأولى.

---

(٤٦٢) انظر: الموضح في وحدة القراءات (٤٥١/١)، التفسير الكبير للرازي (٩٤/١٢) تفسير أبو السعود (٢٢٣/٢).

(٤٦٣) التحرير والتنوير (٤٨/٤).

(٤٦٤) انظر: التحرير والتنوير (٤٨/٤)، والتفسير الكبير (٩٤/١٢)، الموضح في وجوه القراءات (٤٥١/١).

(٤٦٥) أحكام القرآن لابن العربي (٦٧٦/٢).

وإما الثانية فقد بينت نوع هذه الكفارة، وهي الطعام، بإضافة الطعام إلى الكفارة إضافة بيان، وهكذا جاءت القراءتان مبيّنتان لبعضهما فالجزاء كفارة، والكفارة إطعام. والله تعالى أعلى وأعلم.

قوله تعالى:

﴿ ۞ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ ۚ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾ ﴾ [المائدة: ٩٧].

القراءات:

قوله تعالى: (قياما):

قرأها ابن عامر، بدون ألف «قيماً».

والباقون بالألف «قياماً»[٤٦٦].

معاني القراءات:

* القراءة بالألف على أنه مصدر «قام القيام» كالصيام، ومعناه صلاح حال الناس معاشا وأمنا، وقيل باتساع الرزق عليهم، إذ جعلها تعالى مقصودة من جميع الآفاق، وكانت مكة لا زرع فيها ولا ضرع، وقيل بامتناع الإغارة عليهم في الحرم، وقيل بسبب صيرورتهم أهل الله، فكل أحد يتقرب إليهم، وقيل بما يقام فيها من المناسك، وفعل العبادات، ولا يبعد حمله على جميع الأوجه، لأن قوام المعيشة بكثرة المنافع، وبدفع المضار، وبحصول الجاه والرئاسة، وبحصول الدين، والكعبة سبب لحصول هذه الأقسام[٤٦٧].

* والقراءة بغير الألف «قيماً»: «قيل أنها مصدر «لقام» وأن أصله قياماً «قام يقوم قياماً وقيماً» وهي من ذوات الواو فقلبت الواو ياء لمناسبة ما

---

(٤٦٦) النشر: (٢/٢٦٥).

(٤٦٧) انظر تفسير البحر المحيط (٤/٣٧٣)، ، تفسير القرطبي (٦/٣٢٥) بتصرف.

قبلها»[٤٦٨]. وعلى هذه فلا خلاف بين القراءتين، وجاء في لسان العرب: القيم الاستقامة، وهي: اعتدال الشيء واستواؤه، وقام ميزان النهار إذا انتصف، وقام قائم الظهيرة، أي قيام الشمس وقت الزوال، من قولهم: قامت به دابته، أي وقفت، والمعنى: أن الشمس إذا بلغت وسط السماء أبطأت حركة الظل إلى أن تزول، فيحسب الناظر المتأمل أنها قد وقفت. ويقال استقام الشعر: اتزن.

ويراد أيضا بالقيم جمع قيمة، والقيمة ثمن الشيء بالتقويم. المعنى جعلها الله قيمة الأشياء، ويقال كم قامت ناقتك، أي كم بلغت، وقد قامت الأمة مائة دينار أي بلغ قيمتها مائة دينار[٤٦٩].

التفسير:

«لقد جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس حيث يقوم به أمر دينهم بالحج إليه ودنياهم بأمن داخله وعدم التعرض له وجبي ثمرات كل شيء إليه، وكذلك جعل الأشهر الحرم ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب قياما لهم بأمنهم من القتال فيها، وكذلك جعل الله الهدي وهو ما يهدى للكعبة والقلائد ما يقلد به ذلك الهدي قياما لهم بأمن صاحبهما من التعرض له، وقد جعل الله لكم ذلك لجلب المصالح لكم ودفع المضار عنكم قبل وقوعها دليل على علمه بما هو في الوجود وما هو كائن»[٤٧٠].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد وقفت طويلا أمام هذه الآية، أقلِّبُ فيها الأفكار وأمعن فيها النظر، متسائلا عن الحكمة التي يمكن أن تكون من وراء تنوع القراءات في الآية، على أنه ما كتب بهذا الخصوص إلا النذر اليسير، بل وإن جُلَّ ما كتب ساوى بين القراءتين في المعنى، على أنَّ قيما وقياماً مصدر لقام،

---

(٤٦٨) انظر الكشف (٢/٤١٩)، حجة ابن زنجلة. البحر المحيط (٤/٣٧٣).

(٤٦٩) انظر لسان العرب (١٢/٤٩٩ ـ ٥٠٠) باختصار.

(٤٧٠) تفسير الجلالين (١٠٣).

وهذا ما زاد في حيرتي، فالكعبة بما تمثله من رمزية عظيمة للمسلمين، وقدم ضارب بجذوره في عمق التاريخ، فكما جاء في بعض الروايات أن آدم عليه السلام ـ أول الخلق ـ هو الذي وضع أساسته، وقيل هي الملائكة[٤٧١]، وأن إبراهيم عليه السلام لم يزد، إلا أنه رفع هذه القواعد، فهل يمكن أن يكون تعدد القراءات في شأنها لا يحمل معانٍ كثيرة، وإشارات عظيمة، تتناسب مع عظم ومكانة هذا البيت.

وبالرجوع إلى اللغة، فتح الله لي آفاقا رحيبة، فأقول وبالله التوفيق.

إن القراءتين بينتا أن الله تعالى جعل للكعبة المشرفة في حياة المسلمين والعرب على وجه الخصوص، فوائد عظيمة، منها:

أولاً: أنها سبب لقوام معيشتهم، وشئون حياتهم، بكثرة المنافع وما يجبي إليها من الثمرات، وتحقيق الأمن، ودفع المضار والاستقرار الروحي والاقتصادي والسياسي، إذ جعلها الله تعالى مقصودة من جميع الآفاق، لما يقام فيها من المناسك والعبادات، وهذا ما يفهمه من قراءة «قياما».

ثانياً: أما قراءة «قيماً» فتحمل في طياتها معنيين:

الأول: جمع قيمة، فوجود الكعبة في ديار المسلمين والعرب جعل لهم قيمة عظيمة، بما تحققه لهم، من اتحاد الكلمة والتجمع على الحق، وتحصيل الرياسة في أمور الدين، وأن تكون بلادهم مهوى أفئدة المؤمنين من أرجاء المعمورة، كما أن ذلك إشارة إلى أن قيمة العرب المسلمين تكمن في محافظتهم على مناسكهم وأمور عباداتهم.

الثاني: الاستقامة وهي تعنى الانتصاف، والتوسط، بشقيها المادي والمعنوي، فقد وصف الله تعالى الأمة بأنها أمة وسطا بين الأمم ﴿وَكَذَٰلِكَ

---

(٤٧١) انظر تفسير ابن كثير (١٧٢/١)، في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ﴾.

جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣] فهذا في حق الأمة، فكيف يكون في حق الكعبة، وهي الموصوفة بذلك في الآية؟...في ذلك احتمالين.

الأول: بما تمثله الكعبة من رمزية كبيرة لعقيدة المسلمين، ودينهم، والذي هو دين الوسطية والقوامة «دينا قيماً ملة إبراهيم» وهي الوسطية المعنوية.

الثاني: الوسطية المكانية، وهي تعنى التوسط والانتصاف من حيث الموقع والمكان، والذي عناه صاحب لسان العرب بقوله: قام ميزان النهار إذا انتصف وقام قائم الظهيرة أي قيام الشمس وقت الزوال إذا بلغت منتصف السماء، وقد ظهرت أبحاث حديثة تؤكد ذلك. فقد جاء في موقع موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، مقالة للدكتور: محمد جميل الحبال، بعنوان: القرآن شريعة كونية، ما نصه: «لقد أثبتت الدراسات المتعددة، ومنها دراسة الدكتور حسن كمال الدين رئيس قسم هندسة المساحة في جامعة الرياض، أن (مكة المكرمة) هي مركز اليابسة على سطح الكرة الأرضية، وهي تقع في المركز، وكذلك قام الأستاذ الدكتور «روبرت كولمان» من جامعة سنغافورة في أمريكا، بدراسة مركز جذب الأرض والتقاء الإشعاعات الكونية للجاذبية على سطح الأرض، (مركز التجمع الإشعاعي للتجاذب المغناطيسي) فوجدها تلتقي في نقطة على سطح الأرض (والتي تمثل مركز جذب الأرض في مركزها). وعندما أراد معرفة الموقع الجغرافي لهذه المنطقة، وجد أنها (مكة المكرمة)، فإذن مكة المكرمة التي في وسطها المسجد الحرام الكعبة المشرفة هي مركز القارات السبع (اليابسة) أولاً، وكذلك نقطة التقاء وتجمع الأشعة التجاذبية المغناطيسية ثانيا، لذلك وصفها الباري ﷻ في محكم كتابه بأنها «أم القرى» [الشورى: ٧]، وأم الشيء هو وسطه وقلبه وأساسه»(٤٧٢).

ولست هنا في معرض التأكيد الإعجازي لقوله تعالى: «أم القرى» مما

(٤٧٢) موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة (موقع انترنت).

سبق وتحدث فيه العلماء وتناولوه، ولكني في معرض الحديث لإبراز لون جديد من ألوان الإعجاز العلمي، الذي برز من خلال تعدد القراءات في الكلمة الواحدة من قوله تعالى: «جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما «(قياما) للناس». مما يلفت الأنظار إلى أهمية العلم، وخطورته. والله تعالى أعلى وأعلم.

قوله تعالى:

﴿فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَـٰنِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَـٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَـٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [المائدة: ١٠٧].

القراءات:

قوله تعالى: «استحق عليهم الأولين».

قرأ أبو جعفر، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، والكسائي: «من الذينَ استُحق» بضم التاء وكسر الحاء «عليهم الأوليانِ» على اثنين من الأولى.

وقرأ عاصم - في رواية أبي بكر - وحمزة ويعقوب وخلف (استُحق) بضم التاء أيضا «الأوَّلينَ» على الجمع من الأوَّل.

وقرأ حفص عن عاصم وحده «اسَتَحقَّ» بفتح التاء والحاء (الأوليانِ) تثنية الأوْلى(٤٧٣).

معاني القراءات:

* أوجه إعراب ومعاني من قرأ بضم التاء «استُحق»

١ - بنى الفعل للمفعول، وهو الأوليان، فأقام الأوليان مقام الفاعل على تقدير حذف مضاف، والمعنى: من الذين استحق عليهم إثم الأَوْلَيَيْن،

(٤٧٣) المبسوط في القراءات العشر (١٠٩).

لأن الأَوْلَيَيْن لا تستحق نفساهما، إنما استحق الوصية أو الإثم.

والأوليان هنا تثنية الأَوْلى، أي: أَوْلى بالشهادة على وصية الميت، وقيل أولى بالميت من غيره(٤٧٤)، وقيل الأولى باليمين منهما فالأَوْلى، ثم حذف «منهما» والعرب تفعل ذلك فتقول: «فلان أفضل»، وهي تريد أفضل منك. أو الأولى بتحليف غيره(٤٧٥).

٢ ـ جعل الأوليان مرفوع بما لم يسمَّ فاعله، وهو قوله: «استحق عليهم» وأنهما موضع الخبر منهما، فعمل فيهما ما كان عاملا في الخبر عنهما، وذلك أن معنى الكلام: فآخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الإثم بالخيانة، فوضع «الأوليان» موضع «الإثم» كما قال تعالى في موضع آخر: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ [التوبة: ١٩]. ومعناه: أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام، كإيمان من آمن بالله واليوم الآخر(٤٧٦).

٣ ـ وقيل: رفعهما على البدل من الألف في «يقومان»، والمعنى: فليقم الأوليان بالميت مقام هذين الخائنين، فيقسمان لشهادتنا.

٤ ـ وقال آخرون بدل من قوله: «فآخران» فهذا بدل المعرفة من النكرة، وقالوا: يجوز أن يكون (الأوليان) خبر الإبتداء الذي هو (فآخران)، ويجوز أن يكون «الأوليان» مبتدأ و(آخران) خبر مقدما، التقدير: فالأوليان آخران يقومان مقامهما(٤٧٧).

٥ ـ وقيل «الإيمان» فاعل «استحق» ومفعوله: أن يجردوهما للقيام بالشهادة.

---

(٤٧٤) انظر الكشف (١٠٧).

(٤٧٥) انظر: أحكام القرآن لابن العربي (٢/٧٣١).

(٤٧٦) انظر: جامع البيان للطبري (٥/١٦٣).

(٤٧٧) انظر حجة ابن زنجلة (٢٣٩) الموضح في وجوه القراءات (١/٤٥٢)، تفسير أبو السعود (٢/٣٣٣).

والمعنى: من الورثة الذي استحق عليهم الأوليان من سهم بالتركة، أن يجردوهما للقيام بالشهادة، ليظهروا كذب الكاذبين لكونهما الأقربين إلى الميت.

٦ ـ وقيل المفعول محذوف والتقدير: من الذين استحق عليهم الأوليان بالميت وصيته التي أوصى بها(٤٧٨).

* وأما من قرأ: «استُحق عليهم الأوَّلين فالأولين هنا جمع أوّل، والتقدير: الذين استحق عليهم الإيصاء أو الإثم. وإنما قيل لهم الأوَّلين، لتقدم ذكرهم في أول القصة، وهو قوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَـٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ﴾ [المائدة: ١٠٦] على أنه صفة للذين. . .، مجرور أو منصوب على المدح، ومعنى الأولية: التقدم على الأجانب في الشهادة لكونهم أحقَّ بها، وقيل بدل من الهاء والميم في (عليهم)(٤٧٩). والأوليان: الاحقان. . .أو وَلِيِّي الموروث(٤٨٠). وقيل استُحق عليهم أمرهم أي غلبوا عليهم.

التفسير:

المعنى ليشهد المحتضر على وصيته اثنين، أو يوصي إليهما من أهل دينه، وإن تعذر كما في السفر فمن غيركم، فإن ارتاب الورثة فيهما فادعوا أنهما خانا بأخذ شيء أو دفعه إلى شخص زعما أن الميت أوصى له به، فيحبسونهما بعد صلاة العصر لأنه وقت اجتماع الناس والملائكة، فيحلفا فإن خانا أو كذبا مما يستحق الاثم، بأن وجد عندهما مثلا ما اتهما به وادعيا أنهما ابتاعاه من الميت أو وصى لهما به، فيقوم آخران مقامهما في توجه اليمين عليهما ممن له حق في الوصية أو ممن جني عليهم، وهم من الورثة الأولى بالميت من غيرهما، أي الأقربان إليه وفي قراءة الأولين جمع

---

(٤٧٨) انظر فتح البيان في مقاصد القرآن (٧٨/٤) فتح القدير (٩٢/٢)، وأحكام القرآن لابن العربي (٧٣٠/٢)، والبحر المحيط (٣٩٩/٤).

(٤٧٩) انظر: الكشف (١٠٧/٢)، الموضح في وجوه القراءات (٤٥٣/١)، تفسير أبو السعود (٣٣٣/٢)، الجامع لأحكام القرآن (٣٥٩/٦).

(٤٨٠) انظر: لسان العرب (٤٠٧/١٥).

أول صفة أو بدل من الذين فيقسمان على خيانة الشاهدين، ويقولان يميننا أصدق من يمينهما وما تجاوزنا الحق في اليمين، إنا إذا لمن الظالمين إن فعلنا ذلك(٤٨١).

سبب نزول الآية:

أخرج البخاري في تاريخه، وابن جرير، عن ابن عباس ﵄ قال: خرج رجل من بين سهم مع تميم الداري وعدي بن بدا، فمات السهمي بأرض ليس فيها مسلم، فأوصى إليهما، فلما قدما بتركته، فقدوا جاما من فضة، مخوصا بالذهب، فأحلفهما رسول الله ﷺ. ثم وُجد الجام بمكة، فقالوا: اشتريناه من تميم الداري وعديّ بن بداء. فقام رجلان من أولياء السهمي فحلفا: لشهادتنا أحق من شهادتهما، وأن الجام لصاحبهم. وقال وفيهم أنزلت: (يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم)(٤٨٢).

وقيل: «إن تميما أُسلم، وردَّ ما عنده منها، وأَخبر الخبر، فخاصمت بن سهم في ذلك عن رسول الله ﷺ، وقال عمرو بن العاص ـ وهو سهمي ـ حين سمع: (وآخران يقومان مقامهما) فقال: أنا أحلف، فحلف هو وآخر من بنى سهم، وهو أبو وداعة السهمي...وهما الأوليان»(٤٨٣).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

ويمكننا أن نلحظ أثر تنوُّع القراءات في هذه الآية على اللغة والمعاني، حيث تشعبت فيها أقوال العلماء وكثرت بما لا يدع لنا مجالا للحسم أو التوجيه إلا: أن نضع إشارة تنبيه على طريق السالكين درب تفسير

---

(٤٨١) انظر: تفسير البيضاوي (٣٧٥/٢ ـ ٣٧٦)، تفسير الجلالين (١٠٥).

(٤٨٢) أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (ج١ص٢١٥) رقم ٦٧٦) ـ تحقيق طبعة دار الفكر.

(٤٨٣) تفسيرات مبهمات القرآن، للإمام أبي عبدالله على البلنسي (٤١٨/١) تحقيق: حنيف بن حسن القاسمي ـ ط الأولى ١٤١١هـ ـ ١٩٩١ ـ دار الغرب الإسلامي ـ بيروت ـ لبنان.

القرآن. للإنتباه لمدى أهمية علم القراءات، ومدى تأثيره على اللغة، والمعاني، والأحكام.

يقول مكي بن أبي طالب «وهذه الآية في قراءاتها، وإعرابها، وتفسيرها، ومعانيها، وأحكامها، من أصعب آيات القرآن وأشكلها، ويُحتمل أن يبسط ما فيها من العلوم في ثلاثين ورقة أو أكثر»[٤٨٤].

قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾﴾ [المائدة: ١١٠].

القراءات:

أولاً: قوله تعالى: «سحرٌ مبين»:

قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، (ساحر) بألف بعد السين، وكسر الحاء.

وقرأ الباقون بكسر السين وإسكان الحاء من غير ألف (سحرٌ)[٤٨٥].

معاني القراءات:

* «القراءة بالألف «ساحر» إشارة إلى النبي عيسى عليه السلام، فأخبر عن الاسم باسم الفاعل، والمقصود بهذه القراءة: هو وصف بني إسرائيل لعيسى عليه السلام، بأنه رجل متمرِّس للسحر، وذلك بعد ما رأو ما أجراه الله على يديه من المعجزات، التي ذكرت في الآية.

---

(٤٨٤) الكشف (١٠٧/٢).

(٤٨٥) النشر (٢٥٦/٢).

* والقراءة الثانية: «سحر» فهي إشارة إلى الحدث الذي جاء به عليه السلام، لا إلى الشخص الذي جاء، فكأنه قيل: ما هذا الذي جئت به إلا سحر مبين، كما قيل ذلك في حق النبي ﷺ: «إنْ هذا إلا سِحْرٌ يؤثر» [المدثر: ٢٤](٤٨٦).

روي أن أبي عمرو(٤٨٧) قال: «ما كان في القرآن (مبين) فهو (سحر) يغر ألف، وما كان (عليم) فهو (ساحر) بالألف، فكأن أبو عمرو، ذهب إلى أنه إذا وصف بالبيان، دل على أنه عني السحر الذي يبين عن نفسه أنه سحر لمن تأمله، وإذا نعت بـ (عليم)، لم يجز أن يسند العلم إلى السحر، فجعله لفاعل السحر، والسحر عنده أوعب معنى لأنه يدل على فاعله، والساحر قد يوجد ولا يوجد معه السحر، والسحر لا يوجد إلا مع ساحر»(٤٨٨).

التفسير:

«واذكر يا عيسى ابن مريم إذ أيدتك وقويتك بجبريل عليه الصلاة والسلام، تكلم الناس في الطفولة والكهولة على سواء والمعنى إلحاق حاله في الطفولة بحال الكهولة في كمال العقل والتكلم، وبه استدل على أنه سينزل فإنه رفع قبل أن يكتمل، وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني فتنفخ فيها فتكون طيرا بإذني وتبرئ الأكمه والأبرص بإذني وإذ تخرج الموتى بإذني، وإذ كففت بني إسرائيل عنك يعني اليهود حين هموا بقتله إذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحر مبين أي هذا الذي جئت به سحر مبين وقرئ إلا ساحر فالإشارة إلى عيسى عليه الصلاة والسلام»(٤٨٩).

---

(٤٨٦) انظر االكشف (٢/٤٢١)، الموضَّح في وجوه القراءات (١/٤٥٥).
(٤٨٧) أبو عمرو الدوري القارئ انظر ترجمته ص (٢٤).
(٤٨٨) حجة٠ القراءات لان زنجلة (٢٤٠).
(٤٨٩) تفسير البيضاوي (٢/٣٧٩).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

إن بني إسرائيل الذين أرسل الله إليهم عيسى عليه السلام، بالدلائل، والبراهين الساطعات تصديقا له، قد ارتكبوا جرما عظيما، وذلك عندما طعنوا في رسالة عيسى عليه السلام واتهموا، أن ما جاء به ضرب من ضروب السحر، وهو ما تفيده القراءة الأولى (سحر)، أما القراءة الثانية: فهي اتهام لشخصه عليه السلام، بأنه ساحر، أو «أنَّ اليهود قالوا لعيسى كلتا المقالتين على التفريق، أو على اختلاف جماعات القائلين وأوقات القول»[٤٩٠].

وبذلك نرى أن كلتا القراءتين، قد أضافت معنى جديدا للأخرى، وهي تؤكد أمرا عقائديا مهماً من أسباب الكفر ومظاهره، فليس مجرد الطعن في الرسالة وحده هو المؤدي للكفر، وإنما الطعن في شخص الرسول أيضا.

ثانياً: قوله تعالى: (طيرا).

قرأها نافع، وأبو جعفر، ويعقوب: (طائراً) والباقون (طيراً)[٤٩١].

معنى القراءات:

قراءة (طيراً) على إرادة الجمع والتكثير لأنه خلق طيرا كثيرا.

أما قراءة (طائرا) على الإفراد حيث ذهبوا إلى نوع واحد من الطير لأنه لم يخلق غير الخفاش وإنما خص الخفاش لأنه أكمل الطير خلقا لأن له ثديا وأسنانا[٤٩٢].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد بيَّنت القراءة الثانية (طائراً)، أن عيسى عليه السلام كان يقدِّر هيئة كهيئة الطائر، فتكون الهيئة طائراً، أي كل هيئة يقدِّرها تكون واحداً من

(٤٩٠) التحرير والتنوير (١٠٣/٧) طبعة الدار التونسية للنشر ١٩٧١.

(٤٩١) مصحف القراءات العشر المتواترة (١٢٦).

(٤٩٢) انظر: حجة ابن خالويه (١٣٧)، تفسير البغوي (٣٠٣/١).

الطير، في حين بينت القراءة الثانية (طيراً) بصيغة الجمع أنه عليه السلام أنه خلق أكثر من طير باعتبار تعدد ما يقدِّره من هيئات(٤٩٣).

قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾ [المائدة: ١١٢].

القراءات:

قوله تعالى: «يستطيع»:

قرأ الكسائي وحده (هل تَستَطيعُ) بالتاء و(ربَّك) بالنصب.

وقرأ الباقون (هل يَستَطيعُ) بالياء (ربُّك) بالرفع(٤٩٤).

معنى القراءات:

القراءة بالتاء (هل تستطيعُ ربَّك)، بمعنى: هل تستطيع سؤال ربك، فحذف المضاف، أو هل تستطيع أن تدعو ربك، وقيل إن السؤال هنا من باب الشك، «وهو كلام لا يصدر مثله عن مؤمنين معظمين لربهم، ولذلك قول عيسى لهم معناه: اتقوا الله ولا تشكو في اقتداره، واستطاعته. . .إن كانت دعواكم للإيمان صحيحة»(٤٩٥)، وقال القرطبي: «فقد أنبأ هذا . . .أنهم لم يكونوا يعلمون أن عيسى قد صدقهم، ولا اطمأنت قلوبهم إلى حقيقة نبوته، فلا بيان أبين من هذا الكلام في أنَّ القوم قد خالط قلوبهم مرض وشك في دينهم وتصديق رسولهم، وأنهم سألوا ما سألوا من ذلك اختبارا»(٤٩٦)، وقد علَّق الرازي في تفسيره على هذه القراءة بقوله: «وهذه القراءة أولى من الثانية لأن هذه القراءة توجب شكهم في استطاعة عيسى، والثانية توجب شكهم في استطاعة الله، ولا شك أن الأولى أولى»(٤٩٧).

---

(٤٩٣) التجرير والتنوير (١٠٢/٧) مرجع سابق.
(٤٩٤) المبسوط (١٠٩).
(٤٩٥) انظر: تفسير الكشاف (٥٤/٢) طبعة دار المصحف وفتح القدير (٩٧/٢)،.
(٤٩٦) تفسير القرطبي (١٧٥/٥).
(٤٩٧) التفسير الكبير للرازي (م ٤/ج١٢/ص١٢٩).

وقد رُد على هذا القول بما ورد عن عائشة رضي الله عنها: «كان الحواريون لا يشكُّون أن الله قادر أن ينزل عليهم مائدة، ولكن قالوا: يا عيسي هل تستطيع ربك»[498] واستدلوا بقول الله تعالى في الآية التي قبلها: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي﴾ وأن الله تعالى سماهم حواريين، ولم يكن ليسميهم بذلك وهم برسالة رسوله كفرة[499].

وقيل معناه هل يستطيع ربك أن يطيعك إن سألته، وهذا تفريع على أن استطاع بمعنى أطاع والسين زائدة[500]. وقيل أنه محمول على الاحتجاج على عيسى عليه السلام، أي أنك مستطيع فما يمنعك[501].

* أما القراءة بالياء (هل يستطيعُ ربُك). ففيها إسناد الفعل إلى الله تعالى، والمعنى هنا: معنى الطلب والسؤال وليس فيه الشك في قدرة الله تعالى على ذلك، وذلك نحو قول الرجل الآخر، هل تستطيع أن تنهض معي في ذلك، وهو يعلم أنه يستطيع ولكنه يريد: أتنهض معنا فيه من باب الطلب، وقيل بمعنى هل يفعل، كما تقول للقادر على القيام: هل تستطيع أن تقوم، مبالغة في التقاضي، فلفظه لفظ استفهام، ومعناه معنى الطلب والسؤال[502].

وقد قيل في ذلك أن الحواريين أرادوا الانتقال من الإيمان عن طريق الخبر، إلى المعاينة والنظر، التي لا يعترضها شيء، كما قال تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة: ٢٦٠].

---

(٤٩٨) جامع البيان (١٧٤/٥).

(٤٩٩) انظر: حجة القراءات لابن زنجلة (٢٤١).

(٥٠٠) انظر: التفسير الكبير للرازي (م٤/١٢/١٣٠).

(٥٠١) الموضح في وجوه القراءات (٤٥٥/١).

(٥٠٢) انظر: روح المعاني (٥٩/٧)، ومعاني القرآن (٢٨٥/٢)، وتفسير النسفي (٣٠٩/١)، والكشف (٤٢٣/٢).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد بيَّنت القراءتان معا: إن سؤال الحواريين عيسى عليه السلام أن ينزِّل عليهم مائدة من السماء، ينم عن أحد أمرين، إما: (هل تستطيعَ) سؤال ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء وهل (يستطيعُ ربُّك) أي: وهل يجيبك إلى ذلك إن سألته.

أو أن القراءتين بيَّنتا معا طبيعة الإيمان الذي كان عند بني إسرائيل وهو إيمان يخالطه شك، وهو ما توحي إليه القراءة بالياء «هل يستطيعُ ربُّك» فإن هذا الكلام لا يصدر عمَّن كان كاملا في الإيمان، ودليل ذلك قولهم لعيسى في تبرير طلبهم المائدة «ونعلم أن قد صدقنا» وقول عيسى لهم «اتقوا الله إن كنتم مؤمنين» أي مقيمين على الإيمان الصحيح الذي لا يتسرب إليه شك. والله تعالى أعلى وأعلم.

قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيۡكُمۡ فَمَن يَكۡفُرۡ بَعۡدُ مِنكُمۡ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابٗا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾﴾ [المائدة: ١١٥].

القراءات:

قوله تعالى: (مُنْزِلُهَا) قرأها ابن كثير، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي، ويعقوب، وخلف، بتخفيف الزاي، وقرأ الباقون بتشديدها (منزِّلُها)[٥٠٣].

معنى القراءات:

* «قراءة التشديد على انه اسم فاعل من نزَّل وهى تحمل معنى التكثير، لما قيل أنها نزلت مرات متعددة»[٥٠٤].

(٥٠٣) النشر (٢/٢٥٦).

(٥٠٤) انظر: الكشف (٠٢/٤٢٣)، وإتحاف فضلاء البشر (١/٥٤٦).

* «وقراءة التخفيف على أنه اسم فاعل من أنزل، وهى مناسبة لقوله تعالى: ﴿أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ فقال: ﴿إِنِّي مُنزِلُهَا﴾، فيكون لفظ الجواب موافقا للفظ السؤال»(٥٠٥).

التفسير:

«هذا جواب من الله تعالى للقوم فيما سألوا نبيهم عيسى مسألة ربهم، من إنزاله مائدة عليهم فقال تعالى ذكره (إني منزلها) عليكم أيها الحواريون فمطعمكموها، فمن يكفر بعد منكم يقول فمن يجحد بعد إنزالها عليكم رسالتي إليه وينكر نبوة نبي ﷺ، ويخالف طاعتي فيما أمرته ونهيته فإني أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من عالمي زمانه»(٥٠٦).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد أفادت قراءة التخفيف استجابة الله تعالى لطلب عيسى عليه السلام بإنزال المائدة لكن هذه القراءة لم توضح لنا هل أنزلت مرة واحدة أم مرات متعددة، وهذا ما وضحته القراءة الثانية (قراءة التشديد) حيث أفادت «إنزالها مرات كثيرة وقد جاء أنها نزلت أربعين يوما يجتمع عليها الفقراء والأغنياء والصغار والكبار»(٥٠٧). والله تعالى أعلى واعلم.

قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾﴾ [المائدة: ١١٩].

القراءات:

قوله تعالى: (يوم)، قرأ نافع بالنصب (يومَ)، وقرأ الباقون بالرفع (يومُ)(٥٠٨).

---

(٥٠٥) الموضح في وجوه القراءات (٤٥٦/١).
(٥٠٦) تفسير الطبري (١٣٦/٧).
(٥٠٧) انظر: تفسير البيضاوي (٣٨١/٢)، وتفسير أبي السعود (٩٩/٣).
(٥٠٨) النشر (٢٥٦/٢).

معنى القراءات:

من قرا بالنصب جعل الإشارة في (هذا) إلى غير اليوم، ممّا تقدم ذكره من الخبر والقصص وهو منصوب على الظرفية، فيكون التقدير: قال الله تعالى هذا القصص الذي قص عليكم، أو هذا الخبر الذي أخبرتكم به في يوم ينفع الصادقين صدقهم، أي سيقوله في ذلك اليوم، ويجوز أن يكون المعنى على الحكاية، وهذا مرفوع على الإبتداء، والتقدير: هذا الذي أخبرتكم يحدث أو يقع في يوم ينفع الصادقين صدقهم، ومذهب الكوفيين في فتح (يوم) أنه موضع رفع على خبر (هذا)، و(هذا) إشارة إلى (اليوم)، وفتحه بناء لإضافته إلى الفعل.

ومن قرأ بالرفع جعل (يوم ينفع) حبراً لـ (هذا)، والجملة في موضع نصب بالقول و(هذا) إشارة إلى (يوم القيامة) وهو اليوم الذي ينفع فيه الصادقين صدقهم، أو هذا اليوم يوم منفعة الصادقين[٥٠٩].

التفسير:

«قال الله هذا لعيسى عليه السلام يوم ينفع الصادقين صدقهم وهو يوم القيامة لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا رضى الله عنهم بالسعى المشكور ورضوا عنه بالجزاء الموفور ذلك الفوز العظيم لأنه باق بخلاف الفوز فى الدنيا فهو غير باق»[٥١٠].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

«كأن من قرأ بالرفع جعل الكلام ﴿هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ إلى أنه من قول الله يوم القيامة، أما قراءة نصب اليوم على أنه منصوب على

(٥٠٩) انظر: الكشف (٤٢٤/٢)، والموضح في وجوه القراءات (٤٥٨/١)، وحجة ابن زنجلة (٢٤٢).

(٥١٠) تفسير البيضاوي (٣١١/١).

الوقت والصفة لأن معنى الكلام أن الله تعالى أجاب عيسى حين قال ﴿سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥۚ﴾، فقال له ﷻ هذا القول النافع أو هذا الصدق النافع يوم ينفع الصادقين صدقهم فاليوم وقت القول والصدق النافع»(٥١١)، أو أن يكون التقدير: هذا القصص الذي قص عليكم، أو هذا الخبر الذي أخبرتكم به في يوم ينفع الصادقين صدقهم، أي سيقوله في ذلك اليوم، أو يحدث ويقع في ذلك اليوم (حكاية عما سيحدث)، ومن هنا نرى أثر اختلاف القراءات على المعنى، حيث أثرت المعنى، وأضافت معنى جديدة ما كانت لتعلم لولا وجود هذه القراءات. والله تعالى اعلى وأعلم.

وبذلك يكون تم تفسير سورة المائدة من خلال القراءات العشر المتواترة.

سائلاً الله تعالى أن أكون قد وُفقت في ذلك.

والله وليّ التوفيق.



(٥١١) تفسير الطبري (١٤١/٧).

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، نحمده تعالى على أن هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، والصلاة والسلام على خير خلق الله، حبيب الحق ومصطفاه.

وبعد:

فقد أكرمنى ربي سبحانه وتعالى بأن أتممت تفسير مواضع القراءات التي لها تعلق بالتفسير في سورتي النساء والمائدة، بفضل الله تعالى ومنته، راجيا من العلي القدير أن يتقبل مني هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، وأن يقيل عثرتي، وأن يغفر لي زلتي، فإن أصبت ووفقت فمنه وحده، وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان.

وهذه خلاصة لأهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها من خلال هذا البحث:

أولاً أهم النتائج:

١ ـ إن لعلم القراءات أهمية كبيرة، لمن أراد أن يتصدر لتفسير القرآن الكريم، وشرح أحكامه، وبدونها سيبقى المفسر فاقدا لأداة مهمة من أدوات التفسير.

٢ ـ إن أثر القراءات في التفسير، يشمل نواحي عديدة منها: ما يتعلق في المعاني واللغة، ومنها ما هو في التشريعات والأحكام، ومنها ما هو في

العقائد والغيبيات، مما يكسب هذا العلم أهمية لا تقل عن أهمية باقي أدوات التفسير. بل يجعله متصدرا لها بصفته وحيا من عند الله.

٣ ـ إن القراءات المتواترة بمجملها هي وحي من عند الله تعالى، لا يحق لنا ـ من وجهة نظر الباحث ـ والحال هذه أن نفضِّل بعضها على بعض، أو أن نضعِّف بعضها أو أن نردّها، كما وقع في ذلك بعض المفسرين فجانبوا الصواب.

٤ ـ إن القراءات تمثل وجها من وجوه الإعجاز المتعددة لكتاب الله تعالى، باعتبار أن كل قراءة تسد مسد آية، وهو ما يمكن وصفه بأنه إعجاز بالإيجاز، فاستخدامها في التفسير أمر لا بد منه للمفسّر.

٥ ـ برز من خلال الدراسة لون جديد من ألوان الإعجاز للقراءات وهو الإعجاز العلمي، الذي برز من خلال تعدد القراءات في الكلمة الواحدة من قوله تعالى «جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما» (قياما) للناس. مما يلفت الأنظار إلى أهمية العلم وخطورته.

٦ ـ كما وبرز أيضا جانب مهم من جوانب أثر القراءات على التفسير وهو الأثر الوصفي للقراءات، حيث لوحظ من أن الغرض في بعض الأحيان من تعدد القراءات هو وصف الحالة التي كان عليها الناس في فترة ما، مما لا يمكن له أن يبرز إلا من خلال تعدد القراءات، إما لتأكيد وإقرار تلك الحالات، وإما لتأكيد نفيها، كما في الآية الثالثة والثلاثين من سورة النساء.

٧ ـ تعتبر مخالفة بعض القراءات لبعض أقيسة اللغة غير المشتهرة ومدارسها، حجة على هذه المدارس، وحَكَما على ما وضعه علماء النحو من أصول وقواعد، ولا يجوز بأي حال ردَّ قراءة لمخالفتها لأقيسة اللغة ومنهاجها.

٨ ـ إن تفسير القرآن من خلال القراءات، لون جديد من ألوان التفسير وهي بحر واسع، ممتلئ بالأسرار، يحتاج المبحر فيه، لأن يكون متمكنا من هذا العلم، يملك وسائل وأدوات الإبحار متسلحا بالمعرفة واللغة والفقه.

٩ - إذا تيقنا أن القراءات المتواترة هي وحي من عند الله تعالى، فلا بد أن نعلم أن الله تعالى ما أنزلها بهذه الوجوه المتعددة، إلا لحكم وأسرار، لا بد لأهل العلم والاختصاص، أن ينبروا لكشف هذه الحكم والأسرار.

ثانياً: التوصيات:

١ - أوصي إخواني من طلبة العلم بالإقبال على علم القراءات، تعلما وقراءة، وحفظا وتلقينا، حتى لا يندثر هذا العلم فيأثم الجميع.

٢ - أوصي أساتذتي من أهل التفسير، بصفتهم من أهل الاختصاص أن يوظّفوا جزءا من طاقاتهم، ويصرفوا اهتماماتهم لكشف أسرار وخفايا هذا العلم.

٣ - أوصي بإقامة أيام دراسية، وورشات عمل لإبراز دور القراءات في التفسير، ولتكون تشجيعا لطلبة العلم للإقبال على هذا العلم.

٤ - ممَّا هو ملاحظ قلة المشتغلين بهذا العلم في بلادنا فلذا أوجه عناية إدارة الجامعة والمهتمين لإحياء هذا العلم والمحافظة عليه، بضرورة ابتعاث العديد من طلبة العلم المهتمين وممن لهم ميول في هذا العلم للخارج للالتحاق بمعاهد القراءات، وأخذه من أفواه القراء المتقنين، حتى يقوموا بنشر هذا العلم وحفظه من الضياع.

٥ - لقد كانت فكرة دبلوم القراءات في الجامعة الإسلامية، فكرة رائدة، في مجال إحياء هذا العلم، ولكنه لم يكتب لها الحياة، فلا بد من إحياء هذه الفكرة ودعمها حتى ترى النور.

٦ - إن هذه الدراسة ومثيلاتها ممن أشرف عليه فضيلة أستاذنا الدكتور: مروان أبو راس، والدكتور عبدالرحمن الجمل تعتبر قواعد أساسية، يقوم عليها نوع جديد من أنواع تفسير القرآن الكريم، لذا أوصي إخواني من طلبة العلم بإكمال هذه الرسالة، من خلال وضع تفسير كامل للقرآن، من خلال القراءات العشر المتواترة، والتي ستعتبر بإذن الله الأول من نوعه.

٧ ـ أوجه عناية المشتغلين بعلم التفسير إلى ضرورة الاستفادة من علم القراءات، عند تفسير كتاب الله تعالى، وأن لا يمروا مرور الكرام على المواضع التي تتعدد فيها القراءات، بل عليهم أن يبحثوا عن أسرار تعدد القراءات في الكلمة الواحدة، وما تضيفه القراءات من معان جديدة.

هذا وبالله التوفيق

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العلمين



فهرس المراجع

١ - أحكام القرآن - لأبي بكر محمد بن عبدالله المعروف بابن العربي ت ٥٤٣هـ - تحقيق: علي محمد البجاوي - دار الجيل - بيروت.

٢ - أحكام القرآن - للإمام أبي بكر احمد الرازي الجصاص ت ٣٧٠هـ - مراجعة: صدقي محمد جميل - دار الفكر - بيروت - لبنان.

٣ - الأساس في التفسير- للشيخ سعيد حوَّي - ط الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م - دار السلام - الغورية.

٤ - الأحاديث والآثار الواردة في فضائل سور القرآن الكريم، ودراسة ونقد - للدكتور: إبراهيم علي السيد عيسى - ط الثانية ١٤٢٥ - ٢٠٠٥م - دار السلام - مصر - القاهرة.

٥ - أسباب النزول - للإمام ابن الحسن علي بن أحمد الواحدي - ت ٢٦٨هـ - تحقيق: ابن صالح شعبان - ط الأولى - دار الحديث - القاهرة.

٦ - أسرار ترتيب القرآن - للحافظ جلال الدين السيوطي ت ٩١١هـ - تحقيق: عبدالقادر احمد عطا، ومرزوق علي إبراهيم - دار الفضيلة للنشر والتوزيع - القاهرة.

٧ - أصول التفسير وقواعده، للشيخ خالد عبدالرحمن العَك - ط الثانية: ١٤٠٦هـ - دار النفائس - بيروت.

٨ - أهداف كل صورة ومقاصدها في القرآن الكريم - للدكتور: عبدالله محمود شحاتة - ط الثانية (١٩٨١) - الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٩ - إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر - تأليف الشيخ العلامة أحمد بن محمد البنَّا ت - ١١١٧هـ - تحقيق: الدكتور شعبان محمد إسماعيل - ط الأولى - ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م - عالم الكتب - بيروت.

١٠ ـ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم تفسير أبي السعود ـ للقاضي محمد بن محمد بن مصطفى العماوي الحنفي ت ٩٨٢هـ ـ تخريج وتعليق: الشيخ محمد صبحي حلاق ـ ط الأولى ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م دار الفكر ـ بيروت ـ لبنان.

١١ ـ إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، د. مصطفى صادق الرفاعي ـ ـ الطبعة الثالثة ١٢٢١هـ ـ ٢٠٠١م ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت.

١٢ ـ إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن ـ تأليف: أبو البقاء عبدالله بن الحسين بن عبدالله العكبري ت ٦١٦هـ ـ دار الفكر ـ بيروت لبنان.

١٣ ـ الإبانة عن معاني القراءات، لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي: تحقيق د. محي الدين رمضان ـ ط الأولى ـ ١٣٩٩هـ ـ دار المأمون للتراث ـ بيروت.

١٤ ـ الإتقان في علوم القرآن، للحافظ جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ـ المكتبة العصرية ـ صيدا ـ بيروت.

١٥ ـ الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع ـ للشيخ شمس الدين محمد بن محمد الخطيب الشربيني ـ تعليق ضبط وتخريج: د. محمد محمد تامر ـ كلية دار العلوم.

١٦ ـ الإكسير في علم التفسير، للفقيه العالم الكوفي سليمان بن عبدالقوي الصرصري البغدادي، ت٧١٦هـ ـ تحقيق الدكتور: عبدالقادر حسين ـ الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م ـ دار الأوزاعي للطباعة والنشر ـ بيروت ـ لبنان.

١٧ ـ بحوث في أصول التفسير ومناهجه، للدكتور: فهد بن عبدالرحمن بن سليمان الرومي ـ ط الثالثة ـ ١٤١٦هـ. مكتبة التوبة ـ الرياض.

١٨ ـ بداية المجتهد ونهاية المقتصد تأليف الإمام محمد بن رشيد القرطبي ـ ط الثامنة ١٤٠٦هـ ١٩٨٦ ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان.

١٩ ـ البرهان في علوم القرآن، محمد بن بهادر بن عبدالله الزركشي أبو عبدالله ت٧٩٤، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ـ عيسى البابي الحلبي وشركاه ـ ط ـ الثانية.

٢٠ ـ التاريخ الكبير ـ تأليف الحافظ أبي عبدالله إسماعيل بن إبراهيم الجحفي البخاري ت ٣٦٥ ـ ط الثانية ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م ـ مؤسسة الكتب الثقافية ـ بيروت لبنان.

٢١ ـ التبيان في إعراب القرآن ـ لأبي البقاء عبدالله محب الدين عبدالله بن أبي عبدالله الحسين بن الحسن العكبري ت ٦١٦هـ ـ تحقيق: علي محمد البجاوي ـ دار إحياء الكتب العربية.

٢٢ - تحبير التيسير في قراءات الأئمة العشرة - للإمام المحقق: محمد بن محمد بن علي بن يوسف الجذري - تحقيق: أ. جمال الدين محمد شرف - دار الصحابة للتراث - طنطا.

٢٣ - تذكرة الحفاظ لشمس الدين الذهبي - دار الفكر - بيروت.

٢٤ - التذكرة في القراءات الثمان - للإمام أبي الحسن طاهر بن عبدالمنعم بن غلبون المقرئ الحلبي ت ٣٩٩ هـ - تحقيق: أيمن رشدي سويد - ط الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩١م - الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن - جدة.

٢٥ - تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي - طبع بعناية الشيخ عرفان العشا حسونة - دار الفكر - بيروت - ط١٤١٢ هـ.

٢٦ - تفسير مجاهد، للإمام أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي - تقديم وتحقيق: عبدالرحمن الطاهر بن السورتي - مجمع البحوث الإسلامية - إسلام أباد - دار المنشورات العلمية - بيروت.

٢٧ - تفسير الجلالين للعلامة جلال الدين المحلّي، والعلامة جلال الدين السيوطي - تحقيق: فضيلة الشيخ مصطفى الحديدي الطير - مطبعة مكتبة مصر - الفجالة - القاهرة. نشر وتوزيع: مركز الحرمين التجاري - مكة المكرمة.

٢٨ - تفسير القرآن العظيم - للإمام الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ت سنة ٧٧٤ - مكتبة دار التراث - القاهرة.

٢٩ - تفسير مبهمات القرآن - للإمام: أبي عبدالله محمد بن علي البلنسي ت٧٨٢ هـ - تحقيق: د. حنيف بن حسن القاسمي - ط الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩١م - دار الغرب الإسلامي - بيروت - لبنان.

٣٠ - تفسير القرآن الكريم المسمى بالسراج المنير للامام الشيخ الخطيب الشربيني - ط الثانية دار المعرفة بيروت لبنان.

٣١ - تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار تأليف: محمد رشيد رضا - ط الثانية دار المعرفة - بيروت - لبنان.

٣٢ - تفسير التحرير والتنوير لسماحة الأستاذ الشيخ: محمد الطاهر ابن عاشور - دار سحنون - تونس.

٣٣ - تفسير المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية - تحقيق: عبدالسلام عبدالشافي محمد - ط أولى ١٤١٣هـ - دار الكتب العلمية - بيروت.

٣٤ - تفسيرات مبهمات القرآن - للإمام أبي عبدالله علي البلنسي تحقيق: حنيف بن حسن القاسمي - ط الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩١ - دار الغرب الإسلامي - بيروت - لبنان.

٣٥ ـ التفسير الكبير للإمام الفخر الرازي ـ الطبعة الثانية ـ دار الكتب العلمية ـ طهران.

٣٦ ـ التفسير الكامل وهو تفسير آي القرآن الكريم ـ تأليف: شيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبدالحليم الحراني الدمشقي، المعروف بابن تيمية ت ٣٣٨ هـ ـ تحقيق: محمد بن غرافة العمري ـ ط الأولى ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢ م ـ دار الفكر ـ بيروت ـ لبنان.

٣٧ ـ التفسير والمفسرون، د. محمد حسين الذهبي ـ ط٦ ـ ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م ـ مكتبة وهبة ـ القاهرة.

٣٨ ـ التفسير النبوي للقرآن الكريم وموقف المفسرين منه، للدكتور: محمد إبراهيم عبدالرحمن ـ مكتبة الثقافة الدينية ـ مصر ـ ١٩٩٥م.

٣٩ ـ التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق ـ للدكتور: صلاح الخالدي: ط الأولى ـ ١٤١٨هـ دار النفائس ـ الأردن.

٤٠ ـ التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ـ للاستاذ الدكتور وهبة الزحيلي ـ دار الفكر دمشق سورية.

٤١ ـ تقريب النشر في القراءات العشر لابن الجزري تحقيق: إبراهيم عطوة عوض ـ الطبعة الثانية ١٤١٢ ـ ١٩٩٢ـ دار الحديث ـ القاهرة.

٤٢ ـ تناسق الدرر في تناسب السور ـ للحافظ جلال الدين السيوطي ـ دراسة وتحقيق عبدالقادر أحمد عطا ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان.

٤٣ ـ التوجيه اللغوي والبلاغي لقراءة الإمام عاصم للدكتور: صبري المتولي المتولي ـ دار غريب للطباعة والنشر ـ القاهرة.

٤٤ ـ التيسير في القراءات السبع للإمام أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني، ت٤٤٤هـ، ـ عني بتصحيحه: أوتريرتزل ـ ط الأولى ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان.

٤٥ ـ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ـ تأليف: عبدالحمن ناصر السعدي ـ تقديم: محمد بن صالح العثيمين ـ ط الأولى ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م ـ مطابع دار البيان الحديثة ـ القاهرة.

٤٦ ـ جامع البيان عن تأويل القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، ت٣١٠هـ ـ ط الثالثة: ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م. مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ـ مصر.

٤٧ ـ الجامع لأحكام القرآن للإمام أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ـ ط الأولى١٤٠٨هـ ١٩٨٨م ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت لبنان.

٤٨ - الجامع الصحيح المختصر - لمحمد بن إسماعيل البخاري ت ٢٥٦هـ - تحقيق: د مصطفى البغا - ط الثانية ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م - دار ابن كثير - اليمامة.

٤٩ - حاشية القونوي عصام الدين إسماعيل بن محمد الحنفي المتوفى سنة ١١٩٥هـ على تفسير الإمام البيضاوي ناصر الدين عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي المتوفى سنة ٦٨٥هـ ومعه حاشية ابن التمجيد مصلح الدين مصطفى بن إبراهيم الرومي الحنفي المتوفى سنة ٨٨٠هـ ضبطه وصححه وخرج آياته: عبدالله محمود محمد عمر - ط الأولى ١٤٣٢هـ - ٢٠٠١م دار الكتب العلمية - بيروت.

٥٠ - حجة القراءات للإمام الجليل أبي زرعة عبدالرحمن بن محمد بن زنجلة - تحقيق: سعيد الأفغاني - ط الرابعة ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م مؤسسة الرسالة - بيروت.

٥١ - الحجة في القراءات السبع للإمام ابن خالوية تحقيق: الدكتور عبدالعال سالم مكرم - الطبعة السادسة ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م مؤسسة الرسالة - بيروت.

٥٢ - الحجة للقراء السبعة أئمة الأمصار بالحجاز والعراق والشام الذين ذكرهم أبو بكر بن مجاهد تأليف: أبي علي الحسن بن احمد بن الغفار الفارس ت ٣٧٧هـ وضع حواشيه وعلق عليه: كامل مصطفى الهنداوي (١٤٢١هـ - ٢٠٠١م) ط الأولى دار الكتب العلمية - بيروت.

٥٣ - دراسات لأسلوب القرآن - تأليف: محمد عبدالخالق عضيمة - دار الحديث - مصر.

٥٤ - الدر المنثور في التفسير بالمأثور للإمام عبدالرحمن جلال الدين السيوطي - دار الفكر للطباعة والنشر - بيروت - لبنان طبعة ١٩٩٣م ١٤١٤هـ.

٥٥ - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني - للعلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي ت١٢٧٠هـ ط الرابعة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م - دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان.

٥٦ - زاد المسير في علم التفسير للحافظ أبي الفرج عبدالرحمن بن علي الجوزي ت ٥٩٧هـ - تحقيق: عبدالرزاق المهدي - ط الأولى١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م - دار الكتاب العربي - بيروت.

٥٧ - زهرة التفاسير، للإمام محمد أبو زهرة ت ١٣٩٤ هـ - دار الفكر العربي - القاهرة.

٥٨ - سبل السلام شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام - للشيخ الإمام محمد بن إسماعيل الأمير اليمني الصنعاني ت١١٨٢هـ - تحقيق: إبراهيم عصر - ط الثامنة ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م دار الحديث القاهرة.

٥٩ - سنن ابن ماجة محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني - ت ٢٧٥ هـ - تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي - دار الفكر - بيروت.

٦٠ - سنن الترمذي - تحقيق: صدقي محمد العطار ومحمد عرفان حسونة - دار الفكر ١٩٩٤م.

٦١ - سير أعلام النبلاء - للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ت ٧٤٨ هـ - تحقيق: شعيب الأرنؤوط وحسن الأسد - ط العاشرة ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤م - مؤسسة الرسالة - بيروت.

٦٢ - شرح العقيدة الطحاوية - تحقيق ومراجعة: جماعة من العلماء، خرَّج أحاديثه: محمد ناصر الدين الألباني - ط السادسة ١٤٠٠هـ - المكتب الإسلامي - بيروت.

٦٣ - شذرات الذهب في أخبار من ذهب - للمؤرخ الفقيه أبي الفلاح عبدالحيّ بن العماد الحنبلي ت ١٠٨٩ - تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة - دار الآفاق الجديدة - بيروت.

٦٤ - شعب الإيمان للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي - تحقيق: أبي هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول - ط الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.

٦٥ - صحيح مسلم - رئاسة إداراة البحوث العلمية والإفتاء بالسعودية - تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي - ١٩٨٠م.

٦٦ - صحيح ابن خزيمة لمحمد بن اسحق بن خزيمة أبو بكر النيسابوري - تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي - المكتب الإسلامي - بيروت.

٦٧ - صفوة التفاسير، تأليف الشيخ محمد علي الصابوني - الطبعة الأولى - ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م - دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة.

٦٨ - طلائع البشر في توجيه القراءات العشر - محمد الصادق قمحاوي - ط الأولى.

٦٩ - الطبقات الكبرى - تأليف: محمد بن سعد ت٢٣٠ هـ - مراجعة وتعليق: سهيل كيالي - ط الأولى - ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م - دار الفكر - بيروت - لبنان.

٧٠ - عمدة القارئ شرح صحيح البخاري للإمام العلامة بدر الدين أبى محمد محمود بن احمد العيني ٧٦٢هـ ٨٥٥هـ - ط الأولى ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده.

٧١ ـ غاية النهاية في طبقات القراء ـ لشمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن الجزري ت ٨٣٣هـ ـ عني بنشره: ج برجستراستر ـ ط الثالثة ١٣٥١ هـ ـ ١٩٨٢م ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٧٢ ـ فتح الباري بشرح صحيح البخاري ـ ابن حجر العسقلاني ـ تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ـ دار المعرفة.

٧٣ ـ فتح البيان في مقاصد القرآن، تأليف: السيد الإمام أبي الطيب صدِّيق بن حسن بن علي القِنوجي البخاري، ت ١٣٠٧هـ ـ تقديم ومراجعة: عبدالله بن إبراهيم الأنصاري ـ المطبعة العصرية ـ بيروت ـ صيدا.

٧٤ ـ فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير تأليف محمد بن علي بن محمد الشوكاني: ت ١٢٥٠هـ ـ تحقيق: الدكتور عبدالرحمن عميرة ـ ط الأولى ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م دار الوفاء للطباعة والنشر ـ المنصورة.

٧٥ ـ في ظلال القرآن للشيخ سيد قطب ـ ط الثانية عشر ١٩٨٦م ـ ١٤٠٦هـ ـ بتصرُّف ـ دار الشروق ـ بيروت.

٧٦ ـ الفتاوى الكبرى للإمام ابن تيمية ـ تحقيق وتعليق: محمد عبدالقادر عطا، ومصطفى عبدالقادر عطا ـ ط الأولى ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان.

٧٧ ـ القراءات القرآنية وموقف النحو والاستشراق منها، تأليف: راضي نواصرة ـ مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع ـ أربد ـ الأردن.

٧٨ ـ القراءات أحكامها ومصدرها، للدكتور شعبان إسماعيل ـ ط الثانية ١٤١٤هـ. مطبوعات رابطة العالم الإسلامي.

٧٩ ـ القراءات القرآنية من الوجهة والبلاغة ـ د. فضل حسن عباس ـ دراسات المجلد الرابع عشر ـ العدد السابع ١٩٨٧.

٨٠ ـ القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني والأحكام الشرعية ـ للدكتور محمد الحبشي ـ الطبعة الأولى ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م ـ دار الفكر ـ دمشق ـ سورية.

٨١ ـ القراءات العشر المتواترة من طريق الشاطبية والدرة في هامش القرآن الكريم ـ فكرة علوي بن محمد بلفقيه ـ إعداد: محمد كريم راجح ـ ط الثالثة ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م ـ دار المهاجر ـ المدينة المنورة.

٨٢ ـ الكشاف تأليف جار الله الزمخشري ـ ضبطه محمد عبدالسلام شاهين ـ ط الأولى ـ ١٤٠١هـ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٨٣ ـ الكشاف عما بين القراءات العشر من خلاف، للدكتور: أحمد محمد إسماعيل البيلي ـ ط الأولى ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م ـ الدار السودانية للكتب ـ السودان.

٨٤ ـ الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها لأبي محمد مكي بن ابي طالب القيسي ـ تحقيق الدكتور: محي الدين رمضان ـ ط الثانية ١٤٠١هـ ١٩٨١م مؤسسة الرسالة ـ بيروت.

٨٥ ـ لباب النقول في أسباب النزول ـ تأليف: جلال الدين السيوطي ـ ط الثالثة ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م ـ دار إحياء العلوم ـ بيروت.

٨٦ ـ لسان العرب لابن منظور ـ دار صادر ـ بيروت ـ ط٢: ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤

٨٧ ـ اللهجات العربية في القراءات القرآنية للدكتور: عبده الراجحي ـ دار المعرفة الجامعية ـ السويس.

٨٨ ـ ما انفرد به كل من القراء السبعة وتوجيهه في النحو العربي، ـ الطبعة الأولى ١٩٩٦م ـ منشورات جامعة قار يونس ـ مطبعة دار الكتب الوطنية ـ بنغازي.

٨٩ ـ مباحث في التفسير الموضوعي ـ الدكتور مصطفى مُسلِم ـ دار القلم ـ دمشق ـ ط الأولى ـ ١٤١٠هـ.

٩٠ ـ المبسوط في القراءات العشر ـ لأبي بكر أحمد بن الحسين بن مهران الأصبهاني ت ٣٨١هـ ـ تحقيق: جمال الدين محمد شرف ـ دار الصحابة للتراث ـ طنطا.

٩١ ـ المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، لأبي الفتح عثمان بن جنّيّ، ت٣٩٢هـ ـ تحقيق: محمد عبدالقادر عطا ـ ط الأولى: ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ . بتصرف.

٩٢ ـ مختار الصحاح للشيخ الإمام محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ مراجعه وتحقيق لجنة علماء العرب ترتيب محمود خاطر ـ دار الفكر للطباعة والنشر بيروت ـ لبنان.

٩٣ ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل ـ تحقيق: أحمد شاكر ـ دار الحديث ـ القاهرة ـ ط الأولى ١٤١٦هـ.

٩٤ ـ المستدرك على الصحيحين للإمام الحافظ ابي عبدالله محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري ـ دراسة وتحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا ـ ط الأولى ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان.

٩٥ ـ مشكل إعراب القرآن ـ لمكي بن أبي طالب القيسي ت ٤٣٧هـ ـ تحقيق: د حاتم صالح الضامن ـ ط الثانية ١٤٠٥هـ ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت.

٩٦ - المصنف في الأحاديث والآثار للحافظ عبدالله بن محمد بن ابي شيبة الكوفي العبسي ت سنة ٢٣هـ - ضبطه وعلق عليه: الأستاذ سعيد اللحام - دار الفكر - بيروت - لبنان - ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

٩٧ - معاني القراءات - لأبي منصور الأزهري محمد بن احمد - المتوفى سنة ٣٧٠هـ - تحقيق: د. عيد مصطفى درويش وعوض بن حمد القوزي - ط الأولى ١٤١٢هـ ١٩٩١م.

٩٨ - معاني القرآن - لأبى جعفر النحاس ت ٣٣٨هـ - تحقيق: د / يحي مراد - دار الحديث - القاهرة.

٩٩ - معاني القرآن للأخفش سعيد بن مسعدة البلخي المشاجعي - تحقيق: عبدالأمير محمد أمين الورد - ط الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م - عالم الكتب.

١٠٠ - معاني القرآن لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء ت٢٠٧هـ - ط الثالثة.

١٠١ - معجم مقاييس اللغة/ لأبي الحسين أحمد بن فارس - تحقيق: عبدالسلام محمد هارون - شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده - مصر. ط الثانية ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م.

١٠٢ - معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار - للإ مام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ت ٧٤٨ هـ - تحقيق: شعيب الأرنؤوط وبشار عواد معروف وصالح مهدي عباس - ط الأولى ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م - مؤسسة الرسالة - بيروت.

١٠٣ - المغني في توجيه القراءات العشر المتواترة. د. محمد سالم محيسن - ط الثانية - ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م - دار الجيل - بيروت.

١٠٤ - المغنى في علم التجويد للدكتور عبدالرحمن يوسف الجمل - الطبعة الأولى - مطبعة دار الأرقم - غزة.

١٠٥ - مفاتيح الأغاني في القراءات والمعاني - لابي علاء الكرماني المتوفى٥٦٣ هـ - دراسة وتحقيق: الدكتور عبدالكريم مصطفى مدلج - ط الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م - دار ابن حزم للطباعة والنشر - بيروت.

١٠٦ - مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني.

١٠٧ - المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني ـ. أعده للنشر الدكتور: محمد أحمد خلف الله - مكتبة الإنجلو المصرية.

١٠٨ - مقدمة في أصول التفسير، لابن تيمية تقي الدين أحمد بن عبدالحليم ت٧٢٨هـ: تحقيق: الدكتور عدنان زرزور - ط الثالثة ١٣٩٩ - ١٩٧٩هـ - دار القرآن الكريم - بيروت.

١٠٩ ـ منجد المقرئين ومرشد الطالبين لابن الجزري ـ ط ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.

١١٠ ـ مناهل العرفان في علوم القرآن ـ الشيخ محمد بن عبدالعظيم الزرقاني ـ دار إحياء الكتب العربية ـ القاهرة ـ ط الثالثة.

١١١ ـ منهج الإمام الطبري في القراءات في تفسيره، رسالة ماجستير للدكتور: عبدالرحمن يوسف الجمل، بإشراف الدكتور: فضل حسن عباس ـ مقدمة لكلية الشريعة في الجامعة الأردنية ١٤١٢هـ.

١١٢ ـ الموضح في وجوه القراءات وعللها تأليف الإمام نصر بن علي بن محمد الشيرازي الفارسي النحوي ت (٥٦٥)هـ ـ تحقيق: الدكتور عمر حمدان الكبيسي ـ ط الأولى ١٤١٤هـ ١٩٩٣م ـ الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم ـ جدة.

١١٣ ـ ميزان الاعتدال في نقد الرجال ـ للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ت ٧٤٨ هـ ـ تحقيق: علي البجاوي ـ ط الأولى ١٣٨٢هـ ـ ١٩٦٣م ـ دار المعرفة بيروت ـ لبنان.

١١٤ ـ الميراث في الشريعة الإسلامية تأليف الدكتور ياسين احمد إبراهيم درادكة ـ ط الثانية ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت.

١١٥ ـ موقف اللغويين من القراءات القرآنية الشاذة، إعداد: محمد السيد أحمد عزوز ـ مراجعة سعيد محمد اللحام ـ الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م ـ عالم الكتب ـ بيروت ـ لبنان.

١١٦ ـ موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبَّان للحافظ نور الدين علي ابن أبي بكر الهيثمي ـ تحقيق: محمد عبدالرازق حمزة ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.

١١٧ ـ موسوعة الفقه الإسلامي وأدلته ـ تأليف الدكتور: وهبة الزحيلي ـ ط الثالثة ـ ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م ـ دار الفكر دمشق.

١١٨ ـ ناسخ القراءات ومنسوخه «نواسخ القرآن» ـ للحافظ المفسر الفقيه عبدالرحمن بن علي بن عبدالله ابن الجوزي ـ ت ٥٩٧هـ ـ تحقيق: حسين سلم الداراني، ط الأولى ـ ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م ـ دار الثقافة العربية ـ دمشق.

١١٩ ـ النحو وكتب التفسير للدكتور: إبراهيم عبدالله رفيدة ـ الطبعة الثالثة ١٣٩٩هـ ـ ١٩٩٠م ـ الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع.

١٢٠ ـ النشر في القراءات العشر تأليف: الحافظ أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي المعروف بابن الجزري، ت ٨٣٣ ـ تصحيح ومراجعة: محمد علي الضباع ـ دار الكتاب العربي.

١٢١ ـ نظرية النحو القرآني نشأتها وتطورها ومقوماتها الأساسية للدكتور: أحمد مكي الأنصاري ـ الطبعة الأولى.

١٢٢ ـ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام: برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي ـ سنة ٨٨٥هـ ـ خرج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه: عبدالرزاق غالب المهدي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان.

١٢٣ ـ النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير.

١٢٤ ـ الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر والكشف عن علل القراءات وتوجيهها للدكتور محمد سالم محيسن ـ ط الأولى ١٤١٧هـ ١٩٩٧م ـ دار الجيل بيروت.

١٢٥ ـ نيل المرام في تفسير آيات الأحكام ـ تأليف السيد محمد الصدّيق حسن القنوجي ـ البخاري ـ تحقيق: على السيد صبح المدني ـ مطبعة المدني ـ القاهرة.



فهرس المواضيع

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة



الجامعة الإسلامية ــ غزة
عمادة الدراسات العليا
كلية أصول الدين
قسم التفسير وعلوم القرآن

تفسير القرآن
بالقراءات القرآنية العشر

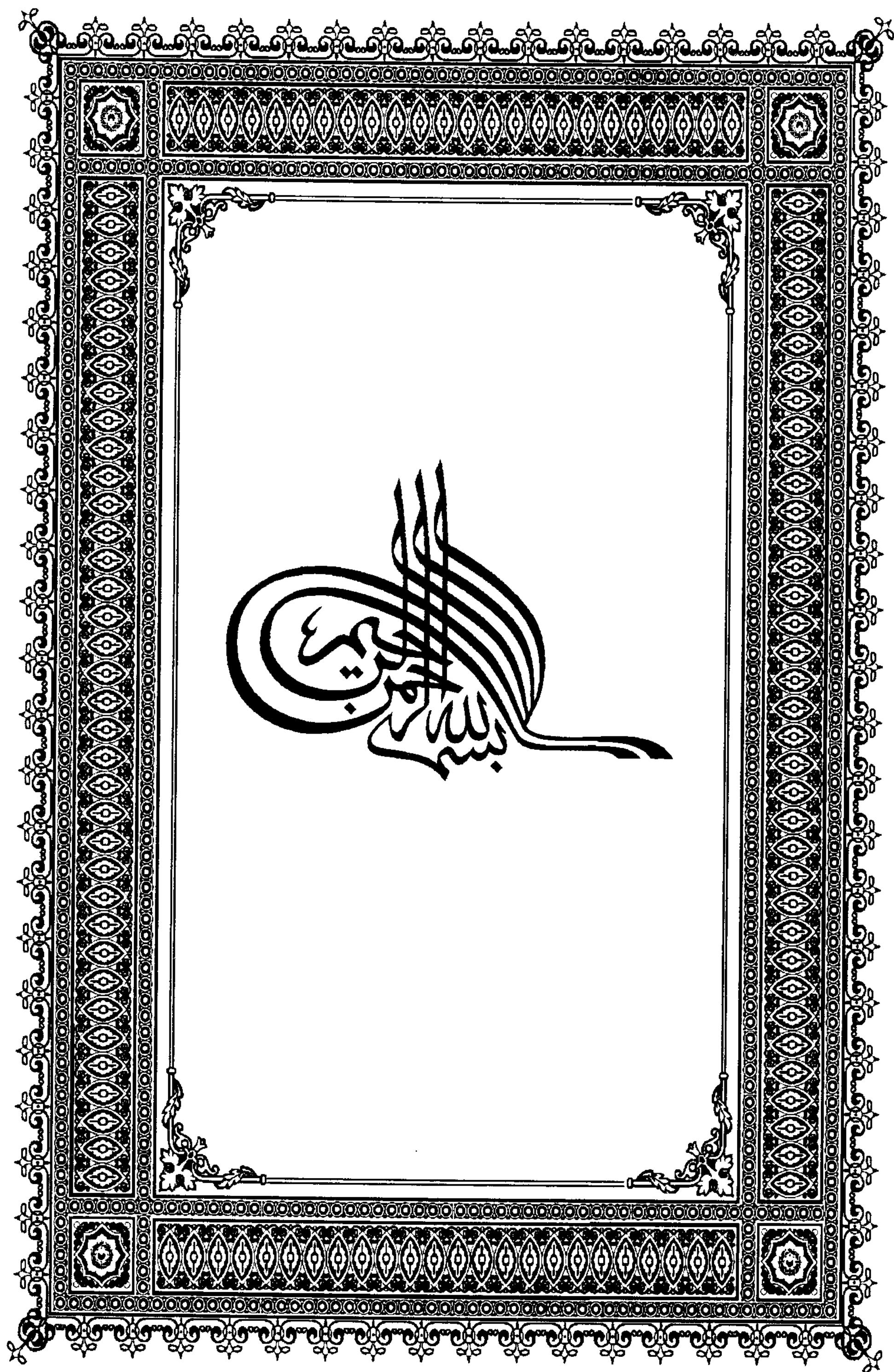
إعداد الباحثة:
فاتنة توفيق السكني

إشراف:
د. زهدي أبو نعمة

ضبط ومراجعة:
د. مروان محمد أبوراس

الجزء الثالث

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في تخصص التفسير وعلوم القرآن شعبان ١٤٢٧هـ - سبتمبر ٢٠٠٦م


بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير القرآن
بالقراءات القرآنية العشر

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ ﴿٥٣﴾﴾

[الشورى: ٥٢ ـ ٥٣].

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الجزء الثالث

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد . . .

يسعدني ويشرفني أن أكون سبباً في إخراج هذا الموضوع الرباني العظيم إلى حيز الوجود، ليكون إضافة نوعية وبياناً لميزةٍ عظيمة لهذا القرآن العظيم، وما أجمل وما أحلى أن يشتغل المسلم بكتاب رب العالمين، يستخرج درره، ويكتشف أسراره، ويتعرف على بعض عجائبه التي لا تنقضي، وذلك من عظيم التدبر الذي أمر الله سبحانه به حيث قال: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص: ٢٩]، من أجل ذلك نزل هذا الكتاب العظيم، لم ينزل ليعلق على الجدران أو يقرأ على المقابر والأموات، أو لتقام به مراسم العزاء، وإنما نزل للتدبر والتفكر، وقد حذر ربنا سبحانه من عدم التفكر فيه حتى لو قرئ لأي غرض لأن يبقى هو القرآن العظيم الذي يجب أن يشغل العقل والقلب في كل سورة وآية وعبارة وكلمة وحرف فكل في موضعه لا يغني ولا يسد عنه غيره قال سبحانه: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء: ٨٢]، والقلب الذي لا يتدبر القرآن ويتشربُ بكليته قلب مغلق مريض متصلد ـ والعياذ بالله ﴿. . . ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢]، وقد

بين الله سبحانه صورة من صور تعامل الكافرين مع هذا الكلام الرباني المعجز حيث إن عقولهم مقفلة، وقلوبهم متحجرة، فقد قال سبحانه: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمد: ٢٤]، وبالجملة فقد بين وصفهم للقرآن بشكل دقيق حيث قال: ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾﴾ [الحجر: ٩١]، و﴿عِضِينَ﴾ فرق متفرقة في وصفه فقال بعضهم سحر، وقال بعضهم شعر، وقال بعضهم كهانة ...، فالقرآن جاء هداية وصلاحاً وشفاءً، وتعليماً، وإرشاداً، وتقويماً، وتوجيهاً، وتذكيراً، ونصحاً، وغير ذلك الكثير من المعاني والفوائد والتوجيهات، ولكنهم قوم لا يفقهون، ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا۟ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾﴾ [الإسراء: ٤١]، وحتى في القراءة أغلقوا مفاتيح الفهم، فأغلق الله عليهم أدوات الاستيعاب ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾﴾ [الإسراء: ٤٥ ـ ٤٧].

حكاية هذا الموضوع:

لقد من الله عليّ عند دراستي للدكتوراه في جامعة محمد الخامس بالرباط على يد الشيخ التهامي الراجي الهاشمي وهو عالم من علماء المغرب في القراءات القرآنية أن أحضر بعض محاضرات القراءات، وأتعلم بعض هذا العلم العظيم من علوم كتاب الله تعالى، والحق أنه لم تكن لي اهتمامات معمقة بهذا الموضوع قبل ذلك، غير أن أموراً أبجدية لم تكن تخفى على دارس التفسير كانت معلومة لدي ومنها على سبيل المثال: تواتر القراءات وتساويها في قوة الثبوت وقطعيته، ولما عشت القراءات مع شيخي الجديد في مدرجات كلية الآداب والعلوم الإنسانية شعبة الدراسات الإسلامية بدأت أدرك شيئاً جديداً أحدثُ به في نفسي أولاً وأقول أليست هذه القراءات كلها قرآناً نزل من السماء على قلب محمد ـ ﷺ ـ يعبد الله بها وبدرجة واحدة؟ إذاً لماذا جاءت؟ وما فائدة ذلك على المعاني؟ وهل أضافت شيئاً جديداً؟ ولماذا لم يتعرض كثير من المفسرين للربط بينها في تفسيراتهم؟، وهنا وقع

في قلبي أنه لا بد من بحث هذا الموضوع وبشكل متخصص وعميق، وفور عودتي إلى عملي في قسم التفسير في كلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية بغزة حفظها الله، بدأت أبحث ذلك مع الزملاء الأكارم، وشرحت ذلك في محاضرات علمية أمام الطلبة والمتخصصين وأثبتُ أن القراءات لها فائدة من ثلاث:

الأولى: إما أن تأتي القراءة مؤكدة لمعنى موجود في قراءة أخرى وتضفي عليه المزيد من القوة، وتزيد التأكيد على ضرورة الاهتمام به، ومثال ذلك شائع لدى الجميع حيث قوله تعالى في سورة الحجرات: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ والقراءة الأخرى «فتثبتوا» والتثبت تبين وزيادة، ففيها التأكيد على البيان والتأكد من الخبر.

الثانية: أن تكون القراءة شارحة لقراءة أخرى ومبينة لما فيها ما لم يظهر إلا بالقراءة الأخرى، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿... فَٱبۡعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمۡ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ...﴾ قُرأت (ورِق) بكسر الراء وتسكينها والورِق المكسورة هي الفضة عموماً، والورْق بالسكون هي المضروبة أي التي عليها شكل العملة ويبدو أنها كانت عليها صورة ملك زمانهم القديم، بذلك يتضح من القراءتين أن فضتهم نوعان: نوع عادي غير مضروب ونوع مضروب وبذلك تم العثور عليهم ومعرفة زمانهم من الناس الحاضرين في زمن بعثهم.

الثالثة: أن تأتي القراءة بمعنى جديد غير موجود أصلاً في القراءة الأخرى مثال ذلك: قوله تعالى: ﴿مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآۗ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١٠٦﴾ [البقرة: ١٠٦]، فقد قرئت «نُنسِها» وقرئت «نَنسَأها» والفرق بينهما واضح حيث إن معنى نُنسِها أي نجعلك تنساها، أما نَنسَأها أي نؤخرها في النزول، وهما طريقتان في نزول القرآن على قلب محمد - ﷺ - تخفيفاً عليه وعلى الأمة، وبعد اتضاح الصورة بدأنا إعطاء الطلبة دراسة هذا الموضوع مجزأ برسائل ماجستير فلقي إقبالا كبيراً ولله الحمد عند الطلبة النجباء وعند الأساتذة الزملاء، حتى أوشك طلبتنا أن يتموا شرح القرآن كله بهذه الطريقة العلمية الجميلة، وإنني في هذا المقام الطاهر والمبارك أتوجه بالشكر الجزيل إلى جميع إخواني

الزملاء الأعزاء أساتذة قسم التفسير وعلوم القرآن في كلية أصول الدين الحبيبة وعمادة الكلية الراشدة، وإدارة الجامعة الغالية على كل قلب مؤمن محب للحق وأهله، وكذلك طلبة العلم الذين أظهروا جهداً فريداً في تتبعهم لهذا الموضوع ومحاولة استقصائه، وإنني أدعو جميع المهتمين والمتتبعين أن يزودونا بآرائهم وتوجيهاتهم إذا ما وجدوا شيئاً مهما يحتاج إلى مراجعة وإعادة نظر، وذلك عبر العناوين الموجودة في صدر هذا الكتاب.

ملاحظة هامة على الجزء الثالث:

لقد سبق أن أشرت في الجزء الثاني بأننا أبقينا المقدمات المتعلقة بالتفسير وعلومه والقراءات ورواتها والأحرف السبعة والمراد بها وعلاقتها بالتفسير، ولكنني في هذا الجزء وحتى لا يقع التكرار مرة أخرى فقد حذفنا ما أعدته الباحثة في باب التمهيد لأنه قد ورد بحثه في الجزئين الأول والثاني، هذا ونسأل الله تبارك وتعالى أن يمن علينا بالرضا والقبول وان يتقبل من الأخوة المتكفلين بالطباعة، وأن يحفظ الجامعة الإسلامية وأن يجزيها عن الأمة خير الجزاء.

د. مروان محمد أبو راس
أستاذ في التفسير وعلوم القرآن
كلية أصول الدين ـ الجامعة الإسلامية بغزة
سابقاً
رئيس رابطة علماء فلسطين.
غزة ـ حالياً
دمشق في يوم الخميس ٢٤/ شعبان / ١٤٣١
هـ
٤/٨ / ٢٠١٠ م

شكر وعرفان

الحمد لله القوي المتين، الذي نزل القرآن شفاء ورحمة للمؤمنين، وجعله منارات للهدى، وبشارات للمحسنين، والصلاة والسلام على النبي الأمين، المبعوث هدى ورحمة للعالمين، ومعلم البشرية أجمعين، الذي نزّل عليه القرآن بلسان عربي مبين، عليه وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه، واستن بسنته إلى يوم الدين.

أما بعد: فإني امتثالاً لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾﴾ [لقمان: ١٢] ونزولاً عند قوله ﷺ: «**لا يشكر الله من لا يشكر الناس**»[١]. أسجل في هذا المقام شكري وتقديري وعرفاني بالجميل. فأما الشكر فلأستاذي وشيخي المشرف على الرسالة.

فضيلة الدكتور: زهدي محمد أبو نعمة.

حفظه الله ورعاه على ما بذله معي من جهد في قراءة الرسالة وإسداء النصح والتوجيه، جزاه الله عني خير الجزاء، كما ولا يفوتني أن أرد الفضل

(١) حديث صحيح. أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ح ٧٩٢٦، ٨٠٠٦، ٩٠٢٢، ٩٩٤٥، ١٠٣٨٢). والترمذي (٣٣٩/٤) في كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك، حديث رقم ١٩٥٤، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.
وأبو داود (٢٥٥/٤) في كتاب الأدب، باب: في شكر المعروف. حديث رقم: (٤٨١١).

لأهله فالشكر أولاً لله، ثمّ للدكتور الفاضل **مروان أبو راس** حفظه الله ورعاه، الذي وضع قدمي على الطريق السليم للبحث في مثل هذا المجال القديم الحديث فهو صاحب الفكرة والذي ما فتئ يمدني بنصحه وتوجيهاته رغم ثقل أعبائه، فبارك الله فيه.

كما وأتقدم بعظيم الشكر والامتنان لمناقشيّ الفاضلين:

فضيلة الدكتور: رياض قاسم.

فضيلة الدكتور: عبد الكريم الدهشان.

حفظهما الله وبارك لهما في دينهما وعلمهما، لتفضّلهما بمناقشة هذه الرسالة، وما سيبدياه من نصائح وتوجيهات وملاحظات لتخرج بأفضل ما يكون، فجزاهما الله عني خير الجزاء.

ولا يفوتني ـ هنا ـ أن أسجل شكري واعتزازي، للجهود الطيبة التي تبذلها الجامعة الإسلامية الغراء، بصورة عامة، وكلية أصول الدين بصفة خاصة، ممثلة بأساتذتها الكرام من كافة التخصصات لتثقيف هذا الجيل بالثقافة الإسلامية، وأخذهم إلى طريق الحق والقوة والحرية لتبقى كلمة الله هي العليا.

ومن باب الاعتراف بالفضل لأهله لا يسعني إلا أن أتقدم بعظيم الشكر والامتنان إلى الأخ الفاضل: أ. سهيل أبو زهير، الذي قام بتدقيق الرسالة، لتكون أكثر دقة وأسلم لغة.

والشكر موصول للأخ الفاضل: د. أكرم حبيب حفظه الله؛ الذي تكرّم بترجمة ملخص الرسالة إلى اللغة الإنجليزية.

وأقدم شكري وتقديري ودعائي إلى كل من أسدى إليّ معروفاً، أو أعارني كتاباً، أو قدم إليَّ خدمة أو أبدى تشجيعاً، أو دعا لي في ظهر الغيب، فلهم مني جميعاً كل شكر وتقدير، وجزاهم الله عني خير الجزاء.

وأخيراً، الله أسأل الحليم العليم، رب العرش العظيم أن يتقبل هذا

العمل المتواضع، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن يرزقني القبول إنه سميع عليم.

اللهم آمين.

مِفتاح لمختصرات ورموز الرسالة

١. * أضواء البيان = أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن لمحمد الأمين الشنقيطي.
٢. * الإبانة = الإبانة عن معاني القراءات لمكي بن أبي طالب القيسي.
٣. * الإتحاف = إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر للدمياطي.
٤. * الإتقان = الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي.
٥. * الأحرف السبعة = الأحرف السبعة ومنزلة القراءات منها لحسن ضياء الدين عتر.
٦. * البدر الطالع = البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع لمحمد بن علي الشوكاني
٧. * التفسير المنير = التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج لوهبة الزحيلي.
٨. * الدر المصون = الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي.
٩. * الدرر الكامنة = الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني
١٠. * الديباج = الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب لابن فرحون.

١١. * الشامل = الشامل في القراءات المتواترة لمحمد حبش.

١٢. * الفريد = الفريد في إعراب القرآن المجيد لحسين بن أبي العز الهمذاني.

١٣. * الكشف = الكشف عن وجوه القراءات وعللها وحججها لمكي بن أبي طالب.

١٤. * اللباب = اللباب في علوم الكتاب لابن عادل الدمشقي الحنبلي.

١٥. * المحتسب = المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها لابن جني.

١٦. * المحرر الوجيز = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الأندلسي.

١٧. * المرشد الوجيز = المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز لأبي شامة.

١٨. * المستدرك = المستدرك على الصحيحين لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري.

١٩. * المستنير = المستنير في تخريج القراءات المتواترة لمحمد سالم محيسن.

٢٠. * المغني = المغني في توجيه القراءات العشر المتواترة لمحمد سالم محيسن.

٢١. * المقتطف = المقتطف من عيون التفاسير لمصطفى الخيري المنصوري.

٢٢. * الملخص = الملخص في إعراب القرآن للخطيب التبريزي.

٢٣. * الميسَّر = الميسر في القراءات الأربع عشرة لمحمد فهد خاروف.

٢٤. * النجوم الزاهرة = النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابن تغري بردي

٢٥. * النشر = النشر في القراءات العشر للحافظ أبي الخير ابن الجزري.

٢٦. * بغية الوعاة = بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة لجلال الدين السيوطي.

٢٧. * بلاغة الكلمة = بلاغة الكلمة في التعبير القرآني لفاضل السامرائي.

٢٨. * تاج العروس = تاج العروس من جواهر القاموس لمحمد مرتضى الزبيدي.

٢٩. * تفسير ابن كثير = تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير.

٣٠. * تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لأبي السعود العمادي.

٣١. * تفسير البغوي = معالم التنزيل لأبي محمد البغوي.

٣٢. * تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل للإمام البيضاوي.

٣٣. * تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي.

٣٤. * تفسير الخازن = لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن.

٣٥. * تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن السعدي.

٣٦. * تفسير الشوكاني = فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير

٣٧. * تفسير الطبرسي = مجمع البيان في تفسير القرآن لأبي علي الطبرسي.

٣٨. * تفسير الطبري = جامع البيان في تفسير القرآن لابن جرير الطبري.

٣٩. * تفسير القاسمي = محاسن التأويل لمحمد جمال الدين القاسمي.

٤٠. * تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله القرطبي.

٤١. * تفسير الكشاف = الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل

٤٢. * حاشية الشهاب = حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي لشهاب الدين الخفاجي.

٤٣. * روح المعاني = روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لشهاب الدين الألوسي.

٤٤. * زاد المسير = زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي.

٤٥. * غاية النهاية = غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري.

٤٦. * فتح الباري = فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني.

٤٧. * لباب النقول = لباب النقول في أسباب النزول لجلال الدين السيوطي.

٤٨. * معرفة القراء = معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار للذهبي.

٤٩. * مفاتيح الأغاني = مفاتيح الأغاني في القراءات والمعاني لأبي العلاء الكرماني.

٥٠. * ملاك التأويل = ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه.

٥١. * نظم الدرر = نظم الدرر في تناسب الآيات والسور لبرهان الدين البقاعي.

اللفظ.

***** رموز معتمدة.**

* الكوفيون = عاصم بن أبي النجود، حمزة بن حبيب الزيات،

والكسائي علي بن حمزة النحوي[2].

* البصري = هو أبو عمرو بن العلاء بن عبد الله بن الحصين بن الحارث.

* الشامي = هو عبد الله بن عامر بن يزيد بن تميم بن ربيعة أبو عمرو الشامي.

* المدني = نافع هو أبو عبد الرحمن نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم.

* المكي = عبد الله بن كثير المكي الذي انتهى إليه الإقراء بمكة.

* الأخوان = حمزة بن حبيب الزيات، والكسائي علي بن حمزة النحوي[3].

* المدنيان = نافع وأبو جعفر.

* البصريان = أبو عمرو ويعقوب.

* الحرميان = حمزة الزيات، والكسائي.

(٢) فيض الرحيم في قراءات القرآن الكريم. القراءات السبع بروايات عدة. اعداد سعيد محمد اللحام. عالم الكتب ص٣ ـ ٢٢. الطبعة الأولى ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

(٣) البدور الزاهرة ص ٤.

مُقَدِّمةُ الباحثة

إن الحمد لله الذي ابتدأ بحمد نفسه قبل أن يحمده غيره، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الواحد الأحد، الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، والصلاة والسلام على إمام المجاهدين وقائد الغر الميامين محمد بن عبد الله الصادق الأمين وعلى آله وصحبه والتابعين ومن سار على نهجهم إلى يوم الدين.

أما بعد:

فللقرآن الكريم منزلة عظيمة في نفوس المسلمين، ومكانة مرموقة في قلوب المؤمنين لأنه النور المبين وحبل الله المتين، فهو أعظم كتاب، ولا ينوب عنه كتاب، إنه دستور المسلمين الخالد الطاهر، والتي فيه طريق النجاة للعباد، وصلاحهم في الدارين الفانية والخالدة.

فالقرآن الكريم كتاب سعادة ورشد، كتاب علم وفضل، كتاب إعجاز وهداية، كتاب توحيد وآداب كتاب عبادات ومعاملات، فيه الخير كل الخير، فيه ما يسعد العباد وينقذ البلاد، فكان لزاماً أن نحيا تحت رايته الشريفة، قولاً وعملاً، لتسير الحياة على أحسن حال. فلا بد من علم التفسير الذي هو من أشرف العلوم على الإطلاق وأولاها بالاهتمام والرعاية؛ حيث يقول المولى ﷻ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝٢٩﴾ [سورة ص: ٢٩]، فحريٌّ بنا أن نتدبره، نعيش ألفاظه ومعانية، لنقف على حدوده ونقيم حروفه؛ نتعلمه ونعلمه الأمة، حيث قال ﷺ:

«خيركم من تعلم القرآن وعلمه»[٤] فالقرآن الكريم هو الرسالة الخالدة، وهو حبل الله المتين ونوره المبين، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وقد تكفل الله بحفظه، حيث قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحجر: ٩].

فمن جميل حفظ الله ﷻ أن تبقى هذه الرسالة تنبض بالحياة وتشع بالنور ليحيا الناس في ظلالها الوارفة بالتدبر والتفكر، فعالم التفسير عالم متجدد يمتاز بالحيوية والعطاء، ففي كل حين يضفي علماء التفسير أبعاداً جديدة وأسساً ومناهج مبتكرة تضاف إلى الجهود السابقة للمفسرين السابقين ومن هنا كانت هذه الدراسة بعنوان (تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر من خلال سورتي (الأنعام والأعراف) بحلة جديدة تفتح الآفاق أمام الباحثين لينهلوا من معين القرآن الذي لا ينضب. والذي كان من فضل الله عليَّ أن وفقني لاختيار هذا الموضوع القيم والذي امتشق قيمته من قيمة القرآن العظيم.

والله المستعان، وعليه التكلان، وأملنا في الله أن يسدد خطانا ويلهمنا الرشاد وأن يجعل هذا الجهد المتواضع خالصاً لوجهه الكريم لينفع به الإسلام والمسلمين، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

اللهم أمين.

**** ثانياً: أهمية الموضوع وأسباب الاختيار:**

يعدّ تفسير القرآن بالقراءات من أهم المواضيع المختصة بالقرآن الكريم، وتظهر هذه الأهمية من خلال النقاط التالية:

---

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه عن عثمان بن عفان ﷺ في كتاب فضائل القرآن. باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه، حديث رقم٥٠٢٧. فتح الباري (٦٩٢/٨). رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه محمد فؤاد عبد الباقي. وقام بإخراجه وتصحيح تجاربه محب الدين الخطيب. وراجعه قصي محب الدين الخطيب. دار الريان للتراث ـ القاهرة الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٦م. وحيثما يأتي سأكتفي بقولي فتح الباري.

١. اهتمام المسلمين وإقبالهم على علوم التجويد وأحكام التلاوة؛ وتعلم القراءات فأردت إبراز جانب مهم من علم القراءات في تفسير مراد الله تعالى.

٢. موضوع تفسير القرآن بالقراءات القرآنية قديم حديث؛ قديم له أصوله وجذوره الأولى في كتب التفاسير والقراءات، وحديث لم يتم الحديث عنه بشكله المستقل.

٣. أهمية التفسير في حياة المسلمين من أجل فهم مقاصد الشريعة الإسلامية الغراء.

٤. الكشف عن وجه جديد من وجوه الإعجاز في الإيجاز؛ حيث إن كل قراءة تقوم مقام آية مستقلة لتعطي معنى جديداً.

٥. تفسير القرآن بالقراءات القرآنية وسيلة منهجية لاستنباط الأحكام الفقهية.

٦. القراءات القرآنية مظهر من مظاهر التيسير على الأمة، ووسيلة للارتقاء بمستوى التفكير العلمي؛ فالقرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين، بل هو في أسمى درجات الفصاحة والبلاغة ولله در القائل: «تكلموا العربية الفصحى فإنها من شعائر الإسلام»(٥).

٧. عودة بالأمة الإسلامية لتعلم علم القرآن بالقراءات القرآنية تلاوة وتفسيراً.

٨. تشجيع أساتذتنا الكرام في قسم التفسير بكلية أصول الدين للاهتمام والعناية بهذا اللون من ألوان التفسير.

(٥) انظر وصايا الإمام الشهيد حسن البنا ـ رحمه الله ـ.

**** ثالثاً: أهداف البحث:**

١. بيان أهمية القراءات القرآنية في التفسير.

٢. إبراز التفسير بحلة جديدة من خلال تفسير القرآن الكريم بالقراءات القرآنية.

٣. بيان علاقة القراءات القرآنية بعضها ببعض من الناحية التفسيرية.

٤. إعطاء القراءات القرآنية أهميتها من خلال تفسيرها وتيسيرها بين يدي طلبة العلم.

٥. ربط التفسير القرآني بالقراءات القرآنية بالواقع الذي تحياه الأمة الإسلامية والاستفادة من وجوه الإعجاز بالقراءات القرآنية.

٦. إثراء المكتبة الإسلامية بما هو نافع ومفيد.

**** رابعا: الجهود السابقة:**

١. بعد البحث والتقصي تبين أنه لم يتطرق أحد من قبل لتفسير القرآن من خلال القراءات كعلم مستقل، إلا أنّ هذه الباكورة اليانعة والثمرة الطيبة، وليدة الجامعة الإسلامية؛ وقد سبقني في هذا المجال زملاء أفاضل من طلبة الماجستير قسم التفسير وعلوم القرآن، تناولوا التفسير من سورة الفاتحة حتى المائدة في رسائل ماجستير بالعنوان ذاته.

* كما لا يفوتني أن أذكر جهود الكثير من المفسرين، القدماء منهم والمحدثين، في إرساء قواعد هذا العلم.

٢. لقد تعرض بعض المفسرين للقراءات القرآنية وتوجيهها من خلال تفاسيرهم للقرآن ومن أهم هذه التفاسير:

. جامع البيان عن تأويل آي القرآن. لابن جرير الطبري.

. الجامع لأحكام القرآن. لأبي عبد الله القرطبي.

. روح المعاني في تفسير القرآن. لأبي الفضل الألوسي.

. البحر المحيط. لأبي حيان الأندلسي.

. معلم التنزيل. للإمام البغوي.

٣. وقد تناول كثير من علماء التوجيه القراءات القرآنية وبيان حججها من خلال كتب مستقلة منها:

. حجة القراءات لأبي زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة.

. المغني في توجيه القراءات العشر المتواترة د. محمد سالم محيسن.

. المهذب في توجيه القراءات العشر المتواترة د. محمد سالم محيسن.

. الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها لمكي بن أبي طالب.

. الحجة في القراءات السبعة لأبي الحسين بن أحمد بن خالويه.

. كتاب معاني القراءات لأبي منصور الأزهري.

**** أسماء الرسائل والأبحاث التي كتبت حول الموضوع.**

* القراءات وأثرها في التفسير والأحكام. رسالة دكتوراه /أم القرى ١٤١٣هـ إعداد محمد بن عمر بن سالم بن بازمول.

* القراءات مصدراً للتفسير عند ابن عطية في المحرر الوجيز. رسالة ماجستير / الإسكندرية ١٩٨٩م.

* القراءات القرآنية من الوجهة البلاغية. إعداد الدكتور/ فضل حسن عباس.

* تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر من خلال سور (الفاتحة ـ البقرة ـ آل عمران). رسالة ماجستير / الجامعة الإسلامية ٢٠٠٢م. إعداد الباحث / عبد الله الملاحي.

* تفسير القرآن العظيم من خلال القراءات العشر المتواترة تطبيقاً على سورتي (النساء ـ المائدة). رسالة ماجستير / الجامعة الإسلامية ٢٠٠٦م. إعداد الباحث / عزات السويركي.

**** خامساً: منهج البحث:**

البحث عبارة عن إكمال جهد سابق قام به عدد من الباحثين بدأوا من بداية سورة الفاتحة حتى نهاية سورة المائدة، وبحثي هذا سيستمر بإذن الله حتى نهاية سورة الأعراف.

وهذا بيان لمنهج البحث:

١. التمهيد للموضوع من خلال الحديث عن القراءات القرآنية وعلاقتها بالإعجاز، مع بيان معناها، وأحاديث نزول القرآن على سبعة أحرف مع بيان معنى الأحرف السبعة وفوائدها وعلاقتها بالقراءات القرآنية، وأنواعها، وأقسامها ونشأتها، والتعريف بالقراء العشرة.

٢. وضع تفسير للآيات التي اشتملت على القراءات القرآنية من سورتي (الأنعام ـ والأعراف) من خلال الجمع بين القرآت القرآنية العشرة.

*** وذلك على النحو الآتي:**

١. نقل الآيات القرآنية التي تتضمن موضع الشاهد مدار البحث وفق ضوابط الرسم العثماني.

٢. بيان القراءات المختلفة في الآية بالرجوع لكتب القراءات المشهورة.

٣. بيان المعنى اللغوي للقراءات بالرجوع لكتب القراءات المشهورة،

٤. ضبط القراءات بالحركات والكلمات.

٥. بيان المعنى اللغوي للقراءات القرآنية بالرجوع إلى كتب اللغة وقواميسها.

٦. توجيه القراءات بالرجوع إلى كتب توجيه القراءات والاحتجاج لها.

٧. ثمّ تفسير الآية تفسيراً مجملاً بالرجوع إلى كتب التفاسير القديمة والحديثة، مع الالتزام بالقواعد المقررة في التفسير.

٨. بيان العلاقة التفسيرية بين القراءات القرآنية والتوفيق بينها كلما استطعنا إلى ذلك سبيلاً.

٩. عزو الآيات إلى سورها وفق الضوابط المعروفة بذكر اسم السورة ورقم الآية.

١٠. تخريج الأحاديث النبوية الشريفة حسب الأصول والحكم عليها كلما أمكن.

١١. بيان معاني المفردات الغريبة في الحاشية بالرجوع إلى أمهات كتب اللغة وقواميسها كلما لزم.

١٢. الترجمة للأعلام والشخصيات والقراء من مظانها وبعض المواقع الجغرافية.

١٣. ربط التفسير القرآني للقراءات بالواقع والاستفادة من الإعجاز القرآني كلما لزم.

١٤. كتابة بعض اللطائف والإشارات كلما لزم الأمر.

**** سادساً: خطة البحث:**

خطة البحث

وتشتمل على تمهيد وفصلين وخاتمة.

*** أما التمهيد:**

فهو مدخل إلى عِلمَي التفسير والقراءات.

*** وفيه ستة مطالب:**

المطلب الأول: القراءات القرآنية هي لون من ألوان الإعجاز القرآني.

المطلب الثاني: التفسير والتأويل والفرق بينهما.

المطلب الثالث: علاقة القراءات القرآنية بالأحرف السبعة.

المطلب الرابع: نشأة القراءات القرآنية وأقسامها وحكم الإحتجاج بها.

المطلب الخامس: الأحرف السبعة معناها وفوائدها وعلاقتها بالقراءات.

المطلب السادس: التعريف بالقراء العشرة.

ومن الإجمال إلى التفصيل:

المطلب الأول: القراءات القرآنية هي لون من ألوان الإعجاز القرآني.

المطلب الثاني: التفسير والتأويل، وفيه عدة مباحث وفيه:

١. معنى التفسير والتأويل والفرق بينهما.

٢. علاقة القراءات القرآنية بالتفسير.

المطلب الثالث: الأحرف السبعة وفيه.

أولاً: أحاديث نزول القرآن على سبعة أحرف.

ثانياً: معنى الأحرف السبعة والرأي الراجح منها.

ثالثاً: فوائد نزول القرآن على سبعة أحرف.

رابعاً: الحكمة من نزول القرآن الكريم على سبعة أحرف.

خامساً: علاقة القراءات القرآنية السبعة بالأحرف السبعة.

المطلب الرابع: القراءات القرآنية وبصورة مختصرة وفيه.

أولاً: تعريف القراءة القرآنية لغة واصطلاحاً.

ثانياً: العلاقة بين القراءات القرآنية والقرآن.

ثالثاً: نشأة القراءات القرآنية وأقسامها وحكم الاحتجاج بها.

المطلب الخامس: أهمية القراءات القرآنية في التفسير وفيه.

أولاً: قراءات بينت معنى الآية.

ثانياً: قراءات وسعت معنى الآية.

ثالثاً: قراءات أزالت الإشكال عن معنى الآية.

رابعاً: قراءات خصصت عموم الآية.

خامساً: قراءات بينت إجمال الآية.

المطلب السادس: التعريف بالقراء العشرة ورواتهم.

**** الفصل الأول: تفسير سورة الأنعام من خلال القراءات القرآنية العشر المتواترة ويشتمل على مبحثين:**

المبحث الأول: بين يدي سورة الأنعام ويتضمن الآتي:

- وجه التسمية.
- الحكمة من نزولها ليلاً.
- معنى الأنعام.

- تاريخ نزول السورة.
- مناسبة السورة لما قبلها.
- أغراض سورة الأنعام.
- أهم الموضوعات التي اشتملت عليها السورة.
- أهم ما تميزت به السورة.

* المبحث الثاني: عرض وتفسير لآيات الأنعام من خلال القراءات القرآنية العشر.

**** الفصل الثاني: تفسير سورة الأعراف من خلال القراءات القرآنية العشر المتواترة ويشتمل على مبحثين:**

*المبحث الأول: بين يدي السورة (الأعراف) ويتضمن الآتي:

- اسم السورة.
- وجه التسمية.
- علاقة السورة بغيرها من السور.
- محور سورة الأعراف.
- أهداف السورة ومقاصدها.
- أهمّ الموضوعات التي تضمنتها سورة الأعراف.

* المبحث الثاني: عرض وتفسير لآيات الأعراف من خلال القراءات القرآنية **العشر.**

**** الخاتمة.**

وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات.

**** الفهارس والمراجع:**

وتشتمل على:

١. فهرس بآيات القراءات مدار البحث.

٢. فهرس الأحاديث النبوية.

٣. فهرس الأعلام والتراجم.

٤. فهرس أهم المصادر والمراجع.

٥. فهرس الموضوعات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين.

الباحثة/فاتنة توفيق السكني.
أم يحيى

الفصل الأول

تفسير سورة الأنعام
من خلال القراءات القرآنية العشر

ويشتمل على مبحثين:

* **المبحث الأول:** بين يدي السورة.
* **المبحث الثاني:** عرض وتفسير لآيات سورة الأنعام المتضمنة للقراءات.

سورة الأنعام

بطاقة تعريف بالسورة

* سورة الأنعام سورة مكية عدد آياتها مائة وخمس وستون آية بالإجماع، بل هي ثاني سورة مكية في ترتيب المصحف حيث البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، كلها مدنية أما الأنعام فهي ثاني سورة مكية بعد سورة الفاتحة، وتعتبر من السبع الطوال، فهي تختلف في أهدافها ومقاصدها عن السور المدنية.

* السورة الكريمة نزلت جملة واحدة وشيعتها كوكبة من الملائكة يسدّ ما بين الخافقين، والسبب في ذلك أنها مشتملة على دلائل التوحيد من عدل، وتوحيد، ونبوة، ووعد، ووعيد، ودحض لحجج المبطلين والملحدين.

*قال القرطبي: «هذه السورة أصل في محاجة المشركين وغيرهم من المبتدعين، ومن كذب بالبعث والنشور، وهذا يقتضي إنزالها جملة واحدة لأنها في معنى واحد من الحجة»[٦].

* تميزت الفترة التي نزلت فيها السورة الكريمة، بقسوة المشركين

(٦) تفسير القرطبي (٣/٧٠٣). لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي. راجعه وضبطه وعلق عليه د. محمد إبراهيم الحفناوي، خرج أحاديثه د. محمود حامد عثمان. دار الحديث القاهرة الطبعة ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م. وحيثما يأتي سأكتفي بقولي: تفسير القرطبي.

وعنفهم في مقاومة الدعوة الإسلامية وإنكارها.

* اعتمدت السورة الكريمة أسلوبين بارزين بإسهاب، لا تكاد تتمتع بهما سورة غيرها وهما: أسلوب التقرير في إثبات الأدلة، وأسلوب التلقين في تعليم الرسول ﷺ تلقين الحجة لقذفها في وجه الخصم فتأخذ عليه كل سمعه.

* تضمنت السورة الكريمة الوصايا العشرة التي نزلت في جميع الكتب السماوية السابقة، ودعا إليها جميع الأنبياء السابقين من خلال الآيات (١٥١ ـ ١٥٤).

المبحث الأول
بين يدي سورة الأنعام

** ويتضمن الآتي:

- وجه التسمية.
- الحكمة من نزولها ليلاً.
- معنى الأنعام.
- تاريخ نزول السورة.
- مناسبة السورة لما قبلها.
- أهم الموضوعات التي اشتملت عليها السورة.
- أهم ما تميزت به السورة.

المبحث الأول
بين يدي السورة

ومن الجدير ذكره أن سورة الأنعام سورة مكية، وعدد آياتها مائة وخمس وستون آية، وترتيبها السادسة من القرآن الكريم.

ومن خلال البحث والدراسة لاحظت الباحثة أنّ سورة الأنعام هي السورة الوحيدة التي نزلت جملة واحدة كما قال رسول الله ﷺ (نزلت علىّ سورة الأنعام جملة واحدة وشيعها سبعون ألفاً من الملائكة لهم زجل بالتسبيح والتحميد)[(٧)]. وورد عن عمر بن الخطاب، وابن عباس، وابن مسعود، وأنس بن مالك، وجابر بن عبد الله، وأسماء بنت يزيد بن السكن - رضى الله عنهم أجمعين - وتسميتها في كلامهم أن اسمها سورة الأنعام وكذلك ثبتت تسميتها في المصاحف وكتب التفسير والسنة[(٨)].

وجه التسمية:

* سميت سورة الأنعام، لأنها هي السورة الوحيدة التي عرضت لذكر الأنعام على تفصيل لم يرد في غيرها من السور، فقد جاءت بحديث طويل عن الأنعام، بدايته من قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ

(٧) الدر المنثور. للسيوطي، وبهامشه تفسير ابن عباس (٢/٣). دار المعرفة والنشر - بيروت لبنان وردت في المراجع اللاحقة.

(٨) تفسير التحرير والتنوير (١٢١/٤).

وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾ [الأنعام: ١٣٦] إلى نهاية قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا فَإِن شَهِدُواْ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾﴾ [الأنعام: ١٥٠](٩).

وسميت بسورة الأنعام لمّا تكرر فيها من ذكر لفظ الأنعام ست مرات(١٠).

* وقد تناول الحديث عن الأنعام، في هذه الآيات من السورة جوانب متعددة، تتصل بعقائد المشركين فبينت السورة ما في عقائدهم من الخلل والفساد؛ إذ كانوا يحرمون الأنعام على أنفسهم، ويجعلون قسماً من الأنعام لآلهتهم وأصنامهم، وقسماً لله، ثم يجورون على القسم الذي جعلوه لله فيأخذون منه لأصنامهم، وفي التسمية لون من البراعة والإعجاز التي تتمتع به السورة.

* نزلت جملة واحدة لاشتمالها على أصول العقيدة ممثلة في قاعدتها الرئيسية . . .الألوهية والعبودية، وما بينهما من علاقة، عن ابن عباس: (نزلت سورة الأنعام بمكة ليلاً جملة واحدة، حولها سبعون ألف ملك يجأرون بالتسبيح)(١١).

* وقال سفيان الثوري عن ليث عن شهر بن حوشب(١٢) عن أسماء

(٩) أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم (٧٤/١). الهيئة المصرية العامة للكتاب. الطبعة الأولى. ١٩٨١م.

(١٠) انظر: تفسير ابن كثير (١١١/٢).

(١١) تفسير القرآن الكريم (١٢١٤/٤).

(١٢) شهر بن حوشب هو شهر بن حوشب الأشعري. فقيه، قارئ من رجال الحديث شامي الأصل. سكن العراق كان يتزيا بزي الجند، يسمع الغناء بالآلات، وولي بيت المال مدّة، وهو متروك الحديث. انظر الغاية في طبقات القراء. تأليف شمس الدين=

بنت يزيد قالت نزلت: سورة الأنعام على النبي ﷺ جملة وأنا آخذة بزمام ناقة النبي ﷺ إن كادت من ثقلها لتكسر عظام الناقة.

* وقال شريك[(١٣)] عن ليث[(١٤)] عن أسماء قالت: نزلت سورة الأنعام على رسول الله ﷺ وهو في مسير في زجل من الملائكة وقد طبقوا ما بين السماء والأرض[(١٥)].

وقال السدي[(١٦)] عن مرة عن عبد الله قال نزلت سورة الأنعام يشيعها سبعون ألفا من الملائكة وروي نحوه من وجه آخر عن ابن مسعود.

* وقال الحاكم في مستدركه عن جابر قال: لما نزلت سورة الأنعام سبح رسول الله ﷺ ثم قال (لقد شيع هذه السورة من الملائكة ما سد الأفق) ثم قال صحيح على شرط مسلم[(١٧)].

= أبي الخير محمد بن محمد بن الجزري المتوفي ٨٣٣هـ. (٣٢٩/١). عني بنشره ج. برجستراسر. الطبعة الأولى ١٣٥١هـ ـ ١٩٣٢م. بيروت ـ لبنان. وحيثما يأتي سأكتفي بقولي: الغاية في طبقات القراء.

(١٣) شريك: هو شريك بن عبد الله بن الحارث النخعي، الكوفي أبو عبد الله، عالم بالحديث، فقيه، اشتهر بقوة ذكائه، وسرعة بديهته، استقضاه المنصور العباسي على الكوفة ١٥٣هـ. كان مولده في بخارى ووفاته بالكوفة. انظر الأعلام للزركلي (١٦٣/٣).

(١٤) ليث: هو الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي. بالولاء أبو الحارث إمام أهل مصر في عصره حديثاً وفقهاً، قال الشافعي: (الليث أفقه من مالك، إلا أنّ أصحابه لمّ يقوموا به). انظر النجوم الزاهرة (١٠٤/٢).

(١٥) كتاب المعجم الصغير (١٤٥/١).

(١٦) السدي: هو إسماعيل بن عبد الرحمن السدي، تابعي، حجازي الأصل سكن الكوفة، قال فيه بن تغرى بردي (صاحب التفسير، والمغازي، والسير، كان إماماً عارفاً بالوقائع وأيام الناس، في الطبقة الثانية من تابعي أهل الكوفة). توفي سنة سبع وعشرين ومائة. انظر: النجوم الزاهرة في ملوك مصر القاهرة (٣٩٠/١). تأليف جمال الدين أبي المحاسن يوسف تغري بردي الأتابكي. قدم له وعلق عليه محمد بن حسين شمس الدين. دار الكتب العلمية. بيروت ـ لبنان. الطبعة الأولى ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م.

(١٧) أخرجه ابن كثير في تفسيره (١١١/٢).

* عن أنس بن مالك قال: قال ﷺ (نزلت سورة الأنعام معها موكب من الملائكة سد ما بين الخافقين لهم زجل بالتسبيح والأرض بهم ترتج ورسول الله يقول سبحان الله العظيم سبحان الله العظيم).

* عن ابن عمر قال: قال ﷺ (نزلت علي الأنعام جملة واحدة وشيعها سبعون ألفا من الملائكة لهم زجل بالتسبيح والتحميد)[١٨].

الحكمة من نزولها ليلاً:

* ولنزولها ليلاً دليل على غاية البركة؛ لأنه محل الأنس بنزوله تعالى إلى السماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل، وعلى أن هذا العلم لا يقف على أسراره إلا البصراء الأيقاظ من سنة الغفلات، وأولو الألباب أهل الخلوات والأرواح الغالية على الأبدان، وهم قليل[١٩].

معنى الأنعام:

* النعم: مختص بالإبل، وجمعه أنعام وتسميته بذلك لكون الإبل عندهم أعظم نعمة، لكن الأنعام تقال للإبل والبقر والغنم، ولا يقال لها أنعام حتى يكون في جملتها الإبل[٢٠].

والأنعام ذوات الخف والظلف[٢١]: وهي الإبل والبقر والغنم بجميع أنواعها[٢٢].

---

(١٨) أخرجه ابن كثير في تفسيره (١١١/٢). ثم ذكر أنه صحيح على شرط مسلم.

(١٩) نظم الدرر في تناسب الأيات والسور (٥٧٩/٢).

(٢٠) معجم مفردات ألفاظ القرآن ص ٥٢١. للعلامة الراغب الأصفهاني. تحقيق نديم مرعشلي. دار الفكر. للطباعة والنشر. بيروت لبنان.

(٢١) الظلف: ظفر كل ما اجتر، وهو ظلف البقرة والشاة والظبي وما أشبهها، والجمع أظلاف. انظر: لسان العرب ٢٢٩/٩. للإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم. ابن منظور الإفريقي المصري. بيروت ـ دار صادر.

(٢٢) أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم (٧٥/١).

تاريخ نزول السورة:

* نزلت سورة الأنعام في السنة الرابعة من البعثة المحمدية، أى عقب أمره ﷺ أن يصدع بالدعوة ويعلنها للناس بعد أن أسر بها ثلاث سنين.

* وتميزت الفترة التي نزلت فيها سورة الأنعام، بقسوة المشركين وعنفهم في مقاومة الدعوة الإسلامية وإنكارها؛ فقد بدأت الدعوة سراً ثم جهر النبي بدعوته في مكة، ونزلت السورة بعد الجهر بالدعوة بسنة واحدة، فاستعرضت الأدلة على توحيد الله وقدرته ثم ساقت أدلة المشركين وشبههم وأبطلتها وفندتها[٢٣].

* وعن ابن عمر أن قوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ الآية نزلت في مدة حياة أبي طالب، أي قبل سنة عشرة من البعثة، وكان ذلك ضابطاً نزول السورة[٢٤].

* وبذلك استطاعت أن تعلن بعد الخفاء وارتفع صوت الحق، فلم يجد المشركون لهم حيلة إلا المكابرة والمعارضة والاستماتة بالدفاع عن هذه المعتقدات الباطلة وكان جل تفكيرهم فقط في أن هذه الدعوة الجديدة يجب أن تموت في مهدها، ويجب أن تكتم أنفاسها قبل أن تنبعث حرارة هذه الأنفاس إلى البلاد والقبائل والشعوب، فكانت سورة الأنعام مثالاً لتحقيق هذه الدعوة الإسلامية في هذه الفترة الحرجة؛ فقد جمعت تلك العقائد الصحيحة السليمة، وعنيت بالاحتجاج لأصول الدين، وتفنيد شبه الملحدين، وإبطال العقائد الفاسدة، وتركيز المبادئ الفاضلة[٢٥].

مناسبة السورة لما قبلها:

* لما ختم الله ﷻ سورة المائدة بتحميد عيسى عليه السلام لجلاله في

---

(٢٣) انظر تفسير القرآن الكريم (١٢١٤/٤).

(٢٤) التحرير والتنوير (١٢١/٤).

(٢٥) انظر أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم (١/ ٧٦).

ذلك اليوم في ذلك الجمع، ثم تحميد نفسه المقدسة بشمول الملك والقدرة؛ إذ الحمد هو الوصف بالجميل، افتتح ﷻ هذه السورة بالإخبار بأن ذلك الحمد وغيره من المحامد مستحق له سبحانه استحقاقاً ثابتاً دائماً قبل إيجاد الخلق وبعد إيجاده سواء شكره العباد أو كفروه، لما له ﷻ من صفات الجمال والكمال.

تضمنت سورتا المائدة والأنعام محاجة أهل الكتاب في مواقفهم وعقائدهم؛ فالمائدة تكفلت بالرد على مشركي العرب واليهود والنصارى مع الإشارة إلى إبطال جميع أنواع الشرك.

* كما ذكر فيها أحكام المطعومات المحرمة والذبائح، والرد على أهل الجاهلية بتحريم بعض الأنعام تقرباً إلى الأوثان[٢٦].

* هذه السورة أصل في محاجة المشركين، وغيرهم من المبتدعين، ومن كذب بالبعث والنشور، وهذا يقتضي إنزالها جملة واحدة، لأنها في معنى واحد من الحجَة.

أهم الموضوعات التي اشتملت عليها السورة:

* هي تركيز العقائد الأساسية الثلاثة التي كان المشركون يومئذ يتنازعون فيها، وهي توحيد الألوهية، الإيمان بالرسلات السماوية ورد الشبهات التي تثار حول الوحي والرسالة، الإيمان باليوم الآخر وما يتضمنه من البعث والجزاء[٢٧].

والسورة شأنها شأن السور المكية التي عنيت بأصول العقيدة والإيمان والرد على شبهات المشركين بالأدلة العقلية والعلمية والحسية وقد اعتمدت في ترسيخ العقيدة بهذه الأصول على أسلوبي التقرير والتلقين.

١. **أما أسلوب التقرير**: فهو عرض لأدلة وجود الله وقد بدأت السورة

(٢٦) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج (٧ ـ ١٢٧/٨). . د. وهبة الزحيلي ٧ ـ ٨. دار الفكر المعاصر بيروت لبنان وحيثما يأتي سأكتفي بقولي: التفسير المنير.

(٢٧) أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم. د. عبد الله شحادة (٧٩/١).

بإشعار الناس بأنّ الحمد، كل الحمد، ليس إلا الله؛ لأنه مبدع العوالم جواهراً وأعراضاً، وبإثبات أنه المتفرد بخلق العالم جواهره وأعراضه، وخلق الإنسان ونظام حياته وموته بحكمته تعالى وعلمه، وأن آلهتهم لا تملك نفعاً ولا ضراً.

* **تنزيه الله عن الصاحبة والولد**: قال أبو إسحاق الإسفراييني[(٢٨)]: في سورة الأنعام كل قواعد التوحيد[(٢٩)].

٢. وكذلك تعرض السورة الكريمة إلى المسألة الجزئية الخاصة بالتحريم والتحليل:

في الأنعام والنذور، وفي الأنعام والثمار، وفي الأولاد وعلى ما كان متبعاً في الجاهلية يربطها السياق بتلك القضايا الكبيرة بالهدى والضلال، واتباع منهج الله أو اتباع خطوات الشيطان، وهو يستخدم نفس التعبيرات التي استخدمها وهو بصدد القضية الكبرى في محيطها الشامل[(٣٠)].

٣. **بيان أن الدين واحد في أصله ووسائله وغاياته**: من لدن آدم عليه السلام إلى عهد محمد ﷺ فتجزئته، والإيمان ببعضه وترك بعضه، وتفرقته والأراء الشخصية تتنافى مع أصل الدين.

٤. **الفوز والخسران يوم القيامة منوط بالأعمال البشرية**: لقوله تعالى: ﴿انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ ۚ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الأنعام: ٢٤].

أما عن سبب الخسران، هو تكذيبهم لآيات الله، وقدحهم في معجزات النبى ﷺ وإنكارهم كون القرآن معجزة قاهرة.

٥. **إثبات صدق القرآن**: بأن أهل الكتاب يعرفون أنه الحق، وإنكارهم

(٢٨) أبو إسحق الإسفراييني: هو إبراهيم بن محمد بن ابراهيم أبو اسحق الإسفراييني الأصولي المتكلم الفقيه الشافعي إمام أهل خرسان ركن الدين وهو أول من لقب من الفقهاء. انظر النجوم الزاهرة (٤ /٢٦٧).

(٢٩) انظر: النجوم الزاهرة (٢٦٧/٤).

(٣٠) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج (٧ ـ ١٢٧/٨).

للبعث علماً بأنه أمر واقع لا محالة، ثم إنهم سيرونه رأى العين، وتتبرأ منهم آلهتهم التي عبدوها، وستكون عليهم حسرة، كما أنها لا تغني عنهم من الله شيئاً لقوله تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُواْ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾﴾ [الأنعام: ٣١].

٦. **الكون كله يسير وفق سنن الله الثابتة العادلة**: ولا تعارض بين إرادة الله وما يكسبه الإنسان؛ لأن قدر الله معناه ربط المسببات بالأسباب، وبهذا يكون تهديداً للمكذبين بأن يحل بهم ما حَل بالقرون الأولى من المكذبين من قبلهم والكافرين بنعم الله، فهم لايضرون إلا أنفسهم لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِيْ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [الأنعام: ٣٤].

٧. **تثبيت قلب النبي ﷺ وأنه غير مؤاخذ بإعراض قومه، وأمره بالإعراض عنهم لقوله تعالى**: ﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنعام: ٣٥].

٨. **بيان الحكمة من إرسال الرسل**، وليست وظيفتهم إخبار الناس بما يتطلبون علمه من المغيبات لقوله تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [الأنعام: ٤٨][٣١].

٩. **حفلت سورة الأنعام بطرف من قصة إبراهيم الخليل عليه السلام وأرشد قومه إلى دعوى التأمل كما وأرشدهم إلى طريقة الحوار لإثبات فساد عقائدهم ثم استدراجهم لإقرار الحقيقة** ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ... ﴿٧٤﴾﴾ [الأنعام: ٧٤].

(٣١) انظر: في ظلال القرآن سيد قطب (١٠١٨/٢). طبعة جديدة مشروعة تتضمن إضافات وتنقيحات تركها المؤلف وتنشر للمرة الأولى. دار الشروق. الطبعة الخامسة عشرة . ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

ثم إعلان براءته من معبوداتهم وإخلاص العبودية لله ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٧٩]. فكان نموذجاً رائعاً للنبي المبتلى ومشاهد إنسانية لأبي الأنبياء إبرهيم عليه السلام وقد قطع هذا النموذج الإنساني الرائع من السورة الآيات من ﴿۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾﴾ [الأنعام: ٧٤]. حتى الآيه ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الأنعام: ٨٤]. لقد كان جريئا في إخلاصه لربه، ومجادلة قومه، ونصحه لأبيه وقد أخلص الدعاء له، فلما تبين لإبراهيم أن أباه عدو لله تبرأ منه، وهكذا كان إبراهيم نموذجاً عملياً في دعوته، وكذا في هجرته وفي عزلته، وقد ظهر إخلاصه واضحاً جلياً، حينما حاجّ قومه بالطريقة العملية المثلى في إثبات أن هذه المخلوقات لا تضر ولا تنفع عن طريق الاستدراج ثم إعلان البراءة قائلاً: ﴿إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأنعام: ٧٩].

١٠. **العدل الإلهي يقتضي التفاوت بين الأمم والأفراد،** فيهلك الله الظالمين، وينعم الطائعين، ويمكن للإصلاح في إرث الحياة[٣٢].

١١. **افتتح الربع الأخير من سورة الأنعام بالدعوة إلى عشر وصايا مقررة:** في كل رسالة إلهية تبين، أصول الدين والأخلاق والقيم والآداب الاجتماعية وهي النهي عن الإشراك بالله، والأمر بالإحسان إلى الوالدين والنهي عن قتل الأولاد مخافة الحاجة، والنهي عن مقاربة الفاحشة في السر أو العلن، والنهي عن قتل النفس التي حرم الله قتلها ثم الإحسان إلى اليتيم وإتمام الكيل والميزان، كما أمرت بالعدل في كل شيء وأمرت بالوفاء بالعهد والاستقامة على الصراط القويم، وقد قطعت هذه الوصايا الثابتة الراسخة من سورة الأنعام الآيات من [١٥١ ـ ١٥٣] من السورة نفسها.

(٣٢) انظر: في ظلال القرآن سيد قطب (١٠١٩/٢).

* أهم ما تميزت به السورة:

وقد تضمنت السورة الوصايا العشر التي تميزت بها عن غيرها من سور القرآن وهي:

** الوصية الأولى:

* وهي الأساس الذي يصلح عليه أمر المجتمع، فالمجتمع الذي يقوم على تطبيق شريعة الله وإيثار شرع الله على ما سواه هو المجتمع الفاضل المثالي السعيد، أما المجتمع المشرك بالله، فهو مجتمع منحل، تسيره المادة الصماء التي لا روح فيها ولا صلاح ولا قرار معه، قال تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾(٣٣).

** الوصية الثانية:

* الإحسان للوالدين فهما سر وجودنا، وسبب وجود الولد في الحياة، فيجب أن يشكرهما، ويحسن إليهما، خصوصاً في حال الكبر والشيخوخة، قال تعالى: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الأنعام: ١٥١].

** الوصية الثالثة:

* الإحسان إلى الأبناء والعطف عليهما أمر فطري، وشعور إنساني فقتل الأبناء اعتلال في الطبع وخلل في العقل، بضعة من الوالد يضحي من أجله ويتحمل الصعاب في سبيلة، وفي الحديث الصحيح يقول ﷺ: (إن من أكبر الكبائر أن تقتل ولدك خشية أن يأكل معك)(٣٤) قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

---

(٣٣) اخرجه البخاري في كتاب التفسير. باب (والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر) حديث رقم ٤٧٦١. انظر فتح الباري (٣٥٠/٨.).

(٣٤) انظر: تفسير الظلال (١٢٢٩/٣). تأليف سيد قطب ـ رحمه الله ـ. طبعة جديدة مشروعة. تتضمن إضافات وتنقيحات تركها المؤلف وتنشر لأول مرة. مع المراجعة الشاملة والتصويب الدقيق. دارالشروق. وحيثما تأتي سأكتفي بقولي: في ظلال القرآن.

**** الوصية الرابعة:**

* اجتناب الفواحش ما ظهر منها وما بطن، والفحش والفحشاء والفاحشة ما عظم قبحه من الأفعال والأقوال. فالفواحش هي كل فعل تنكره العقول السليمة، والفطر المستقيمة، والمجتمع السليم الجدير بالنمو والارتقاء عليه اجتناب الفواحش ما ظهر منها وما بطن(٣٥). قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [الأنعام: ١٥١].

**** الوصية الخامسة:**

* الإنسان بنيان الله، ومن هدم بنيان الله ملعون مطرود من رحمة الله، ولذا قرر الإسلام عصمة الدم الإنساني إلا بالحق، فمن قتل نفساً بغير حق كمن اعتدى على الإنسانية كلها، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥١].

**** الوصية السادسة:**

* المحافظة على أموال اليتامى وعدم الاقتراب من ضياعها أو إتلافها؛ فاليتيم ضعيف وهو مظنة القهر واليتيم عارض يعرض في كل مجتمع، ومن شأن المجتمعات الناضجة أن ترعى اليتامى وأن تحافظ على صلاح أنفسهم وأموالهم، وعلى الوصي أن يعامل اليتيم كما لو كان إبناً من أبنائه فيحسن توجيه وتأديبه حتى يكون عضواً فاعلاً ومواطناً صالحاً قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾ [الأنعام: ١٥٢].

**** الوصية السابعة:**

* الوفاء بالكيل والميزان بالقسط.

﴿وَفِى﴾ : الوافي الذي بلغ التمام، ويقال: درهم واف، وأوفيت الكيل والوزن، وضده الغدر(٣٦).

---

(٣٥) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج (٧ ـ ٨/ ١٢٨).

(٣٦) معجم مفردات ألفاظ القرآن ص ٣٨٧.

فالمؤمن عادل في بيعه وفي شرائه، يضبط الكيل ويعطي الحق ولا يخشى في الله لومة لائم، قال تعالى: ﴿وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [الأنعام: ١٥٢].

**** الوصية الثامنة:**

* العدل أساس الملك، والعدل أساس الحكم، فالعدل في الأقوال والأفعال، العدل في الحكم، والعدل في الشهادة، والعدل هو المساواة في المكافأة إن خيراً فخير وإن شراً فشر، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ [الأنعام: ١٥٢].

**** الوصية التاسعة:**

* الوفاء بالعهد، الوفاء خلة من الخلال الحميدة، وصفة من الصفات الطيبة، التي يتحقق بها الخير والإصلاح ويستقر عليها أمور الناس، قال تعالى: ﴿وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُواْ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٢] (٣٧).

**** الوصية العاشرة:**

* وهذه هي الوصية الجامعة المانعة لكل ما جاءت به دعوة التوحيد، طريق الحق والقوة والحرية، هو الطريق الأمثل الذي يدعو إلى طاعة الله وامتثال أوامره واجتناب نواهيه، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام: ١٥٣].

١٢. **الإخبار عن الحكمة من إنزال التوراة والإنجيل**: وبعد ذكر الوصايا العشر تكلم عن الحكمة من إنزال التوراة والإنجيل وذلك من خلال الآيات من [١٥٤ ـ ١٥٧] ﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ

(٣٧) انظر: أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم ص٨٨.

أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَن تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُواْ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الأنعام: ١٥٤ ـ ١٥٧].

١٣. **إنذار أخير للكفار بسوء العذاب**: يتوعد الله تعالى الكافرين والمخالفين لرسله والمكذبين بآياته الصادين عن سبيله ولا يؤمنون حتى تأتيهم أمور ثلاثة: وهي مجيء الملائكة، أومجيء الرب، أومجيء الآيات القاهرة من الله تعالى.

١٤. **اتباع ملة إبراهيم حنيفاً والتبعية الشخصية ثم الاستخلاف في الأرض**: واشتملت هذه الخاتمة الرائعة للسورة الآيات من [١٦١ ـ ١٦٥] حيث إن الله يأمر نبيه ﷺ سيد المرسلين أن يخبر بما أنعم الله عليه من الهداية إلى الصراط المستقيم لا عوج فيه ولا إنحراف وجعل الله الناس خلائف في الأرض، يملكونها ويتصرفون فيها، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: (إن الله لما خلق الخلق كتب كتابا عنده فوق العرش إن رحمتي تغلب غضبي)(٣٨).

١٥. **وهي من أجمع سور القرآن لأحوال العرب في الجاهلية**: فالسورة تتحدث عن أحوال العرب في الجاهلية، وعن أشدها مقارعة في محاجّاتهم وجدالهم العقيم في سفاهة أحوالهم بما أحلوا وحرموا على أنفسهم بما لم ينزل الله به سلطان كما في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾ [الأنعام: ١٣٦].

---

(٣٨) أخرجه البخاري. كتاب التوحيد ـ باب (سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين). حديث رقم ٧٤٥٣. (١٣/٤٤٩).

وفي صحيح البخاري أنّ ابن عباس قال: قال ﷺ: (إذا سرك أن تعلم جهل العرب فاقرأ ما فوق الثلاثين من سورة الأنعام)(٣٩) ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَـٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِۚ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾﴾ وأي سفاهة أفظع من تلك التي تحرم رزق الله.

---

(٣٩) أخرجه البخاري. كتاب المناقب. باب قصة زمزم وجهل العرب حديث رقم ٣٥٢٤. أنظر فتح الباري (٦/٦٣٦).

المبحث الثاني
عرض وتفسير لآيات سورة الأنعام بالقراءات العشر

١ - ﴿مَّن يُصۡرَفۡ عَنۡهُ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمَهُۥۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ ١٦﴾ [الأنعام: ١٦].

أولاً: القراءات:

١. قرأ حمزة والكسائي وخلف ويعقوب وأبو بكر (يَصِرف) بفتح الياء وكسر الراء.

٢. قرأ الباقون (يُصرَف) بضم الياء وفتح الراء[٤٠].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

﴿صَرَفَ﴾ : أى رد الشيء عن وجهه. ويقال صرفه يصرفه صرفاً فانصرف[٤١].

والصرف ردّ الشيء من حالةٍ إلى حالةٍ أو إبداله بغيره، يقال صرفته فانصرف[٤٢].

(٤٠) النشر في القراءات العشر (١٩٣/٢).

(٤١) انظر: لسان العرب (١٨٨/٩).

(٤٢) معجم مفردات ألفاظ القرآن ص ٢٨٧.

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

تبين الآية الكريمة نعمة من نعم الله ﷻ على عباده يوم القيامة. فمن يصرف عنه: أي العذاب، (يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ) يعني فقد رحمه الله (**وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ**) لقوله تعالى: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَما الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الغرور﴾ [آل عمران: ١٨٥].

والفوز: حصول الربح ونفي الخسارة، يقول تعالى، مخبرا أنه مالك الضر والنفع وأنه المتصرف في خلقه بما يشاء لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾ [الأنعام: ١٧] كقوله تعالى: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾ [فاطر: ٢][٤٣]. فالآية تصوير لحقيقة مشاعر الرسول ﷺ تجاه أمر ربه له، وتجسيم لخوفه من عذابه، والعذاب الذي يعتبر مجرد صرفه عن العبد رحمة من الله وفوزاً مبيناً، ولكنه في الوقت ذاته حملة مزلزلة تصور العذاب في ذلك اليوم العظيم كوحش يطلب الفريسة ويلحق بها ويطاردها، ليأخذ بناصيتها فلا يمنعه عنها إلا القدرة القادرة فتأخذ بخطامه فتلويه عنها، فتخلصها منه[٤٤].

يؤكده قول النبي ﷺ قال: (والذي نفسي بيده ما من أحد يدخل الجنة بعمله، قالوا ولا أنت يارسول الله، قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل)[٤٥].

---

(٤٣) تفسير ابن كثير (١٢٧/٢). للإمام الحافظ عماد الدين، أبي الفداء اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي المتوفي سنة٧٧٤هـ. تقديم. محمد عبد الرحمن المرعشلي. إعداد. مكتب تحقيق دار احياء التراث العربي. طبعة جديدة ومنقحة ومصممة. أعد فهارسها. رياض عبد الله عبد الهادي. الطبعة الأولى. ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م. وحيثما تأتي سأكتفي بقولي: تفسير ابن كثير.

(٤٤) انظر: في ظلال القرآن (٢/ ١٠٥٤).

(٤٥) اخرجه مسلم كتاب صفة القيامة والجنة والنار. باب لن يدخل الجنة أحدٌ بعمله بل برحمة الله تعالى. حديث رقم ٧٠٠٧. ص١٣٨٦.

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (**مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ**) العذاب (**يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ**) أي أنّ الله ﷻ هو الرحمة العظمى، والنجاة الكبرى كقولك: إن أطعمت زيداً من جوعةٍ فقد أحسنت إليه: تريد فقد أتممت له الإحسان، أي فقد أدخله الجنة؛ لأنّ من لم يعذَّب ليس له إلا الجنة.

وأفادت قراءة (مَّن يَصْرِفْ عَنْهُ) على البناء للفاعل، أي مبني للمعلوم والمعنى من يَصرِف الله عنه في ذلك اليوم فقد رحمه بمعنى: من يدفع الله عنه ويحفظه، والمدفوع عنه معلوم، وترك ذكر المصروف لكونه معلوماً، وهو العذاب، وينصب يومئذٍ بيصرف إنتصاب المفعول به، أي من يصرف الله عنه هول هذا اليوم فقد رحمه[٤٦].

(**مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ**) قرأ حمزة وأبو بكر والكسائي ﴿مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ﴾ مبنياً للفاعل، (فمن) مفعول مقدم والضمير في يصرف عائد على الله، ويؤيده قراءة أبيّ ﴿مَّن يُصْرَفْ﴾ الله وفي (عنه) عائد على العذاب والضمير المستكن في (رحمه) عائد على الرب أي: أيّ شخص يصرف الله عنه العذاب فقد رحمه الرحمة العظمى وهي النجاة من العذاب، ومن نُجِّيَ من العذاب دخل الجنة. وقرأ الباقون (مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ) مبنياً للمفعول أي مبني للمجهول، ومعلوم أن الصارف هو الله، فحذف للعلم به وللإيجاز وقد تقدم ذكر الرب، ويجوز في هذا الوجه أن يكون الضمير في (يُصْرَفْ) عائداً على (من)، وفي (عنه) عائداً على العذاب، أي: أيّ شخص يصرف عن العذاب، ويجوز أن يكون الضمير في (عنه) عائداً على (من) والضمير في (يصرف) عائداً على

---

(٤٦) انظر: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. (٨٢/٢). تأليف. أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي. شرحه وضبطه وراجعه. يوسف الحمادي المستشار الأسبق للتربية الدينية بجمهورية مصر العربية. مكتبة مصر سعيد جودة السحار. وحيثما تأتي سأكتفي بقولي: الكشاف.

العذاب أيْ: أيّ شخص يصرف العذاب عنه[٤٧].

خامساً: وبالجمع بين القراءتين نجد أن العلاقة بين القراءتين تفسيرية، تفسر إحداهما الأخرى، فمن (يُصَرف عنه) يومئذ فقد رحمه على البناء للمفعول أي: من (يُصَرف عنه) العذاب يومئذ فقد رَحِمَهُ ﷻ وهذا رأي سيبويه[٤٨] أي أن المصروف عن العذاب هو العبد بترك الذنوب والمعاصي. وأما من قرأ (يَصرِف عنه) فعلى البناء للفاعل فيكون الضميرعائداً على الله ﷻ والمصروف هو العذاب، وقد يكون العبد بأن يصرف نفسه عن المعصية، ومعنى (يومئذ) يوم العذاب العظيم فقد رَحِمَهُ أي: نجاه وأنعم عليه وأدخله الجنة، والإشارة بذلك من الصرف من العذاب إلى الرحمة[٤٩].

وعليه فالفوز كل الفوز في صرف العذاب سواءً صُرِف هو من تلقاء نفسه وذلك بترك المعاصي والتزام منهج الله أم صرفه الله بإلهامه الصواب وهنا يتجلى فضل الأعمال الصالحة، أو بصرف العذاب عنه وكله لا يكون إلا برحمة الله ـ كما في حديث رسول الله ﷺ السابق ـ[٥٠] وهنا يتجلى فضل الله على عبده فيدخله الجنة برحمته، وذلك لقوله تعالى: (**وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ**) فالفوز البين الواضح بالنجاة من النار وذلك بصرف هذا العذاب العظيم في ذلك اليوم العظيم وهنا يتجلى عدل الله ورحمته فهو لا يضيع

---

(٤٧) البحر المحيط في التفسير (٤/٤٥٤). تأليف. محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي (٦٥٤ ـ ٧٥٤هـ). طبعة جديدة منقحة مصححة. دار الفكر للطباعة والنشر. ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

(٤٨) سيبويه: هو استاذ النحاة وهو أبو بشر عمر بن عثمان بن قنبر مولى بني الحارث بن كعب وقيل مولى الربيع بن زياد وقيل إنه توفي في سنة سبع وسبعين وقيل ثمان وثمانين وقيل إحدى وستين وقيل أربع وسبعين ومائة فالله أعلم البداية والنهاية (٦٩/١١). لابن كثير. وحيثما يأتي سأكتفي بهذه الترجمة.

(٤٩) انظر: تفسير فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير (١٠٤/٢). تأليف: محمد بن علي الشوكاني (وفاته بصنعاء ١٢٥٠هـ) دار الفكر للطباعة والنشر. وحيثما يأتي سأكتفي بقولي: فتح القدير.

(٥٠) انظر: حديث مسلم ص ٥٩.

أجر المحسنين؛ حيث قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [التوبة: ١٢٠]

٢ - ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الأنعام: ٢٢].

أولاً: القراءات:

١. قرأ يعقوب بالياء في (وَيَوْمَ يحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ) ووافقه حفص.

٢. وقرأ الباقون (وَيَوْمَ نحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نقُولُ) بالنون[٥١].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

﴿حُشِرَ﴾ : الحشر إخراج الجماعة عن مقرهم وإزعاجهم عنه إلى الحرب ونحوها وسمي يوم القيامة يوم الحشر كما سمي يوم البعث ويوم النشر، ورجل حشر الأذنين أي في أذنيه انتشار وحدة، كذلك يوم القيامة فيه انتشار للخلق وللأعمال[٥٢].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

تتحدث الآية الكريمة عن مشهد عظيم من مشاهد يوم القيامة وهو غاية في الذل والإهانة للذين ظلموا، كما تتطلب من النبي ﷺ بأن يذكرهم يوم يحشرهم الله وأصنامهم معهم فيحشروا جميعاً للحساب ويقال لهم على رؤوس الأشهاد ﴿أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ أي: أين آلهتكم التي جعلتموها شركاء لله؟ والسؤال هنا للتقريع والتحقير ثم تظهر مذلة الأصنام وعدم جدواها كما يحشر الغالب أسرى قبيلة ومعهم من كانوا ينتصرون بهم، لأنهم لو كانوا غائبين لظنوا أَنهم لو حضروا لشفعوا لهم، أو أنهم

(٥١) النشر في القراءات العشر (١٩٣/٢).

(٥٢) معجم مفردات ألفاظ القرآن ص ٢٨٧.

شغلوا عنهم بما هم فيه من الجلال والنعيم(٥٣).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (وَيَوْمَ يحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يقُولُ) (يحشرهم، ثم يقول) بالياء فيهما ليناسب مع السياق والضمير هنا يعود على الله ﷻ ويقال ـ هنا ـ لهم على وجه التوبيخ، ويجوز أن يشاهدوهم إلا أنه حين لا ينفعونهم، ولا يكون منهم ما رجوا، من الشفاعة فكأنه غيبهم عنهم، يحول بينهم وبين آلهتهم حينئذ ليفقدوهم في الساعة التي علقوا بها الرجاء فيهم، ويحتمل أن يشاهدوهم ولكن لما لم ينفعوهم فكأنهم غيب عنهم، ناسب أسلوب الغيب، وهنا تناسب في السياق بين (يحشرهم ويقول)(٥٤).

وأفادت قراءة (وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا) أي يوم نحشر الكفار وآلهتهم جميعاً، على اختلاف درجاتهم في ظلم أنفسهم (ثُمَّ نَقُولُ) للتوبيخ والتقريع على رؤوس الأشهاد (لِلَّذِينَ أَشْرَكُواْ) بالله (أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ) أي آلهتكم التي جعلتموها شركاء لله سبحانه؟ وإضافتها إليهم، لأن شركتها ليست إلا بتسميتهم، وتقولهم الكذب كما ينبىء عنه قوله تعالى: (الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ) أي تزعمونها شركاء ولعله يحال بينهم وبين آلهتهم حينئذ يفقدوهم في الساعة التي علقوا بها الرجاء فيهم، الحشر إستلزم لهم ولآلهتهم لذلك جاء باسلوب العظمة لما يحتاج من الطاقة والقوة وهنا تناسب في السياق بين نحشرهم ونقول(٥٥).

---

(٥٣) انظر: التحرير والتنوير (٢/١٧٤) تأليف سماحة الأستاذ الإمام الشيخ. محمد الطاهر بن عاشور (١٧٤/٤). دار سحنون للنشر والتوزيع. الجمهورية التونسية. وحيثما يأتي سأكتفي بقولي: التحرير والتنوير ـ انظر صفوة التفاسير (٣٨٤/١) تأليف. محمد علي الصابوني الأستاذ بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية. المكتبة الفيصلية. وحيثما يأتي سأكتفي بقولي: الصفوة.

(٥٤) انظر: تفسير الكشاف (٨٥/٢).

(٥٥) انظر: روح المعاني للألوسي (٧ ـ ٨ /١٢٢). المعروف بروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. للعلامة الألوسي البغدادي المتوفى ١٢٧٠هـ. مكتبة التراث. المركز الإسلامي ـ القاهرة. وحيثما يأتي سأكتفي بقولي: روح المعاني. ومعالم التنزيل للبغوي (١٣٥/٣). والمقتطف (١٠/٢).

خامساً وبالجمع بين القراءتين نجد أن العلاقة بلاغية تضمنت أساليب متنوعة في القول مفادها واحد (فنحشرهم)، و(يحشرهم) ويؤكد كل منهما الآخر فالحاشر هو الله ﷻ والمحشور هم العابدون والمعبودون يعني: يوم القيامة. وكثرة المحشورين تحتاج إلى العظمة والقدرة المتميزة فناسبتها قراءة (نحشرهم) بنون العظمة، وأكدها لفظ (جَمِيعاً) لتفيد الشمول لحشرهم وما يعبدون من دون الله، والمقصود من حشرهم: المذلة لعدم جدواها كما في قراءة (يحشرهم) فأسلوب الغيبة الضمير فيها يعود على الله ﷻ فهو الحاشر وحده، كما أنّ الأسلوب يفيد التحقير والتوبيخ لأولئك المحشورين فوجودهم كعدمه فلو كانوا غائبين لكان أهون على نفوسهم ولظنوا أنهم لو حضروا لشفعوا، فهم محشورون ولكنهم غير شافعين، وهذا ما أفادتة كلا القراءتين. والله أعلى وأعلم.

٣ - ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنعام: ٢٣].

أولاً: القراءات:

١. قرأ حمزة والكسائي ويعقوب (ثُمَّ لَمْ يكُن) بالياء على التذكير.

٢. قرأ الباقون (ثُمَّ لَمْ تكُن) بالتاء على التأنيث.

١. قرأ ابن كثير وابن عمر وحفص (فِتْنَتُهُمْ) برفع التاء.

٢. وقرأ الباقون (فِتْنَتَهُمْ) بالنصب.

١. قرأ حمزة والكسائي وخلف (وَاللّهِ رَبَّنَا) بنصب الباء.

٢. قرأ الباقون (وَاللّهِ ربِّنَا) بالخفض(٥٦).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

﴿فتن﴾ : معنى الفتنة والابتلاء والامتحان والاختبار وأصلها مأخوذ

(٥٦) النشر في القراءات العشر (٢/ ١٩٣).

من فتنت الفضه والذهب إذا أذبتهما بالنار لتميز الرديء من الجيد(٥٧).

﴿رب﴾ : من ربب والرب هو الله ﷻ وهو رب كل شيء ومالكه وله الربوبية على جميع الخلق، لا شريك له، وهو رب الأرباب ومالك الملوك والأملاك ولا يقال الرب في غير الله إلا بالإضافة، ورب كل شيء مالكه ومستحقه وقيل صاحبه(٥٨).

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

تصور الآية الكريمة موقف المشركين يوم القيامة إذا قيل لهم أين شركاؤكم، الذين كنتم تزعمون، وهذا سؤال فتنة واختبار لهم؛ فلما وجدوا أن الله يغفر لأهل الإسلام؛ ويغفر الذنوب جميعاً، ولا يعجزه ذنب أن يغفره؛ وأنه لا يغفر شركاً؛ جحد المشركون ما كانوا عليه رجاء أن يغفر لهم فقالوا ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ فختم الله على قولهم، لأنهم قد أشركوا بالله في الدنيا لمجرد التخلص من موجبات الإيمان، وها هم أولاء في المشهد العظيم، يعرفون قدر كذبهم(٥٩).

* قال ابن كثير: «(**ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ**) أي: معذرتهم وحجتهم لما رأوا أنه لا يدخل الجنة إلا أهل الإسلام قالوا تعالوا فلنجحد فقالوا (**وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ**) فختم الله على أفواههم وتكلمت أيديهم وأرجلهم ولا يكتمون الله حديثا»(٦٠).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (ثُمَّ لَمْ يكُن) بالياء أن الفتنة بمعنى الافتتان فجاز تذكيره؛ وقرأ الآخرون بالتاء (ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ) لتأنيث الفتنة ومنهم من قرأ (فِتْنَتُهُمْ)

---

(٥٧) انظر: لسان العرب (٣١٧/١٣) مادة فتن.

(٥٨) لسان العرب (٤٦٥/١ ـ ٤٦٦) مادة رب.

(٥٩) انظر: تفسير الطبري (١٠٥/٥ ـ ١٠٦). انظر: الدر المنثور (٣/ ٢٥٨) تأليف: جلال الدين السيوطي. دار الفكر. بيروت. ١٩٩٣م.

(٦٠) تفسير ابن كثير (١١٥/٢).

بالرفع جعلوه اسم كان، وقرأ الآخرون بالنصب، قوله (أن قالوا وفتنتهم) الخبر، ومعنى فتنتهم أي: قولهم وجوابهم، وقال ابن عباس: معذرتهم والفتنة التجربة فلما كان سؤالهم تجربة لإظهار ما في قلوبهم قيل له فتنة. وقال الزجاج: في قوله (لَمْ تَكُن فِتْنَتَهُمْ) معنى لطيف وذلك مثل الرجل يفتن بمحبوب ثم يصيبه فيه محنة فيتبرأ من محبوبه فيقال (لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ) إلا هذا، كذلك الكفار فتنوا بمحبة الأصنام ولما رأوا العذاب تبرأوا منها، يقول ﷻ (ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ) ومحبتهم للأصنام (إِلاَّ أَن قَالُواْ وَاللّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ) قرأ حمزة والكسائي (رَبَّنَا) بالنصب على نداء المضاف، وقرأ الآخرون بالخفض على نعت (والله) وقيل إنهم إذا رأوا يوم القيامة مغفرة الله تعالى وتجاوزه عن أهل التوحيد قالوا لبعضهم البعض تعالوا نكتم الشرك لعلنا ننجوا مع أهل التوحيد فيقولون (وَاللّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ) فيختم على أفواههم وتشهد جوارحهم بالكفر[61].

خامساً: وبالجمع بين القراءتين نجد أنَّ العلاقة بينهما نحوية؛ تصور حال المتكلمين المنكرين لما كانوا عليه من الشرك، حيث إن المولى ﷻ قد جعل فتنتهم بالقول الكذب وجعل قولهم الكذب فتنة لهم يوم القيامة ومن ثم أفادت كلا القراءتين معاني سامية فقراءة النصب (وَاللّهِ رَبَّنَا) فيها الدعاء فهي؛ تظهر معنى الإستكانة والتضرع فتتراءى للقارىء حالهم من التذلل والخضوع والخزي والعار أمام جلال الله ﷻ حينما شهدت عليهم جوارحهم بالكفر وقت لا ينفع الندم أما في حالة من قرأ بالكسر فهي قسم يبين تبرؤهم من الشرك علهم ينالوا المغفرة ولكن أنى لهم ذلك؛ وفي هذا القسم من الذل والاستكانة والخزي والعار ما يبين حالهم فالحال واحد

(٦١) انظر: تفسير البغوي (١٣٥/٣). المعروف بمعالم التنزيل. للإمام محيي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي المتوفى سنة ستة عشر وخمسمائة. حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر. وعثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحرش. دار طيبة للنشر والتوزيع. الرياض. الطبعة الأولى ١٤٠٩ ـ ١٩٨٩م. وحيثما يأتي سأكتفي بقولي: تفسير البغوي.

والمقام واحد في كلا القراءتين، فتبارك الله أحسن القائلين.

٤ ـ ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأنعام: ٢٧].

أولاً: القراءات:

١. قرأ حمزة وحفص ويعقوب (وَلاَ نُكَذِّبَ وَنَكُونَ) بنصب الباء والنون، ووافقهم ابن عامر في (وَيَكُونَ).

٢. قراءة الباقون (وَلاَ نُكَذِّبُ وَنَكُونُ) بالرفع فيهما[٦٢].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

﴿ٱلْكَذِبَ﴾ : ضد الصدق وهو الإخبار عن الشيء لا على ما هو عليه، والكذب ضرب من القول[٦٣].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

تتحدث الآيات عن حال الكفار، إذا وقفوا يوم القيامة على النار، وشاهدوا ما فيها من السلاسل والأغلال، ورأوا بأم أعينهم الأهوال والأمور العظام، فعندها لم يملكوا إلا أن يقولوا (**يَا لَيتَنَا نُرَدُّ وَلاَ نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**) يتمنون أن يعودوا إلى الدنيا، ليعملوا صالحاً، ولا يكذبوا بآيات ربهم؛ ويكونوا مؤمنين، ولا يشركوا بالله شيئاً، ففي الآيات مواساة لقلب النبي ﷺ من أولئك الجاحدين لنبوته والعادلين بربهم غيره[٦٤].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

* لقد أفادت قراءة النصب في معرض التمني (يا ليتنا) يكون لنا رد وإنتفاء تكذيب وكون من المؤمنين، والتمني هو إنشاء والإنشاء لا يدخله

(٦٢) النشر في القراءات العشر (١٩٣/٢).

(٦٣) انظر: القاموس المحيط ص ١٧٠مادة كذب.

(٦٤) انظر: تفسير الطبري (١١٠/٥). وتفسير ابن كثير (١١٦/٢). وتفسير البغوي (١/ ٦٨).

الصدق والكذب وقد أخبر الله ﷻ أن سجية هؤلاء الكفار الكذب فهي إخبار عن حالهم فإذا كانت سجية الإنسان شيئاً ثم تمنى ما يخالف السجية وما هو بعيدٌ أن يقع منها كان ذلك أمراً مستحيلاً، والتمني ـ هنا ـ في معرض التحسر والتمني صار بعيداً عنهم أي غير مفيدٍ لهم، ويؤيد ذلك قراءة النصب بمعنى ولا نكذب، أي: إنْ رددنا لم نكذب والنصب في نكذب ونكون بإضمار أنْ كما ينصب في جواب الاستفهام والأمر والنهي والعرض، لأن جميعه غير واجب ولا واقع بعد، فينصب الجواب مع الواو كأنه عطف على مصدر الأول، كأنهم قالوا: يا ليتنا يكون لنا ردّ وانتفاء من الكذب وكون من المؤمنين، فحملا على مصدر نرد لانقلاب المعنى إلى الرفع ولم يكن بد من إضمار أنْ فيه فيتم النصب في الفعلين(٦٥).

قراءة الرفع تفيد التضلع في التمني فهؤلاء القوم يتمنون أن يعودوا إلى الحياة الدنيا ولا يكذبوا ويكونوا من المؤمنين، ولكنهم لو عادوا فإنهم لكاذبون، كما أخبر ربنا سبحانه تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الأنعام: ٢٨]. فقراءة العامة كلها بالرفع على معنى قوله تعالى فقالوا: يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين بالرفع في الأفعال الثلاثة عطفاً، قراءة أهل المدينة والكسائي وأبو عمرو وأبو بكر عن عاصم بالضم، ابن عامر على رفع نكذبُ ونصب ونكونَ وكله داخل في معنى التمني أي تمنوا الرد وألا يكذبوا وأن يكونوا من المؤمنين(٦٦).

واختار سيبويه(٦٧) القطع في (وَلاَ نُكَذِّبَ) فيكون غير داخل في التمني المعنى ونحن لا نكذب على معنى الثبات على ترك التكذيب، أي: لا

---

(٦٥) انظر: مفاتيح الأغاني في القراءات والمعاني لأبي العلاء الكرماني المتوفى (٥٦٣ هـ) دراسة وتحقيق د. عبد الكريم مصطفى مدلج تقديم د. محسن عبد الحميد. دار ابن حزم. بيروت ـ لبنان. الطبعة الأولى (١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م). وحيثما يأتي سأكتفي بقولي: مفاتيح الأغاني.

(٦٦) انظر: البحر المحيط (٤/٤٧٥).

(٦٧) سبق الترجمة ص٥٢.

نكذب رددنا أو لم نرد قال سيبويه: وهو مثل قوله دعني ولا أعود أي لا أعود على كل حال تركتني أو لم تتركني.

خامساً: وبالجمع بين القراءتين نجد أنَّ إحدى القراءتين تؤكد الأخرى وهما: ـ لا يُردون وإن رُدوا لا يصدقون فهم كاذبون وللبعث كذلك منكرون، وهم وقف للنار وعليها محبوسون.

٥ ـ ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌۖ وَلَلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الأنعام: ٣٢].

أولاً: القراءات:

١. قرأ ابن عامر ﴿وَلَدَارُ الآخِرَةِ﴾ بلام واحدة وتخفيف الدال بخفض التاء على الإضافة.

٢. قرأ الباقون ﴿وَلَلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ﴾ بلامين مع تشديد الدال للإدغام وبالرفع على النعت(٦٨).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

﴿ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَۖ﴾ : (وللدار الآخرة خير) أي الجنة لبقائها، وسميت آخرة، لتأخرها عنا ولأنها بعد الدنيا، والدنيا لدنوها منا وقيل لدناءتها(٦٩).

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

تبين الآية الكريمة حقيقة هذه الحياة الفانية ثم ترد وتكذب الذين أنكروا البعث بعد الممات في قولهم: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِيَ ٱلْحَيَوَانُۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [العنكبوت: ٦٤] أي: وما أعمالها إلا لعب ولهو يلهي الناس ويشغلهم عما يعقب منفعة دائمة ولذة حقيقية؛ وللدار الآخرة خير للذين يتقون لدوامها وخلوص منافعها ولذاتها، وقوله تعالى: (**لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ**) تنبيه على أن ما ليس من أعمال

---

(٦٨) النشر في القراءات العشر (١٩٣/٢).

(٦٩) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٣٧٠/٣).

المتقين فهو هراء بل هو لعب ولهو[70].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة ابن عامر (ولدار الآخرة) بلام واحدة والإضافة على تقدير حذف المضاف وإقامة الصفة مقامه والتقدير (ولدار الحياة الآخرة). ويضاف الشيء إلى نفسه عند اختلاف اللفظين، كقوله تعالى: (وحب الحصيد) وكذلك إضافة الموصوف إلى الصفة كقولهم: مسجد الجامع.

وأفادت قراءة الجمهور (وَللدَارُ الآخِرَةِ) اللام لام الابتداء ورفع الدار بالابتداء وجعل الآخرة نعتا لها والخبر (خَيْرٌ لِّلَّذِينَ) يقويه تلك الدار الآخرة (وإنّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ) فأتت الآخرة صفة للدار فيهما للذين يتقون أي الشرك. والله أعلم[71].

خامساً: وبالجمع بين القراءتين نجد أن العلاقة بين القراءتين تفسيرية تبين إحداهما حقيقة الدنيا؛ حيث إن الدار محل إقامة الناس، وهي الأرض التي يكون عليها المعاش من مسكن ومأوى واستقرار، وقد يكون فيها الأمن والأمان وقراءة ابن عامر (ولدار الآخرة) بلام واحدة ـ دار منكرة إلى الآخرة ـ على تقدير حذف المضاف وإقامة الصفة مقامه والتقدير (ولدار الحياة الآخرة خير).

وقراءة الجمهور (وللدار ـ بلامين ـ لام الإبتداء ولام التعريف) تفيد ثبات الدار واستقرارها قال تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٤]. وعليه نجد أن الآخرة خير من الدنيا باعتبار ما في الدنيا من نعيم عاجل زائل يلحق معظمه مؤاخذة ومحاسبة؛

(٧٠) انظر: تفسير الطبري (١١٤/٥). انظر: حاشية الشهاب (٣ /٤٠٣).

(٧١) المستنير (١٥٢/١). في تخريج القراءات المتواترة من حيث اللغة ـ الإعراب ـ التفسير. تأليف د. محمد سالم محيسن الأستاذ المشارك للدراسات اللغوية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة. دار الجيل ـ بيروت. الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م. انظر تفسير معالم التنزيل (١٣٩/٣).

وأما ـ وللدار الآخرة خير ـ وذلك لثبات وتأكيد هذا الخير للدار الخالدة بعينها وكذلك النعيم الدائم فيها، وإنهما أي الدار بعينها والنعيم الذي يملأ تلك الدار، للذين يتقون ربهم لهما خير محض؛ وكلاهما لنعمَ أجر العاملين(٧٢).

٦ ـ ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الأنعام: ٣٢].

أولاً: القراءات:

١. قرأ نافع وابن عامر وحفص (أَفَلَا تَعْقِلُونَ) بالتاء.

٢. قرأ الباقون (أَفَلَا يعْقِلُونَ) بالياء(٧٣).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

﴿عقل﴾ : العقل يقال للقوة المتهيئة لقبول العلم ويقال للعلم، الذي يستفيده الإنسان بتلك القوة عقل، وكل موضع ذم الله فيه الكفار بعدم العقل، وكل موضع رفع التكليف عن العبد لعدم العقل وأصل العقل الإمساك والاستمساك كعقل البعير بالعقال وغيره(٧٤).

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

فالآية الكريمة تتحدث عن الحياة الدنيا والآخرة، فما الحياة الدنيا إلا لهو ولعب، ثم فناء وزوال، والآخرة نعيم ودوام، فعلى العاقل أن يختار الحياة الباقية، ويترك الحياة الفانية، وذلك بالاستعداد والعمل لذلك اليوم الذي لا ينفع فيه مال، ولا بنون، إلا من أتى بقلب سليم، وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو وللدار الآخرة خير للذين اتقوا أفلا تعقلون(٧٥).

---

(٧٢) انظر: التحرير والتنوير (٤/ ١٩٥). انظر: المغني (٢/٤٣).

(٧٣) النشر في القراءات العشر (٢/ ١٩٣). انظر الكشف (١/٤٢٩).

(٧٤) انظر: معجم مفردات ألفاظ القرآن ص٣٥٤.

(٧٥) انظر: المستنير (١/ ١٥٢). انظر: المغني (٢/٤٣).

ودل قوله تعالى: (أَفَلَا تَعْقِلُونَ) على أن الإنسان لا يفكر غالباً تفكيراً يتفق مع حقيقة مصلحته، وإنما قد يرتكب ما يلحق بنفسه الضرر، ودل على أن الزهد في الدنيا، أي عدم استيلاء حبها على قلبه أمر مرغوب فيه[٧٦].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة نافع وابن عامر وحفص (أَفَلَا تَعْقِلُونَ) بالتاء خطاب مواجهة لمن بحضرة الرسول من منكري البعث بأن ينعم النظر بأن المعنى أفلا تعقلون أن الآخرة خير من الدنيا.

وأفادت قراءة الباقين بالياء عوداً على ما قبل، لأنها أسماء غائبة. وقيل: أفلا يعقلون أن الأمر هكذا فيزهدوا في الدنيا، نجد أن قراءة الغيبة جاءت متمشية مع السياق[٧٧].

والاستفهام ـ هنا ـ مستعمل في التوبيخ، إن كان خطاباً للمشركين، أو بالتحذير إن كان خطاباً للمؤمنين وقوله تعالى: (أَفَلَا تَعْقِلُونَ) ـ بتاء الخطاب ـ على طريقة الالتفات وغرضها التنبيه والتحذير للمخاطبين من الأمر الذي حَذر منه الكافرين.

وقراءة من قرأ ـ بياء تحتية ـ وبهذه القراءة فهو عائد لما عادت إليه ضمائر الغيبة قبله، والاستفهام هو للتعجب من حالهم وتأييس للمشركين من نعيم الجنة فهم حتماً صائرون إلى الآخرة لكنها ليست لهم بخير لِمَا كانوا عليه في الدنيا، لذا كان الخطاب لهم مزيداً من التوبيخ والتقريع، فهو بعد حديثه عنهم وجه إليهم الخطاب القاسي مباشرة ليكون أكثر أثراً على أنفسهم.

خامساً: وبالجمع بين القراءتين نجد أن العلاقة بلاغية عن طريق الالتفات؛ يعني يأيها المؤمنون احذروا الدنيا وازهدوا فيها ولا تجعلوها تستولي على عقولكم وقلوبكم، فعلى العاقل أن يختار الحياة الباقية، ويترك

(٧٦) التفسير المنير (٧ ـ ٨ / ١٨٠). انظر: تفسير التحرير والتنوير (١٩٣/٤).
(٧٧) البحر المحيط في التفسير (٤٨٦/٤).

الحياة الفانية، لأن الحياة الدنيا ما حقيقتها إلا لعب ولهو وللدار الآخرة خير للذين اتقوا، أما أنتم أيها الآيسون من الآخرة فهي ليست لكم بخير من باب التوبيخ والتقريع.

* من اللطائف والإشارات.

فاسلوب الإلتفات فيه مزيد توبيخ وتقريع لأولئك الكافرين؛ وباسلوب الخطاب مزيد تحذير وإنذار لمن سار على دربهم وسلك مسلكهم؛ وبتلك القراءتين نجد أن القرآن هو معجزة صالحة لكل زمان ومكان لإحياء القلوب والعقول؛ فهو المعجزة الخالدة وحبل النجاة في الدارين والله أعلى وأعلم.

٧ ـ ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنعام: ٣٣].

أولاً: القراءات:

١. قرأ نافع (ليُحْزِنك) حيث وقع بضم الياء وكسر الزاي.

٢. قرأ الباقون (ليَحْزُنك) بفتح الياء وضم الزاي.

١. قرأ نافع والكسائي وأبو جعفر (لاَ يُكْذِبُونَكَ) بسكون الكاف وتخفيف الذال.

٢. قرأ الجمهور (لاَ يُكَذِّبُونَكَ) بفتح الكاف وتشديد الذال(٧٨).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

﴿**حزن**﴾ : الحزن بضم الحاء وسكون الزاي أو فتحها وضم النون هو خشونة في النفس لما يحصل فيه من الغم ويضاده الفرح لاعتبار الخشونة بالغم الذي يصيب النفس(٧٩).

* وقال القرطبي: «وهما لغتان: حزنني الأمر يُحْزِنني، وأحزنني أيضاً وهي لغة قليلة»(٨٠).

---

(٧٨) النشر في القراءات العشر (١٩٣/٢).

(٧٩) انظر: معجم مفردات ألفاظ القرآن ص١١٤.

(٨٠) الجامع لأحكام القرآن (٧٣٠/٣).

* وقال ابن كثير: «(ليُحْزِنك) بضم الياء وكسر الزاي؛ أن بين (أحزنته) و(حزنته) فرقاناً وهو أنَّ (أحزنته) أدخلته في الحزن أي أحاط به، و(حزنته) أوصلت له الحزن»[٨١].

﴿كَذَّبَ﴾: الكذب ضد الصدق وهو الإخبار عن الشيء لا على ما هو عليه، والكذب ضرب من القول والكذب يقال في المقال والفعال. ومعنى (لاَ يُكْذِبُونَكَ) عند أهل اللغة ينسبونك إلى الكذب، ويردون عليك ما قلت، أي: لا يجدونك تأتي بالكذب، كما تقول: أكذبته وجدته كذاباً، ويجوز أن يكون المعنى لا يثبتون عليك أنك كاذب. (لاَ يُكْذِبُونَكَ) بسكون الكاف وتخفيف الذال، وحكى الكسائي: عن العرب أكذبت الرجل إذا أخبرت أنه جاء بالكذب ورواه، وقال الزجاج: وكذّبته إذا قلت له كذَبت، وأكذبته إذا أردت أن ما أتى به كذب[٨٢].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

الآية الكريمة استئناف مسوق لتسلية قلب رسول الله ﷺ عن الحزن الذي يعتريه مما حُكي عن الكفرة من الإصرار على التكذيب والمبالغة، كما قال تعالى: مسلياً لنبيّه ﷺ في تكذيب قومه له ومخالفتهم إياه (قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ) أي: قد أحطنا علما بتكذيبهم لك وحزنك وتأسفك لقولهم، قال تعالى: (فلا تذهب نفسك عليهم حسرات). أي هم لا يتهمونك بالكذب فقط ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون عن يزيد المدني[٨٣]. أن النبي ﷺ: (لقي أبا جهل فصافحه قال له رجل ألا أراك تصافح هذا الصابئ فقال والله إنه لنبي ولكن متى كنا لبني عبد مناف

---

(٨١) تفسير ابن كثير (٢/١١٦).

(٨٢) انظر: تفسير التحرير والتنوير (٤/١٩٨).

(٨٣) يزيد المدني: هو أبو جعفر القارئ، يزيد بن القعقاع المدني الإمام، أحد العشرة، قرأ القرآن على مولاه عبد الله بن عياش. انظر معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار (١/١٧٢). وسنتوسع في ترجمته، عند الترجمة للقراء العشر إن شاء الله.

تبعا)[٨٤]. وتلا يزيد ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾.

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

وأفادت قراءة نافع وأبي جعفر (لِيُحزِنُك) بضم الياء وكسر الزاي فيها مواساة لقلب النبي ﷺ بأن لا يسيطر عليك الحزن ولا يحيط بك (الذي يقولون) وهو قولهم أنه ساحر كذاب؛ لأن تكذيبك أمر راجع إلى الله ﷻ فإنهم لا يكذبونك تعليل لما يشعر به الكلام السابق من النهي عن الاعتداد بما قالوا بطريق التسلي لما يفيده من بلوغه ﷺ في جلالة القدر ورفعة الشأن غاية ليس وراءها غاية حيث نفى تكذيبهم - قاتلهم الله تعالى - عنه ﷺ وأثبته لآياته، وفيه أيضاً استعظام لجنايتهم منبئاً عن عظم عقوبتهم كأنه قيل لا تعتد بهم ولا تهتم لقولهم، فَكِلْه إلى الله تعالى فإنهم - في تكذيبهم ذلك - لا يكذبونك في الحقيقة ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾[٨٥].

وأفادت قراءة (لا يَحْزُنهم) بفتح الياء وضم الزاي؛ بمعنى أنهم يريدون أن يوصلوا لك أدنى الحزن؛ ليصيبوك به لتحيا معه ولكن في الحقيقة التكذيب لم يكن لك وإنما هو لآيات الله ﷻ.

وحاصل القراءتين يبين مدى جحود الكفار، فهم يعلمون علماً يقينياً لا شك فيه صدق الرسول ﷺ فهو عندهم الصادق الأمين، ولكن الجحود في قوله تعالى: (**قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُون**) هنا اللام مبتدأ مسوق لتسلية رسول الله ﷺ لما ناله من الغم والحزن بتكذيب الكفار له ولآيات الله ﷻ ودخول قد للتكثير[٨٦].

---

(٨٤) أخرجه ابن كثير في تفسيره (١١٧/٢). ثم ذكر أنه صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(٨٥) انظر: حجة القراءات لابن زنجلة ص٢٤٦. تحقيق. سعيد الأفغاني. مؤسسة الرسالة - بيروت. الطبعة الخامسة . ١٩٩٧م. انظر المستنير في تخريج القراءات المتواترة (١٥٣/١). انظر: فتح القدير (١١١/٢).

(٨٦) روح المعاني (١٣٤/٧).

خامساً: وبالجمع بين القراءتين نجد أن العلاقة بين القراءتين هي علاقة لغوية باعتبار أن (يَحْزُن)، (يُحْزِن) لغتان تؤكد كلاهما معنى الأخرى في تسلية قلب رسول الله ﷺ عما ناله من الغم والحزن بتكذيب الكفار له ولآيات الله ﷻ والتي هي معجزته ﷺ وسلاحه في صدق نبوته، فإنهم حريصون بنفوسهم المريضة كل الحرص إما أن يوصلوه للحزن أو يوصلوا الحزن إليه.

٨ - ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الأنعام: ٣٧].

أولاً: القراءات:

١. قراءة ابن كثير (يُنْزِلَ) مخففاً.

٢. قرأ الباقون (ينُزِّلَ) بالتشديد والتخفيف(٨٧).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

﴿نزل﴾: النزول في الأصل هو انحطاط من علو، يقال نزل عن دابته ونزل في مكان كذا حط رحله فيه، وأنزله غيره، وإنزال الله تعالى إما نعمة أو نقمة على الخلق وإعطاؤهم إياها إما بإنزال الشيء نفسه كإنزال القرآن وإما بإنزال أسبابه والهداية إليه(٨٨).

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

تبين الآية الكريمة مدى إنكار كفار مكة وتعنتهم لدعوة النبي محمد ﷺ بقولهم هلا نزل عليه معجزة تدل على صدق نبوته كالناقة والعصا والمائدة وغيرها.

(٨٧) النشر في القراءات العشر (٢/١٩٣).

(٨٨) انظر: القاموس المحيط ص٥٠٩، مادة نزل.

* قال القرطبي: هذا تعنت منهم بعد ظهور كثير من البراهين وإقامة الحجة بالقرآن الذي عجزوا على أن يأتوا بسورة مثله.

فقال تعالى: قُلْ لهم يا محمد (**إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَن يُنَزِّلِ آيَةً**) أى أنه سبحانه قادر على أن يأتيهم بما اقترحوا فيأتيهم بآية تجمعهم على هدى ولن يهتدوا (**وَلَـكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ**) أي لا يعلمون أنّ ما اقترحوه لم يكن سبباً من أسباب الهداية للأمم السابقة إنما كان سبباً من أسباب العقاب والاستئصال، وعليهم أن يعلموا أن تنزيل الآية لا يكون خيراً لهم بل هو شر لهم؛ لأن حِكَم الله لا يعلمها إلا هو لأنه هو العليم الحكيم[٨٩].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة التشديد (ينزّل) أن في الأمر من الشدة بمكان حيث (قَالُواْ لَوْلاَ نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ) وأن موقفهم هنا موقف العنت والمجادلة بالباطل وتكذيبهم للنبي ﷺ واضح وظاهر؛ لذا كانت قراءة التشديد تناسب المقام لما أرادوا من زيادة التأكيد والتكرار والتكثير من إنزال المعجزات.

وأفادت قراءة التخفيف التدرج والتكرار وأن الإنزال عام، وقيل: إن ذلك هو الأكثر ولذلك سمي الكتاب تنزيلا؛ لأنه لم ينزل جملة واحدة بل سورة سورة وآية آية حسب الوقائع والأحداث[٩٠].

خامساً: وبالجمع بين القراءتين نجد أن القراءتين بينهما توافق، فقراءة التخفيف تفيد التدرج في النزول والتكرار الذي يفيد التقليل حسب ما تقتضيه المصلحة، وأما قراءة التشديد تفيد النزول والتكرار فالنزول الذي يفيد التكثير، وعليه أن ما طلبه رؤساء قريش الذين بلغ بهم الضلال، إلى حيث لم يقنعوا بما شاهدوه من الآيات والمعجزات البينات، التي تخر لها صُمُّ الجبال[٩١]، لهو

(٨٩) انظر: التحرير والتنوير (٤/٢١٠). انظر تفسير ابن كثير (١/٣٨٩). وتفسير المراغي ٧ ـ ٩/١١٦). وصفوة التفاسير (١/٣٨٩).

(٩٠) انظر: الكشاف (٢/٩١). وروح المعاني (٧/١٤٢).

(٩١) صمّ: الصمّ: المحكم، والصخرة الصماء التي ليس فيها خرق ولا صدع. والأصمّ: رجب لعدم سماع السلاح فيه، كان أهل الجاهلية يسمون رجباً شهر الله الأصم. انظر لسان العرب (١٢/٣٤٦). مادة صمّ.

دليل واضح على قدرة الله ﷻ الذي لا يعجزه أن ينزل القليل والكثير من الآيات، فقد اقتضت مشيئته ﷻ ألا يجيبهم على مقترحاتهم لحكمة هو يعلمها سبحانه[٩٢].

٩ ـ ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الأنعام: ٤٤].

أولاً: القراءات:

١. قرأ ابن عامر (فَتّحْنَا) بتشديد التاء أي مرة بعد مرة.

٢. قرأ الباقون (فَتَحْنَا) بالتخفيف[٩٣].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

﴿فَتَحَ﴾: الفتح إزالة الإغلاق والإشكال، وذلك ضربان، أحدهما: يدرك بالبصر كفتح الباب وكفتح القفل، والغلق والمتاع، والثاني: يدرك بالبصيرة كفتح الهم وهو إزالة الغم، والذي نحن بصدده الضرب الأول[٩٤].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

تتكلم الآية الكريمة عن لون من ألوان العقاب الذي ينزله الله ﷻ بالذين نسوا ما ذكروا به، وتركوا العمل بما أمروا به على ألسنة رسلهم ـ عليهم السلام ـ فبسط الله عليها بالرزق وأغدق عليها بالنعم والخيرات استدراجاً لهم؛ (حَتَّى إِذَا فَرِحُواْ بِمَا أُوتُواْ أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ) وهذا فتح استدراج ومكر، أي: بدلنا مكان البلاء والشدة؛ الرخاء والصحة (حَتَّى إِذَا فَرِحُواْ بِمَا أُوتُواْ) وهذا فرح بطر مثل فرح قارون بما أصاب من الدنيا، أخذناهم بغته: فجأة آمن ما كانوا وأعجب ما كانت الدنيا إليهم، فإذا هم مبلسون، آيسون من كل خير أي: فتحنا أبواب كل شيء كان مغلقاً

(٩٢) انظر: بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ص٦٧. فاضل السامرائي دار غمان الطبعة الأولى ١٩٩٩م.

(٩٣) انظر: حجة القراءات ص٢٥٠.

(٩٤) انظر: معجم مفردات ألفاظ القرآن ص ١١٤.

عنهم من الخير، فلما قست قلوبهم ولم يتفطنوا ونسوا ما ذكروا به من الوعظ فتحنا عليهم أبواب الخير والرخاء مكان البلاء والشدة حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغته[٩٥].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة ابي جعفر وابن عامر (فَتَّحْنَا) بالتشديد للتكثير، حتى إذا فرحوا فرح بطر بما أوتوا من النعم ولم يقوموا بحق المنعم ـ جل شأنه ـ أخذناهم وعاقبناهم وأنزلنا بهم العذاب بغتة ليكون أشد وقعاً وأكثر ألماً[٩٦].

والقراءة بالتشديد ـ للمبالغة فيَ الفتح بالكثرة، والتثقيل مؤذن بالتكثير؛ لأن بعده أبواب كما أفاده قوله تعالى: (أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ) فناسب التكثير والتثقيل [الأنعام: ٤٤]. وقراءة التخفيف فمن خفف فلأن الفعل واحد[٩٧].

خامساً: وبالجمع بين القراءتين نجد أن العلاقة بينهما لغوية تؤكد كل منهما الأخرى، وتحمل في طياتها معنى الاستدراج سواء بالتقليل أم بالتكثير فالنتيجة واحدة وهي الأخذ بغتة ليكونوا عبرة لمن يعتبر.

حيث إنّ قراءة التخفيف تدل على أن الله يفتح بالنعم بكميات قليلة. وبقراءة التشديد تدل على أن الله يفتح بالنعم بكميات كثيرة، فهو يبتليهم بالقليل والكثير، والفرح يكون في الحالتين، والنتيجة واحدة فإذا هم مبلسون: آيسون من كل خير ولله الحمد والمنة.

١٠ ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [الأنعام: ٥٢].

أولاً: القراءات:

---

(٩٥) انظر: تفسير جامع البيان (١٢٣/٥). وتفسير ابن كثير (١١٩/٢). وصفوة التفاسير (٣٩١/١).

(٩٦) انظر: تفسير التحرير والتنوير (٢٣٠/٤). انظر: روح المعاني (٧ ـ ٨ /١٥٢).

(٩٧) كتاب معاني القراءات ص ١٥٣. انظر: اللباب (١٥٠/٨). وتفسير البغوي (١٤٣/٣).

١. قرأ ابن عامر (بالْغُدْوة) بضم الغين وإسكان الدال وواو بعدها من غير ألف.

٢. قرأ الباقون (بِالْغَدَاةِ) بفتح الغين والدال وألف بعدها من غير واو[٩٨].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

﴿غَدًا﴾ : الغدوة والغداة من أول النهار وقوبل في القرآن الغدو بالآصال نحو قوله تعالى: (بالغدو والآصال) [الأعراف: ٢٠٥]، وقوبل الغداة بالعشي ـ كما هنا ـ في [الأنعام: ٥٢]؛ والغادية السحاب ينشأ غدوة، والغداء طعام يتناول في ذلك الوقت، وغداً يقال لليوم الذي يلي يومك الذي أنت فيه[٩٩].

* قال الراغب: الغدوة والغداة، والغداة من أول النهار، وقوبل الغداة والعشي ومن هذا يتبين أن الغدوة، والغداة لغتان بمعنى واحد، وهو أنهما طرف لأول النهار، والبكرة من صلاة الغداة وطلوع الشمس قال تعالى: (يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ) [الكهف: ٢٨][١٠٠].

والغدوة معرفة لا تصرف، ولا يدخل فيها الألف واللام إلا على تأويل التنكير، أوليزدوج الكلام كما قال الشاعر:

وجدنا الوليد بن اليزيد مباركاً شديداً بأحناء[١٠١] الخلافة كاهله.

أما الغداة فإنها تصرف ويدخل عليها الألف لأنها نكرة[١٠٢].

---

(٩٨) النشر في القراءات العشر (٢/ ١٩٤).

(٩٩) انظر: معجم مفردات ألفاظ القرآن ص٣٧٠.

(١٠٠) انظر: لسان العرب (٤/٣٢٢٠) مادة غدا.

(١٠١) أحناء: جمع حنو، والحنو كل شيء فيه إنحناء أو إعوجاج أو شبه إعوجاج، وأحناء الأمور هي أنحاء الأمور: أطرافها ونواحيها. انظر لسان العرب (٢/١٠٣٣).

(١٠٢) الشاعر: هو الرّماح بن أبرد، وينسب إلى أمه (ميادة) يمدح بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك، انظر مغني اللبيب ص ٧٥. وشرح شواهده ص٦٠. والرواية فيهما بأعباء الخلافة.

سبب نزول الآية:

عن سعد بن أبي وقاص قال: كنا مع النبي ﷺ ستة نفر، فقال المشركون للنبي: اطرد هؤلاء لايجترئون علينا، وقال كنت أنا وابن مسعود، ورجل من هذيل، وبلال، ورجلان، لست أسميهما، فوقع في نفس رسول الله ﷺ ماشاء الله أن يقع فأنزل الله (**وَلاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ**).

* وقال سلمان وخباب بن الأرث فينا نزلت هذه الآية جاء الأقرع بن حابس التيمي وعيينة بن حصن الفزاري وذووهم من المؤلفة قلوبهم فوجدوا[١٠٣] النبي ﷺ قاعدا مع بلال وصهيب وعمار وخباب في ناس من ضعفاء المؤمنين فلما رأوهم حوله حقروهم فأتوه فقالوا يا رسول الله لو جلست في صدر المجلس ونفيت عنا هؤلاء وأرواح جبابهم وكان عليهم جباب صوف لها رائحة لم يكن عليهم غيرها، لجالسناك وأخذنا عنك فقال النبي ﷺ لهم ما أنا بطارد المؤمنين، قالوا: فإنا نحب أن تجعل لنا منك مجلساً تعرف به العرب فضلنا فإن وفود العرب تأتيك فنستحي أن ترانا العرب مع هؤلاء الأعبد فإذا نحن جئناك فأقمهم عنا فإذا نحن فرغنا فاقعد معهم ـ إن شئت ـ قال: نعم قالوا أكتب لنا عليك بذلك كتاباً. قال: فدعا بالصحيفة ودعا علياً ليكتب قالوا: ونحن قعود في ناحية إذ نزل جبريل بقوله: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ إلى قوله: ﴿بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾ فألقى ﷺ الصحيفة من يده ثم دعانا فأتينا وهو يقول سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة فكان الرسول ﷺ يقعد معنا بعد وندنو منه حتى كانت ركبنا تمس ركبته فإذا بلغ الساعة التي يقوم فيها قمنا وتركناه حتى يقوم، وقال: الحمد لله الذي لم يمتني حتى أمرني أن أصبر نفسي مع قوم من أمتي، معكم المحيا ومعكم الممات[١٠٤].

---

(١٠٣) أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة. صحيح مسلم (١٨٧٨/٤) حديث رقم ٦٣٩٤.

(١٠٤) انظر: التحرير والتنوير (٢٤٥/٤).

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

تتحدث الآية الكريمة عن أمر الله ﷻ لرسوله الكريم بأن يصبر نفسه على مجالسة الفقراء من المؤمنين المخاصين، وأن لا يترك مجالستهم إرضاءً للسادة والكبراء من ذوي الشرف والغنى.

* قال الجزائري: «أمر الله ﷻ نبيه ﷺ أن يصبر نفسه، أي يحبسها مع أولئك المؤمنين الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي، أي أول النهار وآخره، مخلصين له الذين لا يبتغون إلا مرضاة الله ﷻ وقد اقترح عليه ﷺ بعض المشركين أن يبعد من مجلسه فقراء المؤمنين كبلال وعمار وصهيب حتى يجلسوا إليه ويستمعوا عنه فهمَّ الرسول ﷺ أن يفعل رجاء هداية أولئك، فنهاه أن تتجاوز عيناه ضعفاء المؤمنين وفقراءهم بسبب أن ثيابهم رثة ولها رائحة لأنها كانت من الصوف، محتقراً لهم طامعاً في هداية أهل الغنى والشرف، فنهاه عن طاعة الغافل عن ذكر الله المتبع لهواه، وبالغ في الزجر عن هذا الهمِّ بأنه ليس عليه حسابهم، وهم ليس عليهم تحمل مسؤلياتك وتبعاتك، فلا تفعل، ولن تفعل فحبس ﷺ نفسه عنهم وكان يقول لهم: الحمد لله الذي لم يمتني حتى أمرني أن أصبر نفسي مع قوم من أمتي، معكم المحيا ومعكم الممات»[١٠٥].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (بِالْغَدَاةِ) أن الله ﷻ قد أمر نبيه ﷺ أن يصبر نفسه على مجالسة الفقراء من المؤمنين الذين يدعون ربهم بالغداة (أول النهار) والعشي (آخر النهار) أي: في كل وقت وحين ابتغاء مرضاة الله ﷻ[١٠٦].

---

(١٠٥) أيسر التفاسير (٦٤/٢). وانظر أضواء البيان (٣٧٩/٢ ـ ٣٨١). والمقتطف (١٢١/٢ ـ ١٢٢).

(١٠٦) كتاب التذكرة (٣٩٨/٢).

* قال النسفي: «(**وَلاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ**) وأثنى عليهم بأنهم يواصلون دعاء ربهم أي عبادته ويواظبون عليها والمراد بذكر الغداة والعشى الدوام، أو معناه: يصلون صلاة الصبح والعصر أو الصلوات الخمس بالغدوة (شامي). ووسمهم بالإخلاص في عبادتهم بقوله: (يريدون وجهه) فالوجه يعبر به عن ذات الشئ وحقيقته نزلت في الفقراء بلال وصهيب وعمار وأضرابهم»(١٠٧).

وأفادت قراءة (بالْغُدْوة) أن أولئك الفقراء رغم كونهم نكرة في مجتمع السادة والكبراء، إلا أنهم نالوا أعلى المنازل والدرجات عند الله ﷻ فكان يقول لهم النبي ﷺ مرحباً بمن عاتبني بهم ربي، معكم المحيا ومعكم الممات.(١٠٨)

* قال ابن خالويه: «(غداة) نكرة فإذا عرِّفت بالألف واللام جاءت مطابقة، لذلك اتفقا في التعريف بالألف واللام. ومن قرأها بالواو اتبع الخط في السواد بالواو؛ لأنها إنما كتبت كما كتب (الصلاة) و(الزكاة) و(الحياة) وهذا غير مسلم به؛ لأن (غدوة) إذا أردت بها غدوة يومك فلا تستعمل إلا معرفة بغير ألف ولام ودخول ألف ولام عليها محال؛ لأنه لا يعرف الاسم من وجهين، وجاز في الغداة؛ لأنه لم يقصد بها قصد غداة بعينها وهذا من لغة العرب وقد تجعلها نكرة كقولهم (لدن غدوة)»(١٠٩).

خامساً: وبالجمع بين القراءتين نجد أنَّ الله ﷻ قد أمر نبيه ﷺ بتصبير نفسه على مجالسة فقراء المؤمنين الذين من صفاتهم طاعة الله وملازمة أمره في كل وقت وحين، فغدوة مُعَرفة وتعريفها (بال) بالغدوة يزيدها معرفة على معرفة، وغداة نكره وتعريفها (بال) يجعلها معرفة ويظهر من القراءتين بيان من حالهم من الملازمة بما يقتضي الإخلاص؛ فقال بالغداة والعشي المعرفة

(١٠٧) تفسير النسفي (١٣/٢). انظر: روح المعاني (٧ ـ ٨ /١٦٢).

(١٠٨) انظر: المغني (٤٧/٢). وتناسب الدرر (٢/ ٦٤٢).

(١٠٩) انظر: الحجة (٧٤ ـ ٧٥). وحجة القراءات ص ٢٥١.

وبالغدوة التي زادتها معرفة على معرفة أي في طرفي النهار مطلقاً أو بصلاتيهما (بالغداة والعشي) فهو كناية عن الدوام، ثم أتبع ذلك بنتيجته فقال معبراً عن الذات بالوجه؛ لأنه أشرف على ما نتعارفه، وتذكره يوجب التعظيم ويورث الخجل من التقصير، كما ونهاه ﷺ عن مجالسة ذوي الغنى والشرف فهم لا قيمة لهم والمكانة والمنزلة هي لأهل التقوى وهذا الميزان الرباني للمقاييس قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات: ١٣].

١١ ـ ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِنَا فَقُلْ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَـٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ [الأنعام: ٥٤]

أولاً: القراءات:

١. قرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب ﴿أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ... فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ بفتح الهمزة، فيهما، ووافقهما المدنيان في الأولى.

٢. قرأ الباقون (إِنَّهُ مَن عَمِلَ... فَإِنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) بالكسر فيهما[110].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(إن، وأن) ينصبان الاسم ويرفعان الخبر، والفرق بينهما أنَّ إنَّ يكون ما بعده جملة مستقلة، وأنَّ يكون ما بعده في حكم مفرد يقع موقع مرفوع ومنصوب ومجرور[111].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

تتحدث الآية الكريمة بعد أن نهى الله ﷻ النبي ﷺ عن طرد المستضعفين من حضرته، استمالة لكسب الكبراء المتكبرين من قومه، وطمعاً في إقبالهم عليه وسماعهم لدعوته ـ كما اقترحه بعض المشركين ـ أمره بأن يلقى الذين يدخلون في الإسلام آناً بعد آن عن بينة وبرهان بالتحية

(١١٠) النشر في القراءات العشر (٢/ ١٩٤).

(١١١) انظر: معجم مفردات ألفاظ القرآن ص٢٢.

والسلام، والتبشير بالرحمة والمغفرة، ووصفهم بالإيمان، كما وصفهم بالإخلاص، تنبيهاً على إحرازهم العلم والعمل، ومن كان كذلك ينبغي أن يقرب ولا يطرد، يعز ولا يذل، ويبشر من الله بالسلامة في الدنيا والرحمة في الآخرة بالمغفرة والرضوان، فقد كتب ربكم على نفسه الرحمة وأوجبها على ذاته المقدسة، بطريقة التصدق والإحسان على عباده، ومن عمل ذنباً جاهلاً بحقيقة ما يتبعه من المضار والمفاسد، فإن تاب وجاء بالتوبة على أصولها وشروطها، أي فشأنه سبحانه أنه مبالغ في المغفرة والرحمة له(١١٢).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة ﴿فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أن شأن الله ﷻ وأمره مبالغ في المغفرة والرحمة له فإنَّ وما بعدها خبر مبتدأ محذوف، والجملة خبر من أو جواب الشرط، والخبر حينئذ على الخلاف وقدر بعضهم فله أنه. . .الخ. أو فعليه أنه. . .الخ. وحينئذ يجوز الرفع على الابتداء والرفع على الفاعلية. وقيل: إن المنسبك في موضع نصب بفعل محذوف، أي فليعلم أنه. . .الخ. وقيل: إن هذا تكرار لما تقدم لبعد العهد، وقيل: بدل منه. وقراءة فتح الهمزة، أن تكون أنّ واسمها في موضع نصب بدل من الرحمة، وتكون الجملة منتظمة في حيز القول(١١٣).

وأفادت قراءة (**إِنَّهُ مَن عَمِلَ. . .فَإِنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**) على كسر الهمزة، فالجملة استئنافية، مسوقة لتفسير الرحمة، وتكون الهاء ضمير الشأن اسم إنَّ، ومَنْ اسم شرط جازم أو موصولية؛ وهي مبتدأ على كل حال، وأن المفتوحة الهمزة وما في حيزها خبر لمبتدأ محذوف، أي فأمره ومآله غفران الله له، وغفور رحيم له، و(غفور رحيم) خبران لأن، ومن قرأ بهمزة إنَّ على الاستئناف، (من عمل) خبر إنَّ، وفعل الشرط وجوابه خبر منْ(١١٤).

(١١٢) انظر: المقتطف (١٢٣/٢).

(١١٣) انظر: روح المعاني (٧ ـ ٨ / ١٦٤).

(١١٤) انظر: إعراب القرآن الكريم وبيانه (٣٧٦/٢). تأليف الأستاذ محيى الدين الدرويش. دار ابن كثير واليمامة ـ دمشق، بيروت. طبعة منقحة ومصححة ومفهرسة. الطبعة الثامنة ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

خامساً: وبالجمع بين القراءتين نجد أن آيات الله فيها بشرى من الله بالسلامة في الدنيا والرحمة في الآخرة لمن تاب وأناب وعمل صالحاً، فقد كتب ربكم على نفسه الرحمة الشاملة (**أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**) فبالفتح يكون أنّ واسمها في موضع نصب بدل من الرحمة، وفيه توكيد وجوب الرحمة والمغفرة للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا، وبفتح الأولى وكسر الثانية فإنّ أمره ومآله غفران الله له ورحمته وكذلك هي واجبة، وأما على قراءة الكسر استئناف لوقوعها بعد الفاء وجملة (من عمل) خبر إنَّ، وفعل الشرط وجوابه خبر مَنْ، وتقديره فأمره غفران الله له(١١٥).

وبجميع القراءات يتبين أن رحمة الله فيها بشرى من الله ﷻ بالسلامة في الدنيا، والرحمة في الآخرة لمن تاب وأناب، فهو شديد المغفرة والرحمة، وهي كناية عن وجوب المغفرة لهذا التائب إلى الله.

١٢ ـ ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الأنعام: ٥٥].

أولاً: القراءات:

١. قرأ حمزة والكسائي وخلف وأبو بكر (وَلِيسْتَبِينَ) بالياء على التذكير.

٢. قرأ الباقون (وَلِتَسْتَبِينَ) بالتاء على التأنيث أو الخطاب.

١. قرأ المدنيان (سَبِيلَ) بنصب اللام.

٢. وقرأ الباقون (سَبِيلُ) برفعها(١١٦).

---

(١١٥) انظر: أيسر التفاسير (٢/٦). المسمى أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير وبهامشه (نهر الخير على أيسر التفاسير) تأليف أبي بكر الجزائري مكتبة العلوم والحِكَم ـ المدينة المنورة. وحيثما يأتي سأكتفي بقولي: أيسر التفاسير.

(١١٦) النشر في القراءات العشر (٢/ ١٩٤).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

﴿وَلِتَسْتَبِينَ﴾ : من التبيين والتوضيح، والتفصيل مشتق من الفصل، وهو تفرق الشيء عن الشيء، ولما كانت الأشياء المختلطة ـ إذا فصلت ـ يتبين بعضها من بعض، أطلق التفصيل على التبيين بعلاقة اللزوم، وشاع ذلك حتى صار حقيقة، ومن هذا القبيل أيضاً تسمية الإيضاح تبييناً وإبانة، فإن أصل الإبانة القطع، والمراد بالتفصيل الإيضاح، أي الإتيان بالآيات الواضحة الدلالة على المقصود منها.

﴿سَبِيلِ﴾ : هو الطريق الذي فيه سهولة وجمعه سبل، والسبيل يعبر به عن المحجة وسبيل الله طريق الهدى(١١٧).

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

تبين الآية الكريمة بأن السورة العظيمة تفصل الدلائل والحجج على ضلالات المشركين، مما تبين وتوضح أمور الدين، قال تعالى: (وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِين) أي لتوضح وتظهر طريق المجرمين فينكشف أمرهم وتستبين سبيلهم، وَلتستوضح يا رسول الله سبيلهم فتعامل كلاً منهم بما يستحقه ولذلك فصلنا هذا التفصيل، ولم يذكر سبيل المؤمنين؛ لأن ذكر أحد القسمين، يدل على الآخر(١١٨).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (وَلِتَسْتَبِينَ) بالفوقية على الخطاب للنبي ﷺ أي لتستبين يا محمد سبيل المجرمين (سَبِيلَ) منصوب على قراءة نافع، ففي الفعل ضمير المخاطب، وسبيل مفعوله، وهو على قولك استبنت الشيء. وأفادت قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وحفصٍ (سَبِيلُ) بالرفع فالفعل مسند إلى

---

(١١٧) انظر: لسان العرب ٣١٩/١١. التحرير والتنوير (٢٦٠/٤).

(١١٨) المقتطف من عيون التفاسير (١٢٤/٢). انظر: صفوة التفاسير (٣٩٣/١).

سبيل، وأما (وَلِيسْتَبِينَ) على التحتية فالفعل مسند إلى سبيل أيضاً.

وأفادت قراءة حمزة والكسائي (سَبِيلُ) بالرفع وإذا استبان سبيل المجرمين فقد استبان سبيل المؤمنين(١١٩).

وأفادت قراءة حمزة والكسائي وأبو بكر (وَلِيسْتَبِينَ) بالياء (سَبِيلُ) بالرفع فالفعل مسند إلى السبيل إلا أنه ذكر كما في قوله تعالى: (يتخذوه سبيلاً) والمعنى ليستبين سبيل المؤمنين وسبيل المجرمين وحذف لأن أحد السبيلين يدل على الآخر(١٢٠).

وأفادت قراءة الباقين (وَلِتَسْتَبِينَ) بالتاء (سَبِيلُ) بالرفع أي ليظهر وليتضح، سبيل يذكر ويؤنث، فدليل التذكير قوله تعالى: ﴿وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًاۚ﴾ [الأعراف: ١٤٦] دليل الثأنيث قوله تعالى: ﴿لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران: ٩٩](١٢١).

وعليه يكون تفصيل الآيات بشأن الطائعين من فقراء المؤمنين، والعاصين من زعماء قريش ليتضح لك يا محمد طريق الفريقين فتعامل كلاً بما يناسبه.

خامساً: وبالجمع بين القراءتين نجد أن كلاً من القراءتين تفسر إحداهما الأخرى؛ فسبيل المجرمين قد بُينت بهذا القرآن، وأن المقصود الأول بهذا البيان هو الرسول ﷺ كأن معناها ولتستبين أنت يا محمد سبيلَ المجرمين فتعاملهم بما يناسبهم؛ والخطاب للنبي ﷺ ولورثِته من المسلمين من بعده، وكما هو معلوم فالعرب تؤنث وتذكر السبيل، ومن إحدي الحكم

(١١٩) انظر: فتح القدير للشوكاني (١٢١/٢).

(١٢٠) انظر: المستنير (١٥٦/١). وتفسير البغوي (١٤٩/٣).

(١٢١) انظر: مجمع البيان (٦٥/٤). المسمى مجمع البيان في تفسير القرآن. تأليف أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي. دار الفكر بيروت لبنان. ١٩٩٤م. وحيثما يأتي سأكتفي بقولي: مجمع البيان.

الكبيرة لتصريف الآيات في هذا القرآن بهذه الطريقة الرائعة، يعني بيان سبيل المجرمين؛ لأن سبيل المجرمين إذا بانت تجتنب؛ وبذلك تكون قد بانت سبيل المؤمنين فتتبع.

١٣ ـ ﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِۦ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [الأنعام: ٥٧].

أولاً: القراءات:

١. قرأ المدنيان وابن كثير وعاصم (يَقُصُّ) بالصاد مهملة مشددة من القصص.

٢. وقرأ الباقون (يَقْضِ) بإسكان القاف وكسر الضاد معجمة من القضاء[١٢٢].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

﴿قص﴾ : القص تتبع الأثر، يقال قصصت أثره والقصص الأثر، والقصص الأخبار المتتبعة، والقص هو البيان، والقاص من يأتي بالقصة[١٢٣].

﴿قضى﴾ : القضاء فصل الأمر قولاً كان ذلك أو فعلاً ويحتمل القضاء بالقول والفعل جميعاً[١٢٤].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

الآية الكريمة تخاطب النبي ﷺ بأن يقول: لهؤلاء العادلين بربهم الداعين لك بالإشراك إني على بينة من ربي وعلى بصيرة من شريعة الله التي

---

(١٢٢) النشر في القراءات العشر (٢/١٩٤).

(١٢٣) انظر: القاموس المحيط ٨٠٩. مادة قص. للعلامة اللغوي مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي المتوفي سنة ٨١٧هـ. تحقيق مكتب التراث في مؤسسة الرسالة. الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م. وحيثما يأتي سأكتفي بقولي: القاموس المحيط.

(١٢٤) معجم مفردات ألفاظ القرآن (٤٢٠/٤٢١).

أوحاها الله إليّ وكذبتم بها، أي بالحق الذي جاءني من الله، ما عندي ما تستعجلون به، أي من العذاب، إن الحكم إلا لله...؛ ثم أمره الله ﷻ أن يقول لهم لو أن عندي ما تستعجلون به أي: ما تطلبون تعجيله بأن يكون إنزاله بكم مقدوراً لي وفي وسعي لقضي الأمر بيني وبينكم، أي لقضى الله الأمر بيننا بأن ينزله الله ﷻ بكم بسؤالي له، وطلبي ذلك، يرجع أمر ذلك إلى الله ﷻ إن شاء عجل لكم ما سألتموه من ذلك، وإن شاء أنظركم وأجلكم لما له في ذلك من الحكمة العظيمة؛ ولهذا قال: ﴿يَقُصُّ ٱلْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ﴾ أي: هو خير من فصّل القضايا وخير الفاتحين في الحكم بين عباده ﴿قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٨﴾﴾ [الأنعام: ٥٨] فلو كان مرجع ذلك إليَّ لأوقعت لكم ما تستحقونه من ذلك[١٢٥].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة نافع وابن كثير وعاصم (يَقُصُّ) بالقاف والصاد المهملة، الحق هو من يقص القصص الحق أو من قص أثره أي يتبع الحق فيما يحكم به.

وأفادت قراءة الباقين (يَقْضِي) بالضاد المعجمة، وهو من القضاء أي يقضي القضاء الحق بين عباده، والحق منتصب على المفعولية أو على أنه صفة لمصدر محذوف، أي: يقضي القضاء الحق أو يقص القصص الحق وهو خير الفاصلين، أي: بين الحق والباطل بما يقضي به بين عباده، ويفصله لهم في كتابه[١٢٦].

(يقص الحق) من قص الحديث أو من قص الأثر أي اتبعه، وقد سئل أهو يقص الحق أم يقضي الحق؟ فقال: لو كان يقص لقال وهو خير

(١٢٥) انظر: تفسير الطبري (١٣٥/٥). وتفسير ابن كثير (١٢٣/٢).

(١٢٦) انظر: فتح القدير (١٢٢/٢).

القاصين، والمقام وهو خير الفاصلين فإنما يكون الفصل في القضاء وقد جاء الفصل في القول كذلك كما في قوله تعالى (**إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ**)(١٢٧).

وجملة (وهو خير الفاصلين) أي يقص ثم يقضي بالحق، فلا يكون قضاء حق بدون قصص حق، وهو خير من يفصل بين الناس، أو يقضي بالحق(١٢٨).

خامساً: وبالجمع بين القراءتين نجد أن العلاقة بينهما تفسيرية قائمة على الترتيب؛ لأن القص هو خطوة متقدمة عن القضاء فالله ﷻ إنما يقص الحق فيما يخبر به في القرآن العظيم، وأنه يقضي بالحق فيما جاء به الشرع الحكيم، وجاءت القراءتان بمعنيين متتابعين، دون أن يكون بينهما اختلاف أو تناقض، القرآن هو كل خبر فيه حق، وكذلك القرآن هو كل قضاء فيه حق فحسب حقيقة القصة، تكون حقيقة القضاء وهكذا تكون النتائج مترتبة على حسب المعطيات(١٢٩).

١٤ ـ ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الأنعام: ٦١].

أولاً: القراءات:

١. قرأ حمزة (تَوَفَّاهُ) بألف ممالة بعد الفاء والواو.

٢. قرأ الباقون (تَوَفَّتْهُ) بتاء ساكنة بعدهما(١٣٠).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

﴿وَفِيٓ﴾ : الوافي الذي بلغ التمام يقال درهم واف وكيل واف وأوفيت الكيل والوزن، ويقال: «وفى بعهده، يفي، وفاء وأوفى، إذا أتمَّ

(١٢٧) انظر: البحر المحيط (٥٣١/٤).

(١٢٨) انظر: التحرير والتنوير (٢٦٨/٤).

(١٢٩) انظر: القراءات وأثرها في التفسير (٥٤٦/٢). د. محمد سالم محيسن. دار الجيل ـ بيروت. الطبعة الأولى ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م.

(١٣٠) النشر في القراءات العشر (١٩٤/٢).

العهد ولم ينقض حفظه»(١٣١).

وتوفية الشيء: بذله وافياً، واستيفاؤه: تناوله وافياً(١٣٢).

ومن المجاز: توفى فلان وتوفاه الله تعالى، أي أدركته الوفاة(١٣٣).

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

تتحدث الآية الكريمة عن عظمة الله ﷻ فهو القاهر فوق عباده والغالب، لا المقهور أو المغلوب ويرسل عليهم حفظة وهم الملائكة الذين يحفظون أعمال بني آدم ويحصونها ولا يفرطون ولا يضيعون ما أحصوه؛ ويتعاقبونهم ليلاً ونهاراً، ومن رسله ملك الموت وأعوانه أنهم يسلون الروح من الجسد حتى إذا كان عند ذلك قبضها ملك الموت، وقال الكلبي(١٣٤): يقبض ملك الموت ـ الروح من الجسد ثم يسلمها إلى ملائكة الرحمة إن كان مؤمناً، أو إلى ملائكة العذاب إن كان كافراً، ويقال معه سبعة من ملائكة الرحمة وسبعة من ملائكة العذاب فإذا قبض نفساً مؤمنة دفعها إلى ملائكة الرحمة فيبشرونها بالثواب ويصعدون بها إلى السماء وإذا قبض نفسا كافرة دفعها إلى ملائكة العذاب فيبشرونها بالعذاب ويفزعونها ثم يصعدون بها إلى السماء ثم ترد إلى سجين وروح(١٣٥) المؤمن إلى عليين؛ ثم تنبئ

(١٣١) انظر: معجم مفردات ألفاظ القرآن ص ٤١٩.

(١٣٢) انظر: المفردات في غريب القرآن مادة وفَى ٥٢٨.

(١٣٣) انظر: أساس البلاغة مادة وفّى (٥٠٥/٢). للإمام الكبير جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري المتوفى ٥٣٨هـ. تحقيق الأستاذ عبد الرحيم محمود.

(١٣٤) الكلبي هو: عيسى بن سعيد بن سعدان الإمام أبو الأصبغ الكلبي الأندلسي القرطبي المقرئ؛رحل وقرأ القراءات على بن نصر الشذائي، وأبي أحمد السامري، وأبي حفص الكتاني، وأقرأ في مسجد قرطبة. توفي في جمادى الآخرة سنة تسعين وثلاثمائة كهلاً وانقطعت رواياته. انظر معرفة القراء الكبار على الطبقات والإعصار (٧٢٥/٢) تأليف. الإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد ابن عثمان الذهبي المتوفى سنة ٧٤٨هـ ـ ١٣٤٨م. تحقيق د. طيّار آلتى قولاج. الطبعة الأولى ـ استانبول ـ ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م. ووحيثما يأتي سأكتفي بقولي: معرفة القراء الكبار.

(١٣٥) الدر المنثور. جلال الدين السيوطي. دار الفكر بيروت ـ ١٩٩٣. م وذكر في المستدرك بمعنى الرواية (٩٣/١).

عن الأمر العظيم وهو الوقوف بين يدي الله ليحاسبنا على أعمالنا فهي غير مفرط بها ولا مضيعة[١٣٦].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة حمزة (تَوَفَّاهُ) بألف ممالة بعد الفاء والواو، رسلنا يعني أعوان ملك الموت يقبضونه فيدفعونه إلى ملك الموت فيقبض روحه كما قال قل يتوفاكم ملك الموت، وقيل الأعوان يتوفونه بأمر ملك الموت فكأن ملك الموت توفاه لأنهم يصدرون عن أمره، وقيل أراد بالرسل ملك الموت وحده فذكر الواحد بلفظ الجمع[١٣٧].

وأفادت قراءة الباقين (تَوَفَّتْهُ) بتاء الضمير كما قيل للكل المدلول عليه بأحد وهو السر في مجيئه بطريق الالتفات والإفراد أولاً والجمع آخراً لوقوع التوفي على الانفراد والرد على الاجتماع، وذهب بعض المحققين أن فيه التفاتاً من الخطاب إلى الغيبة ومن المتكلم اليها، لأن الرد يناسبه الغيبة بلا شبهة، وإنْ لم يكن الرد حقيقة لأنهم ما خرجوا من قبضة حكمه ﷻ طرفة عين[١٣٨].

* قال الألوسي: عن قتادة قال: «إن ملك الموت له رسل يباشرون قبض الأرواح ثم يدفعونها إلى ملك وقيل أن ملك الموت هو الذي يلي ذلك ثم يدفع الروح إن كانت مؤمنة إلى ملائكة الرحمة، وإنْ كانت كافرة إلى ملائكة العذاب والأكثرون على أن المباشر ملك الموت وله أعوان من الملائكة وإسناد الفعل إلى المباشر والمعاون معاً مجاز، كما يقال بنو فلان قتلوا قتيلا والقاتل واحد منهم وقد جاء إسناد الفعل الى ملك الموت فقط باعتبار أنه المباشر وإلى الله تعالى باعتبار أنه سبحانه الآمر الحقيقي وأن

(١٣٦) انظر: تفسير الطبري (١٣٩/٥). وتفسير القرطبي (١٠/٤).

(١٣٧) تفسير: معالم التنزيل (٣/ ١٥١).

(١٣٨) انظر: المستنير (١٥٨/١).

المراد بالرسل هنا الحفظة فيكون المعنى يرسلهم للحفظ في الحياة والتوفي عند مجيء الممات(١٣٩).

خامساً: وبالجمع بين القراءتين نجد أن العلاقة بينهما علاقة بلاغية تفسيرية بأن الله هو القابض الحقيقي للأرواح وأنه الآمر بقبض الأرواح بيده وحده لا بيد غيره فله الأمر، وأن ملك الموت يتوفى الروح ثم يسلمها إلى أعوانه من ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب؛ فإن ملك الموت هو الذي يلي ذلك بأمر الله، ثم يدفع الروح إن كانت مؤمنة إلى ملائكة الرحمة، وإن كانت كافرة إلى ملائكة العذاب، وقد جاء إسناد الفعل إلى ملك الموت باعتبار أنه القابض المباشر؛ وإلى الله تعالى باعتباره الآمر الحقيقي دون تقديم أو تأخير ولو لحظة واحدة. . .الآية.

١٥ ـ ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [الأنعام: ٦٣، ٦٤].

أولاً: القراءات:

١. قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر (قُلْ مَن يُنَجِّيكُمْ). . .(قلِ اللهُ يَنجِّيكُمْ) يقرءان بالتشديد.

٢. قرأ عاصم وحمزة والكسائي (لَّئِنْ أنجَانَا) بألف، وغير تاء ولا ياء على لفظ الغيبة. . .(قُلْ مَن يُنَجيِّكم).

٣. قرأ الباقون (لَّئِنْ أَنجَيْتَنا) بياء تحتية ساكنة بعد الجيم، وبعدها تاء فوقية مفتوحة، على الخطاب خفيفة. . .(قُلْ مَن يُنْجِيكم)(١٤٠).

---

(١٣٩) تفسير روح المعاني (٧ ـ ٨ / ١٧٧). انظر: المقتطف (١٢٨/٢). المسمى المقتطف من عيون التفاسير لفضيلة الشيخ مصطفى الحصن المنصوري. حققه وخرج أحاديثه. محمد علي الصابوني. دار السلام للطباعة القاهرة. الطبعة ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م. وحيثما يأتي سأكتفي بقولي: المقتطف.

(١٤٠) النشر في القراءات العشر (٢/ ١٩٤). انظر: كتاب معاني القراءات ص١٥٦.

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

﴿نَجَا﴾: أصل النجاء الخلاص من الشيء، والانفصال منه؛ ومنه نجا فلان من فلان وأنجيته ونجيته[141] (أنجيتنا) وفي قراءة (أنجانا): أي الله[142].

ثالثاً: المعنى الإجمالي للآية:

الآية الكريمة تذكر هؤلاء المنكرين لنعم الله ﷻ بالنجاة من الظلمات والشدائد وكفرهم لهذه النعم، فإن خفتم الهلاك دعوتموه فإذا نجّاكم كفرتموه، وهذا تقريع وتوبيخ فبعد معرفتكم لهذا كله وتحققه لكم تشركون ولا تؤمنون!

* يقول الله ﷻ ممتناً على عباده، في إنجائه المضطرين منهم من ظلمات البر والبحر، أي الحائرين الواقعين في المهامة البرية، وفي اللجج البحرية، إذا هاجت الرياح العاصفة، فحينئذٍ يفردون الدعاء له وحده لاشريك له، كقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [يونس: ٢٢]. الآية، (بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ) الآية، وقوله تعالى في الآية الكريمة: (**قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ**) أي: قل يا محمد لهؤلاء الكفرة من ينقذكم ويخلصكم في أسفاركم من شدائد وأهوال البر والبحر؟ (تَدْعُونَهُ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً) أي: تدعون ربكم عند معاينة هذه الأهوال مخلصين له الدعاء مظهرين الضراعة جهراً وسراً، تضرعاً بألسنتكم وخفية في أنفسكم، قال ابن عباس: المعنى تدعون ربكم علانية وسرا قائلين (لَئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَـذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ) أي: لئن خلصتنا من

---

(١٤١) انظر: لسان العرب (١٥/٣٠٤) مادة نجا.

(١٤٢) انظر: تفسير الجلالين ص١٧٢.

هذه الظلمات والشدائد لنكونن من المؤمنين الشاكرين والغرض: إذا خفتم الهلاك دعوتموه فإذا نجّاكم كفرتموه (قُلِ اللّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا) أي: بعد هذه النعم، (تُشْرِكُونَ) أي: تدعون معه في حال الرفاهية آلهة أخرى(١٤٣).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (قُلْ مَن يُنَجِّيْكُمْ) بالتشديد من الظلمات الكثيرة القبر والبحر، أي: من شدائدهما وأهوالهما كانوا إذا سافروا في البر والبحر فضلوا الطريق وخافوا الهلاك دعوا الله مخلصين له الدين فينجيهم فذلك قوله تعالى: (تدعونه تضرعا وخفية) أي: علانية وسراً.

وأفادت قراءة (لَّئِنْ أَنجَيْتَنا)على الخطاب لئن أنجيتنا، أي: يقولون لئن أنجيتنا وقراءة أهل الكوفة لئن أنجانا الله من هذه يعني: من هذه الظلمات لنكونن من الشاكرين والشكر هو معرفة النعمة مع القيام بحقها(١٤٤).

أفادت قراءة (لَّئِنْ أَنجَانَا) بألف ـ من هذه ـ يعني: من هذه الظلمات لنكونن من الشاكرين؛ حيث الزيادة في المبنى تدل على الزيادة في المعنى في دعائهم إياه عند الشدائد (ينجّيكم) بالتشديد للتكثير من ظلمات كثيرة، يعني ظلمة البر، وظلمة البحر، وظلمة الليل، وظلمة الغيم، وقيل التشديد للتكثير.

* وقراءة الكوفيين (لَّئِنْ أَنجَانَا) واتساق المعنى بالتاء كما قرأ أهل المدينة وأهل الشام قوله تعالى: (قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب)، وقراءة الكوفيون (ينَجّيكَم) بالتشديد والباقين بالتخفيف، قيل معناهما واحد مثل نجا وأنجيته ونجيته وقيل التشديد للتكثير.

الكرب الغمّ يأخذ بالنفس، يقال: رجلٌ مكروب والكرب الغم يأخذ

---

(١٤٣) انظر: تفسير ابن كثير (٢/١٢٥). وصفوة التفاسير (١/٣٩٦).

(١٤٤) انظر: تفسير البغوي (٣/ ١٥٢). المسمى معالم التنزيل. للإمام محيي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي المتوفى سنة عشر وخمسمائة هـ. حققه وخرج أحاديثه محمد بن عبد الله النمر، وآخرون، دار طيبة ـ الرياض الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ ـ ١٩٩٨م. وحيثما يأتي سأكتفي بقولي: تفسير البغوي.

بالنفس يقال منه رجل مكروب قال عنترة:

ومكروب كشفت الكرب عنه بطعنة فيصل[(١٤٥)] لما دعاني.

والكربة مشتقة من ذلك[(١٤٦)].

قال الألوسي: «قراءة يعقوب ينجيكم بالتخفيف من الإنجاء والمعنى واحد وقوله تعالى: تدعونه في موضع الحال من مفعول ينجيكم كما قال أبو البقاء: والضمير ان أي من ينجيكم منها حال كونكم داعين له وجوز أن يكون حالاً من فاعله أي من ينجيكم منها حال كونه مدعواً من جهتكم (تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً) أي: إعلاناً وإسراراً كما روي عن ابن عباس ﵄ والحسن فنصبها على المصدرية وقيل بنزع الخافض، والإعلان والإسرار يحتمل أن يراد بهما ما باللسان، ويحتمل أن يراد بهما ما باللسان والقلب وجوز أن يكونا منصوبين على الحال من فاعل (تدعون) أي معلنين ومسرين، وقوله ﷻ لئن (أنجيتنا) في محل النصب على المفعولية لقول مقدر وقع حالاً من فاعل تدعون أيضا أي قائلين لئن أنجيتنا والكوفيون يحكون بما يدل على معنى القول كتدعون من غير تقدير والصحيح التقدير وقيل إن الجملة القسمية تفسير للدعاء فلا محل لها، وقرأ أهل الكوفة أنجانا بلفظ الغيبة مراعاة لتدعونه دون حكاية خطابهم في حالة الدعاء، غير أن عاصما قرأ بالتفخيم والباقون بالامالة[(١٤٧)].

خامساً: وبالجمع بين القراءتين نجد أن العلاقة بينهما تفسيرية بلاغية وهما لغتان أنجيته ونجيته ومن قرأ بالإمالة فهو يصور تذللهم وانكسارهم وإمالة نفوسهم عند التضرع لله بالنجاة في حال الشدة تضرعاً وخفية،

---

(١٤٥) فيصل: الفيصل صفة للسيف لأنه يفصل الرأس عن الجسد. انظر شرح ديوان عنترة بن شداد ص١٤٢.

(١٤٦) انظر شرح ديوان عنترة بن شداد. شرح وتعليق عباس إبراهيم. دار الفكر العربي - بيروت. قافية النون. تحت عنوان (ألا يا دهر يومي مثل أمسي) ص١٤٢.

(١٤٧) تفسير الألوسي (٧ - ١٧٩/٨).

يقسمون على أنفسهم أي: سراً وعلانية فحسن أن يُقرعوا ويُوبخوا على مكانتهم تلك وإن كانوا مشركين قبل النجاة، ثم جاء الخبر تشركون بصيغة المضارعة المشعرة بالاستمرار والتجديد في المستقبل لما كانوا عليه فيما مضى فكل من القراءات الثلاثة تنم عن رحمة الله التي أدركتهم من ظلمات كثيرة طال معها مبنى الكلمة، وشدد اللفظ لشدة الكربات، وأنجيتنا بالخطاب حكاية لخطابهم في حالة الدعاء، وخفف لسرعة النجاة، والقراءات فيها بيان صورة تضرعهم وانكسار حالهم.

١٦ ـ ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَـٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [الأنعام: ٦٨].

أولاً: القراءات:

١. ابن عامر ﴿يُنَسِّيَنَّكَ﴾ بتشديد السين.

٢. قرأ الباقون ﴿يُنسِيَنَّكَ﴾ بتخفيفها[١٤٨].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

﴿نسي﴾: النسيان ترك الإنسان ضبط ما استودع إما لضعف قلبه، وإما من غفلة وإما عن قصد حتى ينحذف عن القلب ذكره، يقال نسيته نسياناً[١٤٩].

ثالثاً: المعنى الإجمالي للآية:

الآية الكريمة توجه الخطاب للنبي ﷺ أنْ إذا رأيت يا محمد، وكل سامع مسلم، الذين يخوضون في آيات القرآن بالتكذيب والاستهزاء، فانصرف عنهم ولا تجالسهم حتى يخوضوا في غير حديث الكفر والاستهزاء والتكذيب، فمنهم من يخوض في القرآن بتأويله تأويلاً باطلاً نابعاً من البدع

(١٤٨) النشر في القراءات العشر (٢/ ١٩٥).

(١٤٩) انظر: معجم مفردات ألفاظ القرآن ص ٥١٢.

والأهواء والآراء الفاسدة؛ فلا تجالسهم واتركهم، أما إن أنساك الشيطان النهي عن مجالستهم فجالستهم ثم تذكرت، فلا تجلس إلى أولئك الكفرة الفساق الذين يهزؤن بالقرآن والدين، فقم إذا ذكرت النهي ولا تقعد مع المشركين، واعلم أنه ليس على المؤمنين شيء من حساب الكفار على استهزائهم وإضلالهم إذا هم تجنبوهم ولم يجالسوهم(١٥٠).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة ابن عامر ﴿يُنَسِّيَنَّكَ﴾ بتشديد السين على التكثير، يقال نسي وأُنسي بمعنى واحد لغتان، المعنى: يا محمد إن أنساك الشيطان أن تقوم عنهم فجالستهم بعد النهي فلا تقعد بعد الذكرى، أي: إذا ذكرت فلا تقعد مع القوم الظالمين، يعني: المشركين، والذكرى: اسم للتذكير.

وقرأ ابن عامر: ﴿يُنَسِّيَنَّكَ﴾ بالتشديد تقول نسيت الشيء، وأنساني غيري، ونسَّاني أيضاً، وحجة ما جاء في الحديث: (لا يقولن أحدكم نسيت آية كذا وكذا، بل هو نُسِّيَ)(١٥١).

وأفادت قراءة الباقين: ﴿يُنسِيَنَّكَ﴾ بالتخفيف من أنساني غيري، وحجتهم قوله: فأنساه الشيطان ذكر ربه، ولم يقل فنسَّاه(١٥٢).

خامساً: وبالجمع بين القراءتين نجد أنَّ العلاقة بينهما تفسيرية، حيث إن إحداهما تؤكد الأخرى فالتشديد والتخفيف كلاهما ينهى عن مجالسة أهل الاستهزاء بآيات الله ﷻ والطعن فيها، بالإعراض عنهم، وعدم مجالستهم والقيام عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره، سواءً أنساك أيها الناسي الشيطان إنساءً شديداً أم خفيفاً فلا تقعد بعد الذكرى أي بعد أن ذكرناك قبح مجالسة هؤلاء المستهزئين. فإذا ما أنساك الشيطان حالهم وجلست إليهم، ثم تذكرت طبعهم فانصرف عنهم ولا تجالسهم حتى يخوضوا في غير حديث

(١٥٠) انظر: تفسير المنير (٧ ـ ٨٢٤٧). وتفسير القرطبي (٤/١٠ ـ ١١).

(١٥١) انظر: حاشية الشهاب (١٢٣/٤). وتفسير القرطبي (٤/١٠).

(١٥٢) انظر: حجة القراءات ص ٢٥٦.

الكفر والاستهزاء والتكذيب، ومن ثم فينبغي عليك أن تترك مجالستهم حالاً والحديث لك ولأمتك يا محمد من بعدك تعظيماً وتقديساً لكلام الله ﷻ والمعنى أن مقاطعة الأشرار واجبة.

١٧ ـ ﴿قُلْ أَنَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾﴾ [الأنعام: ٧١].

أولاً: القراءات:

١. قرأ حمزة (اسْتَهْوَاهُ) بألف ممالة بعد الواو[١٥٣].

٢. قرأ الباقون بتاء (اسْتَهْوَتْهُ) ساكنة بعد الواو من غير ألف، على تأنيث الفعل، وجاز تذكير الفعل وتأنيثه لأن الفعل جمع تكسير[١٥٤].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

﴿هَوَىٰ﴾ : الهوى ميل النفس إلى الشهوة، ويقال ذلك للنفس المائلة إلى الشهوة، وسمي بذلك لأنه يهوي بصاحبه في الدنيا إلى كل داهية، وفي الآخرة إلى كل هاوية، والهِوْيّ سقوط من علو إلى سفل[١٥٥].

واستهواه من قولهم: هوى من شاهق (الجبل المرتفع) إذا تردى منه ويشبه به الذي زلّ عن الطريق المستقيم[١٥٦].

ثالثاً: المعنى الإجمالي للآية:

* الآية الكريمة توجيه رباني من الله ﷻ للنبي ﷺ بأن يوجه الاستفهام الإنكاري والتوبيخ للكفار، فقل لهم يا محمد أنعبد ما لا ينفعنا إن دعوناه،

(١٥٣) النشر في القراءات العشر (٢/١٩٥).

(١٥٤) انظر: المستنير (١/ ١٦٠).

(١٥٥) انظر: معجم مفردات ألفاظ القرآن ص٥٤٥.

(١٥٦) انظر: مجمع البيان (٤/٨١).

ولا يضرنا إن نحن تركناه؟ من أصنام لنرجع ونرد إلى الضلال بعد الهدى، بعدما أن هدانا الله للإسلام وتذوقنا حلاوة الإيمان، فيكون مثلنا كمثل الذي اختطفته الشياطين وأضلته، وسارت به في المفاوز والمهالك فألقته في هوة سحيقة، فأصبح متحيراً لا يدري إلى أين يسير إلى طريق الهدى أم إلى طريق الضلال، ثم أخبرهم أن ما نحن عليه هو طريق الهدى وحده وما دونه ضلال، وما أمرنا إلا لنخلص له العبادة في جميع أحوالنا وأمورنا(١٥٧).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (**كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ**) أي هوت به، والكاف في كالذي إما نعت مصدر محذوف أي نرد على أعقابنا رداً كالذي أو في محل نصب على الحال من فاعل نرد أي نرد حال كوننا مشبهين للذي استهوته الشياطين أي ذهبت به مردة الجن بعد أن كان بين الإنس.

(اسْتَهْوَتْهُ) أي زينت له هواه بالوسوسة والغلبة(١٥٨).

وأفادت قراءة حمزة (اسْتَهْوَاهُ) على تذكير الجمع، بمعنى استهواه الشيطان(١٥٩).

ومعنى استهواه الشيطان: استخفه حتى هوى به، أي أسرع إلى ما دعاه إليه، وهذا من هَوِيَ يَهْوَى، لا مِنْ هوى يهوي - بمعنى يسقط -(١٦٠).

خامساً: وبالجمع بين القراءتين نجد أنّ العلاقة بينهما تفسيرية، فقراءة استهواه الشيطان تبين أن أول الهاوية زلة شيطان رجيم، مثل الرجل الذي استتبعه الشيطان يهوي به في الأرض حيران تائهاً. ومن ثم أصبح تتلقفه الشياطين (**كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ**) في الأَرْضِ حَيْرَانَ أي كالذي ذهبت به

---

(١٥٧) انظر: التحرير والتنوير (/٣٠٣). وتفسير ابن كثير (١٣٠/٢). صفوة التفاسير (٣٩٨/١).

(١٥٨) انظر: الحجة ص٧٦.

(١٥٩) انظر: تفسير روح المعاني (٧ - ١٨٩/٨).

(١٦٠) انظر: معاني القراءات ص١٥٧.

الغيلان ومردة الجن، وقد اعتسف المهمه تابعاً للجن لا يجيبهم ولا يأتيهم وهذا مبني على ما يقال إن الجن تستهوي الإنسان والغيلان عليه، فيكون ضحية الزلة الأولى للشيطان الذي استهواه؛ وهنا تحذير من الذلة الأولى إذ الحسنة تدعو إلى الحسنة والسيئة إلى السيئة[(١٦١)].

١٨ ـ ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾﴾ [الأنعام: ٧٤].

أولاً: القراءات:

١. قرأ يعقوب (آزَرُ) برفع الراء.

٢. قرأ الباقون (آزَرَ) بنصبها[(١٦٢)].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

آزَر: اسم أعجمي علم ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة الشخصية[(١٦٣)].

قال محمد بن إسحق آزر اسم لأبي إبراهيم وهو تارخ أيضاً مثل إسرائيل ويعقوب.

وقال سليمان التميمي[(١٦٤)] هو سب وعيب ومعناه في كلامهم المعوج، وقيل معناه الشيخ الهرم بالفارسية. وقال مجاهد آزر اسم صنم فعلي[(١٦٥)].

---

(١٦١) انظر: تفسير المراغي (١٦٥/٧). وتفسير النسفي (١٨/٢).

(١٦٢) النشر في القراءات العشر (١٩٥/٢).

(١٦٣) انظر: البحر المحيط (٤/ ٥٥٩).

(١٦٤) سليمان التميمي: هو سليمان بن علي مُشَرَّف التميمي عالم الديار النجدية في عصره، ولد في العينية في اليمامة وكان عليه اعتماد الحنابلة في المناسك، وله فتاوى تبلغ مجلداً ضخماً، وهو جَدّ محمد بن عبد الوهاب صاحب الدعوة الوهابية. انظر معرفة القراء الكبار (١٣٠/٣).

(١٦٥) انظر: تفسير البغوي (١٥٨/٣).

وآزر بزنة آدم علم أعجمي لأبي إبراهيم عليه السلام وكان من قرية من سواد الكوفة، وهو بدل من إبراهيم أو عطف بيان[١٦٦].

قال الجوهري[١٦٧]: «آزر اسم أعجمي وهو مشتق من آزر فلان فلاناً إذا عاونه فهو مؤازر قومه على عبادة الأصنام». وقال ابن فارس[١٦٨]: إنه مشتق من القوة، وقيل: هو اسم والد إبراهيم تارخ والذي في القرآن يدل على أنّ اسمه آزر، وقد تعقب في دعوى الاتفاق. وقال مقاتل[١٦٩]: آزر لقب وتارخ اسم وقال سليمان التميمي: إنّ آزر سب وعيب ومعناه في كلامهم المعوج وقال الضحاك[١٧٠]: معنى آزر الشيخ الهرم بالفارسية. وقال الفراء[١٧١]: هي صفة ذم بلغتهم كأنه قال يا مخطئ. وقال مجاهد: هو اسم

(١٦٦) تفسير: القرطبي (٢٤/٤).

(١٦٧) الجوهري هو: إسماعيل بن حماد الجوهري، أبو نصر أول من حاول الطيران ومات في سبيله، لغوي من الأئمة أشهر كتبه الصحاح، أصله من فارب، دخل العراق صغيراً وسافر إلى الحجاز، هو من فرسان الكلام، وممن آتاه الله قوة بصيرة، وحسن سريرة وسيرة، كان يؤثر السفر على الوطن، والغربة على السكن والمسكن ومات ثلاث وتسعين وثلاثمائة هـ. . .انظر أنباه الرواة على أنباه النحاة، تأليف: الوزير جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القطفي المتوفى سنة أربع وعشرين وستمائة هـ. (٢٢٩/١). تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

(١٦٨) ابن فارس هو: أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب اللغوي، أبو الحسين، كان إماماً في علوم شتى خصوصاً، في اللغة فإنه أتقنها، وأبدع فيها فألف كتابه المتميز المجمل في اللغة، توفي رحمه الله في الري سنة تسعين وثلاثمائة. انظر شذرات الذهب (١٣٢/٣).

(١٦٩) مقاتل هو: مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي، بالولاء من أعلام المفسرين أصله من بلخ انتقل إلى البصرة، دخل بغداد وكان من المحدثين والقراء وله عدة مؤلفات منها كتاب القراءات، وتوفي بالبصرة سنة مائة وخمسين للهجرة. انظر: الفهرست للنديم.

(١٧٠) الضحاك هو: ابن سفيان بن عوف بن كعب الكلابي، أبو سعيد، شجاع، كان نازلاً بنجد، صحابي ولاه الرسول ﷺ على من أسلم هناك من قومه، وله شعر قيل استشهد في قتال أهل الردة من بني سليم. انظر الأعلام للزركلي (٢١٤/٣).

(١٧١) الفراء هو: أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء الكوفي النحوي من أجلّ وأعظم أصحاب الكسائي، كان رأساً في النحو واللغة قيل لولاه لما كانت عربية، فهو الذي ضبطها وهذبها توفي سنة سبع ومائتين. انظر شذرات الذهب (١٩/١ ـ ٢٠).

صنم وعلى هذا إطلاق اسم الصنم على أبيه إما للتعبير له لكونه معبوده، أو على حذف مضاف، أي قال لأبيه عابد آزر أو أتعبد آزر على حذف الفعل(١٧٢).

ثالثاً: المعنى الإجمالي للآية:

تتحدث الآية الكريمة عن الحوار الذي ذكر من أجل الإتيان بالحجج الدامغة الدالة على التوحيد وبطلان عبادة الأصنام، وكلها جاءت على التوحيد الخالص الذي يتنافى مع الإشراك بالله، ثم ذكر شرف الرسل من أبناء إبراهيم عليه السلام وأمر المصطفى ﷺ بالاقتداء بهديهم الكريم؛ أي واذكر يا محمد لهؤلاء الكفار بعد أن أنكرت عليهم عبادة ما لا يقدر على نفعٍ ولا ضرٍ وحققت لهم هدى الله تعالى، وقت قول إبراهيم عليه السلام للذين يدعون أنهم على ملته موبخاً لأبيه آزر على عبادة الأصنام فإن ذلك مما يبكتهم وينادي بفساد طريقتهم(١٧٣).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة آزرُ بالرفع يعني آزرُ، على تقدير منادى يا آزرُ، وقراءة النصب وهو اسم أعجمي لا ينصرف فينصب، وفي موضع الخفض وقال مجاهد: آزر اسم صنم فعلي هذا يكون في محل النصب تقديره أتتخذ آزرُ إلهاً أي (أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) أي في خطأ بين واضح(١٧٤).

---

(١٧٢) انظر فتح القدير (١٣٣/٢).

(١٧٣) انظر تفسير القرطبي (٢٤/٤).

(١٧٤) اللباب (٢٣٢/٨). المسمى اللباب في علوم الكتاب. تأليف الإمام المفسر أبي حفص عمر بن الخطاب علي بن عادل الدمشقي الحنبلي المتوفى ثمانين وثمانمائة. تحقيق وتعليق. عادل المجود وعلي معوض. دار الكتب العلمية بيروت. الطبعة الأولى ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م. وحيثما يأتي سأكتفي بقولي: اللباب.

* ومن قرأ بالضم جعله منادى مفرداً وتقديره يا آزرُ (**أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً**) استفهام توبيخ واستهزاء(١٧٥).

* قال القرطبي: «وقرئ آزرُ أي يا آزرُ، على النداء المفرد، وهو يقوي قول من يقول إن آزر اسم أب إبراهيم (**أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً**) مفعولان لتتخذ وهو استفهام فيه معنى الإنكار»(١٧٦).

أفادت قراءة: (آزَرَ) عطف بيان لأبيه أو بدل منه واختلف في وزنه فقيل فاعل (**وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ آزَرَ**) بالفتح إذا آزَرَ بدلاً، من أبيه وقد قرئت رفعاً على النداء، كأنه قال يا آزرُ(١٧٧).

* قال د. وهبة الزحيلي: (لأَبِيهِ آزَرَ) آزر: بدلاً مجرور من أبيه، كأنه اسم له، وهو ممنوع من الصرف للعجمية والتعريف(١٧٨).

خامساً: وبالجمع بين القراءتين يتبين أنّ الخطاب لآزر سواء كان هو الأب الحقيقي لإبراهيم عليه السلام أم هو المبدل من هذا الأب (أي يا عابد آزرَ) فالخطاب في كليهما فيه إنكار وتوبيخ لأبيه وقومه (إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ) وذلك من خلال السجود للأصنام وعبادة غير الله ﷻ أي اذكر يا رسول الله لهؤلاء الكفار، وقت قول إبراهيم عليه السلام للذين يدَّعون أنهم على ملته، موبخاً لأَبِيهِ آزَرَ على عبادة الأصنام، فإن ذلك ينادي بفساد طريقتهم.

١٩ ـ ﴿وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا

(١٧٥) انظر: الفريد ص١٧٤. المسمى الفريد في إعراب القرآن المجيد. تأليف حسين بن أبي العز المتوفى ثلاث وأربعين وستمائة، تحقيق د. فهمي حسن النمر ود. فؤاد علي مخيمر. الطبعة الأولى ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م. وحيثما يأتي سأكتفي بقولي: الفريد.

(١٧٦) انظر تفسير القرطبي (٢٥/٤).

(١٧٧) انظر: روح المعاني (٧ ـ ٨ / ١٩٤). وتفسير البغوي (١٥٨/٣).

(١٧٨) انظر: التفسير المنير (٧ ـ ٨/٢٦٠).

تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيْـًٔاۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًاۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ [الأنعام: ٨٠].

أولاً: القراءات:

١. قرأ أهل المدينة وابن عامر ﴿أَتُحَاجُونِي﴾ بتخفيف النون.

٢. وقرأ الباقون ﴿أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي﴾ بالتشديد[١٧٩].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

﴿حجّ﴾ : احتج على خصمه بحجة شهباء، وبحجج شهب وحاجَّ خصمه فحجه، وفلان خصمه محجوج، وكانت بينهما محاجة وملاجة، وسلك المحجَّة، وعليكم بالمناهج النيرة، والمحاج الواضحة[١٨٠].

﴿حاجَّة﴾ : المجادلة والمغالبة في إقامة الحجة، والحجة تطلق على الدلالة المبينة للمقصد، وتارة على ما يدلي به أحد الخصمين في إثبات دعواه أو رد دعوى الخصم، وبهذا تنقسم إلى حجة دامغة يثبت بها الحق، وحجة داحضة يموه بها الباطل، المحاجَّة أن يطلب كل واحد أن يرد الآخر عن حجته ومحجته[١٨١].

ثالثاً: المعنى الإجمالي للآية:

الآية الكريمة مشهد من مشاهد المناظرة بين إبراهيم عليه السلام في شأن التوحيد، حين جادله قومه فيما ذهب إليه من التوحيد وناظروه بشبه؛ حيث قال ﷺ: **(وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ)** وأنه لا إله إلا هو وقد بصرني وهداني إلى الحق وأنا على بينة منه فكيف ألتفت إلى أقوالكم الفاسدة وشبهكم الباطلة، ومن الدليل على بطلان قولكم فيما ذهبتم إليه أن هذه الآلهة التي تعبدونها لا تؤثر شيئاً وأنا لا أخافها ولا أباليها فإن

(١٧٩) النشر في القراءات العشر (٢/١٩٥).

(١٨٠) أساس البلاغة ص ٧٤.

(١٨١) انظر: لسان العرب (٢/ ٢٢٦).

كان لها كيد فكيدوني بها ولا تنتظرون بل عاجلوني بذلك قال تعالى: (**إِلاَّ أَن يَشَاء رَبِّي شَيْئًا**) استثناء منقطع، أي لا يضر ولا ينفع إلا الله ﷻ (**وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً**) أي أحاط علمه بجميع الأشياء فلا يخفى عليه خافية أفلا تتذكرون[١٨٢].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (أتحاجوني) بنون واحدة خفيفة، وذلك لأن أصل الفعل «أتحاجونني» بنونين: الأولى علامة رفع الفعل، والثانية نون الوقاية، وهي فاصلة بين الفعل والياء، وحذفت نون الوقاية استخفافاً لاجتماع المثلين[١٨٣]، ولم تحذف الأولى لأنها علامة الرفع فلو حذفت لاشتبه المرفوع بالمجزوم والمنصوب[١٨٤].

وأفادت قراءة ﴿أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي﴾ بتشدد النون على الأصل (أتحاجونني) بنونين، أدغمت إحداهما في الأخرى وشددت وهما لغتان[١٨٥].

خامساً: وبالجمع بين القراءتين تبين أنّ القراءتين كل منهما تأتي بمعنى جديد يتناسب وحال القوم؛ فقومه لما أثقلوا عليه بالمحاجة استنكر عليهم محاجتهم الشديدة عليه (بالتشديد) وهي كذلك تصور الحالة النفسية المثقلة بالحجة فقال: (**وَحَآجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي**) وهو قد شدد النون؛ والأصل

---

(١٨٢) انظر: تفسير القرآن العظيم ١٣٦/٢. صفوة التفاسير (٤٠٢/١). التحرير والتنوير (٣٢٧/٤).

(١٨٣) المتماثلين هما: الحرفان اللذان اتحدا اسماً ورسماً ومخرجاً وصفة التاء مع التاء، والنون مع النون. بغية عباد الرحمان لتحقيق تجويد القرآن في رواية حفص بن سليمان من طريق الشاطبية تأليف محمد بن شحادة الغول. دار ابن القيم للنشر والتوزيع ص ٢٨٥.

(١٨٤) انظر: تفسير القرطبي (٢٩/٤).

(١٨٥) انظر: كتاب معاني القراءات ص ١٥٩. للشيخ العلامة أبي منصور محمد بن أحمد الأزهري المتوفى سنة سبعين وثلاثمائة هـ. حققه وعلق عليه الشيخ أحمد فريد المزيدي وقدم له د. فتحي حجازي. دار الكتب العلمية. بيروت ـ لبنان. الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

(أتحاجونني) (بنونين) أدغمت إحداهما في الأخرى وشددت لشدة تأثيرها على النفس من كثرة المجادلة والمحاجة، وأما من خفف فقد استنكر عليهم محاجتهم عليه القليلة (بالتخفيف) فنظراً لأن هذا ديدنهم في المحاجة والمجادلة العقيمة فهو لم يكترث بهم فرد عليهم بالخفيفةَ وفي كلا القراءتين دليل على أنهم كانوا يستعملون أساليب متنوعة ووسائل متعددة في محاججته.

٢٠ - ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾﴾ [الأنعام: ٨٣].

أولاً: القراءات:

١. قرأ الكوفيون ﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ﴾ بالتنوين ووافقهم يعقوب على التنوين.

٢. قرأ الباقون ﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتِ مَن نَّشَآءُ﴾ بغير تنوين(١٨٦).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

﴿درج﴾ : الدرجة نحو المنزلة لكن يقال للمنزلة درجة إذا اعتبرت بالصعود دون الامتداد على البسيط كدرجة السطح والسلم ويعبر بها عن المنزلة الرفيعة، والدرجة المرقاة، وهي واحدة الدرجات، وهي الطبقات من المراتب، ودرجات الجنة: منازل أرفع من منازل(١٨٧).

ثالثاً: المعنى الإجمالي للآية:

الآية الكريمة هي إشارة لما تقدم من الآيات الباهرات التي أيد الله بها خليله عليه السلام من الآيات الكونية التي أرشده الله ﷻ لتكون له بها الحجة الدامغة على قومه، (نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاء) أي رتباً عظيمة عالية، من العلم، والحكمة وما تستدعيه المصلحة (إِنَّ رَبَّكَ حَكِيم) في كل ما

---

(١٨٦) النشر في القراءات العشر (٢/١٩٥).

(١٨٧) انظر: لسان العرب (٢/٢٦٦).

فعل من رفع وخفض (عَلِيم) بحال من يرفعه[188].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

* أفادت قراءة عاصم وحمزة والكسائي: (**نرْفَعُ درَجاتٍ مَّن نَّشَاء**) بالتنوين جعلوا المرفوع هو الإنسان وحجتهم في ذلك أن الله قد بين معنى هذا الكلام في غير موضع من القرآن، فجعل المرفوع هو الإنسان، وبين فضل من أحب أن يفضّله بأن يرفعه فقال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: ١١] وقال تعالى: ﴿فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [النساء: ٩٥] فجعلهم هم المرفوعين دون الدرجات ﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ﴾ قرأ الكوفيون بالتنوين وقرأ الباقون بغير تنوين. وحجة من نون أنه أوقع الفعل على (من) لأنه المرفوع في الحقيقة ليست الدرجات هي المرفوعة في الحقيقة، ليست الدرجات هي المرفوعة والمقصود إليها بالرفع، إنما المرفوع صاحبهما فهو ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ﴾ [البقرة: ٢٥٣][189].

وأفادت قراءة الباقين ﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتِ مَّن نَّشَآءُ﴾ بغير تنوين، أن الدرجات إذا رفعت فصاحبها مرفوع إليها، وحجة من لم ينون أنه جعل الرفع للأعمال دون الإنسان، والذي يدل على هذا قوله ﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتِ مَّن نَّشَآءُ﴾ أي في العلم. لأن الدرجات إذا رفعت فصاحبها مرفوع إليها، ودليله قوله تعالى: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾ [غافر: ١٥] فأضاف الرفع إلى الدرجات، وهو لا إله إلا هو الرفيع المتعال في شرفه وفضله[190].

* قال الطاهر بن عاشور في بيان إعراب درجات في قوله تعالى:

---

(١٨٨) انظر: تفسير القرآن العظيم (١٣٦/٢). والتحرير والتنوير (٤/ ٣٣٥).

(١٨٩) التناسب البياني في القرآن ص٦٩.

(١٩٠) انظر: حجة القراءات ص ٢٥٨.

«﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاء﴾ [الأنعام: ٨٣] حال من ضمير الرفع من آتينا أو مستأنفة لبيان أن مثل هذا الإتيان تفضيل للمؤتى وتكرمة له، ورفع الدرجات تمثيل لتفضل الشأن، شبهت حال المفضل على غيره بحال المرتقي في سلم إذا ارتفع من درجة إلى درجة، وفي جميعها رفع فالتفضيل يشبه الرفع، والفضائل المتفاوته تشبه الدرجات»[١٩١].

* قال صاحب نظم الدرر: «ولما أشار إلى رفعته يعني ابراهيم عليه السلام بأنه بصّره بالحجة حتى كان على بصيرة من أمره، وأنه علا على المخالفين برفع الدرجات، وأتبع ذلك ما دل عليها وعلى حكمته بعلمه بالعواقب، فقال معلماً أنه جعله عزيزاً في الدنيا لأن أشرف الناس الأنبياء والرسل، وهم من نسله وذريته»[١٩٢].

ورفع الدرجات يعني المراتب والمنازل ورفعها إما بالعلم، أو بالرسالة، أو النبوة، أو بحسن الخلق، أو بالإخلاص في العمل في الدنيا، أو بالثواب الجزيل والدرجات العالية يوم القيامة وعلى هذا من رفعت درجاته رفع هو، ومن رفع هو إرتفعت درجاته.

وهذا ما يعرف بالتعبير الكنائي؛ إذ كنّى عن رفعة الإنسان ذاته برفع درجته[١٩٣].

خامساً: وبالجمع بين القراءتين نجد أنّ كلتا القراءتين تؤكد الأخرى وتوضح معناها فالعلاقة تفسيرية في ثناياها بشرى لمن رفعت درجاته أو رفع هو فَرِفْعته هي رِفْعَةٌ لدرجاته؛ ورفعة درجاته هي رفعة له في الجنة حسبما تقتضيه الحكمة وتستدعيه المصلحة وإيثار صيغة الاستقبال للدلالة على أن

(١٩١) التحرير والتنوير (٤/ ٣٣٥).

(١٩٢) نظم الدرر (٢/٦٦٤).

(١٩٣) انظر: التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية ص ١٤٦. د. أحمد سعد محمد. مكتبة الآداب. ٤٢ميدان الأوبرا ـ القاهرة. الكتاب رسالة جامعية نال بها المؤلف درجة الدكتوراة في اللغة العربية وآدابها (تخصص البلاغة والنقد الأدبي). الطبعة الأولى ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م ـ الطبعة الثانية١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

ذلك سُنة مستمرة جارية فيما بين المصطفين الأخيار.

٢١ - ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًاۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [الأنعام: ٨٦].

أولاً: القراءات:

١. قرأ حمزة والكسائي وخلف (اللّيْسَع) بتشديد اللام وإسكان الياء.

٢. قرأ الباقون (الْيَسَع) بإسكان اللام مخففة وفتح الياء[١٩٤].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

﴿وَٱلْيَسَعَ﴾: هو اسم أعجمي، والألف واللام زائدتان، وليستا للتعريف ولا اشتقاق له.

ويقال إنه يوشع بن نون وقيل إنه منقول من مضارع وسع، واللام زيادة كما في اليزيد[١٩٥].

ثالثاً: المعنى الإجمالي للآية:

(وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا) إسماعيل هو ابن إبراهيم، ولوط هو ابن أخ إبراهيم (وَكُلاًّ فضَّلْنَا) بعضهم على بعض بالنبوة (عَلَى الْعَالَمِين) وفيه دليل على فضلهم على من عداهم من الخلق، وقد ذكر الله تعالى أربعة عشر نبياً، لم يرتبهم حسب تاريخهم؛ لأنه تعالى أنزل كتابه هدى وموعظة، لا لسرد أخبار التاريخ والأحداث[١٩٦].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة حمزة، والكسائي وخلف العاشر واليسع في السورتين (الأنعام، ويونس) بلام مشددة مفتوحة وبعدها، ياء ساكنة، على أن أصله

(١٩٤) النشر في القراءات العشر (٢/١٩٥).

(١٩٥) تفسير: أبي السعود (٢/٢٤٤). وتفسير النسفي (٢/٢١).

(١٩٦) انظر: المقتطف (٢/١٤٠).

(ليسع)على وزن (فيعل) وهو اسم أعجمي علم على نبي من الأنبياء عليهم السلام، وهو معرفة بدون اللام، فقدر تنكيره لأن الأعلام لا يصح دخول الألف واللام للتعريف عليها ثم أدغمت اللام في اللام، وقلنا بتقدير تنكيره؛ إذ يتعرف الاسم من وجهين، وقيل: إن الألف واللام زائدتان وليستا للتعريف.

وأفادت قراءة الباقين (واليسع) بلام ساكنة، خفيفة، وبعدها ياء مفتوحة، على أن أصله (يسع)، على وزن يضع ثم دخلت عليه الألف واللام كما دخلت على يزيد كما في قول ابن ميادة:

(الرماح ابن أبرد ابن ثوبان) يمدح (الوليد بن يزيد).

رأيت الوليد بن اليزيد مباركاً شديداً بأعباء الخلافة كاهله[١٩٧].

قال النحويون: دخول الألف واللام على يزيد يحتّمل أمرين:

- الأول: أن تكون للتعريف ويكون ذلك على تقدير أن الشاعر قبل أن يدخل أل قدر في يزيد التنكير فصار شائعاً شيوع رجل ونحوه من النكرات.
- الثاني: أن تكون أل زيدت فيه للضرورة[١٩٨].

خامساً: وبالجمع بين القراءتين لم أقف على علاقة تفسيرية بينهما فهما لغتان من لغات العرب بمعنى واحد. ويقال اللّيسع واليَسع بتشديد اللام

---

(١٩٧) انظر: مغني اللبيب ص ٧٧. وشرح شواهده ص٦٥. والرواية فيهما بأعباء الخلافة.

(١٩٨) انظر: الدر المصون (١١٦/٣). المسمى الدر المصون في الكتاب المكنون. تأليف الإمام شهاب الدين أبي العباس بن يوسف ابن محمد بن إبراهيم المعروف بالسمين الحلبي. تحقيق وتعليق جماعة. وقدم له وقرظه د. أحمد محمد صيرة. دار الكتب العلمية. بيروت ـ لبنان. الطبعة الأولى ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م. وحيثما يأتي سأكتفي بقولي: الدر المصون. وانظر اللباب (٢٦٦/٨). والقراءات وأثرها في علوم العربية (٣١٥/١ ـ ٣١٦).

وتخفيفها بمعنى واحد(١٩٩).

٢٢ - ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾﴾ [الأنعام: ٩١].

أولاً: القراءات:

١. قرأ ابن كثير وأبو عمرو: ﴿يجعلونه﴾ بالغيب.

٢. قرأ الباقون ﴿تَجْعَلُونَهُۥ﴾ بالخطاب(٢٠٠).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

﴿جَعَلَ﴾: لفظٌ عام في الأفعال كلها وهو أعم من فعل وصنع وسائر أخواتها ويتصرف على خمسة أوجه:

الأول: يجرى مجرى صار وطفق ولا يتعدى.

الثاني: يجري مجرى أوجد فيتعدى إلى مفعول واحد.

الثالث: في إيجاد شيء من شيء وتكوينه منه ويتعدى إلى مفعولين.

الرابع: في تصيير الشيء على حالة دون حالة.

الخامس: الحكم بالشيء على الشيء حقاً كان أو باطلا(٢٠١).

سبب نزول الآية:

عن سعيد بن جبير أن (مالك بن الصّيف) من اليهود جاء يخاصم النبي ﷺ فقال له النبي ﷺ: أنشدك بالذي أنزل التوراة على موسى أما تجد

(١٩٩) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج. (٢/٢٦٩). وبلاغة الكلمة والجملة والجمل ص٣٧.

(٢٠٠) النشر في القراءات العشر (٢/١٩٥). -

(٢٠١) انظر: معجم مفردات القرآن ص ٩٢.

في التوراة أنّ الله يبغض الحَبْر السمين؟[٢٠٢] وكان هو حبراً سميناً فغضب وقال: والله ما أنزل الله على بشر من شيء فقال له أصحابه الذين معه ويحك ولا على موسى؟ فقال: والله ما أنزل الله على بشر من الشيء[٢٠٣] فأنزل الله: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ. . .﴾ الآية[٢٠٤]. قال ابن عباس: أي قراطيس مقطعة تبدون منها ما تحبون وتخفون كثيراً من نعت محمد ﷺ وآية الرجم في التوراة.

ثالثاً: المعنى الإجمالي للآية:

الآية الكريمة تتحدث عن طبيعة هؤلاء المنكرين الذين ما عرفوا الله حق معرفته ولا عظموه حق تعظيمه؛ حينما ينكرون الوحي وبعثة الرسل، وهذه مبالغة في إنكار نزول القرآن على النبي ﷺ أي قل يا محمد لهؤلاء المعاندين من إنزال التوراة على موسى نوراً يستضاء به، ويهتدي بها من ظلام الشبهات، ثم تجعلون جملتها قراطيس أي: قطعاً تكتبونها من الكتاب الأصلي الذي بأيديكم وتحرفون منها ما تحرفون وتبدلون وتتأولون وتقولون هذا من عند الله أي في كتابه المنزل وما هو من عند الله ولهذا قال (**تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا**) فمن أنزل القرآن الذي علمكم الله فيه من خير ما سبق، ونبأ ما يأتي (**وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُواْ أَنتُمْ وَلاَ آبَاؤُكُمْ**) ثم (**قُلِ اللّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ**) وفي الآية تهديد ووعيد على إجرامهم، أي ثم دعهم في جهلهم وضلالهم يلعبون حتى يأتيهم من الله اليقين فسوف يعلمون أن لهم العاقبة أم لعباد الله المتقين[٢٠٥].

---

(٢٠٢) الحبر: العالم وجمعه أحبار لما يبقى من أثر علومهم في قلوب الناس ومن آثار أفعالهم الحسنة المقتدى بها. انظر معجم مفردات ألفاظ القرآن ص١٠٤

(٢٠٣) انظر: صحيح مسلم. كتاب الحدود. باب رجم اليهود أهل الذمة بالزنى. حديث رقم ٤٣٣١. ص ٨٥٥.

(٢٠٤) انظر: تفسير البغوي (١٦٦/٣). تخريج الحديث: انظر: صحيح مسلم (٣ /١٣٢٧) حديث رقم ١٧٠٠.

(٢٠٥) انظر: تفسير ابن كثير (١٣٩/٢).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (تَجْعَلُونَهُ) بتاء الخطاب أن يكون كله لليهود ويكون معنى وعلمتم ما لم تعلموا أي وعلمتم ما لم تكونوا تعلمونه أنتم ولا آباؤكم على وجه المن عليهم بإنزال التوراة وجعلت التوراة صحفاً فلذلك قال قراطيس تبدونها أي تبدون القراطيس وهذا لهم يعني لليهود(٢٠٦).

وقيل الخطاب للعرب، وقيل الخطاب لمن آمن من اليهود، وقيل لمن آمن من قريش، وهذا ما يؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ۝﴾ [يس: ٦] فيكون الخطاب بطريقة الالتفات من طريق الغيبة الذي هو مقتضى المقام إلى طريق الخطاب تعريضاً باليهود وإسماعاً لهم وإن لم يكونوا حاضرين(٢٠٧).

أفادت قراءة (يجْعَلُونَهُ) بياء المضارعة للغائب، ويكون الخطاب عن المشركين؛ ومعنى كونهم يجعلون كتاب موسى قراطيس يبدون بعضها ويخفون بعضها أنهم سألوا اليهود عن نبوءة محمد ﷺ فقرأوا لهم ما في التوراة من التمسك بالسبت أي دين اليهود، وكتموا ذكر الرسول ﷺ الذي يأتي من بعد، فأسند الإخفاء والإبداء إلى المشركين مجازاً؛ لأنهم كانوا مظهراً من مظاهر ذلك الإخفاء والإبداء، ولعل ذلك صدر من اليهود وهم يهود أهل الزمان الذين عرفوا بذلك بعد أن دخل الإسلام المدينة وأسلم من أسلم من الأوس والخزرج.

* قال الطاهر ابن عاشور: «من قرأ (تجعلونه ـ وتبدون ـ وتخفون) بتاء الخطاب إما أن يكون الخطاب لغير المشركين إذ الظاهر ليس لهم عمل في الكتاب الذي أنزل على موسى ولا باشروا إبداء بعضه وإخفاء بعضه فتعين أن

---

(٢٠٦) انظر: صفوة التفاسير (١/٤٠٤).

(٢٠٧) انظر: الكشف (١/٤٤٠). المسمى الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها. تأليف أبي مكي بن أبي طالب القيسي. تحقيق د. محيي الدين رمضان. مؤسسة الرسالة ـ بيروت. الطبعة الخامسة. وحيثما يأتي سأكتفي بقولي: انظر الكشف. وتفسير القرطبي (٤ /٣٤).

يكون الخطاب بطريقة الالتفات من طريق الغيبة الذي هو مقتضى المقام إلى طريق الخطاب تعريضاً باليهود وإسماعاً لهم وإن لم يكونوا حاضرين وأما من قرأ (تَجْعَلُونَهُ = تُبْدُونَهَا =وَتُخْفُونَ) ذلك على الالتفات من الغيبة إلى الخطاب؛ حيث إنّ صدر الآية (**وَمَا قَدَرُواْ اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ**. . .الخ) حيث السياق يقتضى الغيبة لكنه التفت إلى الخطاب اهتماماً بشأن المخاطبين»[٢٠٨].

خامساً: وبالجمع بين القراءتين نجد أنّ العلاقة بينهما تكامل واستمرارية في نفس المنهج لمن لم يقدروا الله حق قدره فهم يجعلونه على صيغة الغيبة وأنتم كذلك تجعلونه على صيغة الخطاب، ويظهر هنا كذلك تكاملاً في بيان الحكمة الجلية ممن حملوا الرسالات السماوية؛ وتكلفوا تبليغها فعليهم أن يبلغوها كاملة تامة من غير تحريف أو إخفاء بعض أو إظهار بعض وهذا ما فعله اليهود حينما جعلوه قراطيس ووريقات ليتمكنوا مما راموا إليه وهذا ما يؤيده قوله تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِۗ﴾ [البقرة: ٨٥] وفي جميع القراءات خطاب لجميع أصحاب الشرائع السماوية للالتزام بتبليغها كاملة من غير تبديل ولا تعطيل كما وإن هناك تهديداً ووعيداً لمن يسلك هذا النهج بالتلاعب بكتاب الله، وبتعاليم الشرائع السماوية في إبداء بعض أخبارها وأحكامها، وإخفاء بعضها الآخر وهذا ناتج عن الهوى واتباع الشهوات وتحقيق المصالح والرغبات.

٢٣ ـ ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَاۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [الأنعام: ٩٢].

أولاً: القراءات:

١. قرأ أبو بكر ﴿وَلِيُنذِرَ﴾ بالغيب.

(٢٠٨) التحرير والتنوير (٣٦٥/٤).

٢. قرأ الباقون ﴿وَلِتُنذِرَ﴾ بالخطاب[٢٠٩].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

﴿نذر﴾ : كلمة تدل على تخويف أو تخوُّف منه، الإنذار: الإبلاغ ولا يكاد يكون إلا من التخويف وتناذروا: خوف بعضهم بعضاً. ومنه النذر، وهو أنه يخاف إذا أخلف. قال ثعلب: نَذِرْتُ بهم

فاستعددت لهم وحِذرت منهم، والنذير: المنذر، والجمع النذر[٢١٠].

(وَلِيُنذِر) أي لتنذر به يا محمد أهل مكة ومن حولها وهم سائر أهل الأرض[٢١١].

ثالثاً: المعنى الإجمالي للآية:

الآية الكريمة ما زال السياق يتحدث عن العادلين بربهم أصنامهم وأوثانهم فقد أنكر تعالى عليهم إنكارهم للوحي وتكذيبهم بالقرآن ﴿إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ﴾ لهذا حدد الله مهمة القرآن؛ وهذا كتاب أنزلناه يهدي إلى الحق وإلى سواء السبيل، كما أنزلنا من قبله التوراة على موسى، وقد جعلناه كثير البركة والخير، لا ينتهى خيره ولا يقل نفعه، مصدقاً لما تقدمه من الكتب كالتوراة والإنجيل، ومهيمناً عليها، أنزلناه ليؤمنوا به ﴿وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ أي أهلها ومن حولها من المدن والقرى القريبة والبعيدة ولتنذرهم عاقبة الكفر والضلال فإنها الخسران التام والهلاك المبين، وقد ثبت في الصحيحين: أن رسول الله ﷺ قال: (أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي . . .)[٢١٢]. وذكر منهن (وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس عامة).

(٢٠٩) النشر في القراءات العشر (٢/١٩٥).

(٢١٠) معجم المقاييس في اللغة (٥/٤١٤).

(٢١١) انظر: صفوة التفاسير (١/٤٠٥).

(٢١٢) ثبت في الصحيحين عن جابر قال: قال ﷺ (أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت للناس كافة). أخرجه الإمام أحمد في مسنده. مسند ابن عباس حديث رقم ٢٢٥٦. ص١٩٥. انظر تفسير ابن كثير (٢/٤٤٩).

ثم يخبر بأن الذين يؤمنون بالآخرة أي: بالحياة الآخرة يؤمنون بهذا القرآن وهم على صلاتهم يحافظون، وذلك مصداق إيمانهم وثمرته التي يجنيها المؤمنون الصادقون(٢١٣).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (وَلتنذِر) بالتاء ـ النقط من فوقه ـ على الخطاب لرسول الله ﷺ لأنه هو المنذر في الحقيقة، ويعضده ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ﴾ [الأنبياء: ٤٥] و﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾﴾ [الرعد: ٧].

وأفادت قراءة (وَلينذِر) بالياء بالنقط من على أن المنذر هو الكتاب، والذي جوز ذلك كون الإنذار فيه كقولهم: نهارك صائم، وليلك قائم وقد أمر الله نبيه ﷺ أن يخوفهم به في قوله تعالى: **(وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ)** وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْيِ﴾ [الأنبياء: ٤٥] وإذا كان كذلك فلا شبهة في جواز إسناد الإنذار إليه(٢١٤).

* قال الطبرسي: «من قرأ بالتاء يؤيد قراءة قوله تعالى: **(وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ)** [الأنبياء: ٤٥] **(إِنَّمَا أَنتَ مُنذِر مَن خَشَاهَا)** [الرعد: ٧]؛ ومن قرأ بالياء جعل المنذر هو الكتاب ويؤيده قوله: **(وَلِيُنذَرُواْ بِهِ)** و**(قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُم بِالْوَحْيِ)** فلا يمتنع إسناد الإنذار إليه على وجه التوسع(٢١٥).

وقوله (وَلتنذِر) عطف على محذوف دل عليه نعت الكتاب، كأنه قيل: أنزلناه للبركات وتصديق ما تقدمه من الكتب والإنذار»(٢١٦).

* قال الزمخشري «(وَلتنذِر) معطوف على ما دل عليه صفة الكتاب،

---

(٢١٣) انظر: التفسير المنير (٧ ـ ٨ /٢٩٢).

(٢١٤) انظر: أيسر التفاسير (٢/٩٠). وصفوة التفاسير (٤٠٥/١). وتفسير ابن كثير (١٤٠/٢).

(٢١٥) مجمع البيان (١٠٤/٤).

(٢١٦) الكشاف (٢/ ١٠٨). المسمى الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. تأليف. أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، شرحه وضبطه وراجعه. يوسف الحمادي مكتبة مصر وحيثما يأتي سأكتفي بقولي: الكشاف. انظر الفريد (١٩٠/٢ ـ ١٩١).

كأنه قيل أنزلناه للبركات وتصديق ما تقدمه من الكتب والإنذار، قرىء بالياء والتاء»[٢١٧].

خامساً: وبالجمع بين القراءتين نجد أن كلاً منهما تفسر الأخرى بل وتكمل المعنى والمهمة التي جاء بها، ومن أجلها الرسل، فالنبي هو المنذر بصيغة الخطاب (وَلِتُنذِر)، والقرآن هو الدستور ومنهج الإنذار بصيغة الغيبة (وَلِيُنذِرَ) وفي بيان مثل هذا المعنى قال تعالى: (**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا**) [الأحزاب: ٤٥] فالنبي من خلال هذا الكتاب الذي جاء بالحق والبركة والخير الذي لا ينقطع والذي حمل في طياته معالم التبشير والإنذار إستطاع أن ينذر فالنبي هو المنذر والكتاب هو المنذر به لقوله تعالى: (**إِنَّ هَـذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا**) [الإسراء: ٩].

٢٤ - ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾﴾ [الأنعام: ٩٤].

أولاً: القراءات:

١. قرأ المدنيان والكسائي وحفص ﴿تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ بنصب النون.

٢. قرأ الباقون ﴿تَّقَطَّعَ بَيْنُكُمْ﴾ برفعها[٢١٨].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

﴿قِطَعٌ﴾ : القطع فصل الشيء مدركا بّالبصر كالأجسام أو مدركاً بالبصيرة كالأشياء المعقولة ومن ذلك قطع الأعضاء[٢١٩].

﴿بَيْنِ﴾ : البين في كلام العرب جاء على وجهين: البين بمعنى

---

(٢١٧) الكشاف (١٠٩/٢).

(٢١٨) النشر في القراءات العشر (٢١٩/٥).

(٢١٩) معجم مفردات الفاظ القرآن ص٤٢٣.

الاجتماع، ويعني الافتراق[٢٢٠].

ثالثاً: المعنى الإجمالي للآية:

تحدثنا الآية الكريمة عما هو كائن يوم القيامة لهؤلاء العادلين به الآلهة والأنداد، يخبر عباده أنه قائل لهم عند ورودهم عليه: (**وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ**) حفاة عراة، كما ولدتكم أمهاتكم، لا شيء عليكم ولا شيء معكم كما كنتم تتباهون في الدنيا قالت السيدة عائشة حينما تلت هذه الآية واسوأتاه إن الرجال والنساء يحشرون جميعاً! فقال ﷺ (لكل أمرئ منهم يومئذ شأن يغنيه، لا ينظر الرجال إلى النساء ولا ينظر النساء إلى الرجال شغل بعضهم عن بعض)[٢٢١]، بل تركتم وخلفتم أيها القوم ما مكناكم في الدنيا مما كنتم تتباهون به فيها خلفكم في الدنيا فلم تحملوه معكم وهذا تقريع وتوبيخ من الله ﷻ قال ﷺ (يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت وما سوى ذلك فذاهب وتاركه للناس)[٢٢٢] وقال الحسن البصري: (يؤتى بابن آدم يوم القيامة كأنه بذج[٢٢٣] فيقول الله ﷻ أين ما جمعت؟ فيقول يا رب جمعته وتركته أوفر ما كان، فيقول له يا ابن آدم أين ما قدمت لنفسك؟ فلا يراه قدم شيئا وتلا)[٢٢٤] هذه الآية (**وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاء ظُهُورِكُمْ**) وهذا تعيير وتأنيب على ما كانوا اتخذوا في الدنيا من الأنداد والأصنام والأوثان ظانين أنها تنفعهم في معاشهم ومعادهم، إن كان ثم معاد فاذا كان يوم القيامة تقطعت بهم الأسباب،

---

(٢٢٠) انظر: لسان العرب ٦٢/١٣. مادة بين.

(٢٢١) سنن الترمذي ـ تفسير القرآن حديث رقم ٣٦٥٢. وفي مسند الإمام أحمد حديث رقم ٢٥٣٢٥.

(٢٢٢) مسند الإمام أحمد. حديث مطرف بن عبد الله. حديث رقم ١٦٧٦٠. أخرجه ابن كثير في تفسيره (١٤٠/٢) قائلاً ثبت في الصحيح (يقول ابن آدم مالي مالي).

(٢٢٣) بذج: أي الحمل الضعيف من ولد الضأن.

(٢٢٤) انظر: سنن الترمذي ـ صفة القيامة ـ حديث رقم ٢٦١٤.

وانزاح الضلال وضل عنهم ما كانوا يفترون(٢٢٥).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (تَّقَطَّع بَيْنُكُم) بأن وقع التقطع بينكم، كما تقول: جمع بين الشيئين تريد: أوقع الجمع بينهما على إسناد الفعل إلى مصدره بهذا التأويل، ومن رفع فقد أسند إلى الظرف(٢٢٦).

كما تقول: قوتل خلفَكم وأمامَكم وفي قراءة عبد الله: لقد تقطع ما بينكم. وحجة من رفع أنه جعل (البين) اسماً غير ظرف، فأسند الفعل إليه، فرفعه به. ويقوي جعل (بين) اسماً دخول حرف الجر عليه في قوله: ﴿وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ﴾ [فصلت: ٥] وقوله تعالى: ﴿قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيۡنِي وَبَيۡنِكَۚ﴾ [الكهف: ٧٨] ولا يحسن أن يكون مصدراً، وترفعه بالفعل، لأنه يصير المعنى، لقد تقطع افتراقكم، وإذا انقطع افتراقهم لم يفترقوا، فيحول المعنى وينقلب المراد، وإنما تم على أنهم تفرقوا، وأصل (بين) أن تبين عن الإفتراق، وقد استعملت في هذا الموضع وغيره، إذا ارتفعت بمعنى الوصل والمعنى لقد تقطع وصلكم، وإذا تقطع وصلهم افترقوا وهو المعنى المقصود إليه، وإنما استعملت بضد ما بنيت عليه، بمعنى الوصل، وتقول بيني وبينه شركة، بيني وبينه رحم وصداقة، فلما استعملت في هذه المواضع بمعنى الوصل جاز استعمالها في الآية كذلك(٢٢٧).

وأفادت قراءة (تَّقَطَّع بَيْنَكُم) بالنصب هو تقطع وصلكم بينكم؛ وحجة من نصب أنه جعله ظرفاً، والتقدير قد تقطع وصلكم بينكم، ودل على حذف القول قوله تعالى: (**وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاء**) فدل هذا التقاطع والتهاجر بينهم وبين شركائهم، اذ تبرؤوا منهم ولم يكونوا معهم، وتقاطعهم لهم هو ترك وصلهم لهم، فحسن إضمار الوصل

---

(٢٢٥) انظر: تفسير الطبري (٥/ ١٨٤). وتفسير ابن كثير (٢/١٤٠).

(٢٢٦) انظر: الكشف (١/٤٤١).

(٢٢٧) تفسير الكشاف (٢/١١١).

بعد (التقطع) وهو ما كأنه قال: لقد تقطع الوصل بينكم، والبين هنا الوصل وهو من الأضداد، وفي قراءة ابن مسعود (لقد تَّقَطَّع ما بَيْنَكُمْ) وهذه تعضد قراءة النصب(٢٢٨).

والقراءة بالنصب كالقراءة بالرفع على أن (بين) اسم لما كثر استعماله على أنه ظرف منصوب جرى إعرابه على الفتح، وهو موضع الرفع وهو مذهب الأخفش(٢٢٩). فقال ﷺ (بَيْنك) بالرفع فأسند القطع المبالغ فيه إلى البين، وإذا انقطع البين تقطّع ما كان فيهم من الأسباب التي كانت تسبب الإتصال، ولم يبق لأحد منهم من الإتصال بالآخر. ولما كان (بَيْنكَم) بالنصب على الظرفية، ورجع المعنى إلى تقطع الوصل، بين سبب ذلك، وهو زوال المستند الذي كانوا يستندون إليه(٢٣٠).

خامساً: وبالجمع بين القراءتين نجد أنّ كلتا القراءتين تزيد المعنى تأكيداً في تقطيع جميع الأواصر بينهم؛ وهو دلالة على التقطع والهجران، أي لقد تقطع وصلكم، ووقع التقطع بينكم **(وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاء)** أي ذهب زعمكم أنها تشفع لكم، ومعنى الآية في كلا القراءتين أبلغ وأوقع في الحيرة والدهشة، وزيادة في تقطيع الأواصر، وحقيقة الأمر فلا اتصال ولا تواصل بينهم فالعلاقات مقطعة والأواصر ممزقة فيما بينهم يوم القيامة؛ يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

---

(٢٢٨) انظر: الفريد (٢/١٩٥).

(٢٢٩) الأخفش: هو الكبير شيخ العربية أبو الخطاب البصرى، يقال اسمه عبد الحميد ابن عبد الحميد تخرج به سيبويه وحمل عنه النحو، ولولا سيبويه لما اشتهر أخذ عنه عيسى بن عمر النحوي، وأبو عبيدة معمر بن المثنى وغيرهما. انظر سير أعلام النبلاء.

(٢٣٠) انظر نظم الدرر (٢/٦٧٦). المسمى نظم الدر في تناسب الآيات والسور. للإمام برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر القاعي المتوفى خمس وثمانين وثمان مائةهـ. خرج آياته وأحاديثه. عبد الرزاق المهدي. دار الكتب العلمية ـ بيروت. الطبعة الأولى ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م. وحيثما يأتي سأكتفي بقولي: نظم الدرر.

٢٥ - ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾﴾ [الأنعام: ٩٦].

أولاً: القراءات:

قرأ الكوفيون ﴿وَجَعَلَ﴾ بفتح العين واللام من غير ألف وبنصب اللام من ﴿اللَّيْلَ﴾.

وقرأ الباقون ﴿وَجَاعِلُ﴾ بالألف وكسر العين ورفع اللام، وخفض ﴿اللَّيْلِ﴾[٢٣١].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

﴿جَعَلَ﴾ : أنشأ وأبدع[٢٣٢].

ثالثاً: المعنى الإجمالي للآية:

تتحدث الآية الكريمة عن معجزة من معجزات الله ﷻ في الخلق فكيف ننصرف عنه ﷻ وهو شاقّ الضياء من وسط الظلام، فيشق عمود الصبح وسط ظلمة الليل وسواده.

قال ابن كثير: «كما قال تعالى: في أول السورة وجعل الظلمات والنور أي فهو ﷻ يفلق ظلام الليل عن غرة الصباح فيضيء الوجود ويستنير الأفق ويضمحل الظلام ويذهب الليل ويبدد ظلام رواقه ويجيء النهار بضيائه وإشراقه كقوله تعالى: ﴿يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤] فبين تعالى قدرته على خلق الأشياء المتضادة المختلفة الدالة على كمال قدرته،

(٢٣١) النشر في القراءات العشر (٢/١٩٦).

(٢٣٢) سبق التعرض لها ص ١٠٤. انظر: كلمات القرآن ص٧٢. المسمى كلمات القرآن تفسير وبيان للشيخ. حسنين محمد مخلوف. دار القلم - بيروت. وحيثما يأتي سأكتفي بقولي: كلمات القرآن. وللمزيد من المعلومات انظر ص١٠٤.

وعظيم سلطانه فذكر أنه فالق الإصباح وقابل ذلك بقوله وجعل الليل سكنا أي ساجياً لتسكن فيه الأشياء»[٢٣٣].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا) بغير ألف، ونصب الليل حملاً على معنى (فالق) لأنه بمعنى فلق، لأنه أمرٌ قد كان فحمل على المعنى، وأيضاً فإن بعده أفعالاً ماضية وهو قوله تعالى: (وَجَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ) و(وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاء) فحمل أول الكلام على آخره، يقوى ذلك إجماعهم على نصب الشمس والقمر على إضمار فعل، ولم يحملوه على فاعل فيخفضوه، قاله مكي - رحمه الله - (وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ) بالخفض عطفاً على اللفظ.

وأفادت قراءة يعقوب (وَجَاعَلُ اللَّيْلِ سَكَنًا) وأهل المدينة (وَجَاعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا) أي: محلاً للسكون وفي الموطأ عن يحيى بن سعيد، أنه بلغه أن رسول الله ﷺ كان يدعو فيقول (اللهم فالق الإصباح وجاعل الليل والشمس والقمر حسبانا اقض عني الدين وأغنني من الفقر وأمتعني بسمعي وبصري وقوتي في سبيلك)[٢٣٤].

فإن قيل: كيف قال وأمتعني بسمعي وبصري؟ واجعله الوارث مني وذلك يفنى مع البدن، قيل له في الكلام تجوز والمعنى اللهم لا تعدمه قبل، والمراد بهما الجارحتان ومعنى حسبنا أي بحساب يتعلق به مصالح العباد[٢٣٥].

---

(٢٣٣) تفسير ابن كثير (١٤١/٢).

(٢٣٤) انظر: موطأ مالك. باب ما جاء في الدعاء. (٢٤٢/١). حديث رقم ٦١٥. والحديث من البلاغات واختلف العلماء في الحكم عليه.

(٢٣٥) انظر: تفسير القرطبي (٤٣/٤). وتفسير البيضاوي ص١٨٥. المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل. الإمام ناصر الدين أبو الخير عبد الله الشيرازي البيضاوي دار الفكر. الطبعة ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م. وحيثما يأتي سأكتفي بقولي: تفسير البيضاوي.

* قال صاحب اللباب في بيان قوله تعالى: (وَجَعَلَ اللَّيْلَ) قرأ الكوفيون: (وَجَعَلَ) فعلاً ماضياً، والباقون بصيغة اسم الفاعل والرسم يحتملهما (اللَّيْل) منصوب عند الكوفيين بمقتضى قراءتهم، ومجرور عند قراءتهم له فعلاً مناسبة ما بعده أفعالاً ماضية نحو (وَجَعَلَ لكم) (وهو الذي أنشأ) إلى آخر الآيات ويكون سكناً، إما مفعولاً ثانياً على أن الجعل بمعنى التصيير، وإما حالاً بمعنى الخلق، وتكون الحال مقدرة، وأما قراءة غيرهم (فجاعل) يحتمل أن يكون بمعنى المضي، ويؤيده قراءة الكوفيين، والماضي عند البصريين لا يعمل إلا مع (ال) خلافاً في منع إعمال المعرف بها[٢٣٦].

* إن المتأمل في استعمال القرآن الكريم لبنية الكلمة القرآنية يجدها في غاية الدقة والجمال، فهو يستعمل الفعل للتجدد والحدوث، كما ويستعمل الاسم ليدل على الثبوت والاستقرار[٢٣٧].

خامساً: وبالجمع بين القراءتين نجد أن القراءتين تضفيان معاني جديدة في استقرار وثبات سنن الله في الكون (**فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ**) فاستعمل الفعل الماضي جَعَلَ مع الحيوية والتجدد والحركة الدائمة، فهو جعل في الماضي والحاضر وسيجعل في المستقبل وما زال يجعل إلى أن يرث الأرض ومن عليها في حين أن قراءة جاعل تناسب السياق (**فالق، مخرج، جاعل**) والاسم يدل على الثبات والاستقرار فهو جاعل في الماضي والحاضر وسيجعل في المستقبل على سبيل اللزوم والثبات والاستقرار وبهذا وذاك نجد أن جَعَلَ بمعنى جاعل كما أن فلق بمعنى فالق، والله أعلى وأعلم.

٢٦ - ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾﴾ [الأنعام: ٩٨].

---

(٢٣٦) انظر: اللباب (٨/ ٣٠٨).

(٢٣٧) انظر بلاغة الكلمة ص٢٣.

أولاً: القراءات:

١. قرأ ابن كثير وأبو عمرو ﴿فَمُسْتَقِرٌّ﴾ بكسر القاف.

٢. قرأ الباقون ﴿فَمُسْتَقَرٌّ﴾ بفتحها[٢٣٨].

واتفقوا على فتح الدال من ﴿وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ لأن المعنى أن الله استودعه فهو مفعول.

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

﴿قر﴾: قَرَّ في مكانه يقر قراراً إذا ثبت ثبوتاً جامداً، وأصله من القُر وهو البرد ويقتضي السكون، والحر ويقتضي الحركة، وجملة الأمر أنّ كل حال ينقل عنها الإنسان فليس بالمستقر التام والإقرار إثبات الشيء، ويضاد الإقرار الإنكار؛ فمستقر في الأصلاب، وقيل في الأرحام، ونحوها[٢٣٩].

﴿وَمُسْتَوْدَعٌ﴾: المستودع في الأرحام ونحوها وقيل في الأصلاب، المستودع المكان الذي تجعل فيه الوديعة[٢٤٠].

ثالثاً: المعنى الإجمالي للآية:

(وَهُوَ الَّذِيَ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ) يعني آدم عليه السلام قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [الأعراف: ١٨٩] وقوله فمستقر ومستودع اختلفوا في معنى ذلك فعن ابن مسعود وابن عباس وأبي عبد الرحمن السُلمي وغيرهم فمستقر أي في الأرحام وأكثرهم مستودع أي في الأصلاب، وعن ابن مسعود وطائفة فمستقر في الدنيا ومستودع حيث يموت وقال سعيد بن جبير فمستقر في الأرحام وعلى ظهر الأرض وحيث يموت وقال الحسن البصري المستقر الذي قد مات فاستقر به عمله، وعن ابن مسعود ومستودع في الدار الآخرة والقول الأول أظهر والله أعلم والذي

(٢٣٨) النشر في القراءات العشر (١٩٦/٢).

(٢٣٩) انظر: معجم مفردات القرآن ص ٤١٢.

(٢٤٠) انظر: لسان العرب ٣٨٦/٨. مادة ودع.

تميل إليه الباحثة[٢٤١].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة ﴿فَمُسْتَقِرٌّ﴾ بكسر القاف، والتقدير فيمن كسر القاف فمنها مستقر.

وأفادت قراءة (فَمُسْتَقَرٌّ)والفتح بمعنى لها مستقر، قال عبد الله بن مسعود فلها مستقر في الرحم ومستودع في الأرض التي تموت فيها وهذا التفسير يدل على الفتح؛ وقال الحسن (فمستقر) في القبر وأكثر أهل التفسير يقولون المستقر ما كان في الرحم والمستودع ما كان في الصلب رواه سعيد بن جبير، وعن ابن عباس أيضاً (مِستقر) في الأرض و(مستودع) في الأصلاب.

وروي عن ابن عباس أيضا أن المستقر مَنْ خُلق والمستودع مَنْ لم يُخلق[٢٤٢].

* قال مكي بن أبي طالب: (فَمُسْتَقَرٌّ) قرأ ابن كثير وأبو عمرو بكسر القاف جعلاه اسماً غير ظرف على معنى، فمستقر في الأرحام، بمعنى قرّ في الأرحام، لأن (قرّ واستقر) بمعنى لا يتعديان، ورفعه بالابتداء والخبر محذوف، أي فمنكم مستقر، أي فمنكم قارّ في الأرحام، أي بعضكم قار في الأرحام، وبعضكم مستودع في الأصلاب وقيل في القبور وهذا المستودع وفي قراءة من كسر القاف: هو الإنسان بعينه فتعطف اسماً على اسم، ومن قرأ بفتح القاف، جعلوه اسم مكان، ورفعه أيضاً بالابتداء، والخبر محذوف كالأول، والتقدير: فلكم مستقر، أي مقر، أي مكان تقرون فيه، وتسكنون فيه، ويكون (مستودع) أيضاً اسم مكان وعلى معنى؛ فلكم استقرار مكان استيداع (فمستقر) في قراءة من فتح القاف، ليس هو الإنسان، إنما هو اسم لمكان الإنسان والمعنى؛ فلكم مستقر في الأرحام ومستودع في الأصلاب،

(٢٤١) انظر: تفسير ابن كثير (١٤٢/٢). وتفسير القرطبي (٤٤/٤).

(٢٤٢) تفسير النسفي (٢٥/٢).

على معنى استقرار ومكان استيداع فتعطف مكاناً على مكان وهو الاختيار لأن أكثر القراء عليه[٢٤٣].

خامساً: وبالجمع بين القراءتين نجد أنّ المعاني تزداد تأكيداً واستقراراً في النفس فهو إما بكسر القاف فهو (مستَقِر) في، وهو اسم فاعل، يعني الإنسان بعينه مستَقِرٌ فيه، ومن قرأ بفتح القاف (مستَقَر)، فقد جعلوه اسم مكان وهو اسم مفعول يعني الأرحام هي له مستَقَر، والظاهر أن ابن آدم هو مستودع في ظهر أبيه، وليس بمستقر فيه؛ لأنه ينتقل لا محالة منه ثم ينتقل إلى الرحم، ثم ينتقل منه إلى الدنيا، ثم ينتقل منها إلى القبر، ثم ينتقل منه إلى الحشر، ثم ينتقل منه إلى الجنة أو النار، وهو في كل رتبة بين هذين الطرفين مستقر بالإضافة إلى التي قبلها ومستودع بالإضافة إلى التي بعدها، فعلى هذا فالقراءتان تؤكد كل منهما الأخرى وتزيد المعنى وضوحاً فهو إما مستَقِر في أو مستَقَر فيه.

٢٧ ـ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأنعام: ٩٩].

أولاً: القراءات:

١. قرأ حمزة والكسائي وخلف ﴿إِلَىٰ ثُمُرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ﴾ بضم الثاء والميم.

٢. قرأ الباقون ﴿ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ﴾ بفتحها[٢٤٤].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

﴿ثمر﴾: الثمر اسم لكل ما يتطعم من أحمال الشجر، الواحدة ثمرة

(٢٤٣) الكشف عن وجوه القراءات (١/٤٤٢).

(٢٤٤) النشر في القراءات العشر (٢/١٩٦).

والجمع ثمار وثمرات[245].

والثُمر: قيل هو الثُمار، وقيل هو جمعه ويكنى به من المال المستفاد وثمر الله ماله، ويقال لكل نفع يصدر عن شيء ثمرة العلم العمل الصالح، وثمرة العمل الصالح الجنة، وثمرة السوط عقدة أطرافها تشبيهاً بالثمر في الهيئة والتدلي عنه: الثمر عن الشجر، والثميرة من اللبن ما تحبب من الزبد تشبيهاً بالثمر في الهيئة وفي التحصيل عن اللبن[246].

ثالثاً: المعنى الإجمالي للآية:

تتحدث الآية الكريمة عن إخلاص العبودية لله ﷻ الذي أنزل من السماء ماء، فأخرج به نبات من جميع الأصناف ففكروا في قدرة خالقها من العدم إلى الوجود، بعد أن كانت حطباً، صارت عنباً ورطباً، وغير ذلك من الألوان والأشكال والطعوم والروائح.

قال الطبري: «أي أخرجنا به ما ينبت به كل شيء وينمو عليه ويصلح. فأخرج منه الحب المتراكب بعضه فوق بعض كسنابل القمح والشعير، وأخرج منه طلع النخيل، وعناقيد العنب، أي أخرج من هذا الماء البساتين والحدائق وأعناب وزيتون ورمان. فقال (**انظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَيَنۡعِهِۦٓ**) أي انظروا نظرة استبصار واعتبار إلى ثمر ما ذكر إذا أخرج ثمره، وكيف يخرج ضئيلاً لا يكاد ينتفع به، وإلى ينعه ونضجه، وكيف أنه يصير ضخماً ذا نفع عظيم، ولذة كاملة، ثمّ وازنوا بين صفاته في كل من الحالتين يستبين لكم لطف الله وتدبيره وحكمته في تقديره، وغير ذلك مما يدل على توحيده فهو الواحد الأحد الذي لا شريك له ولا ولد»[247].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة إلى (ثَمَرِهِ) بفتح الثاء والميم، وهو اسم جنس كشجرة

(٢٤٥) انظر: مفردات ألفاظ القرآن ص٩٢.

(٢٤٦) انظر: الحجة للقراء (١٤٣/٥).

(٢٤٧) انظر: تفسير الطبري (١٩٤/٥ ـ ١٩٥). وتفسير ابن كثير (٢/ ١٤٢).

وشجر والثمر حتى الشجر وما يطلع وإن سمي ثمراً فمجاز وقرأه بعض قراء أهل مكة. فمن فتح الثاء والميم من ذلك وجه معنى انظروا إلى ثمر هذه الأشجار التي سمينا من النخل والأعناب والزيتون والرمان إذا أثمر وأن الثمر جمع ثمرة كما القصب جمع قصبة والخشب جمع خشبة.

وأفادت قراءة الكوفيين إلى (ثُمُرُهُ) فمن ضم الثاء والميم وجه ذلك إلى أنه جمع ثمار كما الحمر جمع حمار والجرب جمع جراب وعن مجاهد أنه كان يقرأ إلى ثُمره يقول هو أصناف المال وقال الثُمر هو المال والثمر ثمر النخل. الثُمرة بضم الثاء والميم لأن الله ـ جل ثناؤه ـ وصف أصنافاً من المال كما قال يحيى بن وثاب(٢٤٨): وكذلك حَب الزرع المتراكب وقنوان النخل الدانية والجنات من الأعناب والزيتون والرمان فكان ذلك أنواعاً من الثمر فجمعت الثمرة ثمراً ثم جمع الثمر ثماراً ثم جمع ذلك فقيل انظروا إلى ثُمُره(٢٤٩).

* قال أبو حيان: انظروا إلى ثمره إذا أَثمر وينعه النظر نظر رؤية ولذلك عداه بإلي لكي يترتب عليه الفكر والاعتبار والاستبصار، ونبه على حالين: وهو وقت ابتداء والاستدلال على قدرة باهرة تنقله من حال إلى حال، ونبه على حالة الابتداء والانتهاء وهو وقت نضجه أي كيف يخرجه ضئيلاً ضعيفاً لا يكاد ينتفع به وكيف يعود نضيجاً مشتملاً على منافع. فمن قرأ (ثمره) بضم الثاء والميم فهي أصناف الأموال يعني الأموال التي تتحصل منه.

خامساً: وبالجمع بين القراءتين نجد أن الله ﷻ يلفت أنظار عباده إلى

---

(٢٤٨) يحيى بن وثاب: هو يحيى بن وثاب الأسدي بالولاء، الكوفي إمام أهل الكوفة في القرآن تابعي ثقة قليل الحديث، من أكابر القراء توفي سنة مائة وثلاثة للهجرة. انظر: الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستشرقين. تأليف خير الدين الزركلي. دار العلم للملايين ـ بيروت. الطبعة الخامسة ١٩٨٠م. (ج٨/ص١٧٦). وحيثما يأتي سأكتفي بقولي: الأعلام.

(٢٤٩) انظر: تفسير البحر المحيط (٤/٦٠٠).

تلك النعم التي يمنُّها على عباده حيث إن من قرأ (ثَمَره) بفتح الثاء والميم من ذلك وجه معنى انظروا إلى ثمر هذه الأشجار التي سَمَّينا من النخل والأعناب والزيتون والرمان إذا أثمر و...غيره، فهي ثمار كثيرة مما أنعم الله على عباده، لتكون آية نظر واعتبار؛ وأما في قراءة (ثُمُره) بضم الثاء والميم لأن الله جل ثناؤه وصف أصنافاً من المال (يعني ذهب وفضة وأثاث وغيره ...) ومن المجاز (الثمر) أنواع المال المثمر؛ يعني المال الذي تتحصل منه الخيرات وهذا يدل على كمال القدرة وعلى كمال التفاوت وهذا نسق قرآني عجيب يرتاد هذا الوجود كأنما نهبط إليه أول لحظة، فيوقفنا أمام معالمه، ويفتح أعيننا على مشاهده الباهرة، الدالة على وجود القادر الحكيم؛ فإن وجود الأصناف المتفرقة والأجناس المختلفة من جنس واحد، لا يكون إلا من صنع قادر حكيم، وهنا في القراءات زيادة إمعان في نعم الله، من الخير الوفير وتنوعه.

٢٨ ـ ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [لأنعام ١٠٠].

أولاً: القراءات:

١. قرأ المدنيان ﴿وَخَرَّقُوا﴾ بتشديد الراء.

٢. قرأ الباقون ﴿وَخَرَقُوا۟﴾ بالتخفيف(٢٥٠).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

﴿خرق﴾ : الخرق أصله قطع الشيء، والشقّ على سبيل الفساد من غير تدبر ولا تفكر؛ وهو ضد الخلق والخلق هو فعل الشيء بتقدير ورفق، والخرق بغير تقدير(٢٥١).

وجاء في التاج: خرق الثوب (يخرقه، ويخرقه) بكسر الراء وضمها

(٢٥٠) النشر في القراءات العشر بتصرف ١٩٦/٢.

(٢٥١) انظر: معجم مفردات القرآن ٢/ ١٤٦.

(مزقه) شوهه وخربه[٢٥٢].

ثالثاً: المعنى الإجمالي للآية:

الآية الكريمة تصور ضرباً من ضروب الشرك التي قال بها العرب، وقالت بها كثير من الأمم، وهو اتخاذ شركاء لله مما خلق وبرأ، وعلى هذا فهو ﷻ المستقل بالخلق وحده فلهذا يجب أن يفرد بالعبادة وحده لا شريك له، ومثل هذه المعتقدات ضلال في وصفه تعالى بأن له ولداً كما يزعم من قاله من اليهود في (عزير) ومن قال من النصارى في (عيسى) ومن قال من مشركي العرب في الملائكة أنها بنات الله تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا، فجعلوا لله الجن شركاء في عبادتهم إياهم وهو المنفرد بخلقهم بغير شريك ولا ناصر ولا ظهير؛ وخرقوا له بنين وبنات بغير علم بحقيقة ما يقولون ولكن جهلاً بالله وبعظمته فإنه لا ينبغي لمن كان إلهاً أن يكون له بنون وبنات وصاحبة ولا أن يشركه في خلقه شريك ولهذا قال ﷻ **(عما يصفون)** أي تقدس وتنزه وتعاظم عما يصفه هؤلاء الجهلة الضالون من الأولاد والأنداد والنظراء والشركاء[٢٥٣].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة نافع (وَخَرَّقُوا) بالتشديد على التكثير؛ لأن المشركين ادعوا أن الملائكة بنات الله والنصارى ادعوا أن المسيح ابن الله، واليهود ادعوا أن عزيراً ابن الله فكثر ذلك من كفرهم فشدد الفعل لمطابقة المعنى[٢٥٤].

وأفادت قراءة (وَخَرَقُوا) بالتخفيف وقرئ (حرفوا) من التحريف أي زوروا، قال أهل اللغة معنى خرقوا اختلقوا وافتعلوا وكذبوا يقال اختلق الإفك واخترقه وخرقه أو أصله من خرق الثوب إذا شقه أي اشتقوا له بنين

---

(٢٥٢) انظر: تاج العروس (٣٢٧/٦) مادة خرق.

(٢٥٣) انظر: تفسير الطبري (١٩٨/٥). وتفسير ابن كثير (١٤٣/٢). وتفسير المراغي (٧ - ٢٠٣/٩).

(٢٥٤) انظر: تفسير القرطبي (٥٠/٤).

وبنات، قوله (**بِغَيْرِ عِلْمٍ**) متعلق بمحذوف هو حال أي كائنين بغير علم بل قالوا ذلك عن جهل خالص ثم بعد حكاية هذا الضلال البين والبهت الفظيع من جعل الجن شركاء لله وإثبات بنين وبنات له نزه الله نفسه فقال ﷻ (**عما يصفون**)[٢٥٥].

* قال الشوكاني: في بيان معنى قوله تعالى: «(**وَخَرَقُواْ لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ**) قرأ نافع بالتشديد على التكثير؛ لأن المشركين ادعوا أن الملائكة بنات الله والنصارى ادعو أن المسيح ابن الله واليهود ادعوا أن عزيراً ابن الله فكثر ذلك من كفرهم فشدد الفعل لمطابقة المعنى وقرأ الباقون بالتخفيف وقرئ حرفوا من التحريف أي زوروا»[٢٥٦].

خامساً: وبالجمع بين القراءتين نجد أنّ العلاقة تفسيرية فقراءة التخفيف تفيد التخريب والإتلاف بأقل درجاته؛ وقراءة التشديد تفيد التخريب بأعلى درجاته، فقد أفادت القراءتان بأن المشركين ادعوا أن الملائكة بنات الله، والنصارى ادعو أن المسيح ابن الله، واليهود ادعوا أن عزيراً ابن الله، فخرقوا الحقائق وشوهوها فشددوا في التخريب؛ فكثَّر ذلك من كفرهم؛ وقراءة التخفيف تفسر أقل إدعاء لهؤلاء جميعاً، وتكرار فعلهم هذا في اتخاذهم، كل الأساليب في قلب الحقائق وتزويرها وذلك من خلال التخريب بأدنى درجاته وأعلاها؛ كما تضمنت القراءات استهجان وإبطال جعلهم الجن شركاء لله تعالى مع أنه خلقهم، فكيف يكون المخلوق شريكاً للخالق؟ وهنا تشويه للحقائق وخرق لها وتخريب بالافتراء والتزوير.

٢٩ - ﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْأَيَٰتِ وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الأنعام ١٠٥].

أولاً: القراءات:

١. قرأ ابن كثير وأبو عمرو ﴿دَارَسْتَ﴾ بألف بعد الدال وإسكان السين وفتح التاء.

---

(٢٥٥) انظر: القراءات وأثرها (٥٤٨/٢).

(٢٥٦) فتح القدير (١٤٧/٢).

٢. قرأ ابن عامر ويعقوب ﴿دَرَسَتْ﴾ بغير ألف وفتح السين وإسكان التاء.

٣. قرأ الباقون ﴿دَرَسْتَ﴾ بغير ألف واسكان السين وفتح التاء[٢٥٧].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

﴿درس﴾ : دَرَسَ الكتاب يَدْرُسُه دَرْساً؛ ودِراسَةً ودارسه، ومن ذلك أنه عانده حتى انقاد لحفظه، وقد قرئ بهما: وليقولوا درست، وليقولوا (دارست)، وقيل درست قرأت كتب أهل الكتاب ودارست: ذاكرتهم، وقرئ: (دَرَسَتْ) و(دُرِسَتْ) أي هذه أخبار قد عفت وامَّحَتْ، ودَرُسَتْ أشدّ مبالغة[٢٥٨].

والدراسة: تعني القراءة بتمهل للحفظ أو الفهم؛ وسمي بيت تعلم اليهود بالمِدْرَاس؛ وسمي البيت الذي يسكنة التلامذة ويتعلمون فيه المدرسة.

أي للدرس تكرار المعالجة، وتتابع الفعل على الشيء حتى يذهب به أو يصل إلى الغاية منه[٢٥٩].

ثالثاً: المعنى الإجمالي للآية:

الآية الكريمة دعوة للنبي ﷺ أن اتبع ما أوحي إليك من ربك؛ ولا تشغل قلبك وعقلك بما زعموا أن هذا ليس بوحي منزل كما تزعم وإنما هو إفك وزور؛ وزعموا أنه تعلمه من يسار وجبر كانا عبدين ممن سبي الروم، كان أحدهما يصنع السيوف بمكة وكان يختلف إليه كثيراً؛ فعليك ألا تلتفت إليهم وتشتغل نفسك بعبادة ربك، قال تعالى: (**وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ**) نبينها على كل وجه من التصريف البديع لإثبات أصول العقيدة وتهذيب النفوس والأخلاق فنحولها من حال إلى حال، مع مراعاة الفوارق والتفاوت في العقول والأفهام (**وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**) وقيل اللام لام

(٢٥٧) النشر في القراءات العشر (١٩٦/٢).

(٢٥٨) انظر: لسان العرب (٧٩/٦) مادة درس.

(٢٥٩) انظر: تفسير التحرير والتنوير (٤٢٢/٤).

العاقبة أي عاقبة أمرهم أن يقولوا درست أي قرأت على غيرك وقيل قرأت كتب أهل الكتاب، كقوله تعالى: ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص ٨] ومعلوم أنهم لم يلتقطوه لذلك ولكن أراد أنّ عاقبة أمرهم أن كان عدوا لهم، كما أن الآية وضحت أن الناس في شأن كتاب الله فريقان، فريق فسدت فطرتهم، لم يبق لديهم استعداد لهداية، ولا للعلم بما فيه من تصريف الآيات ومن ثمّ كان نصيبهم منه الجحود والإنكار، وفريق اهتدى واتبع طريق الهدى[٢٦٠].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة ابن كثير وأبي عمرو (دَارَسْتَ) بالألف بفتح السين وسكون التاء أي هذه الأخبار التي تتلوها علينا قديمة قد درست وانمحت من قولهم درس الأثر يدرس دروساً، وقيل بمعنى قارأت وتعلمت من أهل الكتاب وذاكرتهم في علمهم. أي يعني يا محمد دارست أهل الكتاب ودارسوك أي ذاكرتهم وذاكروك، فهذا ليس من عند الله[٢٦١].

وأفادت قراءة أهل المدينة والكوفة وليقولوا (دَرَسْتَ) يعني قرأت أنت يا محمد، وروي عن قتادة أنه كان يقرؤه (دَرَسَتْ) بمعنى قرئت وتليت أي بمعنى انمحت وعفا عليها الزمن.

وأفادت قراءة (دَرَسَتْ) بصيغة الماضي وتاء التأنيث أي الآيات أي تكررت، أي هذا الذي تتلوه علينا قد تطاول ومر بنا وامتحى أثره من قلوبنا، فهي (تكررت) كما تدرس الآثار[٢٦٢].

* قال الشوكاني: وفي (درست) قراءات قرأ أبو عمرو وابن كثير

---

(٢٦٠) انظر: تفسير ابن كثير (١٤٥/٢). وتفسير المراغي (٧ ـ ٢١٠/٩).

(٢٦١) انظر: تفسير البغوي (١٧٥/٣).

(٢٦٢) انظر: تفسير الطبري (٢٠٤/٥).

(دارست) بألف بين الدال والراء كفاعلت وهى قراءة علي وابن عباس وغيره وأهل مكة وقرأ ابن عامر (دَرَسَتْ) بفتح السين وإسكان التاء من غير ألف كخرجت وقرأ الباقون (دَرَسْتَ) كضربت فعلى القراءة الأولى المعنى دارست أهل الكتاب ودارسوك أي ذاكرتهم وذاكروك ويدل على هذا ما وقع في الكتاب العزيز من إخبار الله عنهم بقوله (وأعانه عليه قوم آخرون) أي أعان اليهود النبي ﷺ على القرآن ومثله قولهم (**قَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً**) [الفرقان: ٥] وقولهم إنما يعلمه بشر والمعنى على القراءة الثانية قَدِمَتْ هذه الآيات وعفت وانقطعت وهو كقولهم (أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ) والمعنى على القراءة الثالثة مثل المعنى على القراءة الأولى قال الأخفش هي بمعنى دارست[٢٦٣].

خامساً: وبالجمع بين القراءتين نجد أنّ العلاقة تفسيرية يفسر بعضها بعضاً بل ويؤكد موقف جماعة فسدت فطرتهم وتعفنت نفوسهم، حيث إنهم ارتكبوا صنوفاً شتى من العناد، والكفر بالرسول ﷺ فاتهموه بالإفتراء بعد افلاسهم من مواجهة الإعجاز الذي تحداهم جميعاً وبدأ يظهر فشلهم فقالوا إن الإعجاز والوحي الذي أتيت به ليس من عند الله وإنما ذاكرته وقرأته على علماء اليهود والنصارى وهو أمر دارس وقديم قد إنتهى وعفا عليه الزمن، أي هو متكرر ومكرر ولسنا بحاجة له[٢٦٤].

وعليه فجميع القراءات يوجد بينها تكامل في المعنى، وجميعها تبين ما قاله الكافرون في حق النبي ﷺ في تكذيبه والتجني عليه بل ويؤكد تمسكهم بالباطل وإدحاض الحق بكل الوسائل والأساليب والحجج[٢٦٥].

٣٠ ـ ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ

(٢٦٣) تفسير فتح القدير (١٤٩/٢).

(٢٦٤) انظر: حجة القراءات ص ٢٦٥. انظر معاني القراءات ص١٦٤.

(٢٦٥) انظر: القراءات وأثرها في التفسير والأحكام (٥٥١/٢).

﴿كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾﴾ [الأنعام ١٠٨].

أولاً: القراءات:

١. قرأ يعقوب ﴿عُدُوّاً بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ بضم العين والدال وتشديد الواو.

٢. قرأ الباقون ﴿عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ بفتح العين وإسكان الدال وتخفيف الواو(٢٦٦).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

﴿عدوا﴾ : بفتح العين وسكون الدال وتخفيف الواو هو مصدر بمعنى العدوان والظلم(٢٦٧).

والعدو التجاوز ومنافاة الالتئام فتارة يعتبر بالقلب فيقال له العداوة والمعاداة، وتارة بالمشي فيقال له العَدْو، وتارة في الإخلال بالعدالة في المعاملة فيقال له العدوان والعدو؛ والعدو ضربان أحدهما: بقصد من المعادي والثاني: لا بقصده بل تعرض له حالة يتأذى بها كما يتأذى مما يكون من العِدى(٢٦٨).

سبب نزول الآية:

* عن ابن عباس ﷺ، قال الكفار(٢٦٩): (يا محمد لتنتهين عن سبك آلهتنا أو لَنهجون ربك فنهى الله أن يسبوا أوثانهم فيسبوا الله عدواً بغير علم) وقال قتادة: كان المسلمون يسبون أوثان الكفار فيردون ذلك عليهم فنهاهم الله: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾(٢٧٠).

---

(٢٦٦) النشر في القراءات العشر (١٩٦/٢).

(٢٦٧) انظر: تفسير التحرير والتنوير (٤٣٢/٤).

(٢٦٨) معجم مفردات ألفاظ القرآن ص٣٣٨.

(٢٦٩) أخرجه ابن أبي حاتم عن السدي. انظر: الدر المنثور (٣/ ٣٨). وأخرجه ابن أبي حاتم (١٣٦٧/٤) حديث رقم ٧٧٦٢.

(٢٧٠) انظر: أسباب النزول وبهامشه الناسخ والمنسوخ. ص ١٦٩. تصنيف الشيخ الإمام أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري. تأليف: الشيخ الإمام المحقق أبي القاسم. هبة الله ابن سلام أبي النصر. عالم الكتب ـ بيروت.

ثالثاً: المعنى الإجمالي للآية:

الآية الكريمة هي عبارة عن توجيه رباني للنبي ﷺ بالنهي عن سب آلهة المشركين، لأنهم إذا شُتموا أو تعرضوا إلى السب، فربما غضبوا، وذكروا الله بما لا يليق ولا ينبغي من القول. والمعنى لا تسبوا الذين يدعون من دون الله يعني الأوثان (فَيَسُبُّواْ اللّهَ عَدْوًا) أي اعتداء وظلماً فيتجاوزوا الحد في السباب والشتائم ليغيظوا المؤمنين وقوله بغير علم أي بجهالة بما يليق بجلال الله، وبما يجب أن يذكر به(٢٧١).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (عَدْوًا) بفتح العين وضم الدال بمعنى عدو وهو واحد يؤدي عن جمع كما قال ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٧٧﴾ [الشعراء: ٧٧] وقال تعالى: ﴿هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [المنافقون: ٤] وهو منصوب على المصدر أو على المفعول من أجله(٢٧٢). أفادت قراءة يعقوب عُدُوّاً يقال عدا فلان عدواً وعدواً وعداء وعدواناً.

* قال ابن الجوزي: ﴿فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨] أي ظلماً بالجهل، وقرأ يعقوب (عُدُوّاً) بضم العين والدال وتشديد الواو والعرب تقول في الظلم عدا فلان عَدواً وعِدواً وعُدواناً وعدا أي ظلم. وعَدْوًا بفتح العين وتخفيف الدال؛ وهو مصدر وفي انتصابه ثلاثة أوجه:

أحدها: هو مفعول له.

والثاني: مصدر من غير الفعل لأن السب عدوان في المعني.

---

(٢٧١) انظر: تفسير ابن كثير (١٤٦/٢). وتفسير المراغي (٧ ـ ٢١٤/٩). وتفسير البغوي (١٧٥/٣).

(٢٧٢) انظر: تفسير الجامع لأحكام القرآن (٥٦/٤).

والثالث: هو مصدر في موضع الحال، وهي حال مؤكدة، ويقرأ عُدُوّاً بضم العين والدال وتشديد الواو؛ وهو واحد في معنى الجمع: أي أعداء، وهو حال بغير علم؛ وهو مصدر على فعول كالجلوس والقعود(٢٧٣).

(عَدْواً) بفتح العين وسكون الدال وتخفيف الواو في قراءة الجمهور، وهو مصدر بمعنى العدوان، وهو منصوب على المفعولية المطلقة ليسبوا؛ لأن العدو هنا صفة للسب، فصح أن يحل محله في المفعولية المطلقة بياناً لنوعه، وقرأ يعقوب (عُدُواً) بضم العين والدال وتشديد الواو وهو مصدر كالعَدْو، و(عَدْوَاً) هو العدوان والظلم(٢٧٤).

خامساً: وبالجمع بين القراءتين نجد أنّ الآية الكريمة لون من ألوان التربية الإسلامية، فالتربية الإسلامية العظيمة؛ تقيم النفوس البشرية وقد تضمنت هذه الآية نهي المسلمين عن سب الكفار والمشركين، كي لا يسبوا المولى ﷻ حيث قال: ﴿قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [آل عمران: ١١٨](٢٧٥).

ومن خلال الجمع نلاحظ **أن** من قرأ (عَدْواً) فهو من باب الاعتداء الخفيف من الواحد أو الاثنين من هؤلاء الكفار والمشركين بسّب الله تعالى؛ ومن قرأ (عُدُوّاً) بالتشديد حيث إن التشديد هو زيادة في المبنى أدت إلى زيادة المعنى؛ لذا قد يكون الاعتداء من الدول والجماعات والفرق، وفي القراءتين اعتداء على الله بالقلة والكثرة من اولئك الحاقدين.

٣١ ـ ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾﴾ [الأنعام: ١٠٩].

أولاً: القراءات:

(٢٧٣) انظر: تفسير زاد المسير (١٠٨/٣).

(٢٧٤) انظر: تفسير التحرير والتنوير (٤٣٢/٤). انظر: تفسير ابن أبي زمَنِين (٢٣٩/١).

(٢٧٥) انظر: إملاء ما منّ به الرحمن (١ ـ ٢/ ٢٦٤). والمستنير (١٦٩/١).

١. قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب (إِنَّها) بكسر الألف.

٢. قرأ حفص عن عاصم والباقون (أَنَّها) بفتح الألف.

١. قرأ ابن عامر وحمزة (لاَ تُؤْمِنُونَ) بالخطاب.

٢. قرأ الباقون (لاَ يُؤْمِنُونَ) بالغيب[٢٧٦].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

﴿أَن،إن﴾: ينصبان الاسم ويرفعان الخبر والفرق بينهما (أنّ، إنّ) إنّ يكون ما بعده جملة مستقلة وأنّ يكون ما بعده في حكم مفرد يقع موقع مرفوع ومنصوب ومجرور[٢٧٧].

﴿أمن﴾: أصل الأمن طمأنينة النفس ونقيض الخوف، والأمن والأمانة والأمان في الأصل مصادر ويجعل الأمان تارة اسماً للحالة التي يكون عليها الإنسان في الأمن، وتارة اسماً لما يؤمن عليه الإنسان، وقيل كلمة التوحيد؛ وقيل العدالة[٢٧٨].

سبب نزول الآية:

* قال الواحدي: «إن قريشاً قالت يا محمد تخبرنا بأن موسى ضرب بعصاه الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً، وأن عيسى كان يحيي الموتى، وأن ثمود كانت لهم ناقة، فأتنا ببعض هذه الآيات حتى نصدقك فقال: أي شيء تحبون؟ قالوا: اجعل لنا الصفا ذهباً، فوالله إن فعلته لنتبعنك أجمعون، فقام رسول الله ﷺ يدعو فجاءه جبريل عليه السلام فقال إن شئت أصبح الصفا ذهبا ولئن أرسل الله آية ولم يصدقوا عندها ليعذبنهم فاتركهم حتى يتوب تائبهم فقال رسول الله ﷺ بل يتوب تائبهم فنزلت هذه الآية»[٢٧٩].

---

(٢٧٦) النشر في القراءات العشر (١٩٦/٢).

(٢٧٧) انظر: معجم مفردات ألفاظ القرآن١ ص٢١.

(٢٧٨) انظر: لسان العرب (٢٢/١٣) مادة أمن.

(٢٧٩) الحديث ورد في مسند الحميدي (٢٣٢/١) حديث رقم ٧٠٠. وضعفه الألباني. انظر: أسباب النزول ص ١٦٦. وتفسير القرطبي (٥٧/٤)،

ثالثاً: المعنى الإجمالي للآية:

الآية الكريمة تتحدث عن طبيعة كفار مكة بحلفهم بأشد الأيمان وأغلظها، لئن جاءتهم معجزة أو آية أو أمر خارق لنؤمنن به ولكن بينت الآية حقيقتهم وديدنهم، وما جبلوا عليه.

* قال الطبري: «حلف بالله هؤلاء العادلون بالله جهد حلفهم وذلك أوكد ما كانوا عليه من الأيمان وأصعبها وأشدها لئن جاءتهم آية قالوا نقسم بالله لئن جاءتنا آية تصدق ما تقول يا محمد مثل الذي جاء مَنْ قبلنا مِن الأمم (لنؤمنن بها)، يقول قالوا لنُصَدِقن بمجيئها بك وأنك رسول مرسل وأن ما جئتنا به حق من عند الله، وإنما الآيات عند الله وهو القادر على إتيانكم بها دون أحد من خلقه وما يدريكم أنها إذا جاءت لا يؤمنون»(٢٨٠).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (إنها)... مكسورة على الاستئناف والإخبار عن حالهم، فحذف المفعول والمعنى: لو جاءت الآية التي اقترحوها، لم يؤمنوا فعلى هذا يكون الخطاب للمؤمنين؛ ثم ابتدأ فأوجب فقال (**أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لاَ يُؤْمِنُونَ**) ولو قال: (وما يشعركم) أنها إذا جاءت لا يؤمنون؛ كان ذلك عذراً لهم. أفادت قراءة (أنها) بفتح الألف فعلى هذا، المخاطب بقوله: (وما يشعركم) ﷺ وأصحابه ثم في معنى الكلام قولان: أحدهما وما يدريكم لعلها إذا جاءت لا يؤمنون وفي قراءة، أبيّ لعلها إذا جاءت لا يؤمنون والعرب تجعل أنّ بمعنى لعل يقولون ائت السوق أنك تشتري لنا شيئاً أي لعلك. والثاني: أن المعنى وما يدريكم أنها إذا جاءت يؤمنون وتكون لا صلة كقوله تعالى: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ [الأعراف: ١٢](٢٨١).

أفادت قراءة (يُؤْمِنُونَ) بالياء فلأن الذين أقسموا غيب. أفادت قراءة

(٢٨٠) تفسير الطبري (٥/٢٠٩).

(٢٨١) انظر: تفسير زاد المسير (٣/١٠٤ ـ ١٠٥). الدر المصون (٣/١٥٤).

(تُؤْمِنُونَ) فهو انصراف من الغيبة إلى الخطاب على الخطاب للمشركين.

* قال البغوي: «قرأ ابن كثير وأهل البصرة وأبو بكر عن عاصم إنها بكسر الألف على الابتداء وقالوا: تم الكلام عند قوله (وما يدريكم) فمن جعل الخطاب للمشركين قال: معناه: (وما يشعركم) أيها المشركون؟ أنها لو جاءت آمنتم؟ ومن جعل الخطاب للمؤمنين قال: معناه: (وما يشعركم) أيها المؤمنون؟ أنها لو جاءت آمنوا؟ لأن المسلمين كانوا يسألونه ﷺ أن يدعو الله حتى يريهم ما اقترحوا حتى يؤمنوا فخاطبهم بقوله: (وما يشعركم) ثم ابتدأ فقال ـ جل ذكره ـ إنها جاءت لا يؤمنون وهذا في قوم مخصوصين (حكم عليهم بأنهم لا يؤمنون) وقرأ الآخرون أنها بفتح الألف وجعلوا الخطاب للمؤمنين واختلفوا في قوله لا يؤمنون فقال الكسائي[٢٨٢] (لا) صلة، ومعنى الآية وما يشعركم أيها المؤمنون إذا جاءت أن المشركين يؤمنون»[٢٨٣].

خامساً: بالجمع بين القراءتين نجد أنّ كل قراءة تؤكد الأخرى فقراءة (إنّها) بكسر الهمزة، الكلام فيها للمخاطب، فتكون جملة (إنّها إذا جاءت) خطاباً موجهاً إلى المشركين والكفار والمعنى ما يدريكم أيها الكفار المقترحون مجيء الآية الدالة على نبوة محمد ﷺ أنها إذا جاءتكم تؤمنون، فالله ﷻ طبع على قلوبكم؛ وهي مكسورة على الاستئناف والإخبار عن حالهم وهذا يتناسب مع السياق. أما قراءة (أنّها) بفتح الألف بمعنى لعل؛ وعلى ذلك فالمخاطب رسول الله ﷺ وأصحابه؛ وفي قراءة (أُبيّ) لعلها إذا

---

(٢٨٢) الكسائي هو: الإمام ابو الحسن علي بن حمزة (بن عبد الله بن بَهْمَن بن فيروز الأسدي مولاهم الكوفي المقرئ النحوي المشهور بالكسائي أحد الأعلام) المتوفى سنة١٨٩هـ. أنظر معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار. تأليف: الإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي المتوفى سنة ٧٤٨هـ ـ ١٣٤٨م. (١/ ٢٩٦). تحقيق الدكتور طيار آلتى قولاج. استنابول ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م. الطبعة الأولى. وحيثما يأتي سأكتفي بقولي: معرفة القراء الكبار. وتفسير البغوي (١٧٨/٣). وتفسير النسفي (٢٨/٢).

(٢٨٣) انظر: القراءات وأثرها (٢/ ٨٥٨).

جاءت لا يؤمنون أي ما يدريكم أيها المؤمنون أن لو أنزل الله الآية التي طلبها الكفار أنهم لا يؤمنون؛ وهنا جاء الالتفات من الخطاب إلى الغيبة للتأكيد على عدم الإيمان، فالآية بالقراءتين مقطوع بها في عدم إيمانهم؛ لأن الله ختم على قلوبهم.

٣٢ - ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾﴾ [الأنعام: ١١١].

أولاً: القراءات:

١. قرأ المدنيان وابن عامر ﴿قِبَلاً﴾ بكسر القاف وفتح الباء.

٢. قرأ الباقون ﴿قُبُلًا﴾ بضم القاف والباء[٢٨٤].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

﴿قبل﴾: قبْل يستعمل في التقدم المتصل والمنفصل ويضاده بعد، وقيل يستعملان في التقدم المتصل ويضادهما دبر ودبر هذا في الأصل وإن كان قد يتجوز في كل واحد منهما، فقبل يستعمل على أوجه؛ الأول: في المكان بحسب الإضافة فيقول الخارج من أصبهان إلى مكة إلى أصبهان: الكوفة قبل بغداد والثاني: في الزمان ... والثالث: في المنزلة ... والرابع: في الترتيب الصناعي نحو تعلم الهجاء قبل تعلم الخط[٢٨٥].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

الآية الكريمة تتحدث عن طبيعة من عميت بصيرته، حتى لو أتتهم الآيات تباعاً، ولو أننا آتيناهم ما اقترحوا فنزّلنا إليهم الملائكة، وأحيينا لهم الموتى يشهدون عياناً بصدقك، وزدنا على ذلك فجمعنا لهم جميع الخلائق

---

(٢٨٤) النشر في القراءات العشر (١٩٦/٢).

(٢٨٥) معجم مفردات ألفاظ القرآن ص ٤٠٦.

من السباع والدواب والطيور مقابلة ومعاينة حتى يواجهوهم، يشهدون لك بالرسالة، أو كفلاء بصدقك؛ ما استقام لهم الإيمان لسوء استعدادهم وفساد فطرهم، علماً بأن هذا ما اقترحوه.

* قال القرطبي: «ولو أننا نزّلنا إليهم الملائكة فرأوهم عيانا وكلمهم الموتى بإحيائنا إياهم وحشرنا عليهم كل شيء سألوه من الآيات قبلاً أي مقابلة ومعاينة لما آمنوا، أي (مَّا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ إِلاَّ أَن يَشَاء اللّهُ) ولكن إنْ شاء ذلك لهم، وقيل الاستثناء لأهل السعادة الذين سبق لهم في علم الله الإيمان، وفيها تسلية للنبي ﷺ (وَلَـكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ) أي يجهلون الحق ولا يجوز لهم أن يقترحوا الآيات بعد أن رأوا آية واحدة»(٢٨٦).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (قِبَلا) بكسر القاف وفتح الباء من المقابلة والمعاينة. وقرأ آخرون بضمهما، قيل معناه من المقابلة والمعاينة أيضاً، كما رواه ابن عباس وقال مجاهد (قُبُلا) أي أفواجاً قبيلاً قبيلاً أي تعرض عليهم كل أمة بعد أمة فيخبرونهم بصدق الرسل(٢٨٧).

وأفادت قراءة (قُبُلا) بضمتين أرادوا به أصناف العذاب كله جمع قبيل نحو سبيل وسُبُل؛ مذهب الفراء أن (قُبُلا) جمع قبيل أي متفرقا يتلو بعضه بعضاً، ويجوز عنده أن يكون المعنى عياناً(٢٨٨).

* قال أبو السعود: «(قُبُلا) بضمتين وقرئ بسكون الباء أي كفلاء بصحة الأمر وصدق النبي على أنه جمع قبيل بمعنى الكفيل كرغيف ورُغُف وقضيب وقُضُب وهو الأنسب بقوله تعالى: (أو تأتي بالله والملائكة قبيلا) أي لو لم نقتصر على ما اقترحوه بل زدنا على ذلك بأن أحضرنا لديهم كل شيء يتأتى منه الكفالة والشهادة بما ذكر لا فرادى بل بطريق المعية أو للكل

---

(٢٨٦) تفسير القرطبي (٦١/٤).

(٢٨٧) انظر: تفسير ابن كثير (١٤٨/٢).

(٢٨٨) انظر: القراءات وأثرها (٦٠٤/١).

الإفرادي أو مقابلة وعياناً على أنه مصدر نحو (قبلا)؛ وانتصابه على الوجهين: على أنه مصدر في موقع الحال أي بمعنى الجهة، كما في قولك: لي قبل فلان حق، وأن انتصابه على الظرفية[289].

جماعات: وهو الأوفق لعموم كل شيء وشموله للأنواع والأصناف أي حشرنا كل شيء نوعا نوعا وصنفاً صنفاً وفوجاً فوجاً وانتصابه على الحالية، وجمعيته باعتبار الكل المجموع باللازم.

* قال ابن الجوزي: في بيان معنى (قِبَلا) بكسر القاف وفتح الباء قال ابن قتيبة[290]: «معناها معاينة، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وحمزة والكسائي قُبلا بضم القاف والباء وفي معناها ثلاثة أقوال: أحدها أنه جمع قبيل وهو الصنف، فالمعنى وحشرنا عليهم كل شيء قبيلاً قبيلاً قاله مجاهد: والثاني: أنه جمع قبيل أيضاً إلا أنه الكفيل فالمعنى: وحشرنا عليهم كل شيء فكفل بصحة ما تقول اختاره الفراء، وهو أن يقال إذا لم يؤمنوا بانزال الملائكة وتكليم الموتى فلا يؤمنوا بالكفالة التي هي قول أولى فالجواب أنه لو كفلت الأشياء المحشورة فنطق ما لم ينطق كان ذلك آية بينة. والثالث: أنه بمعنى المقابل فيكون المعنى وحشرنا عليهم كل شيء فقابلهم ويقال لقيت فلاناً (قِبَلاً وقَبَلاً وقُبلاً وقَبِيَلاً وقَبَلِيّاً ومقابلة وكله واحد وهو للمواجهة»[291].

خامساً: بالجمع بين القراءتين نجد أن العلاقة تفسيرية تبين استحالة إيمان المشركين حيث **إنَّ** النتيجة واحدة سواء تم عرض الآيات بكل الأساليب والطرق ووجهاً لوجه، أو مجتمعين فوجاً بعد فوج، أو تعددت صنوف الآيات فلا داعي لهذه الآيات لأنها لم تغير من موقفهم شيئاً كما هو

---

(٢٨٩) انظر: تفسير أبي السعود بتصرف (٢٦٩/٢).

(٢٩٠) ابن قتيبة هو: عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، أبو محمد الشهير بابن قتيبة، كان رأساً في العربية والأخبار، وأيام الناس ثقة، ديناً، فاضلاً، له مصنفات كثيرة منها إعراب القرآن، ومعاني القرآن وغيرهما. توفي سنة ست وسبعين ومائتين هـ. انظر طبقات المفسرين للداوودي (٢٥١/١).

(٢٩١) انظر: تفسير زاد المسير بتصرف (١٠٧/٣).

في علم الله المسبق، والمعنى أنهم لو عاينوا ذلك معاينة ما آمنوا إلا أن يشاء الله.

٣٣ ـ ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًاۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [الأنعام: ١١٤].

أولاً: القراءات:

١. قرأ ابن عامر وحفص (مُنَزَّلٌ) بتشديد الزاي.

٢. قرأ الباقون (مُنْزَلٌ) بالتخفيف(٢٩٢).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

﴿نزل﴾ : النزول في الأصل هو انحطاط من علو، يقال نزل عن دابته ونزل في مكان كذا حط رحله فيه، وأنزله غيره، وإنزال الله تعالى إما نعمة أو نقمة على الخلق وإعطاؤهم إياها إما بإنزال الشيء نفسه كإنزال القرآن وإما بإنزال أسباب الهداية إليه(٢٩٣).

سبب نزول الآية:

حينما طلب مشركو قريش من رسول الله ﷺ أن اجعل بيننا وبينك حكما إن شئت من أحبار اليهود والنصارى ليخبرنا عنك بما في كتابهم من أمرك فنزلت الآية: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًاۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾﴾(٢٩٤).

---

(٢٩٢) النشر في القراءات العشر (١٩٧/٢).

(٢٩٣) معجم مفردات ألفاظ القرآن ص٥٠٩.

(٢٩٤) انظر: أسباب النزول ص١٦١. بهامشه الناسخ والمنسوخ تصنيف الشيخ الإمام أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري. تأليف الشيخ المحقق أبي القاسم. هبة الله أبن سلام أبي النصر. عالم الكتب ـ بيروت.

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

الآية الكريمة من باب التهييج والاستفزاز كما هي ردٌ على المشركين الذين طلبوا من محمد ﷺ أن يجعل بينهم وبينه حكماً من أحبار اليهود أو النصارى ليخبرهم بما في كتبهم من أمره فقال لهم: (هُوَ الَّذِي أَنَزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلاً) وهل هناك أصدق منه ﷻ الذي أنزل لكم القرآن بأوضح بيان، مفصلاً بين الحق والباطل، موضحاً بين الهدى والضلال؛ كما إنّ علماء اليهود والنصارى هم الذين يعلمون علم اليقين أن القرآن حق لتصديقه ما عندهم؛ فلا تكونن من الشاكين المترددين، والخطاب للنبي ﷺ والمراد به الأمة(٢٩٥).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (مُنَزَّلٌ) بالتشديد جعلاه من (نَزّل)؛ ويقال نزّل وأنزل، لكن في التشديد معنى التكرار.

وبالتشديد من نزل ينزل جمعاً بين اللغتين كما في قوله (وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلاً) ولم يقل وهو الذي نزل.

أفادت قراءة (مُنْزَلٌ) بالتخفيف وجعلوه من (أَنْزَل)؛ وتعني النزول على مراحل(٢٩٦).

* قال الطاهر بن عاشور: «وقرأ الجمهور (مُنْزَل) بتخفيف الزاي وقرأ ابن عامر وحفص بالتشديد والمعنى متقارب أو متَّحد كما سبق ذكره في سورة [آل عمران: ١٢٥]»(٢٩٧).

خامساً: بالجمع بين القراءتين نجد أنّ العلاقة تفسيرية فقراءة التضعيف تفيد إنزال القرآن على مراحل، وقراءة التخفيف تدل على إنزاله مرحلة

---

(٢٩٥) انظر: تفسير ابن كثير (٢/ ١٤٩). وتفسير المراغي (٩/٨). وصفوة التفاسير (٤١٤/١). وتفسير البيضاوي ١٨٨.

(٢٩٦) انظر: الكشف (٤٤٩/١). وحجة القراءات ص٢٦٨.

(٢٩٧) التحرير والتنوير (٧٤/٣). و (١٧/٥).

واحدة؛ كما أن التضعيف يفيد إنزاله أكثر من مرة، والتخفيف إنزاله مرة واحدة وعلى كلا القراءتين فالمعنى فيه تثبيت لقلوب المؤمنين على الحق؛ والخطاب للنبي ﷺ ولأمته على وجه التعريض، فلا يريبكم جحود أكثرهم وكفرهم؛ وبإنكار هؤلاء المشركين أن يكون القرآن حقاً وقد كذبوا به.

٣٤ ـ ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾﴾ [الأنعام: ١١٥].

أولاً: القراءات:

١. قرأ الكوفيون ويعقوب (وَتَمَّتْ كَلِمَتُ) بغير ألف على التوحيد.

٢. قرأ الباقون (وَتَمَّتْ كَلِمَاتُ) على الجمع[٢٩٨].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

﴿كلم﴾ : مادة كلمة والكلمة جمع كلم، والكلمة جمع كلمات؛ وتطلق على الخطبة والقصيدة[٢٩٩].

والكلمة في هذه الآية؛ هي القضية فكل قضية تسمي كلمة سواء كانت مقالاً أو فعالاً ووصفها بالصدق لأنه يقال قول صدق وفعل صدق (وتمت كلمة ربك) إشارة إلى نحو قوله (اليوم أكملت لكم دينكم) وقيل إشارة إلى ما قاله ﷺ (أول ما خلق الله تعالى القلم . . .)[٣٠٠] وقيل الكلمة هي القرآن وتسميته كلمة كتسمية القصيدة كلمة[٣٠١].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

الآية الكريمة تأكيد لسابقتها بأن تمَّ كلام الله المنزّل صدقاً فيما

---

(٢٩٨) النشر في القراءات العشر (١٩٧/٢).

(٢٩٩) انظر: معجم مفردات ألفاظ القرآن ص ٤٥٨.

(٣٠٠) أخرجه الترمذي. تفسير القرآن حديث رقم ٣٦٣٧. والمقطع جزء من الحديث قال ﷺ (أول ما خلق الله تعالى القلم، فقال له أكتب فجرى بما هو كائن إلى الأبد) الحديث حسن صحيح.

(٣٠١) انظر: المعجم الكبير (٤٣٣/١١). حديث. رقم ١٢٢٢٧.

أخبر؛ وعدلاً فيما قضى وقدّر، فلا مغيّر لحكمه ولا رادَّ لقضائه، فهو السميع لأقوال عباده العليم بأحوالهم.

* قال ابن كثير: «(وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً) قال قتادة: صدقاً فيما قال وعدلاً فيما حكم، يقول صدقاً في الأخبار وعدلاً في الطلب فكل ما أخبر به فحق لا مرية فيه ولا شك وكل ما أمر به فهو العدل الذي لا عدل سواه وكل ما نهى عنه فباطل فإنه لا ينهى إلا عن مفسدة كما قال تعالى: **(يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ)** إلى آخر الآية [الأعراف: ١٥٧] **(لاَّ مُبَدِّلِ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)** أي ليس أحد يعقب حكمه تعالى في الدنيا ولا في الآخرة وهو السميع لأقوال عباده العليم بحركاتهم وسكناتهم الذي يجازي كل عامل بعمله»[٣٠٢].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (كَلِمَاتُ) بالجمع؛ أراد بالكلمات أمره ونهيه، ووعده ووعيده، صدقاً وعدلاً أي صدقاً في الوعد والوعيد وعدلاً في الأمر والنهي، قال قتادة ومقاتل صادقاً فيما وعد، وعادلاً فيما حكم لا مبدل لكلماته.

أفادت قراءة أهل الكوفة كلمة بالتوحيد وقرأ الباقون بالجمع والمراد بالكلمات العبارات أو متعلقاتها من الوعد والوعيد؛ والمعنى أن الله قد أتم وعده فيما حكم لا مبدل لكلماته قال ابن عباس: لا راد لقضائه ولا مغير لحكمه ولا خلف لوعده وهو السميع العليم قيل أراد بالكلمات القرآن لا مبدل له يريد لا يزيد فيه المفترون ولا ينقصون[٣٠٣].

ووعيده فظهر الحق وانطمس الباطل وقيل المراد بالكلمة أو الكلمات القرآن وصدقا وعدلا منتصبين على التمييز أو الحال أو على أنهما نعت مصدر محذوف أي تمام صدق وعدل لا مبدل لكلماته لا خلف فيها ولا مغير لما حكم به والجملة المنفية في محل نصب على الحال أو مستأنفة

(٣٠٢) تفسير ابن كثير (١٤٩/٢).

(٣٠٣) انظر: تفسير الشوكاني (١٥٥/٢).

وهو السميع لكل مسموع العليم بكل معلوم(٣٠٤).

* قال الأزهري: الكلمة تنوب عن الكلمات، تقول العرب: قال فلان في كلمته أي قصيدته والقرآن كله كلمة الله، وكَلِم الله، وكلام الله، وكلمة الله، وكله صحيح ومن كلام العرب(٣٠٥).

خامساً: بالجمع بين القراءتين نجد أن العلاقة تفسيرية حيث إن كلتا القراءتين وضحت وبيَّنت المعنى المراد من الآية الكريمة، وجعلتها أكثر اتساعاً وشمولية وبياناً لمراد الله سبحانه حيث إنه قد وقع المفرد على الكثرة فلذلك أدى معنى الجمع وقراءة الجمع أدت معنى المفرد، حيث إن القرآن كله كلمة الله؛ كما تقول العرب للقصيدة من الشعر كلمة فلان، وقيل معناه (الكلمة) التي نزلت شيئاً بعد شيء حتى كملت على ما تقتضيه الحكمة، وقيل المراد بالكلمة حكم الله، وهو حجة الله على عباده في الأرض، وكلمة اسم جنس بمعنى كلمات وبها متعلقات كثيرة وعبارات وأحكام شتى.

٣٥ ـ ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [الأنعام: ١١٩].

أولاً: القراءات:

١. قرأ المدنيان والكوفيون ويعقوب (وَقَدْ فَصَّلَ) بفتح الفاء والصاد.

٢. قرأ الباقون (وَقَدْ فُصِّلَ) بضم الفاء وكسر الصاد.

١. قرأ المدنيان ويعقوب وحفص (حَرَّمَ عَلَيْكُمْ) بفتح الحاء والراء.

٢. قرأ الباقون (حُرِّمَ عَلَيْكُمْ) بضم الحاء وكسر الراء(٣٠٦).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

---

(٣٠٤) انظر: تفسير معالم التنزيل (٣/ ١٨١).

(٣٠٥) انظر: تفسير الكشاف (٢/ ١٢٠).

(٣٠٦) النشر في القراءات العشر ١٩٧/٢.

﴿فصل﴾: الفصل إبانة أحد الشيئين من الآخر حتى يكون بينهما فرجة، ومنه قيل المفاصل والواحد مفصل[٣٠٧].

فَصَل الشيء: قطعه وأبانه، وأفرزه، ومازه عن غيره[٣٠٨].

﴿حَرَم﴾ : الحرام الممنوع منه إما بتسخير إلهي، وإما بمنع قهري، وإما بمنع من جهة العقل، أو من جهة الشرع، أو من جهة من يرتسم أمره[٣٠٩].

سبب نزول الآية:

قال المشركون: يا محمد أخبرنا عن الشاة إذا ماتت من قتلها!؟ قال الله قتلها. قالوا: تزعم ما قتلت أنت وأصحابك حلال وما قتل الكلب والصقر حلال، وما قتله الله حرام!؟ فنزلت الآية[٣١٠].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

الآية الكريمة تكشف عن خلل عند مشركي العرب وغيرهم من أرباب الملل والنحل، الذين يجعلون الذبائح من أمور العبادات، يتقربون بها لآلهتهم ومن قدسوا من رجالات الدين، من يهلون لهم عند الذبح وهذا شرك بالله.

* قال ابن كثير: «هذا إباحة من الله لعباده المؤمنين أن يأكلوا من الذبائح ما ذكر عليها اسمه ومفهومه أنه لا يباح ما لم يذكر اسم الله عليه كما كان يستبيحه كفار قريش من أكل الميتات وأكل ما ذبح على النصب وغيرها، ثم ندب إلى الأكل مما ذكر اسم الله عليه فقال: **(وَمَا لَكُمْ أَلاَّ تَأْكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ)** أي قد بين لكم ما حرم عليكم ووضحه؛ إلا ما اضطررتم إليه أي إلا في حال

(٣٠٧) انظر: لسان العرب (٥٢١/١١). مادة فصل.

(٣٠٨) منجد الطلاب ص ٥٥٢.

(٣٠٩) انظر: معجم مفردات ألفاظ القرآن ص١١٣.

(٣١٠) انظر: أسباب النزول ص ١٦٧.

الاضطرار فإنه يباح لكم ما وجدتم، ثم بين تعالى جهالة المشركين في آرائهم الفاسدة من استحلالهم الميتات وما ذكر عليه غير اسم الله تعالى فقال: (**وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ**) حينما سأل المشركون: أتأكلون ما قتلتمْ؟ ولا تأكلون ما قتل ربكم! والخطاب للمسلمين[٣١١].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (فَصَّل) بفتح فائه وتشديد صاده ما حُرّم بضم حائه وتشديد رائه أي أن المعنى: وقد فصل الله لكم المحرم عليكم من مطاعمكم، ويؤكده لفظ (اسم الله).

وأفادت قراءة (فُصّل) بضم فائه وتشديد صاده ما حُرّم عليكم بضم حائه وتشديد رائه على وجه ما لم يسم فاعله في الحرفين كليهما؛ وهو الله سبحانه[٣١٢].

وأفادت قراءة (فَصل) بالفتح (حُرم) بالضم وأراد بتفصيل المحرمات ما ذكرت في قوله تعالى: (**حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ**) [المائدة: ٣] .إلا ما اضطررتم إليه، من هذه الأشياء فإنه حلال لكم عند الاضطرار[٣١٣].

* قال الألوسي: «قرأ أهل الكوفة[٣١٤] غير حفص فصل ما حرم ببناء الأول للفاعل والثاني للمفعول، وقرأ أهل المدينة وحفص ويعقوب، فصل وحرم كليهما بالبناء للفاعل وقرأهما الباقون بالبناء للمفعول إلا ما اضطررتم اليه أي دعتكم الضرورة إلى أكله بسبب شدة المجاعة وظاهر تقرير الزمخشري؛ يقتضي أن ما موصولة فلا يستقيم غير جعل الاستثناء منقطعاً أي

(٣١١) انظر: تفسير القرآن العظيم (٢/١٥٠). انظر صفوة البيان ص١٨٨.

(٣١٢) انظر: تفسير الطبري (٨/١٠).

(٣١٣) تفسير البغوي (٣/١٨٢)

(٣١٤) انظر: تفسير روح المعاني (٨/٧ ـ ١٤).

لكن الذي اضطررتم إلى أكله مما هو حرام عليكم حلال لكم حال الضرورة، وجوز ـ عليه الرحمة ـ جعله استثناء من ضمير حرم وما مصدرية في معنى المدة أي فصل لكم الأشياء التي حرمت عليكم إلا وقت الاضطرار إليها واعترض بأنه لا يصح حينئذ الاستثناء من الضمير بل هو استثناء مفرغ من الظرف العام المقدر كأنه قيل: حرمت عليكم كل وقت إلا وقت . . .، والمهم في هذا المقام بيان فائدة إلا ما اضطررتم إليه وكأن الفائدة فيه ـ والله تعالى أعلم ـ للمبالغة في النهي عن الامتناع عن الأكل بأن ما حرم يصير مما لا يؤكل، بخلاف ما حل فإنه لا يصير مما لا يؤكل فكيف يجتنب عما يؤكل.

* قال القرطبي: فصل أي بين لكم الحلال من الحرام وأزيل عنكم اللبس والشك، (ما) استفهام يتضمن التقرير، وتقرير الكلام: وأي شيء لكم في ألا تأكلوا (أن) في موضع خفض بتقدير حرف الجر ويصح أن تكون في موضع نصب على ألا يقدر حرف جر ويكون الناصب معنى الفعل الذي في قوله (ما لكم) تقديره أي ما يمنعكم، ثم استثنى فقال إلا ما اضطررتم إليه، يريد من جميع ما حرم كالميتة وغيرها، وهو استثناء منقطع؛ وقرأ نافع ويعقوب (**وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ**) بفتح الفعلين وقرأ أبو عمرو؛ وابن عامر وابن كثير بالضم فيهما، والكوفيون فصل بالفتح حرم بالضم وقرأ عطية العوفي فصل بالتخفيف، ومعناه أبان وظهر، كما قرئ ﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١﴾ [هود: ١][٣١٥].

خامساً: **بالجمع بين القراءتين نجد أن العلاقة تفسيرية** تبين أن المشرع الوحيد هو الله سواءً كان الأمر بالمبني للمجهول أو المبني للمعلوم، وفي القراءتين توبيخ مباشر أو غير مباشر، لمن ترك الأكل مما سمي عليه، وقد فصل لكم الحرام من الحلال أي ميزه وبينه ﷺ و(ما) هنا في موضع النصب على تسمية الفاعل[٣١٦].

---

(٣١٥) انظر: تفسير القرطبي (٤/٦٦).

(٣١٦) انظر: تفسير زاد المسير (٣/١١٣).

أما من قرأ بالضم فهو على ما لم يُسم فاعله؛ لأنّ الله هو المفصلُ الحقيقي، والمُحرّمُ والمُحَلّل للتشريعات[٣١٧].

فالقراءتان فيهما توبيخ مباشر أو غير مباشر، لمن ترك الأكل مما سمي عليه، وذلك يتضمن إباحة الأكل مطلقاً، وقوله (**وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ**) أي في حال الاختيار، وذلك حلال في حال الإضطرار، والله أعلى وأعلم فهو المشرع وحده يحلل ويحرم كما شاء، وكيف يشاء[٣١٨].

٣٦ - ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ [الأنعام: ١٢٥].

أولاً: القراءات:

١. قرأ ابن كثير (ضَيْقاً) بإسكان الياء مخففة.

٢. قرأ الباقون (ضَيِّقاً) بكسرها مشددة.

١. قرأ المدنيان وأبو بكر (حَرِجاً) بكسر الراء.

٢. قرأ الباقون (حَرَجاً) بفتحها.

١. قرأ ابن كثير (يَصْعَد) بإسكان الصاد وتخفيف العين من غير ألف.

٢. قرأ أبو بكر (يَصَّاعَدُ) بفتح الياء والصاد مشددة وألف بعدها وتخفيف العين.

٣. قرأ الباقون (يَصَّعَّدُ) تشديد الصاد والعين من غير ألف[٣١٩].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

﴿ضيق﴾ : الضيق ضد السعة؛ والضيق يستعمل في الفقر والبخل

(٣١٧) انظر: إملاء ما منَّ الرحمن ص٢٦٦.

(٣١٨) كتاب معاني القراءات١٦٧. انظر: الكشف عن وجوه القراءات بتصرف ٤٤٩/١.

(٣١٩) النشر في القراءات العشر بتصرف ١٩٧/٢.

والغم ونحو ذلك؛ وينطوي على تضيق النفقة وتضيق الصدر، ويقال في الفقر ضاق وأضاق فهو مضيق، واستعمال ذلك فيه كاستعمال الوسع في ضده(٣٢٠).

﴿حَرَجًا﴾ : أصل الحرج: الضيق، والحرج والحراج مجتمع الشيء وتصور منه ضيق ما بينهما فقيل للضيق حرج وللإثم حرج، وحرجاً أي ضيقاً بكفره لأن الكفر لا يكاد تسكن إليه النفس لكونه اعتقاداً عن ظن، وحرج صدره يحرج حرجاً: ضاق فلم ينشرح لخير(٣٢١).

﴿صَعَدَ﴾ : الصعود الذهاب في المكان العالي، والحدور لمكان الصعود والانحدار وهما بالذات واحد إنما يختلفان بحسب الإعتبار بمن يمر فيهما، فمتى كان المار صاعداً يقال للمكان صعود كالجبل وغيره، وإذا كان منحدراً يقال للمكان حدور(٣٢٢).

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

الآية الكريمة تبين من كان أهلاً بإرادة الله وتقديره لقبول دعوة الإسلام الذي هو دين الفطرة، والهادي إلى طريق الحق والرشاد بأن وجد في نفسه انشراحاً واتساعاً بما يشعر به قلبه من السعادة والانبساط.

* قال البغوي: «فمن يرد الله أن يهديه ويعرفه طريق الحق ويوفقه للإيمان، يشرح صدره للإسلام أي يفتح قلبه أي يتسع؛ وينفسح فيه مجاله وهو كناية عن جعل النفس قابلة للحق مهيأة للحلول فيها مصفاة عما يمنعه وينافيه؛ وإليه أشارحين سُئل ﷺ عن شرح الصدر قال: (نور يقذفه الله في قلب المؤمن فينشرح له وينفسخ قيل فهل لذلك أمارة قال نعم الإنابة إلى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزول

(٣٢٠) انظر: معجم مفردات ألفاظ القرآن ٣٠٩.

(٣٢١) انظر: لسان العرب (٢/٢٣٤) مادة حرج.

(٣٢٢) انظر: القاموس المحيط ص٣٧٤. مادة صعد.

الموت)[٣٢٣]، ينبو عن (وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا) بحيث قبول الحق فلا يدخله الإيمان. وقرأ عمر بن الخطاب ﷺ هذه الآية فسأل أعرابياً من كنانة ما الحرجة فيكم قال: الحرجة فينا الشجرة تكون بين الأشجار التي لا تصل إليها راعية ولا وحشية ولا شيء فقال: عمر ﷺ كذلك قلب المنافق لا يصل إليه شيء من الخير[٣٢٤].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (ضَيْقاً) خفيف، والباقون بالتشديد وهما لغتان مثل هَيِّنْ وهَيْن ولَيِّنْ ولَيْن.

قال ابن عباس: إذا سمع ذكر الله اشمأز قلبه وإذا ذكر شيء من عبادة الأصنام ارتاح إلى ذلك، كأنما يصعد في السماء، وقرأ ابن كثير، ويصعد بالتخفيف، وسكون الصاد والعين أي يتصعد يعني يشق عليه الإيمان كما يشق عليه صعود السماء، وأصل الصعود المشقة، ومنه قوله تعالى: (سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا) [المدثر: ١٧] أي عقبة شاقة[٣٢٥].

أفادت قراءة (حَرِجاً) قرأ أهل المدينة، بكسر الراء والباقون بفتحها وهما لغتان أيضا مثل الدنف والدَّنِف المصدر كالطلب ومعناه ذا حرج وبالكسر الاسم وهو أشد الضيق يعني يجعل قلبه ضيقاً حتى لا يدخله الإيمان؛ ليس للخير فيه منفذ.

* قال القرطبي: «وقرأ ابن كثير (ضَيْقًا) بالتخفيف، مثل هين ولين لغتان، ونافع (حرِجاً) بالكسر معناه الضيق كرر المعنى، وحسن ذلك لاختلاف اللفظ، والباقون بالفتح جمع حرجة وهو شدة الضيق أيضاً، والحرجة الغيضة والجمع حرج وحرجات ومنه فلان يتحرج أي يضيق على

---

(٣٢٣) انظر: المستدرك (٣٤٦/٤). حديث رقم ٧٨٦٣. وطرق الحديث مرسلة ومتصلة يشد بعضها بعضا. تفسير ابن كثير (١٥٥/٢).

(٣٢٤) البغوي (١٨٦/٣).

(٣٢٥) انظر: تفسير ابن كثير (١٥٦/٢).

نفسه في تركه هواه للمعاصي، والحرج موضع الشجر الملتف فكأن قلب الكافر لا تصل إليه الحكمة كما لا تصل الراعية إلى الموضع الذي التف شجره؛ وقرئ (يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا) وحرجاً هو بمنزلة الوَحَد والوَحِد والفَرَد والفَرِد والدنَف والدَّنِف في معنى واحد؛ وقد حرج صدره يحرج حرجاً والحرج الإثم والحرج أيضاً الناقة الضامرة»[٣٢٦].

أفادت (يَصَّعَّدُ) بالتشديد وأصله يتصعد ومعناه يتكلف ما لا يطيق مرة بعد مرة كما يتكلف من يريد الصعود إلى السماء، وقيل المعنى على جميع القراءات كاد قلبه يصعد إلى السماء نُبُوّاً[٣٢٧] على الإسلام وما في كأنما هي المهيئة لدخول كأن على الجمل الفعلية[٣٢٨].

أفادت قراءة (يَصْعَد) بإسكان الصاد مخففاً من الصعود، وهو الطلوع؛ شبه الله الكافر في نفوره من الإيمان وثقله عليه بمنزلة من تكلف ما لا يطيقه كما إن صعود السماء لا يطاق[٣٢٩].

أفادت قراءة (يَصَّاعَد) و(يَصْعَد) واحد والمعنى فيهما أن الكافر من ضيق صدره كأنه يريد أن يصعد إلى السماء وهو لا يقدر على ذلك[٣٣٠].

خامساً: بالجمع بين القراءتين نجد أنّ العلاقة تفسيرية، فالقراءات وقد زادت المعنى وضوحاً، فمن قرأ بفتح الراء من حرَج فهي صفات للمصدر جاءت خبراً بعد خبر (ضيقاً) بعد (حرجاً) كما في قوله: **(يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا)** و**(كَأَنَّما يَصَّعَّدُ)** في محل نصب الحال؛ لأن صعود السماء مثل فيما يمتنع يبعد من الإستطاعة، وهو لون من الإعجاز العلمي حيث إنه كلما ارتفعنا إلى أعلى قلت الجاذبية الأرضية، وتضيق عنه القدرة البشرية وقد شبه

(٣٢٦) تفسير القرطبي (٤/٧٣).

(٣٢٧) معنى نُبُوّاً: من (النبي) بغير الهمز ومنه النبوة والنباوة الارتفاع، ومنه يقال نبا بفلان مكانه انظر معجم مفردات الراغب ص٥٠٣.

(٣٢٨) انظر: تفسير فتح القدير (٢/١٦٠).

(٣٢٩) انظر: تفسير الألوسي (٧ ـ ٨/٢٣).

(٣٣٠) انظر: تفسير القرطبي (٤/٧٣).

ـ جل ذكره ـ الكافر في نفوره عن الإيمان وثقله عليه بمنزلة من تكلف ما لا يطيق، ومن قرأ بالتشديد وألف، بناه على مستقبل (تصاعد) فأدغمت التاء في الصاد إدغام تقارب وأصله (تتصاعد) وفيها معنى فعل شيء بعد شيء وذلك أثقل على فاعله، وأما من قرأ بالتشديد من غير ألف، أي كالذي قبله، ومعناه يتكلف ما لا يطيق شيئاً بعد شيء(٣٣١). والجدير ذكره أن جميع القراءات أفادت بأن حال الكافر واحدة؛ بإعراضه عن الحق بحال من يصعد السماء ويتكلفه مرة بعد مرة وهو أمر لا يطاق وهذا أمر شاق فرضه على نفسه، والتضعيف أفاد التكثير والكلفة من الأمر ذاته، وتدرجه واستمراره(٣٣٢) فالارتفاع في الجو لمسافات عالية يسبب ضيقاً في التنفس وشعوراً بالاختناق يزداد كلما ارتفع حتى يصل الضيق إلى درجة حرجة وصعبة جداً، وهذا ما يحققه الإعجاز في تلك القراءات القرآنية المتواترة الدالة على صحة القرآن وصلاحيته لكل زمان ومكان.

٣٧ ـ ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [الأنعام: ١٢٨].

أولاً: القراءات:

١. قرأ حفص (يَحْشُرُهُمْ) بالياء.

٢. قرأ الباقون (نَحْشُرُهُمْ) بالنون(٣٣٣).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

﴿حَشَرَ﴾: الحشر الجمع مع سوقٍ، وكل جمع حشر، والعرب تقول

---

(٣٣١) انظر: الكشف (٤٥١/١).

(٣٣٢) انظر: القراءات وأثرها (٩٠٤/٢). الإعجاز العلمي ص١٣٩.

(٣٣٣) النشر في القراءات العشر (١٩٧/٢).

حشرت مال بني فلان السنةُ كأنها جمعته، وذهبت به وأتت عليه. وحَشَر الناس جمعهم وبابه ضرب، ونصر ومنه يوم الحشر قال عكرمة: (وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ) [التكوير ٥] وحشرها موتها(٣٣٤).

والحشر إخراج الجماعة عن مقرهم، وإزعاجهم عنه إلى الحرب ونحوها، ولا يقال الحشر إلا في الجماعة، وسمي يوم الحشر يوم القيامة، ويوم البعث، ويوم النشر(٣٣٥).

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

الآية الكريمة هنا تصور لنا مشهداً من مشاهد التوبيخ والتقريع للضالين المضلين من الثقلين وذلك عل أعين الخلائق يوم القيامة وما أُعد من العذاب للمجرمين، وما أُعد من الثواب والنعيم في دار السلام للمؤمنين، وذلك بذكر ما يكون قبل هذا الجزاء من الحشر والحساب، وإقامة الحجة على الكفار، وسنة الله في إهلاك الأمم.

* قال ابن كثير: «واذكر يا محمد فيما تقصه عليهم وتنذرهم به، ويوم يحشرهم جميعاً يعني الجن وأولياءهم من الأنس الذين كانوا يعبدونهم في الدنيا ويعوذون بهم ويطيعونهم ويوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً، يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس أي ثم يقول يا معشر الجن وسياق الكلام يدل على المحذوف، ومعنى قوله قد استكثرتم من الإنس أي من إغوائهم وإضلالهم كقوله تعالى: ﴿۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾﴾ [يس: ٦٠، ٦١] وعن ابن عباس: (يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الإِنسِ) يعني أضللتم منهم كثيرا (وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ الإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ) وما كان استمتاع

(٣٣٤) انظر: مختار الصحاح ص١٣٧. للشيخ الإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي رحمه الله تعالى. عُنيَ بترتيبه. محمود خاطر راجعته وحققته لجنة من علماء العربية. دار الفكر - بيروت.

(٣٣٥) انظر: معجم مفردات ألفاظ القرآن ص ١١٨.

بعضهم ببعض إلا أن الجن أمرت وعملت الإنس[٣٣٦].

رابعاً: **العلاقة التفسيرية بين القراءات:**

أفادت قراءة (يَحْشُرُهُمْ) بالياء يعني المشركين وشياطينهم الذين كانوا يوحون إليهم بالمجادلة، أي يحشرهم جميعاً وقال مقاتل: يعني الملائكة ومن عبدها ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون وهذا استفهام تقرير وتوبيخ للعابدين فنزهت الملائكة ربها عن الشرك فقالوا سبحانك[٣٣٧].

أفادت قراءة (نَحْشُرُهُمْ) بالنون على التعظيم وما يعبدون من دون الله من الملائكة والإنس والجن وغيرهم[٣٣٨].

* قال الألوسي: «ويوم يحشرهم جميعاً نصب على الظرفية والعامل فيه مقدر أي اذكر أو تقول أو كان ما لا يذكر لفظاعته، وجوز أن يكون مفعولاً به لمقدر أيضاً أي اذكر ذلك اليوم، والضمير المنصوب لمن يحشر من الثقلين وقيل للكفار، وقرأ حفص عن عاصم وروح عن يعقوب (يحشر) بالياء، والباقون بنون العظمة على الالتفات لتهويل الأمر، وقوله ﷻ: (يا معشر الجن) على إضمار القول والمعشر الجماعة أمرهم واحد، المقصود بالنداء الأشرار الذين يغوون الناس فإنهم أهل الخطاب بقوله سبحانه: **(قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الإِنسِ)** أي أكثرتم من إغوائهم وإضلالهم كما قال الزجاج: فالكلام على حذف مضاف أو منهم بأنْ جعلتموهم أتباعهم فحشروا معكم، كما يقال استكثر الأمير من الجنود وهذا بطريق التوبيخ والتقريع»[٣٣٩].

خامساً: **بالجمع بين القراءتين نجد أنّ العلاقة تفسيرية** تبين أن الأسلوب فيه التفات من ياء الخطاب (يَحْشُرُهُمْ) إلى نون العظمة (نَحْشُرُهُمْ) ليفيد التوبيخ والتقريع ففي كل من القراءتين توبيخ للجن والإنس؛ فتوبيخ للجن وإنكار لهم أي كان أكثر الناس طوعاً لكم، وتوبيخهم يشمل

---

(٣٣٦) تفسير ابن كثير (١٥٦/٢).

(٣٣٧) انظر: تفسير زاد المسير (١٢٤/٣).

(٣٣٨) انظر: تفسير القرطبي (٧٦/٤).

(٣٣٩) انظر: تفسير الألوسي (٣٥/٨).

الشياطين، وهم يغوون الناس، ويطوعونهم بالوسوسة والتخييل، والإرهاب والمس وغيره، وتوبيخ للإنس الذين أطاعوهم واتبعوهم وأفرطوا في مرضاتهم، ولم يسمعوا من يدعونهم إلى نبذ متابعتهم، وفي ذلك تدرّج في التوبيخ وقطع المعذرة من أجل استمتاع كل طرف منهما بالآخر فالجن يُكَثّرون أتباعهم والإنس يستمتعون بشهواتهم؛ وفي الالتفات عظمة للحاشر وذل للمحشورين[٣٤٠].

٣٨ - ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [الأنعام: ١٣٢].

أولاً: القراءات:

١. قرأ ابن عامر والمدنيان ويعقوب وحفص (عَمَّا تَعْمَلُونَ) في الخطاب.

٢. قرأ الباقون (عَمَّا يَعْمَلُونَ) بالغيب[٣٤١].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

﴿عَمَلٌ﴾: العمل كل فعل يكون من الحيوان بقصد فهو أخص من الفعل لأن الفعل قد ينسب إلى الحيوانات التي يقع منها فعل بغير قصد، وقد ينسب الجمادات، والعمل قلما ينسب إلى ذلك، ولم يستعمل في الحيوانات، والعمل يستعمل في الأعمال الصالحة والسيئة[٣٤٢].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

الآية الكريمة تبين عدالة السماء في منازل ومراتب العاملين في طاعة الله أو العاصين له؛حيث إنَّ كلاً منهم يبلغ مرتبته حسب ما يثيبه الله ويبلغه، إن خيراً فخير وهي درجات في الجنة، وإن شراً فشر وهي دركات في النار.

(٣٤٠) انظر: تفسير التحرير والتنوير (٥/٦٨).

(٣٤١) النشر في القراءات العشر (٢/١٩٧).

(٣٤٢) انظر: لسان العرب (١١/٤٧٥) مادة عمل.

* قال القرطبي في بيان معنى قوله تعالى: «(**وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا**) أي من الجن والإنس كما قال في آية أخرى ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ خَٰسِرِينَ ۝١٨﴾ [الأحقاف ٥] قال تعالى: ﴿وَلِكُلّٖ دَرَجَٰتٞ مِّمَّا عَمِلُواْۖ وَلِيُوَفِّيَهُمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ۝١٩﴾ [الأحقاف ١٩] وفي هذا ما يدل على أن المطيع من الجن في الجنة والعاصي منهم في النار كالإنس سواء، وهو أصح ما قيل في ذلك فاعلمه، ومعنى ولكل درجات أي ولكل عامل بطاعة درجات في الثواب ولكل عامل بمعصية دركات في العقاب، وما ربك بغافل أي ليس بلاهٍ ولا ساهٍ، والغفلة أن يذهب الشيء عنك لاشتغالك بغيره عما يعملون»[٣٤٣].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (تَعْمَلُونَ) بالتاء اسلوب الخطاب.

وأفادت قراءة (يَعْمَلُونَ) أسلوب الغيبة.

* قال ابن الجوزي في تفسيره: «(**وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا**) وما ربك بغافل عما يعملون قوله تعالى ولكل درجات مما عملوا أي لكل عامل بطاعة الله أو بمعصيته، درجات أي منازل يبلغها بعمله إن كان خيراً فخيراً وإن كان شراً فشراً، وإنما سميت درجات لتفاضلها في الارتفاع والانحطاط كتفاضل الدرج قوله تعالى: (عما يعملون) قرأ الجمهور بالياء وقرأ ابن عامر بالتاء على الخطاب[٣٤٤].

* قال الألوسي: «ولكل من المكلفين جناً كانوا أو إنساً درجات أي مراتب، فيتناول الدركات حقيقة أو تغليبا مما عملوا أي من أعمالهم صالحة كانت أو سيئة أو من أجل أعمالهم أو من جزائها، فـ (من) إما ابتدائية أو تعليلية أو بيانية بتقدير مضاف (**وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ**) فلا يخفى عليه ﷻ عمل عامل أوقدر ما يستحق به من ثواب أوعقاب، وقرأ ابن عامر (تعملون) بالتاء

(٣٤٣) انظر: تفسير القرطبي (٧٩/٤).

(٣٤٤) تفسير زاد المسير (١٢٦/٣).

على تغليب الخطاب على الغيبة، ولو أريد شمول يعملون بالتحتية للمخاطب بان يراد جميع الخلق فلا مانع من اعتبار تغليب الغائب على المخاطب وفي تلوين الخطاب من تشديد الوعيد ما لا يخفى ويستخلف من بعدكم أي وينشيء من بعد إذهابكم ما يشاء من الخلق وإيثار (ما) على (مَنْ) لإظهار كمال الكبرياء وإسقاطهم عن رتبة العقلاء كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين»[٣٤٥].

خامساً: بالجمع بين القراءتين نجد أنّ العلاقة تفسيرية أن كلتا القراءتين (يعْمَلُونَ، تَعْمَلُونَ) فيه دليل على شمول علم الله في إثبات أعمال الخلق من أهل الخير وأهل الشر وأنه لا يغفل عن طاعة جلّت أم صغرت أو معصية كبرت أم صغرت أتى بها وجازى بها إن خيراً فخير وإن شراً فشر والخطاب يكون أعم وأشمل في التهديد والوعيد، وأكثر وقعاً على النفس ولولا هذا الإلتفات لفات هذا المعنى النبيل[٣٤٦].

٣٩ ـ ﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَامِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾ [الأنعام: ١٣٥].

أولاً: القراءات:

١. قرأ أبو بكر بالألف (مَكَانَاتِكُمْ) على الجمع.

٢. قرأ الباقون (مَكَانَتِكُمْ) بغير ألف على التوحيد.

١. قرأ حمزة والكسائي وخلف (مَن يَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ) بالياء على التذكير.

٢. قرأ الباقون (مَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ) بالتاء على التأنيث[٣٤٧].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

﴿مكن﴾ : مَكَّنَه الله من الشيء تمكيناً، أمكنه منه بمعنى استمكن

---

(٣٤٥) تفسير روح المعاني (٧ ـ ٢٨/٨).

(٣٤٦) القراءات وأثرها في علوم اللغة (١١١/٢).

(٣٤٧) النشر في القراءات العشر (١٩٧/٢).

الرجل الشيء، (تمكن) منه، وفلان لا يمكنه النهوض أي لا يقدر عليه، ويراد به أمكنه أي على مواضع، يقال الناس على مَكِناتهم أي على استقامتهم[(٣٤٨)].

مكانة: والمكانة كناية عن الحالة لأن أحوال المرء تظهر في مكانه ومقره، يقال فلان على مكانتك أي اثبت على ما أنت عليه ولا تنحرف عنه[(٣٤٩)].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

فقد تضمنت الآية أمر الله تعالى للرسول ﷺ أن يقول للمشركين من قومه، وهم كفار قريش بمكة (اعْمَلُواْ عَلَى مَكَانَتِكُمْ) ما دمتم مصرين على الكفر والشرك (إِنِّي عَامِلٌ) على مكانتي، والجملة تحمل التهديد الشديد من النبي ﷺ وهو واثق من نصرة الله وحسن عاقبته ﷺ فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار، وهي الجنة دار السلام أنا أم أنتم، مع العلم أن الظالمين لا يفلحون بالنجاة من النار ودخول الجنان، ولاشك أنكم أنتم الظالمون بكفركم بالله تعالى وشرككم به[(٣٥٠)].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (مَكَانَاتِكُمْ) بالجمع حيث كان أي على تمكنكم قال عطاء: أي على حالاتكم التي أنتم عليها أي اعملوا على ما أنتم عليه، وهذا أمر وعيد عن المبالغة، يقول الله تعالى لنبيه ﷺ قل لهم اعملوا على ما أنتم عاملون إني عامل ما أمرني به ربي ﷻ فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار أي الجنة[(٣٥١)].

---

(٣٤٨) انظر: مختار الصحاح ص٦٣٠.

(٣٤٩) انظر: التحرير والتنوير (٩١/٥).

(٣٥٠) انظر: أيسر التفاسير (١٢٢/٢).

(٣٥١) انظر: تفسير البغوي (١٩٢/٣). وتفسير الألوسي (٧ ـ ٣١/٨). وتفسير القرطبي (٥٠/٤).

أفادت قراءة (يَكُونُ) بالياء، وقرأ الآخرون بالتاء لتأنيث العاقبة، أنه لا يفلح الظالمون، قال ابن عباس: معناه لا يسعد من كفر بي وأشرك ويكون بالتحتية لأن تأنيث العاقبة غير حقيقي، إنه أي الشأن لا يفلح الظالمون.

* قال أبو السعود: «يا قوم اعملوا على مكانتكم إثر ما بين لهم حالهم ومآلهم بطريق الخطاب أمر ﷺ بطريق التلوين بأن يواجههم بتشديد التهديد وتكرير الوعيد ويظهر لهم ما هو عليه غاية التصلب في الدين ونهاية الوثوق بأمره وعدم المبالاة بهم، أي اعملوا على غاية تمكنكم، ويقال نمكن له مكانة إذا تمكن أبلغ التمكن أو على جهتكم وحالتكم التي أنتم عليها، وقرئ مكاناتكم، والمعنى اثبتوا على كفركم ومعاداتكم إني عامل ما أمرت به من الثبات على الإسلام والاستمرار على الأعمال الصالحة، وإيراد التهديد بصيغة الأمر مبالغة في الوعيد كأن المهدد يريد تعذيبه، (فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ) سوف لتأكيد مضمون الجملة والعلم عرفاني و(من) إما استفهامية معلقة لفعل العلم، محلها الرفع على الابتداء، وتكون باسمها وخبرها خبراً لها، وهي مع خبرها في محل نصب لسدها مسد مفعول، أي: فسوف تعلمون أينا تكون له العاقبة الحسنى التي خلق الله تعالى هذه الديار لها، وإما موصولة فمحلها النصب على أنها مفعول لتعلمون، فسوف تعلمون الذي له عاقبة الدار وفيه مع الإنذار إنصاف في المقال وتنبيه على كمال وثوق المنذر بأمره، ومن قرأ بالياء لأن تأنيث العاقبة غير حقيقي، إنه أي الشأن، لا يفلح الظالمون وضع الظلم موضع الكفر»[٣٥٢].

خامساً: بالجمع بين القراءتين نجد أن العلاقة تفسيرية، يظهر أن التهديد والوعيد يشمل الفرد منهم كما الجماعة، فقراءة مكاناتكم على جمع المكانة، لكل أحد منهم، وقراءة مكانتكم على الإفراد، هو أمر منه سبحانه بوعيدهم وتهديدهم لا إطلاق لهم في عمل ما أرادوا من معاصي الله، حيث

---

(٣٥٢) تفسير أبو السعود (٢/٢٨٨). المسمى تفسير أبي السعود أو إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم تحقيق. عبد القادر أحمد عطا. دار الفكر ـ الرياض الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.

إن ـ ملة الكفر واحدة ـ كانت على سبيل المكانة أو المكانات؛ وفي القراءتين ثبات على المبدأ، وتمكين له؛ أما قراءة (تكون له عاقبة الدار) فوجه التأنيث هو اللفظ، ومن قرأ بالياء فوجه التذكير أنه ليس بتأنيث حقيقي؛ وفي القراءتين (تكون، يكون) هو تأكيد مضمون الجملة، أي فسوف تعلمون أيُنا له العاقبة الحسنة، مع الإنذار بالتهديد والوعيد وامتناع الفلاح الذي يترتب على الفرد والجماعة من أهل الظلم(٣٥٣).

٤٠ ـ ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾ [الأنعام: ١٣٦].

أولاً: القراءات:

١. قرأ الكسائي (بِزُعْمِهِمْ) بضم الزاي.

٢. قرأ الباقون (بِزَعْمِهِمْ) بفتحها(٣٥٤).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

﴿زَعَمَ﴾: الزعم الظن، وأصله الكذب(٣٥٥).

والزَعَم حكاية قول يكون مظنة للكذب، أو إما من الزعامة أي الكفالة أو من الزعم بالقول(٣٥٦).

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

الآية الكريمة تكشف عن طبيعة المشركين في بيان سفاهة عقولهم وكبير جهلهم تنفيراً منهم ومن سائر العرب الذين نهجوا نهجهم بعد بيان مثال

---

(٣٥٣) انظر: تفسير المقتطف (١٧٣/٢).

(٣٥٤) النشر في القراءات العشر (١٩٧/٢).

(٣٥٥) انظر: لسان العرب (٢٦٦/١٢) مادة زعم.

(٣٥٦) انظر: معجم مفردات ألفاظ القرآن ص٢١٧.

الظالمين وظلمهم في كثير من عباداتهم في الحرث والأنعام والحلال والحرام بباعث الأهواء النفسية والخرافات والبدع التي ما أنزل الله بها من سلطان.

* قال المراغي: «(**وَجَعَلُواْ لله مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالأَنْعَامِ نَصِيبًا**) أي جعل هؤلاء المشركين لله نصيباً مما خلق من ثمر الزرع وغَلته كالتمر والحبوب ونتاج الأنعام، ونصيباً لمن أشركوا معه من الأوثان والأصنام، فقالوا في النصيب الأول (هَـذَا لِلّهِ بِزَعْمِهِمْ) أي نتقرب به إليه، وفي النصيب الثاني (وَهَـذَا لِشُرَكَآئِنَا) أي لمعبوداتنا نتقرب به إليها، وهذا بتقوّلهم الذي لا بينة لهم عليه ولا هدى من الله؛ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلاَ يَصِلُ إِلَى الله وَمَا كَانَ لله فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَآئِهِمْ سَاء مَا يَحْكُمُونَ».[٣٥٧]

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

* قال أبو حيان: «قرأ الكسائي (بِزُعْمِهِمْ) بضم الزاي وهي لغة بني أسد، والفتح لغة الحجاز، وبه قرأ باقي السبعة وهما مصدران، وقيل الفتح في المصدر والضم في الاسم[٣٥٨].

* قال السمين الحلبي: «وقوله (بزعمهم) فيه وجهان: أحدهما أنه يتعلق بـ (قالوا) أي قالوا ذلك القول بزعم، لا بيقين واستبصار، وقيل هو متعلق بما تعلق به الاستقرار من قوله تعالى: (لله) وقرأ العامة بفتح الزاي (بِزَعْمِهِمْ) وهي لغة الحجاز، والباقون (بِزَعْمِهِمْ) وقرأ الكسائي (بِزُعْمِهِمْ) بضم الزاي وهي لغة بني أسد، وهل الفتح والضم بمعنى واحد؟ أوالمفتوح مصدر والمضموم اسم»[٣٥٩].

* (الزُّعْمِي) بضم الزاي المشددة، وسكون العين، وكسر الميم،

(٣٥٧) تفسير المراغي (٧ ـ ٤٢/٩).

(٣٥٨) البحر المحيط (٦٥٥/٤).

(٣٥٩) الدر المصون (١٨٥/٣).

الكذاب (بِزُعْمِهِمْ) قرأ الكسائي بضم الزاي[٣٦٠].

* قال الأزهري: «قرأ الكسائي بِزُعْمِهِمْ بضم الزاي، وقرأ الباقون بِزَعْمِهِمْ، قال أبو منصور: وهما لغتين زَعَمَ وزَعُمَ»[٣٦١].

خامساً: بالجمع بين القراءتين نجد أن القراءتين ـ بعد البحث والتحري ـ تبين أنهما لغتان بمعنى واحد وهو الكذب والافتراء.

*** من اللطائف والإشارات:**

في الآية لفتة رائعة تبين الفرق الشاسع بين سيدنا إبراهيم عليه السلام الذي أراد قتل ولده إسماعيل وذبحه وبين قتل هؤلاء المشركين لقتل أولادهم فالنموذج الأول: عليه السلام فهو طاعة لله وإمتثالاً لأمره إلا أن فداه الله بذبح عظيم فكان رهن الإشارة الشريفة.

أما النموذج الثاني: فهم الذين ذبحوا وقتلوا أولادهم بوحي الشياطين وزعمهم أنهم فعلوا ذلك باسم الدين.

٤١ ـ ﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾﴾ [الأنعام: ١٣٧].

أولاً: القراءات:

١. قرأ ابن عامر (زُيِّنَ) بضم الزاي وكسر الياء، ورفع لام (قَتْلُ) ونصب دال (أَوْلَادَهِمْ) وخفض همزة (شركائِهم).

---

(٣٦٠) انظر: الغاية في القراءات العشر ص ١٥٠. للحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين بن مهران النيسابوري المتوفى ٣٨١هـ. تحقيق محمد غياث الجنباز. راجعه فضيلة الشيخ سعيد عبد الله العبد الله. الرياض ـ شركة العبيكان للطباعة والنشر. وحيثما يأتي سأكتفي بقولي: انظر الغاية.

(٣٦١) معاني القراءات ص ١٧٠. انظر: الكشف (٤٥٣/١). والقراءات وأثرها في العلوم العربية (٢٨٤/١). وإملاء ما منَّ به الرحمن (٢٦٩/١).

٢. قرأ الباقون (زَيَّنَ) بفتح الزاي والياء و(أَوْلاَدِهِمْ) بالجر، و(شركاؤهم) بالرفع(٣٦٢).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

﴿زين﴾: الزاي والياء والنون أصل صحيح يدل على حسن الشيء وتحسينه، فالزين نقيض الشين، ويقال زينت الشيء تزييناً وازينت الأرض وازّدانت إذا حسنها عشبها(٣٦٣).

﴿شرك﴾: الشركة والمشاركة خلط الملكين، وقيل هو أن يوجد شيء لاثنين فصاعداً؛ وجمع الشريك شركاء، وأشرك بالله جعل له شريكاً في ملكه، تعالى الله علواً كبيراً(٣٦٤).

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

تتحدث الآية الكريمة عن الشياطين وحالها مع المشركين من البشر، بتزيين أفعالهم المشينة كقتل أولادهم بالوأد ونحرهم للآلهة من الجن أو السدنة.

* قال ابن كثير: «وزينت الشياطين لهؤلاء أن يجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً كذلك زينوا لهم قتل أولادهم، خشية الإملاق ووأد البنات خشية العار، وعن ابن عباس كذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم زينوا لهم قتل أولادهم وقال مجاهد: شركاؤهم شياطينهم يأمرونهم أن يئدوا أولادهم خشية العيلة وقال السدي: أمرتهم الشياطين أن يقتلوا البنات وإما ليردوهم فيهلكوهم وإما ليلبسوا عليهم دينهم أي فيخلطون عليهم دينهم»(٣٦٥).

(٣٦٢) النشر في القراءات العشر (١٩٧/٢). مجمع البيان (١٦١/٤).

(٣٦٣) انظر: معجم مقاييس اللغة (٤١/٣). لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، الطبعة الثالثة ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.

(٣٦٤) انظر: لسان العرب (٤٩٩/١٠) مادة شرك...

(٣٦٥) تفسير ابن كثير (١٦٠/٢).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة: (**زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ**) قتل مفعول زين، أولادهم، شركاؤهم هو فاعل (زَيَنَ)، (زُيِنَ) بالضم قتلُ بالرفع، أولادَهم بالنصب، شركائهم بالجر، على إضافة القتل إلى الشركاء أي الشياطين والفصل بينهما بغير الظرف وهو المفعول وتقديره، زين لكثير من المشركين قتل شركائهم أولادهم، ليردوهم ليهلكوهم بالإغواء، وليلبسوا عليهم دينهم وليخلطوا عليهم، حتى زلوا عنه إلى الشرك[٣٦٦].

* قال صاحب الإملاء: «(كَذَلِكَ زَيَّنَ) يقرأ بفتح الزاي؛ والياء على تسمية الفاعل وهو (شُرَكَآؤُهُمْ) والمفعول قتل، وهو مصدر مضاف إلى المفعول؛ ويقرأ بضم الزاي وكسر الياء على ما لم يسم فاعله، وقتل بالرفع على أنه القائم مقام الفاعل، وأولادهم بالنصب على أنه مفعول القتل، وشركائهم بالجر على الإضافة، وشركاؤهم بالجر أيضاً على البدل من الأولاد لأن أولادهم شركائهم في دينهم وعيشهم، وغيرهما ويقرأ كذلك إلا أنه برفع الشركاء، وفيه وجهان:

أحدهما أنه مرفوع بفعل محذوف كأنه قال: من زينة؟ فقال شركاؤهم: أي زينة شركاؤهم، والقتل فبهذا كله مضاف للمفعول.

والثاني: أن يرتفع شركاؤهم بالقتل، لأن الشركاء تثير بينهم القتل قبله، ويمكن أن يكون القتل يقع منه حقيقة؛ وَلِيَلْبِسُواْ بكسر الباء من لبست الأمر؛ وَلِيَلْبَسُواْ بفتح الباء في الماضي إذا شبهته»[٣٦٧].

* قال ابن الجوزي: وهكذا زين وقرأه الجمهور (زَيِنَ) بفتح الزاي والياء، ونصب اللام من (قتلَ) وكسر الدال من أولادِهم ورفع الشركاء وجه

(٣٦٦) انظر: تفسير النسفي (١ ـ ٢/٣٥). المسمى مدارك التنزيل وحقائق التأويل. للإمام الجليل أبي البركات عبد الله النسفي. دار الفكر. وحيثما يأتي سأكتفي بقولي: تفسير النسفي.

(٣٦٧) إملاء ما منَّ به الرحمن من وجوه الإعراب١ ـ ٢/ ٢٦٩.

هذه القراءة ظاهر، وقرأ ابن عامر بضم زاي (زُيِنَ)، ورفع اللام من قتلُ، ونصب الدال من (أولادَهم) وخفض الشركاء قال أبو علي الفارسي: ومعناها قتل شركائهم أولادهم ففصل بين المضاف والمضاف إليه بالمفعول به وهذا قبيح قليل في الاستعمال وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي: زُيِنَ بالرفع، قتلُ بالرفع أيضاً، أولادِهم بالجر، شركاؤهم رفعاً قال الفراء رفع القتل إذ لم يسم فاعله ورفع الشركاء بفعل نواه كأنه قال زينه لهم شركاؤهم. وكذلك قال سيبويه في هذه القراءة قال: كأنه قيل من زينه فقال شركاؤهم قال مكي بن أبي طالب. وقد روي عن ابن عامر أيضاً أنه قرأ بضم الزاي ورفع اللام وخفض الأولاد والشركاء فيصير الشركاء اسما للأولاد لمشاركتهم للآباء في النسب والميراث والدين[٣٦٨].

خامساً: بالجمع بين القراءتين نجد أنّ العلاقة بين القراءتين تفسيرية توضح أنّ الشركاء لما زينوا القتلَ جُعلوا هم القاتلين، وإن لم يكونوا مباشري القتل الفعلي، وهو مثل ذلك التزين، وهو تزين الشرك في قسمة القرابين بين الله وبين آلهتهم، وذلك التزين العجيب بوأد الأبناء وتقديمهم قرابين للآلهة. وفي البناء للمجهول أسلوب التفات غرضه تحقير الفاعل وتعظيم لفعلته المشينة، وهو القتل المباشر، أو تزيين القتل للشركاء[٣٦٩].

٤٢ ـ ﴿وَقَالُواْ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا ۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ ۚ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾﴾ [الأنعام: ١٣٩].

أولاً: القراءات:

١. قرأ أبو جعفر وابن عامر عن هشام، وأبو بكر (وَإِن تَكُن مَّيْتَةً) بالتاء على التأنيث.

٢. قرأ الباقون (وَإِن يَكُن مَّيْتَةً) بالتذكير.

---

(٣٦٨) تفسير زاد المسير (١٢٩/٣ ـ ١٣٠). وانظر: تفسير البغوي (١٩٣/٣).

(٣٦٩) انظر: اللمع البهية ص٢٧٠. انظر تفسير البحر المحيط (٦٥٧/٤).

١. قرأ ابن كثير وأبو جعفر وابن عامر (مَّيْتَةُ) برفع التاء؛ وأبو جعفر (مَّيِّتَةُ) على أصله في تشديد التاء.

٢. قرأ الباقون (مَّيْتَةً) بالنصب[٣٧٠].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

﴿الْمَيْتَةُ﴾: مؤنث الميت، هو الحيوان الذي مات حتف أنفه، أو على هيئة غير شرعية وجمعها مَيْتات والمِيْتَة: حالة الموت وهيئته[٣٧١].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

الآية الكريمة عبارة عن بيان لقبائح القوم من التشريعات التي ما أنزل الله بها من سلطان؛ حيث قالوا ما في بطون هذه السوائب والبحائر حلال لذكورنا محرم على إناثنا.

* قال سعيد حوى: «عن ابن عباس هو اللبن، كانوا يحرمونه على إناثهم، ويشربه ذكرانهم وكانت الشاة إذا ولدت ذكراً ذبحوه، وكان للرجال دون النساء، وإن كانت أنثى، تركت فلا تذبح، وإن كانت ميتة فهم فيه شركاء، فنهى الله عن ذلك؛ وقال الشعبي: البحيرة لا يأكل من لبنها إلا الرجال، وإن مات منها شيء أكله الرجال والنساء، فالإنسان عندما يشرع لنفسه تخرج منه الأعاجيب؛ فالحمد لله الذي جعلنا مسلمين نتلقى عن رب العالمين»[٣٧٢].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (وَإِن يَكُن مَّيْتَةً) بالتذكير، (مَّيْتَةً) بالنصب؛ وذلك مردود على لفظ (ما) المعنى: وإن يكن ما في بطون هذه الأنعام ميتة[٣٧٣].

---

(٣٧٠) النشر في القراءات العشر (١٩٩/٢). انظر غيث النفع في القراءات السبع ص١٠٩.

(٣٧١) منجد الطلاب ص٧٥٢.

(٣٧٢) الأساس في التفسير (١٧٦٩/٣). سعيد حوّى دار السلام ـ القاهرة. الطبعة الخامسة ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م

(٣٧٣) تفسير زاد المسير (١٣٣/٣). والتفسير البغوي (١٩٤/٣).

وأفادت قراءة (وَإِن تَكُن مَّيْتَةً) بالتاء، والمعنى: وإن تحدث وتقع، فجعل كان تامة لا تحتاج إلى خبر (ومَّيْتَةً) بالنصب والمعنى وإن تكن الأنعام التي في البطون ميتة(٣٧٤).

* قال الالوسي: «وقرأ ابن عامر، وأبو جعفر (وَإِن تَكُن مَّيْتَةٌ) بالتاء ميتة بالرفع، وابن كثير (وَإِن يَكُن مَّيْتَةٌ) بالياء (ومَّيْتَةٌ) بالرفع، وأبو بكر عن عاصم (تكن) بالتاء كابن عامر (مَّيْتَةً) بالنصب، قال الإمام: وجه قراءة ابن عامر أنه ألحق الفعل علامة التأنيث لما كان مؤنثاً في اللفظ، ووجه قراءة ابن كثير أن ميتة اسم (يكن) وخبره مضمر، أي إن يكن لهم أو هناك ميتة وذُكِّرَ لأن الميتة في معنى الميت وقال أبو علي الفارسي: لم يلحق الفعل علامة التأنيث لأن تأنيث الفاعل المسند إليه غير حقيقي ولا تحتاج كان إلى خبر؛ لأنها بمعنى وقع وحدث، ووجه القراءة الأخيرة أن المعنى وإن تكن الأجنة أو الأنعام ميتة»(٣٧٥).

* قال ابن خالويه: «الحجة لمن رفع أنه جعل كان بمعنى: حدث ووقع، فلم يأت لها بخبر، والحجة لمن نصب أنه أضمر في يكون الاسم، وجعل ميتة الخبر لتقدم قوله تعالى: (**مَا فِي بُطُونِ هَـٰذِهِ الأَنْعَامِ**)»(٣٧٦).

خامساً: بالجمع بين القراءتين نجد أن العلاقة تفسيرية حيث إن القراءتين تؤكدان ظلم هؤلاء الشركاء وافترائهم على الله بمقترحاتهم الجائرة،

(٣٧٤) حاشية الشهاب (٢١١/٤). المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي. للقاضي شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي على تفسير البيضاوي. ضبطه وخرج آياته وأحاديثه الشيخ عبد الرازق المهدي. دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان. الطبعة الأولى ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م. وحيثما تأتي سأكتفي بقولي: حاشية الشهاب.

(٣٧٥) تفسير الألوسي (٧ ـ ٣٦/٨).

(٣٧٦) انظر: الحجة ص ٨٢. الحجة في القراءات السبع، لأبي عبد الله الحسين بن خالويه. تحقيق أحمد فريد المزيدي، قدم له، د. فتحي حجازي. دار الكتب العلمية. بيروت ـ لبنان الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م. وحيثما تأتي سأكتفي بقولي: الحجة.

فمن أنث فباعتبار اللفظ، ومن ذكر فباعتبار المعنى وكلا المعنيين واحد وهو تحريم النعم على الذكور وجعلها خالصة للإناث، وهو عين الظلم والافتراء فهؤلاء الكفار قد إجترؤا على الله وأشركوا معه غيره، وحللوا وحرموا وهذا عين الاعتداء على دلائل الوحدانية(٣٧٧).

٤٣ ـ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعۡرُوشَٰتٍ وَغَيۡرَ مَعۡرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخۡلَ وَٱلزَّرۡعَ مُخۡتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٖۚ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦۖ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ١٤١﴾ [الأنعام: ١٤١].

أولاً: القراءات:

١. قرأ البصريان وابن عامر وعاصم (حَصَادِهِ) بفتح الحاء.

٢. قرأ الباقون (حِصَادِهِ) بكسرها(٣٧٨).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

﴿حصد﴾ : الحَصْدُ: جزك(٣٧٩) البر ونحوه من النبات، وحصده: قطعه بالمنجل وحصده واحتصده بمعنى واحد(٣٨٠).

حصد: أصل الحصد قطع الزرع، وزمن الحْصَادِ، والحِصَادِ؛ وهو الحِصَادُ المحمود في إبانة(٣٨١).

(حَصَادِهِ وحِصَادِهِ) وهما لغتان في المصدر، كقولهم جَداد، وجِداد، وقَطَاف، وقِطَاف، والأمر بإيتائها يوم الحصاد ليهتم به حينئذ حتى لا يؤخر عن وقت الأداء وليعلم أن الوجوب بالإدراك لا بالتنقية.

(٣٧٧) انظر: المستنير (١/١٧٧).

(٣٧٨) النشر في القراءات العشر (٢/٢٠٠).

(٣٧٩) جزّك: من جزّ الصوف أو العشب أو النخل: قطعه. انظر منجد الطّلّاب ص ٨١.

(٣٨٠) انظر: لسان العرب (٣/١٥٢). مادة حصد.

(٣٨١) معجم مفردات ألفاظ القرآن ص ١١٩.

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

الآية الكريمة دعوة للتفكر والتأمل مع النعم التي أنعم الله عليه وعلينا لنعبده وحده لا شريك له. وشكر لله بأداء الزكوات وإعطاء الفقراء والمساكين نصيبهم من الثمر يوم حصاده مع تنقيته لتعمّ الفائدة ولتحصل مقاصد الشريعة الغراء.

* قال أبو بكر الجزائري: «(**وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ**) أي محمول شجرها على العروش التي توضع للعنب ليرتفع فوقها، وغير معروشات أي غير معرش لها، وأنشأ النخل والزرع مختلف ثماره وطعمه، وأنشأ الزيتون والرمان متشابهاً في الورق، وغير متشابه في الحب والطعم أيضاً وأذن تعالى في أكله وأباح، وهو ملكه وخلقه كُلُواْ (**مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ**) أي نضج بعض النضج، وأمر بإخراج الواجب فيه وهو الزكاة فقال (**وَآتُواْ حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِه**) أي بعد درسه وتصفيتة إذ لا يعطي السنبل، ونهى عن الإسراف وهو تجاوز الحد في إخراج الزكاة، عن الغلو حتى لا يبقى لمن يعولون ما يكفيهم»[٣٨٢].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (حِصَادِهِ) بكسر الحاء، وهي لغة فيه وعدل عن حصده وهو المصدر المشهور لحصد إليه لدلالته على حصد خاص، وهو حصد الزرع إذا انتهى وجاء زمانه كما صرح به سيبويه[٣٨٣].

أفادت قراءة (وآتوا حقه يَوْمَ حَصَادِهِ) بفتح الحاء يراد به ما كان يتصدق به يوم الحصاد لا الزكاة المقدرة؛ لأنها فرضت بالمدينة، والآية مكية وقيل الزكاة والآية مدنية، والأمر بإيتائها يوم الحصاد ليهتم به حينئذ حتى لا يؤخر عن وقت الأداء وليعلم أن الوجوب بالإدراك لا بالتنقية[٣٨٤].

(٣٨٢) انظر: أيسر التفاسير (٢/١٣٠).

(٣٨٣) انظر: تفسير الألوسي (٧ ـ ٨/٣٨).

(٣٨٤) انظر: تفسير القرطبي (٤/٩٣).

* قال البيضاوي: «(**وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ**) أي هو الذي أنشأ جنات من الكروم معروشات على ما يحملها وغير معروشات ملقيات على وجه الأرض، والمعروشات قيل ما غرسه الناس فعرشوه، وغير معروشات ما نبت في الجبال والبراري (**وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ**) والنخل والزرع مختلفاً أكله، وثمره الذي يؤكل في الهيئة، ويقاس عليه الزرع والنخل والزيتون والرمان متشابهاً وغير متشابه في اللون والطعم وقد لا يتشابه (**كُلُواْ مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ**) أي كلوا من ثمر كل واحد من ذلك إذا أثمر وإن لم يدرك ولم يَيْنَع بعد وهنا رخصة وسَعة للأكل منه للمالك قبل أداء حقه (**وَآتُواْ حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ**) وآتوا حقه يوم حصاده يريد به ما كان يتصدق به يوم الحصاد لا الزكاة المقدرة، والأمر بإيتائها يوم الحصاد ليهتم به حينئذ حتى لا يؤخر عن وقت الأداء وليعلم أن الوجوب بالإدراك؛ لا بالتنقية والمراد بالتنقية: تخليصه من القش ونحوه»[٣٨٥].

والذي تراه الباحثة هو الإسراع في الأداء، وحتى لا يؤخر عن وقته، ثمّ الحرص على التنقية لتحقيق مقاصد الشريعة الإسلامية فإن الله طيب لا يقبل إلا طيباً.

خامساً: بالجمع بين القراءتين نجد أن العلاقة تفسيرية (حَصَادِهِ وحِصَادِهِ) يتبين أن المصدر في القراءتين يدل على معنى زائد على مطلق المصدر، فإن المصدر الأصلى إنما هو الحَصد، والحَصد ليس فيه دلالة على انتهاء زمان ولا عدمها، بخلاف الحِصَادِ، فلفظ الحَصَادِ يفيد التفخيم في الصاد، وفي الحَصَادِ سبب للوجوب الموسع؛ وفي الحِصَادِ (التصفية أو التنقية) سبب للأداء، وقيل الحَصَادُ: هو مخصوص بالزرع، والحصد في اللغة عبارة عن القطع، وذلك يتناول (زكاة) الكل يعني المعروشات وغير المعروشات[٣٨٦].

---

(٣٨٥) تفسير البيضاوي بتصرف ص ١٩٣.

(٣٨٦) انظر: اللباب (٨/٤٧٠ ـ ٤٧١)

وهو حصد الزرع إذا انتهى وجاء زمانه كما صرح به سيبويه، حصَد الزرع، والنبات يحصِده بكسر الصاد (حصداً، وحِصاداً) بكسر الحاء، بكسرها: قطعه بالمنجل(٣٨٧).

٤٤ ـ ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍۖ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِۖ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾﴾ [الأنعام: ١٤٣].

أولاً: القراءات:

١. قرأ ابن كثير والبصريان وابن عامر (الْمَعَزِ) بفتح العين.

٢. قرأ الباقون (الْمَعْزِ) بسكون العين(٣٨٨).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

﴿معز﴾: والمعيز جماعة المعز كما يقال ضئين لجماعة الضأن، ورجل ماعز معصوب الخلق والأمعز والمعزاء المكان الغليظ، واستمعز في أمره جد(٣٨٩).

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

الآية الكريمة بيان رباني يحمل في ثناياه التحذير من الشيطان ومكائده، ثمّ بالاستفهام المكلل بالتقريع والتوبيخ للعادلين بربهم الأوثان من عبدة الأصنام، لمن يحلّون ويحرمون ما لم ينزّل الله به من سلطاناً.

والخطاب للمؤمنين وللنبي ﷺ بأن الله ﷻ أنشأ لهم جنات معروشات وغير معروشات وأنشأ لهم من الأنعام ثمانية أزواج أحل لهم أكلها، من الضأن اثنين ذكر وأنثى، ومن المعز اثنين ذكر وأنثى، يعني ثمانية أفراد، وكل فرد عند العرب يحتاج إلى آخر يسمى زوجاً. فيقال للذكر زوج ويقال

(٣٨٧) انظر: المغني ص ١١٠.

(٣٨٨) النشر في القراءات العشر (٢/٢٠٠).

(٣٨٩) معجم مفردات ألفاظ القرآن ص٤٩٠.

للأنثى زوج، ويراد بالزوجين من الضأن الكبش والنعجة، ومن المعز التيس والعنز **(قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الأُنثَيَيْنِ نَبِّؤُونِي بِعِلْمٍ)** أي قل يا محمد على وجه التوبيخ والتقريع، قل من حرم ذكور الأنعام تارة وإناثها أخرى، ونسب ذلك إلى الله؛ آلذكرين من الضأن والمعز حرم الله عليكم أم الأنثيين منهما، أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين، ذكراً كان أو أنثى، نبئوني عن كيفية تحريم ذلك. وكرر السؤال للتقريع والتوبيخ وبيان كذبهم وافتراءاتهم في التحليل والتحريم(٣٩٠).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة أهل البصرة (الْمَعَزِ) بفتح العين، والباقون بسكونها (الْمَعْزِ) والمعز والمعزى جمع لا واحد له من لفظه وهي ذوات الشعر من الغنم، وجمع الماعز معزى وجمع الماعز مواعز.

* قال ابن الجوزي: و(الْمَعْزِ) ذوات الشعر منها، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر (الْمَعَزِ) بفتح العين(٣٩١).

والمعنى (ومن المعز اثنين) عطف على مثله، شريك له في حكمه، أي وأنشأ من المعز زوجين التيس والعنز، وقرئ بفتح العين وهو جمع ماعز كصاحب وصحب وحارس وحرس، وقرئ ومن المعزى، وهذه عرضة للأكل الذي هو معظم ما يتعلق به الحل والحرمة، وهو السر في الاقتصار على الأمر(٣٩٢).

خامساً: بالجمع بين القراءتين نجد أنّ العلاقة لغوية، وهما لغتان من لغات العرب بمعنى واحد، لما عُلم أنه لا نظام لهم بل أهواء تشرع وشياطين تزين القتل والتخريب والتشويه والتزوير زادهم هنا في التوبيخ بقوله تعالى: **(نَبِّؤُونِي بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ)** بعد أن ضعف لهم أمر الأنعام الذي شرعوا فيه الباطل.

---

(٣٩٠) انظر: تفسير الجلالين ص ١٨٨.

(٣٩١) انظر: تفسير زاد المسير (١٣٨/٣).

(٣٩٢) انظر: تفسير أبو السعود ٢٩٣/٢.

٤٥ ـ ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾﴾ [الأنعام: ١٤٥].

أولاً: القراءات:

١. قرأ ابن كثير وأبو جعفر وابن عامر وحمزة (إلاَّ أن تكون) بالتاء على التأنيث.

٢. قرأ الباقون (إلاَّ أن يكون) بالياء.

١. قرأ أبو جعفر وابن عامر (مَيْتَةٌ) بالرفع.

٢. قرأ الباقون (مَيْتَةً) بالنصب(٣٩٣).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

﴿يكون﴾: أصله كون من كان وهو عبارة عما مضى من الزمان، وكان معناه حصل ووقع، والكون يستعمله بعض الناس في استحالة جوهر ما إلى ما هو دونه، وكثير من المتكلمين يستعملونه في معنى الإبداع(٣٩٤).

* المَيْتَه: مؤنث الميت، هو الحيوان الذي مات حتف أنفه، أو على هيئة غير شرعية، وجمعها مَيْتات. المِيْتَة: حالة الموت وهيئته(٣٩٥).

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

الآية الكريمة خطاب رباني موجه للنبي ﷺ بأن قل يا محمد لأهل الجاهلية الذين يستحلون أشياء ويحرمون أشياء، قل لهم (لاَّ أَجِدُ فِي مَا أُوْحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ) نبههم بهذا على أن التحريم والتحليل إنما يثبت بالوحي وقال مجاهد: معنى الآية لا أجد محرماً مما كنتم

(٣٩٣) النشر في القراءات العشر (٢/٢٠٠).

(٣٩٤) معجم مفردات ألفاظ القرآن ص٤٦١.

(٣٩٥) منجد الطلاب ص٧٥٢.

تستحلون في الجاهلية إلا هذا، والمراد بالطاعم الآكل (إلا أن يكون ميتة) أي إلا أن يكون المأكول ميتة (أو دماً مسفوحاً) قال قتادة: إنما حرم المسفوح، فأما اللحم إذا خالطه دم فلا بأس به قال الزجاج: المسفوح المصبوب، وكانوا إذا ذكوا يأكلون الدم كما يأكلون اللحم، والرجس اسم لما يستقذر وللعذاب، أو فسقا المعنى: أن يكون المأكول فسقا (أُهلّ لغير الله به) أي رفع الصوت على ذبحه باسم غير الله فسمى ما ذكر عليه غير اسم الله فسقا والفسق الخروج من الدين[(٣٩٦)].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

* قال ابن الجوزي: (ميتة) قرأ ابن كثير وحمزة إلا أن (يكون) بالياء ميتة، نصباً، وقرأ ابن عامر إلا أن (تكون) بالتاء، ميتة بالرفع، على معنى إلا أن تقع ميتة أو تحدث ميتةٌ.

* قال الألوسي: «وقرأ ابن كثير وحمزة (تكون) بالتاء لتأنيث الخبر، وقرأ ابن عامر وأبو جعفر (يكون) ميتة بالياء ورفع (ميتة) وأبو جعفر يشدد أيضا على أن (كان) هي التامة، (أو دما) عطف على (ميتة) أو على أن ما في حيزه»[(٣٩٧)].

خامساً: **بالجمع بين القراءتين نجد أن العلاقة تفسيرية**، الغرض منه سبق الحديث عنه[(٣٩٨)].

٤٦ ـ ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾﴾ [الأنعام: ١٥٢].

(٣٩٦) انظر: تفسير زاد المسير (١٤٠/٣).
(٣٩٧) انظر: تفسير الألوسي (٧ ـ ٤٤/٨). وتفسير النسفي (١ ـ ٣٨/٢).
(٣٩٨) انظر: ص١٦٧.

أولاً: القراءات:

١. قرأ حمزة والكسائي وخلف وحفص (تَذَكَّرُونَ) بتخفيف الذال.

٢. قرأ الباقون (تَذَّكَّرُونَ) بالتشديد[٣٩٩].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

﴿ذكر﴾ : والذكر ذكران ذكرٌ بالقلب، وذكر باللسان، وكل واحد منهما ضربان، ذكرٌ عن نسيان ذكرٌ لا عن نسيان، بل عن إدامة الحفظ، والتذكرة ما يتذكر به الشيء وهو أعم من الدلالة والإمارة[٤٠٠].

* ذكر: ذَكَرْتُه، خلاف نسيته، ثم حمل عليه الذكر باللسان، ويقال اجعله منك على ذُكرٍ، بضم الذال، أي لا تنسه[٤٠١].

ثالثاً: التفسيرالإجمالي للآية:

الآية الكريمة توجيه رباني في المعاملات يتضمن التهديد والوعيد من اقتراب مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن، حتى يبلغ أشده، ثم إيفاء الكيل والعدالة والتسوية، علماً بأن إيفاء الحق عسير، فعليكم أيها البشر بما في وسعكم، وما ورآءه معفوّ عنه.

* قال مخلوف: «**(وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ)** أي احفظوه حتى يبلغ الحلم فإذا بلغه فادفعوه إليه، والأشد: قوة الإنسان وشدته واشتعال حرارته؛ من الشدة بمعنى القوة **(وَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ)** أمر بإقامة العدل في التعامل ولإيفاء الكيل والوزن بالعدل إتمامهما بحيث يعطى صاحب الحق حقه من غير نقصان ولا بخس، ويأخذ صاحب الحق حقه من غير طلب زيادة **(لاَ نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا)** طاقتها

(٣٩٩) النشر في القراءات العشر (٢/٢٠٠). انظر التيسير في القراءات السبع ص٨٩. وحيثما يأتي سأكتفي بقولي: التيسير.

(٤٠٠) معجم مفردات ألفاظ القرآن ص١٨٢.

(٤٠١) معجم مقاييس اللغة (٢/٣٥٨).

وما تقدر عليه (وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُواْ) وإذا قلتم قولاً في حكم أو شهادة فاصدقوا فيه وقولوا العدل (وَبِعَهْدِ اللّهِ أَوْفُوا) أي أفوا بما عهد إليكم من هذه الأمور المعدودة[402].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (تَذَكَّرُونَ) بتخفيف الذال أي لتذكروه وتأخذوا به، وقد أوصاكم وأمركم به الله ﷻ وأكد عليكم فيه بـ (لعلكم تذكرون).

وأفادت قراءة (تَذَّكَّرُونَ) بالتشديد ذلك كله. أصله تتذكرون فأدغم التاء الثانية في الذال أى أمركم به لتتعظوا[403].

* قال النسفي: «(لعلكم تذكرون) بالتخفيف حيث كان، حمزة وحفص على حذف إحدى التاءين، غيرهم بالتشديد أصله تتذكرون فأدغم التاء الثانية في الذال أى أمركم به لتتعظوا»[404].

قرأ حفص وحمزة والكسائي تذكرون بتخفيف الذال، إذا كان في أوله تاء، وشددها الباقون (تَذَكَّرون)[405]. (تَذَكَّرون) قرأه حفص وحمزة والكسائي، تذكرون بتخفيف الذال على حذف إحدى التاءين استخفافاً، وذلك إذا كان أصله تتذكرون، وقرأ الباقون بالتشديد في الذال وفي التشديد تكرير التذكر، وكأنه تذكر بعد تذكر، ليتفهم من خوطب بذلك[406].

خامساً: بالجمع بين القراءتين نجد أن العلاقة تفسيرية، القراءتان يتبين أن كلاً منهما تؤكد الأخرى وتزيد المعنى وضوحاً، فقراءة التخفيف هي ذكرٌ

---

(٤٠٢) انظر: صفوة البيان ص١٩٦.

(٤٠٣) انظر: تفسير ابن كثير (١٦٩/٢). وتفسير البغوي (٢٠٤/٣).

(٤٠٤) تفسير النسفي (١ - ٤٠/٢). وتفسير البيضاوي ص١٩٦.

(٤٠٥) انظر: التذكرة (٤١٢/٢). المسمى كتاب التذكرة في القراءات. تأليف الشيخ أبي الحسن طاهر بن عبد المنعم بن غلبون، المقرئ المتوفى تسع وتسعين وثلاثمائة هـ. تحقيق د. عبد الفتاح بحيري إبراهيم الزهراء للإعلام العربي - مصر. الطبعة الاولى ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م. وحيثما يأتي سأكتفي بقولي: التذكرة.

(٤٠٦) انظر: الكشف (١/ ٤٥٧).

عن نسيان، قراءة التشديد هي ذكرٌ لا نسيان فيه؛ والحقيقة أن بناء تفَعَّل فيه تضعيف زائد يؤدي إلى التدرج أي حدوث شيءً بعد شيء، كأنه تذكر بعد تذكر، ليتفهم من خوطب بذلك؛ لأن زيادة المبنى تؤدي إلى زيادة المعنى وتؤكده وخلاصة القول التدرج في التذكر حتى يحصل الرسوخ لاجتماع التذكر على التذكر وهو المقصود القرآني للقراءات(٤٠٧).

٤٧ - ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٥٣﴾ [الأنعام: ١٥٣].

أولاً: القراءات:

١. قرأ حمزة والكسائي وخلف (إنَّ هذا) بكسر الهمزة.

٢. قرأ الباقون (أنَّ هذا) بفتحها.

٣. قرأ يعقوب وابن عامر (أن هذا) خففا النون(٤٠٨).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

﴿أَنَّ﴾: ينصبان الاسم ويرفعان الخبر(٤٠٩).

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

الآية الكريمة تشير إلى المحور الأساسي للسورة وهو محور العقيدة الغراء، فهي بأسرها تتحدث عن إثبات التوحيد، والنبوة، وبيان التشريع الإسلامي.

* قال المراغي: «إن هذا القرآن الذي أدعوكم إليه، وأدعوكم به إلى ما يحيكم، وهو صراطي ومنهاجي الذي أسلكه، إلى مرضاة الله ونيل سعادة الدنيا والآخرة، وحال كونه مستقيماً لا يضل سالكه، ولا يهتدي تاركه، فاتبعوه وحده، ولا تتبعوا السبل الأخرى التي تخالفه، وهي كثيرة، فتفرق

---

(٤٠٧) انظر: بلاغة الكلمة ص٤١.

(٤٠٨) النشر في القراءات العشر (٢/٢٠٠).

(٤٠٩) معجم مفردات ألفاظ القرآن ص ٢٢. لزيادة المعرفة انظر ما سبق ذكره ص ١٣١.

بكم عن سبيله، بحيث يذهب كل منهم في سبيل ضلالة ينتهي بها إلى التهلكة، إذ ليس بعد الحق إلا الضلال، أي إن هذا صراطي مستقيماً لا عوج فيه، فعليكم أن تتبعوه إن كنتم تؤثرون الاستقامة على الاعوجاج، وترجحون الهدى على الضلالة»(٤١٠).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة وأنَّ بفتح الألف مع تشديد النون، قال الفراء: إن شئت جعلت أن مفتوحة بوقوع (اتل) عليها، وإن شئت جعلتها خفضاً على معنى ذلكم وصاكم به، وبأن هذا صراطي مستقيماً وقرأ ابن عامر بفتح الألف، أيضاً، إلا أنه خفف النون فجعلها مخففة من الثقيلة وحكم إعرابها حكم تلك.

وقرأ حمزة والكسائي بتشديد النون مع كسر الألف قال الفراء: وكسر الألف على الاستئناف.

أفادت قراءة (إنَّ هذا) بكسر الهمزة على الاستئناف، وقرئ أن هذا مخففة من أن على أن اسمها ضمير الشأن محذوف(٤١١).

* قال أبو حيان: «**(وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ)** قرأ الأخوان، (وإنَّ هذا) بكسر الهمزة وتشديد النون على الاستئناف، فاتبعوه جملة معطوفة على الجملة المستأنفة، وقرأ الباقون بفتحها وخفف ابن عامر النون وشددها الباقون فأمّا تخفيف النون فعلى أنه حذف اسم إن وهو ضمير الشأن، وخرجت قراءة فتح الهمزة على وجوهٍ أحدها: أن يكون تعليلاً حذف منها اللام تقديره (صراطي مستقيماً فاتبعوه) والوجه الثاني: أن تكون معطوفة على (أن لا تشركوا) فهو معطوف على البدل مما حرم وهو أن لا تشركوا»(٤١٢).

---

(٤١٠) تفسير المراغي (٧ ـ ٩٧٢).

(٤١١) انظر: تفسير زاد المسير (٣/١٥١). وتفسير أبو السعود (٢/٣٠٥).

(٤١٢) تفسير البحر المحيط (٤/٦٩١).

* قال الدكتور محيسن: «قرأ نافع وابن كثير، وابو عمرو وعاصم، وأبو جعفر (وأنَّ) بتشديد النون، وذلك على تقدير اللام، أي ولأن هذا . . .الخ، (وهذا) اسم أن (وصراطي) خبرها (ومستقيماً) صفة، وقرأ ابن عامر ويعقوب (وأن) بفتح الهمزة، وتخفيف النون، وذلك على أن (أن) مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن محذوف، وقبل (أن) لام مقدرة (وهذا) مبتدأ (وصراطي) خبر المبتدأ، والجملة من المبتدأ، أو الخبر خبر (أن) المخففة، وقرأ حمزة والكسائي وخلف (إنَّ) بكسر الهمزة وتشديد النون، فكسر الهمزة على الإستئناف، (وهذا) اسم أن (وصراطي) خبرها (ومستقيماً) صفة، واعلم (أن) مفتوحة الهمزة، مشددة النون معناها التوكيد وتعمل عكس عمل كان الناقصة التي تنصب الاسم وترفع الخبر»[٤١٣].

خامساً: بالجمع بين القراءتين نجد أن العلاقة تفسيرية الغرض منهما التوجيه والإرشاد بأن الدين الإسلامي وما تضمنه من تشريع، وأوامر ونواهٍ، هو الطريق المستقيم، فقراءة (إنَّ هذا) بتشديد النون، فالكسر على الاستئناف و(هذا) اسم إن وصراطي خبرها.

قراءة (أن هذا) بفتحها وتخفيف النون على (أَن) مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن محذوف و(هذا) مبتدأ و(صراطي) خبر، والجملة خبر (أن). وقرا الباقون (أنَّ هذا) بفتحها، وعلى تقدير اللام، أي ولأن هذا . . .كذا و(هذا) اسم (أن) و(صراطي) خبرها[٤١٤].

فجميع القراءات مفادها واحد أن الدين الإسلامي وما تضمنه من تشريع، وأوامر، ونواه، هو الطريق المستقيم، وما سواه اتباع الهوى، ونتيجته الخسران والضلال المبين، والله أعلى وأعلم.

---

(٤١٣) انظر: القراءات وأثرها في التفسير والأحكام (٢/١٨٠). والتحرير والتنوير (٥/١٧١). ومجمع البيان (٤/١٨٤).

(٤١٤) انظر: المستنير (١/١٨٢).

٤٨ ـ ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأنعام: ١٥٨].

أولاً: القراءات:

١. قرأ حمزة والكسائي وخلف (يَأْتِيهِمُ الْمَلآئِكَةُ) بالياء على التذكير.

٢. قرأ الباقون (تَأْتِيهِمُ الْمَلآئِكَةُ) بالتاء على التأنيث(٤١٥).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

﴿أَتَىٰ﴾: تقول أتاني فلانٌ إتياناً وأتياً وأتيةً وأتوةً واحدة، والإتيان مجيء السيل بسهولة ومنه قيل للسيل المار على وجهه، والإتيان يقال للمجيء بالذات وبأمر وبالتدبير ويقال في الخير وفي الشر وفي الأعراض وفي الأعيان(٤١٦).

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

الآية الكريمة تهديد ووعيد أي يوم يأتي بعض أشراط الساعة لا ينفع الإيمان نفساً كافرة آمنت في ذلك الوقت، ولا نفساً عاصية قصرت حتى اللحظة تلك.

قال تعالى يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لاَ يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انتَظِرُواْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ: **(هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيهُمُ الْمَلآئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ)** أي ماذا ينتظر مشركو مكة بعد تكذيبهم بالآيات، إلا أن تأتيهم ملائكة الموت لقبض أرواحهم، أو يأتي ربك، أي يأتي أشراط الساعة، وفُسر في الحديث بطلوع الشمس من مغربها، فمن آمن من شرك أو تاب من معصية عند ظهور بعض الآيات لا يقبل منه؛ لأنه رجوع اضطراري كما لو أرسل الله

(٤١٥) النشر في القراءات العشر (٢/٢٠٠).

(٤١٦) معجم مفردات ألفاظ القرآن ص٤.

عذاباً على قوم فأمنوا أو تابوا، فإنه لا ينفعهم ذلك لمعاينتهم الأهوال والشدائد التي تضطرهم إلى الإيمان والتوبة، فالنفس التي لم تكن آمنت من قبل ولم يكن لينفعها إيمانها إن لم تكتسب فيه خيراً، ففي الآية وعيد للمكذبين، وتيئيس من إيمان مشركي مكة، وتمثيل بحال من ينتظر ذلك(٤١٧).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (تَأْتِيهُمُ الْمَلآئِكَةُ) لتقبض أرواحهم وقيل بالعذاب.

أفادت قراءة (يَأْتِيهُمُ الْمَلآئِكَةُ) يأتي ربك، أو يأتي بعض آيات ربك، لفصل القضاء بين خلقه في موقف القيامة، أو يأتي بعض آيات ربك يعني طلوع الشمس من مغربها(٤١٨).

* قال البيضاوي: «وقرأ حمزة والكسائي بالياء أو يأتي أمر ربك القيامة، أو العذاب المستأصل كذلك، مثل ذلك الفعل من الشرك والتكذيب فعل الذين من قبلهم»(٤١٩).

* قال الدكتور محمد سالم محيسن: قرأ حمزة والكسائي وخلف (يَأْتِيهُمُ الْمَلآئِكَةُ) بالياء على تذكير الفعل؛ وقرأ الباقون (تَأْتِيهُمُ الْمَلآئِكَةُ) بالتاء على التأنيث، على تأنيث الفعل، وجاز تذكير الفعل وتأنيثه، لأن الفاعل (الملائكة) جمع تكسير، وإذا كان الفاعل جمع تكسير جاز في فعله التذكير والتأنيث(٤٢٠).

* قال أبو السعود: إلا أن (تَأْتِيهُمُ الْمَلآئِكَةُ) العذاب، أو يأتي أمر ربك بالعذاب والانتظار محمول على التمثيل، وقرأ حمزة والكسائي (يَأْتِيهُمُ

(٤١٧) صفوة البيان ص١٩٧. صفوة البيان لمعاني القرآن. تفسير القرآن الكريم لفضيلة الأستاذ. الشيخ حسنين مخلوف، الكويت الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

(٤١٨) انظر: تفسير زاد المسير (١٥٦/٣).

(٤١٩) انظر تفسير البيضاوي ص١٩٧.

(٤٢٠) المغني (١١٤/٢). والقراءات وأثرها في علوم العربية (٨٥/٢).

الْمَلآئِكَةُ) لأن تأنيث الملائكة غير حقيقي، أو يأتي بعض آيات ربك أي وهنا البعض للتفخيم والتهويل(٤٢١).

خامساً: بالجمع بين القراءتين نجد أن العلاقة بلاغية حيث إن بين القراءتين أسلوب التفات من الغيبة إلى الخطاب، غرضه التفخيم والتهويل، بل التهديد والوعيد، كما في الآية لف؛ حيث إنه لف الكلامين فجعلهما كلاماً واحداً، إيثاراً للبلاغة والإعجاز ولم يعقب عليه بالنشر؛ لأنّ المآل واحد والنتيجة واحدة(٤٢٢).

٤٩ ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ [الأنعام: ١٥٩].

أولاً: القراءات:

١. قرأ حمزة والكسائي (فَارَقُواْ) بالألف مع تخفيف الراء.

٢. قرأ الباقون (فَرَّقُواْ) بغير ألف مع التشديد(٤٢٣).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

﴿فرق﴾ : الفرق خلاف الجمع، فَرَقَ للصلاح فَرْقاً، وَفرَّقَ للإفساد تَفْريقاً، والفرق: أصيل صحيح يدل على تمييز وتزييل بين شيئين من ذلك الفرق، فرق الشعر يقال: فرقته فرقاً، والفرق: القطع من الغنم، والفرق: الفلق من الشيء إذا انفلق(٤٢٤).

* الفرق يقارب الفلق لكن الفلق يقال اعتباراً بالانشقاق، والفرق يقال اعتباراً بالانفصال؛ والفريق الجماعة المتفرقة؛ والتفريق أصله للتكثير(٤٢٥).

---

(٤٢١) انظر: تفسير أبو السعود (٢/٣٠٨).

(٤٢٢) اعراب القرآن الكريم وبيانه (٢/٥٠٠).

(٤٢٣) النشر في القراءات العشر (٢/٢٠٠).

(٤٢٤) انظر: لسان العرب (١٠/٢٩٩).

(٤٢٥) معجم مفردات ألفاظ القرآن ص ٣٩٢.

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

الآية الكريمة تحمل في طياتها تحذيراً وتهديداً من الفرقة والتشرذم في الدين (**إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا**) أي فرّقوا الدين فأصبحوا شيعاً وأحزاباً، قال ابن عباس: هم اليهود والنصارى فرّقوا دين إبراهيم الحنيف (**لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ**) أي إنك يا محمد بريء منهم ومن فعلتهم (**إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ**) يتولى جزاءهم ويعاقبهم على أفعالهم (**ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ**) بأن يخبرهم بشنيع فعلتم يوم القيامة، قال ابن عباس: قال رسول الله ﷺ افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة كلهم في الهاوية إلا واحدة وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة كلهم في الهاوية إلا واحدة وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلهم في الهاوية إلا واحدة واستثناء الواحدة من فرق كل من أهل الكتابين إنما هو بالنظر إلى العصر الماضي قبل النسخ وأما بعده فالكل في الهاوية وان اختلفت أسباب دخولهم[٤٢٦].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (فَرَّقُواْ) بغير ألف مع التشديد أراد آمنوا ببعض وكفروا ببعض.

وأفادت قراءة (فَارَقُواْ) بالألف مع تخفيف الراء، أراد باينوا، وفي المشار إليهم أربعة أقوال: أحدها أنهم أهل الضلالة من هذه الأمة، قاله أبو هريرة، والثاني: أنهم اليهود والنصارى قاله ابن عباس، والثالث: اليهود قاله مجاهد، والرابع: جميع المشركين، قاله الحسن فعلى هذا القول دينهم الكفر الذي يعتقدونه ديناً وعلى ما قبله دينهم الذي أمرهم الله به والشيع الفرق والأحزاب[٤٢٧].

وقيل (فَارَقُواْ) بمعنى تركوا دينهم الذي أُمروا به وكانوا شيعاً فرقاً تشايع كل إمامها، الذي أضل دينها، كل حزب بما لديهم فرحون.

(٤٢٦) انظر: تفسير الألوسي (٧ ـ ٦٨/٨). وتفسير البيضاوي ص١٩٨

(٤٢٧) انظر: تفسير زاد المسير (١٥٨/٣).

* قال الألوسي: «قرأ حمزة والكسائي (فارقوا) بالألف أي باينوا فإن ترك بعضه وإن كان يأخذ بعض آخر منه. ترك الكل أو مفارقة له وكانوا شيعا أي فرقا تشيع كل فرقة إماماً وتتبعه أو تقويه وتظهر أمره استمراراً بالعقاب عليه(٤٢٨).

والمعنى أنّ الذين (فَرَّقُواْ) دينهم اختلفوا فيه وصاروا فرقاً، كما اختلفت اليهود والنصارى وفي الحديث الشريف(٤٢٩): (افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة كلها في الهاوية إلا واحدة وتفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة كلها في الهاوية إلا واحدة وهي السواد الأعظم وفي رواية، وهي ما انا عليه وأصحابى)(٤٣٠).

* حيث إن الآية الكريمة باعتبار سياقها تصور ثلاث مواقف لهؤلاء الضالين الذين ينهاهم الله عن الوقوع في مغبة فغْلاتهم، فهم قد فرقوا دينهم بأن آمنوا ببعض وكفروا ببعض، ومن ثمّ فارقوا العمل به، حتى صار مآلهم شيعاً فتهود من تهود، وتنصر من تنصر ﴿كُلُّ حِزْبِۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٣] مع أن الدين واحد من لدن آدم عليه السلام إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها لا يختلف ولا يتفرق وإنما يتدرج قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ . . .﴾ [المائدة: ٣].

خامساً: بالجمع بين القراءتين نجد أن العلاقة تفسيرية يتبين أن القراءتين بينهما إجمال وتفصيل، حيث إن قراءة (فارقوا دينهم) من المفارقة والفراق بمعنى أنهم تركوا دينهم وخرجوا منه، وأما قراءة (فرقوا) بمعنى التفريق أي آمنوا ببعض الدين وكفروا ببعضه من التفريق وإن كان يأخذ بعضاً منه تركاً للكل ومفارقة له، وفي كلا الحالتين بيان لكل من فارق دينه وتركه فمآله مآل من فرق في دينه فآمن ببعضه وكفر ببعض؛ وفي كلتا القراءتين

(٤٢٨) تفسير الألوسي (٧ ـ ٦٨/٨).

(٤٢٩) سنن ابن ماجة. باب الفتن. حديث رقم ٤١٢٧. وقال الألباني الحديث حسن صحيح.

(٤٣٠) انظر: تفسير النسفي (١ ـ ٤٢/٢).

تحذير من الحزبية والانشقاق عن الجماعة المسلمة فهي ليست من الإسلام في شيء[٤٣١]. حيث إن المسلم لمّا فَرَّقَ تعاليم دينه فقد فارقه فكفر به وخرج من الإسلام وهنا إشارة للمباينة والمباعدة لكل فرقة عن الأخرى وهذا سر الضعف والتشرذم.

٥٠ ـ ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ [الأنعام: ١٦٠].

أولاً: القراءات:

١. قرأ يعقوب (عَشْرٌ) بالتنوين و(أَمْثَالُهَا) بالرفع.

٢. قرأ الباقون (عَشْرُ) بغير تنوين و(أَمْثَالِهَا) خفض على الإضافة[٤٣٢].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

﴿عَشَرَ﴾: العشرة أول العقود، وَعَشَر يَعْشِرُ: أخذ واحداً من عَشَرَةٍ، أو زاد واحداً على تسعة، والعَشَرة، والعشر في المؤنث، وكنت عاشر عشرة، أي كانوا تسعة فتموا بي عشرة رجال[٤٣٣].

* العشر: العشرة والعشر والعشرون والعشير والعشر معروفة (العدد معلوم)[٤٣٤].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

الآية الكريمة بشارة من الله ﷻ الكريم الذي لا ينقطع عطاؤه ومنّه وكرمه حتى الآخرة؛ حيث الحسنة بعشرة أمثالها والسيئة بمثلها، والجزاء من جنس العمل.

قال تعالى: (**مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا**) أي من جاء بالحسنة

---

(٤٣١) القراءات وأثرها في التفسير والأحكام (٢/٥٥٣). انظر التوجيه البلاغي ص٧٦.

(٤٣٢) النشر في القراءات العشر (٢/٢٠٠).

(٤٣٣) انظر: القاموس المحيط ص٥٦٥. مادة عشر.

(٤٣٤) معجم مفردات ألفاظ القرآن ص ٣٤٦.

والمراد ههنا: الإيمان والأعمال الصالحة، أو من الأعمال الحسنة من المؤمنين فله عشر حسنات وقد جاء الوعد بسبعين وبسبعمائة وبغير حساب إنه الكرم الرباني (**وَمَن جَاء بِالسَّيِّئَةِ فَلاَ يُجْزَى إِلاَّ مِثْلَهَا**) ومن جاء بالسيئة أي بالأعمال السيئة، كالكفر والعصيان، فلا يجزى إلا مثلها بحكم الوعد واحدة بواحدة (وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ) بنقص الثواب، أو زيادة العقاب، وأما إيجاب كفر ساعة بعقاب الأبد، فلأن الثواب الكافر على عزم وتصميم أنه لو عاش أبداً، لبقي على ذلك الاعتقاد أبداً، فيعامل بنيته[٤٣٥].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (عَشْرٌ) بالتنوين (أَمْثَالُهَا) بالرفع على الوصف، وهذا أقل ما وعد من الأضعاف، وقد جاء الوعد بسبعين وسبعمائة وبغير حساب، ولذلك قيل المراد بالعشر الكثرة لا الحصر في العدد الخاص، وتجريد عشر من التاء لكون المعدود مؤنثاً، لكنه حذف وأقيمت صفته مقامه وقيل: إنه المذكور إلا أنه اكتسب التأنيث من المضاف إليه (وَمَن جَاء بِالسَّيِّئَةِ) كائناً من كان من العالمين فلا يجزى إلا مثلها بحكم الوعد واحدة بواحدة[٤٣٦].

أفادت قراءة (عشرُ أمثالِها) أرادوا فله عشر أمثال تلك الحسنة[٤٣٧].

أي وفي الحسنة والسيئة هاهنا قولان: أحدهما أن الحسنة قول لا إله إلا الله، والسيئة الشرك، قاله ابن مسعود وغيره، والثاني: أنه عام في كل حسنة وسيئة روى مسلم في صحيحه من حديث أبي ذر عن النبي ﷺ قال[٤٣٨] (يقول الله ﷻ من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها أو أزيد ومن جاء بالسيئة فجزاء سيئة مثلها أو أغفر له)[٤٣٩].

(٤٣٥) انظر: المقتطف من عيون التفاسير (١٩٢/٢).

(٤٣٦) انظر: تفسير الألوسي (٧ ـ ٦٩/٨). انظر مشكل إعراب القرآن (١ ـ ٢٧٨/٢).

(٤٣٧) كتاب معاني القراءات ص ١٧٤.

(٤٣٨) أخرجه مسلم. في كتاب الدعوات. باب فضل الذكر والتقرب إلى الله. حديث رقم ٦٧٢٨. ص ١٣٢٢. الفقرة جزء من حديث.

(٤٣٩) انظر: تفسير زاد المسير (١٥٩/٣ ـ ١٦٢).

(فله عشر أمثالها) يقرأ بالتنوين ونصب الأمثال، وبطرحه والخفض، فالحجة لمن نصب: أنّ التنوين يمنع من الإضافة فنصبت على خلاف المضاف. والحجة لمن أضاف: أنه أراد: فله عشر حسنات، وأقام الأمثال مقام الحسنات؛ ولهذا المعنى حُزلت الهاء من العدد؛ لأنه لمؤنث فاعرفه(٤٤٠).

قرأ يعقوب (عشرٌ) بالتنوين، و(أمثالُها) بالرفع، وذلك على أن عشر مبتدأ مؤخر، وخبره الجار والمجرور قبله، وأمثالها صفة لعشر. وقرأ الباقون (عشرُ) بدون تنوين، و(أمثالِها) بخفض اللام.

خامساً: بالجمع بين القراءتين نجد أنّ العلاقة تفسيرية توضح أن كلاً منهما تؤكد الأخرى، وتثبت العطاء الوفير لمن يأتي بالحسنة بالمضاعفة والتخصيص، فله عشر حسنات مثلها ويزيد، أي له لا لغيره عشرٌ أمثالُها، ومن أما قراءة الإضافة بحذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه، على تقدير فله عشر حسنات أمثالها إن هو جاء بها والقراءتان تؤكد إحداهما الأخرى وتدعو إلى الحرص على فعل الحسنة(٤٤١).

٥١ - ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾﴾ [الأنعام: ١٦١].

أولاً: القراءات:

١. قرأ ابن عامر والكوفيون (دِينًا قِيَمًا) بكسر القاف وفتح الياء مخففة.

٢. قرأ الباقون (دِينًا قَيِّمًا) بفتح القاف وكسر الياء مشددة(٤٤٢).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

﴿دِينَ﴾: الدال والياء والنون أصلٌ واحد يجمع فروعه كلها، وهو

(٤٤٠) انظر: الحجة ص٨٣.

(٤٤١) القراءات وأثرها في علوم العربية (٢/٢٧٠). الفريد (٢/٢٥٧).

(٤٤٢) النشر في القراءات العشر (٢/٢٠٠).

جنس من الانقياد والذل فالدين: الطاعة، يقال دان له يدين ديناً، إذا أصحب وانقاد وطاع، وقوم دين أي مطيعون منقادون(٤٤٣).

﴿قيم﴾ : أي ثابتاً مقوماً لأمور معاشهم ومعادهم، وقرئ قِيَماً مخففاً من قيام، وقيل هو وصْفٌ نحو قَوْمٌ عِدّي؛ ومكان سِوّي؛ وماءٌ رُوِّي(٤٤٤).

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

الآية الكريمة هي عبارة عن بيان رباني لهؤلاء المشركين المكذبين من النبي ﷺ أن ربه هداه الطريق القويم؛ وأرشده إلى الدين الحق ديناً مستقيماً لا عوج فيه، ملة إبراهيم حنيفاً.

قل إنني هداني ربي، أي: قل يا محمد لأولئك الضالين إن ربي أرشدني بالوحي، وبما نصب في الآفاق والأنفس، من الآيات التكوينية والكونية، إلى صراط مستقيم، أي طريق قويم لا عوج فيه موصل إلى الحق وهو طريق الإسلام، أي: هداني ديناً قيماً أي مستقيماً لا اعوجاج فيه؛ ملة إبراهيم حنيفاً أي دين الحنيفية السمحة ملة إبراهيم عليه السلام خليل الرحمن، مائلاً عن الأعمال الباطلة، أي: ما كان منهم في أصل من الأمور أصلاً، لأن الحنفية تنافي الشرك، ففيه تكذيب لهم، في دعواهم أنهم على ملة إبراهيم، لأنه عليه السلام على ملة التوحيد؛ وفيه تعريض بإشراكهم والخروج عن الإسلام الحنيف(٤٤٥).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (قِيِّماً) مفتوحة القاف مشددة الياء الاستقامة، والقيم المستقيم.

أفادت قراءة (قَيِماً) بكسر القاف وتخفيف الياء، هداني دل على عرفني

(٤٤٣) معجم مقاييس اللغة (٣١٩/٢).

(٤٤٤) معجم مفردات ألفاظ اللغة ص٤٣٢.

(٤٤٥) انظر: المقتطف (١٩٣/٢).

ديناً قال الزجاج: وهو مصدر كالصِّغَرِ والكِبَر وقال مكي: من خففه بناه على فعل وكان أصله أن يأتي بالواو فيقول (قِوَماً) كما قالوا: عِوَض وحِوَل فنصب قوله: (ديناً قيماً) محمول على المعنى؛ لأنه لما قال هداني دل على عرفني ديناً، ويجوز أن يكون على البدل، من قوله: (إلى صراط مستقيم) فالمعنى هداني صراطا مستقيماً (ديناً قيماً) و(حنيفاً) منصوب على الحال من إبراهيم، والمعنى هداني ملة إبراهيم في حال حنيفيته[٤٤٦].

* قال البغوي: (ديناً قيماً) قرأ أهل الكوفة والشام، (قِيَماً) بكسر القاف وفتح الياء خفيفة، وقرأ الآخرون (قَيِّماً) بفتح القاف وكسر الياء مشدداً، ومعناهما واحد وهو القويم المستقيم، وانتصابه على معنى هداني ديناً قيماً ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين[٤٤٧].

قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر، ويعقوب (قَيِّماً) بفتح القاف، وكسر الياء مشددة، على أنها مصدر على وزن فَيْعَل، وأصله (قَيْوَم) واجتمعت الواو والياء، وسبقت إحداهما بالسكون وقلبت الواو ياء وأدغمت الياء في الياء، وقرأ الباقون بكسر القاف وفتح الياء مخففة، على وزن (شِيَع) مصدر قام[٤٤٨].

خامساً: بالجمع بين القراءتين نجد أن العلاقة تفسيرية تبين أن كليهما تؤكد معنى الأخرى؛ فالدين الذي، جاء به محمد هو الدين الصحيح المستقيم الذي لا عوج فيه، فمن قرأ بفتح القاف وكسر الياء أراد الاستقامة ومن قرأ بالتشديد أراد أنه كثير القيم.

فالحجة أنه أراد: ديناً مستقيماً خالصاً (أي صفة لهذا الدين) ودليله (ذلك دين القيمة). فالحجة أنه أراد: جمع قِيمَة، وقِيَم.

والدين كله قيم واتجاهات، وكونه أبلغ لدلالته على الثبوت والصلاح

---

(٤٤٦) انظر: تفسير زاد المسير (٣/١٦٠).

(٤٤٧) تفسير البغوي (٣/٢١١).

(٤٤٨) انظر: المستنير (١/١٨٤). وتفسير الألوسي (٧ ـ ٨/٧٠). وانظر الحجة ص٨٣.

لكل زمان ومكان، والقَيِم الثابت المقوّم لأمر المعاش والمعاد، وجُعلت الملة هكذا تقوِّم سلوك البشر، وتهديهم طريق الصلاح والفلاح في الدارين[٤٤٩].

(٤٤٩) انظر: حاشية الشهاب (٢٣٧/٤).

الفصل الثاني
تفسير سورة الأعراف
من خلال القراءات القرآنية العشر

ويشتمل على مبحثين:

* المبحث الأول: بين يدي السورة.

* المبحث الثاني: عرض وتفسير لآيات سورة الأعراف المتضمنة للقراءات.

الفصل الثاني
سورة الأعراف
بطاقة تعريف بالسورة

* سورة الأعراف سورة مكية إلا ثماني آيات وهي من قوله تعالى: (**وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي**) إلى قوله تعالى: (**وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُم**) [١٦٣ - ١٧١] عدد آياتها مائتان وست آيات، وهي السورة السابعة في ترتيب المصحف.

* سورة الأعراف هي السورة المكية الثالثة في ترتيب المصحف بعد الأنعام، وهي تتمتع بسمات القرآن المكي، من حيث أهداف ومقاصد السورة المكية، في بيان عظمة الكتاب، وجلالة قدره في بيان منهج الدعوة الإسلامية.

* السورة الكريمة هي إحدي السور التي بدأت ببعض أحرف التهجي (المص)، ولم يسبقها في النزول على هذا النهج سوى ثلاث سور وهي ن، ق، ص.

* اعتمدت السورة الكريمة أسلوبين بارزين في عرض الحقائق وهما: أسلوب التذكير بالنعمة، والتحذير والتخويف من النقمة.

* سلكت السورة الكريمة مسالك شتى في رسم الصور والمشاهد والتوجيهات، فتارة يأخذ السياق شكل القصص القرآني، وأخرى يأخذ شكل

مشهد من مشاهد يوم القيامة، وتارة يأخذ شكل توجيه رباني ببيان مصير المؤمنين والمكذبين.

* السورة جاءت مفصلة في قصص الأنبياء والمرسلين، وخاصة قصة آدم عليه السلام وبيان سنن الله في إهلاك الأمم الظالمة لنفسها ولغيرها من الأمم أكمل تفصيل.

* السورة اشتملت على أصول العقيدة وكليات الدين، فجاءت بمثابة شرح وبيان لما أوجز في الأنعام، وروى النسائي(٤٥٠) عن عائشة أنّ رسول الله ﷺ (قرأ في صلاة المغرب بسورة الأعراف، فرقها في ركعتين).

(٤٥٠) سنن النسائي باب القراءة في المغرب بـ (آلمص) حديث رقم ٩٨٩. ص ١٦٣. وقال حديث صحيح.
سنن النسائي تصنيف أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الشهير بالنسائي، حكم على أحاديثه وآثاره، وعلق عليه العلامة المحدث محمد ناصر الألباني. مكتبة المعارف للنشر والتوزيع. وحيثما يأتي سأكتفي بقولي: سنن النسائي.

المبحث الأول
بين يدي سورة الأعراف

** ويتضمن الآتي:

- اسم السورة.
- وجه التسمية.
- علاقة السورة بغيرها من السور.
- محور سورة الأعراف.
- أهداف السورة ومقاصدها.
- أهمّ الموضوعات التي تضمنتها سورة الأعراف.

المبحث الأول
بين يدي السورة

سورة الأعراف من السور المكية بإجماع علماء الأمة؛ وهي ثالث سورة مكية في المصحف بعد الأنعام، وترتيبها في المصحف السورة السابعة بعد الفاتحة، وهي إحدي السور التي بدئت بالحروف المقطعة التي هي من خصائص السور المكية، وترتيبها في الحروف المقطعة الرابعة وقد سبقتها في النزول ن، ق، ص(٤٥١).

السورة مكية إلا ثمان آيات، وهي من قوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ...﴾ [الأعراف: ١٦٣] إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ...﴾ [الأعراف: ١٧١] أخرجه النحاس في ناسخه وابن مردويه والبيهقي في الدلائل، وأخرج ابن المنذر وأبو الشيخ عن قتادة قال: آية من الأعراف مدنية وهي قوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ...﴾ [لأعراف: ١٦٣](٤٥٢).

وآياتها مائتان وخمس آيات في البصري والشامي ومائتان وست آيات

---

(٤٥١) انظر: تفسير القرآن الكريم د. عبد الله شحادة مج٤/١٤٢٢. دار غريب للطباعة والنشر ـ القاهرة. وحيثما يأتي سأكتفي بقولي: تفسير القرآن الكريم.

(٤٥٢) انظر: فتح القدير (١٨٧/٢).

في المدني والكوفي وعدد كلماتها (٣٣١٥) كلمة[٤٥٣].

من أهم ما تميزت به سورة الأعراف أنَّها نزلت قبل سورة الأنعام، وأنها نزلت مثلها جملة واحدة، وهي كالشرح والبيان لما أُوجِز في الأنعام، ولا سيما عموم ما بعث به ﷺ من أصول العقيدة، وكليات الدين فجاءت بها مفصلة.

كما فصلت في قصة آدم، وقصص المرسلين وأممهم الغابرة وهلاكهم، أكمل بل وأجمل تفصيل[٤٥٤].

*** اسم السورة.**

* هذا هو الاسم الذي عرفت به هذه السورة الكريمة، من عهد الرسول ﷺ فاسمها توقيفي؛ أخرج النسائي، من حديث ابن أبي مُليكة، عن عروة عن زيد ابن ثابت: أنه قال لمروان بن الحكم: (مالي أراك تقرأ في المغرب بقصار السُّور؟ وقد رأيت رسول الله ﷺ يقرأ فيها بأطول الطِولِيين) قال مروان قلت: (يا عبد الله ما أطول الطوليين، قال: الأعراف)[٤٥٥].

وفي حديث أم سلمة رضي الله عنها المراد بالطوليين الأنعام والأعراف، فإن سورة الأعراف أطول من الأنعام؛ باعتبار عدد الآيات.

---

(٤٥٣) روح المعاني (٧ ـ ٧٤/٨).

(٤٥٤) انظر: تفسير المراغي. أحمد مصطفي المراغي (٧ ـ ٩٧/٩). مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ـ بمصر. الطبعة الخامسة ١٣٩٤هـ /١٩٧٤م.

(٤٥٥) انظر: السنن الكبرى كتاب الصلاة أبواب القراءة. باب من لم يضيق القراءة فيها بأكثر مما ذكرنا. (٣٧٤/٣) حديث رقم ٤١٣٩.

لإمام المحدثين الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين بن البيهقي المتوفى ثمان وخمسين وأربعمائة هـ. (١) انظر تفسير التحرير والتنوير أ. محمد الطاهر بن عاشور (مج ٥/٥). دار سحنون للنشر والتوزيع ـ تونس ١٩٩٧م. وسأكتفي بقولي: التحرير والتنوير.

*** وجه التسمية:**

١. ووجه تسميتها أنه ذكر فيها لفظ الأعراف بقوله تعالى: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَٰهُمْ . . .﴾ [الأعراف: ٤٦]. ولم يذكر في غيرها من سور القرآن.

٢. ولأنّه ذكر فيها شأن أهل الأعراف في الآخرة، ولم يُذْكر في غيرها من السُّور بمثل هذا اللفظ، ولكنه ذكر بلفظ سور قال تعالى: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾ [الحديد: ١٣].

أما ترتيب نزول السورة فهي التاسعة والثلاثون، عن ابن عباس أنها نزلت بعد سورة ص، وقبل سورة الجن، وسورة النساء هي التي تلي سورة البقرة في الطول، وسورة الأعراف تلي سورة النساء في الطول[٤٥٦].

*** علاقة السورة بغيرها من السور:**

* جاءت سورة الأعراف بمثابة تفصيل بعد إجمال، قال الجلال السيوطي[٤٥٧] رحمه الله: ومناسبتها لما قبلها؛ أنَّ سورة الأنعام لما كانت لبيان الخلق وفيها قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا . . .﴾ [الأنعام: ٢]. وقال ﷻ في بيان القرون الغابرة ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ. . .﴾ [الأنعام: ٦]. كما وأشير إلى ذكر المرسلين وتعداد الكثير منهم، وكل ما ذكر على وجه الإجمال: جيء بهذه السورة بعدها؛ مشتملة على شرحه وتفصيله فبسط فيها قصة آدم وفصلت،

---

(٤٥٦) انظر: المرجع السابق (٥/٧).

(٤٥٧) الجلال السيوطي هو: عبد الرحمن بن كمال الدين أبي بكر بن محمد بن سابق الدين بن فخر الدين الخضيري، الإمام الجلال السيوطي، المصري الشافعي، الإمام الحافظ، مؤرخ محدث مفسر أديب، له مصنفات بلغت ٦٠٠ مصنف في فنون متنوعة. انظر كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ـ للعلامة مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الحنفي المعروف بحاجي خليفة (٥/٤٣٤). دار الفكر. بيروت ١٤١٤هـ. وحيثما يأتي سأكتفي بقولي: كشف الظنون.

ووضحت قصص المرسلين وأممهم وكيفية هلاكهم، أكمل تفصيل، ويصلح هذا أن يكون تفصيلاً لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ...﴾ [الأنعام: ١٦٥].

ومن أجل هذا تصدرت السورة بخلق آدم الذي هو خليفة الله في الأرض، ثم بدأ التفصيل بقصص الأنبياء والأمم، فبدأ ﷻ بقصة سيدنا نوح ثم قصة عاد فقال تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ٦٩].

وفي قصة ثمود ﴿إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ...﴾ [الأعراف: ٧٤] ثم تكلم ﷻ عن الرحمة قال تعالى: ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ...﴾ [الأنعام: ١٢]. كلام موجز تشع من ثناياه الرحمة فبسطه هنا ﷻ بقوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ...﴾ [الأعراف: ١٥٦]. أما عن وجه ارتباط أول الأعراف بآخر الأنعام ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ...﴾ [الأنعام: ١٥٣].

ثمّ افتتح هذه السورة بالأمر باتباع الكتاب، وهكذا استمر الشوط على هذه الوتيرة حتى نهاية السورة الكريمة[٤٥٨].

*** محور السورة:**

سورة الأعراف من السور المكية التي شأنها هو شأن السور المكية، تدور حول محور العقيدة الإسلامية، وهي السورة الأولى التي تعرضت بالتفصيل والتوضيح لقصص الأنبياء، كما وعملت على تقرير أصول الدعوة الإسلامية من توحيد الله ﷻ، وتقرير البعث والجزاء، وتقرير الوحي والرسالة[٤٥٩].

(٤٥٨) انظر: التحرير والتنوير (٧ ـ ٧٤/٨).

(٤٥٩) انظر: صفوة التفاسير أ. محمد علي الصابوني (٤٣٤/١). دار الفكر بيروت لبنان. مكة المكرمة. المكتبة الفيصلية ١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م. وسأكتفي بقولي: انظر الصفوة.

* أهداف السورة ومقاصدها:

لكل سورة من سور القرآن شخصيتها المتميزة، وملامحها الخاصة، وأهدافها ومقاصدها التي جاءت من أجلها، لذلك تعددت أغراض سورة الأعراف ومنها:

١. افتتحت السورة الكريمة بالحروف المقطعة التي هي لون من ألوان الإعجاز؛ وأنَّ القرآن الكريم هو المعجزة الخالدة التي تحدى الله بها العرب والعجم على أن يأتوا بمثلها فعجزوا.

٢. جاءت الافتتاحية حافلة بالبشارة للنبي ﷺ بالتيسير والتسهيل ليبلغ القرآن للناس كافة. فكانت الافتتاحية على أحسن وجوه البيان وأكملها شأناً، شأن جميع سور القرآن.

٣. النهي عن الشرك واتخاذ الشركاء من دون الله.

٤. إنذار وتحذير المشركين من سوء عاقبة الشرك في الدارين الدنيا والآخرة.

٥. تصور السورة الكريمة مشاهد لما حلَّ بالمشركين والذين كذبوا بالرسل، من سوء العاقبة في الدنيا والآخرة.

٦. تذكير النَّاس بنعمة خلق السموات والأرض وتسخيرها، وتمكين النوع الإنساني من خيراتها، ثم بيان أفضلية آدم على المخلوقات.

٧. بيان ما نشأ من عداوة جنس الشيطان للنوع البشري.

٨. التحذير من مكر الشيطان بكشف العورات، وبيان السوءات، باتباعه ومخالفة أمر الله كما حصل مع أبينا آدم عليه السلام.

٩. وصف لأهوال يوم الحساب والجزاء للمشركين والمجرمين، وكراماته للمتقين.

١٠. التذكير بالبعث، وتقريبه للأذهان.

١١. التذكير بنعمة الأرض التي منَّ الله بها علينا، والعمل على إصلاحها وإحيائها، والتحذير من إفسادها.

١٢. التنقيب عما أودع الله في فطرة الإنسان من لحظة تكوين أصله، بأنْ يكون مهيئاً لقبول دعوة رسل السماء إلى التقوى والصلاح.

١٣. الاستفاضة بالحديث عن أحوال الرسل مع أقوامهم المشركين، وأنَّ الله ﷻ يمهل ولا يهمل، فلا يغرهم الإمهال لأنّ العذاب يأتيهم بغتة[٤٦٠].

١٤. إطالة القول في قصة موسى ﵇ مع فرعون، وفي تصرفات بني إسرائيل مع موسى ﵇.

١٥. تضمنت قصة موسى ﵇ البشارة بمجيء خاتم النبيين محمد ﷺ وبيان فضل دينه وصفات أمته.

١٦. أخذ العبرة والعظة، وعدم التقليد الأعمى لأهل الشرك، وضرب المثل لمن آتاه الله الآيات فوسوس له الشيطان فانسلخ عن الهدى؛ وغرق في الضلال.

١٧. أنَّ لله الأسماء الحسنى والصفات العلا، ثمَّ الحديث عن المناظرة الحقيقية بين أهل الضلال وآلهتهم بالتخلي عنهم مما ينافي الألوهية.

١٨. الأمر بالحلم وسعة الصدر، ثمَّ المداومة على الدعوة والحذر، كل الحذر، من مزالق الشيطان، من خلال مراقبة الله في السر والعلانية، والمداومة على الطاعة[٤٦١].

---

(٤٦٠) انظر: في ظلال القرآن (٣/ ١٢٤٧).

(٤٦١) انظر: صفوة التفاسير (١/ ٤٣٤ ـ ٤٣٥).

* أهم الموضوعات التي تضمنتها السورة:

القسم الأول

* المقدمة:

* وقد اشتملت على الآيات من (١ ـ ٩):

لقد تميزت مقدمة الأعراف بأنّ الله ﷻ قد أنزل هذا القرآن على رسوله ﷺ وأنّ على الرسول ﷺ إبلاغها بغير حرج والإنذار بها، وبيان أنَّ الله أنزله لينذر الكافرين ويبشر المؤمنين ويبين أنّ التذكر قليل، والغفلة كثيرة عارمة قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٢﴾ [الأعراف: ٢][٤٦٢].

ثمَّ تضمنت التهديد والوعيد لهؤلاء الغافلين، مذكراً بالعقاب في الدنيا والعذاب الأليم في الآخرة ثمّ عرض صوراً من ألوان العذاب فأعقبهم بخزي الدنيا موصولاً بذل الآخرة، فمن هذه القرى من جاءها بأسه ونقمته ليلاً، ومنهم من جاءها بأسه في قيلولتهم ووقت راحتهم، وكلا الوقتين على حين غرة ـ في وسط غفلة من أمرهم ـ فما كان منهم إلا الاعتذار والاعتراف، بأنَّهم حقيقون بهذا، ومن ثم سؤال الله ﷻ الرّسل والمرسل إليهم قال تعالى: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٣﴾ [الأعراف: ٣] ويخبرهم ﷻ عن كل صغيرة وكبيرة، بل عن كل حقيرة وجليلة، فهو العالم بخائنة الأعين وما تخفي الصدور، ويوضح عدل الله بوزن الأعمال التي يتحدّد بها الفلاح والخسران، فالفلاح كل الفلاح لمن ثقلت موازينه، والخسران كل الخسران لمن خفت موازينه، بسبب ظلمهم لأنفسهم من خلال موقفهم من آيات الله[٤٦٣].

---

(٤٦٢) انظر: صفوة التفاسير (١ /٤٣٤ ـ ٤٣٥)

(٤٦٣) انظر: الأساس (١٨٤١/٤).

**** المقطع الأول من القسم الأول (١٠ ـ ٢٥).**

وبعد المقدمة تبدأ القصة، وتبدأ بالحديث عن التمكين للجنس البشري في الأرض وذلك من خلال ما يلي:

١. تزويد هذا الكون بخصائص ومواصفات تسمح بحياة الجنس البشري، وتمكنه من الأرض والسيطرة عليها قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الأعراف: ١٠][٤٦٤].

٢. تزويد الله ﷻ البشرية بخصائص ومواصفات تسمح بمواصلة الحياة والتمكين من الاستمرار على الأرض.

٣. تزويد البشرية بالقدرة على التعرف إلى نواميسه وتسخيرها، للإنتفاع بطاقات الأرض ومقدراتها.

٤. لفت الأنظار إلى نعمة خلقهم من أب واحد، وإلى تكريم الله لهذا النوع الإنساني ممثلاً بأب البشر آدم عليه السلام الذي كرمه الله وأمر الملائكة بالسجود له.

٥. حذرت الآيات الكريمة من كيد الشيطان ذلك العدو المتربص الذي قعد على الطريق يصدهم عن الهدى ويبعدهم عن خالقهم قال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأعراف: ٢٧].

**** المقطع الثاني من القسم الأول (٢٦ ـ ٥٨).**

وقد ذكرت الآيات قصة آدم مع إبليس وخروجه من الجنة ومزاولة الصراع بين الخير والشر، والحق والباطل من خلال ما يلي:

---

(٤٦٤) انظر: نفس المرجع السابق ص (١٨٤٣/٤).

١. بيان لكيد إبليس لآدم وذريته إلى يوم القيامة، لهذا وجه الله ﷻ إلى أبناء آدم، بعد أن بين لهم عداوة إبليس لأبيهم آدم عليه السلام أربعة نداءات متتالية بوصف النبوة قال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ...﴾ [الأعراف: ٢٦]. ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ...﴾ [الأعراف: ٢٧]. ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ...﴾ [الأعراف: ٣١]. ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ...﴾ [الأعراف: ٣٥]. وهي نداءات خاصة بهذه السورة تحذِّرهم بها من عدوهم الذي نشأ على عداوتهم من قديم الزمان حين وسوس لأبيهم آدم حتى أوقعه في الزلّة والمخالفة لأمر الله.

٢. ثم يوجه ﷻ النداء الثالث لبني آدم: بأخذ الزينة قال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١﴾ [الأعراف: ٣١]. أي عند كل مسجد بستر العورات، ولبس الجميل، وأكل الطيبات من غير إسراف ولا تقتير، لأنّ الله طيب لا يقبل ألا طيباً.

* ثم يذكرهم سبحانه بأنَّ هذه النعم خالصة للمؤمنين يوم القيامة لا يشاركهم فيها أحدٌ من الكفار فإن الجنة محرمة على الكافرين.

٣. ثم يوجه ﷻ النداء الرابع لبني آدم: بأنه في حال بعثة الرسل عليهم بترك المحرمات وفعل الطاعات، فإن هم فعلوا فلا خوف عليهم فيما يستقبلهم، ولا يحزنون على ما سيلحقهم، قال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٣٥﴾ [الأعراف: ٣٥].

النداءات الأربعة لبني آدم هي ترجمة حقيقية لمعاني الفطرة التي ينبغي أن يعييها كل من له قلب وعَقِلَ قصة آبيه آدم، ومن ثمَّ عَقِلَ قصة البداية كلها؛ فهي تحتاج إلى وقفة تأمل وتدبر طويلة لمواجهة المعركة الطويلة بين الشيطان والبشرية إلى يوم القيامة، لكشف مخططات الشيطان وأخذ الحيطة والحذر.

* كما وتعرض المقطع إلى مشهدٍ من مشاهد يوم القيامة، مشهد للفرق الثلاثة يوم القيامة وما يدور بينهم من محاورة ومناظرة: فرقة المؤمنين أصحاب الجنة، وفرقة الكافرين أصحاب النار قال تعالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ۖ قَالُوا۟ نَعَمْ ۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [الأعراف: ٤٤] وفرقة ثالثة جاءت السورة الكريمة باسمهم وهم أصحاب الأعراف[٤٦٥].

* (ألأعراف): سميت السورة بهذا الاسم لورود ذكر اسم الأعراف فيها، وهو سور مضروب بين الجنة والنار يحول بين أهلهما، روى ابن جرير الطبري عن حذيفة أنه سئل عن أصحاب الأعراف فقال[٤٦٦]: (هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم؛ فقعدت بهم سيئاتهم عن دخول الجنة، وتخلفت بهم حسناتهم عن دخول النار، فوقفوا هنالك على السور حتى يقضي الله فيهم)[٤٦٧].

القسم الثاني

* المقطع الأول من القسم الثاني ويمتد من الآيات (٥٩ ـ ٩٣):

ثم تضمنت الآيات ما يكون فيه من شماتة أهل الحق (أصحاب الجنة)، بالمبطلين من (أصحاب النار) وضرب بين الفريقين بحجاب قال تعالى: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ ۚ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَنَادَوْا۟ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۚ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [الأعراف: ٤٦] ووقف عليه رجال يعرفون كلاً بسيماهم، يعرفون أهل الجنة ببياض وجوههم ونضرتها، ويعرفون أهل النار بسواد وجوهم وقترتها.

---

(٤٦٥) انظر: الظلال (ص١٢٤٧). والأساس ص ١٨٨٣.

(٤٦٦) انظر: تفسير أبي حاتم (١٤٨٥/٥). حديث رقم ٨٤٩٩.

(٤٦٧) انظر: تفسير الطبري ١٣٧/٥.

*** المقطع الثاني من القسم الثاني ويمتد من الآيات (٩٤ ـ ١٢٩):**

١. يتناول هذا المقطع الكريم قصص الأنبياء بإسهاب منهم (نوح، هود، صالح، لوط، شعيب، موسى) بدأ بنوح عليه السلام وما لاقاه من قومه من جحود وعناد، وتكذيبٍ وإعراض[٤٦٨].

٢. ثم أسهب في الحديث عن كليم الله موسى عليه السلام مع الطاغية فرعون وجنوده قال تعالى ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرۡعَوۡنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٠٤﴾ [الأعراف: ١٠٤] ﴿حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ قَدۡ جِئۡتُكُم بِبَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَرۡسِلۡ مَعِيَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ١٠٥﴾ [الأعراف: ١٠٥]

*** المقطع الثالث من القسم الثاني ويمتد من الآيات (١٣٠ ـ ١٤٩):**

وقد تضمن المقطع الحديث عن الآيات التسعة وبني اسرائيل وما أصابهم من القحط والجدب، والطوفان، والجراد والقمل، والضفادع، والدم، وغير ذلك من المصائب والابتلاءات نتيجة إصرارهم على الكفر والتكذيب بآيات الله، ثم الحديث عن النعم التي منَّ الله بها عليهم من السلامة والنجاة قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَخَذۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ١٣٠ فَإِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ١٣١ وَقَالُواْ مَهۡمَا تَأۡتِنَا بِهِۦ مِنۡ ءَايَةٖ لِّتَسۡحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ ١٣٢ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلۡجَرَادَ وَٱلۡقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٖ مُّفَصَّلَٰتٖ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ ١٣٣﴾ [الأعراف: ١٣٠ ـ ١٣٣].

*** المقطع الرابع من القسم الثاني ويمتد من الآيات (١٥٠ ـ ١٧٠):**

الحديث لا يزال يدور عن قصة بني إسرائيل مع موسى عليه السلام وما

(٤٦٨) انظر في الظلال (١٣٤٥/٣). انظر صفوة التفاسير (٤٦٢/١).

أغدق الله به عليهم من نعم وكيف كانوا يقابلون هذه النعم بالإنكار والجحود والعصيان قال تعالى: ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ [الأعراف: ١٦٠] حتى ذكرت الآيات قصة أصحاب القرية وكيف كانوا يحتالون على الصيد ويعتدون على السبت، وكيف مسخهم الله ﷻ قردة خاسئين ليكونوا عبرة لمن يعتبر، قال تعالى: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأعراف: ١٦٣].

* ثم الحديث عما نال بني إسرائيل من بلاء وشدة، ومن أمن ورخاء، وكيف لمَّا بدلوا نعمة الله وخالفوا أمره عاقبهم قال تعالى: ﴿فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾﴾ [الأعراف: ١٦٦ ـ ١٦٧] بالمسخ فأصبحوا قردةً وخنازير نتيجة كفرهم وانحرافهم.

القسم الثالث:

*** المقطع الأول من القسم الثالث ويمتد من الآيات (١٧١ ـ ١٨٦):**

يتحدث المقطع عن أنواع العقاب التي واجهت بني إسرائيل من اقتلاع جبل الطور، وسحقهم به إن لم يعملوا بأحكام التوارة، قال تعالى: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾﴾ [الأعراف: ١٧١].

* ثم تحدثت الآيات عن مثل لعلماء السوء في قصة الذي انسلخ عن

آيات الله طمعاً في عرض الدنيا الزائلة، وضرب له مثلاً بالكلب اللاهث، قال تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ [الأعراف: ١٧٦]. فهو يلهث حالتي التعب والراحة(٤٦٩).

*** المقطع الثاني من القسم الثالث ويمتد من الآيات (١٨٧ ـ ٢٠٦).**

لما ذكر تعالى موقف المشركين والمستهزئين من دعوة المرسلين، ذكر طرفاً من سؤالهم النبي ﷺ عن قيام الساعة، وبيان الحجج والبراهين على بطلان معتقداتهم، قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ [الأعراف: ١٨٧].

* ثم التهكم والسخرية بمن عبدوا الأصنام والأوثان، أي ما لا ينفع ولا يضر ولا يسمع ولا يبصر ولا يغني من الله شيئاً، قال تعالى: ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾ إِنَّ وَلِۦِّىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾﴾ [الأعراف: ١٩٥ ـ ١٩٧]

* ثم انتقلت الآيات إلى المعجزة الخالدة وبيان عظمة القرآن وضرورة الاستماع له والإنصات إليه قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾ [الأعراف: ٢٠٤] وهكذا ختمت الآيات الكريمة بالتوحيد محور السورة، كما بدأت به انتهت كذلك، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢٠٦﴾﴾ [الأعراف: ٢٠٦](٤٧٠).

---

(٤٦٩) انظر: الأساس (٢٠٦٥/٤). انظر: صفوة التفاسير (٤٧٣/١).

(٤٧٠) انظر تفسير القرآن د. عبد الله شحاتة (١٤٢٣/٤ ـ ١٤٣٥).

المبحث الثاني
عرض وتفسير لآيات سورة الأعراف بالقراءات العشر

١ ـ ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ٣﴾ [الأعراف: ٣].

أولاً: القراءات:

١. قرأ ابن عامر (**يتَذَكَّرُونَ**) بياء قبل التاء مع تخفيف الذال.

٢. وقرأ الباقون (**تَذَّكَّرُونَ**) مشددة بتاء واحدة من غير ياء قبلها.

٣. وقرأ حفص وحمزة والكسائي (**تَذَكَّرُونَ**) في تخفيف الذال[٤٧١].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

﴿ذكر﴾: الذكر تارة يقال ويراد به هيئة للنفس بها يمكن للإنسان أن يحتفظ بما يقتنيه من المعرفة، والذكر ذكران: ذكر بالقلب وذكر باللسان، وكل قول يقال له ذكر[٤٧٢].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

الآية الكريمة تنهى عن الشرك وعدم الاهتداء وتدعو إلى طلب الهداية، فالهداية المطلقة من الله الذي أرسل لها الرسل، فقال ﷻ مخاطباً

(٤٧١) النشر في القراءات العشر (٢/٢٠١).

(٤٧٢) معجم مفردات ألفاظ القرآن ص ١٨١.

المصطفى ﷺ قل لهم أيها الرسول (**اتَّبِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ**) خالقكم ومدبر أموركم، فهو وحده الذي له الحق في شرع الدين لكم وفرض العبادات عليكم، وتحليل ما ينفعكم وتحريم ما يضركم، إذ هو العليم بما فيه الفائدة والضر لكم (وَلاَ تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ) ولا تتخذوا من أنفسكم ولا من الشياطين الذين يوسوسون لكم أولياء تولونهم أموركم، وتطيعونهم فيما يرومون منكم من ضلال التقاليد والابتداع في الدين فيضعون لكم أحكام الحلال والحرام زاعمين أنهم أعلم منكم؛ وبذلك تتذكرون تذكراً قليلاً لا كثيراً، وهنا نهي عن اتباع طائفة من الخلق بغير ما أنزل الله به من سلطان(٤٧٣).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (تَذَكَّرُونَ) تذكراً قليلا، وأفادت قراءة (تَذَّكَّرُونَ) تذكراً كثيراً، فالأصل تتذكرون وشددت للتأكيد.

* قال الشوكاني: «(قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ) انتصاب قليلاً على أنه صفة لمصدر محذوف للفعل المتأخر أي تذكراً: (قَلِيلاً) وما مزيدة للتوكيد أو هو منتصب على الحال من فاعل، (لا تتبعوا) وما مصدرية أي لا تتبعوا من دونه أولياء قليلاً تذكرهم، قرئ (تذكرون) بالتخفيف بحذف إحدى التاءين وقرئ بالتشديد على الإدغام»(٤٧٤).

* قال أبو منصور(٤٧٥): «من قرأ (ما تذّكّرون) بتشديد الذال والكاف

(٤٧٣) انظر: تفسير المراغي (٧ ـ ٩/٩٩). المسمى تفسير المراغي. للأستاذ أحمد مصطفى المراغي الطبعة الخامسة ١٣٩٤هـ. ١٩٧٤م...وتفسير الشعراوي (٧/٤٠٤٠). أخبار اليوم. قطاع الثقافة.

(٤٧٤) تفسير فتح القدير (٢/١٨٨). وتفسير النسفي (١ ـ ٢/٤٤).

(٤٧٥) أبو منصور الأزهري خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الجرجاوي الأزهري زين الدين، وكان يعرف بالوقاد من أهل مصر ولد بجرجا من (صعيد مصر) ونشأ وعاش بالقاهرة، وتوفي عائداً من الحج قبل أن يدخلها، له المقدمة الأزهرية في علم العربية؛ وشرح الأجرومية؛ وشرح أوضح المسالك؛ وشرح مقدمة الجزرية في التجويد، والألغاز النحوية توفي سنة خمس وتسعمائة للهجرة... الأعلام/ للزركلي ج٢/٢٩٧.

فالأصل تتذكرون وأدغمت التاء الثانية في الذال وشددت، ومن قرأ (تَذَكَّرُونَ) بتخفيف الذال فالأصل أيضاً تتذكّرون، فحذفت إحدى التاءين وتركت الثانية على حالها، والذال خفيفة في الأصل والتاء المحذوفة هي الثانية؛ لأنهما زائدتان، إلا أن الأولى تدل على معنى الاستقبال، فلا يجوز حذفها والثانية دخلت على معنى فعل الشيء على مهل، نحو قولك: تفهمت وتعلمت، أي: أخذت الشيء على مهل»[٤٧٦].

أما (قليلاً ما تذّكرون) قليلاً منصوب بتذكرون، أي تذكرون قليلاً أي وقتاً قليلاً وما موصولة لتوكيد القلة. ومن قرأ (تذّكرون) بالتشديد على إدغام التاء في الذال لتقارب مخرجهما، وتذكرون بالتخفيف على حذفها، ويتذكرون بياء وتاء على معنى قليلاً ما يتذكر هذا القوم يا محمد وتتذكرون بتاءين على الخطاب والكلمة على أصلها[٤٧٧].

خامساً: **وبالجمع بين القراءتين نجد أن العلاقة** بينهما بلاغية، تؤكد معنى الالتفات من الخطاب إلى الغيبة، حيث أعرض عنهم ووجه الخطاب إلى غيرهم من السامعين يعني النبي محمد ﷺ والمسلمين من بعده. ويتضح من القراءتين أن استعمال (يَذّكّرونَ)

الدّال على المبالغة في التذكر والعمق فيه، وأما (**يتذكرون**) فزيادة المبنى يؤدي إلى زيادة المعنى؛ لأن ذلك يحتاج إلى طول تذكر وتأمل ومحاكمة عقلية فكانت قراءة يتذكرون، مبالغة في التذكر والتعمق فيه، وعدم اتباع غيره من أهل الضلال[٤٧٨].

فمن قرأ (**تذّكرون**) بالتاء وشدد الذال رده إلى الخطاب ثم المبالغة في الخطاب، ومن قرأ بياء أخبر عن غيب أي: قليلاً يا محمد ما يتذكر هؤلاء الذين بُعثت إليهم[٤٧٩].

(٤٧٦) كتاب معاني القراءات ص١٧٦.
(٤٧٧) انظر: الكشف (١/٤٦٠).
(٤٧٨) انظر: بلاغة الكلمة ص٥٢.
(٤٧٩) انظر: الفريد (٢/٢٦٨).

٢ ـ ﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [الأعراف: ٢٥].

أولاً: القراءات:

١. قرأ يعقوب والكسائي وخلف (**تَخْرُجُونَ**) بفتح حرف المضارعة وضم الراء.

٢. وقرأ الباقون (**تُخْرَجُون**) بضم التاء وفتح الراء(٤٨٠).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

﴿خرج﴾ : الخروج: نقيض الدخول: خَرَجَ يَخْرُجُ خُروجاً ومخرجاً، وخرج: خروجاً برز من مقره أو حاله سواء كان مقره داراً أو بلداً أو ثوباً، وسواءٌ كان حَالُهُ حَالَةً في نفسه أو في أسبابه الخارجة والإخراج أكثر ما يقال في الأعيان(٤٨١).

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

توضح الآية الكريمة الصورة الحقيقية لرحلة الحياة وترسم العلاقة بين البشر وبين الأرض؛ أي في هذه الأرض التي خلقتم منها تحيون مدة العمر المقدّر لكل منكم وللنوع بأسره، وفيها تموتون حين انتهائه، ومنها تخرجون بعد موتكم كلكم، وحين ما يريد المولى أن يبعثكم من مرقدكم للنشأة الأولى، والمراد من الخروج الخروج من القبور إلى البعث والنشور(٤٨٢).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (تَخْرُجُون) و(تُخْرَجُون) أي يُخْرجكم الله، أو تَخْرجُون أنتم بأمر الله خُروجاً.

* قال الطاهر بن عاشور: «قرأ حمزة، والكسائي، وابن ذكوان عن

(٤٨٠) النشر في القراءات العشر (٢/٢٠١).

(٤٨١) انظر: معجم مفردات ألفاظ القرآن ص ١٤٥.

(٤٨٢) انظر: تفسير المراغي (٧ ـ ٩/١٢٢). والمقتطف (٢/٢٠٩). وأيسر التفاسير (٢/١٦٠). وتفسير الشعراوي ص٤٠٩١.

ابن عامر، ويعقوب، وخلف (تَخْرُجُونَ) بالبناء للفاعل؛ وقرأ الباقون (تُخْرَجون) بضم الفوقية وفتح الراء على البناء للمفعول وتقديم المجرورات الثلاثة على متعلقاتها للاهتمام بالأرض التي جعل فيها قرارهم ومتاعهم، إذ كانت هي مقر جميع أحوالهم»[٤٨٣].

* قال صاحب الفريد: (ومنها تَخْرُجُونَ) الواو لعطف جملة على جملة، (تُخْرَجون) بضم التاء وفتحها وهما متقاربان؛ لأنهم إذا أُخْرِجوا خَرَجوا والضمير في (منها وفيها) للأرض[٤٨٤].

* قال ابن منصور: «من قرأ (تَخْرُجون، تُخْرَجون) فهو من خَرَجَ، يَخْرُجُ خروجاً، ومن قرأ (تُخْرَجون) فهو من أُخْرِجَ، يُخْرَجُ، أي يُخْرجكم الله، وتَخْرُجُون أنتم بأمر الله خُروجاً»[٤٨٥].

خامساً: وبالجمع بين القراءتين نجد أن القراءتين العلاقة بينهما تفسيرية، وأن كليهما تؤكد الخروج للبعث والحساب فإذا هُم أُخرجوا خَرجوا فهم مفعولون فاعلون في المعنى أي مُخرجون، خارجون، ومن قرأ (تُخْرَجون) بضم التاء، وفتح الراء فيهما، فأجروه على ما لم يسم فاعله، لأنهم لا (تَخْرُجون) حتى (تُخْرَجون)[٤٨٦].

وفي كلا الأسلوبين المبني للمعلوم والمبني للمجهول، زيادة في الشمولية فهو التفات من الغيبة إلى الخطاب ليكون أعم وأشمل ولولا الالتفات لفات هذا المعنى الذي أُريد به آدم عليه السلام وذريته إلى يوم القيامة.

٣ - ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِۚ قُلْ هِيَ

(٤٨٣) التحرير والتنوير (٧١/٥). وانظر: تفسير زاد المسير (١٨١/٣). وتفسير الألوسي (٧ - ١٠٣/٨). وتفسير أبو السعود (٣٣٦/٢).

(٤٨٤) الفريد (٢٨٥/٢).

(٤٨٥) كتاب معاني القراءات ص ١٧٧.

(٤٨٦) الكشف (٤٦٠/١).

لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ [الأعراف: ٣٢].

أولاً: القراءات:

١. قرأ نافع (**خَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**) بالرفع.

٢. وقرأ الباقون (**خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ**) بالنصب[٤٨٧].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

﴿خلص﴾: خلص الشيء بالفتح، يَخْلُص خُلوصاً، وخلاصاً إذا كان نَشبِ ثم نجا وسَلِمَ، وهي تنقية الشيء وتهذيبه، يقولون خلّصته من كذا وخَلَصَ وهو خلاصة السَّمْنِ: ما ألقي فيه من تمر أو سويق ليخلص به[٤٨٨].

وخلص: الخالص كالصافي إلا أن الخالص ما زال عنه شَوْبُهُ بعد أن كان فيه، ويقال خلّصْتهُ فَخَلَصَ؛ وخالصٌ وخالصةٌ نحو داهيةٍ وراويةٍ[٤٨٩].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

تتحدث الآية الكريمة عن توجيه ربانى بأن الله سبحانه هو المشرع للحلال والحرام، وأن النعم التي أفاضها الله على عباده هي خالصة للمؤمنين يوم القيامة لا يشاركهم فيها أحد، وبعد أن تناول في الآيات الواردة بهذه السورة النهي عن كشف السوءات ربما توهم البعض ترك الزينة فبين هنا بصورة المحاجة أن الزينة الشرعية هي للمؤمنين فقال سبحانه: (**قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ**) التي أخرج لعباده الطيبات من الرزق، وهي ما أحله لهم، وما لا يحرمه الله فلا محرم له، ويقول لهم: إن النِّعم التي قد أفاضها الله على المؤمنين وأجراها عليهم (**هِي لِلَّذِينَ آمَنُواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ**) وهي خالصة لهم يوم القيامة لحرمان الكفار من

(٤٨٧) النشر في القراءات العشر (٢٠٢/٢).

(٤٨٨) معجم مقاييس اللغة (٢٠٨/٢).

(٤٨٩) معجم مفردات ألفاظ القرآن ص١٥٥.

المتاع منها وقد شارك المسلمون الكفار في الطيبات فأكلوا من طيبات طعامها ولبسوا من خيار ثيابها ونكحوا من صالح نسائها، فهي خالصة لهم في الآخرة، ولا حظ للمشركين فيها.

(**كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**) أي مثل هذا التفصيل من الآيات العلمية، شاهدة على نبوته ﷺ لأنه خلاصة علوم كثيرة، فاصلة بين النافع والضار لا يعلمه ﷺ وإنما هي وحي من الله تعالى له(٤٩٠).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة نافع (خَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) بالرفع وهى قراءة ابن عباس على أنها خبر بعد خبر. وأفادت قراءة الباقين (خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ) بالنصب على الحال قال أبو علي الفارسي(٤٩١): «ولا يجوز الوقف على الدنيا لأن ما بعدها متعلق بقوله للذين آمنوا حال منه بتقدير قل هي ثابتة للذين آمنوا في الحياة الدنيا في حال خلوصها لهم يوم القيامة»(٤٩٢).

* قال محيسن: «قرأ نافع (خَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) برفع التاء، على أنها خبر (هي) (وللذين آمنوا) متعلق (خَالِصَةٌ)، والمعنى: قل هي للذين آمنوا في الحياة مشتركة، وهي لهم في الآخرة خالصة، وقرأ الباقون (خَالِصَةً)، بالنصب على الحال من المضمر في (للذين) والعامل في الحال (الاستقرار والثبات) الذي قام (لِلَّذِينَ آمَنُواْ) مقامة؛ والمعنى في هذه القراءة: قل هي

---

(٤٩٠) انظر: تفسير الطبري (١٢٢/٥). والمقتطف (٢١٤/٢). وتفسير البغوي (٢٢٥/٣). وصفوة البيان ص ٢٠٢.

(٤٩١) أبو علي الفارسي هو: الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن سليمان بن أبان، أبو علي الفارسي النحوي المشهور، أنتهت له رئاسة علم النحو، وقد أخذ عنه ابن جني وغيره كثير، له مؤلفات منها الحجة شرح سبعة ابن مجاهد توفي سنة سبع وسبعين وثلاثمائة. هـ. انظر غاية النهاية (٢٠٦/١).

(٤٩٢) انظر: تفسير الشوكاني (٢٠٠/٢). وتفسير القرطبي (١٧٤/٤). وتفسير زاد المسير (١٩٠/٣). وتفسير الألوسي (٧ ـ ١١٢/٨). تفسير الشعراوي (٤١١٥/٧).

للذين آمنوا في الحياة الدنيا مشتركة، حال كونها خالصة لهم يوم القيامة»[493].

* قال ابن غلبون: «قرأ نافع خالصةٌ بالرفع، ونصبها الباقون، فمن نصبها لم يبتدئ بها؛ لأنها متعلقة بقوله: ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ حالاً منه بتقدير: قل هي مستقرة للذين آمنوا، في حال خلوصها يوم القيامة، وإن شاركهم فيها غيرهم من الكفار في الحياة الدنيا؛ فالكلام مرتبط بعضه ببعض، أما من رفعها، فإنه يجوز له أن يبتدئ بها؛ لأنه قد استأنفها فرفعها على خبر مبتدأ مضمر، تقديره: قل هي للذين آمنوا ولغيرهم في الحياة الدنيا وهي خالصة للمؤمنين يوم القيامة»[494].

خامساً: وبالجمع بين القراءتين نجد أن العلاقة بينهما بلاغية، يتبين أنهما تحملان في طياتهما تأكيداً وثباتاً على الحالة الآمنة المطمئنة الخالصة يوم القيامة للمؤمنين، وإن شاركهما فيها الكفار في الدنيا، فهي خالصةٌ لهم. فقراءة من قرأ بالضم فهي خبر بعد خبر، فإنها غير خالصة للمؤمنين في الدنيا لمشاركة الكفار لهم فيها؛ وغير خالصة أيضاً من الشوائب والأغيار ولكنها في الآخرة خالصة للمؤمنين فلا يشاركهم الكفار ولا يأتى لهم فيها الأغيار[495].

ومن قرأ بالنصب على الحال منه بتقدير قل هي ثابتة الحال للذين آمنوا في الحياة الدنيا في حال خلوصها لهم يوم القيامة، كما تقول: المال لزيد خالصاً.

٤ ـ ﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الأعراف: ٣٨].

(٤٩٣) القراءات وآثرها في علوم العربية (٢٧٤/٢).

(٤٩٤) حجة القراءات ص ٢٨١.

(٤٩٥) كتاب التذكرة (٤١٨/٢).

أولاً: القراءات:

١. قرأ أبو بكر (**وَلَـكِن لاَّ يَعْلَمُونَ**) بالغيب.

٢. وقرأ الباقون (**وَلَـكِن لاَّ تَعْلَمُونَ**) بالخطاب[٤٩٦].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

﴿عِلْمٍ﴾ : العِلم نقيض الجهل، ورجل عالم وعليم وقوم علماء، وعلامة إذا بالغت في وصفه بالعلم أي عالم جداً، والهاء للمبالغة، وعَلِمْتُ الشيء بمعنى عَرَفْته وخَبَرته[٤٩٧].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

الآية الكريمة هي عبارة عن زجر للكافرين عما هم عليه من الكفر، وحملهم على النظر والتأمل في عواقب أمرهم، ومن ثمّ التحذير من التقليد الأعمى حيث إن المشركين يلعنون المشركين واليهود تلعن اليهود، والنصارى تلعن النصارى، وهكذا سائر الأمم السالفة؛ فهي مخبرة عما يقال لهؤلاء المشركين به، المفترين عليه المكذبين بآياته ﴿قَالَ ادْخُلُواْ فِي أُمَمٍ﴾ أي من أمثالكم وعلى صفاتكم من الكفر والضلال ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ﴾ أي: في الأمم السالفة الكافرة ﴿مِّن الْجِنِّ وَالإِنسِ فِي النَّارِ﴾ ويحتمل أن يكون في أمم أي: مع أمم ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ يعني شريكتها في الكفر وهنا إيحاء بأن الأمم لا تدخل دفعة واحدة ﴿حَتَّى إِذَا ادَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا﴾ أي: اجتمعوا فيها كلهم ﴿قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لأُولاَهُمْ﴾ أي أخراهم دخولاً، وهم الأتباع لأولاهم وهم المتبوعون، لأنهم أشد جرماً من أتباعهم فدخلوا قبلهم فيشكوهم الأتباع إلى الله يوم القيامة لأنهم هم الذين أضلوهم عن سواء السبيل ﴿رَبَّنَا هَـؤُلاء أَضَلُّونَا﴾ فيقولون هؤلاء أضلونا عن الحق باتباعنا لهم وتقليدنا إياهم فيما كانوا عليه من أمر الدين وسائر أعمالنا ﴿فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ أي أضعف عليهم العقوبة ضعفين ضعفاً

(٤٩٦) انظر النشر في القراءات العشر (٢/٢٠٢).

(٤٩٧) لسان العرب ٤١٨/١٢. مادة علم.

للضلال وضعفاً للإضلال ﴿قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِن لَّا تَعْلَمُونَ﴾ أي: قد فعلنا ذلك وجازينا كلاً بحسبه(٤٩٨).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

* أفادت قراءة (**وَلَـكِن لاَّ تَعْلَمُونَ**) بالتاء وجهين ذكرهما الزجاج، أحدهما: لا تعلمون أيها المخاطبون ما لكل فريق من العذاب. والثاني: لا تعلمون يا أهل الدنيا مقدار ذلك، وقيل إنما طلب الأتباع مضاعفة عذاب القادة ليكون أحد العذابين على الكفر والثاني: على إغرائهم به فأجيبوا لكل ضعف أي كما كان للقادة ذلك فلكم عذاب بالكفر وعذاب بالاتباع.

وأفادت قراءة (**وَلَـكِن لاَّ يَعْلَمُونَ**) بالياء قال الزجاج: والمعنى لا يعلم كل فريق مقدار عذاب الفريق الآخر(٤٩٩).

* قال أبو حيان: «قرأ الجمهور بالتاء على خطاب للسائل أي لا تعلمون ما لكل فريق من العذاب، أي لا تعلمون المقادير وصور العذاب، أو خطاب لأهل الدنيا، أي يا أهل الدنيا لا تعلمون مقدار ذلك، وهذه الجملة رد على أولئك السائلين وعدم إسعاف لما طلبوا»(٥٠٠).

* قال الدكتور محيسن: «من قرأ ﴿وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾ بالغيب، مناسب لفظ (كل) فلفظه لفظ غائب، ومن وقرأ (وَلَكِن لاَّ تَعْلَمُونَ) بالخطاب ذلك حملاً على معنى ما قبله من الخطاب، لأن ما قبله: (قال لكل ضعف) أي لكل ضعف، فحمل (تَعْلَمُونَ) على معنى (كل) في الخطاب؛ وهذا إخبار من الله عن محاورة الملل الكافرة في النار يوم القيامة بقوله تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا

(٤٩٨) انظر: تفسير القرآن العظيم (١٨٨/٢). وتفسير المراغي (٧ - ١٤٨/٩). وتفسير القرطبي (١٧٩/٤). والتحرير والتنوير (/١٢٤). وتفسير الألوسي (٧ - ١٧٧/٨). وتفسير البغوي (٢٢٨/٣).

(٤٩٩) انظر: تفسير زاد المسير (١٩٥/٣). ومجمع البيان (٢٣٤/٤).

(٥٠٠) تفسير النهر الماد (٧٩٥/١).

هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ﴾ فيجيبهم تعالى: ﴿لكل ضعف ولكن لا يعلمون﴾»(٥٠١).

خامساً: وبالجمع بين القراءتين نجد أن العلاقة بينهما بلاغية، ففي القراءتين التفات من الخطاب إلى الغيبة، والالتفات من الغيبة إلى الخطاب يكون الكلام فيه أوقع في النفس ولو ظل السياق على الغيبة لما تحقق هذا المعنى النبيل.

والخطاب فيه من التهويل والتخويف لكل من المخاطبين، فهو خطاب للسائل، أي: (لاَّ يَعْلَمُونَ) ما لكل فريق ـ من التابعين والمتبوعين ـ من العذاب؛ أي **(لاَّ يَعْلَمُونَ)** المقادير وصور العذاب لكل منهما، أو الخطاب لأهل الدنيا أي يأهل الدنيا لا تعلمون مقدار ذلك العذاب، وبصيغة الغائب فيها من التحقير والإذلال لكل منهما يعني ـ التابعين والمتبوعين ـ من العذاب(٥٠٢).

٥ ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الأعراف: ٤٠].

أولاً: القراءات:

١. قرأ أبو عمرو **(لاَ تُفْتَحُ)** بالتأنيث والتخفيف.

٢. وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف **(لاَ يُفْتَحُ)** بالتذكير والتخفيف.

٣. وقرأ الباقون **(لاَ تُفَتَّحُ)** بالتأنيث والتشديد(٥٠٣).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

﴿فَتَحَ﴾: الفتح نقيض الإغلاق، وفتحه يفتحه فتحاً، وافتحه وفتحه

---

(٥٠١) المغني (٢/١٢٦).

(٥٠٢) القراءات وأثرها في علوم العربية (٢/١٤٩).

(٥٠٣) النشر في القراءات العشر (٢/٢٠٢).

فانفتح وتفتح، قال الجوهري[٥٠٤]: فتحت الأبواب، وشدد للكثرة، فتفتحت هي وقوله تعالى ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾ قرئت بالتخفيف والتشديد، وبالياء والتاء أي لا تصعد أرواحهم، ولا أعمالهم، لأن أعمال المؤمنين وأرواحهم تصعد إلى السماء[٥٠٥].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

يحدثنا المولى سبحانه عما يكون للكافرين عند الموت؛ وما تقوله لهم الملائكة في تلك اللحظات العسيرة، وما يقال لهم يوم القيامة ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا﴾ الذين كذبوا بحجتنا وأدلتنا فلم يصدقوا بها ولم يتبعوا رسلنا واستكبروا عنها، يقول ولم يلتزموا اتباعها والانقياد لها تكبراً ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾ أي: فما يكون لهم أن تفتح أبواب السماء وذكر أبواب السماء لأمور عظيمة يقرب حقائقها إلى الأذهان فمنها قبول الأعمال أي فلا تفتح لأعمالهم، ولا لأرواحهم لفرط خبثها وفسادها ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ﴾ فجعل لانتفاء دخولهم امتداداً مستمراً إذ جعل غايته شيئاً مستحيلاً ﴿يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ يدخل ما هو مثلٌ في عظم الجسم فيما هو مثلٌ في ضيق المسلك؛ وذلك مما لا يكون فكذا ما توقف عليه. والمراد أنهم لا يدخلونها أبداً لأن الشيء إذا علق بما يستحيل حصوله دل على استحالته؛ وكذا دخولهم وجزاء كفرهم ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾ أي: مثل ذلك الجزاء الفظيع الذي وصفنا نجزي المجرمين أي: الكافرين وجريمتهم التكذيب بآيات الله، والاستكبار عنها[٥٠٦].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾ لأدعيتهم وأعمالهم أو لأزواجهم

(٥٠٤) الجوهري: سبق الترجمة له ص٩٤.

(٥٠٥) لسان العرب (٥٣٦/٢) مادة فتح.

(٥٠٦) انظر: تفسير الطبري ١٢٨/٥. وتفسير الأساس ١٩٠٠/٤. وتفسير التحرير والتنوير ١٢٧/٥. وصفوة البيان ٢٠٥.

كما تفتح لأعمال المؤمنين وأرواحهم لتتصل بالملائكة، والتاء في (تفتح) لتأنيث الأبواب والتشديد لكثرتها.

وأفادت قراءة (**لاَ يُفْتَحُ لَهُمْ**) بالتخفيف، وبالياء مضمومة على تذكير الجمع - لأن التأنيث في الأبواب غير حقيقي - جاز تذكير الجمع؛ وخفف أبو عمرو وحمزة والكسائي، وعلى معنى التخفيف يكون للقليل والكثير، والتشديد للتكثير والتكرير مرة بعد مرة ولا غير(٥٠٧).

التأنيث غير حقيقي كما قال تعالى: ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾﴾ [ص: ٥٠]. ولاختلاف القراءات أثر نحوي من حيث جواز معاملة المؤنث غير الحقيقي معاملة المذكر فأنث ولما كان.

* قال الطاهر بن عاشور: «قرأ نافع، وابن كثير، وعاصم، وابن عامر، وأبو جعفر، ويعقوب (لا تُفَتَّح) بضم التاء الأولى وفتح الفاء والتاء الثانية مشددة، وهو مبالغة في فتح، فيفيد تحقيق نفي الفتح لهم، أو أشير بتلك المبالغة إلى أن المنفي فتح مخصوص وهو الفتح الذي يفتح للمؤمنين؛ وهو فتح قوي، فتكون تلك الإشارة زيادة في نكايتهم، وقرأ أبو عمرو بضم التاء الأولى وسكون الفاء وفتح التاء الثانية مخففة، وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف، (لا يُفَتَحُ) بمثناة تحتية في أوله مع تخفيف المثناة الفوقية مفتوحة، على اعتبار تذكير الفعل لأجل كون الفاعل جمعاً لمذكر»(٥٠٨).

خامساً: **وبالجمع بين القراءتين نجد أن** المصير السيء الذي ينتظر الكافرين المستكبرين عندما تخرج أرواحهم بعد انتهاء آجالهم، ويصعد بها ملك الموت، فتوصد أمامها أبواب السموات، فقرأ أبو عمرو (لاَ تُفْتَحُ) بتاء التأنيث وسكون الفاء وفتح التاء مخففة، حيث التخفيف يحتمل التكثير

---

(٥٠٧) انظر: تفسير القرطبي (١٨١/٤). وتفسير زاد المسير (١٩٦/٣). وتفسير الشوكاني (٢٠٥/٢).

(٥٠٨) انظر: التحرير والتنوير (١٢٧/٥).

وغيره. وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف (لاَ يُفْتَحُ) بياء التذكير وسكون الفاء وفتح التاء المخففة، حيث إنَّ تأنيث الأبواب غير حقيقي فالتشديد للتكثير، والتخفيف للتكثير وغيره.

وقرأ الباقون (لاَ تُفَتَّحُ) بتاء التأنيث وفتح الفاء وتشديد التاء، والقراءة بالتشديد بمعنى التكثير والتكرار مرة بعد مرة(٥٠٩).

فأما قراءة (لاَ تُفْتَحُ) للبناء للفاعل ونصب الأبواب على أن الفعل للآيات، وبالياء (لاَ يُفتَحُ) على أن الفعل لله تعالى. وعليه فجميع القراءات تفيد التأكيد المحتوم على الوصف الدقيق في عدم فتح أبواب السموات لهم، وهذا حال هؤلاء التعساء(٥١٠).

٦ - ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [الأعراف: ٤٣].

أولاً: القراءات:

١. وقرأ ابن عامر (**مَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ**) بغير واو قبل ما.

٢. وقرأ الباقون (**وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ**) بالواو(٥١١).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

﴿هُدًى﴾: الهدايةُ دلالةٌ بِلُطْفٍ، ومنه الهديةُ وهَوَادِيَ الوحش أي متقدِّماتها الهادية لغيرها، وُخصَّ ما كان دلالةً بِهدَيْتُ وما كان إعطاء بأَهدَيْتُ، نحو أهديتُ الهَدِيةَ وهَدَيْتُ إلى البيت إنْ قيل كيف جعلتَ الهدية دلالة بلطف، وهداية الله تعالى للإنسان على أربعة أوجه: الأول الهداية التي عم بجنسها كل مكلف من العقل والفطنة والمعارف الضرورية، والثاني:

(٥٠٩) القراءات وأثرها في التفسير (٢/٩٠٤).

(٥١٠) انظر: الفريد في الإعراب (٢/٢٩٩).

(٥١١) النشر في القراءات العشر (٢/٢٠٢).

الهداية التي جعل للناس بدُعائه إياهم على ألسنة الأنبياء وإنزال القرآن، والثالث: التوفيق الذي يخص به من اهتدى والرابع: الهداية في الآخرة إلى الجنة(٥١٢).

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

تحدثنا الآية الكريمة عن أهل الاجتهاد الذين اجتهد كل منهم في الدنيا، ليكونوا مما خَلُصَت نفوسهم من الغل والحقد، وذكر الله ﷻ هذا من جملة ما ينعم به على أهل الجنة نزع الغل من صدورهم، والنزع: الاستخراج، والغل: الحقد الكامن في الصدر والجمع غلال أي أذهبنا في الجنة ما كان في قلوبهم من الغل في الدنيا على بعضهم بعضاً حتى تصفو قلوبهم ويودُّ بعضهم بعضاً؛ لأن الغل لو كان في صدورهم كما كان في الدنيا لكان تنغيص لنعيم الجنة، لأن المتشاحنين لا يطيب لأحدهم عيش مع وجود الآخر؛ قال ﷺ: «الغل على باب الجنة كمبارك الإبل قد نزع الله من قلوب المؤمنين هذا الغل، وروي عن علي رضي الله عنه عنه أنه قال: (أرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير من الذين قال الله تعالى فيهم ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ وقيل: نزع الغل في الجنة ألا يحسد بعضهم بعضا في تفاضل منازلهم وقد قيل إن ذلك يكون عن شراب الجنة، ولهذا قال وسقاهم ربهم شراباً طهوراً أي يطهر الأوضار(٥١٣) من الصدور)(٥١٤)»(٥١٥).

---

(٥١٢) معجم مفردات ألفاظ القرآن ص٥٣٦.

(٥١٣) الأوضار: واحدها وضر، والوَضَر وسخ الدسم واللبن وغسالة القاء والقصعة ونحوها. انظر لسان العرب (٥/٢٨٤) مادة وَضَرَ.

(٥١٤) انظر: تفسير القرآن العظيم مسنداً عن الرسول ﷺ والصحابة والتابعين، لأبي عبد الرحمٰن بن حاتم وحيثما يأتي سأكتفي بقولي تفسير ابن أبي حاتم (٥/١٤٧٨) حديث رقم ٨٤٧٠.

(٥١٥) انظر: تفسير الطبري (٥/١٣٢). انظر: تفسير القرطبي (٤/١٨٣). والمقتطف (٢/٢٢٠). وتفسير الشعراوي (٧/٤١٤٢). فتح القدير (٢/٢٠٦).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (وما كنا) بإثبات الواو، على الاستئناف، والحال والمعنى: قال هؤلاء المؤمنون حين أدخلهم الله الجنة، ورأوا الذي ابتلي به أهل النار بسبب كفرهم بربهم وتكذيبهم رسله ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣] والحال أننا ما كنا لنهتدي لولا هداية الله لنا وهذه القراءة موافقة لرسم باقي المصاحف العثمانية.

وأفادت قراءة (ما كنا) بحذف الواو، على أن قوله تعالى: (**مَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ**) وقراءة ابن عامر، موافقة مصحف أهل الشام[٥١٦].

* قال الألوسي: «(مَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ) أي لهذا أو لمطلب من المطالب التي هذا من جملتها (لولا أن هدانا الله) وفقنا له، واللام لتأكيد النفي وهي المسماة بلام الجحود وجواب لولا محذوف لدلالة ما قبله عليه، وليس إياه لامتناع تقدم الجواب على الصحيح ومفعول (نهتدي وهدانا) الثاني محذوف لظهور المراد أو لإرادة التعميم كما أشير اليه، والجملة حالية أو استئنافية وفي مصاحف أهل الشام، (ما كنا) بدون واو وهي قراءة ابن عامر، فالجملة كالتفسير للأولى: وهذا كما ترى من رزق خيراً في الدنيا يتكلم بنحو هذا ولا يتمالك أن لا يقوله للفرح ولا للقربة»[٥١٧].

* قال أبو منصور: «إخراج الواو وإدخالها لا يغير المعنى في مثل هذا الموضع، المعنى: أنهم قالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا من غير أن كنا نهتدي لما هدانا له، من حذف الواو أراد: يا رب ما كنا لنهتدى لهذا لولا هدى الله إيانا»[٥١٨].

---

(٥١٦) المغني في توجيه القراءات (١٢٨/٢).

(٥١٧) تفسير روح المعاني (٧ ـ ١٢١/٨). وتفسير البغوي (٢٣٠/٣). وتفسير أبو السعود (٣٤٤/٢).

(٥١٨) كتاب معاني القراءات ص ١٨٠.

* قال البيضاوي: «﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾ قالوها زيادة في لذتهم وسرورهم لما جزاؤه هذا ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا﴾ لولا هداية الله وتوفيقه، واللام لتأكيد النفي وجواب اللامحذوف دل عليه ما قبله، وقرأ ابن عمر (ما كنا) بغير واو على أنها مبنية للأولى ﴿لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾ فاهتدينا بإرشادهم يقولون ذلك اغتباطاً، وتبجحاً بأن ما علموه يقيناً في الدنيا صار لهم عين اليقين في الآخرة»(٥١٩).

خامساً: وبالجمع بين القراءتين يتبين أن الهداية هي هداية الله وحده، فقد تضمنت جميع القراءات درجات الهداية ومراتبها الأربعة الأولى الهداية: التي عمت بجنسها كل مكلف من العقل والفطنة والمعارف الضرورية. والثانية: الهداية التي جعل للناس بدُعائه إياهم على ألسنة الأنبياء وإنزال القرآن. والثالثة: التوفيق الذي يخص به من اهتدى. والرابعة: الهداية في الآخرة إلى الجنة؛ حيث قالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا من غير أن كنا نهتدي لما هدانا له، ومن حذف الواو أراد: يا رب ما كنا لنهتدى لهذا لولا هدى الله إيانا، ومن خلال القراءتين نجد أنه ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [غافر: ٣٣] وقد قالوها زيادة في تلذذهم وسرورهم لما جزاؤه هذا الميراث؛ وهذا الميراث تعليل للحمد، وتنويه بأنه حمد عظيم على نعمة عظيمة فضلها من الله ﷻ.

* قال أبو علي الفارسي: لأن وجه الاستغناء عن حرف العطف أن الجملة ملتبسة بما قبلها فأغنى التباسها به عن حرف العطف(٥٢٠).

٧ ـ ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ۖ قَالُواْ نَعَمْ ۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [الأعراف: ٤٤].

(٥١٩) تفسير البيضاوي ص ٢٠٦.

(٥٢٠) انظر: مجمع البيان (٤/٢٣٩).

أولاً: القراءات:

١. قرأ الكسائي (نَعِمْ) بكسر العين.

٢. وقرأ الباقون (نَعَمْ) بفتحها.

١. قرأ نافع والبصريان وعاصم (أَنْ لَّعْنَةُ اللّهِ) بإسكان النون مخففة ورفع (لَّعْنَةُ).

٢. وقرأ الباقون (أَنَّ لَّعْنَةَ اللّهِ) بتشديد النون ونصب (لَّعْنَةَ)(٥٢١).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

﴿نَعَمْ﴾: النَّعْمةُ الحالةُ الحسنة وَبِنَاء النِّعْمةُ بِناء الحالةِ التي يكون عليها الإنسانُ كالجِلْسَةِ والرِّكْبَةِ، والنَّعْمةُ التَّنَعّيمُ وبناؤُها بناء المَّرةِ من الفعل كالضربةِ والشَّتْمَةِ، والنَّعْمةُ للجنس تقال للقليل والكثير. ونَعْم كَلمةٌ تُسْتَعْمَل في المَدْحِ بإزاء بئس في الذم، وأنْعَمَ أي زاد وأصله من الإنعام، ونَعَّمَ الله بك عَيْناً، ونَعَمَ كَلمةٌ للإيجاب من لفظ النِّعْمةُ، وتقول نَعْم ونُعْمةُ عين، ونَعْمى ونُعْمَى عين، وُنعَامُ عين، ويصح أن يكون من لفظ أَنْعمَ منه، أي ألين وأسهلَ(٥٢٢).

﴿أَنَّ﴾ : أن، إن: ينصبان الاسم ويرفعان الخبر(٥٢٣).

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

يخبر المولى ﷻ بما يخاطب به المؤمنون أهل النار على وجه التقريع والتوبيخ إذا استقروا في منازلهم ﴿أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا﴾ (أن) ههنا مفسرة للقول المحذوف و(قد) للتحقيق، أي قالوا لهم: ﴿قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُواْ نَعَمْ﴾، كما أخبر تعالى في سورة الصافات عن الذي كان له قرين من الكفار ﴿فَاطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ الْجَحِيمِ

(٥٢١) النشر في القراءات العشر (٢/٢٠٢).

(٥٢٢) معجم مفردات ألفاظ القرآن ص ٥٢٠ ـ ٥٢١.

(٥٢٣) ولمزيد من المعلومات فقد سبق الحدبث عنه ص ١٣١.

﴿قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرۡدِينِ﴾ [الصافات: ٥٥ ـ ٥٦] أي: ينكر عليه مقالته التي يقولها في الدنيا ويقرعه بما صار إليه من العذاب والنكال وكذلك تقرعهم الملائكة يقولون لهم: هذه النار التي كنتم بها تكذبون ﴿أَفَسِحۡرٌ هَٰذَآ أَمۡ أَنتُمۡ لَا تُبۡصِرُونَ﴾ [الطور: ١٥] ﴿ٱصۡلَوۡهَا فَٱصۡبِرُوٓاْ أَوۡ لَا تَصۡبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡۖ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [الطور: ١٦] وكذلك قرع ﷺ قتلى القليب(٥٢٤) يوم بدر فنادى «يا أبا جهل بن هشام، ويا عتبة بن ربيعة ويا شيبة بن ربيعة، وسمى رؤوسهم، هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً، فإني وجدت ما وعدني ربي حقا؛ وقال عمر يا رسول الله تخاطب قوماً قد جيفوا؟ فقال (والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ولكن لا يستطيعون أن يجيبوا تقرعهم)(٥٢٥).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (لَعْنَةُ اللّهِ) على الابتداء (فأن) في موضع نصب على القرائتين على إسقاط الخافض ويجوز في المخففة ألا يكون لها موضع من الإعراب، وتكون مفسرة وحكي عن الأعمش(٥٢٦) أنه قرأ (**إِنّ لَعْنَةَ الله**) بكسر الهمزة فهذا على إضمار القول كما، قرأ الكوفيون قوله تعالى: ﴿فَنَادَتۡهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٞ يُصَلِّي فِي ٱلۡمِحۡرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحۡيَىٰ . .﴾ [آل عمران: ٣٩] ويروي أن ابن طاوس(٥٢٧) دخل على هشام بن عبد الملك فقال

---

(٥٢٤) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز. باب ما جاء في عذاب القبر. حديث رقم ١٣٧٠. انظر فتح الباري (٣/٢٧٤).

(٥٢٥) تفسير ابن كثير (٢/١٩١). انظر صفوة التفاسير (١/٤٤٧). انظر تفسير الأساس (٤/١٩٠٨).

(٥٢٦) الأعمش: هو سليمان بن مهران الأعمش، الأسدي الكاهلي مولاهم الكوفي، إمام علم، أقرأ الناس ونشر العلم دهراً طويلاً، سُمي بالمصحف من صدقه، ثقة ثبت، توفي سنة ١٤٨هـ.

(٥٢٧) ابن طاوس هو: أحمد بن عبد الله بن علي بن طاوس، الإمام أبو البركات البغدادي المقرئ، نزيل دمشق قرأ القراءات على الحسن ابن علي العطار وأبي علي الشرمقاني، وأبي بكر بن علي بن الخياط وغيرهم، سمع من عبيد الله الأزهري وغيره، صنف في القراءات ورأس فيها، وأقرأ الناس كان ثقة ديناً، مجوداً محققاً، توفي سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة هـ. انظر معرفة القراء الكبار. (٢/٥٧٦).

له: اتق الله واحذر يوم الأذان، فقال وما يوم الأذان؟ قال قوله تعالى: ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ فصعق هشام فقال طاوس هذا ذل الصفة فكيف ذل المعاينة. وأفادت قراءة (أَن لَّعْنَةُ اللّهِ) على أنها هي الأصل[٥٢٨].

أفادت قراءة الكسائي (نَعِمْ) بكسر العين، وحجته ما روي في الحديث: (أن رجلاً لقى النبي ﷺ وآله بمِنى فقال: أنت الذي يزعم أنه نبي!؟ فقال: (نَعِمْ) بكسر العين، وروي أن عمر سأل رجلاً شيئا فَقال: (نَعَمْ) فقال: قل، إنما: (النَعَمْ) الإبل. وأفادت قراءة الباقين: (نَعَمْ) بالفتح وهما لغتان[٥٢٩].

* (نَعَمْ) كلمة التصديق إذا أخبرت عمّا تقول قد كان كذا، فتقول: نعم، فإذا استفهمت عن منفي فالجواب بلى، ولذلك كان الجواب في قول المؤمنين للكفار (فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا) بـ (نَعَم)، لأنه استفهام دخل على إيجاب، وكأن من كسر العين في (نَعِمْ) أراد أن يفرق بين (نَعِمْ) الذي هو جواب وبين (نَعَمْ) الذي هو اسم للإبل والغنم والبقر كما روي عن عمر[٥٣٠].

أفادت قراءة (أَنْ لَّعنَةُ) بإسكان النون المخففة، ورفع (أَنْ لَّعْنَةُ) على (أَنْ) مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن ولعنة مبتدأ، والجار والمجرور متعلق بمحذوف خبره والجملة خبر (أَنْ).

وأفادت قراءة تشديد النون (أَنَّ)، ونصب (لَّعنَةَ) على أنها اسم (أَنَّ) والجار والمجرور متعلق بمحذوف خبرها[٥٣١].

خامساً: وبالجمع بين القراءتين نجد أن العلاقة تفسيرية، تبين الحالة النفسية للتذلل حيث إنه قال تعالى: ﴿قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم

(٥٢٨) تفسير القرطبي (١٨٤/٤).

(٥٢٩) انظر: شرح المفصل في صيغة الإعراب (٦٠/١). وتفسير البغوي (٢٣١/٣).

(٥٣٠) حجة القراءات ص ٢٨٣. والكشف (٤٦٣/١). والمستنير (١٨٩/١).

(٥٣١) انظر: التحرير والتنوير (١٣٨/٥).

﴿مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ﴾ يتبين أنه قد عبر بالماضي عن المستقبل لتحقق وقوعه، وهذا النداء فيه تقريع وتوبيخ وتوقيف على مآل أهل النار وبيان الحالة النفسية التي هي، زيادة في كربهم وغمهم فقراءة الكسائي (نَعِمْ) بكسر العين، وحجته ما روي في الحديث: أن رجلاً لقي النبي ﷺ وآله بمِنى فقال: أنت الذي يزعم أنه نبي!؟ فقال: (نَعِمْ) بكسر العين، وروي أن عمر سأل رجلاً شيئاً فقال: (نَعَمْ) فقال: قل (نَعِمْ)، إنما: (النَعَمْ) الإبل وقرأ الباقون: (نَعَمْ) بالفتح وهنا من قرأ بالكسر فهو جواب النفي الداخل على الاستفهام؛ ومن أجاب: (نَعَمْ) بمعنى (نَعِمْ). وهما لغتان بمعنى التصديق في كل الإجابات، إقرار واعتراف بالكرب والغم النازل بهم وفي كليهما ذلّ الصفة(٥٣٢).

٨ ـ ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٤].

أولاً: القراءات:

١. قرأ يعقوب وحمزة والكسائي وخلف وأبو بكر (**يُغَشِّيَ اللَّيْلَ**) بالتشديد.

٢. وقرأ الباقون (**يُغْشِي اللَّيْلَ**) بتخفيفها.

١. قرأ ابن عامر (**وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجومُ مُسَخَّرَاتٌ**) برفع الأسماء الأربعة.

٢. وقرأ الباقون (**وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ**) بنصبها وكسر التاء في مسخراتِ(٥٣٣).

(٥٣٢) انظر: البحر المحيط (٥/٥٦).

(٥٣٣) النشر في القراءات العشر (٢/٢٠٢).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

﴿غُشِي﴾ : من غشا: غَشِيَ، يَغْشَى، غَشْياً، وغَشَايَةً، الأمر فلان غطاه وحلَّ به، والمكان: أتاه الليل: أظلم والغاشية: القيامة، والنار، غُشِيَ عليه غَشْياً، وُغشِياً. وغَشَاياً ألم به ما غَشّى فهمه وأفقده الحس والحركة فهو مَغْشِيٌ عليه أي الإغماء؛ غَشّى: غَشَّىَ الشيء على الشيء: غطاه[٥٣٤].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

تخاطب الآية الكريمة المتباطئين في إيمانهم، بالحديث عن آية من أعظم الآيات الكونية، علها تنخلع لها قلوبهم بالعودة إلى خالقهم، ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ أي إن خالقكم ومالك أمركم، الذي خلق الأجرام السماوية في مقدار ستة أيام من أيام الدنيا، وفي خلق الأشياء بالتدرج مع القدرة على إبداعها جملة واحدة، ولكن في ذلك اعتبار للنُظّار ودعوة للتأني في الأمور ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ حيث الاستواء صفة معلومة للخالق ﷻ بلا كيف ولا سؤال عنه، يعني أن الله ﷻ استواء يليق بجلاله، فهو منزه عن كل شبيه (يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ) التغشية: التغطية والستر أي يجعل الليل غاشياً النهار مغطياً له فيذهب بنوره؛ وهكذا دواليك في كل ليل ونهار، وبتعاقب الأمثال يستمر الاستبدال، فيتغير كل منهما بالآخر (يَطْلُبُهُ حَثِيثًا) يطلب الليل النهار طلباً سريعاً حتى يلحقه ويدركه، والحث على الشيء الحث عليه (لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ) الخلق: إيجاد الأشياء من العدم ﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ﴾ أي خلقها ﷻ مسخرة بقضائه وتصريفه، فهي غير قادرة بنفسها بل هي عاجزة تتصرف بتدبيره وأمره، والأمر: التدبير والتصرف على حسب الإرادة لما خلقه فهو سبحانه المدبر لا شريك له (تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) كثر خيره وإحسانه، من البركة بمعنى الكثرة من كل خير، وأصلها النماء والزيادة أي تقدس وتنزه عن كل نقص فهو الخالق المبدع للكائنات، الذي أتقن كل شيء خلقه[٥٣٥].

---

(٥٣٤) انظر: القاموس المحيط ص ١٦٩٩. مادة غُشِيَ.

(٥٣٥) انظر: المقتطف (٢٢٨/٢). وصفوة البيان ص٢٠٨. والتحرير والتنوير (١٦١/٥). وتفسير البغوي (٢٣٥/٣).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (يُغَشّي) مفتوحة الغين مشددة وكذلك قرؤوا في الرعد، قال الزجاج: المعنى أن الليل يأتي على النهار فيغطيه وإنما لم يقل ويغشي النهار الليل لأن في الكلام دليلاً عليه، وقال أبو علي الفارسي: إنما لم يقل يغشي النهار الليل لأنه معلوم من فحوى الكلام كقوله: ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ﴾ [النحل: ٨١]. وانتصب الليل والنهار لأن كل واحد منهما مفعول به، فأما الحثيث فهو السريع، وقوله تعالى: ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍ﴾ قرأ الأكثرون بالنصب، فيهن وهو على معنى خلق السموات والشمس.

أفادت قراءة (يُغشِي اللَّيْلَ النهار)، (يُغْشِي) ساكنة الغين خفيفة. وقرأ ابن عامر (وَالشَّمْسُ، وَالْقَمَرُ وَالنُّجومُ، مُسَخَّرَاتٌ) بالرفع فيهن هاهنا وفي النحل تابعه حفص في قوله تعالى: ﴿وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [سورة النحل: ١٢] فحسب والرفع على الاستئناف والمسخرات المذللات[٥٣٦].

* قال البيضاوي: «قرئ (يُغشِي اللَّيْلَ النهار) بنصب الليلَ ورفع النهارُ، وقراءة التشديد فيها للدلالة على التكرير، يطلبه حثيثا يعقبه سريعا كالطالب له لا يفصل بينهما شيء والحثيث فعيل من الحث وهو صفة مصدر محذوف أو حال من الفاعل بمعنى حاثاً أوالمفعول بمعنى محثوثاً (وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجومَ مُسَخَّرَاتٍ﴾ بأمره بقضائه وتصريفه ونصبها بالعطف على السموات ونصب مسخرات على الحال، وقرأ ابن عامر كلها بالرفع على الابتداء والخبر ألا له الخلق والأمر فإنه الموجد والمتصرف»[٥٣٧].

---

(٥٣٦) تفسير زاد المسير (٢١٤/٣).

(٥٣٧) انظر: تفسير البيضاوي ص ٢٠٨. وتفسير أبو السعود (٣٤٨/٢). وتفسير البغوي (٢٣٦/٣).

* قال د. محمد سالم محيسن: قرأ (يُغَشِّي) بفتح الغين وتشديد الشين، ومضارع (غَشَّى) المضاعف، وقراءة الباقين (يُغْشِي) بإسكان العين وتخفيف الشين المضارع (أغشى).

وقراءة (وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٍ) برفع الأسماء الأربعة على أن الشمس مبتدأ، (القمر والنجوم) معطوفات عليه و(مسخرات) خبر. وقراءة الباقين بنصبها على أن (وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ) معطوفة على السموات و(مُسَخَّرَاتٍ) حال من هذه المفاعيل(٥٣٨).

ولقد ذهب البعض أن القراءتين متساويتين (يُغشِي اللَّيْلَ النَهَارَ) أي يغطيه به، ولم يذكر العكس للعلم به، أو لأن اللفظ يحتملهما؛ لأن في التشديد معنى التكرير والتكثير(٥٣٩).

خامساً: وبالجمع بين القراءتين نجد أنّ العلاقة بينها بيانية تظهر من خلالها قدرة الله تعالى بأن جعل الليل والنهار يتعاقبان وفق نظام مرتب دقيق، فظلمة الليل تحجب ضوء النهار، ونور النهار يكشف ظلمة الليل، وكل منهما يطلب الآخر طلباً حثيثاً ولكنه لا يدركه(٥٤٠).

كما في قوله تعالى: ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يس: ٤٠] أي كل منهما يسير بطريقة عجيبة يحتار العقل البشري في معرفة حقيقتها.

وحجة من نصب أنه عطف ذلك على المنصوب (بخلق) من قرأ بالرفع فعلى أنها مبتدأ خبرها مسخرات، وعطف بعض الأسماء على بعض؛ وكما أن القراءات سواء بالرفع أو النصب هو بيان حال لخضوع هذه المخلوقات فهي خاضعة للنظام الذي خلقها الله عليه بدون تغير مع شأن عِظمها أنه لا يستطيع غيره ﷻ وضعها على نظام محدد منضبط؛ فهو دليل

(٥٣٨) انظر: المستنير (١/١٨٩).

(٥٣٩) انظر: الكشف (١/٤٦٥). والحجة ص ٨٥.

(٥٤٠) انظر: التحرير والتنوير (٥/١٦٩).

عظيم قدرته سبحانه؛ فالحجة لمن نصب: أنه عطفه على (يُغْشِي) فأضمر فعلاً في معنى يغشي، ليشاكل بالعطف بين الفعلين، والحجة لمن رفع: أنه جعل الواو حالاً لا عاطفة، فاستأنف بها، فرفع كما تقول: لقيت زيداً وأبوه قائماً؛ تريد: وهذا حال أبيه.

٩ - ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [الأعراف: ٥٧].

أولاً: القراءات:

١. قرأ عاصم (**بُشْراً**) بالباء الموحدة وضمها وإسكان الشين.

٢. وقرأ ابن عامر (**نُشْراً**) بالنون وضمها وإسكان الشين.

٣. وقرأ حمزة والكسائي وخلف (**نَشْراً**) بالنون وفتحها وإسكان الشين.

٤. وقرأ الباقون بالنون (**نُشُراً**) وضمها وضم الشين(٥٤١).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

﴿النّشَر﴾ : القوم المتفرقون الذين لا يجمعهم رئيس، وجاء القوم نشراً أي متفرقين، ونَشَر الماء بالتحريك ما انتشر وتطاير منه عند الوضوء، نُشُراً، ونَشراً، والنَّشْر: الحياة وأنشر الله الريح أحياها بعد موت وأرسلها نَشراً، ونَشَراً فأما من قرأ نُشراً فهو جمع نَشور مثل رسول رسُل ومن قرأ نُشْراً أسكن الشين استخفافاً، ومن قرأ نشراً فمعناه إحياء بِنَشْر السحاب الذي فيه المطر الذي هو حياة لكل شيء قال الزجاج: من قرأ بُشْراً، بالباء جمع بَشيرة كقوله ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ﴾ [الروم: ٤٦] ونشرت الريح: هبت في يوم غيم خاصة(٥٤٢).

(٥٤١) النشر في القراءات العشر (٢/٢٠٢).

(٥٤٢) انظر: لسان العرب (٥/ ٢٠٧). مادة نشر.

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

تتحدث الآية الكريمة عن نعم منَّ الله بها على عباده ﷻ فهو الذي خلق السموات والأرض والشمس والقمر والنجوم المسخرات بأمر فهو الذي يرسل الرياح نُشُراً بين يدي رحمته، والنَشَر بفتح النون والشين في كلام العرب من الرياح الطيبة اللينة الهبوب التي ترسل السحاب، الذي ينزل المطر الذي في طياته البشرى للمؤمنين والتحذير للكافرين؛ وهذه آية عظمى تذكرنا بقدرته على إحياء الموتى يوم النشور.

* قال المراغي: «بعد أن ذكر عز اسمه تفرده بالملك والملكوت وتصرفه في العالم العلوي والسفلي وتدبيره الأمر وحده، وطلب إلينا متضرعين خفية وجهراً، ونهانا عن الإفساد في الأرض بعد إصلاحها، وأبان أن رحمته قريب من المحسنين، قفَّى على ذلك بذكر بعض ضروب من رحمته، إذ أرسل إلينا الرياح، وما فيها من منافع للناس، فيها ينزل المطر الذي هو مصدر الرزق وسبب حياة كل حي في هذه الأرض، وفي ذلك عظم الدلالة على قدرته ﷻ على البعث والنشور»(٥٤٣).

ومن ثم عالجت الآية الكريمة قضية البعث بضرب المثل من خلال الآيات الكونية والتأمل فيها فهي أعظم أنواع العبادات وأجلها.

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (**نُشُراً**) بضم النون والشين جمع ناشر على معنى النسب أي ذات نشر، وابن عامر (**نُشْراً**) بضم النون وإسكان الشين من نشر.

وأفادت قراءة (**نَشْراً**) بفتح النون وإسكان الشين على المصدر، ويجوز أن يكون مصدراً في موضع الحال ومعنى هذه القراءات يرجع إلى النشر الذي هو خلاف الطي فكأن الريح مع سكونها كانت مطوية ثم ترسل من طيها فتصير كالمنفتحة. وقال أبو عبيدة: معناه متفرقة في وجوهها على معنى تنشرها هاهنا وهاهنا.

---

(٥٤٣) تفسير المراغي (٧ ـ ١٨١/٩).

وأفادت قراءة (**بشْراً**) بالباء الموحدة وإسكان الشين جمع بشير أي الرياح تبشر بالمطر ومثله قوله تعالى: وهو الذي يرسل الرياح مبشرات قوله بين يدي رحمته أراد بالرحمة هنا المطر أي قدام رحمته والمعنى أنه سبحانه يرسل الرياح ناشرات أو مبشرات بين يدى المطر[٥٤٤].

* قال صاحب إتحاف فضلاء البشر: «وقرأ عاصم (**بُشْراً**) بالباء الموحدة المضمومة وإسكان الشين جمع بشير كنذير ونُذر، وقرأ ابن عامر (**نُشْراً**) بضم النون واسكان الشين وهي مخففة، من قراءة الضم وقرأ حمزة والكسائي وخلف بالنون المفتوحة، وسكون الشين مصدر واقع موقع الحال بمعنى ناشرة أو منشورة أو ذات نشر، ومن قرأ بضم النون والشين (**نُشُراً**) جمع ناشر كنازل ونزل وشارف وشرف[٥٤٥].

فمن قرأ بالنون وضمها وإسكان الشين جمع نشور، ونشور بمعنى ناشر؛ كطهور بمعنى طاهر وجعل الرياح ناشرة للأرض أي محيية لها إذ تأتي بالمطر الذي يكون الإنبات به، أو نشور بمعنى منشور، والمعنى أرسل الله الرياح لتأتي بين يدي رحمته، فهي ريح منشورة، وعندما نقول: أنشر الله الريح: إذا بعثها. و(**نَشْراً**) بالنون وفتحها وإسكان الشين، فهي خلاف الطي كأن الريح في سكونها كالمطوية، ثم ترسل من طيها ذلك فتسير كالمتفتحة أو المتفرقة على وجهها فتنشرها هنا وهنا؛ ومنشورة بمعنى محياة. وقراءة (**بُشْراً**) بالباء الموحدة وضمها فهي من البشارة، فالريح تبشر بالمطر.

خامساً: وبالجمع بين القراءتين نجد أن علاقتها تفسيرية، فقراءة (بُشْراً) يذكرنا المولى ﷻ بكونها بشارة بنزول المطر وذلك على قراءة الباء (بشراً)، أما قراءة (**نَشْراً**) فحال كونها نشرت بعد طيٍّ، فهي منشورة بعد ما تكون مطوية، فهي تأتي بإرسال الريح في حال كونها تجيء الأرض، بما تحمله

(**٥٤٤**) انظر: تفسير الطبري (١٤٨/٥). وتفسير الشوكاني (٢١٤/٢). وتفسير أبي السعود (٣٥١/٢). وتفسير النسفي (١ ـ ٥٧/٢).

(**٥٤٥**) إتحاف فضلاء البشر ص ٢٨٤.

من مطر لتحيى به أرضاً ميتاً، وذلك على قراءة (نُشراً) بالنون بضمها وضم الشين، وعليه فالله ﷻ يذكرنا بالريح في حال إحياء الله لها لحمل السحاب الثقال لأكثر من مكان فينشرها، وهي بدورها تأتي بالبشريات، أو بنشر الخير على الأرض(٥٤٦).

١٠ - ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [الأعراف: ٥٨].

أولاً: القراءات:

١. قرأ أبو جعفر (**إلاَّ نَكَداً**) بفتح الكاف.

٢. وقرأ الباقون (**إلاَّ نَكِداً**) بكسرها(٥٤٧).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

﴿نكد﴾ : الشؤم، واللؤم، نَكِدَ، نَكَداً، وكل شيء جرَّ على صاحبه شَراً، فهو نكدٌ، وصاحبه أنكَدُ نَكِدٌ؛ والنُّكْدُ: قلة العطاء وأن لا يهنأه من يُعطاه، وسأله فأنكده أي وجده عَسِراً مقللاً وقيل: لم يجد عنده إلا نزوراً قليلاً، يدل على خروج الشيء إلى طالبه بشدة، ورجل نَكِدٌ نَكَدٌ، ويقال: نَكَدَ الغراب: استقصى في شحيجه، كأنه يقيء، وناقةٌ نكداء: لا لبن فيها، والُنكد: جمع ناكد، وهي التي لا يعيش لها ولد(٥٤٨).

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

تتحدث الآية الكريمة عن منهج الله الذي مثله كمثل المطر النازل من السماء، فالمطر ينزل على الأرض ليرويها ويتغلغل فيها فتخرج النبات النافع لأنها نافعة في ذاتها، وهناك أرض لا تنتفع منه ولكنها تمسكه فينتفع غيرها

(٥٤٦) القراءات وأثرها في التفسير والأحكام (٥٦١/٢). انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣٤٥/٢).

(٥٤٧) النشر في القراءات العشر (٢٠٣/٢).

(٥٤٨) انظر: لسان العرب (٤٣٨/٣). مادة نكد.

منه، وهناك ما لا تنتفع هي ولا يتنفع منها، وهكذا دين الله ﷻ.

فقد تضمنت الآية مثلاً ضربه الله تعالى للعبد المؤمن والكافر إثر بيان قدرته على إحياء الناس بعد موتهم فقال تعالى: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ﴾ أي طيب التربة ﴿يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾ وذلك بعد إنزال المطر به، وهذا مثل العبد المؤمن ذي القلب الحي الطيب إذا سمع ما ينزل من الآيات يزداد إيمانه وتكثر أعماله الصالحة ﴿وَٱلَّذِى خَبُثَ﴾ أي البلد الذي تربته خبيثة سبخة أو حمأة عندما ينزل به المطر لا يخرج نباته إلا نكداً عسراً قليلاً غير صالح وهذا مثل الكافر عندما يسمع الآيات القرآنية لا يقبل عليها ولا ينتفع بها في خلقه ولا سلوكه فلا يعمل خيراً ولا يترك شراً(٥٤٩).

* وفي تفصيل معنى الآية قال ﷺ(٥٥٠) (مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً فكان منها نقيةٌ قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، أمسكت الماء فنفع بها الله الناس فشربوا وزرعوا، وأصاب طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأً؛ فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع لذلك رأساً، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلتُ به)(٥٥١).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (**إلا نَكِداً**) بأن لها وجهين: أحدهما: أن ينتصب حالاً. أي: عسراً مبطئاً، يقال منه: نَكِدَ، يَنْكَدُ، نَكَداً، بالفتح فهو (**نَكِدُ**) بالكسر.

والثاني: أن ينتصب على أنه نعت مصدر محذوف، أي: إلا خروجاً (**نَكِداً**) وصف الخروج بالنكد كما يوصف به غيره، إذ التقدير: والبلد الذي خبث لا يخرج.

---

(٥٤٩) تفسير الشعراوي (٤١٨٦/٧). أيسر التفاسير (١٨٥/٢).

(٥٥٠) أخرجه البخاري - كتاب العلم - باب فضل من عَلِمَ وعَلَّمَ. حديث رقم ٧٩. انظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري (٢١١/١).

(٥٥١) انظر: التحرير والتنوير (١٨٥/٥).

وأفادت قراءة (**إلا نَكَداً**) ولا بد من مضاف محذوف، أما من الأول: تقديره: ونبات الذي (**وَالَّذِي خَبُثَ**) لا يخرج، وأما من الثاني تقديره: (**وَالَّذِي خَبُثَ لاَ يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِدًا**) وغاير بين الموصولين، فجاء في الأول بالألف واللام، وفي الثاني جاء (بالذي) ووصلت بفعل ماض(٥٥٢).

* قال البيضاوي: «﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ﴾ الأرض الكريمة التربة يخرج نباتة بإذن ربه بمشيئته وتيسيره عبر به عن كثرة النبات وحسنه وغزارة نفعه لأنه أوقعه في مقابلة، ﴿وَٱلَّذِى خَبُثَ﴾ أو كالحرة السبخة لا يخرج ﴿إِلَّا نَكِدًاۚ﴾ قليلاً عديم النفع، ونصبه على الحال، وتقدير الكلام: (والبلد الذي خبث لا يخرج نباته إلا نكداً) فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه فصار مرفوعاً مستتراً، وقرئ يخرج، أي يخرجه البلد فيكون ﴿إِلَّا نَكِدًاۚ﴾ مفعولاً ونكداً على المصدر أي ذا نكداً(٥٥٣).

خامساً: وبالجمع بين القراءتين نجد أن القراءتين تبينان حال القلوب التي تشبه الأرض الرديئة السبخة، فهي قد لا تثمر أبداً؛ وإن كان منها ما يثمر ولكنه قليل عديم النفع، ففي القراءتين بيان لأصحاب هذه القلوب النكدة، فنَكِدٌ، ونَكْدٌ، وأَنْكَدٌ، هي شُؤْمٌ عَسِرٌ، وهم أنكاد ومناكيد أي لا خير فيهم. فعلى قراءة (**نَكَداً**) بفتح الكاف، على المصدر أي ذا نكد، يقال نَكَدَ الغراب: استقصى في شحيجه، وناقةٌ نكداء: لا لبن فيها أبداً. أما (**نَكِداً**) بكسرها، أصل النَّكِد: العسر القليل الذي لا يخرج إلا بعناء ومشقة، يقال نَكِدت البئر: قل ماؤها(٥٥٤).

١١ ـ ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأعراف: ٥٩].

---

(٥٥٢) تفسير الدر المصون (٢٨٦/٣).

(٥٥٣) تفسير البيضاوي ص ٢٠٩. وانظر: تفسير القرطبي (٢٠٢/٤). وتفسير الكشاف (١٦٢/٢). وتفسير زاد المسير (٢٢٠/٣).

(٥٥٤) انظر: صفوة البيان ص ٢٠٩.

أولاً: القراءات:

١. قرأ أبو جعفر والكسائي بخفض الراء وكسر الهاء بعدها (مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرِهِ).

٢. وقرأ الباقون (مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُ) برفع الراء وضم الهاء(٥٥٥).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

﴿إِلَٰهٍ﴾: وهو التعبد فالإله الله تعالى، وسمي بذلك لأنه معبود، ويقال تألّه الرجل، إذا تعبد(٥٥٦).

﴿غَيْرُ﴾: يدل على صلاح وإصلاح ومنفعة، والآخر على اختلاف شيئين، وهذا الذي نحن بصدده هذا الشيء غير ذاك، أي هو سواه أو خلافه(٥٥٧).

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

الآية الكريمة تضمن القسم الرباني بإرسال الرسل رحمة للبشر من الله ﷻ ثم للتنبيه والتحذير من سوء عاقبة الكفر الوخيمة.

* قال الطبري: «﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ﴾ أقسم ربنا جل ثناؤه للمخاطبين بهذه الآية أنه أرسل نوحاً إلى قومه منذرهم بأسه؛ ومخوفهم سخطه على عبادتهم غيره فقال لمن كفر منهم ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ الذي له العبادة وذلوا له بالطاعة وخضعوا له بالاستكانة، ودعوا عبادة من سواه من الأنداد والآلهة، فإنه ليس لكم معبود يستوجب عليكم العبادة غيره ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾﴾ إن لم تفعلوا ذلك عذاب يوم عظيم، يعني عذاب يوم يعظم فيه بلاؤكم بمجيئه إياكم بسخط ربكم»(٥٥٨).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُ) برفع غيره، أي ما لكم إله غيره نعت على الموضع، وقيل غير بمعنى إلا أي ما لكم من إله إلا الله؛ قال

(٥٥٥) النشر في القراءات العشر (٢/٢٠٣).

(٥٥٦) معجم مقاييس اللغة (١/١٢٧).

(٥٥٧) انظر: نفس المرجع السابق (٤/٤٠٣).

(٥٥٨) تفسير الطبري (٥/١٥٠ ـ ١٥١).

أبو عمرو[٥٥٩]: ما أعرف الجر ولا النصب وقرأ الكسائي بالخفض على الموضع ويجوز النصب على الاستثناء وليس بكثير، غير أن الكسائي والفراء:[٥٦٠] أجازا نصب غير في كل موضع يحسن فيه إلا تم الكلام أو لم يتم فأجازا ما جاءني غيرك، قال الفراء: هي لغة بعض بني أسد وقضاعة[٥٦١].

* قال صاحب الكشف: «(مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرِهِ) و(وهل مِّنْ خالَـقٍ غَيْرِ الله) [فاطر: ٣] قرأهما الكسائي بالخفض حيث وقعا، ووافقه حمزة على الخفض في (هل مِّنْ خالَـقٍ غَيْرِ الله) وقرأ الباقون بالرفع. وحجة (إِلَـهٍ) و(خالَـقٍ) على اللفظ، وموضع (إِلَـهٍ) و(خالَـقٍ) موضع رفع على الابتداء، (مَا لَكُم) و(ويرزقكُم) الخبر أو يضمر الخبر كأنه قال: ما لكم من إله غير الله في الوجود. وحجة من رفع أنه جعل (غَيْرُهُ) بدلاً من (إِلَـهٍ) ومن (خالَـقٍ) على الموضع ويجوز أن يكون (غَيْرِ) صفة لـ (إِلَـهٍ) ولـ (خالَـقٍ)على الموضع كقوله: (وَمَا مِنْ إِلَـهٍ إِلاَّ الله) أي: غير الله [آل عمران: ٦٢]»[٥٦٢].

* قال الدكتور محيسن: «قرأ الكسائي، وأبو جعفر، و(غَيْرِهِ) بخفض الراء وكسر الهاء، على النعت، والبدل من (إِلَـهٍ) لفظاً؛ وقرأ الباقون (غَيْرُهُ) برفع الراء، وضم الهاء، على النعت أو البدل من (إِلَـهٍ) محلاً؛ لأن من زائدة، وإله مبتدأ[٥٦٣].

---

(٥٥٩) أبو عمرو: هو زبَّان بن العلاء بن عمار بن العريان بن عبدالله التميمي المازني البصري، مقرئ البصرة، ولد أبو عمرو سنة ثمانية وستين بمكة، أخذ القراءة عن أهل الحجاز، وأهل البصرة وأهل الكوفة، انتهت إليه إمامة القراءة بالبصرة، توفي - رحمه الله - بالكوفة سنة أربع وخمسين ومائة.

(٥٦٠) الفراء هو: أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء الكوفي النحوي من أجلِّ أصحاب الكسائي، كان رأساً في النحو والعربية، قيل لولاه لما كانت العربية فهو الذي هذبها وضبطها. توفي سنة سبعة ومئتين هـ. انظر شذرات الذهب (١٩/١).

(٥٦١) تفسير القرطبي ٢٠٤/٤. وتفسير الشوكاني٢١٦/٢. وتفسير البيضاوي ٢٠٩.

(٥٦٢) الكشف ص ٤٦٧. صاحب إملاء ما منَّ به الرحمن ص ٢٨٤.

(٥٦٣) انظر: المستنير (١٩٢/١).

خامساً: وبالجمع بين القراءتين نجد أن العلاقة بينهما تفسيرية فقراءة الرفع، الخفض تؤكدان أن جميع الديانات التي جاء بها الرسل والأنبياء تتفق في المبدأ الأسمى وهو التوحيد **(لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا)** [الأنبياء: ٢٢] فلو كان في الكون آلهةً أخرى لفسد نظام الكون، ولأن تعدد الأفراد يلزم منه تعدد الأمزجة واختلافها، وما دام هناك اختلاف فلا يكون هناك استقرار لكل شيء؛ وهذا خلاف الحقيقة.

١٢ - **﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾﴾** [الأعراف: ٦٢].

أولاً: القراءات:

١. قرأ أبو عمرو **(أُبْلِغُكُمْ)** بتخفيف اللام.

٢. وقرأ الباقون **(أُبَلِّغُكم)** بتشديدها(٥٦٤).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

﴿بَلَغَ﴾ : البلوغ والبلاغ الانتهاء إلى أقصى المقصد والمنتهى مكاناً كان أو زماناً أو أمراً من الأمور المقدورة، وربما يعبر عن المشارفة عليه، وإن لم ينته إليه يقال بلغته الخبر وأبلغته مثله وبلغته أكثر، والبلاغة تقال على وجهين: أحدهما أن يكون بذاته بليغاً وذلك بأن يجمع ثلاثة أوصاف صواباً في موضوع لغته، وطبقاً للمعنى المقصود به، وصدقاً في نفسه، ومتى اخترم وصفٌ من ذلك كان ناقصاً في البلاغة.

والثاني: أن يكون بليغاً باعتبار القائل والمقول، وهو أن يقصد القائل أمراً فَيَرِده على وجه حقيق أن يقبله المقول له(٥٦٥).

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

* الآية الكريمة تحمل في طياتها مهمة الرسل المرسلين، وهذا شأن

---

(٥٦٤) النشر في القراءات العشر (٢/٢٠٣).

(٥٦٥) معجم مفردات ألفاظ القرآن ص ٥٨.

الرسول أن يكون مبلغاً فصيحاً، ناصحاً عالماً بالأمور الغيبية والأمور التي لا علم لهم بها، وخاصة العلم بالله الذي لا يدركه أحد من الخلق.

* قال سعيد حوى: «(**أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاَتِ رَبِّي**) هذا بيان لكونه رسول رب العالمين، ومن ثم يقوم بالبلاغ، والمراد برسالات ربي هنا ما أوحي إليه في الأوقات المتطاولة، أو في المعاني المتعددة من الأوامر والنواهي والمواعظ والبشائر والمذكرات (**وَأَنصَحُ لَكُمْ**) أي: أقصد صلاحكم بإخلاص النصح لكم؛ ثمّ قال أنصح لكم ولم يقل وأنصحكم ليفيد مبالغته في تمحيصهم النصيحة وحقيقة النصح: إرادة الخير لغيرك مما تريده لنفسك، أو نهاية في صدق العناية ـ وَأَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ـ أي من صفاته يعني قدرته الباهرة وشدة بطشه على أعدائه، وأن بأسه لا يُرد عن القوم المجرمين»[٥٦٦].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة جملة (**أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاَتِ رَبِّي**) في محل رفع على أنها صفة لرسول، أو هي مستأنفة مبينة لحال الرسول والرسالات ما أرسله الله به إليهم مما أوحاه إليه وَ(**أَنصَحُ لَكُمْ**) عطف على (**أُبَلِّغُكُمْ**) يقال نصحته ونصحت له وفي زيادة اللام دلالة على المبالغة في محاض النصح قال الأصمعي[٥٦٧]: الناصح الخالص من الغل، وكل شيء خلص فقد نصح فمعنى أنصح هنا أخلص النية لكم عن شوائب الفساد، والاسم النصيحة وجملة (وأعلم من الله ما لا تعلمون) معطوفة على الجملة التي قبلها مقررة لرسالته ومبينة لمزيد علمه وأنه يختص بعلم الأشياء التي لا يعلمونها

---

(٥٦٦) تفسير الأساس (١٩٣٢/٤).

(٥٦٧) الأصمعي هو: عبد الملك بن قريب بن علي بن أجمع الباهلي، أبو سعيد الأصمعي، رواية العرب، وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان، نسبته إلى جدّه أصمع، مولده ووفاته بالبصرة، كان كثير التطوف على البوادي، يقتبس علومها ويتلقى أخبارها، له كتاب سما الأصمعيات، جمع فيه بعض القصائد التي تفرد=

بإخبار الله له بذلك[٥٦٨].

أما قراءة (**أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي**) [الأعراف: ٧٩]. والحجة لمن خفف: أنه أخذه من أبلغ ودليله الآية الكريمة [الأعراف: ٧٩].

(**أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاَتِ رَبِّي**) بالتشديد فالحجة لمن شدّد أنه أراد: تكرير الفعل، ومداومته، ودليله قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ) [المائدة: ٦٧][٥٦٩].

* قال العكبري: (**أُبَلِّغُكُمْ**) يجوز أن يكون مستأنفاً، وأن يكون صفة لرسول على المعنى؛ لأن الرسول هو الضمير في (**لكني**) ولو كان يبلغكم لجاز لأنه يعود على لفظ رسول، ويجوز أن يكون حالاً، والعامل فيه الجار من قوله: من رب (**وَأَعْلَمُ مِنَ اللّهِ**) بمعنى أعرف، فيتعدى إلى مفعول واحد، وهو (**ما**) وهي بمعنى الذي أو نكرة موصوفة، ومن الله فيه وجهان: أحدهما هو متعلق بأعلم: أي ابتداء علمي من عند الله، والثاني: أن يكون حالاً من (**ما**) أو من العائد المحذوف[٥٧٠].

خامساً: وبالجمع بين القراءتين نجد أنَّ البلوغ والبلاغ كليهما الانتهاء إلى أقصى المقصد؛وهذا ما فعله النبي ﷺ فقال (إنما بعثني الله مبلغاً لا معنتاً، ولكن بعثني معلماً وميسراً)[٥٧١] فعليه أن يبلغ رسالة ربه فمن شاء فليؤمن، ومن شاء فليكفر[٥٧٢].

فالبلاغ هو إنهاء الأمر إلى صاحبه؛ فيقال بلغت المكان الفلاني. . .أي انتهيت إليه؛ والبلاغة هي النهاية في أداء العبارة الجميلة و(**أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاَتِ**

= الأصمعي برواياتها، مات سنة ست عشرة ومائتين. انظر تاريخ بغداد أو مدينة السلام. للحافظ أبي بكر بن أحمد بن الخطيب البغدادي (١٠/٤١٠).

(٥٦٨) انظر: تفسير الشوكاني (٢/٢١٦). وتفسير البغوي (٣/٢٤١).

(٥٦٩) الحجة ص ٨٦.

(٥٧٠) إملاء ما من بّه الرحمن ص ٢٨٤.

(٥٧١) أخرجه مسلم في صحيحه. كتاب الطلاق باب بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقاً إلا بالنية حديث رقم ٣٧٦٣. جزء من حدبث.

(٥٧٢) انظر: المستنير (١/١٩٣).

رَبِّي) أي أنهي إليكم ما حملنيه الحق من منهج هداية لاستمرار حياتكم الكريمة، وجمعت رسالات: يعني المناهج الثابتة التي جاءت بها الرسالات السابقة(٥٧٣).

١٣ ـ ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الأعراف: ٦٦].

أولاً: **القراءات:**

١. قرأ ابن عامر (**وقَالَ الْمَلأُ**) بزيادة واو قبل قال.

٢. وقرأ الباقون (**قَالَ الْمَلأُ**) بغير واو قبل قال(٥٧٤).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

﴿ٱلْمَلَأُ﴾ : أصلها من الميم، واللام، والحرف المعتل أصل صحيح يدلّ على امتداد في شيء زمان أو غيره، وأمليت القيد للبعير إملاء، وإذا وسعته وتمليت عمري إذا استمتعت به(٥٧٥).

والملأ جماعة يجتمعون على رأي، فيملئون العيون رِواءً ومنظراً، والنفوس بهاءً وجلالاً؛ ويقال فلان ملء العيون أي معظمٌ عند من رآه كأنه ملأ عينه من رؤيته(٥٧٦).

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

الآية الكريمة تتحدث عن قوم سيدنا هود عليه السلام الذين جحدوا توحيد الله عز وجل وأنكروا رسالة هود عليه السلام إليهم.

* قال ابن كثير: «(**قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِ**) والملأ هم الجمهور والسادة والقادة منهم (**إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وِإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ**) أي في

---

(٥٧٣) انظر: تفسير الشعراوي (٤١٩٤/٧).

(٥٧٤) النشر في القراءات العشر (٢٠٣/٢).

(٥٧٥) معجم مقاييس اللغة (٥ /٣٥٢).

(٥٧٦) معجم مفردات ألفاظ القرآن ص ٤٩٢.

ضلالة حيث تدعونا إلى ترك عبادة الأصنام والإقبال على عبادة الله»[٥٧٧].

وذلك بقولهم لرسولهم إنّا لنراك في سفاهة وفي ضلال عن الحق والصواب، ببعدك عن ديننا، وعبادة آلهتنا الذين اتخذوا لهم الصور والتماثيل، تخليداً لذكراهم في نفوسهم، والتقرب إليهم من أجل الشفاعة.

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (**قَالَ الْمَلأُ**) بأن الملأ: الأشراف والسادة، قيل: سموا بذلك؛ لأنهم يملؤون الصدور بعظم شأنهم، وقيل الرجال ليس معهم نساء سموا بذلك لأنهم يملؤون المحافل[٥٧٨].

* قال محيسن: «(**قَالَ الْمَلأُ**) في قصة نبي الله صالح عليه السلام (قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِ) [الأعراف: ٧٤].

وأفادت قراءة (**وقَالَ الْمَلأُ**) بزيادة واو قبل قال، وذلك للعطف على ما قبله وهذه القراءة موافقة لرسم المصحف الشامي، وقرأ الباقون (**قَالَ الْمَلأُ**) بغير واو قبل اكتفاء بالربط المعنوي، وهذه القراءة موافقة لرسم باقي المصاحف[٥٧٩].

* قال النسفي: «(**قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِ**) أي الأشراف والسادة، (**مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ**) أي بين في ذهاب عن طريق الصواب؛ الرؤية رؤية قلبية، (**قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلاَلَةٌ**) ولم يقل ضلال كما قالوا لأن الضلالة أخص من الضلال فكانت أبلغ في نفي الضلال عن نفسه كأنه قال ليس بي شيء من الضلال ثم استدرك لتأكيد نفي الضلال»[٥٨٠].

* قال أبو منصور: «(**قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ**) قرأ ابن عامر وحده

---

(٥٧٧) تفسير القرآن العظيم (١٩٨/٢).

(٥٧٨) الحجة ص ٨٦. الكشف (٤٦٧/١).

(٥٧٩) انظر: تفسير المغني (١٤٢/٢).

(٥٨٠) تفسير النسفي (١ ـ ٥٨/٢).

(وقَالَ الْمَلأُ) بواو، وكذلك هي في مصاحفهم، قال أبو منصور: الواو وحذفها لا يغير المعنى(٥٨١).

خامساً: وبالجمع بين القراءتين يتبين أنه للاختلاف في إثبات الواو، أو حذفها أثر معنوي أو نحوي من حيث جواز عطف جملة على جملة من غير الإتيان بحرف العطف لوجود الرابط المعنوي بين الجملتين، فقراءة ابن عامر **(وقَالَ الْمَلأُ)** بزيادة واو وقبل قال فإثباتها من باب العطف؛ ولعله ذكر بالواو؛ لأن كلامهم لم يتصل بكلام الرسول ﷺ بخلاف قول قوم نوح حيث استؤنف به فعلى تقدير سؤال **(وقَالَ الْمَلأُ)** الواردة في قصة صالح والواقع بعد كلمة المفسدين. وقراءة الباقين **(قَالَ الْمَلأُ)** بغير واو وقبل القاف، فحذفها على الابتداء، أي الاستئناف ففصلت جملة (قال) على طريقة الفصل في المحاورات، واقترن التأكيد للدلالة على أنهم حققوا وأكدوا اعتقادهم أن نوحاً منغمسٌ في الضلالة(٥٨٢).

وفي القراءتين دليل على الوصف وهنا محمول على أنه للذم لا للتميز، ومقتضى المقام يقتضي ذمهم ـ لشدة عنادهم ـ كما يدل عليه جوابهم.

١٤ ـ ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾﴾ [الأعراف: ٨١].

أولاً: **القراءات:**

١. قرأ نافع، والكسائي، وحفص عن عاصم، وأبو جعفر **(إِنَّكُمْ)** بهمزة واحدة مكسورة.

٢. وقرأ الباقون **(أَإِنَّكُمْ)** بهمزتين على صيغة الاستفهام(٥٨٣).

---

(٥٨١) كتاب المعاني ص ١٨٢. ملاحظة الحديث عن الآية ٧٥.

(٥٨٢) انظر: تفسير الفريد (٣٢١/٢).

(٥٨٣) النشر في القراءات العشر (٢٠٣/٢).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

﴿إنَّ﴾ : أن، إن: ينصبان الاسم ويرفعان الخبر[٥٨٤].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

تكشف الآية الكريمة عن أخس قوم وهم الذين يبتغون الشهوة وحدها، فهم أخس من سائر أفراد الحيوان، فالذكور تطلب الإناث بدافع الشهوة والفطرة السليمة، وحفاظاً على النسل والنوع، ولكنَّ هؤلاء المجرمين شذوا عن الفطرة لأغراض لهم ألا وهي إرضاء شهواتهم.

* قال الجزائري: «قال لقومه الذين أرسل إليهم منكراً عليهم فعلتهم **(أَتَأْتُونَ الفَاحِشَةَ)** وهي إتيان الرجال في أدبارهم **(مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّن الْعَالَمِينَ)** أي لم يسبقكم أحد من الناس قاطبة، وواصل هذا إنكاره هذا المنكر موبخاً هؤلاء الذين هبطت أخلاقهم إلى درك لم يهبط إليه أحد غيرهم **(إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً)** من دون النساء هي المفطور عليها الإنسان، ولكنه الإجرام والتوغل في الشر والفساد والإسراف في ذلك، والإسراف لا يقف عند حدّ»[٥٨٥].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة **(إِنَّكُمْ)** بهمزة واحدة مكسورة بصيغة الخبر، فالبيان راجع إلى الشيء المنكر بهمزة الإنكار، من **(أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ)** وبه يعرف بيان الإنكار، ويجوز اعتباره خبراً مستعملاً في التوبيخ، ويجوز تقدير همزة استفهام حذفت للتخفيف، ولدلالة ما قبلها عليها.

أفادت قراءة **(أَإِنَّكُمْ)** بهمزتين على صيغة الاستفهام فالبيان للإنكار، وبه يعرف بيان المنكر فالقراءتان متساويتان[٥٨٦].

---

(٥٨٤) انظر: معجم مفردات ألفاظ القرآن ص٢٢. للمزيد من المعلومات يمكنك الإطلاع ص ١٣١.

(٥٨٥) انظر: أيسر التفاسير (١٩٩/٢).

(٥٨٦) انظر: تفسير التحرير والتنوير (٢٣١/٥). والمقتطف (٢٤٢/٢).

* قال أبو السعود: «(إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ) خبر مستأنف لبيان تلك الفاحشة، وقرئ بهمزتين صريحتين وبتليين الثانية بغير مد، وبمد أيضاً على أنه تأكيد للإنكار السابق وتشديد في التوبيخ وفي زيادة أن واللام مزيد توبيخ وتقريع، وكأن هذا أمر لا يتحقق صدوره عن أحد فيؤكد تأكيداً قوياً وفي إيراد لفظ (الرِّجَالَ) دون الغلمان والمردان ونحوهما مبالغة في التوبيخ»[٥٨٧].

* قال ابن خالويه: «(إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ) يقرأها هنا بالاستفهام والإخبار، فالحجة لمن استفهم ثانياً: أنه جعله جواباً، واستدل بقوله تعالى: (آللّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللّهِ تَفْتَرُونَ) [يونس: ٥٩] فأعاد الاستفهام إذا كان عليها دليل من (أم) والحجة لمن قرأه بالإخبار: أنه اجتزأ بالأول من الثاني ودليله: (أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ) [الأنبياء: ٣٤]»[٥٨٨].

خامساً: وبالجمع بين القراءتين نجد أن العلاقة بلاغية وأن الغرض منها التقريع والإنكار والتوبيخ؛ كأن هذا الفعل الشنيع لا ينبغي أن يصدر من أحد؛ كما أنه لم يسبقهم إليه أحد. قرأ نافع، والكسائي، وحفص عن عاصم، وأبو جعفر (إِنَّكُمْ) بهمزة واحدة مكسورة، على الخبر، لأن الإستفهام في الجملة الأولى هي (أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ) يغني عن الاستفهام في الجملة الثانية لدلالته عليها؛ بينما قراءة الباقين (أَإِنَّكُمْ) بهمزتين على صيغة الاستفهام الذي فيه بيان وتفسير للفاحشة، فالهمزة تضمنت الإنكار والتوبيخ لفظاعة الفاحشة، التي لم تكن لغرض أو هدف سوى الفاحشة التي زينها لهم الشيطان وأوقعهم بها.

١٥ ـ ﴿أَوَ أَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾﴾ [الأعراف: ٩٨].

أولاً: القراءات:

١. قرأ المدنيان، وابن كثير، وابن عامر (أَوْ أَمِنَ) بإسكان الواو.

---

(٥٨٧) تفسير أبو السعود ٢/٣٦٧.

(٥٨٨) الحجة ٨٦. والمقتطف ٢/٢٤٢. والفريد٢/٣٣٠.

٢. وقرأ الباقون (أَوَ أَمِنَ) بفتح الواو[٥٨٩].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

﴿ءَامَنَ﴾ : الهمزة، والميم، والنون، أصلان متقاربان: أحدهم الأمانة التي هي ضد الخيانة، ومعناها سكون القلب؛ والآخر التصديق، والمعنيان كما قلنا متدانيان، قال الخليل[٥٩٠]: الأمنة من الأمن والأمان إعطاء الأمنة، والأمانة ضد الخيانة[٥٩١]. وأصل الأمن طمأنينة النفس، وزوال الخوف والأمن والأمانة والأمان في الأصل مصادر ويجعل الأمان تارة اسماً للحالة التي يكون عليها الإنسان في الأمن، تارة اسماً لما يؤمن عليه الإنسان[٥٩٢].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

الآية تحمل في طياتها تهديداً ووعيداً؛ حيث إنه ﷻ يخوفهم نزول العذاب بهم في أوقات الغفلات والسهوات إما وقت النوم، أو وقت الضحى، إذ في مثل هذه الأوقات يكثر تشاغل الناس باللذات.

* قال الصابوني: «(**أَوَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى**) إنكار بعد إنكار، للمبالغة في التوبيخ، ولم يقصد الترتيب بينهما، فلذا لم يؤت بالفاء (**أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى**) أي ضحوة النهار بعد طلوع الشمس. والضحى: امتداد النهار والضَّحْوةُ مثله، وجمعه ضُحًى، مثل قرية وقُرًى (**وَهُمْ يَلْعَبُونَ**) أي يلهون من فرط الغفلة، أو يشتغلون بما لا ينفعهم، كأنهم يلعبون»[٥٩٣].

---

(٥٨٩) النشر في القراءات العشر (٢٠٣/٢).

(٥٩٠) الخليل هو: بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي الأزدي، اليحمدي أبو عبد الرحمن، من أئمة اللغة والأدب، وواضع علم العروض، من مؤلفاته العين في اللغة، ومعاني الحروف، والفراهيدي نسبة إلى بطن من بطون الأزد، وهو نحوي، لغوي، عَروضي، لم يسبقه إلى هذا العلم أحد. انظر إنباه الرواة (٣٧٦/١).

(٥٩١) معجم مقاييس اللغة (١٣٣/١).

(٥٩٢) معجم مفردات ألفاظ القرآن ص ٢١.

(٥٩٣) المقتطف (٢٥٠/٢).

* قال سيد قطب: «أفأمنوا أن يأتيهم بأس الله. . .(ضحى وهم يلعبون . . .) واللعب يستغرق اليقظة والتحفيز، ويلهي عن الأهبة والاستعداد، فلا يملك الإنسان وهو غارق في لعبه، أن يدفع عن نفسه مغيراً، فكيف بغارة الله!؟ التي لا يقف لها الإنسان وهو أشد ساعات جده وتأهبه للدفاع»(٥٩٤).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (**أَوْ أَمِنَ**) بسكون الواو جعل (**أَوْ**) عاطفة ومعناها التنوع لا أنّ معناها الإباحة، أو التخيير خلافاً لمن ذهب إلى ذلك، وحذف ورش همزة أمن ونقل حركتها إلى الواو الساكنة.

وأفادت قراءة الباقين بهمزة الاستفهام بعدها واو العطف وتكرر لفظ (**أَهْلُ الْقُرَى**) لما في ذلك من التسميع والبلاغ والتهديد والوعيد بالسامع ما لا يكون في الضمير لو جاء (أو أمنوا) فإنه متى قصد التفخيم والتعظيم والتهويل جيء بالاسم الظاهر(٥٩٥).

* قال الطاهر بن عاشور: «(**أَوْ أَمِنَ**) قرأ نافع، وابن كثير، وابن عامر، وأبو جعفر بسكون الواو على أنه عطف بحرف أو الذي هو لأحد الشيئين عطفاً على التعجب، أي هو تعجب من أحد الحالين؛ وقرأ الباقون بـ (فتح) الواو على أنه عطف بالواو مقدمة عليه همزة الاستفهام، فهو عطف استئناف ثان بالواو المفيدة للجمع؛ فيكون كلا الاستفهامين مدخولاً لفاء التعقيب، على قول جمهور النحاة، وأما على رأي الزمخشري: فيتعين أن تكون الواو للتقسيم، أي تقسيم الاستفهام إلى استفهامين»(٥٩٦).

* قال الكرماني: «(**أَوَ أَمِنَ**) هذه واو العطف دخلت عليه همزة الاستفهام، وقرأ (**أَوْ**) بسكون الواو ويكون المعنى: (أفأمنوا) يعني استفهام

---

(٥٩٤) تفسير الظلال (٣/١٣٤٠).

(٥٩٥) تفسير البحر المحيط (٥/١٢٠). الكشف (١ /٤٦٩).

(٥٩٦) التحرير والتنوير (مج ٥/٢٣).

استنكاري[٥٩٧].

ومن قرأ بفتح الواو جعلها واو العطف دخلت عليها همزة الاستفهام، ويقوى ذلك أن الحرف الذي قبله والذي بعده، وهو الفاء، دخلت عليه همزة الإستفهام، وكذلك: **(أَوَلَمْ يَهْدِ)** [الأعراف: ١٠٠] فحمل وسط الكلام على ما قبله وما بعده، للمشاكلة والمطابقة في إتفاق اللفظ، في دخول الهمزة عليه كله والملاحظ أن الكلام من أوله إلى آخره رسالة لكل صاحب نهار منهم أن لا يأمن بأس الله ليلاً أو نهاراً، وكذا صاحب الليل منهم أن لا يأمن بأس الله نهاراً أو ليلاً.

خامساً: وبالجمع بين القراءتين نجد أن العلاقة بينهما علاقة تفسيرية تتضمن إنكاراً بعد إنكار للمبالغة في التوبيخ والتشديد، ولذلك لم يقل فأمن أهل القرى؛ وحجة من أسكن الواو أنه جعلها (أَوْ) للعطف، على معنى الإباحة مثل: (وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا) [الإنسان: ٢٤] أي لا تطع هذا الجنس، فالمعنى: أفأمنوا هذه الضروب من العقوبات؛ أي: إن أمنتم ضرباً منها فلا تأمنوا الآخر، أو جعل (أَوْ) للعطف على معنى أحد الشيئين، والتقدير: أفأمنوا إحدى هذه العقوبات؛ فهو توبيخ وتقريع لأولئك الذين أمنوا مكر الله. وعلى ذلك تضمن الآية الكريمة الخبر والاستفهام الإنكاري، وفي كليهما إعجاز قرآني تنوعت الأساليب واتفقت المعاني[٥٩٨].

١٦ - ﴿حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الأعراف: ١٠٥].

أولاً: القراءات:

١. قرأ نافع (**حَقِيقٌ عَلَيَّ أَن**) بتشديد الياء وفتحها على أنها ياء إضافة.

٢. وقرأ الباقون (**حَقِيقٌ عَلَى أَن**) على أنها حرف جر[٥٩٩].

---

(٥٩٧) مفاتيح الأغاني ص١٨٠.

(٥٩٨) الحجة ص ٨٦. انظر القراءات وأثرها في التفسير (٢ /٩١٦).

(٥٩٩) النشر في القراءات العشر (٢/٢٠٣).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

﴿حق﴾ : أصل الحق المطابقة والموافقه كمطابقة رجل الباب في حقه لدورانه على استقامة، والحق يقال على أوجه: الأول: يقال لموجد الشيء بسبب ما تقتضيه الحكمة، ولهذا يقال في حق الله تعالى هو الحق.

والثاني: يقال للموجد بحسب مقتضى الحكمة ولهذا يقال فعل الله تعالى كله حق، والثالث: في الاعتقاد للشيء المطابق لما عليه ذلك الشيء في نفسه كقولنا اعتقاد فلان في البعث والثواب والعقاب والجنة والنار حق، والرابع: للفعل والقول الواقع بحسب ما يجب وبقدر ما يجب وفي الوقت الذي يجب، كقولنا: فعلك حق وقولك حق، وإحقاق الحق على ضربين: أحدهما بإظهار الأدلة والآيات والثاني: بإكمال الشريعة وبثها في الكافة؛ وحقيق: معناها جدير، وقرئ حقيق عليَّ يعني واجب[٦٠٠].

ثالثا: التفسير الإجمالي للآية:

الآية الكريمة اشتملت على عقيدة التوحيد، وهي أنّ للعالمين رباً واحداً لا شريك له، وأنّ مهمة الرسل تبليغ الرسالة كاملة، وأنّ من خصائص المرسلين العصمة في التبليغ والهداية.

* قال الصابوني: «(**حَقِيقٌ عَلَى أَن لاَّ أَقُولَ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقَّ**) أي جدير بي، وحقٌّ عليَّ أن لا أقول على الله إلا ما هو حق وصدق !! يعني إني رسولٌ، والرسول لا يقول على الله إلا الحق (**قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ**) لم يكن هذا القول منه عليه السلام، إثر ما ذكر ههنا، بل بعدما جرى بينهما من المحاورة، المحكية بقوله تعالى: (**قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى؟**) [طه: ٤٩]. وقوله تعالى: (**قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ؟**) [الشعراء: ٢٣]. وطوي ههنا ذكره للإيجاز (**فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ**) أي خلِّ بيني وبينهم ليذهبوا معيَ إلى بيت المقدس[٦٠١].

(٦٠٠) معجم مفردات ألفاظ القرآن ص ١٢٤ ـ ١٢٥.

(٦٠١) انظر: المقتطف من عيون التفاسير (١/٢٥٤).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد أفادت كل من القراءتين ضرورة الحرص على الحق؛ بل وعلى ضرورة قول الحق، فقراءة التشديد (حَقِيقٌ عَلَيَّ أَن) التأكيد والتكرار والحرص في التبليغ، والحجة لمن شدد: أنه أضاف الحرف إلى نفسه، فاجتمع فيه ياءان: الأولى من أصل الكلمة، والثانية ياء الإضافة، فأدغمت الأولى في الثانية لالتقاء الساكنين (لديَّ) أو (إليَّ) وفي المعنى زيادة توكيد.

أفادت قراءة (**حَقِيقٌ عَلَى أَن**) جواب لتكذيبه عليه السلام المدلول عليه بقوله سبحانه: (**فَظَلَمُواْ بِهَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ**) [الأعراف: ١٠٣] وحقيق صفة رسول أو خبر بعد خبر وقيل: خبر مبتدأ محذوف أي أنا حقيق وهو بمعنى جدير، و(على) بمعنى الباء كما قال الفراء أو بمعنى حريص وعلى ظاهرها قال أبو عبيدة: أو بمعنى واجب واستشكل بأن قول الحق هو الواجب على موسى عليه السلام لا العكس والكلام ظاهر فيه، وأجيب بأن أصله (حقيق على) بتشديد الياء كما في قراءة نافع أن لا أقول...الخ، فقلب لا من الالتباس(٦٠٢).

أفادت قراءة (**حَقِيقٌ عَلَى أَن**) بدون ضمير في على قيل في توجيهه أنه على معنى الباء، أي (حقيق بأن لا أقول) ويؤيده قراءة أبَي والأعمش فإنهما قرءا حقيق بأن لا أقول، وقيل إن حقيق مضمن معنى حريص، وقيل إنه لما كان لازماً للحق كان الحق لازماً له، فقول الحق حقيق عليه وهو حقيق على قول الحق(٦٠٣).

خامساً: بالجمع بين القراءتين يتوجب على القارئ أن يعلم بأنهما تؤكدان صدق موسى عليه السلام حين كذبت دعوة توحيد الحق تعالى وتنزيهه عن الولد والشريك؛ فأجاب (**حَقِيقٌ عَلَيَّ أَن لاَّ أَقُولَ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقَّ**) وهنا بمعنى حق عَلَيَّ بل يتوجب عَلَيَّ ألا أتكلم إلا بالحق (**فَعَلَى**) هنا بمعنى الباء قال الفراء:

(٦٠٢) روح المعاني (٩ ـ ١٨/١٠). تفسير البغوي (٢٦٢/٣).

(٦٠٣) فتح القدير (٢٣١/٢).

العرب تجعل (عَلَى) بمعنى الباء تقول: رميت على القوس، وبالقوس، وجئت على حال حسنةٍ، وبحال حسنةٍ، وفي حرف عبد الله (حَقِيقٌ بأَن لاَ أَقُولَ) والمعنى حقيق بأن لا أقول، وقرأ نافع (عَلَيَّ) مشددة الياء قال الزجاج: المعنى أوجب عليّ تَرك القول على الله إلا بالحق وهو أنه لا إله غيره، ومعناه موسى، قال: واجب عليّ أنْ لا أقول في وصف الله إلا ما هو حق، وهو توحيده وتنزيهه عن الشرك وكل نقص، وجدير بتبليغ الرسالة مهما جابهتني في سبيلها من صعاب(٦٠٤).

١٧ ـ ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾﴾ [الأعراف: ١١٢].

أولاً: القراءات:

١. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف (بِكُلِّ سَحَّارٍ) على وزن فَعَّال بتشديد الحاء وألف بعدها.

٢. وقرأ الباقون (بِكُلِّ سَاحِرٍ) على وزن فاعل والألف قبل الحاء(٦٠٥).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

﴿سِحْرٌ﴾: السين، والحاء، والراء، أصول ثلاثة متباينة: أحدها عضو من الأعضاء والآخر: خَدْعٌ وشبهة، والثالث: وقت من الأوقات؛ فالعضو السَّحر، وهو ما لصق بالحلقوم والمريء من أعلى البطن، ويقال بل هي الرئة؛ ويقال له السَّحْر، السَّحْر، السَّحَر، وأما الثاني: والذي نحن بصدده فالسِّحر، ويقال هو إخراج الباطل في صورة الحق ويقال هو الخديعة، وأما الوقت فالسَحَر(٦٠٦).

(٦٠٤) مفاتح الأغاني ص١٨١. الحجة ص٨٦.

(٦٠٥) النشر في القراءات العشر (٢/٢٠٣).

(٦٠٦) معجم مقاييس اللغة (٣/١٣٨).

ساحر: يعني أن يبالغ في إتقان السحر(٦٠٧).

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

الآية الكريمة توجه الخطاب إلى فرعون على لسان موسى عليه السلام طلب القوم من فرعون أن يؤخر الفصل في أمره، وأمر أخيه، وأنْ أرسل في المدائن جندك، وعيونك جامعين لك السحرة وسائقيهم إليك حتى يأتوك بكل ساحر عليم.

* يقول القاسمي: «تدل الآية على عظيم معجزة موسى عليه السلام كما تدل على جهل فرعون وقومه، حيث لم يعلموا أنَّ قَلب العصا حية لا يقدر عليه إلا الله تعالى حتى نسبوه إلى السحر والآية تدل على أنّ عادة البشر، أن أحدهم رأى أمراً عظيماً، أن يعارضه، لذلك دعا فرعون بالسحرة، بل وطلب أمهر السحرة»(٦٠٨).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءاتان المبالغة والشمول والتفاني من قبل فرعون؛ في مواجهة إبطال الحق وإحقاق الباطل، شأنه شأن كل فرعون في كل زمان ومكان.

* قال صاحب الكشف: «قرأ حمزة، والكسائي (**بِكُلِّ سَحَّارٍ**) على وزن فعّال، لأن فيه معنى المبالغة ولأنهم قد أجمعوا على ذلك، ويقوّي ذلك أنه قد جاء وصف (**عَلِيم**)، يدل على التناهي في عِلْم السِّحر؛ وقرأ الباقون (**بِكُلِّ سَاحِرٍ**) على وزن فاعل وجمعها سحرة مثل كاذب كذبة، فاجر

(٦٠٧) انظر: زبدة التفاسير. محمد متولي الشعراوي. ص١٩٠. أعده وعلق عليه وقدم له. عبد الرحيم متولي الشعراوي المكتبة التوفيقية القاهرة ـ مصر. وحيثما يأتي سأكتفي بقولي: زبدة التفاسير.

(٦٠٨) تفسير القاسمي: المسمى محاسن التأويل. (٢٨٣٣/٧). تأليف. محمد جمال الدين القاسمي. دار احياء الكتب العربية ـ ومكتبة فيصل عيسى البابي الحلبي. صححه ورقمه وخرج آياته وأحاديثه وعلق عليه. محمد فؤاد عبد الباقي. وحيثما يأتي سأكتفي بقولي: تفسير القاسمي.

فجرة (**لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِن كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ**) [الشعراء: ٤٠] لأن الفاعل من سَحَر ساحر»(٦٠٩).

* قال الطاهر بن عاشور: «قرأ الجمهور (**بِكُلِّ سَاحِرٍ**) وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف (**بِكُلِّ سَحَّارٍ**) على المبالغة في معرفة السحر فيكون وصف (**عَلِيم**) تأكيداً لمعنى البلاغة لأن وصف (**عَلِيم**) الذي هو في الأمثلة البلاغة لدلالة على قوة المعرفة بالسحر، وحذف متعلق (**عَلِيم**) لأنه صار بمنزلة أفعل السجايا والمقام يدل على أن المراد قوة علم السحر له»(٦١٠).

* قال ابن خالويه: «(**بِكُلِّ سَاحِرٍ**) يقرأ بإثبات الألف والتخفيف، وبطرحها والتشديد في كل القرآن إلا في [الشعراء: ٣٧] فإنه بالتشديد إجماع، فالحجة لمن شدد: أنه أراد تكرير الفعل والإبلاغ في العمل، والدلالة على أن ذلك ثابت لهم فيما مضى من الزمان، كقولهم: هو دخَّال خرَّاج إذا كثر ذلك منه وعرف به، والحجة لمن أثبت الألف وخفف أنه جملة اسم للفاعل مأخوذ من الفعل(٦١١).

خامساً: وبالجمع بين القراءتين نجد أن العلاقة بلاغية غرضها الإعجاز والتحدي، فقد طلب فرعون الإتيان بكل ساحر بلغ المنتهى في عمل السحر، وهي جواب الأمر لكل طاغية شأنه شأن فرعون، حيث إن الساحر هو الذي يَعْلمُ السحرَ ولا يُعَلِّمُ غيره يعني أنه يعمل بالسحر والساحر من يكون سحره في وقت دون وقت؛ أما السَّحار ليس هو الذي يَعْلَمُ ويُعَلِّمُ غيره، بل ويعمل ويمارس السِّحر في كل وقت بل في كل حالة يعني أنه يبالغ في إتقان السحر والمبالغات تأتي دائماً لضخامة الحدث، أو تأتي لتكرار الحدث، فسَّحار تعني أن سحره قوي جداً، والسحار من يديم السحر.

---

(٦٠٩) الكشف (١/٤٧١ ـ ٤٧٢).

(٦١٠) انظر: التحرير والتنوير (مج٥/٤٥).

(٦١١) الحجة ص٨٧. وتفسير البغوي (٤ /٢٦٤). وفتح القدير (٢/٢٣٢).

١٨ ـ ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [الأعراف: ١١٧].

أولاً: **القراءات:**

١. قرأ حفص (**تَلْقَفُ مَا**) بتخفيف القاف.

٢. وقرأ الباقون (**تَلَقَّفُ مَا**) بتشديدها[٦١٢].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

﴿لقف﴾ : لَقِفَ، ولَقْفاناً، والتَقَفَ الشيء: تناوله بسرعة أي بحذق ومهارة؛ لقفَ الحوض: تهور من أسفله واتسع فهو (لَقِف). لَقَّفَهُ الشيء: رماه إليه ليلتقفه والمعنى تبتلعه بسرعة[٦١٣].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

تصور الآية الكريمة موقف موسى عليه السلام حينما ألقى السحرة حبالهم وعصيهم، وقد جاءوا بسحر بارع استولى على خيال الناس فأربكهم وأرهبهم، وفي صعوبة هذا الموقف وخطورته، وقد أخذت دقات قلب موسى عليه السلام تتسارع خوفاً ورهبةً، أمر الله عز وجل بأن يبقى موسى عليه السلام لقي عصاه ليفصل بين الحق والباطل، والأمر كان عن طريق الوحي لتثبيت قلبه، وتقوية عزيمته، وتسكين روحه، فأمره أن يُلقي عصاه فألقاها، فإذا هي حية عظيمة تسعى وتلتقم كل ما يأفكون من حبال السحرة وعصيهم الباطلة فتبتلعهم.

* قال ابن كثير: «يخبر تعالى أنه أوحى إلى عبده ورسوله موسى عليه السلام في ذلك الموقف العظيم، الذي فرق الله تعالى به بين الحق والباطل، يأمره بأن يلقي ما في يمينه وهي عصاه (**فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا**) أي تأكل (**مَا يَأْفِكُونَ**) أي ما يلقونه ويوهمون أنه حق وهو باطل قال ابن عباس: فجعلت لا تمر

---

(٦١٢) النشر في القراءات العشر (٢/٢٠٣).

(٦١٣) انظر: منجد الطلاب ص ٦٩٠.

بشيء من حبالهم ولا خشبهم إلا التقمته فعرفت السحرة أن هذا شيء من السماء ليس هذا بسحر فخروا سجداً (**قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ**) [الشعراء: ٤٧ ـ ٤٨][٦١٤].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (**تَلَقَّف مَا**) بقاف مشددة وأصله تتلقف، أي تبالغ وتتكلف اللقف ما استطاعت، وقرأ حفص عن عاصم (**تَلْقَف مَا**) بسكون اللام وتخفيف القاف على صيغة المجرد (**تَلْقَف**) والتعبير بصيغة المضارع أي بمعنى تأخذ وتبتلع في قوله: (تَلقف) و(يأفكون) للدلالة على التجديد والتكرير، مع استحضار الصور العجيبة، أي: «فإذا هو يتجدد تلقفها لِما يتجدد ويتكرر من إفكهم وتسمية سحرهم إفكاً دليل على أن السحر لا معمول له بل هو كذب وزور وشعوذة، وهو مجرد تخييلات وتمويهات» والباحثة توافق الطاهر في رأيه فيما يمارسه أولئك المزورون للحقائق»[٦١٥].

* قال ابن زنجلة: «قرأ حفص عن عاصم (**تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ**) ساكنة اللام من (لقفت الشيء ألقفته) وقرأ الباقون (**تَلَقَّفُ مَا**) بتشديدها على وزن (تعَلّم يتعلم) والأصل تتلَّقفُ فحذفوا إحدى التاءين مثل (تذَّكَّرون) (يوم يأتي لا تُكلّم) أي: لا تتكلم»[٦١٦].

والمراد (**أَنْ أَلْقِ**) يجوز أن تكون أن المصدرية، وأن تكون بمعنى: أي (**فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ**) يقرأ بفتح اللام وتشديد مع تخفيف التاء مثل تكلم والأصل تتلقف فأدغمت الأولى في الثانية ووصلت بما قبلها فأغنى عن همزة الوصل، ويقرأ بسكون اللام وفتح القاف، وماضيه لقف مثل علم[٦١٧].

خامساً: **وبالجمع بين القراءتين نجد أنَّ** العلاقة بينهما بلاغية تبين أن

---

(٦١٤) انظر: تفسير ابن كثير (٢٠٩/٢).

(٦١٥) انظر: التحرير والتنوير (٤٩/٥).

(٦١٦) انظر: حجة القراءات ص ٢٩٢.

(٦١٧) انظر: إملاء ما منَّ به الرحمن (١ ـ ٢٢٨٩).

زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى وتأكيده في السرعة والخفة في ابتلاع ما يؤفك؛ فقراءة التشديد دلالة على تكثير المعنى والمبالغة فيه، وقراءة التخفيف تدل على السرعة والخفة في ابتلاع ما يؤفك، فحجة من قرأ بإسكان اللام وتخفيف القاف: أخذه من لقِفَ، يَلْقَفُ، تَلْقَفُ، ومعناها تلتقم وتلتهم؛ قال أبو منصور: لقفت الشيء ألقفه لقفاً، وهو أخذ الشيء بحذق في الهواء ورجل ثقفٌ لقفٌ إذا كان حاذقاً فهي دليل السرعة والخفة[618].

وهذه الخفة في عصى موسى التي التقفت كل شيء حيث وقع من العصي والحبال للدلالة على التجديد والاستمرار والسرعة؛ أما حجة من شدد: فمعنى أن تلتهم العصي والحبال التي تخيلت بسحر السحرة أنها حيات، ولم تكن بحيات، وتلقفت الشيء تلقفاً، إذا أخذته من الهواء فجعلت لا تمر بشيء من حبالهم ولا خشبهم إلا التقمته حتى أنّ الحاضرين هربوا فعرفت السحرة أن هذا شيء من السماء ليس هذا بسحر فخروا سجداً ووقع الحق.

١٩ ـ ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ [الأعراف: ١٢٧].

أولاً: القراءات:

١. قرأ المدنيان، وابن كثير (**سَنَقْتُلُ**) بفتح النون وإسكان القاف وضم التاء من غير تشديد.

٢. وقرأ الباقون (**سَنُقَتِّلُ**) بضم النون وفتح القاف وكسر التاء وتشديدها[619].

(٦١٨) الحجة ٨٨. انظر: كتاب معاني القراءات ص ١٨٦.

(٦١٩) النشر في القراءات العشر (٢/٢٠٣).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

﴿سَنَقْتل﴾: من الفعل الثلاثي **قتل**: وأصل القتل إزالة الروح عن الجسد كالموت، ولكن إذا اعتبر بفعل المُتَوَلّي لذلك يقال قَتْلٌ وإذا اعتبر بفوت الحياة يُقَالُ مَوْتٌ(٦٢٠).

هو أصل يدل على إذلال وإماتة يقال: قَتَلَهُ قَتْلاً، والقِتْلَة: الحال يقتل عليها؛ يقال قتله قِتلةً سوء والقتلةُ: المرة الواحدة، ومَقاتِلُ الإنسان: المواضع التي إذا أصيبت قتله ذلك(٦٢١).

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

يخبر الله ﷻ عما تمالأ عليه فرعون وملأه وما أضمروه لموسى عليه السلام وقومه من الأذى والبغضة ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ﴾ أي لفرعون ﴿أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ﴾ أي لتدعهم ليفسدوا في الأرض، أي: يفسدوا أهل رعيتك ويدعوهم إلى عبادة ربهم دونك يا لله العجب، صار هؤلاء يشفقون على إفساد موسى وقومه! ألا إن فرعون وقومه هم المفسدون ولكن لا يشعرون ولهذا قالوا ﴿وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ﴾ قال بعضهم: الواو ها هنا حالية أي أتذره وقومه يفسدون في الأرض وقد ترك عبادتك؟ وكان فرعون قد صنع لهم أصناماً يعبدونها وقال أنا ربكم وربها ﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ [النازعات: ٢٤](٦٢٢).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (**سنَقْتُل**) بفتح النون، وسكون القاف، وضم التاء، وكذا قراءة الباقين (**سَنُقَتِّل**) بضم النون، وفتح القاف، وتشديد التاء في القتل مبالغة كثرة واستيعاب»(٦٢٣).

(٦٢٠) مفردات ألفاظ القرآن ص ٤٠٧.

(٦٢١) معجم مقاييس اللغة ٥٦/٥. مادة قتل.

(٦٢٢) انظر: تفسير ابن كثير (٢١٠/٢). وتفسير الجلالين ص٢١٠. وتفسير البغوي (٢٦٧/٣).

(٦٢٣) التحرير والتنوير (مج/٥ ـ ٥٩).

* قال صاحب الكشف: «(**سَنَقْتُل**) بفتح النون، وسكون القاف، وضم التاء بالتخفيف، جعلاه من (**قَتَل**) الذي يدل على القلة والكثرة، وقرأ الباقون بالتشديد، وجعلوه من (**قَتَّل**) الذي يدل على معنى التكثير مرة بعد مرة، فهو يدل على القلة والكثرة»[٦٢٤].

كما أفادت قراءة التشديد تكرار القتل مرة بعد مرة، بينما أفادت قراءة التخفيف القتل مرة واحدة.

* قال ابن خالويه: الحجة لمن شدد أنه أراد تكرير القتل بأبناء بعد أبناء، ودليله قوله تعالى: ﴿وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا﴾ [الأحزاب: ٦١] وحجة من خفف أنه أراد القتل مرة واحدة، ودليله قوله تعالى ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ [البقرة: ١٩١][٦٢٥].

خامساً: وبالجمع بين القراءتين نجد أن فرعون أراد أن ينتصر لنفسه بكل الطرق والوسائل ليجدد عادة قتل الأبناء ليعلم القوم أنه ما زال على الغلبة والقهر، وأنهم مقهورون تحت يديه كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ لذلك كان يقتل الأبناء بعد الأبناء، وكرر ذلك وبالغ فيه.

٢٠ - ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾﴾ [الأعراف: ١٣٧].

أولاً: القراءات:

١. قرأ ابن عامر (**يَعْرُشُونَ**) بضم الراء.

٢. وقرأ الباقون (**يَعْرِشُونَ**) بكسرها[٦٢٦].

---

(٦٢٤) الكشف (١/٤٧٤).

(٦٢٥) الحجة ص ٨٨.

(٦٢٦) النشر في القراءات العشر (٢/٢٠٢).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

﴿يَعْرُشُونَ﴾ من الفعل عرش: العرش في الأصل شيء مسقف، وجمعه عروش ومنه قيل عَرَشْتُ الكرم وعرشته إذا جعلته كهيئة سقف، وقد يقال لذلك المعرش، وسمي مجلس السلطان عرشاً اعتباراً بعلوه(٦٢٧).

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

تتحدث الآية الكريمة عن سنة من سنن الله في الكون، وهي أن الأرض لا يرثها إلا عباد الله المخلصون وفيها بشارة لأمة محمد ﷺ لما تكابده من القهر والاضطهاد بأن الغلبة ستكون لهم وعاقبة السلطان كما كانت لبني إسرائيل، جزاء صبرهم على الأذى في الله، ومن أجل الله.

* قال الطبري في تفسيره: **﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَآئِيلَ بِمَا صَبَرُواْ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ﴾** يقول ـ تعالى ذكره ـ «وأورثنا القوم الذين كان فرعون وقومه يستضعفونهم، فيذبحون أبناءهم ويستحيون نساءهم ويستخدمونهم، تسخيراً واستعباداً من بني إسرائيل، مشارق الأرض (الشام) وذلك ما يلي الشرق منها ومغاربها التي باركنا فيها، يقول التي جعلنا فيها الخير ثابتاً دائماً لأهلها؛ وإنما قال جل ثناؤه وأورثنا لأنه أورث ذلك بني إسرائيل بمهلك من كان فيها من العمالقة والجبابرة»(٦٢٨).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (**يعرِشون**) بكسر الراء مخففة أي ما كانوا يعرشونه من الجنات، ومنه قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ﴾ [الأنعام: ١٤١].

---

(٦٢٧) معجم مفردات ألفاظ القرآن ص ٣٤١.

(٦٢٨) تفسير الطبري (مج٥/٣١).

وأفادت قراءة (**يَعْرُشُون**) بضم الراء قال الكسائي هي لغة تميم؛ أي يبنون ويقال عرش يعرش أي بنى يبني. أي أهلكنا بالخراب ما كانوا يصنعونه من العمارات(٦٢٩).

* قال أبو منصور: قرأ ابن عامر، وأبو بكر عن عاصم (**يَعْرُشُون**) بضم الراء، وكسر الباقون وهما لغتان معروفتان(٦٣٠).

خامساً: وبالجمع بين القراءتين يظهر أن العلاقة لغوية الغرض منها بلاغي، تبين عظمة الله وقدرته في بيان عاقبة الكفر ونهاية الظلم. أي معنى القراءتين واحد على اعتبار أنهما لغتان من لغات العرب، فالهلاك يلحق كل ما يعرش ويعمل منه سقف، سواءً كان بفعل الأشجار أو بفعل الإنسان من القصور وغيرها؛ حيث إنه ﷻ أهلك الجنات بالإهمال والزلزال وعلى أيدي الجند وأهلك المباني والأهرام والهياكل والقصور الفارهة، كما أن العرش هو قوة الملك، فكلها إلى زوال ودمار وسنة الله باقية إلى أن يرث الأرض ومن عليها(٦٣١).

٢١ ـ ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ [الأعراف: ١٣٨].

أولاً: القراءات:

١. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف (**يَعْكِفُونَ**) بكسر الكاف.

٢. وقرأ الباقون (**يَعْكُفُونَ**) بضمها(٦٣٢).

(٦٢٩) انظر: تفسير فتح القدير (١٤٠/٢). ومجمع البيان (٣١٧/٤). والكشاف (١٩٤/٢). وحاشية الشهاب (٣٥٨/٤).

(٦٣٠) انظر: روح المعاني (٩ ـ ٣٩/١٠). والتحرير والتنوير (٧٩/٥).

(٦٣١) انظر: كتاب معاني القراءات ص ١٨٨. والكشف ٤٧٥/١. والمغني ١٥٢/٢.

(٦٣٢) النشر في القراءات العشر (٢٠٤/٢).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

﴿**عكف**﴾ : عَكَفَهُ عَكْفاً عن الأمر منعه وحبسه عليه وألزمه به، يقال عَكَفَ، يَعْكفُ، عكوفاً، وذلك حبسك[٦٣٣].

يَعْكِفُون: يواظبون عليها ويلازمونها تعظيماً وتقديساً لها، يقال لكل من لازم شيئاً وواظب عليه، عَكَفَ، ويَعْكِفُ، ويَعْكُفُ[٦٣٤].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

الآية الكريمة يخبرنا المولى ﷻ من خلالها عن جهل بني إسرآئيل حينما جاوزوا البحر وقد رأوا من آيات الله العظيمة ما رأوا، ومن عنايته ﷻ لهم؛ فلما مروا ﴿عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ﴾ يقيمون على عبادته، طلبوا أن يكون لهم مثله، فكشفت سوأتهم أنهم قوم لا يفقهون التوحيد الذي جاء به موسى عليه السلام. وهذا قمة الغباء فما زالوا ينعمون بنعم الله الكثيرة، لكن عقولهم لم تدرك ولم تستوعب هذه النعم، وقلوبهم مغلقة لم يعمرها الإيمان بعد، وقد ذهب بعض العلماء إلى أن القراءتين بمعنى واحد وباعتبار معنى يعكفون بالكسر والضم لزوم الشيء والمداومة والإقامة عليه[٦٣٥].

﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ﴾ شروع في قصة بني إسرائيل، وشرح ما أحدثوه من الأمور الشنيعة، بعد أن أنقذهم الله ﷻ من استعباد فرعون، ومنَّ عليهم من النعم العظام، الموجبة للشكر وتسلية لرسول الله ﷺ عما رآه من اليهود بالمدينة، فإنهم جروا معه على دأب أسلافهم، روي أن موسى عليه السلام جَاوَزَ بمعنى: جاز، أي بمعنى قطعنا البحر بهم، ورُوِيَ أن موسى عليه السلام عَبَرَ بهم يوم عاشوراء، فصاموا شكراً لله تعالى ﴿فَأَتَوْا۟﴾ أي مَرُّوا بعد المجاوزة ﴿عَلَىٰ قَوْمٍ﴾ من العمالقة ﴿يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ﴾ أي

(٦٣٣) انظر: منجد الطلاب ص٤٩٣.

(٦٣٤) انظر: زاد المسير (٣/٢٥٤).

(٦٣٥) انظر: الطبري (٥/٣٢). والمقتطف من عيون التفاسير (٢/٢٦٦ ـ ١٦٧). والكشف (١/٤٧٥). وكتاب معاني القراءات ص ١٨٨.

يواظبون على عبادتهم ويسجدون لها، ويعبدونها من دون الله ﴿قَالُوا﴾ أي الصالحون من بني اسرآئيل عندما شاهدوا ذلك ﴿يَـٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا﴾ نعبده ﴿كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ أصنام يعبدونها، وهذا يدل على غاية جهل بني إسرائيل، فلذلك ردَّ موسى عليهم بقوله: ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ تعجب من قولهم هذا إثر ما شاهدوا من الآيات الكبرى، فوصفهم بالجهل المطلق، وأكَّده (بأنَّ) لأنه لا جهل أعظم مما رأى منهم ولا أشنع!!.

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (**يَعْكِفُونَ**) عَكَفَ، ويَعْكِفُ بمعنى أقام على الشيء ولزمه، والمصدر منها على فُعول. وقيل (**يَعْكِفُونَ**) بكسر الكاف لغة (أسد) وبضمها لغة بقية العرب وهما لغتان[٦٣٦].

وأفادت قراءة (**يَعْكُفُونَ**) بضم الكاف وكسرها حبسته، ومنه (الاعتكاف) وهو (الافتعال) لأنه حبس النفس عن التصرفات العادية[٦٣٧].

خامساً: وبالجمع بين القراءتين نجد معناهما فيه تسلية للرسول عما رآه من اليهود في المدينة من الكيد والمكر السيء والعناد والجحود والانحراف عن الطريق السوي؛ (عكَفْتُ) الشيء (أعكُفُه) و(أعكِفُه) بضم الكاف وكسرها حبسته.

كما في الآيات نكران للنعمة وجحود لفضل الله ﷻ وهذا إخبار عن عظيم جهلهم حيث توهموا جواز عبادة غير الله بعد ما رأوا من الآيات البينات بالانحراف عن الفطرة السليمة والعكوف على الباطل.

٢٢ - ﴿وَإِذْ أَنجَيْنَـٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾﴾ [الأعراف: ١٤١].

---

(٦٣٦) انظر: تفسير القرطبي (٢٣٧/٤). وتفسير الألوسي (٩ - ٤٠/١٠).

(٦٣٧) البحر المحيط (١٥٧/٥). والمغني (١٥٤/٢).

أولاً: القراءات:

١. قرأ ابن عامر (**وَإِذْ أَنجَاكُم**) بألف بعد الجيم من غير ياء ولا نون.

٢. وقرأ الباقون (**وَإِذْ أَنجَيْنَاكُم**) بياء ونون وألف بعدها.

١. قرأ نافع (**يَقْتلُونَ أَبْنَاءكُمْ**) بفتح الياء وإسكان القاف وضم التاء من غير تشديد.

٢. وقرأ الباقون (**يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءكُمْ**) بضم الياء وفتح القاف وكسر التاء مشددة[٦٣٨].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

﴿نَجَا﴾: ينجو، نجواً، ونَجَايَةً: خَلَصَ، كنَجي واسْتَنْجَى وأَنْجاهُ الله، ونَجَّاهُ، ونجّى الرجل أنجاه تركه بنجوة من الأرض وأخلصه[٦٣٩].

وأصل النجاء الإنفصال من الشيء ومنه نَجَا من فلان وأَنْجَيْتُهُ ونَجَّيْتهُ؛ والنَّجْوةُ والنَّجَاةُ: المكان المرتفع المنفصل بارتفاعه عما حوله؛ وقيل سمي لكونه ناجياً من السيل[٦٤٠].

﴿قتل﴾: من قتل يقتل قتلاً أصل، القتل إزالة الروح عن الجسد كالموت، وإذا اعتبر بفعل المُتَوَلِّى لذلك يقال قتلٌ، وإذا اعتبر بفوت الحياة يقال موتٌ.

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

الآية الكريمة تحدثنا عن أنواع النعم على بني إسرائيل، بأن أهلك عدوهم وأورثهم أرضهم وديارهم، وأتبع هذه النعمة الكبرى عليهم وهي أنه

---

(٦٣٨) النشر في القراءات العشر (٢/٢٠٤).

(٦٣٩) انظر: القاموس المحيط ص١٧٢٣. مادة نجا. انظر: المعجم المفصل في تفسير غريب القرآن د. محمد التوبخي. دار الكتب العلمية ص٤٦٦.

(٦٤٠) انظر: معجم مفردات ألفاظ القرآن ص٤٠٥ ـ ٤٠٦.

تجاوز بهم البحر آمنين، ثمَّ ارتدوا وطلبوا من موسى عليه السلام أن يعمل لهم أصناماً، كما إنّ الأية هي بمثابة تسلية لرسول الله ﷺ.

* قال الطبري ﴿وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾﴾ يقول ـ تعالى ذكره ـ لليهود من بني إسرائيل الذين كانوا بين ظهراني مهاجر رسول الله ﷺ واذكروا، مع قيلكم هذا، الذي قلتموه لموسى بعد رؤيتكم من الآيات والعبر بعد النعم التي سلفت مني إليكم والأيادي التي تقدمت فعلكم ما فعلتم (**وَإِذْ أَنجَيْنَاكُم**) من آل فرعون أي اذكروا وقت خلصكم الله عز وجل من الذين كانوا على منهاجه وطريقته في الكفر بالله من قومه، الذين كانوا يسومونكم سوء العذاب يقول إذ يحملونكم أقبح العذاب وسيئه وقد بينا ـ فيما مضى من كتابنا هذا ـ ما كان العذاب، الذي كان يسومهم سيئه يقتلون أبناءكم الذكور من أولادهم ويستحيون نساءكم أي يستبقون إناثهم أحياء، وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم، يقول وفي سومهم إياكم سوء العذاب اختبار من الله لكم وتعمد عظيم[٦٤١].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة ابن عامر (**وَإِذْ أَنجَاكُم**) والمعنى: أأبتغي لكم إلهاً غير الله في حال أنه فضلكم على العالمين، وفي زمان أنجاكم الله من آل فرعون، فابتغاء إله غيره كفران لنعمته، وضمير المتكلم المشارَك في أنجاكم يعود إلى الله، وموسى عليه السلام ومعاده يدل عليه قوله تعالى: (**أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَـهًا**) [الأعراف: ١٤٠] ويجوز أن يكون هذا امتناناً من الله اعترضه بين القصة وعدة موسى عليه السلام إنتقالاً من الخبر والعبرة إلى النعمة والمنة، فيكون الضمير ضمير تعظيم. وحجة: من قرأ (**وَإِذْ أَنجَاكُم**) بلفظ الواحد رده على قوله تعالى: (أَغَيْرَ الله أَبْغِيكُمْ إِلَـهًا) [الأعراف: ١٤٠].

---

(٦٤١) انظر: تفسير الطبري (٣٢/٥). وأيسر التفاسير (٢٣٢/٢). والأساس في التفسير (٢٠٠٨/٤).

وأفادت قراءة (**وَإِذْ أَنجَيْنَاكُم**) بنون المتكلم المشارك (نون التعظمة) وحجة: من قرأ (**وَإِذْ أَنجَيْنَاكُم**) على لفظ الجماعة، إخباراً عن الله ﷻ[٦٤٢].

أفادت قراءة نافع (**يَقْتُلُونَ أَبْنَاءكُمْ**) بفتح الياء والتخفيف، جعله من (**قَتَلَ، يَقْتُل**) فهو يدل على القلة والكثرة. وأفادت قراءة الباقين (**يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءكُمْ**) من (**قَتَّلَ**) الذي يدل على معنى التكثير مرة بعد مرة[٦٤٣].

خامساً: وبالجمع بين القراءات دليل على عظمة الله ﷻ بالنعمة التي منَّ الله بها عليهم بالإنجاء من النعمة أو المحنة، وحجة: من قرأ (**وَإِذْ أَنجَيْنَاكُم**) على لفظ الجماعة، إخباراً عن الله، من باب التعظيم والإكبار له، فهو أعظم العظماء، كما القتل يحتاج إلى القدرة والعظمة وكذلك التقتيل بالقلة والكثرة. فبالإضافة إلى معنى التعظيم والتفخيم إحساساً بالتهديد والترهيب والتخويف من سوء العاقبة، وفي كلا القراءتين وعظ من الله بما امتحن به مَنْ قبلهم وذَكَّرَهم نعمه عليهم وهي تحذير لهم من حُلول النقم عند مخالفته ﷻ كما إن الإنجاء لا يكون إلا لله وحده.

٢٣ ـ ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِىۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾﴾ [الأعراف: ١٤٣].

أولاً: القراءات:

١. قرأ حمزة والكسائي وخلف (**جَعَلَهُ دَكاء**) بالمد والهمزة مفتوحاً من غير تنوين.

---

(٦٤٢) انظر: التحرير والتنوير (٥/٨٥). وتفسير الكشاف (٢/١٩٥). وتفسير البحر المحيط (٥/١٥٩).

(٦٤٣) الكشف (١/٤٧٤ ـ ٤٧٥). والحجة ص ٨٨. والمغني (٢/١٥٥).

٢. وقرأ الباقون (جَعَلَهُ دَكًّا) بالتنوين من غير مد ولا همز(٦٤٤).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

﴿دك﴾ : الدَّك من دكّ يدك دكاً ودكاء، والدَّك الأرض اللينة السَّهلة وقد دَكّهُ دَكًا (إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا) [الفجر: ٢١] أي جعلت بمنزلة الأرض اللينة؛ وأرض دكاء مسواة والجمع الدُّكُّ، وناقة دكاء لا سنام لها تشبيهاً بالأرض الدكاء(٦٤٥).

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

الآية الكريمة تبين العلاقة بينها وبين الآية التي سبقتها؛ هو مجيء موسى في الوقت المحدد وهو ثلاثين يوماً أتمَّها الله ﷻ بعشرة ليتم ميقات ربه.

* **قال القرطبي**: «﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا﴾ أي في الوقت الموعود ﴿وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ أي أسمعه كلامه من غير واسطة ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ سأل موسى عليه السلام النظر إليه واشتاق إلى رؤيته، ولما أسمعه كلامه، فقال: ﴿قَالَ لَن تَرَىٰنِي﴾ أي في الدنيا، ولا يجوز الحمل على أنه أراد: أرني آية عظيمة لأنظر إلى قدرتك، لأنه قال ﴿إِلَيْكَ﴾ وقال ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ ولو سأل آية لأعطاه الله ما سأل، كما أعطاه سائر الآيات، وقد كان لموسى عليه السلام فيها مقنع عن طلب آية أخرى، فبطل هذا التأويل ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي﴾ ضرب له مثالاً مما هو أقوى من بنيته وأثبت، أي فإن ثبت الجبل وسكن فسوف تراني، وإن لم يسكن فإنك لا تطيق رؤيتي؛ كما أن الجبل لا يطيق رؤيتي. ثم قال ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ وتجلى معناه: ظهر من قولك جلوت العروس أي أبرزتها وجلوت السيف أبرزته من الصدأ جلاء فيهما، وتجلى الشيء انكشف وقيل تجلى أمره وقدرته ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ فلما أفاق ﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ قال مجاهد: من مسألة الرؤيا في الدنيا، وقيل

(٦٤٤) النشر في القراءات العشر (٢/٢٠٤).

(٦٤٥) معجم مفردات ألفاظ القرآن ص١٧٢.

سأل من غير استئذان فلذلك تاب، وقيل قاله على جهة الإنابة إلى الله والخشوع له عند ظهور الآيات، وأجمعت الأمة على أن هذه التوبة ما كانت عن معصية فإن الأنبياء معصومون وأيضاً عند أهل السنة والجماعة الرؤية جائزة»[٦٤٦].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة **(دَكًّا)** مدكوكاً مفتتاً، والدَّكُّ والدَّقُّ أخوان كالشكِّ والشقِّ والإنسحاق، والتفتت حيث أصبح الجبل متفتتاً تذروه الرياح، وقرئ **(جَعَلَهُ دَكًّا)** أي أرضاً مستوية؛ ومنه ناقة دكاء للتي لا سنام لها ودكاً جمع دكاء أي قِطَعاً وهي لغة أهل المدينة وأهل البصرة[٦٤٧]، والدكاء اسم للرابية الناشزة من الأرض كالدكة، والغرض من الجميع تعظيم شأن رؤية الله ﷻ وأنّ أحداً لا يقوى على ذلك إلا بتقوية الله وتأيده[٦٤٨].

أفادت قراءة **(دَكَاء)** بالمد والهمزة مفتوحاً من غير تنوين فهي لغة أهل الكوفة[٦٤٩]، ومن قرأ **(دَكَّاء)** فالمعنى جعلها أرضاً دكاء، على فعلاء وهي المستوية وجمعها دكَّاوات[٦٥٠].

---

(٦٤٦) تفسير القرطبي (٢٤١/٤ ـ ٢٤٢). وانظر الكشاف (١٩٨/٢). تفسير ابن كثير (٢١٥/٢). التحرير والتنوير (مج٨٩/٥).

(٦٤٧) البصرة: هي بصرتان: العظمى في العراق، والأخرى بالمغرب. وأما البصرتان فالكوفة والبصرة؛ والبصرة في كلام العرب هي الأرض الغليظة، وقيل هي الأرض التي بها حجارة تقلع حوافر الدواب. انظر معجم البلدان (٥١٠/٤). ترجمة رقم ١٩٤٨. لأبي عبد الله ياقوت الحموي الرومي البغدادي المتوفى ست وعشرون وستمائة هـ. تحقيق عبد العزيز الجندي. وحيثما يأتي سأكتفي بقولي: معجم البلدان.

(٦٤٨) انظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري. ص١٤٥٨. الطبعة الأولى. دار الصفوة . ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٠م.

(٦٤٩) الكوفة: كُوفَان بالضم ثمّ السكون. وفاء وآخره نون، موضعان، يقال الناس في كوفان من أمرهم أي في اختلاط، والكوفان الاستدارة، وكوفان أرض بها سميت الكوفة. والكوفان والكوفة واحد.

(٦٥٠) انظر كتاب معاني القراءات ص ١٨٩. الكشف (٤٧٥/١ ـ ٤٧٦). انظر معجم البلدان. (٥٥٦/٤). ترجمة رقم ١٠٤٧٠.

* قال صاحب الكشف: قرأ حمزة والكسائي بالمد، وفتح الهمزة، غير منون، وقرأ الباقون، بالتنوين من غير مدّ ولا همز؛ وحجة من مدَّه أنه أخذه من لغة العرب ناقة دكاء للتي لا سنام لها فهي مستوية الظهر فكأنه في التقدير: جعل الجبل مثل ناقة دكاء، أي جعله إذ تجلى بعظمته إليه فلمّا حدث في الجبل ـ على عظمته وصلابته وقوته ـ هذا الحادث فكيف لابن آدم الضعيف طاقة على رؤية الباري في الدنيا! وهذا دليل على عدم الرؤية في الدنيا وأنها أمر مستحيل في حق الله ﷻ. وحجة من لم يمده أنه جعله مصدر دككت الأرض دكاً: أي جعلتها مستوية لا ارتفاع فيها ولا انخفاض، قال الأخفش كأنه لمّا قال: جعله دكاً، قال: دكَّهُ دكّاً، فجعله في موضع دكه، يقوي هذه القراءة ويؤكدها قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾﴾ [الفجر: ٢١] وقوله: ﴿فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾ [الحاقة: ١٤] قال أبوعبيدة: جعله دَكّا أي مندكاً، والاختيار ترك المدّ لِمَا عليه أكثر القراء.

خامساً: وبالجمع **بين القراءتين نجد أنه** يصبح معنى الآية دليلاً وشاهداً على عظمة الله وقدرته بأن جعل الجبل العظيم قد دكَّ دكاً من تجليه سبحانه للجبل، ولنخلص أن الرؤية الحقيقية لا تتم في الدنيا لله ﷻ وإنما هي كائنة يوم القيامة؛ حيث قال جل شأنه في حق المؤمنين ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣] والذي دليله أنّ الله لمّا تجلى للجبل دُكّ فتفتت فأصبح كأنه أرض مستوية لا ارتفاع لها، ولا علواً فيها. فالقراءتان بينهما ترتيب بأن الجبل تفتت ثمّ استوى فكان أرضاً مستوية(٦٥١).

٢٤ ـ ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾﴾ [الأعراف: ١٤٦].

---

(٦٥١) انظر: تنوير المقباس من تفسير ابن عباس. لأبي طاهر بن يعقوب الفيروز آبادي. دار الفكر ص ١٣٧

أولاً: القراءات:

١. قرأ حمزة والكسائي وخلف (**سَبِيلَ الرَّشَدِ**) بفتح الراء والشين.

٢. وقرأ الباقون (**سَبِيلَ الرُّشْدِ**) بضم الراء وإسكان الشين[٦٥٢].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

﴿رشد﴾ : يَرْشُد، ورَشْداً، والرَّشَد والرُّشْد خلاف الغيِّ، يستعمل استعمال الهداية ويقال رَشَدَ يَرْشُدَ، وقال بعضهم الرَّشَدُ أخص من الرُّشْد؛ حيث الرُّشْد بضم الراء وسكون الشين يقال في الأمور الدنيوية والأخروية لا غير، والرَشَد بفتح الراء والشين يقال في الأمور الأخروية لا غير[٦٥٣].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

الآية الكريمة تحمل في طياتها تهديداً ووعيداً لأولئك الذين يعدّون أنفسهم كبراء، ويرون لأنفسهم ميّزة ومزّية على البشر فلا ينتفعون بهدى، بأنّ الله ﷻ سيصرفهم ويمنعهم ويصدهم عن هذا الفهم والانتفاع.

* قال البغوي: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ قال ابن عباس: يريد الذين يتجبرون على عبادي ويحاربون أوليائي حتى لا يؤمنوا بي يعني سأصرفهم عن قبول آياتي والتصديق بها عوقبوا بحرمان الهداية لعنادهم للحق كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥] قال سفيان بن عيينة[٦٥٤]: سأمنعهم فهم القرآن، وقيل: يعني عن خلق السموات والأرض وما فيها أي سأصرفهم أن يتفكروا فيها ويفكروا

---

(٦٥٢) النشر في القراءات العشر (٢/٢٠٤).

(٦٥٣) معجم مفردات ألفاظ القرآن ٢٠١.

(٦٥٤) سفيان بن عيينة هو: سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالى الكوفي، كنيته أبو محمد؛ محدث الحرم المكي، من الموالي ولد بالكوفة ١٩٨هـ - ٨١٤م. سكن مكة وتوفي بها، كان حافظاً ثقة، واسع العلم، كبير القدر، قال فيه الشافعي، لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز، كان أعوَر، حجّ سبعين سنة. انظر الأعلام للزركلي (١٠٥/٣).

فيها ويعتبروا بها، وقيل: حكم الآية لأهل مصر خاصة وأراد بالآيات الآيات التسع التي أعطاها الله تعالى موسى عليه السلام والأكثرون على أن الآية عامة ﴿وَإِن يَرَوْاْ﴾ كل آية لا يؤمنوا بها، وإن يروا يعني هؤلاء المتكبرين ﴿سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ﴾ فيقول الرشد بالضم الصلاح في الأمر وبالفتح الاستقامة في الدين، ومعنى الآية وإن يروا طريق الهدى والسداد لا يتخذوه لأنفسهم سبيلاً ﴿وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً﴾ أي طريق الضلال يتخذوه سبيلاً ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَـٰفِلِينَ﴾ عن التفكر فيها والاتعاظ بها غافلين ساهين»(٦٥٥).

ولقد اختلف العلماء في معنى الرشد، بالضم الصلاح في الأمر، والفتح: الاستقامة في الدين وقيل هما لغتان كالسُّقم والسَّقم والبُخل والبَخل والُحزن والحَّزن.

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (**سَبِيلَ الرُّشْدِ**) بضم الراء وإسكان الشين، وقراءة (**سَبِيلَ الرَّشَدِ**) بفتح الراء والشين الفرق بين الرشد والرشد فقال (**الرُّشْدِ**) في الصلاح، و(**الرَّشَدِ**) في الدين(٦٥٦).

* قال ابن خالويه: «﴿وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ﴾ يقرأ بضم الراء وإسكان الشين، وبفتحهما فالحجة لمن ضمّ: أنه أراد به: الهدى الذي ضد الضلال، ودليله قوله تعالى: ﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦] الْغَيِّ هنا الضلال والحجة لمن فتح: أنه أراد به الصلاح في الدين ودليله قوله تعالى ﴿وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف: ١٠] أي صلاحاً(٦٥٧).

خامساً: وبالجمع بين القراءتين نجد أن المعنيين متقاربان فالدين هو

---

(٦٥٥) تفسير البغوي ٢٨٢/٣. فتح القدير ٢٤٥/٢. وتفسير ابن كثير ٢١٧/٢. وتفسير الشعراوي ٤٣٥٦/٧. والمغني ١٦١/٢.

(٦٥٦) انظر: تفسير القرطبي (٢٤٦/٤).

(٦٥٧) انظر: الحجة ص٩٠. انظر الكشف (٤٧٧/١).

الصلاح، والصلاح هو الدين، فطريق الدين هو طريق الهدى والرشاد والبعد عن الضلال والانحلال، فمن أراد الله به خيراً أعطاه الدين؛ ومن ثم نال الصلاح والفلاح، كما أنّه من سار في طريق الصلاح والفلاح هو من اختار الدين. والله أعلم.

٢٥ ـ ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾﴾ [الأعراف: ١٤٨].

أولاً: القراءات:

١. قرأ حمزة والكسائي (مِنْ حِلِيِّهِمْ) بكسر الحاء.

٢. وقرأ يعقوب (مِنْ حَلْيِهِمْ) بفتح الحاء وإسكان اللام وتخفيف الياء.

٣. وقرأ الباقون (مِنْ حُلِيِّهِمْ) بضم الحاء وكسر اللام وتشديد الياء مكسورة[٦٥٨].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

﴿حلي﴾: الحَلْيُ ما يُزَيَّنُ به من مَصُوغ (المعدنيات أو الحجارة)، والحَلْيَةُ وحَلِيَتِ المرأة، وحَلَّاها تَحْلِيَةً: ألبسها حَلْياً، أو اتخَذَهُ لها، أو وصفها وَنَعَتَها به، والحِلْيَةُ الخِلْقَةُ والصورة والصفة[٦٥٩].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

الآية الكريمة تبين موقف بني إسرائيل بعدما فارقهم موسى عليه السلام ماضياً إلى مناجاة ربه، ووفاء للوعد الذي كان وعده ربه، بأن اتخذوا من حليهم عجلاً فعبدوه.

* قال ابن كثير: «يخبر تعالى عن ضلال من ضل من بني إسرائيل في

(٦٥٨) النشر في القراءات العشر (٢/٢٠٤).

(٦٥٩) انظر: القاموس المحيط ص ١٦٤٧ مادة حلي.

عبادتهم العجل الذي اتخذه لهم السامري من حلي القبط، الذي كانوا استعاروه منهم، فشكل لهم منه عجلاً ثم ألقى فيه القبضة من التراب التي أخذها من أثر فرس جبريل عليه السلام فصار عجلا جسدا له خوار، والخوار صوت البقر، وكان هذا منهم بعد ذهاب موسى لميقات ربه تعالى، فأعلمه الله تعالى بذلك وهو على الطور، حيث يقول تعالى إخبارا عن نفسه الكريمة ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾﴾ [طه: ٨٥] وقد اختلف المفسرون في هذا العجل هل صار لحما ودما له خوار أو استمر على كونه من ذهب، إلا أنه يدخل فيه الهواء فيصوت كالبقر! على قولين والله أعلم ويقال إنهم لمّا صوت لهم العجل رقصوا حوله وافتتنوا به وقالوا هذا إلهكم وإله موسى فنسي قال الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾﴾ [طه: ٨٩] وقال في هذه الآية الكريمة ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾ [الأعراف: ١٤٨] ينكر تعالى عليهم في ضلالهم بالعجل وذهولهم عن خالق السموات والأرض ورب كل شيء ومليكه أن عبدوا معه عجلاً جسداً له خوار لا يكلمهم ولايرشدهم إلى خير، ولكن غطى على أعين بصائرهم عمى الجهل والضلال، قال رسول الله ﷺ (حبك الشيء يعمي ويصم)[٦٦٠] وقوله: ولما سقط في أيديهم أي ندموا على ما فعلوا ورأوا أنهم قد ضلوا قالوا: لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين أي من الهالكين وهذا اعتراف منهم بذنبهم والتجاء إلى الله ﷻ»[٦٦١].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد ذهب بعض المفسرين إلى أن هناك فرقاً بين القراءات من حيث المعنى باعتبار أن قراءة الضم للحاء فإنه جمع حُلْي نحو ثَدي وثُدي وَجَمَعَه

---

(٦٦٠) أخرجه أبو داود (٢/ ٧٥٥) في كتاب الأدب باب الهوى حديث رقم ٥١٣٠. الحديث ضعيف. ضعفه الألباني في ضعيف سنن أبي داود.

(٦٦١) انظر: تفسير ابن كثير (٢١٧/٢). والمقتطف (٢٧٣/٢، ٢٧٤). وأيسر التفاسير (٢٤٠/٢).

لأنه أضافه إلى جمع، ومن قرأ بكسر الحاء اتبع الكسرة الكسرة كره الخروج من الضمة إلى الكسرة وأجرى مجراه في عِصِي وقِسِيّ ونحوه، ومن قرأ حَلْيهم بفتح الحاء، فلأنه اسم جنس يقع على القليل والكثير(٦٦٢).

وقال القرطبي: جمع حَلْيٍ، وحُلْيٌ، وحِلْيٌ مثل ثَدْي وثُدِيّ وثِدِيّ(٦٦٣).

والحلي: ما اتخذ للزينة من الذهب والفضة، ويقال: حَلِيَ الشيء في عيني يحلى حَلِيَ وحلا في فمي يحلو حلاوة، وحليت الرجل تحلية إذا وصفته بما ترى منه، وتحلى بكذا تزَّين به وتحسن.

والذي تراه الباحثة أن هناك فرقاً في المعنى بين الألفاظ.

خامساً: وبالجمع بين القراءتين نجد أن العلاقة تفسيرية الغرض بيان حرص السامري على جمع جميع أنواع الحلي من حلي المرأة والمخزون على أشكال أخرى من الذهب، والجواهر والأشياء الثمينة؛ لأجل تزوير واختلاق إله جديد لبني إسرائيل قبل رجوع موسى من لقاء ربه وهذا دليل على اهتمامهم من أجل إبطال الحق وإحقاق الباطل بالتزوير والتزيف والاستماتة في بذل الغالي والرخيص في اتباع الباطل ونصرته، وحسبنا الله ونعم الوكيل(٦٦٤).

٢٦ ـ ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٤٩﴾﴾ [الأعراف: ١٤٩].

أولاً: القراءات:

١. قرأ حمزة والكسائي وخلف بالخطاب فيهما **﴿لئن لم ترحمنا ربنا وتغفر لنا﴾ وفتح الباء من ﴿رَبَّنَا﴾.**

(٦٦٢) انظر: التحرير والتنوير (١٠٩/٥). ومجمع البيان (٣٢٩/٤).

(٦٦٣) انظر: تفسير القرطبي (٢٤٦/٤). والفريد (٣٦١/٢).

(٦٦٤) انظر: الحجة ص ٩٠. والكشف (٤٧٧/١).

٢. وقرأ الباقون بالغيب ﴿لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا﴾ ورفع الباء من ﴿رَبُّنَا﴾(٦٦٥).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

﴿رحم﴾: الرَّحم رَحْمُ المرأة، ومنه استعير الرحم للقرابة لكونهم خارجين من رحم واحدة، يقال رَحْمٌ، ورُحْمٌ، والرحمة رقة تقتضي الإحسان إلى المرحوم، وقد تستعمل تارةً في الرقة المجردة، وتارةً في الإحسان المجرد عن الرقة، والرحمة من الله الإنعام والإفضال، ومن الآدميين رقة وتعطف(٦٦٦).

﴿غَفَرَ﴾: تغفر من الغَفْرُ وهو إلباس ما يصونه عن الدنس، ومنه قيل اغفر ثوبك في الوعاء واصبغ ثوبك فإنّه أغفر للوسخ، والغفران والمغفرة من الله هو أن يصون العبد من أن يمسه العذاب، ومنه الاستغفار طلب ذلك بالمقال والفعال(٦٦٧).

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

الآية الكريمة تصور حال بني إسرائيل، بعد أنْ علموا أنهم قد ضلوا باتخاذهم العجل إلهاً من دون الله ندموا أشد الندم.

* قال تعالى: ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ﴾ كناية عن اشتداد ندمهم على عبادة العجل، فإن النادم المتحسر يعض يده غماً فتصير يده مسقوطاً فيها؛ وهذه من دلالات الفطرة الباقية، حيث يعض الإنسان على الأنامل لأنه عمل شيئاً ما كان يصح أن يعمله، فلما يكون الشيء عظيماً!!! فلا تكفي الأنملة ليعض عليها بل يمسك يده كلها ليعض عليها قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾ [الفرقان: ٢٧] ﴿سُقِطَ فَي أَيْدِيهِمْ﴾ أي جاءت أنيابهم على أيديهم، كأن الندم بلغ أشده، وهذا للذين أدركوا خطأهم ورأوا ذلك باطلاً وخسراناً،

(٦٦٥) النشر في القراءات العشر (٢/٢٠٤).

(٦٦٦) معجم مفردات ألفاظ القرآن ص١٩٦.

(٦٦٧) المرجع السابق نفسه ص٣٧٤.

فقالوا إن لم تدركنا رحمة ربنا ومغفرته لنكونن من الخاسرين، وهنا اعتراف بالذنب والتجاء إلى الله، ثم أخذوا في الإقرار بالعبودية والاستغفار(٦٦٨).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة: ﴿لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ أخذوا في الإقرار بالعبودية والاستغفار.

وأفادت قراءة ﴿لئن لم ترحمنا ربنا وتغفر لنا لنكونن من الخاسرين﴾ بالتاء على الخطاب، وفيه معنى الاستغاثة والتضرع والابتهال في السؤال والدعاء ﴿رَبَّنَا﴾ بالنصب على حذف النداء وهو أيضا أبلغ في الدعاء والخضوع فقراءتهما أبلغ في الإستكانة والتضرع(٦٦٩).

* قال ابن زنجلة: قرأ حمزة والكسائي ﴿لئن لم ترحمنا ربنا وتغفر لنا لنكونن من الخاسرين﴾ بالتاء على الخطاب ﴿رَبَّنَآ﴾ بالنصب على النداء، أي (يا ربنا)، (وتغفر لنا)، بالتاء وحجتهما أن في حرف أُبيٍّ: (قالوا ربنا لئن لم ترحمنا وتغفر لنا).

قرأ الباقون ﴿لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ بالياء و﴿رَبُّنَا﴾ بالرفع على الخبر، و(يغفر) بالياء أيضاً، وحجتهم: هي أنهم لما تبين لهم الضلال بعبادتهم العجل قال بعضهم لبعض ﴿لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ فجرى الكلام على لفظ الخبر من بعضهم لبعض(٦٧٠).

خامساً: وبالجمع بين القراءتين نجد في كليهما اعتراف وانكسار وتذلل منهم لِمَا عرفوا من جُرم ما ارتكبوه بحق الله ﷻ من عبادة العجل ففزعوا قائلين بالخطاب ﴿لئن لم ترحمنا ربنا وتغفر لنا لنكونن من الخاسرين﴾ بالتاء

---

(٦٦٨) انظر: الشعراوي (٤٣٦٢/٧). وتفسير البيضاوي ص٢٢٣. وتفسير البغوي (٢٠٢/٣). والتحرير والتنوير (١١٢/٥).

(٦٦٩) تفسير القرطبي (٢٤٨/٤).

(٦٧٠) حجة القراءات ص ٢٩٧. مجمع البيان (٣٣١/٤). المغني (١٦٣/٢).

على الخطاب، وفيه معنى الاستغاثة والتضرع والابتهال في السؤال والدعاء وقالوا ﴿رَبَّنَا﴾ بنصب الباء وكان هذا الندم الاستغفار منهم بعد رجوع موسى إليهم، هذا كما قال آدم وزوجه: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف: ٢٣] ولما كان هذا الذنب هو اتخاذ غير الله إلهاً أعظم الذنوب بدأوا بالرحمة التي وسعت كل شيء ومن نتاجها غفران الذنب وفي قولهم ﴿رَبَّنَا﴾ استعطاف حسن إذ الرب هو المالك الناظر في أمر عبيده، والمصلح منهم من فسد؛ أما قراءة الغائب ﴿لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ انقطاع إلى الله تعالى واعتراف ﴿رَبُّنا﴾ ورفعه بفعله الذي صيغ له لعظم ما أقدموا عليه، وكان إسناد الفعل إلى الغائب وفيه إخبار(٦٧١).

٢٧ - ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾﴾ [الأعراف: ١٥٠].

أولاً: القراءات:

١. قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وخلف وأبو بكر ﴿ٱبْنَ أُمِّ﴾ بكسر الميم.

٢. وقرأ الباقون ﴿ٱبْنَ أُمَّ﴾ بالفتح(٦٧٢).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

﴿ٱبْنَ أُمَّ﴾ : الأم بإزاء الأب وهي الوالدة القريبة التي ولدته، والبعيدة التي ولدت مَنْ ولدته؛ وذكر الأم ليرققه عليه، وكانا (موسى وهارون) أخوين

---

(٦٧١) انظر: البحر المحيط (٥/١٨٠). والحجة ص٩٠. والمغني (٢/١٦٣). والكشاف (٢/٢٠٣). والبغوي (٣/٢٨٣).

(٦٧٢) النشر في القراءات العشر (٢/٢٠٤).

من أب وأم، والخطاب فيه استلطاف برحم الأم، إذ هو ألصق القربات(٦٧٣).

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

* تبين الآية الكريمة موقف موسى عليه السلام حينما رجع إلى قومه بعد المناجاة فلما اقترب منهم فسمع أصواتهم فقال هذه أصوات قوم لاهين فلما تحقق عكوفهم على عبادة العجل داخله الغضب والأسف وألقى الألواح.

* قال ابن كثير: «قال أبو الدرداء الأسف أشد الغضب قال ﴿بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنۢ بَعْدِيٓ﴾ يقول بئس ما صنعتم في عبادة العجل بعد أن ذهبت وتركتكم، وقوله ﴿أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾ يقول استعجلتم مجيئي إليكم وهو إليكم مقدر منه جلاله وألقى الألواح ﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ﴾ ثم ظاهر السياق أنه إنما ألقى الألواح غضباً على قومه وهذا قول جمهور العلماء سلفاً وخلفاً. وقوله: ﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ﴾ خوفاً أن يكون قد قصر في نهيهم، قال في الآية الأخرى ﴿قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓاْ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ أفعصيت أَمْرِي ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٩٤﴾﴾ [طه: ٩٢ ـ ٩٤] وقال ها هنا: ﴿ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِي وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي لا تسوقني مساقهم وتجعلني معهم وإنما قال: ابن أم ليكون أرق وأنجع عنده وإلا فهو شقيقه لأبيه وأمه فلما تحقق موسى عليه السلام براءة ساحة هارون عليه السلام كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓاْ أَمْرِي ﴿٩٠﴾﴾ [طه: ٩٠] فعند ذلك قال موسى عليه السلام ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾﴾ عن ابن عباس قال ﷺ(٦٧٤) (يرحم الله موسى ليس المعاين كالمخبر أخبره ربه عز وجل أن

(٦٧٣) معجم مفردات ألفاظ القرآن ص ١٨. انظر المقتطف (٢/٢٧٦).

(٦٧٤) انظر: مسند الإمام أحمد ـ مسند عبد الله بن عباس ـ حديث رقم ٢٤٩١.

قومه فتنوا بعده فلم يلق الألواح فلما رآهم وعاينهم ألقى الألواح فانكسرت)[٦٧٥].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد أفادت قراءة الفتح الندبة، كقوله يابن أماه، وكذلك ابن عماه والأصل (يا بن أمي) ثم قلبت الياء ألفاً فصارت (يابن أماه) ثم حذفت الألف لأن الفتحة تنوب عنها، وأفادت قراءة الكسر الإضافة ثم حذفت الياء التي هي كناية اسم المخبر عن نفسه[٦٧٦].

* قال أبو السعود: «﴿ابْنَ أُمَّ﴾ وقرىء بكسر الميم بإسقاط الياء تخفيفاً كالمنادى المضاف إلى الياء، وقراءة الفتح لزيادة التخفيف أو لتشبيهه بخمسة عشر ﴿ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي﴾ إزاحة لتوهم التقصير في حقه، والمعنى بذلت جهدي في كفهم حتى قهروني واستضعفوني وقاربوا قتلي فلا تشمت بي الأعداء»[٦٧٧].

خامساً: وبالجمع بين القراءتين يبين شدة الانفعال وصدق العاطفة من هارون عليه السلام حينما انكب عليه موسى عليه السلام فنادى ﴿ابْنَ أُمَّ﴾ وذلك بحذف ياء المتكلم وتعويض ألف عنها في آخر المنادى، ثم تحذف الألف تخفيفاً ويعوض عنها بالفتح، واختار أمه لأنها أكثر تحملاً لأعباء الحياة والعناء والمشقة وقد شهد لها التاريخ بذلك كما في قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ⑦﴾ [القصص: ٧]. وأما قراءة كسرة الميم على الأصل، يعني حذف الياء ونعوض عنها بالكسر ليدل عليها وهي لغة مشهورة وفي القراءتين إفادة العموم وشمولية الحال، والله أعلم.

٢٨ ـ ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ

---

(٦٧٥) انظر: تفسير ابن كثير (٢/٢١٨).

(٦٧٦) انظر: تفسير الطبري (٥/٤٧). وحجة القراءات ص٢٩٧. والفريد (٢/٣٦٤).

(٦٧٧) انظر: تفسير أبو السعود (٢/٤٠٨). وتفسير الشعراوي ص٤٣٦٣.

فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الأعراف: ١٥٧].

أولاً: القراءات:

١. قرأ ابن عامر ﴿آصَارَهَمْ﴾ بفتح الهمزة والمد والصاد والألف بعدها على الجمع.

٢. وقرأ الباقون ﴿إِصْرَهُمْ﴾ بكسر الهمزة والقصر وإسكان الصاد من غير ألف على الإفراد[٦٧٨].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

﴿أصر﴾: الإصر الحبس والعطف وما في معناهما، وتفسير ذلك أن العهد والميثاق يقال له إصرٌ، والقرابة تسمى آصرة، وكل عقدٍ وقرابةٍ وعهدٍ إصْرٌ، والعهد الثقيل إصر، لأن العهد والقرابة لهما إصرٌ ينبغي أن يُتحمَّل، ويقال آصرته إذا حبسته، الإصر: ما شُدِّد من العقوبات[٦٧٩].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

تبين الآيات الكريمة أن كتابة الرحمة كتابة خاصة لمن اتصفوا بالصفات التي وردت في الآيات السابقة، ثم هم يتبعون النبي الأمي وهو وصف خاص به ﷺ لا يشاركه فيه غيره من الأنبياء مع أنه جاء بأعلى العلوم النافعة التي يصلح بها ما فسد من العقائد، والأخلاق وغيرها... ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ﴾ هو محمد ﷺ ﴿ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ﴾ أي يجدون نعته ووصفه ﴿مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾ وذلك بذكر صفاته والثناء عليه وعلى أمته، وقوله: ﴿يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ

(٦٧٨) النشر في القراءات العشر (٢/٢٠٤).

(٦٧٩) معجم مقاييس اللغة (١/١١٠).

﴿ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ أي التي كانت قد حرمت عليهم بظلمهم، وأباح لهم ما طاب في الشريعة مما ذكر اسم الله عليه من الذبائح ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ : الخمر ولحم الخنزير والربا وما أهل به لغير الله وسائر المحرمات في الإسلام ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾ أي ويحط عنهم تبعات العهد الذي أخذه عليهم بالعمل بما في التوراة والإنجيل بأن يعملوا بكل ما جاء في التوراة والإنجيل ﴿وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ أي الشدائد المفروض عليهم القيام بها، وذلك كقتل النفس بالنفس إذ لا عفو! ولا دية! وقطع الثوب التي تصيبه النجاسة وبعض الطقوس الجائرة وغير ذلك من التكاليف الشاقة، كل ذلك رفع عنهم بدخولهم الإسلام كقوله تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ﴾ أي بمحمد ﷺ ﴿وَعَزَّرُوهُ﴾ أي وقروه وعظموه ومنعوه من العدو ﴿وَنَصَرُوهُ﴾ على أعدائه من المشركين والكافرين والمنافقين ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ﴾ وهو القرآن الكريم ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ أي وحدهم دون سواهم الفائزون بالنجاة بكل خير والناجون من كل شر[٦٨٠].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة ﴿الإصر﴾ واحد، و﴿الآصَارَ﴾ جمعه؛ ومعنى الإصر: ما شدد من العقوبات، وأصل الإصر: العهد والميثاق.

ووجه الإفراد أنه مصدر يدل على القليل والكثير من جنسه، مع إفراد لفظه؛ فهو بابه وأصله، وقد أجمعوا على التوحيد[٦٨١].

* قال محيسن: «﴿إِصْرَهُمْ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ﴾ قرأ ابن عامر ﴿آصَارَهَمْ﴾ بفتح الهمزة والمد والصاد والألف بعدها على الجمع على وزن (أعمالهم)؛ وقرأ الباقون ﴿إِصْرَهُمْ﴾ بكسر الهمزة والقصر وإسكان الصاد من غير ألف على الإفراد مثل (إثمهم) واكتفوا بالواحد»[٦٨٢].

---

(٦٨٠) انظر: تفسير المراغي (٧ ـ ٨١/٩). وتفسير البغوي (٢٨٩/٢).

(٦٨١) انظر: المغني (١٦٥/٢). وكتاب معاني القراءات ص ١٩١.

(٦٨٢) انظر: الكشف (٣٧٩/١). والحجة ص ٩١. وحجة القراءات ص ٢٩٨.

خامساً: وبالجمع بين القراءتين نجد أن العلاقة بينهما تفسيرية، بحيث تفسر إحداهما الأخرى، فالحجة لمن وحَّد ﴿إِصْرَهُمْ﴾ أنه أراد: ثقل ما اقترفوه في الجاهلية وقراءة الواحدة أفادت القلة والكثرة، ودليله قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا﴾ [البقرة: ٢٨٦] وقوله ﷺ (الإسلام يجب ما قبله)[٦٨٣]؛ وحجة من جمع أنه أراد ﴿آصَارَهُمْ﴾ التي هي جمع إصر وهي نقض العهد تلو العهد، وكلها إصر وذنب كما هو معلوم وليس بعد الكفر ذنب فقراءة الجمع أريد بها الكثرة التي تضمنت القلة مع القلة.

٢٩ ـ ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٰٔتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾﴾ [الأعراف: ١٦١].

أولاً: القراءات:

١. قرأ المدنيان ويعقوب ﴿خَطِيئَاتُكُمْ﴾ بجمع السلامة ورفع التاء.

٢. وقرأ ابن عامر ﴿خَطِيئَتُكُمْ﴾ بالإفراد ورفع التاء.

٣. وقرأ أبو عمرو ﴿خَطَايَاتُكُمْ﴾ على وزن عطاياتكم بغير همز بجمع تكسير.

٤. وقرأ الباقون ﴿خَطِيٓـَٰٔتِكُمْ﴾ بجمع السلامة وكسر التاء[٦٨٤].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

﴿الخطأ﴾ : ضد الصواب، وقد أخطأ، إخطاءً، وإخاطئة، والخطيئة: الذنب أو ما تعمد منه، وخَطِئ في دينه وأخطأ: سلك سبيل خطأ عامداً أو غيره، والخاطئ: يضرب لمن يكثر الخطأ ويصيب أحياناً؛ والخطيئة والخطأ: الذنب والإثم[٦٨٥].

(٦٨٣) مسند الإمام أحمد حديث رقم (١٩٨/٤). الحديث صححه الألباني. وحسنه شعيب الأرناؤوط.

(٦٨٤) النشر في القراءات العشر (٢٠٤/٢).

(٦٨٥) انظر: القاموس المحيط ص ٤٩ مادة خطء.

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

لقد تضمنت الآية الكريمة حادثة بعد أحداث التيه في صحراء سيناء بعد أن تولى يوشع بن نون قيادة بني إسرائيل، الذين غزا بهم الأرض المقدسة، وفتح الله عليه فقال لبني إسرائيل ادخلوا باب المدينة، يعني بيت المقدس، ساجدين أي منحنين خضوعاً لله ﷻ وشكراً على نعمة الفتح بعد النصر والنجاة من التيه.

* وفي الجلالين: ﴿وَ﴾ أي اذكر يا محمد لله ﴿إذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية﴾ يعني بيت المقدس ﴿وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ﴾ لأنهم إذا سكنوا القرية فتسبب سكناهم للأكل منها، فقد جمعوا في الوجود بين سكناها والأكل منها ﴿وَقُولُوا۟﴾ أمرنا ﴿حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ﴾ أي حط عنا خطايانا عند دخول باب القرية ﴿سُجَّدًا﴾ سجود إنحناء ﴿نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٔـٰتِكُمْ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ بالطاعة ثواباً وهو وعد بشيئين: بالغفران والزيادة، لأنه استئناف مقدر على تقدير القائل: وماذا بعد الغفران؟ فقيل له: سنزيد المحسنين، وكذلك زيادة منهم زيادة بيان(٦٨٦).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة ﴿خَطِاياتُكُمْ﴾ بالتاء مضمومة، على تأنيث الجمع الذي بعده، وعلى تأنيث الخطيئة. وأفادت قراءة الباقين بالنون على الإخبار من الله ـ جل ذكره ـ عن نفسه بالغفران، وقرأ أبو عمرو ﴿خَطِاياتُكُمْ﴾ على وزن عطاياتكم بغير همز بجمع تكسير، وأُثر ذلك لكثرة الخطايا منهم؛ ولأن الجمع المُكَسّر أدل على الكثرة من الجمع المُسَلَّم من الواحد، إذ لا يقع لكثير في هذا.

وأفادت قراءة ﴿خَطِيتُكُمْ﴾ بالإفراد ورفع التاء بالواحد يدل على الجمع، وقد أضيف إلى الجمع، فذلك أقوى في الدلالة على الجمع؛ لأن

(٦٨٦) انظر: تفسير الكشاف (٢/٢١٢). وتفسير الجلالين ص٢١٨. وتفسير النسفي (١ ـ ٨٢/٢).

لكل واحد خطايا، وقرأ بضم التاء؛ لأنه مفعول لم يُسَمَّ فاعله، قرأ نافع بالجمع؛ جمع السلامة بألف والتاء مضمومة أيضاً؛ لأنه مفعول لم يُسَمَّ فاعله فهو جمع خطية، فآثر الجمع لكثرة الخطايا من القوم المضاف إليهم الخطايا، والجمع السالم بالألف والتاء يقع للكثير والقليل(٦٨٧).

خامساً: وبالجمع بين القراءتين نجد أن العلاقة تفسيرية؛ حيث إن المغفرة اشتملت القليل والكثير من الذنب، فمن قرأ ﴿خَطِيٓـَٔـٰتِكُمۡۚ﴾ بجمع السلامة ورفع التاء، هو جمع المؤنث السالم الذي مفرده خطيئة الدال على القلة.

ولكن من قرأ ﴿خَطاياتكمْ﴾ على وزن عطاياتكم بغير همز بجمع تكسير، وبجمع التكسير الذي يدل على الكثرة لاختلاف درجات ونسب الخطايا، لأن المخاطبين متفاوتون في الخطايا، فهناك من ارتكب أخطاء كثيرة، ومنهم من ارتكب أخطاء قليلة؛ومن قرأ ﴿خَطِيتُكُمْ﴾ بالإفراد ورفع التاء، فهو يشمل القليل من الخطيئة؛لأن الواحد يدل على الجمع؛ ومن قرأ ﴿خَطِيٓـَٔـٰتِكُمۡۚ﴾ بجمع السلامة وكسر التاء، على أنها حال منصوبه، وفي جميع القراءات نجد أن الغفران شمل القليل والكثير والفرد والجماعة، فمن قرأ بالواحد أراد الجمع فكل واحد له خطيئة، وجمعها ﴿خَطِيئاتُكُمْ﴾ ومن قرأ خطايا الذي جمعه ﴿خَطاياتُكُمْ﴾ فجمع التكسير يدل على كثرة الذنوب والخطايا، وخطياتكم التي تدل على القلة وهنا وعد من الله ﷻ بالمغفرة للخطايا بجميع درجاتها ومراتبها ومستوياتها.

٣٠ - ﴿وَإِذۡ قَالَتۡ أُمَّةٞ مِّنۡهُمۡ لِمَ تَعِظُونَ قَوۡمًا ٱللَّهُ مُهۡلِكُهُمۡ أَوۡ مُعَذِّبُهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدٗاۖ قَالُواْ مَعۡذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ١٦٤﴾ [الأعراف: ١٦٤].

أولاً: القراءات:

١. قرأ حفص ﴿مَعۡذِرَةً﴾ بالنصب.

---

(٦٨٧) انظر: الكشف (٤٨٠/١). كتاب معاني القراءات ص ١٩١. والمغنى (١٦٦/٢ - ١٦٧).

٢. وقرأ الباقون ﴿مَعْذِرَةٌ﴾ بالرفع[٦٨٨].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

﴿عذر﴾ : العُذْرُ تحرِّي الإنسان ما يمحو به ذنوبه، ويقال عُذْرٌ وعُذُرٌ وذلك على ثلاثة أضربٍ: إما أن تقول لم أفعل؛ أو يقول فعلت لأجل كذا، فيذكر ما يخرجه عن كونه مذنباً، أو يقول فعلت وأعود، ونحو ذلك من المقال، وهذا الثالث هو التوبة، فكل توبة عذر وليس العكس، واعتَذَرْتُ إليه أَتَيْتُ له بِعُذْرٍ، وَعَذرْتُهُ قَبِلْتُ عُذْرَهُ[٦٨٩].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

تبين الآيات الكريمة حال الفرقة الناهية، الناجية من بني إسرائيل حيث انقسموا إلى ثلاث فرق وفق أمر الله، فرقة اعتدت بالصيد يوم السبت فعصت وكانوا نحواً من سبعين ألفاً، وفرقة نهت عنه واعتزلت وكانوا اثني عشر ألفاً، وفرقة اعتزلت ولم تنه ولم تعص، وأن هذه الطائفة قالت للناهية ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا﴾ تريد الفرقة العاصية ﴿اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ﴾ على غلبة الظن ﴿عَذَابًا شَدِيدًا﴾ بناء على ما عُهد من فعل الله تعالى حينئذ بالأمم العاصية ﴿قَالُواْ مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ قالوا أي نعظهم لأجل المعذرة إلى الله تعالى، وطلب عفوه ومغفرته[٦٩٠].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة ﴿مَعْذِرَةٌ﴾ رفعاً أي موعظتنا إياهم معذرة، والمعنى أن الأمر بالمعروف واجب علينا فعلينا موعظة هؤلاء عذراً إلى الله.

وقراءة الرفع تدلل على حالهم وديدنهم، لأنهم لم يريدوا أن يعتذروا اعتذاراً مستأنفاً من أمر عتيبوا عليه، ولكنهم قيل لهم لَمَ تعظون قوماً!؟

(٦٨٨) النشر في القراءات العشر (٢/٢٠٤).

(٦٨٩) معجم مفردات ألفاظ القرآن ص ٣٣٩.

(٦٩٠) انظر: تفسير القرطبي (٤/٢٦٥). وتفسير البيضاوي ص٢٢٧. وصفوة البيان ص٢٢٥.

قالوا: موعظتنا (مَعْذِرَةٌ) إلى ربكم(٦٩١).

أفادت قراءة ﴿مَعْذِرَةً﴾ نصباً وذلك على معنى نعتذر معذرة(٦٩٢).

ولو قال رجل لرجل (مَعْذِرَةً) إلى الله وإليك من كذا وكذا يريد اعتذاراً بالنصب.

* قال ابن زنجلة: «قرأ حفص ﴿مَعْذِرَةً﴾ بالنصب على المصدر وحجته أن الكلام جواب كأنه قيل لهم ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾ فأجابوا فقالوا: (**نعظهم اعتذاراً ومعذرة إلى ربهم**) وقرأ الباقون ﴿مَعْذِرَةٌ﴾ بالرفع، قال سيبويه: (**معناه موعظتنا إياهم معذرة**) فالمعنى أنهم قالوا: الأمر بالمعروف واجب علينا، فعلينا موعظة هؤلاء لعلهم يتقون(٦٩٣).

خامساً: وبالجمع بين القراءتين يتضح أن الموعظة كانت معذرة إلى الله سبحانه، وبراءة من كل فعل فعلوه سواء كان ردهم من ذاتهم أو من كلام الفرقة الناهية لهم، فبكل الأحوال هي أمر واجب من باب الأمر بالمعروف، وكذلك اعتذار من فعلهم إلى ربكم، على أنه خبر مستأنف وقوعه منهم، لمن قرأ بالضم على إضمار مبتدأ دلّ عليه الكلام لِمَ تعظون قوماً هذه سبيلهم؟ قالوا: والتقدير موعظتنا معذرة منا إلى الله، وقراءة الفتح: على المفعول المطلق نعظهم اعتذاراً ومعذرة؛ أو المفعول لأجله موعظتنا معذرة منا إلى الله(٦٩٤).

٣١ ـ ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾ [الأعراف: ١٧٢].

---

(٦٩١) انظر: التوجيه البلاغي د. أحمد سعد محمد ص ٩٧.

(٦٩٢) انظر: زاد المسير (٣/٢٧٧).

(٦٩٣) حجة القراءات ص ٣٠٠.

(٦٩٤) انظر: الكشف (١/٤٨١).

أولاً: القراءات:

١. قرأ ابن كثير والكوفيون ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ بغير ألف على التوحيد.

٢. وقرأ الباقون ﴿ذُرِّيَّاتِهِمْ﴾ على الجمع مع كسر التاء.

١. قرأ أبو عمرو ﴿أَن يَقُولُوا﴾ بالغيب.

٢. وقرأ الباقون ﴿أَن تَقُولُوا﴾ بالخطاب[٦٩٥].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

﴿ذُرِّيَّه﴾: الذرية ولد الرجل، والذرية: اسم جمع لما يتولد من الإنسان، وجمعه الذريات؛ والذريات: الأعقاب المتناسلة[٦٩٦].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

تبين الآيات الكريمة السابقة هداية الله ﷻ للبشر بإرسال الرسل، وأنزل الكتب، وقَفَّى بذكر الهداية لما أودع في فطرتهم وركب في عقولهم من الاستعداد للإيمان به وتوحيده ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾؟ أي اذكر أيها الرسول للناس كافة ما أخذه الله عليهم من ميثاق الفطرة، إذ استخرج من بني آدم ذريتهم جيلاً إثر جيل - **يعني بعضهم من ظهور بعض** - فاستغنى عن ذكر ظهر آدم لما علم أنهم كلهم بنوه خرجوا من صلبه، وخلقهم على فطرة الإسلام بما أودع في قلوبهم من غريزة الإيمان اليقيني، بأن للكون إلهاً هو ربهم وخالقهم ﴿قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا﴾ أي قالوا بلسان الحال لا بلسان المقال: بلى أنت ربنا المستحق وحدك للعبادة؛ وكفى بالمرء أن يكون يوم القيامة شاهداً على نفس؛ فحين يأتي يوم القيامة ﴿أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾، فلا داعي

(٦٩٥) النشر في القراءات العشر (٢/٢٠٥).

(٦٩٦) انظر: القاموس المحيط ص٥٠٧ مادة ذر.

أن يقول أحد منهم إنني كنت غافلا(٦٩٧).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ على التوحيد، وحجة من قرأ على التوحيد أن الذرية تقع للواحد والجمع، قال الله ﷻ: ﴿هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾ [آل عمران: ٣٨] فهي للواحد، فبشر بيحيى كما يؤكده في موضع آخر: ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾ [مريم: ٥] وقد أُجمع على التوحيد في قوله: ﴿مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ﴾ [مريم: ٥٨] ولا شيء أكثر من ذرية آدم، وقال تعالى ﴿وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ﴾ [الأعراف: ١٧٣] وهنا للجمع وقد استغنى بذلك عن الجمع، ومثله **(البشر)** يقع للواحد والجمع.

أفادت قراءة ﴿ذُرِّيَّاتِهِمْ﴾ على الجمع وكسر التاء، وحجة من جمع أنه لمّا كانت الذرية تقع للواحد أتى بلفظ لا يقع للواحد، فجمع ليخلص الكلمة إلى معناها المقصود إليه، لا يشركها فيه شيء وهو الجمع، لأن ظهور بني آدم استخرج منها ذريات كثيرة متناسبة أعقاباً بعد أعقاب، ولا يعلم عددهم إلا الله فجمع لهذا المعنى والجمع بالتاء والألف يقع للتكثير على تقدير جمع بعد جمع(٦٩٨).

* قال ابن خالويه ﴿مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ يقرأ بالتوحيد والجمع؛ فالحجة لمن وحّد: فإنه جعله مُوحّداً في اللفظ، مجموعاً في المعنى؛ دليله قوله تعالى: ﴿أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ﴾ [النور: ٣١] والحجة لمن جمع: أنه طابق بذلك بين اللفظين لقوله: ﴿مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ معنى الآية: إن الله مسح ظهر آدم، فأخرج الخلق منه، كأمثال الذّر فأخذ عليهم العهد بعقل ركبه فيهم، وناداهم ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾ فكل أحد إذا بلغ الحُلُمَ، علم بعقله أنّ الله ﷻ خالقه. واستدل بذلك عليه؛

---

(٦٩٧) انظر: تفسير البغوي (٣/٢٩٩). وتفسير المراغي (٧ ـ ٩/١٠٣). وايسر التفاسير ص٢٦٠. وفتح القدير (٢/٢٦٤).

(٦٩٨) انظر: الكشف (١/٤٨٣).

وإن قيل فما وجه بعثة الرسل؟ قلنا إيضاح للبراهين وتأكيد للحجة عليها(٦٩٩).

خامساً: وبالجمع بين القراءتين نجد أن العلاقة بينهما بلاغية تهدف إلى أهمية العهد والميثاق الذي أخذه الحقُّ ﷻ على الخَلْق؛ فهو في حق الفرد كما هو في حق الجميع؛ فقراءة الواحد يراد بها الجمع؛ لأن الذرية تكون جمعاً وتكون واحداً، والميثاق مسؤول عنه كل واحد، ويؤكد ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام: ٩٤] للسؤال قال ﷺ(٧٠٠) (يقال للرجل من أهل النار يوم القيامة: أرأيت لو كان لك ما على الأرض من شيء أكنت مفدياً؟ فيقول: نعم، فيقول قد أردت منك أهون من ذلك، قد أخذت عليك في ظهر آدم أن لا تشرك بي شيئاً فأبيت إلا أن تشرك)(٧٠١).

كما إن الاسلوب هو ضرب من ضروب البلاغة وهو الالتفات من الغيبة إلى الخطاب، أي أن الآية الكريمة تذكير بما أُخذ على جميع المكلفين من الميثاق، واحتجاج لئلا يقول الكفار: ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ﴾ يعني الميثاق والعهد والإقرار(٧٠٢).

٣٢ ـ ﴿أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الأعراف: ١٧٣].

أولاً: القراءات:

١. قرأ أبو عمرو ﴿أَن يَقُولُوا﴾ بالغيب.

٢. وقرأ الباقون ﴿أَن تَقُولُوا﴾ بالخطاب(٧٠٣).

---

(٦٩٩) الحجة ص٩٢.

(٧٠٠) مسند الإمام أحمد ـ مسند أنس بن مالك ـ حديث رقم ١٢٦٢٣.

(٧٠١) التحرير والتنوير (٥/ ١٦٩).

(٧٠٢) انظر: مفاتيح الأغاني ص١٨٥. والكشف (٤٨/١). والحجة ص٩٢.

(٧٠٣) النشر في القراءات العشر (٢/٢٠٥).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

﴿قل﴾: القول الكلام، أو كل لفظ مُذلٍ به اللسان، تاماً أو ناقصاً(٧٠٤).

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

الآية الكريمة تبين لنا كيف تنصل أولئك الناقدون للعهود والمواثيق، ثمّ إنّ الله ﷻ لا يقبل منهم الاعتذار بالجهل، أو بتقليد الآباء والأجداد؛ إذ التقليد عند قيام الدلائل والقدرة على الاستدلال بها لا يُلجأ اليه ولا جدوى من التمسك به.

* قال البغوي، في بيان معنى الآية الكريم ﴿أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ﴾: إنما الميثاق عليكم لئلا تقولوا أيها المشركون: إنَّما أشرك آباؤنا من قبل ونقضوا العهد وكنا ذرية من بعدهم، أي كنَّا أتباعا لهم فاقتدينا بهم، فتجعلوا هذا عذراً لأنفسكم وتقولوا: ﴿أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ أي فتعذبنا بجناية آبائنا المبطلين، فلا يمكنهم أن يحتجوا بمثل هذا الكلام بعد تذكير الله تعالى لهم بأخذ الميثاق على التوحيد(٧٠٥).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (يَقُولُواْ) بالياء ورده على لفظ الغيبة المتكرر قبله، وهو قوله: ﴿مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ وقوله: ﴿بَلَىٰ﴾ أيضاً لفظ غيبة، وكذا وكنا ذرية من بعدهم فحمله على ما قبله وما بعده من لفظ الغيبة.

وأفادت قراءة (تَقُولُواْ) بالتاء فيهما ردُّوه على لفظ الخطاب المتقدم في قوله ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ﴾ ويكون (شهدنا) من قول الملائكة لمّا

(٧٠٤) القاموس المحيط ١٣٥٨مادة قول.

(٧٠٥) انظر: تفسير البغوي (٣/٣٠٠).

قالوا بلى قالت الملائكة شهدنا أن (تقولوا أو تقولوا) أي لئلا تقولوا وقيل معنى ذلك أنهم لما قالوا بلى فأقروا له بالربوبية قال الله ﷻ للملائكة اشهدوا قالوا شهدنا بإقراركم لئلا تقولوا أو تقولوا. وهذا قول مجاهد، وقال ابن عباس: وغيرهم قوله شهدنا: هو من قول بني آدم والمعنى شهدنا أنك ربنا إلهنا وقال ابن عباس أشهد بعضهم على بعض، فالمعنى: على هذا قالوا بلى شهد بعضنا على بعض، فإذا كان ذلك من قول الملائكة فيوقف على بلى ولا يحسن الوقف عليه إذا كان من قول بني آدم؛ لأن أن متعلقة بما قبل بلى من قوله: وأشهدهم على أنفسهم لئلا يقولوا.

عن عمر أن النبي ﷺ قال: (أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم كما يؤخذ بالمشط من الرأس فقال: لهم ألست بربكم؟ قالوا بلى قالت الملائكة شهدنا أن تقولوا أي شهدنا عليكم بالإقرار بالربوبية لئلا تقولوا أو تقولوا)[706] فهذا يدل على التاء، قال مكي: وهو الاختيار لصحة معناه ولأن الجماعة عليه.»[707].

* قرأ أبو عمرو ﴿أَن يَقُولُوٓاْ﴾ بالغيب، وقرأ الباقون ﴿أَن تَقُولُوٓاْ﴾ بالخطاب؛ وفي القراءتين التفات من الغيب إلى الخطاب[708].

خامساً: وبالجمع بين القراءتين نجد أنه ليس هناك مفر من الإقرار سواء كان القول على لسانهم والإقرار والاعتراف من قبلهم، أو على لسان الملائكة بقوله: بلى قالت الملائكة شهدنا أن تقولوا أي شهدنا عليكم بالإقرار بالربوبية لئلا تقولوا، كما ويؤكد على أن الهلاك لا يكون بما فعله الآباء من الشرك إنما الإهلاك بما فعلتموه أنتم بأنفسكم حينما نسيتم العهد وتنكرتم للإقرار.

---

(٧٠٦) أخرجه مالك في القدر باب النهي عن القول بالقدر، الترمذي في التفسير (٥/٢٦٧). والحديث حسن صحيح.

(٧٠٧) انظر: تفسير القرطبي (٤/٢٧٤).

(٧٠٨) القراءات وأثرها في التفسر (٢/٨٧٠).

٣٣ - ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف: ١٨٠].

أولاً: القراءات:

١. قرأ حمزة ﴿يَلْحَدُونَ﴾ بفتح الياء والحاء.

٢. وقرأ الباقون ﴿يُلْحِدُونَ﴾ بضم الياء وكسر الحاء[٧٠٩].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

﴿لحد﴾: اللَحْدُ حُفْرَةٌ مائلَةٌ عن الوسط وقد لَحَدَ القبر حفرهُ كذلك وألحدهُ، وقد لحدت الميت وألحدته جعلته في أللَّحَدَ، ويسمَّى اللحد مَلْحداً وذلك اسم موضع من ألحدته، ولحد بلسانه إلى كذا مال، وأَلْلحْدَ فلان مال عن الحقِّ والإلحاد ضربان: إلحادٌ إلى الشرك بالله، وإلحاد إلى الشرك بالأسباب، فالأول: ينافي الإيمان ويبطله، والثاني: يوهن عراه ولا يبطله والإلحاد في أسماء الله على وجهين: أحدهما: أن يُوصف بما لا يصح وصفه به؛ والثاني: أن يتأول أوصافه على ما لا يليق به، والتحد إلى كذا مال إليه، وألحد السهم الهدف: مال في أحد جانبيه[٧١٠].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

تتحدث الآية الكريمة عن أسماء الله الحسنى وصفاته العليا فادعوه بها، ومن أسمائه: العزيز الجبار، وكل أسماء الله حسن، كما وتنهى عن اتباع الذين يلحدون في أسمائه؛ عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ (إنَّ لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً، من أحصاها دخل الجنة)[٧١١]، وهو وتر يحب الوتر ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ لأنها دالة على معان هي أحسن

(٧٠٩) النشر في القراءات العشر (٢/٢٠٥).

(٧١٠) انظر: لسان العرب ٣٨٨/٣. مادة لحد.

(٧١١) اخرجه البخاري. كتاب التوحيد. باب إنّ لله مائة اسم إلا واحد. حديث رقم ٧٣٩٢. انظر فتح الباري (٣٨٩/١٣).

المعاني والمراد بها الألفاظ، وقيل الصفات ﴿فَٱدۡعُوهُ بِهَا﴾ فسموه بتلك الأسماء ﴿وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ﴾ واتركوا تسمية الزائغين فيها الذين يسمونه بما لا توقيف فيه؛ كما فعلوا فسموا بها أوثانهم فزادوا ونقصوا فاشتقوا اللات من الله، والعزى من العزيز، ومناة من المنان، وإذ ربما يوهم معنى فاسداً كقولهم: يا أبا المكارم، يا أبيض الوجه، أو لا تبالوا بإنكارهم ما سمى به نفسه كقولهم ما نعرف إلا رحمان اليمامة أو وذروهم وإلحادهم فيها بإطلاقها على الأصنام واشتقاق أسمائها منها كاللات من الله، والعزى من العزيز، ولا توافقوهم عليه أو أعرضوا عنهم فإن الله مجازيهم كما قال ﴿سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ وقرأ حمزة يلحدون بالفتح، يقال لحد وألحد إذا مال عن القصد، سيجزون ما كانوا يعملون في الآخرة(٧١٢).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة ﴿يَلۡحَدُونَ﴾ بفتح الياء والحاء، وقراءة ﴿يُلۡحِدُونَ﴾ بضم الياء وكسر الحاء أنهما لغتان بمعنى واحد.

* قال الدكتور محمد سالم محيسن: «قرأ حمزة ﴿يَلۡحَدُونَ﴾ بفتح الياء والحاء، وقرأ الباقون ﴿يُلۡحِدُونَ﴾ بضم الياء وكسر الحاء، ولحد وألحد لغتان بمعنى واحد، وهو: العدول عن الاستقامة القبر، والجمع ومن قيل اللحد، لأنه إذا حفر يمال به إلى جانب القبر يقال اللّحد بفتح اللام: الشق في جانب لحود مثل فلس، وفلوس؛ وألحد، إلحاداً: جادل ومارى، ولحد: جار وظلم، وألحد في الحرم بالألف: استحل حرمته وانتهكها»(٧١٣).

خامساً: وبالجمع بين القراءتين نجد أن العلاقة بينهما تفسيرية تتضمن عدم الميل أو الجور وراء تحريف أسماء الله ﷻ كما ولا يجوز المماراة

---

(٧١٢) انظر: تفسير ابن كثير (٢/٢٣٤). وصفوة البيان ص ٢٢٨. وتفسير المراغي (٧ - ٩/١١٧). وتفسير النسفي (١ - ٢/٨٧).

(٧١٣) المغني (٢/١٧٦). والكشف (١/٤٨٤). والمهذب (١/٢٥٨).

والمجادلة فلَحَدْتُ: جُرْتُ ومِلْتُ، وأَلْحَدت: مارَيْتُ وجادَلْتُ. وبكلاهما لا يجوز الميل والجور عن القصد؛ فمن أَجَلّ القربات وأعظمها، ذكر الله تعالى، فإذا ما أراد الإنسان القرب من الله تعالى، فليسأله بأحد أسمائه تعالى بسبب إخراج الحروف من غير مخارجها، حتى تلتبس بألفاظ أخرى، فإن هذا العمل غير صحيح ومردود على صاحبه، وهذه دعوة إلى تقديس أسماء الله ﷻ.

٣٤ - ﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ وَيَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [الأعراف: ١٨٦].

أولاً: القراءات:

١. قرأ المدنيان وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر ﴿وَنَذَرُهُمْ﴾ بالنون.

٢. وقرأ حمزة والكسائي وخلف ﴿وَيَذَرْهُمْ﴾ بجزم الراء.

٣. وقرأ الباقون ﴿وَيَذَرُهُمْ﴾ برفعها[٧١٤].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

﴿ذر﴾ : فعل أمر قيل: لم يرد له ماض ولا مصدر ولا اسم فاعل ولا اسم مفعول فتصاريفه هذه مماتة في الإستعمال استغناء عنها بأمثالها من مادة ترك تجنباً للثقل واستعمل مضارعه والأمر منه[٧١٥].

وقد أماتت العرب ماضيه ومصدره، فإذا أريد الماضي قيل: ترك وربما يستعمل الماضي منه على قلة[٧١٦]، ﴿نذرهم﴾: أي ندعهم ونتركهم[٧١٧].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

تتحدث الآية الكريمة عن سنة باقية من سنن المولى ﷻ وهي ﴿مَن

(٧١٤) النشر في القراءات العشر (٢/٢٠٥).

(٧١٥) انظر: التحرير والتنوير (٤/٢٩٤).

(٧١٦) انظر: المغني (٢/١٧٧).

(٧١٧) انظر: أيسر التفاسير (٢/٢٦٨).

﴿يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ﴾ أي أن المولى ﷻ أنزل القرآن أعظم الكتب السماوية وأرسل محمداً ﷺ أشرف وأعظم الرسل وجعله أكملهم عقلاً، وأجملهم أخلاقاً، فمن فقد الاستعداد للإيمان بهذا الرسول وبهذا الكتاب المبين، فقد أضله الله ومن يضله الله فلا هادي له؛ لأنَّ سنة الله اقتضت في خلق الإنسان وارتباطه بأسباب تترتب عليها مسببات، بأن يبقى راسخاً في الضلال، فإن رسخت أقدامه في الضلال فمن يهديه من بعد الله؟ ولا قدرة لأحد من خلقه على تغيير أو تبديل سنن الله ﴿وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ وقد تجلت قدرته أن يترك هؤلاء الضالين في طغيانهم يترددون حيارى لا يهتدون سبيلاً للخروج مما هم فيه بما جنته أيديهم من الظلم والطغيان وتجاوز الحد(٧١٨).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد أفادت قراءة الرفع ﴿وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ﴾؛ ﴿وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ﴾ على الإستئناف بالياء والنون، أي نحن أو هو؛ وقرئ بالجزم والسكون عطف على محل الجملة الاسمية لأنها جواب الشرط(٧١٩).

* قال ابن زنجلة: «قرأ نافع وابن عامر وابن كثير ﴿وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ﴾ بالنون والرفع على الإستئناف، أي نحن نذرهم، فأخبر المولى ﷻ عن نفسه بلفظ الجمع على العظمة.

وقرأ أبو عمرو وعاصم ﴿وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ﴾ الياء والرفع على الإستئناف؛ وحجتهما قوله: ﴿مَن يُضْلِلِ اللَّهُ﴾ ثم قال: ﴿وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ﴾ يعني يذرهم الله؛ إخباراً عنه.

وقرأ حمزة والكسائي ﴿وَيَذَرْهُمْ﴾ بالياء وجزم الراء، عطفاً على موضع الفاء في قوله ﴿فَلَا هَادِيَ لَهُ﴾؛ لأنه في محل جزم جواب الشرط،

(٧١٨) انظر: تفسير الطبري (١١٦/٥). وتفسير النسفي (١ ـ ٨٨/٢). وتفسير التحرير والتنوير (١٩٩/٥). وتفسير المراغي (٧ ـ ١٢٦/٩).

(٧١٩) حاشية الشهاب (٤/ ٤١٢).

والمعنى: «من يضلل الله يذره في طغيانه فلا يهديه أحد»[720].

خامساً: وبالجمع بين القراءتين نجد أن هناك التفات من الغيبة إلى التكلم، ينبىء بأن من يضلله الله يذره في طغيانه عامهاً أي: متحيراً. فمن قرأ بالرفع على الاستئناف أي يذرهم الله تعالى، ومن قرأ بنون العظمة على طريق الالتفات أي ونحن نذرهم، أي يخبر الله عن نفسه بأنه سيُترك المضلون يتخبطون في طغيانهم، ولا يهديهم ولا يشرح صدورهم للهداية[721].

٣٥ ـ ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾﴾ [الأعراف: ١٩٠].

أولاً: القراءات:

١. قرأ المدنيان وأبو بكر ﴿وجَعَلَا لَهُ شِرْكًا﴾ بكسر الشين وإسكان الراء مع التنوين من غير مد ولا همز.

٢. وقرأ الباقون ﴿وجَعَلَا لَهُ شُرَكَاء﴾ بضم الشين وفتح الراء والمد وهمزة مفتوحة من غير تنوين[722].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

﴿جَعَلَ﴾: لفظ عام في الأفعال كلها، وهو أعم من فعل وصنع وسائر أخواتها ويتصرف على خمسة أوجه، الأول: يجري مجرى صار وطفق فلا يتعدى نحو جعل؛ والثاني: يجري مجرى أوجد فيتعدى إلى مفعول واحد؛ والثالث: في إيجاد شيء من شيء وتكوينه منه؛ والرابع: في تصيير الشيء على حالة دون حالة، والخامس: الحكم بالشيء على الشيء

---

(٧٢٠) حجة القراءات ص ٢٠٣/٢٠٤. والكشف (٤٨٥/١). والمغني (٢ /١٧٦ ـ ١٧٧). وكتاب معاني القراءات ص١٩٤.

(٧٢١) انظر: كتاب معاني القراءات ص ١٩٤. والقراءات وأثرها في التفسير (٨٧١/٢). والقراءات وأثرها في علوم العربية (٢ /١٣٤).

(٧٢٢) النشر في القراءات العشر (٢٠٥/٢).

حقاً كان أو باطلا(٧٢٣).

﴿شِرْكَ﴾: أشرك بالله: جعل له شريكاً في ملكه، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، والشرك أن يجعل لله شريكاً في ربوبيته؛ تعالى الله عن الشركاء والأنداد(٧٢٤).

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

الآية الكريمة تتحدث عن حكاية ذرية آدم عليه السلام ممن رزقهم الله الذرية والبنين، فأشركوا مع الله وسموا أولادهم بأسماء الشياطين. قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ﴾ شكت حواء أحملت أم لا؟ ﴿فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ أتاهما إبليس - لعنة الله عليه - فقال: هل تدريان ما يولد لكما؟ أم هل تدريان ما يكون أبهيمة أم لا؟ وزين لهما الباطل إنه غوي مبين، وقد كانت قبل ذلك ولدت ولدين فماتا، فقال لهما الشيطان: إنكما إن لم تسمياه بي لم يخرج سوياً ومات، ثم قال لهما إني صاحبكما الذي أخرجتكما من الجنة لتطيعاني أو لأجعلنَّ له قَرْنَي إبل فيخرج من بطنك فيشقه ولأفعلن؛ ولأفعلن يخوفهما فَسَمِيّاه عبد الحارث فأبيا أن يطيعاه فخرج ميتاً ثم حملت يعني الثانية فأتاهما أيضاً فقال أنا صاحبكما الذي فعلت ما فعلت لتفعلنَّ أو لأفعلنَّ يخوفهما فأبيا أن يطيعاه فخرج ميتا ثم حملت الثالثة فأتاهما أيضا فذكر لهما فأدركهما حب الولد فسمياه عبد الحارث ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا﴾ أي لما أعطاهما الله عز وجل ما طلباه ووهبهما الولد الصالح السوي المعافاة، الصالح للقيام بالمهام ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ﴾ أي جعل هؤلاء الأولاد والنسل لله شركاء من الأصنام والأوثان ﴿فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَآ﴾ من الأولاد أي سموهم بعبد العزى، وعبد مناف وغيرهم. ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ أي تنزه وتقدس الله عما ينسبه إليه

---

(٧٢٣) معجم مفردات ألفاظ القرآن ص٩٢.

(٧٢٤) انظر: لسان العرب (١٠/٤٥٠). مادة شرك.

المشركون من الشركاء والأنداد[٧٢٥].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (**شِرْكاً**) بكسر الشين والتنوين، أي شركة أو اشتراكاً مع الله، والمفعول الثاني محذوف تقديره (**أي جعلا له الأصنام شركة**). وقال أبو عبيدة: أي: حظاً ونصيباً.

وأفادت قراءة (**شُرَكَاء**) بضم الشين ممدوداً على جمع شركة يعني: إبليس، أخبر عن الواحد بلفظ الجمع أي: جعلا له شريكاً إذ سمّياه عبد الحارث، ولم يكن هذا إشراكاً في العبادة ولا أن الحارث ربُّهما، فإنَّ آدم كان نبياً معصوماً من الشرك، ولكن قصد إلى أن الحارث كان سبب نجاة الولد وسلامة أمه، وقد يطلق اسم العبد على من لا يراد به أنه مملوك، كما يطلق اسم الرب على من لا يراد به أنه معبود هذا، كما قال يوسف لعزيز مصر: إنه ربي، ولم يرد أنه معبوده[٧٢٦].

* قال ابن زنجلة: قال الزجاج: من قرأ (**شِرْكاً**) فهو مصدر (**شَرَكْتُ الرجلَ أشْرِكُهُ شِرْكاً**) قال بعضهم: ينبغي أن يكون عن قراءة من قرأ (**شِرْكاً**): جعلا لغيره شِرْكاً، يقول لأنهما لا ينكران أن يكون الأصل له ﷻ فالشرك يُجعل لغيره، وهذا على معنى (**جعلا له ذا شرك**) مثل (**وسل القرية**).

ومن قرأ (**شُرَكاء**) على (**فُعَلاء**) جمع شريك، وحجتهم في ذلك أنَّ آدم وحواء كانا يدينان بأن ولدهما من رزق الله وعطيته، ثم سمياه عبد الحارث، فجعلا لإبليس فيه شركاء بالاسم، ولو كانت القراءة (**شِرْكاً**) وجب أن يكون الكلام: جعلا لغيره فيه شِرْكاً؛ **وفي نزول الوحي بقوله: (جعلا له)**

---

(٧٢٥) انظر: تفسير ابن كثير (٢/٢٤٠). وتفسير المقتطف (٢/٣٠٦). وتفسير فتح القدير (٢/٢٧٥). وتفسير البيضاوي ص٢٣٢. وأيسر التفاسير (٢/٢٧٤).

(٧٢٦) انظر: تفسير الطبري (٥/١٠١). وتفسير البغوي (٣ /٣١٣ ـ ٣١٤). والتحرير والتنوير (٥/٢١٥). وتفسير النسفي (١ ـ ٢/٩٠).

ما يوضح أن الصحيح من القراءة (**شُرَكاء**) بضم الشين على ما بيناه؛ والحجة أن العرب تخرج الخبر عن الواحد مخرج الخبر عن الجماعة، مثاله قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾ [آل عمران: ١٧٣]. فالقائل واحد هو نعيم بن مسعود الأشجعي[٧٢٧]: فعبر عنه بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ﴾ بالجمع[٧٢٨].

خامساً: وبالجمع بين القراءتين نجد أن العلاقة لغوية الغرض منها بيان الإعجاز البياني للقرآن الكريم الذي جعله صالحاً لكل زمان ومكان، بل هو خطاب للبشرية جمعاء على مرِّ العصور والأزمان، فقراءة (**شِرْكاً**) هي لآدم وزوجه ـ عليهما السلام ـ فقط، أما قراءة (**شُرَكاء**) التي هي جمع (**شَرِيك**) فهي لذرية آدم من بعده، وبالقراءتين خطاب للجميع بعدم اتخاذ شريك لله؛ لأنه سبحانه لا يقبل شريكاً.

٣٦ ـ ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَـٰمِتُونَ ﴿١٩٣﴾﴾ [الأعراف: ١٩٣].

أولاً: القراءات:

١. قرأ نافع ﴿لَا يَتْبَعُوكُمْ﴾ بإسكان التاء وفتح الباء.

٢. وقرأ الباقون ﴿لَا يَتَّبِعُوكُمْ﴾ بفتح التاء مشددة وكسر الباء[٧٢٩].

---

(٧٢٧) نعيم بن مسعود الأشجعي هو: صحابي جليل من ذوي العقل الراجح، قدم على رسول الله ﷺ سراً أيام الخندق واجتماع الأحزاب فأسلم وكتم إسلامه، وعاد إلى الأحزاب، وألقى الفتنة بين قبائل قريظة، وغطفان وقريش، فتفرقوا في حديث طويل، وكان يقول بعد ذلك أنا خذلت بين الأحزاب حتى تفرقوا في كل وجه، وأنا أمين رسول الله ﷺ على سره، سكن المدينة، ومات في خلافة عثمان بن عفان ﷺ، وقيل قتل يوم الجمل قبل قدومه على البصرة. انظر الأعلام للزركلي (٤١/٨).

(٧٢٨) حجة القراءات ص ٣٠٥. والكشف (٤٨٦/١). انظر: المغني (١٧٨/٢). والحجة ص ٩٢ ـ ٩٣.

(٧٢٩) النشر في القراءات العشر (٢٠٥/٢).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

﴿تبع﴾ : تَبِعَ الشيء تَبَعَاً وتَباعاً في الأفعال، وتَبِعتُ الشيء تُبوعاً: سِرْت في إثْره؛ واتَّبَعَه وأتْبَعَه وتتَبَّعه قَفَّاه وتطلبَّه مُتَّبعاً له، وكذلك تتَبَّعه وتتبَّعْته تتَبُّعاً، وتبعت الشيء وأتْبَعْتُه: مثل رَدِفتْهُ وأرْدفتُه؛ وتَبِعْتُهم تَبَعاً، ويقال ما زِلْتُ أتْبَعُهم حتى أتْبَعْتُهم أي حتى أدركتُهم(٧٣٠).

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

تتحدث الآية الكريمة عن طبيعة هذه الأصنام التي اتخذوها آلهة من دون الله سبحانه؛ فقال تعالى: ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ﴾ والخطاب هنا موجه للكفار على سبيل التوبيخ والتقريع على عبادة غير الله، بمعنى إن تدعوا هذه الأصنام إلى ما فيه الهدى والرشاد أو إلى أن يهدوكم كما تطلبون من الله ﷻ الهدى والرشاد لا يتبعوكم على مرادكم ولا يجيبوكم، وهذا بيان لعجزهم عما هو أدنى من النصر وأيسر، وهو مجرد الإرشاد إلى طريق الهدى، لأنها جمادات لا تعقل، ثم أكد ذلك بقوله: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ﴾ أي دعاؤكم لهم وصمتكم عنهم سيَّان فكيف يعبد من هو حاله؟ أي مستوٍ عليكم في عدم الفائدة، دعاؤكم للأصنام وسكوتكم، فليس هناك تغير في حالهم أو حالكم فهي جمادات لا تسمع ولا تعقل ولا تغني من الله شيئاً(٧٣١).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (لاَ يَتْبَعُوكُمْ) بإسكان التاء وفتح الباء مخففاً من تبع، ومعناه لا يتبعوا آثاركم وعطفت الجملة الاسمية على الفعلية؛ لأنها في معنى الفعلية والتقدير أم صمَتُّم.

---

(٧٣٠) انظر: لسان العرب (٨/٢٧ ـ ٢٨) مادة تبع.

(٧٣١) انظر: البحر المحيط (٥/٢٤٨). والمقتطف (٢/٣٠٨). والأساس في التفسير (٤/٢٠٧٢). وتفسير ابن كثير (٢/٢٤١).

* وأفادت قراءة (**لاَ يَتَّبِعُوكُمْ**) بفتح التاء مشددة وكسر الباء مشدداً، من اتبع ومعناها لا يقتدون بكم(٧٣٢).

وبناء على ذلك (**اتَّبَعَهُ**) إذا مضى خلفه فأدركه، بينما (**أَتْبَعَهُ**) إذا مضى خلفه ولم يدركه.

* قال القرطبي: «(لاَ يَتَّبِعُوكُمْ) مشدداً ومخففاً، لغتان بمعنى وقال أهل بعض اللغة؛ و(**اتَّبَعَهُ**) مشدداً إذا مضى خلفه فأدركه»(٧٣٣).

* قال ابن خالويه: «(لاَ يَتَّبِعُوكُمْ) يقرأ بالتشديد والتخفيف فالحجة لمن شدد: أنه أراد به: لا يسيرون على أثركم، ولا يركبون طريقتكم في دينكم، والحجة لمن خفف: أنه أراد به: لا يلحقوكم، ومنه قول العرب: أتَّبعه: إذا سار في أثره، وتَبِعَهُ: إذا لَحِقَهُ، وقيل: هما لغتان فصيحتان»(٧٣٤).

خامساً: وبالجمع بين القراءتين نجد أن العلاقة بينهما بلاغية تبين أن حالهم المستمرة أن يكونوا صامتين عن دعوتهم، فيقال إن دعوتموهم عند الحاجة لم تفترق الحال بين إحداثكم دعاءهم؛ وبين ما أنتم عليه من عادة صمتكم عن دعائهم فالنتيجة واحدة.

فمن مضى خلفهم فأدركهم لم يستفد من دعائهم فهم حجارة لا تضر ولا تنفع؛ ومن مضى خلفه ولم يدركهم أي لم يستفد من دعائهم فهم كذلك حجارة لا تضر ولا تنفع، ففي الحالتين النتيجة واحدة(٧٣٥).

٣٧ ـ ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ

---

(٧٣٢) انظر: البحر المحيط (٢٤٨/٥ ـ ٢٤٩).

(٧٣٣) انظر: تفسير القرطبي (٢٩٣/٤). وفتح القدير (٢٧٧/٢). والكشف (٤٨٦/١). والمغني (١٨٠/٢).

(٧٣٤) الحجة ص ٩٣.

(٧٣٥) انظر: الفريد (٣٩٥/٢).

يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَآ قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾ [الأعراف: ١٩٥].

أولاً: القراءات:

١. قرأ أبو جعفر ﴿يَبْطُشُونَ﴾ بضم الطاء.

٢. وقرأ الباقون ﴿يَبْطِشُونَ﴾ بكسرها[٧٣٦].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

﴿بَطَشَ﴾ : البطش التناول بشدة الصَّولة، والأخذ الشديد في كل شيء؛ بَطَشَ يَبْطُش ويَبْطِش بَطْشاً؛ والبطش: هو الأخذ القويّ الشديد، والبطشة: السطوة والأخذ بالعنف؛ وباطَشَه مُباطَشَةً، وبطش به يبطش بطشاً: سطا عليه في سرعةٍ فائقة[٧٣٧].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

الآية الكريمة تؤكد وتتمم ما قبلها من شرائع العقيدة، وتقرر مبدأ التوحيد، وتنفي الشرك، ليتأكد في النفوس ويثبت في القلوب، وبه تنخلع جذور الوثنية، وترسخ قواعد الإيمان.

قال تعالى: ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَآ﴾؟ أسلوب استفهام، غرضه تبكيت إثر تبكيت، مؤكد لما يفيده الأمر التعجيزي، فإن الاستجابة من الهياكل الجسمانية، فيقول المولى ﷻ لهؤلاء الذين عبدوا الأصنام، من دون معرفتهم، جهْلٌ ما هم مقيمون عليه من عبادة هذه الأصنام، ألهم أرجل يمشون بها؟ فيسعون معكم ولهم في حوائجكم ويتصرفون بها في منافعكم أم لهم أيدٍ يبطشون بها؟ فيدفعون عنكم وينصركم بها عند قصد من يقصدكم بشرٍّ ومكروه أم لهم أعين يبصرون بها؟ فيعرّفونكم ما عاينوا

---

(٧٣٦) النشر في القراءات العشر (٢/٢٠٦).

(٧٣٧) انظر: لسان العرب ٦/٢٦٧ مادة بطش.

وأبصروا مما تغيبون عنه فلا ترونه أم لهم آذان يسمعون بها؟ فيخبروكم بما سمعوا دونكم مما لم تسمعوه، فإن كانت آلهتكم التي تعبدونها ليس فيها شيء من هذه الآلات التي ذكرتها، والمُعَظِّم لهذه الأشياء إنما يعظم لما يرجى منه من المنافع التي توصل إليه بعض هذه المعاني عندكم، فما وجه عبادتكم أصنامكم التي تعبدونها وهي خالية من تلك الأشياء التي يتوصل بها إلى إجتلاب المنافع ودفع الضرر ثم كرر التبكيت ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ كِيدُونِ﴾ أمر للنبي ﷺ بأن يناصبهم المحاجة ويأمرهم أن بالغوا في ترتيب ما تقدرون عليه من مبادئ المكر والكيد، أي: ابذلوا جهدكم في الكيد لي أنتم وشركاؤكم جميعاً دون أن تعطوني مهلة فلا تمهلوني ساعة بعد ترتيب مقدمات الكيد ﴿فَلَا تُنظِرُونِ﴾ فإني لا أبالي بكم أصلاً فلم تعبدون من هو دونكم(٧٣٨).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

بالنظر إلى قراءتي الضم والكسر نجد أنَّ كليهما لغتان من لغات العرب.

* قال الطاهر بن عاشور: «البطش الأخذ باليد، الإضرار بها بقوة، وقد جاء مضارعه بالكسر والضم على الغالب، فقراءة الجمهور بالكسر، وقرأ أبو جعفر: بضم الطاء وهما لغتان»(٧٣٩).

* قال الدكتور محيسن: «قرأ أبو جعفر ﴿يَبْطُشُونَ﴾ بضم الطاء، مضارع بطش يبطش، كخرج يخرج. وقرأ الباقون ﴿يَبۡطِشُونَ﴾ بكسر الطاء، مضارع بطش يبطش، كضرب يضرب، والبطش هو الأخذ بقوة»(٧٤٠).

خامساً: وبالجمع بين القراءتين وجدت الباحثة أن القراءتين لغتان لكل

---

(٧٣٨) انظر: تفسير القرطبي (١٠٣/٥). والمقتطف (٣٠٦/٢). والأساس (٢٠٧٣/٤). والكشاف (٢٢٩/٢).

(٧٣٩) التحرير والتنوير (٢٢٢/٥). وانظر: تفسير القرطبي (٢٩٥/٤). وفتح القدير (٢٧٨/٢).

(٧٤٠) المستنير (٢٠٦/١). وانظر: المغني (١٨١/٢).

منهما معنى تبلغ به نهاية الإيجاز؛ وغاية الإعجاز. وهو الأخذ بقوة، والتناول بشدة.

٣٨ - ﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَـٰبَ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾﴾ [الأعراف: ١٩٦].

أولاً: القراءات:

١. قرأ أبو عمرو ﴿إِنَّ وَلِيِّ ٱللَّهُ﴾ بياء واحدة مخففة.

٢. وقرأ الباقون ﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ﴾ بإظهار الياءين مع التشديد(٧٤١).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

﴿وَلِيِّ﴾ : الولاء، والتولي: هو أن يحصل شيئان فصاعداً ليس بينهما ما ليس منهما، ويستعار ذلك للقرب من حيث المكان، ومن حيث النسبة، ومن حيث الدين، ومن حيث الصداقة، والنصرة والاعتقاد، والولاية تولي الأمر، يقال للمؤمن: من هو وَلِيُّ الله ولم يرد مولاه، ويقال الله ﷻ وَلِيُّ المؤمنين ومولاهم، قال تعالى: (**إِنَّ وَلِيِّـيَ اللّهُ**)(٧٤٢).

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

الآية الكريمة عبارة عن محطة تبرئة من الشرك، فهي حرب ولاء وبراء.

فلما أمر الله ﷻ نبيه محمداً ﷺ بالتبري من الشرك وحثه على التولي قال تعالى: (إِنَّ وَلِيِّـيَ اللّهُ) أي ناصري ومعيني عليكم، ودافع شركم عني، الله (الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ) أي القرآن يؤيدني بنصره، وعلى العاقل أن يعبد الذي يتولى تحصيل المنافع له في الدارين الدنيا والآخرة، وهذا الكتاب قد اشتمل على خيري الدنيا والآخرة (وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ) ففي الدنيا ينصر عباده، فلا يضرهم عداوة من عاداهم، ونصره يكون تارة بالدفع عنهم،

(٧٤١) النشر في القراءات العشر (٢/٢٠٦).

(٧٤٢) انظر: مفردات ألفاظ القرآن للراغب ص ٨٨٥.

وأخرى بالحجة لهم، وقد روي أن عمر بن عبد العزيز كان لا يدخر لأولاده شيئاً، فقيل له في ذلك ...؟ فقال إما أن يكون ولدي من الصالحين فوليُّه الله ﷻ ولا حاجة له إلى مالي، وإمّا أن يكون من المجرمين فقد قال تعالى: ﴿فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ [القصص: ١٧](٧٤٣).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة التشديد (وَلِيِّـيَ) مضافاً لياء المتكلم المفتوحة، وهي قراءة واضحة، وقد أضاف (الولي) إلى نفسه. وقد يتم تخريج هذه القراءة بأن لا يكون (ولي) مضافاً إلى ياء المتكلم بل هو اسم نكرة، أي اسم (إنّ) والخبر (الله) وحذف من (وليّ) التنوين لالتقاء الساكنين كما حذف من قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص: ١]. والتقدير إنّ وليّاً حقّ وليّاً هو الله الذي نزل الكتاب وجعل اسم (إنّ) نكرة والخبر معرفة، وعليه فالوليّ الحق هو الله الذي لا إله إلا هو مباشرة.

وأفادت قراءة أبي عمرو (وَلِيَّ) بياء مشددة مفتوحة من أنّ وليّ الله بياء واحدة منصوبة مضافة إلى الله ﷻ. على أن يكون المراد جبريل عليه السلام. قال الأخفش: فيصير (الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ) من صفة جبريل عليه السلام. بدلالة قوله تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ ٱلْقُدُسِ﴾ [النحل: ١٠٢]. أما على قراءة العامة أن يكون خبر (إنّ) صفة لله ﷻ وهو (الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ)(٧٤٤).

خامساً: وبالجمع بين القراءتين نجد أنّ القراءتين إخبار من الله ﷻ بأنه وليّ الصالحين، إما مباشرة بنفسه فهو وليهم، ووليّ الشيء هو الذي يحفظه ويقوم عليه بنصرته ويمنع منه الضرر ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ وإمّا بواسطة جبريل عليه السلام الذي هو وليّ الله، فهو وليهم، فعليه يكون وليهم هو

(٧٤٣) انظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان على مصحف التهجد. تأليف: نظام الدين الحسن بن الحسن بن محمد بن الحسين القمي النيسابوري (١٩٦/٢) الطبعة الأولى ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م. دار الصفوة. وحيثما يأتي سأكتفي بقولي: غرائب القرآن.

(٧٤٤) انظر: البحر المحيط (٢٥٥/٥).

وليّ الله، وبذلك يكون الله هو وليهم إمّا بطريق مباشر أو بطريق غير مباشر.

والآية الكريمة تحمل في طياتها تحدياً ما بعده تحدٍ لأولئك الذين يُخَوِّفون النبي ﷺ بأصنامهم ولآلهتهم، يؤكده قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَكُمۡ وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾﴾ [الأعراف: ١٩٧]. أمّا قراءة (وَلِيِّـيَ) المشددة المضافة لياء المتكلم، التي فيها زيادة مبنى للدلالة على زيادة المعنى، لتشمل هذه النصرة بشارة عظيمة في ثناياها لأولياء الله، قال تعالى ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [يونس: ٦٢](٧٤٥).

٣٩ ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ﴿٢٠١﴾﴾ [الأعراف: ٢٠١].

أولاً: القراءات:

١. قرأ البصريان وابن كثير والكسائي ﴿مَسَّهُمْ طَيْفٌ﴾ بياء ساكنة بين الطاء والفاء من غير همزة ولا ألف.

٢. وقرأ الباقون ﴿مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٌ﴾ بألف بعد الطاء وهمزة مكسورة بعدها(٧٤٦).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

﴿مس﴾: مسته أي لمسته، والمَّس: الجُنونُ، مُسّ بالضم، فهو ممْسوسٌ، قال تعالى: ﴿ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ [القمر: ٤٨] أي: أول ما يَنالُكم منها، وبينهم رَحِمٌ ماسَّة، أي قرابة قَريبةٌ، وقد مَسَّت بك رَحِمُ فلان، وحاجَةٌ ماسَّةٌ: مُهِمَّةٌ، وقد مَسَّت إليه الحاجة، والمَسْمَسَةُ: اختلاط الأمر والتباسُهُ(٧٤٧).

---

(٧٤٥) انظر: فتح القدير (٢/٢٥٥). والدر المصون (٣/٣٨٦).
(٧٤٦) النشر في القراءات العشر (٢/٢٠٦).
(٧٤٧) انظر: القاموس المحيط ص٧٤١. مادة مسّ.

﴿طوف﴾ : الطوف المَشْيُ حول الشيء ومنه الطائف لمن يدور حول البيوت حافظاً، يقال طاف به يطوف قال تعالى: ﴿إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ وهو الذي يدور على الإنسان من الشيطان يريد اقتناصه، وقد قرئ طيفٌ وهو خيال الشيء وصورته المترائي له في المنام أو اليقظة ومنه قيل للخيال طيف(٧٤٨).

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

تتحدث الآية الكريمة عن المثل الأعلى والطريقة المُثلى فيمن يسلك طريق السلامة في الإستعاذة بالله من الشيطان ومن الوقوع في المعصية فقال ﷻ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟﴾ فهم خيار أهل الأرض وهم المؤمنون الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون، فإذا ألم بهم شيء فروا إلى الله؛ أي ﴿إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ ليحملهم بوسوسته على المعصية أو إيقاع البغضاء بينهم، ﴿تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ أي تذكروا أنَّ هذا من إغواء الشيطان عدوهم الذي حذرهم الله منه وأمرهم بالاستعاذة منه والالتجاء إليه ﷻ في الحفظ من الغواية، فإذا هم أولوا بصيرة يبرئون أنفسهم من هذه الوسوسة، والخطاب هنا للنبي ﷺ لأنه مطالب بمجاهدة الشيطان؛ ولأمته من بعده(٧٤٩).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة ﴿طَيْفٌ﴾ لمّة من الشيطان، وهي مصدر من قولهم طاف به الخيال يطيف طيفاً، وهو تخفيف طَيِّف؛ وهي على وزن فيعِلٌ من طاف يطيف، أو طاف يطوف(٧٥٠).

وأفادت قراءة ﴿طَٰٓئِفٌ﴾ وهو اسم فاعل من طاف يطوف كأنها طافت

(٧٤٨) انظر: معجم ألفاظ القرآن ص ٣٢٠.

(٧٤٩) انظر: فتح القدير (٢٧٩/٣). وتفسير التحرير والتنوير (٢٣٢/٥). وتفسير المراغي (٧ ـ ١٥٠/٩ ـ ١٥١).

(٧٥٠) انظر: الكشاف (٢٣٠/٢).

بهم ودارت حولهم فلم تقدر أن تؤثر فيهم، أو من طاف به الخيال يطيف طيفاً[751].

* قال الشوكاني: «قرأ أهل البصرة ﴿طَيْفٌ﴾ وكذا أهل مكة، وقرأ أهل المدينة والكوفة ﴿طَٰٓئِفٌ﴾ وقيل الطيف والطائف معنيان مختلفان، فالأول: التخيل، والثاني: الشيطان نفسه فالأول: من طاف الخيال يطوف طيفاً، ولم يقولوا من هذا الطائف، لأنه تخيل لا حقيقة له. قال الزجاج: طفت عليهم أطوف، فطاف الخيال يطيف؛ وسميت الوسوسة طيفاً لأنها لَمَّة من الشيطان تشبه لَمَّة الخيال»[752].

* قال الدكتور محيسن: «قرأ أبو عمرو ويعقوب وابن كثير والكسائي ﴿طَيْفٌ﴾ بحذف الألف التي بعد الطاء، وإثبات ياء ساكنة بعدها مكان الهمزة والفاء على وزن (ضيف) مصدر، من طاف يطيف.

وقرأ الباقون ﴿طَٰٓئِفٌ﴾ بألف بعد الطاء وهمزة مكسورة من غير ياء، اسم فاعل، من طاف يطوف»[753].

خامساً: وبالجمع بين القراءتين نجد أن العلاقة بين القراءتين تفسيرية تحذر الإنسان من مكائد الشياطين، حيث إن كل ابن آدم خطآء وخير الخطّائين التوابون، فإذا ما مس الإنسان المؤمن ﴿طَيْفٌ﴾ أو مجرد الطيف من الشيطان يعني مجرد الخيال الذي يراه في المنام، فعليه أن يفزع إلى الله بالإجارة والأستعاذة، من قرأ ﴿طَٰٓئِفٌ﴾ هو تغير حالة الغضبان بإثارة ثائرته، كأنما الشيطان استخفه حتى تهافت فيما تهافت فيه الجنون، من سفك الدم الحرام، وفعل المنكرات فعليه أن يفزع إلى الله بالإجارة والأستعاذة وهذا شأن العقلاء الأتقياء والله أعلى وأعلم.

---

(٧٥١) انظر: تفسير البيضاوي ص٢٣٣. وتفسير القرطبي (٤/٣٠٠).

(٧٥٢) فتح القدير (٢/٢٧٩). وانظر: تفسير الطبري (٥/١٠٦ ـ ١٠٧). والتحرير والتنوير (٥/٢٣٢). وتفسير البغوي (٣/٣١٧).

(٧٥٣) المستنير (١/٢٠٧).

٤٠ ـ ﴿وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي ٱلْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ۝٢٠٢﴾ [الأعراف: ٢٠٢].

أولاً: القراءات:

١. قرأ المدنيان ﴿يُمِدُّنَهُمْ﴾ بضم الياء وكسر الميم.

٢. وقرأ الباقون ﴿يَمُدُّونَهُمْ﴾ بفتح الياء وضم الميم[٧٥٤].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

﴿مدد﴾: مدَّه يَمُده مداً ومدَّ به فامتدّ ومدَّده فتمدَّد، والمدّ الزيادة في الشيء من جنسه، والشيء إذا مدَّ الشيء فكان زيادة فيه، فهو يَمُدُّه؛ وفي التنزيل العزيز: ﴿وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ﴾ [الإسراء: ٦] وشيء مديد: ممدود، ورجل مديد الجسم: طويل القامة، ومدّ النهر النهر إذا جرى فيه[٧٥٥].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

تكمل الآية الكريمة مشهداً تظهر من خلال لوحة فنية تبين المقارنة بين فريقين من البشر؛ حيث قال ﷻ: ﴿وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي ٱلْغَيِّ﴾ يعني إخوان الشياطين من شياطين الجن والإنس يمدونهم في الضلال والمعاصي أي في الغي، يعني: يمدونهم ويزيدونهم فيه ويزينون لهم ما هم فيه من الضلال والغواية، وإخوانهم يعود إلى الشياطين، والمراد به الجنس، وقيل الفجار من الإنس فهم إخوان الشياطين لأنهم يقبلون منهم ويقتدون بهم، ﴿ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾ عما قصر عنه الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان، وهذا خبر من اللهِ عن فريقي الإيمان والكفر بأن فريق الإيمان وأهل تقوى الله اذا مسهم الشيطان فزعوا إليه ﷻ بالتوبة والإنابة، وأما فريق الكفر يزيدهم الشيطان غياً إلى غيهم، فإذا ما ركبوا متن المعاصي لا يحجزهم تقوى الله ولا خوف المعاد اليه عن التمادي فيها والزيادة منها فهو دائم الزيادة في ركوب الإثم والمعاصي ﴿لَا يُقْصِرُونَ﴾ أي: لا يمسكون عن إغوائهم ولا

(٧٥٤) النشر في القراءات العشر (٢٠٦/٢).

(٧٥٥) انظر: لسان العرب ٣٩٧/٣. مادة مدد.

يرحمونهم، من أقصرت عنه أي: كففت ونزعت مع القدرة، فإذا عجزت عنه قلت: قصرت بلا ألف(٧٥٦).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد أفادت قراءة ﴿يَمُدُّونَهُمْ﴾ بفتح الياء وضم الميم، من (**مدَّ**) يقال مددت في الشر، قال تعالى في معنى الشر: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾﴾ [البقرة: ١٥] وهذا يدل على قوة الفتح في الحرف، لأنه في الشر؛ أما قراءة ﴿يُمِدُّونَهُمْ﴾ بضم الياء وكسر الميم من (**أمدَّ**) يقال أمددت في الخير قال تعالى: ﴿أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [المؤمنون: ٥٥] وقال أيضاً ﴿وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الطور: ٢٢] ويقال أمددت القوم بمال ورجال(٧٥٧).

حرف المضارعة وضم الميم وهما لغتان: يقال مدَّ وأمدَّ قال مكي بن أبي طالب: ومدَّ أكثر، وقال أبو عبيدة وجماعة من أهل اللغة: فإنه يقال إذا كثَّر شيء شيئاً بنفسه مدَّه، إذا كثَّره بغيره قيل أمده نحو ﴿يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [آل عمران: ١٢٥] ويقال مددت في الشرِّ وأمددت في الخير(٧٥٨).

خامساً: وبالجمع بين القراءتين نجد أن العلاقة بين القراءتين تفسيرية، الغرض منها الحذر كل الحذر من إخوان الشياطين من الإنس والجن، فهم يمدون الشخص بالغي مداً، إما بالغي والضلال المباشر على وجه الشر أو بأسباب الغواية من المال والبنين وغيرهما من متاع الدنيا الزائلة على وجه الخير، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾﴾ [المنافقون: ٩].

---

(٧٥٦) انظر: تفسير الطبري (١٠٨/٥). ومجمع البيان (٣٨٣/٤). وفتح القدير (٢٨٠/٢). والفريد (٣٩٩/٢).

(٧٥٧) انظر: فتح القدير (٢٨٠/٢).

(٧٥٨) انظر: الكشف (٤٨٧/١). ومفاتيح الأغاني ص ١٨٨.

الخاتمة

الحمد لله الذي أعانني ووفقني إلى إتمام هذا العمل المتواضع سائلة المولى ﷻ أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وينفع به الإسلام والمسلمين؛ والصلاة والسلام على سيد المرسلين وإمام المجاهدين سيدنا محمد عليه وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه واهتدى بهديه إلى يوم الدين وبعد:

فهذه وأهمّ النتائج والتوصيات التي توصلت إليها الباحثة.

أولاً: أهمّ النتائج:

١. دراسة القراءات القرآنية وتفسير القرآن الكريم بها تعدّ من أجَلّ العلوم وأشرفها، فهي تستمد هذا الشرف والعظمة من كلام الله ﷻ.

١. القراءات القرآنية ما هي إلا لون من ألوان الإعجاز القرآني الذي لا ينتهي؛ ولا يقف عند حدّ من الحدود فهو النهر المتدفق بالمعاني المتجددة.

٢. اختلاف القراءات القرآنية هو اختلاف تنوع وتغاير، لا اختلاف تضاد وتناقض، فهذا محال في كلام الله، كما ويظهر من وراء هذا الاختلاف حِكَم وفوائد عظيمة.

٣. لا يجوز لشخص مهما كان أنْ يفاضل أو يمايز بين القراءات السبع والثلاث المتممة للعشر فجميعها متواترة.

٤. القراءات القرآنية أثمرت تنوعاً في التفسير من جوانب عدّة منها:

أ ـ قراءات بينت معنى الآية ووضحته.

ب ـ قراءات وسعت معنى الآية.

ج ـ قراءات أزالت الإشكال عن الآية.

د ـ قراءات خصصت عموم الآية.

هـ ـ قراءات بينت إجمال الآية.

٥. يحتاج هذا اللون من التفسير إلى طول بحث، للوصول إلى أسمى وأهمّ مقاصد الشريعة الغراء.

٦. القراءات القرآنية عنصر هام، وعامل حيوي وفعال في تفسير القرآن؛ حيث إنّ كل قراءة تسد مسد آية، وهذا لون من ألوان الإعجاز البياني.

٧. يعتقد بعض العلماء والباحثين، أنّ كثيراً من القراءات القرآنية هي من قبيل تعدد اللغات، أو الاختلاف في أصول القراءة كالإمالة والهمز والتلين والمدّ وغيرها، إلا أنّ هذا اللون ظهر أثره واضحاً وجلياً في عدة أمور منها:

أ ـ بيان الحالة النفسية.

ب ـ لون من ألوان الإعجاز العلمي.

ج ـ توصيف للفظة القرآنية.

٨. القراءات القرآنية هي الأساس في تقعيد القواعد، ووضع الأسس للأصول والأقيسة والقواعد، لذا لا يجوز بأي حال من الأحوال، ردها إلى هذه القواعد، ثمّ إصدار الحكم عليها لأنها هي الأصل في التأصيل.

٩. يعتبر حديث الأحرف السبعة من الأحاديث المتواترة.

١١. الأحرف السبعة هي سبع لغات من لغات العرب، تختلف في هيئة النطق والأداء، وتتفق في بيان المعنى، وكان إنزالها توسعةً من الله ورحمة على الأمة.

١٢. يمكن الاستفادة من القراءات الشاذة باعتبارها من القراءات التفسيرية، دون الحكم عليها بأنها قرآن.

ثانياً: أهمّ التوصيات والمقترحات:

وبعد هذا العمل المتواضع ترى الباحثة الآتي:

١. توجيه المهتمين بالدراسات الشرعية لضرورة الاهتمام والعناية بالقراءات القرآنية من عدة نواحٍ منها:

أ ـ حفظ القراءات القرآنية وتعلمها من خلال تلقيها عمّن اتصل سندهم برسول الله ﷺ.

ب ـ السعي الحثيث لإعداد دورات تفسير في المؤسسات العلمية والمساجد، يتم التعرض من خلالها للقراءات القرآنية، والوقوف على معانيها الجميلة في التفسير، كلون من ألوان الإعجاز حِفْظاً على الأمة لغتها.

ج ـ العناية بدراسة القراءات القرآنية وحفظها من قرائها المعروفين، حفظاً لكلام الله ﷻ.

٢. أوصي طلبة العلم والبحث بالعمل الجاد على جمع مثل هذه الجهود، والوقوف على ما فيها في كتاب ليكتمل الجهد وتنضج الثمرة.

٣. أوصي طلبة العلم والبحث بالوقوف على ياءات الزيادة والإضافات، فما هي إلا قرآن منزّل فيه من الخيرات والثمرات ما يحتاج إلى كبير جهد.

وآخر دعوانا أنْ الحمد لله، نهاية لا تزال تبدأ، وبداية لا تنتهي!!

الفهارس

فهرست المصادر والمراجع

يشتمل على:

أولاً: فهرس المصادر والمراجع.

ثانياً: فهرس المواقع الإلكترونية على شبكة المعلومات.

ثالثاً: المكتبات الإلكترونية التي استعنت بها في عملية البحث (RW - CD).

كتب ومواقع إلكترونية:

١. **الاختلاف في القراءات القرآنية وأثره في اتساع المعاني**. إياد السامرائي: (شبكة المعلومات الدولية - شبكة التفسير والدراسات القرآنية www. Tafsir. net).

٢. **المعنى القرآني في ضوء اختلاف القراءات**. د. أحمد سعد الخطيب (شبكة المعلومات الدولية - شبكة التفسير والدراسات القرآنية www. Tafsir. net).

٣. **موقع لمسات**: شبكة المعلومات الدولية ـ جوجل.http://www. lamasaat. com/٨ (m.

مكتبات إلكترونية مُساعِدة:

١. **مكتبة التفسير وعلوم القرآن.**

٢. المكتبة الألفية للسنة النبوية.

٣. مكتبة اللغة العربية وعلومها.

٤. مكتبة التاريخ والحضارة الإسلامية.

٥. المكتبة الشاملة.

فهرست المصادر والمراجع

١ - الإبانة عن معاني القراءات /مكي بن أبي طالب القيسي. تحقيق: د. محيي الدين رمضان دار المأمون للتراث. دمشق ـ بيروت. الطبعة الأولى. ١٩٧٩م.

٢ - إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر / شهاب الدين الدمياطي الشهير بالبناء ـ وضع حواشيه: الشيخ أنس مهرة: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية ـ بيروت. ٢٠٠١م.

٣ - الإتقان في علوم القرآن / جلال الدين السيوطي **بأسفل الصحائف إعجاز القرآن** / القاضي أبو بكر الباقلاني. دار المعرفة بيروت ـ لبنان. الطبعة الرابعة ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.

٤ - الأحرف السبعة ومنزلة القراءات منها / حسن ضياء الدين عتر: دار البشائر الإسلامية ـ بيروت. الطبعة الأولى. ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م.

٥ - أساس البلاغة /الإمام جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري المتوفى ٥٣٨هـ. تحقيق الأستاذ عبد الرحيم محمود دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت ـ لبنان الطبعة. ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

٦ - الأساس في التفسير / سعيد حوى: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع. الطبعة الخامسة. ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م.

٧ - أسباب النزول / أبو الحسن الواحدي ـ تحقيق: أيمن صالح شعبان: دار الحديث ـ القاهرة ـ ٢٠٠٣م.

٨ - أضواء البيان في ايضاح القرآن بالقرآن / محمد الأمين الشنقيطي: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت. الطبعة الأولى . ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

٩ - الإعجاز العلمي في القرآن الكريم / محمد سامي محمد علي. دار المحبة - دمشق.

١٠ - إعجاز القرآن والبلاغة النبوية / مصطفى صادق الرافعي - تحقيق: عبد الله المنشاوي: مكتبة الإيمان - المنصورة. الطبعة الأولى. ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

١١ - إعراب القرآن الكريم وبيانه /محيي الدين الدرويش: دار ابن كثير واليمامة - دمشق، بيروت الطبعة الثامنة . ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

١٢ - الأعلام .لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين / خير الدين الزركلي. دار العلم للملايين. بيروت الطبعة الخامسة ١٩٨٠م.

١٣ - إملاء ما منَّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن /لأبي البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العُكبري. دار الفكر للطباعة. الطبعة الأولى١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

١٤ - إنباه الرواة على أنباه النحاة /جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القفطي - تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم: دار الفكر العربي - القاهرة، مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت. الطبعة الأولى. ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

١٥ - أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم / عبد الله محمود شحاتة: الهيئة المصرية العامة للكتاب. الطبعة الثانية. ١٩٨١م.

١٦ - أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير **(وبهامشه نهر الخبر على أيسر التفاسير)/** . أبي بكر الجزائري مكتبة العلوم والحِكَم - المدينة المنورة.

١٧ - الإيضاح في علوم البلاغة / الخطيب القزويني: دار إحياء العلوم. بيروت - الطبعة الرابعة. ١٩٩٨م.

١٨ - البداية والنهاية / أبو الفداء إسماعيل بن عمر ابن كثير: مكتبة المعارف - بيروت.

١٩ - البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع / محمد بن علي الشوكاني: دار المعرفة - بيروت.

٢٠ - البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريق الشاطبية والدري / عبد الفتاح القاضي: مكتبة أنس بن مالك. مكة المكرمة. الطبعة الأولى . ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

٢١ - البرهان في علوم القرآن / بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي - خرَّج حديثه وقدم له وعلق عليه: مصطفى عبد القادر عطا. المكتبة العصرية. صيدا - بيروت ١٣٩١هـ - ١٩٧٢م.

٢٢ - بصائر ذوي **التمييز في لطائف الكتاب العزيز** / الفيروز آبادي - تحقيق: محمد علي النجار: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي. الطبعة الثانية. ١٩٨٦م.

٢٣ ـ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة / جلال الدين السيوطي. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم: المكتبة العصرية ـ بيروت.

٢٤ ـ بغية عباد الرحمان لتحقيق تجويد القرآن في رواية حفص بن سليمان من طريق الشاطبية /محمد بن شحادة الغول. دار بن القيم للنشر والتوزيع المملكة العربية السعودية.

٢٥ ـ بلاغة الكلمة في التعبير القرآني / فاضل السامرائي: دار عمار ـ عمَّان. الطبعة الأولى. ١٩٩٩م.

٢٦ ـ بلاغة الكلمة والجملة والجمل/ د. منير سلطان أستاذ النقد والبلاغة ـ كلية البنات ـ جامعة عين شمس. الطبعة السادسة ١٩٩٦م.

٢٧ ـ تاريخ بغداد /أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي: دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٢٨ ـ تأويل مشكل القرآن /عبد الله بن مسلم بن قتيبة. شرحه ونشره: السيد أحمد صقر: دار التراث ـ القاهرة . **الطبعة** الثانية . ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م.

٢٩ ـ التحرير والتنوير /محمد الطاهر ابن عاشور: دار سحنون للنشر والتوزيع. تونس. ١٩٩٧م.

٣٠ ـ التعبير القرآني / فاضل السامرائي: دار عمّار. عمّان. الطبعة الأولى. ١٩٩٨م.

٣١ ـ تفسير ابن أبي زمنين وهو مختصر تفسير يحيى بن سلام /أبي عبد الله بن عيسى بن أبي زمنين المرّي. تحقيق محمد حسن إسماعيل وأحمد فريد المزيدي. منشورات بيضون ـ دار الكتب العلمية. بيروت ـ لبنان. الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

٣٢ ـ تفسير أبي السعود المسمى (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم) / أبو السعود محمد بن محمد العمادي. تحقيق عبد القادر أحمد عطا. مكتبة الرياض الحديثة البطحاء ـ الرياض. الطبعة الثانية ١٤٠٢ ـ ١٩٨٢م.

٣٣ ـ تفسير البحر المحيط / محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي. طبعة جديدة بعناية: صدقي محمد جميل: دار الفكر. بيروت ـ لبنان ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

٣٤ ـ تفسير البغوي **المسمى معالم التنزيل** / للإمام محي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، حققه وخرج أحاديثه. محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضيميرية، سليمان مسلم الحرش دار طيبة للنشر ـ الرياض الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.

٣٥ ـ تفسير البيضاوي المسمى (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) / الإمام البيضاوي دار الفكر ـ بيروت . ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.

٣٦ ـ تفسير الثعالبي المسمى (الجواهر الحسان في تفسير القرآن) / عبد الرحمن بن محمد ابن مخلوف الثعالبي: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت.

٣٧ ـ تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل. وبهامشه تفسير البغوي. دار الفكر ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

٣٨ ـ تفسير الشعراوي / محمد متولي الشعراوي: أخبار اليوم ـ **قطاع الثقافة**.

٣٩ ـ تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل ./ محمد جمال الدين القاسمي. دار احياء الكتب العربية ـ ومكتبة فيصل عيسى البابي الحلبي. صححه ورقمه وخرج آياته وأحاديثه وعلق عليه. محمد فؤاد عبد الباقي.

٤٠ ـ تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين / الحافظ عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي ابن أبي حاتم المتوفى ٣٢٧هـ. تحقيق. أسعد محمد الطيب دار الفكر بيروت ـ لبنان الطبعة ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

٤١ ـ تفسير القرآن العظيم **ويليه كتاب فضائل القرآن** / الحافظ ابن كثير. اعداد وتحقيق: دار احياء التراث العربي. تقديم: محمد عبد الرحمن المرعشلي: دار التراث العربي بيروت ـ لبنان. ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

٤٢ ـ تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر (الفاتحة، البقرة، آل عمران) رسالة ماجستير .**إعداد** الباحث: عبد الله الملاحي، إشراف: د. مروان أبو راس ـ ٢٠٠٢م.

٤٣ ـ تفسير المراغي /لصاحب الفضيلة أحمد مصطفى المراغي. مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر. الطبعة الخامسة ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م.

٤٤ ـ **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج** / د. وهبة الزحيلي: دار الفكر ـ دمشق. الطبعة الثانية. ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م.

٤٥ ـ تفسير النسفي / أبو البركات النسفي: مطبوعات محمد علي صبيح وأولاده ـ مصر.

٤٦ ـ تفسير النهر الماد / لأبي حيان الأندلسي المتوفى ٧٥٤هـ. تقديم وضبط بوران، وهديان الضناوي. مركز الخدمات والأبحاث الثقافية. دار الجنان. الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

٤٧ ـ التفسير الواضح /محمد محمود حجازي. جامعة الأزهر. مطبعة الاستقلال الكبرى. الطبعة السادسة ١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٩م.

٤٨ - تفسير غريب القرآن / أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة - تحقيق: السيد أحمد صقر: دار الكتب العلمية - بيروت. ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.
٤٩ - تفسير مجاهد / مجاهد بن جبر المخزومي التابعي - تحقيق: عبد الرحمن الطاهر محمد السورتي: المنشورات العلمية - بيروت.
٥٠ - التفسير والمفسرون /د. محمد حسنين الذهبي. مكتبة وهبة القاهرة. الطبعة السابعة ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
٥١ - تقريب التهذيب /أحمد بن علي بن حجر العسقلاني - تحقيق: محمد عوامة: دار الرشيد - سوريا. الطبعة الأولى. ١٩٨٦م.
٥٢ - تناسق الدرر في تناسب السور / جلال الدين السيوطي - دراسة وتحقيق: عبد القادر أحمد عطا: دار الكتب العلمية - بيروت.
٥٣ - تنوير المقباس من تفسير ابن عباس / أبو طاهر بن يعقوب الفيروز آبادي: دار الفكر.
٥٤ - التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية / د. أحمد سعد محمد: مكتبة الآداب. ميدان الأوبرا - القاهرة - الطبعة الثانية ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
٥٥ - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان / عبد الرحمن بن ناصر السعدي: تحقيق عبد الرحمن بن معلّا اللُّويحق: مؤسسة الرسالة - بيروت. الطبعة الأولى . ٢٠٠٠م.
٥٦ - التيسير في القراءات السبع /لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني. عني بتصحيحه (آتو يرتزل). دار الكتب العلمية. بيروت - لبنان. الطبعة ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
٥٧ - جامع البيان في تفسير القرآن / ابن جرير الطبري: دار المعرفة - بيروت. الطبعة الثالثة. ١٩٧٨م.
٥٨ - الجامع لأحكام القرآن / أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي - راجعه: د. محمد إبراهيم الحفناوي، خرج أحاديثه: د. محمود حامد عثمان: دار الحديث - القاهرة. ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
٥٩ - حاشية الشهاب المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي / القاضي شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي - ضبطه وخرج آياته وأحاديثه: الشيخ عبد الرازق المهدي: منشورات محمد علي بيضون - دار الكتب العلمية - بيروت. الطبعة الأولى. ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
٦٠ - حجة القراءات / أبو زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة - تحقيق: سعيد الأفغاني: مؤسسة الرسالة - بيروت. الطبعة الخامسة. ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٦١ - الحجة في القراءات السبع / أبو عبد الله ابن خالويه - تحقيق: أحمد فريد المزيدي: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية - بيروت. الطبعة الأولى. ١٩٩٩م.

٦٢ - الحجة للقراء السبعة /أبو علي الحسن بن عبد الغفار الفارسي - تحقيق: بدر الدين قهوجي، بشير جويجاني: دار مأمون للتراث - دمشق، بيروت. الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

٦٣ - خصائص التراكيب (دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني /محمد محمد أبو موسى. استاذ ورئيس قسم البلاغة بكلية اللغة العربية - جامعة الأزهر -: مكتبة وهبة. الطبعة الرابعة ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

٦٤ - الدر المصون في علوم الكتاب المكنون / شهاب الدين أبي العباس بن يوسف بن محمد بن إبراهيم المعروف بالسمين الحلبي. تحقيق: علي محمد معوض وآخرون: دار الكتب العلمية - بيروت. الطبعة الأولى. ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

٦٥ - الدر المنثور **تأليف**: جلال الدين السيوطي: دار الفكر - بيروت. ١٩٩٣م.

٦٦ - الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة /شيخ الإسلام أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني. دار الجيل - بيروت.

٦٧ - الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب / إبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون: دار الكتب العلمية - بيروت.

٦٨ - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني / شهاب الدين محمود الألوسي: عني بنشره وتصحيحه والتعليق عليه للمرة الثانية، المرحوم السيد محمود شكري الألوسي البغدادي. مكتبة دار التراث - القاهرة.

٦٩ - زاد المسير في علم التفسير / عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي - تحقيق: زهير الشاويش: المكتب الإسلامي - بيروت - ط٣ - ١٤٠٤هـ.

٧٠ - زبدة التفاسير / محمد متولي الشعراوي . . .أعده وعلق عليه وقدم له. عبد الرحيم متولي الشعراوي المكتبة التوفيقية القاهرة - مصر.

٧١ - سنن ابن ماجة / أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي: دار الفكر - بيروت.

٧٢ - سنن أبي داود / سليمان بن أشعث السجستاني - تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد: دار الفكر.

٧٣ - سنن البيهقي الكبرى / أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي - تحقيق: محمد عبد القادر عطا - مكتبة دار الباز - مكة. ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

٧٤ - سنن الترمذي (الجامع الصحيح) / أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي - تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٧٥ - سنن الدارمي / عبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد الدارمي - تحقيق: فواز أحمد زمرلي وخالد السبع العلمي: دار الكتاب العربي - بيروت. الطبعة الأولى - بيروت. ١٤٠٧هـ.

٧٦ - سنن النسائي (المجتبى) / أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي. تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة: مكتبة المطبوعات الإسلامية - حلب. الطبعة الثانية. ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٧٧ - سير أعلام النبلاء / أبو عبد الله الذهبي - تحقيق: شعيب الأرناؤوط، محمد نعيم العرقسوسي: مؤسسة الرسالة - بيروت. الطبعة التاسعة. ١٤١٣هـ.

٧٨ - الشامل في القراءات المتواترة / محمد حبش: دار الكلم الطيب - دمشق - بيروت الطبعة الأولى. ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٧٩ - شذرات الذهب في أخبار من ذهب / الأديب أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي: دار الكتب العلمية - بيروت.

٨٠ - شرح المفصل /ابن يعيش: عالم الكتب - بيروت، مكتبة المتنبي - القاهرة.

٨١ - شرح ديوان عنترة بن شداد. شرح وتعليق عباس إبراهيم. دار الفكر العربي.

٨٢ - صحيح مسلم / الإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي: دار الفكر. ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

٨٣ - صحيح مسلم بشرح النووي /أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي: دار إحياء التراث العربي - بيروت. الطبعة الثانية. ١٣٩٢هـ.

٨٤ - صفوة التفاسير /محمد علي الصابوني: دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة الأولى. ٢٠٠٤م.

٨٥ - العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة / القاضي أبي بكر العربي. حققه وعلق حواشيه. محب الدين الخطيب. المكتبة العلمية. بيروت - لبنان. الطبعة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٨٦ - غاية النهاية في طبقات القراء / شمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن الجزري: عني بنشره ج برجستراسر - دار الكتب العلمية - بيروت. الطبعة الثالثة. ١٩٨٢م.

٨٧ - غيث النفع في القراءات السبع /ولي الله سيدي على النوري الصفاقسي، يليه بلوغ الأمنية، وهو شرح فضيلة الشيخ علي محمد الضباع شيخ المقارئ المصرية، على تحرير مسائل الشاطبية. الطبعة الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

٨٨ ـ فتح الباري **شرح صحيح البخاري** /أحمد بن علي بن حجر العسقلاني. تحقيق: محب الدين الخطيب. ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي: دار الريان للتراث ـ القاهرة.

٨٩ ـ فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير / محمد بن علي بن محمد الشوكاني ـ اعتنى به: يوسف الغوش: دار المعرفة ـ بيروت. الطبعة الثالثة. ١٩٩٧م.

٩٠ ـ الفريد في إعراب القرآن المجيد / حسين بن أبي العز الهمذاني. تحقيق: فهمي حسن النمر وفؤاد علي مخيمر: دار الثقافة ـ الدوحة. الطبعة الأولى. ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

٩١ ـ في رحاب التفسير / عبد الحميد كشك: المكتب المصري الحديث.

٩٢ ـ في ظلال القرآن / سيد قطب رحمه الله: دار الشروق ـ بيروت، القاهرة ـ الطبعة الشرعية الخامسة عشرة ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

٩٣ ـ الفهرست / للنديم أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب اسحاق المعروف بالوراق تحقيق رضا تجدَدّ ابن على بن زين العابدين الحائري المازندراني: دار المسيرة الطبعة الثالثة ١٩٨٨م.

٩٤ ـ فيض الرحيم في قراءات القرآن الكريم. القراءات السبع بروايات عدة. اعداد سعيد محمد اللحام. عالم الكتب ص٣ ـ ٢٢. الطبعة الأولى ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

٩٥ ـ القراءات أحكامها ومصدرها / شعبان محمد إسماعيل: مطبوعات رابطة العالم الإسلامي. جدة ـ السنة الثانية العدد التاسع عشر. ١٤٠٢هـ

٩٦ ـ القراءات القرآنية (تاريخ وتعريف) /عبد الهادي الفضلي: دار القلم ـ بيروت. الطبعة الثالثة. ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

٩٧ ـ القراءات القرآنية من الوجهة البلاغية /فضل عباس: مجلة دراسات ـ المجلد الرابع عشر ـ العدد السابع. ١٩٨٧م.

٩٨ ـ القراءات وأثرها في التفسير والأحكام (رسالة دكتوراة) إعداد: محمد بن عمر بن سالم بازمول ـ إشراف: د. عبد الستار فتح الله سعيد: دار الهجرة ـ الرياض. الطبعة الأولى ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

٩٩ ـ القراءات وأثرها في علوم العربية / محمد سالم محيسن: دار الجيل ـ بيروت. الطبعة الأولى. ١٩٩٨م.

١٠٠ ـ كتاب الأغاني / أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني. تحقيق: سمير جابر: دار الفكر ـ بيروت. الطبعة الثانية.

١٠١ ـ كتاب التذكرة في القراءات / الشيخ أبي الحسن طاهر بن عبد المنعم بن غلبون. تحقيق د. عبد الفتاح بحيري إبراهيم. الزهراء للإعلام العربي ـ القاهرة. الطبعة الأولى ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

١٠٢ ـ .كتاب السبعة في القراءات /ابن مجاهد ـ تحقيق: شوقي ضيف: دار المعارف الطبعة الثالثة.

١٠٣ ـ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل /أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي. شرحه وضبطه وراجعه: يوسف الحمادي: مكتبة مصر ـ الفجالة.

١٠٤ ـ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون / مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الرومي الحنفي: دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م.

١٠٥ ـ الكشف عن وجوه القراءات وعللها وحججها /مكي بن أبي طالب القيسي. تحقيق: محيي الدين رمضان: مؤسسة الرسالة. الطبعة الخامسة. ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

١٠٦ ـ كلمات القرآن تفسير وبيان /حسنين محمد مخلوف: دار القلم بيروت. ١٣٧٥هـ ـ ١٩٥٦م.

١٠٧ ـ الكليات معجم المصطلحات والفروق اللغوية .لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي. أعده للطبع ووضع فهارسه د. عدنان درويش. ومحمد المصري. مؤسسة الرسالة. الطبعة الثانية ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

١٠٨ ـ لباب النقول في أسباب النزول /جلال الدين السيوطي ـ خرج أحاديثه: محمود بن الجميل: مكتبة الصفا ـ القاهرة ـ ط الأولى ـ ٢٠٠٢م.

١٠٩ ـ اللباب في علوم الكتاب / ابن عادل الدمشقي الحنبلي ـ تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية. بيروت. الطبعة الأولى ١٩٩٨م.

١١٠ ـ لسان العرب / ابن منظور: دار صادر ـ بيروت.

١١١ ـ لطائف الإشارات لفنون القراءات /شهاب الدين القسطلاني. تحقيق وتعليق: الشيخ عامر السيد عثمان. د. عبد الصبور شاهين: لجنة إحياء التراث الإسلامي ـ القاهرة . ١٩٧٢م.

١١٢ ـ اللمع البهية في قواعد اللغة العربية /محمد محمود عوض الله الطبعة الثانية ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

١١٣ ـ مباحث في التفسير الموضوعي / مصطفى مسلم: دار القلم ـ دمشق الطبعة الأولى . ١٩٨٩م.

١١٤ ـ مباحث في علوم القرآن / مناع القطان: مؤسسة الرسالة. بيروت الطبعة التاسعة. ١٩٨٠م.

١١٥ ـ مجاز القرآن / أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي. تحقيق: محمد فؤاد سزكين: مكتبة الخانجي بالقاهرة.

١١٦ ـ مجمع البيان في تفسير القرآن / أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي: دار الفكر ـ بيروت. ١٩٩٤م.

١١٧ ـ المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها / أبو الفتح عثمان بن جنِّي. تحقيق: علي النجدي ناصف، عبد الفتاح إسماعيل شلبي: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ لجنة إحياء التراث الإسلامي ـ القاهرة. ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

١١٨ ـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز / القاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي. تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد: دار الكتب العلمية. بيروت. الطبعة الأولى ١٩٩٣م.

١١٩ ـ مختار الصحاح /محمد بن أبي بكر الرازي ـ عُني بترتيبه: محمود أفندي خاطر، وضبطه وراجعه: الشيخ حمزة فتح الله: طباعة نظارة المعارف العمومية ـ المطبعة الأميرية بمصر. الطبعة الثانية ـ ١٩١٠م.

١٢٠ ـ المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز /شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل ابن إبراهيم (المعروف أبو شامة المقدسي) ـ تحقيق: طيار آلتي قولاج: دار صادر بيروت. ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م.

١٢١ ـ المستدرك على الصحيحين / أبو عبد الله الحاكم النيسابوري. تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا: دار الكتب العلمية. بيروت. الطبعة الأولى ١٩٩٠م ـ ١٤١١هـ.

١٢٢ ـ المستنير في تخريج القراءات المتواترة /د. محمد سالم محيسن: دار الجيل ـ بيروت.

١٢٣ ـ مسند أحمد تأليف: الإمام أحمد بن حنبل الشيباني: مؤسسة قرطبة ـ مصر.

١٢٤ ـ مشكل إعراب القرآن /لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي. تحقيق د. حاتم صالح الضامن. كلية الآداب ـ جامعة بغداد. مؤسسة الرسالة الطبعة الرابعة ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

١٢٥ ـ معالم التنزيل المعروف بتفسير البغوي /أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي. حققه وخرج أحاديثه. محمد عبد الله النمر. عثمان جمعة ضميرية. سليمان مسلم الحرش. دار طيبة للنشر والتوزيع. الرياض. الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.

١٢٦ - معاني الأبنية في العربية /فاضل السامرائي: ساعدت جامعة بغداد على نشره. الطبعة الأولى . ١٩٨١م.

١٢٧ - معاني القراءات / أبو منصور الأزهري. تحقيق: أحمد فريد المزيدي: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية - بيروت. الطبعة الأولى. ١٩٩٩م.

١٢٨ - معاني القرآن / أبو جعفر النحاس. تحقيق: يحيي مراد: دار الحديث - القاهرة. ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

١٢٩ - معاني القرآن /أبو زكريا الفراء: عالم الكتب. بيروت. الطبعة الثالثة . ١٩٨٣م.

١٣٠ - معاني القرآن / الأخفش. دراسة وتحقيق: عبد الأمير محمد أمير الورد: عالم الكتب. بيروت - الطبعة الأولى. ١٩٨٥م.

١٣١ - معاني القرآن وإعرابه / أبو إسحاق إبراهيم بن السَّري الزجاج. تحقيق: د. عبد الجليل عبده شلبي. عالم الكتب - بيروت. الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

١٣٢ - معترك الأقران في إعجاز القرآن /الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي. تحقيق علي محمد البجاوي: دار الفكر العربي.

١٣٣ - معجم البلدان /أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي. تحقيق: عبد العزيز الجندي. دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

١٣٤ - معجم المقاييس في اللغة (مجلد واحد) / أبو الحسن ابن فارس. تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون. مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي. مصر. الطبعة الثانية ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.

١٣٥ - معجم مفردات ألفاظ القرآن / الراغب الأصفهاني. تحقيق نديم مَرعَشْلي: دار الفكر. لبنان - بيروت.

١٣٦ - معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار (يقع مجلد واحد) /الإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي. تحقيق: محمد حسن إسماعيل الشافعي: دار الكتب العلمية. بيروت - الطبعة الأولى١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

١٣٧ - المغني في توجيه القراءات العشر المتواترة / محمد سالم محيسن: دار الجيل بيروت. الطبعة الثانية ١٩٨٨م.

١٣٨ - المغني في علم التجويد برواية حفص عن عاصم / د. عبد الرحمن الجمل: الطبعة الثانية. ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

١٣٩ - مفاتيح الأغاني في القراءات والمعاني / أبو العلاء الكرماني. دراسة وتحقيق: د. عبد الكريم مصطفى مدلج: دار ابن حزم. بيروت. الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

١٤٠ ـ المقتطف من عيون التفاسير /مصطفى الخيري المنصوري ـ حققه وخرج أحاديثه: محمد علي الصابوني: دار السلام ـ القاهرة. الطبعة الأولى ١٩٩٦م.

١٤١ ـ ملاك التأويل القاطع بذوي **الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل** /أحمد بن الزبير الغرناطي. تحقيق: د. محمود كامل أحمد: دار النهضة العربية. بيروت. ١٩٨٥م.

١٤٢ ـ الملخص في إعراب القرآن / الخطيب التبريزي. تحقيق: يحيى مراد: دار الحديث ـ القاهرة ٢٠٠٤م.

١٤٣ ـ من قضايا اللغة والنحو في كتاب النشر لابن الجزري / د. فؤاد أحمد السيد الحطاب دار الطباعة المحمدية الأزهر ـ القاهرة. الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.

١٤٤ ـ مناهل العرفان في علوم القرآن / الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني ـ تحقيق: أحمد بن علي. دار التراث العربي. بيروت ـ لبنان.

١٤٥ ـ منجد المقرئين ومرشد الطالبين / ابن الجزري: دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.

١٤٦ ـ المنجد في الأعلام **إعداد**. مجموعة من المؤلفين: دار المشرق ـ بيروت. الطبعة السابعة عشر. ١٩٩١م.

١٤٧ ـ منهج الإمام الطبري في القراءات في تفسيره (رسالة ماجستير) **إعداد**: د. عبد الرحمن الجمل: إشراف: د. فضل عباس ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

١٤٨ ـ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة / جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي: المؤسسة المصرية العامة للتأليف ـ مصر.

١٤٩ ـ النشر في القراءات العشر /الحافظ أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري ـ خرج أحاديثه: الشيخ زكريا عميرات: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية ـ بيروت. الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.

١٥٠ ـ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور /برهان الدين البقاعي ـ خرج آياته وأحاديثه: عبد الرازق المهدي: دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ الطبعة الأولى ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

١٥١ ـ الهادي (شرح طيبة النشر في القراءات العشر والكشف عن علل القراءات وتوجيهها) /محمد سالم محيسن: دار الجيل ـ بيروت ـ الطبعة الأولى ١٩٩٧م.

١٥٢ ـ وفيات الأعيان وأنباء الزمان / أبو العباس ابن خلّكان ـ تحقيق: إحسان عباس: دار الثقافة ـ بيروت ـ ١٩٦٨م.

فهرست الموضوعات



الجامعة الإسلامية ـ غزة
عمادة الدراسات العليا
كلية أصول الدين
قسم التفسير وعلوم القرآن

تفسير القرآن
بالقراءات القرآنية العشر

من خلال سور: الأنفال والتوبة ويونس

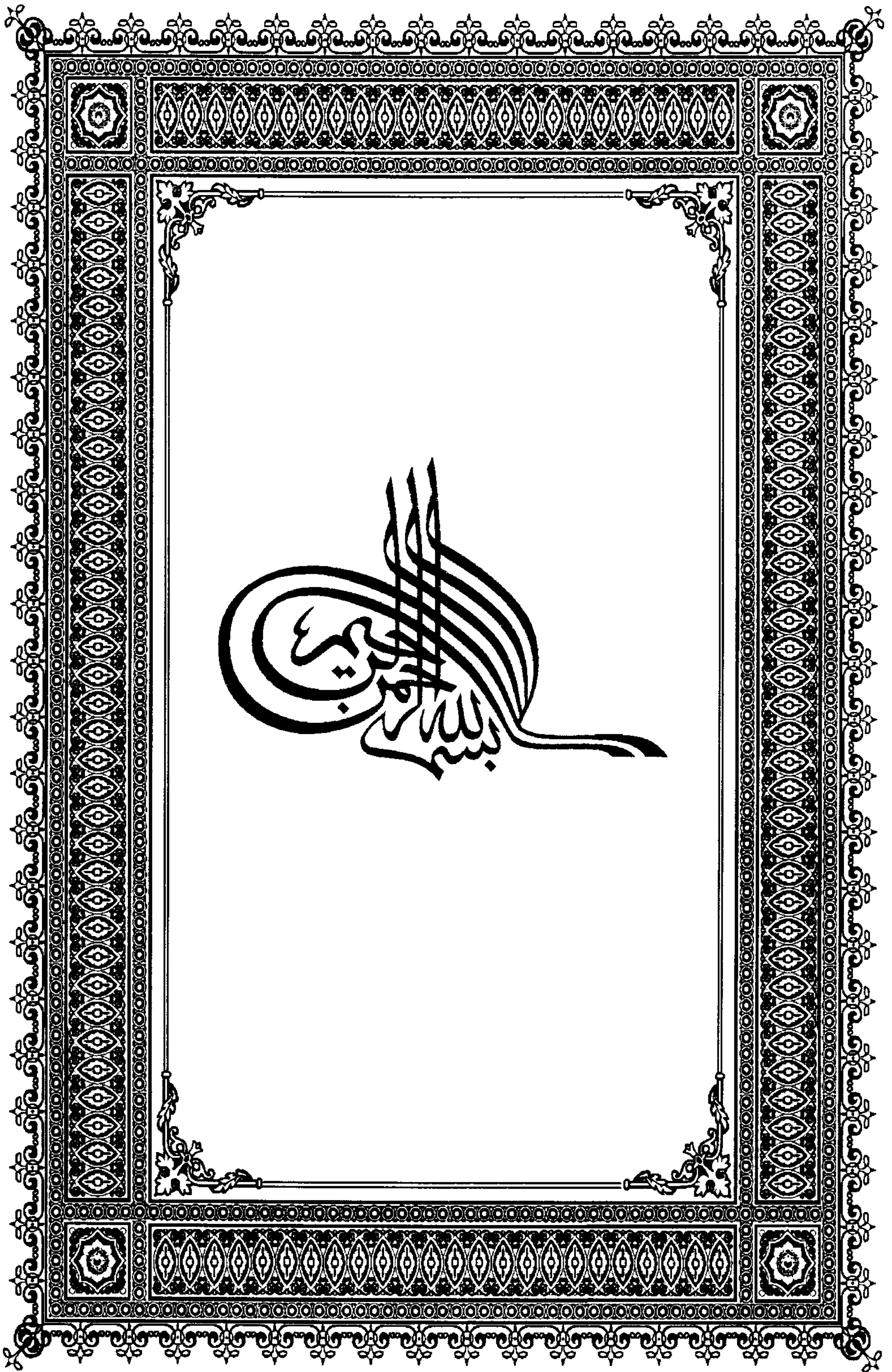
إعداد الباحثة:
أحلام مصباح أبو شعبان

إشراف:
د. زهدي أبو نعمة

ضبط ومراجعة
د. مروان أبوراس

الجزء الرابع

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير (بحث تكميلي) في قسم تفسير القرآن وعلومه بكلية أصول الدين ـ الجامعة الإسلامية رجب ١٤٢٧هـ ـ أغسطس ٢٠٠٦م


بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾﴾

[الشورى: ٥٢ ـ ٥٣].

شكر ووفاء

استرشاداً بقول الله ﷻ: ﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾ [لقمان: ١٢] فإنني أولاً أحمد الله ﷻ وأشكره كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه أن منّ على شعب فلسطين بهذه الجامعة الشامخة وحفظها حتى أصبحت بهذا المجد.

ثم أشكر والدتي وأسرتي على ما بذلوا معي من جهد، وما صبروا عليّ وما تحملوا من عناء.

وإنني لأتقدم بالشكر الكبير، والتقدير العظيم إلى أستاذي الجليل فضيلة الدكتور: زهدي أبو نعمة ـ حفظه الله ـ على قبوله الإشراف على هذا البحث وعلى الجهد الكبير الذي بذله فيه حتى وصل إلى هذه الصورة فجزاه الله خيراً.

كما وأتقدم بعظيم الشكر والامتنان إلى كل من أستاذيَّ الفاضلين:

فضيلة الدكتور: عبد السميع العرابيد.

وفضيلة الدكتور: زكريا الزميلي.

اللذين تفضلا بقبول المناقشة، ولما بذلا من جهد مثمر في نقده وتنقيحه، فأسأل الله أن يحسن ثوابهما.

وإنني لأتقدم بخالص الشكر لكل من بذل معي جهداً كريماً وأخص

بالذكر الأستاذ رائد الداية وزوجي الأستاذ بشير العشي اللذين قاما بقراءة البحث وتنقيحه لغوياً.

والشكر موصول لأساتذتي الكرام الذين زرعوا فينا الرغبة في البحث في هذا المجال وأخص بالذكر د. عبد الرحمن الجمل، د.مروان أبو راس، د.زكريا الزميلي.

والشكر موصول أيضاً لكل من ساهم بالطباعة والتنسيق وخاصة الذين بذلوا الجهد الأكبر فيها ابني ياسر، والمهندس عمر سمور، والأخت منى بشير.

والشكر موصول أيضاً إلى العاملين في المكتبة المركزية في جامعتنا الغراء الجامعة الإسلامية.

وأخيراً أسأل الله ﷻ أن يتقبل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم وأن يجعله في ميزان حسناتي يوم القيامة إنه وليُّ ذلك والقادر عليه. . .

الباحثة

أحلام مصباح أبو شعبان

الفصل الأول

تفسير سورة الأنفال في ضوء القراءات القرآنية العشر

المبحث الأول
بين يدي السورة

سورة الأنفال سورة مدنية، عدد آياتها خمس وسبعون آية حَسَب المُصحف الكوفي، وقيل ست وسبعون حسب المصحف البصري والحجازي، وقيل سبع وسبعون حَسَب المصحف الشامي(١) (وذلك بحسب ما ثبت عن طريق النقل في وقفات الرسول ﷺ)(٢).

نوع السورة:

وقد صرَّح كثيرٌ من المفسرين، أنَّ سورة الأنفال مدنية ولم يستثنوا منها شيئاً(٣). كما أخرج البخاري في صحيحه عن سعيد بن جبير قال: «قلت

(١) انظر [الإتقان (٢١٣/١)، مجمع البيان في تفسير القرآن: للشيخ أبو علي الفضل بن حسن الطبرسي (٩٧/٣) ـ دار مكتبة الحياة ـ بيروت ـ لبنان (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي مجمع البيان)].

(٢) انظر [مباحث في التفسير الموضوعي: مصطفى مسلم ـ دار القلم ـ دمشق ـ ط١ ـ ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م].

(٣) انظر [أنوار التنزيل وأسرار التأويل: القاضي ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي (٢٥١/٩) الناشر مكتبة الجمهورية العربية ـ مصر ـ تصحيح محمد سالم محيسن (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي تفسير البيضاوي)، في رحاب التفسير: عبد الحميد كشك (١٤٣٧/٩) ـ المكتب المصري الحديث ـ القاهرة ـ سنة ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي في رحاب التفسير)، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: د. وهبه الزحيلي (٢٣٦/٩) دار الفكر المعاصر ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ ـ ١٤١٩هـ ـ ١٩٩١م (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي التفسير المنير)].

لابن عباس رضي الله عنهما سورة الأنفال قال: نزلت في بدر»[٤]. وذكر القرطبي[٥]: «أنها مدنية بدرية في قول الحسن وعكرمة وجابر وعطاء ...» ثم قال: «وقال ابن عباس: وهي مدنية إلاّ سبع آيات من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ﴾... إلى آخر السبع آيات [٣٠ ـ ٣٧]»[٦].

وقد رجح سيد قطب القول الأول فقال عن هذه الآيات السبع: «والقول بأنّ هذه الآيات مدنية كالسورة كلها هو الأولى»[٧]. وهذا ما أراه في ذلك.

أسماء سورة الأنفال:

ذكر علماء التفسير عدة أسماء لسورة الأنفال حيث سميت بـ:

(١) الأنفال:

فقد عُرفت بهذا الاسم منذ عهد الصحابة رضوان الله عليهم، فقد أخرج البخاري في صحيحه، عن سعيد بن جبير قال: «قلت لابن عباس رضي الله عنهما: سورة الأنفال قال: نزلت في بدر»[٨].

وأخرج النيسابوري[٩] في مستدركه عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه بهذا

---

(٤) أخرجه البخاري (٤٦٤٥) انظر [فتح الباري (٨/ ٣٦٠) ـ ٦٥ كتاب التفسير ـ ١ باب قوله (يسألونك عن الأنفال ...)].

(٥) القرطبي: محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فَرَح كنيته أبو عبدالله ولد بقرطبة بالأندلس حيث تعلم القرآن الكريم وقواعد اللغة العربية وتوسع بدراسة الفقه والقراءات والبلاغة وعلوم القرآن وغيرها كما تعلم الشعر أيضا. انتقل إلى مصر واستقر بمنية بني خصيب في شمال أسيوط حتى وافته المنية في ٩ شوال ٦٧١هـ، وهو يعتبر من كبار المفسرين وكان فقيهاً ومحدثاً ورعاً وزاهداً متعبداً.

(٦) الجامع لأحكام القرآن (٧/٣١٠)، البحر المحيط (٤/٤٥٤).

(٧) في ظلال القرآن سيد قطب (٩/١٤٣١) ـ دار الشروق ـ ط ١٣ ـ سنة ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي الظلال).

(٨) سبق تخريجه عند بيان نوع السورة راجع الهامش رقم (٤) أعلاه.

(٩) الحاكم النيسابوري: أبو عبدالله محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري. من كبار المحدّثين ومن أصحاب الصحاح. اشتهر بكتابه (المستدرك على الصحيحين) ولد سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة من الهجرة في نيسابور. رحل إلى العراق سنة ٣٤١ هـ وحج، وجال في بلاد خراسان وما وراء النهر، وفي سنة ٣٥٩ هـ ولي قضاء=

المعنى. وقال عنه: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم»(١٠).

وذكر ابن عاشور في تفسيره: «بأنَّ اسم الأنفال عرفت بين المسلمين وبه كُتبت تسميتها في المصحف حين كُتبت أسماء السور في زمن الحجاج(١١)، ولم يثبت في تسميتها حديث»(١٢). والظاهر أن سبب تسميتها بهذا الاسم، هو افتتاح هذه السورة بآية فيها اسم الأنفال، وبسبب ذكر حكم الأنفال(١٣).

(٢) الجهاد:

وتسمى سورة الجهاد حيث إنّه من السُّنة قراءتها عند لقاء العدو، وذلك لتنشيط المؤمنين وبث الطمأنينة والسكينة في قلوبهم(١٤).

أسباب نزول سورة الأنفال:

نزلت سورة الأنفال عَقب غزوة بدر، متحدثة عن هذه الغزوة وملابساتها، ورسمت الخطة التفصيلية للقتال ... ولقد روى الإمام الواحدي والإمام السيوطي في كتابيهما أسباب النزول عن سعد بن أبى

= نيسابور، ولُقِّبَ بالحاكم لتوليه القضاء مرة بعد مرة، ثم اعتزل منصبه ليتفرغ للعلم والتصنيف.

(١٠) انظر [المستدرك على الصحيحين: للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري: ـ ٢٧ كتاب التفسير ـ ٨ باب تفسير سورة الأنفال رقم ٣٢٥٩ /٣٧٦ (٣٥٦/٢) ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط٢ سنة١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م ـ تحقيق مصطفى عبد القادر عطا (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي المستدرك)].

(١١) هو الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفي أبو محمد: قائد، داهية، سفاك، خطيب، ولد ونشأ في الطائف (بالحجاز) عام ٤٠هـ ـ ٦٦٠م ولاه عبد الملك بن مروان مكة والمدينة والطائف بعد قتله لعبد الله بن الزبير ثم أضاف إليها العراق، وهو أول من ضرب درهماً عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله، مات بواسط عام ٩٥هـ ـ ٧١٤م. انظر [الأعلام (١٦٨/٢)، معجم البلدان (٤٠٣/٥)، وفيات الأعيان (٢٩/٢ ـ ٥٤)].

(١٢) التحرير والتنوير (٢٤٥/٨).

(١٣) انظر [المرجع السابق (٢٤٥/٨)، في رحاب التفسير (٩ /١٤٣٧)].

(١٤) انظر [نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: للإمام برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (٨٨٥هـ): خرج أحاديثة عبد الرازق غالب المهدي (١٨١/٣ ـ ١٨٢) ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط١ سنة ١٤١٥هـ ـ١٩٩٥م، (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي نظم الدرر)].

وقاص قال: «لما كان يوم بدر، قُتل أخي عمير، فقتلت به سعيد بن العاص، وأخذت سيفه فأتيْت به النبي ﷺ فقال: (اذهب فاطرحه في القَبَض)[١٥] بفتح القاف والباء وتعني المقبوض، فرجعت وبي ما لا يعلمه إلا الله من قتل أخي وأخذ سلبي، فما جاوزت إلا يسيراً، حتى نزلت سورة الأنفال، فقال لي النبي ﷺ: (اذهب فخذ سيفك)»[١٦].

فضل سورة الأنفال:

ذكر علماء السِّير، أنَّ العلماء المجاهدين كانوا يحرِّضون الجيش الإسلامي على الجهاد، ويقرأون عليهم سورة الأنفال، فقد ذكر ابن كثير في البداية والنهاية عند سرده عن موقعة القادسية، أنَّ القراء في الموقعة قرأوا آيات الجهاد وسوره[١٧].

مناسبة السورة لما قبلها «سورة الأعراف»:

ذكر كثير من المفسرين أنَّ: سورة الأعراف جاءت في بيان أحوال الرُّسل مع أقوامهم، وسورة الأنفال مبينة لحال الرسول ﷺ مع قومه[١٨].

---

(١٥) يقصد به الغنيمة قبل أن تقسم انظر [تهذيب اللغة: أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري (٨/٣٥٠) الدار المصرية للتأليف والترجمة، مطابع سجل العرب - القاهرة - تحقيق عبد العظيم محمود، لسان العرب (٧/٢١٤) مادة قبض، منجد الطلاب في اللغة والأعلام ص ٥٧٠ - نظر فيه وقف على ضبطة فؤاد إفرام البستاني - دار المشرق - بيروت - لبنان ط ٣٨ سنة ١٩٩١، لسان العرب (٧/٢١٤)].

(١٦) انظر [أسباب النزول: للإمام أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي (٤٦٨هـ) - تحقيق أيمن صالح شعبان - ص١٧٦ - دار الحديث - القاهرة - سنة ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، أسباب النزول: للإمام السيوطي - دراسة وتحقيق حامد أحمد الطاهر - ص١٩٣ - دار الفجر للتراث - القاهرة - ط ١ - ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م. والحديث أخرجه ابن كثير في تفسيرة (٢/٢٨٣)، والترمذي في كتاب (التفسير) (٣٠٧٩)، وقال: «هذا حديث حسن صحيح»].

(١٧) انظر [البداية والنهاية (٧/٤١)].

(١٨) انظر [روح المعاني (٨/١٤٧)، تفسير المراغي: أحمد مصطفى المراغي (٩/١٦١) - مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر - ط٥ - سنة ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي تفسير المراغي)].

مناسبة السورة لما بعدها (التوبة):

١ ـ سورة الأنفال تتحدث عن غزوة بدر وهي أول غزوة حدثت بين المسلمين والمشركين . . . وسورة التوبة تتحدث عن آخر غزوة حدثت بين المسلمين والمشركين وتحدد:

١ ـ العلاقات النهائية بين المسلمين وغيرهم حيث حدَّدت:

أ ـ العلاقات النهائية بين المسلمين والمشركين.

ب ـ العلاقة النهائية مع أهل الكتاب.

٢ ـ في الأنفال بيان العهود والوفاء بها وتقديسها، وفي براءة نبذ العهود.

٣ ـ ذُكر في السورتين صدُّ المشركين عن المسجد الحرام، والترغيب في إنفاق المال في سبيل الله، وتفصيل الكلام في قتال المشركين وأهل الكتاب، وبيان أوضاع المنافقين(١٩).

مقاصد سورة الأنفال:

١ ـ المقصد الأساسي من السورة هو بيان أنَّ الأمر أعظم وأكبر من الغنائم والأموال، وأنَّ غاية الأمر هي أن تكون كلمة الله هي العليا.

٢ ـ بيان أنَّ النصر كله من عند الله تعالى تمثَّل في قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾﴾، ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ. . . وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴿١١﴾﴾، ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ. . .﴾، ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾، ﴿ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ ﴿١٨﴾﴾.

(١٩) انظر [التفسير المنير (١٠/٩٢)].

٣ ـ بيَّن الله تعالى في هذه السورة، أنَّ الأمور كلَّها بيد الله والاعتصام كذلك، فحثهم على التبرؤ من الحَوْل والقوة، وعلى التسليم لأمر الله، فأتى بقصة الأنفال التي اختلفوا في أمرها، فمنعهم الله منها، وأعطاه لنبيه ﷺ ثم لما صار الأمر له ﷺ رده فيهم، منَّةً عليهم وإحساناً لهم[٢٠] وقد قال عَبادة بن الصامت عن سورة الأنفال: «فينا يوم بدر نزلت، وكان الناس على ثلاثة منازل: ثلثٌ يقاتل العدو، وثلثٌ يجمع المتاع ويأخذ الأسرى، وثلثٌ عند الخيمة، يحرس رسول الله ﷺ، فلما جمع المتاع اختلفوا فيه، فقال الذين جمعوه وأخذوه: قد نفل رسول الله ﷺ، كل امريء منَّا ما أصاب فهو لنا دونكم، فقال الذين يقاتلون العدو ويطلبونه: والله لولا نحن ما أصبتموه فنحن شغلنا القوم، وقال الحرس: والله ما أنتم بأحق به مِنَّا، لقد رأينا أن نقاتل العدو حين منحنا الله أكتافهم، أن نأخذ المتاع حين لم يكن أحد يمنع دونه ولكننا خفنا غرَّة العدو على رسول الله ﷺ فأقمنا دونه، قال: فانتزعها الله من أيدينا، فجعله إلى رسول الله ﷺ فقسَّمه على السواء، لم يكن فيه يومئذ خُمس فكان فيه تقوى الله وطاعته وطاعة رسول الله ﷺ وصلاح ذات البين»[٢١]. من ذلك نخلص إلى أنه من أهداف سورة الأنفال، معالجة وإصلاح نفوس وأخلاق الصحابة الذين اختلفوا على توزيع الغنائم والأنفال التي غنموها في جهادهم لإعلاء كلمة الله.

٤ ـ تضمنت هذه السورة كثيراً من التشريعات وخاصة الحربية التي تتعلق بالجهاد في سبيل الله، فكانت هذه الغزوة في رمضان في السنة الثانية للهجرة هي أول غزوة كبيرة بين المسلمين والمشركين، فأرادها الله أن تكون

(٢٠) انظر [نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (١٨١/٣) ـ دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان ـ ط١ ـ ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م ـ خرج آياته وأحاديثه عبد الرزاق غالب المهدي. (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي نظم الدرر)].

(٢١) المستدرك ٢٧ ـ كتاب التفسير ـ ٨ باب تفسير سورة الأنفال ـ رقم ٣٢٥٩/٣٧٦ (٣٥٦/٢) . وقد علق على هذا الحديث الحاكم النيسابوري وقال: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه».

فرقاناً بين الحق والباطل، والكفر والإيمان، ولذلك سمى يومها ﴿ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِۗ﴾ [الأنفال: ٤١].

٥ ـ أراد الله سبحانه في هذه الغزوة أن يعلّم المؤمنين عوامل النصر والهزيمة؛ لذلك تضمنت هذه السورة الكثير من دستور النصر والهزيمة، والسلم والحرب، والغنائم والأسرى والمعاهدات، وأيضاً تضمنت واجبات المجاهدين في الإعداد والاستعداد ثم ترك الأمر لله بعد ذلك ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝١٠﴾ [الأنفال: ١٠].

٦ ـ كشفت هذه السورة عن مشاهد من الغزوة، وحركات النفوس قبل المعركة وفي ثناياها وبعدها مشاهد حيةٌ، كأن القارىء يراها، فيتجاوب معها تجاوباً عميقاً، فكان مشهدهم قبل المعركة وهم يتضرَّعون إلى الله ويستغيثون به، وخاصة الرسول ﷺ فقد أجاب الله ضراعتهم، فهيأ لهم ظروف تلك المعركة، حتى تم النصر للمؤمنين رغم قله عددهم.

٧ ـ استطراد السياق إلى جانب المعركة أحياناً إلى صور من حياة الرسول ﷺ وصحابته في مكة، وهم قليلون مستضعفون في الأرض، وذلك حتى يذكروا فضل الله عليهم عند النصر.

٨ ـ قررت هذه السورة سنة الله في الأرض، حيث ينصر أولياءه ويدمر أعداءه، فجاء بصور أخرى في هذه السورة من حياة المشركين قبل وبعد الهجرة، وأمثلة من مصائب الكافرين من قبلهم ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٥٢﴾ [الأنفال: ٥٢].

٩ ـ جاءت النداءات الإلهية للمؤمنين في ثنايا سرد أحداث بدر، تنادي المؤمنين ست مرات بوصف الإيمان ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ حتى يصبروا ويثبُتُوا في مجاهدتهم أعداء الله، ولكي تذكرهم بأن النصر الذي نالوه سببه شدة إيمانهم، لا بكثرة السلاح والرجال ويدل على ذلك النداءات التالية:

أ ـ **النداء الأول**: في قوله تعالى: ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ۝١٥﴾ [الأنفال: ١٥].

يأمرهم الله ﷻ في هذا النداء بالثبات في الميدان، ويحذرهم من الفرار من المعركة، حيث توعد الفارّين بأشد العذاب، وغضبٍ منه سبحانه.

ب ـ **النداء الثاني**: في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ۝٢٠﴾ [الأنفال: ٢٠].

اشتمل هذا النداء على الأمر بطاعة الله ورسوله لأنه هو طريق النصر.

ج ـ **النداء الثالث**: في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۝٢٤﴾ [الأنفال: ٢٤].

فيه الاستجابة لله وللرسول؛ لأن ما يدعوهم إليه، فيه حياتُهم وسعادتُهم في الدنيا والآخرة.

د ـ **النداء الرابع**: في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٢٧﴾ [الأنفال: ٢٧].

فقد دعاهم إلى ترك الخيانة، والبعد عن إفشاء أسرار الأمة.

هـ ـ **النداء الخامس**: في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ۝٢٩﴾ [الأنفال: ٢٩].

دعاهم إلى تقواه، وبيَّن لهم ثمرة هذه التقوى، التي من أعظمها النور الرباني الذي يبصر صاحبه بالحق والعدل وطريق الهدى عن الضلال.

و ـ **النداء السادس**: في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الأنفال: ٤٥].

ففي هذا النداء، يأمرهم الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ، بالصبر والثبات عند ملاقاة العدو، والإكثار من ذكر الله بألسنتهم؛ ليُستمطَروا نصرة الله وتأييده لهم[٢٢].

وقد ختمت السورة الكريمة، ببيان أنَّ المسلمين أمة واحدة، والولاية والتناصر واجبة بينهم، وأن الكافرين أمة واحدة، ولا ولاية بين الكافرين والمؤمنين.

(٢٢) انظر [الظلال (١٣٦٨/٣ ـ ١٤٦٩)، صفوة التفاسير لمحمد علي الصابوني ـ (٤٩١/١ ـ ٤٩٢) ـ دار القرآن الكريم ـ بيروت ـ ط٤ سنة ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨١م (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي صفوة التفاسير)، أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن: د.عبد الله محمود شحاته ـ (١٠١/١ ـ ١٠٨) ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ ط٢ ـ ١٩٨١م (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي أهداف كل سورة ومقاصدها)].

المبحث الثاني
عرض وتفسير لآيات سورة الأنفال
المتضمنة للقراءات العشر

١ ـ ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾ [الأنفال: ٢].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ حمزة ويعقوب (عَلَيْهُمْ) بضم الهاء.

٢ ـ وقرأ الباقون (عَلَيْهِمْ) بكسر الهاء[٢٣].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

لا بد أن نشير هنا إلى أن ضم الهاء من لغة أهل الحجاز، أما غيرهم فيكسرها، جاء في «شرح الكافية»: «وحركة هاء المذكر ضمة، إلا أن يكون

(٢٣) انظر [في هامش القرآن الكريم القراءات العشر المتواترة: فكرة وتنفيذ: علوي بن محمد بن أحمد بلفقيه وإشراف محمد كريم راجح شيخ القراء في الديار الشامية. ـ ص١٧٧ ـ دار المهاجر للنشر والتوزيع ـ ط٤ ـ سنة ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م. (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي في هامش القرآن الكريم القراءات العشر المتواترة)، اتحاف فضلاء البشر (٧٦/٢)].

قبلها ياء أو كسرة؛ فإن كان قبلها إحداهما، فأهل الحجاز يبقون ضمتها ويقولون: (بِهُو) و(لَدَيْهُو) وغيرُهم يكسرونها»[٢٤].

ويذكر أنَّ العلّة في كسر الهاء أنّه حرفٌ خفيف، حيث إنه حاجزٌ غير حصين، فكأن الواو الساكنة وَليت الكسرة أو الياء، فقلبت ياء ولأجل الياء بعد الهاء كُسرت الهاء[٢٥]. وأما الضم فجاء الشارح في تعليل ما قرأ به عن حمزة[٢٦] أنَّ ذلك؛ لكون الياء فيها بدلاً من الألف، فأعطى الياء حكم أصلها، وقد جاء عَلَاه، وإلاَه، ولَدَاه على الأصل (عليهم ـ إليهم ـ لديهم) كان حمزة يخصهم بالضم. ولم يرتض الشارح هذا التعليل، واختار تعليلاً غيره بقوله: «ولعل ذلك لاتباع الأثر»[٢٧].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

في هذه الآية الكريمة وصف الله تعالى المؤمنين بثلاث صفات، تدل على وجوب التقوى وإصلاح ذات البين وطاعة الله ورسوله التي ذكر في الآية السابقة بقوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝١﴾ [الأنفال: ١] فلمّا أمر ونهى هيج وألهب فقال: مبيناً كون الإيمان، مستلزماً للطاعة (إن كنتم مؤمنين) أي صادقين في دعوى الإيمان، فلا يكون مدعي الشيء صادقاً في دعواه، حتى يحصل البيان بالامتحان، لذلك جاء في الآية التي

(٢٤) شرح الرّضِيّ على الكافية: رضي الدين الإستراباذى ـ (٤٢١/٢) ـ كلية اللغة العربية والدراسات الإسلامية سنة ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م. تصحيح وتعليق يوسف حسن عمر (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي شرح الرّضيّ).

(٢٥) انظر [المرجع السابق (٤٢١/٢)].

(٢٦) حمزة الزَيَّات: هو حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل، الإمام الحبر أبو عمارة الكوفي التَّيْميّ، وُلد سنة ثمانين، وأدرك الصحابة بالسن ويحتمل أن يكون رأى بعضهم، كان إماماً حجةً، قيماً بكتاب الله تعالى، حافظاً للحديث، بصيراً بالفرائض والعربية، وفي السنن الأربعة انتهت إليه إمامة الإقراء في الكوفة بعد عاصم والأعمش، توفي ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ بحلوان سنة ست وخمس ومائة.

(٢٧) انظر [شرح الرضيّ (٤٢٣/٢)].

تليها بالتأكيد (إنما المؤمنون) أي المؤمنون حقاً المخلصون، الصادقون في دعوى الإيمان، والكاملوا الإيمان هم الذين اجتمعت فيهم هذه الخصال[(٢٨)]. قال أبو حيان[(٢٩)]: «أخبر عنهم بموصول وصل بثلاث مقامات عظيمة: مقام الخوف ـ من الله سبحانه ـ، ومقام الزيادة في الإيمان، ومقام التوكل على الرحمن»[(٣٠)]. ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ﴾ أي الذين إذا ذكر اسم الله نُزعت قلوبهم وفَرِقت، ورهِبَت لمجرد ذكره، استعظاماً لشأنه، وتهيباً منه ـ ﷻ ـ[(٣١)] قال الزَّجاج[(٣٢)]:

«إذا ذكرت عظمة الله وقدرته، وما خوف به من عصاه، وجِلَت قلوبُهم أي فزعت»[(٣٣)]. ﴿وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا﴾ أي إذا تليت عليهم آيات القرآن الكريم يزداد يقينهم وتصديقهم بالله[(٣٤)] فوجْهُ ذلك: أنهم يلقون له السمع ويحضرون قلوبهم؛ لتدبره، فعند ذلك يزيد إيمانهم، لأن التدبر من أعمال

---

(٢٨) انظر [نظم الدر (١٨٤/٣)، تفسير المراغي (١٦٤/٩)].

(٢٩) أبو حيان الأندلسي: أثير الدين، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف الغرناطي النفَزي، (ونفزة بلد في المغرب)، الأندلسي، عالم دين مسلم من أهل السنة والجماعة الأشاعرة، وهو من علماء التفسير، وله من المؤلفات في هذا المجال: «البحر المحيط» والذي اختصره في «النهر الماد»، وهو أيضا من علماء النحو والصرف، وله كتاب «ارتشاف الضرب من لسان العرب». ولد في غرناطة أواخر شوال سنة ٦٥٤ هـ ١٢٥٦م، وتوفي في القاهرة سنة ٧٤٥ هـ.

(٣٠) انظر [تفسير البحر المحيط (٤٥٧/٤)].

(٣١) انظر [صفوة التفاسير (٤٩٤/١)].

(٣٢) هو أبو إسحاق إبراهيم بن السُّرى بن سهل، لقّب بالزجّاج، لأنه كان يحترف خراطة الزجاج، عاش في بغداد، وأخذ عن ثعلب والمبرد، ولد عام ٢١٤هـ وتوفي عام ٣١١هـ . انظر [البداية والنهاية (١٥٨/١١)، طبقات النحويّين واللغويّين: لأبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي الأندلسي (ت٣٧٩هـ) ص١١١ ـ ١١٢ ـ دار المعارف بمصر ـ القاهرة ـ ط٢ ـ تحقيق: محمد أبو الفضل، الأعلام (٤٠/١)].

(٣٣) معاني القرآن وإعرابه: للزجاج أبو إسحاق إبراهيم بن السري (ت سنة ٣١١هـ) (٤٠٠/٢) ـ عالم الكتب ـ بيروت ـ ط١ ـ ١٤٠٨هـ ـ ١٥٨٨م ـ شرح وتحقيق: د. عبد الجليل عبدو شلبي.

(٣٤) انظر [صفوة التفاسير (٤٩٤/١)].

القلوب[٣٥]. ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ عليه وحده لا شريك له يعتمدون، فهم لا يرجون غير الله، ولا يرهبون سواه فلا تكمل أعمالهم إلا بالتوكل على الله[٣٦].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

رغم أنَّ هذه القراءات هي لغات إلا أنه يمكن تفسيرها، لقد اتفق علماء اللغة قديماً وحديثاً على حقيقة لُغوية، وهي أنَّ الضمة أثقل الحركات وأقواها، ثم تليها الكسرة، ثم تليها الفتحة. ولعل السبب في ثقل وقوة الضم، أن النطق به يحتاج إلى جهد عضلي، حيث إن الضم ينشأ من ضم الشفتين أولاً، ثم رفعهما ثانياً ولا تحتاج الفتحة والكسرة إلى ذلك، فالكسر ينشأ من انحدار اللحي الأسفل إلى أسفل انحداراً قوياً، أما الفتح فينشأ من مجرد فتح الفم[٣٧] قال ابن جني[٣٨]: «فجعلوا الضمة لقوتها فيما يكثر حجمه، والكسر لضعفها فيما يقل بل يعدم ارتفاعه»[٣٩]. وعلى هذه الحقيقة أستطيع أن أفسر قراءة الضم (عَلَيْهِمْ) بأن المؤمنين وصفهم الله في هذه الآية بالخوف والوجل عند ذكره، وحصول الزيادة والقوة في الإيمان عند سماعهم لتلك الآيات وذلك يتناسب مع ثقل حركة الضم بثقل وعظمة وقوة الإيمان في قلوبهم، وعِظم الخوف من الله، فيقينُهُم لا يتطرق إليه شك. لذلك لم

---

(٣٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: تأليف عبد الرحمن بن ناصر السعدي - (٢٩٤/٩) - مكتبة الصفا - مطابع دار البيان الحديثة - ط١ - سنة ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م - قدم له محمد بن صالح العثيمين (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي تفسير السعدي).

(٣٦) انظر [المرجع السابق (٢٩٤/٩ - ٢٩٥)، صفوة التفاسير (٤٩٤/١)].

(٣٧) انظر [شرح التصريح على التوضيح: للشيخ الإمام خالد بن عبد الله الأزهري (٥٩/١) - دار إحياء الكتب العربية].

(٣٨) أبو الفتح عثمان بن جني المشهور بابن جني: عالم نحوي كبير، ولد بالموصل عام ٣٢٢ هـ، ونشأ وتعلم النحو فيها على يد أحمد بن محمد الموصلي الأخفش ويذكر ابن خلكان أن ابن جني قرأ الأدب في صباه على يد أبي علي الفارسي حيث توثقت الصلات بينهما، حتى نبغ ابن جني بسبب صحبته، بلغ ابن جني في علوم اللغة العربية من الجلالة ما لم يبلغه الا القليل ويبدو ذلك واضحا في كتبه وأبحاثه. اشتهر ببلاغته. أشهر كتبه الخصائص الذي يتحدث فيه عن بنية اللغة وفقهها. وكانت وفاته سنة ٣٩٢ هـ.

(٣٩) المحتسب (١٩/٢).

يستخدم رب العزة في هذه الآية طريقة (النفي والإثبات) التي تستعمل في الأمور المجهولة، التي فيها مجال للشك والإنكار، بل استخدم (إنما) التي تستعمل في الأمور المعلومة التي لا يتطرق إليها الشك أو الإنكار، حيث إنّ المخاطبين هم المؤمنون، لذلك لا ينكرون هذه الحقائق(٤٠). فإيمانهم يزيد بانشراح الصدر وطمأنينة القلب وانثلاج الخاطر(٤١) أثناء تلاوة آيات الله(٤٢) وأيضاً مما يتناسب مع ثقل الضم لفظ (وجلت قلوبهم) أي خافت وفزعت(٤٣) يقول سيد قطب في هذا المعنى: «إنها الارتعاشة الوجدانية التي تنتاب القلب المؤمن حين يُذكَّر بالله في أمر أو نهي، فيغشاه جلالُه(٤٤)، وتنتفض(٤٥) فيه مخافته، ويتمثل عظمة الله ومهابته»(٤٦). أما بالنسبة لقراءة (عَلَيْهِمْ) بالكسر. يقول كشك: «إنهم إذا قرأوه وقفوا عند عجائبه، وحركوا به القلوب، نظر الله تعالى إليهم في جوف الليل وأصلابهم منحنية على أجزاء القرآن، إذا مر أحدهم بآية تبشر بالجنَّة بكى شوقاً إليها، وإذا مر بآية تنذر من عذاب النار، شهق شهقةً كأنَّ زفير جهنم بين أذنية»(٤٧). فتدبرُ

---

(٤٠) انظر [من بلاغة القرآن: د.محمد شعبان علوان - د.نعمان شعبان علوان - ص١٢١ - الدار العربية للنشر - ط٢ - سنة ١٩٩٨م].

(٤١) ثلجت بما خبرتني: أي استيقنت به وسكن قلبي إليه انظر [لسان العرب (٢/٢٢٢) مادة ثلج]

(٤٢) انظر [فتح القدير الجامع بين فنيّ الرواية والدّراية من علم التفسير: محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ) بصنعاء (٣٥٨/٩) - دار المعرفة - بيروت - لبنان - ط٣ - ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م - اعتنى به وراجع أصوله يوسف الفُرش (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي فتح القدير)].

(٤٣) مجاز القرآن: أبو عبيدة معمر بن المثني التَّيميّ (ت سنة ٢١٠هـ) (١/٢٤٠) - الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة - علق عليه د.محمد فؤاد سزكين (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي مجاز القرآن).

(٤٤) يغشاة: يغطيه الخوف انظر [منجد الطلاب في اللغة والأعلام نظر فيه ووقف عليه فؤاد إفرام البُستاني ص٥٢٠ مادة غشي - دار الشرق - بيروت - ط٣٨ - ١٥ نيسان ١٩٩١م (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي منجد الطلاب)].

(٤٥) تنتفض من النفض الذي من التحريك انظر [لسان العرب (٧/٢٤٠ - ٢٤١) مادة نفض].

(٤٦) الظلال (٩/١٤٧٥).

(٤٧) في رحاب التفسير (٩/١٤٤١).

آيات الله وتلاوتُها، تضفي سكينة ووقاراً واطمئناناً في قلب ونفس المؤمن، فتكون هذه السكينة والاطمئنان مع انحناء المؤمن وهو يتلو آيات الله وإنكسار قلبه وخشوعه يتناسب مع إنكسار الحركة في (عَلَيْهِمْ).

خامساً: الجمع بين القراءتين:

أرى أنه يوجد انسجام بينهما كبير، فالمؤمن عندما يتلو آيات الله بتدبر وخشوع وإنكسار يطمئن قلبه بالإيمان فتتنزل عليه السكينة من الله سبحانه فيزداد يقيناً ورهبة من الله وقوة في الإيمان به سبحانه.

٢ - ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾﴾ [الأنفال: ٩].

أولاً: القراءات:

١. قرأ المدنيان (نافع وأبو جعفر) ويعقوب (**مُرْدَفِين**) بفتح الدال على أنه اسم مفعول.

٢. وقرأ الباقون (**مُرْدِفِينَ**) بكسر الدال على أنه اسم فاعل(٤٨).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

ردف: الراء والدال والفاء أصل واحد مطّرِد، يدل على اتباع الشيء.

فالترادف: التتابع، مرادف الشيء: تَبع بعضُه بعضاً، وهذا أمرٌ ليس له ردف أي ليس له تبعة(٤٩). قال الزجاج(٥٠): «ردِفت الرجل: إذا ركبت خلفه، وأردفته إذا أركبته خلفي، ويقال: هذه دابة لا تردِف ولا ترادِف - أي لا تلحقها دابة أخرى، فتكون خلفها - ولا يقال لا تُردَف»(٥١). وقال أبو

---

(٤٨) انظر [النشر (٢/٢٠٧)، تقريب النشر في القراءات العشر: لابن الجزري - تحقيق إبراهيم عطوة عوض - ص ١٩٨ - دار الحديث - القاهرة - سنة ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤ م (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي تقريب النشر)].

(٤٩) انظر [لسان العرب (٩/١١٤) مادة ردف، معجم مقاييس اللغة: ص٤٤٨ - ٤٤٩].

(٥٠) سبقت ترجمة له ص٢٠.

(٥١) معاني القرآن وإعرابه: للزجاج (٢/٤٠٢).

عبيدة(٥٢): «مردِفين من أردَفوا أي جاءوا بعد قوم قبلهم، وبعضهم يقول: ردَفني أي جاء بعدي وهما لغتان، ومن قرأها بفتح الدال وضعها موضع مفعولين من أردفهم الله من بعد من قِبَلهم وقدامهم»(٥٣).

ثالثاً: سبب نزول الآية:

روى الإمام مسلم في صحيحه حديثاً، فيه ذكر استغاثة الرسول ﷺ بربه يوم بدر. عن ابن عباس قال: «حدثني عمر بن الخطاب قال: لمَّا كان يومُ بدر، نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألفٌ وأصحابه ثلاثمائة وتسعةَ عَشَر رجلاً، فاستقبل نبيُّ الله ﷺ القبلةَ ثم مدَّ يديْه، فجعل يهتف بربه: (اللهم أنجزْ لي ما وعدتنى، اللهم آت ما وعدتني اللهم إن تُهلك هذه العِصَابةَ من أهل الإسلام لا تُعبَدْ في الأرض) فما زال يهتفُ بربِّه مادًّا يديه مُستقبلَ القبلة حتى سقط رداؤُهُ عن منكبيه، فأتاه أبو بكرٍ فأخذ رداءَهُ، فألقاه على منكبيه ثم التزقه من ورائه وقال: يا نبيَّ الله كفاك مناشدتُك ربَّك، فإنَّه سينجزُ لك ما وَعَدَكَ فأنزل الله ﷻ:

﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ۝٩﴾ فأمده الله بالملائكة»(٥٤) وفى شأن حضور الملائكة يوم بدر، فقد روى مسلم عن ابن عباس قال: «بينما رجل من المسلمين يومئذٍ يشتدُّ في أَثَر رجل من المشركين أمامه، إذ سمع ضربة بالسَّوط فوقه وصوتَ الفارس يقول: أقدم حيزوم فنظر إلى المشرك أمامه فخرَّ مستلقياً، فنظر إليه، فإذا قد خُطِمَ أنفُهُ وشُقَّ وجهُهُ كضربة السَّوط، فاخضرّ ذلك أجْمَعُ، فجاء

(٥٢) هو معمر بن المثني التيمي، بالولاه البصري أبو عبيدة النحوي من أئمة العلم والأدب واللغة ولد سنة ١١٠هـ - ٧٢٨م وتوفي سنة ٢٠٩هـ - ٨٢٤م ومولده ووفاته بالبصرة انظر [الأعلام (٢٧٢/٧)، مقدمة كتابه: مجاز القرآن (٩/١ - ١٥)].

(٥٣) مجاز القرآن (٢٤١/١).

(٥٤) صحيح مسلم بشرح النووي - باب (الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم (٨٤/١٢ - ٨٥) - المطبعة المصرية ومكتباتها، وأيضاً رواه الترمذي في كتابه الجامع الصحيح - تحقيق: إبراهيم عطوة - ٤٨ كتاب تفسير القرآن - ٩ باب (من سورة الأنفال) رقم ٣٠٨١ - (٢٦٩/٥ - ٢٧٠) - مطبعة مصطفى البابى الحلبي - ط٢ - سنة ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م. وقال الترمذي: «حسن صحيح غريب».

الأنصاريُّ فحدَّث بذلك رسولَ الله ﷺ فقال: «صدقتَ ذلك من مددِ السماءِ الثالثة «فقتلوا يومئذٍ سبعين وأسروا سبعين»[٥٥].

رابعاً: التفسير الإجمالي للآية:

في غزوة بدر كان المشركون يتفوقون على المسلمين في العدد والعدة، لذلك لجأ الرسول ﷺ والمسلمون إلى الله تعالى يطلبون الغوث والنصرة والعون، فاستجاب الله لهم، وأمدهم بألف من الملائكة يقاتلون مع المسلمين، حتى تم النصر للمسلمين؛ وذلك لأن جند الله هم الغالبون[٥٦].

خامساً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

(**مُرْدِفِينَ**) من قرأ بكسر الدال، جعل الفعل للملائكة، فأتى باسم الفاعل من أردف، وأسنده إلى الملائكة بمعنى جائين فرقة بعد فرقة، أو بمعنى مردفين خلفهم غيرهم أو أمثالهم، فحذف المفعول، وحَذْفُ المفعول كثيرٌ في كلام العرب، أو بمعنى متتابعين أو بمعنى متبعين، وكلا مفعوليه محذوف، أي متبعين أنفسهم المؤمنين، أو ملائكة آخرين وموضع (**مُرْدِفِينَ**) جر على النعت لألف.

أما (**مُرْدَفِينَ**) من قرأ بفتح الدال، جعل الفعل لله - ﷻ -، فأتى باسم المفعول من أردف، وأسنده إلى المستكن فيه بمعنى أردف الله المؤمنين بهم، أي فُعِلَ ذلك بهم، ومحله الجر أيضاً على النعت لألف تقديره: يمدكم مُتبعين بألف، أو النصب على الحال من الضمير المنصوب في (ممدكم) أي حالاً من الكاف والميم في «ممدُّكم»[٥٧]. فإن قلت: «الضمير

---

(٥٥) صحيح مسلم بشرح النووي نفس الباب السابق ذكره - (١٢/٨٥ - ٨٦).

(٥٦) انظر [جامع البيان (٨٩/٩)، المقتطف من عيون التفاسير (٣٢٢/٢ - ٣٢٣)].

(٥٧) انظر [زاد المسير في علم التفسير: أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي ت ٥٩٧هـ - (١٩١/٢ - ١٩٢) - دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان - ط١ - ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م - تحقيق: عبد الرزاق المهدي (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي زاد المسير)، حجة القراءات: أبو زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة - ص٣٠٧ - مؤسسة الرسالة - بيروت - ط٥ - سنة ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م - تحقيق سعيد الأفغاني (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي الحجة: ابن زنجلة)، الفريد في إعراب القرآن=

مجرور بإضافة ممد إليها، فكيف قلت: أو النصب من الضمير المنصوب؟ قلت: هو مجرور في اللفظ منصوب في المعنى؛ لأنَّ اسم الفاعل بمعنى الاستقبال، كقوله: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥][٥٨].

وقد رجَّح الطبري قراءة الكسر على قراءة الفتح، وقال: إنَّ قراءة الكسر هي الصواب واحتج لها[٥٩].

وهذا الترجيح منه - رَحِمَهُ اللهُ - وغفر له لا نسلِّم له به لأسباب منها:

١ - كلتا القراءتين من حيث الرواية صحيح متواتر.

كما أن كلتا القراءتين قرآن، يصح أن نقرأ به ونصلي، فلا يجوز ترجيح قراءة على أخرى.

٢ - من حيث اللغة فلكل قراءة معنى صحيح، ولا تناقض بينهما ولا تعارض بين هذين المعنيين وما جاء عن أهل التأويل في معنى الآية، وذلك لأن (مُرْدَفِينَ) بفتح الدال: أن الله أردفهم بمعنى بعثهم على آثار من تقدمهم، أي جعل بعضهم تابعاً لبعض و(مُرْدِفِينَ) بكسر الدال بمعنى: أردف بعضهم بعضاً، أي جعلوا بعضهم تابعاً لبعض وحاصل هذين المعنيين واحد، فهو منسجم مع الآية وسياقها تمام الانسجام[٦٠].

٣ - ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾﴾ [الأنفال: ١١].

أولاً: القراءات:

= المجيد للمنتخب حسين بن أبي العز الهَمَذ (ت سنة ٦٣٤هـ) - (٤٠٨/٢) - دار الثقافة - ط١ - ١٤١١هـ - ١٩٩١م - تحقيق: د. فهمى حسن النمر، د. فؤاد علي مخيمر (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي الفريد)].

(٥٨) الفريد (٤٠٨/٢).

(٥٩) انظر [جامع البيان: (١٩٢/٩)].

(٦٠) انظر [حجة القراءات: ابن زنجلة - ص٣٠٧ - ٣٠٨، منهج الإمام الطبري في القراءات في تفسيره ص٢٣١، فتح القدير (٣٦٤/٢)].

١ ـ قرأ ابن كثير وأبو عمرو (**يَغْشَاكُم**) بفتح الياء والشين وألف بعدها، (**النُّعاسُ**) بالرفع.

٢ ـ وقرأ المدنيان (نافع وأبو جعفر) (**يُغْشِيكُم**) بضم الياء، وسكون الغين، وكسر الشين، وياء بعدها ونصب (**النُّعاسَ**).

٣ ـ وقرأ الباقون كذلك إلا أنهم فتحوا العين وشددوا الشين (**يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ**)(٦١).

٤ ـ (ويُنْزِل) قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب بإسكان النون وتخفيف الزاي. وقرأ الباقون بفتح النون وتشديد الزاي (**وَيُنَزِّلُ**)(٦٢).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

١ ـ (غشي ـ غشاوة) الأمر: غطّاه أي ستره، غشّى الشيء: أي غطّاه ويقال أن الغشي: يعطِّل القوى المحركة، والأوردة لضعف القلب؛ بسبب وجع شديد، أو برد، أو جوع مفرط، وقيل الغشي: هو الإغماء(٦٣). ومنه (**يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ**) النوم يغطي العقل(٦٤).

٢ ـ (النُّعَاسُ) بالضم: الوسن (أو فترة في الحواس) أو مقاربة النوم(٦٥). وأول النوم هو النعاس وهو أن يحتاج الإنسان إلى النوم، ثم

(٦١) انظر [النشر (٢/٢٠٧)، تقريب النشر ص١٩٨ ـ ١٩٩].

(٦٢) انظر [غيث النفع في القراءات السبع: ولي الله سيدي عليّ النوري الصفاقسي ـ ص١٢٣ ـ دار الكتب العلمية ـ ط١ ـ سنة ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م ـ ضبطه: محمد عبد القادر شاهين (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي غيث النفع)، فريدة الدهر في تأصيل وجمع القراءات العشر: تحرير وجمع محمد إبراهيم محمد سالم (٢/٧٣١) ـ سنة ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي فريدة الدهر)].

(٦٣) انظر [مفردات ألفاظ القرآن ص ٦٠٧، المصباح المنير (٢/١٠٠ ـ ١٠١)].

(٦٤) انظر [التحرير والتنوير (٥/٢٧٨)].

(٦٥) انظر [تهذيب اللغة (٢/١٠٥)، منجد الطلاب ـ ص٨٠٩ ـ مادة غشي].

الوسن، وهو ثقل النعاس، ثم الترنيق، وهو مخالطة النعاس للعين، ثم الكرى والغمض، وهو أن يكون الإنسان بين النائم واليقظان ثم العفق، وهو النوم وأنت تسمع كلام القوم، ثم الهجود والهجوع(٦٦) وقيل النعاس: لين الرأي والحسم، وضَعْفُهما(٦٧).

وقيل النعاس في قوله تعالى (نعاساً) [آل عمران: ١٥٤] عبارة عن السكون والهُدُوّ(٦٨).

٣ ـ (نزل) نزولاً: من علوٍّ إلى أسفل: انحدار (نزّله) جعله ينزل ـ (نزّل الشيء) رتّبه، وقد جاء في لسان العرب أن تنزّله، ونزّله، وأنْزَله بمعنى، وذلك نقلاً عن سيبويه: «أنه كان أبو عمرو يفرق بين نزّلت وأنزلت ولم يذكر وجه الفَرْق، ونُقل عن أبي الحسن أنَّ الفرق بين نَزَّلت وأنزلت صيغة التكثير في نزَّلت(٦٩) نزل: سريع السيل والنَّزَل: المطر(٧٠).

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

لـمَّا ذكر الله سبحانه وتعالى البشرى والطمأنينة بإمداد المؤمنين بالملائكة، أتبع القول الفعل، فألقى في قلوب المؤمنين الطمأنينة والسكينة، فكان هذا نصر الله لهم واستجابته لدعائهم، لذلك أنزل عليهم نعاساً يغشيهم، فيُذهب ما في قلوبهم من الخوف والوجل الذي حصل لهم من قلة

(٦٦) انظر [المصباح المنير (٢/٢٨٢ ـ ٢٨٣)].

(٦٧) انظر [القاموس المحيط ص ٧٤٥].

(٦٨) انظر [مفردات ألفاظ القرآن ص٨١٤].

(٦٩) انظر [لسان العرب مادة نزل ص٧٨٢ ـ ٧٨٦، كتاب سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت سنة ١٨٠هـ)، (٤/٥٥ ـ ٥٦) ـ دار الجيل ـ بيروت تحقيق: عبد السّلام محمد هارون (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي كتاب سيبويه)].

(٧٠) منجد الطلاب ص٧٧٨.

عددهم، وكثرة عدد الأعداء وعدَّتهم، وفي ذلك معجزة للرسول ﷺ وذلك أنَّ النَّوم غشيهم في وقت الخوف(٧١).

قال ابن كثير: «فكأن ذلك كان للمؤمنين من شدة البأس، لتكون قلوبهم آمنة مطمئنة بنصر الله»(٧٢) فكان النوم (أَمَنَة) لهم وعلامة على النصر والطمأنينة، ومن ذلك أنه أنزل عليهم من السماء ماءً، ليطهرهم به من الحدث والخبث، وأيضاً يطهرهم من وساوس الشيطان.

لطيفة: وصف النعاس (أمن) مهم جداً وذلك لتهدئة أعماق المؤمنين في الأجواء المحيطة بهم، حيث كثرة عدد العدو وكثرة العدة، وهم في نفس الوقت بلا عتاد وعَدَد قليل، لذلك جعل الله سبحانه من هذا النعاس آيةً، حيث إنه غشي الجيش كله، فلو غلبهم النوم العميق، لمال عليهم أعداء الله ميلة واحدة، ولكنَّ الله طمأنهم وأَمَّنَهم بهذا النعاس وأزال خوفهم(٧٣).

﴿وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ والرجز هنا يسمى كيد الشيطان لأنه سبب العذاب(٧٤). ﴿وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ﴾ أي يثبتها، فإنَّ ثبات القلب هو ثبات البدن ﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ﴾ لأنَّ الأرض كانت سهلة رملية، فجاء المطر بحيث لا تغوص أرجلهم فيه، فاستطاعوا المشي عليه، وقيل يثبت بالربط الأقدام، لأن العبد إذا تمكن من القلب ثبتت الأقدام في مواطن القتال،

(٧١) انظر [نظم الدرر (١٩٢/٣)، التفسير الكبير (مفاتيح الغيب): الإمام فخر الدين الرازي (١٠٦/٨) ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ ـ ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي مفاتيح الغيب)].

(٧٢) تفسير القرآن العظيم (٢٩١/٢).

(٧٣) انظر [تفسير الشعراوي: محمد متولي الشعراوي (٤٥٩٦/٨ ـ ٤٥٩٧) أخبار اليوم ـ قطاع الثقافة (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي تفسير الشعراوي)].

(٧٤) انظر [تأويل مشكل القرآن: ابن قتيبة ـ ص٤٧١ ـ المكتبة العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط٣ ـ ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي تأويل مشكل القرآن)].

وكل ذلك لمن دخل في غزوة بدر وهذه الآية بمثابة تذكير للذين يقاتلون في سبيل الله، بأنَّ الله معهم وينصرهم، فيكون دافعاً قوياً للقتال في سبيل الله والتوكل عليه(٧٥).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

١ ـ من قرأ (**يَغْشاكُمُ النُّعَاسُ**) فهو من «غشي يغشى» والنعاسُ رفعاً؛ لأن الفعل له، فيكون المعنى يغشاكم النّعاس (أمنةً) والأمنة بمعنى الأمان فهو منصوب على الحال بيغشاكم باعتبار المعنى فإنه في حكم تنعسون. أو على أنه مصدر لفعل ترتب عليه يغشاكم النعاس فتأمنون أمناً فيكون فاعل يغشاكم هو النعاس والمُأَمِّن هو الله.

وأما قراءة (**إِذْ يُغْشِيكُمُ النُّعَاسَ**) من الإغشاء بمعنى التغشية مضارع «أغشى يغشي»، والنعاس بالنصب مفعول به، وفاعل «يُغشيكم» ضمير مستتر، يعود على الله تعالى، المتقدم ذكره في قوله تعالى: ﴿**وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾**﴾ [الأنفال: ١٠] وإسناد الإغشاء أو التغشية إلى الله؛ لأنه هو الذي قدَّر أن يناموا في وقت لا ينام في مثله الخائف، فهو نوم منحهم الله لفائدتهم(٧٦).

فيكون المعنى أنَّ الله يجعل النعاس غاشياً لكم ومحيطاً بكم، وهو بدل من (إذ يعدكم) لإظهار نعمة أخرى.

وقد خطَّأ أبو حيان من قال إنَّ (إذ يغشيكم) منصوب بالنصر، أو بما في (عند الله) من معنى الفعل أو بما جعله الله أو بإظهار (اذكر)(٧٧).

(٧٥) انظر [تفسير القرآن العظيم (٢٩١/٢)، تفسير السعدي (٢٩٦/٩)، الأساس في التفسير، سعيد حوى ـ (٢١٣٢/٤) ـ دار السلام ـ ط٢ ـ سنة ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي الأساس)].

(٧٦) انظر [التحرير والتنوير (٢٧٨/٩)].

(٧٧) انظر [البحر المحيط (٤٦٧/٤ ـ ٤٦٨)].

وقراءة (يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ) مضارع «غشَّى يُغشِّي» بالتشديد يفيد المبالغة(78) لأنه على وزن فَعَّلَ، والنعاس بالنصب مفعول به، والفاعل أيضاً ضمير يعود على الله تعالى.

علماً بأن التخفيف والتشديد في يغشي لغتان بمعنى: فمن التّخفيف قوله تعالى: ﴿فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝٩﴾ [يس: ٩]، ومن التّشديد قوله تعالى: ﴿فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ۝٥٤﴾ [النجم: ٥٤](79).

ويكون المعنى: الله يغشيكم النعاس وحجتهم، «أن الفعل أتى عقيب ذلك مسنداً إلى الله وهو قوله: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [الأنفال: ١١]، فكان الأولى بما قبله أن يكون خبراً عن الله أنه هو الفاعل له لينتظم الكلام على سياق واحد(80).

٢ ـ أما قراءة ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم﴾ [الأنفال: ١١] ينزل: تقرأ بالتشديد والتخفيف وهما لغتان(81). «والحجة لمن شدد (يُنَزِّلُ) أنه أخذه من نزَّل، يُنزِّل . . . والحجّة لهما في ذلك تكرار النزول،

---

(78) انظر [معاني الأبنية في العربية: د.فاضل صالح السامرّائي ص٣٢ ـ جامعة الكويت ـ كلية الآداب ـ ط١ ـ ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي معاني الأبنية)].

(79) انظر [المستنير في تخريج القراءات المتواترة من حيث اللغة والإعراب والتفسير: د. محمد سالم محيسن (٢١٠/١) ـ دار الجيل ـ بيروت ـ ط١ ـ سنة ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي المستنير)].

(80) انظر [الحجة: ابن زنجلة ص ٣٠٨].

(81) انظر [الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها: أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي (٣٥٥هـ ـ ٤٣٧هـ) (٣٥٥/١) ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ط٥ ـ سنة ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م ـ تحقيق: د. محي الدين رمضان (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي الكشف)].

ومداومته شيئاً بعد شيء»[٨٢]. والتشديد يفيد المبالغة فدلت هذه القراءة على أنَّ:

١ ـ أن المطر كان على مراحل.
٢ ـ وأن المطر أكثر من مرة.

في حين أن قراءة التخفيف (يُنْزِل) فحجة من خَفَّف أنه أخذه من أنزل، يُنزل فدلت هذه القراءة على أنَّ:

١ ـ أن المطر نزل دفعة واحدة.

٢ ـ وكان المطر مرة واحدة.

وعلى كلا المعنيين فيه التثبيت لقلوب المؤمنين، وإسناد هذا الإنزال إلى الله تعالى للتنبيه على أنه أكرمهم به، وذلك لأنه نزل في وقت احتياجهم إلى الماء، ولعله كان في غير الوقت الذي اعتادوا فيه نزول الأمطار في بلدهم[٨٣].

خامساً: الجمع بين القراءات:

يتبين لنا أنَّ إسناد الإغشاء أو التغشية إلى الله تعالى إسناد مخصوص، فهو نعاسٌ واردٌ من الجانب القدسي، فيه لطف وسكينة ورحمة ربانية. وإسناد الغشي إلى النعاس حقيقة على المتعارف، وقد عُلم أنه من تقدير الله، ويكون وصف الأمنة، بأنّها منه سارٍ إلى الغشي، فيُعلم أنه غشي خاص قدسي، وليس مثل سائر غشيان النعاس فهو خارق للعادة، كان كرامة لهم، وهذا الذي حصل يوم بدر. والقصد هو طمأنة القلوب، وإدخال السَّكينة فيها.

(٨٢) الحجة في القراءات: أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه (ت ٣٧٠هـ) ـ ص٣٥ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ منشورات محمد علي بيضون ـ ط١ ـ سنة ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٠م ـ تحقيق: أحمد زيد المزيدي ـ قدم له: د. فتحى حجازي (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي الحجة: ابن خالويه).
(٨٣) انظر [التحرير والتنوير (٢٧٩/٩)].

وقراءة التشديد (**يُغَشِّيكُمُ**) فيه زيادة في التوكيد ومبالغة، تدل على أنها شَمِلت جميع أفراد المقاتلين(٨٤).

وأما في قراءة (**ويُنْزِل**) بالتخفيف، فهي تناسب النعاس فالمقصود أنهم ناموا نوماً خفيفاً لا ثِقَل فيه، ولا عُمْق، فهو النّوم الظاهر الذي لُبِّس على المرء، فلا يكاد يغشاه حتى ينجلي عنه، فناسب الفعل ينزل من الفعل الثّلاثي، نزل للتعبير عن هذه الإلمامة(٨٥).

فى حين أرى أن قراءة (يُنَزِّلُ) بالتشديد، أفادت زيادة في تكثير نزول المطر فكان للشرب وللإغتسال وللوضوء، وعلى فترات متكررة، وذلك فيه كرمٌ كبيرٌ من الله سبحانه لهم فناسبت هذه القراءة قراءة التشديد في (**يُغَشِّيكُمُ**) والله أعلم.

٤ ـ ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾﴾ [الأنفال: ١٢].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ ابن عامر والكسائي وأبو جعفر ويعقوب (**الرُّعُب**) بضم العين.

٢ ـ وقرأ الباقون (نافع وابن كثير وأبو عمرو وعاصم وحمزة وخلف) (**الرُّعْب**) بإسكان العين(٨٦).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

الرُّعْبَ و **الرُّعُبَ** هما لغتان، معناهما: الفزع والخوف يقال: رَعَبَه ويَرْعَبُه رُعْباً ورُعُباً فهو مرعوب، ويجوز أن يكون الرعْب مصدراً، والرُّعُب

(٨٤) انظر [تفسير التحرير والتنوير (٢٧٩/٩) بتصرف].
(٨٥) أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي أبو عمر بن العلاء: تأليف د.عبد الصبور شاهين ـ ص٤٣١ ـ مكتبة الخانجي بالقاهرة ـ ط١ ـ سنة ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي).
(٨٦) انظر [النشر (١٦٢/٢)، تقريب النشر ص ١٧٣]

الاسم، وأصل الرعب من المَلء، ويقال رَعَبَ الحوض مَلأه، ويقال سيل راعب: يملأ الوادي[87].

ثالثاً: المعنى الإجمالي للآية:

إذ ﴿إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ﴾ يُذكِّرُ الله المؤمنين بنعمته عليهم في غزوة بدر، حيث أوحى الله سبحانه إلى الملائكة، بأنَّه معهم ينصرهم، وأمرهم بتثبيت المؤمنين وإلقاء الرعب في قلوب الأعداء كما أمرهم بالضرب فوق أعناقهم، والضرب على أطراف الأصابع، وهذا كلُّه من أعظم النعم عليهم[88]. ولمَّا ذكر الوحي إلى الملائكة أتى بخطاب الرسول ﷺ وحده ﴿إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ﴾ ففي ذلك تشريفٌ بمواجهة الرسول ﷺ بالخطاب وحده أي مربيك والناظر في مصلحتك[89]. ﴿أَنِّي مَعَكُمۡ﴾ بالعون والنصر ﴿فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ﴾ ذكر الزجاج: «جائز أن يكون أنهم يثبتونهم بأشياء يلقونها في قلوبهم تقوى بها قلوبهم، وجائز أنْ يكونوا يرونهم مدداً، فإذا عاينوا نصر الملائكة ثبتوا»[90].

﴿سَأُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ﴾ أي سأقذف في قلوب الكافرين الفزع والخوف فينهزموا فهذا تفسير لقوله تعالى (أَنّي مَعَكُمْ) بإلقاء الرعب في قلوبهم. ﴿فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ﴾ أي اضربوا الرؤوس والأيدي والأرجل[91]. ويرى أبو عبيدة أنَّ (فوق) بمعنى (على)، أي اضربوا على

(٨٧) انظر [لسان العرب (٤٩٠/١) - مادة رعب، منجد الطلاب ص٢٥٠، الجامع لأحكام القرآن (٥٨٢/٤)].

(٨٨) انظر [البحر المحيط (٤٦٩/٤)].

(٨٩) انظر [المرجع السابق (٤٧٠/٤)].

(٩٠) معاني القرآن: الزجاج (٤٠٤/٢).

(٩١) انظر [معاني القرآن: الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت ٢٠٧هـ) (٤٠٥/٢) - عالم الكتب - بيروت - ط٣ - ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي معاني القرآن: الفراء)].

الأعناق، في حين أن الأخفش[٩٢] يرى أن كلمة (فوق) زائدة فيكون المعنى (اضربوا الأعناق) كما تقول رأيت نفس زيد، تريد زيداً[٩٣] ـ وكلام الأخفش بالزيادة في كلام الله لا نوافق عليه لأنه لا زوائد في القرآن ـ فالظاهر أنَّهم أبيح لهم أن يضربوهم على كل حال. ﴿وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ أي قطِّعوا الأيدي ذات البنان، والبنان أطراف الأصابع، والواحدة بنانة؛ لأن الأيدي هو أداة التصرف في الضرب[٩٤] ويقول الزجاج: «وإنما اشتقاق البنان من قولهم أبَنَّ بالمكان إذا أقام به، فالبناء به يحتمل كلَّ ما يكون للإقامة والحياة»[٩٥]. واختصاص الأعناق والبنان بالضرب، لأن الضرب بالأعناق فيه إتلاف لأجساد الكفار، وما فوق العنق أشرف الأعضاء وهو الرأس، أما ضرب البَنَان؛ فلأن الذي يُقطع بنانُه، يعجز عن أخذ السيوف وسائر الأسلحة، فتبطل صلاحيته للقتال، كما أنَّ البَنَان أضعف الأعضاء، فذكر أشرف وأخس الأعضاء حتى ينبه على كل الأعضاء. وقيل: إما ضرب فوق الأعناق أو ضرب قطع البنان[٩٦]. وقول الإمام الرازي بأنَّ البَنَان أخس الأعضاء لا أرى

(٩٢) هو سعيد بن مسعدة، أبو الحسن، البلخي ثم البصري، لزم سيبويه حتى برع، توفي سنة ٢١٥هـ [انظر سير أعلام النبلاء (٢٠٦/١٠)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلّكان (٦٠٨هـ ـ ٦٨١هـ) (٣٨٠/٢) دار الثقافة ـ بيروت ـ لبنان ـ إعداد وداد القاضي، عز الدّين أحمد موسى، إشراف د. إحسان عباس (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي وفيات الأعيان)، الأعلام (١٠١/٣)].

(٩٣) انظر [معاني القرآن: الأخفش سعيد بن مَسْعِدَة البَلخي المجاشعي (٥٤١/١ ـ ٥٤٢) ـ عالم الكتب ـ بيروت ـ ط١ ـ ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م ـ دراسة وتحقيق د. عبد الأمير محمد أمين (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي معاني القرآن: الأخفش)، مجاز القرآن (٢٤٢/١)].

(٩٤) انظر [معاني القرآن: أبو جعفر النحاس (ت ٣٣٨هـ) (٤٢٠/١) ـ دار الحديث ـ القاهرة ـ سنة ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م. (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي معاني القرآن: النحاس)، تفسير المراغي (١٧٦/٩ ـ ١٧٧)].

(٩٥) معاني القرآن: الزجاج (٤٠٥/٢).

(٩٦) انظر [مفاتيح الغيب (١٠٩/٨)، التحرير والتنوير (٢٨٣/٩)].

أن نسلّم به؛ لقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [التّين: ٤]. ولا ننسى أنَّ المصافحة والإشارة والأخذ والعطاء والبيع والشراء إنَّما يكون بالأصابع.

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

الاختلاف في قراءة (**الرُّعْبَ**) بين السُّكون والرَّفع تظهر من خلال تعقب معاني الكلمتين، فقد رأيت أنَّ عامة المفسرين، ذكروا أنَّهما لغتان بمعنى الخوف والرُّعب[٩٧]. ولكني رأيت في التحرير والتنوير ما أميل إليه من معنى يناسب التخفيف والسكون، وذلك لأنَّ الساكن أخف من المتحرك في قراءة (**الرُّعْبَ**) وهو أنَّ الله خفَّف من عمل الملائكة تخفيفاً دل عليه إجمالاً ـ قوله تعالى ـ ﴿أَنِّي مَعَكُمْ﴾ وذلك لأنَّ الرُّعب خاطر شيطاني ذميم، فجعله الله في قلوب الذين كفروا بواسطة أخرى غير الملائكة، والملائكة المخاطبون كانوا ملائكة نصر وتأييد، فلا يليق بقواهم إلقاء الرُّعب، لذلك لم يقل ـ سبحانه وتعالى ـ سنلقي لئلا يُتَوهم أنَّ الملائكة المخاطبين، سبباً في إلقاء الرُّعب في قلوب الذين كفروا، وأيضاً فيه تخفيف على المؤمنين، وذلك أنَّ الله خفَّفَ عليهم في الذي كلَّفهم الله به، بأنَّ الله كفاهم تخذيل الكافرين بعمل آخر غير الذي كَلَّف الملائكة بعمله[٩٨].

١ ـ أما قراءة (**الرُّعُبَ**) بالضم، فلأنَّ الضمة من أثقل الحركات وأقواها، وقوتها فيما يكثر حجمه[٩٩] نجد أنَّ هذا الرُّعب رعبٌ شديدٌ قدَّره الله على كيفية خارقة للعادة، وذلك لأن أسبابَ ضدِّهِ قائمة، وهي وفرة عَددهم وعُددهم، وإقدامهم على الخروج إلى المسلمين، وحرصهم على حماية أموالهم، التي جاءت بها العير[١٠٠].

(٩٧) انظر [الجامع لأحكام القرآن (٤/٥٨٢)].

(٩٨) انظر [التحرير والتنوير (٩/٢٨٢ ـ ٢٨٣)].

(٩٩) راجع ص٢١.

(١٠٠) انظر [التحرير والتنوير (٩/٢٨٢)].

٢ ـ وأيضاً نفهم أنَّ هذا الرعب قد ملأ قلوب الكفار جميعاً، ولم يستثنِ منهم أحداً.

٣ ـ وأيضاً نفهم من ذلك، عظم الفائدة التي عادت على المسلمين من هذا الإلقاء الشديد فهو مبارك على المسلمين أيضاً.

خامساً: الجمع بين القراءتين:

من دِلالة قراءة الضم (**الرُّعُبَ**) نستشعر ثِقَل وعِظَم الرُّعب الذي ملأ قلوب الكفار ومن دِلالة قراءة السكون (**الرُّعْبَ**) نفهم أنَّ هذا الرُّعب الذي ملأ قلوب الكفار، جعلهم يسكنون أماكنهم من شدّة الخوف، مما أدى إلى هزيمتهم بالإضافة إلى قتال الملائكة لهم والله أعلم.

٥ ـ ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾﴾ [الأنفال: ١٦].

أولاً: القراءات:

١ ـ أ ـ قرأ أبو جعفر (**إِلَى فِيَةٍ**) بالتسهيل.

ب ـ وقرأ الباقون (**إِلَى فِئَةٍ**) بالهمز[١٠١].

٢ ـ أ ـ قرأ السوسي وأبو جعفر (**وَمَاوَاهُ**) بدون همز.

ب ـ وقرأ الباقون (**وَمَأْوَاهُ**) بالهمز.

٣ ـ أ ـ قرأ ورش والسوسي وأبو جعفر (**وَبِيسَ**) بدون همز.

ب ـ وقرأ الباقون (**وَبِئْسَ**) بالهمز[١٠٢].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

١ ـ (**فئة**): الفئة: الطائفة، والهاء عوض من الياء التي نقصت من

(١٠١) انظر [النشر (١/٣٠٨)].

(١٠٢) انظر [النشر (١/ ٣٠٣ ـ ٣٠٤)، فريدة الدهر (٢/٧٣٤)].

وسطه، وأصله من فيء، وهي من فأوت أي فرقت، لأنَّ الفئة كالفرقة[١٠٣] والفئة: الجماعة المتظاهرة التي يرجع بعضهم إلى بعض في التّعاضد[١٠٤] يقول سيبويه:[١٠٥]

«واعلم أنَّ كلَّ همزة كانت مفتوحة وكان قبلها حرف مكسور، فإنك تبدِّل مكانها ياء في التخفيف»[١٠٦].

٢ ـ (مأواه) مصدر أوى يأوي أوياً ومأوىً تقول أوى إلى كذا: انضم إليه، وآواه غير يؤيه إيواء[١٠٧].

(والمأوى والمأواة) المكان الذي تأوي إليه[١٠٨].

يقول سيبويه: «وإذا كانت الهمزة ساكنة وقبلها فتحة فأردت أن تخفف أبدلت مكانها ألفاً»[١٠٩].

٣ ـ (**بئس**) كلمة تستخدم في جميع المذام، ويرفع بعدها ما فيه الألف واللام أو المضاف إلى ما فيه الألف واللام نحو: بئس الرجل زيد، بئس غلام الرجل زيد وينصبان النكرة، نحو بئس رجلاً، وأصل بِئْسَ: بَئِسَ وهو من البؤس[١١٠]. ولا يكون منه فعلٌ لغير هذا المعنى[١١١].

(١٠٣) انظر [لسان العرب (١/١٥٥ ـ ١٥٦) مادة فيأ].

(١٠٤) انظر [مفردات ألفاظ القرآن ص٦٥٠ ـ مادة فيء].

(١٠٥) هو عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، إمام النحاة لزم الخليل بن أحمد فَفَاقَهُ، ولد سنه (١٤٨هـ ـ ٧٦٥م)، وسيبويه بالفارسية رائحة التفاح، توفي شاباً واختلف في سنة وفاته وقيل أنه توفي في (١٨٠هـ ـ ٧٩٦م) انظر [الأعلام (٥/٨١)].

(١٠٦) انظر [كتاب سيبوية (٣/٥٤٣)].

(١٠٧) انظر [مفردات ألفاظ القرآن ص ١٠٣].

(١٠٨) انظر [الوافي معجم وسيط اللغة العربية: الشيخ عبد الله البستاني ـ ص٢٤ ـ مكتبة لبنان ـ بيروت ـ سنة ١٩٨٠م (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي الوافي)، منجد الطلاب ص ١١٨].

(١٠٩) انظر [كتاب سيبويه (٣/٥٤٣)].

(١١٠) انظر [مفردات ألفاظ القرآن ص١٥٤].

(١١١) انظر [كتاب سيبويه (٢/١٧٥ ـ ١٧٩)].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

كي يتضح لنا معنى هذه الآية لا بد من استحضار الآية التي تسبق هذه الآية يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾﴾ [الأنفال: ١٥].

والمعنى: يا أيها الذين آمنوا إذا واجهتم الذين كفروا (زحفاً) أي متدانيين متقاربين متواجهين؛ فلا تفرُّوا عنهم، إلا أنْ يكون ذلك مكيدة حرب، حيث تختارون موقعاً أحسن، أو تدبرون خطة أحكم؛ أو أنْ يكون ذلك انضماماً إلى فئة أخرى من المسلمين، أو إلى قواعد المسلمين، لتعاودوا القتال. وأنَّ من تولى، وأعطى العدو دُبُرَه يوم الزحف، فقد استحق ذلك العقاب، غضباً من الله سبحانه، ومأوىً في جهنّم(١١٢).

ويقول ابن كثير «فأما إن كان الفرار لا عن سببٍ من هذه الأسباب، فإنَّه حرام وكبيرة من الكبائر»(١١٣).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قال الشارح(١١٤): «اعلم أن الهمزة حرف شديد مستثقل يخرج من أقصى الحلق إذ كان أدخل الحروف في الحلق فاستثقل النطق به إذ كان إخراجه كالتهوع»(١١٥).

فلذلك من الاستثقال ساغ فيها التخفيف، وهو لغة قريش وأكثر أهل الحجاز، وهو نوع استحسان لِثقل الهمزة، وتحقيق الهمزة لغة تميم وقيس إذ قالوا: «إن الهمزة حرف فوجب الإتيان به كغيره من الحروف وتخفيفها يكون ـ كما ذكر ـ بالإبدال والحذف وأن تجعل بين بين أي بين الهمز

---

(١١٢) الظلال (١٤٨٧/٩).

(١١٣) تفسير القرآن العظيم (٢٩٤/٢).

(١١٤) شرح المفصل للشيخ العالم (العلامة جامع الفوائد موفق الدين) يعيش بن علي بن يعيش النحوي (ت٦٤٣هـ) (١٠٧/٩) ـ عالم الكتب ـ بيروت والقاهرة.

(١١٥) التهوع: التكلف انظر [المصباح المنير ص٣٨٢].

وحركته بأي حركة تحرك»[116].

وأيضاً قال ابن سيبويه في كتابه: «واعلم أنَّ الهمزة إنّما فَعَل بها هذا من لم يخففها؛ لأنّه بَعُدَ مَخرجُها، ولأنّها نبرةٌ في الصّدر، تُخرَج باجتهاد فثقل عليهم ذلك، لأنه كالتهوّع»[117].

أيضاً الهمزة من صفاتها الجهر والشدة. والجهر: هو قوة التصويت مع امتناع جريان النفس عند النطق بالحرف لقوة الاعتماد على مخرجه، والشدة: انحباس جريان الصوت عند النطق بالحرف[118] فمن ذلك جاء الثقل وهو سبب لخروج الحرف مضطرباً كباقي حروف القلقلة. والألف الهاوي هو حرف اتسع لهواء الصوت، مُخرجه أشد من اتساع مخرج الياء والواو؛ لأنك قد تضم شفتيك بالواو، وترفع في الياء لسانك قبل الحنك[119]. والواو والياء من حروف اللين. وهذه الثلاثة حروف (و - ي - ا) أخفى الحروف لاتساع مخرجها وأخفاهن وأوسعهن مخرجاً: الألف، ثم الياء، ثم الواو[120]. وعلى هذا يكون مَنْ قرأ الثلاثة مواضع بالهمزة يتناسب ثقلها مع ثقل الموقف الذي يكون أثناء اللقاء أمام العدو، وأنَّ هذا اللقاء في قتال الأعداء يحتاج إلى أنْ يكون قلب المؤمن راسخاً ثابتاً لا تهزمه في الأرض قوة، وهو موصول بقوة الله الغالب على أمره، القاهر فوق عباده[121].

(116) انظر [النشر (1/332)].

(117) كتاب سيبوية (3/548).

(118) انظر [بغية عباد الرحمن لتحقيق تجويد القرآن في رواية حفص من طريق الشاطبية: محمد بن شحادة الغول - ص136 - 137 - دار ابن القيم - المملكة العربية السعودية - ط4 - 1415هـ - 1994م].

(119) انظر [كتاب ابن سيبوية (4/435)].

(120) انظر [المرجع السابق (4/436)].

(121) انظر [الظلال (9/1489)].

يقول فاضل السامرّائي[(١٢٢)] : «فاستَعْمَل الهمزة؛ لثقلها للحالات الثقيلة النادرة»[(١٢٣)] وقوة الهمزة تتناسب مع قوة الإيمان وشدته في المؤمن، فهو يمتاز بأنه موصول بالقوة الكبرى التي لا غالب لها، فهو إلى الله حياً، وإلى الله إنْ كُتبت له الشّهادة، ففي كلِّ حالة هو أقوى من خصمه الذي يواجهه[(١٢٤)].

كما أنَّ ثقل الهمزة يتناسب مع الزحف، وهو ثقل في الحركة وتقارب في الخطو كزحف صغار الجراد[(١٢٥)]. لذلك من يتولَّ يوم الزحف ﴿فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ فهو رجع مُلابساً لغضب الله تعالى عليه، وذلك بسبب البَوْء الذي باءه. وهذا غضب الله عليه في الدنيا المستحق الذم وغيره مما عسى أن يحرمه عناية الله في الدنيا، وبالتالي يترتب عليه المصير إلى عذاب جهنم، وهذا يدل على أن توليه الظهر عن المشركين كبيرة عظيمة[(١٢٦)].

وقد قال رسول الله ﷺ: (اجتنبوا السبع الموبقات[(١٢٧)] الشرك بالله، والسحر وقتل النفس التي حَرَّم الله إلا بالحقِّ، وأكل الرِّبا، وأكلَ مالِ اليتيم، والتَّولِّي يومَ الزَّحْفِ، وقَذْفَ المحصناتِ الغافلاتِ المؤمنات)[(١٢٨)].

---

(١٢٢) فاضل صالح مهدى السامرائي ولد عام (١٣٥٢هـ ـ ١٩٣٣م) نحوي، لغوي، باحث ولد في سامراء بالعراق حصل على شهادات إلى أن ترقى إلى درجة استاذ في كلية الآداب بجامعة بغداد. انظر [معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة ٢٠٠٢: كامل سلمان الجبوري (٤١٤/٤) دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط١ ـ ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣ م].

(١٢٣) بلاغة الكلمة في التعبير القرآني: د. فاضل صالح السامرَّائي ـ ص٥٧ ـ دار عمار عمان ـ ط٢ ـ ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

(١٢٤) انظر [الظلال (١٤٩٠/٩)].

(١٢٥) انظر [تفسير المراغي (١٧٨/٩)].

(١٢٦) انظر [التحرير والتنوير (٢٩١/٩)].

(١٢٧) الموبقات: المهالك والمعاصى انظر [المصباح المنير ص٣٨٤ من مادة وبق، منجد الطلاب ص٨٩٨].

(١٢٨) انظر [زاد مسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم المسمّى فتح المنعم ببيان ما احتيج لبيانه من زاد المسلم: للحافظ سيدي محمد حبيب الله المشهور بمأيأبي الجكني ثم اليوسفي نسباً المالكي مذهباً المتوفى بمصر سنة ١٣٦٣هـ (١٣/١) ـ دار الفكر ـ ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م].

يقول سيد قطب ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ : «ذلك أنَّ التولي يوم الزحف على إطلاقه، يستحق هذا التشديد؛ لضخامة آثاره الحركية من ناحية، ولمساسه بأصل الاعتقاد من ناحية»(١٢٩). فلثقل الهمزة صار فيها التحقيق والتخفيف بين بين، والبدل والحذف، وليس ذلك لشيء من الحروف غيرها(١٣٠).

وأما من قرأ بتخفيف الهمز، فهي لغة من لغات العرب وتخفيف الهمز لم يكن مقصوراً على منطقة دون أخرى، وإنَّما كان فاشياً في كثير من المناطق العربية، وإنْ تفاوتت صوره ودرجاته(١٣١). فقراءة التخفيف تدل على الاستهزاء بالذين يفرون عند ملاقاة العدو.

٦ ـ ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾ [الأنفال: ١٧].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وخلف **(وَلَـكِنِ اللّهُ قَتَلَهُمْ)**، **(ولكنِ اللّهُ رَمَى)**، بتخفيف النون من **(وَلَـكِنَّ)** وإسكانها وكسرها، تخلصاً من التقاء الساكنين، ورفع الاسم بعدها.

٢ ـ وقرأ الباقون **(وَلَـكِنَّ اللّهَ قَتَلَهُمْ)**، **(وَلَـكِنَّ اللّهَ رَمَى)** بفتح النون المشددة من **(وَلَـكِنَّ)** ونصب اسم الجلالة بعدها(١٣٢).

---

(١٢٩) الظلال: سيد قطب (١٤٨٩/٩).

(١٣٠) انظر [التحديد في الاتقان والتجويد: تاليف أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني الأندلسي دراسة وتحقيق: غانم قدوري حمد ـ ص١٢٠ ـ دار الأنبار ـ العراق ـ ط ١ ـ ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٨م (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي التحديد)].

(١٣١) انظر [من أصول اللهجات العربية في السودان، دراسة مقارنة في اللهجات العربية القديمة وآثارها في السودان: الأستاذ الدكتور عبد المجيد عابدين أستاذ الأدب العربي كلية الآداب ـ جامعة الإسكندرية ص٣٤ ـ دار المعرفة الجامعية ـ الأسكندرية ـ ط سنة ١٩٨٩م (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي من أصول اللهجات العربية في السودان)].

(١٣٢) انظر [النشر (١٦٥/٢)، وغيث النفع ص١٢٣].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

١ ـ (وَلَـكِنَّ): مشددة النون: حرف ينصب الاسم ويرفع الخبر، ومعناه الاستدراك، وفُسِّر: بأن تَنسب لما بعدها حكماً مخالفاً لحكم ما قبلها أو مناقضاً لها، وقد ترد للتوكيد مجرداً عن الاستدراك، واختار ابن عصفور[١٣٣] أنهما لهما معاً، وهو المختار، كما أنَّ (كأنَّ) للتشبية المؤكد، ولهذا قال بعضهم: إنَّها مركَّبة من (لكنْ أنَّ) فطرحت الهمزة للتخفيف، ونون (لكن) للساكنين[١٣٤].

وقال جمهور الكوفيين: «هى مركَّبة من: «لا»، و«أن»، و«الكاف» الزائدة لا للتشبية، وحذفت الهمزة تخفيفاً»[١٣٥]. وأيضاً «لكنَّ» المثقلة في جميع الكلام بمنزلة إنَّ[١٣٦] للتأكيد.

٢ ـ (وَلَـكِنْ) مخففة النون[١٣٧]، ولها ضربان:

أحدهما: مخففة من الثقيلة، وهي حرف ابتداء لا يعمل، فقط تفيد الاستدراك، وليست عاطفة، لاقترانها بالعاطف كما في قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن

(١٣٣) هو علي بن مؤمن بن محمد الحضرمي الإشبيلي، وعرف بابن عصفور (أبو الحسن) فقيه، نحوي، صوفي، لغوي، مؤرخ وشاعر ولد عام (٥٩٧هـ ـ ١٢٠١م) . وتوفي بتونس عام (٦٦٣هـ ـ ١٢٦٥م) انظر [معجم المؤلفين (٢٥١/٧)].

(١٣٤) انظر [الاتقان (٥٤٨/١)].

(١٣٥) مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب: الإمام أبي محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري المصرى (ت٧٦١هـ) (٢٩٠/١ ـ ٢٩١) المكتبة العصرية ـ صيدا ـ بيروت ـ ط١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي مغني اللبيب).

(١٣٦) انظر [كتاب سيبويه (١٤٥/٢)].

(١٣٧) انظر [الجَنى الداني في حروف المعاني: الحسن بن قاسم المُرادي ص ٥٨٦ ـ منشورات دار الآفاق الجديدة ـ بيروت ـ ط٢ ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م ـ تحقيق: د. فخر الدين قباوة، محمد نديم فاضل (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي الجَنى الداني)].

﴿كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ٧٦﴾ [الزخرف: ٧٦].

الثاني: عاطفة إذا تلاها مفرد، وهي أيضاً للاستدراك(١٣٨) مثل:

﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ﴾ [النساء: ١٦٦]، ﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ﴾ [التوبة: ٨٨]. يقول سيبويه: «وأمّا (**ولَـكِن**) خفيفة وثقيلة فتوجب بها بعد نفي»(١٣٩). ونقل عن «يونس بن حبيب»(١٤٠). و«سعيد بن مسعدة»(١٤١). جواز أعمال (**لَـكِن**) إذا خففت، والصحيح المنع، وإن وليها كلام، فهي ابتداء لمجرد إفادة الاستدراك وليست عاطفة(١٤٢).

ثالثاً: أسباب النزول:

أكثر أهل التّفسير قالوا: إنَّ الآية نزلت في رمي النبي ﷺ القبضة من حصباء الوادي يوم بدر(١٤٣). وكذا قال السّيوطي بأنَّ هذا الرأيَ هو المشهور(١٤٤). وأيضاً ذكر هذا القول الواحدي(١٤٥) في

---

(١٣٨) انظر [الاتقان (١/٥٤٨)].

(١٣٩) كتاب سيبويه (٤/٢٣٢).

(١٤٠) يونس بن حبيب الضبي بالولاء أبو عبد الرحمن ولد عام (٩٤هـ ـ ٧١٣م) إمام النحو بالبصرة من قرية جَبُّل على دجلة بين بغداد وواسط، أعجمي الأصل توفي (١٨٢هـ ـ ٧٩٨ م) انظر [الاعلام (٨/٢٦١)].

(١٤١) سبقت ترجمة له ص٣٥.

(١٤٢) انظر [مغني اللبيب (١/٢٩٢)].

(١٤٣) انظر [الجامع لأحكام القرآن (٧/٣٣٠ ـ ٣٣١)، تفسير القرآن العظيم (٢/٢٩٥ ـ ٢٩٦)، التفسير القيم لابن القيم (٦٩١هـ ـ ٧٥١هـ) جمعه محمد أويس النّدوي ـ ص٢٨٧ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ حققه: محمد حامد الفقي، جامع البيان (٩/٢٠٤ ـ ٢٠٥)].

(١٤٤) انظر [باب النقول في أسباب النزول: جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ) : تحقيق: أ.د حمزة النشرقي ـ الشيخ عبد الحميد فرغلي ـ ص٢٠٥ (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي باب النقول في أسباب النزول)].

(١٤٥) هو علي بن أحمد بن محمد بن علي بن مَتُّويه، أبو الحسن الواحدي، مفسر عالم، أصله من ساوة (بين الري وهمدان)، مولده ووفاته بنيسابور، توفي عام ٤٦٨هـ ـ ١٠٧٦م، والواحدي نسبة إلى الواحد بن الديل بن مهرة انظر [الأعلام (٤/٢٥٥)].

كتابه[١٤٦]. وقد ذكرت كتب السيرة: إنَّ رسول الله ﷺ أخذ حِفْنةً من الحصباء فاستقبل قريشاً بها، ثم قال: شاهت الوجوه! ثم نفحهم بها وأمر أصحابه فقال: (شُدُّوا) فكانت الهزيمة، فقتل الله ما قتل من صناديد قريش[١٤٧].

رابعاً: المعنى الإجمالي للآية:

بيَّن تعالى أنَّه خالق أفعال العباد، وأنَّه المحمود على جميع ما صدر منهم من خير؛ لأنه هو الذي وفقهم لذلك وأعانهم، ولهذا قال: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾[١٤٨] يقول الزمخشري: «الفاء جوابُ شرطٍ محذوفٍ تقديره إنِ افتخرتم بقتلهم فأنتم لم تقتلوهم ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ لأنه هو الذي أنزل الملائكة، وألقى الرُّعب في قلوبهم وشاء النصر والظفر، وقوَّى قلوبكم وأذهب عنها الفزع والجزع»[١٤٩].

أما قوله: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ فيه وجوه:

الأول: أنَّ قتل الكفار إنما تيسر بمعونة الله ونصره وتأييده، فصحَّت هذه الإضافة.

الثاني: أنَّ الجرح كان إليهم، وإخراج الروح كان إلى الله تعالى، والتقدير: فلم تُميتوهم ولكنَّ الله أماتهم[١٥٠]. ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾ قوله

---

(١٤٦) انظر [أسباب النزول: الإمام أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي (ت٤٦٨هـ) - ص ١٧٧ - ١٧٨ - دار الحديث - القاهرة - ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م - تحقيق أيمن صالح شعبان (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي أسباب النزول: الواحدي)].

(١٤٧) انظر [السيرة النبوية ابن جرير الطبري ص ١١٦ - الدار المصرية البنانية - القاهرة - ط٢ - ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م - تحقيق: جمال بدران].

(١٤٨) تفسير القرآن العظيم (٢/٢٩٥).

(١٤٩) الكشاف (٢/١٤٩).

(١٥٠) انظر [مفاتيح الغيب (٨/١١٢)].

﴿وَمَا رَمَيْتَ﴾ نفي ﴿إِذْ رَمَيْتَ﴾ إثبات فاحتيج إلى تأويل أن يغاير بين الرميين، فالمنفي الإصابة والظفر، والمثبت الإرسال. وقيل: متعلق المنفي الرُّعب، ومتعلق المثبت الحصيات، أي وما رميت الرُّعب في قلوبهم إذ رميت الحصيات[151]. فأراد بالرمي المنفي آخر أجزاء الرمي التي وصل التراب به إلى أعينهم، وبالرمي المثبت شروعه في الرمي وأخذه فيه فيكون المعنى وما أوصلت التراب إلى أعينهم، إذ شرعت في الرمي وأخذت منه[152]. ويقول الزمخشري «فأثبت الرمية لرسول الله ﷺ لأن صورتها وجدت منه، ونفاها عنه؛ لأنَّ أثرها الذي لا يُطيقه البشر، فِعلُ الله ﷻ، فكان الله هو فاعل الرمية على الحقيقة، وكأنَّها لم توجد من الرسول ﷺ أصلاً»[153]. ﴿وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا﴾ أي لِيعرِّف المؤمنين نعمته عليهم من نصرهم على عدوِّهم بالرغم من كثرة عدوِّهم وقلة عددهم، فيعرفوا بذلك حق الله ـ سبحانه وتعالى ـ ويشكروه[154]. ويعني بالبلاء الحسن: النعمة الحسنة الجميلة، وهي ما وصفت، وما في معناه[155] وختم بقوله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ أي سميع لكلامكم عليم بأحوال قلوبكم، وهذا يجري مجرى التحذير والترهيب، لئلا يغتر العبد بظواهر الأمور، ويعلم أنَّ الخالق تعالى، مطلعٌ على كل ما في الضمائر والقلوب[156].

---

(١٥١) انظر [البحر المحيط (٤/٤٧٧)].

(١٥٢) مقدمة تفسير ابن النقيب في عالم البيان والمعاني والبديع وإعجاز القرآن: للإمام أبي عبد الله جمال الدين محمد بن سليمان البلخي المقدسي الحنفي، الشهير بابن النقيب المتوفي سنة ٦٩٢هـ والمطبوع خطأ، بعنوان الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان لابن قيم الجوزية ـ ص٢٦ ـ مكتبة الخانجي بالقاهرة ـ ط١ ـ ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م ـ كشف عنها وعلق حواشيها د. زكريا سعيد علي (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي مقدمة تفسير ابن النقيب).

(١٥٣) الكشاف (٢/١٥٠).

(١٥٤) انظر [تفسير القرآن العظيم (٢/٢٩٦)].

(١٥٥) انظر [جامع البيان (٩/٢٠٦)].

(١٥٦) انظر [مفاتيح الغيب (١٥/١١٣)].

خامساً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

١ ـ لقد أفادت قراءة التشديد، التأكيد على أنَّ القاتل والرامي الحقيقي هو الله سبحانه وتعالى. حيث إنَّ المسلمين لمَّا قالوا هذا قتلت، وهذا قتلت! ولماّ حصبهم رسول الله ﷺ في وجوههم (أي رمى المشركين بالحصباء). أكَّدَ سبحانه وتعالى بقوله ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْۚ﴾ [الأنفال: ١٧]، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰۚ﴾(١٥٧) [الأنفال: ١٧].

وأضاف الله قتلهم إليه، لأنّه هو الذي تولّى نصرهم، وأظهر في ذلك الآيات المعجزات(١٥٨).

أما بالنسبة لرمي النبى ﷺ فلم ينفه، ولكنَّ العرب خوطبت بما تَعقِل(١٥٩) وفى هذا المعنى يتكلم البقاعي(١٦٠) كلاماً جميلاً حيث يقول: «لما افتخر بعضهم بقتل من قتل، نفاه سبحانه عنهم مطلقاً؛ لأن مباشرتهم لقتل من قتل في جنب ما أعد لهم من الأسباب وأيدهم به من الجنود عدم، وأما النبي ﷺ فإنه فعل ما أُمر به، من رمي الرمل ولم يعد فعله ولا ذكره، فأثبته سبحانه له مع نفي تأثيره عنه وإثباته لمن إليه ترجع الأمور تأديباً منه سبحانه لهذه الأمة، أي لا ينظر أحد إلى شيء من طاعته، فإنا قد نفينا هذا الفعل العظيم عن أكمل الخلق، مع أنّه عالمٌ مقرٌّ بأنّه منّا، فليحذر الذي يرى له فعلاً من عظيم سطواتنا، ولكن لينسب جميع أفعاله الحسنة إلى الله تعالى كما نسب الرمي إليه بقوله: (وَلَٰكِنَّ اللّهَ)»(١٦١).

مما سبق نلاحظ أنَّ قراءة التشديد، تفيد مع الاستدراك التأكيد على

---

(١٥٧) انظر [معاني القرآن: النحاس (٤٢١/١)].

(١٥٨) انظر [معاني القرآن: الزجاج (٤٠٦/٢)].

(١٥٩) انظر [المرجع السابق بنفس الصفحة].

(١٦٠) هو إبراهيم بن عمر بن حسن الرُبَاط بن علي بن أبي بكر البقاعي، أبو الحسن برهان الدين، ولد عام (٨٠٩هـ ـ ١٤٠٦م) وهو مؤرخ أديب أصله من سوريا توفي عام (٨٨٥هـ ـ ١٤٨٠م) انظر [الأعلام (٥٦/١)].

(١٦١) نظم [الدرر (١٩٧/٣)].

نفي السابق وإثبات اللاحق والمبالغة في الأمر. قال القرطبي: «(وَلَـكِنَّ) كلمة لها معنيان: نفي الخبر الماضي وإثبات الخبر المستقبل»[١٦٢]. وحجة من شدد النون ونصب بها بعد (ولـكِنَّ) أنَّه أجرى الكلام على أصله، فأعمل (لـكِنَّ) لأنها من أخوات إنّ فشدَّدَها على أصلهما، وحاول في ذلك معنى التأكيد، الذي فيه معنى الاستدراك[١٦٣].

٢ ـ أما بالنسبة لقراءة (وَلَـكِنِ اللّهُ قَتَلَهُمْ)، (وَلَـكِنِ اللّهُ رَمَى) بتخفيف النون ورفع اسم الجلالة على الابتداء، فهي تفيد الاستدراك فقط.

وذكرت سابقاً تفسيراً للاستدراك[١٦٤]، ومنهم من فسَّره برفع ما يُتوهم ثبوته[١٦٥].

سادساً: الجمع بين القراءات:

لقد خاطب الله ﷻ في كتابه الجليل العظيم جميع أصناف البشر، منهم المؤمن المتيقن، ومنهم المُنكر والمتشكك.

لذلك نجده سبحانه استخدم التأكيد في حالاتٍ خاصة للمنكرين، ولم يستخدمه في الأخرى.

فقراءة (**لكن**) بالتخفيف هي لا تفيد إلا الاستدراك كما ذكرت سابقاً، ولا تفيد التأكيد والأصل فيها التشديد، فقد تعامل سبحانه وتعالى مع المخاطب على أنّه مسلمٌ موقن بهذا الخبر فهو لا يحتاج على تأكيد.

فى حين أنَّ القراءة الأخرى (**لَـكِنَّ**) بالتشديد نجد أنَّه أنزل المخاطب منزلة المتشكك، فجاء التشديد ليؤكد الخبر، وهذا من باب تلوين الأسلوب وهو من أعظم أساليب القرآن الكريم[١٦٦].

---

(١٦٢) الجامع لأحكام القرآن (٢/٤٦٤).
(١٦٣) الكشف (١/٢٥٧).
(١٦٤) راجع ص٨٨، ٨٩.
(١٦٥) انظر [مغني اللبيب (١/٢٩١)].
(١٦٦) انظر [تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر: عبد الله الملاحي ص٢٣٢].

٧ ـ ﴿ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝١٨﴾ [الأنفال: ١٨].

أولاً القراءات:

١ ـ قرأ المدنيان (نافع وأبو جعفر) وابن كثير وأبو عمرو **(مُوهِّنٌ كَيْدَ)** بتشديد الهاء والتنوين ونصب **(كَيْدَ)**.

٢ ـ قراءة حفص **(مُوهِنُ كَيْدِ)** بالتخفيف من غير تنوين وخفض **(كَيْدِ)** على الإضافة.

٣ ـ وقرأ الباقون **(مُوهِنٌ كَيْدَ)** بالتخفيف وبالتنوين ونصب **(كَيْدَ)**[(١٦٧)].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(وهِنَ) يهن وهناً من باب وعد بمعنى: ضَعَفَ فهو واهن في الأمر والعمل والبدن[(١٦٨)].

١ ـ قراءة (مُوهِنٌ كَيْدَ) اسم فاعل من «أوهن يوهن فهو موهن» أي جعلته واهناً بمعنى أضعفته، ومن نصب **(كَيْدَ)** فلأنه مفعول به[(١٦٩)].

٢ ـ قراءة (مُوهِنُ كَيْدِ) اسم فاعل من (أوهن) الرباعي وحذف التنوين للإضافة والتخفيف، و**(كَيْدِ)** بالخفض على الإضافة كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ﴾ [الطلاق: ٣][(١٧٠)].

---

(١٦٧) انظر [النشر (٢٠٧/٢)].

(١٦٨) انظر [المصباح المنير ص٤٠١].

(١٦٩) انظر [كتاب معاني القراءات: تصنيف العلامة أبي منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت سنة ٣٧٠هـ) ـ ص١٩٩ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ ـ ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م. حققه وعلق عليه: الشيخ أحمد فريد المزيدي ـ تقديم: فتحي عبد الرحمن حجازي (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي معاني القراءات)، منجد الطلاب ص٩٤٥].

(١٧٠) انظر [المغني في توجيه القراءات العشر: د.محمد سالم محيسن (١٨٨/٢) ـ دار الجيل ـ بيروت ـ ط٢ ـ سنة ١٤٠٨هـ (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي المغني في توجيه القراءات)].

٣ ـ أما قراءة (مُوهِّنُ كَيْدَ) فهي اسم فاعل من «وهَّن» مضعف العين نحو (قتّل يقتّل فهو مقتّل) ووهّنه: ضعّفه، و(كَيْدَ) بالنصب مفعول به[(١٧١)] و(مُوهِنُ) و(مُوَهِّنٌ) بمعنى واحد، يقال وهَّنتُ الشيء وأوهنتهُ إذا فعلته واهناً ضعيفاً[(١٧٢)].

٤ ـ (الكَيْد) من (كاده) كيداً من باب باع بمعنى: خَدَعه ومَكَر به[(١٧٣)] والكيد ضرب من الاحتيال، وقد يكون مذموماً وممدوحاً وإن كان يُستعمل في المذموم أكثر، وكذلك الاستدراج والمكر ويكون بعض ذلك محموداً[(١٧٤)].

ثالثاً: المعنى الإجمالي للآية:

لقد ارتبطت هذه الآية ارتباطاً وثيقاً بما قبلها، ولهذا يحسُن أن نذكرها حتى يكتمل السياق، يقول الله ﷻ: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٨﴾﴾ [الأنفال: ١٧، ١٨].

(ذَلِكُمْ) إشارة إلى البلاء الحسن[(١٧٥)]. قال الزجاج[(١٧٦)]: «موضع (ذلكم) رفع، المعنى: الأمر (ذلكم وأنّ الله)، والأمر (أَنَّ اللّهَ مُوهِنُ)»[(١٧٧)]. وقال غيره: (ذَلِكُمْ): إشارة إلى القتل والرّمي والبلاء

(١٧١) انظر [المنجد ص٩٤٥، المغني (١٨١/٢)].
(١٧٢) انظر [كتاب معاني القراءات ص١٩٩].
(١٧٣) انظر [المصباح المنير ص٣٢٤].
(١٧٤) انظر [المفردات ص٧٢٨].
(١٧٥) تفسير النسفي المسمّى بمدارك التنزيل وحقائق التأويل: للإمام أبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي (٣٩٩/٢) ـ مكتبة نزار مصطفى الباز ـ المملكة العربية السعودية ـ مكة ـ ط١ ـ ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م ـ تحقيق: سيد زكريا (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي مدارك التنزيل).
(١٧٦) سبقت ترجمة له ص ٢٠.
(١٧٧) معاني القرآن: الزجاج (٤٠٧/٢).

الحسن[١٧٨] ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٨﴾﴾ معطوف على ﴿وَلِيُبْلِيَ﴾ يعني أن الغرض إبلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين[١٧٩] فالله سبحانه وتعالى، مضعِّفٌ مكر الراسخين في الكفر جميعاً، إضعافاً شديداً أبداً حتى يذِلُّوا، وينقادوا إلى الحق ويهلكوا[١٨٠] فكلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله، وذلك لأنّ الله يريد أن يتم نوره ولو كره الكافرون.

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

١ ـ من قرأ (مُوهِنُ كَيْدِ) خفِّفت لحجته أنه جعله اسمَ فاعلٍ من أوهن يوهن وحَذف التنوين ايذاناً بثلاثة أشياء: الإضافة والتخفيف والدِلالة على الماضي[١٨١]، وجاز لمن لم ينوِّن أن يريد الماضي والاستقبال[١٨٢] وعليه فيكون التفسير: أي أن الله وحده، هو الذي دمَّر كيد الكافرين في كلِّ غزوة.

وحيثما وأينما التقى الجمعان، جمع الكفر وجمع الإيمان[١٨٣].

٢ ـ من قرأ (مُوهِنٌ كَيْدَ) بتنوين اسم فاعل فهو الأصل في اسم الفاعل فنوّنَهُ على أصله، وذلك يحدث إيذاناً بثلاثة أشياء: تمام الكلمة، وإعمال اسم الفاعل عمل الفعل لهذا يكون ما بعده منصوباً على المفعولية، والدلالة على الحال والاستقبال[١٨٤]. وفائدة التنوين تكثير اللفظ[١٨٥]. وعلى هذا

---

(١٧٨) انظر [جامع البيان (٢٠٦/٩)، المحرر الوجيز (٥١٢/٢)].

(١٧٩) البحر المحيط (٤٧٨/٤).

(١٨٠) انظر [جامع البيان (٢٠٦/٩)، نظم الدرر (١٩٨/٣)].

(١٨١) انظر [الحجة: ابن زنجلة ص٣١٠، الكشف (٤٩٠/١)].

(١٨٢) انظر [الحجة: ابن زنجلة ص٣١٠].

(١٨٣) انظر [التوجية اللغوي والبلاغي لقراءة الإمام عاصم: د. صبري المتولي ص٢٠٤ ـ دار غريب ـ القاهرة ـ سنة ١٩٩٨م. (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي التوجية اللغوي: د. صبري)].

(١٨٤) انظر [الكشف (٤٩٠/١)].

(١٨٥) انظر [الأشباه والنظائر في النحو: جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ) (١٤٠/٢) ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ ـ ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٤م (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي الأشباه والنظائر)].

يكون التفسير: أي أنّ الله وحده هو الذي يدمِّر وسوف يدمِّر كيد الكافرين، إذا رفع أهل الإيمان راية الجهاد المقدَّس لقتال أهل الشرك والإلحاد، ولقتال اليهود والصليبيين، وإذا اعتصموا بحبل الله، ثم لم يستعينوا بغير الله(١٨٦).

٣ ـ أمَّا من قرأ (موهِّنٌ كيدَ) بفتح الواو وتشديد الهاء والتنوين، وحجته في ذلك أنَّه جعله اسم فاعل من «من وهَّنَ» أي ضعّف، ووهَّن وأوهن لغتان بمعنى واحد كما ذكرنا سابقاً في المعنى اللغوي إلاّ أنَّ في التشديد معنى التكرير والمبالغة، فهو توهين بعد توهين، وذلك أنَّ التشديد، وقع لتكرار الفعل، وذلك ما ذكره الله ـ سبحانه ـ من تثبيت أقدام المؤمنين بالغيث، وربطه على قلوبهم، وتقليله إياهم في أعينهم عند القتال، فذلك منه شيء بعد شيء، وحال بعد حال، وفي وقت بعد وقت فكان الأولى بالفعل أن يشدّد لتردد هذه الأفعال، فكأنه أوقع (الوهن) بكيد الكافرين مرّة بعد مرّة(١٨٧) وفي هذا المعني يُعجب الطبريُّ فيقول ما نصُّه: «والتشديد في ذلك أعجب إليّ، لأنَّ الله تعالى كان ينقض ما يبرمه المشركون لرسول الله ﷺ وأصحابه عِقْداً بعد عِقْد، وشيئاً بعد شيء، وإن كان الآخر وجهاً صحيحاً»(١٨٨).

خامساً: الجمع بين القراءات:

فى قراءة (**مُوهِنُ كَيْدِ**) فهمت منها أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ دمَّرَ كيد الكافرين في الماضي، ومن قراءة (**مُوهِنٌ كَيْدَ**) فهمت أنَّه سبحانه، سوف يدمِّرَ كيد الكافرين في المستقبل والحاضر، ومن قراءة التشديد أرى أن هذا التدمير سوف يكون تدميراً شديداً من الله للكفَّار، وسوف يتكرر في كل حال وفي كل مكان وزمان، ومن التنوين أرى كثرة هذا التدمير إذا أصر الكفَّار على كفرهم وعنادهم.

---

(١٨٦) انظر [التوجية اللغوي: د. صبري ص٢٠٤].

(١٨٧) انظر [الحجة: ابن زنجلة ص٣٠٩].

(١٨٨) جامع البيان (٩/٢٠٦).

٨ ـ ﴿إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُواْ نَعُدْ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾﴾ [الأنفال: ١٩].

أولاً: القراءات:

١ ـ أ ـ قرأ أبو جعفر **(فِيَتكُم)**: بتخفيف الهمزة.

ب ـ وقرأ الباقون **(فِئَتُكُمْ)** بالهمز[١٨٩].

٢ ـ أ ـ قرأ «نافع وابن عامر، وحفص وأبو جعفر» **(وَأَنَّ اللّهَ)**: بفتح همزة أنّ.

ب ـ وقرأ الباقون **(وَإِنَّ اللّهَ)** بكسر الهمزة[١٩٠].

ثانياً: المعنى اللُّغوي للقراءات:

١ ـ فئة: ذكرت المعنى اللغوي لها سابقاً[١٩١].

٢ ـ إنّ: حرف لتأكيد الخبر وتقريره، ينصب الاسم ويرفع الخبر ومن أحكامها أنها قد تخفف[١٩٢].

ثالثاً: أسباب النزول:

ذكر الواحدي[١٩٣] عن سبب نزول هذه الآية[١٩٤]: «كان المستفتح أبا جهل، وإنه قال حين التقى بالقوم: اللهم أيُّنا كان أقطع للرحم، وأتانا بما لم نعرف، فافتح له الغداة، وكان ذلك استفتاحه، فأنزل الله تعالى: ﴿إِن

(١٨٩) انظر [النشر (٣٠٨/١)].

(١٩٠) انظر [المغني (١٨٩/٢ ـ ١٩٠)، إتحاف فضلاء البشر (٧٨/٢)].

(١٩١) راجع ص٣٧.

(١٩٢) انظر [شرح قطر الندى وبلّ الصدى: أبو محمد عبد الله جمال الدين بن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ) ص١٤٨ ـ مطبعة السعادة بمصر ـ ط١١ ـ ربيع الثاني ١٣٨٣هـ أغسطس ١٩٦٣م (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي شرح قطر الندى)، الجنى الداني ص ٣٩٣].

(١٩٣) سبقت له ترجمة ص ٤٥.

(١٩٤) انظر [أسباب النزول: الواحدي ص ١٧٨].

تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾﴾ [الأنفال: ١٩](١٩٥).

رابعاً: المعنى الإجمالي للآية:

ذُكر في الآية السابقة ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٨﴾﴾ [الأنفال: ١٨] ووعدهم بالإهانة، فجاء في هذه الآية بتفصيل هذه الإهانة لهم. وأكثر المفسرين(١٩٦) قالوا: أنَّ هذا الخطاب للكفار، والذي يعضد هذا القول، هو سبب نزول الآية التي ذكرناها سابقاً. وعليه يكون المعنى (إن تستنصروا)(١٩٧) أي تطلبوا النصر والفتح من الله لأهدى الفئتين، فقد جاءكم النصر، ونَصَر الله أهداهما، وسّمى إهلاكهم نصراً على سبيل التهكم؛ لأنَّه قد جاءهم الهلاك والذلة، وإن تنتهوا عن الكفر وعن معاداة النبي ﷺ، وعن قتاله، فالانتهاء خيرٌ لكم لِمَا فيه من السَّلامة ﴿وَإِن تَعُودُواْ﴾ لقتال النبي ﷺ ﴿نَعُدْ﴾ إلى نصرته عليكم، ولن تدفع عنكم (فئتكم) جماعتكم شيئاً من بأس الله وشدة نِقمته ولو كَثُرت في العدد ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾﴾ بنصره ومعونته وتوفيقه، وذلك لأنَّ من سنَّة الله ﷻ نصرَ المؤمنين، وخذلان الكافرين(١٩٨).

خامساً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

١ ـ القراءة الأولى:

من قرأ بالهمز (فِئَتُكُمْ) ناسب ثقل الهمزة وشدتها وندرتها، ثقل هذه

(١٩٥) المستدرك (٣٥٨/٢) ـ ٢٧ كتاب التفسير ـ تفسير سورة الأنفال ـ ح رقم ٣٨١/٣٢٦٤ ـ وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه».

(١٩٦) انظر [جامع البيان (٢٠٨/٩ ـ ٢٠٩)، الجامع لأحكام القرآن (٣٣٢/٩)، تفسير القرآن العظيم (٢٩٦/٢)، تفسير الإمام مجاهد بن جبر (ت١٠٢هـ) (٣٥٣/١) ـ دار الفكر الإسلامي الحديثة ـ ط١ ـ ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م ـ تحقيق: د. محمد عبد السلام أبو النيل (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي تفسير الإمام مجاهد)، مدارك التنزيل (٣٩٩/٢)، الكشاف (١٥٠/٢)].

(١٩٧) انظر [مجاز القرآن (٢٤٥/١)].

(١٩٨) انظر [مراجع الهامش رقم (٢) بنفس الصفحات].

الفئة وقوتها وندرتها، وعلى هذا يكون المعنى: لن تكون كثرتكم وقوتكم وشدة جيشكم وكثرة عددكم وعدّتكم وسيلة من وسائل النصر، أمام قلة عدد جيش المسلمين؛ وذلك لأنهم يمتلكون القوة العظمى وهي الإيمان بالله العظيم. فبالرغم من القوة الظاهرة لجماعتكم وجيشكم أيُّها الكفار لن يغني عنكم شيئاً!

وأماّ من قرأ بتخفيف الهمز (فِيتُكُمْ) فأبدلها بالياء وذكرت سابقاً أنَّ الياء من صفاتها الِّلين وهو من حروف الخفاء وفيها ضعفٌ، فناسب ذلك هذه الفئة الضالّة، حيث إنّها مهما كثرت وقويت فهي بجانب فئة المؤمنين المتصلة والقوية بالله، قليلة وضعيفة، مهما كَثُرت في العدد والعدة فهي واهنة كوَهَن بيت العنكبوت.

﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ۝٤١﴾ [العنكبوت: ٤١].

سادساً: الجمع بين القراءتين:

يتبين لنا أنَّ فريق الكفار مهما بلغ من قوة، ومهما أُعطي من أسبابها، ومهما بلغ في العدة والعتاد والكثرة، فهو في حقيقة الأمر ضعيف واهن.

فالباطل ينتفش وينتفش، ولكنه أوهن وأضعف من بيت العنكبوت، فلن تكون يوماً الكثرة، وسيلةً من وسائل النصر أمام القلة، إذا كانت القلة مع الله؛ لأنه هو الذي بيده النصر والقوة.

٢ ـ القراءة الثانية:

١ ـ (أنّ) بفتح الهمزة وما بعدها من اسمها وخبرها، منزلتها منزلة اسم واحد، كما تكون أنْ المخففة وما بعدها من الفعل الذي تنصبه بمنزلة المصدر، بمعنى أنها تُؤول مع اسمها وخبرها بالمصدر يقول سيبويه[(١٩٩)]:

(١٩٩) سبقت ترجمة له ص٣٨.

«أمَّا (أنْ) فهي اسم وما عملت فيه صلة لها، كما أنَّ الفعل صلةٌ؛ لـ (أنْ) الخفيفة وتكون (أنْ) اسماً . . . ونظير ذلك في أنَّه، وما عمل فيه بمنزلة اسم واحد لا في غير ذلك»[٢٠٠]. كما أنه يَقْبُح الابتداء بأنّ المفتوحة وذلك لسببين:

أ ـ حتى لا يشبّهونها بالأسماء التي تعمل فيها (إنّ).

ب ـ حتى لا يشبّهونها بـ (أنْ) الخفيفة، لأنَّ (أنْ) الخفيفة والفعل الذي يأتي بعدها بمنزلة مصدر[٢٠١]. وتكون (أنّ) حرف تأكيد وهي فرع من المكسورة[٢٠٢]. من خلال ما سبق ومن خلال أقوال المفسرين والقّراء أرى عدة أوجه في التفسير لمن قرأ (أنّ) بفتح الهمز.

حذف حرف الجر قبل (أنّ): والتقدير: ولن تغني عنكم فئتكم شيئاً؛ لكثرتها، ولأن الله مع المؤمنين، وذلك بسبب عطف (أنّ) على موضع ولو كثرت، كأنّه قال لكثرتها، ولأن الله مع المؤمنين، فيكون موضع **(أنّ)** في محل النصب عندما حُذفت اللام. وحجّتُهم في ذلك أنها مردودة على قوله قبلها ﴿وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [الأنفال: ١٤] ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ﴾ [الأنفال: ١٨] ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾﴾ [الأنفال: ١٩] فيكون الكلام واحداً يتبع بعضُه بعضاً[٢٠٣].

إنَّ المصدر من (أنّ) واسمها في موضع رفع على أنه خبر المبتدأ محذوف فيكون التقدير على ذلك: والأمر أنّ الله مع المؤمنين[٢٠٤].

٢ ـ إنّ: بكسر الهمز يقول سيبوية: «وأماّ (إنَّ)، فإنّما هي بمنزلة الفعل لا يعمل فيها ما يعمل في (أنَّ) . . . ولا تكون (إنَّ) إلا مبتدأةً»[٢٠٥].

---

(٢٠٠) كتاب سيبوية (٣/١١٩ ـ ١٢٠).

(٢٠١) انظر [كتاب سيبويه (٣/١٢٤)].

(٢٠٢) انظر [الإتقان (١/٤٩٤)، مغنى اللبيب (١/٣٩)].

(٢٠٣) انظر [جامع البيان (٩/٢١٠)، الحجة: ابن زنجلة ص٣١٠، الكشف (١/٤٩١)].

(٢٠٤) انظر [المحرر الوجيز (٢/٥١٣)، الدر المصون (٥/٥٨٨)].

(٢٠٥) كتاب سيبويه (٣/١٢٠).

و(إنّ) بالكسر والتشديد، حرفٌ معناه التوكيد والتحقيق؛ لتأكيد الخبر وتقديره، وهو الغالب، والتأكيد به أقوى من التأكيد باللام، وقد تأتي (إنَّ) للتعليل أو بمعنى نعم[(٢٠٦)] وقد نقل ابن زكريا[(٢٠٧)] عن الفرّاء[(٢٠٨)] قوله: «(إنّ) مُقَدَّرَةٌ لقَسَم متروك استُغني بها عنه، والتقدير: والله إنّ زيداً عالمٌ»[(٢٠٩)].

وبناءً على ما سبق قرأ باقي القرّاء بكسر (إنَّ) على الابتداء والاستئناف والقطع. ففي هذا يكون معنى التوكيد على نصرة الله - ﷻ - للمؤمنين، وذلك لأن (إنّ) إنّما تُكسر في الابتداء؛ لتأكيد ما بعدها من خبر وتقرير، وحجةُ مَنْ كسر همزة (إنّ) قراءة عبد الله بن مسعود بدون (أنّ)، فقرأ (**والله مع المؤمنين**)[(٢١٠)].

الجمع بين القراءتين:

يتبين لنا أنَّ كلتيهما معناهما التوكيد، فنقول: «إنّ» زيداً قائمٌ، وكذلك «أنّ» إلا أنّها لا بد أن يسبقها كلام[(٢١١)].

---

(٢٠٦) انظر [مغني اللبيب (٣٧/١)، الإتقان (٤٩٤/١)، شرح قطر الندى ص١٤٨].

(٢٠٧) هو أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي أبو الحسين من أئمة اللغة والأدب، له تصانيف منها معجم مقاييس اللغة وغيرها من الكتب، ولد عام ٣٢٩هـ - ٩٤١م، وتوفي عام ٣٩٥هـ - ١٠٠٤م انظر [الأعلام (١٩٣/١)].

(٢٠٨) هو يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي، أبو زكريا المعروف بالفراء ولد عام ١٤٤هـ - ٧٦١ م، وهو إمام الكوفيين وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب، وتوفي عام ٢٠٧هـ - ٨٢٢م. انظر [تذكره الحفاظ (٣٧٢/١)، الأعلام (١٤٥/٨)].

(٢٠٩) الصاحبي: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا - ص١٧٥ - عيسى البابي وشركاه - القاهرة - تحقيق أحمد صقر (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي الصاحبي).

(٢١٠) انظر [جامع البيان (٢١٠/٩)، الكشف (٤٩١/١)، إعراب القراءات السبع وعللها: أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه الهمداني النحوي الشافعي (٢٢٣/١) مكتبة الخانجي - القاهرة - ط١ - ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م - حققه: د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي إعراب القراءات السبع) . وقراءة عبد الله بن مسعود في البحر المحيط (٤٧٩/٤)].

(٢١١) انظر [شرح قطر الندي ص١٤٨].

وقد ذكر سِيبَويه أنَّ المكسورة والمفتوحة معناها سواء، ولكن يَقْبُح الابتداء بالثقيلة المفتوحة(٢١٢).

أرى أن القراءتين هما بمعنى واحد، وهذا نوعٌ من أنواع أساليب القرآن الكريم البيانية، أيضاً من قراءة الفتح تبيَّن لنا: أنَّ القرآن يتبع فيه الكلام بعضُه بعضاً، فهو كعقد اللؤلؤ، فالكلام مترابط بعضه ببعض، حيث ناسبت (أنَّ) بالفتح ما قبلها من الآيات، وقراءة الكسر أعطتنا أسلوباً آخر، وهو الفصل والابتداء، وهذا من باب تلوين الأسلوب في القرآن، الذي ينمّ عن جمال ورقة ورونقٍ فيه.

٩ - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأنفال: ٢٠].

أولاً: القراءات:

١ - قرأ البزّي مع المد المشبع **(وَلا- تَّوَلَّوْا)** وشدد التاء وصلاً بخُلفه.

٢ - وقرأ الباقون **(وَلاَ تَوَلَّوْا)** بدون مد(٢١٣).

ثانياً: المعنى اللُّغوي للقراءات:

لاَ: هنا في هذا الموضع حرف يستخدم في النهي، وذلك كقولك «لا تفعل» وإنّما هي بمنزلة «لم» فهي لطلب الترك، وهي تدخل على الأفعال، فتجزمها، فتقتضى جزم المضارع واستقباله، ولا تعمل في الأسماء(٢١٤).

تَوَلَّوْا: من الفعل **(ولّى)** وتولية كل من ولي أمر أحد فهو وليُّه، وولى ظهره جعله وراءه، ووليت عنه: أعرضت عنه وتركته(٢١٥).

---

(٢١٢) انظر [كتاب سيبويه (١٢٤/٣)].

(٢١٣) انظر [النشر (١٧٥/٢)، اتحاف فضلاء البشر (٧٨/٢)، فريدة الدهر (٧٣٧/٢)].

(٢١٤) انظر [كتاب سيبويه (٧/٣ - ٨)، الإتقان (٥٤٥/١)، المصباح المنير ص٤٠٢].

(٢١٥) انظر [المصباح المنير ص٤٠٠، منجد الطلاب ص٩٤١].

ويقول أبو عبيدة[٢١٦] في معنى (وَلاَ تَوَلَّوْا عَنْهُ) أي: «ولا تُدْبروا عنه، ولا تُعْرضوا عنه فتدعوا أمره»[٢١٧].

ثالثاً: المعنى الإجمالي للآية:

بعد أن هدَّد الله المشركين بقوله: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُواْ نَعُدْ وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾﴾ [الأنفال: ١٩].

فقّى على ذلك بتأديب المؤمنين وذلك بأمرهم بطاعة الله ورسوله فخاطبهم بـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ وفي هذا تخصيص لهم بطاعة الله ورسوله إجلالاً لقدرهم، ويدخل غيرهم فيه على طريق التَّبع.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَوَلَّوْاْ عَنْهُ﴾ وأصلها لا تتولّوا، وحذف أحد التاءين تخفيفاً، والضمير في (عنه) إما أن يعود على:

١ ـ الرسول ﷺ لأن طاعة الرسول من طاعة الله ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]

٢ ـ وإما أن يعود على «الله» سبحانه وهذا كقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ [التوبة: ٦٢].

٣ ـ ويحتمل أن يعود على الأمر بالطاعة أو على الجهاد[٢١٨].

﴿وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ وهي جملةٌ حالية حتى يؤكِّد وجوب الانتهاء عن التولّي مطلقاً، كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ﴾ [النساء: ٤٣] أي لا تتولّوا عنه، والحال أنكم تسمعون في

(٢١٦) سبقت ترجمة له ص ٢٣.

(٢١٧) مجاز القرآن (٢٤٥/١).

(٢١٨) انظر [مدارك التنزيل (٣٩٩/٢)، فتح القدير (٣٧٤٤/٢)، تفسير البيضاوي (٢٥٤/٩)، الأساس (٢١٤٦/٤)].

القرآن الكريم بطاعته وعدم مخالفته، فهو سماع فهم وإذعان، وسماع تصديق بما يسمع، فهذا شأن المؤمنين الذين من دأبهم السمع والطاعة لله ولرسوله ﷺ(٢١٩).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

١ ـ من قرأ **(وَلاَ تَوَلَّوْا)** بدون مد مشبع، جاء على أصل الفعل تتولوا؛ لأنَّ الفعل دخلت عليه تاء المخاطب بالفعل المستقبل فحذفت الواحدة وذلك للتخفيف، والمحذوفة هي تاء تفعل، والباقية هي تاء العلامة، لأن الحاجة إليها هنا أمس ليبقى الفعل مستقبلا(٢٢٠).

فحذف الحدث للدِّلالة على:

ـ قلة تولّي المؤمنين بشكل عام.

ـ إنَّ التولّي إنْ حصل من المؤمنين، حصل مرة واحدة؛ لأنّه ليس من عادة المؤمنين، التولّي عن الله ورسوله، أو عن أوامره سبحانه.

ـ تخفيف المد وتخفيف التاء، توحي بالمدَّة القصيرة في التولّي، حيث إنّ الله سبحانه وتعالى يأمرهم بطاعته وطاعة رسوله، وعدم التولّي في حياة الرسول ﷺ.

٢ ـ من قرأ (وَلا- تَّوَلَّوْا) بالمد المشبع مع تشديد التاء وصلاً. يقول سيبويه(٢٢١): «وإذا التقى الحرفان المِثْلان، اللذان هما سواء متحركين وقبل

---

(٢١٩) انظر [روح المعاني (١٧٥/٥ ـ ١٧٦) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: أبو السعود (القاضي محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي (ت ٩٨٢) (٣١٢/٣) ـ دار الفكر ـ بيروت ـ ط١ ـ ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م، وخرج أحاديثة: الشيخ محمد صبحي حسن حلان (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي إرشاد العقل السليم)، تفسير المراغي (١٨٤/٩)].

(٢٢٠) انظر [المحرر الوجيز (٥١٣/٢)].

(٢٢١) سبقت ترجمة له ص ٣٨.

الأول حرف مدّ، فإن الإدغام حَسَنٌ، لأنَّ حرف المد بمنزلة متحرك في الإدغام»[222].

والمد فيه إطالة زمن وهذا يدل على:

- أنَّ الله سبحانه وتعالى ينهاهم عن تكرار التولى عن حيثيات الإسلام.

- والإدغام فيه ثِقَل وهذا الثقل يوحي بِعِظَم جُرْم التولي عن الله ورسوله، أو عن أوامر الله وزواجره، وذلك لأنَّ العصيان مع توفر أسباب الطاعة أشد.

- أيضاً يوحي بالتزام الطاعة بعد وفاة النبي ﷺ على المدى البعيد فتكون الطاعة بالتزام كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، ومن ثم طاعة الأمراء فى الله، وبدون هذه الطاعة لا يقوم قتالٌ ولا جهاد رباني[223].

- ويدل أيضاً على أنه مهما طال زمن عمر الإنسان لا يجوز له التولي.

خامساً: الجمع بين القراءتين:

بالجمع بين القراءتين، يتبين أنَّ القراءتين هما لغتان من لغات العرب، ولكن مع ذلك، فإنني أرى أن كلَّ قراءةٍ أوحت بمفهوم أثْرت في معنى وتفسير الآية. فقراءة عدم المد المشبع في الكلمة أوحت بعدم التولّي عن الرسول ﷺ، وقراءة المد زادت في تشويه التولّي عن الرسول ﷺ.

أيضاً أرى أنَّ قراءة عدم المد المشبع أكّدت على عدم التولّي عن (الله ورسوله) في حال سماع المؤمنين القرآن الناطق بطاعته والمواعظ الزاجرة عند مخالفتة، وقراءة المد أكّدت على استمرار عدم التولّي، واستمرار الطاعة بعد وفاة الرسول ﷺ إلى يوم القيامة والله أعلم.

١٠ - ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنفال: ٢٣].

(٢٢٢) كتاب سيبويه (٤/٤٣٧).

(٢٢٣) انظر [الأساس (٤/٢١٤٦)].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ يعقوب (فِيهُمْ) بضم الهاء.

٢ ـ وقرأ الباقون (فِيهِمْ) بكسر الهاء[٢٢٤].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(في) حرف جر له عدة معانٍ أشهرها الظرفية مكاناً أو زماناً، حقيقة أو مجازاً، وهنا (في) للظرفية المجازية التي هي في معنى الملابسة، ومن لطائفها هنا أنها تعبِّر عن ملابسةٍ باطنية[٢٢٥].

ويقول سيبويه في معنى هذا الحرف:

«وأمّا (في)، فهي للوعاء نقول في الجراب وفي الكيس . . . لأنّه جعله إذا أدخلته فيه كالوعاء له»[٢٢٦].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

لو علم الله في هؤلاء الصُّمِّ البكم الذين ورد ذكرهم في الآية السابقة شيئاً من الميل إلى الخير، أو أنَّ فيهم استعداداً للإيمان والهداية ﴿لَّأَسْمَعَهُمْ﴾ بتوفيقه، سَمَاعَ تدبرٍ وفَهْم ولآمنوا بالرسول وأطاعوه، ولكنّه قد عَلِمَ أنَّه لا خير فيهم، فلم يُسمعهم لعدم الفائدة، فهُم من الذين خَتَمَ الله على قلوبهم وأحاطت بهم خطاياهم ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ﴾ سماعَ تدبرٍ وتفهمٍ؛ لتولّوا ولم ينتفعوا به، وارتدّوا بعد التصديق، وهم معرضون عن قبوله عناداً[٢٢٧].

---

(٢٢٤) انظر [إتحاف فضلاء البشر (٧٩/٢)، فريدة الدهر في تأصيل وجمع القراءات العشر تحرير وجمع الفقير: محمد إبراهيم محمد سالم (٧٣٧/٢) ط سنة ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي فريدة الدهر)].

(٢٢٥) انظر [التحرير والتنوير (٣٠٧/٥)].

(٢٢٦) كتاب سيبويه (٢٢٦/٤)

(٢٢٧) انظر [روح المعاني (١٧٦/٥ ـ ١٧٧)، المحرر الوجيز (٥١٣/٢ ـ ٥١٤)، مدارك التنزيل (٤٠٠/٢)، المقتطف من عيون التفاسير (٣٣٠/٢)].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

يقول ابن مجاهد[(٢٢٨)]: «كل هذا الاختلاف في كسر الهاء وضمها، إنمّا هو في الهاء التي قبلها كسرة أو ياء ساكنة، فإذا جاوزت هذين لم يكن في الهاء إلاّ الضم»[(٢٢٩)].

ويقول أيضاً: «وأما من كسر الهاء وأسكن الميم . . . فإنهم أمنوا الُلْبس، إذ كانت الألف في الثنية قد دلت على الاثنين، ولا ميم في الواحد، فلما لزمت الميم الجمع حذفوا الواو وأسكنوا الميم؛ طلباً للتخفيف إذ كان لا يُشْكل، وأما الضمة في الهاء. . . فهي أصل الهاء، لأنها إذا ابتدأت كانت مضمومة كقولك هُم، فتركت على حالها»[(٢٣٠)].

وقد ذكرت سابقاً بأن الضمة لقوتها، جُعلت فيما يكثر حجمه، والكسرة لضعفهما فيما يقل بل يعدم ارتفاعه[(٢٣١)] فيكون المعنى عند القراءة بالكسر (فِيهِمْ) لو علم الله فيهم شيئاً من جنس الخير ـ وذلك لانعدام الخير فيهم ـ لأسمعهم سماع تفهم وتدبر، ولكن لم يعلم الله فيهم شيئاً من ذلك؛ لخلوّهم عنه بالمرة فلم يُسمعهم ولو أسمعهم سماعَ تفهم وَهُمْ على هذه الحالة العارية من الخير بالكلية؛ لتولّوا عما سمعوه من الحق، وصاروا كأن لم يسمعوه أصلاً[(٢٣٢)] فكلُّ مَنْ لم يؤمن من المشركين حتى مات على الشرك فقد انتفت مخالطة الخير نفسه[(٢٣٣)].

أما القراءة بالضم في (فِيهُمْ) فثقل وقوة الضم يتناسب مع ثقل وقوة

(٢٢٨) ابن مجاهد: هو أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد التميمي البغدادي، المعروف بابن مجاهد، أبو بكر: مقرىء، محدث، نحوي، ولد في سنة ٢٤٥هـ ـ ٨٥٩م، وتوفي في سنة ٣٢٤هـ ـ ٩٣٦م، له من الكتب: القراءات الكبير، وكتاب الياآت. انظر الذهبي، سير أعلام النبلاء ٦٦/١٠، السبكي، طبقات الشافعية ١٠٢/٢ ـ ١٠٣، كحالة، معجم المؤلفين ١٨٨/٢، الزركلي، الأعلام ٢٦١/١.

(٢٢٩) كتاب السبعة في القراءات ص١٠٩.

(٢٣٠) المرجع السابق ص١١٠.

(٢٣١) راجع ص٢١.

(٢٣٢) انظر [تفسير أبي السعود (٣١٢/٣ ـ ٣١٣)].

(٢٣٣) انظر [التحرير والتنوير (٣٠٨/٩)].

علم الله بعدم وجود الخير فيهم، لذلك لم يسمعهم سماع تفهم وتدبر. أيضاً يتناسب مع قوة وتمكن إعراض المشركين فهو إعراض لا قبول بعده فيكون المعنى: أنهم يتولّون حتى في حالة ما لو سمّعهم الله الإسماع المخصوص، وهو إسماع الإفهام، فكيف إذا لم يسمعوه، وصوغ الجملة ﴿وَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ بصيغة الجملة الإسمية يدل على إعراضهم الشديد الذي لا قبول بعده(٢٣٤).

خامساً: الجمع بين القراءتين:

بالجمع بين القراءتين، أجد أنه لا تناقض بينهما، بل يوجد انسجام كبير بينهما، فقراءة الكسر أفادت انعدام الخير فيهم، وقراءة الضم أفادت قوة علم الله بانعدام الخير فيهم، وقوة إعراضهم عن الحق.

فلانعدام الخير فيهم، كان موقفهم الإعراض الشديد عن الحق، وبالتالي استحقوا العذاب الشديد من الله ـ سبحانه وتعالى ـ والله أعلم.

١١ ـ ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنفال: ٢٨].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ المدنيان (نافع وأبو جعفر) وابن عامر وحفص (**وَأَنَّ**) بفتح الهمزة.

٢ ـ وقرأ الباقون (**وَإِنَّ**) بكسر الهمزة(٢٣٥).

ثانياً: المعنى الإجمالي للآية:

لمّا كان سبب الإقدام على الخيانة هو حب الأموال والأولاد، نبَّه تعالى على أنَّه يجب على العاقل أنْ ينتبه لمضمار ذلك الحب، فقال: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾(٢٣٦).

﴿وَٱعْلَمُوٓا۟﴾ هي كلمة ينبه بها السامع على أنَّ ما بعدها مهم جداً

---

(٢٣٤) انظر [التحرير والتنوير (٩/٣١١)].

(٢٣٥) انظر [النشر (٢/٢٠٧)].

(٢٣٦) انظر [التفسير المنير (٩/٢٩٨)].

و﴿أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ﴾ أي أنَّ الأموال والأولاد ابتلاء من الله؛ ليبلوكم فيهم، فلا يحملنّكم حبهم على الخيانة. والفتنة المراد بها هنا: الابتداء والامتحان الذي يُظهر ما في النَّفس من اتباع الهوى، ولعل الفتنة في المال أكثر منها في الولد لذا قُدّمت الأموال على الأولاد؛ لأنّها مَظِنة الحمل على الخيانة في هذا المقام .﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ﴾ لمن آثر رضى الله على الأموال والأولاد، فهذا تنبيهٌ على أنَّ نعيم الآخرة خيرٌ من نعيم الدنيا؛ لأنّها أعظم في الشرف والفوز والمسرَّة[٢٣٧].

ثالثاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

من قرأ بفتح همزة (إن) على تقدير حرف الجر وتقديرها (وَبأَنَّ اللّهَ عِندَهُ) معطوفة على ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ﴾ وكما ذكرنا سابقاً بأنَّ ما بعد (اعلموا) مهم جداً، فالمقصود الإخبار بأنَّ الأموال والأولاد فتنةٌ لهم.

أيضاً الإخبار بأنَّ الله عنده أجر عظيم مهم جداً، حيث إنَّ الأجر العظيم من الله تعالى أهمُّ من الأموال والأولاد؛ لأنَّه أعظم من الأموال والأولاد، فهو يبقى بقاء لا نهاية له، لذلك وصف الله تعالى الأجر بالعظيم لأنّه خيرٌ من الدنيا وما فيها.

وأمّا من قرأ بكسر همزة (إنَّ) فهي على سبيل الاستئناف والقطع[٢٣٨]، ففي هذا يكون معنى التوكيد على أنَّ ما عند الله هو الباقي، وأنَّ على

---

(٢٣٧) انظر [زاد المسير (٢٠٤/٢)، حاشيته الشهاب المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي للقاضي شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي (ت١٠٦٩هـ) على تفسير البيضاوي - (٤٦٣/٤) - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط١ - ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م - ضبطه وخرج آياته وأحاديثه الشيخ عبد الرزاق المهدي (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي حاشية الشهابي)، المقتطف من عيون التفاسير: مطصفى الحسن المنصوري (٣٣٣/٢) دار السلام - القاهرة - ط١ - ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م - تحقيق محمد علي الصابوني (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي المقتطف من عيون التفاسير)].

(٢٣٨) راجع ص٥٥ - ٥٦ - ٥٧.

الإنسان أن يَزهَدَ في الدنيا، ولا يحرص على جمع المال وحب الولد، فينشغل قلبه بالدنيا ويندفع إلى عمل يوقعه في المصائب والمهالك.

رابعاً: الجمع بين القراءتين:

سبق الجمع بين القراءتين(٢٣٩).

١٢ - ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُواْ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾﴾ [الأنفال: ٣١].

أولاً: القراءات:

١ - قرأ حمزة، ويعقوب (عَلَيْهُمْ) بضم الهاء.

٢ - وقرأ الباقون (عَلَيْهِمْ) بكسر الهاء(٢٤٠).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

بينت سابقاً معنى (عليهم) يمكن الرجوع إليه(٢٤١).

ثالثاً: المعنى الإجمالي للآية:

يقول الله تعالى ذكره: وإذا تتلى على هؤلاء الذين كفروا آيات كتاب الله قالوا: جهلاً منهم، وعناداً للحق، وهم يعلمون أنهم كاذبون ﴿لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ﴾ الذي تلي علينا ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أي إنَّ هذا القرآن الذي تتلوه علينا ما هو ﴿إِلَّآ أَسَٰطِيرُ﴾ أي أباطيل(٢٤٢) وما هو إلا ما سطَّره الأولون، وكتبوه من أخبار الأمم، فهم ينكرون بأن الله أوحى هذا القرآن إلى محمد ﷺ(٢٤٣).

(٢٣٩) راجع ص٥٥ - ٥٦ - ٥٧.

(٢٤٠) انظر [في هامش القرآن الكريم للقراءات العشر المتواترة ص١٨٠].

(٢٤١) راجع ص ١٨.

(٢٤٢) انظر [لسان العرب (٣٦٣/٤) مادة سطر، الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية: أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكَفوى المتوفى سنة ١٠٩٤هـ - ص٧٣٧ - مؤسسة الرسالة - بيروت - سوريا - ط٢ - ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م].

(٢٤٣) انظر [جامع البيان (٢٣١/٩)].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قراءة الضم التي هي أثقل الحركات أرى أنها تتناسب مع ثقل الآيات وقوة تأثيرها على من سمعها، حتى الجماد يتأثر بسماعها يقول سبحانه وتعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الحشر: ٢١].

فكيف بالإنسان! لذلك عدل في التعبير من الكسر إلى أقوى الحركات وهي الضمة؛ للإشارة إلى ندرة هذا الموقف، من قوة عناد الكفار وشدة إنكارهم بأن هذا القرآن لم يوحَ إلى محمد ﷺ.

أمّا من قرأ بالكسر فلضعفها وخفتها(٢٤٤) توحي بأنّه بالرغم من ثِقَل الآيات وعَظَمَتِها، إلاّ أنهم لم يشعروا بهذا الثقل فكانت خفيفه على أسماعهم وقلوبهم، فلم يتدبروا معانيها فكان سماعهم لها سماعاً سطحياً لا سماع تدبر وتفهم والله أعلم.

خامساً: الجمع بين القراءتين:

بالجمع بين القراءتين، أجد أنَّ كل قراءة قد أثرت معناً جديداً، فالقرآن الكريم بآياته القوية لم يؤثّر على قلوب الكافرين، وذلك بسبب قوة كفرهم وعنادهم، وذلك لأن قلوبهم مقفلة عن سماع الحق والهدى والله أعلم.

١٣ ـ ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنفال: ٣٣].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ يعقوب (فِيهُمْ) بضم الهاء.

٢ ـ وقرأ الباقون (فِيهِمْ) بكسر الهاء(٢٤٥).

---

(٢٤٤) راجع ص٢١ ـ ٢٢.

(٢٤٥) انظر [اتحاف فضلاء البشر (٧٩/٢)].

ثانياً: المعنى الإجمالي للآية:

بعد أن بيَّنت الآيات السابقة أنَّ الكفار قد استعجلوا وقوع العذاب بهم من باب الاستهزاء والاستخفاف، ذكر الله هنا أنَّ عدم وقوع العذاب بهم هو وجود الرسول ﷺ واستغفار المؤمنين، وهما عنصر الأمان للمجتمع، والمعنى: ما كان الله ليعذبهم عذاب استئصال والنبي بين أظهرهم؛ لأن ذلك خارج عن عادته تعالى غير مستقيم في حكمه وقضائه(٢٤٦) والدليل على أنَّه عذابُ استئصالٍ، أنّه وَقَع عليهم العذاب والنبي ﷺ فيهم، كالقحط. فعلِم أنَّ المراد به عذاب استئصال، أي يعمهم بهلاكه، ويأخذهم من أصلهم(٢٤٧) وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ إمّا أن يكون:

١ ـ المراد باستغفارهم استغفار من بقي فيهم من المؤمنين.

٢ ـ أو قولهم (الكفار) اللهم غفرانك.

٣ ـ أو فرضه على معنى لو استغفروا لم يعذبوا(٢٤٨).

ويميل الطبري إلى التفسير الثالث(٢٤٩) وإليه أشار الزمخشري(٢٥٠).

ثالثاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قراءة (فِيهُمْ) بالضم تُفَسَّر على أنَّ وجود النبي ﷺ كصمام أمان لقومه من عذاب الله يمثل عظمة الرسول ﷺ عبد خالقه تعالى وعند أمته وهذا يتناسب مع ثقل وقوة الضمة(٢٥١).

في حين أنَّ قراءة (فِيهِمْ) بالكسر، تمثل عدم تقدير مكانة النبي ﷺ

---

(٢٤٦) انظر [روح المعاني (١٨٧/٩)].

(٢٤٧) انظر [حاشية الشهاب (٤٦٨/٤)].

(٢٤٨) انظر [تفسير البيضاوي (٢٥٧/٩)].

(٢٤٩) انظر [جامع البيان (٢٣٨/٩)].

(٢٥٠) انظر [الكشاف (١٥٦/٢)].

(٢٥١) راجع ص٢١.

عند غير المؤمنين وأيضاً لخفة الكسرة وضعفها[٢٥٢] فهي توحي بخفة وزن القوم الكافرين فلولا وجود النبي وثقل وزنه بينكم أيها الكافرون، لعذبكم الله العذاب الشديد الذي تستحقونه؛ وذلك لأنكم بكفركم لا وزن لكم عند الله سبحانه وتعالى.

رابعاً: الجمع بين القراءتين:

بالجمع بين القراءتين، أجد أنَّ كلَّ قراءة أعطت معنى يعضد المعنى الآخر. فقراءة الضَّم أوحت بِثِقل عظمة النبي ﷺ عند الله سبحانه وتعالى وأنَّ عادة الله وسنته جرت بأن لا يعذب قوماً وبينهم نبيهم، إكراماً لنبيه، جرياً على عادته تعالى مع مكذبي أنبيائه أنْ لا يعذبهم وأنبياؤهم مقيمون فيهم عذاباً يستأصلهم فيه[٢٥٣].

وأرى أن قراءة الكسر أوحت بالمفهوم الآخر وهو عدم تقدير مكانة النبي ﷺ عند غير المؤمنين، وبأن الكفار لا وزن لهم عند الله سبحانه وتعالى، وذلك بسبب كفرهم والله أعلم.

١٤ ـ ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنفال: ٣٥].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ حمزة، والكسائي، ورويس، وخلف (وتصدية) بإشمام صوت الزاي.

٢ ـ وقرأ الباقون (وتصدية) بالصاد الخالصة[٢٥٤].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

تصدية من صدى بيده: أي صفق وهو ضرب اليد على اليد، والصدى

(٢٥٢) راجع ص٢١.

(٢٥٣) انظر [البحر المحيط (٤/٤٨٩)].

(٢٥٤) انظر [اتحاف فضلاء البشر (٢/٧٩)، فريدة الدهر (٢/٧٤٠)].

ما يردُّه الجبل أو غيره إلى المصوِّت مثل صوته[٢٥٥] والتصدية: كل صوت يجري مجْرى الصدى الذي لا غناء فيه[٢٥٦].

ثالثاً: المعنى الإجمالي للآية:

نفى الله سبحانه وتعالى في الآيات السابقة عن الكفار استحقاقهم أن يكونوا ولاة البيت الحرام، فكان مناسباً أن يذكر هنا السبب وهو أنهم يصدون عن المسجد الحرام، ثم ذكر سبباً آخر لاستحقاقهم العذاب، فذكر من فعلهم القبيح الذي هو غاية في الجهل ما يؤكد ذلك، وأنَّ من كانت صلاته ما ذكر لا يستأهل أن يكونوا أولياءه[٢٥٧]. وقد بيَّن الله سبحانه وتعالى أنَّ صلاة الكفار عند البيت الحرام ما هي إلا صفيرٌ وتصفيق. وعن مجاهد[٢٥٨]: «أنَّ التصدية هي الصفير بالفم، وقد يكون بالأصابع والكفِّ في الفم» يريدون بذلك أن يشغلوا الرسول ﷺ عن الصلاة. فمن كان المكاء والتصدية صلاته فلا صلاة له، فكان المكاء والتصدية نوع عبادة لهم[٢٥٩]. والمكاء والتصدية لا يُعدَّان كفراً، إلا إذا كانا صادرين للسخرية بالنبي ﷺ وبالدين[٢٦٠]. ﴿فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ أي القتل والأسر يوم بدر، وقيل عذاب الآخرة، وقيل العذاب المعهود ـ لأن ال التعريف هي ال العهد ـ في قوله سبحانه ﴿أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[٢٦١] وذلك بسبب كفركم وضلالكم، اعتقاداً وعملاً[٢٦٢].

---

(٢٥٥) انظر [المفردات في غريب القرآن ص٧٩٠، منجد الطلاب ص٣٩٩. مادة صدى].

(٢٥٦) انظر [مفردات ألفاظ القرآن ص٤٨١ مادة صدى].

(٢٥٧) انظر [نظم الدرر (٢١٣/٣)، التحرير والتنوير (٣٣٨/٩)].

(٢٥٨) تفسير الإمام مجاهد بن جبر (ت ١٠٢هـ) ـ ص٣٥٤ ـ دار الفكر الإسلامي الحديثة ـ ط١ ـ ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م.

(٢٥٩) انظر [البحر المحيط (٤٩١/٤ ـ ٤٩٢)، زاد المسير (١٠٨/٢ ـ ١٠٩)، مفاتيح الغيب (١٢٨/٨)].

(٢٦٠) انظر [التحرير والتنوير (٣٣٩/٩)].

(٢٦١) انظر [إرشاد العقل السليم (٣١٩/٣)].

(٢٦٢) انظر [المقتطف من عيون التفاسير (٣٣٧/٢)].

رابعاً: العلاقة التفسيرية للقراءات:

ألاحظ عند من قرأ بالصاد الخالصة، أنَّ الصاد من صفاتها الإستعلاء والإطباق والصفير وهي من صفات القوة، وهو الصوت القوي[(٢٦٣)] فيكون تفسير الآية أنَّ صلاة الكفار كانت عند البيت مكاء أي صفيراً وتصدية أي تصفيقاً بصوت عالٍ، وعلى معنى من قال أنَّها صفير، يكون التصفير بصوت عالٍ، وفي ذلك إيذاء للنبي ﷺ أشد أمّا من قرأ بإشمام صوت الزاي، فالإشمام هو عبارة عن الإشارة إلى الحركة من غير صوت وذلك بأن تجعل صورة النطق بالضمة دون التلفظ بها ولا تكون الإشارة إلا بعد سكون الحرف[(٢٦٤)].

فيكون التفسير: بأن صلاة الكفار كانت صفيراً وتصفيقاً بصوت خفي.

خامساً: الجمع بين القراءتين:

بالجمع بين القراءتين أجد أنَّ كل قراءة أثرت في معنى الآية فالقراءة الأولى أفادت بأنَّ الصفير أو التصفيق كان بصوت مرتفع وعال، والقراءة الثانية أفادت بأنَّه كان بصوت خافت، وعلى ذلك يكون الصفير والتصفيق أحياناً بصوت خافت، وأحياناً بصوت مرتفع، أو أنَّه كان في البداية بصوت خافت ثم ارتفع شيئاً فشيئاً والله أعلم.

١٥ ـ ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الأنفال: ٣٧].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ حمزة، والكسائي، ويعقوب، وخلف العاشر (لِيُمَيِّز) بضم

(٢٦٣) انظر [النشر (١/١٦٠)].

(٢٦٤) انظر [المرجع السابق (٢/٩)، المعجم المفصل في علوم اللغة (الألسينات): د. محمد التونجي، راجي الأسمر ص١٢٨ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ ـ ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م ـ راجعه د. إميل يعقوب (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي المعجم المفسر)].

الياء الأولى، وفتح الميم، وكسر الياء الثانية مشددة، مضارع «ميّز يميّز» مثل «كرّم يكرّم» مضعف العين.

٢ ـ وقرأ الباقون (لِيَمِيزَ) بفتح الياء الأولى، وكسر الميم، وسكون الياء الثانية مخففة مضارع «ماز يميز»(٢٦٥) معتل العين.

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

ماز (يميز ميزاً) يقال ماز الشيء، عزلَه وفرزه عن غيره، فضَّله على سواه. **تميّز** انفصل عن غيره وانعزل، ميّزت الأشياء، إذا فرّقتها بعد المعرفة بها أي فرقت بينها والتثقيل مبالغة(٢٦٦).

ثالثاً: المعنى الإجمالي للآية:

لمّا ذكر الله ـ تعالى ـ حَشْرَ الكافرين في جهنم في الآية السابقة لتلك الآية في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الأنفال: ٣٦]، ذَكَر العلة في ذلك فقال معلقاً بـ (يحشرون): ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ﴾(٢٦٧) وفي معنى الآية ثلاثة أقوال:

أحدهما: ليميِّز أهل السعادة من أهل الشقاء أو يميز المؤمن من الكافر.

والثاني: ليميِّز العمل الطيب من العمل الخبيث.

والثالث: ليميِّز الإنفاق الطيب في سبيله، من الإنفاق الخبيث في سبيل الشيطان(٢٦٨).

---

(٢٦٥) انظر [النشر (٢/١٨٤)].

(٢٦٦) انظر [مفردات ألفاظ القرآن ص٧٨٣، المصباح المنير ـ ص٣٣٩ كتاب الميم مادة ميز، منجد الطلاب ص٧٥٦ مادة ماز].

(٢٦٧) انظر [نظم الدرر (٣/٢١٦)].

(٢٦٨) انظر [زاد المسير (٢/٢١٠)].

فمن ذلك نفهم أنَّ المعنى عامٌّ في كل شيء من الأعمال والنفقات وغير ذلك[٢٦٩].

وقوله تعالى ﴿وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ أي يجمع بعضه فوق بعض، فمن قال أنَّ الخبيث: الكفار، أي يجعل الكفار بعضهم فوق بعض، ومن قال الخبيث: أموالهم فله قولان:

أحدهما: أنها أُلقيت في النار؛ ليعذَّب بها أربابها كما قال تعالى: ﴿فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ﴾ [التوبة: ٣٥].

والثاني: أنهم لمّا عظَّمُوها في الدنيا، أراهم هوانها بإلقائها في النار كما تُلقى الشمس والقمر في النار؛ ليرى من عبدهما دونه[٢٧٠].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

ذهب بعض العلماء إلى أن القراءتين من باب اللغات، إلا أنَّ قراءة التشديد، تفيد التكثير.

قال مكي بن أبي طالب[٢٧١]: «هما لغتان ... وفي التشديد معنى التكثير»[٢٧٢]. وقال ابن زنجلة[٢٧٣]: «والتشديد إنمّا يدخل في الكلام للتكثير»[٢٧٤] لذلك نجد أنَّ في اختلاف القراءتين بياناً لأنواع التمييز. ومن قال بأن قراءة التخفيف بمعنى فرز، وقراءة التشديد بمعنى إذا محّص الفرز[٢٧٥] فتكون قراءة التشديد ليميّز من التمييز، وهو أبلغ من الميز لزيادة

(٢٦٩) انظر [الجامع لأحكام القرآن (٣٤٤/٩)].

(٢٧٠) انظر [معاني القرآن: النحاس (٤٢٦/١)، زاد المسير (٢١٠/٢)].

(٢٧١) مكي بن أبي طالب: هو مكي بن أبي طالب حموشي بن مختار القيسي، أبو محمد القيرواني ثم الأندلسي، كان إماماً في القراءات، أستاذ القراء والمجوِّدين، توفي سنة ٤٣٧هـ.

(٢٧٢) الكشف (٣٦٩/١).

(٢٧٣) عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة المقرىء، أبو زرعة، فقيه مالكي، ترك عدة مؤلفات منها: كتابه الشهير حجة القراءات انظر [ترجمتة في مقدمة تحقيق كتاب الحجة ـ سعيد الأفغاني ص ٢٥، الأعلام (٣٢٥/٣)].

(٢٧٤) الحجة: ابن زنجلة ص١٨٢.

(٢٧٥) انظر [التحرير والتنوير (٣٤٣/٩)].

حروفه[٢٧٦] فهناك حالات يكون التمييز فيها واضحاً بين الإيمان والكفر، أو بين الأموال التي تنفق في سبيل الله والأموال التي تنفق في سبيل الشيطان، وهذه تناسبها قراءة التخفيف. وهناك حالات تحتاج إلى دقة وشدة في التمييز كتمييز المنافقين عن الصادقين المؤمنين، والدليل على ذلك أنَّه جمع الخبيث وإن اختلفت أصنافه في مجمع واحد، وذلك لزيادة تمييزه عن الطيب، ولتشهير من كانوا يُسِرُّون الكفر ويظهرون الإيمان[٢٧٧].

خامساً: الجمع بين القراءتين:

بالجمع بين القراءتين أرى أن المعنى يصبح: إذا كان يوم القيامةِ، سيجعل الله كل طائفة متفقةً في العقيدة والعمل مع بعضها، فيجعل المتقين في جنات النعيم، ويجعل الكفار في الجحيم، والمنافقين في الدرك الأسفل من النار، وذلك ليفصل الله بين الخبيث الكافر، والطيب المؤمن، ثم يجمع الخبيث (الكفار والمنافقين والأموال الخبيثة) فيجعل بعضهم على بعض ثم يقذف بهم في نار جهنم، وفي ذلك زيادة في التمييز لهم عن الطيب وأولئك هم الخاسرون والله أعلم.

١٦ ـ ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [الأنفال: ٣٩].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ رويس (**بِمَا تعْمَلُونَ**) بالخطاب.

٢ ـ وقرأ الباقون (**بِمَا يَعْمَلُونَ**) بالغيب[٢٧٨].

(٢٧٦) انظر [روح المعاني (١٩٢/٥)].

(٢٧٧) انظر [التحرير والتنوير (٣٤٣/٩)].

(٢٧٨) انظر [النشر (٢٠٧/٢)].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

١ ـ يَعْمَلُونَ مشتق من الفعل عمل عملاً أي صنع ومهن(٢٧٩).

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

﴿وَقَٰتِلُوهُمْ﴾ عطف على ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ٣٨] في الآية السابقة، وأمَّا في هذه الآية عَمَّ الخطاب لزيادة ترغيب المؤمنين في القتال؛ لتحقيق ما يتضمنه قوله سبحانه: ﴿فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الأنفال: ٣٨] من الوعيد ﴿حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ حتى لا يوجد فيهم شرك أو لا يوجد فيهم مشرك، والفتنة بمعنى الكفر والضلال والابتلاء والمحنة(٢٨٠). ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ وتضمحل الأديان الباطلة كلّها، إمّا بهلاك أهلها جميعاً، أو برجوعهم عنها خشية القتل ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ﴾ عن الكفر بقتالكم وانتهوا بمعنى كفُّوا(٢٨١) ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ أي أنَّ الله يجازيهم على انتهائهم عنه، وإسلامهم بحسب علمه(٢٨٢).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

١ ـ من قرأ (**تعْمَلُونَ**) بتاء الخطاب

أ ـ يتناسب مع قوله تعالى في صدر الآية ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ ومع قوله تعالى بعد: ﴿فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٠].

---

(٢٧٩) انظر [مختار الصحاح: الإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ص٤٥٥ ـ دار الفكر ـ طرابلس ـ بيروت راجعه لجنه من علماء العربية (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي مختار الصحاح)، منجد الطلاب ص٤٩٩ مادة عمل، المصباح المنير ص٢٥٥ كتاب العين، مادة عمل].

(٢٨٠) انظر [مختار الصحاح ص٤٩٠، منجد الطلاب ـ ص٥٣٥ ـ ٥٣٦ مادة فتن، المصباح المنير ص٢٧٤ كتاب الفاء مادة فتن].

(٢٨١) انظر [مختار الصحاح ص ٦٨٣، منجد الطلاب ص٨٤٦ من مادة نهى].

(٢٨٢) انظر [روح المعاني (١٩٤/٩)، إرشاد العقل السليم (٣٢١/٣)، المقتطف من عيون التفاسير (٣٣٩/٢)].

ب ـ أن يكون الخطاب على الالتفات من الغَيْبة إلى الخطاب، والالتفات ضربٌ من ضروب البلاغة[٢٨٣] فيكون تفسير الآية على أنَّه خطاب للمسلمين المجاهدين، أي أنَّ الله بصيرٌ بما تعلمون من الجهاد المخرج لهم إلى الإسلام، فهي دعوة إلى دينه والإخراج من ظلمة الكفر إلى نور الإسلام حتى يجازيكم عليه أحسن الجزاء وتعليق الجزاء بانتهائهم للدلالة على أنهم يثابون بالسببية، كما يُثاب المباشرون بالمباشرة[٢٨٤].

٢ ـ من قرأ (**يَعْمَلُونَ**) بياء الغيب يتناسب مع قوله تعالى قبل: ﴿**فَإِنِ انتَهَوْا**﴾[٢٨٥] ويكون تفسير الآية إن انتهوا عن الكفر بقتالكم لهم، فإن الله يجازيهم على انتهائهم عنه وإسلامهم[٢٨٦].

خامساً: الجمع بين القراءتين:

بالجمع بين القراءتين يكون تفسير الآية، بأنَّ الله ـ سبحانه وتعالى ـ بصيرٌ بأحوال الكفار ومجازيهم على عملهم، وكذلك بصير بما تعملون أيها المسلمون من جهادهم وحربهم وذلك بإخراجهم من الكفر إلى الإسلام بالجهاد والمقاتلة، فأسلوب الالتفات إلى الخطاب أفاد معنى أعم وأشمل، ودلّ على الاهتمام بشأن المخاطبين بحيث إنه أدخل الجميع في المخاطبة، وهذا يدل على إعجاز القرآن.

١٧ ـ ﴿إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَـٰدِۙ وَلَـٰكِن لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾﴾ [الأنفال: ٤٢].

(٢٨٣) انظر [المغني في توجيه القراءات (١٩٠/٢)].

(٢٨٤) انظر [روح المعاني (١٩٤/٩)، إرشاد العقل السليم (٣٢١/٣)، الكشاف (١٥٧/٢)، البحر المحيط: (٤٩٥/٤)].

(٢٨٥) انظر [المغني في توجيه القراءات (١٩١/٢)].

(٢٨٦) انظر [روح المعاني (١٩٤/٩)، إرشاد العقل السليم (٣٢١/٣)].

أولاً: القراءات:

اختلف القراء في **(بالعدوة)** في الموضعين:

١ ـ أ ـ فقرأ: ابن كثير والبصريان (أبو عمر، ويعقوب) (بالعِدْوَة) بكسر العين فيهما.

ب ـ وقرأ الباقون (**بِالْعُدْوَةِ**) بضم العين فيهما.

٢ ـ أ ـ قرأ المدنيان (نافع، وأبو جعفر) ويعقوب وخلف والبزي وأبو بكر (**حيِي**) بياءين ظاهرتين، الأولى مكسورة والثانية مفتوحة.

ب ـ وقرأ الباقون (قنبل، أبو عمرو، ابن عامر، حفص، حمزة، الكسائي) (**حَيَّ**) بياء واحدة مشدَّدة(٢٨٧).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

١ ـ «**الْعُدْوَةِ**» مشتقة من الفعل عدا ومنه **(العُدَى)** الأماكن المرتفعة و(**الْعُدْوَةِ**) المكان المتباعد و(**الْعَدْوَةِ**) شاطىء الوادي وجانبه، وقُرىء بضم العين، فعليه يكون الجمع **عُدى**، وهو اسم جمع للعدو، وقرىء بكسر العين (**الْعِدْوَةِ**) فعليه يكون الجمعُ عِدى، مثل لحية ولحى و(**العِدى**) أي الأعداء جمع عدو، المتباعدون الغرباء. شاطىء الوادي(٢٨٨).

(**والْعُدْوَةِ**)، (**والْعِدْوَةِ**) لغتان مشهورتان: فالضم لغة تميم وقيس، والكسر لغة الحجاز وقريش(٢٨٩) وسميت بذلك؛ لأنها عدت ما في الوادي

---

(٢٨٧) انظر [النشر (٢/٢٠٧ ـ ٢٠٨)].

(٢٨٨) انظر [مختار الصحاح ص٤١٩، منجد الطلاب ص٤٦٤ مادة عدا، المصباح المنير، مادة عدا ص٢٣٧، والجامع لأحكام القرآن (٣٨٢/١٠)].

(٢٨٩) انظر [المزهر في علوم اللغة وأنواعها: عبد الرحمن جلال الدين السيوطي (٢٧٧/٢) ـ دار الفكر شرحه وعلق على حواشيه محمد أحمد جاد المولى وآخرون، اللهجات العربية القديمة في غرب الجزيرة العربية، تشيم رابين، ترجمة د. عبد الكريم مجاهد ص٢٥٢ ـ ٢٥٣ ـ دار الفارس ـ الأردن ـ ط١ ـ ٢٠٠٢م، اللهجات العربية في القراءات القرآنية: د. عبده الراجحي ص٢٥١ ـ مكتبه المعارف ـ الرياض ـ ط١ ـ ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م].

من ماء ونحوه أن يتجاوزها أي منعته(٢٩٠).

٢ ـ **(حيي)** حياةً ضد مات ويقال فيه: حيَّ يحيُّ بالإدغام والحياة نقيض الموت، وحيَّ: فعل بمعنى أقبل وعجل(٢٩١) والفك والإدغام لغتان مشهورتان(٢٩٢).

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

الحديث ما يزال عن وقعة بدر، فالله تعالى بعد أن بيَّن حكم قسمة الغنائم، بدأ بوصف حالة الجيشين، ومواقع الصَّفين، وقد وصف الله سبحانه وتعالى هذه المشاهد من يوم الفرقان (بدر)؛ لتذكير المؤمنين بنعمه العظمى التي أنعم بها عليهم بالرغم من قلَّة عددهم وعدّتهم وضعفهم أمام المشركين، وقوة شأنهم وتكامل عدتهم فقد نصرهم الله نصراً كبيراً(٢٩٣) ليبيِّن لهم في هذه الحال أنَّ النصر ليس إلا من عند الله. والله سبحانه ذيَّل الآية السابقة ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ [الأنفال: ٤١] فَمِن آثار قدرته جلَّ شأنه ما شاهدتموه يوم التقى الجمعان(٢٩٤).

فقال: اذكروا أيها المؤمنون ذلك اللقاء الحاسم بينكم وبين المشركين، واشكروه على نصره لكم، عندما كنتم في مواجهةٍ رهيبةٍ مع الأعداء، إذ كنتم نازلين بجانب الوادي الأقرب إلى المدينة، **(وَهُم)** أي المشركون ﴿بِٱلۡعُدۡوَةِ ٱلۡقُصۡوَىٰ﴾.

---

(٢٩٠) انظر [البحر المحيط (٤/٤٩٩)، الدر المصون (٥/٦٠٩)].

(٢٩١) انظر [مجمل اللغة: أبو الحسين أحمد بن فارس ت٣٩٥هـ (١/٢٥٨) ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ط٢ ـ ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م تحقيق عبد المحسن سلطان، منجد الطلاب ص١٥١ مادة حيي، المصباح المنير ص٩٦ كتاب الحاء مادة حيي].

(٢٩٢) راجع القراءة في قوله (وحيي) في البحر المحيط (٤/٥٠١)، والمحرر الوجيز (٢/٥٣٤).

(٢٩٣) انظر [نظم الدرر (٣/٢٢٠)، التفسير المنير (٣/١٦)].

(٢٩٤) انظر [روح المعاني (١٠/٢٠٣)].

﴿ٱلْقُصْوَىٰ﴾: تأنيث الأقصى بمعنى الأبعد، أي في جانب الوادي، الأخرى البعيدة من المدينة إلى ناحية مكة، ﴿وَٱلرَّكْبُ﴾ أي العير الذي فيه أبو سفيان وأصحابه ﴿أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ في مكان أسفل من مكانكم - يعني ساحل البحر - أي أسفل الوادي بثلاثة أميال. وقد ذكر المفسرون فائدة ذلك؛ للدلالة على قوة العدو، واستظهارهم بالركب. أي تقويتهم بهم، لقربه منهم. فهم يدافعون عنه دفاع المستميت، مما يقوي روحهم المعنوية، وإظهار ضعف شأن المسلمين معلوم من الواقع، لقلة عددهم واستبعاد غلبتهم، ولذا ذكر مراكز الفريقين ﴿وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي ٱلْمِيعَٰدِ﴾ أنتم وأهل مكة وتواضعتم بينكم على موعد تلتقون فيه للقتال، ثم علمتم حالكم وحالهم، لاختلفتم في الميعاد ﴿وَلَٰكِن﴾ جمع بينكم بلا ميعاد ﴿لِّيَقْضِيَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ أي ليقضي الله أمراً مفعولاً، وهو نصر أوليائه، وقهر أعدائه ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾ ﴿وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾ والبينة: الحجة الظاهرة، أي ليموت من يموت عن بيّنة، ويعيش من يعيش عن بيّنة، لئلا يبقى لأحد على الله حجة بعد ما رأى من الآيات والعبر، أو ليصدر كُفْر من كَفَر وإيمانُ من آمنَ عن وضوح وبينة، على أن الهلاك كناية عن الكفر، والحياة كناية عن الإيمان والإسلام، فقد جعل المهتدي بمنزلة الحي، وجعل الضال بمنزلة الهالك(٢٩٥).

﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ بأقوال وأفعال المؤمنين والكافرين، وقد ختم بهاتين الصفتين؛ لأن الكفر والإيمان يستلزمان النطق اللساني والاعتقاد القلبي فهو سميع لأقوالكم عليم بنياتكم، ولا تخفى عليه خافيةٌ من باطن أو ظاهر(٢٩٦).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

---

(٢٩٥) انظر [معاني القرآن: النحاس (٤٢٨/١)].

(٢٩٦) انظر [جامع البيان (١٠/١٠ - ١٢)، مدارك التنزيل (٤٠٤/٢ - ٤٠٥)، البحر المحيط (٥٠١/٤)، حاشية الشهاب (٤٧٨/٤ - ٤٨١)، فتح القدير (٣٩٠/١٠ - ٣٩١)، روح المعاني (٢٠٤/١٠ - ٢٠٥)، التفسير المنير (١٦/١٠ - ١٧)].

القراءة الأولى:

١ ـ لقد ذهب بعض أهل اللغة والتفسير إلى أنَّ القراءتين ترجعان إلى معنى واحد وهما لغتان مشهورتان بمعنى واحد(٢٩٧). فالحجة لمن ضم أو كسر أنهما لغتان معناهما جانب الوادي(٢٩٨) ولكن لأنَّ الضم لا يُنطق إلا بانضمام الشفتين وارتفاعهما ولثقل وقوة الضم(٢٩٩) فإنه يتناسب مع قراءة (**الْعُدْوَةِ**) بالضم، فنفهم من هذه القراءة بأن مكان (**الْعُدْوَةِ**) كان مرتفعاً سواء الدنيا أو القصوى، وهذا ـ في ظني ـ يتناسب مع المعنى اللغوي لهذه القراءة. في حين أنَّ قراءة الكسر (**الْعِدْوَةِ**) أفادت بأنَّ المسافة بين العدوتين كانت بعيدة والله أعلم.

خامساً: الجمع بين القراءتين:

يتبَّين لنا أنَّ المكانين اللذين نزل بهما الجيشان وهما العدوة الدنيا والعدوة القصوى كانا مرتفعين عن سطح الماء (شاطىء وادي بدر) وأنَّ المسافة بينهما بعيدة.

فكانت العدوة الدنيا أي العدوة التي من جهة المدينة، أقرب لجيش المسلمين من العدوة التي من جهة مكة، والعدوة القصوى هي التي مما يلي مكة وهي قصوى أي بعيدة بالنسبة لموقع بلد المسلمين(٣٠٠).

قال الشعراوي: «والعدوة شاطىء الوادي وجانبه ـ وهي جبل مرتفع؛ لأن الجبال إذا كان بينهما فضاء يسمى هذا الفضاء وادياً، فيكون الوادي هو

(٢٩٧) انظر [معاني القرآن: علي بن حمزة الكسائي (ت١٨٩هـ) ص١٥٣ دار قباء للطباعة ـ القاهرة ـ ١٩٩٨م تقديم د. عيسى شحادة عيسى (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي معاني القرآن الكسائي)، مجاز القرآن (١٤٦/١)، معاني القرآن: الأخفش (٥٤٦/٢)، جامع البيان (١٠/١٠)، روح المعاني (٢٠٤/١٠)].

(٢٩٨) انظر [الحجة: ابن خالويه (٩٤)].

(٢٩٩) راجع ص٢١.

(٣٠٠) انظر [التحرير والتنوير (١٦/١٠)].

الفضاء بين جبلين، ويكون المكان العالي الذي على يمين الوادي وعلى شماله عدوة»[٣٠١].

القراءة الثانية:

١ ـ مَنْ اختار الإظهار فقرأ (حَيِيَ) بياءين فالحجة في ذلك أنَّه أتى به على الأصل[٣٠٢] ولأن الإدغام يؤدي إلى تضعيف حرف العلة وهو ثقيل في ذاته، ولأن حركة الثاني (حْيِيَ) غير لازمة، لأنك تقول في المستقبل يحيا، فيمتنع الإدغام في المضارع وهو يحيا، فأُجري الماضي على شاكلة المستقبل، ولأن الحركتين مختلفتان في حيِيَ واختلاف الحركتين كاختلاف الحرفين لا يدغم[٣٠٣].

فتشير قراءة إظهار الياءين إلى أن (وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ) أي بالإسلام حياة هي في أعلى الكمال[٣٠٤]. وذلك لأن الإظهار يدل على الكمال والزيادة.

٢ ـ ومن اختار التشديد (حَيَّ) فأدغم الياءين، فالحجة له أنه استثقل اجتماع ياءين متحركتين، فأسكن الأولى وأدغمها في الثانية، ولأنَّ حركة الثانية لازمة؛ لأنها حركة بناء، ولا يضرُ زوالُها. أمّا إذا كانت حركة إعراب فالإظهارُ فقط[٣٠٥] فيكون تفسير الآية على قراءة التشديد: (وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ) حياة في أدنى الكمال، فهذا يتناسب مع تخفيف الياء بالإدغام[٣٠٦].

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين يتبَّين أنَّه من يحيا بعد ذلك، فإنه يحيا حياة

---

(٣٠١) تفسير الشعراوي (٤٧١٢/٨).

(٣٠٢) انظر [الحجة: ابن خالويه ص٩٥].

(٣٠٣) انظر [الدر المصون (٦١٤/٥)، مدارك التنزيل (٤٠٥/٢)، روح المعاني (٢٠٥/١٠)، مجمع البيان (١٥٢/١)].

(٣٠٤) انظر [نظم الدرر (٢٢١/٣)].

(٣٠٥) انظر [الحجة: ابن خالويه ص٩٥، الدر المصون (٦١٤/٥)].

(٣٠٦) انظر [نظم الدرر: (٢٢١/٣)].

كريمة حياة بالإسلام هي في أعلى الكمال أو في أدنى الكمال حياة ناشئة عن حالة ﴿بَيِّنَةٍ﴾ أي: كائنة بعد البيان في كون الكافرين على باطل، والمؤمنين على حق(٣٠٧).

١٨ ـ ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾﴾ [الأنفال: ٤٣].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ الأصحاب (حمزة، الكسائي، خلف) والبصري (يعقوب) ﴿وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ﴾ بالإمالة، وبالتقليل لورش بخُلفِه فله الفتح والتقليل.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ﴾ بالفتح بدون إمالة(٣٠٨).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

أراكهم: من الرؤية فهي من الفعل رأى، ومنه أراه الشيء أي جعل ينظر فيه(٣٠٩).

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

توضح الآية أنَّ الله سلّم القوم من الفشل والتنازع وذلك بما أرى نبيه محمداً ﷺ في منامه أن الأعداء قلة، فأخبر بها أصحابه، فقويت نفوسهم وتشجعوا على حرب أعدائهم فكانت الرؤيا تثبيت لهم، ولو أراه الله العدو كثيراً، لفشل الصحابة رضوان الله عليهم والنبي ﷺ، فجبنوا وخافوا، ولم يقدروا على حرب الأعداء، والله سميع لما يقول، عليم بما في القلوب، فهو يعلم ما سيكون فيها من الجرأة والجبن والصبر والجزع ولذلك دبر ما

(٣٠٧) انظر [نظم الدرر (٢٢١/٣)].

(٣٠٨) انظر [النشر (٢٠٨/٢)، البدور الزاهرة ص١٦١].

(٣٠٩) انظر [مفردات ألفاظ القرآن ص٣٧٣ ـ ٣٧٤، منجد الطلاب ص٢٢٥].

دبر[٣١٠].

رابعاً: العلاقة التفسيرية:

١ ـ الإمالة والفتح إحدى الظواهر اللغوية التي كانت متفشّية بين القبائل العربية، والإمالة تنسب إلى القبائل التي كانت تعيش وسط الجزيرة وشرقها أمثال (تميم[٣١١]، وقيس[٣١٢]، وأسد[٣١٣]، وطيء[٣١٤]، وبكر بن وائل[٣١٥]، وعبد قيس)[٣١٦]، أما القبائل التي كانت تفتح هي التي كانت غربي الجزيرة العربية بما في ذلك قبائل الحجاز أمثال (قريش[٣١٧]، وثقيف[٣١٨]، وهوازن[٣١٩]، ....

(٣١٠) انظر [جامع البيان (١٢/٩ ـ ١٣)، صفوة التفاسير (٥٠١/١)، المقتطف من عيون التفاسير (٣٤٢/٢)].

(٣١١) تميم ينتسب إليها جماعة من الصحابة والتابعين إلى زماننا هذا ويرجع نسبهم إلى تميم بن مرّة انظر [الأنساب: للإمام أبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التّميمي السّمْعاني (ت ٥٦٢هـ) (٤٧٨/١ ـ ٤٨١) دار الجنان ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ ـ ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م ـ تقديم: عبد الله عمر البارودي (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي الأنساب)].

(٣١٢) نسبة إلى قيس بن ثعلبة أو قيس بن مضر بن نزار انظر [الأنساب (٥٧٥/٤ ـ ٥٧٨)].

(٣١٣) وهذه نسبة الأزد فيبدلون السين من الزاي والمشهور لهذه النسبة عبد الله بن مالك بن القط انظر [الأنساب (١٣٧/١)].

(٣١٤) نسبة إلى طيء واسمه: جُلْهُمَة بن أُدَدْ بن زيد بن يشجب ويرجع نسبهم إلى سام بن نوح انظر [الأنساب (٣٥/٤ ـ ٤٠)].

(٣١٥) جماعة انتسبوا له وسمّوا البكريون منهم الأسود بن عامر البكري انظر [الأنساب (٣٨٥/١)].

(٣١٦) نسبة إلى عبد القيس بن أفْصى بن دُعْميّ بن جَديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار انظر [الأنساب (١٣٥/٤)].

(٣١٧) سميت قريش بهذا الاسم لتجمّعهم على قُصَيّ بن كِلاب، وسمي قصيّ مُجَمِّعاً، والتجمع: التقرّش في بعض كلام العرب، ويقال لقصي القريشي ولم تسمّ قريش قبله انظر [الأنساب (٤٨٤/٤ ـ ٤٨٥)].

(٣١٨) نسبة إلى ثقيف بن منبه بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن غيلان بن مضر، وقيل أن اسم ثقيف قسي، ونزلت اكثر هذه القبيلة بالطائف وانتشرت بالبلاد انظر [الأنساب (٥٠٨/١ ـ ٥١١)].

(٣١٩) هوازن نسبة إلى هَوْزَن، وهو بطن من ذي الكلاع بن حمير، نزلت الشام، والهوزن في العربية الغبار، وقيل نوع من الطّير انظر [الأنساب (٦٥٦/٥)].

وكنانة[(٣٢٠)][(٣٢١)].

وهناك رأيان للعلماء في أصل الفتح والإمالة:

بعضهم يرى أنَّ كُلاً منهما أصل قائم بذاته، والبعض الآخر يرى أن الفتح أصل، والإمالة فرع عنه مع اتفاقهم على أنهما لغتان فصيحتان صحيحتان نزل بهما القرآن[(٣٢٢)].

وفائدة الإمالة: هي سهولة اللفظ وذلك أنَّ اللسان يرتفع بالفتح، وينحدر بالإمالة. والانحدار أخفُّ على اللسان من الارتفاع، فلهذا أمال من أمال. وأما من فتح فإنَّه راعى الأصل[(٣٢٣)]. ومن أمال إشعاراً بأن الألف الممالة تكون أصلية بدلاً من ياء، فالإمالة تترك في المسموع صوتاً يؤلفه نغم من صوتي الألف والياء، لا تكاد تغلِّب أحدهما على الآخر، وهكذا فالإمالة تؤلف مع غيرها من الظواهر اللغوية في سياق التلاوة القرآنية مجموعة من الإيقاعات في المسموع الصوتي في كل اختيار من اختيارات القراء[(٣٢٤)]. وهذا من الإعجاز الموسيقي في القرآن، وبالإضافة إلى سهولة وعذوبة الإمالة فإنَّ الفعل أراكم نلاحظ أن فاء الفعل مفتوحة دائماً في الفعل الماضي الثلاثي وذلك حتى يحصل للمتكلم العذوبة في اللفظ ويصغي السامع إليه، لأنس السامع بالأخف[(٣٢٥)]. فاجتمعت الإمالة مع ما ذكرنا سابقاً فناسبت ما أراه الله لرسوله ﷺ في المنام من قلة عدد الكفار فكانت

(٣٢٠) وينتسب إليها عدة من القبائل منها كنانة قريش ينسبون إليها انظر [الأنساب (٥/٩٨ ـ ٩٩)].

(٣٢١) انظر [اللهجات العربية: د.إبراهيم أنيس ـ ص٦٠، النشر (٢/٢٤)].

(٣٢٢) انظر [النشر (٢/٢٥)].

(٣٢٣) انظر [المرجع السابق (٢/٢٨)].

(٣٢٤) انظر [وجوه من الإعجاز الموسيقي في القرآن: د.محي الدين رمضان ـ ص٨٨ ـ ٨٩ ـ دار الفرقان للنشر والتوزيع ـ عمان ـ الأردن ـ جبل الحسين ـ ط١ ـ ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي الإعجاز الموسيقي)].

(٣٢٥) انظر [أبنية الفعل في شافية ابن الحاجب: دراسات لسانية ولغوية: د.عصام نور الدين ـ ص١٩٢ ـ المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ـ ط١ ـ ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي أبنية الفعل في شافية ابن الحاجب].

هذه الرؤيا تحمل طابع اللين والرقة والرأفة والرحمة للرسول ﷺ وللمؤمنين وذلك لأنَّ الإمالة تكون في موضع اللين والخطاب الرقيق، ويتركها القارئ في موضع التهديد والإنذار(٣٢٦).

خامساً: الجمع بين القرائتين:

بالجمع بين القرائتين يتبين لنا أنَّ كل قراءة قد أثرت في معنى الآية فالإمالة قد حملت طابع اللين والرقة والرحمة من الله للمسلمين ولرسوله ﷺ والتي ظهرت أيضاً من خلال سياق التلاوة القرآنية فأعطت مجموعة من الإيقاعات والأنغام الصوتية التي تدل على الإعجاز الموسيقي في القرآن. في حين أن قراءة الفتح فيها تذكير للرسول ﷺ وللمؤمنين بنعمة الله العظيمة عليهم فكانت الرؤيا سبباً من أسباب النصر العظيم في غزوة بدر، فهي تحمل في مضمونها طابع الإنذار للمسلمين أن لا يعتقدوا أنَّ النصر من عندهم بل هو من عند الله وهذا المفهوم جاء مناسباً مع قراءة الفتح بالراء المفخمة والله أعلم.

١٩ ـ ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤٤﴾﴾ [الأنفال: ٤٤].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي، ويعقوب، وخلف (**تَرْجِعُ الأمُورُ**) بفتح حرف المضارعة وكسر الجيم.

٢ ـ وقرأ الباقون (**تُرْجَعُ الأمُورُ**) بضم حرف المضارعة وفتح الجيم(٣٢٧).

ثانياً: المعنى اللّغوي للقراءات:

١ ـ **رجَع**: انصرف، عاد (**تُرْجع**) تصير، والرجوع نقيض الذهاب،

(٣٢٦) انظر [المعجزة الكبرى ص٤٩].

(٣٢٧) انظر [النشر (١٥٧/٢)، اتحاف فضلاء البشر (٨٠/٢)].

ويتعدى بنفسه في اللغة الفصحى فيقال: رجعته عن الشيء وإليه.

والرجوع: العود إلى ما كان منه البَدْء، والرَّجع: الإعادة والرَّجعة، والرِّجعة، في الطلاق وفي العَوْد إلى الدنيا بعد الممات(٣٢٨).

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

واذكروا أيها الرسول والمؤمنون الوقت الذي يريكم الله الكفار قبل القتال عدداً قليلاً في رأي العين المجردة، وفي ذلك تصديق لما أخبركم به النبي ﷺ في رؤياه كما في قوله تعالى: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا﴾ [الأنفال: ٤٣] ويجعلكم قلة في أعين الكفار قبل اللقاء، فيغتروا، ولا يعدّوا العُدة لكم ﴿لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ أي فعل ذلك حتى يمهد للحرب، فيُقتل المشركون ويُعز الدين، وفي هذا المقام إتمام النعمة على المسلمين، ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ أي إلى الله مصير الأمور ومردّها(٣٢٩).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد أفادت قراءة (**تُرْجَعُ الأمُورُ**) بضم التاء وفتح الجيم المبني للمفعول من رجع المتعدي أي يرجعها، راجعٌ إلى الله ـ سبحانه وتعالى ـ، والذي يرجعها هو الله فهو يرجعها إليه.

أما قراءة (**تَرْجِعُ الأمُورُ**) بفتح التاء وكسر الجيم، فهي مبنية للفاعل حيث وقع في القرآن من (رجع) اللازم، وذلك لأن (رجع) يكون لازماً ومتعدياً(٣٣٠).

فيكون التفسير أي: ترجع بنفسها إلى الله، ورجوعها هو برجوع أسبابها(٣٣١).

---

(٣٢٨) انظر [مفردات ألفاظ القرآن ص٣٤٢، تهذيب الصحاح محمود بن أحمد الزنجاني (٤٨٨/٢) ـ دار المعارف بمصر ـ تحقيق عبد السلام محمد هارون ـ أحمد عبد الغفور عطار، المصباح المنير ص١٣٤، منجد الطلاب ص٢٣٢].

(٣٢٩) انظر [الجامع لأحكام القرآن (٣٨٣/١٠)، التفسير المنير (١٨/١٠)].

(٣٣٠) انظر [النشر (١٥٧/٢)].

(٣٣١) انظر [التحرير والتنوير (٢٩/١٠)].

خامساً: الجمع بين القراءتين:

والمعنى: ولا عجب في ما كوّنه الله من رؤية الجيشين على خلاف حالهما في نفس الأمر، فإنّ الإراءة المعتادة ترجع إلى ما وضعه الله من الأسباب المعتادة، والإراءة غير المعتادة راجعة إلى أسباب يضعها الله عند إرادته(٣٣٢).

٢٠ ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الأنفال: ٤٥].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ أبو جعفر (فِيَة) بإبدال الهمز ياء أي بالتسهيل.

٢ ـ وقرأ الباقون (فِئَة) بالهمز(٣٣٣).

ثانياً: المعنى اللغوي للآية:

سبق ذكره(٣٣٤).

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

بعد أن ذكر الله سبحانه نعمه على رسوله وعلى المؤمنين يوم بدر - قفّى على ذلك آداب اللقاء، وطريق الشجاعة عند مواجهة الأعداء. فقال سبحانه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ﴾ أي إذا لقيتم فئة من أعدائكم الكفار فاثبتوا لقتالهم، ولا تولُّوهم الأدبار، ولا تحدثوا أنفسكم بالفرار ﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ أي أكثروا من ذكر الله في أثناء القتال في قلوبكم، وبألسنتكم، وادعوا الله بالنصر عليهم، والظفر بهم. ﴿لَّعَلَّكُمْ

(٣٣٢) انظر [المرجع السابق (٢٨/١٠)].

(٣٣٣) انظر [النشر (٣٠٨/١)].

(٣٣٤) راجع ص٣٧.

﴿تُفْلِحُونَ﴾ لعلكم تظفرون بمرادكم من النصر، والظفر بهم والأجر والثواب عند الله(٣٣٥).

رابعاً: **العلاقة التفسيرية بين القراءات:**

القراءتان عبارة عن لغات.

١ ـ فتحقيق الهمزة لغة تميم وقيس، وتخفيفها هو لغة قريش، وأكثر أهل الحجاز والهمزة فيها ثقل(٣٣٦) وهي للحالات الثقيلة النادرة فمن قرأها بالهمز أرى أنه يتناسب ثقلها مع ثقل الفئة التي أمامه، أي إذا حاربتم أيها المؤمنون جماعة من الكفار مهما كانت قوية وثقيلة الوزن، فاثبتوا لقتالهم ولا تفروا.

أما قراءة التسهيل: يكون المعنى أنَّه إذا حاربتم أيها المؤمنون جماعة من الكفار قليلة، فاثبتوا لقتالهم ايضاً ولا تستهينوا بهم.

خامساً: الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين أرى المعنى أنَّ على المؤمنين الثبات أمام جماعة الكفار مهما كان عددهم، سواء كثرة أم قلة وأن لا يفرُّوا من أمامهم والله أعلم.

٢١ ـ ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَـٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الأنفال: ٤٦].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ البزي **(وَلا- تَّنازَعُواْ)** مع المد المشبع وصلاً وتشديد التاء.

٢ ـ وقرأ الباقون **(وَلاَ تَنازَعُواْ)** بدون مد وبدون تشديد التاء أي بحذف أحد التاءين(٣٣٧).

---

(٣٣٥) انظر [جامع البيان (١٤/١٠)، مدارك التنزيل (٤٠٦/٢)، نظم الدرر (٢٢٤/٣)].

(٣٣٦) راجع ص٢١.

(٣٣٧) انظر [النشر (١٧٥/٢)، (٢٠٨/٢)].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«**تَنَازَعُواْ**» مشتق من الفعل نزع، يقال نزع الشيء من مكانه نزعاً بمعنى قلعه و(**تنازع القوم**): اختلفوا، تخاصموا[٣٣٨].

لاَ: في هذا الموضع حرف يُستخدم في النهي[٣٣٩].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

لما ذكر الله تعالى أنواع نعمه على الرسول وعلى المؤمنين يوم بدر، علَّمهم آداب الإلتقاء بالجماعة من المحاربين، أكّد على ذلك في هذه الآية بقوله: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ فهنا أمرهم بطاعة الله فيما يأمرهم به. وطاعة رسوله فيما يرشد إليه، ثم نهاهم عن التنازع؛ وذلك لأنه يوجب أمرين:

أحدهما: ﴿فَتَفْشَلُواْ﴾ الفشل والضعف.

والثاني: قوله تعاليك ﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْۖ﴾ أي تذهب دولتكم وتنقطع[٣٤٠] فيقال: هبت ريح فلان: إذا دانت له الدولة، وقيل: المقصود بالريح النصر[٣٤١] أي نصركم، فتكون الريح هنا على الحقيقة، فإنَّ النصرة لا تكون إلا بريح يبعثها الله تعالى من جانب المقاتلين في وجوه الأعداء، فيكون الريح لنصرة من يهب بجانبه، ولعدمه لمن قابله، وفي الحديث[٣٤٢] (**نُصِرت بالصَّبا وأُهلكتْ عادٌ**

(٣٣٨) انظر [كتاب المُغرِّب في ترتيب المعرب: أبو الفتح ناصر بن عبد السيد بن علي المطرزي الفقية الحنفي الخوارزمي ت ٦١٦هـ ـ ص ٤٤٨ ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ لبنان، المنجد ص٧٨٤ مادة نزع، المصباح المنير ـ ص٣٦٥ ـ مادة نزع].

(٣٣٩) راجع ص٥٨.

(٣٤٠) انظر [مجاز القرآن (٢٤٧/١)].

(٣٤١) انظر [معاني القرآن: النحاس ص٤٢٩].

(٣٤٢) أخرجه البخاري انظر [فتح الباري (٥٢٠/٢ رقم ١٠٣٥)، (٣٠٠/٦ رقم ٣٢٠٥) و(٣٧٦/٦ رقم ٣٣٤٣) و(٣٩٩/٧ رقم ٤١٠٥) متفق عليه، من طريق مجاهد عن ابن عباس].

بالدبور)[٣٤٣] ﴿وَاصْبِرُوٓاْ﴾ على شدائد الحرب، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ يمدّهم بمعونته وتأييده، فمن كان الله معه فلا غالب له؛ لأنّ هذه المعيّة هي الضمان للصابرين بالفوز والفلاح[٣٤٤].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

١ - من قرأ (**وَلاَ تَنَازَعُواْ**) بدون مد مشبع، جاء على أصل الفعل تتنازعوا، ولكن حذفت تاء الفعل للتخفيف، وبقيت تاء المخاطب؛ لأن الحاجة أمسُّ؛ ليبقى الفعل مستقبلا[٣٤٥].

فحذف الحدث وعدم تشديد التاء يدل على:

أ - قلة تنازع المؤمنين بشكل عام.

ب - كما أنه نهي للمؤمنين عن التنازع عن أي أمر مهما كان قليلاً.

٢ - أما من قرأ بالمد المشبع مع تشديد التاء وصلاً (**وَلا- تَّنَازَعُواْ**) فالمد فيه إطالة زمن، وزيادةٌ في النهي، فهنا ينهاهم الله سبحانه وتعالى عن التنازع نهياً شاملاً يشمل التنازع في الحرب أو في غير الحرب، ويشمل التنازع فيما بينهم، ومراجعة بعضهم بعضاً. والتشديد فيه مبالغة في النهي.

والنهي عن التنازع أعمّ من الأمر بالطاعة لولاة الأمور، لأنهم إذا نهوا

---

(٣٤٣) الصبا هي ريح ويقال لها القبول لأنها تقابل باب الكعبة، إذ مهبها من شرك الشمس وضدها الدّبور وهي أشد من الصبا، وهي التي أهلكت بها قوم عاد، ومن لطيف المناسبة كون القبول نصرت أهل القبول وكون الدبور أهلكت أهل الإدبار انظر [فتح الباري (٥٢١/٢)، النهاية في غريب الحديث والأثر: مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير ص٢٩٦ - دار ابن الجوزي - ط٢ - ربيع الأول ١٤٢٣ هجري - المملكة العربية السعودية - جدة - الرياض - قدم له علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي النهاية في غريب الحديث)].

(٣٤٤) انظر [جامع البيان (١٥/١٠)، المحرر الوجيز (٥٣٦/٢ - ٥٣٧)، حاشية الشهاب (٤٨٤/٤ - ٤٨٥)، مفاتيح الغيب (١٣٧/١٥ - ١٣٨)، نظم الدرر: (٢٢٤/٣)].

(٣٤٥) راجع ص٥٨.

عن التنازع بينهم. فالتنازع مع ولي الأمر أولى بالنهي[346].

خامساً: الجمع بين القراءتين:

بالجمع بين القراءتين أرى أن كلاً منهما أوحت بمفهوم قد أثرى في تفسير الآية، فقراءة عدم المد المشبع، أوحت بعدم التنازع بشكل عام ومهما كان الأمر بسيطاً، وقراءة المد والتشديد أكَّدت على النهي عن التنازع وشدَّدَت في ذلك، فكان نهياً عاماً شاملاً.

٢٢ ـ ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنفال: ٤٧].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ أبو جعفر (**رِياء**) بإبدال الهمز ياء.

٢ ـ وقرأ الباقون (**رِئَاء**) بالهمز[347].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(**رِئَاء**) من الفعل رأى، يرى: أي نظر بالعين أو بالعقل (البصيرة)، وأصل يرى يرأى، ولا تستعمل على أصلها إلاّ نادراً. ومنه (راءيته مراءاةً ورئاء) أي أريْته خلاف ما أنا عليه و(الرئاء) التظاهر بخير دون حقيقة[348].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بَطَرًا﴾ بطراً أي تكبراً[349].

فنهاهم الله تعالى عن التشبه بالمشركين في خروجهم من ديارهم بطراً

---

(٣٤٦) انظر [التحرير والتنوير (١٠/٣٠ ـ ٣١)].

(٣٤٧) انظر [النشر (١/٣٠٧)، (٢/٢٠٨)].

(٣٤٨) انظر [مفردات ألفاظ القرآن ص ٣٧٣ ـ ٣٧٤، منجد الطلاب ص ٢٢٥].

(٣٤٩) انظر [القاموس المحيط مادة بطر ـ ص٤٤٩].

﴿وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ أي المفاخرة والتكبر عليهم فكان الحامل لهم على الخروج أمرين:

أولاً: من أنفسهم ﴿بَطَرًا﴾.

ثانياً: من غيرها ﴿وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ كما قال أبو جهل حين قيل له إنَّ العير قد نجا فارجعوا، فقال: «لا والله لا نرجع حتى نَرِد بدراً، فنقيم بها ثلاثاً فننحر الجُزَر[٣٥٠]، ونطعم الطعام، ونسقى الخمر، وتسمع بنا العرب فلا يزالون يهابوننا أبداً[٣٥١]. فسُقوا مكان الخمر كؤوس المنايا الحُمُر، وناحت عليهم نوائح الزمان ﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ أي وهم بخروجهم يمنعون الناس عن دين الله تعالى وهو الإسلام ﴿وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ أي والله عليم بما جاءوا لأجله، لذلك جازاهم عليها أشد الجزاء[٣٥٢].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

من الملاحظ أن القراءتين عبارة عن لغات من لغات العرب، فتحقيق الهمز: لغة تميم وقيس، والتخفيف: لغة قريش وأكثر أهل الحجاز[٣٥٣] ولكن بالرغم من أنها لغات؛ إلاّ أنَّ لها دلالاتٍ، تفيد في إثراء المعنى، فلأن الهمزة؛ لثقلها تستعمل للحالات الثقيلة والنادرة[٣٥٤] يتضح من قراءة تحقيق الهمز أنَّ هذه الصفة (رِئَاء) متمكنة فيهم، فهم مجبولون على البطر

---

(٣٥٠) مفرد الجزور وهو ما يجزر من النوق أو الغنم أو البعير، انظر [القاموس المحيط ص٤٩٥، منجد الطلاب ص٨٢ مادة جزر]

(٣٥١) انظر [الكامل في التاريخ: ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ) (٢/ ١٨) ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ ـ ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م تحقيق: أبو الفداء عبد الله القاضي، تاريخ ابن خلدون المسّمى بكتاب العبر، وديوان المبتدأ والخبر، في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر: عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (ت سنة ٨٠٨هـ) ـ (٢/٢٠) ـ دار الفكر ـ بيروت ـ لبنان ـ ط ـ ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م، السيرة النبوية: ابن هشام (٢/٢٠١)].

(٣٥٢) انظر [تفسير القرآن العظيم (٢/٣٠٧)، نظم الدرر (٣/٢٢٦)].

(٣٥٣) راجع ص٣٩ ـ ٤٠.

(٣٥٤) راجع ص٤٠.

والمفاخرة والعجب، وأكد هذا المعنى كون (رِئَاء) جاءت اسماً وليس فعلاً كما في قوله تعالى: ﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ حيث إنَّ الاسم يدل على التمكين والاستمرار، في حين أن الفعل يدل على التجدد والحدوث[٣٥٥] وأيضاً تدل القراءة على ندرة هذا الموقف، حيث كان الأولى لأبي جهل ومن معه أن لا يكون منهم هذا الموقف؛ لأن العير نجت من أيدي المسلمين. ولكنَّ عناد أبي جهل أبى إلا القتال.

أمَّا من قرأ بتخفيف الهمز وإبدالها ياء، فالياء من حروف اللين، وهي توحي بأن هذه الصفة ليست من صفات الرجال الأشداء، بل مَنْ تكون به هذه الصفة، يوجد به رعونة، ومما يؤكد هذا المعنى، أنه عندما عاد الرسول إلى أبي سفيان برد أبي جهل بالرفض قال أبو سفيان «واقوماه: هذا عمل عمرو بن هشام (يعني أبا جهل) كره أن يرجع، لأنه ترأس على الناس فبغى، والبغي منقصة وشؤم»[٣٥٦].

أو احتمال أن يكون المعنى: أنَّ الله ينهاهم عن أدنى الرياء وذلك لخفة الياء.

خامساً: الجمع بين القراءتين:

أنَّ الله ينهاهم عن الرياء سواء كانت هذه الصفة متأصلة فيهم أم لا، فيمنعهم الله عن أي عمل بقصد المراءاة، والعمل الذي لا يُبتغى إرضاء الله فيه. فالمعصية مع الإنكسار أقرب إلى الإخلاص من الطاعة مع الافتخار[٣٥٧].

٢٣ ـ ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾﴾ [الأنفال: ٤٨].

---

(٣٥٥) انظر [مفاتيح الغيب (١٣٩/١٥)، دلائل الاعجاز ص١٣٣].

(٣٥٦) انظر [الظلال (١٥٢٩/٣) ولم أجد هذا الأثر إلا في الظلال].

(٣٥٧) انظر [مفاتيح الغيب (١٣٩/١٥)].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ المدنيان (نافع وأبو جعفر)، ابن كثير، وأبو عمرو (**إِنِّيَ أَرَى**) (**إِنِّيَ أَخَافُ**) ياءات الإضافة بالفتح وقرأ الباقون (**إِنِّيْ- أَرَى**) (**إِنِّيَ- أَخَافُ**) بسكون ياءات الإضافة مع المد[٣٥٨].

٢ ـ (**بَرِيءٌ**) أ ـ أبدل أبو جعفر الهمزة ياء، وأدغم الياء قبلها فيها بخلف عنه وتخفيف الهمزة في الوقف مشهور عند علماء العربية ـ وقد اختص حمزة بذلك، حيث إنَّ قراءته اشتملت على شدة التحقيق والترتيل والمد والسكت، فناسب التسهيل في الوقف، ولذلك روى عند الوقف بتحقيق الهمز إذا قرأ بالحدر[٣٥٩].

ب ـ وقرأ الباقون (**بَرِي-ءٌ**) بالهمز والمد.

ج ـ ووقف هشام وحمزة[٣٦٠].

١ ـ بالإدغام مع السكون المحض.

٢ ـ بالإشمام[٣٦١].

٣ ـ بالروم[٣٦٢].

---

(٣٥٨) انظر [النشر (٢٠٨/٢)].

(٣٥٩) انظر [النشر (٣٣٣/١)].

(٣٦٠) انظر [المرجع السابق (٣٥٨/١ ـ ٣٦٨)].

(٣٦١) الإشمام: هو عبارة عن الإشارة إلى الحركة من غير صوت، بأن تجعل شفتيك على صورة النطق بالضمة دون اللفظ بها، ولا تكون الإشارة إلا بعد سكون الحرف انظر [النشر (٩٠/٢)، المعجم المفصل في علوم اللغة (الألسنيات) : د. محمد التونجي، راجى الأسمر ص٦٨١ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ ـ ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م مراجعة د. إميل يعقوب].

(٣٦٢) الروم: عبارة عن النطق ببعض الحركة وقيل: تضعيف الصوت بالحركة، حتى يذهب معظمها، وعند النحاة عبارة عن النطق بالحركة بصوت خفي انظر [النشر (٩٠/٢)].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«إِنِّي»: (إنّ) إذا كانت بكسر الألف كان كالفعل والأداة ... معناه التثبت للخبر الذي بعده(٣٦٣).

«الياء» هي ياء الإضافة، والفرق بينها وبين ياءات الزوائد، أنَّ هذه الياءات ثابتة في المصحف وتلك محذوفة، وفي إصطلاح القراء: الياء الزائدة الدالة على المتكلم... تتصل بكل من «الاسم والفعل والحرف» ... وتكون مع الحروف مجرورة المحل، ومنصوبته نحو: «لي، وإني»، والخلاف في ياءات الإضافة عند القراء دائر بين «الفتح، والاسكان» وهما لغتان فاشيتان عند العرب، والإسكان فيها هو الأصل، لأنها حرف مبني، والسكون هو الأصل في البناء، وإنّما حُركت بالفتح؛ لأنها اسمٌ على حرفٍ واحد فقوي بالحركة، وكانت فتحة لخفتها عن سائر الحركات(٣٦٤).

- **(أَخَافُ)**: من خاف - يخاف - خوفاً وخيفاً فزع ومنه «أخاف الطريق» أي أفزع(٣٦٥).

- **(أَرَى)**: من الفعل رأى، يرى رأياً: أي نظر بالعين أو بالعقل(٣٦٦).

- **(بَرِيءٌ)** «بروءاً وبراءً» من العيب أو الدَّين أي تخلَّص وسَلِم منه، وتبرأ من الذنب: تخلَّص.

(والبرىء والبريّ) الخالص والخالي، خلاف المذنب والمتّهم(٣٦٧).

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾: أي اذكر أيها الرسول للمؤمنين

---

(٣٦٣) انظر [الصاحبى ص٥٧]، وراجع ص٥٦.

(٣٦٤) انظر [النشر (١٢١/٢)، القراءات وأثرها في علوم العربية (١١٩/١)].

(٣٦٥) انظر [القاموس المحيط - ص١٠٤٥ مادة خوف، منجد الطلاب - ص١٨٢ مادة خاف].

(٣٦٦) انظر [منجد الطلاب - ص٢٢٤ مادة رأى].

(٣٦٧) انظر [القاموس المحيط - ص٤٢، منجد الطلاب ص٢٦ مادة برأ].

حين زين الشيطان للمشركين أعمالهم، حيث إنّه جاءهم يوم بدر برايته وجنوده، فألقى في قلوبهم أنهم لن ينهزموا، وهم يقاتلون على دين آبائهم[٣٦٨] وقال لهم: لا غالب لكم اليوم من المسلمين، ﴿وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ﴾ أي معينٌ وحافظٌ لكم، وأنا جارٌ لكم من بنى كنانة أن تأتيكم من ورائكم فأمنعكم منهم، ولا تخافوهم .﴿فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ﴾ أي لما قرَّب كلٌ من الفريقين المسلم والكافر، ونظر بعضهم إلى بعض ﴿نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ أي: رجع بخزي على قفاه هارباً ﴿وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ﴾ تبرأ منهم، وأيس من حالهم، لما رأى إمداد الله تعالى المسلمين بالملائكة، وكَذَبَ عدوّ الله، فهو لا يخاف الله؛ لأنه كافرٌ، فلو خاف الله لعبده وأطاعه، ولكنه ظنّ أنّ الوقت الذي أُنْظر إليه قد حضر.

واحتمال أنّه قال ذلك؛ ليبرر سبب انهزامه من المعركة ﴿وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ فيجوز أن يكون من كلامه أو مستأنفاً من جهة الله ﷻ[٣٦٩].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

الفتح والإسكان في ياء الإضافة لغتان فاشيتان عند العرب، وهما من التغييرات الصوتية، وذلك أنَّ المقاطع الصوتية نوعان: متحرك وساكن، فالمقطع المتحرك هو الذي ينتهي بصوت لين، قصير أو طويل، أما المقطع الساكن، فهو الذي ينتهي بصوت مغلق[٣٧٠].

فمن قرأ بفتح الياء فيدل على أن الشيطان كأنه قالها مرة واحدة وفرَّ هارباً، والفتحة تدل أيضاً على الخفة، وهذا يدل على استخفافه بالقوم، وأنَّ وعوده لهم وعود كاذبة فمجرد أن رأى المنظر نكص على عقبيه وولى هارباً متراجعاً إلى الوراء. أما من قرأ بالهمز والمد، فالمد فيه طول زمن والهمز

(٣٦٨) انظر [معاني القرآن: النحاس (٤٢٩/١)].

(٣٦٩) انظر [جامع البيان (٢٠/١٠)، نظم الدرر (٢٢٧/٣)، معاني القرآن وإعرابه: الزّجاج (٤٢٠/٢ ـ ٤٢١)].

(٣٧٠) انظر [علم وظائف الأصوات اللغوية الفونولوجيا: د.عصام نور الدين ـ ص ٩٤ ـ دار الفكر اللبناني ـ بيروت ط١ ـ سنة ١٩٩٢م].

هو النبر، وهو الضغط، والضغط يعني الضغط على الحرف، مما يؤدي إلى ارتفاع الصوت بالكلام(٣٧١) وأرى أن هذا يدل على شدة خوف إبليس، لدرجة أنَّ الخوف أثَّر على نبرة صوته، فظَل مستمراً في ترديده للكلام لمدة من الزمن مع ارتفاع في الصوت، وهذا إن دلَّ فيدل على الحالة المرعبة التي مَر بها والله أعلم.

أما (بَرِيءٌ) فلأن الهمزة فيها ثِقَل، والمد فيه إطالة زمن، فيدل ذلك على أن تبرأه تبرؤٌ كامل، وأيضاً يدل على أنَّه تبرأ منهم بصوت عال، واستمر في الكلام عدة مرات.

أمّا قراءة الإبدال مع الإدغام (بَرِي) فيدل على سرعة تبرؤ الشيطان من المشركين.

فبمجرد أن رأى الفئتين تبرأ منهم، والتشديد يدل على الشدة التي كان بها الشيطان. أما مَنْ وقف عليها بالسكون المحض مع الإدغام، ومَنْ وقف بالروم، ومَنْ وقف بالإشمام، فهذا كلُّه ـ في رأيي ـ يدل على شدة الخوف والذعر الذي أثر على نفس الشيطان، مما جعل كلامه ليس على نبرة واحدة، بل على نبرات مرتجفة، وهذا زاد في أصوات التلاوة للنص ألواناً من الإيقاع ذات درجات والله أعلم.

٢٤ ـ ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ۝٥٠﴾ [الأنفال: ٥٠].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ ابن عامر **(إِذْ تتَوَفَّى)** بالتاء على التأنيث.

٢ ـ وقرأ هشام على أصله **(إِذْ تّوَفَّى)** في إدغام الذال في التاء.

٣ ـ وقرأ الباقون **(إِذْ يَتَوَفَّى)** بالياء على التذكرة(٣٧٢).

(٣٧١) انظر [المرجع السابق ص١٧٥].

(٣٧٢) انظر [النشر (٢٠٨/٢)].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(يتَوَفَّى) مضارع من توفّى، وتوفاه الله: أماته، وتوفي فلان أي قبضت روحه ومات فالله (المُتَوَفِّي)، والعبد (المُتَوَفَّى) ومنه استوفى حقه: أي أخذه تاماً وافياً. واستوفى حقه وتوفاه بمعنى واحد[٣٧٣].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

شرح الله سبحانه أحوال الكافرين في الآيات السابقة، ثم شرح أحوال موتهم في هذه الآية مخاطباً الرسول ﷺ وكل من له حظ في الخطاب فقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾ والمضارع هنا بمعنى الماضي أي لو رأيت ﴿إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ أي حين تستوفي الملائكة إخراج نفوس الكافرين، ممن قُتل في بدر ومن غيرهم، بعد ذلك وقبله تفيض أرواحهم ﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ﴾ أي يضربون ما أقبل منهم وما أدبر، يعني جميع أجسادهم ويقولون لهم ﴿وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ فهي بشارة لهم بعذاب الآخرة وجواب (لو) محذوف تقديره لرأيت منظراً هائلاً فظيعاً[٣٧٤]، وترك الجواب حتى يتخيل كل إنسان ما سيكون له.

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

من قرأ (**تَتَوَفَّى**) بالتاء على تأنيث فهو لتأنيث الجماعة، أي جماعة الملائكة. وعلى هذه القراءة يكون الفاعل (الملائكة)[٣٧٥]. وعبَّر بجمع الملائكة وملك الموت واحدٌ إذ له على ذلك أعوان من الملائكة[٣٧٦] فيكون المعنى: ولو ترى يا محمد وقت قبض الملائكة لأرواح الكفار، وقد وجَّه

---

(٣٧٣) انظر [تحرير التنبية معجم لغوي: الإمام الحافظ شيخ الإسلام محى الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي (٦٣١ ـ ٦٧٦م) ص ٢١٤ ـ دار الفكر المعاصر ـ بيروت ـ لبنان ـ ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م ـ تحقيق د. فايز الداية د. محمد رضوان الداية، منجد الطلاب ص٩٣٢ مادة وفى].

(٣٧٤) انظر [مفاتيح الغيب (١٤٢/١٥ ـ ١٤٣)، التحرير والتنوير (٤٠/٩ ـ ٤١)].

(٣٧٥) انظر [المستنير (٢١٦/١)، كتاب معاني القراءات ص٢٠٠].

(٣٧٦) انظر [المحر الوجيز (٥٤٠/٢)].

النحاة قراءة ابن عامر هذه على أنَّه قد أُنِّث الفعل؛ لكون الفاعل وهو الملائكة مؤنثاً، ولعدم وجود فاصل بينهما، ولكون الفعل مؤنثاً معها في غير هذا الموضع[٣٧٧].

من قرأ (**يَتَوَفَّى**) بالياء على التذكير:

١ ـ فلأن الفاعل (الملائكة) مؤنث مجازي، يجوز تأنيث الفعل وتذكيره، وللفصل بين الفعل والفاعل فلتقديم فعل الجمع ذُكِّر هنا، فالمراد جمع الملائكة كما نقول «قال الرجال» أي جمع الرجال.

٢ ـ وقال بعض من قرأ هذه القراءة: إنَّ المعنى إذ يتوفى الله الذين كفروا.

(والملائكة) رفع بالابتداء و(**يَضْرِبُونَ**) خبره، والجملة في موضع حال[٣٧٨].

أمّا من قرأ بإدغام الذال في التاء (**إِذْ تَّوَفَّى**) فأرى أنَّ التشديد يوحي بالشدة والصعوبة التي يلاقيها الكافر، عندما تَقْبض روحَهُ الملائكة، وفيها مبالغة في العذاب على الكافر والله أعلم.

خامساً: الجمع بين القراءات:

بالجمع بين القراءات، نجد أنَّه لا تعارض بين القراءات، فالله سبحانه وتعالى يأمر ملك الموت بقبض الأرواح، وملك الموت يقبض الأرواح، ومعه من يُساعده من الملائكة الآخرين.

وبالجمع بين قراءة الإدغام والإظهار:

منهم من أدغم الذال والتاء وهما حرفان متقاربان فأدغم المتقاربين،

---

(٣٧٧) انظر [ما انفرد به كل من القراء السبعة وتوجيهه في النحو العربي: عبد القادر الهَيْتي ـ ص١٥٠ ـ دار الكتب الوطنية ـ منشورات جامعة قانيونس ـ بنغازي ـ ط١ ـ ١٩٩٦م].

(٣٧٨) انظر [الدر المصون (٦١٨/٥ ـ ٦١٩)، المحرر الوجيز (٥٤٠/٢)، كتاب معاني القراءات ص٢٠٠].

ومعلوّم أنَّ أسباب الإدغام التماثل والتقارب والتجانس، فالذال من حيث المخرج، تخرج من ظهر اللسان عند احتكاكه برؤوس الثنايا العليا، والتاء من حيث المخرج من ظهر حرف اللسان عند التصاقه بأصول الثنايا العليا، فالفريق الذي أظهر راعى الأصل وهذا لونٌ من الجمال، والفريق الذي أدغم، ظفر بميزة الإدغام، وهو طلب التيسير والتخفيف وهذا لون آخر من الجمال، حيث يصعب الانتقال من نطق المقارب إلى مقاربه مُظهراً(٣٧٩). ولابن خالويه الحجة لمن أظهر، أنَّه أتى بالكلمة على أصلها، واغتنم الثواب على كل حرف منها(٣٨٠)، ويقتضي كلام ابن خالويه، أنَّ القارىء بالإدغام محروم من هذا الثواب، إذ إنَّ الحرف بعد إدغامه عُدِم وكأنه لم يكن. وهذا غير صحيح فالحرف في سياقه وبيئته الصوتية كائن حي، يؤثر ويتأثر ويتكيف، وهو عند إدغامه في المماثل أو المقارب أو المجانس ما فعل شيئاً، إلا أنَّه ناظر لاحقه وأصبح مثيلاً له، فهو موجودٌ بَيْد أنَّ وجوده بعد إدغامه مقترنٌ بالانسجام والتناغم والجمال(٣٨١).

٢٥ ـ ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾ [الأنفال: ٥٨].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ حمزة ويعقوب (**إِلَيْهُمْ**) بضم الهاء.

٢ ـ وقرأ الباقون (**إِلَيْهِمْ**) بكسر الهاء(٣٨٢).

ثانياً: التفسير الإجمالي للآية:

﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ﴾ أي من بدرت منه

(٣٧٩) انظر [التوجية اللغوي والبلاغي: د. صبري ص٣٣ ـ ٣٤].
(٣٨٠) انظر [الحجة: ابن خالوية ص٢٩].
(٣٨١) انظر [التوجية اللغوي: د. صبري ص٣٩].
(٣٨٢) انظر [فريدة الدهر (٧٤٩/٢)].

بوادر تؤذن بأنَّه سينقض العهد، فحكمه أن يطرح الرسول ﷺ إليهم عهدهم، ويعلمهم قبل حربهم أنه قد فسخ العهد بينه وبينهم بقوله لهم قد نبذت إليكم عهدكم، وأنا مقاتلكم حتى يكون هو وهم في العلم بنقض العهد سواء؛ وذلك حتى لا يتهموه بالغدر والخيانة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ﴾ أي إنَّ الخيانة مبغوضةٌ بجميع ضروبها، ولا وسيلة لاتقاء ضررها من الكفار إذا ظهرت، إلا بنبْذ عهدهم جهرة[٣٨٣].

ثالثاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قراءة الضم في (إِلَيْهُمْ) من لغة أهل الحجاز[٣٨٤] فلثقل الضم توحي بثقل العهد المشعِر به الكلام، فكانت قوة الحركة وهي الضمة مناسبة لقوة العهد، وندرة هذه الحركة في هذا الموطن مناسبة لندرة نبذ العهد في مثل هذا الموطن[٣٨٥]. والله أعلم.

أمَّا من قرأ بالكسر فهي لغة من لغات العرب، وأمّا الثَّقل يدل على استعمال القوة مع الناقضين للعهد، وذلك بسرعة النبذ القطع عليهم طريق الخيانة قبل وقوعها.

والحكمة من ذلك أنَّ الإسلام لا يبيح الخيانة مطلقاً في الآية، إيماناً بأنَّ ما أوجبه الإسلام من المحافظة على العهود مع الأعداء المخالفين في الدين، وما حرَّمه من الخيانة فيها، لم يكن عن ضعفٍ ولا عن عجز، بل عن قوة وتأييد إلهي[٣٨٦].

رابعاً: الجمع بين القراءتين:

قراءة الكسر: تدل على عدم الاكثرات إليهم، وكأنه لا يُنبذ ولا يُرمى

(٣٨٣) انظر [معالم التنزيل (٢/٢١٦)، تفسير المراغي (١٠/٢٢)].
(٣٨٤) راجع ص ٢١.
(٣٨٥) انظر [ص٢١، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ص١١٩].
(٣٨٦) انظر [تفسير المراغي (١٠/٢٣)].

إلا الشيء التافه الذي لا يبالى به[٣٨٧]، وقراءة الضم تدل على: قوة العهد واستعمال القوة مع النَّاقضين، والله أعلم.

٢٦ ـ ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ۝٥٩﴾ [الأنفال: ٥٩].

أولاً: القراءات:

١ ـ أ ـ قرأ ابن عامر وحمزة، وحفص، وأبو جعفر وإدريس بخُلف عنه عن خلف (**وَلاَ يَحْسَبَنَّ**) بياء الغيب وفتح السين.

ب ـ وقرأ شعبه (**وَلاَ تَحْسَبَنَّ**) بتاء الخطاب وفتح السين.

ج ـ وقرأ باقي العشرة (**وَلاَ تَحْسِبَنَّ**) بتاء الخطاب وكسر السين[٣٨٨].

٢ ـ أ ـ قرأ ابن عامر (**أَنَّهُمْ لاَ يُعْجِزُونَ**) بفتح الهمزة على إسقاط لام العلة أي سبقوا؛ لأنهم لا يعجزون.

ب ـ وقرأ الباقون (**إِنَّهُمْ لاَ يُعْجِزُونَ**) بكسر الهمزة على الاستئناف[٣٨٩].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(**يَحْسَبَنَّ**) مشتق من الفعل حسب، حسبه وحسباناً وحساباً أي: عدَّه وظنه ومصدره الحُسْبان[٣٩٠].

(**يُعْجِزُونَ**) والماضي عجز، وأعجز الشيء: أي فاته ولم يقدر عليه عجَّزته تعجيزاً: أي جعلته عاجزاً[٣٩١].

---

(٣٨٧) انظر [البحر المحيط (٥٠٩/٤)].

(٣٨٨) انظر [النشر (٢٠٨/٢)، اتحاف فضلاء البشر (٨٢/٢)، الكافي ص١٠٤ ـ ١٠٥، المبسوط ص١٣٠، الجوهر المصون في رواية قالون ص١٠٦ ـ تحقيق السيد هادي بن حسن بن عبد الرحمن بن حسن السَّقاف العَلَوي ابن حسن السقاف العلوي (١٢٦٦ ـ ١٣٢٩هـ) ـ دار الحاوي ـ ط١ ـ ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م].

(٣٨٩) انظر [مراجع الهامش (٣٨٨) بنفس الصفحات].

(٣٩٠) انظر [مفردات ألفاظ القرآن ص٢٣٤، منجد الطلاب ص١١٩ مادة حسب].

(٣٩١) انظر [القاموس المحيط ص٦٦٣، المصباح المنير ص٢٣٥، منجد الطلاب ص٤٦٦ مادة عجز].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْ﴾ أي لا يظن الكفار أنفسهم سابقين، أي مفلتين وناجين من انتقامنا، وعذابنا، ويُقال: إنَّها نزلت فيمن أفلت من الكفار يوم بدر حيث ظنّوا أنهم خلصوا من القتل والأسر يوم بدر، كلاّ، فإنهم لن يفلتوا من قبضتنا ﴿إِنَّهُمۡ لَا يُعۡجِزُونَ﴾ الله، أي لا يفوتونه ولا يعجزونه بهذا السبق في الانتقام منهم، إمّا في الدنيا بالقتل، وإمّا في الآخرة بالعذاب الشديد(٣٩٢).

رابعاً: العلاقة التفسيرية للقراءات:

القراءة الأولى: قراءة ياء الغيب:

أ ـ إمّا أن يكون الفاعل مضمراً هو النبي ﷺ والمعنى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْ﴾ والمفعول الأول ﴿ٱلَّذِينَ﴾ والمفعول الثاني جملة ﴿سَبَقُوٓاْ﴾ أو الفاعل محذوف اقتضاه المقام وتقديره: «وَلاَ يَحْسَبَنَّ أحد» أو «وَلاَ يَحْسَبَنَّ حاسب» فيكون المعنى: ولا يحسبن أحدٌ الذين كفروا سبقوا.

ب ـ وإمّا أن يكون الفاعل ﴿ٱلَّذِينَ﴾ على إضمار (أَنَّ) الثقيلة أو المخففة منها، وقيام جملة (أنّ) مقام المفعولين بعد تعليق ﴿يَحۡسَبَنَّ﴾ عن العمل. والمعنى: ولا يحسبن الذين كفروا أنهم سبقوا. ويؤيد هذا الوجه قراءة ابن مسعود: (أنهم سَبَقُواْ)(٣٩٣).

أمّا قراءة (وَلاَ تَحْسَبَنَّ) **بتاء الخطاب فهي:**

أ ـ على مخاطبة النبى ﷺ، وإعراب (الَّذِينَ كَفَرُواْ) و(سَبَقُواْ) مفعولين، والمعنى لا تحسبنَّ يا محمد ﷺ الذين كفروا سابقين، أو لا تحسبن من أفلت من هذه الحرب قد سبق إلى الحياة.

ب ـ أو الخطاب لكلِّ من يصلح له، أي لا تحسبن أيها

---

(٣٩٢) انظر [البحر المحيط (٤/٥١٠)، تفسير الواضح (١٠/١٢)].

(٣٩٣) انظر [مفاتيح الغيب (١٥/١٤٧)، البحر المحيط (٤/٥١٠)].

المخاطب. . .، وهذا أولى لأنه ﷺ لا يحسب ذلك ثقة في ربه[٣٩٤] وأمّا من قرأ بفتح السين وكسرها في (تحْسَبَنَّ) فهي لغتان من لغات العرب[٣٩٥].

خامساً: الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين بياء الغيب وتاء الخطاب، أجد أنَّ القراءتين سواء في الجمال وقوة التوجيه، فالآية خطاب للرسول ﷺ وللمخاطبين بأن لا يحسبوا الكفار سابقين، وأيضاً تهديد للكفار بأن لا يحسبنَّ أنفسهم سابقين والله أعلم.

القراءة الثانية:

معنى قراءة فتح الهمزة ﴿إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾ على إضمار اللام وحذفها لا يحسبن الكفار أنفسهم سبقوا؛ لأنهم لا يعجزون: أي لا يفوتون[٣٩٦] ومعنى قراءة كسر همزة ﴿إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾ أن ذلك على الاستئناف والقطع، وفيه معنى التأكيد على عدم العجز. والقراءتان بمعنى مع تنوع الأسلوب فيهما[٣٩٧]. لكن مع ذلك فإن، قراءة الكسر، أفادت زيادةً في المعنى، وهو التأكيد.

٢٧ - ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾﴾ **[الأنفال: ٦٠]**.

أولاً: القراءات:

١ - قرأ رويس (**تُرَهِّبُونَ**) بتشديد الهاء مضارع رهَّب مضعف العين.

٢ - وقرأ الباقون (تُرْهِبُونَ) بتخفيف الهاء مضارع أرهب المزيد

---

(٣٩٤) انظر [الكشف (٤٩٣/١ - ٤٩٤)، التحرير والتنوير (٥٤/١٠)، القراءات وأثرها في التفسير ق١ (٥٦٥/٢)].

(٣٩٥) انظر [المستنير (٢١٧/١)].

(٣٩٦) انظر [كتاب معاني القراءات ص٢٠١، المستنير (٢١٧/١)].

(٣٩٧) انظر [القراءات وأثرها في التفسير والأحكام ق٢ (٨٩٣/٢)].

بالهمز[(٣٩٨)].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(**تُرْهِبُونَ**) من رهب رهباً ورهبةً أي خاف ومنه الراهب: الذي اعتزل الناس إلى دير طلباً للعبادة.

والرهيب والمرهوب ما يخاف منه[(٣٩٩)].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

أمر الله سبحانه في هذه الآية الكريمة المؤمنين بالاستعداد للحرب، وذلك بإعداد ما استطاعوا من قوة، وروي عن عقبة بن عامر أنَّه سمع النبي ﷺ وقد تلا هذه الآية يقول: (**ألا إنَّ القوةَ الرَّمي**)[(٤٠٠)] وخص القوة بالرمى لأن معظم القوة وأنكاها للعدو الرمى[(٤٠١)].

والآية الكريمة على اختصارها جمعت أنواع الإعداد للجيوش التي تتلاءم مع كل عصر وزمن، وأيضاً من الاستعداد للحرب (رباط الخيل) يقول صاحب الكشاف: «الرباط اسم للخيل التي تربط في سبيل الله»[(٤٠٢)].

ثم ذكرت الآية سبب الإعداد وهدفه وهو إرهاب عدو الله وعدو المسلمين من الكفار، وإرهاب العدو الخفي الموالي لهؤلاء الأعداء، سواء أكان معلوماً لنا أم غير معلوم، بل الله يعلمهم، ولم يكن إعدادٌ ونصرٌ إلا بالمال ولا سبيل إليه إلاّ بالإنفاق كلٌّ على قدر طاقته وإن كان يسيراً ﴿يُوَفَّ

(٣٩٨) انظر [النشر (٢/٢٠٨)، الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر والكشف عن علل القراءات وتوجيهها: د. محمد سالم محيسن (٢/٢٦٩) دار الجيل - بيروت - ط١ - سنة ١٤١٧هـ - ١٩٩٧ م (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي الهادي)].

(٣٩٩) انظر [القاموس المحيط ص١١٨، المنجد ص٢٦٥].

(٤٠٠) انظر [المستدرك على الصحيحين (٢/٣٥٨) حديث رقم ٣٨٤، وقال عنه الحاكم: «هذا صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجه البخاري»].

(٤٠١) انظر [البحر المحيط (٤/٥١١)].

(٤٠٢) الكشاف (٢/١٦٥).

﴿إِلَيْكُمْ﴾ يؤدَّى بتمامه إليكم، جزاؤه في الآخرة فالحسنة بعشر أمثالها، والله يضاعف لمن يشاء، ولا يمكن أن تقوم أمة بهذا الإعداد الكامل، ثم تُظلم من جيرانها أبداً، وأنتم لا تظلمون كذلك في الآخرة بتضييع العمل أو نقص الثواب(٤٠٣).

رابعاً: العلاقة التفسيرية للقراءات:

قراءة (**تُرْهِبُونَ**) بتخفيف الهاء وتشديدها فلأن رهب يرهب رهبةً يعدى تارة بالهمز وتارة بالتشديد. فالتخفيف (**تُرْهِبُونَ**) من أرهب المزيدة بالهمزه والتشديد (**تُرَهِّبُونَ**) من رهّب المضاعف والمعنى واحد(٤٠٤) إلاَّ أنَّ التشديد فيه مبالغة، وتكرار للفعل فهو ترهيب بعد ترهيب تأكيد على فائدة الإرهاب من عدة أوجه:

١ ـ باشتداد الخوف قد يلتزمون بالجزية إن لم يدخلوا في الإسلام.

٢ ـ قد يتركوا الكفر في قلوبهم ويصيروا مخلصين في الإيمان.

٣ ـ يخافهم المنافقون فيتركوا الفساد والتفريق فيما بين المسلمين، ولا يعينون سائر الكفار.

٤ ـ يخاف المسلم كل من يعاديه، مسلماً كان أو كافراً(٤٠٥).

أيضاً الكفار إذا علموا بما أعددتم للحرب من القوة ورباط الخيل، خوَّفوا من يليهم من الكفار وأرهبوهم، إذ يُعْلِمونهم ما أنتم عليه من الإعداد للحرب، فيخافون منكم، وإذا كانوا قد أخافوا من يليهم منكم، فهم أشد خوفاً لكم(٤٠٦).

---

(٤٠٣) انظر [التفسير الواضح: د. محمد محمود حجازي (١٣/١ ـ ١٤) مطبعة الاستقلال الكبرى ـ القاهرة ـ ط٦ ـ ١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٩م (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي التفسير الواضح)، تفسير المراغي (٢٤/١٠ ـ ٢٦)].

(٤٠٤) انظر [معاني القراءات ص٢٠١].

(٤٠٥) انظر [مفاتيح الغيب (١٤٩/١٥)].

(٤٠٦) انظر [البحر المحيط (٥١٢/٤)].

٢٨ ـ ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٦١﴾ [الأنفال: ٦١].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ شعبه (أبو بكر) (**لِلسِّلْمِ**) بكسر السين.

٢ ـ وقرأ الباقون (**لِلسَّلْمِ**) بفتح السين[٤٠٧].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

السلم: مصدر سلم، سلامة وسلاماً، وقوم سِلْمٌ وسَلْمٌ أي: سالمون، الصلح، السلام، الإسلام[٤٠٨].

قال أبو عبيدة بن معمر بن المثنى، والأخفش (**السِّلْم**) بالكسر: الإسلام وبالفتح الصلح[٤٠٩] وقيل (**السِّلْم**) اسم بإزاء الحرب والإسلام الدخول في السِّلم بكسر السين وهو أن يَسْلم كل واحد منهما أن يناله من ألم صاحبه[٤١٠].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

بعدما أمر الله تعالى بإعداد العدة لإرهاب الأعداء والاستعداد التام للحرب، أمر هنا بالصلح القائم على العزة والكرامة فقال ما معناه: وإن مالوا إلى السلم ـ ميل القاصد إليه ـ وطلبوا عقد الهدنة والأمان، فأعطهم ما طلبوا، وتوكل على الله أي ثق به، وفوض الأمر إليه، والله سميع لما يقولون، عليم بما يفعلون[٤١١] وقد علَّق الزمخشري على هذه الآية قائلاً: «والصحيح أنَّ الأمر موقوف على ما يرى فيه الإمام صلاح الإسلام وأهله

---

(٤٠٧) انظر [النشر (٢/٢٠٨)].

(٤٠٨) انظر [القاموس المحيط ص١٤٤٨، منجد الطلاب ص٣٣٢ ـ ٣٣٣ مادة سلم].

(٤٠٩) انظر [معاني القرآن الأخفش (٥٤٨/٢)، مجاز القرآن (٢٥٠/١)].

(٤١٠) انظر [مفردات ألفاظ القرآن ص٤٢٣].

(٤١١) انظر [التفسير الواضح (١٥/١)].

من حرب أو سِلْم، وليس يحتم أن يقاتلوا أبداً أو يجابوا إلى الهدنة أبداً»[٤١٢].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قراءة الفتح (السَّلْم) وهو الصُّلح وهي لغة لأهل الحجاز[٤١٣] فيكون المعنى إن مالوا إلى الصلح فمل إليه، وتوكل على الله.

أمّا قراءة الكسر (السِّلْم) وهي لغة العرب، والسِّلم بمعنى الإسلام. فمن كسر الحجة له، أنه أراد الإسلام[٤١٤] ويكون المعنى: الدين الإسلامي هو دين السلام.

وما فرض الجهاد إلاّ دفاعاً عن النفس والعقيدة، فإذا ما طلب الأعداء السلام، فعليك يا محمد أن تكف عن قتالهم، حتى ولو كانوا كاذبين في دعواهم[٤١٥] ومنهم من قال: «أنهما لغتان في الصلح»[٤١٦].

خامساً: الجمع بين القراءتين:

بالجمع بين القراءتين، أرى أنَّ الصلح المراد به السَّلام، لأن الإسلام هو دين السلام، فيكون المعنى إن مالوا إلى الصلح، أو طلبوا السَّلام، فمِل لهم وتوكل على الله والله أعلم.

٢٩ ـ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَـٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [الأنفال: ٦٥].

(٤١٢) الكشاف (٢/١٦٦).
(٤١٣) انظر [معاني القرآن: الأخفش (٢/٥٤٨)].
(٤١٤) انظر [الحجة في القراءات السبع: ص٤٢].
(٤١٥) انظر [المستنير (١/٢١٨)].
(٤١٦) انظر [الكشف (١/٤٩٤)].

أولاً: القراءات:

١ ـ أ ـ قرأ الكوفيون (عاصم، وحمزة، والكسائي، وخلف)، والبصريان (أبو عمرو، ويعقوب) ﴿وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ﴾ بالياء على التذكرة.

ب ـ وقرأ الباقون (نافع، وابن كثير، وابن عامر، وأبو جعفر) (وإن تكن منكم مائة) بالتاء على التأنيث[٤١٧].

٢ ـ أ ـ قرأ أبو جعفر، ووقفاً حمزة **(ميتين)** بإبدال الهمز ياء.

ب ـ وقرأ الباقون **(مائتين)** بالهمز[٤١٨].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(المائة) أصلها مِئْيٌ، فحذفت لام الكلمة، وعَوّض عنها الهاء، والقياس عند البصريين ثلاث مئين، ليكون جبراً لما نقَص مثل عزِين وسنين.

والمائة بألف خطاً لا لفظاً تعني عشر عشرات وهي مفرد مئات ومئون، والمائة هي الثالثة من أصول الأعداد، وذلك أنَّ أصولها آحاد، عشرات، مئات، آلاف[٤١٩].

---

(٤١٧) انظر [النشر (٢٠٨/٢)، المبسوط في القراءات العشر: لأبي بكر أحمد بن الحسين بن مهران الأصبهاني (٢٩٥ ـ ٣٨١هـ) ص١٣٠ ـ دار الصحابة للتراث بطنطا ـ ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م ـ تحقيق وتعليق: جمال الدين محمد شرف (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي المبسوط)، تحبير التيسير في قراءات الأئمة العشرة: للإمام المحقق محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف الجزري ص١٣٠ ـ دار الصحابة للتراث بطنطا ـ تحقيق: أ. جمال الدين محمد شرف (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي تحبير التيسير)].

(٤١٨) انظر [النشر (٣٠٨/١)، غيث النفع ص١٢٥، فريدة الدهر (٧٥٢/٢)].

(٤١٩) انظر [مفردات ألفاظ القرآن ص٧٨٤، المصباح المنير ص٣٤٩، منجد الطلاب ص٧٠٩ مادة مأى].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ﴾ أي رغِّب المؤمنين، وخاصةً مَنْ شَهِد منهم بدراً، بسائر أسباب التحريض والترغيب، وذلك لإعلاء كلمة الله المأمور به ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَـٰبِرُونَ﴾ على القتال ﴿يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ﴾ من العدو ﴿وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ وذلك بسبب؛ أنهم قوم لا يفقهون حقيقة الدنيا، ويجهلون اليوم الآخر ولا يؤمنون به، ولا يثبتون عند اللقاء ثبات المؤمنين، بل قتالهم للحمية الجاهلية[٤٢٠].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

١ ـ من قرأ بالياء؛ فلأنه أريد منه المذكَّر، بدليل قوله تعالى: ﴿يَغْلِبُوا۟﴾، وكذلك المائة الصابرة هم رجال[٤٢١] فاعتمدوا على معنى المائة لا على لفظها ولأن الفاعل (مائة) مجازي التأنيث، وفصل بينه وبين الفعل فيجوز تذكير الفعل ويجوز تأنيثه[٤٢٢].

أما من قرأ بتاء التأنيث (تكن) فلتأنيث لفظ مائة[٤٢٣] وهذا نوعٌ من التلوين في الأسلوب، وهو نوعٌ من إعجاز القرآن.

٢ ـ تحقيق الهمز وتسهيله: عبارة عن لغات من لغات العرب، فتحقيق الهمز لغة تميم وقيس، أمّا التخفيف فلغة قريش وأكثر أهل الحجاز[٤٢٤] واستعمال الهمز للحالات الثقيلة النادرة[٤٢٥]. فيكون المعنى لمن قرأ بالهمز: أن العشرين الصابرين المؤمنين يغلبوا مائتين من الرجال الأقوياء الأشداء في

(٤٢٠) انظر [مجمع البيان (١٠/١٧٥)، التفسير الواضح (١/١٥ ـ ١٦)].
(٤٢١) انظر [زاد المسير (٢/٢٢٣)].
(٤٢٢) انظر [الكشف (١/٤٩٥)].
(٤٢٣) انظر [المستنير (١/٢١٨)].
(٤٢٤) راجع ص٣٩.
(٤٢٥) راجع ص٤٠.

أجسادهم، أيضاً نُدْرَة هذه الحالة دلَّت عليها هذه القراءة، أما قراءة التخفيف دلَّت على أنَّ المائتين من الرِّجال ضعافٌ لا وزن ولا ثقل لهم أمام المؤمنين، وذلك بسبب كفرهم.

خامساً: الجمع بين القراءتين:

أرى أنَّ كل قراءة قد أثرت في معنى الآية، فالفرد المؤمن الصابر يستطيع أن يقاتل بعشرة من الكفار الأقوياء في الجسد، ولكنهم ضِعافٌ أمام المؤمنين؛ لأنه لا حجة لهم ولا عقيدة.

٣٠ ـ ﴿ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الأنفال: ٦٦].

أولاً: القراءات:

١ ـ أ ـ قرأ عاصم، وحمزة، وخلف **(ضَعْفاً)** بفتح الضاد.

ب ـ وقرأ أبو جعفر **(ضُعَفَآءَ)** بفتح العين والمد والهمز مفتوحة.

ج ـ قرأ الباقون **(ضُعْفاً)** بضم الضاد، وإسكان العين، والفاء منوناً من غير مدٍ ولا همز(٤٢٦).

٢ ـ أ ـ قرأ الكوفيون (عاصم، حمزة، والكسائي، وخلف) ﴿فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ﴾ بالياء على التذكرة.

ب ـ وقرأ الباقون **(فإن تَكُن منكم مائة) بالتاء على التأنيث**(٤٢٧).

٣ ـ أ ـ قرأ ورش، وابن وردان بخلفه **(ألان)** بنقل حركة الهمزة إلى اللام مع حذف الهمزة الثانية.

ب ـ وقرأ الباقون **(ألْآن)** بالهمز وسكون اللام(٤٢٨).

---

(٤٢٦) انظر [النشر (٢/٢٠٨)، الهادي (٢/٢٧١)].

(٤٢٧) انظر [النشر (٢/٢٠٨)].

(٤٢٨) انظر [النشر (١/٣٢٢)، فريدة الدهر (١٠/٧٥٢)].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(الضَعف) بفتح الضاد في لغة تميم، وبضمها (ضُعف) في لغة قريش، خلاف القوة والصحة. والضَعف والضُعف لغتان فالمضموم مصدر: ضَعُف «بضم العين»، والمفتوح مصدر (ضعَف) «بفتح العين» ومنهم من يجعل المفتوح (ضَعف) في الرأي، والمضموم (ضُعف) في الجسد وهو ضعيف، والجمع ضعفاء وضعاف وضعف عن الشيء: أي عجز عن احتماله فهو ضعيف(٤٢٩).

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

الآية السابقة بيَّنت أنَّه ينبغي على المؤمن أن يقاتل بعشرة من الكفار، ولمَّا كان في ذلك مشقة على المسلمين من كثرة الجهاد والعمل، وعلم الله أنَّ فيهم ضعفاً في البدن أيضاً خفَّف الله عنهم، وجعل الفرد يقاتل باثنين، والله مع الصابرين بالمعونة والرعاية(٤٣٠).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءة الأولى:

ضَعفاً وضُعفاً لغتان كما ذكرنا سابقاً يقول الطبري: «وهما لغتان مشهورتان في كلام العرب فصيحتان بمعنى واحد، فبأيتهما قرأ القارىء، فهو مصيب الصواب»(٤٣١). أمّا مَنْ قال بأنَّ قراءة **(ضُعفاً)** بالضم أي: ضعف في الجسد فيكون المعنى: أنَّ الضعف الطارىء بعد عدم القوة البدنية على الحرب؛ لأنَّه قد صار فيهم الشيخ والعاجز نحوهما، وكانوا قبل ذلك طائفة منحصرة معلومة قوتهم وجلادتهم.

---

(٤٢٩) انظر [مفردات ألفاظ القرآن ص٥٠٦ ـ ٥٠٧، المصباح المنير ص٢١٦ مادة ضعف].

(٤٣٠) انظر [التفسير الواضح (١/١٦)].

(٤٣١) جامع البيان (١٠/٤٢).

أمّا قراءة (**ضَعفاً**) بالفتح أي: ضعف في الرأي والبصيرة، فيكون المعنى: أنَّ الضعف الطارىء ضعف البصيرة والاستقامة، وتفويض النصر إلى الله تعالى، إذ كان فيهم قوم حديثو عهد بالإسلام، ليس لهم ما للمتقدمين من ذلك.

خامساً: الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القرائتين يكون فيهم ضعفٌ في الجسد وفي البصيرة والله أعلم.

وأمّا قراءة (**ضُعفآءَ**) فهذا الجمع يفيد أنَّ: الكثرة هي سببٌ للضعف؛ لأنّ بها يضعف الاعتماد على الله تعالى والتوكل عليه سبحانه، ويقوى جانب الاعتماد على الكثرة كما في حُنين، فيكون المعنى: الآن خفَّف الله تعالى عنكم لمَّا ظهر متعلق علمه، أي: كثرتكم التي هي موجب ضعفكم، بعد ظهور قلتكم وقوتكم(٤٣٢).

القراءة الثانية:

من قرأ ﴿فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ﴾ بالياء على التذكير. فمن ذكَّر فلأن ﴿مِّاْئَةٌ﴾ وقعت على عدد مذكر، وأخرى وهي: أنَّه لمّا حجز بين الاسم والفعل بحاجز، ذكَّر الفعل لأنَّ الحاجز صار كالعِوَض عنه، ولأن تأنيث ﴿مِّاْئَةٌ﴾ مجازي فجاز التذكير(٤٣٣) ولتذكير الفعل ﴿يَغْلِبُوا۟﴾.

وأمّا من قرأ (**فَإِن تكُن منكم مائة صابرة**) بالتاء على التأنيث فلِتأنيث لفظ ﴿مِّاْئَةٌ﴾ ولأنها وصفت بصابرة(٤٣٤) وتذكير الفعل وتأنيثه من باب التلوين في الأسلوب، وهذا يدل على جمال أسلوب القرآن الكريم، وفي هذا إعجازٌ، حيث تنوَّع الأسلوب ولم يختلف المعنى.

---

(٤٣٢) انظر [روح المعاني (١٠/٢٢٧ ـ ٢٢٨)].

(٤٣٣) انظر [الحجة: ابن زنجلة ص٣١٣].

(٤٣٤) انظر [المرجع السابق ص٣١٣، روح المعاني (١٠/٢٢٨)].

والمعنى: خفَّف الله عن المسلمين لمَّا كان في قتال المسلم لعشرة من الكفار مشقة، فجعل الفرد يقاتل باثنين والله مع الصابرين.

القراءة الثالثة:

من قرأ (**ألْآن**) بالهمز فهو اسم للوقت أما من قرأ (**ألان**) فهو من اللين[٤٣٥]، فيكون المعنى على قراءة الهمز إن الله خفف عنكم في هذا الوقت، أما القراءة الأخرى فهي تُظهر الرحمة والرأفة من الله لهم وذلك بالتخفيف عنهم في القتال والله أعلم.

٣١ ـ ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾﴾ [الأنفال: ٦٧].

أولاً: القراءات:

١ ـ أ ـ قرأ البصريان (أبو عمرو، ويعقوب) وأبو جعفر (**أَن تكُونَ لَهُ**) بالتاء على التأنيث.

ب ـ وقرأ الباقون (**أَن يكُونَ لَهُ**) بالياء على التذكير.

٢ ـ أ ـ قرأ أبو جعفر (**لَهُ أُسَارَى**) بضم الهمزة وبألف بعد السين.

ب ـ وقرأ الباقون (**لَهُ أَسْرَى**) بفتح الهمزة وإسكان السين من غير ألف بعدها[٤٣٦].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

الأسر: الشد بالقدّ . . . وسمي الأسير بذلك، ثم قيل لكل مأخوذ ومقيد، وإن لم يكن مشدوداً ذلك، وقيل في جمعه: أَسارى وأُسارى،

(٤٣٥) انظر [لسان العرب (٤٢/١٣ ـ ٤٣)].

(٤٣٦) انظر [النشر (٢٠٨/٢)].

وأَسْرى[٤٣٧] وأَسَر قَتَبَهُ[٤٣٨] أي شده[٤٣٩] قال ابن منظور: «ومن قرأ أسارى وأُسارى فهو جمع الجمع، يقال أسير وأسرى ثم أسارى جمع الجمع»[٤٤٠].

ثالثاً: سبب نزول هذه الآية:

سبب نزول هذه الآية أنَّ النبي ﷺ استشار في الأسارى أبا بكر فقال: قومك وعشيرتك فخلِّ سبيلهم، فاستشار عمر فقال: اقتلهم قال: ففداهم رسول الله ﷺ فأنزل الله ﷻ: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ إلى قوله ﴿فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمۡتُمۡ حَلَٰلٗا طَيِّبٗاۚ﴾ [الأنفال: ٦٧ ـ ٦٩] قال: فلقي النبي ﷺ عمر قال: (كاد أن يصيبنا في خلافك بلاء)[٤٤١].

رابعاً: التفسير الإجمالي للآية:

﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ﴾ أي ما صح وما استقام لنبي أن يكون له أسرى ويقبل الفداء فيهم إلا بعد أن ﴿يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ أي يبالغ ويغالب في قتل الأعداء، أو حتى يتمكن في الأرض[٤٤٢] وذلك؛ ليوقع الرعب في قلوبهم، حتى يمتنعوا عن التعرض للمسلمين بالقتل والإيذاء. ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا﴾ أي أتريدون أيها المؤمنون متاع وطمع الدنيا[٤٤٣] وحطامها الزائل بأخذكم الفداء؟ والله يريد لكم ثواب الآخرة، بقهركم المشركين

---

(٤٣٧) انظر [مفردات ألفاظ القرآن ص٧٦].

(٤٣٨) القتب إكاف البعير وإكاف البعير أي بردعته انظر [لسان العرب (٧٧٥/١) مادة قتب، القاموس المحيط ص١٠٢٤، ص١٥٧]

(٤٣٩) انظر [لسان العرب (١٩/٤) مادة اسر].

(٤٤٠) لسان العرب (١٩/٤).

(٤٤١) انظر [المستدرك على الصحيحين ـ ٢٧ ك التفسير ـ ٨ تفسير سورة الأنفال (٣٥٩/٢) حديث رقم ٣٢٧٠/٣٨٧ وعلق عليه النيسابوري: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه» والحديث برواية ابن عمر ﵄].

(٤٤٢) انظر [مجاز القرآن (٢٥٠/١)، معاني القرآن: الزجاج (٤٢٥/٢)].

(٤٤٣) انظر [مجاز القرآن (٢٥٠/١)].

ونصركم دين الله ـ ﷻ ـ، ولله العزة ولرسوله والمؤمنين، والله حكيم في كل أفعاله(٤٤٤).

خامساً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

١ ـ قرأ «أبو عمرو، وأبو جعفر، ويعقوب» **(تكون)** بتاء التأنيث، وذلك لتأنيث لفظ (الأسرى) بألف التأنيث المقصورة أي مراعاة لمعنى جماعة الأسرى.

ـ وقرأ الباقون **(يكون)** بياء التذكير مراعاة لمفرد الأسرى، وهو أسير أي حملاً على تذكير معنى (الأسرى) لأن المراد به «الرجال»، ولأنَّ الفعل المتقدم، قد وقع الفصل بين الفعل والفاعل وكلٌّ واحدة من هذه الثلاثة، إذا انفرد أوجب تذكير الفعل. . .، فإذا اجتمعت هذه الأشياء كان التذكير أولى(٤٤٥).

٢ ـ قرأ أبو جعفر **(أُسَارى)** بإثبات الألف وضم الهمز، وهو على وزن فُعالى وشبَّهَهُ بكُسالى، وذلك أنَّ الكسل أمر يدخل على الإنسان بغير شهوته، كذلك الأسر يدخل عليه بغير شهوته، فلمَّا اتفقا في المعنى امتزجا في الجمع، فجُمع كسلان على كُسالى وجُمع أسير على أُسارى(٤٤٦) ونقل الأزهري(٤٤٧) قول أبي عمرو أنه قال: «يقال لهم **(أُسارَى)** إذا شدّوا بالقِدِّ، وأما الأسرى فهم الذين أُخذوا ولم يُشَدُّوا بِقِد(٤٤٨)»(٤٤٩) وقال أيضاً: «إذا

(٤٤٤) انظر [التفسير الواضح (١/١٧)].

(٤٤٥) انظر [الدر المصون (٥/٦٣٧)، المستنير (١/٢٢٠)، مفاتيح الغيب (١٥/١٥٧)، الهادي (٢/٢٧١)].

(٤٤٦) انظر [الكشف (١/٤٩٦)].

(٤٤٧) هو العلامة اللغوي الأديب أبو منصور، محمد بن أحمد بن الأزهر بن طلحة نسبته إلى جده الأزهر، ولد في سنة اثنتين وثمانين ومائتين وتوفي في سنة سبعين وثلاثمائة انظر [ترجمته في مقدمة كتابه معاني القراءات ص٤ ـ ٧، الأعلام (٥/٣١١)].

(٤٤٨) القدّ: حديدة يقتد بها أو جلد السخلة انظر [المصباح المنير ص٢٩٣، المنجد ص٥٧٥ مادة قد].

(٤٤٩) معاني القراءات ص٢٠٣.

كان عند القتال، فأَسَرَ القوم عدوهم فهم الأسرى، فإذا ذهبت زحمة القتال فصاروا في أيديهم، فهم الأسارى»[٤٥٠]. وذكر الزَّجاج أنَّ أسارى جمع الجمع[٤٥١] فيكون التفسير على هذا المعنى: ما كان لنبي أن يحبس كافراً ويأسره ويشدّه بالقيد، بعد زحمة القتال قبل الإثخان في الأرض، أي قبل إعزاز الإسلام وإذلال الكفر.

ـ وقرأ الباقون (أَسرى) بطرح الألف وفتح الهمز وحجته أنه أراد جمع أسير[٤٥٢] وأسير جمعها أسرى على وزن قتيل قتلى، جريح جرحى، فلأنها كلها على وزن فعيل وأشبهتها في اللفظ، أيضاً أشبهتها في المعنى؛ لأنها كلها عِلل ابتُلوا بها وهم كارهون[٤٥٣] وبالرجوع إلى أقوال أبي عمرو السابقة، يكون تفسير الآية: ما كان لنبي أن يأسِر الكفار أثناء القتال، حتى يثخن في الأرض ويتمكن الإسلام فيها.

سادساً: الجمع بين القراءتين:

أرى من خلال القراءتين: أنَّ المسلمين قد أَسَروا من الكفار أثناء القتال وبعده فمنهم من قيدوه بسلاسل من حديد، ومنهم من لم يُقيد، وجمع الجمع (أُسارى) أيضاً فيها نوعٌ من المبالغة في الأسر، فأرى في ذلك: أنَّ المسلمين قد أسروا عدداً كبيراً من الأسرى، والدليل على ذلك ما رواه مسلم في صحيحه عن ابن عباس من قتل المسلمين سبعين من الكفار وأسر سبعين[٤٥٤] والله أعلم.

٣٢ ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٧٠﴾ [الأنفال: ٧٠].

---

(٤٥٠) الحجة: ابن زنجلة ص٣١٤.
(٤٥١) انظر [معاني القرآن: للزجاج (٢/٤٢٤ ـ ٤٢٥)].
(٤٥٢) انظر [الحجة: ابن خالويه ص٩٦].
(٤٥٣) انظر [الكشف (١/٤٩٦)].
(٤٥٤) سبق ذكر وتخريج هذه الرواية راجع ص٢٤.

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ أبو عمرو، وأبو جعفر **(مِنَ الأُسَارَى)** بضم الهمز وبألف بعد السين.

٢ ـ وقرأ الباقون **(مِنَ الأَسْرَى)** بفتح الهمزة وإسكان السين من غير ألف بعدها(٤٥٥).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

تقدم ذكره فيما سبق(٤٥٦).

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

أنزل الله هذه الآية استمالة للأسرى، وترغيباً لهم في الدخول بالإسلام، وذلك بعدما أخذ الرسول ﷺ الفداء من الأسرى، وشق عليهم أخذ أموالهم، فبيّن لهم الله من خيري الدنيا والآخرة قائلاً: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم﴾ أي لمن في مُلككم من الأسرى الذين أخذتم منهم الفداء، إن يعلم الله في قلوبكم إخلاصاً وحسن نية وصدقاً وإيماناً ﴿يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ﴾ يعني يعطيكم في الدنيا أفضل مما أخذ منكم من الفداء ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ الله غفور، لمَّا كان منكم من الشرك، رحيم بكم في الإسلام، فهو غفور رحيم لمن آمن وتاب، والظاهر أنَّ الآية عامة لسائر الأسرى(٤٥٧).

---

(٤٥٥) انظر [النشر (٢٠٨/٢)، البحر المحيط (٥٢١/٤)].

(٤٥٦) راجع ص١١٤.

(٤٥٧) انظر [تفسير السمرقندي المسمّى بحر العلوم: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت٣٧٥هـ) (٢٧/٢ ـ ٨) دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ ـ ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م ـ تحقيق علي محمد مَعّوض، عادل أحمد عبد الموجود، د. زكريا عبد المجيد النُوتي (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي تفسير السمرقندي)، المقتطف من عيون التفاسير (٣٥٦/٢ ـ ٣٥٧)، تفسير المراغي (٣٨/١٠)، التفسير الواضح (١٨/١)].

رابعاً: العلاقة التفسيرية للقراءات:

قال أبو عمرو: «ما كان في الأيدي وفي السجن فإنها أسارى، وما لم يكن في الأيدى ولا في السجن فقل ما شئت، أسرى وأُسارى»(٤٥٨).

وأيضاً ذكرت في المثال السابق أن أسارى جمع الجمع(٤٥٩) فهي تفيد المبالغة وعلى هذا يكون تفسير الآية على من قرأ (الأُسارى) بضم الهمزة وألف بعد السين: يا أيها النبي: قل لمن في أيديكم من الأسرى المسجونين عندكم الذين لم يُفادوكم، أنَّ الله يحكم لكم بإسقاط الفداء عنكم، ويأمر المسلمين بتركه وإطلاقكم مجاناً، وذلك بما يعلم في قلوبكم من خير وإيمان كنتم تكتمونه(٤٦٠).

أما من قرأ (الأَسْرَى) بفتح الهمزة وإسكان السين من غير ألف بعدها يكون تفسير الآية: يا أيُّها النبيُّ قل لمن في مِلككم من الأسرى الذين أخذتم منهم الفداء، إن يعلم الله منكم إخلاصاً وحسن نية، يؤتكم ويعوضكم خيراً ممّا أُخذ منكم في الفداء، ويغفر لكم.

خامساً: الجمع بين القراءتين:

يتبين لنا أن الأسرى من المشركين (أسرى بدر)

أولاً: عددهم كان كثيراً، وهذا الفهم دلَّت عليه قراءة (أُسارى) جمع الجمع.

ثانياً: أنَّ الأسرى منهم، من دفع الفداء عن نفسه وعن غيره.

٣٣ ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمِۢ

(٤٥٨) الحجة: ابن زنجلة ص٣١٤.

(٤٥٩) راجع ص١١٤، وانظر [تفسير السمرقندي (٢/٢٧)].

(٤٦٠) انظر [نظم الدرر (٣/٢٤٦)].

بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾﴾ [الأنفال: ٧٢].

أولاً: القراءات:

١ - قرأ حمزة (**من وِلاَيَتِهِم**) بكسر الواو.

٢ - وقرأ الباقون (**من وَلاَيَتِهِم**) بفتح الواو(٤٦١).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

وَلِيَ، يَلِي وِلايةً ووَلايةً، والوَلاية والوِلاية بمعنى البلاد التي يتسلط عليها الوالي وبمعنى القرابة، وأيضاً الوَلاية بالفتح والكسر النصرة، وقال سيبويه:

«الوَلاية بالفتح: المصدر، والوِلاية بالكسر: الاسم، مثل الإمارة والنقابة».

والولاية، مصدر وليه يليه أي قام به ومَلك أمْرهُ. والولي، النصير والمعين أو: ابن العم والنسيب(٤٦٢).

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

ذكر الله تعالى أصناف المؤمنين في هذه الآية وقسَّمهم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: المهاجرين الذين خرجوا من ديارهم وأموالهم، وجاءوا لِنصرِ الله ورسوله وإقامة دينه، وبذلوا أموالهم وأنفسهم في ذلك.

القسم الثاني: الأنصار الذي آوَوْا الرسول ﷺ، ومَنْ هاجر من أصحابه في منازلهم وواسوهم في أموالهم وقاتلوا مع الرسول ﷺ فهؤلاء ﴿بَعْضُهُمْ

(٤٦١) انظر [النشر (٢/٢٠٨)].

(٤٦٢) انظر [مفردات ألفاظ القرآن ص٨٨٥، لسان العرب (١٥/٤٠٧) مادة ولى، المصباح المنير ص٤٠٠، المنجد ص٩٤١، الجوهر المصون في رواية قالون ص١٠٧].

﴿أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ في النصرة والإرث، ولهذا آخى الرسول ﷺ بين المهاجرين والأنصار.

أما القسم الثالث: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلَـٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ﴾ أي هؤلاء ليس لكم ولاية عليهم، وليس بينكم توارث، وإن كانوا ذوي قربى حتى يهاجروا، ولكن إن استنصركم الذين آمنوا، ولكنهم لم يهاجروا في قتال ديني على عدو لهم فانصروهم، إلاّ أن يستنصروكم على قوم من الكفار بينكم وبينهم معاهدة وميثاق، فلا تنصروهم وتنقضوا أيمانكم مع الذين عاهدتم؛ لأن الميثاق مانعٌ من ذلك ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾، تحذير عن تعدي حد الشرع(٤٦٣).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قرأ حمزة (**مِّن وِلاَيَتِهِم**) بكسر الواو وحجة من كسر: أنّه جعله من «وليت الشيء» إذا توليته ولايةً فأراد ولاية الإمرة(٤٦٤).

وذكر الأخفش: «أنَّ الولاية بكسر الواو في السلطان»(٤٦٥).

ووِلاَيَتِهِم بالكسر مصدر الوالي، لأن ولاية الوالي كالصناعة كما يقال: الإمارة، والصِّرَافة، والنِّقَابة، فكلُ ما كان من جنس الصناعة فهو مكسور، ومن العرب من يجيز الوِلاية بالكسر في التناصر؛ لأنَّ في تولي القوم بعضهم بعضاً، ضرباً من الصناعة، فكأنه بتوليه صاحبه، يزاول أمراً ويباشر عملاً، ولأن الولاية تحتاج إلى تدرب فشبهت بالصناعة(٤٦٦).

---

(٤٦٣) انظر [تفسير القرآن العظيم (٢/٣٢٨ ـ ٣٢٩)، مدارك التنزيل (٢/٤١٣ ـ ٤١٤)، التفسير الواضح (١/٢٠)].

(٤٦٤) انظر [الحجة: ابن خالويه ص٩٦، الكشف (١/٤٩٧)].

(٤٦٥) انظر [معاني االقرآن: الأخفش (٢/٥٤٩)].

(٤٦٦) انظر [معاني القراءات ص٢٠٣، الكشاف (٢/١٧٠)].

وعلى هذا تكون ولاية المؤمن للمؤمن المؤازرة والمعاونة واتصال الأيدي، ومن ذهب إلى هذا المعنى، فإنما يحمل نفي الله تعالى ولايتهم عن المسلمين في قوله تعالى: ﴿مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيۡءٍ حَتَّىٰ﴾ على أنها صفة الحال لا أنَّ الله حكم بأنْ لا ولاية بين المهاجرين وبينهم جملة، وذلك أنَّ حالهم إذا كانوا متباعدي الأقطار، يقتضي أنَّ بعضهم إن حَزَبَه حازبٌ، لا يجد الآخر ولا ينتفع به، فعلى هذه الجهة نفي الولاية[٤٦٧].

أيضاً قال الفراء[٤٦٨]: «(ما لكم من وِلاَيَتِهِم) يريد من ميراثهم، وكسر الواو في الولاية أعجب إليّ من فتحها؛ لأنها إنما يفتح أكثر من ذلك إذا كان في معنى (نصرة) قال: فكان الكسائي يفتحها ويذهب بها إلى النُّصرة، ولا أراه علم التفسير، ويختارون في (وِليته وِلاية) الكسر».

وكذلك سائر المفسِّرين تأوَّلوا الآية على أنها الميراث، وهو إنمّا يقال له: وِلاية وليس وَلاية، وجمع السُّيوطي رواياتٍ كثيرة في «الدر المنثور» تفيد أنَّ هذه الآية نزلت في توارث المسلمين بالهجرة، فكان لا يرث الأعرابيُ المسلمُ من المهاجر المسلم شيئاً حتى نُسِخ بقوله تعالى:

﴿وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ﴾ [الأنفال: ٧٥] ورُدّت المواريث إلى القرابات[٤٦٩] وأيضاً أخرج البخاري روايةً عن ابن عباس رضي الله عنه ﴿وَلِكُلّٖ جَعَلۡنَا مَوَٰلِيَ﴾ [النساء: ٣٣] قال: ورثة ﴿وَٱلَّذِينَ عَقَدَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ﴾ [النساء: ٣٣] كان المهاجرون؛ لما قدموا المدينة، يرث المهاجرُ الأنصاريَّ دون ذوي رحِمِه للأخوّة التي آخى النبي ﷺ بينهم، فلما نزلت: ﴿وَلِكُلّٖ جَعَلۡنَا مَوَٰلِيَ﴾ نُسخت ثم قال: ﴿وَٱلَّذِينَ عَقَدَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ﴾ من النصر

(٤٦٧) المحرر الوجيز (٢/٥٥٦).

(٤٦٨) معاني القرآن: الفراء (١/٤١٨).

(٤٦٩) انظر [الدر المنثور (٤/١١٧ ـ ١١٨)].

والرفادة[470] والنصيحة وقد ذهب الميراث ويوصِي له[471]. ويكون تفسير الآية على أنَّ المقصود من الوِلاية الميراث، حيث إنَّه كان الذي آمن ولم يهاجر لا يرث من أجل أنَّه لم يهاجر ولم ينصر، فبرأ الله المؤمنين المهاجرين من ميراثهم، بسبب عدم الهجرة. ومعنى الآية: أنَّها حكم من الله ينفي الولاية في الموارثة لمن لم يهاجر[472]. أماّ القراءة بالفتح فأنَّ الغالب ورودها بمعنى النصّرة وكان الكسائي يفتحها، ويذهب بها إلى النصرة[473].

ونقل القرطبي نقلاً غير معزو لأحد: «أنه ليس في الآية نسخ، إنما هي بمعنى النصر والمعونة»[474]. واختار أبو بكر الأصم[475] أنَّ الآية محكمة غير منسوخة، وأن المراد بالولاية النصَرة والمظاهرة[476].

والعرب تقول: (نحن لكم على بني فلان وَلاية) أي أنصار[477] وعلى هذا المعنى (النُصره) يكون تفسير الآية.

لا تنصروا ولا تناسبوا الذين آمنوا ولم يهاجروا؛ إلاّ إذا استنصروكم

(٤٧٠) الرفادة: شيء كانت قريش تترافد به في الجاهلية، فيخرج كل إنسان مالاً بقدر طاقته، فيجمعون من ذلك مالاً عظيماً أيام الموسم، يشترون للحج الطعام والزبيب للنبيذ، فلا يزالون يطعمون الناس؛ حتى تنقضى ايام موسم الحج انظر [لسان العرب (١٨١/٣)، النهاية في غريب الحديث ص٣٦٦ ـ ٣٦٧].

(٤٧١) انظر [فتح الباري (٢٤٧/٨)، ٦٥ كتاب التفسير، ٧ باب (ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والأقربون الذين عاقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم، إن الله كان على كل شيء شهيداً) الآية].

(٤٧٢) انظر [جامع البيان (٥٢/١٠)].

(٤٧٣) انظر [معاني القرآن: الكسائي ص١٥٤].

(٤٧٤) الجامع لأحكام القرآن (٤١١/٤).

(٤٧٥) هو شيخ المعتزلة، كان ديّناً وقوراً مات سنة إحدى ومائتين، وله تفسير وكتاب خط القرآن، والرد على الملحدة انظر [سير أعلام النبلاء (٤٠٢/٩)، تهذيب سير أعلام النبلاء (٣٣٥/١ ـ ٣٣٦)].

(٤٧٦) انظر [التفسير المنير: (٨٢/١٠)].

(٤٧٧) انظر [الحجة: ابن زنجلة ص٣١٤].

على قوم من الكفرة، فواجب عليكم نصرهم؛ ولكن إن استنصروكم في الدين على قوم كفّار قد عاهدتموهم أنتم وواثقتموهم على ترك الحرب، فلا تنصروهم عليهم؛ لأنَّ ذلك عذر ونقض للميثاق، وترك لحفظ العهد والوفاء به[٤٧٨].

خامساً: الجمع بين القراءتين:

بالجمع بين القراءتين نفهم: أنَّ الآية نَفَت عن المسلمين وجوب النصرة لمن آمن ولم يهاجر، ونَفَت عنهم أيضاً حق الإرث فيهم، فكأنما قالت: ما لهم عليكم نصرة، وما لكم فيهم من ميراث وهذان الحكمان لا يؤخذان من قراءة واحدة بل من القراءتين.

قراءة الجمهور أُحكمت (وَلايتهم) بالفتح في حين أنَّ قراءة حمزة (وِلايتهم) بالكسر نسخ حكمها بعد أن عمل بها المسلمون زمناً، حين أنزل الله توريث ذوي الأرحام[٤٧٩]. فقراءة الكسر التي تعني الميراث أنه باقٍ تلاوة منسوخ حكماً وقراءة الفتح التي تعني النُصرة باقٍ تلاوة وحكماً.

وهذا القول بأن الوِلاية بالكسر محمولة على الميراث، وهو الذي دلّ عليه السّياق، واختاره جماهير المفسرين والنحاة.

٣ ـ أظهرت ثمرة الخلاف بين القراءتين: أنَّ الله ﷻ أسقط عن المسلم الذي لم يهاجر حق النصرة، وحق الميراث، فمن جزم أنَّ الكسر يدل على الميراث وجَبَهُ قَبُول الفتح أيضاً، دليلاً على النصرة وذلك لثبوت التواتر.

وأمّا من جعلهما لغتين بمعنى واحد[٤٨٠] فإنَّ هذا يجعل الخلاف هنا بلا ثمرة.

(٤٧٨) انظر [المحرر الوجيز (٥٥٦/٢)].

(٤٧٩) انظر [فتح الباري (٢٤٦/٨ ـ ٢٤٩)].

(٤٨٠) انظر [روح المعانى (٢٣٣/١٠)].

٤ ـ ألزمت ثمرة الخلاف بين القراءتين الكسائي بقبول دِلالة الآية على نفي التوارث، لأنه كان يجزم بالنصب على معنى النُّصرة، فلأنَّه ثبت التواتر في قراءة الكسر وجب إلزامه بها أيضاً(٤٨١).

ومما سبق أجد أنَّ: الله سبحانه وتعالى حجب الولاية عن الذين آمنوا ولم يهاجروا إلى دولة الإسلام بكل أنواع الولاية سواء بالميراث أو بالنصرة والمؤازرة، وهذا الحكم منطقي مع طبيعة هذا الدين، فهؤلاء الأفراد ليسوا أعضاء في المجتمع المسلم؛ لذلك لا تكون بينهم وبينه ولاية ولكن هناك رابطة العقيدة.

وهذه لا ترتب وحدها تبعاتٍ على المجتمع المسلم تجاه هؤلاء الأفراد، اللهم إلا أن يُعتدى عليهم في دينهم، فعلى المسلمين أن ينصروهم إذا استنصروهم، وذلك حتى لا يفتنوا عن عقيدتهم، شرط ألا يخلَّ هذا بعهد من عهود المسلمين مع معسكر آخر(٤٨٢) والقراءتان تفيد حض المؤمنين إلى الهجرة.

---

(٤٨١) انظر [القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني والأحكام الشرعية: د. محمد الحبش ص٣٣٦ ـ ٣٣٩، ص٣٤٣ ـ ٣٤٥، دار الفكر المعاصر بيروت ـ لبنان ـ ط١ ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني)].

(٤٨٢) انظر [الظلال (١٠/١٥٥٩)].

الفصل الثاني
تفسير سورة التوبة من خلال القراءات القرآنية العشر

المبحث الأول
بين يدي السورة

سورة التوبة سورة مدنية نزلت في العام التاسع للهجرة عام غزوة تبوك، عدد آياتها مائة وتسع وعشرون آية كوفي، ومائة وثلاثون في عدّ أهل المدينة ومكة والشام والبصرة ولها عدة أسماء، وقد كشف الله سبحانه وتعالى في هذه السورة أسرار المنافقين(٤٨٣).

نوع السورة:

هي مدنية بالاتفاق(٤٨٤) قاله صاحب الإتقان(٤٨٥): واستثنى بعضهم قوله: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ الْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾﴾ [التوبة: ١١٣].

ففي صحيح البخاري أنَّ أبا طالب لمّا حضرته الوفاة دخل عليه النبي ﷺ وعنده أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية فقال رسول الله ﷺ: (يا عمّ قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله) فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب، أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فقال النبي ﷺ: لأستغفرنَّ لك ما لم أُنهَ عنك، فنزلت ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ

(٤٨٣) انظر [مدارك التنزيل (٢/٤١٥)، فتح القدير (٢/٤١٥)، والتحرير والتنوير (١٠/٩٨)].
(٤٨٤) انظر [المراجع السابقة، في رحاب التفسير (١٠/١٥١٠)].
(٤٨٥) انظر [الإتقان (١/٤٤)].

ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١١٣﴾﴾ [التوبة: ١١٣][486]

وترتيب سورة التوبة حسب الرسم العثماني هي السورة التاسعة وتاريخ نزولها بعد سورة المائدة[487].

وهي من أواخر ما نزل من القرآن، ففي صحيح البخاري، عن زيد بن ثابت قال: «آخر سورة نزلت سورة براءة»، كذا ترجمها البخاري في صحيحه، كتاب التفسير[488].

وفي المستدرك: عن أُبيٍّ بن كعب قال: «آخر آية نزلت: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢٨﴾ ...﴾ [التوبة: ١٢٨ ـ ١٢٩] إلى آخر السورة[489]. وترجم لها الترمذي في كتابه باسم التوبة[490]. والتوبة وبراءة هما الاسمان المشهوران في المصاحف.

وقد اختلف العلماء في سبب سقوط البسملة من أولها على أقوال:

الأول: أخرج الحاكم وصحّحه عن ابن عباس قال: قلت لعثمان بن عفان: ما حملكم على أن عمدتم إلى الأنفال وهي في المثاني، وإلى براءة وهي من المئين فقرنتم بينهما، ولم تكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم،

(٤٨٦) انظر [البخاري (٤٦٧٥) في فتح الباري (٣١٤/٨) ـ ٦٥ كتاب التفسير ـ ١٦ باب ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ﴾].

(٤٨٧) انظر [تاريخ القرآن: أبو عبد الله الزنجاني، قدّم له: الأستاذ أحمد أمين، من مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت ـ لبنان ـ ط٣، ١٣٨٨هـ، ١٩٦٩م].

(٤٨٨) أخرجه البخاري رقم (٤٦٥٤) في فتح الباري (٣١٦/٨) ـ ٦٥ كتاب التفسير، باب ﴿بَرَآءَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾.

(٤٨٩) المستدرك: كتاب التفسير، باب تفسير سورة التوبة (٣٦٨/٢) حديث (٣٢٩٦/٤١٣)، وعلق عليه الحاكم: «صحيح على شرط الشيخين» ولم يخرجاه.

(٤٩٠) انظر [صحيح سنن الترمذي (٥٤/٣) صححه محمد ناصر الألباني ـ الناشر مكتبة التربية العربي لدول الخليج ـ الرياض ـ أشرف على طباعته زهير الشاويش ط١ ـ ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م].

ووضعتموها في السبع الطوال فما حملكم على ذلك؟ فقال عثمان: كان رسول الله ﷺ مما يأتي عليه الزمان وهو ينزل عليه من السور ذوات العدد قال: وكان إذا أُنزل عليه الشيء دعا بعض من يكتب له فيقول: (ضعوا هذه في السورة التي فيها كذا وكذا)، وكانت الأنفال من أوائل ما نزلت بالمدينة، وكانت براءة من آخر القرآن، وكانت قصتها شبيهة بقصتها فظننت أنها منها، فقُبض رسول الله ﷺ ولم يُبيِّن لنا أنَّها منها، فلم أكتب بينهما سطر «بسم الله الرحمن الرحيم»(٤٩١).

وهذا الحديث ضعيف ضعفه الألباني(٤٩٢)، وناقش هذا الحديث د. فضل حسن عباس وعلق في نهاية مناقشته له «أنَّ من غير المعقول أن يظل القرآن غير مرتب حتى يأتي عثمان رضي الله عنه»(٤٩٣).

الثاني: وأخرج أيضاً عن ابن عباس قال: سمعت أبي يقول: سألت علي بن أبي طالب رضي الله عنه: لِمَ لم تكتب في براءة «بسم الله الرحمن الرحيم»؟ قال: لأن باسم الله أمان وبراءة نزلت بالسيف وليس فيها أمان(٤٩٤).

وقد ناقش هذا القول الشيخ الشعراوي في تفسيره وردّه(٤٩٥).

ومع هذه الآراء السابقة أميل لما ذُكر في التفسير الواضح من أنَّ البسملة آية فذة من القرآن، أُنزلت للفصل والتبرك بها، وأنه لا دخل لأحد بالمرة في إثباتها أو تركها وإنما هذا كله توقيف ووحي، ولا يُعقل أن يَتْرك ذلك النبي ﷺ ولا يصح أن يتشكك مسلم في هذا أبداً، ولا شك في عدم

---

(٤٩١) انظر [المستدرك: كتاب التفسير باب تفسير سورة التوبة حديث رقم (٣٢٧٢/٣٨٩)، (٣٦٠/٢)]، وعلق عليه الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد»، ولم يخرجاه.

(٤٩٢) انظر [صحيح سنن الترمذي (٦٩١/٢) ـ ١٤ كتاب التفسير ـ ١٠ باب من سورة التوبة، حديث رقم (٣٠٨٦)، وقال الألباني عنه ضعيف].

(٤٩٣) إتقان البرهان: فضل حسن عباس (٤٦١/١).

(٤٩٤) انظر [المستدرك (٣٦١/٢)، حديث رقم (٣٢٧٣/٣٩٠)، ولم يعلق عليه الحاكم].

(٤٩٥) انظر [تفسير الشعراوي (٤٨٣٢/٨ ـ ٤٨٣٣)].

نزول البسملة ها هنا بالإجماع[٤٩٦].

أسماء السورة:

ذكر علماء التفسير عدة أسماء لسورة التوبة وهي:

١ ـ **سورة التوبة**: لقوله فيها: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [التوبة: ١١٧، ١١٨][٤٩٧].

٢ ـ **الفاضحة**: أخرج البخاري عن سعيد بن جبير[٤٩٨] قال: قلت لابن عباس: سورة التوبة؟ قال: التوبة، بل هي الفاضحة، ما زالت تنزل: ومنهم، ومنهم .. حتى ظنّنا ألاّ يبقى أحد منا إلا ذُكر فيها[٤٩٩].

٣ ـ **العذاب**: أخرج الحاكم في المستدرك عن حذيفة قال: تُسمّونها سورة التوبة، وهي سورة العذاب[٥٠٠]. لأنها تكشف ما في الصدور وأعطت لكل عدو للإسلام جزاء.

(٤٩٦) انظر [التفسير الواضح (٢٢/١٠)].

(٤٩٧) انظر [الإتقان (١٧٢/١)].

(٤٩٨) هو سعيد بن جبير بن هشام، الإمام الحافظ المقرئ المفسّر الشهيد، أبو محمد الأسدي مولاهم الكوفي أبو عبد الله، روى عن ابن عباس كثيراً، وعن عائشة، وكثير من الصحابة، وأيضاً عن التابعين مثل أبي عبد الرحمن السّلمي، وهو من كبار العلماء انظر [سير أعلام النبلاء (٣٢١/٤ ـ ٣٤٢) ترجمة رقم ١١٦].

(٤٩٩) أخرجه البخاري في صحيحه عن ابن عباس حديث رقم (٤٨٨٢) ـ ٦٥ كتاب التفسير ـ ٥٩ باب تفسير سورة الحشر ـ ص١٠٣٤.

(٥٠٠) انظر [المستدرك (٢٧) كتاب التفسير، ٩ ـ باب تفسير سورة التوبة (٣٦١/٢) حديث رقم (٣٢٧٤/٣٩١)]، وعلق عليه الحاكم قائلاً: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه».

٤ ـ **المقشقشة**: لكونها تقشقش من النفاق: أي تبرئ منه.

٥ ـ **المنقّرة**: لكونها نقّرت عما في قلوب المشركين.

٦ ـ **البَحوث**: بفتح الباء وسمّيت بذلك لأنها تبحث عن أسرار المنافقين.

أخرج الحاكم عن المقداد أنه قيل له: لو قعدت العام عن الغزو! قال: أتت علينا البَحوث يعني براءة . . . الحديث[٥٠١].

٧ ـ **الحافرة**: لكونها حفرت عن قلوب المنافقين.

٨ ـ **المثيرة**: لكونها تثير أسرار المنافقين وتظهر ما خفي عن العيون.

٩ ـ **المبعثرة**: لكونها بعثرت أسرار المنافقين.

١٠ ـ **المخزية**: لكونها أخزت المنافقين.

١١ ـ **المنكّلة**: لما فيها من التنكيل لهم.

١٢ ـ **المدمدمة**: لأنها تدمدم عليهم؛ ولأنها أوضحت العقاب لكل مجرم.

١٣ ـ **المشردة**[٥٠٢]: لأنها تشردهم.

وكثرة أسمائها الواردة، دليل على أنها سورة مستقلة، ليست جزءاً مما قبلها[٥٠٣].

تاريخ نزول سورة التوبة:

سورة براءة من آخر ما نزل من القرآن، نزلت في السنة التاسعة من الهجرة، وهي السنة التي حدثت فيها غزوة تبوك، وهي آخر غزواته ﷺ،

---

(٥٠١) انظر [المستدرك: كتاب التفسير، باب تفسير سورة التوبة (٣٦٣/٢) حديث رقم (٣٩٩/٣٢٨٢)]، وعلق عليه: «هذا حديث صحيح الإسناد» ولم يخرجاه.

(٥٠٢) انظر [الإتقان (١٧٢/١ ـ ١٧٣)، فتح القدير: (٤١٥/٢)، تفسير الشعراوي ص ٤٨٥٧].

(٥٠٣) انظر [التفسير الواضح (٢٢/١)].

خرج فيها لغزو الروم، وقت الحر الشديد، زمن العسرة، حين طابت الثمار، فكانت ابتلاء لإيمان المؤمنين، وافتضاحاً لنفاق المنافقين(٥٠٤).

وقد أخبر أبو هريرة أن النبي ﷺ أرسل علياً؛ ليقرأ براءة على المشركين في موسم الحج(٥٠٥).

سبب نزول سورة التوبة:

نزلت براءة في نقض ما بين رسول الله ﷺ وبين المشركين، من العهد الذي كانوا عليه فيما بينه وبينهم: أن لا يصدَّ عن البيت أحدٌ جاءه، ولا يخاف أحدٌ في الشهر الحرام، وكان ذلك عهداً عاماً بينه وبين الناس من أهل الشرك، وكانت العهود بين رسول الله ﷺ وبين قبائل العرب خصائص، إلى آجال مسمّاة، فنزلت سورة براءة فيه وفيمن تخلَّف من المنافقين عنه في تبوك، وكشف الله تعالى فيها سرائر المنافقين(٥٠٦).

ولما نزلت براءة على رسول الله ﷺ، أخبر أبو هريرة أنَّ أبا بكر بعثه في تلك الحجة، وكان ﷺ قد بعث أبا بكر الصديق؛ ليقيم للناس الحج - في مؤذِّنين بعثهم يوم النحر، يؤذِّنون بمنى أن لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، ثم أردف رسول الله ﷺ بعلي بن أبي طالب فأمره أن يؤذِّن ببراءة، فأذَّن معنا عليّ يوم النحر في أهل منى ببراءة، وأن لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عُريان(٥٠٧). فلم يحج بعد ذلك العام

---

(٥٠٤) انظر [السيرة النبوية: لابن هشام، أبي محمد عبد الملك بن هشام المعافري (ت٢١٣هـ)، (١١٨/٤) - دار الجيل - بيروت - ١٩٧٥م (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي السيرة النبوية: ابن هشام)، البداية والنهاية: (٥/ ٣ - ٤)].

(٥٠٥) انظر [المستدرك (٣٦١/٢) - ٢٧ كتاب التفسير، - ٩ باب تفسير سورة التوبة حديث رقم (٣٢٧٥/٣٩٢)]، وصححه الحاكم.

(٥٠٦) انظر [السيرة النبوية: ابن هشام (١٣٩/٤ - ١٤٠)].

(٥٠٧) انظر [البخاري رقم (٤٦٥٥) في فتح الباري (٣١٧/٨) - ٦٥ كتاب التفسير، ٢ - باب (فسيحوا في الأرض أربعة أشهر . . .)]

مشرك، ولم يطف بالبيت عُريان، ثم قدما على رسول الله ﷺ[٥٠٨].

فضل سورة التوبة:

سورة التوبة من السور التي ترغِّب في الجهاد وتَحُثُّ عليه، والجهاد في سبيل الله هو ذروة سنام الإسلام، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـٔٗاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [التوبة: ٣٨ ـ ٣٩]، وأيضاً قوله تعالى: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافٗا وَثِقَالٗا وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾ [التوبة: ٤١].

إذن من فضائل سورة التوبة:

١ ـ تحث على الجهاد في سبيل الله:

عن إبراهيم النّخعي قال: خرج عبد الرحمن بن يزيد مرة وهو يريد أن يجاعل[٥٠٩] في بَعْث خرج عليه، ثم أصبح فتجهَّز، فقلت: ألم تكن أردت أن تجاعل؟ فقال: بلى، ولكن قرأت البارحة سورة براءة، فسمعتها تحث على الجهاد[٥١٠].

---

(٥٠٨) انظر [السيرة النبوية (١٤١/٤)].

(٥٠٩) الجُعْل: هو الأجرة على الشيء فعلاً أو قولاً والمراد هنا أن يكتب الغزو على الرجل فيعطي رجلاً آخر شيئا ليخرج مكانه، انظر [النهاية في غريب الحديث ص ١٥٦].

(٥١٠) أخرجه أبو عبيدة في فضائل القرآن في باب ذكر براءة (٥١/٢) فقال حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن إبراهيم قال: . . .
الحكم على رجال الإسناد: أبو معاوية هو محمد بن حازم، ثقة من التاسعة انظر [تقريب التهذيب: ص٥٥٤، ترجمة رقم ٥٨٤١]. إبراهيم النخعي: إبراهيم هو ابن يزيد النخعي ثقة انظر [تقريب التهذيب: ص١٢٠، ترجمة رقم ٢٧٠].
الأعمش: هو سلمان بن مهران، ثقة انظر [تقريب التهذيب: ص٣٠٣، ترجمة رقم ٢٦٢٣]. إذاً الحكم على الإسناد صحيح.

٢ ـ كتب أمير المؤمنين بتعلمها:

عن أبي عطية[٥١١] قال: كتب إلينا عمر بن الخطاب أن: تعلَّموا سورة التوبة، وعلِّموا نساءكم سورة النور[٥١٢].

مناسبة السورة (التوبة) لما بعدها (سورة يونس):

وجه مناسبتها لما بعدها:

١ ـ أنها خُتِمت بذكر رسالة النبي ﷺ واختُتمت بها سورة يونُس، أيضاً بُدئت سورة يونس بتبديد الشكوك والأوهام نحو إنزال الوحي على الرسول ﷺ للتبشير والإنذار.

٢ ـ أنَّ جُلَّ آيات هذه السورة في أحوال المنافقين، وما كانوا يقولونه، وما كانوا يفعلونه حين نزول القرآن، أما سورة يونُس فكانت في أحوال الكفار، وما كانوا يقولونه في القرآن، وما كانوا يفعلونه حين نزول القرآن[٥١٣].

(٥١١) أبو عطية الهمداني الوادعي الكوفي، اسمه مالك وأبوه اختلف في اسمه على أقوال فقيل عامر وقيل غيره وهو ثقة انظر [تقريب التهذيب ص ٧٦٠، ترجمة رقم ٨٢٥٣].

(٥١٢) انظر [فضائل القرآن: (٤٨/٢) حديث رقم (٤٥١)، فضائل سور القرآن دراسة: د. إبراهيم علي السيد علي عيسى من ص (٢٤٤ ـ ٢٤٥) مصر ـ القاهرة ـ الإسكندرية ـ دار السلام ـ ط٢ ـ ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٥م، وذكره السيوطي في الدر المنثور في التفسير المأثور: عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي (١٢٠/٤) ـ دار الفكر ـ بيروت ـ لبنان ـ ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي الدر المنثور) وعزاه لأبي عُبيد، وسعيد بن منصور، وأبي الشيخ، والبيهقي في شعب الإيمان].

(٥١٣) انظر [روح المعاني (٥٥/١١)، في رحاب التفسير: (٦٣١/١١)، التفسير المنير: (٩٣/١١)].

مناسبة السورة لما قبلها:

فقد ذكرته في بداية تفسير سورة الأنفال(٥١٤).

مقاصد سورة التوبة:

سورة التوبة هي السورة التاسعة في ترتيب المصحف(٥١٥). والسورة بجملتها نزلت في العام التاسع من الهجرة، ويُرجِّح سيد قطب أنها لم تنزل دفعة واحدة وإنما نزلت على ثلاث مراحل.

المرحلة الأولى: كانت قبل غزوة تبوك في شهر رجب من هذا العام،

والمرحلة الثانية: كانت في أثناء الاستعداد لهذه الغزوة ثم في ثناياها،

والمرحلة الثالثة: كانت بعد العودة منها(٥١٦).

وقد خرج الرسول ﷺ في السنة التاسعة بالمسلمين إلى تبوك بقصد غزو الروم، كما خرج أبو بكر في أواخر سنة تسع على رأس المسلمين لحج بيت الله الحرام، وقد كان لهذه السورة بحكم هذين الحادثين العظيمين في تاريخ الدولة الإسلامية.

هدفان أصيلان:

أحدهما: تحديد القانون الأساسي الذي تقام عليه دولة الإسلام؛ وذلك بتصفية وإلغاء المعاهدات التي كانت بين المسلمين ومشركي العرب، ومنعهم من الحج، وأكدت قطع الولاية بينهم وبين المسلمين، ووضعت الأسس في قبول أهل الكتاب في جزيرة العرب وكيفية التعامل معهم.

ثانيهما: إظهار ما كانت عليه نفوس أتباع النبي ﷺ حينما استنفرهم

(٥١٤) راجع ص١٢ ـ ١٣.

(٥١٥) انظر [تاريخ القرآن: أبو عبد الله الزنجاني ـ ص٥٠ ـ مؤسسة الأعلمي ـ بيروت ـ لبنان ـ ط٣ ـ ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٩م ـ قدّم له الأستاذ أحمد أمين مؤلف كتاب فجر الإسلام (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي تاريخ القرآن)].

(٥١٦) انظر [الظلال (١٥٦٤/٣)].

ودعاهم إلى غزو الروم، فكشفت الغطاء عن فتن المنافقين وما انطوت عليه قلوبهم ونواياهم من أحقاد للرسول ﷺ وللمسلمين عامة. ثم تحدثت عن المتثاقلين من أتباع الرسول ﷺ والمتخلفين عن هذه الغزوة(٥١٧).

وقد عرضت السورة من أولها للهدف الأول فقد كان في:

المقطع الأول منها من بدايتها إلى ختام الآية الثامنة والعشرين تحديداً للعلاقات النهائية بين المعسكر الإسلامي والمشركين عامة في الجزيرة.

والمقطع الثاني (٢٩ ـ ٣٧) في السورة تضمن تحديداً للعلاقات النهائية بين المجتمع المسلم وأهل الكتاب عامة، مع بيان الأسباب العقدية والتاريخية والواقعية التي تحتم هذا التحديد؛ وتكشف عن طبيعة الإسلام وحقيقته المستقلة، وعن انحراف أهل الكتاب عن دين الله الصحيح عقيدة وسلوكاً.

وفي المقطع الثالث (٣٨ ـ ٤١) يبدأ النعي على المتثاقلين والمتكاسلين عن النفير وهؤلاء ليسوا كلهم من المنافقين.

ثم يجيء **المقطع الرابع** (٤٢ ـ ٩٦) في سياق السورة وهو أطول مقاطعها، وهو يستغرق أكثر من نصفها في فضح المنافقين وأفاعيلهم في المجتمع المسلم.

ثم بعد ذلك **المقطع الخامس** (٩٧ ـ ١١٠) الذي يتحدث عن الجماعات الأخرى غير الجماعة المخلصة من المهاجرين والأنصار، فهذه جماعة الأعراب وفيهم المخلصون والمنافقون، وآخرون خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً، ولم يتم انطباعهم بالطابع الإسلامي، وطائفة مجهولة الحال لا تعرف حقيقة مصيرها متروكٌ أمرها لله، فيقرر الله كيف تُعامل هذه الجماعات في المجتمع المسلم، ويُوجه الرسول ﷺ المسلمين الخُلّص إلى طريقة التعامل مع كل منهم.

---

(٥١٧) انظر [أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم: د. عبد الله محمود شحادة (١١٢/١)].

ثم بعد ذلك يجيء **المقطع السادس** (١١١ ـ ١٢٧) يتضمن تقريراً لطبيعة البيعة الإسلامية مع الله على الجهاد في سبيله وطبيعة هذا الجهاد وحدوده، وواجب أهل المدينة ومن حولهم من الأعراب فيه، وأنهم لا يحل لهم أن يتخلَّفوا عنه، وفي ثنايا هذا المقطع يَرِدُ بيانٌ لِمَا قضى الله به في شأن بعض الذين تخلَّفوا عن الغزوة مخلصين غير منافقين(٥١٨).

وتختتم السورة آياتها بذكر صفات رسول الله ﷺ، وبينت رحمته لهذه الأمة وأمر الله نبيه بالتوكل عليه في جميع أحواله، فقد تكفل الله بنصره حتى لو تخلى عنه جميع الناس، فإنَّ الله القوي القدير معه يحفظه ويرعاه.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾ [التوبة: ١٢٨ ـ ١٢٩].

(٥١٨) انظر [الظلال (١٥٦٥/٣ ـ ١٥٦٩)].

المبحث الثاني
عرض وتفسير لآيات سورة التوبة المتضمنة للقراءات العشر

١ ـ ﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾﴾ [التوبة: ١٢].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ ابن عامر **(لا إيمانَ لَهُمْ)** بكسر الهمزة على أنه مصدر.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ﴾ بفتح الهمزة على أنه جمع يمين[٥١٩].

٣ ـ قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي وخلف وروح ﴿أَئِمَّةَ﴾ بتحقيق الهمزتين.

٤ ـ وقرأ نافع وأبو عمرو وابن كثير وأبو جعفر ورويس **(أيمَّة)**[٥٢٠] بتحقيق الهمزة الأولى وتسهيل الهمزة الثانية.

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(إيمان) مصدر أمن ـ أمناً، وأَمَناً، وأماناً، وأَمِنةً بمعنى اطمأن، فهو أَمِن، وآمِن، ومنه آمنهُ إيماناً: أي صدّق ووثق به، والإيمان: التصديق مطلقاً[٥٢١]. وآمنت بالله إيماناً: أسلمت له، واستُعمل المصدر في الأعيان

(٥١٩) انظر [النشر (٢٠٩/٢)، البدور الزاهرة ص ١٦٤].

(٥٢٠) انظر [النشر (٢٩٤/١ ـ ٢٩٥)].

(٥٢١) انظر [لسان العرب (٢٣/١٣) مادة أمن، المنجد ص١٣ مادة أَمن].

مَجازاً، فقيل الوديعة أمانة ونحوه. والإيمان: الإسلام أيضاً[٥٢٢].

(أيمان) جمع يمين وهو بمعنى القسم، والأيمان جمع اليمين أيضاً بمعنى البركة والقوة. يقال: «فلان عندنا باليمين، أي بالمنزلة الحسنى»[٥٢٣].

وقيل سُمِّي الحَلف يميناً؛ لأنهم كانوا إذا تحالفوا، ضرب كلُّ واحدٍ منهم يمينه على يمين صاحبه فسمي الحلف يميناً مجازاً[٥٢٤].

(أئمة) جمع إمام، والإمام الخليفة أو العالِم المقتدى به، والأصل أأممه، فأدغمت الميم في الميم بعد نقل حركتها إلى الهمزة. فمن القراء من يبقي الهمزة مخففة على الأصل، ومنهم من يسهلها على القياس بين بين، وبعض النحاة يبدلها ياء للتخفيف[٥٢٥]. وأئمة: أي رؤساء الكفر وقادتهم، الذين ضعفاؤهم تبعٌ لهم، وأيمة: قلبت الهمزة ياء؛ لثقلها، لأنها حرف سَفُلَ في الحلق وبَعُدَ عن الحروف، وحصل طرفاً فكان النطق به تكلفاً[٥٢٦].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للسورة:

الإسلام يُلزم أهله باحترام العهود، وتنفيذ المواثيق ذلك ما دام الطرف الآخر ملتزماً بتلك العهود والمواثيق، أمّا إذا نكث الأعداء أيمانهم كما في قوله تعالى: ﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم﴾ أي إن نقضوا أيمانهم وهي جمع اليمين من الحلف[٥٢٧] وهم أهل مكة ﴿مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾ أي أنقضوا ما أبرمته أيمانهم من الوفاء بالعهد الذي عقدوه معكم، وعابوا دينكم واستهزءوا به ﴿فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ﴾ وهم أبو جهل بن هشام، وأمية بن خلف، وعتبة بن ربيعة، وأبو سفيان بن حرب، وسهيل بن عمرو، وهم الذين نكثوا عهد الله وهمّوا بإخراج

(٥٢٢) انظر [لسان العرب (١٣/٢٣) مادة أمن، المصباح المنير ص٢٠ مادة أَمِن].
(٥٢٣) انظر [لسان العرب (١٣/٤٥٨ ـ ٤٦٢) مادة يمن، المنجد ص ٩٥٢ مادة يمن].
(٥٢٤) انظر [المصباح المنير ص٤٠٥ ـ كتاب الياء ـ مادة يمن].
(٥٢٥) انظر [المنجد ص٢٠ مادة أمّ].
(٥٢٦) انظر [لسان العرب (١٢/٢٤ ـ ٢٥) مادة أمم].
(٥٢٧) انظر [مجاز القرآن: (١/٢٥٣)].

الرسول ﷺ من مكة[٥٢٨]. وذلك لأنهم لا عهد لهم، فقاتِلوهم حتى ينتهوا بقتالكم إيّاهم عن الكفر ونكث الأيمان ونقض العهود، والعودة إلى قتالكم كلّما قدروا عليه[٥٢٩]. والآية عامة أيضاً في كل من نكث الأيمان، وطعن في الدِّين، فحينئذٍ أباح الله للمسلمين نقض تلك المواثيق وقتال الكفار.

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

١ ـ قرأ ابن عامر **(لا إيمان لهم)** بكسر الألف ففيها وجهان: **أحدهما:** لا أمان لهم، أي لا تطمئنوا لهم ولا تُؤمِّنوهم، فيكون مصدراً من الإيمان الذي معناه الاطمئنان وهو ضد الإخافة. فيكون التفسير: قاتلوا أئمة الكفر لأنهم لا يوفون لأحد بأمان يعقدونه، ويشهد لهذا المعنى قوله تعالى عنهم: ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾﴾ [التوبة: ١٠].

والمعنى الآخر: أنهم كفرة لا إيمان لهم، أي لا تصديق ولا دين لهم[٥٣٠]. ولكن هذا المعنى أبعده د.محمد سالم محيسن[٥٣١] في كتابه المغني معللاً ذلك بقوله: «لأن الله وصفهم بالكفر قبله، فتبعد صفتهم بنفي الإيمان عنهم، لأنه معنى قد ذكر إذا أضاف الكفر إليهم، فاستعماله بمعنى آخر أولى؛ ليفيد الكلام فائدتين»[٥٣٢].

وقرأ الباقون **(أيمان)** بفتح الهمزة على أنه جمع «يمين» ومعناه لا أيمان لهم على الحقيقة وأيمانهم ليست بأيمان، ويؤكد هذا المعنى قوله

(٥٢٨) وهذا الأثر عن ابن عمر ﷺ من طريق مجاهد. في المستدرك (٣٦٢/٢) ٢٧ كتاب التفسير ـ ٩ باب تفسير سورة التوبة، حديث رقم (٣٩٦/٣٢٧٩) وعلق عليه الحاكم النيسابوري قائلاً: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين»، ولم يخرجاه.

(٥٢٩) انظر [تفسير المراغي (٦٥/١٠ ـ ٦٦)].

(٥٣٠) انظر [الحجة: أبو علي الفارسي (١٧٨/٤)].

(٥٣١) أستاذ مشارك للدراسات القرآنية واللغوية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وعضو لجنة تصحيح المصاحف ومراجعتها بالأزهر، وتخصص في القراءات وعلوم القرآن دكتوراه بمرتبة الشرف الأولى انظر [مقدمة كتابه المغني].

(٥٣٢) المغني (٢٠١/٢).

تعالى بعد: ﴿أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَـٰنَهُمْ﴾ [التوبة: ١٣].

ولو لم يكن منعقداً لما صح وصفها بالنكث، ومعنى هذه الآية عند الشافعي رحمه الله «أنهم لمّا لم يفوا بها صارت أيمانهم كأنها ليست بأيمان»[٥٣٣]. وفتحت همزة الجمع لثقله وكسرت همزة المصدر لخفته[٥٣٤].

خامساً: الجمع بين القراءتين:

أ ـ بالجمع بين القراءتين أرى أنَّ الكفرة لا عهود لهم، وبالتالي لا أمان لهم فمن لا يفي بوعده فلا أمان له.

ب ـ قراءة ابن عامر قررت أن علة مقاتلة المشركين هي الكفر، وقراءة الجمهور بينت معنىً آخر لقتال المشركين، وهو أنهم لا عهود ولا أيمان، ولا ميثاق لهم ولا حلف.

فالجمع بين القراءتين يكون أن قراءة ابن عامر تقرير لعلة القتال، وقراءة الجمهور كانت وصفاً لأحوال المشركين حين قتالهم، أو حين الأمر بقتالهم[٥٣٥].

٢ ـ من قرأ قوله تعالى: ﴿فَقَـٰتِلُوٓا۟ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ﴾ بهمزتين مفتوحة ومكسورة وهي قراءة أهل الكوفة[٥٣٦] فالحجة لمن حقق الهمزتين: أنه جعل الأولى همزة الجمع، والثانية همزة الأصل التي كانت في إمام، والأصل (أأمِمَة) على وزن أَفْعِلة، فنقلوا كسرة الميم إلى الهمزة؛ لأنهم استثقلوا الجمع بين الميمين متحركتين فأسكنوا الميم الأولى وأدغموا الميم في الميم للمجانسة.

أما من قرأ (أيمة الكفر) بهمزة واحدة وتسهيل الأخرى بياء فالحجة له: أنَّه كره الجمع بين همزتين في بِنْية واحدة، ولا اعتبار بكون الأولى زائدة كما لم يكن بها اعتبار في (آدم)، فقلب الثانية ياء لكسرها، وحرّكها

---

(٥٣٣) انظر [المغني (٢/٢٠١)، مفاتيح الغيب (١٥/١٨٧)].

(٥٣٤) الحجة: ابن خالويه ص٩٧.

(٥٣٥) انظر [القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني ص ٣٣٦].

(٥٣٦) انظر [لسان العرب (١٢/٢٥) مادة أمم].

لالتقاء الساكنين[٥٣٧].

ولثقل الهمزة نستطيع أنْ نفسر أنَّه أمرٌ من الله، أن يقاتلوا أئمة الكفر مهما كانت قوتهم وشدتهم.

وأما تسهيل الهمزة فتفسِّر أنَّ أئمة الكفر مهما كانوا أقوياء فإن فيهم ضعفاً ووهناً كبيت العنكبوت، لذلك لا تهابوا الكفار حين تقاتلونهم والله أعلم، وتحقيق الهمزة فيه جمال صوتي، والياء فيها لين، والهمزة فيها شدة.

٢ ـ ﴿وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾﴾ [التوبة: ١٥].

أولاً: القراءات:

١ ـ انفرد رويس في (ويتوبَ اللهُ) بنصب الباء.

٢ ـ وقرأ الباقون (ويتوبُ اللهُ) بضم الباء[٥٣٨].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(يتوب) مضارع تاب، والمصدر توباً، وتوبةً، ومتاباً.

ومعنى تاب الله عليه: أي غفر له ورجع عليه بفضله ووفَّقه لها، فالله تواب، والتوبة الرجوع من الذنب[٥٣٩].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

أمر الله سبحانه وتعالى المؤمنين في الآيات السابقة أن يقاتلوا الكفار، وعدَّد بعد الأمر سبعة أشياء، كل واحدة منها يوجب إقدامهم على القتال. وفي هذه الآية ذكر في ذلك القتال نوع من الفوائد وهو ﴿وَيُذْهِبْ غَيْظَ

(٥٣٧) انظر [الحجة: ابن خالويه ص٩٦، الحجة: ابن زنجلة ص٣١٥].

(٥٣٨) انظر [النشر (٢٠٩/٢)].

(٥٣٩) انظر [الصحاح تاج اللغة، وصحاح العربية: إسماعيل بن حماد الجواهري (٩١/١ ـ ٩٢) ـ دار العلم للملايين ـ بيروت ـ ط٢ ـ ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م ـ تحقيق: أحمد عبد الغفور عطّار، مادة تاب، المنجد ص ٥٩ مادة تاب].

﴿قُلُوبِهِمْ﴾ أي يشفِ قلوب المؤمنين التي ملئت غيظاً وألماً من أفعال المشركين بهم في مكة .﴿وَيَتُوبُ ٱللَّهُ﴾ بعد ذلك ﴿عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾ من عباده حسب مشيئته، ولا غرابة، فالله عليم بخلقه، عليم بكل ما يعمل ويفعل في ملكه وملكوته حكيم لا يفعل إلا ما فيه الخير والحكمة لعباده(٥٤٠).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قرأ الجمهور ﴿وَيَتُوبُ ٱللَّهُ﴾ برفع الباء على الاستئناف، لأن معناه ليس من شروط الجزاء؛ إنما هو استئناف ليس بشرط للجزاء. كقولك للرجل: ايتيني أُعْطِك، وأُحبُك بعد، وأكرمُك(٥٤١). فيكون المعنى أنَّ الآية استأنفت الخبر، بأنَّه قد يتوب على بعض الكفرة الذين أمر بقتالهم(٥٤٢).

وقرأ رويس **(ويتوبَ الله)** بفتح الباء، على أنه جواب الأمر من حيث إنه داخلٌ منه من جهة المعنى.

قال ابن عطية(٥٤٣) في توجيه ذلك: «يتوجه ذلك عندي إذا ذُهب إلى أنَّ التوبة يُراد بها هنا أنَّ قتل الكافرين، والجهاد في سبيل الله هو توبة لكم أيها المؤمنون وكمالٌ لإيمانكم، فتدخل التوبة على هذا في شرط القتال».

قال أبو حيَّان(٥٤٤): «وهذا الذي قدّره من كون التوبة تدخل تحت جواب الأمر هو بالنسبة للمؤمنين الذين أُمروا بقتال الكفار. والذي يظهر أنّ ذلك بالنسبة إلى الكفار والمعنى: على من يشاء من الكفار، لأن قتال الكفار وغلبة المسلمين إياهم، قد يكون سبباً لإسلام كثير، ألا ترى إلى فتح مكة كيف أسلم لأجله ناسٌ كثيرون؟ وحَسُن إسلام بعضهم جدا». فيكون المعنى: إن تقاتلوهم، يتب الله على من يشاء من الكفار، أي: يُسلم من شاء منهم.

(٥٤٠) انظر [مفاتيح الغيب (٤/١٦ ـ ٥)، التفسير الواضح (٣٢/١)].
(٥٤١) انظر [معاني القرآن: الفراء (٤٢٦/١)].
(٥٤٢) المحرر الوجيز (١٤/٣).
(٥٤٣) انظر [المرجع السابق (١٤/٣)].
(٥٤٤) البحر المحيط (١٧/٨).

خامساً: الجمع بين القراءتين:

إن حصل القتال والجهاد في سبيل الله، فإنه سوف يكون كمال إيمان وتوبة للمؤمنين. وقد يتوب الله على بعض الكفرة إذا أسلموا وحسُن إسلامهم، فلا مانع من أن تكون التوبة للمؤمنين المجاهدين، وتكون للكفرة إذا أسلموا والله أعلم.

٣ ـ ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾﴾ [التوبة: ١٧].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ البصريان (أبو عمرو ويعقوب) وابن كثير (**مسجد الله**) على التوحيد.

٢ ـ وقرأ الباقون (**مساجد الله**) بالجمع[٥٤٥].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(**المسجد**) هو الموضع الذي يُسجد فيه أو هو كل موضع يُتعبَّد فيه، والجمع مساجد. والفعل سجد سجوداً، أي انحنى خاضعاً أو وضع جبهته بالأرض متعبداً[٥٤٦].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

ابتداء الآية، له غرضٌ من أغراض معاملة المشركين، وهو منع المشركين من دخول المسجد الحرام في العام المقبل، وهو مرتبطٌ بما تضمنته البراءة التي في بداية السورة، فأكدت هذه الآية على أنّه لا يحق للمشركين أنْ يعمروا مساجد الله التي منها المسجد الحرام بالإقامة فيه للعبادة أو الخدمة أو الولاية عليه ﴿شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ﴾ أي انتفى تأهلهم، لإعمار مساجد الله بحال شهادتهم على أنفسهم بالكفر، فهي حاصلة في كثير

(٥٤٥) انظر [النشر (٢/٢٠٩)].

(٥٤٦) انظر [لسان العرب (٣/٢٠٤ ـ ٢٠٦) مادة سجد، المنجد ص٣٠٢ مادة سجد].

من أقوالهم وأعمالهم، فهم لا يستطيعون إنكار ذلك، مثل قولهم في التلبية: «لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك»، ومثل سجودهم للأصنام وطوافهم بها ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ﴾ أي أولئك المشركون، بطلت أعمالهم التي يفخرون بها، من عمارة المسجد الحرام في الدنيا، وفي الآخرة ﴿وَفِي ٱلنَّارِ هُمۡ خَٰلِدُونَ﴾ وماكثون(٥٤٧).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلۡمُشۡرِكِينَ أَن يَعۡمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو (**مسجد الله**) بالإفراد وهي تحمل وجهين:

١ ـ أن يراد مسجد بعينه، وهو المسجد الحرام. ودليله قوله تعالى: ﴿فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَاۚ﴾ [التوبة: ٢٨]، وقوله تعالى: ﴿أَجَعَلۡتُمۡ سِقَايَةَ ٱلۡحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ﴾ [التوبة: ١٩].

٢ ـ ويحتمل أنَّ المراد بالإفراد الجنس، فتَنْدرج سائر المساجد، ويدخل المسجد الحرام في مقدمته.

أما قراءة الجمع ﴿مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾ فالدليل عليها قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ [التوبة: ١٨]، وفيها أيضاً أوجه:

١ ـ أنّ المراد جميع المساجد، فاحتجوا بأنَّ الخاص يدخل في العام، وليس العكس، لذلك يدخل المسجد الحرام دخولاً أولياً على طريق الكناية، كما لو قلت: «فلان لا يقرأ كتب الله» فإنك أكدت نفي قراءته للقرآن من تصريحك بذلك.

٢ ـ أنّ المراد المسجد الحرام، وأطلق عليه الجمع:

أ ـ إمّا لأنَّ كل بقعة من المسجد الحرام يُقال لها مسجد.

(٥٤٧) انظر [التحرير والتنوير (١٠/١٣٩ ـ ١٤٠)، تفسير المراغي (١٠/٧٤)].

ب ـ وإمّا لأنّه قبلة سائر المساجد فصح أن يطلق عليه لفظ الجمع[548].

خامساً: الجمع بين القراءتين:

بالجمع بين القراءتين ألاحظ أن من قرأ الآية بالجمع **(مساجد)** أفادت نفي أن يعمّر المشركون أي مسجد من المساجد، في حين أنَّ قراءة الإفراد أفادت تعيين المسجد الحرام بالذكر تأكيداً لشأنه في ذلك، فالقراءتان من باب ذكر بعض أفراد العموم لا من باب التخصيص وذلك، لتفيد التأكيد والاهتمام بهذا الفرد والله أعلم.

٤ ـ ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾﴾ [التوبة: ١٩].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ ابن وردان بخلف عنه (سُقاةَ الحاجّ وعَمرَةَ) **سُقاة**: بضم السين وحذف الياء بعد الألف جمع ساق، **عَمرَة**: بفتح العين وحذف الألف جمع عامر، مثل صانع وصنعة.

٢ ـ وقرأ الباقون وهو الوجه الثاني لابن وردان ﴿سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ﴾ **سِقَايَة**: بكسر السين وبياء مفتوحة بعد الألف، **وعِمارة**: بكسر العين وبألف بعد الميم[549].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

السِقَاية: بفتح السين وبكسرها من الفعل سقى، سقيا، أسقيته إذا جعلت له سُقياً، والسَقي المصدر، وهي موضع السقي، وهو الموضع الذي يُتخذ لسقي الناس، والسِّقاء يكون للماء واللبن.

---

(٥٤٨) انظر [الحجة: ابن خالويه ص٩٧، معاني القراءات ص٢٠٥، الدر المصون (٢٩/٦)، القراءات وأثرها في التفسير للأحكام: محمد بازمول (٦٩٠/٢)].

(٥٤٩) انظر [النشر (٢٠٩/٢)، البدور الزاهرة ص ١٦٥].

سُقاة: جمع ساقٍ وهو اسم فاعل(٥٥٠).

عمارة: ما يُعمَّر به المكان وهو أخص من القبيلة ويقصد به المنزل، وقيل هو الحي العظيم الذي يقوم بنفسه.

عَمرَة: عُمِّر المنزل بأهله عَمْراً فهو عامر، وعَمَرَهُ أهله سكنوه، وعَمَرة جمع عامر، مثل صانع وصنعة، وهو ساكن الدار(٥٥١).

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

(أجعلتم) في الفضيلة وعلو الدرجة ﴿سِقَايَةَ ٱلۡحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ كَمَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَجَٰهَدَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ الخطاب موجهٌ للمشركين، وأستدل بما أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن عباس، قال: «إنّ المشركين قالوا: عمارة بيت الله تعالى، وقيامٌ على السِّقاية، خير ممن آمن وجاهد فنزلت الآية »(٥٥٢)، وقيل: إن بعض المؤمنين فضّلوا السقاية والعمارة على الهجرة والجهاد، وأستدل له بما أخرجه مسلم وأبو داوود عن النعمان بن بشير ﷺ قال: كنت عند منبر رسول الله ﷺ في نفرٍ من أصحابه، فقال رجل منهم، ما أبالي أن لا أعمل لله عملاً بعد الإسلام إلا أن أسقي الحاج، وقال آخر: بل عمارة المسجد الحرام. وقال آخر: بل الجهاد في سبيل الله خير مما قلتم. فزجرهم عمر ﷺ وقال: لا ترفعوا أصواتكم عند رسول الله ﷺ وذلك يوم الجمعة ـ ولكن إذا صليتم الجمعة دخلت على رسول الله ﷺ فاستفتيته فيما اختلفتم فيه، فأنزل الله الآية(٥٥٣)، ومعنى

---

(٥٥٠) انظر [مجمل اللغة (٤٦٥/٢ ـ ٤٦٦)، المصباح المنير ص١٦٩ ـ كتاب السين مادة سقي، المنجد ص٣٢٣ مادة سقي].

(٥٥١) انظر [لسان العرب (٦٠٦/٤) مادة عمر، المصباح المنير ص٢٥٥، كتاب العين مادة عمر، المنجد ص٤٩٨ مادة عمر].

(٥٥٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور (١٤٥/٤)، وابن كثير في تفسيره (٣٤١/٢).

(٥٥٣) أخرجه مسلم (٢٥/١٣ ـ ٢٦) في صحيحه، كتاب الأمارة ـ باب فضل الشهادة في سبيل الله، وذكره الطبري في جامع البيان (٩٥/١٠)، وذكره ابن كثير في تفسيره (٣٤٢/٢)، والسيوطي في الدر المنثور (١٤٤/٤).

الآية: هل سويتم في الفضيلة وعلو الدرجة بين السقاية والعمارة وبين الإيمان بالله واليوم الآخر والجهاد في سبيله. ﴿لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ١٩] أبداً وإن كان في كل خير فإن كانت صادرة عن المؤمن، فالجهاد في سبيل الله والإيمان به وباليوم الآخر أعلى درجة وأعظم مكانة عند الله، وإن كانت صادرة عن الكافر فقد حبط عمله ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ إلى الحق في أعمالهم؛ ولا إلى الحكم العدل في أعمال غيرهم[٥٥٤].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قوله تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ السقاية صيغة للصناعة، صناعة السقي من ماء زمزم، لذلك أضيف السقي إلى الحجاج، والعمارة صناعة التعمير، وأضيف إلى المسجد الحرام، لأنها عمل في ذات المسجد[٥٥٥]. فعلى هذا المعنى فإنه يحتمل وجهين: إما حذف في الأول أو حذف في الثاني.

أحدهما: على تقدير محذوف أهل أو أصحاب مثل: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢]، المراد أصحاب القرية، فيكون تفسير الآية: أجعلتم أصحاب أو أهل سقاية الحاج، وأهل عمارة المسجد مثل من آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيله، أو كالمؤمنين والمجاهدين في سبيل الله.

والآخـر: على تقدير الحذف في ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كالإيمان بالله واليوم الآخر والجهاد في سبيل الله، أو أجعلتم عمل الحاج كعمل من آمن أو كإيمان من آمن ... أي لا يستوي العملان مع العملين ولا عاملوا هذين بعاملي ذينك العملين[٥٥٦].

أما قراءة **(سُقاة الحاج وعَمرَة المسجد)** فسقاة جمع ساقٍ والأصل سقية

(٥٥٤) انظر [التفسير الواضح (١/٣٥ ـ ٣٦)، المقتطف من عيون التفاسير (٢/٣٧٤)].

(٥٥٥) انظر [التحرير والتنوير (١٠/١٤٣)].

(٥٥٦) انظر [التحرير والتنوير (١٠/١٤٦)].

على وزن فُعلة، وعمرة جمع عامر.

والتقدير: أجعلتم سقاة الحاج وعمّار المسجد كالمؤمنين والمجاهدين في سبيل الله(٥٥٧).

خامساً: الجمع بين القراءتين:

بالجمع بين القراءتين نجد أن كل قراءة أثرت وأفادت معنى في تفسير الآية، فعلى القراءتين يكون التقدير:

أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كالإيمان بالله واليوم الآخر والجهاد في سبيل الله، وجعلتم سقاة الحاج وعمّار المسجد كالمؤمنين والمجاهدين في سبيل الله.

٥ ـ ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾﴾ [التوبة: ٢١].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ حمزة **(يَبْشُرهُم)** بفتح الياء وسكون الباء وضم الشين مخففة.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿يُبَشِّرُهُمْ﴾ بضم الياء وفتح الباء وكسر الشين مشددة(٥٥٨).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

﴿يُبَشِّرُهُمْ﴾ من البشارة أي الخبر المفرح، يقال بَشَّرتُه بِشَارةً، أي فرَّحه وبلَّغه البشرى أو البشارة، وسميت بذلك؛ لأن أثرها يظهر في البشرة، وهي ظاهر جلد الإنسان.

(يَبْشُرهُم) معناه يَسُرُّهم، يقال بشر وأبشر أي بلَّغه البشرى، بشر بشراً: فرح، واسم الفاعل من الفعل المخفف بشر هو (بشير) ويكون البشير في الخير أكثر من الشر، وإن استعملت في الشر فبقيد كقوله تعالى:

---

(٥٥٧) انظر [الجامع لأحكام القرآن (٤٣٨/٨ ـ ٤٣٩)].

(٥٥٨) انظر [النشر (١٨٠/٢)، (٢٠٩/٢)، البدور الزاهرة ص١٦٥].

﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ﴾[٥٥٩] [آل عمران: ٢١].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

هذه الآية بيان للدرجة العظيمة التي في قوله: ﴿أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٢٠] في الآية السابقة، فتلك الدرجة هي عناية الله تعالى بهم، بإدخال المسرة عليهم، وتحقيق فوزهم، وذلك علي لسان نبيه محمد ﷺ فيبشرهم ﴿بِرَحْمَةٍ﴾ عظيمة ﴿مِّنْهُ﴾ تعالى ﴿وَرِضْوَانٍ﴾ كبير كامل ﴿وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾ أي وجنات عالية لهم فيها نعيم دائم مستمر[٥٦٠].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

التخفيف لغة تهامة: وهو فعل مضارع من بشر، فتتغير عنده بشرةُ الوجه وتنبسط عادة، والتشديد لغة أهل الحجاز وهو فعل مضارع من بَشَّر مضعَّف العين، يقال بشره يبشره تبشيراً من أبشر[٥٦١]، وذهب بعض القراء: إلى أنها لغات بمعنى واحد فأرى أن قراءة التخفيف أفادت أن آثار البشرى من الله ظهرت على وجوه المؤمنين فبان السرور عليها.

وقال ابن خالويه[٥٦٢] عن التشديد والتخفيف بأنهما «لغتان فصيحتان»، وقال الأزهري[٥٦٣]: «فمن العرب من يجيز بشرته وأبشرتُه، وبَشَرْتُه بمعنى واحد، ويقال: بشّرتُه، فأبشر وبَشَر، أي سُرَّ وفَرِح».

ومع هذا فإن قراءة التشديد، أفادت المبالغة والتأكيد على البشارة، والتكثير بالنسبة للمبشر به، وأفادت أيضاً تكراراً للبشارة فهي بشرى عظيمة

(٥٥٩) انظر [المعجم الوسيط مجمع اللغة العربية (٥٩/١ ـ ٦٠) ـ ط٣ ـ مادة بشر، المصباح المنير ص٣٥ مادة بشر، المنجد ص٣٣ مادة بشر، الدر المصون (٢٠٩/١ ـ ٢١٠)].

(٥٦٠) انظر [المقتطف من عيون التفاسير (٣٧٥/٢)، التحرير والتنوير (١٤٩/١٠ ـ ١٥٠)].

(٥٦١) انظر [لسان العرب (١٦٢/٤)، القراءات وأثرها في العلوم العربية (٢٦٤/١)].

(٥٦٢) الحجة: ابن خالويه ص٥١.

(٥٦٣) معاني القراءات ص١٠٢.

لا نهاية لها، ولا يحاط بمعرفة مقدارها، وبينت أن هذه البشرى ثواب عظيم للمؤمنين المهاجرين.

فهي بشارة تلو بشارة، حيث إنَّ الله ـ سبحانه وتعالى ـ يبشرهم في كتابه على لسان رسوله، وعلى لسان ملائكته، حين الموت برحمة منه، ورضوان كامل لا يشوبه سخط، وجنات تجري من تحتها الأنهار، ولهم فيها نعيم مقيم، لا يزول على عظمته وكماله(٥٦٤). وفي ذلك حث على الإيمان والهجرة والجهاد في سبيل الله.

ويقول الألوسي: «وكونه سبحانه هو المبشر، لا يخفى من اللطافة واللطف»(٥٦٥).

٦ ـ ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [التوبة: ٢٤].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ شعبة **(وعشيراتُكم)** بالألف على الجمع.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿وَعَشِيرَتُكُمْ﴾ بغير ألف على الإفراد(٥٦٦).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(العشيرة) القبيلة ولا واحد لها من لفظها، والجمع عشيرات، وعشائر(٥٦٧). وعشيرة الرجل بنو أبيه الأدْنَونَ، **والعشيرة**: العامة مثل بني تميم وبني عمرو بن تميم، **والعشير**: القريب والصديق(٥٦٨).

---

(٥٦٤) انظر [في رحاب التفسير (١٥٢٩/١٠)].
(٥٦٥) انظر [روح المعاني (٢٦٣/٥)].
(٥٦٦) انظر [النشر (٢٠٩/٢)].
(٥٦٧) انظر [المصباح المنير ص٢٤٤ ـ كتاب العين مادة عشر].
(٥٦٨) انظر [لسان العرب (٥٧٤/٤)].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

المعنى العام للآية أي قل لهم: إن كنتم تفضلون شهوات الدنيا وحظوظها من الآباء والإخوان والأزواج والعشائر والأموال والتجارة والمساكن، على حب الله ورسوله والجهاد في سبيله ﴿فَتَرَبَّصُوا۟﴾ أي انتظروا حتى يأتي أمر الله وعقوبته، التي تحل بكم أجلاً أم عاجلاً، ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ الخارجين عن حدود الدين والشريعة؛ لأنهم يؤثرون الدنيا وشهواتها على حب الله ورسوله، فهم محرومون من الهداية[٥٦٩].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قرأ شعبة (**عشيراتُكُم**) بألف بعد الراء، على الجمع حملاً على المعنى، لأن كل واحد من المخاطبين عشيرة، فجمع لكثرة عشائرهم، والعشيرة القبيلة، والجمع عشيرات وعشائر.

وقرأ الباقون ﴿وَعَشِيرَتُكُمْ﴾ بالتوحيد أي بغير ألف على الإفراد، لأنَّ العشيرة واقعة على الجمع، أي عشيرة كل منهم، فاستغنى بذلك لخفته، وأيضاً استغنى بما أضيف إليه من الجمع عن جمعه لدلالته عليه[٥٧٠].

والعشيرة الأقارب الأدنون، وكأنَّه مشتق من العِشْرة وهي الخلطة والصحبة[٥٧١].

وعقَّب مكي قائلاً على قراءة ﴿وَعَشِيرَتُكُمْ﴾: «وهو الاختيار لأنَّ الجماعة عليه»[٥٧٢]. وهذا ما لا أقبله لأنَّ القراءتين إذا استوتا في التواتر استوتا في الجمال وقوة التوجيه. وهذه بلاغة في أسلوب القرآن الكريم ذكر البقية بلفظ واحد يتناول الكل وهي لفظ العشيرة.

(٥٦٩) انظر [في رحاب التفسير (١٥٣١/١٠ ـ ١٥٣٣)].
(٥٧٠) انظر [الحجة: أبو علي الفارسي (١٨٠/٤)، الكشف (٥٠٠/١)، الفريد في إعراب القرآن المجيد (٤٥٦/٢)].
(٥٧١) انظر [التحرير والتنوير (١٥٣/١٠)].
(٥٧٢) الكشف (٥٠٠/١).

خامساً: الجمع بين القراءتين:

أرى أنَّ قراءة (**عشيراتكم**) يكاد الموجهون يجمعون على أن المراد الجمع ولكن الجمال الصوتي أولى بالاعتبار من مجرد التعبير عن الجمع، وإلا استخدام كلمة (**عشائر**) وقد نقل مكي عن الأخفش أن العرب لا تجمع عشيرة إلا على عشائر(٥٧٣).

إن ذلك الجمال الصوتي (**عشيراتُكم**) يكمن في تطويل نواة المقطع الثالث (را)، وهو مقطع طويل مفتوح، وهو مركَّب من حاشية أولى /ر/ + النواة + حاشية ثانية /صفر/ وهذا مألوف في لغة العرب (فتحة طويلة) إذا أريد التعبير عن تفخيم المعنى وتعظيمه ومن ذلك: قرابات ورجالات.

ولعل ممّا يقوي رأينا هذا أنَّ المقطع الثالث هو نقطة التميز الوحيدة بين القراءتين /را/ - /رَ/(٥٧٤).

٧ - ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [التوبة: ٣٠].

أولاً: القراءات:

١ - أ - قرأ عاصم والكسائي ويعقوب ﴿عُزَيْرٌ ٱبْنُ﴾ بالتنوين وكسرة حالة الوصل.

ب - وقرأ الباقون (**عزيرُ ابن**) بغير تنوين أي حذفه(٥٧٥).

٢ - أ - قرأ عاصم ﴿يُضَـٰهِـُٔونَ﴾ بكسر الهاء وهمزة مضمومة بعدها.

ب - وقرأ الباقون (**يضاهُون**) بضم الهاء من غير همز بعدها(٥٧٦).

---

(٥٧٣) انظر [الكشف (٥٠٠/١)].

(٥٧٤) التوجيه اللغوي والبلاغي: د.صبري ص٢١٣.

(٥٧٥) انظر [النشر (٢٠٩/٢)، البدور الزاهرة ص١٦٥].

(٥٧٦) انظر [النشر (٣١٥/١) (٢٠٩/٢)].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(عُزير) على صيغة المصغر نبي الله - عليه الصلاة والسلام - وهم اسم ينصرف لخفته وإن كان أعجمياً مثل نوح، لوط، لأنه تصغير عَزْر، ويسمّيه أهل الكتاب عزرا، وينتهي نسبه إلى العازار بن هارون عليه الصلاة والسلام[٥٧٧].

﴿يُضَٰهِـُٔونَ﴾ يقال ضاهيته مضاهاة: وهي مشاكلة الشيء بالشيء[٥٧٨]. وأصل المضاهاة في اللغة المشابهة واشتقاقه من قولهم: امرأة ضهباء، وهي التي لا ينبت لها ثدي، وقيل هي التي لا تحيض. فالمعنى أنها أشبهت الرجال في أنها لا ثدي لها أو في أنها لا تحيض[٥٧٩].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

تقرر هذه الآية لما مرَّ من الآيات السابقة، وتؤكد له، ببيان أنهم لا يؤمنون بالله. حيث إن من أكبر الكبائر الإشراك بالله تعالى، وجميع الشرائع السماوية اتفقت على الدعوة لتوحيد الله تعالى، وتنزيهه عن أن يكون له ولد أو شريك أو صاحبة؛ ولكن اليهود، لم تنفتح قلوبهم لتوحيد الله وقالوا: ﴿عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ تعالى الله عما يشركون علواً كبيراً!

وقد ذكر الطبري عند تفسيره لهذه الآية روايات، تدل على: أنَّ عزيراً هذا هو الوارد في كتبهم، التي أجمعت على أنَّ أهل الكتاب مدينون لعزير في كتابة كتبهم المقدسة، وأنه هو الذي أملاها فقالوا: ما أعطاه الله هذا؛ إلا لأنَّه ابنه.

---

(٥٧٧) انظر [لسان العرب مادة عزر (٥٦٣/٤)، المصباح المنير ص٢٤٣ مادة عزر، تفسير المراغي (٩٧/١٠)].

(٥٧٨) انظر [المصباح المنير ص٢١٨ - كتاب الضاد مادة ضهأ].

(٥٧٩) انظر [معاني القرآن وإعرابه: الزجاج (٤٤٣/٢)، مجمل اللغة: ابن زكريا (٥٦٧/٢)].

وهذا القول: كان شائعاً في اليهود أنفسهم، وقت نزول الآية، فلم يكذبوها بل كانوا يقولون مثلها، وأيضاً النصارى نسبت المسيح إلى أنَّه ابن الله، فهي ضاهت كلام اليهود من قبل، واليهود والنصارى شابه قولهم في الكفر والشناعة مَنْ قبلهم من المشركين، ﴿قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ﴾ أي لعنهم الله أو دعاء عليهم بالإهلاك، فإنَّ من قاتله الله هلك، أو تعجب من شناعتهم ﴿أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ أي كيف يصرفون الحق إلى الباطل؟ بعد قيام الأدلة عليه(٥٨٠).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءة الأولى:

اختلف القراء في قراءة (**عزير ابن**) فقرأه عامةُ قُرّاء أهل المدينة وبعض المكيين والكوفيين (**عزيرُ**) لا ينونون عزيراً.

وقرأه بعض المكيين والكوفيين ﴿عُزَيْرٌ﴾ بتنوين(٥٨١). وقد ذُكر في التحرير والتنوير(٥٨٢): عزير اسم حبرٍ كبيرٍ من أحبار اليهود الذين كانوا في الأسر البابلي، واسمه في العبرانية (**عِزرا**) بكسر العين المهملة، ﴿عُزَيْرٌ﴾ بالتنوين قرأ على أنَّه عربيٌّ، بسبب التصغير الذي أدخل عليه؛ لأنَّ التصغير لا يدخل في الأعلام الأعجمية، وقد ذُكر اسم عزير بصيغة التصغير في الآية، فيحتمل أنَّه لمّا عُرّب عُرِّب بصيغة تشبه صيغة التصغير، فيكون كذلك اسمه عند يهود المدينة، ويحتمل أنَّ تصغيره جرى على لسان يهود المدينة تحبيباً فيه.

وعلى هذا فمن قرأه بالتنوين فهو على أساس أنَّه اسم عربي، بسبب

(٥٨٠) انظر [جامع البيان (١١١/١٠ ـ ١١٣)، التفسير الواضح (٤٥/١)، معالم التنزيل (٢٤٠/٢ ـ ٢٤١)].

(٥٨١) انظر [جامع البيان (١١٢/١٠)].

(٥٨٢) انظر [التحرير والتنوير (١٦٨/١٠)].

ما ذكرناه سابقاً، فيكون (**عُزَيْر**) مبتدأ (**وابن**) خبر المبتدأ، ورفضوا[٥٨٣] أن يكون الابن نعتاً لعزير، وقالوا: لأنَّ العرب لا تنون الأسماء إذا كان الابن نعتاً للاسم، كقولهم هذا زيد بن عبد الله، فأرادوا الخبر بأن ابن الله هو عزير، ولم يريدوا أن يجعلوا الابن له نعتا[٥٨٤].

وقد نقل السيوطي عن ابن خباز[٥٨٥] قوله: «والتنوين حرف ذو مخرج وهو نون ساكنة، وجماعةٌ من الجهال بالعربية لا يُعدونه حرف معنى ولا مبنى؛ لأنَّهم لا يجدون له صورة في الخط، وإنّما سمّي تنويناً؛ لأنه حادث بفعل المتكلم والتفعيل من أبنية الأحداث»[٥٨٦].

والتنوين زيادة على الكلمة كما أنّ النّفل زيادة على الفرض[٥٨٧]وفائدة التنوين تكثير اللفظ[٥٨٨] **وحجّةُ من نوّن**:

١ ـ أنَّه جعل الاسم عربياً؛ لأنه على مثال المصغرات من الأسماء العربية وله اشتقاق.

٢ ـ أنَّه إنْ كان الاسم أعجمياً، فهو خفيف وتمام الاسم في الابن.

٣ ـ أنَّ (عزير) قد أضيف إلى غير أبيه، والعرب إذا أضافت الاسم إلى غير أبيه نوَّنوا لقلة الاستعمال[٥٨٩].

أما من منع التنوين، فنظر إلى عُجْمته مع العلمية، وليس فيه تصغير[٥٩٠] على أساس أنَّه مكبر كـ(سليمان). ومن حذف التنوين له وجهان:

---

(٥٨٣) انظر [المرجع السابق بنفس الصفحة].

(٥٨٤) انظر [جامع البيان (١٠/١١٢)].

(٥٨٥) هو أحمد بن الحسين بن أحمد الأربلي الموصلي، أبو عبد الله شمس الدين ابن الخباز، نحوي ضرير، له تصانيف منها الغرّة المخفية في شرح الدرة الألفية توفي عام ٦٣٩هـ ـ ١٢٤١م انظر [الأعلام (١/١١٧)، بغية الوعاة (١/٣٠٤) ترجمة رقم ٥٦٠].

(٥٨٦) انظر [الأشباه والنظائر (٢/١٣٩)].

(٥٨٧) انظر [الأشباة والنظائر (٢/١٣٩)].

(٥٨٨) انظر [المرجع السابق (٢/١٤٠)].

(٥٨٩) انظر [إعراب القراءات: ابن خالويه (١/٢٣٦)].

(٥٩٠) انظر [نظم الدرر (٣/٣٠٠)].

الأول: (عزيرُ ابن) فيكون عزير مبتدأ وابن خبر، وحُذِف التنوين؛ لاجتماع الساكنين كما يروى في قراءة بعضهم[٥٩١] (أحدُ الله الصمد) حُذِف التنوين؛ لالتقاء الساكنين بترك التنوين من أحد. قال ابن عطية: «فالألف على هذه القراءة والتأويل ثابتة في (ابن).

الثاني: أنَّ (ابن) صفة لعزير فجعلت الصفة والموصوف بمنزلة اسم واحد. وحَذْف التنوين إذا جاء ساكنان كأنهما التقيا في كلمة واحدة. فالمعنى يكون عزير ابن الله معبودنا وإلهنا. أو المعنى معبودنا وإلهنا عزير بن الله[٥٩٢].

وقال ابن عطية أيضاً: «وقياس هذه القراءة والتأويل أن تحذف الألف من (ابن) لكنها تثبت في خط المصحف»[٥٩٣].

خامساً: الجمع بين القراءتين:

من قرأ بالتنوين، تعمّد صب المادة في قالب عربي، أمَّا من قرأ بدون تنوين، آثر الإبقاء على تركيبه حتى يعلم ـ لأول وهلة ـ أنه أعجمي، والله أعلم.

القراءة الثانية:

قرأ عاصم (**يضاهِئون**) بكسر الهاء والهمز وهي لغة ثقيف.

وقرأ الباقون (**يضاهُون**) بضم الهاء وبغير همز وهي قراءة عامة قراء الحجاز والعراق[٥٩٤] وقد ذكر كثير من المفسرين بأنهما لغتان[٥٩٥]، يقال

---

(٥٩١) ذكرها ابن عطية في تفسيره (٢٣/٣)، أبو حيان في تفسيره (٣١/٥) ولم ينسبها إلى أحد، وذكرها السمين الحلبي في تفسيره (٣٨/٦) ولم أجد هذه القراءة في كتب القراءات الشاذة.

(٥٩٢) انظر [المحرر الوجيز (٢٤/٣)].

(٥٩٣) المحرر الوجيز (٢٦/٣).

(٥٩٤) انظر [جامع البيان (١١٣/١٠)].

(٥٩٥) انظر [جامع البيان: الطبري (١١٣/١٠)، المحرر الوجيز (٢٥/٣)، معالم التنزيل (٢٤١/٢)، مفاتيح الغيب (٣٠/١٥)].

ضاهيت: ضاهأت مثل: أرجيت وأرجأت. والحجة لمن همز: أنَّه أتى به على الأصل، والحجة لمن ترك الهمز: أنه أراد التخفيف فأسقط الياء لحركتها بالضم، والضم لا يدخلها.

الجمع بين القراءتين:

أرى أنهما لغتان من لغات العرب، ولكن استعمال الهمزة لثقلها للحالات الثقيلة النادرة(٥٩٦)، توحي بثقل القول الذي يخرجونه من أفواههم. وهل يوجد قول أثقل من قولهم هذا (عزير ابن الله) أو (المسيح ابن الله)؟ تعالى الله عما يصفون ويشركون علواً كبيراً!.

٨ ـ ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [التوبة: ٣٦].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ أبو جعفر (**اثنآ عشر**) بالمد المشبع ـ مد ألف اثنا لالتقاء الساكنين ـ وإسكان العين.

٢ ـ وقرأ الباقون (**اثنا عَشَر**) بدون مد مع فتح العين(٥٩٧).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(عشر) العشرة أول العقود، من العرب من يُسكّن العين فيقول: أحدَ عْشر، ونقل ابن منظور عن الأخفش: «إنما سكّنوا العين لما طال الاسم وكثُرت حركاته»(٥٩٨).

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

(٥٩٦) انظر [بلاغة الكلمة: د. فاضل السامرّائي ص٥٧].
(٥٩٧) انظر [النشر (٢/٢٠٩، ٢١٠)، البدور الزاهرة ص١٦٦].
(٥٩٨) انظر [لسان العرب (٤/٥٦٨ ـ ٥٦٩) مادة عشر].

أعلم الله ﷻ في هذه الآية: أنَّ عدة شهور المسلمين يعني - شهور السنة - التي تؤدى فيها الزكاة اثنا عشر شهراً على منازل القمر، فجعل حَجَّهم وأعيادهم وصلاتهم في أعيادهم هذا العدد.

فأعلم الله ﷻ أن سني المسلمين على الأهلة ومن يوم أن خلق الله السموات والأرض من الشهور: أربعةٌ حُرُم (محرم - رجب - ذو القعدة - ذو الحجة) ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ وكان ذلك الحساب الصحيح المستقيم لا يزيد ولا ينقص ﴿فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ في الاثني عشر بالمعصية، ويقال في الأشهر الحرم ﴿وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً﴾ جميعاً غير متفرقين ﴿كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً﴾ جميعاً ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟﴾ يا معشر المؤمنين أنَّ الله مع المتقين ضامنٌ لهم النصر(٥٩٩).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قرأ أبو جعفر **(اثنآ عْشر)** بإسكان العين ومد الألف مداً مشبعاً لأجل الساكن، لأنَّه حينئذٍ أصبح من باب المد اللازم(٦٠٠).

وسكون حرف العين؛ لأنَّ الاسمين (اثنا عشر) كالاسم الواحد وبني الأول منهما؛ لأنَّه كصدر الاسم، والثاني منهما؛ لتضمنه معنى واو العطف، فجعل تسكين أول الثاني دليلاً على أنهما قد صارا كالاسم الواحد(٦٠١)

وقرأ الباقون (اثنا عَشر) بفتح العين وصلاً وبدءاً، والإسكان والفتح لغتان صحيحتان.

---

(٥٩٩) انظر [معاني القرآن: الزجاج (٢/٤٤٥ - ٤٤٧)، معاني القرآن: النحاس (١/٤٤٦ - ٤٤٧)، مجاز القرآن (١/٢٥٨)، تفسير ابن وهب المسمى الواضح في تفسير القرآن الكريم: أبو محمد عبد الله بن محمد بن وهب الدينوري (ت ٣٠٨هـ) (١/٣١٣) - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط١ - ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م - تحقيق: أحمد فريد].

(٦٠٠) انظر [المغني في توجيه القراءات (٢/٢٠٥)].

(٦٠١) انظر [مجمع البيان (١٠/٥٥)].

غير أنَّ المد فيه طول زيادة[٦٠٢] يدل على طول الزمن. فيكون التفسير إنَّ عدة الشهور اثنا عشر شهراً عند الله في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض، فهو مكتوبٌ عند الله منذ أن خلق الله السموات والأرض وسيستمر إلى يوم القيامة وهذا المعنى أخذناه من توالي الحركات الذي يفيد الاستمرارية. أفادت قراءة المد: أنَّ ذلك العدد واجبٌ متقررٌ في علم الله، وفي كتاب الله من أول ما خلق الله الخلق.

والمد اللازم: من أقوى أنواع المدود، ولا يتمكن النطق بالساكن بحقه إلا بالمد لذلك اتفق القراء على مده مداً مشبعاً[٦٠٣].

٩ ـ ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِي ٱلۡكُفۡرِۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُۥ عَامٗا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامٗا لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُۚ زُيِّنَ لَهُمۡ سُوٓءُ أَعۡمَٰلِهِمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٣٧﴾ [التوبة: ٣٧].

أولاً: القراءات:

١ ـ أ ـ قرأ ورش وأبو جعفر (إنما النسيّ) بتشديد الياء من غير همز ولا مد؛ وأبو جعفر أبدل الهمزة حرف مد، بحسب حركة ما قبله.

ب ـ قرأ الباقون ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ﴾ بالمد والهمز[٦٠٤].

٢ ـ أ ـ قرأ حمزة والكسائي وخلف وحفص (**يُضَل**) بضم الياء وفتح الضاد.

ب ـ وقرأ يعقوب (**يُضِل**) بضم الياء وكسر الضاد.

ج ـ وقرأ الباقون ﴿يَضِل) بفتح الياء وكسر الضاد[٦٠٥].

---

(٦٠٢) انظر [النشر (٢٤٥/١)].

(٦٠٣) انظر [العمادي في شرح طيبة النشر في القراءات العشر (الكشف عن علل القراءات وتوجيهاتها) د. محمد سالم محيسن (١٨٢/١) دار الجيل ـ بيروت ـ ط١ ـ ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م].

(٦٠٤) انظر [النشر (٣٠٣/١)، (٢١٠/٢)، تحبير التيسير: ابن الجزري ص١٣١].

(٦٠٥) انظر [النشر (٢١٠/٢)].

٣ ـ أ ـ قرأ أبو جعفر (**ليواطُوا**) بحذف الهمزة وضم ما قبلها من أجل الواو.

ب ـ قرأ الباقون (**لِيُوَاطِئُوا**) بالهمز وكسر الطاء[٦٠٦].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(**النسيء**) مصدر من الفعل نسأ، نسأً، ومنسأ، أي أخّر، والنّسيء التّأخير[٦٠٧].

(**النسيُّ**) مصدر من الفعل نسا، ينسى، نسياً، ضد الحفظ، وأنساه الشيء أي أمره بتركه، ونسيء الشيء ضد حفظه والنسيان الكثير النسيان، والنسيّ أيضاً الكثير النسيان ومن لا يعد في قومه[٦٠٨].

(**يضل**) المضارع من ضل ـ ضلالاً ـ وضلالة ضد اهتدى أي حاد عن الدين أو حق أو طريق، ومنه أضل الشيء، أي أضاعه وأهلكه.

وأهل الحجاز يقولون ضللت أضَل، وأهل نجد يقولون ضللت أضِل[٦٠٩].

(**ليواطئوا**) ليوافقوا من وطئت، والمواطأة المواتاة[٦١٠]. والمواطأة الموافقة أيضاً، وطي وتوطية أي خفض وحطّ، وطّاه فتوطّى أي فصار كذلك هي لغة في وطّأ، وطِئتُهُ، وطأً، وتوطأ بالهمزة[٦١١].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

(٦٠٦) انظر [النشر (٣٠٨/١)، البدور الزاهرة ص١٦٦].

(٦٠٧) انظر [مجمل اللغة: ابن زكريا حمادة (٨٦٦/٣)، المنجد ص ٧٨٨ ـ ٧٨٩ مادة نسأ].

(٦٠٨) انظر [المنجد ص ٧٩٢ ـ ٧٩٣ مادة نسا].

(٦٠٩) انظر [لسان العرب (٣٩٠/١١) مادة ضلل، المنجد ص ٤٢٩ مادة ضل].

(٦١٠) انظر [معاني القرآن: الأخفش (٥٥٤/٢)، مجاز القرآن (٢٥٩/١)، المصباح المنير ص٣٩٥ مادة وطي ـ كتاب الواو].

(٦١١) انظر [لسان العرب (٣٩٦/١٥) مادة وطي، المنجد ص ٩٢٧ مادة وطي].

كل شيء في الكون خلقه الله، وَفقاً لنظام دقيق بديع، وإذا حاول أيُّ مخلوق التغيير وقلب هذا النظام، فهو ملحد وكافر.

فمنذ أن خلق الله الكون جعل العام اثنيْ عشر شهراً، وجعل أربعة أشهر حُرماً، يوقف فيها القتال، ولكنَّ أهل الجاهلية كانوا يؤخرون حرمة الشهر الحرام في القتال إلى شهر آخر، ولما جاء الإسلام نهى عن ذلك وحرّمه، وجعل هذا العمل ﴿زِيَادَةٌ فِي ٱلْكُفْرِ﴾ فهو كفر آخر، ضموه إلى كفرهم ﴿يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ضلالاً زائداً على ضلالهم ﴿يُحِلُّونَهُۥ﴾ أي: النسيء، وهو التأخير الذي يؤخِّره أهل الشرك بالله من الشهور الحرم الأربعة، من تصييرهم الحرام منهنّ حلالا، والحلال منهنّ حراما ﴿عَامًا﴾ أي سنة يجعلونه حلالاً ﴿وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا﴾ فيتركونه على حرمته، أي إذا أحلُّوا شهراً من الأشهر الحُرُم عاماً رجعوا فحرَّمُوه في العام المقبل ﴿لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ أي ليوافقوا عدة الأربعة المحرمة، وقد خالفوا التخصيص ﴿فَيُحِلُّوا۟ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ بمواطأة العدة وحدها من غير مراعاة الوقت، وهذا نتيجة تزيين وتضليل الشيطان لهم ذلك، فحَسَبوا أعمالهم القبيحة حسنة، وحُبِّب إليهم ذلك ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ حال اختيارهم الثبات على الباطل(٦١٢).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءة الأولى:

قرأ ورش **(النسيّ)** بتشديد الياء من غير همز، وذلك أنَّه خفَّف على ما يجب من الأصول، فلما أراد تخفيفها وجد قبلها ياء زائدة فأبدل من الهمزة ياء، وأدغم فيها الياء التي قبلها كقولك في تخفيف خطيئة خطيّة(٦١٣). والنسي مصدر من الفعل نسا ومنه نسيت الشيء أنساه.

(٦١٢) انظر [جامع البيان (١٢٩/١٠ ـ ١٣٠)، مدارك التنزيل (٤٢٦/٢)، مجمل اللغة (٨٦٦/٣)].

(٦١٣) انظر [الكشف (٥٠٢/١)].

يقول الطبري[٦١٤]: «وتوجيهه معنى الكلام إلى أنَّه فعل من قول القائل: نسيت الشيء أنساه، ومن قول الله ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧] بمعنى تركوا الله فَتَركهم» فيكون المعنى: أنَّ تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ﴾ أي يحلون المحرَّم عاماً، وعاماً يحرمونه.

أما (النَّسيء) بالهمز كما قرأ الباقون، والمد فهو مصدر من نسأه: أي إذا أخَّره، ويكون المعنى تأخير حرمة الشهر إلى شهر آخر[٦١٥]. فلأنه تأخير في المدة فيلزم منه الزيادة[٦١٦].

وقال الطبري[٦١٧]: «النسيء بالهمز معناه الزيادة». والتأخير؛ لأنهم كانوا أصحاب حروب وغارات فإذا جاء الشهر الحرام وهم محاربون شق عليهم ترك المحاربة، فيحلونه ويحرمون مكانه شهراً آخر، حتى رفضوا تخصيص الأشهر الحرم بالتحريم، فكانوا يحرِّمون من بين شهور العام أربعة أشهر[٦١٨].

خامساً: الجمع بين القراءتين:

أرى أنَّ القراءتين تعضد إحداهما الأخرى، فالنسيء بمعنى الترك والنسيان أو التأخير. فهم إذاً بتركهم الشهر المحرم عاماً يكونوا قد أخَّروه للعام المقبل فيحرمونه.

القراءة الثانية:

قرأ حمزة والكسائي وخلف وحفص (**يُضَل**) بضم الياء وفتح الضاد وهو مضارعٌ للمفعول، والحجة له: أنَّه جعله فعل ما لم يُسمَّ فاعله[٦١٩]،

---

(٦١٤) جامع البيان (١٠/١٣٠).

(٦١٥) انظر [مدارك التنزيل (٢/٤٢٦)، نظم الدرر (٣/٣٠٨)].

(٦١٦) انظر [الدر المصون (٦/٤٦)].

(٦١٧) جامع البيان (١٠/١٢٩).

(٦١٨) انظر [مدارك التنزيل (٢/٤٢٦)، وذكر ذلك أيضاً البقاعي في نظم الدرر (٣/٣٠٨)].

(٦١٩) انظر [الحجة: ابن خالويه ص٩٧].

والحجة الأخرى: أنَّ الكلام أتى عقيب ذلك بترك تسمية الفاعل وهو (**زُيّن**)[٦٢٠] فدلَّ على أنَّ ما تقدّمه من الفعل جرى بلفظه، إذ كان التزيين إضلالاً في الحقيقة، فجعل ما قبل التزيين شاملاً للفظه ليأتلف الكلام على نظام واحدٍ، وصيغة المضارع المبني للمجهول من الفعل الرباعي (**أضل - يُضلّ**) ومعنى ذلك أنَّ المسند إليه وهو الفاعل الحقيقي محذوف لغرض، وهو أن يرد على الذهن كل من يمكن أن يسند إليه الإضلال ويكون (**الذين كفروا**) نائب فاعل.

وخير ما يفسِّر لنا هذا الغرض البلاغي، قراءة يعقوب التي جاء فيها الفعل مبنياً للمعلوم (**يُضِل**) فيكون الفعل مقدراً و(**الذين كفروا**) مفعول به.

فيكون التقدير:

١ - يُضل الله به الذين كفروا.

٢ - يُضل الشيطان به الذين كفروا.

٣ - يُضل به الذين كفروا كبراءهم وتابعيهم؛ لأنهم يحملونهم على تأخير حرمة الشهر الحرام فيضلونهم بذلك.[٦٢١]

أما باقي القراء العشرة قرأوا (**يَضِل**) بفتح الياء وكسر الضاد، على أنه مضارع (ضل) الثلاثي مبني للفاعل. و(**الذين كفروا**) الفاعل وأضيف الفاعل إلى الكفار مباشرة؛ لأنَّهم الضالون في أنفسهم بذلك التأخير، لأنَّهم يحلّون ما حرَّم الله، وأيضاً هم ضلُّوا غيرهم، فضلوهم بتأخيرهم شهراً وتقديمهم شهراً[٦٢٢].

لذلك حَسُن إسناد الضلال إليهم إن كانوا ضالِّين في أنفسهم، وحَسُن

(٦٢٠) انظر [الحجة: ابن زنجلة ص٣١٨].

(٦٢١) انظر [طلائع البشر: محمد قمحاوي ص١١، التوجيه اللغوي: د. صبري ص٢١٤ - ٢١٥].

(٦٢٢) انظر [الكشف (٥٠٢/١)، معاني القراءات: ص٢٠٨، الحجة: ابن خالويه ص٩٧ - ٩٨].

إسناد الضلال إليهم أيضاً إن كانوا مضلين لغيرهم، وذلك لأنَّ المضلَّ لغيره، ضال في نفسه لا محالة[٦٢٣]. ويقول الطبري في قراءة (**يُضَل**) و(**يَضِل**) «هما قراءتان مشهورتان»[٦٢٤].

الجمع بين القراءتين:

بالجمع بين القراءتين: أرى أنَّهما متقاربتا المعنى، لأنَّ من أضله الله فهو ضال، ومن ضلّ فبإضلال الله إياه وخذلانه له ضل، ومن كان ضالاً فهو يضل غيره[٦٢٥]. وهو شاهد على بلاغة حذف المسند إليه[٦٢٦].

القراءة الثالثة:

قرأ معظم القراء (**ليواطِئوا**) بالهمز وكسر الطاء من واطأت فلاناً على شيء: أي وافقته عليه، معيناً له، غير مخالف عليه، فيكون معنى الكلام: أنهم يوافقون بعدة الشهور التي يحرمونها عدة الأشهر الأربعة التي حرّمها الله، لا يزيدون عليها، ولا ينقصون منها، وإن قدّموا وأخروا فذلك مواطأة عدتهم، عدة ما حرم الله[٦٢٧].

فهم كانوا يحرِّمون القتال في المحرم فإذا عزموا على أن يقاتلوا فيه جعلوا صفراً كالمحرم، وقاتلوا في المحرم وأبدلوا صفراً منه، فجعلوا صفراً كالمحرم في العدة. والمواطأة المماثلة والاتفاق على الشيء[٦٢٨].

يقول ابن عطية: «يحتفظوا في كلِّ أربعة أشهر في العدد، فأزالوا الفضيلة التي خص الله بها الأشهر الحرم وحدها، بمثابة أحد يفطر رمضان

(٦٢٣) انظر [التوجيه اللغوي: د. صبري ص٢١٥].

(٦٢٤) جامع البيان (١٢٩/١٠).

(٦٢٥) انظر [المرجع السابق نفس الصفحة].

(٦٢٦) انظر [التوجيه اللغوي: د. صبري ص ٢١٤].

(٦٢٧) انظر [جامع البيان (١٣٢/١٠)].

(٦٢٨) انظر [معاني القرآن: الزجاج (٤٤٧/٢)].

ويصوم شهراً من السنة بغير مرض أو سفر»[٦٢٩].

أما قراءة حمزة (**ليواطُوا**) قرأها بحذف الهمزة وضم ما قبلها، فأصلها (**ليواطِيوا**) بكسر الطاء وضم الياء الصريحة، ولمّا أبدل الهمزة ياءً، استعمل الضمة محلها فحذفها، فالتقى ساكنان، فحذفت الياء وضمت الطاء لتجانس الواو[٦٣٠]. فحَذْف الهمزة يدل على الخفة، فهم استخفوا بسنن الله وغيَّروا نظام الكون وكان لهم العقاب من الله.

أما قراءة الهمزة (**ليواطئوا**) ففيها ثِقَل في المعنى لثقل الهمز؛ وذلك يُوحي بثقل جُرْم هؤلاء الكفار، بسبب تلاعبهم بالسنن الإلهية وتغييرهم في أوقات العبادة، فكانوا يرتبون وقت الحج في زمنٍ يناسب ظروف تجارتهم، بدلاً من تقلبه تارة في الصيف وتارة في الشتاء، وكانوا يشنوا الغارات والحروب، أو يستمروا في القتال على وفق رغباتهم وأهوائهم ومصالحهم.[٦٣١]

الجمع بين القراءتين:

بالجمع بين القراءتين: أرى أنَّ قراءة التسهيل أفادت خفَّتهم واستهانتهم بالسُّنن الكونية وقراءة الهمز أفادت عِظَمَ وثِقَل جرمهم بهذه الاستهانة بالسنن الكونية والله أعلم.

١٠ ـ ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [التوبة: ٤٠].

(٦٢٩) المحرر الوجيز (٣/٣٣).
(٦٣٠) انظر [الدر المصون (٦/٤٨)].
(٦٣١) انظر [التفسير المنير (١٠/٢١٤)].

أولاً: القراءات:

١ ـ أ ـ قرأ أبو عمر والكسائي من رواية الدوري من طريق جعفر ﴿ٱلْغَارِ﴾ بإمالة الألف.

ب ـ وقرأ الباقون ﴿ٱلْغَارِ﴾ بدون إمالة[٦٣٢].

٢ ـ أ ـ قرأ يعقوب (**كلمةَ الله**) بنصب تاء التأنيث.

ب ـ وقرأ الباقون (**كلمةُ الله**) برفع تاء التأنيث.[٦٣٣]

ثانياً: المعنى اللُّغوي للقراءات:

(الغار) يغور غوراً، أي أتى الغَوْر، والغار هو الكهف والجمع أغوار[٦٣٤]. وأيضاً هو المنخفض من الأرض، الغار الذي أوى إليه الرسول ﷺ ومعه أبو بكر في جبل ثور، وهو مطل على مكة[٦٣٥]، والغار هو الثقب في التراب أو الصخر[٦٣٦].

(**الكلمة**) **كلم**: القرآن: كلام الله وكلمُ الله، وكلماتُه وكلمتِه، والكلمة هنا كلمة التوحيد وهي لا إله إلا الله والكلمة لغة تميميّة والكلمة لفظة حجازية وجمعها كلِّم تُذكر وتؤنث، وكلمة ربك تعني: أمر الله[٦٣٧]. وكلمة: مفرد كلام وهو القول أو ما كان مكتفياً بنفسه، يقال كلّمه تكليماً وكلاماً[٦٣٨] أصلها اللفظة من الكلام ثم أطلقت على الأمر والشأن[٦٣٩]. وهنا في الآية كلمة الله قيل: لا إله إلا الله، وقيل: وعد النصر[٦٤٠].

(٦٣٢) انظر [النشر (٢/٤٢ ـ ٤٣)، (٢/٢١٠)، إتحاف فضلاء البشر (٢/٩٢)].

(٦٣٣) انظر [النشر (٢/٢١٠)، البدور الزاهرة ص١٦٧].

(٦٣٤) انظر [لسان العرب (٥/٣٥) مادة غور، المنجد ص٥٢٩ مادة غار].

(٦٣٥) انظر [المصباح المنير ص ٢٧١ ـ كتاب الغين مادة غور].

(٦٣٦) انظر [التحرير والتنوير (١٠/٢٠٣)، فتح القدير (٢/٤٥٤)].

(٦٣٧) انظر [لسان العرب (١٢/٥٢٢ ـ ٥٢٥) مادة كلم].

(٦٣٨) انظر [القاموس المحيط ص١٤٩١].

(٦٣٩) انظر [التحرير والتنوير (١٠/٢٠٥)].

(٦٤٠) انظر [الجامع لأحكام القرآن (٤/٤٨٥)].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

هذه الآية تضمَّنت حادث الهجرة من مكة إلى المدينة الذي كان نقطة تحوُّلٍ في سبيل الدعوة الإسلامية حيث أظهر الله الإسلام على الكفر.

فقال الله تعالى ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ﴾ أي إن لم تنصروا الرسول الذي استنصركم في سبيل الله على من أرادوا قتاله من أعداء الله، فإنَّ الله ناصره ومؤيده وحافظه كما تولى نصره في الوقت الذي اضطره المشركون إلى الهجرة، حين كان ثاني اثنين في الغار، وكان صاحبه قد ساوره الحزن فقال له: لا تحزن إنَّ الله معنا ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمۡ تَرَوۡهَا﴾ أي تأييده ونصره للرسول ﷺ وقوّاه بجنود من عنده، يسترونه هو وصاحبه عن أعين الكفار. وجعل كلمة الشرك هي السُّفلى، وكلمة الله هي العليا بظهور نور الإسلام وإزالة سيادة المشركين في الجزيرة العربية ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ أي والله غالب على أمره، عزيز في انتقامه وانتصاره، حكيم في أقواله وأفعاله[٦٤١].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءة الأولى:

من قرأ (الغَار) بالفتح وبدون إمالة فإنه راعى الأصل[٦٤٢]، ومن أمال لأسباب: أنَّ الإمالة لأجل كسرة تعرض في أحوال الكلمة (الغَار) ومنها الفعل (غار) فالفاء تكسر من ذلك إذا اتصل بها الضمير المرفوع من المتكلم والمخاطب ونون جماعة الإناث فنقول غِرت[٦٤٣]. وقراءة الإمالة تكون في موضع اللين والخطاب الرقيق فناسبت خطاب الرسول ﷺ لأبي بكر الصديق

(٦٤١) انظر [تفسير القرآن العظيم (٣٥٨/٢، ٣٥٩)، في رحاب التفسير (١٥٥٨/١٠ ـ ١٥٥٩)].

(٦٤٢) انظر [النشر (٢٨/٢)].

(٦٤٣) انظر [المرجع السابق (٢٦/٢ ـ ٢٧)].

الذي يحمل طابع اللين والرقة، أما من ترك الإمالة ففي موضع التهديد والإنذار[٦٤٤] وهذا يتناسب مع الإنذار في بداية الآية في قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ﴾.

خامساً: الجمع بين القراءتين:

يتبين بالجمع بين القراءتين أسلوب القرآن العظيم في جمعه بين خطاب اللين والرقة وبين خطاب الإنذار والتهديد والله أعلم.

القراءة الثانية:

جمهور القراء قرأ **(وكلمةُ الله)** على رفع كلمة على أنها مبتدأ والخبر **(هي العليا)** ويجوز أن تكون هي مبتدأ ثانياً والعليا خبرها، والجملة خبر الأول. ويجوز أن تكون هي فصلاً والعليا الخبر[٦٤٥]. والاستئناف يفيد أنَّ كلمة الله هي العليا على كل حال[٦٤٦] لأن الرفع أثبت في الإخبار[٦٤٧].

وخالف يعقوب الجمهور فقرأ ﴿وَكَلِمَةَ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَا﴾ بنصب التاء، توجيه ذلك:

أ ـ إما أنَّها معطوفة على ﴿كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وجملة ﴿هِيَ ٱلْعُلْيَا﴾ في محل نصب مفعول ثان.

ب ـ أو على تقدير محذوف **(وجعل)** فيكون التقدير وجعل كلمة الله هي العليا، وتكون هي العليا المفعول الثاني لجعل[٦٤٨].

---

(٦٤٤) راجع ص٨٢.

(٦٤٥) انظر [الفريد في إعراب القرآن المجيد (٤٧١/٢)، الدر المصون (٥٢/٦)].

(٦٤٦) انظر [مجمع البيان (٦٣/١٠)].

(٦٤٧) انظر [البحر المحيط (٤٤/٥)].

(٦٤٨) انظر [معاني القراءات ص٢٠٨، المستنير في توجيه القراءات (٢٢٥/١)].

الجمع بين القراءتين:

١ ـ قراءة النصب أفادت أنَّ الله جعل كلمته عليّةً ظاهرة، ثم عاد فقرَّر أنَّ علوَّ كلمته سبحانه قديم لم يطرأ بعد أن لم يكن، فالمسألة مسألة إبداء وليست مسألة ابتداء، فكلمة الله عالية أصلاً، ولكنَّ بعض الناس ظن خلاف ذلك، فأظهر الله سبحانه إرادته حين نصر النبي ﷺ على المشركين يوم الغار.

٢ ـ أنَّ الله ـ سبحانه وتعالى ـ أخبر ـ وذلك من خلال قراءة يعقوب المتواترة على تقدير وجعل ـ أن جعل الشيء لا يعني حدوثه وهذا دليل ضد المعتزلة الذين قالوا: بأنَّ القرآن مخلوق؛ حيث قالوا كل مجعول فهو مخلوق، مستدلين بقوله تعالى:

﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾﴾ [الزخرف: ٣].

وقوله: ﴿وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الشورى: ٥٢].

فأوهموا باستدلالهم حدوث القرآن على أساس أنه مجعول.

فبم تردُّ المعتزلة على هذه القراءة المتواترة؟

فهل كانت كلمة الله هي العليا يوم الهجرة؟ ولم تكن غير ذلك من قبل؟ وهل طرأ عليها العلو بعد أن لم يكن؟[٦٤٩]

١١ ـ ﴿قُلْ أَنفِقُوا۟ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ ۖ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [التَّوبة: ٥٣].

---

(٦٤٩) انظر [القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني: د. محمد حبشي ص١٥٠. نقل عن ما حرره القاضي عبد الجبار بن أحمد المعتزلي في كتابه طبقات المعتزلة ص ١٥٧٠ ـ بتحقيق السيد فؤاد السيد ـ ط دار التونسية للنشر ـ ولكنني بحثت عن هذا الكتاب فلم أجده].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ حمزة والكسائي وخلف (**كُرْهاً**) بضم الكاف.

٢ ـ وقرأ الباقون (**كَرْهاً**) بفتح الكاف[٦٥٠].

ثانياً: المعنى اللُّغوي للقراءات:

(كَرِه ـ كَرها، كُرها) ضد أحب. والكَره، والكُره مصدران بمعنى: الإباء والمشقة أو ما أُكره الإنسان عليه، وقال الفرَّاء[٦٥١]: «هو بالضم ما أكرهت نفسك عليه، وبالفتح ما أكرهك غيرك عليه»[٦٥٢]. قد أتى ابن منظور بأقوال ودلائل تدل على حُجَّة ما ذهب إليه الفرَّاء. وقيل بالفتح المشقة وبالضم القهر وقيل العكس[٦٥٣]، وقال أبو عبيدة: «مفتوح ومضموم سواء»[٦٥٤].

ثالثاً: التَّفسير الإجمالي للآية:

﴿قُلْ أَنفِقُواْ﴾ أموالكم في سبيل الله ﴿طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ مصدران وقعا موقع الفاعل أي طائعين أو كارهين، وهو أمرٌ في معنى الخبر والمعنى أنفقتم طوعاً أو كرهاً ﴿لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ﴾ أي لن يتقبل الله منكم شيئاً؛ لأنكم فاسقون خارجون عن حدود الله؛ لأن هؤلاء المنافقين خلت أعمالهم من الصواب والإخلاص، فكانت كرماد اشتدت به الرّيح في يوم عاصف[٦٥٥].

(٦٥٠) انظر [النشر (١٨٧/٢)، (٢١٠/٢)، البدور الزاهرة ص ١٦٨].

(٦٥١) سبقت ترجمة ص٥٧.

(٦٥٢) انظر [معاني القرآن: الفرَّاء (٤٤١/١)].

(٦٥٣) انظر [لسان العرب (٥٣٤/١٣) مادة كره، منجد الطلاب ص٦٤٠ مادة كره].

(٦٥٤) مجاز القرآن (٢٦٢/١).

(٦٥٥) انظر [إرشاد العقل السليم: (٤٠٠/٣ ـ ٤٠١)، في رحاب التَّفسير (١٥٧٠/١٠ - ١٥٧١)].

وهذه الآية وإن كانت خاصة في إنفاق المنافقين فهي عامّة في حق كل من أنفق ماله رياء وسمعة(٦٥٦).

رابعاً: العلاقة التّفسيرية بين القراءات:

قرأ حمزة والكسائي وخلف (كُرهاً) بضم الكاف من المشقة.

وقرأ الباقون (كَرهاً) بالفتح من الإكراه، وقيل هما لغتان، وقيل بالضم المشقة، وبالفتح ما أكرهت عليه(٦٥٧).

وهو أمرٌ في اللفظ وليس بأمر في المعنى؛ لأنَّه أخبرهم أنّه لن يتقبل منهم، وهو في الكلام بمنزلة (إن) في الجزاء، كأنك قلت: إن أنفقت طوعاً أو كرهاً فليس بمقبول منك، ومثله ﴿ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ﴾ [التّوبة: ٨٠] ليس بأمر، إنما هو على تأويل الجزاء(٦٥٨)، فمعناه الخبر فقط فلم يأمره بالاستغفار، ولكن أعلمه أنَّه إن استغفر أو لم يستغفر فلن يغفر الله لهم فإن قال قائل: كيف يكون الأمر في معنى الخبر؟ فقل له: إذا كان في الكلام دليلٌ عليه جاز(٦٥٩).

واعلم أنَّ الخبر والأمر يتقاربان، فيحسن إقامة كلٍّ واحد منهما مقام الآخر(٦٦٠)، فإن كان الكُره بضم الكاف بمعنى المشقّة أو ما أكرهت نفسك عليه يكون المعنى: إن أنفقتم طائعين من غير إلزام من الله ورسوله أو مكرهين من قبل الله ورسوله، وسمّي الإلزام إكراهاً لهم؛ لأنَّهم منافقون، فكان إلزام الله إيّاهم الإنفاق شاقاً عليهم كالإكراه.

---

(٦٥٦) انظر [تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي، الشهير بالخازن (١٠٦/٣) ـ مطبعة البابي الحلبي بمصر ـ ط ـ ١٣٧٥هـ ـ ١٩٥٥م].

(٦٥٧) انظر [مفاتيح الغيب (٧١/١٥)].

(٦٥٨) انظر [معاني القرآن: الفرّاء (٤٤١/١)، جامع البيان (١٥٢/١٠)].

(٦٥٩) انظر [معاني القرآن: الزّجاج (٤٥٣/٢)].

(٦٦٠) انظر [مفاتيح الغيب (٧١/١٥)].

وأما بقراءة الفتح كَرها من الكَره أي ما أُكره عليه صاحبه، وأُجبر عليه إجباراً فيكون التقدير: إن أنفقتم طائعين من غير إكراه من رؤسائكم؛ لأن رؤساء أهل النّفاق، كانوا يحملون الأتباع على الإنفاق، لما يرون من المصلحة فيه أو مكرهين من جهتهم[٦٦١].

وأيضاً قراءة الفتح (الكَره) فهو أشد الإلزام أي أُجبر عليه إجباراً، والأمر في أنفقوا للتسوية دلَّت عليه ﴿أَوْ﴾ في قوله ﴿طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾[٦٦٢].

وقال قوم: (الكَره المصدر تقول كَرهته كَرها مثل شربته شَرباً، والكُره اسم ذلك الشيء)[٦٦٣].

خامساً: الجمع بين القراءتين:

بالجمع بين القراءتين: نجد أنَّ الفهم يزيد عمقاً للآية فيكون المعنى: قل أنفقوا طوعاً أو كرهاً، سواء أنتم كرهتم ذلك؛ لأنَّه إلزام من الله ورسوله، أو استكرهتم عليه؛ لأن أحداً أمركم بذلك، فشقَّ عليكم ذلك، فلن يُتقبَّل منكم على جميع الأحوال ومما يدل على هذا المعنى أن ﴿أَنفِقُواْ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ لا يدل على أنَّهم ينفقون طائعين بل غايته أنَّه ردَّد حالهم بين الأمرين وكون الترديد ينافي القطع محل نظر، كما تقول: إن أحسنت أو أسأت لا أزورك، مع أنَّه لا يحسن مطلقاً، ويكون التّرديد لتوسّع الدائرة[٦٦٤].

١٢ ـ ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [التَّوبة: ٥٤].

أولاً: القراءات:

---

(٦٦١) انظر [مفاتيح الغيب (٧١/١٥)].

(٦٦٢) انظر [التحرير والتنوير (٢٢٦/٢)].

(٦٦٣) انظر [الحجَّة: ابن زنجلة ص١٩٥ ـ ١٩٦].

(٦٦٤) انظر [روح المعاني (٣٠٨/١٠)].

١ ـ قرأ حمزة والكسائي وخلف **(أن يُقبَلَ)** بالياء على التذكير.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿أن تُقبلَ﴾ بالتاء على التأنيث(٦٦٥).

ثانياً: المعنى اللُّغوي للقراءات:

قبل: قبولا وقبلت العقد أقبله من باب تَعبَ، وقبولاً بالفتح والضم، وقبلت القول: صدّقته، وقبلت الهديّة: أخذتها، وقبل الله دعاءنا وعبادتنا تقبّله(٦٦٦).

ثالثاً: التَّفسير الإجمالي للآية:

بعد أن بيَّن الله تعالى عاقبة المنافقين في الآيات السابقة لهذه الآية ... وهي العذاب في الدنيا والآخرة، قُفّي على ذلك ببيان: أنَّ نفقاتهم على الجهاد طوعاً أو كرهاً لا ينتفعون بها في الآخرة، وذلك لأنَّهم إنما يفعلونه رئاء الناس وخوفاً على أنفسهم من الفضيحة إذا هم تركوها. فالصلاة يقيمونها لا إيماناً بوجوبها ولا احتساباً لأجرها، إنما مخافة على أنفسهم بتركها من المؤمنين، والأموال لا ينفقونها في مصالح الجهاد وغيره؛ إلا وهم كارهون لذلك من غير طيبة نفس، ولذلك لا يتقبل الله منهم لا نفقة ولا عملاً؛ لأنَّه إنما يتقبل من المؤمنين المتقين(٦٦٧).

رابعاً: العلاقة التَّفسيرية بين القراءات:

قرأ حمزة والكسائي وخلف **(أن يُقبل منهم نفقاتهم)** على التذكير، وعلى البناء للمفعول، وجاز هنا التذكير(٦٦٨)، لأن (نفقات) مؤنّث غير حقيقي، ولأنَّه قد فرَّق بينهما وبين الفعل بـ(منهم)، ولأن النفقات أموال،

---

(٦٦٥) انظر [النشر (٢/٢١٠)، البدور الزاهرة ص ١٦٨، إرشاد المريد إلى مقصود القصيد: علي محمد الضباع ـ ص٢٥٩ ـ دار الصحابة للتراث بطنطا ـ ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م].

(٦٦٦) انظر [لسان العرب (١١/٥٣٦) مادة قبل، القاموس المحيط ص١٣٥١ مادة قبل].

(٦٦٧) انظر [جامع البيان (١٠/١٥٢)، التَّفسير المنير (١٠/٢٥٠)، في رحاب التَّفسير (١٠/١٥٧١)].

(٦٦٨) انظر [شرح قطر الندى ص ١٨٢ ـ ١٨٣].

فكأنَّه قال: أن يقبل منهم أموالهم، النفقات في معنى الإنفاق، فالكلام محمولٌ على المعنى وهو المصدر فذُكِّرَ. كما قال تعالى: ﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [البقرة: ٢٧٥]، وقوله تعالى أيضاً: ﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ ٦٧﴾ [هود: ٦٧].

أما قراءة الباقين بالتاء **(أن تُقبل)** والتاء والياء على البناء للمفعول، جاءت قراءة التاء على الأصل؛ لأن الفعل أُسند إلى فاعل مؤنّث، حيث إنَّ النفقات مؤنّثة في اللفظ فأُنث الفعل ليعلم أن المسند إليه مؤنّث(٦٦٩).

خامساً: الجمع بين القراءتين:

بالجمع بين القراءتين: أرى أنَّ الفعل قد أُنث مراعاةً لتأنيث اللفظ الواقع نائب فاعل، والفعل قد ذُكر مراعاة لمعنى اللفظ الذي أسند إليه هذا الفعل، فكلمة **(نفقاتهم)** في هذا السياق ضمنت معنى النفقات والإنفاق، وهذا المعنى لا نأخذه إلا من قراءة تذكير الفعل(٦٧٠).

١٣ ـ ﴿لَوۡ يَجِدُونَ مَلۡجَـًٔا أَوۡ مَغَٰرَٰتٍ أَوۡ مُدَّخَلٗا لَّوَلَّوۡاْ إِلَيۡهِ وَهُمۡ يَجۡمَحُونَ ٥٧﴾ [التّوبة: ٥٧].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ يعقوب **(أو مَدْخَلاً)** بفتح الميم وإسكان الدال مخففة.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿أو مُدَّخلاً﴾ بضم الميم وفتح الدال مشدّدة(٦٧١).

ثانياً: المعنى اللُّغوي للقراءات:

مَدخَلاً: اسم مكان من الفعل الثّلاثي دخل يدخل مَدخلا، والمَدْخل

---

(٦٦٩) انظر [الفريد في إعراب القرآن (٢/٤٨٠)، الحجَّة: ابن زنجلة ص٣١٩، معاني القراءات ص٢٠٩].

(٦٧٠) انظر [التَّوجيه اللُّغوي والبلاغي: د. صبري ص٢٦٣].

(٦٧١) انظر [النشر (٢/٢١٠)].

أي: الدَّخول وموضع الدَّخول أيضا ودخل نقيض خرج(٦٧٢).

مُدَّخَلاً: من أدخل المزيد، والمُدْخل بضم الميم، الإدخال والمفعول من أدخله، تقول أدخلته مُدخل صِدْق.

ومُدَّخلا أصله مُدْتخِلٌ، ولكن التاء تُبدل بعد الدال؛ لأن التاء مهموسة والدَّال مجهورة والتاء والدال من مكان واحد، فكان الكلام من وجه واحد أخف، والمُدّخل شِبْه الغار يُدخل فيه، وهو مفتعل من الدَّخول أو سِرباً في الأرض، وهو مكان يُدخلون فيه أنفسهم أو يُدخلهم الخوف فيه(٦٧٣).

ثالثاً: التَّفسير الإجمالي للآية:

يقول تعالى: ﴿لَوْ يَجِدُونَ﴾ هؤلاء المنافقون ﴿مَلْجَئًا﴾ أي مكان يُتحصَّن فيه ﴿أَوْ مَغَٰرَٰتٍ﴾ وهي: جمع مغارة وهو: الموضع الذي يغور فيه الإنسان، ويستتر فيه ﴿أَوْ مُدَّخَلًا﴾ أي: قوماً، يدخلون في جملتهم(٦٧٤) أو سرباً في الأرض، يدخلون فيه، والمعنى: لو وجدوا هذه الأشياء ﴿لَّوَلَّوْا۟ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾ أي لانصرفوا إليه مسرعين، لا يَرُدُّ وجوههم شي هرباً من الرَّسول ﷺ وأصحابه، فكانت صحبة المنافقين للرسول ﷺ والصحابة، صحبة اضطرار لا اختيار.

وهذا الوصف الدقيق، الذي يصفه الله بما في ضمائرهم، إنما وصفه؛ ليظهر مدى البغض والحقد الذي يكنُّه المنافقون لرسول الله ﷺ وأهل الإيمان به، والعداوة لهم(٦٧٥).

---

(٦٧٢) انظر [معاني القرآن: الزّجّاج (٢/٤٥٥)، القاموس المحيط ص١٢٩٠ مادة دخل].

(٦٧٣) انظر [لسان العرب (١/٢٤٠) مادة دخل، جامع البيان (١٠/٨٠)، روح المعاني (١٠/٣٠٩)].

(٦٧٤) انظر [معاني القرآن: الزجّاج (٢/٤٥٤ ـ ٤٥٥)].

(٦٧٥) انظر [جامع البيان (١٠/١٥٤)، القاموس المحيط (٥/٥٤)، تفسير القرآن الكريم المسمّى السِّراج المنير الخطيب الشربيني (١/٦٢٢) ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان ـ ط٢].

رابعاً: العلاقة التَّفسيرية بين القراءات:

قرأ الحضرميُّ يعقوب وحده **(أو مَدْخلا)** بفتح الميم وسكون الدال، ومَدْخلاً: هو موضع الدخول فهو مكانٌ يدخلونه بغاية العسر والصعوبة؛ لضيقه أو لمانع في طريقه، فهم يُدخلون أنفسهم فيه، أو يدْخلهم الخوف فيه، والمعنى: لو وجدوا هذا المكان لهربوا إليه.

أما الباقون فقرأوا **(مُدَّخَلاً)** بضم الميم وتشديد الدال وكان في الأصل كما ذكرنا في المعنى اللُّغوي **(مُدْتخلا)** فأدغمت التاء في الدال، وجعلتا دالاً مشددة، وهو مفتعل، من الدخول يقال: إدّخل، يَدّخل، ادّخالا، ومُدّخلا، وهذا مُدّخل القوم.

والمعنى لو يجدون قوماً يدخلون في جملتهم؛ لاشتدّوا في التّوجه إليهم متولّين مرتدّين عنكم على أعقابهم. أي: لو يجدون قوماً يمنعونهم منكم لهربوا إليه(٦٧٦).

خامساً: الجمع بين القراءتين:

بالجمع بين القراءتين: أرى أنَّ كلَّ قراءة منهما أفادت معنىً جديداً في تفسير الآية: فمعنى الآية أنَّ المنافقين يتظاهرون بالإيمان؛ لأنَّهم لا يجدون ما يحميهم من المؤمنين من ملجأ يلجئون إليه، أو حصن، أو جبل؛ هرباً من المؤمنين. وهذا ما أفادته قراءة التخفيف (مَدخلا) أو قوماً يمنعونهم من أذى المؤمنين، ويحمونهم منهم، وهذا ما أرشدت إليه قراءة التشديد (مُدّخلا)، وأفادت أيضاً أن المدّخل مهما كان ضيقاً عسير الدخول رغم ذلك لو وجدوه لهربوا إليه دون تردد، وهو يعبِّر عن حالة الاحتقان في قلوبهم والله أعلم.

١٤ ـ ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟

---

(٦٧٦) انظر [معاني القراءات ص٢٠٩، زاد المسير (٢/٢٦٨)، تفسير البيضاوي (١٠/٢٧٣)، نظم الدرر (٣/٣٣٥)].

مِنۡهَآ إِذَا هُمۡ يَسۡخَطُونَ ﴿٥٨﴾ [التّوبة: ٥٨].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ يعقوب (**يلمُزُك**) بضم الميم.

٢ ـ وقرأ الباقون (يلمِزُك) بكسر الميم(٦٧٧)

ثانياً: المعنى اللُّغوي للقراءات:

لمزَ: منه اللَّمز كالغمز في الوجه، تلمزه بفيك بكلام خفي، قال الزجّاج(٦٧٨): «اللُّمَزَ: الكثير العيب للنّاس».

اللَّمزُ: العيب في الوجه، وأصله: الإشارة بالعين والرأس والشفة مع كلام خفي، وقيل: هو الاغتياب، وقيل: هو العيب والوقوع في النّاس(٦٧٩).

ثالثاً: التَّفسير الإجمالي للآية:

يقول تعالى: ومن الذين نافقوا، الذين وصفت لك يا محمد، صفتهم في الآيات السابقة ﴿مَن يَلۡمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ أي: من يعيبك في الصدقات ويطعن عليك في قسمتها، يقولون: لم يقسم بيننا بالسوية. ﴿فَإِنۡ أُعۡطُواْ مِنۡهَا رَضُواْ﴾ أي من الصدقات حظّاً وافراً ﴿رَضُواْ﴾ بالقسمة ﴿وَإِن لَّمۡ يُعۡطَوۡاْ مِنۡهَآ إِذَا هُمۡ يَسۡخَطُونَ﴾ أي إن لم تعطهم من الصدقات حظاً وافراً، سخطوا عليك، وعابوك، فهم يقيسون العدل في القِسمة على حَسْب ما ينالهم منها(٦٨٠).

(٦٧٧) انظر [النشر (٢/٢١٠)، البدور الزاهرة ص ١٦٨].

(٦٧٨) انظر [معاني القرآن: الزجّاج (٢/٤٥٦)].

(٦٧٩) انظر [لسان العرب (٥/٤٠٦ ـ ٤٠٧) مادة لمز].

(٦٨٠) انظر [معاني القرآن: الفرّاء (١/٤٤٣)، جامع البيان (١٠/١٥٥ ـ ١٥٦)، تفسير القرآن الكريم: د. عبد الله شحاتة (١٠/١٨٩٢ ـ ١٨٩٣) ـ دار غريب ـ القاهرة].

رابعاً: العلاقة التَّفسيرية بين القراءات:

قرأ يعقوب (**يلمُزك**) بضم الميم، وقرأ الباقون ﴿**يلمِزك**﴾ بكسر الميم، وهما لغتان (**يلمُز، ويلمِز**) مثل **يعكُف، يعكِف**، لمزَهُ، يلمِزُه، ويلمُزُه، إذا عابه(٦٨١).

والحجَّة لذلك: أنَّ كلَّ فعل انفتحت عين ماضيه، جاز كسرها وضمها في المضارع قياساً؛ إلا أن يمنع السماع من ذلك(٦٨٢).

ولثقل الضم يمكننا أن نستشعر ثقل اللمز الذي كان من قبل المنافقين، فهم بالرغم من أنَّه لا أحد يشك في خُلق الرَّسول ﷺ مؤمن بهذا الدين وهو المعروف حتى قبل الرسالة بالصادق الأمين؛ إلا أنَّهم طعنوا في عدل الرَّسول ﷺ ففي رواية(٦٨٣) أنَّه أتى رجل رسول الله ﷺ بالجِعْرَانة(٦٨٤) مَنْصَرَفَهُ من حنين وفي ثوب بلال فضة، ورسول الله ﷺ يقبضُ منها يُعطي الناس فقال: يا محمد، اعدل، قال: (ويلك ومن يعدل إذا لم أكن أعدل؟! لقد خبتُ وخسرتُ، إن لم أكن أعدل)، فقال عمر رضي الله عنه: دعني يا رسول الله، أقتل هذا المنافق، فقال: (معاذ الله أن يتحدث الناس أني أقتل أصحابي، إنَّ هذا وأصحابه يقرءون القرآن لا يجاوزُ حناجرَهم، يمرقون كما يمرُقُ السَّهمُ من الرَّمِيَّة)»(٦٨٥).

---

(٦٨١) انظر [معاني القراءات ص٥٨، معالم التنزيل (٢/٢٥٥)].

(٦٨٢) انظر [الحجَّة: ابن خالويه ص٨٩].

(٦٨٣) رواها جابر بن عبد الله عن سعيد بن أبي الزبير في صحيح مسلم بشرح النَّووي (١٥٩/٧) ـ كتاب الزكاة ـ باب إعطاء المؤلفة ومن يخاف على إيمانه.

(٦٨٤) موضع قريب من مكة، وهي في الحل وميقات للإحرام والجعرانة بكسر أوله إجماعاً هي ماء بين الطائف ومكة، وهي إلى مكة أقرب نزلها الرَّسول ﷺ واعتمر منها انظر [معجم البلدان (٢/١٦٥ ـ ١٦٦)، النِّهاية في غريب الحديث ص١٥٥].

(٦٨٥) يمرقون . . . أي يجوِّزونه ويخرقونه ويتعدونه، كما يخرق السهم الشيء المرمى به، ويخرج منه انظر [النِّهاية في غريب الحديث ص٨٦٦].

خامساً: الجمع بين القراءتين:

أفادت قراءة الضم بكثرة اللمز عند المنافقين، وقراءة الكسر أفادت بخفة عقول هؤلاء الذين يلمزون ودناءتهم، فكان وصفاً شاملاً لهم والله أعلم.

١٥ ـ ﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾﴾ [التوبة: ٦١].

أولاً: القراءات:

١ ـ أ ـ قرأ نافع (**أُذْنُ**) في الأولى والثانية بإسكان الذال.

ب ـ وقرأ الباقون (**أُذُنُ**) بضم الذال[٦٨٦].

٢ ـ أ ـ قرأ حمزة (ورحمةٍ) بالخفض.

ب ـ وقرأ الباقون (ورحمةٌ) بالرفع[٦٨٧].

ثانياً: المعنى اللُّغوي للقراءات:

(أذِنَ بالشّيء) إذنا وأَذَناً وأَذَانَةً: علم، وأذن وصف مبني على فعل من أذن يأذن إذناً، والأُذْن والأُذُن يُخفّف ويُثقّل: من الحواس.

وأُذُن خير: أي مستمع خير، ورجل أُذُن، وأُذْن، أي مستمع لما يقال له[٦٨٨].

(**رحمة**) مِن رحم وهي الرِّقة والتَّعطف، والمرحمة مثله، وتراحم

(٦٨٦) انظر [النشر (١٦٢/٢)].

(٦٨٧) انظر [المرجع السابق (٢١٠/٢)].

(٦٨٨) انظر [لسان العرب (٩/١٣ ـ ١١) مادة أذن، البحر المحيط (٦٢/٥)].

القوم: رحم بعضهم بعضاً، والرَّحمة المغفرة، ورحمة للذين آمنوا أي هو رحمة؛ لأنَّه كان سبب إيمانهم[٦٨٩].

ثالثاً: التَّفسير الإجمالي للآية:

بيّن الله تعالى أنّ من المنافقين من كان يبسط لسانه بالطّعن والشّتم في أذيَّة النَّبي ﷺ ويقول: إن عاتبني، حلفتُ له بأنّي ما قلتُ هذا، فيقبله فأنَّه أُذُنٌ سامعة ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد ﴿أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ﴾، أي يسمع منكم ويصدقكم بالخير لا بالكذب، ويقال ﴿أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ﴾ إن كان أذناً فهو خيرٌ لكم، ثم بيَّن سبحانه المراد من أُذن الخير بقوله ﴿يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ﴾ يصدق قول الله الذي يُنزَّل عليه ﴿وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ويصدق قول المؤمنين المخلصين، وهو رحمة للذين آمنوا منكم؛ لأنَّ الله استنقذكم به من الضلالة ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي الذين يؤذون الرَّسول بالقول أو بالفعل فجزاؤهم العذاب الشديد الإيلام في الدنيا والآخرة[٦٩٠].

رابعاً: العلاقة التَّفسيرية بين القراءات:

القراءة الأولى:

قرأ نافع (أُذْنُ) بسكون الذال: أي وقع على التخفيف وذلك لاجتماع ضمتين لازمتين كـ (طُنُب، وطُنْب، وعُنُق، وعُنْق) فاستثقل ثلاث ضمات فسكن. والإسكان هو الأصل وهو لغة تميم وأسد.

وقرأ الباقون ﴿أُذُن) بالضم على الأصل، وحسن ذلك لقلة حروف الكلمة، والضم لمجانسة ضم الحرف الأول، وهو لغة الحجازيين. والقراءتان عبارة عن لغتين من لغات العرب[٦٩١]. و(أُذْنُ) على وزن فُعُل

(٦٨٩) انظر [لسان العرب (١٢/٢٣٠) مادة رحم].

(٦٩٠) انظر [معاني القرآن: الفرَّاء (١/٤٤٤)، جامع البيان (١٠/١٦٨ ـ ١٦٩)، زاد المسير (٢/٢٧٣)].

(٦٩١) انظر [الكشف (١/٥٠٣ ـ ٥٠٤)، حجّة القراءات: ابن زنجلة ص٣١٩، المستنير (١/٢٢٩)، القراءات وأثرها في علوم العربية (١/١٨١)].

وهو وصف يفيد مبالغة اسم المفعول[٦٩٢].

فيكون هذا الوصف للرسول ﷺ اتهام ثقيل على نفسه ﷺ، وأيضاً يمثل شدة الحقد في نفوس المنافقين للرسول، فجاء بثلاثة أوصاف للرسول ﷺ توجب كونه أُذُنَ خير، ثم بيَّن بعد ذلك أنَّ كل من آذاه استوجب العذاب الأليم؛ لأن هذا الاتهام اتهام باطل وطعن فاسد وبه إيذاء ثقيل للنبي ﷺ.

القراءة الثانية:

قرأ حمزة **(ورحمةٍ)** والحجَّة في ذلك أنَّه عطفها على **(خيرٍ)** فتصبح جملة **(يُؤمن)** اعتراضاً على المتعاطفين وتكون (يؤمن) صفة لـ(أذن خير)، ويكون المعنى: أي هو أذن خير وأذن رحمة للمؤمنين؛ لأنَّ الخير هو الرحمة، والرحمة هي الخير، وجاز أن يُخبر عن الخير والرحمة بالاستماع، وإن كانا لا تُستمعان، لأنّ المعنى مفهوم أنَّ المراد به المخبر عنه، وهو النَّبي ﷺ أي هو مستمع خير ورحمة لا يسمع غيرهما ولا يقبله، وهذه القراءة فيها تخصيص للخير، فخُصِّصت الرحمة بالذكر من بين ضروب الخير لغلبة ذلك في وصف الرَّسول ﷺ وكثرته.

وقرأ الباقون (ورحمةٌ) بالضم والحجَّة في ذلك أنَّه عطفها على أُذُن، أي هو أذن خير لكم ورحمة، أي هو رحمة، بطريق إطلاق المصدر على الفاعل، وذلك للمبالغة، أي هو مستمع خير وهو رحمة فجعل النَّبي هو الرحمة لكثرة وقوعها به، وعلى يديه؛ ولأنَّه كان سبب إيمان المؤمنين. قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٧] وقال أيضاً ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التَّوبة: ١٢٨].

ويجوز أن يكون الرفع على إضمار مضاف محذوف تقديره (قل هو أذن خير لكم، وهو ذو رحمة) أو يكون خبر ابتداء أي **(وهو رحمة)** لأنَّه كان سبب المؤمنين في إيمانهم، فهو رحمة لمن اتبعه واهتدى بهداه وصدّق

(٦٩٢) انظر [معاني الأبنية ص٦٨].

بما جاء به من عند الله، وهو رحمة أيضاً للمنافقين، يسمع ما يبلغه عنكم ولا يؤاخذكم ويسمع معاذيركم ويقبلها منكم، فقبوله ما يسمعه فينفعكم ولا يضركم، فهذا أُذن في الخير وأيضاً رحمة(٦٩٣).

الجمع بين القراءتين:

بالجمع بين القراءتين: أرى أنَّ قراءة **(رحمةٍ)** بالخفض؛ لأنَّها معطوفة على خير أفادت أنَّ من صفات النَّبي ﷺ: أنَّه مستمع خير ورحمة لا يسمع غيرهما ولا يقبله، أما قراءة الضم **(ورحمةٌ)** لأنَّها معطوفة على أذن أفادت معنى آخر، وهو أنَّ النَّبي ﷺ هو الرحمة بعينها، فأطلق المصدر على الفاعل وهذا يفيد المبالغة في أنَّ الرَّسول ﷺ هو رحمة للعالمين جميعاً. فكل قراءة أعطت مفهوماً جديداً للآية. والله أعلم.

١٦ ـ ﴿يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [التَّوبة: ٦٤].

أولاً: القراءات:

١ ـ أ ـ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب **(أن تُنْزَلَ)** بإسكان النون وتخفيف الزاي.

ب ـ وقرأ الباقون **(أن تُنَزَّلَ)** بفتح النون وتشديد الزاي(٦٩٤).

٢ ـ أ ـ قرأ حمزة، ويعقوب **(عليهُم)** بضم الهاء.

ب ـ وقرأ الباقون ﴿عليهِم﴾ بكسر الهاء(٦٩٥).

---

(٦٩٣) انظر [جامع البيان (١٠/١٦٩)، الحجَّة: ابن زنجلة (٣١٩ ـ ٣٢٠)، الحجَّة: لأبي فارس (٤/٢٠٤)، الكشف (١/٥٠٣ ـ ٥٠٤)، الفريد (٢/٤٨٣ ـ ٤٨٤)، البحر المحيط (٥/٦٣)، إرشاد العقل السليم (٣/٤٠٤)، التحرير والتنوير (١٠/٢٤٣)].

(٦٩٤) انظر [غيث النفع في القراءات السبع ص١٢٨، البدور الزاهرة ص١٦٩].

(٦٩٥) انظر [المراجع السابقة بنفس الصفحات].

٣ ـ أ ـ قرأ أبو جعفر **(قل استهزُوا)** بحذف الهمزة وضم ما قبلها من أجل الواو.

ب ـ وقرأ الباقون ﴿قل استهزءوا﴾ بالهمز وكسر ما قبلها[٦٩٦].

ثانياً: المعنى اللُّغوي للقراءات:

(نزل) سبق تعريفه[٦٩٧].

(هَزَأَ هُزْءاً، وهُزُؤاً، ومَهْزُأَةً) أي سخر كَتَهزأ، واسْتَهْزَأَ[٦٩٨].

ثالثاً: التَّفسير الإجمالي للآية:

﴿يَحْذَرُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ﴾ أي إن المنافقين كانوا يحذرون نزول القرآن فيهم، ومعنى ﴿عَلَيْهِمْ﴾ أي على المؤمنين في شأن المنافقين تفضح أسرارهم، وتكشف أحوالهم، وتبين بما في قلوبهم من نفاق، ثم أمر الله رسوله بأن يجيب عليهم، فقال: ﴿قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ﴾ وهو أمر تهديد: أي: قل استهزءوا بمحمد ﷺ والقرآن، إنَّ الله مخرجٌ ما تحذرون من ظهوره، فيطَّلع عليه المؤمنون، وذلك إما بإنزال سورة، أو بإخبار رسوله ﷺ بذلك أو نحو ذلك[٦٩٩].

رابعاً: العلاقة التَّفسيرية بين القراءات:

القراءة الأولى:

قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب **(أن تُنْزَلَ)** بإسكان النُّون والتخفيف والحجَّة لمن خفف أنَّه أخذه من الفعل أنزل يُنزل، نفهم منه أن المنافقين يحذرون أن يُنزِّل الله ـ سبحانه وتعالى ـ عليهم أو على المؤمنين، فالضَّمير

(٦٩٦) انظر [النشر (٣٠٨/١)].

(٦٩٧) راجع ص٢٨.

(٦٩٨) انظر [القاموس المحيط ص٧٢ مادة هزأ].

(٦٩٩) انظر [فتح القدير (٤٧٢/٢)، تاج التفاسير لكلام الملك الكبير: محمد عثمان عبد الله المَرغني (١٨٨/١) ـ دار الفكر ـ ط٢].

في (عليهم) يعود على المنافقين أو على المؤمنين[٧٠٠] سورة واحدة، أو جملة واحدة، تفضح فيها نفوس المنافقين وكلامهم وأفعالهم.

وقرأ الباقون ﴿تُنَزَّلَ﴾ بالتشديد فحجته أنّه أخذه من (نزَّل، يُنزّل)، وذلك للمبالغة في كون السورة مشتملة على أسرارهم، كأنما تعلم من أحوالهم الباطنة ما لا يعلمونه، فتنبئهم بها، وتنعى عليهم قبائحهم[٧٠١]. والحجَّة أيضاً لمن شدَّد أنَّ في ذلك تكرار النزول ومداومته شيئاً بعد شيء. فيكون المعنى أنَّهم - أي المنافقين - يحذرون أن ينزل الله سبحانه وتعالى سورة على مراحل أو أكثر من سورة تنبئ بما في قلوب المنافقين من الكفر والنّفاق وبما في ضمائرهم. والتّشديد والتّخفيف لغتان[٧٠٢].

خامساً: الجمع بين القراءتين:

بالجمع بين القراءتين: يتبين أنَّ قراءة التخفيف أفادت أنَّ المنافقين يخافون أن ينزَّل على المؤمنين قرآنٌ يفضحهم، وقراءة التشديد لأنَّ التشديد فيه زيادة في المبنى على قراءة التخفيف، فأيضاً فيها زيادة في المعنى كذلك، حيث إنَّ خوف المنافقين شديد من فضح القرآن لهم، سواءٌ بإنزال سورة أو أكثر أو يستمر النزول في فضحهم وهذا من بلاغة القرآن وإعجازه. والله أعلم.

القراءة الثانية:

أمَّا قراءة (**عليهِم وعليهُم**) بكسر الهاء وضمّها فهي لغات كما ذكرنا في الآيات السابقة من سورة الأنفال[٧٠٣]، إلاَّ أنَّ قراءة الضم، تفيد أنَّ إنزال السورة ثقيل جداً على المنافقين، لما سيكون ما بداخل هذه السورة من فضائح لنوايا وخبايا المنافقين، أما قراءة الكسر فيوحي بانكسار نفوس المنافقين وشدةِ خوفهم عند إنزال السّورة التي تفضحهم. والله أعلم.

---

(٧٠٠) انظر [الكشاف (٢/٢٠٠)، مفاتيح الغيب (١٦/٩٦)].

(٧٠١) انظر [إرشاد العقل السليم (٣/٤٠٧)].

(٧٠٢) راجع ص٢٧ عند ذكرنا لقراءة يُنزل، ويُنزّل في آية ١١ من سورة الأنفال.

(٧٠٣) راجع ص٢١.

القراءة الثالثة:

أما قراءة أبي جعفر **(استهزُوا)** بدون همز والباقين بالهمز **(استهزءوا)** وهي لغة أهل الحجاز(٧٠٤)، والقراءة الأخرى جرت بإبدال الهمزة واواً(٧٠٥)، وقد ذكرنا نظيراً لهذا المثال عند ذكرنا الآية (٣٠) من سورة التَّوبة، وتكلمنا عن توجيه القراءات(٧٠٦).

ولأنّ الهمزة فيها ثِقَل، فقراءة الهمز توحي: بثقل التّهديد والوعيد من الله سبحانه وتعالى للمنافقين، فهو أمر ﴿قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟﴾ للتّهديد والوعيد كقوله ﴿ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ﴾ [فصلت: ٤٠] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ﴾ أي مبرز إلى حين الوجود ما تحذرونه من إنزال السورة أو مظهر ما كنتم تحذرونه من إظهار نفاقكم(٧٠٧). قيل: كانوا سبعين رجلاً، أنزل الله أسماءهم وأسماء آبائهم في القرآن ثم رفع ذلك ونسخ رحمة ورأفة على خلقه؛ لأن أبناءهم كانوا مسلمين(٧٠٨).

وتوحي أيضاً: بِثِقل الاستهزاء الذي كان من المنافقين، فهم خاضوا بالله وآياته ورسوله فما أعظمه من جُرْم لهؤلاء المنافقين ﴿قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾ [التَّوبة: ٦٥].

أما قراءة الإبدال بدون همزة فهي توحي: بضعف المنافقين أمام جبروت الله، وقوته، وعظمته، فهم العبيد الضعفاء يتحدون مَنْ؟! رب العباد سبحانه! ويستهزئون بمن؟ برسول الله ﷺ! وبآيات الله! فحقٌ على الله، أن يعاقبهم بما فعلوا.

(٧٠٤) نسبة إلى الحجاز وهي مكة وما يتعلق بها إلى المدينة يقال لها الحجاز انظر [الأنساب (١٧٥/٢ ـ ١٧٦)].

(٧٠٥) انظر [حجَّة القراءات: ابن زنجلة ص١٠١].

(٧٠٦) راجع ص١٥٥.

(٧٠٧) انظر [البحر المحيط (٦٦/٥)].

(٧٠٨) ذكر هذا الأثر أبو حيان في البحر المحيط (٦٦/٥) ولم يعزه إلى أحد. وعزاه القرطبي في تفسيره إلى ابن عباس انظر [الجامع لأحكام القرآن (٥٢٣/٤)].

١٧ ـ ﴿لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡۚ إِن نَّعۡفُ عَن طَآئِفَةٖ مِّنكُمۡ نُعَذِّبۡ طَآئِفَةَۢ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ مُجۡرِمِينَ ٦٦﴾ [التوبة: ٦٦].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ عاصم ﴿إِن نَّعۡفُ عَن طَآئِفَةٖ مِّنكُمۡ نُعَذِّبۡ طَآئِفَةَۢ﴾ نعفُ: بنون مفتوحة، وضم الفاء، **نُعذِّب**: بالنون وكسر الذال، **وطائفةَ الثانية** بالنصب.

٢ ـ وقرأ الباقون (إن يُعفَ عن طائفةٍ منكم تُعذَّب طائفةٌ) **يُعفَ**: بياء مضمومة وفتح الفاء، **تُعذَّب**: بتاء مضمومة وفتح الذال، **وطائفةٌ الثانية** بالرفع(٧٠٩).

ثانياً: المعنى اللُّغوي للقراءات:

(نعف) من العفو، وعفو الله ـ جل وعز ـ عن خلقه: أي الصفح وترك عقوبة المُستحقّ، والعفو أيضاً هو الفضل والمعروف(٧١٠).

(طائفة) من الفعل طاف وطَوف، طَوَافاً، وطَوْفاً، وطوّف تطويفاً، وتَطْوافاً، والطائفة من الشيء جزء منه، أو القطعة منه، أو الواحد فصاعداً أو إلى الألف أو أقلُّها رجلان أو رجل فيكون بمعنى النّفس(٧١١).

(نعذِّبَ) من عذّب، يُعذّب تعذيباً، والعذاب النّكال(٧١٢).

ثالثاً: التَّفسير الإجمالي للآية:

يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ: قل لهؤلاء الذين وصفت لك صفتهم:

﴿لَا تَعۡتَذِرُواْ﴾ لا تشتغلوا باعتذاراتكم الكاذبة الباطلة فتقولوا: ﴿إِنَّمَا

---

(٧٠٩) انظر [النشر (٢١٠/١)، البدور الزاهرة ص ١٦٩].

(٧١٠) انظر [القاموس المحيط ص١٦٩٣، مادة عفا].

(٧١١) انظر [لسان العرب (٢٢٦/٩) مادة طوف، القاموس المحيط ص١٠٧٧ ـ مادة طوف].

(٧١٢) انظر [القاموس المحيط ص ١٤٥ مادة عذب].

كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ [التَّوبة: ٦٥] فهي لا تنفعكم بعد ظهور سرِّكم ﴿قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ قد أظهرتم كفركم باستهزائكم وقولكم، ما قلتم في رسول الله ﷺ والمؤمنين ﴿إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ﴾ إن نعف عن طائفة منكم، لتوبتهم وإخلاصهم ﴿نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ﴾ أي مصرين على الكفر، وطعنهم في رسول الله ﷺ فاكتسبوا الجرم بذلك(٧١٣).

رابعاً: العلاقة التَّفسيرية بين القراءات:

قرأ عاصم ﴿إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً﴾ الفعلان نعف، نعذب بنون العظمة وفتح النون الأولى (نَعفُ) لأن ماضيها ثلاثي، وضم النون الثانية (نُعذب) لأنَّها من فعل ماضيه رباعي؛ لأن الذال المشدد يقوم مقام حرفين، وقرأ (طائفةً) بالنصب.

وحجَّة من قرأ بالنون، أنَّه جعله من إخبار الله تعالى عن نفسه بنون الملكوت، فكان الفاعل في الفعل (الله) ﷻ، (وطائفةً) الثانية منصوبة؛ لوقوع الفعل عليها وهو (نُعذب)(٧١٤).

فيكون معنى الآية: إن نعفُ عن طائفةٍ منكم بالتوفيق للتوبة، نُعذِّب طائفة بترك التَّوبة.

وقرأ الباقون (إن يُعفَ عن طائفةٍ منكم تُعذَّب طائفةٌ) فقرأوا (يُعف) بياء مضمومة، والمعنى معنى تعف، فكان التذكير هنا للفعل؛ لأن المسند إليه ظرف، وقرأوا (تُعذّب) بتاء تأنيث مضمومة، فلأن الفعل في اللفظ أُسند إلى مؤنّث (طائفة)، وقرأوا (طائفةٌ) بالرفع على ما لم يُسمَّ فاعله (نائب فاعل)، وتكون عن (طائفةٍ) الأولى في موضع نصب مفعول، لأن (عفا) لا يتعدّى إلا بحرف جر(٧١٥).

---

(٧١٣) انظر [جامع البيان (١٠/١٧٣ ـ ١٧٤)، مدارك التنزيل (٢/٤٣٣)].

(٧١٤) انظر [الحجَّة: ابن زنجلة ص ٣٢٠، الحجَّة: ابن خالويه ص٩٨، معاني القراءات ص٢١١].

(٧١٥) انظر [الحجَّة: ابن زنجلة ص ٣٢٠، الحجَّة: ابن خالويه ص ٩٨، الحجَّة: أبو علي الفارسي (٤/٢٠٦)، الكشف (١/٥٠٤)].

وهذه القراءة لم يصرِّح بها بالفاعل؛ لأنَّه لمَّا كان الحال مقتضياً لبيان ما صاروا إليه بعد إكفارهم من توبتهم أو إصرارهم بيّن أنَّهم قسمان:

أحدهما: مطبوع على قلبه، ومقضي توبته وحبه، وهذا الأشرف هو المراد به بانياً للمفعول إعلاماً بأنَّ المقصود الأعظم هو الفعل لا بالنَّظر إلى فاعل معين(٧١٦).

خامساً: الجمع بين القراءتين:

بالجمع بين القراءتين: يتبين أنَّ بناءُ الفعل للفاعل أو المفعول، نوع من تلوين الأسلوب البياني في القرآن الكريم.

ففي القراءة الأولى: صرّح بالفاعل، وذلك تنبيها للأذهان على أنَّ الله وحده، هو القادر الذي بيده العفو والعذاب في الدنيا والآخرة.

وفي القراءة الثانية: ترك الفاعل ليس للجهل به، بل لأنَّ العناية انصرفت إلى ذكر وقوع الفعل بالمفعول، سواء عرف لنا الفاعل أم لم يعرف، وإن كان الفعل والفاعل مهمان. والله أعلم.

١٨ ـ ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التَّوبة: ٧٢].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ شعبة (أبو بكر) **(رُضوانٌ)** بضم الراء.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿رِضوانٌ﴾ بكسر الراء(٧١٧).

ثانياً: المعنى اللُّغوي للقراءات:

(رضي) ورضيت بالشيء، رضا أي اخترته، وارتضيته مثله، ورضيت

---

(٧١٦) انظر [نظم الدّرر (٣/٣٤٣)].

(٧١٧) انظر [النشر (٢/١٧٩)، البدور الزاهرة ص١٦٩].

عنه، ورضيت عليه، **والرضوان**: مصدر من الرضا وهو خلاف السخط. **والرِّضوان**: بالكسر لغة أهل الحجاز، **والرُّضوان**: بالضم لغة قيس وتميم[(٧١٨)].

ثالثاً: التَّفسير الإجمالي للآية:

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ هذا في مقابلة الوعيد السابق للمنافقين ﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ أراد بها البساتين التي يتناولها المناظر فهي لكل أحد منهم على اختلاف طبقاتهم ﴿وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ ومساكن يطيب بها العيش والإقامة دائمة فيها مع الهناء وصحة الجسم وطيب مقرٍّ وموطنٍ ومنبت، فهي أبهى أماكن الجنات ﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ قال الزَّجّاج: «أكبر ممَّا هم فيه من النّعيم»[(٧١٩)]، أي قدرٌ يسير من رضوانه أكبر من ذلك كله وأعظم. أخرج البخاري عن أبي سعيد الخدري[(٧٢٠)] عن النَّبي ﷺ قال: (يقول الله ﷻ لأهل الجنة: يا أهل الجنة، هل رضيتم؟ فيقولون: ربنَّا وما لنا لا نرضى، وقد أعطيتنا ما لم تُعطِ أحداً من خلقِكَ! فيقول: أفلا أُعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: وأيُّ شيء أفضل من ذلك؟ قال: أُحِلُّ عليكم رضواني، فلا أسخط عليكم أبداً)[(٧٢١)]، ﴿ذَٰلِكَ﴾ الرضوان ﴿هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ الذي تستحقر دونه الدنيا وما فيها[(٧٢٢)].

---

(٧١٨) انظر [المصباح المنير ص١٤٠].

(٧١٩) انظر [معاني القرآن: الزجّاج (٤٦١/٢)].

(٧٢٠) أبو سعيد الخدري: هو سعد بن مالك بن سنان بن ثعلبة بن عبيد بن الأبجر بن عوف بن الحارث بن الخزرج من الصحابة وهو من ذرية الخزرج الأكبر فقيل له الخزرجي، وهو من الأنصار. أمه أنيسة بنت أبي حارثة من بني عدي النجار. اعتنق أبو سعيد الإسلام باكراً، فكان من الذين أسلموا قبل سن البوغ.
أستشهد أبوه مالك في معركة أحد، وشارك أبو سعيد معركة الخندق، وبيعة الرضوان. ويعتبر من رواة الحديث. لم يسمح له النبي بالقتال في غزوة أحد لصغر سنه. توفي سنة ٧٤هـ.

(٧٢١) انظر [البخاري رقم (٧٥١٨) في فتح الباري (٤٨٧/١٣)، ٩٧ كتاب التوحيد، ٣٧ باب كلام الرب مع أهل الجنة].

(٧٢٢) انظر [زاد المسير (٢٧٧/٢)، نظم الدرر (٣٥٩/٣)، تفسير مقاتل بن سليمان: أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء البلخي (٥٩/٢) ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ ـ ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م ـ تحقيق: أحمد فريد].

رابعاً: العلاقة التَّفسيرية بين القراءات:

قرأ شعبة **(ورُضوان)** بضم الرَّاء، وقرأ الباقون **(ورِضوان)** بكسر الرَّاء. والحجَّة لمن كسر الرَّاء أنَّه مصدر، والأصل فيه، رضيت رضىً، ثم زيدت الألف والنون، فرُدّت الياء إلى أصلها، كما كان الأصل في كفران: كفراً.

والحجَّة لمن ضم الراء **(رُضوان)**:

١ ـ أنَّه فرّق بين الاسم والمصدر، فجعله اسم المصدر[٧٢٣].

٢ ـ إنَّ الضَّم في المصادر مع زيادة الألف والنون أكثر وأشهر كقوله ﴿فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ﴾ [الأنبياء: ٩٤] ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝٥﴾ [الرحمن: ٥][٧٢٤].

خامساً: الجمع بين القراءتين:

بالجمع بين القراءتين: نجد أنَّ الجزاء أو الوعد الذي وعده الله للمؤمنين والمؤمنات لا يكمن في الرضا المعتاد؛ ولكنه يتجلى بالرضوان الأكبر، ولهذا كانت كلمة (رضوان) في اللغتين كلتيهما المصدر رِضوان، واسم المصدر رُضوان أشدّ تعبيراً عن الرضوان الأكبر من رضا، وذلك لأنَّ المعنى الذي يؤديه المصدر المجرد عن الزوائد (رضا) لا يغني بحال عن المعنى الذي يؤديه المصدر المزيد باللاحقة، والذي اختارته العرب لغة القرآن[٧٢٥]، فالرضوان أكبر مما ذكر من الجنات والمساكين، حيث إنَّه يضمن للمؤمن أن يظفر برؤية ربِّه، لذلك أظهر الله فيه اسم الجلالة فقال تعالى: رضوان من الله، ولم يقل: رضوان من ربهم، وذلك لِما في اسم الجلالة من الإيماء إلى عظمة ذلك الرضوان[٧٢٦].

---

(٧٢٣) المصدر: هو الأصل الذي تؤخذ منه جميع المشتقات، ويدل على الحدث مجرداً عن الزمان، واسم المصدر ما دل على معنى المصدر، ولم يماثل حروفه عدداً ولا ضبطاً ولا زنة نحو (سلام ـ تسليم، رضوان ـ رُضوان) انظر [شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك (٣/٩٣ ـ ٩٩) ـ دار الاتحاد العربي ـ ط٥ ـ ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٨م، شذا العَرف في فن الصرف: أحمد الحملاوي ص٧٠ ـ مطبعة مصطفى الحلبي ـ مصر ـ ط١٦ ـ ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٥م (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي شذا العرف)].

(٧٢٤) انظر [الحجَّة: ابن خالويه ص٥٠].

(٧٢٥) انظر [التَّوجيه اللُّغوي: د. صبري ص ٨١ ـ ٨٢].

(٧٢٦) انظر [التحرير والتنوير (٣/١٨٤)، تفسير الشعراوي (٣/١٣٢٧)].

فالرُّضوان: اسم مبالغة في معنى الرضا، وهو على نبرة امتلاء بما تعرب عنه الألف والنون، وتشعر ضمة رائه بظاهر إشباعه وكسرتها بباطن إحاطته(٧٢٧).

فإن قيل: لِمَ كان الرضوان أكبر من النعيم؟ ففيه جوابان:

أحدهما: أنَّ سرور القلب برضى الرب نعيم يختصُّ بالقلب، وذاك أكبر من نعيم الأكل والشرب.

الثاني: أنَّ الموجب للنعيم الرضوان، والموجَبُ ثمرة الموجِبِ، فهو الأصل(٧٢٨)، والله تعالى نصَّ على أنَّ الفوز بالرضوان أعلى وأعظم وأجل وأكبر، وذلك دليلٌ قاطعٌ على أنّ السّعادات الروحانية أكمل وأشرف من السعادات الجسمانية.

وأيضاً ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ إشارة إلى منازل المقربين الشاربين من تسنيم، والذين يرون كما يرى النّجم في الأفق وجميع مَنْ في الجنّة راض، والمنازل مختلفة وفضل الله متّسع(٧٢٩).

١٩ ـ ﴿فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَـٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَـٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [التّوبة: ٨٣].

أولاً: القراءات:

١ ـ أ ـ قرأ يعقوب، وحمزة، والكسائي، وخلف، وشعبة (**معي**- أبداً) بالإسكان (ياء الإضافة) مع المد.

ب ـ قرأ الباقون (معيَ أبداً) بفتح ياء الإضافة.

---

(٧٢٧) انظر [نظم الدرر (٣٨/٢)].

(٧٢٨) انظر [زاد المسير (٢٧٧/٢ ـ ٢٧٨)].

(٧٢٩) انظر [مفاتيح الغيب (١٠٦/١٦)].

٢ ـ أ ـ قرأ حفص (**معيَ عدوا**) بفتح ياء الإضافة.

ب ـ قرأ الباقون (**معيْ عدوا**) بإسكان ياء الإضافة(٧٣٠).

ثانياً: المعنى اللُّغوي للقراءات:

(مع) من الظروف التي لا تتصرف وتستعمل مضافة فتكون ظرفاً، ولها حينئذ ثلاثة معاني أحدهما: موضع الاجتماع(٧٣١).

(**الياء**) من الحروف اللَّينة، وذلك لأنَّ مخرجها، يتسع لهواء الصوت أشد من اتساع غيرها(٧٣٢). وياء الإضافة تسمَّى ياء المتكلم ويكسر ما قبلها ولا يفتح(٧٣٣).

ثالثاً: التَّفسير الإجمالي للآية:

يقول ﷻ لنبيه ﷺ: إنْ ردّك الله إلى المدينة، وفيها طائفة من المتخلفين المنافقين بعد غزوتك هذه(٧٣٤) فاستأذنوك للخروج معك إلى غزوة أخرى بعد تبوك، فقل لهم: ﴿لَّن تَخْرُجُواْ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِىَ عَدُوًّا﴾ من الأعداء، وهو إخبار في معنى النهي للمبالغة، وذلك عقوبة لهم ﴿إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ والجملة في موضع التَّعليل لما سبق، أي لأنكم رضيتم بالجلوس في أول مرة من غزوة تبوك ﴿فَٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ﴾ أي اقعدوا عن الجهاد مع المتخلّفين من النّساء والصّبيان والعاجزين؛ لأنكم منهم، فاقتدوا بهديهم، فقد سخط الله عليكم(٧٣٥).

---

(٧٣٠) انظر [النشر (٢/٢١١)، البدور الزاهرة ص ١٧٠].

(٧٣١) انظر [دراسات لأسلوب القرآن: عبد الخالق عضيمة ق٣ (٢/٦٣٩)، دار الحديث ـ القاهرة، كتاب سيبويه (١/٤٢٠)].

(٧٣٢) انظر [كتاب سيبويه (٤/٤٣٥)].

(٧٣٣) انظر [المرجع السابق (٢/٣٨٥)].

(٧٣٤) إنما قال إلى طائفة لأن منهم من تاب عن النفاق وندم على التخلف.

(٧٣٥) انظر [جامع البيان (١٠/٢٠٣)، المقتطف من عيون التفاسير (٢/٤١٦ ـ ٤١٧)، نيل المرام من تفسير آيات الأحكام: محمد صديق حسن ص ٤١٥ ـ ٤١٦ ـ مكتبة المدني ـ جدة ـ ط ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧١ ـ تحقيق: علي السيد صبح المدني].

رابعاً: العلاقة التّفسيرية بين القراءات:

راجع نظير هذا المثال في توجيه الآية (٤٨) من سورة الأنفال[٧٣٦]، إلاّ أنّ هنا في هذا المثال التقييد بالمعية، كما يؤذن باستثقالهم، يُخرج ما كان بعده ﷺ مع أصحابه ﷺ من سفرهم وقتالهم (المنافقين)[٧٣٧]وهذا المثال: شاهد على فتح ياء المتكلّم، وسرّ جواز العدول عنه، وفائدة المد في قراءة (معي) يفهم منه عدم خروج المنافقين مع الرسول ﷺ مهما طال الزمان، وفيه مبالغة في النهي.

٢٠ ـ ﴿وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾﴾ [التّوبة: ٩٠].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ يعقوب (**المُعْذِرُون**) بتخفيف الذال.

٢ ـ وقرأ الباقون (**المُعَذِّرُون**) بتشديد الذال[٧٣٨].

ثانياً: المعنى اللّغوي للقراءات:

(المُعذِرون) من الفعل عَذَرَ، والمُعذِر الذي له عُذر، قرأها ابن عباس ساكنة العين، وكان يقول: «والله هكذا أنزلت»، وقال: «لعن الله المُعذّرين».

(**المُعَذِّرون**) من عَذّر الرجل فهو مُعذّر، إذا اعتذر ولم يأت بعذْر، وعذَّر أيضاً: لم يثبت له عذر، فالمعذّرون: هم الذين لا عذر لهم؛ ولكن يتكلفون عذراً، وأصل (**المعذِّرون**) المعتذرون، فأسكنت التاء، وأبدل منها ذال، وأدغمت في الذال، ونقلت حركتها إلى العين، فصار الفتح في العين أولى الأشياء، ومن كسر العين جرّه لالتقاء السّاكنين[٧٣٩].

---

(٧٣٦) راجع ص ٩٣ ـ ٩٤.

(٧٣٧) انظر [نظم الدرر (٣٦٩/٣)].

(٧٣٨) انظر [النشر (٢١٠/٢)، البدور الزاهرة ص ١٧٠].

(٧٣٩) انظر [لسان العرب (٥٤٦/٤)، مادة عذر، القاموس المحيط ص ٥٦٢ مادة عذر].

ثالثاً: التَّفسير الإجمالي للآية:

بيّن الله تعالى في هذه الآية حال ذوي الأعذار في ترك الجهاد الذين جاءوا الرَّسول ﷺ يعتذرون إليه فقال تعالى: ﴿وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ﴾ أي المعتذرون[٧٤٠] وهم من أحياء العرب ممن حول المدينة من بين غِفار، ولم يكن لهم عذر ﴿لِيُؤْذَنَ لَهُمْ﴾ لكي يأذن لهم رسول الله ﷺ بالتّخلف عن غزوة تبوك ﴿وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ أي: وقعد آخرون من الأعراب عن المجيء للاعتذار، فخالفوا الله ورسوله في السّير عن الجهاد بغير إذن؛ لذلك أوعدهم بالعذاب الأليم المُوجع فقال: ﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٧٤١].

رابعاً: العلاقة التَّفسيرية بين القراءات:

قرأ يعقوب **(المُعْذِرُون)** بسكون العين وتخفيف الذال، وهو اسم فاعل من أعذر، والمعذر الذي بلغ أقصى العذر، وكان ابن عباس[٧٤٢] يقرؤها كذلك، ويقول: (هم أهل العذر) أو هم الذين تخلّفوا بعذر، فأذن لهم النّبي ﷺ وقيل: هم أسد وغطفان قالوا: إنَّ لنا عيالاً، وإنَّ بنا جهداً، فَأْذَن لنا في التَّخلف، وقيل: هم رهط عامر بن الطّفيل قالوا: إنْ غزونا معك غارت أعراب طي على أهالينا ومواشينا، فعذرهم النَّبي ﷺ[٧٤٣].

وقرأ الباقون ﴿المُعَذِّرون) بفتح العين وكسر الذال مشدّدة.

وهذه القراءة تحتمل وجهين:

أ ـ أن يكون اسم فاعل من **(عذّر)** مضعّف بمعنى التّكلف، والمعنى: أنَّه يوهم أنَّ له عذراً، ولا عذر له، فهو غير محقّ في عذره[٧٤٤]، وعلى هذا

(٧٤٠) انظر [معاني القرآن: النَّحاس (٤٦٠/١)].

(٧٤١) انظر [تفسير القرآن العظيم (٣٨١/٢)، تفسير ابن وهب المسمى الواضح في القرآن (٣٢٤/١ ـ ٣٢٥)].

(٧٤٢) انظر [قراءة ابن عباس في جامع البيان (٢٠٠/١٠)، البحر المحيط (٨٣/٥ ـ ٨٤)].

(٧٤٣) انظر [البحر المحيط ٨٤/٥، الجامع لأحكام القرآن (٥٤٧/٤ ـ ٥٤٨)].

(٧٤٤) انظر [حجّة القراءات: ابن زنجلة ص٣٢١].

المعنى: يكونون هم قوماً من غِفار، اعتذروا فلم يعذُرْهم النَّبي ﷺ[٧٤٥].

٢ ـ أن يكون اسم فاعل من (اعتذر) فأدغمت التَّاء في الذال، والاعتذار قد يكون بحق وقد يكون باطلاً. ومن ذهب إلى أنَّه مَنْ اعتذر، النَّحاس[٧٤٦]، والأخفش[٧٤٧]، والفرَّاء[٧٤٨]، والزَّجّاج[٧٤٩]، والمعتذر: يقال لمن له عذر ولمن لا عذر له.

خامساً: الجمع بين القراءتين:

بالجمع بين القراءتين: أجد أنَّ قراءة التَّخفيف **(المُعذِرون)** المقصود بهم الذين اعتذروا للرسول ﷺ، وقَبِل الرَّسول منهم العذر، فكانوا محقّين بعذرهم. وقراءة التّشديد **(المُعذِّرون)** هم المنافقون الذين لا عذر لهم؛ ولكنهم اعتذروا للرسول ﷺ، مع علمه أنَّهم غير محقّين، والله أعلم.

وهكذا نصل إلى أنَّ: لكلِّ قراءة من القراءتين المتواترتين سبب نزول، ولا تعارض بين السّببين، وكأنّ كلَّ قراءة، تمثل آية مستقلّة وسبب نزول مستقل، وهذا دليل واضح على إعجاز القرآن الكريم وروعته المتمثّلة بالقراءات القرآنية.

٢١ ـ ﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾﴾ [التّوبة: ٩٨].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو **(السُّوء)** بضم السين.

---

(٧٤٥) انظر [السيرة النبوية: ابن هشام (١٢٠/٤)، جامع البيان: (٢١٠/١٠)، البحر المحيط (٨٤/٥)، الجامع لأحكام القرآن (٥٤٨/٤)].

(٧٤٦) انظر [معاني القرآن: النَّحاس (٤٦٠/١)].

(٧٤٧) انظر [معاني القرآن: الأخفش (٥٥٨/٢)].

(٧٤٨) انظر [معاني القرآن: الفرَّاء (٤٤٧/١)].

(٧٤٩) انظر [معاني القرآن: الزجّاج (٤٦٤/٢)].

٢ ـ وقرأ الباقون (السَّوء) بفتح السين.

٣ ـ وقرأ ورش على أصله (السَّو-ء) في مد الواو[٧٥٠].

ثانياً: المعنى اللُّغوي للقراءات:

(السوء) الاسم من ساءَه، سَوءاً، وسَوَاء، وسواءَةً، وسَوايَة، وسوائيةً، ومساءَةً، ومسائيةً، ومساءً: أي فعل به ما يكره فاستاء هو.

(السَّوء) بالفتح معناه قول قبيح.

(السُّوء) بالضم معناه أن تقول سوءاً، وفي الآية بالوجهين: أي الهزيمة والشَّر والرَّدى والفساد. أو المضموم الضَّرر والمفتوح الفساد[٧٥١].

ثالثاً: التَّفسير الإجمالي للآية:

يقول سبحانه وتعالى: ومن الأعراب من يَعُدُّ نفقته التي ينفقها في الجهاد أو في معونة مسلم مغرماً أي: غُرماً وخسراناً[٧٥٢] ﴿وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَۚ﴾ أي وينتظرون بكم الدَّوائر، أن تدور به الأيَّام واللَّيالي، ويدور به الزمان من المكروه وأصل الدَّوائر: صروف الزّمان مرّة بالخير، ومرّة بالشَّر[٧٥٣]، أو ينتظرون لكم الموت والقتل[٧٥٤].

ثم قال ﷻ ﴿عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۗ﴾ أي على هؤلاء المنافقين دائرة السّوء ونزول البلاء والمكروه بهم، لا بكم أيها المؤمنون، وهذا دعاء عليهم بنحو ما تربّصون به ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ لما يقولونه ﴿عَلِيمٌ﴾ بتدبيرهم وبما يضمرونه وما ينالهم من عقاب الله الأليم[٧٥٥].

رابعاً: العلاقة التَّفسيرية بين القراءات:

---

(٧٥٠) انظر [النشر (٢/٢١٠)].

(٧٥١) انظر [القاموس المحيط ص٥٤، مادة سيأ].

(٧٥٢) انظر [معاني القرآن: النَّحاس (١/٤٦١)].

(٧٥٣) انظر [معاني القرآن: النحاس (١/٤٦١)].

(٧٥٤) انظر [معاني القرآن: الفرَّاء (١/٤٤٩)].

(٧٥٥) انظر [جامع البيان (١١/٤)].

قال أبو علي[٧٥٦] ﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾ الدائرة **لا تخلو من أن تكون**:

١ ـ إما صفة.

٢ ـ أو بمنزلة العافية والعاقبة، والصفة أكثر في الكلام فينبغي أن يحمل عليها، فالمعنى فيها أنَّها خلة تحيط بالإنسان حتى لا يكون له منها مخلص، وأضيف إلى السُّوء أو السَّوء **على الوجهين**:

١ ـ على وجه التأكيد.

٢ ـ على وجه الزّيادة والتّبيين، ولو لم تصف، لعُلم منها المعنى الذي فهم بالإضافة[٧٥٧].

وعليه فالذي قرأ (**السَّوء**) بالفتح فإنَّه أراد المصدر وهو من سؤته، سَوْءاً، ومساءة، ومَسَائية، وسوائية، فهذه مصادر[٧٥٨]. ويُراد بالسَّوء الرداءة والفساد، عكس صدق. عندما نقول: (ثوب صدق) وليس (صدق). اللسان الذي هو خلاف الكذب. فيكون التقدير: عليهم دائرة الفساد والرداءة[٧٥٩].

وأما من قرأ بالضم: فجعله اسماً كقولك عليهم دائرة البلاء والعذاب والهزيمة، فاجتمعا في جواز إضافة الدائرة إليهما، من حيث أريد بكل واحدة منهما الرداءة والفساد. والتقدير: عليهم دائرة الضرر والمكروه من ذلك سُؤته، مساءة، ومسائية، والمعنيان متقاربان[٧٦٠].

وقال الزمخشري: «المضموم العذاب، والمفتوح ذم الدائرة، لأنَّ من دارت عليه يذقها، فهي من باب إضافة الموصوف إلى صفته، فوصفت في الأصل بالمصدر مبالغة، ثم أضيفت لصفتها كقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ

(٧٥٦) هو الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن سليمان بن أبان الإمام أبو علي الفارسي النحوي المشهور أصله من فسا من أعمال شيراز ولد عام ٢٨٨هـ، وتوفي عام ٣٧٧هـ، انظر [غاية النّهاية في طبقات القراء (١/٢٠٦ ـ ٢٠٧)].

(٧٥٧) الحجَّة: أبو علي الفارسي (٤/٢٠٦ ـ ٢٠٧).

(٧٥٨) انظر [معاني القرآن: الفرّاء (١/٤٥٠)].

(٧٥٩) انظر [الحجَّة: أبو علي الفارسي (٤/٢٠٨)، الحجَّة: ابن خالويه ص٩٩].

(٧٦٠) انظر [الحجَّة: أبو علي الفارسي (٤/٢٠٩)].

سَوْءٍ﴾ [مريم: ٢٨](٧٦١).

خامساً: الجمع بين القراءتين:

بالجمع بين القراءتين: أرى أنَّ هذا الموضوع نوع من التلوين في أسلوب القرآن الكريم، فقراءة الفتح أراد المصدر، وقراءة الضم جعله الاسم، ومع ذلك لم يتغير المعنى وهذا يدل على جمال أسلوب القرآن وإعجازه.

أما قراءة ورش (**السَّو-ء**) بالفتح مع مد الواو، فلأن المد يفيد الزيادة، يكون المعنى عليهم دائرة الفساد والرداءة مستمرة أي دائمة، وهذا زيادة في الدعاء على المنافقين، وفي الفساد الذي سوف يصيبهم، وقيل الضم، والفتح لغتان بمعنى، مثل (الضُّرَّ، والضَّرَّ)(٧٦٢).

٢٢ - ﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِي رَحْمَتِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٩﴾﴾ [التّوبة: ٩٩].

أولاً: القراءات:

١ - قرأ ورش (**قُرُبة**) بضم الراء.

٢ - وقرأ الباقون (قُرْبة) بسكون الراء(٧٦٣).

ثانياً: المعنى اللُّغوي للقراءات:

(**قُرُبَة**) من الفعل قَرُب، قَرْباً، وقُرْبانا، وقِرْبانا. أي دنا فهو قريب. والقُرُبة، القرْبة والقُربى، أي القرابة، وهي قريبي وذو قرابتي(٧٦٤).

و(**قُرْبة**) بسكون الراء، هي لما يُتقرّب به إلى الله تعالى والضم

(٧٦١) الكشاف (٢/٢٠٩).

(٧٦٢) انظر [حجّة القراءات: ابن زنجلة ص٣٢٢].

(٧٦٣) انظر [النشر (٢/١٦٢)، إتحاف فضلاء البشر ص٩٧].

(٧٦٤) انظر [القاموس المحيط ص (١٥٧ - ١٥٨) مادة قرب].

للإتباع(٧٦٥).

ثالثاً: التَّفسير الإجمالي للآية:

ذكر الله سبحانه وتعالى في الآيات السَّابقة أحوال الأعراب المنافقين، وبيَّن في هذه الآية: حال الأعراب المؤمنين منهم والصَّادقين فقال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ﴾ أي: أنَّ الأعراب ليسوا سواء، فمنهم من يؤمن بالله ويقرّ بواحدنيته ويؤمن باليوم الآخر، وينوي بما ينفق من نفقة في جهاد المشركين قربة يتقرب بها من رضا الله ومحبته ﴿وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِۚ﴾ ويبتغي بنفقته أيضاً دعاء الرَّسول واستغفاره له ﴿أَلَآ إِنَّهَا قُرۡبَةٞ لَّهُمۡۚ﴾ أي ألا إنَّ تلك النفقة التي اتخذت، قد تقبلها الله، وكانت لهم قربة ورضى لهم عند الله، فأدخلهم برحمته الجنة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ أي أنَّه واسع المغفرة والرحمة لمن يتوب إلى الله ويُخلص في توبته، وهذه سنّة الله في أوليائه، يطهّرهم ثم ينعم عليهم بجواره(٧٦٦).

رابعاً: العلاقة التَّفسيرية بين القراءات:

قرأ ورش (**قُرُبة**) بضم الراء، وقرأ الباقون (قُرْبة) بإسكان الراء، والإسكان والضم: لغتان في كلِّ اسم على ثلاثة أحرف أوله مضموم، والإسكان هو الأصل، وهو لغة (تميم، وأسد)، والضم لمجانسة ضم الحرف الأول، وهو لغة الحجازيين(٧٦٧).

من قرأ (**قُرْبة**) على بناء (**فُعْلة**) وجمعها قُربات، وقُرَبَات، ومن قرأ (**قُرُبة**) مثقلة فهو مثل الجُمُعة والجُمْعة(٧٦٨) والأصل أن يكون بالإبقاء على

---

(٧٦٥) انظر [المصباح المنير ص٢٩٥ مادة قرب].

(٧٦٦) انظر [معاني القرآن: الزجّاج (٤٦٦/٢)، جامع البيان (٥/١١ ـ ٦)، تفسير المراغي (٩/١١ ـ ١٠)، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير: أبو بكر جابر الجزائري (٣٢٤/٢) ـ المكتبة العصرية ـ صيدا ـ بيروت ـ ط٢ ـ ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م].

(٧٦٧) انظر [المفردات في غريب القرآن ص٣٩٩].

(٧٦٨) انظر [معاني القراءات ص٢١٣].

العين ساكنة، خلافاً لما يراه بعض الصّرفيين[٧٦٩]. وما عدل النّاطق عن هذا الأصل؛ إلا التماساً لجمال صوتي يجري وَفْق قانون الإتباع في الحركات، فهنا الخلاف دائر بين جمال الإبقاء على الأصل، حيث خفة اللّفظ بالإمكان، وجمال الإتباع، حيث التّوافق الحركي والانسجام الصّوتي[٧٧٠].

وقراءة التسكين توحي بأن هذه القرْبة باقية رصيد لهم عند الله، في حين قراءة الضم توحي بثقل هذه القرُبة وعظمها عند الله تعالى وذلك لثقل الضم والله أعلم.

٢٣ ـ ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التّوبة: ١٠٠].

أولاً: القراءات:

١ ـ أ ـ قرأ يعقوب (والأنصارُ والذين) برفع الرّاء.

ب ـ قرأ الباقون ﴿وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ﴾ بخفض الرّاء.

٢ ـ أ ـ قرأ ابن كثير (تجري من تحتِها) بزيادة كلمة **(من)** وخفض تاء تحتها، وكذلك هي في المصاحف المكّية.

ب ـ قرأ الباقون ﴿تَجْرِى تَحْتَهَا﴾ بحذف لفظ **(من)** وفتح التاء وكذلك هي في مصاحفهم عند البصريين[٧٧١].

ثانياً: المعنى اللُّغوي للقراءات:

(٧٦٩) انظر [الخصائص (٥٤/١)، التّوجيه اللُّغوي والبلاغي: د. صبري ص ٥٢].

(٧٧٠) انظر [التّوجيه اللُّغوي: د. صبري ص٥٢].

(٧٧١) انظر [النشر (٢١١/٢)، كتاب المصاحف: أبو بكر عبد الله بن سليمان بن الأشعث السجستاني الحنبلي، المعروف بابن داوود (٢٣٠هـ ـ ٣١٦هـ) ـ (٢٧٦/١) ـ دار البشائر الإسلامية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط٢ ـ ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م ـ تحقيق: د. محمد واعظ، البدور الزاهرة ص١٧١، وقد اتفقت القراءات القرآنية على إثبات (من) قبل (تحتها) في سائر المواضع من القرآن الكريم انظر [النشر (٢١١/٢)].

﴿وَٱلۡأَنصَارِ﴾ من نصر، والنصر هو إعانة المظلوم، والنصرة حسن المعونة. والأنصار هم: أنصار النَّبي ﷺ، غلبت عليهم الصفة، فجرى مجرى الأسماء وصار كأنَّه اسم الحي، ولذلك أضيف إليه بلفظ الجمع، فقيل: أنصاري(٧٧٢).

ثالثاً: التَّفسير الإجمالي للآية:

يقول تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ﴾ أي الذين سبقوا الناس أولاً إلى الإيمان بالله ورسوله من المهاجرين وهم الذين صلُّوا إلى القبلتين، أو الذين شهدوا بدراً أو الذين أسلموا قبل الهجرة ﴿وَٱلۡأَنصَارِ﴾ الذين نصروا رسول الله ﷺ على أعدائه من أهل الكفر، وهم أهل بيعة العقبة الأولى والعقبة الثانية ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٍ﴾ أي والذين سلكوا سبيلهم في الإيمان بالله ورسوله، وفي الهجرة من دار الحرب إلى دار السَّلام، ابتغاء مرضاة الله ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ﴾ أي رضي الله عن جميعهم، بقبول طاعتهم، وارتضاء أعمالهم ﴿وَرَضُواْ عَنۡهُ﴾ بما نالوه من الله من الثَّواب والكرامة، وأعدَّ له جناتٍ وبساتين، تجري الأنهار من تحتها خالدين فيها ومقيمين لا يموتون فيها، ولا يخرجون منها، وذلك الرضوان والجنات هو الفوز العظيم الذي لا فوز وراءه(٧٧٣).

رابعاً: العلاقة التَّفسيرية بين القراءات:

القراءة الأولى:

قرأ يعقوب **(والأنصارُ)** بالرّفع عطفاً على السّابقين الأوّلين(٧٧٤). وقد رويت قراءة يعقوب عن عمر بن الخطاب ﷺ، فقرأ **(والأنصارُ)** عطفا على **(والسابقون)**(٧٧٥).

---

(٧٧٢) انظر [لسان العرب (٥/٢١٠) مادة نصر].

(٧٧٣) انظر [جامع البيان (١١/٦ ـ ٩)، تفسير البيضاوي (١١/٢٨٠)].

(٧٧٤) انظر [معاني القراءات ص٢١٤].

(٧٧٥) انظر [فتح القدير (٢/٣٩٧ ـ ٣٩٨)].

فتكون قراءة يعقوب: قد جعلت فضل الأنصار عامّاً، إذ لم تدخل عليهم (**من**) التّبعيض بل تكون للبيان، فيتناول المدح جميع الصّحابة، ويكون المراد بالتّابعين من بعدهم من الأمة إلى يوم القيامة[٧٧٦].

فتكون حصيلة قراءة يعقوب أن رضوان الله مكتوب لثلاثة أصناف:

الأول: السابقون الأولون من المهاجرين.

الثّاني: الأنصار (بعموم سابقهم ولاحقهم).

الثّالث: الذين اتبعوهم بإحسان[٧٧٧].

وشمول الأنصار بالجّنة والرضوان لا يعني استواءهم في المنزلة، حيث صرَّح القرآن بأنَّهم ليسوا سواء. قال تعالى ﷻ: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُواْ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [الحديد: ١٠][٧٧٨].

وقرأ الجمهور (**والأنصارِ**) بالخفض عطفاً على المهاجرين[٧٧٩].

فتكون قراءة الجمهور: قد نصت على مزيّة فضلٍ للسابقين من الأنصار وتكون (**من**) للتبعيض. قال الأخفش: «والوجه هو الجر؛ لأنَّ السَّابقين الأوَّلين، كانوا من الفريقين جميعاً»[٧٨٠].

وتكون حصيلة قراءة الجمهور أنَّ رضوان الله مكتوب لثلاثة أصناف:

الأول: السّابقون الأوّلون من المهاجرين.

الثَّاني: السّابقون الأوّلون من الأنصار.

---

(٧٧٦) انظر [المرجع السابق (٢/٤٩٨)].

(٧٧٧) انظر [القراءات المتواترة وأثرها في الرسم: د. محمد الحبشي ص١٨٤].

(٧٧٨) انظر [المرجع السابق ص١٨٥].

(٧٧٩) انظر [معاني القراءات ص٢١٤].

(٧٨٠) انظر [معاني القرآن: الأخفش (٢/٥٦٠)].

الثالث: الذين اتبعوهم بإحسان(٧٨١).

وعلى قراءة الخفض، فإن السّابقين من المهاجرين والأنصار، هم الذين صلُّوا القبلتين، أو الذين شهدوا بيعة الرّضوان، وهي بيعة الحديبية، أو أهل بدر، ولا مانع من حمل الآية على هذه الأصناف كلها(٧٨٢).

ويكون الذين اتبعوهم بإحسان من المهاجرين والأنصار من سائر الصّحابة، أو اتّبعوهم بالإيمان والطّاعة إلى يوم القيامة.

أو يكون السّابقون من المهاجرين، الذين سبقوا بالإيمان والهجرة، والسّابقون من الأنصار (وهم أهل بيعة العقبة الأولى) وهم سبعة نفر، وأهل العقبة الثّانية، وهم سبعون نفراً(٧٨٣).

أمّا على قراءة الرفع يكون السّابقون من المهاجرين الذين هاجروا من المؤمنين من مكّة إلى المدينة، والأنصار بعمومهم سابقهم ولاحقهم، وذلك لأنّهم ناصروا النّبي ﷺ ووقفوا بجانبه.

فقد قال عنهم رسول الله ﷺ برواية عن أبي هريرة: (لو أنَّ الأنصار سلكوا وادياً أو شِعْباً، لسلكت في وادي الأنصار؛ ولولا الهجرة، لكنت امرءاً من الأنصار)(٧٨٤)، أيضاً قال ﷺ برواية عن البراء: (الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق، فمن أحبهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله)(٧٨٥) فجعل رسول الله ﷺ محبة الأنصار من الإيمان، وبغضهم من النِّفاق، وفي رواية أخرى عن ابن مالك قال: رسول الله ﷺ: (**آية**

---

(٧٨١) انظر [القراءات المتواترة: محمد الحبشي ص١٨٤].

(٧٨٢) انظر [فتح القدير (٢/٤٩٨)].

(٧٨٣) انظر [مدارك التنزيل (٢/٤٤٢)].

(٧٨٤) رواه البخاري رقم (٣٧٧٩) في فتح الباري (٨/١١٢) ـ ٦٣ كتاب مناقب الأنصار ـ ٢ باب قول النّبي ﷺ (لولا الهجرة . . .)

(٧٨٥) رواه البخاري رقم (٣٧٨٣) في فتح الباري (٨/١١٣) ـ ٦٣ كتاب مناقب الأنصار ـ ٤ باب حب الأنصار من الإيمان.

الإيمان حب الأنصار، وآية النّفاق بغض الأنصار[٧٨٦] وروايات كثيرة، أوردها البخاري في صحيحه في كتاب مناقب الأنصار.

ومع ذلك لو قال قائل: إنَّ السَّابقين الأوّلين هم جميع من هاجروا إلى أن انقضت الهجرة، لكان قولاً يقتضيه اللفظ وتكون **(من)** لبيان الجنس، والذين اتبعوهم بإحسان هم سائر الصَّحابة، ويدخل التَّابعون وسائر الأمم بشرط الإحسان[٧٨٧].

ولا مانع أن يُصرف اللَّفظ إلى ما اتصف به السَّابقون من المهاجرين والأنصار، فيكون السَّابقون في الهجرة والنُّصرة، فالسَّبق إلى الهجرة صفة عظيمة، من حيث كونها شاقَّة على النَّفس، مخالفة للطَّبع، فمن أقدم أولاً صار قدوةً لغيره فيها، وكذلك السّبق في النُّصرة، فاز بمنصب عظيم[٧٨٨].

خامساً: الجمع بين القراءتين:

بالجمع بين القراءتين: أرى أنَّ قراءة يعقوب بالرَّفع: تكلَّمت في فضلهم عامَّة، وقراءة الجمهور بالخفض: تكلَّمت في تخصيص السَّابقين منهم بمنزلة أعلى من القرب والرُّضوان، والله أعلم[٧٨٩].

القراءة الثّانية:

قرأ ابن كثير **(تجري من تحتها)** بزيادة **(من)** وكذلك هي ثابتة في مصاحف مكَّة[٧٩٠]، ولها معنيان:

الأول: المراد أنَّ الماء يأتي من موضع، وتجري تحت هذه الأشجار التي في الجنّة[٧٩١].

---

(٧٨٦) البخاري رقم (٣٧٨٤) في فتح الباري (١١٣/٨) ـ ٦٣ كتاب مناقب الأنصار ـ ٤ باب حب الأنصار من الإيمان.
(٧٨٧) انظر [المحرر الوجيز (٧٥/٣)].
(٧٨٨) انظر [مفاتيح الغيب (١٣٤/١٦)].
(٧٨٩) انظر [القراءات المتواترة: محمد الحبشي ص١٨٦].
(٧٩٠) انظر [البحر المحيط (٩٢/٥)، المصاحف لابن أبي داوود (٢٧٦/١)].
(٧٩١) انظر [النشر (٢١١/٢)].

الثَّاني: وهذه القراءة تبيِّن أيضاً: أنَّ منبع تلك الأنهار ومبتدأ جريانها، هو كذلك تحت الجنّة(٧٩٢).

أما قراءة الجمهور **(تجري تحتها)** بحذف **(من)** وكذلك هي في سائر المصاحف(٧٩٣)، لها معنيان:

أحدهما: على هذه القراءة يكون المراد من الحذف: أنَّ الماء ينبع من تحت أشجارها، لا أنَّه يأتي من موضع وتجري من تحت هذه الأشجار(٧٩٤). وعلى هذا المعنى الأخير، أرى أن هذه الجنَّات تكون معدة، لمن ذُكر في الآية من السَّابقين الأوَّلين من المهاجرين والأنصار والذين اتَّبعوهم بإحسان ﷺ ورضوا عنه، أعدَّها لهم تعظيماً لأمرهم وتنويهاً لفضلهم وإظهاراً لمنزلتهم، لمبادرتهم بتصديق هذا النَّبي الكريم - عليه أفضل الصَّلاة وأكمل التَّسليم - ولمن تبعهم بالإحسان والتَّكريم. والله أعلم(٧٩٥).

الآخر: قراءة الحذف لا نص فيها على مبتدأ جريان الأنهار، بل كلُّ ما فيها أنَّ الأنهار تجري تحت الجنّة، ويكون منبعها ومبتدؤها موضعاً آخر يعلم الله به.

الجمع بين القراءتين:

فعلى هذا المعنى تكون قراءة الإثبات، قد بيّنت المجمل ونصَّت على أنَّ منبع تلك الأنهار ومبتدأ جريانها هو تحت الجنَّة، وقراءة الحذف لا نص فيها على مبتدأ جريانها؛ بل كلُّ ما فيها أنَّ الأنهار تجري تحت الجنّة وهو أعمّ، كما يلاحظ أن:

١ - المعنى السَّابق في توجيه القراءة في هذا الموضع بإثبات **(من)**

---

(٧٩٢) انظر [دراسات في مناهج المفسرين: إبراهيم عبد الرحمن محمد خليفة (٦٥/١ - ٦٦) - دار الوفاء - مكتبة الأزهر - القاهرة - ط ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م].

(٧٩٣) انظر [البحر المحيط (٩٢/٥)].

(٧٩٤) انظر [النشر (٢١١/٢)].

(٧٩٥) انظر [النشر (٢١١/٢)].

وبحذفها لم يراع فيه ملاحظة تخصيص هذا الموضع دون سواه بذلك، بينما المعنى الآخر في توجيه القراءة بالإثبات والحذف في هذا الموضع، لوحظ فيه وجه تخصيص هذا الموضع بالإثبات والحذف، دون سائر المواضع.

٢ ـ لوحظ في سياق الآية من جهة تخصيص المذكورين بمزيد فضل، وعظيم الشَّأن عند الله سبحانه وتعالى(٧٩٦).

٢٤ ـ ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [التَّوبة: ١٠٣].

أولاً: القراءات:

١ ـ أ ـ قرأ حمزة والكسائي وخلف وحفص **(صلاتَك)** على التّوحيد وفتح التّاء.

ب ـ قرأ الباقون ﴿صلواتِك) بالجمع وكسر التّاء(٧٩٧).

٢ ـ أ ـ قرأ يعقوب **(وتزكّيهُم)** بضم الهاء.

ب ـ قرأ الباقون **(وتزكّيهِم)** بكسر الهاء(٧٩٨).

ثانياً: المعنى اللُّغوي للقراءات:

(زكا) زكاء، زُكوّاً، وزكيَ، وتزكيّ، وزكّاه الله، وزكّى نفسه تزكية مدحها، والزَّكاة: الصّلاح، وقوله تعالى ﴿وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾، قالوا: تطهّرهم بها(٧٩٩).

(الصّلاة) لغة: الدّعاء، قال تعالى ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ أي ادعُ لهم، وهي من صلا وهي الرّكوع والسّجود، والصّلاة من الله تعالى الرّحمة، والصّلاة

---

(٧٩٦) انظر [القراءات وأثرها في التّفسير والأحكام: محمد بازمول ق٢ (٢/٧٧٢ ـ ٧٧٣)].

(٧٩٧) انظر [النشر (٢/٢١١)، البدور الزاهرة ص١٧١].

(٧٩٨) انظر [فريدة الدهر (٢/٧٩١)، البدور الزاهرة ص١٧١].

(٧٩٩) انظر [لسان العرب (١٤/٣٥٨) مادة زكا].

من الملائكة دعاء واستغفار، وبه سمّيت الصّلاة لما فيها من الدُّعاء والاستغفار، ولا يجوز أن تقال لغير النّبي ﷺ(٨٠٠).

ثالثاً: التّفسير الإجمالي للآية:

يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ خذ يا محمد من هؤلاء الذين اعترفوا بذنوبهم صدقة تطهّرهم بها من الذّنوب، ومعنى التّطهير(٨٠١): ذهاب ما يتعلق بهم من آثار الذّنوب، والتّزكية: المبالغة في التّطهير أو بمعنى: الإنماء والبركة في المال ﴿وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ وترفعهم بها عن خسيس منازل أهل النّفاق، والمقصود بالصّدقة أي الزّكاة، قال الجصّاص: «الصحيح أنّها الزّكوات المفروضة إذ لم يثبت أنّ هؤلاء القوم أوجب الله عليهم صدقة دون سائر النّاس، سوى زكوات الأموال، وإذا لم يثبت بذلك خبر، فالظاهر أنّهم وسائر النّاس سواء في الأحكام والعبادات، وأنّهم غير مخصوصين بها دون غيرهم من النّاس»(٨٠٢) فأمره ـ سبحانه ـ بأخذ زكواتهم وأخبرهم، أنّها تطهير لهم وتزكية، وأمره أن يدعو لهم بقوله: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾(٨٠٣) أي واعطف عليهم بالدعاء لهم وترحم ﴿إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ أي إن دعاءك لهم تثبيت وسكون ورجاء(٨٠٤). والسّكن من السّكون وهو: ما يسكن إليه من الأهل، والوطن(٨٠٥). والجملة تعليل للأمر بالصّلاة عليهم ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ أي يسمع اعترافهم بذنوبهم، ويسمع دعاءك لهم، وغير ذلك من

(٨٠٠) انظر [المرجع السابق (٤٦٦/١٤) مادة صلا].

(٨٠١) انظر [الكشّاف (٢١١/٢)، نيل المرام ص٤٢٠].

(٨٠٢) أحكام القرآن: أبو بكر الرازي (٣٧٠هـ)، (٢١٦/٣) ـ دار الفكر ـ بيروت ـ لبنان ط١ ـ ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م ـ راجعه: صدقي محمد جميل.

(٨٠٣) انظر [ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل: الإمام أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي العاصمي الغرناطي (٦٠٠/١) ـ دار الغرب الإسلامي ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ ـ ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م ـ تحقيق: سعيد الفلاّح].

(٨٠٤) انظر [مجاز القرآن: (٢٦٨/١)].

(٨٠٥) انظر [حاشية الشهاب (٦٣٢/٤)].

كلام خلقه، ﴿عَلِيمٌ﴾ بما في ضمائرهم من الندم، لما فرط منهم وعليهم بدعائك، لهم ولغير ذلك من أمور عباده(٨٠٦).

رابعاً: العلاقة التَّفسيرية بين القراءات:

١ ـ القراءة الأولى:

قرأ حمزة والكسائي وخلف وحفص عن عاصم **(صلاتَك)** بغير واو، وفتح التاء على التوحيد بصيغة الإفراد: هو مصدر بمعنى الدُّعاء، الدُّعاء صنف واحد، والأصل في المصدر أن يفرد؛ لأنَّه دال على الجنس كله؛ بمعنى أن يقع على الكثير والقليل بلفظ واحد(٨٠٧) كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ [غافر: ٦٧] فيكون المعنى: إنَّ دعاءك تسكن نفوسهم إليه، وتطمئن قلوبهم به إلى الغاية، ويثقون بأنَّه سبحانه قبلهم(٨٠٨)، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنفال: ٣٥].

وقرأ شعبة **(صلواتِك)** بالجمع وكسر التّاء والحجَّة في ذلك، جمع المصدر للدِّلالة على اختلاف أنواع الدعاء، التي تندرج تحت هذا الجنس، وذلك لتعدد المدعو لهم(٨٠٩)، وتعدّد صيغ الدّعاء، فقد يراد بالصّلاة عليهم: الدّعاء لهم أو الاستغفار لهم، أو الصلاة عليهم إذا ماتوا، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ

(٨٠٦) انظر [جامع البيان (١٦/١١)، تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل: محمد جمال الدين القاسمي ـ (٣٢٥٢/٨ ـ ٣٢٥٣) ـ دار إحياء الكتب العربية ـ رقّمه وصحّحه وخرّج أحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي].

(٨٠٧) انظر [الكشف (١٠٦/١)].

(٨٠٨) انظر [روح المعاني (١٥/١١)].

(٨٠٩) انظر [المرجع السابق بنفس الصفحة].

مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْۚ سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِي رَحْمَتِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٩﴾ [التوبة: ٩٩][٨١٠].

خامساً: الجمع بين القراءتين:

بالجمع بين القراءتين: أرى أنَّ كل قراءة أعطت معنىً جديداً، فبذلك تنوع أسلوب القرآن، مرة بقراءة الإفراد ومرة بقراءة الجمع، فقراءة الإفراد: مصدر بمعنى الدعاء: هو صنف واحد. أما قراءة الجمع فتدل على تعداد المدعو لهم. فالداعي: هو الرَّسول ﷺ، والمدعو لهم أفراد، وليس فرداً بعينه، وزيادة المبني فيه زيادة المعنى. وهذا المثال شاهد على جواز جمع المصدر لاختلاف الأنواع. والله أعلم.

٢ ـ القراءة الثانية:

(تزكيهُم) قرأ يعقوب بضم الهاء، وقرأ الباقون (تزكيهِم) بكسر الهاء، وقد سبق توجيه ذلك في الآية الثانية من سورة الأنفال[٨١١]، فلأن الضَّمة ثقيلة، فثقلها يتناسب مع ثقل التّزكية، فالتّزكية هنا مبالغة في التّطهير، وقيل بمعنى الإنماء، والمعنى أنّه تعالى يجعل النّقصان الحاصل بسبب إخراج قدر الزّكاة، سبباً للإنماء.

وقيل: الصّدقة تطهّرهم عن نجاسة الذّنب والمعصية، والرّسول ﷺ يزكّيهم ويعظّم شأنهم، ويُثني عليهم، عند إخراجها إلى الفقراء[٨١٢].

أما قراءة الكسر: مرتبطٌ بالآية التي قبلها، واستحضارها ضروري لفهم المعنى: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [التّوبة: ١٠٢] فتكون قراءة الكسر تدل على انكسار أنفسهم بسبب ذنبهم؛ لأنَّهم خلطوا عملاً صالحاً، وآخر سيئاً

(٨١٠) انظر [التَّوجيه اللُّغوي: د. صبري ص٢١٩].
(٨١١) راجع ص١٨ ـ ١٩.
(٨١٢) انظر [مفاتيح الغيب (١٦/١٤٣)].

فمن كان كذلك يجب ألا يقنط من رحمة الله، ويسرع بالتّوبة إليه سبحانه، ويخرج الصّدقة، وبذلك تنمو نفوسهم على حب الخير، وعلى العطف على الفقير، والضّعيف المحتاج، فبهذا تنمو النّفس وترتفع، بعد أن كانت منكسرة(٨١٣). والله أعلم.

٢٥ ـ ﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾﴾ [التّوبة: ١٠٦].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، ويعقوب، وأبو بكر **(مُرْجَؤُونَ)** بهمزة مضمومة بعدها واو ساكنة مدِّية.

٢ ـ وقرأ الباقون (مُرْجَوْنَ) بغير همز وواو ساكنة بعد الجيم(٨١٤).

ثانياً: المعنى اللُّغوي للقراءات:

(مُرْجَوْنَ) من أرجى الأمر: أخّره، ومرجؤون من أرجأه وأرجأت الأمر، وأرجيته إذا أخّرته، يهمز ولا يهمز، فالإرجاء التّأخير(٨١٥).

ثالثاً: التّفسير الإجمالي للآية:

إن الله سبحانه وتعالى قسّم المتخلّفين عن الجهاد ثلاثة أقسام:

١ ـ المنافقون الذين مردوا(٨١٦) على النّفاق وذلك لقوله تعالى: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [التّوبة: ١٠١].

٢ ـ التّائبون وهم المرادون بقوله تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ

(٨١٣) انظر [في رحاب التّفسير (١١/١٦٠٠ ـ ١٦٠١)].

(٨١٤) انظر [النشر (١/٣١٥)، البدور الزاهرة ص١٧١].

(٨١٥) انظر [لسان العرب (١٤/٣١١) مادة رجا].

(٨١٦) مرنوا عليه، وحذقوه حتى بلغوا الغاية القصوى فيه وبمعنى تطاولوا وطغوا، انظر [لسان العرب (٣/٤٠٠)، في رحاب التّفسير (١١/١٥٩٨)].

خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [التَّوبة: ١٠٢]. وبيّن تعالى أنّه قبل توبتهم.

٣ ـ الذين بقوا موقوفين، وهم المذكورون في هذه الآية، والفرق بين القسمين الثّاني والثّالث: أنَّ أولئك سارعوا إلى التَّوبة، وهؤلاء لم يسارعوا[٨١٧]، والموقوفون هم: أولئك الرّهط الثّلاثة من المسلمين من غير شك ولا نفاق، فندموا على ما فعلوا ولم يعتذروا إلى رسول الله ﷺ عند مقدِمِه وهم (كعب بن مالك، ومرارة بن الرَّبيع، وهلال بن أميَّة) فقال الرَّسول ﷺ لأصحابه لا تكلمن أحداً من هؤلاء الثَّلاثة[٨١٨] ﴿وَءَاخَرُونَ مُرۡجَوۡنَ﴾ أي هؤلاء المشار إليهم في القسم الثالث و﴿مُرۡجَوۡنَ﴾ مؤخرون عن التَّوبة ﴿لِأَمۡرِ ٱللَّهِ﴾ أي لحكم الله تعالى فيهم، ﴿إِمَّا يُعَذِّبُهُمۡ﴾ بأن يميتهم من غير توبة ﴿وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيۡهِمۡۗ﴾ إن تابوا ﴿وَإِمَّا﴾ هنا للشَّك بالنسبة إلى المخاطب؛ لأنَّ الله منزَّهٌ عن ذلك سبحانه، ﴿وَإِمَّا﴾ للإبهام بالنسبة إلى أنَّه أبهم على المخاطبين ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ والله ذو علم بأمرهم، وما هم صائرون إليه من التَّوبة ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما يفعل بهم[٨١٩].

رابعاً: العلاقة التَّفسيرية بين القراءات:

قرأ أهل المدينة والكوفة **(مُرجَون)** بدون همز، وهي لغة الحجاز. وهي اسم مفعول بمعنى مؤخرون من الفعل **(أرجى)** دون الهمز، يقال أرجأته، وأرجيته، كأعطيته، وحجَّة من لم يهمز أنَّه جعله من **(أرجيت الأمر)** يعني أخرته، وهي لغة قريش والأنصار، وأصله **(مرجيون)** فلما انضمّت الياء وانفتح ما قبلها قلبت ألفا، وبعدها واو ساكنة، فحذفت الألف لالتقاء الساكنين، وبقيت فتحة الجيم، تدل على الألف المحذوفة، فهو مثل قوله تعالى: ﴿وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ﴾ [آل عمران: ١٣٩] اعتلالهما واحد.

(٨١٧) انظر [مفاتيح الغيب (١٥٢/١٦)].

(٨١٨) انظر [السِّيرة النَّبوية: ابن هشام (١٢٩/٤)].

(٨١٩) انظر [جامع البيان (٢١/١١ ـ ٢٢)، مفاتيح الغيب (١٥٢/١٦)، الدر المصون (١١٨/٦ ـ ١١٩)].

وقد يجوز أن يكون أصله الهمز، ولكن سُهّلت الهمزة، فأبدل منها الياء مضمومة، ثم أُعل على ما ذكرنا، والأول أحسن وأقوى[٨٢٠]، وقد نقل القرطبي عن المبرد[٨٢١] قوله: «لا يقال أرجيته بمعنى أخرته، ولكن من الرجاء»[٨٢٢]. وقال عنه مكي بن أبي طالب هذا قول شاذ، وأنكره ابن عطية[٨٢٣]، ويكون المعنى: ليكن أمرهم عندكم على الرجاء؛ لأنَّه ليس للعباد أكثر من هذا.

وقرأ أبو عمرو وعاصم وأهل البصرة **(مرجئون)** بالهمز من أرجأ، يرجئ، بمعنى التَّأخير[٨٢٤]، وحُجَّة من همز أنَّها لغة تميم وسفلى قيس[٨٢٥]، وهو اسم مفعول من الفعل أرجأ، يرجئ، دون تسهيل، إتباعاً للأصل، فطبق قانون صياغة اسم المفعول من الفعل الثلاثي المزيد بهمزة[٨٢٦]. ويقال أنَّهما لغتان بمعنى واحد[٨٢٧]، ولا خلاف؛ إلاَّ في عدد المقاطع. فقراءة الهمز ثلاثة، وقراءة التسهيل أربعة، وهذا المثال شاهِدٌ على صياغة اسم المفعول من الفعل الثُّلاثي المزيد بهمزة[٨٢٨]. ومع ذلك يمكننا

---

(٨٢٠) انظر [الكشف (٥٠٦/١)، المحرر الوجيز (٨٠/١١)، روح المعاني (١٧/١١)].

(٨٢١) هو محمد بن يزيد المبرد أبو العباس تلميذ المازني وأبو حاتم السجستاني، له كتاب الكامل والروضة، توفي في بغداد ٢١٦هـ، انظر [وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: لأبي العباس شمس الدين أحمد بن خلكان (٣١٣/٤) ـ دار الثقافة ـ بيروت ـ تحقيق: د. إحسان عباس (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي وفيات الأعيان)].

(٨٢٢) الجامع لأحكام القرآن (٥٧٠/٤).

(٨٢٣) انظر [الكشف (٥٠٦/١)، المحرر الوجيز (٨٠/١١)].

(٨٢٤) انظر [المحرر الوجيز (٨٠/١١)].

(٨٢٥) قيس نسبة إلى القَيْسيّ ويرجع نسبهم إلى قيس بن ثعلبة أو قيس بن مُضَر بن نزار، وقيس لقبه، وتقيس الرجل: إذا تشبه بهم انظر [كتاب النسب (٥٧٥/٤)، اللباب (٦٩/٣)، لب الألباب (١٩٥/٢)].

(٨٢٦) وصياغته يكون اسم المفعول كاسم فاعله، ولكن يفتح ما قبل الآخر نحو مُكرَم، انظر [شذا العرف في فن الصرف ـ باب اسم المفعول ص ٩٧].

(٨٢٧) انظر [الكشف (٥٠٦/١)، روح المعاني (١٧/١١)].

(٨٢٨) انظر [التَّوجيه اللُّغوي: د. صبري ٢١٩ ـ ٢٢٠].

أن نفسر قراءة الهمز على أنَّ الفترة ستكون ليست قصيرة في الإرجاء، وعلى ثقل هذا الإرجاء على نفوس هؤلاء الصحابة، وقراءة التسهيل تُفَسر على أنه سيأتي الفرج على هؤلاء، ويسهل أمرهم والله أعلم.

٢٦ ـ ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ [التوبة: ١٠٧].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ المدنيان (نافع وأبو جعفر)، وابن عامر ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟﴾ بغير واو، وكذا هي في مصاحف أهل المدينة والشام.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟﴾ بالواو وكذا هي في مصاحفهم(٨٢٩).

ثانياً: التّفسير الإجمالي للآية:

لمّا ذكر الله أصناف المنافقين، وطرائقهم المختلفة، عطف على ما سبق هذه الطّائفة منهم، ـ وهم الذين اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِرَاراً ـ وهم بنو عمرو بن عوف من الأنصار، بنوا مسجدهم ضراراً لمسجد قباء أي مضارة، ومسجد قباء أول مسجد بني على التّقوى. فلمّا قدم النّبي ﷺ من غزوة تبوك، أمر بإحراق مسجد الشّقاق وهدمه(٨٣٠).

فقد أخبر الله سبحانه، أنَّ الباعث لهم على بناء هذا المسجد أمور أربعة:

الأول: الضرار لغيرهم، وهو المضاررة.

الثّاني: الكفر بالله والمباهاة لأهل الإسلام، فأرادوا ببنائه تقوية أهل النّفاق.

(٨٢٩) انظر [النشر (٢/٢١١)، البدور الزاهرة ص١٧١].

(٨٣٠) انظر [معاني القرآن: الفرّاء (١/٤٥٢)، معاني القرآن: النّحاس (١/٤٦٤)، السيرة النبوية: ابن هشام (٤/١٢٨ ـ ١٢٩)].

الثّالث: التّفريق بين المؤمنين، لأنّهم أرادوا أن لا يحضروا مسجد قباء، فتقل جماعة المسلمين، وفي ذلك من اختلاف الكلمة وبطلان الألفة ما لا يخفى.

الرّابع: الإرصاد والانتظار(٨٣١)، ومعناه من أرصدت أي ارتقبت(٨٣٢).

وقوله ﴿مِن قَبْلُ﴾ أي من قبل أن ينافق هؤلاء، ويبنوا مسجد الضرار ﴿وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ﴾ أي ما أردنا؛ إلا الخصلة الحسنى، وهي الرّفق بالمسلمين، فردَّ الله عليهم بقوله ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ فيما حلفوا عليه(٨٣٣).

ثالثاً: العلاقة التّفسيرية بين القراءات:

قرأ المدنيان وابن عامر (**الذين اتخذوا**) بغير واو، وكذلك هي في مصاحف أهل المدينة وأهل الشام، جعلوه مستأنفاً. وقرأ الباقون بالواو، وكذا في مصاحفهم. والحقيقة أنَّ حذف الواو وتركها، من أدق المسالك في الفكر البلاغي؛ لذلك كان موضوع الفصل والوصل هو البلاغة كما يقولون، والذي يتتبع أسلوب القرآن الكريم يجد فيه ما يثلج الصدر، ويبهر النفس من أسرار الفصل والوصل وحذف الواو في موضع وذكرها في موضع آخر. وذكر الواو يدل على العطف، والعطف يقتضي الاشتراك والتغاير وقد يكون عطف صفة على صفة لبيان أهمية الصفات المذكورة.

وقد يكون حذف الواو ناشئاً عن سؤالٍ مُقّدرٍ في جملة سابقة، فتأتي الجملة إجابة على هذا السؤال المقدّر خالية من الواو، وهذا ما يعبر عنه البلاغيون بشبه كمال الاتصال، ويسمى استئنافاً. وقد يكون ناشئاً عن تغاير

(٨٣١) انظر [معاني القرآن: الزجّاج (٢/٤٦٨)].

(٨٣٢) انظر [معاني القرآن: النّحاس (١/٤٦٤)].

(٨٣٣) انظر [فتح القدير: الشّوكاني (٢/٥٠٤)].

بين الكلام السَّابق والذي يليه، وهو ما يسميه البلاغيون كمال الانقطاع(٨٣٤).

وعلى هذا، فيمكن أن تشير كلٌ من القراءتين في الآية الكريمة إلى معنى، فالقراءة بحذف العطف تدل على اتصال هذه الأصناف التي ذكرت في سورة براءة ابتداءً من قوله سبحانه ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [التوبة: ٥٨]، ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ﴾ [التوبة: ٧٥] ﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ﴾ [التوبة: ٦١] . . . فكأنَّه قيل: ومنهم الذين اتَّخذوا مسجداً ضراراً، فيكون عطف جملة على جملة.

أما القراءة الثانية بدون حرف العطف، ففيها قطعٌ لهؤلاء الذين اتَّخذوا مسجد الضِّرار، أي تكون الجملة على الابتداء، وفي خبره وجهٌ محذوف وفيه تقديران:

أحدهما: فيمن وصفنا الذين اتخذوا. **والثاني**: ننتقم منهم أو نجازيهم.

واحتمال إضمار المبتدأ وجعل ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا﴾ الخبر.

ولكن لا يحسُن أن يكون ﴿الَّذِينَ﴾ في هذه القراءة بدلاً من (وآخرين) لأن (آخرين) ترجى لهم التَّوبة، ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا﴾ لا ترجى لهم توبة لقوله تعالى: ﴿لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾﴾ [التوبة: ١١٠](٨٣٥).

وهكذا فقراءة القطع فيها من التشنيع والذَّم الكثير الكثير، وكيف لا وقد اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين، وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل، إلى جانب كذبهم(٨٣٦).

خامساً: الجمع بين القراءتين:

بالجمع بين القراءتين: يتبين لنا أنَّ كلَّ قراءة من القراءتين، والتي هي

(٨٣٤) انظر [القراءات القرآنية من الوجهة البلاغية ص٣٣ ـ ٣٥].

(٨٣٥) انظر [الكشف (٥٠٧/١)، الفريد (٥٠٩/٢)].

(٨٣٦) انظر [القراءات من الوجهة البلاغية: د. صبري ص ٣٥].

حذف الحرف أو ذكره في كتاب الله تعالى، في كل منهما إشارة لمعنىً جديد، منسجم مع جلال الموقف المتَحدَّث عنه.

فقراءة العطف، وصلت الآية بالآيات السابقة، بحيث إنَّ المعنى لم ينقطع فكانت تعداداً لصفات المنافقين. في حين أنَّ القراءة الثانية الخالية من حرف العطف بيَّنت شناعة أفعال أولئك المنافقين، وهكذا نرى انسجام آيات القرآن الكريم(٨٣٧).

٢٧ ـ ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾ [التوبة: ١٠٩].

أولاً: القراءات:

١ ـ أ ـ قرأ نافع وابن عامر **(أُسِّسَ بنيانُه)** في الموضعين معاً بضم الهمزة، وكسر السِّين، ورفع النون فيهما.

ب ـ وقرأ الباقون (أَسَّس بنيانَه) بفتح الهمزة والسين ونصب النّون فيهما(٨٣٨).

٢ ـ أ ـ قرأ حمزة، وخلف، وابن ذكوان، وأبو بكر، وهشام بخلف عنه **(جُرْف)** بإسكان الراء.

ب ـ وقرأ الباقون (جُرُف) بضم الراء(٨٣٩).

٣ ـ أ ـ قرأ أبو عامر، والكسائي وأبو بكر و(قالون، وابن ذكوان بخلفه عنهما) **(هارٍ)** بالإمالة.

ب ـ وقرأ الباقون (هَارٍ) بالفتح بدون إمالة(٨٤٠).

(٨٣٧) انظر [المرجع السابق نفس الصفحة].

(٨٣٨) انظر [النشر (٢/٢١١)، البدور الزاهرة ص١٧١].

(٨٣٩) انظر [النشر (٢/١٦٢)، البدور الزاهرة ص١٧١].

(٨٤٠) انظر [النشر (٢/٤٣ ـ ٤٤)، إتحاف فضلاء البشر (٢/٩٨)].

٤ ـ أ ـ قرأ شعبة **(رُضوان)** بضم الراء.

ب ـ وقرأ الباقون (رِضوان) بكسر الراء[٨٤١].

ثانياً: المعنى اللُّغوي للقراءات:

(الأُس) أصل البناء كالأساس، والأسس، وأصل كل شيء، والجمع إساس، كعِساسٍ، والتأسيس: بيان حدود الدار، ورفع قواعدها وبناء أصلها[٨٤٢].

(البنيُ) ضد الهدم، بناه يبنيه، بنياً، وبناءً، وبنياناً، وبنايةً، والبنيان: مصدر بمعنى المبنى، سمِّيَ المبني بالمصدر[٨٤٣].

(جَرف من الجُرْف) وهو الأخذ بالكثير، وجرف الشَّيء يجرُفه بالضم جُرْفاً، أخذه أخذاً كثيراً، **والجُرُف** ما أكل السَّيلُ من أسفل شق الوادي والنَّهر، **والجُرْف** عرض الجبل الأملس[٨٤٤].

(هارَ يهور هوراً) عن الشيء أي صرفه عنه، وهار البناء: هدمه، أو انهدم وسقط[٨٤٥].

(رضوان) مصدر رضا وهو خلاف السَّخط[٨٤٦].

ثالثاً: التَّفسير الإجمالي للآية:

﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ﴾ التَّأسيس وضع الأساس، وهو أصل البناء، ويستعمل بمعنى الإحكام، أي أفمن أسس بنيان دينه ﴿عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ﴾ أي على قاعدة محكمة هي التَّقوى، والخوف من الله، وطلب

---

(٨٤١) انظر [النشر (١٧٩/٢)، إتحاف فضلاء البشر (٩٨/٢)، غيث النفع ص١٢٧].

(٨٤٢) انظر [القاموس المحيط ص٦٨٢ مادة أسّ].

(٨٤٣) انظر [المرجع السابق ص١٦٣٢ مادة بني].

(٨٤٤) انظر [لسان العرب (٢٤/٩ ـ ٢٥) مادة جرف].

(٨٤٥) انظر [القاموس المحيط ص ٦٤٢ مادة هار، منجد الطلاب ص٨٨٩ مادة هار].

(٨٤٦) انظر [القاموس المحيط ص ١٦٦٢ مادة (رضي)، المصباح المنير ص١٤، منجد الطلاب ص٢٤٩ مادة رضي].

مرضاته بالطّاعة ﴿خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ﴾ أي خير أم من أسس بنيانه على قاعدة ضعيفة واهية رخوة، فكانت عُرضة للانهيار، فأدى بها إلى السقوط في النار، كما قال تعالى ﴿فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ﴾ فشبّه الباطل والنّفاق في ذهابه واضمحلاله، ببناء بني على حافة هُوَّة سحيقة فهوى البناء، لعدم وجود أساس، ولأنّه على حافة الحفرة، فهلك بمَن فيه، وهو تمثيل رائع ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ والله لا يوفّق للرّشاد في أفعاله مَنْ كان منافقاً، مخالفاً بفعله أمر الله وأمر رسوله.

وخلاصة المثل: بيان ثبات الإسلام وقوته وسعادة أهله به وجزائهم عليه برضوان الله عنهم، وبيان ضعف الباطل ووهيه وخيبة صاحبه، وسرعة انقطاع آماله، وبيان أنَّ شر أعمال أهله المنافقين، ما اتّخذوه من مسجد الضرار لمفاسده الأربع المتقدّمة في الآية السّابقة(٨٤٧).

رابعاً: العلاقة التّفسيرية بين القراءات:

القراءة الأولى:

قرأ نافع وابن عامر (أفمن أُسِّسَ بنيانُه. . .خيرٌ أمن أُسِّسَ بنيانُه) [التّوبة: ١٠٩] بضم الألف في الحرفين، ورفع البنيان، والفعل أسس على البناء للمفعول، **(وبنيانُه)** بالرّفع نائب فاعل.

وقرأ الباقون ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ ... خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ﴾ بفتح الهمزة والسين على البناء للفاعل، والفاعل ضميرٌ مستتر يعود على **(من)** و**(بنيانَه)** بالنّصب مفعول به.

وقراءة الضّم: تدل على أنّه لم يُسمّ فاعله، وأضاف الفعل إلى البنيان، فارتفع به، والفاعل هو الباني والمؤسس، وقد أجمعوا على الضّم في قوله ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [التّوبة: ١٠٨]، أضاف الفعل إلى المسجد، ففي ﴿أَسَّسَ﴾ ضمير و﴿ٱلْمَسْجِدِ﴾ هو البنيان بعينه، لذلك حسن رفع البنيان.

(٨٤٧) انظر [جامع البيان (٣٢/١١ ـ ٣٣)، المقتطف من عيون التفاسير (٤٣٢/٢ ـ ٤٣٣)، تفسير المراغي (٢٨/١١)].

ويكون حاصل الكلام: أنَّ الباني لَمَّا بنى ذلك البناء، لوجه الله تعالى، وللرَّهبة من عقابه، والرَّغبة في ثوابه، كان ذلك البناء أفضل وأكمل من البناء الذي بناه الباني لداعية الكفر بالله والإضرار بعباد الله.

وقراءة النَّصب: تدل على الفاعل والمفعول وأضافوا الفعل إلى **(من)** في قوله **(أفمن، وخير أم من)** ففي الفعلين ضمير**(من)** وهو صاحب البنيان. ويقوي ذلك أنَّه قد أُضيف **(البنيان)** إلى ضمير، وهو الهاء في بنيانه، وهو صاحب البنيان، فكما أضيف البنيان إلى **(من)** كذلك يجب أن يضاف الفعل إليه.

والمعنى: أفمن أسس بنيانه على الإيمان، كمن أسس بنيانه على الكفر؟ لأنّ المنافقين بنوا لهم مسجداً، حتى ينفض أصحاب رسول الله ﷺ من مصلّاهم إلى مسجدهم[(٨٤٨)].

خامساً: الجمع بين القراءتين:

بالجمع بين القراءتين: نجد أنَّ القراءتين في المعنى واحد؛ إلا أنَّ البيان القرآني عندما يستغني عن الفاعل ويبني الفعل إلى ما لم يسم فاعله، فإنَّه لم يترك ذكر الفاعل للجهل به، بل إنَّ العناية انصرفت إلى ذكر وقوع الفعل بالمفعول، سواء عُرف لنا الفاعل أم لم يُعرّف[(٨٤٩)]. وحصيلة القراءتين أنَّ الباني والبناء على تقوى الله خير من الباني والبناء على غير تقوى الله والله أعلم.

القراءة الثانية:

قرأ ابن عامر، وحمزة، ويحيى عن أبي بكر عن عاصم **(على شفا جُرْف)** بسكون الراء تخفيفاً، وقرأ الباقون (جُرُف) بضم الراء على الأصل[(٨٥٠)].

---

(٨٤٨) انظر [الحجَّة: ابن خالويه ص٩٩، معاني القراءات ص٢١٥، الكشف (٥٠٧/١)، مفاتيح الغيب (١٥٦/١٦)].

(٨٤٩) انظر [القراءات وأثرها في التَّفسير ق٢ (٨٣٢/٢)].

(٨٥٠) انظر [معاني القراءات ص٢١٥].

قال أبو منصور[٨٥١]: «هما لغتان بمعنى واحد (جُرُف، وجُرْف)، والعرب تقول للرجل: لا حَزمَ له ولا عقل: فلانٌ جُرفٌ منهارٌ، والجرف في كلام العرب: أن يجنح ماء السيل عُدْوَة الوادي، فيأكل أصلها، فإذا وطئت دابَّة أو إنسان الموضع الذي أكل السيل ما تحته انقطع فانهار به»[٨٥٢] . . . وقد تقدم مثال نظيره[٨٥٣].

وأصل المعنى: هذا مثلٌ مضروبٌ للحق والباطل، والمثل عِلمٌ من علوم القرآن، يقوم بتقريب المراد للعقل، وتصويره بصورة المحسوس، فمن غرضه تشبيه الخفيّ بالجليّ، والغائب بالشّاهد حتى يكشف لنا المعاني[٨٥٤].

ويقول الفخر الرّازي[٨٥٥] في حاصل معنى هذه الآية: «ولا نرى في العالم مثالاً أكثر مطابقة لأمر المنافقين من هذا المثال: فالمراد أنّ أحد البناءين: قَصَدَ بانيه، تقوى الله ورضوانه، والبناء الثّاني: قصد بانيه ببنائه، المعصية والكفر، فكان الأوّل شريفاً واجب الإبقاء، وكان الثّاني خسيساً واجب الهدم»[٨٥٦].

وفي الأثر الفنّي لترشيح الاستعارة يقول الزمخشري: «رشح المجاز فجيء بلفظ الانهيار الذي هو للجرف، وليصور أنّ المبطل، كأنّه أسّس بنياناً على شفا جرف من أودية جهنم، فانهار به ذلك الجُرف فهوى في

(٨٥١) سبقت له ترجمة راجع ص١١٦.

(٨٥٢) معاني القراءات ص٢١٥.

(٨٥٣) راجع الآية ٩٩ ص٢٠١.

(٨٥٤) انظر [الإتقان (١٠٤١/٢ ـ ١٠٤٢) النوع السادس والستون].

(٨٥٥) الفخر الرازي: محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين بن علي التيمي البكري الرازي المعروف بفخر الدين الرازي أو ابن خطيب الري. وهو إمام مفسر شافعي، عالم موسوعي امتدت بحوثه ودراساته ومؤلفاته من العلوم الإنسانية اللغوية والعقلية إلى العلوم البحتة في: الفيزياء، الرياضيات، الطب، الفلك. ولد في الريّ. قرشي النسب، أصله من طبرستان. رحل إلى خوارزم وما وراء النهر وخراسان. لقب بشيخ الإسلام. له تصانيف كثيرة ومفيدة في كل فن من أهمها: التفسير الكبير الذى سماه "مفاتيح الغيب". توفي الرازي في مدينة هراة سنة ٦٠٦ هـ.

(٨٥٦) مفاتيح الغيب (١٥٧/١٦).

قعرها»[٨٥٧]، وأنت ترى ما في هذا الكلام من بلاغة.

وقد احتفى[٨٥٨] الإمام عبد القاهر[٨٥٩] بنوع استعارة المحسوس للمعقول فقال: «اعلم أن هذا الضَّرب هو المنزلة التي تبلغ عندها الاستعارة غاية شرفها، ويتسع لها، كيف شاءت المجال في تفنّنها وتصرّفها، وها هنا تخلصُ لطيفةٌ روحانية، فلا يبصرها إلا ذوو الأذهان الصّافية، والعقول النّافذة، والطّباع السّليمة، والنفوس المستعدة لأن تعي الحكمة، وتعرف فصل الخطاب»[٨٦٠]. وقراءة الضم تدل على ضخامة هذا الجرف.

ونختم هذا الموضع بتجلية الملخص الصَّوتي فقراءة الضم **(جُرُف)** جاءت على الأصل، وقراءة الإسكان **(جُرْف)** تخفيفا لتوالي الحركات[٨٦١].

القراءة الثالثة:

قرأ ابن كثير، وحفص عن عامر، وحمزة ويعقوب **(هار)** مفخمة، وقرأ نافع وابن عامر، ويحيى عن أبي بكر عن عاصم والكسائي ممالاً.

وأما **(هار)** كانت راؤه لاماً، فجعلت عينا بالقلب، وذلك أنَّ أصله، هاير، أو هاور، من هار يهير أو يهور، وهو الأكثر، فقدّمت اللاّم إلى موضع العين، وأخّرت العين إلى موضع اللاّم ثم فعل به ما فعل **(قاض)** فالراء حينئذٍ ليست بطرف؛ ولكنّها بالنّظر إلى صورة الكلمة طرف، وكذا إلى لفظها الآن، فهي بعد الألف متطرّفة، فلذلك ذكرت هنا لا على تقدير الأصل، ليست كذلك بل بينهما حرف مقدّر فهو من هذا الوجه يشبه

---

(٨٥٧) الكشاف (٢/٢١٥).

(٨٥٨) حفي الرجل يحفى من باب تَعِبَ انظر [المصباح المنير ص٨٩، المنجد ص١٣١].

(٨٥٩) الإمام عبدالقاهر الجرجاني: هو عبدالقاهر بن عبدالرحمن بن محمد الجرجاني الأشعري الشافعي، أبو بكر: نحوي، بياني، متكلم، فقيه، مفسر، توفي بجرجان سنة ٤٧١هـ ـ ١٠٧٨م، من تصانيفه: شرح الإيضاح لأبي علي الفارسي، إعجاز القرآن، العوامل المائة، العمدة في التصريف. انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء ١١/٢٤٦، كحالة، معجم المؤلفين ٥/٣١٠، الزركلي، الأعلام ٤/٤٨ ـ ٤٩.

(٨٦٠) أسرار البلاغة: عبد القاهر الجرجاني (ت سنة ٤٧١هـ) ص٥٤ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ ـ ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م ـ تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي.

(٨٦١) انظر [التّوجيه اللُّغوي والبلاغي: د. صبري ص٢٢١ ـ ص٢٢٢].

(كافر)[٨٦٢].

قال الأزهري: «هما لغتان»[٨٦٣]. إذاً فالحجَّة لمن فخم: أنَّه أتى به على الأصل، والحجَّة لمن أمال: فلكسرة الراء[٨٦٤].

والفتح فتح القارئ فاه بلفظ الحرف، وهو لغة الحجازيين، ولا سيما أبو جعفر المدني، وابن كثير، والتفخيم والفغر من قولهم فلان فغر فاه، أي فتحه.

الإمالة الكبرى: هي تقريب الفتحة من الكسرة، والألف من الياء والترقيق والإمالة مذهب حمزة والكسائي.

والتقليل (الإمالة الصغرى): النطق بالألف، بحالة بين الفتح والإمالة، ويسمى أيضاً بين بين، والتقليل مذهب ورش عن نافع.

والإمالة بنوعيها: لغة أهل نجد من بني أسد، وتميم، وقيس، وكلُ أسباب الإمالة ترجع باختصار إلى كسر موجود أو مقدر في اللفظ قبلاً أو بعداً، وتكون وظيفتها حينئذٍ إشعاراً بالكسر المقدَّر كما في **(هار)** الهاء الطويلة إشعار بكسرة هذه الهاء؛ لأن الأصل هير.

فمن قرأ بالفتح مطلقاً التي على الأصل وهي لغة الحجاز، فهذا لونٌ من ألوان الجمال، أما الإمالة المطلقة على لغة تميم، حيث إنَّ العدول عن الأصل يكون التماساً للونٍ من ألوان الجمال، له ما يبرّره، فقد أمال إشعاراً بالأصل[٨٦٥].

وجمال آخر للإمالة: أنَّها تتناسب مع الجرف الهائر الساقط، فهي تتناسب مع السُّقوط والانهيار، في حين أنَّ قراءة الفتح تفيد أنَّ المبنى كان قائماً، فجاءت الإمالة تشعر بأنَّ هذا المبنى القائم، لم يكن على أسس متينة، لذلك مال وتعرَّض للانهيار السريع، والله أعلم.

والإمالة هنا حسنة، لِما في الرَّاء من التكرير، فكأنك قد لفظت بـ(رَاءين) مكسورتين، وبحسب كثرة الكسرات تحسن الإمالة[٨٦٦].

(٨٦٢) انظر [النشر (٤٣/٢)]

(٨٦٣) معاني القراءات ص٢١٦.

(٨٦٤) انظر [الحجَّة: ابن خالويه ص٩٩].

(٨٦٥) انظر [الإتقان في علوم القرآن (٢٨٤/١ ـ ٢٨٨)، التَّوجيه اللُّغوي: د. صبري ص١٥٠ ـ ١٥١].

(٨٦٦) انظر [الحجَّة: أبو علي الفارسي (٢٢٤/٤)].

الجمع بين القراءتين:

بالجمع بين القراءتين: أرى أنّ القرائتين قد جمعت بين أسلوبين فقد خاطب الله تعالى بأسلوبين: أسلوب التهديد والإنذار، وهذا ما دلت عليه قراءة عدم الإمالة. وأسلوب اللين والخطاب الرقيق، وهذا ما دلّت عليه قراءة الإمالة، والله أعلم(٨٦٧).

القراءة الرابعة:

قرأ حفص **(ورِضوان)** بكسر الراء، وقرأ شعبة **(ورُضوان)** بضم الراء.

والحجَّة لِمَن كسرها: أنَّه مصدر، والأصل فيه رضيتُ رضىً، ثم زِيدت الألف والنون، فرُدت الياء إلى أصلها، كما كان في الأصل في كفران: كفراً.

والحجَّة لمن ضم:

١ ـ أنَّه فرَّق بين الاسم والمصدر(٨٦٨).

٢ ـ أنَّ الضم في المصادر مع زيادة الألف والنون أكثر وأشهر كقوله تعالى: ﴿فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ﴾ [الأنبياء: ٩٤] ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝٥﴾ [الرحمن: ٥].

ومن قرأ باللغتين ليُعلم جوازهما(٨٦٩). ورِضوان بالكسر: لغة أهل الحجاز.

وبالضم: **رُضوان** لغة قيس وتميم(٨٧٠).

الجمع بين القراءتين:

نجد أنّ كلمة رضوان في اللغتين كلتيهما: المصدر، واسم المصدر أشدّ تعبيراً عن الرّضوان الخير من رضا، حيث إنّ المعنى الذي يؤديه

(٨٦٧) انظر [المعجزة الكبرى ص ٤٩].
(٨٦٨) ذكرت الفرق بين المصدر واسم المصدر سابقاً، راجع ص١٩٣ ـ الهامش رقم (٧٢٣).
(٨٦٩) انظر [الحجَّة: ابن خالويه ص٥٠].
(٨٧٠) انظر [المصباح المنير ص١٤٠].

المصدر المجرد عن رضا، لا يُغني بحال عن المعنى الذي يؤدّيه المصدر المزيد، فالتأسيس الحسن القويّ لأهل التقى لا يكمن في الرّضا المعتاد، ولكنّه يتجلّى في الرّضوان النّاتج عن تقوى الله؛ لهذا كما قلنا سابقاً كلمة **(رضوان)** في اللّغتين أشد تعبيراً عن الرّضوان العظيم(٨٧١). فكان البناء الذي بناه الباني لوجه الله تعالى، وللرّهبة من عقابه، والرّغبة في ثوابه أفضل وأكمل بناء، فيتناسب مع الرّضوان وخيريّته(٨٧٢).

٢٨ ـ ﴿لَا يَزَالُ بُنْيَٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا۟ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾﴾ [التّوبة: ١١٠].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ ابن عامر، وحفص، وحمزة، وأبو جعفر **(إلاّ أن تَقَطَّعَ)** **(إلاّ)**: بتشديد اللاّم، على أنّه حرف استثناء، و**(تقطّع)** بفتح التاء.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿إلاّ أن تُقَطّعَ﴾ بضم تقطع.

٣ ـ وقرأ يعقوب **(إلى أن تَقَطَّع)** **(إلى)**: بتخفيف اللام فجعله حرف جر، **(تقطّع)**: بفتح التاء(٨٧٣).

ثانياً: المعنى اللُّغوي للقراءات:

(قطع) من القطع وهو إبانة بعض أجزاء الجُرْم من بعض فصلاً قطعة ومَقْطَعة، وقطعاً وقطيعة، وقطواعا، والقطع مصدر قطعت الحبل قطعاً فانقطع(٨٧٤) ... ومعنى ﴿إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾ إلا أن يموتوا، وقال

(٨٧١) راجع ص١٩٣ ـ ١٩٤.

(٨٧٢) انظر [البحر المحيط (٧٢/٥)، مفاتيح الغيب (٢٠٠/٧)، التّوجيه اللُّغوي: د. صبري ص٨١ ـ ٨٢].

(٨٧٣) انظر [النشر (٢١١/٢)، البدور الزاهرة ص١٧١].

(٨٧٤) انظر [لسان العرب (٢٨٠/٨)].

غيرهم: إلا أن يتوبوا توبة تتقطّع بها قلوبهم ندماً وأسفاً على تفريطهم[٨٧٥].

ثالثاً: التَّفسير الإجمالي للآية:

يقول سبحانه وتعالى: ﴿لَا يَزَالُ بُنْيَـٰنُهُمُ﴾ يحتمل أن يكون البنيان هنا مصدراً، أي: لا يزال ذلك الفعل وهو البنيان. أمّا إذا كان البُنيان بمعنى المبنى، أو جمع بناية كان في الكلام حذفاً مضافاً تقديره: لا يزال بناء بنيانهم الذي بنوه ﴿رِيبَةً﴾ شكاً ونفاقاً في قلوبهم، والبُنيان هو مسجد الضِّرار والكفر، وهو مسجد النّفاق، فهم يظنّون أنّهم كانوا محسنين في بنائه ﴿إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾ فلا يزال هذا البنيان شكاً في قلوبهم، حتى تتصدّع قلوبهم فيموتوا، أو حتى يتوبوا توبة يندمون على ما فعلوا، فيكونوا بمنزلة من قد قُطّع قلبُه ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ أي عليم بجميع الأشياء، التي من جملتها ما ذُكر من أحوالهم ﴿حَكِيمٌ﴾ في تدبيره إياهم، وتدبيره جميع خلقه[٨٧٦].

رابعاً: العلاقة التَّفسيرية بين القراءات:

قرأ ابن عامر، وحفص، وحمزة، وأبو جعفر **(إلاَّ أن تَقطع)** بفتح التاء، والأصل إلا أن تتقطع، فحذفوا إحدى التّاءين؛ لاجتماع المثلين بحركة واحدة، وماضيه تقطّعت، فهي تتقطّع[٨٧٧].

وحجّة من قرأ بفتح التاء: أنّه جعله فعلاً لـ(القلوب) فرفعها به؛ لأنّها ـ القلوب ـ هي المتقطّعة بالبلاء، فهو محمولٌ على معنى تَبْلى قلوبهم فتتقطّع، و**(إلاّ)** حرف استثناء، والمستثنى منه محذوف، وقدّر **(إلاّ)** بتقدير (إلى وحتى)؛ لأنّ التّقطّع منتهى ينتهي إليه، (وإلى وحتى)، كلاهما للغاية فينتهي. ويعضده قراءة من قرأ حتى الممات **(وهو أُبيّ)**[٨٧٨] وقراءة من قرأ **(إلى أن)** وهي قراءة يعقوب[٨٧٩].

(٨٧٥) انظر [معاني القرآن: الزجّاج (٤٧١/٢)، معاني القرآن: النّحاس (٤٦٥/١ ـ ٤٦٦)].

(٨٧٦) انظر [معاني القرآن: الفرّاء (٤٥٢/١)، جامع البيان (٣٣/١١)، معاني القرآن: النّحاس (٤٦٦/١)، البحر المحيط (١٠١/٥)].

(٨٧٧) انظر [الحجّة: ابن زنجلة ص٣٢٤، الحجّة: ابن خالويه ص٩٩].

(٨٧٨) انظر [قراءة (أبي) في الكشف (٥٠٩/١)، وفي البحر المحيط (١٠١/٥)].

(٨٧٩) انظر [الكشف (٥٠٨/١)، المستنير: محمد سالم محيسن (٢٣٦/١)].

وفي هذه القراءة، أسند الفعل إلى القلوب، لمّا كانت هي البالية مثل مات زيد، ومرض عمر، وسقط الحائط، ونحو ذلك، ممّا يستند فيه الفعل إلى من حدث فيه، وإن لم يكن فيه[٨٨٠].

وعلى هذا فالمعنى: لا يزال هدم مبانيهم حزازة وغيظاً في قلوبهم؛ إلاّ أن تتقطّع قلوبهم قطعاً، وتتفرق أجزاءً بحيث لا يبقى لها قابلية إدراك، وإضمار (قطعاً). وهذا الاستثناء من أعمّ الأوقات وأعمّ الأحوال، ومحلُّه النّصب على الظّرفية، أي لا يزال بنيانهم ريبة في كلِّ الأوقات، أو كلِّ الأحوال؛ إلا وقت تقطّع قلوبهم، أو حال تقطّع قلوبهم فحينئذ يسْلون عنها، وأمّا ما دامت سالمة، فالرّيبة باقية فيها، فهو تصوير؛ لامتناع زوال الرّيبة عن قلوبهم، ويجوز أن يكون المراد حقيقة تقطّعها عند قتلهم أو في القبور، أو في النّار[٨٨١].

فقلوبهم لا تَثْلَج بالإيمان أبداً، ولا يندمون على الخطيئة، التي كانت منهم في بناء المسجد[٨٨٢].

وقرأ الباقون **(إلا أن تُقطّع)** بضم التاء على البناء للمفعول، مضارع قطع بالتشديد، و**(قلوبُهم)** نائب فاعل، والفعل أُضيف إلى المقطع المُبْلي[٨٨٣] للقلوب بالموت في المعنى وإن لم يُذكر في اللّفظ فأُسند الفعل الذي هو لغير القلوب في الحقيقة إلى القلوب. أي أنّه لمّا حُذِف الفاعل من اللفظ ولم يُسمَّ قامت **(القلوب)** مقامه، فارتفعت بالفعل، فالمعنى: إلاّ أن تُقطّع قلوبهم بالموت والبلاء، ويعضّد ذلك حرف أُبيّ **(حتى الممات)**[٨٨٤]

---

(٨٨٠) انظر [الحجّة: أبو علي الفارسي (٤/٢٣٠)].

(٨٨١) انظر [إرشاد العقل السليم (٣/٤٤٣)].

(٨٨٢) انظر [الحجّة: أبو علي الفارسي (٤/٢٣٠)].

(٨٨٣) يقال بلي الثوب، يبلى بلاءاً، أي رثَّ، والبلاء: بالضم كأنه يبلي الجسم انظر [القاموس المحيط ص ١٦٣٢، منجد الطلاب ص٤٤، مادة بلا].

(٨٨٤) انظر [الكشف (١/٥٠٩)، الحجّة: أبو علي الفارسي (٤/٢٣١)، المستنير (١/٢٣٦)].

أو: إلاّ أن يُقطِّع الله قلوبهم بالإماتة، أي بأن يميتهم تعضدها، قراءة بعضهم، (إلا ان تُقطِّع قُلُوبَهُم)[885] بضم التاء وكسر الطّاء على البناء للفاعل، وهو رسول الله ﷺ، على معنى: إلاّ أن تقطِّع أنت قلوبهم بقَتلهم[886]، وهذا يدل على أنّهم يموتون على نفاقهم، فإذا ماتوا عرفوا بالموت ما كانوا تركوا من الإيمان، وأخذوا من الكفر[887].

وهذه القراءة (أن تُقطَّع) الفعل المبني للمفعول يُعدُّ شاهداً رائعاً على بلاغة حذف المسند إليه حتى يرتسم في الذّهن كلُّ ما يمكن أن يُسند إليه الفعل، وهذا سبب من أسباب ثراء التَّفسير[888].

الجمع بين القراءتين:

يقول الطبري: «والقول عندي في ذلك، أنَّ الفتح في التاء والضم متقاربا المعنى؛ لأن القلوب لا تتقطّع إذا تقطعت إلا بتقيطع الله إياها، ولا يقطّعها الله إلا وهي متقطعة، وهما قراءتان معروفتان»[889].

أما القراءة الثّالثة: فقرأ بها يعقوب وهي (إلى أن تَقَطَّع) على معنى إلى أن يموتوا، أو إلى أن يتوبوا توبة نصوحاً، يكون معها من النّدم والحسرة على الذّنب ما يقطّع القلوب همّاً وفكراً[890]. وبالجمع نلاحظ: أنَّ القراءة الثّالثة قد شرحت ووضّحت وساعدت، في فهم القراءتين السّابقتين.

الجمع بين القراءة الثّالثة والقراءتين السّابقتين:

والعلاقة بين قراءة (إلى أن تقطّع) وبين قراءة ﴿إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ﴾ (التاء: مضمومة ومفتوحة) تنوُّع أسلوب الآية في القراءتين وكلاهما خبر؛ إلاّ أنّه في

(٨٨٥) انظر [هذه القراءة في البحر المحيط (٥/١٠١)].

(٨٨٦) انظر [الفريد (٢/٥١٥)].

(٨٨٧) انظر [الحجّة: أبو علي الفارسي (٤/٢٣١)].

(٨٨٨) انظر [التّوجيه اللُّغوي والبلاغي: د. صبري ص٢٢٣].

(٨٨٩) جامع البيان (١١/٣٥).

(٨٩٠) انظر [المحرر الوجيز (٣/٨٦)].

القراءة الأولى (إلى) أخبر عن غاية الرّيبة في قلوبهم، وهي أن تقطّع يعني: إمّا بالموت وإمّا بالتّوبة(٨٩١).

أمّا في القراءة الثانية (إلا) أخبر عن الريبة، أنّها لا تزال في بنيانهم في كلّ وقت، باستثناء وقت تقطيع قلوبهم أو في كل حال باستثناء حال، تقطيعها بحيث لا يبقى لها قابلية الإدراك والإضمار(٨٩٢).

٢٩ - ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾ [التّوبة: ١١١].

أولاً: القراءات:

١ - قرأ حمزة والكسائي وخلف (**فيُقتلون ويقْتلون**) بتقديم الفعل المجهول فيهما.

٢ - وقرأ الباقون (**فيَقتلون ويُقتلون**) بتقديم الفعل المسمّي الفاعل فيهما(٨٩٣).

ثانياً: المعنى اللُّغوي للقراءات:

قَتَلَ قَتْلاً وتَقْتَالاً أي أمات، وقَتَلتُهُ قتلاً أزهقت روحه فهو قتيل، وأقتَلَهُ عرضه للقتل(٨٩٤).

ثالثاً: التّفسير الإجمالي للآية:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ﴾ ترغيب للمؤمنين في الجهاد وذلك ببيان فضيلته، إثر بيان حال المتخلّفين عنه. وعبّر عن قبول الله من

(٨٩١) انظر [القراءات وأثرها في التّفسير والأحكام: محمد بازمول ق٢ (٢/٩١٦)].
(٨٩٢) انظر [إتحاف فضلاء البشر (٢/٩٩)].
(٨٩٣) انظر [النشر (٢/١٨٥)، البدور الزاهرة ص ١٧٢].
(٨٩٤) انظر [القاموس المحيط ص١٣٥٢، أساس البلاغة ص٣٥٤، المصباح المنير ص٢٩١].

المؤمنين أنفسهم وأموالهم، بمقابلتها الجنّة بالشراء على طريقة الاستعارة التبعية، ثم جُعل المبيع الذي هو العمدة والمقصد في العقد، أَنفُسَ المؤمنين وأموالهم، والثمنُ الذي هو الوسيلة في الصّفقة الجنّةُ، ولم يُجعل الأمر على العكس. وذلك ليدل أنّ المقصد في العقد هو الجنّة، وما بذله المؤمنون في مقابلتها من الأنفسِ والأموال وسيلة إليها. ثم أنّه لم يقل بالجنّة بل قيل: ﴿بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَ﴾ مبالغة في تقرير وصول الثّمن إليهم. واختصاصه بهم ﴿يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ استئناف؛ وذلك لبيان البيع الذي يستدعيه الشراء المذكور ﴿فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَ﴾ المؤمن يقاتل في سبيل الله حتى يُقتل ﴿وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا﴾ وعدهم الله الجنة وعداً مثبتاً ﴿فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ﴾ كما هو مثبت في القرآن ﴿وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ﴾ فالمقصود إنكار المساواة، ونفيها قطعاً.

أي: لا أحد أوفى بما وَعَدَ مِن الله ﴿فَٱسۡتَبۡشِرُواْ﴾ التفات إلى الخطاب، تشريفاً لهم على تشريف، والاستبشار إظهار السرور ﴿بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦ﴾ أي أظهروا السرور على ما فزتم به من الجنّة ﴿وَذَٰلِكَ﴾ أي الجنّة أو البيع والشراء ﴿هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ الذي لا فوز أعظم منه(٨٩٥).

رابعاً: العلاقة التّفسيرية بين القراءات:

قرأ حمزة والكسائي وخلف **(فيُقتلون ويَقتلون)** على البناء للمفعول والثاني على البناء للفاعل، فهنا يبدأ بالمفعولين قبل الفاعلين، وهذا مدحٌ؛ لأنّ من طلب الموت لا يقف له خصمه، فيكون المعنى، فطلبوا أن يكونوا مقتولين فقَتلوا أقرانهم(٨٩٦). ففي هذه القراءة بيان لحبهم للشهادة في سبيل الله وحرصهم عليها.

---

(٨٩٥) انظر [إرشاد العقل السليم (٣/٤٤٦ ـ ٤٤٧)، المنتخب في تفسير القرآن الكريم ص ٢٨٠، وزارة الأوقاف المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ لجنة القرآن والسنة ـ ط١٨ ـ القاهرة ـ ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م].

(٨٩٦) انظر [نظم الدرر (٣/٣٨٩)].

ويجوز أنْ يكون النَّظر للمجموع، فيكون المعنى: بعد أن يُقتل منهم، ويروا مصارع أصحابهم، من غير أنْ يوهنهم ذلك، وإنما قُتل بعضهم، فقَتل الباقون القاتلين(٨٩٧) وهو كقوله ﴿فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٤٦].

وجاز أن يكون المعنى مثل القراءة الثانية. أي: يَقتلون فيُقتلون؛ لأنّ المعطوف بالواو، يجوز أن يراد به التّقديم(٨٩٨).

وقرأ الباقون ﴿فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ على البناء للفاعل (المقدم) فهنا يبدأ بالفاعلين قبل المفعولين، وحجتهم في ذلك: أنَّ الله وصفهم بأنَّهم قاتلوا أحياء ثم قُتلوا بعد أن قاتلوا، وبحجَّة أيضاً: أنَّه إذا أخبر عنهم، وبدا بأنَّهم قد قُتلوا، فمحال أن يَقتلوا بعد هلاكهم. هذا ما يوجبه ظاهر الكلام(٨٩٩). وتدل هذه القراءة على شدة المسلمين وحرصهم على قتل أعدائهم.

خامساً: الجمع بين القراءتين:

الإسناد في الفعلين ليس بطريق اشتراط الجمع بينهما، ولا اشتراط الاتّصاف بأحدهما ألبتّة، بل بطريق وصف الكل بحال البعض، فأنَّه يتحقق القتال من الكل، سواء وُجد الفعلان أو أحدُهما منهم أو من بعضهم، بل يتحقق ذلك، وإن لم يصدر منهم أحدهما أيضا، وكذلك يتحقق للجهاد بمجرد العزيمة والنّفير وتكثير السواد، وتقديم حالة القاتلية (ويَقتلون) على حالة المقتولية للإيذان بعدم الفرق بينهما في كونهما مصداقاً لكون القتال بذلاً للنفس، وقرئ بتقديم المبني للمفعول (ويُقتلون) رعايةً؛ لكون الشهادة عريقة في الباب، وإيذاناً بعدم مبالاتهم بالموت في سبيل الله تعالى بل بكونه أحب إليهم من السّلامة(٩٠٠).

(٨٩٧) انظر [الحجَّة: ابن زنجلة ص ٣٢٥، إعراب القراءات: ابن خالويه (٢٥٦/١)].
(٨٩٨) انظر [مجمع البيان (١٤٦/١١)].
(٨٩٩) انظر [الحجَّة: ابن زنجلة ص٣٢٥، إعراب القراءات: ابن خالويه (٢٥٦/١)].
(٩٠٠) انظر [إرشاد العقل السليم (٤٤٥/٣)].

٣٠ ـ ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾ [التوبة: ١١٤].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ هشام (إبراهام) في الموضعين بفتح الهاء وألف بعدها فيهما.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾ في الموضعين بكسر الهاء وياء ساكنة مدية بعدها فيهما(٩٠١).

ثانياً: المعنى اللغوي:

إبراهيم: هو اسم قديم ليس بعربي، وقد تكلمت به العرب على وجوه أشهرها: إبراهيم، إبراهام، وأبراهم بحذف الياء، وإِبْرَهَمَ، وهو اسم سريانيّ معناه: أبٌ رحيم، وقيل مشتق من البرهمة، وهي شدة النظر. وهو ابن آزر، ويرجع نسبه إلى سام بن نوح عليه السلام ويقال أنه عاش مائة وخمسة وسبعين عام(٩٠٢).

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

وعد إبراهيم ـ عليه السلام ـ أباه أن يستغفر له؛ لرجائه إيمانه، فلما مات على شركه تبرأ من أفعاله ومن الاستغفار له، ووصفه الله سبحانه بالأوّاه حيث إنَّه يكثر التأوه، وهو كناية عن فرط ترحم ورأفة قلبه، ووصفه أيضاً بالحليم أي الصبور على الأذى(٩٠٣).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

ذكر أبو منصور أنَّ القراءة (إبراهيم) بالياء لتتابع القراءة عليه، ومن قرأ (إبراهام) بالألف فهي لغة غير عربية تركت على حالها لم تُعرَّب(٩٠٤).

---

(٩٠١) انظر [النشر (٢/١٦٦) (٢/٢١١)، البدور الزاهرة ص١٧٢].

(٩٠٢) انظر [معجم المقاييس ص١٦٦، الإتقان (٢/١٠٦٣ ـ ١٠٦٤)].

(٩٠٣) انظر [جامع البيان (١١/٤١ ـ ٥٣)، صفوة التفاسير (١/٦٥)].

(٩٠٤) انظر [معاني القراءات الأزهري ص٦٣].

والألف يعتبر حرف مد وعلة ولين دائماً لأنَّ ما قبله لا يكون إلا مفتوحاً، بخلاف الواو والياء فهما حرفا لين إن سكنا والفتح على ما قبلهما، وهما حرفا مد وعلة إن كانت حركة ما قبلهما من جنسهما(٩٠٥).

فقراءة الألف هنا تفيد زيادة في الوصف، والمبالغة فيه وذلك لزيادة مدة فتحة الألف على مدة فتحة الياء، وللكلام الذي سبق ذكره، فيكون تفسير الآية على هذا، أن إبراهيم عليه السلام كان شديد الرأفة والرحمة. أما قراءة (إبراهيم) بالياء تفيد ثبوت الصفة به وملازمتها له وأنها متأصلة فيه عليه السلام؛ وذلك لأن صيغة فعيل تدل على ثبوت الصفة(٩٠٦).

خامساً: الجمع بين القراءتين:

أرى أن كل قراءة أثرت المعنى بمفهوم جديد فقراءة (إبراهيم) أفادت أنه يتصف بشدة الرحمة والرأفة، وقراءة (إبراهام) أفادت بأن هذه الصفة متأصلة به ولم يكتسبها اكتساب فإبراهيم اسم على مسمى، وجاء وصف الله له بأوَّاه يؤكد هذه المعاني والله أعلم.

٣١ - ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾ [التوبة: ١١٧].

أولاً: القراءات:

١ - أ - قرأ أبو عمر **(العُسُرة)** بضم السين.

ب - وقرأ الباقون **(العُسْرة)** بسكون السين(٩٠٧).

٢ - أ - قرأ حمزة، وحفص **(كاد يزيغ)** بالياء على التذكير.

(٩٠٥) انظر [أبنية الفعل في شافية ابن الحاجب ص٢٠٩].

(٩٠٦) انظر [معاني الأبنية في العربية ص٩٤].

(٩٠٧) انظر [النشر (١٦٢/٢)، البدور الزاهرة ص ١٧٢].

ب ـ وقرأ الباقون (كاد تزيغ) بالتاء على التأنيث[٩٠٨].

ثانياً: المعنى اللُّغوي للقراءات:

(عسر) من العسْر، والعُسُر: ضد اليسر، وهو الضّيق والشّدة والصّعوبة، ويجوز أن يكون العُسُر لغة في العُسْر، كما قالوا: كلُّ اسم على ثلاثة أحرف أوله مضموم وأوسطه ساكن، من العرب من يثقّله، ومنهم من يخفّفه مثل عُسْر، وعُسُر. والعُسرة: قلة ذات اليد، والعُسْرة: الهم. والمصدر: الإعسار. وقيل: العسر هو المصدر[٩٠٩].

(زيغ) الزيغ: الميل، زاغ يزيغ زيغاً وزيغاناً وزيوغاً، تزيغ القلوب: أي تميل عن الهدى والقصد وتضل[٩١٠].

ثالثاً: سبب نزول هذه الآية:

روى البخاري عن كعب بن مالك قال: «لم أتخلّف عن النّبي ﷺ في غزوة غزاها إلا بدراً، حتى كانت غزوة تبوك، وهي آخر غزوة، وآذن الناس بالرحيل . . . فأنزل الله توبتنا: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾ إلى قوله. . . ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [التّوبة: ١١٨]، قال: وفينا نزل أيضاً: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [التّوبة: ١١٩].[٩١١]

رابعاً: التّفسير الإجمالي للآية:

بعد شرح أحوال غزوة تبوك باستغراق، وأحوال المتخلّفين عنها، عاد في هذه الآية إلى شرح ما بقي من أحكامها. وهذا أسلوب القرآن في تفريق الآيات في الموضوع الواحد؛ للتأثير على النّفس، فذكر توبة الله على النّبي والمهاجرين. فقال سبحانه: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾ وتوبة الله تكون على ثلاثة أقسام: دعاؤه إلى التّوبة، يقال: تاب الله على

(٩٠٨) انظر [النشر (٢/٢١١)، البدور الزاهرة ص ١٧٢].

(٩٠٩) انظر [لسان العرب (٤/٥٦٣ ـ ٥٦٤) مادة عسر].

(٩١٠) انظر [لسان العرب (٨/٤٣٢) مادة زيغ].

(٩١١) البخاري رقم (٤٤١٨) في فتح الباري (٨/١١٣ ـ ١١٦) ـ ٦٤ كتاب المغازي ـ ٧٩ باب حديث كعب بن مالك.

فلان، أي دعاه. ويقال: تاب الله عليه: يسّره للتوبة، ويقال: تاب عليه: ثبّته عليها، ويقال: تاب عليه: قَبِل توبته، وذلك كلُّه صحيح، وقد جمع ذلك كلَّه لـ﴿ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾ وتوبة الله على النَّبي، ردُّه من حالة الغفلة إلى حالة الذكر ـ وليست التوبة نقص بحق الرسول ﷺ بل هي من أفضل الكمالات لأنها ترفعه درجات عند الله(٩١٢) ـ وتوبة المهاجرين والأنصار، رجُوعُهم من حالة المعصية إلى الطاعة، وانتقالهم من الكسل إلى النشاط وهكذا.

والمعنى: ما من أحد إلا وهو محتاج إلى التَّوبة، حتى النَّبي ﷺ والمهاجرين والأنصار لقوله تعالى ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [النور: ٣١].

وكأنَّه يذكر سبب توبتهم فيقول ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ﴾ أي في وقتها، وهي حالهم في غزوة تبوك كانوا في عُسْرة، وكانوا في شدَّة من الظهر، يعتقب العشرة على بعير واحد، وفي شدَّةٍ من الزاد، وبلغت بهم الشدَّة، أن يقسموا التمرة عليهم جميعاً، وفي شدَّةٍ من الماء، حتى نحروا الإبل، وشربوا من ماء كروشها من الحر، وفي شدَّة زمانٍ من الجدب والقحط؛ لذلك سمّيت بغزوة (الْعُسْرَة)، وسمّي جيشها بجيش العسرة ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ﴾ يقول ابن العربي(٩١٣): «وهذا ليس للنبي ﷺ فيه مدخل باتفاق من الموحّدين» والمعنى من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم من الشّبات على الإيمان، أو عن إتباع الرّسول في تلك الغزوة والخروج معه، وذلك للشّدّة، وليس أن يزيغ عن الإيمان ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ تكرير للتّأكيد، وفيه تنبيه على أن توبته سبحانه بمقابلة ما

(٩١٢) انظر [التفسير الكبير: ابن تيمية (٤/٣٨٩ ـ ٣٩٠) ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط١ ـ ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م] تكلم في هذا المعنى بتوسع.

(٩١٣) أبو بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي الاشبيلي المالكي من حفاظ الحديث، ولد سنة ٤٦٨هـ وتوفي سنة ٥٤٣هـ، انظر [الأعلام (٦/٢٣٠)، نفح الطيب (٢/١٩٩ ـ ٢١٢)].

قاسوه من الشَّدائد ﴿إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ أي بالمؤمنين لذلك تاب عليهم(914).

رابعاً: العلاقة التَّفسيرية بين القراءات:

القراءة الأولى:

قرأ أبو عمرو (العُسُرة) بضم السين، وقرأ الباقون (العسْرة) بسكون السين، وقد سبق نظير هذه القراءة(915). مع مراعاة أنَّ الضم يدل على شدة وثقل هذه العسرة التي مرَّ بها المؤمنون.

القراءة الثانية:

قرأ حمزة وحفص (**كاد يزيغ قلوب فريق منهم**) بالياء على التَّذكير (**يزيغ**) وهذا نمط فريد لجملة (**كاد**) من أفعال المقاربة، وهي تتكون أساساً مما يلي:

١ ـ الفعل النَّاقص (**كاد**) وهو يتصرف تصرفاً ناقصاً أي يأتي منه الماضي والمضارع فقط.

٢ ـ الاسم ويكون بعدها مرفوع.

٣ ـ الخبر ويكون جملة فعلية، فعلها مضارع يرفع ضمير الاسم السَّابق، مجرد من (**أن**) وهي تفيد الدِّلالة على وقوع الفعل بعَسْر، ونفيها نفي، وإثباتها إثبات. وفائدتها أنَّها ترد بمعنى أراد(916).

وقد أراد بعض العلماء، أن يجعل هذا الموضع شاهداً على التَّركيب الأصلي لجملة (**كاد**) فقدروا محذوفاً بعدها، تقديره (القوم)، فيكون المعنى: من بعد ما كاد القوم يزيغ قلوب فريق منهم.

---

(914) انظر [معاني القرآن وإعرابه: الزجّاج (٢/٤٧٤)، أحكام القرآن: ابن العربي (٢/٥٩٥)، مفاتيح الغيب (١٦/١٧٠ ـ ١٧١)، مدارك التنزيل (٢/٤٤٨)، إرشاد العقل السليم (٣/٤٥٠ ـ ٤٥١)].

(915) راجع آية ٩٩ من سورة التوبة ص٢٠١.

(916) انظر [الإتقان (١/٥٣٢ ـ ٥٣٣)].

وجنح بعض العلماء إلى جعل الجملة نمطاً فذاً لا يخضع لضوابط النُّحاة، وخلاصة ما قالوا:

١ ـ أنَّهم جعلوا اسم كاد، ضمير الشَّأن محذوفاً، وهو المنقول عن سيبويه[٩١٧] والتّقدير: من بعد ما كاد الشَّأن يزيغ قلوب فريق منهم، حين أشرفوا على الزَّيغ، ولكنَّ المرفوع هنا، ليس ضميراً يعود على اسم كاد، بل ولا سبباً له.

فيكون اسم كاد ضمير الشأن، وجعل الاسم هنا ضمير الشأن؛ لتهويل شأنِهم حين أشرفوا على الزيغ، وارتفعت القلوب بـ (الزيغ)، ولأجل هذا الإضمار أن يلي (يزيغ) كاد فكأنَّه ذلك المضمر حال بينهما وصارت (يزيغ قلوب) خبر كاد[٩١٨].

٢ ـ جعلوا اسم كاد كلمة (قلوب) على أساس توسط الخبر. والمعنى: من بعد ما كادت قلوب فريق منهم تزيغ[٩١٩]، وهذا التّقدير في قراءة من قرأ بالتاء يحسن، فأجازوا أن ترتفع (القلوب) بـ(كاد) ويقدر في (يزيغ) التَّأخير، ولكن المعهود أن يكون الخبر المتوسط اسماً مفرداً نحو قوله تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧].

٣ ـ جعلوا (كاد) زائدة ومعناها مراد ولا عمل لها، واستأنسوا بقراءة عبد الله بن مسعود ـ ﷺ ـ الشاذة (من بعد ما زاغت) بإسقاط كاد؛ ولكنَّ المعهود أيضاً زيادة (كان) دون (كاد)[٩٢٠].

والحجَّة لمن قرأ بالياء: أنَّه حمله على تذكير كاد، أو لأنَّه جمعٌ ليس لتأنيثه حقيقة أو على تذكير الجمع[٩٢١]، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ﴾ [يوسف: ٣٠]، وحجَّة هذه القراءة قوله تعالى: ﴿وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا﴾ [المائدة:

(٩١٧) انظر [كتاب سيبويه (٧١/١)].

(٩١٨) انظر [التحرير والتنوير (٥٠/١١)].

(٩١٩) انظر [الكشف (٥١٠/١)].

(٩٢٠) انظر [مفاتيح الغيب (١٧١/١٦)، البحر المحيط (١٠٩/٥)].

(٩٢١) انظر [كتاب سيبويه (٤٠/٢)].

113][922].

وقرأ الجمهور (كاد تزيغ) بالتأنيث، والتقدير: من بعد ما كادت قلوب فريق تزيغ. ونفس التوجيه الذي قلناه هنالك بخصوص تركيب جملة (كاد) نقوله هنا، مع ملحظ جديد يقتضيه المقام وهو أن:

١ ـ فعل جماعة يتقدم لمذكر أو مؤنث إن شئت أنَّث فعله إذا قدمته، وإن شئت ذكرته، فإذا أنَّث أردت جماعة، وإذا ذكرت أردت جمعاً[923]، والحجَّة في هذه القراءة الأخيرة قوله تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ﴾ [الحجرات: ١٤].

٢ ـ أنَّه يجوز تأنيث الفعل وتذكيره، لأنَّ الفاعل مؤنّث غير حقيقي، ولأنَّ الفاعل جمع تكسير[924].

٣٢ ـ ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَـٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [التوبة: ١١٨].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ حمزة (ضَاقَت) بالإمالة في الموضعين من الآية.

٢ ـ وقرأ الباقون (ضَاقَت) بالفتح بدون إمالة[925].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

ضاقت: من الفعل ضاق، وهو خلاف اتسع فهو ضيّق، وضاق صدره حَرِجَ فهو ضيق، وضاق بالأمر ذرعاً أي شق عليه، والمصدر الضيق بمعنى الشدة[926].

---

(٩٢٢) انظر [الحجَّة: ابن خالويه ص١٠٠، الكشف (٥١٠/١)].
(٩٢٣) انظر [الحجَّة: ابن زنجلة ص٣٢٥].
(٩٢٤) انظر [كتاب سيبويه (٤٨/٢)، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك (٨٩/٢ ـ ٩٥)].
(٩٢٥) انظر [النشر (٢١١/٢)، البدور الزاهرة ص١٧٣، في هامش القرآن ص٢٠٦].
(٩٢٦) انظر [المصباح المنير ص٢١٩، منجد الطلاب ص٤٣٢].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

أخبر تعالى أنَّه تاب على النبي ﷺ والمهاجرين والأنصار في الآية السابقة لهذه الآية، وأيضاً تاب على الثلاثة الذين خُلِّفوا، وهؤلاء الثلاثة الذين وصفهم الله في هذه الآية بما وصفهم به فيما قبل، هم الآخرون الذين قال جلَّ ثناؤه: ﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ١٠٦] فجاءت هذه الآية تبشرهم بأن الله تاب عليهم وهم كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومرارة بن الربيع وكلهم من الأنصار[٩٢٧].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

من قرأ (ضاقت) بالفتح فإن هذه القراءة توحي بالشدة والكربة والضيق الذي كان يشعر به هؤلاء الثلاثة لدرجة أنَّ الأرض (ضاقت) عليهم على سعتها بالخلق جميعاً؛ خوفاً من العاقبة، وجزعاً من إعراض النبي ﷺ، ومنع المؤمنين من مكالمتهم، وأمر أزواجهم باعتزالهم، حتى بقوا على هذه الحالة خمسين يوماً أو أكثر، وضاقت صدورهم أيضاً بسبب هذا الهم[٩٢٨]، فضاقت إشارة إلى عظيم الأمر وأكدها بأداة الإستعلاء.

ومن قرأ (ضاقت) بالإمالة، فقد ذكرت توجيه نظير هذه القراءة سابقاً فليرجع إليها[٩٢٩].

خامساً: الجمع بين القراءتين:

تظهر في مسموع تلاوة النص سمة صوتية ونغمات يمثلها التناسب في الإمالة إذا كان القارئ يميل، وفي الفتح إذا كان يؤثر الفتح، وهذا من الإعجاز الموسيقي في القرآن، كما أنَّ قراءة الفتح بينت الشدة التي كان بها هؤلاء الثلاثة والإمالة بينت أنَّه لا بد من لين وفرج بعد هذه الشدة والله أعلم.

(٩٢٧) انظر قصتهم في صحيح البخاري رقم ٤٤١٨ في فتح الباري (١١٣/٨) ـ ٦٤ كتاب المغازي ـ ٧٩ باب حديث كعب بن مالك، وفي جامع البيان (٥٨/١١).

(٩٢٨) انظر [المحرر الوجيز (٩٤/٣)، نظم الدرر (٣٩٨/٣)، التفسير المنير (٦٧/١١)].

(٩٢٩) راجع ص٨٢ ـ ٨٣، ص١٦٩.

٣٣ ـ ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [التوبة: ١٢٠].

أولاً: القراءات:

١ ـ أ ـ قرأ أبو جعفر (ولا يطَوْن) بحذف الهمزة فيصير النطق بواو ساكنة بعد الطاء المفتوحة، ولحمزة في الوقف عليه وجهان: الوجه المتقدم، والتسهيل بين بين.

ب ـ وقرأ الباقون ﴿وَلَا يَطَـُٔونَ﴾ بالهمزة المحققة.

٢ ـ أ ـ قرأ أبو جعفر بخلف عنه (موطياً) بإبدال الهمزة ياء خالصة وصلاً ووقفاً، وبهذا الوجه وقف حمزة.

ب ـ وقرأ الباقون ﴿مَوْطِئًا﴾ بالهمزة المحققة، وهو الوجه الثاني لأبي جعفر(٩٣٠).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

وطأ: كلمة تدل على تمهيد شيء وتسهيله، ووطي من وطّى توطية، ووطّى الشيء: أي خفضه وحطه ووطئته برجلي أطؤه وطْئاً أي علوته(٩٣١).

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

﴿مَا كَانَ﴾ ما جاز ﴿لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ﴾ سكان البوادي، الذين تخلفوا عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك ﴿أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن

(٩٣٠) انظر [النشر (٣٠٩/١)، (٢١١/٢)، البدور الزاهرة ص١٧٢، في هامش القرآن ص٢٠٦].

(٩٣١) انظر [لسان العرب (٤٨/١٢) مادة وطأ، المصباح المنير ص٣٩٥، منجد الطلاب ص٩٢٧].

﴿رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ في الغزوة ﴿وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ﴾ لا يرغبوا بصحبة أنفسهم، عن صحبة النبي ﷺ في الجهاد ﴿ذَٰلِكَ﴾ الخروج ﴿بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ﴾ عطش في الذهاب والمجيء ﴿وَلَا نَصَبٌ﴾ ولا تعب ﴿وَلَا مَخْمَصَةٌ﴾ ولا مجاعة ﴿فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ في الجهاد ﴿وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ﴾ ولا يطؤون أرضاً يغيظ الكفار وطؤهم إياها ﴿وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا﴾ قتلاً وهزيمة ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَـٰلِحٌ﴾ ثواب عمل صالح في الجهاد ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ لا يبطل ثواب المؤمنين في الجهاد(٩٣٢).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

من قرأ (ولا يطؤون ـ موطئاً) بالهمز المحقق فإنه يدل على ثقل الوطأ، ويعم كل موطأ يغيظ الكفار سواء كان من أمكنة الكفار أم من أمكنة المسلمين إذا كان في سلوكه غيظهم، والوطأ يدخل فيه بالأرجل والأخفاف والحوافر وهذا المعنى يتناسب مع ثقل الهمز، ويجوز أن يكون الوطأ هنا مستعار لإذلال العدو وغلبته وإبادته(٩٣٣).

أما قراءة (ولا يطَوْن ـ موطِياً) بدون همز، فالحجة لمن قرأ بهما أنهم أرادوا التخفيف، ووطّى بمعنى خفض وحطّ، وحذف الهمزة يدل على الخفة فيكون المعنى أنهم لا يدوسون بأرجلهم أو حوافر خيولهم مكاناً صغيراً يُغضب الكفار.

خامساً: الجمع بين القراءتين:

يتبين أنَّ قراءة الهمز فيها العموم سواء في أمكنة الكفار أو أمكنة المسلمين ففي هذا الوطأ يكون غيظ الكفار، أما القراءة بدون همز فلم تعمم المكان، وقراءة الهمز فيها معنى ثقل الوطأ في حين أن القراءة بدون همز لا تحمل الثقل فيكون المعنى أنَّ هذا الوطأ سواء كان وطئاً خفيفاً أو ثقيلاً

---

(٩٣٢) انظر [جامع البيان (٦٤/١١)، معاني القرآن وإعرابه الزجاج (٤٧٥/٢)، المقتطف من عيون التفاسير (٤٤٠/٢)].

(٩٣٣) انظر [البحر المحيط (١١٢/٥)، التحرير والتنوير (٥٦/١١)].

يُكتب لهم به عمل صالح والله أعلم.

٣٤ ـ ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾﴾ [التوبة: ١٢٦].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ حمزة، ويعقوب (**أولا تَرون**) بالخطاب.

٢ ـ وقرأ الباقون (**أولا يَرون**) بالغيب(٩٣٤).

ثانياً: المعنى اللُّغوي للقراءات:

(رأى) يرى رأياً، ورؤية، وراءه، ورئيانا: نظر بالعين أو بالعقل، وأصلها يرأى ولا تستعمل؛ إلا نادراً على أصلها.

والرُّؤية: النَّظر بالقلب، وأما الرُّؤية بالعين: فتتعدَّى إلى مفعول واحد، وبمعنى العلم تتعدَّى إلى مفعولين(٩٣٥).

ثالثاً: التَّفسير الإجمالي للآية:

هذه الآية عطف على جملة ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾ [التَّوبة: ١٢٥]، فهي من تمام التَّفصيل، والاستفهام هنا ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ﴾ هو استفهام إنكار وتعجيب، لعدم رؤيتهم فتنتهم، فلا تعقبها توبتهم ولا تذكرهم أمر ربهم، والغرض منه بيان ازدياد كفر المنافقين(٩٣٦).

والمعنى العام للآية: ألا يزدجر هؤلاء المنافقون عن ضلالهم القديم، ويرجعون عن كفرهم، ويتذكرون، ويعتبرون، وهم يرون أنَّهم يُختبرون كل عام مرة أو مرتين، ويبتلون بالقحط والمرض، ويريهم الله في الجهاد ما يُنْزله على نبيه من نصر وتأييد، أو يفتنهم الشيطان فينقضون العهود مع رسول الله ﷺ، فيقتلهم وينكل بهم؟ ومع هذه الدلائل الواضحة الموجبة

(٩٣٤) انظر [النشر (٢/٢١١)].

(٩٣٥) انظر [لسان العرب (١٤/٢٩١)].

(٩٣٦) انظر [التحرير والتنوير (١١/٦٧)].

للإيمان، فهم لا ينزجرون ولا يعتبرون بما رأوه من تأييد الله لنبيه وللمؤمنين، ولا ينتهون عن كفرهم[٩٣٧].

رابعاً: العلاقة التَّفسيرية بين القراءات:

قرأ حمزة، ويعقوب (**أولا ترون**) بالتاء على المخاطبة من الله للمؤمنين والتّنبيه لهم، فقد نبّه المسلمون على قلَّة اعتبار المنافقين، وقلَّة اتّعاظهم، بالرغم من أنَّهم يُمتَحنون بالأمراض والأسباب التي لا يؤمَنُ معها الموت، إلا أنَّهم لا يزدجرون بها عن نِفَاقهم.

فالخطاب هنا والرُّؤية (**أنتم فقط**) لمحمد ﷺ وأصحابه وعظة لهم، وهو على جهة التَّعجب[٩٣٨].

وفي قراءة عبد الله بن مسعود ﴿أو لا ترى أنهم﴾[٩٣٩] والعرب تقول: ألا ترى للقوم، وللواحد، كالتَّعجب، وكما قيل: «ذلك أزكى لهم، وذلكم»[٩٤٠].

وقرأ الباقون ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ﴾ بالياء على الغيب، على الإخبار عن المنافقين؛ لتقدم ذكرهم، وفي الكلام معنى التَّوبيخ لهم، والتَّقريع على تماديهم على نفاقهم مع ما يرون من الفتن والمحن في أنفسهم، فلا يتوبون من نفاقهم.

وتكون: يرى من رؤية العين أو من رؤية القلب، وتسد (**أنَّ**) مسدّ المفعولين، وكونه من رؤية العين أحسن؛ لأنَّه عِلمٌ لا يدخله ريب، فذلك أقوى عليهم بالحجَّة، وأيضاً لأن رؤيتهم لِمَا يحل بهم أعظم في الحجَّة عليهم، من رؤية غيرهم لما يَحِل بهم.

(٩٣٧) انظر [الكشاف (٢/٢٢٢)].

(٩٣٨) انظر [الحجَّة: أبو علي الفارسي (٤/٢٣٢ ـ ٢٣٣)، والمستنير (١/٢٣٨)].

(٩٣٩) هذه القراءة عن ابن مسعود وأُبي، ذكرها أبو حيان في تفسيره البحر المحيط (٥/١١٦).

(٩٤٠) انظر [معاني القرآن: الفرَّاء (١/٤٥٥)].

وجاء الفعل بالياء هنا جرياً على قوله تعالى ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ [التوبة: ١٢٥][٩٤١] فيكون معنى الآية: أفلا يرى هؤلاء المنافقون، أنَّهم يفتنون قيل: بالجوع، وقيل: بالمرض، وقيل: بالجهاد، ولكن ابن عطيّة[٩٤٢] يقول: «يظهر مما قبل الآية ومما بعدها أنَّ الفتنة والاختبار، إنما هي بكشف الله تعالى أسرارهم وإفشائه عقائدهم، فهذا هو الاختبار الذي تقوم عليه الحجَّة برؤيته وترك التَّوبة. أما الجهاد فلا يترقَّب معهما ما ذكرناه»[٩٤٣].

ومعنى الآية على هذا: أفلا يزدجر هؤلاء الذين تُفضح سرائرهم كلَّ سنة مرة أو مرتين، ويعلمون أنَّ ذلك من عند الله، فيتوبون ويتذكَّرون وعد الله ووعيده[٩٤٤].

وإذا كانت الفتنة بمعنى الجوع أو المرض أو الجهاد، فالمعنى: أفلا يرون أنَّهم يفتنون ويبتلون بالمرض، والقحط، ثم لا يتوبون من نفاقهم ولا يعتبرون، أو يبتلون بالجهاد مع رسول الله ﷺ، ويعاينون أمره وما يُنْزل الله عليه من النَّصر وتأييده، أو يفتنهم الشيطان، فينقضوا العهود مع رسول الله ﷺ فيقتلهم ثم لا ينزجرون[٩٤٥].

خامساً: الجمع بين القراءتين:

بالنَّظر إلى قراءة الجمهور ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ﴾ بالغيب، تفيد أنَّ المقصود من

---

(٩٤١) انظر [الكشف (٥٠٩/١)، إعراب القراءات: ابن خالويه (٢٥٨/١)، المستنير (٢٣٩/١)].

(٩٤٢) ابن عطية: هو عبدالحق بن غالب بن عبدالرحمن بن عطية المحاربي، بن محارب قيس الغرناطي، أبو محمد: مفسر، فقيه، أندلسي من أهل غرناطة، عارف بالأحكام والحديث، له شعر، ولد في سنة ٤٨١هـ ـ ١٠٨٨م، ولي قضاء المرية، وكان يكثر الغزوات، وتوفي سنة ٥٤٢هـ ـ ١١٤٨م، انظر السيوطي، بغية الوعاة ٢٩٥، كحالة، معجم المؤلفين ٥/ ٩٣، الزركلي، الأعلام ٣/ ٢٨٢.

(٩٤٣) المحرر الوجيز (٩٩/٣).

(٩٤٤) انظر [المرجع السابق نفس الصفحة].

(٩٤٥) انظر [البحر المحيط (١١٧/٥)].

الخطاب هم المنافقون، وهذا فيه توبيخ لهم، وأمّا قراءة حمزة ويعقوب (**ترون**) فالمقصود: النَّبي ﷺ والصحابة، فيكون من تنزيل الرَّائي منزلة غيره، حتى ينكر عليه عدم رؤيته ما لا يخفى وهو على جهة التَّعجب[٩٤٦]، وذلك الأسلوب من باب الالتفات[٩٤٧] فمعنى أسلوب الغيب (أَوَلا يَرَوْنَ) يدل على تفظيع ما عملوه، فهم ليسوا حريين بهذا الخطاب، ولكنَّ أسلوب الخطاب (**ترون**) فيه نظرٌ إلى جهة أخرى، وهو توجيه المؤمنين، والتنبيه لهم على قلة اتعاظ المنافقين، بالرغم مما يحصل وما حصل لهم، والله أعلم.

وجمع آخر: وهو أنَّ الله أراد أن تكون الرُّؤية للجميع ـ للنبي والمؤمنين ـ كما أشارت إليها قراءة الخِطاب، والرُّؤية للكفار كما أشارت إليها قراءة الغيب، وبذلك يكون الخطاب عامةً والله أعلم.

---

(٩٤٦) انظر [التحرير والتنوير (٦٧/١١)].

(٩٤٧) الالتفات: هو الانتقال من التكلم أو الخطاب أو الغيبة إلى صاحبه، أو هو نقل الكلام من أسلوب إلى آخر، أو نقل الكلام من حالة إلى حالة أخرى، والعرب تنتقل في كلامها من أسلوب إلى أسلوب، وذلك على عادة افتنانهم في الكلام والتّصرف فيه، وانتقال الكلام من أسلوب إلى أسلوب أحسن تطرية لنشاط السامع، وفيه إيقاظ للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد، وصيانة لخاطره من الملل والضّجر، بدوام الأسلوب الواحد على سمعه، وهذه فائدة الالتفات العامة انظر [البرهان (٣١٤/٣)، الاتقان (٩٠٢/٢)، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: السيد أحمد الهاشمي ص٢٦١ ـ مؤسسة المعارف ـ بيروت، الإيضاح في علوم البلاغة: الخطيب البغدادي ص١٥٧ ـ منشورات الكتب ـ لبنان ـ ط٤، الفوائد المشوق في علوم القرآن: ابن الجوزية ص٩٨ ـ مكتبة المتنبي ـ القاهرة ـ ط١ ـ ١٩٨٣م].

الفصل الثالث

تفسير سورة يونس في ضوء القراءات القرآنية العشر

المبحث الأول:
بين يدي السورة

سورة يونس سورة مكية على المشهور[٩٤٨]، وقيل في بعض آياتها أنها مدنيّة على اختلاف في ذلك[٩٤٩].

ولكن صاحب الظلال ينفي ذلك حيث يقول عنها: «يصعب تقسيمها إلى قطاعات متميزة؛ لأنَّ الظاهر من سياقها، أنها لُحمة واحدة تواجه واقعاً متصلاً»[٩٥٠].

نزلت بعد سورة الإسراء وقبل سورة هود، وسورة يونس وهود متواليتان في ترتيب المصحف، وفي ترتيب النزول أيضاً[٩٥١]. عدد آيات سورة يونس مائة وتسع آيات في عد أكثر الأمصار ومائة وعشر في عد أهل الشام[٩٥٢].

وهي من أواخر ما نزل من القرآن بمكة، فهي السورة الحادية والخمسون في ترتيب نزول السور، نزلت سنة إحدى عشرة بعد البعثة[٩٥٣].

(٩٤٨) انظر [البحر المحيط (٥/١١٩)، نظم الدرر (٣/٤١١)].
(٩٤٩) انظر [معالم التنزيل (٢/٢٨٩)، مفاتيح الغيب (١٧/٣)].
(٩٥٠) الظلال (٣/١٧٥٢).
(٩٥١) انظر [تاريخ القرآن: أبو عبد الله الزنجاني ص٥٠، والظلال (٣/١٧٤٥)].
(٩٥٢) انظر [التحرير والتنوير (١١/٧٨)].
(٩٥٣) انظر [المرجع السابق (١١/٧٨)].

تسميتها:

سميت سورة يونس، لذكر قصة نبي الله يونس - عليه السلام - فيها، ولكن قصة يونس - عليه السلام - لا تتجاوز إشارة سريعة على هذا النحو ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾﴾ [يونس: ٩٨].

ومع ذلك سميت باسمه؛ لأنَّها هي المثل الوحيد البارز للقوم الذين يتداركون أنفسهم قبل مباغتة العذاب.

فيثوبوا إلى ربهم وفي الوقت سعة، وهم وحدهم في تاريخ الدعوات الذين آمنوا جملة بعد تكذيبهم، فكشف عنهم العذاب(٩٥٤).

وقد بحثت كثيراً في كتب التفاسير وغيرها فلم أجد اسماً آخرَ لهذه السورة.

موضوع سورة يونس:

وموضوعها هو موضوع السور المكية، حيث يدور على إثبات أصول التوحيد، وهدم الشرك، وإثبات الرسالة والبعث والجزاء، وما يتعلق بذلك من مقاصد الدين وأصوله(٩٥٥).

من هو النبي يونس؟

يونس - عليه السلام - هو يونس ابن متّىَ بفتح الميم وشدة مثناه على التاء نسبة إلى أبيه(٩٥٦) وهذا الأصح وليس اسماً لأمّه، ولم يقف السّيوطي في

---

(٩٥٤) انظر [الظلال (١٧٥٢/٣)].

(٩٥٥) انظر [التَّفسير المنير وهبه الزحيلي (٩٣/١١)، وتفسير المراغي (٥٨/١١)].

(٩٥٦) في البخاري (رقم٣٤١٣) عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال النبي ﷺ: «ما ينبغي لعبد أن يقول إنّي خير من يونس بن متىّ ونسبه إلى أبيه انظر [فتح الباري (٤٥٠/٦) - ٦٠ كتاب أحاديث الأنبياء - ٣٥ باب قول الله تعالى (وإنّ يونس لمن المرسلين)، المغني في ضبط أسماء الرجال ومعرفه كُنى الرّواة وألقابهم وأنسابهم: العلامة المحدّث محمد طاهر بن علي الهندي صاحب مجمع البحار في لغة الأحاديث والآثار (ت٩٨٦هـ) ص ٢٢٠ - دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان - ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م]

شيء من الأخبار على اتّصال نسبه، وقد قيل: إنّه في زمن ملوك الطوائف من الفرس(٩٥٧)، وفي يونس ست لغات، والقراءة المشهورة بضم النون مع الواو(٩٥٨)، وقد أورد السّيوطي أقوالاً عن مدّة مكثه في بطن الحوت، منها أربعون يوماً، وقيل: سبعة أيام، وقيل: ثلاثة، وقيل: أقل من ذلك(٩٥٩)، دعاه الله في القرآن بأحد عشر لقباً منها ذوالنون، ومغاضباً فقال ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا﴾ [الأنبياء: ٨٧](٩٦٠). وكان قوم يونس بنينوي في أرض الموصل(٩٦١).

فضل سورة يونس:

١ ـ من السّور المثاني(٩٦٢) التي أعطيها النّبي ﷺ مكان الزّبور، فهي من السّبع الطّوال فعن سعيد بن جبير(٩٦٣) في قوله تعالى **(سَبْعاً مِّنَ الْمَثَانِي)** [**الحجر**: ٨٧] قال: (السّبع الطّوال، البقرة، وآل عمران، والنّساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، ويونُس)(٩٦٤). وذكر أبو عبيدة(٩٦٥) حديثاً عن فضائل السبع الطوال، عن الصّحابي واثلة بن الأسقع(٩٦٦): عن النبي ﷺ قال:

---

(٩٥٧) انظر [الإتقان: السّيوطي (١٠٧١/٢)].

(٩٥٨) انظر [المرجع السابق بنفس الصفحة].

(٩٥٩) انظر [المرجع السابق بنفس الصفحة].

(٩٦٠) انظر [بصائر التمييز (٥٣/٦)].

(٩٦١) الجامع لأحكام القرآن (٦٧٩/٨).

(٩٦٢) التي تقصر عن المئين وتزيد عن المفصل كأن المئين مبادي والتي تليها ثاني، انظر [النهاية في غريب الحديث والأثر ص١٢٩]

(٩٦٣) سبقت ترجمة له ص١٦٧.

(٩٦٤) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ـ باب في تعظيم القرآن ـ فصل في فضائل السور والآيات ذكر السبع الطوال (٤٦٦/٢) ـ رقم ٢٤١٨، وذكره أبو عبيد في فضائل القرآن باب فضائل القرآن (٣٠/٢) رقم ٤١٢.

(٩٦٥) سبقت ترجمة له ص٢٣.

(٩٦٦) الكناني الليثي صحابي مشهور خدم رسول الله ﷺ كان من أصحاب الصُّفة، سكن البصرة والشام وتوفي ببيت المقدس أو بالشام سنة ٨٣هـ وقيل ٨٥هـ انظر [أسد الغابة (٦٢٨/٤ ـ ٦٢٩) ترجمة رقم ٥٤٢٢].

(أعطيت السبع الطوال مكان التوراة وأعطيت المئين مكان الإنجيل، وأعطيت المثاني مكان الزبور، وفضلت بالمفصّل)[967].

٢ - قرأها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - ﷺ - في صلاة الصبح، عن الأخنف[968] قال: «صلّيت خلف عمر الغداة، فقرأ بيونس، وهود، ونحوهما»[969].

مناسبتها لما قبلها (التوبة):

وجه مناسبة سورة يونس لما قبلها سورة براءة.

١ - إنَّ سورة براءة، ختمت بذكر الرسول ﷺ، وسورة يونس ابتدئت به.

٢ - سورة التوبة: فيها بيانٌ لما يقوله المنافقون عند نزول سورة من القرآن، وسورة يونس: بيانٌ لما يقوله الكفار في القرآن.

٣ - سورة التوبة: فيها ذمٌ للمنافقين بعدم التوبة، والتذكر إذا أصابهم البلاء، وفي هذه السورة ذم، لمن يصيبه البلاء، ثم يعود إذا كُشف عنه البلاء.

٤ - سورة التّوبة فيها براءة من الله ورسوله ﷺ من المشركين، مع

(٩٦٧) فضائل القرآن: ابو عبيد القاسم بن سلام، باب فضائل السبع الطوال (٢/٢٩) رقم ٤٠٩، والمفصل أي تفصيل آياته بالفواصل أو بمعنى التبيين انظر [لسان العرب (١١/٥٢١ - ٥٢٤) مادة فضل].

(٩٦٨) هو الأخنف بن قيس بن معاوية بن حصين التّميمي، أبو بحر، ولد في البصرة عام ٣ قبل الهجري = ٦١٩م وأدرك النّبي ﷺ ولم يره، روى عن عمر وعلي - ﵄ - وغيرهما ومات سنة ٧٢هـ - ٦٩١م انظر [تهذيب التهذيب (١/١٩١)، الأعلام (١/٢٧٦)].

(٩٦٩) ذكره السيوطي في الدر المنثور في أول تفسير سورة يونس (٣/٣٢٤) وعزاه لإبن أبي شيبة، والحكم على الأثر إسناده صحيح حكم عليه: د. إبراهيم علي السيد علي عيسى صاحب كتاب فضائل سور القرآن الكريم ص٢٤٦ - ٢٤٧.

الأمر بقتالهم، وفي هذه براءته ﷺ من عملهم، ولكن دون أمر بقتال(٩٧٠).

مناسبة بداية سورة يونس وخاتمتها:

الترابط في سياق السورة يوجد بين مطلعها وختامها فيجيء في المطلع قوله تعالى:

﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝١ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ۝٢﴾ [يونس: ١-٢] . . . ويجيء في الختام ﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝١٠٩﴾ [يونس: ١٠٩].

فالحديث عن قضية الوحي هو المطلع وهو الختام، كما أنه هو الموضوع المتصل الملتحم بين المطلع والختام(٩٧١).

مناسبة سورة يونس لما بعدها (سورة هود):

١ ـ ذُكر في سورة يونس قصة نوح ـ عليه السلام ـ مختصرة جداً مجملة فشرحت في هذه السورة، وبسطت ما لم تبسط في سورة الأعراف ولا في سورة نوح.

٢ ـ مطلع سورة يونس شديد الارتباط بمطلع سورة هود، حيث إن مطلع سورة يونس قوله تعالى ﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝١﴾ [يونس: ١] ومطلع سورة هود قوله تعالى: ﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١﴾ [هود: ١].

٣ ـ بين مطلع سورة هود وختام سورة يونس ارتباط شديد، حيث ختمت بنفي الشرك واتباع الوحي، وافتتحت سورة هود ببيان الوحي والتحذير من الشرك(٩٧٢).

(٩٧٠) انظر [روح المعاني (٥٥/١١)].

(٩٧١) انظر [الظلال (١٧٥٢/٣)].

(٩٧٢) انظر [روح المعاني (١٨٩/١١ ـ ١٩٠)].

مقاصد سورة يونس:

١ ـ ابتدأت السورة بمقصد إثبات رسالة محمد ﷺ وعجز المشركين عن معارضة القرآن، ولذلك أتُبعت الحروف المقطّعة في أول السورة بقوله تعالى: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝١﴾ وذلك إشارة إلى أنَّ إعجازه لهم، هو الدّليل على أنّه من عند الله.

٢ ـ وانتقل بعد ذلك إلى إثبات انفراد الله ـ تعالى ـ بالألوهيَّة، بدلالة أنّه خالق كلّ شيء ومدبّره، ثمّ التَّذكير بمصير الخلائق إليه بالبعث والجزاء.

٣ ـ وعيد منكري البعث المعرضين عن آيات الله، ووعد للمؤمنين، فكان معظم هذه السورة يدور حول محور تقرير هذه الأصول.

٤ ـ التّنبيه على أنَّ من حكمة الله إمهال الله تعالى الكافرين، دون تعجيل العذاب.

٥ ـ التذكير بما حلَّ بأهل القرون الماضية لمّا كذَّبوا الرسل وأشركوا.

٦ ـ ذكرت آثار القدرة الإلهية التي تدل على عظمة الله وضرورة الإيمان به؛ لأنَّه مصدر الحياة والرزق والنعم.

٧ ـ ثم تناولت بإيجاز العبرة والعظة، وتقرير صدق القرآن قصص الأنبياء كقصة نوح ـ عليه السلام ـ مع قومه، وقصة موسى ـ عليه السلام ـ مع فرعون الجبّار، وذكرت قصة نبي الله يونس ـ عليه السلام ـ الذي سميت السورة باسمه ـ وكل هذه القصص؛ لبيان سنة الله الكونية في إهلاك الظالمين ونصرة المؤمنين.

وختمت السورة الكريمة بتأكيد نُبوّة النبي ﷺ والاستمساك بشريعة الله، وأمر الرسول ﷺ بالصبر على جفاء المشركين وأذاهم في قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝١٠٩﴾ [يونس: ١٠٩](٩٧٣).

(٩٧٣) انظر [بصائر ذوي التميز (١/٢٣٨ ـ ٢٣٩)، التحرير والتنوير (١١/٨١)، والتَّفسير المنير (١١/٩٤ ـ ٩٥)، أهداف كل سورة ومقاصدها: عبد الله شحادة ص ١١٩ ـ ١٢٦].

المبحث الثاني
عرض وتفسير لآيات سورة يونس المتضمنة للقراءات العشر

١ ـ ﴿الٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ①﴾ [يونس: ١].

أولاً: القراءات:

١ ـ أ ـ قرأ أبو عمرو وابن عامر وشعبة والأخوان (حمزة والكسائي) وخلف (الٓر) بالإمالة في ألف الراء، وبالتقليل لورش.

ب ـ وقرأ الباقون (الٓر) بالفتح بدون إمالة[٩٧٤].

٢ ـ أ ـ سكت أبو جعفر في (الٓر) على ألف ولام وراء سكتة خفيفة من غير تنفس.

ب ـ وقرأ الباقون (الٓر) بدون سكت[٩٧٥].

ثانياً: التفسير الإجمالي للآية:

(الٓر) إشارة إلى أنَّ هذا الكلام البليغ المعجز مكوّن من جنس الأحرف التي يتكون منها كلامكم، يقول ابن كثير ـ رحمه الله ـ: «إنّما ذكرت هذه الحروف في أوائل السور التي ذكرت فيها بياناً لإعجاز القرآن وأنَّ الخلق

(٩٧٤) انظر [النشر (٢/٥٠)، (٢/٢١٢)، البدور الزاهرة ص١٧٤].

(٩٧٥) انظر [النشر (١/٣٢٩)، (٢/٢١١)، البدور الزاهرة ص١٧٤، في هامش القرآن ص٢٠٨].

عاجزون عن معارضة مثله، مع أنَّه مركب من هذه الحروف التي يتخاطبون بها»[٩٧٦]. ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢﴾ أي هذه السورة من آيات القرآن الحكيم الذي أحكمه الله وبينه لعباده[٩٧٧].

ثالثاً: العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

القراءة الأولى:

من فخم الراء المفتوحة مشى على الأصل.

ومن أمال أجرى ألف الراء مجرى الألف المنقلبة عن الياء، فإنهم يميلونها تنبيهاً على أصلها، وفي الإمالة دفع توهم أن راء حرف كـ ما ولا، فقد صرحوا أنَّ الحروف يمتنع فيها الإمالة، فـ (را) هنا الألف ليست منقلبة عن ياء لأنَّ (را) أسماء الأصوات، وهي ليست حرف إنما الحرف (ر)[٩٧٨].

والإمالة تكون في موضع اللين والخطاب الرقيق وترك الإمالة يكون في موضع الإنذار والتهديد.

رابعاً: الجمع بين القراءتين:

يتبين بالجمع بين القراءتين أنَّ كل قراءة أثرت المعنى فقد جمع القرآن بين الخطابين في لفظ واحد، بالإضافة إلى أنَّ هذا كله يؤدي إلى اختلاف في المسموع ويغير في توالي أصوات العبارة في سياق الكلام ونطقه ويتباين في صوت المستمع ومزاجه وهذا من إعجاز القرآن والله أعلم.

القراءة الثانية:

سكت أبو جعفر على الألف واللام والراء في (الٓر)، والسكت يعامل معاملة الوقف لذلك لا يُمد اسم (را) في الآية، وإن كان هو في اللغة

(٩٧٦) تفسير القرآن العظيم (٣٨/١).

(٩٧٧) انظر [جامع البيان (٥/٣)، تفسير القرآن العظيم (٤٠٥/٢)].

(٩٧٨) انظر [الحجة: أبو علي الفارسي (٢٤٤/٤ ـ ٢٤٨)، نظم الدرر (٤١١/٣)، روح المعاني (٥٧/١١)].

بهمزة في آخره؛ لأنه بالسكت تحذف الهمزة كما تحذف في الوقف لثقل السكوت على الهمزة في الوقف والسكت، فبذلك تصير الكلمة على حرفين فلا تمد، لذلك أجمع القراء على عدم مد الحروف: را ها يا طا حا التي في أوائل السور(٩٧٩). وفائدة السكت هو اشعار بالانفصال(٩٨٠).

الجمع بين القراءتين:

يتبين أنَّ قراءة السكت وضحت قراءة عدم السكت فجاء السكت ليشعر القارئ بانفصال الحروف، حتى لا يتوهم القارئ أنَّ (الٓر) كلمة واحدة والله أعلم.

٢ ـ ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْۗ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾﴾ [يونس: ٢].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ نافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو جعفر، ويعقوب **(لَسِحْرٌ)** بكسر السين بدون ألف وإسكان الحاء.

٢ ـ وقرأ الباقون (حمزة، والكسائي، وخلف، وابن كثير وعاصم) **(لَسَاحِرٌ)** بألف بعد السين وكسر الحاء(٩٨١).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

السحر: لغة: هو كل ما لطف مأخذه ودقَّ، والسِّحر هو الخداع(٩٨٢).

قال ابن فارس(٩٨٣): «هو إخراج الباطل في صورة الحق، ويقال: هو

(٩٧٩) التحرير والتنوير (١١/٨٠).
(٩٨٠) الهدي شرح طيبة النشر (١/١٢٢).
(٩٨١) انظر [النشر (٢/١٩٢)، (٢/٢١٢)، إتحاف فضلاء البشر ص١٠٣].
(٩٨٢) انظر [القاموس المحيط ص١٥٩].
(٩٨٣) سبقت ترجمة له ص٥٧.

الخديعة، وسحره بكلامه: استماله برقته وحسن تركيبه»(٩٨٤).

قال الزهري(٩٨٥): «إنَّ السِّحر هو عمل تقرّب فيه إلى الشيطان وبمعونة منه، وقيل: السحر البيان في فطنة»(٩٨٦).

ثالثاً: التَّفسير الإجمالي للآية:

﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا﴾ الهمزة لإنكار تعجبهم وتعجب السامعين فيه؛ لكونه في غير محله، والعجب: حالة تعتري الإنسان من رؤية شيء على خلاف العادة ﴿أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ﴾ أي عجيب من أمرهم أن ينكروا إنزال الوحي على رجل من جنسهم ومن أعقل رجالهم، وهو محمد ﷺ قد اتخذوه أعجوبة بينهم يستغربون من شأنها ﴿أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ﴾ أي أوحينا إليه، بأن أنذر كافَّة الناس، وخوفهم من عذاب الله وعاقبة ما هم فيه من كفر وضلال ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا﴾ أي: بشر المؤمنين بما أوحيناه إليك، بأن لهم منزلة رفيعة، ورحمة نالوها بصدق القول وحسن النية.

فلماً أتاهم بوحي الله وتلاه عليهم ﴿قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ﴾ أي: قال الكافرون ـ وهم المتعجبون ـ وإيرادها هنا بعنوان الكفر للتحقير قالوا: إنَّ هذا الذي جاء به محمد لسحر واضح ظاهر، يبيّن لكم أنه مبطل فيما يدّعيه(٩٨٧).

رابعاً: العلاقة التَّفسيرية بين القراءات:

اختلف القرّاء في قراءة ﴿قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ﴾ فقرأ عامة قراء أهل المدينة والبصرة ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ بغير ألف يعنون القرآن

---

(٩٨٤) انظر [المصباح المنير ص١٦٢ مادة سحر].

(٩٨٥) الزهري: هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري، أبو بكر: محدث، حافظ، فقيه، مؤرخ، من أهل المدينة، نزل الشام واستقر بها، ولد سنة ٥٨هـ ـ ٦٧٨م، وتوفي سنة ١٢٤هـ ـ ٧٤٢م، له تصانيف في مغازي الرسول ﷺ. انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء ٥/٣٢٦ وما بعدها، كحالة، معجم المؤلفين ١٢/٢١، الزركلي، الأعلام ٧/٩٧.

(٩٨٦) انظر [لسان العرب (٣٤٨/٤)].

(٩٨٧) نظر [جامع البيان (١١/٨٠ ـ ٨٣)، معالم التنزيل (٢٩٠/٢)، تفسير المراغي (٥٩/١١ ـ ٦٠)].

وحجّتهم: أنّ السحر يدل على الساحر، لأنّ الفعل لا يكون إلا من فاعل، والساحر قد يوجد ولا يوجد معه السحر، ويدلّ على قول من قال (**سِحْرٌ**). قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الزخرف: ٣٠].

المعنى: أي: الذي تقولون أنتم فيه إنَّه أوحي: سحرٌ، وليس كما تقولون: إنَّه وحيٌ.

وقرأ الباقون ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ﴾ بألف وفتح السين وحجتهم قوله تعالى: ﴿أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ...قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا﴾ يعني النبي ﷺ ﴿لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ﴾ ويدّل على ساحر أيضاً قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ﴾ [ص: ٤][988] ومن قرأ ﴿لَسَٰحِرٌ﴾ فهذه إشارة إلى رسول الله ﷺ وهو دليل عجزهم واعترافهم به، وإن كانوا كاذبين في تسميته سحراً[989]، وهذا الكلام ظاهر الفساد، لذلك لم يَحتجْ إلى جواب؛ لأنّهم يعلمون نشأة الرسول ﷺ معهم بمكة وخلطتهم له وما كانت، وأنَّ القرآن الذي أتى به تضمن من قصص الأولين والإخبار بالغيوب والاشتمال على مصالح الدنيا والآخرة مع الفصاحة والبراعة التي أعجزتهم[990].

خامساً: الجمع بين القراءتين:

١ ـ من قرأ (لَسِحْرٌ) أراد القرآن، والسحر لا يكون إلا من ساحر فشملت بالمعنى القراءتين، ومن قرأ (لساحر) أراد محمداً ﷺ، والساحر ذو سحر أو جعلوه إياه مبالغة، وإذا كان ذلك كذلك فالمعنى بين القراءتين متفق[991].

٢ ـ من قرأ (سحر) أشار إلى أن القرآن وما جاء به رسول الله ﷺ، ومن قرأ بالألف أشار إلى الرسول ﷺ، بمعنى: إنَّ محمداً هذا لساحر

---

(٩٨٨) انظر [الحجة: ابن زنجلة ص٣٢٧، الحجة: أبو علي الفارسي (٢٥١/٤)].

(٩٨٩) انظر [مدارك التنزيل: النسفي (٤٥٢/٢)].

(٩٩٠) انظر [البحر المحيط (١٢٣/٥)].

(٩٩١) انظر [الدر المصون (١٤٧/٦)، جامع البيان (٨٣/١١)].

مبين، وليس كما يقولون بل هو وحي وموحى إليه ﷺ[٩٩٢].

٣ ـ ﴿وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ القول من جهة واحدة فهل قالوا ساحر، أم سحر؟ والجواب كأنَّ الله تعالى يقول لنا أنَّ جزءاً منهم قالوا هذا سحر، وجزء آخر قالوا هذا ساحر والله أعلم.

٣ ـ ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾﴾ [يونس: ٤].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ أبو جعفر(أَنَّهُ يبدؤا) بفتح الهمزة.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟﴾ بكسر الهمزة[٩٩٣].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

سبق إيراد معنى (إنّه وأنّه)[٩٩٤].

ثالثاً: التَّفسير الإجمالي للآية:

يخبر الله ـ تعالى ـ أنَّ (إليه) أي: الذي صفته ما وصف جلّ ثناؤه، في الآية قبل هذه مرجع الخلائق جميعاً يوم القيامة ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا﴾ وجاء وعد الله مصدراً؛ لأن فيه معنى الوعد، ومعناه: يعدكم الله أنّه يحييكم بعد مماتكم، وعداً حقاً. فهو كما بدأ الخلق كذلك يعيده ﴿لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ﴾ أي يثيب المؤمنين الذين يعملون ما أمرهم الله به من الأعمال، وينتهون عما نهاهم عنه بالعدل والجزاء الأوفى ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ والذين كذَّبوا بآيات الله، وكفروا لهم شراب في جهنم من حميم، أي يعذبون بأشد أنواع العذاب ﴿بِمَا كَانُوا۟

(٩٩٢) انظر [الفريد في إعراب القرآن (٥٣١/٢)].

(٩٩٣) انظر [النشر (٢١٢/٢)، طلائع البشر ص١١٥].

(٩٩٤) راجع ص٥٥، ٥٦، ٥٧.

﴿يَكْفُرُونَ﴾ بالله ورسوله(٩٩٥).

رابعاً: العلاقة التَّفسيرية بين القراءات:

قرأ الجمهور ﴿إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ﴾ بكسر همزة (**إِنَّهُ**) على الاستئناف، ومعناه: التعليل؛ لوجوب المرجع إليه، فيكون المعنى: إنّ الله شأنه يبتدىء خلقه من التّراب ثم يعيده إلى التراب، أو بمعنى الإعادة للجزاء يوم القيامة(٩٩٦).

وقرأ أبو جعفر ﴿أَنَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ﴾ بفتح همزة (**أَنَّهُ**) ولها عدة أوجه أو تأويلات:

أحدهما: أنها في موضع نصب على تقدير حرف جر محذوف، وهو اللام أي؛ (لأنّه) أو الباء (بأنّه)(٩٩٧).

والمعنى: أي حق وعده بالبعث؛ لأنه يبدأ الخلق ثم يعيده، فلا تعجزه الإعادة بعد الخلق الأول(٩٩٨).

والثاني : هو منصوب بالفعل الناصب لقوله: ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ أي المصدر مفعول مطلق منصوب بما نصب به ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ﴾(٩٩٩).

فالمعنى: وعد الله وعداً ﴿أَنَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ﴾ أي بدء الخلق ثم إعادته، فيكون بدلاً من ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ بدلاً مطابقاً أو عطف بيان(١٠٠٠).

والثالث: يجوز أن يكون المصدر المكوَّن من (**أَنَّ**) وما بعدها مرفوعاً،

---

(٩٩٥) انظر [جامع البيان (٨٤/١١)، تفسير ابن كثير (٤٠٦/٢)].

(٩٩٦) انظر [مدارك التنزيل: (٤٥٣/٢)].

(٩٩٧) انظر [معالم التنزيل: (٢٩٠/٢)].

(٩٩٨) انظر [التحرير والتنوير (٩١/١١)].

(٩٩٩) انظر [المحرر الوجيز (٥٣٠/٢)].

(١٠٠٠) عطف البيان كالصفة في الإيضاح ولكن يفارقها في أنه وضع ليدل على الإيضاح باسم مختص به، بخلافها، فإنها وضعت لتدل على معنى حاصل في متبوعها انظر [الإتقان (٨٦٠/٢)، شرح قطر الندى ص٢٩٧].

أو في موضع رفع على أنه فاعل بما نصب (**حَقّاً**) والتقدير: حقَّ حقاً أنه يبدأ الخلق أي: حق حقاً بدء الخلق، ثم إعادته[(١٠٠١)] وهو مذهب الفرّاء[(١٠٠٢)] فإنه قال: «والتقدير: حقاً أنه يبدأ الخلق، فجعلها اسماً للحق في موضع رفع»[(١٠٠٣)].

خامساً: الجمع بين القراءتين:

نجد في قراءة الكسر: أنَّه قد ذهب أصحاب التَّفسير القرآني، وتوجيه القراءات، أنَّها قراءة واضحة جيدة، من جهة أنَّ المعنى مستقيم، حملاً على الظاهر دون الحاجة إلى تأويل، فقد كسر الهمزة على الاستئناف، وفيها زيادة في تأكيد قضية البعث، والبدء، والإعادة، فهذه القراءة حصل منها المعنى، حملاً على الظاهر دون خروج عليه.

أما قراءة الفتح: فتكون (أنَّ) مع معموليها مصدراً مؤولاً تأويله بدء الخلق، أو بتقدير حرف الجر اللام أو الباء. والمُشْكل هنا: أنَّها لا تأتي مستأنفة[(١٠٠٤)]. فمن هنا لجأوا إلى التّأويل، وقد ذكرناه سابقاً في العلاقة التّفسيرية[(١٠٠٥)].

٤ ـ ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٥﴾ [يونس: ٥].

أولاً: القراءات:

١ ـ أ ـ أقرأ قُنبل (**ضِئاء**) بهمزة مفتوحة بعد الضاد.

(١٠٠١) انظر [التحرير والتنوير (٩١/١١)].

(١٠٠٢) سبقت ترجمة له ص٥٧.

(١٠٠٣) انظر [معاني القرآن: الفرّاء (٤٥٧/١)].

(١٠٠٤) انظر [كتاب سيبويه (١٤٢/٣ ـ ١٤٦)].

(١٠٠٥) انظر [التوجية اللغوي: د. صبري (١٥٧ ـ ١٥٨)].

ب ـ وقرأ الباقون (ضِيَاء) بغير همز في الياء[١٠٠٦].

٢ ـ أ ـ قرأ ابن كثير والبصريان (أبو عمرو ويعقوب) وحفص (**يُفَصِّلُ**) بالياء.

ب ـ وقرأ الباقون (**نفَصِّلُ**) بالنون[١٠٠٧].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

الضِيَاء: وجمعه أضواء وهو الضِّواءُ والضياءُ. والضَّوء والضياء: هو ما أضاء لك، وقد يكون الضياء جمعاً، وضاء الشيء يضوء ضَوْءاً وأضاء.

والضوء: النور[١٠٠٨]، والضياء أقوى من الضوء؛ لأنَّه هو النور الساطع القوي الذي يضيء للرائي، أما الضوء: فهو النور الذي يوضح الأشياء[١٠٠٩].

الفَصْلُ: الحاجز بين الشّيئين، والتّفصيل التّبيين، ويُفَصِّل الآيات: إما تفصيل آياته بالفواصل، أو بمعنى التّبيين[١٠١٠].

ثالثاً: التّفسير الإجمالي للآية:

بعد أن ذكر الله سبحانه الآيات الدالة على وجوده، وهو خلق السماوات والأرض، وإثبات الألوهية والتوحيد والبعث، خصَّص بالذكر للتّأكيد على أحوال الشّمس والقمر الدّالة على التّوحيد من جهه الخلق والإيجاد، وعلى إثبات المعاد، من جهة كونهما أداة لمعرفه السّنين والحساب، وذلك رصد للزّمن الذي لا بد له من نهاية، وموت أهله ففي هذه الآية تفصيل لما تقدم، وبيان له[١٠١١].

(١٠٠٦) انظر [النشر (٣١٥/١)، (٢١٢/٢)].

(١٠٠٧) انظر [المرجع السابق (٢١٢/٢)].

(١٠٠٨) انظر [لسان العرب (١٣٧/١ ـ ١٣٨) مادة ضَوَأَ، القاموس المحيط ص٥٨ مادة ضوا].

(١٠٠٩) انظر [التحرير والتنوير (٩٤/١١)].

(١٠١٠) انظر [لسان العرب (٥٢١/١١ ـ ٥٢٤) مادة فصل، القاموس المحيط ص١٣٤٧ مادة فصل].

(١٠١١) انظر [تفسير المراغي (٦٧/١١)، التّفسير المنير: الزحيلي (١١٠/١١)].

فقال سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا﴾ أي جعل الشّمس في النّهار ضياء للكون، والقمر نوراً بالليل، يبدد الظلمات ﴿وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ﴾ يقول الزجاج:[(١٠١٢)] «يعني القمر، لأنه المقدر بعلم السنين والحساب، وقد يجوز أن يكون المعنى: وقدّرهما منازل، فحذف أحدهما اختصاراً».

فالضمير إمّا يعود على القمر أو يعود على القمر والشمس معاً، والأخفش ذكر القول الثاني قال: «هو ذكر الشمس والقمر»[(١٠١٣)]. ﴿لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾ فبالشّمس تعرف الأيّام، وبسير القمر تعرف الشّهور والأعوام.

وهذا قول ابن كثير[(١٠١٤)] ﴿مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ أي لم يخلق الله الشمس والقمر ومنازلهما إلا بالحق، فلم يخلقه باطلاً، بل اظهاراً لصنعه، دالاً على قدرته، ولحكمة عظيمة في ذلك ﴿يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ يبيّن الحجج والأدلّة ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ فينتفعون بالتّأمل فيها، لذلك خصّهم الله - سبحانه وتعالى - لأنّهم إذا تدبّروها، يعلموا حقيقة وحدانية الله[(١٠١٥)].

رابعاً: العلاقة التّفسيرية بين القراءات:

القراءة الأولى:

قرأ قنبل: **(ضِئَاء)** بهمزة مفتوحة بعد الضاد، وقرأ الباقون **(ضِيَاء)** غير همز في الياء.

و(ضياء) فيها وجهان:

أحدهما: جمع ضوء، كسياط في جمع سوط.

(١٠١٢) انظر [معاني القرآن: الزجاج (٢/٧)].

(١٠١٣) معاني القرآن: الأخفش (٢/٥٦٥)، وانظر [الحجة أبو علي الفارسي (٤/٢٥٨)].

(١٠١٤) انظر [تفسير القرآن العظيم: (٢/٤٠٧)].

(١٠١٥) انظر [جامع البيان: (١١/١٨٦)، معالم التنزيل: (٢/٢٩١)].

والثاني: مصدر، يقال ضاء القمرُ يضوء ضوءاً أو ضياء، كصام يصوم صوماً، وقلبت الواو ياء، لكسرة ما قبلها في كلا الوجهين.

وعلى أي الوجهين حملته، فالمضاف محذوف، والمعنى: جعل الشمس ذات ضياء، والقمر ذات نور[١٠١٦].

ـ فحجة من قرأ بهمزتين أن (ضِئاء) فيها الهمزة في موضع العين من (ضياء)، يكون على القلب أي قلبت عين الفعل، وهو الياء المنقلبة إلى موضع لام الفعل، وهو الهمزة، وردت الهمزة في موضع الياء فأصبحت (ضئاياً) فلما تطرّفت الياء بعد ألف زائدة قلبت همزة كما فُعل في (دعاء وسقاء) فصارت همزة قبل الألف، وهي الأصلية التي هي لام الفعل من (ضوء) وهمزة بعد الألف، وهي المنقلبة عن الياء، المنقلبة عن واو.

وإذا قدّرنا (ضئاء) جمع ضوء والجمع، يحسن فيه القلب ويكثر، وجائز أن نقول إنّ الهمزة انقلبت عن واو؛ لأنّ الياء لمّا تأخرت وزالت عنها الكسرة، التي قبلها، رجعت إلى أصلها، وهو الواو، وقلبت همزة كدعاء فوزنه فلاع (ضئاو) مقلوب عن فعال (ضواء) وإذا قدرنا (ضئاء) مصدراً كان أبعد؛ لأنَّ المصدر يجري على فعله في الصحة والاعتلال، والقلب ضرب من الاعتلال فإذا لم يكن في الفعل لم ينبغ أن يكون في المصدر أيضاً.

وحجّة من لم يهمز (ضياء) وترك الياء قبل الألف على حالها، أنه أتى بالاسم على أصله، ولم يقلب من حروفه شيئاً في موضع شيء وتكون الياء بدلاً من واو (ضوء) لانكسار ما قبلها، هذا إذا اعتبرنا (ضياء) مصدراً.

وهنا في عدم الهمز الأوْلى أن يكون (ضياء) مصدراً لا جمعاً، مثل قام يقوم قياماً، صام يصوم صياماً.

(١٠١٦) انظر [الحجة أبو علي الفارسي (٤/٢٥٨)].

أمّا إذا اعتبرنا ﴿ضِيَآءً﴾ جمعاً، فحجّة من لم يهمز أنه جمع غير مقلوب أتى على أصله فهو جمع (ضوء)(١٠١٧).

خامساً: الجمع بين القراءتين:

أ ـ قراءة الهمز، الأوْلى أن تكون (ضئاء) جمعاً؛ لأن الجمع يحسن فيه القلب ويكثر، وفي قراءة عدم الهمز ضياء، الأوْلى أن يكون (ضياء) مصدراً لا جمعاً.

ب ـ قراءة الهمز فيها الثقل، فتدل على ثقل الضوء وشدته، والياء فيها اللين والخفّة فهذا يدل على خفة الضوء، وبالجمع بين الخفّة والثّقل يتبيّن أنّ القراءتين أشارتا إلى درجة ضوء الشّمس، فمرّة يكون خفيفاً، ومرّة يكون شديداً، وهذا يظهر في اختلاف حالة الشّمس صباحاً وظهراً ومساءً وصيفاً وشتاءً، والله أعلم.

القراءة الثانية:

قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحفص ويعقوب ﴿يُفَصِّلُ ٱلْآيَـٰتِ﴾ بالياء.

وقرأ الباقون ﴿نُفَصِّلُ ٱلْآيَـٰتِ﴾ بالنون. من قرأ ﴿يُفَصِّلُ﴾ بالياء فحجّتة على الغيب، وذلك جرياً على السّياق، فأضمر الاسم في الفعل؛ لأنه تقدم ذكر الله تعالى في قوله: ﴿مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ فجعلوا الفعل مسنداً إليه بلفظ التوحيد فكأنّه قال: ﴿يُفَصِّلُ الله الآيَاتِ﴾ فهو إذاً إخبار عن فعل الله. فيكون التقدير: قل يا محمد: الله يدبّر الأمر، ويفصّل الآيات(١٠١٨). ومنهم من ردّه إلى قوله: ﴿مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ﴾ [يونس: ٥] وعلى قوله ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ﴾ [يونس: ٥] وعلى قوله ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ﴾

(١٠١٧) انظر [الحجة: أبو علي الفارسي (٢٥٨/٤ ـ ٢٥٩)، الكشف (٥١٢/١ ـ ٥١٣)، الجامع لأحكام القرآن (٦١٨/٨)، والدر المصون (١٥٢/٦)، فتح القدير (٥٣١/٢)].

(١٠١٨) انظر [الحجة ابن زنجلة ص٣٢٨، إعراب القراءات السبع وعللها (٢٦١/١)، معاني القراءات ص ٢١٩، الحجة: أبو علي الفارسي (٢٥٢/٤)].

[يونس: ٣] وعلى قوله ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ [يونس: ٣] وعلى قوله: ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ٤] كلّه بلفظ الغيبة عن الإخبار عن الله ﷻ[1019]. وأمّا حجة من قرأ بالنون وهي نون العظمة، التفاتاً من الغيبة إلى التكلم، فللتعظيم.

فالله ـ سبحانه ـ يخبر عن نفسه بلفظ الجماعة؛ لأنه ملك الأملاك ودليلهم ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٥٢] ويقوّيه أنّ قبله ﴿أَوْحَيْنَآ﴾ على الإخبار من الله ذكره عن نفسه[1020].

الجمع بين القراءتين:

نجد أنّ القراءة بنون العظمة على الالتفات من الغيبة إلى التكلم؛ فلأنّ سياق الآية في قوله تعالى ﴿مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ يقتضي الغيبة فقال ﴿يُفَصِّلُ﴾ أي الله تعالى، لكنه التفت إلى التكلم، على أنّه إخبار من الله سبحانه عن نفسه، بأنّه وحده هو الذي جعل الشمس ضياءً، والقمر نوراً، وقدّره منازل، وذلك لمعرفة عدد السنين والحساب، وأنه يوضح هذه الآيات الدالة على قدرته ووحدانيته، لقوم يعلمون ذلك معرفة حقيقية، فيستدلون بهذه الآيات على وجود الله تعالى، وعلى أنه لا ينبغي أن يعبد سواه، فلو ظل الأسلوب القرآني على الغيبة، لما تحقق هذا المعنى[1021]، أيضاً للإلتفات فوائد ذكرناها سابقاً[1022].

٥ ـ ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾﴾ [يونس: ١١].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ ابن عامر **(لَقَضَى إليهم أَجَلَهم)** بفتح القاف والضاد، وقلب الياء ألف **(إِلَيْهِمْ)** بكسر الهاء **(أَجَلَهُمْ)** بالنصب.

(١٠١٩) انظر [الكشف (٥١٣/١)].

(١٠٢٠) انظر [إعراب القراءات السبع (٢٦١/١)، الكشف (٥١٤/١)، الدر المصون (١٥٤/٦)].

(١٠٢١) انظر [القراءات وأثرها في علوم العربية: د. محمد سالم محيسن (١٣٥/٢)].

(١٠٢٢) راجع ص٢٤٦ في الهامش رقم٩٤٥.

٢ ـ وقرأ يعقوب (**لَقَضَى إليهُمْ أجَلهُمْ**) بفتح القاف والضاد، وقلب الياء ألف (**إليهُمْ**) بضم الهاء (**أَجَلَهُم**) بالنصب.

٣ ـ قرأ حمزة (**لَقُضِيَ إِلَيْهُمْ أَجَلُهُمْ**) بضم القاف، وكسر الضاد، وفتح الياء (**إِلَيهُمْ**) بضم الهاء (**أَجَلُهُمْ**) بالرفع.

٤ ـ وقرأ الباقون (**لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ**) بضم القاف، وكسر الضاد، وفتح الياء (**إِلَيْهِمْ**) بكسر الهاء (**أَجَلُهُمْ**) بالرفع[١٠٢٣].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

قُضِيَ: ومنه القضاء أي: الحكم، وأصله قضايٌ؛ لأنه من قَضَيْت، إلا أنّ الياء لما جاءت بعد الألف همز، ومنه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلاً﴾ [الأنعام: ٢]؛ ومعناه ثم ختم بذلك وأتمّه وقضي الأمر: أي تمّ إهلاكهم[١٠٢٤].

أَجَلُ: الأجل: هو غاية الوقت في الموت، والأجل أيضاً: مدة الشيء، ومنه الآجلة، أي الآخرة[١٠٢٥].

ثالثاً: التَّفسير الإجمالي للآية:

قال تعالى: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ﴾ والتعجيل: هو تقديم الشيء قبل وقته والمراد في الآية قولان: **أحدهما**: قول الإمام مجاهد: «هو قول الرجل لولده وأهله وماله إذا غضب عليهم، اللّهم لا تبارك فيه، اللّهم الْعنه» ﴿لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾ أيضاً قال: «لهلك من دعا عليه فأماته»[١٠٢٦].

فيكون المعنى: لو يعجّل الله للناس الشر إذا دَعَوْا على أَنْفُسهم عند الغضب

(١٠٢٣) انظر [النشر (٢/٢١٢)، فريدة الدهر (٣/٨١٨)].

(١٠٢٤) انظر [لسان العرب (١٥/١٨٦ ـ ١٨٧)].

(١٠٢٥) انظر [لسان العرب (١١/١٠ ـ ١١)].

(١٠٢٦) انظر [تفسير الإمام مجاهد بن جبر (١/٣٧٧ ـ ٣٧٨)].

وعلى أهليهم، واستعجلوا به، كما يُعجّل لهم الخير؛ لهلكوا وماتوا.

والثّاني: لو يعجّل الله للكافرين العذاب على كفرهم، كما عجّل لهم خير الدنيا من المال والولد، لعُجِّل لهم قضاء آجالهم؛ ليتعجلوا عذاب الآخرة، فكان مشركو مكة يستعجلون رسول الله ﷺ بالعذاب الذي أنذرهم نزوله بهم، كما حكى الله عنهم من نحو قوله: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ﴾ [الرعد: ٦] ﴿فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ فنترك الذين لا يؤمنون بالآخرة ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ﴾ في تجاوزهم حدود الله ﴿يَعْمَهُونَ﴾ أي يترددون ويتحيرون، وقد تضمن المعنى نفي التعجيل لأنّه لا مصلحة لهم في إيصال الشّر إليهم إذ لو أوصله إليهم، لماتوا وهلكوا ولا صلاح في إماتتهم، فربما آمنوا بعد ذلك، أو خرج من أصلابهم من يؤمنون، أو أن يكون عدم التعجيل إمهالاً لهم، واستدراجاً(١٠٢٧).

رابعاً: العلاقة التّفسيرية بين القراءات:

١ ـ قرأ عامّة قرّاء الحجاز، والعراق ﴿لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾ على وجه ما لم يسمّ فاعلُه، بضم القاف من ﴿لَقُضِيَ﴾، ورفع للأجل على أنه نائب فاعل والمعنى: لو يعجل الله للناس دعاء الشر أي: ما يدعون به من الشر على أنفسهم في حال ضجر وبطر استعجالهم إياه بدعاء الخير، فأضيف المصدر إلى المفعول، وحذف الفاعل كقوله ﴿مِن دُعَاءِ الْخَيْرِ﴾ [فصلت: ٤٩] في حذف ضمير الفاعل، وهذا مذهب الفرّاء فقال: «وحسنت الكاف هنا (**كاسْتِعْجَالِهِم**)»(١٠٢٨). والتقدير: ولو يعجل الله للناس الشر استعجالاً مثل استعجالهم بالخير، لقضي أي: لفرغ من أجلهم وماتوا جميعاً. وهذا قريب من قوله تعالى: ﴿وَيَدْعُ الْإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنسَانُ عَجُولًا ﴿١١﴾﴾ [الإسراء: ١١].

(١٠٢٧) انظر [جامع البيان (٩١/١١)، زاد المسير (٣١٩/٢)، تفسير البيضاوي (٢٨٧/١١)، مدارك التنزيل (٤٥٥/٢)].

(١٠٢٨) انظر [معاني القرآن: الفرّاء (٤٥٨/١)].

وقرأ عامّة أهل الشام (**لَقَضَى إِلَيْهِمْ أَجَلَهُمْ**) بفتح القاف والضاد، وقلب الياء على البناء للفاعل، والفاعل: ضمير مستتر يعود على لفظ الجلالة، (**وأَجَلَهُمْ**) بالنصب على أنه مفعول به. فهنا أتى بالفعل على بناء ما سمي فاعله، وأضمر الفاعل فيه، ونصب المفعول بتعدي الفعل إليه. وردّه على قوله: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ﴾ [يونس: ١١] فجاء الفعل مضافاً إلى الله فيهما جميعاً، ونصب (أجلَهم) بوقوع القضاء عليهم، ودليله قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا﴾ [الأنعام: ٢] وحجتهم أيضاً: قراءة من قرأ (لقضينا إليهم أَجَلَهم)(١٠٢٩) وعدى (قضى) بـ(إلى) لكونه أُريد به معنى السرعة أي: لأسرع إليهم أجلهم، والمعنى لقضى أي لأهلك من دُعي عليه وأماته(١٠٣٠).

٢ ـ خالف يعقوب ابن عامر في قراءة (**إِلَيْهِمْ**) فقرأ: بضم الهاء، فكانت القراءة (**لقَضَى إليهُم أَجَلَهم**) أمَّا ابن عامر فقرأ (**إِلَيْهِمْ**) بالكسر، ولأنّ الضمة أثقل من الكسرة(١٠٣١) فتوحي قراءة الضم بثقل القضاء الذي كان سينزل عليهم لو أنّ الله استجاب وعجّل للناس دعاءَهم بالشر وهذا القضاء سيكون الإهلاك أو الموت، والله أعلم.

وأمّا قراءة الكسر (**إليهِم**) فلأن الكسرة تأتي لما قلّ وعُدِم(١٠٣٢).

فقراءة الكسر: توحي أنّ هذا القضاء معدوم أي: لمن يكون؛ لأن الله سبحانه لطيف بعباده، فهو سبحانه لم يعد توازي الشر في هذا العالم بالخير، لطفاً منه ورفقاً، وفي ذلك منَّةٌ عظيمة على عباده، فجعل الذين يستحقون الشر، لو عُجّل لهم ما استحقوه؛ لبطل النظام الذي وضع عليه العالم، وهو نظام الرفق بالعباد، الذي جعله الله مستمراً غير منقطع عنهم؛

(١٠٢٩) ذكر هذه القراءة أبو حيان في تفسيره (١٢٩/٥).

(١٠٣٠) انظر [الحجة: أبو علي الفارسي (٢٥٧/٤)، الكشف (٥٥١/١)، والحجة ابن خالويه ص١٠٠، معالم التنزيل (٢٩٢/٢)].

(١٠٣١) راجع ص٢١.

(١٠٣٢) راجع ص٢١.

لأنه أقام عليه نظام العالم(١٠٣٣).

كذلك انفرد حمزة في قراءة (إِلَيْهُمْ) عن باقي القراء، فقرأ (لَقُضِيَ إِلَيْهُمْ أَجَلُهُمْ) بضم الهاء، في حين أنَّ باقي القراء قرأوها بالكسر، ونفس التوجيه السابق في قراءة يعقوب أرى توجيه هذه القراءة أيضاً.

خامساً: الجمع بين القراءات:

من قرأ (لَقَضَى) أتى بالفعل على بناء ما سمّى فاعله؛ لكنه أضمر الفاعل فيه، ونصب المفعول بتعدي الفعل إليه، فلأنَّه ذكر الفاعل في بداية الآية (لَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ) وحذفه في (لَقُضِيَ) لأنه ليس غريباً، فالسامع يتوقعه، لورود ذكره في بداية الآية، فُحسن إضماره وفيه من البلاغة ما فيه(١٠٣٤).

أما من قرأ (لَقُضِيَ ـ أجلُهم) فقد أتى بالفعل على بناء ما لم يسمّ فاعله، وأجلهم نائب فاعل، فأسند الفعل إلى أجلهم، وذلك للتأكيد والقوة على أنَّ الله سبحانه وتعالى أهلك الناس أو أماتهم لو استعجلوا الشر، فتقديم ذكر المحدَّث عنه يفيد التنبيه له، فيدخل على القلب دخول المأنوس به، ولقبله قبول المتهيئ له، المطمئن إليه، وذلك لا محالة أشد؛ لثبوته وأنفى للشبهة، وأمنع للشك، وأدخل في التحقيق. فهنا لا تضاد بين القراءتين، فإسناد الفعل إلى ما سمي فاعله مرة، ومرة إلى ما لم يسمّ فاعله ففيه من البلاغة ما فيه، وهو نوعٌ من تلوين الأسلوب في القرآن، كما أنَّ تقديم المسند إليه يفيد التأكيد والقوة، فمرة يؤكد على الفاعل، ومرة يؤكد على الفعل فيحصل التأكيد، والقوة في المعنى(١٠٣٥)، والله أعلم.

٦ ـ ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِٕ نَفْسِيٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾﴾ [يونس: ١٥].

(١٠٣٣) انظر [التحرير والتنوير (١١/١٠٦)].

(١٠٣٤) انظر [دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني ص١٢٦].

(١٠٣٥) انظر [دلائل الإعجاز ص١٠١ ـ ١٠٣].

أولاً: القراءات:

١ ـ أ ـ قرأ ابن كثير (**بِقُرانٍ**) بالتسهيل، ووقف عليها حمزة أيضاً بالتسهيل.

ب ـ وقرأ الباقون (**بقُرْآنٍ**) بالهمز(١٠٣٦).

٢ ـ أ ـ قرأ ابن كثير وابو عمر والمدنيان (أبو جعفر ونافع) (**لِيَ أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن**) (**إِنِّيَ أَخَافُ**) بفتح ياءات الإضافة.

ب ـ وقرأ الباقون (**لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن**) (**إِنِّي أَخَافُ**) بالسُّكون مع المد(١٠٣٧).

٣ ـ أ ـ قرأ أبو عمر والمدنيان (**نَفْسِيَ إِنْ**) بفتح ياء الإضافة.

ب ـ وقرأ الباقون (**نَفْسِي إِنْ**) بالسُّكون مع المد(١٠٣٨).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

قرأ قَرءاً وقِراءة وقَرآناً. **قُرْآن**: بالهمز بمعنى الجمع، وسُمّي قرآناً؛ لأنه يجمع السور، فيضمها، أو لأنه جمع القِصَصَ والأمر والنهي والوعدَ والوعيدَ والآياتِ والسورَ بعضَها إلى بعض.

والقرآن مشتق من القَرء وهو في اللغة: الجمع، وقرأت القرآن: لفظتُ به مجموعاً، إذا كان القرآن مشتقاً من قَرأت(١٠٣٩).

أما **القران بدون همز**: فهو اسم، ولم يؤخذ من قَرأْت، ولكنّه اسم لكتاب الله، مثل التوراة والإنجيل(١٠٤٠).

وقران مشتق من القرن، وقرنت الشيء بالشيء وصلته، وقارنته قراناً: صاحبته وبمعنى الالتصاق والإتّصال(١٠٤١).

(١٠٣٦) انظر [النشر (٣٣٦/١)].

(١٠٣٧) انظر [النشر (٢١٦/٢)].

(١٠٣٨) انظر [المرجع السابق (٢١٦/٢)].

(١٠٣٩) انظر [لسان العرب (١٥٧/١ ـ ١٦٢) مادة قرأ].

(١٠٤٠) انظر [المرجع السابق (١٥٧/١) مادة قرأ].

(١٠٤١) انظر [لسان العرب (٣٣٦/١٣) مادة قرن، منجد الطلاب ص٥٨٨ ـ ٥٨٩ مادة قرن].

ثالثاً: التَّفسير الإجمالي للآية:

يقول الله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ﴾ أي إذا قرىء على هؤلاء المشركين آيات القرآن الكريم الذي أنزلناه إليك يا محمد بينات ظاهرات واضحات ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾ أي لا يخافون البعث ﴿ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ﴾ أي إئت بقرآن من نمط آخر، أو غيره ﴿قل﴾ لهم يا محمد ﴿مَا يَكُونُ لِيٓ﴾ أي ما يحل لي ﴿أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِ نَفْسِيٓ﴾ أي ليس هذا من عندي، والتبديل الذي سألوه فيما ذكر، أن يحوّل آية الوعيد وعداً، وآية الوعد وعيداً، والحلال حراماً والحرام حلالاً. فأمر الله نبيه أن يخبرهم بأنه ليس هذا إليه، إنما هو عبد مأمور ورسول مبلغ عن الله ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ أي لا أتبع إلا وحي الله من غير تبديل ولا تحريف ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي﴾ إني أخشى بتبديله ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ يوم القيامة(١٠٤٢) ووصف بالعظم لطوله، أو لكثرة شدائده أو للمجموع(١٠٤٣).

رابعاً: العلاقة التَّفسيرية بين القراءات:

١ ـ قرأ ابن كثير وحمزة (بقُرَان) بتسهيل الهمزة ونقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها على أنه مشتق من قرن وقرنت الشيء بالشيء أي شدّه به، وقرن من الاقتران بمعنى اتصل والتصق به(١٠٤٤).

وقرأ الباقون (بِقُرْآنٍ) بالهمز، على أنَّه وصف من القَرْء بمعنى الجمع(١٠٤٥) لأنه جمع السور بعضها إلى بعض، أو أنه مشتق من القرائن؛ لأن الآيات منه يصدق بعضها بعضاً، ويشابه بعضها بعضاً، وهي قرائن. كذا نقل السيوطي عن الفرّاء(١٠٤٦).

ونقل السيوطي أيضاً: «أنَّه مصدر لقرأت، كالرجحان والغُفران، سمى

(١٠٤٢) انظر [جامع البيان (١١/٩٤ ـ ٩٥)، تفسير القرآن العظيم (١١/٤١٠)].

(١٠٤٣) انظر [البحر المحيط (٥/١٣٢)].

(١٠٤٤) انظر [منجد الطلاب ص٥٨٨ ـ ٥٨٩، مناهل العرفان في علوم القرآن (١/١٣)].

(١٠٤٥) انظر [مناهل العرفان (١/٣)، المفردات في غريب القرآن ص٤٠٢].

(١٠٤٦) انظر [الاتقان (١/١٦٢)].

به الكتاب المقروء، من باب تسمية المفعول بالمصدر»[١٠٤٧].

خامساً: الجمع بين القراءتين:

مَنْ قرأ بالتخفيف وتسهيل الهمزة، فهو من القرن: وسمي القرآن بذلك لقران السور والآيات والحروف فيه[١٠٤٨]. ومن قرأ بالهمز: فهو إمَا من القرائن مشتق أو من القرء، وهو بمعنى: أنَّ الآيات منه يصدق بعضها بعضاً، ويشابه بعضها بعضاً، لذلك لا تضاد. فالقرآن كتاب مقروء، مجموعةٌ آياته بين دفتي الكتاب، مضمومةٌ السور والآيات والحروف فيه، أحدهما إلى الآخر، وجميعها يصدق بعضها بعضاً.

٢ ـ قرأ ابن كثير وأبو عمر والمدنيان (لِيَ أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن) و(إِنِّيَ أَخَافُ) بفتح ياءات الإضافة، وقرأ الباقون (**لِي- أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن**) (**إِنِّي- أَخَافُ**) بالسكون مع المد.

يتبين لنا: أن رواية إسكان ياء الإضافة مع المد إنما جاءت للغة فصيحة نزل بها الوحي، وهي اختصار مقطعين قصيرين في مقطع طويل مفتوح، تحولت فيه ياء المتكلم من حرف علة يحمل حركة إلى صائت[١٠٤٩] طويل، انسجاماً مع الكسرة قبلها، وقُدّر لهذا الصائت البقاء حيث وقع قبل متحرك، فكانت قراءة السكون (لي- أن)، (إني- أخاف) أخذ مُدّةَ مدِهِ مُدَّة المدِّ المنفصل. أما قراءة الفتح (ليَ أن)، (إني أخاف) فكانت الياء بدون مد، فقد أثرت الكسرة القصيرة على الياء المعتلة ـ شبه الصامت ـ فجعلتها مثلها ـ امتداداً لها في المدى الزمنى ـ وأصبحت كلتاهما كسرة طويلة، أو صائتاً طويلاً، ومعلوم أنَّ الحركة القصيرة نصف الحركة الطويلة،

(١٠٤٧) الاتقان (١٦٢/١).

(١٠٤٨) انظر [المرجع السابق نفس الصفحة].

(١٠٤٩) الصائت حروف اللين، وهي أصوات هوائية ليس لها مخرج إنما هي هواء يخرج من الفم بدون عائق، انظر [الأصوات اللغوية: د. إبراهيم أنيس ص٢٧ ـ الناشر مكتبه الأنجلو المصرية ط٥ ١٩٧٩].

وقد أحس بهذا ابن جنّي[(١٠٥٠)]: حيث يقول: «فإذا ثبت أن هذه الحركات أبعاض الحروف ومن جنسها . . .» ويقول: «الحركة حرف صغير»[(١٠٥١)] مما سبق نرى أنَّ هذا الموضع، ممكن اعتباره شاهداً على المماثلة التقدمية بين صائتين[(١٠٥٢)] والفتح والإسكان في ياءات الإضافة من التغييرات الصوتية، وذلك أن المقاطع الصوتية نوعان: متحرك وساكن، فالمقطع المتحرك هو الذي ينتهى بصوت ليِّن قصير أو طويل، أمّا المقطع الساكن: فهو الذي ينتهي بصوت مغلق[(١٠٥٣)] أيضاً هو شاهد على فتح ياء المتكلم وسر جواز العدول عنه[(١٠٥٤)].

الجمع بين القراءتين:

أجد أنَّ قراءة (ليَ أن) بدون مد، أي: من طبيعتي ومبدئي أني أخاف الله فلن أبدِّله ولا لمرّة واحدة، أما قراءة المد (لي- أن) أي: أنني أخاف الله طوال حياتي وبذلك لن أبدّله أبداً، والله أعلم.

(١٠٥٠) سبقت له ترجمة ص٢١.

(١٠٥١) الخصائص: ابن جني (٣١٥/٢) باب مضارعة الحروف للحركات، والحركات للحروف ـ والمراد من الباب ـ صياغة ابن جنىّ للمصطلح الصوتي: الياء الصغيرة الكسرة والياء الكبيرة ـ والواو والفتحة أيضاً.

(١٠٥٢) المماثلة هي التأثير بالانسجام الصوتي بين أصوات اللغة، فالأصوات في تأثرها تهدف إلى نوع من المشابهة والمماثلة بينها، وذلك ليزداد مع مجاورتها قربها من الصفات أو المخارج، والمماثلة نوعان: إمّا تقدمية أو رجعية. فالأول تأثر الصوت الثاني بالأول أي السابق إلى اللاحق، والثاني تأثر الصوت الأول بالثاني انظر [الأصوات اللغوية: د. إبراهيم أنيس ص١٧٨ ـ ١٨٢] ومثال على المماثلة التقدمية: قلب تاء االافتعال دالاً بعد الزاي نحو «ازدجر» التي أصلها «ازتجر». فجهرت التاء تحت تأثير الزاي المجهورة، فتحولت إلى مقابلها المجهور وهو الدال، ومثال على الرجعية: تحويل فاء الافتعال إذا كانت واواً إلى تاء مثل اتّعد من وعد انظر [دراسة الصوت اللغوي د. أحمد مختار عمر (ص٣٢٤ ـ ٣٢٥) عالم الكتب ـ القاهرة ط٢ ـ ١٩٨١].

(١٠٥٣) انظر [الأصوات اللغوية ـ إبراهيم أنيس ص١٦٠].

(١٠٥٤) انظر [التوجية اللغوي: د. صبري ص٤٦ ـ ٤٧].

٧ - ﴿قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [يونس: ١٦].

أولاً: القراءات:

١ - قرأ ابن كثير بخُلْف عن البزي **(وَلأَدْرَاكُمْ)** بحذف الألف التي بعد اللام فتصير لام توكيد.

٢ - وقرأ الباقون، وهو الوجه الثاني للبزي ﴿وَلَآ أَدْرَىٰكُم﴾ بإثبات الألف، على أنها **(لا)** النافية[(١٠٥٥)].

ثانياً: المعنى اللّغوي للقراءات:

دري: دَرَي الشيء دَرْياً ودِرْياً ودِرايةَ أي عَلِمهُ وأداره به: أي أَعْلَمه[(١٠٥٦)].

ثالثاً: التَّفسير الإجمالي للآية:

هذه الآية بمثابة حجة على الكفار؛ لإثبات صحة ما جاءهم به النبي ﷺ وأنَّ هذا القرآن العظيم هو من عند الله ﴿قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ﴾ أي إنَّ الأمر كله بمشيئة الله، فلو شاء الله عدم تلاوتي له عليكم، بأن لم ينزله علَيّ، ولم يأمرني بتلاوته لفعل ﴿وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ﴾ أي: ولا أعلمكم به ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ﴾ يقول: فقد مكثت فيكم أربعين سنة من قبل أن أتلوه عليكم أي: من قبل نزول القرآن الكريم ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[(١٠٥٧)] يقول الألوسي: «أي ألا تلاحظون ذلك فلا تعقلون امتناع صدوره عن مثلي ووجوب كونه منزلاً من عند الله العزيز الحكيم فإن ذلك غير خاف على من له عقل سليم وذهن مستقيم، بل لعمري أن من كان له أدنى مسكة من عقل، إذا تأمل في أمره ﷺ وأنه نشأ فيها بينهم هذا الدهر

(١٠٥٥) انظر [النشر (٢/٢١٢) تحبير التيسير ص١٣٤].

(١٠٥٦) انظر [لسان العرب (١٤/٢٥٤) مادة دري، منجد الطلاب ص١٩٧ مادة دَرِيَ].

(١٠٥٧) انظر [جامع البيان (١١/٩٥)، والتَّفسير العظيم (٢/٤١٠)، والمقتطف من عيون التفاسير (٢/٤٥٨)].

الطويل من غير مصاحبة العلماء . . .ولا مخالطة للبلغاء . . . لا يبقى عنده اشتباه في أنه وحي نزل من عند الله جل جلاله»[١٠٥٨].

رابعاً: العلاقة التَّفسيرية بين القراءات:

- روى قنبل بطرق عن ابن كثير بحذف الألف التي بعد اللام **(ولأدْرَاكُم)** وروى العراقيون والمغاربة والمصريون قاطبة عن البزي **(ولا أدراكم)** بإثبات الألف، وبذلك قرأ باقي العشرة[١٠٥٩]. وحجة من قرأ بألف أنه عطفه على **(مَا تَلَوْتُهُ)** فأتى بالفعل رباعياً على معنى: ولَوْ شَاء اللّهُ ما أعلمكم به، فعطف نفياً على نفي[١٠٦٠] وإثبات الألف هنا على أنها (لا) النافية.

والتَّفسير على هذه القراءة: قُل لَّوْ شَاء اللّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ، وَلاَ يعلمكم الله به أي: ما أرسلني إليكم فتلوت عليكم القرآن، ولا أعلمكم الله ولا أخبركم به[١٠٦١].

وحجة من قرأ بدون ألف: أنَّه على تقدير أنَّ اللام في **(ولأدراكم)** جواب (لو) المضمرة؛ لأنَّ التقدير، لو شاء الله ما تلوته عليكم، ولو شاء الله لأدراكم به، أي: لأعلمكم به قبل إتياني إليكم، فيكون المعنى على هذا: أنَّ الفعل غير منفي[١٠٦٢] فيكون معنى الآية على هذه القراءة: لو شاء الله لأعلمكم به من غير أن أتلوه عليكم[١٠٦٣] أي: من غير طريقي، وعلى لسان غيري؛ ولكنه يمنّ على من يشاء من عباده، فخصني بهذه الكرامة، ورآني لها أهلاً دون الناس[١٠٦٤].

(١٠٥٨) روح المعاني (٨٢/١١).
(١٠٥٩) انظر [النشر (٢١٢/٢)].
(١٠٦٠) انظر [الكشف (٥١٤/١)].
(١٠٦١) انظر [جامع البيان (٦٢٦/٨)، والبحر المحيط (١٣٢/٥)].
(١٠٦٢) انظر [النشر ٢١٢/٢)، والكشف (٥١٤/١)].
(١٠٦٣) انظر [الجامع لأحكام القرآن (٦٢٦/٨)].
(١٠٦٤) انظر [البحر المحيط (١٣٢/٥)].

خامساً: الجمع بين القراءتين:

بالجمع بين القراءتين أرى المعنى: أنَّ الله - ﷻ - يأمر رسوله بأنْ يقول للكفار: لو شاء الله ما تلوت عليكم هذا القرآن، ولا علمتم به مطلقاً لا مني ولا من غيري، ولو شاء، لأعلمكم به غيري(1065).

٨ - ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾﴾ [يونس: ١٨].

أولاً: القراءات:

١ - أ - قرأ أبو جعفر (**أتنبون**) بحذف الهمزة، وضم ما قبلها(1066).

وكذلك وقف عليها حمزة، وله التسهيل أيضاً(1067).

ب - وقرأ الباقون (**أَتُنَبِّئُونَ**) بالهمز.

٢ - أ - قرأ حمزة والكسائي وخلف (**عَمَّا تشرِكُونَ**)، بالخطاب.

ب - وقرأ الباقون (**عما يشركون**) بالغيب(1068).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

١ - **أَتُنَبِّئُونَ**: مشتق من نبأ، والنَّبأ الخبر، والجمع أنباء، فتكون أتنبئون بمعنى: أتخبرون(1069).

أتنبون: مشتق من نبب أو نب ونبّ التيس ينبُّ نَباً ونبيباً ونُباباً(1070) ونبّ عتوده أي: تكبّر وتعاظم ونبنب: صاح عند

(١٠٦٥) انظر [القراءات وأثرها في التَّفسير والأحكام ق١ (٢/٥٧٣)].

(١٠٦٦) انظر [النشر (١/٣٠٨)].

(١٠٦٧) انظر [المرجع السابق (١/٣٤٥) (١/٣٣٩)].

(١٠٦٨) انظر [النشر (٢/٢١٢)].

(١٠٦٩) انظر [لسان العرب (١/١٩٤ - ١٩٨) مادة نبأ].

(١٠٧٠) انظر [المرجع السابق (١/٨٧٨ - ٨٧٩) مادة نبب].

الهياج[1071] والمعنى: أتصيحون، والنب الصوت المرتفع[1072].

٢ ـ يشرك: مضارع الفعل أشرك، وأشرك بالله أي: جعل له شريكاً في ملكه تعالى الله عن ذلك. والاسم، الشِّرْك، والشِّرك: أن يجعل لله شريكاً في رُبوبيته ـ تعالى الله عن الشركاء والأنداد ـ والشِّرك، كالشّريك[1073].

ثالثاً: التَّفسير الإجمالي للآية:

﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ﴾ بيان لقبائح المشركين، فالضمير في ﴿وَيَعۡبُدُونَ﴾ عائد على كفار قريش، الذين تقدمت محاورتهم، فهم يعبدون الأصنام التي هي جمادات لا تقدر دفع ضرر عنهم، فهي لا تضرهم إن لم يعبدوه ﴿وَلَا يَنفَعُهُمۡ﴾ إن عبدوه ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ وهذا منطق المشركين، وفلسفتهم في الشرك، فهم يؤمنون بوجود الله الذي لا ينكره عاقل أصلاً؛ ولكنهم يشركون بعبادته الأصنام، رجاء شفاعتها عند الله ﴿قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ أي: قل لهم يا محمد، أتخبرون الله تعالى بشريك أو شفيع كائن في السموات والأرض لا يعلمه الله ـ ﷻ ـ وهو علاّم الغيوب، قد أحاط علمه بجميع الكائنات والمخلوقات؟ والاستفهام على سبيل التهكم بما ادّعوه من المحال، ثم نزّه نفسه الكريمة عن شركهم وكفرهم فقال: ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ أي تنزه الله ـ سبحانه وتعالى ـ عمّا يقوله هؤلاء المشركون، وعمّا يفعلونه من إشراكهم في عبادة ما لا يضر ولا ينفع[1074].

رابعاً: العلاقة التَّفسيرية بين القراءات:

القراءة الأولى:

١ ـ قرأ القراء ما عدا أبي جعفر (**أَتُنَبِّئُونَ**) بالهمزة من نبأ ينبىء من

(١٠٧١) انظر [القاموس المحيط (ص١٧٤) مادة نبَّ].

(١٠٧٢) انظر [بصائر التمييز (١٥/٥)].

(١٠٧٣) انظر [لسان العرب (٤٤٨/١٠ ـ ٤٤٩) مادة شرك].

(١٠٧٤) انظر [جامع البيان (٩٨/١١)، البحر المحيط (١٣٤/٥)، صفوة التفاسير (٥٧٦/١)].

الإنباء أي: الإعلام أو الإخبار، والمعنى: أتخبرون الله أنَّ له شركاء في ملكه، يُعبدون كما يعبد، أو أتخبرونه أنَّ لكم شفعاء بغير إذنه، وهو استفهام للإنكار والتوبيخ؛ لأنَّ الله لا يعلم له شريكاً ولا شفيعاً بغير إذنه في ملكوته، وأيضاً عدم وجود الشريك والشفيع لذلك نزّه الله سبحانه نفسه عن إشراكهم.

وقرأ جعفر (**أتنبون**) بدون همز، وهو من النبّ أي الصياح والصوت المرتفع والكبر والتعاظم، فكان هذا الاستفهام مع ما يحمل من إنكار وتوبيخ للمشركين وأقوالهم أيضاً يصف حال المشركين وهم يقولون قولتهم الشنيعة هذه، فكأنّهم حيوانات ينطقون بما لا يعقلون؛ لأن النبّ يُقال للتيس عند الهياج، والله أعلم.

خامساً: الجمع بين القراءتين:

نجد أنَّ قراءة الهمز: استفهام للإنكار والتوبيخ، وقراءة عدم الهمز فيها استهزاء بهم أكثر، ووصف لحالهم وهم يقولون قولهم الشنيع، فكانت صورة الاستهزاء أكثر في هذه القراءة والله أعلم.

القراءة الثانية:

٢ ـ قرأ حمزة والكسائي وخلف (**عَمَّا تشرِكُونَ**) بالتاء على الخطاب، فحجة مَنْ قرأ بالتاء: أنه ردّه على ما قبله من لفظ الخطاب في قوله: ﴿**أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ**﴾ فحمل آخر الكلام على أوله في الخطاب(١٠٧٥)، فيكون المعنى: قل لهم يا محمد: تعالى الله عما يشركون، يا كفرة(١٠٧٦).

وقرأ الباقون ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ بالياء على الغيب، وهو خبر. وحجّتهم قوله تعالى: ﴿**وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ**﴾ ولم يقل: وتعبدون ما لا يضركم، فلذلك جاء الإخبار في قوله: ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ فمن

(١٠٧٥) انظر [الحجة: ابن زنجلة ص٣٢٩، والكشف (٥١٥/١)].

(١٠٧٦) انظر [الحجة: ابن خالويه ص١٠١، وإعراب القراءات السبع: ابن خالويه (٢٦٥/١)].

قرأ بالياء، احتمل وجهين:

أحدهما: على ﴿قلْ﴾، كأنه قيل له أي للرسول ﷺ قل أنت: ﴿سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾. **والوجه الآخر**: على أنه يكون هو سبحانه نزَّه نفسه عما افترَوْه فقال: ﴿سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[١٠٧٧].

الجمع بين القراءتين:

أرى أنّ من قرأ بالياء فهو خبر، ونوع من الالتفات من الخطاب إلى الغيبة، وقد سبق ذكر فائدة الالتفات[١٠٧٨]. أمّا من قرأ بالتاء، فهو مخاطبة، وهذا نوع من تلوين الأسلوب، مما يعطي جمالاً ورونقاً في أسلوب القرآن الكريم، والله أعلم.

٩ ـ ﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَاۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًاۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [يونس: ٢١].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ رَوح (**يمْكُرُونَ**) بالغيب.

٢ ـ وقرأ الباقون (تَمْكُرُونَ) بالخطاب[١٠٧٩].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

المكر: الاحتيال في خُفية، والمكر: الخديعة والاحتيال، مَكَرَ يَمْكُر مكراً مَكَرَ به.

ومكر الله: إيقاع بلائه بأعدائه دون أوليائه، وقيل: هو استدراج العبد بالطاعات، فيتوهم أنّها مقبولة، وهي مردودة[١٠٨٠].

(١٠٧٧) انظر [الكشف (٥١٥/١)، الحجة ابن زنجلة ص٣٢٩، وانظر الحجة: أبو علي الفارسي (٢٦٤/٤)].

(١٠٧٨) راجع ص٢٤٦ ـ ٢٤٧.

(١٠٧٩) انظر [النشر (٢١٢/٢)].

(١٠٨٠) انظر [لسان العرب (١٨٣/٥ ـ ١٨٤) مادة مكر].

ثالثاً: المعنى الإجمالي:

بعد أن ردّ الله ـ تعالى ـ على المشركين الطّالبين إنزال آية كونية غير القرآن، بأنّ هذا من الغيب المستأثِر به الله ـ تعالى ـ ذكر أنّ المشركين، لا يقنعون بالآيات حتى وَلَو رأوها بأعينهم؛ لأنّ من عادتهم المكر والجحود. قال تعالى: ﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ﴾ أي الكافرين[1081] ﴿رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ﴾ كالمطر بعد القحط، والأمن بعد الخوف، والصحة بعد المرض، ونحو هذا مما لا ينحصر.

وهذه الآية تتناول أيضاً المنافقين، وتتناول من العاصين من لا يؤدي شكر الله تعالى بعد زوال المكروه عنه، ولا يرتدع بذلك عن معاصيه[1082] ﴿إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا﴾ والمكر الجحود بها والرّد لها[1083]، وقال مجاهد: «استهزاءٌ بالرسل، وتكذيبٌ بالقرآن»[1084] ﴿إِذَا لَهُم مَّكْرٌ﴾ جواب ﴿إِذَا﴾ الأولى فإذا جواب إذا تقديره مكروا ومعناه استهزءوا وكذبوا[1085] ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا﴾ يقول ابن كثير: «أي أشد استدراجاً وإمهالاً حتى يظن الظان من المجرمين، أنّه ليس بمعذب، وإنما هو في مهلة ثم يؤخذ على غرّة منه، والكاتبون الكرام يكتبون عليه جميع ما يفعله، ويحصون عليه ثم يعرضونه على عالم الغيب والشهادة، فيجازيه على الجليل والحقير»[1086].

رابعاً: العلاقة التّفسيرية بين القراءات:

ـ قرأ روح (**يمْكُرُونَ**) بالياء على الغيب جرياً على ما قبله في الآية: في قوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [يونس: ٢١].

(١٠٨١) انظر [معاني القرآن: الزجاج (١٢/٣)].
(١٠٨٢) انظر [المحرر الوجيز (١١٢/٣)].
(١٠٨٣) انظر [مجاز القرآن: أبو عبيدة (٢٧٦/١)].
(١٠٨٤) تفسير الإمام مجاهد (٣٨٠/١).
(١٠٨٥) انظر [مشكل إعراب القرآن: مكي بن أبي طالب (٣٤١/١)].
(١٠٨٦) التّفسير العظيم: ابن كثير (٤١٢/٢).

- وقرأ الباقون ﴿تَمْكُرُونَ﴾ بالتاء على الخطاب، وذلك من الالتفاف من الغيبة إلى الخطاب، وذلك مبالغة في الإعلام بمكرهم، والتفاتاً لقوله تعالى ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ فكان التقدير، (**قل لهم**) فناسب الخطاب.

وهذا إن كانت الجملة في حيِّز القول، ويكون (رُسُلَنَا) تحتاج إلى إضافة، فتكون (رسل ربنا). أمّا إن كانت الجملة لم تدخل في حيِّز القول، فتكون قراءة ﴿تَمْكُرُونَ﴾ تعليلاً للأسرعيه، أو الأمر المذكور، فيكون التقدير ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًاۚ﴾؛ لأنَّ رسلنا أو فرسلنا، يكتبون ما تمكرون(١٠٨٧).

خامساً: الجمع بين القراءتين:

قراءة (يَمْكُرُون) على الغيب وقراءة ﴿تَمْكُرُونَ﴾ على الخطاب فيها التفات من الغيب إلى الخطاب، وهذا من أساليب القرآن الجميلة العجيبة، ومع ذلك يفيد أيضاً المبالغة في الإعلام بمكرهم، وصيغة الاستقبال في الفعلين؛ للدلالة على الاستمرار والتجدد(١٠٨٨).

١٠ - ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [يونس: ٢٢].

أولاً: القراءات:

١ - قرأ أبو جعفر وابن عامر (**يَنْشُرُكُم**) بفتح الياء ونون ساكنة بعدها وشين معجمة مضمومة، من النشر، وكذلك هي في مصاحف أهل الشام، وغيرها.

٢ - وقرأ الباقون (**يُسَيِّرُكُمْ**) بضم الياء، وسين مهملة مفتوحة بعدها ياء

(١٠٨٧) انظر [روح المعاني (٩٠/١١)، وحاشية الشهاب (٢٩/٥)].

(١٠٨٨) انظر [روح المعاني (٩٠/١١)].

مكسورة مشددة من التسيير، وكذلك هي في مصاحفهم(١٠٨٩).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

يَنْشُرُكُم: من النَّشر، وهو الريح الطيبَّة، والنشر خلاف الطيِّ، كالتنشير والتّفريق(١٠٩٠).

يُسَيِّرُكُمْ: من السَّيْر أي الذهاب، سار يسيرُ سيراً ومَسِيراً وتسياراً ومسيرة، وسار القوم يسيرون سَيْراً ومسيراً، إذا امتدَّ بهم السَّير في جهة توجهوا لها، والسير بالنهار وبالليل(١٠٩١).

ثالثاً: المعنى الإجمالي للآية:

يقول تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ أي: هو تعالى بقدرته الذي يحملكم في البرّ على الدواب، وفي البحر على السُّفن التي تسير فوق سطح الماء ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ﴾ وهي السفن ﴿وَجَرَيْنَ بِهِم﴾ أي جرت السفن بالناس، وهو أسلوب التفات من الخطاب إلى الغيبة للمبالغة، وذلك لتعجبه من حالهم وإنكاره عليهم ﴿بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ في البحر ﴿وَفَرِحُوا۟ بِهَا﴾ بتلك الريح لطيبها ﴿جَآءَتْهَا﴾ فأجاءتها ﴿رِيحٌ عَاصِفٌ﴾ عصفت ريح شديدة عليهم أو باتجاههم ﴿وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ﴾ وجاءهم الموج، وهو ما ارتفع من الماء من كل مكان من البحر ﴿وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ﴾ أيقنوا بأنهم دنوا من الهلاك ﴿دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ تركوا الشرك، وأخلصوا لله الربوبية وقالوا: ﴿لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ﴾ الأهوال وهذه الريح العاصفة ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ الطَّائعين الموِّحدين وورد كلمة ﴿ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ بصيغة اسم الفاعل للمبالغة والدِّلالة على الاستمرار في الشكر، والثبوت عليه(١٠٩٢).

(١٠٨٩) انظر [النشر (٢/٢١٢)].

(١٠٩٠) انظر [القاموس المحيط ص٦٢٠ مادة نشر].

(١٠٩١) انظر [لسان العرب (٤/٣٨٩) مادة سير].

(١٠٩٢) انظر [جامع البيان (١١/١٠٠)، المحرر الوجيز (١/٤٩٤)، المقتطف من عيون التفاسير (٢/٤٦٢)].

رابعاً: العلاقة التّفسيرية بين القراءات:

- قرأ أبو جعفر وابن عامر (**يَنْشُرْكُم**) بفتح الياء، وإسكان النون، وضم الشين، من النشر وهو التفريق الذي هو خلاف الطّي ومن البث.

وحجّتهم أنها في المعنى مثل قوله تعالى: ﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾ [النساء: ١]، وقوله أيضاً: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ﴾ [الشورى: ٢٩] وقوله تعالى: ﴿فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الجمعة: ١٠] فالبثّ تفريق ونشر في المعنى، فيكون معنى النشر في البحر: أي ينشرهم سبحانه في البحر، فيُنجي من يشاء ويُغرق من يشاء، وأيضاً المعنى: هو الذي يبثكم ويفرقكم في البر والبحر.

- وقرأ الباقون ﴿يُسَيِّرُكُمْ﴾ بضم الياء، وفتح السين، من السير أي: يجعلكم تسيرون، وحجتهم في المعنى قوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ١١، النمل: ٦٩، العنكبوت: ٢٠، الروم: ٤٢].

ومعنى تسييرهم في البر أنهم يمشون على أقدامهم التي خلقها لهم؛ لينتفعوا بها، ويركبون ما خلقه الله لركوبهم من الدواب، ومعنى تسييرهم في البحر، أنه ألهمهم لعمل السفائن التي يركبون فيها في البحر، ويسّر ذلك لهم، ودفع عنهم أسباب الهلاك. والمعنى العام: يحفظكم إذا سافرتم(١٠٩٣).

خامساً: الجمع بين القراءتين:

الله ـ سبحانه وتعالى ـ يبعث عباده، فيبسطهم من النشر، نشر الثوب بسطه، براً وبحراً ثم ييسّر لهم، ويدفع عنهم أسباب الهلاك، فالله يحفظهم في السفر براً وبحراً.

وإسناد التسيير إلى الله، بإعتبار أنه سببه، و﴿حَتَّىٰٓ﴾ هنا ابتدائية، وهي غاية للتسيير فمجيء الريح العاصفة هو غاية التسيير الهنيء المنعم به، إذ

(١٠٩٣) انظر [الحجة: أبو علي الفارسي (٤/٢٦٥ ـ ٢٦٦)، الحجة: ابن زنجلة ص٣٢٩، الكشف (١/٥١٦)، فتح القدير ٠٢/٥٤٣)].

حينئذ ينقلب التسيير كارثة ومصيبة(١٠٩٤).

١١ ـ ﴿فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [يونس: ٢٣].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ حفص (**مَتَاعَ**) بنصب العين.

٢ ـ وقرأ الباقون (**مَتَاعُ**) برفع العين(١٠٩٥).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

مَتَاعَ: مصدر متع، وهو ماتع والماتع من كل شيء: البالغ في الجودة الغاية في بابه، وقد نقل ابن منظور عن الأزهري قوله: «فأمّا المتاعُ في الأصل فكل شيء ينتفع به، ويُتبلّغ به، ويُتزوّدُ والفناء يأتي عليه في الدنيا»(١٠٩٦).

ثالثاً: المعنى الإجمالي للآية:

قوله تعالى ﴿فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ﴾ أي خلّصهم، وأنقذهم من الغرق والهلاك ﴿إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ أي يعملون في الأرض بالفساد والمعاصي، فالبغي هو الفساد والشر ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ أي: بالتكذيب، منهم أخلفوا الله ما وعدوه، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم﴾ أي: إنّما يذوق وبال هذا البغي أنتم أنفسكم، ولا تضرون به أحداً غيركم ﴿مَتَاعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ أي: إنّما بغيكم على أنفسكم متاعاً لكم في الحياة الدنيا ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا

(١٠٩٤) انظر [التحرير والتنوير (٥٤٣/١١)].

(١٠٩٥) انظر [النشر (٢١٢/٢)].

(١٠٩٦) لسان العرب (٣٢٨/٨ ـ ٣٢٩) مادة متع.

﴿مَرْجِعُكُمْ﴾ مصيركم بعد الموت ﴿فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ نخبركم يوم القيامة بجميع أعمالكم ونجازيكم بها[1097].

وخلاصة المعنى: أنَّ الله اختبر بني آدم بالتكاليف في الدنيا التي هي دار العمل، فمن عمل صالحاً فلنفسه، ومن أساء فعليها، ولكن هناك فريق من الناس، يبغون في الأرض الفساد مقابل ثمن بخس، يتمتعون به في الدنيا، هؤلاء عندما يُرَدون إلى الله تعالى يوم القيامة، سيخبرهم بما كانوا يعملون.

رابعاً: العلاقة التَّفسيرية بين القراءات:

هذه الآية تعتبر مثالاً في التطبيق على القواعد التحويلية التوليدية، حيث تتحول الكلمة في التركيب النحوي من موقع إلى موقع آخر، وتتبوأ وظيفة بعد أخرى، فيتولد من ذلك النظم، لطائف معاني النحو بين الكلم.

قرأ حفص (متَاعَ) بنصب العين، ولسوف تتبوأ الكلمة هذه الوظائف مولدة هذه المعاني[1098].

١ ـ مفعول له، والعامل هو المصدر (البغي) والبغي هو الترامي إلى الفساد أو العمل بالظلم[1099]، والبغي هو الطلب[1100]، وهنا الطلب المذموم، وهو الذي نهى عنه رسول الله ﷺ حيث يقول: (لا تبغ ولا تكن باغياً) فإن الله يقول: ﴿إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ [يونس: ٢٣][1101] والمعنى على هذا الوجه: إنّما بغيُ بعضكم على بعض، لأجل متاعِ الحياة الدنيا

(١٠٩٧) انظر [جامع البيان (١٠١/١١)، الجامع لأحكام القرآن (٦٣١/٨)، الأساس في التَّفسير (٢٤٤٢/٥)].

(١٠٩٨) انظر [التوجية اللغوي: د. صبري ص٢٢٨ ـ ٢٢٩].

(١٠٩٩) انظر [معاني القرآن: الزّجاج (١٤/٣)، معاني القرآن: النّحاس (٤٧٩/١)].

(١١٠٠) انظر [المصباح المنير ص٣٩].

(١١٠١) هذا الحديث عن أبي بكرة ـ ﷺ ـ ذكره الحاكم النيسابوري في كتابه المستدرك على الصحيحين (٣٦٩/٢) ـ ٢٧ كتاب التَّفسير/: باب تفسير سورة يونس رقم ٣٢٩٨ وقال عنه: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه».

و(على) متعلقة بـ (البغي) في صلته، وخبر البغي محذوف، تقديره (إنَّما بغي بعضكم على بعض) لأجل طلب الدنيا مذموم أو مكروه.

٢ ـ مفعول به وناصبه ﴿بَغْيُكُمْ﴾ على تأويل إنمّا طلبكم (بغيكم) على أنفسكم متاع الدنيا.

٣ ـ مفعول به بعد فعل محذوف مناسب، والتقدير: إنمّا بغيكم على أنفسكم، تبغون متاع الحياة الدنيا، ودلّ ﴿بَغْيُكُمْ﴾ على (**تبغون**) المحذوف.

٤ ـ مصدر مؤكد لعامله، أو مفعول مطلق مؤكد، والتقدير: إنمّا بغيكم على أنفسكم تتمتعون متاع الحياة الدنيا، فيكون (على أنفسكم) خبراً للبغي، غير داخل في صلة البغي.

٥ ـ مصدر في موضع الحال، وفي هذا يقول ابن مالك(١١٠٢):

ومصدرٌ منكرٌ حالاً يقع   بكثرةٍ كـ(بغتةٍ) زيد طلع(١١٠٣)

والتقدير: إنمّا يبغي بعضكم على بعض، متمتعين متاع الحياة الدنيا.

٦ ـ مصدر نائب عن ظرف الزمان، وفي هذا يقول ابن مالك:

وقد ينوب عن مكان مصدر   وذاك في ظرف الزمان يكثر(١١٠٤)

والتقدير: إنما بغيكم على أنفسكم، وقت متاع الحياة الدنيا ومن ذلك: آتيك طلوعُ الشمس، وقدوم الحاج أي: وقت الطلوع، ووقت القدوم، أو تقدير الحذف، مدة الحياة.

(١١٠٢) هو محمد بن عبد الله بن مالك أبو عبد الله الأندلسي الإمام النحوي ولد بجيان سنة ٥٩٨هـ وقيل ٦٠٠هـ وتوفي بدمشق سنة ٦٧٢هـ انظر [غاية النهاية (٢/١٨٠) ترجمة ٣١٦٣)].

(١١٠٣) انظر [متن الألفية للعلامة الهمام جمال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله ابن مالك الأندلسي ص٢٦ ـ المطبعة الخيرية: مالكها السيد عمر حسن القاهرة ـ مصر ـ ط سنة ١٣١٩هـ (وحيث يأتى ذكره، سأكتفى بقولي متن الألفية)].

(١١٠٤) انظر [متن الألفية ص٢٤].

٧ ـ منصوب بنزع الخافض، والتقدير لمتاع الدنيا[١١٠٥].

وقرأ الباقون (مَتَاعُ) وهي قراءة واضحة الإعراب، والجماعة عليها، والموقع الإعرابي خبر على أي حال:

١ ـ خبر لـ﴿بَغْيُكُمْ﴾ على أساس اتصال الجملة، و﴿بَغْيُكُمْ﴾ مبتدأ و﴿عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ مفعول معنى فعل البَغْي والمعنى: بَغْيُ بعضكم على بعض، منفعةُ الحياة الدنيا ولا بقاء لها.

٢ ـ خبر لمبتدأ محذوف على أساس الاستئناف فيكون ﴿بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۖ﴾ قد تمَّ الوقف عليه ثم نبتدئ: ﴿مَتَاعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ على تقدير: هو متاع الحياة الدنيا.

فالتقدير: بغي بعضكم، وباله واقع على بعض، ذلك هو متاع الحياة الدنيا، ويجوز أن يكون خبراً ﴿عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۖ﴾ ونضمر مبتدأ أي ذلك متاع الحياة الدنيا[١١٠٦].

خامساً: الجمع بين القراءتين:

تبين أنّ الكلمة في التركيب النحوي تتحول من موقع إلى موقع آخر، ويتولد نتيجة ذلك معاني النحو بين الكلم، فهذا الموضع شاهد على القواعد التحويلية التوليدية، حيث إنّ الكلمة تحتمل أكثر من معنى وأكثر من إعراب، فكانت القراءات سبباً في اختلاف النحاة في توجيه الآية القرآنية من حيث إعرابها وهذا الأسلوب أسلوب الإعجاز في القرآن[١١٠٧] والإيجاز، فنجد ملاءمة دقيقة بين وجازة الكلام وبين فزعهم المستخف وقلوبهم المستطارة، ففي هذا الإيجاز، تلخيص لِما في داخلهم من الضغائن

(١١٠٥) انظر [الكشف (٥١٦/١)، والحجة أبو علي الفارسي (٢٦٧/٤)، الفريد في إعراب القرآن المجيد (٥٤٨/٢)، الجامع لأحكام القرآن (٦٣١/٤)].

(١١٠٦) انظر [معاني القرآن: الزجاج (١١٤/٣)، إعراب القراءات السبع: ابن خالويه (٢٦٦/١)، الحجة: ابن زنجلة ص٣٣٠، الجامع لأحكام القرآن (٦٣١/٨)].

(١١٠٧) انظر [التوجيه اللغوي والبلاغي: د. صبري ص ٢٢٩].

والأحقاد، لكل من يحيطون بهم(1108).

١٢ - ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [يونس: ٢٧].

أولاً: القراءات:

١ - قرأ ابن كثير ويعقوب والكسائي **(قِطْعاً)** بإسكان الطاء.

٢ - وقرأ الباقون **(قِطَعاً)** بفتح الطاء(1109).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

قِطْعاً: إذا أُسكنت الطاء فمعناه «بعضاً من الليل»، والجمع أقطاع من الليل أي ساعات من الّليل(1110). وهو أيضاً اسم ما قطع يقال: قَطعَهُ قَطْعاً.

قِطَعاً: بفتح الطاء جمع قِطَعَةٌ، واسم ما قطعت قطع(1111) وقال عامة الناس: قِطَعاً يريدون به جماعة (القِطْعَة)(1112).

ثالثاً: التّفسير الإجمالي للآية:

أخبر الله - تعالى - في الآية التي تسبق هذه الآية عن حال السّعداء الذين يُضَاعف لهم الحسنات، ويزدادون على ذلك، ثم عطف على ذلك بذكر حال الأشقياء في هذه الآية، فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ﴾ أي عملوا الشرك وعملوا السيئات في الدنيا، ﴿جَزَاءُ سَيِّئَةٍ﴾ أي فلهم جزاء سيئة ﴿بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ يصيبهم ويعتريهم ذلّ، وخزيٌ، وهوان بعقاب الله لهم

(١١٠٨) انظر [الإعجاز البلاغي دراسة تحليلية لتراث أهل العلم: د. محمد محمد أبو موسى ص٩٣ - مكتبة وهبه الجمهورية - عابدين المحرم ١٤٠٥هـ سبتمبر ١٩٨٤م].

(١١٠٩) انظر [النشر (٢/٢١٢)].

(١١١٠) انظر [مجاز القرآن (١/٢٧٨)].

(١١١١) انظر [معاني القرآن النحاس (١/٤٨١)].

(١١١٢) انظر [معاني القرآن: الأخفش (٢/٥٦٨)].

﴿مَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍۖ﴾ من مانع يمنعهم ﴿كَأَنَّمَآ أُغۡشِيَتۡ﴾ ألبست ﴿وُجُوهُهُمۡ قِطَعًا﴾ طائفة ﴿مِّنَ ٱلَّيۡلِ﴾ وهو مظلم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ أي: هؤلاء الموصوفون بما ذكر من الصفات الذميمة، هم أهل النار، لا يخرجون منها أبداً(١١١٣).

رابعاً: العلاقة التَّفسيرية بين القراءات:

قرأ ابن كثير ويعقوب والكسائي **(قِطْعاً)** بإسكان الطاء، والقطع: ظلمة آخر الليل، أو طائفة من الليل، وهو أيضاً اسم للشيء المقطوع، والقطْع: اسم للجزء من زمن الليل المظلم، قال تعالى: ﴿فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ﴾ [هود: ٨١] وهذا يراد به الجزء من زمان الليل، وفي هذه الآية، الجزء من سواده(١١١٤).

(ومُظْلِماً) على هذه القراءة يَحتمل نصبه وجهين **أحدهما**: أن يكون صفة للقطع، ووصف بذلك مبالغة في وصف وجوههم بالسواد.

والثاني: يجوز أن يكون حالاً من الضمير الذي في الظرف في قوله: **(مِنَ اللَّيلِ)** ويكون المعنى: أي قطْعاً مستقرة من الليل، أو كائنه من الليل في حال إظلامه. ويجوز أنْ يكون **(قِطْعاً)** جمع قطعة أي اسم جنس، فيجوز حينئذ وصفه بالتذكير نحو (نخلٌ منقعر) [القمر: ٢٠] والتأنيث نحو: نخل خاوية [الحاقة: ٧](١١١٥) ووصف الليل وهو زمن الظلمة بكونه قِطَعاً، لإفادة تمكين الوصف منهم، كقوله، ليل أليل وظل ظليل، فالمراد من الليل الشديد الإظلام باحتجاب نجومه، وتمكن ظلمته، شبهت قترة وجوههم بظلام الليل(١١١٦).

وقرأ الباقون **(قِطَعاً)** بفتح الطاء، نحو سِدَر، سِدْره وكِسَر، كِسْرة،

(١١١٣) انظر [جامع البيان (١١/١٠٩ ـ ١١١)، تفسير القرآن العظيم (٢/٤١٥)].

(١١١٤) انظر [الكشف (١/٥١٧)، والحجة: أبو علي الفارسي (٤/٢٧٠)، البحر المحيط ٥/١٥٠، الدر المصون ٦/١٨٦)].

(١١١٥) انظر [الدر المصون (٦/١٨٧)].

(١١١٦) انظر [التحرير والتنوير (١١/١٤٩)].

وهو جمع قطعة وهي الجزء من الشيء سمّي قطعة؛ لأنه يقتطع كله غالباً فهي فعْله بمعنى مفعول نقلت إلى الإسمية[1117] واختاروا الجمع؛ لأنّ معنى الكلام كأنّما أغشي وجه كل إنسان منهم قطعة من الليل ثم جمع ذلك؛ لأنّ الوجوه جماعة وجعلوا ﴿مُظۡلِمًاۚ﴾ حالاً من الليل، فيكون المعنى أغشيت وجوههم قطعاً من الليل في حال ظلمة[1118] وقطعاً منصوب بأغشيت مفعولاً ثانياً.

ومن فتح فيه المبالغة في سواد وجوه الكفار، ويكون ﴿مُظۡلِمًاۚ﴾ حالاً من الليل ولا يكون حالاً من القطع ولا من الضمير في ﴿ٱلَّيۡلِ﴾؛ لأنّ ذلك جمع و﴿مُظۡلِمًاۚ﴾ واحد[1119].

خامساً: الجمع بين القراءتين:

بالجمع بين القراءتين أرى: أنّ (قطَعاً) بالفتح فيه مبالغة في سواد وجوه الكفار؛ لأنّه جمع قطعة، فزادت في المعنى بزيادة السواد فيه، فكأنّ وجوههم مغطاةٌ بالسّواد الشّديد، فقراءة الفتح وضحت قراءة السكون والله أعلم.

١٣ ـ ﴿هُنَالِكَ تَبۡلُواْ كُلُّ نَفۡسٖ مَّآ أَسۡلَفَتۡۚ وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۖ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ٣٠﴾ [يونس: ٣٠].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ حمزة والكسائي، وخلف (تتلو) بتاءين من التلاوة.

٢ ـ وقرأ الباقون (تبلو) بالتاء والباء من البلوى[1120].

ثانياً: المعنى اللُغويّ للقراءات:

(١١١٧) انظر [المرجع السابق نفس الصفحة].

(١١١٨) انظر [الحجة: ابن زنجلة ص ٣٣٠].

(١١١٩) انظر [المرجع السابق، وانظر الكشف ١/٥١٧)].

(١١٢٠) انظر [النشر (٢/٢١٢)].

١ ـ تتلو: من الفعل تلا تلوته أتلوه، وتلوت عنه تلواً وتلاوة وتلوته تلواً: تبعته، وتلوت القرآن تلاوةً: أي قرأته[١١٢١].

٢ ـ تَبْلُو: من الفعل بلا، بَلَوْتَ بلواً بلاءً وابتليته أي اختبرته، والاسم البَلْوَى والبِلْوَة والبِلْيَةُ والبَلِيّةُ والبلاء، والبلاء يكون في الخير والشر، يقال: ابتليته بلاءً حسناً وبلاءً سيئاً[١١٢٢].

ثالثاً: التَّفسير الإجمالي للآية:

قال تعالى: ﴿هُنَالِكَ﴾ هو ظرف أي: في ذلك الزمان أو ذلك المكان ﴿تَبْلُوا۟ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ﴾. أي في ذلك الوقت تختبر كل نفس بما قدمت من خير أو شر، وتنال جزاء ما عملت ﴿وَرُدُّوٓا۟﴾ إلى الله مولاهم الحق، أي ورجعت الأمور كلها إلى الله الحكم العدل المقسط ﴿وَضَلَّ عَنْهُم﴾ أي ذهب وغاب عن المشركين ﴿مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ أي ضاع عنهم ما كانوا يعبدون من دون الله افتراءً عليه، وأنها تقربهم منه زلفى، وفي الآية تبكيت شديد للمشركين[١١٢٣].

رابعاً: العلاقة التَّفسيرية بين القراءات:

قرأ جماعة من أهل الكوفة، وبعض أهل الحجاز (تتلو كلُّ نفسٍ ما أسلفت) بالتاء. واختلف قارئوا ذلك كذلك، في تأويله فقال بعضهم: تتلو من تبع يتبع، فيكون المعنى:

هنالك تتبع كلُّ نفس ما أسلفت من عمل، أي تتبع كلُّ نفس ما قدمته من عمل، فيسوقها إلى الجنة أو إلى النار.

وقال البعض الآخر: تتلو من «التلاوة» منهم لأعمالهم، وهي القراءة لها من كتاب أعمالهم، فهو يتلوا كتاب حسناته وسيئاته، يعني يقرؤها يوم

(١١٢١) انظر [لسان العرب (١٤/١٠٢ ـ ١٠٥)].

(١١٢٢) انظر [المرجع السابق (١٤/٨٣ ـ ٨٤) مادة بلا].

(١١٢٣) انظر [جامع البيان (١١/١١٢ ـ ١١٣)، تفسير القرآن العظيم (٢/٤١٦)، صفوة التفاسير: محمد علي الصابوني (٠١/٥٨٢)].

القيامة. واستدلوا بقوله تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يَقۡرَءُونَ كِتَٰبَهُمۡ﴾ [الإسراء: ٧١]، وقوله: ﴿ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ﴾ [الإسراء: ١٤] ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ﴾ [الكهف: ٤٩].

وقرأ الباقون ﴿تَبۡلُواْ﴾ بالتاء والباء من البلوى أي الاختبار، وهو هنا كناية عن التحقق وعلم اليقين. والمعنى: أنها تختبر حالته وثمرته، فتعرف ما هو حسن ونافع، وما هو قبيح وضار، إذا قد وضح لهم ما يفضي إلى النعيم بصاحبه وضده، كما يعرف الرجل الشيء باختباره. أو تَبْلُو بمعنى تَخْبُر: أي تعلم كلُّ نفسٍ ما قدَّمت(١١٢٤).

خامساً: الجمع بين القراءتين:

يقول الطبري: «إنهما قراءتان مشهورتان، قد قرأ بكل واحدة منهما أئمة من القراء، وهما متقاربتا المعنى، وذلك أنَّ من تبع في الآخرة ما أسلف من العمل في الدنيا، هجم به على مورده، فيخبر هنالك ما أسلف من صالح أو سيء في الدنيا، وإن من خير من أسلف في الدنيا من أعماله في الآخرة، فإنما يخبر بعد مصيره إلى حيث أحله ما قَدَّمَ في الدنيا من عمله، فهو في كلتا الحالتين متْبع ما أسلف من عمله، مختبر له»(١١٢٥).

وبالجمع بين القراءتين يتبين: أنّ الله ـ سبحانه ـ يخبر أنَّه في ذلك الموقف والمقام المقتضي للحيرة والدهشة، تتبع كلُّ نفس ما أسلفت من عمل، وتتلوه وتقرأه وتختبره، فتعرف كيف هو؛ ليجزي به(١١٢٦).

ومن ثمرة الخلاف في القراءتين أيضاً: إضافة معنى جديد في تفسير الآية، حيث يلزم الاعتقاد أنّ العبد يوم القيامة يتلو ما أسلف. ويبلو ما أسلف، وبذلك يندفع عنه توهمه، ضياع بعض عمله في تلاوة الصحائف،

(١١٢٤) انظر [جامع البيان: (١١/١١٢ ـ ١١٣)، (البحر المحيط ١٥٣/٥)، التحرير والتنوير (١٥٣/١١) الكشف (٥١٧/١)، معاني القراءات ص ٢٢٣، الحجة: ابن زنجلة (١٠١ ـ ١٠٢)].

(١١٢٥) انظر [جامع البيان (١١٣/١١)].

(١١٢٦) انظر [القراءات وأثرها في التَّفسير ق (٥٧١/٢)].

ويندفع عنه توهمه، أنّه لم يؤت جزاء ما عمل بابتلاء الصحائف. فهذه المسألة من الغيبيات التي يكلف المؤمن باعتقادها، لذلك نرى أنّ كل واحد من المعنيين، دلّت عليه قراءة متواترة يجب على المسلم التصديق، والالتزام بها[(١١٢٧)].

١٤ ـ ﴿كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓاْ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [يونس: ٣٣].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ الكوفيون، ويعقوب وابن كثير وابن عمرو ﴿كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ بغير ألف على التوحيد.

٢ ـ وقرأ نافع وابن عامر وأبو جعفر (كَلماتُ ربك) بألف على الجمع[(١١٢٨)].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

كلم القرآن أي: كلام الله وكلم الله وكلماته وكلمته، وكلام الله لا يحد ولا يعد، و(الكلمة) لغة تميميّة[(١١٢٩)] و(الكلمة) اللفظة حجازية[(١١٣٠)] وجمعها كَلِم، تذكر وتؤنث.

وكلمة ربك: تعني أمر الله[(١١٣١)].

(١١٢٧) انظر [القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني ص ٢١١].

(١١٢٨) انظر [النشر (١٩٧/٢)، (٢١٢/٢)].

(١١٢٩) نسبة إلى تميم بن مرّة، وهذه النسبة تنتسب إليها جماعة من الصحابة والتابعين إلى زماننا هذا انظر [الأنساب (٤٧٨/١ ـ ٤٨١)، النسب: لأبي عبيد القاسم بن سلام ـ ص٢٠٨ ـ دار الفكر ـ ط١ ـ ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م ـ تحقيق ودراسة: مريم محمد خير الحرع، تقديم: د. سهيل زكّار (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي النسب)].

(١١٣٠) نسبة إلى الحجاز وهي مكّة وما يتعلق بها إلى المدينة يقال لها الحجاز انظر [الأنساب (١٧٥/٢ ـ ١٧٦)].

(١١٣١) انظر [لسان العرب (٥٢٢/١٢ ـ ٥٢٥) مادة كلم].

ثالثاً: التَّفسير الإجمالي للآية:

﴿كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ الكاف الداخلة قبل اسم الإشارة كاف للتشبيه والمشبه به هو المشار إليه، وهو حالهم وضلالهم. فالمعنى: كما كفر هؤلاء المشركون، واستمروا على شركهم وعبادتهم مع الله غيره، بالرغم من أنهم يعترفون بأنه الخالق الرازق المتصرف في الملك وحده، فكما حقت عليهم كلمة الله، أنَّهم لا يؤمنون بسبب إصرارهم وتعنتهم على محاربة الحق، فكذلك حقت كلمة الله، أي وجب عليهم قضاء الله وكلمة السابق ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓاْ﴾ أي الذين خرجوا عن الطاعة وكفروا وكذَّبوا ﴿أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ فحق على كل فاسق، أن لا يؤمن فتكون كلمة العذاب حقت عليهم، لضلالتهم، ولشقاوتهم(١١٣٢).

رابعاً: العلاقة التَّفسيرية بين القراءات:

قرأ نافع وابن عامر وأبو جعفر: كلمات بالجمع وإنما اختاروا ذلك؛ لأنها مكتوبة في المصحف بالتاء، فعملوا في ذلك على السَّواد، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ [الأنعام: ١١٥].

وكلمات على الجمع على الأصل لأنّ كلمات الله كثيرة، أو أنه جعل الكلم التي تُوُعِّدُوا بها كل كلمة واحد منها كلمة، ثم جمع فقال: كلمات.

وقرأ الباقون **(كَلِمَت)** بالتوحيد ﴿أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ في موضع بدل من كلمت، وحجة إجماع الجميع على التوحيد في قوله ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا﴾ [الأعراف: ١٣٧]، [الأنعام: ١١٥] فردّوا ما اختلفوا فيه إلى ما أجمعوا عليه، والحجّة لمن وحَّدَ أيضاً: أنه ينوب الواحد في اللفظ عن الجميع.

وقراءة (كَلِمَت) الإفراد احتمل وجهين:

الوجه الأول: أنه يجوز أن يكون جُعل ما أُوعد به الفاسقون كلمةً،

(١١٣٢) انظر [التَّفسير القرآن العظيم (٤١٦/٢)، جامع البيان (١١٤/١١)، الأساس في التفسير (٢٤٥٥/٥)].

وإن كانت في الحقيقة كلماً؛ لأنهم قد يسمون القصيدة والخطبة كلمة، وكذلك ما تُوُعِّدَ به الفاسقون من نحو قوله سبحانه: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمۡ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [السجدة: ٢٠] كلمة تبقى له.

الوجه الثاني: يجوز أن يكون ﴿كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ التي يراد به الجنس وقد أُوقعت على بعض الجنس، كما أُوقع الجنس على بعضه في قوله سبحانه ﴿وَإِنَّكُمۡ لَتَمُرُّونَ عَلَيۡهِم مُّصۡبِحِينَ ۝١٣٧ وَبِٱلَّيۡلِۚ﴾ [الصافات: ١٣٧ ـ ١٣٨][١١٣٣].

خامساً: الجمع بين القراءتين:

أرى: أنَّ من قرأ بالإفراد ومن قرأ بالجمع، فإن المعنى واحد؛ لأنّ الكلمة تطلق على مجموع الكلام، ولأن الجمع يكون باعتبار تعدد الكلمات، أو باعتبار تكرر الكلمة الواحدة بالنسبة لأناس كثيرين[١١٣٤].

وأيضاً يعتبر هذا الموضع شاهداً على جواز جمع المصدر لاختلاف الأنواع حيث إنّ (كَلِمَت) بصيغة الإفراد مصدر، والأصل في المصدر أن يفرد؛ لأنه دال على الجنس كله، بمعنى أن يقع على الكثير والقليل بلفظ واحد[١١٣٥].

١٥ ـ ﴿قُلۡ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهۡدِي لِلۡحَقِّۗ أَفَمَن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهۡدَىٰۖ فَمَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ۝٣٥﴾ [يونس: ٣٥].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ ابن كثير وابن عامر وورش (لا يَهَدِّي) بفتح الياء والهاء، وتشديد الدال.

(١١٣٣) انظر [الحجة: ابن خالويه ص٨٠، إعراب القراءات: ابن خالويه (٢٦٧/١ ـ ٢٦٨)، الحجة: أبو علي الفارسي (٢٧٣/٤ ـ ٢٧٤)].

(١١٣٤) انظر [التحرير والتنوير (١٦٠/١١)].

(١١٣٥) انظر [الكشف (٥٠٥/١)، التوجيه اللغوي: د. صبري (٢١٨/٢١٩)].

٢ ـ وقرأ أبو جعفر وقالون (لا يَهْدِّي) بفتح الياء، وإسكان الهاء مع تشديد الدال.

٣ ـ وقرأ حمزة والكسائي وخلف (لا يَهْدِي) بفتح الياء، وإسكان الهاء، وتخفيف الدال (أي كسرها بلا تشديد).

٤ ـ وقرأ يعقوب وحفص (لا يَهِدِّي) بفتح الياء، وكسر الهاء، وتشديد الدال.

٥ ـ قرأ شعبة (أبو بكر) (لا يِهِدِّي) بكسر الياء والهاء، وتشديد الدال.

٦ ـ قرأ أبو عمرو، وقالون بخلف عنه (لا يَهَدِّي) بفتح الياء، واختلاس فتحة الهاء مع تشديد الدال(١١٣٦).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

الهدى ضد الضلال وهو الرَّشاد، والدِّلالة على طريق الحق.

نقل ابن منظور عن ابن جني قال فيمن قرأ (أَمَّنْ لا يَهِدِّى إلا أن يُهْدَى)، بالتقاء الساكنين فيمن قرأ به، قال: «لا يخلو من أحد أمرين: إما أن تكون الهاء مسكنة البته، فتكون التاء من يهتدي مختلسة الحركة، وإما أن تكون الدال مشددة، فتكون الهاء مفتوحة بحركة التاء المنقولة إليها أو مكسورة لسكونها وسكون الدال الأولى»(١١٣٧).

وقال الفراء: معنى قوله تعالى (أَمَّنَ لا يَهِدِّي إلا أن يُهْدَى) يقول: يعبدون ما لا يقدر على النُقلة من مكانه إلا أن يحوَّل وتنقلوه(١١٣٨) وقرأ عاصم (أم من لا يَهدِّي) بكسر الهاء بمعنى يهتديَ، ومن قرأ (أم من لا يَهْدِي) خفيفة، فمعناه يهتدي أيضاً، يقال: هديته فهدى، أي إهتدى(١١٣٩).

(١١٣٦) انظر [النشر (٢/٢١٢)].

(١١٣٧) لسان العرب (١٥/٣٥٣) مادة هَدَيَ.

(١١٣٨) انظر [معاني القرآن: الفراء (١/٤٦٤)].

(١١٣٩) انظر [لسان العرب (١٥/٣٥٤) مادة هدي].

ثالثاً: التَّفسير الإجمالي للآية:

قال تعالى ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ﴾ احتج سبحانه عليهم في التوحيد باحتجاج آخر فقال: قل يا محمد لهؤلاء المشركين، هل من هذه الأصنام التي جعلتموها شركاء لله في العبادة من يهدي الناس إلى الحق والخير وطريق النجاة؟ فإذا قالوا: لا وأقروا بذلك، فقل لهم: الله هو الذي ﴿يَهْدِى لِلْحَقِّ﴾ إلى طريق الرشاد من يشاء ﴿أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ﴾ أي: الله الذي يهدي ويرشد إلى الحق، وأهلَ الحقِّ أحقُّ أن يتبع أمرُهُ أم الأصنام التي لا تهدي أحداً ﴿إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ﴾ يرشد، وهي ـ وإنْ هُديت ـ لم تهتد ولكنَّ الكلام نزل على أنها إن هديت اهتدت؛ لأنهم لما اتخذوها آلهة عُبِّر عنها كما يُعبَّر عمَّن يعلم ﴿فَمَا لَكُمْ﴾ فكأنه قيل: أيُّ شيء لكم في عبادة الأوثان؟ وهذا كلام تام ﴿كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ يعني: كيف تقضون حين زعمتم أنَّ مع الله شريكاً؟[1140] وما لكم، استفهام معناه: التوبيخ والتنبيه[1141].

رابعاً: العلاقة التَّفسيرية بين القراءات:

ـ قرأ ابن كثير وابن عامر وورش (أَمَّن لاَّ يَهَدِّي) بفتح الياء والهاء، وتشديد الدال. وكذلك قرأ أبو عمرو وقالون، غير أنهما اختلسا فتحة الهاء (يَهدِّي) تنبيهاً على أن الهاء ليس أصلها الحركة بل السكون.

ـ وقرأ حمزة والكسائي وعامة قراء أهل المدينة (لا يَهْدِي) بفتح الياء، وإسكان الهاء والتخفيف.

ـ وقرأ حفص بفتح الياء، وكسر الهاء، والتشديد وهي لغة سفلى مضر[1142] (لا يَهِدِّي).

(١١٤٠) انظر [جامع البيان (١١/١١٥)، مجمع البيان (١١/٤٧ ـ ٤٨) معاني القرآن: الزجاج (٣/١٩٠)].

(١١٤١) انظر [مشكل إعراب القرآن مكي بن أبي طالب (١/٣٤٥ ـ ٣٤٦)].

(١١٤٢) مُضَر: قبيلة معروفة ينسب إليها قريش وهو مُضَر بن نزار بن معد بن عدنان، أخو ربيعة بن نزار، وهما القبيلتان العظيمتان اللتان يقال عنهما: أكثر من ربيعة ومُضَر=

- وكذلك قرأ أبو بكر، غير أنه كسر الياء مع كسر الهاء (لا يِهِدِّي).

- وقرأ أهل المدينة - خلا ورش - بفتح الياء، وسكون الهاء، وتشديد الدال (لا يَهْدِّي).

نقل صاحب الدُّر المصون في تفسيره عن المبرد(١١٤٣) قوله: «من رام هذا فلا بد أن يحرك حركة خفيفة».

- وحجّة من قرأ (يَهَدّي، يَهِدِّي، يَهْدِّي، يِهِدِّي).

أصل جميعها: يهتدي على وزن يفتعل، وإن اختلفت ألفاظها أدغموا التاء في الدال؛ لمقاربتها لها، فإنهما من حيز واحد، ثم اختلفوا في تحريك الهاء، فمن قرأ (يَهَدِّى) بفتح الهاء ألقى حركة الحرف المدغم وهو التاء على الهاء، ومن قرأ (يَهِدِّي) بكسر الهاء، فإنه حرّك الهاء بالكسر لالتقاء الساكنين، ومن سكّن الهاء (يَهْدِّي) جمع الساكنين، ومن أشم الهاء، ولم يسكن، فالإشمام في حكم التحريك (يَهَدِّي)، وليبيِّن أن حركة الفتحة حركة لغير الهاء، ولم يمكنه إبقاء الهاء ساكنة لسكون أول المدغم، ومن كسر الياء مع الهاء، أتْبعَ الياء ما بعدها من الكسرة (يِهِدِّي)؛ ليعمل اللسان في ثلاث كسرات عملاً واحداً.

وعلى هذا يتجه المعنى على أنَّ: من لا يهتدي إلاّ أن يُهْدى. والأصنام لا تهدي إلا أن تهدى، ونحن نجدها لا تهتدي، وإن هديت فوصفهم بأوصاف من يعقل، وهذا مجاز(١١٤٤).

= انظر [لب اللباب في تحرير الأنساب: للإمام العلامة جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (٢٦١/٢) ترجمة رقم ٣٧٥٤ - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط١ - ١٤١١هـ - ١٩٩١م - تحقيق: محمد أحمد عبد العزيز، وأشرف أحمد عبد العزيز].

(١١٤٣) سبقت ترجمة له ص٢١٥.

(١١٤٤) انظر [جامع البيان (١١٥/١١)، الحجة أبو علي الفارسي (٢٧٥/٤ - ٢٨٠)، مجمع البيان (٤٦/١١ - ٤٧)، الكشف (٥١٨/١ - ٥١٩)، المحرر الوجيز (١١٩/٣)، الدّر المصون (١٩٩/١١ - ٢٠٠)].

وقال الفراء: «تعبدون ما لا يقدر على النُقلة من مكانه، إلا أن يُحول تنقلوه»(١١٤٥).

وإدغام تاء الافتعال للإيماء إلى انتفاء جميع أسباب الهداية، حتى أدانيها، فإن التاء عند أرباب القلوب معناه: انتهاء التسبب إلى أدناه وكما قلنا المعنى إلا أن يُهْدى فلا يهتدي أي يهديه هادٍ غيره كائناً مَنْ كان، وهذا يعم كلً ما عُبد من دون الله، مَنْ يعقل ومَنْ لا يعقل(١١٤٦).

وعلى قراءة حمزة والكسائي (يَهْدي) بتخفيف الدال يكون فيها وجهان:

ـ إمَّا أن يكون الفعل لازماً بمعنى يهتدي، كما هو أحد استعمالات فعل الهداية.

ـ وإما أن يكون الفعل متعدياً أي: لا يَهْدي غيره، ومفعوله محذوف، فيكون المعنى أمّن لا يَهْدي أحداً إلا أن يُهْدى ذلك الأحد بهداية من عند الله.

والراجح الثاني رُجّح بأنّه الأوفق بما قبل؛ لأنَّ المفهوم منه نفي الهداية لا الإهتداء(١١٤٧).

تعتبر هذه الآية مثالاً أو شاهداً صوتياً على توافق الصوائت أو المماثلة المتباعدة(١١٤٨).

(١١٤٥) معاني القرآن: الفرّاء (٤٦٤/١).

(١١٤٦) انظر [نظم الدرر (٤٤١/٣)].

(١١٤٧) انظر [روح المعاني (١٠٧/١١ ـ ١٠٨)].

(١١٤٨) كما قلنا سابقاً ص٢٧٧ أن المماثلة هي التعديلات التكيفية للصوت بسبب مجاورته لأصوات أخرى والمماثلة التباعدية هي بين أصوات متاخمة وتسمى تجاورية، مثل تفخيم السين في سراط، وسيطر تحت تأثير الطاء المفخمة انظر [دراسات الصوت اللغوي د. أحمد مختار عمر ص٣٢٥) نقلاً عن كتب أجنبية عالم الكتب القاهرة ط٢ ـ ١٩٨١م، الأصوات اللغوية ص٢٨٣ د. عبد القادر عبد الجليل ـ دار الصفاء ـ عمان ـ الأردن ـ ط سنة ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م].

خامساً: الجمع بين القراءات:

بالجمع بين القراءات أرى ما يلي:

أنّه أدغمت التاء في الدال بسبب التجانس، والصوت المؤثر هو الدال؛ لأنّه الأقوى، فالتاء حرف مهموس، والدال حرف مجهور ومعروف أنَّ الهمس فيه الضعف، والجهر فيه القوة والشدة(١١٤٩). ممَّا يدل على قوة الخطاب من الله تعالى لهؤلاء المشركين، وامتناع جميع أسباب الهداية عنهم حتى أدانيها، واستخدام الحركات ـ الفتحة والكسرة والسكون ـ يُعضد من هذا المعنى.

١٦ ـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [يونس: ٤٤].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف **(ولكنِ النَّاسُ)** بتخفيف النون من (ولكنْ) ورفع الاسم بعدها.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ﴾ بتشديد النون في (ولكنَّ) ونصب الاسم بعدها(١١٥٠).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(لكنَّ) سبق تعريفها(١١٥١).

ثالثاً: التَّفسير الإجمالي للآية:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ

(١١٤٩) انظر [سر الفصاحة: أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي (ت ٤٦٦ هـ) ـ ص ٣٠ ـ دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان ط ـ ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م].

(١١٥٠) انظر [النشر (٢/١٦٥)، (٢/٢١٣)].

(١١٥١) راجع ص٤٢ ـ ٤٣.

يَظۡلِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [يونس: ٤٤] قال القرطبي: «لما ذكر الله أهل الشقاء، ذكر أنَّه لم يظلمهم، وأنَّ التقدير: الشقاء عليهم، وسلب سمع القلب وبصره ليس ظلماً منه، لأنه تصرَّف في ملكه بما شاء، وهو في جميع أفعاله عادل ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ بالكفر والمعصية ومخالفة أمر خالقهم»(١١٥٢). فالله سبحانه وتعالى أعطى الإنسان العقل، وركب فيه الشهوة، ثم أرسل الرسل، يبينوا الحلال من الحرام، وترك لهم حرية الاختيار، فمن حاد عن الطريق المستقيم، فلا يلومَنَّ إلا نفسه.

والنفي للظلم يحتمل أن يكون في الدنيا، وذلك بأن لا يظلمهم شيئاً من مصالحهم. أو أن يكون في الآخرة ما يلحقهم من العقاب هو عدل منه سبحانه، وذلك لأنَّهم هم الذين تسببوا باكتساب ذنوبهم، كما قدَّر تعالى عليهم(١١٥٣).

كما في الحديث القدسي (يا عبادي إنِّي حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا...)(١١٥٤).

رابعاً: العلاقة التَّفسيرية بين القراءات:

قرأ حمزة والكسائي وخلف (ولكنِ النَّاسُ) بتخفيف النون من (لكنْ) ورفع الاسم بعدها. والحجّة لمن خفف ورفع: أن (لكنْ) وأخواتها إنما عملن لشبههن بالفعل لفظاً ومعنى، فإذا زال اللفظ زال العمل، والدليل على ذلك أن (لكنْ) إذا خففت وليها الاسم والفعل، وكل حرف كان كذلك ابتدئ ما بعده، وقراءة التخفيف تفيد الاستدراك فقط، ولكن المخففة تهمَل لزوال اختصاصها بالجملة الاسمية(١١٥٥) وقرأ الباقون ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ﴾ بتشديد النون في (لكن) ونصب (الناسَ)، والحجّة لمن شدد ونصب: أنه أتى بلفظ

(١١٥٢) الجامع لأحكام القرآن (٦٤٨/٨).
(١١٥٣) انظر [البحر المحيط (١٦٢/٥)].
(١١٥٤) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٨/١٠) باب تحريم الظلم والحديث رواه أبو ذر عن النبي ﷺ...
(١١٥٥) انظر [شرح قطر الندى ص ١٥٣].

الحرف على أصله[(١١٥٦)] ﴿وَلَٰكِنَّ﴾ بمنزلة (إنَّ)[(١١٥٧)] وهي تفيد تأكيد الخبرْ وتقريره، ومعناها أيضاً الاستدراك. وهو: تعقيب الكلام برفع ما يتوهم بثبوته أو نفيه[(١١٥٨)]. قراءة التّشديد أفادت التأكيد على عدم الظلم من الله للناس والمبالغة في نفي الظلم عنه سبحانه يقول القرطبي: «(لكنَّ) كلمة لها معنيان: نفي الخبر الماضي، وإثبات الخبر المستقبل»[(١١٥٩)]. وقال مكي بن أبي طالب: «وحجة من شدد النون ونصب بها بعد (لكنَّ) أنه أجرى الكلام على أصله، فأعمل (لكنَّ) لأنها من أخوات إنَّ، فشددها على أصلها، وما دلَّ في ذلك معنى التأكيد الذي في معنى الاستدراك»[(١١٦٠)].

١٧ - ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ۚ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [يونس: ٤٥].

أولاً: القراءات:

١ - قرأ حفص ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ﴾ بالياء.

٢ - وقرأ الباقون (ويوم **نَحْشُرُهُم**) بالنون[(١١٦١)].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

حشر حَشَرهُم يَحْشُرُهم ويَحْشِرُهم حشْراً أي: جمعهم ومنه يوم المَحْشَر: والحشر جمع الناس يوم القيامة[(١١٦٢)].

ثالثاً: التَّفسير الإجمالي للآية:

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ﴾ أي المشركين ﴿كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ

(١١٥٦) انظر [الحجة لابن خالويه ص ٣٥].
(١١٥٧) انظر [كتاب سيبويه (٢/١٤٦)].
(١١٥٨) انظر [شرح قطر الندى ص ١٤٨].
(١١٥٩) الجامع لأحكام القرآن (٢/٤٦٤).
(١١٦٠) الكشف (١/٢٥٧).
(١١٦١) انظر [النشر (٢/١٩٣) (٢/٢١٤)، غيث النفع ص ١٣٣].
(١١٦٢) انظر [لسان العرب (٤/ ١٩٠) مادة حشر].

﴿ٱلنَّهَارِ﴾ فيه قولان: **الأول**: كأن لم يلبثوا في قبورهم؛ إلا قدر ساعة من النهار.

والثاني: في الدنيا ﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ يتعارف: أي يعرف بعضهم بعضاً تعارف توبيخ، لأن كل فريق يقول للآخر أنت أضللتنى، أو أنَّ أهل المحشر يعرف بعضهم بعضاً، فيعرف الآباء الأبناء، والعكس، ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟﴾ خسر ثواب الجنة الذين كذبوا بالبعث ﴿وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ﴾ من الضلالة(١١٦٣).

رابعاً: العلاقة التَّفسيرية بين القراءات:

قرأ حفص ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ﴾ بالياء، إخبار عن الله أي: أنّ الفاعل ضمير مستتر، تقديره هو يعود على الله في الآية السابقة؛ وذلك لأنّ الضمير يعود إلى اسم الجلالة في قوله قبله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا﴾ [يونس: ٤٤] فجاءت هذه القراءة، متسقة مع السياق.

وقرأ الباقون (ويوم نحشرهم) بنون العظمة، والفاعل ضمير مستتر تقديره «نحن» فالله سبحانه يخبر عن نفسه على سبيل الالتفات من الغيبة إلى التكلم، ولعل اللطيفة المعنوية التي يشير إليها هذا اللون البلاغي هي كمال التعبير عن تهويل الأمر باستحضار صور الحساب(١١٦٤). والدليل على ذلك: أنَّه قدَّم الظرف على عامله، حيث إنّ (يَوْمَ) انتصب على الظرفية لفعل (خَسِر) وذلك للاهتمام؛ لأنّ المقصود الأهم تذكيرهم بذلك اليوم، وإثبات وقوعه مع تحذيرهم ووعيدهم بما يحصل لهم، والتقدير: قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله يوم نحشرهم(١١٦٥).

(١١٦٣) انظر [زاد المسير (٢/٣٣٣)، المقتطف من عيون التفاسير (٢/٤٧٥)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي الموريتاني المالكي الإفريقي (١٣٢٠ ـ ١٣٩٣) وتتمته لتلميذه عطية محمد سالم (١/٥١٣ ـ ٥١٤) ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان ـ ط ١ ـ ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م].

(١١٦٤) انظر [الحجة لابن زنجلة ص ٣٣٢، تفسير أبو السعود (٣/ ٥٠٥)، التوجيه اللغوي: د. صبري ص ١٦٩].

(١١٦٥) انظر [التحرير والتنوير (١١/ ١٨١)].

خامساً: الجمع بين القراءتين:

بالجمع بين القراءتين: أرى أنَّ المعنى واحد في (نحشرهم ويحشرهم)، فالله هو الحاشر، لا شريك له[1166].

كما أنّ أسلوب الالتفات من الغيبة إلى الخطاب، يدل على روعة وإعجاز أسلوب القرآن الكريم.

١٨ ـ ﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ ءَآلْـَٔنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾﴾ [يونس: ٥١].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ ورش، وقالون بخلف عنه، وابن وردان **(آلان)** بالنقل، أي: نقل حركة الهمزة الثانية إلى الساكن قبلها.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿ءَآلْـَٔنَ﴾ بالتحقيق، تحقيق الهمزة الثانية التي بعد اللام[1167].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

قال الجوهري:[1168] «(الآن) اسم للوقت الذي أنت فيه، وهو ظرف غير متمكن، وقع معرفةً، ولم تدخل عليه الألف واللام للتعريف؛ لأنه ليس له ما يشركه. وقالوا: آلان متحركة اللام بغير همز من لان[1169] ولان من اللين: ضد الخشونة.[1170]

ثالثاً: التَّفسير الإجمالي للآية:

(١١٦٦) انظر [معاني القراءات ص ١٦٩].

(١١٦٧) انظر [النشر (٣١٨/١)، (٢١٤/٢)].

(١١٦٨) هو إسماعيل بن حماد الجوهري أبو نصر، أول من حاول الطيران ومات في سبيله، لغوي من الأئمة، من أشهر كتبه «الصحاح» «مجلدان» توفي سنة ٣٩٣هـ ـ ١٠٠٣م. انظر [الأعلام (٣١٣/١)].

(١١٦٩) انظر [لسان العرب (٤٢/١٣ ـ ٤٣) مادة أين].

(١١٧٠) انظر [المرجع السابق (٣٩٤/١٣) مادة لين].

يقول تعالى: ﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ﴾ دخول الهمزة على (ثم)، كدخوله على الواو والفاء كما في قوله ﴿أَوَ أَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ [الأعراف: ٩٨]، وقوله: ﴿أَفَأَمِنَ﴾ [الأعراف: ٩٧] وهو يفيد التوبيخ والتقريع ﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ﴾ وحلّ بكم ﴿ءَامَنتُم بِهِۦٓ﴾ وصدقتم به بعد نزوله، حين لا ينفعكم الإيمان، ويقال لهم إذا آمنوا بعد وقوع العذاب ﴿ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ أي: آلآن تؤمنون وترجون الانتفاع بالإيمان، مع أنكم كنتم قبل ذلك به تستعجلون في الدنيا على سبيل السخرية والاستهزاء(١١٧١).

رابعاً: العلاقة التَّفسيرية بين القراءات:

قرأ ورش وقالون وابن وردان (ألآن) بنقل حركة الهمزة الثانية إلى الساكن قبلها، فتكون من (لان) كما ذكرنا في المعنى اللغوي، وهي تفيد الليونة، وهذا إن دلَّ على شيء، فيكون الاستغراب والاستفهام من حصول الإيمان، ولينهم بعد ما كانوا مصرين على الكفر في وقت وقوع العذاب، فكان التركيز في هذه القراءة على لينهم وإيمانهم بعد إصرارهم وعنادهم على الكفر.

أما الباقون: فقرأوا، ﴿ءَآلْـَٰٔنَ﴾ بتحقيق الهمزة الثانية التي بعد اللام، فهو استفهام إنكاري عن حصول إيمانهم عند حلول ما توعدهم، فعبر عن وقت وقوعه باسم الزمان الحاضر، وهو (الآن) فكان التركيز في هذه القراءة على الوقت أي: وقت إيمانهم، والله أعلم.

خامساً: الجمع بين القراءات:

بالجمع بين القراءتين: أجد أنه لا تضاد بين القراءتين.

فقراءة عدم تحقيق الهمزة الثانية: كان الاهتمام والاستغراب على حصول إيمانهم وقراءة تحقيق الهمزة الثانية: كان الاستغراب من الوقت الذي

(١١٧١) انظر [الكشاف (٢/٢٤٠)، مفاتيح الغيب (١٧/٨٩)، إرشاد العقل السليم (٣/٥٠٩ - ٥١٠)].

حصل به الإيمان، وهو وقت وقوع العذاب.

فحصيلة القراءتين: يكون الاستفهام والاستغراب من حصول الإيمان في وقت وقوع العذاب، والله أعلم.

١٩ ـ ﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِى وَرَبِّيٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ۝٥٣﴾ [يونس: ٥٣].

أولاً: القراءات:

١ ـ أ ـ قرأ أبو جعفر (ويستنبونك) بالتسهيل بغير همز، وضم الباء، ووقف عليها حمزة بالتسهيل، وأيضاً الإبدال ياء.

ب ـ وقرأ الباقون ﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ﴾ بالهمز، وكسر الباء[(١١٧٢)].

٢ ـ أ ـ قرأ المدنيان (أبو جعفر، نافع) وأبو عمرو (وربيَ إنه) بفتح ياء الإضافة.

ب ـ وقرأ الباقون (وربيْ إنه) بإسكان ياء الإضافة مع المد[(١١٧٣)].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

يستنبئونك: من النبأ، وهو الخبر، وأنبأه: أي أخبره واستنبأ النَّبأ: بحث عنه[(١١٧٤)].

يستنبونك: من الفعل بنسب والنسب الصياح عند الهياج[(١١٧٥)].

ثالثاً: التَّفسير الإجمالي للآية:

وقال تعالى: ﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ﴾ أي يستخبرونك يا محمد فيقولون:

(١١٧٢) انظر [النشر (٣٤٣/١)، (٢١٤/٢)، في هامش القرآن الكريم في القراءات العشرة المتواترة ص ٢١٤].

(١١٧٣) انظر [النشر (٢١٦/٢)].

(١١٧٤) انظر [لسان العرب (١٩٤/١ ـ ١٩٥) مادة نبأ، القاموس المحيط ص ٦٧ مادة نبأ]

(١١٧٥) انظر [القاموس المحيط ص ١٧٤ مادة نبا، لسان العرب (٨٧٨/١) مادة نبب].

أحقٌّ، أي: أثابت (هُو) عائد إلى عذاب الخلد في الآية السابقة بمعنى: أحق ما وعدتنا به من العذاب والبعث؟ ﴿قُلْ إِي وَرَبِّيٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ﴾ أي: قل لهم يا محمد نعم، والله إنه كائن لا شك فيه، فأُجيبوا على طريقة الأسلوب الحكيم بحمل كلامهم على خلاف مرادهم، تنبيهاً لهم، أنَّ الأوْلى لهم سؤال الاسترشاد ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ أي لستم بمعجزي الله بهربٍ، أو امتناع من العذاب؛ بل أنتم في قبضته وسلطانه(١١٧٦).

رابعاً: العلاقة التَّفسيرية بين القراءات:

القراءة الأولى:

قرأ أبو جعفر وحمزة (يستنبونك) بغير همز، وضم الباء، ويستنبون من الفعل نبّ أو نبب والنبّ كما ذكرنا في المعنى اللغوي: بأنه الصياح. فكان المشركون يسألون ويستفهمون عن عذاب الخلد، وسؤالهم الرسول ﷺ بصوت وصياح عالٍ، والنبُّ لا يقال إلا للحيوانات فهو نوع من الاحتقار لهؤلاء المشركين.

وذلك؛ لأنهم عندما سألوا عن العذاب، كان سؤالهم على جهة الإنكار والاستهزاء. فقولهم (أحق هو) يقول المفسرون أنه استفهام على جهة الإنكار والاستهزاء(١١٧٧).

وقرأ الباقون ﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ﴾ بالهمز، وكسر الباء، والاستنباء من الاستخبار فيكون المعنى: يستخبرونك يا محمد فيقولون لك: أحق ما تعدنا به من عذاب الله والبعث؟

خامساً: الجمع بين القراءتين:

قراءة الهمز بيّنت أنَّ المشركين استخبروا، وسألوا الرسول عن عذاب الله الخالد. وقراءة عدم الهمز بيّنت لنا طريقة هذا السؤال، أنّه كان

(١١٧٦) انظر [جامع البيان (١٢٢/١١)، التحرير والتنوير (١٩٥/١١ ـ ١٩٦)].

(١١٧٧) انظر [مدارك التنزيل (٤٦٧/٢)، البحر المحيط (١٦٨/٥)].

بصوت وصياح عالٍ؛ لأنّه صدر منهم على جهة الإنكار والتهكم، فكانت قراءة عدم الهمز استهزاء بهم مقابل استهزائهم، والله أعلم.

القراءة الثانية:

قرأ المدنيان وأبو عمرو (وربيَ إنه) بفتح ياء الإضافة.

وقرأ الباقون (وربي- إنه) بإسكان ياء الإضافة، مع المد أيضاً. وقد بيَّنت توجيه فتح ياء الإضافة وإسكانها(١١٧٨) وذكرت أنّ الفتح والإسكان من التغييرات الصوتية، ولكن مع ذلك نضيف أن إسكان الياء والمد فيها ـ والمد زيادة في إطالة الزمن ـ يفيد أنّ ذلك زيادة تأكيد في وقوع العذاب على المشركين يوم القيامة، بالإضافة إلى التأكيدات اللفظية التي وردت في الآية، وهي حرف (إي) وهو حرف جواب، يحقق به المسئول عنه، وأيضاً الجملة الدالة على ما دلَّ عليه حرف الجواب، والقسم (ربي) وإنَّ ولام الابتداء (لحق)، فكلها مؤكدات للجواب(١١٧٩) وأيضاً يدل على أنَّ هذا الجواب يخرج من صدر ممتلئ، حسرة على هؤلاء المشركين، والله أعلم.

٢٠ ـ ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [يونس: ٥٨].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ ابن عامر، وأبو جعفر ﴿فَلْيَفْرَحُواْ﴾ بالغيب (تَجْمَعُون) بالخطاب.

٢ ـ وقرأ رويس (فَلْتَفْرَحُوا) بالخطاب (تَجْمَعُون) بالخطاب، وهي قراءة أُبَيّ(١١٨٠)، مسندة عن النبي ﷺ.

(١١٧٨) راجع ص٢٧٦ ـ ٢٧٧.

(١١٧٩) انظر [التحرير والتنوير (١١/١٩٦)].

(١١٨٠) أبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار كان مِنْ أقرأ الصحابة مات سنة اثنتين وعشرين بالمدينة، وقيل: مات في خلافة عثمان سنة ثلاثين، وهذا ما رجحه ابن سعد انظر [الطبقات الكبرى: ابن سعد (٣/٣٧٨ ـ ٣٨١) ترجمة رقم ١٧٤، مشكاة المصابيح: محمد التبريزي (٣/١٧٢٧) حديث رقم ٦١٢ عن أنس عن النبي ﷺ، (وأقرأهم أُبي بن كعب) قال عنه الترمذي: « حديث حسن صحيح»].

٣ ـ وقرأ الباقون ﴿فَلْيَفْرَحُواْ﴾ بالغيب (يجمعون) بالغيب[(١١٨١)].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

فرح: الفرح نقيض الحُزْن، والفرح أن يجد في قلبه خفَّة، فرِحَ فَرَحاً، والفرح أيضاً: البطر[(١١٨٢)] والفرح: شدة السرور[(١١٨٣)].

تجمعون: من الجمع وجمع الشيء عن تفرقة يجمعه جمعاً، وجمَّعَه وأجمعه فاجتمع، والجمع أن يجمع شيئاً إلى شيء[(١١٨٤)].

ثالثاً: التَّفسير الإجمالي للآية:

قوله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ﴾ أي قل لهم يا محمد: من فضل الله عليكم القرآن ﴿وَبِرَحْمَتِهِۦ﴾ أن جعلكم من أهله أو الإسلام ﴿فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ﴾ إشارة إلى الفضل والرحمة؛ ليفرح المؤمنون به ﴿هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ هو خير مما يجمعون في الدنيا من أموال وكنوز؛ وما إلى ذلك[(١١٨٥)].

فالإسلام والقرآن: من أجلِّ نعم الله على الإنسان، وهما يستوجبان الفرح والسرور الشديد قال تعالى: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُواْ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الحجرات: ١٧].

رابعاً: العلاقة التَّفسيرية بين القراءات:

القراءة الأولى:

قرأ ابن عامر، وأبو جعفر ﴿فَلْيَفْرَحُواْ﴾ بالغيب (تجمعون) بالخطاب، والمعنى فليفرح المؤمنون بفضل الله أي: الإسلام والقرآن، وهو خير مما

(١١٨١) انظر [النشر (٢/٢١٤)].

(١١٨٢) انظر [لسان العرب (٢/٥٤١) مادة فرح].

(١١٨٣) انظر [التحرير والتنوير (١١/٢٠٤)].

(١١٨٤) انظر [لسان العرب (٨/٥٣ ـ ٥٨) مادة جمع].

(١١٨٥) انظر [جامع البيان (١١/١٢٤)، الجامع لأحكام القرآن (٨/٦٥٣ ـ ٦٥٤)].

تجمعون أنتم من أعراض الدنيا[1186] وجاءت ﴿فَلۡيَفۡرَحُواْ﴾ مناسبة لقوله تعالى في الآية السابقة ﴿وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧] وجاءت (تجمعون) بالتاء على الخطاب؛ لأنَّ الآية التالية لهذه الآية قوله تعالى ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُم﴾ وقوله ﴿فَجَعَلۡتُم مِّنۡهُ﴾، وقوله ﴿ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمۡۖ﴾ [يونس: ٥٩] فحمل صدر الكلام في هذه الآية على آخره وذلك ليتفق اللفظ[1187] فهنا عنى المخاطبين، والغيب جميعاً؛ إلا أنه غلّب المخاطب على الغيبة، كما غلّب التذكير على التأنيث، فكأنه أراد به المؤمنين وغيرهم[1188] وقراءة تجمعون: تحتمل وجهين **أحدهما**: من باب الالتفات من الغيبة إلى الخطاب، فيكون المعنى لقراءة الجماعة ﴿يَجۡمَعُونَ﴾ فإن الضمير يراد به ما يُراد بالضمير في قوله: ﴿فَلۡيَفۡرَحُواْ﴾.

والثاني: أنَّه خطاب لقوله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم﴾ [**يونس: ٥٧**] وهذه تناسب قراءة الخطاب في قوله: (فلتفرحوا)[1189].

القراءة الثانية:

وقرأ رويس (فلتفرحوا) بالخطاب (تجمعون) بالخطاب، وحجتهم أنَّ هذه القراءة بالخطاب، جاءت مناسبة لقوله تعالى في الآية السابقة ﴿قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ [**يونس: ٥٧**].

وحجتهم قراءة أُبَي المسندة عن الرسول ﷺ.

والمعنى: فلتفرحوا أيها المؤمنون بإيمانكم وإسلامكم، فهو خير مما تجمعون في الدنيا من أموال ومتاع وغير ذلك، فالفرح الحقيقي هو الفرح بالإسلام والقرآن، وأن جعلكم الله من أهله.

(١١٨٦) انظر [الحجة: ابن زنجلة ص ٣٣٤].

(١١٨٧) انظر [الكشف (١/٥٢٠)].

(١١٨٨) انظر [الحجة: أبو علي الفارسي (٤/٢٨٣)].

(١١٨٩) انظر [الدر المصون (٦/٢٢٦)].

القراءة الثالثة:

وقرأ الباقون ﴿فَلْيَفْرَحُواْ﴾ بالغيب ﴿يَجْمَعُونَ﴾ بالغيب أي: فليفرح أصحاب محمد أو المؤمنون بالإسلام والقرآن؛ لأنه خير مما يجمعه الكافرون في الدنيا ﴿يَجْمَعُونَ﴾ يكون خطاباً للمشركين، الذين شملهم الخطاب في الآية السابقة في قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ فإنه بعد أن عمَّمَ الخطاب، خصّ المؤمنين بالذكر بالجدارة بالفرح، فبقي الخطاب لمن عدا المسلمين، وهم المشركون[1190] فهناك احتمال آخر في التوجيه ﴿فَلْيَفْرَحُواْ﴾ أنْ يكون موجهاً للمشركين، فيكون المعنى: بالإسلام والقرآن الذي دعاهم إليه فليفرح هؤلاء المشركون لا بالمال الذي يجمعونه، فإنّ الإسلام والقرآن، خير من المال الذي يجمعون[1191].

خامساً: الجمع بين القراءات:

ليفرح المؤمنون بإيمانهم وإسلامهم، فهو خير مما يجمع الكفار من دنياهم، وليفرح هؤلاء الكفار بالإيمان لو اتفق لهم أو لو سعدوا بالهداية إلى تحصيل ذلك لأنَّه لا مفروح به أحق منهما فهو خير مما يجمع هؤلاء الكفار في دنياهم[1192].

أو على تقدير: لو كنتم مؤمنين لوجب أن تفرحوا بفضل الله وبرحمته، فهو خير مما تجمعون في دنياكم أيها الكفار[1193].

فتكون حصيلة القراءات: أنّ الجميع إن فرحوا بشيء، فليفرحوا بالإيمان والإسلام والقرآن وبفضل الله؛ لأنَّه خير مما يُجمع في الدنيا من مال ومتاع وغيره؛ وذلك لأنّ الآخرة خير وأبقى، وما كان كذلك فهو أولى

(١١٩٠) انظر [التحرير والتنوير (٢٠٦/١١)].

(١١٩١) انظر [جامع البيان (١٢٦/١١)].

(١١٩٢) انظر [البحر المحيط (١٧١/٥)].

(١١٩٣) انظر [المغني (٢٣٤/٢)].

بالطلب والتحصيل[1194] وأيضاً في القراءتين التفات من الغيبة إلى الخطاب والله أعلم.

٢١ ـ ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [يونس: ٥٩].

أولاً: القراءات:

١ ـ أ ـ قرأ أبو جعفر ونافع (أرايتم) بتسهيل الهمزة الثانية بين بين، ولورش إبدالها ألفاً مع إشباع المد للساكنين، وقرأ الكسائي بحذفها.

ب ـ وقرأ الباقون ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾ بإثبات الهمزة محققة، وإذا وقف حمزة فليس له إلا تسهيلها[1195].

٢ ـ أجمع القراء على عدم تحقيق همزة الوصل الواقعة بعد همزة الاستفهام في ﴿ءَآللَّهُ﴾؛ لكونها همزة وصل، وهمزة الوصل لا تثبت إلا ابتداء، وأجمعوا على عدم حذفها وإثباتها مع همزة الاستفهام فرقاً بين الاستفهام والخبر.

وأجمعوا على تليينها، واختلفوا في كيفيته:

أ ـ إبدال همزة الوصل ألفاً مع المد المشبع لاجتماع الساكنين.

ب ـ تسهيلها بين بين مع القصر، ولا يخفى ما لورش من النقل، وما لخلف عن حمزة، وما لخلاد عنه وصلاً ووقفاً[1196].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

أرأيتم: من الفعل رأى وسبق تعريفه[1197].

(١١٩٤) انظر [مفاتيح الغيب (٩٦/١٧)].

(١١٩٥) انظر [النشر (٣٠٩/١) (٢١٤/٢)، البدور الزاهرة ص١٧٨، في هامش القرآن ص٢١٥].

(١١٩٦) انظر [النشر (٢٩٣/١) (٢١٤/٢)، البدور الزاهرة ص١٨٣، في هامش القرآن ص٢١٥].

(١١٩٧) راجع ص٩٥.

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

بعد أن أقام ـ سبحانه وتعالى ـ الأدلة العقلية على إثبات الوحي والرسالة في الآيات السابقة، قفّى على ذلك بذكر فعل من أفعال الكفار لا ينكرونه ولا يجادلون في وجوده، ذلك أنَّ التشريع بالتحليل والتحريم هو حق الله تعالى وحده، وأنَّ الأصل في الأرزاق وسائر الأشياء التي ينتفع بها الإباحة، فتحريم بعض الأشياء وتحليل بعض، إما بأمره تعالى بوساطة رسله وأنتم تنكرونه وتزعمون أنه مُحال، وإما بالافتراء على الله وهو الذي يلزمكم بإنكار الأول إذ لا واسطة بينهما(١١٩٨).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

القراءة الأولى:

الحجة لمن حقق الهمزتين في (أرأيتم): أنه أتى باللفظ على الأصل.

والحجة لمن لين الثانية أنه كره حذفها فأبقى دليلاً عنها.

والحجة لمن حذف الثانية أنه اجتزأ بهمزة الاستفهام من همزة الوصل، لأنها في الفعل المضارع ساقطة بإجماع(١١٩٩).

و(أرأيتم) إما من الرؤية البصرية أو بمعنى أخبروني(١٢٠٠). فقراءة عدم تحقيق الهمز رجحت أن المعنى المقصود بـ (أرأيتم) هو أخبروني، وقراءة تحقيق الهمز تحمل في طياتها ثقل الخطاب من الله ـ سبحانه وتعالى ـ للمشركين وهذا يتناسب مع ثقل الضم. الذي يتناسب مع ما فعله المشركون من تحليل لما حرمه الله وتحريم لما حلله الله والله أعلم.

القراءة الثانية:

قراءة ﴿ءَآللَّهُ﴾ بإبدال همزة الوصل ألف مع المد فيها زيادة في تقريع

(١١٩٨) تفسير المراغي (١١/١٢٤).

(١١٩٩) الحجة: ابن خالويه ص٢٤٩.

(١٢٠٠) انظر [جامع البيان (١١/١٢٧)].

وتوبيخ ما فعله المشركون وذلك لأن المد فيه إطالة زمن فيكون وقعها أثقل، وإيذاؤها أكبر لقلوب الكافرين، وهذه القراءة تتناسب مع قراءة (أرأيتم) بالهمز، أما قراءة تسهيل بين بين ففيها تخفيف فهي تتناسب مع قراءة (أرايتم) بدون تحقيق الهمز، فهي ألين ولعل لينها يكون له وقع ألطف فتلين لها قلوب الكافرين والله أعلم.

٢٢ ـ ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾﴾ [يونس: ٦١].

أولاً: القراءات:

١ ـ أ ـ قرأ الكسائي (**يَعْزِب**) بكسر الزاي.

ب ـ وقرأ الباقون (يَعْزُب) بضم الزاي(١٢٠١).

٢ ـ أ ـ قرأ يعقوب وحمزة وخلف (**أَصْغَرُ مِنْ ذالك وَلاَ أَكْبَرُ**) برفع الراء فيهما.

ب ـ وقرأ الباقون ﴿أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ﴾ بنصب الراء فيهما(١٢٠٢).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

عَزَبَ عنه يَعْزُب عزوباً: أي ذهب وأعزبه الله، أذهبه. وما يعزب عن ربك: أي لا شيء يغيب عن علمه. وفيه لغتان عَزَب يعزُب ويعزِب إذا غاب(١٢٠٣).

أصغر: مفرد أصاغر والصِّغر: ضد الكبر(١٢٠٤).

(١٢٠١) انظر [النشر (٢/٢١٤)].

(١٢٠٢) انظر [المرجع السابق (٢/٢١٤)].

(١٢٠٣) انظر [لسان العرب (١/٦٩٥ ـ ٦٩٦) مادة عزب].

(١٢٠٤) انظر [لسان العرب (٤/٤٥٨ ـ ٤٥٩) مادة صغر].

أكبر: ضد أصغر وأكبر الشيء جعله كبيراً وأكبره رآه كبيراً(١٢٠٥) وعظم عنده.

ثالثاً: التَّفسير الإجمالي للآية:

يقول سبحانه: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ﴾ أي في أمر أو عمل مهم أو حال مهم ﴿وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ﴾ وما تقرأ من كتاب الله من القرآن، الذي أنزله عليك ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ﴾ أيها الناس من خير أو شر ﴿إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا﴾ نشاهد ما تعملون ﴿إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ إذ تأخذون فيها، وتعملونها ﴿وَمَا يَعْزُبُ﴾ يغيب ويبعد ﴿عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ﴾ من زنة نملة صغيرة، أو وزن ذرة ﴿فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ يريد: اللوح المحفوظ الذي أثبت الله سبحانه فيه الكائنات(١٢٠٦).

رابعاً: العلاقة التَّفسيرية بين القراءات:

القراءة الأولى:

قرأ الكسائي (وما يعزِبُ) بكسر الزاي.

وقرأ الباقون ﴿يَعْزُبُ﴾ بضم الزاي، وهما لغتان فصيحتان نقول (عزَب يعزُب ويَعزِب) مثل (عكف يَعكُف ويعكِف) مثل يعرِشُ ويعرُش(١٢٠٧) وبالرغم من أنها لغات؛ إلا أننا نستطيع أن نوجِّه هذه القراءات، فقراءة (يعزُب) بالضم، فلثقل الضم، فإنه يتناسب مع قوله تعالى (من مثقال) حيث إنَّ المثقال: اسم آلة لما يُعرف به مقدار ثِقَل الشيء، فهو وزن مفعال من ثِقل وهو اسم لصنج(١٢٠٨) مُقَدر بقدر معين، يوزن به الثقل فناسب ثقل الضم مع ثقل المثقال.

(١٢٠٥) انظر [القاموس المحيط ص ٦٠١ مادة كَبُرَ].

(١٢٠٦) انظر [جامع البيان (١١/ ١٢٩ ـ ١٣٠)، الجامع لأحكام القرآن (٨/٦٥٥ ـ ٦٥٦)].

(١٢٠٧) انظر [الحجة: ابن زنجلة ص ٣٣٤، اعراب القراءات السبع: ابن خالويه (١/٢٧٠)، الكشف (١/٥٢٠)، الجامع لأحكام القرآن (٨/٦٥٦)].

(١٢٠٨) صنج: صفيحة مدورة من النحاس الأصفر تضرب على أخرى مثلها للطرب، وصنجة الميزان وسنجته انظر [لسان العرب (٢/٣١١)، القاموس المحيط ص٢٥١، المصباح المنير ص٢٠٩، المنجد ص٤١٣ مادة صنج].

وأما قراءة (يعزِب) بالكسر، فلخفة الكسر فإنه يتناسب مع قوله تعالى (ذرة) في خفتها، حيث إنّ الذرة هي النملة الصغيرة، وأيضاً يطلق على الهباءة التي ترى في ضوء الشمس كغبار دقيق جداً.

والكسرة تتناسب أيضاً مع الخفاء، فالعزوب وهو البعد فهو هنا مجاز للخفاء وفوات العلم؛ لأنَّ الخفاء لازم للشيء البعيد، ولذلك عُلِّق باسم الذات دون صفة العلم فقال: (عن ربك)(١٢٠٩).

خامساً: الجمع بين القراءتين:

من قراءة الضم: نأخذ ثقل المثقال، وقراءة الكسر: نأخذ خفة الذرة، فلا يغيب عن علم الله ثقل الذرة أو خفتها ولا بعدها ولا قربها، ... والله أعلم.

القراءة الثانية:

قرأ حمزة ويعقوب وخلف (ولا أصغرُ من ذلك ولا أكبرُ) بضم الراء فيهما.

أولاً: حملاً على موضع الموصوف، وذلك أنَّ الموصوف الذي هو (من مثقال ذرة) الجار والمجرور فيه في موضع رفع، فيكون (ولا أصغرُ) عطفاً على محل (من مثقال) لأن (من مثقال) في محل رفع فاعل يعزب(١٢١٠)، والتقدير: وما يعزب عن ربك مثقال ذرة ولا أصغر من ذلك ولا أكبر؛ إلا في كتاب مبين.

ثانياً: على الابتداء قال الزَّجاج: «ويجوز رفعه من جهة أخرى على الابتداء»(١٢١١). والخبر قوله: ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾.

(١٢٠٩) انظر [التحرير والتنوير (١١/٢١٤)].

(١٢١٠) انظر [الحجة أبو علي الفارسي (٤/٢٨٥)، المغني (٢/٢٣٥)].

(١٢١١) نقله ابن زنجلة في كتابه الحجة عن الزجاج انظر [ص ٣٣٤، وذكره الشوكاني في الفتح القدير (٢/٥٧١)].

ويكون المعنى: ولا ما هو أصغر من ذلك ولا ما هو أكبر؛ إلا في كتاب مبين.

وقرأ الباقون: ﴿وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ﴾ بفتح الراء فيهما؛ لأن أفعل في الموضعين، في موضع جرّ؛ لأنه صفة للمجرور الذي هو في قوله: ﴿مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ﴾ [يونس: ٦١]، وإنَّما فتح؛ لأنَّ أفعل إذا اتصل به منك كان صفة، وإذا كان صفة لم يتصرف في النكرة.

ـ وقد يجوز أن يُعطف قوله: ﴿ولا أصغر من ذلك﴾ على (ذرةٍ) فيكون التقدير: ما يعزب عن ربك مثقال ذرة ولا مثقال أصغر من ذلك ولا أكبر[(١٢١٢)].

ـ وقال الزجاج: «الموضع موضع جر؛ إلا أنه فتح، لأنه لا ينصرف»[(١٢١٣)].

ـ وإما أنْ تكون (لا) هي النافية للجنس، وما بعدها اسمها ﴿فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ﴾ متعلق بمحذوف خبرها[(١٢١٤)].

الجمع بين القراءتين:

قال الفراء: «فمن نصبهما فإنما يريد الخفض يُتبعهما المثقال أو الذرة. ومن رفعهما أتبعهما معنى المثقال؛ لأنك لو ألقيت من المثقال (من) كان رفعاً. وهو كقولك: ما أتاني من أحد عاقلٍ وعاقلٌ»[(١٢١٥)].

٢٣ ـ ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ نُوحٍ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم مَّقَامِي وَتَذۡكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُنۡ أَمۡرُكُمۡ عَلَيۡكُمۡ غُمَّةٗ ثُمَّ ٱقۡضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ٧١﴾ [يونس: ٧١].

(١٢١٢) انظر [الحجة: أبو علي الفارسي (٤/٢٨٥ ـ ٢٨٦)].
(١٢١٣) معاني القرآن: الزجاج (٣/٢٦).
(١٢١٤) انظر [المستنير (١/٢٤٧)].
(١٢١٥) معاني القرآن: الفراء (١/٤٧٠).

أولاً: القراءات:

١ ـ أ ـ قرأ رويس (**فاجْمَعُوا**) بوصل الهمز، وفتح الميم.

ب ـ وقرأ الباقون ﴿فَأَجْمِعُوٓاْ﴾ بتحقيق الهمزة، وكسر الميم(١٢١٦).

٢ ـ أ ـ قرأ يعقوب (**وَشُرَكَاؤُكُم**) برفع الهمزة.

ب وقرأ الباقون ﴿وَشُرَكَآءَكُمْ﴾ بنصب الهمزة(١٢١٧).

٣ ـ أ ـ قرأ يعقوب (ولاَ تُنظِرُونِي) بإثبات الياء الزائدة في الحالتين (في الوصل وفي الوقف).

ب ـ وقرأ الباقون ﴿وَلَا تُنظِرُونِ﴾ بحذف الياء الزائدة(١٢١٨).

نافع، أبو عمر، حمزة، الكسائي وأبو جعفر أثبتوها وصلاً لا وقفاً، أما ابن عمرو وعاصم وخلف، فحذفوها في الحالين(١٢١٩).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

١ ـ ﴿فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ﴾: أي: ادعوا شركاءكم، لأنه لا يقال: أجمعوا شركاءكم، وإنما يقال جمعت أو المعنى: أجمعوا مع شركائكم على أمركم(١٢٢٠) والواو بمعنى «مع» والإجماع الإحكام والعزيمة على الشيء، وقراءة (فاجمعوا كيدكم) معناه لا تدعوا شيئاً من كيدكم إلا جئتم به(١٢٢١).

٢ ـ شركاؤكم: جمع شريك، وهو المشارك وهو من الشرك، بمعنى: أن تجعل لله شريكاً في ربوبيته، تعالى الله عن الشركاء والأنداد(١٢٢٢).

(١٢١٦) انظر [النشر (٢/٢١٤)].
(١٢١٧) انظر [نفس المرجع السابق نفس الصفحة (٢/٢١٤)].
(١٢١٨) انظر [النشر (٢/٢١٦)].
(١٢١٩) انظر [المرجع السابق (٢/١٣٧)].
(١٢٢٠) انظر [القاموس المحيط ص ٩١٧ ـ ٩١٨ مادة جمع].
(١٢٢١) انظر [لسان العرب (٨/٥٣ ـ ٥٧) مادة جمع].
(١٢٢٢) انظر [المرجع السابق (١٠/٤٤٨ ـ ٤٤٩) مادة شرك].

٣ ـ **تنظروني**: من الفعل نظر، والنَّظر حس العين ونظر ينظر نظراً، والنظر تأمل الشيء بالعين، والنظر الانتظار. يقال: نظرتُ فلاناً وانتظرته بمعنى واحد. وأنظرني أي أمهلني(١٢٢٣).

ثالثاً: التَّفسير الإجمالي للآية:

لما ذكر الله تعالى الدلائل على وحدانيته، وذكر ما جرى بين الرسول وبين الكفار، ذكر قصصاً من قصص الأنبياء، تسلية للرسول ﷺ؛ ليتأسى بهم فيهون ويخف عليه ما يتعرض له من الشدائد، وما يلقى منهم من التكذيب، وتذكيراً للمشركين بما جرى لمن سبقهم في مثل فعلهم، وكيف كانت عاقبة الذين كذبوا الأنبياء والرسل ـ عليهم السلام ـ ، ذكر تعالى هنا في هذه الآية قصة نوح مع قومه.

يقول تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ﴾ أي: اذكر لهؤلاء المشركين الذين قالوا: اتخذ الله ولداً من قومك، وخالفوك وكذبوك، أذكر لهم خبر نوح ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى﴾ يقول: يا قوم إن كان قد شق عليكم، وعَظُم قيامي معكم للدعوة إلى عبادة ربكم ﴿وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ أي تذكيري ووعظي إياكم بآيات الله أي: بحججه وبراهينه الدالة على وحدانيته وعزمتم على قتلي أو طردي من بينكم فعلى الله اعتمادي واتكالي ﴿فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ﴾ اعزموا على ما تريدون من أمر تفعلونه بي أنتم واستعينوا بآلهتكم التي تعبدونها من دون الله ﴿ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾ أي ليكن الذي تعتزمونه ظاهراً منكشفاً تتمكنون فيه مما شئتم، لا كمن يكتم أمراً ويخفيه، فلا يقدر أن يفعل ما يريد ﴿ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَىَّ﴾ ثم امضوا إلي بمكروهكم ﴿وَلَا تُنظِرُونِ﴾ ولا تؤخروا أمري، وهذا الموقف من نوح ـ عليه السلام ـ موقف الواثق بالله ونصره؛ لأنَّه متوكل على الله، غير خائف من أعداء الله، واثق أنهم لن يضروه إلا بمشيئة الله، فكان ذلك حثاً للنبي ﷺ

(١٢٢٣) انظر [المرجع السابق (٢١٥/٥ ـ ٢١٦) مادة نظر].

على التأسي به[١٢٢٤]. لذلك على أصحاب الدعوة أن يكون لهم أسوة حسنة في رسل الله، وإنَّه لينبغي لهم أن تمتلئ قلوبهم بالثقة حتى تفيض وأن يتوكلوا على الله وحده في وجه الطاغوت أياً كان!

وضرر الطاغوت لهم وأذاهم هو ابتلاء للمؤمنين لا عجزاً منه سبحانه عن نصرة أوليائه، ولا تركاً لهم ليسلمهم إلى أعدائه، ولكنه الإبتلاء الذي يمحص القلوب والصفوف، ثم تعود الكرة للمؤمنين، وبذلك يحق وعد الله لهم بالنصر والتمكين[١٢٢٥].

رابعاً: العلاقة التَّفسيرية بين القراءات:

القراءة الأولى:

قرأ رويس (فاجْمَعُوا) بوصل الهمزة وفتح الميم، وحجتهم قوله تعالى ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ٩][١٢٢٦] فيكون (فاجْمَعُوا) فعل أمر من جمع ضد فرّق كقوله تعالى ﴿فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ﴾ [طه: ٦٠].

ويقال الإجماع في الأحداث مثل جمعت أمري، والجمع في الأعيان: مثل جمعت القوم وقد استعمل كل مكان الآخر[١٢٢٧] فيكون المعنى على تقدير: فاجمعوا ذوي الأمر منكم أي، رؤساءكم ووجوهكم، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣] فحذف المضاف، وجرى على المضاف إليه ما كان يجري على المضاف؛ لو ثبت. وعلى هذه القراءة حمل الشركاء على هذا الفعل الظاهر، لأنك جمعت الشركاء وجمعت القول، فيكون بمنزلة قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ﴾ [هود: ١٠٣][١٢٢٨].

(١٢٢٤) انظر [جامع البيان (١١/١٤١ ـ ١٤٣)، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو الحسن الواحدي (١/٥٠٤)].

(١٢٢٥) انظر [الظلال (٣/١٨١١)]

(١٢٢٦) انظر [الحجة ابن خالويه ص ١٠٣]

(١٢٢٧) انظر [النشر (٢/٢١٤)].

(١٢٢٨) انظر [الحجة: أبو علي الفارسي (٤/٢٢٨)].

وقرأ الباقون ﴿فَأَجْمِعُوٓا۟﴾ بتحقيق الهمزة، وكسر الميم على أفعل من الفعل.

أجمع الأمر: إذا نواه وعزم عليه، وهذا ما قاله الفراء(١٢٢٩). فأضمر للشركاء فعلاً آخر، كأنَّه فاجمعوا أمركم واجمعوا شركاءكم، فيكون جعل الأمر ما كانوا يجمعون من كيدهم الذي كانوا يكيدون به، فيكون بمنزلة قوله تعالى: ﴿فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا﴾ [طه: ٦٤](١٢٣٠) وفي فتح القدير نقلاً عن أبي الهيثم(١٢٣١): «وأجمع أمره: جعله جمعاً بعدما كان متفرقاً، وتفرقه أن تقول مرة افعل كذا، ومرة افعل كذا، فلما عزم على أمر واحد فقد جمعه فهذا هو الأصل في الإجماع ثم سار بمعنى العزم»(١٢٣٢).

خامساً: الجمع بين القراءتين:

بالجمع بين القراءتين: يتضح المعنى الواسع من خلال القراءتين، والتقدير: اجمعوا كل ما تقدرون عليه من الأسباب التي توجب حصول مطلوبكم ثم لم يقتصر على ذلك بل أمرهم أن يضموا إلى أنفسهم شركاءهم. الذين كانوا يزعمون أن حالهم يقوى بمكانهم، وبالتقرب إليهم(١٢٣٣).

القراءة الثانية:

قرأ يعقوب (وشركاؤُكم) برفع الهمز، وفي ذلك وجهان:

(١٢٢٩) انظر [معاني القرآن: الفراء (٤٧٣/١)].

(١٢٣٠) انظر [الحجة أبو علي الفارسي (٢٢١/٤)].

(١٢٣١) هو مالك بن التّيهان الأنصاري الأوسي أبو الهيثم صحابي، كان أول من أسلم من الأنصار بمكّة، أحد النقباء الاثنى عشر شهد بدراً وأحداً، وتوفي في خلافة عمر، وقيل: شهد صفيل مع علي، وقتل بها سنة ٣٧هـ، وكان شاعراً انظر [الأعلام (٢٥٨/٥)].

(١٢٣٢) فتح القدير: (٥٧٧/٢) وانظر [البحر المحيط قول أبو الهيثم أيضاً (١٧٩/٥)].

(١٢٣٣) انظر [مفاتيح الغيب (١١٢/١٧)].

أ ـ أن تكون (شركاؤكم) عطفاً على ضمير (فأجمعوا) وحسنه، الفصل بالمفعول فيكون التقدير: فأجمعوا أنتم وشركاؤكم أمركم.

ب ـ ويحتمل أن يكون مبتدأ محذوف الخبر؛ للدلالة عليه، ويكون التقدير: وشركاؤكم فليجمعوا أمرهم كذلك(١٢٣٤).

ـ وقرأ الباقون (وَشُرَكَآءَكُمْ) بنصب الهمز، وفيه ثلاثة أوجه:

الأول : بمعنى وادعوا شركاءكم، يؤيدها في مصحف أُبي (وادعوا شركاءكم)(١٢٣٥) وهذا ما قاله الكسائي والفراء أي ادعوهم لنصرتكم، فهو على هذا منصوب بفعل مضمر والتقدير: فأجمعوا أمركم وادعوا شركاءكم(١٢٣٦).

والثاني: أن يكون معطوفاً على المعنى، أي معطوفاً على الأمر، والتقدير: فأجمعوا أمركم وشركاءكم.

الثالث : قاله الزَّجاج : «والمعنى مع شركائكم، فالواو على هذا واو مع» فيكون التقدير: فأجمعوا مع شركائكم أمركم(١٢٣٧).

ونقل ابن خالويه قولاً عن البصريين: هو مفعول معه؛ لأن الواو بمعنى مع، والتقدير: (فأجمعوا أمركم مع شركائكم)(١٢٣٨).

الجمع بين القراءتين:

نجد أنَّ من رفع (شركاؤكم) حمله عطفاً على ضمير (فأجمعوا) أو جعله مبتدأ محذوف الخبر، ومَنْ نصب جعل الواو بمعنى (مع) أو عطفه على الأمر، أو قدر له فعلاً محذوفاً فنصبه، وكما ذكرنا سابقاً الجمع في ذلك(١٢٣٩).

(١٢٣٤) انظر [النشر (٢/٢١٤)].

(١٢٣٥) انظر [البحر المحيط (٥/١٧٩)].

(١٢٣٦) انظر [معاني القرآن: الكسائي ص ١٥٩، معاني القرآن، الفراء (١/٤٧٣)].

(١٢٣٧) انظر [معانى القرآن الزجاج (٣/٢٨)، الحجة أبو علي الفارسي (٤/٢٨٨ ـ ٢٨٩)].

(١٢٣٨) انظر [إعراب القراءات: ابن خالويه (١/٢٧١)].

(١٢٣٩) راجع الآية ٢٣ من سورة يونس ص٢٨٨.

القراءة الثالثة:

قرأ يعقوب (ولا تنظروني) بإثبات الياء الزائدة، وهذا يتسق مع السياق في الآية، مع ياءات قوله تعالى (مقامي، تذكيري)، والوقف بالياء يكون اتباعاً لرسم المصحف.

وأيضاً جاءت الياء الزائدة، تأكيداً لمدلول التضمين المشار إليه بـ (إليَّ) وقرأ الباقون ﴿وَلَا تُنظِرُونِ﴾ بحذف ياء المتكلم، وذلك للتخفيف، وهو حذف كثير في فصيح الكلام، وبقاء نون الوقاية مشعر به(١٢٤٠).

وقد تأتي الياء في مقام الإطالة والتفصيل، وتجتزأ عنها بالكسرة في مقام الإيجاز والاختصار(١٢٤١).

لذلك كان التخفيف هنا؛ لأنه اختصر السياق إلى تفصيلات القصة إلى حلقة واحدة، واختصر تفصيلات الحلقة الواحدة إلى نتائجها الأخيرة، فناسب اختصار الياء وحذفها هذا الاختصار، حيث إن الهدف من القصة في هذا الموضع، كان إبراز التحدي والاستعانة بالله وحده(١٢٤٢).

أيضاً تخفيف الياء يدل على: قلة المبالاة بهم للاعتماد على الله؛ لأنه لا يعجزه شيء، ومعبوداتهم لا تعني شيئاً.

الجمع بين القراءتين:

١ ـ بالجمع بين القراءتين: أرى أنَّ مَنْ قرأ بالياء، نظر إلى أنَّ المقام مقام شرح وتفصيل... وذلك للتحدي فناسب التفصيل الإتيان بالياء، ومن خفف نظر إلى اختصار تفصيلات القصة إلى حلقة واحدة، فناسب التخفيف، والله أعلم.

٢ ـ الوقف بالياء اتباعاً لرسم المصحف، ورسم المصحف أشبه برموز

(١٢٤٠) انظر [التحرير والتنوير (١١/٢٤٠)].

(١٢٤١) انظر [بلاغة الكلمة ص ٢٤].

(١٢٤٢) انظر [الظلال (٣/١٨١٠)].

التلحين، فكل رمز منها تعني صوتاً أو إيقاعاً أو درجة في الإيقاع، وائتلاف هذه الرموز بعضها مع بعض هو اللحن الذي يمكن سماعه إذا رتل القارئ هذا النص أو ذالك من نصوص القرآن الكريم، والإيقاع الذي يتيح الرسم سماعه ويعطي للقراء فرصة الاختيار(١٢٤٣).

٢٤ ـ ﴿فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَمَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ۝٧٢﴾ [يونس: ٧٢].

أولاً: القراءات:

١. قرأ المدنيان (نافع وأبو جعفر) وأبو عمرو وابن عامر وحفص (أجريَ إلا) بفتح ياء الإضافة.

٢. وقرأ الباقون (أجري- إلا) بإسكان ياء الإضافة مع المد(١٢٤٤).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

الأجر: الجزاء على العمل، والجمع أجور، والأجر: الثواب؛ وقد أَجَرَه الله يأجُرُه ويأْجِرُه أجْراً وآجَرَه الله إيجاراً، أجرته الدار: أكريتُها(١٢٤٥)

ثالثاً: التَّفسير الإجمالي للآية:

نقل الفخر الرازي عن المفسرين قولهم في هذه الآية: «هذا إشارة إلى أنه ما أخذ منهم مالاً على دعوتهم إلى دين الله تعالى، ومتى كان الإنسان فارغاً من الطمع كان قوله أقوى تأثيراً في القلب»(١٢٤٦).

وفيه تبيين منه ـ عليه السلام ـ بأنه لا يخاف منهم بوجه من الوجوه(١٢٤٧). قال تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَمَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٍۖ﴾ أي فإن دام إعراضكم وتوليكم عما جئت به إليكم من توحيد الله، ورفض آلهتكم، فلست أبالي

(١٢٤٣) انظر [الإعجاز الموسيقي ص١٠٧ ـ ١١١].

(١٢٤٤) انظر [النشر (٢/٢١٦)].

(١٢٤٥) انظر [لسان العرب (٤/١٠ ـ ١١) مادة أجر].

(١٢٤٦) مفاتيح الغيب (١٧/١١٢).

(١٢٤٧) انظر [المرجع السابق نفس الصفحة].

بكم وذلك؛ لأن توليكم لا يضرني، وذلك لأن ما دعوتكم إليه وما وعظتكم به، لم أسألكم عليه أجراً ولا مالاً ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ﴾ في تبليغ رسالته، فكانت النصيحة لوجه الله، لا لغرض دنيوي ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ أي سواء قبلتم دين الإسلام أم لم تقبلوه، فأنا مأمور أن أكون على دين الإسلام، ذلك الدين الحنيف الذي هو توحيد الله والعمل بطاعته أو يكون المعنى: أني مأمور بالانقياد والاستسلام لحكم الله وأمره، والاستسلام لكل ما يصيبني من البلاء(١٢٤٨).

رابعاً: العلاقة التّفسيرية بين القراءات:

قد ذكرت التوجيه على فتح وإسكان ياء الإضافة(١٢٤٩).

ولكني أضيف هنا، أنَّ قراءة إسكان ياء الإضافة (أجرى- إلا) تتناسب مع السياق في الآية السابقة في قراءة إثبات الياء الزائدة في (تنظروني) وقراءة فتح ياء الإضافة تتناسب مع قراءة حذف الياء من ﴿وَلَا تُنظِرُونِ﴾ وعليه، فإن التوجيه الذي ذكرته في الآية السابقة يصح أن نعمله على هذه القراءات، وأيضاً المد في قراءة التسكين تدل على التعب والإرهاق الشديد وعلى هم نفس النبي نوح عليه السلام، وشدة حسرته على قومه، وحرصه على أن يؤمنوا، وفي المد أيضاً إطالة بالزمن وذلك بأنه لا يريد الأجر في الدنيا، وإنما سيناله يوم القيامة والله أعلم.

٢٥ ـ ﴿قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾﴾ [يونس: ٧٨].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ أبو بكر (شعبة) **(وَيَكُونُ لكما الكبرياء) بالياء على التذكير.**

٢ ـ وقرأ الباقون، وأكثر أصحاب أبي بكر ﴿وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ﴾ بالتاء

(١٢٤٨) انظر [المحرر الوجيز (١٣٣/٣)، مفاتيح الغيب (١١٢/١٧)، الجامع لأحكام القرآن (٦٦٢/٨)، البحر المحيط (١٨٠/٥)].

(١٢٤٩) راجع ص٢٧٦ ـ ٢٧٧.

على التأنيث(١٢٥٠).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

يكون وكان من كنت من الأفعال التي ترفع الأسماء وتنصب الأخبار، كقولك كان زيد قائماً، ويكون عمرو ذاهباً، والمصدر كوناً وكياناً والكون الحدث، وقد كان كَوْناً وكَيْنونة(١٢٥١).

ثالثاً: التَّفسير الإجمالي للآية:

حكى الله تعالى في هذه الآية عن فرعون وقومه، أنهم لم يقبلوا دعوة موسى عليه السلام، وعلَّلوا عدم القبول بأمرين:

الأول: قوله: ﴿أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا﴾ ذكر الأخفش اللفت بمعنى اللوي(١٢٥٢) فيكون المعنى لتصرفنا وتلوينا ﴿عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا﴾ عن عبادة الأصنام وعبادة فرعون.

الثاني: في عدم القبول وقوله: ﴿وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي ويكون لكما الملك والعز في أرض مصر، والخطاب هنا لموسى وهارون. وقال الزجاج: «وإنّما سمّي الملك كبرياء؛ لأنه أكبر ما يطلب من أمر الدنيا»(١٢٥٣). فلما ذكر القوم هذين السببين صَّرحوا بالحكم، وقالوا: ﴿وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ﴾ أي: بمقرّين بأنّكما رسولان أرسلتما إلينا(١٢٥٤).

رابعاً: العلاقة التَّفسيرية بين القراءات:

قرأ أبو بكر (وَيَكُون لكما الكبرياء) بالياء على التذكير، وذلك لمراعاة اللفظ والمعنى، فلمراعاة اللفظ؛ لأنَّ الكبرياء مؤنث غير حقيقي، ولأنه فُصل بينه وبين الفعل، ولأنَّه اسم (ويكون جمع تكسير).

(١٢٥٠) انظر [النشر (٢/٢١٤ ـ ٢١٥)].
(١٢٥١) انظر [لسان العرب (١٣/٣٦٣ ـ ٣٦٥) مادة كون].
(١٢٥٢) انظر [معاني القرآن: الأخفش (٢/٥٧٢)].
(١٢٥٣) معاني القرآن الزجاج (٣/٢٩).
(١٢٥٤) انظر [جامع البيان (١١/١٤٦ ـ ١٤٧)، مفاتيح الغيب (١٧/١٢٤)].

ولمراعاة المعنى فلأنَّ الكبرياء بمعنى المُلك، فناسب تذكير الفعل يكون.

وقرأ الباقون ﴿وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ﴾ بتاء التأنيث، وهو الوجه الثاني لشعبة (أبو بكر) وذلك لتأنيث اسم ﴿وَتَكُونُ﴾[1255].

خامساً: الجمع بين القراءتين:

بالجمع بين القراءتين: أرى أن من ذكّر الفعل حمل التذكير على المعنى، ومن أنّث الفعل حمل التأنيث على اللفظ . . . والله أعلم.

٢٦ ـ ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِي بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾﴾ [يونس: ٧٩].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ حمزة والكسائي وخلف (سَحَّارٍ) على وزن فعّال بتشديد الحاء وألف بعدها.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿سَٰحِرٍ﴾ على وزن فاعل والألف قبل الحاء[1256].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

ساحر: اسم فاعل من السحر يُقال رجل ساحرٌ من قوم سحرة وسَحَّار، وسحّار من قوم سحارين[1257]. والسِّحر سبق تعريفه[1258].

ثالثاً: التَّفسير الإجمالي للآية:

ادّعى فرعون وأتباعه أن ما جاء به موسى هو سحر، فأخذوا في معارضته بأنواع من السِّحر؛ ليظهر لسائر الناس أن ما أتى به موسى هو من باب السِّحر، ففي قوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِي﴾ أسند الفعل إليه وحده؛

(١٢٥٥) انظر [البحر المحيط (١٨٢/٥)، الدر المصون (٢٤٨/٦)، المغني في توجيه القراءات (٢٣٨/٢)].

(١٢٥٦) انظر [النشر (٢٠٣/٢) (٢١٥/٢)].

(١٢٥٧) انظر [لسان العرب (٣٤٨/٤) مادة سحر].

(١٢٥٨) راجع ص ٢٥٩.

لأن الأمر من وظائفه، أي: قال لخدمه والمتصرفين بين يديه ﴿بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ﴾ في فن السِّحر ماهر به[(١٢٥٩)].

رابعاً: العلاقة التَّفسيرية بين القراءات:

قرأ حمزة، والكسائي، وخلف **(سحّار)** على وزن فعّال بتشديد الحاء وألف بعدها، وهي على صيغة فعَّال التي تدل على الحرفة والصناعة وتقتضي الاستمرار والمزاولة.

وقرأ الباقون ﴿سَٰحِرٍ﴾ على وزن فاعل والألف قبل الحاء، وهي على وزن فاعل وهذه الصيغة تفيد عدم المزاولة والاستمرار[(١٢٦٠)].

خامساً: الجمع بين القراءتين:

أمر فرعون بإحضار جميع السحرة المتمكنين في علم السحر المزاولين له، وذلك لأنهم أبصر بدقائقه وأقدر على إظهار ما يفوق خوارق موسى في زعمه، وهذا المعنى نأخذه من قراءة **(سحّار)** صيغة المبالغة.

أما قراءة ﴿سَٰحِرٍ﴾ فأرى أنه أراد حضور السحرة؛ فجاءت قراءة صيغة المبالغة تبين أنَّ طلبه هو السحرة المتمكنين المتمرسين الذين يمارسون مهنة السحر والله أعلم[(١٢٦١)].

٢٧ ـ ﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [يونس: ٨١].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ أبو عمرو وأبو جعفر **(بهءآلسِّحْرُ)** بزيادة همزة استفهام قبل همزة الوصل وعندها تمد مداً مشبعاً للساكنين، أو تسهل بين بين، وعلى ذلك توصل هاء الضمير في (به) بياء.

(١٢٥٩) انظر [البحر المحيط (٥/١٨٢)، المقتطف من عيون التفاسير (٢/٤٩١)].

(١٢٦٠) انظر [معاني الأبنية ص١١٠، ص١٧٥].

(١٢٦١) انظر [التحرير والتنوير (١١/٢٥٣)].

٢. وقرأ الباقون ﴿بِهِ ٱلسِّحْرُ﴾ بهمزة وصل على الخبر فتسقط وصلاً، وتحذف ياء الصله في الهاء قبلها؛ لالتقاء الساكنين(١٢٦٢).

ثانياً: التَّفسير الإجمالي للآية:

﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ﴾ ما هم ملقوه من العِصي والحبال، واسترهبوا الناس، قال لهم موسى هذه المقالة، وهو غير مكترث بما صنعوا ﴿مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ﴾ الذي جئتم به أيها السحرة هو السحر، لا آيات الله التي سماها فرعون بأنها سحر ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ﴾ أي إن الله سيذهبه ويمحقه بالكليّة، وحقاً أذهبه الله بأنْ سلّط عليه عصا موسى، حيث حوَّلها ثعباناً، فلقفت كل ما ألقى السّحرة من الحبال والعِصِيّ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ يعني: لا يصلح عمل من يسعى في الأرض الفساد من معاصي وغيرها(١٢٦٣).

ثالثاً: العلاقة التَّفسيرية بين القراءات:

قرأ أبو عمرو، وأبو جعفر (ءَآلسِّحْرَ) بهمزة استفهام في أوله، وبالمد لتسهيل الهمزة الثّانية، فتكون (ما) في قوله: ﴿ما جئتم به) استفهامية، وهي في موضع رفع على الابتداء. فكأنّه قال: أي شيء جئتم به؟ ثم قال على وجه التوبيخ والتقريع (آلسِّحْرُ) فتكون بدل من المبتدأ ذلك وهو اسم الاستفهام (ما) ولذلك أعيد الاستفهام ليساوي المبدل منه؛ لأن ذلك كما تقول كم مالك، أعشرون أم ثلاثون؟ فجعلت (عشرون) بدلاً من (كم) وهذا يوافق القاعدة التي تقول: «إذا استبدل اسم من اسم مضمن معنى حرف استفهام، ذكر ذلك الحرف مع المبدل»(١٢٦٤). ولا يلزم أن يضمر للسّحر خبر؛ لأنك إذا أبدلته من المبتدأ صار في موضعه وصار ما كان خبراً عن

(١٢٦٢) انظر [النشر (١/٢٩٣ ـ ٢٩٤) (٢/٢١٥)].

(١٢٦٣) انظر [جامع البيان (١١/١٤٧ ـ ١٤٨)، المقتطف من عيون التفاسير (٢/٤٩١)].

(١٢٦٤) انظر [أوضح المسالك عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبدالله بن هشام، الأنصاري المصري (ت ٧٦١هـ) (٣/٣١٠) دار الجيل ـ بيروت ـ لبنان ـ ط ٥ ـ ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م ومعه كتاب عدة السالك إلى تحقيق أوضح المسالك محمد محي الدين عبد الحميد].

المبدل منه خبراً عنه، فتكون (جئتم به) الخبر. فكان الاستفهام هنا ليس على معنى الاستخبار؛ لأن موسى ـ عليه السلام ـ أيقن أن الذي جاءوا به سحر، لكنه استفهام في اللفظ، ومعناه التقرير[1265]. وخلاصة الكلام أنَّ (آلسّحر) استفهام مبيِّن لـ(ما) الاستفهامية وهو مستعمل للتّحقير، والمعنى: أنه أمر هيِّن يستطيعه ناس كثيرون[1266]. وقرأ الجمهور[1267] (آلسِّحْرُ) بهمزة وصل في أوله هي الهمزة (أل) فتكون (ما) في قوله: (ما جئتم به) اسماً موصولاً بمعنى الذي، وهو في موضع رفع الابتداء و(السّحر) خبر المبتدأ و(جئتم به) صله (ما). والتّقدير: الذي جئتم به السّحر، لا آيات الله التي سمّاها فرعون سحراً.

ويؤيد هذا التّقدير قراءة أُبي[1268] وما في مصحفه: (ما أتيتم به سحر)، وقراءة عبد الله والأعمش[1269] والتّعريف في السّحر هنا يقول فيه ابن عطيّة: «أرتب؛ لأنّه قد تقدم منكراً في قولهم ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ﴾ [يونس: ٧٦] فجاء هنا بلام العهد، كما يقال في أول الرّسالة: سلام عليك وفي آخرها والسّلام عليك»[1270]. وقد ذكر السّمين الحلبي خمسة أوجه في قراءة أبي عمرو، وأربعة أوجه في قراءة الجمهور، وناقشها ورد منها ما ردّ، وقَبِل منها ما قَبِل، وما ذكرته هنا في هذه القراءات هو الخلاصة[1271].

رابعاً: الجمع بين القراءتين:

بالجمع بين القراءتين يتبين لنا: أنَّ الأسلوب تعدد، فجاء مرّة أسلوباً

(١٢٦٥) انظر [الكشف (٥٢١/١)، الحجة ابن زنجلة ص ٣٣٥، الحجة أبو علي الفارسي (٢٩٠/٤ ـ ٢٩١) مفاتيح الغيب (١١٥/١٧)].

(١٢٦٦) انظر [التحرير والتنوير (٢٥٦/١١)].

(١٢٦٧) انظر [مراجع الهوامش السابقة جميعها].

(١٢٦٨) ذكرها أبو حيان في تفسيره (١٨٣/٥).

(١٢٦٩) سبقت ترجمة له ص ١٣٥.

(١٢٧٠) المحرر الوجيز (٣/ ١٣٥).

(١٢٧١) انظر [الدر المصون (٢٤٩/٦ ـ ٢٥٤)].

خبرياً، ومرّةً إنشائياً، وهذا يدل على جمال القرآن الكريم وإعجازه، فالبرغم من أنَّ الأسلوب اختلف؛ إلا أنه أدى نفس المعنى، وزاد أسلوب الاستفهام بمعنى آخر وهو تقريع وتوبيخ السّحرة.

وأيضاً بالجمع نجد أن هذه القراءات ترتّب عليها وجوه إعرابية في الآية الواحدة، فكانت القراءات سبباً في اختلاف النّحاة في توجيه الآية القرآنية من حيث إعرابها كما رأينا سابقاً في العلاقة التفسيرية.

٢٨ ـ ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾﴾ [يونس: ٨٨].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ الكوفيّون (عاصم، حمزة، الكسائي، خلف) ﴿لِيُضِلُّوا۟﴾ بضم الياء.

٢ ـ وقرأ الباقون (لِيَضِلُّوا) بفتح الياء(١٢٧٢).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

ليضلّوا: من الفعل ضلل ومنه الضّلال والضّلالة وهما ضد الهدى والرشاد. ضَلَلْتُ تَضِلُّ هذه اللغة الفصيحة، وضَلِلْتُ تَضَلُّ وضلالةً، وأضَلَّهُ جعله ضالاً(١٢٧٣).

ثالثاً: التّفسير الإجمالي للآية:

لمّا بالغ موسى في إظهار المعجزات الظاهرة، ورأى القوم مصرّين على الجحود والإنكار، أخذ يدعو عليهم وذكر سبب إقدامهم على جرائمهم، وهو أنهم لأجل حبهم الدّنيا تركوا الدّين، فلهذا السّبب قال موسى ـ عليه السلام ـ ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا﴾ يقول

(١٢٧٢) انظر [النشر (٢/١٩٧) (٢/٢١٥)].

(١٢٧٣) انظر [لسان العرب (١١/٣٩٠ ـ ٣٩٣)، مادة ضلل].

الرّازي: «والزّينة عبارة عن الصّحة والجمال واللّباس والدّواب وأثاث البيت والمال، وما يزيد على هذه الأشياء من الصّامت والنّاطق»(١٢٧٤). ثم قال ﴿لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَۖ﴾ أي جعلت هذه الأشياء السّابقة سبباً لضلالهم؛ لأنهم بطروا فاستكبروا عن الإيمان، فكانت الأشياء التي أمدّهم الله بها على سبيل الاستدراج، ليزدادوا إثما، وقوله هذا ذكره، ليمهد للتّخلص إلى الدّعاء عليهم .﴿رَبَّنَا ٱطۡمِسۡ عَلَىٰٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ﴾ أي أهلكها قاله مجاهد(١٢٧٥) ﴿وَٱشۡدُدۡ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾ يعني الضلالة ﴿فَلَا يُؤۡمِنُواْ﴾(١٢٧٦) بالله فيما يرون من الآيات ﴿حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ﴾ يعني الغرق، فاستجيب في ذلك، فلم يؤمن فرعون حتى أدركه الغرق(١٢٧٧).

رابعاً: العلاقة التَّفسيرية بين القراءات:

قرأ أهل الكوفة ﴿لِيُضِلُّواْ﴾ بضم الياء: أي ليضلوا غيرهم، أي يُضلوا الناس عن الهدى. والحجّة: أنه جعل الفعل متعدياً منهم إلى غيرهم، فدل على أنَّ ماضي الفعل على أربعة أحرف.

وحجّتهم أيضاً في ذلك أنَّ ما تقدم من وصف فرعون بما وصف أنه بذلك ضال غير مهتد؛ فكان وصفه بعد ذلك بأنه مع ذلك مضل لغيره، ويزيد الكلام فائدة ومعرفة ما لم يكن مذكوراً فيما تقدّم من وصفه(١٢٧٨).

يقال ضللت الطّريق أضِلُّه وضلِلْتُه أضَلُّه، وأضلّ الشيء إذا ضيّعه(١٢٧٩).

(١٢٧٤) مفاتيح الغيب (١١٩/١٧).

(١٢٧٥) انظر [تفسير الإمام مجاهد (٣٨٣/١)].

(١٢٧٦) انظر [المرجع السابق نفس الصفحة].

(١٢٧٧) انظر [جامع البيان (١٦٠/١١)، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو الحسن الواحدي (٥٠٦/١)].

(١٢٧٨) انظر [الحجة: ابن خالويه ص٨٠، والحجة ابن زنجلة ٣٣٥، زاد المسير (٢٤٦/٢)].

(١٢٧٩) انظر [معاني القراءات ص ١٦٨].

وقرأ الباقون: (لِيَضِلُّوا) بفتح الياء أي ليضلّوا هم أو يضلّوا في أنفسهم، وحجّتهم قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [النّحل: ١٢٥] وقد ضلّوا(١٢٨٠).

والحجّة أنه جعل الفعل لازماً إليهم غير متعدٍ إلى غيرهم، فدّل على أنَّ ماضيه على ثلاثة أحرف. يقال ضلّ فلانٌ الشّيء يضله: إذا جعلَه في مكان ثم لم يهتد له(١٢٨١). واختلف في اللاّم التي في (ليضلّوا) وأصح ما قيل فيها وهو كما نقل القرطبي عن قول الخليل وسيبويه أنها لام العاقبة والصّيرورة.

أي: لما كان عاقبة أمرهم إلى الضلال صار كأنّه أعطاهم ليضلوا(١٢٨٢) كما قال ـ ﷻ ـ ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص: ٨] أي فآل أمرهم إلى ذلك، وكأنّهم فعلوا ذلك لهذا(١٢٨٣).

خامساً: الجمع بين القراءتين:

بالجمع بين القراءتين: لاحظت أنّ قراءة (لَيَضلّوا) أي يصيرون ضُلّالاً، وقراءة (لِيُضِلّوا) بضم الياء ليضلّوا غيرهم. فجاءت القراءة الثّانية توضح وتزيد في المعنى على القراءة الأولى؛ ففيها من البلاغة ما فيها، لأنّه قد يضل في نفسه، ولا يُضِل غيره. أما القراءة الثّانية: فتفيد أنه ضال مضل: أي أنهم ضالّون بشركهم مضلّون غيرهم(١٢٨٤).

٢٩ ـ ﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [يونس: ٨٩].

(١٢٨٠) انظر [الحجة ابن زنجلة ص ٣٣٦].

(١٢٨١) انظر [الحجة: ابن خالويه ص ٨٠، معاني القراءات ص ١٦٨].

(١٢٨٢) انظر [الجامع لأحكام القرآن (٨/٦٧٠)، وفتح القدير (٢/٥٨٥)].

(١٢٨٣) انظر [إعراب القرآن للنحاس (١/٤٨٩)].

(١٢٨٤) انظر [الحجة ابن زنجلة ص ٣٧٨ ـ ٣٧٩، روح المعاني (١٣/٢١٩)، علم القراءات د. نبيل آل إسماعيل ص٤٨].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ ابن ذكوان **(ولا تَتَّبِعانِ)** بتخفيف النّون.

ـ وقرأ الباقون ﴿وَلَا تَتَّبِعَآنِّ﴾ بتشديد النّون والتّاء وكسر النون.

٢ ـ انفرد ابن مجاهد[(١٢٨٥)] عن ابن ذكوان[(١٢٨٦)] ولا تَتْبَعانِّ بتخفيف التّاء الثّانية ساكنة وفتح الباء مع تشديد النّون ولكن هذا الوجه قال فيه الداني إنه غلط ممن رواه عن ابن ذكوان، وصحح هذه القراءة ابن الجزري من غير طريق ابن مجاهد[(١٢٨٧)].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

تتّبعان: مشتق من الفعل تبع، وتبع الشّيء تبعاً وتباعاً في الأفعال وتَبِعْت الشّيءَ تبوعاً أي سِرْت في إثره، واتبعه وأتْبعه وتتبعه اتّباعاً، وتبعت القوم تَبعاً وتباعه بالفتح، إذ مشيت خلفهم أو مرّوا بك فمضيت معهم[(١٢٨٨)].

ثالثاً: التّفسير الإجمالي للآية:

يقول الطّبري في صدر تفسيره لهذه الآية: «وهذا خبر من الله عن إجابته لموسى عليه السلام وهارون دعاءهما على فرعون وأشراف قومه وأموالهم»[(١٢٨٩)].

﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا﴾ أي قال الله تعالى لموسى وهارون عليهما السّلام قد استجبت دعوتكما على فرعون وقومه، وقد نسب الدّعوة إليهما

(١٢٨٥) سبقت ترجمة له ص٦٣.

(١٢٨٦) ابن ذكوان: وهو عبدالله بن أحمد بن بشر، ويقال بشير بن ذكوان، أبو عمرو القرشي الدمشقي، شيخ الإقراء بالشام، وإمام جامع دمشق، ألف كتاب، ولد يوم عاشوراء سنة ثلاث وسبعين ومائة، وتوفي ـ رحمه الله ـ يوم الاثنين سنة اثنتين وأربعين ومائتين.

(١٢٨٧) انظر [النشر (٢/٢١٥)].

(١٢٨٨) انظر [لسان العرب (٨/٢٧ ـ ٢٩) مادة تبع].

(١٢٨٩) جامع البيان (١١/١٦٠).

مع أنَّ موسى هو الداعي، وذلك لأن هارون أمّن على الدعاء، فالتّأمين كالدّعاء؛ لأنَّ آمين معناها استجب(1290).

﴿فَٱسۡتَقِيمَا﴾ أُمرا بالاستقامة على أمرهما، والثّبات عليه، حتى يأتيهما تأويل الإجابة ويُقال: إنّه كان بينهما أربعون سنة(1291) أي بين الدعاء وبين الإجابة وهي غرق فرعون وجنوده، واحتمال أن يكون معنى ﴿فَٱسۡتَقِيمَا﴾ أي استقيما على ديني أو استقيما على الرّسالة وما أمرتكما به(1292).

﴿وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾، أي لا تسلكان طريق الجهلة في الاستعجال وعدم الوثوق بوعد الله، أو الذين يجهلون حقيقة وعد الله، فإن وعد الله لا خلف له(1293).

رابعاً: العلاقة التّفسيرية بين القراءات:

١ ـ قرأ ابن ذكوان (ولا تتّبعانِ) بتخفيف النّون مع كسرها، ولا تحتمل أن تكون للنّفي أو النّهي وفيه ثلاثة أوجه:

أحدهما: أ ـ أنَّ الفعل معرب مرفوع، والنّون علامة الرفع، و(لا) هنا نافية، ويصير اللّفظ لفظ الخبر، ومعناه النهي كقوله تعالى (لا تضارُ والدة) على قراءة أبي عمر وابن كثير(1294) برفع الرّاء(1295) فالجملة وإن كانت خبرية لفظاً؛ إلا أنها طلبية المعنى، لأنَّ المراد منها النّهي، والنّهي المخرج بصورة المخبر أبلغ من النّهي المخرج بصورته، ويجوز أن تعتبر الجملة مستأنفة للإخبار بأنهما لا يتبعان سبيل الجاهلين(1296).

ب ـ أو أن يُجعل (ولا تتّبعان) حالاً من الضّمير في (فاستقيما)

(١٢٩٠) انظر [معاني القرآن الفراء (٤٧٨/١)، معاني القرآن النحاس (٤٩٠/١)، مفاتيح الغيب (١٢٢/١٧)].
(١٢٩١) انظر [معاني القرآن الفراء (٤٧٨/١)، البحر المحيط (١٨٧/٥)].
(١٢٩٢) انظر [زاد المسير (٣٤٧/٢)].
(١٢٩٣) انظر [المقتطف من عيون التفاسير (٤٩٤/٢)].
(١٢٩٤) انظر [النشر (١٧١/٢)].
(١٢٩٥) انظر [المرجع السابق (٢١٥/٢)، الكشف (٥٢٢/١)].
(١٢٩٦) انظر [روح المعاني (١٦٣/١١)].

والتقدير: أي فاستقيما غير مُتَّبِعَيْن سبيل الذين لا يعلمون أي: فاستقيما، وأنتما لا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون[(1297)].

ثانياً: أنه مبني والنّون نون التّأكيد الخفيفة كُسرت كما كُسرت الثقيلة أو كسرت لالتقاء السّاكنين تشبيهاً بالنون (من رجلان ويفعلان) ومنع ذلك سيبويه؛ لأنّه لا يرى وقوع النّون الخفيفة بعد الألف، سواءً كانت الألف ألف تثنية أو ألف فصل بين نون الإناث ونون التّوكيد نحو: «هل تضربنان يانِسْوَن» وكذلك النون الخفيفة إذا لقيها ساكن، لزم حذفها، ولا يجوز تحريكها[(1298)].

ولكن ذكرت كتب التَّفسير بأن الفرّاء وغيره أجازوا ذلك[(1299)] وأبقوا النّون ساكنة؛ لأنَّ الألف بخفّتها، أو لأنَّ المد الذي على الألف يقوم مقام الحركة، وكسروها على أصل التقاء السّاكنين[(1300)].

ثالثاً: أنّه مبني، والنّون هي الثّقيلة أي نون التّأكيد الدّاخله على النّهي؛ إلا أنّها استثقل تشديدها فخففت كما خُففت رُبَ وحذفت النّون الأولى، ولم تحذف الثانية، لأنّها لو حذفت لحذفت نون محرّكة، واحتيج إلى تحريك السّاكنة وحذف السّاكنة أقل تغييراً.

بمعنى أننا لو حذفنا الثّانية المتحرّكة التقى ساكنان، فنحتاج إلى الحذف والتّحريك، فيكون حذف السّاكن أسهل[(1301)].

٢ ـ وقرأ الباقون (ولا تَتّبعانِّ) بتشديد النّون، وذلك على أصلها؛ لأنّها النّون المشدّدة (التّأكيد) التي تدخل الأفعال للتّأكيد في الأمر والنّهي وشبهه[(1302)]. وهنا دخلت على النّهي، فـ(لا) هنا النّاهية، وموضع (تتبعان)

(١٢٩٧) انظر [الكشف (٥٢٢/١)، الحجة: ابن زنجلة ص٣٣٦].

(١٢٩٨) انظر [كتاب سيبويه (٥٢٠/٣ ـ ٥٢٦)].

(١٢٩٩) انظر [روح المعاني (١٦٤/١١)، الدر المصون (٢٦٢/٦)، النشر (٢١٥/٢)].

(١٣٠٠) انظر [الفريد في إعراب القرآن المجيد (٥٩٠/٢)].

(١٣٠١) انظر [المرجع السابق (٥٩٠/٢)، النشر (٢١٥/٢)].

(١٣٠٢) انظر [الكشف (٥٢٢/١)].

وهو الفعل المبني في محل جزم بحذف النّون؛ إلاّ أن النّون الشديدة دخلت للنّهي مؤكدة، وكسِرت لسكونها وسكون النّون التي قبلها واختير لها الكسر؛ لأنّها بعد الألف، فشبهت (نون التّوكيد) بنون الاثنين[١٣٠٣] وشبهها في كونها مزيدة مثلها، وداخلة لمعنى كدخولها وحذف النّون التي هي علامة الرّفع في فعل الاثنين كحذف الضّمة التي هي علامة للرفع في فعل الواحد[١٣٠٤].

خامساً: الجمع بين القراءتين:

بالجمع بين القراءتين يتبين أنَّ قراءة التّخفيف:

أ ـ كانت (لا) فيها إما ناهية أو نافية على أسلوب الخبر، وجاءت قراءة التّشديد مؤكدة للنّهي، فكانت (لا) فيها ناهية فأفادت التّأكيد على الاستقامة؛ لأنَّ اتباع طريق الذين لا يعلمون شاملٌ للاستقامة وأيضاً هو تنبيهٌ على توخي السّلامة من العدول عن طريق الحق اهتماماً بالتّحذير من الفساد، ومن الاستقامة أن يستمرا على الدّعوة إلى الدّين ولا يضجرا، فجاءت قراءة التّشديد تتناسب مع المعاني الكثيرة التي أفادتها الآية.

ب ـ وقراءة التّشديد أفادت بأن النّون الخفيفة في قراءة التخفيف، هي للتّوكيد وليست نون الاثنين، ودخولها على الفعل في أربعة مواضع للتّأكيد في الأمر والنّهي والاستفهام والجزاء[١٣٠٥].

٣ ـ وقراءة (ولا تتْبَعانّ) بتخفيف التّاء الثّانية ساكنة، وفتح الباء، وتشديد النّون، في حين قرأ الباقون (تتّبِعانّ) بتشديد التّاء الثّانية، وكسر الباء مع تشديد النّون.

والحجّة لمن خفف التّاء الثّانية: أنه أخذه من تبع يتْبع، والحجّة لمن شدد: أنه أخذه من اتّبع يتّبع[١٣٠٦]. ومعنى تبعه بشيء: خلفه، واتّبعه

(١٣٠٣) انظر [معاني القرآن: الزجاج (٣/٣١)، فتح القدير (٢/٥٨٦)].
(١٣٠٤) انظر [الفريد في إعراب القرآن المجيد (٢/٥٩٠)].
(١٣٠٥) انظر [الحجة: ابن خالويه ص ١٠٣].
(١٣٠٦) انظر [المرجع السابق بنفس الصفحة].

كذلك، إلا أنه حاذاه في المشي، واتبعه: لحقه[1307] والمعنى على قراءة التّخفيف: النّهي لهما عن سلوك طريقة من لا يعلم بعادة الله سبحانه وتعالى في إجراء الأمور على ما تقتضيه المصالح تعجيلاً وتأجيلا[1308].

فأرى الجمع بين قراءة التخفيف في التاء والتشديد هو ما يلي:

قراءة التّخفيف أفادت: بأن لا نتبع سبيل الجاهلين، بأن نكون خلفهم، أي: لا نقلدهم التّقليد الأعمى، ونسير خلفهم كالإمّعةِ في حين أنَّ قراءة تشديد التّاء أضافت معنىً آخر بجانب هذا المعنى، أن لا نكون جنباً إلى جنب مع هؤلاء الجاهلين ونساعدهم ونشجعهم على جهلهم هذا، بل وننتصر وندافع عنهم، فكل ذلك منهيٌّ عنه، والله أعلم.

٣٠ ـ ﴿وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ وَجُنُودُهُۥ بَغۡيٗا وَعَدۡوًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ۝٩٠﴾ [يونس: ٩٠].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ حمزة والكسائي وخلف (ءامنت إِنَّه) بكسر همزة إِنَّه.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ﴾ بفتح همزة أنه[1309].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

سبق الكلام على «إِنَّه» و«أَنَه»[1310].

ثالثاً: التَّفسير الإجمالي للآية:

ذكر الله ـ تعالى ـ في هذه الآية خاتمة قصة فرعون مع موسى ـ عليه السلام ـ الدّالة على تأييد الله لموسى ـ عليه السلام ـ وأخيه على ضعفهما، وقوة فرعون

(١٣٠٧) انظر [الدر المصون (٦/٢٦٢)].

(١٣٠٨) انظر [فتح القدير (٢/٥٨٧)].

(١٣٠٩) انظر [النشر (٢/٢١٦)].

(١٣١٠) انظر [المرجع السابق بنفس الصفحة].

وجنوده، فكان موضوع الآية كيفية إغراق فرعون وجنوده، فقال تعالى: ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ أي جاوز بنو إسرائيل البحر بمعونته تعالى وقدرته وحفظه، وجاوزنا من جاوز المكان إذا تخطّاه ﴿ٱلْبَحْرَ﴾ بفرقه - تعالى - بهم البحر، وانفلاقه لهم، وبجعل الأرض يبساً حتى بلغوا الشّاطىء، فتكون هذه المجاوزة معجزة من الله لموسى - عليه السلام - وأتباعه المؤمنين ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ﴾ فلحقهم فرعون وجنوده ﴿بَغْيًا وَعَدْوًا﴾ أي: باغين ظالمين عليهم، وذلك ليفتِكوا بهم، ويسومونهم سوء العذاب، وذلك أنَّ موسى - عليه السلام - خرج ببني إسرائيل وقد كانوا استعاروا من القبط حِلياً كثيرة، وخرجوا به معهم، فاشتدّ غضب فرعون عليهم، فتبعهم هو وجنوده حتى لحقهم، ووصل إلى الساحل ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ﴾ وفي الكلام حذف دلّ عليه السياق، والتقدير: فأتبعهم فرعون وجنوده بغياً وعدواً فغرّقناه ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ﴾ حتى إذا أشرف على الغرق قال آمنت وأقررتُ أنّه لا إلَه بحق إلا الرب الذي آمنت به جماعة بني إسرائيل بدعوة موسى ﴿وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ الذين أسلموا وانقادوا لأمره وكرر المعنى الواحد بثلاث عبارات أولها قوله (ءَامَنتُ) وثانيها، قوله: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ وثالثها، قوله: ﴿وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ حرصاً منه على النّجاة[١٣١١] وعلى سبيل التّلعثم، إذ ذلك مقام تَحار فيه القلوب؛ ولكن هيهات فقد فات الأوان، وجاء الإيمان حين اليأس.

رابعاً: العلاقة التَّفسيرية بين القراءات:

قرأ حمزة، والكسائي، وخلف (آمنتُ إنَّه) بكسر همزة إنّه على الاستئناف، حجتهما في ذلك: أنَّ الكلام متناه عند قوله: (آمنتُ) وأن الإيمان وقع على كلام محذوف وتقديره: آمنتُ بما كنتُ به قبل اليوم مكذباً، ثم استأنف: **(إنَّهُ لا إله إلا الذي آمنت به بنوا إسراءيل)**[١٣١٢] أو

(١٣١١) انظر [جامع البيان (١٦٢/١١)، تفسير القرآن العظيم (٤٣٠/٢) المقتطف من عيون التفاسير (٤٩٥/٢)، البحر المحيط (١٨٨/٥)].

(١٣١٢) انظر [الحجة: ابن زنجلة ص٣٣٦].

احتمال أن تكون بدلاً من آمنت، وتفسيراً له، أو على إضمار القول أي قائلاً إنه فيكون التقدير: آمنت، فقلت (إنّه)[1313] أو آمنت قائلاً (إنه).

- وقرأ الباقون ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ﴾ بفتح همزة (أنه) على التقدير (آمنت بأنه) فلما سقط الخافض عمل الفعل فنصب[1314].

فالحجّة لمن فتح: أنه وصل آخر الكلام بأوله وهو يريد «أمنت بأنه»، فلما أسقط الباء وصل الفعل إلى (أنّ) فعمل فيها[1315].

أو أنها في محل نصب على المفعول به، أي: (آمنت توحيدَ)، لأنه بمعنى صدّقت، أو أنها في موضع نصب بعد إسقاط الجارّ أي: لأنه[1316] ويجوز أن يكون أوقع (آمنت) على أنه وما بعدها نفي الإلهية عن كل شيء غير من استثنيته من أن أعبده أو أرجع عنه[1317].

خامساً: الجمع بين القراءتين:

لقد ترتَّب على القراءتين أوجهُ إعرابية في الآية الواحدة، فمن قرأ بالكسر، فهو على الاستئناف وقطع الفعل (آمنت) عمّا بعده، ومَن قرأ بالفتح، فهو على الوصل، فَوَصل الفعل آمنت بما بعده.

ولكنَّ قراءة الكسر: تفيد التأكيد على شدة خوف فرعون من الغرق، لدرجة أنه لا يكتفي بأن يعلن بأنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل؛ بل زاد في استسلامه وقال وأنا من المسلمين والله أعلم.

٣١ - ﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [يونس: ٩٢].

أولاً: القراءات:

(١٣١٣) انظر [البحر المحيط (١٨٨/٥)، المحرر الوجيز (١٤١/٣)].

(١٣١٤) انظر [الحجة: ابن زنجلة ص ٣٣٦، إعراب القراءات السبع (٢٧٣/١)].

(١٣١٥) انظر [الحجة: ابن خالويه ص ١٠٣].

(١٣١٦) انظر [الدر المصون (٢٦٤/٦)].

(١٣١٧) انظر [نظم الدرر (٤٧٨/٣)].

١ ـ قرأ يعقوب (نُنْجِيك) بتخفيف الجيم وإسكان النون الثانية، ووافقه يونس والكسائي.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿نُنَجِّيكَ﴾ بتشديد الجيم وفتح النون الثانية[١٣١٨].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

نُنَجِّيْك: مشتق من الفعل نجا والنجاء أي الخلاص من الشيء، نجا ينجو نجواً ونجاءً ممدود، ونجاةً مقصور ونجّي واستنجى كنجا وأنجيت غير ونجيته وقُرئ بها قوله تعالى: فاليوم نُنَّجيك ببدنك، المعنى نُنَجيك لا بفعل بل نُهْلِكُكَ، فأضمر قوله لا بفعل. قال ابن بري[١٣١٩]: «قوله لا بفعل يريد أنه إذا نجا الإنسان ببدنه على الماء بلا فعل فإنه هالك، لأنه لم يفعل طفوه على الماء، وإنما يطفو على الماء حياً بفعله إذا كان حاذقاً بالعوم، ونجّاه الله وأنجاه»، والنجوة والنجاة ما ارتفع من الأرض فلم يعله السيل، فظننته نجاءَك والجمع نِجاء وقوله تعالى فاليوم ننجيك ببدنك، أي: نجعلك فوق نجوة من الأرض فنظهرك أو نلقيك عليها لتُعرف؛ لأنه قال ببدنك ولم يقل بروحك[١٣٢٠]، قال الزَّجاج: «معناه، نلقيك عرياناً، لتكون لمن خلفك عبرةً»[١٣٢١].

ثالثاً: التَّفسير الإجمالي للآية:

هذه الآيةِ تعتبر المشهد الأخير لخاتمة فرعون اللعين، وجاء السياق مختصراً مجملاً؛ لبيان رعاية الله وحمايته للمؤمنين وهلاك الكفرة والمعاندين فقال تعالى: ﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾ وهنا بدأ الآية بالفاء، وهي الفاء الفصيحة، وذلك لتفصح عن شرط مقدر في الكلام يدل عليه السياق

(١٣١٨) انظر [النشر (٢/١٩٤)، (٢/٢١٦)].

(١٣١٩) هو علي بن محمد بن الحسين الرباطي، أبو الحسن، المعروف بابن بري: عالم بالقراءات، ومن كتبه الدرر اللوامع في أصل مقرئ الإمام نافع، ولد عام ٦٦٠هـ ـ ١٢٦١م، وتوفي عام ٧٣٠هـ ـ ١٣٣٠م انظر [الأعلام (٥/٥)].

(١٣٢٠) انظر [لسان العرب (١٥/٣٠٤ ـ ٣٠٥) مادة نجا].

(١٣٢١) معاني القرآن الزجاج (٣/٣٢).

والمعنى فإن أردت ورمت بإيمانك بعد فوات الوقت أن أنجيك من الغرق، فاليوم ننجيك ببدنك أي بجسدك بدون روح والكلام جارٍ مجرى التهكم، وذلك لأن إخراجه إلى البرّ كاملاً يشبه الإنجاء، ولكنه في نفس الوقت ضد الإنجاء، فكان بالمشابهة استعارة وبالضدية تَهَكُماً، والمعجزة في إنجاء فرعون أنه كان يلبس درعه المصنوع من الذهب، وقيل من الحديد فكان من الطبيعي أن ينزل جسده إلى قاع البحر، ولكنَّ قدرة الله جعلت جسده يطفو على سطح البحر ثم طرحها خارجاً إلى البر على نجوة من الأرض أي الجزء المرتفع منها.

﴿لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً﴾ أي لتكون عبرة، وذلك لأن طائفة من الناس لم تصدق بأن فرعون غرق، فأخرجه الله آية وعظة ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ﴾ أي وإن كثيراً من الناس عن أدلتنا على أن الألوهية والعبادة لنا خالصة لا يعتبرون ولا يتفكرون(١٣٢٢).

رابعاً: العلاقة التَّفسيرية بين القراءات:

قرأ يعقوب (نُنْجيك) بتخفيف الجيم وإسكان النون الثانية، ووافقه الكسائي من الفعل المضارع أنجى ينجي قال تعالى: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ﴾ [الأعراف: ٦٤]. وقوله تعالى: ﴿فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ﴾ [العنكبوت: ٢٤].

وقرأ الباقون ﴿نُنَجِّيكَ﴾ بتشديد الجيم، وفتح النون الثانية، وهو مشتق من الفعل نجا والنجاء أي الخلاص من الشيء.

وهو كقوله تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [فصلت: ١٨]. أو مشتق من النجاة وهو الإسراع أي نُسرع بهلاكك أو نلقيك على نجوة من الأرض ليراك بنو إسرائيل أو نبعدك مما وقع فيه قومك من قاع البحر ونظهرك جسداً لا روح فيه، وقيل غير هذا وهو متقارب وهذه المعاني تقع قراءة

(١٣٢٢) انظر [جامع البيان (١١/١٦٦)، التَّفسير القرآن العظيم (٢/٤٣٠ - ٤٣١)، التحرير والتنوير (١١/٢٧٨ - ٢٧٩) والمقتطف من عيون التفاسير٢/٤٩٦)].

التخفيف(١٣٢٣).

خامساً: الجمع بين القراءتين:

بالجمع بين القراءتين أرى: أن القراءتين معناهما واحد، ولكن الاشتقاق يختلف لذلك أرى قراءة التشديد تفيد تكرير الفعل ومداومته وسرعته على معنى: نُنَجّيك نجاة تلو أو بعد نجاة. وفعلاً كانت نجاة لفرعون تلو النجاة؛ ليكون عبرة وعظة لمن بعده أو لمن طغى وتجبّر. فأول نجاة:

١ ـ أنه أبعده مما وقع فيه قومه من قعر البحر.

٢ ـ أخرجه من البحر صحيحاً لم تأكله شيء من الدواب والحيتان.

٣ ـ ألقاه على نجوة أي ربوة مرتفعة.

٤ ـ أن جثته رآها الجميع، ولم تضع فلا يستطيع أحد أن ينكر أنه غرق ومات.

٥ ـ حتى يقال أنَّ جثته باقية في متاحف عصرنا، هذا يدل على مداومة نجاة جسده من الله في هذه الدنيا.

وقد كانت الجثة مدفونة بمقابر وادى الملوك بطيبة، على الضفة الأخرى للنيل أمام مدينة الأقصر الحالية(١٣٢٤). وقد كشف الدكتور موريس بوكاي(١٣٢٥) في كتابه (القرآن والعلم الحديث) عن تطابق ما ورد في القرآن الكريم بشأن مصير فرعون موسى بعد إغراقه في اليمّ، مع الواقع المتمثل في وجود جثته إلى يومنا هذا آية للعالمين، ﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ

(١٣٢٣) انظر [الكشف (٥٢٣/١) الحجة: ابن خالويه ص ٧٥، البحر المحيط (١٨٩/٥)، الجامع لأحكام القرآن (٦٧٥/٨ ـ ٦٧٦)].

(١٣٢٤) www.55a.net/firas/arabic

(١٣٢٥) طبيب فرنسي جراح من أشهر أطباء فرنسا، اعتنق الإسلام بعد دراسة مستفيضة للقرآن الكريم وإعجازه العلمي.
.htm www.amaneena.com/m/40

لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾ [يونس: ٩٢].

يقول الدكتور بوكاي: «إنّ رواية التوراة بشأن خروج اليهود مع موسى - عليه السلام - من مصر تؤيد بقوة الفرضية القائلة بأن منبتاح خليفة رمسيس الثاني هو فرعون مصر في زمن موسى - عليه السلام -، وإن الدراسة الطبية لمومياء منبتاح، قدمت لنا معلومات مفيدة أخرى بشأن الأسباب المحتملة لوفاة هذا الفرعون، وقد أظهر الفحص الطبي لهذه المومياء أن الجثة لم تظل في الماء مدة طويلة، إذ إنها لم تظهر أية علامات للتلف العام بسبب المكوث الطويل في الماء»[(١٣٢٦)]. وقد ذكر الشيخ عبد المجيد الزنداني أن الدكتور موريس أخبره في مقابلة معه أنه أحد الأطباء الذين قاموا بالكشف على جثة فرعون فوجدوا فيها:

١ - آثار الموت غرقاً.

٢ - آثار ملح ماء البحر.

٣ - أظهرت أشعة X تكسير العظام دون تمزق الجلد واللحم مما يدل أن كسر العظام كان بسبب ضغط الماء[(١٣٢٧)].

وكانت تلك النجاة، بسبب أنَّ فرعون قال آمنت فلم يعدم فائدة من إيمانه، فالله سبحانه وتعالى نجاه بالخروج من غمرات الماء، ولم يبق في الماء أكلة للحيتان ولكن لفظته الأمواج فتلك حالة أقل خزياً من حالات سائر جيشه وهذا إن دلّ على شيء فإنه يدل على أن الله سبحانه وتعالى لا يضيع مثقال ذرة من عمل أو قول، بالرغم من أن نجاة فرعون كان الكلام فيها جارٍ مجرى التهكم؛ إلا أنَّ التهكم ليس مسوغها المحض فقط[(١٣٢٨)]. أيضاً كما أنَّ فرعون لم ينتفع بموعظة موسى له في الدنيا، كذلك لم ينتفع بإيمانه في الآخرة، وذلك لأن رحمة الله به فقط في الدنيا أما في الآخرة

(١٣٢٦) www.amaneena.com/m/40.htm.

(١٣٢٧) انظر [www.amaneena.com/m/40].

(١٣٢٨) انظر [الدر المصون (٦/٢٦٦)، التحرير والتنوير (١١/٢٧٨ - ٢٧٩)].

فلا؛ لأنه استنجد بالله في الوقت الأخير الذي لا ينفع الإيمان فيه، فقد ورد أنَّ فرعون لعنه الله لما قال آمنت. . . الخ. أخذ جبريل عليه السلام من حال البحر أي طينه فدسّه في فيه خشية أن تدركه رحمة الله تعالى[1329].

٣٢ ـ ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾﴾ [يونس: ٩٤].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ ابن كثير والكسائي وخلف (فَسَلِ) بنقل حركة الهمز إلى الساكن قبلها.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿فَسْـَٔلِ﴾ بغير نقل بل بالهمز[1330].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

فَسَئَل فعل أمر مشتق من سأل يسأل سُؤالاً ومسآلة ومسألةً وتَسْآلاً، والعرب تحذف الهمز منه في الأمر فإذا وصلوا بالفاء أو الواو هَمَزوا كقولك فاسأل واسأل.

ومن قرأ بحذف الهمز يُلقي حركتها على ما قبلها، ثم يأتي بألف الوصل؛ لأن هذه السين وإن كانت متحركة فهي . . . السكون، كقول بعض العرب الاحْمر فيخفف الهمزة بأن يحذفها، ويلقي حركتها على اللام قبلها، فاسأل: فاستخبر[1331].

ثالثاً: التَّفسير الإجمالي للآية:

(١٣٢٩) أخرجه الترمذي كتاب التَّفسير ـ ١١ باب سورة يونس (٣/٦١ ـ ٦٢) رقم ٢٤٨٣، ٢٤٨٤ كلاهما من حديث ابن عباس وصححه الألباني وذكر أنه صحيح الإسناد، وأخرجه الحاكم (٢/٣٧٠) عن ابن عباس أيضاً وقال: (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه إلا أن أكثر أصحاب شعبة أوقفوه على ابن عباس).

(١٣٣٠) انظر [النشر (١/٣٢١)، (٢/٢١٦)].

(١٣٣١) انظر [لسان لعرب (١١/٣١٨ ـ ٣١٩) مادة سأل].

رجح المفسرون أن: هذه الآية مخاطبة للنبي ﷺ والمراد به سواه من كلٍّ ما يمكن أن يشك أو يعارض[(١٣٣٢)] فقال تعالى: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ﴾ وقال آخرون أن[(١٣٣٣)]: هذا على سبيل الفرض والتقدير كأنه قيل: إن فرض أنك شككت فاسأل قال ابن عباس[(١٣٣٤)]: «لم يشك النبي ﷺ ولم يسأل» فحاصل المعنى: إن كنتم شاكين في صدق ما أنزلنا على محمد مما أصاب المكذبين والمعاندين قبلكم أمثال فرعون وغيره، فاسألوا أهل الكتاب من أهل التوراة والإنجيل يخبرونكم بأن ذلك صدق ﴿لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ أي ثبت عندك الحق وأتاك البيان الذي لا ريب في حقيقته والخبر الصادق ﴿مِن رَّبِّكَ﴾ ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ فلا تكن من الشَّاكِّين المرتابين في صحة ذلك[(١٣٣٥)] وهذا التعريض من النهي والزجر للممترين أبلغ وأوقع من النهي لهم أنفسهم؛ لأنه إن كان يُنهى عنه من لا يتصور أن يصدر منه، فكيف بمن يمكن صدوره منه[(١٣٣٦)].

رابعاً: العلاقة التَّفسيرية بين القراءتين:

قرأ الجمهور (فاسْأل) بهمزة وصل، وسكون السين، وهمزة بعد السين، والهمز فيه ثقل، فلا بد أن يكون المعنى يناسب هذا الثقل، وهذا يتناسب مع الغرض من الآية، حيث إنَّ الغرض من الآية وصف الأحبار بالرسوخ في العلم بصحة ما أنزل إلى رسول الله ﷺ، لا وصف رسول الله ﷺ بالشك فيه[(١٣٣٧)].

فالرسوخ في العلم يوحي بثقل هذا العلم الذي يناسب ثقل الهمز. أيضاً ثقل الهمز يتناسب مع ثقل السؤال الذي يُزيل الشك عند المتشككين

(١٣٣٢) انظر [المحرر الوجيز (٣/١٤٢)].
(١٣٣٣) الكشاف (٢/٢٥٣).
(١٣٣٤) ذكره ابن كثير في تفسيره انظر (٢/٤٣٢).
(١٣٣٥) انظر [المقتطف من عيون التفاسير (٢/٤٩٧)].
(١٣٣٦) انظر [فتح القدير (٢/٥٩٢)].
(١٣٣٧) انظر [التحرير والتنوير (١١/٢٨٥)].

في صدق ما أُنزل على محمد ﷺ.

- وقرأ ابن كثير، والكسائي، وخلف (فَسَل) بفتح السين دون همزة الوصل بحذف الهمزة التي بعد السين مخفف سأل.

وقراءة التخفيف: توحي بالخفة والسرعة، فيكون المعنى أن لا تجعل الشك يدخل لك، فمجرد أن يقع لك شك أو يخيل لك الشيطان خيالاً منه، فاسأل الذين يقرأون الكتاب، فإنهم سيخبرونك عن صدق النَّبوة، وصدق ما أنزل على محمد ﷺ وهو القرآن، والله أعلم.

خامساً: الجمع بين القراءتين:

بالجمع بين القراءتين: تبين لنا زيادة المبنى التي توحي زيادة المعنى، وكما رأينا في العلاقة التفسيرية ما في الهمزة من معنى زيادة عن معنى التخفيف.

٣٣ - ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [يونس: ٩٦].

أولاً: القراءات:

١ - قرأ الكوفيون، ويعقوب، وابن كثير، وأبو عمرو (كَلِمَت) بغير ألف على التوحيد كان من المذهب الوقف بالهاء، وفي مصاحف أهل العراق مرسوماً بالهاء.

٢ - وقرأ نافع، وابن عامر، وأبو جعفر (**كلمات**) بألف على الجمع، والوقف بالتاء[١٣٣٨].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

سبق تعريف (كلمة)[١٣٣٩].

(١٣٣٨) انظر [النشر (٢/١٩٧) (٢/٢١٦) (٢/٩٧ - ٩٨)].

(١٣٣٩) راجع ص٢٩٧ - ٢٩٨ - ٢٩٩.

ثالثاً: التَّفسير الإجمالي للآية:

لما كان التعريض على المشركين الشّاكين في صدق النبي ﷺ والاستشهاد عليهم في صدقه بشهادة أهل الكتاب، أعقب ذلك بأنهم من زمرة الفرق الذين حقَّت أي ثبتت عليهم كلمة العذاب بإرادة الله الأزلية، بأنهم لا يؤمنون ويموتون على الكفر(١٣٤٠).

رابعاً: العلاقة التَّفسيرية بين القراءات:

قرأ نافع، وابن عامر، وأبو جعفر (كلمات) بألف على أنها جمع كلمة، وذلك بحسب الكثرة أو الصنفية(١٣٤١).

فالمراد بكلمات أمر التكوين، وجمعت بالنظر إلى أنَّ متعلقها ناس كثيرون، فكل واحد منهم تحق عليه كلمة.

وقرأ الباقون (كَلِمَت) بغير ألف، على أنها مفردة مراعاة للجنس إذ تحق على كل أمة كلمة(١٣٤٢).

والمراد بتحقيق الكلمة هنا أي: بقول الله ـ تعالى ـ الذي كتبه في اللوح المحفوظ وأخبر به الملائكة، أنهم يموتون كفاراً(١٣٤٣).

أو المراد باللعنة، أو بنزول العذاب أو بالسَّخط أو بالنقمة(١٣٤٤).

خامساً: الجمع بين القراءتين:

أرى أنه لا تضاد في المعنى بين القراءتين فالجمع يكون باعتبار تعدد الكلمات، أو باعتبار تكرار الكلمة بالنسبة لأناس كثيرين، والكلمة تطلق على

(١٣٤٠) انظر [التحرير والتنوير (٢٨٦/١١) صفوة التفاسير (٥٩٧/١) والمقتطف من عيون التفاسير (٤٩٨/٢)].

(١٣٤١) انظر [مفاتيح الغيب (١٣١/١٧)].

(١٣٤٢) انظر [التحرير والتنوير (٢٨٧/١١)].

(١٣٤٣) انظر [الكشاف (٢٥٣/٢) مدارك التنزيل (٤٧٥/٢)].

(١٣٤٤) انظر [زاد المسير (٣٥٠/٢)].

مجموع الكلام، وقد سبق الجمع بين القراءتين[١٣٤٥].

٣٤ ـ ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾ [يونس: ٩٩].

أولاً: القراءات:

١ ـ أ ـ سهل ورش الهمزة الثانية في (أفانت) لأنها وقعت بعد الاستفهام.

ب ـ وقرأ الباقون ﴿أَفَأَنتَ﴾ بتحقيق الهمزتين[١٣٤٦].

١ ـ أ ـ قرأ ورش والسوسي وأبو جعفر (مومنين) بإبدال همزه واواً ساكنة وصلاً ووقفاً، ووقفاً لحمزة.

ب ـ وقرأ الباقون (مؤمنين) بتحقيق الهمزة[١٣٤٧].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

مؤمنين: من الفعل آمن وقد سبق تعريفه[١٣٤٨].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

الآية تسلية للنبي ﷺ، وترويح لقلبه الشريف مما كان يحرص عليه من إيمان الناس جميعاً فيقول له ﷻ: إنَّه لن يصدقك يا محمد ولن يتبعك إلا من شاء ربك لهم، لا بإكراهك إياه ولا بحرصك على ذلك[١٣٤٩].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

من قرأ (أفأنت) بتحقيق الهمز فإنه يتناسب مع قراءة (مؤمنين) بتحقيق الهمز أيضاً، فلثقل الهمز نستطيع أن نُفَسر (أفأنت) بأنه استفهام إنكاري،

(١٣٤٥) راجع آية ٣٣ من سورة يونس ص٢٩٧.

(١٣٤٦) انظر [النشر (٣٠٩/١) (٢١٦/٢)، في هامش القرآن ص٢٢٠].

(١٣٤٧) انظر [في هامش القرآن ص٢٢٠].

(١٣٤٨) راجع ص١٤٠.

(١٣٤٩) انظر [جامع البيان (١٧٣/١١)، صفوة التفاسير (٥٩٨/١)].

والثقل يفيد تقوية حكم الإنكار ويدل على حرص النبي ﷺ على إيمان قومه وشدة الاهتمام بهم، وقراءة مؤمنين تدل على أنّه ﷺ حريص على أن يؤمن قومه إيماناً قوياً راسخاً. وأما قراءة التسهيل في (أفانت) تتناسب مع قراءة (مومنين)، وفي التسهيل خفة فكأن الله سبحانه وتعالى يقول لرسوله هون عليك، وفيه معنى الثناء على النبي ﷺ والمعذرة له على عدم استجابتهم إياه، ومن بلغ المجهود حق له العذر(١٣٥٠) والله أعلم.

٣٥ ـ ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [يونس: ١٠٠].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ أبو بكر (شعبة) (**ونَجعل**) بالنون.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿وَيَجْعَلُ﴾ بالياء(١٣٥١).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

جَعَل: جعل الشيء يَجْعله جَعْلاً ومَجْعَلاً واجتعله وضعه وصنعه وصيره وجعل بمعنى خلق أيضاً(١٣٥٢).

ثالثاً: المعنى الإجمالي للآية:

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ أي ما كان وما ينبغي لنفس من النُّفوس البشرية أن تؤمن إلا بإذن الله وإرادته ومشيئته وتوفيقه ﴿وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ أي ويجعل الرجس وهو الخذلان على الذين لا يعقلون، أي: لا يستخدمون عقولهم بالنظر في الحجج والآيات التي دلّ بها سبحانه وتعالى على نبوة محمد ﷺ، والذين هم مصرون على الكفر، وسمّي الخذلان رجساً وهو العذاب؛ لأنه سببه(١٣٥٣).

(١٣٥٠) انظر [التحرير والتنوير (١١/٢٩٣)].

(١٣٥١) انظر [النشر (٢/٢١٦)].

(١٣٥٢) انظر [لسان العرب (١١/١١٠ ـ ١١١) مادة جعل].

(١٣٥٣) انظر [جامع البيان (١١/١٧٤)، البحر المحيط (٥/١٩٣)، زاد المسير (٢/٣٥٢)].

رابعاً: العلاقة التَّفسيرية بين القراءات:

قرأ الجمهور ﴿وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ﴾ بياء الغيبة، وحجتهم قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٥]. وقد تقدم ذكر الله في قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٠٠] لذلك قرأوا ﴿وَيَجْعَل﴾ بياء الغيبة؛ لأن الضمير عائد إلى اسم الجلالة الذي قبله في نفس الآية، فكانت القراءة متَّسقة مع السياق، ومتمشية مع المناسبة.

وانفرد شعبة بقراءة ﴿وَنَجْعَلُ﴾ والحجّة أنه ردَّه على قوله: ﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾ [يونس: ٩٢] فقرأ بنون العظمة على الالتفات من الغيبة إلى التكلم، وذلك تنبيهاً للأذهان على أنَّ الله وحده هو القادر على إخراج الحائر من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان(١٣٥٤).

خامساً: الجمع بين القراءتين:

أجد: أنَّ القراءة بياء الغيبة كانت متَّسقة مع السياق، والقراءة بنون العظمة شاهد على الالتفات من الغيبة إلى التكلم(١٣٥٥)، بالإضافة إلى إظهار جمال أسلوب القرآن الكريم وإعجازه.

٣٦ ـ ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ [يونس: ١٠٣].

أولاً: القراءات:

١ ـ أ ـ قرأ أبو عمر (نُنَجِّي رُسْلنا) بتشديد حرف الجيم، وفتح النون الثانية، وإسكان السين.

ب ـ وقرأ يعقوب (نُنْجِي رُسُلَنا) بتخفيف الجيم، وإسكان النون الثانية، وضم السين.

(١٣٥٤) انظر [الحجة: أبو علي الفارسي (٣٠٦٩/٤)، والحجة: ابن خالويه ص١٠٤، والتحرير والتنوير (٢٩٥/١١)، التوجيه البلاغي ص٢٣٣].

(١٣٥٥) راجع ص٢٤٦ ـ ٢٤٧.

ج ـ وقرأ الباقون (نُنَجِّي رُسُلنا) بتشديد الجيم، وفتح النون الثانية، وضم السين.

٢ ـ أ ـ قرأ حفص والكسائي، ويعقوب (نُنْج المؤمنين) بتخفيف الجيم، وإسكان النون الثانية.

ب ـ وقرأ الباقون (نُنَجِّ المؤمنين) بالتشديد على حرف، وفتح النون الثانية(١٣٥٦).

٣ ـ أ ـ ووقف يعقوب على (ننج) بالياء.

ب ـ ووقف الباقون على (ننج) بحذف الياء ولا خلاف في حذفها وصلاً للساكنين(١٣٥٧).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

ننجي: من الفعل نجا ومنه النجاء أي الخلاص من الشيء(١٣٥٨).

الرسول: بمعنى الرسالة والمُرْسل ومنه الإرسال، أي: التوجيه والجمع أرْسُل ورُسُل ورُسْل ورُسَلاَء. والرسول معناه في اللغة الذي يُتابع أخبار الذي بعثه أَخذاً من قولهم جاءت الإبل رَسَلاً أي متتابعة وسمي الرسول رسولاً لأنه ذو رسول أي رسالة. والرسول اسم من أرسلت كذلك الرسالة(١٣٥٩).

المؤمنون: من الفعل أمن، ومنه الإيمان مصدراً من يؤمن أيماناً فهو مؤمن، وهو التصديق. والمؤمن بالله ورسوله غير مرتاب ولا شاك، وهو الذي يرى أنَّ أداء الفرائض واجب عليه(١٣٦٠).

ثالثاً: التَّفسير الإجمالي للآية:

(١٣٥٦) انظر [النشر (١٩٤/٢) (٢١٦/٢)، فريدة الدهر (٨٦٢/٣ ـ ٨٦٣)].

(١٣٥٧) انظر [النشر (١٠٣/٢) (٢١٦/٢)].

(١٣٥٨) راجع ص٣٤٤.

(١٣٥٩) انظر [لسان العرب (٢٨١/١١ ـ ٢٨٤) مادة رسل].

(١٣٦٠) انظر [المرجع السابق (٢١/١٣ ـ ٢٤) مادة أمن].

إن كفر الأمم وخروجها عن نواميس الشرع يكون سبباً لإيقاع العذاب والهلاك فإذا ما حلّ غضب الله بأمة من الأمم، فإن الله تكفّل بحفظ أنبيائه والمؤمنين فقال: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا﴾ عطف على الجملة ﴿فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِهِمْ ۚ قُلْ فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [يونس: ١٠٢] وقيل عطف على مقدَّر، يدل عليه قول الله تعالى في الآية السابقة والتقدير: هذه سنة الله الكونية نهلك الكافرين ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ وكذلك في موضع نصب تقديره: مثل ذلك الإنجاء الذي نجينا الرسول ومؤمنيهم، ننجي من آمن بك يا محمد ﴿حَقًّا عَلَيْنَا﴾، أي: حقَّ ذلك حقاً علينا ﴿نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: كذلك حقاً علينا من غير شك: أن ننجيك يا محمد وننجي المؤمنين(١٣٦١).

رابعاً: العلاقة التَّفسيرية بين القراءات:

القراءة الأولى:

قرأ يعقوب (نُنْجِي) من الفعل المزيد بهمزة التعدية أنجى يُنْجي، والأصل (نجا) الثلاثي اللازم، ونظائر هذا في القرآن، قوله تعالى: ﴿أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ﴾ [الأعراف: ١٦٥]، وقوله ﴿وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٨] وتفيد قراءة التخفيف: سرعة إنجاء الله للرسل وللمؤمنين.

وقرأ الباقون (نُنَجِّي) من الفعل المزيد بالتضعيف من أجل التعدية أيضاً، وهو نجّى يُنَجِّي والأصل (نجا) كذلك ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ [هود: ٥٨] وقوله: ﴿فَنَجَّيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ [يونس: ٧٣](١٣٦٢). فأفادت قراءة التشديد التدرج والتكرير في التنجية.

(١٣٦١) انظر [جامع البيان (١١/١٧٦)، البحر المحيط (٥/١٩٤) إرشاد العقل السليم (٣/٥٤٢)، معاني القرآن الكريم: الأخفش (٢/٥٧٤)].

(١٣٦٢) انظر [الحجة: أبو علي الفارسي (٤/٣٠٥ ـ ٣٠٦)، الحجة: ابن خالويه ص ١٠٤].

خامساً: الجمع بين القراءتين:

أ ـ الجمع بين صيغتين مزيدتين بالهمزة والتضعيف لأصل واحد بمعنى واحد في موضع واحد، مألوف في لغة القرآن يقول تعالى: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنبياء: ٨٨] وقوله تعالى: ﴿فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا ﴿١٧﴾﴾ [الطارق: ١٧] ويقول فريق من المفسرين وأصحاب التوجيه: هما لغتان بمعنى واحد[١٣٦٣] ولكن هناك منهم من أدرك الفرق اللطيف بين اللغتين، فالفعل (يُنجِّي) بالتشديد فيه معنى التكرار والمداومة على الفعل والاستمرار، وهذا يدلّ على معنى أنه ينجيهم نجاة بعد نجاة، فنجاة الله مستمرة لرسله على مدار حياتهم، والقرآن يشهد لذلك، وأيضاً في الآخرة ينجيهم من النار[١٣٦٤]. وهذا الموضع تعبيرٌ شاهدٌ على الدِّلالة الدقيقة بين لغتين تشتركان في المعنى العام[١٣٦٥].

ب ـ انفرد أبو عمر بقراءة (رُسْلَنا) بإسكان الميم، والتسكين لغة بكر بن وائل، وأناس كثير من بني تميم[١٣٦٦] والإسكان من السكون والهدوء والثبات والطمأنينة والوقار وكل هذه المعاني يختص بها الرسل ـ عليهم السلام ـ، وحملهم على ذلك أنهم كرهوا أن ينتقلوا من الأخف إلى الأثقل وهو الضم، فكرهوا أن يحوّلوا ألسنتهم إلى الاستثقال، وأيضاً إذا تتابعت الضمّتان فإن هؤلاء يخففون[١٣٦٧].

وقرأ الباقون (رُسُلنا) بضم السين، والضم فيها ثقل، فناسب ثقلها ثقل الرسل وثقل إيمانهم، وإخلاصهم في الدعوة.

القراءة الثانية:

(١٣٦٣) انظر [الكشف (٥٢٣/١)، الحجة: ابن زنجلة ص ٣٣٧، مفاتيح الغيب (١٣٦/١٧)].

(١٣٦٤) انظر [الكشف (٥٢٣/١)، الحجة: ابن خالويه ص ٥٧، البحر المحيط (١٨٩/٥)].

(١٣٦٥) انظر [التوجية اللغوي والبلاغي: د. صبري ٢٣٣ ـ ٢٣٤].

(١٣٦٦) انظر [كتاب سيبويه (١١٣/٤)].

(١٣٦٧) انظر [المرجع السابق (١١٤/٤)].

قرأ حفص، والكسائي، ويعقوب (نُنج) بتخفيف الجيم، وإسكان النون والتوجيه في ذلك هو نفس التوجيه الذي ذكرنا عند توجيهنا لقوله تعالى (نُنجي رسلنا) وقرأ الباقون (نُنَجِّ المؤمنين) بالتشديد على حرف الجيم وفتح النون الثانية. أيضاً نفس التوجيه السابق في قوله تعالى (نُنجّي رسلنا) إضافة إلى أنَّ مَن شدّد هنا حجته أيضاً: أنهم أجمعوا على التشديد قوله تعالى (ننَجِّي رسلنا) فردّوا ما اختلفوا فيه إلى ما أجمعوا عليه(١٣٦٨).

وبالجمع بين القراءتين:

أيضاً الجمع هنا كما جمعت هناك في قوله تعالى (ننجِّي رسلنا) ففي التشديد معنى التكرير والمداومة والاستمرار على الفعل.

فإنجاء الله للمؤمنين من العذاب إذا نزل بالمكذبين مستمر ودائم أيضاً وينجيهم في الآخرة من النار.

القراءة الثالثة:

وقف يعقوب على (ننج) بالياء.

ليتسق مع السياق في الآية حيث الفعل (ننجي رسلنا) بالياء وعلى معنى عامة المؤمنين، فناسب زيادة الياء عموم المؤمنين.

في حين وقف الباقون على (ننج) بحذف الياء نظراً إلى أنها في الوصل محذوفة فعاملوها معاملة الوصل.

وحذف الياء يتناسب مع تخصيص المؤمنين من بين الناس أجمعين في النجاة فناسب حذف الياء التخصيص، والله أعلم.

الجمع بين القراءتين:

قراءة (ننجي) بالياء جاءت مطلقة، فالإنجاء يشمل جميع المؤمنين، في حين أن قراءة (ننجِ) بحذف الياء قيدت وخصصت المؤمنين من بين الناس

(١٣٦٨) انظر [الحجة: ابن زنجلة ص٣٣٧].

فزادت في تبيين دقة اللفظ القرآني في التعبير والله أعلم.

لطيفة: نلاحظ أن (ننجي رسلنا) هنا الفعل بالياء في حين (ننجِ المؤمنين) كان الفعل بحذف الياء والذي نستنتجه من ذلك أنَّ الفعل المضافَ له رسلنا جاء بالياء؛ لأنه يشمل كلَّ الرسل، لذلك أضاف الضمير المتكلم إلى رسلنا، فناسب أيضاً زيادة الياء، أما الحذف في الفعل (ننج المؤمنين)؛ فلأنَّه خصص المؤمنين من بين العباد في النجاة، فناسب الحذف في الياء التخصيص، والله أعلم.

فهرس المصادر والمراجع[1369]

١ ـ القرآن الكريم.

٢ ـ الإبانة عن معاني القراءات: أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي (٣٥٥ ـ ٤٣٧هـ) ـ دار المأمون للتراث ـ دمشق بيروت ـ ط١ ـ سنة ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

٣ ـ أبجد العلوم الوشى المرقوم في بيان أحوال العلوم: صدّيق بن حسن القانوجي ـ تحقيق عبد الجبار زكار ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ١٩٧٨م.

٤ ـ أبنية الفعل في شافية ابن الحاجب: دراسات لسانية ولغوية: د.عصام نور الدين ـ المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ـ ط١ ـ ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.

٥ ـ إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر المسمّى منتهى الأماني والمسرّات في علوم القراءات: الشيخ أحمد بن محمد البنا ـ تحقيق د. شعبان محمد إسماعيل ـ عالم الكتب ـ بيروت ـ ط١ ـ ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

٦ ـ الإتقان في علوم القرآن: الحافظ جلال الدين السيوطي ـ تحقيق مصطفى ديب البغا ـ دار ابن كثير ـ دمشق ـ بيروت ـ ط٥ سنة ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م.

٧ ـ أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي أبو عمر بن العلاء: تأليف د. عبد الصبور شاهين ـ مكتبة الخانجي بالقاهرة ـ ط١ ـ سنة ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م.

٨ ـ الأحرف السبعة ومنزلة القراءات منها: د. حسن ضياء الدين عتر ـ دار البشائر الإسلامية ـ ط١ ـ ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م.

٩ ـ أحكام القرآن: أبو بكر الرازي (٣٧٠هـ) ـ راجعه صدقي محمد جميل ـ دار الفكر ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ ـ ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م.

(١٣٦٩) لم أعتبر في الترتيب (أل) التعريف وقد شمل هذا الفهرس الكتب التي أحيل إليها في الهامش.

١٠ ـ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: أبو السعود (القاضي محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي) (ت ٩٨٢) ـ خرج أحاديثه الشيخ محمد صبحي حسن حلان ـ دار الفكر ـ بيروت ـ ط١ ـ ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م.

١١ ـ إرشاد المريد إلى مقصود القصيد: تأليف علي محمد الضباع مراجع المصاحف بمشيخة المقارئ المصرية سابقاً ـ اعتنى به أ/جمال محمد شرف، أ/عبد الله علوان ـ دار الصحابة للتراث بطنطا ـ ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.

١٢ ـ أساس البلاغة: الإمام الكبير جار الله أبي القاسم محمد بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) تحقيق الأستاذ عبد الرحيم محمود ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ ـ ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

١٣ ـ الأساس في التفسير: سعيد حوى ـ دار السلام ـ ط٢ ـ سنة ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.

١٤ ـ أسباب النزول: للإمام أبى الحسن علي بن أحمد الواحدي (٤٦٨هـ) ـ تحقيق أيمن صالح شعبان ـ دار الحديث ـ القاهرة ـ سنة ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

١٥ ـ أسباب النزول: للإمام السيوطي ـ دراسة وتحقيق حامد أحمد الطاهر ـ دار الفجر للتراث ـ القاهرة ـ ط١ ـ ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.

١٦ ـ أسرار البلاغة: عبد القاهر الجرجاني (ت سنة ٤٧١هـ) ـ تحقيق د. عبد الحميد هنداوي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ ـ ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

١٧ ـ الأشباه والنظائر في النحو: جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ) ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ ـ ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٤م.

١٨ ـ الأصوات اللغوية: د. إبراهيم أنيس ـ الناشر مكتبة الأنجلو المصرية ـ ط٥ ـ ١٩٧٩م.

١٩ ـ الأصوات اللغوية: د. عبد القادر عبد الجليل دار الصفاء عمان الأردن ط ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م.

٢٠ ـ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي الموريتاني المالكي الإفريقي (١٣٢٠ ـ ١٣٩٣) وتتمته لتلميذه عطية محمد سالم ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان ـ ط ١ ـ سنة(١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م).

٢١ ـ الإعجاز في دراسات السابقين، دراسة كاشفة لخصائص البلاغة العربية ومعاييرها: عبد الكريم الخطيب ـ دار الفكر العربي ـ ط١ ـ سنة ١٩٧٤م.

٢٢ ـ الإعجاز البلاغي دراسة تحليلية لترا ث أهل العلم: د. محمد محمد أبو موسى ـ مكتبة وهبة الجمهورية ـ عابدين المحرم ١٤٠٥هـ ـ سبتمبر ١٩٨٤م.

٢٣ ـ إعجاز القرآن الكريم: د. فضل حسن عباس، سناء فضل عباس ص٢٩ ـ عمّان ـ سنة ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م.

٢٤ ـ إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: مصطفى صادق الرافعي ـ المكتبة التجارية الكبرى ـ مصر ـ ط٨ ـ ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٥م.

٢٥ ـ إعراب القراءات السبع وعللها: أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه الهمداني النحوي الشافعي ـ حققه: د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين ـ مكتبة الخانجي ـ القاهرة ـ ط١ ـ ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م.

٢٦ ـ الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين المستشرقين: خير الدين الزركلي ـ دار العلم للملايين ـ بيروت ـ ط٥ ـ مايو ١٩٨٠م.

٢٧ ـ الأنساب: للإمام أبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التّميمي السّمْعاني (ت ٥٦٢هـ) ـ تقديم: عبد الله عمر البارودي ـ دار الجنان ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ ـ ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

٢٨ ـ أنوار التنزيل وأسرار التأويل: القاضى ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي ـ الناشر مكتبة الجمهورية العربية ـ مصر ـ تصحيح محمد سالم محيسن.

٢٩ ـ أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن: د.عبد الله محمود شحاته ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ ط٢ ـ ١٩٨١م.

٣٠ ـ أوضح المسالك عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبدالله بن هشام، الأنصاري المصري (ت ٧٦١هـ) ـ دار الجيل ـ بيروت ـ لبنان ـ ط٥ ـ ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م ومعه كتاب عدة السالك إلى تحقيق أوضح المسالك لمحمد محي الدين عبد الحميد.

٣١ ـ الإيضاح في علوم البلاغة: الخطيب البغدادي ـ منشورات الكتب ـ لبنان ـ ط٤.

٣٢ ـ باب النقول في أسباب النزول: جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ) تحقيق أ.د/ حمزة النشرقي ـ الشيخ عبد الحميد فرغلي.

٣٣ ـ البحر المحيط: محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي ـ دار الفكر ـ ط٢ ـ ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

٣٤ ـ البداية والنهاية: لأبي الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي (ت٧٧٤هـ) ـ تحقيق د. أحمد عبد الوهّاب ـ دار الحديث ـ القاهرة ـ ط٦ ـ ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.

٣٥ ـ البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع: الشوكاني ـ دار الفكر ـ ط١ ـ ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

٣٦ ـ البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدّرة تأليف خادم العلم والقرآن عبد الفتّاح القاضي ـ مكتبة أنس بن مالك ـ مكة المكرمة ـ ط١ ـ سنة ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.

٣٧ ـ البرهان في علوم القرآن: الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ـ تحقيق محمد أبو الفضل ـ ط٢ ـ عيسى البابي وشركاه.

٣٨ ـ بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز: تأليف مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي ـ ط٢ ـ غرة جماد الآخرة ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

٣٩ ـ بغية عباد الرحمن لتحقيق تجويد القرآن في رواية حفص من طريق الشاطبية: محمد بن شحادة الغول ـ دار ابن القيم ـ المملكة العربية السعودية ـ ط٤ ـ ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.

٤٠ ـ بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس علمائها وأمرائها وشعرائها وذوي النباهة فيها ممن دخل إليها أو خرج منها: أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة الضبي (ت ٥٩٩هـ) ـ طبع في مدينة مجريط بمطبع روخس سنة ١٨٨٤م.

٤١ ـ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: الحافظ جلال الدين السيوطي تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ـ المكتبة العصرية ـ صيدا ـ بيروت.

٤٢ ـ بلاغة الكلمة في التعبير القرآني: د. فاضل صالح السامرّائي ـ دار عمار ـ عمان ـ ط٢ ـ ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

٤٣ ـ تاج التفاسير لكلام الملك الكبير: تأليف العالم العلامة السيد محمد عثمان ابن السيد محمد أبي بكر ابن السيد عبد الله المَرغني ـ وبهامشه القرآن المجيد مرسوماً بالرسم العثماني ـ دار الفكر ـ ط٢.

٤٤ ـ تاريخ ابن خلدون المسّمى بكتاب العبر، وديوان المبتدأ والخبر، في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر: عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (ت سنة ٨٠٨هـ) ـ دار الفكر ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

٤٥ ـ تاريخ القرآن: أبو عبد الله الزنجاني، قدّم له: الأستاذ أحمد أمين، من مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت ـ لبنان ـ ط٣ ـ ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٩م.

٤٦ ـ تأويل مشكل القرآن: ابن قتيبة ـ المكتبة العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط٣ ـ ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

٤٧ ـ تحبير التيسير في قراءات الأئمة العشرة: للإمام المحقق محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف الجزري ـ تحقيق أ. جمال الدين محمد شرف ـ دار الصحابة للتراث بطنطا.

٤٨ ـ التحديد في الاتقان والتجويد: تأليف أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني الأندلسي دراسة وتحقيق غانم قدورى حمد ـ دار الأنبار ـ العراق ـ ط١ ـ ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٨م.

٤٩ ـ تحرير التنبية معجم لغوي: الإمام الحافظ شيخ الإسلام محى الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي (٦٣١ ـ ٦٧٦م) ـ تحقيق د. فايز الداية د. محمد رضوان الداية ـ دار الفكر المعاصر ـ بيروت ـ لبنان ـ ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

٥٠ ـ التحرير والتنوير: الشيخ محمد الطّاهر بن عاشور ـ دار سحنون للنشر والتوزيع ـ تونس ـ ١٩٩٧م.

٥١ ـ تذكرة الحفّاظ: الإمام أبو عبد الله شمس الدين الذهبى (ت٧٤٨هـ ـ ١٣٤٧م) ـ دار الفكر العربي ـ صُحح عن النسخة القديمة المحفوظة في مكتبة الحرم المكي تحت إعانة وزارة المعارف الحكومة العالية الهندية ـ سنة التصحيح ١٥ شوال ـ ١٣٧٤هـ ـ عبد الرحمن بن يحيى العلمي.

٥٢ ـ التصوير الفني في القرآن: سيد قطب ـ دار الشرق ـ القاهرة ـ ط١٦ ـ سنة ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.

٥٣ ـ تفسير ابن وهب المسمى الواضح في تفسير القرآن الكريم: (أبو محمد عبد الله بن محمد بن وهب الدينوري (ت ٣٠٨هـ) ـ تحقيق: أحمد فريد ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ ـ ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

٥٤ ـ تفسير الإمام مجاهد بن جبر (ت١٠٢هـ) ـ تحقيق د. محمد عبد السلام أبو النيل ـ دار الفكر الإسلامي الحديثة ـ ط١ ـ ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م.

٥٥ ـ تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي، الشهير بالخازن ـ وبهامشه تفسير البغوي المعروف بمعالم التنزيل لأبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي (ت ٥١٦هـ) ـ مطبعة البابي الحلبي بمصر ـ ١٣٧٥هـ ـ ١٩٥٥م.

٥٦ ـ تفسير السمرقندي المسمّى بحر العلوم: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت٣٧٥هـ) ـ تحقيق على محمد مَعّوض، عادل أحمد عبد الموجود، د.زكريا عبد المجيد النُوتي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ ـ ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

٥٧ ـ تفسير الشعراوي: محمد متولي الشعراوي ـ أخبار اليوم ـ قطاع الثقافة.

٥٨ ـ تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل: محمد جمال الدين القاسمي ـ رقّمه وصحّحه وخرّج أحاديثه محمد فؤاد عبد الباقي ـ دار إحياء الكتب العربية.

٥٩ ـ تفسير القرآن العظيم: الحافظ عماد الدين، أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ـ دار إحياء الثرات العربي ـ بيروت ـ سنة ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٩م.

٦٠ ـ تفسير القرآن الكريم: د. عبد الله شحاتة ـ دار غريب ـ القاهرة.

٦١ ـ تفسير القرآن الكريم المسمّى السِّراج المنير: الخطيب الشربيني ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان ـ ط٢.

٦٢ ـ تفسير القرآن للقراءات القرآنية العشر من خلال الفاتحة والبقرة وآل عمران رسالة ماجستير: عبد الله علي الملاحي، إشراف: د. مروان أبو راس ـ سنة ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.

٦٣ ـ التفسير القيم: لابن القيم (٦٩١هـ ـ ٧٥١هـ) جمعه محمد أويس النّدوي ـ حققه محمد حامد الفقى ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان.

٦٤ ـ التفسير الكبير: للإمام العلامة تقي الدين ابن تيمية (ولد سنة ٦٦١ وتوفي سنة٧٢٨هـ) ـ تحقيق وتعليق د.عبد الرحمن عميرة ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ ـ ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

٦٥ ـ التفسير الكبير (مفاتيح الغيب): الإمام فخر الدين الرازي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ ـ ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م.

٦٦ ـ تفسير المراغي: أحمد مصطفى المراغي ـ مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ـ ط٥ ـ سنة ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م.

٦٧ ـ التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: د. وهبه الزحيلي ـ دار الفكر المعاصر ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ ـ ١٤١٩هـ ـ ١٩٩١م.

٦٨ ـ التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق: د. صلاح عبد الفتاح الخالدي ـ دار النفائس ـ الأردن ـ ط١ ـ سنة ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

٦٩ ـ التفسير الواضح: د. محمد محمود حجازي ـ مطبعة الاستقلال الكبرى ـ القاهرة ـ ط٦ ـ ١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٩م.

٧٠ ـ تفسير مقاتل بن سليمان: أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء البلخي (ت ١٥٠هـ) ـ تحقيق أحمد فريد ـ منشورات محمد علي بيضون ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ ـ ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

٧١ ـ تقريب التهذيب: الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر، ومعه حاشيتا عبد الله بن سالم البصري ومحمد أمين ميرغني، وقدم له محمد عوّامة ـ دار ابن حزم ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ ـ ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

٧٢ ـ التفسير والمفسرون: د. محمد حسين الذهبي ـ مكتبة وهبة ـ القاهرة ـ ط٦ ـ سنة ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.

٧٣ ـ تقريب النشر في القراءات العشر: لابن الجزري ـ تحقيق إبراهيم عطوة عوض ـ دار الحديث ـ القاهرة ـ سنة ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.

٧٤ ـ تهذيب الصحاح: محمود بن أحمد الزنجاني ـ تحقيق عبد السلام محمد هارون ـ أحمد عبد الغفور عطار ـ دار المعارف بمصر.

٧٥ ـ تهذيب اللغة: أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري ـ تحقيق عبد العظيم محمود ـ الدار المصرية للتأليف والترجمة ـ مطابع سجل العرب ـ القاهرة.

٧٦ ـ التوجيه اللغوي والبلاغي لقراءة الإمام عاصم: د. صبري المتولى المتولى ـ دار غريب ـ القاهرة ـ سنة ١٩٩٨م.

٧٧ ـ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: تأليف عبد الرحمن بن ناصر السعدى ـ قدم له محمد بن صالح العثيمين ـ مكتبة الصفا ـ مطابع دار البيان الحديثة ط١ ـ سنة ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م.

٧٨ ـ جامع البيان عن تأويل آي القرآن: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ) ـ دار الفكر ـ بيروت ـ لبنان ـ سنة ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

٧٩ ـ الجامع الصحيح: للترمذي ـ تحقيق إبراهيم عطوة ـ مطبعة مصطفى البابى الحلبي ـ ط٢ ـ سنة ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م.

٨٠ ـ الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبي ـ راجعه محمد إبراهيم الحفناوي ـ محمود حامد عثمان ـ دار الحديث ـ القاهرة ـ ط٣ ـ ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.

٨١ ـ الجَنى الداني في حروف المعاني: الحسن بن قاسم المُرادي ـ تحقيق د. فخر الدين قباوة، محمد نديم فاضل ـ منشورات دار الآفاق الجديدة ـ بيروت ـ ط٢ ـ ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

٨٢ ـ جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: السيد أحمد الهاشمي ـ مؤسسة المعارف ـ بيروت.

٨٣ ـ الجوهر المصون في رواية قالون: تحقيق السيد هادي بن حسن بن عبد الرحمن بن حسن السَّقاف العَلَوي.

٨٤ ـ حاشية الشهاب المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي: للقاضي شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي (ت١٠٦٩هـ) على تفسير البيضاوي ـ ضبطه وخرج آياته وأحاديثه الشيخ عبد الرزاق المهدي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ ـ ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

٨٥ ـ حجة القراءات: أبو زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة ـ تحقيق سعيد الأفغاني ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ط٥ ـ سنة ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

٨٦ ـ الحجة في القراءات: أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه (ت ٣٧٠هـ) ـ تحقيق أحمد زيد المزيدي ـ قدم له: د. فتحي حجازي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ منشورات محمد علي بيضون ـ ط١ ـ سنة ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٠م.

٨٧ ـ حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر: عبد الرزاق البيطار ـ دار صادر ـ بيروت ـ ط٢ ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

٨٨ ـ الدر المنثور في التفسير المأثور: عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي ـ دار الفكر ـ بيروت ـ لبنان ـ ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

٨٩ ـ دراسات في مناهج المفسرين: إبراهيم عبد الرحمن محمد خليفة ـ دار الوفاء ـ مكتبة الأزهر ـ القاهرة ـ ط سنة ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

٩٠ ـ دراسات لأسلوب القرآن: عبد الخالق عضيمة ـ دار الحديث ـ القاهرة.

٩١ ـ دراسة الصوت اللغوي: د. أحمد مختار عمر ـ عالم الكتب ـ القاهرة ـ ط٢ ـ ١٩٨١م.

٩٢ ـ دلائل الإعجاز: الإمام عبد القادر الجرجاني ـ صححه وعلق حواشيه محمد رشيد رضا ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان ـ سنة ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.

٩٣ ـ الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب: إبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون اليعمري ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٩٤ ـ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: تأليف العلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي ـ ضبطه وصححه علي عبد الباري عطيه ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ سنة ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.

٩٥ ـ زاد المسير في علم التفسير: أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي ت ٥٩٧هـ ـ تحقيق عبد الرزاق المهدي ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ ـ ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

٩٦ ـ زاد المعاد في هدى خير العباد محمد خاتم النبيين وإمام المرسلين: للإمام ابن قيِّم الجوزية ـ المطبعة المصرية ومكتباتها.

٩٧ ـ زاد مسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم المسمّي فتح المنعم ببيان ما احتيج لبيانه من زاد المسلم: للحافظ سيدى محمد حبيب الله المشهور بما يأبي الجكني ثم اليوسفي نسباً المالكي مذهباً المتوفى بمصر سنة ١٣٦٣هـ.

٩٨ ـ سر الفصاحة: أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي (ت٤٦٦هـ) ـ دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان ـ ط ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.

٩٩ - سنن الترمذي: الإمام محمد بن عيسى بن سورة الترمذي - حكم على أحاديثه محمد ناصر الدين الألباني - مكتبة المعارف - الرياض - ط١.

١٠٠ - سير أعلام النبلاء: شمس الدّين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي - مؤسسة الرسالة - بيروت - ط٧ - ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

١٠١ - السيرة النبوية: محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ) - تحقيق جمال بدران - الدار المصرية البنانية - القاهرة - ط٢ - ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

١٠٢ - السيرة النبوية: لابن هشام، أبي محمد عبد الملك بن هشام المعافري (ت٢١٣هـ) - دار الجيل - بيروت - ١٩٧٥م.

١٠٣ - شذا العَرف في فن الصرف: أحمد الحملاوي - مطبعة مصطفى الحلبي - مصر - ط١٦ - ١٣٨٤هـ - ١٩٦٥م.

١٠٤ - شذرات الذهب في أخبار من ذهب: ابن العماد الحنبلي - منشورات دار الأفاق الجديدة - بيروت.

١٠٥ - شرح ابن عقيل على ألفية بن مالك - دار الاتحاد العربي - الناشر محمد علي صبيح - الأزهر - ط٥ - ١٣٩٧هـ - ١٩٧٨م.

١٠٦ - شرح التصريح على التوضيح: للشيخ الإمام خالد بن عبد الله الأزهري - دار إحياء الكتب العربية.

١٠٧ - شرح الرّضِيّ على الكافية: رضي الدين الإسترباذى - تصحيح وتعليق يوسف حسن عمر - كلية اللغة العربية والدراسات الإسلامية سنة ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

١٠٨ - شرح المفصل: للشيخ العالم (العلامة جامع الفوائد موفق الدين) يعيش بن علي بن يعيش النحوي (ت٦٤٣هـ) - عالم الكتب - بيروت القاهرة.

١٠٩ - الصاحبي: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا - تحقيق أحمد صقر - مطبعة عيسى البابي وشركاه - القاهرة.

١١٠ - الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: إسماعيل بن حماد الجواهري - تحقيق أحمد عبد الغفور عطّار - دار العلم للملايين - بيروت - ط٢ - ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

١١١ - صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ابن المغيرة بن بَرْدِزْبَه (المولد ١٣ شوال سنة ١٩٤هـ = ٨١٠م، المتوفي ٢٥٦هـ = ٨٨٠م) - حقق أصوله ووثق نصوصه وكتب مقدماته ورقمه وطبع فهارسه طه عبد الرؤوف سعد - ط سنة ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

١١٢ ـ صحيح سنن الترمذي: صححه محمد ناصر الألباني ـ الناشر مكتبة التربية العربي لدول الخليج ـ الرياض ـ أشرف على طباعته زهير الشاويش ط١ ـ ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

١١٣ ـ صحيح مسلم بشرح النووي ـ المطبعة المصرية ومكتباتها.

١١٤ ـ صفوة التفاسير لمحمد علي الصابوني ـ دار القرآن الكريم ـ بيروت ـ ط٤ ـ سنة ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨١م.

١١٥ ـ الضوء اللامع لأهل القرن التاسع: شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السّخاوي ـ منشورات دار مكتبة الحياة ـ بيروت ـ لبنان.

١١٦ ـ طبقات الشافعية الكبرى: تاج الدّين أبي نصر عبد الوهاب السُبكي ـ تحقيق محمود محمد الطناجي، عبد الفتّاح الحلو ـ دار إحياء الكتب العربية.

١١٧ ـ الطبقات الكبرى: محمد بن سعد الهاشمي البصري المعروف بابن سعد ـ دراسة وتحقيق محمد عبد القادر عطا ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ ـ ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

١١٨ ـ طبقات المفسرين: الحافظ شمس الدّين الداوودي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط١ ـ ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

١١٩ ـ طبقات النحويّين واللغويّين: لأبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي الأندلسي (ت٣٧٩هـ) ـ تحقيق محمد أبو الفضل ـ دار المعارف بمصر ـ القاهرة ـ ط٢.

١٢٠ ـ علم وظائف الأصوات اللغوية الفونولوجيا: د.عصام نور الدين ـ دار الفكر اللبناني ـ بيروت ط١ ـ سنة ١٩٩٢م.

١٢١ ـ العمادي في شرح طيبة النشر في القراءات العشر (الكشف عن علل القراءات وتوجيهاتها): د. محمد سالم محيسن ـ دار الجيل ـ بيروت ـ ط١ ـ ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

١٢٢ ـ غاية النهاية في طبقات القراء: شمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن الجزري (ت٨٣٣هـ) ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط٣ ـ ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.

١٢٣ ـ غيث النفع في القراءات السبع: ولي الله سيدي علي النوري الصفاقسي ـ ضبطه: محمد عبد القادر شاهين ـ دار الكتب العلمية ـ ط١ ـ سنة١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م.

١٢٤ ـ فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري: أحمد بن عليّ بن حجر العسقلاني ـ رقمه محمد فؤاد عبد الباقي ـ دار المعرفة ـ بيروت.

١٢٥ ـ فتح القدير الجامع بين فنيّ الرواية والدّراية من علم التفسير: محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ) ـ اعتنى به وراجع أصوله يوسف الفُرش بصنعاء ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان ـ ط٣ ـ ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

١٢٦ ـ الفريد في إعراب القرآن المجيد للمنتخب حسين بن أبي العز الهَمَذ (ت سنة ٦٣٤هـ) ـ تحقيق د. فهمى حسن النمر، د. فؤاد علي مخيمر ـ دار الثقافة ـ ط١ ـ ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

١٢٧ ـ فريدة الدهر في تأصيل وجمع القراءات العشر: تحرير وجمع الفقير محمد إبراهيم محمد سالم ـ سنة ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م.

١٢٨ ـ فضائل القرآن ومعالمه وآدابه: أبو عبيد القاسم بن سلام ـ تحقيق الأستاذ أحمد بن عبد الواحد الخيّاطي (١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م) ـ مطبعة فضالة ٣ زنقة ابن زيدون المحمدية (المغرب) ـ المملكة المغربية ـ وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية.

١٢٩ ـ فضائل سور القرآن دراسة: د. إبراهيم علي السيد علي عيسى ـ مصر ـ القاهرة ـ الإسكندرية ـ دار السلام ـ ط٢ ـ ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٥م.

١٣٠ ـ الفوائد المشوق في علوم القرآن: ابن الجوزية ـ مكتبة المتنبي ـ القاهرة ـ ط١ ـ ١٩٨٣م.

١٣١ ـ في رحاب التفسير: عبد الحميد كشك ـ المكتب المصري الحديث ـ القاهرة ـ سنة ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م.

١٣٢ ـ في ظلال القرآن: سيد قطب ـ دار الشروق ـ ط ١٣ ـ سنة ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

١٣٣ ـ في هامش القرآن الكريم القراءات العشر المتواترة: فكرة وتنفيذ: علوي بن محمد بن أحمد بلفقيه وإشراف محمد كريم راجح شيخ القراء في الديار الشامية ـ دار المهاجر للنشر والتوزيع ـ ط٤ ـ سنة ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.

١٣٤ ـ القاموس المحيط: للعلامة اللغوي مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (٨١٧هـ) ـ تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ شارع سوريا ـ ط١ ـ ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

١٣٥ ـ القراءات أحكامها ومصدرها: د. شعبان إسماعيل ـ مطبوعات رابطة العالم الإسلامي ـ ط٢ ـ سنة ١٤١٤هـ.

١٣٦ ـ القراءات القرآنية من الوجهة البلاغية: د. فضل حسن عبّاس ـ مجلة دراسات ـ المجلد الرابع عشر ـ العدد السابع ـ سنة ١٩٨٧م.

١٣٧ ـ القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني والأحكام الشرعية: د. محمد الحبش ـ دار الفكر المعاصر بيروت ـ لبنان ـ ط١ ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م.

١٣٨ ـ القراءات وأثرها في التفسير والأحكام: إعداد محمد بن عمر بن سالم بن بازمول ـ دار الهجرة ـ المملكة العربية السعودية ـ ط١ ـ سنة ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

١٣٩ ـ القرآن إعجازه وبلاغته: د. عبد القادر حسين ـ المطبعة النموذجية ـ مكة.

١٤٠ ـ قطر الندى وبلّ الصدى: أبو محمد عبد الله جمال الدين بن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ) ـ مطبعة السعادة بمصر ـ ط١١ ـ ربيع الثاني ١٣٨٣هـ أغسطس ١٩٦٣م.

١٤١ ـ الكامل في التاريخ: ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ) ـ تحقيق: أبو الفداء عبد الله القاضي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ ـ ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

١٤٢ ـ كتاب المُغَرِّب في ترتيب المعرب: أبو الفتح ناصر بن عبد السيد بن علي المطرزي الفقية الحنفي الخوارزمي (ت ٦١٦هـ) ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ لبنان.

١٤٣ ـ كتاب السبعة في القراءات: ابن مجاهد ـ تحقيق د. شوقي ضيف ـ دار المعارف بمصر ـ القاهرة.

١٤٤ ـ كتاب المصاحف: أبو بكر عبد الله بن سليمان بن الأشعت السجستاني الحنبلي، المعروف بابن داوود (٢٣٠هـ ـ ٣١٦هـ) ـ تحقيق د. محمد واعظ ـ دار البشائر الإسلامية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط٢ ـ ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.

١٤٥ ـ كتاب سيبويه: أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت سنة ١٨٠هـ) ـ تحقيق عبدالسّلام محمد هارون ـ دار الجيل ـ بيروت.

١٤٦ ـ الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها: أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي (٣٥٥هـ ـ ٤٣٧هـ) ـ تحقيق د. محى الدين رمضان ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ط٥ ـ سنة ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

١٤٧ ـ الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية: أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكَفوى المتوفى سنة ١٠٩٤هـ ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ سوريا ـ ط٢ ـ ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

١٤٨ ـ الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة: الشيخ نجم الدين العربي ـ دار الفكر.

١٤٩ ـ لب اللباب في تحرير الأنساب: للإمام العلامة جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ـ تحقيق: محمد أحمد عبد العزيز، وإشراف أحمد عبد العزيز ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ ـ ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

١٥٠ ـ لباب التأويل في معالم التنزيل: الإمام أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ ـ ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

١٥١ ـ لسان العرب: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ـ دار صادر ـ بيروت ـ سنة ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

١٥٢ ـ لطائف الإشارات لفنون القراءات: شهاب الدين القسطلاني ـ تحقيق وتعليق عامر السيد عثمان، د. عبد الصبور شاهين ـ يشرف على إصدارها محمد توفيق عويضة ـ لجنة إحياء الثرات الإسلامي ـ مصر ـ القاهرة ـ سنة ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م.

١٥٣ ـ لطائف البيان في أحكام وعلوم القرآن: صابر غانم المنكوت ـ دار إحياء الثرات الإسلامي ـ دولة قطر، عنى بطبعه عبد الله بن إبراهيم الأنصاري.

١٥٤ ـ اللهجات العربية القديمة في غرب الجزيرة العربية: تشيم رابين، ترجمة د. عبد الكريم مجاهد ـ دار الفارس ـ الأردن ط١ ـ ٢٠٠٢م.

١٥٥ ـ اللهجات العربية في القراءلت القرآنية: د. عبده الراجحي ـ مكتبة المعارف ـ الرياض ط١ ـ ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

١٥٦ ـ ما انفرد به كل من القراء السبعة وتوجيهه في النحو العربي: عبد القادر الهَيْتي ـ دار الكتب الوطنية ـ منشورات جامعة قانيونس ـ بنغازي ـ ط١ ـ ١٩٩٦م.

١٥٧ ـ مباحث في علوم القرآن: مناع القطان ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ لبنان ـ ط٣٥ ـ ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م.

١٥٨ ـ المبسوط في القراءات العشر: لأبي بكر أحمد بن الحسين بن مهران الأصبهاني (٢٩٥ ـ ٣٨١هـ) ـ تحقيق وتعليق: جمال الدين محمد شرف ـ دار الصحابة للتراث بطنطا ـ ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

١٥٩ ـ متن الألفية: للعلامة الهمام جمال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله ابن مالك الأندلسي ـ المطبعة الخيرية: مالكها السيد عمر حسن القاهرة ـ مصر ـ ط ١٣١٩هـ.

١٦٠ ـ مجاز القرآن: أبو عبيدة معمر بن المثني التَّيميّ (ت سنة ٢١٠هـ) ـ علق عليه د.محمد فؤاد سزكين ـ الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة.

١٦١ ـ مجمع البيان في تفسير القرآن: للشيخ أبو علي الفضل بن حسن الطبرسي ـ دار مكتبة الحياة ـ بيروت ـ لبنان.

١٦٢ ـ مجمل اللغة: أبو الحسين أحمد بن فارس (ت٣٩٥هـ) ـ تحقيق عبد المحسن سلطان ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ط٢ ـ ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

١٦٣ ـ مباحث في التفسير الموضوعي: مصطفى مسلم ـ دار القلم ـ دمشق ـ ط١ ـ ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م.

١٦٤ ـ المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها: تحقيق علي النجدي ناصف، عبد الفتاح إسماعيل شلبي ـ القاهرة ـ سنة ١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٩م.

١٦٥ ـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: القاضي عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي المتوفى سنة ٥٤٦هـ، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد ـ طبعة محققه عن نسخه آيا صوفيا ـ استنبول رقم (١١٩) محفوظة في مكتبة مرعشي بخفي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ط سنة ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

١٦٦ ـ المحيط في اللغة: تأليف كافي الكفاة، إسماعيل بن عبَّاد (٣٢٦هـ ـ ٣٨٥هـ) ـ تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين ـ عالم الكتب ـ بيروت ـ ط١ ـ ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

١٦٧ ـ مختار الصحاح: الإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ـ راجعه لجنة من علماء العربية ـ دار الفكر ـ طرابلس ـ بيروت.

١٦٨ ـ مدارك التنزيل وحقائق التأويل: للإمام أبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي ـ تحقيق سيد زكريا ـ مكتبة نزار مصطفى الباز ـ المملكة العربية السعودية ـ مكة ـ ط١ ـ ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

١٦٩ ـ المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز: شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المعروف أبو شامة المقدسي (ت ٦٦٥هـ ـ ١٢٦٧م) ـ حققه طيار آلتي قولاج ـ دار صادر ـ بيروت ـ سنة ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م.

١٧٠ ـ المزهر في علوم اللغة وأنواعها: عبد الرحمن جلال الدين السيوطي ـ شرحه وعلق على حواشيه محمد أحمد جاد المولى وآخرون ـ دار الفكر.

١٧١ ـ المستدرك على الصحيحين: للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري ـ تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط٢ سنة١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م.

١٧٢ ـ المستنير في تخريج القراءات المتواترة من حيث اللغة والإعراب والتفسير: د. محمد سالم محيسن ـ دار الجيل ـ بيروت ـ ط١ ـ سنة ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.

١٧٣ ـ مسند الإمام أحمد وبهامشه منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ـ دار الفكر العربي.

١٧٤ ـ مشكاة المصابيح: تأليف محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي ـ تحقيق محمد ناصر الدين الألباني ـ المكتب الإسلامي ـ ط٣ ـ ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

١٧٥ ـ المصباح المنير: أحمد بن محمد بن علي الفيّومي المقري ـ دار الحديث ـ القاهرة ـ ط١ ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

١٧٦ ـ المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي: تأليف العالم أحمد بن محمد بن علي المقرى الفيومي (ت ٧٧٠هـ) ـ المطبعة الأميرية مصطفى السقا ـ دار الفكر ـ المملكة العربية السعودية.

١٧٧ ـ معاني الأبنية في العربية: د.فاضل صالح السامرّائي ـ جامعة الكويت ـ كلية الآداب ـ ط١ ـ ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

١٧٨ ـ معاني القراءات: تصنيف العلامة أبي منصور محمد بن أحمد الأزهرى (ت سنة ٣٧٠هـ) حققه وعلق عليه الشيخ أحمد فريد المزيدي ـ تقديم: فتحي عبد الرحمن حجازي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ ـ ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

١٧٩ ـ معاني القرآن: أبو جعفر النحاس (ت ٣٣٨هـ) ـ دار الحديث ـ القاهرة ـ سنة ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.

١٨٠ ـ معاني القرآن: الأخفش سعيد بن مَسْعِدَة البَلخي المجاشعي ـ دراسة وتحقيق د. عبد الأمير محمد أمين ـ عالم الكتب ـ بيروت ـ ط١ ـ ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

١٨١ ـ معاني القرآن: الفراء أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت ٢٠٧هـ) ـ عالم الكتب ـ بيروت ـ ط٣ ـ ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

١٨٢ ـ معاني القرآن: علي بن حمزة الكسائي (ت١٨٩هـ) ـ تقديم د. عيسى شحادة عيسى ـ دار قباء للطباعة ـ القاهرة ـ ١٩٩٨م.

١٨٣ ـ معاني القرآن وإعرابه: للزجاج أبو إسحاق إبراهيم بن السري (ت سنة ٣١١هـ) ـ شرح وتحقيق د. عبد الجليل عبدو شلبي ـ عالم الكتب ـ بيروت ـ ط١ ـ ١٤٠٨هـ ـ ١٥٨٨م.

١٨٤ ـ معترك الأقران في إعجاز القرآن: الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ـ تحقيق علي محمد البيجاوي ـ دار الفكر العربي.

١٨٥ ـ معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة ٢٠٠٢: كامل سلمان الجبوري دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط١ ـ ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

١٨٦ ـ معجم البلدان: للإمام شهاب الدّين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (ت٦٢٦هـ) ـ تحقيق فريد عبد العزيز الجُندي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ ـ ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

١٨٧ ـ معجم المؤلفين تراجم مصنّفي الكتب العربية: عمر رضا كحالة ـ دار إحياء

التراث العربي - بيروت.

١٨٨ - المعجم المفصل في علوم اللغة (الألسنيات): د. محمد التونجي، راجى الأسمر - مراجعه د. إميل يعقوب - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط١ - ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

١٨٩ - معجم مقاييس اللغة: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ) - تحقيق عبد السلام محمد هارون - دار الجيل - بيروت - ط١ - سنة ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

١٩٠ - معرفة القراء الكبار على الطبقات والإعصار: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت٧٤٨هـ - ١٣٤٨ م) - تحقيق د. طيّار آلتى قولاج - استانبول - منشورات مركز البحوث الإسلامية التابع لوقف الديانة التركي - طبع بالأوفست بمطابع مديرية النشر والطباعة والتجارة التابعة لوقف الديانة التركي - أنقرة - ط١ - ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

١٩١ - مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب: الإمام أبي محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري المصرى (ت - ٧٦١هـ) - تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد - المكتبة العصرية - صيدا - بيروت - ط سنة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

١٩٢ - المغني في توجيه القراءات العشر: د. محمد سالم محيسن - دار الجيل - بيروت - ط٢ - سنة ١٤٠٨هـ.

١٩٣ - المغني في ضبط أسماء الرجال ومعرفه كُنى الرّواة وألقابهم وأنسابهم: العلامة المحدّث محمد طاهر بن علي الهندي صاحب مجمع البحار في لغة الأحاديث والآثار (ت٩٨٦هـ) - دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان - ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

١٩٤ - المغني في علم التجويد برواية الإمام حفص عن عاصم: د.عبد الرحمن الجمل - ط٢ - ١٩٩٩م - غزة - الجامعة الإسلامية - آفاق للطباعة والنشر.

١٩٥ - مفردات ألفاظ القرآن: الراغب الأصفهاني - تحقيق صفوان عدنان داوودي - دارالقلم - دمشق - ط٣ - سنة ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

١٩٦ - المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني - تحقيق محمد سيد كيلاني - دار المعرفة - بيروت - لبنان.

١٩٧ - المقتطف من عيون التفاسير: مطصفى الحسن المنصوري - تحقيق محمد على الصابوني - دار السلام - القاهرة - ط١ - ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

١٩٨ ـ مقدمة تفسير ابن النقيب في عالم البيان والمعاني والبديع وإعجاز القرآن: للإمام أبي عبد الله جمال الدين محمد بن سليمان البلخي المقدسي الحنفي، الشهير بابن النقيب المتوفي سنة ٦٩٢هـ والمطبوع خطأ، بعنوان الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان لابن القيم الجوزية: كشف عنها وعلق حواشيها د. زكريا سعيد علي ـ مكتبة الخانجي بالقاهرة ـ ط١ ـ ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

١٩٩ ـ ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل: الإمام أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي العاصمي الغرناطي ـ تحقيق: سعيد الفلاَّح ـ دار الغرب الإسلامي ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ ـ ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

٢٠٠ ـ من أصول اللهجات العربية في السودان، دراسة مقارنة في اللهجات العربية القديمة وآثارها في السودان: الأستاذ الدكتور عبد المجيد عابدين أستاذ الأدب العربي كلية الآداب ـ جامعة الأسكندرية ص٣٤ ـ دار المعرفة الجامعية ـ الأسكندرية ـ ط سنة ١٩٨٩م.

٢٠١ ـ من بلاغة القرآن: د. محمد شعبان علوان ـ د. نعمان شعبان علوان ـ الدار العربية للنشر ـ ط٢ ـ سنة ١٩٩٨م.

٢٠٢ ـ مناهل العرفان في علوم القرآن: الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني ـ دار الحديث ـ القاهرة ـ سنة ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

٢٠٣ ـ المنتخب في تفسير القرآن الكريم ـ وزارة الأوقاف المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ لجنة القرآن والسنة ـ ط١٨ ـ القاهرة ـ ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.

٢٠٤ ـ منجد الطلاب في اللغة والأعلام ـ نظر فيه ووقف على ضبطه فؤاد إفرام البستاني ـ دار المشرق ـ بيروت ـ لبنان ـ ط ٣٨ ـ سنة ١٩٩١م.

٢٠٥ ـ منهج الإمام الطبري في القراءات في تفسيره: د. عبد الرحمن يوسف أحمد الجمل ـ تحت إشراف: د. فضل حسن عباس ـ رسالة ماجستير ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

٢٠٦ ـ الموسوعة العربية العالمية: مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع ـ ط٢ ـ الرياض ـ المملكة العربية السعودية.

٢٠٧ ـ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تعزي بَرْدى الأتابكي ـ قدَّم له وعلَّق عليه محمد حسين شمس الدّين ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط١ ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م.

٢٠٨ ـ نزول القرآن على سبعة أحرف: مناع القطان ـ الناشر مكتبة وهبة ـ القاهرة ـ ط١ ـ ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

٢٠٩ ـ النسب: لأبي عبيد القاسم بن سلام ـ تحقيق ودراسة مريم محمد خير الحرع، تقديم د. سهيل ذكّار ـ دار الفكر ـ ط١ ـ ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م.

٢١٠ ـ النشر في القراءات العشر: الإمام الحافظ أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري ـ قدّم له علي محمد الضباع ـ خرج آياته زكريا عميرات ـ منشورات محمد علي بيضون ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط٢ ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.

٢١١ ـ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: للإمام برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (٨٨٥هـ) ـ خرج أحاديثة: عبد الرازق غالب المهدى ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط١ ـ سنة ٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

٢١٢ ـ نفح الطيب من غصن الأندلس الرَّطيب: أحمد بن محمد المقري التلمساني ـ دار صادر ـ بيروت ـ ١٩٦٨م.

٢١٣ ـ النهاية في غريب الحديث والأثر: مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير ـ قدم له علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد ـ دار ابن الجوزي ـ ط٢ ـ ربيع الأول ١٤٢٣ هجري ـ المملكة العربية السعودية ـ جدة ـ الرياض.

٢١٤ ـ نيل المرام من تفسير آيات الأحكام: محمد صديق حسن ـ تحقيق علي السيد صبح المدني ـ مكتبة المدني ـ جدة ـ ط ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧١م.

٢١٥ ـ الهادى شرح طيبة النشر في القراءات العشر والكشف عن علل القراءات وتوجيهها: د. محمد سالم محيسن ـ دار الجيل ـ بيروت ـ ط١ ـ سنة ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

٢١٦ ـ الوافي معجم وسيط اللغة العربية: الشيخ عبد الله البستاني ـ مكتبة لبنان ـ بيروت ـ سنة ١٩٨٠م.

٢١٧ ـ وجوه من الإعجاز الموسيقي في القرآن: د.محي الدين رمضان ـ دار الفرقان للنشر والتوزيع ـ عمان ـ الأردن ـ جبل الحسين ـ ط١ ـ ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.

٢١٨ ـ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلّكان (٦٠٨هـ ـ ٦٨١هـ) ـ إعداد وداد القاضي، عز الدّين أحمد موسى، إشراف د. إحسان عباس ـ دار الثقافة ـ بيروت ـ لبنان.

٢١٩ ـ http://www.iu.edu.sa/magazine/57/ www.iu.edu.sa/magazine/57/37 37.htm Google

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة



الجامعة الإسلامية ــ غزة
عمادة الدراســات العليــا
كليــة أصــول الديــن
قسم التفسير وعلوم القرآن

تفسير القرآن
بالقراءات القرآنية العشر

من خلال سور
(هود ويوسف والرعد وإبراهيم والحجر والنحل)

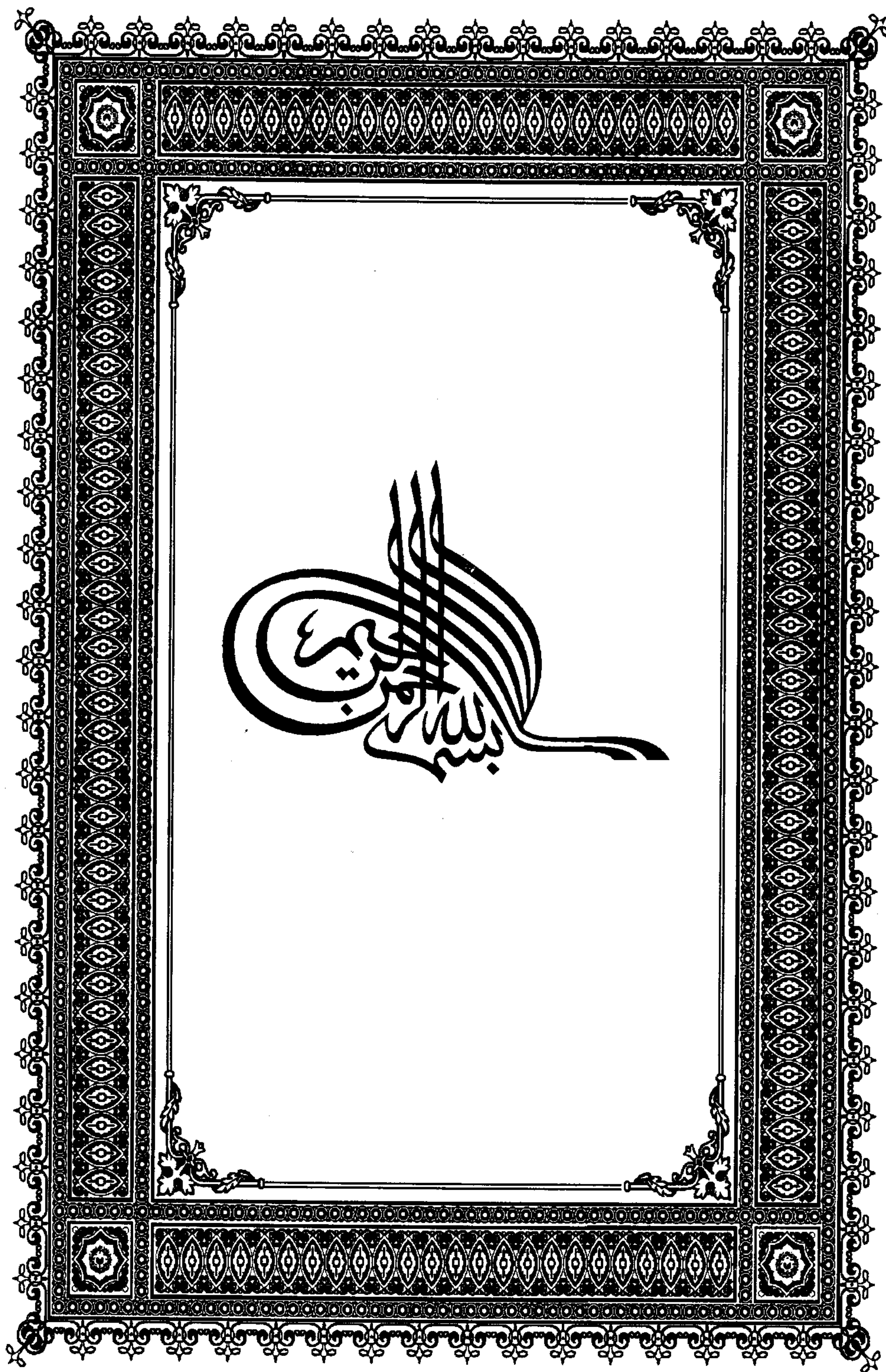
إعداد الباحثة:
هيفاء عبدالرءوف رضوان

إشراف:
د. رياض محمود قاسم

ضبط ومراجعة:
د. مروان محمد أبوراس

الجزء الخامس

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير
في التفسير وعلوم القرآن
١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م


بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٢ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ ٥٣﴾

[الشورى: ٥٢ ـ ٥٣].

شكـر وتقـدير

﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾ [الأحقاف: ١٥]

الحمد لله الذي بفضله تتم الصالحات، الحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً، ملء السماوات، والأرض وملء كل شيء بعد، حمداً يليق بجلاله وعظيم سلطانه، سبحانك ربنا لا نحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيت على نفسك، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين نبينا وحبيبنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد حمد الله تعالى والثناء عليه بما هو أهله، والصلاة والسلام على النبي محمد ﷺ وآله وصحبه، وانطلاقاً من قول رسولنا محمد ﷺ «من لم يشكر الناس لم يشكر الله»[1]، واعترافاً بالفضل لأهله، أتقدم بجزيل الشكر والتقدير إلى أستاذي الفاضل:

الدكتور: رياض قاسم حفظه الله

الذي تفضل بالإشراف على هذه الرسالة حتى خرجت بهذه الصورة، فلم يأل جهداً في نصحي وتوجيهي وإرشادي، وتشجيعي، وما بخل عليّ بعلم عَلِمه، أو خبرة اكتسبها، أو مرجع حازه، فجزاه الله عني كل خير، وجعل ذلك في ميزان حسناته يوم القيامة.

كما أتقدم بجزيل الشكر والتقدير إلى الأستاذين الفاضلين:

الدكتور: عبدالسلام اللوح حفظه الله.

(١) أخرجه الترمذي: كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك، ح (١٩٦٢) ج٣ص٣٨٤، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

والدكتور: زهدي أبو نعمة حفظه الله.

على تفضلهما بقبول مناقشة هذه الرسالة، لإثرائها بالملحوظات والتوجيهات.

كما أتقدم بالشكر والتقدير إلى جميع أساتذتي الكرام في كلية أصول الدين بالجامعة الإسلامية.

وأتقدم بالشكر والتقدير إلى ذلك الصرح العلمي الفذّ الذي خرّج للأمة العلماء والفقهاء، والمفكرين والقادة العظام، إلى الجامعة الإسلامية بغزة ممثلة بالقائمين عليها رئاسة وعمادة وأساتذة وإداريين، سائلة المولى ﷻ أن يديمها منارة للمسلمين، ويرد عنها كيد الحاقدين.

وأسمى آيات الشكر والتقدير إلى نبع العطاء الذي لا ينضب، إلى رمز التضحية والتفاني، إلى من احتسباني في خدمة كتاب الله العزيز رجاء الثواب من الله، إلى والدي الحبيبين، الذين ما فتئا يشجعانني على طلب العلم وبذله، فقد أنار دعاؤهما لي الطريق وأزال عني تعب المسير وشجعني على المواصلة، أطال الله عمرهما ورزقني برهما، فعبارات الشكر والثناء تعجز عن أداء حقهما ولا أملك إلا أن أقول كما أمر ربنا: ﴿رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا﴾ [الإسراء: ٢٤].

وأسمى آيات الشكر والتقدير إلى شيخي وأستاذي، ورفيق دربي، زوجي الحبيب الدكتور: عبدالرحمن الجمل، الذي علمني القرآن والقراءات، وشجعني على تعلم هذا العلم وتعليمه، ولم يأل جهداً في مساعدتي على إتمام هذه الرسالة من تشجيع، وتوجيه، ونصح، وإرشاد، وتوفير للمراجع، على الرغم من ضيق وقته وكثرة أعبائه، فجزاه الله عني كل خير.

كما وأتقدم بالشكر الخالص إلى أشقائي وشقيقاتي الأحباء، الذين لم يدخروا جهداً في مساعدتي وتشجيعي حتى أتممت هذا البحث.

وشكري الخالص إلى الأستاذ الفاضل: محمد عوض الله على تفضله

بقبول تدقيق هذه الرسالة، فجزاه الله عني كل خير.

وأخيراً شكري الخالص إلى كل من ساهم ولو بأقل جهد في إتمام هذا البحث، أو خصني بدعوة في ظهر الغيب.

والحمد لله أولاً وآخراً.

مفتاح مختصرات ورموز الرسالة

- إبراز المعاني = إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع.
- الإتقان = الإتقان في علوم القرآن.
- اختلاف أبنية الأسماء والأفعال في القراءات = اختلاف أبنية الأسماء والأفعال في القراءات المنقولة في تفسير أبي حيان (البحر المحيط).
- أسد الغابة = أسد الغابة في معرفة الصحابة.
- الاستيعاب = الاستيعاب في معرفة الأصحاب.
- الإصابة = الإصابة في معرفة الصحابة.
- الإرشاد = إرشاد المبتدي وتذكرة المنتهي في القراءات العشر.
- البرهان = البرهان في علوم القرآن.
- ت ١٢٣هـ = توفي سنة ١٢٣ هجرية.
- تحفة الأريب = تحفة الأريب بما في القرآن من غريب.
- التحليل اللغوي = دراسات وآراء في ضوء علم اللغة المعاصر (٣) في التحليل اللغوي منهج وصفي تحليلي وتطبيقه على التوكيد اللغوي، والنفي اللغوي، وأسلوب الاستفهام.

- التذكرة = التذكرة في القراءات الثمان.
- التسهيل = التسهيل لعلوم التنزيل.
- تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم.
- تفسير ابن كثير = تفسير القرآن العظيم.
- تفسير البغوي = معالم التنزيل.
- تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل.
- تفسير الخازن = لباب التأويل في معاني التنزيل.
- تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان.
- تفسير السمرقندي = بحر العلوم.
- تفسير الصنعاني = تفسير القرآن للصنعاني.
- تفسير الطبرسي = مجمع البيان في تفسير القرآن.
- تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن.
- تفسير الفخر الرازي = التفسير الكبير.
- تفسير القاسمي = محاسن التأويل.
- تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن.
- تفسير الماوردي = النكت والعيون.
- تفسير المنار = تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار.
- تناسق الدرر = تناسق الدرر في تناسب الآيات والسور.
- تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل.
- التيسير = التيسير في القراءات السبع.
- ج = جزء.

- ح (١٢٣) = حديث رقم (١٢٣).
- حاشية الشهاب = حاشية الشهاب المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي.
- حاشية زاده = حاشية محيي الدين شيخ زاده على تفسير البيضاوي.
- خزانة الأدب = خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب.
- د = دكتور.
- الدر المنثور = الدر المنثور في التفسير بالمأثور.
- السبعة = السبعة في القراءات.
- ص = صفحة.
- شذا العرف = شذا العرف في فن الصرف.
- طبقات ابن سعد = الطبقات الكبرى.
- العباب الزاخر = العباب الزاخر واللباب الفاخر.
- علم القراءات نشأته أطواره = علم القراءات، نشأته، أطواره، أثره في العلوم الشرعية.
- عون المعبود = عون المعبود شرح سنن أبي داوود.
- غاية الاختصار = غاية الاختصار في قراءات العشرة أئمة الأمصار.
- غرر التبيان = غرر التبيان في من لم يُسَمَّ في القرآن.
- فتح القدير = فتح القدير الجامع بين فنّي الرواية والدراية من علم التفسير.
- ق = قسم.

- القراءات القرآنية لعبدالحليم قابة = القراءات القرآنية ـ تاريخها، ثبوتها، حجيتها، وأحكامها.
- القراءات القرآنية للفضلي = القراءات القرآنية، تاريخ وثبوت.
- قلائد الفكر = قلائد الفكر في توجيه القراءات العشر.
- القواعد والفوائد = القواعد والفوائد في الإعراب.
- الكافي = الكافي في القراءات السبع.
- الكشف = الكشف عن وجوه القراءات السبع.
- اللامات دراسة نحوية = اللامات دراسة نحوية شاملة في ضوء القراءات القرآنية.
- ما انفرد به كل من القراء السبعة = ما انفرد به كل من القراء السبعة وتوجيهه في النحو العربي.
- مجموع الفتاوى = مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية.
- مفاتيح الأغاني = مفاتيح الأغاني في القراءات والمعاني.
- ملاك التأويل = ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل.
- منجد المقرئين = منجد المقرئين ومرشد الطالبين.
- النشر = النشر في القراءات العشر.
- الهادي = الهادي شرح النشر في القراءات العشر، والكشف عن علل القراءات وتوجيهها.
- ... = في هذا المكان حذف كلام من النص المنقول.

الفصـل الأول
تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر
من خلال سورتي هود ويوسف عليهما السلام

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: سورة هود عليه السلام.

المبحث الثاني: سورة يوسف عليه السلام.

المبحث الأول
سورة هود عليه السلام

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: تعريف عام بسورة هود عليه السلام.

المطلب الثاني: تفسير سورة هود عليه السلام بالقراءات القرآنية العشر.

المطلب الأول: تعريف عام بسورة هود عليه السلام.

اسمها:

سميت سورة هود عليه السلام في جميع المصاحف وكتب التفسير والسنة بهذا الاسم، ولا يعرف لها اسم غير ذلك[٢]، ووردت هذه التسمية عن النبي ﷺ في حديث ابن عباس رضي الله عنهما: «أنّ أبا بكر رضي الله عنه قال: يا رسول الله - ﷺ - قد شبت، قال: «**شيبتني هودٌ، والواقعة، والمرسلات، وعمّ يتساءلون، وإذا الشمس كورت**»[٣]. وقد تكرر فيها ذكر اسم هود عليه السلام خمس مرات وذكرت فيها قصته مع قومه. وما حكي عنه فيها أطول مما

(٢) انظر: التحرير والتنوير ج١٢ ص٣١١.

(٣) أخرجه الترمذي: كتاب التفسير، باب ومن سورة الواقعة (ح ٣٣٠٣) ج٥ص١٩٣. قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

حكي عنه في غيرها[4].

نزولها:

سورة هود عليه السلام كلها مكية عند الجمهور، واستثنى بعضهم ثلاث آيات: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ وَكِيلٌ ١٢﴾ [هود: ١٢]، ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٞ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامٗا وَرَحْمَةًۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥۚ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٖ مِّنْهُۚ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ١٧﴾ [هود: ١٧]، ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفٗا مِّنَ ٱلَّيْلِۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ١١٤﴾ [هود: ١١٤]. واستدلوا على الأخيرة بما صحّ من عدة طرق أنها نزلت بالمدينة في حقّ أبي اليسر[5][6].

---

(٤) انظر: التحرير والتنوير ج١٢ ص٣١١.

(٥) أبو اليَسَر: «هو كعب بن عمرو الأنصاري له صحبة، شهد بدراً مع النبي ﷺ» (التاريخ الكبير للبخاري ج٤ص٢٢٠). قال الترمذي: «حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن، أخبرنا يزيد بن هارون أخبرنا قيس بن الربيع عن عثمان بن عبد الله بن موهب عن موسى بن طلحة عن أبي اليسر قال: أتتني امرأة تبتاع تمراً فقلت إنّ في البيت تمراً أطيب منه فدخلت معي في البيت فأهويت إليها فقبلتها فأتيت أبا بكر فذكرت ذلك له فقال: استر على نفسك وتب ولا تخبر أحداً فلم أصبر فأتيت عمر فذكرت ذلك له فقال: استر على نفسك وتب ولا تخبر أحداً فلم أصبر فأتيت النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فذكرت ذلك له فقال: أَخَلَفت غازياً في سبيل الله في أهله بمثل هذا؟ حتى تمنى أنه لم يكن أسلم إلاّ تلك الساعة حتى ظنّ أنه من أهل النار قال: وأطرق رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم طويلاً حتى أوحي إليه: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفٗا مِّنَ ٱلَّيْلِۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ١١٤﴾...» سنن الترمذي: كتاب التفسير، باب ومن سورة هود ج٥ ص٨٠، ٨١، والحديث أخرجه ابن جرير ج١٢ص١٣٧، والبخاري في التاريخ الكبير ج٧ ص٢٢١، والواحدي في أسباب النزول. ص١٣٥، ١٨٠، وهو حديث حسن لغيره. (انظر: الصحيح المسند من أسباب النزول ص١٣٤).

(٦) انظر: الإتقان ج١ص٢٠، روح المعاني ج١٢ص٢٠٢، التحرير والتنوير ج١٢ ص٣١١، ٣١٢، الأساس في التفسير ج٥ ص2526.

«والأصحّ أنها كلها مكية وأنّ ما روي من أسباب النزول في بعض آيها توهم ـ لاشتباه الاستدلال بها في قصة ـ بأنها نزلت حينئذ»(٧).

«ومراجعة هذه الآيات في سياق السورة تلهم أنها تجيء في موضعها من السياق، بحيث لا يكاد يتصور خلو السياق منها بادئ ذي بدء، فضلاً على أن موضوعاتها التي تقررها هي من صميم الموضوعات المكية المتعلقة بالعقيدة، وموقف مشركي قريش منها، وآثار هذا الموقف في نفس رسول الله ﷺ والقلة القليلة معه والعلاج القرآني الرباني لهذه الآثار»(٨).

وقد نزلت هذه السورة بجملتها بعد سورة يونس عليه السلام وقبل سورة يوسف عليه السلام، في فترة من أحرج الفترات في تاريخ الدعوة بمكة، فقد سبقها موت أبي طالب وخديجة رضي الله عنها، وجرأة المشركين على ما لم يكونوا يجرءون عليه من قبل. حيث بلغت الحرب المعلنة على الدعوة ذروتها(٩).

عدد آياتها:

عدد آيها مائة وإحدى وعشرون في العدّ المدني الأخير، ومائة واثنتان وعشرون في العدّ المدني الأول وفي عدّ أهل الشام، ومائة وثلاث وعشرون في عدّ أهل البصرة وعدّ أهل الكوفة(١٠).

وجه اتصالها بما قبلها (سورة يونس عليه السلام):

وجه اتصالها بسورة يونس عليه السلام اتفاقها معها في المعنى والموضوع ثم إن مطلعها شديد الارتباط بمطلع تلك فإن قوله تعالى هنا: ﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾ [هود: ١] نظير قوله سبحانه هناك: ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ①﴾ [يونس: ١]، وتفصيلها ما أجمل في سورة يونس عليه السلام من

(٧) التحرير والتنوير ج١٢ص٣١٢، وانظر: إتقان البرهان ج١ ص٣٨٤.

(٨) في ظلال القرآن ج٤ ص٤٨٩.

(٩) انظر: التحرير والتنوير ج١١ ص٣١٢، في ظلال القرآن ج٤ ص٤٩٠، ٤٩١.

(١٠) انظر: روح المعاني ج١١ص٢٠٢، التحرير والتنوير ج١١ص٣١٢، بشير اليسر شرح ناظمة الزهر ص ٩٥.

أمور الاعتقاد، من إثبات الوحي والتوحيد والبعث والمعاد والثواب والعقاب والحساب، وإعجاز القرآن وإحكام آياته، ومحاجة المشركين في ذلك وتحديهم بالقرآن، وذكر قصص بعض الأنبياء كنوح وإبراهيم وهود وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام، كما أنه ذكر في سورة يونس عليه السلام قصة نوح عليه السلام مختصرة مجملة فشرحت في هذه السورة وبسطت فيها ما لم تبسط في غيرها من السور، بل بين مطلع هذه وختام تلك شدة ارتباط أيضاً حيث ختمت سورة يونس عليه السلام بنفي الشرك واتِّباع الوحي وافتتحت سورة هود عليه السلام ببيان الوحي والتحذير من الشرك، فكان أول هود تفصيلاً لخاتمة يونس[11].

ما اشتملت عليه السورة:

تضمنت هذه السورة كسورة يونس عليه السلام أصول الدين العامة وهي التوحيد والرسالة، والبعث والجزاء، وتوضيح هذه العناصر إجمالاً فيما يلي:[12]

١ ـ إثبات كون القرآن من عند الله تعالى، من طريق إحكام آياته وإتقانها بنظمها نظماً رصيناً محكماً لا نقص فيه ولا خلل، ثم تفصيلها في الحال دون تراخ.

٢ ـ إثبات الوحدانية لله تعالى، في ألوهيته، فهو وحده المستحق للعبادة، كذلك في ربوبيته، فهو وحده الخالق المدبر لهذا الكون، والمتصرف فيه على مقتضى حكمته ونظام سنته.

٣ ـ إثبات البعث والجزاء.

٤ ـ إيراد قصص الأنبياء عليهم السلام تسلية للنبيّ ﷺ، وعبرة وعظة للمؤمنين. وقد ذكر الله تعالى قصة نوح عليه السلام ثمّ قصة هود عليه السلام، ثم

(١١) انظر: تناسق الدرر ص٩٤، روح المعاني ج١١ ص٢٠٢، التفسير المنير ج١٢ ص٦.

(١٢) انظر: التفسير المنير ج١٢ ص٦ ـ ١٠.

قصة صالح عليه السلام مع قومه ثمود وأشار إلى قصة ضيوف إبراهيم عليه السلام من الملائكة، ثم قصة موسى عليه السلام مع فرعون.

٥ ـ التعقيب المباشر على ما في تلك القصص من عبر وعظات.

٦ ـ الأمر بالاستقامة في الدين.

٧ ـ بيان أنّ الطغيان سبيل الدمار، وأنّ الركون إلى الظلم موجب لعذاب النار.

٨ ـ الأمر بإقامة الصلاة في أوقاتها والصبر على الطاعة.

٩ ـ محاربة الفساد في الأرض من أجل حفظ الأمة والأفراد من الهلاك.

١٠ ـ تهديد المعرضين عن دعوة الحق.

١١ ـ التخفيف والتسرية عن الرسول ﷺ والمؤمنين وأمرهم بعبادة الله والتوكل عليه.

المطلب الثاني: تفسير سورة هود عليه السلام بالقراءات القرآنية العشر:

١ ـ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۗ وَلَئِن قُلۡتَ إِنَّكُم مَّبۡعُوثُونَ مِنۢ بَعۡدِ ٱلۡمَوۡتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ۝٧﴾ [هود: ٧].

القراءات:

١ ـ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف العاشر (**سَاحِرٌ**) بفتح السين، وألف بعدها، وكسر الحاء.

٢ ـ قرأ الباقون (**سِحْرٌ**) بكسر السين وحذف الألف، وإسكان الحاء[١٣].

(١٣) انظر النشر ج٢ ص٢٥٦، الكشف ج١ ص٤٢١.

المعنى اللغوي للقراءات:

قال الراغب: «السَّحَرُ طرف الحلقوم، والرئة، والسُّحَارَة ما يُنْزَعُ من السَّحَر عند الذبح فيرمى به، وقيل منه اشتق السِّحْر وهو إصابة السَّحَر. والسِّحْرُ يقال على معانٍ: **الأول**: الخِداع وتخيلات لا حقيقة لها نحو ما يفعله المُشَعْبِذ بصرف الأبصار عما يفعله لخفة يد، وما يفعله النّمام بقول مزخرف عائق للأسماع. **والثاني**: استجلاب معاونة الشيطان بضرب من التقرب إليه. **والثالث**: ما يذهب إليه الأغْتام[14]، وهو اسم لفعل يزعمون أنه من قُوَّتِه يُغَيِّر الصور والطبائع فيجعل الإنسان حماراً ولا حقيقة لذلك عند المُحَصلين. وقد تُصُوِّر من السحر تارةً حُسْنُه فقيل: إنَّ من البيان لسحراً، وتارةً دقة فعله، وسُمّي الغذاء ساحراً من حيث إنه يدق ويلطف تأثيره، وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الشعراء: ١٥٣]، قيل: ممن جعل له سَحَرٌ تنبيهاً أنه محتاج إلى الغذاء، وقيل معناه ممن جعل له سِحْرٌ يتوصل بلطفه ودقته إلى ما يأتي به ويدعيه، على المعنى الثاني دلّ قوله تعالى: ﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ﴾ [هود: ٧]»[15].

التفسير:

قال تعالى: الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام، وكان عرشه على الماء قبل أن يخلقهما، ليختبركم أيكم أحسن له طاعة، فيجازيكم بحسب أعمالكم، ولئن قلت يا محمد ﷺ لهؤلاء المشركين من قومك إنكم مبعوثون أحياء من بعد مماتكم، فتَلوت عليهم بذلك تنزيلاً ووحياً، لَيَقُولُنّ ما هذا الذي تتلوه علينا مما تقول إلا سحر لسامعه، مبين حقيقته أنه سحر، وما أنت فيما أتيت به من ذلك إلاّ ساحر[16].

(١٤) الأغتام: جمع أغتم، وهو من لا يفصح شيئاً، والغُتمة بالضمّ: العجمة. (القاموس المحيط ص ١٤٧٤).

(١٥) المفردات في غريب القرآن ص ٢٢٥، ٢٢٦ ـ باختصار وتصرف يسير.

(١٦) انظر: تفسير الطبري ج١٢ ص ٤ ـ ٦، روح المعاني ج١٢ ص١٠.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءة ﴿سِحْرٌ﴾ بغير ألف على جعل الإشارة إلى ما جاء به النبي ﷺ، حيث أخبر الله تعالى عنهم أنهم جعلوا ما جاء به النبي ﷺ سحراً، ويجوز أن تكون الإشارة إلى النبي ﷺ، وفي الكلام تقدير حذف مضاف، أي: إن هذا إلا ذو سحر، فتكون كالقراءة بالألف. والقراءة ﴿سَاحِرٌ﴾ بألف على جعل الإشارة إلى النبي ﷺ، حيث أخبر الحق تعالى عنهم أنهم قالوا: إن هذا إلا ساحر، فأخبر عن الاسم باسم الفاعل وهو بابه. ويجوز أن يكون ﴿سَاحِرٌ﴾ بمعنى سحر، لأن الاسم قد يقع موضع المصدر، كقولهم: عائذاً بالله من شَرِّها، أي عياذاً، فتكون القراءة بالألف كالقراءة بغير ألف(١٧). فالقراءتان كلٌّ منهما تشير إلى معنىً ظاهر تحتمله الأخرى، ولا شكّ أنّ ورود المعنى بصيغة مباشرة مرة، وبأخرى غير مباشرة، فيه زيادة تأكيد للمعنى، فكلتا القراءتين أفادت أنّ المشركين قالوا: إن هذا إلا ساحر، وعبّروا عنه تارة باسم الفاعل، وتارة بالمصدر حيث جعلوه السحر نفسه مبالغة(١٨)، والساحر كاذب مبطل(١٩) فلا يأتي إلا بما هو كذب. كما قال المشركون كذلك: إنّ ما جاء به الرسول ﷺ ما هو إلا سحر، وعبّروا عنه تارة باسم الفاعل، وتارة بالمصدر، والسحر أمر باطل.

٢ ـ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَمۡ يَكُونُواْ مُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَۘ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ مَا كَانُواْ يَسۡتَطِيعُونَ ٱلسَّمۡعَ وَمَا كَانُواْ يُبۡصِرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [هود: ٢٠].

القراءات:

١ ـ قرأ ابن كثير وابن عامر وأبو جعفر ويعقوب ﴿يُضَعَّفُ﴾ بحذف الألف بعد الضاد وتشديد العين.

(١٧) انظر: الكشف ج١ ص٤٢١.
(١٨) انظر المغني في توجيه القراءات العشر ج٢ ص٣٢.
(١٩) انظر الكشاف ج٢ ص ٢٦٠.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿يُضَٰعَفُ﴾ بإثبات الألف وتخفيف العين[٢٠].

المعنى اللغوي للقراءات:

(ضعف): الضاد والعين والفاء أصلان متباينان، يدل أحدهما على خلاف القوة، ويدل الآخر على أن يزاد الشيء مثله. فالأول الضَعف وهو خلاف القوة، والآخر: أضعفت الشيء إضعافاً وضَعَّفته تضعيفاً وضَاعَفْتُه مُضَاعَفَةَ، وهو أن يزاد على أصل الشيء فيجعل مثلين أو أكثر[٢١].

قال الراغب: «الضِّعْف من الألفاظ المتضايفة التي يقتضي وجود أحدهما وجود الآخر كالنصف والزوج، وهو تركيب قدرين متساويين ويختص بالعدد، فإذا قيل أضعفت الشيء وضَعَّفته وضاعفته ضممت إليه مثله فصاعداً. قال بعضهم: ضاعفت أبلغ من ضَعَّفت»[٢٢].

التفسير:

هؤلاء الذين وصف الله جلّ ثناؤه أنهم يصدون عن سبيل الله، لم يكونوا بالذين يعجزون ربهم بهربهم منه في الأرض إذا أراد عقابهم والانتقام منهم، ولكنهم في قبضته وملكه، لا يمتنعون منه إذا أرادهم، ولا يفوتونه هرباً إذا طلبهم، ولم يكن لهؤلاء المشركين إذا أراد عقابهم أنصار ينصرونهم من الله، ويحولون بينهم وبينه إذا هو عذبهم، وقد كانت لهم في الدنيا مَنَعة يمتنعون بها ممن أرادهم من الناس بسوء. هؤلاء الصادون عن سبيل الله يزاد في عذابهم، فيضاعف عليهم العذاب، وذلك أنّ الله تعالى جعل لهم سمعاً وأبصاراً وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم بل كانوا صماً عن سماع الحق عمياً عن اتباعه[٢٣].

(٢٠) انظر النشر ج٢ ص٢٢٨، البدور الزاهرة ص١٥٣.

(٢١) انظر: العين ج١ ص٢٨٢، معجم مقاييس اللغة ج٣ ص٣٦٢.

(٢٢) المفردات في غريب القرآن ص٢٩٥.

(٢٣) انظر: تفسير الطبري ج١٢ ص٢٢، ٢٣، تفسير ابن كثير ج٢ ص٤٥١.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

يرى أكثر العلماء أنّ التشديد والتخفيف في هذه الكلمة على لغتين من لغات العرب، وأنّ معنى التضعيف والإضعاف والمضاعفة واحد وهو الزيادة على أصل الشيء حتى يصير مثلين أو أكثر[٢٤]. وذلك أنّ (فاعل) و(فعّل) قد يأتيان بمعنى واحد[٢٥]. قال سيبويه: «وقد تجيء (فاعلت) لا تريد بها عمل اثنين، ولكنهم بنوا عليه الفعل كما بنوه على (أفعلت) وذلك قولهم: ناولته، وعاقبته، وعافاه الله، وسافرت .... ونحو ذلك: ضاعَفْتُ وضعّفت، مثل ناعمت ونعّمت، فجاءوا به على مثال عاقبته»[٢٦]. وقال الكسائي: «المعنى فيهما واحد: ضعّف وضاعف»[٢٧].

ويرى ابن زنجلة أنّ هنالك ثمّ فرقاً في معنى القراءتين حيث يقول: «وحجة التشديد أنّ المعنى فيه تكرير الفعل وزيادة الضعف على الواحد، إلى ما لا نهاية له، وحجة التخفيف: قالوا: إنّ أمر الله أسرع من تكرير الفعل، إنما هو (كن فكان)»[٢٨].

وبالجمع بين القراءتين على هذا القول يصبح المعنى: هؤلاء الصادون عن سبيل الله يزاد في عذابهم فيضاعف عليهم العذاب أضعافاً كثيرة، ولن يكون هناك تأخر في حصول هذا العذاب لأنه بأمر الله الذي إذا أراد شيئاً إنما يقول له كن فيكون. والله تعالى أعلم.

٣ - ﴿مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [هود: ٢٤].

(٢٤) مفاتيح الأغاني ص١١٨.
(٢٥) انظر: شذا العرف ص٢٩.
(٢٦) الكتاب ج٤ ص٦٨، وانظر: الترادف في صيغ الأفعال ص٢٨.
(٢٧) حجة القراءات ص١٣٩.
(٢٨) حجة القراءات ص١٣٩.

القراءات:

١.قرأ حفص وحمزة والكسائي وخلف ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ بتخفيف الذال.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿تَذَّكَّرُون﴾ بتشديد الذال[٢٩].

المعنى اللغوي للقراءات:

الذكر الحفظ للشيء تَذْكُره، والذكر أيضاً جرى الشيء على لسانك[٣٠]، وذَكَرت الشيء خلاف نَسِيته[٣١]. والتذكير: خلاف التأنيث، والوعظ[٣٢].

قال الراغب: «الذكر تارة يقال ويراد به هيئة للنفس بها يمكن للإنسان أن يحفظ ما يقتنيه من المعرفة....، وتارة يقال لحضور القلب أو القول»[٣٣].

التفسير:

مثل فريقي الكفر والإيمان كمثل الأعمى الذي لا يرى بعينه شيئاً، والأصم الذي لا يسمع شيئاً، فالكافر أعمى عن وجه الحق في الدنيا وفي الآخرة لا يهتدي لخير ولا يعرفه، أصم عن سماع الحجج فلا يسمع ما ينتفع به، وأمّا المؤمن ففطن ذكي لبيب بصير بالحق يميز بينه وبين الباطل فيتبع الخير ويترك الشرّ، سميع للحجة يفرق بينها وبين الشبهة فلا يرجع إليه باطل، فهل يستوي هذا وهذا؟ أفلا تعتبرون فتفرقون بين هؤلاء وهؤلاء[٣٤].

(٢٩) انظر: السبعة ص ٢٧٢، ٢٧٣، النشر ج٢ ص٢١٦، البدور الزاهرة ص١٥٣.
(٣٠) انظر: لسان العرب ج٣ص١٥٠٧، القاموس المحيط ص٥٠٧.
(٣١) انظر: معجم مقاييس اللغة مج٢ ص٣٥٨.
(٣٢) القاموس المحيط ص ٥٠٨.
(٣٣) المفردات في غريب القرآن ص ١٧٨.
(٣٤) انظر: تفسير الطبري ج١٢ ص٢٥، تفسير ابن كثير ج٢ ص٤٥٢.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءة بالتخفيف في الذال على حذف إحدى التاءين تخفيفاً وذلك أنّ أصله (تتذكرون)، والقراءة بالتشديد في الذال على إدغام التاء الثانية من (تتذكرون) في الذال(٣٥)، وفي التشديد معنى المبالغة في التَّذكر والعمق فيه(٣٦).

قال مكي: «وفي التشديد معنى تكرير التذكر، كأنه تذكر بعد تذكر، ليتفهم من خوطب بذلك»(٣٧).

وحيث إنّ تكرار الفعل في المشدد يستدعي وقتاً أطول بخلاف المخفف فإن التخفيف في الفعل يتناسب مع ضرورة السرعة في الاستجابة لأمر الله تعالى بالاتعاظ وأخذ العبرة. والله تعالى أعلم.

٤ ـ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾﴾ [هود: ٢٥].

القراءات:

١ ـ قرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة ﴿إِنِّى لَكُمْ﴾ بكسر الهمزة.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿أَنِّي لَكُمْ﴾ بفتح الهمزة(٣٨).

التفسير:

يخبر الله تعالى عن نوح عليه السلام وكان أول رسول بعثه الله عز وجل إلى أهل الأرض من المشركين عبدة الأصنام أنه قال لقومه: إنّي لكم أيها القوم

---

(٣٥) انظر: الكشف ج١ص٤٥٧. قال سيبويه: «مما يدغم إذا كان الحرفان من مخرج واحد، وإذا تقارب المخرجان قولهم: يطّوعون في يتطوعون ويذّكرون في يتذكرون، وإن شئت قلت في تتذكرون ونحوها تَذَكَّرون، ولا يجوز حذف واحدة منهما، يعني من التاء والذال في تذكرون، لأنه حذف منها حرف قبل ذلك وهو التاء» الكتاب ج٤ص٤٧٤.

(٣٦) بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ص٥٣.

(٣٧) الكشف ج١ص٤٥٧.

(٣٨) انظر: السبعة ص٣٣٢، المبسوط ص٢٣٨.

﴿نَذِيرٌ﴾ ظاهر النذارة، أنذركم بأسه على كفركم به، وأُبيِّن لكم عما أرسل به إليكم من أمر الله ونهيه(٣٩).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءة بفتح الهمزة على تقدير حذف حرف الجر أي بأني(٤٠) بمعنى: ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه بأنّي لكم نذير مبين(٤١). والقراءة بكسر الهمزة على إضمار القول بمعنى: قال لهم: إنّي لكم نذير(٤٢).

قال ابن عاشور: «﴿إِنِّي﴾ بكسر الهمزة على أنه محكي بفعل قول محذوف في محل حال أي قائلاً، وبفتح الهمزة على تقدير حرف جرّ وهو الباء للملابسة، أي أرسلناه متلبساً بذلك، أي بمعنى المصدر المنسبك من ﴿أَنّي لَكُمْ﴾، أي متلبساً بالنذارة البينة(٤٣).

وبالجمع بين القراءتين يصبح المعنى: إنّا أرسلنا نوحاً إلى قومه بالنذارة البينة فبلّغ الرسالة وقال لقومه: ﴿إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ...﴾. والله تعالى أعلم.

٥ - ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [هود: ٢٧].

(٣٩) انظر: تفسير الطبري ج١٢ ص٢٦، تفسير ابن كثير ج٢ ص٤٥٢.

(٤٠) وذلك لأن أرسل يتعدى إلى مفعولين الثاني بحرف جر (انظر: الكشف ج١ص٥٢٥، القراءات وأثرها في علوم العربية ج٢ص٦٣).

(٤١) انظر: القطع والائتناف ص٢٦١، التذكرة ج٢ص٣٧٠، إتحاف فضلاء البشر ص٢٥٥.

(٤٢) انظر: التذكرة ج٢ص٣٧٠، الكشف ج١ص٥٢٥، مفاتيح الأغاني ص٢١١، إعراب القرآن الكريم وبيانه لدرويش ج٤ ص٣٣٧.

(٤٣) التحرير والتنوير ج١٢ص٤٤، وانظر: روح المعاني ج١٢ص٣٦.

القراءات:

١ ـ قرأ أبو عمرو ﴿بَادِئَ﴾ بهمزة مفتوحة بعد الدال.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿بَادِيَ﴾ بياء مفتوحة بعد الدال[٤٤].

المعنى اللغوي للقراءات:

١ ـ (بدا): بدا الشيء بَدْوَاً، وبداءً أي ظهر ظهوراً بيناً[٤٥].

٢ ـ (بدأ): بدأ بالشيء، فَعله ابتداءً[٤٦]. ويقال بدأت بكذا وأَبْدَأْتُ وابْتَدَأْتُ أي قَدَّمت، والبَدْءُ والإبداء تقديم الشيء على غيره ضرباً من التقديم، ومبدأ الشيء هو الذي منه يتركب أو منه يكون.

قال أبو حيان: «بادئ: أول، وبادي: ظاهر»[٤٧].

التفسير:

يقول تعالى ذكره: فقال الكبراء من قوم نوح وأشرافهم ـ وهم الملأ الذين كفروا بالله وجحدوا نبوة نبيهم نوح عليه السلام: ما نراك يا نوح إلا بشراً مثلنا يعنون بذلك أنه آدمي مثلهم في الخلق والصورة والجنس، وذلك تعريض[٤٨] بأنهم أحقّ بالنبوة منه، وأنّ الله لو أراد أن يجعلها في أحد من البشر لجعلها فيهم، فقالوا: هب أنك واحد من الملأ، ومواز لهم في المنزلة، فما جعلك أحقّ منهم بها؟. ثم قالوا وما نراك اتبعك إلاّ الذين هم سفلتنا من الناس دون الكبراء والأشراف، ثم هؤلاء الذين اتبعوك لم يكن ذلك عن تروٍ منهم ولا فكر ولا نظر بل بمجرد ما دعوتهم أجابوك

---

(٤٤) انظر النشر ج٢ ص٢٨٨، البدور الزاهرة ص١٥٣.

(٤٥) انظر: المفردات في غريب القرآن ص٤٠.

(٤٦) انظر: القاموس المحيط ص ٤٢.

(٤٧) تحفة الأريب ص٦١.

(٤٨) التعريض لغةً: خلاف التصريح، وفي البلاغة: هو أن يطلق الكلام، ويشار به إلى معنى آخر يفهم من السياق. (البلاغة العربية في ثوبها الجديد ص١٤٩).

فاتبعوك[٤٩].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

وجه القراءة بالهمز أنه جعله من (بدأ يبدأ) إذا فعل الشيء أولاً، وحجة من لم يهمز أنه جعله من (بدا يبدو) إذا ظهر، ويجوز أن يكون من قرأه بالياء أراد الهمز، ثم أبدل الهمزة لانفتاحها وانكسار ما قبلها، فتكون القراءتان بمعنىً من (الابتداء)[٥٠].

«وهاتان الكلمتان تتقاربان في المعنى لأن الهمز في اللام فيها ابتداءٌ للشيء وأَوّله، واللام إذا كانت واواً كان المعنى الظهور، وابتداء الشيء يكون ظهوراً؛ فلذلك تستعمل كل منهما في موضع الأخرى»[٥١]. والقراءتان بمجموعهما أفادتا ظهور الرأي وبيانه من بدايته، من غير تأمل، أو تَعَقُّب بتفكر ونظر. والله تعالى أعلم.

٦ - ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [هود: ٢٨].

القراءات:

١ - قرأ حفص وحمزة والكسائي وخلف ﴿فَعُمِّيَتْ﴾ بضم العين وتشديد الميم.

٢ - قرأ الباقون ﴿فَعَمِيَتْ﴾ بفتح العين وتخفيف الميم[٥٢].

---

(٤٩) انظر: تفسير الطبري ج١٢ص٢٧، تفسير ابن كثير ج٢ص٤٥٢ - ٤٥٣، الإكسير في علم التفسير ص١٦٦، البلاغة العربية في ثوبها الجديد ص١٥٣.

(٥٠) انظر: حجة القراءات ص٣٣٨، الكشف ج١ ص ٥٢٦، مفاتيح الأغاني ص٢١١، إتحاف فضلاء البشر ص٢٥٥.

(٥١) الحجة للقراء السبعة ج٤ص٣١٧، ٣١٨، وانظر: إعراب القرآن الكريم وبيانه لدرويش ج٤ص٣٣٦.

(٥٢) انظر: السبعة ص٣٣٢، المبسوط ص٢٣٨، النشر ج٢ص٢٨٨، البدور الزاهرة ص١٥٣.

المعنى اللغوي للقراءات:

(عمي): ذهب بصره كله، وعمّاه تَعْمِية: صيّره أعمى، وعمّى معنى البيت: أخفاه. والعَمَى أيضاً ذهاب بصر القلب(٥٣).

التفسير:

يقول الله تعالى مخبراً عمّا ردّ به نوح على قومه إذ كذبوه: أرأيتم إن كنت على يقين وأمر جلي ونبوة صادقة، وهي الرحمة العظيمة من الله، فخفيت عليكم فلم تهتدوا إليها ولا عرفتم قدرها بل بادرتم إلى تكذيبها وردها، أفنغصبكم على قبولها وأنتم لها كارهون، بل لن نفعل ذلك، وإنّما نَكِل أمركم إلى الله ﷻ حتى يكون هو الذي يقضي في أمركم ما يرى ويشاء(٥٤).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْكُمْ﴾ بفتح العين وتخفيف الميم مبنياً للفاعل، من العمى ضد البصر، والمراد به هنا الخفاء مجازاً، أي خفيت عليكم لأنكم لم تنظروا فيها حقّ النظر، وقيل الكلام على القلب، والأصل فَعَمِيتم عنها كما تقول العرب: أدخلت الخاتم في أصبعي. ويُقرأ بالتشديد والضم، أي: عمّاها الله عليكم عقوبة لكم(٥٥).

قال ابن عاشور: «ومعنى ﴿فَعَمِيَتْ﴾: فخفيت وهو استعارة، إذ شبهت الحجة التي لم يدركها المخاطبون كالعمياء في أنها لم تصل إلى عقولهم كما أنّ الأعمى لا يهتدي للوصول إلى مقصده فلا يصل إليه. ولمّا

---

(٥٣) انظر القاموس المحيط ص١٦٩٥.

(٥٤) انظر: تفسير الطبري ج١٢ ص٢٨، تفسير ابن كثير ج٢ص٤٥٣.

(٥٥) انظر: حجة القراءات ص٣٣٨، ٣٣٩، الكشف ج١ص٥٢٧، مفاتيح الأغاني ص٢١١، إملاء ما منّ به الرحمن ج٢ ص٣٧، تفسير البيضاوي ج١ ص٤٥٥، إتحاف فضلاء البشر ص٢٥٥، ٢٥٦، روح المعاني ج١٢ص٣٩، إعراب القرآن وبيانه لدرويش ج٤ص٣٣٩.

ضُمِّن معنى الخفاء عُدِّيَ فعل ﴿فَعَمِيَتْ﴾ بحرف ﴿عَلَىٰ﴾ تجريداً للاستعارة. ومن بديع هذه الاستعارة هنا أنّ فيها طباقاً لمقابلة قولهم في مجادلتهم ﴿مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا ـ وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ ـ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ﴾ فقابل نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ كلامهم مقابلة بالمعنى واللفظ إذ جعل عدم رؤيتهم من قبيل العَمَى»[٥٦].

والمتأمل لهاتين القراءتين يلمح روعة التعبير، ودقة الوصف لهؤلاء القوم الذين كفروا بما أرسل به نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ، حيث انعدمت لديهم وسائل الاهتداء بهذه الرحمة التي أرسلها الله إليهم، فقد خفيت عليهم الهداية وعموا عنها، ولشدة كفرهم كأن الهداية ضلت عنهم وعميت كما ضلوا عنها وعموا، فلا هم يتوقون إلى الهداية، ولا الهداية تتوق إليهم، وذلك مبالغة في وصف كفرهم وضلالهم. والله تعالى أعلم.

٧ ـ ﴿وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [هود: ٣٠].

القراءات:

١ ـ قرأ حفص وحمزة والكسائي وخلف ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ بتخفيف الذال.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿تَذَّكَّرُونَ﴾ بتشديد الذال[٥٧].

تقدم الحديث عن هاتين القراءتين عند تفسير قوله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًاۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [هود: ٢٤][٥٨].

٨ ـ ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْۚ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [هود: ٣٤].

(٥٦) التحرير والتنوير ج١٢ص٥٢.

(٥٧) انظر: السبعة ص ٢٧٢، ٢٧٣، النشر ج٢ ص٢١٦، البدور الزاهرة ص١٥٣.

(٥٨) انظر ص٢٥ من هذا البحث.

القراءات:

١ ـ قرأ يعقوب (تَرْجِعُونَ) بفتح التاء وكسر الجيم.

٢ ـ قرأ الباقون (تُرْجَعُونَ) بضم التاء وفتح الجيم(٥٩).

المعنى اللغوي للقراءات:

(رجع): الرُجوع العود إلى ما كان منه البدء، أو تَقديرُ البدء، مكاناً كانَ أو فعلاً أو قولاً، وبذات الشيء كان الرجوع أو بجزء من أجزائه، أو بفعل من أفعاله، والرَّجع الإعادة. فمن الرجوع قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَجَعُوٓا إِلَىٰٓ أَبِيهِمْ﴾ [يوسف: ٦٣]، وقوله تعالى: ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ومن الرَّجع قوله تعالى: ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾(٦٠).

التفسير:

قال نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ لقومه: ولا ينفعكم تذكيري إياكم ونصحي لكم إن أراد الله شقاوتكم وإغواءكم ودماركم، هو إلـهكم الذي خلقكم، والمتصرف الحاكم العادل الذي لا يجور، له الخلق وله الأمر، وإليه مرجعكم ومصيركم فيجازيكم على أعمالكم(٦١).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

﴿تَرْجِعُونَ﴾ من الفعل (رجع) اللازم و(واو) الجماعة في محل رفع فاعل، أما ﴿تُرْجَعُونَ﴾ فهو على ما لم يسمَّ فاعله، وهو متعدٍ على هذا الوجه، ولولا ذلك لما بنى لما لم يسم فاعله. والعرب تقول: رجعتُهُ فرجع، لفظ اللازم والمتعدي سواءٌ كقولك: نقصته فنقص(٦٢).

---

(٥٩) انظر النشر ج٢ص٢٠٨، البدور الزاهرة ص١٥٣.

(٦٠) انظر: المفردات في غريب القرآن ص١٨٨.

(٦١) انظر: تفسير ابن كثير ج٢ص٦٥٣، تفسير البيضاوي ج١ص٤٥٩، تفسير الفخر الرازي ج١٧ص٢٢٨، صفوة التفاسير ج٢ص١٤.

(٦٢) انظر: معاني القراءات ص٧٤، ٧٥، إملاء ما منّ به الرحمن ج١ص١١٨.

قال ابن عاشور: «و﴿تُرْجَعُونَ﴾ بضم التاء وفتح الجيم في قراءة الجمهور، وقرأه يعقوب بفتح التاء وكسر الجيم والقراءة الأولى أنّ الله أرجعهم وإن كانوا كارهين لأنهم أنكروا البعث والقراءة الثانية باعتبار وقوع الرجوع منهم بقطع النظر عن الاختيار أو الجبر»(٦٣).

وقال أبو حيان: «لا يلزم من رجوع الشخص إلى شيء أنّ غيره رجعه إليه، إذ قد يرجع بنفسه من غير رادّ»(٦٤).

قال الشعراوي: «وقوله تعالى: ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ تقرأ قراءتان: بضمة على التاء، ومرة بفتحة على التاء، الأولى معناها: أننا نُجْبَرُ على الرجوع، فلا يكون الرجوع إلى الله تعالى بإرادتنا، وهذا ينطبق على الكفار الذين يتمنون عدم الرجوع إلى الله، أمّا الثانية ﴿تَرْجِعُونَ﴾ فهذه فيها إرادة، وهي تنطبق على المؤمنين لأنهم يتمنون الرجوع إلى الله»(٦٥).

قلت: ما أشار إليه ابن عاشور رحمه الله أقرب إلى معنى الآية حيث إنّ الخطاب فيها للكافرين.

مما سبق يتبين أن القراءتين معاً تؤكدان وقوع الرجوع إلى الله تعالى. فالقراءة بالبناء للمفعول تخبر أنّ الله تعالى يُرجع الكفار جبراً لا بإرادتهم، والقراءة بالبناء للفاعل بيان لمدى خضوع الكفار إلى تصرف الله ﷻ، برجوعهم إليه خاضعين، على الرغم مما ينتظرهم من عذاب. والله تعالى أعلم.

٩ - ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾﴾ [هود: ٤٠]

(٦٣) التحرير والتنوير ج١ص٣٧٧.
(٦٤) البحر المحيط ج١ص٢٧٨.
(٦٥) تفسير الشعراوي ج١ص٢٢٨.

القراءات:

١ ـ قرأ حفص (كلٍّ) بالتنوين.

٢ ـ قرأ الباقون (كلِّ) بترك التنوين[٦٦].

التفسير:

يقول تعالى مخاطباً نوحاً عليه السلام: إذا جاء أمرنا من الأمطار المتتابعة، وتفجرت الأرض عيوناً، حتى صارت التنانير التي هي مكان النار تفور ماءً، فحينئذٍ احمل معك في السفينة من كل زوجين اثنين من صنوف المخلوقات ذوات الأرواح ـ قيل وغيرها من النباتات ـ، ذكراً وأنثى، واحمل فيها أهلك ـ وهم أهل بيته وقرابته ـ إلاّ من سبق عليه القول منهم ممن لم يؤمن بالله، واحمل في السفينة من آمن من قومك. وما آمن معه إلا نزر يسير مع طول المدة والمقام[٦٧].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قراءة ﴿كلٍ﴾ بالتنوين، على معنى: من كل شيء ومن كل زوج زوجين، فَحَذفَ المضاف إليه[٦٨] وهو لفظ: شيء أو زوج وعوض عنه بالتنوين[٦٩]. ومفعول ﴿ٱحۡمِلۡ﴾ هو ﴿زَوۡجَيۡنِ﴾، و﴿ٱثۡنَيۡنِ﴾ توكيد له[٧٠]. وقراءة ﴿كلِ﴾ بتركِ التنوين على الإضافة، وفيه وجهان: أحدهما أنّ مفعول ﴿ٱحۡمِلۡ﴾ هو ﴿ٱثۡنَيۡنِ﴾، تقديره: احمل فيها اثنين من كل زوج. والثاني أنّ ﴿من﴾ زائدة والمفعول ﴿كل﴾ واثنين توكيد[٧١].

---

(٦٦) انظر: السبعة ص٣٣٣، النشر ج٢ص٢٨٨، البدور الزاهرة ص١٥٤.

(٦٧) انظر: تفسير ابن كثير ج٢ص٤٥٦.

(٦٨) انظر: مفاتيح الأغاني ص٢١٢.

(٦٩) وهو تنوين عوض لأنه عوض عن المحذوف. (انظر: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ج١ ص ٢٢، النحو الوافي ج١ص٤٠).

(٧٠) انظر: إملاء ما منّ به الرحمن ج٢ص٣٨.

(٧١) انظر: إملاء ما منّ به الرحمن ج٢ص٣٨، الكشف ج١ص٥٢٨، التحرير والتنوير ج١٢ ص٧٢.

قال الفخر الرازي: «الزوجان عبارة عن كل شيئين يكون أحدهما ذكراً والآخر أنثى[(٧٢)]، والتقدير كل شيئين هما كذلك فاحمل منهما في السفينة اثنين، واحد ذكر والآخر أنثى، ولذلك قرأ حفص ﴿مِن كلٍّ﴾ بالتنوين وأراد: واحمل من كل شيء زوجين اثنين، الذكر والأنثى زوج، لا يقال عليه إنّ الزوجين لا يكونان إلا اثنين فما الفائدة في قوله ﴿زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ لأنا نقول هذا على مثال قوله: ﴿لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَـٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ [النحل: ٥١] وقوله: ﴿نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾ [الحاقة: ١٣]، وأمّا على القراءة المشهورة فهذا السؤال غير وارد»[(٧٣)].

وعليه فإن القراءة بالإضافة جاءت موضحة للقراءة بالتنوين وعلى كلتا القراءتين يصبح معنى الآية: احمل في السفينة من كل صنف زوجين، ذكراً وأنثى. والله أعلم.

١٠ - ﴿وَقَالَ ٱرْكَبُواْ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرِىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾﴾ [هود: ٤١].

القراءات:

١ - قرأ حفص وحمزة والكسائي وخلف ﴿مَجْرِىٰهَا﴾ بفتح الميم.

٢ - قرأ الباقون ﴿مُجْراها﴾ بضم الميم[(٧٤)].

المعنى اللغوي للقراءات:

(الجَرْيُ): المَرُّ السريع، يقال: جَرَى يجري جَرياً وجرياناً وجِرْية، وأصله كمَر الماء، ولِما يجري بجريه و﴿مجراها﴾ بالفتح والضم: مصدرا

---

(٧٢) قال الطبري: «وقال بعض أهل العلم بكلام العرب من الكوفيين: الزوجان في كلام العرب: الاثنان مطلقاً» (تفسير الطبري ج١٢ص٤١).

(٧٣) تفسير الفخر الرازي ج١٧ص٢٣٥.

(٧٤) انظر: السبعة ص٣٣٣، النشر ج٢ص٢٨٨، البدور الزاهرة ص١٥٤، ١٥٥، وقد تركت الباحثة ذكر اختلاف القراء في الإمالة والفتح والتقليل في هذه الكلمة لأنها لم تتناول الأصول حسب ما بينته في منهج البحث.

جَرى وأَجْرى[٧٥].

التفسير:

يقول تعالى مخبراً عن نوح عليه السلام أنه قال للذين أُمر بحملهم معه في السفينة: اصعدوا إلى السفينة، بسم الله يكون جريها على وجه الماء، وبسم الله يكون منتهى سيرها وهو رسوها، إنّ ربي لستّار لذنوب من تاب وأناب وهو رحيم بهم أن يعذبهم بعد التوبة[٧٦].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءة بفتح الميم مصدر (جرى) الثلاثي من قولهم: جرت السفينة جَرياً ومَجرى، على معنى: بسم الله حين تجري. والقراءة بالضم مصدر (أجرى) الرباعي، على معنى: بالله إجراؤها[٧٧].

وبالجمع بين القراءتين يصبح المعنى: قال اركبوا فيها بسم الله حين تجري وبالله إجراؤها. والمتأمل لكلا المعنيين يلحظ أنّ القراءة الأولى نسبت (الجري) إلى السفينة، ولا يخفى ما في هذا من إشارة إلى ضرورة الأخذ بالأسباب فلولا إتقان صنعها ـ بفضل الله تعالى ـ ما جرت، أمّا القراءة الثانية فإنها نسبت (الإجراء) إلى الله تعالى، ولا يخفى ما في هذا من الإشارة إلى أنّ مقاليد الأمور كلها بيد الله سبحانه وتعالى فلو قضى عدم جري السفينة ـ رغم إتقان صنعها ـ ما جرت، فللّه عز وجل الأمر كله، وفي ذلك تنبيه على ضرورة التوكل على الله في جميع الأمور بعد الأخذ بالأسباب. والله تعالى أعلم.

١١ ـ ﴿وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى

---

(٧٥) انظر: المفردات في غريب القرآن ص٩٢، القاموس المحيط ص١٦٣٩.

(٧٦) انظر: تفسير الطبري ج١٢ص٤٥، تفسير ابن كثير ج٢ص٤٥٦، روح المعاني ج١٢ص٥٦، ٥٧.

(٧٧) انظر: حجة القراءات ص٣٤٠، مفاتيح الأغاني ص٢١٢، إملاء ما منّ به الرحمن ص٣٩، المغني في توجيه القراءات العشر ج٢ص٢٤٥.

﴿مَعۡزِلٖ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٤٢﴾ [هود: ٤٢].

القراءات:

١ ـ قرأ عاصم (يا بنيَّ) بفتح الياء.

٢ ـ قرأ الباقون (يا بنيِّ) بكسر الياء(٧٨).

المعنى اللغوي للقراءات:

(البَنيُ): نقيض الهدم، يقال: بَناه يَبْنِيه بَنْياً وبِنَاءً وبُنْيَاناً وبِنْيَة وبِنَايَة، والابْنُ: الولد، وأصله بَنَيٌ أو بَنُوٌ، والجمع: أبناء، والاسم: البُنُوَّة، وتصغيره: بُنَيٌّ، قال تعالى: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ﴾ [يوسف: ٥]، ﴿يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ﴾ [الصافات: ١٠٢]، ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ﴾ [لقمان: ١٣](٧٩).

قال الراغب: «وسُمي الابن بذلك لكونه بناءً للأب فإن الأب هو الذي بناه وجعله الله بنَّاءً في إيجاده ويقال لكلِّ ما يَحْصُلُ مِنْ جِهةِ شَيءٍ أَوْ مِنْ تربيته أو بِتَفَقُّدِه أو كَثْرَةِ خِدْمَتِهِ له أو قيامه بأمره: هو ابنه، نحو فلان ابن حرب، وابن سبيل للمسافر، وابن الليل، وابن العلم»(٨٠).

التفسير:

سارت بهم السفينة على وجه الماء ـ الذي قد غطى جميع الأرض ـ حتى طفت على رءوس الجبال. وارتفع الموج ارتفاعاً عظيماً كالجبال الشاهقة واشتد الهول، ولمّا رأى نوح عليه السلام نهاية القوم أخذته عاطفة الأبوة فنادى ابنه، وكان في مكان منعزل عنه، يا بنيّ اركب معنا سفينة النجاة، وإياك يا بنيّ أن تكون مع القوم الكافرين الهالكين(٨١).

---

(٧٨) انظر: السبعة ص ٣٣٤، النشر ج٢ ص٢٨٩، البدور الزاهرة ص١٥٤.

(٧٩) انظر: المفردات في غريب القرآن ص ٦٢، القاموس المحيط ص١٦٣٢.

(٨٠) المفردات في غريب القرآن ص ٦٢ ـ باختصار وتصرف يسير.

(٨١) انظر: تفسير ابن كثير ج٢ص٤٥٦، التفسير الواضح ج١٢ ص٣١، التفسير المنير ج١٢ص٧٥.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءة ﴿بنيّ﴾ بالكسر على أنّ أصله بني بياء التصغير، وياء هي لام الكلمة، والياء الثالثة ياء المتكلم، لكنها حذفت لدلالة الكسرة عليها، فراراً من توالي الياءات، ولأن النداء موضع التخفيف، والقراءة ﴿يَٰبُنَيَّ﴾ بالفتح فيها وجهان: أحدهما: على إبدال الكسرة فتحة فانقلبت ياء الإضافة ألفاً، ثم حذفت الألف كما حذفت الياء مع الكسرة لأنها أصلها. والثاني: أنّ الألف حذفت من اللفظ لالتقاء الساكنين(٨٢).

قال أبو شامة: «فعلى الكسر أصله: يا بنيّ فحذفت الياء كما تقول يا غلام، والأصل يا غلامي، وعلى الفتح أبدلت الياء ألفاً لتوالي الياءات والكسرات، ثم حذفت الألف، وبقيت الفتحة دالة عليها»(٨٣).

وبالتأمل المتأني لكلتا الكلمتين نجد أنّ القراءة بالكسر تشعر المرء بحرارة عاطفة الأب، وانكسار قلبه لعدم تلبية ابنه لندائه، أمّا القراءة بالفتح - والفتحة هي أخف الحركات(٨٤) - فقد ناسبت فيها خفة الحركة ما في الابن المنادَى من خفة عقل وسوء تقدير.

١٢ - ﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ٤٦﴾ [هود: ٤٦].

القراءات:

١ - قرأ الكسائي ويعقوب ﴿عَمِلَ غَيْرَ﴾ بكسر الميم وفتح اللام وحذف تنوينها، ونصب راء ﴿غَيْرَ﴾.

---

(٨٢) انظر: مشكل إعراب القرآن ج١ ص٣٦٥، الكشف ج ١ص٤٢، الياءات المشددات في القرآن وكلام العرب ص٣٠، إملاء ما منّ به الرحمن ص٣٩، المغني في توجيه القراءات العشر ج٢، ص٢٤٦.

(٨٣) إبراز المعاني ص٥١٤.

(٨٤) انظر: اللهجات العربية في القراءات القرآنية ص١٢٠.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿عَمَلٌ غَيْرُ﴾ بفتح الميم ورفع اللام وتنوينها ورفع راء ﴿غَيْرُ﴾(٨٥).

٣ ـ قرأ قالون وابن عامر ﴿فلا تسأَلَنِّ﴾ بفتح اللام وتشديد النون مكسورة وحذف الياء في الحالين.

٤ ـ قرأ ورش وأبو جعفر ﴿فلا تسأَلَنِّ﴾ بفتح اللام وتشديد النون مكسورة وإثبات الياء وصلاً فقط.

٥ ـ قرأ ابن كثير ﴿فلا تسأَلَنَّ﴾ بفتح اللام وتشديد النون مفتوحة من غير ياء بعدها.

٦ ـ قرأ أبو عمرو ﴿فلا تسأَلْنِ﴾ بإسكان اللام وتخفيف النون مكسورة وإثبات الياء بعدها وصلاً فقط.

٧ ـ قرأ يعقوب ﴿فلا تسأَلْني﴾ بإسكان اللام وتخفيف النون مكسورة وإثبات الياء بعدها في الحالين.

٨ ـ قرأ الباقون ﴿فلا تسأَلْنِ﴾ بإسكان اللام وتخفيف النون مكسورة وحذف الياء بعدها في الحالين(٨٦).

المعنى اللغوي للقراءات:

١ ـ ﴿عَمَلٌ﴾: (عَمِلَ): فَعَلَ، والعَمَلُ: المِهْنَةُ والفِعْلُ، تقول: أَعْمَلَهُ واسْتَعْمَلَهُ غَيْرُه، واعْتَمَلَ: عَمِلَ بنفسه، وأَعْمَلَ رَأْيَهُ وآلَتَهُ(٨٧).

قال الراغب: «(عَمِلَ): العَمَلُ كُلُّ فِعل يكون من الحيوانِ بقصد، فهو أَخَصُّ من الفعل؛ لأن الفعل قد ينسب إلى الحيوانات التي يقع منها فعل بغير قصد، وقد ينسب إلى الجمادات، والعمل قلما ينسب إلى ذلك، ولم يستعمل العمل في الحيوانات إلا في قولهم: البقر العوامل، والعمل يستعمل

---

(٨٥) انظر: السبعة ص٣٣٤، النشر ج ٢ ص٢٨٩، البدور الزاهرة ص١٥٤.

(٨٦) انظر: السبعة ص ٣٣٥، النشر ج٢ص٢٨٩، البدور الزاهرة ص١٥٥.

(٨٧) انظر: القاموس المحيط ص١٣٣٩.

في الأعمال الصالحة والسيئة»[88].

٢ ـ ﴿غير﴾: كلمة يوصف بها ويستثنى، فإن وُصف بها تَبعت ما قبلها، وإن استثني بها أعربت بالإعراب الذي يجب للاسم الواقع بعد (إلاّ)، وذلك أن أصل ﴿غير﴾ صفة والاستثناء عارض. وقد تكون ﴿غير﴾ بمعنى (لا) فتُنصب على الحال، كقوله تعالى: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ [البقرة: ١٧٣] بمعنى: فمن اضطر جائعاً لا باغياً[89].

٣ ـ ﴿تَسْئَلْنِ﴾: (سأل): السؤال استدعاء معرفة أو مال أو ما يؤدي إليهما، تقول: سألَهُ كذا، وعن كذا، وبكَذا، سُؤالاً وسَآلَةً ومَسْأَلَةً، والأمر سَلْ، واسْأَلْ، ويقالُ سالَ يَسالُ[90].

التفسير:

لما رأى نوح عليه السلام هلاك الكافرين، ومنهم ابنه، ساورته أحاسيس العطف على ابنه، والأسف العميق على نهايته فنادى ربه: ﴿رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي﴾ وقد وعدتني بنجاتهم، وإنّ وعدك الحق فأجابه الله تبارك وتعالى: يا نوح ـ عليه السلام ـ إنّ ابنك هذا ليس من أهلك الذين وَعَدْت بإنجائهم، لأنّي إنما وعدت بنجاة من آمن من أهلك، وابنك هذا ذو عمل غير صالح، حيث تنكر لدعوة الهدى والصلاح، وانضم إلى الكافرين، فهو ليس من أهل دينك ولا ولايتك. وسؤالك إياي في ابنك ـ المخالف دينك الموالي أهل الشرك ـ من النجاة من الهلاك عملٌ غير صالحٍ، فلا تطلب مني شيئاً ليس لك به علم صحيح، ولا تلتمس مني التماساً لا تعلم أصواب هو أم لا حتى تقف على كنهه، إنّي أعظك وأنهاك أن تكون من فئة الجاهلين الذين يسألون بطلان تشريع الله وقانونه وتقديره في خلقه، فهو العليم بهم البصير بشأنهم[91].

---

(٨٨) انظر: المفردات في غريب القرآن ص٣٤٨، القاموس المحيط ص١٣٠٧، ١٣٠٨.
(٨٩) انظر: المفردات في غريب القرآن ص٣٦٨، مختار الصحاح ص٢٠٣.
(٩٠) المفردات في غريب القرآن ص٢٥٠.
(٩١) انظر: تفسير الطبري ج١٢ ص٥٢، ٥٣، تفسير ابن كثير ج٢ص٤٥٨، ٤٥٩، التفسير الواضح ج١٢ص٣٢، التفسير المنير ج١٢ص٧٦، ٧٧.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

١ ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾:

على قراءة **﴿إنه عَمِلَ غيرَ صالح﴾** المراد به ابن نوح عليه السلام المتقدم ذكره، وعلى قراءة الباقين له تقديران:

أحدهما: أن يراد به ابن نوح عليه السلام، بتقدير: إنّه ذو عمل غير صالح.

والثاني: أن يراد به سؤال نوح عليه السلام، بتقدير: إنّ سؤالك إياي أن أنجي كافراً عملٌ غير صالح[٩٢].

وأضاف مكي: «وقيل: تقديره إنّ سؤالك ما ليس لك به علم عمل منك غير صالح. ويجوز أن تكون الهاء في ﴿إِنَّهُۥ﴾ تعود على ما دلّ عليه أول الكلام، وهو قوله ﴿ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾، فيكون التقدير: إنّ كون الكافرين معك عمل منك غير صالح. ويجوز أن يكون الكلام من قول نوح عليه السلام لابنه يخاطبه ويُقَرِّعه وتقديره: يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين، إنّه عملٌ غير صالح، أي إنّ كونك مع الكافرين عمل منك غير صالح»[٩٣].

قال أبو حيان: «وقرئ ﴿عَمَلٌ غَيْرُ﴾ منوناً، ﴿غَيْرُ﴾ رفعاً صفة له فاحتمل قوله: ﴿إِنَّهُۥ﴾ أن يكون على حذف مضاف تقديره أي إنّ عمله عمل غير صالح، أو يكون الحذف في ﴿عمل﴾ تقديره أنه ذو عمل غير صالح، أو جعله نفس العمل مبالغة في ذمه»[٩٤].

واحتجّ بعض أهل التأويل[٩٥] بقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾ ـ

---

(٩٢) انظر: التذكرة ج٢ ص٣٧٢، المكتفى في الوقف والابتداء ص٣١٦ ـ ٣١٧، إملاء ما منّ به الرحمن ج٢ ص٤٠.

(٩٣) الكشف ج٢ ص٥٢٠ ـ ٥٢١، وانظر: روح المعاني ج١٢ص٦٩.

(٩٤) النهر الماذ ج٢ ص٧٠، وانظر تفسير البيضاوي ج٢ ص٤٥٨.

(٩٥) منهم: مجاهد والحسن وابن جريج وعبيد ابن عمير. انظر تفصيل أقوالهم في تفسير الطبري ج١٢ص٥٠.

على قراءة التنوين والرفع ـ وبقوله تعالى: ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ [التحريم: ١٠] على أنّ هذا الولد الكافر ليس بابن نوح عليه السلام وإنما كان ابن زنية، وقد نصّ غير واحد من الأئمة على تخطئة هذا القول(٩٦)، وقالوا: إنّ هذا الولد الكافر كان ابن نوح عليه السلام، وقوله تعالى: ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ [التحريم: ١٠]، لا يراد به الخيانة بالزنا، ولكن كانت امرأة نوح عليه السلام تخبر الناس أنه مجنون، وكانت امرأة لوط عليه السلام تدل على الأضياف(٩٧).

وعليه يمكن تفسير قراءة التنوين والرفع بما يلي:

خاطب الله نوحاً عليه السلام فقال له:

- إنّ سؤالك أن أنجي كافراً عمل منك غير صالح.

- إنّ سؤالك ما ليس لك به علم عمل منك غير صالح.

- إنّ كون الكافرين معك عمل منك غير صالح.

- إنّ عمل ابنك عمل غير صالح.

- إنّ ابنك ذو عمل غير صالح.

- إنّ ابنك عملٌ غير صالح ـ جعله العمل نفسه مبالغة في ذمه ـ.

أو خاطب نوح عليه السلام ابنه قائلاً:

- يا بنيّ اركب معنا ولا تكن مع الكافرين، إنّ كونك مع الكافرين عمل منك غير صالح.

أمّا القراءة الثانية ﴿عَمِلَ غَيْرَ﴾ فإنها أفادت أنّ الله تعالى خاطب نوحاً عليه السلام قائلاً:

إنّ ابنك عمل عملاً غير صالح بمخالفته لدينك فاقتضى ذلك هلاكه.

---

(٩٦) منهم ابن عباس وسعيد ابن جبير وعكرمة والضّحاك. انظر تفصيل أقوالهم في تفسير الطبري ج١٢ ص٥١ ـ ٥٢.

(٩٧) انظر: تفسير الطبري ج١٢ ص٥١.

فالقراءة الثانية أكّدت وجهاً من وجوه تأويل القراءة الأولى، وهو أنّ عَمَلَ ابن نوح عليه السلام عملٌ غير صالح - وإن اختلف التقدير وتَنَوَّعَ أسلوبُ التعبير -، كما أنها استبعدت وجهاً من وجوه تأويل القراءة الأولى وهو أن يوصف ابن نوح عليه السلام بأنه عملٌ غير صالح بدعوى أنّه ابن زنيّة. والله تعالى أعلم.

٢ - قوله تعالى: ﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾:

وجه تشديد النون مع الفتح أنها المُؤَكَّدَة ولذا بُنِي الفعل، ومع الكسر أنها المؤكدة الخفيفة أدغمت في نون الوقاية، ووجه التخفيف مع الكسر أنها نون الوقاية والفعل مجزوم ب(لا) الناهية فسكنت اللام، والفعل هنا غير مؤكد بنون التوكيد، ومعدًّى إلى ياء المتكلم، والياء مفعوله الأول، وما مفعوله الثاني بتقدير (عن)، وحذف الياء للتخفيف، وإثباتها على الأصل[٩٨].

قال الطبري: «اختلف القراء في قراءة قوله ﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ فقرأ عامة أهل الأمصار ﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِ﴾ بكسر النون وتخفيفها. ونحَوْا بكسرها إلى الدلالة على الياء التي هي كناية اسم الله ﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِ﴾. وقرأ ذلك بعض المكيين، وبعض أهل الشام ﴿فَلَا تَسْأَلَنَّ﴾ بتشديد النون وفتحها، بمعنى: فلا تسألَنَّ يا نوح ما ليس لك به علم[٩٩].

وعليه فإنّ الله تعالى نهى نوحاً عليه السلام عن أن يسأل ما ليس له به علم نهياً مطلقاً، سواء أكان هذا السؤال لله عز وجل أم لغيره، في هذا المقام أم فيما يُسْتقبل. وقد تنوع أسلوب التعبير عن هذا النهي تنوعاً ناسب تعدد صور السؤال عما ليس للمرء به علم؛ فقد تكون أموراً عظيمة فناسبها التشديد وقد تكون أموراً هينة فناسبها التخفيف. والله تعالى أعلم.

١٣ - ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [هود: ٥٠].

(٩٨) انظر: إتحاف فضلاء البشر ص٢٥٧، التحرير والتنوير ج١٢ص٨٦، ٨٧.

(٩٩) تفسير الطبري ج١٢ ص٥١.

القراءات:

١ ـ قرأ الكسائي وأبو جعفر ﴿غَيْرِهِ﴾ بخفض الراء وكسر الهاء.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿غَيْرُهُۥٓ﴾ برفع الراء وضم الهاء[١٠٠].

المعنى اللغوي للقراءات:

سبق بيانه[١٠١].

التفسير:

يقول تعالى: وأرسلنا إلى قوم عاد أخاهم هوداً عليه السلام فقال لهم: يا قوم اعبدوا الله وحده لا شريك له واتركوا ما تعبدون من دونه من الآلهة والأوثان، ليس لكم معبود يستحق العبادة عليكم غير الله فأخلصوا له العبادة، وأفردوه بالألوهية، ما أنتم في إشراككم معه الآلهة والأوثان إلا أهل فرية مكذّبون، تختلقون الباطل، لأنه لا إله سواه[١٠٢].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءة ﴿غَيْرِهِ﴾ بخفض الراء وكسر الهاء بعدها، على أنّ (غير) صفة ل ﴿إِلَٰهٍ﴾ على اللفظ، وليست حرف استثناء. والقراءة ﴿غَيْرُهُ﴾ برفع الراء وضم الهاء، على أنّ (غير) حرف استثناء، يعرب بما يعرب به الاسم بعد إلاّ، وهو على هذا بدل من ﴿إِلَٰهٍ﴾ على الموضع، حيث إنّ (من) هنا زائدة، و﴿إِلَٰهٍ﴾ مبتدأ. ويجوز أن يكون (غير) صفة ل ﴿إِلَٰهٍ﴾ على الموضع[١٠٣].

---

(١٠٠) انظر: النشر ج٢ص٢٧٠، البدور الزاهرة ص١٥٥.

(١٠١) انظر ص٤١ من هذا البحث.

(١٠٢) انظر: تفسير الطبري ج١٢ص٥٧.

(١٠٣) انظر: حجة القراءات ص٢٨٦، الحجة في القراءات السبع ص١٥٧، الكشف ج١ص٤٦٧، إملاء ما منّ به الرحمن ج١ص٢٥١، المغني في توجيه القراءات العشر ج٢ ص١٤٠.

قال ابن هشام: «وقرئ ﴿مَالَكُمْ مِنْ إِلَه غَيْرِهِ﴾ بالجر صفة على اللفظ، وبالرفع على الموضع، وتحتمل قراءة الرفع الاستثناء على أنه إبدال على المحل مثل (لا إله إلاّ الله)»(١٠٤).

فعلى القراءة بالخفض يكون المعنى: ما لكم من إله يستحق العبودية من هذه الآلهة التي تدعونها من دون الله. فهذه القراءة نصٌ في ذم آلهتهم، أولاً، فإذا علموا ذلك توجهت عقولهم إلى الإله الحق.

وعلى القراءة بالرفع يكون المعنى على الاستثناء أي: ما لكم من إله إلاّ الله. والاستثناء بعد الجحد تحقيق(١٠٥). أي أنّه نفى الألوهية عن جميع معبوداتهم باستثناء الله تعالى فأثبت الألوهية بهذا الاستثناء لله وحده. فنصت هذه القراءة على ذمّ آلهتهم في نفس الوقت الذي أثبتت فيه الألوهية لله وحده.

وعلى التقدير الآخر بأنّ (غير) صفة ل(إله) على الموضع تشترك هذه القراءة في المعنى مع القراءة الأولى وتؤكد كل قراءة القراءة الأخرى وفي هذا مبالغة في تحقير آلهتهم الباطلة وإثبات الألوهية لله وحده. والله تعالى أعلى وأعلم.

١٤ - ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾﴾ [هود: ٦١].

القراءات:

١ - قرأ الكسائي وأبو جعفر ﴿غَيْرِهِ﴾ بخفض الراء وكسر الهاء.

٢ - قرأ الباقون ﴿غَيْرُهُ﴾ برفع الراء وضم الهاء(١٠٦).

---

(١٠٤) مغني اللبيب ج١ص١٥٨.

(١٠٥) انظر: حجة القراءات ص٢٨٦.

(١٠٦) انظر: النشر ج٢ص٢٧٠، البدور الزاهرة ص١٥٥.

وقد تقدم الحديث عن هاتين القراءتين عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [هود: ٥٠][١٠٧].

١٥ ـ ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمَئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾﴾ [هود: ٦٦].

القراءات:

١ ـ قرأ نافع والكسائي وأبو جعفر ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ بفتح الميم.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿يَوْمِئِذٍ﴾ بكسر الميم[١٠٨].

المعنى اللغوي للقراءات:

(يوم): اليوم هو الوقت من طلوع الشمس إلى غروبها، وقد يُعبر به عن مدة من الزمان أيٍّ كانت، ويُرَكَّب (يوم) مع (إذ)، وربما يعرب أو يبنى[١٠٩].

التفسير:

يقول تعالى: فلما جاء ثمود عذابنا، نجينا صالحاً ومن آمن معه، بنعمة وفضل من الله ونجيناهم من هوان ذلك اليوم وذله. إنّ الله لقوي في بطشه؛ إذا بطش بشيء أهلكه، كما أهلك ثمود حين بطش بها، عزيز فلا يغلبه غالب، ولا يقهره قاهر، بل يغلب كلّ شيء ويقهره[١١٠].

العلاقة التفسيرية للقراءات:

وجه القراءة بالكسر أنّ (يوم) أجري مجرى سائر الأسماء، فخفض لإضافة ﴿خِزْىِ﴾ إليه، ولم يُبْنَ لإضافته إلى (إذ) لأنه يجوز أن ينفصل من

---

(١٠٧) انظر: ص٤٤ من هذا البحث.

(١٠٨) انظر: المبسوط ص ٢٤٠، النشر ج٢ص٢٨٩، البدور الزاهرة ص١٥٦.

(١٠٩) انظر: المفردات في غريب القرآن ص٥٣٣.

(١١٠) انظر: تفسير الطبري ج١٢ص٦٥.

(إذ)، والبناء إنما يلزم إذا لزمت العلة. ووجه القراءة بالفتح أنّ (يوم) بنى على الفتح لإضافته إلى مبني (غير متمكن) وهو (إذ) وعومل اللفظ ولم يُعامل تقدير الانفصال[111].

قال العكبري: «يقرأ بكسر الميم على أنه معرب، وانجراره بالإضافة، وبفتحها على أنه مبني مع (إذ) لأن (إذ) مبني وظرف الزمان إذا أضيف إلى مبني جاز أن يبنى لما في الظروف من الإبهام، ولأن المضاف يكتسي كثيراً من أحوال المضاف إليه كالتعريف والاستفهام والعموم والجزاء»[112].

وإذا عُلم أنّ الإعراب هو «اختلاف آخر الكلمة لاختلاف العامل فيها لفظاً أو تقديراً»[113]، وأنّ البناء هو «لزوم آخر اللفظ علامة واحدة ـ في كل أحواله ـ، لا تتغير مهما تغيرت العوامل»[114]، فإنه من الممكن القول بأنّ القراءة بالجرّ، على أنّ الاسم معرب، توحي بتنوع أصناف العذاب الذي لحق بالأمم السابقة نتيجة لكفرهم، وقد أصاب قوم صالح ما يناسبهم من العذاب، أما القراءة بالفتح على أنّ الاسم مبني، فقد أوحت بدوام هذا العذاب، واستمراره عليهم حتى أهلكهم جميعاً[115]. والله تعالى أعلى وأعلم.

١٦ ـ ﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَآۗ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَاْ كَفَرُواْ رَبَّهُمْۗ أَلَا بُعْدٗا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾﴾ [هود: ٦٧، ٦٨].

---

(١١١) انظر: الكشف ج١ص٣٣.

(١١٢) إملاء ما منّ به الرحمن ج٢ص٤١، وانظر: مفاتيح الأغاني ص٢١٤، القواعد والفوائد ص١٧٧.

(١١٣) اللباب في علل البناء والإعراب ج١ص٥٢، وانظر: المسائل العسكريات في النحو العربي ص١٠٩، اللمع في العربية ص٩١، ٩٢.

(١١٤) النحو الوافي ج١ص٧٥، وانظر: اللمع في العربية ص ٩٢، لسان العرب ج١ص٣٦٦. قال ابن منظور: «وكأنهم إنّما سموه بناءً من حيث كان البناء لازماً موضعاً لا يزول من مكان إلى غيره». (لسان العرب ج١ص٣٦٦).

(١١٥) هذا رأي اجتهدته، أملاه تنوع استخدام الكلمة بين البناء والإعراب، وقد ترددت كثيراً في إيراده، ولكنّ المشرف لم ير فيه بأساً فأثبته، والله أعلم بمراده. (الباحثة)

القراءات:

١ ـ قرأ حفص وحمزة ويعقوب ﴿ألا إنّ ثمودَ﴾ بغير تنوين الدال.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿أَلاَ إِنَّ ثَمُوداً﴾ بتنوين الدال(١١٦).

٣ ـ قرأ الكسائي ﴿ألا بعداً لثمودٍ﴾ بخفض الدال مع التنوين.

٤ ـ قرأ الباقون ﴿أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ﴾ بفتح الدال من غير تنوين(١١٧).

المعنى اللغوي للقراءات:

(ثمود) قيل هو أعجمي وقيل هو عربي وتُرِكَ صرفه لكونه اسم قبيلة، وهو فَعُولٌ من الثمَدِ وهو الماء القليل الذي لا مادَّةَ له، ومنه قيل فلان مَثْمُود ثمدته النساء أي قطعت مادة مائه لكثرة غشيانه لهن، ومَثْمُودٌ إذا كثر عليه السؤال حتى فقد مادة ماله(١١٨)، وسميت قبيلة ثمود بهذا الاسم لقلة مائها(١١٩).

التفسير:

يقول تعالى: وأصبح أمر ثمود أن أخذتهم صيحة العذاب وهي الصاعقة ذات الصوت الشديد المهلك، فصعقوا بها جميعاً، وأصبحوا هامدين موتى لا يتحركون، وكأنهم لسرعة هلاكهم لم يعيشوا في هذه الدنيا ولم يقيموا في ديارهم، ذلك لأنهم كفروا بآيات ربهم فجحدوها، فاستحقوا عقابه الشديد، فسحقاً لهم وبعداً وهلاكاً ولعنة(١٢٠).

---

(١١٦) انظر: المبسوط ص٢٤٠، النشر ج٢ ص ٢٨٩، البدور الزاهرة ص١٥٦.

(١١٧) انظر: المبسوط ص٢٤١، النشر ج٢ ص٢٩٠، البدور الزاهرة ص١٥٦.

(١١٨) انظر: القاموس المحيط ص٣٤٥.

(١١٩) انظر: حجة القراءات ص٣٤٥، الكشف ج١ص٥٣٣، مفاتيح الأغاني ص٢١٤، تفسير البيضاوي ج٢ص٤٦٢.

(١٢٠) انظر: تفسير الطبري ج١٢ص٦٨، روح المعاني ج١٢ص٩٢، صفوة التفاسير ج٢ص٢٣، التفسير المنير ج١٢ص١٠٢.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

من قرأ بالتنوين جعله اسماً للحيّ والأب، وهما مذكران، فصرفه، لأن الصرف أصل الأسماء كلها، ومن قرأ بترك التنوين جعله اسماً للقبيلة فلم يصرفه لاجتماع العَلمية والتأنيث(١٢١).

قال سيبويه: «فأمّا ثمود وسبأ، فهما مرة للقبيلتين، ومرة للحيين، وكثرتهما سواء»(١٢٢).

وقال أحمد بن الزبير الغرناطي: «قرئ ثمود في الموضعين بالوجهين من الصرف وعدمه، إلاّ أنّ أكثر القراء على الصرف في الأول ومنعه في الثاني. فترتب على قراءة الأكثرين سؤال وهو: لم صُرف الأول في قراءة غير حفص وحمزة، ومنع الثاني الصرف في قراءة الجماعة غير الكسائي. ووجه ذلك - والله أعلم - التفات شيء فيه خفاء يراعى مثله. وذلك أنّ الاسم النكرة إذا كُرِّر، وأريد بالثاني الأول ولم يرد غيره، لزمته الألف واللام التي للعهد، فصار معرفة: تقول: رأيت رجلاً فضربت الرجل، تريد المذكور ولا تعيده نكرة بوجه. ولك أن تأتي به مضمراً فتقول: رأيت الرجل فضربته. فإذا تكلمت بهذا في المعرفة، فالأكثر أن تأتي به مضمراً، أو موصوفاً بقولك: المذكور. أمّا ما لا يخرج عن الأول حتى لا يظن أنك تريد سواه فتقول: رأيت زيداً فكلمته، ولقيت عَمْراً فضربت المذكور، أو فضربت عَمراً المذكور. فالثاني المكرر أبداً، إن كان الأول نكرة، كان هو معرفة بأداة العهد، وإن كان الأول معرفة كان الثاني أمكن في التعريف إذ قد يدخل الأول اشتراك لوجود أمثاله ممن تسمّى باسمه. وأمّا الثاني فلا يدخله اشتراك من حيث هو، إلاّ أن يَسْريَ له الاشتراك من الأول فقد ثبت على كل حال أنه أبعد من الاشتراك والالتباس من الأول وذلك شفوف له عليه

(١٢١) انظر: المقتضب ج٣ص٣٦٠، ٣٦١، حجة القراءات ص٣٤٥، الكشف ج١ص٥٣٣، مفاتيح الأغاني ص٢١٤، تفسير البيضاوي ج٢ص٤٦٢، ما انفرد به كل من القراء السبعة ص١١٢.

(١٢٢) الكتاب ج٣ص١٢٧.

فكأنه أَعرف منه. فإذا كرر غير مضمر ولا منعوت، وكان علَما مما يجوز في مثله الوجهان من الصرف وعدمه. وذلك الثلاثي ساكن الوسط، والعرب قد تصرفه لخفته، ومنهم من يمنعه الصرف لوجود علّتين، ولا يراعى خفته، فإذا كان أكثر تعريفاً كان الوجه منع صرفه إشعاراً بتمكّن تعريفه. إذ هذا الضرب من التعريف من موانع الصرف، ولا اعتبار بما دونه من المعارف في منع الصرف، إلا لمانع آخر. فلهذا كان الثاني في قوله: ﴿**أَلا بعداً لِثَمُودِ**﴾ أولى بمنع الصرف. والله أعلم. فالمؤنث الثلاثي الساكن الوسط إذا لم يكن منقولاً من مذكر، فيه الوجهان: الصرف وعدمه. إلاّ أن في اختصاص مكرره بالمنع تأنيساً لما ذكرناه وإن لم تَرد به الشواهد، إذ باب هذا معروف ومفهوم»[(١٢٣)].

وعليه فإن القراءة بالصرف في الأولى وعدم الصرف في الثانية تشعر بتمكن تعريف القبيلة مبالغة في ذمها، والقراءة بالصرف في الكلمتين تفيد أنّ المراد هنا الحي، والقراءة بعدم الصرف تفيد أن المراد هو القبيلة. وبالجمع بين القراءتين يُعلم أنّ العقوبة قد عمّت القبيلة وشملت الحيّ أيضاً.

ويظهر المعنى جلياً ببيان المراد بالقبيلة والحيّ. أمّا القبيلة في اللغة فهي واحدة قبائل الرأس، وهي القطع المشعوب بعضها إلى بعض تصل بها الشئون، وبها سميت قبائل العرب، والقبيلة من الناس بنو أب واحد، وتطلق القبيلة على الواحدة من قبائل العرب وسائرهم من الناس، والشعب أكبر من القبيلة ثم القبيلة ثم العمارة ثم البطن ثم الفخذ[(١٢٤)]. والحيّ من كل شيء: نقيض الموت، والواحد من أحياء العرب، والحيّ: البطن من بطون العرب، ويقع على بني أب كثروا أم قَلُّوا، وعلى شَعب يَجمع القبائل[(١٢٥)]. فالقبيلة أصغر من الحيّ، وفيها إشارة إلى اللُحمة والترابط الذي جمع ثمود على الكفر، فكانوا كرجل واحد في مواجهة نبيهم صالح عليه السلام، فاستحقوا البعد

(١٢٣) ملاك التأويل ج٢ ص٥٢٣ ـ ٥٢٥ ـ باختصار.

(١٢٤) انظر: لسان العرب ج٦ص٣٥١٩.

(١٢٥) انظر: لسان العرب ج٢ص١٠٧٨.

والهلاك، أمّا الحيّ فهو أشمل من القبيلة، وفيه إشارة إلى الحياة والنشاط التي كانت تدب في هذه القرية الهالكة، فكانت نهايتها أن أصبحوا ﴿فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ﴾. فتبارك الله ربّ العالمين الذي أنزل هذا القرآن معجزة خالدة لا تنقضي عجائبه. والله تعالى أعلم.

وثمت معنىً لطيف يمكن إضافته إلى ما ذُكر، وهذا المعنى أشار إليه البقاعي رحمه الله وقد استوحاه من الصرف وعدمه في الكلمتين، حيث قال: «﴿ألا إنّ ثموداً﴾ قراءة الصرف دالة على الاستخفاف بهم لطيشهم في المعصية...، ﴿ألا بعداً لثمود﴾ ترك صرفهم في قراءة غير الكسائي إيذاناً بدوام لبثهم في الطرد والبعد»(١٢٦).

١٧ - ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾﴾ [هود: ٦٩].

القراءات:

١ - قرأ حمزة والكسائي ﴿سِلْمٌ﴾ بكسر السين وإسكان اللام.

٢ - قرأ الباقون ﴿سَلَٰمٌ﴾ بفتح السين واللام وألف بعدها(١٢٧).

المعنى اللغوي للقراءات:

(السِّلم): التعري من الآفات الظاهرة والباطنة، والمُسالِم، والصُّلْحُ، والسَّلامُ، والإِسْلامُ. و(السَّلام): التحية(١٢٨).

التفسير:

يذكر الله تعالى في هذه الآية طرفاً من قصة إبراهيم عليه السلام حين جاءه رسل

(١٢٦) نظم الدرر ج٣ص٥٥١. وقد فكرت ملياً في هذا التأويل، ولم أهتد إلى وجه الارتباط بين كون الكلمة مصروفة أو غير مصروفة وبين ما أشار إليه البقاعي - رحمه الله - من المعاني، وقد آثرت إيراد ما ذكره تتمة للفائدة.

(١٢٧) انظر: النشر ج٢ص٢٩٠، البدور الزاهرة ص١٥٦.

(١٢٨) انظر: المفردات في غريب القرآن ص ٢٣٩، ٢٤٠، القاموس المحيط ص١٤٤٨.

الله الكرام من الملائكة ليبشروه بالولد، فلما دخلوا سلموا عليه، فردّ عليهم السلام، وهو لا يعرف أنهم ملائكة، ثم بادر لبيته فاستحضر عجلاً مشوياً(١٢٩).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

(السِّلم): بكسر السين وإسكان اللام بلا ألف لغة في السلام: التحية، كحلّ وحلال، أو بمعنى المسالمة التي هي ضد الحرب، و(السلام) هو التحية اتفاقاً(١٣٠).

قال الفراء: «وقوله: ﴿سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ﴾ هو في المعنى (سلام) كما قال: حلّ وحلال وحِرم وحرام، لأن التفسير جاء: سلموا عليه فردّ عليهم. فترى أن معنى سلم وسلام واحد. والله أعلم»(١٣١).

وقال مكي: ويجوز أن يكون ﴿سَلَٰمٌ﴾ بمعنى المسالمة التي هي خلاف الحرب. كأن إبراهيم ﷺ لمّا رآهم لا يأكلون طعامه أوجس في نفسه خوفاً منهم، فقال لهم: سِلْم، أي أنا سِلم لكم ولست بحرب لكم، فلا تمتنعوا من أكل طعامي كما يُمتنع من أكل طعام العدو. ومعنى ﴿سَلَٰمٌ﴾ أي سلام عليكم، فالخبر محذوف، وهو: رد السلام عليهم، إذ سلموا عليه. وهو أبين في التحية وردّ السلام(١٣٢).

قال الطبري: «والصواب من القول في ذلك عندي: أنهما قراءتان متقاربتا المعنى، لأن السِّلم قد يكون بمعنى السلام، والسلام بمعنى السلم، لأن التسليم لا يكاد يكون إلاّ بين أهل السِّلم دون الأعداء، فإذا ذُكِرَ تسليم من قوم على قوم، وردُّ الآخرين عليهم، دلّ ذلك على مسالمة بعضهم بعضاً»(١٣٣).

---

(١٢٩) انظر: تفسير السعدي ص٣٦٤.

(١٣٠) انظر: شرح طيبة النشر للنويري ج٤ص٣٧٠.

(١٣١) معاني القرآن للفراء ج٢ص٢٠، ٢١ ـ باختصار وتصرف يسير.

(١٣٢) الكشف ج١ص٥٣٤ ـ باختصار وتصرف يسير.

(١٣٣) تفسير الطبري ج١٢ص٦٩.

وبالجمع بين القراءتين يُفهم أنّ إبراهيم عليه السلام ردّ التحية على الملائكة بأحسن منها[١٣٤] وقال لهم: أنا سِلم لكم ولست بحرب لكم.

١٨ ـ ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾﴾ [هود: ٧١].

القراءات:

١ ـ قرأ حفص وحمزة وابن عامر ﴿يَعْقُوبَ﴾ بنصب الباء.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿يَعْقُوبُ﴾ برفع الباء[١٣٥].

المعنى اللغوي للقراءات:

﴿يعقوب﴾: اسم إسرائيل أبي يوسف عليهما السلام. وهو يعقوب بن إسحق بن إبراهيم عليهم السلام، لا ينصرف للعجمة والتعريف. ويقال: إنما سمي يعقوب لأنه كان هو وأخوه عيصو توأمين، فخرج من بطن أمه آخذا بعقب أخيه عيصو[١٣٦]. قال القرطبي: «وفي ذلك نظر، لأنّ هذا اشتقاق عربي، ويعقوب اسم أعجمي، وإن كان قد وافق العربية في التسمية به كَذَكَرِ الحَجَل[١٣٧]»[١٣٨].

التفسير:

يخبر الله تعالى عن سارة زوج إبراهيم عليه السلام أنها كانت قائمة ـ على

---

(١٣٤) «رد إبراهيم عليه السلام التحية بخير من تحيتهم، فإنهم حيّوه بالنصب (سلاماً)، وحياهم بالرفع (سلامٌ). فهم حيوه بالجملة الفعلية الدالة على الحدوث والتجدد، أي نسلم سلاماً، وهو قد حياهم بالجملة الاسمية الدالة على الثبوت. والاسم أقوى وأثبت من الفعل» لمسات بيانية في نصوص التنزيل ص٨٤.

(١٣٥) انظر: المبسوط ص ٢٤١، النشر ج٢ص٢٩٠، البدور الزاهرة ص١٥٧.

(١٣٦) انظر: لسان العرب ج٤ص٣٠٣٠، تفسير القرطبي ج٢ص١٣٦.

(١٣٧) «الحجل بالتحريك: جمع حجلة، طائر وردي أحمر الرجلين والمنقار، في حجم الحمام، طيب اللحم» (الإفصاح في فقه اللغة ج٢ص٨٧٨)

(١٣٨) انظر: تفسير القرطبي ج٢ص١٣٦.

خدمة الأضياف أو من وراء الستر تسمع محاورة إبراهيم عليه السلام وضيفه من الملائكة ـ فضحكت سروراً بزوال الخيفة أو بهلاك أهل الفساد ـ قوم لوط عليه السلام، فبشرتها الملائكة بإسحق عليه السلام ولداً لها، وبيعقوب ابناً لولدها[١٣٩].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

﴿يَعْقُوبَ﴾ بالنصب على تقدير: (ووهبنا لها من وراء إسحاق يعقوب)، ودلّ عليه معنى قوله تعالى: ﴿فبشرناها بإسحق﴾ لأنه في معنى وهبنا[١٤٠]. وذُكِرَ أيضاً في توجيه هذه القراءة وجهان آخران، أحدهما: أنه معطوف على لفظ ﴿إسحق﴾، وفتحته للجر لأنه غير مصروف للعلمية والعجمة، وعلى هذا دخوله في البشارة ظاهر[١٤١]، والثاني: أن يكون ﴿يَعْقُوبَ﴾ معطوفاً على محل ﴿بإسحق﴾، أي: فبشرناها، لأنه في محل نصب، حيث إنّه مفعول به في المعنى[١٤٢].

و﴿يَعْقُوبُ﴾ بالرفع على الابتداء والظرف المقدم ﴿ومن وراء﴾ الخبر، كأنه قيل: ومن وراء إسحاق يعقوب كائن أو موجود أو مولود[١٤٣]. «ويجوز أن يكون مرفوعاً بالفعل الذي يعمل في قوله ﴿من وراء﴾ كأنه قال: «ويثبت لها من وراء إسحق يعقوب»[١٤٤]. ويجوز أن يكون فاعلاً لفعل محذوف،

---

(١٣٩) انظر: تفسير البيضاوي ج١ص٤٦٣، روح المعاني ج١٢ص٩٨، صفوة التفاسير ج٢ص٢٤.

(١٤٠) انظر: الكشف ج١ص٥٣٥، إبراز المعاني ص٥١٧.

(١٤١) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج ج٣ ص٦٢، الكشف ج١ص٥٣٥، إبراز المعاني ص٥١٧، روح المعاني ج١٢ ص٩٨.

(١٤٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج ج٣ص٦٢، الكشف ج١ص٥٣٥، إبراز المعاني ص٥١٧، روح المعاني ج١٢ ص٩٨.

(١٤٣) انظر: الكشف ج١ص٥٣٥، حجة القراءات ص٣٤٧، مفاتيح الأغاني ص ٢١٥، إبراز المعاني ص٥١٦، روح المعاني ج١٢ ص٩٩.

(١٤٤) حجة القراءات ص٣٤٧، وانظر: إبراز المعاني ص٥١٨، روح المعاني ج١٢ص٩٩.

أي: ويحدث من وراء إسحق يعقوب[١٤٥].

مما سبق يتبين أنّ القراءتين تتفقان في المعنى النهائي أنّه سيولد لإسحق عليه السلام ولد وهو يعقوب عليه السلام. وبين الفتح وما به من خفة ناسبت مشاعر الأمومة المرهفة، وبين الضم وما به من قوة ناسبت صدق البشارة، تنساب الألفاظ عذبة قوية تعبر عن المعنى، فطوبى لمن عقل فتدبر. والله تعالى أعلم.

١٩ - ﴿قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَۖ فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٌ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمۡۚ إِنَّ مَوۡعِدَهُمُ ٱلصُّبۡحُۚ أَلَيۡسَ ٱلصُّبۡحُ بِقَرِيبٖ ﴿٨١﴾﴾ [هود: ٨١].

القراءات:

١ - قرأ نافع وابن كثير وأبو جعفر **﴿فاسر﴾** بهمزة وصل فتسقط في الدرج، وحينئذٍ يصير النطق بسين ساكنة بعد الفاء.

٢ - قرأ الباقون **﴿فأسر﴾** بهمزة قطع مفتوحة بعد الفاء[١٤٦].

٣ - قرأ ابن كثير وأبو عمرو **﴿إلاّ امرأتُك﴾** برفع التاء.

٤ - قرأ الباقون ﴿إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَ﴾ بنصب التاء[١٤٧].

المعنى اللغوي للقراءات:

١ - **﴿فأسر﴾**، **﴿فاسر﴾**: (سرى): السُرى سير الليل، يقال سرى وأسرى، وقيل إنَّ (أسرى) ليست من لفظة (سرى يسري)، وإنّما هي من

(١٤٥) انظر: حجة القراءات ص٣٤٧، مفاتيح الأغاني ص ٢١٥، إبراز المعاني ص٥١٦، روح المعاني ج١٢ ص٩٩.

(١٤٦) انظر: المبسوط ص٢٤١، النشر ج ٢ ص٢٩٠، البدور الزاهرة ص١٥٧.

(١٤٧) انظر: المبسوط ص٢٤١، النشر ج ٢ ص٢٩٠، البدور الزاهرة ص١٥٧.

السَّراة وهي أرض واسعة، وسَراة كلِّ شيء أعلاه ومنه سراة النهار أي ارتفاعه[148].

٢ ـ ﴿ٱمْرَأَتَكَ﴾: (امرأة): تأنيث امرئ، والامرؤ هو الرجل، والمروءة كمال الرجولة[149]. «وللعرب في المرأة ثلاث لغات، يقال: هي امْرَأَتُه، وهي مَرْأَتُهُ، وهي مَرَتُهُ»[150].

التفسير:

أخبرت الملائكةُ لوطاً عليه السلام بأنهم رسل من الله عز وجل أُرسلوا لإهلاك القوم الكافرين، وأنّ هؤلاء الكافرين لن يصلوا إليه وإلى ضيفه بمكروه، وأبلغوه بأمر الله تعالى إليه أن يخرج من بين أظهرهم هو وأهله ببقية من الليل، ولا يلتفت منهم أحد، فستكون لهم النجاة، وسيكون الهلاك للقوم الكافرين ومن بينهم امرأة لوط عليه السلام، والتي سيصيبها ما أصاب قومها؛ لأنّ هواها معهم. وأخبرت الملائكة لوطاً عليه السلام بأن الصبح هو موعد نزول العذاب بقومه، فكأن لوطاً عليه السلام استبطأ ذلك، فقالوا: ﴿أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾؟[151].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قال الطبري: «واختلفت القراءة في قراءة قوله: ﴿فأسر﴾ فقرأ ذلك عامة قراء المكيين والمدنيين ﴿فاسر﴾ وَصْلٌ بغير همز الألف، من سرى. وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة والبصرة ﴿فأسر﴾ بهمز الألف، من أسرى، والقول عندي في ذلك أنهما قراءتان قد قرأ بكل واحدة منهما أهل قدوة في القراءة، وهما لغتان مشهورتان في العرب، معناهما واحد»[152].

---

(١٤٨) انظر: المفردات في غريب القرآن ص٢٣١.

(١٤٩) انظر: معجم مقاييس اللغة ج٥ص٣١٥، لسان العرب ج٦ص٤١٦٦.

(١٥٠) لسان العرب ج٦ص٤١٦٦.

(١٥١) انظر: تفسير الطبري ج١٢ص٨٩، تفسير السعدي ص٤٠٧.

(١٥٢) تفسير الطبري ج١٢ص٨٩.

قلت: المتأمل لكلتا القراءتين يجد أنّ كل قراءة تلقي بظلالها على المعاني، فالقراءة ﴿فاسر﴾، بقلة حروفها توحي بسرعة حدوث الفعل، أمّا القراءة ﴿فأسر﴾، بزيادة مبناها على سابقتها، وبالهمز فيها، وما في الهمز من شدة وجهر، توحي بالاجتهاد وبذل الطاقة في سبيل تحقيق الأمر. والله تعالى أعلم.

﴿إلاّ امرأتك﴾: اختلف العلماء في توجيه القراءتين في قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَ﴾، وذكروا أقوالاً شتى، أذكر منها:

١ ـ أنّ ﴿إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَ﴾ بالنصب اعتباراً بأنه مستثنى من ﴿أَهۡلَكَ﴾ فهو استثناء من مُوجَب، فحقه النصب، والمعنى: لا تسْر بها، أي: لا يعلمها بخروجه لأنها كانت مخلصة لقومها فتخبرهم عن زوجها. والقراءة ﴿إلاّ امرأتُك﴾ بالرفع، على أنه استثناء من ﴿أَحَدٌ﴾ الواقع في سياق النهي، وهو في معنى النفي. والمعنى أنه نهاهم عن الالتفات فامتثلوا ولم تمتثل امرأتُه للنهي فالتفتت[١٥٣]. فاختلاف القراءتين على هذا التأويل نبّه على اختصار، «فكأنه قيل: فأسر بأهلك إلا امرأتك، على أن استثناءها من المسرى بهم، ثم كأنه سبحانه قال: فإن خرجت معكم وتبعتكم من غير أن تكون أنت سريت بها، فَانْهَ أهلك عن الالْتِفَاتِ غَيْرَهَا، فإنها ستهلك ويصيبها ما يصيب قومها. فكانت قراءة النصب دالة على ذلك المعنى المتقدم، وقراءة الرفع دالة على هذا المعنى المتأخر، ومجموعهما دال على جملة المعنى المشروح»[١٥٤].

٢ ـ أنّ الاستثناء على القراءتين منقطع[١٥٥]، ولم يقصد به إخراجها

(١٥٣) انظر: تفسير الطبري ج١٢ ص٨٩، معاني القرآن وإعرابه للزجاج ج٣ص٧٠، حجة القراءات ص٣٤٧ ـ ٣٤٨، الكشف ج١ص٥٣٦، مفاتيح الأغاني ص٢١٦، التسهيل ج٢ص١١٠، تفسير ابن كثير ج٢ص٦٦٨، منار الهدى ص١٣٩.

(١٥٤) إبراز المعاني ص٥٢١ ـ باختصار وتصرف يسير.

(١٥٥) لمزيد بيان ينبغي التعريف بالاستثناء المتصل والمنقطع:

«الاستثناء المتصل: هو إخراج بعض الشيء من كلّه، أو الحكم على جنس ما حكم=

من المأمور بالإسراء بهم، ولا من المنهيين عن الالتفات، ولكن استؤنف الإخبار عنها بمعنى: لكن امرأتك يجري لها كيت وكيت. والقراءتان واردتان على ما تقتضيه العربية في الاستثناء المنقطع، ففيه لغتان، النصب والرّفع، والنصب لغة أهل الحجاز، والرفع لبني تميم[156]. قال الألوسي: «وبالجملة، القول بالانقطاع أقل تكلفاً فيما يظهر والقول بأنه حينئذ لا يبقى ارتباط لقوله سبحانه ﴿إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْۚ﴾ ناشيء عن عدم الالتفات، فلا ينبغي أن يلتفت إليه»[157]. وهذا ما ترجحه الباحثة. والقراءاتان معاً تؤكدان ما سيصيب امرأة لوط عليه السلام من العذاب. والله تعالى أعلم.

٢٠ ـ ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَۚ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾﴾ [هود: ٨٤].

القراءات:

١ ـ قرأ الكسائي وأبو جعفر ﴿غَيْرِهِ﴾ بخفض الراء وكسر الهاء.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿غَيْرُهُۥ﴾ برفع الراء وضم الهاء[158].

= به أولاً بنقيض ما حكم به أولاً. فإذا لم يتحقق أحد هذين الشرطين، كان الاستثناء منقطعاً. وبذلك يكون الاستثناء المنقطع هو الحكم على جنس ما حكم به أولاً، أو بغير نقيض ما حكم به أولاً. فإذا كان المستثنى من جنس المستثنى منه، وحكم عليه بنقيض ما حكم على المستثنى منه، كان الاستثناء متصلاً، وإلاّ كان الاستثناء منقطعاً، أي أنّ المنقطع يتحقق بأحد شرطين:

١. أن لا يكون المستثنى من جنس المستثنى منه.

٢. أن لا يحكم عليه بنقيض ما حكم على المستثنى منه.

كما يكون الاستثناء منقطعاً إن أريد باللفظ العام بعض أنواعه، ثمّ استثنى النوع الآخر، وإن كان الجنس واحد. (معجم حروف المعاني في القرآن الكريم ج١ص٣٣٦، بتصرف يسير، وانظر: دراسات لأسلوب القرآن ق١ج١ص١٣٦)

(١٥٦) انظر: إبراز المعاني ص٥٢٠.

(١٥٧) روح المعاني ج١٢ص١١٢.

(١٥٨) انظر: النشر ج٢ص٢٧٠، البدور الزاهرة ص١٥٥.

وقد تقدم الحديث عن هاتين القراءتين عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ۝٥٠﴾ [هود: ٥٠](١٥٩).

٢١ ـ ﴿قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ۝٨٧﴾ [هود: ٨٧].

القراءات:

١ ـ قرأ حفص وحمزة والكسائي وخلف ﴿أَصَلَوٰتُكَ﴾ بالإفراد.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿**أَصَلَوَاتُكَ**﴾ بالجمع(١٦٠).

المعنى اللغوي للقراءات:

(الصلاة): الدعاء والتبريك والتمجيد، يقال صَلَّيت عليه، أي دعوت له وزكيت، قال ﷺ: «إذا دُعي أحدُكم فَلْيُجِب، فَإِنْ كَانَ صَائِماً فَلْيُصَلِ»(١٦١). أي لِيَدْعُ لأهله. والصلاةُ التي هي العبادة المخصوصة أصلها الدعاء وسُمِّيت هذه العبادة بها كتسمية الشيء باسم بعض ما يتضمنه، والصلاة من العبادات التي لم تنفك شريعة منها وإن اختلفت صورها من شريعة لأخرى(١٦٢).

التفسير:

لمّا أمر شعيب عليه السلام قومه بعبادة الله تعالى وترك عبادة الأوثان، وبإيفاء الكيل والميزان ردوا عليه قائلين: أصلاتك تدعوك لأن تأمرنا بترك عبادة الأصنام التي عبدها آباؤنا؟، وتأمرك بأن نترك التطفيف في الكيل والميزان؟، إنك لأنت العاقل المتصف بالحلم والرشد. قالوا ذلك له استهزاءً

---

(١٥٩) انظر: ص٤٤ من هذا البحث.

(١٦٠) انظر: المبسوط ص٢٤١، النشر ج٢ص٢٩٠، البدور الزاهرة ص١٥٨.

(١٦١) أخرجه مسلم: كتاب النكاح، باب الأمر بإجابة الداعي إلى الدعوة ح(٣٤١٠) ص٦٧٣.

(١٦٢) المفردات في غريب القرآن ص ٢٨٥ ـ باختصار.

به، حيث أرادوا بذلك وصفه بضديهما[١٦٣].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

حجة من قرأ ﴿أصلواتك﴾ على الإفراد، أنّ (الصلاة) بمعنى الدعاء، والدعاء صنف واحد، وهي مصدر، وتحمل من معنى الجمع وكثرة العدد ما ليس في قراءة الجمع، إذ إنّ المصدر يقع للقليل والكثير بلفظه من غير تحديد، أمّا (الصلوات) فهي جمع لما بين الثلاث إلى العشر من العدد دون ما هو أكثر من ذلك[١٦٤]. «وحجة من قرأ ﴿أصلواتك﴾ على الجمع أنه قدّر أنّ الدعاء تختلف أجناسه وأنواعه، فجمع المصدر لذلك»[١٦٥]، والقراءة بالجمع تحمل أيضاً معنى ترداد الدعاء ومعاودته[١٦٦].

فالقراءتان بمجموعهما أفادتا كثرة الدعاء، وكثرة ترداده، واختلاف أجناسه وأنواعه. والله تعالى أعلم.

٢٢ ـ ﴿وَيَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنِّي عَٰمِلٞۖ سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَمَنۡ هُوَ كَٰذِبٞۖ وَٱرۡتَقِبُوٓاْ إِنِّي مَعَكُمۡ رَقِيبٞ ﴿٩٣﴾﴾ [هود: ٩٣].

القراءات:

١ ـ قرأ شعبة ﴿مكاناتكم﴾ بألف بعد النون على الجمع.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿مَكَانَتِكُمۡ﴾ بغير ألف بعد النون على الإفراد[١٦٧].

---

(١٦٣) انظر: تفسير الطبري ج١٢ص١٠٣، تفسير أبي السعود ج٣ص٥٩، تفسير ابن كثير ج٢ص٦٧١، التسهيل ج٢ص١١٠، صفوة التفاسير ج٢ص٢٩، التحليل اللغوي ص١١٤.

(١٦٤) انظر: تفسير الطبري ج١١ص١٨.

(١٦٥) الكشف ج١ص٥٠٦ ـ باختصار، وانظر: المغني في توجيه القراءات العشر ج٢ ص٢٥٧.

(١٦٦) انظر: الحجة في القراءات السبع ص١٧٧.

(١٦٧) انظر: النشر ج٢ص٢٩٠، البدور الزاهرة ص١٥٨.

المعنى اللغوي للقراءات:

(مكن): المكان هو الموضع الحاوي للشيء، ويقال مكان ومكانة[(١٦٨)].

«والمكانة هنا مستعارة للحالة التي تَلبس بها المرء، تَشَبَّه الحالة في إحاطتها وتلبُّس صاحبها بها بالمكان الذي يحوي الشيء، أو تكون المكانة كناية عن الحالة لأن أحوال المرء تظهر في مكانه ومقره[(١٦٩)].

التفسير:

لمّا يئس نبيّ الله شعيب عليه السلام من استجابة قومه له قال: يا قوم اعملوا على طريقتكم إنّي عامل على طريقتي، كأنه يقول: اثبتوا على ما أنتم عليه من الكفر والعداوة، فأنا ثابت على الإسلام والمصابرة ـ وهذا تهديد شديد ـ، سوف تعلمون من الذي يأتيه عذاب يذله ويهينه، وستعلمون من هو الكاذب في قيله وخبره منا ومنكم، وانتظروا عاقبة أمركم إنني منتظر معكم[(١٧٠)].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءة ﴿مَكَانَتِكُمْ﴾ ـ بغير ألف ـ على الإفراد لأنّ (مكانة) مصدر، والمصدر يدل على القليل والكثير من صنفه، من غير جمع ولا تثنية، والأصل في المصدر ألاّ يُثَنى ولا يجمع لأن فائدته فائدة الفعل، إذ الفعل منه أُخذ، فكما لا يُجمع الفعل كذلك لا يجمع المصدر، إلاّ أن تختلف أنواعه، فيشابه المفعول، فيجوز جمعه[(١٧١)]. والقراءة ﴿مكاناتكم﴾ ـ بألف بعد النون ـ على الجمع فيها ليطابق المضاف إليه ـ وهو ضمير الجماعة ـ،

---

(١٦٨) انظر: المفردات في غريب القرآن ص٤٧١.

(١٦٩) التحرير والتنوير ج٨ص٩٠، ٩١. باختصار.

(١٧٠) انظر: تفسير الطبري ج١٢ص١٠٨، تفسير ابن كثير ج٢ص٦٧٤، صفوة التفاسير ج٢ص٣٠.

(١٧١) انظر: الكشف ج١ص٤٥٢، ٤٥٣، المغني في توجيه القراءات العشر ج٢ص١٠٣.

فقابل جمع المخاطبين من الكفار بجمع المصدر فلكل كافر لون من الكيد للدعوة يحبطه الله ﷻ، كما أنّ فيه إشارة إلى أنواع مختلفة تندرج تحت جنس التمكن المسند إلى الكفار مجتمعين، إذ يتأتى منهم أحوال مختلفة من صد عن سبيل الله، وافتراء وتكذيب وتعذيب إلى غير ذلك، والمعنى: اعملوا على جميع أحوالكم التي أنتم عليها فليس يضرنا ذلك، وفي الكلام معنى التهديد والوعيد بمنزلة قوله تعالى ﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا﴾ [المرسلات: ٤٦](١٧٢).

مما سبق يتبين أنّ القراءة بالإفراد تشمل الواحد والجمع، لأن المصدر يدل على الكثير والقليل من صنفه، فهي تشمل في معناها القراءة الأخرى «لأن الواحد ينوب عن الجمع»(١٧٣)، كما أنها تفيد اجتماعهم على الكفر والتكذيب ووقوفهم كرجلٍ واحد في محاربة الحق. أمّا القراءة على الجمع فإنها تفيد ضلوع كل واحد منهم في الضلال والتكذيب على أحوال مختلفة، حيث جعل لكل واحد منهم (مكانة) أي حالة من الكفر والتكذيب، وهذا يوحي بشدة تكذيبهم وضلالهم، وتنوع أساليبهم في الصدّ عن سبيل الله. والله تعالى أعلم.

٢٣ ـ ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾﴾ [هود: ١٠٨].

القراءات:

١ ـ قرأ حفص وحمزة والكسائي وخلف ﴿سُعِدُوا﴾ بضم السين.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿سَعِدُوا﴾ بفتح السين(١٧٤).

---

(١٧٢) انظر: الكشف ج١ ص ٤٥٢، طلائع البشر ص٩١، التوجيه اللغوي والبلاغي لقراءة عاصم ص١٧١، ١٧٢.

(١٧٣) حجة القراءات ص٢٧٢.

(١٧٤) انظر: غاية الاختصار ص٥٢٣، النشر ج٢ ص٢٩٠، البدور الزاهرة ص١٥٩.

المعنى اللغوي للقراءات:

سعد: السَّعد والسعادة معاونة الأمور الإلهية للإنسان على نيل الخير ويضاده الشقاوة، يقال سَعِد وأسعده الله، ورجل سعيد وقوم سعداء، وأعظم السعادات الجنة لذلك قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ﴾[(١٧٥)].

التفسير:

يبين الله تعالى حال الذين سعدوا برحمته جلّ شأنه، وهم أتباع الرسل ـ اللهم اجعلنا منهم ـ فيقول تعالى: وأمّا السعداء الأبرار فمأواهم الجنة ماكثين فيها أبداً، ما دامت السماوات والأرض، أو ما دامت سماوات الجنة وأرض الجنة، بحسب مشيئته تعالى، وقد شاء تعالى لهم الخلود والدوام، عطاءً من الله ﷻ غير مقطوع عنهم، بل هو ممتد إلى غير نهاية[(١٧٦)].

قال ابن كثير: «ومعنى الاستثناء هنا أن دوامهم فيما هم فيه من النعيم ليس أمراً واجباً بذاته، بل هو موكول إلى مشيئة الله تعالى فله المنة عليهم دائماً، ولهذا يلهمون التسبيح والتحميد كما يلهمون النفس. وقيل: هي في حق عصاة الموحدين الذين كانوا في النار ثم أخرجوا منها»[(١٧٧)].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

الحجة لمن قرأ ﴿سَعِدُوا﴾ بفتح السين: أنه بنى الفعل لهم فرفعهم به. والحجة لمن قرأ ﴿سُعِدُواْ﴾ بضم السين: أنه بنى الفعل لما لم يسم فاعله، وذلك أنّ (سَعِد) يصلح أن يتعدَّى إلى مفعول، وألاّ يتعدى، كقولك سَعِد زيد وسَعَدَه الله[(١٧٨)]. وقيل هما لغتان بمعنًى. «قال الكسائي: سُعد الرجل

---

(١٧٥) انظر: المفردات في غريب القرآن ص٢٣٢.

(١٧٦) انظر: تفسير الطبري ج١٢ ص١٢٠، ١٢١، تفسير ابن كثير ج٢ص٦٧٧، صفوة التفاسير ج٢ص٣٥.

(١٧٧) تفسير ابن كثير ج٢ص٦٧٧، ٦٧٨ ـ باختصار وتصرف يسير، وانظر: تفسير الطبري ج١٢ص١٢٠.

(١٧٨) انظر: الحجة في القراءات السبع ص١٩٠، حجة القراءات ص٣٤٩.

وأُسعد لغتان»(١٧٩).

والحقيقة أنّ هناك ثمت معانيَ تضيفها كل قراءة، حيث إنّ القراءة ﴿سَعِدُوا﴾ بفتح السين ـ والتي أسند فيها الفعل لأهل السعادة، فرفعهم به ـ توحي بأنهم استأهلوا هذه السعادة بما عَملوا، وأمّا القراءة ﴿سُعِدُواْ﴾ بضم السين، ببناء الفعل لما لم يسم فاعله، فإنها تلفت نظر المؤمنين إلى قضية مهمة، وهي أنّ الأمر كله لله، وما كان لأهل السعادة أن يتحقق لهم ذلك حتى أسعدهم الله تعالى فَسُعِدوا. والله تعالى أعلم.

قال الألوسي: «وما ألطف الإشارة في (شقوا وسُعدوا) على قراءة البناء للفاعل في الأول والبناء للمفعول في الثاني فمن وجد ذلك فليحمد الله تعالى ومن لم يجد فلا يلومن إلا نفسه»(١٨٠).

٢٤ ـ ﴿وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْۚ إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١١﴾﴾ [هود: ١١١].

القراءات:

١ ـ قرأ نافع وابن كثير ﴿وإنْ﴾ بنون مخففة، و﴿لَمَا﴾ بميم مخففة.

٢ ـ قرأ أبو عمرو والكسائي ويعقوب وخلف ﴿وإنّ﴾ بنون مشددة، و﴿لَمَا﴾ بميم مخففة.

٣ ـ قرأ شعبة ﴿وإنْ﴾ بنون مخففة، و﴿لَمَّا﴾ بميم مشددة.

٤ ـ قرأ الباقون ﴿وإنَّ﴾ بنون مشددة، و﴿لَمَّا﴾ بميم مشددة(١٨١).

---

(١٧٩) مفاتيح الأغاني ص ٢١٦، وانظر: حجة القراءات ص٣٤٩، الكشف ج١ ص٥٣٦.

(١٨٠) روح المعاني ج١٢ص١٤٦. ولعل المفسر ـ رحمه الله ـ أراد الإشارة إلى أنّ الله تعالى نسب الشقاوة لأصحابها حيث أنهم أشقوا أنفسهم بأيديهم بابتعادهم عن الصراط المستقيم. وأما السعادة فنسبت لله فهو بفضله ومنته ينعم على من يشاء من عباده فيوفقه للخير ويجعله من السعداء. والله أعلم.

(١٨١) انظر: غاية الاختصار ص ٥٢٣، ٥٢٤، النشر ج ٢ ص٢٩١.

التفسير:

كل هؤلاء الذين قصصنا عليك يا محمد ﷺ في هذه السورة، والله ليوفينهم ربك جزاء أعمالهم، لا يظلم منهم أحداً، وكلهم سوف يلاقون جزاء أعمالهم لا يفلت منهم أحد، إنّ الله عليم بأعمالهم جميعها، جليلها وحقيرها، صغيرها وكبيرها(١٨٢).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

١ ـ وجه القراءة ﴿وإنْ﴾ بالتخفيف: أنها المخففة من (إنّ) الثقيلة، وأُعملت في اسمها فانتصب بعدها. و(إن) المخففة إذا وقعت بعدها جملة اسمية يكثر إعمالها، ويكثر إهمالها(١٨٣). قال سيبويه: «وحدثنا من نثق به، أنه سمع من العرب من يقول: إن عمراً لمنطلق. وأهل المدينة يقرؤون: ﴿وإنْ كُلاً﴾ يخففون وينصبون، وذلك لأن الحرف بمنزلة الفعل، فلمّا حذف من نفسه شيء لم يغير عمله كما لم يغيِّر عمل (لم يك). وأمّا أكثرهم فأدخلوها في حروف الابتداء حين حذفوا كما أدخلوها في حروف الابتداء حين ضَمّوا إليها مَا»(١٨٤).

والقراءة ﴿وإنَّ﴾ بالتشديد على الأصل(١٨٥).

٢ ـ وجه قراءة ﴿لَمَا﴾ مخففة: أنّ اللام الداخلة على (ما) لام الابتداء، واللام الثانية الداخلة على ﴿لَيُوَفِّيَنَّهُمْ﴾ لام جواب القسم. و(ما) مزيدة للتأكيد، والفصل بين اللامين دفعاً لكراهة توالي مثلين. والمعنى: (وإنّ

---

(١٨٢) انظر: تفسير الطبري ج١٢ص١٢٦، تفسير ابن كثير ج٢ص٦٧٩، التسهيل ج٢ص١٢٢، التحرير والتنوير ج١٢ص١٧٤، التفسير الواضح ج١٢ص٥٣، ٥٤.

(١٨٣) انظر: تفسير ابن عطية ج٣ص٢١٠، تفسير البيضاوي ج١ص٤٧٢، التحرير والتنوير ج١٢ ص١٧٣.

(١٨٤) الكتاب ج٢ ص١٤٠ ـ باختصار، وانظر: المفضل شرح المفصل ص١٧٤.

(١٨٥) انظر: الكشاف ج٢ص٢٩٥، تفسير ابن عطية ج٣ص٢١٠، التحرير والتنوير ج١٢ ص١٧٣.

جميعهم والله ليوفينهم ربك أعمالهم)(١٨٦).

وقراءة ﴿لَمَّا﴾ بالتشديد على أن أصله (لَمِن ما) فقلبت النون ميما للإدغام، فاجتمعت ثلاث ميمات فحذفت أولاهن، و(مِن) هنا هي الجَارّة التي تستعمل في معنى كثرة تكرر الفعل كالتي في الحديث عن ابن عباس قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعَالِجُ مِنْ التَّنْزِيلِ شِدَّةً وَكَانَ مِمَّا يُحَرِّكُ شَفَتَيْهِ... فَأَنْزَلَ الله تَعَالَى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾﴾ [القيامة: ١٦، ١٧]»(١٨٧)، ولام ﴿لَيُوَفِّيَنَّهُمْ﴾ لام القسم. والمعنى: (لَمِن الذين يوفينهم ربك جزاء أعمالهم)(١٨٨)، ومعنى الكثرة في هذه الآية الكناية عن عدم إفلات فريق من المختلفين في الكتاب من إلحاق الجزاء عن عمله به(١٨٩).

وبالجمع بين القراءات في الآية يصبح المعنى:

والله ليوفينهم الله ﷻ أعمالهم، فإنّ ذلك محقق لا محالة، كما أنّ جميعهم بلا استثناء سيلقون جزاء أعمالهم لا يفلت منهم أحد.

واختلاف الأسلوب في التعبير عن المعنى مرة باستخدام (إن) المخففة - مع إعمالها - ومرة باستخدام (إنّ) المثقلة وكلتاهما مع (لمّا) مخففة أو مثقلة، ناسب موعدة الله تعالى بأنه سيحاسب هؤلاء المذكورين على جميع أعمالهم، جليلها - ناسبه تشديد النون - وحقيرها - ناسبه تخفيف النون - . والله تعالى أعلى وأعلم.

٢٥ - ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [هود: ١١٤].

---

(١٨٦) انظر: الكتاب ج٢ ص ١٣٩، الكشاف ج٢ص٢٩٥، ، تفسير البيضاوي ج١ص٤٧٢، إبراز المعاني ص٥٢٢.

(١٨٧) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ﴾ ح(٧٥٢٤) ص١٤٣٦، ١٤٣٧.

(١٨٨) انظر: التحرير والتنوير ج١٢ص١٧٣.

(١٨٩) انظر: الكشف ج١ص٥٣٧، تفسير البيضاوي ج١ص٤٧٢، التحرير والتنوير ج١٢ ص ١٧٤.

القراءات:

١ ـ قرأ أبو جعفر ﴿وَزُلُفاً﴾ بضم اللام.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿وَزُلَفًا﴾ بفتح اللام(١٩٠).

المعنى اللغوي للقراءات:

﴿وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِ﴾ أي: ساعات من الليل؛ وهي ساعاته القريبة من آخر النهار، من أزلفته إذا قَرَّبته وأَدْنيته(١٩١).

قال ابن فارس: «زلف: الزاء واللام والفاء يدل على اندفاع وتقدم في قرب إلى شيء، يقال من ذلك ازدلف الرجل تقدم، وسميت مُزدِلفة بمكة، لاقتراب الناس إلى مِنى بعد الإفاضة من عرفات، ويقال: لفلان عند فلان زلفى، أي قربى، قال الله ﷻ: ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ﴾ [ص: ٤٠]، والزَّلَف والزُّلفة: الدرجة والمنزلة، وأزلفت الرجل إلى كذا: أدنيته»(١٩٢).

التفسير:

يقول تعالى ذكره: أدِّ الصلاة كاملة مقومة تامة الأركان مستوفية الشروط والهيئات، غدوة وعشية، ﴿وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِ﴾ أي وساعات من الليل جمع (زلفة) وهي ساعاته القريبة من آخر النهار ـ صلاة الغدوة الفجر، وصلاة العشية الظهر والعصر؛ لأن ما بعد الزوال عشي، وصلاة الزلف المغرب والعشاء(١٩٣) ـ ، إنّ فعل الخيرات يُكَفِّر الذنوب السالفة(١٩٤). جاء في الحديث عن أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه أنّه توضأ كوضوء رسول الله ﷺ ثم قال: قال رسول الله ﷺ: **«من توضأ وضوئي هذا ثم صلى**

(١٩٠) انظر النشر ج٢ص٢٩١، ٢٩٢، البدور الزاهرة ص١٥٩.

(١٩١) انظر: الكَشاف ج٢ص٢٩٦.

(١٩٢) معجم مقاييس اللغة ج٣ص٢١.

(١٩٣) انظر: تفسير النسفي ج٢ص٥٠٥، التفسير الواضح ج١٢ص٥٦.

(١٩٤) انظر: تفسير ابن كثير ج٢ص٦٨٠.

ركعتين لا يُحَدِّث فيهما نفسه غُفر له ما تقدم من ذنبه»[195].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَانَ يَقُولُ: «**الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ وَالْجُمْعَةُ إِلَى الْجُمْعَةِ وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِر**»[196].

وعن ابن مسعود ﷺ: «أَنَّ رَجُلاً أَصَابَ مِنْ امْرَأَةٍ قُبْلَةً فَأَتَى رَسُولَ الله ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ فَأُنْزِلَتْ عَلَيْهِ: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾﴾ قَالَ الرَّجُلُ أَلِيَ هَذِهِ؟، قَالَ: لِمَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ أُمَّتِي»[197].

﴿ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾ أي ذلك المذكور من الأمر بالاستقامة والمحافظة على الصلاة أو ذلك القرآن عظة للمتعظين، وإرشاد للمسترشدين[198].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

﴿**زُلُفاً**﴾ بضم اللام، جمع ﴿**زُلُفة**﴾ بضم اللام، و﴿**زُلَفاً**﴾ بفتح اللام، جمع ﴿**زُلْفَة**﴾ بسكون اللام[199]، وهما على لغتين من لغات العرب[200].

قال عبده الراجحي: «الفتح أخف الصوائت القصيرة في العربية، والضم أثقلها، وتدلنا القراءات على أنّ هناك لهجات تستعمل الفتح حيث تستعمل الضم لهجات أخرى. أمّا لهجات القبائل في هذه الظاهرة فإنهم

(١٩٥) أخرجه مسلم: كتاب الطهارة، باب صفة الوضوء وكماله، ح(٤٢٧) ص١٣٥.

(١٩٦) أخرجه مسلم: كتاب الطهارة، باب الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر، ح(٤٤٠) ص١٣٨.

(١٩٧) أخرجه البخاري: كتاب التفسير، باب قوله: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ﴾، ح(٤٦٨٧) ص٨٩٧.

(١٩٨) انظر: تفسير النسفي ج٢ص٥٠٥، صفوة التفاسير ج٢ص٣٦.

(١٩٩) انظر: إتحاف فضلاء البَشَر ص٣٢٦، طلائع البِشر ص١٢٣، الهادي ج٢ص٣١٩.

(٢٠٠) النشر ج٢ص٢٩٢.

ينسبون الفتح إلى أهل الحجاز، وينسبون الضم إلى أهل البادية من العالية ونجد وتميم وأسد، والفتحة تلائم البيئة الحضرية لما فيها من خفة بينما تناسب الضمة أهل البادية لثقلها. لكنهم ينسبون الضم في (ميسرة) إلى أهل نجد، وقد وردت عليه كلمات أخرى نحو مقبُرة ومشرُبة، فلعل ذلك ـ شأن الظواهر الأخرى ـ انتقال لهجة إلى لهجة أخرى»[٢٠١].

وهذا اللون من اختلاف الصيغة والذي يرجع إلى أصوات الحركات، يؤدي إلى اختلاف في المسموع. ويغير في توالي أصوات العبارة في سياق الكلام ونطقه، ولا يخفى أثر ذلك على السامع[٢٠٢].

وعليه فإنّ القراءتين جاءتا على لغتين من لغات العرب. وقد ناسب الفتح وما به من خفة سرعة انقضاء الأوقات، وناسب الضم وما به من ثقل، أمانة التكليف بالمحافظة على الصلوات، كما أنّ اختلاف القراءة أدى إلى اختلاف في المسموع، وغيّر في توالي أصوات العبارة في سياق الكلام ونطقه، فجعل لكل قراءة تأثيراً خاصاً في أذن السامع. والله تعالى أعلم.

٢٦ ـ ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾﴾ [هود: ١١٦].

القراءات:

١ ـ قرأ ابن جماز ﴿بِقْيَة﴾ بكسر الباء وإسكان القاف وتخفيف الياء[٢٠٣].

٢ ـ قرأ الباقون ﴿بَقِيَّةٍ﴾ بفتح الباء وكسر القاف وتشديد الياء[٢٠٤].

---

(٢٠١) اللهجات العربية في القراءات القرآنية ص١٢٠، ١٢٢ ـ باختصار وتصرف يسير.

(٢٠٢) انظر: وجوه من الإعجاز الموسيقي في القرآن ص٧٠.

(٢٠٣) قال ابن الجزري: «وقد ترجمها أبو حيان بضم الباء فوهم» (النشر ج٢ص٢٩٢)، قلت: وقد نقلها عدد من المفسرين عن أبي حيان ونسبوها إلى أبي جعفر.

(٢٠٤) انظر: النشر ج ٢ص٢٩٢، إتحاف فضلاء البشر ص٣٢٧، البدور الزاهرة ص١٥٩.

المعنى اللغوي للقراءات:

(بقي): البقاء ثبات الشيء على حاله الأولى وهو يضاد الفناء، وقد بقي بقاءً، وقيل بقى في الماضي مَوضِع بَقِيَ، وفي الحديث: «بَقَيْنا النَّبي ﷺ في صلاة العتمة»(٢٠٥). أي انتظرناه وترصَّدنا له مدة كثيرة، وقوله تعالى: ﴿أُوْلُوا بَقِيَّةٍ﴾ معناه أُولو تمييز وفَهْمٍ، أو أُولو طاعة، وفُسّر بأَنه من الإِبْقاء كأَنه أَراد فلولا كان من القرون قوم أُولو إبقاء على أَنفسهم لتمسكهم بالدين المرضي(٢٠٦).

قال الفيروزآبادي: «بَقِيَ يبقى بقاءً، وبَقَى بَقْياً: ضد فَنِيَ، وأبقاه وبقّاه واستبقاه، والاسم: البَقوى، ويُضم، والبُقيا بالضم، والبَقِيَّة، وقد توضع الباقية موضع المصدر»(٢٠٧).

التفسير:

يقول تعالى: كان من الواجب أن يكون من الأمم الماضية قبلكم جماعة أولو عقل وفضل وعلم بالشريعة، لهم كلمة مسموعة، ينهون أقوامهم عن الكفر والمعاصي، لكنّ الذي حدث أنه كان في تلك الأمم قليل من المؤمنين، ولم يُسمع لهم من أقوامهم رأي، وقد كانت النجاة لهؤلاء المؤمنين، وكان الهلاك والدمار للمعاندين الذين أصروا على ما تعوَّدوه من قبل من حياة الترف والفساد، ولم يبغوا به بدلاً، ﴿وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ﴾ أي: ظالمين باتباعهم ما أترفوا فيه، فلذلك حق عليهم العذاب(٢٠٨).

---

(٢٠٥) أخرجه أبو داوود: كتاب الصلاة، باب في وقت العشاء الآخرة، ح(٤٢١) ج١ص(١٧٣) وهو ضمن حديث طويل، والحديث صححه الألباني.

(٢٠٦) انظر: المفردات في غريب القرآن ص٥٧، عون المعبود ج٢ص٧٠، القاموس المحيط ص١٦٣١، لسان العرب ج١ص٣٣٠.

(٢٠٧) القاموس المحيط ص١٦٣١.

(٢٠٨) انظر: التحرير والتنوير ج١٢ص١٨٢، الأساس في التفسير ج٥ص٢٦٠٩، صفوة التفاسير ج٢ص٢٦، تفسير السعدي ص٣٦٩.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءتان على لغتين من لغات العرب(٢٠٩). وقراءة ابن جماز أجريت مجرى الهيئة لما فيها من تخيل السمت والوقار. قال ابن عاشور: «وقرأ ابن جماز عن أبي جعفر ﴿بِقْيَة﴾ بكسر الباء الموحدة وسكون القاف وتخفيف التحتية، فهي لغة، ولم يذكرها أصحاب كتب اللغة، ولعلها أجريت مجرى الهيئة؛ لما فيها من تخيل السمت والوقار»(٢١٠). والله أعلم.

٢٧ ـ ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَـٰمِلُونَ ﴿١٢١﴾﴾ [هود: ١٢١].

القراءات:

١ ـ قرأ شعبة ﴿مكاناتكم﴾ بألف بعد النون على الجمع.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿مَكَانَتِكُمْ﴾ بغير ألف بعد النون على الإفراد(٢١١).

وقد تقدم الحديث عن هاتين القراءتين عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَـٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَـٰمِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَـٰذِبٌ وَٱرْتَقِبُوٓاْ إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾﴾ [هود: ٩٣](٢١٢).

٢٨ ـ ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [هود: ١٢٣].

القراءات:

١ ـ قرأ نافع وحفص ﴿يُرْجَع﴾ بضم الياء وفتح الجيم.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿يَرْجِعَ﴾ بفتح الياء وكسر الجيم(٢١٣).

---

(٢٠٩) انظر: قلائد الفكر ص٦٣، طلائع البشر ص١٢٣.

(٢١٠) التحرير والتنوير ج١٢ ص١٨٤.

(٢١١) انظر: النشر ج٢ص٢٩٠، البدور الزاهرة ص١٥٨.

(٢١٢) انظر ص٦١ من هذا البحث.

(٢١٣) انظر: المبسوط ص ٢٤٢، والنشر ج٢ص٢٠٨، ٢٠٩، البدور الزاهرة ص١٥٤.

٣ ـ قرأ نافع وابن عامر وحفص وأبو جعفر ويعقوب ﴿تَعْمَلُونَ﴾ بتاء الخطاب.

٤ ـ قرأ الباقون ﴿يَعْمَلُونَ﴾ بياء الغيبة[٢١٤].

المعنى اللغوي للقراءات:

١ ـ ﴿يُرْجَع﴾: سبق بيانه[٢١٥].

٢ ـ ﴿تَعْمَلُونَ﴾: سبق بيانه[٢١٦].

التفسير:

يخبر الله تعالى أنّه عالم غيب السماوات والأرض وأنّه إليه المرجع والمآب، وسيؤتي كل عامل عمله يوم الحساب، فللّه الخلق والأمر، فاعبد ربك يا محمد ـ ﷺ ـ وفوض أمرك إليه، وثق به وبكفايته، ، فإنّه كاف من توكل عليه وأناب إليه، وليس يخفى عليه ما تعمله أيها النبي ـ ﷺ ـ والمؤمنون من إخلاص العبادة والتوكل والصبر على أذى المشركين، فهو يوفيكم أجوركم في الدنيا والآخرة، كما لا يخفى عليه ما يعمله مكذبوك يا محمد ـ ﷺ ـ من الكفر والكيد لكم، بل هو عليمٌ بأحوالهم وأقوالهم وسيجزيهم على ذلك أتمّ الجزاء في الدنيا والآخرة[٢١٧].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

١ ـ قوله تعالى: ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ﴾:

﴿يَرْجِعُ﴾ من الفعل رجع اللازم و﴿الأَمْرِ﴾ فاعل، والمعنى: يَرجِع الأمرُ إلى الله، أما ﴿يُرْجَع﴾ فهو على ما لم يسمَّ فاعله، وهو متعدٍ على

(٢١٤) انظر النشر ج ٢ ص٢٦٢، ٢٦٣، البدور الزاهرة ص١٥٤.

(٢١٥) انظر ص٣٣ من هذا البحث.

(٢١٦) انظر ص٤٠ من هذا البحث.

(٢١٧) انظر: تفسير الطبري ج١٢ص١٤٨، تفسير البيضاوي ج١ص٤٧٤، تفسير ابن كثير ج٢ص٤٧٧، التحرير والتنوير ج١٢ص١٩٤، ١٩٥.

هذا الوجه ولولا ذلك لما بني لما لم يسم فاعله. والعرب تقول: رجعتُهُ فرجع، لفظ اللازم والمتعدي سواءٌ كقولك: نقصته فنقص، والمعنى: يُرجِع كلُ ذي أمر أمرَه إلى الله[(٢١٨)]، والمعنيان يتداخلان، وذلك أنّ الله هو الذي يُرْجِع الأمرَ، فإذا رجعه رجع، فالأمر مرجوع وراجع[(٢١٩)].

قال مكي: «وحجة من ضمّ أنه حمل الفعل على ما لم يسم فاعله، فأقام الأمر مقام الفاعل، كما قال: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ٦٢]، وقال: ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [فصلت: ٧]، وحجة من فتح أنه أضاف الفعل إلى ﴿ٱلْأَمْرُ﴾ فرفعه بفعله كما قال: ﴿وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ [الانفطار: ١٩]»[(٢٢٠)].

مما سبق يتبين أنّ القراءتين معاً تؤكدان أنّ مآل الأمور إلى الله، وتدبيرها وتصريفها بيده لا بيد أحد غيره. فالقراءة بالبناء للمفعول تخبر أنّ الله تعالى يُرجع الأمور إليه - هذا على معنًى - وعلى معنًى آخر تصور هيئةَ عجز الناس عن التصرف في الأمور بحسب رغباتهم بهيئة من تناول شيئاً للتصرف فيه ثم عجز عن هذا التصرف فأرجعه إلى من هو حريّ بالتصرف به. والقراءة بالبناء للفاعل تمثيل لهيئة خضوع الأمور إلى تصرف الله، دون تصرف المحاولين التصرف فيها، بهيئة المتجول الباحث عن مكان يستقر به، ثم إيوائه إلى المقر اللائق به، ورجوعه إليه[(٢٢١)]. وعلى كل الأحوال فمرجع الأمور إلى الله ﷻ. والله تعالى أعلم.

٢ - قوله تعالى: ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾:

حجة من قرأ ﴿تَعْمَلُونَ﴾ بالتاء أنه جعله على الخطاب للنبي ﷺ وأصحابه، فردّه على ما قبله من الخطاب في قوله: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾

(٢١٨) انظر: معاني القراءات ص٧٤، ٧٥، إملاء ما منّ به الرحمن ج١ص١١٨، التحرير والتنوير ج١٢ ص١٩٤.

(٢١٩) انظر: حجة القراءات ص١٣١.

(٢٢٠) الكشف ج١ص٥٢٨.

(٢٢١) انظر: التحرير والتنوير ج١٢ص١٩٥.

وهو أمر للنبي ﷺ والمراد به هو وأمته(٢٢٢)، وهي على هذا وعد للمؤمنين بحسن الجزاء، ويجوز أن يكون الخطاب للمؤمنين والكافرين والمعنى: ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ جميعاً: ما تعمله أنت أيها النبي والمؤمنون من عبادته والتوكل عليه، والصبر على أذى المشركين، فهو يوفيكم جزاءه في الدنيا والآخرة، وما يعمله المشركون من الكفر والكيد لكم، فتكون هذه القراءة وعداً للمؤمنين ووعيداً للكافرين(٢٢٣). وحجة من قرأ ﴿يَعۡمَلُونَ﴾ بالياء أنه رَدّه على لفظ الغيبة الذي قبله في قوله: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ﴾ [هود: ١٢١]، وقوله: ﴿وَٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ١٢٢﴾ [هود: ١٢٢]، وفيه معنى التهديد والوعيد للكفار، والتقدير: وما ربك يا محمد بغافل عمّا يعمل هؤلاء الذين لا يؤمنون(٢٢٤). فهذه القراءة نص في وعيد المشركين بالجزاء على إجرامهم(٢٢٥).

وعليه فإنّ القراءة بتاء الخطاب شملت الحديث عن المؤمنين والكافرين، بأنّ الله تعالى سيعطي كل عامل جزاء عمله إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، فهي بشارة وتسلية للنبي ﷺ ومن معه، أمّا القراءة الثانية بياء الغيبة فهي نصّ في تهديد الكفار. والله تعالى أعلم.

(٢٢٢) انظر: حجة القراءات ص٣٥٣، الكشف ج١ص٥٢٨.
(٢٢٣) انظر: التحرير والتنوير ج١٢ص١٩٦، تفسير المنار ج١٢ ص١٩٧.
(٢٢٤) انظر: حجة القراءات ص٣٥٣، الكشف ج١ص٥٢٨، ٥٢٩.
(٢٢٥) انظر: التحرير والتنوير ج١٢ص١٩٦، تفسير المنار ج١٢ ص١٩٧.

المبحث الثاني
سورة يوسف عليه السلام

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: تعريف عام بسورة يوسف عليه السلام.

المطلب الثاني: تفسير سورة يوسف عليه السلام بالقراءات القرآنية العشر.

المطلب الأول: تعريف عام بسورة يوسف عليه السلام

اسمها:

الاسم الوحيد لهذه السورة هو: سورة يوسف عليه السلام، فقد ذكر ابن حجر في كتاب الإصابة في ترجمة رافع بن مالك الزرقي(٢٢٦): أنّ رافع بن مالك أول من قدم المدينة بسورة يوسف(٢٢٧)، يعني بعد أن بايع النبي ﷺ يوم العقبة. ووجه تسميتها ظاهر، حيث وردت فيها قصة يوسف عليه السلام كلها(٢٢٨).

(٢٢٦) هو رافع بن مالك بن العجلان بن عمرو بن عامر بن زُريق الأنصاري، شهد العقبة، وكان أول من أسلم من الخزرج. (الإصابة ج٢ص٣٦٩)

(٢٢٧) انظر: الإصابة ج٢ ص٣٧٠.

(٢٢٨) انظر: التحرير والتنوير ج١٢ص١٩٧.

نزولها:

سورة يوسف عليه السلام كلها مكية على المعتمد(٢٢٩). وقيل: إلاّ ثلاث آيات من أولها، واستثنى بعضهم رابعة وهي قوله سبحانه: ﴿لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ۝٧﴾ [يوسف: ٧] وكل ذلك واه جداً لا يلتفت إليه(٢٣٠). فالسورة كلها لُحمة واحدة يظهر عليها الطابع المكي جلياً في موضوعها، وفي جوها، وفي إيحاءاتها(٢٣١). وقد نزلت سورة يوسف عليه السلام بعد سورة هود عليه السلام، في فترة حرجة من تاريخ الدعوة حيث توالت الشدائد والنكبات على رسول الله ﷺ وعلى المؤمنين، وبالأخص بعد وفاة السيدة خديجة رضي الله عنها وأبي طالب، كأن الله عز وجل يقص على نبيه محمد ﷺ قصة أخ له كريم، وهو يعاني صنوفاً من المحن والابتلاءات، فيصبر عليها، مستمراً في دعوته إلى الله عز وجل، فجاءت هذه السورة مبشرة بقرب النصر لمن تمسك بالصبر، وسار على طريق الأنبياء والمرسلين، وكانت تسرية وتسلية وتخفيفاً لآلام المسلمين، وتحمل الأنس والراحة لمن سار على هذا الدرب، فلا بد من الفرج بعد الضيق، ومن اليسر بعد العسر(٢٣٢).

عدد آياتها:

عدد آياتها مائة وإحدى عشرة آية باتفاق أصحاب العدد في الأمصار(٢٣٣).

---

(٢٢٩) انظر: الإتقان ج١ص٢٠، روح المعاني ج١٢ص١٧٠، التحرير والتنوير ج١٢ص١٩٧، تفسير المنار ج١٢ ص ٢٥٠، سورة يوسف دراسة تحليلية ص٢٦.

(٢٣٠) انظر: الإتقان ج١ص١٥، روح المعاني ج١٢ص١٧٠، تفسير المنار ج١٢ ص ٢٥٠، سورة يوسف دراسة تحليلية ص٢٦.

(٢٣١) انظر: في ظلال القرآن ج٤ص٦٦٠.

(٢٣٢) انظر: في ظلال القرآن ج٤ص٦٦٠، صفوة التفاسير ج٢ص٤٠، سورة يوسف دراسة تحليلية ص ٢٨.

(٢٣٣) انظر: فنون الأفنان ص٥٢، جمال القراء وكمال الإقراء ج١ص٢٠٤، روح المعاني ج١٢ص١٧٠، التحرير والتنوير ج١٢ص١٩٨، بشير اليسر شرح ناظمة الزهر ص٩٨.

وجه اتصالها بما قبلها (سورة هود عليه السلام):

وجه اتصالها بالتي قبلها - وهي سورة هود عليه السلام - أنَّ في آخر سورة هود عليه السلام قوله تعالى: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ [هود: ١٢٠]، وكان في سورة يوسف عليه السلام تلك الأنباء المقصوصة، وقد جاء في سورة هود عليه السلام ذكر ما لاقى الأنبياء عليهم السلام من أقوامهم، وتبعه في سورة يوسف عليه السلام ذكر قصة يوسف عليه السلام، وما لاقاه من إخوته، وما آلت إليه حاله من حسن العاقبة، ليحصل للرسول ﷺ التسلية الجامعة لما يلاقيه من أذى البعيد والقريب. وأيضا قد ورد في سورة هود عليه السلام قوله تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود: ٧١] وقوله تعالى: ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ [هود: ٧٣]، وجاء في سورة يوسف عليه السلام ذكر حال يعقوب عليه السلام مع أولاده وما صارت إليه عاقبة أمرهم، ممّا هو أقوى شاهد على الرحمة[٢٣٤].

ما اشتملت عليه السورة:

تضمنت هذه السورة قصة يوسف عليه السلام بجميع فصولها المثيرة. وهي أطول قصة في كتاب الله تعالى تضمنت مشاهد كثيرة متوالية[٢٣٥]:

١ - طفولة يوسف عليه السلام إذ يقص رؤياه على أبيه يعقوب عليه السلام.

٢ - تآمر إخوة يوسف عليه السلام عليه للتخلص منه.

٣ - تنفيذ المؤامرة بيوسف عليه السلام وتغطيتها وتلبيس الأمر على يعقوب عليه السلام.

(٢٣٤) انظر: تناسق الدرر ص٩٤، ٩٥، البحر المحيط ج٥ص٢٧٨، روح المعاني ج١٢ص١٧٠.

(٢٣٥) انظر: سورة يوسف دراسة تحليلية ص٢٩، ٣٠ - بتصرف، وقد أحاله المؤلف إلى كتاب دراسة أدبية لنصوص من القرآن لمحمد المبارك ص٨٣ - ٨٦، وانظر: التفسير المنير ج١٢ص١٨٩، ١٩٠.

٤ ـ التقاط يوسف عليه السلام وخروجه من البئر.

٥ ـ يوسف عليه السلام في مصر في بيت العزيز، ومحنته مع امرأة العزيز.

٦ ـ يوسف عليه السلام في السجن، داعية، ويُؤَوّل الرؤى.

٧ ـ يوسف عليه السلام في بلاط الملك بعد خروجه من السجن وتوليته خزائن مصر.

٨ ـ يتلو ذلك مشاهد متعددة تنتهي بلقاء يوسف عليه السلام بإخوته وتعارفهم وانتقالهم جميعاً مع أبيهم إلى مصر، وتفتح أبواب الفرج على مصراعيها، وينتهي ذلك بتعبير يوسف عليه السلام عن شكره لله عز وجل على نعمه كلها.

قال ابن عاشور: «وفيها: إثبات أنّ بعض المرائي قد يكون إنباء بأمر مغيب، وذلك من أصول النبوات . . .، وأن تعبير الرؤيا علم يهبه الله لمن يشاء من صالحي عباده، وتحاسد القرابة بينهم، ولطف الله بمن يصطفيه من عباده، وأنّ العبرة بحسن العواقب، والوفاء، والأمانة، والصدق، والتوبة، وفيها سكنى إسرائيل عليه السلام وبنيه بأرض مصر، وتسلية النبي صلى الله عليه وسلم بما لقيه يعقوب ويوسف عليهما السلام من آلهم من الأذى . . .، وفيها من عبر تاريخ الأمم والحضارة القديمة وقوانينها ونظام حكوماتها وعقوباتها وتجارتها، واسترقاق الصبي اللقيط، واسترقاق السارق، وأحوال المساجين، ومراقبة المكاييل»(٢٣٦).

المطلب الثاني: تفسير سورة يوسف بالقراءات القرآنية العشر.

١ ـ ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ۝٤﴾ [يوسف: ٤].

القراءات:

(٢٣٦) التحرير والتنوير ج١٢ ص١٩٨، ١٩٩ ـ باختصار، وتصرف يسير.

١ ـ قرأ ابن عامر وأبو جعفر ﴿يَا أَبَتَ﴾ بفتح التاء.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾ بكسر التاء.

ويقف ابن كثير وابن عامر وأبو جعفر ويعقوب بالهاء والباقون بالتاء[٢٣٧].

المعنى اللغوي للقراءات:

الأب: الوالد، وزادت العرب في النداء فيه تاءً فقالوا: يا أبتِ، ويسمى كلُّ من كان سبباً في إيجاد شيء أو إصلاحه أو ظهوره أباً، ويقال: أَبَوتُ القومَ كنت لهم أباً، أَبوهم، وفلانٌ يَأبُو بَهْمَه أي يتفقدها تفقد الأب[٢٣٨].

التفسير:

يقول تعالى: اذكر يا محمد ـ ﷺ ـ في قصصك عليهم قصة يوسف عليه السلام إذ قال لأبيه يعقوب بن إسحق عليهما السلام: يا أبت إني رأيت في منامي أحد عشر كوكباً، والشمس والقمر رأيتهم في منامي ساجدين لي. قيل: إنّ رؤيا الأنبياء كانت وحياً، والكواكب الأحد عشر كانت إخوته، والشمس والقمر أبويه[٢٣٩].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

«حجة من قرأ ﴿يَا أَبَتَ﴾ بفتح التاء أنه قدّر إثبات ياء الإضافة في النداء، وهي لغة مستعملة، فلمّا أثبت الياء في المنادى أبدل الكسرة التي قبل الياء فتحة فانقلبت الياء ألفاً ثم حذفت الألف لدلالة الفتحة عليها»[٢٤٠].

---

(٢٣٧) انظر النشر ج٢ ص٢٩٣، البدور الزاهرة ص ١٦٠، مصحف الصحابة ص٢٣٥.

(٢٣٨) انظر: المفردات في غريب القرآن ص٧.

(٢٣٩) انظر: تفسير الطبري ج١٢ص١٥١، تفسير ابن كثير ج٢ص٦٨٨، تفسير القرطبي ٩ص١٢١، صفوة التفاسير ج٢ص٤٢.

(٢٤٠) الكشف ج٢ص٣ ـ باختصار وتصرف يسير.

وحجة من قرأ ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾ بالكسر أنه أبقى الكسرة تدل على الياء المحذوفة في النداء، وأصله (يا أبتي)، كما تقول: يا غلامِ أقبل، وهي لغة فاشية مستعملة»[241].

قال الخطيب التبريزي: «فمن قرأ بالكسر فعلى الإضافة إلى نفسه، وحذف الياء، لأن ياء الإضافة قد تحذف في النداء، وقيل: التاء بدل من ياء الإضافة، ولا يجوز اجتماعهما، وكسرت لتدل على أنه موضع إضافة، ومن قرأ بالفتح، فعلى أنه أبدل من ياء الإضافة ألفاً، ثم حذف الألف كما تحذف الياء»[242].

«ومن وقف بالهاء فلأنها تاء التأنيث لحقت الأب في باب النداء خاصة، فكان الوقف عليها بالهاء، ومن وقف بالتاء فلاتباع المصحف، لأنها مكتوبة فيه بالتاء، ولأن ياء الإضافة مقدرة بعدها»[243].

وعليه فإنّ القراءتين على لغتين من لغات العرب، وكلتاهما تدلان على شدة التصاق يوسف عليه السلام بأبيه يعقوب عليه السلام حيث ناداه بلفظ الأبوة، وأضاف يوسف عليه السلام لفظ الأبوة إلى نفسه كعادة الابن البار في نداء أبيه. والفتحة دلت على الألف المحذوفة المنقلبة عن ياء الإضافة، والكسرة دلت على ياء الإضافة المحذوفة، ومعلوم أنّ الكسرة والياء أقوى من الفتحة والألف[244]، فناسب تنوع الخطاب بين القوة واللين، ما في الرؤيا من صدق ويقين؛ لصدق يوسف عليه السلام في قوله، ولأنها رؤيا حقّ، وما في الصبي القاص لرؤياه من طفولة وبراءة وصفاء، حيث لجأ إلى كنف أبيه يلتمس عنده الدفء والحبّ والعطف ويقص عليه ما رأى في منامه. والله تعالى أعلم.

---

(٢٤١) الكشف ج٢ص٣.

(٢٤٢) الملخص في إعراب القرآن ص٣٢.

(٢٤٣) المرجع السابق نفس الصفحة، وانظر: الكشف ج٢ص٤.

(٢٤٤) انظر: اللهجات العربية في القراءات القرآنية ص١٢٠.

٢ - ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝٥﴾ [يوسف: ٥].

القراءات:

١ - قرأ حفص ﴿يَٰبُنَيَّ﴾ بفتح الياء.

٢ - قرأ الباقون ﴿يَا بُنَيِّ﴾ بكسر الياء(٢٤٥).

المعنى اللغوي للقراءات:

سبق بيانه(٢٤٦).

التفسير:

حين قصّ يوسف عليه السلام الرؤيا التي رآها على أبيه يعقوب عليه السلام، علم يعقوب عليه السلام أنّ تعبير هذه الرؤيا خضوع إخوة يوسف عليه السلام له، وتعظيمهم إياه تعظيماً زائداً بحيث يخرون له ساجدين إجلالاً واحتراماً، فخشي عليه السلام أن يُحدِّث يوسفُ عليه السلام أحداً من إخوته بهذه الرؤيا فيحسدونه على ذلك ويبغون له الغوائل ولهذا قال: يا بنيّ لا تخبر إخوتك بهذه الرؤيا فيناصبوك العداوة، ويحتالوا لإهلاكك حيلة عظيمة لا تقدر على ردّها، ويطيعوا فيك الشيطان، إنّ الشيطان لآدم وبنيه عدوّ ظاهر العداوة فاحذره أن يُغري إخوتك بك(٢٤٧).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

«﴿بُنَيِّ﴾ بكسر الياء المشددة تصغير (ابن) مع إضافته إلى ياء المتكلم وأصله بُنَيوي أو بُنَيْيي على الخلاف في أنّ لام ابن الملتزم عدم ظهورها هي واو أم ياء. وعلى كلا التقديرين فإنها أدغمت في ياء التصغير بعد قلب الواو

---

(٢٤٥) انظر النشر ج٢ ص٢٩٣، البدور الزاهرة ص ١٦٠.

(٢٤٦) انظر ص٣٨ من هذا البحث.

(٢٤٧) انظر: تفسير الطبري ج١٢ص١٥٢، الكشاف ج٢ص٣٠٣، تفسير ابن كثير ج٢ص٦٩٠، ٦٩١، صفوة التفاسير ج٢ص٤٢.

ياء لتقارب الياء والواو، أو لتماثلهما فصار (بنيّي). وقد اجتمع ثلاث ياءات فلزم حذف واحدة منها فحذفت ياء المتكلم لزوماً وألقيت الكسرة التي اجتلبت لأجلها على ياء التصغير دلالة على الياء المحذوفة. وحذف ياء المتكلم من المنادى المضاف شائع، وبخاصة إذا كان في إبقائها ثقل كما هنا، لأن التقاء ياءات ثلاث فيه ثقل»[٢٤٨]. ويُقرأ بالفتح ووجه ذلك أنه أبدل الكسرة فتحة فانقلبت ياء الإضافة ألفاً، ثم حذفت الألف كما حذفت الياء مع الكسرة لأنها أصلها[٢٤٩].

قال أبو شامة: «فعلى الكسر أصله: يا بنيّ فحذفت الياء كما تقول يا غلام، والأصل يا غلامي، وعلى الفتح أبدلت الياء ألفاً لتوالي الياءات والكَسرات، ثم حذفت الألف، وبقيت الفتحة دالة عليها»[٢٥٠].

وكلتا القراءتين ألقت بظلالها على المعاني، فالقراءة بالكسر تشعر المرء بحرارة عاطفة الأب، وشفقته على ابنه، أمّا القراءة بالفتح ـ والفتحة هي أخف الحركات[٢٥١] ـ فقد ناسبت فيها خفة الحركة ما في الابن المنادى من براءة وطفولة. والله أعلم.

٣ ـ ﴿لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ۝٧﴾ [يوسف: ٧].

القراءات:

١ ـ قرأ ابن كثير **﴿ءايتٌ للسائلين﴾** بحذف الألف بعد الياء على الإفراد.

---

(٢٤٨) التحرير والتنوير ج١٢ ص٢١٢، ٢١٣، وانظر: مشكل إعراب القرآن ج١ ص ٣٦٥، إملاء ما منّ به الرحمن ص٣٩.

(٢٤٩) انظر: مشكل إعراب القرآن ج١ ص ٣٦٥، الكشف ج ١ ص٤٢، الياءات المشددات في القرآن وكلام العرب ص٣٠، إملاء ما منّ به الرحمن ص٣٩، المغني في توجيه القراءات العشر ج٢ص٢٤٦.

(٢٥٠) إبراز المعاني ص٥١٤، وانظر: حجة القراءات ص٣٤٠، مفاتيح الأغاني ص٢١٢.

(٢٥١) انظر: اللهجات العربية في القراءات القرآنية ص١٢٠.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿ءَايَتٌ لِّلسَّآئِلِينَ﴾ بإثبات الألف على الجمع(٢٥٢).

المعنى اللغوي للقراءات:

«(الآية): هي العلامة الظاهرة، واختلف في اشتقاقها، والصحيح أنها مشتقةٌ من التَّأيِّي الذي هو التثبت والإقامة على الشيء. يُقَالُ: تَأَيَّ، أي ارفُق»(٢٥٣).

التفسير:

يقول الله تبارك وتعالى: لقد كان في شأن يوسف وإخوته الأحد عشر علامات عظيمة الشأن دالة على قدرة الله تعالى القاهرة وحكمته الباهرة، وعِبَرٌ وذكر للسائلين عن أخبارهم وقصصهم أو للطالبين للآيات المعتبرين بها(٢٥٤).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قال الخطيب التبريزي: «فمن قرأها على التوحيد فلأنها رويت في غير هذا المصحف (عبرة للسائلين)(٢٥٥) ومن قرأ على الجمع فلأن عبراً قد كانت فيه»(٢٥٦).

قال الألوسي: «وجمع الآيات حينئذ قيل للإشعار بأنّ اقتصاص كل طائفة من القصة آية بينة كافية في الدلالة على نبوته ﷺ، وقيل لتعدد جهة الإعجاز لفظاً ومعنىً»(٢٥٧).

فالقراءة بالإفراد أشارت إلى أن شأن يوسف ـ عليه السلام ـ العظيم كله

---

(٢٥٢) انظر النشر ج٢ ص٢٩٣، البدور الزاهرة ص ١٦٠.

(٢٥٣) المفردات في غريب القرآن ص٣٣، ٣٤ ـ باختصار، وانظر: لسان العرب ج١ ص ١٨٥.

(٢٥٤) انظر: تفسير الطبري ج١٢ص١٥٤، روح المعاني ج١٢ص١٨٨، ١٨٩.

(٢٥٥) وذلك في مصحف أبيّ. (انظر: روح المعاني ج١٢ص١٨٩).

(٢٥٦) الملخص في إعراب القرآن ص٣٥.

(٢٥٧) روح المعاني ج١٢ص١٨٩.

آية، والقراءة بالجمع أشارت إلى أنّ كل حال من أحوال يوسف عليه السلام آية وعبرة بذاته[(٢٥٨)].

وعليه يصبح معنى الآية: لقد كان شأن يوسف عليه السلام بمجمله، عبرة للسائلين كما أنّ كلّ حال من أحواله هو آية وعبرة في ذاته. والله تعالى أعلم.

٤ ـ ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿١٠﴾﴾ [يوسف: ١٠].

القراءات:

١ ـ قرأ نافع وأبو جعفر ﴿غيابات﴾ بألف بعد الباء الموحدة على الجمع.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿غَيَٰبَتِ﴾ بغير ألف بعد الباء الموحدة على الإفراد[(٢٥٩)].

المعنى اللغوي للقراءات:

الغيابة: ما غَيَّب عنك شيئاً[(٢٦٠)]، «وغيابة كل شيء ما سترك منه. ومنه غيابة الجبّ»[(٢٦١)]. قال ابن منظور: «ووقعوا في غيابة من الأرض، أي في منهبط منها. وغيابة كل شيء: قعره منه، كالجب والوادي وغيرهما، تقول: وقعنا في غيبة وغيابة، أي هبطة من الأرض، وفي التنزيل العزيز: ﴿في غيابات الجب﴾»[(٢٦٢)].

---

(٢٥٨) انظر: حجة القراءات ص٣٥٥.

(٢٥٩) انظر النشر ج٢ ص٢٩٣، البدور الزاهرة ص ١٦١.

(٢٦٠) انظر: غريب القرآن وتفسيره ص٨٣، تحفة الأريب ص٢٣٦، التبيان في تفسير غريب القرآن ص ٢٤٠.

(٢٦١) القاموس المحيط ص١٥٦.

(٢٦٢) لسان العرب ج٥ ص٣٣٢٢، ٣٣٢٣.

التفسير:

قال قائل من إخوة يوسف عليه السلام: لا تَصِلُوا في عداوة يوسف ـ عليه السلام ـ وبغضه إلى قتله، بل ألقوه في قعر البئر وغوره يأخذه بعض مارة الطريق من المسافرين إن كنتم عازمين على التخلص منه(٢٦٣).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءة ﴿غيابات﴾ على الجمع كأنّه كان لتلك الجب غيابات، والقراءة ﴿غَيَٰبَتِ﴾ بالإفراد لأنه لم يلق إلا في واحدة، وغيابة الجبّ قعره أو حفرة في جانبه(٢٦٤).

قال الألوسي: «﴿وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ﴾ أي في قعره وغوره، سُمي به لغيبته عن عين الناظر، ومنه قيل للقبر غيابة. وقرأ نافع ﴿في غيابات﴾، كأن لتلك الجبّ غيابات، ففيه إشارة إلى سعتها»(٢٦٥).

وعليه فالآية تبين أنّ يوسف عليه السلام ألقي في قعر البئر أو حفرة في جانبه وهذا ما أفادته القراءة بالإفراد نصاً وأفادته القرءاة بالجمع عقلاً، حيث إنّ الشخص يستحيل وجوده في أكثر من مكان في آن واحد، كما أنّ القراءة بالجمع أشارت إلى سعة تلك البئر. وأنها كانت موحشة إلى درجة كبيرة حيث كانت لها غيابات كثيرة، وهذا يبين شدة الموقف الذي وضع فيه يوسف عليه السلام في صغره. والله تعالى أعلم

٥ ـ ﴿قَالُوا۟ يَـٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَـٰصِحُونَ ﴿١١﴾﴾ [يوسف: ١١].

---

(٢٦٣) انظر: تفسير الطبري ج١٢ص١٥٧، تفسير ابن كثير ج٢ص٦٩٢، صفوة التفاسير ج٢ص٤٢.

(٢٦٤) انظر: شرح طيبة النشر لأحمد بن الجزري ص ٢٥٤، إتحاف فضلاء البشر ص٢٦٢، تفسير أبي السعود ج٣ص٨٤.

(٢٦٥) روح المعاني ج١٢ص١٩٢ ـ بتصرف يسير.

القراءات:

١ ـ قرأ أبو جعفر ﴿لَا تَأْمَنَّا﴾ بالإدغام المحض[٢٦٦].

٢ ـ قرأ كلٌ من الباقين بوجهين: الأول: إدغام النون الأولى في الثانية مع الإشمام[٢٦٧]، والثاني: اختلاس[٢٦٨] ضمة النون الأولى وحينئذٍ لا يكون فيها إدغام[٢٦٩].

المعنى اللغوي للقراءات:

(أمن): أصل الأمن طمأنينة النفس وزوال الخوف، والأمن والأمانة والأمان في الأصل مصادر، ويُجعل الأمان تارة اسماً للحالة التي يكون عليها الإنسان في الأمن، وتارة اسماً لما يُؤمَن عليه الإنسان. و(آمَنَ) يقال على وجهين: أحدهما: متعدياً بنفسه، تقول آمَنْتُه، أي: جعلت له الأمن، ومنه قيل لله مؤمن، والثاني: غير مُتَعَد، ومعناه صار ذا أمن[٢٧٠].

---

(٢٦٦) يكون ذلك بلفظ نون مشددة مفتوحة من غير رَوْم ولا إشمام. (انظر: البدور الزاهرة ص١٦١).

(٢٦٧) الإشمام هنا عبارة عن ضم الشفتين إشارة إلى حركة الفعل مع الإدغام الصريح كما يشير إليها الواقف، وتكون الإشارة إلى الضمة بعد الإدغام أو قبل كماله، والإشمام يقع بإزاء معانٍ هذا من جملتها، ومنها إشراف الكسرة شيئاً من الضمّ نحو: قيل، غيض وبابه، ومنها إشمام أحد حرفين شيئاً من الآخر كإشمام الصاد زاياً في ﴿ٱلصِّرَٰطِ﴾، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ﴾ وبابهما، فهذا خلط حرف بحرف، كما أنّ ما قبله خلط حركة بحركة، ومنها الإشارة إلى الضّمة في الوقف خاصة، وإنّما يراه البصير دون الأعمى. (الدر المصون ج٤ص١٥٩ ـ باختصار وتصرف يسير، وانظر: القواعد والإشارات ص٥١، أحكام قراءة القرآن الكريم ص٢٣٤، ٢٣٥).

(٢٦٨) الاختلاس ـ ويعبر عنه البعض بالإخفاء أو الرّوْم ـ هنا: «عبارة عن تضعيف الصوت بالحركة، والفصل بين النونين، إلاّ أنّ النون تكون رأساً فيكون ذلك إخفاء لا إدغاماً». (الدر المصون ج٤ص١٥٨، ١٥٩).

(٢٦٩) انظر: النشر ج١ ص٣٠٣ ـ ٣٠٤، البدور الزاهرة ص١٦١.

(٢٧٠) انظر: المفردات في غريب القرآن ص٢٥، ٢٦.

التفسير:

قال إخوة يوسف عليه السلام لأبيهم يعقوب عليه السلام بعد إذ تآمروا بينهم، وأجمعوا على الفرقة بين يوسف عليه السلام وبين والده يعقوب: ﴿يَٰٓأَبَانَا﴾ خاطبوه عليه السلام بذلك تحريكاً لسلسلة النسب وتذكيراً لرابطة الأخوة ليتسببوا بذلك استنزاله عن رأيه في حفظه منهم لما أحس بحسدهم، ﴿مَا لَكَ﴾ أي أيُّ شيء لك ﴿لَا تَأۡمَ۬نَّا﴾ لا تجعلنا أمناء ﴿عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ مع أنك أبونا ونحن بنوكم وهو أخونا ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ﴾ مريدون له الخير ومشفقون عليه ليس فينا ما يخلّ بذلك[271].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

﴿تَأۡمَ۬نَّا﴾ أصله (تأمننا) ثم أدغمت النون الأولى في الثانية، ومن قرأ بالإشمام أو بالاختلاس؛ فللدلالة على ضمة النون الأولى[272].

قال الكرماني: «﴿لَا تَأۡمَ۬نَّا﴾ قرئت بإشمام الضم في النون[273]، وقرئت بالإدغام وترك الإشمام ...، ويشبه أنهم راودوه في أمره غير مرة فأبى عليهم»[274].

قلت: ولا شكّ أنهم نوّعوا أسلوبهم في كل مرة.

وبالجمع بين القراءات في هذه الكلمة يستفاد أنّ إخوة يوسف عليه السلام راودوا أباهم أكثر من مرة، وبأساليب مختلفة، وهو يأبى عليهم.

لطيفة:

أشار البقاعي إلى نكتة بديعة في القراءات في هذه الكلمة حيث قال: «وأجمع القراء على حذف حركة الرفع في (تأمن) وإدغام نونه بعد إسكانه

(٢٧١) انظر: تفسير الطبري ج١٢ ص ١٥٩، روح المعاني ج١٢ ص١٩٣.

(٢٧٢) انظر: مشكل إعراب القرآن ج١ ص٣٨٠.

(٢٧٣) في متن الكتاب (الميم) والصواب كما أثبت.

(٢٧٤) مفاتيح الأغاني ص٢٢٠.

تبعاً للرسم، بعضهم إدغاماً محضاً وبعضهم مع الإشمام، وبعضهم مع الرّوْم(٢٧٥)، دلالة على نفي سكون قلبه عليه - عليهما الصلاة والسلام - بأمنه عليه منهم على أبلغ وجه مع أنهم أهل لأن يسكن إليهم بذلك غاية السكون، ولو ظهرت ضمة الرفع عند أحد من القراء فات هذا الإيماء والنكتة اللطيفة»(٢٧٦).

٦ - ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿١٢﴾﴾ [يوسف: ١٢].

القراءات:

١ - قرأ نافع وأبو جعفر ﴿يَرْتَعِ وَيَلْعَبْ﴾ بالياء في الفعلين وكسر العين في ﴿يَرْتَعْ﴾.

٢ - قرأ ابن كثير ﴿نرتعِ ونلعبْ﴾ بالنون في الفعلين مع كسر العين في ﴿نرتعِ﴾، وأثبت قنبل ياءً في آخرها في الحالين بخلف عنه.

٣ - قرأ أبو عمرو وابن عامر ﴿نرتعْ ونلعبْ﴾ بالنون في الفعلين مع سكون العين في ﴿يَرْتَعْ﴾.

٤ - قرأ الباقون ﴿يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ﴾ بالياء في الفعلين مع سكون العين(٢٧٧).

المعنى اللغوي للقراءات:

١ - ﴿يَرْتَعْ﴾: «(رتع): الراء والتاء والعين كلمة واحدة، وهي تدل على الاتساع في المأكل. تقول: رَتَعَ يَرْتَع، إذا أكل ما شاء ولا يكون ذلك

---

(٢٧٥) الروم في مصطلح القراء: هو تضعيفك الصوت بالحركة حتى يذهب معظم صوتها فتسمع لها صوتاً خفياً، وقد عبّر الإمام الشاطبي عن الرّوم في هذا الموضع بالإخفاء - أي بإخفاء حركة النون الأولى - ويكون ذلك بإظهار النون واختلاس حركتها، ولذا يعبر عنه بعضهم بالاختلاس. (انظر: غاية المريد ص١٨١، ١٨٢).

(٢٧٦) نظم الدرر ج٤ ص١٥.

(٢٧٧) انظر: النشر ج٢ ص٢٩٣.

إلاّ في الخصب»[٢٧٨].

قال الراغب: «الرتع أصله أكل البهائم، يقال رَتَعَ يرتع رتوعاً ورِتاعاً، قال تعالى: ﴿نرتع ونلعب﴾ ويستعار للإنسان إذا أريد به الأكل الكثير، وعلى طريق التشبيه»[٢٧٩].

٢ - **﴿نرتع، يرتع﴾**: قال ابن منظور: «(رعى): الرَّعي مصدر رعى الكلأ ونَحْوَه يَرْعَى رَعْياً. والرَّاعي يَرْعَى الماشية أي يحوطها ويحفظها. والماشية تَرعى، أي تَرتع وتأكل. ورَاعِي الماشيةِ حافِظُها. . . . ويُقال للنَّعم هي تَرْعَى وتَرْتَعي. وقرأ بعض القراء: **﴿أرسله معنا غدا نرتعي ونلعب﴾**، وهو افتعال من الرَّعي، وقيل: معنى نَرْتَعي أي يَرْعى بعضُنا بعضاً»[٢٨٠].

٣ - **﴿وَيَلْعَبْ﴾**: «(لعب): اللام والعين والباء كلمتان منهما يتفرع كلمات. إحداهما اللَّعِب: معروف . . . والكلمة الأخرى اللُّعاب: ما يسيل من فم الصبي. . .، وقيل: إنّ أصل الباب هو الذهاب على غير استقامة»[٢٨١].

قال الراغب: «(لعب): أصل الكلمة اللُّعاب وهو البزاق السائل، وقد لَعَبَ يَلْعَبُ لَعْباً سال لُعابه، ولَعِب فلان إذا كان فعله غير قاصدٍ به مقصداً صحيحاً يَلْعَبُ لَعِباً»[٢٨٢].

التفسير:

قال إخوة يوسف عليه السلام لأبيهم: أرسله معنا غداً إلى البادية، يتسع في أكل ما لَذَّ وطاب، ويلهو ويلعب بالاستباق وغيره، ونحن حافظوه من أن يناله شيء يكرهه أو يؤذيه[٢٨٣].

---

(٢٧٨) معجم مقاييس اللغة ج٣ص٤٨٦.
(٢٧٩) المفردات في غريب القرآن ص١٨٧.
(٢٨٠) لسان العرب ج٣ص١٦٧٦.
(٢٨١) معجم مقاييس اللغة ج٥ص٢٥٣، ٢٥٤.
(٢٨٢) المفردات في غريب القرآن ص ٤٥٠.
(٢٨٣) انظر: تفسير الطبري ج١٢ص ١٥٩، صفوة التفاسير ج٢ص٤٣.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

﴿نرتعْ ونلعبْ﴾ من قول العرب رتع الإنسان والبعير إذا أكلا كيف شاءا، والمعنى نتسع في الخصب[٢٨٤]، وكذا يرتعْ بإسكان العين إلاّ أنّه ليوسف عليه السلام وحده. أمّا يرتعِ بكسر العين فهو من رعي الغنم أي ليتدرب بذلك ويترجل[٢٨٥] «وقيل: هو من قولهم: رعاك الله أي حرسك فمعناه على هذا التحارس»[٢٨٦]، وقال ابن عاشور: «هو مضارع ارتعى، وهو افتعال من الرعي للمبالغة فيه فهو حقيقة في أكل المواشي والبهائم واستعير في كلامهم للأكل الكثير لأنّ الناس إذا خرجوا إلى الرياض والأرياف للعب والسبق تقوى شهوة الأكل فيهم فيأكلون أكلاً ذريعاً فلذلك شبه أكلهم بأكل الأنعام، وإنما ذكروا ذلك لأنه يسر أباهم أن يكونوا فرحين[٢٨٧].

قال الخطيب التبريزي: «فمن قرأ بالنون، فلقولهم: ﴿إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ﴾ إذ الظاهر أنهم حين أسندوا الاستباق إلى جماعتهم كانوا أسندوا جميع ذلك إليهم، ومن قرأ بالياء فإن القوم لم يريدوا إعلام يعقوب بما لهم من الرفق في خروج يوسف معهم، وإنما أرادوا أن يروه ما ليوسف في ذلك، ليكون داعياً له إلى إرساله معهم، فكان الوجه إسناد ذلك إليه»[٢٨٨].

وبالجمع بين القراءات في الآية يصبح المعنى:

قال إخوة يوسف لأبيهم: أرسل يوسف معنا يلهو ويلعب وينعم وينشط، ويتسع في الخصب، ويرعى غنمه ويعقل وينظر فيعرف ما يعرف الرجل، ونحن نشاركه ذلك فيتحقق له السرور معنا، ونتكالأ جميعاً ويحفظ بعضنا بعضاً ونتحارس، ونحن له حافظون من أن يناله شيء يكرهه. والله أعلم.

(٢٨٤) انظر: تفسير القرطبي ج٩ص١٣٩.
(٢٨٥) انظر: تفسير القرطبي ج٩ ص١٣٩، مشكل إعراب القرآن ج١ ص ٢٧٤.
(٢٨٦) مشكل إعراب القرآن ج١ص٢٧٤، وانظر: تفسير الطبري ١٢ص ١٥٩، تفسير القرطبي ج٩ص٢٧٤ .
(٢٨٧) التحرير والتنوير ج١٢ص٢٢٨.
(٢٨٨) الملخص في إعراب القرآن ص٣٧.

٧ ـ ﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ۝١٣﴾ [يوسف: ١٣].

القراءات:

١ ـ قرأ نافع ﴿لَيُحْزِنُنِيَ أَن﴾ بضم ياء المضارعة وكسر الزاي وفتح ياء الإضافة.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿لَيَحْزُنُنِيٓ أَن﴾ بفتح ياء المضارعة وضم الزاي وإسكان ياء الإضافة(٢٨٩).

المعنى اللغوي للقراءات:

«حزن: الحزن نقيض الفرح، وهو خلاف السرور. والجمع أحزان. وحَزَنَه الأمر يَحْزُنُه حُزْناً وأَحْزَنه. وحَزَنه لغة قريش، وأَحْزَنه لغة تميم. وقال سيبويه(٢٩٠): أحزنه جعله حزيناً، وحَزَنه جعل فيه حزناً، كأفتنه جعله فاتناً، وفتنه جعل فيه فتنة. قال أبو عمرو(٢٩١): وفي استعمال الفعل منه لغتان: تقول حَزَنني يَحْزُنُنِي حُزْناً فأنا مَحْزون، ويقولون أَحْزَنَنِي فأنا مُحْزَنٌ وهو مُحْزِن»(٢٩٢).

قال الراغب: «الحُزن والحَزنُ خشونة في الأرض وخشونة في النفس لما يحصل فيه من الغمّ، ويضاده الفَرَح، ولاعتبار الخشونة بالغمّ قيل

---

(٢٨٩) انظر: النشر ج٢ ص٢٩٣، البدور الزاهرة ص ١٦١.

(٢٩٠) هو: عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو البشر، الملقب بسيبويه، ولد في إحدى قرى شيراز، وقدم البصرة، فلزم الخليل بن أحمد ففاقه، وصنف كتابه المسمى: كتاب سيبويه، توفي بالأهواز سنة ١٨٠هـ. (انظر: البداية والنهاية ج١٠ص١٧٦ ـ ١٧٧، الأعلام ج٥ ص٨١).

(٢٩١) أبو عمرو البصري: هو زبَّان بن العلاء بن عمار بن العريان بن عبدالله التميمي المازني البصري، مقرئ البصرة، ولد أبو عمرو سنة ثمان وستين بمكة، وأمه من بني حنيفة، أخذ القراءة عن أهل الحجاز، وأهل البصرة وأهل الكوفة، فليس في القراء السبعة أكثر شيوخاً منه، انتهت إليه إمامة القراءة بالبصرة، وكان من أعلم الناس بالعربية والشعر وأيام العرب، يروى عنه قوله ـ رحمه الله ـ: «أول العلم الصمت، ثم حُسن السؤال، ثم حسن اللفظ، ثم نشره عند أهله».
توفي ـ رحمه الله ـ بالكوفة سنة أربع وخمسين ومائة، وقيل خمس وخمسين عن ست وثمانين سنة.

(٢٩٢) لسان العرب ج٢ص٨٦١، ٨٦٢ ـ باختصار، وانظر: القاموس المحيط ص١٥٣٥.

خَشَنَت بصدرِه إذا حزَنَته. يقالُ حَزَنَ يَحْزِنُ، وَحَزَنْتُه وأحْزنته»[٢٩٣].

التفسير:

أظهر يعقوب عليه السلام لأبنائه سبب امتناعه من خروج يوسف عليه السلام معهم إلى الأرياف قائلاً لهم: إنه ليؤلمني فراق يوسف - عليه السلام - لقلة صبري عنه، وأخاف أن يفترسه الذئب وأنتم غافلون عنه برعيكم ولعبكم[٢٩٤].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

الحجة لمن فتح الياء: أنه أخذه من: حَزَن يَحْزُن حُزناً، إذا أدخل عليه الحزن، والحجة لمن ضم الياء: أنه أخذه من أحْزن يُحزِنُ حُزناً. وهما لغتان، يقال: حَزنني الأمر يَحْزُنني، وأَحْزَنني يُحزنني بضم الياء لأنه رباعي[٢٩٥].

فالقراءتان على لغتين من لغات العرب. وهما معاً تؤكدان شدة ما سيلاقيه يعقوب عليه السلام من الحزن إذا فارق يوسف عليه السلام.

٨ - ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا۟ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾﴾ [يوسف: ١٥].

القراءات:

١ - قرأ نافع وأبو جعفر ﴿غيابات﴾ بألف بعد الباء الموحدة على الجمع.

٢ - قرأ الباقون ﴿غَيَٰبَتِ﴾ بغير ألف بعد الباء الموحدة على الإفراد[٢٩٦].

---

(٢٩٣) المفردات في غريب القرآن ص ١١٥.

(٢٩٤) انظر: الكشاف ج٢ص٣٠٦، التحرير والتنوير ج١٢ص٢٣٠، صفوة التفاسير ج٢ص٤٣.

(٢٩٥) انظر: الحجة في القراءات السبع ص١١٦، الكشف ج١ص٣٦٥، حجة القراءات ص١٨١، تفسير القرطبي ج٤ص٢٨٦، ٢٨٧، التحرير والتنوير ج٤ ص١٧٣.

وقد تقدم الحديث عن هذه القراءة عند تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ۝١٠﴾ [يوسف: ١٠][٢٩٧].

٩ ـ ﴿وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ ۖ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ ۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ۝١٩﴾ [يوسف: ١٩].

القراءات:

١ ـ قرأ عاصم وحمزة والكسائي وخلف ﴿يَٰبُشْرَىٰ﴾ بغير ياء بعد الألف الأخيرة.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿يا بُشْرَايَ﴾ بياء مفتوحة ـ بعد الألف الأخيرة ـ وصلاً، وساكنة وقفاً[٢٩٨].

المعنى اللغوي للقراءات:

«بَشَرَ: البشرة ظاهر الجلد، والأدمة باطنه، وأَبْشَرتُ الرَّجُلَ وبَشَّرته وبَشَرْتُهُ، أخبرته بسارٍ بَسَطَ بَشَرة وجهه، واسْتَبْشَرَ إذا وجد ما يُبَشِّرُهُ من الفرح، ويقال للخبر السار البِشارة والبُشرى، قال تعالى: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [يونس: ٦٤]، وقال تعالى: ﴿يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ﴾»[٢٩٩].

التفسير:

بعد أن ألقى إخوة يوسف عليه السلام به في الجب وتركوه وانصرفوا، جاءت مارة الطريق من المسافرين، فأرسلوا مَن يستقي لهم الماء، فألقى الوارد دلوه في البئر ورفعه منه فإذا يوسف عليه السلام متعلق به، قال الوارد

(٢٩٦) انظر النشر ج٢ ص٢٩٣، البدور الزاهرة ص ١٦١.

(٢٩٧) انظر ص٨٥ من هذا البحث.

(٢٩٨) انظر: النشر ج٢ ص٢٩٣، البدور الزاهرة ص١٦١.

(٢٩٩) المفردات في غريب القرآن ص٤٨ ـ باختصار.

يعلن ابتهاجه وفرحه: يا للخير ويا للبشرى، يا للخبر السار، هذا غلام، وأوقع النداء على البشرى، للتعبير عن ابتهاجه وسروره، حتى لكأنها شخص عاقل يستحق النداء، أي: يا بشارتي أقبلي فهذا أوان إقبالك. وأخفى الوارد وجماعته أمر يوسف عليه السلام عن الناس، وعزموا على بيعه، والله عز وجل لا يخفى عليه شيء، ويعلم ما فعلوا وما عزموا عليه في أمر يوسف عليه السلام[300].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

وجه القراءة بياء بعد الألف، أنّ المُدْلِي أضاف البشرى إلى نفسه، فيكون لفظ (بشرى) نداءً مضافاً منصوباً. ووجه القراءة بحذف الياء أنّ المُدْلِي نادى ﴿**بشرى**﴾ ولم يضف، فيكون لفظ ﴿**بشرى**﴾ في موضع نصب، لأنه نداء مفرد شائع، لا يراد به شيء بعينه، وقيل: إنّه أراد يا بشراي، ثم حذف ياء الإضافة للنداء فتكون القراءتان بمعنًى واحد. وقيل: إنّ ﴿**بشرى**﴾ اسم رجل كان معهم، فناداه المُدْلِي[301].

قال الخطيب التبريزي: «وقرأ أهل الكوفة ﴿**بشرى**﴾ على وزن (فعلى) من غير إضافة، وقرأ الباقون: (بشراي) بياء مفتوحة بعد الألف على الإضافة، فمن قرأ بهذه القراءة فعلى أنّ المراد: (يا بشارتي).... ومن قرأ بالقراءة الأخرى فعلى أنه اسم إنسان، أي: فنادى المُدْلي صاحبه، وكان اسمه بُشرى، وقيل: يجوز أن يكون أضاف البشرى إلى نفسه ثم حذف ياء الإضافة وهو يريدها، فيكون فيها الاحتواء على المعنيين»[302].

«ونداء البشرى مجاز، لأن البشرى لا تنادى، ولكنها شبهت بالعاقل

---

(300) انظر: تفسير الطبري ج١٢ص١٦٦، تفسير أبي السعود ج٣ص٨٩، التحرير والتنوير ج١٢ص٢٤٣، التفسير الواضح ج١٢ص٢٠، صفوة التفاسير ج٢ص٤٤، التفسير الوسيط ج٢ص١٠٩٩.

(301) انظر: الحجة في القراءات السبع ص١٩٤، حجة القراءات ص٣٥٧، الكشف ج٢ص٧، ٨.

(302) الملخص في إعراب القرآن ص٤٠، ٤١ ـ بتصرف يسير.

الغائب الذي احتيج إليه فينادى»[٣٠٣]. «ونداؤها معناه أنّ هذا وقتها وموجبها فقد آن لها أن تحضر، ومثله قولهم: يا أسفا ويا أسفي، ويا حسرتا ويا حسرتي، إذا وقع ما هو سبب لذلك»[٣٠٤]، «والمعنى: أنّ الوارد فرح وابتهج بالعثور على الغلام»[٣٠٥].

وعليه فإن كلتا القراءتين أفادتا أنّ الوارد سُرَّ سروراً كبيراً بالعثور على الغلام، وكان من علامات سروره أنه نادى البشرى مرة مضيفها إلى نفسه - فخصّ بها نفسه -، ومرة من غير إضافة. وعلى القول إنّ ﴿بشرى﴾ هو اسم رجل تكون القراءة بغير الإضافة على أنّ الوارد نادى صاحبه، والقراءة بالإضافة على أنه نادى البشرى مضيفها إلى نفسه، تعبيراً عن بالغ سروره. والله تعالى أعلم.

١٠ - ﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [يوسف: ٢٣].

القراءات:

١ - قرأ نافع وابن ذكوان وأبو جعفر ﴿هِيتَ﴾ بكسر الهاء وياء ساكنة مدية بعدها وفتح التاء.

٢، ٣ - قرأ هشام بوجهين ﴿هِئْتَ﴾، ﴿هِئْتُ﴾ بكسر الهاء وهمزة ساكنة بعدها مع فتح التاء وضمها.

٤ - قرأ ابن كثير ﴿هَيْتُ﴾ بفتح الهاء وياء ساكنة لينة بعدها مع ضم التاء.

٥ - قرأ الباقون ﴿هَيْتَ﴾ بفتح الهاء وياء ساكنة لينة بعدها مع فتح

(٣٠٣) التحرير والتنوير ج١٢ص٢٤١.
(٣٠٤) تفسير المنار ج١٢ ص٢٧٠ - بتصرف يسير.
(٣٠٥) التحرير والتنوير ج١٢ص٢٤١ - بتصرف يسير.

التاء[٣٠٦].

المعنى اللغوي للقراءات:

﴿هَيْتَ لَكَ﴾: قيل هي عبرانية، (هيتلخ) أي: تعال، فأعربه القرآن، وقيل: سريانية، وقيل: قبطية: هلمّ لك[٣٠٧]، وقيل: عربية تدعوه بها إلى نفسها[٣٠٨]، وقيل غير ذلك. «ولا يبعد اتفاق اللغات في لفظ، فقد وجد ذلك في كلام العرب مع لغات غيرهم»[٣٠٩].

قال ابن جني: «وفيها لغات ﴿هَيْتَ لَكَ﴾ بفتح الهاء والتاء، و﴿هِيتَ لك﴾ بكسر الهاء وفتح التاء و﴿هَيْتُ لك﴾ بفتح الهاء وَضم التاء. وأمّا ﴿هِئْتُ﴾ بالهمز وضم التاء ففعل، يقال فيه: هِئْتُ أَهِيءُ هَيْئة، كجئت أجيء جَيئة أي تهيأت»[٣١٠].

وقال الراغب: «﴿هَيْتَ﴾ قريب من هَلُمّ، وقرئ ﴿هَيْتُ لَكَ﴾: أي: تهيَّأت لك[٣١١].

التفسير:

هذه المحنة الثالثة التي مرّ بها يوسف عليه السلام بعد محنة الإلقاء في الجبّ، والاسترقاق، حيث طلبت امرأة العزيز التي كان يوسف عليه السلام في بيتها منه أن يواقعها، وغلّقت الأبواب عليها وعلى يوسف لِمَا أرادت منه[٣١٢].

قال الرافعي: «وأعجب من هذا كلمة راودته، وهي بصيغتها المفردة

---

(٣٠٦) انظر: النشر ج٢ ص٢٩٣ ـ ٢٩٤، شرح طيبة النشر لأحمد ابن الجزري، البدور الزاهرة ص١٦١.

(٣٠٧) انظر: البحر المحيط ج٥ص٢٩٤.

(٣٠٨) انظر: تفسير الطبري ج١٢ص١٨٠، البحر المحيط ج٥ ص٢٩٤، تفسير البغوي ج٣ص١٥٨، ١٥٩، لسان العرب ج٦ ص٤٧٣١.

(٣٠٩) البحر المحيط ج٥ص٢٩٤.

(٣١٠) المحتسب ص٣٣٧ ـ بتصرف يسير.

(٣١١) المفردات في غريب القرآن ص٥٤٧.

(٣١٢) انظر: تفسير الطبري ج١٢ص١٧٨، صفوة التفاسير ج٢ص٤٦، ٤٧.

حكاية طويلة تشير إلى أنّ هذه المرأة جعلت تعترض يوسف بألوان من أنوثتها، لون بعد لون، ذاهبة إلى فن راجعة من فن، لأن الكلمة مأخوذة من روادان الإبل في مشيتها، تذهب وتجيء في رفق. وهذا يصور حيرة المرأة العاشقة، واضطرابها في حبها ومحاولتها أن تنفذ إلى غايتها...، ثمّ قال: ﴿وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ﴾ ولم يقل أغلقت، وهذا يُشعر أنها لمّا يئست ورأت منه محاولة الانصراف أسرعت في ثورة نفسها مهتاجة تتخيل القفل الواحد أقفالاً عدة، وتجري من باب لباب، وتضطرب يدها في الإغلاق، كأنما تحاول سدّ الأبواب لا إغلاقها فقط»[٣١٣].

وقالت هلم وأسرع إلى ما طلبت منك، فليس ثمّ ما يُخشى. قال يوسف عليه السلام أستجير بالله من الذي تدعينني إليه، إنّ زوجك سيدي، أحسن تعهدي وأكرمني، فلا أخونه، إنّه لا يدرك البقاء ولا ينجح من ظلم ففعل ما ليس له فعله، وهذا الذي تدعينني إليه من الفجور ظلم وخيانة لسيدي الذي ائتمنني على منزله[٣١٤].

قال ابن عاشور: «فالكلام تعليل لامتناعه وتعريض بها في خيانة عهدها»[٣١٥].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تعددت أقوال العلماء في توجيه القراءات في هذه الكلمة:

ـ قال مكي: «قوله **﴿هيت لك﴾** هي لفظة مبنية غير مهموزة يجوز فيها فتح التاء وكسرها وضمها، والكسر فيه بُعد لاستثقال الكسرة بعد الياء[٣١٦]، ومعناها الاستجلاب ليوسف إلى نفسها بمعنى هلم لك...،

(٣١٣) وحي القلم ج١ ص٩٤، ٩٥ ـ باختصار وتصرف يسير.

(٣١٤) انظر: تفسير الطبري ج١٢ص١٨٢، ١٨٣، البحر المحيط، صفوة التفاسير ج٢ص٤٦.

(٣١٥) التحرير والتنوير ج١٢ص٢٥٢.

وأمّا فتح الهاء وكسرها فلغتان»[٣١٧].

- وقال العكبري: «وقرىء بكسر الهاء وهمزة ساكنة وضم التاء وهو على هذا فعل من هَاءَ يَهَاءُ مثل شَاءَ يَشَاءُ ويَهِيْءُ مثل فَاءَ يَفِيْءُ والمعنى تهيأت لك»[٣١٨].

- قال ابن هشام: «وأما مَن قرأ ﴿هئتُ﴾ مثل جئتُ فهو فعل بمعنى تهيأت، واللام متعلقة به، وأمّا من قرأ كذلك ولكن جعل التاء ضمير المخاطب، . . . فمعنى تَهَيُّئه تيسر انفرادها به، لا أنه قصدها، بدليل ﴿وَرَٰوَدَتۡهُ﴾، ويحتمل أنها أصل قراءة هشام ﴿هِيتَ﴾ بكسر الهاء وبالياء وبفتح التاء، وتكون على إبدال الهمزة»[٣١٩].

- قال أبو حيان: «فهذه القراءات هي فيها اسم فعل، إلا من ضم التاء وكسر الهاء سواء همز أم لم يهمز، فإنه يحتمل أن يكون اسم فعل كحالها عند فتح التاء أو كسرها، ويحتمل أن يكون فعلاً رافعاً ضميرَ المتكلم من هاء الرجل يهيىء إذا أحسن هيئته على مثال: جاء يجيء، أو بمعنى تهيأت»[٣٢٠].

- قال النحاس: «وقراءة ﴿هِيتَ﴾ بكسر الهاء وفتح التاء وياء بينهما فيها قولان: أحدهما أن يكون الفتح لالتقاء الساكنين لأنه صوت يجب ألاّ يعرب والفتح خفيف، والآخر أن يكون من هاء يهيء مثل جاء يجيء فيكون المعنى في ﴿هِيتَ﴾ أي حسنت هيئتك وخفف الهمزة»[٣٢١].

- قال ابن الجزري: «والصواب أنّ هذه القراءات كلها لغات في هذه

---

(٣١٦) وهي قراءة شاذة.

(٣١٧) مشكل إعراب القرآن ج١ ص٣٨٣ - بتصرف يسير. وانظر إملاء ما منّ به الرحمن ج٢ص٥١.

(٣١٨) إملاء ما منّ به الرحمن ج٢ ص ٥١ - باختصار وتصرف يسير.

(٣١٩) مغني اللبيب ج١ص٢٢٢ - باختصار.

(٣٢٠) البحر المحيط ج٥ ص٢٩٤.

(٣٢١) إعراب القرآن ج٢ص٣٢٣.

الكلمة وهي اسم فعل بمعنى هلم وليست في شيء منها فعلاً ولا التاء فيها ضمير متكلم ولا مخاطب»[٣٢٢].

قلت: القراءات المختلفة في هذه الكلمة تحتمل أن تكون على لغات مختلفة بمعنى هلم وتعال، وبعضها يحتمل بالإضافة إلى ذلك معنى تهيأت لك، أو تهيأ أمرك لي، وهذا ما يؤيده المعنى اللغوي للكلمة.

وعليه يصبح معنى الآية: قالت امرأة العزيز ليوسف عليه السلام هلم إليّ فقد تهيأت لك، وتهيأ أمرك لي، أي تَيسر انفرادها به. وكثرة ما روي في هذه الكلمة من أوجه يشبه شدة طلبها وإلحاحها عليه بمواقعتها بأساليب مختلفة. فالقراءة بالهمز وما فيه من قوة نبر توحي بارتفاع الصوت والسرعة في الطلب[٣٢٣]، والقراءة بالياء اللينة توحي باللين والخضوع والترسل، وكلتاهما مرة مع ضم التاء التي توحي بقوة الطلب مشوباً بالتهديد والوعيد لما في الضم من قوة، ومرة بفتح التاء، والتي توحي بالتذلل؛ لما في الفتح من ضعف. والله تعالى أعلى وأعلم.

١١ - ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [يوسف: ٢٤].

القراءات:

١ - قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب وابن عامر ﴿**الْمُخْلِصِينَ**﴾ بكسر اللام.

٢ - قرأ الباقون ﴿ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ بفتح اللام[٣٢٤].

المعنى اللغوي للقراءات:

---

(٣٢٢) النشر ج٢ص٢٩٤، ٢٩٥، وانظر: فتح القدير ج٣ص١٧.

(٣٢٣) انظر: اللهجات العربية في القراءات القرآنية ص١٠٦، المغني في توجيه القراءات العشر ج١ص١٠٧، عن مخطوطة الوقف والوصل في اللغة العربية ص١٢٠.

(٣٢٤) انظر: النشر ج٢ ص٢٩٥، البدور الزاهرة ص١٦٢.

قال ابن فارس: «خلص: الخاء واللام والصاد أصل واحد مطرد وهو تنقية الشيء وتهذيبه، يقولون خَلَّصته من كذا، وخَلَص هو»[(٣٢٥)].

التفسير:

ولقد همّت امرأة العزيز بمخالطة يوسف عليه السلام أي قصدتها وعزمت عليها عزماً جازماً، لا يلويها عنه صارف، بعدما باشرت مبادئها من المراودة، وتغليق الأبواب ودعوته إلى الإسراع إليها بقولها ﴿هَيْتَ لَكَ﴾ مما اضطره إلى الهروب إلى الباب. ولولا رؤيته برهان ربه لهمّ بها. ولكنه رأى من تأييد الله له بالبرهان ما صرف عنه السوء والفحشاء[(٣٢٦)]. قال أبو حيان: ونظيره (قارفت الإثم لولا أن الله عصمك)، ولا تقول: إن جواب (لولا) يتقدم عليها ـ وإن لم يقم دليل على امتناعه، بل صريح أدوات الشرط العاملة مختلف فيها حتى ذهب الكوفيون وأعلام البصريين إلى جواز تقدمه ـ بل تقول: هو محذوف لدلالة ما قبله عليه، لأن المحذوف في الشرط يقدر من جنس ما قبله»[(٣٢٧)]، «فالآية حينئذ ناطقة بأنه لم يهم أصلاً»[(٣٢٨)].

وقيل إنّ (الهمّ) هو خطور الشيء بالبال أو ميل الطبع، كالصائم في الصيف يرى الماء البارد فتحمله نفسه على الميل إليه، وطلب شربه، ولكن يمنعه دينه منه. فـ(الهم) عبارة عن جواذب الطبيعة، و(رؤية البرهان) جواذب الحكمة، وهذا لا يدل على حصول الذنب[(٣٢٩)]. قال أبو السعود: «وإنّما عبر عنه بالهم، لمجرد وقوعه في صحبة همها في الذكر ...، لا لشبهه به

(٣٢٥) معجم مقاييس اللغة ج٢ص٢٠٨، وانظر: مجمل اللغة ص٢٩٩.

(٣٢٦) انظر: تفسير القاسمي ج٦ ص٣١٢.

(٣٢٧) البحر المحيط ج٥ص٢٩٥، وانظر: نظم الدرر ج٤ص٣٠، تفسير القاسمي ج٦ص٢١٣.

(٣٢٨) تفسير القاسمي ج٦ص٢١٣.

(٣٢٩) انظر: تفسير الفخر الرازي ج١٢ ص١٢١، ١٢٢، تفسير أبي السعود ج٣ص٩٤، تفسير القاسمي ج٦ص٢١٣.

كما قيل، ولقد أشير إلى تباينهما، حيث لم يُلَزَّا في قرن واحد من التعبير، بأن قيل: ولقد همّا بالمخالطة، أو همّ كل منهما بالآخر. وصُدِّر الأول بما يقرر وجوده من التوكيد القسمي، وعُقِّبَ الثاني بما يعفو أثره من قوله ﷻ: ﴿لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ﴾، أي حجته الباهرة، الدالة على قبح الزنا، وسوء سبيله. والمراد برؤيته لها كمال إيقانه بها، ومشاهدته لها مشاهدة واصلة إلى مرتبة عين اليقين . . .، وكأنه عليه السلام قد شاهد الزنى بموجب ذلك البرهان النيِّر، على ما هو عليه في حد ذاته أقبح ما يكون، وأوجب ما يجب أن يحذر منه، ولذلك فعل ما فعل من الاستعصام، والحكم بعدم إفلاح من يرتكبه. وجواب ﴿لَوْلَآ﴾ محذوف، يدل عليه الكلام، أي: لولا مشاهدة برهان ربه في شأن الزنا لجرى على موجب ميله الجبلي، ولكن حيث كان مشاهداً له من قبل، استمر على ما هو عليه من قضية البرهان. وفائدة هذه الشرطية بيان أن امتناعه عليه السلام، لم يكن لعدم مساعدة من جهة الطبيعة، بل لمحض العفة والنزاهة، مع وفور الدواعي الداخلية، وترتيب المقدمات الخارجية، الموجبة لظهور الأحكام الطبيعية»[٣٣٠].

قال القاسمي: «فاتَّضح أن لا شبهة فيها على عصمة يوسف عليه السلام، فإنّ الأنبياء ليسوا بمعصومين من حديث النفس، وخواطر الشهوة الجبلية، ولكنهم معصومون من طاعتها، والانقياد إليها، ولو لم توجد عندهم دواع جبلية، لكانوا إمّا ملائكة أو عالماً آخر»[٣٣١].

قال الزمخشري: «ولو وُجدت من يوسف عليه السلام أدنى زلة لَنُعيت عليه وذُكِرت توبته واستغفاره . . .، كيف وقد أُثنيَ عليه وسُمِّي مُخْلَصاً، فَعلم بالقطع أنه ثبت في ذلك المقام الدَّحْض[٣٣٢]، وأنه جاهد نفسه مجاهدة أولي القوة والعزم»[٣٣٣].

---

(٣٣٠) تفسير أبي السعود ج٣ ص٩٥ ـ باختصار، وانظر: الكشاف ج٢ص٣١١.

(٣٣١) تفسير القاسمي ج٦ ص ٢١٤.

(٣٣٢) الدحض: الزَلِق، يقال: مكان دَحْضٌ وَدَحُوض، ودَحَضت رجلُه: زَلَقت، والمَدْحضة: المَزَلَّة. (انظر: القاموس المحيط ص٨٢٨).

قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ﴾ وهو المنكر والفجور والمكروه، ﴿والفحشاء﴾ وهي ما تناهى قبحه، إنه من عبادنا الذين أخلصهم الله تعالى لطاعته بأن عصمهم[٣٣٤].

هذا، وقد ألحق بعض المفسرين أقاصيص مُخْتَلَقة على يوسف عليه السلام في هَمِّه، نقلوها عن أهل الكتاب، وكلها خرافات وأباطيل تمجها الآذان، وتردها العقول والأذهان[٣٣٥].

لطيفة:

«قيل: إنّ كل من له دخل في هذه القصة شهد ببراءة يوسف عليه السلام، فشهد الله تعالى بقوله: ﴿لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾، وشهد هو على نفسه بقوله: ﴿هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى﴾ [يوسف: ٢٦]، ونحوه، وشهدت امرأة العزيز بقولها: ﴿وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ﴾ [يوسف: ٣٢]، وسيدها بقوله: ﴿إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ﴾ [يوسف: ٢٩]، وإبليس بقوله: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [ص: ٨٢، ٨٣]، فتضمن ذلك أنه لم يُغْوِه، ومع هذا لم يبرئه أهل القصص»[٣٣٦].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءة ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ بفتح اللام، بتأويل: إنّ يوسف عليه السلام من عبادنا الذين أخلصناهم لأنفسنا واخترناهم لنبوتنا ورسالتنا. ويحتمل أن يكون المراد أنه من ذرية إبراهيم عليه السلام الذين قال الله فيهم ﴿إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾﴾ [ص: ٤٦]. والقراءة **﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا**

---

(٣٣٣) الكشاف ج٢ص٣١٢.

(٣٣٤) انظر: الكشاف ج٢ ص ٣١٢، تفسير القاسمي ج٦ص٣١٥.

(٣٣٥) انظر: تفسير أبي السعود ج٣ ص٩٦، تفسير القاسمي ج٦ص٣١٤.

(٣٣٦) تفسير القاسمي ج٦ص٣١٥ ـ بتصرف يسير، وانظر: تفسير الفخر الرازي ج١٢ص١١٩.

﴿الْمُخْلِصِينَ﴾ بكسر اللام، بتأويل: إنّ يوسف عليه السلام من عبادنا الذين أخلصوا توحيدنا وعبادتنا فلم يشركوا بنا شيئاً، ولم يعبدوا شيئاً غيرنا(٣٣٧).

وعليه فإنّه قراءة ﴿الْمُخْلِصِينَ﴾ بكسر اللام، أفادت أن يوسف عليه السلام مِن الذين أخلصوا توحيد الله وعبادته، وأمّا قراءة ﴿الْمُخْلَصِينَ﴾ بفتح اللام، فقد أفادت أنّ يوسف عليه السلام من الذين أخلصهم الله لنفسه فاختارهم، «وقد كان يوسف عليه السلام بهاتين الصفتين، لأنه كان مُخْلِصاً في طاعة الله تعالى، مستَخْلَصاً لرسالة الله تعالى»(٣٣٨). والقراءتان يرجع معنى إحداهما إلى الأخرى، «وذلك أنّ من أخلصه الله لنفسه، فاختاره، فهو مُخْلِصٌ لله التوحيدَ والعبادةَ، ومن أخلص توحيد الله وعبادته. فلم يشرك بالله شيئاً، فهو ممن أخلصه الله»(٣٣٩).

١٢ ـ ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [يوسف: ٣١].

القراءات:

١ ـ قرأ أبو عمرو ﴿حَاشَا﴾ بألف بعد الشين وصلاً وحذفها وقفاً.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿حَٰشَ﴾ بحذف الألف وصلاً ووقفاً(٣٤٠).

المعنى اللغوي للقراءات:

(حشوى): الحاء والشين وما بعدها معتلٌ أصل واحد، وهو أن يودع الشيء وعاء باستقصاء، والحشا: حشا الإنسان وهو ما دون الحجاب مما في البطن من كبد وطحال وكرش وما تبعه، والجمع أحشاء، والحشا

(٣٣٧) انظر: تفسير الطبري ج١٢ ص١٩١,، الملخص في إعراب القرآن ص٤٥، تفسير الفخر الرازي ج١٢ص١٢٣، تفسير القاسمي ج٦ص٣١٥.

(٣٣٨) تفسير القرطبي ج٩ص١٧٠.

(٣٣٩) تفسير الطبري ج١٢ ص١٩١.

(٣٤٠) انظر: النشر ج٢ ص٢٩٥، والبدور الزاهرة ص١٦٣.

الناحية، وهو من قياس الباب لأن لكل ناحية أهلاً فكأنهم حشوها، والحاشية جانب الثوب وغيره، وقوله تعالى: ﴿حَٰشَ لِلَّهِ﴾ اشْتُقَّ من قولك كنتُ في حَشا فلان أي في ناحية فلان، والمعنى: بَراءةً لله من هذا ومَعاذاً لله، وإذا قلت: حاشى لزيد، هذا من التَّنَحّي والمعنى: قد تنَحّي زيدٌ من هذا وتَباعَدَ عنه. وحاشى فلاناً: معناه قد استثنيتُه وأخرجته فلم أُدخله في جملة المذكورين[٣٤١].

قال الأنباري النحوي: «ذهب الكوفيون إلى أنّ (حاشى) في الاستثناء فعل ماض، وذهب بعضهم إلى أنه فعل استعمل استعمال الأدوات، وذهب البصريون إلى أنه حرف جر، وذهب أبو العباس المُبَرِّد[٣٤٢] إلى أنه يكون فعلاً ويكون حرفاً»[٣٤٣].

قال الراغب: «﴿وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ﴾ أي بعداً منه»[٣٤٤].

التفسير:

يقول الله تعالى: فلما سمعت امرأة العزيز بمكر النسوة اللاتي قلن في المدينة: ﴿ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾، أرسلت إليهن وأعدت لهن مجلساً للطعام، وما يتكئن عليه من الوسائد، وأعطت كل واحدة منهن سكيناً لتقطع به الطعام، وقالت ليوسف عليه السلام ﴿ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ﴾، فخرج عليهن، فلمّا رأينه أعظمنه وأجللنه، وقطعن أيديهن وهنّ لا يشعرن، وقلن: ﴿حَٰشَ لِلَّهِ﴾ أي تنزيهاً لله عن صفات

---

(٣٤١) انظر: معجم مقاييس اللغة ج٢ص٦٥، لسان العرب ج٢ص١٧٨، ١٧٩، القاموس المحيط ص١٦٤٤، ١٦٤٥.

(٣٤٢) المبرِّد (بفتح الراء المشددة عند الأكثر وبعضهم بالكسر): محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي، أبو العباس، المعروف بالمبرد، إمام العربية ببغداد في زمانه، وأحد أئمة الأدب والأخبار، ولد بالبصرة سنة٢١٠هـ، وتوفي ببغداد سنة ٢٨٦هـ، من كتبه: الكامل، المقتضب. (انظر: الأعلام ج٥ص١٤٤).

(٣٤٣) الإنصاف في مسائل الخلاف ج١ص٢٧٨.

(٣٤٤) المفردات في غريب القرآن ص١٣٦.

النقص، وتعجباً من قدرة الله تعالى على خلق مثل هذا الجمال، وقلن: ما هذا بشراً - لأنهن لم يرين في حسن صورته من البشر أحداً -، إن هذا إلاّ ملك من الملائكة[٣٤٥].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

حجة من قرأ ﴿حاشا﴾ وصلاً أنه جاء بها على الأصل، وحذف الألف في الوقف اتّباعاً لرسم المصحف، ومن قرأ ﴿حَـٰشَ﴾ وصلاً ووقفاً فعلى حذف الألف تخفيفاً، ولأن الفتحة تدل عليها، ولأنها وقعت في المصحف بغير ألف. وحذف الألف وإثباتها على لغتين من لغات العرب[٣٤٦].

قال الطبري: «وهو في هذا الموضع عندنا بمعنى التنزيه لله، كأنه قيل: معاذ الله. وأمّا القول في قراءة ذلك، فإنه يقال للقارئ الخيار في قراءته بأي القراءتين شاء، إن شاء بقراءة الكوفيين وإن شاء بقراءة البصريين، وهو ﴿حَـٰشَ لِلَّهِ﴾ وَ﴿حاشا لله﴾ لأنهما قراءتان مشهورتان، ولغتان معروفتان بمعنًى واحد»[٣٤٧].

وعليه فإنّ القراءتين على لغتين من لغات العرب، وكلُّ قراءة منهما تُلْقِي بظلالها على المعاني، فإثبات الألف بما فيها من مدّ يفيد المبالغة في التنزيه، وحذف الألف فيه إيماء ونكتة بديعة، حيث يدل على نفي النقص عن الله ﷻ، وإثبات قدرته على خلق كل ما هو جميل، كما أنها تنفي شبه يوسف عليه السلام بالبشر على أبلغ وجه[٣٤٨]. والله تعالى أعلى وأعلم.

---

(٣٤٥) انظر: تفسير الطبري ج١٢ص٢٠٦ - ٢٠٩، التفسير الواضح ج١٢ص٧٧، التفسير المنير ج١٢ص٢٥٤.

(٣٤٦) انظر: تفسير الطبري ج١٢ ص٢٠٨، مشكل إعراب القرآن ص ٣٨٦، ٣٨٧، الكشف ج٢ص١٠، حجة القراءات ص٣٥٩، الملخص في إعراب القرآن ص ٤٩، المهذب ج١ص٣٣٧.

(٣٤٧) تفسير الطبري ج١٢ ص ٢٠٨.

(٣٤٨) أُستوحي هذا المعنى من كلام البقاعي عند بيانه لعلة حذف حركة الرفع في قوله تعالى ﴿تَأۡمَنَّا﴾ [يوسف: ١١] (انظر: نظم الدرر ج٤ص١٥)، وانظر: ص٨٦ من هذا البحث.

١٣ ـ ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ۝٣٣﴾ [يوسف: ٣٣].

القراءات:

١ ـ قرأ يعقوب (السَّجْنُ) بفتح السين.

٢ ـ قرأ الباقون (السِّجْنُ) بكسر السين[٣٤٩].

المعنى اللغوي للقراءات:

﴿ٱلسِّجْنَ﴾ بكسر السين: المَحْبِسُ، وهو البيت الذي يُحبس فيه. و﴿السَّجْنُ﴾ بفتح السين: الحَبْسُ، وهو مصدر من سَجَنَه يَسْجُنُه سَجْناً أي حبسه. وفي الحديث: «ما على ظهر الأرض شيء أحوج إلى طُولِ سَجْنٍ من لسانٍ[٣٥٠]»[٣٥١].

التفسير:

صرّحت امرأت العزيز للنسوة في مجلسها بما كان منها من مراودة يوسف عليه السلام واستعصامه، وهددت وتوعدت إن لم يمتثل لأمرها أن يكون عقابه السَّجن والصَّغار، فجعلت النسوة يزيِّنَّ ليوسف عليه السلام طاعتها، وينهينه عن إلقاء نفسه في السجن. وإزاء تلك المراودة والتهديد بالحبس لجأ يوسف عليه السلام إلى ربه فجعل يناجيه بتضرع وخشوع قائلاً: يا رب إنّ السجن بما فيه من شرّ ظاهر، آثر عندي وأحبّ إلى نفسي من اقتراف الفاحشة، وإن لم تدفع عني شرهن وتعصمني منهن، أَمِل إليهن، وأتابعهن على ما يردن منّي، وأكن بذلك من الذين جهلوا حقك وخالفوا أمرك ونهيك، فمنك العون

(٣٤٩) انظر: النشر ج٢ ص٢٩٥، البدور الزاهرة ص١٦٣.

(٣٥٠) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ح(٨٧٤٥) ج٩ص١٦٢، والبيهقي في شعب الإيمان باب في الجهاد ح(٤٢٢٠) ج٤ص١٠، ١١. قال الهيثمي «رواه الطبراني بأسانيد ورجالها ثقات». (مجمع الزوائد ج١٠ص٣٠٣).

(٣٥١) انظر: تاج العروس ج٩ص٢٣١، لسان العرب ج٣ص١٩٤٧.

والمنعة، وأنت المستعان وعليك التكلان[٣٥٢].

قال ابن تيمية: «وفي قول يوسف عليه السلام: ﴿رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ عبرتان:

إحداهما: اختيار السجن والبلاء على الذنوب والمعاصي.

والثانية: طلب سؤال الله ودعائه أن يثبت القلب على دينه، ويصرفه إلى طاعته، وإلاّ فإذا لم يثبت القلب وإلا صبا إلى الآمرين بالذنوب وصار من الجاهلين.

ففي هذا توكل على الله واستعانة به أن يثبت القلب على الإيمان والطاعة، وفيه صبر على المحنة والبلاء والأذى الحاصل إذا ثبت على الإيمان والطاعة»[٣٥٣].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

من قرأ ﴿السِّجْنُ﴾ بكسر السين فهو المَحْبِس أي المكان الذي يُحبس فيه، وهو اسم والتقدير: سكنى السِّجن، ومن قرأ ﴿السَّجْنُ﴾ بفتح السين فهو مصدر سَجَنه سَجْناً، بمعنى الحبس في مكان محيط لا يخرج منه[٣٥٤]. فيوسف عليه السلام فضّل الحَبس مع التمسك بطاعة الله على الحرية التي ثمنها أن يرتكب الفاحشة، وفضّل سكنى السجن، رغم ما فيه من مقاساة على سكنى القصور، حيث أضحت تلك القصور بيئة ملوثة لا يحب المكث

(٣٥٢) انظر: تفسير الطبري ج١٢ص٢١٠، ٢١١، تفسير ابن كثير ج٢ص٧٠٣، تفسير أبي السعود ج٣ص١٠٣، ١٠٤، صفوة التفاسير ج٢ص٥٠، التفسير الواضح ج١٢ص٧٨، التفسير المنير ج١٢ص٢٥٦.

(٣٥٣) مجموع الفتاوى ج١٥ص١٣٠.

(٣٥٤) انظر: إملاء ما منّ به الرحمن ج٢ص٥٣، شرح طيبة النشر لأحمد بن الجزري ص٢٥٤، التحرير والتنوير ج١٢ص٢٦٤، المهذب ج٢ص٣٣٧، المغني في توجيه القراءات العشر ج٢ص٢٧٣، ٢٧٤.

فيها، وهكذا لا يستريح الطيب في البيئة الخبيثة[٣٥٥].

وعليه فإنّ القراءة بكسر السين بينت أنّ يوسف عليه السلام كره التمتع بسكنى القصور ببيئتها الملوثة وفضّل عليها سكنى السّجن، أمّا القراءة بفتح السين فبينت أنّ يوسف عليه السلام كره التمتع بحريته مع فعل المحرم وفضل عليها الحَبس مع العفة. والقراءتان معاً أكدتا كراهية يوسف عليه السلام لارتكاب الفاحشة. والله تعالى أعلم.

١٤ ـ ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [يوسف: ٤٧].

القراءات:

١ ـ قرأ حفص ﴿دَأَبًا﴾ بفتح الهمزة.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿دَأْبًا﴾ بإسكان الهمزة[٣٥٦].

المعنى اللغوي للقراءات:

دأب: الدَّأْبُ والدَّأَب بالتَّحْريك العادةُ والشَّأْن وفي الحديث: «عليكم بقيام الليلِ فإنه دَأْبُ الصالحِينَ قَبْلَكم»[٣٥٧]. ودَأَبَ فلانٌ في عَمَلِه أي جَدَّ وتَعِبَ يَدْأَبُ دَأْباً ودَأَباً ودُؤُوباً فهو دَئِبٌ، وكلُّ ما أَدَمْتَه فقد أَدْأَبْتَه[٣٥٨].

التفسير:

يقول تعالى: قال يوسف عليه السلام لسائله عن رؤيا الملك: تزرعون سبع

(٣٥٥) انظر: التفسير الواضح ج١٢ص٧٨.

(٣٥٦) انظر: النشر ج٢ ص٢٩٥، والبدور الزاهرة ص١٦٣.

(٣٥٧) أخرجه الترمذي: كتاب الدعوات، باب في دعاء النبي ﷺ ح (٣٥٦٠) ج٥ص٣٢٣، وابن خزيمة: كتاب جماع أبواب صلاة التطوع بالليل، باب التحريض على قيام الليل ح(١١٣٥) ج٢ص١٦٧، ١٧٧. وهو حديث حسن صحيح. (انظر سنن الترمذي تحقيق الألباني ص٨٠٦).

(٣٥٨) انظر: لسان العرب ج٢ص١٣١٠، الصحاح ج١ص١٢٣، القاموس المحيط ص١٠٥، بصائر ذوي التمييز ج٢ص٦١٣.

سنين متوالية، كما كنتم تزرعون سائر السنين على عادتكم فيما مضى، فما حصدتم من زرع فاتركوه بدون درس حتى لا يفسد، إلا قليلا مما تأكلون فادرسوه لذلك[٣٥٩].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قوله تعالى: ﴿دَأْبًا﴾ نصب على المصدر لأن معنى ﴿تَزْرَعُونَ﴾ يدل على (تدأبون)، والفتح والإسكان في المصدر لغتان كقولهم: النَّهْر والنَّهَر والسَّمْع والسَّمَع وقيل إنما حرك وأسكن لأجل حرف الحلق[٣٦٠]، وكذلك سائر ما فتح أوله وثانيه حرف من حروف الحلق[٣٦١]. فالقراءتان على لغتين من لغات العرب. ولكنّ ثمّ هناك علاقة بين هاتين اللغتين في الكلمة وبين معنى الكلمة، فالكلمة تحمل معنيين يرجع كل منهما إلى الآخر وهما التتابع والتوالي، والعادة والاستمرار. قال القرطبي: «﴿تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا﴾ أي متوالية متتابعة»[٣٦٢]. وقال الماوردي: «قوله ﷺ: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يعني تباعاً متوالية.

الثاني: يعني العادة المألوفة في الزراعة»[٣٦٣].

ويمكن القول إنّ كل قراءة ناسبت معنىً من معاني الكلمة، فسكون الهمز في قراءة ﴿دَأْبًا﴾ ناسب معنى الاستمرار والثبات على الشيء، حيث يزرعون كعادتهم التي اعتادوا عليها من قبل، أمّا القراءة بفتح الهمز ﴿دَأَبًا﴾،

(٣٥٩) انظر: تفسير الطبري ج١٢ص ٢٣٠، تفسير القرطبي ج٩ص٢٠٣، أيسر التفاسير ج٢ص٤٨٣.

(٣٦٠) حروف الحلق ستة وهي: (أ، هـ، ع، ح، غ، خ) انظر: نهاية القول المفيد ص٦٣.

(٣٦١) انظر: مشكل إعراب القرآن ج١ص٣٨٨، الكشف ج٢ص١١، الملخص في إعراب القرآن ص٥٤، ٥٥، تفسير البغوي ج٣ ص١٧٠.

(٣٦٢) تفسير القرطبي ج٩ص٢٠٣.

(٣٦٣) تفسير الماوردي ج٣ص٤٤.

فقد ناسب فيها تتابع الحركات معنى التتابع والتوالي، حيث يزرعون سبع سنين متوالية بلا انقطاع. والله تعالى أعلم.

١٥ ـ ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [يوسف: ٤٩].

القراءات:

١ ـ قرأ حمزة والكسائي وخلف ﴿**تعْصِرُون**﴾ بتاء الخطاب.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿يَعْصِرُونَ﴾ بياء الغيبة[٣٦٤].

المعنى اللغوي للقراءات:

قال الراغب: «عصر: العَصْرُ مصدر عَصَرْتُ والمَعْصُور الشيءُ العَصيرُ، والعُصارة نُقاية ما يُعْصر. قال: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًا﴾ [يوسف: ٣٦]، وقال: ﴿وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ [يوسف: ٤٩] أي يستنبطون منه الخير»[٣٦٥].

التفسير:

هذا تتمة كلام يوسف عليه السلام بعد أن أوّل رؤيا الملك، حيث أنبأهم أنه سيأتي بعد السنين السبع الشداد عام كثير الخير غزير النعم، فيه ينجي الله تعالى الناس من هذا القحط، فيمطرون ويكثر الخصب فيعصرون الأعناب والزيتون وغيرها وقيل يحلبون الضروع[٣٦٦].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

الحجة لمن قرأ بالياء أنه رده إلى ﴿النَّاسُ﴾ في قوله تعالى ﴿فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ﴾ ومن قرأه بالتاء فحجته أنه رده إلى المخاطبين المتقدمين في قوله

---

(٣٦٤) انظر: النشر ج٢ ص٢٩٥، البدور الزاهرة ص١٦٤.

(٣٦٥) المفردات في غريب القرآن ص ٣٣٦.

(٣٦٦) انظر: الكشاف ج٢ص٣٢٥، التحرير والتنوير ج١٢ص٢٨٦، تفسير المنار ج١٢ص٣٢٠، صفوة التفاسير ج٢ص٥٦.

تعالى: ﴿تَزْرَعُونَ﴾ فخصهم بذلك دون الناس[٣٦٧]. «وفائدة القراءتين، بيان المنّة على الفريقين من غائب محكي عنه، وحاضر مخاطب بما يكون منه»[٣٦٨].

١٦ - ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾﴾ [يوسف: ٥١].

القراءات:

١ - قرأ أبو عمرو (حَاشَا) بألف بعد الشين وصلاً وحذفها وقفاً.

٢ - قرأ الباقون (حَاشَ) بحذف الألف وصلاً ووقفاً[٣٦٩].

المعنى اللغوي للقراءات:

سبق بيانه[٣٧٠].

التفسير:

رجع الرسول إلى الملك من عند يوسف عليه السلام برسالته، فدعا الملك النسوة اللاتي قطعن أيديهن وامرأة العزيز، فقال لهنّ، ما كان شأنكنّ حين خادعتن يوسف عليه السلام عن نفسه، ورغبتنه في إطاعة مولاته وارتكاب الفاحشة، هل وجدتن فيه شيئاً من سوء وريبة. فأجبن الملك: ﴿حَٰشَ لِلَّهِ﴾ أي تنزيهاً لله وتعجباً من عفة يوسف عليه السلام وخشيته لله، ما نعرف عنه سوءاً قط في تاريخه الطويل، وحينئذٍ قالت امرأة العزيز: الآن تبين الحق وانكشف فظهر، أَنَا خادعته عَنْ نَفْسِهِ ودعوته إلى ارتكاب الفاحشة، وَإِنَّهُ لَصادِق في قوله: ﴿هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى﴾. وهذا اعتراف صريح من امرأة العزيز ببراءة

(٣٦٧) انظر: حجة القراءات ص١٩٦، الملخص في إعراب القرآن ص٥٥.
(٣٦٨) تفسير المنار ج١٢ص٣٢٠.
(٣٦٩) انظر: النشر ج٢ ص٢٩٥، والبدور الزاهرة ص١٦٣.
(٣٧٠) انظر ص١٠٤ من هذا البحث.

يوسف عليه السلام[٣٧١].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قال مكي: «الأصل في ﴿حَٰشَ لِلَّهِ﴾ أن تكون بالألف، لكن وقعت في المصحف بغير ألف اكتفاء بالفتحة من الألف، كما حذفت النون في(لم يك)، ومعنى ﴿حَٰشَ لِلَّهِ﴾ بعد يوسف عن هذا الذي رمي به، (لله) أي لخوفه الله ومراقبته له»[٣٧٢].

قال الطبري: «وأمّا القول في قراءة ذلك، فإنه يقال للقارئ الخيار في قراءته بأي القراءتين شاء، إن شاء بقراءة الكوفيين وإن شاء بقراءة البصريين، وهو ﴿حَٰشَ لِلَّهِ﴾ و﴿**حاشا لله**﴾ لأنهما قراءتان مشهورتان، ولغتان معروفتان بمعنًى واحد»[٣٧٣].

قال ابن هشام: «حاشا على ثلاثة أوجه:

أحدها: أن تكون فعلاً متعدياً متصرفاً، تقول (حاشيته) بمعنى استثنيته.

الثاني: أن تكون تنزيهية نحو ﴿حَٰشَ لِلَّهِ﴾، وهي عند البعض فعل، قالوا: والمعنى في الآية: جانب يوسف المعصية لأجل الله. ولا يتأتى هذا التأويل في مثل ﴿حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا﴾. والصحيح أنها اسم مرادف للبراءة من كذا.

الثالث: أن تكون للاستثناء»[٣٧٤].

وعليه فإن القراءتين على لغتين من لغات العرب، وحذف الألف

(٣٧١) انظر: تفسير الطبري ج١٢ص٢٣٦، ٢٣٧، تفسير ابن كثير ج٢ص٧٠٩، تفسير أبي السعود ج٣ ص١١٥، ١١٦، التفسير الواضح ج١٢ص٨٥، التفسير المنير ج١٢ص٢٨٢، ٢٨٣.

(٣٧٢) مشكل إعراب القرآن ص٣٨٦، وانظر: الكشف ج٢ ص١٠، إبراز المعاني ص٥٣٤، ٥٣٥.

(٣٧٣) تفسير الطبري ج١٢ ص ٢٠٨.

(٣٧٤) مغني اللبيب ج١ ص١٢١، ١٢٢ ـ باختصار.

تخفيفاً، واكتفاءً بالفتحة الدالة عليها، وإثبات الألف على الأصل. كما أنّ ﴿حَٰشَ لِلَّهِ﴾ هنا يحتمل أمرين:

الأول: أنها اسم مرادف للبراءة من كذا، أي: قلن معاذ الله، بمعنى التنزيه لله ﷻ. وهو الأرجح، **والثاني**: أنها فعل، والمعنى في الآية: جانب يوسف المعصية لأجل الله.

وعلى المعنى الأول فإنّ إثبات الألف بما فيها من مدّ يفيد المبالغة في التبرئة والتنزيه، وحذفها يومئ إلى نفي النقص عن الله تعالى على أبلغ وجه. وعلى المعنى الثاني، فإثبات الألف بما فيها من مدّ يفيد المبالغة في تبرئة يوسف عليه السلام مما رُمي به، وحذف الألف فيه إيماء إلى نفي السوء والشرّ عن يوسف عليه السلام على أبلغ وجه[٣٧٥]. والله تعالى أعلى وأعلم.

١٧ ـ ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُۚ نُصِيبُ بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ وَلَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝٥٦﴾ [يوسف: ٥٦].

القراءات:

١ ـ قرأ ابن كثير ﴿حَيۡثُ نَشَآءُ﴾ بالنون.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿حَيۡثُ يَشَآءُ﴾ بالياء[٣٧٦].

المعنى اللغوي للقراءات:

شيأ: المَشِيئة: الإرادة. تقول: شِئْتُ الشَّيْءَ أَشاؤُه شَيْئاً ومَشَاءَةً ومَشايَةً، أي: أَرَدْتُه، والاسم الشِّيَئة. وفي الحديث: «أَنَّ يَهُودِيّاً أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ إِنَّكُمْ تُنَدِّدُونَ[٣٧٧] وَإِنَّكُمْ تُشْرِكُونَ تَقُولُونَ مَا شَاءَ الله وَشِئْتَ

(٣٧٥) انظر: ص١٠٦ من هذا البحث.

(٣٧٦) انظر: النشر ج٢ ص٢٩٥، البدور الزاهرة ص١٦٥.

(٣٧٧) تُنَدِّدُون: أي تجعلون لله نَدِيداً. ونَدِيدُ الشيءِ ونِدُّه: مُشاركه في جوهره، وذلك ضرب من المماثلة، فإنّ المِثْلَ يقال في أي مشاركة كانت، فكل نِدٍّ مِثْلٌ، وليس كلُّ مِثْلٍ نداً. (انظر: المفردات في غريب القرآن ص٤٨٦).

وَتَقُولُونَ وَالْكَعْبَةِ فَأَمَرَهُمْ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَحْلِفُوا أَنْ يَقُولُوا وَرَبِّ الْكَعْبَةِ، وَيَقُولُونَ مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ شِئْتَ»(٣٧٨). ففرَّق بين قولِ: (ما شاءَ الله وشِئتُ) و(ما شاءَ الله ثم شئتُ) لأنَّ الواو تفيد الجمعَ دون الترتيب، و(ثُمّ) تجْمَعُ وتُرَتِّب، فمعَ الواوِ يكونُ قد جَمعَ بين الله وبينَه في المَشيئةِ، ومع (ثُم) يكون قد قَدَّم مشيئَة الله على مَشيئتهِ(٣٧٩).

التفسير:

بعد أن ظهرت براءة يوسف عليه السلام مما رُمي به وقربه الملك إليه، أشار يوسف عليه السلام على الملك أن يجعله ﴿عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ﴾، فقبل الملك عرضه فاستوزره، وبذلك أنعم الله عز وجل على يوسف عليه السلام نعمة عظيمة، فجعل له سلطاناً وقدرة في أرض مصر، ينزل منها أي مكان أراد، ويتصرف في أمورها كيف شاء، وهذا شأن الله في عباده، يهب نعمته لمن يختار منهم، كما وهبها ليوسف عليه السلام فمكَّن له في الأرض بعد الإلقاء في الجبّ وبعد العبودية والإسار، والله عز وجل لا يضيع أجر من أحسن فأطاع ربه، وعمل بما أمره وانتهى عما نهاه عنه، فما أضاع صبر يوسف عليه السلام وإنّما أعقبه النصر والتأييد(٣٨٠).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءة ﴿حَيۡثُ يَشَآءُۚ﴾ بالياء على جعل الفعل ليوسف عليه السلام، حيث له المشيئة بعد مشيئة الله عز وجل، ويمكن أن يكون الفعل لله على تقدير: حيث يشاء الله، فيكون التفاتاً(٣٨١)(٣٨٢).

---

(٣٧٨) أخرجه النسائي: كتاب الأيمان والنذور، باب الحلف بالكعبة، ح(٣٧٧٣) ص٥٨٣. والحديث صححه الألباني. (انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة ج١ص٢٦٣).

(٣٧٩) انظر: المفردات في غريب القرآن ص٢٧١، العباب الزاخر ج١ص١١٨، لسان العرب ج٤ص٢٣٦٩، تاج العروس ج١ ص٨٣.

(٣٨٠) انظر: تفسير الطبري ج١٣ ص٦، تفسير ابن كثير ج٢ص٧١١، المنتخب ص٣٤٠.

(٣٨١) الالتفات: «هو الانتقال من التكلم أو الخطاب أو الغيبة إلى آخر تطرية للكلام وتفننا في الأسلوب» (التحبير في علم التفسير ص١٢٠).

(٣٨٢) انظر: البحر المحيط ج٥ص٣١٨، روح المعاني ج١٣ص٦.

والقراءة ﴿حَيۡثُ نَشَآءُۖ﴾ بالنون على جعل الإخبار بالفعل لله ﷻ لأنّ مشيئة يوسف عليه السلام إنما هي بمشيئة الله تعالى وأقداره[٣٨٣]. قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢٩﴾ [التكوير: ٢٩].

وبالجمع بين القراءتين يصبح المعنى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُۚ﴾ وذلك كله بمشيئة الله تعالى وأقداره. كما أنّ إيراد القراءة تارة بنسبة المشيئة لله ﷻ وتارة أخرى بنسبتها ليوسف عليه السلام تومئ لمعنىً لطيف، وهو أنّ هوى يوسف عليه السلام وفعله، وافق مراد الله ﷻ، وذلك قمة التقوى والإيمان. هذا على تأويل من جعل الضمير عائداً على يوسف عليه السلام في القراءة ﴿حَيۡثُ يَشَآءُۚ﴾ بالياء، أمّا من جعل الضمير في القراءتين عائداً على الله تعالى، فإنّ فائدة تنوع القراءة في هذا الموضع هي فائدة بلاغية، حيث جاءت القراءة ﴿حَيۡثُ يَشَآءُۚ﴾ بالياء على الالتفات وما فيه من تطرية للسامع وتفنناً في الأسلوب، والقراءة ﴿حَيۡثُ نَشَآءُۖ﴾ بالنون جاءت جرياً على السياق. والله تعالى أعلم.

١٨ ـ ﴿وَقَالَ لِفِتۡيَٰنِهِ ٱجۡعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ فِي رِحَالِهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَعۡرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ۝٦٢﴾ [يوسف: ٦٢].

القراءات:

١ ـ قرأ حمزة والكسائي وخلف وحفص ﴿لِفِتۡيَٰنِهِ﴾ بألف بعد الياء ونون مكسورة بعدها.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿لِفِتۡيَتِهِ﴾ بتاء مكسورة بعد الياء من غير ألف[٣٨٤].

المعنى اللغوي للقراءات:

قال ابن فارس: «(فتى) الفاء والتاء والحرف المعتل أصلان: أحدهما يدل على طراوة وجِدَّة، والآخر على تبيين حكم»[٣٨٥]. ومنه الفَتى: الشابُّ.

(٣٨٣) انظر: الحجة في القراءات السبع ص١٩٦.
(٣٨٤) انظر: النشر ج٢ ص٢٩٥، والبدور الزاهرة ص١٦٥.
(٣٨٥) معجم مقاييس اللغة ج٤ص٤٧٣.

والفتاةُ: الشابّة. وقد فَتِيَ بالكسر يَفْتى فتًى، فهو فتِيُّ السنّ بيِّن الفتاءِ، والفَتى: السخيّ الكريمُ. يقال: هو فَتًى بيِّن الفتوّةِ. وقد تَفَتَّى وتَفاتى، والجمع فِتْيانٌ وفِتْيَةٌ وفُتُوٌّ وفُتِيٌّ. والفَتى والفَتاةُ العبد والأَمة وفي حديث النبي ﷺ أنه قال: «**ولا يَقُل أحدُكم عبدي أمتي، وليَقل فَتايَ وفَتاتي وغلامي**»[٣٨٦]، وسمّى الله تعالى صاحبَ موسى عليه السلام الذي صحبه في البحر (فَتاه) فقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾﴾ [الكهف: ٦٠]، قال لأنه كان يخدمه في سفره. وقوله ﷻ: ﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [النساء: ٢٥]، المُحصناتُ: الحرائر، والفَتَياتُ: الإماء وقوله ﷻ: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ﴾ [يوسف: ٣٦]، جائز أن يكونا حَدَثين أو شيخين لأنهم كانوا يسمون المملوك فَتًى[٣٨٧].

التفسير:

لمّا همَّ إخوة يوسف عليه السلام بالرحيل، قال يوسف عليه السلام لغلمانه: ضعوا أثمان الطعام التي أخذتموها منهم في أمتعتهم، من حيث لا يشعرون، عساهم يرونها إذا عادوا إلى أهلهم، فيكون ذلك أرجى لعودتهم[٣٨٨].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

«فتية وفتيان جمع فتى، كإخوة وإخوان: الأول للقلة والثاني للكثرة»[٣٨٩].

---

(٣٨٦) الحديث أخرجه البخاري: كتاب العتق، باب كراهية التطاول على الرقيق، ح(٢٥٥٢) ص٤٨٢.

(٣٨٧) انظر: الصحاح في اللغة ج٦ص٢٤٥١، المفردات في غريب القرآن ص٣٧٢، ٣٧٣، لسان العرب ج٥ص٣٣٤٧، ٣٣٤٨.

(٣٨٨) انظر: تفسير الطبري ج١٣ص٩، المنتخب ص٣٤١.

(٣٨٩) إبراز المعاني ص ٥٣٦، وانظر: الحجة للقراء السبعة ج٤ص٤٣٠، الحجة في القراءات السبع ص١٩٦، الكشف ج٢ص١٢، حجة القراءات ص٣٦١، تفسير الفخر الرازي ج١٨ص١٧٢، روح المعاني ج١٣ص١٠.

وقراءة ﴿لِفِتْيَـٰنِهِ﴾ تشير إلى:

١ ـ كثرة الخدمة ليوسف عليه السلام، حيث يجوز أن يكون وجّه أمره للكثير، وتولى الفعل منهم القليل. قال مكي: «﴿لِفِتْيَـٰنِهِ﴾ على وزن (فعلان) جعلوه جمع فتى في أكثر العدد، ويقوي ذلك قوله: ﴿فِي رِحَالِهِمْ﴾، فأتى بجمع لأكثر العدد، فأخبر بكثرة الخدمة ليوسف، وإن كان الذين تولوا جعل البضاعة في الرحال بعضهم»[٣٩٠]، وقال أبو علي الفارسي: «ووجه الجمع الكثير: أنه يجوز أن يقال ذلك للكثير، ويتولى الفعل منهم القليل»[٣٩١].

٢ ـ كثرة عدد الخدمة الذين باشروا العمل، وقد ناسب ذلك كثرة الرحال.

قال أبو علي الفارسي: «ويقوي البناء الكثير قوله ﴿اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ﴾ فكما أنّ الرحال للعدد الكثير، لأنّ جمع القليل: أرحل: فكذلك المُتولُّون ذلك يكونون كثرة»[٣٩٢].

قلت: هذا يشير بشكل أبلغ إلى كثرة الخدمة الذين يأتمرون بأمر يوسف عليه السلام، فالذين باشروا العمل هم البعض، فإن كان البعض كثير، فكيف الكلّ.

أمّا قراءة ﴿لِفِتْيَتِهِ﴾ فإنها تشير إلى عدد الخدمة الذين باشروا العمل وهم بعض الخدمة لدى يوسف عليه السلام وهم قليل بالنسبة للكل.

قال مكي: «و﴿لِفِتْيَتِهِ﴾ على وزن (فِعْلَة) جعلوه جمع فتى في أقل العدد، لأنّ الذين تولوا جعل البضاعة في رحالهم يكفي منهم أقلهم»[٣٩٣]. وقال الفخر الرازي: «فوجه البناء الذي للعدد القليل أن الذين يحيطون بما

---

(٣٩٠) الكشف ج٢ص١٢ ـ بتصرف يسير.

(٣٩١) الحجة للقراء السبعة ج٤ص٤٣٠.

(٣٩٢) الحجة للقراء السبعة ج٤ص٤٣٠.

(٣٩٣) الكشف ج٢ص١٢ ـ بتصرف يسير، وانظر: الحجة للقراء السبعة ج٤ص٤٣٠، إبراز المعاني ص ٥٣٦.

يجعلون بضاعتهم فيه من رحالهم يكونون قليلين لأن هذا من باب الأسرار فوجب صونه إلاّ عن العدد القليل»(٣٩٤).

وعليه فإنّ قراءة ﴿لِفِتْيَتِهِ﴾ تُشعر أنّ أمر يوسف عليه السلام لغلمانه بجعل أثمان الطعام في رحال إخوته كان فيه شيء من السرية، أمّا قراءة ﴿لِفِتْيَـٰنِهِ﴾ فإنها تفيد أنّ الذين باشروا الفعل كثيرون وذلك لكثرة الرحال، حيث إنّ يوسف عليه السلام قد أجزل العطاء لإخوته فحمّل لهم رحالاً. كما أنّ هذه القراءة تحمل إشارة لطيفة إلى النعمة التي أنعمها الله على يوسف عليه السلام حيث كان لعظيم شأنه يأتمر بأمره عدد كبير من الغلمان. والله تعالى أعلم.

١٩ ـ ﴿فَلَمَّا رَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيهِمْ قَالُوا۟ يَـٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يوسف: ٦٣].

القراءات:

١ ـ قرأ حمزة والكسائي وخلف ﴿يَكْتَلْ﴾ بالياء.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿نَكْتَلْ﴾ بالنون(٣٩٥).

المعنى اللغوي للقراءات:

«الكيل: كيل الطعام. يُقال: كِلْتُ فلاناً أعطيته، واكتَلْتُ عليه أخذت منه. قال الله سبحانه: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾﴾ [المطففين: ١ ـ ٣]»(٣٩٦).

التفسير:

لمّا رجع إخوة يوسف عليه السلام من رحلتهم لجلب الميرة أخبروا أباهم أنّ عزيز مصر قد منع منهم الكيل بعد هذه المرة إن لم يأتوا بأخيهم

(٣٩٤) تفسير الفخر الرازي ج١٨ص١٧٢.

(٣٩٥) انظر: النشر ج٢ ص٢٩٥، والبدور الزاهرة ص١٦٥.

(٣٩٦) معجم مقاييس اللغة ج٥ص١٥٠. وانظر: المفردات في غريب القرآن ص٤٤٤، لسان العرب ج٥ص٣٩٦٨.

بنيامين، وأشاروا عليه أن يرسله معهم، فيكونوا قد وفّوا للعزيز بما شرط عليهم، فلا يحرمهم الكيل، وبذلك يتمكنون من إحضار الطعام لأهليهم، وتعهدوا بحفظ أخيهم أن يمسَّه أي مكروه، وأشاروا إلى فائدة أخرى من اصطحابه، وهي أنه سَيُكَال له أيضاً فيزدادوا بذلك كَيْـلَ بَعِيْرٍ[397].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قال الخطيب التبريزي: «فمن قرأ بالياء أراد: يصيبه كيلٌ لنفسه، يبين ذلك قوله: ﴿وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ﴾ [يوسف: ٦٥]، ومن قرأ بالنون أراد: إن أرسلته اكتلنا، وإلاّ فقد منعنا الكيل، لقوله: ﴿فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِى﴾ [يوسف: ٦٠]»[398].

وبالجمع بين القراءتين يصبح المعنى: إن أرسلت أخانا معنا اكتلنا وإلاّ حُرمنا الكيل، كما أننا سنحقق فائدة أخرى، وهو أنّ أخانا سيصيبه كيلٌ لنفسه فنزداد بحضوره كيل بعير. والله أعلم.

٢٠ - ﴿قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [يوسف: ٦٤].

القراءات:

١ - قرأ حمزة والكسائي وخلف وحفص ﴿حَٰفِظًا﴾ بألف بعد الحاء وكسر الفاء.

٢ - قرأ الباقون ﴿حِفْظاً﴾ بكسر الحاء وإسكان الفاء من غير ألف[399].

---

(٣٩٧) انظر: تفسير ابن كثير ج٢ص٧١٣، التفسير المنير ج١٣ص٢٠، التفسير الواضح ج١٣ص٨.

(٣٩٨) الملخص في إعراب القرآن ص٥٨، وانظر: حجة القراءات ص٣٦١، الكشف ج٢ص١٢، ١٣.

(٣٩٩) انظر: النشر ج٢ ص٢٩٥، ٢٩٦، البدور الزاهرة ص١٦٢.

المعنى اللغوي للقراءات:

الحفظ: التعاهد وقله الغفلة، وحَفِظْت الشيءَ حِفظاً أي حرسته، والحَافظ: المُوكل بالشيء يحفظه(٤٠٠).

قال الراغب: «كل تفقدٍ وتعهدٍ ورعايةٍ يُسمى حفظاً، قال تعالى: ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [يوسف: ٦٢]، ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ﴾ [البقرة: ٢٣٨]. وقوله ﴿فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗا﴾ وقرئ ﴿حِفۡظاً﴾ أي حفظه خير من حفظ غيره»(٤٠١).

التفسير:

عندما طلب إخوة يوسف عليه السلام من أبيهم أن يرسل أخاهم بينامين معهم، وتعهدوا بحفظه قائلين: ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ قال لهم يعقوب عليه السلام منكراً مقولتهم: هل آمنكم على أخيكم من أبيكم الذي تسألوني أن أرسله معكم إلا كما أمنتكم على أخيه يوسف ـ عليه السلام ـ من قبله، وقد قلتم أيضاً في حقه ما قلتم ثم فعلتم به ما فعلتم فغيبتموه عني وحلتم بيني وبينه، فلا أثق بكم ولا بحفظكم وإنما أفوض أمري إلى الله تعالى فهو خير الحافظين وحفظه خير من حفظكم، وسيرحم كبري وضعفي ووجدي بولدي وأرجو من الله أن يرد ولدي عليّ ويجمع شملي به، إنّه أرحم الراحمين. وهذا ميل منه عليه السلام إلى الإذن بإرسال بنيامين معهم لِما رأى فيه من المصلحة وفيه أيضاً من التوكل على الله تعالى ما لا يخفى(٤٠٢).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

وجه القراءة ﴿حِفۡظاً﴾ على وزن (فعل) أنّ إخوة يوسف عليه السلام لمّا نسبوا إلى أنفسهم الحفظ، فقالوا: ﴿وَنَحۡفَظُ أَخَانَا﴾ ردّ عليهم يعقوب ذلك

---

(٤٠٠) انظر: لسان العرب ج٢ص٩٢٩.

(٤٠١) المفردات في غريب القرآن ص١٢٤ ـ باختصار وتصرف يسير.

(٤٠٢) انظر: تفسير الطبري ج١٣ص١١، تفسير ابن كثير ج٢ص٧١٣، روح المعاني ج١٣ص١١.

فقال: ﴿فالله خَيْرٌ حِفْظاً﴾ أي خير من حفظكم الذي نسبتموه إلى أنفسكم، وقيل: تقديره: فالله خير منكم حفظاً، فأتى بالمصدر الدَّال على الفعل، ونصبه على التفسير. ووجه القراءة ﴿حَٰفِظٗا﴾ على وزن (فاعل) أنه أتى به على المبالغة، على تقدير: فالله خير الحافظين، فاكتفى بالواحد عن الجمع، ونصبه على التفسير، ويقوي ذلك أنها في مصحف عبدالله بن مسعود (خير الحافظين)، وأيضاً فإنهم لمّا قالوا: ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ قيل لهم ﴿فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗا﴾. و﴿خَيۡرٌ حَٰفِظٗا﴾ مناسبٌ لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾، فإنّ الله تعالى هو الحافظ، والحفظ فعل من أفعاله، وهو الراحم والرحمة فعل من أفعاله وصفة من صفاته(٤٠٣).

قال محمد الحبش: «وثمرة الخلاف أنّ قراءة حمزة والكسائي أفادتنا حكماً ضرورياً وهو أنّ من أسماء الله الحسنى: الحافظ. ومثل هذا الاسم لا يكون إلاّ عن توقيف. وقد ورد اسمه الحافظ بصيغة الجمع مرة واحدة في سورة الأنبياء في قوله سبحانه: ﴿وَيَعۡمَلُونَ عَمَلٗا دُونَ ذَٰلِكَۖ وَكُنَّا لَهُمۡ حَٰفِظِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٢]. وحيث تواترت القراءة فقد وجب المصير إليها، ولا خلاف بين الأمة أنّ الحافظ اسم من أسماء الله الحسنى تباركت أسماؤه، وإنّ هذه القراءة وإن لم تستقل بجواز إطلاق هذه التسمية فقد وكدت ذلك. ولا نزاع فيما دلت عليه قراءة الجمهور من أنّ المولى سبحانه خير حفظاً، فهو مما أجمع عليه الموحدون»(٤٠٤).

قلت: كلتا القراءتين أَثْرَت المعنى. فالقراءة ﴿فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗا﴾ بينت أنّ الله تعالى حافظ فلديه كامل القدرة على الحفظ، وهو خير الحافظين، فإن سمّى إخوة يوسف أنفسهم بالحافظين لأخيهم ـ مبالغة في الحرص على حفظه ـ ، فالله خيرٌ منهم، فهذه مفاضلة بين الفاعلين. أمّا قراءة ﴿فالله خَيْرٌ حِفْظاً﴾ فإنها مفاضلة بين نتيجة الفعل وهي الحفظ، فَإِنْ تَعَهَّد إخوة يوسف

(٤٠٣) انظر: الكشف ج٢ص١٣، مشكل إعراب القرآن ص٣٨٨، الملخص في إعراب القرآن ص٥٩، تفسير البغوي ج٣ص١٧٦.

(٤٠٤) القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني والأحكام الشرعية ص١٥١، ١٥٢.

بحفظه، فحفظ الله خير من حفظهم. فالفاعل، ونتيجة الفعل، قد ظهرت فيهما الخيرية وهذا يؤكد المعنى المراد أيّما تأكيد. والله تعالى أعلم.

٢١ ـ ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِۚ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾ [يوسف: ٧٦].

القراءات:

١ ـ قرأ يعقوب **﴿يَرْفَعُ دَرَجَاتِ مَنْ يَشَاءُ﴾** بالياء في الفعلين وبحذف التنوين في **﴿دَرَجَاتِ﴾**.

٢ ـ قرأ عاصم وحمزة والكسائي وخلف ﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُۗ﴾ بالنون في الفعلين وبتنوين **﴿دَرَجَاتٍ﴾**.

٣ ـ قرأ الباقون **﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتِ مَنْ نَشَاءُ﴾** بالنون في الفعلين وترك التنوين في **﴿دَرَجَاتِ﴾**(٤٠٥).

المعنى اللغوي للقراءات:

١ ـ ﴿نَرْفَعُ﴾: «الرفع يقال تارة في الأجسام الموضوعة إذا أعليتها عن مقرها، نحو: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾ [البقرة: ٦٣]، وتارة في البناء إذا طوّلته نحو قوله: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ﴾ [البقرة: ١٢٧]، وتارة في المنزلة إذا شرّفتها نحو: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُۗ﴾»(٤٠٦).

٢ ـ **﴿دَرَجَات﴾**: الدرجات جمع درجة، «والدرجة نحو المنزلة لكن يقال للمنزلة درجة إذا اعتبرت بالصعود دون الامتداد على البسيط كدرجة السَّطح والسُّلم ويُعَبَّرُ بها عن المنزلة الرفيعة قال تعالى: ﴿لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [الأنفال: ٤]، وقال: ﴿هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾﴾ [آل عمران: ١٦٣]، أي: هم ذَوُوْ درجات عند الله»(٤٠٧).

---

(٤٠٥) انظر: النشر ج٢ ص٢٩٦، والبدور الزاهرة ص١٦٥.

(٤٠٦) المفردات في غريب القرآن ص٢٠٠ ـ باختصار.

(٤٠٧) المفردات في غريب القرآن ص١٦٧ ـ باختصار.

٣ ـ ﴿نَّشَآءُ﴾: سبق بيانه[٤٠٨].

التفسير:

لمّا اتهم الفتيان إخوة يوسف عليه السلام بالسرقة، نفَوا ذلك، فقال لهم الفتيان ما جزاء السارق إن كان فيكم؟ فقالوا جزاؤه أن يُدفع إلى المسروق منه. وهذا الذي أراد يوسف عليه السلام، فبدأ بتفتيش أوعيتهم قبل وعاء أخيه تورية، ثم استخرج السقاية من وعاء أخيه فتحقق له أخذه منهم بحكم التزامهم، وهكذا صنع الله تعالى ليوسف عليه السلام حتى يُخلِّص أخاه لأبيه وأمه من إخوته لأبيه، وما كان له ليأخذه في حكم ملك مصر وقضائه، لأنه لم يكن من حكم ذلك الملك أن يُسترق السارق، فما كان ذلك أن يتحقق ليوسف عليه السلام إلاّ أن يشاء الله تعالى، يرفع الله تعالى من يشاء مراتب ودرجات في العلم على غيره، كما رفع يوسف عليه السلام[٤٠٩].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءة ﴿نَرفَعُ﴾، ﴿نَّشَآءُ﴾ بالنون في الفعلين، على جهة التعظيم، والفاعل ضمير مستتر تقديره (نحن)، وذلك على نسق قوله تعالى ﴿كَذَٰلِكَ كِدۡنَا لِيُوسُفَ﴾، أو على الالتفات من الغيبة إلى التكلم. أمّا القراءة ﴿يَرۡفَعُ﴾، ﴿يَشَآءُ﴾ بالياء في الفعلين فعلى أنه مسند لضمير يعود على الله تعالى المتقدم ذكره في قوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾[٤١٠].

وفائدة اختلاف القراءة هنا فائدة بلاغية، تظهر في تنوع الأساليب. والله تعالى أعلم.

أمّا توجيه اختلاف القرءاة في كلمة ﴿درَجَات﴾ فقد قال مكي: «من نوّنَ ﴿درَجَاتٍ﴾ أوقع ﴿نَرۡفَعُ﴾ على ﴿مَن﴾ ونصب ﴿درَجَاتٍ﴾ على الظرف

---

(٤٠٨) انظر: ص١١٤ من هذا البحث.

(٤٠٩) انظر: تفسير الطبري ج١٣ ص٢٦، تفسير ابن كثير ج٢ص٧١٥.

(٤١٠) انظر: شرح طيبة النشر للنويري ج٤ص٣٨٥، المغني في توجيه القراءات العشر ج٢ص٢٧٨.

أو على حذف حرف الجر تقديره: إلى درجات، كما قال تعالى: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍۚ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، ومن لم يُنَوِّن نصب ﴿درجات﴾ بـ﴿نَرْفَعُ﴾ على المفعول به وأضافها إلى ﴿مَن﴾»(٤١١).

وقال ابن زنجلة: «قرأ عاصم وحمزة والكسائي ﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُۗ﴾ بالتنوين جعلوا المرفوع هو الإنسان وحجتهم في ذلك أنّ الله قد بين معنى هذا الكلام في غير موضع من القرآن فجعل المرفوع هو الإنسان وبين فضل من أحب أن يُفَضِّله بأن يرفعه فقال: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ﴾ [المجادلة: ١١]، وقال: ﴿وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٥]، فجعلهم هم المرفوعين دون الدرجات وفي الآية تقديم وتأخير، المعنى: نرفع من نشاء درجات و﴿مَن﴾ في موضع النصب، ونجعل ﴿دَرَجَٰتٍۚ﴾ مفعولاً ثانياً أو حالاً. وقرأ الباقون ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتِ﴾ بغير تنوين وحجتهم ذكرها اليزيدي(٤١٢) فقال: كقولك نرفع أعمال من نشاء فجعل اليزيدي الرفع للأعمال دون الإنسان»(٤١٣).

قال الطبري: «﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُۗ﴾ واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الحجاز والبصرة ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتِ مَنْ نَشَاءُ﴾ بإضافة الدرجات إلى ﴿مَن﴾ بمعنى: نرفع الدرجات لمن نشاء. وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُۗ﴾ بتنوين الدرجات بمعنى: نرفع من نشاء درجات. . . . والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: هما قراءتان قد قرأ بكل واحدة منهما أئمة من القراء متقاربٌ معناهما وذلك أن من رفعت درجته فقد رفع في الدرج ومن رفع في الدرج فقد رفعت درجته فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب الصواب في ذلك»(٤١٤).

---

(٤١١) مشكل إعراب القرآن ج١ص٢٥٩، وانظر: القراءات وأثرها في علوم العربية ج٢ص٢٦٥.

(٤١٢) هو الإمام يحيى بن المبارك البصري النحوي، عرف باليزيدي لاتّصاله بيزيد بن منصور خال المهدي يؤدب ولده، كان ثقة علامة فصيحاً مفوهاً بارعاً في اللغات والآداب توفي سنة ٢٠٢هـ [انظر: معرفة القراء الكبار (١/ ١٥١ ـ ١٥٢) باختصار].

(٤١٣) حجة القراءات ص٢٥٨، ٢٥٩.

(٤١٤) تفسير الطبري ج٧ص٢٦٠.

قلت: رفع الدرجات، ثم رفع المُنْعَم عليهم إليها فيه إشارة إلى عظيم المنة، فالدرجات ليست على منزلة واحدة، بل هناك تفاضل فيما بينها، وقد يكون للمرء درجة عليا يرفع إليها، وغيره له درجة أعلى. فالقراءة بالتنوين في ﴿دَرَجَٰتٍ﴾ تفيد حصول ارتفاع المنعم عليهم إلى الدرجات التي خصصت لهم، والقراءة بترك التنوين في ﴿دَرَجَاتِ﴾ تفيد عُلُوّ الدرجات التي يرفع إليها المنعم عليهم. والله تعالى أعلى وأعلم.

٢٢ - ﴿فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ خَلَصُوا۟ نَجِيًّا ۖ قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِى يُوسُفَ ۖ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٠﴾﴾ [يوسف: ٨٠].

القراءات:

١ - قرأ البزي بخلف عنه ﴿اسْتَايَسُوْا﴾ بألف بعد التاء المفتوحة وبعدها ياء مفتوحة.

٢ - قرأ الباقون ﴿ٱسْتَيْـَٔسُوا۟﴾ بياء ساكنة بعد التاء وبعد الياء الساكنة همزة مفتوحة وهو الوجه الثاني للبزي(٤١٥).

المعنى اللغوي للقراءات:

١ - ﴿ٱسْتَيْـَٔسُوا۟﴾: من اليأس: وهو القنوط (ضد الرجاء) أو قطع الأمل وانتفاء الطمع، يقال: يئس واستيأس، مثل: عجب واستعجب، وسخر واستسخر، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ خَلَصُوا۟ نَجِيًّا ۖ﴾(٤١٦).

٢ - ﴿اسْتَايَسُوْا﴾: من أيس منه، إياساً بمعنى قنط، يقال: آيسته وأيّسته(٤١٧).

(٤١٥) انظر: النشر ج١ص٤٠٥، والبدور الزاهرة ص١٦٦.
(٤١٦) انظر: المفردات في غريب القرآن ص ٥٥٢، القاموس المحيط ص ٧٥١.
(٤١٧) انظر: القاموس المحيط ص ٦٨٤.

وقيل إنّ أَيِسْتُ منه آيَسُ يَأْساً لغة في يَئِسْتُ منه أَيْأَسُ يَأْساً، ومصدرهما واحد، وآيَسَني منه فلانٌ مثل أَيْأَسَني[418] وقيل: بل أَيِسْتُ من الشيء مقلوب عن يئِسْتُ وليس بلغة فيه[419].

التفسير:

يخبر الله تعالى عن إخوة يوسف عليه السلام أنهم لمّا انقطع طمعهم بالكلية من تخليص أخيهم بنيامين، الذي قد التزموا لأبيهم برده إليه، وعاهدوه على ذلك، انفردوا عن الناس يتناجون فيما بينهم، قال كبيرهم: ألم تعلموا أنّ أباكم قد أخذ عليكم عهد الله وميثاقه المؤكد لتأتنني به إلاّ أن يحاط بكم؟ ألم تعلموا تقصيركم السابق في حفظ يوسف عليه السلام؟، فلن أفارق هذه البلدة حتى يأذن لي أبي في الرجوع إليه راضياً عني، أو يقضي لي ربي بالخروج منها، وترك أخي بنيامين، والله خير من حكم، وأعدل من فصل بين الناس[420].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قال ابن خالويه: «﴿فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُواْ مِنْهُ﴾ يقرأ بتقديم الياء قبل الهمزة فيكون الياء فاءَ الفعل. وبتقديم الهمزة قبل الياء فيكون الياء عين الفعل. ومثله ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ﴾ [يوسف: ١١٠]. فالحجة لمن جعل الياء فاء الفعل: أنه أخذه من قولهم: يأس ييأس يأساً. والحجة لمن جعل الهمزة فاءَ للفعل: أنّه أخذه من قولهم: أيس يأيس إياساً»[421].

قلت: والمعنى اللغوي ل(أيس)، و(يأس) واحد كما ذكر أهل اللغة.

قال القرطبي: «﴿فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُواْ مِنْهُ﴾ أي يئسوا مثل عجب واستعجب

---

(٤١٨) انظر: الصحاح في اللغة ج٣ص٩٩٢، لسان العرب ج١ص١٩٠.
(٤١٩) انظر: لسان العرب ج١ص١٩٠.
(٤٢٠) انظر: تفسير الطبري ج١٣ص٣٤، ٣٥، تفسير ابن كثير ج٢ص٧١٧، روح المعاني ج١٣ص٣٥، ٣٦، التحرير والتنوير ج١٣ص٣٩، ٤٠، التفسير الواضح ج١٣ص١٦.
(٤٢١) الحجة في القراءات السبع ص١٩٧.

وسخر واستسخر، وقرأ ابن كثير: ﴿استايسوا﴾، ﴿ولا تايسوا﴾، ﴿إنه لا يايس﴾، ﴿أفلم يايس﴾ بألف من غير همز على القلب قدمت الهمزة وأخرت الياء ثم قلبت الهمزة ألفا لأنها ساكنة قبلها فتحة، وقال قوم: أيس ويئس لغتان»(٤٢٢).

وعليه يمكن توجيه اختلاف القراءة إمّا على القلب في الفعل (يأس)، وإمّا على الاشتقاق من فعلين مختلفين ـ يحملان المعنى نفسه ـ وذلك على لغتين من لغات العرب. وعلى كلا الوجهين فالمعنى واحد، وتنوع القراءة في هذه الكلمة يؤكد كمال يأسهم. والله تعالى أعلم.

٢٣ ـ ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [يوسف: ٨٧].

القراءات:

١ ـ قرأ البزي بخلف عنه ﴿**اسْتَايَسُوا**﴾ بألف بعد التاء المفتوحة وبعدها ياء مفتوحة.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿ٱسۡتَيۡـَٔسُواْ﴾ بياء ساكنة بعد التاء وبعد الياء الساكنة همزة مفتوحة وهو الوجه الثاني للبزي(٤٢٣).

وقد تقدم الحديث عن هاتين القراءتين عند تفسير قوله تعالى ﴿فَلَمَّا ٱسۡتَيۡـَٔسُواْ مِنۡهُ خَلَصُواْ نَجِيّٗاۖ﴾ [يوسف: ٨٠](٤٢٤).

٢٤ ـ ﴿قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [يوسف: ٩٠].

---

(٤٢٢) تفسير القرطبي ج٩ص٢٤١ ـ باختصار يسير.

(٤٢٣) انظر: النشر ج١ص٤٠٥، والبدور الزاهرة ص١٦٦.

(٤٢٤) انظر ص١٢٦ من هذا البحث.

القراءات:

١ ـ قرأ ابن كثير وأبو جعفر ﴿إِنَّكَ﴾ بهمزة واحدة مكسورة.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿أَإِنَّكَ﴾ بهمزتين: الأولى مفتوحة والثانية مكسورة[٤٢٥].

٣ ـ قرأ قنبل ﴿يَتَّقِي﴾ بإثبات ياء بعد القاف وصلاً ووقفاً.

٤ ـ قرأ الباقون ﴿يَتَّقِ﴾ بحذف الياء وصلاً ووقفاً[٤٢٦].

المعنى اللغوي للقراءات:

١ ـ ﴿أَإِنَّكَ﴾ مركبة من همزة الاستفهام، و(إنّ) الثقيلة، وكاف المخاطب.

قال الفيروزآبادي: «إنَّ وأنَّ: حَرْفانِ يَنْصِبان الاسْمَ، ويَرْفَعانِ الخَبَرَ، وقد تَنْصِبُهُما المَكْسورَةُ، كما في الحديثِ: (إنَّ قَعْرَ جَهَنَّمَ لسَبْعينَ خَريفاً)[٤٢٧]، وقد يَرْتَفِعُ بَعْدَها المُبْتَدأ، فيكونُ اسْمُها ضميرَ شأنٍ مَحْذوفاً، نَحْو: (إنَّ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عَذَاباً يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمُصَوِّرُونَ)[٤٢٨]. والأصْلُ: إنّه، والمكسورةُ يُؤَكِّدُ بها الخَبَرُ، وقد تُخَفَّفُ فَتَعْمَلُ قَليلاً، وتُهْمَلُ كثيراً. وعن الكوفيينَ: لا تُخَفَّفُ، وتكونُ حَرْفَ جواب بِمَعْنَى نَعَمْ»[٤٢٩].

٢ ـ ﴿يَتَّقِ﴾: وقاه وَقْياً ووِقَايَة وواقية: صَانه، والوقاية حفظ الشيء مما يؤذيه ويضره، واتقيت الشيء حَذِرْته، والتقوى جعل النفس في وقاية مما يُخاف وصار التَّقوى في تعارف الشرع حفظ النفس عما يُؤثِم، وذلك

(٤٢٥) انظر: النشر ج١ص٣٧٢، البدور الزاهرة ص١٦٦.

(٤٢٦) انظر: النشر ج ٢ ص٢٩٧، البدور الزاهرة ص١٦٦.

(٤٢٧) أخرجه الحاكم: كتاب الأهوال ح(٨٧٤٩) ج٤ص٦٣١، ٦٣٢. قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(٤٢٨) أخرجه النسائي: كتاب الزينة، باب ذكر أشد الناس عذاباً ح(٥٣٦٤) ص٨٠٦. والحديث صححه الألباني.

(٤٢٩) القاموس المحيط ص١٥١٩ ـ باختصار وتصرف يسير.

بترك المحظور، ويتم ذلك بترك بعض المباحات، كما جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ: «**الْحَلَالُ بَيِّنٌ وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُشْتَبِهَةٌ، فَمَنْ تَرَكَ مَا شُبِّهَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ، كَانَ لِمَا اسْتَبَانَ أَتْرَكَ، وَمَنْ اجْتَرَأَ عَلَى مَا يَشُكُّ فِيهِ مِنَ الْإِثْمِ، أَوْشَكَ أَنْ يُوَاقِعَ مَا اسْتَبَانَ وَالْمَعَاصِي حِمَى اللَّهِ، مَنْ يَرْتَعْ حَوْلَ الْحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ**»(٤٣٠)(٤٣١).

التفسير:

في آخر لقاء تمّ بين يوسف عليه السلام وإخوته ـ وهم لا يعرفونه ـ شكَوا إليه ما نزل بهم من الضرّ وهنا أراد يوسف عليه السلام أن يكشف الغموض فقال: ﴿هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ﴾ [يوسف: ٨٩]. كان هذا تلويحاً واضحاً بالكشف عن أنّ الذي يكلمهم هو يوسف، فقالوا على الفور: ﴿أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ﴾ على سبيل الاستفهام الذي يفيد التقرير والتوثيق ويدل على الاستعظام، فقد استشعروا من كلامه ثمّ من ملامحه أنّه يوسف، وتعجبوا من ذلك، حيث إنّهم يترددون إليه منذ سنتين وأكثر وهم لا يعرفونه، وهو يعرفهم ويكتم نفسه. فأجابهم يوسف: ﴿أَنَا۠ يُوسُفُ﴾ وجاء الردّ مجرداً من التأكيد لأنهم كانوا متحققين ذلك فلم يبق إلاّ تأييده لذلك، ثمّ أضاف قائلاً: ﴿وَهَٰذَآ أَخِي﴾ جمع الله بيننا بعد طول فرقة. ثمّ استمر يلقي عليهم درساً قد آن أوانه، وبين لهم أنّ اختلاف الجزاء باختلاف العمل، فهم قد أساءوا بالتآمر عليه، وهو لزم طاعة الله فمكّن الله له في الأرض، وأجلسه على عرش مصر بينما هم قابعون في الأرض يقفون موقف المستعطف، إنّه من يتق الله فيراقبه بأداء أوامره، واجتناب معاصيه، ويصبر، ويكف نفسه عما حرّم الله عليه من قول أو عمل، فإن الله لا يبطل ثواب من أحسن، ذلك أنّ لله سنة لا تتخلف في حفظ جزاء

(٤٣٠) أخرجه البخاري: كتاب البيوع، باب الحلال بين والحرام بين وبينهما مشبهات، ح(٢٠٥١) ص٣٨٨، ومسلم: كتاب المساقاة باب أخذ الحلال وترك الشبهات ح (٣٩٨٥) ص٧٨٣.

(٤٣١) انظر: المفردات في غريب القرآن ص ٥٣٠، ٥٣١، القاموس المحيط ص١٧٣١.

المحسنين[٤٣٢].

قال ابن عاشور: «وهذا من أفانين الخطابة أن يغتنم الواعظ الفرصة لإلقاء الموعظة، وهي فرصة تأثر السامع وانفعاله وظهور شواهد صدق الواعظ في موعظته»[٤٣٣].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

١ ـ قوله تعالى: ﴿أَءِنَّكَ﴾: قال أبو حيان: «قرأ الجمهور ﴿أَءِنَّكَ﴾ على الاستفهام، وقرأ ابن كثير ﴿إِنَّكَ﴾ بغير همزة استفهام، والظاهر أنها مرادة[٤٣٤]»[٤٣٥].

وقال الأزهري: «من قرأ بألف واحدة فهو إيجابٌ، لأنه يوسف، عرفوه فحققوا أنه أخوهم، ومن قرأ ﴿أَءِنَّكَ﴾ فهو استفهام، وذلك أنهم ظنوا ذلك ظناً فاستفهموه، أهو هو؟»[٤٣٦].

قال السمين الحلبي: «فأمّا قراءة ابن كثير فتحتمل أن يكون خبراً محضاً، واستبعد هذا من حيث تخالف القراءتين مع أنّ القائل واحد، وقد أجيب عن ذلك بأنّ بعضهم قاله استفهاماً، وبعضهم قاله خبراً»[٤٣٧]. قال أبو حيان: «وهو مع ذلك بعيد»[٤٣٨].

(٤٣٢) انظر: تفسير الطبري ج١٣ص٥٥، الكشاف ج٢ص٣٤١، تفسير ابن كثير ج٢ص٥٠٢، التحرير والتنوير ج١٣ص٤٨، ٤٩، التفسير البلاغي للاستفهام ج٢ص١٤٠، ١٤١.

(٤٣٣) التحرير والتنوير ج١٣ص٤٩.

(٤٣٤) قال السخاوي: «قد تحذف الهمزة وهي مرادة، إذا كان في الكلام عليها دلالة، كقوله تعالى: ﴿أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ﴾ في قراءة ابن كثير» (المُفضَّل في شرح المُفَصَّل ص٣٢٤، ٣٢٥).

(٤٣٥) البحر المحيط ج٥ص٣٣٦ ـ باختصار وتصرف يسير.

(٤٣٦) معاني القراءات ص٢٢٧.

(٤٣٧) الدر المصون ج٤ص٢١١، وانظر: البحر المحيط ج٥ص٣٣٧.

(٤٣٨) البحر المحيط ج٥ص٣٣٦.

وقال مكي: «وحجة من قرأه على الخبر أنّهم لما عرفوا يوسف، وتيقنوا أنه هو، أتوا بـ(إنّ) التي لتأكيد ما بعدها، واستغنوا عن الاستخبار، لأنه شيء قد ثبت عندهم، فلا معنى للاستخبار عنه. وحجة من استفهم أنه أتى بلفظ الاستفهام الذي معناه الإلزام والإثبات، لم يستخبروا عن أمر جهلوه، وإنّما أتوا بلفظ يحققون به ما صحّ عندهم، من أنه هو يوسف»(٤٣٩).

قال أبو السعود: «﴿**قالوا أئنك لأنت يوسف**﴾ استفهام تقرير ولذلك أكدوه بـ(إنّ) واللام قالوه استغرابا وتعجبا»(٤٤٠).

قال ابن عاشور: «وقولهم ﴿**أئنك لأنت يوسف**﴾ يدل على أنهم استشعروا من كلامه ثم من ملامحه ثم من تفهم قول أبيهم لهم: ﴿وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [يوسف: ٨٦]. إذ قد اتضح لهم المعنى التعريضي من كلامه فعرفوا أنه يتكلم مريداً نفسه. وتأكيد الجملة بـ(إنّ) ولام الابتداء وضمير الفصل لشدة تحققهم أنه يوسف عليه السلام. وأدخل الاستفهام التقريري على الجملة المؤكدة لأنهم تطلبوا تأييده لعلمهم به. وقرأ ابن كثير ﴿إِنَّكَ﴾ بغير استفهام على الخبرية. والمراد لازم الخبر، أي عرفناك. ألا ترى أنّ جوابه بـ ﴿أَنَا۠ يُوسُفُ﴾ مجرد من التأكيد لأنهم كانوا متحققين ذلك فلم يبق إلاّ تأييده لذلك»(٤٤١).

مما سبق يلاحظ اختلاف المفسرين في توجيه كل قراءة من هاتين القراءتين، فمنهم من جعل الاستفهام على حقيقته، والإخبار على حقيقته، وعلل ذلك بأنّ بعض إخوة يوسف عرفوه وتحققوا منه، وبعضهم استفهموا، فكانت القراءتان بمجموع أقوالهم. ومنهم من جعل القراءتين بمعنى الاستفهام فقدّر همزة الاستفهام في قراءة ﴿إِنَّكَ﴾ واستند في ذلك إلى ما هو سائغ ومشهور في اللغة. وهناك أيضاً خلاف حول معنى الاستفهام فمنهم من جعل

---

(٤٣٩) الكشف ج٢ص١٤.

(٤٤٠) تفسير أبي السعود ج٣ص١٣٦، وانظر: روح المعاني ج١٣ ص٤٨، ٤٩.

(٤٤١) التحرير والتنوير ج١٣ص٤٨، ٤٩، وانظر: روح المعاني ج١٣ ص٤٨، ٤٩.

الاستفهام على حقيقته أُريدَ منه الاستعلام، ومنهم من قال هو استفهام تقريري يحمل معنى التعجب والاستغراب.

وما تختاره الباحثة أنّ القراءتين كل منهما أثرت المعنى وزادته جمالاً ووضوحاً وليستا كقراءة واحدة، كما أنّ الاستفهام ليس على حقيقته لوجود القرائن التي تؤكد أنّ إخوة يوسف عليه السلام لم يستفهموا استفهام استخبار بل استفهام تقرير. قال الألوسي: «ولذلك أكد بإن واللام لأن التأكيد يقتضي التحقق المنافي للاستفهام الحقيقي، ولعلهم قالوه استغراباً وتعجباً»(٤٤٢). «فالاستفهام كما دلّ على تأكدهم من أنه يوسف - عليه السلام -، يدلّ أيضاً على الاستعظام أي أنهم تعجبوا من ذلك، أنهم يترددون إليه من سنتين وأكثر وهم لا يعرفونه وهو مع هذا يعرفهم ويكتم نفسه»(٤٤٣). أمّا القراءة بالخبر ﴿إِنَّكَ﴾ فإنها تفيد بلا أدنى شكّ تأكدهم من أنّ الذي يكلمهم هو يوسف عليه السلام، وتؤكد ما ذهب إليه أكثر المفسرين - وهو ما رجحته الباحثة - من أنّ الاستفهام في القراءة الأولى ليس على حقيقته. والله تعالى أعلم.

٢ - قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ﴾:

قال ابن خالويه: «القراءة بكسر القاف وحذف الياء علامة للجزم بالشرط إلا ما رواه قنبل عن ابن كثير بإثبات الياء وله في إثباتها وجهان: أحدهما: أن من العرب من يُجري الفعل المعتل مجرى الصحيح فيقول: لم يأتي زيد. والوجه الثاني أنه أسقط الياء لدخول الجازم ثم بقّى القاف على كسرتها وأشبعها لفظا فحدثت الياء للإشباع»(٤٤٤).

«ويقوي هذا قراءة حمزة في قوله: **﴿فلا تَخَفْ دَرَكاً ولا تَخْشَى﴾**

(٤٤٢) روح المعاني ج١٣ص٤٨.

(٤٤٣) تفسير ابن كثير ج٢ص٥٠٢.

(٤٤٤) الحجة في القراءات السبع ص١٩٨، ١٩٩، وانظر: حجة القراءات ص٣٦٤، ٣٦٥، مشكل إعراب القرآن ج١ص٣٩١، ٣٩٢، الكشف ج٢ص١٨، خزانة الأدب ج٣ص٥٣٤.

[طه: ٧٧][٤٤٥]، ولم يقل (تخش)»[٤٤٦].

وذكر مكي توجيهاً ثالثاً لإثبات الياء فقال: «والحجة في إثبات الياء في ﴿يَتَّقِ﴾ أن تكون ﴿مَن﴾ بمعنى (الذي) فيرتفع الفعل بعدها، لأنه في الصلة، وفي الكلام معنى الشرط»[٤٤٧].

وأشار البقاعي إلى معنىً لطيف، فقال: «وأثبت قنبل ـ بخلافه عنه ـ ياءه في الحالين[٤٤٨] معاملاً له معاملة الصحيح إشارة إلى وصف التقوى بالصحة الكاملة والمكنة الزائدة والملازمة لها في كل حال»[٤٤٩].

قلت: وإثبات الياء فيه أيضاً إشارة إلى المبالغة في تحرّي التقوى في كل حال.

وعليه فإنّ حذف الياء في ﴿يَتَّقِ﴾ جاء على الأصل، حيث إنّ الأصل في الفعل المعتل الآخر أن يحذفَ حرفُ العلةِ من آخره للجزم، أمّا القراءة بإثبات الياء فإنها تفيد المبالغة في تحري التقوى، وملازمتها في كل حال، وفيها إشارة إلى وصف التقوى بالصحة الكاملة والمُكْنَة الزائدة. والله تعالى أعلم.

٢٥ ـ ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [يوسف: ١٠٠].

القراءات:

١ ـ قرأ ابن عامر وأبو جعفر **﴿يا أَبَتَ﴾** بفتح التاء.

---

(٤٤٥) الآية مثبتة بقراءة حمزة وهي في رواية حفص ﴿لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾﴾.

(٤٤٦) حجة القراءات ص٣٦٤.

(٤٤٧) الكشف ج٢ص١٨، وانظر: مشكل إعراب القرآن ج١ص٣٩١.

(٤٤٨) (في الحالين) يعني: في الوصل والوقف.

(٤٤٩) نظم الدرر ج٤ص٩٣.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿يَـٰٓأَبَتِ﴾ بكسر التاء[٤٥٠].

ويقف ابن كثير وابن عامر وأبو جعفر ويعقوب بالهاء والباقون بالتاء.

المعنى اللغوي للقراءات:

سبق بيانه[٤٥١].

التفسير:

رفع يوسف عليه السلام أبويه على سرير الملك بجانبه، وسجدا له وسجد له إخوته الأحد عشر، قال يوسف عليه السلام: يا أبت هذا السجود الذي سجدت أنت وأمي وإخوتي لي ما آلت إليه رؤياي التي كنت رأيتها، وقصصتها عليك، قد حققها ربي عز وجل، وقد أحسن الله تعالى بي في إخراجه إياي من السجن وفي مجيئه بكم من البدو، من بعد ما أفسد الشيطان بيني وبين إخوتي، إنّ ربي إذا أراد أمراً قيض له أسباباً وقدّره ويسره، إنه هو العليم بمصالح عباده، الحكيم في أقواله وأفعاله وقضائه[٤٥٢].

العلاقة التفسيرية للقراءات:

سبق بيان أنّ القراءتين على لغتين من لغات العرب، وكلتاهما تدلان على شدة التصاق يوسف عليه السلام بأبيه يعقوب عليه السلام حيث ناداه بلفظ الأبوة، وأضاف يوسف عليه السلام لفظ الأبوة إلى نفسه كعادة الابن البار في نداء أبيه. والفتحة دلت على الألف المحذوفة المنقلبة عن ياء الإضافة، والكسرة دلت على ياء الإضافة المحذوفة، وأنّ الكسرة والياء أقوى من الفتحة والألف[٤٥٣]. وقد ناسب تنوع الخطاب بين القوة واللين، ما في الرؤيا من صدق ويقين ـ حيث تحققت كفلق الصبح ـ وما في يوسف عليه السلام من

(٤٥٠) انظر النشر ج٢ ص٢٩٣، والبدور الزاهرة ص ١٦٠.

(٤٥١) انظر ص٨٠ من هذا البحث.

(٤٥٢) انظر: تفسير الطبري ج١٣ص٦٨ ـ ٧٢، تفسير ابن كثير ج٢ص٧٢٣، ٧٢٤، صفوة التفاسير ج٢ص٦٨.

(٤٥٣) انظر ص٨١ من هذا البحث.

تواضع ولين جانب على مكانته العظيمة ومنصبه الرفيع. والله تعالى أعلم.

٢٦ - ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ۗ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾﴾ [يوسف: ١٠٩].

القراءات:

١ - قرأ حفص ﴿نُّوحِىٓ﴾ بالنون وكسر الحاء.

٢ - قرأ الباقون ﴿يُوحَىٰٓ﴾ بالياء التحتية وفتح الحاء[٤٥٤].

٣ - قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وخلف ﴿يَعْقِلُونَ﴾ بياء الغيبة.

٤ - قرأ الباقون ﴿تَعْقِلُونَ﴾ بتاء الخطاب[٤٥٥].

المعنى اللغوي للقراءات:

«(وحى): الواو والحاء والحرف المعتل: أصل يدل على إلقاء علم في إخفاء أو غيره إلى غيرك، فالوحي: الإشارة، والوحي: الكتاب، والرسالة. وكل ما ألقيته إلى غيرك حتى علمه فهو وحيٌ كيف كان. وأوحى الله تعالى وَوَحَى»[٤٥٦].

قال الراغب: «أصل الوحي الإشارة السريعة، ولتضمن السرعة قيل أمرٌ وَحْيٌ، وذلك يكون بالكلام على سبيل الرمز والتعريض، وقد يكون بصوت مجرد عن التركيب وبإشارة ببعض الجوارح، وبالكتابة، ويقال للكلمة الإلهية التي تُلقى إلى أنبيائه وأوليائه وحيٌ وذلك أضربٌ حسبما دلَّ عليه قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا

(٤٥٤) انظر: النشر ج٢ص٢٩٦، البدور الزاهرة ص١٦٨.

(٤٥٥) انظر: النشر ج٢، البدور الزاهرة ص١٦٨.

(٤٥٦) معجم مقاييس اللغة ج٦ص٩٣، وانظر: القاموس المحيط ص١٧٢٩.

فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ [الشورى: ٥١]»[٤٥٧].

التفسير:

يُخبِر الله ﷻ أنّ إرسال الرسل عليهم السلام سُنَّة إلهية قديمة، وما أرسل الله ﷻ إلاّ رجالاً، لا ملائكة ولا نساءً، وأوحى إليهم آياته بالدعاء إلى طاعته، وإفراد العبادة له، وقد كان هؤلاء الرسل من أهل المدن لأن أهلها أعلم وأحلم من أهل البادية، والعجب كل العجب من هؤلاء المشركين الذين عَمُوا عن الحقّ، أفلم يسيروا في الأرض فينظروا - نظر تفكر وتدبر - ما حلّ بالذين من قبلهم من الأمم المكذبة للرسل؟، كيف أهلك الله تعالى الكافرين، ونجّى المؤمنين؟، وتلك سنة الله تعالى في خلقه، وكما نجّى الله المؤمنين في الدنيا كذلك كتب لهم النجاة في الدار الآخرة وهي خير لهم من الدنيا، أفلا تعقلون أيها المعاندون فتؤمنون؟[٤٥٨].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

١ - قوله تعالى: ﴿نُّوحِىٓ إِلَيۡهِم﴾:

من قرأ ﴿نُّوحِىٓ﴾ بالنون وكسر الحاء فعلى الإسناد إلى الله تعالى على وجه التعظيم[٤٥٩]، ولقربه من قوله: ﴿أَرۡسَلۡنَا﴾ فجرى الفعلان على الإخبار من الله تعالى عن نفسه بذلك. ومن قرأ ﴿يُوحَىٓ﴾ بالياء التحتية وفتح الحاء ردّه على لفظ ﴿رِجَالٗا﴾ فأُقيموا مقام الفاعل، على ما لم يسمّ فاعله، لأنّ لفظ ما لم يسم فاعله يحتوي على معنى ما تقدمه من الكلام وعلى غيره[٤٦٠].

---

(٤٥٧) المفردات في غريب القرآن ص٥١٥ - باختصار، وانظر: لسان العرب ج٦ص٤٧٨٧.

(٤٥٨) انظر: تفسير الطبري ج١٣ص٨٠، ٨١، تفسير ابن كثير ج٢ص٧٣٢، تفسير البيضاوي ج١ص٤٩٨، التسهيل ج٢ص١٢٩، التحرير والتنوير ج١٣ص٦٦، ٦٧، التفسير الواضح ج١٣ص٢٦، ٢٧، صفوة التفاسير ج٢ص٧٠.

(٤٥٩) شرح طيبة النشر ص ٢٥٦.

(٤٦٠) انظر: الحجة في القراءات السبع ص١٩٨، الكشف ج٢ص١٥، الملخص في إعراب القرآن ص ٧١، شرح طيبة النشر لأحمد بن الجزري ص٢٥٦.

والقراءة ﴿يُوحَىٓ﴾ فيها إشارة إلى عظيم منزلة الرسل بتلقيهم الوحي، وفيه تنبيه على أهمية الموحى به، حيث تميز الرسل عن غيرهم بهذا الوحي.
والقراءة ﴿نُّوحِىٓ﴾ فيها إشارة إلى ارتفاع منزلة الرسل بتلقيهم هذا الوحي من الله ﷻ. والله أعلم.

٢ ـ قوله تعالى ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾:

قال ابن عاشور: «﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ بتاء الخطاب على الالتفات، لأن المعاندين لمّا جرى ذكْرهُم وتكرر صاروا كالحاضرين فالتفت إليهم بالخطاب. و﴿أَفَلَا يَعۡقِلُونَ﴾ بياء الغيبة على نسق ما قبله»(٤٦١).

وأسلوب الخطاب فيه مزيد تبكيت وتقريع، حيث وُجّه التقريع توجيهاً مباشراً لهم، أمّا أسلوب الغيبة فيحمل معنى الاستخفاف بالمعاندين فهم ليسوا حَرِيِّين بالخطاب(٤٦٢). والله تعالى أعلم.

٢٧ ـ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿١١٠﴾﴾ [يوسف: ١١٠].

القراءات:

١ ـ قرأ البزي بخلف عنه ﴿اسۡتَايَس﴾ بألف بعد التاء المفتوحة وبعدها ياء مفتوحة.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿ٱسۡتَيۡـَٔسَ﴾ بياء ساكنة بعد التاء وبعد الياء الساكنة همزة مفتوحة وهو الوجه الثاني للبزي(٤٦٣).

٣ ـ قرأ عاصم وحمزة والكسائي وخلف وأبو جعفر ﴿كُذِبُواْ﴾ بتخفيف الذال.

---

(٤٦١) التحرير والتنوير ج١٣ص٦٩ ـ بتصرف يسير.
(٤٦٢) استُوحيت هذه المعاني من حديث د. فضل عباس حول أثر القراءات من الوجهة البلاغية في قوله تعالى: ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ [البقرة: ٨٥]. (انظر: القراءات القرآنية من الوجهة البلاغية ص٢٩).
(٤٦٣) انظر: النشر ج١ص٤٠٥، والبدور الزاهرة ص١٦٦.

٤ ـ قرأ الباقون ﴿كُذِّبُواْ﴾ بتشديد الذال[٤٦٤].

٥ ـ قرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب ﴿فَنُجِّيَ﴾ بنون واحدة مضمومة وبعدها جيم مشددة وبعد الجيم ياء مفتوحة.

٦ ـ قرأ الباقون ﴿فَنُنجِي﴾ بنونين: الأولى مضمومة والثانية ساكنة وبعد الثانية جيم مخففة، وبعد الجيم ياء ساكنة مدية[٤٦٥].

المعنى اللغوي للقراءات:

١ ـ ﴿ٱسْتَيْـَٔسَ﴾: سبق بيانه[٤٦٦].

٢ ـ ﴿كُذِبُوا﴾، ﴿كُذِّبُوا﴾:

«الكَذِب: ضد الصِّدق. وكَذبْتُ بالحديث كِذَّاباً وتكذيباً، وكَذَبَ الوحشي، إذا جرى شوطاً ثم وقف لينظر ما وراءه. وحملَ فلان على فلانٍ فما كذب حتى طَعَنَ أو ضَرَبَ، أي ما وقف. والأكاذيب: أحاديث الباطل، الواحدة أكذوبة. والكَذُوب: النفس. ويقول الرجل للرجل: لا مَكْذَبَةَ أي لا أكذِبك. وكذلك يقال: كَذَبَ عليك كذا وكذا، في معنى الإغراء، أي عليك به»[٤٦٧].

و﴿كُذِبُوا﴾ هنا بمعنى: أُخبِروا بالكَذب[٤٦٨]. و﴿كُذِّبُوا﴾ بمعنى: تُلقّوا بالكذب، فكُذِّبوا نحو خُطئوا، فُسِّقوا إذا نُسِبوا إلى شيء من ذلك[٤٦٩].

قال الجوهري: «قال الكسائي: ... وكَذَّبْتُهُ، إذا أخبرتَ أنه كاذب»[٤٧٠].

---

(٤٦٤) انظر: النشر ج٢ص٢٩٦، والبدور الزاهرة ص١٦٨.

(٤٦٥) انظر: المرجعين السابقين والصفحات نفسها.

(٤٦٦) انظر ص١٢٦ من هذا البحث.

(٤٦٧) جمهرة اللغة ج١ص٢٥١ ـ باختصار، وانظر: لسان العرب ج٥ص٣٨٤٢.

(٤٦٨) انظر: القاموس المحيط ص١٦٦.

(٤٦٩) انظر: المفردات في غريب القرآن ص٤٢٧.

(٤٧٠) الصحاح في اللغة ج٢ ص ٢١٠، وانظر: لسان العرب ج٥ص٣٨٤٢.

٣ - ﴿فَنُجِّىَ﴾، ﴿فَنُنْجِي﴾:

«(نجا): نَجْواً ونجاةً ونَجَايةً: خَلَصَ، كَنَجَّى واستنجى. وأنجاه الله، ونجّاه. ونَجَا الشجرة نَجْواً: قطعها»(٤٧١).

قال الراغب: «أصل النَّجاء: الانفصالُ من الشيء، ومنه: نَجَا فلانٌ من فلانٍ وأنجيته ونجيته، قال تعالى: ﴿وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [النمل: ٥٣]، وقال ﴿إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ﴾ [النمل: ٣٣] والنجوة والنجاة: المكان المرتفع المنفصل بارتفاعه عمّا حوله، وقيل سمي لكونه ناجياً من السيل»(٤٧٢).

التفسير:

يذكر الله ﷻ أن نصره ينزل على رسله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين عند اشتداد الأزمات وانتظار الفرج من الله تعالى في أحوج الأوقات إليه، ففي اللحظة التي تستحكم فيها الشدة، ويأخذ الكرب بالمخانق، حتى يستيئس الرسل من إيمان قومهم، ويوقنوا بلا أدنى شكٍّ أنّ قومهم قد كذّبوهم فيما جاءوهم به من عند الله، وتشتد الأزمة على الرسل حتى يظنّوا أنّ أتباعهم قد كذّبوهم لِما لحقهم من البلاء من الكفار، ويغترُ المرسل إليهم - لطول إمهالهم - فيظنون أنّ الرسل قد كَذَبتهم فيما أخبروهم به من أنّهم إن لم يؤمنوا نزل بهم العذاب، وتشتد الأزمة أكثر فأكثر حتى يظن أتباع الرسل أنّ الرسل قد أُخلفوا ما وُعِدوا به من النصر، عندها يبزغ الفجر وتنفرج الكربة ويأتي النصر المبين، وَيُنَجِّي الله تعالى الرسل ومن تَبِعهم من المؤمنين، ويُهلك الكافرين، ولا يُرَدّ عذابُ الله ﷻ وبطشُه عن القوم المجرمين(٤٧٣).

---

(٤٧١) القاموس المحيط ص ١٧٢٣.

(٤٧٢) المفردات في غريب القرآن ص٤٨٣، ٤٨٤ - باختصار.

(٤٧٣) انظر: تفسير الطبري ج١٣ص٨٢، تفسير ابن كثير ج٢ص٧٣٢، ٧٣٣، صفوة التفاسير ج٢ص٧٠.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

١ ـ ﴿ٱسۡتَيۡـَٔسَ﴾: سبق بيانه(٤٧٤).

٢ ـ ﴿كُذِبُواْ﴾: من قرأ ﴿كُذِبُواْ﴾ بالتخفيف جعل ﴿وَظَنُّوٓاْ﴾ فعلاً للمرسل إليهم(٤٧٥)، وفيه وجهان:

الأول: وظنّ المرسل إليهم أنّ الرسل قد كُذِبوا، أي أُخلفوا ما وُعِدوا به من النصر(٤٧٦)، وعلى هذا الوجه يعود الضمير في قوله ﴿أَنَّهُمۡ﴾ على الرسل. والثاني: أن يكون المعنى: وظنّ المرسل إليهم أنّ الرسل قد كَذَبتهم فيما أخبروهم به من أنّهم إن لم يؤمنوا نزل بهم العذاب، ثمّ رُدّ إلى ما لم يّسمَّ فاعله، وعلى هذا الوجه يعود الضمير في قوله ﴿أَنَّهُمۡ﴾ على المرسل إليهم(٤٧٧). ويجوز في هذه القراءة أن يكون الضمير في ﴿وَظَنُّوٓاْ﴾ وفي ﴿أَنَّهُمۡ﴾ للرسل، والظن بمعنى اليقين، أي فأيقن الرسل أنهم لم يصدقهم قومهم في وَعْدهم بقبول ما أتوهم به(٤٧٨)(٤٧٩) ومن قرأ ﴿كُذِّبُواْ﴾ بالتشديد

---

(٤٧٤) انظر ص١٢٧ من هذا البحث.

(٤٧٥) جاز حمل الضمير في ﴿وَظَنُّوٓاْ﴾ على القوم المرسل إليهم ولم يجر لهم ذكر، لأن ذكرَ الرسلِ يدلُّ على وجودِ المرسلِ إليهم. (انظر: حجة القراءات ص ٣٦٦، الكشف ج٢ص١٦).

(٤٧٦) انظر: أحكام القرآن للجصاص ج٣ص١٧٩، حجة القراءات ص ٣٦٦، الملخص في إعراب القرآن ص٧٢.

(٤٧٧) انظر: معاني القراءات ص٢٢٩، حجة القراءات ص ٣٦٦، ٣٦٧، الكشف ج٢ص١٥، مجمع البيان ج٥ص٤١٨، الملخص في إعراب القرآن ص٧٢، إبراز المعاني من حرز الأماني ص٥٣٨.

(٤٧٨) انظر: الكشف ج٢ص١٦.

(٤٧٩) روي عن ابن عباس معنىً آخر غير ما ذكر فعنه أنه قال ـ عن الرسل ـ: «كانوا بشراً ضعفوا ويئسوا» (تفسير الطبري ج١٣ص٨٦) والمعنى: وظنت الرسل أنهم قد كذبوا فيما وعدوا من النصر، والظن بمعنى الشك في هذا القول. ولم يقبل ابن جرير رحمه الله هذا القول ورده وأباه حيث قال: «وقول غيره من أهل التأويل أولى عندي بالصواب، وخلافه من القول أشبه بصفات الأنبياء والرسل، وقد ذُكر هذا التأويل لعائشة رضي الله عنها فأنكرته أشدّ النكرة.(تفسير الطبري ج١٣ص٨٦ باختصار، وانظر: =

جعل ﴿وَظَنُّوٓاْ﴾ فعلاً للرسل، ويكون الظنّ بمعنى اليقين، والمعنى: وأيقن الرسل أنّ قومهم قد كذّبوهم فيما جاءوهم به من عند الله(٤٨٠)، وفيه وجه آخر، نُقل عن عائشة ﵂(٤٨١)، وهو أن يكون المعنى: وظنّ الرسل أنّ أتباعهم قد كذّبوهم لِما لحقهم من البلاء من الكفار، والظنّ هنا بمعنى

= تفسير ابن كثير ج٢ص٧٣٤)، وجاء في صحيح البخاري: «عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ قَالَ سَمِعْتُ ابْنَ أَبِي مُلَيْكَةَ يَقُولُ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ ﵄ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ﴾ خَفِيفَةً ذَهَبَ بِهَا هُنَاكَ وَتَلَا ﴿حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ﴾ فَلَقِيتُ عُرْوَةَ بْنَ الزُّبَيْرِ فَذَكَرْتُ لَهُ ذَلِكَ فَقَالَ قَالَتْ عَائِشَةُ مَعَاذَ اللهِ وَاللهِ مَا وَعَدَ اللهُ رَسُولَهُ مِنْ شَيْءٍ قَطُّ إِلاَّ عَلِمَ أَنَّهُ كَائِنٌ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ وَلَكِنْ لَمْ يَزَلِ الْبَلاَءُ بِالرُّسُلِ حَتَّى خَافُوا أَنْ يَكُونَ مَنْ مَعَهُمْ يُكَذِّبُونَهُمْ فَكَانَتْ تَقْرَؤُهَا ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِّبُواْ﴾ مُثَقَّلَةً». [أخرجه البخاري: كتاب التفسير، باب قوله: ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ﴾، ح(٤٥٢٤، ٤٥٢٥) ص٨٥٥]. قال ابن حجر: ولا يظن بابن عباس أنه يُجوّز على الرسول ﷺ أنّ نفسه تحدثه بأن الله يخلف وعده، بل الذي يظن بابن عباس أنه أراد بقوله كانوا بشراً إلى آخر كلامه، من آمن من أتباع الرسل لا نفس الرسل» (فتح الباري ج٨ص٣٦٩) قلت: وقد أورد الطبري رواية لابن عباس نصها: «... عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ﴾ خفيفةً، قال: استيأس الرسل من إيمان قومهم، وظنّ القوم أنّ الرسل قد كَذَبُوهم» (تفسير الطبري ج١٣ص٨٤ وانظر: الدر المنثور ج٤ص٥٩٦)، قال ابن حجر «وإسناده حسن فليكن هو المعتمد في تأويل ما جاء عن ابن عباس في ذلك، وهو أعلم بمراد نفسه عن غيره» (فتح الباري ج٨ص٣٦٩).

(٤٨٠) انظر: أحكام القرآن للجصاص ج٣ص١٧٩، معاني القراءات ص٢٢٩، حجة القراءات ص٣٦٧، الكشف ج٢ص١٦، الملخص في إعراب القرآن ص٧٢، زاد المسير ج٤ص٢٢١.

(٤٨١) «عن عُرْوَةَ أَنَّهُ سَأَلَ عَائِشَةَ ﵂ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ أَرَأَيْتِ قَوْلَهُ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ﴾، أَوْ ﴿كُذِّبُواْ﴾ قَالَتْ بَلْ كَذَّبَهُمْ قَوْمُهُمْ فَقُلْتُ وَاللهِ لَقَدِ اسْتَيْقَنُوا أَنَّ قَوْمَهُمْ كَذَّبُوهُمْ وَمَا هُوَ بِالظَّنِّ فَقَالَتْ يَا عُرَيَّةُ لَقَدِ اسْتَيْقَنُوا بِذَلِكَ قُلْتُ فَلَعَلَّهَا أَوْ ﴿كُذِبُواْ﴾ قَالَتْ مَعَاذَ اللهِ لَمْ تَكُنِ الرُّسُلُ تَظُنُّ ذَلِكَ بِرَبِّهَا وَأَمَّا هَذِهِ الآيَةُ قَالَتْ هُمْ أَتْبَاعُ الرُّسُلِ الَّذِينَ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَصَدَّقُوهُمْ وَطَالَ عَلَيْهِمُ الْبَلاَءُ وَاسْتَأْخَرَ عَنْهُمُ النَّصْرُ حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَتْ مِمَّنْ كَذَّبَهُمْ مِنْ قَوْمِهِمْ ظَنُّوا أَنَّ أَتْبَاعَهُمْ كَذَّبُوهُمْ جَاءَهُمْ نَصْرُ اللَّهِ» أخرجه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿لَّقَدۡ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخۡوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٞ لِّلسَّآئِلِينَ ۝٧﴾ ح(٣٣٨٩) ص٦٤٩.

الشكّ[٤٨٢].

مما سبق يتبين أنّ اختلاف القراءة أدى إلى إفادة معانٍ عدة. فقد دلت القراءة ﴿كُذِبُوا۟﴾ بالتخفيف أنّ نصر الله آتٍ لا محالة وإن أخره الله ﷻ إلى أجل، وأنّ من علامات اقتراب الفرج أن تشتد الأزمة حتى يستيئس الرسل من إيمان قومهم، ويظنّ المرسل إليهم ـ لطول إمهالهم ـ أنّ الرسل قد كَذَبتهم فيما أخبروهم به من أنّهم إن لم يؤمنوا نزل بهم العذاب، وتشتد الأزمة أكثر فأكثر، حتى يظن أتباع الرسل أنّ الرسل قد أُخلفوا ما وُعِدوا به من النصر، ويوقن الرسل أنهم لم يصدقهم قومهم في وَعْدهم بقبول ما أتوهم به. وهذه المعاني تدفع الأنبياء ومن بعدهم كلّ مَنْ حَمل راية الدعوة إلى الله ﷻ على الصبر، ومواصلة الدعوة مهما واجهوا من التحديات، كما تحمل تهديداً للمكذبين والذين يقفون حجر عثرة في سبيل الدعوة، وتقول لهم لا تغتروا بإمهال الله ﷻ لكم، ففي تلك اللحظة التي توقنون أنّ الرسل ـ ومن بعدهم الدعاة إلى الله ـ قد كُذِبُوا، وتشعرون بالنصر في أنفسكم، ستكون تلك نهايتكم، وسيأتي نصر الله تعالى لرسله وللمؤمنين. أمّا القراءة ﴿كُذِّبُوا۟﴾ بالتشديد فإنها تحمل البلسم الشافي للرسل، حيث تبشرهم أنه في حال اشتداد الأزمة وحين يوقنون بلا أدنى شكّ أنّ قومهم قد كذّبوهم فيما جاءوهم به من عند الله، وتشتد الأزمة عليهم حتى يظنّوا أنّ أتباعهم قد كذّبوهم لِما لحقهم من البلاء من الكفار، يبزغ الفجر وتنفرج الكربة ويأتي النصر المبين. وهذا للرسل في زمن الرسالة وللدعاة إلى الله من بعدهم حتى قيام الساعة.

«ولا شكّ أنّ هذه المعاني جميعاً تزيد من عقيدة المؤمن بقرب نصر الله ﷻ كلما ازداد البلاء واشتدت المحن، وهي كما ترى لا تتعارض في الفهم بل تتآزر، وتتكامل»[٤٨٣].

(٤٨٢) انظر: تفسير الطبري ج١٣ص٨٧، حجة القراءات ص ٣٦٦، الملخص في إعراب القرآن ص ٧٢، تفسير السمرقندي ج٢ص١٨٠.

(٤٨٣) القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني والأحكام الشرعية ص١٩١.

٣ - ﴿فَنُجِّيَ﴾، ﴿فَنُنْجِي﴾: من قرأ ﴿فَنُجِّيَ﴾: جعل الفعل ماضياً من (نجّى) وبناه على ما لم يسم فاعله، ويكون (من) رفعاً نائب فاعل ويعلم بالمعنى أنّ الله نجاهم، وحجته أنّ القصة قد مضت فطابق بين اللفظ والمعنى، فجاء الفعل ﴿فَنُجِّيَ﴾ على لفظ الماضي ويقوي هذا أنّه مكتوب في المصحف بنون واحدة، وأنّه قد عطف عليه فعل لم يسمّ فاعله وهو قوله ﷻ: ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا﴾. ومن قرأ ﴿فَنُنْجِي﴾: بنونين جعل الفعل حكاية عن حال يكون فيما بعد، وجعله من (أنجى)، وبناه على الإخبار من الله تعالى عن نفسه، والنون الأولى نون الاستقبال، والثانية هي الأصلية إلا أنها خفيت للغنة، فحذفت خطاً، وتكون (من) نصباً مفعولاً به والفاعل ضمير مستتر تقديره (نحن) يعود على الله تعالى، وأسكن الياء في الفعل علَماً للرفع(٤٨٤).

قال ابن زنجلة: «وقوله ﴿فننجي من نشاء﴾ حكاية حال الأمر من القصة فيما مضى. كما أن قوله ﴿هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ [القصص: ١٥]، إشارة إلى الحاضر والقصة ماضية لأنه حكى الحال»(٤٨٥).

وعليه فإنّ القراءة ﴿فَنُجِّيَ﴾ بمعنى الماضي على ما لم يسمّ فاعله، أي فنجّيَ من نشاء في القرون الماضية، واستخدام الفعل (نجّى) بصيغة (فعّل) التي تفيد التكثير والمبالغة(٤٨٦)، ومن ثمّ تقتضي التلبث والمكث(٤٨٧)، يفيد أنّ النجاء المتحقق أبلغ وأدوم، وقد ناسبت هذه الصيغة بدلالاتها ومقتضياتها الحديث عن الماضي، فمن تحقق له النجاء ترنو نفسه إلى تحققه بشكل أبلغ، وإلى دوامه. أمّا القراءة الثانية ﴿فَنُنْجِي﴾ فهي بمعنى المستقبل، أي

---

(٤٨٤) انظر: الحجة في القراءات السبع ص١٩٩، حجة القراءات ص٣٦٧، الكشف ج٢ص١٧، الملخص في إعراب القرآن ص٧٢، مفاتيح الأغاني ص٢٢٧، المغني في توجيه القراءات العشر ج٢ ص٢٨٢.

(٤٨٥) حجة القراءات ص٣٦٨.

(٤٨٦) انظر: بصائر ذوي التمييز ج١ص٢١٢، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ص ٦٢.

(٤٨٧) انظر: بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ص ٦٢، ٦٣.

فننجي من نشاء في المستقبل، واستخدام الفعل (أنجى) في هذه القراءة بصيغة (أفعل) فيه إشارة لطيفة إلى سرعة تحقق النجاء[٤٨٨] وهو ما تصبو إليه النفس في خضم الخطوب. وبناء القراءة الأولى لما لم يسم فاعله لأنّ النجاء قد تحقق فلا يسأل السائل عن الفاعل - وإن كان معلوماً بالمعنى أنّ الله نجاهم -، أمّا القراءة الثانية فبنيت على الفاعل - وهو ضمير مستتر تقديره (نحن) يعود على الله تعالى - وذلك أنّ الحال هو الحديث عن فترة عصيبة يعيشها القوم والوعد بالنجاء لن يكون مؤثراً إلاّ إذا عُلم الفاعل، وبالطبع سيكون القول أوقع في النفس إذا أُخبر السامع أنّ النجاء سيكون من الله ﷻ، وزاد في وقعه أنه وعد من الله تعالى بنفسه، حيث عبّر بنون المضارعة التي دلت على ضمير الجمع الذي يفيد العظمة. وهذه القراءة إشارة إلى الحاضر والقصة ماضية، فهي ترسم للسامع صورة القصة، فيراها ماثلة أمامه، وهذا من أفانين الكلام.

والقراءتان معاً تؤكدان حدوث النجاء للمؤمنين بشكل بليغ ودائم، وعلى سرعة تحقق ذلك النجاء عند إرادة الله تعالى لذلك، كما أنّ هناك فائدة بلاغية في تنوع الأسلوب، بين الإخبار عن القصة تارة بصيغة الماضي، وتارة بصيغة الحاضر والتي تجسد القصة فيراها السامع ماثلة أمامه، ويعيش فصولها وأحداثها. والله تعالى أعلم.

(٤٨٨) الفعل (نجّى) على وزن (فعّل)، يفيد التكثير والمبالغة، ومن مقتضيات التكثير والمبالغة في الحدث، استغراق وقت أطول، وأنه يفيد تلبثاً ومكثاً (انظر: بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ص٦٢) قلت: وفي المقابل سيستغرق الفعل (أنجى) الذي لا يقتضي التكثير وقتاً أقل، فهو يوحي بسرعة تحقق النجاء، مقارنة بالفعل (نجّى).

الفصـل الثاني
تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر
من خـلال سورتي الرعد وإبراهيم عليه السلام

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: سورة الرعد.

المبحث الثاني: سورة إبراهيم عليه السلام.

المبحث الأول
سورة الرعد

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: تعريف عام بسورة الرعد.

المطلب الثاني: تفسير سورة الرعد بالقراءات القرآنية العشر.

المطلب الأول: تعريف عام بسورة الرعد.

اسمها:

تسمى هذه السورة: سورة الرعد، ولا يعرف لها اسم غير هذا.

قال ابن عاشور: «سورة الرعد، هكذا سُمّيت من عهد السلف. وذلك يدل على أنها مسماة بذلك من عهد النبي ﷺ إذ لم يختلفوا في اسمها. وإنّما سميت بإضافتها إلى الرعد، لورود ذكر الرعد فيها بقوله تعالى: ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ﴾ [الرعد: ١٣]»(٤٨٩).

نزولها:

اختلف في نزول سورة الرعد، فقيل نزلت في مكة، وقيل نزلت في

(٤٨٩) التحرير والتنوير ج١٣ص٧٥.

المدينة. قال السيوطي: «والذي يُجمع به بين الاختلاف أنّها مكية إلاّ آيات منها»(٤٩٠) «يعني قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [الرعد: ١٢] إلى قوله ﴿شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾ [الرعد: ١٣]، وقوله: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الرعد: ٤٣]»(٤٩١).

عدد آياتها:

عدد آياتها ثلاث وأربعون آية في العدّ الكوفي، وأربع وأربعون في العدّ المكي والمدني، وخمس وأربعون في العدّ البصري، وسبع وأربعون في العدّ الشامي(٤٩٢).

وجه اتصالها بما قبلها (سورة يوسف):

هناك تناسب بين سورة الرعد وسورة يوسف عليه السلام، فقد تناولت كلتا السورتين الحديث عن قصص الأنبياء مع أقوامهم، وكيف نجّى الله تعالى المؤمنين وأهلك الكافرين، وكلٌ من السورتين جاءت لإثبات توحيد الله تعالى، ففي سورة يوسف عليه السلام: ﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ [يوسف: ٣٩]، وفي سورة الرعد: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ [الرعد: ١٦]، وفيهما من الأدلة على وجود الخالق الحكيم، وكمال قدرته وعلمه ووحدانيته الشيء الكثير. وزيادة على ما تقدم فإنّ الله سبحانه قال في آخر سورة يوسف عليه السلام: ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [يوسف: ١٠٥]، فذكر الآيات الكونية مجملة، ثمّ فصّل في مطلع سورة الرعد. كما أنّ سورة يوسف عليه السلام قد خُتمت بوصف القرآن ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً

(٤٩٠) الإتقان ج١ص١٦، وانظر: روح المعاني ج١٣ص٨٤.

(٤٩١) التحرير والتنوير ج١٣ص٧٨.

(٤٩٢) فنون الأفنان ص ٥٢، روح المعاني ج١٣ص٨٤ بشير اليسر شرح ناظمة الزهر ص٩٩.

﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١]، وبدئت سورة الرعد بقوله سبحانه: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ۗ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الرعد: ١] وهو من تشابه الأطراف(٤٩٣).

ما اشتملت عليه السورة:

تتناول سورة الرعد موضوع العقيدة وقضاياها: توحيد الألوهية، توحيد الربوبية، قضية البعث والجزاء، والردّ على شبهات المشركين. وأهم ما اشتملت عليه(٤٩٤):

١ ـ إقامة الأدلة على وجود الله تعالى ووحدانيته، من خلق السماوات والأرض، والشمس والقمر، والليل والنهار، ... إلخ، وتفرده سبحانه وتعالى بالخلق والإيجاد، والإحياء والإماتة، والنفع والضرر.

٢ ـ تفنيد أقوال أهل الشرك ومزاعمهم في إنكار البعث، وتهديدهم أن يحلّ بهم ما حلّ بأمثالهم.

٣ ـ التذكير بأنعم الله تعالى على الناس.

٤ ـ التهديد بالحوادث الكونية أن يكون منها عذاب للمكذبين كما حلّ بالأمم قبلهم.

٥ ـ التذكير بأنّ الدنيا ليست دار قرار.

٦ ـ بيان أن الله تعالى بعث النبي محمداً ﷺ منذراً، ولكل قوم هاد، وكان إرساله ﷺ في أمّة قد خلت من قبلها أمم ليتلو عليهم ما أوحيَ إليه ولقد كفروا بالقرآن وبالرحمن.

٧ ـ الثناء على فريق من أهل الكتاب يؤمنون بأنّ القرآن منزل من عند

---

(٤٩٣) انظر: تناسق الدرر ص٩٥، روح المعاني ج١٣ص٨٤، التفسير المنير ج١٣ص٩٦، ٩٧.

(٤٩٤) انظر: التحرير والتنوير ج١٣ص٧٧، ٧٨، التفسير المنير ج١٣ص٩٦، موسوعة القرآن العظيم ج١ص٥٦٧، ٥٦٨.

الله تعالى والإشارة إلى حقيقة القدر ومظاهر المحو والإثبات.

المطلب الثاني: تفسير سورة الرعد بالقراءات القرآنية العشر:

١ - ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [الرعد: ٣].

القراءات:

١ - قرأ شعبة وحمزة والكسائي، ويعقوب وخلف ﴿يُغَشّي﴾ بفتح الغين وتشديد الشين.

٢ - قرأ الباقون ﴿يُغْشِي﴾ بإسكان الغين وتخفيف الشين(٤٩٥).

المعنى اللغوي للقراءات:

«﴿غَشَّى﴾: غَشِيه غِشَاوةً وغِشاءً أتاه إتيان ما قد غَشِيهُ أي سَتَره و(الغِشَاوَةُ) ما يغطى به الشيء»(٤٩٦).

التفسير:

يقول الله تعالى: والله ﷻ الذي خلق الأرض ووسعها للعباد وأودع فيها من مصالحهم ما أودع، وجعل فيها جبالاً عظاماً لئلا تميد بالخلق، وجعل فيها أنهاراً تسقي الأنام وبهائمهم وحروثهم، فأخرج بها من الأشجار والزروع والثمار خيراً كثيراً وجعل من كل الثمرات صنفين اثنين، يلبس الليل بالنهار فتظلم الآفاق، إنّ في عجائب صنع الله تعالى لَدلالات وعلامات باهرة على قدرته ووحدانيته لمن تأمل وتفكر(٤٩٧).

---

(٤٩٥) انظر النشر ج٢ ص٢٦٩، البدور الزاهرة ص١٦٨.

(٤٩٦) المفردات في غريب القرآن ص ٣٦١، وانظر: القاموس المحيط ص ١٦٩٩.

(٤٩٧) انظر: تفسير السعدي ص ٤٣٧، صفوة التفاسير ج ٢ ص ٧٤.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قال ابن زنجلة: «الحجة لمن شدد، تكرير الفعل، ومداومته ودليله قوله ﴿فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾﴾ [النجم: ٥٤]، والحجة لمن خفف أنه أخذه من أغشى يُغشى، ودليله قوله: ﴿فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [يس: ٩]، ومعناهما واحد مثل أنزل ونَزَّل. غير أن التشديد أبلغ»(٤٩٨).

وقال مكي: «وهما لغتان أغشى وغشي ... وفي التشديد معنى التكرير والتكثير»(٤٩٩).

قلت: التشديد يحمل معنى التكرير والتكثير، وذلك يستدعي وقتاً أطول، وترك التشديد فيه إشارة إلى سرعة حدوث الفعل(٥٠٠)، وعليه فإن القراءة بالتشديد تفيد التكرير والتكثير والقراءة بترك التشديد تفيد السرعة في الحدوث. والله تعالى أعلى وأعلم.

٢ - ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾. [الرعد: ٤].

القراءات:

١ - قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحفص، ويعقوب ﴿وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ﴾ برفع عين ﴿وَزَرْعٌ﴾ ولام ﴿وَنَخِيلٌ﴾ ونون ﴿صِنْوَانٌ﴾ وراء ﴿وغيرُ﴾.

.٢ - قرأ الباقون ﴿وزرعٍ ونخيلٍ صنوانٍ وغيرِ﴾ بخفض عين ﴿وزرعٍ﴾ ولام ﴿ونخيلٍ﴾ ونون ﴿صنوانٍ﴾ وراء ﴿غيرِ﴾(٥٠١).

٣ - قرأ ابن عامر، وعاصم، ويعقوب ﴿يُسْقَىٰ﴾ بالياء التحتية.

(٤٩٨) الحجة في القراءات السبع ص ١٥٦، حجة القراءات ص ٣٦٨.

(٤٩٩) الكشف ج ١ ص ٤٦٤، ٤٦٥، وانظر: شذا العرف في فن الصرف ص٢٩.

(٥٠٠) انظر ص٢٥ من هذا البحث.

(٥٠١) انظر: النشر ج ٢ص ٢٩٧، البدور الزاهرة ص١٦٨.

٤ ـ قرأ الباقون ﴿تُسْقَىٰ﴾ بالتاء الفوقية[٥٠٢].

٥ ـ قرأ حمزة والكسائي وخلف ﴿وَيُفَضِّلُ﴾ بالياء التحتية.

٦ ـ قرأ الباقون ﴿وَنُفَضِّلُ﴾ بالنون[٥٠٣].

٧ ـ قرأ نافع وابن كثير ﴿فِي الأكْلِ﴾ بإسكان الكاف.

٨ ـ قرأ الباقون ﴿فِي ٱلْأُكُلِ﴾ بضم الكاف[٥٠٤].

المعنى اللغوي للقراءات:

١ ـ ﴿وَزَرْعٌ﴾: (زَرَعَ): طَرحَ البذرَ، والزرعُ: الإنبات، وحقيقة ذلك تكون بالأمور الإلهية دون البشرية. والزَّرْع في الأصل مصدر وعُبِّرَ بِه عن المزروع[٥٠٥].

٢ ـ ﴿وَنَخِيلٌ﴾: «النخل معروف، وقد يستعمل في الواحد والجمع قال تعالى ﴿وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ۝١٠﴾ [ق: ١٠]، وجمعه نَخيل. والنَّخل: نَخْل الدقيق بالمنخل وانْتَخَلْت الشيء انتقيته فأخذت خِيَارَه»[٥٠٦].

٣ ـ ﴿صِنْوَانٌ﴾: «الصِّنْوُ: الغُصْنُ الخارجُ عَنْ أَصْلِ الشجرةِ، يُقالُ هما صِنوا نخلةٍ وفلان صِنْوُ أبيْه، والتَّثْنِية صِنْوانِ وجَمْعُه صِنْوانٌ[٥٠٧]»[٥٠٨].

٤ ـ ﴿غَيْرِ﴾ سبق بيانه[٥٠٩].

---

(٥٠٢) انظر: المرجعين السابقين، والصفحات نفسها.
(٥٠٣) انظر: المرجعين السابقين، والصفحات نفسها.
(٥٠٤) انظر: المرجعين السابقين، والصفحات نفسها.
(٥٠٥) انظر: المفردات في غريب القرآن ص ٢١٢، القاموس المحيط ص ٩٣٦.
(٥٠٦) المفردات في غريب القرآن ص ٤٨٦ ـ باختصار، وانظر القاموس المحيط ص١٣٧١.
(٥٠٧) قال البقاعي: «وهو تركيب لا فرق بين مثناه وجمعه إلا بكسر النون من غير تنوين وإعرابها مع التنوين» (نظم الدرر ج٤ ص١٢٤).
(٥٠٨) المفردات في غريب القرآن ص٢٨٧.
(٥٠٩) انظر ص٤١ من هذا البحث.

٥ ـ ﴿يُسْقَىٰ﴾: «سقى: السَّقْيُ والسُّقْيَا أن يعطيَه ما يشرب»[٥١٠].

٦ ـ ﴿وَنُفَضِّلُ﴾: الفَضْلُ ضدُ النقصِ، والفضل زيادةُ أَحَدُ الشَّيْئَيْن على الآخر[٥١١].

٧ ـ ﴿ٱلْأُكُلِ﴾: «(أَكَلَ): الأَكْلُ: تَنَاوُلُ المَطْعَم، والأُكُلُ: لِمَا يُؤْكَلُ بِضَمِّ الكافِ وسكونه. قال تعالى: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ﴾ [الرعد: ٣٥]»[٥١٢].

التفسير:

من عجائب قدرة الله تعالى أنّ في الأرض بقاعاً مختلفة متلاصقة قريب بعضها من بعض، وفي هذه القطع المتجاورة أنواع من النبات: العنب المتسلق، وما على شاكلته، والنخل السامق بأنواعه، والزرع من بقول، وحبوب، وخضروات متشابهة، وغير متشابهة، كلها مجتمعة حدائق كالجنات. وذلك النخل منه ما ينبت من الأصل الواحد شجرتان فأكثر، ومنه ما ينبت شجرة واحدة. والجميع يسقى بماء واحد، وأرضه واحدة، ولكنَّ الثمار مختلفة الطعوم، وبعضها أفضل من بعض، وليس ذلك إلا علامات باهرة ظاهرة لمن تدبر وتفكر[٥١٣].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

١ ـ قوله تعالى: ﴿وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ﴾.

القراءة ﴿وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ﴾ برفع الأربعة وذلك على عطف **﴿زرعٌ ونخيلٌ﴾** على **﴿قِطَع﴾**، و**﴿صِنْوَانٌ﴾** نعت لـ**﴿نخيلٌ﴾** و**﴿غيرُ﴾** عطف

---

(٥١٠) المفردات في غريب القرآن ص ٢٣٦ وانظر: القاموس المحيط ص ١٦٧١.

(٥١١) انظر: المفردات في غريب القرآن ص ٣٨١، القاموس المحيط ص١٣٤٨، لسان العرب ج٥ص٣٤٢٨.

(٥١٢) المفردات في غريب القرآن ص ٢٠ وانظر: القاموس المحيط ص ١٢٤٢.

(٥١٣) انظر: تفسير الطبري ج١٣ ص٩٧، تفسير السعدي ص٤٣٧، صفوة التفاسير ج٢ ص٧٤، المشاهد في القرآن الكريم ص١٢٦.

على ﴿صِنْوَانٌ﴾[٥١٤].

قال أبو علي الفارسي: «والجنّة على هذا يقع على الأرض التي فيها الأعناب دون غيرها»[٥١٥].

والقراءة ﴿وَزَرْعٍ وَنَخِيلٍ صِنْوَانٍ وَغَيْرِ﴾ بالخفض في الأربعة، وذلك على عطف ﴿زرعٍ ونخيلٍ﴾ على ﴿أَعْنَبٍ﴾ فهو أقرب إليه من ﴿قطعٌ﴾ و﴿صنوانٍ﴾ نعت لـ﴿نَخِيلٍ﴾، و﴿غَيْرِ﴾ عطف على ﴿صنوانٍ﴾[٥١٦].

قال أبو علي الفارسي: «فأما من قرأ: ﴿وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٍ وَنَخِيلٍ صِنْوَانٍ﴾ فإنه حمل الزرع والنخيل على الأعناب، كأنه: جنات من أعناب، ومن زرع ومن نخيل»[٥١٧].

فعلى القراءة بالرفع يكون المعنى: (وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب، وفيها أيضاً زرعٌ ونخيلٌ ...)، وعلى القراءة بالخفض يكون المعنى: (وفي الأرض قطع متجاورات وفيها جنّات مشتملة على الأعناب والزرع والنخيل ...)، فرسمت لنا كل قراءة صورة مختلفة للطبيعة الخلابة، من جنات من الأعناب (منفردة)، وزروع ونخيل، ومن جنات مشتملة على الأعناب، والنخيل، والزروع. والله تعالى أعلم.

٢ ـ قوله تعالى: ﴿يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ﴾:

القراءة ﴿يُسْقَىٰ﴾ بياء التذكير، حملاً على معنى: يُسقى ما ذكر، والقراءة ﴿تُسْقَىٰ﴾ بتاء التأنيث حملاً على معنى: تسقى هذه الأشياء التي

---

(٥١٤) انظر: الكشف ج٢ ص ١٩، إتحاف فضلاء البشر ص٣٨، المغني في توجيه القراءات العشر ج٢ ص٢٨٤.

(٥١٥) الحجة للقراء السبعة ج٥ص٧.

(٥١٦) انظر: الكشف ج٢ ص ١٩، إتحاف فضلاء البشر ص٣٨، المغني في توجيه القراءات العشر ج٢ ص٢٨٤.

(٥١٧) الحجة للقراء السبعة ج٥ص٧.

ذكرت، ويقوي ذلك أنّ بعده ﴿بَعْضَهَا﴾ على التأنيث ولم يقل بعضه[٥١٨].

والتذكير يحمل معانيَ عدة منها: القوة، والقلة، والتأنيث يحمل معانيَ عدة: منها الكثرة والضعف[٥١٩]، فكل ما ذُكر قلّ أم كثر، على تنوع أصنافه وأنواعه، من نخل باسق، وعنب متسلق، وزرع، يسقى بماء واحد. والله تعالى أعلم.

٣ ـ قوله تعالى: ﴿وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ﴾:

القراءة ﴿وَنُفَضِّلُ﴾ بنون العظمة على الإخبار من الله ﷻ عن نفسه وذلك على الالتفات من الغيبة إلى التكلم[٥٢٠]، وفي الالتفات تطرية للكلام وتفننٌ في الأسلوب[٥٢١]. وقد جاء الإخبار بلفظ الجماعة؛ لما فيه من معاني التبجيل والتعظيم لله سبحانه وتعالى. قال الزجاج: «وهذا خوطب به العرب لأنهم يستعملون فيمن يُبَجِّلونه لفظ الجماعة»[٥٢٢].

والقراءة ﴿وَيُفَضِّلُ﴾ بالياء على الإخبار من الله ﷻ بذلك على لفظ الغائب، جرياً على سياق ما قبله[٥٢٣].

فالقراءاتان جاءتا على أسلوبين من أساليب العرب: الجري على السياق، وهو الأصل، والالتفات، وفيه تطرية للكلام، كما حملت القراءة بالنون معاني التبجيل والتعظيم لله تعالى. والله أعلم.

---

(٥١٨) انظر: الكشف ج٢ ص١٩، شرح طيبة النشر لأحمد بن الجزري ص٢٥٧، إتحاف فضلاء البشر ص٣٣٨، المغني في توجيه القراءات العشر ج٢ ص٢٨٥.

(٥١٩) انظر: التأنيث في اللغة العربية ص٢٧، المغني في توجيه القراءات العشر ج٢ص٢٨٦.

(٥٢٠) انظر: الكشف ج٢ ص ١٩، شرح طيبة النشر لأحمد بن الجزري ص٥٧، المغني في توجيه القراءات العشر ج٢ ص٢٨٥.

(٥٢١) انظر: التحبير في علم التفسير ص١٢٠.

(٥٢٢) معاني القرآن للزجاج ج٣ص١٣٨.

(٥٢٣) انظر: الكشف ج٢ ص ١٩، شرح طيبة النشر لأحمد بن الجزري ص٥٧، المغني في توجيه القراءات العشر ج٢ ص٢٨٥.

٤ ـ قوله تعالى: ﴿ٱلۡأُكُلِۚ﴾:

القراءة ﴿ٱلۡأُكُلِۚ﴾ بضم الكاف على الأصل، والقراءة **﴿الأُكْل﴾** بإسكان الكاف على التخفيف، وهما لغتان(٥٢٤). وتنوع القراءة بين لفظ **﴿الأُكُل﴾** بما فيه من ثقل؛ لتوالي ضمتين، ولفظ **﴿الأُكْل﴾** وما به من خفة، ناسب التنوع الكبير في المطعومات، واختلاف أوجه التفاضل بينها. والله أعلم.

٣ ـ ﴿وَإِن تَعۡجَبۡ فَعَجَبٞ قَوۡلُهُمۡ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَاقِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٥﴾ [الرعد: ٥].

القراءات:

١ ـ قرأ نافع والكسائي ويعقوب، **﴿أئذا﴾** بهمزتين الأولى مفتوحة والثانية مكسورة على الاستفهام، ﴿إِنَّا﴾ بهمزة واحدة على الإخبار.

٢ ـ قرأ ابن عامر وأبو جعفر ﴿إِذَا﴾ بهمزة واحدة على الإخبار، **﴿أئنا﴾** بهمزتين الأولى مفتوحة والثانية مكسورة على الاستفهام.

٣ ـ قرأ الباقون **﴿أئذا﴾** بهمزتين الأولى مفتوحة والثانية مكسورة على الاستفهام، **﴿أئنا﴾** أيضاً بهمزتين الأولى مفتوحة والثانية مكسورة على الاستفهام(٥٢٥).

المعنى اللغوي للقراءات:

١ ـ ﴿إِذَا﴾: اسم يدل على زمان مستقبل، ولم تستعمل إلا مضافة إلى جملة، وتجيء للماضي، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا

---

(٥٢٤) انظر: الكشف ج١ ص ٣١٤، المغني في توجيه القراءات العشر ج١ص٢٨٠.

(٥٢٥) انظر: النشر ج١ص٣٧٣.

﴿ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا﴾ [الجمعة: ١١](٥٢٦).

٢ ـ ﴿إِنَّا﴾ مركبة من كلمة (إن) المخففة من الثقيلة وضمير المتكلمين (نا).

قال الراغب: «إن على أربعة أوجه: للشرط نحو: ﴿إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ﴾ [المائدة: ١١٨]، والمخففة من الثقيلة ويلزمها اللام نحو: ﴿إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا﴾ [الفرقان: ٤٢]، والنافية نحو: ﴿إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنّٗا﴾ [الجاثية: ٣٢]، والمؤكدة للنافية نحو: ما إنْ يَخْرُجُ زيدٌ»(٥٢٧).

التفسير:

وإن تعجب يا محمد ـ ﷺ ـ من شيء، فليس ما هو أعجب من قول الكفار أئذا كنَّا ترابا وبلينا فعدمنا إنّا لمجدد إنشاؤنا، وإعادتنا خلقاً جديداً، كما كنّا قبل وفاتنا؟، تكذيباً منهم بقدرة الله تعالى، وجحوداً للثواب والعقاب والبعث بعد الممات، فإنَّ إنكارهم للبعث حقيق أن يُتعجب منه، فإنَّ الذي قَدَرَ على إنشاء السماوات والأرض والثمار قادر على إنشاء الخلق بعد موتهم(٥٢٨).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قال ابن جُزَيّ: «واختلف القُّراء في هذا الموضع... فمنهم من قرأ بالاستفهام في الأول والثاني ومنهم من قرأ بالاستفهام في الأول فقط ومنهم من قرأ بالاستفهام في الثاني فقط، وأصل الاستفهام في المعنى إنّما هو عن الثاني، فإنّ همزة الاستفهام معناها الإنكار، وإنما أنكروا أن يكونوا خلقاً جديداً ولم ينكروا أن يكونوا تراباً، فمن قرأ بالاستفهام في الثاني فقط فهو على الأصل، ومن قرأ بالاستفهام في الأول، فالقصد بالاستفهام الثاني ومن

(٥٢٦) انظر: القاموس المحيط ص١٧٣٧، لسان العرب ج١ص٥٠.

(٥٢٧) المفردات في غريب القرآن ص٢٧ ـ باختصار يسير.

(٥٢٨) انظر: تفسير الطبري ج١٣ ص١٠٣، ١٠٤، التسهيل ج٢ص١٣٠.

قرأ بالاستفهام فيهما فذلك للتأكيد»(٥٢٩).

وعليه فإن القراءة بالاستفهام في الثاني جاءت على الأصل، والقراءة بالاستفهام في الأول قد قصد بها الاستفهام في الثاني، وذلك لأن الاستفهام إذا دخل في أول الكلام أحاط بآخره، ولمّا كان أحد الاستفهامين علة للآخر كان المعنى في أحدهما دون الآخر، وكان الآخر علة له يقع لوقوعه ويرتفع بارتفاعه ويدل عليه(٥٣٠). وفي هذه القراءة لفتة بيانية جميلة تبين مدى تبجحهم وكفرهم، حيث أمعنوا في إنكارهم للبعث بإنكارهم علته، وهو موتهم وكونهم تراباً، وهذا معلوم بالمشاهدة فكيف يكون إنكارهم لما هو غائب؟.

أمّا القراءة بالاستفهام في الموضعين فتحمل معنى المبالغة والتوكيد، وزيادة التوكيد من إعادة لفظ الاستفهام. والقراءات بمجموعها تبين مدى إنكارهم للبعث، وقد جاء التعبير مرة على الأصل ومرة بالتوكيد اللفظي الظاهر ومرة بالتوكيد المعنوي الذي يفهم من السياق. والله تعالى أعلم.

٤ ـ ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾﴾ [الرعد: ١٦].

القراءات:

١ ـ قرأ شعبة وحمزة والكسائي وخلف ﴿**يَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ**﴾ بالياء التحتية.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ﴾ بالتاء الفوقية(٥٣١).

---

(٥٢٩) التسهيل ج٢ص١٣٠، ١٣١ ـ باختصار وتصرف يسير، وانظر: حجة القراءات ص٣٧١، الكشف ج٢ص٢٠، ٢١.

(٥٣٠) انظر: حجة القراءات ص٣٧١.

(٥٣١) انظر: النشر ج٢ص٢٩٧، البدور الزاهرة ص١٦٩.

المعنى اللغوي للقراءات:

﴿تَسْتَوِي﴾: «اسْتَوَيَا وتَسَاوَيَا: تَمَاثَلا، وسَوَّيْتُه به تَسْوِيَة، وسَوَّيْتُ بينهما وسَاوَيْتُ وأَسْوَيْتُ بِه. وهُمَا سَوَاءَان وسِيَّان: مِثلان»(٥٣٢).

التفسير:

يقول الله تعالى: قل يا محمد - ﷺ - لهؤلاء المشركين: مَنْ ربّ السماوات والأرض ومدبرهما؟، ولمَّا كانوا يُقِرُّون بأنَّ الله خلقهما، وهو ربهما، ورب كل شيء، ولا سبيل لإنكار ذلك أبداً، أُمِر محمد ﷺ أن يُجيب ويَقول: الله. ثمّ يَأمُر الله تعالى نبيه أن يَسأل هؤلاء المشركين: وإذا كان الأمر كذلك وأنتم تُقِرُّون بأنَّه الخالق والرَّب للسماء والأرض، فما بالكم اتخذتم من دونه أولياء عاجزين لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً؟.

ثم يقول الله تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد - ﷺ - لهؤلاء المشركين: هل يستوي الأعمى الذي لا يبصر شيئاً بالبصير؟، فكما لا يستويان، كذلك لا يستوي الكافر الذي لا يعرف الحق، بالمؤمن الذي يبصر الحق فيتبعه، ويعرف الهدى فيسلكه. وقل لهم يا محمد - ﷺ - : هل تستوي الظلمات التي لا يُرى فيها السبيل، بالنور الذي تُبْصَرُ به الأشياء ويجلو ضوءه الظلام؟، فكما لا يستويان كذلك الكفر والإيمان لا يستويان(٥٣٣).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءة بالياء على التذكير، لأن تأنيث ﴿الظُّلُمَاتُ﴾ غير حقيقي(٥٣٤)، ولأنّ الجمع بالتاء والألف يراد به القلة، والعرب تُذَكِر الجمع إذا قلَّ عدده، كما يجوز أن يذهب بـ ﴿الظُّلُمَاتُ﴾ إلى معنى المصدر فيُذَكِّر الفعل حملاً

(٥٣٢) القاموس المحيط: ص١٦٧٣، وانظر: لسان العرب ج ٣ ص ٢١٦١.

(٥٣٣) انظر: تفسير الطبري ج١٣ص١٣٢، ١٣٣، تفسير ابن كثير ج٢ص٧٤٩، التفسير الواضح ج١٣ص٣٨، ٣٩.

(٥٣٤) البُلغة في الفرق بين المذكر والمؤنث ص٦٦.

على معنى الإظلام والظلام. والقراءة بالتاء على التأنيث على ظاهر تأنيث لفظ ﴿ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ فذهبوا إلى اللفظ لا إلى المعنى(٥٣٥).

والتأنيث في اللغة يحمل معنى الضّعف والكثرة، والتذكير يحمل معنى القلة والقوة(٥٣٦).

وعليه فإن القراءتين معاً تفيدان أنّ الضلال وإن كَثرت سبله فهي قليلة عند مواجهة الحق لزيفها، ومهما قوي فهو ضعيف زائل. والله أعلم.

٥ ـ ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًاۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءًۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي ٱلْأَرْضِۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾﴾ [الرعد: ١٧].

القراءات:

١ ـ قرأ حفص وحمزة والكسائي وخلف ﴿يُوقِدُونَ﴾ بالياء التحتية.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿تُوقِدُونَ﴾ بالتاء الفوقية(٥٣٧).

المعنى اللغوي للقراءات:

قال الراغب: «(وَقَدَ): يُقَال وَقَدَتِ النَّارُ تَقِدُ وُقُوداً وَوَقْداً، والوَقُودُ يُقالُ للحطب المحمول لِلْوُقود ولِمَا حَصَلَ من اللهب، واسْتَوْقَدْتُ النارَ إذا تَرَشَّحْتُ لإيقادها وأوْقَدْتُها، قال: ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي ٱلنَّارِ﴾»(٥٣٨).

---

(٥٣٥) انظر: حجة القراءات ص ٣٧٣، الكشف ج٢ ص١٩، ٢٠، إبراز المعاني ص٥٤٧، المغني في توجيه القراءات العشر ج٢ص٢٨٦، ٢٨٧.

(٥٣٦) انظر: التأنيث في اللغة العربية ص٢٧، المغني في توجيه القراءات العشر ج٢ص٢٨٦.

(٥٣٧) انظر: النشر ج٢ص٢٩٨، البدور الزاهرة ص١٦٩.

(٥٣٨) المفردات في غريب القران ص٥٢٩ وانظر: القاموس المحيط ص٤١٧، لسان العرب ج٦ص٤٨٨٨.

التفسير:

يضرب الله ﷻ في هذه الآية مثلاً للحق والباطل والإيمان والكفر حيث يقول تعالى: مثل الحق في ثباته والباطل في اضمحلاله، مثلُ ماءٍ أنزله الله ﷻ من السماء إلى الأرض فاحتملته الأودية، الكبير بكبره والصغير بصغره. فاحتمل السيلُ الذي حدث من هذا الماء زبداً عالياً فوق السيل وهذا الزبد نافش منتفخ، ولكنّه بَعْدُ غثاءً يتلاشى، لا منفعة فيه ولا نقاء، يقذفه الماء ويرمي به على جانبي الوادي، والماء من تحته سارب ساكن هادئ ولكنه هو الماء الذي يحمل الخير والحياة، وهذا المثل كذلك يقع في المعادن، التي يوقد عليها الناس في النَّار طَلب حلية يتخذونها كالذهب والفضة، أو متاع كالحديد والرصاص، فإن الخبث يطفو ولكنه بَعْدُ خبث يذهب ويبقى المعدن في نقاء، ذلك مثل الحق والباطل، فالباطل يطفو ويعلو ويبدو رابياً منتفخاً ولا يلبث أن يذهب جفاءً مطروحاً لا حقيقة له ولا ثبات، والحق هادئٌ ساكنٌ ولكنه باق في الأرض كالماء الذي يحمل الحياة والخير والمعدن الصريح النقي. ومِثْلَ هذا المثل للإيمان والكفر يضرب الله تعالى الأمثال للناس ليتعظوا ويعتبروا(٥٣٩).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءة ﴿يُوقِدُونَ﴾ بالياء التحتية على الغيبة والقراءة ﴿تُوقِدُونَ﴾ بالتاء الفوقية على الخطاب(٥٤٠).

قال مكي: «قوله ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ﴾ قرأ حفص وحمزة والكسائي بالياء، ردوه على ذكر الناس بعده، ولِمَا قبله من لفظ الغَيبة، في قوله: ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ﴾ [الرعد: ١٦]، وقوله: ﴿فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ﴾ [الرعد: ١٦]، وقوله: ﴿وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ﴾ [الرعد: ١٣]، وقوله: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ﴾ [الرعد:

---

(٥٣٩) انظر: تفسير الصنعاني ج٢ص٣٣٥، تفسير الطبري ج١٣ص١٣٤، في ظلال القرآن ج٥ص٨٤، ٨٥، صفوه التفاسير ج٢ص٧٩، ٨٠.

(٥٤٠) انظر: حجة القراءات ص٣٧٣، المغني في توجيه القراءات العشر ج٢ص٢٨٧.

١٤]، فردوه في الغيبة على ما قبله وما بعده، وقرأ الباقون بالتاء، جعلوه على الخطاب الذي قبله، وهو قوله: ﴿قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ﴾ [الرعد: ١٦]»[٥٤١].

وهذا من أفانين الكلام وبلاغته حيث رُدَّ اللفظُ على اللفظِ القريبِ قبله وبعده في قراءة ﴿يُوقِدُونَ﴾ - ورَدُّ اللفظ على اللفظ حسن[٥٤٢] -، ورُدَّ على اللفظ البعيد في قراءة ﴿تُوقِدُونَ﴾، فنُوِّع الكلامُ بين الغيبة والخطاب. وفائدة اختلاف القراءة هنا فائدة بلاغية. والله تعالى أعلم.

٦ - ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۗ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ۚ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ ۗ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾﴾ [الرعد: ٣٣].

القراءات:

١ - قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وأبو جعفر ﴿وَصَدُّوا۟﴾ بفتح الصاد.

٢ - قرأ الباقون ﴿وَصُدُّوا۟﴾ بضم الصاد[٥٤٣].

المعنى اللغوي للقراءات:

«صَدَّ عنه صُدوداً: أعْرَضَ، وصَدّ فلاناً عن كذا صَدّاً: مَنَعَهُ، وصَرَفَهُ»[٥٤٤].

قال الراغب: «(صَدَدَ): الصُدُودُ والصَّدُّ قد يَكُونُ انصرافاً عنِ الشيءِ وامتناعاً نحو: ﴿يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾ [النساء: ٦١] وقد يكون صَرفاً ومنعاً نحو: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [النمل: ٢٤]، والصَّدُ

(٥٤١) الكشف ج٢ص٢٢.

(٥٤٢) انظر: الحجة في القراءات السبع ص٨٣.

(٥٤٣) انظر: النشر ج٢ص٢٩٨، البدور الزاهرة ص١٧١.

(٥٤٤) القاموس المحيط ص٣٧٣، وانظر لسان العرب ج٤ص٢٤٠٩.

من الجَبَلِ ما يَحُول، والصَّـديد ما حال بين اللحم والجلد من القَيح»[٥٤٥].

التفسير:

أَمَّن هُوَ ﴿قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفۡسٍ﴾ أي: متوليها ومدبرها في جميع شئونها في الخلق والأجل والرزق، والعالم بأحوالها وأعمالها، ومن جعلوهم به شركاء سواء في استحقاق العبادة؟، والمشركون لا ينازعون في انفراد الله ﷻ بهذا القيام ولكنهم لا يراعون ذلك في عبادتهم غيره، هؤلاء الذين جعلتموهم شركاء لله في العبادة، سمُّوهم لنا وصِفوهم؟ أم تخبرون الله تعالى بشركاء لا يعلمهم؟ وهذا دليل على عدم وجودهم فلو كان لهم وجود لعلمهم الله لأنه لا تخفى عليه خافية، أم تسمونهم شركاء بظن فاسد لا حقيقة له، بل زَيَّن الشيطان لهؤلاء المشركين ذلك الكفر والضلال، وَمُنعوا من طريق الهدى، ومن يُضلل الله فما له من أحد يهديه[٥٤٦].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قال الطبري: «قال تعالى: ﴿وَصُدُّواْ عَنِ ٱلسَّبِيلِۗ﴾ بضم الصاد بمعنى: وَصَدَّهم الله عن سبيله لكفرهم به، ثم جعلت الصاد مضمومة، إذ لم يُسَمَّ فاعله. والقراءة ﴿وَصَدُّوا عَنِ السَّبِيلِ﴾ بفتح الصاد على معنى أن المشركين هم الذين صَدُّوا الناسَ عن سبيل الله»[٥٤٧].

قال الأزهري: «من قرأ ﴿وَصَدُّوا عَنِ السَّبِيلِ﴾ فله وجهان: صَدُّوا بأنفسهم أي أعرضوا، ومضارعه (يَصِدّون) بالكسر، والوجه الثاني أنهم صَدُّوا غيرَهم عن السبيل فأَضَلُّوهم، ومستقبله (يَصُدُّون). وهذا مُتَعَدٍّ والأول

(٥٤٥) المفردات في غريب القرآن ص ٢٧٥، ٢٧٦ ـ باختصار، وانظر: لسان العرب ج٤ص٢٤٠٩، ٢٤١٠.

(٥٤٦) انظر تفسير الطبري ج١٣ص١٥٨، ١٥٩، تفسير ابن كثير ج٢ ص ٧٦٢ التحرير والتنوير ج١٣ص١٥١، ١٥٢، التفسير الواضح ج١٣ص٥١، صفوة التفاسير ج٢ ص٨٤.

(٥٤٧) تفسير الطبري ج١٣ص١٦١ ـ بتصرف يسير، وانظر: الحجة في القراءات السبع ص٢٠١، حجة القراءات ص٣٧٣، مفاتيح الأغاني ص٢٢٩.

لازم. ومن قرأ ﴿وَصُدُّوا﴾ فمعناه أُضِلُّوا»(٥٤٨).

وبالجمع بين القراءتين يكون المعنى: هؤلاء المشركون بالله قد صدهم الله ﷻ عن سبيله لكفرهم، ومن أضله الله عن إصابة الحقّ والهدى فما له من أحد يهديه لإصابتهما. وهؤلاء المشركون قد أعرضوا عن سبيل الحقّ، وصَدُّوا غيرهم عن الهدى والإيمان. فقد ضلُّوا في أنفسهم وأضلوا غيرهم. والله تعالى أعلم.

٧ ـ ﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾﴾ [الرعد: ٣٩].

القراءات:

١ ـ قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم ويعقوب ﴿وَيُثْبِتُ﴾ بإسكان الثاء وتخفيف الباء.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿وَيُثَبِّتَ﴾ بفتح الثاء وتشديد الباء(٥٤٩).

المعنى اللغوي للقراءات:

«(ثَبتَ): الثَّبَاتُ ضِدُّ الزوالِ، يُقَالُ: ثَبَتَ يَثْبُتُ ثَبَاتاً، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟﴾ [الأنفال: ٤٥]، ورَجُلٌ ثَبْتٌ وثَبِيت في الحرب، والاثبات والتثبيت تارة يقال بالفعل فيقال لِمَا يَخْرُجِ من العَدم إلى الوجود نَحْوَ: أَثْبَتَ الله كذا، وتارة لما يَثْبُتُ بالحُكْم فيُقَالُ: أَثْبَتَ الحاكمُ على فلانٍ كَذا وثَبَّتَه، وتارةً لِمَا يكونُ بالقَوْلِ سواءٌ أكَان ذلك صِدْقاً أم كَذِباً فيقال: أثبت التوحيد وصدق النبوة، وفلان أثبت مع الله إلاها آخر»(٥٥٠).

---

(٥٤٨) معاني القراءات ص٢٣٢. وانظر: إتحاف فضلاء البشر ص٣٣٩، ٣٤٠.

(٥٤٩) انظر: النشر ج٢ص٢٩٨، البدور الزاهرة ص١٧١.

(٥٥٠) المفردات في غريب القرآن ص٧٨ ـ باختصار، وانظر القاموس المحيط ص١٩٠، لسان العرب ج١ص٤٦٧.

التفسير:

يبدل الله ﷻ ما يشاء من الشرائع والأحكام، وصحف الملائكة، وأمور العباد، ويثبت منها ما يشاء دون تغيير، وعنده أصل كل كتاب وهو اللوح المحفوظ[٥٥١].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

الحجة لمن خفف أنه جعله من أَثْبَتَ يُثْبِتُ فهو مُثْبِت إذا كتب فالمعنى: ويكتب ما يشاء[٥٥٢] أو على معنى: ويُقِرُّ ما يَشَاء مَكْتُوباً فلا يَمْحُوه[٥٥٣].

والحجة لمن شدّد أنه جعله من ثَبَّتَ يُثَبِّتُ، بمعنى: يُقِرُّ الله تعالى ما كتبه ويبقيه ثابتاً فلا يمحوه[٥٥٤]. وقال مكي: «القراءتان لغتان، كما أن (ثبت وأثبت) لغتان بمعنى، لكن في التشديد معنى التأكيد والتكرير»[٥٥٥].

وعليه فإن قراءة التخفيف تحتمل معنى: ويكتب أو ويُقِرُّ ما كتب، وقراءة التشديد على معنى: ويُقِرُّ، وتحمل معنى التأكيد والتكرير. وبالجمع بين القراءتين يصبح المعنى: يمحو الله ما يشاء ويبقى ما يشاء فيُقِرُّه ولا يمحوه، ويكتب ما يشاء، وذلك الفعل من الله مؤكد متكرر، فهو على كل شيء قدير وبيده مقاليد كل شيء. والله تعالى أعلم.

٨ ـ ﴿وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًاۖ يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍۗ

---

(٥٥١) انظر: تفسير الطبري ج١٣ص١٦٥، ١٦٧ ـ ١٧٠، تفسير ابن كثير ج٢ص٧٦٦، ٧٦٧، تفسير القرطبي ج٩ ص٣٢٩، صفوة التفاسير ج٢ص٨٧، التفسير المنير ج١٣ص١٨٥.

(٥٥٢) انظر: الحجة في القراءات السبع ص٢٠٢، حجة القراءات ص٣٧٤، الكشف ج٢ص٢٣.

(٥٥٣) انظر: تفسير الطبري ج١٣ص١٧٢، الكشف ج٢ص٢٣.

(٥٥٤) انظر: الحجة في القراءات السبع ص ٢٠٢ حجة القراءات ص٣٧٤ تفسير الطبري ج١٣ص١٧٢، الكشف ج٢ص٢٣.

(٥٥٥) الكشف ج٢ص٢٣.

وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٤٢﴾ [الرعد: ٤٢].

القراءات:

١ ـ قرا نافع وابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر ﴿ٱلْكَافِرُ﴾ بفتح الكاف وألف بعدها وكسر الفاء.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿ٱلْكُفَّارِ﴾ بضم الكاف وفتح الفاء وتشديدها وألف بعدها على الجمع(٥٥٦).

المعنى اللغوي للقراءات:

(كَفر): الكُفرُ: نَقِيْضُ الإيمان، والكُفْرُ: سَتْرُ الشيء، وكُفْرُ النِّعمة وكُفْرانُها: سَتْرُها بتَرْكِ أَدَاءِ شُكْرِها، والكَافِر على الإطْلاقِ مُتعارَف فيمَن يَجْحَدُ الوَحدانية أوِ النبوةَ أوِ الشريعةَ، والجَمْعُ كُفَّار(٥٥٧).

التفسير:

يقول تعالى: قد مكر الذين من قبل هؤلاء المشركين من قريش من الأمم التي سلفت بأنبياء الله تعالى ورسله، واستنفذوا جهدهم وطاقاتهم في الصدِّ عن سبيل الله، فمكر الله تعالى بهم، فلم يَضُرُّوا بمكرهم إلا مَن شاء الله أن يضره ذلك، وإنّما ضَّروا أنفسهم لأنهم أسخطوا الله تعالى فاستحقوا الهلاك، ونَجَّى الله تعالى رسله. فكذلك المشركون من قريش يمكرون بك يا محمد ﷺ والله مُنَجِّيك من مكرهم، ومُلْحِق ضُرَّ مَكْرِهم بهم. فإنَّ الله تعالى عالم بجميع السرائر والضمائر وسَيَجْزي كل عامل بعمله، وسيَعلم الكفّار ـ إذا قدموا إلى ربهم يوم القيامة ـ لمن تكون العاقبة حين يَدْخُلون النّارَ ويَدْخُل المؤمنون الجنةَ(٥٥٨).

---

(٥٥٦) انظر: النشر ج٢ص٢٩٨، البدور الزاهرة ص١٧١.

(٥٥٧) انظر: المفردات في غريب القرآن ص٤٣٣ ـ ٤٣٥، القاموس المحيط ص٦٠٥، لسان العرب ج٥ص٣٨٩٧.

(٥٥٨) انظر: تفسير الطبري ج١٣ص١٧٥، تفسير ابن كثير ج٢ص٧٦٩، التحرير والتنوير ج١٣ص١٧٤، التفسير الواضح ج١٣ص٥٧.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قراءة ﴿ٱلْكَافِرُ﴾ بالإفراد على إرادة الجنس، أي سيعلم كل من كفر من الناس. وقراءة ﴿ٱلْكُفَّارِ﴾ على الجمع[٥٥٩].

قال ابن عاشور: «والمفرد والجمع سواء في المُعَرف بلام الجنس»[٥٦٠].

وقال مكي: «والقراءتان ترجع إلى معنًى واحد لأنّ الجمع يدل بلفظه على الكثرة، والواحد الذي للجنس يدل بلفظه على الكثرة فهما سواء»[٥٦١].

قلت: إيراد القراءة مرة بالإفراد على إرادة الجنس مستغرقاً كل من كفر من الناس، ومرة بالجمع، فيه مزيد تهديد ووعيد للكافرين لِما يحمله إيراد البَيان بأكثر من صورة من تأكيد لحصول المخبر عنه. والله تعالى أعلم.

(٥٥٩) انظر: تفسير الطبري ج١٣ص١٧٥، حجة القراءات ص٣٧٣، ٣٧٤، الكشف ج٢ص٢٤، التسهيل ج٢ص١٣٧.

(٥٦٠) التحرير والتنوير ج١٣ص١٧٤.

(٥٦١) الكشف ج٢ص١٧٤.

المبحث الثاني
سورة إبراهيم عليه السلام

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: تعريف عام بسورة إبراهيم عليه السلام.

المطلب الثاني: تفسير سورة إبراهيم عليه السلام بالقراءات القرآنية العشر.

المطلب الأول: تعريف عام بسورة إبراهيم عليه السلام.

اسمها:

تسمى هذه السورة: سورة إبراهيم عليه السلام. قال ابن عاشور: «أضيفت هذه السورة إلى اسم إبراهيم عليه السلام فكان ذلك اسماً لها لا يعرف لها غيره ...، ووجه تسميتها بهذا وإن كان ذكر إبراهيم عليه السلام جرى في كثير من السور؛ أنها من السور ذوات ﴿الٓر﴾، وقد ميز بعضها عن بعض بالإضافة إلى أسماء الأنبياء - عليهم السلام - التي جاءت قصصهم فيها، أو إلى مكان بعثة بعضهم وهي سورة الحجر»(٥٦٢).

نزولها:

هي مكية كلها عند الجمهور، وقيل مكية إلاّ قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا

(٥٦٢) التحرير والتنوير ج١٣ص١٧٧ - باختصار.

وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِهِۦ قُلْ تَمَتَّعُواْ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٣٠﴾﴾ [إبراهيم: ٢٨ ـ ٣٠]. والصحيح أنها مكية، وقد نزلت بعد سورة الشورى وقبل سورة الأنبياء(٥٦٣).

عدد آياتها:

عدد آياتها أربعٌ وخمسون في عدّ المدنِيّيْن والمكي وأهل حمص، وخمسٌ وخمسون في عدّ أهل الشام، وإحدى وخمسون في عدّ أهل البصرة، واثنتان وخمسون في عدّ أهل الكوفة(٥٦٤).

وجه اتصالها بما قبلها (سورة الرعد):

تعتبر سورة إبراهيم عليه السلام امتداداً لما ذُكر في سورة الرعد، وتوضيحاً لما أُجمل فيها، فكل منهما تحدثت عن القرآن، وكل منهما ذُكر فيها تفويض إنزال الآيات الكونية إلى الله تعالى، كما ذُكر في كلتيهما الآيات الكونية من رفع السماء بغير عمد، ومدّ الأرض، وغيرها، كما تعرضت السورتان لإثبات البعث، وضرب الأمثال للحق والباطل، والحديث عن مكر الكفار وكيدهم وعاقبته، والأمر بالتوكل على الله تعالى، وأيضاً ففي سورة الرعد: ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾﴾ [الرعد: ٣٢]، وذلك مجمل في أربعة مواضع: الرسل، والمستهزئين، وصفة الاستهزاء، والأخذ، وقد فُصلت الأربعة في سورة إبراهيم عليه السلام في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ [إبراهيم: ٩] إلى الآية ﴿يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَآئِهِۦ

---

(٥٦٣) انظر: جمال القراء وكمال الإقراء ص٢٠٥، الإتقان ج١ص٢٠، روح المعاني ج١٢ص١٧٩، التحرير والتنوير ج١٢ص١٩٧، إتقان البرهان ج١ص٣٨٥.

(٥٦٤) انظر: فنون الأفنان ص٥٣، روح المعاني ج١٣ص١٧٩، التحرير والتنوير ج١٣ص١٧٧.

عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾ [إبراهيم: ١٧][٥٦٥].

ما اشتملت عليه السورة:

مما اشتملت عليه السورة ما يلي[٥٦٦]:

١ ـ التنبيه إلى إعجاز القرآن الكريم وإلى عظيم شأنه، وأنه أنزل لإخراج الناس من ظلمات الكفر إلى نور الهدى والإيمان، والامتنان عليهم بأن جعله بلسان العرب، وتمجيد الله تعالى الذي أنزله.

٢ ـ إثبات أصول العقيدة من الإيمان بالله والرسل والبعث والجزاء، وبيان اتحاد مهمة الرسل ودعوتهم في أصول الاعتقاد والفضائل.

٣ ـ ذمّ الكافرين وتهديدهم بالعذاب الشديد، ووعد المؤمنين على أعمالهم الطيبة بالجنّات.

٤ ـ تنبيه المعاندين بأنّ محمداً ﷺ ما كان بدعاً من الرسل، وكونه بشراً لا ينافي رسالته.

٥ ـ بيان كيد الشيطان، وكيف يتبرأ من أوليائه يوم القيامة.

٦ ـ وصف حال المؤمنين وحال الكافرين.

٧ ـ بيان فضل كلمة الإسلام، وخُبث كلمة الكفر.

٨ ـ تعداد بعض أنعم الله تعالى على الناس تفصيلاً ثم جمعها إجمالاً.

٩ ـ ذكر طرف من قصة موسى عليه السلام، وقصة إبراهيم عليه السلام.

١٠ ـ التحذير من كفران النعمة وإنذار الكافرين بأن يحلّ بهم ما حلّ بالمكذبين قبلهم.

---

(٥٦٥) انظر: تناسق الدرر ص٩٦، روح المعاني ج١٣ص١٧٩، ١٨٠، التفسير المنير ج١٣ص١٩٧، ١٩٨.

(٥٦٦) انظر: التحرير والتنوير ج١٣ص١٧٨، ١٧٩، في ظلال القرآن ج٥ص١٢١، التفسير المنير ج١٣ص١٩٨، ١٩٩.

١١ ـ تثبيت النبي ﷺ بوعده بالنصر.

١٢ ـ بيان الحكمة من تأخير العذاب إلى يوم القيامة.

المطلب الثاني: تفسير سورة إبراهيم عليه السلام بالقراءات القرآنية العشر:

١ ـ ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ۝١ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَوَيۡلٌ لِّلۡكَٰفِرِينَ مِنۡ عَذَابٍ شَدِيدٍ ۝٢﴾ [إبراهيم: ١ ـ ٢].

القراءات:

١ ـ قرأ نافع وابن عامر وأبو جعفر ﴿اللهُ﴾ برفع الهاء في الوصل والابتداء.

٢ ـ قرأ رويس ﴿ٱللَّهُ﴾ برفع الهاء في الابتداء، و﴿ٱللَّهِ﴾ بخفض الهاء في الوصل.

٣ ـ قرأ الباقون ﴿ٱللَّهِ﴾ بخفض الهاء في الوصل والابتداء[٥٦٧].

المعنى اللغوي للقراءات:

اسم الجلالة ﴿ٱللَّهَ﴾: «قيل أصله إلاه فحذفت همزته وأُدخل عليه الألف واللام فَخُصّ بالباري تعالى ولتخصصه به قال تعالى: ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]»[٥٦٨]، وقيل هو مشتق من أَلِه يَأْلَه إذا تحير؛ لأن العقول تَأْلَه عند التفكر في جلاله أي تتحير[٥٦٩].

قال الفيروزآبادي: «واخْتُلِفَ فيه على عِشْرِينَ قَوْلاً ...، وأَصَحُّها أنه عَلَمٌ غيرُ مُشْتَقٍّ»[٥٧٠]. وهذا هو الراجح، والله أعلم. ويؤيد ذلك الإمام السخاوي رحمه الله حيث يقول: «وإلى هذا القول ذهب جماعة من أهل

(٥٦٧) انظر: النشر ج٢ص٢٩٨، البدور الزاهرة ص١٦٩.

(٥٦٨) المفردات في غريب القرآن ص٢١.

(٥٦٩) انظر: تفسير الطبرسي ج١ص٢٢، سفر السعادة ج١ص١٢.

(٥٧٠) القاموس المحيط ص١٦٠٣.

العربية، وجماعة من الفقهاء قالوا: هو اسم غير مشتق من شيء. وهذا الذي حكيناه عن الفقهاء ومن وافقهم هو الذي يعول عليه ويجب المصير إليه»[٥٧١].

التفسير:

يخبر الله تعالى أنه أنزل كتابه على رسوله محمد ﷺ ليخرج الناس من ظلمات الكفر والجهل والمعاصي، إلى نور الإيمان والعلم ومحاسن الأخلاق، بإرادة من الله تعالى ومعونة منه، يهديهم إلى طريق الله العزيز الذي لا يُمانع ولا يُغالب، المحمود في جميع أفعاله وأقواله وشرعه وأمره ونهيه، الله المالك لِما في السماوات والأرض، الغنيّ عن الخلق، المسيطر على هذا الكون وما فيه. والهلاك والدمار للكافرين الذين يؤثرون الحياة الدنيا فيعملون لها، وينسون الآخرة، ويتركونها وراء ظهورهم، ويصرفون الناس عن دين الإسلام، ويطلبون أن تكون شريعة الله مُعْوَجَّة لتوافق أهواءهم. هؤلاء المتصفون بهذه الصفات الذميمة إنما هم في ذَهاب عن الحقّ لا يُرجى لهم صلاح ولا نجاح[٥٧٢].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

«الحجة لمن قرأ ﴿اللهُ﴾ ـ برفع الهاء من لفظ الجلالة ـ : أنه جعل الكلام تاماً عند قوله: ﴿الْحَمِيدِ﴾، ثم ابتدأ قوله: ﴿اللهُ الَّذِى﴾ فرفع لفظ الجلالة بالابتداء، وإنَّما حَسُنَ ذلك لأن الذي قبله رأس آية. والحجة لمن قرأ ﴿اللهِ﴾ ـ بخفض الهاء من لفظ الجلالة ـ : أنه جعله بدلاً من قوله: ﴿الْحَمِيدِ﴾»[٥٧٣]. وعلى هذا التوجيه فإنّ القراءة بالخفض على البدل فيها «من

(٥٧١) سفر السعادة ج١ص١٤، ١٥ ـ باختصار وتصرف يسير.

(٥٧٢) انظر: تفسير الطبري ج١٣ص١٧٩، ١٨٠، التسهيل ج٢ص١٣٧، تفسير ابن كثير ج٢ص٧٧١، الأساس في التفسير ج٥ص٢٧٧٧، تفسير السعدي ص٤٤٦، صفوة التفاسير ج٢ص٩٠.

(٥٧٣) انظر: الحجة في القراءات السبع ص ٢٠٢، حجة القراءات ص٣٧٦، المكتفى في الوقف والابتدا ص٣٣٩، الكشف ج٢ص٢٥، مفاتيح الأغاني ص٢٣٠، الملخص في إعراب القرآن ص٩٣.

بيان كمال فخامة شأن الصراط وإظهار تحتم سلوكه على الناس»(٥٧٤). ما ليس في الجملة الخبرية على قراءة الرفع ـ على هذا التوجيه ـ، فقد أفادت قراءة الخفض إفادة واضحة ـ لفظاً ـ عظم شأن الصراط لأنه صراط ﴿ٱللَّهِ﴾ عَجَّلَ، ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ السلطان ﴿ٱلْحَمِيدِ﴾ في أقواله وأفعاله، وأحكامه، المألوه المعبود بالعبادات»(٥٧٥)، وحيث إنّ «﴿ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ وصفان يجوز إطلاق كل منهما على الخلق»(٥٧٦). فإنّ القراءة بالخفض بينت ـ بياناً واضحاً يفهم من اللفظ مباشرة ـ أنّ المراد بهذين الوصفين هو الله تعالى. أمّا القراءة بالرفع في لفظ الجلالة على الاستئناف ففيها معنى القوة والفخامة حيث إنّ «الرفع أقوى وأفخم»(٥٧٧). من الخفض. والله تعالى أعلم.

ويمكن توجيه القراءة بالرفع في لفظ الجلالة على أنه خبر عن مبتدأ محذوف والتقدير: هو ـ أي ﴿ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ ـ ﴿ٱللَّهُ﴾ الموصوف بـ ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾. وهذا الحذف جار على حذف المسند إليه ويُسمى عند علماء البيان بالحذف لمتابعة الاستعمال، أي استعمال العرب عندما يجري ذكر موصوف بصفات أن ينتقلوا من ذلك إلى الإخبار عنه بما هو أهم وأعظم مما تقدم ذكره ليكسب ذلك الانتقال تقريراً للغرض المقصود. وعلى هذا التوجيه فإنّ القراءتين معناهما واحد، إلاّ أنّ الرفع أقوى وأفخم كما سبق بيانه(٥٧٨)، والخفض أبين وأوضح لأنه يُوصل المعنى المقصود مباشرة. والله تعالى أعلم.

٢ ـ ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٨﴾﴾ [إبراهيم: ١٨].

---

(٥٧٤) روح المعاني ج١٣ص١٨٢.

(٥٧٥) تفسير السعدي ص ٤٤٦ ـ بتصرف يسير.

(٥٧٦) نظم الدرر ج٤ص١٦٦ ـ بتصرف يسير.

(٥٧٧) التحرير والتنوير ج١٣ص١٨٢.

(٥٧٨) انظر: التحرير والتنوير ج١٣ص١٨٢.

القراءات:

١ - قرأ نافع وأبو جعفر ﴿الرِيَاحُ﴾ بفتح الياء وبعدها ألف.

٢ - قرأ الباقون ﴿الرِّيحُ﴾ باسكان الياء وحذف الألف[٥٧٩].

المعنى اللغوي للقراءات:

(الرِّيح) هي: «الهواء المتحرك»[٥٨٠]؛ وقيل هي: «نَسيمُ الهواءِ وكذلك نَسيمُ كلِّ شيْءٍ»[٥٨١]. وهي مؤنّثة، قال تعالى: ﴿كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ﴾ [آل عمران: ١١٧]، وقد تكون الريحُ بمعنى الغَلَبة والقوَّة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦][٥٨٢].

التفسير:

تعرضت الآيات السابقة لهذه الآية لبيان ما أعدّ الله تعالى للكافرين من عذاب شديد بسبب كفرهم، ثم ضرب الله تعالى مثلاً لبيان عاقبة أعمالهم التي توهموا من ورائها جلب نفع أو دفع ضرّ. يقول تعالى ذكره: صفة أعمال الكفار التي عملوها في الدنيا يزعمون أنهم يريدون وجه الله تعالى بها، كصفة رماد تخلف عن مواد محروقة، عصفت به الريح في يوم شديد هبوب الريح، فنسفته وذهبت به ولم تبق منه شيئاً، لا يقدرون على تحصيل ثواب ما عملوا وذلك لبطلانه بالشرك، كما لا يستطيع الإنسان الحصول على شيء من الرماد الذي نسفته الريح، وذلك هو الخسران الواضح[٥٨٣].

---

(٥٧٩) انظر: النشر ج٢ص٢٢٣، البدور الزاهرة ص١٧٠.

(٥٨٠) المفردات في غريب القرآن ص٢٠٦.

(٥٨١) لسان العرب ج٣ص١٧٦٣.

(٥٨٢) انظر: القاموس المحيط ص٢٨٢.

(٥٨٣) انظر: تفسير الطبري ج١٣ص١٩٧، صفوة التفاسير ج٢ص٩٤، ٩٥، الأمثال في القرآن ص٣٣١.

قال عبدالعظيم المطعني: «أعمال الكافرين هنا رماد محترق، لا تتعلق به آمال، وحتى مع هذا الوضع الحقير لأعمالهم، الرماد لم يقر له قرار، فقد اشتدت به الريح وهذا كاف لتبديده وتطييره. ولكن زيادة في تقنيطهم ومحو أي أثر لأعمالهم أضيفت إلى ما سبق أمور يكاد معها عمل الكافر يكون عدماً، فاشتداد الريح كان في يوم عاصف، وإسناد العصف إلى ضمير (اليوم)، مبالغة في شدة العصف، وأنهم في هذا اليوم لا يقدرون على الانتفاع بكسبهم أو شيء منه، كما نلاحظ وصف الضلال بـ ﴿ٱلْبَعِيدُ﴾ ولم يقل (المبين)، لأن الريح لشدة عصفها طيَّرت الرماد إلى مسافات نائية جداً لو تعقبوها في تلك المسافات لوقعوا في حيرة وضلال بعيد، والمسافات كما تعلم يناسبها البعد الذي جُعل الوصف منه وصفاً لضلالهم في هذا المكان»[٥٨٤].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

من قرأ ﴿الرِّيَاح﴾ فعلى الجمع، ومن قرأ ﴿الرِّيح﴾ فعلى الإفراد، وأريد به الجنس[٥٨٥]. ووجه القراءة بالجمع، هو إثبات الرياح من كل جانب وذلك معنًى يدل على اختلاف هبوبها، فيكون لفظها مطابقاً لمعناها في الجمع، ووجه القراءة بالإفراد أنّ الواحد يدل على الجمع، لأنه اسم للجنس فهو أخف في الاستعمال، مع ثبات معنى الجمع فيه[٥٨٦].

وقد أفادت قراءة الجمع، كثرة تشتت الرماد وذهابه، لتعدد جهات هبوب الرياح، أمّا قراءة الإفراد فقد أفادت بيان شدة هبوب الريح، حيث إنّ هبوب الريح من كل جهة على حدة كان شديداً قوياً، وبالجمع بين القراءتين يستفاد أنّ الرياح عصفت بالرماد من جهات مختلفة، وكان هبوبها من كل جهة قوياً شديداً. والله تعالى أعلم.

---

(٥٨٤) خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية ج٢ص٢٢٣ ـ باختصار وتصرف يسير.

(٥٨٥) انظر: معاني القراءات ص ٦٧، روح المعاني ج١ص٣٢.

(٥٨٦) انظر: الكشف ج١ص٢٧١.

فائدة:

ذكر جمع من العلماء[٥٨٧] قضية تختص بالرياح والريح - بالجمع والإفراد - مفادها أن كل شيء في القرآن من (الرياح) فهو رحمة، وكل شيء فيه من (الريح) فهو عذاب. ولا شكّ أنّ اختلاف القراءة في الموضع الواحد بين الجمع والإفراد ينقض هذه القضية، إضافة إلى اعتمادهم على مستند ضعيف في إثبات هذه القضية، وهو حديث روي عن ابن عباس قال: «كان النبي ﷺ إذا هاجت ريح استقبلها بوجهه، وجثا على ركبتيه، ومدّ بيديه وقال: اللهم إني أسألك خير هذه الريح وخير ما أرسلت به، اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عذاباً، اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً»[٥٨٨]. «ويبدو أنّ أول من دَوَّن هذه القضية ومعها دليلها أبو عبيد القاسم بن سلام[٥٨٩]»[٥٩٠]. قال الطحاوي: «قال أبو عبيد: القراءة التي نَتَّبِعها في الريح والرياح أنّ ما كان منها من الرحمة، فإنّه جَمَاعٌ، وما كان منها من العذاب، فإنه على واحدة. قال: والأصل الذي اعتبرنا به هذه القراءة حديث النبي ﷺ أنه كان إذا هاجت الريح، قال: (اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً)[٥٩١] فكان ما حكاه أبو عبيد من هذا عن رسول الله ﷺ مما لا أصل

---

(٥٨٧) منهم الراغب في المفردات في غريب القرآن ص٢٠٦، وابن عطية في تفسيره ج١١ص٢١٣، والزركشي في البرهان ج٤ص٩، والفيروزآبادي في بصائر ذوي التمييز ج٣ص١٠٧، ١٠٨، والسيوطي في الإتقان ج١ص١٨٩.

(٥٨٨) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ح (١١٥٣) ج١١ص٢١٣، ٢١٤، عن الحسين ابن قيس، عن عكرمة، عن ابن عباس مرفوعاً. قال الألباني: وهذا إسناد ضعيف جداً. (انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيىء في الأمة ج٩ص٢٢٨).

(٥٨٩) هو: القاسم بن سلام أبو عبيد الخراساني الأنصاري مولاهم البغدادي، إمام كبير حافظ، علامة، أحد الأعلام المجتهدين، إمام أهل دهره في العلوم، صاحب سُنّة مأمون، له تصانيف في القراءات والحديث والفقه واللغة والشعر، أخذ القراءة عن الكسائي وغيره، وله اختيار في القراءة وافق العربية والأثر، توفي سنة ٢٢٤هـ. (انظر: غاية النهاية ج٢ص١٧، ١٨).

(٥٩٠) الريح والرياح في القرآن الكريم وفي كلام العرب ص١٨.

(٥٩١) سبق تخريجه أعلاه الهامش رقم ٥٨٨.

له، وقد كان الأولى به لجلالة قدره، ولصدقه في روايته غيرَ هذا الحديث، ألاّ يضيف إلى رسول الله ﷺ ما لا يعرفه أهل العلم بالحديث عنه»(٥٩٢).

٣ ـ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾﴾ [إبراهيم: ١٩].

القراءات:

١ ـ قرأ حمزة والكسائي وخلف ﴿خَالِقُ﴾ بألف بعد الخاء مع كسر اللام ورفع القاف، ﴿السَّمَاوَاتِ﴾ بخفض التاء، ﴿الْأَرْضِ﴾ بخفض الضاد.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿خَلَقَ﴾ بحذف الألف وفتح اللام والقاف، ﴿السَّمَاوَاتِ﴾ بكسر التاء ـ علامة نصب ـ ، ﴿الْأَرْضَ﴾ بفتح الضاد(٥٩٣).

المعنى اللغوي للقراءات:

قال الراغب: «الخَلْقُ أصله التقدير المستقيم ويستعمل في إبداع الشيء من غير أصل ولا احتذاء قال: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [إبراهيم: ١٩] أي: أبدعهما، ويستعمل في إيجاد الشيء من الشيء نحو: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [الزمر: ٦]»(٥٩٤). «والخالق في صفاته تعالى: المبدع للشيء، المخترع على غير مثال سابق»(٥٩٥).

التفسير:

ينبه الله تعالى إلى أنه أنشأ السماوات والأرض بالحق منفرداً بإنشائها بغير ظهير ولا معين، فهو القادر على كل شيء، وإن هو شاء أن يُفْنِي الكفّار أذهبهم وأفناهم وأتى بخلق آخر مكانهم، وليس ذلك بمتعذر ولا

---

(٥٩٢) شرح مشكل الآثار ج٢ص٣٧٩.

(٥٩٣) انظر: النشر ج٢ص٢٩٨، البدور الزاهرة ص١٧٠.

(٥٩٤) المفردات في غريب القرآن ص ١٥٧ ـ باختصار، وانظر: اتفاق المباني وافتراق المعاني ص٢٤١، بصائر ذوي التمييز ج٢ص٥٦٦.

(٥٩٥) القاموس المحيط ١١٣٧.

صعب على الله ﷻ، لأنه القادر على كل شيء[٥٩٦].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءة ﴿**خَالِقُ السمواتِ والأرضِ**﴾، ﴿خَٰلِقُ﴾ اسم على وزن (فاعل)، و﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ بالخفض مضافٌ إليه، و﴿ٱلْأَرْضِ﴾ بالخفض عطفاً على ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾[٥٩٧]، وذلك «أنّه إذا قرئ على (فاعل) وأضيف دخل به معنى الماضي، ودخل فيه معنى المدح»[٥٩٨]. والقراءة ﴿**خَالِقَ السمواتِ والأرضَ**﴾، ﴿خَلَقَ﴾ فعل ماضٍ، و﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ مفعول به منصوب بالكسرة، و﴿**الأرضَ**﴾ نصباً عطفٌ علىٰ ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾[٥٩٩]، والإتيان بالفعل الماضي، «لأنه أمر قد كان، وقد فُرِغَ منه، فالفعل أولى به من الاسم، لأن الاسم يشترك في لفظه الماضي والمستقبل والحال، وإنّما يخلص للماضي بالدلائل، والفعل بلفظه يدل على الماضي»[٦٠٠].

وعليه فإنّ القراءة ﴿**خَالِقُ السمواتِ والأرضِ**﴾ تحتوي على معنى الفعل الماضي، وتحمل معنى المدح، بوصف الله تعالى بأنّه ﴿خَٰلِقُ﴾ بصيغة الاسم الذي يدل على ثبات الأمر واستقراره في صاحبه[٦٠١]، والقراءة ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ بالفعل الماضي تدل باللفظ على حدوث الفعل وتمامه، حيث إنّ خلق السماوات والأرض أمرٌ قد فُرِغَ منه. والله تعالى أعلم.

٤ ـ ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى فَلَا تَلُومُونِى

(٥٩٦) انظر: تفسير الطبري ج١٣ص١٩٨، تفسير ابن كثير ج٢ص٧٧٩، تفسير السعدي ص٤٥٠، صفوة التفاسير ج٢ص٩٥.

(٥٩٧) انظر: الحجة في القراءات السبع ص٢٠٣، الكشف ج٢ص٢٥.

(٥٩٨) حجة القراءات ص٣٧٧، وانظر: الحجة في القراءات السبع ص٢٠٣، الملخص في إعراب القرآن ص٩٩.

(٥٩٩) انظر: الحجة في القراءات السبع ص٢٠٣، الكشف ج٢ص٢٥، ٢٦.

(٦٠٠) الكشف ج٢ص٢٥، ٢٦.

(٦٠١) انظر: التعبير القرآني ص٢٢.

وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّ إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٢﴾ [إبراهيم: ٢٢].

القراءات:

١ ـ قرأ حمزة ﴿بِمُصْرِخِيِّ﴾ بكسر الياء.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿بِمُصْرِخِيَّ﴾ بفتح الياء(٦٠٢).

المعنى اللغوي للقراءات:

«الصراخ: صوت المستغيث وصوت المغيث إذا صرخ بقومه للإغاثة. وتقول: جاء فلان صارخاً وصَرِيخاً ومُسْتَصْرِخاً: مستغيثاً. وأقبلِ صارخاً وصارخةً وصريخاً ومُصْرِخاً: مغيثاً. وفي المثل: (عبدٌ صَرِيْخُه أَمَة) أي: مُغيثه. وأصْرَخْته: أغثته. واستصرخني: استغاثني. وتصارخوا واصطرخوا: تصايحوا»(٦٠٣).

التفسير:

يُخبر الله تعالى عن مشهد من مشاهد الآخرة، بعدما قضى الله بين عباده، فأدخل المؤمنين الجنات، وأسكن الكافرين النار، وقام إبليس لعنه الله يومئذٍ خطيباً في أهل النار ليزيدهم غمّاً إلى غمهم فقال: إنّ الله وعدكم أيها الأتباع النار، ووعدتكم النصرة، فأنجز الله وعده، وأخلفتكم وعدي، وما كان لي من حجة ولا دليل فيما وعدتكم به، إلاّ أن دعوتكم إلى طاعتي ومعصية الله فاستجبتم لدعائي، فلا توجهوا لي اللوم اليوم فإنّ الذنب لكم لكونكم اتبعتموني بمجرد ما دعوتكم إلى الباطل. ما أنا بمنقذكم ولا مخلصكم مما أنتم فيه، وما أنتم بمنقذيّ مما أنا فيه من العذاب، إنّي

(٦٠٢) انظر: النشر ج٢ص٢٩٨، البدور الزاهرة ص١٧١.

(٦٠٣) أساس البلاغة ص٣٥٢ ـ باختصار.

جحدت أن أكون شريكاً لله ﷻ، إنّ الظالمين في إعراضهم عن الحقّ واتباعهم الهوى والباطل لهم عذاب أليم موجع(٦٠٤).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءة بكسر الياء وفتحها لالتقاء الساكنين. وأَصل الكلمة (بمصرخيني) فحذفت النون للإضافة وأدغمت ياء الجمع في ياء الإضافة كما تقول (لديّ، عليّ) فالتقى ساكنان، فمن فتح فلأن الفتح في الياء أخف من الكسر والضم، ومن كسر جرى على الأصل في التقاء الساكنين(٦٠٥). ويمكن توجيه القراءة بالكسر بأنها على لغة من يزيد ياءً على ياء الإضافة إجراءً لها مجرى هاء الضمير إلاّ أنه حُذفت الياء هنا اكتفاءً بالكسرة، فالأصل عنده في مصرخيَّ ثلاث ياءات: ياء الجمع، وياء الإضافة وياء زيدت للمدّ، ثم حُذفت الياء التي للمد وبقيت الياء المشددة مكسورة(٦٠٦).

وعليه فإنّ القراءتين على لغتين من لغات العرب، وقد ناسب الكسر مقام الذل والانكسار والخيبة لإبليس اللعين، وناسب الفتح وما به من خفة هوان إبليس في ذلك اليوم. والله أعلم.

٥ - ﴿تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [إبراهيم: ٢٥].

القراءات:

١ - قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو ﴿أُكْلَهَا﴾ بإسكان الكاف.

٢ - قرأ الباقون ﴿أُكُلَهَا﴾ بضم الكاف(٦٠٧).

---

(٦٠٤) انظر: تفسير الطبري ج١٣ص٢٠٠، تفسير ابن كثير ج٢ص٧٨١، صفوة التفاسير ج٢ص٩٦.

(٦٠٥) انظر: الحجة في القراءات السبع ص٢٠٣، حجة القراءات ص٣٧٧، ٣٧٨، إبراز المعاني ص٥٥٠، روح المعاني ج١٣ص٢١٠، التحرير والتنوير ج١٣ص٢٢٠.

(٦٠٦) انظر: الكشف ج٢ص٢٦، الملخص في إعراب القرآن ص١٠١، إبراز المعاني ص٥٥٠، روح المعاني ج١٣ص٢١٠.

(٦٠٧) انظر: النشر ج٢ص ٢٣٢، البدور الزاهرة ص١٧٣.

وقد تقدم الحديث عن هذه القراءة عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾ [الرعد: ٤][٦٠٨].

٦ - ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِهِۦ قُلْ تَمَتَّعُواْ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٣٠﴾﴾ [إبراهيم: ٣٠].

القراءات:

١ - قرأ ابن كثير وأبو عمرو ورويس ﴿لِيَضِلُّوا﴾ بفتح الياء.

٢ - قرأ الباقون ﴿لِّيُضِلُّواْ﴾ بضم الياء[٦٠٩].

المعنى اللغوي للقراءات:

«(ضلّ): الضلال: العدول عن الطريق المستقيم، ويضاده الهداية، قال تعالى: ﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ [يونس: ١٠٨]، ويُقَال الضلال لكل عدول عن المنهج القويم عمداً كان أو سهواً، يسيراً كان أو كثيراً»[٦١٠].

التفسير:

يقول تعالى: وجعل هؤلاء الكفار لله شركاء ونظراء مماثلين عبدوهم معه ليضلوا الناس ويصرفوهم عن طريق الحق، فتمتعوا أيها الكفار، ومهما قدرتم عليه في الدنيا فافعلوا، فإنّ مرجعكم ومآلكم إلى النار[٦١١].

(٦٠٨) انظر ص١٥٣ من هذا البحث.

(٦٠٩) انظر: النشر ج٢ص٢٩٩، البدور الزاهرة ص١٧١.

(٦١٠) المفردات في غريب القرآن ص٢٩٧، وانظر: القاموس المحيط ص ١٣٢٤.

(٦١١) انظر: تفسير ابن كثير ج٢ص٧٩٥، تفسير السعدي ص ٤٥٢، صفوة التفاسير ج٢ص٩٧.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءة ﴿لِيُضِلُّواْ﴾ بضم الياء بمعنى: كي يُضلوا الناس عن سبيل الله بفعلهم هذا، والقراءة ﴿لِيَضِلُّوا﴾ بفتح الياء بمعنى: كي يَضل جاعلوا الأنداد لله عن سبيله[٦١٢]. فقد ضلوا في أنفسهم وأضلوا غيرهم بفعلهم هذا. والله تعالى أعلم.

٧ - ﴿قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴿٣١﴾﴾ [إبراهيم: ٣١].

القراءات:

١ - قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب ﴿لا بَيْعَ فِيهِ ولا خِلَالَ﴾ بفتح العين في ﴿بَيْعَ﴾، واللام في ﴿خِلَالَ﴾ من غير تنوين فيهما.

٢ - قرأ الباقون ﴿لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ﴾ برفع العين في ﴿بَيْعٌ﴾، واللام في ﴿خِلَٰلٌ﴾ مع التنوين فيهما[٦١٣].

المعنى اللغوي للقراءات:

١ - ﴿بيع﴾: «باع الشيءَ يبيعه بَيْعاً ومَبِيعاً شرَاه وهو شاذ وقياسه مَبَاعاً، وباعه أيضاً اشتراه فهو من الأضداد»[٦١٤].

قال الراغب: «البَيْعُ إِعطاء المُثْمَنِ وأَخْذُ الثَّمَنِ، والشَّراء: إِعطاء الثَّمَن وأخذ المُثْمَنِ، ويقال للبيع الشراء وللشراء البيع وذلك بحسب ما يُتَصَوَّر من الثَّمن والمُثْمَنِ وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ

(٦١٢) انظر: تفسير الطبري ج١٣ص٢٢٤، حجة القراءات ص٣٧٨، ٣٧٩، روح المعاني ج١٣ص٢١٩.

(٦١٣) انظر: النشر ج٢ص٢١١، البدور الزاهرة ص١٧٢.

(٦١٤) مختار الصحاح ص٧١.

﴿وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّاهِدِينَ ۝٢٠﴾ [يوسف: ٢٠]، وقال ﷺ: «**لا يبيع الرجل على بيع أخيه**»[٦١٥]، أي: لا يشترى على شِراه، وأَبَعْتُ الشيءَ: عَرَّضْتُه للبيع»[٦١٦].

٢ ـ ﴿خِلَٰلٌ﴾ قيل: هو مصدرُ خالَلْتُه مخالة وخلالاً، والخِلال والمُخَالَّة: المصادقة. وقيل: جَمْعُ خُلَّةٍ، والخُلَّةُ الصداقة والمحبة التي تخللت القلب فصارت خلاله أي في باطنه، والخُلَّةُ أيضاً: الصَّدِيقُ يقال للذَّكَرِ والأُنثى والواحدِ والجَمِيع[٦١٧].

قال الراغب: «خلّ: الخلل فرجة بين الشيئين وجمعه خِلال، والخِلال لما تخلل به الأسنان وغيرها، يقال خَلَّ سِنّه، وخَلَّ الرمية بالسهم، والخُلَّة المودة إما لأنها تَتَخَلل النفس أي تتوسطها، وإما لأنها تُخِلُّ النفسَ فتؤثر فيها تأثيرَ السَّهم في الرمية، وإما لفرط الحاجة إليها، يقال منه خاللته مخالة وخِلالاً فهو خليل، وقوله ﴿**لا بَيْعَ فِيهِ ولا خِلَالَ**﴾ فقد قيل هو مصدر من خالَلْتُ وقيل هو جمع، يُقالُ خليلٌ وأخِلَّةٌ وخِلالٌ»[٦١٨].

التفسير:

يقول تعالى: قل يا محمد ـ ﷺ ـ لعبادي الذين آمنوا فليقيموا الصلاة المفروضة عليهم ويؤدوها على الوجه الأكمل، ولينفقوا مما أنعمنا عليهم من الرزق خفية وجهراً، من قبل أن يأتي يوم القيامة، حيث لا ينفع أحداً بيعٌ ولا فدية، ولا صداقة، فلا سبيل لاستدراك ما فات لا بمعاوضة بيع وشراء، ولا بهبة خليل وصديق، فليقدم كل امرئ لنفسه، ولينتهز الفرصة قبل ألاّ

---

(٦١٥) أخرجه البخاري: كتاب البيوع، باب لا يبيع على بيع أخيه ولا يسوم على سوم أخيه حتى يأذن له أو يترك، ح(٢١٤٠) ص٤٠٢، ومسلم: كتاب البيوع، باب تحريم بيع الرجل على بيع أخيه وسومه على سومه وتحريم النجش وتحريم التصرية، ح(٣٧٠٣) ص٧٣٧٠.

(٦١٦) المفردات في غريب القرآن ص٦٧ ـ بتصرف يسير، وانظر: مختار الصحاح ص٧١.

(٦١٧) انظر: لسان العرب ج٥ص١٢٥٢.

(٦١٨) المفردات في غريب القرآن ص١٥٣ ـ باختصار وتصرف يسير.

يمكنه ذلك[٦١٩].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قال ابن عاشور: «وقرأ الجمهور ﴿لَّا بَيْعٌ﴾ بالرفع، وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب بالبناء على الفتح. وهما وجهان في نفي النكرة بحرف (لا)»[٦٢٠].

قلت: تنوع القراءة بين الفتح وما به من خفة وضعف، وبين الضم وما به من ثقل وقوة يفيد نفي جميع صور البيع، وجميع أنواع الخلال والمصادقة في ذلك اليوم. والله تعالى أعلم.

٨ ـ ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ٣٧﴾ [إبراهيم: ٣٧].

القراءات:

١ ـ قرأ هشام بِخُلْفٍ عنه ﴿أَفْئِيدَةً﴾ بياء ساكنة بعد الهمزة.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿أَفْئِدَةً﴾ بغير ياء بعد الهمزة وهو الوجه الثاني لهشام[٦٢١].

المعنى اللغوي للقراءات:

«(فأد): فأَدَ اللحم في النار شواه، والفَئِيد: النار، والمَشْوِيُّ، والجبان، وافتأَدُوا أوقدوا ناراً. والتَّفَؤُّد: التَّحرق، والتَّوقُّد، ومنه الفُؤاد للقلب، مُذَكَّر، أو هو ما يتعلق بالمريء من كبد ورئة وقلب، والجمع أفئدة»[٦٢٢].

---

(٦١٩) انظر: تفسير ابن كثير ج٢ص٧٩٦، تفسير السعدي ص٤٥٢، صفوة التفاسير ج٢ص٩٧، ٩٨.

(٦٢٠) التحرير والتنوير ج١٣ص٢٣٤.

(٦٢١) انظر: النشر ج٢ص٢٩٩، البدور الزاهرة ص١٧٢.

(٦٢٢) القاموس المحيط ص ٣٨٩ ـ باختصار وتصرف يسير.

التفسير:

يخبر الله ﷻ عن إبراهيم عليه السلام إذ توجه بالدعاء إلى الله تعالى قائلاً: يا ربنا إنّي أسكنت من ذريتي، ولدي إسماعيل، وزوجي هاجر، بوادٍ مقفر ليس فيه زرع، بجوار بيتك المحرم، كي يعبدوك ويقيموا الصلاة، فاجعل قلوباً من قلوب الناس تحن وتسرع إليهم، وارزقهم من أنواع الثمار بأن تجعل بقربهم قرىً يحصل فيها ذلك أو تجبى إليهم من الأقطار الشاسعة ليكون حالهم حال من يُرجى شكرهم لما يرون من نعمك العظيمة، فيشتغلوا بعبادتك لإغنائك لهم وإحسانك إليهم(٦٢٣).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءة بغير ياء بعد الهمزة على الأصل، والقراءة بإثبات ياء ساكنة بعد الهمزة على لغة المشبعين من العرب الذين يقولون (الدراهيم، الصياريف)، وهي لغة مستعملة(٦٢٤).

قال ابن الجزري: «واختلف عن هشام في ﴿أَفْئِدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ فروى الحلواني عنه من جميع طرقه بياء بعد الهمزة هنا خاصة، ... على لغة المشبعين من العرب الذين يقولون (الدراهيم والصياريف) وليست ضرورة بل لغة مستعملة. ... وقال بعضهم بل هو ضرورة، وإنّ هشاماً سهّل الهمزة كالياء فعبّر الراوي عنها على ما فهم بياء بعد الهمزة والمراد بياء عوض عنها، وردّ ذلك الحافظ الداني(٦٢٥) وقال: إنّ النقلة عن هشام كانوا أعلم

(٦٢٣) انظر: نظم الدرر ج٥ص١٩١، ١٩٢، روح المعاني ج١٣ص٢٤٠، صفوة التفاسير ج٢ص١٠٠.

(٦٢٤) انظر: النشر ج٢ص٢٩٩، روح المعاني ج١٣ص٢٤٠، المغني في توجيه القراءات العشر ج٢ص٢٩٨.

(٦٢٥) هو: عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد بن عمر، أبو عمرو الداني الأموي مولاهم القرطبي، المعروف في زمانه بابن الصيرفي، الإمام العلاّمة الحافظ، أستاذ الأستاذين، وشيخ مشايخ المقرئين. برز في القراءات علماً وعملاً، وفي الحديث، وأسماء رجاله، وفي الفقه والتفسير، وسائر أنواع العلوم، له كتاب التيسير في القراءات السبع، والمكتفى في الوقف والابتدا، وطبقات القراء، وغيرها، توفي رحمه الله سنة ٤٤٤هـ بدانية بالأندلس. (انظر: غاية النهاية ج١ص٥٠٣ ـ ٥٠٥).

الناس بالقراءة ووجوهها وليس يفضي بهم الجهل إلى أن يعتقد فيهم مثل هذا»[٦٢٦].

قلت: أفادت القراءة بالإشباع كثرة عدد القلوب التي تحترق شوقاً إلى البيت الحرام فتقصده وتسرع نحوه برغبة، وهذا يمليه ما فيها من زيادة مبنًى بحرف المدّ. أمّا القراءة الأخرى فعلى الأصل، ومبنى الكلمة يوحي بقوة شوق القلوب وشدة تحرقها، وهذا يمليه التقاء حرفي الهمزة والدال من غير فاصل بينهما على ما بهما من شدة. والله تعالى أعلم.

٩ ـ ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾﴾ [إبراهيم: ٤٢].

القراءات:

١ ـ قرأ عاصم وابن عامر وحمزة وأبو جعفر ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ﴾ بفتح السين.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿ولا تَحْسِبَنَّ﴾ بكسر السين[٦٢٧].

المعنى اللغوي للقراءات:

حَسِبْته وأَحْسَبُهُ بالفتح، مَحْسَبَةً ومَحْسِبَةً وحِسْباناً بالكسر، أي ظَنَنْتُه. ويقال أَحْسِبُهُ، بالكسر[٦٢٨].

التفسير:

يقول تعالى: ولا تظننّ يا محمد ـ ﷺ ـ أنّ الله تعالى ساهٍ عن أفعال الظّلمة، لا تحسبنّه إذا أنظرهم وأجّلهم أنه غافل عنهم مهمل لهم لا يعاقبهم على صنعهم، بل هو يحصي ذلك ويعده عليهم عداً، وإنما يؤجل حسابهم إلى يوم القيامة، ذلك اليوم العصيب الرهيب الذي تشخص فيه الأبصار فتظلّ

---

(٦٢٦) انظر: النشر ج٢ص٢٩٩.

(٦٢٧) انظر: النشر ج٢ص٢٣٦، البدور الزاهرة ص١٧٢.

(٦٢٨) الصحاح في اللغة ج١ص١١١ ـ بتصرف يسير، وانظر: القاموس المحيط ص٩٥.

مفتوحة لا تَطرِف لشدة ما ترى من الهول، حيث يقومون من قبورهم إلى أرض المحشر مسرعين لا يلتفتون إلى شيء، رافعي رءوسهم، أبصارهم شاخصة، لا يطرفون لحظة؛ لكثرة ما هم فيه من الهول والفكرة والمخافة لما يحل بهم، وقلوبهم خاوية خالية ليس فيها شيء لكثرة الوجل(٦٢٩).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قال ابن خالويه: «الحجة لمن فتح: أنه أتى بلفظ الفعل المضارع على ما أوجبه بناء ماضيه، لأن (فَعِلَ) بالكسر يأتي مضارعه على (يَفْعَل) بالفتح قياس مطرد. والحجة لمن كسر: أنّ العرب استعملت الكسر والفتح في مضارع أربعة أفعال: (يحسب، وينعم، وييئس، وييبس) حتى صار الكسر فيهم أفصح»(٦٣٠).

وعليه فإنّ القراءتين على لغتين من لغات العرب، والقراءة بالفتح على الأصل في قياس الفعل، والقراءة بالكسر على غير القياس وإنّما اشْتُهر بالسماع. والقراءتان تلقيان بظلالهما على المعاني حيث يوحى إيراد الفعل بصورتين مختلفتين، إحداهما قياساً على أصل، والأخرى سماعاً على غير أصل، إلى نفي الظنّ بجميع صوره، سواء أكان ظنّاً بُني على أصل، أم بُنيَ على ما أُخذ سماعاً على غير أصل. والله تعالى أعلم.

١٠ ـ ﴿وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾﴾ [إبراهيم: ٤٦].

القراءات:

١ ـ قرأ الكسائي ﴿لَتزُولُ﴾ بفتح اللام الأولى، ورفع الثانية.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿لِتَزُولَ﴾ بكسر اللام الأولى، ونصب الثانية(٦٣١).

---

(٦٢٩) انظر: نظم الدرر ج٥ص١٩٤، تفسير ابن كثير ج٢ص٧٩٩، ٨٠٠، تفسير السعدي ص٤٥٣، ٤٥٤. صفوة التفاسير ج٢ص١٠١.

(٦٣٠) الحجة في القراءات السبع ص١٠٣.

(٦٣١) انظر: النشر ج٢ص٣٠٠، البدور الزاهرة ص١٧٢.

المعنى اللغوي للقراءات:

(زال): زال الشيء يزول زَوالاً: فَارق طَرِيْقَتَه جانحاً عنه، وَيُقال في شيء قد كان ثابتاً قبل(٦٣٢).

التفسير:

يقول تعالى: لقد مكر المشركون مكراً عظيماً استفرغوا فيه جهدهم بحيث لم يبق لهم مكر غيره في تأييد الكفر وإبطال الحقّ، والحال أنّ الله تعالى المحيط علماً وقدرةً بكل شيء، عالم بمكرهم من جميع وجوهه وإن دقّ، وقادرٌ على إبطاله وإن جَلّ، وإن تعاظم هذا المكر حتى كان من القوة أن يُزيل الجبال الراسيات من أماكنها فلن يزيل أمر النبوة والرسالة لأنها ثابتة راسخة، بأمر الله تعالى وقدرته(٦٣٣).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

من قرأ ﴿**وإن كان مكرهم لَتَزُولُ منه الجبال**﴾ فمعناه: وإن كان مكرهم من الشدة بحيث تزول منه الجبال وتنقلع من أماكنها، غير أنَّ الله ناصرٌ دينَه، ومُزيلٌ مكرَ الكفارِ وماحقه. فأفادت هذه القراءة بيان عظم مكرهم(٦٣٤).

أمّا القراءة ﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ﴾ بكسر اللام الأولى، ورفع الثانية ففيها ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: أن تكون ﴿إن﴾ نافية واللام مؤكدة لها ومعنى ذلك: أنّ مكرهم أوهن وأضعف من أن تزول منه الجبال، والجبال هنا مشار بها إلى ما جاء به النبي ﷺ من الدين الحق والتأويل: وما كان مكرهم لِيزول به أمر

---

(٦٣٢) انظر: المفردات في غريب القرآن ص ٢١٧.

(٦٣٣) انظر: نظم الدرر ج٥ص١٩٥، ١٩٦، تفسير ابن كثير ج٢ص٨٠١، تفسير السعدي ص ٤٥٤، صفوة التفاسير ج٢ص١٠١.

(٦٣٤) انظر: حجة القراءات ص٨٧٩، الكشاف ج٢ص٣٨٢، معاني القراءات ص٢٣٧، ما انفرد به كل من القراء السبعة ص١٠٢.

نبوة محمد ﷺ وهي ثابتة كثبوت الجبال الرواسي؛ لأن الله تبارك وتعالى وعَده أن يُظهر دينه على الأديان كلها، ودليل هذا قوله: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾﴾ [إبراهيم: ٤٧]»، وتنصره قراءة ابن مسعود: (وما كان مكرهم)[٦٣٥].

الوجه الثاني: أن تكون ﴿إن﴾ مخففة من الثقيلة «والمعنى: وإن عظم مكرهم وتبالغ في الشدة، فضرب زوال الجبال منه مثلاً لتفاقمه وشدته: أي: وإن كان مكرهم مُسَوّي لإزالة الجبال معداً لذلك»[٦٣٦].

الوجه الثالث: أنّ ﴿إن﴾ شرطية وجوابها محذوف والمعنى: وإن كان مكرهم مقدراً لإزالة أشباه الجبال الرواسي، فالله مجازيهم بمكرهم وأعظم منه[٦٣٧].

قال السمين الحلبي: «وقد رَجَحَ الوجهان الأخيران على الأول - وهو أنّ ﴿إن﴾ نافية - لأن فيه معارضة لقراءة الكسائي ذلك أنّ قراءته تؤذن بالإثبات، وقراءة غيره تؤذن بالنفي. وقد أجاب بعضهم عن ذلك بأن الجبال في قراءة الكسائي مشار بها إلى أمور عظام غير الإسلام ومعجزاته لمكرهم صلاحية إزالتها، وفي قراءة الجماعة مشار بها إلى ما جاء به النبي ﷺ من الدين الحق. فلا تعارض إذ لم يتوارد على معنىً واحد نفياً وإثباتاً»[٦٣٨].

والقراءتان معاً تبينان أنّ هؤلاء الكفار قد مكروا مكراً تَبالغ في الشدة، وقد عبّرت كل قراءة عن هذا المعنى بأسلوب مختلف، مما يؤكد عظم مكرهم. كما أنَ القراءة ﴿لِتَزُولَ﴾ قد أفادت بالإضافة لما سبق، تحقير

---

(٦٣٥) انظر: تفسير الطبري ج١٣ص٢٤٦، الحجة في القراءات السبع ص٢٠٥، حجة القراءات ص٣٨٠، الكشاف ج٢ص٣٨٣، معاني القراءات ص٢٣٧، الدر المصون ج٤ص٢٧٩، ٢٨٠، روح المعاني ج١٣ص٢٥٠.

(٦٣٦) الكشاف ج٢ص٣٨٣. وانظر: الدر المصون ج٤ص٢٧٩، روح المعاني ج١٣ص٢٥٠، اللامات دراسة نحوية ص٦٦، ٦٧.

(٦٣٧) انظر: الدر المصون ج٤ص٢٨٠.

(٦٣٨) الدر المصون ج٤ص٢٨٠ - بتصرف يسير، وانظر: روح المعاني ج١٣ص٢٥١.

مكرهم رغم عظمه، وأنّه ما كان ليزول به أمر نبوة محمد ﷺ، فقد وعد الله تعالى أن يُظهر دينه على الأديان كلها. والله تعالى أعلم.

١١ - ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾﴾ [إبراهيم: ٤٧].

القراءات:

١ - قرأ عاصم وابن عامر وحمزة وأبو جعفر ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ﴾ بفتح السين.

٢ - قرأ الباقون **﴿ولا تحسِبَنَّ﴾** بكسر السين[٦٣٩].

وقد تقدم الحديث عن هذه القراءة عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾﴾ [إبراهيم: ٤٢][٦٤٠].

(٦٣٩) انظر: النشر ج٢ص٢٣٦، البدور الزاهرة ص١٧٢.

(٦٤٠) انظر ص١٨٨ من هذا البحث.

الفصل الثالث
تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر
من خلال سورتي الحجر والنحل.

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: سورة الحجر.

المبحث الثاني: سورة النحل.

المبحث الأول
سورة الحجر

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: تعريف عام بسورة الحجر.

المطلب الثاني: تفسير سورة الحجر بالقراءات القرآنية العشر.

المطلب الأول: تعريف عام بسورة الحجر.

اسمها:

تُسمى هذه السورة: سورة الحجر. قال ابن عاشور: «سميت هذه السورة سورة الحجر، ولا يعرف لها اسم غيره، ووجه التسمية أنّ اسم الحجر لم يذكر في غيرها، والحجر[٦٤١] اسم البلاد المعروفة به، وهو حجر ثمود، وثمود هم أصحاب الحجر»[٦٤٢].

نزولها:

سورة الحجر كلها مكيّة على الأصح، وقد عُدّت الرابعة والخمسين في عدد نزول السور، وقد نزلت بعد سورة يوسف وقبل سورة الأنعام[٦٤٣].

---

(٦٤١) الحجر: «ديار ثمود بوادي القرى بين المدينة والشام» (معجم البلدان ج٢ص٢٥٤، آثار البلاد وأخبار العباد ص٩٠).

(٦٤٢) التحرير والتنوير ج١٤ص٥.

(٦٤٣) انظر: التحرير والتنوير ج١٤ص٥، التفسير المنير ج١٤ص٥.

عدد آياتها:

عدد آياتها تسع وتسعون آية باتفاق أهل العدّ(٦٤٤).

وجه اتصالها بما قبلها (سورة إبراهيم عليه السلام):

هناك تناسب بين خاتمة سورة إبراهيم عليه السلام وافتتاح سورة الحجر، حيث وصف الله عز وجل أحوال الكفار يوم القيامة في خاتمة سورة إبراهيم عليه السلام بقوله: ﴿وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾﴾ [إبراهيم: ٤٨ - ٥٠]، ثم قال في افتتاح سورة الحجر ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾﴾ [الحجر: ٢] فأخبر أنّ المجرمين المذكورين إذا طال مكثهم في النار، ورأوا عصاة الموحدين قد أخرجوا منها، تَمَنَّوْا أن لو كانوا مسلمين، هذا مع اختتام سورة إبراهيم عليه السلام بوصف الكتاب ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٥٢]، وافتتاح سورة الحجر به ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الحجر: ١]، وذلك من تشابه الأطراف(٦٤٥). كما أنّ هناك تناسباً بين كلتا السورتين في الافتتاح والمضمون، أمّا الافتتاح، فكلتا السورتين افتتحتا بوصف الكتاب المبين، وأمّا المضمون فقد اشتملت كلتا السورتين على شرح أحوال الكفرة يوم القيامة، ووصف السماوات والأرض، وإيراد جزء من قصة إبراهيم عليه السلام، وبعض قصص الرسل، وتسلية الرسول صلى الله عليه وسلم لما يلاقيه من قومه(٦٤٦).

ما اشتملت عليه السورة:

سورة الحجر كغيرها من السور المكية تناولت قضايا إثبات الوحدانية، والنبوة، والبعث والجزاء، والتذكير بمصارع الطغاة ومكذبي الرسل، وقد

---

(٦٤٤) انظر: فنون الأفنان ص٥٣، تفسير الطبرسي ج٦ ص٩١، روح المعاني ج١٤ص٢، بشير اليسر شرح ناظمة الزهر ص١٠٤.

(٦٤٥) انظر: تناسق الدرر ص٩٧، روح المعاني ج١٤ص٢، التفسير المنير ج١٤ص٥، ٦.

(٦٤٦) انظر: التفسير المنير ج١٤ص٥.

اشتملت السورة على ما يلي: (٦٤٧)

١ ـ بيان أنّ القرآن الكريم هو الكتاب الجامع للكمال والبيان.

٢ ـ بيان سنة الله تعالى التي لا تتخلف في الرسالة والإيمان بها والتكذيب. مبدوءة بالإنذار الضمني الملفع بالتهويل: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ۝٢﴾ [الحجر: ٢]، ومنتهية بأنّ المكذبين إنما يكذبون من عناد لا من نقص في دلائل الإيمان، وأنّ تلك عادة المكذبين مع رسلهم.

٣ ـ بعض آيات الله تعالى في الكون مثل: خلق السماوات والأرض، إرسال الرياح، الإحياء والإماتة والعلم الشامل والحشر.

٤ ـ قصة خلق آدم، وامتثال الملائكة أمر الله ﷻ بالسجود لآدم، وعصيان إبليس أمر الله تعالى، وبيان عداء إبليس للبشر.

٥ ـ وصف حال أهل الشقاوة وأهل السعادة يوم القيامة.

٦ ـ الإخبار عن سنة الله تعالى في خلقه وأنه غفّار لمن تاب وأناب، ومعذب المُصرين على الذنوب.

٧ ـ قصص بعض الأنبياء عليهم السلام وأقوامهم: قصة إبراهيم عليه السلام، قصة أصحاب الأيكة ـ قوم شعيب ـ، قصة أصحاب الحجر ـ قوم ثمود ـ .

٨ ـ ذكر أفضال الله ﷻ على النبي المصطفى ﷺ، وتثبيته ﷺ ودعوته إلى الصفح عن الذين يؤذونه، وبيان أنّ الله تعالى كافيه أعداءه.

المطلب الثاني: تفسير سورة الحجر بالقراءات القرآنية العشر:

١ ـ ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ۝٢﴾ [الحجر: ٢].

---

(٦٤٧) انظر: التحرير والتنوير ج١٤ص٦، في ظلال القرآن ج٥ص١٩٠، التفسير المنير ج١٤ص٦، ٧، صفوة التفاسير ج٢ص١٠٤.

القراءات:

١ - قرأ نافع وعاصم وأبو جعفر ﴿رُبَمَا﴾ بتخفيف الباء.

٢ - قرأ الباقون ﴿رُبَّما﴾ بتشديد الباء[٦٤٨].

المعنى اللغوي للقراءات:

«(رُبَّ) ويُقال رُبَّت، وربَّما، ورُبَّتما، وقد تُخفف: حرف جر للتقليل أو للتكثير حسبما يستفاد من سياق الكلام، ولا يدخل إلاّ على نكرة، وهو في حكم الزائد فلا يتعلق بشيء، وإذا لحقته (ما) كفته عن العمل، فيجوز دخوله على الأفعال والمعارف فتقول: ربما أقبل الخليل، وربما الخليل مقبل، وقد يبقى على عمله كقوله: ربما ضربة بسيف صقيل»[٦٤٩].

وللنحويين تعليلات في تخفيف (رُبَما) من بينها أنّ إحدى الباءين حذفت تخفيفاً، كراهية التضعيف، وبينهم خلاف في معناها أهو التكثير أم التقليل، دون إمكان ترجيح أحد المعنيين على الآخر، والسياق هو الدليل الوحيد على ترجيح أحدهما[٦٥٠].

التفسير:

يقول تعالى ذكره: ربما تمنى الكفار لو كانوا في الدنيا من الموحدين المسلمين، وذلك عند معاينتهم لأهوال يوم القيامة، وقيل حين يرون خروج أهل الخطايا من المسلمين من النار، كما جاء في الحديث: عن رسول الله ﷺ قال: «إذا اجتمع أهل النار في النار ومعهم من أهل القِبلة، من شاء الله، قالوا: ما أغنى عنكم إسلامكم وقد صرتم معنا في النار؟، قالوا: كانت لنا ذنوب فأُخذنا بها، فسمع الله ما قالوا، قال: فأمر بمن كان في النار من أهل القبلة فأخرجوا. فيقول الكفار: يا ليتنا كنا مسلمين فنخرج كما خرجوا، قال: وقرأ رسول الله ﷺ: ﴿الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ

(٦٤٨) انظر: النشر ج٢ص٣٠١، البدور الزاهرة ص١٧٥.

(٦٤٩) إعراب القرآن لدرويش ج٥ص٢١٧، وانظر: التفسير المنير ج١٤ص٩.

(٦٥٠) انظر: معجم حروف المعاني في القرآن الكريم ج٢ص٦٣١.

مُّبِينٍ ﴿١﴾ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾﴾ مثقلة[٦٥١]»[٦٥٢].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءتان بتخفيف الباء وتشديدها على لغتين من لغات العرب[٦٥٣].

قال القرطبي: «وقرأ نافع وعاصم ﴿رُبَما﴾ مخفف الباء. الباقون مشددة، وهما لغتان ... وأصلها أن تستعمل في القليل، وقد تستعمل في الكثير؛ أي يود الكفار في أوقات كثيرة لو كانوا مسلمين، ... وقال بعضهم: هي للتقليل في هذا الموضع؛ لأنهم قالوا ذلك في بعض المواضع لا في كلها؛ لشغلهم بالعذاب»[٦٥٤].

و﴿ربما﴾ على معنى التقليل أبلغ في التهديد لأن «التقليل هنا مستعمل في التهكم والتخويف، أي: احذروا وَدَادتكم أن تكونوا مسلمين، فلعلها أن تقع نادراً، كما تقول العرب في التوبيخ: لعلك ستندم على فعلك، وهم لا يشكون في تندمه، وإنما يريدون أنه لو كان الندم مشكوكاً فيه لكان حقاً عليك أن تفعل ما قد تندم على التفريط فيه لكي لا تندم، لأن العاقل يتحرز من الضر المظنون كما يتحرز من المتيقن»[٦٥٥].

قلت: وقد ناسب التخفيف معنى التقليل الذي يحمل في طياته أبلغ التهديد، كما ناسب التشديد شدة الحسرة والندم التي يقاسيها الكفار في جهنم ـ والعياذ بالله ـ لتفريطهم وعدم إيمانهم. والله أعلم.

(٦٥١) أخرجه الحاكم في المستدرك: كتاب التفسير ح(٢٩٥٤) ج٢ص٢٦٥، قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٦٥٢) انظر: تفسير ابن كثير ج٢ص٨٠٦، ٨٠٧، صفوة التفاسير ج٢ص١٠٥.

(٦٥٣) انظر: معاني القرآن للكسائي ص١٧٤، حجة القراءات ص٣٨٠، تفسير السمرقندي ج٢ص٢١٤.

(٦٥٤) تفسير القرطبي ج١٠ص٢.

(٦٥٥) التحرير والتنوير ج١٤ص١١.

٢ ـ ﴿مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓاْ إِذًا مُّنظَرِينَ ۝٨﴾ [الحجر: ٨].

القراءات:

١ ـ قرأ شعبة ﴿ما تُنَزَّلُ﴾ بتاء مضمومة ونون مفتوحة وزاي مفتوحة كذلك، ﴿المَلاَئِكَةُ﴾ بالرفع.

٢ ـ قرأ حفص وحمزة والكسائي وخَلف ﴿مَا نُنَزِّلُ﴾ بنونين الأولى مضمومة والثانية مفتوحة وكسر الزاي، ﴿المَلاَئِكَةَ﴾ بالنصب.

٣ ـ قرأ البزّي ﴿ما تَّنَزَّلُ﴾ بتاء مفتوحة مشددة ونون مفتوحة وزاي مفتوحة كذلك(٦٥٦)، ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ بالرفع.

٤ ـ قرأ الباقون ﴿ما تَنَزَّلُ﴾ بتاء مفتوحة ونون مفتوحة وزاي مفتوحة كذلك، ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ بالرفع(٦٥٧).

المعنى اللغوي للقراءات:

١ ـ ﴿نُنَزِّلُ﴾: (نزل): النزول في الأصل هو انحطاط من علوّ، يقال نزل عن دابته، وأنزله غيره. ونزل بكذا وأنزله بمعنى، وإنزال الله تعالى نعمه أو نِقمه على الخلق إمّا بإنزال الشيء نفسه أو بإنزال أسبابه والهداية إليه. والتَنَزُّل كالنُّزول، يُقال نَزَل المَلَكُ بكذا وتَنَزَّل(٦٥٨).

٢ ـ ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾: الملائكة جمع، وواحده (مَلَك)، وهو مشتق من (أَلَكَ) بمعنى: أرسل، وأصل (مَلَك): (مَأْلَك)، فَقُدِّمت العين وهي اللام، وأخرت الفاء فصارت (مألَكاً)، واستثقلت الهمزة، فنقلت إلى الساكن قبلها، وحذفت، فصار لفظه (ملكاً)، فإذا جُمع، رُدَّ إلى أصله من الهمزة وبقي

---

(٦٥٦) يلزم من تشديد التاء المد الطويل في ﴿ما﴾ وصلاً، وإذا ابتدأ بالفعل لم يشدد التاء وقرأها هكذا: ﴿تَنَزَّلُ﴾. (انظر: المغني في توجيه القراءات العشر ج١ص٢٨٤).

(٦٥٧) انظر: النشر ج٢ص٣٠١، البدور الزاهرة ص١٧٥.

(٦٥٨) انظر: المفردات في غريب القرآن ص٤٨٨، ٤٨٩.

على قلبه[٦٥٩].

التفسير:

طلب الكفار من النبي ﷺ أن يأتيهم بالملائكة لتشهد بصحة ما جاء - وذلك منهم تهكماً وسخرية وإمعاناً في الكفر والتكذيب -، فردّ الله ﷻ عليهم في هذه الآية بأنّ إنزال الملائكة لا يكون إلاّ بالحق، أي بالرسالة للرسل أو بالعذاب لمن أراد الله تعذيبه، ولو أجابهم الله تعالى إلى ما طلبوا ثم كفروا لم يُنظروا، بل عُجّلوا بالعذاب كما فُعل بالأمم المُكَذِّبة قَبْلهم[٦٦٠].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءة ما ﴿نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾ بمعنى: ما ننزلها نحن - أي الله ﷻ - فأخبر الله تعالى عن نفسه، إذ بإرادته يكون كلّ شيء، والقراءة **﴿ما تُنَزَّلُ الملائكةُ﴾** على وجه ما لم يسمّ فاعله، بإقامة الملائكة مقام الفاعل لأن الملائكة لا تَنْزِل حتى تُنَزَل، والأمر ليس لها في النزول، إنما يُنزِلها الله ﷻ، أمّا القراءة **﴿ما تَنَزَّلُ الملائكةُ﴾** فعلى إضافة الفعل للملائكة، فرفعها به، وفي الفعل حذف تاء لاجتماع تاءين بحركة واحدة، وأصله (تَتَنَزَّل)، والمعنى: ما تَنزِلُ الملائكة، وحَسُن إضافة الفعل للملائكة لأنه قد فُهم أنّها تتنزل بأمر الله تعالى لها بالنزول[٦٦١].

قال الطبري: «وكل هذه القراءات الثلاث متقاربات المعاني، وذلك أنّ الملائكة إذا أنزلها الله على رسول من رسله، تَنَزَّلت إليه، وإذا تَنَزَّلت إليه، فإنّما تنزل بإنزال الله إياها إليه»[٦٦٢].

---

(٦٥٩) انظر: عمدة الحفاظ ج١ص١١٢، ١١٣.

(٦٦٠) انظر: تفسير ابن كثير ج٢ص٨٠٨، التحرير والتنوير ج١٤ص١٩، صفوة التفاسير ج٢ص١٠٦، التفسير المنير ج١٤ص١٦.

(٦٦١) انظر: تفسير الطبري ج١٤ص٧، الحجة في القراءات السبع ص٢٠٥، ٢٠٦، معاني القراءات ص٢٤٠، الكشف ج٢ص٢٩.

(٦٦٢) تفسير الطبري ج١٤ص٧، وانظر حجة القراءات ص٣٨١.

قلت: القراءة بإسناد الفعل إلى الله تعالى بينت الاهتمام بشأن الفاعل - وهو الله ﷻ - فالذي ينزل الملائكة هو الله العليم الحكيم الذي بيده ملكوت كل شيء والذي لا تصدر عنه الأفعال والأقوال إلاّ بالحق، ومن كان وصفه كذلك فمحال أن ينزل الملائكة عبثاً، سبحانه وتعالى، أمّا القراءة على وجه ما لم يُسَمّ فاعله، فقد بينت مزيد الاهتمام بالمفعول - وهو الملائكة - وذلك لبيان عظيم شأن الملائكة فهي أعظم من أن تُنزل لأمور تافهة، وإنما نزولها لأمور عظام. أمّا القراءة بإسناد الفعل للملائكة فإنها تبين مزيد الاهتمام بشأن تصرف الملائكة، فلا يَصدر منها إلاّ الحقّ وذلك لأنها تنفذ أمر الله تعالى كما يريد ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦]. فكانت تلك أبلغ إجابة على طلب الكافرين إنزال الملائكة، حيث ألزمهم الله ﷻ الحجة، وردّ عليهم من جميع الجهات بأوجز عبارة وأروعها وأبدعها، فسبحان الذي جمع البلاغة كلها في كتابه العزيز. والله تعالى أعلم.

٣ - ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجر: ١٤ - ١٥].

القراءات:

١ - قرأ ابن كثير ﴿سُكِرَتْ﴾ بتخفيف الكاف.

٢ - قرأ الباقون ﴿سُكِّرَتْ﴾ بتشديد الكاف(٦٦٣).

المعنى اللغوي للقراءات:

(سَكِرَ): نقيض صَحَا، و(السُكْرُ) حالة تعرض بين المرء وبين عقله، وأكثر ما يستعمل ذلك في الشراب، وقد يَعْتَري من الغضب والعشق، و(السَّكْرُ) حبس الماء، وذلك باعتبار ما يعرض من السدّ بين المرء وعقله. وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا﴾ من السَّكر، أو من السُّكر أي حُبست

(٦٦٣) انظر: النشر ج٢ص٣٠١، البدور الزاهرة ص١٧٥.

عن النظر وحُيِّرَت، أو غُطِّيت وغُشِّيَت(٦٦٤).

قال ابن فارس: «(سكر): السُّكر من الشراب، يقال سَكِرْتُ ورجل سِكِّير. والتَّسَكُّرُ: التَّحَيُّرُ، قال الله جلَّ ثناؤه: ﴿لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتۡ أَبۡصَٰرُنَا﴾ وناس يقرءونها: سُكِرت خفيفة على سُحرت»(٦٦٥).

التفسير:

يقول تعالى: ولو أننا فتحنا لهؤلاء الكفار المعاندين باباً من أبواب السماء فجعلوا يصعدون فيه، لما صدقوا بذلك، وقالوا لفرط مكابرتهم وكفرهم وعنادهم: إنّما سُدَّت أبصارنا وخُدعت بهذا الارتقاء والصعود، وقد شُبِّه علينا واختلطت الأمور في أذهاننا، وأصبحنا لا نرى إلاّ أخيلة، كالقوم المسحورين(٦٦٦).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قال مكي: «قوله ﴿**إِنَّمَا سكرت**﴾ خففه ابن كثير، وشدده الباقون، وهما لغتان: سَكَرْتُ عينه وسكّرتها، أغشيتها إغشاءاً، لكن في التشديد معنى التكثير والتكرير، وحسن ذلك لإضافته إلى جماعة، لكل واحد بصر قد غُشّي بغشاوة، والأبصار جماعة فحقه التشديد ليدل على التكثير»(٦٦٧).

وقال الماوردي: «قوله ﷻ: ﴿لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتۡ أَبۡصَٰرُنَا بَلۡ نَحۡنُ قَوۡمٞ مَّسۡحُورُونَ ﴿١٥﴾﴾ في ﴿**سُكِّرَتْ**﴾ قراءتان: إحداهما بتشديد الكاف، والثانية بتخفيفها، وفي اختلافهما وجهان:

أحدهما: معناهما واحد، فعلى هذا ستة تأويلات: أحدها: سُدّت، الثاني: عميت، الثالث: أخذت، الرابع: خدعت، الخامس: غشيت

---

(٦٦٤) انظر: المفردات في غريب القرآن ص ٢٣٦، القاموس المحيط ص ٥٢٤.

(٦٦٥) مجمل اللغة ج١ص٤٦٨.

(٦٦٦) انظر: تفسير ابن كثير ج٢ص٨٠٩، التحرير والتنوير ج١٤ص١٧، التفسير المنير ج١٤ص١٧.

(٦٦٧) الكشف ج٢ص٣٠، معاني القراءات ص٢٤٠.

وغطيت، السادس: معناه حبست.

والوجه الثاني: أنّ معنى ﴿سُكِّرَتْ﴾ بالتشديد والتخفيف مختلف، وفي اختلافهما وجهان: أحدهما: أنّ معناه بالتخفيف سُحِرَتْ، وبالتشديد: أخذت. الثاني: أنّه بالتخفيف من سُكر الشراب، وبالتشديد مأخوذ من سكرت الماء»[٦٦٨].

قلت: على اعتبار أنّ القراءتين بمعنًى، ففائدة تنوع القراءة تأكيد المعنى، كما أنّ قراءة التشديد تحمل معنى التكثير. وعلى اعتبار اختلاف المعنى وهو الأَوْلَى، لأن «التأسيس أولى من التأكيد»[٦٦٩]، فإنّ قراءة التشديد أفادت أنّ أبصارهم سدت فما عادوا يُبصرون، وقراءة التخفيف بينت أنّ سدّ أبصارهم لا يعني أنها عميت عن الرؤية نهائياً بل (سَكِرت) أي أصبحوا يرون باختلاط وتغير كما يرى السكران أو المسحور[٦٧٠]. والله تعالى أعلم.

ملحوظة:

قد يتبادر إلى الذهن أن تفسير ﴿سُكِرَت﴾ بمعنى (سُحرت)، سيؤدي إلى تكرار في الآية حيث إنها ختمت بقوله تعالى: ﴿بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾، ويزول هذا الإشكال إذا عرفنا أنّ هناك قراءة شاذة: (سحرت أبصارنا)، وقد أوردها أبو حيان وقال: «قرأ أبان بن تغلب[٦٧١]: (سحرت أبصارنا) ويجيء قوله: ﴿بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾ انتقالاً إلى درجة عظمى من سحر العقل، وينبغي أن تجعل هذه القرءاة تفسير معنًى لا تلاوة؛ لمخالفتها سواد

(٦٦٨) تفسير الماوردي ج٣ص١٥٠، ١٥١ ـ باختصار.

(٦٦٩) الأشباه والنظائر في قواعد فقه الشافعية ص١٧٥، وانظر: القراءات وأثرها في التفسير والأحكام ج١ص٣٩٦.

(٦٧٠) انظر: القراءات وأثرها في التفسير والأحكام ج٢ص٧٨٨.

(٦٧١) هو: أبان بن تغلب الربعي، أبو سعد، ويقال أبو أميمة الكوفي النحوي، قرأ على عاصم بن أبي النجود، والأعمش، وغيرهما، توفي سنة ١٤١هـ، وقيل سنة ١٥٣هـ. (انظر: غاية النهاية ج١ص٤).

المصحف»[٦٧٢].

٤ ـ ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [الحجر: ٢٢].

القراءات:

١ ـ قرأ حمزة وخلف ﴿**الرِّيح**﴾ بإسكان الياء، بغير ألف بعدها.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿**الرِّيَاح**﴾ بياء مفتوحة وألف بعدها[٦٧٣].

وقد تقدم توجيه هاتين القراءتين عند تفسير قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٨﴾﴾ [إبراهيم: ١٨][٦٧٤]. والظاهر أنّ القراءتين هنا بمعنًى واحد. والله أعلم.

٥ ـ ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الحجر: ٣٩ ـ ٤٠].

القراءات:

١ ـ قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر ويعقوب ﴿**الْمُخْلِصِينَ**﴾ بكسر اللام.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ بفتح اللام[٦٧٥].

وقد تقدم الحديث عن هذه القراءة عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [يوسف: ٢٤][٦٧٦].

---

(٦٧٢) البحر المحيط ج٥ ص ٤٣٧.

(٦٧٣) انظر: النشر ج٢ص٢٢٣، البدور الزاهرة ص١٧٥.

(٦٧٤) انظر ص١٧٥ من هذا البحث.

(٦٧٥) انظر: النشر ج٢ ص٢٩٥، البدور الزاهرة ص١٧٥.

(٦٧٦) انظر ص١٠٠ من هذا البحث.

٦ ـ ﴿قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ۝٤١﴾ الحجر: ٤١].

القراءات:

١ ـ قرأ يعقوب ﴿عَلِيٌّ﴾ بكسر اللام، ورفع الياء وتنوينها.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿عَلَيَّ﴾ بفتح اللام والياء من غير تنوين[٦٧٧].

المعنى اللغوي للقراءات:

(علا): العُلوّ الارتفاع، وهو ضد السُّفْلِ، وعَلاَ يَعْلُوا عُلُوّاً، وعَلِيَ يَعْلِي عَلاً فهو عَلِيٌّ: أي رفيع القَدْر، و(علا) بالفتح يقال في الأمكنة والأجسام أكثر، وقيل إنّ (علا) يُقال في المحمود والمذموم، و(عَلِيَ) لا يُقال إلاّ في المحمود[٦٧٨]. و(على) حرف، وعند سيبويه: اسم للاستعلاء، والمصاحبة، والتعليل كاللام، والظرفية، وبمعنى مِنْ والباء والاستدراك، وتكون زائدة للتعويض، وتكون اسماً بمعنى فويق[٦٧٩]. و﴿عليّ﴾ هنا في الآية بمعنى إليّ[٦٨٠].

التفسير:

يقول الله تعالى: هذا طريق مستقيم واضح مرجعه إليّ فأجازي كلاً بأعمالهم[٦٨١].

قال ابن عاشور: «والصراط مستعار للعمل الذي يَقصد منه عامله فائدة، شُبِّه بالطريق الموصل إلى المكان المطلوب وصوله إليه، أي هذا هو السنّة التي وضعتها في الناس وفي غوايتك إيّاهم، وهي أنك لا تغوي إلاّ

(٦٧٧) انظر: النشر ج٢ص٣٠١، البدور الزاهرة ص١٧٥، ١٧٦.
(٦٧٨) انظر: المفردات في غريب القرآن ص ٣٤٥، ٣٤٦.
(٦٧٩) انظر: القاموس المحيط ص١٦٩٥.
(٦٨٠) انظر: تفسير الطبري ج١٤ص٣٣، تفسير القرطبي ج١٠ص٢٨، التحرير والتنوير ج١٤ص٥٢.
(٦٨١) انظر: تفسير الطبري ج١٤ص٣٣، تفسير القرطبي ج١٠ص٢٨.

من اتبعك من الغاوين، أو أنك تغوي من عدا عبادي الصالحين»(٦٨٢).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قراءة الجمهور ﴿عليّ﴾ بفتح اللام وفتح الياء، على أنها (على) اتصلت بها ياء المتكلم، وقراءة يعقوب ﴿عَلِيٌّ﴾ بكسر اللام وضم الياء وتنوينها على أنه وصف من (العلوّ) وُصف به ﴿صِرَٰطٌ﴾، أي صراط شريف عظيم القدر، رفيع الشأن(٦٨٣).

وقد أفادت قراءة يعقوب ﴿عَلِيٌّ﴾، عظم شأن هذا الصراط، فهو صراط شريف رفيع القدر، وأفادت قراءة الباقين أنّ هذا الصراط مرجعه إلى الله ﷻ. وبالجمع بين القراءتين يصبح المعنى: يقول الله تعالى: هذا صراط رفيع القدر عظيم الشأن، مرجعه إليّ فأجازي كلاً بعمله. والله تعالى أعلى وأعلم

٧ ـ ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾﴾ [الحجر: ٤٣ ـ ٤٤].

القراءات:

١ ـ قرأ شعبة ﴿جُزُء﴾ بضم الزاي.

٢ ـ قرأ أبو جعفر ﴿جُزٌّ﴾ بحذف الهمزة وتشديد الزاي مضمومة منونة.

٣ ـ قرأ الباقون ﴿جُزْءٌ﴾ بإسكان الزاي(٦٨٤).

المعنى اللغوي للقراءات:

---

(٦٨٢) التحرير والتنوير ج١٤ص٥١، ٥٢.

(٦٨٣) انظر: تفسير السمرقندي ج٢ص٢١٩، التحرير والتنوير ج١٤ص٥٢، روح المعاني ج١٤ص٥١.

(٦٨٤) انظر: النشر ج٢ص٢١٦، البدور الزاهرة ص١٧٦.

الجزء: البعض، وجُزء الشيء ما يُتقوَّم به جملتُه، كأجزاء البيت وأجزاء السفينة، وقوله تعالى: ﴿لِكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ أي نصيب وذلك جزء من الشيء[٦٨٥].

التفسير:

يخبر الله تعالى أنّ جهنّم - والعياذ بالله - موعد إبليس وأتباعه، وأنّ لها - أي جهنم - سبعة أبواب يدخلون منها، وقد روي أنّ هذه الأبواب أطباق، طبق فوق طبق، وأنها دركات بعضها أشدّ من بعض، يقول تعالى: لكل فريق من أتباع إبليس باب مُعَيَّن بحسب عمله[٦٨٦].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءة ﴿جُزُء﴾ بضم الزاي لمجانسة ضم الجيم قبله، وهو لغة الحجازيين، والإسكان على الأصل وهو لغة تميم وأسد[٦٨٧]. والقراءة ﴿جُزّ﴾ بتشديد الزاي من غير همز، وذلك على حذف الهمزة وإلقاء حركتها على الزاي[٦٨٨]. وتنوع القراءة في هذه الكلمة يؤدي إلى تنوع في المسموع يلقي بظلاله على المعاني، فقراءة الضم توحي بتتابع الأجزاء والأنصبة في توزيعها، والقراءة بإسكان الزاي، توحي باستقرار كل جزء مع المقسوم له، والقراءة بحذف الهمزة وتشديد الزاي توحي بخطوات التقسيم حيث يتم اقتطاع كل جزء من الكلّ. والله أعلم.

٨ - ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾﴾ [الحجر: ٤٥].

القراءات:

١ - قرأ ابن كثير، وابن ذكوان، وشعبة، وحمزة، والكسائي ﴿وعِيُون﴾ بكسر العين.

(٦٨٥) انظر: المفردات في غريب القرآن ص٩٣، القاموس المحيط ص ٤٥.

(٦٨٦) انظر: تفسير الطبري ج١٤ص٣٥، تفسير ابن كثير ج٢ص٨١٥، صفوة التفاسير ج٢ص١١٠.

(٦٨٧) انظر: المغني في توجيه القراءات العشر ج١ص٢٧٧.

(٦٨٨) انظر: روح المعاني ج١٤ص٥٣.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿وَعُيُونٍ﴾ بضم العين[٦٨٩].

المعنى اللغوي للقراءات:

العيون: منابع الماء، قال الراغب: «(عين): العين الجارحة، والجمع أعين وعيون، ويستعار لفظ العين لمعانٍ توجد في الجارحة بنَظَرات مختلفة، ويقال لمنبع الماء عين تشبيهاً بها لما فيها من الماء، قال تعالى: ﴿فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾﴾»[٦٩٠].

التفسير:

يقول تعالى ذكره: إنّ الذين اتقوا الله بطاعته، واجتناب معاصيه في بساتين ناضرة، وعيون متفجرة[٦٩١]. والمراد بالعيون يحتمل أن يكون الأنهار الأربعة: ماء وخمر ولبن وعسل، ويحتمل أن يكون منابع مغايرة لتلك الأنهار وهو الظاهر[٦٩٢].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءة بضم العين على الأصل، وبكسرها لمناسبة الياء[٦٩٣]. وذلك على لغتين من لغات العرب[٦٩٤]. والقراءة بالكسر وما فيه من تَناسب مع الياء بعدها يؤدي إلى انسجام إيقاعي وتوافق حركي، يعد ضرباً من الإعجاز الصوتي، وهو لون من ألوان الجمال، والقراءتان إنما هما غدو ورواح بين لونين من ألوان الجمال في روضة الوحي البهيجة، وجمعاً بين لغتين حفلت

(٦٨٩) انظر: النشر ج٢، البدور الزاهرة ص١٧٦.
(٦٩٠) المفردات في غريب القرآن ص٣٥٥ ـ باختصار وتصرف يسير. وانظر: القاموس المحيط ص١٥٧٢.
(٦٩١) انظر: تفسير الطبري ج١٤ص٣٦، تفسير القرطبي ج١٠ص٣٢، صفوة التفاسير ج٢ص١١٢، التفسير المنير ج١٤ص٣٨.
(٦٩٢) انظر: روح المعاني ج١٤ص٥٧.
(٦٩٣) انظر: الحجة في القراءات السبع ص ٩٣، ٩٤، تفسير القرطبي ج١٠ص٣٢، روح المعاني ج١٤ص٥٧.
(٦٩٤) انظر: الكشف ج١ص٢٨٥، البسط في القراءات العشر ج١ص١٦٥.

بهما لغة القرآن الكريم(٦٩٥). وإضافة إلى الجمال الصوتي، فإنّ كل قراءة تلقي بظلالها على المعاني، فالقراءة بالضم وما به من قوة، توحي بقوة تفجر هذه العيون وغزارة مائها، أمّا القراءة بالكسر وما به من معنى التذلل، فإنّها توحي بسلاسة جري هذا الماء، وأنه رغم غزارته وكثرته فإنه يجريّ مذلّلاً في متناول أهل الجنة. والله تعالى أعلى وأعلم.

٩ - ﴿قَالُوا۟ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ۝٥٣﴾ [الحجر: ٥٣].

القراءات:

١ - قرأ حمزة ﴿**إِنَّا نَبْشُرُكَ**﴾ بفتح النون وإسكان الباء وضم الشين مخففة.

٢ - قرأ الباقون ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ﴾ بضم النون وفتح الباء وكسر الشين مشددة(٦٩٦).

المعنى اللغوي للقراءات:

(بَشَرَ): البَشَرة ظَاهر الجلد، وأبْشَرت الرجل، وبَشَرْتُه، وبَشَرْتُه: أخبرته بسار بسط بَشَرة وجهه. وبَشَرْتُه عام، أمّا أبْشَرته وبَشَّرته فعلى التكثير(٦٩٧).

التفسير:

هذا طرف من قصة ضيف إبراهيم عليه السلام حيث أوجس منهم خيفة فقالوا له: لا تخف، إنما نحن رسل ربك، جئنا لبشارتك بميلاد غلام ذي علم وفطنة وفهم، وهو إسحق عليه السلام(٦٩٨).

---

(٦٩٥) انظر: التوجيه اللغوي والبلاغي لقراءة الإمام عاصم ص٦٠.

(٦٩٦) انظر: النشر ج٢ص٢٣٩، ٢٤٠، البدور الزاهرة ص١٧٦.

(٦٩٧) انظر: المفردات في غريب القرآن ص٤٨، القاموس المحيط ص٤٤٧.

(٦٩٨) انظر: تفسير القرطبي ج١٠ص٣٥، صفوة التفاسير ج٢ص١١٢، التفسير المنير ج١٤ص٤٩.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

﴿يَبْشُرُك﴾ بفتح الياء وإسكان الباء وضم الشين بمعنى: يُسِرُّك ويُفرحك، يُقال: بَشرت الرجل أبشره إذا فرَّحته، و﴿يُبَشِّرُكِ﴾ بالتشديد أي يُخبِّرك. يُقال: بَشَّرته، أُبشّره أي أخبرته بما أظهر في بشرة وجهه من السرور[٦٩٩]. وهما لغتان[٧٠٠]، «غير أنّ التخفيف لا يقع إلاّ فيما سرّ، والتشديد يقع فيما سرّ وضرّ»[٧٠١]. وبشّر بما فيها من تضعيف تحمل معنى التكثير[٧٠٢] والمبالغة[٧٠٣]، وتوحي بقوة هذه البشارة[٧٠٤].

قال الأزهري: «من قرأ ﴿يُبَشِّرُكَ﴾ فهو من البشارة لا غير، يُقال بَشَّرته بشارة بتشديد الشين. ومن قرأ ﴿يَبْشُرُك﴾ فمعناه: يَسُرُّك ويُفرحك. يُقال: بَشَرته أَبْشُرُه، إذا فرَّحته. ... ومن العرب من يُجيز: بشرته وأبشرته وبَشَّرته بمعنى واحد، ويُقال: بَشَّرته فأبشر وبَشَّر، أي سرَّ وفرح»[٧٠٥].

مما سبق يتبين أنّ القراءتين مفادهما إخبار إبراهيم عليه السلام بخبر يسره وهو أنّ الله سيرزقه بغلام عليم، وقد أكدت قراءة التشديد هذه البشارة بما يحمله مبنى (بشّر) المُضَعَّف من معنى التكثير والمبالغة، أمّا قراءة التخفيف فقد أكدت حصول السرور والبِشر، حيث إنّ هذه الكلمة تختص بالأمور السارة، وتحمل معنى جلب السرور والفرحة، وفيها بيان تحقق الفرح

---

(٦٩٩) انظر: تفسير الطبري ج٣ص٢٥١، حجة القراءات ص ١٦٣.

(٧٠٠) انظر: الكشف ج١ص٣٤٤، الحجة في القراءات السبع ص ١٠٩.

(٧٠١) الحجة في القراءات السبع ص ١٠٩ ـ باختصار وتصرف يسير.

(٧٠٢) انظر: النشر ج٢ص٢٤٠.

(٧٠٣) قال ابن فارس: «العرب تزيد في حروف الفعل مبالغة» (الصاحبي ص ٤٤٥).

(٧٠٤) قال السيوطي عند حديثه عن مناسبة الألفاظ للمعاني: «وكذلك جعلوا تكرير العين نحو فرّح وبشَّر؛ فجعلوا قوة اللفظ لقوة المعنى، وخصوا بذلك العين؛ لأنها أقوى من الفاء واللام ...» (المزهر في علوم اللغة وأنواعها ج١ص٤٩).

(٧٠٥) معاني القراءات ص١٠١، ١٠٢.

والسرور لإبراهيم عليه السلام بهذا الغلام الذي سيولد له(٧٠٦). والله تعالى أعلى وأعلم.

١٠ ـ ﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ۝٥٤﴾ [الحجر: ٥٤].

القراءات:

١ ـ قرأ نافع ﴿تبشرونِ﴾ بكسر النون مخففة.

٢ ـ قرأ ابن كثير ﴿تبشرونّ﴾ بكسر النون مشددة مع المد المشبع.

٣ ـ قرأ الباقون ﴿تُبَشِّرُونَ﴾ بفتح النون مخففة(٧٠٧).

المعنى اللغوي للقراءات:

سبق بيانه(٧٠٨).

التفسير:

قال إبراهيم عليه السلام للضيف بعدما بشروه بغلام عليم: أبشرتموني بالولد وأنا على هذه الحال من الكبر والهرم، فبأي شيء تبشرون، قالها عليه السلام على وجه التعجب(٧٠٩).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

حجة من خفف وفتح النون أنه لم يُعَدِّ الفعل إلى مفعول ولم يرد

---

(٧٠٦) لمزيد بيان أقول: قد يخبرك شخص خبراً مفرحاً من وجه نظر المُخبر، وهذا الخبر أيضاً مفرح في العادة، فيصح إطلاق لفظ البشرى عليه، فنقول بشّرك بكذا، ولكن تحقق السرور ليس شرطاً إذ قد تكون هذه البشارة من وجهة نظرك هي غير ذلك. لذلك كانت قراءة التخفيف مؤكدة لحصول البِشْر والسرور.

(٧٠٧) انظر: النشر ج٢ص٣٠٢، البدور الزاهرة ص١٧٦.

(٧٠٨) انظر ص٢١٠ من هذا البحث.

(٧٠٩) انظر: تفسير الطبري ج١٤ص٤٠، تفسير البيضاوي ج١ص٥٣٢، تفسير القرطبي ج١٠ص٣٥، تفسير ابن كثير ج٢ص٨١٨، صفوة التفاسير ج٢ص١١٢.

الإضافة إلى النفس، فأتى بنون الإعراب الدالة على الرفع مفتوحة على الأصل. ومن شدد النون وكسرها عدّى الفعل وأضافه إلى النفس، فصار (تبشرونني) بنونين: الأولى علامة الرفع والثانية دخلت لتمنع الفعل من أن ينكسر، وهي مع الياء في موضع نصب مفعول به، فأسكن الأولى وأدغمها في الثانية تخفيفاً، وحذف الياء اجتزاءً بالكسرة لأنها نابت عن الياء. ومن خفف النون وكسرها، فعلى حذف إحدى النونين تخفيفاً من غير إدغام، واجتزأ بالكسرة من الياء(٧١٠).

وإضافة البشارة إلى نفسه على القراءة بكسر النون ـ خفيفة أو ثقيلة ـ فيها بيان تعجبه من هذه البشارة وحاله أنه بلغه الكبر. والتشديد فيه مزيد تأكيد لتعجبه لما فيه من الثقل وما يستوجبه من مدّ في الحرف السابق للمشدد. أمّا القراءة بغير إضافة إلى النفس، ففيها بيان أنّ التعجب من هذه البشارة ليس قاصراً على إبراهيم عليه السلام فإن كان حاله أنه بلغه الكبر فكذلك زوجه عجوز عقيم، «فمعلوم أن هذه المفاوضة من الملائكة لم تكن مع إبراهيمَ عليه الصلاة والسلام خاصة، بل مع سارَةَ أيضاً كما جاء في سورة هود»(٧١١)، كما أنّ الفتح وما به من خفة يوحي بقلة مبالاة إبراهيم عليه السلام وزوجه سارة بهذه البشارة لمضي العمر واستيلاء الكبر. قال الثعالبي: «وقول إبراهيم عليه السلام: ﴿فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾: تقرير على جهة التعجُّب والاستبعاد، لكبرهما، أو على جهةَ الاحتقار وقلَّة المبالاة بالمَسَرَّات الدنيويَّة، لمضيِّ العمر، واستيلاء الكِبَر»(٧١٢). والله تعالى أعلم.

١١ ـ ﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ۝٥٦﴾ [الحجر: ٥٦].

(٧١٠) انظر: الحجة في القراءات السبع ص٢٠٦، ٢٠٧، حجة القراءات ص٣٨٢، ٣٨٣، الكشف ج٢ص٣٠، ٣١. مفاتيح الأغاني ص٢٣٥، الملخص في إعراب القرآن ص١٢٢، تفسير الفخر الرازي ج١٩ص٢٠١.

(٧١١) روح المعاني ج٢٧ ص١٣ ـ عند تفسير قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ۝٣٠﴾ [الذاريات: ٣٠] ـ بتصرف يسير.

(٧١٢) الجواهر الحسان ج٢ص٢١٤.

القراءات:

١ ـ قرأ أبو عمرو، والكسائي، ويعقوب، وخلف ﴿يَقْنِطُ﴾ بكسر النون.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿يَقْنَطُ﴾ بفتح النون[٧١٣].

المعنى اللغوي للقراءات:

«(قنط): القُنوط اليَأس من الخير، يُقال قَنَطَ يَقْنِطُ قُنوطاً، وَقَنِطَ يَقْنَطُ»[٧١٤].

التفسير:

كان استعجاب إبراهيم عليه السلام من البشارة باعتبار العادة دون القدرة، ولذلك قال عليه السلام: لا ييأس من رحمة الله تعالى إلاّ الضالون المخطئون طريق الصواب، فلا يعرفون سعة رحمة الله تعالى، وكمال علمه وقدرته[٧١٥].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءة بفتح النون وكسرها على لغتين من لغات العرب، يُقال قَنَطَ يَقْنِط، نحو: ضرَب يَضرِب، وقَنِطَ يَقْنَط، نحو: علِم يَعلَم[٧١٦]. ولا شكّ أنّ التعبير عن المعنى بأكثر من لفظ فيه مزيد تأكيد لهذا المعنى، والمتأمل لهاتين الكلمتين بالفتح والكسر، يجد أنّ الفتحة وما بها من ضعف، والكسرة وما توحي به من الانكسار تلقي بظلالها على معنى الكلمة، فترسم للسامع الحالة النفسية للقانط ـ وهي حالة الضعف والانكسار ـ، وتجعل

(٧١٣) انظر: النشر ج٢ص٣٠٢، البدور الزاهرة ص١٧٦.

(٧١٤) المفردات في غريب القرآن ص ٤١٣.

(٧١٥) انظر: تفسير الطبري ج١٤ص٤٠، تفسير البيضاوي ج١ص٥٣٢.

(٧١٦) انظر: الحجة في القراءات السبع ص٢٠٧، الكشف ج٢ص٣١. مفاتيح الأغاني ص٢٣٦، الملخص في إعراب القرآن ص١٢٢، تفسير الفخر الرازي ج١٩ص٢٠٢.

الألفاظ حية بمعانيها وحركاتها وسكناتها. والله تعالى أعلم.

١٢ ـ ﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾﴾ [الحجر: ٥٩].

القراءات:

١ ـ قرأ حمزة، والكسائي، ويعقوب، وخلف ﴿**لَمُنْجُوهُمْ**﴾ بإسكان النون وتخفيف الجيم.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿لَمُنَجُّوهُمْ﴾ بفتح النون وتشديد الجيم(٧١٧).

وقد تقدم الحديث عن هذه القراءة عند تفسير قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾﴾ [يوسف: ١١٠](٧١٨).

١٣ ـ ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَـٰبِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [الحجر: ٦٠].

القراءات:

١ ـ قرأ شعبة ﴿**قَدَرْنَا**﴾ بتخفيف الدال.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿قَدَّرْنَآ﴾ بتشديد الدال(٧١٩).

المعنى اللغوي للقراءات:

قال ابن فارس: «(قَدَرَ) القاف والدال والراء أصلٌ صحيح يدل على مبلغ الشيء وكنهه ونهايته، فالقَدْر: مبلغ كل شيء. يقال: قَدْرُه كذا، أي مبلغه. وكذلك القَدَر. وقَدَرت الشيءَ أَقْدِرُه وأَقْدُرُه من التقدير، وقدَّرته أُقَدِّره. والقَدْر: قضاء الله تعالى الأشياء على مبالغها ونهايتها التي أرادها لها، وهو القَدَرُ أيضاً»(٧٢٠).

(٧١٧) انظر: النشر ج٢ص٢٥٨، ٢٥٩، البدور الزاهرة ص١٧٦، مصحف الصحابة للقراءات العشر ص٢٦٥.

(٧١٨) انظر ص١٣٨ من هذا البحث.

(٧١٩) انظر: النشر ج٢ص٣٠٢، البدور الزاهرة ص١٧٦.

(٧٢٠) معجم مقاييس اللغة ج٥ص٦٢.

التفسير:

أخبرت الملائكةُ إبراهيمَ عليه السلام أنهم مرسلون لإهلاك قوم لوط عليه السلام ثم أخبروه أنّ الله تعالى سينجي آل لوط عليه السلام من العذاب الواقع على قومه إلاّ امرأته فقد قضى الله تعالى فيها أن تكون من الباقين مع الكفرة لتهلك معهم(٧٢١).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءة بتخفيف الدال وتشديدها على لغتين من لغات العرب، وفي التشديد معنى المبالغة(٧٢٢).

وقد أفادت القراءة بالتخفيف سرعة تحقق أمر الله تعالى(٧٢٣)، أمّا القراءة بالتشديد فإنّها أكدت تحقق حدوث أمر الله تعالى وبشكل بليغ. والله تعالى أعلم.

١٤ - ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُوا۟ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [الحجر: ٦٥].

القراءات:

١ - قرأ نافع، وابن كثير، وأبو جعفر ﴿فَاسْرِ﴾ بهمزة وصل فتسقط في الدَّرْج ويصير النطق بالسين الساكنة بعد الفاء.

٢ - قرأ الباقون ﴿فَأَسْرِ﴾ بهمزة قطع مفتوحة(٧٢٤).

تقدم الحديث عن هاتين القراءتين عند تفسير قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَٰلُوطُ

(٧٢١) انظر: تفسير الطبري ج١٤ص٤١، تفسير البيضاوي ج١ص٥٣٢، التفسير المنير ج١٤ص٥١.

(٧٢٢) انظر: معاني القراءات ص ٢٤٢، الكشف ج٢ص٣٢، الملخص في إعراب القرآن ص١٢٣.

(٧٢٣) انظر: ص٢٧ من البحث.

(٧٢٤) انظر: النشر ج٢ص٢٩٠، البدور الزاهرة ص١٧٧.

﴿إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾﴾ [هود: ٨١][٧٢٥].

١٥ ـ ﴿وَكَانُواْ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾﴾ [الحجر: ٨٢].

القراءات:

١ ـ قرأ ورش، وأبو عمرو، وحفص، وأبو جعفر، ويعقوب ﴿بُيُوتًا﴾ بضم الباء.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿بِيوتاً﴾ بكسر الباء[٧٢٦].

المعنى اللغوي للقراءات:

(بيت): أصل البيت مأوى الإنسان بالليل، ويقال للمسكن بيت من غير اعتبار الليل فيه، وجمعه بيوت وأبيات، لكن البيوت بالمسكن أخص والأبيات بالشِّعر، قال تعالى: ﴿وَٱجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ [يونس: ٨٧]، ﴿لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ﴾ [النور: ٢٧] ويقع ذلك على المُتَّخذ من حجر ومَدَر[٧٢٧] وصوف ووبر[٧٢٨].

التفسير:

يخبر الله تعالى عن أصحاب الحجر وهم ثمود قوم صالح عليه السلام أنهم كانوا ينحتون من الجبال بيوتاً آمنين أن تخرب بيوتهم لقوتها، وقيل آمنين من الموت[٧٢٩]. قال البيضاوي: «﴿ءَامِنِينَ﴾ من الانهدام وثقب اللصوص، وتخريب الأعداء لوثاقتها، أو من العذاب لفرط غفلتهم أو حسبانهم أن

(٧٢٥) انظر: ص٥٦ من هذا البحث.

(٧٢٦) انظر: النشر ج٢ص٢٢٦، مصحف الصحابة للقراءات العشر ص ٢٦٦.

(٧٢٧) المَدَر ـ محركة ـ : قطع الطين اليابس. (القاموس المحيط ص ٦٠٩).

(٧٢٨) انظر: المفردات في غريب القرآن ص ٦٤.

(٧٢٩) انظر: تفسير الطبري ج١٤ص٥٠.

الجبال تحميهم منه»[٧٣٠]. وقال ابن كثير: «﴿ءَامِنِينَ﴾ أي من غير خوف ولا احتياج إليها بل أشراً وبطراً وعبثاً»[٧٣١]. قلت: ولا مانع من اعتبار جميع ما ذكر. والله أعلم.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

الكسر والضم في هذه الكلمة على لغتين من لغات العرب، والضم على أصل ما وجب للجمع حيث إنّ باب (فَعْل) في الجمع الكثير (فُعُوْل). والكسر تخفيفاً، حيث إنّه لمّا كان ثاني الكلمة ياءً، كُسر أولها، وذلك لأن الكسرة مع الياء أخف من الضمة معها، ولئلا يجتمع في الكلمة حركتان ثقيلتان (ضمّتان)، وحرف ثقيل عليه حركة ثقيلة - وهي الياء المضمومة - في جمع والجمع ثقيل[٧٣٢]. والقراءة بالكسر وما فيه من تَناسب مع الياء بعدها يؤدي إلى انسجام إيقاعي وتوافق حركي، يعد ضرباً من الإعجاز الصوتي، وهو لون من ألوان الجمال، والقراءتان إنما هما غدو ورواح بين لونين من ألوان الجمال في روضة الوحي البهيجة، وجمعاً بين لغتين حفلت بهما لغة القرآن الكريم[٧٣٣].

والمتأمل لكلمة ﴿بيوتاً﴾ يجد أنّ الضم والكسر فيها يرسم الحالة النفسية للفرد في بيته، فهي بين الشعور بالقوة والمَنَعة (وهو ما يوحيه الضم بقوته)، وبين السكينة والاستسلام للراحة نتيجة الشعور بالأمان والاطمئنان، وهو ما يوحيه الكسر بما يحمل من معاني الخضوع والاستسلام. والله تعالى أعلم.

---

(٧٣٠) تفسير البيضاوي ج١ص ٥٣٤.

(٧٣١) تفسير ابن كثير ج٢ص٨٢٢، قلت: لعله رحمه الله فسر هذه الآية بقوله تعالى: ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَـٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾﴾ [الشعراء: ١٤٩].

(٧٣٢) انظر: الحجة في القراءات السبع ص ٩٣، ٩٤، الكشف ج١ص٢٨٤، ٢٨٥، البسط في القراءات العشر ج١ص١٦٥.

(٧٣٣) انظر: التوجيه اللغوي والبلاغي لقراءة الإمام عاصم ص٦٠.

المبحث الثاني
سورة النحـل

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: تعريف عام بسورة النحل.

المطلب الثاني: تفسير سورة النحل بالقراءات القرآنية العشر.

المطلب الأول: تعريف عام بسورة النحل:

اسمها:

تسمى سورة النحل، ووجه تسميتها بذلك أنّ لفظ النحل قد ورد ذكره فيها ولم يذكر في غيرها من السور، وتُسمّى أيضاً سورة النِعَم ـ بكسر النون وفتح العين ـ لما عدد الله تعالى فيها من النعم على عباده(٧٣٤).

نزولها:

سورة النحل مكية في قول الجمهور. وقيل: إلاّ ثلاث آيات نزلت بالمدينة منصرف النبي ﷺ من غزوة أحد وهي: قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ...﴾ [النحل: ١٢٦] إلى آخر السورة، قيل نزلت

(٧٣٤) انظر: تفسير ابن عطية ج٣ص٣٧٧، التكميل والإتمام ص٢٢٢، جمال القراء وكمال الإقراء ج١ ص٣٦، الإتقان ج١ص٧٢، تفسير القرطبي ج١٠ص٦٥، حاشية الشهاب ج٥ص٥٤٥، روح المعاني ج١٤ص٨٩.

في نسخ عزم النبي ﷺ على أن يمثل بسبعين من المشركين إن أظفره الله بهم جزاء تمثيلهم بحمزة وقتلى أحد ﷺ. وقيل: أولها مكي إلى قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا﴾ [النحل: ٤١] فهو مدني إلى آخر السورة. وقيل هي مكية إلا ثلاث آيات نزلت بالمدينة، وهي قوله: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [النحل: ٩٥] - إلى قوله - ﴿بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧][(٧٣٥)].

عدد آياتها:

عدد آياتها مائة وثمان وعشرون آية في عدّ الجميع[(٧٣٦)].

وجه اتصالها بما قبلها (سورة الحجر):

قال السيوطي: «وجه وضعها بعد سورة الحجر: أنّ آخرها شديد الالتئام بأول هذه، فإنّ في آخر تلك: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ [الحجر: ٩٩] الذي هو مفسر بالموت، ظاهر المناسبة لقوله هنا: ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ﴾ [النحل: ١]»[(٧٣٧)].

ما اشتملت عليه السورة:

تعالج سورة النحل موضوعات العقيدة الكبرى: الألوهية، والوحي، والبعث، والنشور، وإلى جانب ذلك تتحدث عن دلائل قدرة الله تعالى ووحدانيته، في ذلك العالم الفسيح، والتي يراها الإنسان في حياته، ويدركها بسمعه وبصره، وقد اشتملت على ما يلي: [(٧٣٨)]

---

(٧٣٥) انظر: الإتقان ج١ص١٢، روح المعاني ج١٤ص٨٩، ٩٠، التحرير والتنوير ج١٤ص٩٣.

(٧٣٦) انظر: فنون الأفنان ص٥٣، تفسير الطبرسي ج٦ص١٢٧، جمال القراء وكمال الإقراء ج١ ص٢٠٥، روح المعاني ج١٤ص٩٠.

(٧٣٧) تناسق الدرر ص٩٧.

(٧٣٨) انظر: في ظلال القرآن ج٥ص٢٢٤، التحرير والتنوير ج١٤ص٩٤، ٩٥، ٩٦، صفوة التفاسير ج٢ص١١٨، زهرة التفاسير ج٨ص٤١٢٠.

١ ـ إثبات البعث والجزاء وإنذار المشركين من عذاب الله ﷻ الذي يستهزئون به.

٢ ـ إظهار شناعة الشرك وفساده، وإيراد الأدلة على تفرد الله ﷻ بالألوهية، من تذكير بخلق السماوات والأرض، وما في السماء من شمس وقمر ونجوم، وما في الأرض من بشر وحيوان ونبات وبحار وجبال، وأعراض الليل والنهار، وأطوار الإنسان وأحواله، وأدمج في ذلك العبرة والامتنان على الناس بما في ذلك من المنافع الطيبة المنتظمة، والمحاسن، وحسن المناظر، ومعرفة الأوقات، وعلامات السير في البر والبحر.

٣ ـ بيان ما حلّ بالأمم التي أشركت بالله ﷻ وكذبت الرسل، وفي مقابل ذلك، بيان ما أعده الله ﷻ من نعيم للمتقين الصادقين، الذين صبروا على أذى المشركين.

٤ ـ موضوع الهجرة في سبيل الله ﷻ، وفتنة المسلمين في دينهم، والكفر بعد الإيمان وجزاء هذا كله عند الله تعالى.

٥ ـ بيان حقيقة الإرادة الإلهية والإرادة البشرية فيما يختص بالإيمان.

٦ ـ قضية التحليل والتحريم وأوهام المشركين حول هذه القضية.

٧ ـ موضوعات المعاملة: العدل والإحسان، والإنفاق، والوفاء بالعهد، وغيرها من موضوعات السلوك القائم على العقيدة.

٨ ـ إثبات رسالة محمد ﷺ وإنزال القرآن عليه، وأنّ شريعة الإسلام قائمة على أصول ملة إبراهيم عليه السلام.

المطلب الثاني: تفسير سورة النحل بالقراءات القرآنية العشر:

١ ـ ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ①﴾ [النحل: ١].

القراءات:

١ ـ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف ﴿عَمَّا تُشْرِكُون﴾ بتاء الخطاب.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ بياء الغيبة[٧٣٩].

المعنى اللغوي للقراءات:

«الشركة والمشاركة خلط الملكين، وقيل هو أن يوجد شيء لاثنين فصاعداً، يقال شركته وشاركته وتشاركوا واشتركوا وأشركته في كذا، قال ﴿وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾﴾ [طه: ٣٢]، وشرك الإنسان في الدين ضربان:

أحدهما: الشرك العظيم وهو إثبات شريك لله تعالى، يقال أشرك فلان بالله وذلك أعظم كفر، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء: ٤٨].

والثاني: الشرك الصغير وهو مراعاة غير الله معه في بعض الأمور وهو الرياء والنفاق المشار إليه بقوله تعالى: ﴿شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٠]»[٧٤٠].

التفسير:

يقول تعالى: قَرُب قيام الساعة، ودنا واقترب ما وعدتم به من العذاب أيها الكفرة، وعبَّر عن ذلك بأمر الله تعالى تفخيماً وتهويلاً، وإيذاناً بأن إتيان الساعة منوط بحكم الله ﷻ وقضائه، ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُۚ﴾ أيها المشركون، تنزه الله ﷻ وتقدس عن إشراككم به غيره من الأنداد والأوثان[٧٤١].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءة بتاء الخطاب جرياً على الخطاب قبله في قوله تعالى ﴿تَسْتَعْجِلُوهُۚ﴾[٧٤٢]، وفيه مزيد تبكيت وتقريع للمشركين على فعلهم بتوجيه الكلام مباشرة إليهم[٧٤٣] حيث إنّ «أسلوب الخطاب أخص من أسلوب

---

(٧٣٩) انظر: النشر ج٢ص٢٨٢، البدور الزاهرة ص١٧٨.
(٧٤٠) المفردات في غريب القرآن ص ٢٥٩، ٢٦٠ ـ باختصار.
(٧٤١) المقتطف من عيون التفاسير ج٣ص١٠٣.
(٧٤٢) انظر: الدر المصون ج٤ص٣١١.
(٧٤٣) انظر: القراءات القرآنية من الوجهة البلاغية ص٢٩.

الغيبة»[٧٤٤]، قال الطبري: «إنّما هو وعيد من الله للمشركين، ابتدأ الآية بتهديدهم، وختم آخرها بنكير فعلهم، واستعظام كفرهم على وجه الخطاب لهم»[٧٤٥].

والقراءة بالياء إخبار عن أهل الكفر[٧٤٦]، وذلك على الالتفات[٧٤٧] حيث عدل عن الخطاب للكفرة إلى الغيبة تحقيراً لهم لفظاعة فعلهم، وكأنّهم لقلة شأنهم غير حريين بالخطاب[٧٤٨]، كما أنّ حكاية حالهم لغيرهم لينكروا عليهم فعلهم، فيه استعظام لقبح فعلهم، فالإنسان يحب نفسه، ولا ينكر عليها ولا يستعظم منها العظائم بل من غيره[٧٤٩].

٢ ـ ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾﴾ [النحل: ٢].

القراءات:

١ ـ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ورويس **﴿يُنْزِلُ﴾** بإسكان النون وتخفيف الزاي، **﴿المَلائِكَةَ﴾** بالنصب.

٢ ـ قرأ روح **﴿تَنَزَّلُ﴾** بتاء ونون مفتوحة وزاي مفتوحة مشددة، ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ بالرفع.

٣ ـ قرأ الباقون **﴿يُنَزِّلُ﴾** بياء مضمومة ونون مفتوحة وزاي مكسورة مشددة، **﴿المَلائِكَةَ﴾** بالنصب[٧٥٠].

وقد تقدم الحديث عن هذه القراءات عند تفسير قوله تعالى: ﴿مَا نُنَزِّلُ

(٧٤٤) الإكسير في علم التفسير ص ١٧٧.
(٧٤٥) تفسير الطبري ج١٤ص٧٦.
(٧٤٦) انظر: تفسير الطبري ج١٤ص٧٦، الدر المصون ج٤ص٣١١.
(٧٤٧) انظر: حاشية الشهاب ج٥ص٥٤٦.
(٧٤٨) انظر: القراءات القرآنية من الوجهة البلاغية ص٢٨، ٢٩.
(٧٤٩) انظر: الإكسير في علم التفسير ص ١٧٩.
(٧٥٠) انظر: النشر ج٢ص٣٠٢، البدور الزاهرة ص١٧٨.

ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓا۟ إِذًا مُّنظَرِينَ ﴿٨﴾ [الحجر: ٨][٧٥١].

٣ ـ ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾﴾ [النحل: ٧].

القراءات:

١ ـ قرأ أبو جعفر ﴿بِشَقِّ الأَنْفُسِ﴾ بفتح الشين.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ﴾ بكسر الشين[٧٥٢].

٣ ـ قرأ نافع، وابن كثير، وابن عامر، وحفص، وأبو جعفر ﴿لَرَءُوفٌ﴾.

٤ ـ قرأ الباقون ﴿لَرَؤُف﴾[٧٥٣].

المعنى اللغوي للقراءات:

١ ـ ﴿بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ﴾

الشِّق: الجهد والعناء والانكسار الذي يلحق النفس والبدن[٧٥٤]، والشَّق: لغة فيها، تقول العرب: بشَق وبشِق، وبرَقّ وبرِقّ[٧٥٥].

قال ابن فارس: «(شقّ): الشين والقاف أصل واحد صحيح يدل على انصداع في الشيء، ثم يحمل عليه ويشتق منه على معنى الاستعارة، تقول شققت الشيء أشقه شَقّاً إذا صدعته، ويُقال لنصف الشيء (الشِّق)، ويقال أصاب فلاناً شِقٌّ ومَشَقَّة، وذلك الأمر الشديد كأنه من شِدَّته يَشُقُّ الإنسان شقّاً»[٧٥٦].

(٧٥١) انظر ص٢٠٠ من هذا البحث.

(٧٥٢) انظر: النشر ج٢ص٣٠٢، البدور الزاهرة ص١٧٨.

(٧٥٣) انظر: النشر ج٢ص٢٢٣.

(٧٥٤) انظر: المفردات في غريب القرآن ص٢٦٤، لسان العرب ج٤ص٢٣٠٢.

(٧٥٥) انظر: تفسير الطبري ج١٤ص٨١.

(٧٥٦) معجم مقاييس اللغة ج٣ص١٧٠، ١٧١ ـ باختصار.

وقال ابن منظور: «الشِّق والمشقة: الجهد.

٢ ـ ﴿لَرَءُوفٌ﴾، ﴿لَرَؤُف﴾:

«(رأف) الرأْفة الرحمة وقيل أَشد الرحمة، رَأَفَ به يَرْأَفُ ورئِفَ ورَؤُفَ رَأْفَةً ورَآفَةً، ومن صفات الله ﷻ الرؤوف وهو الرحيمُ لعباده العَطُوفُ عليهم بأَلطافه والرأْفةُ أَخصُّ من الرحمةِ وأَرَقُّ، وفيه لغتان قرئ بهما معاً رَءوفٌ على فَعُولٍ ورؤُفٌ على فَعُلٍ»(٧٥٧).

التفسير:

في الآيات السابقة لهذه الآية يعدد الله ﷻ النعم التي أنعمها على عباده ويورد من هذه النِعم خلق الأنعام لمصالح البشر، ويبين الله ﷻ في هذه الآية أنّ من تلك المصالح أنّ الأنعام تحمل أحمال البشر الثقيلة التي يعجزون عن حملها إلى بلدٍ بعيد لم يكونوا ليصلوا إليه إلاّ بالمشقة العظيمة والجهد الكبير، وذلك إنما هو رأفة ورحمة من الله تعالى بالناس(٧٥٨).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

١ ـ **﴿بِشَقِّ الأَنفس﴾** بفتح الشين وكسرها لغتان بمعنى المشقة، مثل رِقّ، ورَقّ، ويجوز أن تكون القراءة بفتح الشين بمعنى المصدر، من شَققت عليه أَشُقُّ شَقّاً. والقراءة بكسر الشين بمعنى: النصف، أي: لم تكونوا بالغيه إلاّ بنقص من القوة وذهاب شِق منها، يعني: إلاّ بنصف أنفسكم، كأن النفس تذوب نصباً وتعباً لما ينالها من المشقة، كما تقول لم تنله إلا بقطعة من كبدك على المجاز(٧٥٩).

قال ابن منظور: «وأكثر القراء على كسر الشين، معناه إلا بجهد

---

(٧٥٧) لسان العرب ج٣ص١٥٣٥ ـ باختصار، وانظر: المحيط في اللغة ج١٠ص٤٧١، المفردات في غريب القرآن ص٢٠٨، القاموس المحيط ص١٠٤٩.

(٧٥٨) انظر: تفسير الطبري ج١٤ص٨٠، ٨١، صفوة التفاسير ج٢ص١٢٠.

(٧٥٩) انظر: حاشية زاده ج٥ص٢٤٩، تفسير القرطبي ج١٠ص٧٢، الدر المصون ج٤ص٣١٤، روح المعاني ج١٤ص١٠٠.

الأنفس، وكأنه اسم وكأنّ الشّق فعل»(٧٦٠).

والمتأمل لكلتا القراءتين يجد أنّ القراءتين ترسمان صورة حية للمشقة الحاصلة، وكأن المرء شيءٌ يُشق ويُصدع، فالقراءة بفتح الشين على معنى المصدر ترسم صورة حدوث الفعل أي: الشَق، أمّا القراءة بالكسر فترسم صورة الشيء وقد حدث فيه الشِّق أي: الصدع، أو صورته وقد شُق قسمين وذهب أحد النصفين. ويمكن القول إنّ القراءة بالفتح أفادت حدوث المشقة الشديدة والقراءة بالكسر أفادت ما ينتج عن هذه المشقة من ذهاب للقوة وحدوث للضعف. والله تعالى أعلم.

٢ ـ ﴿لَرَءُوفٌ﴾، ﴿لَرَؤُف﴾، لغتان بمعنىً واحد وهو أشدّ الرحمة، والأولى بزيادة مبناها بحرف المد توحي باتساع هذه الرحمة وشمولها، والثانية وهي أقل مبنًى في الحروف توحي بسرعة تنزل هذه الرحمة على جميع الخلق. والله تعالى أعلى وأعلم.

٤ ـ ﴿يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ⑪﴾ [النحل: ١١].

القراءات:

١ ـ قرأ شعبة ﴿نُنبِتُ﴾ بنون العظمة.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿يُنۢبِتُ﴾ بياء الغيبة(٧٦١).

المعنى اللغوي للقراءات:

﴿يُنۢبِتُ﴾: يُخرج النبات من الأرض، يقال أنبت الله النبات من الأرض إنباتاً، ويقال أنبت البقل (لازماً) أي نبت(٧٦٢). قال الراغب: «(نبت): النبت والنبات ما يخرج من الأرض من الناميات سواء كان له ساق

(٧٦٠) لسان العرب ج٣ص٢٣٠٢.

(٧٦١) انظر: النشر ج٢ص٣٠٢، البدور الزاهرة ص١٧٨.

(٧٦٢) انظر: لسان العرب ج٦ص٤٣١٧، ٤٣١٨.

كالشجر أو لم يكن له ساق كالنجم، لكن اختص في التعارف بما لا ساق له بل قد اختص عند العامة بما يأكله الحيوان، وعلى هذا قوله: ﴿لِنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ۝١٥﴾ [النبأ: ١٥]، ومتى اعتبرت الحقائق فإنه يستعمل في كل نام نباتاً كان أو حيواناً أو إنساناً، والإنبات يستعمل في كل ذلك، قال تعالى: ﴿يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ﴾ [النحل: ١١]»[٧٦٣].

التفسير:

ذكر الله تبارك وتعالى في الآيات السابقة نعمته على خلقه في إنزال الماء من السماء، ويبين في هذه الآية نعمته عليهم في إخراج النبات من الأرض بصنوف مختلفة بهذا الماء، حيث أنبت لهم الزرع، والزيتون والنخيل والأعناب، ومن كل الثمرات غير ذلك أرزاقاً لهم وأقواتاً وفاكهة، تفضلاً منه وحجة على من كفر منهم. وذلك إنّما هو دلالة واضحة وحجة دامغة، وعلامة بينة لقوم يعتبرون مواعظ الله، ويتفكّرون في حججه، فيتذكرون وينيبون[٧٦٤].

قال أبو حيان: «وبدأ بالزرع لأنه قوت أكثر العالم، ثم بالزيتون لما فيه من فائدة الاستصباح بدهنه، وهي ضرورية مع منفعة أكله، ثم بالنخل لأنّ ثمرته من أطيب الفواكه وقوت في بعض البلاد، ثم بالأعناب لأنها فاكهة محضة ثم قال: ﴿وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾، أتى بلفظ ﴿مِن﴾ التي للتبعيض، لأنّ كل الثمرات لا تكون إلا في الجنة، وختم ذلك تعالى بقوله: ﴿لَأَيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾، لأنّ النظر في ذلك يحتاج إلى فضل تأمل واستعمال فكر»[٧٦٥].

(٧٦٣) المفردات في غريب القرآن ص٤٨٠، وانظر: القاموس المحيط ص ٢٠٦.

(٧٦٤) انظر: تفسير الطبري ج١٤ص٨٧، تفسير ابن كثير ج٣ص٨، صفوة التفاسير ج٢ص١٢٠.

(٧٦٥) البحر المحيط ج٥ص٤٦٤.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءة بالياء إجراءً للكلام على لفظ الغيبة، على نسق ما قبله وهو قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗۖ لَّكُم مِّنۡهُ شَرَابٞ وَمِنۡهُ شَجَرٞ فِيهِ تُسِيمُونَ ۝١٠﴾ [النحل: ١٠]، والقراءة بنون العظمة على الالتفات من الغيبة إلى التكلم[٧٦٦]. «والقيمة الفنية في أسلوب الالتفات هنا تكمن في تفخيم المعنى، واستحضار المقام الأسنى لأسماء الله الحسنى»[٧٦٧]. وعليه فإنّ فائدة تنوع القراءة في هذه الآية فائدة بلاغية، فإجراء الكلام على نسق ما قبله على الأصل وهو حسن، والتنوع في أسلوب الخطاب يجذب انتباه السامع ليعقل ما يُلقى إليه من البيان، إضافة إلى ما تحمله القراءة بالنون من معاني التعظيم لله ﷻ. والله تعالى أعلى وأعلم.

٥ - ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ۝١٢﴾ [النحل: ١٢].

القراءات:

١ - قرأ ابن عامر **﴿والشمسُ والقمرُ والنجومُ مسخراتٌ﴾** برفع الأسماء الأربعة.

٢ - قرأ حفص ﴿وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ﴾ بالنصب فيهما، ﴿وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ﴾ بالرفع فيهما.

٣ - قرأ الباقون ﴿وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍ﴾ بنصب الأربعة ولا يخفى أنّ نصب ﴿مُسَخَّرَاتٍ﴾ يكون بالكسرة لكونه جمعاً بألف وتاء[٧٦٨].

---

(٧٦٦) انظر: الكشف ج٢ص٣٤، الملخص في إعراب القرآن ص١٣١، المغني في توجيه القراءات العشر ج٢ص٣١٧، ٣١٨.

(٧٦٧) التوجيه اللغوي والبلاغي لقراءة عاصم ص ٢٧٢.

(٧٦٨) انظر: النشر ج٢ص٣٠٢، ٣٠٣، البدور الزاهرة ص١٧٨.

المعنى اللغوي للقراءات:

١ ـ **﴿والشمس﴾**: (الشمس) يقال لقرص الشمس، وللضوء المنتشر عنها، والجمع شُموس، وشَمَسَ يومنا وأشمس صار ذا شمس، وشَمس فلان شِماساً إذا ندَّ ولم يستقر، تشبيهاً له بالشمس في عدم استقرارها[٧٦٩].

٢ ـ **﴿والقمر﴾**: (القمر) قمر السماء، يكون في الليلة الثالثة، وسُمِي بذلك لأنه يَقْمُرُ[٧٧٠] ضوء الكواكب ويفوز به، والقمراء: ضوء القمر، والأقمر: الأبيض[٧٧١].

٣ ـ **﴿والنجوم﴾**: النجوم جمع نجم، وأصل النجم: الكوكب الطالع، ونَجم نُجوماً ونَجْماً: طلع، فصار النجم مرة اسماً ومرة مصدراً، ومنه شُبه به طلوع النبات والرأي، فقيل نجم النبت، ونَجم لي رأي نَجْماً ونُجوماً، والنجم: ما لا ساق له من النبات، ونَجَّمت المال: وزَّعته. ويجمع النجم على أَنْجُم ونُجُوم وأَنْجام ونُجُم[٧٧٢].

٤ ـ **﴿مسخرات﴾**: مسخرات: أي مذلَّلات، يقال: سَخَره سِخْرِياً، بالكسر وبالضم: كلّفه ما لا يريد، وقهره، وسَخَّره تَسْخيراً: ذلَّله، وكلفه عملاً بلا أجرة، والتسخير سياقة إلى الغرض المختص قهراً، والمُسَخَّر هو المقيض للفعل، والسُّخرِيُّ هو الذي يُقهر فيَتَسَخَّر بإرادته[٧٧٣].

التفسير:

يقول تعالى: ومن نِعَمه عليكم أيها الناس أن سخر لكم الليل والنهار يتعاقبان وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ٱلنُّجُومَ نوراً وضياءً، ولتهتدوا بها في ظلمات البرّ

---

(٧٦٩) انظر: المفردات في غريب القرآن ص ٢٦٧.

(٧٧٠) يقمر: يراهن فيغلب، يقال قامره مقامرة وقماراً فقمره أي: راهنه فغلبه. (انظر: القاموس المحيط ص٥٩٨).

(٧٧١) انظر: المفردات في غريب القرآن ص٤١٢، القاموس المحيط ص٥٩٨.

(٧٧٢) انظر: المفردات في غريب القرآن ص ٤٨٣، القاموس المحيط ص١٤٩٩.

(٧٧٣) انظر: المفردات في غريب القرآن ص ٢٢٧، القاموس المحيط ص٥١٩.

والبحر، إنّ في تسخير الله ذلك لدلالات واضحات لقوم يعقلون حجج الله[٧٧٤].

قال الشوكاني: «﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ معنى تسخيرهما للناس: تصييرهما نافعين لهم بحسب ما تقتضيه مصالحهم وتستدعيه حاجاتهم، يتعاقبان دائماً، كالعبد الطائع لسيده لا يخالف ما يأمره به ولا يخرج عن إرادته ولا يهمل السعي في نفعه. وكذا الكلام في تسخير الشمس والقمر والنجوم، فإنها تجري على نمط متحد يستدل بها العباد على مقادير الأوقات، ويهتدون بها ويعرفون أجزاء الزمان»[٧٧٥].

وقال الشنقيطي: «ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة أنه سخر لخلقه خمسة أشياء عظام، فيها من عظيم نعمته ما لا يعلمه إلا هو، وفيها الدلالات الواضحات لأهل العقول على أنه الواحد المستحق لأن يعبد وحده»[٧٧٦].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قراءة حفص بنصب ﴿وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ﴾ على أنهما معطوفان على ﴿ٱلَّيۡلَ﴾ لأنه في محل نصب مفعول لـ ﴿وَسَخَّرَ﴾، ورفع ﴿وَٱلنُّجُومُ﴾ على الابتداء و﴿مُسَخَّرَٰتٌ﴾ على الخبر[٧٧٧].

قال أبو السعود: «وحيث لم يكن عَودُ منافعِ النجوم إليهم في الظهور بمثابة ما قبلها من المَلَوَين[٧٧٨] والقمَرَين لم يُنسَبْ تسخيرُها إليهم بأداة

(٧٧٤) انظر: تفسير الطبري ج١٤ص٨٧، تفسير ابن كثير ج٣ص٨.

(٧٧٥) فتح القدير ج٣ص١٥٢.

(٧٧٦) أضواء البيان ج ٣ص٢٠٥.

(٧٧٧) انظر: الكشف ج٢ص٣٥، تفسير القرطبي ج١٠ص٨٣، ٨٤، المغني في توجيه القراءات العشر ج٢ص٣١٩.

(٧٧٨) المَلَوان: الليلُ والنهار وهو كالصفة لهما لكثرة تكررهما واتساع مدَّتِهما، والمَلا: ما اتَّسَع من الأرض، وقيل هي: الفَلاة وألفه منقلبة عن واو من المُلاوَة وهو: الوقتُ من الدَّهرِ وفي التنزيل: ﴿وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ إِنَّ كَيۡدِي مَتِينٌ ۝٤٥﴾ [الأعراف: ١٨٣]، أي أُوَسِّع لهم وأُمهِلُهم. (انظر: القاموس المحيط ص١٧٢١).

الاختصاص بل ذُكر على وجه يفيد كونَها تحت ملكوتِه تعالى من غير دِلالةٍ على شيء آخرَ ولذلك عُدِل عن الجملة الفعليةِ الدالة على الحدوث إلى الاسمية المفيدة للدوام والاستمرار، وإنما ذلك أدلةُ التوحيد من حيث إن مَنْ هذا شأنُه لا يتوهم أن يشاركه شيءٌ في شيءٍ فضلاً عن أن يشاركه الجمادُ في الألوهية»[٧٧٩]، قلت: لمّا كان أكثر ضلال الناس بالنجوم وأنّ لها تصرفاً في شئون الخلق فقد أكدت قراءة الرفع في ﴿**والنُّجومُ مُسَخَّراتٌ**﴾ مع نصب السابق، على كون النجوم مسخرة بأمر الله وتحت إمرته وقدرته، وأنها ليست أهلاً لأن تُعبد.

وقراءة ابن عامر برفع الأسماء الأربعة على أنّ ﴿**والشمس**﴾ مبتدأ، ﴿**والقمر والنجوم**﴾ معطوفان على ﴿**والشمس**﴾، و﴿**مسخرات**﴾ خبر[٧٨٠]. ويتأتى على هذه القراءة عدم نسبة تسخير الشمس والقمر والنجوم للناس بأداة الاختصاص، بل ذكرها على وجه يفيد كونها تحت ملكوته تعالى. «واعتبار عدم كون ظهور المنافع بمثابة السابق بالنظر إلى المجموع. ومن الناس من قال في ذلك: إن المراد بتسخير الليل والنهار لهم نفعهم بهما من حيث إنهما وقتا سعي في المصالح واستراحة، ومن حيث ظهور ما يترتب عليه منافعهم مما نيط به صلاح المكونات التي من جملتها ما فَصَّل وأجمل، مثلاً كالشمس والقمر فيهما، ويؤل ذلك بالآخرة إلى النفع بذلك، وهو معنى تسخيره لهم، فيكون تسخير الليل والنهار لهم متضمناً لتسخير ذلك لهم، فحيث أفاده الكلام أولاً، استغنى عن التصريح به ثانياً وصرح بما هو أعظم شأناً منه، وهو أن تلك الأمور لم تزل ولا تزال مقهورة تحت قدرته منقادة لإرادته ومشيئته سواء كنتم أو لم تكونوا فليتدبر»[٧٨١]. قلت: وقد أفادت هذه القراءة أنّ الله ﷻ قد خلق هذه الأشياء العظام وهي:

---

(٧٧٩) تفسير أبي السعود ج٣ص٢٥١، وانظر: روح المعاني ج١٤ص١٠٩.

(٧٨٠) انظر: الكشف ج٢ص٣٥، الملخص في إعراب ص ١٣١، تفسير القرطبي ج١٠ص٨٣، ٨٤، المغني في توجيه القراءات العشر ج٢ص٣١٩.

(٧٨١) روح المعاني ج١٤ص١٠٩.

الشمس، والقمر، والنجوم مذللة منقادة لأمره، لئلا يظن ظان أنها لعظمتها لها تصرف في أمور الخلق أو أنها تضر وتنفع أو أنها أهل لأن تُعبد.

وقراءة الباقين بنصب الأسماء الأربعة على أنّ ﴿وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ﴾ معطوفة على ﴿ٱلَّيۡلَ﴾، و﴿مُسَخَّرَٰتُۢ﴾ حال مؤكدة كقوله ﴿وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا﴾ [البقرة: ٩١][٧٨٢]. والمعنى: ونفعكم بها في حال كونها مسخرات لما خلقن له بأمره وقدرته[٧٨٣].

قال ابن عاشور: «وهذا انتقال للاستدلال بإتقان الخلق على وحدانية الخالق وعلمه، وإدماج بين الاستدلال والامتنان. وقرأ الجمهور جميع هذه الأسماء منصوبة على المفعولية لِفعل سخر. وقرأ ابن عامر ﴿**والشمسُ والقمرُ والنجومُ**﴾ بالرفع على الابتداء ورفع ﴿مُسَخَّرَٰتُۢ﴾ على أنه خبر عنها. فنكتة اختلاف الإعراب الإشارة إلى الفرق بين التسخيرين. وقرأ حفص برفع ﴿ٱلنُّجُومِ﴾ و﴿**مسخراتٌ**﴾. ونكتة اختلاف الأسلوب الفرق بين التسخيرين من حيث إن الأول واضح والآخر خفيّ لقلّة من يرقب حركات النجوم»[٧٨٤].

وبالجمع بين القراءات في الآية يُفهم أنّ الله تعالى قد سخر للناس هذه الأشياء وجعلها موافقة لمصالحهم حال كونها مسخرة تحت قدرة الله ﷻ وأمره وإذنه، كما أنّ تلك الأشياء لم تزل ولا تزال مقهورة تحت قدرة الله تعالى منقادة لإرادته ومشيئته سواء أكان الخلق أم لم يكونوا، وفي ذلك امتنان على الخلق واستدلال على وحدانية الله تعالى وأنه الواحد الأحد المستحق للعبادة. والله تعالى أعلى وأعلم.

فائدة:

«إن قيل إنّ التسخير عبارة عن القهر والقسر، ولا يليق ذلك إلا بمن

---

(٧٨٢) انظر: حجة القراءات ص٣٨٦، الكشف ج٢ص٣٥، تفسير القرطبي ج١٠ص٨٣، ٨٤، المغني في توجيه القراءات العشر ج٢ص٣١٩.

(٧٨٣) انظر: الكشاف ج ٢ص٤٠٣، تفسير الفخر الرازي ج٢٠ص٤.

(٧٨٤) التحرير والتنوير ج١٤ص١١٦.

هو قادر يجوز أن يُقهر، فكيف يصح ذلك في الليل والنهار وفي الجمادات والشمس والقمر؟

والجواب: أنه تعالى لما دبر هذه الأشياء على طريقة واحدة مطابقة لمصالح العباد صارت شبيهة بالعبد المنقاد المطواع، فلهذا المعنى أطلق على هذا النوع من التدبير لفظ التسخير»(٧٨٥).

٦ ـ ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝﴾ [النحل: ١٧].

القراءات:

١ ـ قرأ حفص وحمزة والكسائي وخلف ﴿تَذَكَّرُونَ﴾.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿تَذَّكَّرُونَ﴾(٧٨٦).

وقد تقدم الحديث عن هاتين القراءتين عند تفسير قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝﴾ [هود: ٢٤](٧٨٧).

٧ ـ ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ۝﴾ [النحل: ٢٠].

القراءات:

١ ـ قرأ عاصم ويعقوب ﴿يَدْعُونَ﴾ بالياء.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿تَدْعُونَ﴾ بالتاء(٧٨٨).

المعنى اللغوي للقراءات:

(دعا) الدُّعاءُ: العبادة، قال الله ﷻ ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا﴾ [الصافات: ١٢٥] أي

---

(٧٨٥) تفسير الفخر الرازي ج٢٠ص٤ ـ باختصار وتصرف يسير.

(٧٨٦) انظر: النشر ج٢ص٢١٦.

(٧٨٧) انظر ص٢٥ من هذا البحث.

(٧٨٨) انظر: النشر ج٢ص٣٠٣، البدور الزاهرة ص١٧٨.

أَتَعْبُدون رَبّاً سِوَى الله، وقال: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۘ﴾ [القصص: ٨٨] أَي: لا تَعْبُد. وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «الدُّعاءُ هو العِبادَة ثم قرأ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى...﴾ [غافر: ٦٠]»[789][790].

قال الراغب: «(دعا): الدعاء كالنداء إلا أن النداء قد يقال بيا أو أيا ونحو ذلك من غير أن يضم إليه الاسم، والدعاء لا يكاد يقال إلا إذا كان معه الاسم نحو يا فلان، وقد يستعمل كل واحد منهما موضع الآخر قال تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءًۚ﴾ [البقرة: ١٧١]، ويستعمل استعمال التسمية نحو: دعوت ابني زيدا أي: سميته، قال تعالى: ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًاۚ﴾ [النور: ٦٣] حثاً على تعظيمه، وذلك مخاطبةُ من كان يقول يا محمد ﷺ. ودعوته إذا سألته وإذا استغثته، قال تعالى: ﴿قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ [البقرة: ٦٨] أي سَلْهُ، وقال: ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الأنعام: ٤٠] تنبيهاً أنكم إذا أصابتكم شدة لم تفزعوا إلا إليه، وقوله ﴿لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾﴾ [الفرقان: ١٤] هو أن يقول: يا لهفاه ويا حسرتاه ونحو ذلك من ألفاظ التأسف، والمعنى: يحصل لكم غموم كثيرة، والدعاء إلى الشيء الحثّ على قصده، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِۖ﴾ [يوسف: ٣٣]، وقوله ﴿لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ﴾ [غافر: ٤٣] أي رِفعةٌ وتَنْوِيهٌ»[791].

التفسير:

هذه الآية شروع في تحقيق وتوضيح كونِ الأصنام بمعزلٍ من استحقاق العبادةِ، بحيث لا يبقى فيه شائبةُ ريب، وذلك بتعداد أوصافِها وأحوالِها

(٧٨٩) أخرجه الترمذي: كتاب التفسير، باب ومن سورة البقرة ح(٢٩٨٠) ج٤ص٤٥٢، ٤٥٣، وقال هذا حديث حسن صحيح.

(٧٩٠) انظر: لسان العرب ج٢ص١٣٨٥.

(٧٩١) المفردات في غريب القرآن ص١٦٩، ١٧٠ ـ باختصار وتصرف يسير.

المنافية لذلك منافاةً ظاهرةً، وتلك الأحوالُ وإن كانت غنيةً عن التوضيح والبيان إلاّ أنها شُرحت للتنبيه على كمال حماقةِ من يعبد هذه الأصنام، وأنهم لا يعرفون ذلك إلا بالتصريح، فهذه الأصنام التي يعبدونها ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ ﷻ لا تستطيع أن تخلق شيئاً من الأشياء أصلاً بل شأنُها ومقتضى ذاتِها أنها مخلوقة صنعها البشر بأيديهم. فكيف يكون إلهاً ما كان مَخلوقاً، لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً[(٧٩٢)].

قال الألوسي: «والمراد بالخلق منفياً ومثبتاً المعنى المتبادر منه[(٧٩٣)]. وَجُوِّز أن يراد من الثاني النحت والتصوير بناءً على أنّ المراد من الذين يدعونهم الأصنام»[(٧٩٤)].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

على اعتبار أنّ قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ﴿١٩﴾﴾ [النحل: ١٩] موجه إلى الكفار، فإنّ القراءة بتاء الخطاب تكون جرياً على الخطاب قبلها[(٧٩٥)]، وفيها مزيد تبكيت وتقريع للمشركين على فعلهم بتوجيه الكلام مباشرة إليهم[(٧٩٦)] حيث إنّ «أسلوب الخطاب أخص من أسلوب الغيبة»[(٧٩٧)].

والقراءة بالياء إخبار عن أهل الكفر[(٧٩٨)]، وذلك على الالتفات[(٧٩٩)]

(٧٩٢) انظر: تفسير الطبري ج١٤ص٩٣، تفسير ابن كثير ج٣ص١١، تفسير أبي السعود ج٣ص٢٥٥، ٢٥٦، المقتطف من عيون التفاسير ج٣ص١١٢، صفوة التفاسير ج٢ص١٢٢.

(٧٩٣) وهو: إبداع الشيء من غير مثال سابق. (انظر: المفردات في غريب القرآن ص١٥٧).

(٧٩٤) روح المعاني ج١٤ص١١٩، ١٢٠، وانظر: تفسير أبي السعود ج٣ص٢٥٦.

(٧٩٥) انظر: الدر المصون ج٤ص٣١١، فتح القدير ج٣ص١٥٦.

(٧٩٦) انظر: القراءات القرآنية من الوجهة البلاغية ص٢٩.

(٧٩٧) الإكسير في علم التفسير ص ١٧٧.

(٧٩٨) انظر: تفسير الطبري ج١٤ص٧٦، الدر المصون ج٤ص٣١١.

(٧٩٩) انظر: حاشية الشهاب ج٥ص٥٤٦.

حيث عدل عن الخطاب للكفرة إلى الغيبة تحقيراً لهم لفظاعة فعلهم، وكأنّهم لقلة شأنهم غير حريين بالخطاب[800]، كما أنّ حكاية حالهم لغيرهم لينكروا عليهم فعلهم، فيه استعظام لقبح فعلهم، فالإنسان يحب نفسه، ولا ينكر عليها ولا يستعظم منها العظائم بل من غيره[801].

وعلى اعتبار أنّ الخطاب في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ۝١٩﴾ موجه للمؤمنين، فإنّ القراءة بياء الغيبة خطاب للمؤمنين، أجراه على الإخبار عن الكفار وهم غُيَّب، والقراءة بالتاء على الخطاب للكفار، والمعنى: قل لهم يا محمد والذين تدعون من دون الله[802]، وفي القراءة بياء الغيبة زيادة تبيين لصرف الخطاب إلى المشركين في قراءة من قرأ بتاء الخطاب[803]. والله تعالى أعلم.

٨ - ﴿ثُمَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يُخۡزِيهِمۡ وَيَقُولُ أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمۡۚ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ إِنَّ ٱلۡخِزۡيَ ٱلۡيَوۡمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٢٧﴾ [النحل: ٢٧].

القراءات:

١ - قرأ نافع ﴿تُشَاقُّونِ﴾ بكسر النون.

٢ - قرأ الباقون ﴿تُشَٰٓقُّونَ﴾ بفتح النون[804].

المعنى اللغوي للقراءات:

«(شق): الشق الخرم الواقع في الشيء، يقال شققته بنصفين، والشقاق المخالفة وكونك في شق غير شق صاحبك أو من شق العصا بينك وبينه قال

---

(٨٠٠) انظر: القراءات القرآنية من الوجهة البلاغية ص٢٨، ٢٩.

(٨٠١) انظر: الإكسير في علم التفسير ص ١٧٩.

(٨٠٢) انظر: الكشف ج٢ص٣٦.

(٨٠٣) التحرير والتنوير ج١٤ص١٢٦.

(٨٠٤) انظر: الكافي ص١٢٤، مختصر في مذاهب القراء السبعة ص١٥٨، النشر ج٢ص٣٠٣، البدور الزاهرة ص١٧٨.

﴿فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾ [البقرة: ١٣٧] أي: مخالفة، ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ أي: صار في شق غير شق أوليائه»(٨٠٥).

التفسير:

وصف الله ﷻ في الآيات السابقة أمر الذين مكروا، وأنبأ عما فُعل بهم في الدنيا من تعجيل العذاب لهم، ويخبر الحق سبحانه في هذه الآية أنه سيفضح الذين مكروا يوم القيامة، ويظهر ما كانوا يسرونه من المكر، ويخزيهم على رءوس الخلائق، ويقول لهم مقرعاً وموبخاً: أين الذين كنتم تزعمون في الدنيا أنهم شركائي، وكنتم تحاربون وتعادون في سبيلهم، أين هم عن نصركم وخلاصكم هاهنا؟، ﴿هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ﴾ [الشعراء: ٩٣]. فإذا قامت عليهم الحجة، وحقت عليهم الكلمة، وأُسكتوا عن الاعتذار، ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ وهم الأنبياء والعلماء، المخبرون عن الحق في الدنيا والآخرة، وقيل هم الملائكة، وقيل المؤمنون، فيقولون حينئذ: إنّ الفضيحة والعذاب اليوم محيط بالكافرين(٨٠٦).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

حجة من خفف وفتح النون أنه لم يرد الإضافة إلى ياء المتكلم، فأتى بنون الإعراب الدالة على الرفع مفتوحة على الأصل(٨٠٧)، والمعنى: تشاقّون المؤمنين وتعادونهم(٨٠٨). وحجة من قرأ ﴿تُشَاقُّونِ﴾ بكسر النون أنه أراد (تشاقونَنِي) على الإضافة إلى ياء المتكلم، فحذفت إحدى النونين استثقالاً للجمع بينهما، ثم حذفت الياء اجتزاءً بالكسرة عنها، وياء المتكلم ضمير

---

(٨٠٥) المفردات في غريب القرآن ص٢٦٤ ـ باختصار.

(٨٠٦) انظر: زاد المسير ج٤ص٣٢٢، تفسير الطبري ج١٤ص٩٨، ٩٩، الكشاف ج٢ص٤٠٧، تفسير ابن كثير ج٣ص١٣، تفسير الثعالبي ج٢ص٢٢٥.

(٨٠٧) انظر: الحجة في القراءات السبع ص٢٠٦، ٢٠٧، حجة القراءات ص ٣٨٨، الكشف ج٢ص٣٠، ٣١، أضواء البيان ج٣ص٢٣٦.

(٨٠٨) انظر: الكشّاف ج٣ص٤٠٧، تفسير البيضاوي ج١ص٥٤٢، التحرير والتنوير ج١٤ص١٦٣.

يعود على الله ﷻ وهي في محل نصب مفعول به(٨٠٩)، والمعنى: تشاقون الله؛ وذلك لأنّ مشاقة المؤمنين كأنها مشاقة الله(٨١٠)، وفيها تعظيم لشأن المؤمنين وتهديد لكل من يشاقّهم. والله أعلم.

٩ ـ ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [النحل: ٢٨].

القراءات:

١ ـ قرأ حمزة وخلف ﴿يَتَوَفَّاهُمْ﴾ بالياء.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿تَتَوَفَّىٰهُمُ﴾ بالتاء(٨١١).

المعنى اللغوي للقراءات:

(وفى): الوافي الذي بلغ التمام، يقال: درهم واف، وكَيل واف، ووفى بعهده يفي وفاء. وتوفية الشيء: بذله وافياً، واستيفاؤه تناوله وافياً، قال تعالى: ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾ [آل عمران: ٢٥]، والوفاة: المَنيّة، وتُوفيَ فلان، وتوفاه الله، إذا قبض نَفْسَه. وتَوَفّي الميت، بمعنى: استيفاء مُدَّته التي كُتبت من عدد أيامه وشهوره وأعوامه في الدنيا. ويقال: تَوَفَّيْت المال منه، واستوفيته، إذا أخذته كله، وتَوفَّيْتَ عدد القوم، إذا عَدَدْتَهم كلَّهم(٨١٢). «قال الزجاج(٨١٣) في قوله تعالى ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ﴾: هو من توْفية العدد، وتأويله: أنَ يقبض أرواحكم أجمعين فلا

(٨٠٩) انظر: زاد المسير ج٤ص٣٢٢، الحجة في القراءات السبع ص٢٠٦، ٢٠٧، حجة القراءات ص ٣٨٨، الكشف ج٢ص٣٠، ٣١، أضواء البيان ج٣ص٢٣٦، ٢٣٧.

(٨١٠) انظر: الكشّاف ج٣ص٤٠٧، تفسير البيضاوي ج١ص٥٤٢.

(٨١١) انظر: النشر ج٢ص٣٠٣، البدور الزاهرة ص١٧٨.

(٨١٢) انظر: تهذيب اللغة ج١٥ص٥٨٤، ٥٨٥، المفردات في غريب القرآن ص٥٢٨، ٥٢٩.

(٨١٣) هو: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحق الزجاج، عالم بالنحو واللغة، له معاني القرآن، الاشتقاق، إعراب القرآن وغيرها، توفي في بغداد سنة ٨٥٥هـ. (انظر: الأعلام ج١ص٤٠).

يَنْقُص واحدٌ منكم»[٨١٤].

التفسير:

يخبر الله ﷻ عن حال المشركين الظالمي أنفسهم عند احتضارهم ومجيء الملائكة إليهم لقبض أرواحهم، حيث إنّهم استسلموا لأمر الله ﷻ، وانقادوا له حين عاينوا الموت قد نزل بهم، ويخبر عنهم بذلك أنهم كذبوا وقالوا: ما كنا نعصي الله، رجاء أن ينجوا بذلك، فكذّبهم الله فقال: بل كنتم تعملون السوء وتصدّون عن سبيل الله، إن الله ذو علم بما كنتم تعملون في الدنيا من المعاصي[٨١٥].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

من قرأ بالتاء فلتأنيث لفظ الملائكة[٨١٦] ولأنه مسند إلى جماعة[٨١٧]، قال ابن زنجلة: «اعلم أنّ فعل الجميع إذا تقدم يُذَكّر ويؤنث، فإن ذَكَّرتَه أردت جمع الملائكة، وإذا أنثته أردت جماعة الملائكة»[٨١٨]، قال ابن قتيبة: «والتأنيث إنما هو تأنيث الجماعة وليس يلحق الملائكة في التاء تأنيث»[٨١٩]، فلا حجة لمن ادعى تفضيل قراءة التذكير على التأنيث ليخالف قول الكفار الذين أخبر الله تعالى عنهم بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾﴾ [النجم: ٢٧][٨٢٠].

وحجة من قرأ ﴿يَتَوَفَّاهُمْ﴾ بياء المضارعة التي للمذكّر أنه ذَكّر على المعنى، كما يقوي التذكير أنه قد فُرِّق بين المؤنث اللفظي وفعله بالضمير

---

(٨١٤) تهذيب اللغة ج١٥ص٥٨٥.

(٨١٥) انظر: تفسير الطبري ج١٤ ص٩٩، تفسير ابن كثير ج٣ص١٣، أضواء البيان ج٣ص٢٣٧.

(٨١٦) انظر: الكشف ج١ص٣٤٢، حاشية زاده ج٥ص٢٦٥.

(٨١٧) انظر: الحجة للقراء السبعة ج٥ص٦٣، تفسير البغوي ج١ص٢٨٤.

(٨١٨) حجة القراءات ص٣٨٨، وانظر تفسير الطبري ج٣ص٢٤٩.

(٨١٩) الكشف ج٢ص٣٧.

(٨٢٠) انظر: المرجع السابق ج٢ص٣٦، ٣٧.

المتصل (هم)[٨٢١].

يلاحظ مما سبق أنّ اختلاف القراءة جاء على قاعدة نحوية مشتهرة عند العرب، في تذكير الفعل وتأنيثه، فأكد صحة هذه القاعدة، دون ترجيح لوجه على الآخر. وقراءة ﴿يتوفاهم﴾ بالياء على الأصل لأن المَلَك يُذكّر، كما أنّ الذي يتولى قبض الروح هو ملك الموت، وإن حضر معه جمع من الملائكة لهذا الغرض، وأيضاً فإنّ التذكير قد ناسب رهبة الموقف وشدته لما في التذكير من معاني القوة[٨٢٢]، أمّا القراءة ﴿تَتَوَفَّنٰهُمُ﴾ بتاء التأنيث، وفي التأنيث معنى الكثرة، فقد أفادت كثرة حدوث الفعل - فالتوفي مستمر إلى يوم القيامة، وحال الملائكة مع الكافرين في هذا الموقف سواء - أو كثرة عدد الملائكة، وفيه تأكيد على شدة الموقف ورهبته. والله تعالى أعلم.

١٠ - ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [النحل: ٣٢].

القراءات:

١ - قرأ حمزة وخلف **﴿يَتَوَفَّاهُمْ﴾** بالياء.

٢ - قرأ الباقون ﴿تَتَوَفَّىٰهُمُ﴾ بالتاء[٨٢٣].

والحديث عن هاتين القراءتين كالحديث عن القراءتين في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [النحل: ٢٨]. مع مراعاة الاختلاف بين حال الكافرين، وحال المؤمنين[٨٢٤].

١١ - ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [النحل: ٣٣].

(٨٢١) انظر: المرجع السابق ج١ص٣٤٢.

(٨٢٢) انظر: التأنيث في اللغة العربية ص٢٧.

(٨٢٣) انظر: النشر ج٢ص٣٠٣، البدور الزاهرة ص١٧٨.

(٨٢٤) انظر ص٢٣٨ من هذا البحث.

القراءات:

١ ـ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف ﴿أَن يَأْتِيَهُمُ﴾ بالياء.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿أَن تَأْتِيَهُمُ﴾ بالتاء(٨٢٥).

المعنى اللغوي للقراءات:

«الإِتْيانُ: المجيء. وقد أَتَيْتهُ أَتْياً وأَتَوْتهُ أَتْوَةً لغة فيه. وتقول: أَتَيْتُ الأمر من مَأْتاتِهِ، أي من مَأتاه، أي من وجهه الذي يُؤتَى منه. وتقول: آتَيْتُه على ذلك الأمر مواتاةً، إذا وافقتَه وطاوعته»(٨٢٦).

التفسير:

يقول تعالى مهدداً المشركين على اغترارهم بالدنيا وتماديهم في الباطل: هل ينتظر هؤلاء الكفار إلاّ أن تجيء الملائكة لقبض أرواحهم أو يأتي أمر الله ﷻ بالعذاب المُسْتَأصل لهم أو بحشرهم ليوم القيامة. ومثل ذلك الفعل من التمادي في الشرك والتكذيب، فعل أسلافهم من المشركين بالله، حتى استحقوا عقاب الله ﷻ، فعُجّل لهم، وما ظلمهم الله ﷻ بتدميرهم وإحلال سخطه عليهم، ولكنّهم ظلموا أنفسهم بكفرهم ومعاصيهم(٨٢٧).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

سبق توجيه تذكير الفعل وتأنيثه قبل لفظ ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ عند بيان العلاقة التفسيرية بين القراءات في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [النحل: ٢٨](٨٢٨).

(٨٢٥) انظر: النشر ج٢ص٣٠٣، ٣٠٤، البدور الزاهرة ص١٧٩.

(٨٢٦) الصحاح ج٦ص٢٢٦١، ٢٢٦٢ ـ باختصار، وانظر: المفردات في غريب القرآن ص ٨، ٩.

(٨٢٧) انظر: تفسير الطبري ج١٤ص١٠٣، تفسير ابن كثير ج٣ص١٥، تفسير البيضاوي ج١ص٥٤٣.

(٨٢٨) انظر ص٢٣٨ من هذا البحث.

والقراءة ﴿يأتيهم﴾ بالياء على تذكير الفعل ـ وفي التذكير معنى القوة والرهبة[829] ـ ناسبت رهبة الموقف وشدته، أمّا القراءة ﴿تأتيهم﴾ بالتاء على تأنيث الفعل ـ وفي التأنيث معنى الكثرة[830] ـ فقد أفادت كثرة عدد الملائكة، وفيها أيضاً تأكيد لشدة الموقف ورهبته. والله تعالى أعلم.

١٢ ـ ﴿إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [النحل: ٣٧].

القراءات:

١ ـ قرأ عاصم، وحمزة، والكسائي، وخلف ﴿لَا يَهْدِى﴾ بفتح الياء وكسر الدال وياء بعدها.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿لا يُهْدَى﴾ بضم الياء وفتح الدال وألف بعدها[831].

المعنى اللغوي للقراءات:

«هدى: الهداية دلالة بلطف ومنه الهدية وهوادى الوحش أي متقدماتها الهادية لغيرها، وخص ما كان دلالة بهديت وما كان إعطاء بأهديت نحو أهديت الهدية وهديت إلى البيت. وهداية الله تعالى للإنسان على أربعة أوجه:

الأول: الهداية التي عم بجنسها كل مكلف من العقل والفطنة والمعارف الضرورية التي أعم منها كل شيء بِقَدْر فيه حسب احتماله كما قال: ﴿رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠].

الثاني: الهداية التي جعل للناس بدعائه إياهم على ألسنة الأنبياء وإنزال القرآن ونحو ذلك وهو المقصود بقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ [السجدة: ٢٤].

(٨٢٩) انظر: التأنيث في اللغة العربية ص٢٧.
(٨٣٠) انظر: المغني في توجيه القراءات العشر ج٢ ص٢٨٦.
(٨٣١) انظر: النشر ج٢ص٣٠٤، البدور الزاهرة ص١٧٩.

الثالث: التوفيق الذي يختص به من اهتدى وهو المَعْنِي بقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ زَادَهُمْ هُدًى﴾ [محمد: ١٧].

الرابع: الهداية في الآخرة إلى الجنة المَعْنِي بقوله: ﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۝٥﴾ [محمد: ٥]. والإنسان لا يقدر أن يهدي أحداً إلا بالدعاء وتعريف الطرق دون سائر أنواع الهدايات، وإلى الأول أشار بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢]، وإلى سائر الهدايات أشار بقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦]. وكل هداية ذكر الله تعالى أنه منع الظالمين والكافرين فهي الهداية الثالثة وهي التوفيق الذي يختص به المهتدون، والرابعة التي هي الثواب في الآخرة وإدخال الجنة نحو قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّواْ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْأَخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝١٠٧﴾ [النحل: ١٠٧]، وكل هداية نفاها الله عن النبي ﷺ وعن البشر، وذكر أنهم غير قادرين عليها فهي ما عدا المختص من الدعاء وتعريف الطريق، وذلك كإعطاء العقل والتوفيق وإدخال الجنة، كقوله عز ذكره: ﴿إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ﴾ [النحل: ٣٧]»(٨٣٢).

«والهدى والهداية في موضوع اللغة واحد لكن قد خَص الله ﷻ لفظة الهدى بما تولاه وأعطاه واختص هو به دون ما هو إلى الإنسان نحو: ﴿إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ﴾ [النحل: ٣٧]، والاهتداء يختص بما يتحراه الإنسان على طريق الاختيار إما في الأمور الدنيوية أو الأخروية قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا﴾ [النحل: ٩٧]، وقال: ﴿فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ﴾ [البقرة: ١٣٧]»(٨٣٣).

التفسير:

إن تطلب يا محمد ﷺ هداية كفار قريش بجهدك، لم ينفعك فرط

(٨٣٢) المفردات في غريب القرآن ص٥٣٨، ٥٣٩ ـ باختصار.

(٨٣٣) المفردات في غريب القرآن ص٥٣٩ ـ باختصار.

حرصك، فإنّ الله تعالى شأنه وأمره أنه لا يهدي من يُضِلُّ، فلا تجهد نفسك في أمرهم، وبلغهم ما أُرسلت به لتتم عليهم الحجة، وما لهم من الله ﷻ من ناصرين، ينصرونهم في الهداية أو يدفعون عنهم العذاب إذا أراد الله ﷻ عقوبتهم[٨٣٤].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءة ﴿يَهْدِى﴾ بالبناء للفاعل تحتمل وجهين: الأول: أن يكون الفعل ﴿يَهْدِى﴾ بمعنى ﴿يَهْتَدِى﴾ و﴿من﴾ هو الفاعل، كما تقول العرب: قد هدى الرجل، يريدون: قد اهتدى، أي: لا يهتدي مَنْ أضله الله، والمعنى: فإن الله مَنْ أضله لا يهتدي. والثاني: أن يكون الفعل ﴿يَهْدِى﴾ من (هَدَيْته)، والفاعل ضمير يعود على الله تعالى، و﴿مَنْ﴾ مفعول ﴿يَهْدِى﴾، أي: لا يهدي الله مَنْ أضله، والمعنى: أن من أضله الله فإن الله لا يهديه[٨٣٥]. وعلى القراءة ﴿يُهْدَى﴾ بالبناء للمفعول، تكون ﴿من﴾ نائب الفاعل، أي: لا يُهدى من أضله الله، والمعنى: أن من حَكم الله ﷻ بإضلاله وتكذيبه فلا يُهدى من أي أحد كان[٨٣٦].

وعلى الوجه الأول ـ وهو أنّ ﴿يَهْدِى﴾ بمعنى يهتدي ـ القراءتان بمعنىً، إلا أنّ القراءة بالبناء للمفعول صريحة في عموم الفاعل بخلاف القراءة بالبناء للفاعل[٨٣٧]. وعلى الوجه الثاني ـ وهو أنّ ﴿يَهْدِى﴾ من هديته ـ فإنّ القراءة بالبناء للفاعل تدل على أنّ من أضله الله تعالى لا يهديه الله

---

(٨٣٤) انظر: تفسير الطبري ج١٤ ص١٠٤، تفسير ابن كثير ج٣ص١٦، المقتطف من عيون التفاسير ج٣ص١٢١، تفسير أبي السعود ج٣ص٢٦٤.

(٨٣٥) انظر: معاني القرآن للكسائي ص١٧٨، تفسير الطبري ج١٤ص١٠٤، حجة القراءات ص٢٨٩، الدر المصون ج٤ص٣٢٦، حاشية زاده ج٥ص٢٧٣، روح المعاني ج١٤ص١٣٩.

(٨٣٦) انظر: حجة القراءات ص٢٨٩، الحجة للقراء السبعة ج٥ص٦٤، الملخص في إعراب القرآن ص ١٣٦، الدر المصون ج٤ص٣٢٦، حاشية زاده ج٥ص٢٧٣، تفسير أبي السعود ج٣ص٢٦٤، المغني في توجيه القراءات العشر ج٢ص٣٢٢.

(٨٣٧) انظر: روح المعاني ج١٤ص١٤٠.

تعالى وهو الذي لا يهديه فقط[٨٣٨]، ومعلوم أنّ أحداً لا يستطيع أن يهدي من لا يريد الله هدايته، وبناء القراءة للفاعل - وهو ضمير يعود على الله ﷻ - فيه تفخيم وتهويل، وفي هذه القراءة تأكيد على أنّ الهداية بِيَدِ الله ﷻ وأنّ الرسل والدعاة ما هم إلاّ أسباب جعلها الله لتحقيق ذلك. والقراءة بالبناء للمفعول تدل على أن من أضله الله ﷻ لا يهديه أحد أيّ كان، وإن كان معلوماً أنّ من لم يَهْدِ الله فلا هادي له، وهذه القراءة أبلغ[٨٣٩] في نفي الهداية عمّن أضله الله[٨٤٠]. والله تعالى أعلم.

١٣ - ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾ [النحل: ٤٠].

القراءات:

١ - قرأ ابن عامر، والكسائي ﴿فَيَكُونَ﴾ بنصب النون.

٢ - قرأ الباقون ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ برفع النون[٨٤١].

المعنى اللغوي للقراءات:

الكون: الحَدث، تقول: كان يكون كوناً وكينونة[٨٤٢]، «و(كان) تكون بمعنى مضى وتقضّى وهي التامة، وتأتي بمعنى اتصال الزمان من غير انقطاع وهي الناقصة، ويُعبر عنها بالزائدة أيضاً، وتأتي زائدة، وتأتي بمعنى يَكُون في المستقبل من الزمان، وتكون بمعنى الحدوث والوقوع»[٨٤٣].

(٨٣٨) انظر: المرجع السابق ج١٤ص١٣٩.

(٨٣٩) استخدام عبارة: (أبلغ في نفي الهداية ...) لا يعني تفضيل قراءة على أخرى، ولكنّ المراد أنّ هذه القراءة تناولت هذه القضية بشكل أساسي، ولا يُنقص هذا من القراءة الأولى فإنها قد أكدت قضايا أخرى كما بَيَّنْتُ. (الباحثة).

(٨٤٠) انظر: تفسير البيضاوي ج١ص٥٤٤، حاشية زاده ج٥ص٢٧٣، روح المعاني ج١٤ص١٣٩.

(٨٤١) انظر: النشر ج٢ص٢٢٠، البدور الزاهرة ص١٧٩.

(٨٤٢) انظر: لسان العرب ج٥ص٣٩٥٩، النواسخ الفعلية والحرفية ص٤٣.

(٨٤٣) لسان العرب ج٥ص٣٩٦١.

قال الراغب: «(كان) عبارة عما مضى من الزمان وفى كثير من وصف الله تعالى تنبئ عن معنى الأزلية، قال تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٠]، وما استعمل منه في جنس الشيء متعلقاً بوصف له هو موجود فيه فتنبيه على أن ذلك الوصف لازم له، قليل الانفكاك منه نحو قوله في الإنسان: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٤] وإذا استعمل في الزمان الماضي فقد يجوز أن يكون المُستعمل فيه بقي على حالته كما تقدم ذكره آنفاً، ويجوز أن يكون قد تغير نحو كان فلان كذا ثم صار كذا ولا فرق بين أن يكون الزمان المستعمل فيه كان قد تقدم تقدماً كثيراً أو تقدم بآن واحد عن الوقت الذي استعملت فيه كان»(٨٤٤).

التفسير:

لمّا أنكر الكفار المعاد، ﴿وَأَقْسَمُوا بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾ [النحل: ٨٣]، ورد الله عليهم كذبهم بقوله: ﴿بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾ [النحل: ٨٣]، أخبر الله ﷻ عن قدرته على ما يشاء، وأنه لا يتعاصى على قدرته شيء في الأرض ولا في السماء، وإذ يقول للشيء ﴿كن﴾ فإنه يكون بلا تأخير ولا كلفة ولا معاناة، والمعاد من ذلك، إذا أراد كونه فإنما يأمر به مرة واحدة، فيكون كما يشاء، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ۝٥٠﴾ [القمر: ٥٠](٨٤٥).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءة ﴿فَيَكُونَ﴾ بفتح النون منصوباً بالعطف على قوله: أن نقول، وقيل: منصوب بـ(أن) المضمرة بعد الفاء في جواب الأمر(٨٤٦). وتبين هذه

---

(٨٤٤) المفردات في غريب القرآن ص٤٤٤ ـ باختصار وتصرف يسير.

(٨٤٥) انظر: تفسير الطبري ج١٤ص١٠٦، تفسير ابن كثير ج٣ص١٧، أضواء البيان ج٣ص٢٤٨.

(٨٤٦) انظر: حجة القراءات ص٣٩٠، الملخص في إعراب القرآن ص١٣٧، أضواء البيان ج٣ص٢٤٨.

القراءة التلازم بين (القول) و(الكون)، وأنه لا يمكن أن يكون الله آمراً شيئاً بالوجود إلا ويوجد.

والقراءة بالرفع على أنّ ﴿فَيَكُونُ﴾ خبر مبتدأ محذوف أي: فهو يكون(٨٤٧)، وعلى أن قوله تعالى ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن﴾ كلام تامّ مكتف بنفسه عما بعده، ثم يُبتدأ فيُقال: ﴿فَيَكُونُ﴾(٨٤٨)، وهذه القراءة تؤكد حتمية وجود الشيء بمجرد القول. قال الطبري: «أمّا من رفع فإنه رأى أن الخبر قد تم عند قوله: ﴿إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن﴾، إذ كان معلوماً أن الله إذا حتم قضاءه على شيء كان المحتوم عليه موجوداً، ثم ابتدأ بقوله: فيكون»(٨٤٩). والقراءتان معاً تؤكدان كمال قدرة الله تعالى وأنه لا يتعذر عليه شيء أراده، إنما يقول له كن فيكون كما أراده وشاءه. والله تعالى أعلم.

١٤ ـ ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [النحل: ٤٣].

القراءات:

١ ـ قرأ حفص ﴿نُوحِي﴾ بالنون وكسر الحاء وياء بعدها.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿يُوحَىٰ﴾ بالياء وفتح الحاء وألف بعدها(٨٥٠).

تقدم الحديث عن هاتين القراءتين عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ۗ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ ٱلْـَٔاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟

(٨٤٧) انظر: حجة القراءات ص٣٩٠، مشكل إعراب القرآن ج١ص٤١٨، الملخص في إعراب القرآن ص١٣٧.

(٨٤٨) انظر: القطع والائتناف ص٢٩٥، تفسير الطبري ج١٤ص١٠٦، المكتفى في الوقف والابتدا ص١٧٢.

(٨٤٩) تفسير الطبري ج١ص٥١١.

(٨٥٠) انظر: النشر ج٢ص٢٩٦، البدور الزاهرة ص١٧٩.

أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾﴾ [يوسف: ١٠٩][٨٥١].

١٥ - ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾﴾ [النحل: ٤٧].

القراءات:

١ - قرأ نافع، وابن كثير، وابن عامر، وحفص، وأبو جعفر ﴿لَرَءُوفٌ﴾

٢ - قرأ الباقون ﴿لَرَؤُفٌ﴾[٨٥٢].

تقدم الحديث عن هاتين القراءتين عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾﴾ [النحل: ٧][٨٥٣].

١٦ - ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [النحل: ٤٨].

القراءات:

١ - قرأ حمزة، والكسائي، وخلف ﴿أَوَلَمْ تَرَوْا﴾ بتاء الخطاب.

٢ - قرأ الباقون ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ بياء الغيبة[٨٥٤].

٣ - قرأ أبو عمرو، ويعقوب ﴿تتفيؤ﴾ بتاء التأنيث.

٤ - قرأ الباقون ﴿يَتَفَيَّأُ﴾ بياء التذكير[٨٥٥].

المعنى اللغوي للقراءات:

١ - ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾:

---

(٨٥١) انظر ص١٣٦ من هذا البحث.

(٨٥٢) انظر: النشر ج٢ص٢٢٣.

(٨٥٣) انظر ص٢٢٤ من هذا البحث.

(٨٥٤) انظر: النشر ج٢ص٣٠٤، البدور الزاهرة ص١٧٩.

(٨٥٥) انظر: النشر ج٢ص٣٠٤، البدور الزاهرة ص١٧٩.

«الرُّؤْيَةُ: النَّظَرُ بالعَيْنِ وبالقَلْبِ. ورأيتُه رُؤْيَةً ورَأْياً وراءَةً ورَأْيَةً ورِئْياناً وارْتَأَيْتُه واسْتَرْأَيْتُه. والحمدُ لله على رِيَّتكَ، أي رُؤْيَتِكَ. والرَّءَّاءُ، الكَثيرُ الرُّؤْيَةِ»[٨٥٦]. **والرؤية بالعين تتعدى إلى مفعول واحد، وبمعنى العلم تتعدى إلى مفعولين**[٨٥٧].

قال ابن عَبّاد: «ورَأَيْتُ بعَيْني رُؤْيَةً. ورَأَيْتُه رَأْيَ العَيْنِ: أي حَيْثُ يَقَعُ البَصَرُ عليه، وارْتَأَيْتُ أيضاً. وتَرَاءَى القَوْمُ: رَأَى بَعْضُهم بَعْضاً. وتَرَاءَى لي فلانٌ: تَصَدَّى لي لأَرَاه»[٨٥٨].

٢ ـ ﴿يَتَفَيَّؤُ﴾:

فاءَ يَفيءُ فَيْئاً: رجع، وأفاءه غيره: رَجَعه. وإنّه لحسنُ الفِيئَةِ، أي حسنُ الرُجوعِ. والفِئَةُ: الجماعة المتظاهرة التي يرجع بعضهم إلى بعض في التعاضد، قالَ تعالى: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً﴾ [البقرة: ٢٤٩]. والفَيءُ: الغنيمة التي لا يلحق فيها مشقة. تقول: أفاء الله على المسلمين مالَ الكفَّار يُفيءُ إفاءةً، قال تعالى: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الحشر: ٧]. واسْتَفَأْتُ هذا المال، أي أخذته فَيْئاً. والفَيْءُ: الظلّ، والجمع أفياءٌ وفُيوءٌ، وإنما سمِّي الظلُّ فيئاً لرجوعه من جانبٍ إلى جانبٍ. وقد فَيَّأتِ الشجرةُ تَفْيِئَةً، وتَفَيَّأْتُ أنا في فَيْئها. وتَفَيَّأت الظلالُ، أي تَقَلَّبَتْ[٨٥٩].

قال السمين الحلبي: «واختلف في الفيء فقيل هو مطلق الظلّ سواء كان من قبل الزوال أو بعده وهو الموافق لمعنى الآية ههنا، وقيل: ما كان قبل الزوال فهو ظل فقط، وما كان بعده فهو ظل وفيء، فالظل أعم،

(٨٥٦) القاموس المحيط ص١٦٥٨ ـ بتصرف يسير، وانظر: المفردات في غريب القرآن ص٢٠٠، لسان العرب ج٣ص١٥٣٧.

(٨٥٧) انظر: لسان العرب ج٣ص١٥٣٧.

(٨٥٨) المحيط في اللغة ج١٠ص٢٩٨.

(٨٥٩) انظر: المفردات في غريب القرآن ص٣٨٩.

وقيل: بل يختص الظل بما قبل الزوال والفيء بما بعده»(٨٦٠).

التفسير:

يقول تعالى: هؤلاء الشاكون في توحيد ربهم وعظمته وكماله، أولم ينظروا بعيون الأبصار متفكرين بالبصائر إلى مخلوقات الله، وكيف تتفيأ أظلتها، أي: ترجِع من جانب إلى جانب بارتفاع الشمس وانحدارِها أو باختلاف مشارقِ الشمس ومغاربها، عَن يَمِينِ الأجرام وشمَائِلها، أي: عن جانبي كل واحد منها، كلها منقادةٌ لله غير ممتنعة عليه فيما سخرها له، لما قُدّر لها من التفيّؤ، أو واقعةٌ على الأرض ملتصقةٌ بها على هيئة الساجد، والأجرام في أنفسها خاضعة أيضاً، صاغرة منقادة لأفعال الله ﷻ فيها(٨٦١).

وقد اختلف أهل التأويل في تفسير قوله ﷻ: ﴿يَتَفَيَّؤُا ظِلَالُهُ﴾ على أربعة أوجه: أحدها: يرجع ظلالُه، لأن الفيء الرجوع، الثاني: تميل ظلاله، الثالث: تدور ظلاله، الرابع: تتحول ظلاله.

أمّا قوله تعالى: ﴿عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ﴾ ففيه وجهان: أحدهما: يعني تارة إلى جهة اليمين، وتارة إلى جهة الشمال، لأن الظل يتبع الشمس حيث دارت، الثاني: أن اليمين أول النهار، والشمال آخر النهار.

وأمّا قوله تعالى: ﴿سُجَّدًا لِّلَّهِ﴾ ففيه ثلاثة تأويلات: **أحدها**: أن ظل كل شيء سجوده، **الثاني**: أن سجود الظلال سجود أشخاصها، **الثالث**: أن سجود الظلال كسجود الأشخاص تسجد لله ﷻ خاضعة(٨٦٢).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

١ ـ قوله تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ﴾:

---

(٨٦٠) الدر المصون ج٤ص٣٣٠، وانظر: البحر المحيط ج٥ص٤٨١.

(٨٦١) انظر: الكشاف ج٢ص٤١٢، نظم الدرر ج٤ تفسير أبي السعود ج٣ص٢٦٩، التفسير المنير ج١٤ص١٤٧.

(٨٦٢) انظر: تفسير الماوردي ج٣ص١٩١.

القراءة بتاء الخطاب على نسق ما قبله[٨٦٣]، وذلك على معنى مخاطبة المشركين وتقريرهم بآيات الله ﷻ، والقراءة بالياء إخبارٌ عن غُيَّب وتوبيخٌ لهم فكأنه قال: ويحهم، كيف يكفرون بالله ﷻ وينكرون البعث وهم يرون هذه الآيات البيِّنات[٨٦٤]. كما أنّ الالتفات من الخطاب إلى التكلم يحمل في طياته معنىً لطيفاً أشار إليه البقاعي فقال: «ولمّا كان حقهم المبادرة بالتوبة فلم يفعلوا، أعرض عنهم في قراءة الجماعة تخويفاً فقال تعالى: ﴿يَرَوْا﴾ بالياء التحتية»[٨٦٥]. إلى غير ذلك من المعاني الدقيقة التي تستفاد من تنوع القراءة بين الغيبة والخطاب، والتي سبق الحديث في أكثر من موضع عنها[٨٦٦].

ويمكن حَمل القراءة بالخطاب على إرادة جميع الناس، فكل مكلف مأمور أن ينظر في آيات الله ليعتبر، وحَمل القراءة بالغيبة على إرادة المشركين فقط[٨٦٧]، وفيها ما سبق ذكره من معاني التخويف والتوبيخ. والله تعالى أعلم.

٢ ـ قوله تعالى: ﴿يَتَفَيَّؤُ﴾:

«الحجة لمن قرأ بالتاء أنّ لفظ (ظلال) جمع (ظل)، وكل جمع خالف الآدميين فهو مؤنث، وإن كان واحده مذكراً. ودليله قوله ﷻ في الأصنام: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ﴾ [إبراهيم: ٣٦]، والحجة لمن قرأه بالياء: أنّ (ظلال) وإن كان جمعاً فلفظه لفظ الواحد، كقولك جدار، ولذا ناسب جمع التكسير الواحد، لأنه معرب بالحركات مثله»[٨٦٨]، كما أنّ تأنيث هذا الجمع غير

---

(٨٦٣) انظر: الملخص في إعراب القرآن ص١٣٨، نظم الدرر ج٤ص٢٧٤.

(٨٦٤) انظر: حجة القراءات ص٣٩١، الحجة في القراءات السبع ص٢١١.

(٨٦٥) نظم الدرر ج٤ص٢٧٤.

(٨٦٦) انظر ص٢٢٨، ٢٣٥ من هذا البحث.

(٨٦٧) انظر: الحجة للقراء السبعة ج٥ص٦٧، الكشف ج٢ص٣٧.

(٨٦٨) الحجة في القراءات السبع ص٢١١ ـ باختصار وتصرف يسير، وانظر: حجة القراءات ص٣٩١.

حقيقي[٨٦٩]، أضف إلى ذلك أنّ الفعل إذا تقدم جاز التذكير منه[٨٧٠]. والقراءة بالتذكير وما توحيه من معنى القلة؛ لمناسبتها للفظ الواحد، تبين أنّ تفيؤ ظلال كل شيء على حده هو عبرة في ذاته، والقراءة بالتأنيث وما توحيه من معنى الكثرة تبين أنّ تعدد هذه الأشياء على كثرتها وتفيؤ ظلالها عبرة بالمجموع. والله تعالى أعلم.

١٧ - ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [النحل: ٦٢].

القراءات:

١ - قرأ نافع ﴿**مُفْرِطُون**﴾ بكسر الراء مخففة.

٢ - قرأ أبو جعفر ﴿**مُفَرِّطُون**﴾ بكسر الراء مشددة.

٣ - قرأ الباقون ﴿**مُّفْرَطُونَ**﴾ بفتح الراء مخففة[٨٧١].

المعنى اللغوي للقراءات:

فَرَطَ في الأمر يَفرُطُ فَرْطاً، أي قصّر فيه وضيَّعه حتَّى فات. وفرّطَ فيه تفريطاً مثله، ومنه قوله تعالى: ﴿**وَأَنَّهم مُفَرِّطُون**﴾ بكسر الراء وتشديدها. وفَرَطَ عليه، أي عَجِلَ وعَدا. ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ﴾ [طه: ٤٥]. وفَرَطَ إليه منّي قولٌ، أي سبق. وفَرَطْتُ القوم أَفْرُطُهُمْ فَرْطاً، أي سبقتهم إلى الماء، والفارِط المتقدم إلى الماء وغيره، ومنه قول النبي ﷺ: «أنا فَرَطُكم على الحوض»[٨٧٢]. وأَفْرَطَهُ، أي أعجله، وفَرَطْتُهُ: تركته وتقدَّمته وما أَفْرَطْتُ من القوم أحداً، أي: ما تركت. وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ﴾، أي متروكون في النار منسِيُّونَ، أو مُقَدَّمُونَ مُعَجَّلُونَ إليها.

---

(٨٦٩) انظر: الكشف ج٢ص٣٨.

(٨٧٠) انظر: حجة القراءات ص٣٩١.

(٨٧١) انظر: النشر ج٢ص٣٠٤، البدور الزاهرة ص١٨٠.

(٨٧٢) أخرجه البخاري: كتاب الرقاق، باب في الحوض، ح(٦٥٧٦) ص١٢٥٨، ومسلم: كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته، ح(٥٨٧٢) ص١١٤٩.

وقُرِىء بكسر الراء، أي: مُجَاوِزُونَ لما حُدَّ لهم، من أَفْرَطَ في الأمر، إذا جاوز فيه الحدّ. والاسمُ منه الفَرْطُ بالتسكين. يقال: إيَّاك والفَرْطَ في الأمر(٨٧٣).

التفسير:

يقول تعالى: وينسب هؤلاء المشركون إلى الله ما يأنفون أن ينسب إليهم من البنات والشركاء، وتنطق ألسنتهم الكذب، حيث يدَّعون مع ذلك أن لهم الحسنى في الدنيا، وإن كان ثمَّ معاد ففيه أيضا لهم الحسنى، وهو الجنة، فجمعوا بين عمل السوء وتمني الباطل، بأن يجازوا على افترائهم هذا حسناً. والحق أنّ لهم النّار، يُقَدَّمُونَ ويُعَجَّلُونَ إليها قبل غيرهم، ثم يتركون ويُنسَون فيها(٨٧٤).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءة ﴿مُفْرِطُون﴾ بكسر الراء، اسم فاعل من (أفرط) اللازم، إذا تجاوز الحدّ، فالمعنى: أنهم متجاوزون الحدّ في المعاصي، والقراءة ﴿مُفَرِّطُون﴾ بكسر الراء مشددة من فَرَّط في كذا أي قَصَّر أي: أنهم مقصرون. أمّا القراءة ﴿مُّفْرَطُونَ﴾ بفتح الراء، اسم مفعول من (أفْرَطه) المتعدي، وفيه معنيان: الأول: أنه من أفرطته خلفي، أي تركته ونسيته، والمعنى: أنهم منسيون متروكون في النار. والثاني: أنه من أفرطته، أي قَدمته إلى كذا والمعنى: أنهم مقدمون إلى النار معجلون إليها(٨٧٥).

ويلاحظ أنّ كل قراءة قامت مقام آية، وبمجموع القراءات يصبح

---

(٨٧٣) انظر: المفردات في غريب القرآن ص ٣٧٦، ٣٧٧، القاموس المحيط ٨٧٩، لسان العرب ج٥ص٣٣٨٩، ٣٣٩٠.

(٨٧٤) انظر: تفسير ابن كثير ج٣ص٢٣، نظم الدرر ج٤ص ٢٨٢، صفوة التفاسير ج٢ص١٣٢.

(٨٧٥) انظر: تفسير الطبري ج١٤ص١٢٨، الكشف ج٢ص٢٨، الحجة للقراء السبعة ج٥ص٧٣، الملخص في إعراب القرآن ص١٤١، البحر المحيط ج٥ص٥٠٦، الدر المصون ج٤ص٣٣٩، إتحاف فضلاء البشر ص٣٥٢، روح المعاني ج١٤ص١٧٣.

المعنى: لا جرم أنهم مقصرون، ومتجاوزون في المعاصي، وسيقدمون إلى النار ويعجلون إليها، ثم يتركون فيها ويُنسون أي يُخَلَّدون فيها. والله تعالى أعلم.

١٨ - ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [النحل: ٦٦].

القراءات:

١ - قرأ نافع، وابن عامر، وشعبة، ويعقوب ﴿نَسْقِيْكُم﴾ بنون مفتوحة.

٢ - قرأ أبو جعفر ﴿تَسْقِيْكُم﴾ بتاء مفتوحة.

٣ - قرأ الباقون ﴿نُّسْقِيكُم﴾ بنون مضمومة[٨٧٦].

المعنى اللغوي للقراءات:

سَقَى يَسْقِي سَقياً وسُقياً: أعطاه ما يشرب، وأسقى يُسقي إسقاءً: جعل له ذلك حتى يتناوله كيف شاء. فالإسقاء أبلغ من السقي لأن الإسقاء هو أن تجعل له ما يَسقي منه ويشرب، تقول: أسقيته نهراً. قال تعالى في السَّقْي: ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان: ٢١] وقال في الإسقاء ﴿وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا﴾ [المرسلات: ٢٧] وقال: ﴿فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ﴾ [الحجر: ٢٢] أي جعلناه سُقيا لكم[٨٧٧].

قال الفراء: «العرب تقول لكل ما كان من بطون الأَنعام ومن السماء أَو نهَر يَجْري لقوم: أَسْقَيْت. فإذا سَقاكَ الرجل ماءً لشَفَتِك قالوا: سَقاهُ، ولم يقولوا: أَسْقاهُ؛ كما قال الله ﷻ: ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان: ٢١] وقال: ﴿وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾﴾ [الشعراء: ٧٩]، وربما قالوا لِما في بطون الأَنْعام ولِماءِ السماء سَقى وأَسْقى»[٨٧٨]، «وقال الليث: (الإسْقاءُ

(٨٧٦) انظر: النشر ج٢ص٣٠٤، البدور الزاهرة ص١٨٠.

(٨٧٧) المفردات في غريب القرآن ص٢٣٥، ٢٣٦ - بتصرف يسير.

(٨٧٨) معاني القرآن للفراء ج٢ص١٠٨، وانظر: تهذيب اللغة ج٩ص٢٢٨.

من قولك أَسْقَيْتُ فلاناً نهَراً أَو ماءً إذا جعلت له سِقْياً وفي القرآن ﴿وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَـٰمًا﴾ [الفرقان: ٤٩] من سَقى، وقُرِئ ﴿وَنَسْقِيَهُۥ﴾ من أَسْقى وهما لغتان بمعنىً واحد»(٨٧٩). وعن ابن السِّكيت(٨٨٠): «السقاء يكون للبن وللماء . . . ويقال: سقيته لِشَفَتِه، وأسقيته لماشيته وأرضه»(٨٨١).

التفسير:

يقول تعالى: إنَّ لَكُمْ أيها الناس فِي الأنْعَام، وهي: الإبل والبقر والغنم، لآية، إذا تفكرتم فيها عرفتم كمال قدرة الخَالق ﷻ وحكمته ولطفه ورحمته، حيث أسقاكم من بطونها لبناً يتخلص بياضه وطعمه وحلاوته من بين فرث ودم في باطن الحيوان، ولا يغص به أحد(٨٨٢).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءة ﴿نُّسْقِيكُم﴾ بنون مضمومة مضارع (أسقى) الرباعي، والقراءة ﴿نَسْقِيكُم﴾ بنون مفتوحة مضارع (سقى) الثلاثي، والفاعل على هاتين القراءتين ضمير مستتر تقديره (نحن) يعود على الله تعالى بلفظ العظمة(٨٨٣). قال الطبري: «(نُسْقِيكُمْ) بضمّ النون. بمعنى: أنه أسقاهم شراباً دائماً. وكان الكسائيّ يقول: العرب تقول: أسقيناهم نَهْرا، وأسقيناهم لبنا: إذا جعلته

---

(٨٧٩) تهذيب اللغة ج٩ص٢٢٨.

(٨٨٠) هو يعقوب بن إسحاق، أبو يوسف، ابن السِّكِّيت ـ بكسر السين المهملة والكاف المشددة ـ إمام في اللغة والأدب، من أصحاب الكسائي، اتصل بالخليفة المتوكل، وعهد إليه بتأديب أولاده، ويقال إنّ المتوكل ناله بشيء حتى مات سنة ٢٤٤هـ، وقيل سنة ٢٤٦هـ، وقيل غير ذلك. من كتبه: إصلاح المنطق، الألفاظ، وغيرها. (انظر: الفهرست ص٧٩، وفيات الأعيان ج٦ص٣٩٥ ـ ٤٠١، الأعلام ج٨ص١٩٥).

(٨٨١) الصحاح ج٦ص٢٣٧٩.

(٨٨٢) انظر: تفسير الخازن ج٤ص٩٩، تفسير ابن كثير ج٣ص٢٤، تفسير السعدي ص٤٢٢.

(٨٨٣) انظر: الكشف ج٢ص٣٨، ٣٩، إتحاف فضلاء البشر ص٣٥٢، المهذب في القراءات العشر ج١ص٣٧٢، المغني في توجيه القراءات العشر ج٢ص٣٢٨.

شِرْبا دائماً، فإذا أرادوا أنهم أعطوه شربة قالوا: سقيناهم فنحن نَسْقِيهم بغير ألف؛ و(نَسْقِيكم) بفتح النون من سَقاه الله، فهو يَسْقيه، والعرب قد تدخل الألف فيما كان من السَّقي غير دائم، وتنزعها فيما كان دائماً، وإن كان أشهر الكلامين عندها ما قال الكسائيّ»(٨٨٤).

والقراءة بفتح النون فيها امتنان على الخلق بتقديم اللبن الخالص لهم ليشربوه وتهيئته لهم، كما يكرم الضيف ضيفه بتقديم الشراب له، أمّا القراءة بضم النون ففيها امتنان على الخلق بجعل هذا اللبن دائماً للسقيا غير منقطع يشربون منه متى شاءوا ويسقون غيرهم، وإسناد الفعل إلى الله ﷻ بلفظ العظمة، فيه صَرف الاهتمام إلى المنعم العظيم المستحق للعبادة، فإنّه تعالى هو الذي يسر لهم هذه النعمة، كما أنّ فيها إشارة إلى كون لبن الأنعام في حدّ ذاته آية عظيمة. وفيه أيضاً إشارة إلى عظيم فضل الله ﷻ ومنّته على خلقه حيث أكرمهم بهذه النعمة كما يكرم المضيف ضيفه بنفسه ويقدم له الشراب، أو يجعله في متناوله للشرب، قال ابن عاشور: «ووقع البيان بـ ﴿تسقيكم﴾ دون أن يقال: تشربون أو نحوه، إدماجاً للمنّة مع العبرة»(٨٨٥).

والقراءة ﴿تَسقيكم﴾ بتاء مفتوحة من سقى الثلاثي، والفاعل ضمير مستتر تقديره (هي) يعود على الأنعام(٨٨٦)، أي تقدم لكم هذه الأنعام ما تشربونه من اللبن، وفي هذه القراءة صرف الاهتمام إلى شأن هذه الأنعام وبخاصة ما تنتجه من لبن، ليتأمل المتأمل، ويرى بعين بصيرته فيعتبر ويدرك قدرة الله ﷻ. والله تعالى أعلم.

١٩ - ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [النحل: ٦٨].

---

(٨٨٤) تفسير الطبري ج١٤ص١٣١، وانظر: تفسير الفخر الرازي٦٦.

(٨٨٥) التحرير والتنوير ج١٤ص٢٠٠.

(٨٨٦) انظر: المغني في توجيه القراءات العشر ج٢ص٣٢٨.

القراءات:

١ ـ قرأ ورش، وأبو عمرو، وحفص، وأبو جعفر، ويعقوب ﴿بُيُوتًا﴾ بضم الباء.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿بِيُوتاً﴾ بكسر الباء(٨٨٧).

٣ ـ قرأ ابن عامر، وشعبة ﴿يَعْرُشُون﴾ بضم الراء.

٤ ـ قرأ الباقون ﴿يَعْرِشُونَ﴾ بكسر الراء(٨٨٨).

المعنى اللغوي للقراءات:

١ .﴿بُيُوتًا﴾: سبق بيانه(٨٨٩).

٢ ـ ﴿يَعْرِشُونَ﴾: عَرَش: بنى بِنَاءً من خَشَب، وعَرْش البَيْتِ سَقْفُه، وعرش الرجل: قوامُ أمْرِه. وإذا زالَ قيلَ: ثُلَّ عَرْشُه أي: وَهَى أَمْرُه وذَهَبَ عزُّه، والعَرْش سَرِيرُ المَلِك سمي بذلك اعتباراً بعلوه، والعَرِيْشُ والعَرْشُ: ما تُعَرَّشُ به الكُرومُ، وقد اعْتَرَشَ الكَرْمُ: عَلا عليها، والعَرِيْشُ: شِبْهُ هَوْدَج يُتَخَذ للمرأة تقعدُ فيه على بعيرِها(٨٩٠).

قال ابن قتيبة: «كل شيء عُرِشَ من كَرْمٍ أو نَبَاتٍ أو سَقف: فهو عَرْشٌ ومَعْرُوش»(٨٩١).

التفسير:

ألهم الله ﷻ النحل وأرشدها أن تتخذ من الجبال بيوتاً، تأوي إليها،

---

(٨٨٧) انظر: النشر ج٢ص٢٢٦، مصحف الصحابة للقراءات العشر ص٢٦٦.

(٨٨٨) انظر: النشر ج٢ص٣٠٤، البدور الزاهرة ص١٨٠.

(٨٨٩) انظر ص٢١٧ من هذا البحث.

(٨٩٠) انظر: العين ج١ص٢٤٩، ٢٥٠، المحيط في اللغة ج١ص٢٨٤، ٢٨٥، المفردات في غريب القرآن ص٣٢٩.

(٨٩١) تفسير غريب القرآن ص٢٤٦.

ومن الشجر، ومما يبنيه الناس من أكوار(٨٩٢)، أو يعرشونه من كروم. وأصل البيت مأوى الإنسان واستعمل هنا في وكر النحل الذي تبنيه تشبيهاً له بما يبنيه الإنسان لما فيه من إتقان الصنعة(٨٩٣).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

١ ـ القراءتان ﴿**بيُوتاً**﴾ بكسر الباء وضمها على لغتين من لغات العرب، كما سبق بيانه(٨٩٤). وقد ناسب الضم وما به من قوة، إحكام صنع البيوت التي يبنيها النحل من الشمع، وبراعة إتقانها، وناسب الكسر وما به من ضعف، طبيعة هذه البيوت فقد جُعلت بحكمة الله رغم إحكام صنعها وبراعة إتقانها ضعيفة يسهل للإنسان استخلاص العسل منها بدرجة حرارة ليست بالمرتفعة. والله تعالى أعلم.

٢ ـ القراءتان ﴿**يَعْرِشُونَ**﴾ بكسر الراء وضمها على لغتين من لغات العرب(٨٩٥). وقد ناسب تنوع القراءة بين الضم وما به من قوة والكسر وما به من ضعف، تنوع ما يبنيه الناس للنحل، من أكوار محكمة قوية أو عُرش غير محكمة من الكرم أو غيره، والنحل تتخذ جميع ذلك بيوتاً لها دون استثناء. والله تعالى أعلم.

٢٠ ـ ﴿وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلرِّزْقِۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُواْ بِرَآدِّي رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌۚ أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾﴾ [النحل: ٧١].

---

(٨٩٢) أَكْوارُ: جمع (كُور) بالضم وهو بيت النحل والزَّنابير. (انظر: لسان العرب ج٥ص٣٩٥٣).

(٨٩٣) انظر: تفسير الطبري ج١٤ص١٣٩، الملخص في إعراب القرآن ص ١٤٣، تفسير ابن كثير ج٣ص٢٥، تفسير أبي السعود ج٣ص٢٧٦، أيسر التفاسير ج٣ص١٠٤، صفوة التفاسير ج٢ص١٣٣.

(٨٩٤) انظر: ص٢١٨ من هذا البحث.

(٨٩٥) انظر: حجة القراءات ص٣٩٢، الحجة للقراء السبعة ج٥ص٧٦، زاد المسير ج٤ص٣٣٩.

القراءات:

١ ـ قرأ شعبة، ورويس ﴿**تَجْحَدُونَ**﴾ بتاء الخطاب.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿يَجْحَدُونَ﴾ بياء الغيبة[٨٩٦].

المعنى اللغوي للقراءات:

الجُحُوْدُ: ضِدُّ الإِقْرَار، وجَحَدَ الرجلُ يجحَد جُحوداً وجحداً، إذا أنكر ما عليه من حقّ، والجَحَد: القلة من كل شيء، والجُحْدُ: لُغَةٌ فيه[٨٩٧].

قال الراغب: «الجحود نفى ما في القلب إثباته وإثبات ما في القلب نفيه، قال ﷻ ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾ [النمل: ١٤]، ويجحد يختص بفعل ذلك يقال: رجل جحد شحيح قليل الخير يُظهر الفقر، وأرض جحدة قليلة النبت، وُيقال جَحداً له ونكداً، وأجحد: صار ذا جَحد»[٨٩٨].

التفسير:

يبين الله ﷻ للمشركين جهلهم وكفرهم فيما زعموه لله من الشركاء، وهم يُقرُّون أنها عبيد له، فقال تعالى منكراً عليهم: أنتم مشتركون بأنكم مخلوقون مرزوقون إلا أنه ﷻ ﴿فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلرِّزْقِ﴾ فجعل منكم أحراراً لهم مال وثروة، ومنكم أرقاء لهم لا يملكون شيئاً من الدنيا، وسادتكم الذين فضلهم الله على المماليك بالرزق ليسوا بمشركي مماليكِهم فيما رزقهم الله ﷻ من الأموال، ويرون هذا من الأمور الممتنعة، فإذا كنتم لا ترضون بإشراك عبيدكم معكم في أموالكم فكيف تشركون معي في سلطاني، هل هذا إلا من أعظم الظلم والإنكار لنعم الله، فإنه يرزقكم ويعافيكم، وأنتم تجعلون له الشركاء في العبادة[٨٩٩].

---

(٨٩٦) انظر: النشر ج٢ص٣٠٤، البدور الزاهرة ص١٨٠.

(٨٩٧) انظر: جمهرة اللغة ج٢ص٥٣، المحيط في اللغة ج٢ص٣٩٥.

(٨٩٨) المفردات في غريب القرآن ص٨٨ ـ باختصار وتصرف يسير.

(٨٩٩) انظر: تفسير الطبري ج١٤ص١٤٢، تفسير ابن كثير ج٣ص٢٨، أضواء البيان ج٣ص٢٨٧، تفسير السعدي ص٤٤٢.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءة ﴿تجحدون﴾ بالتاء الفوقية، على الخطاب، رداً على لفظ الخطاب قبله وهو قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلرِّزۡقِۚ﴾ أي: فعل بكم ذلك وتجحدون بنعمة الله ﷻ، أو على معنى: قل لهم يا محمد ﷺ أفبنعمة الله تجحدون؟، فهو خطاب للكفار ويحمل معنى التوبيخ والتقريع لهم، والقراءة بالياء على الغيبة رداً على لفظ الغيبة قبله، وهو قوله: ﴿فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُواْ﴾، وقوله: ﴿فَهُمۡ فِيهِ سَوَآءٌۚ﴾ ولفظ الغيبة أقرب إليه من لفظ الخطاب(٩٠٠)، وفيه معنى الإعراض عنهم تحقيراً لهم لفظاعة فعلهم، وكأنهم لقلة شأنهم ليسوا حريين بالخطاب(٩٠١). وقد سبق الحديث عن فائدة تنوع الأسلوب بين الغيبة والخطاب في القراءات القرآنية وأثره في المعاني في غير موضع، فأغنى عن الإعادة(٩٠٢).

٢١ ـ ﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ مُسَخَّرَٰتٖ فِي جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمۡسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٧٩﴾ [النحل: ٧٩].

القراءات:

١ ـ قرأ ابن عامر، وحمزة، ويعقوب، وخلف ﴿أَلَمۡ تَرَوۡاْ﴾ بتاء الخطاب.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ﴾ بياء الغيبة(٩٠٣).

وقد تقدم الحديث عن هاتين القراءتين عند تفسير قوله تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدٗا لِّلَّهِ وَهُمۡ دَٰخِرُونَ ٤٨﴾ [النحل: ٤٨](٩٠٤).

---

(٩٠٠) انظر: الكشف ج٢ص٣٩، ٤٠، الملخص في إعراب القرآن ص١٤٤.
(٩٠١) انظر: القراءات القرآنية من الوجهة البلاغية ص ٢٨، ٢٩.
(٩٠٢) انظر ص٢٢٨، ٢٣٥ من هذا البحث.
(٩٠٣) انظر: النشر ج٢ص٣٠٤، البدور الزاهرة ص١٨١.
(٩٠٤) انظر ص٢٤٨ من هذا البحث.

٢٢ ـ ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾﴾ [النحل: ٨٠].

القراءات:

١ ـ قرأ ورش، وأبو عمرو، وحفص، وأبو جعفر، ويعقوب ﴿بُيُوتِكُمْ﴾، ﴿بُيُوتًا﴾ بضم الباء.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿بِيُوتِكُم﴾، ﴿بِيُوتاً﴾ بكسر الباء[٩٠٥].

٣ ـ قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر، ويعقوب ﴿ظَعَنِكُمْ﴾ بفتح العين.

٤ ـ قرأ الباقون ﴿ظَعْنِكُمْ﴾ بإسكان العين[٩٠٦].

المعنى اللغوي للقراءات:

١ ـ ﴿بُيُوتِكُمْ﴾: سبق بيانه[٩٠٧].

٢ ـ ﴿ظَعْنِكُمْ﴾: «ظَعَنَ يَظْعَنُ ظَعْناً وظَعَناً بالتحريك وظُعوناً: ذهب وسار، وأَظْعَنه هو سَيَّرَه، والظَّعْنُ سَيْرُ البادية لنُجْعَةٍ أَو حُضُور ماءٍ أَو طَلَبِ مَرْبَعٍ أَو تَحَوُّلٍ من ماء إلى ماء أَو من بلد إلى بلد وقد يقال لكل شاخص لسفَر في حج أَو غزو أَو مَسير من مدينة إلى أُخرى ظاعِنٌ وهو ضدّ الخافِضِ ويقال أَظاعِنٌ أَنت أَم مُقيم؟ والظُّعْنة السَّفْرَة القصيرة، والظَّعِينَة الجمل يُظْعَنُ عليه والظَّعِينة الهَوْدَج تكون فيه المرأَة وقيل هو الهودج كانت فيه أَو لم تكن، والظَّعِينة: المرأَة في الهودج سميت به على حَدِّ تسمية الشيء باسم الشيء لقربه منه، وقيل سميت المرأَة ظَعِينة لأَنها تَظْعَنُ مع زوجها وتقيم بإِقامته كالجليسة. وقيل: كل امرأَة ظَعِينَةٌ في هودج كانت أَو

(٩٠٥) انظر: النشر ج٢ص٢٢٦، مصحف الصحابة للقراءات العشر ص٢٦٦.

(٩٠٦) انظر: النشر ج٢ص٣٠٤، البدور الزاهرة ص١٨١.

(٩٠٧) انظر ص٢١٧ من هذا البحث.

غيره والجمع ظَعائِنُ وظُعْنٌ وظُعُنٌ وأَظْعانٌ وظُعُناتٌ ـ الأَخيرتان جمع الجمع ـ . والظِعانُ: الحبل الذي يشدُّ به الهودج»[٩٠٨].

التفسير:

يذكر تبارك وتعالى تمام نعمه على عباده، بما جعل لهم من البيوت سكناً لهم، يأوون إليها، ويستترون بها، وينتفعون بها سائر وجوه الانتفاع، فذكر أولاً بيوت التمدن المبنية من الحجارة وغيرها، وهي التي للإقامة الطويلة، ثم ذكر بيوت التنقل والترحال وهي التي جعلها لهم ﴿مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ يجدونها خفيفة المحمل في الضرب والنقض والنقل، يوم يرحلون يخف عليهم حملها ونقلها، ويوم ينزلون ويقيمون في مكان يسهل عليهم ضربها. وامتن عليهم بما جعل لهم مِنْ أَصْوَافِ الغنم، وَأَوْبَار الإبل، وَأَشْعَار المعز، ما يتخذونه أثاثاً ومتاعاً في هذه الحياة الدنيا[٩٠٩].

قال ابن عاشور: «والأثاث بفتح الهمزة اسم جمع للأشياء التي تفرش في البيوت كالوسائد والبسط، والمتاع أعمّ من الأثاث، فيشمل الرحائل والعُقل وغيرها، فالمتاع: ما يتمتّع به وينتفع، وهو مشتقّ من المَتع، وهو الذهاب بالشيء، ولِملاحظة اشتقاقه تعلّق به ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾. والمقصود من هذا المتعلّق الوعظ بأنها أو أنهم صائرون إلى زوال يحول دون الانتفاع بها ليكون الناس على أهبة واستعداد للآخرة فيتّبعوا ما يرضي الله تعالى»[٩١٠].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

١ ـ ﴿بُيُوتِكُمْ﴾: سبق بيانه[٩١١].

(٩٠٨) لسان العرب ج٤ص٢٧٤٨ ـ باختصار وتصرف يسير، وانظر: الصحاح ج٦ص٢١٥٩، مختار الصحاح ص٤٠٤، القاموس المحيط ص١٥٦٦.

(٩٠٩) انظر: تفسير الطبري ج١٤ص١٥٣، ١٥٤، تفسير ابن عطية ج٣ص٤١٢، البحر المحيط ج٥ ص ٥٠٧، تفسير ابن كثير ج٣ص٣٢، ٣٣، تفسير الجلالين ص٢٣٨، المقتطف من عيون التفاسير ج٣ص١٥٤، التفسير المنير ج١٤ص١٩٨.

(٩١٠) التحرير والتنوير ج١٤ص٢٣٩ ـ باختصار وتصرف يسير.

(٩١١) انظر ص٢١٨ من هذا البحث.

٢ ـ ﴿طَعْنِكُمْ﴾: ﴿ظَعَنِكُمْ﴾ بفتح العين، و﴿ظَعْنِكُمْ﴾ بسكون العين لغتان في الكلمة كالسَّمْع والسَّمَع، والنَّهْر والنَّهَر[٩١٢]. وقيل الإسكان المصدر، و(الظَعَن) اسم لهذا العمل كقولهم: الطلب الهرب[٩١٣]. والمتأمل لكلتا الكلمتين يجد أنّ السكون بما يوحيه من دوام واستقرار ناسب الأسفار الطويلة، والفتح بما يوحيه من خفة وسرعة، ناسب الأسفار القصيرة، فهذه البيوت التي يتخذها الناس من جلود الأنعام تصلح للاستخدام في الأسفار الطويلة والقصيرة، وهذا من تمام نعمة الله ﷻ على خلقه. والله تعالى أعلم.

٢٣ ـ ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝٩٠﴾ [النحل: ٩٠].

القراءات:

١ ـ قرأ حفص، وحمزة، والكسائي، وخلف ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ بتخفيف الذال.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿تَذَّكَّرون﴾ بتشديد الذال[٩١٤].

وقد تقدم الحديث عن هاتين القراءتين عند تفسير قوله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝٢٤﴾ [هود: ٢٤][٩١٥].

٢٤ ـ ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ۗ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٩٦﴾ [النحل: ٩٦].

---

(٩١٢) انظر: حجة القراءات ص٣٩٣، الكشف ج٢ص٤٠، تفسير ابن عطية ج٣ص٤١٢، البحر المحيط ج٥ص٥٠٧، المغني في توجيه القراءات العشر ج٢ص٣٣٢.

(٩١٣) انظر: الحجة في القراءات السبع ص٢١٢، ٢١٣، الملخص في إعراب القرآن ص١٤٦.

(٩١٤) انظر: النشر ج٢ص٢١٦، البدور الزاهرة ص١٨٢.

(٩١٥) انظر ص٢٥ من هذا البحث.

القراءات:

١ - قرأ ابن كثير، وابن ذكوان بخلفه، وعاصم، وأبو جعفر ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ﴾ بالنون.

٢ - قرأ الباقون ﴿وَلَيَجْزِيَنَّ﴾ بالياء(٩١٦).

المعنى اللغوي للقراءات:

«(جزاء): الجزاء الغَناء والكفاية قال الله تعالى: ﴿لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا﴾ [البقرة: ٤٨]، والجزاء ما فيه الكفاية من المقابلة إن خيراً فخير وإن شراً فشر، يقال جزيته كذا وبكذا قال الله تعالى: ﴿وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ﴾ [طه: ٧٦]، والجزية ما يؤخذ من أهل الذمة وتسميتها بذلك للاجتزاء بها في حقن دمهم قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩]. ويقال: جَازيك فلان أي: كافيك، ويقال جَزيته بكذا وجازيته، ولم يجيء في القرآن إلا جزى دون جَازى، وذاك أن المجازاة هي المكافأة وهي المقابلة من كل واحد من الرجلين، والمكافأة هي مقابلة نعمة بنعمة هي كفؤها ونعمة الله تعالى ليست من ذلك ولهذا لا يستعمل لفظ المكافأة في الله ﷻ وهذا ظاهر»(٩١٧).

التفسير:

يقول تعالى: ما عندكم أيها الناس مما تملكونه من الدنيا زائل وإن كثر، وما عند الله ﷻ من ثواب في الجنة باقٍ لا يزول ولا ينقطع، وليثيبنّ الله ﷻ الذين صبروا على طاعتهم إياه في السراء والضراء، بأحسن ما كانوا يعملون من الأعمال، وليغفرنّ الله ﷻ لهم سيئاتهم بفضله(٩١٨).

---

(٩١٦) انظر: النشر ج٢ص٣٠٤، ٣٠٥ (وقد ذكر عن هشام أيضاً القراءة بالنون)، البدور الزاهرة ص١٨٢.

(٩١٧) المفردات في غريب القرآن ص٩٣.

(٩١٨) انظر: تفسير الطبري ج١٤ ص١٧٠، تفسير ابن كثير ج٣ص٤٠، تفسير السعدي ص٤٧٧، التفسير المنير ج١٤ص٢٢٣.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءة بالنون على الإخبار من الله ﷻ عن نفسه بالجزاء الذي أكده بالقسم، وهو خروج من غيبة إلى إخبار، والقراءة بياء الغيبة على نسق ما قبله وهو قوله تعالى: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾(919).

قال ابن زنجلة: «فالحجة لمن قرأه بالياء أنه ردّه على قوله تعالى: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾، والحجة لمن قرأه بالنون أنه أراد أن يأتي الكلام محمولاً على آخره، فوافق بين قوله تعالى: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ﴾، وقوله ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ﴾ [النحل: 97]، ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ﴾ [النحل: 97]»(920). والوقف على قوله تعالى ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾ كاف على قراء من قرأ ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ﴾ بالنون، وحسن على قراءة من قرأ ﴿وليجزينّ﴾ بالياء(921).

والمتأمل للقراءة بالياء يجد أنّ قلبه قد تعلق بالمعنى السابق: ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾، لذا إن سأل العقل، ما ميزة هذا الجزاء، أُجيب السؤال بلا تردد، هو جزاء من الله وما عند الله باق لا ينفد. وعلى القراءة بالنون نجد أنّ اهتمام القلب، يلتفت إلى معنىً آخر، وهو معنى التفخيم والتعظيم لله سبحانه وتعالى الذي تعهد بنفسه وبلفظ العظمة، فقال: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ﴾، فإن سأل العقل ما ميزة هذا الجزاء، أجيب السؤال بلا تردد، ذلك جزاء من الله وحسب، وكفى به جزاءً. وفي هذه القراءة بيان لرفيع شأن هذا الجزاء.

فالقراءتان معاً بينتا أنّ هذا الجزاء الذي وعد الله ﷻ عباده، يتميز بأنه لا يضاهيه جزاء، فهو جزاء عظيم الشأن وهو باق لا ينفد. وأيضاً فإنّ لاختلاف القراءة هنا فائدة بلاغية تظهر في تنوع الأسلوب، وحمله مرة على ما قبله، ومرة على ما بعده، فجاءت الآيتان على القراءتين كأنهما لُحمة واحدة. كما أنّ تنوع الأسلوب بين الخطاب، والغيبة، أضفى على الكلام

(919) انظر: الكشف ج2ص40، حاشية الشهاب ج5ص647، المغني في توجيه القراءات العشر ج2ص333.

(920) الحجة في القراءات السبع ص213.

(921) انظر: المكتفى في الوقف والابتدا ص356.

طراوة وحسناً على حُسن. والله تعالى أعلم.

٢٥ ـ ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [النحل: ١٠١].

القراءات:

١ ـ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو ﴿يُنْزِلُ﴾ بإسكان النون وتخفيف الزاي.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿يُنَزِّلُ﴾ بفتح النون وتشديد الزاي[٩٢٢].

المعنى اللغوي للقراءات:

سبق بيانه[٩٢٣].

التفسير:

يخبر تعالى عن ضعف عقول المشركين، وأنه لا يُتصور منهم الإيمان، وذلك أنهم إذا رأوا تغيير الأحكام ناسخها بمنسوخها قالوا للرسول ﷺ: إنما أنت كاذب يتقوّل الباطل على الله ﷻ. والحال أنّ الله أعلم بالذي هو أصلح لخلقه فيما يبدِّل ويغير من أحكامه، وهؤلاء المشركون أكثرهم سفهاء يجهلون بأنّ الذي تأتيهم به كله من عند الله، ناسخه ومنسوخه، ويجهلون أنّ في النسخ حكماً بالغة[٩٢٤].

قال ابن عاشور: «وحكاية طعنهم في النبي ﷺ بصيغة قصر الموصوف على الصّفة، فجعلوه لا صفة له إلا الافتراء، وهذا من مجازفتهم وسرعتهم في الحكم الجائر فلم يقتصروا على أن تبديله افتراء بل جعلوا الرسول ﷺ مقصوراً على كونه مفترياً لإفادة أن القرآن الوارد مقصور على كونه افتراء»[٩٢٥].

---

(٩٢٢) انظر: النشر ج٢، البدور الزاهرة ص١٨٢.

(٩٢٣) انظر ص٢٠٠ من هذا البحث.

(٩٢٤) انظر: تفسير الطبري ج١٤ص١٧٦، التسهيل ج١ص١٦٣، تفسير ابن كثير ج٣ص٤٢، المقتطف من عيون التفاسير ج٣ص١٥٨.

(٩٢٥) التحرير والتنوير ج١٤ص٢٨٣ ـ باختصار.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءة ﴿يُنَزِّلُ﴾ بالتشديد من نَزَّل، يُنَزِّل، و﴿يُنْزِلُ﴾ بالتخفيف من أنزل، يُنزل[٩٢٦]. وهما لغتان في الفعل[٩٢٧]، وهما بمعنىً واحد هنا[٩٢٨] وكل كلمة تحمل دلالات في المعنى، فالقراءة بالتشديد تحمل معنى التكرير في النـزول، وذلك أنّ القرآن كان ينـزل على النبي ﷺ شيئاً فشيئاً[٩٢٩]، فأشار بهذه القراءة إلى «تفصيل المنزَّل وتنجيمه بحسب الدواعي»[٩٣٠]. كما أنّ التشديد يفيد معنى استقرار المُنزَل وتنفيذ حكمه[٩٣١]، وكذلك فقد أفادت هذه القراءة أيضاً الاهتمام بشأن المنزل والمبالغة في رفع قدره[٩٣٢] أمّا القراءة بالتخفيف فإنها أفادت مطلق النزول سواء أكان دفعة واحدة أم كان منجّماً، وإن كان «لفظ التضعيف أقوى في إعطاء معنى التنجيم والتفصيل»[٩٣٣]، فعِلم الله جلّ شأنه شامل للكل وللجزئيات. والله تعالى أعلم.

٢٦ - ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [النحل: ١٠٢].

القراءات:

١ - قرأ ابن كثير ﴿القُدْسِ﴾ بإسكان الدال.

٢ - قرأ الباقون ﴿ٱلْقُدُسِ﴾ بضم الدال[٩٣٤].

---

(٩٢٦) انظر: الحجة في القراءات السبع ص٨٥، الكشف ج١ص٢٥٤.
(٩٢٧) انظر: حجة القراءات ص١٠٦.
(٩٢٨) انظر: ملاك التأويل ج١ص١٤٣.
(٩٢٩) انظر: الكشف ج١ص٢٥٤.
(٩٣٠) ملاك التأويل ج١ص١٤١.
(٩٣١) انظر: المرجع السابق ج١ص١٤٢.
(٩٣٢) المرجع نفسه ج١ص١٤٣.
(٩٣٣) بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ص٦٤.
(٩٣٤) انظر: النشر ج٢ص٢١٥، البدور الزاهرة ص١٨٢.

المعنى اللغوي للقراءات:

التقديس: التطهير والتبريك، والقُدْس: البركة[935]، وروح القُدُس: جبريل عليه السلام[936]، لأنه خُلق من طهارة[937].

التفسير:

أمر الله عز وجل نبيه محمد ﷺ في هذه الآية الكريمة أن يقول للمشركين: إنّ هذا القرآن ـ الذي تزعمون أنه افتراء بسبب تبديل الله آية مكان آية ـ إنّما نَزَّله عليّ جبريل عليه السلام من ربي تثبيتاً للمؤمنين، وليزدادوا بتصديقهم بما أُنزل أولاً وثانياً إيماناً مع إيمانهم، وهدًى لهم من الضلالة، وبُشرى للذين استسلموا لله، وانقادوا لأمره ونهيه، وما أنزله في كتابه، فأقرّوا بكل ذلك، وصدقوا به قولاً وعملاً[938].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءة ﴿القُدْسِ﴾ بإسكان الدال تخفيفاً، لتوالي ضمتين، وهي لغة، والقرءاة بالضم على الأصل[939]. وقد ناسب الضم وما به من قوةٍ وفخامةٍ، قوةَ وفخامةَ التقديس والتطهير الذي اتصف به جبريل عليه السلام، وناسب السكون وما به من استقرارٍ، استقرارَ هذه الصفة في جبريل عليه السلام. والله تعالى أعلم.

٢٧ ـ ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [النحل: ١٠٣].

---

(٩٣٥) انظر: لسان العرب ج٥ص٣٥٥٠.

(٩٣٦) انظر: غُرَر التبيان ص٣٠٤، لسان العرب ج٥ص٣٥٥٠.

(٩٣٧) انظر: لسان العرب ج٥ص٣٥٥٠.

(٩٣٨) انظر: تفسير الطبري ج١٤ص١٧٧، تفسير ابن كثير ج٣ص٤٢، أضواء البيان (١٠٢)، المقتطف من عيون التفاسير ج٣ص١٥٨، ١٥٩.

(٩٣٩) انظر: الحجة في القراءات السبع ص٨٥، حجة القراءات ص١٠٥، ١٠٦.

القراءات:

١ - قرأ حمزة والكسائي وخلف ﴿يَلْحَدُونَ﴾ بفتح الياء والحاء.

٢ - قرأ الباقون ﴿يُلْحِدُونَ﴾ بضم الياء وكسر الحاء[٩٤٠].

المعنى اللغوي للقراءات:

أَصل الإِلحادِ المَيْلُ والعُدول عن الشيء. ولَحَد يَلْحَدُ، وأَلحَدَ: مال وعدل. وقيل: لَحَد، مال وجار، وألحَدَ، مارى وجادل[٩٤١]. والمُلْحِدُ: العادل عن الحقِّ، المُدخل فيه ما ليس فيه واللحد: الشق في جانب القبر، وقد لحد القبر: حفره، كذلك وألحده وقد لحدت الميت وألحدته جعلته في اللحد، ويسمى اللحد مُلحداً وذلك اسم موضع من ألحدته، ولحد بلسانه إلى كذا مال[٩٤٢].

قال ابن دريد: «وألحد الرجل إلحاداً إذا مال عن القصد فهو مُلحد، ولا يقال له لاحد وملحد حتى يميل عن حق إلى باطل»[٩٤٣].

وقال الفراء: «﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ﴾: يميلون إليه ويهوونه»[٩٤٤].

التفسير:

يقول تعالى: قد علمنا ما يقول هؤلاء المشركون كذباً وافتراءً وبهتاناً: إنما يعلِّم محمداً ﷺ هذا القرآن بشر من بني آدم، ويشيرون إلى رجل أعجمي كان بين أظهرهم، غلام لبعض بطون قريش. يقول الله ﷻ مكذّباً لهم في قيلهم ذلك: ألا تعلمون كذب ما تقولون، إنّ لغة ذلك الرجل -

(٩٤٠) انظر: النشر ج٢ص٢٧٣، البدور الزاهرة ص١٨٢.

(٩٤١) انظر: لسان العرب ج٥ص٤٠٠٦.

(٩٤٢) انظر: المحيط في اللغة ج٣ص٤١، تهذيب اللغة ج٤ص٤٢١ المفردات في غريب القرآن ص٤٤٨.

(٩٤٣) جمهرة اللغة ج٢ص١٢٥.

(٩٤٤) معاني القرآن للفراء ج٢ص١١٣.

الذي تميلون إليه القول عن الاستقامة وتقولون بأنه يعلم محمداً ﷺ - أعجميّة غير بينة، وهذا القرآن عربي في غاية الفصاحة والبلاغة، فكيف للأعجمي أن يعلم محمداً ﷺ هذا الكتاب العربي المبين[(٩٤٥)].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءة ﴿يُلْحِدُونَ﴾ بضم الياء من ألحد يلحد إلحاداً، والقراءة ﴿يَلْحِدُون﴾ بفتح الياء من لحد يلحد لحداً ولحوداً. وهما لغتان بمعنى الميل والعدول[(٩٤٦)]. وقيل إنّ ألحد بمعنى: اعترض، ولحد بمعنى: مال وعدل[(٩٤٧)].

قال الطبري: «واختلف القرّاء في قراءة قوله: ﴿يُلْحِدُونَ﴾ فقرأته عامّة قرّاء المدينة والبصرة: ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ﴾ بضم الياء من (ألحد يلحد إلحاداً)، بمعنى: يعترضون، ويعدلون إليه، ويعرجون إليه. وقرأ ذلك عامّة قرّاء أهل الكوفة: ﴿لِسَانُ الَّذِي يَلْحِدُونَ إِلَيْهِ﴾ بفتح الياء، يعني: يميلون إليه، من (لحد فلان إلى هذا الأمر يَلْحَد لَحْداً ولُحُوداً)، وهما عندي لغتان بمعنى واحد، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب فيهما الصواب»[(٩٤٨)].

وقال الكسائي: «إنّ كل واحد من (لحدت وألحدت) يأتي بمعنى غير معنى الآخر، وذلك أنّ (ألحدِ يُلحد) معناه اعترض، وأنّ (لَحَدَ يَلحد) معناه مال وعدل، فلما ولي (ألحد) ما يلي الاعتراض الذي هو بمعناه قرأه بألف فقال: ﴿وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، و﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا﴾ [السجدة: ٤٠] بمعنى: يعترضون، إذ كان من عادة (في) أن تصحب الاعتراض الذي بمعنى الإلحاد، فلما ولي الفعل ما ليس من

(٩٤٥) انظر: تفسير الطبري ج١٤ص١٧٩، الكشاف ج٢ص٤٢٩، تفسير ابن كثير ج٣ص٤٢، تفسير أبي السعود ج٣ص٢٩٤، صفوة التفاسير ج٢ص١٤٣.

(٩٤٦) الحجة في القراءات السبع ص١٦٧، الحجة للقراء السبعة ج٥ص٧٨، البحر المحيط ج٥ص٥١٩، روح المعاني ج١٤ص ٢٣٤، التحرير والتنوير ج١٤ ص٢٨٧.

(٩٤٧) انظر: حجة القراءات ص٣٩٤، تفسير الطبري ج١٤ص١٧٩.

(٩٤٨) تفسير الطبري ج١٤ص١٧٩، ١٨٠.

عادة الاعتراض أن يليه وهو (إلى) دلّ على أنّ معناه غير معنى الاعتراض وأنه بمعنى الميل، فقرأه ﴿يَلْحِدُون﴾ بفتح الياء إذ كانت بمعنى يميلون فحسن ذلك، وكان مشهوراً من كلام العرب (لحد فلان إلى كذا) إذا مال إليه»[(949)]. قلت: اختار الكسائي في قراءته الفتح في موضع النحل وذلك لأن التعدية بحرف (إلى) تفيد أنّ المعنى المراد للفعل هنا هو: الميل والعدول وليس الاعتراض. ويمكن القول إنّ لحد وألحد لغتان بمعنًى، وقد تستعمل كل واحدة منهما لمعنىً مختلف، ولكنها في هذه الآية جاءت بمعنىً وهو الميل، وإيراد القراءة بأكثر من لفظ مع اتحاد المعنى فيه توكيد لهذا المعنى، وقد ناسب الفتح بخفته سفاهة عقولهم بزعمهم هذا ولو كان عندهم مسكة عقل ما قالوا ذلك، وناسب الضم بثقله عظيم افترائهم وشدة ميلهم عن الصواب. والله تعالى أعلم.

٢٨ - ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ١١٠﴾ [النحل: ١١٠].

القراءات:

١ - قرأ ابن عامر ﴿فَتَنُوا﴾ بفتح الفاء والتاء.

(٩٤٩) حجة القراءات ص٣٩٤. وقد أورد الطبري عند تفسير قوله تعالى ﴿وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ﴾ [الأعراف: ١٨٠] قولاً آخر للكسائي يعارض ما ذُكر أعلاه حيث قال: «وقد ذكر عن الكسائي أنه كان يفرّق بين (الإلحاد) و(اللحد)، فيقول في (الإلحاد): إنه العدول عن القصد، وفي (اللحد) إنه الركون إلى الشيء. وكان يقرأ جميع ما في القرآن: ﴿يُلۡحِدُونَ﴾ بضم الياء وكسر الحاء، إلا التي في النحل، فإنه كان يقرؤها: ﴿يَلْحَدُون﴾ بفتح الياء والحاء، ويزعم أنه بمعنى الركون» (تفسير الطبري ج٩ ص١٣٤) وقد علق الطبري على ذلك فقال: «وأما سائر أهل المعرفة بكلام العرب، فيرون أن معناهما واحدٌ، وأنهما لغتان جاءتا في حرفٍ واحدٍ بمعنى واحد» (تفسير الطبري ج٩ص١٣٤) وقد آثرت الباحثة عدم ذكر هذا القول لأنها لم تجد ما يعضده في كتب اللغة التي اطلعت عليها، بخلاف القول المثبت في المتن والذي له ما يؤيده في كتب اللغة على ما هو مبين في المعنى اللغوي للقراءات.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿فُتِـنُوا﴾ بضم الفاء وكسر التاء(٩٥٠).

المعنى اللغوي للقراءات:

قال الخليل الفراهيدي: «(فتن): فَتَنَ فلانٌ يَفْتِنُ فهو فاتِنٌ أي مُفتَتِنٌ، والفُتُون مصدرُه، ويقال: فَتَنَة غيرُه. والفَتْنُ: إحراقُ الشيء بالنّارِ كالوَرَق الفتين أي المحترق، وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ۝١٣﴾ [الذاريات: ١٣]، أي يُحرَقُون، وكانَ أصحابُ النبيِّ ﷺ يُفْتَنُون بدينهم، أي يُعَذَّبُون ليَرُدّوا عن دِينهم، ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ [البقرة: ١٩١]، والفِتْنةُ: العَذاب. والفِتنةُ: أن يَفتِنَ اللهُ قوماً أي يَبْتَليهم. والفِتَنُ: ما يَقَعُ بين الناس من الحرب، ويقال في أمر العِشْق: فُتِنَ بها وافتَتَنَ بها أي عَشِقَها»(٩٥١).

التفسير:

تتحدث الآيات عن صنف من المؤمنين كانوا مستضعفين بمكة، مهانين في قومهم المشركين، فوافقوهم على النطق بالكفر ظاهراً، ثمّ أمكنهم الخلاص بالهجرة، فانتظموا في سلك المؤمنين، وجاهدوا المشركين بأيديهم بالسيف وبألسنتهم بالبراءة منهم، ومما يعبدون من دون الله، وصبروا على جهادهم، فأخبر الله تعالى أنه تعالى من بعد فعلتهم هذه لذو ستر على ما كان منهم من إعطاء المشركين ما أرادوا منهم من كلمة الكفر بألسنتهم، وهم لغيرها مضمرون، وللإيمان معتقدون، رحيم بهم أن يعاقبهم عليها مع توبتهم وإنابتهم إلى الله تبارك وتعالى(٩٥٢).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

---

(٩٥٠) انظر: النشر ج٢ص٣٠٥، البدور الزاهرة ص١٨٣.

(٩٥١) العين ج٨ص١٢٧، ١٢٨، وانظر: المفردات في غريب القرآن ص٣٧١، لسان العرب ج٥ ص٣٣٤٤.

(٩٥٢) انظر: تفسير الطبري ج١٤ص١٨٣، تفسير ابن كثير ج٣ص٤٦، التفسير الواضح ج١٤ص٧١، التفسير المنير ١٤ص٢٤٤.

القراءة ﴿فَتَنُوا﴾ بفتح الفاء والتاء، على معنى: من بعد ما فَتَنوا غيرَهم، أي: عذبوا غيرهم ليرتدوا عن الإسلام، ثم أسلموا هم أنفسهم وهاجروا، فالله ﷻ غفور لهم، ويجوز أن يكون المعنى: فتنوا أنفسهم بإظهار ما أظهروا من الكفر. والقراءة ﴿فُتِنُوا﴾ بضم الفاء وكسر التاء، على البناء للمفعول، أي: عُذبوا في الله ﷻ وحُملوا على الارتداد عن دينهم وقلوبهم مطمئنة بالإيمان، فالله ﷻ غفور لهم لما حُملوا عليه وأكرهوا من الارتداد(٩٥٣). فكل قراءة من القراءتين قد سدت مسد آية. والله تعالى أعلم.

٢٩ ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾ [النحل: ١١٥].

القراءات:

١ - قرأ أبو جعفر ﴿المَيِّتَةَ﴾ بتشديد الياء مكسورة.

٢ - قرأ الباقون ﴿ٱلْمَيْتَةُ﴾ بتخفيف الياء ساكنة(٩٥٤).

المعنى اللغوي للقراءات:

قال الفيروزآبادي: «ماتَ يَمُوتُ فهو مَيْتٌ ومَيِّتٌ ضِدُّ حَيٍّ. وماتَ سَكَنَ، ونامَ، وبَلِيَ، أو المَيْتُ، مُخَفَّفَةً الذي ماتَ، والمَيِّتُ والمائِتُ الذي لم يَمُتْ بعدُ، والجمع أَمْواتٌ ومَوْتى ومَيِّتون ومَيْتونَ، وهي مَيِّتَةٌ ومَيْتَةٌ ومَيِّتٌ. والمَيْتَةُ ما لم تَلْحَقْه الذَّكاةُ، وبالكسر للنَّوع. وما أَمْوَتَه، أي ما أَمْوَتَ قَلْبَه، لِأَنَّ كُلَّ فعْلٍ لا يَتَزَيَّدُ، لا يُتَعَجَّبُ منه. والمُواتُ: المَوْتُ. والمَوَات: ما لا رُوحَ فيه، وأرضٌ لا مالكَ لها. والمَوَتانُ، بالتحريكِ خِلافُ الحَيوانِ، أو أرضٌ لم تُحْيَ بعدُ، وبالضم مَوْتٌ يَقَعُ في الماشية، ويُفْتَحُ. وأماتَتِ

---

(٩٥٣) انظر: الحجة في القراءات السبع ص٢١٣، الكشف ج٢ص٤١، الملخص في إعراب القرآن ص١٥٢.

(٩٥٤) انظر: النشر ج٢ص٢٢٤، البدور الزاهرة ص١٨٣.

المرأةُ والناقةُ ماتَ ولَدُها»[٩٥٥].

التفسير:

يقول تعالى: إنما حرم الله تعالى عليكم أيها الناس الميتة وهي كل ما كان موته على غير ذكاة مشروعة ويستثنى منه السمك والجراد، والدم المسفوح، ولحم الخنزير لقذارته وخبثه، وما ذُبح للأصنام والقبور ونحوها، فمن دعته الضرورة وألجأته إلى تناول شيء من هذه المحرمات لجوع غلب على ظنه الهلاك منه، غير باغ على غيره، ولا متجاوز قدر الضرورة، وهو ما يسد الرمق، فإن الله ﷻ غفورٌ رحيمٌ لا يؤاخذه على ذلك[٩٥٦].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءتان على لغتين معروفتين من لغات العرب، والتشديد مع الكسر هو الأصل، والتخفيف مع الإسكان فرع منه لاستثقال الكسر والتشديد على الياء[٩٥٧]. قال ابن خالويه: «الحجة لمن شدد: أن الأصل فيه عن الفرَّاء: (مَويت)، وعن سيبويه: (ميوت)، فلمّا اجتمعت الواو والياء، والسابق منهما ساكن قُلبت الواو ياءً، وأدغمت في الياء فالتشديد لأجل ذلك. والحجة لمن خفف: أنه كره الجمع بين ياءين، والتشديد ثقيل فخفف باختزال إحدى الياءين، إذ كان اختزالها لا يخل بلفظ الاسم، ولا يحيل معناه»[٩٥٨].

وقد اتفق القراء على التشديد في ما لم يمت، واختلفوا فيما عداه، قال الشاطبي:

---

(٩٥٥) القاموس المحيط ص٢٠٦ ـ بتصرف يسير.

(٩٥٦) انظر: تفسير الطبري ج١٤ص١٨٨، تفسير ابن كثير ج٣ص٤٧، تفسير السعدي ص٤٨٠، التفسير المنير ج١٤ص٢٥٦.

(٩٥٧) انظر: الحجة في القراءات السبع ص١٠٧، حجة القراءات ص ١٥٩، الكشف ج١ص٢٣٩.

(٩٥٨) الحجة في القراءات السبع ص ١٠٧، وانظر: الكشف ج١ص٢٣٩.

وما لـم يـمـت لـلـكـل جـاء مـثـقـلا[959]

قال مكي: «وعلى ذلك أجمعوا على التشديد فيما لم يمت، للجمع بين اللغتين، والتخفيف فيما مات وما لم يمت جائز، وكذلك التخفيف والتشديد في ﴿بَلْدَةً مَّيْتًا﴾ يجوز»[960].

مما سبق يتبين أنّ القراءتين جاءتا على لغتين من لغات العرب، وقد ناسبت قراءة ﴿الميِّتَة﴾ بالتشديد وما به من ثقل ما يجتمع في الميّتة من شرور كثيرة ومضار جسيمة، أمّا قراءة ﴿ٱلْمَيْتَةَ﴾ بالتخفيف فإنها توحي بحقارة الميتة وانعدام فائدتها، وكأنّ الحق تبارك وتعالى قد أخبر أنه حرم الميتة لحقارتها ورداءتها وعدم فائدتها، وما يسببه أكلها من مضار جسيمة. والله تعالى أعلم.

٣٠ - ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ [النحل: ١٢٧].

القراءات:

١ - قرأ ابن كثير ﴿ضِيْقٍ﴾ بكسر الضاد.

٢ - قرأ الباقون ﴿ضَيْقٍ﴾ بفتح الضاد[961].

المعنى اللغوي للقراءات:

«(ضيق): الضِّيق ضد السَّعة، ويقال الضَّيْق أيضاً: والضَّيْقَةُ يُستعمل في الفقر والبخل والغمّ ونحو ذلك، قال: ﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ [هود: ٧٧] أي: عجز عنهم، وقال: ﴿وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ﴾ [هود: ١٢]، ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِى﴾ [الشعراء: ١٣]، ﴿وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [النحل: ١٢٧] كل ذلك

(٩٥٩) متن الشاطبية ص٤٤.

(٩٦٠) الكشف ج١ص٢٣٩، ٢٤٠، وانظر: من قضايا اللغة والنحو في كتاب النشر ص٢١، التوجيه اللغوي والبلاغي لقراءة عاصم ص ٨٤.

(٩٦١) انظر: النشر ج٢ص٣٠٥، البدور الزاهرة ص١٨٣.

عبارة عن الحزن وقوله: ﴿وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُواْ عَلَيْهِنَّ﴾ ينطوي على تضييق النفقة وتضييق الصدر، ويقال في الفقر ضاق وأضاق فهو مُضِيق واستعمال ذلك فيه كاستعمال الوُسع في ضده»(٩٦٢).

التفسير:

يقول الله ﷻ لنبيه محمد ﷺ: واصبر يا محمد - ﷺ - على ما أصابك من أذى في الله، وما صبرك إن صبرت إلا بمعونة الله ﷻ، وتوفيقه إياك لذلك، ولا تحزن على هؤلاء المشركين الذين يكذّبونك وينكرون ما جئتهم به من الحق ويُعرضون عن النصيحة، وَلا تَكُ فِي غم مما يجهدون أنفسهم في عداوتك وإيصال الشر إليك، فإن الله كافيك وناصرك، ومؤيدك، ومظفرك بهم(٩٦٣).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

اختلف في توجيه القراءتين فقيل: هما لغتان بمعنى واحد(٩٦٤). وقيل بل هناك فرق بينهما، «وفي الفرق بينهما قولان:

أحدهما: أنه بالفتح ما قلّ، وبالكسر ما كَثُر.

الثاني: أنه بالفتح ما كان في الصدر، وبالكسر ما كان في الموضع الذي يتسع ويضيق(٩٦٥).

قال الفراء: «الضَيق - بالفتح - ما ضاق عنه صدرك، والضِيق - بالكسر - ما يكون في الذي يتسع؛ مثل الدار والثوب وأشباه ذلك، وإذا رأيت الضَّيق وقع في موقع الضِّيق كان على وجهين: أحدهما أن يكون جمعاً

---

(٩٦٢) المفردات في غريب القرآن ص٣٠٠ - باختصار.

(٩٦٣) انظر: تفسير الطبري ج١٤ص١٩٧، ١٨٠، تفسير ابن كثير ج٣ص٥٢، التفسير المنير ج١٤ص٢٧٢.

(٩٦٤) انظر: الملخص في إعراب القرآن ص١٥٦.

(٩٦٥) تفسير الماوردي ج٣ص٢٢٢، وانظر: الفروق في اللغة ص ٣٠٨، الحجة في القراءات السبع ص٢١٢.

واحدته ضَيْقَة، والوجه الآخر أن يراد به شيء ضيّق، فيكون مخففاً، وأصله التشديد مثل هَيْن لَيْن تريد هيّن ليّن»(٩٦٦).

قلت: مفاد القراءتين نفي الضيق بشتى صوره، فتنوع القراءة بين الفتح وما به من خفة، والكسر وما به من ثقل، أفاد النهي عن حصول الضيق قلّ أو كثر. وهذا الاستنتاج يوافق القول الأول في الفرق بين الكلمتين. كما أنّ الله ﷻ نهى حبيبه المصطفى ﷺ أن يضيق صدره أو يضيق عيشه من هؤلاء الكفار. والله تعالى أعلم.

(٩٦٦) معاني القرآن للفراء ج٢ص١١٥، وانظر: تفسير الطبري ج١٤ص١٩٨.

الفهارس

فهرس المراجع

القرآن الكريم.

١. الإبانة عن معاني القراءات ـ أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي (ت٤٣٧هـ) ـ تحقيق: محيي الدين رمضان ـ دار المأمون للتراث ـ دمشق ـ ط١ ـ ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.

٢. إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع للإمام الشاطبي (ت٥٩٠هـ) ـ عبدالرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المعروف بأبي شامة الدمشقي (ت ٦٦٥هـ) ـ تحقيق وتقديم وضبط: إبراهيم عطيوة عوض ـ شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ـ مصر ـ الطبعة الجديدة ـ ١٣٩٨هـ، ١٩٧٨م.

٣. إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر ـ أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبدالغني الدمياطي الشهير بالبناء (ت١١١٧هـ) ـ رواه وصححه وعلق عليه علي محمد الضباع ـ ملتزم الطبع والنشر عبدالحميد أحمد حنفي ـ مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني.

٤. اتفاق المباني وافتراق المعاني ـ سليمان بن بنين الدقيقي النحوي (ت ٦١٤هـ) تحقيق: يحيى عبدالرؤوف جبر ـ دار عمار للنشر والتوزيع ـ عَمَّان ـ ط١ ـ ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

٥. إتقان البرهان في علوم القرآن ـ الأستاذ الدكتور فضل حسن عباس ـ دار الفرقان ـ عمان ـ الأردن ـ ط١ ـ ١٩٩٧م.

٦. الإتقان في علوم القرآن ـ جلال الدين عبدالرحمن السيوطي (ت٩١١) ـ مطبعة مصطفى البابي الحلبي ـ مصر ـ ط٤ ـ ١٣٩٨هـ، ١٩٧٨م.

٧. آثار البلاد وأخبار العباد ـ زكرياء بن محمد بن محمود القزويني ـ دار صادر ـ بيروت ـ (بدون رقم طبعة).

٨. أحكام قراءة القرآن الكريم ـ شيخ المقارئ المصرية: محمود خليل الحصري (ت١٤٠١هـ) ـ ضبط نصه: محمد طلحة بلال منيار ـ المكتبة المكية ـ مكة المكرمة ـ السعودية ـ ط١ ـ ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م.

٩. اختلاف أبنية الأسماء والأفعال في القراءات المنقولة في تفسير أبي حيان البحر المحيط ـ محمد أحمد خاطر ـ مطبعة الأمانة ـ مصر ـ القاهرة ـ (بدون رقم طبعة) ـ ١٩٩٠م.

١٠. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ـ أبو السعود محمد بن محمد العمادي (ت٩٥١هـ) ـ دار الفكر ـ (بدون رقم طبعة أو سنة نشر).

١١. إرشاد المبتدِي وتذكرة المنتَهِي في القراءات العشر ـ أبو العز محمد بن الحسين بن بُندار الواسِطي القلانسي (ت٥٢١) ـ تحقيق ودراسة: عمر حمدان الكُبَيْسي ـ المكتبة الفيصلية ـ مكة المكرمة ـ ط١ ـ ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.

١٢. أساس البلاغة ـ جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري ـ دار صادر ـ بيروت ـ ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.

١٣. الأساس في التفسير ـ سعيد حوى ـ دار السلام ـ القاهرة ـ ط١ ـ ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

١٤. الاستيعاب في معرفة الأصحاب ـ أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبَرّ القرطبي (ت٤٦٣هـ) ـ تحقيق: علي محمد معوض وعادل أحمد عبدالموجود ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ ـ ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.

١٥. أسد الغابة في معرفة الصحابة ـ عز الدين بن الأثير أبو الحسن علي بن محمد الجزري ـ دار الفكر ـ بيروت ـ لبنان ـ طبعة مجددة ـ ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م.

١٦. الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية ـ جلال الدين عبدالرحمن السيوطي (٩١١هـ) ـ تحقيق: خالد عبدالفتاح شبل أبو سليمان ـ دار الفكر ـ بيروت ـ لبنان ـ ط٣، (بدون سنة نشر).

١٧. أحكام القرآن ـ أبو بكر أحمد الرازي الجَصّاص (ت٣٧٠هـ) ـ دار الفكر ـ (لا يوجد بيانات أخرى).

١٨. أسباب النزول ـ أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري (ت٤٦٨هـ) ـ دار الفكر ـ (لا يوجد بيانات أخرى).

١٩. الإصابة في تمييز الصحابة ـ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) ـ تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود وآخرين ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط٢ ـ ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م.

٢٠. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ـ محمد الأمين بن محمد المختار الجَكَني الشنقيطي ـ مكتبة ابن تيمية ـ القاهرة ـ (بدون رقم طبعة) ـ ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

٢١. الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين) ـ خير الدين الزركلي ـ دار العلم للملايين ـ بيروت ـ لبنان ـ ط٨ ـ ١٩٨٩م.

٢٢. إعراب القرآن ـ أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس (ت ٣٣٨)، تحقيق: زهير غازي زاهد ـ عالم الكتب ـ ط٢ ـ ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.

٢٣. إعراب القرآن وبيانه ـ محيي الدين الدرويش ـ دار الإرشاد ـ حمص ـ سورية ـ ط٤ ـ ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م.

٢٤. الإفصاح في فقه اللغة ـ حسين يوسف موسى وعبدالفتاح الصعيدي ـ دار الفكر العربي ـ (بدون رقم طبعة، أو سنة نشر).

٢٥. الإقناع في القراءات السبع ـ أبو جعفر أحمد بن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري (ت٥٤٠هـ) ـ تحقيق: أحمد فريد المزيدي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م.

٢٦. الإكسير في علم التفسير ـ سليمان بن عبدالقوي بن عبدالكريم الصرصري البغدادي (ت ٧١٦هـ) ـ تحقيق: عبدالقادر حسين ـ دار الأوزاعي للطباعة والنشر ـ بيروت ـ لبنان ـ (بدون رقم طبعة) ـ ١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م.

٢٧. الأمثال في القرآن ـ الشريف منصور بن عون العبدلي ـ عالم المعرفة ـ جدة ـ ط١ ـ ١٤٠٦هـ، ١٩٨٥م.

٢٨. إملاء ما منّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن ـ أبي البقاء عبدالله بن الحسين بن عبدالله العكبري (ت٦١٦هـ) ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط١ ـ ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.

٢٩. الإنصاف في مسائل الخلاف ـ كمال الدين أبي البركات عبدالرحمن ابن محمد بن أبي سعيد الأنباري النحوي (ت٥٧٧هـ) ـ المكتبة العصرية ـ بيروت ـ ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.

٣٠. أنوار التنزيل وأسرار التأويل ـ القاضي ناصر الدين أبي سعيد عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت٧٩١هـ) ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ ـ ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

٣١. أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ـ أبو بكر جابر الجزائري ـ المكتبة العصرية ـ بيروت ـ ط٢ ـ ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.

٣٢. بحر العلوم ـ أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت٣٧٥هـ) ـ تحقيق: علي محمد معوض وآخرين ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ ـ ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م.

٣٣. البحر المحيط ـ محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي (ت٧٤٥) ـ تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود وآخرين ـ منشورات محمد علي بيضون ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ ـ ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.

٣٤. البداية والنهاية ـ أبو الفداء الحافظ ابن كثير (ت٧٧٤هـ) ـ دار الفكر ـ بيروت ـ لبنان ـ طبعة جديدة منقحة ـ ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م.

٣٥. البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدرة ـ عبدالفتاح القاضي ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ ـ ١٤٠١هـ، ١٩٨١م.

٣٦. البسط في القراءات العشر ـ سمر العشا ـ مكتبة دار البشائر ـ دمشق ـ ط١ ـ ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٤م.

٣٧. بشير اليسر شرح ناظمة الزهر في علم الفواصل للإمام الشاطبي ـ عبدالفتاح القاضي ـ المكتبة المحمودية التجارية ـ مصر ـ (بدون رقم طبعة أو سنة نشر).

٣٨. البرهان في علوم القرآن ـ بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي ـ تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ ط٢ ـ (بدون سنة نشر).

٣٩. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ـ مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت٨١٧) ـ تحقيق: محمد علي النجار ـ المكتبة العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ (بدون رقم طبعة أو سنة نشر).

٤٠. البلاغة العربية في ثوبها الجديد (الجزء الثاني ـ علم البيان) ـ بكري شيخ أمين ـ دار العلم للملايين ـ بيروت ـ لبنان ـ ط٥ ـ ١٩٩٥م.

٤١. بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ـ فاضل صالح السامرائي ـ عمان ـ ط١ ـ ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

٤٢. البُلغة في الفرق بين المذكر والمؤنث ـ أبو البركات بن الأنباري ـ تحقيق: رمضان عبدالتواب ـ مكتبة الخانجي ـ القاهرة ـ ط٢ ـ ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م.

٤٣. التأنيث في اللغة العربية ـ إبراهيم إبراهيم بركات ـ المكتبة العلمية بالمنصورة ـ ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.

٤٤. تاج العروس من جواهر القاموس ـ محمد مرتضى الزبيدي (ت١٢٠٥هـ) ـ منشورات دار مكتبة الحياة ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ ـ ١٣٠٦هـ.

٤٥. التاريخ الكبير ـ أبو عبدالله إسماعيل بن إبراهيم الجعفي البخاري (ت٢٥٦هـ) ـ مؤسسة الكتب الثقافية (بدون رقم طبعة).

٤٦. التبيان في تفسير غريب القرآن ـ شهاب الدين أحمد بن محمد الهائم المصري (ت٨١٥هـ) ـ تحقيق: فتحي أنور الدابولي ـ دار الصحابة للتراث بطنطا ـ القاهرة ـ ط١ ـ ١٩٩٢م.

٤٧. تحبير التيسير في قراءات الأئمة العشرة ـ محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف الجزري (ت٨٣٣هـ) ـ تحقيق: عبدالفتاح القاضي، محمد الصادق قمحاوي ـ دار الوعي ـ حلب ـ سورية ـ ط١ ـ ١٣٩٢هـ، ١٩٧٢م.

٤٨. التحبير في علم التفسير ـ جلال الدين عبدالرحمن السيوطي (ت٩١١هـ) ـ دار الفكر ـ بيروت ـ ط١ ـ ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م.

٤٩. التحرير والتنوير ـ محمد الطاهر ابن عاشور ـ دار سحنون للنشر والتوزيع ـ تونس ـ (بدون رقم طبعة أو سنة نشر).

٥٠. تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب ـ أثير الدين أبو حيان الأندلسي ـ تحقيق: سمير المجذوب ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت ـ ط١ ـ ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.

٥١. التذكرة في القراءات الثمان ـ أبو الحسن طاهر بن عبدالمنعم بن غَلْبُون المقرئ الحلبي (ت٣٩٩هـ) ـ تحقيق: أيمن رشدي سويد ـ (بدون رقم طبعة أو سنة نشر).

٥٢. الترادف في صيغ الأفعال بين الصرفيين والمعاجم ـ إبراهيم الدسوقي ـ مكتبة الأنجلو المصرية ـ ٢٠٠١م.

٥٣. التسهيل لعلوم التنزيل ـ محمد بن أحمد بن جَزيّ الكلبي (٧٤١هـ) ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ ط٢ ـ ١٣٩٣هـ، ١٩٧٣م.

٥٤. التعبير القرآني ـ فاضل السامرائي ـ دار عمار ـ عمان ـ ط١ ـ ١٩٩٨م.

٥٥. تفسير الجلالين ـ جمال الدين محمد بن أحمد المحلي، وجلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي ـ مكتبة مصر ـ الفجالة ـ القاهرة ـ (بدون رقم طبعة أو سنة نشر).

٥٦. تفسير غريب القرآن ـ أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة (ت٢٧٦هـ) ـ تحقيق: أحمد صقر ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ (بدون رقم طبعة) ـ ١٣٩٨هـ، ١٩٧٨م.

٥٧. تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب ـ محمد الزاري فخر الدين ابن العلاّمة ضياء الدين عمر المشتهر بخطيب الريّ ـ دار الفكر ـ لبنان ـ بيروت ـ ط١ ـ ١٤٠١هـ، ١٩٨١م.

٥٨. تفسير القرآن ـ الإمام عبدالرازق بن همام الصنعاني (ت٢١١هـ)، تحقيق: مصطفى مسلم محمد ـ مكتبة الراشد ـ الرياض ـ ط١٤١٠هـ، ١٩٨٩م.

٥٩. تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار ـ محمد رشيد رضا ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان.

٦٠. التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن ـ عبدالعظيم إبراهيم المطعني ـ مكتبة وهبة ـ القاهرة ـ ط١ ـ ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

٦١. تفسير القرآن العظيم ـ الإمام الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي ـ تحقيق: حامد أحمد الطاهر ـ دار الفجر للتراث ـ القاهرة ـ ط١ ـ ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م.

٦٢. التفسير المنير في العقيدة والشريعة المنهج ـ وهبة الزحيلي ـ دار الفكر ـ دمشق ـ سورية ـ ط١ ـ ١٩٩١م ـ إعادة ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م.

٦٣. التفسير الواضح ـ محمد محمود حجازي ـ دار الجيل ـ بيروت ـ ط٤ ـ ١٣٨٨هـ، ١٩٦٨م.

٦٤. تقريب التهذيب ـ الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢)) ـ تحقيق: محمد عوّامة ـ دار ابن حزم ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ ـ ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

٦٥. التكميل والإتمام لكتاب التعريف والإعلام ـ محمد بن علي الخضر أبو عبدالله المعروف بابن عسكر (ت٦٣٦هـ) ـ تحقيق: حسن إسماعيل مروة ـ دار الفكر ـ دمشق ـ ط١ ـ ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م.

٦٦. تناسق الدرر في تناسب السور ـ جلال الدين عبدالرحمن السيوطي ـ دراسة وتحقيق: عبدالقادر أحمد عطا ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ ـ ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

٦٧. تهذيب اللغة ـ أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت٣٧٠هـ) ـ تحقيق: عبدالسلام هارون ـ المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر ـ (بدون رقم طبعة أو سنة نشر).

٦٨. التوجيه اللغوي والبلاغي لقراءة الإمام عاصم ـ صبري المتولي المتولي ـ دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ـ القاهرة ـ (بدون رقم طبعة) ـ ١٩٩٨م.

٦٩. التيسير في القراءات السبع ـ أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت٤٤٤) ـ تحقيق: أوتو يرتزل ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط١ ـ ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م.

٧٠. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ـ عبدالرحمن بن ناصر السعدي ـ دار المغني ـ الرياض ـ ط١ ـ ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م.

٧١. جامع البيان عن تأويل آي القرآن ـ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ) دار الفكر ـ بيروت ـ ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

٧٢. الجامع لأحكام القرآن ـ أبو عبدالله محمد الأنصاري القرطبي ـ تصحيح: أحمد عبدالعليم البرديني ـ ط٢ ـ ١٣٧٢هـ، ١٩٥٢م.

٧٣. الجرح والتعديل ـ أبو محمد عبدالرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الرازي (ت٣٢٧هـ) ـ مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ـ حيدرآباد الدكن ـ الهند ـ ط١ ـ ١٣٧٢هـ، ١٩٥٢م.

٧٤. جمال القراء وكمال الإقراء ـ علم الدين السخاوي علي بن محمد (ت٦٤٣هـ) ـ تحقيق: علي حسين البواب ـ مكتبة التراث ـ مكة المكرمة ـ ط١ ـ ١٤٠٨هـ، ١٩٨٧م.

٧٥. جمهرة اللغة ـ أبو بكر محمد بن الحسن ابن دريد الأزدي (ت٣٢١هـ) ـ مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ـ حيدر آباد الدكن ـ (بدون رقم طبعة) ـ ١٣٤٥هـ.

٧٦. الجواهر الحسان في تفسير القرآن ـ عبدالرحمن الثعالبي ـ تحقيق: أبي محمد الغماري الإدريسي الحسني ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م.

٧٧. حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي (المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي) ـ شهاب الدين أحمد بن محمد ابن عمر الخَفاجي (ت ١٠٦٩هـ) ـ تحقيق: عبدالرزّاق المهدي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ ـ ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م.

٧٨. حاشية محيي الدين شيخ زاده على تفسير البيضاوي ـ محمد بن مصلح الدين مصطفى القوجَوي الحنفي (ت ٩٥١هـ) ـ تحقيق: محمد عبدالقادر شاهين ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ ـ ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م.

٧٩. الحجة في القراءات السبع ـ ابن خالويه ـ تحقيق عبدالعال سالم مكرم ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ط٦ ـ ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م.

٨٠. حجة القراءات ـ أبو زرعة عبدالرحمن بن محمد بن زنجلة ـ تحقيق: سعيد الأفغاني ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ط ٥ ـ ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م.

٨١. الحجة للقراء السبعة أئمة الأمصار بالحجاز والعراق والشام الذين ذكرهم أبو بكر بن مجاهد ـ أبو علي الحسن بن عبدالغفار الفارسي (ت٣٧٧هـ) ـ تحقيق: علي القهوجي وبشير جويجاتي ـ دار المأمون للتراث ـ دمشق ـ ط١ ـ ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م.

٨٢. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ـ عبدالقادر بن عمر البغدادي (ت١٠٩٣هـ) ـ المطبعة الميرية ـ بولاق ـ ط١ ـ (بدون سنة نشر).

٨٣. خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية ـ عبدالعظيم إبراهيم محمد المطعني ـ مكتبة وهبة ـ القاهرة ـ ط١ ـ ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م.

٨٤. دراسات لأسلوب القرآن الكريم ـ محمد عبدالخالق عضيمة ـ دار الحديث ـ مصر ـ (بدون رقم طبعة أو سنة نشر).

٨٥. دراسات وآراء في ضوء علم اللغة المعاصر (٣) في التحليل اللغوي منهج وصفي تحليلي وتطبيقه على التوكيد اللغوي، والنفي اللغوي، وأسلوب الاستفهام ـ خليل أحمد عمايرة ـ مكتبة المنار ـ الأردن ـ الزرقاء ـ ط١ ـ ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.

٨٦. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ـ شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد الشهير بابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ) ـ دار الجيل ـ بيروت ـ (بدون رقم طبعة أو سنة نشر).

٨٧. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ـ شهاب الدين أبو العباس بن يوسف بن محمد ابن إبراهيم المعروف بالسمين الحلبي ـ تحقيق وتعليق: الشيخ علي محمد معوض وآخرين ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ ـ ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م.

٨٨. الدر المنثور في التفسير بالمأثور ـ عبدالرحمن بن الكمال جمال الدين السيوطي (ت٩١١هـ) ـ دار الفكر ـ بيروت ـ لبنان ـ ١٩٩٣هـ، ١٤١٤م.

٨٩. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ـ شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي (ت١٢٧هـ) ـ دار الفكر ـ بيروت ـ طبعة جديدة ١٣٩٨هـ، ١٩٧٨م.

٩٠. الريح والرياح في القرآن الكريم وفي كلام العرب ـ علي محمد حسن العماري ـ مجلة الأزهر ـ شوال ١٤١٧هـ.

٩١. زاد المسير في علم التفسير ـ أبو الفرج جمال الدين عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي (ت ٥٩٧هـ) ـ تحقيق: محمد عبدالرحمن عبدالله ـ دار الفكر ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.

٩٢. زهرة التفاسير ـ الإمام محمد أبو زُهرة (ت ١٣٩٤هـ، ١٩٨٤م) ـ دار الفكر العربي ـ القاهرة ـ (بدون رقم طبعة أو سنة نشر).

٩٣. السبعة في القراءات ـ أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد التميمي البغدادي ـ تحقيق: شوقي ضيف ـ دار المعارف ـ القاهرة ـ ط٢.

٩٤. سفر السعادة وسفير الإفادة ـ علم الدين أبو الحسن علي بن محمد السخاوي (ت٦٤٢هـ) ـ تحقيق محمد أحمد الدالي ـ دار صادر ـ بيروت ـ ط٢ ـ ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.

٩٥. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها ـ محمد ناصر الدين الألباني ـ مكتبة المعارف ـ الرياض ـ طبعة جديدة منقحة ـ ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.

٩٦. سنن أبي داوود ـ أبو داوود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت٢٧٥هـ) ـ تحقيق صدقي جميل البيطار ـ دار الفكر ـ بيروت ـ لبنان ـ ط٣ ـ ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

٩٧. سنن الترمذي وهو الجامع المختصر من السنن عن رسول الله ﷺ ومعرفة الصحيح والمعلول وما عليه العمل ـ أبو عيسى بن محمد بن عيسى بن سَورة (ت٢٧٩هـ) ـ تحقيق: صدقي محمد العطار ـ دار الفكر ـ بيروت ـ لبنان ـ ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م.

٩٨. سنن الترمذي وهو الجامع المختصر من السنن عن رسول الله ﷺ ومعرفة الصحيح والمعلول وما عليه العمل ـ أبو عيسى بن محمد بن عيسى بن سَورة (ت٢٧٩هـ) ـ حكم على أحاديثه وعلق عليه: العلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني ـ مكتبة المعارف ـ الرياض ـ ط١ ـ (لا يوجد سنة نشر).

٩٩. سنن النسائي ـ أبو عبدالرحمن أحمد بن شعيب بن علي الشهير بالنسائي (ت٣٠٣هـ) ـ حكم على أحاديثه وعلق عليه: العلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني ـ مكتبة المعارف ـ الرياض ـ ط١ ـ (لا يوجد سنة نشر).

١٠٠. سورة يوسف دراسة تحليلية ـ أحمد نوفل ـ دار الفرقان للنشر والتوزيع ـ عَمان ـ الأردن ـ ط٢ ـ ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

١٠١. سير أعلام النبلاء ـ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت٧٤٨هـ) ـ مؤسسة الرسالة ـ تحقيق كامل الخرّاط ـ ط٦ ـ ١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م.

١٠٢. شذا العرف في فن الصرف ـ أحمد الحملاوي ـ دار الفكر ـ ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م.

١٠٣. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ـ قاضي القضاة بهاء الدين عبدالله ابن عقيل العقيلي الهمداني المصري (ت٧٦٩هـ) ـ دار الخير ـ دمشق ـ ط١ ـ ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م.

١٠٤. شرح طيبة النشر في القراءات العشر ـ شهاب الدين أبو بكر أحمد بن محمد بن محمد بن الجزري الدمشقي (ت٨٣٥هـ) ـ ضبطه وعلق عليه: أنس مهرة ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ ـ ١٤١٨هـ.

١٠٥. شرح طيبة النشر في القراءات العشر ـ أبو القاسم النويري ـ تحقيق وتعليق: عبدالفتاح السيد سليمان أبو سِنَّة ـ الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ـ (بدون رقم طبعة أو سنة نشر).

١٠٦. شرح مشكل الآثار ـ أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي (ت٣٢١هـ) ـ تحقيق: شعيب الأرنؤوط ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ط١ ـ ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م.

١٠٧. شعب الإيمان ـ الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي(ت٤٥٨هـ) ـ تحقيق: أبي هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ ـ ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م.

١٠٨. الصاحبي ـ أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت٣٩٥هـ) ـ تحقيق أحمد صقر ـ مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ـ القاهرة ـ (بدون رقم طبعة أو سنة نشر).

١٠٩. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ـ إسماعيل بن حمّاد الجوهري ـ تحقيق أحمد عبدالغفور عطّار ـ دار العلم للملايين ـ بيروت ـ ط٢ ـ ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.

١١٠. صحيح ابن خزيمة ـ أبو بكر محمد بن إسحق بن خزيمة السلمي النيسابوري (ت٣١١هـ) ـ تحقيق محمد مصطفى الأعظمي ـ المكتب الإسلامي ـ ط١ ـ ١٣٩١هـ، ١٩٧١م.

١١١. صحيح البخاري ـ أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ) ـ اعتنى به أبو صهيب الكرمي ـ بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع ـ الرياض ـ ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.

١١٢. صحيح مسلم وهو المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله ﷺ ـ أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ) ـ اعتنى به: صدقي جميل العطار ـ دار الفكر ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ ـ ١٤٢٤، ٢٠٠٣م.

١١٣. الصحيح المسند من أسباب النزول ـ أبي عبدالرحمن مقبل بن هادي الوادعي ـ دار ابن حزم ـ بيروت ـ لبنان ـ ط٢ ـ ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م.

١١٤. صفوة التفاسير ـ محمد علي الصابوني ـ دار القرآن الكريم ـ بيروت ـ ط٤ ـ ١٤٠٢هـ، ١٩٨١م.

١١٥. الطبقات الكبرى ـ محمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري المعروف بابن سعد (٢٣٠هـ) ـ تحقيق: محمد عبدالقادر عطا ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ ـ ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م.

١١٦. طبقات المفسرين ـ شمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداوودي (ت٩٤٥هـ) ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ (بدون رقم طبعة أو سنة نشر).

١١٧. طلائع البشر في توجيه القراءات العشر ـ محمد الصادق قمحاوي ـ مطبعة النصر ـ مصر ـ ط١ ـ (بدون سنة نشر).

١١٨. العباب الزاخر واللباب الفاخر ـ الحسن بن محمد بن الحسن الصنعاني (ت٦٥٠هـ) ـ تحقيق: محمد حسن آل ياسين ـ مطبعة دار المعارف ـ ط١ ـ ١٣٩٧هـ، ١٩٧٧م.

١١٩. علم القراءات، نشأته، أطواره ـ أثره في العلوم الشرعية ـ نبيل بن محمد إبراهيم آل إسماعيل ـ تقديم: عبدالعزيز بن عبدالله آل الشيخ ـ مكتبة التوبة ـ الرياض ـ المملكة العربية السعودية ـ ط١ ـ ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م.

١٢٠. عون المعبود شرح سنن أبي داوود ـ محمد شمس الحق العظيم آبادي ـ تحقيق: صدقي محمد جميل العطار ـ دار الفكر ـ بيروت ـ لبنان ـ ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.

١٢١. العين ـ أبو عبدالرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٥هـ) ـ تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي ـ ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

١٢٢. غاية الاختصار في قراءات العشرة أئمة الأمصار ـ أبو العلاء الحسن بن أحمد بن الحسن الهمذاني العطار (ت٥٦٩هـ) ـ تحقيق: أشرف محمد فؤاد طلعت ـ الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم ـ جدة ـ ط١ ـ ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.

١٢٣. الغاية في القراءات العشر ـ أحمد بن الحسين بن مهران النيسابوري (ت٣٨١هـ) ـ تحقيق: محمد غياث الجنباز ـ ط١ ـ ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

١٢٤. غاية المريد في علم التجويد ـ عطية قابل نصر ـ دار الحرمين للطباعة ـ القاهرة ـ ط٤ ـ ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م.

١٢٥. غاية النهاية في طبقات القراء ـ شمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن الجزري (ت٨٣٣هـ) ـ عني بنشره: ج. برجستراسر G. BERGSTRAESSER ـ مكتبة المتنبي ـ القاهرة.

١٢٦. غرر التبيان في من لم يُسَمَّ في القرآن ـ بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله ابن جماعة الكناني الحموي الشافعي (ت٧٣٣هـ) ـ تحقيق عبدالجواد خلف ـ دار قتيبة ـ دمشق ـ ط١ ـ ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م.

١٢٧. غريب القرآن وتفسيره ـ أبو عبدالرحمن عبدالله بن يحيى بن المبارك العدوي البغدادي المعروف بابن اليزيدي (ت ٢٣٧هـ) ـ تحقيق: عبدالرزاق حسين ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ط١ ـ ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.

١٢٨. فتح الباري بشرح صحيح البخاري ـ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ) ـ رقّم كتبه، وأبوابه، وأحاديثه: محمد فؤاد عبدالباقي ـ قام بإخراجه: محب الدين الخطيب ـ دار المعرفة للطباعة والنشر ـ بيروت ـ لبنان (بدون رقم طبعة أو سنة نشر).

١٢٩. فتح القدير الجامع بين فنّي الرواية والدراية من علم التفسير ـ محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت١٢٥٠هـ) ـ دار المعرفة للطباعة والنشر ـ بيروت ـ لبنان ـ (بدون رقم طبعة أو سنة نشر).

١٣٠. الفروق في اللغة ـ أبو هلال العسكري (ت٣٨٢هـ) ـ تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة ـ دار الآفاق الجديدة ـ بيروت ـ ط٥ ـ ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.

١٣١. الفروق اللغوية وأثرها في تفسير القرآن الكريم ـ محمد بن عبدالرحمن بن صالح الشايع ـ مكتبة العبيكان ـ الرياض ـ ط١ ـ ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م.

١٣٢. الفريد في إعراب القرآن المجيد ـ المنتجب حسين بن أبي العز الهمذاني (ت٦٤٣هـ)، تحقيق: فهمي حسن العمر وفؤاد علي مخيمر ـ دار الثقافة ـ الدوحة ـ قطر ـ ط ١ ـ ١٤١١هـ، ١٩٩١م.

١٣٣. فنون الأفنان في عيون علوم القرآن ـ أبو الفرج جمال الدين عبدالرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي ت٥٩٧هـ ـ تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ ـ ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.

١٣٤. الفهرست ـ النديم أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحق المعروف بالورّاق ـ تحقيق: رضا تجدد بن علي بن زين العابدين الحائري المازندي ـ دار المسيرة ـ ط٣ ـ ١٩٨٨م.

١٣٥. في ظلال القرآن ـ سيد قطب ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان ـ ط٧ ـ ١٣٩١هـ، ١٩٧١م.

١٣٦. القاموس المحيط ـ العلامة اللغوي مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت٨١٧هـ) ـ تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ط٢ ـ ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.

١٣٧. القراءات أحكامها ومصادرها ـ شعبان محمد إسماعيل ـ دار الأصفهاني للطباعة ـ جدة ـ (بدون رقم طبعة) ـ ١٤٠٢هـ.

١٣٨. القراءات وأثرها في علوم العربية ـ محمد سالم محيسن ـ دار الجيل ـ ط١ ـ ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م.

١٣٩. القراءات العشر المتواترة في هامش القرآن الكريم ـ إعداد محمد كريم راجح (شيخ القراء في الديار الشامية) ـ فكرة علوي بن محمد بن أحمد بلفقيه ـ دار المهاجر ـ المدينة المنورة ـ تريم ـ حضرموت ـ ط٣ ـ ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.

١٤٠. القراءات القرآنية، تاريخ وتعريف ـ د. عبدالهادي الفضلي ـ دار القلم ـ بيروت ـ لبنان ـ ط٣ ـ ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

١٤١. القراءات القرآنية تاريخها، ثبوتها، حجيتها، وأحكامها ـ عبدالحليم بن محمد الهادي قابة ـ إشراف ومراجعة وتقديم مصطفى سعيد الخن ـ دار الغرب الإسلامي ـ ط١ ـ ١٩٩٩م.

١٤٢. القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث ـ عبدالصبور شاهين ـ مكتبة الخانجي ـ القاهرة ـ (بدون رقم طبعة أو سنة نشر).

١٤٣. القراءات القرآنية من الوجهة البلاغية ـ د. فضل حسن عباس ـ مجلة دراسات ـ المجلد الرابع عشر ـ العدد السابع ـ ١٩٨٧م.

١٤٤. القراءات القرآنية وموقف النحو والاستشراق منها ـ راضي نواصره ـ مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع ـ إربد ـ الأردن ـ ٢٠٠٣م.

١٤٥. القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني والأحكام الشرعية ـ محمد الحبش ـ دار الفكر ـ دمشق ـ سورية ـ ط١ ـ ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م.

١٤٦. القراءات وأثرها في التفسير والأحكام ـ رسالة دكتوراة ـ إعداد محمد بن عمر بن سالم بازمول ـ إشراف عبدالستار فتح الله سعيد ـ دار الهجرة للنشر والتوزيع ـ الرياض ـ ط١ ـ ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م.

١٤٧. قراءة ابن كثير وأثرها في الدراسات النحوية ـ رسالة دكتوراة ـ إعداد: عبدالهادي الفضلي ـ إشراف دكتور أمين علي السيد ـ كلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة ـ ١٣٩٥هـ، ١٩٧٥م.

١٤٨. القطع والائتناف أو الوقف والابتداء ـ أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس (ت٣٣٨) ـ تحقيق: أحمد فريد المزيدي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط١ ـ ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م.

١٤٩. قلائد الفكر في توجيه القراءات العشر ـ قاسم أحمد الدجوي ومحمد الصادق قمحاوي ـ مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده ـ ط٣ ـ (بدون سنة نشر).

١٥٠. القواعد والإشارات في أصول القراءات ـ القاضي أحمد بن عمر بن محمد بن أبي الرضا الحموي (ت٧٩١هـ) ـ تحقيق: عبدالكريم بن محمد الحسن بكّار ـ دار القلم ـ دمشق ـ ط١ ـ ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

١٥١. القواعد والفوائد في الإعراب ـ جمال الإسلام أبو الحسن محمد بن محمد الخاوراني الشوكاني ـ تحقيق: عبدالله بن حمد الخثران ـ دار المعرفة الجامعية ـ الإسكندرية ـ مصر ـ ط١ ـ ١٩٩٣م.

١٥٢. الكتاب ـ سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان (ت١٨٠هـ) ـ تحقيق: عبدالسلام محمد هارون ـ مكتبة الخانجي ـ القاهرة ـ ط٣ ـ ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

١٥٣. الكافي في القراءات السبع ـ أبو عبدالله محمد بن شريح (ت ٤٧٦هـ) ـ تحقيق: جمال الدين محمد شرف ـ دار الصحابة للتراث ـ طنطا ـ (بدون رقم طبعة أو سنة نشر).

١٥٤. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ـ أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ـ (ت٥٣٨هـ) ـ تحقيق: محمد الصادق قمحاوي ـ شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ـ الطبعة الأخيرة ـ ١٣٩٢هـ، ١٩٧٢م.

١٥٥. الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها ـ أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧هـ) ـ تحقيق: محيي الدين رمضان ـ مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ـ ١٣٩٤هـ، ١٩٧٤م.

١٥٦. الكنز في القراءات العشر ـ نجم الدين الواسطي (ت٧٤٠هـ) ـ دراسة وتحقيق عبدالرحمن يوسف أحمد الجمل ـ رسالة دكتوراة ـ جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية ـ ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م.

١٥٧. اللامات دراسة نحوية شاملة في ضوء القراءات القرآنية ـ عبدالهادي الفضلي ـ دار القلم ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ ـ ١٩٨٠م.

١٥٨. لباب التأويل في معاني التنزيل ـ علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن (ت٧٢٥هـ) ـ شركة مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ـ مصر ـ ط٢ ـ ١٣٧٥هـ، ١٩٥٥م.

١٥٩. اللباب في علل البناء والإعراب ـ أبو البقاء عبدالله بن الحسين العُكبري (ت٦١٦هـ) ـ تحقيق غازي مختار طليمات ـ دار الفكر ـ دمشق ـ ط١ ـ ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م.

١٦٠. لسان العرب ـ محمد بن عبيد الله ابن منظور (ت٧٥٠هـ) ـ تحقيق: عبدالله علي الكبير، وآخرين ـ دار المعارف ـ طبعة جديدة ـ (بدون سنة نشر).

١٦١. لمسات بيانية في نصوص من التنزيل ـ فاضل صالح السامرائي ـ دار عمان للنشر والتوزيع ـ عمان ـ الأردن ـ ط١ ـ ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

١٦٢. اللُمع في العربية ـ أبو الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ) ـ تحقيق: حسين محمد محمد شرف ـ ط١ ـ ١٣٩٨هـ، ١٩٧٨م.

١٦٣. اللهجات العربية في القراءات القرآنية ـ عبده الرجحي ـ دار المعرفة الجامعية ـ الإسكندرية ـ ١٩٩٧م.

١٦٤. ما انفرد به كل من القراء السبعة وتوجيهه في النحو العربي ـ عبدالقادر الهَيْتي ـ منشورات جامعة قاريونس ـ بنغازي ـ ط١ ـ ١٩٩٦م.

١٦٥. المبسوط في القراءات العشر ـ أبو بكر أحمد بن الحسين بن مهران الأصبهاني (ت٣٨١هـ) ـ تحقيق: سبيع حمزة حاكمي ـ مطبوعات مجمع اللغة العربية ـ دمشق ـ (بدون رقم طبعة أو سنة نشر).

١٦٦. متن الشاطبية المسمى حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع ـ القاسم بن فيرُّه بن خلف بن أحمد الشاطبي الرعيني الأندلسي (ت٥٩٠هـ) ـ ضبطه وصححه وراجعه: محمد تميم الزعبي ـ مكتبة دار الهدى للنشر والتوزيع ـ المدينة المنورة ـ ط٣ ـ ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م.

١٦٧. مجمع البيان في تفسير القرآن ـ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي ـ دار الفكر ـ بيروت ـ لبنان ـ ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.

١٦٨. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ـ الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (ت٨٠٧) ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ (بدون رقم طبعة أو سنة نشر).

١٦٩. مجمل اللغة ـ أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا اللغوي (ت٣٩٥) ـ دراسة وتحقيق: زهير عبدالمحسن سلطان ـ مؤسسة الرسالة ـ ط١ ـ ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

١٧٠. مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ـ جمع وترتيب: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي وساعده ابنه محمد ـ إشراف الرئاسة العامة لشئون الحرمين الشريفين ـ المملكة العربية السعودية ـ (بدون رقم طبعة أو سنة نشر).

١٧١. محاسن التأويل - جمال الدين القاسمي (ت١٣٣٢هـ) - وقف على طبعه وتصحيحه: محمد فؤاد عبدالباقي - دار الفكر - بيروت - ط٢ - ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م.

١٧٢. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز - أبو محمد عبدالحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت ٥٤٦هـ) - تحقيق: عبدالسلام عبدالشافي محمد - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط١ - ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م.

١٧٣. المحيط في اللغة - الصاحب إسماعيل بن عَبَّاد (ت ٣٨٥هـ) - تحقيق: محمد حسن آل ياسين - عالم الكتب - بيروت - لبنان - ط١ - ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.

١٧٤. مختار الصحاح - محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي (ت٧٢١هـ) - تحقيق: محمود خاطر - دار الفكر - بيروت - لبنان - (بدون رقم طبعة أو سنة نشر).

١٧٥. مختصر في مذاهب القراء السبعة بالأمصار - أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت٤٤٤هـ) - تحقيق أحمد محمود عبدالسميع الشافعي - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط١ - ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م.

١٧٦. مدارك التنزيل وحقائق التأويل - أبو البركات عبدالله بن أحمد بن محمود النسفي - تحقيق: سيد زكريا - مكتبة نزار مصطفى الباز - ط١ - ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م.

١٧٧. المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز - شهاب الدين عبدالرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المعروف بأبي شامة المقدسي (ت٦٦٥هـ) - تحقيق: طيار آلتي قولاج - دار صادر - بيروت - (بدون رقم طبعة) - ١٣٩٥هـ.

١٧٨. المزهر في علوم اللغة وأنواعها - عبدالرحمن جلال الدين السيوطي - تحقيق: محمد أحمد جاد المولى وآخرين - دار الفكر - (لا يوجد رقم طبعة أو سنة نشر).

١٧٩. المسائل العسكريات في النحو العربي - أبو علي النحوي (ت٢٧٧هـ) - تحقيق: علي جابر المنصوري - الدار العلمية الدولية للنشر والتوزيع - عمان - الأردن - ط١ - ٢٠٠٢م.

١٨٠. المستدرك على الصحيحين - الحافظ أبو عبدالله محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري - دراسة وتحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط١ - ١٤١١هـ، ١٩٩٠م.

١٨١. المشاهد في القرآن الكريم دراسة تحليلية وصفية - حامد صادق قنيبي - مكتبة المنار - الزرقاء - الأردن - ط١ - ١٩٨٤م.

١٨٢. مشكل إعراب القرآن ـ مكي بن أبي طالب القيسي (ت٤٣٧) ـ تحقيق: حاتم صالح الضامن ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ (بدون رقم طبعة) ـ ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

١٨٣. مصحف الصحابة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدرة ـ جمال الدين محمد شرف ـ دار الصحابة للتراث ـ طنطا ـ ط١ ـ ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م.

١٨٤. معالم التنزيل في التفسير والتأويل ـ أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي (ت٥١٠هـ) ـ دار الفكر ـ لبنان ـ بيروت ـ ط١ ـ ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م.

١٨٥. معاني القراءات ـ الإمام أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت٣٧٠هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد فريد المزيدي ـ قدم له: د. فتحي عبدالرحمن حجازي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ ـ ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

١٨٦. معاني القرآن ـ أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت٢٠٧هـ) ـ عالم الكتب ـ بيروت ـ ط٣ ـ ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.

١٨٧. معاني القرآن ـ الأخفش سعيد بن مسعدة البلخي المجاشعي ـ تحقيق عبدالأمير محمد أمين الورد ـ عالم الكتب ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ ـ ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

١٨٨. معاني القرآن ـ علي بن حمزة الكسائي (ت١٨٩هـ) ـ أعاد بناءه وقدم له: عيسى شحاتة عيسى ـ دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ـ (بدون رقم طبعة) ـ ١٩٩٨م.

١٨٩. معاني القرآن وإعرابه ـ الزجاج أبو إسحق إبراهيم السَّري (ت٣١١هـ) ـ شرح وتحقيق: عبدالجليل عبده شلبي ـ دار الوليد ـ جدة ـ ط١ ـ ١٤١٤ ـ ١٩٩٤م.

١٩٠. معجم البلدان ـ شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي (ت٦٢٦هـ) ـ تحقيق: فريد عبدالعزيز الجندي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ ـ ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م.

١٩١. معجم حروف المعاني في القرآن الكريم مفهوم شامل مع تحديد دلالة الأدوات ـ محمد حسن الشريف ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ط١ ـ ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م.

١٩٢. المعجم الكبير ـ الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت٣٦٠هـ) ـ تحقيق: حمدي عبدالمجيد السلفي ـ مكتبة ابن تيمية ـ القاهرة ـ (بدون رقم طبعة أو سنة نشر).

١٩٣. معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر ـ عادل نويهض ـ مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر ـ ط١ ـ ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.

١٩٤. معجم مقاييس اللغة - أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت٣٩٥هـ) - تحقيق: عبدالسلام محمد هارون - دار الفكر - بيروت - (بدون رقم طبعة) - ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.

١٩٥. معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار - شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت٧٤٨هـ) - تحقيق بشار عواد معروف وآخرون - مؤسسة الرسالة - بيروت - ط١ - ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.

١٩٦. المغني في توجيه القراءات العشر المتواترة - د. سالم محمد سالم محيسن - دار الجيل - بيروت - لبنان - ط٢ - ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

١٩٧. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب - أبو محمد عبدالله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبدالله بن هشام الأنصاري المصري (ت٧٦١هـ) - تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد - (بدون رقم طبعة أو سنة نشر).

١٩٨. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة - أبو عبدالله محمد بن أبي بكر الدمشقي المشهور بابن قيم الجوزية - نشر وتوزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية - (بدون رقم طبعة أو سنة نشر).

١٩٩. مفاتيح الأغاني في القراءات والمعاني - أبي علاء الكرماني (ت٥٦٣هـ) - دراسة وتحقيق عبدالكريم مصطفى مدلج - دار ابن حزم - بيروت - ط١ - ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.

٢٠٠. المفردات في غريب القرآن - أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصبهاني (ت ٥٠٢ هـ) - تحقيق وضبط: محمد سيد كيلاني - دار المعرفة - بيروت - لبنان (بدون رقم طبعة).

٢٠١. المَفَصَّل في شرح المُفَصَّل - علم الدين علي بن محمد السخاوي (ت٦٤٣هـ) - تحقيق: يوسف الحشكي - إصدار وزارة الثقافة - عمان - المملكة الأردنية الهاشمية - ٢٠٠٢م.

٢٠٢. المقتضب - أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (ت٢٨٥هـ) - تحقيق: محمد عبدالخالق عضيمة - وزارة الأوقاف المجلس الأعلى لشئون الإسلامية لجنة إحياء التراث - جمهورية مصر العربية - ١٣٨٦هـ.

٢٠٣. المقتطف من عيون التفاسير - مصطفى المنصوري - تحقيق: محمد علي الصابوني - دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع - ط١ - ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م.

٢٠٤. المكتفى في الوقف والابتدا في كتاب الله عز وجلّ - الإمام المقرئ أبو عمرو عثمان بن سعيد الدّاني الأندلسي (ت ٤٤٤هـ) - تحقيق: يوسف عبدالرحمن المرعشلي - مؤسسة الرسالة - بيروت - ط٢ - ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.

٢٠٥. ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل ـ أحمد بن الزبير الغرناطي ـ تحقيق: محمود كامل أحمد ـ دار النهضة العربية ـ بيروت ـ ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

٢٠٦. الملخص في إعراب القرآن ـ أبو زكريا يحيى بن علي بن محمد بن الحسن المعروف بالخطيب التبريزي (ت ٥٠٢هـ) ـ تحقيق: يحيى مراد ـ دار الحديث ـ القاهرة ـ ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م.

٢٠٧. منار الهدى في بيان الوقف والابتدا ـ أحمد بن محمد بن عبدالكريم الأشموني ـ دار المصحف للعناية بطبعه ونشر علومه ـ دمشق ـ ط٢ ـ ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.

٢٠٨. مناهل العرفان في علوم القرآن ـ محمد عبدالعظيم الزرقاني ـ دار الفكر ـ (بدون رقم طبعة أو سنة نشر).

٢٠٩. المنتخب في تفسير القرآن الكريم ـ لجنة القرآن والسنة ـ وزارة الأوقاف ـ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ جمهورية مصر العربية ـ مؤسسة الأهرام ـ القاهرة ـ ط١٨ ـ ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م.

٢١٠. منجد المقرئين ومرشد الطالبين ـ شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن محمد ابن الجزري ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م.

٢١١. من قضايا اللغة والنحو في كتاب النشر لابن الجزري ـ فؤاد أحمد السيد الحطاب ـ دار الطباعة المحمدية بالأزهر ـ القاهرة ـ ط١ ـ ١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م.

٢١٢. منهج الإمام الطبري في القراءات في تفسير ـ رسالة ماجستير ـ إعداد: عبدالرحمن يوسف الجمل ـ إشراف: الدكتور فضل حسن عباس ـ الجامعة الأردنية ـ ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.

٢١٣. موسوعة القرآن العظيم ـ عبدالمنعم الحفني ـ مكتبة مدبولي ـ القاهرة ـ ط١ ـ ٢٠٠٤م.

٢١٤. النحو الوافي مع ربطه بالأساليب الرفيعة، والحياة اللغوية المتجددة ـ عباس حسن ـ دار المعارف بمصر ـ القاهرة ـ ط٥ ـ (بدون سنة نشر).

٢١٥. النشر في القراءات العشر ـ أبي الخير محمد بن محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري ـ (ت٨٣٣هـ) ـ دار الفكر ـ (بدون رقم طبعة أو سنة نشر).

٢١٦. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ـ برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (ت٨٨٥) ـ خرج آياته وأحاديثه ووضع هوامشه عبدالرزّاق غالب المهدي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ ـ ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.

٢١٧. النكت والعيون (تفسير الماوردي) ـ أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري (ت٤٥٠هـ) ـ مراجعة وتعليق: السيد بن عبدالمقصود بن عبدالرحيم ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ ـ ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.

٢١٨. النهاية في غريب الحديث والأثر ـ أبو السعادات بن محمد بن محمد بن محمد بن عبدالكريم الشيباني الجزري بن الأثير ـ تحقيق: طاهر أحمد المزاوي، ومحمود محمد الطناحي ـ دار إحياء الكتب العربية ـ مصر ـ القاهرة ـ (بدون رقم طبعة أو سنة نشر).

٢١٩. نهاية القول المفيد في علم التجويد ـ محمد مكي نصر الجريسي ـ راجعه وقدم له: طه عبدالرءوف سعد ـ مكتبة الصفا ـ القاهرة ـ ط١ ـ ١٤٢٠، ١٩٩٩م.

٢٢٠. النهر الماد من البحر المحيط ـ أبو حيان الأندلسي (ت٧٤٥) ـ تقديم وضبط: بوران وَهْدَيان الضناوي ـ دار الفكر ـ (بدون رقم طبعة أو سنة نشر).

٢٢١. النواسخ الفعلية والحرفية «دراسة تحليلة مقارنة» ـ أحمد سليمان ياقوت ـ دار المعارف ـ الإسكندرية ـ (بدون رقم طبعة) ـ ١٩٨٤م.

٢٢٢. الهادي شرح النشر في القراءات العشر، والكشف عن علل القراءات وتوجيهها ـ محمد سالم محيسن ـ دار الجيل ـ بيروت ـ ط١ ـ ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م.

٢٢٣. وجوه من الإعجاز الموسيقي في القرآن ـ محيي الدين رمضان ـ دار الفرقان ـ عمان ـ الأردن ـ ط١ ـ ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م.

٢٢٤. وحي القلم ـ مصطفى صادق الرافعي ـ راجعه: درويش الجويدي ـ المكتبة العصرية ـ صيدا ـ بيروت ـ طبعة جديدة ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م.

٢٢٥. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ـ أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خَلِّكَان ـ تحقيق إحسان عباس ـ دار الثقافة ـ بيروت ـ لبنان ـ (بدون رقم طبعة أو سنة نشر).

٢٢٦. الياءات المشددات في القرآن وكلام العرب ـ مكي بن أبي طالب القيسي ـ تحقيق أحمد حسين فرحات ـ دار عمار للنشر والتوزيع ـ عمان ـ الأردن ـ طبعة عمار الأولى ـ ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م.

خامساً: فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة



الجامعة الإسلامية - غزة
عمادة الدراسات العليا
كلية أصول الدين
قسم التفسير وعلوم القرآن

تفسير القرآن
بالقراءات القرآنية العشر

من خلال سور: الإسراء والكهف ومريم

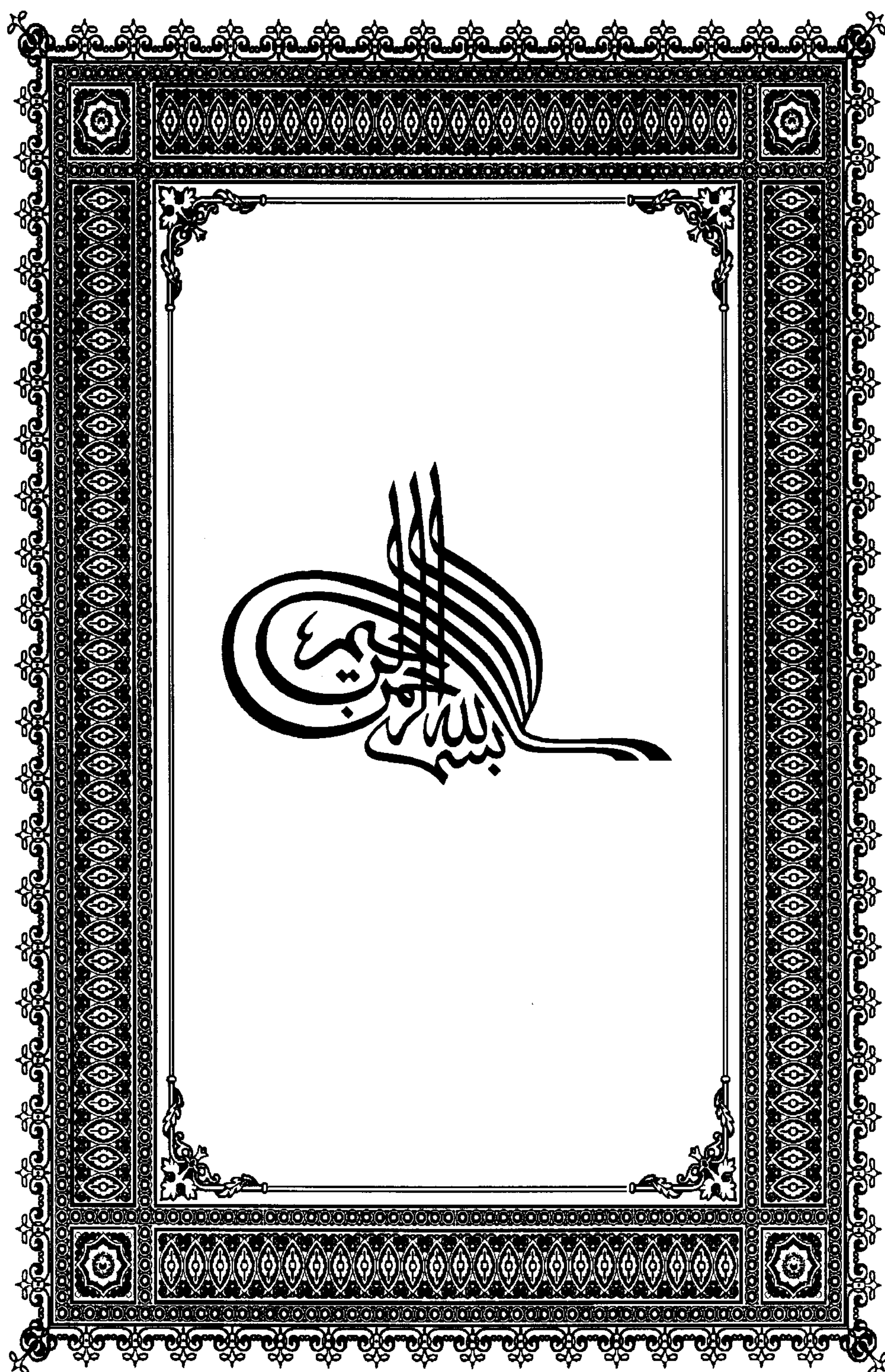
إعداد الباحثة
آمال خميس حماد

إشراف
د. عبدالرحمن الجمل

ضبط ومراجعة
د. مروان محمد أبوراس

الجزء السادس

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة
الماجستير في تخصص التفسير وعلوم القرآن
ربيع الأول ١٤٢٧ هـ - إبريل ٢٠٠٦ م


بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ ﴿٥٣﴾﴾

[الشورى: ٥٢ ـ ٥٣].

الفصل الأول

تفسير سورة الإسراء من خلال القراءات القرآنية العشر

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: تعريف عام بسورة الإسراء.

المبحث الثاني: عرض وتفسير لآيات سورة الإسراء المتضمنة للقراءات.

الفصل الأول
سورة الإسراء

مقدمة:

تعتبر سورة الإسراء من السور المكية التي تعنى بأمور العقيدة، وهي إحدى خمس سور متتالية (الإسراء والكهف ومريم وطه والأنبياء) تشترك - بالإضافة إلى مكيتها - في قِدَم النزول، واشتمالها على القصص القرآني[١]، كما أنها إحدى ثلاث سور ستكون إن شاء الله موضوع بحثنا هذا، وهي من السور التي كانت موضع بحث كثير من العلماء لاحتوائها على ذكر معجزة من معجزات الرسول الكريم ﷺ ألا وهي معجزة الإسراء.

والموضوعات التي تحدثت عنها السورة كثيرة ومتنوعة، خاض فيها كثير من العلماء وهي ليست مجال البحث هنا، إنما مجال البحث سيكون: بيان القراءات المتواترة في السورة، وتفسير الآيات المتضمنة لها، وبيان وجه الإعجاز في اختلاف هذه القراءات، ولكن قبل البدء في ذلك لا بد من تعريف عام بالسورة ليكون هناك تصور عام في الأذهان حول السورة عند الخوض في تفسير آيات القراءات مما يُشعر القارىء بالترابط بين الآيات مواضع القراءات، وبالتالي تصور عام لتفسير السورة.

(١) انظر: تناسق الدرر في تناسب السور: جلال الدين السيوطي (ص٩٨).

المبحث الأول
تعريف عام بسورة الإسراء

ويشتمل على:

- أسماء السورة ووجه التسمية.
- مناسبتها لسورة النحل.
- فضل السورة.
- المحور الأساس للسورة.
- أغراض السورة.
- الموضوعات التي تناولتها السورة.

المبحث الأول
تعريف عام بالسورة

سورة الإسراء من السور المكية عند جمهور العلماء فقد اشتملت على خصائص السورة المكية، ومن ناحية أخرى ظهرت فيها صفات من خصائص السور المدنية وذلك لأنها من أواخر ما نزل بمكة، لذلك اعتبر بعض العلماء أنها تحتوي على آيات مدنية(٢)، واختلفوا في عدد هذه الآيات(٣).

فعدد آيها مائة وعشر في المصحف المدني والمكي والشامي والبصري، ومائة وإحدى عشرة في المصحف الكوفي(٤)، وعدد حروفها ٦٤٦٠ حرفا، وعدد كلمها ١٥٣٣ كلمة(٥).

وقد تميزت آياتها بالطول النسبي، وذكرت فيها أحكام تشريعية متتالية لم تذكر أمثال عددها في سورة مكية غيرها عدا سورة الأنعام، وذلك من قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ

(٢) انظر: أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم: د.عبدالله شحادة (١٩١/١).

(٣) انظر هذه الآيات واختلاف العلماء فيها في: تفسير التحرير والتنوير (مجلد٧ (٦/١٥))، تفسير روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين الألوسي (٢/١٥).

(٤) انظر: التحرير والتنوير (مجلد٧ (٧/١٥)).

(٥) انظر: تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان: للقمي النيسابوري (مجلد٨ (٢/١٥)) هامش تفسير الطبري.

كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾ لذلك تعتبر هذه السورة ممهدة للعهد المدني أو هي مما يشبه المدني وهو مكي[٦].

أسماء السورة ووجه التسمية:

١ . سميت في عهد الصحابة (سورة بني إسرائيل)، أما وجه تسميتها به فهو أنه ذكر فيها من أحوال بني إسرائيل ما لم يذكر في غيرها؛ وهو استيلاء قوم أولي بأس شديد (الآشوريين) عليهم ثم استيلاء قوم آخرين وهم (الروم) عليهم، وقد ترجم لهذه التسمية البخاري في صحيحه في كتاب التفسير[٧]، والترمذي في سننه في أبواب التفسير[٨][٩].

٢ . وتسمى أيضاً (سورة سبحان)، وذلك لأنها افتتحت بقوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾.

٣ . وسميت (سورة الإسراء) لأنها تصدرت الحديث عن حادثة الإسراء.

سبب نزولها:

لم تذكر كتب التفسير سبباً لنزول هذه السورة وإن ذكرت سبباً لنزول بعض الآيات فيها، ولا يعني افتتاحها بذكر الإسراء اقتضاء أنها نزلت عقب وقوع حادثة الإسراء حيث رجح العلماء وقوع الحادثة قبل الهجرة بنحو سنة

(٦) انظر: التحرير والتنوير (مجلد٧ (٦/١٥))، أهداف كل سورة ومقاصدها (١٩١/١).

(٧) انظر: فتح الباري (٣٨٨/٨)، كتاب التفسير، الباب السابع عشر؛ فقد عنونه بقوله: سورة بني إسرائيل، ثم أورد الأحاديث الخاصة بالسورة.

(٨) فقد عَنْوَنَ الترمذي الباب الثامن عشر من أبواب كتاب التفسير بقوله: باب (ومن سورة بني إسرائيل) ثم أورد الأحاديث الواردة في تفسير السورة. (انظر: سنن الترمذي لأبي عيسى الترمذي (٣٠٠/٥)، كتاب التفسير، باب: ومن سورة بني إسرائيل).

(٩) انظر: التحرير والتنوير (مجلد٧ج١٥ص٥).

وخمسة أشهر، بل يجوز أنها نزلت بعد الإسراء بمدة، ونزولها كان بعد نزول سورة القصص وقبل سورة يونس، وعُدت السورة الخمسين في تعداد نزول سور القرآن(١٠)، أما في ترتيب المصحف؛ فقد تقدمتها سورة النحل وتلتها سورة الكهف.

مناسبتها لسورة النحل:

أما مناسبتها لما قبلها من سور القرآن فيذكر السيوطي وجه اتصال سورة الإسراء بسورة النحل التي تسبقها؛ وهو أنه سبحانه لما قال في آخرها ﴿إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِيهِۚ﴾ ذكر في هذه شريعة أهل السبت التي شرعها سبحانه لهم في التوراة، فقد أخرج ابن جرير عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال: «إن التوراة كلها في خمس عشرة آية من سورة بني إسرائيل»(١١).

وذكر في سورة النحل من النعم ما سميت لأجله سورة النعم، فقد ذكر في سورة الإسراء نعماً خاصة ونعماً عامة، وذكر سبحانه في النحل ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِۚ﴾ وذكر في الإسراء ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَۙ﴾ وذكر سبحانه في النحل أمره بإيتاء ذي القربى، وأمر في الإسراء بذلك مع زيادة في قوله سبحانه: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾﴾(١٢).

فضل السورة:

لقد وردت في فضل سورة الإسراء أحاديث كثيرة نذكر منها:

حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «كان رسول الله ﷺ يصوم حتى نقول

(١٠) انظر: التحرير والتنوير (مجلد٧ج١٥ص٧).

(١١) انظر: تفسير الطبري (مجلد ٨ج١٥ص١٢٦) فقد أخرج الحديث عند تفسيره للآية (١١١) من سورة الإسراء. ولم أجد الحديث ولا الحكم عليه في أيٍّ من كتب الحديث.

(١٢) انظر: روح المعاني (١٥/٢ ـ ٣).

ما يريد أن يفطر ويفطر حتى نقول ما يريد أن يصوم وكان يقرأ كل ليلة بني إسرائيل والزمر»[١٣].

وما روي عن ابن مسعود أنه قال في بني إسرائيل والكهف ومريم: «إنهن من العِتَاق[١٤] الأُوَل وهنَّ من تِلادي[١٥]»[١٦].

المحور الأساس للسورة:

كان المحور الأساس لهذه السورة هو إثبات نبوة محمد ﷺ، وإثبات أن القرآن وحي من الله وإثبات فضله وفضل من أنزل عليه، وذكر أنه معجز، ورد مطاعن المشركين فيه وفيمن جاء به.

أغراض السورة:

تعددت أغراض السورة على النحو التالي:

١. إثبات معجزة الإسراء من مكة إلى بيت المقدس.

٢. بيان تاريخ بني إسرائيل وإفسادهم في الأرض وعقوبة الله لهم.

٣. الآداب التي يجب على المسلمين أن يتحلوا بها حتى تظل رابطتهم قوية متماسكة.

---

(١٣) أخرجه أحمد في مسنده (١٨٩/٦) حديث رقم (٢٥٥٩٧)، وأورده في «مجمع الزوائد» وقال: رواه أحمد ورجاله ثقات. (انظر: مجمع الزوائد: علي بن أبي بكر الهيثمي (٢٧٢/٢)).

(١٤) العتاق: جمع عتيق، والعتيق: القديم، وأراد بالعتاق الأول: أنها من أول ما تعلمه من القرآن. (انظر: اللسان (٢٧٩/٤)) مادة: عتق.

(١٥) تلادي: التالد: هوالقديم. أي: من قديم ما أخذت من القرآن. (انظر: اللسان (٤٣٩/١)) مادة: تلد.

(١٦) أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن، باب سورة بني إسرائيل، حديث رقم (٤٧٠٨). (انظر: فتح الباري (٣٨٨/٨)).

٤. إثبات دلائل تفرد الله بالألوهية.

٥. التذكير بنعم الله على الناس وما تقتضيه من شكر المنعم وتنزيهه عن اتخاذ بنات له.

٦. إظهار فضائل من شريعة الإسلام وحكمته وما علمه الله للمسلمين من آداب المعاملة نحو ربهم سبحانه ونحو بعضهم البعض ومراقبة الله لهم في سرهم وجهرهم.

٧. إثبات البعث والجزاء.

٨. التحذير من الشيطان وعداوته لآدم وذريته.

٩. تخويف البشر من عذاب الله وتذكيرهم بنعمة الله عليهم في تكريم الإنسان وما ينتظر الطائعين والعصاة يوم القيامة.

١٠. ذكر ما عرض للأمم من أسباب الاستئصال والهلاك من باب تهديد المشركين بحلول الهلاك بهم الذي حل بالقرى من قبلهم حين أخرجت رسلها أو قتلتهم.

١١. بيان إعجاز القرآن واستحالة أن يأتي البشر بمثله.

١٢. بيان أن الرسول مبلغ عن ربه ولا يملك من الأمر شيئاً إلا بقدرة الله وإرادته.

١٣. بيان الحكمة من إنزال القرآن منجماً[١٧].

الموضوعات التي تناولتها السورة:

الآيات من (١ ـ ٢٣): بدأت السورة بالحديث عن الإسراء، مع الكشف عن حكمة الإسراء بقوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا

---

(١٧) انظر في محور السورة وأغراضها: أهداف كل سورة ومقاصدها (١/١٩٧ ـ ١٩٨)، في ظلال القرآن: سيد قطب (مجلد٤ (١٥/٢٢٠٩ ـ ٢٢١٠))، التحرير والتنوير (١٥/٧ ـ ٩).

﴿مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١﴾، وفي خلال هذا الحديث تستطرد إلى ذكر بني إسرائيل، والحديث عن ماضيهم وفسادهم في الأرض وعقوبة الله لهم، وفي هذا تهديد لكفار مكة ولكل خارج عن نطاق الإيمان.

الآيات من (٢٤ ـ ٣٩): تحدثت عن مكارم الأخلاق المرتبطة بقاعدة التوحيد.

الآيات من(٤٠ ـ ٥٩): تحدثت عن أوهام المشركين حول نسبة البنات والشركاء إلى الله، وتحدثت عن البعث واستبعاد الكافرين لوقوعه، وعن استقبالهم للقرآن وتقولاتهم على الرسول ﷺ.

الآيات من (٦٠ ـ ٧٢): تبيّن لماذا لم يرسل الله محمداً ﷺ بالخوارق؛ فقد كذب بها الأولون فحق عليهم الهلاك اتباعاً لسنة الله، كما تناولت الحديث عن الإسراء وأن الله جعله امتحاناً للناس. ويجيء في هذا السياق: قصة إبليس وإعلانه الحرب على ذرية آدم، ويعقب عليه بتخويف البشر من عذاب الله وتذكيرهم بنعمة الله عليهم في تكريم الإنسان وتمييزه على جميع المخلوقات وتسخير الكون له، وما ينتظر الطائعين والعصاة يوم القيامة.

الآيات من (٧٣ ـ ٨٨): تستعرض كيد المشركين للرسول ﷺ، ومحاولتهم فتنته، وأمر للرسول بأن يمضي في طريقه ولا يعبأ بهم فإن في القرآن الذي أرادوا فتنة الرسول عن بعضه شفاء ورحمة للمؤمنين.

الآيات من (٨٩ ـ ١١١): تتحدث عن القرآن وإعجازه، وطلبات الكفار من الرسول بالإتيان بالخوارق المادية ليؤمنوا به ويصدقوه، وتبيّن الآيات أنه طلب معاندة ومكابرة لا طلب من أجل هدى أو اقتناع، ويرد الله على هذا كله بأنه خارج عن وظيفة الرسول وطبيعة الرسالة، فالرسول بشر يوحى إليه وهو مبلغ عن ربه وليس إلهاً يتحكم في الكون، ويذكرهم بجحد فرعون لموسى رغم معجزاته المادية فكانت العاقبة بغرق فرعون ومن معه.

وكما بدأت السورة بتنزيه الله وتسبيحه بقوله سبحانه ﴿سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ

أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾، اختتمت بحمد الله وتنزيهه عن الولد والشريك في الملك بقوله سبحانه ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴿١١١﴾﴾[١٨].

فيلخص هذا الختام محور السورة الذي دارت عليه والذي بدأت ثم ختمت به[١٩].

(١٨) انظر: الظلال (٢٢٠٨/١٥ ـ ٢٢١٠)، أهداف كل سورة ومقاصدها (١٩١/١ ـ ١٩٧)، صفوة التفاسير: محمد علي الصابوني (١٣٢/٢).
(١٩) الظلال (٢٢٥٤/١٥).

المبحث الثاني
عرض وتفسير لآيات سورة الإسراء المتضمنة للقراءات

في هذا المبحث من سورة الإسراء، وفي المبحث الثاني من سورتي: الكهف ومريم، سيتم تناول تفسير الآيات مواضع القراءات والتي لها علاقة بالمعاني فقط بالقراءات القرآنية العشر. وفق المنهج التالي:

- كتابة الآية القرآنية مدار البحث كاملة برواية حفص عن عاصم.
- بيان القراءات في الآية.
- بيان المعنى اللغوي للقراءات.
- تفسير الآية كاملة.
- بيان العلاقة التفسيرية بين القراءات والجمع بين القراءات إن أمكن الجمع.

المبحث الثاني
تفسير الآيات مواضع القراءات

١ ـ قال تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴿٢﴾﴾ [الإسراء: ٢].

القراءات:

١. قرأ أبو عمرو (**أَلاَّ يَتَّخِذُواْ**) بالغيب.

٢. قرأ الباقون (**أَلاَّ تَتَّخِذُواْ**) بالخطاب. على الالتفات من الغيبة إلى الخطاب[٢٠].

البيان:

من قرأ (**أَلاَّ يَتَّخِذُواْ**) على الغيب؛ على اعتبار أن الفعل قرب من الخبر عن بني إسرائيل، فجعل الفعل مسنداً إليهم، إذ قال ﴿وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾، والمعنى: جعلناه هدى لبني إسرائيل لئلا يتخذوا من دوني وكيلا[٢١].

---

(٢٠) انظر: النشر (٢/٢٢٩).
والالتفات هو: التعبير عن معنى بأسلوب التكلم أو الخطاب أو الغيبة، وذلك بعد التعبير عن المعنى بأسلوب آخر. (الإيضاح في علوم البلاغة: الخطيب القزويني (ص١٥٧)).

(٢١) انظر: حجة القراءات: أبو زرعة ابن زنجلة (ص ٣٩٦)

أما من قرأ (**أَلاَّ تَتَّخِذُواْ**) على الخطاب فعلى اعتبار:

١. أن تكون (أَنْ) ناصبة للفعل، فيكون المعنى: وجعلناه هدى كراهة أن تتخذوا من دوني وكيلاً، أو لئلا تتخذوا من دوني وكيلاً.

٢. أن تكون بمعنى (أي)، لأنه بعد كلام ناهٍ، فيكون التقدير: أي لا تتخذوا.

٣. أن تكون (أَنْ) زائدة[٢٢] وتضمر القول فيكون التقدير: وجعلناه هدى لبني إسرائيل فقلنا لا تتخذوا من دوني وكيلا[٢٣].

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن كتاب موسى عليه السلام الذي أرسله رب العالمين هداية لبني إسرائيل؛ بما احتوى عليه هذا الكتاب من التحذير الشديد لهم من اتخاذ شريك لله يلجئون إليه ويكلون إليه أمورهم.

يقول ابن كثير: «لما ذكر تعالى أنه أسرى بعبده محمد ﷺ، عطف بذكر موسى عبده ورسوله وكليمه أيضاً؛ فإنه تعالى كثيراً ما يقرن بين ذكر موسى ومحمد عليهما السلام، وبين ذكر التوراة والقرآن، ولهذا قال بعد ذكر الإسراء: ﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ﴾، يعني: التوراة ﴿وَجَعَلْنَـٰهُ﴾ أي: الكتاب ﴿هُدًى﴾ أي: هادياً ﴿لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُواْ﴾ أي: لئلا تتخذوا، ﴿مِن دُونِى وَكِيلًا﴾ أي: ولياً ولا نصيراً ولا معبوداً دوني؛ لأن الله تعالى أنزل على كل نبي أرسله أن يعبده وحده لا شريك له»[٢٤].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد أفادت القراءة على الغيب أن التوراة التي أنزلها الله على موسى

---

(٢٢) الأصل ألا تُستعمل كلمة (زائدة) بل تُستعمل كلمة (صلة)؛ لأنه لا زيادة في القرآن.

(٢٣) انظر: الحجة للقراء السبعة: أبو علي الفارسي (٨٤/٥).

(٢٤) تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم): الحافظ ابن كثير (٤٧/٥).

عليه السلام هداية لبني إسرائيل لئلا يتخذوا رباً من دون الله يفوضون إليه أمورهم.

قال أبو السعود: «وقرئ بالياء على أن (أن) مصدرية والمعنى: آتينا موسى الكتاب لهداية بني إسرائيل لئلا يتخذوا ﴿مِن دُونِي وَكِيلًا﴾ أي رباً تكلون إليه أموركم»[٢٥].

وأفادت القراءة على الخطاب: أن الله سبحانه أنزل التوراة على موسى عليه السلام ليكون هداية لهم كراهة أن يتخذوا من دونه وكيلاً، فنهاهم عن ذلك بالنواهي التي وردت في الكتاب فقال لهم لا تتخذوا من دوني وكيلاً.

يقول ابن عاشور: «وقرأ الجمهور ﴿أَلَّا تَتَّخِذُوا﴾ ـ بتاء الخطاب ـ على الأصل حكاية ما يحكى من الأقوال المتضمنة نهياً، فتكون (أن) تفسيرية لما تضمنه لفظ (الكتاب) من معنى الأقوال، ويكون التفسير لبعض ما تضمنه الكتاب اقتصاراً على الأهم منه وهو التوحيد»[٢٦].

يقول د. محمد سالم محيسن: قوله تعالى ﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ يقتضي الغيبة، ولكنه التفت إلى الخطاب لنكتة بلاغية، وهي نهي المخاطبين عن اتخاذ وكيل أو معين من دون الله تعالى... والمعنى: وقلنا لهم: لا تتخذوا وكيلاً من دوني[٢٧].

الجمع بين القراءتين:

يتبيّن من الجمع بين القراءتين أن الله سبحانه قد نص على القصد من إيتاء موسى الكتاب وهو الهداية، فنهى بني إسرائيل من خلال نصوص التوراة أن يتخذوا رباً يعتمدون عليه ويكلون إليه أمورهم من دونه قائلاً لهم: لا تتخذوا من دوني وكيلاً لئلا يفعلوا ذلك.

---

(٢٥) تفسير أبي السعود المسمى (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم): أبو السعود محمد بن محمد العمادي (٣/٢٠٤).

(٢٦) التحرير والتنوير: مجلد٧ (١٥/٢٥).

(٢٧) انظر: القراءات وأثرها في علوم العربية: محمد سالم محيسن (٢/١١٥).

٢ ـ قال تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴿٧﴾﴾ [الإسراء: ٧].

القراءات:

١. قرأ ابن عامر وحمزة وخلف وأبو بكر (**لِيَسُوءَ**) بالياء ونصب الهمزة على لفظ الواحد.

٢. قرأ الكسائي (**لِنَسُوءَ**) بالنون ونصب الهمزة على لفظ الجمع للمتكلمين.

٣. قرأ الباقون (**لِيَسُوءُوا**) بالياء وضم الهمزة وبعدها واو الجمع[٢٨].

اللغة والبيان:

السُّوء: كل ما يغم الإنسان من الأمور الدنيوية، والأخروية، ومن الأحوال النفسية، والبدنية، والخارجة، من فوات مال، وجاه، وفقد حميم[٢٩]. وليسوءوا وجوهكم: ليجعلوها بادية آثار المساءة والكآبة فيها[٣٠]. وخصَّ الوجه؛ لأن الوجه هو السمة المعبرة عن نوازع النفس الإنسانية، وعليه تبدو الانفعالات والمشاعر، وهو أشرف ما في المرء، وإساءته أبلغ أنواع الإساءة[٣١].

التفسير:

الآية الكريمة تُذَكِّر بني إسرائيل بأثر الإحسان والإساءة عليهم.

قال الطبري: «يقول تعالى ذكره لبني إسرائيل فيما قضى إليهم في

(٢٨) انظر: النشر (٢/٢٢٩).

(٢٩) معجم مفردات ألفاظ القرآن: الراغب الأصفهاني (ص٢٧٦)، مادة: سوأ.

(٣٠) تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: أبو القاسم الزمخشري (٣/٤).

(٣١) تفسير الشعراوي (١٤/٨٣٦٣).

التوراة: إن أحسنتم يا بني إسرائيل فأطعتم الله وأصلحتم أمركم والتزمتم أمره ونهيه ﴿أَحْسَنتُمْ﴾ وفعلتم ما فعلتم من ذلك لأنفسكم؛ لأنكم إنما تنفعون بفعلكم ما تفعلون من ذلك ﴿لِأَنفُسِكُمْ﴾ في الدنيا والآخرة، أما في الدنيا فإن الله يدفع عنكم من بغاكم سوءاً، وينمي لكم أموالكم، ويزيدكم إلى قوتكم.

وأما في الآخرة فإن الله تعالى يثيبكم به جناته، ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ﴾ يقول: وإن عصيتم الله وركبتم ما نهاكم عنه حينئذ فإلى أنفسكم تسيئون؛ لأنكم تسخطون بذلك على أنفسكم ربكم، فيسلط عليكم في الدنيا عدوكم ويُمَكِّن منكم من بغاكم سوءاً، ويخلدكم في الآخرة في العذاب المهين، وقال جل ثناؤه ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾، والمعنى فإليها»[٣٢].

واستكمالاً لهذه القاعدة تحدث عن الوعد المفعول الذي قضاه في التوراة من إفسادهم الثاني في الأرض؛ وذلك بقتلهم يحيى وزكريا عليهما السلام وأثر هذا الإفساد عليهم، بأن سلط الله عليهم من نكل بهم، واستباح مقدساتهم، وأصاب ديارهم بالدمار الشامل.

يقول النسفي: «﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْأَخِرَةِ﴾ وعد المرة الآخرة بعثناهم ﴿لِيَسُوؤُوا﴾ أي هؤلاء ﴿وُجُوهَكُمْ﴾، وحذف لدلالة ذكره أولاً عليه، أي ليجعلوها بادية آثار المساءة والكآبة فيها، كقوله ﴿سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾، قرأ ابن عامر وحمزة وخلف وأبو بكر (لِيَسُوءَ)، الضمير لله ﷻ، أو للوعد، أو للبعث، وقرأ الكسائي (لِنَسُوءَ)، ﴿وَلِيَدْخُلُواْ ٱلْمَسْجِدَ﴾ بيت المقدس ﴿كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيرًا﴾ ما علواْ مفعول ليتبروا، أي: ليهلكوا كل شيء غلبوه واستولوا عليه، أو بمعنى مدة علوهم»[٣٣].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (ليسوءوا) أن الذين يسوءون وجوه بني إسرائيل هم العباد

(٣٢) تفسير الطبري (مجلد٨ج١٥ص٢٤).

(٣٣) انظر: تفسير النسفي: أبو البركات النسفي (٢/٢٣٧).

أولي البأس الشديد، وهذا تحقيق لقول الله تعالى ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ [البقرة: ٢٥١].

قال الطبري: «فقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة والبصرة ﴿لِيَسُـۥٓـُٔواْ وُجُوهَكُمْ﴾ بمعنى: ليسوء العباد أولو البأس الشديد الذين يبعثهم الله عليكم وجوهكم، واستشهد قارئو ذلك لصحة قراءتهم كذلك بقوله: ﴿وَلِيَدْخُلُواْ ٱلْمَسْجِدَ﴾، وقالوا: ذلك خبر عن الجميع، فكذلك الواجب أن يكون قوله ليسوءوا»[٣٤].

وأفادت قراءة (ليسوء) أن الفاعل هو الله، أي: ليسوء الله وجوهكم، وعليه يكون هناك التفات من التكلم إلى الغيبة، أو أن يكون للوعد، أي: ليسوء الوعد وجوهكم. وعليه لا يكون في الآية التفات[٣٥].

قال القرطبي: «وقرأ أبو بكر[٣٦] والأعمش[٣٧] وابن وثاب[٣٨] وحمزة وابن عامر (ليسوء) بالياء على التوحيد وفتح الهمزة، ولها وجهان: **أحدهما**: ليسوء الله وجوهكم، **والثاني**: ليسوء الوعد وجوهكم»[٣٩].

وأفادت قراءة (لنسوء) على وجه إخبار الله عن نفسه وما في ذلك من بيان لشدة العذاب الواقع على بني إسرائيل مقابل شدة العصيان لله تعالى،

---

(٣٤) تفسير الطبري: (مجلد٨ (١٥/٢٤ ـ ٢٥)).

(٣٥) انظر: القراءات وأثرها في التفسير والأحكام (٢/٨٧٥).

(٣٦) هو: شعبة بن عياش بن سالم، أبو بكر الحنّاط الأسدي النهشلي الكوفي الإمام العلم، ولد سنة ٩٥هـ، عرض القرآن على عاصم ثلاث مرات، كان سيداً إماماً حجة، كثير العلم والعمل، منقطع القرين وكان من أئمة السنة. توفي رحمه الله سنة ١٩٣هـ.

(٣٧) هو: سليمان بن مهران الأعمش الأسدي الكاهلي مولاهم الكوفي، إمام علم، أقرأ الناس ونشر العلم دهراً طويلاً، سُمي بالمصحف من صدقه، ثقة ثبت، توفي سنة ١٤٨هـ، انظر: معرفة القرآء الكبار (١/٩٤، ٩٦) باختصار.

(٣٨) هو: يحيى بن وثاب الأسدي الكوفي القارىء العابد، أحد الأعلام، مولى بني أسد، روى عن ابن عباس وابن عمر ـ رضي الله عنهم ـ وعن أبي عبدالرحمن السلمي، وأبي عمرو الشيباني، وغيرهم، وقرأ على بعضهم، قال أحمد بن عبدالله العجلي: تابعي ثقة مقريء الكوفة، توفي سنة ثلاث ومائة. (انظر: معرفة القراء الكبار ص (٣٣)).

(٣٩) تفسير القرطبي (مجلده (١٥/٥٦٢)).

لذلك جاء بنون العظمة التي تدل على الغلبة والعزة.

الجمع بين القراءات:

يتبيّن بالجمع بين القراءات أن الفاعل لذلك في الحقيقة هو الله سبحانه وتعالى، وأن إساءة وجوه بني إسرائيل بالوعد هو إنفاذ لهذا الوعد، وأن العباد أُولي البأس هم المنفذون لهذا الوعد وفعلوه بقوة الله ﷻ وتمكينه لهم تحقيقاً لعزته وغلبته سبحانه.

ويمكن حمل القراءات على معنى واحد؛ وذلك أن الفاعل الحقيقي هو الله تعالى، والعباد هم ستار لقدرة الله تعالى يعذب بهم من شاء من عباده، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ [الأعراف: ١٦٧].

٣ ـ قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾﴾ [الإسراء: ٩].

القراءات:

١. قرأ حمزة والكسائي **(ويَبْشُر)** بفتح الياء وضم الشين من البشْر وهو البشرى والبشارة.

٢. قرأ الباقون **(ويُبَشِّر)** بضم الياء وتشديد الشين مكسورة من (بشَّرَ) المضعف على التكثير[٤٠].

اللغة والبيان:

قال الزجاج[٤١]: «معنى (يَبْشُرُكَ) يسرك، ويفرحك، وبَشَرْتُ الرجل

(٤٠) انظر: النشر (٢/١٨٠).

(٤١) هو: أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن السري بن سهل الزجاج النحوي، كان من أهل العلم بالأدب والدين، صنف كتاباً في معاني القرآن، أخذ الأدب عن المبرد وثعلب، وكان يخرط الزجاج ثم تركه واشتغل بالأدب فنسب إليه توفي سنة ٣١١هـ. (انظر: طبقات المفسرين للداوودي (١ /٧ ـ ١٠) / وفيات الأعيان (١ /٤٩ ـ ٥٠) / البلغة (٤٩/١) / أبجد العلوم (٣ / ٤٣)).

أَبْشُرُهُ إذا أفرحته وبَشِرَ يُبْشَرُ إذا فرح. قال: ومعنى يَبْشُرُكَ ويُبَشِّرُكَ من البشارة[٤٢].

قال الفراء[٤٣]: «كأن المشدد منه على بشارات البُشراء، وكأن المخفف من وجه الإفراح والسرور»[٤٤].

التخفيف لغة تهامة، وهو فعل مضارع من (بَشَرَ) بتخفيف العين، يقال: (بشره يبشره بشراً)، والتشديد لغة أهل الحجاز، وهو فعل مضارع من (بَشَّرَ) مضعف العين، يقال: (بشَّره يبشِّره تبشيراً).

جاء في المفردات: (أبشرت الرجل) وبَشَّرْتُه وبَشَرْتُه: أخبرته بسارّ بسط بشرة وجهه، وذلك أن النفس إذا سُرَّت انتشر الدم فيها انتشار الماء في الشجر. وبين هذه الألفاظ فروق، فإن (بشَرته) بتخفيف الشين: «عام»، و(أبشرته) نحو: (أحمدته) و(بشّرته) بتشديد الشين: على التكثير[٤٥].

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن أن القرآن الكريم هو مصدر الهداية للناس جميعاً.

يقول الشنقيطي: «ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة: أن هذا القرآن العظيم هو أعظم الكتب السماوية، وأجمعها لجميع العلوم، وآخرها عهداً برب العالمين - جل وعلا - يهدي للتي هي أقوم. أي الطريقة التي هي أَسَدّ وأعدل وأصوب.

---

(٤٢) لسان العرب (٢٨٨/١) مادة: بشر.

(٤٣) هو: أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء الكوفي النحوي من أجلّ أصحاب الكسائي، كان رأسا في النحو واللغة قيل لولاه لما كانت عربيه لأنه هذبها وضبطها. توفي ٢٠٧هـ. (انظر: شذرات الذهب (١/ ١٩)).

(٤٤) اللسان (٢٨٧/١).

(٤٥) انظر: المغني في توجيه القراءات العشر المتواترة: د. محمد سالم محيسن (٣٣٢/١ - ٣٣٣).

وقال الزجاج والكلبي[٤٦] والفراء: للحال التي هي أقوم الحالات، وهي توحيد الله والإيمان برسله»[٤٧].

كما تحدثت الآية الكريمة عن أن القرآن هو مصدر التبشير للمؤمنين الذين يتبعون منهجه بالخير عاجلاً وآجلاً. يقول القاسمي: «أي يبشر المخلصين في إيمانهم، وهم الذين يعملون الصالحات كلها، ويجتنبون السيئات؛ أن لهم في الدنيا والآخرة ثواباً وافراً»[٤٨].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت قراءة التخفيف أن القرآن بشر المؤمنين الذين استجابوا لأوامر الله وعملوا بها بالثواب في الدنيا والآخرة، وقد ظهرت آثار هذه البشرى على وجوههم فبان السرور عليها، فكانت لإدخال الفرح والسرور عليهم، ولم يبيّن عظم هذه البشارة.

وأفادت قراءة التشديد أن هذه البشرى ثواب عظيم في الدنيا والآخرة، مستمر ومتجدد ويزداد بزيادة العمل الصالح.

الجمع بين القراءتين:

بالجمع بين القراءتين يتبيّن أن القرآن يبشر المؤمنين بالثواب ليدخل السرور عليهم؛ فتنفعل نفوسهم تجاه هذه البشارة، فتنبسط بشرة وجوههم، ومن جانب آخر يحثهم على مزيد من العمل الصالح حتى يزداد هذا الثواب بزيادة العمل، فيحصلوا في النهاية على ثواب كثير وافر من فضل الله وكرمه.

٤ ـ قال تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ

---

(٤٦) هو: محمد بن أحمد بن جزي الكلبي، يكنى أبا القاسم، من أهل غرناطة، ألف الكثير من الكتب في فنون شتى، منها كتاب التسهيل لعلوم التنزيل. توفي شهيداً ٧٤١هـ. (انظر: الديباج المذهب (١/٢٩٥ ـ ٢٩٦)).

(٤٧) انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين الشنقيطي (٢/٢١٨).

(٤٨) تفسير القاسمي المسمى (محاسن التأويل): محمد جمال الدين القاسمي (١٠/٣٩٠٧).

كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ [الإسراء: ١٣].

القراءات في (وَنُخْرِجُ لَهُ):

١. قرأ أبو جعفر (**ويُخْرَجُ**) بالياء وضمها وفتح الراء.

٢. قرأ يعقوب (**ويَخْرُجُ**) بالياء وفتحها وضم الراء.

٣. قرأ الباقون (**وَنُخْرِجُ**) بالنون وضمها وكسر الراء.

القراءات في (يَلْقَاهُ):

١. قرأ أبو جعفر وابن عامر (**يُلَقّاهُ**) بضم الياء وفتح اللام وتشديد القاف.

٢. قرأ الباقون (**يَلْقَاهُ**) بفتح الياء وإسكان اللام وتخفيف القاف(٤٩).

البيان:

ويَخْرُجُ: بفتح الياء وضم الراء على معنى ويخرج له الطائر كتاباً فكتاباً منصوب على الحال، ويحتمل أن يكون المعنى: ويخرج الطائر فيصير كتاباً.

ويُخْرَجُ: بضم الياء وفتح الراء، على الفعل المجهول، ومعناه، ويُخرج له الطائر كتاباً.

وَنُخْرِجُ: بنون مضمومة وكسر الراء، أي ونحن نخرج، احتج أبو عمرو في هذه القراءة بقوله (ألزمناه).

يُلَقّاهُ: بضم الياء وفتح اللام وتشديد القاف، بمعنى يؤتاه، الباقون بفتح الياء خفيفة أي يراه منشوراً(٥٠).

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عما قدر الله على ابن آدم أنه عامله، وما هو صائر إليه من شقاء أو سعادة، وإحصائه لهذا العمل، وأنه محفوظ عليه

---

(٤٩) انظر: النشر (٢/٢٣٠).

(٥٠) انظر: تفسير القرطبي (مجلده ج١٠/٥٦٧ ـ ٥٦٨) باختصار.

قليله وكثيره، ويكتب عليه في ليله ونهاره من أول عمره إلى آخره، وأن هذا العمل يجمع له في كتاب يُعطاه يوم القيامة مفتوحاً فيه حسناته وسيئاته، فيرى عمله مكشوفاً لا يملك إخفاءه أو تجاهله.

قال الطبري: «وكل إنسان منكم يا معشر بني آدم ألزمناه نحسه وسعده وشقاءه وسعادته بما سبق له في علمنا أنه صائر إليه وعامل من الخير والشر في عنقه فلا يجاوز في شيء من أعماله ما قضينا عليه أنه عامله، وما كتبنا له أنه صائر إليه، ونحن نخرج له إذا وافانا كتاباً يصادفه منشوراً بأعماله التي عملها في الدنيا، وبطائره الذي كتبنا له وألزمناه إياه في عنقه، قد أحصى عليه ربه فيه كل ما سلف في الدنيا»(٥١).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (يُخرَج ويَخرج) أن العمل الذي عمله الإنسان في الدنيا يخرج على هيئة كتاب في الآخرة.

يقول الطبري: «وكان من قرأ هذه القراءة وجه تأويل الكلام إلى: ويخرج له الطائر الذي ألزمناه عنق الإنسان يوم القيامة فيصير كتاباً يقرؤه منشوراً، وقرأ ذلك بعض أهل المدينة (ويخرج له) بضم الياء على مذهب ما لم يسم فاعله وكأنه وجه معنى الكلام إلى: ويخرج له الطائر يوم القيامة كتاباً، يريد ويخرج الله ذلك الطائر قد صيره كتاباً إلا أنه نحاه نحو ما لم يسم فاعله»(٥٢).

وأفادت قراءة (نخرج) أن الله سبحانه هو الذي يخرج عمل الإنسان على هيئة كتاب منشور يقرؤه الإنسان يوم القيامة.

يقول القرطبي: «﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا﴾ يعني كتاب طائره الذي في عنقه»(٥٣).

(٥١) و(٥٢) تفسير الطبري (مجلد٨ج١٥ص٤٠).

(٥٣) تفسير القرطبي (مجلد٥ج١٠ص٥٦٧).

وأفادت قراءة (يُلقّاه) أن الملائكة تتلقى الإنسان بكتابه الذي فيه عمله.

يقول الشنقيطي: «وعلى قراءة من قرأ (يُلَقّاه) بضم الياء وتشديد القاف مبنياً للمفعول فالمعنى: «أن الله يلقيه ذلك الكتاب يوم القيامة»[(٥٤)].

ويقول ابن زنجلة[(٥٥)]: «جعل الفعل لغير الإنسان أي: الملائكة تتلقاه بكتابه الذي فيه نسخة عمله، وهو من قولك (لِقيتُ الكتاب)، فإذا ضعَّفت قلت: (لقّانيه زيد)، ويقوي ذلك قوله: ﴿وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً﴾[(٥٦)].

أما قراءة (يلقاه) فأفادت أن الإنسان هو الذي يلقى كتابه.

يقول ابن عاشور: «ومعنى (يلقاه) يجده، استعير فعل (يلقى) لمعنى يجد، تشبيهاً لوجدان النسبية بلقاء الشخص، والنشر كناية عن سرعة اطلاعه على جميع ما عمله بحيث إن الكتاب يحضر من قبل وصول صاحبه مفتوحاً للمطالعة[(٥٧)].

الجمع بين القراءات:

يتبيّن من خلال الجمع بين القراءات أن الله سبحانه يقدر على ابن آدم عمله ويحصيه عليه في كتاب له يخرجه له يوم القيامة، فتحمله الملائكة، وتستقبل ابن آدم به، فيجده الإنسان أمامه مفتوحاً وقد أحصى عليه جميع أعماله التي عملها في الدنيا، فيقرؤه أمام الخلائق.

٥ ـ قال تعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾﴾ [الإسراء: ١٦].

---

(٥٤) تفسير أضواء البيان (٢/٢٤٧).

(٥٥) هو: عبدالرحمن بن محمد بن زنجلة المقرىء، أبو زرعة فقيه مالكي، ترك مؤلفات عدة أشهرها: حجة القراءات. (انظر: مقدمة تحقيق كتاب الحجة - تحقيق: سعيد الأفغاني (ص٢٥)).

(٥٦) حجة القراءات (ص٣٩٨).

(٥٧) تفسير التحرير والتنوير (مجلد٧ج١٥ص٤٨).

القراءات:

١. قرأ يعقوب (**آمَرْنَا**) بمد الهمزة.

٢. قرأ الباقون (**أَمَرْنَا**) بقصرها[٥٨].

المعنى اللغوي للقراءتين:

أمرنا: من الأمر الذي هو ضد النهي: وله وجهان:

١. أمرناهم بالطاعة ففسقوا فحق عليهم العذاب، وهو كقولك: أمرتك فعصيتني، ومنه يعلم أن المعصية مخالفة الأمر، وكذلك الفسق: الخروج عن أمر الله.

٢. بمعنى كثّرنا: يقال آمرهم الله وأمرهم، أي: كثّرهم، وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «خيرُ المال، مُهْرَةٌ مَأْمُورَةٌ[٥٩]، أو سِكَةٌ مَأْبُورَةٌ[٦٠]»[٦١].

ويقال: أَمِرَ بنو فلان يأمُرُون، إذا كثروا، **آمَرْنَا** بالمد فلا معنى له إلا أكثرنا، **آمَرَ** الله ماله فأمَر يأمُرُ. وقوله: «آمَرْنا مترفيها» يصلح أن يكون في شيئين: **أحدهما:** كثرة عدد المترفين، **والآخر:** كثير حُرُوثهم وأموالهم[٦٢].

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن سبب وجوب هلاك الأقوام، وكيفية خلق الله للأسباب التي توجب هذا الإهلاك؛ من أمر لأكابر القوم بالطاعة بعد

(٥٨) انظر: النشر (٢/٢٣٠).

(٥٩) أي: نَتُوجٌ وَلوُدٌ. (انظر: اللسان (١٢٦/١)).

(٦٠) السكة: الطريقة المصطفة من النخل، والمأبورة: المُلَقَّحَة. (انظر: (اللسان (٥/١)) أراد خير المال نتاج أو زرع.

(٦١) أخرجه أحمد في مسنده (٤٦٨/٣) عن سويد بن هبيرة. وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد»: رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد ثقات. (انظر: مجمع الزوائد (٢٥٨/٥)).

(٦٢) انظر: معاني القراءات: أبو منصور الأزهري (٢٥٤).

إترافهم، فيقابلوا ذلك بالخروج عن الطاعة.

يقول الصابوني: «﴿وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا﴾ أي: وإذا أردنا هلاك قوم من الأقوام، أمرنا المتنعمين فيها والقادة والرؤساء بالطاعة على لسان رسلنا، فعصوا أمرنا وخرجوا عن طاعتنا، وفسقوا وفجروا ﴿ فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا﴾ أي: فوجب عليهم العذاب بالفسق والطغيان، فأهلكناهم إهلاكاً مريعاً»[٦٣].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت قراءة الجمهور (أمرنا) أن الله أمر أكابر القوم بالطاعة بعد أن صب عليهم ما أبطرهم، فكثَّر أموالهم وأولادهم، فخرجوا عن أمره فحق عليهم الإهلاك والاستئصال.

يقول أبو السعود: «إذا دنا وقت تعلق إرادتنا بإهلاك قرية بأن نعذب أهلها بما ذكرنا من عذاب الاستئصال الذي بيّنا أنه لا يصح منا قبل البعثة، أو بنوع مما ذكرنا شأنه من مطلق العذاب؛ أعني عذاب الاستئصال لما لهم من الظلم والمعاصي دنواً تقتضيه الحكمة من غير أن يكون له حد معين، ﴿**أمرنا**﴾ بواسطة الرسول المبعوث إلى أهلها ﴿**مترفيها**﴾ متنعميها وجباريها وملوكها، خصهم بالذكر مع توجه الأمر إلى الكل؛ لأنهم الأصول في الخطاب والباقي أتباع لهم، ولأن توجه الأمر إليهم آكد وعدم التعرض للمأمور به، إما لظهور أن المراد به الحق والخير لأن الله لا يأمر بالفحشاء ولا سيما بعد ذكر هداية القرآن لما يهدي إليه، وإما لأن المراد وجد منا الأمر كما يقال: فلان يعطي ويمنع ﴿فَفَسَقُواْ فِيهَا﴾ أي: خرجوا عن الطاعة وتمردوا ﴿فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ﴾ أي ثبت وتحقق موجبه بحلول العذاب أثر ما ظهر منهم من الفسق والطغيان ﴿فَدَمَّرۡنَٰهَا﴾ بتدمير أهلها ﴿تَدۡمِيرٗا﴾ لا يكتنه كنهه ولا يوصف، هذا هو المناسب لما سبق، وقيل الأمر مجاز عن الحمل على الفسق والتسبب له بأن صب عليهم ما أبطرهم، وأفضى بهم إلى

(٦٣) صفوة التفاسير: للصابوني (٢/١٣٦).

الفسوق، وقيل هو بمعنى التكثير يقال أمرت الشيء فأمر، أي كثرته فكثر، وفي الحديث (خير المال سكة مأبورة، أو مهرة مأمورة) أي كثيرة النتاج، ويعضده قراءة آمرنا»(٦٤).

وأفادت قراءة يعقوب (آمرنا) بأن الله تعالى كثر عدد المترفين وزاد في إترافهم استدراجاً للإهلاك بسبب فسوقهم وخروجهم عن طاعة الله، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الأنعام: ٤٤].

يقول الفخر الرازي: «وروي برواية غير مشهورة عن نافع وابن عباس: (آمرنا) بالمد، وعن أبي عمرو (أمّرنا) بالتشديد، فالمد على التكثير، يقال أمر القوم بكسر الميم إذا كثروا، وآمرهم الله بالمد، أي كثرهم الله»(٦٥).

الجمع بين القراءتين:

يتبيّن بالجمع بين القراءات أنه إذا جاء وقت إهلاك قرية فلا بد من استحقاقها للإهلاك، وذلك بسبب الفسق والخروج عن طاعة الله، لذلك يأمر الله من في القرية وساداتها بالطاعة ليكون في ذلك حجة عليهم، وبسبب استمرارهم في الفسق يكثر عددهم، ويزيد في نعمتهم استدراجاً لهم حتى يحق عليها العذاب.

٦ - قال تعالى: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾﴾ [الإسراء: ٢٣].

القراءات:

١. قرأ حمزة والكسائي وخلف (**يَبْلُغانِّ**) بألف مطولة بعد الغين وكسر النون على التثنية.

(٦٤) تفسير أبي السعود (٣/٢٠٩)

(٦٥) التفسير الكبير، المعروف بـ (مفاتيح الغيب): فخر الدين الرازي (مجلد٩ج٢٠ص١٧٨).

٢. قرأ الباقون (يَبْلُغَنَّ) بغير ألف وفتح النون على التوحيد.

٣. قرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب (أُفَّ) بفتح الفاء من غير تنوين.

٤. قرأ نافع وحفص وأبو جعفر (أُفٍّ) بكسر الفاء مع التنوين.

٥. قرأ الباقون (أُفِّ) بكسر الفاء من غير تنوين[٦٦].

اللغة والبيان:

(إما يبلغان) على الاثنين لتقدم ذكر الوالدين في قوله تعالى: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا﴾ فيكون (أحدهما) بدلاً من الضمير في (يبلغان) أو يرتفع بفعل مجدد تقديره: إما يبلغان عندك الكبر يبلغه أحدهما أو كلاهما.

(إما يبلغن) على واحد لأن الفعل إذا تقدم لم يثن ولم يجمع، ويرتفع (أحدهما) بفعله وهو (يبلغن).

(أف) كلمة تضجر، «قال الزجاج: (أف) غير متمكن بمنزلة الأصوات، فإذا لم ينون فهو معرفة، وإذا نوّن فهو نكرة بمنزلة (غاقٍ وعاقٍ) في الصوت، وهذه الكلمة يكنى بها عن الكلام القبيح لأن الأف وسخ الأظفار، والتف الشيء الحقير»[٦٧].

قال القتبي[٦٨]: «أصل هذه الكلمة أنه إذا سقط عليك تراب أو رماد نفخت فيه لتزيله، والصوت الحاصل عند تلك النفخة هو قولك أف، ثم إنهم توسعوا فذكروا هذه اللفظة عند كل مكروه يصل إليهم»[٦٩].

---

(٦٦) انظر: النشر (٢/٢٣٠).

(٦٧) انظر: حجة القراءات (٣٩٩ ـ ٤٠٠).

(٦٨) هو: أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري الكاتب اللغوي، سكن بغداد، وله مصنفات كثيرة تزيد على ستين مصنفاً في أنواع العلوم منها: غريب القرآن، ومشكل القرآن، وغريب الحديث. توفي سنة ٢٧٦هـ. (انظر: ميزان الإعتدال (٤ /١٩٨ ـ ١٩٩)، المؤتلف والمختلف (١ /١١٣)، تهذيب الأسماء (٢ / ٥٥٥ ـ ٥٥٦)، الرسالة المستطرفة (١/١٥٤)).

(٦٩) التفسير الكبير (مجلد١٠ ج٢٠ ص١٩٠).

قال ابن الأثير[٧٠]: «معناه الاستقذار لما شُم، وقيل معناه الاحتقار والاستقلال، وهو صوت إذا صوت به الإنسان عُلم أنه مُتضجر مُتكره»[٧١].

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن القاعدة الأساسية التي يتأصل منها التشريع؛ وهي: النهي عن عبادة غير الله، لأن ذلك هو أصل الإصلاح، ثم يتبعه بالأصل الثاني من أصول الشريعة، وهو: بر الوالدين، فأمر سبحانه بالإحسان إليهما وبخاصة إذا كبرا، أو كبر أحدهما في كنفه، ومن ذلك البر ألا يقول أو يفعل ما يظهر ضجره منهما، وأن يكون في غاية الأدب في القول والفعل تجاههما.

يقول الصابوني: «﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ أي: حكم تعالى وأمر بأن لا تعبدوا إلهاً غيره وقال مجاهد: ﴿وَقَضَىٰ﴾ يعني وصى بعبادته وتوحيده ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ أي: وأمر بأن تحسنوا إلى الوالدين إحساناً، قال المفسرون: قرن تعالى بعبادته بر الوالدين لبيان حقهما العظيم على الولد؛ لأنهما السبب الظاهر لوجوده وعيشه، ولما كان إحسانهما إلى الولد قد بلغ الغاية العظيمة، وجب أن يكون إحسان الولد إليهما كذلك، ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا﴾ أي: قد أوصيناك بهما وبخاصة إذا كبرا أو كبر أحدهما، وإنما خص حالة الكبر لأنهما حينئذ أحوج إلى البر والقيام بحقوقهما لضعفهما، ومعنى ﴿عِندَكَ﴾ أي: في كنفك وكفالتك ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾ أي: لا تقل للوالدين أقل كلمة تُظهر الضجر ككلمة (أف) ولا تسمعهما قولاً سيئاً حتى ولو بكلمة التأفف ﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ أي: لا

(٧٠) هو: المبارك بن محمد بن محمد بن عبدالكريم بن عبدالواحد الشيباني العلامة مجد الدين أبو السعادات ابن الأثير الجزري، الفقيه المحدث اللغوي البارع ولد سنة ٥٤٤هـ. وتوفي سنة ٦٠٦هـ، ومن تصانيفه: كتاب جامع الأصول، وكتاب شرح مسند الشافعي. (انظر: طبقات الشافعية الكبرى (٨ / ٣٦٦ ـ ٣٦٧)، وفيات الأعيان (٤ /١٤١)، طبقات الشافعية: ابن قاضي شهبة (٢ /٦٠ ـ ٦٢)).

(٧١) اللسان (١/٩٥) مادة: أفف.

تزجرهما بإغلاظٍ فيما لا يعجبك منهما ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ أي: قل لهما قولاً حسناً ليناً طيباً بأدب ووقار وتعظيم»(٧٢).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (يبلغان) أن حكم الإحسان إلى الوالدين وحسن الأدب في القول والفعل معهما ليس باجتماعهما فقط، بل باجتماعهما وافتراقهما على السواء، وذلك بأن يدرك أحدهما دون الآخر.

يقول ابن عاشور: «وقرأ حمزة والكسائي وخلف (يبلغانّ) بألف التثنية ونون مشددة، والضمير فاعل عائد على الوالدين في قوله (وبالوالدين إحساناً)، فيكون (أحدهما أو كلاهما) بدلاً من ألف المثنى تنبيهاً على أنه ليس الحكم لاجتماعهما فقط؛ بل هو للحالتين على التوزيع»(٧٣).

ويقول أبو السعود: «وقرىء (يبلغان) فأحدهما بدل من ضمير التثنية، و(كلاهما) عطف عليه، ولا سبيل إلى جعل (كلاهما) تأكيداً للضمير، وتوحيد ضمير الخطاب في (عندك) وفيما بعده مع أن ما سبق على الجمع للاحتراز عن التباس المراد، فإن المقصود نهي كل أحد عن تأفيف والديه ونهرهما، ولو قوبل الجمع بالجمع أو التثنية لم يحصل هذا المرام»(٧٤).

وأفادت قراءة (إما يبلغن) أنه إن يبلغ أحد الوالدين عندك الكبر فأحسن إليه.

قال الطبري: «قراءة من قرأ (إما يبلغن) على التوحيد؛ على أنه خبر عن أحدهما؛ لأن الخبر عن الأمر بالإحسان في الوالدين قد تناهى عند قوله ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ ثم ابتدأ قوله ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا﴾»(٧٥).

(٧٢) صفوة التفاسير (١٣٩/٢).
(٧٣) التحرير والتنوير (مجلد ٧ ج١٥ ص٦٩).
(٧٤) تفسير أبي السعود (٢١٢/٣).
(٧٥) تفسير الطبري (مجلد٨ ج١٥ ص٤٧).

وأفادت قراءة (أفً) بالفتح: أن أي تضجر معروف ولو بسيط منهي عنه كذلك. وأفادت قراءة (أفِ) خفضاً بدون تنوين: أن مجرد إطلاق أي قدر ولو بسيط جداً من التذمر غير المتعارف عليه منهي عنه، ومخالف لبر الوالدين.

وأفادت قراءة (أفٍّ): أن أي تذمر غير متعارف عليه وأقل سهولة في التلفظ به منهي عنه كذلك.

قال القرطبي: «وقرىء (أفٍّ) منون مخفوض كما تخفض الأصوات وتنون تقول: صه ومه»[٧٦].

الجمع بين القراءات:

يتبيّن بالجمع بين القراءات في الآية أن الله سبحانه وتعالى قد أمر ببر الوالدين سواء أدرك الإنسان أحدهما أو كليهما، وذلك بألا يصدر منه ما يدل على التضايق بأوجز حركة أو لفظة، متعارف عليها أو غير متعارف، بصوت أو بدون صوت فما كان كذلك فمن باب أولى الانصراف عما هو أشد أذى من ذلك.

٧ ـ قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾﴾ [الإسراء: ٣١].

القراءات:

١. قرأ ابن كثير (خِطَاءً) بكسر الخاء وفتح الطاء وألف ممدودة بعدها.

٢. قرأ أبو جعفر وابن ذكوان وهشام بخلف عنه (خَطَأً) بفتح الخاء والطاء من غير ألف ولا مد.

٣. قرأ الباقون ﴿خِطْـًٔا﴾ بكسر الخاء وسكون الطاء، وهو الوجه الثاني لهشام[٧٧].

(٧٦) تفسير القرطبي (مجلد٥ج١٠ص٥٧٩).
(٧٧) انظر: النشر (٢/٢٣٠).

البيان:

(خَطَأً): على وجهين: أحدهما: أن يكون اسم مصدر من: أَخْطَأ، يُخْطِىء، خَطَأً، أي: إخْطَاءً، إذا لم يُصب، فإن الخطأ ما لم يُتعمد. والثاني: أن يكون خَطِىءَ يَخْطَأُ خِطْأً، إذا لم يُصِبْ أيضاً.

(خِطَاءً): مصدر خَاطَأَ يُخَاطِىء خِطَاءً وتَخاطَأً، وهو مطاوع خاطَأَ. فكأن هؤلاء الذين قتلوا أولادهم يخاطئون الحق والعدل.

(خِطْأً): من قولهم خَطِىءَ، يَخْطَأُ، خِطْأً، كأثم إثماً، إذا تعمد الكذب، والفاعل منه (خاطىء). وقد جاء في الوعيد ﴿لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الحاقة: ٣٧] أي: الآثمون[٧٨].

يقول الشعراوي: «الخاء والطاء والهمزة تدل على عدم موافقة الصواب، لكن مرة يكون عدم موافقة الصواب لأنك لم تعرف الصواب، ومرة أخرى لم توافق الصواب لأنك عرفت الصواب ولكنك تجاوزته[٧٩]».

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن النهي عن قتل البنات بوأدهن، وذلك لأن العرب في الجاهلية كانوا يئدون بناتهم خشية الفاقة بالإنفاق عليهن إذا كبرن، فنهاهم الله عن ذلك، وبين لهم أن خوفهم من أن يصيبهم الفقر لا داعي له؛ لأن الله متكفل برزق المولود والوالد جميعاً كرامة لهذا المولود، وإن القتل من أجل خوف الفقر خطيئة، وإثمٌ كبيرٌ.

يقول القاسمي: «نهي لهم عما كانوا يفعلونه في الجاهلية من قتلهم أولادهم، وهو وأدهم بناتهم، أي: دفنهن في الحياة، كانوا يئدوهن خشية الفاقة وهي الإملاق والفقر، بالإنفاق عليهن إذا كبرن، فنهاهم الله وضمن

---

(٧٨) انظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: السمين الحلبي (٣٨٨/٤)، معاني القراءات (٢٥٥)، الحجة للقراء السبعة: أبو علي الفارسي (٩٧/٥ ـ ٩٨)، حجة القراءات (٤٠٠ ـ ٤٠١).

(٧٩) تفسير الشعراوي: محمد متولي الشعراوي (٨٤٩٤/١٤).

لهم أرزاقهم بقوله ﴿نَّحۡنُ نَرۡزُقُهُمۡ﴾ أي: نحن المختصون بإعطاء رزقهم في الصغر والكبر، وقوله تعالى: ﴿وَإِيَّاكُمۡۚ﴾ أي الآن بإغنائكم، وقوله تعالى ﴿إِنَّ قَتۡلَهُمۡ﴾ أي: للإملاق الحاضر والخشية في المستقبل ﴿كَانَ خِطۡـٔٗا كَبِيرٗا﴾ أي: لإفضائه إلى تخريب العالم، وأي خطء أكبر من ذلك؟»(٨٠).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (**خَطَأً**) أن قتل البنات خشية الإملاق غير صواب، حيث لن يصيب فيه الفاعل القصد؛ لأنه لن يصل به إلى المقصود؛ وهو عدم الوقوع في الإملاق.

يقول ابن عاشور: «والخطأ ضد الصواب، أي: إن قتلهم محض خطأ ليس فيه ما يعذر عليه فاعله»(٨١).

وأفادت قراءة (**خِطَاءً**) أن أولئك الذين يقتلون بناتهم خشية الإملاق؛ يخاطئون الحق والعدل.

يقول الألوسي: «والمعنى على هذا: إن قتلهم كان عدولاً عن الحق والصواب»(٨٢).

وأفادت قراءة (**خِطْأً**) أن قتل البنات خشية الإملاق إثم عظيم، والفاعلون آثمون إثماً كبيراً.

يقول الفخر الرازي: «الجمهور قرءوا ﴿إِنَّ قَتۡلَهُمۡ كَانَ خِطۡـٔٗا كَبِيرٗا﴾ أي: إثماً كبيراً، يقال: خطىء يخطأ خطأ، مثل: أثم يأثم إثماً، قال تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ﴾ أي: آثمين(٨٣).

(٨٠) محاسن التأويل (١٠/٣٩٢٤).
(٨١) التحرير والتنوير (مجلد٧ج١٥ص٨٩).
(٨٢) روح المعاني (١٥/٦٧).
(٨٣) التفسير الكبير (مجلد١٠ج١٩ص١٩٨).

الجمع بين القراءات:

يتبيّن بالجمع بين القراءات أن الذين يقتلون بناتهم خشية الفقر إنما يجانبون الصواب، ولن يحققوا فيه القصد؛ لأن فعلهم غير صائب، ويوقعهم في إثم عظيم.

٨ ـ قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَـٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾﴾ [الإسراء: ٣٣].

القراءات:

١. قرأ حمزة والكسائي وخلف (**تُسْرِفْ**) بالخطاب.

٢. قرأ الباقون (**يُسْرِفْ**) بالغيب(٨٤).

المعنى اللغوي:

السرف والإسراف: مجاوزة القصد، وأسرف في الكلام وفي القتل: أَفْرَطَ(٨٥).

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن النهي عن قتل النفس بغير حق شرعي، كما حددت الضوابط في القصاص من القاتل والتي على ولي القاتل والسلطان الالتزام بها.

يقول الصابوني: «أي لا تقتلوا نفساً حرم الله قتلها بغير حق شرعي موجب للقتل كالمرتد، والقاتل عمداً، والزاني المحصن، ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَـٰنًا﴾ أي ومن قُتل ظُلماً بغير حق يوجب قتله فقد جعلنا لوارثه سلطة على القاتل بالقصاص منه، أو أخذ الدية أو العفو ﴿فَلَا يُسْرِف

(٨٤) انظر: النشر (٢/٢٣٠).

(٨٥) لسان العرب (٣/١٩٩٦).

﴿فِي ٱلْقَتْلِ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا﴾ أي فلا يتجاوز الحد المشروع بأن يقتل غير القاتل أو يمثل به أو يقتل اثنين بواحد كما كان أهل الجاهلية يفعلون، فحسبه أن الله قد نصره على خصمه فليكن عادلاً في قصاصه»(٨٦).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة الخطاب (فلا تُسرف) أن الكلام موجه للنبي وللأئمة من بعده بألا يقتل بالمقتول غير قاتله أو يمثل به أو يقتل به أكثر من واحد؛ وذلك على الالتفات من الغيبة إلى الخطاب حيث إن صدر الآية وهو قوله تعالى ﴿فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا﴾ يقتضي الغيبة، ولكنه التفت إلى الخطاب ليكون الخطاب موجهاً مباشرة إلى الولي.

يقول الطبري: «(فلا تسرف) بمعنى الخطاب لرسول الله ﷺ والمراد به هو والأئمة من بعده، يقول فلا تقتل بالمقتول غير قاتله وذلك أن أهل الجاهلية كانوا يفعلون ذلك إذا قتل رجل رجلاً؛ عَمَدَ ولي القتيل إلى الشريف من قبيلة القاتل فقتله بوليه وترك القاتل فنهى الله ﷻ عن ذلك عباده وقال لرسوله ﵇: قتل غير القاتل بالمقتول معصية وسرف، فلا تقتل به غير قاتله، وإن قتلت القاتل بالمقتول فلا تمثل به»(٨٧).

وأفادت قراءة الغيبة (فلا يسرف) أن ضمير يسرف عائد على الولي أي فلا يسرف الولي في القتل أو الضمير للقاتل، والمعنى على ذلك: فلا يسرف القاتل على نفسه بتعريضها للهلاك العاجل والآجل بذلك القتل.

يقول النسفي: «الضمير للولي، أي: فلا يقتل غير القاتل ولا اثنين، والقاتل واحد كعادة أهل الجاهلية، أو الإسراف: المثلة، والضمير للقاتل الأول»(٨٨).

يقول الفخر الرازي: «(فلا يسرف) بالياء وفيه وجهان: **الأول**:

(٨٦) صفوة التفاسير (١٤٠/٢).

(٨٧) تفسير الطبري (مجلد٨ج١٥ص٥٩).

(٨٨) تفسير النسفي (٢٤٢/٢).

التقدير: فلا ينبغي أن يسرف الولي في القتل .**الثاني**: أن الضمير للقاتل الظالم ابتداءً، أي فلا ينبغي أن يسرف ذلك الظالم وإسرافه عبارة عن إقدامه على ذلك القتل الظلم»[٨٩].

الجمع بين القراءتين:

يتبيّن من خلال الجمع بين القراءتين أنهما متقاربتا المعنى حيث إن الأمر بالنهي موجه للجميع سواء للولي أو القاتل، وأمر الله قضاء لا بد من تنفيذه.

يقول الطبري: «والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إنهما قراءتان متقاربتا المعنى وذلك أن خطاب الله تبارك وتعالى نبيه ﷺ بأمر أو نهي في أحكام الدين قضاء منه بذلك على جميع عباده وكذلك أمره ونهيه بعضهم أمر منه ونهي جميعهم إلا فيما دل فيه على أنه مخصوص به بعض دون بعض، فإذا كان ذلك كذلك بما قد بيّنا في كتابنا البيان عن أصول الأحكام فمعلوم أن خطابه تعالى بقوله ﴿فلا تسرف في القتل﴾ نبيه ﷺ وإن كان موجهاً إليه أنه معني به جميع عباده فكذلك نهيه ولي المقتول أو القاتل عن الإسراف في القتل والتعدي فيه نهي لجميعهم فبأي ذلك قرأ القارئ فمصيب صواب القراءة في ذلك»[٩٠].

٩ ـ قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾﴾ [الإسراء: ٣٥].

القراءات:

١. قرأ حمزة والكسائي وخلف وحفص (**بالقِسْطَاسِ**) بكسر القاف.

٢. قرأ الباقون (**بالقُسْطَاسِ**) بضم القاف[٩١].

(٨٩) التفسير الكبير (مجلد١٠ج٢٠ص٢٠٤).
(٩٠) تفسير الطبري (مجلد٨ج١٥ص٥٩).
(٩١) انظر: النشر (٢/٢٣٠).

اللغة والبيان:

(القِسطاس) بكسر القاف و(القُسطاس) بضم القاف، لغتان فصيحتان، والضم أكثر؛ لأنه لغة الحجاز. ومعناه: الميزان، وأصله: رومي[٩٢].

والأصح أنه لغة العرب، وقيل أيضاً القرطسون. وقيل: هو كل ميزان، صغر أم كبر[٩٣].

وجاء في التصريح: «وأقوى الحركات الضم، ويليه الكسر، ثم الفتح»[٩٤]. لأن الفتح هو أقرب الحركات إلى السكون لحصوله بأدنى فتح الفم، بخلاف الضم والكسر، فإن الأول إنما يحصل بإعمال العضلتين معاً الواصلتين إلى طرفي الشفة، والثاني إنما يحصل بالعضلة الواحدة الجاذبة إلى أسفل»[٩٥].

التفسير:

مضمون الآية استكمالاً لجملة من الأوامر التي أمر الله بها، فهذه الآية فيها أمران يدلان على كمال الأمانة؛ **أولهما**: إيفاء الكيل، **وثانيهما**: إتمام الوزن؛ لأن في ذلك الفلاح في الدنيا والآخرة.

يقول البقاعي: «ولما كان التقدير بالكيل أو الوزن من جملة الأمانات الخفية كالتصرف لليتيم، وكان الائتمان عليه كالمعهود فيه، أتبعه قوله: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ﴾ أي نفسه فإنه أمر محسوس لا يقع فيه إلباس واشتباه؛ ولما كان صالحاً لمن أعطى ومن أخذ، قال: ﴿وإذا كلتم﴾ أي لغيركم، فإن اكتلتم لأنفسكم فلا جناح عليكم إن نقصتم عن حقكم ولم توفوا الكيل، ﴿وَزِنُوا﴾ أي متلبساً ﴿بِالْقِسْطَاسِ﴾ أي ميزان العدل الذي هو أقوم الموازين، وزاد في تأكيد معناه فقال تعالى: ﴿الْمُسْتَقِيمِ﴾ دون شيء من الحيف على ما

(٩٢) انظر: الحجة في القراءات (ص١٢٦).
(٩٣) اللباب (٢٧٩/١٢).
(٩٤) التصريح (٥٩/١). بواسطة: شرح التصريح على التوضيح: خالد بن عبدالله الأزهري.
(٩٥) المرجع السابق (٥٨/١ ـ ٥٩).

مضى في الكيل سواء ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: الأمر العالي الرتبة الذي أمرناكم به ﴿خَيْرٌ﴾ لكم في الدنيا والآخرة، وإن تراءى لكم أن غيره خير ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ أي عاقبة في الدارين»[٩٦].

وقال ابن عاشور: «ومعنى كون ذلك أحسن تأويلاً: أن النظر إذا جال في منافع التطفيف في الكيل والوزن، وفي مضار الإيفاء فيهما، ثم عاد فجال في مضار التطفيف، ومنافع الإيفاء، استقر وآل إلى أن الإيفاء بهما خير من التطفيف؛ لأن التطفيف يعود على المطفف باقتناء جزء قليل من المال، ويكسبه الكراهية، والذم عند الناس، وغضب الله، والسحت في ماله، مع احتقار نفسه في نفسه، والإيفاء بعكس ذلك يكسبه ميل الناس إليه، ورضى الله عنه، ورضاه عن نفسه والبركة في ماله»[٩٧].

العلاقة التفسيرية:

أفادت قراءة (القِسطاس) بالكسر أن الله أمر بالدقة في الوزن، والعدل فيه.

وأفادت قراءة (القُسطاس) بالضم التحري في الدقة في الوزن، للوصول إلى غاية العدل مع الناس، وخاصة في الموازين الصغيرة، وهي غالب الأوزان عند الناس، والتي تحتاج إلى دقة كبيرة في الوزن.

الجمع بين القراءتين:

يتبيّن بالجمع بين القراءتين أن الله تعالى قد أمر بتحري الدقة في الوزن؛ بحيث يحرص الإنسان على تجنب تخسير الميزان ولو بأقل القليل، لأن القليل يجر إلى الكثير.

يقول الألوسي: «ثم إن إيفاء الكيل والوزن واجب إجماعاً، ونقص ذلك من الكبائر مطلقاً على ما يقتضيه الوعيد الشديد لفاعله الوارد في

(٩٦) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: برهان الدين البقاعي (٤/٣٧٩ ـ ٣٨٠).

(٩٧) التحرير والتنوير (مجلد٧ج١٥ص٩٩).

الآيات والأحاديث الصحيحة، ولا فرق بين القليل والكثير، نعم قال بعضهم: إن التطفيف بالشيء التافه الذي يسامح به أكثر الناس ينبغي أن يكون صغيرة، فإن قلت: ذكروا في الغصب أن غصب ما دون ربع دينار لا يكون كبيرة؛ وقضيته أن يكون التطفيف كذلك، قلت: قيل ذلك مشكل فلا يقاس عليه بل حكى الإجماع على خلافه»(٩٨).

١٠ ـ قال تعالى: ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾﴾ [الإسراء: ٣٨].

القراءات:

١. قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي وخلف (سَيِّئُهُ) بضم الهمزة والهاء وإلحاقها واوًا في اللفظ على الإضافة والتذكير.

٢. قرأ الباقون (سَيِّئَةً) بفتح الهمزة ونصب تاء التأنيث مع التنوين على التوحيد(٩٩).

البيان:

السيء: «هو المكروه، وهو الذي لا يرضاه الله ﷻ، ولا يأمر به»(١٠٠).

(سيئه): اسم كان، و(مكروهاً) خبرها.

والمعنى: كل ما ذُكر مما أمرتم به، ونُهيتم عنه من قوله تعالى ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ إلى هنا، كان سيئه وهو: ما نُهيتم عنه خاصة مكروهاً، وذَكَّر (مكروهاً) على لفظ (كل).

(سيئة): خبر (كان) وأُنِّث حملاً على معنى (كل)، واسمها ضمير يعود على (كل)، واسم الإشارة: (ذلك) عائد على ما ذُكر من النواهي

(٩٨) روح المعاني (١٥/٧٢).

(٩٩) انظر: النشر (٢/٢٣٠)

(١٠٠) تفسير القرطبي (مجلده ج١٠ص٥٩٦).

السابقة، و(عند ربك) متعلق بمكروهاً و(مكروهاً) خبر بعد خبر، وقال (مكروهاً) ولم يقل (مكروهة) لأنه عائد على لفظ (كل)[101].

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن حكم ما تقدم ذكره من الأوامر والنواهي.

يقول المنصوري: «﴿كُلُّ ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى الأوامر والنواهي من الخصال الخمس والعشرين ﴿كَانَ سَيِّئُهُۥ﴾ أي: كان عمله القبيح الذي نهي عنه؛ وهي اثنتا عشرة خصلة ﴿عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ مُبغضاً غير مرضي عند الله تعالى»[102].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (سيئة) أن كل ما سبق النهي عنه في هذه السورة هو سيئة مؤاخذ عليها وهي مكروهة عند الله تعالى.

وأفادت قراءة (سيئُهُ) أن ما سبق ذكره بعضه معصية منهي عنها، وبعضه طاعة مأمور بها.

يقول ابن كثير: «أما من قرأ (سيئةً) أي: فاحشة، فمعناه عنده: كل هذا الذي نُهينا عنه من قوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ﴾ إلى ها هنا، فهو سيئة مؤاخذ عليها ﴿مَكْرُوهًا﴾ عند الله، لا يحبه ولا يرضاه.

وأما من قرأ (سيئُهُ) على الإضافة، فمعناه عنده: كل هذا الذي ذكرناه من قوله ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ إلى ها هنا فسيئهُ أي: فقبيحهُ مكروه عند الله، هكذا وجه ذلك ابن جرير رحمه الله»[103].

الجمع بين القراءتين:

بالجمع بين القراءتين يتبيّن أن الله سبحانه وتعالى يذكر الحسن،

---

(١٠١) المغني (٣٤٥/٢) باختصار.

(١٠٢) المقتطف من عيون التفاسير: مصطفى الخيري المنصوري (١٩٧/٣).

(١٠٣) تفسير ابن كثير (٨١/٥).

والقبيح من باب الاهتمام بشأن الحسن والتنفير من القبيح وهي: الأمور المنهي عنها، وأن كل ما كان منهياً عنه فهو سيئة يبغضها الله ويؤاخذ عليها.

١١ ـ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾﴾ [الإسراء: ٤١].

القراءات:

١. قرأ حمزة والكسائي وخلف (**ليذْكُروا**) بإسكان الذال وضم الكاف مع تخفيفها.

٢. قرأ الباقون (**لِيَذَّكَّرُواْ**) بفتح الذال والكاف مع تشديدهما[١٠٤].

البيان:

(**ليذَّكروا**): مضارع (تذكر) وأصلها (يتذكر) فأدغمت التاء في الذال لقرب مخرجيهما، والتذكّر هو التدبر كأنه بمعنى تذكُّر بعد تذكُّر وهو بمعنى التفكُّر أي ليتدبروه بعقولهم.

(**ليذكروا**): فيها وجهان:

الأول: أنه مضارع (ذكر) من الذكر باللسان أو التذكر بعد النسيان.

الثاني: أن الذكر قد جاء بمعنى التأمل والتدبر كقوله تعالى: ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُواْ مَا فِيهِ﴾ والمعنى: وافهموا ما فيه[١٠٥].

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن نفور أولئك الذين عادوا الملائكة وزعموا أنهم بنات الله عن الحق رغم مجيء البيان القرآني وتكراره بأساليب ووجوه

(١٠٤) انظر: النشر (٢/٢٣٠).

(١٠٥) انظر: التفسير الكبير (مجلد١٠ج٢٠ص٢١٧)، حجة القراءات ص٤٠٤، الحجة للقراء السبعة (٥/١٠٤)، الكشف عن وجوه القراءات وعللها وحججها: مكي بن أبي طالب (٢/٤٧)، المستنير في تخريج القراءات المتواترة: محمد سالم محيسن (١/٣٠٥).

مختلفة لهم ليتعظوا ويطمئنوا إلى ما يحتج به عليهم.

يقول الطبري: «يقول تعالى ذكره ولقد صرفنا لهؤلاء المشركين المفترين على الله في هذا القرآن العبر والآيات والحجج وضربنا لهم فيه الأمثال وحذرناهم فيه وأنذرناهم ﴿لِيَذَّكَّرُوا﴾ يقول ليتذكروا تلك الحجج فيعقلوا خطأ ما هم عليه مقيمون ويعتبروا بالعبر فيتعظوا بها وينيبوا من جهالتهم فما يعتبرون بها ولا يتذكرون بما يرد عليهم من الآيات والنذر، ﴿وَمَا يَزِيدُهُمْ﴾ تذكيرنا إياهم ﴿إِلَّا نُفُورًا﴾ يقول إلا ذهاباً عن الحق وبعداً منه وهرباً، والنفور في هذا الموضع مصدر من قولهم نفر فلان من هذا الأمر منه نفراً ونفوراً»(١٠٦).

يقول القاسمي: «﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ﴾ أي كرّرنا للناس البيان بوجوه كثيرة، وبيّنا فيه من كل مثل ﴿لِيَذَّكَّرُوا﴾ أي يتعظوا ويعتبروا ويطمئنوا إلى ما يحتج به عليهم ﴿وَمَا يَزِيدُهُمْ﴾ أي التصريف المذكور ﴿إِلَّا نُفُورًا﴾ أي عن الحق وبعداً عنه، الذي يقربه وجوه البيان»(١٠٧).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (ليذّكروا) مشدداً أن الله قد كرر البيان في القرآن بوجوه مختلفة من الأمثال وغيرها ليتفكروا فيها ويعملوا عقولهم مرة بعد أخرى ليتوصلوا بذلك إلى بطلان اعتقادهم.

يقول الألوسي: «﴿لِيَذَّكَّرُوا﴾ أي ليتذكروا ويتعظوا ويطمئنوا له فإن التكرار يقتضي الإذعان واطمئنان النفس»(١٠٨).

يقول مكي بن أبي طالب: «(ليذّكروا) خففه حمزة والكسائي، جعلاه من الذكر، وشدد الباقون، جعلوه من التذكّر وهو التدبر، كأنه بمعنى تذكّر بعد تذكّر، وهو أولى لأن التذكّر فيما أنزل الله من كتابه، والتذكُّر أولى بنا

(١٠٦) تفسير الطبري (مجلد٨ج١٥ص٦٤)

(١٠٧) انظر: محاسن التأويل (٣٩٣١/١٠)

(١٠٨) روح المعاني (٨١/١٥ ـ ٨٢)

من الذكر له بعد النسيان. وقوله ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾﴾ [القصص: ٥١] يدل على التشديد في (ليذّكّروا). وقد قال تعالى ذكره: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ فالتشديد لـ(التدبر) والتخفيف لـ(الذكر) بعد النسيان»(١٠٩).

يقول الشوكاني: «قرأ يحيى بن وثاب(١١٠) والأعمش(١١١) وحمزة والكسائي (ليذكروا) مخففاً والباقون بالتشديد، واختارها أبو عبيد لما تفيده من معنى التكثير»(١١٢).

وأفادت قراءة (ليذْكروا) مخففاً أن الله سبحانه كرر البيان في القرآن بوجوه مختلفة لِيَذْكُرَ أولئك المشركون ما جاء في القرآن من دلائل بألسنتهم فيؤدي إلى تدبرهم في المعاني، فيفهموها، فتتأثر قلوبهم لما في القرآن من أثر على القلوب.

يقول ابن عادل الحنبلي(١١٣): «قال الواحدي: والتذكر هنا أشبه من الذّكْر، لأن المراد منه التدبر والتفكر، وليس المراد منه الذكر الذي يحصل بعد النسيان.

ثم قال: وأما قراءة حمزة والكسائي، ففيها وجهان:

الأول: أن الذكر قد جاء بمعنى التأمل والتدبر كقوله سبحانه جل ذكره: ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ﴾ [البقرة: ٦٣]. والمعنى: وافهموا ما فيه.

والثاني: أن يكون المعنى: صرفنا هذه الدلائل في هذا القرآن؛

---

(١٠٩) الكشف (٤٧/٢).

(١١٠) سبقت ترجمته. انظر ص٢٦.

(١١١) سبقت ترجمته. انظر ص٢٦

(١١٢) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: محمد بن علي الشوكاني (٢٨٨/٣).

(١١٣) هو: سراج الدين بن عادل أبو حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي، توفي ٨٨٠هـ. (انظر: كشف الظنون (١٥٤٣/٢)).

لتذكروه بألسنتكم فإن الذكر بألسنتكم قد يؤدي إلى تأثر القلب بمعناه»[114].

جاء في حاشية زادة[115] على تفسير البيضاوي: «قوله: (من الذكر الذي هو بمعنى التذكر) وهو التفكر والتأمل فإن الذكر قد يجيء بهذا المعنى كقوله تعالى: ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ﴾ [البقرة: ٦٣]. والتذكر: الاعتبار والاتعاظ... ثم إن المقصود من التذكر والاتعاظ أن تطمئن قلوبهم إلى هذا المعنى الذي كرر تقريره بوجوه مختلفة بقرينة قوله: ﴿وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ فإن النفور مقابل للطمأنينة كأنه قيل: كررنا القول في هذا المعنى أو كررنا هذا المعنى في القرآن المنزل ليتعظوا، ويطمئنوا إليه؛ فما يزيدهم إلا نفوراً. وفيه تعكيس بما ينبغي من حيث إن حق هذا التكرير أن يزيدهم اتعاظاً، وطمأنينة قلب، ومع هذا قد زادهم نفوراً وعناداً»[116].

الجمع بين القراءات:

يتبيّن من خلال الجمع بين القراءات أن الله قد صرف دلائل مختلفة ومتنوعة في القرآن ليذكرها المدعوون إلى الله على ألسنتهم، لعلها تخالط شغاف قلوبهم فيتدبروها، ويُعملوا عقولهم فيها مرة بعد أخرى، فيفهموها؛ فتكون موضع اتعاظ واعتبار لهم.

١٢ ـ قال تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْاْ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ [الإسراء: ٤٢].

القراءات:

١. قرأ ابن كثير وحفص **(كما يقولون)** بالغيب.

٢. قرأ الباقون **(كما تقولون)** بالخطاب[117].

---

(١١٤) اللباب في علوم الكتاب (٢٩٤/١٢).

(١١٥) الحاشية لمحمد بن مصلح الدين مصطفى القوجي الحنفي، المشهور بمحيي الدين شيخ زادة. توفي سنة ٩٥١هـ.

(١١٦) حاشية زاده على تفسير البيضاوي (٣٨٧/٥ ـ ٣٨٨).

(١١٧) انظر: النشر (٢٣١/٢)

البيان:

من قرأ (كما تقولون) بالتاء: على مخاطبة النبي ﷺ للمشركين، ومن قرأ (كما يقولون) بالياء: يكون على خطاب النبي ﷺ للمؤمنين يخاطبهم بما يقول المشركون(١١٨).

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن نفي الشريك عن الله سبحانه وتعالى بالقياس المنطقي.

يقول الشنقيطي: «وفي معنى هذه الآية الكريمة وجهان من التفسير، كلاهما حق ويشهد له قرآن، فنذكر الجميع لأنه كله حق.

الأول من الوجهين المذكورين:

أن معنى الآية الكريمة: لو كان مع الله آلهة أخرى كما يزعم الكفار ﴿لَّٱبْتَغَوْا۟﴾ أي الآلهة المزعومة، أي لطلبوا ﴿إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ﴾ أي إلى الله ﴿سَبِيلًا﴾ أي إلى مغالبته وإزالة ملكه، لأنهم إذاً يكونون شركاءه كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض.

الوجه الثاني في معنى الآية الكريمة:

أن المعنى ﴿لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ أي طريقاً ووسيلة تقربهم إليه لاعترافهم بفضله، ويدل لهذا المعنى قوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ [الإسراء: ٥٧].

ولا شك أن المعنى الظاهر المتبادر من الآية بحسب اللغة العربية هو القول الأول» اهـ(١١٩).

يقول القاسمي: «وحاصله: أن السبيل بمعنى الوسيلة الموصلة إليه،

---

(١١٨) انظر: حجة القراءات (ص٤٠٥).

(١١٩) تفسير أضواء البيان (٢/٣١٠ ـ ٣١١) باختصار.

وفيه إشارة إلى قياس اقتران تقريره هكذا: لو كان كما زعمتم معه آلهة لتقربوا إليه. وكل من كان كذلك ليس إلها، فهم ليسوا بآلهة.

وقيل: معنى ﴿لَّابْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ أي لطلبوا إليه سبيلاً بالمغالبة والممانعة، كما هو ديدن الملوك بعضهم مع بعض، على طريقة قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢].

وهذا الوجه قدمه الزمخشري على الأول وقال أبو السعود: إنه الأظهر الأنسب لقوله»[١٢٠].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة الخطاب (كما تقولون) أن الله قد أمر محمداً ﷺ أن يخاطب المشركين بالحجة ليبطل حجتهم التي احتجوا بها من اتخاذ شركاء من دون الله ليقربوهم إلى الله زلفى.

يقول ابن كثير: «يقول تعالى: قل يا محمد لهؤلاء المشركين الزاعمين أن لله شريكاً في خلقه، العابدين معه غيره ليقربهم إليه زلفى: لو كان الأمر كما تقولون وأن معه آلهة تُعبد لتقرب إليه وتشفع لديه لكان أولئك المعبودون يعبدونه ويتقربون إليه ويبتغون إليه الوسيلة والقربة، فاعبدوه أنتم وحده كما يعبده من تدعونه من دونه، ولا حاجة لكم إلى معبود يكون واسطة بينكم وبينه، فإنه لا يحب ذلك ولا يرضاه، بل يكرهه ويأباه. وقد نهى عن ذلك على ألسنة جميع رسله وأنبيائه»[١٢١].

وأفادت قراءة الغيب (كما يقولون) أن الله قد أمر محمداً ﷺ أن يوجه الخطاب إلى المؤمنين فيخبرهم بما يقوله الكافرون، وحجتهم في اتخاذهم آلهة من دون الله، وكيفية إبطال حجتهم بالمنطق.

يقول ابن عاشور: «قرأ الجمهور (كما تقولون) بتاء الخطاب على

---

(١٢٠) محاسن التأويل (٣٩٣١/١٠).

(١٢١) تفسير ابن كثير (٨٢/٥).

الغالب في حكاية القول المأمور بتبليغه أن يحكى كما يقول المبلِّغ حين إبلاغه. وقرأه ابن كثير وحفص بياء الغيبة على الوجه الآخر في حكاية القول المأمور بإبلاغه للغير أن يحكى بالمعنى، لأنه في حال خطاب الآمر المأمور بالتبليغ يكون المبلَّغ له غائباً، وإنما يصير مخاطباً عند التبليغ، فإذا لوحظ حاله هذا عبّر عنه بطريق الغيبة»[١٢٢].

الجمع بين القراءتين:

يتبيّن بالجمع بين القراءتين أن الله سبحانه وتعالى قد أمر رسوله الكريم ﷺ بالرد على المشركين الذين اتخذوا من دون الله شركاء بحجة اعتقادهم أنها تقربهم إلى الله زلفى، أمرهم أن يردوا على الحجة بالحجة، ويُعْلِم المسلمين بحجة الكافرين وكيفية الرد عليها وإبطالها، وفي هذه الآية أيضاً إشارة إلى المسلمين في كل عصر بإبطال حجج الكافرين وإثبات لوحدانية الله بالقياس المنطقي.

١٣ ـ قال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾﴾ [الإسراء: ٤٣].

القراءات:

١. قرأ حمزة والكسائي وخلف ورويس بخلف عنه **(عما تقولون)** بالخطاب.

٢. قرأ الباقون **(عما يقولون)** بالغيب، وهو الوجه الثاني لرويس[١٢٣].

البيان:

قراءة الغيب (عما يقولون) على تنزيه الله لنفسه، ويجوز حمله على القول كأنه يقول الله ﷻ لنبيه ﷺ قل أنت يا محمد: سبحانه وتعالى عما يقولون.

---

(١٢٢) التحرير والتنوير (مجلد٧ج١٥ص١١٢)

(١٢٣) انظر: النشر (٢/٢٣١).

وقراءة الخطاب (عما تقولون) على مخاطبة النبي ﷺ للمشركين[(١٢٤)].

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن تنزيه الله تنزيهاً حقيقاً به متباعداً عن قولهم؛ بأن يكون معه آلهة، وأن يكون له بنات.

قال المنصوري: «﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾ أي تنزه ذاته تنزهاً حقيقياً، ﴿وَتَعَٰلَىٰ﴾ تباعد وتقدس، ﴿عَمَّا يَقُولُونَ﴾ من العظيمة أن معه آلهة، وأن يكون له بنات، ﴿عُلُوًّا﴾ تعالياً ﴿كَبِيرًا﴾ لا غاية وراءه، كيف لا وأنه ﷻ في أقصى غاية الوجود الذاتي، وما يقولونه من أن له شريكاً وأولاداً، في أبعد مراتب العدم؛ أعني الامتناع!!»[(١٢٥)].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت قراءة الغيب (عما يقولون) أن الله سبحانه قد نزه نفسه عن مقولة المشركين، وطلب من النبي ﷺ أن ينزهه عن مقولتهم تنزيهاً يليق بعلوه على خلقه علواً لا غاية وراءه يليق بجلاله.

يقول الطبري: «وهذا تنزيه من الله تعالى ذكره نفسه عما وصفه به المشركون الجاعلون معه آلهة غيره، المضيفون إليه البنات»[(١٢٦)].

يقول ابن زنجلة: «قال جل وعز مستأنفا بتنزيه نفسه لا على مخاطبتهم ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾﴾. ويجوز أن تحمله على القول، كأنه يقول الله جل وعز لنبيه ﷺ قل أنت يا محمد: سبحانه وتعالى عما يقولون»[(١٢٧)].

وأفادت قراءة الخطاب (عما تقولون) أن الله سبحانه وتعالى أمر نبيه

---

(١٢٤) انظر: حجة القراءات (ص٤٠٤ ـ ٤٠٥).

(١٢٥) المقتطف من عيون التفاسير (١٩٨/٣).

(١٢٦) تفسير الطبري (مجلد ٨ج١٥ ص٦٥) .

(١٢٧) حجة القراءات (ص٤٠٤).

بخطاب المشركين منزهاً إياه تنزيهاً يليق بجلاله عن قولهم باتخاذ الله للشركاء.

يقول ابن عاشور: «قرأ حمزة والكسائي وخلف بتاء الخطاب على أنه التفات، أو هو من جملة المقول من قوله ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ﴾ على هذه القراءة»(١٢٨).

يقول ابن زنجلة: «قرأ حمزة والكسائي (كما تقولون) بالتاء، (عما تقولون) بالتاء أيضاً. قيل للنبي ﷺ قل للذين أشركوا: ﴿لو كان معه آلهة كما تقولون﴾، ثم عطف عليه قوله ﴿سبحانه وتعالى عما تقولون﴾ على مخاطبة النبي ﷺ إياهم»(١٢٩).

يقول الطبري: «فقال تنزيهاً لله وعلواً له عما تقولون أيها القوم من الفرية والكذب، فإن ما تضيفون إليه من هذه الأمور ليس من صفته، ولا ينبغي أن يكون له صفة»(١٣٠).

الجمع بين القراءات:

يتبيّن بالجمع بين القراءات أن الله سبحانه ينزه نفسه عن قول المشركين ويأمر الرسول ﷺ بتنزيهه مواجهاً به المشركين راداً بهذا التنزيه على افتراءاتهم على الله.

١٤ ـ قال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء: ٤٤].

القراءات:

١. قرأ نافع وحمزة وابن كثير وابن عامر وشعبة وأبو جعفر ورويس بخلف عنه (يُسَبِّح) بالياء على التذكير.

(١٢٨) التحرير والتنوير (مجلد ٧ ج١٥ ص١١٣).

(١٢٩) حجة القراءات (ص٤٠٥).

(١٣٠) تفسير الطبري (مجلد ٨ ج١٥ ص٦٥).

٢. قرأ الباقون بالتاء على التأنيث (تُسَبِّح)، وهو الوجه الثاني لرويس[١٣١].

البيان:

قراءة (تسبح) بالتاء: على تأنيث لفظ السموات، كما في قراءة أُبي (سبحت له السموات).

وقراءة (يسبح) بالياء: لأن السموات جمع قليل، والعرب تذكِّره، ودليله قوله تعالى ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ﴾ [التوبة: ٥]، ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ﴾ [يوسف: ٣٠]، والعلة في ذلك: أن الجمع القليل قبل الكثير، والتذكير قبل التأنيث، يحمل الأول على الأول[١٣٢].

ومن قرأ بالياء ذكَّر، لأنه قد حال بينه وبين المؤنث بالظرف (له)، ولأنه تأنيث غير حقيقي[١٣٣].

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن تنزيه كل ما في الكون من أحياء وجمادات لله سبحانه وتعالى وتشهد له بالوحدانية في ربوبيته وألوهيته، وعدم فهم الإنسان للغة تسبيح كثير من المخلوقات من كائنات وغيرها لا يعني عدم تسبيحها له.

يقول ابن كثير: «يقول الله تعالى: تقدسه السموات السبع والأرض ومن فيهن، أي: من المخلوقات، وتنزهه وتعظمه، وتجله وتكبره عما يقول هؤلاء المشركون، وتشهد له بالوحدانية في ربوبيته وإلاهيته، كما قال تعالى: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾﴾ [مريم: ٩٠ ـ ٩١].

---

(١٣١) انظر: النشر (٢/٢٣١).

(١٣٢) انظر الحجة في القراءات السبع: أبو عبدالله ابن خالويه (ص١٢٧).

(١٣٣) الكشف (٢/٤٨).

وقوله ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ أي: وما من شيء من المخلوقات إلا يسبح بحمد الله ﴿وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ أي: لا تفقهون تسبيحهم أيها الناس، لأنها بخلاف لغتكم. وهذا عام في الحيوانات والنبات والجماد، وقوله ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ أي: أنه لا يعاجل من عصاه بالعقوبة، بل يؤجله وينظره، فإن استمر على كفره وعناده أخذه أخذ عزيز مقتدر»(١٣٤).

العلاقة التفسيرية:

أفادت قراءة التذكير (يسبح) أن عظيم مخلوقات الله غير العاقلة؛ وهي السموات والأرض دائمة التسبيح لله.

يقول ابن عاشور: «ولما أسند التسبيح إلى كثير من الأشياء التي لا تنطق دل على أنه مستعمل في الدلالة على التنزيه بدلالة الحال، وهو معنى قوله ﴿وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ حيث أعرضوا عن النظر فيها فلم يهتدوا إلى ما يحف بها من الدلالة على تنزيهه عن كل ما نسبوه من الأحوال المنافية للإلهية»(١٣٥).

وأفادت قراءة التأنيث (تسبح) أن السموات بمجموعها وبما فيها من عاقل وغير عاقل تسبح لله تسبيحا كثيراً يليق بجلاله.

يقول الطبري: «قوله ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾ يقول: تنزه الله أيها المشركون عما وصفتموه به إعظاماً وإجلالاً ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾ من المؤمنين به من الملائكة، والإنس والجن، وأنتم مع إنعامه عليكم وجميل أياديه عندكم تفترون عليه بما تفترون»(١٣٦).

الجمع بين القراءتين:

يتبيّن بالجمع بين القراءتين أن السموات والأرض بما احتوته من العاقل وغير العاقل من مخلوقات الله تسبح لله، كل بحسب حاله ومقاله، وأن

---

(١٣٤) تفسير ابن كثير (٥/٨٢ ـ ٨٦) باختصار.

(١٣٥) التحرير والتنوير (مجلد ٧ج١٥ ص١١٤).

(١٣٦) تفسير الطبري (مجلد ٨ج١٥ ص٦٥).

السموات والأرض رغم عظمتها وعدم عقلانيتها؛ إلا أنها تسبح لله تسبيحاً يليق بجلاله، وأنتم أيها المشركون بالله المتقولون على الله لا يقارن عظماؤكم بعظمة سماء واحدة تشركون بالله، وتدعون عليه بالباطل!.

١٥ ـ قال تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الإسراء: ٤٩].

وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾﴾ [الإسراء: ٩٨].

القراءات:

١. قرأ ابن عامر وأبو جعفر (إذا) بالإخبار، (أئنا) بالاستفهام.

٢. قرأ نافع والكسائي ويعقوب (أئذا) بالاستفهام، (إنا) بالإخبار.

٣. قرأ الباقون (أئذا)، (أئنا) بالاستفهام فيهما(١٣٧).

اللغة والبيان:

الرفات: «ما تكسر وَبَلِيَّ من كل شيء، ويكثر بناء فُعال في كل ما يحطم ويرضض، يُقال: حُطام ودُقاق وتُراب، وقال المبرد: كل شيء مدقوق مبالغ في دقه حتى انسحق فهو رفات.

وقال الفراء: لا واحد له من لفظه، يُقال: رفت الشيء رفتاً فهو مرفوت إذا صير كالحطام»(١٣٨).

قال السمين الحلبي(١٣٩): «الوجه في قراءة من استفهم في الأول والثاني تأكيداً، والوجه في قراءة من أتى به مرة واحدة حصول المقصود به؛

---

(١٣٧) انظر: النشر (١/٢٩٠).

(١٣٨) مجمع البيان في تفسير القرآن: أبو علي الطبرسي (٦/٢٤٢).

(١٣٩) هو: أحمد بن يوسف بن محمد شهاب الدين أبو العباس الحلبي المصري، النحوي المقرىء، الفقيه، المعروف بالسمين الحلبي، كان فقيهاً بارعاً في النحو والتصريف وعلم القراءة، خيراً ديناً، توفي سنة ٧٥٦هـ (انظر: طبقات الشافعية (٣/١٨ ـ ١٩)، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: ابن حجر العسقلاني (١/٣٣٩ ـ ٣٤٠)).

لأن كل جملة مرتبطة بالأخرى، فإذا أنكر في إحداها حصل الإنكار في الأخرى»[١٤٠].

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن قول مشركي مكة وإنكارهم لقضية البعث وعلى رأسهم الوليد ابن المغيرة؛ حيث أنكروا أن يُبعث الإنسان يوم القيامة بعد أن كان عظاماً بالية.

يقول الطبري: «يقول تعالى ذكره مخبراً عن قول هؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة من مشركي قريش، وقالوا بِعَنَتِهِمْ: أئذا كنا عظاماً لم نتحطم، ولم نتكسر بعد مماتنا وبلانا، ﴿وَرُفَٰتًا﴾ يعني تراباً في قبورنا، وقوله ﴿أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدٗا﴾ قالوا إنكاراً منهم للبعث بعد الموت: إنا لمبعوثون بعد مصيرنا في القبور عظاماً غير منحطمة، ورفاتاً منحطمة، وقد بلينا فصرنا فيها تراباً ﴿خَلۡقٗا﴾ منشأ كما كنا قبل الممات ﴿جَدِيدٗا﴾ نُعاد كما بُدئنا»[١٤١].

العلاقة التفسيرية:

أفادت قراءة الإخبار في الأول والاستفهام في الثاني أن المشركين ذكروا المُشاهد من أحوال أجساد الموتى في الدنيا ثم أنكروا عن طريق الاستفهام قضية البعث في الآخرة لهذه الأجساد البالية.

يقول الطبرسي: «لما تقدم ذكر البعث والنشور حكى سبحانه عن الكفار ما قالوا في إنكاره فقال ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا﴾ أي: غباراً عن ابن عباس. وقيل تراباً عن مجاهد ﴿أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدٗا﴾ والمعنى: قال المنكرون للبعث: إنا إذا متنا وانتثرت لحومنا وصرنا عظاماً وتراباً أنبعث بعد ذلك خلقاً جديداً، أي متجدداً، وهو إنكار في صورة الاستفهام»[١٤٢].

---

(١٤٠) الدر (٢٢٨/٤).

(١٤١) تفسير الطبري (مجلد ٨ج١٥ ص٦٨).

(١٤٢) مجمع البيان (٢٤٣/٦).

وأفادت قراءة الاستفهام في الأول والإخبار في الثاني: قوة إنكار المشركين لقضية البعث انطلاقاً من عدم تصور تحول العظام والرفات إلى أجساد يوم القيامة.

يقول ابن عاشور: «والاستفهام إنكاري، وتقديم الظرف من قوله ﴿إذا كنا عظاما﴾ للاهتمام به لأن مضمونه هو دليل الاستحالة في ظنهم، فالإنكار متسلط على جملة ﴿إنا لمبعوثون﴾. وقوة إنكار ذلك مقيد بحالة الكون عظاماً ورفاتاً، وأصل تركيب الجملة: أإنا لمبعوثون إذا كنا عظاماً ورفاتاً؟، وليس المقصود من الظرف التقييد، لأن الكون عظاماً ورفاتاً ثابت لكل من يموت فيُبعث»[١٤٣].

أما قراءة الاستفهام فيهما فقد أفادت تأكيد كل من الاستفهام للآخر، وبالتالي شدة تأكيد إنكار المشركين للبعث.

يقول أبو السعود: «﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا﴾ استفهام إنكاري مفيد لكمال الاستبعاد والاستنكار للبعث بعد ما آل الحال إلى هذا المآل لما بين غضاضة الحي ويبوسة الرميم من التنافي، كأن استحالة الأمر من الظهور بحيث لا يقدر المخاطب على التكلم به، وتكرير الهمزة في قولهم ﴿أَءِنَّا﴾ لتأكيد النكير، وتحلية الجملة بإن واللام لتأكيد الإنكار لا لإنكار التأكيد كما عسى أن يُتوهم من ظاهر النظم»[١٤٤].

ويقول الشوكاني: «﴿ءإنا لمبعوثون خلقا جديدا﴾ كرر الاستفهام الدال على الاستنكار، والاستبعاد تأكيداً وتقريراً، والعامل في إذا هو ما دل عليه لمبعوثون، لا هو نفسه، لأن ما بعد إن والهمزة واللام لا يعمل فيما قبلها، والتقدير: أإذا كنا عظاماً ورفاتاً نبعث ءإنا لمبعوثون»[١٤٥].

---

(١٤٣) التحرير والتنوير (مجلد ٧ج١٥ ص١٢٤).

(١٤٤) تفسير أبي السعود (٢١٩/٣ ـ ٢٢٠) باختصار.

(١٤٥) فتح القدير (٢٩٤/٣).

الجمع بين القراءات:

يتبيّن بالجمع بين القراءات أن المشركين ينكرون الآخرة وما يحدث فيها من بعث بعد الموت للأجساد، كما ينكرون أشد النكران قدرة الله على إعادة تركيب الجسد وبث الحياة فيه بعد أن كان عظاماً ورفاتاً بالية، وفي ذلك دلالة على غلوهم في الكفر وتماديهم في الضلال.

١٦ ـ قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾﴾ [الإسراء: ٥٥].

القراءات:

١. قرأ نافع (النبيئين) بالهمز على الأصل.

٢. قرأ الباقون (النبيّين) بغير همز[١٤٦].

١. قرأ حمزة وخلف (زُبُورًا) بضم الزاي.

٢. قرأ الباقون (زَبُورًا) بفتح الزاي[١٤٧].

اللغة والبيان:

(النبيئين) بالهمز: من النبأ، ومن أنبأ عن الله، أي: أخبر، على وزن (فَعِيل) بمعنى (مُفْعِل).

فالنبي: هو الذي ينبيء؛ أي يخبر عن الله.

و**(النبيين)** بغير همز: من نبا الشيء يَنْبُو إذا ارتفع، ويقال للمكان المرتفع: نَبِيٌّ، وكذلك النبوة والنّباوة. وإنما قيل للنبيِّ نبيٌّ: لارتفاع منزلته وشرفه تشبيهاً له بالمكان المرتفع على ما حوله[١٤٨].

---

(١٤٦) انظر حجة القراءات (ص٩٩)، وانظر: الإتحاف (ص١٨٠) في موضع الآية ١٦٤ من سورة البقرة.

(١٤٧) انظر: النشر (٢/١٩٠).

(١٤٨) انظر: معاني القراءات (ص٥٢)، حجة القراءات (٩٩/١) في موضع الآية ١٦٤ من سورة البقرة.

وقد تطرق الباحث عبدالله الملاحي لهذا الموضع في رسالته، لذلك ستكتفي الباحثة ببيان موضع (زبوراً) فقط.

يقول الأستاذ عبدالله الملاحي في بيان العلاقة التفسيرية بين القراءتين (النبيئين) و(النبيّين): «تبيّن القراءتان صفات الأنبياء عليهم السلام، ومكانتهم عند الله ﷻ؛ حيث أفادت قراءة (النبيئين) أن النبي هو المخبر عن ربه الوحي. في حين أفادت قراءة (النبيّين) أن النبي هو صاحب المكانة العالية المترفع عن أي خبر كاذب، الهادي إلى الطريق المستقيم. قال تعالى في وصف محمد ﷺ ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم: ٣ ـ ٤]، وقال تعالى ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٤٢]. **قال القرطبي**: فأما من همز فهو عنده من أنبأ إذا أخبر؛ واسم فاعله منبىء، ويجمع نبىء أنبياء، وقد جاء في جمع نبيّ نبآء... واختلف القائلون بترك الهمز؛ فمنهم من اشتقه من نبا ينبو، إذا ظهر. فالنبيّ من النبوة، وهو الارتفاع؛ فمنزل النبي رفيع. والنبي بترك الهمز أيضاً الطريق فسمي الرسول نبياً لاهتداء الخلق به كالطريق(١٤٩). وبالجمع بين القراءتين نجد أنّ من صفات النبيّ أنه المخبر عن الله ﷻ صاحب المكانة العالية الهادي إلى الطريق المستقيم». اهـ(١٥٠).

(زبوراً): زبرت الكتاب: كتبته كتابة غليظة، وكل كتاب غليظ الكتابة يقال له: زَبور، وخص الزَبور بالكتاب المنزل على داود عليه السلام، وقرىء (زُبوراً) جمع زَبور، كقولهم في جمع ظريف: ظروف، أو يكون جمع زِبْرٍ، وزِبْرٌ مصدر سُمّي به كالكتاب، ثم جمع على زُبُر، كما جمع كتاب على كُتب، وقال بعضهم: الزَبور: اسم للكتاب المقصور على الحكم العقلية دون الأحكام الشرعية(١٥١).

(١٤٩) تفسير القرطبي (مجلد ١ج١ ص٣٩٠) في موضع الآية ٦١ من سورة البقرة.
(١٥٠) تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر من خلال سور الفاتحة والبقرة وآل عمران ـ رسالة ماجستير (صفحة ٨٠ ـ ٨١).
(١٥١) انظر: مفردات الراغب (صفحة٢٣٦)، مادة: زبر.

والحجة لمن قرأ (زَبوراً) أنه أراد: واحداً مفرداً. والحجة لمن قرأ (زُبوراً) أنه أراد الجمع(١٥٢).

والزبور في الأصل وصف للمفعول كالحلوب، أو مصدر كالقبول، وهذا الوزن في المصادر قليل، والأكثر ضم الفاء(١٥٣).

التفسير:

يقول ابن عاشور: «﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍۖ﴾ مشيراً إلى أن تفاضل الأنبياء ناشىء على ما أودعه الله فيهم من موجبات التفاضل. وهذا إيجاز تضمن إثبات النبوءة وتقررها فيما مضى مما لا قبل لهم بإنكاره. وتعدد الأنبياء مما يجعل محمداً ﷺ ليس بدعاً من الرسل.. فعلم أن طعنهم في نبوءة محمد ﷺ طعن مكابرة وحسد ... وتخصيص داود عليه السلام بالذكر عقب هذه القضية العامة؛ وجهه صاحب الكشاف ومن تبعه: بأن فائدة التلميح إلى أن محمداً ﷺ أفضل الأنبياء، وأمته أفضل الأمم؛ لأن في الزبور أن الأرض يرثها عباد الله الصالحون. وهذا حسن. وأنا أرى أن يكون وجه هذا التخصيص الإيماء إلى أن كثيراً من الأحوال المرموقة في نظر الجاهلين وقاصري الأنظار؛ بنظر الغضاضة هي أحوال لا تعوق أصحابها عن الصعود في مدارج الكمال التي اصطفاها الله لها، وأن التفضيل بالنبوة والرسالة لا ينشأ عن عظمة سابقة، فإن داود عليه السلام كان راعياً من رعاة الغنم في بني إسرائيل.. فهو النبي الذي تجلى فيه اصطفاء الله تعالى لمن لم يكن ذا عظمة وسيادة. وذكر إيتائه الزبور هو محل التعريض للمشركين؛ بأن المسلمين سيرثون أرضهم وينتصرون عليهم؛ لأن ذلك مكتوب في الزبور كما تقدم آنفاً»(١٥٤).

---

(١٥٢) انظر: الحجة في القراءات السبع (ص٦٦).

(١٥٣) انظر: روح المعاني (١٥/٩٥).

(١٥٤) انظر: التحرير والتنوير (مجلد ٧ج١٥ ص١٣٦ ـ ١٣٧) باختصار.

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت قراءة الفتح (زَبوراً) أنه اسم للكتاب المنزل على سيدنا داود عليه السلام.

وأفادت قراءة الضم (زُبوراً) أن هذا الكتاب مقسم إلى كتب أو مزامير ـ كما يقال عنه مزامير داود ـ وكل مزمور يُقال عنه زبور، وأن إنزاله على داود عليه السلام كان منجماً.

يقول الطبري: «وأما قوله ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ فإن القراء اختلفت في قراءته، فقرأته عامة قراء أمصار الإسلام غير نفر من قراء الكوفة: (وآتينا داود زَبوراً) بفتح الزاي على التوحيد، بمعنى وآتينا داود الكتاب المسمى زَبوراً، وقرأ ذلك بعض قراء الكوفيين: (وآتينا داود زُبوراً) بضم الزاي، جمع زبر، كأنهم وجهوا تأويله: وآتينا داود كتباً وصحفاً مزبورة، من قولهم: زبرت الكتاب أزبره زبراً، وذبرته أذبره ذبراً؛ إذا كتبته، قال أبو جعفر: وأولى القراءتين في ذلك بالصواب عندنا قراءة من قرأ: (وآتينا داود زَبوراً) بفتح الزاي[(١٥٥)]، على أنه اسم الكتاب الذي أُوتيه داود، كما سُمي الكتاب الذي أوتيه موسى التوراة، والذي أُوتيه عيسى الإنجيل، والذي أُوتيه محمد الفرقان، لأن ذلك هو الاسم المعروف به ما أوتي داود، وإنما تقول العرب زبور داود وبذلك يعرف كتابه سائر الأمم»[(١٥٦)].

الجمع بين القراءتين:

يتبيّن بالجمع بين القراءتين أن الله تعالى قد أنزل الزبور على سيدنا داود عليه السلام، وأن هذا الكتاب نزل عليه منجماً كما نزل القرآن على سيدنا محمد ﷺ منجماً، يحتوي على كتب وصحف، وهي ما يطلق عليه أهل الكتاب: مزامير داود.

---

(١٥٥) قول الطبري غير مقبول ولا نسلم له به لأن كلاً من تينك القراءتين متواترتين فلا يجوز تفضيل إحدى القراءتين المتواترتين على حساب الأخرى بما يفضي إلى تضعيف الأخرى أو التشكيك بها أو ردها لأن كلاً منهما قرآناً.

(١٥٦) تفسير الطبري (مجلد ٤ج٦ ص٢٠). في موضع الآية ١٦٣ من سورة النساء.

وقد ذكر في بعض تلك الصحف أوصاف النبي ﷺ وأوصاف أمته، وأنهم سيرثون أرض بني إسرائيل، وسينتصرون عليهم. وهذه بشارة للرسول والمسلمين، ورد على الكافرين وبني إسرائيل الذين أنكروا رسالة محمد ﷺ.

ومما يؤيد ما تم التوصل إليه من كون الزبور نزل منجماً على سيدنا داود عليه السلام ما ذكره الألوسي والشوكاني.

قال الألوسي: «وقيل إنه جمع زبور على حذف الزوائد، وعلى العلّات جُعل اسماً للكتاب المنزل على داود عليه السلام، وكان إنزاله عليه منجماً وبذلك يحصل الإلزام، وكان فيه كما قال القرطبي مائة وخمسون سورة ليس فيها حكم من الأحكام، وإنما هي حكم ومواعظ والتحميد والتمجيد والثناء على الله تعالى»(١٥٧).

وقال الشوكاني عند تفسيره لقوله تعالى ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ [الفرقان: ٣٢]: «واختلف في قائل هذه المقالة، فقيل: كفار قريش، وقيل: اليهود قالوا هلا أتيتنا بالقرآن جملة واحدة كما أنزلت التوراة والإنجيل والزبور، وهذا زعم باطل ودعوى داحضة؛ فإن هذه الكتب نزلت مفرقة كما نزل القرآن، ولكنهم معاندون أو جاهلون لا يدرون بكيفية نزول كتب الله سبحانه على أنبيائه، ثم رد الله سبحانه عليهم فقال: ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ أي: نزلنا القرآن كذلك مفرقاً، والكاف في محل نصب على أنها نعت مصدر محذوف، وذلك إشارة إلى ما يفهم من كلامهم، أي: مثل ذلك التنزيل المفرق الذي قدحوا فيه واقترحوا خلافه نزلناه؛ لنقوي بهذا التنزيل على هذه الصفة فؤادك، فإن إنزاله مفرقاً منجماً على حسب الحوادث أقرب إلى حفظك له وفهمك لمعانيه، وذلك من أعظم أسباب التثبيت»(١٥٨).

١٧ ـ قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ

(١٥٧) روح المعاني (١٧/٦) في موضع الآية (١٦٣) من سورة النساء.
(١٥٨) فتح القدير (٩٣/٤).

قَالَ ءَأَسۡجُدُ لِمَنۡ خَلَقۡتَ طِينٗا ﴿٦١﴾ [الإسراء: ٦١].

القراءات:

١. قرأ ابن وردان بخلف عن أبي جعفر بضم التاء حالة وصل الملائكة باسجدوا، أما الوجه الثاني لابن وردان فهو الإشمام في كسرة التاء بضمها.

٢. قرأ الباقون (للملائكةِ) بكسر التاء كسرة خالصة حين وصلها بـ(اسجدوا)(١٥٩).

اللغة والبيان:

(الملائكة) من الألُوك. وهي الرسالة. وهي من المألُكة والمألَكَة، ومنه قالت الشعراء: أَلِكْنِي؛ أي: أرسلني، وبمعنى كن رسولي، واحدهم ملك - بترك الهمزة - لكثرة ما يجري في الكلام، والملائكة تقع على الواحد والجمع، والهمزة في الجمع مؤخرة لأنهم رسل الله(١٦٠).

قرأ بعض القراء التاء في الملائكة هنا بالكسر، وبعضهم بالضم - كما سبق بيانه - حين الوصل. وتعتبر الضمة من أقوى الحركات وأثقلها، ثم تليها الكسرة، ثم تليها الفتحة، وهي من أخف الحركات، وذلك لأن النطق بالضمة يحتاج إلى جهد عضلي أكثر من الكسرة والفتحة؛ وذلك لأنها لا تُنطق إلا بانضمام الشفتين وارتفاعهما، ولا تحتاج الكسرة ولا الفتحة إلى هذا الجهد(١٦١).

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن أمر الله للملائكة بالسجود لآدم - عليه السلام - وامتثال الملائكة للأمر فوراً، وعصيان إبليس واستكباره عن الأمر؛ محتجاً

(١٥٩) انظر: النشر (١٥٨/٢).

(١٦٠) انظر: مفردات الراغب (ص٢٨)، تفسير غريب القرآن (ص٢٣)، اللسان (١/١١٠ - ١١١).

(١٦١) انظر: بلاغة الكلمة (ص١١٤ - ١١٥). وانظر: التصريح (١/٥٨ - ٥٩).

بخيريته على آدم لأنه خلق من نار وآدم من طين، وفي مفهومه أن النار أفضل من الطين.

يقول أبو حيان: «مناسبة هذه الآية لما قبلها من وجهين: **أحدهما**: أنه لما نازعوا الرسول عليه السلام في النبوّة، واقترحوا عليه الآيات، كان ذلك لكبرهم وحسدهم للرسول ﷺ على ما آتاه الله من النبوّة، والدرجة الرفيعة، فناسب ذكر قصة آدم عليه السلام، وإبليس حيث حمله الكبر والحسد على الامتناع من السجود. **والثاني**: أنه لما قال ﴿فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا﴾ بيّن ما سبب هذا الطغيان وهو قول إبليس ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا﴾»(١٦٢).

ويقول أبو السعود: «واذكر وقت قولنا لهم ﴿ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ﴾ تحيةً وتكريماً لما له من الفضائل المستوجبة لذلك، ﴿فَسَجَدُوٓا۟﴾ له من غير تلعثم امتثالاً للأمر، وأداء لحقه ﷺ ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ وكان داخلا في زمرتهم مندرجاً تحت الأمر بالسجود ﴿قَالَ﴾ أي عندما وبخ بقوله عز سلطانه: ﴿يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ وقوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾، وقوله ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ كما أشير إليه في سورة الحجر. ﴿ءَأَسْجُدُ﴾ وأنا مخلوق من العنصر العالي ﴿لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ نصب على نزع الخافض، أي من طين، أو حال من الراجع إلى الموصول، أي خلقته وهو طين، أو من نفس الموصول أي: أأسجد له وأصله طين، والتعبير عنه عليه الصلاة والسلام بالموصول لتعليل إنكاره بما في حيز الصلة»(١٦٣).

يقول ابن عطية: «وكفر إبليس في أن جَهِلَ صفة العدل من الله تعالى حين لحقته الأنفة، والكبر، وكان أصل ذلك الحسد، ولذلك قيل إن أول ما عصى الله بالحسد»(١٦٤).

---

(١٦٢) البحر المحيط (٦/٥٤).

(١٦٣) تفسير أبي السعود (٣/٢٢٤).

(١٦٤) المحرر الوجيز (٣/٣٦٩).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة الضم (للملائكةُ اسجدوا) أن أمر الله للملائكة بالسجود هو أمر عظيم وثقيل؛ لأنهم أُمِروا بالسجود لمخلوق من مخلوقات الله، ورغم ذلك استجابت الملائكة لهذا الأمر فوراً، ولكن إبليس ثَقُلَ عليه الأمر واستكبر، وتملكه الحسد والكبر فلم يستجب لأمر الله، واحتج بأنه خير من آدم من الناحية التكوينية، فناسب قراءة (الملائكة) بالضم ذكر الأمر الثقيل.

يقول الألوسي: «وذكر الخلق مع أنه يكفي في المقصود أن يقال: لمن كان من طين أدخل في المقصود؛ مع أنه فيه على ما قيل إيماء إلى علة أخرى وهي أنه مخلوق، والسجود إنما هو للخالق تعالى مجده»(١٦٥).

وأفادت قراءة (للملائكةِ اسجدوا) سهولة انقياد الملائكة لأوامر الله دون سؤال أو استفسار، فناسب قراءة الكسر الطاعة المباشرة والفورية للملائكة دون أدنى تردد؛ ومما دل على ذلك قوله: (فسجدوا) فالفاء تفيد السرعة مع التعقيب والترتيب.

يقول أبو السعود: «واذكر وقت قولنا لهم ﴿ٱسْجُدُواْ لِآدَمَ﴾ تحية وتكريماً لما له من الفضائل المستوجبة لذلك، ﴿فَسَجَدُوٓاْ﴾ له من غير تلعثم امتثالاً للأمر، وأداء لحقه ﷺ»(١٦٦).

الجمع بين القراءات:

يتبيّن من خلال الجمع بين القراءات أنه رغم عظم وثقل الأمر بالسجود إلا أن الملائكة امتثلوا فوراً لأمر الله طاعة له، وكان في هذا الأمر اختباراً وتمحيصاً لما في الصدور.

يقول مصطفى المنصوري: «فامتثلوا للأمر وسجدوا له إلا إبليس اللعين تكبر وتجبر وعصى أمر ربه، والآية تحقيق لمضمون ما سبق من قوله

---

(١٦٥) روح المعاني (١٥/١٠٩).

(١٦٦) تفسير أبو السعود (٣/٢٢٤).

تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ [الإسراء: ٥٧]، ويُعلم من حال الملائكة حال غيرهم، من عيسى وعزير عليهما السلام، ومن حال إبليس حال من يعاند الحق لأنهم إنما عاندوه لأمرين: الكبر، والحسد، وهذه بلية للخلق»[١٦٧].

١٨ ـ قال تعالى: ﴿قَالَ أَرَءَيۡتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِي كَرَّمۡتَ عَلَيَّ لَئِنۡ أَخَّرۡتَنِ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَأَحۡتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٦٢﴾ [الإسراء: ٦٢].

القراءات:

١. قرأ ابن كثير ويعقوب (**أَخَّرْتَنِي**) بإثبات الياء في الوصل والوقف.

٢. وقرأ نافع وأبو جعفر وأبو عمرو (**أَخَّرْتَنِي**) بإثبات الياء في الوصل دون الوقف.

٣. وقرأ الباقون (**أَخَّرْتَنِ**) بالحذف[١٦٨].

اللغة:

التأخير: ضد التقديم[١٦٩]. **أخرتن**: أي: أخرت أجل موتي[١٧٠].

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن تكرار إنكار إبليس لتفضيل آدم وتكريمه عليه، وبيان لشدة حسده وغيظه من آدم عليه السلام حتى طلب من الله عز وجل أن يمهله ليضل ذرية آدم عليه السلام انتقاماً من آدم.

يقول د. وهبة الزحيلي: «وقال هنا جرأة وكفراً: ﴿قال أرأيت هذا الذي كرمت علي﴾ أي: أخبرني عن هذا الذي فضلته: لِمَ كرَّمته عليَّ، وأنا خير منه؟ فإنه نسب الجور إلى ربه في زعمه أنه أفضل من آدم بسبب عنصر

(١٦٧) المقتطف (٢٠٨/٣).

(١٦٨) انظر: النشر (٢٣٢/٢).

(١٦٩) انظر: اللسان (٣٨/١) مادة: أخر.

(١٧٠) انظر: مجمع البيان (٢٥٢/٦).

الخلق، فإن عنصر النار أسمى وأرفع، وعنصر الطين أدنى وأقرب للخمول، والحقيقة أن العناصر كلها من جنس واحد، أوجدها الله، بل إن الطين أنفع من النار، فبالأول البناء والعمران، وبالثاني الخراب والهدم والدمار. ﴿لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾ أي: قسماً لئن أبقيتني إلى يوم القيامة لأستأصلن ذريته بالإغواء، ولأستولينَّ عليهم بالإضلال جميعاً، أو لأُضلنَّ ذريته إلا قليلاً منهم، وهم العباد المخلصون الذين وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [الحجر: ٤٢] أي: إن عبادي الصالحين لا تقدر أن تغويهم».اهـ[١٧١].

يقول ابن عاشور: «وهذا الكلام صدر من إبليس إعراباً عما في ضميره، وإنما شرط التأخير إلى يوم القيامة؛ ليعمَّ بإغوائه جميع أجيال ذرية آدم فلا يكون جيل آمناً من إغوائه»[١٧٢].

ويقول القرطبي في قول إبليس ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾: «وإنما قال إبليس ذلك ظناً، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾ أو علم من طبع البشر تركُّب الشهوة فيهم، أو بنى على قول الملائكة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾، وقال الحسن: ظن ذلك لأنه وسوس إلى آدم عليه السلام فلم يجد له عزماً»[١٧٣].

العلاقة التفسيرية:

أفادت قراءة (أخرتن) بحذف الياء؛ أن إبليس طلب من الله ضمنياً أن يؤخر في أَجَلِه لإغواء بني آدم، وهو يعلم أن ذلك لا يعود عليه بالنفع وإنما هو حقد وحسد.

يقول د. فاضل السامرائي[١٧٤]: «ولما كان طلب إبليس ليس من أجل

---

(١٧١) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: د. وهبة الزحيلي (١١٦/١٥).

(١٧٢) التحرير والتنوير (مجلد ٧ج١٥ ص١٥١).

(١٧٣) تفسير القرطبي (مجلد ٥ج١٠ ص٦١٩).

(١٧٤) هو: أبو محمد فاضل بن صالح بن مهدي بن خليل البدري من عشيرة «البدري» إحدى عشائر سامراء، ولد في سامراء عام ١٩٣٣م في عائلة عريقة متدينة متوسطة=

نفسه ولا يعود عليها بالنفع، حذف منه الضمير واجتزأ بالكسرة، ثم في الحقيقة إن كلام إبليس ليس طلباً، وإنما هو شرط دخل عليه القسم، فقال: (لَئِنْ أَخَّرْتَنِ) فهو من باب الطلب الضمني، وليس من باب الطلب الصريح»(١٧٥).

وأفادت قراءة (أخرتني) بثبوت الياء؛ دعاء من إبليس لله أن يستجيب لطلبه بإمهاله لإغواء بني آدم ليدلل على عدم أفضلية آدم وذريته، وأنه يستطيع أن يتسلط عليهم إلا قليلاً منهم.

يقول ابن عاشور: «﴿لئن أخرتني إلى يوم القيامة﴾ : الجملة قَسَمِيَّة، واللام موطئة للقسم المحذوف مع الشرط، والخبر مستعمل في الدعاء، فهو في معنى قوله ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾﴾»(١٧٦).

الجمع بين القراءات:

يتبيّن من خلال الجمع بين القراءات أن إبليس عليه لعنة الله أراد أن يدلل على عدم أفضلية آدم وذريته عليه، وأنه يستطيع أن يتسلط عليهم؛ وذلك بدعاء الله أن يمد في عمره؛ وهو يعلم أن هذا الأمر لن يفيده بعد أن طرد من رحمة الله، وإنما هو حقد وحسد.

١٩ ـ قال تعالى: ﴿وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا

= الحالة الاقتصادية، حاد الذكاء تعلم القرآن الكريم منذ الصغر، تفوق في جميع مراحله الدراسية، حاصل على درجة الدكتوراة في اللغة العربية، عمل مدرساً في المدارس، وقضى ما يقارب أربعين عاماً أستاذاً للنحو في جامعة بغداد، تولى مناصب علمية عليا، ويعمل حالياً أستاذاً لمادة النحو والتعبير القرآني في جامعة الشارقة. (انظر: شبكة المعلومات الدولية ـ موقع جوجل http://www.lamasaat.8m.com/). وانظر أيضاً: معجم الأدباء لكامل الجبوري (٤١٤/٤).

(١٧٥) بلاغة الكلمة (ص٢٨).

(١٧٦) التحرير والتنوير (مجلد ٧ج١٥ ص١٥١).

﴿٦٤﴾ [الإسراء: ٦٤].

القراءات:

١. قرأ حفص **(وَرَجِلِكَ)** بكسر الجيم.

٢. قرأ الباقون **(ورَجْلِكَ)** بإسكان الجيم[(١٧٧)].

اللغة والبيان:

(الرَّجْل) بسكون الجيم؛ جمع راجل، كتاجر وتَجْر، وصاحب وصَحْب.

(الرَّجِل) بكسر الجيم؛ صفة، يُقال: فلان يمشي راجلاً إذا كان غير راكب، ويُقال: رَجِل يَرْجِل: إذا صار راجلاً، مثل: نَدِس ونَدْس وحَذِر وحَذْر، ورَجِلِك واحد يراد به الكثرة. فيكون معناه: وجمعك الرجل[(١٧٨)]. ويجوز أن تكون قراءة من أسكن مثل قراءة من كسر الجيم، فتتفق القراءتان.[(١٧٩)]

التفسير:

هذه الآية استكمالٌ لقصة إبليس اللعين؛ فحينما رفض إبليس السجود لآدم استكباراً وغيرةً وطلب من الله أن يمهله إلى يوم القيامة لأجل أن يستأصل ذرية آدم بالإغواء، استجاب الله تعالى لطلبه بالإمهال، وتوعده سبحانه بأن كل أساليبه في الإغواء لا سبيل لها إلا الفشل والخذلان، وأن وعوده ما هي إلا من أجل الإضلال.

يقول د. وهبة الزحيلي في تفسيره للآية: ﴿وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ﴾ أي: استخف واستنفر بدعوتك إلى معصية الله، ﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾ أي: بكل ما أوتيت من قوة وإغراء ووسوسة، واجمع عليهم

(١٧٧) انظر: النشر (٢/٢٣١).

(١٧٨) انظر: تفسير غرائب القرآن (مجلد ٨ج١٥ ص٦١)، اللباب (١٢/٣٣١).

(١٧٩) انظر: الكشف (٢/٤٨ ـ ٤٩).

جندك فرساناً ومشاةً، وهذا تمثيل، والمراد به: تسلَّط عليهم بكل ما تقدر عليه، واجمع لهم كل مكايدك، ولا تدَّخر وسعاً في إغوائهم، مستخدماً كل الأتباع والأعوان، ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾ أي: بتحريضهم على كسب الأموال، وإنفاقها في معاصي الله من ربا وسرقة... وغير ذلك من تسميات غير شرعية، وتجاوز حدود الشرع في الزواج والطلاق والرضاع والنسب والنفقة وغيرها، ﴿وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾ أي: عدهم المواعيد الكاذبة الباطلة من شفاعة الآلهة المزعومة، والكرامة على الله بالأنساب الشريفة، أو بالتسويف في التوبة ومغفرة الذنوب بدونه ... ونحو ذلك مما سيظهر بطلانه حينما يقول إبليس يوم القضاء بالحق: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾ [إبراهيم: ٢٢] وقوله تعالى هنا: ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾ أي: لا يعدهم الشيطان إلا كذباً وباطلاً، وإظهاراً للباطل في صورة الحق، فمواعيده كلها خُدعة وتزيين كاذب، وهذه الأوامر للشيطان واردة على سبيل التهديد والخذلان والتَّخلية، كما يُقال للعصاة: ﴿ٱعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْ﴾ [فصلت: ٤٠]. اهـ(١٨٠).

العلاقة التفسيرية:

أفادت قراءة (رَجِلِكَ) بكسر الجيم؛ أن الله تعالى أمر إبليس مهدداً ومُخَذِّلاً إياه بأن يجمع كل ما يقدر عليه من راكبٍ وماشٍ في معصية الله من الجن والإنس، ليغوي ذرية آدم عليه السلام.

يقول الطبرسي: أي اجمع عليهم ما قدرت عليه من مكايدك، وأتباعك وذريتك وأعوانك، وعلى هذا فتكون الباء مزيدة في بخيلك(١٨١)،

---

(١٨٠) التفسير المنير (١٦/١١٧ ـ ١١٨) باختصار.

(١٨١) لا زيادة في القرآن؛ والباء في (بخيلك) إما لتأكيد لصوق الفعل لمفعوله، فهي لمجرد التأكيد. ومجرورها مفعول في المعنى لفعل (أجلب) مثل (وامسحوا برؤوسكم)؛ وإما لتضمين فعل (أجلب) معنى (اغزهم) فيكون الفعل مضمناً معنى الفعل اللازم، وتكون الباء للمصاحبة. التحرير والتنوير (مجلد ٧ج١٥ ص١٥٤).

وكل راكب أو ماش في معصية الله من الإنس والجن فهو من خيل إبليس ورجله[١٨٢].

وأفادت قراءة (رَجْلِك) بسكون الجيم؛ أن الله تعالى قد أمر إبليس على وجه التخلية والتهديد أن يستعين بكل ما يقدر عليه من الراكبين والراجلين من الإنس والجن لإغواء بني آدم إن استطاع إلى ذلك سبيلاً.

يقول الطبري: «واجمع عليهم من ركبان جندك ومشاتهم من يجلب عليهم بالدعاء إلى طاعتك، والصرف عن طاعتي»[١٨٣].

يقول ابن عطية: «قيل هذا مجاز واستعارة، بمعنى: اسع سعيك، وابلغ جهدك، وقيل معناه: أن له من الجن خيلاً ورجلاً، قاله قتادة، وقيل المراد: فرسان الناس ورجالتهم، المتصرفون في الباطل، فإنهم كلهم أعوان لإبليس على غيرهم»[١٨٤].

الجمع بين القراءتين:

يتبيّن من خلال الجمع بين القراءتين أنهما أفادتا معنىً واحداً وهو: دعوة إبليس أن يجمع كل ما يقدر عليه من أعوان وجنود وبكل الوسائل والأشكال من المكائد، من أجل محاولة إغواء ذرية آدم عليه السلام وهذا الأمر على سبيل التهديد والوعيد والخذلان لإبليس وأعوانه.

٢٠، ٢١ ـ قال تعالى: ﴿أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾﴾ [الإسراء: ٦٨، ٦٩].

القراءات:

١. قرأ ابن كثير وأبو عمرو (نخسف. نرسلَ. نعيدَكم. فنرسلَ. فنغرقَكم)

---

(١٨٢) مجمع البيان (٢٥٣/٦).

(١٨٣) تفسير الطبري (مجلد ٨ج١٥ ص٨١).

(١٨٤) المحرر الوجيز (٤٧٠/٣).

بنون العظمة.

٢. قرأ أبو جعفر ورُويس (فتغرقَكم) بتاء التأنيث، وبقية الأفعال بياء الغيبة.

٣. قرأ الباقون (يخسفَ. يرسلَ. يعيدَكم. فيرسلَ. فيغرقَكم) بالياء[١٨٥].

١. قرأ أبو جعفر (الرياح) بالجمع.

٢. قرأ الباقون (الريح) بالإفراد[١٨٦].

البيان:

قراءة الأفعال الخمسة بالنون؛ على الإخبار من الله ﷻ عن نفسه، لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا﴾ [الإسراء: ٦٩] كأنه لما أتى الكلام عقيبه بلفظ الجمع جُعل ما قبله على لفظه ليأتلف نظام الكلام على لفظ واحد.

وقراءة الأفعال الخمسة بالياء؛ إخباراً من النبي ﷺ عن ربه ﷻ؛ وذلك لأن الكلام ابتدىء به بالخبر عن الله بلفظ التوحيد فقال: ﴿رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ...﴾ [الإسراء: ٦٦] وقال: ﴿ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٦٧] فما أتى عقيبه من الكلام جارياً على معناه، لأن القصة واحدة والكلام يتبع بعضه بعضاً[١٨٧].

ومن قرأ (فتغرقكم) بالتاء فالفعل للريح[١٨٨]. والريح هي: الهواء المتحرك، وعامة المواضع التي ذكر الله تعالى فيها إرسال الريح بلفظ الواحد فعبارة عن العذاب، وكل موضع ذكر فيه بلفظ الجمع فعبارة عن الرحمة[١٨٩].

---

(١٨٥) انظر: النشر (٢/٢٣١).

(١٨٦) انظر: النشر (٢/١٦٨).

(١٨٧) انظر: حجة القراءات (ص٤٠٦)، الحجة في القراءات السبع (ص١٢٨).

(١٨٨) معاني القراءات (ص٢٥٨).

(١٨٩) مفردات الراغب (ص٢٣٢) مادة: روح.

التفسير:

بعد أن تحدثت الآية السابقة عن إعراض الكافرين عن التوحيد حين شعورهم بالأمن ونجاتهم من أخطار البحر، وكفرهم لنعم الله عليهم، أنكر الله ﷻ على الكافرين كفرهم به، وشعورهم بالأمن من مكر الله بهم، وتقليب الأحوال عليهم، وبين ﷻ أن قدرته وسعت كل شيء؛ وذلك أن جانب البحر ليس هو وحده المختص بالإهلاك، وإنما في جانب البر جوانب أخرى من الإهلاك.

يقول الطبري: «أفأمنتم أيها الناس من ربكم وقد كفرتم نعمته بتنجيته إياكم من هول ما كنتم فيه في البحر، وعظيم ما كنتم قد أشرفتم عليه من الهلاك، فلما نجاكم وصرتم إلى البر كفرتم، وأشركتم في عبادته غيره، ﴿أَن يَخۡسِفَ بِكُمۡ جَانِبَ ٱلۡبَرِّ﴾ يعني ناحية البر ﴿أَوۡ يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗا﴾ يقول: أو يمطركم حجارة من السماء تقتلكم كما فعل بقوم لوط، ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمۡ وَكِيلًا﴾ يقول: ثم لا تجدوا لكم من يقوم بالمدافعة عنكم من عذابه، وما يمنعكم منه...أم أمنتم أيها القوم من ربكم وقد كفرتم به بعد إنعامه عليكم النعمة التي قد علمتم أن يعيدكم في البحر ﴿تَارَةً أُخۡرَىٰ﴾ يقول: مرة أخرى، ﴿فَيُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ قَاصِفٗا مِّنَ ٱلرِّيحِ﴾ وهي التي تقصف ما مرت به فتحطمه وتدقه، ﴿فَيُغۡرِقَكُم بِمَا كَفَرۡتُمۡ﴾ يقول: فيغرقكم الله بهذه الريح القاصف ﴿بِمَا كَفَرۡتُمۡ﴾ يقول: بكفركم به، ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمۡ عَلَيۡنَا بِهِۦ تَبِيعٗا﴾ يقول: ثم لا تجدوا لكم علينا تابعاً يتبعنا بما فعلنا بكم، ولا ثائراً يثأرنا بإهلاكنا بكم»(١٩٠).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة الأفعال الخمسة (نخسفَ. نرسلَ. نعيدَكم. فنرسلَ. فنغرقَكم) بالنون أن الله ﷻ هو الفاعل لهذه الأمور والمخبر عنها، فهو التفات من الغيبة إلى الخطاب، حيث أنَّ سياق الآية من قبل في قوله تعالى

(١٩٠) انظر: تفسير الطبري (مجلد ٨ج١٥ ص٨٤ ـ ٨٥).

﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ يقتضي الغيبة، ولكنه التفت إلى التكلم عن نفسه ليدل بذلك دلالة واضحة على مدى إنكار الله ﷻ لأفعال الكافرين، ومدى شدة العذاب الذي يهددهم به، كما فيه تحذير للذين لا يلجئون إلى الله إلا في وقت الشدائد فقط، لأن هذا المسلك لا يرضى الله عنه لأنه طريق الكافرين والمنافقين، أما المؤمنون فهم الذين يفزعون ويلجئون إلى الله في كل حال.

وأفادت قراءة الأفعال الخمسة (يخسفَ. يرسلَ. يعيدَكم. فيرسلَ. فيغرقَكم) بالياء أن الله ﷻ يأمر نبيه ﷺ أن يخبر أولئك الكافرين عن ربه ﷻ بهذا التهديد، والإنكار لكفرهم.

لقد ذهب المفسرون إلى أنه لا فرق بين قراءة (الريح) وقراءة (الرياح) من حيث المعنى، باعتبار أن قراءة الإفراد (الريح) هي اسم جنس يدل على القليل والكثير، فتتفق مع قراءة الجمع (الرياح)(١٩١).

يقول القرطبي: «فَمَنْ وَحَّدَ الريح فلأنه اسم للجنس يدل على القليل والكثير، ومن جمع فلاختلاف الجهات التي تهب منها الريح»(١٩٢).

وحيث أن المقام هنا هو مقام ذكر العذاب للكافرين، فناسب أن يكون المقصود من قراءة الإفراد الجنس، ومع ذلك فقد أفادت قراءة (الريح) بالإفراد؛ أن الله يرسل على الكافرين ريحاً يعذبهم بها، وجاءت قراءة (الرياح) بالجمع لتبيّن أن الريح المرسلة عليهم ريحٌ كثيرة تهب من كل جانب مما يدل على هول العذاب وشدته.

وأفادت قراءة (فتغرقكم) أنَّ الرياح أو الريح تُغرق أولئك الكافرين بأمر الله وقدرته؛ لأنها مسخرة بأمره.

---

(١٩١) لقد أشار إلى هذا الرأي عبدالله الملاحي عند تفسيره للآية (١٦٤) من سورة البقرة.

(١٩٢) تفسير القرطبي (مجلد ١ج٢ ص٥٩٥).

الجمع بين القراءات:

يتبيّن من خلال الجمع بين القراءات أنَّ الله ﷻ يتوعد أولئك الكافرين إن استمروا على كفرهم بالعذاب الشديد في قرآنه الذي يتلوه عليهم رسوله الكريم؛ وذلك بتسخير مخلوقاته لتوقع بهم العذاب؛ من خسفٍ أو إرسال للريح الشديدة التي تهب عليهم وترميهم بالحصباء، أو إعادتهم إلى البحر الذي فروا منه مرة أخرى؛ ليرسل عليهم ريحاً شديدة تحيط بهم من كل جانب فتدمر كل شيء تمر عليه فتغرقهم بأمر الله، فحينها لا يجدون لهم نصيراً ولا دافعاً لهم من عذاب الله، ولا ثائراً يثأر لهم.

٢٢ ـ قال تعالى: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا ﴿٧٢﴾﴾ [الإسراء: ٧٢].

القراءات:

١. قرأ شعبة وحمزة والكسائي وخلف (**أعمِى**) بالإمالة في الموضعين.

٢. قرأ أبو عمرو ويعقوب (**في هذه أعمِى**) بالإمالة، و(**فهو في الآخرة أعمَى**) بفتح الميم.

٣. قرأ الباقون (**أعمَى**) مفتوحة الميم في الموضعين[١٩٣].

اللغة والبيان:

العمى يقال في افتقاد البصر والبصيرة، ويقال في الأول: أعمى، وفي الثاني: أعمى وَعَمٍ، وعلى الأول قوله: ﴿أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ﴿٢﴾﴾ [عبس: ٢]، وعلى الثاني ما ورَد من ذم العمى في القرآن نحو قوله: ﴿صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ﴾ [البقرة: ١٨][١٩٤].

فقراءة من قرأ (أعمِى) الأولى بكسر الميم[١٩٥]، وقراءة (أعمَى) الثانية

---

(١٩٣) انظر: النشر (٢/٣٣)، الإتحاف (ص٣٦٠).

(١٩٤) مفردات الراغب (ص٣٨٩). مادة: عمي.

(١٩٥) يقصد بكسر الميم: الإمالة.

بفتح الميم؛ فعلى اعتبار أن الأول اسماً ـ صفة ـ والثاني تعجباً على (أفعل) من كذا، فتم التفريق بين المعنيين باختلاف الحركتين، ومن كسر الميم منهما أو فتحهما معاً؛ فعلى معنى واحد وهو: الاسم، أي الصفة.[١٩٦]

التفسير:

تحدثت الآية السابقة عن تفاوت أحوال الناس في الآخرة بحسب أعمالهم في الدنيا؛ فابتدأت بحال المؤمنين أولي البصائر والنهى المتقين لله، وما لهم من الكرامة والسرور والتوفية لأجورهم يوم القيامة، وانتقلت هذه الآية إلى الحديث عن النقيض من هذا الحال؛ وهو: حال الكافرين الذين عموا عن رؤية نعم الله عليهم، ودلائله الدالة على توحيده، فكما كانوا على عمى قلبي في الدنيا فهم في الآخرة أشد عمى عن رؤية الكرامة، وعن طريق السعادة والنجاة.

يقول المنصوري: «من كان من المدعوين المذكورين في هذه الدنيا التي فُعل بهم ما فُعل من فنون التكريم والتفضيل أعمى فاقد البصيرة، لا يهتدي إلى رشده، ولا يعرف ما أوليناه به من التكريم، فضلاً عن شكرها والقيام بحقوقها، فهو في الآخرة لا يهتدي إلى ما ينجيه؛ لأن العمى الأول موجب للثاني، وسواء أكان العمى الثاني عمى البصيرة أم عمى العين كما قال تعالى ﴿وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾﴾ [طه: ١٢٤، ١٢٥] فهو أضل طريقاً من الأعمى فاقد البصر لزوال الاستعداد، وتعطيل الآلات بالكلية»[١٩٧].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (أعمِى) بالإمالة فيهما معاً، أو (أعمَى) بفتح الميم منهما معاً؛ أن العمى في الدنيا هو عمىً قلبي فقط، أما في الآخرة فقد يكون

(١٩٦) انظر: معاني القراءات (٢٥٩).

(١٩٧) انظر: المقتطف (٢١٤/٣) بتصرف.

عمىً قلبياً أو بصرياً أو هما معاً.

يقول الفخر الرازي: «لا شك أنه ليس المراد من قوله تعالى ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ﴾ عمى البصر، بل المراد منه عمى القلب، أما قوله ﴿فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ﴾ ففيه قولان:

القول الأول: أن المراد منه أيضاً عمى القلب، وعلى هذا التقدير ففيه وجوه:

الأول والثاني: من كان في الدنيا أعمى القلب عن معرفة هذه النعم والدلائل فبأن يكون في الآخرة أعمى القلب عن معرفة أحوال الآخرة أولى، **الوجه الثالث:** من كان في الدنيا ضالاً كافراً فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً؛ لأنه في الدنيا تقبل توبته، وفي الآخرة لا تقبل توبته، وفي الدنيا يهتدي إلى التخلص من أبواب الآفات، وفي الآخرة لا يهتدي إلى ذلك البتة. **الوجه الرابع:** ومن كان في هذه الدنيا أعمى عن معرفة الله، فهو في الآخرة أعمى عن طريق الجنة.

القول الثاني: أن يُحمل العمى الثاني على عمى العين والبصر، فمن كان في هذه الدنيا أعمى القلب حشر يوم القيامة أعمى العين والبصر، كما قال تعالى ﴿وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾ [طه: ١٢٤ - ١٢٦] وقال ﴿وَنَحۡشُرُهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ عُمۡيٗا وَبُكۡمٗا وَصُمّٗاۖ﴾ [الإسراء: ٩٧] وهذا العمى زيادة في عقوبتهم». اهـ[١٩٨].

وأفادت قراءة (أعمِى) الأولى بالإمالة، وقراءة (أعمَى) الثانية بفتح الميم؛ أن العمى في الأولى والثانية هو: عمى القلب، وأنه في الآخرة يكون أشد عمىً منه من الدنيا.

---

(١٩٨) انظر: التفسير الكبير (٢٠/١١) بتصرف.

يقول الشوكاني: «قوله ﴿فَهُوَ فِي ٱلۡأَخِرَةِ أَعۡمَىٰ﴾ أفعل تفضيل، أي: أشد عمى، وهذا مبنيّ على أنه من عمى القلب، إذ لا يُقال ذلك في عمى العين»(١٩٩).

يقول أبو علي الفارسي(٢٠٠): **«وأما قراءة أبي عمرو: ﴿أَعۡمِي فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعۡمَى﴾** فأمال الألف من الكلمة الأولى، ولم يملها في الثانية، فلأنه يجوز أن لا يجعل أعمى في الكلمة الثانية عبارة عن العوارف الجارحة، ولكن جعله أفعل من كذا، مثل: أبلد من فلان، فجاز أن يقول فيه: أفعل من كذا، وإن لم يجز أن يقال ذلك في المصاب ببصره، وكذلك قوله ﴿فَهُوَ فِي ٱلۡأَخِرَةِ أَعۡمَىٰ﴾ أي: أعمى منه في الدنيا، ومعنى العمى في الآخرة: أنه لا يهتدي إلى طرق الثواب، ويؤكد ذلك ظاهر ما عُطف عليه من قوله: ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ وكما أن هذا لا يكون إلا على أفعل، كذلك المعطوف عليه، ومعنى أضل سبيلاً في الآخرة: أن الضلالة في الدنيا قد كان ممكناً من الخروج منه، وضلالُه في الآخرة لا سبيل له إلى الخروج منه، ويجوز أن يكون قوله: أعمى، فيمن تأوله أفعل من كذا على هذا التأويل أيضاً». اهـ(٢٠١).

الجمع بين القراءات:

يتبيّن من خلال الجمع بين القراءات أنّ الله ﷻ حينما يحشر الكافرين الغافلين عن رؤية نعم الله عليهم وشكرها، الدالة على توحيده، فإنه سبحانه لا يحشرهم بمثل حالهم في الدنيا من غفلة وعمى قلب فقط، بل يكون

(١٩٩) فتح القدير (٣/٣١٠).

(٢٠٠) هو: الحسن بن أحمد بن عبدالغفار بن سليمان بن أبان، أبو علي الفارسي، النحوي المشهور، انتهت إليه رياسة علم النحو، وقد أخذ عنه النحو أئمة كبار كابن جني وغيره، ألف كتاب التذكرة، وكتاب الحجة شرح سبعة ابن مجاهد، والإيضاح والتكملة وغير ذلك، توفي سنة سبع وسبعين وثلاثمائة للهجرة. (انظر: غاية النهاية (١/٢٠٦)).

(٢٠١) انظر: الحجة للقراء السبعة (٥/١١٢ ـ ١١٣).

عماهم في الآخرة أشد وضلالة لا سبيل إلى الخروج منها، ويزيدهم عليها عمى بصرٍ نكايةً بهم.

٢٣ ـ قال تعالى: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾﴾ [الإسراء: ٧٦].

القراءات:

١. قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وشعبة وأبو جعفر (**خَلْفَكَ**) بفتح الخاء وإسكان اللام من غير ألف.

٢. قرأ الباقون (**خِلافَكَ**) بكسر الخاء وفتح اللام وألف بعدها(٢٠٢).

اللغة والبيان:

(**خَلْفَكَ**) بدون ألف، أي: بعدك؛ كما قال ﷻ ﴿نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا﴾ [البقرة: ٦٦] أي: بعدها، (**خِلافَكَ**) بالألف، أي: مخالفة لك، وذلك لإجماع الجميع على قوله ﷻ ﴿فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٨١] فردوا ما اختلفوا فيه إلى ما أجمعوا عليه(٢٠٣).

التفسير:

حينما همَّ كفار قريش بإخراج الرسول من مكة نزلت هذه الآية(٢٠٤)؛ فتوعدهم الله فيها بأنهم لو أخرجوه لن يلبثوا بعده إلا قليلاً، ولو فعلوا ذلك ما أمهلوا، ولكن الله منعهم من إخراجه، حتى أمره الله بالخروج، وذلك لأن من سنن الله في الذين كفروا بالرسل وآذوهم، أن الله يخرج الرسول من بين أظهرهم ثم يأتيهم بالعذاب.

---

(٢٠٢) انظر: النشر (٢/٢٣١).

(٢٠٣) انظر: حجة القراءات (٤٠٨)، مفردات الراغب (١٧٦) مادة: خلف.

(٢٠٤) رجحه كثير من العلماء إلا أن بعض المفسرين قد أشاروا إلى سبب آخر للنزول وهو أنها نزلت في يهود حينما تحايلوا على النبي ﷺ ومكروا به لإخراجه من مكة. (راجع: لباب النقول للسيوطي، وتخريج محقق الكتاب ص١٧٢).

يقول الطبرسي: «إنهم لم يخرجوه من مكة، ولكنهم همُّوا بإخراجه، كما في قوله تعالى ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ [الأنفال: ٣٠] ثم خرج ﷺ لمَّا أُمر بالهجرة خوفاً منهم، وندموا على خروجه، ولذلك ضمنوا الأموال في رده فلم يقدروا على ذلك، ولو أخرجوه لاستؤصلوا بالعذاب ولماتوا طُرّاً[(٢٠٥)]»[(٢٠٦)].

يقول ابن كثير: «نزلت في كفار قريش، هموا بإخراج الرسول من بين أظهرهم، فتوعدهم الله بهذه الآية[(٢٠٧)]، وأنهم لو أخرجوه لما لبثوا بعده بمكة إلا يسيراً. وكذلك وقع؛ فإنه لم يكن بعد هجرته من بين أظهرهم، بعدما اشتد أذاهم له، إلا سنة ونصف، حتى جمعهم الله وإياه ببدر على غير معاد، فأمكنه منهم وسلطه عليهم وأظفره بهم، فقتل أشرافهم وسبى سراتهم[(٢٠٨)]»[(٢٠٩)].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت قراءة (**خَلْفَكَ**) بدون ألف، أن كفار مكة لن يلبثوا بعد خروج الرسول ﷺ إلا قليلاً؛ حيث بعد خروجه من مكة بفترة قصيرة جمعه الله ﷻ بهم في بدر حيث قتلوا.

يقول ابن عاشور: «فلم يلبث الذين تسببوا في إخراجه، وألبوا عليه قومهم بعده إلا قليلاً، ثم خرجوا إلى وقعة بدر فلقوا حتفهم هنالك، فلم يرجعوا، وحق عليهم الوعيد، وأبقى الله عامتهم ودهماءهم لضعف كيدهم، فأراد الله أن يدخلوا في الإسلام بعد ذلك، وفي الآية إيماء إلى أن الرسول ﷺ سيخرج من مكة وأنّ مخرجيه، أي المتسببين في خروجه، لا

---

(٢٠٥) طُرّاً: جميعاً. مختار الصحاح (ص٤١٤) مادة: طرر.

(٢٠٦) مجمع البيان (٦/٢٦٣).

(٢٠٧) أخرج الطبري في تفسيره عن قتادة ومجاهد أحاديث بهذا المعنى، وقد رجحها على غيرها (انظر: تفسير الطبري (مجلد ٨ج١٥ ص٩٠)).

(٢٠٨) سراتهم: أشرافهم وخيارهم. انظر: اللسان (٣/٢٠٠٤) مادة: سرا.

(٢٠٩) تفسير ابن كثير (٥/١٠٦).

يلبثون بعده بمكة إلا قليلاً»[٢١٠].

وأفادت قراءة (**خِلافَكَ**) بالألف، أن الكافرين لن يلبثوا في مخالفتهم للرسول ﷺ إلا قليلاً، حيث إن سادة القوم الذين كانوا على مخالفة الرسول ﷺ والدعوة إلى الكفر به لم يلبثوا إلا زمناً يسيراً حيث انتقم الله منهم في غزوة بدر.

الجمع بين القراءتين:

يتبيّن من خلال الجمع بين القراءتين أن الله ﷻ قد توعد الكافرين المخالفين لرسول الله ﷺ بالمكث خلفه زمناً قليلاً بعد إخراجه ثم يستأصلهم بالعذاب، وعلى هذا تكون القراءتان بمعنى واحد.

يقول الألوسي: «(خِلافَكَ) أي: خلفك، وقرأ أهل الحجاز. وأبو بكر. وأبو عمرو (خَلْفَكَ) بغير ألف، والمعنى واحد واللفظان في الأصل من الظروف المكانية، فتجوز فيهما واستعملا للزمان، وقد اطرد إضافتهما كـ(قبل) و(بعد) إلى أسماء الأعيان، على حذف مضاف يدل عليه ما قبله، أي: لا يلبثون خلف استفزازك وخروجك إلا زماناً قليلاً»[٢١١].

٢٤ ـ قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ [الإسراء: ٨٢].

القراءات:

١. قرأ أبو عمرو ويعقوب (**ونُنْزِل**) بتسكين النون وتخفيف الزاي.
٢. قرأ الباقون (**ونُنَزِّل**) بفتح النون وتشديد الزاي[٢١٢].

---

(٢١٠) التحرير والتنوير (مجلد ٧ج١٥ ص١٧٩).
(٢١١) انظر: روح المعاني (١٥/١٣٠).
(٢١٢) انظر: النشر (٢/١٦٤).

اللغة والبيان:

النزول: هو الانحطاط من علوّ[٢١٣].

(نُنَزِّل) بالتشديد؛ مأخوذة من نَزَّل، يُنَزِّل، (نُنْزِل) بالتخفيف مأخوذة من أَنزل يُنْزِل[٢١٤].

و(نزل) بتخفيف الزاي تتعدى بحرف الجر، يُقال: نزل عليهم، ونزل بهم، ونزل عن دابته، ونزل في مكان كذا، ومصدر (نزل) مخفف الزاي (نزولاً).

وأما مصدر (نزّل) مضعف العين فهو (التنزيل)، ومصدر (أنزل) الرباعي فهو (الإنزال)[٢١٥].

والعرب تقول: نزَّلت القوم منازلهم، وأنزلتهم منازلهم بمعنى واحد. ومنهم من يستعمل التشديد فيما يُتكرر ويكثر العمل فيه، ويخفف فيما لا يكثر ولا يتكرر[٢١٦].

ويقول ابن الزبير: «لفظ (نزَّل) يقتضي التكرار لأجل التضعيف، تقول: ضَرَبَ مخففاً لمن وقع منه ذلك مرة واحدة، ويحتمل الزيادة، والتقليل أنسب وأقوى. أما إذا قلنا ضرَّب بتشديد الراء فلا يقال إلا لمن كثر ذلك منه... أما لفظ (أنزل) فلا يعطي ذلك إعطاء نزَّل وإن كان محتملاً»[٢١٧].

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن أثر القرآن المنزل من عند الله ﷻ على كلِ

(٢١٣) مفردات الراغب (ص٥٤٣). مادة: نزل.

(٢١٤) انظر: الحجة في القراءات السبع (ص٣٥).

(٢١٥) انظر: التاج (١٣٣/٨). مادة: نزل.

(٢١٦) معاني القراءات (ص٥٨).

(٢١٧) انظر: ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل: أحمد بن الزبير الغرناطي (١٤١/١).

من المؤمن والكافر؛ فهي شفاء ورحمة للمؤمنين، وهلاك وخسران للكافرين.

يقول القاسمي: «أي: وننزل عليك من القرآن ما يُستشفى به من الجهل والضلالة، ورحمة ببيان الحقائق وإقامة البراهين للمؤمنين به دون الكافرين؛ لأن المؤمنين يعملون بما فيه من فرائض الله وشرائعه، فيدخلهم الجنة وينجيهم من العذاب، فهو لهم رحمة ونعمة. ولا يزيد الظالمين بكفرهم وشركهم إلا خساراً أي إهلاكاً؛ لأنهم كلما جاءهم أمر من الله أو نهي كفروا به، فزادهم خساراً إلى ما كانوا فيه قبل، ورجساً إلى رجسهم»(٢١٨).

ويقول ابن الجوزي: «(مِنْ) هاهنا لبيان الجنس، فجميع القرآن شفاء، وفي هذا الشفاء ثلاثة أقوال:

أحدها: شفاء من الضلال لما فيه من الهدى.

والثاني: شفاء من السقم لما فيه من البركة.

والثالث: شفاء من البيان للفرائض والأحكام.

وفي الرحمة قولان:

أحدهما: النعمة.

والثاني: سبب الرحمة.

قوله تعالى ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ يعني المشركين، ﴿إِلَّا خَسَارًا﴾ لأنهم يكفرون به ولا ينتفعون بمواعظه فيزيد خسرانهم»(٢١٩).

ويقول أبو السعود: «وفيه إيماء إلى أن ما بالمؤمنين من الشبه والشكوك المعترية لهم في أثناء الاهتداء والاسترشاد بمنزلة الأمراض، وما بالكفرة من الجهل والعناد بمنزلة الموت والهلاك، وإسناد الزيادة المذكورة إلى القرآن مع أنهم هم المزدادون في ذلك بسوء صنعهم باعتبار كونه سبباً

---

(٢١٨) محاسن التأويل (١٠/٣٩٧٦ ـ ٣٩٧٧).

(٢١٩) زاد المسير (٥/ ٧٩).

لذلك، وفيه تعجيب من أمره حيث يكون مداراً للشفاء والهلاك»(٢٢٠).

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت قراءة **(ونُنْزِل)** بأن الله ﷻ ينزل القرآن على المؤمنين ليكون شفاءً لهم من كل داء، ورحمة بهم، وخسراناً للكافرين كذلك.

وأفادت قراءة **(ونُنَزِّل)** أن هذا التنزيل من الله ﷻ كثير ومتكرر كذلك، حتى يكون المؤمن على شفاء دائم واتصال مع الله.

يقول ابن عاشور: «ولأن القرآن مصدر الحق ومدحض الباطل أعقب قوله ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ بقوله ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ﴾ الآية. ولهذا اختير للإخبار عن التنزيل الفعل المضارع المشتق من فَعَّل المضاعف للدلالة على التجديد والتكرير والتكثير، وهو وعْد بأنه يستمر هذا التنزيل زمناً طويلاً»(٢٢١).

الجمع بين القراءتين:

لقد بيّنت قراءة **(نُنَزِّل)** بالتشديد قراءة **(نُنْزِل)** بالتخفيف؛ وذلك أن قراءة التخفيف أفادت أن الله ﷻ ينزل القرآن شفاءً، وقراءة التشديد بيّنت أن هذا التنزيل كثير ومتكرر.

وعلى هذا فقراءة التشديد أضافت معنىً جديداً لقراءة التخفيف، وهذا من بلاغة القرآن وإعجازه.

٢٥ ـ قال تعالى: ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾﴾ [الإسراء: ٨٣].

القراءات:

١. قرأ ابن ذكوان وأبو جعفر **(وَنَاءَ)** بألف ممدودة بعد النون وبعدها همزة مفتوحة.

(٢٢٠) تفسير أبي السعود (٣/٢٣٠).

(٢٢١) التحرير والتنوير (مجلد ٧ج١٥ ص١٨٩).

٢. قرأ الباقون (وَنَأَى) بهمزة مفتوحة ممدودة بعد النون بعدها مد[٢٢٢].

اللغة والبيان:

نأى: نأى عنه يَنأَى بالفتح، نأياً، بوزن فَلْس، أي بَعُدَ[٢٢٣]. وتنحّى[٢٢٤].

قال أبو عمرو: نأى مثل نَعَى. أي: أَعْرَضَ، وقال أبو عبيدة: تَبَاعَدَ[٢٢٥].

ناء: يُقال ناء بالحمل أي: نهض به مثقلا[٢٢٦]، كما قال تعالى ﴿مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ﴾ [القصص: ٧٦] أي: تنهض. والأصل: (نَوَأَ) فانقلبت الواو ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها، ومدت الألف تمكيناً للهمزة[٢٢٧]. ومثل هذا في القلب قولهم: (رأى) و (راء).

قال الشاعر:

وكل خليل رءاني فهو قائل   من أجلك هذا هامة اليوم أو غد[٢٢٨]

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن أولئك الكافرين الذين يزيدهم القرآن خساراً، فإن من صفاتهم الإعراض عن تدبر آيات الله، والكفران بنعمه، وإذا نالتهم شدة من فقر أو مرض أو مصيبة، قنطوا من رحمة الله.

يقول أبو حيان: «لما ذكر تعالى تنويع ما أنزل من القرآن شفاء ورحمة

(٢٢٢) انظر: النشر (٢/٢٣١).
(٢٢٣) مختار الصحاح: محمد بن أبي بكر الرازي (ص٦٦٧).
(٢٢٤) حجة القراءات (ص٤٠٩).
(٢٢٥) انظر: مفردات الراغب (ص٥٣٤). مادة: نأى.
(٢٢٦) مختار الصحاح (ص٧٠٩).
(٢٢٧) حجة القراءات (ص٤٠٨ ـ ٤٠٩).
(٢٢٨) حجة القراءات (ص٤٠٨)، والبيت لكثير عزة. استشهد به سيبويه على القلب في كتابه (٣/٤٦٧).

للمؤمن وبزيادة خسارة للظالم، وعرّض بما أنعم به وما حواه من لطائف الشرائع على الإنسان، ومع ذلك (أعرض) عنه وبعد بجانبه اشمئزازاً له وتكبراً عن قرب سماعه وتبديلاً مكان شكر الإنعام كفره. وقرأ الجمهور: (ونأى) من النأي وهو البُعد، وقرأ ابن عامر (وناء). وقيل هو مقلوب نأى فمعناه بَعُدَ. وقيل: معناه نهض بجانبه.

وقال الشاعر:

حتى إذا ما التأمت مفاصله   وناء في شق الشمال كاهله[229]

أي نهض متوكئاً على شماله. ومعنى (يؤوساً) قنوطاً من أن ينعم الله عليه. والظاهر أن المراد بالإنسان هنا ليس واحداً بعينه[230] بل المراد به الجنس كقوله ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝٦﴾، ﴿۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١٩﴾ الآية، وهو راجع لمعنى الكافر، والإعراض يكون بالوجه والنأي بالجانب يكون بتولية العطف أو يراد بنأي الجانب الاستكبار لأن ذلك من عادة المستكبرين[231].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت قراءة (نأى) أنَّ الكافر حينما ينعم الله عليه يكفر هذه النعمة فلا يشكرها، ويترك التقرب إلى الله.

وأفادت قراءة (ناء) أنَّ الكافر حينما ينعم الله عليه يجد ثقلاً في شكر هذه النعمة، ويتكبر عنها وهي في معنى قوله تعالى ﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ١٧٦].

يقول ابن عطية: «والذي عندي أنَّ (ناء و نأى) فعلان متباينان، وناء

(٢٢٩) لم أقف عليه، والبيت ذكره الألوسي وابن حيان وابن عطية غير منسوب.

(٢٣٠) أشار أبو حيان هنا إلى عدم قبول الرأي القائل بأن هذه الآية نزلت في الوليد بن المغيرة كما نُقل عن ابن عباس.

(٢٣١) البحر المحيط (٦/٧٣).

بجانبه عبارة عن التحيز والاستبداد، ونأى عبارة عن البعد والفراق»[232].

ويقول الألوسي: «﴿ونأى بجانبه﴾ لوى عطفه[233] عن طاعتنا وولاها ظهره، وأصل معنى النأي: البعد، وهو تأكيد للإعراض بتصوير صورته، فهو أوفى بتأدية المراد منه، ومثله يجوز عطفه لايهام المغايرة بينهما، وهو أبلغ من ترك العطف ... ويجوز أن يكون كناية عن الاستكبار، فإن ثني العطف من أفعال المستكبرين، ولا يبعد أن يراد بالجانب النفس، كما يقال: جاء من جانب فلان كذا، أي: منه، وهو كناية أيضاً، كما يعبّر بالمقام والمجلس عن صاحبه. وقرأ ابن عامر برواية ابن ذكوان و(ناء) هنا وفي فصلت، فقيل ذلك من باب القلب، ووضع العين محل اللام، كراء ووراء، وقيل لا قلب وناء بمعنى: نهض كما في قوله:

حتى إذا ما التأمت مفاصله ... وناء في شق الشمال كاهله[234]

أي: نهض متوكئاً على شماله، وفسر نهض هنا بأسرع، والكلام على تقدير مضاف، أي: أسرع بصرف جانبه، وقيل: معناه تثاقل عن أداء الشكر فعل المعرض[235].

الجمع بين القراءتين:

يتبيّن من خلال الجمع بين القراءتين: أن الكافر إن أصابته نعمة أعرض وتباعد عن الله وعبادته وشُكر نعمته، مستكبراً مستثقلاً أداء حق الله عليه، وفي ذلك دليل على شدة كفر من يكون هذا حاله. فالقراءتان إذاً وصفتا حال الكافر وصفاً تصويرياً دقيقاً دلّ على بلاغة القرآن وإعجازه في ألفاظه.

---

(٢٣٢) المحرر الوجيز (٤٨١/٣).

(٢٣٣) أعرض ثانياً عُنُقَهُ، وهذا يُوْصَف به المتكبر. (انظر: اللسان (٢٩٩٧/٤) مادة: عطف).

(٢٣٤) سبق تخريج هذا الشاهد فانظره ص٩١.

(٢٣٥) انظر: روح المعاني (١٤٧/١٥).

٢٦ ـ قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا ۝٩٠﴾ [الإسراء: ٩٠].

القراءات:

١. قرأ عاصم وحمزة والكسائي ويعقوب وخلف (**تَفْجُرَ**) بفتح التاء وإسكان الفاء وضم الجيم وتخفيفها.

٢. قرأ الباقون (**تُفَجِّرَ**) بضم التاء وفتح الفاء وكسر الجيم وتشديدهما[٢٣٦].

اللغة والبيان:

الفجر: شق الشيء شقاً واسعاً[٢٣٧]. ويُقال: فَجَرَ الماء، فانفجر، أي: بجسه فانبجس، وبابه نَصَرَ، وفجَّره تفجيراً فَتَفَجَّر؛ شُدد للكثرة[٢٣٨].

من قرأ (**تُفَجِّرَ**) فهو من تفجير الماء، وهو فتحه، وشقّ سِكْرِة[٢٣٩] الأرض عنه حتى ينفجر ماء الينبوع انفجاراً. والمقصود بذلك: كثرة الانفجار من الينبوع وإن كان الينبوع واحداً.

ومن قرأ (**تَفْجُرَ**) فهو من فجَرتُ السَّكْر أفجره، إذا بثقته وفتحته، والفجر: الشق، وبه سُمِّي الصبح فجراً لاشتقاق ظلمة الليل عن نور الفجر إما ساطعاً وإما مستطيراً[٢٤٠].

التفسير:

بعد أن أثبت الله ﷻ كون القرآن معجزاً، وبأنه من عند الله، أُسقط في يد المشركين، ولكنهم أبوا إلا الكفر والطغيان، فتعللوا بما لا يمكن في

(٢٣٦) انظر: النشر (٢/٢٣١).
(٢٣٧) مفردات الراغب (٤١٨) مادة: فجر.
(٢٣٨) انظر: مختار الصحاح (ص٥١٧) باب الفاء.
(٢٣٩) والسَّكر: الموضع المسدود. (انظر: مفردات الراغب (ص ٢٦٥) مادة: سكر).
(٢٤٠) انظر: معاني القراءات (ص٢٦١)، مجمع البيان (٦/٢٧٣).

العادة وجوده أو وقوعه، فطلبوا إحدى آيات ست، ليؤمنوا بمحمد ﷺ؛ منها أن يشقق لهم من أرض مكة عيناً لا ينضب ماؤها. فأنزل الله هذه الآية وما بعدها ذاكراً فيها طلباتهم والرد عليهم[٢٤١].

يقول الطبرسي: «لما بيّن سبحانه فيما تقدم إعجاز القرآن، عقّب ذلك البيان بأنهم أبوا إلا الكفر والطغيان، واقترحوا من الآيات ما ليس لهم ذلك، فقال: ﴿وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ﴾ أي: لن نصدقك فيما تدعي من النبوة ﴿حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ أي: تشقق لنا من أرض مكة؛ فإنها قليلة الماء ﴿يَنۢبُوعًا﴾ أي: عيناً ينبع منه الماء في وسط مكة»[٢٤٢].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت قراءة (**تَفْجُرَ**) بالتخفيف أن الكافرين طلبوا من الرسول ﷺ أن يشق لهم الأرض ويحدث نبعاً يتدفق من الماء، وأفادت قراءة (**تُفَجِّرَ**) بالتشديد أن الكافرين طلبوا من الرسول ﷺ أن يبالغ في التفجير حتى يكون الماء كثيراً ومتدفقاً بغزارة.

يقول ابن الجوزي: «فمن ثقل أراد كثرة الانفجار مِنَ الينبوع ومَنْ خفف فلأن الينبوع واحد، فأما الينبوع فهو عين ينبع الماء منها»[٢٤٣].

يقول ابن عطية: «قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر ﴿**حتى تُفَجِّر**﴾، وقرأ عاصم وحمزة والكسائي ﴿حَتَّىٰ تَفْجُرَ﴾ بفتح التاء وضم الجيم،

(٢٤١) هذا مختصر معنى حديث سبب النزول، وهو حديث طويل أخرجه الطبري في تفسيره (مجلد ٨ج١٥ ص١١٠ ـ ١١١) عن ابن عباس من طريق ابن اسحق، وأخرجه من طريق ابن حميد بنحوه. وذكره السيوطي في لباب النقول (ص١٧٤ ـ ١٧٥). وقال فيه محمود بن الجميل محقق الكتاب: إسناد ضعيف بسبب إبهام شيخ من أهل مصر، وابن اسحق مدلس وقد عنعن. وأخرجه ابن كثير في البداية والنهاية (٣/٥٠ ـ ٥١) وصرح فيه باسم الرجل فقال: هو شيخ من أهل مصر يقال له محمد بن أبي محمد.

(٢٤٢) مجمع البيان (٦/٢٧٥).

(٢٤٣) زاد المسير (٥/٨٦).

وفي القرآن[٢٤٤] ﴿فَٱنفَجَرَتۡ﴾ [البقرة: ٦٠] وانفجر مطاوع فَجَرَ، فهذا مما يقوي القراءة الثانية، وأما الأولى فتقتضي المبالغة في التفجير. والينبوع الماء النابع، وهي صفة مبالغة إنما تقع للماء الكثير»[٢٤٥].

الجمع بين القراءتين:

من خلال الجمع بين القراءتين يتبيّن أن الكفار طلبوا من الرسول ﷺ أن يشق لهم الأرض ويبالغ في الشق؛ ليكون لهم ينبوعاً غزيراً متدفقاً ينبع منه ماءٌ كثيرٌ. فقراءة التشديد هنا بيّنت قراءة الخفيف، وهذا يدل على بلاغة القرآن وإعجازه في إيجازه.

٢٧ ـ قال تعالى: ﴿أَوۡ تُسۡقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمۡتَ عَلَيۡنَا كِسَفًا أَوۡ تَأۡتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾﴾ [الإسراء: ٩٢].

القراءات:

١. قرأ نافع وابن عامر وعاصم (كِسَفًا) بفتح السين.

٢. قرأ الباقون (كِسْفًا) بإسكان السين[٢٤٦].

اللغة والبيان:

الكسفة: القطعة من الشيء[٢٤٧]، (كِسَفًا) متحركة السين، جمع (كِسْفة) مثل: قِطْعة وقِطَع، وكِسْرة وكِسَر، و(كِسْفًا) ساكنة السين، جمع كِسْفة، كما تقول: بُسْرة وبُسْر[٢٤٨]، والفرق بين الواحد والجمع طرح

---

(٢٤٤) وموضع الشاهد في الآية ﴿وَإِذِ ٱسۡتَسۡقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ فَقُلۡنَا ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَۖ فَٱنفَجَرَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنًاۖ﴾ أن الماء المتدفق من الينبوع كثيرٌ وغزيرٌ كما الماء النابع من فجر الحجر فهو يحتوي على عدد من العيون، وعلى هذا تكون قراءة التشديد موضحة لقراءة التخفيف.

(٢٤٥) المحرر الوجيز (٣/٤٨٤).

(٢٤٦) انظر: النشر (٢/٢٣٢).

(٢٤٧) مختار الصحاح (٥٩٧) باب الكاف.

(٢٤٨) البُسْر جمع بُسْرة، والبُسْرة: هي المرحلة الثانية من مراحل تحول البلح إلى رطب. (انظر: مختار الصحاح (ص٦٤) مادة: بسر).

الهاء، وليس بجمع تكسير[٢٤٩]،وقيل: أن يكون الكِسْفُ واحداً، ويُجمع على (كِسَفاً)[٢٥٠].

التفسير:

لم يكتف الكافرون بتحدي الرسول بالمعجزات التي فيها نفعهم الدالة على صدقه؛ بل طلبوا منه أن يأتي بمعجزة فيها مضرتهم، وأخرى فيها استحالة الحدوث.

يقول ابن عاشور: «وقولهم ﴿أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا﴾ انتقال من تحدِّيه بخوارق فيها منافع لهم إلى تحديه بخوارق فيها مضرتهم، يريدون بذلك التوسيع عليه، أي: فليأتهم بآية على ذلك ولو في مضرتهم. وهذه حكاية لقولهم كما قالوا. ولعلهم أرادوا به الإغراق في التعجيب من ذلك فجمعوا بين جعل الإسقاط لنفس السماء، وعززوا تعجيبهم بالجملة المعترضة وهي: ﴿كَمَا زَعَمْتَ﴾ إنباء بأن ذلك لا يصدق به أحد. وعنوا به قوله ﴿إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [سبأ: ٩] وبقوله ﴿وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُوا۟ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾﴾ [الطور: ٤٤]. إذ هو تهديد لهم بأشراط الساعة وإشرافهم على الحساب[٢٥١].

يقول الصابوني: «هذا هو الاقتراح الثالث، أي: تجعل السماء تتساقط علينا قِطعاً قِطعاً كما كنت تخوفنا، وتزعم أن الله سيعذبنا إن لم نؤمن بك، قال المفسرون: أشاروا إلى قوله تعالى ﴿إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [سبأ: ٩] ﴿أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا﴾ أي تُحضر لنا الله وملائكته مقابلة وعياناً فنراهم»[٢٥٢].

(٢٤٩) انظر: حجة القراءات (ص٤١٠).
(٢٥٠) معاني القراءات (ص٢٦١).
(٢٥١) التحرير و التنوير (مجلد ٧ج١٥ ص٢٠٩).
(٢٥٢) صفوة التفاسير (٢/١٥٤).

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت قراءة (**كِسْفًا**) ساكنة السين، أنّ الكافرين طلبوا من النبي ﷺ أن يجعل السماء تسقط عليهم قطعاً قطعاً كثيرة.

وأفادت قراءة (**كِسَفًا**) بفتح السين، أنهم طلبوا من النبي ﷺ أن يجعل السماء تسقط عليهم قطعاً دون الإشارة إلى الكثرة أو القلة لهذه القطع.

يقول الطبري: «(**كِسْفًا**) بسكون السين بمعنى ﴿أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا﴾ وذلك أن الكِسْف في كلام العرب جمع كِسْفة، وهو جمع الكثير من العدد للجنس، كما تجمع السِدْرة بسِدْر، والتمرة بتمر، فحكي عن العرب سماعاً أعطني كِسْفة من هذا الثوب، أي قطعة منه، يقال منه: جاءنا بثريد كِسْف؛ أي: قطع خبز، وقد يحتمل إذا قرئ كذلك (كِسْفاً) بسكون السين أن يكون مراداً به المصدر من (كَسِف)، فأما الكِسَف بفتح السين؛ فإنه جمع ما بين الثلاث إلى العشر، يقال كِسْفة واحدة وثلاث كِسَف، وكذلك إلى العشر، (**كِسَفًا**) بفتح السين بمعنى جمع الكسفة الواحدة من الثلاث إلى العشر، يعني بذلك قطعاً ما بين الثلاث إلى العشر[٢٥٣]».

الجمع بين القراءتين:

يتبيّن من خلال الجمع بين القراءتين أن الكافرين قد طلبوا من النبي ﷺ أن يجعل السماء مقطعة قطعاً تسقط عليهم فجاءت قراءة التسكين لتبيّن أنهم طلبوا أن يكون سقوط السماء عليهم قطعاً كثيرة. وعلى ذلك فقراءة التسكين مبيّنة لقراءة الفتح، وهذا من بلاغة القرآن وإعجازه. ففي تنوع القراءات بيان وإثراء للمعاني. وفيه دلالة على مدى عنادهم وكفرهم وتحديهم للرسول ﷺ.

٢٨ ـ قال تعالى: ﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾﴾ [الإسراء: ٩٣].

(٢٥٣) انظر: تفسير الطبري (مجلد ٨ج١٥ ص١٠٨).

القراءات:

١. قرأ ابن كثير وابن عامر **(قال)** بفتح القاف وإثبات ألف بعدها بصيغة الماضي.

٢. قرأ الباقون **(قُلْ)** بضم القاف وحذف الألف بصيغة الأمر(٢٥٤).

البيان:

قراءة **(قال)** على الخبر عن النبي ﷺ أنه قال عند اقتراحهم هذه الأشياء التي ليست في طاقة البشر أن يفعلها، فقال: ﴿سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾، وقراءة **(قُلْ)** على الأمر للنبي ﷺ أن يقول ذلك، ويقوي هذا ما بعده: ﴿قُل لَّوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ...﴾ [الإسراء: ٩٥]. و﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا...﴾ [الإسراء: ٩٦](٢٥٥).

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن باقي مقترحات الكفار على الرسول ﷺ حتى يصدقوه ويؤمنوا به، والرد على تلك المقترحات؛ وذلك بتنزيه الله ﷻ عن أن يعجز عن شيء، والتعجيب من فرط كفرهم واقتراحاتهم.

يقول البغوي: «﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ﴾ أي: من ذهب، وأصله الزينة، ﴿أَوْ تَرْقَىٰ﴾، تصعد، ﴿فِي السَّمَاءِ﴾، هذا قول عبدالله بن أبي أمية، ﴿وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ﴾ لصعودك ﴿حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ﴾، أمرنا فيه باتباعك، ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي﴾، وقرأ ابن كثير وابن عامر (قال) يعني محمداً، وقرأ آخرون على الأمر، أي: قل يا محمد، ﴿هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾، أمره بتنزيهه وتمجيده، على معنى أنه لو أراد أن ينزل ما طلبوا لفعل، ولكن الله لا ينزل الآيات على ما يقترحه البشر، ﴿وما أنا إلا بشر﴾ وليس ما سألتم في طوق البشر. واعلم أن الله تعالى قد أعطى النبي ﷺ من الآيات

---

(٢٥٤) انظر: النشر (٢/٢٣٢).

(٢٥٥) انظر: الكشف (٥٢/٢)، حجة القراءات (ص٤١١).

والمعجزات ما يغني عن هذا كله، مثل: القرآن وانشقاق القمر، وتفجير العيون من بين الأصابع وما أشبهها، والقوم عامتهم كانوا متعنتين لم يكن قصدهم طلب الدليل ليؤمنوا، فرد الله عليهم سؤالهم(٢٥٦).

يقول ابن عطية: «يروى أن قائل هذه المقالة هو عبدالله بن أبي أمية، فإنه قال لرسول الله ﷺ: أنا لا أؤمن لك حتى تأتي بكتاب أراك هابطاً به فيه من الله ﷻ إلى عبدالله بن أبي أمية(٢٥٧)، وروي أن جماعتهم طلبت هذا النحو منهم، فأمره الله ﷻ أن يقول ﴿سُبْحَانَ رَبِّي﴾ أي تنزيهاً له من الإتيان مع الملائكة قبيلاً، ومن أن يخاطبكم بكتاب كما أردتم، ومن أن أقترح أنا عليه هذه الأشياء، وهل أنا إلا بشر منكم، أرسلت إليكم بالشريعة، فإنما عليّ التبليغ فقط»(٢٥٨).

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

يقول القرطبي: «﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي﴾ وقرأ أهل مكة والشام ﴿قال سبحان ربي﴾ يعني النبي ﷺ؛ أي قال ذلك تنزيها لله ﷻ عن أن يعجز عن شيء وعن أن يعترض عليه في فعل. وقيل: هذا كله تعجب عن فرط كفرهم واقتراحاتهم. الباقون ﴿قل﴾ على الأمر؛ أي قل لهم يا محمد ﴿هَلْ كُنتُ﴾ أي ما أنا ﴿إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾ اتبع ما يوحى إلي من ربي، ويفعل الله ما يشاء من هذه الأشياء التي ليست في قدرة البشر، فهل سمعتم أحداً من البشر أتى بهذه الآيات»(٢٥٩).

يقول ابن عاشور: «وقرأ الجمهور (قل) بصيغة الأمر، وقرأه ابن كثير وابن عامر (قال) بألف بعد القاف بصيغة الماضي على أنه حكاية لجواب

---

(٢٥٦) معالم التنزيل المعروف بتفسير البغوي: أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي (١٣٧/٣)

(٢٥٧) لفظ مقالته هي جزء من حديث نزول الآيات (٩٠ ـ ٩٣) وقد سبق الإشارة إليه وتخريجه فانظره المصدر السابق.

(٢٥٨) المحرر الوجيز (٤٨٦/٣).

(٢٥٩) تفسير القرطبي (مجلد ٥ج١٠ ص٦٥٨).

الرسول ﷺ عن قولهم ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا﴾ على طريقة الالتفات»[٢٦٠].

الجمع بين القراءتين:

يتبيّن من خلال الجمع بين القراءتين أن الله ﷻ لقّن نبيه ﷺ أن ينزهه ويرد على الكافرين بما يتناسب مع طلباتهم، فاستجاب ﷺ لأمر ربه، وفي هذا تعليم للمسلمين في كل عصر وآن أن يسترشدوا بآيات الله ﷻ في الرد على تخرصات الكافرين والمجادلين بالباطل، وهذا من إعجاز القرآن في أسلوب الالتفات.

٢٩ ـ قال تعالى: ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾﴾ [الإسراء: ٩٧].

القراءات:

١. قرأ المدنيان[٢٦١] وأبو عمرو (**المهتدي**) بإثبات الياء وصلاً وحذفها وقفاً.

٢. قرأ يعقوب (**المهتدي**) بإثبات الياء وصلاً ووقفاً، ورُويت عن قُنبل من طريق ابن شنبوذ[٢٦٢].

---

(٢٦٠) التحرير والتنوير (مجلد ٧ج١٥ ص٢١١).

(٢٦١) المدنيان: هما: نافع وأبو جعفر.

(٢٦٢) هو: أبو الحسن محمد بن أيوب بن الصلت، شيخ الإقراء بالعراق مع ابن مجاهد، قرأ القرآن على عدد كثير بالأمصار منهم قنبل وهارون بن موسى الأخفش وغيرهم، قرأ عليه عدد كثير منهم أحمد بن نصر الشذائي ومحمد بن أحمد الشنبوذي تلميذه، واعتمد أبو عمرو الداني والكبار على أسانيده في كتبهم، وكان يرى جواز الصلاة بما جاء في مصحف أُبي، ومصحف ابن مسعود، وبما صح في الأحاديث مع أن الاختلاف في جوازه معروف بين العلماء قديماً وحديثاً، ويتعاطى ذلك، كان ثقة في نفسه صالحاً ديناً متبحراً، توفي سنة ثمان وعشرين وثلاث مئة. (انظر: معرفة القراء (ص١٥٦ ـ ١٥٩)).

٣. قرأ الباقون (**المهتد**) بدون ياء وصلاً ووقفاً[٢٦٣].

البيان:

من أثبت الياء وصلاً ووقفاً: أتى بالكلمة على ما أوجبه القياس لها، لأن الياء إنما كانت تسقط لمقارنة التنوين في النكرة، فلما دخلت الألف واللام زال التنوين، فعاد لزواله ما سقط لمقارنته.

ومن أثبتها وصلاً وحذفها وقفاً: فَحَذْفُها وقفاً على لغة من يقف على الاسم المنقوص غير المنوّن بحذف الياء تخفيفاً لثقل اسم الفاعل مع ثقل حرف العلة في آخر الكلمة، وأخذ بالأصل في الوصل، فأتى بالوجهين معاً.

ومن حذفها فيهما: إجراءً للوصل مجرى الوقف، والفصحاء يجرون الفواصل مجرى القوافي، لأنهم اعتبروا الفاصلة كل جملة تم بها الكلام، والعرب تجتزىء بالكسرة من الياء[٢٦٤].

التفسير:

يخبر الله ﷻ في هذه الآية عن تصرفه في خلقه، ونفوذ حكمه على عباده، وأنه لا معقب لحكمه، ايناساً للنبي ﷺ ليعلم أن مهمته التبليغ، والأمر أولاً وأخيراً عائد لله ﷻ.

يقول القاسمي: «﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ﴾ أي إلى الحق بما جاء من قبله إلى الهدى ﴿فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ﴾ أي: يخلق فيه الضلال بسوء اختياره، كهؤلاء المعاندين ﴿فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ﴾ أي أنصاراً يهدونهم ويحفظونهم من قهره، وإنما أوثر ضمير الجماعة في ﴿لَهُمْ﴾ حملاً على معنى ﴿مَنْ﴾ وأوثر في ما قبله الإفراد، حملاً على اللفظ. وسر الاختلاف في المتقابلين الإشارة إلى وحدة طريق الحق، وقلة سالكيه، وتعدد سبل

(٢٦٣) انظر: النشر (٢/٢٣٢).

(٢٦٤) انظر: الحجة في القراءات السبع (ص١١٥) في موضع الآية التاسعة من سورة الرعد. وانظر أيضاً: التحرير والتنوير (مجلد ٧ج١٥ ص٢١٥ ـ ٢١٦).

الضلال، وكثرة الضُّلَّال»(٢٦٥).

ويقول المنصوري في كيفية حشر الكافرين: «﴿وَنَحْشُرُهُمْ﴾ التفات من الغيبة إلى التكلم، ايذاناً بكمال الاعتناء بأمر الحشر، ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ أي كائنين عليها سحباً أو يمشون بها، روى الشيخان عن أنس أن رجلاً قال: يا رسول الله كيف يُحشر الكافر على وجهه؟ قال رسول الله ﷺ: **«أليس الله الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا، قادراً أن يمشيه علي وجهه يوم القيامة»** قال قتادة حين بلغه بلى وعزة ربنا(٢٦٦) ﴿عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ أي: لا يبصرون ما يُقِرُّ أعينهم، ولا يسمعون ما يَلذُّ مسامعهم، ولا ينطقون ما يُقبل منهم، لأنهم كانوا في الدنيا لا يستبصرون بالآيات والعبر، ولا ينطقون بالحق، ولا يستمعونه، ويجوز أن يُحشروا عمياً وبكماً وصماً على الحقيقة، يستقرون في نار جهنم كلما سكن لهبها بأن أكلت جلودهم ولحومهم ﴿زِدْنَـٰهُمْ سَعِيرًا﴾ توقداً بأن بدلناهم جلوداً غيرها، فعادت ملتهبة، عقوبة لهم على إنكارهم الإعادة، ليروها عياناً، حيث لم يعلموها برهاناً»(٢٦٧).

العلاقة بين القراءات:

أفادت قراءة (المهتد) بحذف الياء؛ بأن من يهده الله للإيمان فهو المهتدي إلى الحق الذي لا حق غيره، وهي مقصورة عليه دون غيره ممن يريد الرسول ﷺ هدايته وأضله الله.

وأفادت قراءة (المهتدي) بإثبات الياء؛ بأن من يهديه الله فهو دائم

(٢٦٥) محاسن التأويل (٤٠٠٢/١٠)

(٢٦٦) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب الذين يُحشرون على وجوههم إلى جهنم، حديث رقم (٤٧٦٠) (فتح الباري (٤٩٢/٨)) وأخرجه مسلم في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب: يحشر الكافر على وجهه، (٢١٦١/٤) حديث رقم (٢٨٠٦).

(٢٦٧) المقتطف (٢٢٨/٣).

الهداية إلى الحق لأن نفسه ميالة إلى ذلك؛ لأن المهتدي يستمد هدايته من الله.

الجمع بين القراءات:

يتبيّن من خلال الجمع بين القراءات أن من يهديه الله إلى الإيمان فإن هذه الهداية مقصورة عليه لتوفر دواعي القبول عنده، وبذلك يكون دائم الهداية إلى الحق لأنه يستمد هدايته من الله.

٣٠ ـ قال تعالى: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾﴾ [الإسراء: ١٠٢].

القراءات:

١. قرأ الكسائي **(علمتُ)** بضم التاء.

٢. قرأ الباقون **(علمتَ)** بفتح التاء(٢٦٨).

البيان:

من قرأ **(علمتُ)** بضم التاء جعل التاء لموسى عليه السلام دلالة على إخباره عن نفسه بصحة ذلك، وأنه لا شك عنده، في أن الذي أنزل الآيات هو رب السموات.

ومن قرأ **(علمتَ)** بفتح التاء، جعل التاء لفرعون دلالة على المخاطبة، وأن فرعون ومن معه قد علموا صحة ما أتاهم به موسى، ولكن جحدوا ذلك معاندة وتجبراً، ودليل ذلك قوله تعالى ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤](٢٦٩).

التفسير:

بعد أن حكى الله عن قريش تعنتهم في اقتراحاتهم وعنادهم

(٢٦٨) انظر: النشر (٢/٢٣٢).

(٢٦٩) انظر: حجة القراءات (ص١٢٩)، الكشف (٢/٥٢).

للرسول ﷺ وبما ذكّره ﷺ مما جرى لموسى عليه السلام مع فرعون، وطلبات فرعون من موسى ليصدقه، ذكر في هذه الآية ما دار بينهما من حوار، وفي ذلك تسرية عن النبي ﷺ.

يقول الزحيلي: «قال موسى لفرعون: لقد علمت علم اليقين أن هذه الآيات التسع ما أنزلها خالق الأرض والسموات إلا حججاً وأدلة على صدق ما جئتك به، فهي تهدي الإنسان إلى الطريق الحق، وأنها من عند الله لا من عند غيره، ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرۡعَوۡنُ مَثۡبُورٗا﴾ أي: مغلوباً هالكاً، مصروفاً عن الخير، ميالاً إلى الشر»(٢٧٠).

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت قراءة **(علمتُ)** بضم التاء؛ أن موسى عليه السلام أخبر عن نفسه أنه ليس بمسحور كما زعم فرعون، بل يعلم أن الله هو الذي أنزل الآيات التسع، حججاً وأدلة على صدق ما جاءه به.

يقول الزمخشري: «وقرىء **﴿علمتُ﴾** بالضم على معنى: إني لست بمسحور كما وصفتني بل أنا عالمٌ بصحة الأمر، وأن هذه الآيات مُنزِّلُها ربُّ السموات والأرض، ثمَّ قارع ظنَّه بظنه كأنه قال: إن ظننتني مسحوراً فأنا أظنك ﴿مَثۡبُورٗا﴾ هالكاً، وظني أصح من ظنك؛ لأن له أمارةً ظاهرةً، وهي إنكارُك ما عرفتَ صحتَه، ومكابرتك لآيات الله بعد وضوحها، وأما ظنُّك فكذب بحت؛ لأن قولك مع علمك بصحة أمري: إني لأظنك مسحوراً قولُ كِذاب»(٢٧١).

وأفادت قراءة **(علمتَ)** بفتح التاء؛ أن فرعون ومن معه قد علموا صحة أمر موسى عليه السلام وأن هذه الآيات المنزلة هي من عند الله، وأن الله

---

(٢٧٠) التفسير المنير (١٥/١٨٣).

(٢٧١) الكشاف (٣/٤٤).

هو ربه، ولكنه جحود واستكبار.

يقول ابن عاشور: «ومعنى ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: أن فرعون لم يبق في نفسه شك في أن تلك الآيات لا تكون إلا بتسخير الله إذ لا يقدر عليها إلا الله، وأنه إنما قال ﴿إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾ عناداً ومكابرة وكبرياء، وأُكد كلام موسى عليه السلام بلام القسم وحرف التحقيق تحقيقاً لحصول علم فرعون بذلك، وإنما أيقن موسى بأنَّ فرعون قد علم بذلك: إما بوحي من الله أعلمه به، وإما برأي مُصيب، لأن حصول العلم عند قيام البرهان الضروري حصول عقلي طبيعي لا يتخلف عن عقل سليم»[٢٧٢].

الجمع بين القراءتين:

يتبيّن من خلال الجمع بين القراءتين أن كلاً من موسى عليه السلام، وفرعون عليه اللعنة؛ عَلِمَ بأنَّ الله ﷻ هو الذي أنزل الآيات، وأنَّ موسى ليس به مس من السحر، ولكن علم موسى بذلك ليقينه بالله، أما علم فرعون فلم يكن حاملاً له على الإيمان؛ بل كان حب الرياسة والملك دفعاً له للكفر والعناد.

يقول الخفاجي: «والمعنى أن علمي أو علمك بأن هذه الآيات من الله، إذ لا يقدر عليها سواه؛ يقتضي أني لست بمسحور ولا ساحر، وأن كلامي غير مختل، لكن حب الرياسة حملك على العناد»[٢٧٣].

(٢٧٢) التحرير والتنوير (مجلد ٧ج١٥ ص٢٢٦ ـ ٢٢٧).

(٢٧٣) حاشية الشهاب المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي: شهاب الدين الخفاجي (١١٥/٦).

الفصل الثاني
تفسير سورة الكهف من خلال القراءات القرآنية العشر

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: تعريف عام بسورة الكهف.

المبحث الثاني: عرض وتفسير لآيات سورة الكهف المتضمنة للقراءات.

الفصل الثاني
سورة الكهف

مقدمة:

سورة الكهف هي السورة الثانية من منظومة السور المستهدفة في هذا البحث، وهي موضع بحث كثير من العلماء لما احتوته من معجزات وقيم تناولتها من خلال القصص القرآني الذي استغرق معظم السورة؛ فقد ورد القصص القرآني في إحدى وسبعين آية من عشر آيات ومائة آية؛ ومعظم ما يبقى من آيات السورة هو تعليق أو تعقيب على القصص فيها، فألقت من خلاله الضوء على أنواع الفتن وأسبابها؛ كفتنة السلطان في قصة أصحاب الكهف، وفتنة المال والرجال في قصة صاحب الجنتين، وفتنة العلم في قصة موسى والخضر عليهما السلام، وفتنة الأسباب في قصة ذي القرنين، وأعطت المؤمن الميزان الحق لمعرفة الحقائق من الأباطيل والصدق من الكذب، فيدرك المؤمن من خلال ذلك كله صدق رسول الله ﷺ في دعوته، وزيف أي دعوة وبطلانها إذا لم تلتزم السير على خطا الرسول ﷺ(٢٧٤).

ومما يلفت النظر في هذه السورة احتواءها على عدد كبير من القراءات

(٢٧٤) انظر: الظلال (مجلد ٤ج١٥ ص٢٢٥٦)، مباحث في التفسير الموضوعي: مصطفى مسلم (ص١٧٨).

المتواترة التي تتوزع على كثير من آياتها، وقبل الخوض في بيان القراءات وتفسيرها لا بد أن نُعَرِّج على تعريف عام بالسورة لتكون مدخلاً إلى فهم تفسير السورة.

المبحث الأول
تعريف عام بسورة الكهف

ويشتمل على:

- أسماء السورة ووجه التسمية.
- سبب نزول السورة.
- مناسبتها لسورة الإسراء.
- فضل السورة.
- أغراض السورة.
- الموضوعات التي تناولتها السورة.

المبحث الأول
تعريف عام بالسورة

سورة الكهف كلها مكية باتفاق المفسرين[٢٧٥]، وقد نزلت دفعة واحدة، فقد روى الديلمي في مسند الفردوس عن أنس قال: «نزلت سورة الكهف جملة معها سبعون ألفاً من الملائكة» [٢٧٦] وقد نزلت بعد سورة الغاشية، وقبل سورة الشورى، وهي الثامنة والستون في ترتيب نزول السور، وعُدت آيها في عدد قراء المدينة ومكة؛ مائة وخمساً، وفي عدد قراء الشام مائة وستاً، وفي عدد قراء البصرة مائة وإحدى عشرة، وفي عدد قراء الكوفة مائة وعشراً[٢٧٧]، وذلك بحسب ما ثبت لدى القراء في كل بلد عن طريق النقل في وقفات الرسول ﷺ[٢٧٨].

وعدد كلماتها ألف وخمسمائة وسبع وسبعون كلمة، وعدد حروفها ستة آلاف وثلاثمائة وستون حرفاً[٢٧٩]، وهي إحدى سور خمس بدئت بـ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: وهي الفاتحة، الأنعام، الكهف، سبأ، فاطر. وهو استهلال

(٢٧٥) انظر: المحرر الوجيز (٤٩٤/٣)، تفسير القرطبي (مجلد ٥ج١٠ ص٦٧٢).

(٢٧٦) أخرجه السيوطي في الدر المنثور (٣٥٧/٥). ورواه الديلمي في مسنده (٢٧٥/٤) حديث رقم (٦٨١٢). وذكره العجلوني في كشف الخفاء (٤٣٥/٢).

(٢٧٧) انظر: التحرير والتنوير (مجلد ٧ج١٥ ص٢٤٢)، روح المعاني (١٩٩/١٥).

(٢٧٨) مباحث في التفسير الموضوعي (ص١٦٩).

(٢٧٩) انظر: اللباب (٤١٥/١٢)

يوحي بعبودية الإنسان لله ﷻ، وإقراره بنعمه وأفضاله، وتمجيد الله ﷻ، والاعتراف بعظمته وجلاله وكماله[٢٨٠].

أسماء السورة ووجه التسمية:

سماها رسول الله ﷺ سورة الكهف؛ لبيان قصة أصحاب الكهف العجيبة، فقد أخرج الإمام أحمد في مسنده عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ أنه قال: «**من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عُصِم من الدجال**»[٢٨١].

وسماها رسول الله ﷺ سورة أصحاب الكهف، ولعل سبب تسميتها بهذا الاسم تصدر قصة أصحاب الكهف قصص هذه السورة.

فقد روى الترمذي في صحيحه حديثاً طويلاً سمى فيه الرسول ﷺ هذه السورة بسورة أصحاب الكهف[٢٨٢].

وأخرج ابن مردويه عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بسورة ملأ عظمتها ما بين السماء والأرض ولكاتبها من الأجر مثل ذلك، ومن قرأها يوم الجمعة غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى وزيادة

---

(٢٨٠) التفسير المنير (١٥/١٩٦).

(٢٨١) انظر: تفسير ابن كثير (٥/١٣٩). رواه أحمد في مسنده (٥/١٩٦)، ومسلم (١/٥٥٥) في كتاب «صلاة المسافرين وقصرها» باب «فضل سورة الكهف وآية الكرسي» حديث رقم (٨٠٩) من طريق قتادة . . . .به.

(٢٨٢) انظر الحديث في: سنن الترمذي (٤/٥١٠) ـ كتاب الفتن ـ باب ما جاء في فتنة الدجال ـ حديث (٢٢٤٠) من حديث النواس بن سمعان الكلابي، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من حديث عبدالرحمن بن يزيد بن جابر. وهو حديث طويل. وانظر أيضاً: المستدرك على الصحيحين للحاكم (٤/٥٨٠) كتاب الفتن والملاحم، حديث رقم (٨٦٢٠) من حديث أبي أمامة الباهلي. وقال الحاكم: حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه بهذه الطريقة.

ثلاثة أيام، ومن قرأ العشر الأواخر منها عند نومه بعثه الله أيّ الليل شاء، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: سورة أصحاب الكهف»(٢٨٣).

سبب نزول السورة:

أخرج ابن إسحق وابن جرير وابن المنذر، وأبو نعيم والبيهقي كلاهما في الدلائل عن ابن عباس قال: بعثت قريش النضر بن الحارث، وعقبة بن أبي معيط إلى أحبار يهود بالمدينة، فقالوا: سلوهم عن محمد وصفوا لهم صفته، وأخبروهم بقوله فإنهم أهل الكتاب الأول وعندهم علم ما ليس عندنا من علم الأنبياء، فخرجا حتى أتيا المدينة؛ فسألا أحبار يهود عن رسول الله ﷺ ووصفاً لهم أمره وبعض قوله، وقالا: إنكم أهل التوراة وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا قالوا لهم: سلوه عن ثلاث نأمركم بهن، فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل، وإن لم يفعل فالرجل مُتَقوِّل، فَرَوا فيه رأيكم، سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان من أمرهم؟ فإنهم قد كان لهم حديث عجيب. وسلوه عن رجل طوّاف بلغ مشارق الأرض ومغاربها، ما كان نبؤه؟ وسلوه عن الروح، ما هي؟ فإن أخبركم بذلك فإنه نبي فاتبعوه، وإن لم يخبركم فإنه رجل متقول، فاصنعوا في أمره ما بدا لكم. فأقبل ... فجاءوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا محمد أخبرنا، فسألوه عما أمروهم به، فقال لهم رسول الله ﷺ: **«أخبركم غداً بما سألتم عنه»** ولم يستثن، فانصرفوا عنه، ومكث رسول الله ﷺ خمس عشرة ليلة، لا يُحدث الله إليه في ذلك وحياً ولا يأتيه جبريل عليه السلام حتى أرجف أهل مكة وقالوا: وعدنا محمد غداً، واليوم خمس عشرة قد أصبحنا فيها، لا يخبرنا بشيء عما سألناه عنه. حتى أحزن رسول الله ﷺ مكثُ الوحي عنه، وشق عليه ما يتكلم به أهل مكة، ثم جاءه جبريل عليه السلام من عند الله ﷻ بسورة أصحاب الكهف فيها معاتبته إياه على حزنه عليهم، وخبر ما سألوه عنه من

---

(٢٨٣) ذكره الألوسي في تفسيره (١٩٩/١٥) والسيوطي في الدر المنثور (٣٥٦/٥) قال فيه الألباني: ضعيف جداً. (انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة لمحمد ناصر الدين الألباني (٥٠٤/٥) ح ٢٤٨٢).

أمر الفتية والرجل الطواف، وقول الله ﷻ ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ [الإسراء: ٨٥][٢٨٤].

مناسبتها لسورة الإسراء:

تظهر مناسبتها لسورة الإسراء التي تسبقها من عدة نواحٍ:

١ - افتتحت الإسراء بالتسبيح، والكهف بالتحميد، والتسبيح والتحميد مقترنان في القرآن وسائر الكلام؛ بحيث يسبق التسبيح التحميد، كقوله تعالى ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ [الحجر: ٩٨]، وفي الحديث: (سبحان الله وبحمده)، كما أنّ الإسراء اختتمت بالتحميد أيضاً فتشابهت الأطراف أيضاً.

ولما أمر اليهود المشركين أن يسألوا النبي ﷺ عن ثلاثة أشياء: عن الروح وعن قصة أصحاب الكهف وعن قصة ذي القرنين؛ أجاب تعالى في آخر سورة بني إسرائيل عن السؤال الأول، وأجاب عن السؤالين الآخرين في سورة الكهف، فناسب اتصالهما ببعضهما.

ولما نزل في الإسراء قوله تعالى ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥] ناسب ذكر قصة موسى مع الخضر عليهما السلام كالدليل على ما تقدم.

وقد ورد في الحديث أنه لما نزل قوله تعالى ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ قال اليهود: قد أوتينا التوراة فيها علم كل شيء، فنزل قوله تعالى ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ...﴾ [الكهف: ١٠٩].

وأيضاً لما قال في الإسراء ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ [الإسراء: ١٠٤] شرح ذلك في الكهف بقوله ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ﴾ إلى ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾﴾

---

(٢٨٤) الدر المنثور (٣٥٧/٥)، ورواه الطبري في تفسيره (مجلد ٨ج١٥ ص١٢٧) من طريق ابن إسحاق قال: حدثنا شيخ من أهل مصر عن عكرمة عن ابن عباس. وذكره ابن هشام في السيرة (١٣٩/٢) والسيوطي في لباب النقول (ص١٧٧). وقد ضعَّف العلماء رواية ابن جرير من طريق ابن اسحق بسبب إبهام شيخ من أهل مصر.

[الكهف: ٩٨ ـ ١٠٠].

ولما قال سبحانه في آخر الإسراء ﴿وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾ أمر تعالى في الكهف بحمده على إنزال هذا الكتاب(٢٨٥).

فضل السورة:

وردت في فضل السورة أحاديث كثيرة نذكر منها:

ما أخرجه الإمام أحمد عن البراء قال: قرأ رجل سورة الكهف وفي الدار دابة، فجعلت تنفر، فنظر فإذا ضبابة أو سحابة قد غشيته، فذكر ذلك للنبي ﷺ، فقال: «اقرأ فلان، فإنها السكينة تنزلت عند القرآن، أو تنزلت للقرآن»(٢٨٦).

وما أخرجه الإمام أحمد ومسلم وأبو داود والنسائي والترمذي من طريق قتادة عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال: «من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال»(٢٨٧).

أغراض السورة:

أما الأغراض الأساسية للسورة فهي: تصحيح العقيدة، وتصحيح منهج

---

(٢٨٥) انظر: تناسق الدرر (ص٩٩ ـ ١٠١)، التفسير المنير (١٥/١٩٦ ـ ١٩٧).

(٢٨٦) أخرجه أحمد في مسنده (٤/٢٨١) ورواه أيضاً البخاري في كتاب (المناقب) باب (علامات النبوة في الإسلام) (انظر: فتح الباري (٦/٦٧١)) حديث رقم (٣٥٧١) / ومسلم (١/٥٤٨) كتاب (صلاة المسافرين وقصرها) باب (نزول السكينة لقراءة القرآن) من حديث شعبة. . .به. وقال ابن كثير: الرجل الذي كان يتلو هو: أسيد بن حضير. انظر: تفسير ابن كثير (٥/١٣٩).

(٢٨٧) أخرجه مسلم (١/٥٥٥) كتاب: (صلاة المسافرين وقصرها) باب (فضل سورة الكهف وآية الكرسي)، وأحمد في مسنده (٥/١٩٦) وأبو داود (٤/١١٧) كتاب (الملاحم) باب (خروج الدجال) حديث رقم (٤٣٢٣) من طريق همام. . . به. والنسائي في: (عمل اليوم والليلة) (١/٥٢٨) باب (ما يجير من الدجال) حديث رقم (٩٥١) بلفظ: من فتنة الدجال. والترمذي (٥/١٦٢) كتاب (فضائل القرآن) باب (ما جاء في فضل سورة الكهف) حديث رقم (٢٨٨٦). وفيه قوله: ثلاث آيات. وقال حسن صحيح.

النظر والفكر، وتصحيح القيم بميزان العقيدة؛ وقد سُخِّرت القصص الواردة في السورة من أجل هذه الأهداف.

الموضوعات التي تناولتها السورة:

* ابتدأت السورة ببيان وصف القرآن بأنه قيم لا اعوجاج فيه، وأنه جاء للإنذار والتبشير. ثم لفتت النظر إلى عجائب خلق الله الدالة على قدرته ﷻ.

* تحدثت السورة عن ثلاث قصص من روائع القصص القرآني وهي: قصة أصحاب الكهف، وقصة موسى مع الخضر ـ عليهما السلام ـ، وقصة ذي القرنين.

ابتدأت بقصة أصحاب الكهف وما تحمله من دلائل على قضية البعث، وبهذا تتلاقى القصة مع الغرض العام للسورة وهو إثبات قدرة الله على مخالفة السنن التي ألفها الناس وظنوا أنها مستعصية عليه جل شأنه، وهذا ما تشير إليه القصة في ثناياها إذ يقول ﷻ ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعۡثَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ لِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ...﴾ [الكهف: ٢١].

كما كان فيها ضرب المثل للثبات على العقيدة والتضحية من أجلها.

ثم تلي ذلك قصة موسى مع الخضر عليهما السلام وما احتوت عليه من معانٍ سامية؛ من: إثبات قصور الخلق مهما سمت عقولهم، وكثرت علومهم أمام إحاطة الله وعلمه سبحانه، وبهذا ترتبط القصة بقصة أصحاب الكهف في ترك الغيب لله الذي يدبر الأمر بحكمته وفق علمه الشامل الذي يقصر عنه البشر، كما فيها ضرب المثل في تحمل الصعاب في طلب العلم والصبر على ذلك.

ثم أتبع قصة موسى والخضر بقصة ذي القرنين، وما احتوت عليه من عبر وعظات للحكام والسلاطين؛ من شكر الله على نعمة التمكين في الأرض؛ وذلك من استغلال القوة والسلطان في الدعوة إلى الله، والجهاد في سبيله، ورفع الظلم عن العباد، والعدل بينهم، واليقين بأن كل ما يؤتاه

العبد من نعم هو من عند الله، وأن لا حول ولا قوة إلا بالله، ثم تُختم القصة بتأكيد قدرة الله على البعث، وبهذا تلتقي مع الهدف العام للسورة، ومع قصتي أصحاب الكهف وموسى مع الخضر عليهما السلام.

* وتخلل ذلك مستطردات: من الأمر للنبي ﷺ بالتواضع ومجالسة فقراء المؤمنين، وتهديد الله ﷻ للكافرين وما أعده لهم من عذاب يوم القيامة؛ بسبب افتتانهم بالحياة الدنيا وزينتها، وقارن ذلك بما أعده ﷻ من نعيم للمؤمنين.

والحديث عن البعث في المثل الذي ضربه الله للناس عن صاحب الجنتين، والمثل الذي ضربه بالحياة الدنيا.

كما جاء فيها الإشارة إلى قصة آدم وإبليس، وما احتوت عليه من إشارة للعداوة المستحكمة بين إبليس وبني آدم، وتحذير الله لأبناء آدم من اتخاذ الشيطان وذريته أولياء من دون الله، ومن ذكر لأمور الآخرة، وفي ذلك جمع بين المبدأ والمعاد، ولقضية الخلق والبعث.

* وختمت السورة بموضوعات ثلاثة:

١ - إعلان تبديد أعمال الكفار وضياع ثمرتها في الآخرة.

٢ - تبشير المؤمنين بالنعيم الأبدي في الآخرة.

٣ - تقرير أنَّ القرآن وحيٌّ من الله ﷻ إلى رسوله ﷺ وفي هذا الختام الأخير مُحسِّن رد العجز على الصدر[٢٨٨].

(٢٨٨) انظر في أغراض السورة وما اشتملت عليه: الظلال (مجلد ٤ج١٥ ص٢٢٥٧ - ٢٢٦٦). والتفسير المنير (١٥/ ١٩٧ - ١٩٩)، والتحرير والتنوير (مجلد ٧ج١٥ ص٢٤٥ - ٢٤٦). وانظر أيضاً: أهداف كل سورة ومقاصدها (١/ ٢٠٧ - ٢١٢).

المبحث الثاني
عرض وتفسير لآيات سورة الكهف بالقراءات العشر

١. قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ۝١ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۝٢﴾ [الكهف: ١ ـ ٢].

القراءات:

١. قرأ حفص حال وصل (عوجاً) بـ(قيّماً) بخلف عنه بالسكت على ألف (عوجاً).

٢. وقرأ الباقون بعدم السكت على ألف (عوجاً) حين الوصل، وهو الوجه الثاني لحفص[٢٨٩].

٣. قرأ شعبة (من لدنه) بإسكان الدال وإشمامها الضم[٢٩٠]، وكسر النون والهاء ووصلها بياء في اللفظ فتصير (لَدْنِهي).

---

(٢٨٩) انظر: النشر (٣٢٩/١)، الإتحاف (ص٣٦٣).

(٢٩٠) الإشمام: عبارة عن ضم الشفتين بُعيد تسكين الحرف، بحيث يراه المبصر دون الأعمى، ويكون تسكين الحرف من غير صوت دون تراخ مع بقاء فرجة بين الشفتين يخرج النفس منها. (المغني في علم التجويد (ص٣٠٦)). وقال الخفاجي: الإشمام له معانٍ أربعة منها: تضعيف الصوت بالحركة الفاصلة بين الحرفين فهو إخفاء لها، وقال الداني أنه هو المراد هنا، وهو الصواب وبه صرَّح ابن جنّي في المحتسب. (حاشية الشهاب (١٢٩/٦)).

٤. قرأ الباقون (من لَدُنْهُ) بضم الدال وسكون النون وضم الهاء.

٥. قرأ ابن كثير (من لَدُنْهُو) بصلة الهاء واواً[٢٩١].

اللغة والبيان:

عوجاً: اختلافاً والتباساً[٢٩٢].

قيماً: مستقيماً معتدلاً[٢٩٣]. ويُقال في القيِّم: قيِّم على الكتب، أي: أنه يُصدِّقها[٢٩٤].

﴿مِّن لَّدُنْهُ﴾: من قِبَلِهِ[٢٩٥]. و(لدن) في جميع أحوالها بمعنى عند، لا يقع عليها إعراب، وهي: ظرف مكاني تُخْفَض بـ(مِنْ)، فعملها الخفض إلا في قولهم: لدن غدوةً فَخُصَّت بالنصب[٢٩٦].

أما القراءة بـ**(من لدنهي)**: فالأصل (لَدُنْ) بضم الدال، وسُكِّنت الدال استثقالاً للضمة، فالتقى ساكنان وهما النون والدال، فكُسرت النون لالتقاء الساكنين، وكُسرت الهاء لمجاورة حرف مكسور، ووُصلت بياء. وإشمام الضمة في الدال ليُعلم أنَّ الأصل كان في الكلمة الضمة.

ويقول سيبويه: «فالهاء تُكسر إذا كان قبلها ياء أو كسرة؛ لأنها خفيَّة كما أن الياء خفيَّة، وهي من حروف الزيادة كما أن الياء من حروف الزيادة»[٢٩٧].

وقراءة (من لَدُنْهُ) فهي على أصل الكلمة، كقوله ﴿مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ [النمل: ٦][٢٩٨].

---

(٢٩١) انظر: النشر (٢/٢٣٢)، المُيَسَّر (ص٢٩٣)، الإتحاف (ص٣٦٣).
(٢٩٢) الفريد (٣/٣٠٩).
(٢٩٣) كلمات القرآن تفسير وبيان: حسنين محمد مخلوف (ص١٧٣).
(٢٩٤) معاني القرآن للفراء (٢/١٣٣).
(٢٩٥) معاني القرآن وإعرابه: أبي اسحاق الزجاج (٣/٢٦٧).
(٢٩٦) انظر: الحجة في القراءات (ص١٣٠).
(٢٩٧) كتاب سيبويه (٤/١٩٥).
(٢٩٨) انظر: حجة القراءات (ص٤١٢).

التفسير:

تبدأ الآية الكريمة بالثناء على الله ﷻ الذي تفضَّل على عباده بنعمته العظمى؛ وذلك بإنزال القرآن الكريم، الذي من صفاته الاعتدال في نظمه ومعانيه، الهادي إلى الحق، المزيل للاعوجاج، قيِّماً بمصالح العباد، قيِّماً على الكتب السابقة ومهيمناً عليها، متناهياً في الاستقامة والاعتدال، منذراً للكافرين بالعذاب، ومبشراً للمؤمنين بالجنة.

يقول القاسمي: «افتتحت السورة بـ(الحمد لله) إشارة إلى أنه المحمود على كل حال، وتعليماً للعباد أدب افتتاح كل أمر ذي بال واختتامه؛ وذلك بالثناء على الله تبارك وتعالى بنعمه العظمى، ومننه الكبرى، وفي إيثار إنزال التنزيل من بين سائر نعوته العليّة، تنبيه على أنه أعظم نعمائه. فإنه الهادي إلى ما فيه كمال العباد، والداعي إلى ما به ينتظم صلاح المعاش والمعاد، ولا شيء في معناه يماثله، وفي ذكر الرسول ﷺ بعنوان العبودية، تنبيه على عظمة المنزَل والمنزَل عليه، وإشعار بأن شأن الرسول أن يكون عبداً للمرسِل لا كما زعمت النصارى في حق عيسى عليه السلام، وتعريف الكتاب للعهد، أي الكتاب الكامل الغنيّ عن الوصف بالكمال، المعروف بذلك من بين الكتب، الحقيق باختصاص اسم الكتاب به، وهو عبارة عن جميع القرآن، أو عن جميع المنزل حينئذ، وقوله (ولم يجعل له عوجا) أي شيئاً من العوج، باختلال في نظمه وتنافٍ في معانيه، أو زيغ وانحراف عن الدعوة إلى الحق، بل جعله مزيلاً للعوج؛ إذ جعله: قيِّماً بمصالح العباد وما لا بد لهم منه من الشرائع، فهو وصف له بأنه مكمل لهم، بعد وصفه بأنه كامل في نفسه أو قيِّماً على الكتب السالفة، مهيمناً عليها، أو متناهياً في الاستقامة والاعتدال، فيكون تأكيداً لما دل عليه نفي العوج مع إفادة كون ذلك من صفاته الذاتية اللازمة له حسبما تنبئ عنه الصيغة، وينذر من خالفه ولم يؤمن به عذاباً شديداً عاجلاً أو آجلاً ويبشر بمقابلهم المؤمنين الذين يعملون الخيرات والفضائل بالجنة»(٢٩٩).

(٢٩٩) انظر: محاسن التأويل (٤٠٢١/١٠ - ٤٠٢٣) بتصرف.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

سكوت حفص على (عوجاً) حين وصلها بـ(قيّماً) دفعاً لإيهام أن يكون (قيّماً) نعتاً لـ(عوجاً) فيفسد المعنى، لأن (قيّماً) حال من (الكتاب) فهي من أوصافه.

أما قراءة الباقين بعدم السكت حين الوصل؛ وذلك على الأصل، واعتماداً على أن التأمل في معنى الآية قرينة على دفع الإيهام[300].

أما قراءة (لدنهو): فقد أفادت عظمة الله الذي من قبله هذا العذاب الشديد؛ لما في الضمة من قوة وثقل وفي الواو من مد.

وقراءة (لدنهي): أفادت تنوع العذاب لاتساعه، وخفاءه عن المعذبين، وخفاء نوع العذاب ومداه يؤدي إلى زيادة في التهديد والإفزاع للمهددين بهذا العذاب.

أما قراءة (لدنه) فقد أفادت شدة هذا العذاب وقوته لأنه من عند القوي العزيز، لما في الضم من الشدة والقوة، وسكون النون من الثبات والاستقرار.

الجمع بين القراءات:

يتبيّن بالجمع بين القراءات أن الله ﷻ أنزل على محمد ﷺ كتاباً أخباره كلها صدق، وأحكامه كلها عدل سالم من جميع العيوب ليس فيه شيء من العوج باختلال في نظمه وتناف في معانيه؛ بل جعله كاملاً في وصفه مزيلاً للعوج، مكملاً لغيره من الشرائع، جعله نذيراً لعذاب متنوع شديد عظيم لأنه من قبل واسع العظمة والسلطان القوي العزيز خفي في شدته وعظمته عن المهددين به ليفزعهم لعلهم يعودون إلى الله ﷻ.

٢ ـ قال تعالى: ﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾﴾ [الكهف: ١٦].

---

(٣٠٠) انظر: المغني (٣٥٨/٢).

القراءات:

١. قرأ نافع وابن عامر وأبو جعفر (**مَرْفِقًا**) بفتح الميم وكسر الفاء.

٢. قرأ الباقون (**مِرْفَقًا**) بكسر الميم وفتح الفاء[٣٠١].

اللغة والبيان:

المَرْفِق: موصل الذراع في العضد، وكذلك المِرْفَق و المَرْفِق من الأمر، وهو ما ارتفقتَ به وانتفعتَ.

فمن قرأ (**مِرْفَقًا**) بكسر الميم وفتح الفاء، أي شيئاً يرتفقون به مثل المِقْطَع.

ومن قرأ (**مَرْفِقًا**) بفتح الميم وكسر الفاء، جعله اسماً مثل مسجد[٣٠٢].

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن حديث دار بين الفتية الذين فروا بدينهم من قومهم والتجئوا إلى الكهف لئلا يفتنوهم عنه.

يقول أبو حيان: «﴿وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ﴾ خطاب من بعضهم لبعض ـ حين صممت عزيمتهم على الفرار بدينهم ـ والاعتزال يشمل مفارقة أوطان قومهم ومعتقداتهم، فهو اعتزال جسماني وقلبي ﴿وَمَا يَعۡبُدُونَ﴾ يعني: وإذا اعتزلتموهم واعتزلتم معبوديهم ﴿إِلَّا ٱللَّهَ﴾ استثناء متصل إن كان قومهم يعبدون الله مع آلهتهم، لاندراج لفظ الجلالة في قوله ﴿وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾، وذُكر أنهم كانوا يعبدون الله، ويعبدون معه آلهة، فاعتزلت الفتية عبادة تلك الآلهة ولم يعتزلوا عبادة الله، ومنقطع إن كانوا لا يعرفون الله ولا يعبدونه لعدم اندراجه في معبوداتهم، وقيل: ﴿وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ كلام معترض إخبار من الله تعالى عن الفتية أنهم لم يعبدوا غير الله تعالى ﴿فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ﴾ أي: اجعلوه مأوى لكم تقيمون فيه وتأوون إليه، فهو تعالى

---

(٣٠١) انظر: النشر (٢/٢٣٢).

(٣٠٢) انظر: مختار الصحاح (ص٢٧٢)، الحجة للقراء السبعة (٥/١٣١).

سيبسط علينا رحمته ويهيء لنا ما نرتفق به في أمر عيشنا»[٣٠٣].

يقول الزمخشري: «إما أن يقولوا ذلك ثقة بفضل الله، وقوةً في رجائهم لتوكلهم عليه ونصوع يقينهم، وإما أن يخبرهم به نبيٌّ في عصرهم، وإما أن يكون بعضهم نبياً»[٣٠٤].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت قراءة (مِرْفَقَاً) بكسر الميم وفتح الفاء؛ أن الفتية عزموا على الالتجاء إلى الكهف لعل الله يسهل لهم أمر فرارهم من قومهم، ويصلح لهم من أمر معاشهم ما ينتفعون به.

يقول حسين بن أبي العز الهمذاني[٣٠٥]: «وقوله ﴿وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا﴾ أي: ويسهل عليكم خوفكم من الملك وعدوانه، فيأتيكم باليسر والرفق»[٣٠٦].

وأفادت قراءة (مَرْفِقَاً) بفتح الميم وكسر الفاء؛ رجاء الفتية أن يجدوا مكاناً يسهِّل عليهم أمر الاختباء من قومهم ويجدون الراحة فيه.

الجمع بين القراءتين:

يتبيّن بالجمع بين القراءتين أن أصحاب الكهف كانوا على ثقة ويقين في فضل الله عليهم حين التجئوا إلى الكهف من ناحيتين:

أولهما: أن يسهل عليهم أمر خوفهم من الملك وعدوانه، فيشعروا بالدعة والأمان وهم في جوار الله.

ثانيهما: أن يهيىء سبحانه لهم مكاناً يجدون فيه الراحة، وما ينتفعون

(٣٠٣) انظر: البحر المحيط (١٠٣/٦) بتصرف.
(٣٠٤) الكشاف (٥٣/٣).
(٣٠٥) هو: حسين بن أبي العز بن الرشيد الهمذاني الشافعي، يُلقب بمنتجب الدين، توفي سنة ٦٤٣هجريه. (انظر: أبجد العلوم (٨٣/٢) وكشف الظنون (١٢٥٨/٢)).
(٣٠٦) الفريد (٣١٨/٣).

به في أمر معاشهم.

يقول محيسن: «ولثقتهم بالله تعالى وحسن عقيدتهم؛ أنهم أيقنوا أن الله تعالى سينشر عليهم سحائب رحمته، ويهيىء لهم ما يحتاجون إليه من متاع، وشراب، وغير ذلك[٣٠٧].

٣ ـ قال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾﴾ [الكهف: ١٧].

القراءات:

١. قرأ ابن عامر ويعقوب (**تَزْوَرُّ**) بإسكان الزاي وتشديد الراء من غير ألف.

٢. قرأ عاصم وحمزة والكسائي وخلف (**تَزَاوَرُ**) بفتح الزاي وتخفيفها وألف بعدها وتخفيف الراء.

٣. قرأ الباقون (**تَزَّاوَرُ**) بفتح الزاي وتشديدها وألف بعدها وتخفيف الراء[٣٠٨].

١. قرأ المدنيان وأبو عمرو (**المهتدي**) بإثبات الياء وصلاً وحذفها وقفاً.

٢. قرأ يعقوب (**المهتدي**) بإثبات الياء وصلاً ووقفاً، ورُويت عن قُنبل من طريق ابن شنبوذ.

٣. قرأ الباقون (**المهتد**) بدون ياء وصلاً ووقفاً[٣٠٩].

اللغة والبيان:

تزاور عن كهفهم: أي: تميل وتعدل، وهو من الزور، يعني العَوَج

(٣٠٧) المستنير (١/٣٠٩).

(٣٠٨) انظر: النشر (٢/٢٣٢).

(٣٠٩) سبق التعرض لهذه القراءات وتفسيرها، فانظرها عند تفسير الآية (٩٧) من سورة الإسراء (ص١٠٠).

والميل[٣١٠].

من قرأ (تَزْوَرُّ) بإسكان الزاي وتشديد الراء من غير ألف، مثل (تحمرُّ) و (تصفرُّ)، من (ازورَّت) فهي (تزورّ)، كـ(احمرّت) فهي (تحمرّ)، ومعناه: تنقبض.

ومن قرأ (تَزَاوَرُ) بتخفيف الزاي، فهي من (تتزاور) وحُذفت إحدى التاءين تخفيفاً.

ومن قرأ (تَزَّاوَرُ) بتشديد الزاي، فهي من (تتزاور) أيضاً إلا أنها أُدغمت التاء في الزاي وشُددت. ومعناهما: تميل عنه[٣١١].

التفسير:

تضمنت هذه الآية بعض ما أنعم الله ﷻ به على أصحاب الكهف من العناية والرعاية؛ بأن حفظ أجسادهم من البلى، بعد أن أنامهم، وذلك بأن جعل الشمس كلما طلعت أو غربت تميل عنهم كي لا تؤثر فيهم أشعتها، بقدرته سبحانه. وهذا من خوارق العادات.

يقول الشوكاني: «شرع سبحانه في بيان حالهم، بعد أن أووا إلى الكهف، قوله ﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت...﴾ والمعنى: أنّ الشمس إذا طلعت مالت عن كهفهم ذات اليمين، أي: يمين الكهف، وإذا غربت تمر شمال الكهف لا تصيبه، بل تعدل عن سمته إلى الجهتين، ﴿وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ﴾ والفجوة المكان المتسع، وللمفسرين في تفسير هذه الجملة قولان:

الأول: أنهم مع كونهم في مكان منفتح انفتاحاً واسعاً في ظل جميع نهارهم، لا تصيبهم الشمس في طلوعها، ولا في غروبها، لأن الله ﷻ حجبها عنهم.

---

(٣١٠) مجاز القرآن: أبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي (٣٩٥/١).

(٣١١) انظر: الكشف (٥٧/٢)، حجة القراءات (ص٤١٣)، المغني (٣٦١/٢)، الحجة للقراء (١٣٢/٥ ـ ١٣٣).

والثاني: أن باب ذلك الكهف كان مفتوحاً إلى جانب الشمال، فإذا طلعت الشمس كانت عن يمين الكهف، وإذا غربت كانت عن يساره، ويؤيد القول الأول قوله: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ فإن صرف الشمس عنهم مع توجه الفجوة إلى مكان تصل إليه عادة أنسب بمعنى كونها آية، ويؤيده أيضاً إطلاق الفجوة وعدم تقييدها بكونها إلى جهة كذا.

ثم أثنى سبحانه عليهم بقوله: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ﴾ أي: إلى الحق ﴿فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ﴾ الذي ظفر بالهدى وأصاب الرشد والفلاح ﴿وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ أي: ناصراً يهديه إلى الحق كدقيانوس وأصحابه. اهـ[٣١٢].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (**تَزَاوَرُ**) بالتخفيف: أنّ الشمس حين شروقها على الكهف تميل عن الكهف وتنحرف جهة اليمين، فلا تدخل أشعتها الحامية إليه حتى لا تؤذي أصحابه.

وأفادت قراءة (**تَزَّاوَرُ**) بالتشديد: أنّ الشمس تتمايل باستمرار وتنحرف عن الدخول في الكهف إلى جهة اليمين، فهو حال خفي عند من لم يراقب هذا الانحراف. وهذا ما يشبه حال أولئك الفتية الذين كان حالهم خفياً عن غيرهم عند هروبهم، وعند انزوائهم في الكهف.

يصف البقاعي هذا الحال بالربط بين ميل الشمس وبين حال أولئك الفتية بقوله: «ولما كان حالهم خفياً، وكذا حال انتقال الشمس عند من لم يراقبه، أدغم تاء التفاعل نافع وابن كثير وأبو عمرو، وأسقطها عاصم وحمزة والكسائي، فقال تعالى ﴿تَّزَٰوَرُ﴾ أي: تتمايل وتنحرف»[٣١٣].

وأفادت قراءة (**تَزْوَرُّ**) أنّ الشمس تنقبض أشعتها عن الكهف عند شروقها عليه.

(٣١٢) انظر: فتح القدير (٣/٣٤٤ ـ ٣٤٥) باختصار.

(٣١٣) نظم الدرر (٤/٤٥٢).

يقول البقاعي، ولعل قراءة ابن عامر ويعقوب (تزْوَرُّ) بوزن تحمرُّ ناظرة إلى الحال عند نهاية الميل عن كهفهم، بتقلص شعاعها بارتفاعها إلى أن تزول»[٣١٤].

الجمع بين القراءات:

يتبيّن بالجمع بين القراءات أن من معجزات الله الدالة على فضله على أصحاب الكهف؛ أنه سبحانه أوحى إلى الشمس حين شروقها أن تميل وتنحرف عن الكهف إلى جهة اليمين باستمرار، وفي نهاية ميلها عن الكهف في كل مرة تُقلِّص شعاعها وتقبضه بارتفاعها شيئاً فشيئاً إلى أن تزول، فيصيبهم من حرها ما يمنع عنهم التعفن.

ولم يقف الأمر عند بيان حال الشمس؛ وإنما كان في تعدد القراءات تصوير للحالة التي كان عليها أهل الكهف من الخفاء عن أعين الناس. فهو تصوير بديع ربط بين حال العاقل وغير العاقل في كلمة واحدة في قراءات عدة. فسبحان من صوَّر بكلمة حالين لم يكن لأحد من مخلوقاته أن يعبِّر عنها هذا التعبير البديع.

وعلى ذلك فكل قراءة من القراءات أضافت معنىً جديداً للقراءة الأخرى، كما صورت القراءات مجتمعة حال الشمس وحال الفتية تصويراً بديعاً لم يكن ليتنبه إليه أحد لولا الجمع بين هذه القراءات. وهذا من إعجاز تعدد القراءات في اللفظة الواحدة.

٤ ـ قال تعالى: ﴿وَتَحۡسَبُهُمۡ أَيۡقَاظٗا وَهُمۡ رُقُودٞۚ وَنُقَلِّبُهُمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِۖ وَكَلۡبُهُم بَٰسِطٞ ذِرَاعَيۡهِ بِٱلۡوَصِيدِۚ لَوِ ٱطَّلَعۡتَ عَلَيۡهِمۡ لَوَلَّيۡتَ مِنۡهُمۡ فِرَارٗا وَلَمُلِئۡتَ مِنۡهُمۡ رُعۡبٗا ۝١٨﴾ [الكهف: ١٨].

القراءات:

١. قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة وأبو جعفر (**وَتَحْسَبُهُمْ**) بفتح السين.

(٣١٤) المرجع السابق (٤/٤٥٢).

٢. قرأ الباقون (وَتَحْسِبُهُمْ) بكسر السين[٣١٥].

١. قرأ نافع وابن كثير وأبو جعفر (وَلَمُلِّئْتَ) بتشديد اللام الثانية.

٢. قرأ الباقون (وَلَمُلِئْتَ) بتخفيف اللام[٣١٦].

١. قرأ ابن عامر والكسائي وأبو جعفر ويعقوب (رُعُباً) بضم العين.

٢. قرأ الباقون (رُعْباً) بإسكان العين[٣١٧].

اللغة والبيان:

(وَتَحْسَبُهُمْ) و(وَتَحْسِبُهُمْ): القراءتان ترجعان إلى أصل الاشتقاق:

(**تَحْسَبُهُمْ**): من حسِب يحسَب، نحو: علِم يعلَم. وهي لغة تميم.

(**تَحْسِبُهُمْ**): من حسِب يحسِب، نحو: ورِث يرِث. وهي لغة أهل الحجاز[٣١٨].

وقال الأزهري[٣١٩]: «وإنما يسمى الحساب في المعاملة حساباً لأنه يعلم به ما فيه كفاية ليس فيها زيادة على المقدار، ولا نقصان»[٣٢٠] فعلى ذلك فالحساب يفيد اليقين، وكذلك فقراءة (**تَحْسِبُهُمْ**) تفيد اليقين لا الظن.

ولملئت: أي امتلأت.

من قرأ (**وَلَمُلِّئْتَ**) بتشديد اللام الثانية، أراد تكرير الفعل والدوام عليه[٣٢١]، ففيه تأكيد للمبالغة[٣٢٢].

---

(٣١٥) انظر: الإتحاف (ص٢١٢)، النشر (١٧٨/٢).

(٣١٦) انظر: النشر (٢٣٣/٢).

(٣١٧) انظر: المرجع السابق (١٦٢/٢).

(٣١٨) انظر: الإتحاف (ص٢١٢)، المغني (٢٩٦/١).

(٣١٩) هو: محمد بن أحمد بن الأزهر بن طلحة، أبو منصور، أديب لغوي، شافعي المذهب، من أشهر مصنفاته: تهذيب اللغة، غريب الفقه، علل القراءات. توفي سنة ٣٧٠هـ. (انظر: طبقات الشافعية (١٤٤/٢)، وفيات الأعيان (٣٣٤/٤)).

(٣٢٠) انظر: تاج العروس (٢١٠/١).

(٣٢١) الحجة في القراءات (ص١٣٠).

(٣٢٢) معاني القراءات (ص٢٦٥).

ومن قرأ (وَلَمُلِئْتَ) بتخفيف اللام الثانية، أراد مرة واحدة[٣٢٣].

الرعب: الانقطاع من امتلاء الخوف، يقال: رعبته فرعب رعباً، فهو رَعِب[٣٢٤]. وهو: الخوف الذي يرعب الصدر، أي: يملؤه، من رعبت الحوض إذا ملأته[٣٢٥].

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن معجزة أخرى امتن الله بها على أصحاب الكهف وذلك بحفظ أجسادهم من البلى والتغير، ببث الحركة في أجسادهم، وبث الرعب والخوف في قلب كل من يراهم.

يقول الصابوني: «ولو رأيتهم أيها الناظر لظننتهم أيقاظاً لتفتح عيونهم، وتقلبهم والحال أنهم نيام، ونقلبهم من جانب إلى جانب لئلا تأكل الأرض أجسامهم، وكلبهم الذي تبعهم باسط يديه بفناء الكهف كأنه يحرسهم، ولو شاهدتهم وهم على تلك الحالة لفررت منهم هرباً رعباً منهم، وذلك لما ألبسهم الله من الهيبة، فرؤيتهم تثير الرعب؛ إذ يراهم الناظر نياماً كالأيقاظ، يتقلبون ولا يستيقظون»[٣٢٦].

ويقول الدكتور محمد الحبال[٣٢٧]: «ففي قوله تعالى ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾ إشارات علمية دقيقة جداً فقد ثبت طبياً:

١. إن العين في حالة كونها مفتوحة على الدوام ولأسباب مرضية متعددة تتعرض للمؤثرات الخارجية فتدخلها الجراثيم والأجسام الغريبة مما

(٣٢٣) الحجة في القراءات (ص١٣٠).
(٣٢٤) مفردات الراغب (ص٢٢٣).
(٣٢٥) الفريد (٣/٣٢١).
(٣٢٦) انظر: صفوة التفاسير (٢/١٦٢).
(٣٢٧) هو: محمد جميل عبدالستار الحبال من مواليد الموصل بالعراق سنة ١٩٤٥م، متخصص في الطب الباطني وأمراض الكلى وباحث في الإعجاز الطبي والعلمي في القرآن، وله العديد من المؤلفات في هذا المجال. انظر ترجمته في موقع: جوجل.

يؤدي إلى حدوث تقرحات القرنية (مقدمة العين) وعتمتها وبالتالي فقدان حاسة البصر.

٢. والعين في حالة كونها منغلقة على الدوام يؤدي ذلك إلى ضمور العصب البصري بعدم ـ تعرضه للضوء الذي يمنع العين من قيامها بوظيفتها؛ حيث إن من المعروف في علم وظائف الأعضاء (علم الفسلجة) أن أي عضو من أعضاء الإنسان أو أجهزته يصاب بالضمور والموت التدريجي إن لم تهيأ له الأسباب للقيام بوظيفته، ودليل ذلك أن المسجونين لفترات طويلة في الأماكن المظلمة يصابون بالعمى.

٣. أما في الحالة الطبيعية (اليقظة) فإن أجفان الإنسان ترمش وتتحرك بصورة دورية لا إرادية على مقلة العين، تعينها الغدد الدمعية التي تفرز السائل الدمعي النقي الذي يغسل العين ويحافظ عليها من المؤثرات الخارجية الضارة، فهذه العملية المركبة تحافظ على سلامة العين، فالله ﷻ الذي حافظ على أجسادهم وجلودهم من التلف بالتقلب المستمر مع التعرض المناسب لضوء الشمس، هو نفسه الذي حفظ عيونهم بهذه الطريقة العلمية من العمى، حيث قال في محكم كتابه ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾ ولم يقل (وتحسبهم أمواتاً وهم رقود) لأن إحدى علامات اليقظة هي حركة رمش أجفانهم، وقد يكون في هذا أيضاً والله أعلم السر في إلقاء الرهبة في منظرهم في قوله تعالى ﴿لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ فهذا الوضع الغريب وغير المألوف حيال كونهم ليسوا موتى ولا بمستيقظين ولا نائمين نومة طبيعية (لأن النائم لا ترمش عينه) هذه الهيئة جعلت الناظر إليهم يهرب فزعاً ويمتلئ قلبه رعباً من منظرهم»[٣٢٨].

(٣٢٨) أهم الإشارات الطبية والعلمية لقصة أصحاب الكهف للدكتور محمد الحبال. (انظر: شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) ـ جوجل ـ موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (**وَتَحْسَبُهُمْ**): أن الرائي لأهل الكهف وما عليه حالهم من حركة وتقلب يظنهم أحياء وليسوا أمواتاً.

أما قراءة (**وَتَحْسِبُهُمْ**): فأفادت اليقين بحياة أصحاب الكهف لما عليه حالهم وخصوصاً حركة أعينهم الرامشة التي لا يفعلها إلا المستيقظ.

وأفادت قراءة (**وَلَمُلِئْتَ**) بالتخفيف؛ أن من يرى حال أصحاب الكهف يشعر بخوف شديد يملأ صدره.

أما قراءة (**وَلَمُلِّئْتَ**) بالتشديد؛ فأفادت أن من يرى أصحاب الكهف على هيئتهم، والمهابة التي ألقاها الله عليهم لا بدَّ وأن يتملكه خوف شديد يملأ صدره ويشعر به باستمرار، يشعره بذعر دائم. وبهذا وافقت قراءة (**رُعُباً**) قراءة (**وَلَمُلِّئْتَ**) بالتشديد، في شدة الخوف الذي يصل إلى درجة الذعر الشديد مع استمرار الشعور به لما في توالي الضمة في حرفين متتاليين من كلمة واحدة من الثقل الذي يدل على ثقل الشعور.

يقول ابن عطية: «(لملّئت) بشد اللام على تضعيف المبالغة، أي: ملئت ثم ملئت ثم ملئت»[٣٢٩].

الجمع بين القراءات:

بالجمع بين القراءات يتبيّن أن الناظر إلى أصحاب الكهف وهم على حالتهم التي أرقدهم الله عليها يتيقن بحياتهم لما هم عليه من هيئة المستيقظ. ويخشى الاقتراب منهم؛ لأن الله ﷻ قد ألقى على أصحاب الكهف حال نومهم مهابة ووقاراً يملأ قلب من يطلع عليهم فيشعره برعب وفزع شديد يملأ صدره، فيطلق ساقيه للريح لا يدري طريقه. «وذلك من تدبير الله كي لا يعبث بهم عابث، حتى يحين الوقت المعلوم»[٣٣٠].

---

(٣٢٩) المحرر الوجيز (٥٠٤/٣).

(٣٣٠) الظلال (٢٢٦٣/٤).

يقول ابن كثير: «إنه تعالى ألقى عليهم المهابة بحيث لا يقع نظر أحد عليهم إلا هابهم، لما ألبسوا من المهابة والذعر؛ لئلا يدنو منهم أحد ولا تمسهم يد لامس، حتى يبلغ الكتاب أجله، وتنقضي رقدتهم التي شاء تبارك وتعالى فيهم؛ لما له في ذلك من الحجة والحكمة البالغة، والرحمة الواسعة»[(٣٣١)].

٥ ـ قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾﴾ [الكهف: ١٩].

القراءات:

١. قرأ أبو عمرو وشعبة وحمزة وخلف وروح (**بِوَرْقِكُمْ**) بإسكان الراء.

٢. قرأ الباقون (**بِوَرِقِكُمْ**) بكسر الراء[(٣٣٢)].

اللغة والبيان:

جاء في اللسان: الوَرِقُ والوِرْقُ والوَرْقُ والرِّقَةُ: الدراهم. وفي الصحاح: الوَرِقُ الدراهم المضروبة[(٣٣٣)].

ولكن ابن قتيبة كان أكثر بياناً لكلمة (الوَرِق) حيث قال: (الوَرِق): الفضة دراهم كانت أو غير دراهم، ويدل على ذلك أن عَرْفَجَةَ بن أسعد أصيبت أنفه يوم الكُلاب[(٣٣٤)] فاتخذ أنفاً من وَرِق ـ أي من فضة ـ فأنتن

(٣٣١) تفسير ابن كثير (١٥١/٥).

(٣٣٢) انظر: النشر (٢٣٣/٢).

(٣٣٣) انظر: اللسان (٤٨١٦/٦) مادة: ورق. وقد ذكر غير واحد من المفسرين أن المقصود بـ (الوَرِق) الفضة مضروبة كانت أو غير مضروبة. انظر في ذلك: الكشاف (٥٥/٣).

(٣٣٤) عرفجة بن أسعد: صحابي، ويوم الكُلاب من أيام الوقائع في الجاهلية، والكلاب ماء بين الكوفة والبصرة. (انظر: الفائق في غريب الحديث للزمخشري (٢٧٥/٣)).

عليه، فأمره النبي ﷺ أن يتخذ أنفاً من ذهب[٣٣٥].

وبذلك يتبين أن (الوَرِق) يُطلق على الفضة المضروبة وغير المضروبة، أما (الوَرْق) فيُطلق على الفضة المضروبة ـ الدراهم ـ فقط.

التفسير:

بعد أن ألقى ﷻ النوم على أهل الكهف مدة ثلاثمائة سنة وتسع، أيقظهم من هذا النوم العميق، وحين استيقاظهم شعروا بجوع شديد، فبعثوا أحدهم إلى المدينة ليشتري لهم طعاماً وزودوه بما معهم من نقود فضية.

يقول الزمخشري: «وكما أنمناهم تلك النومة، كذلك بعثناهم إذكاراً بقدرته على الإنامة والبعث جميعاً؛ ليسأل بعضهم بعضاً ويعرفوا حالهم وما صنع الله بهم، فيعتبروا ويستدلوا على عظم قدرة الله تعالى، ويزدادوا يقيناً، ويشكروا ما أنعم الله به عليهم، وكُرِّموا به.

﴿قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍۚ﴾ جواب مبني على غالب الظن، ﴿قَالُواْ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾ إنكار عليهم من بعضهم، وأنَّ الله أعلم بمدة لبثهم؛ كأنَّ هؤلاء قد علموا بالأدلة أو بإلهام من الله أنَّ المدة متطاولة، وأنَّ مقدارها مبهم لا يعلمه إلا الله، وروي أنهم دخلوا الكهف غُدوة، وكان

(٣٣٥) تفسير غريب القرآن (ص٢٦٥)، وانظر: اللسان (٤٨١٦/٦). والحديث أخرجه الترمذي (٢٤٠/٤) في كتاب اللباس، باب ما جاء في شد الأسنان بالذهب (ح١٧٧٠) ونصه: عن عرفجة بن أسعد قال: أصيب أنفي يوم الكلاب في الجاهلية، فاتخذت أنفاً من ورق فأنتن علي فأمرني رسول الله ﷺ أن أتخذ أنفاً من ذهب.

وقال أبو عيسى في نص الحديث: هذا حديث حسن غريب، وأخرجه النسائي (١٦٣/٨) في كتاب الزينة، باب من أصيب هل يتخذ أنفاً من ذهب (ح٥١٦١)، وأبو داود (٩٢/٤) في كتاب الخاتم باب ما جاء في ربط الأسنان بالذهب (ح٤٢٣٢)، وأحمد في مسند الكوفيين (ح١٨٥٢٧) وفي مسند البصريين (ح١٩٧٥٧ و ح١٩٧٥٩).

انتباههم بعد الزوال، فظنوا أنهم في يومهم، ثم ردوا العلم إلى الله، وبعثوا أحدهم بنقودهم الفضية ليشتري لهم أحلَّ وأطيب، وأكثر وأرخص طعاماً، وليتكلَّف اللطف، والنِّيقة[٣٣٦] فيما يباشره من أمر المبايعة، حتى لا يُغبن، أو في أمر التخفِّي حتى لا يُعرف، ولا يفعلنَّ ما يؤدي من غير قصد منه إلى الشعور بهم»[٣٣٧].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت قراءة (**بِوَرِقِكُمْ**) بكسر الراء، أن ما أراد الفتية الشراء به هي: قطع من الفضة، قد تكون مضروبة وقد تكون غير مضروبة.

ولكن قراءة (**بِوَرْقِكُمْ**) بإسكان الراء، أفادت أن هذه القطع الفضية التي مع الفتية هي دراهم فضية مضروبة، ومما يدلل على ذلك أنّ بائع الطعام الذي رأى النقود تعرَّف على عصرها حينما أعطاه إياها الفتى الذي ذهب إلى المدينة ليشتري الطعام. وبذلك بيّنت إحدى القراءتين ما كان مبهماً في القراءة الأخرى.

٦ ـ قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾﴾ [الكهف: ٢٣ ـ ٢٤].

القراءات:

١. قرأ نافع وأبو عمرو وأبو جعفر (**يَهْدِيَنِي**) بإثبات الياء في الوصل دون الوقف.

٢. قرأ ابن كثير ويعقوب (**يَهْدِيَنِي**) بإثبات الياء وصلاً ووقفاً.

٣. وقرأ الباقون (**يَهْدِيَنِ**) بحذفها في الوصل والوقف[٣٣٨].

---

(٣٣٦) النِّيقة: من التَّنُّوق، تَنَوق فلان في مطعمه وملبسه، إذا تجود وبالغ. انظر: اللسان (٤٥٨٢/٦).

(٣٣٧) انظر: الكشاف (٣/٥٥ ـ ٥٦) بتصرف.

(٣٣٨) انظر: النشر (١٣٧/٢).

اللغة والبيان:

يهديني: يرشدني[(٣٣٩)].

يقول السامرائي: «إن القرآن يحذف من الكلمة لغرض، ولا يفعل ذلك إلا لغرض، إنه يحذف من الفعل للدلالة على أنَّ الحدث أقل مما لم يحذف منه، وأن زمنه أقصر، ونحو ذلك فهو يقتطع من الفعل للدلالة على الاقتطاع من الحدث، أو يحذف منه في مقام الإيجاز والاختصار، بخلاف مقام الإطالة والتفصيل»[(٣٤٠)].

التفسير:

يخاطب الله في هاتين الآيتين الكريمتين نبيه ﷺ موجهاً إياه أن يستثني عند كل أمر يهم القيام به، وأن يكون على اتصال به، وأن يطلب منه سبحانه المعونه والهداية لتأييده وبيان صدقه.

يقول البيضاوي: «نهي تأديب من الله تعالى لنبيه حين قالت اليهود لقريش: سلوه عن الروح، وأصحاب الكهف، وذي القرنين، فسألوه فقال: ائتوني غداً أخبركم، ولم يستثن، فأبطأ عليه الوحي بضعة عشر يوماً حتى شق عليه وكذبته قريش، والاستثناء من النهي، أي: ولا تقولنّ لأجل شيء تعزم عليه إني فاعله فيما يستقبل إلا بأن يشاء الله، أي: إلا ملتبساً بمشيئته قائلاً إن شاء الله، أو إلا وقت أن يشاء الله أن تقوله، بمعنى أن يأذن لك فيه، ولا يجوز تعليقه بفاعل لأنّ استثناء اقتران المشيئة بالفعل غير سديد، واستثناء اعتراضها دونه لا يناسب النهي.

واذكر مشيئة ربك وقل إن شاء الله كما روي أنه لما نزل قال ﷺ إن شاء الله، ﴿إِذَا نَسِيتَ﴾ إذا فرط منك نسيان لذلك ثم تذكرته، .... ويجوز أن يكون المعنى واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار إذا نسيت الاستثناء مبالغة

---

(٣٣٩) انظر: المحرر الوجيز (٣/٥٠٩).

(٣٤٠) انظر: بلاغة الكلمة (ص١١).

في الحث عليه، واذكر ربك وعقابه إذا تركت بعض ما أمرك به ليبعثك على التدارك، أو اذكره إذا اعتراك النسيان ليذكرك المنسي، ﴿وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي﴾ يدلني ﴿لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا﴾ لأقرب رشداً، وأظهر دلالة على أني نبي من نبأ أصحاب الكهف، وقد هداه لأعظم من ذلك كقصص الأنبياء المتباعدة عنه أيامهم والإخبار بالغيوب والحوادث النازلة في الأعصار المستقبلة إلى قيام الساعة، أو لأقرب رشداً أو أدنى خيراً من المنسيّ»(٣٤١).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

اختلف اللُّغويون والمفسرون حول المقصود بقوله تعالى: ﴿وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا﴾ فقال الزجاج: «أي: قل عسى أن يعطيني ربي من الآيات والدلالات على النبوة ما يكون أقرب في الرُّشد، وأدلَّ من قصة أصحاب الكهف»(٣٤٢).

وقال ابن الجوزي: «إنّ قريشاً لما سألت رسول الله ﷺ أن يخبرهم خبر أصحاب الكهف قال غداً أخبركم كما شرحنا في سبب نزول الآية، فقال الله تعالى له ﴿وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي﴾ أي: عسى أنْ يُعرِّفني جواب مسائلكم قبل الوقت الذي حددته لكم، ويعجل لي من جهته الرشاد. هذا قول ابن الأنباري(٣٤٣)»(٣٤٤).

وعلى هذا يمكن حمل قراءة (**يَهْدِيَنِي**) بإثبات الياء على التفسير

---

(٣٤١) انظر: تفسير البيضاوي (٤٨٩/٣ ـ ٤٩١).

(٣٤٢) معاني الزجاج (٢٧٨/٣).

(٣٤٣) هو: شيخ الأدب أبو بكر محمد بن القاسم ابن محمد بن بشار النحوي، كان من أعلم الناس بالنحو والأدب، وأكثرهم حفظاً له، كان صدوقاً فاضلاً ديناً خيراً من أهل السنة، صنف كتباً كثيرة في علوم القرآن والوقف والابتداء والرد على من خالف مصحف العامة وغريب الحديث وغير ذلك، ولد سنة ٢٧١هجرية، ومات سنة ٣٢٨هجرية عن سبع وخمسين سنة. (انظر: طبقات الحفاظ (١ /٣٥٠ ـ ٣٥١)، طبقات الحنابلة (٢ / ٦٩ ـ ٧٢)، شذرات الذهب (١ / ٣١٥)، سير أعلام النبلاء (٢٧٤/١٥ ـ ٢٧٥)، البداية والنهاية (١٩٦/١١)).

(٣٤٤) انظر: زاد المسير (١٢٩/٥).

الأول؛ حيث إنَّ حاجة الرسول إلى الآيات والدلالات على النبوة حاجة تستغرق وقتاً، لذلك ناسب إثبات الياء.

أما حاجته إلى معرفه الجواب على مسائل قريش فهي حاجة سريعة، وخصوصاً لانقطاع الوحي عنه زمناً، وللتقولات التي قيلت حوله من المشركين بسبب ذلك، لذلك ناسب حذف الياء.

الجمع بين القراءات:

يتبيّن بالجمع بين القراءات أنّ الله ﷻ وجه نبيه ﷺ أن يرجو الله أن يعجل له في الرد على تساؤلات المشركين ليخرس ألسنتهم ويظهر صدقه، وتأييد الله له، وأن يعطيه دائماً من الآيات والدلالات على النبوة ما يكون أقرب في الرشد، وأدل من قصة أصحاب الكهف.

٧ ـ قال تعالى: ﴿وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا ﴿٢٥﴾﴾ [الكهف: ٢٥].

القراءات:

١. قرأ حمزة والكسائي وخلف (**ثَلاثَ مَائةِ سنينَ**) بغير تنوين على الإضافة.

٢. قرأ الباقون (**ثَلاثَ مِائةٍ سنينَ**) بالتنوين[٣٤٥].

البيان:

قراءة (**ثَلاثَ مَائةٍ سنينَ**) بالتنوين؛ وذلك لأن قوله (سنين) عطف بيان لقوله (ثلثمائة) لأنه لما قال ﴿ولبثوا في كهفهم ثلثمائة﴾ لم يُعرف أنها أيام أم شهور أم سنون، فلما قال سنين صار هذا بياناً لقوله (ثلثمائة) فكان هذا عطف بيان له، وقيل: هو على التقديم والتأخير، أي: لبثوا سنين ثلثمائة.

وأما قراءة (**ثَلاثَ مَائةِ سنينَ**) بغير تنوين على الإضافة؛ فهو أنّ

(٣٤٥) انظر: النشر (٢/٢٣٣).

الواجب في الإضافة ثلثمائة سنة إلا أنّه يجوز وضع الجمع موضع الواحد في التمييز كقوله ﴿بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا﴾ [الكهف: ١٠٣][٣٤٦]. ووضع الجمع مكانه مبالغة في الدلالة على الكثرة[٣٤٧].

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن بيان ما أجمله سبحانه من مدة لبث أهل الكهف أحياءً مضروباً على آذانهم في الكهف.

يقول سعيد حوى: «هذا إخبار من الله تعالى بمقدار ما لبث أصحاب الكهف في كهفهم منذ أرقدهم إلى أن بعثهم الله، وأعثر عليهم أهل ذلك الزمان، وأنَّه كان مقداره ثلاثمائة سنة، تزيد تسع سنين بالهلالية، وهي: ثلاثمائة سنة بالشمسية، فإن تفاوت ما بين كل مائة سنة بالقمرية إلى الشمسية ثلاث سنين. فلهذا قال بعد الثلاثمائة وازدادوا تسعاً»[٣٤٨].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت قراءة **(ثَلاثَ مَائةٍ سنينَ)**: أن المدة التي لبثها أهل الكهف لم تكن أياماً أو شهوراً وإنما هي سنين.

وأفادت قراءة **(ثَلاثَ مَائةِ سنينَ)**: كثرة هذه السنين التي لبثوها وهم على هذه الحالة؛ فلم يتأثروا بأي عوامل طبيعية تفسد أجسادهم، ولم يطرأ أي تغيُّر على حالهم، كثرة لا يمكن أن يلبثها الإنسان إلا بقدرة الله. وفي ذلك إشارة إلى أن حالهم التي كانوا عليها والمدة الطويلة التي لبثوها على تلك الحال إنما هي رسالة موجهة لمنكري البعث ودليل على قدرة الله.

الجمع بين القراءتين:

يتبيّن بالجمع بين القراءتين أن المدة التي لبثها أهل الكهف في كهفهم

---

(٣٤٦) انظر: التفسير الكبير (١١/١١٣).

(٣٤٧) حاشية زادة على البيضاوي (٥/٤٦٩).

(٣٤٨) الأساس في التفسير: سعيد حوى (٦/٣١٧٤).

وهم على حالة عدم تغير في أجسادهم هي مدة طويلة جداً لا يمكن إلا أن تكون معجزة من معجزات الله الدالة على قدرته سبحانه.

٨ ـ قال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُواْ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾﴾ [الكهف: ٢٦].

القراءات:

١. قرأ ابن عامر **(ولا تُشْرِكْ)** بالخطاب وجزم الكاف على النهي.

٢. قرأ الباقون **(ولا يُشْرِكُ)** بالغيب ورفع الكاف على الخبر(٣٤٩).

البيان:

قراءة **(ولا تُشْرِكْ)** بالتاء والجزم؛ على الخطاب والنهي عن الشرك بالله، فالخطاب للرسول ﷺ والمراد به الإنسان، فهو التفات من الغيبة إلى الخطاب.

وقراءة **(ولا يُشْرِكُ)** بالياء وضم الكاف على الخبر؛ مخبراً ﷻ عن ذاته، نفى عنه الإشراك، أي: وليس يشرك(٣٥٠)، وأجراه على لفظ الغيبة فرده إلى قوله تعالى: ﴿مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ﴾(٣٥١).

التفسير:

تبدأ الآية بالخطاب للرسول ﷺ، وبقطع المماراة في مدة لبث أصحاب الكهف، المختلف فيها بين أهل الكتاب، وذلك برد العلم إليه ﷻ لأنه هو عالم الغيب والشهادة، وأثبت سبحانه تفرده بالحكم والقضاء والتدبير وعلم الغيب.

---

(٣٤٩) انظر: النشر (٢/٢٣٣).

(٣٥٠) معاني الفرّاء (٢/١٣٩).

(٣٥١) انظر في بيان القراءتين: الكشف (٢/٥٩)، حجة القراءات (ص٤١٥)، المستنير (١/٣١٣)، الفريد (٣/٣٢٩).

يقول الطبرسي: «فالمراد بقوله ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ﴾ بعد بيان مدة لبثهم - أصحاب الكهف - إبطال قول أهل الكتاب، واختلافهم في مدة لبثهم، فتقديره: قل يا محمد الله أعلم بمدة لبثهم، وقد أخبر بها فخذوا بما أخبر الله تعالى ودعوا قول أهل الكتاب، فهو أعلم بذلك منهم. ولا يغيب عن الله سبحانه شيء فيعلم ما غاب في السماوات والأرض عن إدراك العباد، ﴿أَبۡصِرۡ بِهِۦ وَأَسۡمِعۡۚ﴾ هذا لفظ التعجب، ومعناه: ما أبصره وأسمعه، أي: ما أبصر الله تعالى لكل مبصر، وما أسمعه لكل مسموع، فلا يخفى عليه شيء من ذلك، وإنما أخرجه مَخرج التعجب على وجه التعظيم، وليس لأهل السماوات والأرض من دون الله ناصر يتولى نصرتهم، ولا يُشرك الله في حكمه بما يُخبر به من الغيب أحداً، ولا يجوز أن يحكم حاكم بغير ما حكم الله تعالى به»(٣٥٢).

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت قراءة **(ولا تُشرِكْ)** بالخطاب؛ أنَّ الله سبحانه وتعالى ينهى النبي ﷺ والمراد به غيره؛ أن يُشرك في حكم الله أحداً، أو أن ينسب أحد إلى علم الغيب.

يقول الألوسي: «نهي لكل أحد عن الشرك لا نهي له ﷺ، ولو جُعل له ﷺ لجُعل تعريضاً بغيره كقوله: (إياك أعني واسمعي يا جاره) فيكون مآله إلى ذلك، وجُوِّز أن يكون الخطاب له ﷺ ويُجعل معطوفاً على (لا تقولنّ) والمعنى: لا تسأل أحداً عما لا تعرفه من قصة أصحاب الكهف ولبثهم، واقتصر على ما يأتيك في ذلك من الوحي، أو لا تسأل أحداً عما أخبرك الله تعالى به من نبأ مدة لبثهم، واقتصر على بيانه سبحانه»(٣٥٣).

وأفادت قراءة **(ولا يُشرِكُ)** بالياء على الغيب؛ أن الله سبحانه يخبر عن نفسه أنه لا يشرك في حكمه مما يخبر به من الغيب أحداً، كما أنه لا

(٣٥٢) انظر: مجمع البيان (٣١٣/٦) بتصرف.

(٣٥٣) روح المعاني (٢٥٦/١٥).

يشاور في أمره وقضائه أحداً.

يقول أبو السعود: «﴿وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِۦٓ﴾ في قضائه أو في علم الغيب أحداً منهم ولا يجعل له فيه مدخلاً، وهو كما ترى أبلغ في نفي الشريك من أن يُقال من وليّ ولا شريك»[٣٥٤].

الجمع بين القراءتين:

بالجمع بين القراءتين يتبيّن أنَّ الله ﷻ ينهى الرسول أن يسأل أحداً من أهل الكتاب عن تفاصيل خبر أصحاب الكهف، ويكتفي بما أخبره الله به، لأن علم ذلك عنده ﷻ فهو المتصرف في أمور عباده في الحكم والقضاء، وتدبيرهم وتصريفهم، ولا يشرك في أمر الغيب أحداً من خلقه، وتضمن هذا النهي كل إنسان أن يسأل أو يصدِّق كل من يدعي علم الغيب؛ لأنه لا يعلم الغيب إلا الله، ولا يجعل لأي مخلوق كان مدخلاً إليه.

٩ ـ قال تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف: ٢٨].

القراءات:

١. قرأ ابن عامر (**بالغُدْوَة**) بضم الغين وإسكان الدال وواواً بعدها.

٢. قرأ الباقون (**بالغَداة**) بفتح الغين والدال وألف بعدها[٣٥٥].

اللغة والبيان:

الغُدوة: البُكرة ما بين صلاة الغَداة[٣٥٦] وطلوع الشمس. وغُدوة، من يوم بعينه، غير مُجراةٍ عَلَمٌ للوقت. **والغداة**: كالغُدوة، وجمعها غَدَوات.

(٣٥٤) تفسير أبو السعود (٣/٢٤٩).

(٣٥٥) انظر: النشر (٢/١٩٤).

(٣٥٦) صلاة الغداة: صلاة الفجر.

وغُدْوَة معرفة لا تصرف، ولا يدخل فيها الألف واللام[٣٥٧] إلا على تأويل التنكير، أو ليزدوج الكلام، كما قال الشاعر[٣٥٨]:

وجدنا الوليد بن اليزيد مباركاً   شديداً بأحناء الخلافة كاهلُهْ

أما **الغداة** فإنها تصرف ويدخل عليها الألف واللام لأنها نكرة[٣٥٩].

يقول الراغب[٣٦٠]: الغدوة والغداة من أول النهار، وقوبل في القرآن الغدو بالآصال، نحو قوله تعالى: ﴿بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ﴾ [الأعراف: ٢٠٥]، وقوبل الغداة بالعشي، قال تعالى: ﴿بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ﴾ [الأنعام: ٥٢][٣٦١].

سبب نزول الآية:

أخرج الإمام مسلم في صحيحه عن سعد بن أبي وقاص قال: كنا مع النبي ﷺ ستة نفر، فقال المشركون للنبي ﷺ اطرد هؤلاء لا يجترئون علينا، قال: وكنت أنا وابن مسعود ورجل من هذيل وبلال ورجلان نسيت اسميهما، فوقع في نفس رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقع، فحدث نفسه فأنزل الله ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [٣٦٢].

---

(٣٥٧) انظر: اللسان (٣٢٢٠/٤).

(٣٥٨) هو الرمّاح بن أبرد، ويُنسب إلى أمه (ميادة) يمدح الوليد بن يزيد بن عبدالملك، انظر: مغني اللبيب (ص٧٥)، وشرح شواهده (ص٦٠)، والرواية فيهما: بأعباء الخلافة. وأحناء: جمع حنو، والحنو: كل شيء فيه اعوجاج أو شبه الاعوجاج. وأحناء الأمور: أطرافها ونواحيها. (انظر: اللسان (١٠٣٣/٢)).

(٣٥٩) انظر: حجة القراءات (ص٤١٥).

(٣٦٠) هو: الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم المعروف بالراغب الأصفهاني، اشتهر بالتفسير واللغة، له مؤلفات عديدة منها: مفردات ألفاظ القرآن، وأفانين البلاغة وغيرهما. (انظر: بغية الوعاة (٢٩٧/٢)، البلغة (٩١/١)).

(٣٦١) مفردات الراغب (ص ٤٠١) مادة: غدا.

(٣٦٢) أخرجه مسلم في كتاب (فضائل الصحابة) (١٨٧٨/٤) باب (في فضل سعد بن أبي وقاص). وانظر الحديث بمعناه في: أسباب النزول للواحدي (ص ٢٢٩). لباب النقول (ص١٢١). وتفسير القرطبي (٧١٢/٥ ـ ٧١٣). وتفسير ابن كثير (١٥٨/٥ ـ ١٥٩).

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن أمر الله لرسوله الكريم بالصبر على مجالسة فقراء المؤمنين المخلصين لله، وألا يترك مجالستهم من أجل مجالسة ذوي الغنى والشرف.

يقول الشنقيطي: «أمر الله ﷻ نبيه ﷺ في هذه الآية الكريمة أن يصبر نفسه، أي يحبسها مع المؤمنين الذين يدعون ربهم أول النهار وآخره مخلصين له، لا يريدون بدعائهم إلا رضاه ﷻ، وقد نزلت هذه الآية الكريمة في فقراء المهاجرين كعمار، وصهيب، وبلال، وابن مسعود ونحوهم، لما أراد صناديد الكفار من النبي ﷺ أن يطردهم عنه، ويجالسهم بدون حضور أولئك الفقراء المؤمنين، وقد نهاه أن تتجاوز عيناه ضعفاء المؤمنين وفقراءهم بسبب رثاثة زيهم، محتقراً لهم طامحاً إلى أهل الغنى والجاه والشرف وما لديهم من زينة الحياة الدنيا بدلاً منهم، كما نهاه عن طاعة الغافل عن ذكر الله المتبع لهواه، ومعنى اتباعه هواه: أنه يتبع ما تميل إليه نفسه الأمارة بالسوء وتهواه من الشر، كالكفر والمعاصي، وكانت أعماله سفهاً وضياعاً وتفريطاً»(٣٦٣).

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت قراءة (**بالغَداة**) أنَّ الله ﷻ أمر نبيه ﷺ أن يصبر نفسه على مجالسة فقراء المؤمنين الذين من أوصافهم أنهم يدعون ربهم في أول النهار وآخره، أي: في كل وقت ابتغاء مرضاته.

وأفادت قراءة (**بالغُدْوَة**) أن أولئك الفقراء رغم كونهم نكرة في مجتمع السادة والأغنياء إلا أنهم لهم المكانة العالية عند الله ﷻ لإخلاصهم في طاعتهم وعبادتهم لله حيث يدعونه في جميع الأوقات.

يقول أبو السعود: «وقرىء بالغدوة على أنّ إدخال اللام عليها وهي

(٣٦٣) انظر: أضواء البيان (٣٧٩/٢ ـ ٣٨١) بتصرف.

علم في الأغلب على تأويل التنكير بهم، والمراد بهم فقراء المؤمنين مثل صهيب وعمار وخباب ونحوهم ﷺ، وقيل: أصحاب الصفة، وكانوا نحو سبعمائة رجل»[٣٦٤].

الجمع بين القراءتين:

يتبيّن بالجمع بين القراءتين أنَّ الله ﷻ قد أمر نبيه الكريم بتصبير نفسه على مجالسة فقراء المؤمنين الذين من صفاتهم طاعة الله والصلاة له والدعاء في كل وقت، لذلك كانت لهم المكانة العالية عند الله ﷻ رغم كونهم نكرة في المجتمع، ونهاهُ عن ترك مجالستهم من أجل مجالسة كبراء القوم؛ وذلك لأن المقياس عند الله هو مقياس الإيمان وليس مقياس الغنى والسيادة.

١٠ ـ قال تعالى: ﴿كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَـٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الكهف: ٣٣].

القراءات:

١. قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو (**أُكْلَها**) بإسكان الكاف.

٢. قرأ الباقون (**أُكُلَها**) بضم الكاف[٣٦٥].

اللغة والبيان:

أكلها: ثمرها وزرعها، وسماه أكلاً لأنه مأكول[٣٦٦]. وبلغ مبلغاً صالحاً للأكل[٣٦٧]. والإسكان والضم لغتان في كل اسم على ثلاثة أحرف أوله مضموم، والإسكان هو الأصل، وهو لغة: تميم وأسد، والضم لمجانسة ضم الحرف الأول وهو لغة الحجازيين»[٣٦٨].

(٣٦٤) تفسير أبي السعود (٢٤٩/٣).
(٣٦٥) انظر: النشر (١٦٢/٢).
(٣٦٦) تفسير الماوردي (٣٠٥/٣).
(٣٦٧) روح المعاني (٢٧٤/١٥).
(٣٦٨) المغني (٢٨٠/١) في موضع الآية ٢٦٥ من سورة البقرة.

والقراءتان بمعنى واحد، إلا أن قراءة التثقيل تفيد المبالغة.

التفسير:

تحدثت الآية الكريمة عن حال أشجار الجنتين وزروعهما والنهر بينهما.

يقول كشك: «أي: كلتا الجنتين أخرجت ثمرها ولم تنقص منه شيئاً في سائر الأعوام، على خلاف ما يُعهد في الكروم والأشجار من أنها تكثر غلتها أعواماً، وتقل أعواماً أخرى، وشققنا وسط الجنتين نهراً كبيراً، متفرع منه عدة جداول، ليدوم سقيهما، ويزيد بهاؤهما، وتكثر غلتهما»[٣٦٩].

ويقول أبو السعود: «ولعل تأخير ذكر تفجير النهر عن ذكر ايتاء الأكل مع أن الترتيب الخارجي على العكس للإيذان باستقلال كل من إيتاء الأكل وتفجير النهر في تكميل محاسن الجنتين كما في قصة البقرة ونحوها، ولو عكس لا نفهم أن المجموع خصلة واحدة بعضها مترتب على بعض، فإن إيتاء الأكل متفرع على السقي عادة، وفيه إيماء إلى أن إيتاء الأكل لا يتوقف على السقي، كقوله تعالى ﴿زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ [النور: ٣٥]»[٣٧٠].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت قراءة (أُكْلَها) بإسكان الكاف: أن كلتا الجنتين أخرجت ثمرها كاملاً ليس فيه نقص في المقدار ولا رداءة في النوع.

يقول البقاعي: «ولما كان الشجر قد يكون فاسداً من جهة أرضه، نفى ذلك بقوله تعالى؛ جواباً كأنه قال: ما حال أرضهما المنتج لزكاء ثمرهما؟: ﴿كِلْتَا﴾ أي كل واحدة من ﴿ٱلْجَنَّتَيْنِ﴾ المذكورتين ﴿ءَاتَتْ أُكُلَهَا﴾ أي: ما يطلب منها ويؤكل من ثمر وحب، كاملاً غير منسوب شيء منهما إلى نقص ولا رداءة، وهو معنى: ﴿وَلَمْ تَظْلِم﴾ أي: تنقص حساً ولا معنى كمن يضع

(٣٦٩) تفسير كشك (٢٢٦٢/١٣).

(٣٧٠) تفسير أبي السعود (٢٥١/٣).

الشيء في غير موضعه ﴿مِنۡهُ شَيۡـٔٗا﴾»[٣٧١].

وجاءت قراءة (أُكُلَها) بضم الكاف لتبيّن أن إيتاء الثمر كاملاً ليس خاصاً في عام دون عام؛ بل هو في سائر الأعوام. وهذا ما يفيده تتابع الضمتين الذي يفيد المبالغة.

وبذلك جاءت قراءة الضم لتؤكد قراءة السكون ولتزيد عليها معنى الاستمرارية في ايتاء الأكل الذي يدلل على فضل الله الذي يستوجب مزيداً من الإيمان لا انقلاباً إلى كفر وضلال. والله أعلم.

١١، ١٢ ـ قال تعالى: ﴿وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٞ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا ﴿٣٤﴾﴾ [الكهف: ٣٤].

﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصۡبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيۡهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ﴿٤٢﴾﴾ [الكهف: ٤٢].

القراءات:

١. قرأ أبو عمرو (**ثُمْرٌ**) و (**بِثُمْرِه**) بضم الثاء وإسكان الميم فيهما.

٢. قرأ عاصم وأبو جعفر وروح (**ثَمَرٌ**) و (**بِثَمَرِه**) بفتح الثاء والميم فيهما.

٣. وقرأ رويس (**ثَمَرٌ**) بفتح الثاء والميم، و (**بِثُمُرِه**) بضم الثاء والميم.

٤. قرأ الباقون (**ثُمُرٌ**) و (**بِثُمُرِه**) بضم الثاء والميم فيهما[٣٧٢].

١. قرأ نافع وأبو جعفر (**أنا أكثر**) بإثبات ألف (أنا) حين وصلها بـ(أكثر).

٢. قرأ الباقون بحذفها حين الوصل[٣٧٣].

(٣٧١) نظم الدرر (٤٦٧/٥).

(٣٧٢) انظر: النشر (٢٣٣/٢)، الإتحاف (ص٣٦٦)، الهادي (١١/٣).

(٣٧٣) انظر: النشر (١٧٣/٢) عند الآية (٢٥٨) من سورة البقرة، الإتحاف (ص٣٦٦).

اللغة والبيان:

الثمر: اسم لكل ما يتطعم من أحمال الشجر، الواحدة ثمرة، والجمع: ثمار وثمرات[٣٧٤].

الثُّمْر: بضم الثاء وإسكان الميم: أنواع المال. أي: من تثمير المال، لقوله بعد ذلك ﴿أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا﴾[٣٧٥]. وإسكان الميم للتخفيف لأن أصلها الضم[٣٧٦].

الثَّمَر: بفتح الثاء والميم: المأكول، وهو جمع ثمرة، كبقرة وبقَر.

الثُّمُر: بضم الثاء والميم: النخل والشجر، أي: الأصول التي تحمل الثمرة[٣٧٧]، وقال ابن عباس وقتادة: هي جميع المال من الذهب والفضة والحيوان وغير ذلك، ويُستشهد لهذا القول:

ببيت النابغة الذبياني[٣٧٨]: * وما أُثَمِّرُ من مال ومن ولد *[٣٧٩][٣٨٠].

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن جانب من حوار في قصة صاحب الجنتين دار بين صاحب الجنتين الكافر بنعم الله عليه وصاحبه المؤمن؛ حيث اغتر الكافر بما آتاه الله من مال وجاه، وعيَّر صاحبه بفقره، وهما يطوفان في الجنتين.

---

(٣٧٤) مفردات الراغب (ص ٩٢) مادة: ثمر.
(٣٧٥) الحجة (ص١٣١).
(٣٧٦) انظر: الكشف (٢/٦٠).
(٣٧٧) انظر: الحجة للقراء (٥/١٤٣)، الكشف (٢/٦٠).
(٣٧٨) هو: زياد بن معاوية، ويكنى بأبي أمامة، وسمِّي بالنابغة لقوله: فقد نبغت لهم منا شئون. وهو من الطبقة الأولى المقدمين على سائر الشعراء. (انظر: الأغاني (١١/٥)).
(٣٧٩) والشاهد شطر بيت مطلعه: مهلاً فداءً لك الأقوامُ كُلهُمُ. ومعنى أثمر: أصلح وأجمع. (انظر: المرجع السابق (١١/٣٩)).
(٣٨٠) المحرر الوجيز (٣/٥١٦).

يقول القاسمي: «وكان لصاحب الجنتين أنواع من المال غير الجنتين، فقال لصاحبه وهو يراجعه الكلام، تعييراً له بالفقر، وفخراً عليه بالمال والجاه، أنا أكثر منك مالاً وأنصاراً وحشماً»[٣٨١].

ثم بيّن سبحانه عاقبة الكفر والجحود بأنعم الله؛ حيث أرسل سبحانه على جنتيه الهلاك المبرم، حينها أخذه الندم على كفره، وتمنى أنه سمع لصاحبه موعظته ولم يشرك بربه أحداً.

يقول الزحيلي: «ونزل الإهلاك والجائحة بالأموال والثمار بإرسال الحسبان على جنته التي اغتر بها، وألهته عن الله ﷻ، ودمرت أمواله وثماره، فأصبح نادماً متحسراً على ضياع نفقته التي أنفقها عليها، فتقليب الكفين كناية عن الندم والتحسر، وتمنى متذكراً موعظة صاحبه أن لم يكن أشرك بربه أحداً، والخاوية على عروشها: هي التي سقطت عرائشها على الأرض، قيل: أرسل الله عليها ناراً فأكلتها، وسقط بعضها على بعض»[٣٨٢].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (**ثُمْرٌ**) بأنَّ الرجل الكافر كان يملك أنواع المال التي هلكت بأمر الله عقاباً له على كفره.

يقول الطبرسي: «والثُمْر أنواع المال، فإذا اصطلم[٣٨٣] الثُمْر فاجتيح دخلت الثمرة فيه ولا يمكن أن يُصاب الأصل ولا تُصاب الثمرة»[٣٨٤].

وأفادت قراءة (**ثَمَرٌ**) أنَّ أشجار الجنتين كانت مثمرة، وقد هلكت جميع الثمار ولم يبق منها شيء، وهلاك الثمار نتيجة لهلاك أصولها.

يقول ابن عطية: «وأما من قرأ بفتح الثاء والميم، فلا إشكال في أن

---

(٣٨١) انظر: محاسن التأويل (١١/٤٠٥٧ ـ ٤٠٥٨).

(٣٨٢) التفسير المنير (١٥/٢٥٥).

(٣٨٣) الاصطلام: الاستئصال، اصطلم: أي: استؤصل. (انظر: مختار الصحاح (ص٣٩٢)).

(٣٨٤) مجمع البيان (٦/٣٢٠).

المعنى ما في رؤوس الشجر من الأكل، ولكن فصاحة الكلام تقتضي أن يعبّر إيجازاً عن هلاك الثمر والأصول بهلاك الثمر فقط، فخصها بالذكر إذ هي مقصود المستغل، وإذ هلاك الأصول إنما يسوء منه هلاك الثمر الذي كان يرجى في المستقبل كما يقتضي قوله إن له (ثمراً)، إن له أصولاً كذلك تقتضي الإحاطة المطلقة بالثمر، أنَّ الأصول قد هلكت»[٣٨٥].

وأفادت قراءة (**ثُمُرٌ**) أنّه كانت له نخل وشجر، وأنواع أخرى من الأموال.

يقول أبو حيان: «قال ابن عباس وقتادة: الثُمُر جميع المال من الذهب والحيوان وغير ذلك، وقال مجاهد: يراد بها الذهب والفضة خاصة، وقال ابن زيد: هي الأصول فيها الثمر، وقال أبو عمرو بن العلاء: الثمر المال، فعلى هذا المعنى أنه كانت له إلى الجنتين أموال كثيرة من الذهب والفضة وغيرهما، فكان متمكناً من عمارة الجنتين»[٣٨٦].

أفادت قراءة (**أنا أكثر**) بإثبات الألف حين الوصل مدى غرور الكافر وتفاخره على المؤمن، لأنَّ في زيادة المبنى زيادة في المعنى كما يقول أهل اللغة.

الجمع بين القراءات:

يتبيّن بالجمع بين القراءات أنّ الكافر كانت له أموال كثيرة يستثمرها غير الجنتين اللتين يمتلكهما، كما كان يستثمر بعضاً من هذه الأموال في عمارة جنتيه، وحينما أثمرت الأشجار ونضجت الزروع، وكل شيء أصبح صالحاً للأكل، وبسبب كفره وجحوده لنعم الله عليه وتفاخره بما يملك بكل غرور؛ عاقبه الله ﷻ بإهلاك ماله كله؛ فأهلكت الماشية، وسُلبت أمواله، وأهلكت جنتاه بأن أرسل عليهما ناراً أحرقت أشجارهما بثمارها، فسقطت عروشها، كما غارت الأنهار في باطن الأرض. فأُهلك ماله كله أصوله

(٣٨٥) المحرر الوجيز (٥١٦/٣).

(٣٨٦) البحر المحيط (١١٩/٦).

وفروعه، فأصبح كل شيء هباءً منثوراً.

يقول ابن عاشور: «أتلف ماله كله بأن أُرسل على الجنة والزرع حُسبانٌ من السماء فأصبحت صعيداً زلقاً، وهلكت أنعامه، وسُلبت أمواله، أو خُسف بها بزلزال أو نحوه»[(٣٨٧)].

١٣ ـ قال تعالى: ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾﴾ [الكهف: ٣٦].

القراءات:

١. قرأ نافع وابن كثير وابن عامر وأبو جعفر **(منهما)** بميم بعد الهاء على التثنية.

٢. قرأ الباقون **(منهَا)** بحذف الميم على الإفراد[(٣٨٨)].

البيان:

قراءة **(منهُما)** على التثنية وعود الضمير على الجنتين المتقدم ذكرهما مكرراً في قوله تعالى ﴿جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ﴾ وقوله ﴿كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ﴾ وكذلك هي في مصاحف أهل مكة والمدينة والشام.

وقراءة **(منها)** على الإفراد؛ وعود الضمير على الجنة في قوله تعالى ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ﴾ وقوله ﴿مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا﴾ فكان رده على الأقرب منه أولى من رده على الأبعد، وأيضاً فإن الجنة تحتوي على جنتين وأكثر. وكذلك هي في مصاحف أهل البصرة والكوفة[(٣٨٩)].

---

(٣٨٧) التحرير والتنوير (مجلد ٧ج١٥ ص٣٢٦).

(٣٨٨) انظر: النشر (٢/٢٣٣).

(٣٨٩) انظر: الكشف (٢/٦٠ ـ ٦١).

التفسير:

الآية الكريمة استكمالاً لذكر الحوار الدائر في قصة صاحب الجنتين بين النموذج المؤمن والنموذج الكافر، حيث أنكر الكافر قيام الساعة، وادعى كرامته على الله تعالى، غروراً وغطرسة، ولم يدر أن ما فيه من نعيم إنما هو استدراج له.

يقول الطبري: «لما عاين جنته ورآها وما فيها من الأشجار والثمار والزروع والأنهار المطردة قال شكاً في المعاد؛ ما أظن الساعة التي وعد الله خلقه الحشر فيها تقوم فتحدث، ثم تمنى أمنية أخرى على شك منه فقال: ولئن رددت إلى ربي فرجعت إليه وهو غير موقن أنه راجع إليه، لأجدنَّ خيراً من جنتي هذه عند الله مرجعاً ومردّاً، ويقول لم يعطني هذه الجنة في الدنيا إلا ولي عنده أفضل منها في المعاد إن رددت إليه»[(٣٩٠)].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت قراءة (منها) بالإفراد؛ أنَّ الكافر تمنى على الله أن يجد عنده في الآخرة خيراً من جنته التي طاف فيها هو والمؤمن إن رُدَّ إليه على سبيل الفرض.

وأفادت قراءة (منهما) بالتثنية؛ أنّه تمنى على الله أن يعطيه في الآخرة جنتين كما أعطاه في الدنيا ظناً منه أن الله أعطاه إياهما لكونه مستحقاً لهما.

الجمع بين القراءتين:

بالجمع بين القراءتين يتبيّن مدى غطرسة صاحب الجنتين وكفره حتى إنه لم يكفه إنكار البعث، وإنما أيضاً تمنى على الله وأقسم عليه أن يعطيه في الآخرة ليس فقط جنة أفضل من جنته التي يطوف فيها وهو يحاور المؤمن، بل أفضل من جنتيه اللتين أعطاهما الله له في الدنيا ظناً أنه إنما أعطاه إياهما لكرامته عليه سبحانه.

(٣٩٠) انظر: تفسير الطبري (مجلد ٨ج١٥ ص١٦١).

١٤ ـ قال تعالى: ﴿لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ۝٣٨﴾ [الكهف: ٣٨].

القراءات:

١. قرأ ابن عامر وأبو جعفر ورويس **(لكِنَّا هو)** بإثبات الألف بعد النون وصلاً.

٢. قرأ الباقون **(لكنَّ هو)** بغير ألف وصلا(٣٩١).

البيان:

أصل كلمة (لكنَّا) هو: (لكنْ) و(أَنا)، أي: (لكن أنا هو الله ربي)، فألقيت حركة الهمزة على النون، وحُذفت الهمزة فبقيت (لَكِنَنَا) بنونين متحركتين، فلما تلاقت النونان أُسكنت الأولى وأُدغمت في الثانية، فأصبحت (لكنَّا). و(لكنْ) حرف استدراك لقوله تعالى ﴿أَكَفَرۡتَ﴾ كأنه قال: أنت كافر ولكني مؤمن. و(هو) في قوله ﴿هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي﴾ ضمير الشأن وهو مبتدأ وقوله ﴿ٱللَّهُ رَبِّي﴾ جملة من المبتدأ والخبر واقعة في معرض الخبر، لقوله: هو.

وقراءة (لكنَّ) بحذف الألف في الوصل؛ على اعتبار أنها كهاء السكت يُؤتى بها لبيان حركة النون في الوقف، والاسم من (أنا) عند البصريين (أَنَ)، والألف زيدت في الوقف كهاء السكت لبيان الحركة كقول القائل: (أَنَ قلت) محذوفة الألف، فإنْ وُقف عليها أُثبتت الألف، أي: (أنا).

أما قراءة (لكنَّا) بإثبات الألف في الوصل على لغة من قال (أنا قمت)، وهو جعل الألف من أصل الاسم المضمر، كما قال الشاعر(٣٩٢):

---

(٣٩١) انظر: النشر (٢/٢٣٣)، المُيَسر (ص٢٩٨).

(٣٩٢) القائل هو: حميد بن حريث بن بحدل، الكلبي، إسلامي من وجوه أهل دمشق وفرسان قحطان، وليّ شرطة يزيد بن معاوية وغزا معه القسطنطينية في خلافة معاوية. (انظر: بغية الطلب في تاريخ حلب (٦ /٢٩٦٩)، تهذيب تاريخ دمشق (٤/٤٦٠)).

أنـا سـيـف الـعـشـيـرة فـاعـرفـونـي حميداً قد تذرّيتُ السناما[٣٩٣][٣٩٤]

يقول الألوسي: «وقيل: أثبتت إجراء للوصل مجرى الوقف، وفي إثباتها دفع اللبس بـ(لكنَّ) المشددة»[٣٩٥].

التفسير:

بعدما أنكر المؤمن على صاحبه الكافر كفره وجحوده بأنعم الله عليه؛ أخبره عن اعتقاده الذي يضاد اعتقاد صاحبه.

يقول الطبرسي: «﴿لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي﴾ تقديره: لكن أنا أقول هو الله ربي وخالقي ورازقي، فإن افتخرت عليّ بدنياك فإن افتخاري بالتوحيد، ﴿وَلَآ أُشۡرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا﴾ أي: لا أشرك بعبادتي إياه أحداً سواه، بل أوجهها إليه وحده خالصاً، وإنما استحال الشرك في العبادة لأنها لا تُستحق إلا بأصول النعم، وبالنعمة التي لا يوازنها نعمة منعم، وذلك لا يقدر عليه أحد إلا الله تعالى»[٣٩٦].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت قراءة (لكنَّ) بدون ألف إقرار الرجل المؤمن بعبوديته لربه وبتوحيده لله.

أما قراءة (لكنَّا) بالألف فقد جاءت لتؤكد تقريره بوحدانية إلهه وافتخاره بعبوديته له.

١٥ ـ قال تعالى: ﴿وَلَوۡلَآ إِذۡ دَخَلۡتَ جَنَّتَكَ قُلۡتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالٗا وَوَلَدٗا ﴿٣٩﴾﴾ [الكهف: ١٥].

---

(٣٩٣) تذريت السنام: عَلَوْتُهُ وفرَعْتُهُ. (انظر: اللسان (١٥٠٠/٢) مادة: ذرا).

(٣٩٤) انظر: حجة القراءات (ص٤١٧)، الكشف (٦١/٢ ـ ٦٢)، الحجة للقراء (١٤٥/٥ ـ ١٤٧)، التفسير الكبير (مجلد ١١ج٢١ ص١٢٧).

(٣٩٥) روح المعاني (٢٧٧/١٥).

(٣٩٦) مجمع البيان (٣٢٦/٦).

القراءات:

١. قرأ أبو جعفر وأبو عمرو وقالون والأصبهاني عن ورش (**تَرَنِي**) بإثبات الياء وصلاً دون الوقف.

٢. قرأ ابن كثير ويعقوب (**تَرَنِي**) بإثبات الياء وصلاً ووقفاً.

٣. قرأ الباقون (**تَرَنِ**) بحذفها وصلاً ووقفاً(٣٩٧).

٤. قرأ نافع وأبو جعفر (**أنا أقل**) بإثبات ألف (أنا) حين وصلها بـ(أقل).

٥. قرأ الباقون بحذفها حين الوصل(٣٩٨).

البيان:

يقول د. فاضل السامرائي: «قد يُحذف في التعبير القرآني لفظ أو أكثر حسبما يقتضيه السياق، فقد يحذف حرفاً أو يذكره أو يجتزىء بالحركة للدلالة على المحذوف، كل ذلك لغرض بلاغي تلحظ فيه غاية الفن والجمال، وفي ذكر الياء وحذفها منحى معين؛ ففي كل موطن ذكرت فيه الياء يكون مقام إطالة وتفصيل في الكلام، بخلاف الاجتزاء بالكسرة فإن فيه اجتزاء في الكلام»(٣٩٩).

والعلماء حينما تناولوا مثل هذه المواضع لم يتناولوها إلا ببيان القراءات الواردة فيها، وأحوالها الإعرابية، ولم يهتموا ببيان الوجه البلاغي في الذكر والحذف الوارد فيها.

الإعراب:

(**إن ترني**): (إن): شرط جوابه: (فعسى ربي)، وياء الضمير مفعول أول، و(أنا) فصل، أو توكيد للمفعول الأول، و(أقل) مفعول ثان، والرؤية

(٣٩٧) انظر: النشر (٢/٢٣٧)، الإتحاف (ص٣٦٧).
(٣٩٨) انظر: النشر (٢/١٧٣) عند الآية (٢٥٨) من سورة البقرة، الإتحاف (ص٣٦٦).
(٣٩٩) انظر: التعبير القرآني (ص٧٥ ـ ٨٠).

هنا من رؤية القلب ـ أي: الرؤية العلمية ـ[٤٠٠]، لأنَّ: رأى إذا عدي إلى مفعولين اقتضى معنى العلم، نحو: ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾ [سبأ: ٦][٤٠١].

ويجوز أن تكون بصرية، و(أنا) توكيد للضمير في (ترني) المنصوب فيكون (أقل) حالاً[٤٠٢].

التفسير:

بعد إنكار المؤمن على الكافر اعتقاده، واعتراف المؤمن بالوحدانية والربوبية لله؛ بدأ بتوجيه النصح للكافر.

يقول كشك: «وهلا إذ أعجبتك جنتك حين دخلتها، ونظرت إليها، حمدت الله على ما أنعم به عليك، وأعطاك من المال والولد ما لم يعط غيرك، وقلت: الأمر ما شاء الله، والكائن ما قدَّره الله ليكون ذلك منك اعترافاً بالعجز، وبأنَّ كل خير بمشيئة الله وفضله، وهلا قلت: لا قوة إلا بالله إقراراً بأن ما قويت على عمارتها وتدبير أمرها فإنما هو بمعونة الله وتأييده..وبعد أن نصح الكافر بالإيمان وأبان له عظم قدرة الله وكبير سلطانه، أجابه عن افتخاره بالمال والنفس، ورد على قوله: أنا أكثر منك مالاً وأعز نفراً، فقال: إن ترني أيها الرجل أفقر منك فإني أرجو الله أن يقلب الآية»[٤٠٣].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (تَرَنِ): سرعة تعرف الكافر على حال المؤمن من هيئته الدالة على ذلك ـ وهذا ما يُعبّر عنه بالرؤية البصرية ـ وعدم اكتراث المؤمن

---

(٤٠٠) انظر: الفريد (٣/٣٣٩). وانظر أيضاً: في الإعراب: معاني الزجاج (٣/٢٨٨). وفي المقصود بالرؤية: البحر المحيط (٦/١٢٣).

(٤٠١) مفردات الراغب (ص٢٠٧) مادة: رأى.

(٤٠٢) البحر المحيط (٦/١٢٣).

(٤٠٣) انظر: تفسير كشك (١٣/٢٢٦٤).

بعلم الكافر بفقره وحاجته؛ لأنه على يقين بأن الله سيقلب الموازين لصالحه. رجاءً في الله.

وأفادت قراءة (**تَرَنِي**) بإثبات الياء: الرؤية العلمية والبصرية؛ حيث إن المؤمن يفتخر بإيمانه ولا يكترث بحاله، رغم ما يبصره الكافر من مظهره، أو ما يعرفه من مقاله من فقر وحاجة.

أما قراءة (**أنا أقل**) بإثبات ألف، فأفادت: عدم خجل المؤمن من فقره ومن الاعتراف به، ومن باب المقابلة لغرور الكافر وتكبره؛ لأنه على يقين أن المِقياس عند الله هو مِقياس الإيمان، تصديقاً لقوله سبحانه ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، وأن ما في الدنيا زائل، وطمعاً في كرم الله في الآخرة.

وأفادت قراءة (**أنا أقل**) بحذف الألف: أنه رغم احتقار الكافر للمؤمن وتفاخره عليه بسبب فقره وقلة ماله وولده، إلا أنّ هذا لا يهم المؤمن، لأنه على يقين بعدل الله وكرمه.

الجمع بين القراءات:

يتبيّن بالجمع بين القراءات أنَّ المؤمن قد نصح الكافر، رغم غروره وافتخاره عليه، بالاعتراف بمشيئة الله، على إبقاء ما يملك أو إفنائه، وبعجزه أمام قدرة الله، وأن ما يملك في الدنيا ليس بقدرته وإنما بتيسير الله له وكرمه عليه، ومعونته له، ثم قابل افتخار الكافر بماله وأعوانه بافتخاره بكونه على الحق، ويقينه في الله؛ رغم ما يبدو على هيئته، ويُعلم عنه من فقر وحاجة، جعلت الكافر يتكبر عليه ويتفاخر، فإن كل ذلك لا يهمه ولا يكترث به، لأنه يرجو عدل الله وكرمه.

١٦ ـ قال تعالى: ﴿فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾﴾ [الكهف: ٤٠]

القراءات:

١. قرأ نافع وأبو عمرو وأبو جعفر (أن يؤتيني) بإثبات الياء وصلاً.

٢. قرأ ابن كثير ويعقوب (أن يؤتيني) بإثبات الياء وصلاً ووقفاً.

٣. قرأ الباقون (أن يؤتينِ) بحذفها وصلاً ووقفاً[٤٠٤].

اللغة:

الإيتاء: الإعطاء[٤٠٥].

التفسير:

يقول البقاعي: «ولما أقر هذا المؤمن بالعجز والافتقار، في نظير ما أبدى الكافر من التقوى والافتخار، سبب عن ذلك ما جرت به العادة في كل جزاء، داعياً بصورة التوقع فقال تعالى: ﴿فَعَسَىٰ رَبِّيٓ﴾ المحسن إليّ ﴿أَن يُؤۡتِيَنِ﴾ من خزائن رزقه ﴿خَيۡرٗا مِّن جَنَّتِكَ﴾ فيحسن إليّ بالغنى كما أحسن إليّ بالفقر المقترن بالتوحيد، المنتج للسعادة ﴿وَيُرۡسِلَ عَلَيۡهَا﴾ أي: جنتك ﴿حُسۡبَانٗا﴾ أي: مرامي من الصواعق، والبرد الشديد ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾، ولما كانت المصابحة بالمصيبة أنكى ما يكون، قال تعالى: ﴿فَتُصۡبِحَ﴾ بعد كونها قرة للعين بما تهتز به من الأشجار والزروع ﴿صَعِيدٗا زَلَقًا﴾ أي: أرضاً يزلق عليها لملاستها باستئصال نباتها، فلا ينبت فيها نبات، ولا يثبت فيها قدم»[٤٠٦].

يقول ابن عطية: «الترجي بـ(عسى) يحتمل أن يريد به في الدنيا، ويحتمل أن يريد به في الآخرة، وتمني ذلك في الآخرة أشرف مقطعاً، وأذهب مع الخير والصلاح، وأن يكون ذلك يراد به الدنيا أذهب في نكاية المخاطب، وأشد إيلاماً لنفسه»[٤٠٧].

---

(٤٠٤) انظر: النشر (٢٣٧/٢)، الإتحاف (ص٣٦٧).

(٤٠٥) مفردات الراغب (ص ١٥) مادة: أتى.

(٤٠٦) نظم الدرر (٤٧٠/٤).

(٤٠٧) المحرر الوجيز (٥١٨/٣).

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت قراءة (أن يؤتيني): أن الرجل الصالح تمنى على الله أن يعطيه خيراً من جنة الكافر ولو بعد حين، إن لم يكن في الدنيا ففي الآخرة.

ويؤيد ذلك أشهر القولين القائل بأنَّ مقصوده: جنة في الآخرة، فيكون أفضل منه عند الله.

وأفادت قراءة (أن يؤتينِ): تمني الرجل الصالح للجنة بسرعة؛ والمقصود بذلك أن يؤتيه الله جنة في الدنيا قبل جنة الآخرة. ويؤيد ذلك رأي من رأى أنه تمنى الجنة في الدنيا، ليكون فيها تمام الإغاظة للكافر في الدنيا قبل الآخرة.

الجمع بين القراءات:

أفادت القراءات أنّ المؤمن تمنى على الله أن يحسن إليه بالغنى ويقلب ما به من الفقر وما بالكافر من الغنى؛ بأن يعطيه خيراً من جنة الكافر، في الآخرة نتيجة صلاحه، أو في الدنيا قبل الآخرة، ويرسل على جنة الكافر عذاباً أو ناراً من السماء، حساب ما كسبت يداه، فتصبح أرضاً لا نبات فيها، ملساء مقفرة لا يثبت فيها قدم، ليكون في ذلك تمام الإغاظة للكافر.

يقول الطبرسي: «إن كنت تراني اليوم فقيراً أقل منك مالاً وعشيرة وأولاداً فلعل الله أن يؤتيني بستاناً خيراً من بستانك في الآخرة أو في الدنيا والآخرة، ويرسل على جنتك عذاباً أو ناراً من السماء فيحرقها. عن ابن عباس وقتادة. وقيل: يرسل عليها عذاب حسبان، وذلك الحسبان حساب ما كسبت يداك، فتصبح أرضاً مستوية لا نبات عليها تزلق عنها القدم فتصير أضرُّ أرض من بعد أن كانت أنفع أرض»(٤٠٨).

١٧ ـ قال تعالى: ﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾﴾ [الكهف: ٤٣].

(٤٠٨) انظر: مجمع البيان (٦/٣٢٦).

القراءات:

١. قرأ حمزة والكسائي وخلف **(ولم يكن)** بالياء على التذكير.

٢. قرأ الباقون **(ولم تكن)** بالتاء على التأنيث(٤٠٩).

اللغة والبيان:

الفئة: الجماعة المتظاهرة التي يرجع بعضهم إلى بعض في التعاضد(٤١٠).

و(فئة): اسم جمع غير حقيقي التأنيث(٤١١).

والعرب قد تُؤَنِّث للكثرة، وتُذكِّر للقلة، وذلك كما في قوله تعالى ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ﴾ [يوسف: ٣٠] و﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا﴾ [الحجرات: ١٤]، فذكَّر الفعل (قال) لأنَّ النسوة قلة، وأنَّث (قالت) لأنَّ الأعراب كثرة(٤١٢). وقد تؤنث للمبالغة في الوصف كراوية لكثير الرواية، وإنما أنثوا المذكر لأنهم أرادوا أنه غاية في ذلك الوصف، والغاية مؤنثة(٤١٣).

وقال كثير من العلماء إن القراءة بالتذكير ـ (لم يكن) ـ هي حمل على المعنى، والقراءة بالتأنيث ـ (لم تكن) ـ هي حمل على لفظة الفئة(٤١٤).

التفسير:

بعدما استجاب الله للمؤمن بإهلاك جنة الكافر؛ بيَّن سبحانه أنه لا أمر لغير الله المرجو لنصر أوليائه بعد ذلهم، ولإذلال أعدائه بعد عزهم وتكبرهم، وأن غيره لا قدرة ولا حقيقة له.

---

(٤٠٩) انظر: النشر (٢/٢٣٣).

(٤١٠) مفردات الراغب (ص٤٣٥) مادة: فيأ. وانظر: معاني الزجاج (١/٣٨١).

(٤١١) انظر: الفريد (٣/٣٤١)، الدر المصون (٤/٤٥٩)، معاني القراءات (ص٢٦٨).

(٤١٢) انظر: معاني القرآن للفراء (١/٤٣٥) عند بيان معنى الآية ٣٦ من سورة براءة.

(٤١٣) انظر: شرح التصريح (٢/٢٨٨)، همع الهوامع (ص١٧١)، شرح المفصل (١/٩٨).

(٤١٤) انظر: المحرر الوجيز (٣/٥١٩)، الفريد (٣/٣٤١)، معاني القراءات (ص٢٦٨)، الحجة في القراءات (ص١٣٢).

يقول كشك: «أي: ولم تكن له عشيرة ممن افتخر بهم واستعز ينصرونه، ويقدرون على دفع الجوائح عنه، أو رد المُهلك له من دون الله، فإن الله هو الذي يقدر وحده على نصره، وما كان منتصراً بقوته عن انتقام الله منه بإهلاك جنته»[415].

ويقول المنصوري: «فإن قيل: فقد ندم على الشرك ورغب في التوحيد، فلِمَ قيل ﴿وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا﴾؟ الجواب: إنما رغب في التوحيد، لأجل حفظ ماله، ولطلب الدنيا، فلهذا ما صار توحيده مقبولاً عند الله تعالى»[416].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت القراءتان أنه لا ناصر للكافر من غضب الله وعذابه سواء أكثرت عزوته التي كان يعتمد عليها، أم قلت، فلن تستطيع بأي حال أن تنصره أو تدفع عنه شيئاً.

يقول البقاعي: «﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ﴾ أي: جماعة لا من نفره الذين اعتز بهم، ولا من غيرهم ينصرونه مما وقع فيه بغير عون الملك الأعظم»[417].

١٨ ـ قال تعالى ﴿هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾﴾ [الكهف: ٤٤].

القراءات:

١. قرأ حمزة والكسائي وخلف (**الوِلايَةُ**) بكسر الواو.

٢. قرأ الباقون (**الوَلايَةُ**) بفتح الواو[418].

(٤١٥) تفسير كشك (٢٢٦٥/١٣).

(٤١٦) المقتطف (٣٢٥٨).

(٤١٧) نظم الدرر (٤٧١/٤).

(٤١٨) انظر: النشر (٢٠٨/٢).

١. قرأ أبو عمرو والكسائي (الحَقُّ) برفع القاف.

٢. قرأ الباقون (الحَقِّ) بخفض القاف[٤١٩].

١. قرأ عاصم وحمزة وخلف (عُقْباً) بإسكان القاف.

٢. قرأ الباقون (عُقُباً) بضم القاف[٤٢٠].

اللغة والبيان:

(الوَلاية) بالفتح: مصدر الوَليِّ، وهي: النصرة والتولِّي. وهي على معنى: أن النصرة لله وحده لا يملكها غيره.

(الوِلاية) بالكسر: مصدر الوالي، وهي: السلطان والمُلك. وهي على معنى: أن الله ﷻ هو المنفرد بالملك والسلطان[٤٢١].

يقول ابن خالويه[٤٢٢]: (الحق): الله ﷻ. والحق: صدق الحديث. والحق: الملك باستحقاق. والحق: اليقين بعد الشك[٤٢٣].

وقراءة (الحقِّ) بالخفض على أنها نعتٌ لـ(الله) ﷻ، أي أنه: ذو الحق. لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۚ﴾ [يونس: ٣٠].

أما قراءة (الحقُّ) بالضم على أنها نعتٌ لـ(الولاية)، أي: الولاية الحق لله، أي لا يستحقها غيره، لأنه لا يشوبها نقص ولا خلل.

أما (عُقْباً) و (عُقُباً) فهما لغتان بمعنى: العاقبة، وهي: الآخرة. وهما منصوبان على التمييز[٤٢٤]. والتثقيل لزيادة المبالغة. فإن (فُعلا) بضمة

(٤١٩) انظر: النشر (٢/٢٣٣).

(٤٢٠) انظر: النشر (٢/١٦٣).

(٤٢١) انظر: معاني القراءات (٢٦٨)، الكشاف (٣/٦٨)، الفريد (٣/٣٤٢).

(٤٢٢) هو: الحسين بن أحمد بن خالويه بن حمدون، أبو عبدالله النحوي اللغوي، الإمام المشهور. توفي سنة ٣٧٠هـ. (انظر: غاية النهاية (١/٢٣٧)).

(٤٢٣) الحجة (ص١٣٢).

(٤٢٤) انظر: حجة القراءات (ص٤١٩)، الكشف (٢/٦٣)، الحجة للقراء (٥/١٥٠ - ١٥١)، الفريد (٣/٣٤٢ - ٣٤٣).

وبضمتين من صيغ جموع الكثرة، فيفيده ذلك مبالغة، وإن لم يكن جمعاً[٤٢٥].

التفسير:

بعدما ذكر سبحانه قصة صاحب الجنتين وما حلَّ به من عقاب من الله بسبب إشراكه به وكفره بأنعمه، وما نتج من هذه القصة من أنه: لا ناصر لأولياء الله بعد ذلهم، ولا مذل لأعدائه بعد عزهم وكبرهم إلا هو سبحانه. أعقب ذلك بالتأكيد على أنَّ النصرة هي من الله وحده وأن الملك والسلطان هو لله وحده في الدنيا والآخرة.

يقول القرطبي: «اختلف العلماء في العامل في قوله ﴿هُنَالِكَ﴾ وهو ظرف، فقيل العامل فيه ﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ﴾ ولا كان هنالك، أي: ما نُصر ولا انتصر هنالك، أي: لما أصابه من العذاب، وقيل: تم الكلام عند قوله ﴿مُنتَصِرًا﴾ والعامل في قوله ﴿هُنَالِكَ﴾: ﴿ٱلْوَلَٰيَةُ﴾ وتقديره على التقديم والتأخير: الولاية لله الحق هنالك، أي: في القيامة[٤٢٦].

ويقول النسفي: «هنالك أي في ذلك المقام وتلك الحال النصرة لله وحده لا يملكها غيره ولا يستطيعها أحد سواه تقريراً لقوله ﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾، أو هنالك السلطان والملك لله لا يغلب، أو في مثل تلك الحال الشديدة يتولى الله ويؤمن به كل مضطر، يعني أن قوله ﴿يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا﴾ كلمة ألجيء إليها فقالها جزعاً مما دهاه من شؤم كفره، ولولا ذلك لم يقلها، أو هنالك الولاية لله ينصر فيها أولياءه المؤمنين على الكفرة وينتقم لهم، يعني أنه نصر فيما فعل بالكافر أخاه المؤمن، وصدق قوله ﴿فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ ويؤيده قوله ﴿هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ أي لأوليائه، أو هنالك إشارة إلى الآخرة أي في تلك الدار الولاية لله كقوله ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ [غافر: ١٦]،

---

(٤٢٥) نظم الدرر (٤٧١/٤).

(٤٢٦) تفسير القرطبي (مجلد ٥ ج١٠/٧٣١).

الحقُّ بالرفع أبو عمرو وعلي، صفة للولاية، أو خبر مبتدأ محذوف، أي: هي الحق، أو هو الحق، غيرهما بالجر صفة لله، عقباً... بمعنى العاقبة»(٤٢٧).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (**الوَلاية**) بالفتح: أنّ النُصرة لله وحده لا يملكها غيره، وأن كل أحد من مؤمن وكافر يرجع إلى الله وإلى موالاته والخضوع إليه إذا وقع العذاب كقوله ﴿فَلَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [غافر: ٨٤](٤٢٨).

ويجوز أن يكون المعنى: هنالك الولاية لله ينصر فيها أولياءه المؤمنين على الكفرة، وينتقم لهم، ويشفي صدورهم من أعدائهم، يعني أنه نَصر فيما فَعل بالكافر أخاه المؤمن، وصدَّق قوله ﴿فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ ويعضده قوله ﴿هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ أي: لأوليائه(٤٢٩). هذا على قراءة من وقف على (منتصراً)، وابتدأ بـ(هنالك).

أما على قراءة الوقوف على (هنالك) والابتداء ب(الولاية) فتفيد القراءة أن هذا الأمر في الآخرة، أن النصرة لله وحده ولا يملكها غيره في ذلك اليوم.

يقول ابن الجوزي: «ويكون في معنى الكلام قولان: **أحدهما**: أنهم يتولون الله تعالى في القيامة ويؤمنون به ويتبرؤون مما كانوا يعبدون. قاله ابن قتيبة، **والثاني**: هنالك يتولى الله أمر الخلائق فينصر المؤمنين ويخذل الكافرين»(٤٣٠).

---

(٤٢٧) انظر: تفسير النسفي (١٢/٣).

(٤٢٨) انظر: تفسير ابن كثير (١٦٧/٥).

(٤٢٩) البحر المحيط (١٢٤/٦). وقد نقله عن الكشاف (٦٨/٣).

(٤٣٠) زاد المسير (١٤٧/٥).

وأفادت قراءة **(الوِلاية)** بالكسر: أنّ الله هو المنفرد بالملك والسلطان في الدنيا والآخرة. وهذا المعنى كذلك على اختلاف الوقف والابتداء.

يقول القرطبي: «وبالكسر يعني السلطان والقدرة والإمارة، كقوله ﴿وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ﴾ [الانفطار: ١٩] أي: له الملك والحكم يومئذ، أي: لا يُرد أمره إلى أحد، والملك في كل وقت لله، ولكن تزول الدعاوي والتّوهمات يوم القيامة»(٤٣١).

وأفادت قراءة **(الحقُّ)** بالضم: أن ولاية الله هي الولاية الصدق؛ لأن ولاية غيره كذب وباطل(٤٣٢).

أما قراءة **(الحقِّ)** بالخفض فأفادت: أنّ الله ﷻ هو الحق، وأنّ غير الله لا حقيقة له أو دوام.

يقول البقاعي: «أي الثابت الذي لا يحول يوماً ولا يزول، ولا يغفل ساعة ولا ينام، ولا ولاية لغيره بوجه ـ هذا على قراءة الجماعة بالجر على الوصف»(٤٣٣).

الجمع بين القراءات:

الجمع بين القراءات يؤكد حقيقة أنَّ الله ﷻ هو الإله الحق الذي له الولاية الحقيقية التي لا يشاركه فيها أحد، وهو الملك، وله السلطان في الدنيا والآخرة، فيعترف بملكه وسلطانه وولايته المؤمن طوعاً، والكافر جبراً، وأن النصرة لله وحده لا يملكها غيره، وهو الناصر لعباده المؤمنين في الدنيا والآخرة، فثوابه لأوليائه خير ثواب وعقباه خير عاقبة، وهو الملاذ لطلب النصرة منه للمؤمن والكافر على السواء عند حلول العذاب في الدنيا، والمُتَوَلّى يوم القيامة من الكفار فيؤمنون به ويتبرؤون مما كانوا يعبدون.

١٩ ـ قال تعالى: ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ

---

(٤٣١) تفسير القرطبي (مجلد ٥ ج١٠/٧٣١).
(٤٣٢) التحرير والتنوير (مجلد ٧ج١٥ ص٣٢٩).
(٤٣٣) نظم الدرر (٤٧١/٤).

فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ فَأَصۡبَحَ هَشِيمٗا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا ﴿٤٥﴾ [الكهف: ٤٥].

القراءات:

١. قرأ حمزة والكسائي وخلف (**الرِّيح**) بالإفراد.

٢. قرأ الباقون (**الرِّياح**) على الجمع(٤٣٤).

البيان:

يقول القرطبي: «فَمَنْ وَحَّدَ الريح فلأنه اسم للجنس يدل على القليل والكثير، ومن جمع فلاختلاف الجهات التي تهب منها الريح»(٤٣٥).

التفسير:

لما بيَّن تعالى في المثل الأول حال الكافر والمؤمن، وما آل إليه ما افتخر به الكافر من الهلاك، بيَّن في هذا المثل حال الحياة الدنيا واضمحلالها، ومصير ما فيها من النعيم، والترفه إلى الهلاك(٤٣٦).

يقول القرطبي: «صف لهؤلاء المتكبرين الذين سألوك طرد فقراء المؤمنين مثل الحياة الدنيا، أي: شبهها ﴿كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ﴾ أي: بالماء ﴿نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ﴾ حتى استوى، وقيل: إنَّ النبات اختلط بعضه ببعض حين نزل عليه الماء، لأنَّ النبات إنما يختلط ويكثر بالمطر، وقالت الحكماء: إنما شبه تعالى الدنيا بالماء لأنَّ الماء لا يستقر في موضع، كذلك الدنيا لا تبقي على واحد، ولأنَّ الماء لا يستقيم على حالة واحدة كذلك الدنيا، ولأنَّ الماء لا يبقى ويذهب كذلك الدنيا تفنى، ولأنَّ الماء لا يقدر أحد أن يدخله ولا يبتلّ كذلك الدنيا لا يسلم أحد دخلها من فتنتها وآفتها،

---

(٤٣٤) انظر: النشر (١٦٨/٢). وراجع بيان معنى القراءتين عند تفسير الآية ٦٩ من سورة الإسراء ص٧٦.

(٤٣٥) تفسير القرطبي (مجلد ١ج٢ ص٥٩٥).

(٤٣٦) البحر المحيط (١٢٦/٦).

ولأنَّ الماء إذا كان بقدر كان نافعاً مُنبِتاً، وإذا جاوز المقدار كان ضاراً مهلكاً، وكذلك الدنيا الكفاف منها ينفع وفضولها يضر، وفي صحيح مسلم عن النبي ﷺ: (قد أفلح من أسلم ورُزق كفافاً وقنَّعه الله بما آتاه)[٤٣٧] فأصبح النبات متكسراً من اليبس مُتفتتاً، بانقطاع الماء عنه، تفرقه الرياح تذهب به وتجيء». اهـ[٤٣٨].

ويقول سيد قطب في هذه الآية: «هذا المشهد يُعْرَضُ قصيراً خاطفاً ليلقي في النفس ظل الفناء والزوال؛ فالماء ينزل من السماء فلا يجري ولا يسيل؛ ولكن يختلط به نبات الأرض، والنبات لا ينمو ولا ينضج، ولكنه يصبح هشيماً تذروه الرياح، وما بين ثلاث جمل قصار ينتهي شريط الحياة، ولقد استخدم النسق اللفظي في تقصير عرض المشاهد بالتعقيب الذي تدل عليه الفاء: ﴿كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ فـ ﴿فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ﴾ فـ ﴿فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ﴾ فما أقصرها حياة! وما أهونها حياة!»[٤٣٩].

ثم أخبر ﷻ عن اقتداره على كل شيء.

يقول ابن عاشور: «وجملة ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ جملة معترضة في آخر الكلام، موقعها التذكير بقدرة الله تعالى على خلق الأشياء وأضدادها، وجعل أوائلها مفضية إلى أواخرها، وترتيبه أسباب الفناء على أسباب البقاء، وذلك اقتدار عجيب. وقد أفيد ذلك على أكمل وجه بالعموم الذي في قوله ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ﴾ وهو بذلك العموم أشبه التذييل. والمقتدر: القوي القدرة»[٤٤٠].

(٤٣٧) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب فضل التعفف والصبر والقناعة، من طريق أبي بكر بن أبي شيبة عن عبدالله بن عمرو بن العاص (انظر: صحيح مسلم بشرح النووي (١٤٥/٧)).

(٤٣٨) انظر: تفسير القرطبي (٧٣٢/٥) ببعض التصرف.

(٤٣٩) في ظلال القرآن (٢٢٧١/٤ ـ ٢٢٧٢).

(٤٤٠) التحرير والتنوير (مجلد ٧ج١٥ ص٣٣٢).

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

قراءة **(الرِّياح)** بيّنت أن ما تحمله الريح من النبات اليابس المتكسر لا تسير به وتقذفه في اتجاه واحد؛ وإنما تقذفه في الهواء في اتجاهات مختلفة. وكذلك الحياة الدنيا بما فيها من متع متعددة فمهما استمتع بها الإنسان، وظن طول الأمد فيها؛ فإن آخرتها إلى الزوال، لأن كل ما في الدنيا من بهجة ومتع يتقلص ويزول نفعه ثم ينقرض أشتاتاً.

وعلى ذلك فقراءة الرياح جاءت مبينة لقراءة الريح.

٢٠ ـ قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾﴾ [الكهف: ٤٧].

القراءات:

١. قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر **(تُسَيَّرُ الجبالُ)** بالتاء وضمها وفتح الياء ورفع (الجبال).

٢. قرأ الباقون **(نُسَيِّرُ الْجِبَالَ)** بالنون وضمها وكسر الياء ونصب (الجبال)[٤٤١].

اللغة والبيان:

السير: المضي في الأرض، يقال: سرت، وسرت بفلان، وسيرته على التكثير، والتسيير ضربان: **أحدهما**: بالأمر، والاختيار، والإرادة من السائر نحو: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ﴾ [يونس: ٢٢]، **والثاني**: بالقهر والتسخير كتسخير الجبال ﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾﴾ [التكوير: ٣]، وقوله: ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ﴾ [النبأ: ٢٠][٤٤٢].

قراءة **(تُسَيَّرُ الجبالُ)** على بناء الفعل للمفعول، والجبال نائب فاعل، ومن ذلك قوله تعالى ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾﴾ [النبأ: ٢٠]، وقوله ﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾﴾ [التكوير: ٣].

---

(٤٤١) انظر: النشر (٢/٢٣٣).

(٤٤٢) انظر: مفردات الراغب (ص٢٨٣) مادة: سير.

وقراءة (نُسَيِّرُ الْجِبَالَ) على أنّه إخبار عن الله من الله ﷻ عن نفسه، والجبال: مفعول به، وهو محمول على ما بعده من الإخبار في قوله: ﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾، فجرى صدر الكلام على آخره(٤٤٣).

التفسير:

بعد أن بيَّن الله تعالى خساسة الدنيا وزوالها. وشرف القيامة ودوامها، وأنّ التفاخر ليس بالأموال. بل بالعمل الصالح، أردفه بأحوال القيامة، وما فيها من أخطار وأهوال، وتغير معالم الأرض والحشر(٤٤٤).

يقول السعدي: «يخبر تعالى عن حال يوم القيامة، وما فيه من الأهوال المقلقة، والشدائد المزعجة فقال: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ﴾ أي: يزيلها عن أماكنها، يجعلها كثيباً، ثم يجعلها كالعهن المنفوش، ثم تضمحل وتتلاشى، وتكون هباءً منبثاً، وتبرز الأرض، فتصير قاعاً صفصفاً، لا عوج فيه ولا أمتاً، ويحشر الله جميع الخلق، على تلك الأرض، فلا يغادر منهم أحداً، بل يجمع الأولين والآخرين، من بطون الفلوات، وفغور البحار، ويجمعهم بعدما تفرقوا، ويعيدهم بعد ما تمزقوا، خلقاً جديداً»(٤٤٥).

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

كلتا القراءتين أفادت أن الله ﷻ هو المتصرف في يوم القيامة، وأُسند الفعل إلى الله بنون العظمة؛ بيان لعظم الفاعل، فهو فاعل كل الأفاعيل ومحدثها ومدبرها، وفي ذلك مزيد من التهديد للكافرين، فالقادر على فعل هذه الأمور العظام أيعجزه أن يبعثهم وينزل بهم عقابه؟!، أما بناء الفعل للمفعول فهو (جرياً على سنن الكبرياء لله ﷻ، وإيذاناً بالاستغناء عن الإسناد إلى الفاعل لتعينه؛ فلا أحد يستطيع القيام بهذا الأمر العظيم إلا إياه

(٤٤٣) انظر: الكشف (٦٤/٢)، حجة القراءات (ص٤١٩)، الفريد (٣٤٤/٣).

(٤٤٤) التفسير المنير (٢٦٤/١٥).

(٤٤٥) تفسير السعدي (ص٤٧٩).

ﷺ[٤٤٦]، وفيه بيان لأهمية هذا اليوم وعظمته، وعظم ما يحدث فيه من أحداث.

يقول محمد عمر بازمول: «ويتلخص مما سبق أن البيان القرآني عندما يستغني عن الفاعل ويبني الفعل إلى ما لم يسم فاعله فإنه لم يترك ذكر الفاعل للجهل به، بل لأن العناية انصرفت إلى ذكر وقوع الفعل بالمفعول، سواء عرف لنا الفاعل أم لم يعرف. . .حيث وجدنا القرآن يبني الفعل إلى ما لم يسم فاعله في قراءة، وينبه إلى الفاعل في قراءة أخرى مما يفيد أن المقصود التنبيه على ذكر وقوع الفعل بغض النظر عن العلم بالفاعل أو الخوف منه أو عليه»[٤٤٧].

وفي تعظيم الفعل والفاعل دليل على كمال قدرة الله وعظمته.

٢١ ـ قال تعالى: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الكهف: ٤٩].

القراءات:

١. قرأ أبو عمرو والكسائي بخلفه بالوقف على **(ما)** من **(مال هذا)**.

٢. قرأ الباقون بالوقف على **(اللام)** من **(مال هذا)** دون (ما)[٤٤٨].

البيان:

(مال هذا الكتاب): (ما) اسم استفهام مبتدأ، و(لهذا) خبره، (الكتاب) بدل، وجملة (لا يغادر): حالية[٤٤٩]. أي: أي شيء ثبت لهذا الكتاب حال

---

(٤٤٦) انظر: روح المعاني (٢٨٨/١٥).

(٤٤٧) انظر: القراءات وأثرها في التفسير والأحكام (٨٣٣/٢).

(٤٤٨) انظر: النشر (١٠٩/٢ ـ ١١٠)، الإتحاف (ص٣٦٧).

(٤٤٩) إعراب القرآن الكريم وبيانه: محيي الدين الدرويش (٦١٧/٥).

كونه لا يغادر[٤٥٠]. والاستفهام مستعمل في التعجب[٤٥١]. ولام الجر رسمت مفصولة في الرسم العثماني إشارة إلى أنهم صاروا من قوة الرعب وشدة الكرب يقفون على بعض الكلمة[٤٥٢].

التفسير:

يقول الرازي: «والمراد أنه يوضع في هذا اليوم - يوم القيامة - كتاب كل إنسان في يده إما في اليمين أو في الشمال، والمراد الجنس وهو صحف الأعمال، وترى المجرمين خائفين مما في الكتاب من أعمالهم الخبيثة، وخائفين من ظهور ذلك لأهل الموقف فيفتضحون، وبالجملة يحصل لهم خوف العقاب من الحق، وخوف الفضيحة عند الخلق، ﴿وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا﴾، ينادون هلكتهم التي هلكوها خاصة من بين الهلكات ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾ وهي عبارة عن الإحاطة، بمعنى لا يترك شيئاً من المعاصي سواء أكانت صغيرة أم كبيرة إلا وهي مذكورة في هذا الكتاب، ونظيره قوله تعالى ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الانفطار: ١٠ - ١٢]، وإدخال تاء التأنيث في الصغيرة والكبيرة على تقدير أن المراد الفعلة الصغيرة والكبيرة ﴿إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾ إلا ضبطها وحصرها، وقال بعض العلماء: ضجوا من الصغائر قبل الكبائر. لأن تلك الصغائر هي التي جرتهم إلى الكبائر، فاحترزوا من الصغائر جداً، ﴿وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا﴾ في الصحف عتيداً أو جزاء ما عملوا ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ أي: لا يكتب عليه ما لم يفعل، ولا يزيد في عقابه المستحق، ولا يعذب أحداً بجرم غيره»[٤٥٣].

---

(٤٥٠) حاشية الجمل على الجلالين المسماة (الفتوحات الإلهية) : سليمان الجمل (٢٩/٣).

(٤٥١) انظر: التحرير والتنوير (مجلد ٧ج١٥ ص٣٣٨).

(٤٥٢) انظر: نظم الدرر (٤٧٤/٤). وفيها (بعض الكتب) بدل (بعض الكلمة). وهو تصحيف من الطابع؛ لأنه ورد في الألوسي وفي القاسمي نقلاً عن البقاعي: (بعض الكلمة). انظر: روح المعاني (٢٩١/١٥)، محاسن التأويل (٤٠٦٩/١٠).

(٤٥٣) انظر: التفسير الكبير (مجلد ١١ج٢١ ص١٣٥).

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت قراءة الوقف على (**اللام**): أنَّ الكافرين صاروا من قوة الرعب وشدة الكرب حين رأوا صحائف أعمالهم ودقتها في الإحصاء عليهم يقفون على بعض الكلمة فلا يكملونها.

وأفادت قراءة الوقف على (**ما**) من (**مال هذا**): أنَّ شدة المفاجأة وهول الرعب الذي أصاب الكافرين؛ قد ألجم ألسنتهم عن التعبير والتساؤل عما رأوا وشاهدوا من هذا الإحصاء الدقيق، فلم يستطع الواحد منهم النطق وتلعثم لسانه، فيقف على كل حرف فيخرجه بشق بالغ. وعلى ذلك فهذه القراءة كانت أكثر دقة في تصوير حال الكافرين.

الجمع بين القراءتين:

لقد استطاع الرسم العثماني من خلال فصل اللام عن الهاء فقط في كتابة الاستفهام؛ التعبير عن حالة الكافرين؛ حال رؤية الإحصاء الدقيق في صحائفهم لأعمالهم التي اقترفوها في حياتهم الدنيا، فما بالنا إذا أُضيف إلى ذلك قراءتان متواترتان في قراءة هذا الاستفهام، فلا بد أن تضيفا تصويراً أكثر دقة وعمقاً لحالة أولئك الكافرين؛ فقد صورت القراءتان مدى الرعب والكرب الذي أصابهم حتى إنّ الكافر حين يرى الإحصاء الدقيق عليه يضيق صدره ويُلجم لسانه فلا يستطيع النطق إلا بشق بالغ فيقف على كل حرف ينطقه وهو يتساءل متعجباً جزعاً.

إنْ هذا إلا دليل على إعجاز القرآن في تنوع قراءاته ورسمه أيضاً.

فلو اجتمعت كل أقلام الأدباء في التعبير عن هذه الحالة ما استطاعت أن تصفها هذا الوصف الدقيق بهذه البلاغة المطلقة والإيجاز الشديد.

٢٢ ـ قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾﴾ [الكهف: ٥٠].

القراءات:

١. قرأ أبو جعفر بخلف عن ابن وردان بضم التاء حالة وصل الملائكة باسجدوا، أما الوجه الثاني لابن وردان فهو الإشمام في كسرة التاء بضمها.

٢. قرأ الباقون بكسر التاء كسرة خالصة(٤٥٤).

التفسير:

بعد أن ذكر سبحانه رده على أولئك المشركين الذين افتخروا على فقراء المؤمنين بأموالهم وأعوانهم، قضى على ذلك بذكر عصيان إبليس لأمره تعالى بالسجود لآدم، لأن الذي حداه إلى ذلك هو كبره وافتخاره عليه بأصله(٤٥٥).

يقول أبو السعود: اذكر لهم يا محمد وقت قلنا للملائكة اسجدوا لآدم سجود تحية وتكريم، فسجدوا جميعاً امتثالاً بالأمر إلا إبليس فإنه لم يسجد بل أبى واستكبر؛ لأن كان أصله جنياً، فخرج عن طاعته كما ينبىء عنه الفاء، أو صار فاسقاً كافراً بسبب أمر الله تعالى؛ إذ لولاه لما أبى، والتعرض لوصف الربوبية المنافية للفسق لبيان كمال قبح ما فعله، والمراد بتذكير قصته: تشديد النكير على المتكبرين المفتخرين بأنسابهم، وأموالهم، المستنكفين عن الانتظام في سلك فقراء المؤمنين ببيان أن ذلك من صنيع إبليس، وأنهم في ذلك تابعون لتسويله كما ينبىء عنه قوله تعالى ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ﴾ الخ، فإنَّ الهمزة للإنكار والتعجيب، والفاء للتعقيب، أي: أعقيب علمكم بصدور تلك القبائح عنه تتخذونه وأولاده وأتباعه أولياء فتستبدلونهم بي فتطيعونهم بدل طاعتي؟! والحال أنَّ إبليس وذريته أعداء لكم!، وتقيد الاتخاذ بالجملة الحالية لتأكيد الإنكار وتشديده، فإن مضمونها

(٤٥٤) انظر: النشر (١٥٨/٢). وقد سبق بيان معنى القراءتين عند تفسير الآية ٦١ من سورة الإسراء. فانظره (ص٦٨).

(٤٥٥) انظر: تفسير كشك (٢٢٧١/١٣) باختصار.

مانع من وقوع الاتخاذ ومنافٍ له قطعاً، فبئس للواضعين للشيء في غير موضعه بدلاً من الله ﷻ إبليس وذريته، وفي الالتفات إلى الغيبة مع وضع الظالمين موضع الضمير؛ من الإيذان بكمال السخط، والإشارة إلى أن ما فعلوه ظلم قبيح ما لا يخفى. اهـ(٤٥٦)

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت قراءة الضم (للملائكةُ اسجدوا) أن أمر الله للملائكة بالسجود هو أمر عظيم وثقيل؛ لأنهم أُمِروا بالسجود لمخلوق من مخلوقات الله، ورغم ذلك استجابت الملائكة لهذا الأمر فوراً، ولكن إبليس ثَقُلَ عليه الأمر واستكبر، وتملكه الحسد والكبر فلم يستجب لأمر الله، لأنه لم يكن من جنس الملائكة فينقاد لأمر الله؛ بل كان من جنس الجن، فخرج عن طاعة الله، وخرج من زمرة الملائكة، لذلك ناسب المجيء بالضمة لأن الخروج من طاعة الله ومن زمرة الملائكة أمر شديد وثقيل، وآثاره عظيمة وفظيعة.

وأفادت قراءة (للملائكةِ اسجدوا) سهولة انقياد الملائكة لأوامر الله دون سؤال أو استفسار أو تردد، فناسب قراءة الكسر الطاعة المباشرة والفورية للملائكة دون أدنى تردد؛ ومما دل على ذلك قوله: (فسجدوا) فالفاء تفيد السرعة مع التعقيب والترتيب. كما أفادت أن إبليس اللعين قد هان عليه الأمر بعصيان أوامر الله، فعصاه ولم يلتزم أمره.

الجمع بين القراءتين:

بيّنت القراءتان أنّ الملائكة قد أطاعوا أمر الله بالسجود لآدم عليه السلام فوراً دون تردد، إلا أنَّ إبليس اللعين سَهُلَ عليه أمر عصيان أمر الله فلم يسجد على رغم علمه بفظاعة عدم طاعته وشدة عصيان أوامره، فطُرد من رحمة الله، وفي ذلك إيذان للكافرين الذين اتبعوا الشهوات واتبعوا خطا إبليس اللعين مدى السخط الذي لحقهم بهذا الاتباع والإشارة إلى أن ما

(٤٥٦) انظر: تفسير أبي السعود (٣/٢٥٥) بتصرف.

فعلوه ظلم قبيح على رغم سهولة اتباع الحق لأن اتباع الرسول اتباع له ومنجاة لهم من غضب الله.

٢٣ ـ قال تعالى: ﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾﴾ [الكهف: ٥١].

القراءات:

١. قرأ أبو جعفر **(ما أَشهدناهم)** بالنون والألف على الجمع للعظمة.

٢. قرأ الباقون **(ما أَشهدتُّهم)** بالتاء مضمومة من غير ألف على ضمير المتكلم.

٣. قرأ أبو جعفر **(وما كنتَ)** بفتح التاء.

٤. قرأ الباقون **(وما كنتُ)** بضم التاء[٤٥٧].

اللغة والبيان:

قال الراغب: الشهود والشهادة: الحضور مع المشاهدة؛ إما بالبصر، أو بالبصيرة، وقوله: ﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ أي: ما جعلتهم ممن اطلعوا ببصيرتهم على خلقها[٤٥٨].

وقال ابن عاشور: «والإشهاد: جعل الغير شاهداً، أي: حاضراً، وهو كناية عن إحضار خاص، وهو إحضار المشاركة في العمل أو الإعانة عليه. ونفي هذا الشهود يستلزم نفي المشاركة في الخلق والإلهية بالفحوى، أي: بالأَوْلى»[٤٥٩].

قراءة (ما أشهدتُهم) على إسناد الفعل إلى ضمير المتكلم وهو الله ﷻ، وقد جاء ذلك مطابقاً لقوله تعالى من قبل ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ

(٤٥٧) انظر: النشر (٢/٢٣٣).

(٤٥٨) انظر: مفردات الراغب (ص ٣٠٠ ـ ٣٠١) مادة: شهد.

(٤٥٩) التحرير والتنوير (مجلد ٧ج١٥ ص٣٤٢).

مِن دُونِي﴾ [الكهف: ٥٠].

وقراءة (ما أشهدناهم) على الجمع على العظمة، جرياً على نسق ما قبله في قوله تعالى ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ﴾ [الكهف: ٥٠][٤٦٠].

أما قراءة (وما كنتَ) بفتح التاء، فهو على الالتفات من التكلم إلى الخطاب، إذ سياق الآية يقتضي التكلم، وهو خطاب للنبي ﷺ والمقصود: إعلام أمته أنه لم يزل محفوظاً من أول نشأته لم يعتضد بمضل، ولم يتخذه عوناً له على نجاح دعوته.

وقراءة (وما كنتُ) بضم التاء، إخباراً من الله تعالى عن ذاته المقدسة بأنه ﷻ ليس في حاجة إلى أحد[٤٦١].

التفسير:

بعدما بيَّن ﷻ عصيان إبليس لأمر الله له بالسجود لآدم عليه السلام، وتقريعه لأولئك الكافرين الذين استبدلوا طاعة إبليس وذريته بعبادة ربهم. أتبع ذلك بتحقير شأن إبليس وجنوده ومن اتبعهم من الكافرين. وافتخر سبحانه أنه لم يستشر أحداً من العابدين والمعبودين؛ لأنه غني عن العالمين.

يقول ابن كثير: «يقول تعالى: هؤلاء الذين اتخذتموهم أولياء من دوني عبيد أمثالكم، لا يملكون شيئاً، ولا أشهدتهم خلقي للسماوات والأرض، ولا كانوا إذ ذاك موجودين؛ يقول تعالى: أنا المستقل بخلق الأشياء كلها، ومدبرها ومقدرها وحدي، ليس معي في ذلك شريك ولا وزير، ولا مشير ولا نظير، كما قال: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ...﴾ [سبأ:

(٤٦٠) انظر: المغني (٣٧٣/٢).
(٤٦١) انظر: القراءات وأثرها في علوم العربية (١٤٤/٢)، المستنير (٣١٧/١)، القراءات وأثرها في التفسير والأحكام (٥٩٧/٢).

٢٢ - ٢٣] ولهذا قال ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾، قال مالك: أعواناً»[٤٦٢].

ووضع الظاهر موضع المضمر؛ إذ المراد بـ(المضلين) مَن نفى عنهم إشهاد خلق السماوات، وإنما نبَّه بذلك على وصفهم القبيح[٤٦٣]. وذماً لهم، واستبعاداً للاعتضاد بهم[٤٦٤].

وقوله (ما أشهدتهم) أي: إبليس وذريته، أو ما أشهدت الملائكة فكيف يعبدونهم، أو ما أشهدت الكفار فكيف ينسبون إليّ ما لا يليق بجلالي، أو ما أشهدت جميع الخلق[٤٦٥].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (ما أشهدتهم) و (وما كنتُ): أنه ﷻ لم يحضر أحداً من مخلوقاته للمشاركة في خلق السماوات والأرض أو الإعانة عليها لأنه ليس في حاجة إلى أحد من مخلوقاته. فكيف يعبدونهم من دونه.

يقول الطبرسي: «أي: ما أحضرت إبليس وذريته خلق السماوات والأرض، ولا خلق أنفسهم مستعيناً بهم على ذلك، ولا استعنت ببعضهم على خلق بعض، وهذا إخبار عن كمال قدرته واستغنائه عن الأنصار والأعوان، ويدل عليه قوله: ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ أي: الشياطين الذين يضلون الناس أعواناً يعضدونني عليه»[٤٦٦].

ويقول القاسمي: «بل تفردت بخلق جميع ذلك بغير معين ولا ظهير، أي: وإذا لم يكونوا عضداً في الخلق، فما لكم تتخذونهم شركاء في

(٤٦٢) تفسير ابن كثير (١٧٦/٥).

(٤٦٣) اللباب (٥١١/١٢)، الدر (٤٦٤/٤).

(٤٦٤) تفسير البيضاوي (٥٠٤/٣).

(٤٦٥) حاشية الجمل (٣٠/٣).

(٤٦٦) مجمع البيان (٣٣٣/٦).

العبادة؟ واستحقاق العبادة من توابع الخالقية. والاشتراك فيه يستلزم الاشتراك فيها. والخالقية منفية عن غيره تعالى، فينتفي لازمها وهو استحقاق عبادة ذلك الغير، وهم المضلون، فلا يكونون أرباباً»(٤٦٧).

وأفادت قراءة (ما أشهدناهم) و (وما كنتُ): زيادة في تعظيم ذاته المقدسة، وترفعه على خلقه، وتحقير لما يُعبد ويُتخذ أعواناً من دون الله وإن كثر عددهم أو تنوع جنسهم.

أما قراءة (وما كنتَ): نفى ﷻ عن الرسول ﷺ أن يتخذ المضلين أعواناً من دون الله على نجاح دعوته، وما ينبغي له ذلك. فالضمير في (أشهدتهم) و (المضلين) عائد على الكافرين الذين طلبوا من الرسول ﷺ طرد فقراء المسلمين.

يقول البيضاوي: «وقيل الضمير للمشركين، والمعنى: ما أشهدتهم خلق ذلك، وما خصصتهم بعلوم لا يعرفها غيرهم حتى لو آمنوا اتبعهم الناس كما يزعمون فلا تلتفت إلى قولهم طمعاً في نصرتهم للدين، فإنه لا ينبغي لي أن أعتضد بالمضلين لديني. ويعضده قراءة من قرأ (وما كنتَ) على خطاب الرسول ﷺ»(٤٦٨).

ويقول أبو حيان: «والذي أقوله أن المعنى إخبار من الله عن نبيه وخطاب منه تعالى له في انتفاء كينونته متخذ عضد من المضلين، بل هو مذ كان ووجد عليه السلام في غاية التبري منهم والبعد عنهم، لتعلم أمته أنه لم يزل محفوظاً من أول نشأته لم يعتضد بمضل ولا مَالَ إليه ﷺ»(٤٦٩).

الجمع بين القراءات:

يتبيّن بالجمع بين القراءات أنه ﷻ قد نفى عن ذاته الكريمة أن يكون قد أطلع أحداً من خلقه على خلق السموات والأرض أو خلق أنفسهم، أو

---

(٤٦٧) تفسير القاسمي (٤٠٧١/١١).

(٤٦٨) تفسير البيضاوي (٥٠٤/٣ ـ ٥٠٥).

(٤٦٩) البحر المحيط (١٣٠/٦).

أشركهم أو استعان بهم في ذلك؛ بل تفرد سبحانه في ذلك؛ لأنه وحده القادر على ذلك فكيف يشرك المخلوقين وهو خالقهم؟! وكيف يشركون به غيره ومعلوم أن استحقاق العبادة من توابع الخالقية؟ لذلك فلا ينبغي للرسول ﷺ أن يلتفت لقول المشركين من طرد فقراء المؤمنين طمعاً في نصرتهم للدين، لأن ذلك ليس من كينونته لأنه لم يزل محفوظاً من أول نشأته لم يعتضد بمضل ولا مال إليه.

٢٤ ـ قال تعالى: ﴿وَيَوۡمَ يَقُولُ نَادُواْ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُمۡ فَدَعَوۡهُمۡ فَلَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُمۡ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُم مَّوۡبِقٗا ۝٥٢﴾ [الكهف: ٥٢].

القراءات:

١. قرأ حمزة (**نقول**) بالنون.

٢. قرأ الباقون (**يقول**) بالياء[٤٧٠].

التفسير:

عاد سبحانه في هذه الآية إلى ترهيب الكافرين بأحوال القيامة، مقرعاً وموبخاً لهم على رءوس الأشهاد.

يقول البقاعي: «أي واذكر يوم يقول الله لهم تهكماً بهم: ﴿نَادُواْ شُرَكَآءِيَ﴾ وبيّن أن الإضافة ليست على حقيقتها، بل هي توبيخ لهم فقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُمۡ﴾ أنهم شركاء، ﴿فَدَعَوۡهُمۡ﴾ تمادياً في الجهل والضلال، ﴿فَلَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُمۡ﴾ أي: لم يطلبوا ويريدوا أن يجيبوهم إعراضاً عنهم استهانة بهم، واشتغالاً بأنفسهم، فضلاً عن أن يعينوهم، ولما كانوا في غاية الاستبعاد لأن يحال بينهم وبين معبوداتهم، قال في مظهر العظمة: ﴿وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُم﴾ أي: المشركين والشركاء ﴿مَّوۡبِقٗا﴾ أي: هلاكاً أو موضع هلاك، فاصلاً حائلاً بينهم، مهلكاً قوياً عميقاً ثابتاً حفيظاً، لا يشذ عنه منهم أحد، وإنما فسرته بذلك لأنه مثل قوله تعالى ﴿فَزَيَّلۡنَا بَيۡنَهُمۡۖ﴾ [يونس: ٢٨]

(٤٧٠) انظر: النشر (٢/٢٣٣).

أي: بالقلوب، أي: جعلنا ما كان بينهم من الوصلة عداوة، ومثل قوله تعالى ﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ [الأعراف: ٣٨]، ﴿شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا۟ مِن دُونِكَ﴾ [النحل: ٨٦] ونحوه لأن معنى ذلك كله أنه يبدل ما كان بينهم من الود في الدنيا والوصلة ببغض وقطيعة كما قال تعالى ﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ [العنكبوت: ٢٥] وأن كل فريق يطلب للآخر الهلاك، فاقتضى ذلك اجتماع الكل فيه»[٤٧١].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

قراءة **(نقول)** بالنون؛ على الإخبار من الله ﷻ عن نفسه بالقول، لمناسبة الإخبار في قوله تعالى ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾.

وقراءة **(يقول)** بالياء؛ التفات من التكلم إلى الغيبة، أي: واذكر يا محمد يوم يقول نادوا شركائي. ولم يقل: شركاءنا[٤٧٢] وأضاف الشركاء إليه على زعمهم توبيخاً لهم وتقريعاً[٤٧٣].

والالتفات من التكلم إلى الغيبة؛ إعراضاً عن أولياء إبليس، وتحقيراً لشأنهم، إذ ليسوا أملاً لكلام الله تعالى لهم[٤٧٤].

٢٥ ـ قال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾﴾ [الكهف: ٥٥].

القراءات:

١. قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر ويعقوب **(قِبَلاً)** بكسر القاف وفتح الباء.

---

(٤٧١) نظم الدرر (٤/٤٧٧).

(٤٧٢) انظر: الكشف (٢/٦٥)، حجة القراءات (ص٤٢٠)، المغني (٢/٣٧٥).

(٤٧٣) الفريد (٣/٣٤٩).

(٤٧٤) القراءات وأثرها في علوم العربية (٢/١٤٣).

٢. قرأ الباقون (قُبُلاً) بضم القاف والباء[٤٧٥].

اللغة والبيان:

قراءة (قِبَلاً) بكسر القاف وفتح الباء؛ أي: عِياناً مواجهة، أي: أن يأتيهم العذاب مقابلة يرونه.

أما قراءة (قُبُلاً) بضم القاف والباء؛ جمع قبيل، مثل: سبيل وسُبُل، على معنى: أو يأتيهم العذاب صنفاً صنفاً، أي: أنواعاً من العذاب. ويجوز أن يكون هذا العذاب صنفاً واحداً، ويكون معناه: يأتيهم شيء بعد شيء، وكله صنف واحد.

وقال الزجاج: (قُبُلا) بمعنى: من قبل. وفي التنزيل ﴿إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ﴾ [يوسف: ٢٦] أي: من قبل وجهه[٤٧٦]. وقال مجاهد: فجأة[٤٧٧].

التفسير:

الآية تعجيب من حال المشركين الذين منعوا أنفسهم من الإيمان بالله وقد جاءهم محمد ﷺ بالهدى من عند الله، فكان أولى بهم أن يؤمنوا ويستغفروا الله من قبل أن يأتيهم العذاب كما طلبوه فجأة يرونه بأعينهم كسنة الله في مثلهم.

يقول د. وهبة الزحيلي: «أي: وما منع المشركين من أهل مكة من الإيمان بالله، حين شاهدوا البيّنات والأدلة الواضحة على وجود الله وتوحيده، واستغفار ربهم والتوبة إليه من ذنوبهم إلا طلبهم أحد أمرين: إما

(٤٧٥) انظر: النشر (٢/٢٣٤).

(٤٧٦) انظر: الكشف (٢/٦٤)، حجة القراءات (ص٤٢٠)، معاني الزجاج (٣/٢٩٧)، معاني الفراء (٢/١٤٧)، الحجة للقراء (٥/١٥٣)، مشكل إعراب القرآن (ص٤٤٤).

(٤٧٧) تفسير مجاهد (١/٣٧٧)، وأخرجه الطبري في تفسيره (مجلد ٨ج١٥ ص١٧٣) وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/٤٠٧) وعزاه إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم. وذكره الخازن في تفسيره (٤/٢١٩) ولم ينسبه.

أن تأتيهم سنة الأولين القدماء من إحاطة العذاب بهم وإبادتهم، وهو عذاب الاستئصال، كما قال جماعة لنبيّهم: ﴿ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [العنكبوت: ٢٩] وقالت قريش: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: ٣٢]، وإما أن يروا العذاب عياناً مواجهة ومقابلة، والمعنى أنهم لا يقدمون على الإيمان إلا عند نزول عذاب الاستئصال فيهلكوا، أو أن يتواصل أنواع العذاب والبلاء حال بقائهم في الحياة الدنيا»(٤٧٨).

ويقول ابن الجوزي: «فإن قيل إذا كان المراد بسنة الأولين العذاب، فما فائدة التكرار بقوله أو يأتيهم العذاب؟ فالجواب أن سنة الأولين أفادت عذاباً مبهماً يمكن أن يتراخى وقته وتختلف أنواعه، وإتيان العذاب قبلاً أفاد القتل يوم بدر، قال مقاتل سنة الأولين عذاب الأمم السالفة، (أو يأتيهم العذاب قبلاً) أي: عياناً قتلاً بالسيف يوم بدر»(٤٧٩).

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت قراءة (قُبُلاً): أنّ ما منع المشركين من أهل مكة من الإيمان بالله، حين شاهدوا الأدلة الواضحة على وجود الله وتوحيده، واستغفار ربهم والتوبة إليه من ذنوبهم إلا عنادهم واستكبارهم، فطلبوا عذاب الاستئصال جرياً على سنن مَن كان قبلهم من الكافرين، أو أن يأتيهم عذاب الله فجأة متواصلاً صنفاً بعد صنف وشيئاً بعد شيء. كقول قوم شعيب لنبيّهم ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾﴾ [الشعراء: ١٨٧]. وأكثر العلماء على هذا الوجه من التفسير.

ووجه آخر في تفسير الآية:

ما منع الناس من الإيمان والاستغفار، بعدما شاهدوا البيّنات والأدلة

(٤٧٨) التفسير المنير (١٥/ ٢٨٠).

(٤٧٩) زاد المسير (٥/١٥٨).

الواضحة على وجود الله وتوحيده، إلا ما سبق في علم الله من أنهم لا يؤمنون، بل يستمرون على كفرهم حتى تأتيهم سنة الله في إهلاكهم بالعذاب المستأصل، أو يأتيهم العذاب فجأة متواصلاً نوعاً بعد نوع وشيئاً بعد شيء، كقوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾﴾ [يونس: ٩٦ ـ ٩٧][٤٨٠].

أما قراءة (قِبَلاً) فتفيد: أن العذاب الذي ينتظرونه سيأتيهم من أمامهم وهم ينظرون إليه عياناً، فيشتد عليهم هول مشاهدته.

الجمع بين القراءتين:

بالجمع بين القراءتين يتبيّن أن العذاب الذي طلبه الكافرون وقدره الله لهم عقاباً على كفرهم كونه: يأتيهم فجأة من أمامهم وهم ينظرون إليه أنواعاً وألواناً متتابعاً صنفاً صنفاً شيئاً فشيئاً. وذلك ليكون أشد نكاية بهم نتيجة لكفرهم ومعاندتهم لربهم.

٢٦ ـ قال تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَـٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَـٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ ۖ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَـٰتِى وَمَآ أُنذِرُوا۟ هُزُوًا ﴿٥٦﴾﴾ [الكهف: ٥٦].

القراءات:

١. قرأ حفص (هُزُواً) بإبدال الهمزة واواً للتخفيف مع ضم الزاي وصلاً ووقفاً.

٢. قرأ حمزة (هُزْءاً) بالهمزة على الأصل، مع إسكان الزاي وصلاً فقط، ويقف عليها بنقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها هكذا (هُزَا)، وبإبدال الهمزة واواً على الرسم هكذا (هُزْوا).

٣. قرأ خلف العاشر (هُزْءاً) بالهمزة مع إسكان الزاي وصلاً ووقفاً.

---

(٤٨٠) تنبيه: استفادت الباحثة في بيان هذين الوجهين من تفسير أضواء البيان. انظر: (٢/٤٠٥ ـ ٤٠٦).

٤. قرأ الباقون (هُزُؤاً) بالهمزة مع ضم الزاي وصلاً ووقفاً[٤٨١].

اللغة والبيان:

هزأ: الهاء، والزاي، والهمزة، كلمةٌ واحدة: يُقال: هَزِىءَ وَاستهزَأَ، إذا سَخِرَ[٤٨٢].

والهُزْءُ والهُزُؤُ: السُّخْرِيةُ[٤٨٣]. وقال الماوردي: ويحتمل قوله (هزواً) وجهين: **أحدهما**: لعباً، **الثاني**: باطلاً[٤٨٤]. أو هو: موضع استهزاء[٤٨٥].

ووجه الضم في الزاي أنه جاء على الأصل، ووجه الإسكان للتخفيف؛ لأن كل اسم على ثلاثة أحرف أوله مضموم فيه لغتان: الضم، والإسكان، ومثله من الجموع ما كان على وزن فعل[٤٨٦]. وجاء في روح المعاني: قراءة (هُزُؤاً) بضمتين مهموزاً؛ مصدر وصف به للمبالغة، وقد يؤول بما يستهزأ به[٤٨٧].

التفسير:

ولما كان مجيء العذاب الذي طلبه الكافرون أو حُذروا به؛ بيد الله ﷻ وليس بيد الرسول ﷺ أعقب ذلك ببيان مهمة الرسل وموقف الكافرين منهم.

يقول البقاعي: «ولما كان ذلك ليس إلى الرسول، إنما هو إلى الإله،

(٤٨١) انظر: النشر (١٦٢/٢)، الإتحاف (ص١٨١)، الميسر (ص٣٠٠)، المغني (١٤٢/١) في موضع الآية ٦٧ من سورة البقرة.

(٤٨٢) معجم المقاييس (ص ١٠٧٠).

(٤٨٣) اللسان (٤٦٥٩/٦) مادة: هزأ.

(٤٨٤) تفسير الماوردي (٣١٩/٣).

(٤٨٥) تفسير النيسابوري (مجلد ٨ج١٥ ص١٨١).

(٤٨٦) انظر: المغني (١٤٢/١) في موضع الآية ٦٧ من سورة البقرة.

(٤٨٧) انظر: تفسير الألوسي (٣٠٣/١٥).

بيّنه بقوله تعالى ﴿وَمَا نُرْسِلُ﴾ على ما لنا من العظمة التي لا أمر لأحد معنا فيها ﴿ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ﴾ بالخير على أفعال الطاعة ﴿وَمُنذِرِينَ﴾ بالشر على أفعال المعصية، فيطلب منهم الظالمون من أممهم ما ليس إليهم من فصل الأمر ﴿وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أي: يجددون الجدال كلما أتاهم أمر من قبلنا ﴿بِٱلْبَٰطِلِ﴾ من قولهم: لو كنتم صادقين لأتيتم بما نطلب منكم، مع أن ذلك ليس كذلك لأنه ليس لأحد غير الله من الأمر شيء ﴿لِيُدْحِضُوا۟﴾ أي: ليزلقوا فيزيلوا ويبطلوا ﴿بِهِ ٱلْحَقَّ﴾ الثابت من المعجزات المثبته لصدقهم، ولما كان لكل مقام مقال، ولكل مقال حد وحال، فأتى في الجدال بصيغة الاستقبال، وكان اتخاذ الاستهزاء أمراً واحداً، أتى به ماضياً فقال تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُوٓا۟﴾ أي: كلفوا أنفسهم أن أخذوا ﴿ءَايَٰتِى﴾ بالبشارات التي هي المقصودة بالذات لكل ذي روح ﴿وَمَآ أُنذِرُوا۟﴾ من آياتي، بني للمفعول؛ لأن الفاعل معروف، والمخيف الإنذار، ﴿هُزُوًا﴾ مع ما بعدهما جداً عن ذلك، فلا بالرغبة أطاعوا، ولا للرهبة ارتاعوا، فكانوا شراً من البهائم»[٤٨٨].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (هُزُواً): استمرار الكافرين بالسخرية من آيات الله التي أنزلها، وبخاصة من الآيات التي نزلت تحذرهم من العذاب. وهذه الاستمرارية استمرارية على مدى العصور، أي أن الكفر ملة واحدة. وذلك لأن صيغة (فُعُلا) تفيد الاستمرارية؛ حيث إن توالي الحركات يفيد ذلك، مع إفادة كثرة هذا الاستهزاء، وذلك لأن العرب[٤٨٩] جعلت الضمة لقوتها فيما يكثر حجمه.

وأفادت قراءة (هُزْءاً): أن الكافرين اتخذوا آيات الله موضعاً للاستهزاء. لما يفيده السكون من الاستقرار.

أما قراءة (هُزُؤاً) فأفادت المعاني السابقة جميعاً لجمعها بين ثقل الضمة

(٤٨٨) نظم الدرر (٤٨٢/٤).

(٤٨٩) انظر: معاني الأبنية في العربية (ص١٠٢).

وتواليها، وشدة الهمزة وثقلها، وما يفيده السكون من الثبات والاستقرار. لذلك فقد بيّنت أن الكافرين على مدى العصور قد جعلوا آيات الله موضعاً لسخريتهم الشديدة ولعبهم في كل مجالسهم.

الجمع بين القراءات:

يتبيّن بالجمع بين القراءات أن الكافرين كان ديدنهم على مر العصور كلما جاءهم رسول من عند الله جعلوا آيات الله موضعاً لسخريتهم الثقيلة الشديدة ومحطاً للعبهم واستهزائهم. وفي هذا دليل على مدى كفرهم وعتوهم، واستكبارهم ونفورهم من طاعة الله، وجحودهم لفضل الله عليهم بأن أرسل عليهم من يرشدهم إلى طريق الحق.

٢٧ ـ قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ۝٥٩﴾ [الكهف: ٥٩].

القراءات:

١. قرأ شعبة (**لِمَهْلَكِهم**) بفتح الميم واللام التي بعد الهاء.

٢. قرأ حفص (**لِمَهْلِكِهم**) بفتح الميم وكسر اللام.

٣. قرأ الباقون (**لِمُهْلَكِهم**) بضم الميم وفتح اللام[٤٩٠].

اللغة والبيان:

الهلاك: بطلان الشيء من العالم وعدمه رأسا، ويقال للعذاب والخوف والفقر: الهلاك[٤٩١]. قراءة (**لِمَهْلَكِهم**) بفتح الميم واللام؛ مصدر ميمي قياسي من (**هَلَكَ يهلَك مهلَكاً**)، أي: وجعلنا لهلاكهم موعداً.

وقراءة (**لِمَهْلِكِهم**) بفتح الميم وكسر اللام؛ مصدر ميمي سماعي، أو اسم زمان على معنى (**هَلَكَ يَهْلِك**) أي: وقتاً لهلاكهم، أو اسم مكان، أي:

(٤٩٠) انظر: النشر (٢/٢٣٤).

(٤٩١) انظر: مفردات الراغب (ص ٥٧٧) مادة: هلك.

موضعاً لذلك الهلاك، ودليل ذلك قوله تعالى ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ﴾ [الكهف: ٨٦]، أي: الموضع الذي تغرب فيه.

وقراءة (لِمُهْلَكِهِم) بضم الميم وفتح اللام؛ مصدر ميمي قياسي من (أهلَكَ) الرباعي مضاف إلى المفعول به، أي: أهلكهم الله مُهلَكاً، أي: إهلاكاً. على معنى: وجعلنا لإهلاكنا إياهم موعداً لا يتجاوزونه. أو اسم زمان، أي: لوقت إهلاكنا إياهم. فكل فعل ماض على أفعل فالمصدر منه مُفْعَل، أو إفعال، واسم الزمان منه مُفْعَل، وكذلك اسم المكان(٤٩٢).

التفسير:

لما كانت سنة الله في القرون الماضية والأمم الخالية من الكافرين الإهلاك؛ أعقب ذلك ببيان علة الإهلاك تعريضاً بالمشركين الذين ظنوا أنهم قد أفلتوا من العذاب لتأخره عليهم.

يقول ابن كثير: ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟﴾ أي: الأمم السالفة والقرون الخالية أهلكناهم بسبب كفرهم وعنادهم ﴿وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾ أي: جعلناه إلى مدة معلومة ووقت معين، لا يزيد ولا ينقص، أي: وكذلك أنتم أيها المشركون احذروا أن يصيبكم ما أصابهم، فقد كذبتم أشرف رسول وأعظم نبي، ولستم بأعز علينا منهم، فخافوا عذابي ونذر»(٤٩٣).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (لِمَهْلَكِهِم) بفتح الميم واللام: أن الله قد جعل لهلاك الكافرين موعداً لن يُخلفه. وعليه فهذه القراءة بيّنت تحقق الإهلاك للكافرين وتعجيله لهم.

وأفادت قراءة (لِمَهْلِكِهِم) بفتح الميم وكسر اللام: أن الله قد جعل

(٤٩٢) انظر: معاني الزجاج (٣/٢٩٧)، الفريد (٣/٣٥٢)، الحجة في القراءات (ص١٣٤)، الكشف (٢/٦٥ ـ ٦٦).

(٤٩٣) تفسير ابن كثير (٥/١٨٠).

وقتاً لهلاك الكافرين، ومكاناً لذلك الإهلاك. وعليه فهذه القراءة بيّنت ضرب وقت ومكان معينين لهذا الإهلاك.

أما قراءة (لِمُهْلَكِهم) بضم الميم وفتح اللام فأفادت: أن الله قد جعل وقتاً ومدة معلومة، ومكاناً محدداً لإهلاك الكافرين لن يخلفه. وعليه فهذه القراءة بيّنت وقت الإهلاك المحدد والمحدود بمدته الزمنية المعلومة التي لا تزيد ولا تنقص، كما أنه بمكان محدد.

يقول البقاعي: «وجعلنا بما لنا من العظمة لإهلاكهم بالفعل وقتاً نحله بهم فيه، ومكاناً لم نخلفه، كما أنا جعلنا لهؤلاء موعداً في الدنيا بيوم بدر والفتح وحنين ونحو ذلك، وفي الآخرة لن نخلفه»[٤٩٤].

الجمع بين القراءات:

وبهذا تكون كل قراءة قد بيّنت جانباً مما خفي من القراءة الأخرى من معلومات، وإن كانت قراءة (لِمُهْلَكِهم) قد جمعت المعاني جميعاً. لأنها احتملت: المصدر، واسم المكان، واسم الزمان. وهذا من بلاغة القرآن وإعجازه في إيجازه وتنوع بيانه.

٢٨ ـ قال تعالى: ﴿قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾﴾ [الكهف: ٦٣].

القراءات:

١. قرأ حفص (أَنسَانِيهُ) بضم هاء الكناية.

٢. قرأ الباقون (أنسانيهِ) بكسر هاء الكناية[٤٩٥].

١. قرأ الكسائي (أنسانيهِ) بإمالة الألف.

---

(٤٩٤) نظم الدرر (٤/٤٨٥).

(٤٩٥) انظر: النشر (١/٢٤٠).

٢. قرأ ابن كثير (**أنسانيهي إلا**) بإثبات ياء في الوصل بعد الهاء[٤٩٦].

اللغة:

النسيان: ترك الإنسان ضبط ما استودع؛ إما لضعف قلبه؛ وإما عن غفلة؛ وإما عن قصد حتى ينحذف عن القلب ذكره، يقال: نسيته نسياناً[٤٩٧].

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن اعتذار يوشع لموسى عليه السلام عن نسيانه لذكر ما حدث للحوت عند الصخرة التي أويا إليها من أمور عجيبة.

يقول الصابوني: «قال الفتى يوشع بن نون حين طلب موسى عليه السلام منه الحوت للغداء أرأيت حين التجأنا إلى الصخرة التي نمت عندها ماذا حدث من الأمر العجيب؟ لقد خرج الحوت من المِكْتَل، ودخل البحر، وأصبح عليه مثل الكوة، وقد نسيت أن أذكر لك ذلك حين استيقظت، وقد أنساني الشيطان أن أخبرك عن قصته الغريبة، واتخذ الحوت طريقه في البحر، وكان أمره عجباً، يتعجب الفتى من أمره؛ لأنه كان حوتاً مشوياً فدبت فيه الحياة، ودخل البحر»[٤٩٨].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (**أَنسَانِيهُ**) بضم هاء الكناية؛ قوة النسيان الذي تعرض له يوشع - فتى موسى عليه السلام - حيث إنَّه تذكَّر بعد أن سارا مسافة طويلة، وذلك حينما طلب منه موسى عليه السلام الطعام. ولأن الضمة من أقوى الحركات فناسب ذلك قوة النسيان. بالإضافة إلى ندرة النسيان في هذا الموطن؛ وذلك مناسبة لندرة استخدام الضمة في مثل هذا الموطن؛ حيث إن الحدث الذي رآه يوشع من بث الحياة في الحوت ودخوله البحر حدث

(٤٩٦) انظر: الإتحاف (ص٣٦٩).

(٤٩٧) مفردات الراغب (٥٤٦) مادة: نسي.

(٤٩٨) انظر: صفوة التفاسير (٢/١٧٣).

لا يمكن أن يُنسى[٤٩٩].

يقول الألوسي: «وضم حفص الهاء في (أنسانيه) وهو قليل في مثل هذا التركيب؛ قلة النسيان في مثل هذه الواقعة... وفي إيثار أن والفعل على المصدر نوع مبالغة لا تخفى»[٥٠٠].

أما قراءة (**أنسانيهِ**) بكسر هاء الكناية؛ فأفادت استحياء يوشع من موسى عليه السلام بسبب هذا النسيان، ومن غلبة الشيطان الذي تسبب في هذا النسيان. لذلك ابتدأ بقوله (أرأيت) التي تفيد التعجيب، ونسبة التسبب في النسيان إلى الشيطان بقوله (وما أنسانيه إلا الشيطان). وفيه أيضاً بيان لاستحيائه بسبب قلة اهتمامه بالمحافظة على هذا التذكر.

يقول الزمخشري: «قد شغله الشيطان بوساوسه فذهب بفكره كل مذهب حتى اعتراه النسيان»[٥٠١].

ويقول أبو السعود: «والحال وإن كانت غريبة لا يُعهد نسيانها لكنه لما تعوَّد بمشاهدة أمثالها عند موسى عليه السلام وألفها قل اهتمامه بالمحافظة عليها»[٥٠٢].

وقراءة (**أنسانيهِ**) بإمالة الألف؛ أفادت شدة الاستحياء بسبب هذا النسيان. لما يوحيه كسر السين وإمالة الألف من انكسار، أما قراءة (**أنسانيهي إلا**) فأفادت طول مدة النسيان التي أعقبت الحدث؛ بدليل أنهما سارا مسافة طويلة، ولم يتذكر يوشع أمر الحوت إلا بعدما بلغ منهما الجوع مبلغاً، فطلب موسى عليه السلام منه أن يأتيه بالطعام، حينها تذكر.

(٤٩٩) انظر: بلاغة الكلمة (ص١١٨).

(٥٠٠) انظر: روح المعاني (٣١٨/١٥).

(٥٠١) الكشاف (٧٦/٣).

(٥٠٢) تفسير أبي السعود (٢٥٩/٣).

الجمع بين القراءات:

يظهر من خلال الجمع بين القراءات مدى استحياء يوشع من موسى عليه السلام، واعتذاره له بسبب شغل الشيطان له، وتعجيبه له مما وقع له من النسيان القوي الطويل لأمر الحوت ودخوله في الماء بعد أن دبت فيه الحياة على رغم أن هذا الأمر لا يُنسى لغرابته وندرته.

٢٩ ـ قال تعالى: ﴿قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾﴾ [الكهف: ٦٤].

القراءات:

١. قرأ نافع وأبو عمرو وأبو جعفر والكسائي **(نبغي)** بإثبات الياء وصلاً.

٢. قرأ ابن كثير ويعقوب **(نبغي)** بإثبات الياء وصلاً ووقفاً.

٣. قرأ الباقون **(نبغ)** بحذفها وصلاً ووقفاً تبعاً للرسم[٥٠٣].

اللغة والبيان:

نبغ: نَطْلُبُه[٥٠٤]. أي: ما كنا نريد[٥٠٥].

قد تُحذف ياء المتكلم ويُجْتَزَأ عنها بالكسرة، وذلك لا يكون إلا لغرض، فإنه قد تُذكر الياء في مقام الإطالة والتفصيل، وتُحذف ويُجْتَزَأ عنها بالكسرة في مقام الإيجاز والاختصار، وقد تُحذف لغرض آخر يقتضيه المقام إضافة إلى ذلك[٥٠٦].

التفسير:

بعدما أخبر يوشع موسى عليه السلام بما كان منه من نسيان أمر الحوت واعتذر منه على هذا النسيان، فقال موسى لفتاه بأن ذلك المكان الذي

---

(٥٠٣) انظر: النشر (٢/٢٣٧).

(٥٠٤) كلمات القرآن (ص ١٨٠).

(٥٠٥) معاني الزجاج (٣/٣٠٠).

(٥٠٦) بلاغة الكلمة (ص٢٤).

فقدت فيه الحوت هو المكان الذي كنا نطلبه، فعادا يقصان أثرهما.

يقول الشوكاني: «قال موسى لفتاه: ذلك الذي ذكرت من فقد الحوت في ذلك الموضع هو الذي كنا نطلبه، فإن الرجل الذي نريده هو هناك، فرجعا على الطريق التي جاءا منها يقصان أثرهما لئلا يخطئا طريقهما»[٥٠٧].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت قراءة (**نبغي**) بإثبات الياء: أن انطلاق الحوت في البحر هو ما يطلبه موسى عليه السلام ومن أجل ذلك قطع الرحلة الطويلة.

وجاءت قراءة (**نبغ**) بحذف الياء لتبيّن أن انطلاق الحوت في البحر ليس هو ما يبغيه موسى عليه السلام على وجه الحقيقة؛ وإنما يبغي الشخص الذي يريد أن يتعلم منه وهو الخضر عليه السلام، والموجود في ذلك المكان الذي انطلق فيه الحوت، والذي كان علامة لإيجاده.

الجمع بين القراءتين:

جاءت قراءة الحذف مبيّنة لقراءة الإثبات، على خلاف القاعدة المشهورة عند أهل اللغة بأن زيادة المبنى زيادة في المعنى! فسبحان الذي أوجز فبيّن.

٣٠ ـ قال تعالى: ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا ﴿٦٦﴾﴾ [الكهف: ٦٦].

القراءات:

١. قرأ أبو عمرو ويعقوب (**رَشَداً**) بفتح الراء والشين.

٢. قرأ الباقون (**رُشْداً**) بضم الراء وإسكان الشين[٥٠٨].

١. قرأ نافع وأبو عمرو وأبو جعفر (**تعلمني**) بإثبات الياء وصلاً.

---

(٥٠٧) انظر: فتح القدير (٣/٣٧٥).

(٥٠٨) انظر: النشر (٢/٢٣٤).

٢. قرأ ابن كثير ويعقوب **(تعلمني)** بإثبات الياء وصلاً ووقفاً.

٣. قرأ الباقون **(تعلمن)** بحذف الياء وصلاً ووقفاً تبعاً للرسم[(٥٠٩)].

اللغة والبيان:

رشداً: صواباً. أو إصابة خير[(٥١٠)].

قراءة **(رَشَداً)** بفتح الراء والشين، معناه: الصلاح في الدين.

وقراءة **(رُشْداً)** بضم الراء وإسكان الشين، معناه: الصلاح في المال، وحد البلوغ. والدليل قوله تعالى ﴿فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا﴾ [النساء: ٦] أي: صلاحاً[(٥١١)].

وقال أبو عمرو بن العلاء: (الرُشد) بالضم هو: الصلاح، وبالفتح هو: العلم[(٥١٢)].

وقال الراغب: وقال بعضُهم: الرَّشَدُ أَخَصُّ مِنَ الرُّشْدِ، فإنّ الرُّشْدَ يُقالُ في الأمورِ الدُّنْيَوِيَةِ والأُخْرَوِيَّةِ، والرَّشَدُ يُقالُ في الأُمُورِ الأُخرَوِيَّةِ لا غَيرُ[(٥١٣)].

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن أدب موسى عليه السلام وهو يطلب العلم من الخضر بعد أن وجده عند مجمع البحرين.

يقول البقاعي: «قال له موسى طالباً منه على سبيل التأدب والتلطف بإظهار ذلك في قالب الاستئذان: هل أتبعك اتباعاً بليغاً حيث توجهت؛

(٥٠٩) انظر: النشر (٢/٢٣٧).
(٥١٠) كلمات القرآن (ص١٨٠).
(٥١١) انظر: الحجة في القراءات (ص١٣٤).
(٥١٢) انظر: المغني (٢/٣٧٩).
(٥١٣) مفردات الراغب (ص ٢٢١) مادة: رشد.

والاتباع: الإتيان لمثل فعل الغير لمجرد كونه آتياً به؛ وبيّن أنه لا يطلب منه غير العلم بقوله ﴿عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ﴾ وزاد في التلطف بالإشارة إلى أنه لا يطلب جميع ما عنده ليطول عليه الزمان بل جوامع منه يسترشد بها إلى باقيه فقال: ﴿مِمَّا عُلِّمْتَ﴾ وبناه للمفعول لعلم المخاطبين ـ لكونهم من الخلص ـ بأن الفاعل هو الله ﷻ، وللإشارة إلى سهولة كل أمر على الله ﷻ ﴿رَشَدًا﴾ أي علماً يرشدني إلى الصواب فيما أقصده، ولا نقص في تعلم نبي من نبي... وأتى عليه السلام في سؤاله له بهذه الأنواع من الآداب والإبلاغ في التواضع لما هو عليه من الرسوخ في العلم، لأن كل من كانت إحاطته بالعلوم أكثر، كان علمه بما فيها من البهجة والسعادة أكثر، فكان طلبه لها أشد، فكان تعظيمه لأرباب العلوم أكمل»[٥١٤].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (**رُشْداً**)؛ أن موسى عليه السلام طلب من الخضر أن يعلمه مما علمه الله علماً يسترشد به في أمر دينه ودنياه، أي: يكون فيه الصلاح في الدنيا والآخرة.

وأفادت قراءة (**رَشَداً**)؛ أن موسى عليه السلام طلب من الخضر أن يعلمه مما علمه الله علماً ذا رشد يسترشد به في أمر دينه، أي: فيه الصلاح في الدين.

وعلى ذلك فقراءة (**رَشَداً**) خصصت ما طلبه موسى عليه السلام من علم يبتغي تعلمه من العبد الصالح، وهو علم يكون فيه الصلاح في الدين.

ومما هو معروف ومنطقي أن أي علم يتعلمه الإنسان ابتغاء صلاح آخرته لا بد وأن يكون فيه صلاح دنياه، وعلى ذلك يمكن اعتبار أن القراءتين بمعنى واحد؛ وهو إصابة الخير أو الصلاح.

وأفادت قراءة (**تعلمني**) بإثبات الياء؛ حرص موسى عليه السلام على التعلم

---

(٥١٤) انظر: نظم الدرر (٤٩١/٤).

من علم العبد الصالح الذي هو من تعليم الله له، مزيداً من العلم ولو استغرق ذلك بعضاً من الوقت، وصبره على ذلك بدليل: أنَّ موسى عليه السلام لم يحدد مدة من الزمن يتعلم من خلالها، أو مقداراً من العلم يتعلمه من الخضر حينما طلب منه أن يعلمه، بل ترك أمر التعليم ومدته إلى الخضر، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى حينما قال الخضر لموسى عليه السلام إنه لن يستطيع الصبر على ما سيرى أجابه عليه السلام بقوله ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرًا﴾.

وهذا يدلل على حرصه على التعلم ولو استغرق هذا الأمر زمناً من الوقت. كما فيه دليل على تواضع موسى عليه السلام واعترافه بحاجته إلى العلم؛ فإثبات الياء فيه مزيد من اعترافه بذلك، وإقراره على نفسه بالجهل في بعض الأمور، وعلى أستاذه بالعلم.

وأفادت قراءة (**تعلمن**) بحذف الياء؛ حرص موسى عليه السلام على التعلم فور التقائه بالخضر.

الجمع بين القراءات:

يتبيّن من خلال الجمع بين القراءات؛ حرص موسى عليه السلام على سرعة ابتداء التعلم من الخضر علماً بقدر ما يستطيع، فيه الصلاح والإرشاد له في دينه ودنياه استجابة لأمر الله، وتواضعه لأستاذه واعترافه بالجهل في بعض الأمور، وصبره على هذا الأمر ـ التعلم ـ ولو استغرق مدة من الزمن.

٣١ ـ قال تعالى: ﴿قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعۡتَنِي فَلَا تَسۡـَٔلۡنِي عَن شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ أُحۡدِثَ لَكَ مِنۡهُ ذِكۡرًا ﴿٧٠﴾﴾ [الكهف: ٧٠].

القراءات:

١. قرأ نافع وابن عامر وأبو جعفر (**تَسْأَلَنِّي**) بفتح اللام وتشديد النون.

٢. قرأ الباقون (**تَسْأَلْنِي**) بإسكان اللام وتخفيف النون.

٣. اتفق القراء العشرة على إثبات الياء بعد النون في الحالين ـ الوصل

والـوقـف ـ إلا ابـن ذكـوان فـقـرأ بـالإثـبـات والـحـذف فـي الـوصـل والوقف[٥١٥].

البيان:

قراءة (تَسْأَلَنِّي) بفتح اللام وتشديد النون؛ على أنَّ النون المشددة هنا هي نون التوكيد الثقيلة التي تدخل في الأمر والنهي والشرط للتوكيد، فالفعل مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، وكُسرت نون التوكيد وحقها الفتح لمجانسة الياء، وحُذفت نون الوقاية لاجتماع الأمثال.

وقراءة (تَسْأَلْنِي) بإسكان اللام وتخفيف النون؛ على أنَّ الفعل مجزوم بلا الناهية. والنون للوقاية، والياء مفعول[٥١٦].

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن اشتراط الخضر على موسى عليه السلام إذا صحبه ألا يسأله عن شيء حتى يكون هو الذي يخبره بالأمر.

يقول الزمخشري: «فمن شرط اتباعك لي أنك إذا رأيت مني شيئاً وقد علمت أنه صحيح إلا أنه غَبِيَ عليك وجهُ صحته، فحميت[٥١٧]، وأنكرت في نفسك ألا تفاتحني بالسؤال، ولا تراجعني فيه، حتى أكون أنا الفاتح عليك. وهذا من آداب المتعلم مع العالم، والمتبوع مع التابع»[٥١٨].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (تَسْأَلَنِّي): التوكيد من الخضر على موسى عليه السلام ألا يبادر بسؤاله عن أي أمر من الأمور العجيبة التي يراها حتى يبدأه الخضر ببيان أمرها وتفسيرها. تحقيقاً لحصول أكمل أحوال المتعلم مع المعلم من الصبر والالتزام بأوامره.

---

(٥١٥) انظر: النشر (٢/٢٣٤).

(٥١٦) انظر: الكشف (٢/٦٧)، المغني (٢/٣٨٠).

(٥١٧) فحميت: أنفت وسخطت. انظر: مختار الصحاح (ص١٧٦) مادة. حمى.

(٥١٨) الكشاف (٣/٧٨).

يقول ابن عاشور: «والفاء في قوله ﴿فَإِنِ ٱتَّبَعۡتَنِي﴾ تفريع على وعد موسى إياه بأنه يجده صابراً، ففرع على ذلك نهيه عن السؤال عن شيء مما يشاهده من تصرفاته حتى يبيّنه له من تلقاء نفسه، وأكد النهي بحرف التوكيد تحقيقاً لحصول أكمل أحوال المتعلم مع المعلم، لأن السؤال قد يصادف وقت اشتغال المسؤول بإكمال عمله فتضيق له نفسه، فربما كان الجواب عنه بدون شَرَهِ نفس، وربما خالطه بعض القلق فيكون الجواب غير شاف. فأراد الخضر أن يتولى هو بيان أعماله في الإبّان الذي يراه مناسباً ليكون البيان أبسط، والإقبال أبهج فيزيد الاتصال بين القرينين»(٥١٩).

أما قراءة (**تَسْأَلْنِي**) فأفادت نهي الخضر لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ من سؤاله عن أي أمر يراه قبل أن يبيّنه له هو. وفي هذا تعليم للصبر.

وأفادت قراءة (**تسألني**) بإثبات الياء وحذفها على اعتبار أنّ الإثبات للنهي عن دوام السؤال، والحذف للنهي عن السرعة في السؤال بعد رؤية الحدث. والله أعلم.

الجمع بين القراءات:

يتبيّن من خلال الجمع بين القراءات مدى حرص الخضر على تطبيق آداب العالم والمتعلم من خلال تعليمه لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ حيث طلب منه وأكد عليه ألا يسأله عن أي شيء يراه بمجرد حدوثه، وأن عليه الانتظار، وألا يلح في ذلك حتى يبيّنه هو له.

٣٢ ـ قال تعالى: ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَاۖ قَالَ أَخَرَقۡتَهَا لِتُغۡرِقَ أَهۡلَهَا لَقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـًٔا إِمۡرٗا ٧١﴾ [الكهف: ٧١].

القراءات:

١. قرأ حمزة والكسائي وخلف (**ليَغْرَق أَهْلُها**) بالياء وفتح الراء، (أهلُها) بالرفع.

(٥١٩) التحرير والتنوير (مجلد ٧ج١٥ ص٣٧٣ ـ ٣٧٤).

٢. قرأ الباقون (**لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا**) بالتاء وكسر الراء ونصب (أهلَها)[٥٢٠].

البيان:

قراءة (**لتُغرِق أَهْلَها**) بالتاء؛ مضارع (أغرق) الثلاثي المزيد بهمزة[٥٢١]، وذلك على الخطاب من موسى للخضر، فالمخاطب هو الفاعل، ودلّ بالتاء على حد المواجهة والحضور[٥٢٢]، وتعدى فعله إلى الأهل. فنصبهم، وناسب ذلك ما قبله وما بعده، فالذي قبله قوله (أخرقتها) والذي بعده قوله (لقد جئت)[٥٢٣].

وقراءة (**ليَغْرَق أَهْلُها**) بالياء؛ مضارع (غرق) الثلاثي، و(أهلُها) بالرفع فاعل (يغرق). وذلك على الالتفات من الخطاب إلى الغيبة[٥٢٤].

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن بداية رحلة موسى عليه السلام مع العبد الصالح، بعدما أخذ العبد الصالح عليه العهد على ألا يبادره بسؤال عما يرى من أمور مستنكرة حتى يبادره هو ببيانها. والبداية بقصة السفينة وما أحدثه فيها من خرق فعله الخضر وأنكره موسى عليه.

أخرج البخاري في صحيحه: «فانطلقا يمشيان على ساحل البحر، فمرت سفينة فكلموهم أن يحملوهم، فعرفوا الخضر فحملوه بغير نول، فلما ركبا في السفينة، لم يَفَجأْ إلا والخضر قد قلع لوحاً من ألواح السفينة بالقدوم، فقال له موسى: قوم حملونا بغير نول[٥٢٥] عمدت إلى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها، لقد جئت شيئاً إمراً، ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ

---

(٥٢٠) انظر: النشر (٢/٢٣٥).

(٥٢١) المغني (٢/ ٣٨١).

(٥٢٢) الحجة في القراءات (ص١٣٤).

(٥٢٣) انظر: الكشف (٢/٦٨)، الفريد (٣/٣٥٨).

(٥٢٤) القراءات وأثرها في علوم العربية (٢/١٢٦).

(٥٢٥) نول: عطاء. انظر: معجم المقاييس (ص١٠٠٤) مادة: نَوَلَ.

صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾﴾، قال: وقال رسول الله ﷺ: وكانت الأولى من موسى نسياناً، قال: وجاء عصفور فوقع على حرف السفينة، فنقر في البحر نقرة، فقال له الخضر: ما علمي وعلمُك من علم الله، إلا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر»(٥٢٦).

يقول ابن كثير: «يقول تعالى مخبراً عن موسى وصاحبه، وهو الخضر، أنهما انطلقا لما توافقا واصطحبا، واشترط عليه أن لا يسأله عن شيء أنكره حتى يكون هو الذي يبتدئه من تلقاء نفسه بشرحه وبيانه، فركبا في السفينة، وقد تقدم في الحديث كيف ركبا في السفينة، وأنهم عرفوا الخضر فحملوهما بغير نول؛ يعني بغير أجرة تكرمة للخضر، فلما استقلت بهم السفينة في البحر، ولججت أي دخلت اللُّجَّة، قام الخضر فخرقها واستخرج لوحاً من ألواحها، ثم رقعها، فلم يملك موسى عليه السلام نفسه أن قال منكراً عليه ﴿أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾، وهذه اللام لام العاقبة لا لام التعليل. كما قال الشاعر(٥٢٧):

لِـدُوا لـلـمـوتِ وابـنُـوا لـلـخـراب

﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾، قال مجاهد: منكراً، وقال قتادة: عجباً»(٥٢٨).

يقول القرطبي: «ولم يقل لتغرقني لأن الذي غلب عليه ـ موسى عليه السلام ـ في الحال فرط الشفقة عليهم، ومراعاة حقهم»(٥٢٩).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (**لتُغرِق أهلَها**): أن موسى عليه السلام أسند الغرق إلى

---

(٥٢٦) أخرجه البخاري في كتاب التفسير. باب ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ﴾... حديث رقم (٤٧٢٥) قال: حدثنا الحميدي....به. (فتح الباري (٨/٤٠٩ ـ ٤١٠)).

(٥٢٧) القائل هو أبو العتاهية، والشطر الثاني منه قوله: * فكلكم يصير إلى تباب *. (انظر: الأغاني (٤/٧٤)).

(٥٢٨) تفسير ابن كثير (٥/١٨٩).

(٥٢٩) تفسير القرطبي (٦/٢١).

الخضر، لأنه هو خارق السفينة، والخارق هو فاعل الغرق في المعنى[٥٣٠]. والتقدير: لتغرق أنت أهل هذه السفينة[٥٣١].

وأفادت قراءة (**لِيَغْرَق أَهْلُها**): أن موسى عليه السلام أسند الغرق إلى أهل السفينة. كأنه قال: أخرقت السفينة لترسو في البحر فيغرق فيه أهلها؟[٥٣٢].

الجمع بين القراءتين:

يظهر بالجمع بين القراءتين الأدب الجمّ الذي تحلى به موسى عليه السلام، حيث إن قراءة إسناد الغرق إلى أهل السفينة أزالت ما قد يظنه ظانّ أن تصرف موسى بتوجيه الخطاب إلى الخضر هو سوء أدب منه، ومن هنا يكون مدخل للطاعنين في عصمة الأنبياء. ومن ناحية أخرى بيّنت أن الخطاب القرآني يتنوع من أجل أن يبيّن فوائد عدة لا تُدرك إلا بفهم معاني القراءات، وفهم المقصود من هذا الخطاب، وخطاب الالتفات من أهم الخطاب في القرآن الذي بين هذه المعاني السامية.

يقول محمد سالم محيسن: «وذلك على الالتفات من الخطاب إلى الغيبة إذ سياق الآية ﴿قَالَ أَخَرَقْتَهَا﴾ يقتضي الخطاب فيقال: (لتغرق) ولكن التفت إلى الغيبة ليسند موسى عليه السلام الغرق إلى أهل السفينة، ولم يسنده إلى الخضر تأدباً معه، ولو ظل الأسلوب القرآني على الخطاب لفاتت هذه الفائدة»[٥٣٣].

٣٣ ـ قال تعالى: ﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾﴾ [الكهف: ٧٣].

القراءات:

١. قرأ أبو جعفر (**عُسُراً**) بضم السين.

---

(٥٣٠) انظر: الكشف (٦٨/٢).

(٥٣١) التفسير الكبير (مجلد ١١ج٢١ ص١٥٥).

(٥٣٢) انظر: حجة القراءات (ص٤٢٣).

(٥٣٣) القراءات وأثرها في علوم العربية (١٢٦/٢).

٢. قرأ الباقون (عُسْراً) بإسكان السين[٥٣٤].

اللغة والبيان:

عسراً: نقيض اليسر[٥٣٥]. أي: صعوبة ومشقة[٥٣٦].

أي: عاملني باليسر لا بالعسر[٥٣٧]. ولا تُضيِّق عليَّ الأمر في صحبتي إياك[٥٣٨]. ولا تكلفني ما لا أقدر عليه من التحفظ عن السهو والنسيان[٥٣٩].

عُسْراً وعُسُراً: الإسكان، والضم، لغتان في كل اسم على ثلاثة أحرف أوله مضموم: والإسكان هو الأصل، وهو لغة تميم وأسد، والضم لمجانسة ضم الحرف الأول، وهو لغة الحجازيين[٥٤٠].

والتثقيل لزيادة المبالغة. فإن (فُعلا) بضمة وبضمتين من صيغ جموع الكثرة، فيفيده ذلك مبالغة، وإن لم يكن جمعاً[٥٤١].

التفسير:

بعد حادثة خرق السفينة وإنكار موسى عليه السلام على الخضر ما فعل، وتذكير الخضر لموسى بالعهد الذي بينهما من عدم سؤاله عن شيء حتى يخبره بأمره؛ اعتذر موسى عليه السلام من الخضر وطلب منه ألا يشق عليه.

يقول ابن عاشور: «اعتذر موسى بالنسيان وكان قد نسي التزامه بما غشي ذهنه من مشاهدة ما ينكره، والنهي مستعمل في التعطف والتماس عدم المؤاخذة؛ لأنه قد يؤاخذه على النسيان مؤاخذة مَن لا يصلُح للمصاحبة لما

(٥٣٤) انظر: النشر (١٦٢/٢).

(٥٣٥) مفردات الراغب (ص ٣٧٤). مادة: عسر.

(٥٣٦) كلمات القرآن (ص١٨١).

(٥٣٧) معاني الزجاج (٣٠٢/٣).

(٥٣٨) مجمع البيان (٣٤٦/٦).

(٥٣٩) تفسير الماوردي (٣/ ٣٢٨).

(٥٤٠) المغني (٣٨٤/٢).

(٥٤١) سبق الإشارة إلى هذه النقطة عند تفسير الآية ٤٤ من السورة (ص١٦٢).

ينشأ عن النسيان من خطر. فالحَزامة الاحتراز من صحبة من يطرأ عليه النسيان، ولذلك بنى كلام موسى على طلب عدم المؤاخذة بالنسيان ولم يُبن على الاعتذار بالنسيان، كأنه رأى نفسه محقوقاً بالمؤاخذة، فكان كلاماً بديع النسج في الاعتذار، والمؤاخذة: مفاعلة من الأخذ، وهي هنا للمبالغة لأنها من جانب واحد كقوله تعالى ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ﴾ [النحل: ٦١]. وما مصدرية، أي: لا تؤاخذني بنسياني»[٥٤٢].

ويقول القاسمي: «﴿وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾ أي: لا تحمل عليَّ من أمري في تحصيل العلم منك عسراً لئلا يلجئني إلى تركه. أي: لا تعسِّر عليَّ متابعتك، بل يسرها عليّ بالإغضاء وترك المناقشة»[٥٤٣].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت قراءة (**عُسْراً**): أن موسى عليه السلام طلب من الخضر ألاَّ يؤاخذه على نسيانه للعهد الذي بينهما، وألاَّ يشق عليه في اتباعه لتحصيل العلم؛ بل يسهل عليه الأمر لئلا يلجئه ذلك إلى تركه.

وأفادت قراءة (عُسُراً): أن موسى عليه السلام طلب من الخضر ألاَّ يشق عليه في تحصيله للعلم، وألاَّ يبالغ في المشقة عليه طوال الرحلة؛ لأن هذا سيجعله غير قادر على الاستمرار فيها، وذلك لأن تتابع الضمات فيه ثقل وزيادة في المشقة.

الجمع بين القراءتين:

يتبيّن بالجمع بين القراءتين أن موسى عليه السلام اعتذر للخضر عن نسيانه للعهد الذي بينهما وهو عدم سؤاله عن أي شيء عجيب يراه من الخضر حتى يخبره الخضر بسبب فعله، ولا يؤاخذه على ذلك النسيان، كما طلب منه أن يهون عليه أمر متابعته في رحلة العلم، وألاَّ يشق عليه، وألا يداوم

(٥٤٢) التحرير والتنوير (مجلد ٧ج١٥ ص٣٧٦).

(٥٤٣) محاسن التأويل (٤٠٨١/١١).

على ذلك طوال الرحلة، بل يتغاضى عن أسئلته. ويعامله باليسر حتى لا يتركه.

٣٤ ـ قال تعالى: ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾﴾ [الكهف: ٧٤].

القراءات:

١. قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر ورويس **(زاكية)** بالألف وتخفيف الياء.

٢. قرأ الباقون **(زَكِيَّة)** بغير ألف بعد الزاي وتشديد الياء[٥٤٤].

١. قرأ نافع وابن ذكوان وشعبة وأبو جعفر ويعقوب **(نُكُراً)** بضم الكاف.

٢. قرأ الباقون **(نُكْراً)** بسكون الكاف[٥٤٥].

اللغة والبيان:

اختلف في معنى (زاكية) و (زكِيَّة) على أقوال:

(زاكية): اسم فاعل من (زكى) بمعنى: طاهرة من الذنوب، وصالحة؛ لأنها صغيرة، ولم تبلغ بعد حد التكليف[٥٤٦].

و**(زكِيَّة)**: صفة مشبهة من (الزكاء) بمعنى الطهارة أيضاً[٥٤٧]. أي: مُطَهَّرة[٥٤٨]. والقراءتان بمعنى واحد، إلا أن **(زكِيَّة)** أبلغ من **(زاكية)** لأنها صفة مشبهة تدل على الثبوت، كما أن فعيلاً المحول من فاعل يدل على المبالغة[٥٤٩].

---

(٥٤٤) انظر: النشر (٢/٢٣٥).
(٥٤٥) انظر: النشر (٢/١٦٣).
(٥٤٦) انظر: المغني (٢/٣٨٣).
(٥٤٧) المستنير (١/٣٢٢).
(٥٤٨) مجاز القرآن (١/٤١٠).
(٥٤٩) انظر: القراءات وأثرها: بازمول (٢/٩٠٨)، البحر المحيط (٦/١٤٢)، روح المعاني (١٥/٣٣٩).

وقال قتادة: (**زاكية**) نامية، و(**زَكِيَّة**) تقيّة ديِّنة. وقال الحسن: بريئة[٥٥٠]. أي: لم يُرَ ما يوجب قتلها[٥٥١]. قال ابن خالويه: (**زاكية**) أنها لم تذنب قط، و(**زَكِيَّة**) أنها أذنبت ثم تابت. قلت: وهو قول أبي عمرو بن العلاء[٥٥٢].

هذا على رأي من رأى أن الغلام لم يبلغ الحلم، ويرى البعض أن الغلام كان بالغاً.

قيل: كان شاباً بالغاً لأن غير البالغ لا يستحق القتل، وقد يُسمَّى الرجل غلاماً.

ومنه قول ليلى الأخيلية:

شفاها من الداء العضال الذي بها غلام إذا هز القناة سقاها[٥٥٣].

قلت: وكذلك رأى أبو حيان، وابن عطية، والبقاعي. ودللوا على كبر الغلام بقوله تعالى على لسان موسى ﷺ: ﴿بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾، وإلا فلو كان لم يحتلم لم يجب قتله بنفس ولا بغير نفس[٥٥٤].

شيئاً نُكراً: أي: داهية: أمراً عظيماً[٥٥٥]. والنكر: ما أنكرته العقول ونفرت عنه النفوس[٥٥٦].

---

(٥٥٠) حجة القراءات (ص٤٢٤).

(٥٥١) معاني الزجاج (٣/٣٠٣).

(٥٥٢) انظر: الحجة (ص١٣٤)، تفسير الماوردي (٣/٣٣٠)، روح المعاني (١٥/٣٣٩). وقد ناقش الألوسي تخريج أبي عمرو لقراءته، واختياره للقراءة والتخريج. فانظره في نفس المصدر.

(٥٥٣) مجمع البيان (٦/٣٤٦).

(٥٥٤) انظر: البحر المحيط (٦/١٤٢)، المحرر الوجيز (٣/٥٣٢).

(٥٥٥) مجاز القرآن (١/٤١٠).

(٥٥٦) التفسير الكبير (مجلد ١١ج٢١ ص١٥٦).

وقيل: أي: شيئاً أنكر من الأول[557]، أي: من خرق السفينة.

والإسكان، والضم، لغتان في كل اسم على ثلاثة أحرف أوله مضموم: والإسكان هو الأصل، وهو لغة تميم وأسد، والضم لمجانسة ضم الحرف الأول، وهو لغة الحجازيين[558].

التفسير:

بعد حادث خرق الخضر للسفينة، ونزول موسى عليه السلام مع الخضر من السفينة، وسلامتهما من الغرق، بدأت أحداث قصة جديدة في تلك الرحلة؛ وهي قتل العبد الصالح للغلام.

يقول البقاعي: «بعد نزولهما من السفينة وسلامتهما من الغرق والغصب ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا﴾ لم يبلغ الحلم وهو في غاية القوة ﴿فَقَتَلَهُۥ﴾ حين لقيه ـ كما دلت عليه الفاء العاطفة على الشرط ـ ثم أجاب الشرط بقوله مشعراً بأن شروعه في الإنكار في هذه أسرع: ﴿قَالَ﴾ أي موسى عليه السلام: ﴿أَقَتَلْتَ﴾ يا خضر ﴿نَفْسًا زَكِيَّةً﴾ بكونها على الفطرة الأولى من غير أن تدنس بخطيئة توجب القتل ﴿بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ قتلتها ليكون قتلك لها قوداً[559]؛ وهذا يدل على أنه كان بالغاً حتى إذا قتل قتيلاً أمكن قتله به إلا أن يكون شرعهم لا يشترط البلوغ، ثم استأنف قوله: ﴿لَّقَدْ جِئْتَ﴾ في قتلك إياها ﴿شَيْـًٔا﴾ وصرح بالإنكار في قوله: ﴿نُّكْرًا﴾ لأنه مباشرة. والخرق تسبب لا يلزم منه الغرق»[560].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (زاكية): أنَّ موسى عليه السلام قد أنكر على الخضر قتل

---

(٥٥٧) تفسير أبي السعود (٣/٢٦١).

(٥٥٨) المغني (٢/٣٨٤).

(٥٥٩) القَوَدُ: قَتْلُ القاتل بالقتيل، وسُمي قَوَداً لأنه يُقادُ إليه. (المقاييس في اللغة ص٨٦٧ مادة قود).

(٥٦٠) نظم الدرر (٤/٤٩٣).

الغلام لكونه صغيراً لم يبلغ الحلم، فنفسه طاهرة.

وأفادت قراءة (زكيّة): أنَّ موسى عليه السلام أنكر على الخضر قتل الغلام إنكاراً شديداً؛ لكونه يرى أن نفس الغلام طاهرة في ذاتها، كما أنها مطهرة وبريئة لأنها لم تقترف ذنباً يوجب القتل. وذلك على قول من اعتبره صغيراً لم يبلغ الحلم.

وقد خرّج النووي تخصيص موسى عليه السلام لحق القصاص بالنفي بقوله تعالى على لسان موسى ﴿بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾: بأنه الأنسب بمقام القتل، أو أن شرعهم كان إيجاب القصاص على الصبي، وقد نقل المحدثون كالبيهقي أنَّه كان في الإسلام كذلك قبل الهجرة، وقال السبكي[(٥٦١)] أنه كان قبل أُحد ثم نُسخ، أما من قال بأن الغلام كان بالغاً فقال: وصفه موسى عليه السلام بذلك لأنه لم يره أذنب، فهو وصف ناشىء من حسن الظن»[(٥٦٢)].

أما قراءة (نُكْراً) فأفادت أن ما فعله الخضر من قتل الغلام هو أمر عظيم تنكره العقول وتنفر منه النفوس.

وقراءة (نُكُراً) تفيد ما أفادته قراءة التخفيف؛ إلا أنّ توالي الضم على حرفين متتابعين يفيد الثقل، مما يوحي بأن هذا الفعل في غاية العظم والإنكار، بالإضافه إلى استغراقه لمعنى أنه أشد نكراً من خرق السفينة.

يقول ابن عاشور: «وكلام موسى في إنكار ذلك جرى على نسق كلامه في إنكار خرق السفينة، سوى أنه وصف هذا الفعل بأنه نُكُر، وهو ـ بضمتين ـ: الذي تنكره العقول وتستقبحه. فهو أشد من الشيء الإمْر؛ لأن

---

(٥٦١) هو: قاضي القضاة تقي الدين أبو الحسن علي بن عبد الكافي السبكي، والد تاج الدين السبكي مؤلف (طبقات الشافعية الكبرى) فقيه مصري شافعي، ولي قضاء الشام، ولد بسبك سنة ٦٨٣هـ، وتوفي سنة ٧٥٦هـ. مؤلف مكثر. من كتبه: (شفاء السقام في زيارة خير الأنام) و(الابتهاج في شرح المنهاج). (انظر ترجمته في: طبقات الشافعية الكبرى (١٣٩/١٠ وما بعدها)، طبقات الشافعية (٣٧/٣ ـ ٤٢)، المنجد في الأعلام ص٢٩٥).

(٥٦٢) انظر: روح المعاني (١٥/ ٣٣٩).

هذا فساد حاصل والآخر ذريعة فساد»[٥٦٣].

الجمع بين القراءات:

بالجمع بين القراءات يتبيّن أن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ قد أنكر على الخضر قتله للغلام إنكاراً شديداً واعتبره غاية في الفظاعة، لأنه قتل نفساً طاهرة بريئة لم ترتكب ذنباً. حتى أنه أشد فظاعة من خرق السفينة؛ لأن خرق السفينة قتلٌ مُتَرَقَّب، أما هذا فقتل بيِّن. وحتى لو كان الغلام بالغاً فإن هذا الفعل به في غاية الفظاعة؛ لأنه لم يرتكب ذنباً ظاهراً له يوجب القصاص منه.

٣٥ ـ قال تعالى: ﴿قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِيۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ٧٦﴾ [الكهف: ٧٦].

القراءات:

١. قرأ نافع وأبو جعفر (**لدُنِي**) بضم الدال وتخفيف النون.

٢. قرأ شعبة بوجهين:

الأول: إسكان الدال مع الإشمام مع تخفيف النون.

الثاني: اختلاس ضمة الدال مع تخفيف النون.

٣. قرأ الباقون (**لدُنّي**) بضم الدال وتشديد النون[٥٦٤].

اللغة والبيان:

(**لدن**): بمنزلة (عند) وإذا استقبلتها الألف واللام أسقطت نونها ورجعت إلى (لدى) كقولك لدن زيد، ولد الرجل[٥٦٥]. ولكن لدن أخص من (عند)؛ لأنه يدل على ابتداء نهاية. نحو أقمت عنده من لدن طلوع الشمس إلى غروبها، فيوضع (لدن) موضع نهاية الفعل. وقد يوضع موضع

(٥٦٣) التحرير والتنوير (مجلد ٧ج١٥ ص٣٧٨).

(٥٦٤) انظر: النشر (٢/٢٣٥)، الميسّر (ص٣٠٢)، المغني (٢/٣٨٤ ـ ٣٨٥).

(٥٦٥) كتاب حروف المعاني (١ /٢٦).

(عند) فيما حُكِيَ. يقال: أصبت عنده مالاً، ولدنه مالاً. قال بعضهم: لدن أبلغ من (عند) وأخص[٥٦٦]. كما في هذه الآية.

(لدنّي): الاسم (لدن)، والنون الثانية وقاية زيدت ليسلم سكون النون فيه كما زيدت في عني ومني لذلك، وأدغمت الأصلية في المزيدة، أما **(لدني)**: ففيها وجهان:

١ ـ حُذفت نون الوقاية كما حُذفت في (قد) فقيل: قدي وقدني.

٢ ـ أصله (لَدُ) وهي لغة من (لَدُنْ) والنون للوقاية. وبتخفيفها مع إشمام الدال شيئاً من الضم تنبيهاً على أصلها، إذ أصلها الضم، وإنما أسكنت تخفيفاً، كقولهم في عَضُد، عَضْدٌ[٥٦٧].

هذا تخريج القراءات من ناحية نحوية، أما من ناحية ما يفيده كل من التخفيف والتشديد فلم يتطرق إليه العلماء بصورة مباشرة، لذلك كان لزاماً التطرق إليه لأن كل قراءة لا بد أن تفيد معنىً جديداً.

التفسير:

بعدما أنكر موسى عليه السلام على الخضر قتله للغلام؛ ذكَّره الخضر بما حذره من عدم صبره على ما سيرى من أمور عجيبة، حينها اعتذر موسى عليه السلام وعبّر عن ندمه، ومدح صبر الخضر عليه.

يقول الرازي: «حكى تعالى عن ذلك العالم أنه ما زاد على أن ذكره ما عاهده عليه إلا أنه زاد ههنا لفظة (لك) لأن هذه اللفظة تؤكد التوبيخ، فعند هذا قال موسى ﴿إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي﴾ مع العلم بشدة حرصه على مصاحبته، وهذا كلام نادم شديد الندامة»[٥٦٨].

وقال الصابوني: «﴿قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا﴾ أي: قد أُعذرت إليّ في

---

(٥٦٦) مفردات الراغب (ص٥٠٤). مادة: لدن.

(٥٦٧) انظر: الفريد (٣/٣٦١)، معاني الزجاج (٣/٣٠٣ ـ ٣٠٤).

(٥٦٨) انظر: التفسير الكبير (مجلد ١١ج٢١ ص١٥٦). ببعض التصرف.

ترك مصاحبتي فأنت معذور عندي لمخالفتي لك ثلاث مرات»[٥٦٩].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (لدني) بالتخفيف: إعذار موسى عليه السلام للخضر إن ترك مصاحبته، وندمه على سؤاله.

وأفادت قراءة الاختلاس والإشمام مع التخفيف إعذار موسى للخضر مع استحيائه من الخضر على ما بدر منه، لأن خفاء الصوت بالحركة أو اختلاسها يوحي بضعف الصوت مما يوحي بالحياء والندم.

أما قراءة التثقيل فأفادت مزيداً من الإعذار للخضر من قبل موسى عليه السلام والندم على ما بدر منه من سؤاله، مع مدح لصبر الخضر عليه.

يقول الرازي: «ثم قال ﴿قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا﴾ والمراد منه أنه يمدحه بهذه الطريقة من حيث احتمله مرتين أولاً وثانياً، مع قرب المدة»[٥٧٠].

الجمع بين القراءات:

يتبيّن بالجمع بين القراءات أن موسى عليه السلام أدرك خطأه بمبادرته بالسؤال وعدم صبره على ما يرى من أمور عجيبة، وقد ندم على ذلك بحياء لقلة صبره بمقتضى طبع الاستعجال، ولكنه في نفس الوقت أكبر احتمال الخضر له رغم قرب المدة بين كل سؤال وآخر، ووجد له العذر في تركه إن تركه.

٣٦ ـ قال تعالى: ﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾﴾ [الكهف: ٧٧].

---

(٥٦٩) صفوة التفاسير (١٧٤/٢).

(٥٧٠) التفسير الكبير (مجلد ١١ج٢١ ص١٥٦).

القراءات:

١. قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب (**لَتَخِذْتَ**) بتخفيف التاء وكسر الخاء من غير ألف وصل.

٢. قرأ الباقون (**لاتَّخَذْتَ**) بتشديد التاء وفتح الخاء وألف وصل.

٣. قرأ ابن كثير وحفص ورويس بخلف عنه، بإظهار الذال عند التاء.

٤. قرأ الباقون بإدغام الذال في التاء، وهو الوجه الثاني لرويس[٥٧١].

اللغة والبيان:

قال الراغب: **تخذ** بمعنى أخذ[٥٧٢].

(**لَتَخِذْتَ**) فعل ماض من (تخذ، يتخذ) على وزن (علم، يعلم). (**لاتَّخَذْتَ**) فعل ماض من (اتخذ، يتخذ) على وزن (افْتَعَلَ) فأدغمت فاء الكلمة في (تاء) (افتعل)[٥٧٣]. وليس من الأخذ في شيء[٥٧٤]. ويجيء بناء افتعل للدلالة على المطاوعة، أو للدلالة على التصرف باجتهاد ومبالغة[٥٧٥]. أما بناء (تخذ) فَعَلَى وزن فَعِلَ. ويأتي للدلالة على عَرَض، والمراد بالعَرَض: المعنى العارض للذات غير الراسخ أو المستقر فيها، وأنه مما يحصل ويسرع زواله[٥٧٦].

التفسير:

يقول المنصوري: «﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾ هي

---

(٥٧١) انظر: النشر (٢/٢٣٦).

** تنبيه: تفسير الآية سيتناول فقط فرش الحروف لأن التفسير يتأثر فيه أما الأصول فغالباً لا أثر لها في التفسير.

(٥٧٢) انظر: مفردات الراغب (ص٨٤). مادة: تخذ.

(٥٧٣) المغني (٢/٣٨٦).

(٥٧٤) تفسير النسفي (٣/١٧).

(٥٧٥) شرح ابن عقيل (٢/٥١١). قسم تكملة في تصريف الأفعال.

(٥٧٦) انظر: معاني الأبنية في العربية (ص ٨١ ـ ٨٢).

أنطاكية[٥٧٧]، وقيل: برقة، وقيل هي بلدة في الأندلس ﴿ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا﴾ روي أنهما طافا في القرية فاستطعماهم فلم يطعموهما، واستضافاهم فأبوا أن يضيِّفوهما، ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾ أي يقارب ويداني أن يسقط، فاستعيرت الإرادة المشارفة للدلالة على المبالغة في ذلك، والانقضاض: الإسراع في السقوط، ومنه انقضاض الطير والكوكب ﴿فَأَقَامَهُۥ﴾ مسحه بيده فقام، وقيل: نقضه وبناه، وفي حديث أُبيّ[٥٧٨]: فقال الخضر بيده هكذا فأقامه ﴿قَالَ﴾ موسى عليه السلام ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ تحريضاً على أخذ الأجرة، أو تعريضاً بأنه فضول، كأنه لمَّا رأى الحرمان، ومساس الحاجة واشتغاله بما لا يعنيه؛ لم يتمالك الصبر»[٥٧٩].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت قراءة (**لَتَخِذْتَ**): أن موسى عليه السلام عرض على الخضر أخذ الأجرة على إقامة الجدار.

يقول القرطبي: «وفي حديث أبي بن كعب: لو شئت لأوتيت أجراً. وهذه صدرت من موسى سؤالاً على وجه العرض لا الاعتراض»[٥٨٠].

وأفادت قراءة (**لاتَّخَذْتَ**): أن موسى عليه السلام حرَّض الخضر وحثه على أخذ الجُعل أو الأجرة على إقامة الجدار.

---

(٥٧٧) مدينة تجارية في تركيا تقع على امتداد نهر أورونتس، على بعد ١٠كم من البحر الأبيض المتوسط، أنشأت نحو عام ٣٠٠ ق. م وكانت عاصمة سوريا خلال القرنين العاشر والحادي عشر الميلاديين، وأصبحت جزءاً من تركيا عام ١٩٢٣م بموجب معاهدة لوزان. (الموسوعة العربية العالمية (٢٥٩/٣)، وانظر وصف ياقوت الحموي للمدينة قديماً في معجم البلدان (٣١٦/١ وما بعدها)).

(٥٧٨) الحديث أخرجه الترمذي (٣٠٩/٥) كتاب: تفسير القرآن، باب: ومن سورة الكهف، حديث رقم (٣١٤٩). وقال: هذا حديث حسن.

(٥٧٩) المقتطف (٢٧٤/٣).

(٥٨٠) تفسير القرطبي (٣٢/٦).

يقول الألوسي: «قال موسى عليه السلام ﴿لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ تحريضاً للخضر عليه السلام، وحثاً على أخذ الجعل والأجرة على فعله ليحصل لهما بذلك الانتعاش والتقوي بالمعاش فهو سؤال له لِمَ لم يأخذ الأجرة، واعتراض على ترك الأخذ، فالمراد لازم فائدة الخبر إذ لا فائدة في الإخبار بفعله»[٥٨١].

الجمع بين القراءتين:

يتبيّن بالجمع بين القراءتين: أن موسى عليه السلام لم يعرض على الخضر أخذ الأجرة على إقامة الجدار فقط؛ بل حرَّضه على ذلك لشدة حاجتهما إلى الطعام والضيافة. هذا من جانب، ومن جانب آخر لأن أهل القرية قد رفضوا سابقاً استضافتهما أو حتى إطعامهما حينما طلبا منهم ذلك، لذلك فهؤلاء القوم لا يستحقون فعل الخضر.

٣٧ ـ قال تعالى: ﴿فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾﴾ [الكهف: ٨١].

القراءات:

١. قرأ نافع وأبو عمرو وأبو جعفر **(يُبَدِّلَهما)** بتشديد الدال.

٢. قرأ الباقون **(يُبْدِلَهما)** بتخفيف الدال[٥٨٢].

١. قرأ ابن عامر وأبو جعفر ويعقوب **(رُحُماً)** بضم الحاء.

٢. قرأ الباقون **(رُحْمَاً)** بسكون الحاء[٥٨٣].

---

(٥٨١) تفسير الألوسي (٧/١٦).

(٥٨٢) انظر: النشر (٢/٢٣٦).

(٥٨٣) انظر: النشر (٢/١٦٣).

اللغة والبيان:

رحماً: رحمة وعطفاً[٥٨٤]. وهو مصدر رحمت[٥٨٥]. **وأقرب رحماً**: أي: أقرب عطفاً وأمسُّ بالقرابة[٥٨٦].

(**يُبَدِّلَهما**): مضارع (بدَّل) الثلاثي مضعف العين. ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً﴾ [النحل: ١٠١].

(**يُبْدِلَهما**): مضارع (أبدل) الثلاثي المزيد بهمزة[٥٨٧] «ومنه قول العرب: أبدلت الشيء من الشيء؛ إذا أزلت الأول، وجعلت الثاني مكانه، ومنه قول أبي النجم[٥٨٨]:

* عَزْلُ الأمير للأمير المُبْدَل *

فكذلك الولد الذي أراد الله تعالى إبدال أبويه به غير الأول. ولفظها إذا قالوا: بدَّلت الشيء من الشيء، فمعناه غيرت حاله وعينه، والأصل باقٍ. كقولك: بدلت قميصي جبة، وخاتمي حلقة. ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿بَدَّلْنَهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ فالجلد الثاني هو الأول ولو كان غيره لم يجب عذابه، لأنه لم يباشر معصية. فأما إذا قالوا أبدلت غلامي جارية وفرسي ناقة، لم يقولوه إلا بالألف»[٥٨٩].

---

(٥٨٤) تفسير غريب القرآن (ص٢٧٠). وانظر: الحجة في القراءات السبع (ص١٣٦)، تفسير النسفي (١٨/٣).

(٥٨٥) معاني القرآن للفراء (١٥٧/٢).

(٥٨٦) معاني القرآن للزجاج (٣٠٥/٣).

(٥٨٧) انظر: الكشف (٧٢/٢)، المغني (٣٨٧/٢)، الهادي (٢١/٣)، الحجة في القراءات السبع (ص١٣٥)، الدر المصون (٤٧٨/٤).

(٥٨٨) البيت في اللسان (٢٣١/١) مادة: بدل، وفي تهذيب اللغة (١٣٢/١٤).

(٥٨٩) انظر: الحجة في القراءات السبع (ص١٣٥ ـ ١٣٦). وهذا المعنى ذكره الأزهري في كتابه معاني القراءات (ص٢٧٣) فانظره. وانظر أيضاً: الكشف (٧٢/٢).

التفسير:

بعدما تمت رحلة الخضر مع موسى عليه السلام ورأى فيها موسى أموراً عجيبة من فعل الخضر لم يصبر عليها، وقبل الفراق بينهما نبأ الخضر موسى عليه السلام عن حكمة تلك الأمور العجيبة التي أنكرها عليه حسب وعده له بذلك. فأخبره عن تأويل الفعلة الأولى وهي: خرق السفينة، وهذه الآية تتحدث عن تأويل الفعلة الثانية وهي قتل الغلام؛ فبيّن له الحكمة من قتله وهي: أن الله أراد أن يحفظ على والديه إيمانهما ويرزقهما أطهر نفساً منه، وأكثر براً بهما منه لأن ذلك الغلام كان فاسداً مفسداً في باطنه، وهذا من العلم الذي أعلمه الله للخضر. فهو تنفيذ لأمر الله رحمة بالعباد.

يقول الألوسي في تفسيره: «﴿فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ﴾ بأن يرزقهما بدله ولداً خيراً منه طهارة من الذنوب والأخلاق الرديئة. وفي التعرض لعنوان الربوبية والإضافة إليهما ما لا يخفى من الدلالة على إرادة وصول الخير إليهما، ﴿وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ والمراد أقرب رحمة عليهما وبراً بهما، وأخرج ابن أبي شيبة. وابن المنذر. وابن أبي حاتم عن عطية أن المعنى: هما به أرحم منهما بالغلام، ولعل المراد على هذا أنه أحب إليهما من ذلك الغلام إما لزيادة حسن خُلُقه أو خَلْقه أو الاثنين معاً، وهذا المعنى أقرب للتأسيس من المعنى الأول على تفسير المعطوف عليه بما سمعت، إلا أنه يؤيد التفسير ما روي عن ابن عباس أنهما أُبدلا جارية ولدت نبياً، وقال الثعلبي[٥٩٠]: إنها أدركت يونس بن متى فتزوجها نبي من الأنبياء فولدت نبياً هدى الله تعالى على يده أمة من الأمم، ووجه التأييد أن الجارية بحسب العادة تحب أبويها وترحمهما، وتعطف عليهما، وتبر بهما أكثر من الغلام،

(٥٩٠) هو: أبو اسحاق أحمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري المقرىء المفسر، وهو غير الثعالبي أبو زيد عبدالرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي الجزائري صاحب تفسير الجواهر الحسان، فالثعلبي له تفسير الكشف والبيان عن تفسير القرآن، توفي سنة ٤٢٧هـ. (انظر في ترجمته: وفيات الأعيان (٧٩/١ ـ ٨٠). طبقات المفسرين: السيوطي (٢٨/١)، شذرات الذهب (٢٣٠/٢ ـ ٢٣١)).

قيل أبدلهما غلاماً مؤمناً مثلهما[591]»[592].

يقول سعيد حوى: «وفي المرة الثانية قال: ﴿فَأَرَدْنَآ﴾ لأنه إفساد من حيث الفعل، إنعام من حيث التبديل، فلم ينسبه إلى نفسه منفردة صراحة، ولم ينسبه إلى الله صراحة، وفي المرة الأولى قال: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ نسبه إلى نفسه فقط؛ لأنه إفساد في الظاهر وهو من فعله فكانت دقته في التعبير نموذجاً على كمال أدبه، فهو تعليم لنا، وأدب من أدب الأولياء مع الله»[593].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة **(يُبَدِّلَهما)**: أن الغاية من قتل الغلام هو: إرادة الله أن يرزق الأبوين المؤمنين غلاماً مسلماً طاهر النفس باراً بهما، وذلك حفاظاً عليهما ورحمة بهما.

أما قراءة **(يُبْدِلَهما)** فأفادت: بأن بديل الغلام لم يكن من جنسه بل هي أنثى طاهرة النفس طيبة الخلق رحيمة عطوفة بارة بهما.

وقراءة **(رُحْماً)** أفادت أن الذي سيرزقانه بدل ابنهما المقتول سيكون أقرب رحمة وعطفاً بوالديه.

أما قراءة **(رُحُماً)** فأفادت تبادل المعنى بين الأهل وبديل الغلام المقتول؛ وذلك لأن (رُحُماً) على وزن فُعْلاً وهو من صيغ جموع الكثرة التي تفيد المبالغة، فإذا كان على وزن فُعُلا كان أكثر إفادة للمعنى.

واحتمل معنيين؛ الأول خاص ببديل الغلام المقتول. والآخر خاص بهما: أما الأول: الذي سيكون بديلاً لابنهما المقتول فسيكون أقرب عطفاً ورحمة بوالديه. أما الآخر الخاص بهما: فسيكون الأبوان أرحم به من الغلام

(٥٩١) هذا قول ابن جريج، ذكره الثعلبي في تفسيره (ص١٣٠٠). (انظر كتابه في شبكة المعلومات الدولية ـ شبكة التفسير والدراسات القرآنية www. Tafsir.net.

(٥٩٢) انظر: تفسير الألوسي (١٦/١١ ـ ١٢) باختصار.

(٥٩٣) الأساس في التفسير (٣٢١٤/٦).

المقتول. ويؤيد ذلك ما ذكره الألوسي آنفاً.

الجمع بين القراءات:

بالجمع بين القراءات يتبيّن أن قراءة (**يُبْدِلَهما**) بيّنت جنس المبدل الذي لم توضحة القراءة الأخرى، وأنها ستكون جارية على قدر كبير من حسن الخُلق وأقرب رحمة وعطفاً بوالديها، وأنهما سيكونان أرحم بها وأكثر محبة لها من حبهما للغلام.

٣٨ ـ فأتبع من قوله تعالى: ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾﴾ [الكهف: ٨٥].

أتبع من قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾﴾ [الكهف: ٨٩].

ومن قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾﴾ [الكهف: ٩٢].

القراءات:

١. قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر ويعقوب (**فاتَّبَعَ**) بوصل الهمزة وتشديد التاء.

٢. قرأ الباقون (**فأَتْبَعَ**) بقطع الهمزة وإسكان التاء[٥٩٤].

اللغة والبيان:

(**أتبع**) فعل ماض على وزن (أفعل) يتعدى إلى مفعولين: فـ(سبباً) هو المفعول الثاني، والمفعول الأول محذوف تقديره: فأتبع سبباً سبباً، أو أتبع أمره سبباً.

(**اتَّبَعَ**) فعل ماض على وزن (افتعل) من (تبع) الثلاثي، ثم أُدغمت تاء الافتعال في فاء الكلمة[٥٩٥].

---

(٥٩٤) انظر: النشر (٢/٢٣٦).

(٥٩٥) انظر: المغني (٢/٣٨٩)، الكشف (٢/٧٣).

قال أبو زيد[٥٩٦]: رأيت القوم فأتبعْتُهم إتباعاً: إذا سبقوك فأسرعت نحوهم، ومروا عليّ فاتَّبعتهم اتّباعاً إذا ذهبت معهم ولم يسبقوك[٥٩٧].

وقال أبو عبيد: (اتَّبع) بالوصل في السير، و(أتبع) بالقطع معناه اللحاق[٥٩٨]. وهو عبارة عن المُجِدِّ المُسرع الحثيث الطلب، وبالوصل إنما يتضمن الاقتفاء دون هذه الصفات[٥٩٩].

ويُقال: تَبِعَهُ واتَّبَعَهُ: قفا أثره، وذلك تارة بالجسم، وتارة بالارتسام والائتمار، ويُقال: أَتْبَعَهُ: إذا لَحِقَهُ[٦٠٠]. ودليل ذلك قوله تعالى ﴿فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ [الصافات: ١٠]. أي: لحقه.

والسبب ها هنا: الطريق[٦٠١]. وقال أبو عبيدة[٦٠٢]: (فأتبع سبباً) أي: طريقاً وأثراً ومنهجاً[٦٠٣].

التفسير:

الآيات الثلاث ترسم بداية خط سير الرحلات الثلاث لبطل القصة الرابعة التي وردت في سورة الكهف؛ وهي قصة ذي القرنين[٦٠٤] الذي

(٥٩٦) هو: سعيد بن أوس بن ثابت أبو زيد الأنصاري، صاحب كتاب النوادر، روى القراءات عن أبي عمرو بن العلاء، توفي ٢١٥هـ. انظر: البلغة (١/١٠٣).

(٥٩٧) حجة القراءات (ص٤٢٨)، الحجة للقراء (١٦٧/٥).

(٥٩٨) محاسن التأويل (١١/ ٤١٠٠). وانظر: تفسير الطبري (مجلد ٨ج١٦ ص٩).

(٥٩٩) الدر المصون (٤/٤٨٠).

(٦٠٠) انظر: مفردات الراغب (ص ٨٣). مادة: تبع.

(٦٠١) الحجة في القراءات السبع (ص١٣٦).

(٦٠٢) هو: معمر بن المثنى التيمي البصري، النحوي اللغوي، كان عالماً بجميع العلوم، قدم بغداد أيام الرشيد وقرأ عليه بها بعض كتبه، له كتاب في مثالب العرب وكتاب في مثالب أهل البصرة. توفي سنة ٢٠٨هـ. انظر: البلغة (١/٢٢٤).

(٦٠٣) مجاز القرآن (١/٤١٣).

(٦٠٤) اختلف المفسرون في اسم ذي القرنين ونسبه وزمان وجوده، وسبب تلقيبه بهذا اللقب (ذو القرنين)، وتباينت أقوالهم في ذلك، لأنه لم يرد نص صريح من قرآن أو سنة يوضح ذلك، وكل ما جاء في شأنه أنه ملك صالح مكن الله له في الأرض=

مكّن الله له في الأرض، وآتاه من أسباب العلم والصلاح ما مكنه أن يبلغ مشارق الأرض ومغاربها لينشر دين الله، وليحكم العالم بحكم الله.

وهذه القصة هي إحدى ثلاث أمور سألت قريش عنها النبي ﷺ بإيعاز من اليهود، والتي كانت سبباً لنزول سورة الكهف كما سبق ذكره عند الحديث عن سبب نزول السورة.

يقول سيد قطب: «لقد سأل سائلون عن ذي القرنين سألوا الرسول ﷺ فأوحى إليه الله بما هو وارد هنا من سيرته. وليس أمامنا مصدر آخر غير القرآن في هذه السيرة. فنحن لا نملك التوسع فيها بغير علم. وقد وردت في التفاسير أقوال كثيرة، ولكنها لا تعتمد على يقين. وينبغي أن تؤخذ بحذر، لما فيها من إسرائيليات وأساطير، وقد سجل السياق القرآني لذي القرنين ثلاث رحلات: واحدة إلى المغرب، وواحدة إلى المشرق، وواحدة إلى مكان بين السدين.. فلنتابع السياق في هذه الرحلات الثلاث»(٦٠٥).

يقول ابن عاشور: «السبب الوسيلة. والمراد هنا معنى مجازي وهو الطريق؛ لأن الطريق وسيلة إلى المكان المقصود، وقرينة المجاز ذكر الاتباع والبلوغ في قوله ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ﴾. والدليل على إرادة غير معنى السبب في قوله تعالى ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ إظهار اسم السبب دون إضماره؛ لأنه لما أُريد به معنى غير ما أُريد بالأول حسن إظهار اسمه تنبيهاً على اختلاف المعنيين، أي: فاتبع طريقاً للسير وكان سيره للغزو كما دل عليه قوله ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ﴾»(٦٠٦).

= وآتاه من أسباب التمكين ما جعله يملك مشارق الأرض ومغاربها، ويحقق العدل وينشر دين الله في الأرض. وكما هو معروف فإن القصص القرآني المقصود منه العبرة والعظة، والعبرة تتحقق بدون الحاجة إلى تحديد الاسم أو الزمان والمكان. **الباحثة.**

(٦٠٥) الظلال (٤/٢٢٩٠).

(٦٠٦) التحرير والتنوير (مجلد ٨ج١٦ ص٢٤ ـ ٢٥).

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت قراءة **(اتَّبَعَ)**: أنّ ذا القرنين سار في طريقه إلى الغزو سالكاً طريقاً مؤدية إلى مبتغاه، وأفادت قراءة **(أتبع)**: أنه سلك طريقه بكل جد وهمة حرصاً على الوصول إلى مبتغاه بأقصى سرعة وبكل طاقته فألحق طريقاً بطريق حتى وصل إلى هدفه. فعدل في الحكم ورفع الظلم عن العباد ومكّن لدين الله في الأرض.

يقول ابن الجوزي: «والمعنى تبع طريقاً يؤديه إلى مغرب الشمس وكان إذا ظهر على قوم أخذ منهم جيشاً فسار بهم إلى غيرهم»(٦٠٧).

الجمع بين القراءتين:

يتبيّن بالجمع بين القراءتين حرص ذو القرنين على الغزو في سبيل الله ﷻ، حيث إنه لم يكن جاداً في هدفه فقط، بل حريصاً على الوصول إلى مبتغاه بأقصى ما يستطيع من قدرة، ومما دلل على ذلك؛ أنه لم يلتفت لملك أو مال أو جاه، وإنما كان حريصاً على نشر دين الله في البلاد المفتوحة بين العباد والعدل بينهم، ورفع الظلم عنهم، فإذا اطمأن إلى ذلك ترك كل شيء وتابع رحلته في سبيل الله. فجاءت قراءة القطع تفسيراً لقراءة التشديد.

يقول البقاعي: «فأراد بلوغ المغرب، ولعله بدأ به لأن باب التوبة فيه **﴿فاتَّبَعَ﴾** أي بغاية جهده هذا على قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو بالتشديد، والمعنى على قراءة الباقين بقطع الهمزة وإسكان الفوقانية: ألحق بعض الأسباب ببعض، وذلك تفسير لقراءة التشديد»(٦٠٨).

٣٩ ـ قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ

---

(٦٠٧) زاد المسير (١٨٥/٥).

(٦٠٨) نظم الدرر (٥٠١/٤).

﴿وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًاۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾﴾ [الكهف: ٨٦].

القراءات:

١. قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وحفص ويعقوب (حَمِئَةٍ) بغير ألف بعد الحاء، وبالهمزة.

٢. قرأ الباقون (حاميَةٍ) بالألف وفتح الياء من غير همز[٦٠٩].

اللغة والبيان:

(حاميةٍ): اسم فاعل من (حمى يحمي). و(حَمِئَةٍ): صفة مشبهة مشتقة من (الحمأة)[٦١٠].

الحمي: الحرارة المتولدة من الجواهر المحمية، كالنار والشمس، ومن القوة الحارة في البدن، قال تعالى: ﴿فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾، أي: حارة.

والحمْأَةُ والحَمَأُ: طين أسود منتن، قال تعالى: ﴿مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الحجر: ٢٦]، ويُقال: حَمَأْتُ البئر: أخرجتُ حَمْأَتَها، وأَحْمَأْتُها: جعلتُ فيها حَمَأً، وقرئ: ﴿فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ ذاتِ حَمَإٍ[٦١١].

ويقول الأزهري: من قرأ (حمئة) أراد: في عين ذات حمأة، قد حميت فهي حمئة، ومن قرأ (حامية) أراد: حارة، وقد تكون حارة ذات حمأة، فيكون فيها المعنيان[٦١٢].

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن بداية رحلة ذي القرنين؛ فبدأت رحلته باتجاه

(٦٠٩) انظر: النشر (٢/٢٣٦).
(٦١٠) انظر: المغني (٢/٣٩٠).
(٦١١) انظر: مفردات الراغب (ص ١٤٨ ـ ١٤٩). مادة: حمى. ومفاتيح الأغاني (ص٢٦١).
(٦١٢) معاني القراءات (ص٢٧٤).

أقصى الغرب، فوصل إلى عين ماء قد اختلط طينها الأسود بمائها الحار، ووجد في ذلك المكان قوماً خيّره الله ﷻ في أمرهم.

يقول المنصوري: «حتى إذا بلغ منتهى الأرض من جهة الغرب، بحيث لا يتمكن أحد عن مجاوزته، ووقف على حافة البحر المحيط الغربي، الذي يُقال له أوقيانوس، وجد الشمس تغرب في عين[٦١٣] ذات حمأة، وهي الطين الأسود، ولعله بلغ ساحل المحيط، فرآها كذلك، إذ لم يكن في مطمع بصره غير الماء، ولذلك قال تعالى: ﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ﴾ ولم يقل: كانت تغرب، كما أن راكب البحر يرى الشمس تغيب في البحر»[٦١٤].

ويقول الشنقيطي: «المراد بالعين في الآية البحر المحيط، وهو ذو طين أسود. والعين تطلق في اللغة على ينبوع الماء. والينبوع: الماء الكثير، فاسم العين يصدق على البحر لغة. وكون مَن على شاطىء المحيط الغربي يرى الشمس في نظر عينه تسقط في البحر أمر معروف»[٦١٥].

يقول البيضاوي: «ووجد عند تلك العين قوماً، قيل كان لباسهم جلود الوحش، وطعامهم ما لفظه البحر، وكانوا كفاراً، فخيَّره الله ﷻ بين أن يعذبهم بالقتل، أو يدعوهم إلى الإيمان بالإرشاد وتعليم الشرائع. وقيل: خيّره بين القتل والأسر وسماه إحساناً في مقابلة القتل»[٦١٦].

---

(٦١٣) رجح ابن عاشور أن يكون المقصود بالعين هي: عين من عيون النفط الواقعة على ساحل بحر الخزر حيث مدينة (باكو) والتي فيها منابع للنفط، واحتج على ذلك بأن النفط لم يكن معروفاً يومئذ. والمؤرخون المسلمون يسمونها البلاد المنتنة. (انظر: التحرير والتنوير (٢٦/١٦)). ويميل الدكتور عبدالعليم خضر في كتابه «مفاهيم جغرافية في القصص القرآني ـ قصة ذي القرنين» إلى تحديد بحر إيجة، وأنه البحر الغربي الذي بلغه، وأن خليج أزمير الذي يصب فيه نهر (غديس) الذي يحمل معه الأتربة والطين البركاني من الأناضول هو العين الحمئة. (هامش مباحث في التفسير الموضوعي ص٣٠٤).

(٦١٤) انظر: المقتطف (٢٧٨/٣) بتصرف.

(٦١٥) أضواء البيان (٤٣٠/٢).

(٦١٦) انظر: تفسير البيضاوي (٥٢٠/٣).

ويقول سعيد حوى: «﴿قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ . . .﴾ الآية. هذا القول الموجه لذي القرنين، هل كان إلهاماً فيكون ولياً؟ أو كان وحياً له فيكون نبياً؟ أو يكون وحياً بواسطة نبي معه فيكون صديقاً؟ ليس عندنا ما نستطيع الجزم به. والآية تفيد أنه خُيِّر بين أن يعذبهم بالقتل إن أصروا على أمرهم، وبين أن يتخذ فيهم حسناً بإكرامهم وتعليمهم الشرائع إن آمنوا»[٦١٧].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت قراءة **(حمئة)**: أن ذا القرنين وجد الشمس تغرب في عين ذات طين أسود نتن.

قال ابن كثير: «والحمئة مشتقة على إحدى القراءتين من (الحمأة) وهو الطين، كما قال تعالى ﴿إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الحجر: ٢٨]، أي: طين أملس. وقد تقدم بيانه، وقال ابن جرير[٦١٨]: حدثني يونس أخبرنا ابن وهب، أنبأنا نافع بن أبي نعيم: سمعت عبدالرحمن الأعرج يقول كان ابن عباس يقول ﴿فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ ثم فسرها ذات حمأة، قال نافع: وسئل عنها كعب الأحبار فقال: أنتم أعلم بالقرآن مني ولكني أجدها في الكتاب تغيب في طينة سوداء، وكذا روى غير واحد عن ابن عباس[٦١٩] وبه قال مجاهد[٦٢٠] وغير واحد»[٦٢١].

وأفادت قراءة **(حامية)**: أنه وجدها تغرب في عين ماء حارة.

قال عبدالله بن عمرو: نظر النبي ﷺ إلى الشمس حين غربت، فقال:

---

(٦١٧) الأساس في التفسير (٣٢٢٥/٦).

(٦١٨) أخرجه ابن جرير في تفسيره (مجلد ٨ج١٦ ص١٠). ولم أعثر عليه في مصدر آخر حسب اطلاعي.

(٦١٩) انظر: تنوير المقباس من تفسير ابن عباس للفيروز آبادي (ص٢٥١). وقال: حارة، ويقال طينة سوداء منتنة إن قرأت بغير ألف.

(٦٢٠) انظر: تفسير مجاهد (٣٨٠/١).

(٦٢١) تفسير ابن كثير (١٩٨/٥).

«نار الله الحامية لولا ما يَزَعُها من أمر الله لأحرقت ما على الأرض»(٦٢٢).

الجمع بين القراءتين:

الآية بالقراءتين جمعت وصفين في تلك العين التي وجد ذو القرنين الشمس تغرب فيها؛ فهي عين حارة، وهي ذات طين أسود منتن.

يقول الطبري: «والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إنهما قراءتان مستفيضتان في قرأة الأمصار، ولكل واحدة منهما وجه صحيح ومعنى مفهوم، وكلا وجهيه غير مفسد أحدهما صاحبه، وذلك أنه جائز أن تكون الشمس تغرب في عين حارة ذات حمأة وطين، فيكون القارئ (في عين حامية) واصفها بصفتها التي هي لها، وهي الحرارة، ويكون القارئ (في عين حمئة) واصفها بصفتها التي هي بها وهي أنها ذات حمأة وطين»(٦٢٣).

٤٠ ـ قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الكهف: ٨٨].

القراءات:

١. قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وشعبة وأبو جعفر **(جزاءُ الحسنى)** برفع الهمزة من غير تنوين.

٢. قرأ الباقون **(جزاءً الحسنى)** بفتح الهمزة منونة منصوبة مع كسر التنوين وصلاً للساكنين(٦٢٤).

١. قرأ أبو جعفر **(يُسُراً)** بضم السين.

---

(٦٢٢) تفسير القرطبي (٤٦/٦). والحديث ذكره ابن كثير في تفسيره (١٩٩/٥) بتكرار قوله «نار الله الحامية» وبزيادة (من) في بدايته وقال فيه: رواه الإمام أحمد عن يزيد بن هارون، وفي صحة رفع هذا الحديث نظر، ولعله من كلام عبدالله بن عمرو. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٣١/٨) رواه أحمد وفيه راوٍ لم يسمه وبقية رجاله ثقات.

(٦٢٣) تفسير الطبري (مجلد ٨ج١٦ ص١٠).

(٦٢٤) انظر: النشر (٢٣٦/٢)، الميسر (ص٣٠٣).

٢. قرأ الباقون (يُسْراً) بإسكان السين[٦٢٥].

اللغة والبيان:

الجزاء: الغِناء والكفاية، والجزاء: ما فيه الكفاية من المقابلة، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر. يقال: جزيته كذا وبكذا[٦٢٦].

(جزاءً الحسنى): جزاءً: وفيه وجهان:

أحدهما: مصدر في موضع الحال، أي: فله الحسنى مجزياً بها والعامل فيه معنى الاستقرار الحاصل من (له) وذو الحال الهاء في (له) أي: ثبت أو استقر له الحسنى.

والثاني: مصدر محض على المعنى: أي: يجزون بها جزاءً[٦٢٧].

(جزاءُ الحسنى): جزاءُ: مبتدأ مؤخر خبره الجار والمجرور قبله، والحسنى مضاف إليه[٦٢٨]. على أنه يريد بـ(الحسنى): أعمالهم الصالحة في إيمانهم، فوعدهم بجزاء الأعمال الصالحة[٦٢٩].

وقيل: (الحسنى) بمعنى: الجنة، وأُضيف الجزاء إليها وهي الجزاء[٦٣٠]، أي: الحسنى هي الجزاء، أي: فله الجنة، كقوله تعالى: ﴿لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾ [الواقعة: ٩٥][٦٣١].

(٦٢٥) انظر: النشر (٣٩٢/٢)، الميسر (ص٣٠٣).

(٦٢٦) انظر: مفردات الراغب (ص ١٠٥). مادة: جزا.

(٦٢٧) انظر: الفريد (٣٦٧/٣)

(٦٢٨) المغني (٣٩١/٢).

(٦٢٩) المحرر الوجيز (٥٤٠/٣).

(٦٣٠) يضاف الاسم إلى نفسه إذا اختلف لفظ المضاف والمضاف إليه، وهو هو في الحقيقة. (انظر: حجة القراءات (ص٤٣٠)).

(٦٣١) انظر: الفريد (٣٦٧/٣)، حجة القراءات (ص٤٣٠).

(يسْراً) و (يُسُراً): لغتان بمعنى واحد إلا أن (يُسُراً) تفيد المبالغة، لأن التثقيل يفيد المبالغة(٦٣٢). والقول اليسر: هو الكلام الحسن. وصف باليسر المعنوي لكونه لا يثقل سماعه، وهو مثل قوله تعالى ﴿فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٨]. أي: جميلا(٦٣٣).

التفسير:

حينما خيَّر الله تعالى ذا القرنين في أهل أقصى المغرب بين تعذيبهم ودعائهم إلى الإسلام؛ اختار الدعوة والاجتهاد في استمالتهم، فبيّنت الآية السابقة شأن من دعاه ذو القرنين إلى الإيمان فأبى، وهذه الآية تبيّن شأن وجزاء من دعاه فآمن، وعمل بمقتضى الإيمان.

يقول أبو حيان: «ولما ذكر ما يستحقه من آمن وعمل صالحاً؛ ذكر جزاء الله له في الآخرة وهو الحسنى، أي: الجنة لأن طمع المؤمن في الآخرة ورجاءه هو الذي حمله على أن آمن لأجل جزائه في الآخرة، وهو عظيم بالنسبة للإحسان في الدنيا، ثم أتبع ذلك بإحسانه له في الدنيا بقوله ﴿وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ أي: لا نقول له ما يتكلفه مما هو شاق عليه، أي: قولاً ذا يسر وسهولة، كما قال ﴿قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٨]، ولما ذكر ما أعد الله له من الحسنى جزاء لم يناسب أن يذكر جزاءه بالفعل، بل اقتصر على القول أدباً مع الله تعالى، وإن كان يعلم أنه يحسن إليه فعلاً وقولاً»(٦٣٤).

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت قراءة (**جزاءُ الحسنى**): أنّ مَن آمن مِنهم وأتبع إيمانه بالعمل الصالح؛ له في الآخرة جزاء الأعمال الصالحة التي عملها أو الجنة.

(٦٣٢) تم الإشارة إلى هذا المفهوم مرات عدة في كلمات مختلفة. انظر على سبيل المثال (عقباً) من الآية ٤٤ من سورة الكهف.

(٦٣٣) التحرير والتنوير (مجلد ٨ج١٦ ص٢٧).

(٦٣٤) البحر المحيط (١٥٢/٦).

يقول الطبري: «وأما من آمن وعمل صالحاً فله جزاؤها، يعني جزاء هذه الأفعال الحسنة والوجه الثاني: أن يكون معنياً بالحسنى: الجنة، وأضيف الجزاء إليها، كما قيل ﴿وَلَدَارُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ﴾ [النحل: ٣٠] والدار: هي الآخرة، وكما قال: ﴿وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥] والدين: هو القيم»(٦٣٥).

وأفادت قراءة **(جزاءً الحسنى)**: أنّ مَن آمن مِنهم وأتبع إيمانه بالعمل الصالح فله في الآخرة الجنة جزاءً.

ويقول الطبري: «أي: أن لهم الجنة جزاء، فيكون الجزاء نصباً على التفسير»(٦٣٦).

الجمع بين القراءتين:

يتبيّن بالجمع بين القراءتين أن قراءة النصب قد حددت المقصود من معنى قراءة الرفع؛ وذلك لأن قراءة الرفع احتملت وجهين من التفسير، أما قراءة النصب فاحتملت وجهاً واحداً وهو أعلاهما ثواباً.

٤١ ـ قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾﴾ [الكهف: ٩٣].

القراءات:

١. قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحفص **(السَّدَّيْن)** بفتح السين.

٢. قرأ الباقون **(السُّدَّيْن)** بضم السين.

١. قرأ حمزة والكسائي وخلف **(يُفْقِهُون)** بضم الياء وكسر القاف.

٢. قرأ الباقون **(يَفْقَهُون)** بفتح الياء والقاف(٦٣٧).

---

(٦٣٥)(٦٣٦) تفسير الطبري (مجلد ٨ج١٦ ص١١).

(٦٣٧) انظر: النشر (٢/٢٣٦)، المغني (٢/٣٩٢ ـ ٣٩٤).

اللغة والبيان:

السُّد: ما كان خِلقة، أي: من فعل الله كالجبال والشعاب. **والسَّد**: ما كان صَنْعة، أي: من فعل الآدميين[٦٣٨]. وقيل: **السَّد**: المصدر من سددته سداً. **والسُّد**: الاسم[٦٣٩].

يفقهون: يفهمون[٦٤٠]. **(يُفقِهُون)**: من الفعل الرباعي (أفقه) وهو متعد لمفعولين، المفعول الأول: محذوف تقديره: أحداً. والمفعول الثاني: قولاً. والمعنى: لا يكادون يُفهمون السامع كلامهم.

(يَفْقَهُون): من الفعل الثلاثي (فقه) وهو يتعدى لمفعول واحد، وهو: قولاً. والمعنى: لا يكادون يفهمون كلام غيرهم لجهلهم بلسان من يخاطبهم، وقلة فطنتهم[٦٤١].

التفسير:

تتحدث الآية عن الطريق الثالث الذي سلكه ذو القرنين وهو طريق معترض بين المشرق والمغرب، حيث وجد بالقرب من جبلين عظيمين قوماً لا يفهمون لسان غيرهم ولا يُفْهِمُون غيرهم.

يقول ابن عاشور: «ويظهر أن هذا السبب اتجه به إلى جهة غير جهتي المغرب والمشرق، فيحتمل أنها الشمال أو الجنوب. وعيَّنه المفسرون أنه للشمال، وبنوا على أن ذا القرنين هو إسكندر المقدوني، فقالوا: إن جهة السدين بين أرمينيا وأذربيجان. ونحن نبني على ما عيَّناه[٦٤٢] في الملقب

(٦٣٨) انظر: مفردات الراغب (ص٢٥٥)، مجاز القرآن (٤١٤/١)، معاني القرآن للزجاج (٣١٠/٣)، الكشف (٧٥/٢).

(٦٣٩) انظر: الحجة للقراء (١٧١/٥)، النكت والعيون (٣٤/٣) ونسبه إلى ابن عباس وقتادة والضحاك.

(٦٤٠) المستنير (٣٢٦/١). وانظر: نظم الدرر (٥٠٣/٤).

(٦٤١) انظر: الكشف (٧٦/٢)، المغني (٣٩٤/٢)، الحجة في القراءات السبع (ص١٣٧).

(٦٤٢) رجح ابن عاشور في تفسيره أن يكون ذو القرنين هو أحد ملوك الصين، واسمه (تسينشي هوانقتي) وكان موجوداً في حدود سنة سبع وأربعين ومائتين قبل الميلاد. (انظر حجته في هذا الاختيار (١٩/١٦/٨ ـ ٢٣)).

بذي القرنين، فنقول: إن موضع السدين هو الشمال الغربي لصحراء (قوبي) الفاصلة بين الصين وبلاد المغول شمال الصين وجنوب منغوليا. وقد وُجد السد هنالك، ولم تزل آثاره إلى اليوم شاهدها الجغرافيون والسائحون، وصُوِّرت صوراً شمسية في كتب الجغرافيا وكتب التاريخ العصرية. ومعنى ﴿لَّا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ قَوۡلٗا﴾ أنهم لا يعرفون شيئاً من قول غيرهم فلغتهم مخالفة للغات الأمم المعروفة بحيث لا يعرفها تراجمة ذي القرنين؛ لأن شأن الملوك أن يتخذوا تراجمة ليترجموا لغات الأمم الذين يحتاجون إلى مخاطبتهم، فهؤلاء القوم كانوا يتكلمون بلغة غريبة لانقطاع أصقاعهم عن الأصقاع المعروفة، فلا يوجد من يستطيع إفهامهم مراد الملك، ولا هم يستطيعون الإفهام. ويجوز أن يكون المعنى أنهم قوم متوغلون في البداوة والبلاهة فلا يفهمون ما يقصده من يخاطبهم»(٦٤٣).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (**السُّدَّيْن**): أن ذا القرنين قد وصل في رحلته إلى جبلين عظيمين.

وأفادت قراءة (**السَّدَّيْن**): وعلى اعتبار المصدر: أن هذين الجبلين قد سدا أو حجزا جانبي الطريق لضخامتهما وعظمهما.

يقول أبو حيان: «وسمي الجبلان سدين لأن كل واحد منهما سد فجاج الأرض»(٦٤٤).

أما قراءة (**يُفْقِهُون**) فأفادت: أن أهل تلك البلاد لا يفهمون أحداً حديثهم لعجمتهم.

يقول الزمخشري: «وقرىء يُفقِهون أي: لا يفهمون السامع كلامهم، ولا يبينونه؛ لأن لغتهم غريبة مجهولة»(٦٤٥).

---

(٦٤٣) التحرير والتنوير (٨/١٦/٣١).

(٦٤٤) البحر المحيط (١٥٣/٦).

(٦٤٥) الكشاف (٨٧/٣).

وقراءة (يَفْقَهُون) أفادت: أن هؤلاء القوم لا يفهمون لغة غيرهم سواء من أتباع ذي القرنين أو من أقوال غيرهم من الناس لغرابة لغتهم وبعدها عن لغات غيرهم.

يقول البقاعي: «أي: لا يقربون من أن يفهموه ممن مع ذي القرنين فهماً جيداً كما يفهم غيرهم، ودل وصفهم بما يأتي على أنهم يفهمون فهماً ما بَعدَ بُعدٍ ومحاولة طويلة، لعدم ماهر بلسانهم ممن مع ذي القرنين، وعدم ماهر منهم بلسان أحد ممن معه، وهذا يدل على أن بينهم وبين بقية سكان الأرض غير يأجوج ومأجوج براري شاسعة، وفيافي واسعة، منعت من اختلاطهم بهم، وأن تطيعهم بلسان غيرهم بعيد جداً لقلة حفظهم لخروج بلادهم عن حد الاعتدال، أو لغير ذلك»[٦٤٦].

الجمع بين القراءات:

يتبيّن بالجمع بين القراءات أن ذا القرنين قد وصل في رحلته الثالثة إلى مكان بين جبلين قد سدا جانبي الطريق، لعظمهما. وأنه وجد من ورائهما أمة من الناس لا يكادون يفهمون كلام أتباعه ولا كلام غيرهم، ولا يستطيعون إفهام لغتهم لغيرهم، لأنهم لا يعرفون غير لغة أنفسهم، إما لبعد لغتهم عن لغات غيرهم، بسبب بعدهم عن الناس، أو لقلة فطنةٍ فيهم، لأن الفطن يستطيع إفهام غيره، وفهم ما يراد بالقول بالقرائن وفحوى الحال.

٤٢ ـ قال تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾﴾ [الكهف: ٩٤].

القراءات:

١. قرأ عاصم (**يأجوج ومأجوج**) بالهمز.

٢. قرأ الباقون (**ياجوج وماجوج**) بغير همز[٦٤٧].

(٦٤٦) نظم الدرر (٥٠٣/٤ ـ ٥٠٤).

(٦٤٧) انظر: النشر (٣٠٦/١).

١. قرأ حمزة والكسائي وخلف (خَرَاجاً) بفتح الراء وألف بعدها.

٢. قرأ الباقون (خَرْجاً) بإسكان الراء من غير ألف فيها.

١. قرأ حفص وحمزة والكسائي وابن كثير وأبو عمرو وخلف العاشر (سَدًّا) بفتح السين.

٢. قرأ نافع وابن عامر وشعبة وأبو جعفر ويعقوب (سُدًّا) بضم السين(٦٤٨).

اللغة والبيان:

اختلف العلماء في **يأجوج ومأجوج**، فقيل: هما اسمان أعجميان لقبيلتين لا اشتقاق لهما.

وقيل: هما اسمان عربيان مشتقان من: أجيج النار، وهو التهابها، وشدةُ توقُّدِها. وقيل: من الأَجة: وهو الاختلاط، أو شدة الحر. وقيل من الأجِّ، وهو سرعة العَدْو. وقيل من الأُجاج، وهو الماء الملح الزعاق(٦٤٩). فيكون وزنه: يفعولاً ومفعولاً(٦٥٠). وعلى اعتبار عدم الهمز فيهما يكون وزنهما واحداً وهو: فاعول.

وحيث إن الأسماء الأعجمية سوى هذا الحرف غير مهموزة نحو: طالوت وجالوت(٦٥١). لذلك يمكن اعتبار أن القراءة بالهمز على أنهما عربيان مشتقان، والقراءة بغير همز على اعتبار أنهما أعجميان(٦٥٢).

---

(٦٤٨) انظر: النشر (٢/٢٣٦)، المغني (٢/٣٩٢ ـ ٣٩٣). وانظر معاني القراءتين عند موضع (السدين) الآية ٩٣ من السورة ص٢٢٧.

(٦٤٩) انظر: الدر المصون (٤/٤٨٢).

(٦٥٠) الكشف (٢/٧٧).

(٦٥١) حجة القراءات (ص٤٣٣).

(٦٥٢) انظر: الحجة في القراءات السبع (ص١٣٧).

الخراج: مختص في الغالب بالضريبة على الأرض في كل شهر أو في كل عام[653].

أما **الخرج**: فهو الجُعل[654]. وقال أبو عمر: الخرج: ما تبرعت به، والخراج: ما لزمك أداؤه[655].

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن شكاية ساكني البلاد التي وصل إليها ذو القرنين مما يلي السدين مما يلقون من يأجوج ومأجوج، ورجاؤهم عنده ما ينفعهم من منع إفساد تينك القبيلتين، وما عرضوه عليه مقابل ذلك.

يقول البقاعي: «﴿قَالُوا۟﴾ أي: مترجموهم أو جيرانهم - الذين من دونهم - كما في مصحف ابن مسعود ممن يعرف بعض كلامهم، أو بالإشارة كما يخاطب إليكم: ﴿يَـٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ﴾ مسنا الضر ﴿إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ﴾ وهما قبيلتان من الناس من أولاد يافث، لا يطاق أمرهم، ولا يطفأ جمرهم، وقد ثبت في الصحيحين في حديث بعث النار أنهم من ذرية آدم عليه السلام[656]

---

(٦٥٣) انظر: مفردات الراغب (ص ١٦٣) مادة: خرج، الكشف (٢/٧٧)، الفريد (٣/٣٧٠).

(٦٥٤) انظر: معاني القرآن للفراء (٢/١٥٩)، حجة القراءات (ص٤٣٣)، الكشف (٢/٧٨)، الفريد (٣/٣٧٠).

(٦٥٥) اللباب (١٢/٥٦٤).

(٦٥٦) الحديث أخرجه البخاري (٣/١٢٢١) حديث رقم (٣١٧٠) ومسلم (١/٢٠١) حديث رقم (٢٢٢) وأحمد (٣/٣٢). من حديث أبي سعيد الخدري. واللفظ لمسلم: «قال رسول الله ﷺ يقول الله عز وجل: يا آدم فيقول لبيك وسعديك والخير في يديك، قال يقول أخرج بعث النار، قال وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين، قال فذاك حين يشيب الصغير ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَـٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَـٰرَىٰ وَلَـٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ قال فاشتد ذلك عليهم، قالوا يا رسول الله أينا ذلك الرجل؟ فقال: أبشروا فإن من يأجوج ومأجوج ألفاً، ومنكم رجل، قال ثم قال: والذي نفسي بيده إني لأطمع أن تكونوا ربع أهل الجنة فحمدنا الله وكبرنا ثم قال: والذي نفسي بيده إني لأطمع أن تكونوا ثلث أهل الجنة، فحمدنا الله وكبرنا، ثم قال: والذي نفسي بيده إني لأطمع أن تكونوا شطر=

﴿مُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ بأنواع الفساد ﴿فَهَلۡ نَجۡعَلُ لَكَ خَرۡجًا﴾[٦٥٧] نخرجه لك من أموالنا.. على أن تجعل في جميع ما بيننا وبينهم من الأرض التي يمكن توصلهم إلينا منها بما آتاك الله من المكنة سداً يصل بين هذين الجبلين»[٦٥٨].

يقول ابن عاشور: «وافتتاحهم الكلام بالنداء أنهم نادوه نداء المستغيثين المضطرين. ونداؤهم إياه بلقب ذي القرنين يدل على أنه مشهور بمعنى ذلك اللقب بين الأمم المتاخمة لبلاده»[٦٥٩].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

بيّنت قراءة (ياجوج وماجوج) بغير همز اسم قبيلتين لهما شأن كبير في التسبب بالإفساد في الأرض والإضرار بالعباد.

أما قراءة (يأجوج ومأجوج) بالهمز فقد بيّنت حال هاتين القبيلتين من الكثرة وأنهما أخلاطٌ من أصناف، وسرعتهما في العدو والإغارة، وأنهما غاية في الاضطراب والإفساد والإهلاك فهما كالنار المتقدة التي تقضي على الأخضر واليابس، وكالملح المر الذي يصيب كل ما يصل إليه فيسبب الفساد والهلاك.

يقول ابن عاشور: «واختلف المفسرون في أنه اسم عربي أو معرَّب. وغالب ظني أنه اسم وضعه القرآن حاكى به معناه في لغة تلك الأمة، المناسب لحال مجتمعهم فاشتق لهما من مادة الأج. وهو الخلط. إذ علمت

= أهل الجنة، إن مثلكم في الأمم كمثل الشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود أو كالرقمة في ذراع الحمار».

(٦٥٧) قال أبو حيان: استدعاء منهم قبول ما يبذلونه مما يعينه على ما طلبوا على جهة حسن الأدب إذ سألوه ذلك كقول موسى للخضر ﴿هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ﴾ [الكهف: ٦٦]. تفسير البحر المحيط (١٥٤/٦))

(٦٥٨) نظم الدرر (٥٠٤/٤).

(٦٥٩) التحرير والتنوير (٣٢/١٦).

أن تلك الأمة كانت أخلاطاً من أصناف»[٦٦٠].

وأفادت قراءة (الخرج) أن أهل تلك البلاد التي وصل إليها ذو القرنين قد استنجدوا به ليخلصهم من أذى يأجوج ومأجوج فعرضوا عليه أن يجعلوا له جعلاً ـ أي: مالاً يجمعونه منهم ـ مقابل تخليصهم.

يقول مكي بن أبي طالب: «كأنهم قالوا له: نجعل لك جُعلاً ندفعه إليك الساعة من أموالنا مرة واحدة، على أن تبني بيننا وبينهم سداً»[٦٦١].

وأفادت قراءة (خراجاً) مدى شدة حاجة ساكني تلك المنطقة إلى الخلاص بحيث عرضوا على ذي القرنين أن يجعلوا ضريبة على أموالهم وأراضيهم يخرجونها له كل شهر أو عام باستمرار مقابل بناء السد وتخليصهم.

ويقول مكي بن أبي طالب في ذلك: «أي: فهل نجعل لك أجرة نؤديها إليك في كل وقت نتفق عليه كالجزية على أن تبني بيننا وبينهم سداً أي حاجزاً. فالخراج ما يؤدى في كل شهر أو في كل سنة»[٦٦٢].

الجمع بين القراءات:

يتبيّن بالجمع بين القراءات أن القرآن الكريم قد وصف حال يأجوج ومأجوج المفسدين في الأرض ومدى فسادهم من خلال أسمائهم. كما بيَّن شدة حاجة من جاورهم إلى الخلاص من أذاهم حيث عرضوا على ذي القرنين جعلاً يجعلونه من أموالهم مقابل خلاصهم وبناء سد يسد ما بين الجبلين من فرجة، فيمنع تينك القبيلتين من الإغارة عليهم، وإن كلفهم هذا الأمر بجانب الجعل أن يخرجوا ضريبة سنوية أو شهرية على أرضهم يدفعونها لذي القرنين مقابل ذلك.

٤٣ ـ قال تعالى: ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ

(٦٦٠) التحرير والتنوير (٣٤/١٦).

(٦٦١)و(٦٦٢) الكشف (٧٨/٢).

﴿وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾﴾ [الكهف: ٩٥].

القراءات:

١. قرأ ابن كثير (مَكَّنَنِي) بإظهار النونين الأولى مفتوحة والثانية مكسورة.

٢. قرأ الباقون (مَكَّنِّي) بالإدغام[٦٦٣].

اللغة والبيان:

مَكَّنِّي: أي: بسط الله لي من القدرة والملك[٦٦٤].

ويقول ابن الجوزي: وفي الذي أراد بتمكينه منه قولان:

أحدهما: أنه العلم بالله وطلب ثوابه.

والثاني: ما ملك من الدنيا[٦٦٥].

الردم: سد الثلمة بالحجر[٦٦٦]. والردم أكثر من السد، لأن الردم ما جُعل بعضه فوق بعض، يُقال: ثوب مُردَّم، إذا كان قد رُقِع رقعة فوق رقعة[٦٦٧].

التفسير:

الآية استكمالٌ لقصة ذي القرنين مع المستغيثين من يأجوج ومأجوج. فحينما عرضوا عليه جعلاً أو فريضة من أموالهم لقاء بناء سد لهم يقيهم من بأس يأجوج ومأجوج؛ أجابهم بلسان الشاكر لأنعم الله، المستغني عن أموال العباد لقاء مرضاة الله. وطلب الاستعانه بهم في بناء ردم أكبر وأحصن من السد الذي يرجونه.

يقول ابن عطية: «قال لهم ذو القرنين: ما بسطه الله لي من القدرة

(٦٦٣) انظر: النشر (٢/٢٣٨)، المغني (٢/٣٩٦).

(٦٦٤) البحر المحيط (٦/١٥٥).

(٦٦٥) زاد المسير (٥/١٩٢).

(٦٦٦) مفردات الراغب (ص ٢١٨) مادة: ردم.

(٦٦٧) معاني الزجاج (٣/٣١١).

والملك خير من خرجكم وأموالكم، ولكن أعينوني بقوة الأبدان، وبعمل منكم بالأيدي. . .، وهذا من تأييد الله تعالى لذي القرنين، فإنه تَهَدَّى في هذه المحاورة إلى الأنفع الأنزه، فإن القوم لو جمعوا له خرجاً لم يعنه منهم أحد، ولوكلوه إلى البنيان، ومعونتهم بالقوة أجمل به، وأمر يطاول مدة العمل، وربما أربى على المُخرَج، والردم أبلغ من السد، إذ السد كل ما سد به، والردم وضع الشيء على الشيء من حجارة أو تراب أو نحوه حتى يقوم من ذلك حجاب منيع»[٦٦٨].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت قراءة (**مكَّنني**) بإظهار النونين: أن تمكينه ظاهر وبائن للعيان من امتلاكة للمال والقوة والسلطان.

وأفادت قراءة (**مكَّنِّي**): أن هذا التمكين منه ما هو ظاهر للعيان ومعروف، ومنه ما هو مختص بذي القرنين لا يطلع عليه أحد لأنه تمكين إيماني ونفسي وهداية من الله. وعلى ذلك فإظهار النون إشارة إلى التمكين الظاهري، وإدغامها إشارة إلى التمكين الباطني. والله أعلم.

الجمع بين القراءتين:

يتبيّن بالجمع بين القراءتين أن الله ﷻ قد مكّن لذي القرنين تمكينين استطاع من خلالهما أن يملك مشارق الأرض ومغاربها.

الأول: تمكين بالملك والسلطان.

الثاني: تمكين بالعلم والإيمان والهداية.

يقول البقاعي: «ولما كانت لمكنته حالتان: إحداهما ظاهرة، وهي ما شوهد من فعله بعد وقوعه، وباطنة ولا يقع أحد عليها بحدس ولا توهم، لأنها مما لم يؤلف مثله، فلا يقع المتوسم عليه، قرأ ابن كثير بإظهار النون في (مكنني) وغيره بالإدغام، إشارة إليهما»[٦٦٩].

---

(٦٦٨) المحرر الوجيز (٣/٥٤٢).

(٦٦٩) نظم الدرر (٤/٥٠٤).

٤٤، ٤٥ ـ قال تعالى: ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾﴾ [الكهف: ٩٥ ـ ٩٦].

القراءات:

١. قرأ شعبة بخلف عنه **(ردماً ائتوني)** بكسر تنوين (ردماً) وهمزة ساكنة بعده في الوصل. ويبتدئ **(إِيتوني)** بهمزة وصل مكسورة، ويبدل بالهمزة الساكنة بعدها ياء.

٢. قرأ الباقون **(ردماً آتوني)** بإسكان التنوين في (ردماً) وهمزة قطع مفتوحة وبعدها ألف ثابتة وصلاً ووقفاً وهو الوجه الثاني لشعبة.

١. قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر ويعقوب **(الصُّدُفَيْن)** بضم الصاد والدال.

٢. قرأ شعبة **(الصُّدْفَيْن)** بضم الصاد وإسكان الدال.

٣. قرأ الباقون **(الصَّدَفَيْن)** بفتح الصاد والدال[٦٧٠].

١. قرأ شعبة بخلف عنه، وحمزة **(قال ائتوني)** وصلاً.

٢. قرأ الباقون **(قال آتوني)** وصلاً. وهو الوجه الثاني لشعبة[٦٧١].

اللغة والبيان:

آتوني: أعطوني[٦٧٢]. وهو أراد به تكليف المناولة بالأنفس[٦٧٣].

ائتوني: جيئوني، أو هو بمعنى أحضروا لأن جاء وحضر متقاربان[٦٧٤]. وهي أشبه بقوله ﴿فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ﴾ لأنه كلفهم المعونة على عمل

---

(٦٧٠) انظر: النشر (٢/٢٣٦ ـ ٢٣٧)، المغني (٢/٣٩٦ ـ ٣٩٧).

(٦٧١) انظر: الميّسر (ص٣٠٣).

(٦٧٢) معاني القرآن للفراء (٢/١٦٠)، الفريد (٣/٣٧١).

(٦٧٣) انظر: الحجة للقراء السبعة (٥/١٧٦).

(٦٧٤) انظر: التبيان في إعراب القرآن (٢/١٠٨).

السد، ولم يقبل الخراج الذي بذلوه، فإنما هو معونة على ما كلفهم من قوله ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾[675]. فيكون معناه: جيئوني بما هو معونة[676].

الصدف: كل شيء مرتفع كالجبل. أو هو: جانب الجبل[677]. والصُّدُفان والصَّدَفان والصُّدْفان. كلها لغات مشهورة في هذه الكلمة، وهما: الجبلان المتقابلان، فكأن أحدهما صادف صاحبه، ولذلك لا يقال ذلك لما انفرد بنفسه عن أن يلاقي مثله من الجبال[678].

ما بين الصدفين: أي: ما بين الناحيتين من الجبلين[679]. بينهما طريق[680].

ولكن البقاعي وبكلام بغاية الروعة والدلالات استثمر الحركات ودلالاتها ليبيّن معنى كل قراءة من القراءات في كلمة (الصدفين)، حيث قال: «وقراءة من فتح الصاد والدال دالة على أن تقابلهما في غاية الاستقامة، فكأنهما جدار فتح فيه باب، وقراءة ضم الصاد والدال دالة على أنه مع ذلك في غاية القوة حتى إن أعلاه وأسفله سواء، وقراءة ضم الصاد وإسكان الدال دالة على أشد ثبات وأتقنه في كل منهما، فلا ينتخر شيء منهما على الزمان بريح ولا غيرها من فساد في أحد الجانبين برخاوة من سياخ[681] أو غيره»[682].

التفسير:

بعدما رفض ذو القرنين أن يأخذ أجراً على بناء السد، طلب الاستعانه

(٦٧٥) الحجة للقراء السبعة (١٧٥/٥).
(٦٧٦) حجة القراءات (ص٤٣٤).
(٦٧٧) اللسان (٢٤١٦/٣ ـ ٢٤١٧). مادة: صدف.
(٦٧٨) انظر: المحتسب (٣٤/٢)، الفريد (٣٧١/٣ ـ ٣٧٢).
(٦٧٩) التبيان في تفسير غريب القرآن (٢٧٩/١)، مجاز القرآن (٤١٤/١).
(٦٨٠) معاني القراءات (ص٢٧٧).
(٦٨١) سياخ: غوص في الأرض. انظر: اللسان (٢١٤١/٣) مادة: سوخ.
(٦٨٢) انظر: نظم الدرر (٥٠٥/٤).

بهم في بناء ردم أكبر وأحصن من السد الذي يرجونه، وذلك بأن يمدوه بالعمال والآلات التي تساعد في إنجاز العمل، ثم شرع في بنائه بمساعدتهم.

يقول البغوي: «قال لهم ذو القرنين ما قواني عليه ربي خير من جُعلكم، فإني لا أريد المال، بل أعينوني بأبدانكم وقوتكم أجعل بينكم وبينهم ردماً أي سداً، قالوا وما تلك القوة؟ قال فعلة وصناع يحسنون البناء والعمل والآلة قالوا وما تلك الآلة؟ قال جيئوني بقطع الحديد فأتوه بها وبالحطب، وجعل بعضها على بعض، فلم يزل يجعل الحديد على الحطب والحطب على الحديد حتى إذا سوى بين طرفي الجبلين قال انفخوا، وفي القصة أنه جعل الفحم والحطب في خلال زبر الحديد ثم قال انفخوا يعني في النار، حتى إذا صار الحديد ناراً قال آتوني قطراً أفرغ عليه، والإفراغ الصب، والقطر هو النحاس المذاب، فجعلت النار تأكل الحطب ويصير النحاس مكان الحطب حتى لزم الحديد النحاس، قال قتادة: هو كالبُرد المُحَبَّر طريقة سوداء وطريقة حمراء(٦٨٣)، وفي القصة أن عرضه كان خمسين ذراعاً وارتفاعه مائتي ذراع وطوله فرسخ»(٦٨٤).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (**ائتوني**) بعد (ردم) مكسورة التنوين وبهمزة ساكنة بعده في الوصل: أن ذا القرنين طلب من أولئك القوم أن يجيئوه بقطع الحديد.

قال البيضاوي: «قراءة أبي بكر (ردماً ائتوني) بكسر التنوين موصولة الهمزة، على معنى: جيئوني بزبر الحديد والباء محذوفة حذفها كما في: أمرتك الخير، ولأن إعطاء الآلة من الإعانة بالقوة دون الخراج على

(٦٨٣) هذا جزء من حديث رواه الطبري في جامع البيان (٢٠/١٦) عن قتادة قال: «ذكر لنا أن رجلاً قال: يا نبي الله، قد رأيت سد يأجوج ومأجوج، قال: انعته لي، قال: كأنه البرد المحبر طريقة سوداء وطريقة حمراء. قال: قد رأيته» وقال فيه ابن كثير: هذا حديث مرسل. (٢٠٣/٥).

(٦٨٤) انظر: تفسير البغوي (١٨٢/٣). بتصرف. والبُرد المُحَبَّر: الثوب الملون.

العمل»[٦٨٥].

أما قراءة (**قال ائتوني**) بالقطع وصلاً فأفادت: أن ذا القرنين طلب منهم أن يحضروا للعمل لمساعدته في بناء الردم. وأن يأتوه بالقطر ليفرغه على زبر الحديد.

يقول ابن عاشور: «وقرأه حمزة وأبو بكر عن عاصم (ائتوني) على أنه أمر من الإتيان. أي: أمرهم أن يحضروا للعمل»[٦٨٦]. والمعنى جيئوني به أفرغه عليه»[٦٨٧].

وأفادت قراءة (**ردماً آتوني**) و (**آتوني أفرغ**) بأن ذا القرنين طلب منهم أن يعطوه زبر الحديد، والقطر والمقصود بها هو: استدعاء العطية التي بغير معنى الهبة، وإنما هو استدعاء للمناولة، وعمل الأبدان؛ لأنه رفض أخذ العطية والأجر على المساعدة.

يقول القرطبي: «أي أعطوني زبر الحديد وناولونيها، أمرهم بنقل الآلة، وهذا كله إنما استدعاء العطية التي بغير معنى الهبة، وإنما هو استدعاء للمناولة، لأنه قد ارتبط من قوله: إنه لا يأخذ منهم الخرج، فلم يبق إلا استدعاء المناولة، وأعمال الأبدان»[٦٨٨].

الجمع بين القراءات:

يتبيّن بالجمع بين القراءات أن ذا القرنين طلب من أولئك القوم أن يساعدوه في بناء ردم يحجز عنهم يأجوج ومأجوج، وأن هذا الطلب لا ينافي عزوفه عن قبول الخرج أو الخراج، وقد وضّحت قراءة القطع وبيّنت أن المقصود هو الاستعانة بهم في المساعدة والمناولة وليس المقصود من قراءة المد الإعطاء بمعنى الهبة، وعلى ذلك فقراءة القطع وضّحت قراءة المد.

(٦٨٥) تفسير البيضاوي (٣ / ٥٢٣).

(٦٨٦) التحرير والتنوير (٣٨/١٦).

(٦٨٧) زاد المسير (١٩٣/٥).

(٦٨٨) تفسير القرطبي (٥٦/٦).

كما اتضح بالجمع بين قراءات (الصدفين) صفات هذا البناء الذي استعان ذو القرنين بأهل تلك البلاد على بنائه ليحجز عنهم قومي يأجوج ومأجوج ويقيهم من شرورهم، حيث إن تقابل الجبلين في غاية الاستقامة، فكأنهما جدار فتح فيه باب، وهما في غاية القوة حتى إن أعلاهما وأسفلهما سواء، وأنهما في غاية الثبات والقوة، فلا ينتخر شيء منهما على الزمان بريح ولا غيرها من فساد في أحد الجانبين، وبالتالي فالردم في غاية الاستقامة والعلو والقوة والثبات فلا يتعرض للانهيار أو السقوط بسبب قوة الجبلين ومتانتهما وقدرتهما للصمود في وجه العوامل الجوية. فكأنه وصف للردم لا وصف للجبلين. وهذا من إعجاز القرآن في ألفاظه ودلالاته.

٤٦ ـ قال تعالى: ﴿فَمَا ٱسْطَـٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَـٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا ۝٩٧﴾ [الكهف: ٩٧].

القراءات:

١. قرأ حمزة **(اسطّاعوا)** بتشديد الطاء.

٢. قرأ الباقون **(اسطَاعوا)** بتخفيف الطاء[٦٨٩].

اللغة والبيان:

الاستطاعة: القدرة على الشيء[٦٩٠]. وهي: استفالة من الطوع، وذلك وجود ما يصير به الفعل متأتيا، وهي عند المحققين اسم للمعاني التي بها يتمكن الإنسان مما يريده من إحداث الفعل، وهي أربعة أشياء: بنية مخصوصة للفاعل. وتصور للفعل، ومادة قابلة لتأثيره، وآلة إن كان الفعل آلياً كالكتابة، ويضاده العجز، وقيل: الاستطاعة أخص من القدرة[٦٩١].

---

(٦٨٩) انظر: النشر (٢/٢٣٧).

(٦٩٠) اللسان (٤/٢٧٢١).

(٦٩١) انظر: مفردات الراغب (ص٣٤٦ ـ ٣٤٧)، بصائر ذوي التمييز (٢/١٨٧).

وأصل (اسطاعوا): استطاعوا بالتاء، ولاتحاد التاء والطاء في المخرج، حذفت التاء ليخفَّ اللفظ(٦٩٢).

أما (**اسطَّاعوا**) فأصلها أيضاً استطاعوا وأدغمت التاء في الطاء لأنهما أختان(٦٩٣). وبذلك جمع بين السين وهي ساكنة والتاء المدغمة وهي ساكنة أيضاً(٦٩٤).

والتضعيف يُقصد به المبالغة، كما أن تكرار الحرف إشارة إلى تكرار الحدث(٦٩٥). ونظراً لأن من صفات الطاء الشدة؛ فإن الشِّدة هنا مضعفة لتشديد الطاء في (**اسطّاعوا**).

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن متانة الردم الذي بناه ذو القرنين بحيث لم يستطع قوما يأجوج ومأجوج أن يعلوه لارتفاعه وملاسته ولا أن يثقبوه لمتانته.

يقول المنصوري: «فعلوا ما أُمروا به فصار جبلاً صلداً، فجاء يأجوج ومأجوج فقصدوا أن يعلوه وينقبوه فلم يستطيعوا ولم يقدروا أن يعلوه لارتفاعه وملاسته، ولم يستطيعوا أن ينقبوه لثخنه وصلابته، وهذه خارقة عظيمة، لأن تلك الزبر الكثيرة بالنفخ فيها تكون كالنار، وإفراغ القطر عليها أي: النحاس المذاب شبه مستحيل، فكان ما كان، والله على كل شيء قدير. وقيل: بناه من الصخور مرتباً بعضها ببعض بكلابيب من حديد ونحاس مذاب»(٦٩٦).

---

(٦٩٢) انظر: معاني القرآن للزجاج (٣١٢/٣)، اللسان (٢٧٢١/٤)، مفاتيح الأغاني (ص٢٦٤) ويعتبر الكرماني أن التاء والطاء متقاربان في المخرج.

(٦٩٣) انظر: حجة القراءات (ص٤٣٥).

(٦٩٤) الحجة للقراء (١٧٨/٥). وقد ناقش أبو علي قضية الجمع بين ساكنين، وبين أقوال العلماء، ثم وجد مسوغاً لذلك واستشهد عليه من أشعار سيبويه. فانظره: (١٧٩/٥ ـ ١٨٢).

(٦٩٥) انظر: بلاغة الكلمة (ص٤٢).

(٦٩٦) انظر: المقتطف (٢٨٢/٣).

وقال القرطبي: «ما استطاع يأجوج ومأجوج أن يعلوه ويصعدوا فيه؛ لأنه أملس مستو مع الجبل، والجبل عال لا يرام، وارتفاع السد مائتا ذراع وخمسون ذراعاً، وروي في طوله ما بين طرفي الجبلين مائة فرسخ، وفي عرضه خمسون فرسخ؛ قاله وهب بن منبه. قوله تعالى: ﴿وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا﴾ لبعد عرضه وقوته، وروي في الصحيح عن أبي هريرة[٦٩٧] عن النبي ﷺ قال: (فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه) وعقد وهب بن منبه بيده تسعين - وفي رواية - وحلق بإصبعه الإبهام والتي تليها، وذكر الحديث»[٦٩٨].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت قراءة **(اسطَاعوا)** بتخفيف الطاء: أن يأجوج ومأجوج لم يقدروا على أن يعلوا الردم لملاسته.

وأفادت قراءة **(اسطّاعوا)** بتشديد الطاء: انتفاء القدرة مطلقاً في حق يأجوج ومأجوج على تسلق الردم، رغم محاولاتهم المستمرة، وذلك من ناحيتين:

الناحية الأولى: ايحاءات حروف الكلمة؛ وذلك لأن اجتماع ساكنين في كلمة واحدة يوحي بسكون الحركة، وبذلك عجزوا عجزاً شديداً عن علو الردم أو حتى تسلقه. كما أن وجود التشديد في حرف من حروف الكلمة يوحي بقوة الحرف وشدته، فما بالنا إذا اجتمع مع شدة النطق بالحرف صفة الشدة فيه؟ وبذلك تكون المشقة مضاعفة، والحركة أكثر بطئاً وصعوبة.

أما الناحية الثانية: فهي أنهم لا يملكون مقومات الاستطاعة الكاملة

---

(٦٩٧) أخرجه البخاري (١٢٢١/٣) كتاب الأنبياء، باب قصة يأجوج ومأجوج حديث رقم (٣١٦٩). ومسلم (٢٢٠٨/٤) كتاب الفتن، باب اقتراب الفتن وفتح ردم يأجوج ومأجوج. حديث رقم (٢٨٨١). من طريق وهيب... به.

(٦٩٨) انظر: تفسير القرطبي (٥٨/٦).

فهم قوم كما وصفهم العلماء؛ همجيون لا يعرفون غير الاعتداء والقتل والسلب. لذلك تركوا التسلق لعصيانه عليهم.

ومما يدل على تركهم للتسلق: الحديث الذي رواه أبو هريرة. وحديث آخر بيَّن فيه أن همهم الذي داوموا عليه هو النقب في الردم، حيث لم يُشر الحديث إلى التسلق. وهذا يدل على استعصائه عليهم رغم تكراره عدة مرات، ثم تركه وانشغالهم بما هو أكثر سهولة منه، ألا وهو النقب، رغم تكرار المحاولات فيه، حتى يتم لهم الأمر بمشيئة الله.

عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «إن يأجوج ومأجوج ليحفرون السد كل يوم، حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم: ارجعوا فستحفرونه غداً، فيعودون إليه كأشد ما كان، حتى إذا بلغت مدتهم وأراد الله أن يبعثهم على الناس حفروا حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم: ارجعوا فستحفرونه غداً إن شاء الله، فيستثني فيعودون إليه وهو كهيئته حين تركوه فيحفرونه، ويخرجون على الناس، فينشفون المياه، ويتحصن الناس منهم في حصونهم، فيرمون بسهامهم إلى السماء، فترجع وعليها كهيئة الدم، فيقولون قهرنا أهل الأرض وعلونا أهل السماء، فيبعث الله عليهم نغفاً(٦٩٩) في رقابهم فيقتلهم بها، قال رسول الله ﷺ والذي نفس محمد بيده إن دواب الأرض لتسمن، وتشكر شكراً من لحومهم ودمائهم»(٧٠٠).

(٦٩٩) النَغَف: دود يكون في أنوف الإبل والغنم. الواحدة: نَغَفَة. (مختار الصحاح (ص٦٩٥)).

(٧٠٠) أخرجه ابن ماجة (١٣٦٤/٢) كتاب الفتن، باب طلوع الشمس من مغربها، حديث رقم (٤٠٨٠). والترمذي (٣١٣/٥) كتاب التفسير. حديث رقم (٣١٥٣) عن قتادة ثم قال: غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه. وأخرجه الحاكم في مستدركه (٥٣٤/٤) حديث رقم (٨٥٠١) وقال فيه: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وقال فيه ابن كثير: وهذا إسناده جيد قوي، ولكن في رفعه نكارة؛ لأن ظاهر الآية يقتضي أنهم لم يتمكنوا من إرتقائه ولا من نقبه، لإحكام بنائه وصلابته وشدته. ثم قال: ولعل أبا هريرة تلقاه من كعب، فتوهم بعض الرواة عنه أنه مرفوع.

الجمع بين القراءتين:

يتبيّن بالجمع بين القراءتين أن قراءة تشديد الطاء أكدت قراءة عدم التشديد، وكلتاهما قد أكدت استحالة قدرة يأجوج ومأجوج على تسلق الردم. وأن خروجهم سيكون عن طريق النقب عندما يشاء الله. وهذا على الرغم مما قيل من أقوال في الحديث الذي تم الاستئناس فيه لتدعيم هذا الرأي، لأن هذا الحديث يدعمه الحديث الذي روي في الصحيحين[٧٠١] عن زينب بنت جحش زوج الرسول ﷺ في أن الخروج سيكون عن طريق الفتح في الردم. وكذلك حديث أبي هريرة الذي روي في الصحيحين أيضاً وسبق ذكره[٧٠٢].

٤٧ ـ قال تعالى: ﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾﴾ [الكهف: ٩٨].

القراءات:

١. قرأ عاصم وحمزة والكسائي وخلف (دكّاءَ) بالمد والهمز مفتوحاً من غير تنوين.

٢. قرأ الباقون (دكّاً) بالتنوين من غير مد[٧٠٣].

اللغة والبيان:

الدك: الدق[٧٠٤]. دكّاً: أي: دكّه دكّاً[٧٠٥]. أي: مدكوكاً، أو ذا

---

(٧٠١) عن زينب بنت جحش زوج النبي ﷺ قالت: استيقظ النبي ﷺ من نومه وهو محمر وجهه وهو يقول: «لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد أقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا، وحلق. قلت: يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم إذا كثر الخبث».

(٧٠٢) انظر: ص٢٤٣.

(٧٠٣) انظر: النشر (٢/٢٠٤).

(٧٠٤) مختار الصحاح (ص٢٢٨). مادة: دكك.

(٧٠٥) مفاتيح الأغاني (ص٢٦٥).

دك[٧٠٦].

دكّاء: أي: جعله مثل دكّاء، والعرب تقول: ناقة دكّاء: أي: لا سنام لها[٧٠٧]. وهي على وزن فعلاء. وهي: كل ما انبسط من الأرض من مُرتَفَع. وهي: الأرض الملساء[٧٠٨]. وقيل: أي: مساوياً للأرض فليغور فيها أو يذوب حتى يصير تراباً[٧٠٩].

التفسير:

حين فرغ ذو القرنين من بناء السد ورأى أن يأجوج ومأجوج لا يستطيعون أن يعلوا الردم أو أن ينقبوه، أو أن يعتدوا على من دونه قال هذا الذي بنيته وأعانني عليه الله من فضله وآثار رحمته بهم؛ أن حجز عنهم فساد يأجوج ومأجوج، ولكن حين تحين مشيئة الله يدكه دكاً فيجعله أرضاً مستوية ملساء كأن لم يكن من قبل.

يقول د. وهبة الزحيلي: «قال ذو القرنين لأهل تلك الديار: هذا السد نعمة وأثر من آثار رحمة ربي بهؤلاء القوم أو بالناس؛ لحيلولته بين يأجوج ومأجوج وبين الفساد في الأرض، فإذا حلَّ أجل ربي بخروجهم من وراء السد، جعله ربي مدكوكاً منهدماً، مستوياً ملصقاً بالأرض، وكان وعد ربي بخرابه وخروج يأجوج ومأجوج وبكل ما وعد به حقاً ثابتاً لا يتخلف، كائناً لا محالة»[٧١٠].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت قراءة (**دكّاً**): أنه حين يأتي موعد خروج يأجوج ومأجوج سيجعل الله الردم يندق ويتفتت حتى يستوي بالأرض.

---

(٧٠٦) الفريد (٣٧٣/٣).

(٧٠٧) انظر: حجة القراءات (ص٤٣٥).

(٧٠٨) انظر: معاني القرآن للزجاج (٣١٢/٣).

(٧٠٩) حاشية الجمل (٤٨/٣).

(٧١٠) التفسير المنير (٢٨/١٦).

وأفادت قراءة (دكّاء): أنه حينما يأتي موعد خروج يأجوج ومأجوج سيجعل الله ذلك الردم كالأرض المستوية الملساء. زيادة في بيان اندثاره.

الجمع بين القراءتين:

بيّنت قراءة المد حال هذا الردم المتفتت وما آل إليه، فأصبح كالأرض المستوية الملساء.

يقول الطبري عند تفسير الآية ١٤٣ من سورة الأعراف: «واختلف القراء في قراءة قوله: (دكاً) فقرأته عامة قراء أهل المدينة والبصرة: (دكا) مقصوراً بالتنوين، بمعنى: دك الله الجبل دكاً؛ أي فتته، واعتباراً بقول الله: ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ﴾ [الفجر: ٢١]. وقوله: ﴿وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾﴾ [الحاقة: ١٤] وقرأته عامة قراء الكوفيين: «جعله دكاء» واختلف أهل العربية في معناه إذا قرئ كذلك. فقال بعض نحويي البصرة: العرب تقول: ناقة دكاء: ليس لها سنام، وقال: الجبل مذكر، فلا يشبه أن يكون منه إلا أن يكون جعله مثل دكاء حذف مثل وأجراه مجرى: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢] وكان بعض نحويي الكوفة يقول: معنى ذلك: جعل الجبل أرضا دكاء، ثم حذفت الأرض وأقيمت الدكاء مقامها إذ أدت عنها روي عنه ﷺ أنه قال: «فساخ الجبل» ولم يقل: فتفتت، ولا تحول تراباً. ولا شك أنه إذا ساخ فذهب ظهر وجه الأرض، فصار بمنزلة الناقة التي قد ذهب سنامها، وصارت دكاء بلا سنام. وأما إذا دك بعضه فإنما يكسر بعضه بعضاً ويتفتت ولا يسوخ وأما الدكاء فإنها خلف من الأرض، فلذلك أنثت على ما قد بينت. فمعنى الكلام إذن: فلما تجلى ربه للجبل ساخ، فجعل مكانه أرضا دكاء»[٧١١].

٤٨ ـ قال تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾ [الكهف: ١٠٩].

(٧١١) انظر: تفسير الطبري: (مجلد ٦ ج٩ ص٣٨) ببعض الاختصار.

القراءات:

١. قرأ حمزة والكسائي وخلف **(أن يَنْفَد)** بالياء على التذكير.

٢. قرأ الباقون **(أن تَنْفَد)** بالتاء على التأنيث(٧١٢).

اللغة والبيان:

النفاد: الفناء. يُقال: نَفِدَ يَنْفَدُ(٧١٣). أي: يفنى ويفرغ(٧١٤).

قال الأزهري: من قرأ (تنفد) فلأن الكلمات جماعة مؤنثة. ومن قرأ (ينفد) ذهب إلى معنى الكَلِم، وتقدُّم الفعل(٧١٥). أي أن (كلمات) تأنيث مجازي وإن كان لفظه مؤنثاً(٧١٦) بمعنى (الكلم) الذي يفيد جمع الكثرة.

كلمات ربي: قال قتادة: كلام الله وحكمته. وقال مجاهد: علم ربي(٧١٧).

مداداً: هو اسم لما تمد به الدواة من الحبر(٧١٨). وسمي المداد مداداً؛ لإمداده الكاتب، وأصله من الزيادة(٧١٩). والمداد كله مخلوق، وكلام الله الذي يكتب بالمداد غير مخلوق(٧٢٠).

مدداً: عوناً وزيادة(٧٢١).

---

(٧١٢) انظر: النشر (٢/٢٣٧).
(٧١٣) انظر: مفردات الراغب (ص٥٥٦).
(٧١٤) انظر: كلمات القرآن (ص١٨٤).
(٧١٥) معاني القراءات (ص٢٧٩).
(٧١٦) انظر: اللباب (١٢/٥٧٧ ـ ٥٧٨).
(٧١٧) انظر: الدر المنثور (٥/٤٦٨).
(٧١٨) البحر المحيط (٦/١٥٩).
(٧١٩) اللباب (١٢/٥٧٧).
(٧٢٠) كتب ورسائل ابن تيمية في التفسير (١٢/٥٦٨).
(٧٢١) مجمع البيان (٦/٣٦٩).

سبب نزول الآية:

رُوي في سبب نزولها: ما أخرجه الحاكم وغيره عن ابن عباس قال: قالت قريش لليهود: أعطونا شيئاً نسأل هذا الرجل؟ فقالوا: سلوه عن الروح فسألوه، فنزلت: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٥﴾ [الإسراء: ٨٥]، وقال اليهود: أوتينا علماً كثيراً، أوتينا التوراة ومن أوتي التوراة فقد أوتي خيراً كثيراً، فنزلت ﴿قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي﴾ الآية[٧٢٢].

التفسير:

لما ادعت يهود أنها قد أوتيت علماً كثيراً، وتباهت بالتوراة وبأن فيها علم كل شيء؛ بيَّن سبحانه في هذه الآية أن ما أوتي اليهود من علم الله لا يعدو قطرة من علمه غير المتناهي، يتكلم بمشيئته وقدرته شيئاً بعد شيء. فهو لم يزل متكلماً إذا شاء، وأن كلماته لا نهاية لها. وهذا مذهب السلف.

يقول د. وهبة الزحيلي في تفسير الآية: «أي: قل أيها الرسول لهم: لو كُتبت كلمات علم الله وحكمته، وكان ماء البحر حبراً للقلم الذي يكتب به، والقلم يكتب، لنفد البحر قبل أن يفرغ من كتابة ذلك، ولو جيء بمثل البحر آخر وآخر وهكذا لنفد أيضاً، ولم تنفد كلمات الله. وهذا دليل على كثرة كلمات الله، وسعة علم الله وحكمته وأسراره، بحيث لا تضبطها الأقلام والكتب، ونظير الآية قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن شَجَرَةٍ أَقۡلَٰمٞ وَٱلۡبَحۡرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦ سَبۡعَةُ أَبۡحُرٖ مَّا نَفِدَتۡ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٢٧﴾ [لقمان: ٢٧][٧٢٣].

---

(٧٢٢) أخرجه الترمذي في سننه (٣٠٤/٥) في كتاب التفسير، باب: ومن سورة بني إسرائيل. حديث رقم (٣١٤٠) من طريق عكرمة عن ابن عباس. وقال حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه. وأخرجه أحمد في مسنده (٢٥٥/١). وذكره السيوطي في لباب النقول (ص١٧٩). وانظر: أسباب النزول للواحدي (ص٢٣٠).

(٧٢٣) التفسير المنير (٤٢/١٦).

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت قراءة **(أن ينفد)**: الإشارة إلى علم الله؛ بأنه غير متناهٍ لا ينفد ولا يفنى.

يقول ابن عاشور: «لما ابتدأت هذه السورة بالتنويه بشأن القرآن، ثم أُفيض فيها من أفانين الإرشاد والإنذار والوعد والوعيد، وذُكر فيها من أحسن القصص ما فيه عبرة وموعظة، وما هو خفي من أحوال الأمم؛ حُوِّل الكلام إلى الإيذان بأن كل ذلك قليل من عظيم علم الله تعالى. فهذا استئناف ابتدائي، وهو انتقال إلى التنويه بعلم الله تعالى مفيض العلم على رسوله ﷺ لأن المشركين لما سألوه عن أشياء يظنونها مفحمة للرسول، وأن لا قبل له بعلمها علمه الله إياها، وأخبر عنها أصدق خبر، وبينها بأقصى ما تقبله أفهامهم، وبما يقصر عنه علم الذين أغروا المشركين بالسؤال عنها. وكان آخرها خبر ذي القرنين، أتبع ذلك بما يُعلم منه سعة علم الله تعالى، وسعة ما يجري على وفق علمه من الوحي إذا أراد إبلاغ بعض ما في علمه إلى أحد من رسله. وفي هذا رد عجز السورة على صدرها»[٧٢٤].

وأفادت قراءة **(أن تنفد)**: الإشارة إلى كلام الله وحكمته. وأن كلمات الله لا يلحقها فناء ولا تتناهى لأن علمه ومقدرته لا تتناهى، وكما أن العلم والقدرة من صفات الله؛ كذلك الكلام من صفاته عز في علاه، وأنه ليس بمخلوق كما كان يدعي المشركون. وفي ذلك أيضاً رد على كل من أنكر صفة الكلام لله أو أولها.

يقول ابن قدامة: «فمن زعم أن القرآن مخلوق فقد جعله قولاً للبشر، وهذا مما أنكره الله على المشركين، ولأن الله تعالى قال: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾ فلو كانت البحار مداداً يكتب به لنفدت البحار وتكسرت الأقلام، ولم يلحق الفناء كلمات الله ﷻ كما لا يلحق الفناء علم الله، لأن من فني كلامه

(٧٢٤) التحرير والتنوير (١٦/٥١ ـ ٥٢).

لحقته الآفات وجرى عليه السكوت، فلما لم يجر ذلك على ربنا ﷻ صح أنه لم يزل متكلماً، ولا يزال متكلماً، وقد نفى النفاد عن كلامه كما نفى الهلاك عن وجهه»[٧٢٥].

ويقول ابن الجوزي: «وإنما لم تنفد كلمات الله لأن كلامه صفة من صفات ذاته، ولا يتطرق إلى صفاته النفاد»[٧٢٦].

الجمع بين القراءتين:

يتبيّن بالجمع بين القراءتين أنه: كما أن العلم صفة من صفات الله؛ فكذلك كلام الله صفة من صفاته، وكما أن صفة العلم غير متناهية فكذلك كلامه. وأن علمه يتكلم به سبحانه متى شاء وبقدر ما يشاء. وفي ذلك رد على كل الفرق المنحرفة بمجموعها.

ويمكن أن يكون هناك وجه آخر من التفسير في بيان المعنى بالجمع بين قاعدتين في اللغة العربية وهي:

القاعدة الأولى: أن العرب قد تُؤَنِّث للكثرة، وتُذكِّر للقلة[٧٢٧].

القاعدة الثانية: أن الاسم إذا قُصد إلى جمع قِلّتِه جُمع بالألف والتاء، وإذا قُصد فيه الكثرة جُرِّد من التاء، فيكون المجرد بمعنى الجمع الكثير، نحو: نملة ونمل ونملات[٧٢٨].

فيكون معنى القراءتين على النحو الآتي:

قراءة (**أن ينفد**) أفادت أن قليل كلمات الله المعبر عنه بجمع القلة وهو: (كلمات) لا ينفد وهو إلى ما لا نهاية.

---

(٧٢٥) لمعة الاعتقاد: ابن قدامة المقدسي (٩٦/١).

(٧٢٦) زاد المسير (٢٠١/٥ ـ ٢٠٢).

(٧٢٧) معاني القرآن للفراء (٤٣٥/١).

(٧٢٨) انظر: شرح الرضي على الشافية (١٩٦/٢).

أما قراءة **(أن تنفد)** فأفادت أن كلام الله ـ وهو معنى كلمات الله ـ لا ينفد وهو إلى ما لا نهاية.

الجمع بين القراءتين:

يمكن أن يُقال بالجمع بينهما: إذا كان قليل كلمات الله بهذه الكثرة فلا ينفد ولا ينتهي فما بالنا بكثيره؟. وهو ما أشار إليه البقاعي، وإن كانت إشارته تدور حول التعبير عن كلام الله بجمع القلة؛ وهو قوله تعالى: (كلمات) دون التطرق إلى القراءتين بشكل مباشر، حيث يقول: «ولعله عبَّر بجمع السلامة إشارة إلى أن قليلها بهذه الكثرة فكيف بما هو أكثر منه؟ وذلك أمر لا يدخل تحت وصف»[٧٢٩].

فسبحان من أظهر معاني عدة بكلمات قليلة، وجعل كل لفظ في كتابه معجزاً في بيانه.

(٧٢٩) نظم الدرر (٥١١/٤)

الفصل الثالث
تفسير سورة مريم من خلال القراءات القرآنية العشر

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: تعريف عام بسورة مريم.

المبحث الثاني: عرض وتفسير لآيات سورة مريم المتضمنة للقراءات.

الفصل الثالث
سورة مريم

مقدمة:

سورة مريم هي السورة الثالثة والأخيرة في هذا البحث، والقصص هو مادة هذه السورة؛ فقد استغرق حوالي ثلثيها، وللسورة كلها جو خاص يظللها ويشيع فيها، ويتمشى في موضوعاتها، والظل الغالب في الجو هو ظل الرحمة والرضى والاتصال؛ وإنك لتحس لمسات الرحمة الندية ودبيبها اللطيف في الكلمات والعبارات والظلال. كما تحس انتفاضات الكون وارتجافاته لوقع كلمة الشرك التي لا تطيقها فطرته، كذلك تحس أن للسورة إيقاعاً موسيقياً خاصاً؛ فحتى جرس ألفاظها وفواصلها فيه رخاء وفيه عمق. فأما المواضع التي تقتضي الشدة والعنف، فتجيء فيها الفاصلة مشددة دالاً ـ حرف الدال ـ في الغالب. وتنوع الإيقاع الموسيقي والفاصلة والقافية بتنوع الجو والموضوع يبدو جلياً في هذه السورة(٧٣٠).

والقصص فيها امتداد للقصص في سورة الكهف؛ فهناك ظهرت قدرة الله البالغة في حفظ أصحاب الكهف، وإحيائهم بعد موتهم، وإعطاء الرحمة والعلم للخضر عليه السلام، وفي منح ذي القرنين أسباب الملك والسلطان والسيادة، وهنا تظهر رحمة الله وفضله على زكريا إذ يمنحه يحيى

(٧٣٠) انظر: الظلال (٤/٢٢٩٩ ـ ٢٣٠٠).

على كبر وشيخوخة، وتظهر قدرة الله البالغة في خلق عيسى من أم دون أب[٧٣١].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «سورة مريم مضمونها: تحقيق عبادة الله وحده، وأنّ خواص الخلق هم عباده، فكل كرامة ودرجة رفيعة في هذه الإضافة، وتضمنت الرد على الغالين الذين زادوا في النسبة إلى الله حتى نسبوا إليه عيسى بطريق الولادة، والرد على المفرطين في تحقيق العبادة وما فيها من الكرامة، وجحدوا نِعَم الله التي أنعم بها على عباده المصطفين. . . . فهذه السورة (سورة المواهب) وهي ما وهبه الله لأنبيائه من الذرية الطيبة والعمل الصالح والعلم النافع»[٧٣٢].

ونصيب هذه السورة من القراءات ليس كثيراً بالمقارنة مع السورة السابقة ـ سورة الكهف ـ التي استغرقت القراءات قدراً كبيراً منها.

(٧٣١) أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن (٢١٤/١).

(٧٣٢) التفسير الكامل: شيخ الإسلام ابن تيمية (٢١١/٤).

المبحث الأول
تعريف عام بسورة مريم

ويشتمل على:

- أسماء السورة ووجه التسمية.
- مناسبتها لسورة الكهف.
- فضل السورة.
- أغراض السورة.
- الموضوعات التي تناولتها السورة.

المبحث الأول
تعريف عام بالسورة

سورة مريم سورة مكية عند الجمهور، وعن مقاتل[٧٣٣]: أن آية السجدة مدنية، نزلت بعد مهاجرة المؤمنين إلى الحبشة[٧٣٤]. أما عدد آياتها في عدّ أهل المدينة ومكة فهو تسع وتسعون، وفي عدّ أهل الشام والكوفة ثمان وتسعون[٧٣٥]. وعدد كلماتها ألف ومائة واثنتان وتسعون، وحروفها ثلاثة آلاف وثمانمائة واثنان[٧٣٦].

وهي السورة الرابعة والأربعون في ترتيب النزول؛ نزلت بعد سورة فاطر وقبل سورة طه[٧٣٧]، وهي السورة التاسعة عشرة بحسب الرسم القرآني[٧٣٨].

---

(٧٣٣) هو: أبو الحسن مقاتل بن سليمان الأزدي، مولاهم الخرساني المفسر، روى عن مجاهد والضحاك وغيرهما، وروى عنه سعيد بن الصلت وغيره، مدحه أهل التفسير وضعّفه أهل الحديث، توفي سنة نيف وخمسين ومائة. (انظر: شذرات الذهب (٢٢٧/١)، سير أعلام النبلاء (٢٠١/٧ ـ ٢٠٢)).

(٧٣٤) البحر المحيط (١٦٣/٦). وانظر: زاد المسير (٢٠٤/٥).

(٧٣٥) التحرير والتنوير (٥٨/١٦)، وانظر: روح المعاني (٥٧/١٦)، مجمع البيان (٣٧١/٦). وقد ورد فيهما أن للمدنيين قولان.

(٧٣٦) بصائر ذوي التمييز (٣٠٥/١).

(٧٣٧) التحرير والتنوير (٥٨/١٦).

(٧٣٨) الأساس في التفسير (٣٢٤٥/٦).

أسماء السورة ووجه التسمية:

سميت السورة بسورة **مريم** لاشتمالها على قصتها[٧٣٩]؛ فقد بُسطت فيها قصة مريم مع ابنها وأهلها قبل أن تُفصَّل في غيرها، ولا يشبهها في ذلك إلا سورة آل عمران التي نزلت في المدينة[٧٤٠].

وسُميت بسورة **كهيعص**؛ فقد رُوي ذلك عن ابن عباس[٧٤١]، وكذلك وقعت تسميتها في صحيح البخاري في كتاب التفسير[٧٤٢].

كما روي عن أم سلمة مثل ذلك؛ فقد أخرج الإمام أحمد[٧٤٣]، وابن أبي حاتم[٧٤٤]، والبيهقي في الدلائل[٧٤٥] عن أم سلمة أن النجاشي قال لجعفر بن أبي طالب: هل معك مما جاء به يعني: رسول الله ﷺ عن الله شيء؟ قال: نعم، فقرأ عليه صدراً من كهيعص فبكى النجاشي حتى اخضلت لحيته، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلا عليهم، ثم قال النجاشي: «إن هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة»[٧٤٦].

---

(٧٣٩) في رحاب التفسير (١٣/٢٣٠٩). وانظر: التفسير المنير (١٦/٤٦).

(٧٤٠) التحرير والتنوير (١٦/٥٨).

(٧٤١) انظر: روح المعاني (١٦/٥٦)، التحرير والتنوير ((١٦/٥٧)، فتح القدير (٣/٤٠١). قال الشوكاني: أخرج النحاس وابن مردويه عن ابن عباس قال: أنزلت بمكة سورة (كهيعص).

(٧٤٢) هكذا (كهيعص) عنون اسم السورة في صحيحه في كتاب التفسير. كما عنون ابن حجر شرحه بقوله: قوله (بسم الله الرحمن الرحيم ـ سورة كهيعص). (انظر: فتح الباري (٨/ ٤٢٦ ـ ٤٢٧)).

(٧٤٣) أخرجه أحمد في مسنده (١/٢٠٢).

(٧٤٤) أخرجه ابن أبي حاتم في الثقات (١/٦٥).

(٧٤٥) أخرجه البيهقي في سننه الكبرى (٩/١٤٤). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/٤٧٦).

(٧٤٦) فتح القدير (٣/٤٠١).

مناسبتها لسورة الكهف:

يقول السيوطي في تناسق الدرر: «أقول: ظهر لي في وجه مناسبتها لما قبلها: أن سورة الكهف اشتملت على عدة أعاجيب: قصة أصحاب الكهف، وطول لبثهم هذه المدة الطويلة بلا أكل ولا شرب، وقصة موسى مع الخضر، وما فيها من الخارقات، وقصة ذي القرنين. وهذه السورة فيها أعجوبتان: قصة ولادة يحيي بن زكريا، وقصة ولادة عيسى، فناسب تاليهما»[٧٤٧].

فضل السورة:

لم يرد في فضل سورة مريم أحاديث صحيحة مرفوعة إلى النبي ﷺ، أما ما أورده البيضاوي وغيره من العلماء من حديث مرفوع إلى النبي ﷺ والذي جاء فيه: «من قرأ سورة مريم أعطي عشر حسنات بعدد من كذب زكريا وصدَّق به..» فهو حديث موضوع[٧٤٨].

وكل ما ورد ذكره في كتب السنن هو: ما رواه أحمد بن حنبل في مسنده[٧٤٩]، عن محمد ابن اسحق من حديث أم سلمة، في قصة الهجرة إلى أرض الحبشة من مكة: أن جعفر بن أبي طالب ﷺ قرأ صدر هذه السورة على النجاشي وأصحابه فبكى النجاشي والأساقفة حتى اخضلت لحاهم، وقال النجاشي: هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة.

أغراض السورة:

هذه السورة شأنها شأن غيرها من السور المكية؛ تعالج أمور العقيدة.

(٧٤٧) تناسق الدرر (ص١٠١). وانظر: التفسير المنير (٤٦/١٦).

(٧٤٨) انظر هذا الحديث والحكم عليه في حاشية الشهاب على البيضاوي (٣٢٠/٦).

(٧٤٩) انظر الخبر بتمامه في مسند أحمد بن حنبل (٢٠١/١ - ٢٠٢) حديث رقم (١٧٤٠). وقال الهيثمي: رواه أحمد ورجاله رجال ابن اسحق، وقد صرح بالسماع (انظر: مجمع الزوائد (٢٧/٦)).

فيدور سياق السورة على محور التوحيد، ونفي الولد والشريك، ويلم بقضية البعث[750]. ويظهر أن هذه السورة نزلت للرد على اليهود فيما اقترفوه من القول الشنيع في مريم وابنها، فكان فيها بيان نزاهة آل عمران وقداستهم في الخير[751].

الموضوعات التي تناولتها السورة:

افتتحت السورة بقصة ولادة يحيي بن زكريا عليهما السلام من أب شيخ كبير وأم عاقر خلافاً للمعتاد، واستجابة لدعاء زكريا عليه السلام، ثم بإيتاء يحيي النبوة في صباه. الآيات (١ ـ ١٥).

الآيات (١٦ ـ ٣٦): تناولت كرامة مريم العذراء بخارق العادة في حملها من غير زوج وقصة ولادة عيسى عليه السلام وكلامه في المهد لتبرئة والدته، ووصف نفسه بصفات النبوة والكمال.

الآيات (٣٧ ـ ٤٠): تناولت ما أحدثته حادثة الولادة من خلاف عقدي بين النصارى في شأن عيسى عليه السلام.

الآيات (٤١ ـ ٥٠): تحدثت عن جانب من قصة إبراهيم عليه السلام مع أبيه وقومه واعتزاله لملة الشرك، وإكرام الله له بالذرية بعد الكبر وعُقر زوجته، وجعل النبوة في ذريته.

الآيات (٥١ ـ ٦٥): أشارت إلى قصص النبيين موسى وهارون وإسماعيل وإدريس ونوح ـ عليهم السلام ـ لإثبات وحدة الرسالة، وأن الرسل جميعاً جاؤوا لدعوة الناس إلى توحيد الله، ونبذ الشرك والأوثان، وتحدثت عمن اهتدى بهم، ومَن خَلَفَهُم من الغواة، ومصير هؤلاء وهؤلاء. وتنتهي الآيات بإعلان الربوبية الواحدة لله.

الآيات (٦٦ ـ ٩٨): تبدأ الآيات بالحديث عن الجدل في قضية

---

(٧٥٠) انظر: الظلال (٤/٢٢٩٩).

(٧٥١) التحرير والتنوير (١٦/٥٨).

البعث، ومناقشة الله لهم، وتستعرض بعض مشاهد القيامة. وتتحدث عن أهوال ذلك اليوم الرهيب، وتعرض صورة من استنكار الكون كله لدعوى الشرك.

وتنتهي الآيات بمشهد عميق من مصارع القرون ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴿٩٨﴾﴾[٧٥٢].

(٧٥٢) انظر: الظلال (٢٣٠١/٤)، التفسير المنير (٤٧/١٦ ـ ٤٨)، التحرير والتنوير (٥٨/١٦ ـ ٥٩)، أهداف كل سورة ومقاصدها (٢٢٢/١)، صفوة التفاسير (١٨٢/٢).

المبحث الثاني
عرض وتفسير لآيات سورة مريم بالقراءات العشر

١ ـ قال تعالى: ﴿كٓهيعٓصٓ ۝١﴾ [مريم: ١].

القراءات:

١. قرأ أبو بكر والكسائي بإمالة الهاء والياء.

٢. قرأ أبو عمرو بإمالة الهاء وفتح الياء.

٣. قرأ ابن عامر وحمزة وخلف بفتح الهاء وإمالة الياء.

٤. قرأ نافع وابن كثير وحفص وأبو جعفر ويعقوب بفتح الهاء والياء[٧٥٣].

٥. قرأ أبو جعفر بالسكت على كل حرف من حروف (كهيعص)[٧٥٤].

البيان:

القراءة بإمالة الهاء لئلا تلتبس بالهاء التي للتنبيه، وإمالة الياء لئلا تلتبس بياء النداء[٧٥٥]. وإمالة هذه الحروف لا تمتنع لأنها ليست بحروف معنى، وإنما هي أسماء ما يُتهجى به ـ أسماء لهذه الأصوات ـ، فلما كانت

(٧٥٣) انظر: النشر (٢/٥١ ـ ٥٢)، الإتحاف (ص٣٧٥).

(٧٥٤) انظر: النشر (١/٣٢٩)، الميسر (ص٣٠٥).

(٧٥٥) انظر: حجة القراءات (ص٤٣٧). وانظر: الحجة في القراءات السبع (ص١٣٩).

أسماء غير حروف جازت فيها الإمالة[٧٥٦]، ويدلك على أنها أسماء أنها إذا أخبرت عنها أعربتها فتقول: هذه هاء، وياء[٧٥٧].

والقراءة بالسكت على حروف (كهيعص)؛ يلزم منها إظهار المخفى، فتظهر النون عند الصاد في (عص)، وليبيّن بهذا السكت أن الحروف مفصولة وإن اتصلت رسماً وفي كل واحد منها سر من أسرار الله تعالى الذي استأثر الله تعالى بعلمه[٧٥٨].

٢ ـ قال تعالى: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝٦﴾ [مريم: ٥ ـ ٦].

القراءات:

١. قرأ أبو عمرو والكسائي (**يَرِثْني ويَرِثْ**) بجزم الفعلين.

٢. قرأ الباقون (**يَرِثُني ويَرِثُ**) برفع الفعلين[٧٥٩].

اللغة والبيان:

قال الراغب: **الوارثة والإرث**: انتقال قنية إليك عن غيرك من غير عقد، ولا ما يجري مجرى العقد، وسمي بذلك المنتقل عن الميت، فيقال للقنية الموروثة: ميراث وإرث[٧٦٠].

وقراءة **الجزم** (**يَرِثْني ويَرِثْ**) على أن الأول مجزوم جواباً للدعاء[٧٦١]،

(٧٥٦) مفاتيح الأغاني (ص٢٦٦). وانظر: الحجة للقراء (٥/١٨٥).

(٧٥٧) حجة القراءات (ص٤٣٧).

(٧٥٨) انظر: النشر (١/٣٢٩).

(٧٥٩) انظر: النشر (٢/٢٣٨)، المُيَسَّر (ص٣٠٥).

(٧٦٠) مفردات الراغب (ص٥٩٠).

(٧٦١) انظر: الملخص في إعراب القرآن (ص٢٣٤).

في قوله: ﴿هَبْ لِي﴾. والولي على ذلك بمعنى (الوارث) فيكون تقديره: فهب لي من لدنك ولياً وارثاً يرثني. ولأن (ولياً) رأس آية استغنى عن أن يكون ما بعده صفة له، لذلك كان جواباً للدعاء، أما (ويرث) فهو معطوف على (يرثني)(٧٦٢).

أما قراءة الرفع (يَرِثُني ويَرِثُ) فالأول صفة للولي، كأنه قال: ولياً وارثاً(٧٦٣). لأن الأولياء قد يكون فيهم الوارث وغير الوارث(٧٦٤). وزكريا إنما سأل ولياً وارثاً علمه ونبوته(٧٦٥). والثاني معطوف عليه، والمعنى: فهب لي من لدنك ولياً وارثاً لي ووارثاً من آل يعقوب(٧٦٦).

التفسير:

تتحدث الآيتان عن تضرع زكريا لربه بعد أن أصابه الكبر، أن يهبه ولداً صالحاً من صلبه يحافظ على دين الله، فيليه في النبوة والعلم؛ لأنه قد رأى ما حل بأبناء عمه وأقاربه من تضييع لحقوق الله والعباد، فخاف بموته أن يضيعوا الدين بعده، وألا يقوموا بدينه حق القيام، لذلك طلب من الله أن يهبه الولد الصالح بقدرته التي لا يعجزها شيء.

يقول الشنقيطي: «أي: خِفْتُ أقاربي وبني عمي وعصبتي أن يضيعوا الدين بعدي، ولا يقوموا لله بدينه حق القيام، فارزقني ولداً يقوم بعدي بالدين حق القيام. وبهذا التفسير تعلم أن معنى قوله (يرثني) أنه إرث علم ونبوة، ودعوة إلى الله والقيام بدينه، لا إرث مال. ويدل لذلك أمران:

أحدهما: قوله ﴿وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ ومعلوم أن آل يعقوب

---

(٧٦٢) انظر: الكشف (٢/٨٤)، المغني (٣/٥).

(٧٦٣) مفاتيح الأغاني (ص٢٦٦). وانظر: معاني القراءات (ص٢٨١)، الحجة للقراء السبعة (٥/١٩١).

(٧٦٤) انظر: حجة القراءات (ص٤٣٨)، الملخص (ص٢٣٤)، الحجة للقراء السبعة (٥/١٩١).

(٧٦٥) الكشف (٢/٨٤).

(٧٦٦) المغني (٣/٥).

انقرضوا من زمان، فلا يورث عنهم إلا العلم والنبوة والدين.

والأمر الثاني: ما جاء من الأدلة على أن الأنبياء ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ لا يورث عنهم المال، وإنما يورث عنهم العلم والدين. فمن ذلك ما أخرجه الشيخان في صحيحيهما[٧٦٧] عن أبي بكر الصديق ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «لا نورث، ما تركنا صدقة . . .» فظاهر صيغة الجمع شمول جميع الأنبياء... وبهذا تعلم أن قوله هنا ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ يعني وراثة العلم والدين لا المال... وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة عن زكريا ﴿وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ أي: مرضياً عندك، وعند خلقك في أخلاقه وأقواله وأفعاله ودينه، وهو فعيل بمعنى مفعول»[٧٦٨].

قال الرازي: «واعلم أن زكريا عليه السلام قدَّم على السؤال ـ طلب الولد ـ أموراً ثلاثة: **أحدها**: كونه ضعيفاً، **والثاني**: أن الله تعالى ما رد دعاءه البتة، **والثالث**: كون المطلوب بالدعاء سبباً للمنفعة في الدين، ثم بعد تقرير هذه الأمور الثلاثة صرَّح بالسؤال. . . . وذلك مما يزيد الدعاء توكيداً لما فيه من الارتكان على حول الله وقوته والتبري عن الأسباب الظاهرة»[٧٦٩].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت قراءة **(يَرِثْني ويَرِثْ)** بجزم الفعلين: أن زكريا عليه السلام دعا ربه أن يهب له ولداً وارثاً يرث العلم ويرث من آل يعقوب النبوة. وذلك رجاءً في الله أن يستجيب لدعائه. فطلبه للولد كان من أجل الوراثة للعلم والنبوة.

يقول الألوسي: «والمعنى إن تهب لي ذلك يرثني الخ، والمراد أنه

(٧٦٧) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الفرائض. باب قول النبي ﷺ لا نورث ما تركنا صدقة. حديث رقم (٦٧٢٦) (فتح الباري (٥/١٢)). وأخرجه مسلم في صحيحه (١٣٧٧/٣ ـ ١٣٧٩) في كتاب الجهاد. باب قول النبي ﷺ لا نورث ما تركنا فهو صدقة. حديث رقم (١٧٥٧).

(٧٦٨) انظر: أضواء البيان (٤٤٢/٢ ـ ٤٤٦) باختصار وببعض التصرف.

(٧٦٩) انظر: التفسير الكبير (١٨٢/٢١ ـ ١٨٣) باختصار.

كذلك في ظني ورجائي»(٧٧٠).

وأفادت قراءة (**يَرِثُنِي ويَرِثُ**) برفع الفعلين أن زكريا عليه السلام حينما سأل ربه الولد كان من جملة ذلك أن يكون هذا الولد وارثاً لعلمه ونبوته، موصوفاً بأن يكون كذلك صفته وحاله. لأنه ليس شرطاً أن يكون الولد شبهاً لأبيه في دينه وعلمه وسلوكه، أو أن يكون وارثاً لما يتمتع به الوالد من صلاح وتقوى، فأراد عليه السلام أن يكون وليه صالحاً مرضياً من الله هادياً مصلحاً لبني إسرائيل.

يقول النسفي: «أي: هب لي ولداً وارثاً مني العلم ومن آل يعقوب النبوة، ومعنى وراثة النبوة: أنه يصلح لأن يوحى إليه، ولم يرد أن نفس النبوة تورث»(٧٧١).

ويقول زادة في حاشيته على البيضاوي: «من جزم الفعلين قصد السببية على معنى إن تهب يرث، ومن رفعهما لم يقصدها وجعلهما صفة لـ(ولياً) فعلى هذا يكون (يرث) من جملة المطلوب»(٧٧٢).

الجمع بين القراءتين:

يتبيّن بالجمع بين القراءتين أن زكريا عليه السلام دعا ربه أن يهبه ولداً من صلبه يكون صالحاً مرضياً من الله وأن يكون وارثاً يرث عنه العلم والنبوة كما يرث عن آل يعقوب العلم والنبوة والدين ويقوم به حق القيام رجاءً في الله أن يستجيب له؛ لأنه إنما كان مقصده هو الحفاظ على دين الله.

٣ ـ قال تعالى: ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسۡمُهُۥ يَحۡيَىٰ لَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ مِن قَبۡلُ سَمِيّٗا ۝٧﴾ [مريم: ٧].

(٧٧٠) تفسير الألوسي (٦٣/١٦).
(٧٧١) تفسير النسفي (٢٣/٣).
(٧٧٢) حاشية زادة على البيضاوي (٥٢٨/٥).

القراءات:

١. قرأ حفص وحمزة والكسائي وخلف العاشر **(زكريا)** بالقصر من غير همز حيثما وردت في السورة.

٢. قرأ الباقون **(زكرياء)** بالهمز والمد حيثما وردت في السورة[٧٧٣].

١. قرأ حمزة والكسائي **(نَبْشُركَ)** بفتح النون وضم الشين من البشْر وهو البشرى والبشارة.

٢. قرأ الباقون **(نُبَشِّرُكَ)** بضم النون وتشديد الشين مكسورة من (بشَّرَ) المضعف على التكثير[٧٧٤].

البيان:

قراءة (زكريا) بالمد والقصر لغتان مشهورتان عند العرب[٧٧٥].

قال الأزهري: «في (زكريا) ثلاث لغات: **القصر** حتى لا يستبين في الألف نصب ولا رفع ولا خفض. **واللغة الثانية**: مد الألف فتُنصب وتُرفع ولا تُخفض ولا تُنوّن؛ لأنه اسم لا ينصرف، وبهاتين اللغتين نزل القرآن. وأما **اللغة الثالثة**: فلا تجوز القراءة بها، وهو قولك: (هذا زكَرِيٌّ قد جاء)[٧٧٦].

والقراءة في هذه السورة سواء بالمد أو القصر لا تأثير لها في تفسير الآية؛ حيث ورد ذكر زكريا عليه السلام في السورة مرتين: المرة الأولى في الآية الثانية من السورة في قوله تعالى ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢﴾. والمرة الثانية في هذه الآية. وكما هو ملاحظ أن نصب لفظ زكريا في الآية الأولى ورفعه في الآية الثانية ليس له تأثير على تفسير الآيتين، وإنما تأثيره فقط في نوع المد.

---

(٧٧٣) انظر: النشر (٢/١٨٠) في موضع الآية (٣٧) من سورة آل عمران.
(٧٧٤) انظر: النشر (٢/١٨٠).
(٧٧٥) انظر: الكشف عن وجوه القراءات (١/٣٤٢).
(٧٧٦) معاني القراءات (ص١٠٠).

أما قراءة (نبشرك) فقد تقدم الكلام عليها عند تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾﴾ [الإسراء: ٩](٧٧٧).

٤ ـ قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾﴾ [مريم: ٨].

القراءات:

١. قرأ حفص وحمزة والكسائي **(عِتِيًا)** بكسر العين.

٢. قرأ الباقون **(عُتِيًا)** بضم العين(٧٧٨).

اللغة والبيان:

عُتياً: أصله: عُتُوّاً وهو بزنة فُعُول(٧٧٩) وهو مصدر عتا يعتو، فأبدلت الواو ياءً، والضمة التي قبلها كسرة لتصح الياء، أما قراءة **(عِتِيًا)** بكسر العين فلاتباع الكسر(٧٨٠): وهو اليُبْس والجسارة في المفاصل والعظام كالعود القاحل، يُقال: عتا العود وعسا(٧٨١) إذا بلغ النهاية في الشدة والكبر(٧٨٢). وقال الراغب: أي: حالة لا سبيل إلى إصلاحها ومداواتها(٧٨٣).

التفسير:

بعدما طلب زكريا عليه السلام من ربه ولداً وارثاً علمه ونبوته أتاه المَلَك ليبشره به، إلا أن زكريا عليه السلام تساءل متعجباً عن كيفية حدوث ذلك ـ لا مستبعداً لقدرة الله ـ مع أن امرأته كانت عاقراً لم تلد في شبابها فكيف يتم

---

(٧٧٧) انظر: ص ٢٧ من هذا البحث.

(٧٧٨) انظر: النشر (٢/٢٣٨)، الميسر (ص٣٠٥).

(٧٧٩) الدر المصون (٤/٤٩٣).

(٧٨٠) انظر: مشكل إعراب القرآن (ص٤٥٠).

(٧٨١) الكشاف (٣/٩٥).

(٧٨٢) معاني القرآن للنحاس (٢/٧٢٠).

(٧٨٣) مفردات الراغب (ص٣٦٠).

ذلك بعد أن وصلت إلى سن اليأس؟ وهو قد وصل إلى سن كبيرة فقد فيها القدرة على الإنجاب.

يقول ابن كثير: «هذا تعجب من زكريا عليه السلام حين أجيب إلى ما سأل وبُشر بالولد ففرح فرحاً شديداً، وسأل عن كيفية ما يولد له، والوجه الذي يأتيه منه الولد، مع أن امرأته كانت عاقراً لا تلد من أول عمرها مع كبرها ومع أنه قد كبر وعتا، أي: عسا عظمه ونحل ولم يبق فيه لقاح ولا جماع»(٧٨٤).

ويقول أبو السعود: «وإنما قاله ﷺ مع سبق دعائه بذلك، وقوة يقينه بقدرة الله لا سيما بعد مشاهدته للشواهد المذكورة في سورة آل عمران؛ استعظاماً لقدرة الله تعالى وتعجيباً منها واعتداداً بنعمته تعالى عليه في ذلك بإظهار أنه من محض لطف الله عز وجل وفضله مع كونه في نفسه من الأمور المستحيلة عادة لا استبعاداً له»(٧٨٥).

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت قراءة **(عِتِيّاً)**: شدة تعجب زكريا عليه السلام من كيفية حدوث ما بُشر به، مع أنه قد وصل إلى درجة من الكبر والضعف تمنع في العادة من حدوث الإنجاب.

وأفادت قراءة **(عُتِيّاً)**: المبالغة في وصف حالته وعدم قدرته على الإنجاب إلى الغاية التي ما بعدها غاية، لما في ضم العين من إفادة المبالغة والثقل.

وبهذا يتبيّن أن قراءة الكسر قد بينت الحالة التي وصف بها زكريا عليه السلام نفسه، وجاءت قراءة الضم لتزيد هذا الوصف مبالغة لتدل على مدى قدرة الله التي لا تتعلق بالأسباب.

(٧٨٤) تفسير ابن كثير (٥/٢٢١).
(٧٨٥) تفسير أبي السعود (٣/٢٧٦).

يقول الرازي في اللوامع: «ولله تعالى في كل صنع تدبيران: أحدهما المعروف الذي يسلكه الناس من توجيه الأسباب إلى المسببات، والآخر يتعلق بالقدرة المحضة، ولا يعرفه إلا أهل الاستبصار»(٧٨٦).

٥ ـ قال تعالى: ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ۝٩﴾ [مريم: ٩].

القراءات:

١. قرأ حمزة والكسائي (**خَلَقْنَاكَ**) بالنون والألف على لفظ الجمع.

٢. قرأ الباقون (**خَلَقْتُكَ**) بالتاء مضمومة من غير ألف على لفظ التوحيد(٧٨٧).

البيان:

قراءة (**خَلَقْنَاكَ**) على لفظ الجمع؛ فيه معنى التعظيم أي: على إرادة التعظيم لله تعالى، ومناسبة لقوله تعالى ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ﴾.

أما قراءة (**خَلَقْتُكَ**) على لفظ التوحيد؛ فلقوله تعالى قبله ﴿قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾(٧٨٨).

وكلا القراءتان من إخبار الله تعالى عن نفسه.

التفسير:

جاءت هذه الآية لتجيب زكريا عليه السلام عما تعجب منه؛ فيقول له سبحانه إن الذي خلقك وأوجدك ابتداءً من العدم، ـ وفي ذلك إشارة إلى خلق آدم عليه السلام ـ أسهل عليه ايجاد الولد بطريق التوالد.

يقول الزحيلي: «أي: قال الله تعالى من جهة المَلَك مجيباً زكريا عما

(٧٨٦) ذكره البقاعي في نظم الدرر (٥٢٣/٤).

(٧٨٧) انظر: النشر (٢٣٨/٢)، الميسر (ص٣٠٥).

(٧٨٨) انظر: الكشف (٨٥/٢)، الحجة في القراءات السبع (ص١٤١)، المستنير (٦/٢).

تعجب منه: الأمر كما قلت، سنهب لك ولداً على الرغم من العقم والهرم، هو عليَّ سهل ميسور، إذا أردت شيئاً قلت له: كن فيكون، وقد خلقتك ابتداء وأوجدتك من العدم المحض، ولم تك شيئاً قبل ذلك، فإيجاد الولد بطريق التوالد المعتاد أهون من ذلك وأسهل منه.

وهذا دليل على القدرة الإلهية الفائقة، فإنه تعالى يسهل عليه كل شيء، وقد قرر هنا أن الأمر سهل يسير عليه، وذكر ما هو أعجب مما سأل عنه زكريا، بحسب تقدير الناس، والحقيقة أن الأمرين على قدرة الله سواء، فسيان خلق الإنسان من العدم أو من طريق التوالد، ومن قدر على خلق الذات، فهو قادر على تبديل الصفات، فيعيد الله إليه وإلى زوجته القدرة على الإنجاب، كما قال: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ﴾ [الأنبياء: ٩٠]»[٧٨٩].

ويقول المنصوري: «﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا﴾ أي: أوجدتك من قبل يحيى، والمراد به ابتداء خلق البشر، إذ هو الواقع إثر العدم المحض، وإنما لم ينسب إلى آدم عليه السلام بأن يُقال: وقد خلقت أباك آدم من قبل ولم يك شيئاً، لتأكيد الاحتجاج، وتوضيح منهاج القياس، حيث نبَّه على أن كل فرد من أفراد البشر له حظ من إنشائه من العدم، وكان حال زكريا عليه السلام أولى بأن يكون معياراً لحال ما يشد به نسب الخلق المذكور إليه»[٧٩٠].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت قراءة (**خَلَقْتُكَ**): وحدانية الخالق وهو الله عز وجل.

أما قراءة (**خَلَقْنَاكَ**) فأفادت: مدى عناية الله بهذا المخلوق وعظمة هذا الخالق.

---

(٧٨٩) التفسير المنير (٥٦/١٦).

(٧٩٠) المقتطف (٢٩٢/٣). وانظر أصل هذا الكلام في تفسير أبي السعود (٢٧٦/٣ - ٢٧٧). ونحوه في تفسير الألوسي (٧٠/١٦).

الجمع بين القراءتين:

القراءتان دلتا على وحدانية الخالق وعظمته، وأنه لا يعجزه شيء، وكمال عنايته بزكريا عليه السلام.

٦ - قال تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾﴾ [مريم: ١٩].

القراءات:

١. قرأ قالون بخلف عنه وورش وأبو عمرو ويعقوب (لِيَهَبَ) بالياء بعد اللام.

٢. قرأ الباقون (لِأَهَبَ) بالهمزة، وهو الوجه الثاني لقالون[٧٩١].

اللغة والبيان:

الهبة: أن تجعل ملكك لغيرك بغير عوض[٧٩٢].

قراءة (لِيَهَبَ): على إسناد الفعل إلى ضمير (ربك) في قوله تعالى ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ﴾ والإسناد على هذا حقيقي، لأن الواهب في الحقيقة هو: الرب عز وجل.

وقراءة (لِأَهَبَ): على إسناد الفعل إلى ضمير المتكلم وهو: المَلَك القائل ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ﴾ والإسناد على هذا مجازي من إسناد الفعل إلى سببه المباشر لأنه هو الذي باشر النفخ[٧٩٣].

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن تعريف جبريل عليه السلام بنفسه وبيان سبب

(٧٩١) انظر: النشر (٢/٢٣٨)، الميسر (ص٣٠٦).

(٧٩٢) مفردات الراغب (ص٦٠٨).

(٧٩٣) المغني (٣/٧). وانظر: الحجة للقراء السبعة (٥/١٩٥)، الملخص في إعراب القرآن (ص٢٣٧)، الكشف (٢/٨٦)، الفريد (٣٨٧)، الحجة في القراءات السبع (ص١٤١)، حجة القراءات (ص ٤٤٠ - ٤٤١).

دخوله على مريم - عليها السلام - وهي في خلوتها، وبشراه لها، بعد فَرَقِها منه واستعاذتها بالله لعدم معرفتها به.

يقول أبو السعود: «﴿قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ﴾ يريد - جبريل عليه السلام - أني لست ممن يتوقع منه ما توهمت من الشر، وإنما أنا رسول ربك الذي استعذت به ﴿لِأَهَبَ لَكِ غُلَـٰمًا﴾ أي: لأكون سبباً في هبته بالنفخ في الدرع، ويجوز أن يكون حكاية لقوله تعالى، ويؤيده القراءة بالياء، والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميرها لتشريفها وتسليتها، والإشعار بعلة الحكم، فإن هبة الغلام لها من أحكام تربيتها، وفي بعض المصاحف أمرني أن أهب لك غلاماً ﴿زَكِيًّا﴾ طاهراً من الذنوب أو نامياً على الخير، أي مترقياً من سن إلى سن على الخير والصلاح»(٧٩٤).

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت قراءة **(لِيَهَبَ)**: أن جبريل عليه السلام جاء مريم مخبراً لها عن هبة الله لها بالغلام، فالواهب هو الله جل جلاله.

يقول الطبري: «بمعنى: إنما أنا رسول ربك أرسلني إليك ليهب الله لك غلاماً زكياً»(٧٩٥).

أما قراءة **(لِأَهَبَ)** فأفادت: أن جبريل عليه السلام أخبر عن نفسه أنه سيكون سبباً في هبة الغلام لأنه سينفخ في جيبها بأمر الله.

يقول الزمخشري: «إنما أنا رسول مَن استعذت به لأكون سبباً في هبة الغلام بالنفخ في الدرع»(٧٩٦).

الجمع بين القراءتين:

يتبيّن بالجمع بين القراءتين أن جبريل عليه السلام جاء مريم ليبشرها

(٧٩٤) تفسير أبي السعود (٣/٢٧٨).
(٧٩٥) تفسير الطبري (١٦/٤٧).
(٧٩٦) الكشاف (٣/٩٨).

بهبة الله لها غلاماً طاهراً نامياً على الخير، وأمره ﷺ أن ينفخ في جيبها ليكون ذلك سبباً في تحقق البشرى.

٧ ـ قال تعالى: ﴿فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾﴾ [مريم: ٢٣].

القراءات:

١. قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وشعبة وأبو جعفر ويعقوب (**مُتُّ**) بضم الميم.

٢. قرأ الباقونَ (**مِتُّ**) بكسر الميم[٧٩٧].

١. قرأ حفص وحمزة (**نَسياً**) بفتح النون.

٢. قرأ الباقون (**نِسياً**) بكسر النون[٧٩٨].

اللغة والبيان:

القراءتان (**مِتُّ**) و (**مُتُّ**) ترجعان إلى أصل الاشتقاق:

(**مِتُّ**): من (**مات يمات**) نحو (**خاف يخاف**).

(**مُتُّ**): من (**مات يموت**) نحو (**قام يقوم**)[٧٩٩].

النِّسْي: الشيء الحقير الذي إذا أُلقي نُسِي[٨٠٠]. وهو الاسم[٨٠١].

النَّسْي: مصدر النسيان[٨٠٢]. أي من قولك (نسيت)[٨٠٣] أَنسى نَسْياً

(٧٩٧) انظر: النشر (١٨٢/٢)، الميسر (ص٣٠٦).
(٧٩٨) انظر: النشر (٢٣٨/٢)، الميسر (ص٣٠٦).
(٧٩٩) انظر: روح المعاني (٨١/١٦ ـ ٨٢)، المغني (٣٧٣/١).
(٨٠٠) تفسير غريب القرآن (ص٢٧٣). وانظر: غريب القرآن وتفسيره للزيدي (ص٢٣٧)، مفاتيح الأغاني (ص٢٦٧)، معاني القراءات (ص٢٨٣).
(٨٠١) حجة القراءات (ص٤٤١).
(٨٠٢) معاني القرآن للفراء (١٦٥/٢). الملخص في إعراب القرآن (ص٢٣٨).
(٨٠٣) الحجة في القراءات السبع (ص١٤١).

ونِسياناً[٨٠٤] فهو مصدر موضوع موضع المفعول للمبالغة[٨٠٥].

وقال ابن الأنباري: «من كسر النون قال: النِّسْي اسم لما يُنسى، بمنزلة البُغض اسم لما يُبغَض، والسَّب اسم لما يُسَب، والنَّسْي بفتح النون اسم لما يُنسى أيضا على أنه مصدر ناب عن الاسم، كما يُقال: الرجل دِنْف ودَنْف، فالمكسور هو الوصف الصحيح، والمفتوح مصدر سد مسد الوصف»[٨٠٦].

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن الحالة النفسية والجسدية التي مرت بها مريم ـ عليها السلام ـ عند مخاضها، وذلك بعدما نفخ المَلَك في جيبها بأمر الله لتحمل بعيسى عليه السلام، وانقضاء مدة حملها.

يقول د. القيسي: «فقد لجأت مريم ـ عليها السلام ـ إلى النخلة .. راجعة أعني أنها عادت إليها بعد أن كانت قد تجاوزتها، ماضية على وجهها، لكيلا يراها الناس وهي في ساعة الوضع، ولكن ألم المخاض الذي سابق حركتها.. لم يُمَكنْها من المضي في هربها، فحاولت أن تلجأ إلى أقرب ساتر أو كالساتر.. فلم تجد شيئاً أقرب من النخلة فرجعت إليها أي: جاءت إليها. والمجيء لا يكون إلا عندما يكون المرء في طريق الرجوع»[٨٠٧].

يقول البيضاوي: «فألجأها المخاض، وهو تحرك الولد في بطنها للخروج، إلى جذع النخلة لتستتر به وتعتمد عليه عند الولادة، وهو ما بين العذق والغصن، وكانت نخلة يابسة لا رأس لها ولا خضرة فيها، وكان

(٨٠٤) حجة القراءات (ص٤٤١).

(٨٠٥) انظر: تفسير أبو السعود (٣/٢٧٩).

(٨٠٦) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/٢٢٠).

(٨٠٧) سر الإعجاز في تنوع الصيغ المشتقة من أصل لغوي واحد في القرآن: د. عودة الله منيع القيسي (ص٦٥).

الوقت شتاء. والتعريف للجنس أو للعهد إذ لم يكن ثمة غيرها، وكانت كالمتعالم عند الناس، ولعله تعالى ألهمها بذلك ليريها من آياته ما يسكن روعتها، ويطعمها الرطب الذي هو خُرْسَة النفساء(٨٠٨) الموافقة لها. قالت يا ليتني مت قبل هذا استحياء من الناس، ومخافة لومهم، وكنت ما من شأنه أن يُنسى ولا يُطلب، منسي الذكر بحيث لا يخطر ببالهم»(٨٠٩).

ويقول ابن كثير: «وقوله تعالى إخباراً عنها ﴿قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾ فيه دليل على جواز تمني الموت عند الفتنة؛ فإنها عرفت أنها ستبتلي وتمتحن بهذا المولود، الذي لا يحمل الناس أمرها فيه على السداد، ولا يصدقونها في خبرها، وبعد ما كانت عندهم عابدة ناسكة، تصبح عندهم فيما يظنون عاهرة زانية، فقالت: ﴿يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا﴾ أي: قبل هذا الحال ﴿وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾ أي: لم أخلق ولم أك شيئاً»(٨١٠).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (مِتُّ): تمني مريم للموت حين بدأت فيها آلام المخاض، لما عرفت أن هذا المولود سيكون محل ابتلاء وامتحان لها. وتمنيها هذا كان مشوباً بالحزن والأسى، والاستحياء من الناس؛ لما تفيده الكسرة من الضعف الذي يوحي بالحزن والاستحياء. فهذه القراءة كانت وصفاً للحالة النفسية التي مرت بها السيدة مريم في هذا الموقف.

يقول ابن كثير: «وقال السدي قالت وهي تطلق من الحبل استحياء من الناس يا ليتني مت قبل هذا الكرب الذي أنا فيه والحزن بولادتي المولود من غير بعل»(٨١١).

أما قراءة (مُتُّ) فأفادت: شدة تمنيها للموت مع شدة شعورها بآلام

(٨٠٨) الخُرْسَة: ما تُطْعَمُهُ المرأة عند وِلادِها. (اللسان (١٣١/٢) مادة فرس).

(٨٠٩) انظر: تفسير البيضاوي (١٠/٤ ـ ١١) باختصار.

(٨١٠) تفسير ابن كثير (٢٣٠/٥).

(٨١١) تفسير ابن كثير (٢٣٠/٥).

المخاض؛ لما في الضم من ثقل وقوة. وعليه جاءت هذه القراءة لتعبر عن الحالة النفسية والجسدية التي مرت بها مريم ـ عليها السلام ـ.

وقراءة (**نِسياً**) أفادت: تمني مريم أن تكون كأي شيء حقير يلقى فينسى من الذاكرة لحقارته وذلك من شدة تأثرها بما حدث لها، وشدة الامتحان الذي ستتعرض له.

أما قراءة (**نَسياً**) فأفادت: المبالغة في تمني كونها منسية من الذاكرة. فتنسى ولا يعتد بها، ولا تخطر على بال أحد، فتمحى من الذاكرة تماماً.

الجمع بين القراءات:

جاءت القراءات لتصف الحالة النفسية والجسدية التي مرت بالسيدة مريم ـ عليها السلام ـ حيث من شدة تأثرها بما حدث لها من حمل بدون بعل وخوفها على دينها مما ستتعرض له من ابتلاء تمنت الموت بشدة موافقة لشدة آلام المخاض، وتمنت حينها أن تكون كأي شيء حقير يلقى فيمحى من الذاكرة فلا يخطر ببال أحد ليتذكره؛ حتى لا تتعرض لهذا الامتحان العسير.

٨ ـ قال تعالى: ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا ﴿٢٤﴾﴾ [مريم: ٢٤].

القراءات:

١. قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وشعبة ورويس (**مَنْ تَحْتَهَا**) بفتح الميم ونصب التاء.

٢. قرأ الباقون (**مِنْ تَحْتِها**) بكسر الميم وخفض التاء[(٨١٢)].

البيان:

القراءة بكسر ميم (مِن) وجر تاء (تحتِها) على أن (مِن) حرف جر،

---

(٨١٢) انظر: النشر (٢/٢٣٨)، الميسر (ص٣٠٦).

وما بعدها مجرور، والفاعل ضمير يعود على عيسى عليه السلام، أو على جبريل عليه السلام، والجار والمجرور متعلق بناداها.

أما القراءة بفتح ميم (مَن) ونصب تاء (تحتَها) على أن (مَن) اسم موصول فاعل (نادى) وتحت ظرف مكان متعلق بمحذوف صلة(٨١٣).

التفسير:

بعدما بيّنت الآية السابقة الحالة النفسية والجسدية التي تعرضت لها مريم عليها السلام حين التجأت من وجع الولادة إلى جذع نخلة يابسة في وقت الشتاء، جاءت هذه الآية لتبيّن كيف تولاها الله برعايته؛ حيث جعل مَن يزيل عنها هذا الحزن والألم، ويطمئنها.

يقول ابن الجوزي: «قوله تعالى ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ﴾ ففيه وجهان: **أحدهما**: ناداها الملك من تحت النخلة، وقيل: كانت على نشز(٨١٤) فناداها الملك أسفل منها، **والثاني**: ناداها عيسى لما خرج من بطنها، قال ابن عباس: كل ما رفعت إليه طرفك فهو فوقك، وكل ما خفضت إليه طرفك فهو تحتك، ومن قرأ بفتح الميم ففيه الوجهان المذكوران، وكان الفراء يقول ما خاطبها إلا الملك على القراءتين جميعاً. قوله تعالى ﴿قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنه النهر الصغير، قاله جمهور المفسرين واللغويون، **والثاني**: أنه عيسى، فان قيل كيف ناسب تسليتها أن قيل لا تحزني فهذا نهر يجري؟ فالجواب من وجهين: **أحدهما**: أنها حزنت لجدب مكانها الذي ولدت فيه، وعدم الطعام والشراب والماء الذي تتطهر به، فقيل: لا تحزني قد أجرينا لك نهراً، وأطلعنا لك رطباً. **والثاني**: أنها حزنت لما جرى عليها من ولادة ولد عن غير زوج فأجرى الله تعالى لها نهراً فجاءها من الأردن، وأخرج لها الرطب من الشجرة اليابسة، فكان ذلك آية تدل على قدرة الله تعالى في إيجاد عيسى»(٨١٥).

---

(٨١٣) انظر: المغني (٨/٣ ـ ٩).

(٨١٤) النَشز: المكان المُرتَفِع من الأرض. مختار الصحاح (ص٦٨٥).

(٨١٥) انظر: زاد المسير (٢٢١/٥ ـ ٢٢٢) باختصار.

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت القراءة **(مِنْ تَحْتِها)** بكسر الميم والتاء: أن عيسى عليه السلام كلَّمها وهو تحتها، أي: من تحت ثيابها، لأن ذلك موضع ولادة عيسى عليه السلام، وقيل إن الذي ناداها هو جبريل عليه السلام من أسفل من مكانها، أي: من دونها، كما تقول: داري تحت دارك، وبلدي تحت بلدك، أي: دونها.

أما القراءة **(مَنْ تَحْتَها)** بفتح الميم والتاء فأفادت: أن الذي كلمها هو الذي تحتها، فيكون: إما المراد به الذي تحت الثياب وهو عيسى عليه السلام، وإما أن يكون الذي دونها وأسفل منها في المكان وهو جبريل عليه السلام[٨١٦].

وقد تباينت أقوال العلماء في تحديد المنادي بالنسبة للقراءتين على أقوال:

قال مكي بن أبي طالب: «وكون الضمير لـ(عيسى) في القراءة بفتح الميم أقوى في المعنى، وكون الضمير لجبريل عليه السلام في القراءة بكسر الميم أقوى في المعنى، ويجوز في القراءتين أن يكون لـ(عيسى) وأن يكون لـ(جبريل) عليهما السلام»[٨١٧].

يقول محمد عمر بازمول: «القول بأن الفاعل هو جبريل عليه الصلاة والسلام مروي عن ابن عباس وعكرمة والضحاك وعمرو بن ميمون والبراء وسعيد بن جبير وقتادة[٨١٨] واستظهره القرطبي[٨١٩]. والقول بأن الفاعل هو عيسى عليه الصلاة والسلام مروي عن مجاهد والحسن

(٨١٦) انظر: الكشف (٨٦/٢ ـ ٨٧)، الفريد (٣٩١/٣)، المغني (٩/٣)، القراءات وأثرها في التفسير والأحكام (٧٩٣/٢ ـ ٧٩٤).

(٨١٧) الكشف (٨٧/٢).

(٨١٨) انظر: الدر المنثور (٥٠١/٥ ـ ٥٠٢).

(٨١٩) انظر: تفسير القرطبي (٨٧/٦).

وأبي بن كعب[٨٢٠] واختاره الطبري[٨٢١] واستظهره أبو حيان[٨٢٢] والشنقيطي[٨٢٣]»[٨٢٤].

قلت: وقد جزم الفراء بكونه جبريل عليه السلام على القراءتين[٨٢٥]. وكذلك فسَّر به المنصوري والسعدي والصابوني[٨٢٦]، واستظهره الزحيلي في تفسيره[٨٢٧].

وقد استدل الفريق القائل بأنه جبريل؛ بالقراءة الشاذة عن ابن عباس رضي الله عنه (فناداها ملك من تحتها)[٨٢٨]،وكذلك بما روي عنه من أنه قال: ولم يتكلم عيسى حتى أتت به قومها[٨٢٩].

أما الفريق القائل إن المنادي هو عيسى عليه السلام فقد استدل على ترجيحه بقرينتين كما بينهما الشنقيطي وهي:

الأولى: أن الضمير يرجع إلى أقرب مذكور إلا بدليل صارف عن ذلك يجب الرجوع إليه، وأقرب مذكور في الآية هو عيسى لا جبريل. لأن الله قال (فحملته) يعني عيسى (فانتبذت به) أي: بعيسى. ثم قال بعده (فناداها) فالذي يظهر ويتبادر من السياق أنه عيسى.

الثانية: أنها لما جاءت به قومها تحمله، وقالوا لها ما قالوا أشارت إلى عيسى ليكلموه... وإشارتها إليه ليكلموه قرينة على أنها عرفت قبل ذلك أنه يتكلم على سبيل خرق العادة لندائه لها عندما وضعته[٨٣٠].

---

(٨٢٠) انظر: الدر المنثور (٥/٥٠٢).
(٨٢١) انظر: تفسير الطبري (١٦/٥٢ ـ ٥٣).
(٨٢٢) انظر: البحر المحيط (٦/١٧٣).
(٨٢٣) انظر: أضواء البيان (٢/٤٦٣).
(٨٢٤) القراءات وأثرها في التفسير والأحكام (٢/٧٩٤).
(٨٢٥) انظر معاني القرآن للفراء (٢/١٦٥).
(٨٢٦) انظر: المقتطف (٣/٢٩٧)، تفسير السعدي (ص٤٩٢)، صفوة التفاسير (٢/١٨٦).
(٨٢٧) انظر: التفسير المنير (١٦/٧٦).
(٨٢٨) انظر: تفسير الألوسي (١٦/٨٢).
(٨٢٩) انظر: تفسير القرطبي (٦/٨٧).
(٨٣٠) أضواء البيان (٢/٤٦٣ ـ ٤٦٤).

والباحثة ترى أن كلاً من الرأيين له وجهة نظر واجتهاد مقبولة إلا أن الرأي القائل بأن جبريل هو المنادي يترجح على الرأي الآخر؛ وذلك لأن القراءة الشاذة المروية عن الصحابة هي في الأصل تفسير للقرآن. كما أن مريم عليها السلام عندما سمعت النداء لم تخف ولم تفزع لأن صوت المنادي مألوف لها، فلو كان المنادي هو عيسى عليه السلام لفزعت، وبذلك يكون المنادي هو جبريل عليه السلام، وذلك لأن جبريل عليه السلام حينما جاءها في المرة الأولى فزعت ولكن لأنها ألفت صوته لم تفزع هذه المرة بل اطمأنت إلى أن الله لن يتركها، لذلك حينما طلب منها أن تصمت حينما تأتي قومها تيقنت أن الله سيدافع عنها، وأنه سيحدث معجزة أخرى تنجيها من الاتهام، كما أنها فهمت أن هذا الوليد سيكون مدافعاً عنها بقدرة الله لذلك أشارت إليه عند قدومها إلى قومها.

الجمع بين القراءتين:

يتبيّن بالجمع بين القراءتين أن القراءة الأولى بيّنت مكان المناداة. والقراءة الثانية أشارت إلى شخصية المنادي دون ذكرها صراحة. وفي كل من القراءتين غموض حول شخصية المنادي، ومن هنا تساوت القراءتان، فكان لا بد من الاستعانة في تحديد الشخصية بدليل راجح فجاءت القراءة الشاذة وهي قراءة ابن عباس لتحديدها؛ وهو: جبريل عليه السلام.

وعلى ذلك يكون التفسير كالتالي:

يقول المنصوري: «فناداها جبريل عليه السلام من مكان أسفل من مكانها، وقيل من تحت النخلة، وقال لها لا تحزني لهذا الأمر، ولا تهتمي بمقالة الناس، فقد جعل ربك بمكان أسفل منك نهراً صغيراً. ضرب جبريل برجله الأرض فظهرت عين ماء عذبة، فجرى جدول دافق بالماء، وهذه آية على كرامة مريم عليها السلام»(٨٣١).

٩ ـ قال تعالى: ﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا

(٨٣١) انظر: المقتطف (٣/٢٩٧). ببعض التصرف.

﴿٢٥﴾ [مريم: ٢٥].

القراءات:

١. قرأ حفص (**تُسَاقِط**) بضم التاء وكسر القاف وتخفيف السين.

٢. قرأ حمزة (**تَسَاقَط**) بفتح التاء والقاف وتخفيف السين.

٣. قرأ يعقوب وشعبة بخلف عنه (**يَسَّاقَط**) بالياء على التذكير وفتحها وتشديد السين وفتح القاف.

٤. قرأ الباقون (**تَسَّاقَط**) بفتح التاء وتشديد السين وفتح القاف، وهو الوجه الثاني لشعبة[٨٣٢].

اللغة والبيان:

السقوط: طرح الشيء من مكان عال إلى مكان منخفض[٨٣٣].

قراءة حفص (**تُسَاقِط**): مضارع (ساقَطت تساقِط مساقطةً) والفاعل ضمير يعود على النخلة، ورطباً مفعوله. و(تساقط) على وزن تُفَاعِل، وهذا يدل على أن السقوط لا يكون دفعة واحدة، وإنما شيئاً بعد شيء.

وقراءة حمزة (**تَسَاقَط**): مضارع (تساقط) حُذفت منه إحدى التاءين تخفيفاً، والفاعل ضمير يعود على النخلة، ورطباً تمييز.

وقراءة (**تَسَّاقَط**): مضارع (تساقط) أدغمت التاء في السين، والفاعل ضمير يعود على النخلة، ورطباً تمييز.

وقراءة (**يَسَّاقَط**): أي: (يتساقط) مضارع (تساقط) أدغمت التاء في السين تخفيفاً، والفاعل ضمير يعود على (الجذع) ورطباً تمييز[٨٣٤].

(٨٣٢) انظر: النشر (٢/٢٣٨)، الميسر (ص٣٠٦).

(٨٣٣) مفردات الراغب (٢٦٤) مادة: سقط.

(٨٣٤) انظر: المستنير (٢/٨ ـ ٩)، حجة القراءات (ص٤٤٢ ـ ٤٤٣)، الفريد (٣/٣٩٤).

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن كرامة لمريم عليها السلام أمدها الله بها ليُذهب حزنها ويُطمئن قلبها إلى أن كل ما حدث لها هو من أمر الله، يظهر من خلالها قدرته ﷻ.

يقول الصابوني: «أي: حركي جذع النخلة اليابسة يتساقط عليك الرُّطب الشهيُّ الطريُّ، قال المفسرون: أمرها بهز الجذع اليابس لترى آية أخرى في إحياء موات الجذع بعد رؤيتها عين الماء العذب الذي جرى جدولاً، وذلك ليسكن ألمها وتعلم أن ذلك كرامة من الله لها»[٨٣٥].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة **(تُسَاقِط)**: كثرة الرطب النازل على مريم عليها السلام من النخلة كأنها مأمورة بإسقاطه، وكأن الهز هو من قبيل الأخذ بالأسباب، كما تدل القراءة على نزول الرطب من النخلة تدريجياً، شيئاً بعد شيء وليس دفعة واحدة.

أما قراءة **(تَسَاقَط)** فأفادت: سهولة تساقطه وكثرته.

وقراءة **(تَسَّاقَط)** أفادت: شدة تساقطه، مع الاستغراب من كونه من النخلة ليبسها وعدم إقنائها لكون الأمر في فصل الشتاء.

أما قراءة **(يَسَّاقَط)** فأفادت: أن الرطب يسقط من الجذع بشدة وكثرة، وفي هذا دليل على أن النخلة التي التجأت إليها مريم عليها السلام لم تكن سوى جذع جاف، لا أوراق ولا ثمار لها ولكن بقدرة الله تحولت إلى نخلة مثمرة.

يقول البقاعي: «والتعبير بصيغة التفاعل في قراءة الجماعة وحمزة للدلالة على أن التمر يسقط منها، ومن حقه أن يكون منتفياً لأنها غير متأهلة لذلك، فهو ظاهر في أنه على وجه خارق للعادة، وقراءة الجماعة بالإدغام

(٨٣٥) صفوة التفاسير (٢/١٨٦).

تشير مع ذلك إلى أنه مع شدته يكاد أن يخفى كونه منها ليبسها وعدم إقنائها، وقراءة حمزة بالفتح والتخفيف تشير إلى سهولة تساقطه وكثرته، وقراءة حفص عن عاصم بالضم وكسر القاف من فاعل، تدل على الكثرة وأنه ظاهر في كونه من فعلها»(836).

الجمع بين القراءات:

يتبيّن بالجمع بين القراءات أن الله أوحى إلى مريم عليها السلام أن تأخذ بالأسباب، وتهز النخلة ليسقط عليها بشدة وكثرة وتتابع رطباً ناضجاً طيباً، من نخلة لم تكن في ذلك الوقت من السنة مهيأة لتحمل هذا الثمر، وينضج بهذه السرعة ويتحول إلى طعام صالح للأكل والتغذية في حالتها تلك، وهي حالة النفاس. وفي ذلك تطمين لها وبيان لقدرة الله على الايجاد من العدم، فالذي قَدِرَ على أن يُثْمِر جذع النخلة في الشتاء قَدِرَ على أن يحبلها من غير زوج.

يقول البيضاوي: «روي أنها كانت نخلة يابسة لا رأس لها ولا ثمر، وكان الوقت شتاء، فهزتها فجعل الله تعالى لها رأساً وخوصاً ورطباً. وتسليتها بذلك لما فيه من المعجزات الدالة على براءة ساحتها، فإن مثلها لا يتصور لمن يرتكب الفواحش، والمنبهة لمن رآها عليه على أن من قدر على أن يثمر النخلة اليابسة في الشتاء قدر على أن يحبلها من غير فحل، وأنه ليس ببدع من شأنها مع ما فيه من الشراب والطعام»(837).

١٠ ـ قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [مريم: ٣٤].

القراءات:

١. قرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب **(قولَ الحقّ)** بنصب اللام.

---

(٨٣٦) نظم الدرر (٤/٥٢٩).

(٨٣٧) تفسير البيضاوي (٤/١٢).

٢. قرأ الباقون (**قولُ الحقّ**) برفع اللام[٨٣٨].

البيان:

لفظة (الحق) للعلماء فيها وجهان:

الأول: أن المراد بالحق ضد الباطل، بمعنى الصدق والثبوت.

فعلى ذلك فقراءة (**قولَ الحقّ**) بنصب اللام: على أنه مصدر مؤكد لمضمون الجملة قبله، وعامله محذوف تقديره: أقول قول الحق.

وعلى قراءة (**قولُ الحقّ**) برفع اللام: فهو خبر مبتدأ محذوف تقديره: هو، أي: هو قول الحق، أو هذا الكلام قول الحق.

الثاني: أن المراد بالحق في الآية اسم من أسماء الله تعالى.

فعلى قراءة النصب يكون (قولَ الحق) منصوب على المدح، أي: أمدح قول الحق، أي: قول الله وكلمته الذي هو عيسى عليه السلام.

وعلى قراءة الرفع فهو بدل من عيسى، أو خبر بعد خبر، وعلى هذا الوجه فـ(قول الحق) هو (عيسى) لأنه بكلمة الله كان، وقد سماه الله تعالى كلمة. والقول والكلمة على هذا الوجه من التفسير بمعنى واحد[٨٣٩].

التفسير:

تتحدث هذه الآية عن علو شأن عيسى عليه السلام وثبوت بشريته وبنوته من مريم من غير أب، وبعده عما اختلف فيه النصارى واليهود؛ حيث ادعى النصارى أنه ابن لله، أو هو الله، وادعت اليهود ـ عليهم لعنة الله ـ أنه ساحر كذاب.

يقول السعدي: «أي: ذلك الموصوف بتلك الصفات، عيسى بن

---

(٨٣٨) انظر: النشر (٢/٢٣٩)، الميسر (ص٣٠٧).

(٨٣٩) انظر: أضواء البيان (٢/٤٧٩)، الكشاف (٣/١٠٣)، البحر المحيط (٦/١٧٨)، الكشف (٢/٨٨ ـ ٨٩)، الملخص في إعراب القرآن (ص٢٤٣)، المغني (٣/١٠ ـ ١١).

مريم، من غير شك ولا مرية، بل قول الحق وكلام الله، الذي لا أصدق منه قيلاً، ولا أحسن منه حديثاً، فهذا الخبر اليقيني عن عيسى عليه السلام، وما قيل فيه مما يخالف هذا، فإنه مقطوع ببطلانه، وغايته أن يكون شكاً من قائله لا علم له به، ولهذا قال: ﴿ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ أي: يشكون فيمارون بشكهم، ويجادلون بخرصهم، فمن قائل عنه: إنه الله، أو ابن الله، أو ثالث ثلاثة، تعالى الله عن إفكهم وتقوُّلهم علواً كبيراً»(٨٤٠).

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أولاً: على اعتبار تفسير (الحق) بالصدق:

أفادت قراءة (قولَ الحق) أن الأخبار عن عيسى عليه السلام وبنوته للسيدة مريم عليها السلام وبالتالي ثبوت بشريته، وأنها ولدته من غير مس بشر؛ أخبار صادقة.

يقول أبو حيان: «أي: هذه الأخبار عن عيسى أنه ابن مريم ثابت صدق ليس منسوباً لغيرها، أي: إنها ولدته من غير مس بشر، كما تقول: هذا عبدالله الحق لا الباطل، أي: أقول الحق، وأقول قول الحق، فيكون الحق هنا الصدق»(٨٤١).

وأفادت قراءة (قولُ الحق) أن نسبة عيسى عليه السلام إلى أمه فقط قول الصدق، وما عدا ذلك فهو كذب وافتراء. وعلى ذلك فالقراءتان بمعنى واحد؛ وهي بشرية عيسى عليه السلام، وبنوته لمريم عليها السلام، لا ما ادعاه المغرضون.

يقول الرازي: «أن يكون قول الحق خبراً لمبتدأ محذوف كأنه قيل: ذلك عيسى بن مريم ووصفنا له هو قول الحق، فكأنه تعالى وصفه أولاً ثم ذكر أن هذا الموصوف هو عيسى ابن مريم، ثم ذكر أن هذا الوصف أجمع

(٨٤٠) تفسير السعدي (ص٤٩٣).

(٨٤١) البحر المحيط (١٧٨/٦).

هو قول الحق على معنى أنه ثابت لا يجوز أن يبطل كما بطل ما يقع منهم من المرية، ويكون في معنى ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾﴾»[٨٤٢].

ثانياً: على اعتبار تفسير (الحق) باسم الله تعالى:

فيفيد قوله (قول الحق) سواء بالرفع أو بالنصب أن الله سمى عيسى عليه السلام كلمة الله، وقول الله؛ لأن الله أوجده بكلمته التي قالها كن فكان. والقراءتان بمعنى واحد.

الجمع بين تفسيري القراءتين:

يتبيّن بالجمع بين تفسيري القراءتين أن الله ﷻ وصف عيسى عليه السلام بأنه أوجده بكلمته وقوله كن فكان، وأنه بشر وهو ابن مريم عليها السلام أوجده من غير بعل، وأنه ليس بإله ولا ابن لله كما يفتري النصارى، وأن كل ما قاله الله بشأنه هو الحق، فيجب الالتزام به، وما دونه هو الباطل، فيجب الانتهاء عنه.

١١ ـ قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍۖ سُبْحَٰنَهُۥٓۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾﴾ [مريم: ٣٥].

القراءات:

١. قرأ ابن عامر (**فيكونَ**) بنصب النون.

٢. قرأ الباقون (**فيكونُ**) برفع النون[٨٤٣].

البيان:

قراءة (**فيكونَ**) بنصب النون: على تقدير إضمار (أن) بعد الفاء الواقعة بعد حصر بـ(إنما).

---

(٨٤٢) التفسير الكبير (٢١٨/٢١).

(٨٤٣) انظر: النشر (١٦٦/٢)، المغني (١٧٨/١ ـ ١٧٩).

جاء في المغني في توجيه القراءات: قال الأشموني[٨٤٤]: «قد تُضمر (أن) بعد الفاء الواقعة بعد حصر بإنما اختياراً نحو: ﴿إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ في قراءة مَن نَصَبَ «لأن (فيكون) ليس بجواب لـ(كن)؛ لأن (كن) ليس بأمر، وإنما معناه الخبر، إذ ليس ثمَّ مأمور يكون (كن) أمراً له.

قال الصبان[٨٤٥]: «إنما لم يُجعل منصوباً في جواب (كن) لأنه ليس هناك قول (كن) حقيقة، بل هو كناية عن تعلق القدرة تنجيزاً بوجود الشيء، ولِمَا سيأتي عن ابن هشام من أنه لا يجوز توافق الجواب والمجاب في الفعل والفاعل، بل لا بدَّ من اختلافهما فيهما، أو في أحدهما، فلا يُقال: (قم تقم)، وبعضهم جعله منصوباً في جوابه نظراً إلى وجود الصيغة في هذه الصورة، ويردّه ما ذكرناه عن ابن هشام» اهـ[٨٤٦].

وقراءة **(فيكونُ)** برفع النون: على الاستئناف، أي: فهو يكون[٨٤٧].

التفسير:

بعدما أثبت سبحانه في الآية السابقة بشرية عيسى عليه السلام، وأنه ليس ابناً لله، جاءت هذه الآية لتؤكد ذلك، ولتبطل الافتراء؛ لأن اتخاذ الولد في حق الله من النقائص التي يتنزه عنها جل جلاله، لأنه سبحانه لا يعجزه شيء، فكيف يعجز عن خلق عيسى من غير أب؟!.

يقول الطبري: «يقول تعالى ذكره: لقد كفر الذين قالوا: إن عيسى ابن الله، وأعظموا الفرية عليه، فما ينبغي لله أن يتخذ ولداً، ولا يصلح ذلك له ولا يكون، بل كل شيء دونه فخلقه. و(أن) من قوله ﴿أَن يَتَّخِذَ﴾ في موضع رفع بـ(كان)، وقوله: ﴿سُبۡحَٰنَهُۥٓ﴾ يقول: تنزيهاً لله وتبرئة له أن يكون له ما أضاف إليه الكافرون القائلون: عيسى ابن الله. وقوله: ﴿إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرًا

(٨٤٤) انظر: شرح الأشموني على الألفية (٣/٢٢٩).

(٨٤٥) حاشية الصبان على شرح الأشموني (٣/٢٢٩).

(٨٤٦) انظر: المغني (١/١٧٨ ـ ١٧٩) باختصار وتصرف.

(٨٤٧) انظر: حجة القراءات (ص١١١)، معاني القراءات (ص٦١).

﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ يقول جل ثناؤه: إنما ابتدأ الله خلق عيسى ابتداء، وأنشأه إنشاء من غير فحل افتحل أمه، ولكنه قال له كن فيكون لأنه كذلك يبتدع الأشياء ويخترعها، إنما يقول إذا قضى خلق شيء أو إنشاءه: كن فيكون موجوداً حادثاً، لا يعظم عليه خلقه، لأنه لا يخلقه بمعاناة وكلفة، ولا ينشئه بمعالجة وشدة»[848].

ويقول ابن عاشور: «وجملة ﴿إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ بيان لجملة ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ﴾ لإبطال شبهة النصارى إذ جعلوا تكوين الإنسان بأمر التكوين عن غير سبب معتاد على أن المكوَّن ابن الله تعالى، فأشارت الآية إلى أن هذا يقتضي أن تكون أصول الموجودات أبناء لله، وإن كان ما يقتضيه لا يخرج عن الخضوع إلى أمر التكوين»[849].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

تعرض الباحث عبدالله الملاحي لهذه القراءة في بحثه عند تفسير قوله تعالى ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾﴾ من سورة البقرة، وبيَّن العلاقة التفسيرية بين القراءتين قائلاً: «إن لاختلاف القراءات (فيكونَ) و(فيكونُ) أثر كبير على المعنى من الناحية العقدية؛ من حيث بيان أن الأمر الإلهي لا يحتاج إلى مهلة لتحقيقه، بل يتحقق بمجرد توجه الإرادة الإلهية إليه بحيث يعامل معاملة الخبر. وبيان ذلك أن قراءة (فيكونَ) توحي بأن الأمر في قوله (كن) حقيقي يحتاج إلى جواب. ولكن بالنظر إلى قراءة الجمهور (فيكونُ) يتحقق لدينا أن الأمر ليس حقيقياً، بل هو أمر في صورة الخبر، قال الطاهر ابن عاشور[850]: (كان) في الآية تامة لا تطلب خبراً، أي: يقول له ايجد فيوجد، والظاهر أن القول والمقول والمسبب هنا تمثيل لسرعة وجود الكائنات عند تعلق الإرادة والقدرة بهما،

(848) انظر: تفسير الطبري (16/64).

(849) التحرير والتنوير (16/103).

(850) التحرير والتنوير (1/687 ـ 688).

بأن شبه فعل الله تعالى بتكوين شيء وحصول المكون عقب ذلك بدون مهلة توجه الآمر للمأمور بكلمة الأمر، وحصول امتثاله عقب ذلك لأن تلك أقرب الحالات المتعارفة التي يمكن التقريب بها في الأمور التي لا تتسع اللغة للتعبير عنها» اهـ[٨٥١].

١٢ ـ قال تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ۝٣٦﴾ [مريم: ٣٦].

القراءات:

١. قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر ورويس **(وأَنَّ)** بفتح الهمزة.

٢. قرأ الباقون **(وإِنَّ)** بكسر الهمزة[٨٥٢].

البيان:

قراءة **(إِنَّ)** بكسر الهمزة: على الاستئناف، لأنها رأس آية، أو عطف على قوله تعالى ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ﴾.

وقراءة **(أَنَّ)** بفتح الهمزة: على وجهين:

الأول: أنها مجرورة بلام محذوفة، والجار والمجرور متعلق بالفعل بعده (فاعبدوه)، والتقدير: ولأن الله ربي وربكم فاعبدوه.

الثاني: أنها عطف على (وأوصاني بالصلاة)، والتقدير: وأوصاني بالصلاة والزكاة وبأن الله ربي وربكم فاعبدوه[٨٥٣].

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن عبودية عيسى عليه السلام لله كغيره من الخلق،

---

(٨٥١) تفسير القرآن بالقراءات (رسالة ماجستير) / عبدالله الملاحي (ص١٠٠).

(٨٥٢) انظر: النشر (٢/٢٣٩).

(٨٥٣) انظر: الكشف (٢/٨٩)، الدر (٤/٥٠٦)، الفريد (٣/٤٠١)، معاني القراءات (ص٢٨٤)، الحجة في القراءات السبع (ص١٤٢)، حجة القراءات (ص٤٤٤)، المغني (٣/١١)، المستنير (٢/١١ ـ ١٢).

ووصيته لقومه بإخلاص العبادة لله لأنه ربه وربهم، وهذا هو الطريق الحق الذي يجب عليهم أن يسلكوه.

يقول السعدي: «أخبر عيسى أنه عبد مربوب كغيره، فقال: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ﴾ الذي خلقنا، وصورنا، ونفذ فينا تدبيره، وصرفنا تقديره ﴿فَٱعْبُدُوهُ﴾ أي: أخلصوا له العبادة، واجتهدوا في الإنابة، وفي هذا الإقرار بتوحيد الربوبية، وتوحيد الإلهية، والاستدلال بالأول على الثاني، ولهذا قال: ﴿هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ أي: طريق معتدل، موصل إلى الله، لكونه طريق الرسل وأتباعهم، وما عدا هذا فإنه من طرق الغيّ والضلال»(٨٥٤).

ويقول البقاعي: «ولما كان اشتراك الخلائق في عبادة الخالق بعمل القلب والجوارح علماً وعملاً أعدل الأشياء، أشار إلى ذلك بقوله: ﴿هَٰذَا﴾ أي الذي أمرتكم به ﴿صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ لأنا بذلنا الحق لأهله بالاعتقاد الحق والعمل الصالح، ولم يتفضل أحد منا فيه على صاحبه»(٨٥٥).

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت قراءة (وإنَّ) بكسر الهمزة: أن هذا القول من جملة أقوال عيسى عليه السلام التي خاطب بها قومه وهو رضيع ليؤكد على عبوديته لله.

يقول ابن كثير: «ومما أمر به عيسى قومه وهو في مهده؛ أن أخبرهم إذ ذاك أن الله ربهم وربه، وأمرهم بعبادته، فقال ﴿فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ أي: هذا الذي جئتكم به عن الله صراط مستقيم، أي: قويم، من اتبعه رشد وهدي، ومن خالفه ضل وغوى»(٨٥٦).

ويقول البقاعي: «وقراءة الباقين بالكسر على أنه مقول عيسى عليه السلام في الماضي، ويكون اعتراض ما تقدم من كلام الله بينهما للتأكيد والاهتمام»(٨٥٧).

(٨٥٤) تفسير السعدي (ص٤٩٣).
(٨٥٥) نظم الدرر (٥٣٣/٤).
(٨٥٦) تفسير ابن كثير (٢٣٧/٥).
(٨٥٧) نظم الدرر (٥٣٣/٤).

أما قراءة (وأنَّ) بالفتح فأفادت: تعليل أمر عيسى عليه السلام لقومه بعبادة الله وذلك لأنه ربه وربهم، فوجب عليهم عبادته.

يقول البقاعي: «ولما كان لسان الحال ناطقاً عن عيسى عليه السلام بأن يقول: وقد قضاني الله فكنت كما أراد، فأنا عبدالله ورسوله، فاعتقدوا ذلك ولا تعتقدوا سواه من الأباطيل، عطف عليه في قراءة الحرميين(٨٥٨) وأبي عمرو قوله: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ﴾ أي: الذي له الأمر كله ﴿رَبِّى وَرَبُّكُمْ﴾ أي: أحسن إلى كل منا بالخلق والرزق، لا فرق بيننا في أصل ذلك ﴿فَٱعْبُدُوهُ﴾ وحده لتفرده بالإحسان كما أعبده»(٨٥٩).

الجمع بين القراءتين:

يتبيّن بالجمع بين القراءتين أن عيسى عليه السلام خاطب قومه وهو في مهده ليعلن عبوديته لله، وأن الله هو ربه وربهم المنعم عليهم المتصرف في خلقه، الذي له الأمر كله، لذلك وجب عليهم عبادته وحده لا شريك له، وترك عبادة ما سواه.

١٣ ـ قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [مريم: ٤٠].

القراءات:

١. قرأ يعقوب **(يَرْجِعون)** بفتح الياء وكسر الجيم.

٢. قرأ الباقون **(يُرْجَعون)** بضم الياء وفتح الجيم(٨٦٠).

اللغة والبيان:

الرجوع: العود إلى ما كان منه البدء، وبذاته كان رجوعه، أو بجزء من أجزائه، أو بفعل من أفعاله، ومن الرجوع قوله تعالى ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ

---

(٨٥٨) المقصود هما: نافع المدني، وابن كثير المكي.

(٨٥٩) نظم الدرر (٥٣٣/٤).

(٨٦٠) انظر: النشر (١٥٧/٢)، الميسر (ص٣٠٨)، الإتحاف (ص٣٧٨).

﴿تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٨].

والرجع: الإعادة، والرَّجعة. والرَّجعة في الطلاق، وفي العود إلى الدنيا بعد الممات. مثل قوله تعالى ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨١]. لذلك يصح أن يكون قوله: (يرجعون) من الرجع أو الرجوع[٨٦١].

قراءة (يَرجِعون) بالفتح: على البناء للفاعل، وهو فعل مضارع من (رجع) اللازم.

وقراءة (يُرجَعون) بالضم: على البناء للمفعول، وهو فعل مضارع من (رجع) المتعدي. لأن (رجع) يكون لازماً ومتعدياً[٨٦٢].

التفسير:

الآية الكريمة تهوين وتسلية للنبي ﷺ لما أصابه من تكذيب المشركين له وإنكارهم للبعث، وبيان أنه ﷻ الخالق المالك المتصرف، وأن الخلق يهلكون ويبقى هو ﷻ، وأن الذي خلقهم سيبعثهم بعد فناء الأرض، وسيعيدهم وغيرهم من مخلوقاته إليه يوم القيامة ليجازيهم على أعمالهم.

يقول الطبري: «يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: لا يحزنك تكذيب هؤلاء المشركين لك يا محمد فيما أتيتهم به من الحق، فإن إلينا مرجعهم ومصيرهم ومصير جميع الخلق غيرهم، ونحن وارثو الأرض ومن عليها من الناس، بفنائهم منها، وبقائها لا مالك لها غيرنا، ثم علينا جزاء كل عامل منهم بعمله، عند مرجعه إلينا، المحسن منهم بإحسانه، والمسيء بإساءته»[٨٦٣].

ويقول البقاعي: «ولما كان الإرث هو حوز الشيء بعد موت أهله، وكان سبحانه قد قضى بموت الخلائق أجمعين، وأنه يبقى وحده، عبّر عن ذلك بالإرث مقرراً به مضمون الكلام السابق، فقال مؤكداً تكذيباً لقولهم:

---

(٨٦١) انظر: مفردات الراغب (ص٢١٢ ـ ٢١٣) مادة: رجع.

(٨٦٢) انظر: المغني (١/١٣١).

(٨٦٣) تفسير الطبري (١٦/٦٧).

إن الدهر لا يزال هكذا، حياة لقوم وموت لآخرين ﴿إِنَّا نَحْنُ﴾ بعظمتنا التي اقتضت ذلك ولا بد، وأفاد الأصبهاني أن تأكيد اسم (إن) أفاد أن الإسناد إليه سبحانه لا إلى أحد من جنده ﴿نَرِثُ ٱلْأَرْضَ﴾ فلا ندع بها عامراً من عاقل ولا غيره. ولما كان العاقل أقوى من غيره، صرَّح به بعد دخوله فقال ﴿وَمَنْ عَلَيْهَا﴾ أي: من العقلاء، بأن نسلبهم جميع ما في أيديهم ﴿وَإِلَيْنَا﴾ لا إلى غيرنا من الدنيا وجبابرتها إلى غير ذلك ﴿يُرْجَعُونَ﴾ معنى في الدنيا وحساً بعد الموت»[(٨٦٤)].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت قراءة (يُرجعون) إلى وجود قوة خارجة عن الإرادة تدفع بالرجوع إلى الله، وأن الأمر ليس بالإرادة الذاتية، أما قراءة (يَرجعون) فأفادت الرغبة والإرادة في الرجوع إلى الله دون التدخل والإجبار في ذلك.

قال أبو حيان: «لا يلزم من رجوع الشخص إلى شيء أن غيره رجعه إليه، إذ قد يرجع بنفسه من غير رادّ»[(٨٦٥)].

وقد بيَّن الشعراوي مَن المقصود في القراءتين على النحو الآتي:

أن المقصود من قراءة البناء للمفعول هم الكفار لأنهم يتمنون عدم الرجوع إلى الله، لذلك جاء بصيغة الإجبار. أما قراءة البناء للفاعل فهي تنطبق على المؤمنين لأنهم يتمنون الرجوع إلى الله. لذلك جاء بصيغة الرغبة والإرادة[(٨٦٦)].

ويقول ابن عاشور: «وقراءة الضم على اعتبار أن الله أرجعهم وإن كانوا كارهين لأنهم أنكروا البعث. والقراءة الثانية باعتبار وقوع الرجوع منهم

---

(٨٦٤) نظم الدرر (٥٣٥/٤).

(٨٦٥) البحر المحيط (٢٧٨/١) عند تفسيره للآية (٢٨) من سورة البقرة.

(٨٦٦) انظر: تفسير الشعراوي (٢٣١/١) عند تفسيره للآية (٢٨) من سورة البقرة .تنبيه: الآية (٢٨) من سورة البقرة تم تفسيرها من قبل الأستاذ عبدالله الملاحي في رسالته (انظر: تفسير القرآن بالقراءات ص٧٠ (رسالة ماجستير).

بقطع النظر عن الاختيار أو الجبر»[٨٦٧].

الجمع بين القراءتين:

يتبيّن بالجمع بين القراءتين على هذا التفسير أن الجميع من مؤمن وكافر سيعود إلى الله سواء أحب لقاء الله أم كره ذلك؛ ليحاسبه على عمله يوم القيامة، سواء رجع إلى الله مختاراً راغباً لإيمانه في الله ويقينه في عدل الله، أم رجع مجبراً لكفره بالبعث.

وقد يحتمل لفظ (يرجعون) الرجوع يوم القيامة ويكون رجوعاً حسياً أي: بالبعث بعد الموت. وقد يُقصد به الرجوع في الدنيا، ويكون هذا الرجوع معنوياً، أي: رجوع من الكفر إلى الإيمان.

وقد أشار البقاعي إلى هذا المعنى في كلامه السابق، ولكنه فصّله لاحقاً بقوله: «ولما ذم الضالين في أمر المسيح، وعلق تهديدهم بوصف دخل فيه مشركو العرب، فأنذرهم بصريح تكذيبهم بالبعث، وغيرهم بأنهم لسوء أعمالهم كالمكذبين به، وختم ذلك بأنه الوارث وأن الرجوع إليه، ودخل في ذلك الإرث بغلبة أنبيائه وأتباعهم على أكثر أهل الأرض برجوع أهل الأديان الباطلة إليهم حتى يعم ذلك جميع أهل الأرض في زمن عيسى عليه الصلاة والسلام»[٨٦٨].

وعلى ذلك يكون المقصود بقراءة المبني للمفعول الرجوع يوم القيامة، والمبني للفاعل الرجوع في الدنيا. والله تعالى أعلم.

١٤ ـ قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾﴾ [مريم: ٤١].

القراءات:

١. قرأ ابن عامر بخلف عن ابن ذكوان (**إبراهام**) بفتح الهاء وألف بعدها.

(٨٦٧) انظر: التحرير والتنوير (٣٧٧/١) عند تفسير الآية (٢٨) من سورة البقرة.

(٨٦٨) نظم الدرر (٥٣٥/٤).

٢. قرأ الباقون (إبراهيم) بكسر الهاء وياء بعدها، وهو الوجه الثاني لابن ذكوان[٨٦٩].

١. قرأ نافع (نبيئاً).

٢. قرأ الباقون (نبياً)[٨٧٠].

البيان:

(إبراهام) و **(إبراهيم)**: هما لغتان بمعنى واحد[٨٧١].

قال الأزهري: «القراءة بالياء لتتابع القراءة عليه، ومن قرأ (إبراهام) فهي لغة عبرانية تركت على حالها ولم تعرَّب»[٨٧٢].

(نبيئاً): سبق التعرض لهذه القراءة عند تفسير الآية الخامسة والخمسين من سورة الإسراء[٨٧٣].

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن أمر الله لنبيه الكريم ﷺ أن يذكر خبر إبراهيم ﷺ مع أبيه وقومه لأولئك المشركين الذين يعلمون أنهم من ذريته، ويدّعون أنهم على ملته، أنه كان نبياً مرسلاً من عند الله، عالي القدر، بليغ الصدق في أقواله وأفعاله، فعليهم أن يقتدوا به، لا أن ينكروا رسالة محمدٍ لأنه نبي مثله.

يقول البقاعي: «واذكر يا محمد في الكتاب الذي أنزل عليك وتبلغه

---

(٨٦٩) انظر: النشر (٢/١٦٦ - ١٦٧)، المغني (١/١٩١).

(٨٧٠) انظر حجة القراءات (١/٩٩)، وانظر إتحاف فضلاء البشر (ص١٨٠) في موضع الآية (١٦٤) من سورة البقرة.

(٨٧١) انظر: الكشف عن وجوه القراءات (١/٢٦٣).

(٨٧٢) معاني القراءات (ص٦٣).

(٨٧٣) انظر: ص٦٣ من هذا البحث.

للناس، وتعلمهم أن هذه القصة من القرآن، وأن إبراهيم أعظم آبائكم الذي نهى أباه عن الشرك يا مَن يكفرون تقليداً للآباء! ثم علل تشريفه بذكره له على سبيل التأكيد المعنوي بالاعتراض بين البدل والمبدل منه، واللفظي بـ(إن) بقوله منبهاً على أن مخالفتهم له بالشرك والاستقسام بالأزلام، ونحو ذلك تكذيب بأوصافه الحسنة: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ﴾ أي: جبلة وطبعاً ﴿صِدِّيقًا﴾ أي: بليغ الصدق في نفسه في أقواله وأفعاله، والتصديق بكل ما يأتيه مما هو أهل لأن يصدق لأنه مجبول على ذلك، ولا يكون كذلك إلا وهو عامل به حق العمل فهو أبلغ من المخلص ﴿نَّبِيًّا﴾ أي: يخبره الله بالأخبار العظيمة جداً التي يرتفع بها في الدارين، وهو أعظم الأنبياء بعد محمد ـ على جميعهم أفضل الصلاة والسلام ـ وإن كانوا مقرين بنبواتهم تنزيلاً لهم منزلة المنكر، لجريهم في إنكارهم نبوة البشر على غير مقتضى علمهم»[٨٧٤].

١٥ ـ قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾﴾ [مريم: ٤٢].

القراءات:

١. قرأ أبو جعفر وابن عامر **(يا أبتَ)** بفتح التاء في المواضع الأربعة من السورة.

٢. قرأ الباقون **(يا أبتِ)** بكسر التاء في المواضع الأربعة من السورة[٨٧٥].

٣. قرأ ابن كثير وابن عامر وأبو جعفر ويعقوب **(يا أبه)** بالهاء عند الوقف.

٤. قرأ الباقون **(يا أبت)** بالتاء عند الوقف[٨٧٦].

---

(٨٧٤) انظر: نظم الدرر (٥٣٦/٤). ببعض التصرف.

(٨٧٥) انظر: النشر (٢٢٠/٢). عند ذكر القراءات الواردة في سورة يوسف.

(٨٧٦) انظر: النشر (٩٨/٢) باب الوقف على مرسوم الخط.

البيان:

قراءة (يا أبتَ) بفتح التاء: على اعتبار أن الفتحة عوض عن الألف المحذوفة المبدلة من ياء الإضافة؛ فأصل المنادى: (يا أبتا) بعد الإبدال.

أما قراءة (يا أبتِ) بكسر التاء: على اعتبار أن الكسرة عوض عن الياء المحذوفة من المنادى (يا أبتي)(٨٧٧).

ويقول البقاعي: «(يا أبت) تاؤه للتأنيث؛ لأنه يوقف عليها عند بعض القراء بالهاء، وكسرتها عند مَنْ كَسَرَ دالة على ياء الإضافة التي عوض عنها تاء التأنيث، واجتماع الكسرة معها كاجتماعها مع الياء، وفتحها عند من فتح عوض عن الألف القائمة مقام ياء الإضافة»(٨٧٨).

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن نصيحة إبراهيم ﷺ لأبيه بترك عبادة الأوثان، بلطف وأدب جم، ثم بيان سبب عدم أهليتها للعبادة.

يقول الزمخشري: «حين أراد أن ينصح أباه ويعظه فيما كان متورطاً فيه من الخطأ العظيم والارتكاب الشنيع الذي عصى فيه أمر العقلاء، وانسلخ عن قضية التمييز، ومن الغباوة التي ليس بعدها غباوة، كيف رتب الكلام معه في أحسن اتساق، وساقه أرشق مساق، مع استعمال المجاملة واللطف، والرفق واللين، والأدب الجميل، والخلق الحسن»(٨٧٩).

ويقول الألوسي: «لقد سلك عليه السلام في دعوته أحسن منهاج، واحتج عليه أبدع احتجاج بحسن أدب وخلق ليس له مِنْ هَاجٍ؛ لئلا يركب متن المكابرة والعناد، ولا ينكب بالكلية عن سبيل الرشاد؛ حيث طلب منه علة عبادته لما يستخف به عقل كل عاقل من عالم وجاهل، ويأبى الركون إليه فضلاً عن عبادته التي هي الغاية القاصية من التعظيم مع أنها لا تحق إلا

(٨٧٧) انظر: حجة القراءات (٣٥٣/١ ـ ٣٥٤)، الكشف عن وجوه القراءات (٣/٢).
(٨٧٨) تفسير نظم الدرر للبقاعي (١٠/٤) عند تفسير الآية (٤) من سورة يوسف.
(٨٧٩) تفسير الكشاف (١٠٦/٣ ـ ١٠٧).

لمن له الاستغناء التام، والإنعام العام الخالق الرازق المحيي المميت المثيب المعاقب. ونبه على أن العاقل يجب أن يفعل كل ما يفعل لداعية صحيحة وغرض صحيح، والشيء لو كان حياً مميزاً سميعاً بصيراً قادراً على النفع والضر لكن كان ممكناً لاستنكف ذو العقل السليم عن عبادته وإن كان أشرف الخلائق لما يراه مثله في الحاجة والانقياد للقدرة القاهرة الواجبية فما ظنك بجماد مصنوع ليس له من أوصاف الأحياء عين ولا أثر»[٨٨٠].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تنوع القراءات في (يا أبت) يدل على تنوع أسلوب الخطاب الذي انتهجه إبراهيم ﷺ في إسداء النصيحة إلى والده، وفي تنوع الحالة النفسية التي كان عليها في أثناء خطابه لوالده، وبيان ذلك التالي: قراءة (يا أبتِ) بالكسر أفادت شدة استعطاف إبراهيم ﷺ لأبيه في مخاطبته؛ لما تفيده الكسرة من الضعف.

وأفادت قراءة (يا أبتَ) شدة تضايق إبراهيم ﷺ من حالة والده المنحرفة عن الصراط السوي؛ لما تفيده الألف المحذوفة التي عُوِّض عنها بالفتحة من مد في الخطاب.

١٦ ـ قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ٥١﴾ [مريم: ٥١].

القراءات:

١. قرأ عاصم وحمزة والكسائي وخلف (**مُخْلَصاً**).

٢. قرأ الباقون (**مُخْلِصاً**) بكسر اللام[٨٨١].

اللغة:

الإخلاص: هو القصد في العبادة إلى أن يعبد المعبود بها

(٨٨٠) روح المعاني (١٦/٩٧).

(٨٨١) انظر: النشر (٢/٢٢١).

وحده[٨٨٢]، أي: التبري عن كل ما دون الله تعالى[٨٨٣].

(مُخْلَصاً): أي: أخلصه الله للعبادة والنبوة.

(مُخْلِصاً): أي: أخلص العبادة عن الشرك والرياء، أو أخلص نفسه وأسلم وجهه لله[٨٨٤].

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن صفات موسى ﷺ التي هيأته لاجتباء الله له وتحمله للرسالة.

يقول الشوكاني: «قفّى سبحانه قصة إبراهيم بقصة موسى لأنه تلوه في الشرف. وقدَّمه على إسماعيل لئلا يفصل بينه وبين ذكر يعقوب، أي: واقرأ عليهم من القرآن قصة موسى ﴿إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا﴾، قرأ أهل الكوفة بفتح اللام أي: جعلناه مختاراً وأخلصناه، وقرأ الباقون بكسرها أي: أخلص العبادة والتوحيد لله غير مراء للعباد **﴿إنه كان رسولاً نبيئاً﴾** أي: أرسله الله إلى عباده فأنبأهم عن الله بشرائعه التي شرعها لهم، فهذا وجه ذكر النبيّ بعد الرسول مع استلزام الرسالة للنبوة، فكأنه أراد بالرسول معناه اللغوي لا الشرعي، والله أعلم»[٨٨٥].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت قراءة (مخلِصاً): أن موسى ﷺ أخلص العبادة والتوحيد لله فلم يُشرك ولم يرائي في عبادته. وأسلم وجهه لله.

وأفادت قراءة (مخلَصاً): أن الله ﷻ استخلص موسى ﷺ واصطفاه للعبادة والنبوة.

---

(٨٨٢) التفسير الكبير (٢٣٢/٢١).

(٨٨٣) مفردات الراغب (ص١٧٤) مادة: خلص.

(٨٨٤) البحر المحيط (١٨٧/٦). وانظر: مجمع البيان (٤٠٠/٦)، حجة القراءات (ص٤٤٤ ـ ٤٤٥)، الملخص (ص٢٤٦)، الفريد (٤٠٤/٣).

(٨٨٥) فتح القدير (٤٢٣/٣).

الجمع بين القراءتين:

يتبيّن بالجمع بين القراءتين أن موسى ﷺ أخلص الطاعة والعبادة لله ﷻ مما جعله مؤهلاً للاختيار والاصطفاء من الله ﷻ ليكون رسولاً نبياً. فالقراءتان تكمّل إحداهما الأخرى.

يقول السعدي: «والمعنيان متلازمان، فإن الله أخلصه لإخلاصه، وإخلاصه موجب لاستخلاصه، وأجلّ حالة يوصف بها العبد: الإخلاص منه، والاستخلاص من ربه»(٨٨٦).

١٧ ـ قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدٗا وَبُكِيّٗا ۩ ﴿٥٨﴾﴾ [مريم: ٥٨].

القراءات:

١. قرأ حمزة والكسائي **(وبِكِيّاً)** بكسر الباء.

٢. قرأ الباقون **(وبُكِيّاً)** بضم الباء(٨٨٧).

البيان:

بُكياً: جمع (باك)، على وزن (فُعُول) جمع فاعل، وهو يائي لأن فعله بكى يبكي، فأصله: بُكُويٌ، فلما اجتمع الواو والياء وسبق إحداهما بالسكون قلبت الواو ياء وأدغمت في الياء، وحُركت عين الكلمة بحركة مناسبة للياء(٨٨٨)، أما بِكِياً: فكُسِرَ الحرف الثاني لمناسبة الياء وكُسِرَ الحرف

(٨٨٦) تفسير السعدي (ص٤٩٥).

(٨٨٧) انظر: المغني (١٢/٣ ـ ١٣).

(٨٨٨) انظر: التحرير والتنوير (١٣٣/١٦)، حجة القراءات (ص٤٣٩)، مشكل إعراب القرآن لمكي (٤٥٦/٢ ـ ٤٥٧)، المغني (١٢/٣ ـ ١٣)، الفريد (٤٠٦/٣).

الأول تبعاً لكسر الحرف الثاني ليعمل اللسان فيهما عملاً واحداً[889].
و(بكياً): منصوب على الحال من الضمير في (خروا)[890].

التفسير:

بعد أن أثنى الله على كل رسول من رسله العشرة بما يخصه، جمعهم آخراً بصفة واحدة: هي الإنعام عليهم بالنبوة، والهداية إلى طريق الخير، والاصطفاء من سائر خلقه. قال ابن كثير[891]: ليس المراد المذكورين في هذه السورة فقط، بل جنس الأنبياء عليهم السلام، استطرد من ذكر الأشخاص إلى الجنس[892].

يقول الطبري: «يقول تعالى ذكره لنبيه ﷺ: هؤلاء الذين اقتصصت عليك أنباءهم في هذه السورة يا محمد، الذين أنعم الله عليهم بتوفيقه، فهداهم لطريق الرشد من الأنبياء من ذرية آدم، ومن ذرية من حملنا مع نوح في الفلك، ومن ذرية إبراهيم خليل الرحمن، ومن ذرية إسرائيل، وممن هدينا للإيمان بالله والعمل بطاعته واجتبينا: يقول: وممن اصطفينا واخترنا لرسالتنا ووحينا، فالذي عنى به من ذرية آدم إدريس، والذي عنى به من ذرية من حملنا مع نوح إبراهيم، والذي عنى به من ذرية إبراهيم إسحاق ويعقوب وإسماعيل، والذي عنى به من ذرية إسرائيل: موسى وهارون وزكريا وعيسى وأمه مريم، ولذلك فرق تعالى ذكره أنسابهم وإن كان يجمع جميعهم آدم لأن فيهم من ليس من ولد من كان مع نوح في السفينة، وهو إدريس، وإدريس جد نوح، وقوله تعالى ذكره: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ يقول: إذا تتلى على هؤلاء الذين أنعم الله عليهم من النبيين أدلة الله وحججه التي أنزلها عليهم في كتبه، خروا لله سجداً، استكانة وتذللاً

(٨٨٩) انظر: حجة القراءات (ص٤٣٩)، مشكل إعراب القرآن لمكي (٤٥٧/٢)، المغني (١٢/٣ ـ ١٣)، الملخص (ص٢٤٨).

(٨٩٠) الفريد (٤٠٦/٣). وانظر: معاني القرآن للزجاج (٣٣٥/٣)، الملخص (ص٢٤٨).

(٨٩١) تفسير ابن كثير (٢٤٩/٥).

(٨٩٢) التفسير المنير (١٢٧/١٦).

وخضوعاً لأمره وانقياداً، ﴿وَبُكِيًّا﴾ يقول: خروا سجداً وهم باكون، والبكيّ جمع باك، كما العتيّ جمع عات»(٨٩٣).

ويقول البقاعي: «ولما ذكر ما حباهم به، ذكر ما تسبب عن ذلك فقال مستأنفاً ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ العام النعمة، فكيف بهم إذا أعلاهم جلال أو خصتهم رحمة من جلائل النعم، من فيض الجود والكرم، فسمعوا خصوص هذا القرآن ﴿خَرُّوا۟ سُجَّدًا﴾ للمنعم عليهم تقرباً إليه، لما لهم من البصائر المنيرة في ذكر نعمه عليهم وإحسانه إليهم ﴿وَبُكِيًّا﴾ خوفاً منه وشوقاً إليه، فوصفهم بسرعة الخشوع من ذكر الله الناشيء عن دوام الخضوع والناشيء عنه الإسراع في السجود في حالة البكاء، وجعلهما حالتين بالعطف بالواو لعراقة المتحلي بهما في كل منهما على انفراده، وعبَّر بالاسم في كل من السجود والبكاء، إشارة إلى أن خوفهم دائم كما أن خضوعهم دائم لعظمة الكبير الجليل، لأن تلك الحضرة لا تغيب عنهم أصلاً»(٨٩٤).

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت قراءة (بُكياً): شدة بكائهم وخوفهم الدائم من الله لما تفيده الضمة من القوة والمبالغة. وأفادت قراءة (بِكياً): سهولة بكائهم وخضوعهم لله مع تذللهم وانكسارهم أمام جلاله سبحانه. وذلك لما تفيده الكسرة من الضعف وسهولة الخروج.

الجمع بين القراءتين:

كل قراءة من القراءتين بيّنت جانباً من حال أولئك الأنبياء والصالحين، وبالجمع بينهما تكون الصورة قد اكتملت في بيان تلك الحال؛ فهم إذا تليت عليهم آيات الله أسرعوا بالسجود لله شكراً على نعمائه، وعيونهم تفيض من الدمع تذللاً وخضوعاً له وخشية منه سبحانه وانكساراً أمامه، دائمي البكاء والتذلل له جل في علاه.

---

(٨٩٣) تفسير الطبري (٧٣/١٦).

(٨٩٤) نظم الدرر (٥٤٤/٤ ـ ٥٤٥).

١٨ ـ قال تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴿٦٠﴾﴾ [مريم: ٦٠].

القراءات:

١. قرأ ابن كثير وأبو عمرو وشعبة وأبو جعفر ويعقوب **(يُدْخَلون)** بضم الياء وفتح الخاء على البناء للمفعول.

٢. قرأ الباقون **(يَدْخُلون)** بفتح الياء وضم الخاء على البناء للفاعل[٨٩٥].

البيان:

(يَدْخُلون): أُضيف الفعل إلى الداخلين لأنهم هم الداخلون بأمر الله لهم.

(يُدْخَلون): أُضيف الفعل إلى الغير؛ لأنهم لا يدخلون الجنة حتى يدخلهم الله إياها[٨٩٦].

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن بشرى الله للعائدين إليه المخلصين في توبتهم وإنابتهم إليه؛ حيث بشرهم بالجنة الدائمة، وتكفير لذنوبهم، وعدل وتمام في ثوابهم وجزاء أعمالهم.

يقول ابن كثير: «أي: إلا من رجع عن ترك الصلاة واتباع الشهوات، فإن الله يتقبل توبته، ويحسن عاقبته، ويجعله من وَرَثة جنة النعيم. ولهذا قال: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾ وذلك لأن التوبة تَجُبُّ ما قبلها وفي الحديث الآخر: (التائب من الذنب كمن لا ذنب له)[٨٩٧] ولهذا لا

---

(٨٩٥) انظر: النشر (١٨٩/٢).

(٨٩٦) انظر: الكشف عن وجوه القراءات (٣٩٧/١) في موضع الآية (٦٩) من سورة النساء.

(٨٩٧) أخرجه ابن ماجة (١٤١٩/٢ ـ ١٤٢٠) كتاب: الزهد. باب: ذكر التوبة. حديث رقم (٤٢٥٠) من طريق معمر عن عبدالكريم عن أبي عبيدة بن عبدالله عن أبيه.. .به. والبيهقي في سننه (١٥٤/١٠). وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٠٠/١٠) عن=

يُنْقَص هؤلاء التائبون من أعمالهم التي عملوها شيئاً، ولا قوبلوا بما عملوه قبلها فيُنقَصَ لهم مما عملوه بعدها؛ لأن ذلك ذهب هدراً وتُرك نسياً، وذهب مجاناً من كرم الكريم وحلم الحليم، وهذا الاستثناء هاهنا كقوله في سورة الفرقان ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [الفرقان: ٦٨ ـ ٧٠][٨٩٨].

ويقول ابن عاشور: «وذِكْر (شيئاً) في سياق النفي يفيد نفي كل فرد من أفراد النقص والإجحاف والإبطاء، فيعلم انتفاء النقص القوي بالفحوى دفعاً لما عسى أن يخالج نفوسهم من الانكسار بعد الإيمان بظن أنّ سبق الكفر يحط من حسن مصيرهم»[٨٩٩].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

القراءتان متداخلتان، لأنهم إذا أمروا بالدخول دخلوا، ولأنهم لا يدخلونها حتى يدخلهم الله إياها، فهم داخلون مُدخَلون[٩٠٠].

١٩ ـ قال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾﴾ [مريم: ٦٣].

القراءات:

١. قرأ رويس (نُوَرِّثُ) بفتح الواو وتشديد الراء، مضارع (ورَّث) مضعف العين.

= عبدالله بن مسعود عن النبي ﷺ. وقال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح إلا أن أبا عبيدة لم يسمع من أبيه.

(٨٩٨) تفسير ابن كثير (٢٥٣/٥).

(٨٩٩) التحرير والتنوير (١٣٦/١٦).

(٩٠٠) الكشف (٣٩٨/١).

٢. قرأ الباقون (**نُورِثُ**) بالإسكان والتخفيف، مضارع (أورث) معدّاً بالهمزة[(٩٠١)].

البيان:

ورث: قال ابن فارس[(٩٠٢)]: الواو والراء والثاء كلمة واحدة هي: الوِرث... وهو أن يكون الشيء لقوم ثم يصير إلى آخرين بنسب أو سبب[(٩٠٣)].

تقول الدكتورة نجاة الكوفي: «والفعل الثلاثي (ورث) يتعدى بنفسه إلى المورَّث والموروث، نحو: ورث سليمان داود، ورث مالاً. ويأتي الفعل مزيداً بالتضعيف، يقال: ورَّثه بمعنى أدخله في ماله على وَرَثَتَهُ، أي أن الفعل المضعف يتعدى إلى من يرث من غير الورثة الشرعيين. وتُزاد الهمزة فيتعدى الفعل إلى الوارث والموروث، نحو: أورثه مالاً أو علماً، ونحو ذلك»[(٩٠٤)].

وتفرِّق بين صيغتي (أفعل) و (فعَّل) فتقول: والمعروف أن التكثير هو أشهر معاني (فعَّل)، كما أن التعدية هي أشهر معاني (أفعل) ولو كان اشتراكهما في هذا المعنى بلا مفاضلة لوقع الاختيار على (أفعل) لأن دلالتها على التعدية قياس مطرد، وظني أن الصيغتين بينهما فروق يقوم عليها الاختيار، فصيغة (فعَّل) تفيد التعدية مع ملحظ الدلالة على التكثير الذي هو أصل فيها»[(٩٠٥)].

---

(٩٠١) انظر: النشر (٢/٢٣٩)، المغني (٣/١٣).

(٩٠٢) هو: أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب الرازي اللغوي، أبو الحسين، كان إماماً في علوم شتى خصوصاً في اللغة، من كتبه: المجمل في اللغة، معجم مقاييس اللغة. توفي بالري سنة ٣٩٠هـ. (انظر: شذرات الذهب (٢/١٣١)).

(٩٠٣) انظر: معجم المقاييس (ص١٠٨٩) باب الواو والراء وما يثلثهما.

(٩٠٤) أبنية الأفعال (ص١٤٢).

(٩٠٥) المرجع السابق (ص ٥١).

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن استحقاق أهل التقوى للجنة التي وصف أحوالها في الآيات السابقة ودوامها لهم كالميراث.

يقول الألوسي: «﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ۝٦٣﴾ استئناف جيء به لتعظيم شأن الجنة وتعيين أهلها، فاسم الإشارة مبتدأ و(الجنة) خبر له، والموصول صفة لها، والجملة بعده صلته، والعائد محذوف، أي: نورثها»[(٩٠٦)].

ويقول البيضاوي: «نبقيها عليهم من ثمرة تقواهم كما يبقي على الوارث مال مورّثه، والوراثة أقوى لفظ يستعمل في التمليك والاستحقاق من حيث إنها لا تعقب بفسخ ولا استرجاع ولا تبطل بردّ وإسقاط، وقيل: يورث المتقون من الجنة المساكن التي كانت لأهل النار لو أطاعوا زيادة في كرامتهم»[(٩٠٧)].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت قراءة (**نُوَرِّثُ**): التكثير والزيادة في ميراث المتقين؛ بحيث يثيبهم الله بالجنة التي هي مستحقهم، بالإضافة إلى الجنة التي كانت ستكون مستحقة لأهل النار إن آمنوا في الدنيا، وذلك زيادة في كرامة المتقين.

يقول الشنقيطي: «وقال بعض أهل العلم: معنى إيراثهم الجنة أن الله تعالى خلق لكل نفس منزلاً في الجنة، ومنزلاً في النار، فإذا دخل أهل الجنة الجنة أراهم منازلهم في النار لو كفروا وعصوا الله ليزداد سرورهم وغبطتهم، وعند ذلك يقولون ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَـٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣]. وكذلك يرى أهل النار منازلهم في الجنة لو

---

(٩٠٦) روح المعاني (١٦/١١٢).

(٩٠٧) تفسير البيضاوي (٤/٢٤).

آمنوا واتقوا الله لتزداد ندامتهم وحسرتهم، وعند ذلك يقول الواحد منهم ﴿لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الزمر: ٥٧]. ثم إنه تعالى يجعل منازل أهل الجنة في النار لأهل النار، ومنازل أهل النار في الجنة لأهل الجنة فيرثون منازل أهل النار في الجنة... قد جاء حديث يدل لما ذُكر من أن لكل أحد منزلاً في الجنة ومنزلاً في النار، إلا أن حمل الآية عليه غير صواب، لأن أهل الجنة يرثون من الجنة منازلهم المعدة لهم بأعمالهم وتقواهم، كما قد قال تعالى ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣] ونحوها من الآيات. ولو فرضنا أنهم يرثون منازل أهل النار فحمل الآية على ذلك يوهم أنهم ليس لهم في الجنة إلا ما أورثوا من منازل أهل النار والواقع بخلاف ذلك كما ترى. والحديث المذكور هو ما رواه الإمام أحمد في المسند(٩٠٨)، والحاكم في المستدرك(٩٠٩) من حديث أبي هريرة (كل أهل الجنة يرى مقعده من النار فيقول: لولا أن الله هداني فيكون له شكر. وكل أهل النار يرى مقعده من الجنة فيقول: لولا أن الله هداني فيكون عليه حسرة)»(٩١٠).

والباحثة تخالف ما ذهب إليه الشنقيطي في هذا الاستنتاج، نعم أهل الجنة يرثون منازلهم المعدة لهم بأعمالهم وتقواهم، وهذا لا يمنع أن يزيدهم الله من فضله بوراثة منازل الكفار التي أعدت في الجنة لهم لو آمنوا ولكن حرموا منها بسبب كفرهم، وأضيفت إلى ميراث المتقين لاستحقاقهم إياها زيادة في تكريمهم. وهذا من باب التعدية والتكثير كما أشارت إليه هذه القراءة.

(٩٠٨) انظر: مسند أحمد (٢/٥١٢) حديث رقم (١٠٦٦٠).

(٩٠٩) انظر: مستدرك الحاكم (٢/٤٧٣) كتاب التفسير، تفسير سورة الزمر، حديث رقم (٣٦٢٩) وقال الحاكم فيه: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وقال الهيثمي: رواه أحمد ورجال الرواية الأولى رجال الصحيح. (انظر: مجمع الزوائد (١٠/٣٩٩)).

(٩١٠) أضواء البيان (٢/٥١٣).

أما قراءة (نُوْرِثُ) فقد أفادت استحقاق المتقين للجنة كاستحقاق الوارث لميراثه.

يقول أبو حيان: «والتوريث استعارة أي: نبقي عليه الجنة كما يبقى على الوارث مال المورث، والأتقياء يلقون ربهم قد انقضت أعمالهم وثمرتها باقية وهي الجنة، فقد أورثهم من تقواهم، كما يورث الوارث المال من المتوفي»(٩١١).

الجمع بين القراءتين:

بيّنت كل من القراءتين ثواب المتقين باستحقاقهم للجنة، ولكن قراءة التشديد أضافت زيادة كرامة المتقين بحيث أنهم لا يستحقون الجنة ثواباً لأعمالهم فحسب بل يزيدهم الله من فضله بأن يمتعهم بمنازل الكفار في الجنة لو أنهم آمنوا، وهذه زيادة بينتها هذه القراءة.

وعليه فقد فصلت قراءة التشديد الثواب الذي أجملته القراءة الأخرى.

٢٠ ـ قال تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ۝٦٦﴾ [مريم: ٦٦].

القراءات:

١. قرأ ابن ذكوان بخلف عنه (إذا) بهمزة واحدة على الخبر.

٢. قرأ الباقون (أئذا) بهمزتين على الاستفهام، وهو الوجه الثاني لابن ذكوان(٩١٢).

١. قرأ نافع وحفص وحمزة والكسائي وخلف (مِتُّ) بكسر الميم.

٢. قرأ الباقون (مُتُّ) بضم الميم(٩١٣).

(٩١١) البحر المحيط (١٩١/٦).

(٩١٢) انظر: النشر (٢٨٩/١).

(٩١٣) تم التعرض لهذا الموضع عند تفسير الآية (٢٣) من السورة صفحة (٢٧٦) فانظره. لذلك سيتم تناول الموضع الأول فقط عند تفسير هذه الآية.

البيان:

قراءة (إذا ما مت) على الخبر الذي يفيد التهكم والاستهزاء.

وقراءة (أئذا ما مت) على الاستفهام الذي يفيد الإنكار(٩١٤).

سبب نزول الآية:

قال الكلبي: نزلت هذه الآية في أُبي بن خلف حين أخذ عظاماً بالية يفتها بيده ويقول: زعم لكم محمد أنا نبعث بعد ما نموت(٩١٥).

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عمن أنكر البعث وتبيّن مقالته التي قالها في ذلك.

يقول ابن عاشور: «لما تضمن قوله ﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ﴾ [مريم: ٦٥] إبطال عقيدة الإشراك به ناسب الانتقال إلى إبطال أثر من آثار الشرك، وهو نفي المشركين وقوع البعث بعد الموت حتى يتم انتقاض أصلي الكفر. فالواو عاطفة قصة على قصة، والإتيان بفعل (يقول) مضارعاً لاستحضار حالة هذا القول للتعجيب من قائله تعجيب إنكار. والمراد بالإنسان جَمع من الناس، بقرينة قوله بعده ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحۡشُرَنَّهُمۡ﴾ فيراد من كانت هاته مقالته وهم معظم المخاطبين بالقرآن من أول نزوله... وقيل تعريف (الإنسان) للعهد لإنسان معين. فقيل قائل هذا أُبي بن خلف، وقيل: الوليد بن المغيرة(٩١٦).

ويقول السعدي: «المراد بالإنسان ها هنا كل منكر للبعث، مستبعداً لوقوعه، فيقول مستفهماً على وجه النفي والعناد والكفر ﴿أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوۡفَ أُخۡرَجُ حَيًّا﴾ أي: كيف يعيدني الله حياً بعد الموت، وبعد ما كنت رميماً؟!! هذا لا يكون ولا يتصور، وهذا بحسب عقله الفاسد ومقصده السيء،

---

(٩١٤) انظر: الكشف عن وجوه القراءات (٢/٩٠)، معاني القراءات (ص٢٨٥).

(٩١٥) أسباب النزول للواحدي (ص٢٣١).

(٩١٦) انظر: التحرير والتنوير (١٦/١٤٤).

وعناده لرسل الله وكتبه، فلو نظر أدنى نظر، وتأمل أدنى تأمل لرأى استبعاده للبعث في غاية السخافة»[٩١٧].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت قراءة (أئذا ما مت) إنكار الكافر لتحقيق البعث والجحد به عن طريق الاستفهام.

وأفادت قراءة (إذا ما مت) الإخبار من الكافر على سبيل السخرية والاستهزاء بمن يقول بالبعث.

يقول أبو حيان: «هذا من الكافر استفهام فيه معنى الجحد والإنكار، ومن قرأ (إذا ما) أن تكون حذفت الهمزة لدلالة المعنى عليه، وإما أن يكون إخباراً على سبيل الهزء والسخرية بمن يقول ذلك، إذ لم يرد به مطابقة اللفظ للمعنى»[٩١٨].

الجمع بين القراءتين:

القراءتان سواء بالاستفهام أو الإخبار كلاهما تفيد المعنى نفسه وهو: الاستهزاء والسخرية الشديدة من قبل الكافر المنكر للبعث من قضية البعث وممن يقول بها.

٢١ ـ قال تعالى: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾﴾ [مريم: ٦٧].

القراءات:

١. قرأ نافع وابن عامر وعاصم (**يَذْكُرُ**) بتخفيف الذال والكاف مع ضم الكاف.

٢. قرأ الباقون (**يَذَّكَّرُ**) بتشديدهما وفتح الكاف[٩١٩].

---

(٩١٧) تفسير السعدي (ص٤٩٨).

(٩١٨) البحر المحيط (١٩٥/٦).

(٩١٩) انظر: النشر (٢٣٩/٢).

البيان:

قراءة (**يَذْكُرُ**) بالتخفيف هي من الذكر الذي يكون عقب النسيان والغفلة[920]. وقيل هي من ذكر يذكر، أي: أولا يعلم، أولا يتنبه، والحجة في ذلك قوله تعالى ﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾﴾ [المدثر: ٥٤ ـ ٥٥][921]. وحيث إن السياق سياق محاجة وأدلة على البعث، يترجح أن يكون معنى (يذكر) الانتباه، أي: أولا يعلم، أولا يتنبه من غفلته.

أما قراءة (**يَذَّكَّرُ**) بالتشديد فهي من التذكر الذي هو بمعنى التدبر والتفكر، فأصله (يتذكَّر) ثم أدغمت التاء في الذال. كقوله تعالى ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ٩][922].

التفسير:

هذه الآية رد على من أنكر قضية البعث، وقدرة الله على الإعادة، وفيها أقام الله الدليل على صحة البعث.

يقول الشنقيطي: «أيقول الإنسان مقالته هذه في إنكار البعث، ولا يذكر أنا أوجدناه الإيجاد الأول ولم يكن شيئاً، بل كان عدماً فأوجدناه، وإيجادنا له المرة الأولى دليل قاطع على قدرتنا على إيجاده بالبعث مرة أخرى»[923].

ويقول أبو السعود: «﴿أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ من الذكر الذي يراد به التفكر، والإظهار في موقع الإضمار[924] لزيادة التقرير والإشعار بأن الإنسانية من دواعي التفكر فيما جرى عليه من شئون التكوين المنحية بالقلع

(٩٢٠) انظر: الكشف (٢/ ٩٠).

(٩٢١) انظر: حجة القراءات (ص٤٤٥).

(٩٢٢) انظر: الكشف (٢/ ٩٠)، حجة القراءات (ص٤٤٥ ـ ٤٤٦).

(٩٢٣) أضواء البيان (٢/ ٥١٤).

(٩٢٤) يقصد بذلك إظهار لفظ (الإنسان) فلم يقل: أولا يذكر أنا خلقناه؛ وذلك للسبب الذي بيّنه المفسر.

عن القول المذكور، وهو السر في إسناده إلى الجنس، أو إلى الفرد، وبذلك العنوان، والهمزة للإنكار التوبيخي، والواو لعطف الجملة المنفية على مقدر يدل عليه (يقول)، أي: يقول ذلك ولا يذكر ﴿أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ﴾ أي: من قبل الحالة التي هو فيها، وهي حالة بقائه ﴿وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا﴾ أي: والحال أنه لم يكن حينئذ شيئاً أصلاً، فحيث خلقناه وهو في تلك الحالة المنافية للخلق بالكلية مع كونه أبعد من الوقوع، فلأن نبعثه بجمع المواد المتفرقة، وإيجاد مثل ما كان فيها من الأعراض أولى وأظهر، فما له لا يذكره فيقع فيما يقع فيه من النكير»[٩٢٥].

ويقول البقاعي: «ولما كان المقام لتحقيره بكونه عدماً، أعدم من التعبير عن ذلك ما أمكن إعدامه، وهو النون، لتناسب العبارة المعتبر فقال: ﴿وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا﴾ أصلاً، وإنا بمقتضى ذلك قادرون على إعادته فلا ينكر ذلك»[٩٢٦].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت قراءة (يذكر) بالتخفيف نعي الله على الكافر المنكر للبعث عدم انتباهه وعلمه من حال نفسه أنه لم يكن شيئاً في الدنيا، ثم صار إنساناً حياً موجوداً.

يقول الفخر الرازي: «أما إذا قرىء (أولا يذكر) بالتخفيف فالمراد: أولا يعلم ذلك من حال نفسه لأن كل أحد يعلم أنه لم يكن حياً في الدنيا، ثم صار حياً»[٩٢٧].

أما قراءة (يذَّكَّر) بالتشديد فأفادت: نعي الله على الكافر عدم تفكره وتدبره في أول خلقه فيستدل بذلك على البعث.

يقول الشوكاني: «والمراد بالذكر هنا إعمال الفكر أي: ألا يتفكر هذا

---

(٩٢٥) تفسير أبي السعود (٣/٢٨٨).

(٩٢٦) نظم الدرر (٤/٥٥١).

(٩٢٧) التفسير الكبير (٢١/٢٤٢).

الجاحد في أول خلقه فيستدل بالابتداء على الإعادة، والابتداء أعجب وأغرب من الإعادة، لأن النشأة الأولى هي إخراج لهذه المخلوقات من العدم إلى الوجود ابتداعاً واختراعاً، لم يتقدّم عليه ما يكون كالمثال له، وأما النشأة الآخرة فقد تقدَّم عليها النشأة الأولى فكانت كالمثال لها»(٩٢٨).

الجمع بين القراءتين:

يتبيّن بالجمع بين القراءتين أن أدنى انتباه وعلم من الكافر لابتداء خلقه يرشده إلى الحق، ولكن الكافر لاستغراقه في الغفلة يحتاج إلى تأمل وتدبر شديد لعله يعي ذلك.

يقول البقاعي: «ألا يذكر ما لنا من تمام القدرة بخلق ما هو أكبر من ذلك من جميع الأكوان: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ﴾ بإسكان الذال على قراءة نافع وابن عامر وعاصم إشارة إلى أنه أدنى ذكر من هذا يرشده إلى الحق، وقراءة الباقين بفتح الذال والكاف وتشديدهما يشير إلى أنه لاستغراقه في الغفلة يحتاج إلى تأمل شديد»(٩٢٩).

٢٢ ـ قال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾﴾ [مريم: ٦٨ ـ ٧٠].

القراءات:

١. قرأ حفص وحمزة والكسائي (جِثِيّاً) و (عِتِيّاً) و (صِلِيّاً) بكسر أوائل الثلاثة.

٢. قرأ الباقون (جُثِيّاً) و (عُتِيّاً) و (صُلِيّاً) بضم أوائلهن(٩٣٠).

---

(٩٢٨) فتح القدير (٤٣٠/٣).

(٩٢٩) نظم الدرر (٥٥١/٤).

(٩٣٠) انظر: النشر (٢٣٨/٢).

اللغة والبيان:

جِثِيّاً: باركين على ركبهم من شدة الهول[931]. أو جماعات[932] وجثياً: جمع جاث[933]. وهو منصوب على الحال[934].

عِتِيّاً: العتو: النبو عن الطاعة[935]. أي: عصياناً، أو جراءة[936] أو كفراً[937]. وهو مصدر عتا يعتو. وهو منصوب على التمييز[938].

صِلِيّاً: دخولاً، أو مقاساة لحرِّها[939] وهو مصدر صلى يصلى[940]. وهو منصوب على التمييز[941]. وقيل منصوب على الحال، أي: ثم لنحن أعلم بالذين هم أشد على الرحمن عتياً فهم أولى بها صلياً[942].

والكسر والضم لغتان فيهن ولكن القراءة بالضم تفيد المبالغة لِمَا في الضم من الثقل.

التفسير:

تتحدث الآيات الكريمة عن تهديد الله للكافرين الذين أنكروا البعث وسخروا منه، وبيَّنت شدة غضبه عليهم، فأقسم سبحانه على حشرهم تأكيداً

(٩٣١) انظر: معاني القرآن للزجاج (٣/٣٣٨)، معاني القرآن للنحاس (٢/٧٣٣).
(٩٣٢) انظر: معاني القرآن للأخفش (٢/٦٢٦).
(٩٣٣) غريب القرآن وتفسيره للزيدي (ص٢٤٠)، مجاز القرآن (٢/٩).
(٩٣٤) الفريد (٣/٤١٠)، مشكل إعراب القرآن لمكي (٢/٤٥٧)، الملخص (ص٢٥٠).
(٩٣٥) مفردات الراغب (ص٣٦٠).
(٩٣٦) النكت والعيون (٣/٣٨٣).
(٩٣٧) معاني القرآن للنحاس (٢/٧٣٤).
(٩٣٨) الفريد (٣/٤١١).
(٩٣٩) كلمات القرآن (ص١٨٨). وانظر: النكت والعيون (٣/٣٨٤).
(٩٤٠) غريب القرآن وتفسيره للزيدي (ص٢٤١).
(٩٤١) الفريد (٣/٤١١)، وانظر: تفسير النسفي (٣/٣٣).
(٩٤٢) معاني القرآن للزجاج (٣/٣٤٠).

على صحة البعث، معرضاً عنهم مخاطباً لنبيه ﷺ تفخيماً لشأنه وتعظيماً لأمره، متوعداً إياهم بالعذاب الشديد مبيّناً كيفيته وحجمه ليكون أكثر إيلاماً وإرهاباً لهم، لعلهم يتعظون فيعودون إلى خالقهم.

يقول الزحيلي: «﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾﴾ أقسم الرب تبارك وتعالى بذاته الكريمة أنه لا بد أن يحشرهم جميعاً وشياطينهم الذين كانوا يعبدون من دون الله، بأن يخرجهم من قبورهم أحياء، ويجمعهم إلى المحشر مع شياطينهم الذين أغووهم وأضلوهم، ثم ليحضرنهم حول جهنم بعد طول الوقوف، جاثين قاعدين على ركبهم، لما يصيبهم من هول الموقف وروعة الحساب، كما قال تعالى: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً﴾ [الجاثية: ٢٨]. وهذا الإحضار يكون قبل إدخالهم جهنم، ويكون على أذل صورة لقوله: ﴿جِثِيًّا﴾. ﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾﴾ أي: لننتزعن ونأخذن من كل فرقة دينية أو طائفة من طوائف الغي والفساد أعصاهم وأعتاهم وأكثرهم تكبراً وتجاوزاً لحدود الله، وهم قادتهم ورؤساؤهم في الشر. فهذه وجوه التهديد: **أولها**: الحشر مع الشياطين. **وثانيها**: الإحضار قعوداً حول جهنم في صورة الذليل العاجز. **وثالثها**: تمييز البعض من البعض، فمن كان أشدهم تمرداً في كفره خُصَّ بعذاب أعظم، كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [النحل: ٨٨]. وقال: ﴿وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ [العنكبوت: ١٣]، ﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾﴾ أي: أنه تعالى أعلم بمن يستحق من العباد أن يصلى نار جهنم، ويخلد فيها، وبمن يستحق تضعيف العذاب، كما قال سبحانه: ﴿لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٨]»[٩٤٣].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءتان بالكسر والضم في الكلمات الثلاث صورت حال أولئك

(٩٤٣) التفسير المنير (١٦/١٤٤ ـ ١٤٥).

الكافرين المعاندين لله وشدة المعاناة التي توعدهم الله بها يوم القيامة، ولكن القراءة بالضم في (جُثِيّاً) و(عُتِيّاً) و(صُلِيّاً) بينت شدة غضب الله على أولئك الكافرين المعاندين، ومدى المعاناة التي توعدهم الله بها يوم القيامة وازدياد هذا الغضب بزيادة كفرهم وتمردهم؛ لما في الضم من الشدة والمبالغة.

٢٣ ـ قال تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾ [مريم: ٧٢].

القراءات:

١. قرأ الكسائي ويعقوب (نُنْجي) بالتخفيف.

٢. قرأ الباقون (نُنَجِّي) بالتشديد[٩٤٤].

اللغة والبيان:

أصل النجاء: الانفصال من الشيء، ومنه: نجا فلان من فلان وأنجيته ونجيته[٩٤٥].

قراءة (نُنْجي) بالتخفيف من (أنجى يُنْجي). وقراءة (نُنَجِّي) بالتشديد من (نَجَّى يُنَجِّي)[٩٤٦].

قال مكي بن أبي طالب: وفي التشديد معنى التكرير والتكثير، كأنه نجاة بعد نجاة[٩٤٧].

وقال السامرائي: الملاحظ أن القرآن الكريم كثيراً ما يستعمل (نَجَّى) للتلبث والتمهل في التنجية، ويستعمل (أنْجى) للإسراع فيها. فإن (أنجى) أسرع من (نجَّى) في التخليص من الشدة والكرب، وإن البناء اللغوي لكل

(٩٤٤) انظر: النشر (١٩٤/٢)، المغني (٥٢/٢ ـ ٥٣).

(٩٤٥) مفردات الراغب (ص٥٣٨).

(٩٤٦) انظر: حجة القراءات (ص٤٤٦)، الكشف عن وجوه القراءات (٩١/٢)، الحجة في القراءات (ص١٤٢)، الدر (٥١٩/٤).

(٩٤٧) الكشف عن وجوه القراءات (٩١/٢).

منهما يدل على ذلك كما ذكرنا[٩٤٨].

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن صفة من ينجو من النار بعد ورودها، ومن يذره الله فيها.

قال ابن كثير: «أي إذا مر الخلائق كلهم على النار، وسقط فيها من سقط من الكفار والعصاة ذوي المعاصي بحَسَبهم، نجى الله تعالى المؤمنين المتقين منها بحسب أعمالهم، فجَوَازهم على الصراط وسرعتهم بقدر أعمالهم التي كانت في الدنيا، ثم يشفعون في أصحاب الكبائر من المؤمنين فيشفع الملائكة والنبيون والمؤمنون، فيخرجون خلقاً كثيراً قد أكلتهم النار، إلا دارات وجوههم ـ وهي مواضع السجود ـ وإخراجهم إياهم من النار بحسب ما في قلوبهم من الإيمان، فيخرجون أولاً من كان في قلبه مثقال دينار من إيمان، ثم الذي يليه، ثم الذي يليه، ثم الذي يليه، حتى يخرجوا من كان في قلبه أدنى أدنى أدنى مثقال ذرة من إيمان، ثم يخرج الله من النار من قال يوماً من الدهر: (لا إله إلا الله)، وإن لم يعمل خيراً قط، ولا يبقى في النار إلا من وجب عليه الخلود، كما وردت بذلك الأحاديث الصحيحة عن رسول الله ﷺ، ولهذا قال: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾»[٩٤٩].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت قراءة (ننجي) بالتخفيف: سرعة إنجاء الله للمتقين، مع شمول هذا الإنجاء لكل الموحدين. وأفادت قراءة (ننجِّي) التدرج في التنجية والتكرير لها مع كثرتها، فتكون على مراحل، نجاة بعد نجاة، كل بحسب عمله ودرجة إيمانه، حتى لا يذر فيها من قال يوماً من الدهر: (لا إله إلا الله)، وإن لم يعمل خيراً قط، ويكون آخرهم خروجاً منها.

(٩٤٨) بلاغة الكلمة (ص٧٠).

(٩٤٩) تفسير ابن كثير (٥/٢٦٥).

يقول البقاعي: «ولما كان الخلاص منها[٩٥٠] بعد ذلك مستبعداً، قال مشيراً إليه بأداة البعد ﴿ثُمَّ نُنَجِّى﴾ أي: تنجية عظيمة على قراءة الجماعة، ومطلق إنجاء على قراءة الكسائي، وكأن ذلك باختلاف أحوال الناس مع أن المطلق لا ينافي المقيد»[٩٥١].

الجمع بين القراءتين:

قراءة (ننجي) بالتخفيف جاءت مطلقة؛ فقد بيّنت أن الإنجاء من النار يشمل جميع الذين اتقوا وبسرعة، ولكن جاءت قراءة (ننجّي) لتبيّن أن هذا الإنجاء ليس بسرعة واحدة لكل الذين اتقوا وليس على دفعة واحدة وإنما على دفعات ودرجات في السرعة ومراتب كل بحسب عمله وتقواه. وبذلك قيدت قراءة التشديد قراءة التخفيف وزادت في إيضاح المعنى وبيّنت دقة اللفظ القرآني في التعبير. وهذا مظهر من مظاهر الإعجاز القرآني.

٢٤ ـ قال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾﴾ [مريم: ٧٣].

القراءات:

١. قرأ ابن كثير **(مُقاماً)** بضم الميم.

٢. قرأ الباقون **(مَقاماً)** بفتح الميم[٩٥٢].

اللغة والبيان:

مقاماً: منزلاً وسكناً[٩٥٣].

(مُقاماً): فهو مصدر أو اسم مكان من: أقام يقيم إقامةً.

---

(٩٥٠) يقصد هنا الخلاص من النار التي وردها كل من المؤمن والكافر لقوله تعالى ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾.

(٩٥١) نظم الدرر (٥٥٢/٤).

(٩٥٢) انظر: النشر (٢٣٩/٢).

(٩٥٣) البحر المحيط (١٩٨/٦).

(مَقاماً): وهو أيضاً مصدر أو اسم مكان من: قام يقوم مَقاماً. فالقراءتان بمعنى[954].

ولكن ابن عاشور فرّق بين القراءتين وبين معناهما قائلاً: (مَقاماً) اسم مكان من قام، أطلق مجازاً على الحظ والرفعة، كما في قوله تعالى ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ [الرحمن: ٤٦] فهو مأخوذ من القيام المستعمل مجازاً في الظهور والمقدرة، (مُقاماً): من أقام بالمكان، وهو مستعمل في الكون في الدنيا. والمعنى: خيرٌ حياةً[955].

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن شبهة أخرى احتج بها منكرو البعث على كونهم على الحق في إنكارهم للبعث وفي كرامتهم على الله؛ وذلك لأنهم خير منزلاً ومسكناً ومكانة من المؤمنين بحسب اعتقادهم.

يقول القرطبي: «قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ﴾ أي: على الكفار الذين سبق ذكرهم في قوله تعالى ﴿أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾ [مريم: ٦٦] وقال فيهم: ﴿وَنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ أي: هؤلاء إذا قرئ عليهم القرآن تعزَّزوا بالدنيا، وقالوا: فما بالُنا - إن كنا على باطل - أكثر أموالاً وأعز نفراً، وغرضهم إدخال الشبهة على المستضعفين، وإيهامهم أن من كثر ماله دل ذلك على أنه المحق في دينه، وكأنهم لم يروا فيهم فقيراً ولا في المسلمين غنياً، ولم يعلموا أن الله تعالى نحّى أولياءه عن الاغترار بالدنيا، وفرط الميل إليها. و﴿بَيِّنَٰتٍ﴾ معناه: مرتَّلات الألفاظ، ملخصة المعاني، مبيّنات المقاصد، إما محكمات، أو متشابهات قد تبعها البيان بالمحكمات، أو تبيين الرسول ﷺ قولاً أو فعلاً، أو ظاهرات الإعجاز تُحدّى بها فلم يقدر على معارضتها، أو حججاً وبراهين، والوجه أن تكون

(٩٥٤) انظر: الكشف (٢/٩١).

(٩٥٥) انظر: التحرير والتنوير (١٦/١٥٤). وقد ألمح ابن زنجلة إلى هذا المعنى فانظره في كتابه: حجة القراءات (ص٤٤٦).

حالاً مؤكدة، كقوله تعالى ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا﴾ [البقرة: ٩١]، لأن آيات الله تعالى لا تكون إلا واضحة وحججاً. ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ يريد مشركي قريش النضر بن الحارث وأصحابه. ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ يعني فقراء أصحاب النبي ﷺ، وكانت فيهم قشافة، وفي عيشهم خشونة، وفي ثيابهم رثاثة، وكان المشركون يرجلون شعورهم، ويدهنون رؤوسهم، ويلبسون خير ثيابهم، فقالوا للمؤمنين ﴿أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ ...أي: أيُّ الفريقين أكثر جاهاً وأنصاراً .﴿وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ أي: مجلساً[(٩٥٦)] عن ابن عباس، وعنه أيضاً المنظر وهو المجلس في اللغة وهو النادي، ومنه دار الندوة لأن المشركين كانوا يتشاورون فيها في أمورهم...، والندي على فعيل؛ مجلس القوم ومتحدَّثهم»[(٩٥٧)].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت قراءة **(مُقاماً)**: أن منكري البعث احتجوا على المسلمين في كونهم محقين في دينهم بكونهم خيراً منهم معيشة في المسكن ورغد العيش، مما يدل على كرامتهم على الله.

وأفادت قراءة **(مَقاماً)**: زعم المشركين أنهم خير مكاناً ومنزلة وحظاً ومقدرة من المؤمنين.

الجمع بين القراءتين:

بيّنت قراءة الضم الظاهر الذي ادعاه المشركون في معيشتهم سواء في الشكل أو في المسكن وما فيه من رغد العيش. أما قراءة الفتح فقد بيّنت ما ادعاه المشركون من المنزلة والمكانة التي حظوا بها في الحياة من حظ ورفعة وقدرة. وبذلك فقد بيّنت كل قراءة جانباً من الجوانب التي ادعاها المشركون، وتفاخروا فيها أمام المؤمنين ليدللوا على كونهم على الحق في كفرهم وإنكارهم للبعث في زعمهم.

---

(٩٥٦) الأثر عن ابن عباس أخرجه الطبري (٨٧/١٦)، وابن كثير (٢٦٥/٥).

(٩٥٧) انظر: تفسير القرطبي (١٢٩/٦ ـ ١٣٠).

٢٥ ـ قال تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا ﴿٧٤﴾﴾ [مريم: ٧٤].

القراءات:

١. قرأ قالون وابن ذكوان وأبو جعفر **(ورِيّاً)** بإبدال الهمز ياء وإدغامها في الياء التي بعدها.

٢. قرأ الباقون **(وَرِئْياً)** بتركها على أصلها[٩٥٨].

اللغة والبيان:

(رئياً): منظراً، من رأيت[٩٥٩] أي: ما ترى في صورة الإنسان، ولباسه[٩٦٠].

(ريّاً): من الرَّي وهو ضد العطش، والمراد به: أن منظرهم مرتو من النعمة، كأن النعيم بيِّن فيهم[٩٦١]؛ لأن الرّي يتبعه الطراوة كما أن العطش يتبعه الذبول[٩٦٢]. أي: أحسن نعمة وترفهاً[٩٦٣].

التفسير:

الآية الكريمة رد على اعتقاد المشركين الفاسد بأن رغد العيش ورفعة المقام دليل على رضا الله عنهم وعن معتقداتهم. وتهديد لهم بأن نهايتهم ستكون مماثلة لنهاية الأمم البائدة التي كانت أفضل حالاً منهم ولكن ماثلتهم بالكفر والضلال؛ ألا وهي: الهلاك.

---

(٩٥٨) انظر: النشر (٣٠٣/١).

(٩٥٩) معاني القرآن للزجاج (٣٤٢/٣)، معاني القرآن للنحاس (٧٣٦/٢). وانظر: معاني القرآن للفراء (١٧١/٢)، غريب القرآن وتفسيره للزيدي (ص٢٤١).

(٩٦٠) معاني القرآن للنحاس (٧٣٦/٢). وانظر: تفسير غريب القرآن (ص٢٧٥)، مجاز القرآن (١٠/٢).

(٩٦١) انظر: معاني القرآن للزجاج (٣٤٢/٣)، حجة القراءات (ص٤٤٧).

(٩٦٢) مفاتيح الأغاني (ص٢٧١).

(٩٦٣) انظر: الكشاف (١٢٢/٣)، التفسير الكبير (٢٤٧/٢١)، تفسير أبي السعود (٢٩٠/٣).

يقول الزحيلي: «هذا هو الجواب الأول عن شبهتهم، أي: وكثيراً ما أهلكنا قبلهم من الأمم السابقة المكذبين رسلهم بكفرهم، وكانوا أحسن من هؤلاء متاعاً ومنظراً. والأثاث: المال أجمع، من الإبل والغنم والبقر والمتاع، أو متاع البيت خاصة من الفرش واللباس والستائر والبسط والأرائك والسرر (الأسرَّة). والرئي: المنظر في تقدير الناس من جهة حسن اللباس أو حسن الأبدان وتنعمها. والمعنى: أن مظاهر الثراء والنفوذ والكرامة لا تدل على حسن الحال عند الله، فقد أهلك الله المترفين، ونجّى الفقراء الصالحين. وهذا تهديد ووعيد لكل من يتوهم من العوام وجهلة الأغنياء من المسلمين أن حسن حالهم في الدنيا دليل على رضا الله عنهم وحسن حالهم في الآخرة»[٩٦٤].

ويقول الفخر الرازي: «وتقرير هذا الجواب أن يُقال إن من كان أعظم نعمة منكم في الدنيا قد أهلكهم الله تعالى وأبادهم، فلو دل حصول نعم الدنيا للإنسان على كونه حبيباً لله تعالى لوجب في حبيب الله أن لا يوصل إليه غماً في الدنيا، ووجب عليه أن لا يهلك أحداً من المنعمين في دار الدنيا، وحيث أهلكهم دل إما على فساد المقدمة الأولى؛ وهي: أن من وجد الدنيا كان حبيباً لله تعالى. أو على فساد المقدمة الثانية؛ وهي: أن حبيب الله لا يوصل الله إليه غماً، وعلى كلا التقديرين فيفسد ما ذكرتموه من الشبه»[٩٦٥].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت قراءة (رئياً) أن الله قد أهلك من القرون الأولى من هم أحسن هيئة ومنظراً ولباساً من أولئك المشركين المنكرين للبعث.

يقول الشنقيطي: «وقوله ﴿وَرِءْيًا﴾ على قراءة الجمهور مهموزاً، أي: أحسن منظراً وهيئة، وهو فعل بمعنى مفعول من رأى البصرية. والمراد به

(٩٦٤) التفسير المنير (١٥١/١٦ ـ ١٥٢).

(٩٦٥) التفسير الكبير (٢٤٧/٢١).

الذي تراه العين من هيأتهم الحسنة ومتاعهم الحسن»[٩٦٦].

وأفادت قراءة **(ريّاً)**: أن الله أهلك من هم أكثر من المشركين ترفهاً ونعمة بادية عليهم من الأمم البائدة.

يقول ابن عاشور: «(ريّاً) بتشديد الياء بلا همز؛ إما على أنه من قلب الهمزة ياء وإدغامها في الياء الأخرى. وإما على أنه من الرِّي الذي هو النعمة والترفه، من قولهم: ريّان من النعيم، وأصله من الري ضد العطش، لأن الريّ يستعار للتنعّم كما يستعار التلهف للتألّم»[٩٦٧].

الجمع بين القراءتين:

يتبيّن بالجمع بين القراءتين أن من أهلكه الله من الأمم البائدة كانوا أكثر أموالاً بصنوفها المختلفة، كما كانوا على قدر كبير من النعيم ورفاهية العيش بحيث ظهر ذلك على معاشهم وهيئاتهم من حسن اللباس بالإضافة إلى تمتعهم بحسن منظرهم وأبدانهم.

ومن هذا البيان تبيّن أن كلاً من القراءتين وصفت حالاً من أحوالهم سواء الجسدية أو أحوالهم المادية والمعيشية. وهذا بالطبع إنما يدل على بلاغة القرآن في ألفاظه الدالة على إعجازه.

٢٦ ـ قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ۝٧٧﴾ [مريم: ٧٧].

القراءات:

١. قرأ حمزة والكسائي **(وُلْداً)** بضم الواو وإسكان اللام.
٢. قرأ الباقون **(وَلَداً)** بفتح الواو واللام[٩٦٨].

---

(٩٦٦) أضواء البيان (٢/٥٢٢).
(٩٦٧) التحرير والتنوير (١٦/١٥٥).
(٩٦٨) انظر: النشر (٢/٢٣٩).

اللغة والبيان:

الولد: المولود. يقال للواحد والجمع والصغير والكبير(٩٦٩).

(وَلَداً): اسم مفرد قائم مقام الجمع. أي: يكون المعنى على الجنس لا ملحوظاً فيه الإفراد وإن كان مفرد اللفظ. **(وُلْداً)**: جمع ولد، كقولهم: أَسَد و أُسْد(٩٧٠).

سبب نزول الآية:

أخرج البخاري عن خباب بن الأرت قال: «كنت قيناً(٩٧١) في الجاهلية، وكان لي على العاص بن وائل دين، فأتيته أتقاضاه، فقال: لا أعطيك حتى تكفر بمحمد، فقلت: لا أكفر حتى يميتك الله ثم تبعث، قال: دعني حتى أموت وأبعث، فسأوتى مالاً وولداً فأقضيك. فنزلت: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾﴾»(٩٧٢).

التفسير:

يقول الفخر الرازي: «اعلم أنه تعالى لما ذكر الدلائل أولاً على صحة البعث، ثم أورد شبهة المنكرين، وأجاب عنها أورد عنهم الآن ما ذكروه على سبيل الاستهزاء طعناً في القول بالحشر فقال ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾﴾»(٩٧٣).

يقول الزحيلي: «ألا أخبرك بقصة هذا الكافر الذي تجرأ على الله

---

(٩٦٩) مفردات الراغب (ص٦٠٥).

(٩٧٠) انظر: البحر المحيط (٦/٢٠٠ ـ ٢٠١)، الدر (٤/٥٢٢ ـ ٥٢٣)، التحرير والتنوير (١٦/١٥٩).

(٩٧١) أي: حداداً. (مختار الصحاح (ص٥٨٦)).

(٩٧٢) أخرجه البخاري (٢/٧٣٦) في كتاب البيوع، باب ذكر القين والحداد، حديث رقم (١٩٨٥).

(٩٧٣) التفسير الكبير (٢١/٢٥٠).

وقال: لأُعطينَّ في الآخرة مالاً وولداً. وإيراد هذه القصة على سبيل التعجب للبشر»[٩٧٤].

ويقول الألوسي: «الهمزة للتعجيب من حال ذلك الكافر، والايذان بأنها من الغرابة والشناعة بحيث يجب أن ترى ويقضى منها العجب، والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام، أي: أنظرت فرأيت الذي كفر بآياتنا الباهرة التي حقها أن يؤمن بها كل من وقف عليها، ﴿وَقَالَ﴾ مستهزئاً بها مصدراً كلامه باليمين الفاجرة والله ﴿لَأُوتَيَنَّ﴾ في الآخرة ﴿مَالًا وَوَلَدًا﴾ والمراد انظر إليه وتعجب من حالته البديعة وجرأته الشنيعة»[٩٧٥].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

قد تأتي قراءة لتفيد عدة معان، فتجيء قراءة أخرى لتحدد معنى بعينه مقصوداً من هذه المعاني. وهذا الذي ينطبق على هاتين القراءتين، حيث إن قراءة **(وَلَداً)** تفيد الجنس لأنها تصلح للمفرد والجمع. أما قراءة **(وُلْداً)** فهي تفيد الجمع، وبذلك جاءت لتبيّن أن المقصود من (ولداً) هو الجمع وليس المفرد.

٢٧ ـ قال تعالى: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾﴾ [مريم: ٩٠].

القراءات:

١. قرأ نافع والكسائي **(يكاد)** بالياء على التذكير.

٢. قرأ الباقون **(تكاد)** بالتاء على التأنيث.

٣. قرأ نافع وابن كثير وحفص والكسائي وأبو جعفر **(يَتَفَطَّرن)** بالتاء وفتح الطاء مشددة.

---

(٩٧٤) التفسير المنير (١٦/١٥٦).

(٩٧٥) انظر: تفسير الألوسي (١٦/١٢٩ ـ ١٣٠).

٤. قرأ الباقون (**يَنفَطِرن**) بالنون وكسر الطاء مخففة[٩٧٦].

اللغة والبيان:

الفطر: الشق طولاً[٩٧٧].

ينفطرن: مضارع انفطر. أي: ينشققن.

يتفطَّرن: مضارع تفطَّر. أي: يتشققن. وهو على وزن يتفعل، ويفيد التكثير وتكرير الفعل[٩٧٨].

وقراءة (**تكاد**) بالتذكير والتأنيث لأن الفاعل (السموات) مؤنث غير حقيقي[٩٧٩]. وهو جمع قلة، والعرب تذكِّر فعل المؤنث إذا كان قليلاً كقوله تعالى ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ﴾ [التوبة: ٥][٩٨٠].

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن الأثر المترتب على غير العاقل من مخلوقات الله لادعاء اليهود والنصارى باتخاذ الله للولد، أو بما قاله مشركو العرب بأن الملائكة بنات الله سبحانه وتعالى استعظاماً لقباحة هذا الادعاء، وبياناً لعظم كفر قائله.

يقول الزحيلي: «تقارب السموات أن تتشقق منه، وأن تتصدع وتخسف الأرض، وتسقط بصوت شديد، وتنهدم الجبال هدماً شديداً تتضعضع منه، لشدة نكرانه، إعظاماً للرب وإجلالاً، لأنهن مخلوقات على توحيده، وأنه لا شريك له ولا نظير ولا ولد ولا صاحبة. قال ابن عباس وكعب: فزعت السموات والأرض والجبال، وجميع المخلوقات إلا الثقلين (الإنس والجن)،

(٩٧٦) انظر: النشر (٢٣٩/٢).

(٩٧٧) مفردات الراغب (ص ٤٢٨).

(٩٧٨) انظر: حجة القراءات (ص٤٤٨ ـ ٤٤٩)، الكشف (٩٣/٢)، الفريد (٤١٩/٣)، الملخص (ص٢٥٥).

(٩٧٩) انظر: الدر (٥٢٨/٤).

(٩٨٠) انظر: حجة القراءات (ص٤٤٨).

وكادت أن تزول، وغضبت الملائكة فاستعرت جهنم، وشاك الشجر، واكفهرت الأرض وجدبت حين قالوا: اتخذ الله ولداً. وقال محمد بن كعب: لقد كاد أعداء الله أن يقيموا علينا الساعة؛ لقوله تعالى ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوۡاْ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٗا ﴿٩١﴾﴾ وهذا تهويل عظيم، وأنه موجب غضب الله وسخطه، ولكن لولا حكمة الله وحلمه وأنه لا يبالي بكفر الكافر لقامت القيامة، واستؤصل الكفار»(٩٨١).

ويقول الزمخشري: «فإن قلت: ما معنى انفطار السموات وانشقاق الأرض وخرور الجبال؟ ومن أين تؤثر هذه الكلمة في الجمادات؟ قلت: فيه وجهان:

أحدهما: أن الله ﷻ يقول: كدت أفعل هذا بالسموات والأرض والجبال عند وجود هذه الكلمة غضباً مني على من تفوّه بها لولا حلمي ووقاري(٩٨٢)، وأني لا أعجل بالعقوبة؛ كما قال ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴿٤١﴾﴾ [فاطر: ٤١].

والثاني: أن يكون استعظاماً للكلمة، وتهويلاً من فظاعتها، وتصويراً لأثرها في الدين، وهدمها لأركانه وقواعده، وأن مثال ذلك الأثر في المحسوسات أن يصيب هذه الأجرام العظيمة التي هي قوام العالم ما تنفطر منه وتنشق وتخر»(٩٨٣).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قراءة (يكاد السموات) هي إشارة إلى مجموع السموات وإن كان قليلاً مقابل كلمة الكفر التي قالها الكافرون في حق الله استخفافاً بها وهم لا يدرون عظمها.

---

(٩٨١) التفسير المنير (١٦/١٦٦ - ١٦٧).

(٩٨٢) هذه اللفظه مما لا يليق، وكان ينبغي على الكاتب أن يستخدم لفظة مما ساغ في وصفه ﷻ مما يتصل بأسمائه الحسنى.

(٩٨٣) الكشاف (٣/١٢٨).

أما قراءة (تكاد السموات) فهي إشارة إلى عظم هذه السموات مقابل عظم قول المشركين على الله ﷻ.

وقراءة (ينفطرن) أفادت أن السموات تريد أن تنشقق غيظاً من شدة قول الكافرين، ولكن قراءة (يَتَفَطَّرن) دلت على أن هذا التشقق وهذا الغيظ هو يدوم منهن ويكثر إعظاماً لقول المشركين.

يقول ابن زنجلة: «فقوله (يتفطّرن) أشد مبالغة في تغيظهن على من نسب إلى الله ولداً كقوله في قصة النار: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾ [الملك: ٨] ولم يقل: (تنماز)»[984].

التشديد يدل على التكثير وتكرير الفعل، والتخفيف يحتمل التكثير وغيره، والتشديد هنا أجود لما فيه من معنى المبالغة في الإخبار عن عظم كفرهم[985].

الجمع بين القراءات:

هذه القراءات مجتمعة تصور شدة كفر المشركين وعظم ما يطلقونه من كلمات يظنونها هينة وهي عند الله عظيمة، وعظمها يشعر به كل ما في الكون حتى غير العاقل من مخلوقات الله فينتفض انتفاضة قوية تتشقق من هولها السموات مرة تلو الأخرى.

يصور سيد قطب رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى هذا المشهد قائلاً: «إن جرس الألفاظ وإيقاع العبارات ليشارك ظلال المشهد في رسم الجو: جو الغضب والغيرة والانتفاض! وإن ضمير الكون وجوارحه لتنتفض، وترتعش وترجف من سماع تلك القولة النابية، والمساس بقداسة الذات العلية، كما ينتفض كل عضو وكل جارحة عندما يغضب الإنسان للمساس بكرامته أو كرامة من يحبه ويوقره.

(٩٨٤) حجة القراءات (ص٤٤٩).

(٩٨٥) الفريد (٤١٩/٣).

هذه الانتفاضة الكونية للكلمة النابية تشترك فيها السماوات والأرض والجبال، والألفاظ بإيقاعها ترسم حركة الزلزلة والارتجاف.

وما تكاد الكلمة النابية تنطلق: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا (٨٨)﴾ حتى تنطلق كلمة التفظيع والتبشيع ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (٨٩)﴾ ثم يهتز كل ساكن من حولهم ويرتج كل مستقر، ويغضب الكون كله لبارئه. وهو يحس بتلك الكلمة تصدم كيانه وفطرته؛ وتجافي ما وقر في ضميره وما استقر في كيانه؛ وتهز القاعدة التي قام عليها واطمأن إليها: ﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا (٩٠) أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا (٩١)﴾[٩٨٦].

٢٨ ـ قال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا (٩٧)﴾ [مريم: ٩٧].

القراءات:

١. قرأ حمزة (لِتَبْشُرَ) بفتح التاء وإسكان الباء الموحدة وضم الشين مع تخفيفها.

٢. قرأ الباقون (لِتُبَشِّرَ) بضم التاء وفتح الباء وكسر السين مع تشديدها[٩٨٧].

سبق التعرض لهذه القراءة عند تفسير الآية التاسعة من سورة الإسراء[٩٨٨].

---

(٩٨٦) الظلال (٤/٢٣٢٠ ـ ٢٣٢١).

(٩٨٧) انظر: النشر (٢/١٨٠).

(٩٨٨) انظر: ص٢٧ من هذا البحث.

فهرست المصادر والمراجع

يشتمل على:

أولاً: فهرس المصادر والمراجع[989].

ثانياً: فهرس للكتب والمواقع الإلكترونية في شبكة المعلومات الدولية.

ثالثاً: المكتبات الإلكترونية التي سهَّلت عملية البحث (CD - RW).

(989) سرت في ذكر المصادر والمراجع، على الطريقة التالية:
1. لم أعتبر في الترتيب (ال) التعريف.
2. شمل هذا الفهرس الكتب التي أحيل إليها في الهامش.
3. الفهرس مرتب على حروف المعجم: (أ، ب، ت ... إلخ)، وبدأت بأجل الكتب: القرآن الكريم، برواية حفص عن عاصم، وأرقام الآيات فيه على عد الكوفيين.

فهرست المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.

٢. الإبانة عن معاني القراءات / مكي بن أبي طالب القيسي ـ تحقيق: د. محيي الدين رمضان: دار المأمون للتراث ـ دمشق، بيروت ـ ط الأولى ـ ١٩٧٩م.

٣. أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم / صديق بن حسن القنوجي ـ تحقيق: عبدالجبار زكار: دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ١٩٧٨م.

٤. أبنية الأفعال (دراسة لغوية قرآنية) / د. نجاة عبدالعظيم الكوفي: دار الثقافة للنشر والتوزيع ـ القاهرة ـ ١٩٨٩م.

٥. إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر / شهاب الدين الدمياطي الشهير بالبناء ـ وضع حواشيه: الشيخ أنس مهرة: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ٢٠٠١م.

٦. الإتقان في علوم القرآن / جلال الدين السيوطي ـ تقديم وتعليق: د. مصطفى ديب البغا: دار ابن كثير ـ دمشق، بيروت ـ ط٥ ـ ٢٠٠٢م.

٧. الأحرف السبعة ومنزلة القراءات منها / حسن ضياء الدين عتر: دار البشائر الإسلامية ـ بيروت ـ ط الأولى ـ ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م.

٨. الأساس في التفسير / سعيد حوى: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع ـ ط٣ ـ ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م.

٩. أسباب النزول / أبو الحسن الواحدي ـ تحقيق: أيمن صالح شعبان: دار الحديث ـ القاهرة ـ ٢٠٠٣م.

١٠. أضواء البيان في ايضاح القرآن بالقرآن / محمد الأمين الشنقيطي: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ ط الأولى ـ ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

١١. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية / مصطفى صادق الرافعي ـ تحقيق: عبدالله المنشاوي: مكتبة الإيمان ـ المنصورة ـ ط الأولى ـ ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

١٢. إعراب القرآن الكريم وبيانه / محيي الدين الدرويش: دار ابن كثير ودار اليمامة ـ دمشق، بيروت ـ ط٤ ـ ١٩٩٤م.

١٣. إنباه الرواة على أنباه النحاة / جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القفطي ـ تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم: دار الفكر العربي ـ القاهرة، مؤسسة الكتب الثقافية ـ بيروت ـ ط الأولى ـ ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

١٤. أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم / عبدالله محمود شحاتة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ ط٢ ـ ١٩٨١م.

١٥. الإيضاح في علوم البلاغة / الخطيب القزويني: دار إحياء العلوم ـ بيروت ـ ط٤ ـ ١٩٩٨م.

١٦. البداية والنهاية / أبو الفداء إسماعيل بن عمر ابن كثير: مكتبة المعارف ـ بيروت.

١٧. البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع / محمد بن علي الشوكاني: دار المعرفة ـ بيروت.

١٨. البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريق الشاطبية والدري / عبدالفتاح القاضي: مكتبة أنس بن مالك ـ مكة المكرمة ـ ط الأولى ـ ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م.

١٩. البرهان في علوم القرآن / بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي ـ خرَّج حديثه وقدم له وعلق عليه: مصطفى عبدالقادر عطا: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت ـ ٢٠٠١م.

٢٠. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز / الفيروز آبادي ـ تحقيق: محمد علي النجار: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ لجنة إحياء التراث الإسلامي ـ ط٢ ـ ١٩٨٦م.

٢١. بغية الطلب في تاريخ حلب / كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جرادة ـ تحقيق: سهيل زكار: دار الفكر ـ بيروت ـ ط الأولى ـ ١٩٨٨م.

٢٢. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة / جلال الدين السيوطي ـ تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم: المكتبة العصرية ـ بيروت.

٢٣. بلاغة الكلمة في التعبير القرآني / فاضل السامرائي: دار عمار ـ عمَّان ـ ط الأولى ـ ١٩٩٩م.

٢٤. البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة / محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ـ تحقيق: محمد المصري: جمعية إحياء التراث الإسلامي ـ الكويت ـ ط الأولى ـ ١٤٠٧هـ.

٢٥. تاج العروس من جواهر القاموس / محمد مرتضى الزبيدي: منشورات دار مكتبة الحياة ـ بيروت ـ ط الأولى ـ ١٣٠٦هـ.

٢٦. تاريخ بغداد / أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي: دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٢٧. تأويل مشكل القرآن / عبدالله بن مسلم بن قتيبة ـ شرحه ونشره: السيد أحمد صقر: دار التراث ـ القاهرة ـ ط الثانية ـ ١٣٩٣هـ، ١٩٧٣م.

٢٨. التحرير والتنوير / محمد الطاهر ابن عاشور: دار سحنون للنشر والتوزيع ـ تونس ـ ١٩٩٧م.

٢٩. التعبير القرآني / فاضل السامرائي: دار عمّار ـ عمّان ـ ط الأولى ـ ١٩٩٨م.

٣٠. تفسير أبي السعود المسمى (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم) / أبو السعود محمد بن محمد العمادي: المطبعة المصرية ـ ط الأولى ـ ١٣٤٧هـ، ١٩٢٨م.

٣١. تفسير البحر المحيط / محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي ـ دراسة وتحقيق وتعليق: عادل أحمد عبدالموجود وآخرون: منشورات محمد علي بيضون ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط الأولى ـ ٢٠٠١م.

٣٢. تفسير البيضاوي المسمى (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) / الإمام البيضاوي ـ تحقيق: عبدالقادر عرفات العشا حسونة: دار الفكر ـ بيروت ـ ١٩٩٦م.

٣٣. تفسير الثعالبي المسمى (الجواهر الحسان في تفسير القرآن) / عبدالرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت.

٣٤. تفسير الخازن المسمى (لباب التأويل في معاني التنزيل) / علاء الدين علي ابن محمد بن إبراهيم الشهير بالخازن: مصطفى البابي الحلبي وأولاده ـ مصر ـ ط٢ ـ ١٩٥٥م.

٣٥. تفسير الشعراوي / محمد متولي الشعراوي: أخبار اليوم ـ قطاع الثقافة.

٣٦. تفسير الفخر الرازي المشهور بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب / فخر الدين الرازي: دار الفكر ـ بيروت ـ ط الأولى ـ ١٩٨١م.

٣٧. تفسير القاسمي المسمى (محاسن التأويل) / محمد جمال الدين القاسمي ـ تعليق وتخريج الآيات والأحاديث: محمد فؤاد عبدالباقي: دار إحياء الكتب العربية ـ ١٩٧٠م.

٣٨. تفسير القرآن العظيم / الحافظ ابن كثير ـ تحقيق: د. السيد محمد السيد وآخرون: دار الحديث ـ القاهرة ـ ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م.

٣٩. تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر (الفاتحة، البقرة، آل عمران) رسالة ماجستير / إعداد الباحث: عبدالله الملاحي، إشراف: د. مروان أبو راس - ٢٠٠٢م.

٤٠. التفسير الكامل / شيخ الإسلام ابن تيمية - جمع وتحقيق: أبو سعيد عمر بن غلامة العمري: دار الفكر - بيروت - ط الأولى - ٢٠٠٢م.

٤١. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج / د. وهبة الزحيلي: دار الفكر - دمشق - ط٢ - ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م.

٤٢. تفسير النسفي / أبو البركات النسفي: مطبوعات محمد علي صبيح وأولاده - مصر.

٤٣. تفسير غريب القرآن / أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة - تحقيق: السيد أحمد صقر: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٣٩٨هـ، ١٩٧٨م.

٤٤. تفسير مجاهد / مجاهد بن جبر المخزومي التابعي - تحقيق: عبدالرحمن الطاهر محمد السورتي: المنشورات العلمية - بيروت.

٤٥. تقريب التهذيب / أحمد بن علي بن حجر العسقلاني - تحقيق: محمد عوامة: دار الرشيد - سوريا - ط الأولى - ١٩٨٦م.

٤٦. تناسق الدرر في تناسب السور / جلال الدين السيوطي - دراسة وتحقيق: عبدالقادر أحمد عطا: دار الكتب العلمية - بيروت.

٤٧. تنوير المقباس من تفسير ابن عباس / أبو طاهر بن يعقوب الفيروز آبادي: دار الفكر.

٤٨. تهذيب الأسماء / أبو زكريا محيي الدين يحيي بن شرف النووي: دار الفكر - بيروت - ط الأولى - ١٩٩٦م.

٤٩. تهذيب اللغة / أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر الأزهري - تحقيق: عبدالسلام هارون ومحمد علي النجار: الدار المصرية والمؤسسة المصرية للتأليف والترجمة - القاهرة - ١٩٦٤م.

٥٠. تهذيب تاريخ دمشق الكبير / أبو القاسم علي بن الحسن ابن عساكر - تحقيق: عبدالقادر بدران: دار المسيرة - بيروت - ط٢ - ١٩٧٩م.

٥١. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان / عبدالرحمن بن ناصر السعدي: تحقيق عبدالرحمن بن معلاّ اللُّويحق: مؤسسة الرسالة - بيروت - ط الأولى - ٢٠٠٠م.

٥٢. الثقات / محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم البستي - تحقيق: السيد شرف الدين أحمد: دار الفكر - ط الأولى - ١٣٩٥هـ، ١٩٧٥م.

٥٣. جامع البيان في تفسير القرآن / ابن جرير الطبري: دار المعرفة ـ بيروت ـ ط٣ ـ ١٩٧٨م.

٥٤. الجامع لأحكام القرآن / أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ـ راجعه: د. محمد إبراهيم الحفناوي، خرج أحاديثه: د. محمود حامد عثمان: دار الحديث ـ القاهرة ـ ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م.

٥٥. حاشية الجمل على الجلالين المسماة (الفتوحات الإلهية) / سليمان الجمل: المكتبة الإسلامية.

٥٦. حاشية الشهاب المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي / القاضي شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي ـ ضبطه وخرج آياته وأحاديثه: الشيخ عبدالرازق المهدي: منشورات محمد علي بيضون ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط الأولى ـ ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م.

٥٧. حاشية محمد علي الصبان على شرح علي بن محمد الأشموني لألفية ابن مالك، وبهامشها: شرح العلامة الأشموني مع بعض تقريرات للشيخ أحمد الرفاعي: مطبعة مصطفى محمد ـ مصر. (بدون).

٥٨. حاشية محيي الدين شيخ زادة على تفسير البيضاوي / محمد بن مصلح الدين مصطفى القوجوي الحنفي ـ خرج آياته: محمد عبدالقادر شاهين: منشورات محمد علي بيضون ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط الأولى ـ ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م.

٥٩. حجة القراءات / أبو زرعة عبدالرحمن بن محمد بن زنجلة ـ تحقيق: سعيد الأفغاني: مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ط٥ ـ ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م.

٦٠. الحجة في القراءات السبع / أبو عبدالله ابن خالويه ـ تحقيق: أحمد فريد المزيدي: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط الأولى ـ ١٩٩٩م.

٦١. الحجة للقراء السبعة / أبو علي الحسن بن عبدالغفار الفارسي ـ تحقيق: بدر الدين قهوجي، بشير جويجاني: دار مأمون للتراث ـ دمشق، بيروت ـ ط الأولى ـ ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م.

٦٢. حروف المعاني / أبو القاسم عبدالرحمن بن اسحق الزجاجي ـ تحقيق: علي توفيق الحمد: مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ط الأولى ـ ١٩٨٤م.

٦٣. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون / شهاب الدين أبي العباس بن يوسف بن محمد بن إبراهيم المعروف بالسمين الحلبي ـ تحقيق: علي محمد معوض وآخرون: دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط الأولى ـ ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م.

٦٤. الدر المنثور / جلال الدين السيوطي: دار الفكر - بيروت - ١٩٩٣م.
٦٥. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة / شيخ الإسلام أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني - دار الجيل - بيروت.
٦٦. الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب / إبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون: دار الكتب العلمية - بيروت.
٦٧. الرسالة المستطرفة / محمد بن جعفر الكتاني - تحقيق: محمد المنتصر الزمزمي الكتاني: دار البشائر الإسلامية - بيروت - ط٤ - ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
٦٨. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني / شهاب الدين محمود الألوسي: إدارة الطباعة المنيرية - مصر - ط٢.
٦٩. زاد المسير في علم التفسير / عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي - تحقيق: زهير الشاويش: المكتب الإسلامي - بيروت - ط٣ - ١٤٠٤هـ.
٧٠. سر الإعجاز في تنوع الصيغ المشتقة من أصل لغوي واحد في القرآن / عودة الله منيع القيسي: مؤسسة الرسالة، دار البشير - بيروت، عمان - ط الأولى - ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م.
٧١. سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة **وأثرها السيء على الأمة** / محمد ناصر الدين الألباني: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع - الرياض - ط٢ - ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م.
٧٢. سنن ابن ماجة / أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني - تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي: دار الفكر - بيروت.
٧٣. سنن أبي داود / سليمان بن أشعث السجستاني - تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد: دار الفكر.
٧٤. سنن البيهقي الكبرى / أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي - تحقيق: محمد عبدالقادر عطا - مكتبة دار الباز - مكة - ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.
٧٥. سنن الترمذي (الجامع الصحيح) / أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي - تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون: دار إحياء التراث العربي - بيروت.
٧٦. سنن الدارمي /عبدالله بن عبدالرحمن أبو محمد الدارمي - تحقيق: فواز أحمد زمرلي وخالد السبع العلمي: دار الكتاب العربي - بيروت - ط الأولى - بيروت - ١٤٠٧هـ.
٧٧. سنن النسائي (المجتبى) / أحمد بن شعيب أبو عبدالرحمن النسائي - تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة: مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب - ط٢ - ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

٧٨. سير أعلام النبلاء / أبو عبدالله الذهبي - تحقيق: شعيب الأرناؤوط، محمد نعيم العرقسوسي: مؤسسة الرسالة - بيروت - ط٩ - ١٤١٣هـ.

٧٩. السيرة النبوية (سيرة ابن هشام) / عبدالملك بن هشام - تحقيق: طه عبدالرءوف سعد: دار الجيل - بيروت - ط الأولى - ١٤١١هـ.

٨٠. الشامل في القراءات المتواترة / محمد حبش: دار الكلم الطيب - دمشق - بيروت - ط الأولى - ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.

٨١. شذرات الذهب في أخبار من ذهب / الأديب أبو الفلاح عبدالحي بن العماد الحنبلي: دار الكتب العلمية - بيروت.

٨٢. شرح التصريح على التوضيح (وبهامشه حاشية الحمصي): / خالد بن عبدالله الأزهري: دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه.

٨٣. شرح الشافية / رضي الدين الإسترباذي - تحقيق: محمد محيي الدين وجماعة: مطبعة حجازي - القاهرة.

٨٤. شرح المفصل / ابن يعيش: عالم الكتب - بيروت، مكتبة المتنبي - القاهرة.

٨٥. صحيح البخاري / محمد بن إسماعيل البخاري - تحقيق: مصطفى ديب البغا: دار ابن كثير - اليمامة - بيروت - ط٣ - ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.

٨٦. الصحيح المسند من أسباب النزول / أبو عبدالرحمن الوادعي: دار ابن حزم - بيروت - ط٢ - ١٩٩٤م.

٨٧. صحيح مسلم / الإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري - تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٨٨. صحيح مسلم بشرح النووي / أبو زكريا يحيى بن شرف النووي: دار إحياء التراث العربي - بيروت - ط٢ - ١٣٩٢هـ.

٨٩. صفوة التفاسير / محمد علي الصابوني: دار إحياء التراث العربي - بيروت - ط الأولى - ٢٠٠٤م.

٩٠. طبقات الحفاظ / جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي: دار الكتب العلمية - بيروت - ط الأولى - ١٤٠٣هـ.

٩١. طبقات الحنابلة / محمد بن أبي يعلى أبو الحسين - تحقيق: محمد حامد الفقي: دار المعرفة - بيروت.

٩٢. طبقات الشافعية / أبو بكر ابن قاضي شهبة - تحقيق: الحافظ عبدالعليم خان: عالم الكتب - بيروت - ط الأولى - ١٤٠٧هـ.

٩٣. طبقات الشافعية الكبرى / تاج الدين السبكي - تحقيق: عبدالفتاح الحلو، محمود الطناحي: هجر للطباعة والنشر - الجيزة - ط٢ - ١٩٩٢م.
٩٤. طبقات المفسرين / الحافظ شمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداوودي - تحقيق: علي محمد عمر: مكتبة وهبة - القاهرة - ط٢ - ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م.
٩٥. طبقات المفسرين / عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي - تحقيق: علي محمد عمر: مكتبة وهبة - القاهرة - ط الأولى - ١٣٩٦هـ.
٩٦. غاية النهاية في طبقات القراء / شمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن الجزري: عني بنشره ج برجستراسر - دار الكتب العلمية - بيروت - ط٣ - ١٩٨٢م.
٩٧. الفائق في غريب الحديث / محمود بن عمر الزمخشري - تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم: دار المعرفة - بيروت - ط٢.
٩٨. فتح الباري شرح صحيح البخاري / أحمد بن علي بن حجر العسقلاني - تحقيق: عبدالعزيز بن عبدالله بن باز. ترقيم: محمد فؤاد عبدالباقي: دار الفكر.
٩٩. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير / محمد بن علي بن محمد الشوكاني - اعتنى به: يوسف الغوش: دار المعرفة - بيروت - ط٣ - ١٩٩٧م.
١٠٠. الفريد في إعراب القرآن المجيد / حسين بن أبي العز الهمذاني - تحقيق: فهمي حسن النمر وفؤاد علي مخيمر: دار الثقافة - الدوحة.
١٠١. **الفهرست** / محمد بن إسحاق أبو الفرج النديم - دار المعرفة - بيروت - ١٣٩٨هـ، ١٩٧٨م.
١٠٢. في رحاب التفسير / عبدالحميد كشك: المكتب المصري الحديث.
١٠٣. في ظلال القرآن / سيد قطب: دار الشروق - بيروت، القاهرة - ط الأولى - ١٩٨٩م.
١٠٤. القراءات أحكامها ومصدرها / شعبان محمد إسماعيل: مطبوعات رابطة العالم الإسلامي - جدة - السنة الثانية - ١٤٠٢هـ - العدد ١٩.
١٠٥. القراءات القرآنية (تاريخ وتعريف) / عبدالهادي الفضلي: دار القلم - بيروت - ط٣ - ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.
١٠٦. القراءات القرآنية من الوجهة البلاغية / فضل عباس: مجلة دراسات - المجلد الرابع عشر - العدد السابع - ١٩٨٧م.

١٠٧. القراءات القرآنية وموقف النحو والاستشراق منها / راضي نواصرة: مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع ـ اربد ـ الأردن ـ ٢٠٠٣م.

١٠٨. القراءات وأثرها في التفسير والأحكام (رسالة دكتوراة) / محمد بن عمر بن سالم بازمول ـ إشراف: د. عبدالستار فتح الله سعيد: دار الهجرة ـ الرياض ـ ط الأولى ـ ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م.

١٠٩. القراءات وأثرها في علوم العربية / محمد سالم محيسن: دار الجيل ـ بيروت ـ ط الأولى ـ ١٩٩٨م.

١١٠. كتاب الأغاني / أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني ـ تحقيق: سمير جابر: دار الفكر ـ بيروت ـ ط٢.

١١١. كتاب السبعة في القراءات / ابن مجاهد ـ تحقيق: شوقي ضيف: دار المعارف ـ ط٣.

١١٢. كتاب سيبويه / أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ـ تحقيق وشرح: عبدالسلام محمد هارون: عالم الكتب ـ بيروت ـ ١٩٧٥م.

١١٣. كتاب عمل اليوم والليلة / أحمد بن شعيب بن علي النسائي ـ تحقيق: فاروق حمادة: مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ط٢ ـ ١٤٠٦هـ.

١١٤. كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التفسير / أحمد بن عبدالحليم بن تيمية ـ تحقيق: عبدالرحمن محمد قاسم النجدي: مكتبة ابن تيمية.

١١٥. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل / أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ـ شرحه وضبطه وراجعه: يوسف الحمادي: مكتبة مصر ـ الفجالة.

١١٦. كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس/ إسماعيل بن محمد العجلوني ـ تحقيق: أحمد القلاش: مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ط٤ ـ ١٤٠٥هـ.

١١٧. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون / مصطفى بن عبدالله القسطنطيني الرومي الحنفي: دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م.

١١٨. الكشف عن وجوه القراءات وعللها وحججها / مكي بن أبي طالب القيسي ـ تحقيق: محيي الدين رمضان: مؤسسة الرسالة ـ ط٥ ـ ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م.

١١٩. كلمات القرآن تفسير وبيان / حسنين محمد مخلوف: ط٢ ـ ١٩٥٦م.

١٢٠. لباب النقول في أسباب النزول / جلال الدين السيوطي ـ خرج أحاديثه: محمود بن الجميل: مكتبة الصفا ـ القاهرة ـ ط الأولى ـ ٢٠٠٢م.

١٢١. اللباب في علوم الكتاب / ابن عادل الدمشقي الحنبلي - تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود وآخرون: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية - بيروت - ط الأولى - ١٩٩٨م.
١٢٢. لسان العرب / ابن منظور - تحقيق: عبدالله علي الكبير وآخرون: دار المعارف - القاهرة.
١٢٣. لطائف الإشارات لفنون القراءات / شهاب الدين القسطلاني - تحقيق وتعليق: الشيخ عامر السيد عثمان، د. عبدالصبور شاهين: لجنة إحياء التراث الإسلامي - القاهرة - ١٩٧٢م.
١٢٤. لمعة الاعتقاد / أبو محمد عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسي - تحقيق: بدر بن عبدالله البدر: دار السلفية - الكويت - ط الأولى - ١٤٠٦هـ.
١٢٥. المؤتلف والمختلف / محمد بن طاهر بن علي القيسراني - تحقيق: كمال يوسف الحوت: دار الكتب العلمية - بيروت - ط الأولى - ١٤١١هـ.
١٢٦. مباحث في التفسير الموضوعي / مصطفى مسلم: دار القلم - دمشق - ط الأولى - ١٩٨٩م.
١٢٧. مباحث في علوم القرآن / مناع القطان: مؤسسة الرسالة - بيروت - ط٩ - ١٩٨٠م.
١٢٨. مجاز القرآن / أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي - تحقيق: محمد فؤاد سزكين: مكتبة الخانجي بالقاهرة.
١٢٩. مجمع البيان في تفسير القرآن / أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي: دار الفكر - بيروت - ١٩٩٤م.
١٣٠. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد / علي بن أبي بكر الهيثمي: دار الريان للتراث، دار الكتاب العربي - القاهرة، بيروت - ١٤٠٧هـ.
١٣١. المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها / أبو الفتح عثمان بن جنِّي - تحقيق: علي النجدي ناصف، عبدالفتاح إسماعيل شلبي: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي - القاهرة - ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.
١٣٢. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز / القاضي أبي محمد عبدالحق بن غالب بن عطية الأندلسي - تحقيق: عبدالسلام عبدالشافي محمد: دار الكتب العلمية - بيروت - ط الأولى - ١٩٩٣م.
١٣٣. مختار الصحاح / محمد بن أبي بكر الرازي - عُني بترتيبه: محمود أفندي خاطر، وضبطه وراجعه: الشيخ حمزة فتح الله: طباعة نظارة المعارف العمومية - المطبعة الأميرية بمصر - ط٢ - ١٩١٠م.

١٣٤. المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز / شهاب الدين عبدالرحمن بن اسماعيل ابن إبراهيم (المعروف أبو شامة المقدسي) - تحقيق: طيار آلتي قولاج: دار صادر - بيروت - ١٣٩٥هـ، ١٩٧٥م.

١٣٥. المستدرك على الصحيحين / أبو عبدالله الحاكم النيسابوري - تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا: دار الكتب العلمية - بيروت - ط الأولى - ١٩٩٠م ١٤١١هـ.

١٣٦. المستنير في تخريج القراءات المتواترة / د. محمد سالم محيسن: دار الجيل - بيروت.

١٣٧. مسند أحمد / الإمام أحمد بن حنبل الشيباني: مؤسسة قرطبة - مصر.

١٣٨. مسند الفردوس بمأثور الخطاب / أبو شجاع شيرويه بن شهردار الديلمي - تحقيق: السعيد بن بسيوني زغلول: دار الكتب العلمية - بيروت - ط الأولى - ١٩٨٦م.

١٣٩. مشكل إعراب القرآن / مكي بن أبي طالب القيسي - تحقيق: حاتم صالح الضامن: مؤسسة الرسالة - بيروت - ط٤ - ١٩٨٨م.

١٤٠. معالم التنزيل المعروف بتفسير البغوي / أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي - تحقيق: خالد العك، مروان سوار: دار المعرفة - بيروت - ط٢ - ١٩٨٧م.

١٤١. معاني الأبنية في العربية / فاضل السامرائي: ساعدت جامعة بغداد على نشره - ط الأولى - ١٩٨١م.

١٤٢. معاني القراءات / أبو منصور الأزهري - تحقيق: أحمد فريد المزيدي: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية - بيروت - ط الأولى - ١٩٩٩م.

١٤٣. معاني القرآن / أبو جعفر النحاس - تحقيق: يحيي مراد: دار الحديث - القاهرة - ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م.

١٤٤. معاني القرآن / أبو زكريا الفراء: عالم الكتب - بيروت - ط٣ - ١٩٨٣م.

١٤٥. معاني القرآن / الأخفش - دراسة وتحقيق: عبدالأمير محمد أمير الورد: عالم الكتب - بيروت - ط الأولى - ١٩٨٥م.

١٤٦. معاني القرآن وإعرابه / أبو اسحاق إبراهيم بن السَّري الزجاج - تحقيق: د. عبدالجليل عبده شلبي: عالم الكتب - بيروت - ط الأولى - ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

١٤٧. معترك الأقران في إعجاز القرآن / الحافظ جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي - تحقيق علي محمد البجاوي: دار الفكر العربي.

١٤٨. معجم الأدباء (من العصر الجاهلي حتى سنة ٢٠٠٢م) / كامل سلمان الجبوري: منشورات محمد علي بيضون ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط الأولى ـ ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م.

١٤٩. معجم البلدان / أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي ـ تحقيق: عبدالعزيز الجندي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط الأولى ـ ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م.

١٥٠. معجم المقاييس في اللغة (مجلد واحد) / أبو الحسن ابن فارس ـ تحقيق: شهاب الدين أبو عمرو: دار الفكر ـ بيروت ـ ط الأولى ـ ١٩٩٤م.

١٥١. معجم مفردات ألفاظ القرآن / الراغب الأصفهاني ـ خرج آياته وشواهده: إبراهيم شمس الدين: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط الأولى ـ ١٩٩٧م.

١٥٢. معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار (مجلد واحد) / الإمام أبي عبدالله محمد ابن أحمد الذهبي ـ تحقيق: محمد حسن إسماعيل الشافعي: دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط الأولى ـ ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م.

١٥٣. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب / جمال الدين أبو محمد عبدالله بن يوسف بن هشام الأنصاري ـ تحقيق: مازن المبارك، محمد علي حمد الله: دار الفكر ـ بيروت ـ ط٦ ـ ١٩٨٥م.

١٥٤. المغني في توجيه القراءات العشر المتواترة / محمد سالم محيسن: دار الجيل بيروت ـ ط٢ ـ ١٩٨٨م.

١٥٥. المغني في علم التجويد برواية حفص عن عاصم / د. عبدالرحمن الجمل: ط٢ ـ ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

١٥٦. مفاتيح الأغاني في القراءات والمعاني / أبو العلاء الكرماني ـ دراسة وتحقيق: د. عبدالكريم مصطفى مدلج: دار ابن حزم ـ بيروت ـ ط الأولى ـ ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.

١٥٧. المقتطف من عيون التفاسير / مصطفى الخيري المنصوري ـ حققه وخرج أحاديثه: محمد علي الصابوني: دار السلام ـ القاهرة ـ ط الأولى ـ ١٩٩٦م.

١٥٨. ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل / أحمد بن الزبير الغرناطي ـ تحقيق: د. محمود كامل أحمد: دار النهضة العربية ـ بيروت ـ ١٩٨٥م.

١٥٩. الملخص في إعراب القرآن / الخطيب التبريزي ـ تحقيق: يحيي مراد: دار الحديث ـ القاهرة ـ ٢٠٠٤م.

١٦٠. مناهل العرفان في علوم القرآن / الشيخ محمد عبدالعظيم الزرقاني ـ تحقيق: أحمد بن علي: دار الحديث ـ القاهرة ـ ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.

١٦١. منجد المقرئين ومرشد الطالبين / ابن الجزري: دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م.

١٦٢. المنجد في الأعلام / مجموعة من المؤلفين: دار المشرق ـ بيروت ـ ط١٧ ـ ١٩٩١م.

١٦٣. منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل (هامش شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك) / محمد محيي الدين عبدالحميد: دار الخير ـ بيروت، دمشق ـ ط الأولى ـ ١٩٩٠م.

١٦٤. منهج الإمام الطبري في القراءات في تفسيره (رسالة ماجستير) / إعداد: د.عبدالرحمن الجمل: إشراف: د. فضل عباس ـ ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.

١٦٥. الموسوعة العربية العلمية / مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع ـ ط٢ ـ ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م.

١٦٦. ميزان الاعتدال في نقد الرجال / شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي ـ تحقيق: علي محمد معوض، عادل أحمد عبدالموجود: دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط الأولى ـ ١٩٩٥م.

١٦٧. الميسر في القراءات الأربع عشرة وبذيله أصول الميسر في القراءات الأربع عشرة وتراجم القراء الأربع عشر/ محمد فهد خاروف: دار الكلم الطيب ـ دمشق، بيروت ـ ط الأولى ـ ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م.

١٦٨. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة / جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي: المؤسسة المصرية العامة للتأليف ـ مصر.

١٦٩. النشر في القراءات العشر / الحافظ أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري ـ خرج أحاديثه: الشيخ زكريا عميرات: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط٢ ـ ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م.

١٧٠. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور / برهان الدين البقاعي ـ خرج آياته وأحاديثه: عبدالرازق المهدي: دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الأولى ـ ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.

١٧١. النكت والعيون (تفسير الماوردي) / أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي ـ راجعه وعلق عليه: السيد بن عبدالمقصود بن عبدالرحيم: دار الكتب العلمية ـ بيروت.

١٧٢. النهاية في غريب الحديث والأثر (في جزء واحد)/ مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير ـ أشرف عليه وقدَّم له: علي ابن عبدالحميد الحلبي الأثري: دار ابن الجوزي ـ السعودية ـ ط ٢ ـ ١٤٢٣هـ.

١٧٣. الهادي (شرح طيبة النشر في القراءات العشر والكشف عن علل القراءات وتوجيهها) / محمد سالم محيسن: دار الجيل ـ بيروت ـ ط الأولى ـ ١٩٩٧م.

١٧٤. همع الهوامع شرح جمع الجوامع في علم العربية / جلال الدين السيوطي: دار المعرفة ـ بيروت.

١٧٥. وفيات الأعيان وأنباء الزمان / أبو العباس ابن خلِّكان ـ تحقيق: إحسان عباس: دار الثقافة ـ بيروت ـ ١٩٦٨م.

كتب ومواقع إلكترونية:

١. الاختلاف في القراءات القرآنية وأثره في اتساع المعاني / إياد السامرائي: (شبكة المعلومات الدولية ـ شبكة التفسير والدراسات القرآنية www. Tafsir.net).

٢. أهم الإشارات الطبية والعلمية لقصة أصحاب الكهف / دكتور محمد الحبال. (شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) ـ جوجل ـ موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة).

٣. الكشف والبيان عن تفسير القرآن / أبو اسحاق أحمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري: (شبكة المعلومات الدولية ـ شبكة التفسير والدراسات القرآنية www. Tafsir.net).

٤. المعنى القرآني في ضوء اختلاف القراءات / د.أحمد سعد الخطيب (شبكة المعلومات الدولية ـ شبكة التفسير والدراسات القرآنية www. Tafsir.net).

٥. موقع لمسات: شبكة المعلومات الدولية ـ جوجل http://www.lamasaat.8m.com/).

مكتبات إلكترونية مُساعِدة:

١. مكتبة التفسير وعلوم القرآن.

٢. المكتبة الألفية للسنة النبوية.

٣. مكتبة اللغة العربية وعلومها.

٤. مكتبة التاريخ والحضارة الإسلامية.

فهرست الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الجامعة الإسلامية - غزة
عمادة الدراسات العليا
كلية أصول الدين
قسم التفسير وعلوم القرآن

تفسير القرآن
بالقراءات القرآنية العشر
من خلال سور: طه والانبياء والحج والمؤمنون

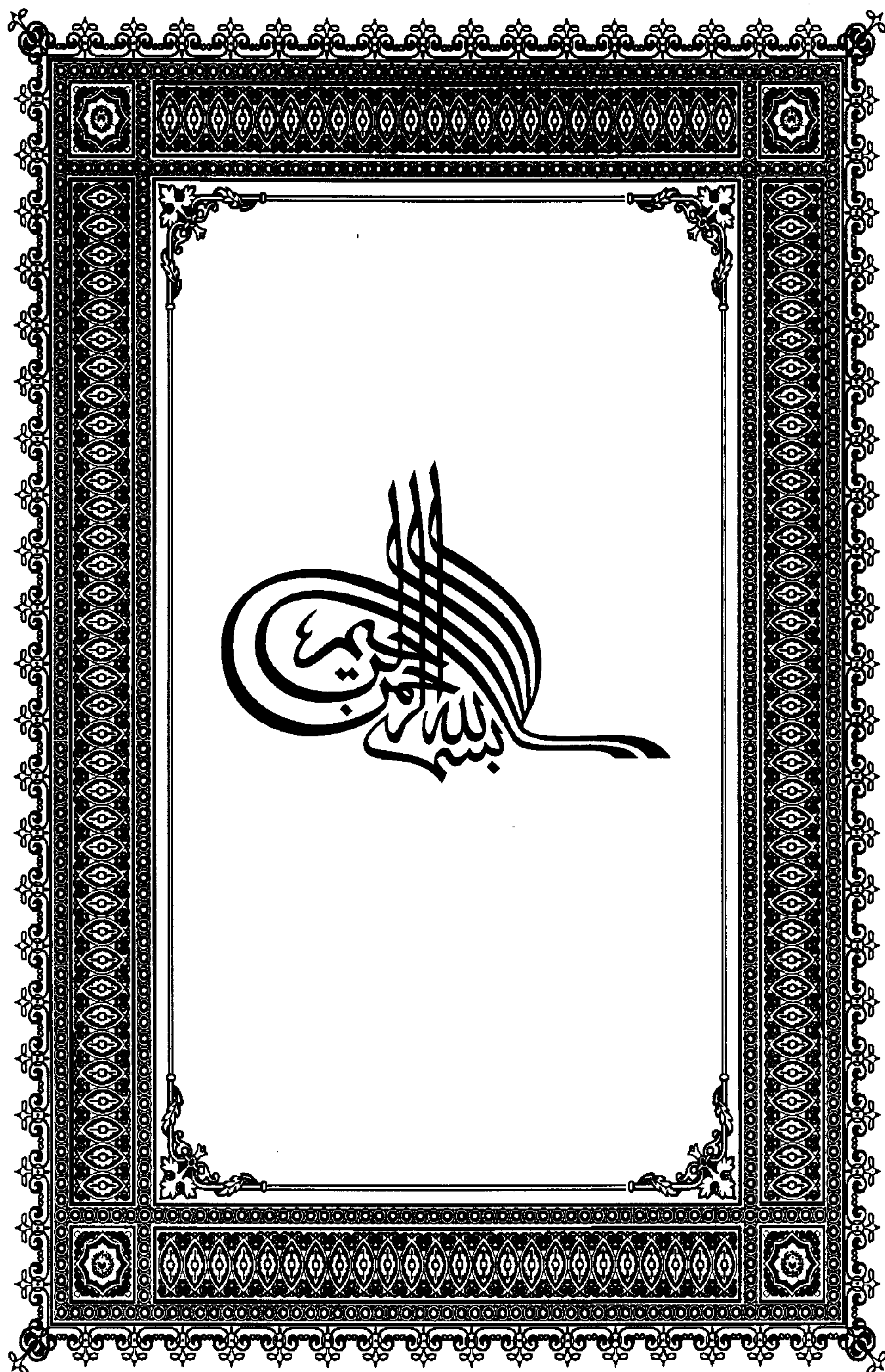
إعداد الباحثة
آمال محمود الفلاح

إشراف
د. زهدي ابو نعمة

ضبط ومراجعة
د. مروان محمد أبوراس

الجزء السابع

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير
في التفسير وعلوم القرآن
١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م


بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٢ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ ٥٣﴾

[الشورى: ٥٢ ـ ٥٣].

شكر وتقدير وعرفان

الحمد لله حمداً كثيراً طيِّباً مباركاً يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه، وأفضل الصلاة والسلام على نبيّه الذي اصطفى من خلقه... أمّا بعد:

في مستهلّ هذه الرسالة أُسجِّل عجز لساني عن إيفاء الله - ﷻ - حقَّه من الشكر والعرفان، وامتثالاً لقوله تعالى ﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾ [لقمان: ١٢] وقول الرسول ﷺ: (لا يشكر الله من لا يَشْكُرُ الناس)[1] فإنّني أسجِّلُ هنا هذا الشكر والتقدير والعرفان...

فأتوجّه بالشكر والعرفان والتقدير إلى معلّمي الجليل وأستاذي الفاضل:

الدكتور: زهدي محمد أبو نعمة

المشرف على إعداد هذه الرسالة لقاءَ ما أولاني من الرعاية والعناية خلال فترة البحث، فله مني كلَّ التقدير والاحترام، وجلَّ الشكر والعرفان،

(١) أخرجه البخاري في كتابه: الأدب المفرد ج١/ص٨٥ /ح ٢١٨ كتاب: المعروف، باب: من لم يشكر الناس. وأبو داود في سننه ج٢ /ص٦٧١ /ح ٤٨١١ كتاب الأدب، باب: في شكر المعروف. وأحمد بن حنبل في مسنده ج٢/ ص٢٩٥، ح ٧٩٢٦ مسند المكثرين من الصحابة، مسند أبي هريرة. والطبراني في المعجم الكبير ج١ / ص١٩٥ / ح٥١٩. والبيهقي في شعب الإيمان ج٦ / ص ٥١٦ / ح ٩١١٧. وأبو نعيم في حلية الأولياء ج ٧/ ص ١٦٥. وآخرون. وقال الشيخ الألباني: صحيح.

وجزاه الله عني خير الجزاء، وجعل جهوده المضنية في تدقيق بحثي، وإسداء النصح والتوجيهات القيمة لي في ميزان حسناته، وأجزل له الثواب والعطاء.

كما أخص بالشكر والعرفان والتقدير كلًّا من أستاذيَّ الفاضلين:

الدكتور: عبد الرحمن يوسف الجمل

والدكتور: وليد محمد العامودي.

الذَّين شرَّفاني بقَبولهما مناقشة هذا البحث، وإثرائه بالنصائح والتوجيهات القيِّمة. فجزاهما الله عنِّي خير الجزاء على ما بذلاه من جهدٍ مشكورٍ لإخراج بحثي هذا في أبهى وأجمل حلَّةٍ، وجعل جهودهما العظيمة في ميزان حسناتهما، وأجزل لهما الثواب والعطاء.

وأثني بالشكر الجزيل، وجُلَّ العرفان والتقدير، إلى جامعتي الحبيبة:

الجامعة الإسلامية بغزة

حاضنة العلم والعلماء، وإلى القائمين عليها من الفضلاء، والعاملين فيها من الأجلاّء، وأخص بالشكر والعرفان الجميل كلية أصول الدين: عمادةً ومدرِّسين وعاملين، كما أخص بشكرٍ أعمق وبعرفان أخص قسم الدراسات العليا: عمادةً ومدرِّسين وعاملين، وأخص منهم بالشكر والعرفان والتقدير من تتلمذت على أيديهم في البكالوريوس أو الماجستير، أو كليهما معاً أمثال: فضيلة الدكتور: عبد السلام اللوح، وفضيلة الدكتور: زكريا الزميلي، وفضيلة الدكتور: عبد الكريم الدهشان، بالإضافة إلى فضيلة الدكتور: عبد الرحمن الجمل.

كما أُبرِقُ بشكري وعرفاني إلى المكتبة المركزية في الجامعة بجميع العاملين فيها، وأخص منهم بالذكر الأخ الأستاذ إبراهيم الكرد، والأخ الأستاذ أدهم عمّار؛ على ما أمدَّاني به من برامج قيِّمة مفيدة، والأخ الأستاذ هاني الصوص الذي أفادني إفادةً جمَّة في تنسيق هذه الرسالة، فجزاهم الله عني خير الجزاء، وجعل جهودهم في ميزان حسناتهم.

كما أتقدَّم بعظيم الشكر والعرفان والتقدير إلى أمِّي الحبيبة التي اختصَّتني ببركة دعائها.

وإلى رفيق دربي زوجي الغالي، الذي شجعني على إتمام دراستي الجامعية، وتحمل معي مشاق الدراسة سنوات طويلة.

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى أبنائي الأعزاء، وأخص بالذكر ابنتي الحبيبة شيماء لما تحملت معي لأستطيع إتمام هذه الرسالة، فبارك الله فيها ولها، وجعلها وبنات المسلمين من أهل القرآن العظيم، وإلى أهلي جميعاً، وأخصُّ بالذكر زوج أختي الأستاذ بسام المشهراوي الذي ترجم ملخص الرسالة إلى اللغة الإنجليزية، وابنَي أختيَّ الحبيبين: المهندس عصام نصر، والأستاذ ماهر نايف على مجهوداتهما العظيمة معي من أجل إتمام هذا البحث.

وأخصّ بشكري الجزيل وعرفاني بالجميل، وتقديري فضيلة الأستاذ الكبير: محمد عوض الله على تفضُّله بقبول تدقيق هذا البحث لغوياً، وعلى ما بذله من جهد مشكور في سبيل ذلك، فجزاه الله عني خير الجزاء وجعله في ميزان حسناته يوم القيامة.

وكذلك أتقدم بالشكر والتقدير إلى أسرتي التعليمية بجميع أفرادها، وأخص بالذكر مديرة المدرسة السيدة سلوى الصيرفي، ووكيلتها السيدة أنسام دردونة على ما قدَّمتاه لي من تسهيلات في أثناء الدراسة.

ولا أنسى من شكري الجزيل أخواتي اللاتي أحببتهن في الله حباً جماً، وقد جمعتني بهنَّ الدراسة في برنامج الماجستير، ثم شاركتهنَّ خدمة كتاب الله العزيز في الدنيا، والله أسألُ أنْ يجمعني بهنَّ على حوض نبيّه ﷺ في الآخرة، وأخص بالذكر الأخت هيفاء رضوان التي أعدت خطة هذا البحث لي وللذين شاركوا في هذه الدراسة بالخطة نفسها، فجزاها الله عني وعنهم خير الجزاء، وجعل جهودها المخلصة لله في ميزان حسناتها يوم القيامة.

وقبل الختام أُقدِّمُ لكلّ من أسدى إليّ أثناء البحث إحساناً، أو ساهم في تسهيل مهمتي، أو جاد عليّ ببعض وقته أو جهده منّي الشكر، وأرجو له من الله الأجر.



مفتاح مختصرات الرسالة

الإبانة	= الإبانة عن معاني القراءات لمكي بن أبي طالب.
الإتحاف	= إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر للبنا الدمياطي.
الإتقان	= الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي.
إتمام الأعلام	= إتمام الأعلام لنزار أباظة ومحمد المالح.
الأحرف السبعة	= الأحرف السبعة ومنزلة القراءات منها لحسن عتر.
أحكام القرآن للشافعي	= أحكام القرآن لمحمد بن إدريس الشافعي.
الأدوات النحوية	= الأدوات النحوية في كتب التفسير للدكتور: محمود الصغير.
الأساس	= الأساس في التفسير ـ لسعيد حوى.
الإسرائيليات	= الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير لأبي شهبة.
أسماء القبائل	= أسماء القبائل وأنسابها ـ للقزويني.
الأصحاب	= حمزة والكسائي وخلف.
الإعجاز العلمي	= الإعجاز العلمي في القرآن الكريم لعبد السلام اللوح.
إعجاز القرآن	= إعجاز القرآن والبلاغة النبوية للرافعي.

إعراب القراءات السبع = إعراب القراءات السبع وعللها لابن خالويه.

إعراب القرآن = إعراب القرآن الكريم وبيانه لمحيي الدين الدرويش.

إعراب ثلاثين سورة = إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم لابن خالويه.

الإقناع = الإقناع في القراءات السبع لأبي جعفر الأنصاري.

إنباه الرواة = إنباه الرواة على أنباء النحاة لأبي الحسن القفطي.

أيسر التفاسير = أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير للجزائري.

البدر الطالع = البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع للشوكاني.

البدور الزاهرة = البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريق الشاطبية والدرة لعبد الفتاح القاضي.

البرهان = البرهان في علوم القرآن للزركشي.

بصائر ذوي التمييز = بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزأبادي.

البصريان = أبو عمرو ويعقوب.

بغية الوعاة = بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي.

بلاغة الكلمة = بلاغة الكلمة في التعبير القرآني لفاضل السامرائي.

بيان السبب = بيان السبب الموجب لاختلاف القراءات وكثرة الطرق والروايات للمهدوي ضمن كتاب: أربعة كتب في علوم القرآن للمهدوي ولابن برّي وللصفاقُسي ولمجهول.

تاج العروس = تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي.

التبيان = التبيان في تفسير غريب القرآن لشهاب الدين المصري.

تحبير التيسير = تحبير التيسير في قراءات الأئمة العشرة لابن الجزري.

تخريج الظلال = تخريج أحاديث وآثار كتاب: (في ظلال القرآن لسيد قطب) لعلوي السقّاف.

تسمية فقهاء الأمصار = تسمية فقهاء الأمصار من أصحاب رسول الله ومن بعدهم للنسائي.

التعديل والتجريح = التعديل والتجريح لمن خرَّج له البخاري في الجامع الصحيح لأبي الوليد الباجي.

تفسير ابن كثير = تفسير القرآن العظيم لابن كثير.

تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود.

تفسير البغوي = معالم التنزيل في التفسير والتأويل لأبي محمد البَغَوي.

تفسير الرازي = التفسير الكبير للفخر الرازي.

تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي.

تفسير السمرقندي = بحر العلوم لأبي الليث نصر السمرقندي.

تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري.

رسالة ماجستير الملاحي = تفسير القرآن بالقراءات العشر من خلال سور (الفاتحة، البقرة، وآل عمران) لعبد الله الملاحي.

تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن للقرطبي.

تفسير الماوردي = النكت والعيون لأبي الحسن الماوردي.

تفسير المنير = التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج للزحيلي.

تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي.

التفسير الوسيط لطنطاوي = التفسير الوسيط للقرآن الكريم لسيد طنطاوي.

التوجيه اللغوي = التوجيه اللغوي لقراءة عاصم لصبري المتولّي.

التوقيف = التوقيف على مهمّات التعاريف للمناوي.

الجواهر الحسان = الجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي.

الجوهر المصون = الجوهر المصون في رواية قالون للسيِّد هادي السَّقَّافِ.

حاشية الشهاب = حاشية الشهاب المسماة: عناية القاضي وكفاية الراضي لشهاب الدين الخفاجي.

حاشية القونوي = حاشية القونوي على تفسير البيضاوي لإسماعيل بن محمد الحنفي.

حسن المحاضرة = حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة للسيوطي.

حلية الأولياء = حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم الأصبهاني.

حلية البشر = حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر للبيطار.

الدر المصون = الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي.

الدر المنثور = الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي.

الدرر الكامنة = الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني.

دقائق التفسير = دقائق التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن تيميّة لمحمد السيد الجليند.

دقائق لغة القرآن = دقائق لغة القرآن في تفسير ابن جرير الطبري لعبد الرحمن عميرة.

دلالات الظاهرة الصوتية = دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم لخالد قاسم بن دومي.

ديوان جرير = ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب.

روح البيان = روح البيان في تفسير القرآن لإسماعيل بن مصطفى الحنفي الخَلْوَتي.

روح المعاني = روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي.

الريح والرياح = الريح والرياح في القرآن الكريم وفي كلام العرب لعلي محمد العماري.

زاد المسير = زاد المسير في علم التفسير لأبي الفرج بن الجوزي.

سراج القارئ المبتدئ = سراج القارئ المبتدئ وتذكار القارئ المُنتهي لعلي القاصِح.

سنن الترمذي = الجامع الصحيح للترمذي.

شذرات الذهب = شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي.

شرح التصريح = شرح التصريح على التوضيح لخالد الأزهري.

شرح الرضي = شرح الرضي على الكافية ليوسف حسن عمر.

صحيح ابن حبّان = صحيح ابن حبّان بترتيب ابن بلبان لأبي حاتم البستي.

صحيح البخاري = الجامع الصحيح المختصر للبخاري.

ضعفاء العقيلي = الضعفاء الكبير لمحمد بن عمر بن موسى العقيلي.

طبقات الشافعية = طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين عبد الوهاب السبكي.

طبقات المفسرين = طبقات المفسرين لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي.

طبقات المفسرين للأدنروي = طبقات المفسرين لأحمد بن محمد الأدنروي

طبقات المفسرين للداوودي = طبقات المفسرين لمحمد بن علي الداوودي.

طبقات النحويين = طبقات النحويين واللغويين لأبي بكر محمد الزبيدي.

طلائع البشر = طلائع البشر في توجيه القراءات العشر لمحمد الصادق قمحاوي.

عارضة الأحوذي = عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي لابن العربي المالكي.

غاية النهاية = غاية النهاية في طبقات القرّاء لمحمد بن الجزري.

غرائب القرآن = غرائب القرآن ورغائب الفرقان على مصحف التهجد لنظام الدين الحسن القمي.

غريب القرآن = غريب القرآن وتفسيره لعبد الله بن المبارك.

غيث النفع = غيث النفع في القراءات السبع لعلي النّوري الصفاقسي.

فتح الباري = فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني.

فتح القدير = فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير لمحمد بن علي الشوكاني.

الفتوحات الإلهية = الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية لسليمان بن عمر العجيلي الشهير بالجمل.

الفريد = الفريد في إعراب القرآن المجيد (إعراب، تفسير، قراءات) للمنتجب حسين بن أبي العز الهمذاني.

فريدة الدهر = فريدة الدهر في تأصيل وجمع القراءات العشر لمحمد إبراهيم محمد سالم.

فضائل القرآن = فضائل القرآن ومعالمه وآدابه لأبي عبيد القاسم بن سلام.

فنون الأفنان = فنون الأفنان في عيون علوم القرآن لأبي الفرج بن الجوزي.

فهرس الفهارس	= فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات لعبد الحي بن عبد الكبير الكتاني.
القراءات المتواترة	= القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني والأحكام الشرعية لمحمد الحبش.
القواعد والإشارات	= القواعد والإشارات في أصول القراءات لأحمد بن عمر بن محمد الحموي.
الكاشف	= الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة لمحمد بن أحمد الذهبي.
الكشاف	= الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل لمحمود الزمخشري.
الكشف	= الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها لمكي بن أبي طالب القيسي.
كشف الظنون	= كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لإسماعيل باشا البغدادي القسطنطيني.
كنز العمال	= كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال لعلي بن حسام الدين المتقي الهندي.
الكواكب الدرية	= الكواكب الدرية في نزول القرآن على سبعة أحرف لمحمد بن علي الحداد.
الكواكب السائرة	= الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة للشيخ نجم الدين الغزي.
الكوفيون	= عاصم، وحمزة، والكسائي، وخلف.
لب الألباب	= لب الألباب في تحرير الأنساب لجلال الدين السيوطي.

اللباب = اللباب في تهذيب الأنساب لعزّ الدين بن الأثير.

لباب النقول = لباب النقول في أسباب النزول لعبد الرحمن السيوطي.

اللغات = اللغات في القرآن لتوفيق محمد شاهين.

ما انفرد به كل من القرّاء السبعة = ما انفرد به كل من القرّاء السبعة وتوجيهه في النحو العربي للدكتور عبد القادر الهَيْتي.

المبصر = المبصر لنور القرآن لنائلة هاشم صبري.

المجتبى = المجتبى من السنن لأبي عبد الرحمن النسائي.

مجمع البيان = مجمع البيان في تفسير القرآن بالقرآن للطبرسي.

مجمع الزوائد = مجمع الزوائد ومنبع الفوائد لعلي بن أبي بكر الهيثمي.

المحتسب = المحتسب في تبيين شواذ القراءات والإيضاح عنها لابن جني.

المدنيان = نافع وأبو جعفر.

المحرر الوجيز = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الأندلسي.

المرشد الوجيز = المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز لأبي شامة المقدسي.

المزهر = المزهر في علوم اللغة وأنواعها لجلال الدين السيوطي.

المستدرك = المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري.

المستنير = المستنير في تخريج القراءات المتواترة من حيث اللغة، الإعراب، التفسير. لمحمد سالم محيسن.

المسند الصحيح	= المسند الصحيح من أسباب النزول لمقبل بن هادي الوادعي.
المصباح المنير	= المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي لأحمد بن محمد بن علي الفيومي.
المصنف	= المصنف في الأحاديث والآثار لأبي بكر بن محمد بن أبي شيبة الكوفي.
المصنف الحديث	= المصنف الحديث في أسباب النزول لإسماعيل عمّار.
معاني القراءات	= معاني القراءات لأبي منصور محمد الأزهري.
معاني القرآن	= معاني القرآن لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء.
معترك الأقران	= معترك الأقران في إعجاز القرآن لجلال الدين السيوطي.
معجم الأدباء للجبوري	= معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة ٢٠٠٢م لكامل سلمان الجبوري.
معجم الشعراء	= معجم الشعراء المخضرمين والأمويين لعزيزة فوال بابتي.
المعجم المفصّل	= المعجم المفصّل في تفسير غريب القرآن الكريم لمحمد ألتونجي.
معجم ما استعجم	= معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع لعبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي.
معرفة القرّاء الكبار	= معرفة القرّاء الكبار على الطبقات والأعصار للذهبي.
مغني اللبيب	= مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لجمال الدين بن هشام الأنصاري.
المغني للجمل	= المغني في علم التجويد برواية حفص عن عاصم لعبد الرحمن الجمل.

المغني لمحيسن = المغني في توجيه القراءات العشر لمحمد سالم محيسن.

مفاتيح الأغاني = مفاتيح الأغاني في القراءات والمعاني لأبي العلاء الكرماني.

المفردات = مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني.

المقتطف = المقتطف من عيون التفاسير لمصطفى الحصن المنصوري.

الملخَّص = الملخَّص في إعراب القرآن للخطيب التبريزي.

مناهل العرفان = مناهل العرفان في علوم القرآن لعبد العظيم الزرقاني.

منجد المقرئين = منجد المقرئين ومرشد الطالبين لمحمد بن الجزري.

منهج الإمام الطبري في القراءات = منهج الإمام الطبري في القراءات في تفسيره لعبد الرحمن يوسف الجمل.

الموضح = الموضح في وجوه القراءات وعللها لابن أبي مريم.

النجوم الزاهرة = النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ليوسف تغري بردي الأتابكي.

النشر = النشر في القراءات العشر لمحمد بن الجزري.

نظم الدرر = نظم الدرر في تناسب الآيات والسور لبرهان الدين البقاعي.

نفح الطيب = نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب لأحمد بن محمد المقري التلمساني.

النهاية = النهاية في غريب الحديث والأثر للمبارك بن محمد الجزري.

همع الهوامع = همع الهوامع شرح جمع الجوامع في علم العربية للسيوطي.

وجوه من الإعجاز الموسيقي = وجوه من الإعجاز الموسيقي في القرآن للدكتور محيي الدين رمضان.

الفصل الأول

تفسير سورة (طه) من خلال القراءات القرآنية العشر

ويشتمل على مبحثين هما:

المبحث الأول: تعريف بسورة (طه).

المبحث الثاني: عرض وتفسير لآيات سورة (طه) المتضمنة للقراءات.

المبحث الأول
التعريف بسورة طه

ويشتمل على النقاط التالية:

أولاً: اسم السورة.

ثانياً: نوع السورة.

ثالثاً: عدد آيات السورة.

رابعاً: فضائل السورة.

خامساً: مناسبة السورة لما قبلها.

سادساً: هدف السورة وأغراضها.

سابعاً: محور السورة.

ثامناً: مضمون السورة وما اشتملت عليه.

المبحث الأول
التعريف بسورة طه

أولاً: اسم السورة:

سميت (سورة طه) بهذا الاسم لأنها ابتدأت بالنداء بها ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢﴾ وهو اسم من أسماء النبيّ ﷺ.

يقول الطاهر بن عاشور ـ رحمه الله ـ: «سميت سورة (طاها) باسم الحرفين المنطوق بهما في أولها، ورُسِمَ الحرفان بصورتهما لا بما يَنطق به الناطق من اسميهما تبعا لرسم المصحف»[٢].

ويقول الصابوني[٣]ـ رحمه الله ـ عن تسمية السورة: «سميت (سورة طه) وهو اسم من أسمائه الشريفة ﷺ تطييباً لقلبه، وتسلية لفؤاده عمّا يلقاه من صدودٍ وعناد، ولهذا ابتدأت السورة بملاطفته بالنداء ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢﴾»[٤].

---

(٢) التحرير والتنوير ج١٦/ص١٧٩.

(٣) هو محمد علي الصابوني، من أساتذة كلية الشريعة بمكة المكرمة، كان له نشاط في علوم القرآن والتفسير ومن ثم قام بتأليف عدة كتب في التفسير وعلوم القرآن، أكثرها مختصرات، وهو أشعري الاعتقاد مما جعل كتبه واختصاراته عرضة للنقد والرد. انظر: شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) ـ جوجل ـ موقع الإسلام سؤال وجواب.

(٤) صفوة التفاسير ج٢/ص١٩٨. وانظر: التفسير المنير ج١٦/ص١٧٤.

ثانياً: نوع السورة:

السورة مكيّة إجماعاً[٥].

ثالثاً: عدد آيات السورة:

عدد آيات السورة ـ كما ورد في معظم المصاحف المتداولة بين أيدينا ـ مائة وخمس وثلاثون آية، إلا أنّ هناك اختلافاً في عدد آياتها.

يقول الصفاقسي[٦]ـ رحمه الله ـ عن سورة (طه): «مكيّة إجماعاً، وآياتها مائة وثلاثون واثنتان بصري، وأربع حجازي، وخمس كوفي، وثمانٍ حمصي، وأربعون دمشقي»[٧].

رابعاً: فضائل السورة:

من فضائل سورة (طه) أنها من أوائل ما نزل من القرآن، فقد أخرج البخاري، وابن مردوية[٨]عن ابن مسعود أنّه قال في بني إسرائيل، والكهف، ومريم، وطه، والأنبياء: (إنَّهنَّ منَ العتاق الأُوَل، وهنَّ من تلادي[٩])[١٠]

(٥) انظر: غيث النفع ص١٨٠. وانظر أيضاً: في رحاب التفسير ج١٣/ص٢٣٥٧.

(٦) هو علي النّوري بن محمد، أبو الحسن: فاضل مجاهد، من أهل صفاقس، مولده ووفاته فيها، انتقل إلى تونس، ورحل إلى مصر، ثمّ تصدَّر للتدريس في بلده، وكان يبذل من ماله ما يجهِّز به الغزاة في البحر، وكان لا يأكل إلا من عمل يده، له تآليف. انظر: الأعلام ج٥/ص٣٠.

(٧) غيث النفع ص١٨٠.

(٨) هو أحمد بن موسى بن مردوية الأصبهاني، أبو بكر، من أهل أصبهان، ولد سنة ٣٢٣هـ: حافظ مؤرخ مفسر، له كتاب التاريخ ومسند ومستخرج في الحديث، توفى سنة ٤١٠هـ [انظر: الأعلام ج١/ص٢٦٠].

(٩) (العتاق): جمع عتيق، وهو كل شيء بلغ الغاية في الجودة، والمراد تفضيل هذه السور لما يتضمنه كل منها من أمر غريب خارق للعادة، كالإسراء، وقصة أصحاب الكهف، وقصة حمل مريم ـ عليها السلام ـ ونحو ذلك. (الأوَل): باعتبار نزولها؛ فإنها نزلت في مكة قبل الهجرة. (تلادي): محفوظاتي القديمة، والتالد والتلاد: كل ما كان قديماً. انظر: صحيح البخاري ج٤/ص١٧٤١.

(١٠) أخرجه البخاري في صحيحه ج٤/ص١٧٤١، ح ٤٤٣١، كتاب التفسير، سورة بني إسرائيل (الإسراء).

أي فهي مشتركة في قِدَم النزول، وكونها مكيّات، واشتمالها على القصص[١١].

كما أنّ الله تعالى شرح صدر عمر بن الخطاب ﷺ للإسلام حين قرأها في بيت أخته فاطمة بنت الخطّاب بعد أنْ بطش بها وبزوجها سعيد بن زيد ﷺ، لَمَّا علم بإسلامهما. وقد ذكَرت كثيرٌ من كتب التفسير قصةَ إسلام عمر بن الخطاب ﷺ، وكيف شرح الله صدره للإسلام بفضل سورة (طه) بمشيئة الله ـ تعالى ـ دون غيرها من السور، ليكون إسلامه بعد قراءته لهذه السورة[١٢].

خامساً: مناسبة السورة لما قبلها:

سورة (طه) هي السورة الأولى من المجموعة الثالثة والأخيرة من قسم المئين الذي هو القسم الثاني من أقسام القرآن الكريم.

وكما أنَّ السورة التي تسبقها في المصحف هي سورة مريمَ، فقد سبقتها أيضاً في النزول حيث إنَّ (سورة طه) نزلت بعد (سورة مريم) كما روى ابن عباس ﷺ، كما أنَّ هناك تناسباً بين نهاية سورة مريم وبداية سورة طه، بالإضافة إلى تفصيل قصص بعض الأنبياء الذين ذكرتهم سورة مريم بإيجاز.

و«تظهر مناسبة هذه السورة لما قبلها من وجوه هي:

__أولاً__: أنَّ سورة (طه) نزلت بعد سورة (مريم)، كما روي عن ابن عباس.

__ثانياً__: أنّه ذكر في سورة مريم قصص عدد من الأنبياء والمرسلين (عشرة) مثل: زكريا، ويحيى، وعيسى، وإبراهيم، وموسى ذكرت قصته

---

(١١) انظر: التفسير المنير ج١٥/ص٥.

(١٢) للتعرف على تفاصيل قصة إسلام عمر ﷺ انظر: تفسير القرطبي ج٦/ص٤٢٠٣ ـ ٤٢٠٤، والتفسير المنير ج١٦/١٨٢ ـ ١٨٣.

موجزة مجملة، فذُكِرَت في هذه السورة موضَّحة مفصَّلة، كما وضَّحت قصة آدم عليه السلام الذي لم يُذكَر في سورة مريم إلا مجرَّد اسمه فقط.

ثالثاً: أنَّه ذكر في آخر سورة مريم تيسير القرآن باللسان العربي، لسان محمد ﷺ للتبشير والإنذار، وابتُدِئ ذكرُ هذه السورة بتأكيد هذا المعنى»[١٣].

يقول السيوطي ـ رحمه الله ـ: «أقول: روينا عن ابن عباس وجابر بن زيد[١٤] في ترتيب النزول أنَّ طه نزلت بعد سورة مريم، بعد ذكر سورة أصحاب الكهف، وذلك وحده كافٍ في مناسبة الوضع مع التآخي بالافتتاح بالحروف المقطعة. وظهر لي وجهٌ آخر وهو أنه لما ذكرت في سورة مريم قصص عدة من الأنبياء وهم زكريا ويحيى وعيسى والثلاث مبسوطة، وإبراهيم وهي بين البسط والايجاز، وموسى وهي موجزة بجملة، أشير إلى بقية النبيين في الآية الأخيرة إجمالاً، وذكر في هذه السورة شرح قصة موسى التي أجملت هناك، فاستوعبت غاية الاستيعاب، وبسطت أبلغَ بسطٍ، ثم أشير إلى تفصيل قصة آدم الذي ورد مجرد اسمه هناك ثم أورد في سورة الأنبياء بقيةَ قصصِ مَن لم يُذكر في مريم: كنوح، ولوط، وداود، وسليمان وأيوب وذي الكفل وذي النون، وأشير إلى قصة من ذُكرت قصته إشارةً وجيزةً كموسى وهارون وإسماعيل وزكريا ومريم لتكون السورتان كالمتقابلتين، وبُسِطت فيها قصةُ إبراهيم البسطَ التام فيما يتعلقُ به مع قومه، ولم تذكر حاله مع أبيه إلا إشارة، كما أنه في سورة مريم ذكرت حاله مع قومه إشارةً، ومع أبيه مبسوطاً، فانظر إلى عجيب هذا الأسلوب وبديع هذا

---

(١٣) التفسير المنير ج١٦/ص١٧٤.

(١٤) هو: «أبو الشعثاء، اسمه: جابر بن زيد الأزدي اليحمدي، كان مولده بالحرقة ناحية بالقرب من عُمان، فاستوطن بالبصرة، ونزل بها في الأزد، كان من علماء التابعين بالقرآن، وفقهاء أهل البصرة في الدين. مات هو وأنس بن مالك في جمعة واحدة سنة ثلاث وتسعين». مشاهير علماء الأمصار ج١/ ص ٨٩، وانظر: التعديل والتجريح ج١ / ص ٤٥٧، الأسامي والكنى ج١/ص ٨٨، و تسمية فقهاء الأمصار ج١/ ص١٢٧.

الترتيب»[١٥].

سادساً: أهداف السورة وغرضها:

تعددت أهداف سورة (طه)، ولكونها من السور المكيَّة، فقد كانت لها أهداف السور المكيَّة نفسها، التي تركِّز على إثبات الوحدانية لله ـ ﷻ ـ والنبوة لحبيبه محمد ﷺ بالإضافة إلى إثبات البعث والنشور.

وكان غرضُها ـ بالإضافة إلى ما سبق ـ تكريم سيدنا محمد ﷺ، ومؤازرته حتى يستطيع تحمُّل أعباء الرسالة، ومعاندة قومه وتكذيبهم له، وليعلم أنَّه المنتصر عليهم في النهاية، وهذه سنَّة الله في الكون، وهي أنَّه لا بد أنْ ينصرَ رسله، وما على الرسول إلا البلاغ.

يقول الصابوني ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ عن أهداف السورة ما يلي نصه: «... وهي تبحث عن نفس الأهداف للسور المكية، وغرضها تركيز أصول الدين (التوحيد، والنبوة، والبعث، والنشور)، في هذه السورة الكريمة تظهر شخصية الرسول ﷺ في شد أزره، وتقوية روحه، حتى لا يتأثر بما يُلقى إليه من الكيد، والعناد، والإستهزاء، والتكذيب، ولإرشاده إلى وظيفته الأساسية، وهي التبليغ، والتذكير، والإنذار، والتبشير، وليس عليه أنْ يجبر الناس على الإيمان»[١٦].

سابعاً: محور السورة:

تتركز موضوعات السورة حول محور أساسيّ فيه، ألا وهو تفصيل صفات المؤمنين، وإننا نلحظ ذلك من خلال كون القرآن تذكرة لمن يخشى، وتثبيت شخصية النبي ﷺ في قيامه بواجب الدعوة إلى الله، ثم من خلال قصة موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مع فرعون أولاً، ثم مع بني إسرائيل ثانياً، والحساب العادل يوم القيامة وفوز المؤمنين وهلاك المشركين الذين يعرضون عن القرآن الكريم ومن خلال كل ذلك وغيره مما احتوته السورة تتبين

(١٥) أسرار ترتيب القرآن ص ١٠٨ ـ ١٠٩(بتصرف بسيط).

(١٦) صفوة التفاسير ج٢/ص١٩٨.

صفات المؤمنين الذين يفوزون بالدار الآخرة.

يقول الأستاذ سعيد حوى[17] **- رَحِمَهُ اللَّهُ -:** «فإننا لم نبعد إذا قلنا إنَّ محور سورة (طه) هو الآيات الخمس الأولى من سورة البقرة... وقد رأينا حتى الآن أنَّ الآيات الخمس الأولى من سورة البقرة فصلتها سورة آل عمران نوع تفصيل، والآن تأتي سورة (طه) لينصبَّ تفصيلها على الآية الرابعة، والخامسة بشكل مباشر، أي على قوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾﴾ [البقرة: ٤ ـ ٥]»[18].

ثامناً: مضمون السورة وما اشتملت عليه:

تحدثت (سورة طه) عن حكمة إنزال القرآن الكريم، وركزت على تعريفنا على مُنْزِله وهو الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ ومن ثم تحدثت عن قصة موسى مع قومه ومع فرعون من قبل ثم تحدثت عن القرآن وبعض خصائصه، وعن جزاء المعرضين عنه من آية (٩٩ إلى ١٠١)، و بعد ذلك تعرضت السورة لحالة الحشر الرهيبة، وإبادة الجبال، وأوصاف المجرمين يوم القيامة، والحساب العادل من آية (١٠٢ إلى ١١٢)، ثم تحدثت عن عربية القرآن ووعيده، وعصمة رسوله من نسيانه وذلك من آية (١١٣ إلى ١١٤)، ثم أوردت قصة آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ مع إبليس في الجنة من آية (١١٥ إلى ١٢٢)، ثم تعرضت لموضوع جزاء الإعراض عن كتاب الله تعالى وكانت تناقش المعرضين، وتأمر المستجيبين، وتقيم الحجة على المعاندين من آية (١٢٣ إلى ١٣٥)[19].

---

(١٧) هو سعيد بن محمد ديب حوى، عالم من رجال الدعوة السوريين، ولد في مدينة حماة سنة ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م لوالدٍ كان من المجاهدين ضدَّ الاحتلال الفرنسي، ولما نشأ انضم إلى جماعة الإخوان المسلمين، تخرج بجامعة دمشق، وسجن، فألَّف في سجنه كتاب (الأساس في التفسير) من اثني عشر مجلداً، توفى سنة (١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م)، ودفن في عمّان. انظر: إتمام الأعلام ص١٧٠.

(١٨) انظر: الأساس ج٧/ص٣٣٣٩.

(١٩) انظر: المرجع السابق ج٧/ص٣٣٤٠، والتفسير المنير ج١٦/ص ١٦٥، ١٧٦.

المبحث الثاني
عرض وتفسير لآيات سورة (طه)
المتضمنة للقراءات القرآنية العشر

١ ـ قال تعالى: ﴿إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾﴾ [طه: ١٠].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ حمزة: ﴿لِأَهلِهُ ٱمْكُثوا﴾ بضمّ الهاء.

٢ ـ وقرأ الباقون: ﴿لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ﴾ بكسر الهاء[٢٠].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

﴿لِأَهْلِهِ﴾: الأَهْل: أَهلُ الرَّجُلِ وأَهْلُ الدَّار[٢١].

يقول الطاهرُ بن عاشور ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: «الأهلُ: الزوجُ والأولاد»[٢٢].

﴿ٱمْكُثُوٓاْ﴾: المُكْثُ: ثباتٌ مع انتظارٍ طويل[٢٣].

(٢٠) انظر: النشر ج٢ /ص٣١٩.

(٢١) لسان العرب ج١١ / ص ٢٨.

(٢٢) التحرير والتنوير ج١٦/ص١٩٤. وانظر: مختار الصحاح ص ٢٠.

(٢٣) التوقيف ص٦٧٣.

ثالثاً: التفسير:

تتحدث هذه الآياتُ الكريمةُ عن قصةِ موسى عليه السلام وهو في طريق عودته من مدين إلى مصر ـ بعد أن قضَى أكملَ الأجلين، وأذن له شعيبٌ بزيارة أمِّه وأخته ـ حيث كان معه أهله في ظروف صعبة، ولم يستطِع إشعالَ نارٍ لأهله، فرأى عليه السلام ناراً من بعيد وطلب من أهله الانتظار وعدم اللحاق به، وذهب ليبحث عن جذوةٍ[٢٤] من النار، أو أحدٍ يدلُّه على الطريق.

يقول أبو حيان[٢٥]ـ رحمه الله ـ في هذا المعنى: «فكان من حديثه أنه عليه السلام لمَّا قضى أكمل الأجلين استأذن شعيباً في الرجوع من مدين إلى مصر لزيارة والدته وأخته، فأذن له، وقد طالت مدةَ جنايته بمصر، ورجا خفاءَ أمره، فخرجَ بأهلِهِ ومالِهِ، و كان في فصلِ الشتاء، وأخذَ على غيرِ الطريقِ مخافةَ ملوكِ الشام، وامرأتُه حامل، فلا يدري أليلاً تضعُ أم نهاراً، فسار في البرية لا يعرف طرُقَها، فألجأهُ المسيرُ إلى جانبِ الطورِ الغربيّ الأيمن، في ليلةٍ مظلمةٍ مُثلجةٍ شديدةِ البرد، وأخذَ امرأتَه الطلقُ، فقَدَح زنده فلم يُور[٢٦]، قيل: كان رجلاً غيوراً يصحَبُ الرِّفقةَ ليلاً ويفارقهُم نهاراً لئلاَّ تُرَى امرأتُه؛ فأضلَّ الطريق، قال وهب[٢٧]:

---

(٢٤) «الجِذْوَة والجَذْوة والجُذوة القَبَسة من النار وقيل هي الجَمْرة». لسان العرب ج١٤/ ص١٣٦.

(٢٥) هو أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان النّفزي، الأثري، الغرناطي، شيخ النحاة بالديار المصرية، وشيخ المحدثين بالمدرسة المنصورية. توفي في القاهرة بعد العصر الثامن والعشرين من صفر سنة خمس وأربعين وسبعمائة للهجرة. انظر: نفح الطيب ج٣ / ص١٤١ ـ ١٦٣. فهرس الفهارس ج٢/ ص ١٥٥. النجوم الزاهرة ج١٠/ ص ٩١. والدرر الكامنة ج٤/ ص٣٠٢.

(٢٦) «وري الزند يري ورياً: خرجت ناره، وأصله أنْ يخرج النار من وراء المقدح». مفردات القرآن ص ١٥٧٣.

(٢٧) وهب بن منبه أبو عبد الله اليماني، صاحب القصص، كان من خيار التابعين، ثقةً صدوقاً، كثير النقل من الكتب القديمة المعروفة بالإسرائيليات، مات وهو على قضاء صنعاء سنة أربع عشر ومائة. انظر: معجم الأدباء لياقوت الحموي مج ١٠ /ج١٩/ ص٢٥٩.

وُلِدَ له ابنٌ في الطريق، ولما صَلَد زنده[٢٨] (رأى ناراً)، ... (امكثوا) أي أقيموا مكانكم، وخاطب امرأته، وولديه، والخادم»[٢٩].

رابعاً: العلاقة التفسيرية:

وردت في ﴿لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟﴾ قراءتان: أولاهما بضم الهاء، والأخرى بكسرها، وكل واحدة أفادت معنىً جديداً للآيةِ سأذكُره بعدَ سردِ المعلوماتِ التالية:

يقول السيوطي ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: «... هاء الغائب أصلُها الضَّمُّ كضربهُ ولهُ، وتُكسرُ بعد الكسرةِ نحو مرَّ بهِ ولم يعطهِ... أما الحجازيون فلغتُهم ضمُّ هاء الغائبِ مطلقاً وبها قرأَ حمزةُ ﴿لِأَهْلِهُ ٱمْكُثُوا﴾»[٣٠].

وبهذه الحقيقة اللغوية وجَّه **الإمام مكّي بن أبي طالب** ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ قراءتي الضم والكسر فقال: «وحجةُ من ضمَّ أنَّه أتى بالهاءِ على أصلِها، موصولةً بواوٍ، للتقويةِ على ما قدَّمنا من العِلَلِ، فلقيت الواو وهي ساكنة الميم من ﴿ٱمْكُثُوٓا۟﴾ وهي ساكنة، فحُذفت الواو لالتقاء الساكنين، وبقيت الضمةُ تدلُّ عليها. وحجّةُ من كسرَ أنّه أبدلَ من ضمَّةِ الهاءِ كسرةً للكسرةِ التي قبلها، فانقلبت الواوُ ياءً، ثمَّ حُذِفَت لسكونها وسكون الميم بعدها، وبقيت الكسرة تدلُّ عليها»[٣١].

لكن هناك حقيقةٌ لغويةٌ معلومةٌ اتفقَ عليها علماءُ اللغةِ قديماً وحديثاً وهي: «أنَّ الضمة أقوى الحركات وأثقلها، ثمَّ تليها الكسرةُ ثمَّ تليها الفتحةُ وهي أخفُّ الحركات، إنَّ النطق بالضمة يحتاج إلى جهد عَضَلِيٍّ أكثرَ من الكسرة والفتحة، وذلك لأنهَّا لا تُنطَقُ إلا بانضمام الشَّفتين، وارتفاعهما،

---

(٢٨) صلد الزند: لا يخرج ناره. انظر: مفردات القرآن ص ٨٤٥.

(٢٩) البحر المحيط ج٦ /ص٢١٥ .

(٣٠) همع الهوامع ج١/ص٥٨ ـ ٥٩ (بتصرف).

(٣١) الكشف ج٢ / ص ٩٥. وانظر: شاهد القراءات القرآنية عند السيوطي وعلماء اللغة القدامى للدكتور يحيى القاسم ـ مجلة مؤتة للبحوث والدراسات ـ جامعة مؤتة ـ رجب (١٤١٤هـ) ـ المجلد ٨/ العدد٦/ ص١٦٤.

ولا تحتاج الكسرةُ ولا الفتحةُ إلى ذلك، كما هو ظاهرٌ ومعلوم»[٣٢].

ويقول ابن جني ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: «فجعلوا الضمةَ لقوَّتها فيما يكثُرُ حَجمُه، والكسرةَ لضعفِها فيما يقلُّ بل يُعدَم ارتفاعُه»[٣٣].

واستئناساً بما سبق ذكره يتبين أنَّ قراءة ﴿لِأَهْلِهُ ٱمْكُثُوا﴾ بضمِّ الهاء أفادت ثِقَل الظرف الذي كان يعيشه موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مع أهله في تلك الليلة المظلمة المثلجة شديدة البرد، وصعوبة ذلك عليه، حيث أضل الطريق وتفرقت ماشيته، ولم ينقدح زنده، وامرأته في الطلق؛ وذلك لأنَّ الضمّةَ هي أقوى الحركاتِ وأثقلُها، فناسبت الحركةُ القويةُ الثقيلةُ ذلك الموقفَ العصيبَ الذي يتطلب: عظيمَ صبرٍ، وقوةَ تحمُّلٍ، ورباطةَ جأشٍ، وهو ثقيلٌ على النفسِ ثِقَلَ الحركةِ التي استخدمت له.

أما القراءة الثانية ﴿لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟﴾ بكسر الهاء فقد أفادت تخفيف الأمر وتهوينه عليهم، حيث ذكر موسى لأهله أنّه آنس ناراً، وسيجد لهم جذوةً من النار لعلّهم يصطلون، ولهذا طلب من أهله المكثَ، ولم يطلب منهم الإقامة.

يقول الشيخ مصطفى المنصوري[٣٤]ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: «امكثوا: أي أقيموا مكانكم، أمرهم بذلك لئلاَّ يتبعوه فيما عزم عليه»[٣٥].

يقول الطبرسي[٣٦]ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: «والفرق بين المكث والإقامة أنَّ الإقامة

---

(٣٢) بلاغة الكلمة ص١١٤.

(٣٣) المحتسب ج٢/ص١٩.

(٣٤) هو مصطفى الحصن المنصوري بن ميمن بن الحسين، ولد في مدينة حصن المنصور ـ واسمها الآن (آدي يامان) ـ مركز الولاية في الأناضول سنة ١٣٠٧هـ، له كتاب (المقتطف في الفقه) و(لغة الطب): كان عالماً فاضلاً، ومرجعاً في علم الفقه، يتكلم ثلاث لغات: التركية والعربية والفارسية. انظر: مقدمة تفسيره ص٧ ـ ٨ حيث لم أجد له ترجمة غيرها.

(٣٥) المقتطف ج٣ / ص٣٢٨.

(٣٦) هو أبو علي الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي، المشهدي، من أجلّاء الطائفة الشيعية، ثقة، فاضل، دين، توفى في سبزوار سنة ٥٥٢هـ وقيل سنة ٥٤٨. انظر: كشف الظنون ج٤/ص٢٩٠، ومقدمة تفسيره.

تدوم والمكث لا يدوم»[٣٧].

وهكذا يخفِّف موسى عليه السلام عن أهله من صعوبة الموقف؛ فيطلب منهم الانتظار، وعدم اللحاق به، ويبشرهم بفرجٍ من الله قريبٍ بسبب رؤيته للنار، لذا ناسبت هذه الحركةُ الخفيفةُ الضعيفةُ تهوينَ الأمرِ وتخفيفِه عليهم رحمةً بهم.

يقول الأستاذ سعيد حوّى ـ رحمه الله ـ: «... وفي ذلك إشارةٌ إلى أنَّ الإنسانَ في أشدِّ حالات الضيق يكون أقرب ما يكون إلى الرحمة، وفي قوله لأهله (امكُثوا) درسٌ في كمال رحمته وشفقته، وغيرته، وشجاعته، وخدمته لأهله»[٣٨].

هكذا وبالجمع بين القراءات يتبيّنُ أنَّ موسى عليه السلام في هذا الظرف الصعب والثقيلِ على النَّفسِ، والذي يعيشُهُ مع أهله إلاّ أنَّه برحمته بهم وشفقته عليهم يتعاملُ معهم بكلِّ شجاعةٍ، ويحاولُ أن يخفِّفَ الأمر عليهم، وأنْ يجعَلَهُ هيّناً، على رغم ما يلقونه من مشقَّة، والله أعلم.

٢ ـ قال تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾﴾ [طه: ١٢].

أولاً: القراءات:

القراءات في ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾:

١ ـ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر ﴿أَنّي أنا رَبُّكَ﴾، بفتح همزة (أَنَّ).

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾ بكسرها[٣٩].

القراءات في ﴿طُوًى﴾:

---

(٣٧) مجمع البيان ج١٣/ص٨٩.

(٣٨) الأساس ج٧/ص٣٣٥٣.

(٣٩) انظر: النشر ج٢/ص٣١٩.

١ ـ وقرأ ابن عامر والكوفيون ﴿طُوًى﴾ بالتنوين.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿طُوَى﴾ بدون تنوين[٤٠].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(إنَّ): بالكسر والتشديد على أحد أوجهها التي ذكرها لها السيوطي:

التأكيد والتحقيق وهو الغالب نحو: ﴿...إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ١٦﴾ [يس: ١٦]

(أَنَّ): بالفتح والتشديد ذكر لها السيوطي وجهين وأحد وجهيها:

أن تكون حرف تأكيد، والأصحّ أنها فرع المكسورة، وأنَّها موصول حرفي[٤١].

طوى[٤٢]: «طُوى و(طِوى) جبل بالشام، وقيل هو واد في أصل الطور، وفي التنزيل:

﴿إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ١٢﴾ [طه: ١٢] قال أبو اسحق[٤٣]: طُوى اسم الوادي»[٤٤].

ثالثاً: التفسير:

في هذه الآية الكريمة ينادي الله ـ عز وجل ـ موسى عليه السلام حين ذهب للبقعة المباركة من الشجرة يلتمس ناراً، وأعلَمه أنّه هو الله ربُّه، وأمره بخلع

---

(٤٠) انظر: النشر ج٢ /ص٣١٩، والإقناع ٤٢٧.

(٤١) انظر: الإتقان ج١/ص٢٠٣ ـ ٢٠٤.

(٤٢) طوى: هو اسم أعجمي للواد المذكور في القرآن الكريم، وهو موضع بالشام عند الطور. انظر: معجم البلدان ج٤/ص٥٠ ـ ٥١، ومعجم ما استعجم ج٣/ص٨٩٦.

(٤٣) أبو إسحق إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج، كان يحترف خراطة الزجاج، وكان نديماً للمكتفي، أخذ عن ثعلب والمبرد، عاش في بغداد وتوفى بها سنة ٣١١ وقيل: ٣١٦هـ وقد أناف على الثمانين. انظر: طبقات النحويين واللغويين ص١١١، ١١٢، والبداية والنهاية ج١١/ ص١٥٩، والأعلام ج١م ص٤٠.

(٤٤) انظر: لسان العرب ج١٥/ص٢١.

نعليه؛ أدباً وتواضعاً لله تعالى فهو في الواد المُقدس المُسمَّى طوى.

يقول الشيخ مصطفى المنصوري ـ رحمه الله ـ: «رُوِيَ أنه لمّا نودِيَ يا موسى، قال: من المتكلم؟ فقال: أنا ربُّك، فعرف أنَّه كلام الله ـ عز وجل ـ لأنَّه سمعه من جميع جهاته الست، سمعه بجميع أعضائه، وذلك ليس إلاّ من آثار قدرة الخلّاق العليم، ﴿فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾ أمره الله سبحانه بذلك، لأنَّ الحفوة تواضعٌ وأدبٌ؛ ولذلك كان السلفُ يطوفون بالكعبة حُفاة، وقيلَ ليباشرَ الوادي بقدميه تبرُّكاً به. ﴿إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ. . .﴾ تعليلٌ لوجوب الخلع المأمور به، وبيانٌ لشرف البقعة وقدسيتها، ورويَ أنَّه عليه السلام خلعهما، وألقاهما وراء الوادي. ﴿طُوًى﴾ وهو اسم علم للوادي ومعناه: بالواد المقدّس المسمى طوى، أي جبل الطور»(٤٥).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءة الأولى (أنّي) بفتح همزة (أَنَّ) تفيد تأكيد الخبر بأنَّ موسى عليه السلام نودِيَ بأنِّي أنا ربُّك، أو اعلم بأنِّي أنا ربُّك، أو لأجل أنِّي أنا ربُّك.

يقول الألوسي(٤٦)ـ رحمه الله ـ: «قرأ ابن كثير، وأبو عمرو بفتحِها على تقديرِ حرفِ الجرّ، أي: بأنِّي والجار والمجرور متعلق بنوديَ، والنداء قد يوصل بحرف الجر . . . وقيل: على تقدير حرف التعليل وتعلقه بفعلِ الأمر بعد وهو كما ترى، واختير أن الكلام على تقدير العلم، أي أعلم أَنِّي أنا ربُّك»(٤٧).

---

(٤٥) المقتطف ج٣/ص٣٢٨، ٣٢٩.

(٤٦) هو محمود بن عبد الله الحسيني، شهاب الدين، أبو الثناء الألوسي نسبة إلى (ألوس) قرية على الفرات: طود العلم، وعضد الدين، وفحل البلاغة، وأمير البيان، وعين الأعيان، مفسّر محدِّث أديب، من المجددين، من أهل بغداد، مولده ووفاته فيها، كان سلفيّ الاعتقاد، له روح المعاني في التفسير. توفى سنة ١٢٧٠م. انظر: حلية البشر ج٣/ ص١٤٥٠، والأعلام ج٧/ص١٧٦.

(٤٧) روح المعاني ج١٦/ص١٦٨ (بتصرف).

أمّا القراءة الثانية (إنّي) بالكسر والتشديد، فقد أفادت التحقيقَ والتأكيد على الاستئناف.

يقول الطاهر بن عاشور ـ رحمه الله ـ: «وتأكيد الخبر بحرف (إنَّ) لتحقيقه لأجل غرابته دفعاً لتَطَرُّق الشكّ عن موسى في مصدر الكلام»[48].

وعن التأكيد بحرف (إنَّ) يقول السيوطي ـ رحمه الله ـ نقلاً عن عبد القاهر الجرجاني[49] ـ رحمه الله ـ: «والتأكيد بها أقوى من التأكيد باللام، وأكثر مواقعها ـ بحسب الاستقراء ـ الجواب لسؤالٍ ظاهرٍ أو مُقَدَّرٍ، إذا كان للسائلِ فيه ظن»[50].

كما أكّد الخبر بتكرير الضمير، يقول الزمخشري[51] ـ رحمه الله ـ: «تكرير الضمير في ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾ لتوكيد الدلالة وتحقيق المعرفةِ وإماطة الشبهة»[52].

وَعَدَا أنّها أفادت تأكيد الخبر فإنّها أفادت أنَّ الخبَرَ على معنى الحكاية.

يقول ابن أبي مريم[53] ـ رحمه الله ـ: «وقرأ الباقون (إنِّي أَنا رَبُّكَ) بكسر

---

(٤٨) التحرير والتنوير ج١٦/ص١٩٦.

(٤٩) هو عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، أبو بكر: واضع أصول البلاغة، من أهل جرجان. من كتبه: (أسرار البلاغة)، (دلائل الإعجاز). توفى سنة٤٧١هـ. انظر: طبقات الشافعية ج١/ص ٢٥٢.

(٥٠) الإتقان ج١/ص٢٠٣.

(٥١) هو محمود بن عمر بن محمد بن عمر العلامة أبو القاسم الزمخشري الخوارزمي النحوي اللغوي المتكلم المعتزلي المفسر، يلقب جار الله لأنه جاور بمكة زماناً، ولد بزمخشر، وهي قرية من قرى خوارم، ومات ليلة عرفة سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة للهجرة. انظر: طبقات المفسرين للسيوطي ص١٠٤.

(٥٢) الكشاف ج٢/ص٥٣١.

(٥٣) هو الإمام نصر بن علي بن محمد، أبو عبد الله الشيرازي الفارسي الفسوي النحوي، المعروف بابن أبي مريم: أستاذٌ عارف، له كتاب في القراءات الثمان سمّاه الموضح يدلُّ على تمكنه في الفن، جعله بأحرفٍ مرموزة دالة على أسماء الرواة، وذكر ناسخه أنه استملاه من لفظه في رمضان سنة ٥٦٢هـ. انظر: غاية النهاية ج٢/ص٣٣٧.

الألف، والوجه أنَّه على الحكاية؛ لأنَّ النداء يتضمَّنُ معنى القول، والتقدير في نوديَ: وقيلَ له إنِّي أنا رَبُّكَ، فهو حكاية»(٥٤).

ويقول الخطيب التبريزي(٥٥)- رَحِمَهُ اللهُ -: «وقرأ الباقون بالكسر على معنى نوديَ يا موسى فقال الله له، إني أنا ربك»(٥٦).

بالجمع بين القراءتين يَتَّضِحُ أنَّ الله - سبحانه وتعالى - في حكاية موسى التي يَذْكُرُها للنبيِّ ﷺ قد أخبرَ موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أنَّه ربُّه الذي يُكلِّمه، وقد أكَّد الخبرَ وحَقَّقَه لأجلِ غرابته دفعاً لتَطَرُّقِ الشكِّ عن موسى في مصدرِ هذا الكلام، وطلبَ منه أن يخلعَ نعليه تواضعاً لِعِظَمِ الحالِ التي حصل فيها، والله أعلم.

أما فيما يختصُّ بقراءة (طُوَى) مصروفةً وغير مصروفة، فنقول بعون الله تعالى: إنَّ قراءةَ (طُوىً) بالتنوين على تأويلِ المكان، أي إنَّ (طُوىً) اسم الوادي المذكور في القرآن وهو نكرة، وقراءة (طُوَى) بغير تنوين على تأويل البقعة التي كلَّم الله تعالى فيها موسى بالتحديد وهي معرفة بهذا المعنى، وهي المقصودة في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا﴾ يعني النار ﴿نُودِيَ﴾ أي من الشجرة، أي من جهتها وناحيتها ﴿أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [القصص: ٣٠].

كما **أضاف القرطبي** - رَحِمَهُ اللهُ - معانيَ أخرى، منها ما نقله عن الجوهري(٥٧)- رَحِمَهُ اللهُ - حيث يقول «(طُوَى) اسم موضع بالشام تكسر طاؤه

---

(٥٤) الموضَح ج٢/ص٨٣٠.

(٥٥) هو يحيى بن علي بن محمد بن الحسن، أبو زكريا المعروف بالخطيب التبريزي، ولد في تبريز بإقليم أذربيجان سنة ٤٢١هـ، ونشأ في بغداد، وتوفى فيها سنة ٥٠٢هـ. انظر: الأعلام ج٨ /ص١٥٧، والمزهر ج٢/ص٣٩٦.

(٥٦) الملخص ص٢٦٠.

(٥٧) هو إسماعيل بن حماد الجوهري، أبو نصر الفارابي، كان الجوهري من أعاجيب الزمان ذكاءً، وفطنةً، وعلماً، وأصله من بلاد الترك من فاراب، وهو إمام في علم اللغة والأدب، وخَطُّه يُضرب به المثل في الجودة له كتاب الصحاح، توفى بعد سنة ٣٩٦هـ. انظر: معجم الأدباء لياقوت، مج٣/ ج٦/ص١٥١ - ١٦٥. والأعلام ج ١ / ص٣١٣.

وتُضَم، ويُصرَفُ ولا يُصْرَف، فمن صرفه جعله اسم وادٍ ومكان، وجعله نكرة، ومن لم يصرفه جعله بلدةً وبقعةً، وجعله معرفة، وقال بعضهم: (طُوىً) مثل (طِوىً) وهو الشيء المثني، وقالوا في قوله: (المُقَدَّسِ طُوَى): طُوِيَ مرتين أي قُدِّسَ، وقال الحسن: ثُنِّيَت فيه البركةُ والتقديسُ مرَّتَين . . . وعن ابن عباس ﷺ: أنه قيل له طُوَى لأن موسى طواه بالليل إذ مرَّ به فارتفع إلى أعلى الوادي، فهو مصدرٌ عمل فيه ما ليس من لفظه، فكأنه قال: (إنَّكَ بالوادِ المُقَدَّسِ) الذي طَويته طوى؛ أي تجاوزته فطويته بسيرك»(٥٨).

بالجمع بين القراءتين يتبيَّنُ أنَّ (طُوَى) هو الموضع المُقَدَّس المذكور في القرآن والذي مرَّ به موسى عليه السلام وتجاوزه قد ثُنِّيت فيه البركة والتقديس مرَّتين، وهو إمَّا أن يكون اسماً للوادي كلِّه، أي شملت البركةُ والتقديس الواديَ بكامِله، أو تكون خاصة بالبقعة التي كلَّمَ الله تعالى موسى فيها وهي المقصودة بقوله تعالى: ﴿. . . فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَـٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ. . .﴾ [القصص: ٣٠]، والله أعلم.

٣ ـ قال تعالى: ﴿وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾﴾ [طه: ١٣].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ حمزة ﴿وَأَنَّا﴾ بتشديد النون، ﴿ٱخْتَرناك﴾ بالنون المفتوحة وألف بعدها على لفظ الجمع.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿وَأَنَا﴾ بتخفيف النون، ﴿ٱخْتَرْتُكَ﴾ بالتاء مضمومة من غير ألف على لفظ الواحد(٥٩).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

﴿ٱخْتَرْتُكَ﴾ : «الاختيار: طلب ما هو خير وفعله»(٦٠).

(٥٨) تفسير القرطبي ج١١/ص١٥٧.
(٥٩) النشر ج٢/ص٣٢٠.
(٦٠) المفردات ص ٣٠١.

يقول الطاهر بن عاشور: «الاختيار: تكلُّف طلب ما هو خير، واستعملت صيغة التكلف في معنى إجادة طلب الخيّر»(٦١).

وقال الألوسي - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - في معنى قوله تعالى: ﴿وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ﴾: «أي اصطفيتك من الناس أو من قومك للنبوة والرسالة»(٦٢).

ثالثاً: التفسير:

يُخْبِرُ الله تعالى موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وهو يكلِّمه في تلك الليلة أنَّه اصطفاه على الناس، واختاره رسولاً من بين قومه، ويطلب منه الاستماعَ لما سيوحيه إليه.

يقول ابن كثير - رَحِمَهُ ٱللَّهُ -: «وقوله: ﴿وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ﴾ كقوله: ﴿إِنِّي ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾ [الأعراف: ١٤٤] أي على جميع الناس من الموجودين في زمانه... وقوله: ﴿فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ﴾ أي: استمع الآن ما أقولُ لك، وأوحيه إليك»(٦٣).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيد القراءة الأولى ﴿وَأَنَّا اخْتَرْنَاكَ﴾ - على لفظ الجمع في الكلمتين - التعظيم لله تعالى.

يقول الإمام مكّي بن أبي طالب: «قرأ حمزة ﴿وَأَنَّا اخْتَرْنَاكَ﴾ على لفظ الجمع في الكلمتين، للتعظيم لله، والمبالغة في الإجلال له»(٦٤).

أما القراءة الثانية ﴿وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ﴾ فقد أفادت أنَّ الله - تعالى - اختار موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ للرسالة وحده، دون أن يُشركَ أحداً في اختياره.

---

(٦١) التحرير والتنوير ج١٦/ص١٩٨.

(٦٢) روح المعاني ج١٦/ص١٧٠، وانظر: الكشاف ج٢/ص٥٣١، زاد المسير ج٣/ص١٥٣، التفسير المنير ج١٦/ص١٨٧، وصفوة التفاسير ج٢/ص٢٠١.

(٦٣) تفسير ابن كثير ج٣/ص١٩٤.

(٦٤) الكشف ج٢/ص٩٧.

يقول أبو منصور(٦٥) ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: «ومن قرأ ﴿وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ﴾ فالاختيارُ لله وحده، لم يُشركْ في اختياره أحداً»(٦٦).

ويقول الرازي(٦٧) ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: «**وهذه الآية تدلُّ على أنَّ النبوة لا تحصُل بالاستحقاق، لأنَّ قوله:** ﴿وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ﴾ يدلُّ على أنَّ ذلك المنصب العليّ إنَّما حصلَ لأنَّ الله تعالى اختارَه له ابتداءً لا لأنَّه استحقَّه على الله تعالى»(٦٨).

بالجمع بين القراءتين نعلمُ أنَّ الله ـ تعالى ـ بعظمته وجلاله اختار موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ للنبوة والرسالة، وكان هذا الاختيار منه ابتداءً وحده سبحانه دون أن يُشرِكَ في اختياره أحداً من خلقه.

٤ ـ قال تعالى: ﴿هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي ﴿٣٢﴾﴾ [طه: ٣٠ ـ ٣٢].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ ابن عامر بقطع همزة ﴿أَشْدُدْ﴾ وفتحها وبضم همزة ﴿أُشرِكه﴾ مع القطع.

٢ ـ وقرأ الباقون بوصل همزة ﴿ٱشْدُدْ﴾ وابتدائها بالضم وبفتح همزة ﴿وَأَشْرِكْهُ﴾(٦٩).

---

(٦٥) هو محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، أبو منصور الأزهري: أحد الأئمة في اللغة والأدب. مولده ووفاته في هراة بخراسان. نسبته إلى جده الأزهر، ولد سنة ٢٨٢هـ، عُني بالفقه أولاً، ثمَّ غلب عليه التبحر في العربية، توفى سنة ٣٧٠هـ. انظر: معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة ٢٠٠٢م ج٥/ص١٠٠.

(٦٦) معاني القراءات ص٢٩١.

(٦٧) هو محمد بن عمر بن الحسين ابن علي القرشي التيمي البكري أبو المعالي وأبو عبد الله المعروف بالفخر الرازي ويقال له ابن خطيب الري أحد الفقهاء الشافعية المشاهير بالتصانيف الكبار والصغار نحو من مائتي مصنف، وقال ابن الاثير في الكامل: كان إمام الدنيا في عصره. انظر: البداية والنهاية لابن كثير ج١٣/ص٥٥.

(٦٨) تفسير الرازي ج١٢/ص١٩.

(٦٩) انظر: النشر ج٢/ص٣٢٠.

ثانيا: المعنى اللغوي للقراءات:

﴿اَشْدُدْ﴾: «الشَّدُّ: العَقْدُ القَويُّ، يُقالُ: شددتُ الشَّيءَ: قَوَّيت عَقْدَهُ»[٧٠].

﴿وَأَشْرِكْهُ﴾: «الشِّرْكَةُ والمُشاركة،: خَلْطُ الملكين، وقيل هو أن يوجد شيءٌ لاثنين فصاعداً؛ عيناً كان ذلك الشيء أو معنى»[٧١].

ثالثاً: التفسير:

يُكلِّم الله - تعالى - موسى عليه السلام ويريه من آياته الكبرى، ويُكلِّفه بالذهاب إلى فرعون، فيدعو موسى ربَّه - عز وجل - ببعض الأدعية، فيدعوه أن يشدَّ أزرهُ بأخيه هارون عليه السلام ويُشركه معه في النبوة.

يقول الدكتور محمد سالم محيسن: «لمّا كلَّف الله - تعالى - سيدنا موسى عليه السلام بالرسالة سأل ربَّه أنْ يشدَّ أزره بأخيه هارون عليه السلام، وأن يُشركه معه في النبوة، وتبليغ الرسالة»[٧٢].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة الأولى بقطع همزة ﴿أَشْدُدْ﴾ وفتحها، وبضم همزة ﴿أُشْرِكْه﴾ مع القطع أنَّ موسى عليه السلام يُخْبرُ الله تعالى أنّه سيشُدُّ أزرَه بأخيه هارون ويُشْركه في أمره على الجواب والمجازاة بدعائه عليه السلام الله - عز وجل - أن يجعلَ له وزيراً من أهله وهو أخوه هارون عليه السلام.

قال الإمام أبو علي الفارسي[٧٣] - رحمه الله -: «وقرأ ابن عامر وحده

---

(٧٠) المفردات ص ٤٤٧، وانظر: التوقيف ص٤٢٥. ومعجم تفسير مفردات ألفاظ القرآن ص٤٦٤.

(٧١) المفردات ص ٤٥١، وانظر: التوقيف ص٤٢٩.

(٧٢) المستنير ج٢/ص٢٧.

(٧٣) هو الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن سليمان بن أبان، الإمام أبو علي الفارسي، النحوي المشهور، أصله من (فسا) من عمل شيراز، روى القراءة عرضاً عن أبي بكر بن مجاهد، توفى سنة ٣٧٧هـ، أوصى بثلث ماله لنحاة بغداد، فكان ثلاثين ألف دينار. انظر: غاية النهاية ج١/ص٢٠٦ - ٢٠٧.

﴿هَٰرُونَ أَخِي ۝٣٠ أَشْدُدْ بِهِۦٓ﴾ مقطوعةً مفتوحة، والياء ساكنة و﴿أُشْرِكْه﴾ الألف مضمومة، على الجواب والمجازاة»[٧٤].

وقال ابن أبي مريم ـ رحمه الله ـ: «وفي قراءة ابن عامر يكون المعنى: أُشرِكْهُ أنا في أمري بإشراكك إياه في النبوة»[٧٥].

أمّا القراءة الأخرى فقد أفادت أنَّ الكلام المذكور هو تتمّة دعاء موسى عليه السلام الله تعالى بأن يجعلَ هارون عليه السلام وزيراً له، يشُدُّ أزرَه، ويجعله شريكاً له في النبوّة.

يقول الفراء[٧٦] في قوله تعالى ﴿ٱشْدُدْ بِهِۦٓ...﴾: «دعاء: ﴿ٱشْدُدْ بِهِۦٓ﴾ يا ربّ ﴿أَزْرِى ۝٣١ وَأَشْرِكْهُ﴾ يا ربّ في أمري. دعاء من موسى...»[٧٧].

بالجمع بين القراءتين يتّضح أنَّ موسى عليه السلام دعا الله ـ تعالى ـ أنْ يجعل له وزيراً من أهله هو أخاه هارون، يشدُّ به أزره، ويشركه معه في النّبوة، فإن استجابَ الله ـ تعالى ـ دعاءَ موسى عليه السلام وجَعَلَ هارونَ وزيراً له، فسَيَشُدُّ موسى عليه السلام به أزرَه، ويقوى به ظَهرُه، وسَيُشْرِكهُ موسى عليه السلام في أمرِه؛ ليكونَ عوناً له على أداءِ ما كلَّفه الله ـ عز وجل ـ به من أُمورِ الرسالة.

٥ ـ قال تعالى: ﴿أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ۝٣٩﴾ [طه: ٣٩].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ أبو جعفر ﴿وَلْتُصْنَعْ عَلَى﴾ بإسكان اللام وجزم العين، فيجب له إدغامها.

(٧٤) الحجة للقراء السبعة ج٥/ص ٢٢١.

(٧٥) الموضح ج٢/ص٨٣٣.

(٧٦) هو يحيى بن زياد بن عبد الله بن منصور، أبو زكريا الأسلمي، النحوي، الكوفي، المعروف بالفرّاء، شيخ النحاة، توفي في رجوعه من طريق مكة سنة سبع ومائتين للهجرة. انظر: غاية النهاية ج٢/ص ٣٧١.

(٧٧) معاني القرآن ج٢/ص١٧٨.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ﴾ بكسر اللام والنصب(٧٨).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«الصُّنْعُ: إجادةُ الفعل، وكل صُنْعٍ فعل، ولا عكس وهو مستعارٌ للتربية والتنمية، تشبيهاً لذلك بصنع شيءٍ مصنوع، ومنه يقال لمن أنعم عليه أحدٌ نعمةً عظيمةً: هو صنيعة فلان(٧٩).

(وَلِتُصْنَعَ): أي لِتُحَبَّ ولِتُصْنَعَ، ولِتُغَذَّى وتُطْعَمَ وتُرَبَّى، ويُقرأ على لفظ الأمر؛ أي لِيَصْنَعَكَ غَيْرُكَ بأمري(٨٠).

ثالثاً: التفسير:

يوحي الله ـ ﷻ ـ لأُم موسى أن تضعه في التابوت وتلقي بالتابوت في اليمِّ، وقد أمر الله تعالى اليمَّ بأن يلقي بالتابوت في بيت فرعون، وبفضل حبِّ الله ـ تبارك وتعالى ـ لموسى عليه السلام أحبه كلُّ من رآه حتَّى فرعون، وبمشيئة الله ـ ﷻ ـ يتربَّى موسى عليه السلام في حضن أمِّه ويتغذَّى على عين الله ـ ﷻ ـ وبحفظه ورعايته، في بيت عدوِّ الله وعدوِّه فرعون.

يقول ابن كثير ـ رحمه الله ـ: «هذه إجابةٌ من الله لرسوله موسى عليه السلام فيما سأل من ربه ـ ﷻ ـ وتذكيرٌ له بِنِعَمِهِ السالفةِ عليه فيما كان من أمرِ أمِّه حين كانت ترضعُه، وتحذَرُ عليه من فرعون ومَلَئِهِ أن يقتلوه؛ لأنه كان قد وُلِدَ في السنة التي يقتلون فيها الغلمان، فاتخذَت له تابوتاً فكانت ترضعه ثم تضعه فيه وتُرسلُه في البحر، وهو النيل، وتمسكُه إلى منزلها بحبل، فذهبت مرةً لتربطَ الحبل فانفلت منها وذهبَ به البحرُ فحصلَ لها من الغَمِّ والهَم ما ذكره الله عنها في قوله: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾﴾ [القصص: ١٠] فذهب به البحر إلى دار فرعون ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾

(٧٨) انظر: النشر ج٢/ص٣٢٠.

(٧٩) انظر: التحرير والتنوير ج١٦/ص٢١٨ والتوقيف ص٤٦٣.

(٨٠) انظر: التبيان ج٢/ص ١٨٣ والمحرر الوجيز ج٤/ص٤٤.

[القصص: ٨] أي قدراً مقدوراً من الله حيث كانوا هم يقتلون الغلمان من بني إسرائيل حذراً من وجودِ موسى، فحكم الله وله السلطانُ العظيمُ والقدرةُ التامةُ أن لا يُرَبَّى إلا على فراشِ فرعون، ويُغَذَّى بطعامِه وشرابِه مع محبته وزوجته له، ولهذا قال تعالى: ﴿يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُۥۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾ أي عند عدوك جعلته يحبك... ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾... وقال قتادة[81] تغذى على عيني، وقال معمر بن المثنى[82]: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ بحيث أرى»[83].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة الأولى ﴿وَلْتُصْنَعْ عَلَى﴾ معنى الأمر من الله سبحانه وتعالى لمأمورٍ غائبٍ غير مخاطب، وقد خرج الفعل في صيغة الأمر، حيث إن الأمرَ أقطعُ الأفعال وأوجبُها، وقد اقترن الفعل بحرف (على) الذي يفيد المصاحبة، كما وجبَ له إدغامُ العين، ولا يخفى ما في إدغامُ المتماثلين من السرعةِ في النطقِ مما يدلُّ على السرعة في الفعل ومباشرته بمجرد حدوثه، والله أعلم.

يقول القرطبي: «وقرأ ابن القعقاع ﴿وَلْتُصْنَعْ﴾ بإسكان اللام على الأمرِ وظاهرُه للمخاطبِ والمأمورُ غائب»[84].

ويؤازره كلام **ابن جني** - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - حيث يقول:

«وأما ﴿وَلْتُصْنَعْ﴾ فإنَّ المأمورَ غائبٌ غيرُ مُخاطب، فإنّما هو كقولنا:

---

(٨١) هو قتادة بن دعامة بن قتادة بن عُزيز، أبو الخطاب الدوسي البصري الأعمى المفسِّر، أحد الأئمة في حروف القرآن وله اختيار، ولد سنة ٦١هـ، وتوفى سنة ١١٧هـ. انظر: غاية النهاية ج٢/ص٢٥.

(٨٢) هو معمر بن المثنى التيمي بالولاء البصري، أبو عبيد النحوي، من أئمة العلم بالأدب واللغة، مولده سنة١١٠هـ بالبصرة، ووفاته بها سنة ٢٠٩هـ. انظر: وفيات الأعيان ج٥/ص٢٣٥.

(٨٣) تفسير ابن كثير ج٣/ص١٩٩.

(٨٤) تفسير القرطبي ج٦/ص٤٢٣٧ .

وَلْتُغْنَ بحاجتي، ولْتوضَع في تجارتك؛ لأنَّ العانيَ بها والواضع فيها غيرهما، وهما المخاطبان، فهذا كقولك: لِيُضرَب زيدٌ، ولْتُضْرَب هند»[85].

ويقول ابن عطية ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «إذِ الأمرُ أقطعُ الأفعالِ وأوجبها»[86].

وهكذا يكون قد وَجَبَ تحقيقُ أمر الله تعالى بأن يُصنَعَ موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ على عينه وبرعايته وبأمرٍ منه تعالى.

أمّا القراءة الأخرى ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ﴾ بكسر اللام فقد أفادت التعليل، وهي متعلقةٌ إمّا بألقيتُ أو بمحذوفٍ تقديره: فعلت ذلك لِتُصْنَعَ.

يقول أبو السعود[87]ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «﴿إِذْ تَمْشِيٓ أُخْتُكَ﴾ ظرف ﴿لِتُصْنَعَ﴾ على أنَّ المرادَ به وقت وقع فيه مشيها إلى بيت فرعون، وما ترتبَ عليه من القولِ والرجع إلى أمها وتربيتها له بالبر والحنو، وهو المصداق لقوله تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ إذ لا شفقةَ أعظم من شفقة الأمّ وصُنعِها على موجبِ مراعاتِه تعالى»[88].

ويقول الشيخ محيي الدين الدرويش[89] ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «واللام متعلقة بمحذوف، أي: فعلت ذلك لتصنعَ، وقيل: متعلقة بألقيت»[90].

ويقول الصابوني ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «الاستعارة التمثيلية ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾

---

(٨٥) المحتسب ج٢/ص٥١.

(٨٦) المحرر الوجيز ج٤/ص٤٤.

(٨٧) هو محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، المولى أبو السعود: مفسِّر، شاعر، من علماء الترك المستعربين، ولد بقرب القسطنطينية، كان حاضر الذهن سريع البديهة. توفي سنة ٩٨٢هـ وهو مدفون بقرب مرقد أبي أيوب الأنصاري. انظر: الأعلام ج٧/ ص٥٩.

(٨٨) تفسير أبي السعود ج٦/ص١٥، وانظر: روح المعاني ج١٦ /ص١٨٧.

(٨٩) هو محيي الدين الدرويش من علماء العربية في سورية وصحفييها، ولد في حمص سنة١٣٢٦هـ، وتعلم بها، ثم غادرها لدمشق. له كتاب «إعراب القرآن الكريم وبيانه». انظر: إتمام الأعلام ص٤٣٤.

(٩٠) إعراب القرآن للدرويش ج٤/ص٦٨٢.

تمثيلٌ لشدةِ الرعاية، وفرط الحفظ والكلاءة بمن يُصنع بمرأى من الناظر؛ لأنَّ الحافظ للشيء في الغالب يديم النظر إليه، فمَثَّلَ لذلك بمن يُصنع على عين الآخر»[٩١].

بالجمع بين القراءتين يتبيَّن أنَّ الله تعالى أنفذَ أمره المقدَّس بأن يُرَبَّى موسى عليه السلام ويُغذَّى في بيت فرعون، وأن تربيه أُمّه على موجبِ رعايته تعالى، ولذلك ألقى الله محبَّته في قلب كلِّ من رآه وحرَّمَ عليه المراضع، وهيَّأ لأخته أن تدُلَّهم على أمِّها فترضعه ويعود إلى حضنها، ويُصنع بيدها في بيت فرعون، وعلى عين الله عز وجل وبحفظه ورعايته.

٦ ـ قال تعالى: ﴿إِذْ تَمْشِيٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًاۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ [طه: ٤٠].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ السوسي، وأبو جعفر، ووقفاً حمزة (جِيْتَ) بياء ساكنة مبدلة عن الهمزة.

٢ ـ وقرأ الباقون (جِئْتَ) بهمزة ساكنة وسط الكلمة[٩٢].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(جئت): «جيأ: المجيء: الإتيان، جاء يجيء جيئاً ومجيئاً. وحكى سيبويه[٩٣] عن بعض العرب: هو يَجِيكَ بحذف الهمزة»[٩٤].

---

(٩١) صفوة التفاسير ج٢/ص٢٠٣.

(٩٢) انظر: النشر ج١/ ص٣٩٠.

(٩٣) هو عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقَّب سيبويه: إمام النحاة، وأول من بسط علم النحو، ولد في إحدى قرى شيراز، وقدِم البصرة، فلزم الخليل بن أحمد ففاقه، وصنَّف كتابه المسمى: (كتاب سيبويه) في النحو، لم يُصنع قبله ولا بعده مثله. سيبويه بالفارسية: رائحة التفاح، كان شاباً أنيقاً جميلاً، توفي شاباً، وفي مكان وسنة وفاته خلاف، توفي حوالي سنة ١٨٠ هـ. انظر: الأعلام ج٥/ص٨١.

(٩٤) لسان العرب ج١/ص ٦٢.

وقال الأصفهاني ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «جاء يجيء جَيْأةً ومجيئاً، والمجيء كالإتيان، لكنّ المجيء أعمّ؛ لأنّ الإتيان مجيءٌ بسهولة، والإتيان قد يقال باعتبار القصد وإن لم يكن منه الحصول، والمجيء يقالُ اعتباراً بالحصول، ويقال: جاء في الأعيان والمعاني، ولمَا يكون مجيئه بذاته وبأمره، ولمن قصد مكاناً أو عملاً أو زماناً»(٩٥).

ثالثاً: التفسير:

يُذَكِّرُ اللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ موسى بما حدث له حين رفضَ المراضعَ بقدرِ الله تعالى ليكون ذلك سبباً في رجوعه لأمّه كي تقرّ عينُها، ثمّ ذَكَّرهُ كيف نجّاه من الغمّ ومن فرعون، حين قتل القبطيَّ وهربَ إلى أرضِ مدين، فمكثَ فيها إلى أن حان موعده مع النبوّة فجاء بقدر الله تعالى.

يقول العلاّمة محمد الصابوني ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «﴿إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ...﴾ أي حين تمشي أختك وتتبّع أثرك فتقول لآل فرعون حين طلبوا لك المراضع: هل أدلكم على من يضمن لكم حضانته ورضاعته؟ ... فطلبوا منها إحضارها فأتت بأمّ موسى، فلمّا أخرجت ثديها التقمه، ففرحت زوجة فرعون فرحاً شديداً، وقالت لها: كوني معي في القصر، فقالت: لا أستطيع أنْ أترك بيتي وأولادي ولكن آخذه معي وآتي لك به كل حين، فقالت: نعم، وأحسنت إليها غاية الإحسان، ... ثمّ قتلت القبطيّ حين أصبحت شاباً، فنجّيناك من غمّ القتل وصرفنا عنك شرّ فرعون وزبانيته، وفي صحيح مسلم: (وكانَ قَتلُهُ خَطَأ)(٩٦)، وابتليناك ابتلاءً عظيماً بأنواع من المحن، فمكثت سنين عديدة عند شعيب في أرض مدين، ثمّ جئت على موعدِ ووقتٍ مُقَدَّرٍ للرسالة والنبوّة»(٩٧).

---

(٩٥) المفردات ص ٢١٢.

(٩٦) أخرجه مسلم بمعناه في صحيحه ج٤ / ص٢٢٢٨ / ح٥١٣٧، كتاب: الفتن وأشراط الساعة، باب: الفتنة من المشرق حيث يطلع قرنا الشيطان.

(٩٧) صفوة التفاسير ج٢/ص٢٠٢، ٢٠٣.

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

جاء في شرح المفَصَّل: الهمزة حرف شديدٌ مستثقل يخرج من أقصى الحلق إذ كان أدخلَ الحروف في الحلق، فاستثقل النطق به إذ كان إخراجُه كالتهوّع[٩٨] فلذلك من الاستثقال ساغ فيها التخفيف، وهو لغة قريش وأكثر أهل الحجاز، وهو نوعُ استحسانٍ لثقل الهمزة... وتخفيفها كما ذُكِرَ بالإبدال والحذف وأن تُجعَلَ بَيْن بَيْن[٩٩].

وقال سيبويه - رَحِمَهُ اللَّهُ -: «... وذلك الذِّئْبُ والمِئْرة: ذيبٌ وميرةٌ[١٠٠]، فإنّما تُبدِل مكان كل همزة ساكنة الحرف الذي منه الحركة التي قبلها؛ لأنّه ليس شيء أقرب منه، ولا أولَى به منها»[١٠١]. وبناءً على ذلك:

فقد أفادت القراءة (جيت) عناية الله - عَزَّ وَجَلَّ - بتدبير إجراء أحوال موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وتسهيلها له على ما يُسفر عن عاقبة الخير، إلى أنْ بلغ الموضع الذي كلمه منه.

يقول الطاهر بن عاشور - رَحِمَهُ اللَّهُ -: «فقوله: ﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ﴾ يفيد أنّ ما حصل لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ من الأحوال كان مقدّراً من الله مناسباً متدرجاً، بحيث تكون أعماله، وأحواله قد قدّرها الله، وحدَّدها تحديداً مُنَظَّماً؛ لأجل اصطفائه، وما أراد الله من إرساله، فالقدر هنا كناية عن العناية بتدبير إجراء أحواله على ما يسفر عن عاقبة الخير، فهذا تقدير خاص، وهو العناية بتدرج أحواله إلى أنْ بلغ الموضع الذي كلّمه الله منه، وليس المراد القَدَر الذي قدّره الله لتكوين جميع الكائنات؛ فإن ذلك لا يُشعر بمزية لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

---

(٩٨) هاع يَهُوع ويَهاع هَوْعاً وهُواعاً: تَهَوَّع وقاءَ وقيل قاء بلا كُلْفة، وإذا تكلف ذلك قيل تَهَوَّعَ ... ويقال تهوّع نفسَه إذا قاءَ بنفسه كأنه يخرجها ... قال بعضهم تَهَوَّع أي قاءَ الدم. انظر: لسان العرب ج٨/ص٣٧٧.

(٩٩) انظر: شرح المفصل ج٩/ص١٠٧.

(١٠٠) مير: «المِيرَةُ الطعامُ يَمْتاره الإنسان». لسان العرب ج٥/ص ١٨٨.

(١٠١) كتاب سيبويه ج٣/ص٥٤٤.

وقد انتبه إلى هذا جرير[١٠٢] بذوقه السليم، فقال في مدح عمر بن عبد العزيز:

أتى الخلافة إذ كانت له قَدراً كما أتى ربَّهُ موسى على قَدَر[١٠٣]»[١٠٤]

أمّا القراءة (جِئتَ) فقد أفادت ندرةَ ذلك الموقف، وصعوبةَ ذلك الظرف الذي حدث لموسى عليه السلام حين عودته من مدين إلى أرض مصر وشدّته عليه وعلى أهله، حيث إنّ الهمزة حرفٌ ثقيل.

وفي هذا المعنى يقول **الدكتور فاضل السامرّائي**[١٠٥]: **«فاستعمل الهمزة لثقلها للحالات الثقيلة النادرة»**[١٠٦].

ويبيّن أبو السعود ـ رحمه الله ـ ذلك بقوله: «(ثمَّ جِئتَ) إلى المكان الذي أونس فيه النارُ ووقع فيه النداءُ والجؤار[١٠٧]، وفي كلمة التراخي إيذان بأنّ مجيئَه عليه السلام كان بعد اللّتيّا[١٠٨]، والتي من ضلال الطريق وتفرُّقِ الغنم في الليلة المظلمة الشاتية، وغير ذلك»[١٠٩].

---

(١٠٢) هو جَرِيرُ بنُ عَطِيَّةَ بنِ حُذَيْفَةَ بنِ بَدْرِ بنِ سَلَمَةَ بنِ عَوْفِ بنِ كُلَيْبِ بنِ يَرْبُوعٍ، شاعر مشهور بالهجاء لم يثبت أمامه إلا الأخطل والفرزدق، ولد سنة ٢٨، وقيل سنة ٣٥هـ، ومات سنة١٠٠ وقيل ١١١هـ. انظر: معجم الشعراء ص ٨٠.

(١٠٣) انظر: ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب مج١/ص٤١٦.

(١٠٤) التحرير والتنوير ج١٦/ص٢٢٢، وتفسير الطبري ج١٦/ص١٨٥.

(١٠٥) هو «فاضل صالح مهدي السامرّائي: نحوي، لغوي، باحث، ولد في سامرّاء بالعراق، وتخرج في كلية التربية، وهو أول طالب حاز على شهادة الماجستير من جامعة بغداد في اللغة العربية سنة ١٩٦٥م، ثم التحق في كلية الآداب بجامعة عين شمس، فحصل على الدكتوراة سنة ١٩٦٨م». معجم الأدباء للجبوري ج٤/ ص٤١٤.

(١٠٦) بلاغة الكلمة ص٥٧.

(١٠٧) جَأَرَ إلى الله: «تضرع بالدعاء». مختار الصحاح ص١١٩.

(١٠٨) «يقال وقع فلان في اللّتيّا والّتي وهما اسمان من أسماء الداهية». مختار الصحاح ص٦١٢.

(١٠٩) تفسير أبي السعود ج٤/ص٢٨١.

ويقول الماوردي[110] - رَحِمَهُ اللهُ -: «جئت على مقدار في الشدّة وتقدير المدة»[111].

هكذا وبالجمع بين القراءتين يتبيّن أنّ موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ جاء إلى جانب الطور الأيمن في ظروف ثقيلة ونادرة الحدوث، لكنّها كانت على وفق ما سبق في قضاء الله وقدره، فكانت العناية منه تعالى بتدبير إجراء أحواله وتدرُّجها إلى أن بلغ ذلك الموضع الذي كلَّمه الله منه، فهو المسيِّرُ عبادَهُ وخلقَه فيما يشاء، والله أعلم.

٧ - قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾﴾ [طه: ٥٣].

أولاً: القراءات:

١ - قرأ الكوفيون ﴿مَهْدًا﴾ بفتح الميم وإسكان الهاء من غير ألف.

٢ - وقرأ الباقون ﴿مِهَٰدًا﴾ بكسر الميم وفتح الهاء وألف بعدها[112].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

المَهْدُ: الفرش، وهو الموضعُ يُهَيَّأُ للصبيّ ويوطَّأ، والأرض كالمهاد، أي كالفراش، والجمع: مُهود، وبالضم: النَّشْزُ من الأرض، أو ما انخفض منها في سهولةٍ واستواء، من المجاز: مَهَّدَ الأمرَ: وَطَّأَهُ وسَوَّاه. والمَهدُ والمِهادُ: المكان المُمَهَّدُ المُوَطَّأ.

والمهاد أجمعُ من المَهْد، كالأَرضِ جعلها اللهُ مِهاداً للعبادِ، وأَصلُ

(١١٠) هو علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري (أبو الحسن) ولد سنة ٣٦٤هـ ولقبه بسبب عمل والده ببيع ماء الورد كان حليماً وقوراً أديباً، لم ير أصحابه ذراعه يوماً من الدهر من شدة تحرزه وأدبه. توفي سنة ٤٥٠هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ج ١٨/ص٦٧، والبداية والنهاية ج١٢/ص٨٠.

(١١١) تفسير الماوردي ج٣/ص٤٠٤.

(١١٢) انظر: النشر ج٢/ص٣٢٠.

المَهْدِ التَّوْثِيرُ؛ يقال مَهَدْتُ لنَفْسي ومَهَّدت: أي جعلت لها مكاناً وَطيئاً سهلاً[١١٣].

ثالثاً: التفسير:

يَصِفُ موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ربَّهُ لفرعون ـ حين سأله عنه تعجيزاً ـ بأنَّه الذي جعل الأرض ممهَّدة؛ يستقرُّ عليها الخلائق، وسلك بين الجبال طرقاً؛ يسير عليها الناس في تنقلاتهم من مكان لآخر، كما أنزل لكم من السماء ماءً عذباً فراتاً، وأخرج من الأرض أنواعاً شتَّى من النباتات، مختلفة في الطعم والرائحة والشكل والنفع.

جاء في تفسير الجلالين: «هو ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ﴾ في جملةِ الخلقِ ﴿ٱلْأَرْضَ مَهْدًا﴾ فراشاً ﴿وَسَلَكَ﴾ سهَّلَ ﴿لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾ طُرُقاً، ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ مطراً، قال تعالى تتميماً لما وصفه به موسى وخطاباً لأهل مكة: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا﴾ أصنافاً، ﴿مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ﴾ صفة أزواجاً أي مختلفة الألوان والطعوم وغيرهما، وشتَّى جمعُ شَتيت كمريض ومرضَى من شتَّ الأمرُ: تَفرَّق»[١١٤].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قيل: إنَّ المهدَ والمِهاد بمعنى واحد، وقيل: هما لغتان، حيث جاء في كتاب طلائع البشر ما نصُّه: «وقُرِئَ بفتح الميم وسكون الهاء، وحذف الألف لغةٌ في المهاد، يُقالُ: مَهدٌ ومهادٌ لما يُمْهَد»[١١٥].

إلاَّ أنَّ كثيراً من المفسرين ذكروا فَرْقاً بين اللفظين فقالوا: إنَّ المهدَ اسم فعلٍ أو مصدر، والمهادُ اسم، وقد ورد في التفسير الكبير قول أبي عبيد بأنَّ المهاد اسم، والمهدُ اسم فعل، كما أنَّ الفراشَ اسمٌ، والفرشَ

---

(١١٣) انظر: القاموس المحيط ص٤٠٩. ومعجم تفسير مفردات ألفاظ القرآن ص٨٥٢. وأساس البلاغة ص٤٣٨. وزاد المسير ج٣/ص١٦٢.

(١١٤) تفسير الجلالين ص٤١٠.

(١١٥) طلائع البشر ص١٢٦.

فعل[116].

مما سبق يتَّضح أنَّ القراءة الأولى ﴿مَهْدًا﴾ تبيِّن أن الله ـ تعالى ـ مهد الأرض وبسطها لتكون صالحة لحياة الإنسان عليها.

يقول الأستاذ سعيد حوَّى ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا﴾: «أي: بساطاً وفراشاً، أي: صالحة للقرارِ والاستقرار، والنوم والراحة»[117].

ويقول أبو حيان: «ومعنى ذلك أنَّه تعالى جعلها يتصرَّفون عليها في جميع أحوالهم ومنافعهم»[118].

ويقول البقاعي[119] ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ﴾ أيها الخلائق ﴿ٱلْأَرْضَ﴾ أي أكثرها ﴿مَهْدًا﴾ تَفْتَرِشونها، وجعل بعضَها جبالاً، لا يمكن القرار عليها، وبعضَها رخواً تسرحُ فيه الأقدام، وبعضَها جَلداً، إلى غير ذلك مما تشاهدون فيها من الاختلاف»[120].

وأمَّا القراءة الثانية ﴿مِهَٰدًا﴾ فهي اسمٌ والاسمُ يدلُّ على الثبوت والاستقرار، أي إنَّ الأرضَ مكانٌ للقرار والاستقرار عليها.

يقول القرطبي[121]: «ومعنى ﴿مِهَٰدًا﴾ أي: فراشاً، وقراراً تستقرُّون

---

(116) انظر: تفسير الرازي ج22 /ص68، جامع البيان ج16 / ص192، البحر المحيط ج6 /ص234. والدر المصون ج5 /ص28.

(117) الأساس ج7 /ص3364.

(118) البحر المحيط ج6 /ص234.

(119) هو إبراهيم بن عمر بن حسن الرُّباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، أبو الحسن، برهان الدين، مؤرِّخ أديب، أصله من البقاع في سورية، له نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. توفي بدمشق سنة 885. انظر: الأعلام ج1/ ص56.

(120) نظم الدرر ج5 /ص 23.

(121) هو محمد بن أحمد بن أبي فرح الانصاري الخزرجي المالكي، أبو عبد الله القرطبي، إمام متفنن متبحر في العلم، له تصانيف مفيدة تدل على إمامته وكثرة إطلاعه ووفور فضله. مات سنة إحدى وسبعين وستمائة للهجرة. انظر: طبقات المفسرين للسيوطي ج1/ص79.

عليها»[١٢٢].

ويقول ابن خالويه[١٢٣] ـ رحمه الله ـ: «... فالحجة لمن أثبتَ الألفَ ها هنا وفي (الزخرف): أنَّه جعله اسماً للأرض، أي: جعلها لهم فراشاً»[١٢٤].

وبالجمع بين القراءتين لا يمكن للمؤمن إلاَّ أنْ يقِفَ وقفةَ إجلالٍ وتعظيم أمامَ عظيم قدرة الله الخلاَّق العليم، وهو يتفكَّرُ في خلق الأرض بكلِّ ماَ عليها من مخلوقات، فقد بسطها الله تعالى وجعلها ممهدة فأصبحت كالفِراشِ لتكون الأرضُ للإنسان قراراً وفراشاً، يستقرُّ عليها إلى أنْ يرثَ الله ـ تعالى ـ الأرضَ وما عليها، والله أعلم.

٨ ـ قال تعالى: ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾﴾ [طه: ٥٨].

أولاً: القراءات:

القراءات في ﴿لَّا نُخْلِفُهُۥ﴾:

١ ـ قرأ أبو جعفر ﴿لَا نُخْلِفْهُ﴾ بإسكان الفاء جزماً.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿لَّا نُخْلِفُهُۥ﴾ بالرفع.

القراءات في ﴿سِوًى﴾:

١ ـ وقرأ ابن عامر، ويعقوب، وعاصم، وحمزة، وخلف ﴿سُوًى﴾ بضمِّ السين.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿سِوًى﴾ بكسر السين[١٢٥].

---

(١٢٢) تفسير القرطبي ج٦ /ص٤٢٥٤٩.

(١٢٣) هو أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه النحوي اللغوي، أصله من همذان لكنه دخل بغداد، وأدرك جُلّة العلماء، كانت وفاته سنة ٣٧٠هـ بحلب. انظر: وفيات الأعيان ج٢ /ص١٧٨ ـ ١٧٩.

(١٢٤) الحجة في القراءات السبع ص٢٤١.

(١٢٥) انظر: النشر ج٢/ص٣٢٠.

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«أخلفه: الوَعْدَ: قال ولم يفعَلْهُ»(١٢٦).

«والإخلاف: أن يَعِدَ شيئاً ولا يُنجِزه»(١٢٧).

«ومكانٌ سُوىً وسواء: وسَط (مَكَاناً سُوىً) و(مكانٌ سِوى): بالكسر والضمّ: مَعْلَمٌ أي أثر يستدل به على الطريق، وتقديره: ذو معلم يُهتدى به إليه»(١٢٨).

«ومكان سوي وسي: مستو، وأرض سي: مستوية»(١٢٩).

«وقد يُقال في سواء بمعنى عدل: سِوَى وسُوَى كما قال ـ جلّ ثناؤه ـ: (مَكَاناً سُوىً) و(سِوى) يرادُ به: عدلٌ ونصفٌ بيننا وبينك. وقد رُوِيَ أنَّ ابن مسعود رضي الله عنه كان يقرأ ذلك (إلى كلمةٍ عدلٍ بيننا وبينكم)»(١٣٠).

ثالثاً: التفسير:

اتهم فرعون موسى عليه السلام بأنه ساحر ـ وذلك بعد أن أفحمه عليه السلام بالحجة والبرهان ـ وطلبَ فرعونُ من موسى عليه السلام أن يُحددَ موعداً يتبارَى فيه مع السحرة، وذلك ليخفي فشله وضعفه أمام موسى عليه السلام.

يقول أبو السعود ـ رحمه الله ـ في تفسير الآية: «(فلنأتينك بسحر مثله) الفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها واللام جواب قسم محذوف كأنه قيل إذا كان كذلك فوالله لنأتينَّك بسحرٍ مثل سحرك، فاجعل بيننا وبينك موعداً، أي: وعداً كما يُنَبِّىءُ عنه وصفُه بقوله تعالى (لا نُخلِفه) فإنه المناسب لا المكان والزمان، أي: لا نخلفُ ذلك الوعدَ نحن ولا أنت، وإنما فوَّضَ

(١٢٦) القاموس المحيط ص١٠٤٤.

(١٢٧) البحر المحيط ج٦/ص٣٣٥.

(١٢٨) القاموس المحيط ص١٦٧٣.

(١٢٩) لسان العرب ج١٤/ص٤١٤.

(١٣٠) دقائق لغة القرآن ج١/ص٧٣. وانظر: مختار الصحاح ص ١٣٦.

اللعينُ أَمْرَ الوعدِ إلى موسى عليه السلام للاحترازِ عن نسبته إلى ضعفِ القلبِ، وضيقِ المجالِ، وإظهارِ الجلادةِ»[١٣١].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (لاَ نُخْلِفُهُ) بالرفع أنّه صفةٌ لـ(موعداً) باعتبار معناه المصدري، أي: لا نُخلفُ ذلك الوعدَ، أو هو موعدٌ غيرُ مُخْلَفٍ[١٣٢].

أمّا قراءة الجزم (لاَ نُخْلِفْهُ) على أنَّ لا ناهية، والجزمُ جوابٌ للأمر أي: إن جعلتَ ذلك لا نُخْلِفْهُ، والنهيُ تحذيرٌ من إخلافه[١٣٣].

جاء في كتاب أضواء البيان: «قوله تعالى: (لاَ نُخْلِفُهُ) أي الوعد الكامن في مفهوم اسم المكان الذي هو الموعد، لأنه مكان الوعد، فمعناه مركَّبٌ إضافيّ، وآخر جزأيه لفظ الوعد وهو مرجع الضمير في (لاَ نُخْلِفُهُ). فإذا عرفت معنى هذا الكلام الذي أخبر اللهُ أنَّ فرعون قاله لموسى، فاعلم أنَّ قوله عن موسى (قالَ موعدُكُم يوم الزِّينةِ) يدلُّ على أنَّه وافق على طلب فرعون ضمناً، وزاد تعيين زمان الوعد بقوله (موعدُكُم يوم الزِّينة)، ولا إشكالَ في ذلك»[١٣٤].

بالجمع بين القراءتين يُعلَم أنَّ فرعون طلب من موسى عليه السلام أنْ يُحَدِّدَ موعداً صفته أنّه غيرُ مُخلَفٍ، فإن جعله هكذا فلن يُخلِفه فرعون وأعوانه، وقد حذَّرَ من إخلافه، ونهَى عن إخلافه؛ وذلك ليوهم قوَّتَه، ويحترزَ عن نسبته إلى ضعف القلب وضيق المجال، وليظهرَ جلادته أمام الناس.

أما بالنسبة لقراءة (سوَى) بالضم والكسر، فيقول الإمام الطبري:

(١٣١) تفسير أبي السعود ج ٤/ ص٢٨٩.

(١٣٢) انظر: التحرير والتنوير ج١٦/ص٢٤٥، مجمع البيان ج١٣ ص١١٠، وروح المعاني ج١٥/ص٣١٦.

(١٣٣) انظر: تفسير القرطبي ج٦/ص٤٢٥٢، مجمع البيان ج١٣ ص١١٠، روح المعاني ج١٥/ص٣١٦، الدر المصون ج٥/ص٣١، والتحرير والتنوير ج١٦/ص٢٤٥.

(١٣٤) أضواء البيان ج٣/ص٢٤.

«والصواب من القول في ذلك عندنا أنهما لغتان ـ أعني الكسر والضم من (سوى) ـ مشهورتان في العرب»[١٣٥].

«(سِوَى) و(سُوَى): هو المكان النصف بين الفريقين»[١٣٦].

حيث إنَّ (سِوى) و(سُوى) هو فِعلٌ من التسوية، فكأنَّ المعنى مكانٌ تستوي فيه المسافة على الفريقين فتكون مسافة كلّ فريق كمسافة الآخر.

وهي أيضاً مكانٌ وسطٌ بيننا وبينك، وهو من الاستواء؛ لأنَّ المسافةَ من الوسط إلى الطرفين مستوية، أي مكاناً وسطاً مستوياً حتى يشاهده كلّ الحاضرين.

يقول الفخر الرازي ـ رحمه الله ـ في المعاني السابقة: «وذكروا في معناه وجوهاً:

(أحدها) **قال أبو علي**: مكاناً تستوي مسافته على الفريقين وهو المراد من قول مجاهد، قال قتادة: منصفاً بيننا.

(ثانيها)... (سوى) أي مستوياً لا يحجب العين ما فيه من الارتفاع والانخفاض. فتكون (سُوى) على التقديرِ الأولِ صفةُ المسافة، وعلى هذا التقدير صفةُ المكان، والمقصود أنَّهم طلبوا موضعاً مستوياً لا يكون فيه ارتفاعٌ ولا انخفاض حتى يشاهِدُ كلُّ الحاضرين كلَّ ما يجري.

(وثالثها) مكاناً يستوي حالنا في الرِّضاء به...»[١٣٧].

---

(١٣٥) تفسير الطبري ج١٦/ص١٩٥.

(١٣٦) معاني القراءات ج٢/ص١٤٧. وانظر: المحرر الوجيز ج٤/ص٤٩، الكشاف ج٢/ص٥٤٢، تفسير القرطبي ج٦ /ص٤٢٥٢، زاد المسير ج٣/ص ١٦٣، تفسير البيضاوي ص٤٢٩، ومجمع البيان ج١٣/ص١١٠.

(١٣٧) تفسير الرازي ج٢٢/ص٧٢ (بتصرف)، وانظر: تفسير الطبري ج١٦/ص١٩٥، الملخص ص ٢٦٦، الحجة في القراءات السبع ص٢٤١، الحجة للقراء السبعة ج٥/ص٢٢٤، مفاتيح الأغاني ص٢٩٣، روح المعاني ج١٥/ص٣١٧، والتحرير والتنوير ج١٦/ص٢٤٦.

هكذا وبالجمع بين القراءتين يتَّضِحُ أنَّ المكان المراد تحديده يتَّصفُ بأنّه مكانٌ تستوي مسافته بين الفريقين، ويوصفُ بأنّه مُستوٍ مُنْكَشِفٌ للناظرين ليشهدوا أعمال موسى عليه السلام وأعمال السحرة، كما تستوي فيه حالُ الجميع؛ فتكون المنازل فيه واحدة: يتَّحدُ الرئيسُ والمرؤوس والسائسُ والمَسُوس، وهذا هو المراد بالعدل، والله أعلم.

٩ ـ قال تعالى: ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾﴾ [طه: ٦١].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وحفص، ورويس (فَيُسْحِتَكُمْ) بضم الياء وكسر الحاء.

٢ ـ وقرأ الباقون (فَيَسْحَتَكُمْ) بفتحهما[١٣٨].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«السَّحت: الاستئصال. يقال: سَحَته وأسحَتَه»[١٣٩].

يُسْحِتَكُمْ: يَسْتَأصِلكم. ويَسْحَتَكُمْ: يقْشِرْكُم. والسحت في اللغة أصله الهلاك والشدة، سحت: السُّحْتُ والسُّحُتُ: كل حرام قبيح الذكر. وسَحَتَ الشيءَ يَسْحَتُهُ سَحْتاً: قشره قليلاً قليلاً، والسَّحْتُ: العذاب[١٤٠].

ثالثاً: التفسير:

يؤدِّي موسى عليه السلام واجبه كداعية إلى الله تعالى؛ فلا يتركُ فرصةً دون أنْ يستغلَّها في الدعوة إلى الله؛ فها هو ذا ينتهزُ فرصةَ اجتماع السحرةِ فيُنذرهم بالهلاك والاستئصال إن كذبوا على الله بادعائهم أن ما جاء به موسى عليه السلام هو السحر.

---

(١٣٨) انظر النشر ج٢/ص ٣٢٠.

(١٣٩) الاشتقاق ص٥٠٩. وانظر: معجم تفسير مفردات ألفاظ القرآن ص٤٠٩.

(١٤٠) انظر: لسان العرب ج٢/ص ٤٦.

يقول الدكتور وهبة الزحيلي ـ حفظه الله ـ في هذا المعنى: «أي قال موسى لفرعون والسحرة: الهلاك والعذاب لكم إنْ اختلقتم على الله كذباً وزوراً، بأنْ تزعموا أنَّ الذي جئتُ به ليس بحقٍ، وأنّه سحر، فيستأصِلُكم الله بعذابٍ شديدٍ من عنده، وقد خسر وهلك من افترى على الله أيَّ كذبٍ كان»[(١٤١)].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

يقول السمين الحلبي[(١٤٢)] ـ رحمه الله ـ: «قرأ الأخوان وحفص عن عاصم بضم الياء وكسر الحاء، وقرأ الباقون بفتحهما، وقراءة الأخوين من أسحتَ رباعيًّا، وهي لغةُ نجدٍ وتميم.

قال الفرزدق[(١٤٣)]:

وعَضُّ زمانٍ يا بنَ مروانَ لَمْ يَدَعْ من المالِ إلاَّ مُسْحِتاً أو مُجَلَّفُ[(١٤٤)][(١٤٥)]

وقراءة الباقين من سَحَتَّهُ ثلاثياً وهي لغة الحجاز. وأصل هذه المادة الدلالة على الاستقصاء والنفاد، ومنه: سَحَتَ الحالقُ الشعرَ أي استقصاه فلم يترك منه شيئاً، ويُسْتَعملُ في الإهلاكِ والإذهاب»[(١٤٦)].

---

(١٤١) التفسير المنير ج١٦/ص٢٣٥.

(١٤٢) هو أبو العباس أحمد بن يوسف بن عبد الدايم، شهاب الدين المعروف بالسمين الحلبي: مفسر، عالم بالعربية والقراءات، شافعي من أهل حلب، استقر واشتهر بالقاهرة، من كتبه الدر المصون. انظر: الأعلام ج١/ ص٢٧٤.

(١٤٣) هو همام بن غالب بن صعصعة، أبو فراس المعروف بالفرزدق، الشاعر المشهور، كان جده صعصعة عظيم القدر في الجاهلية، مات سنة عشر ومائة للهجرة. انظر: معجم الأدباء مج١٠/ج١٩/ص٢٩٧ ـ ٣٠٣ .

(١٤٤) المُجَلَّفُ: الذي أتَى عليه الدهر فأذهب ماله. انظر: لسان العرب ج٩/ص٣٧.

(١٤٥) البيتُ من قصيدة للفرزدق يخاطب بها الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان. انظر: شرح ديوان الفرزدق ج٢/ص١١٧.

(١٤٦) الدر المصون ج٥/ص٣٣، وانظر: المحرر الوجيز ج٤/ص٥٠، زاد المسير ج٣/ص١٦٤، تفسير القرطبي ج٦/ص٤٢٥٥، مجمع البيان ج١٣/ص١١٢.

ويقول الدكتور محمد سالم محيسن: «ونحن إذا ما نظرنا إلى هاتين القراءتين وجدناهما ترجعان إلى أصل الاشتقاق، حيث إنَّ القراءة الأولى مضارع (أسحته من الثلاثي المزيد بالهمزة، والقراءة الثانية مضارع (سحته) من الثلاثي المجرد، يقال: (سحته وأسحته) بمعنى (سحقته وأهلكته)»[١٤٧].

ويقول النسفي[١٤٨] ـ رحمه الله ـ: «السحتُ والإسحاتُ بمعنى الإعدام»[١٤٩].

إذا تأملنا النصوص السابقة نستنتج **أنَّ الآراء** اجتمعت على أنَّ القراءتين من قبيل اللغات، وأنَّهما بمعنى واحد، ولكن إذا نُقِّبَ عن الفرق بينهما فإنّه ـ استئناساً بما قاله الدكتور فاضل السامرائي ـ قد يتبيَّن فرقاً، حيث يقول: «ومن مقتضيات التكثير والمبالغة في الحدث استغراقُ وقتٍ أطول، وأنَّه يُفيدُ تَلبُّثاً ومُكثاً»[١٥٠].

إنَّ النُّطق بالقراءة الأولى ـ والتي هي مضارع (أسحت) ـ تدلُّ على المبالغة في الاستئصال والإهلاك بما يزيدُ على القراءة الثانية ـ والتي هي مضارع (سحت) حيث إنَّ النطق بأصل اشتقاق القراءة الأولى (أسحت) يستغرق وقتاً أطولَ في النطق بها عمّا يحتاجه أصل اشتقاق القراءة الثانية (سحت)، كما أنَّ القراءة الثانية تدلُّ على سرعة الحدث وهو الاستئصال وأنَّه يستغرق وقتاً أقصر في حدوثه، ويعاضده ما قاله **الطبري** ـ رحمه الله ـ في قوله تعالى: ﴿فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ﴾ حيث يقول:

---

(١٤٧) القراءات وأثرها في علوم العربية ج١/ص٢٧٤. وانظر: الفتوحات الإلهية ج٣/ ص ٩٨.

(١٤٨) هو عمر بن محمد بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن لقمان النسفي، ثم السمرقندي، كان إماماً فاضلاً، مبرزاً متفنناً، صنف في كل نوع من العلم: في التفسير والحديث والشروط، وبلغت تصانيفه المائة، وله شعر حسن. مات سنة سبع وثلاثين وخمسمائة للهجرة. انظر: طبقات المفسرين للسيوطي ج١/ص٧٥.

(١٤٩) تفسير النسفي ج٣/ص٨٩.

(١٥٠) بلاغة الكلمة ص٦٢.

«فيستأصلكم بهلاكٍ فيبيدَكم، وللعربِ فيه لغتان: سحتَ وأسحتَ، وسحتَ أكثرُ من أسحتَ، يقالُ منه: سحتَ الدهرُ، وأسحتَ مالُ فلان: إذا أهلكه، فهو يسحته سحتاً وأسحته يسحته إسحاتاً»(١٥١).

بالجمع بين القراءتين يصبح المعنى أنَّ من افترى على الله كذباً عذَّبه الله تعالى بالاستئصال في الدنيا وكان استئصاله مُبالَغاً فيه، ويكون بسرعة وبهذه الشِّدَّة حيثُ لا يُبقِي لكم في الدنيا بقيةً، والله أعلم.

١٠ ـ قال تعالى: ﴿قَالُوٓاْ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾﴾ [طه: ٦٣].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ ابن كثير (قَالُوا إِنْ هَذَانِّ) بتخفيف النون من (إِنْ)، وبالألف وتشديد النون من (هَذَانِّ) مع المد المشبع.

٢ ـ وقرأ أبو عمرو (قَالُوا إِنَّ هذين) بتشديد النون من (إِنَّ)، وبالياء من (هذين).

٣ ـ وقرأ حفص (قَالُوا إِنْ هَذَانِ) بتخفيف النون من (إِنْ)، وبالألف من (هذان).

٤ ـ وقرأ الباقون (قَالُوا إِنَّ هَذَانِ) بتشديد النون من (إِنَّ)، وبالألف من (هذانِ)(١٥٢).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(إِنْ): بالكسر والتخفيف، على أوجه منها ما ذكره السيوطي حيث يقول: «الثالث: أن تكون مخففة من الثقيلة فتدخل على الجملتين، ثمَّ الأكثر إذا دخلت على الاسمية إهمالها نحو: (إنْ هذانِ لساحران) في قراءة

(١٥١) تفسير الطبري ج١٦/ص١٩٦.

(١٥٢) انظر: النشر ج٢/ص٣٢٠، ٣٢١.

حفص وابن كثير»[١٥٣].

(إنَّ) بالكسر والتشديد على أوجه منها: أنها بمعنى (نعم)[١٥٤].

ثالثاً: التفسير:

وافق السحرة قولَ بَعضهم لبعض إنَّ موسى وهارون عليهما السلام ما هما إلاّ ساحران عالمان خبيران يريدان أن يَتَفَرَّدا بكلِّ ما ملكتموه من مال ومكانةٍ، كما يريدان إخراجكم من أرضكم.

يقول ابن كثير - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - في بيان قوله تعالى: (قالوا إنْ هذان لساحِران): «وهذه لغة لبعض العرب جاءت هذه القراءة على إعرابها ومنهم من قرأ (إنَّ هذانِ لساحران) وهذه اللغة المشهورة وقد توسع النحاة في الجواب عن القراءة الأولى بما ليس هذا موضعه والغرض أن السحرة قالوا فيما بينهم: تعلمون أنَّ هذا الرجل وأخاه - يعنون موسى وهارون - ساحران عالمان خبيران بصناعة السحر يريدان في هذا اليوم أن يغلباكم وقومكم ويستوليا على الناس وتتبعهما العامة ويقاتلا فرعون وجنوده فينتصرا عليه ويخرجاكم من أرضكم.

وقوله: ﴿وَيَذۡهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلۡمُثۡلَىٰ﴾ أي: ويستبدا بهذه الطريقة وهي السحر، فإنهم كانوا معظمين بسببها، لهم أموال وأرزاق عليها يقولون: إذا غلب هذان أهلكاكم وأخرجاكم من الأرض وتفردا بذلك وتَمَحَّضَت لهما الرِّياسة بها دونكم»[١٥٥].

رابعاً: العلاقة التفسيرية:

أفادت القراءة الأولى (قَالُوا إِنْ هَذَانِّ) بتخفيف النون من (إِنْ)، وبالألف وتشديد النون من (هَذَانِّ) مع المد المشبع التأكيد على قولهم بأنَّ

(١٥٣) الإتقان ج١/ص٢٠١ (بتصرف).

(١٥٤) انظر: الإتقان ج١/ص٢٠٤.

(١٥٥) تفسير ابن كثير ج٣/ص٢٨٠.

موسى وأخاه ـ عليهما السلام ـ ساحران، وهذا الرأي يستمدُّ قوَّةً وتأكيداً من هذه النون القوية التي لا تسقط بحالٍ من الأحوال، والذي يزيد الكلام تأكيداً المد المشبع الذي يوحي بالإطالة في الحديث حول هذا الرأي وكذلك تشديد النون من (هَذَانِّ).

يقول أبو العلاء الكرماني(١٥٦) ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «وقرأ ابن كثير (إِنْ هَذَانِّ) بتخفيف (إِنْ) على معنى: ما هذان إلاّ ساحران. و(إِنْ) إذا خففت كان الوجه أن تَرْفع الاسم بعدها»(١٥٧).

«ورد في قوله تعالى: (هذانِ) قراءتان هما:

أولاً: قراءة ابن كثير لهما بتشديد النون.

ثانياً: قراءة بقية السبعة لهما بنون خفيفة.

ولقد وجّه النحاةُ قراءةَ ابن كثيرٍ هذه على أنَّه قد شدّد عوضاً عن الألف والياء المحذوفتين فيه، إذ إنَّ أصله (هذانِ) فحذفت الياء والألف منه، وشُدِّدت النون فيه عوضاً عن الحرف المحذوف فيه.

وهنا ربما يُثار سؤالٌ مفادُه: لماذا عُوِّض الحرف المحذوف هنا ولم يُعَوَّض المحذوف في المثنَّى كما في غلامان و(بُرْهَـنَانِ) [القصص: ٣٢]؟ وللإجابة عن ذلك وجهان، أحدهما:

أنَّ نون (هذانِ) ثابتة في كلِّ الأحوال، ولا تسقط بالإضافة كما تسقط نون المثنى، وذلك لكون هذه الأسماء لا تقبل الإضافة، لذلك فرقوا بين هذه النون القوية التي لا تسقط في حال من الأحوال وبين نون التثنية الضعيفة»(١٥٨).

---

(١٥٦) هو «محمد بن أبي المحاسن بن أبي الفتح الكرماني، أبو العلاء، مقرئ من آثاره مفاتيح الأغاني في القراءات والمعاني فرغ منها سنة ٥٦٣هـ». معجم المؤلفين ج٦/ ص١٧٣. وانظر: كشف الظنون ج٢/ ص ٦١١.

(١٥٧) مفاتيح الأغاني ص٢٧٤.

(١٥٨) ما انفرد به كل من القراء السبعة ص ٤٤ ـ ٤٥.

وأمّا القراءة الثانية (قَالُوا إِنَّ هذين) بتشديد النون من (إِنَّ)، وبالياء من (هذين) على إعمال (إِنَّ) تفيدُ معنى: نعم هذان ساحران، أو أجل هذان ساحران على معنى تأكيد كلامٍ مقَدَّرٍ تحدَّثوا به حين أسرّوا النجوى، يقول أبو الحسن الفارسي: فيكون نعَم منصرفاً على تصديق أنفسهم فيما ادّعوه من السحر و(إِنَّ) بمنزلة نعم، وقال سيبويه: نعم عدةٌ وتصديق، وأن تُصرَف إلى الناصبة للاسم أولى[١٥٩].

كما أفادت القراءة الثالثة (قَالُوا إِنْ هَذَانِ) بتخفيف النون من (إِنْ)، وبالألف من (هذان) تأكيد كونهما ساحرين على المعنى في القراءة الأولى: ما هذان إلاّ ساحران.

في حين أفادت القراءة الرابعة (قَالُوا إِنَّ هَذَانِ) بتشديد النون من (إِنَّ)، وبالألف من (هذان) معنى: نعم هذان ساحران، تأكيداً لكلامهم حين أسرّوا النجوى بأنّ موسى وهارون عليهما السلام ساحران و(إنّ) هنا تكون عاملة وهي على لغة من يرفعون الاثنين في كلّ موضع.

يقول أبو علي الفارسي ـ رحمه الله ـ: «(إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ) بتخفيف (إِنْ) لأن الكتاب: (هَذَانِ) فيحملها على لغة من يخفف (إِنّ) فيرفع بها، وإن ثقلت فهي لغةٌ لبني الحارث بن كعب[١٦٠] يرفعون الاثنين في كلّ موضع»[١٦١].

ويقول أبو السعود ـ رحمه الله ـ: «قالوا: أي بطريق التناجي والإسرار (إِنْ هَذانِ لَساحِران) الخ، فإنه تفسيرٌ له، ونتيجة لتنازعهم، وخلاصة ما استقرت عليه آراؤهم بعد التناظر والتشاور، و(إِنْ) مُخَفَّفَةٌ من (إِنَّ) قد أُهمِلت عن

---

(١٥٩) انظر: الحجة للقراء السبعة ج٥/ص٢٣٠.

(١٦٠) هذه النسبة إلى قبائل، منها إلى بني حارثة بن الحارث بن الخزرج ومنها إلى بني الحارث بن كعب بن علة بن جَلْد بن مالك بن أدد بن زيد بن يَشْجب بن يَعْرب بن قحطان، منهم شريح بن هانيء الحارثي صاحب علي رضي الله عنه. انظر: لب الألباب ج١/ص ٢٣١، واللباب ج١/ ص ٣٨١.

(١٦١) الحجة للقراء السبعة ج٥/ص٢٣١.

العمل، واللام فارقة، وقُرِىءَ بتشديد نون (هذانٍّ) وقيل: هي نافيةٌ واللام بمعنى إلا، أي: ما هذان إلا ساحران، وقرئ (إنَّ) بالتشديد، و(هذان) اسمها على لغة بلحارث بن كعب، فإنهم يعربون التثنية تقديراً، وقيل: اسمها ضميرُ الشأن المحذوف، و(هذان لساحران) خبرها، وقيل: (إن) بمعنى (نعم)، وما بعدها جملة من مبتدأ وخبر، وفيهما أن اللام لا تَدخُل خبر المبتدأ، وقيل أصله أنه هذان لهما ساحران، فحذف الضمير وفيه أن المؤكد باللام لا يليق به الحذف وقُرِىءَ (إنَّ هذين لساحران) وهي قراءة واضحة»(١٦٢).

بالجمع بين القراءات يتبيَّنُ أنَّ السحرةَ حين تنازعوا أمرهم، وأسرّوا النجوى أجمعوا على قولهم إنّ موسى وهارون عليهما السلام ما هما إلاّ ساحران، وأكّدوا قولهم بهذا الرأي، ووافقوا عليه فقالوا: أجل هذان ساحران يريدان أنْ يخرجاكم من أرضكم، والله أعلم.

١١ ـ قال تعالى: ﴿فَأَجْمِعُواْ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُواْ صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾﴾ [طه: ٦٤].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ أبو عمرو ﴿فأجمَعوا﴾ بوصل الهمزة وفتح الميم.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿فَأَجْمِعُواْ﴾ بالقطع وكسر الميم(١٦٣).

ثانيا: المعنى اللغوي للقراءات:

الجمعُ: أن تجمعَ شيئاً إلى شيء، والإجماعُ: أن تجمعَ الشيء المُتفرّق جميعاً، فإذا جعلته جميعاً بقيَ جميعاً ولم يكد يتفرّق، كالرأي المعزوم عليه الممضى.

---

(١٦٢) تفسير أبي السعود ج٤/ص٢٩٠.

(١٦٣) انظر: النشر ج٢/ص٣٢١ .

قال الفراء: الإجماعُ: الإعداد والعزيمة على الأمر(١٦٤).

ثالثاً: التفسير:

قال السحرةُ لبعضهم وهم يتناجون في أمر مغالبة موسى عليه السلام: أزمِعوا كيدكم واجعلوه مُجمعاً عليه، ثم ائتوا صفًّا ليهابكم الناظرون، وقد فاز اليوم من كانت له الغلبة.

يقول أبو السعود ـ رحمه الله ـ في تفسير قوله تعالى ﴿فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ﴾: «تصريحٌ بالمطلوب إثرَ تمهيدِ المقدماتِ، والفاءُ فصيحةٌ، أي: إذا كان الأمر كما ذُكرَ من كونهما ساحرين يريدان بكم ما ذُكرَ من الإخراج والإذهابِ فأزمِعوا كيدَكُم واجعلوه مُجمعاً عليه بحيث لا يتخلف عنه واحد منكم، وارموا عن قوسٍ واحدةٍ، وقُرِئ ﴿فأجمَعوا﴾ من الجمع، ويعضده قوله تعالى: ﴿فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ﴾ [طه: ٦٠] أي: فاجمعوا أدواتَ سِحركم ورتِّبوها كما ينبغي ثم ائتوا صفاً، أي: مُصْطَفِّين، أُمِروا بذلك لأنه أهيبُ في صدورِ الرائين، وأدخلُ في استجلابِ الرهبةِ من المشاهدين، قيل: كانوا سبعين ألفاً مع كلٍّ منهم حبلٌ وعصا، وأقبَلوا عليه إقبالةً واحدةً»(١٦٥).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

يقول الدكتور محمد سالم محيسن في الفرق بين (جَمَعَ) و(أجمعَ): «واعلم أنَّ (جَمَعَ) الثلاثي يتعدَّى للحسِّيّ والمعنويّ، تقول: جمعتُ القوم، وجمعتُ أمري، وأنَّ (أجمعَ) الرباعي لا يتعدى إلا للمعنوي، تقولُ: أجمعتُ أمري، ولا تقولُ: أجمعتُ القوم»(١٦٦).

استئناساً بما سبق فإنَّ القراءة الأولى تُفيدُ جمع السحرةِ الكيدَ وما يستطيعون من الأمور الحسية وغيرها ليبالغوا في سحرهم.

---

(١٦٤) انظر: لسان العرب ج٨ /ص٦٧ ـ ٦٨.

(١٦٥) تفسير أبي السعود ج٤/ص٢٩١.

(١٦٦) المغني لمحيسن ج٢/ص٢٥، وانظر: المستنير ج٢/ص٣٣، وروح المعاني ج١٥/ص٣٢٨.

أمَّا القراءة الثانية فإنَّها تُفيدُ إحكامَ أمرهم وكيدهم وأن يجعلوه مُجمعاً عليه بحيثُ لا يتخلَّف عنه منهم أحد؛ «وأجمعتُ كذا: أكثر ما يُقالُ فيما يكون جمعاً يُتوَصَّلُ إليه بالفكر»(١٦٧).

وفي الموازنة بين القراءتين **يقول الإمام الطبري** ـ رحمه الله ـ: «والصواب في قراءة ذلك عندنا همزُ الألفِ من (أجْمَعَ) لإجماع الحجة من القراء عليه، وأنَّ السحرةَ هم الذين كانوا به معروفين، فلا وجهَ لأن يقال لهم: (اجمَعوا) ما دُعيتُم له ممَّا أنتم به عالمون؛ لأنَّ المرءَ إنما يَجمعُ ما لم يكن عنده إلى ما عنده، ولم يكن ذلك يومٌ يزيد(١٦٨) في علمهم بما كانوا يعملونه من السحر بل كان يوم إظهاره، أو كان متفرقاً مما هو عنده بعضه إلى بعض، ولم يكن السحرُ متفرقاً عندهم فيجمعونه، وأما قوله: ﴿فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ﴾ [طه: ٦٠] فغيرُ شبيهِ المعنى بقوله: ﴿فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ﴾ وذلك أنَّ فرعونَ كان هو الذي يجمعُ ويحتفلُ بما يغلبُ به موسى عليه السلام مما لم يكن عنده مجتمعاً حاضراً، فقيل: ﴿فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ﴾[طه: ٦٠]»(١٦٩).

مستعينةً بالله ـ تعالى ـ أقول: إنَّ قولَ الطبريِّ هذا مأخذٌ عليه ـ رحمه الله ـ حيث لا يجوزُ ردّ قراءة صحيحةٍ أو تضعيفها، ولعلَّ المُسَوِّغَ له كَون زمانه قبلَ تحديد القراءات العشر الصحيحة، والقراءة الأولى (فاجْمَعوا) بالوصلِ وفتحِ الميم صحيحةٌ ولها مُسَوِّغٌ مقبولٌ يذكره أبو الحسن الفارسي ـ رحمه الله ـ حيثُ يقول:

«وإنما يقولون بالقطع إذا قالوا: أجمعنا على كذا وكذا، وأما إذا قالوا: اجمعوا أمركم، أو اجَمعوا كيدكم، فلا يقولون إلاَّ بالوصل، قال: والقطعُ أكثرُ القراءة.

قال: فإمّا أن يكونَ لغةً في ذا المعنى؛ لأنَّ بابُ فعلتُ وأفعلتُ كثيرٌ.

(١٦٧) معجم تفسير مفردات ألفاظ القرآن ص١٨٩.

(١٦٨) جاء في تفسير الطبري لفظة (تزيد) بالتاء بدلاً من (يزيد) بالياء.

(١٦٩) تفسير الطبري ج١٦/ص٢٠٢.

أو يكونُ (اجمَعوا) أي: أجمِعوا على كذا وكذا، ثم قال: (كيدَكم) على أمرٍ مُستأنَفٍ. فإن قيل: فقد تقدَّمَ ذكرُ قوله: ﴿فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ﴾ [طه: ٦٠]، فإذا قالوا: ﴿فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ﴾ كان تكريراً، قيل: لا يكون كذلك، ذاك إخبارٌ عن فرعون في جمعه كيده وسحره، وهذا فيما يتواصى به السحرة في جمع كيدهم، وما يستظهرون في المبالغة في سحرهم»[170].

ويقول الخطيب التبريزي ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «فمن قرأ بالوصل فعلى أنَّ المعنى جيئوا بكلِّ كيدٍ تقدرون عليه، لا تُبقوا منه شيئاً، وشاهده ﴿... فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾﴾، ومن قرأ بالقطع فعلى أنَّ المعنى، ليكن عزمكم مُجمَعاً عليه ثمَّ لا تختلفوا فتختلُوا»[171].

بالجمع بين القراءتين يتبيَّنُ أنَّ السحرةَ أسَرُّوا لبعضهم بعضاً بأن يجمعوا كيدهم فلا يَدَعوا منه شيئاً إلاَّ جاءوا به، وأن يُحكِموا أمرهم وكيدهم ورأيهم، وأنْ يرموا عن قوسٍ واحدةٍ؛ ليكون لهم الفوزُ والفلاح، والله أعلم.

١٢ ـ قال تعالى: ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾﴾ [طه: ٦٦].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ ابن ذكوان وروح (تُخَيَّلُ) بالتاء على التأنيث.

٢ ـ وقرأ الباقون (يُخَيَّلُ) بالياء على التذكير[172].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«خيل: خال الشيءَ يخالُ خيلاً، وخِيلة، وخَيْلة، وخالاً، وخِيَلاً،

(١٧٠) الحجة للقراء السبعة ج٥/ص٢٣٢.

(١٧١) الملخص ص٢٦٩.

(١٧٢) انظر: النشر ج٢/ص٣٢١.

وخَيَلاناً، ومخالة، مَخِيلة، وخيلُولة: ظَنَّهُ»[١٧٣]. و«تَخيَّل الشيءُ له: تَشَبَّهَ»[١٧٤].

قال الفيروزأبادي[١٧٥] - رحمه الله -: «الخيـال والخَيَالة بمعنى: وأصله الصُّورة المجرّدة كالصورة المتصوّرة في المنام وفي المرآة وفي القلب بُعَيد غيبوبة المرئيّ... ثمّ يستعمل في صورة كلّ أمر متصوّر، وفي كلّ أمر متصوّر، وفي كلّ شخص دقيق يجري مجرَى الخيال. والتَّخييل: تصوير خَيال الشيء في النفس، والتَّخيُّل: تصور ذلك»[١٧٦].

ثالثاً: التفسير:

لمّا اجتمع موسى عليه السلام والسحرة في الميقات المعلوم أمام الناس، وشاور السَّحَرةُ موسى عليه السلام تأدُباً معه فيمن يلقي أولاً، قال لهم موسى بأن يبدءوا هم بالإلقاء، وقد كانوا أودعوا عصيَّهم وحبالَهم من الزئبق ما جعلها تبدو وكأنها تتحرك وذلك بتأثير حركة الزئبق الذي تمدد مع حرارة الشمس في وقت الضحى، حتى إنّ موسى عليه السلام فَزِع واضطرب من عظمة سحر السحرة[١٧٧].

يقول الصابوني في بيان قوله تعالى: ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾﴾ [طه: ٦٦]: «في الكلام حذفٌ دلَّ عليه المعنى: أي فألقوا فإذا تلك الحبال والعصيّ التي ألقوها يتخيلها موسى ويظنُّها - من عظمة السحر - أنّها حيّات تتحرك وتسعى على بطونها، والتعبير يوحي

(١٧٣) لسان العرب ج١١/ص٢٧٢.

(١٧٤) القاموس المحيط ص١٢٨٨.

(١٧٥) هو محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر، أبو طاهر، مجد الدين الشيرازي الفيروزأبادي: من أئمة اللغة والأدب، ولد بكازارين من أعمال شيراز، وانتقل إلى العراق، كان مرجع عصره في اللغة والحديث والتفسير. مات سنة ٨١٧هـ. انظر: الأعلام ج٧/ ص١٤٦.

(١٧٦) بصائر ذوي التمييز ج٢/ص٥٨٠ (بتصرف).

(١٧٧) انظر: تفسير أبي السعود ج٤/ص٢٩٢.

بعظمة السحر حتى إنّ موسى فزع منها واضطرب»(١٧٨).

رابعاً: العلاقة التفسيرية:

القراءتان على البناء للمفعول ولكن القراءة (تُخَيَّلُ) بتاء التأنيث حملاً على معنى تخيل الحبال والعصي، في حين أنّ القراءة (يُخَيَّلُ) بياء التذكير حملاً على معنى يُخيل لهم السحر.

والتذكير يحمل معاني عدة منها: القوة والقلة، والتأنيث يحمل معاني عدة: منها الكثرة والضعف(١٧٩).

بالجمع بين القراءتين يتَّضح أنّ الله تعالى ـ بمشيئته القدرية الكونية ـ خيّل للحاضرين ـ للامتحان والابتلاء ـ أنّ الحبال والعصيّ على كثرتها أو قلّتها تسعى، حتى تخيّلوها من عظمة السحر أنّها تسير وتعدو مثل الحيّات، ورغم تمكن السحرة من السحر وإتقانهم له فكيدهم وإن ظهر قوياً فهو في حقيقته ضعيف، والله أعلم.

١٣ ـ قال تعالى: ﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾﴾ [طه: ٦٩].

أولاً: القراءات:

القراءات في (تلقّفُ):

١ ـ قرأ ابن ذكوان (تَلَقَّفُ) برفع الفاء.

٢ ـ وقرأ حفص (تَلْقَفُ) بإسكان اللام مع تخفيف القاف.

٣ ـ وقرأ البزي (يَمِينِكَ تَّلَقَّفْ) بالجزم والتشديد وعلى أصله في تشديد التاء وصلا.

---

(١٧٨) صفوة التفاسير ج٢/ص ٢٠٧. وانظر: تفسير البغوي ج٣/ص١٨٨.

(١٧٩) انظر: التأنيث في اللغة ص٢٧.

٤ ـ وقرأ الباقون (تَلَقَّفْ) بالجزم والتشديد[١٨٠].

القراءات في (سِحْر):

١ ـ قرأ حمزة والكسائي وخلف (سِحْر) بكسر السين وإسكان الحاء من غير ألف.

٢ ـ وقرأ الباقون (سَاحِر) بالألف وفتح السين وكسر الحاء[١٨١].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(تَلْقَفْ): لقف: اللَّقْفُ: تناوُل الشيء يرمي به إليك. تقول: لَقَّفَني تَلْقِيفاً فلَقِفْته. واللَّقْفُ: سرعة الأخذ لما يُرمى إليك باليد أو باللسان. (وفي حديث الحج: تلقَّفْتُ التلبية مِن فيّ رسول الله ﷺ)[١٨٢] أي: تلقَّيتها وحفِظتها بسرعة. والتَّلَقُّف: الابتلاع[١٨٣].

سِحْر: السّحر عمل تقرب فيه إلى الشيطان وبمعونة منه كل ذلك الأمر كينونة للسحر، ومن السحر الأخذة التي تأخذ العين حتى يظن أن الأمر كما يرى، وليس الأصل على ما يرى. السِّحْر: الأخذة، وكل ما لطف مأخذه ودق فهو سحر، والجمع أسحار وسحور، سحره يسحره سحراً. ورجل ساحر: من قوم سحرة، سحَّار: من قوم سحَّارين[١٨٤].

«وقد (سَحَرَه) بالفتح، (سِحْراً) بالكسر. و(الساحِرُ): العالِم»[١٨٥].

ثالثاً: التفسير:

يأمر الله ـ تعالى ـ نبيَّه موسى عليه السلام قائلاً: ألقِ ما في يمينك ـ وهي

(١٨٠) انظر: النشر ج٢/ص٣٢١.

(١٨١) انظر: النشر ج٢/ص٣٢١.

(١٨٢) أخرجه مسلم في صحيحه عن ابن عمر ج٢/ص ٨٤١/ ح١١٨٤، كتاب: الحج، باب: التلبية وصفتها ووقتها.

(١٨٣) انظر: لسان العرب ج٩/ص٣٨٢. وانظر: التفسير الوسيط للطنطاوي ج٩ / ص ٦١.

(١٨٤) انظر: المرجع السابق ج٤/ص ٣٤٨.

(١٨٥) مختار الصحاح ص٣٢٦.

العصا ـ تبتلعْ بفمها كلَّ ما صنعوا من السحر، فقد اخترعوه وافتعلوه من باب الشعوذة والسحر؛ لذا فإن الساحر لا يفوز بمطلوبه فهو كاذبٌ مضلِّل.

يقول الأستاذ محيي الدين الدرويش ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «قال تعالى: ﴿وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ﴾ ليتيقظ بهذه الصيغة للوقت الذي قال الله تعالى له: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾﴾ [طه: ١٧] وقد أظهر له آيتها، فيكون ذلك تنبيهاً له، وتأنيساً حيث خوطب بما عهد أنْ يخاطب به وقت ظهور آيتها، وذلك مقام يناسب التأنيس والتثبيت في موقف يزايل الوقار أشد النفوس قوة ورباطة»(١٨٦).

ويقول الشيخ مصطفى الحصن المنصوري ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «﴿وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ﴾ أي ألقِ عصاك التي بيمينك، وإنما أوثر الإبهام تهويلاً لأمرها، وتفخيماً لشأنها، وإيذاناً بأنها ليست من جنس العصيّ المعهودة ﴿تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْ﴾ بالجزم جواباً للأمر، أي تبتلع ما صنعوه من السحر، من لَقفه إذا ابتلعه بسرعة، والتعبير عنها بما صنعوا للتحقير، والعربُ تقول في الكذب كلام مصنوع ﴿إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍ﴾ أي إنما افتعلوه هو من باب الشعوذة والسحر ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ﴾ أي هذا الجنس، لأن السحر صنعة خسيسة، ﴿حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾﴾ أي حيث كان، وأين أقبل»(١٨٧).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

ناسبت القراءة (تَلَقَّفُ) سرعة التلقف وكثرته: حيث تلتهم ما صنعوا بسرعة، وتقتلع مادة الخوف من نفس موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بالكلية.

فمعنى (تَلَقَّفُ) أي: «تبتلع بقوة واجتهاد مع سرعة لا تكاد تدرك»(١٨٨).

يقول الألوسي: «رفع الفعل على أنَّ الجملة مستأنفة استئنافاً بيانياً، أو

(١٨٦) إعراب القرآن للدرويش ج٤/ص٧٠٢.

(١٨٧) المقتطف ج٣/ص٣٤٧، ٣٤٨، وانظر: روح المعاني ج١٥/ص٣٣٤.

(١٨٨) السراج المنير ج٢ / ص ٤٧٢. وانظر: التبيان ج١/ ص ٢٠٧.

حال مقدَّرة من فاعل ألقِ بناءً على تسببه أو من مفعوله، أي متلقفاً أو متلقفة؛ وجملة الأمر معطوفة على النهي متممة بما في حيزها لتعليل موجبه ببيان كيفية علوه وغلبه عليه السلام، فإنَّ ابتلاع عصاه عليه السلام لأباطيلهم التي منها أوجس في نفسه خيفة، يقلع مادة الخوف بالكلية»(١٨٩).

أما فيما يتعلّق بالقراءة (تَلْقَفُ) فقد أفادت إثبات أصل الحدث، واستحضار حقيقة الصورة دون مبالغة فيها.

جاء في **كتاب التوجيه اللغوي لقراءة عاصم** ما يلي: «قرأ حفص: (تَلْقَفُ) مضارع من الثلاثي المجرّد (لَقِفَ يلْقَف لَقْفاً) والمعنى: تَلْقم أي: تأخذه فتأكله وتبتلعه، وهذه القراءة إثباتٌ لأصل الحدث، واستحضار لحقيقة الصورة دون مبالغة فيها وقرأ شعبة: (تَلَقَّفُ) وهو مضارع حُذفت إحدى تاءيه تخفيفاً، والأصل: (تَتَلَقَّفُ) من (تَلَقَّف) الماضي المزيد بالتاء وتضعيف العين، وهما . . . صوتان لهما معنى في البناء الصرفي. ولا شك أنّ المعنى ـ بفضلهما ـ زاد قوة، وتعبيراً عن الإمعان في الالتهام»(١٩٠).

أمّا القراءة الثالثة (يَمِينِكَ تَّلَقَّفْ) فقد ورد فيها الآتي: «وقوله بتشديد التاء أي إدغام التاء الأولى في الثانية في حالة الوصل، لئلاّ يلزم الابتداء بالساكن على ما بُيِّنَ في علم النحو»(١٩١).

ولا يخفى ما في هذه القراءة من الشدة والسرعة في النطق ممّا يُوحي بالشدَّة والسرعة في الحدث.

في حين أفادت القراءة (تَلْقَفْ) بالجزم على أنه جوابٌ للأمر، وهو قوله تعالى: ﴿وَأَلْقِ﴾، وما كان جواباً للأمر كان مجزوماً؛ لأنه على تقدير جواب الشرط، كأنه قال: وألقِ ما في يمينك فإنَّكَ إن تُلْقِهِ تَلْقَفْ(١٩٢).

(١٨٩) روح المعاني ج١٥/ص٣٣٤، وانظر: أضواء البيان ج٣/ص٢٧.

(١٩٠) التوجيه اللغوي ص ١٨٧.

(١٩١) حاشية الشهاب ج٦/ص٣٧٠.

(١٩٢) انظر: الموضح ج٢/ص٨٤٣.

أمّا القراءة (كيد سحر) فقد أفادت توغُّلَ السحرة في السحر كأنّهم السحر بعينه، كما بيَّنت الكيد، وفي ذلك **يقول الزمخشري** ـ رحمه الله ـ: «وقُرِئ (كيدُ سحر) بمعنى كيد ذي سحر، أو ذوي سحر، أو هم لتوغُّلهم في سحرهم كأنّهم السحر بعينه وبذاته، أو بيَّنَ الكيد لأنّه يكون سحراً، وغير سحر، كما تُبَيِّنُ المائة بدرهم، ونحوه: علم فقهٍ، وعلمُ نحو»[١٩٣].

بينما أفادت القراءة ﴿كَيْدُ سَٰحِرٍۖ﴾ تحقير كيد السحرة.

قال أبو السعود ـ رحمه الله ـ: «﴿كَيْدُ سَٰحِرٍۖ﴾ بالرفع على أنه خبرٌ؛ أي: كيدُ جنس الساحر، وتنكيرُهُ للتوسُّل به إلى تنكير ما أُضيفَ إليه للتحقير. وقُرِئ ﴿كيدُ سحر﴾ على أنَّ الإضافة للبيان كما في علمُ فقهٍ، أو على معنى ذي سحر، أو على تسمية الساحر سحراً مبالغة»[١٩٤].

وبالجمع بين القراءات الستّ يتبيّن أنّ الله ـ تعالى ـ أوحى إلى موسى عليه السلام حين أوجسَ في نفسه خيفةً أنْ يُلقيَ عصاه، وبمجرَّد إلقائه لها إذا هي تبتلعُ، وتلتهم كلَّ ما صنعوه من السحر بسرعةٍ، وحذقٍ، ولم تُبْقِ مِمّا صنعوا شيئاً، وقد كانت مُسْتَحْضِرَةً لحقيقة الصورة، مثبْتَةً لأصل الحدث.

كما بيَّنَ الله ـ عز وجل ـ لموسى أنّهم رغم توغُّلِهم في السحر ـ حتّى لكأنَّ الساحر منهم أصبح جنسَ السِّحر نفسه ـ إلاّ أنّ ما صنعوا هو كيدٌ حقيرٌ تلتهمُهُ هذه العصا رغم صِغَرِ حجمها، فهيَ أعظمُ ممّا صنعوه جميعاً، والله أعلم.

١٤ ـ قال تعالى: ﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾﴾ [طه: ٧١].

---

(١٩٣) الكشاف ج٢/ص٥٤٥.

(١٩٤) تفسير أبي السعود ج٤/ص ٢٩٣. وانظر: الملخص ص٢٧١. والفتوحات الإلهية ج٣/ص ١٠٠.

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ حفص، ورويس: (ءامَنتُمْ لَهُ) على لفظ الخبر.

٢ ـ وقرأ نافعٌ، وأبو جعفر، وابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، (أءامَنْتُمْ لَهُ) على الاستفهام بهمزتين الأولى مُحَقَّقَةٌ والثانية بين بين.

٣ ـ وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وأبو بكر عن عاصم، وروح (أءامَنْتُمْ لَهُ) على الاستفهام بهمزتين مُحَقَّقَتين(١٩٥).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«آمَنَ به إيماناً: صدَّقَهُ، والإيمانُ: الثقة، وإظهار الخضوع، وقبول الشريعة»(١٩٦).

ثالثاً: التفسير:

يستنكر فرعون على السحرة أنهم آمنوا برب موسى عليه السلام دون إذنٍ منه، ويتَّهمهم أنَّهم تآمروا مع موسى عليه السلام عليه وعلى قومه، وأنَّ موسى عليه السلام هو كبيرهم الذي تعلَّموا السحر على يديه، وهدَّدهم بقتلهم وإشهارهم.

فقد «كان فرعون قد ادّعى الربوبية فقال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤]، وادّعى الألوهية وقال: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص: ٣٨]، وفوجئ فرعون بإيمان السحرة، وسجودهم لله رب العالمين؛ وخشي أنْ يمتد الإيمان إلى سائر الشعب؛ فادّعى: أنَّها مؤامرة، وادَّعى: أنَّ موسى هو المعلِّم الذي تعلَّموا على يديه السحر، وأنَّهم بيَّتوا هذا الأمر؛ ليتظاهروا أمام الناس بأنَّهم غُلِبوا، وهدَّد السحرة بالغضب والانتقام، والعذاب الأليم.

وقال: آمنتم بموسى قبل أن أعطيكم الإذن بذلك؛ لأقطِّعن أيديكم اليمنى وأرجلكم اليسرى من خلاف، أي: لا يكون القطع لليد والرجل عن وفاق؛ فيقطع اليد اليمنى والرجل اليمنى؛ فيكون للإنسان نصف كامل، بل

(١٩٥) انظر: النشر ج٢/ص٣٢١، والبدور الزاهرة ص١٢٠.

(١٩٦) القاموس المحيط ص١٥١٨.

يريد أن ينتشر النقص في الجسم كلّه. ولأصلّبنّكم على جذوع النخل من باب التشهير والتنكيل - قال ابن عباس: فكان أوّل من عذّب بهذا العذاب - ولتعلمنَّ أيُّها السحرة أيُّنا أشدُّ تعذيباً لكم، وأبقى في إنزال الهلاك بكم؛ أنا أمْ موسى وربّه؟»[197].

«فإنَّ حرف الجر (في) جيء به قصداً ولا يسد غيره مسدّه؛ ذلك لأنَّ الحرف يصوّر لنا ما في نفس فرعون من حقد وغيظ على أولئك السحرة المؤمنين. فهو لا يريد فقط تصليبهم على الجذوع، بل يود أن يدخلهم في جذوع النخل ويحشرهم فيها»[198].

رابعاً: العلاقة التفسيرية:

ناسبت القراءة الأولى (آمَنْتُمْ لَهُ) على لفظ الخبر، إخبار فرعون للسحرة على جهة التوبيخ أنَّ إيمانهم كان بدون إذنٍ منه، فبهذا يكون إيمانهم في نظره إيمانٌ لا يُعْتَدُّ به، وهو غير مُعْتَبَرٍ.

كما ناسبت القراءة الثانية (أءامَنْتُمْ لَهُ) على الاستفهام بهمزتين الأولى مُحَقَّقَةٌ والثانية بين بين، استنكار فرعون إيمان السحرة بغير إذنه، ففي الآية استفهامٌ توبيخي، واستنكارٌ لفعلِ الإيمان من قِبَلِ السحرة بسهولةٍ وبلا تردُّد من السحرة، وأنَّ هذا الإيمان لا يُعْتَدُّ به لكونه بغير إذنٍ منه؛ إذ لا يحقُّ لهم إلا تبعية فرعون. وهذا ما يوحي به وضع الهمزتين في هذه الكلمة حيث إنَّه إذا اجتمع في كلمة همزتان وجب التخفيف إن لم يكونا في موضع العين[199]، وهذا ما حدث في القراءتين السابقتين.

وناسبت القراءة الثالثة (أءامَنْتُمْ لَهُ) على الاستفهام بهمزتين مُحَقَّقَتين، استنكار فرعون إيمانَ السحرة بدون إذنه، واستثقاله هذا الفعل، فهو الذي جاء بهم ليقضيَ على موسى ويُبطلَ أمرَه، فإذا به يُفاجأُ بهم يؤمنون بدعوته،

---

(١٩٧) تفسير القرآن الكريم ج١٥/ ص ٣١٧٧.

(١٩٨) نظرات من الإعجاز البياني في القرآن الكريم ص ٣٨.

(١٩٩) انظر: شرح ابن عقيل ج٢/ ص ٢١٦.

فكان تحقيق الهمزة الثانية إلى جانب تحقيق الهمزة الأولى ثقيلاً على النطقِ ليدلَّ على أنَّ هذا الأمر ثقيلٌ على نفس فرعون، ويوجِبُ للسحرة أشدَّ العقاب.

يقول أبو السعود ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: «إن مرادهم فرعون قال أي فرعون للسحرة: (آمنتم له) أي لموسى عليه السلام واللام لتضمين الفعل معنى الاتباع، وقرئ على الاستفهام التوبيخي (قبل أنْ آذنَ لكم) أي: من غير أنْ آذن لكم في الإيمان له كما في قوله تعالى: ﴿لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى﴾ [الكهف: ١٠٩]، لا أنَّ إذنه لهم في ذلك واقعٌ بعده أو متوقع، إنه يعني موسى عليه السلام لكبيركم أي: في فَنِّكم، وأعلمكم به وأستاذُكم الذي علَّمكُم السِّحر، فتواطأتم على ما فعلتم، أو فعَلَّمكُم شيئاً دون شيء؛ فلذلك غلَبكم، وهذه شبهةٌ زَوَّرها اللعين، وألقاها على قومه، وأراهم أن أمر الإيمان منوط بإذنه، فلما كان إيمانهم بغير إذنه لم يكن مُعْتَدًّا به، وأنهم من تلامذته عليه السلام فلا عبرةَ بما أظهره، كما لا عبرةَ بما أظهروه؛ وذلك لما اعتراه من الخوف من اقتداءِ الناس بالسحرةِ في الإيمان بالله تعالى»(٢٠٠).

ويقول الألوسي ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: «وقرأ الأكثر (ءآمنتم) على الاستفهام التوبيخي، والتوبيخ هو المراد من الجملةِ على القراءةِ الأولى أيضاً لا فائدةُ الخبر أو لازمُها، ﴿قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾ أي: من غير إذني لكم في الإيمان كما في قوله تعالى: ﴿لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى﴾ [الكهف: ١٠٩]، لا أنَّ إذنه لهم في ذلك واقعٌ بَعْدُ أو مُتَوَقَّعٌ، وفَرَّقَ الطبرسي بين الإذن والأمر بأن الأمرَ يدلُّ على إرادةِ الآمرِ الفعلَ المأمورَ به، وليس في الإذن ذلك»(٢٠١).

بالجمع بين القراءات يتبيَّنُ أنَّ فرعون يخبرُ السحرةَ باستفهامه التوبيخي استنكارَهُ لإيمانهم بربِّ موسى بهذه السهولة وبدون إذنه، وأنَّ هذا الإيمان لا

---

(٢٠٠) تفسير أبي السعود ج٤ / ص ٢٩٤.

(٢٠١) روح المعاني ج١٥/ص٣٣٨.

يُعْتَدُّ به، ولذلك ففعلتهم شديدةٌ مُسْتَثْقَلةٌ ويستحقُّون - في نظره - العِقابَ الشديد؛ لذا فسينتقم منهم انتقاماً لم يُسبَق إليه بعد، بل يود أن يدخلهم في جذوع النخل ويحشرهم فيها، والله أعلم.

١٥ - قال تعالى: ﴿قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾﴾ [طه: ٧٢].

أولاً: القراءات:

١ - قرأ ورش، والسوسي، وأبو جعفر، ووقفاً حمزة (نُوْثِرَك).

٢ - وقرأ الباقون (نؤْثِرَك)[٢٠٢].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

آثَرَه: أكرمه، استأثر بالشيء: استبدَّ به وخصَّ به نفسه، رجلٌ يسْتأثِرُ على أصحابه أي: يختارُ لنفسه أشياء حسنة. وآثَرْتُك إيثاراً أي: فَضَّلْتُك. لن نؤثرك: لن نفضلك ونختارك[٢٠٣].

ثالثاً: التفسير:

يردُّ السحرة على وعيد فرعون لهم بتقطيع أيديهم وأرجلهم من خلاف، وصلبهم في جذوع النخل بأنَّهم لن يُفَضِّلوه على ما جاءهم من الله - ﷻ - على يد موسى عليه السلام من المعجزات الظاهرة، وأنّهم غير مبالين بوعيده.

وفي هذا المعنى **يقول الشيخ مصطفى المنصوري** - رحمه الله -: «﴿قَالُوا﴾ غير مكترثين بوعيده ﴿لَنْ نُؤْثِرَكَ﴾: لن نختارك، ﴿عَلَى مَا جَاءَنَا﴾: من الله تعالى على يد موسى عليه السلام، ﴿مِنَ الْبَيِّنَاتِ﴾ من المعجزات الظاهرة، فإنّ ما ظهر من العصا، كان مشتملاً على معجزات جمَّة، فإنّهم عارفون بجلائلها،

(٢٠٢) انظر: النشر ج١/ ص ٣٩٠.

(٢٠٣) انظر: القاموس المحيط ص ٤٣٦. ولسان العرب ج٤/ص٨. وأيسر التفاسير ج٣/ص٣٦٣.

﴿وَالَّذِي فَطَرَنَا﴾ أي: لن نؤثرك وحقِّ الذي فطرنا، وهو قسم بعزّة الله وجلاله، ﴿فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ﴾: جواب عن تهديده، أي: فاصنع ما أنت صانعه بنا، ﴿إِنَّمَا تَقْضِي﴾: تعليل لعدم المبالاة بوعيده، أي: إنّما ينفذ حكمك في ﴿هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ أي إنّما تصنع ما تهواه في هذه الحياة الدنيا فحسب، وهي فانية زائلة، ورغبتنا في النعيم الدائم»(٢٠٤).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

إنّ الهمزة حرف ثقيل يوحي بثقل الأمر الذي تعبِّر عنه الكلمة التي يشتمل عليها، في حين أنّه يجوز في اللغة تخفيف الهمزة بإبدالها بحرف مد مجانس لحركتها(٢٠٥).

ولذا فقد أفادت القراءة الأولى ﴿نُوْثِرَكَ﴾ تخفيف أمر فرعون وتهوين وعيده بتعذيب السحرة وذلك أنّ الحياة الدنيا مهما طالت فهي فانية زائلة لذا فإنّ ضررها هيِّنٌ.

يقول الطبرسي ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ على لسان السحرة في ردّهم على وعيد فرعون لهم بالعذاب: «إنّما تصنع بسلطانك أو تحكم في هذه الحياة الدنيا دون الآخرة فلا سلطان لك فيها ولا حكم، وقيل معناه إنّما تقضي وتذهب هذه الحياة الدنيا دون الآخرة»(٢٠٦).

أمّا القراءة الثانية ﴿نُؤْثِرَكَ﴾ فقد أفادت شدة الوعيد من فرعون بتعذيبهم بكيفية لم يسبقه إليها أحد، وعلى رغم ذلك فإنّ تفضيل فرعون واتباع أوامره وترك ما جاء به موسى أمر ثقيل صعب، وهو أمرٌ مُسْتَبْعَدٌ لديهم على رغم علمهم بشدة العذاب الذي يتوعَّدهم به فرعون.

يقول الفخر الرازي ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «اعلم أنّه تعالى لمّا حكى تهديد فرعون لأولئك حكى جوابهم عن ذلك بما يدل على حصول اليقين والبصيرة

(٢٠٤) المقتطف ج٣/ص٣٤٩.

(٢٠٥) انظر: الموضع رقم (٦) من هذه السورة ص٤٦ ـ ٤٨.

(٢٠٦) مجمع البيان ج١٣/ص١٢٣.

الكاملة لهم في أصول الدين، فقالوا: ﴿لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ﴾ وذلك يدلُّ على أنَّ فرعون طلب منهم الرجوع عن الإيمان وإلا فعل بهم ما أوعدهم فقالوا: ﴿لَن نُّؤْثِرَكَ﴾ جواباً لما قاله وبيَّنوا العلَّة وهي أن الذي جاءهم بيِّنات وأدلة، والذي يذكره فرعون محض الدنيا، ومنافع الدنيا ومضارّها لا تعارض منافع الآخرة ومضارّها. . . واعلم أنّهم لمّا علموا أنّهم متى أصرّوا على الإيمان فعل فرعون ما أوعدهم به فقالوا: ﴿فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ﴾ لا على معنى أنّهم أمروه بذلك لكن أظهروا أنَّ ذلك الوعيد لا يزيلهم البتّة عن إيمانهم وعمّا عرفوه من الحقِّ علماً وعملاً، ثمَّ بيَّنوا ما لأجله يسهل عليهم احتمال ذلك فقالوا: إنّ قضاءك وحكمك إنّما يكون في هذه الحياة الدنيا وهي كيف كانت فانية وإنّما مطلبنا سعادة الآخرة وهي باقية، والعقل يقتضي تحمُّل الضرر الفاني المُتَوَصَّل به إلى السعادة الباقية»[٢٠٧].

بالجمع بين القراءتين يتّضحُ أنَّ السحرةَ فضَّلوا اتباع موسى عليه السلام والإيمان بالله بالرغم ممَّا سيلاقونه من التعذيب الشديد على يد فرعون، وقد استهانوا بما سيفعله بهم لأنَّ قضاءَه وحكمَه منحصِرٌ في هذه الحياة الدنيا، والله أعلم.

١٦ ـ قال تعالى: ﴿وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ۝٧٥﴾ [طه: ٧٥].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ رويس، وقالون بخلف عنه ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ﴾ من غير صلة.

٢ ـ وقرأ السوسي ﴿وَمَنْ يَاْتِهْ﴾ بالسكون وإبدال الهمزة ألفاً.

٣ ـ وقرأ الباقون ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ﴾ بالكسر مع الصلة، وهو الوجه الثاني لقالون[٢٠٨].

---

(٢٠٧) تفسير الرازي ج٢٢/ص٨٩ (بتصرف).

(٢٠٨) انظر: النشر ج١/ ص٣٩٠.

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

أتي: الإتيانُ: المجيء[٢٠٩].

الأَتْوُ: الاستقامةُ في السير، والسرعة، والطريقةُ، أَتَيْتُه أتْياً وإتياناً وإتيانةً: جئته[٢١٠].

ثالثاً: التفسير:

يقول الله ـ تعالى ـ مخبراً عن قول السحرة لفرعون أنَّه من يجيء إلى ربِّه يوم القيامة مؤمناً بالله، فأولئك لهم درجات الجنة العلاَ.

يقول الإمام الطبري ـ رحمه الله ـ: «﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِناً﴾ موحداً لا يُشرك به ﴿قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ﴾ يقول: قد عمل ما أمره به ربُّه، وانتهى عمّا نهاه عنه ﴿فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلاَ﴾ يقول: فأولئك الذين لهم درجات الجنة العُلاَ»[٢١١].

رابعاً: العلاقة التفسيرية:

أفادت القراءة الأولى ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ﴾ أنَّ من يأتِ ربَّه مؤمناً وقد عمل الصالحات فهو المستحق للدرجات العليا في الجنة، وقد جعلها الله جزاء صبره على أداء الطاعات، ومجاهدة النفس حتَّى لا تقع في المعاصي وهذا ما دلَّت عليه الهمزة بما فيها من ثِقَل في النطق بها وفيما تدلُّ عليه من المعاني[٢١٢].

يقول الشوكاني ـ رحمه الله ـ: «أي ومن يأتِ ربَّهُ مصدِّقاً به قد عمل الصالحات أي الطاعات»[٢١٣].

(٢٠٩) مختار الصحاح ص٥.
(٢١٠) انظر: القاموس المحيط ص١٦٢٣، ١٦٢٤.
(٢١١) تفسير الطبري ج١٦/ص٢٠٩.
(٢١٢) للاطلاع على مفهوم الهمزة وما يدل عليه النطق بها، انظر: ص٤٦ ـ ٤٨.
(٢١٣) فتح القدير ص١١٠٩.

أمّا القراءة الثانية ﴿وَمَنْ يَأْتِهْ﴾ ففيها خُفِّفَت الهمزة وأُبدِلَت بألف، كما خُفِّفَت الكسرة وأُبدِلَت بالسكون، وفي هذا دلالة على التخفيف عن المؤمنين الذين زَلَّت أقدامهم وهم في طريق الإيمان فارتكبوا المعاصي، بأن الله تعالى جعل لهم في الجنة درجات دون الدرجات العلاَ، وأنَّهم لن يُحْرَموا الجنة بإذن الله تعالى.

يقول الفخر الرازي ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: «وفي الآية تنبيه على حصول العفو لأصحاب الكبائر؛ لأنّه تعالى جعل الدرجات العُلَى من الجنة لمن أَتَى ربَّه بالإيمان، والأعمال الصالحة، فسائر الدرجات التي هي غير عالية لا بدَّ وأن تكون لغيرهم، وما هم إلا العصاة من أهل الإيمان»[٢١٤].

أمّا القراءة الثالثة ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ﴾ بالكسر مع الصلة وذلك يكون بإشباع الكسرة حتَّى تصبح ياءً، فقد أفادت أنَّ السحرة كانوا في حالة التجاء، وخوف، وخشية، جعلتهم يلتصقون بمن يحميهم، ويلتجئون إلى من ينصرهم.

يقول الدكتور فاضل السامرّائي: وذلك أنَّ المقام يستدعي إبراز الياء، لأنّه مقام التجاء وخوف وخشية. والخوف يستدعي أن يَلْصَق الإنسان بمن يحميه ويلقي بنفسه كلِّها عليه، ويستدعي أن يلتجئ إلى من ينصره ويأخذ بيده بكلِّ أحاسيسه ومشاعره التجاءً كاملاً... لذا فإنَّ إظهار الياء دلالة على كمال الالتجاء وإلقاء النفس كلها أمام خالقه[٢١٥].

بالجمع بين القراءات الثلاث يتبيَّن أنَّ السحرة وهم في كمال التجائهم إلَى خالقهم واحتمائهم به؛ بسبب خشيتهم وخوفهم من فرعون، يخبرون فرعون بمآلهم عند خالقهم، حيث إنَّ من يأتِ ربَّه مؤمناً وقد عمل الصالحات فإنّ له الدرجات العلاَ في الجنة، وأما ما دونها من الدرجات فهي لمن آمن وخلط الطاعات بالمعاصي، حيث يدخله الله تعالى الجنَّة برحمته،

---

(٢١٤) تفسير الرازي ج٢٢/ص٩١.

(٢١٥) انظر: التعبير القرآني ص ٨٤.

لمجرَّد إيمانه بالله ﷻ، والله أعلم.

١٧ ـ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾﴾ [طه: ٧٧].

أولاً: القراءات:

القراءات في (أَنْ أَسْرِ):

١ ـ قرأ نافع، وابن كثير، وأبو جعفر (أَنِ اسْرِ) بوصل الألف ويكسرون النون من (أنْ) للساكنين وصلاً، ويبتدئون بكسر الهمزة.

٢ ـ وقرأ الباقون (أَنْ أَسْرِ) بقطع الهمزة مفتوحة.

القراءات في(لاَ تَخَافُ):

١ ـ قرأ حمزة (لاَ تَخَفْ) بالجزم.

٢ ـ وقرأ الباقون (لاَ تَخَافُ) بالرفع[(٢١٦)].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«السُّرَى: سَيْرُ الليل: يُقالُ: سَرَى وأَسْرَى، قال تعالى: (فأسْرِ بأهلك) [هود: ٨١]»[(٢١٧)].

«سَرَى الرَّجُلُ يسري سُرىً، وسُرْيةً، وسَرْيةً، وسِرايةً، وسَرْياناً، ومسرىً: سار الليلَ كلَّهُ، فهو سارٍ.

أسرَى الرجلُ إسراءً مثل سرَى، وقيل: أسرَى لأول الليل، وسرَى لآخر الليل، أسراهُ وأَسرَى بهِ: سيَّرَهُ ليلاً»[(٢١٨)].

الخَوْفُ: انفعالٌ في النفسِ يَحْدُثُ لتَوَقُّعِ ما يَرِدُ من المكروه أو يفوتُ من المحبوب، وهذا يعني أَنَّهُ توقُّعُ مكروهٍ عن أمارَةٍ مَظْنونَةٍ أو معلومة،

(٢١٦) انظر: النشر ج٢/ص٢٩٠، ٣٢١.

(٢١٧) المفردات ص٤٠٨.

(٢١٨) الوافي ص٢٨٠.

ويضاد الخوف الأمن[219].

ثالثاً: التفسير:

يوحي الله تعالى إلى موسى عليه السلام بأن يسير ببني إسرائيل ليلاً، فيتّخذ لهم طريقاً يابساً في البحر، ولا يخاف من فرعون أن يلحق به فيمسكه، ولا يخشى الغرق في أثناء سيره في البحر.

وفي ذلك يقول الإمام الطبري ـ رحمه الله ـ: يقول تعالى ذكره: (وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى) نبينا (مُوسَى) إذ تابعنا له الحجج على فرعون، فأبَى أنْ يستجيب لأمر ربّه، وطغَى وتمادَى في طغيانه، ﴿أَنْ أَسْرِ﴾ ليلاً ﴿بِعِبَادِى﴾ يعني: بعبادي من بني إسرائيل، ﴿فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا﴾ يقول: فاتخذ لهم في البحر طريقاً يابساً. واليَبَس واليَبْس: يُجمَع أيباس، تقول: وقفوا في أيباس من الأرض. واليبْس المخفف: يجمع يبوس...، وأما قوله: ﴿لَّا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ﴾ فإنه يعني: لا تخاف من فرعون وجنوده أنْ يدركوك من ورائك ولا تخشى غرقاً من بين يديك ووحلا[220].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

يقول الدكتور محمد محيسن ـ حفظه الله ـ: «يقال: سَرَى وأسْرَى للسَّيْرِ ليلاً، وقيل أسرَى لأول الليل، وسَرَى لآخره، أما سار فمختصّ بالنهار»[221].

واستئناساً بما سبق تكون القراءة الأولى ﴿أَنِ اسْرِ﴾ قد ناسبت الأمر من الله تعالى لموسى عليه السلام بسرعة السير ببني إسرائيل[222] ليلاً وهذا ما تشيرُ إليه سرعة النطق بهمزة الوصل.

---

(219) معجم تفسير مفردات ألفاظ القرآن ص ٢٩٤، وانظر: المفردات ص ٣٠٣.

(220) انظر: تفسير الطبري مج ٩ /ج١٦/ص١٠٩.

(221) المستنير ج٢/ص٣٦.

(222) وقد شرف الله بني إسرائيل بإضافتهم إليه بقوله: بعبادي. انظر: دلالات الظاهرة الصوتية ص٢١٠ ـ ٢١٢.

في حين ناسبت القراءة الثانية ﴿أَنْ أَسْرِ﴾ الأمر من الله ـ تعالى ـ لموسى عليه السلام بالسير ببني إسرائيل ليلاً في أول الليل، ولا يخفَى على أحدٍ ما في ذلك من الخطورة على موسى عليه السلام وبني إسرائيل، حيث يكون احتمال أنْ يراهم فرعون أو ملؤه ما زال قائماً، وهذا ما تشير إليه الهمزة بثقلها.

يقول الدكتور فاضل السامرائي ـ حفظه الله ـ: «فاستعمل الهمزة لثقلها في الحالات الثقيلة النادرة»[٢٢٣].

أمّا القراءة (لاَ تَخَفْ) فقد أفادت النهي عن الخوف، والجزم على جواب الأمر.

قال الإمام ابن أبي مريم ـ رحمه الله ـ: «والوجه أنّ (لاَ تَخَفْ) جزم على جواب الأمر، وهو قوله (فاضْرِبْ)، والتقدير: فاضربْ لهم طَريقاً فإنّك إن تضْرِبْ لا تَخَفْ» [٢٢٤].

ولقراءة النّهي توجيهٌ في النحو العربي مفاده: «وهذا أولى من جعل الكلام على الخبر ورفع الفعل (يخاف)؛ ذلك لأنَّ في النهي تأكيداً على المعنى، ولا وجود لذلك التأكيد في أسلوب الخبر، فإنَّ من يعمل الصالحات توجَّبَ عليه عدم الخوفِ من وقوعِ الظّلم عليه، أو هضم أعماله في الحياة الدنيا»[٢٢٥].

وقد يفيد حذف الألف من الفعل (تَخَفْ) تخفيف أمر الخوف، وتهوينه على نفس موسى عليه السلام، حتى لا يبقى في نفسه شيءٌ منه.

يقول الدكتور فاضل السامرائي في هذا المعنى: «فخفَّف الفعل بالحذف إشارةً إلى تخفيف الأمر على النفس»[٢٢٦].

(٢٢٣) بلاغة الكلمة ص ٥٧.

(٢٢٤) الموضح ج٢/ص٨٤٦.

(٢٢٥) ما انفرد به كل من القرّاء السبعة ص٥٣.

(٢٢٦) التعبير القرآني ص ٧٧.

وقد أفادت القراءة (لاَ تَخافُ) أنّ موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو يَضْرِبُ لهم طريقاً يبساً في البحر، حالُه غير خائفٍ من فرعون، ولا خاشٍ من الغرق.

قال الإمام ابن أبي مريم ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «والوجه أنّه فعلٌ مضارع وقعَ موقعَ الحالِ من الفاعلِ والتقدير: اضربْ لهم طريقاً غَيْرَ خائفٍ ولا خاشٍ، ويجوز أنْ يكونَ على القَطْعِ ممّا قبله، والتقدير: أنت لا تخافُ دركاً ممّن خلفك ولا تخشَى غرقاً من بين يديك»(227).

وبالجمع بين القراءات الأربعِ يتّضح أنَّ الله ـ تعالى ـ يأمرُ موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بالإسراع بالسير ببني إسرائيلَ الذين شرفهم بعبوديتهم له ـ سبحانه ـ في أولِ الليلِ في مُتَّسَعٍ من الوقت مع الحذَرِ والحيطَة حتى لا يراهم أحدٌ من الأعداء، ويأمره اللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ أنْ يكونَ حاله عدم الخوفِ من فرعون أنْ يدْرِكَهُ، وعدم الخشية من الغرق في البحر، والله أعلم.

١٨ ـ قال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ قَدۡ أَنجَيۡنَٰكُم مِّنۡ عَدُوِّكُمۡ وَوَٰعَدۡنَٰكُمۡ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنَ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَلَا تَطۡغَوۡاْ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبِيۖ وَمَن يَحۡلِلۡ عَلَيۡهِ غَضَبِي فَقَدۡ هَوَىٰ ﴿٨١﴾﴾ [طه: ٨٠ ـ ٨١].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ حمزة والكسائي وخلف (أَنْجَيْتُكُم وَواعَدتّكُم وَرَزَقْتُكُم) بالتاء مضمومة على لفظ الواحد من غير ألف في الثلاثة.

٢ ـ وقرأ الباقون (أَنْجَيْناكُم، وواعَدْناكُم، ورَزَقْناكُم) بالنون مفتوحة وألف بعدها فيهنّ.

٣ ـ وقرأ أبو جعفر والبصريّان (وَعَدْناكُم) بحذف الألف من (وَاعَدْناكُم)(228).

(٢٢٧) الموضح ج٢/ص ٨٤٧.

(٢٢٨) انظر: النشر ج٢/ص ٣٢١.

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

نَجَى من الهلاك وينجو نجاةً: خَلَصَ، والاسم النَّجاء بالمد وقد يقصر فهو ناج، والمرأةُ ناجية... ويتعدى بالهمزة والتضعيف، فيقال أنجيته ونجَّيتُه(٢٢٩).

وَعَدَ: «في الخير: وَعَد، وفي الشر: أوعَد، وقالوا: أوعَدَ الخيرَ وبالشَّرِّ، والميعاد: وَقْتُهُ، موضِعُهُ، المواعَدَةُ. وتواعَدوا واتَّعَدوا، أو الأولى: في الخير، والثانية: في الشر، وواعده الوقت والموضع فَوَعَدَه: كان أكثرَ وَعْداً منه»(٢٣٠).

رَزَقَ: «رَزَقَ الله الخلق يرزقهم، والرِّزق بالكسر اسم المرزوق، والجمع الأرزاق مثل حمل وأحمال، وارتزق القوم أخذوا أرزاقَهُم فهم مُرْتَزِقة»(٢٣١).

ثالثاً: التفسير:

يذكر الله - ﷻ - لبني إسرائيل بعضاً من نعمه عليهم كالنجاة من فرعون وإنزال التوراة والمنّ والسلوى.

يقول الفخر الرازي - رحمه الله - في هذا المعنى: «اعلم أنه تعالى لما أنعم على قوم موسى عليه السلام بأنواع النعم، ذكَّرهم إياها، ولا شك أنَّ إزالة المضرة يجب أنْ تكون متقدّمة على إيصال المنفعة، ولا شكَّ أن إيصال المنفعة الدينية أعظم في كونه نعمة من إيصال المنفعة الدنيوية، فلهذا بدأ الله تعالى بقوله (أنجيناكُم من عدوِّكم) وهو إشارة إلى إزالة الضرر فإنَّ فرعون كان ينزل بهم من أنواع الظلم كثيراً من القتل والإذلال، والإخراج، والإتعاب في الأعمال، ثمَّ ثنَّى بذكر المنفعة الدينية وهي قوله ﴿وَوَٰعَدۡنَٰكُمۡ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنَ﴾، ووَجه المنفعة فيه أنَّه أنزل في ذلك الوقت عليهم كتاباً فيه

(٢٢٩) انظر: المصباح المنير ص ٣٥٣.
(٢٣٠) القاموس المحيط ص ٤١٦.
(٢٣١) المصباح المنير ص ١٣٧.

بيان دينهم، وشرح شريعتهم، ثمّ ثلَّث بذكر المنفعة الدنيوية، وهي قوله: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ [الأنبياء: ٨٠ - ٨١] ثمَّ زجرهم عن العصيان بقوله ﴿وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى﴾ [الأنبياء: ٨١]»[٢٣٢].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة الأولى (أنْجَيْتُكم وَواعَدتُكم وَرزَقْتُكم) إخبار الله تعالى عن نفسه، قال ابن خالويه: «فمن قرأه بالتاء. فالحجة له: أنَّه جعله من إخبار الله تعالى عن نفسه؛ لأنَّ التاء اسم الفاعل المنفرد بفعله»[٢٣٣].

وقد أفادت القراءة الثانية (أَنْجَيْناكم، وواعَدْناكُم، ورزَقْناكُم) بالنون مفتوحة وألف بعدها فيهنّ إخبار الله تعالى عن نفسه بلفظ التعظيم.

يقول الإمام ابن أبي مريم - رَحِمَهُ اللهُ -: «والوجه أنّه إخبارٌ عن النفس أيضاً على سبيل التعظيم»[٢٣٤].

ويقول الدكتور محمد سالم محيسن - حفظه الله -: «وقرأ الباقون ﴿وَٰعَدْنَا﴾ بألف بعد الواو، من المواعدة، فالله سبحانه وتعالى وعد موسى الوحي على الطور، وموسى وعد الله المسير لما أمره به»[٢٣٥].

ويقول ابن خالويه - رَحِمَهُ اللهُ -: «وإن كان الله هو المخبر عن نفسه، إلا أنَّ الملك والرأس، والرئيس، والعالم يخبرون عن أنفسهم بلفظ الجماعة، والله تعالى ملك الأملاك. ألا ترى أنَّ العبدَ لمّا سأل ربّه فقال: ﴿رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا﴾ [المؤمنون: ٩٩ - ١٠٠] ولم يقل ربِّ ارجعني»[٢٣٦].

أما القراءة الثالثة ﴿وَعَدْناكم﴾ بحذف الألف من ﴿وَاعَدْناكُم﴾ فإنّها قد

(٢٣٢) تفسير الرازي ج٢٢/ص٩٥.
(٢٣٣) الحجة في القراءات السبع ص ٢٤٥، وانظر: إعراب القراءات السبع ج٢/ص٤٧.
(٢٣٤) الموضح ج٢/ص٨٤٧، وانظر: المغني لمحيسن ج٢/ص٢٩.
(٢٣٥) القراءات وأثرها في علوم العربية ج١/ص٥٦٠.
(٢٣٦) إعراب القراءات السبع ج٢/ص٤٧.

أفادت أنَّ الوعد كان من الله تعالى لموسى عليه السلام. وأنه تعالى وحده المنفرد بالوعد والوعيد.

يقول الإمام مكي بن أبي طالب - رحمه الله -: وعلة من قرأ بغير ألف إجماعهم على قوله: ﴿أَلَمْ يَعِدْكُمْ...﴾ [طه: ٨٦]، ولم يقل ﴿يواعدكم﴾، فالوعد من الله - عز وجل - وعَدَه لموسى عليه السلام. وأيضاً فإنّ المفاعلة أكثر ما تكون من اثنين بين البشر، والوعد من الله وحده كان لموسى، فهو منفرد بالوعد والوعيد، وعلى ذلك جاء القرآن، قال تعالى ذكره: ﴿وَعَدَكُمْ...﴾ [ابراهيم: ٢٢]، و﴿إذ يعِدكم...﴾ [الأنفال: ٧]، و﴿النَّارُ وَعَدَهَا...﴾ [الحج: ٧٢] و﴿أَلَمْ يَعِدْكُمْ...﴾ [طه: ٨٦]. وأيضاً فإنّ ظاهر اللفظ فيه وعد من الله لموسى عليه السلام، فوجب حملُه على الواحد بظاهر النص، لأنّ الفعل مضاف إلى الله وحده، ... قال أبو حاتم[٢٣٧]: قراءة العامة عندنا ﴿وعدنا﴾ بغير ألف. وقال: إنَّ المواعدة أكثر ما تكون بين المخلوقين والمتكافئين، كلٌّ يَعِدُ صاحبه[٢٣٨].

ويقول الدكتور فضل حسن عباس[٢٣٩] - حفظه الله -: «وقراءة الجمهور فيها معنى المفاعلة، فالمواعدة تكون بين اثنين، فهناك وعدٌ من الله لموسى بإعطائه التوراة ووعدٌ من موسى بالتنفيذ والالتزام والحضور، أما قراءة أبي عمرو فإنها تدل على أنَّ الوعد كان من الله - تبارك وتعالى - لموسى عليه السلام، فهو من جهة واحد، فإذا كانت قراءة الجمهور دالة على ما كان يطمح إليه كليم الله - تبارك وتعالى - من فرحة اللقاء، ونور المؤانسة التي ذاق حلاوتها

---

(٢٣٧) هو محمد بن إدريس بن المنذر بن داود بن مهران، أبو حاتم الحنظلي الرازي، أحد أئمة الحفاظ الأثبات، العارفين بعلل الحديث والجرح والتعديل، وهو قرين أبي زرعة - رحمهما الله - كانت وفاته في شعبان من سنة ٢٧٧هـ. انظر: البداية والنهاية ج١١/ص٥٩.

(٢٣٨) انظر: الكشف ج١/ص٢٣٩.

(٢٣٩) هو فضل حسن عباس، نال الدكتوراه من جامة الأزهر بمصر سنة ١٩٧٣م، وهو أستاذ مساعد في قسم أصول الدين بكلية الشريعة بالجامعة الأردنية، أشرف على العديد من الرسائل العلمية لأساتذة مرموقين أمثال الأستاذ الدكتور عبد الرحمن الجمل، وله أبحاث في القراءات القرآنية، وفي بلاغة القرآن وإعجازه.

من قبل وهو عائدٌ من مدين حينما خوطب: ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ...﴾ [طه: ١٢] وحين سُئلَ: ﴿وَمَا تِلۡكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ١٧﴾ [طه: ١٧] فأطال القول: ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيۡهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخۡرَىٰ ١٨﴾ [طه: ١٨]، أقول إذا كانت قراءة الجمهور دالَّةً على ذلك كله فإنَّ قراءة أبي عمرو تدلُّ على أنَّ الوعدَ كان فيه إكرامٌ وتكليفٌ لموسى عليه السلام»[٢٤٠].

بالجمع بين القراءات يتبين أنّ الله تعالى بعظمته وجلاله هو وحده الذي أنجى بني إسرائيل، وهو وحده الذي وعد موسى جانب الطور، وكان من موسى عليه السلام قبول الوعد والتَّحرّي لإنجازه، وقد وَعَدَ ربَّهُ المسيرَ لما أمره به، كذلك فالله وحده بعظمته هو الرزاق سبحانه وتعالى، والله أعلم.

١٩ ـ قال تعالى: ﴿كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَلَا تَطۡغَوۡاْ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبِيۖ وَمَن يَحۡلِلۡ عَلَيۡهِ غَضَبِي فَقَدۡ هَوَىٰ ٨١﴾ [طه: ٨١].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ الكسائي (فَيَحُلَّ) بضم الحاء، و(يَحْلُلْ) بضم اللام.

٢ ـ وقرأ الباقون (فَيَحِلَّ) بكسر الحاء، و(يَحْلِلْ) بكسر اللام[٢٤١].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

حل: «أصل الحَلِّ: حَلُّ العقدة ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ٢٧﴾ [طه: ٢٧].

وحلَلْتُ: نزلت، أصلُه من حَلِّ الأحمال عند النزول، ثم جُرِّدَ استعماله للنزول، فقيل: حَلَّ حلولاً، وأحلَّهُ غيره»[٢٤٢].

---

(٢٤٠) القراءات القرآنية من الوجهة البلاغية ص٢٣.

(٢٤١) انظر: النشر ج٢/ص٣٢١.

(٢٤٢) المفردات ص ٢٥١.

«(حَلَّ) العذاب يَحِلُّ بالكسر (حَلالاً) أي وَجَب، ويَحُلُّ بالضم (حُلولاً) أي نزل»[٢٤٣].

ثالثاً: التفسير:

يأمر الله تعالى بني إسرائيل بأكل ما أُحِلَّ لهم، ويحذرهم من الطغيان فيه. فيقول تعالى: ﴿كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَلَا تَطۡغَوۡاْ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبِيۖ﴾ «أي: كلوا من هذا الرزق الذي رزقتكم، ولا تطغوا في رزقي، فتأخذوه من غير حاجة، وتخالفوا ما أمرتكم به؛ ﴿فَيَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبِيۖ﴾، أي: أغضب عليكم، ﴿وَمَن يَحۡلِلۡ عَلَيۡهِ غَضَبِي فَقَدۡ هَوَىٰ﴾ أي: فقد شقي»[٢٤٤].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة الأولى (فَيَحُلَّ) بضم الحاء، و(يَحْلُلْ) بضم اللام نزول العذاب وحلوله ووقوعه.

وفي ذلك يقول الطبري - رَحِمَهُ اللَّهُ -: «وقرأ ذلك جماعة من أهل الكوفة: ﴿فَيَحُلَّ عَلَيْكُمْ﴾ ووجهوا تأويله إلى ما ذكرنا عن قتادة من أنه: فيقع وينزل عليكم غضبي»[٢٤٥].

في حين أنَّ القراءة الثانية (فَيَحِلَّ) بكسر الحاء، و(يَحْلِلْ) بكسر اللام قد أفادت وجوب العذاب.

وفي ذلك يقول الطاهر ابن عاشور - رَحِمَهُ اللَّهُ -: «وقرأ الجمهور ﴿فَيَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ﴾ - بكسر الحاء -، وقرءوا ﴿وَمَن يَحۡلِلۡ عَلَيۡهِ غَضَبِي﴾ بكسر اللام الأولى على أنهما فعلا حَلَّ الدَّين إذا آن أجل أدائه»[٢٤٦].

---

(٢٤٣) مختار الصحاح ص١٥١، وانظر: معاني القرآن للأخفش ج٢/ص٦٣٠، والجواهر الحسان ج٢/ ص٣٥٥.

(٢٤٤) مختصر ابن كثير ج٢/ص٤٨٩.

(٢٤٥) تفسير الطبري مج٩ /ج١٦/ص٢١٢.

(٢٤٦) التحرير والتنوير ج٤/ص٢٧٥.

ويقول الماوردي - رحمه الله -: «(فَيَحِلَّ عليكم غضبي) قُرئ بضم الحاء وبكسرها ومعناه بالضم ينزل، وبالكسر يجب»(٢٤٧).

كما يقول ابن خالويه - رحمه الله -: «والعرب تفرق بين الضَمِّ والكَسْرِ. حَلَّ يحُلُّ: نزل ووقع، وحَلَّ يحِلُّ: وَجَبَ عليه العَذَابُ، والأمر بينهما قريبٌ»(٢٤٨).

وقال الطبري - رحمه الله -: «والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان مشهورتان قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القرّاء، وقد حذّر الله الذين قيل لهم هذا القول من بني إسرائيل وقوع بأسه بهم إن هم عصوه، وخوّفهم وجوبه لهم، فسواء أقُرئ ذلك بالوقوع أم بالوجوب، لأنهم كانوا قد خوِّفوا المعنيين كليهما... يقول تعالى ذكره ومن يجب عليه غضبي، فينزل به. فقد هوى، يقول فقد تردّى فشقي»(٢٤٩).

وبالجمع بين القراءتين يتبين أنَّ الله تعالى يحذِّر من يخاطبهم في هذه الآية إنْ خالفوا ما أمرهم به بأنّه يجب عليهم غضب الله - عز وجل - فينزل بهم، والله أعلم.

٢٠ - قال تعالى: ﴿قَالَ هُمْ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾﴾ [طه: ٨٤].

أولاً: القراءات:

١ - قرأ رويس ﴿إِثْرِي﴾ بكسر الهمزة وإسكان الثاء.

٢ - وقرأ الباقون ﴿أَثَرِي﴾ بفتحهما(٢٥٠).

---

(٢٤٧) تفسير الماوردي ج٣/ص٤١٦.

(٢٤٨) إعراب القراءات السبع ج٢/ص٤٨.

(٢٤٩) تفسير الطبري مج٩ / ج١٦/ص٢١٢. وانظر: الحجة للقراء السبعة ج٥/ ص ٢٤٢ - ٢٤٣.

(٢٥٠) انظر: النشر ج٢/ص٣٢١.

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

أَثَرُ الشيء: حصول ما يدُلُّ علَى وجوده، يقال: أَثَرٌ وإِثْرٌ والجمع الآثار، ومن هذا يُقال للطريق المُسْتَدَلُّ به على ما تقدَّم: آثار، نحو قوله تعالى: ﴿قَالَ هُمْ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى﴾[٢٥١].

قال ابن منظور: «أثر: الأَثر: بقية الشيء، والجمع آثار وأُثور. وخرجت في إِثْره وفي أَثَره: أي بعده»[٢٥٢].

ثالثاً: التفسير:

يجيب موسى عليه السلام ربَّهُ حين سأله عن قومه، بأنَّهم قريبون منه، وهم يأتون بعده، وقد سبقهم في القدوم إلى ربِّه؛ لينال رضاه عز وجل.

يقول الدكتور محمد سالم محيسن: «المعنى: لما ذهب نبيّ الله موسى إلى مناجاة ربه، وكان معه النّقباء، تعَجَّل نبيّ الله موسى عليه السلام، وأسرع في المشي حتّى سبق النقباء، وهذا الأمر وإن كان في ظاهره البراءة، إلا أنّ الله تعالى أراد أنْ يلفت نظر سيدنا موسى عليه السلام بأنّ مثل هذه الأُمور لا ينبغي أنْ تحدث بين أفراد الجماعة الواحدة؛ لأنّها قد تُحدِث بينهم التفرقة والبغضاء»[٢٥٣].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد ذكر المفسرون أنّ القراءتين (عَلَى أَثَرِي) و(عَلَى إِثْرِي) هما لغتان، بمعنى بعدي، وفي ذلك المعنى **يقول الدكتور محمد سالم محيسن:**

«وقرأ رويس (عَلَى إِثْرِي) بكسر الهمزة وسكون الثاء، والباقون بفتحهما وهما لغتان. بمعنى بعدي، يقال جاء على أَثَرِه وعلى إِثْرِه بمعنى جاء بعده. ولم يتخلَّف عنه طويلاً»[٢٥٤].

---

(٢٥١) انظر: المفردات ص ٣٦.

(٢٥٢) لسان العرب ج٤/ص٦.

(٢٥٣) المستنير ج٢/ص٤٠.

(٢٥٤) انظر: المستنير ج٢/ص٤٠، وفتح القدير ص١١١٢.

وهكذا تفيد القراءتان معنىً واحداً وهو أنّ قوم موسى عليه السلام قريبون منه وهم يأتون بعده ويتبعونه وليس بينهم وبينه إلا مسافة قصيرة(٢٥٥)، والله أعلم.

٢١ ـ قال تعالى: ﴿قَالُواْ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾﴾ [طه: ٨٧].

أولاً: القراءات:

القراءات في (بِمَلْكِنَا):

١ ـ قرأ المدنيان [نافع وأبو جعفر] وعاصم (بِمَلْكِنَا) بفتح الميم.

٢ ـ وقرأ حمزة والكسائي وخلف (بِمُلْكِنَا) بضمها.

٣ ـ وقرأ الباقون (بِمِلْكِنَا) بكسرها(٢٥٦).

القراءات في (حُمِّلْنَا أَوْزَاراً):

١ ـ وقرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وخلف، وأبو بكر، وروح (حَمَلْنَا أَوْزَاراً) بفتح الحاء والميم مخَفَّفة.

٢ ـ وقرأ الباقون (حُمِّلْنَا أَوْزَاراً) بضم الحاء وكسر الميم مشدَّدَة(٢٥٧).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

المُلْكُ: هو التَّصرُّفُ بالأَمْر والنَّهْي في الجمهُور، وذلك يَخْتَصُّ بسياسة الناطقين، ولهذا يُقال مَلِكُ الناس، ولا يقالُ: مَلِكُ الأشياء. . . والمِلْكُ ضربان: مِلْكٌ هو التملكُ والتَّوَلِّي، ومِلْكٌ هو القُوَّةُ على ذلك، تَوَلَّى أو لم يَتَوَلَّ، فمن الأوَّل قولُه: ﴿إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا﴾ [النمل: ٣٤] ومن الثاني قوله: ﴿إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾ [المائدة:

(٢٥٥) انظر: المبصر ج٦/ص١٧٧.

(٢٥٦) انظر: النشر ج٢/ص٣٢١ ـ ٣٢٢.

(٢٥٧) انظر: النشر ج٢/ص٣٢١ ـ ٣٢٢.

٢٠] فجعل النُّبُوَّةَ مخصوصَةً والمُلْكَ عاماً، فإنَّ معنَى المُلْكِ هَهُنا هو القوَّة التي بها يَتَرَشَّحُ للسياسة، لا أنه جَعَلَهم كُلَّهُم مُتَوَلِّينَ للأمْر. . . المَلِكُ اسمٌ لكلِّ من يَمْلِكُ السياسة؛ إمّا في نفسه وذلك بالتمكين من زِمام قُواهُ وصَرْفِها عن هواها؛ وإمّا في غيره، سَواءٌ أتولّى ذلك، أم لم يَتَوَلَّ على ما تقَدَّم[٢٥٨].

حَمَلَ: الحَمْلُ ما يُحمَلُ على الظَّهْر. ويُقرأُ (حُمِّلْنا) بالتشديد على ما لم يُسَمَّ فاعلُه؛ أي حَمَلَنا قَوْمُنا[٢٥٩].

ثانياً: التفسير:

لمّا أخبر الله تعالى موسى عليه السلام بما فعله قومه من بعده رجع إليهم غضبانَ أسِفاً يستَنْكرُ عليهم ما فَعَلوه، فأجابوه بأنهم ما أخْلَفوا موعده بأمرهم، وقُدْرَتِهم، وسُلْطانِهم، وإنَّما كانوا مُكْرَهين، حيثُ كانوا يحملون حُلِيَّ القِبْطِ، فأوْهَمَهُم السامريّ أنَّ موسى عليه السلام أخلف موعدهم بسَبَبِ هذه الحُلِيّ، وأمرهم أنْ يتخَلَّصوا منها بإلقائها في حفرة فيها نار، فألقى السَّامِرِيُّ، وفعَلَ القومُ مِثْلَما فعَلَ السّامِرِيّ.

يقول الشيخ مصطفى المنصوري - رحمه الله -: «﴿قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ﴾ أي ما أخلفنا وعدنا إيّاك ﴿بِمَلْكِنَا﴾ أي بإرادتنا واختيارنا بأن مَلَكْنا أمورنا، يعنون أنّا لو خُلِّينا وأمورنا ولم يُسَوِّلْ لنا السّامِرِيُّ ما سوَّلَهُ لما أخلفناه، فقد كُنّا مُكْرَهين، والمرءُ إذا وقَعَ في فِتْنَةٍ لم يمْلِك نَفْسَه ﴿وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا﴾ اعْتِذارٌ عمّا فَعَلوا بِبَيان مَنْشأ الخطأ ﴿أَوْزَاراً مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ﴾ أي حُمِّلْنا أحمالاً من حُلِيِّ القِبْط، التي اسْتَعَرْناها منهم، حينَ هَمَمْنا بالخروج من مصر، وقيلَ كانوا استعاروها لِعيدٍ كان لهم، ثُمَّ لم يَرُدُّوها عنْدَ الخروج، ولعلَّ تسْميتهم لها أوزاراً، لأنَّها آثامٌ وتَبِعات، لأنهم كانوا في حُكْم المُسْتَأْمَنين، وليس للمُسْتَأْمَنِ أن يأخُذَ مالَ الحَرْبِيّ، على أنَّ الغنائِم لم

(٢٥٨) انظر: المفردات ص٧٧٤ - ٧٧٥.

(٢٥٩) انظر: مختار الصحاح ص١٦٧. والتبيان ج٢/ص١٩١.

تكن تَحِلُّ حينئذٍ ﴿فَقَذَفْنَاهَا﴾ أي في النارِ رَجاءَ للخَلاص من ذنبِها ﴿فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ﴾ أي ما كان منها معه، رُوِيَ أنّهم لمّا حسِبوا أنَّ العدَّةَ قد كَملَت، قال لهم السّامريّ: إنّما أخلَفَ موسى ميعادكم لِما معَكم من حُلِيِّ القوم، وهو حرامٌ عليكم، فالرأيُ أنْ نَحْفُرَ حُفْرَةً، ونَسْجُرَ فيها ناراً، ونَقْذِف كلَّ ما مَعَنا فيها فَفَعَلوا»[٢٦٠].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة الأولى (بِمَلْكِنَا) بفتح الميم أنهم ما أخلفوا موعد موسى عليه السلام بِمَلْكِهِم الصوابَ لكن بالخطأ.

يقول ابن عطية ـ رحمه الله ـ: «وأمّا فتح الميم فهو مَصْدَرٌ من ملَكَ، والمعنى: ما فعلنا ذلك بأنّا ملكنا الصواب، ولا وُفِّقْنا له بل غَلَبَتْنا أنفسُنا»[٢٦١].

في حين أفادت القراءة الثانية (بِمُلْكِنَا) بضم الميم أنَّ القوم كانوا مُسْتَضْعَفين في إخلافِهم موعد موسى عليه السلام ولم يكن لهم مُلْكٌ وسلطانٌ في ذلك.

يقول ابن أبي مريم ـ رحمه الله ـ: «والمعنى في الضَّمِّ أنّه لم يَكُن لنا مُلْكٌ فَنُخْلِفَ موعِدَكَ لِمكان مُلْكِنا، بل كُنَّا مُسْتَضْعَفين»[٢٦٢].

أمّا القراءة الثالثة (بِمِلْكِنَا) بكسر الميم فقد أفادت أنّهم لم تكن لهم قوّة، وما أخلَفوا موعِدَه بما ملَكت أيديهم.

يقولُ ابن زنجلة: «(بِمِلْكِنَا) بكسر الميم، أي ما أخلَفنا بقوَّتِنا، أي بما ملَكْناه»[٢٦٣].

---

(٢٦٠) المقتطف ج٣/ص٣٥٤، ٣٥٥.

(٢٦١) المحرر الوجيز ج٤/ص٥٩. وانظر: الجوهر المصون ص١٣٨.

(٢٦٢) الموضح ج٢/ص٤٨٩ وانظر: الحجة للقراء السبعة ج٥/ص٢٤٤.

(٢٦٣) حجة القراءات ص٤٦١، وانظر: المعنى اللغوي لهذا الموضع، والملخص ص٢٧٥.

كما أفادت القراءة (حَمَلْنَا أَوْزَاراً) بالتخفيف أنَّ القوم حَمَلوا ما كان معهم من الحُلِيّ بإرادتهم.

يقول الإمام مكّي بن أبي طالب: «وحجة من فَتَح الحاء وخَفَّف أنّه أضاف الحمل إلى المُخْبِرين عن أنفُسِهم، وأخْبَرَ عنهم أنَّهم هم حَمَّلوا أنفُسَهم على ما صاغوا منه العجْل. قَوَّى ذلك أنَّ الفعل بعده مضاف إليهم في قوله: (فَقَذَفْناها)»[٢٦٤].

أمّا القراءة (حُمِّلْنَا أَوْزَاراً) فقد أفادت أنَّ القوم أُمِروا بحمل الحليّ وحَمَلَهم غيرهم على حملها.

يقول ابن خالويه ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: «والحُجَّةُ لمن شَدَّدَ: أنَّه جعل الفعل لما لم يسمَّ فاعله، ودَلَّ عليه بِضَمِّ أوَّلِه وكان أصْلُه ولكنّا حَمَلَنا السَّامريّ»[٢٦٥].

بالجمع بين القراءات الخمس يتبيّنُ العذر الذي ذكره قوم موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ له حيث إنَّ القوم قالوا لموسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أنّهم لم يُخْلِفوا موعدَهُ بِقوّتِهم وسُلْطانِهم وقُدرَتِهم، وإنَّما بما سَوَّلَتْه لهم أنفسهم حين أُمِروا بحمل أوزارِ من زينة القوم، فحملوها، فلمَّا صارت عجلاً له خُوار عَبَدَه غالبيَّتهم، وقد أُجبروا على ذلك واضطُرُّوا له؛ لأنَّهم وقَعوا في الخطأ، أمَّا هارون عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ والبقِيَّة القليلة التي لم تَعْبُد العجل فقد كانوا مُسْتَضْعَفين.

٢٢ ـ قال تعالى: ﴿أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴿٩٣﴾﴾ [طه: ٩٣].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ نافع وأبو عمرو (تَتَّبِعَنِي) بإثبات ياء المتكلم ساكنةً وصلاً.

٢ ـ وقرأ ابن كثير ويعقوب (تَتَّبِعَنِي) بإثبات ياء المُتَكَلِّم ساكنةً وصلاً ووقفاً.

---

(٢٦٤) الكشف ج٢/ص١٠٥.

(٢٦٥) الحجة في القراءات السبع ص٢٤٧.

٣ ـ وقرأ أبو جعفر (تَتَّبِعَنِي) بإثبات ياء المُتَكَلِّم ساكنة وقفاً، و(تَتَّبِعَنِيَ) مفتوحة وصلاً.

٤ ـ وقرأ الباقون (تَتَّبِعَنِ) بحذف ياء المتكلم وصلاً ووقفاً[٢٦٦].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«تبعَ: تَبعَ الشَّيءَ تَبعاً وتَباعاً في الأفعال، وتَبِعْتُ الشَّيءَ تُبُوعاً: سِرْتُ في إثْرِه. واتَّبَعَه وأتْبَعَه وتَتَبَّعَه: قَفاهُ وتَطَلَّبَهُ مُتَّبِعاً له، وكذلك تَتَبَّعْته تَتَبُّعاً»[٢٦٧].

ثالثاً: التفسير:

يسأل موسى عليه السلام أخاه هارون عليه السلام وهو في حالةٍ من الحزنِ والغضب؛ بسبب عبادةِ قومه العجلَ قائلاً له: ما الذي منعك من مُقاتَلةِ الذين كفروا بالله غضَباً له، هل عصَيْتَ أمري فتهاونت في الدين، وفي القيام بمصالحهم؟

يقول الشيخ مصطفى الحصن المنصوري ـ رحمه الله ـ: «﴿ألاَّ تَتَّبِعَنِ﴾ أي أيَّ شيءٍ منَعك، حينَ رأيتَ ضلالَهم، من أن تَتَّبِعَني، في الغضبِ لله تعالى، ومُقاتلةَ من كفَر به؟ ﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى﴾؟ بالصلابة في الدين، وبالقيامِ لمَصالحهم»[٢٦٨].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (تَتَّبِعَنِي) بإثبات ياء المُتَكلِّم ساكنةً أنَّ موسى عليه السلام أراد من أخيه هارون أن يذكر له تفاصيلَ ما حدثَ منه، وسبب عدم اتِّباعه في الغضب لله تعالى ومقاتلةِ الكفارِ عَبَدَةِ العجل.

في حين أفادت قراءة (تَتَّبِعَنِيَ) بفتح ياء المتكلم أنَّ موسى عليه السلام

(٢٦٦) انظر: النشر ج٢/ص٣٢٣.

(٢٦٧) انظر: لسان العرب ج٨/ص٣٢.

(٢٦٨) المقتطف ج٣/ص٣٥٧.

يستنكرُ على أخيه هارون عَلَيْهِ السَّلَامُ عدم الإسراع في الغضبِ لله تعالى، ومُقاتلة الذين كفروا باتباعهم العجل، وذلك أَنَّ الحركة القصيرة فوقَ الياء تفيدُ السرعةَ لأنَّها أقلُّ حجماً وأقصرُ استمراريةً من الحركةِ الطويلة، والتي هي هنا الياءُ الساكنةُ المدِّية.

جاء في كتاب دراسة الصوت اللغوي: «لا شكَّ أَنَّ الحركةَ القصيرةَ أقلُّ حجماً وأقصرُ استمراريةً من الطويلة»(٢٦٩).

أما قراءة (تَتَّبِعَنِ) بحذف الياء والاجتزاء بالكسرةِ عنها فإنَّها تفيد الاجتزاء في الكلام، وذلك أنَّ موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ كان في حالةٍ تتطلَّب ذلك حيثُ إنَّه كان غضبانَ أسِفاً، فكان يريد أنْ يعلَم بأقلِّ القول وبأسرعه، وبأسرع وقتٍ ما حدث وسببه، فلِمَ لمَّا عبدوا العجل لم يقاتلهم هارون، وبقي مُنتظراً عودته هو؟

يقول الدكتور فاضل السامرائي: «ويمكن هنا أنْ نذكرَ أصلاً عامًّا في ذكر الياء وحذفها وهو: أنَّ الاجتزاء بالكسرة عن الياء يختلفُ عن ذكر الياء في كلِّ ما ورد في القرآن الكريم عدا خواتم الآي والنداء، ولها في كلِّ ذلك خطٌّ عامٌّ إضافةً إلى السياق الخاص، ففي كلِّ موطِنٍ ذُكِرَ الياء فيه يكونُ المقامُ مقامَ إطالةٍ، وتفصيلٍ في الكلام، بخلافِ الاجتزاءِ بالكسرةِ، فإنَّ فيه اجتزاءً في الكلام»(٢٧٠).

بالجمع بين القراءات يتبيَّن أنَّ موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أراد أنْ يعلم من أخيه هارون سبب عدم اتباعه له في الغضبِ لله تعالى، ومقاتلة الذين عبدوا العجل، وقد أراد معرفةَ ذلكَ بالتفصيلِ وبأسرعِ وقتٍ وبأقلِّ الكلام، والله أعلم.

٢٣ ـ قال تعالى: ﴿قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٩٤﴾﴾ [طه: ٩٤].

---

(٢٦٩) دراسة الصوت اللغوي ص٣٣٩.

(٢٧٠) التعبير القرآني ص٨٠.

أولاً: القراءات:

القراءات في (يَبْنَؤُمَّ):

١ ـ قرأ ابن عامر، وشعبة، وحمزة، والكسائي، وخلف (يَبْنَؤُمِّ) بكسر الميم.

٢ ـ وقرأ الباقون (يَبْنَؤُمَّ) بفتح الميم(٢٧١).

القراءات في (بِرَأْسِيَ إِنِّي):

١ ـ وقرأ نافع، وأبو عمرو، وأبو جعفر (بِرَأْسِيَ إِنِّي) بفتح الياء مع إبدال الهمز لأبي جعفر والسوسي.

٢ ـ وقرأ الباقون (بِرَأْسِي- إِنِّي) بالمد(٢٧٢).

ثانياً: التفسير:

حين رجع موسى عليه السلام إلى قومه غضبان أسفاً لأجل عبادتهم العجل، أخذ برأس أخيه ولحيته يجرُّه إليه، فأخذ هارون عليه السلام يستعطف قلب أخيه موسى ويذكر له العذر الذي جعله لا يقاتل السامريّ ويزجره بالقوة.

يقول الشيخ مصطفى المنصوري ـ رحمه الله ـ: ﴿قَالَ يَبْنَؤُمَّ﴾ خصَّ الإضافة بالأم، استعطافاً وترقيقاً لِقَلْبه، أي يا أخي ويا بن أُمِّي ﴿لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓ﴾ أي ولا بشعر رأسي، وكان موسى عليه السلام شديداً، مُتصَلِّبا في كُلِّ شيء، فلم يَتَمالَك حين رآهم يعبدون العجل ففَعَلَ ما فَعَل ﴿إِنِّي خَشِيتُ﴾ أي إنِّي خفتُ إنْ زجرتهم بالقوةِ، أنْ يقَعَ قِتالٌ بينهم، فيسْفِكوا الدِّماء ويَقْتُلُ بَعْضُهُم بَعْضاً وكما خَشيتُ لو قاتَلْتُ بعضَهُم بِبَعْض، وتَفرَّقوا، ﴿أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ أي: أشعلت الفتْنَةَ بينَهُم، وأراد عليه السلام بالتَّفريق، ما يسْتَتْبِعُهُ القِتالُ من التَّفْريق بين صفوف بني إسرائيل،

(٢٧١) انظر: النشر ج٢/ ص ٢٧٢، في هامش القرآن الكريم ص٣١٨، وفريدة الدهر ج٢/ ص ٦٩٩.

(٢٧٢) انظر: النشر ج٢/ ص ٣٢٣.

وتمزيقِ وَحْدَتِهِم، ﴿وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ أي: وتَقول: لم تنتَظِر أمري فيهم، يعني إنِّي رأيت أنَّ الإصلاح في حفظِ الدماء، والمداراة معهم، إلى أن تَرْجِعَ إليهم، لتكون أنت المُتَدارِكَ للأمر، لا سِيَّما وقد كانوا في القوَّة، ونحن على القِلَّة، كما يُعْرِبُ عنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى﴾ [الأعراف: ١٥٠] وفيه دليل على جَوازِ الاجتهاد، فلمَّا فَرَغَ من مُخاطَبةِ هارون عليه السلام، وعرَفَ العُذْرَ أقْبَلَ على السَّامري»(٢٧٣).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة الأولى (يَبْنَؤُمِّ) أنَّ هارون عليه السلام خصَّ الإضافة بالأمّ استعطافاً وترقيقاً لقلب موسى عليه السلام والمعنى: يابن أُمِّي، وقد حُذفت ياء المتكلِّم اجتِزاءً بالكسرة منها.

يقول ابن خالويه: «فالحجة لمن كسر: أنَّه أراد: يابن أُمِّي، فَحَذَفَ الياء اجْتِزاءً بالكسرة منها، والوجهُ إثباتُها، لأنَّ هذه الياء إنَّما تُحْذَفُ في النداءِ المُضافُ إليك، إذا قُلْتَ: يا غُلامي، لأنَّها وَقَعَتْ موقِعَ التَّنوين، والتَّنوين لا يُثْبَتُ في النِّداء، فأمَّا الياء ها هُنا فالتنوينُ ثَبَتَ في موضِعِها إذا قُلْتَ: يا بن أُمِّ زيدٍ، وإنَّما حُذِفَت الياء لما كَثُرَ به الكلام، فصار المُضافُ والمُضافُ إليه كالشيءِ الواحِدِ، فَحُذِفَت الياء كذلك»(٢٧٤).

في حين أفادت القراءة الثانية (يَبْنَؤُمَّ) رِقَّةً في النِّداء وإشعاراً بالحُنو نسْتَشْعِرُهُ في التَّرخيم(٢٧٥) بما يوحي بالاستعطاف، كما أنَّ اختيارَ الفتحةِ وهي أخَفُّ الحركات، يوحي بخفةِ النطقِ(٢٧٦) والسرعة في طلبه من أخيه

(٢٧٣) المقتطف ج٣/ص٣٥٧ ـ ٣٥٨.

(٢٧٤) الحجة في القراءات السبع ص٢٤٦ ـ ٢٤٧.

(٢٧٥) الترخيم هو: حذف أواخر الأسماء المفردة تخفيفاً، وهو لا يكون إلاّ في النداء إلاّ أن يُضطَرَّ شاعر، وإنما كان ذلك في النداء لكثرته في كلامهم فحذفوا ذلك كما حذفوا التنوين وكما حذفوا الياء من قومي [ونحوه] في النداء. انظر: كتاب سيبويه ج٢/ص٢٣٩.

(٢٧٦) انظر: شرح التصريح ج١/ص٥٨.

عدم الأخذ بلحيته ولا برأسه.

يقول ابن خالويه ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «ومن فَتَحَ فله ثلاثُ حججٍ:

إحداهنَّ: أنْ يكونَ أراد: يا بن أُمَّاهُ فَرَخَّم.

والثانية: أنْ يكون جَعَلَ الاسمين اسماً واحداً نحو: بعل بك، ومعد يكرب، وجاري بيت بيت.

والثالثة: أن يكونَ أراد يا بن أُمَّا؛ لأنَّ العربَ تقول: يا أُما بمعنى يا أُمّي، ويا ربَّا بمعنى يا رَبِّي»[(٢٧٧)].

وقد ناسبت القراءة (بِرَأْسِيَ إِنِّي) السرعة مَن هارون في ذِكْر العُذر لموسى وذلك يَتَّضحُ لنا في السرعة في الكلام، وهو ما يوحي به اختيار الفتحة وهي أخفُّ الحركات ـ كما بيَّنتُ سابقاً ـ للاجتزاء بها عن الياء وهي الكسرة الطويلة التي تستغرق وقتاً أطول كما هو معلوم.

أمّا القراءة (بِرَأْسِي- إِنِّي) فقد أفادت التجاء هارون لموسى لينصُرَه ويأخُذَ بيده.

يقول الدكتور فاضل السامرّائي: «وذلك أنَّ المقام يستدعي إبراز ياء المتكلِّم، لأنّه مقام التجاء وخوف وخشية. والخوف يستدعي أن يَلْصَق الإنسان بمن يحميه ويُلقي بنفسه كلِّها عليه، ويستدعي أن يلتَجِئَ إلى من ينصُره ويأخذ بيده بكلِّ أحاسيسه ومشاعره التجاءً كاملاً»[(٢٧٨)].

بالجمع بين القراءات الأربع يظهر التجاء هارون عَلَيْهِ السَّلَامُ لأخيه موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لطلب النُّصرَة منه، واستعطافه له حتى لا يُشمِتَ به الأعداء، ويفعلُ ذلك كلَّه بالإضافة إلى اعتذاره لموسى وتوضيح موقِفِه وسبب إخلافِه موعده في أقصر وقتٍ يُمكنُه فعل ذلك فيه، والله أعلم.

٢٤ ـ قال تعالى: ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنَ

(٢٧٧) إعراب القراءات السبع ج٢/ص٥١ وانظر: الحجة في القراءات السبع ص٢٤٧.

(٢٧٨) التعبير القرآني ص ٨٤.

أَثَـرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾ [طه: ٩٦].

أولاً: القراءات:

القراءات في (يَبْصُرُوا بِهِ):

١ ـ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف (تَبْصُرُوا بِهِ) بالخطاب.

٢ ـ وقرأ الباقون (يَبْصُرُوا بِهِ) بالغيب.

القراءات في (فَنَبَذْتُهَا):

١ ـ قرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وخلف، وهشام بخُلْفٍ عنه (فَنَبَذْتُهَا) بإدغام الذال في التاء.

٢ ـ وقرأ الباقون (فَنَبَذْتُهَا) بالإظهار، وهو الوجه الثاني لهشام(٢٧٩).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

البَصَرُ، مُحَرَّكَةً: حِسُّ العَيْنِ... وأبْصَرَهُ وتَبَصَّرَهُ: نَظَرَ هَلْ يُبْصِرُه(٢٨٠).

البَصَرُ يُقالُ للجارِحةِ النَّاظِرة... وجمعُ البَصَرِ أبْصارٌ، وجَمْعُ البَصِيْرَةِ: بَصَائِرٌ، ولا يَكادُ يُقالُ للجارِحَةِ بَصِيْرَة، ويُقالُ من الأوَّلِ: أَبْصَرْتُ، ومن الثاني: أَبْصَرْتُهُ وأَبْصَرْتُ بِهِ، وقَلَّما يُقالُ بَصُرْتُ في الحاسَّةِ إذا لم تُضامَّهُ رُؤْيَةُ القَلْبِ(٢٨١).

ثالثاً: التفسير:

يُجيبُ السامريُّ(٢٨٢) موسى عليه السلام حين سأله عما دفعَهُ لاتخاذ العجل

---

(٢٧٩) انظر: النشر ج٢/ص١٦، ٣٢٢.

(٢٨٠) انظر: القاموس المحيط ص٤٤٨.

(٢٨١) انظر: معجم تفسير مفردات ألفاظ القرآن ص١١٤.

(٢٨٢) «السامري لم يكن من بني إسرائيل أصلاً، وبما أنّه كان في مصر جاز أن يكون من قرية بمصر اسمها سامرة، ثم سكن فلسطين، ونسبت السامرة إليه وما زالت إلى اليوم ويقرنها اليهود بيهودا فيقولون: (يهودا والسامرة)». تفسير سورة طه (تفسيراً موضوعياً) ص١١٦.

آلهةً فيخبره أنَّه رأى في نفسه رأياً لم يرَوهُ فألقى قبضةً من أثر فرَسِ جبريل عليه السلام في النار التي صَهَروا فيها ذهب القوم فأصبحت الحُلِيّ عِجْلاً له خُوار.

يقول الأستاذ محمد علي الصابوني ـ رحمه الله ـ في قوله تعالى: ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ﴾: «أي قال السامريُّ: رأيتُ ما لم يروه وهو أنَّ جبريل جاءك على فرس الحياة فأُلْقِيَ في نفسي أن أقبضَ من أثره قبضةً، فما أَلْقَيْتُه على شيءٍ إلا دبَّت فيه الحياة، ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا﴾ أي قبضتُ شيئاً من أَثَرِ فرسِ جبريلَ فطَرَحْتُها على العِجْلِ فكان له خُوار[(٢٨٣)] ﴿وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾ أي: وكذلك حَسَّنَتْ وزَيَّنَتْ لي نفْسِي»[(٢٨٤)].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة الأولى (تَبْصُرُوا بِهِ) أنَّ الخِطابَ كان من السامريّ لموسى عليه السلام وقومه، وأنه عَلِمَ حين رأى فرس جبريل عليه السلام ما لم يعْلَمْهُ موسى عليه السلام لذا فَعَلَ ما فَعَلَه.

وقد أفادت القراءة الثانية (يَبْصُرُوا بِهِ) بالغيبة أنَّ السّامريّ يقصُدُ بكلامه بني إسرائيل.

يقول الإمام مكّي بن أبي طالب ـ رحمه الله ـ: «**قوله** ﴿بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ﴾ قرأه حمزة والكسائي بالتاء، رَدَّاهُ على الخطابِ في قوله: ﴿فَمَا خَطْبُكَ﴾. وقرأ الباقون بالياء على الغيبة أي: بما لم يبْصُرْ به بنو إسرائيل، والياء أولى لأنَّ المُخاطبَ وهو موسى عليه السلام لم يكن حاضراً إذ قَبَضَ السّامري القبْضة، ولأنَّ الأكثرَ على ذلك»[(٢٨٥)].

---

(٢٨٣) ذكر الطبري ـ رحمه الله ـ هذه الرواية في تفسيره بمعناها. انظر: تفسير الطبري ج ١٦/ ص ٢١٩.

(٢٨٤) صفوة التفاسير ج٢/ص ٢١٢.

(٢٨٥) الكشف ج٢/ص١٠٥.

كما أفادت القراءة الثالثة (فَنَبَذْتُهَا) أنَّ السامريّ ألقى ما قبَضَهُ من أثر فرس جبريل عليه السلام فيما ألقاه القوم من الحُلِيّ.

أمّا القراءة الرابعة (فَنَبَذْتُهَا) بالإدغام فإنها تفيد سرعة الإلقاء من قِبَلِ السّامريّ لما قَبَضَهُ من أثرِ فَرَسِ جبريل عليه السلام وهذا يتَّضح من سرعة النطق التي تكون في الإدغام.

يقول الطبري - رحمه الله -: عن ابن عباس قال: لمّا قذَفت بنو إسرائيل ما كان معهم من زينة آل فرعون في النار، وتكسَّرَت، ورأى السامري أثر فرس جبريل عليه السلام فأخذ تراباً من أثر حافره، ثمَّ أقبل إلى النار فقذفه فيها، وصنع منه عِجلاً جسداً له خُوار، فكان للبلاء والفتنة(٢٨٦).

بالجمع بين القراءات الأربع يتضح أنَّ السامريّ بيَّت لفعلته المشينة منذ رأى فرس جبريل عليه السلام، وقد كان يعلم ببصيرته من أمرِها ما لم يعلمْه بنو إسرائيل، فلمّا رأى زينة آل فرعون تذوب في النار، قام بما كان ينوي مسبقاً فألقى سريعاً ما قبَضَهُ من أثر فرس جبريل عليه السلام في النار، فتحولت الحُلِيّ كما أرادها السامريّ، ابتلاءً من الله - عز وجل - وفتنةً لبني إسرائيل والله أعلم.

٢٥ - قال تعالى: ﴿قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾﴾ [طه: ٩٧].

أولاً: القراءات:

القراءات في ﴿فَٱذْهَبْ فَإِنَّ﴾:

١ - قرأ أبو عمرو، والكسائي، وَكُلاًّ من هشام وخلّاد بِخُلفٍ عنهما ﴿فَٱذْهَب فَّإِنَّ﴾ بإدغام الباء في الفاء.

٢ - وقرأ الباقون ﴿فَٱذْهَبْ فَإِنَّ﴾ بالإظهار وهو الوجه الثاني لهشام وخلّاد(٢٨٧).

---

(٢٨٦) انظر: تفسير الطبري مج٩ /ج١٦/ص٢٢٤.

(٢٨٧) انظر: النشر ج٢/ص٨، ٣٢٢.

القراءات في ﴿لَن تُخْلِفَهُ﴾:

١ ـ قرأ ابن كثير والبصريّان [أبو عمرو، ويعقوب] ﴿لَن تُخْلِفَهُ﴾ بكسر اللام.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿لَّن تُخْلَفَهُۥ﴾ بفتح اللام.

القراءات في ﴿لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ﴾:

١ ـ وقرأ أبو جعفر برواية ابن وردان عنه ﴿لَنَحْرُقَنَّه﴾ بفتح النون، وإسكان الحاء، وتخفيف الرّاء مع ضمّها.

٢ ـ وقرأ أبو جعفر برواية ابن جمّاز عنه ﴿لَنُحْرِقَنَّهُ﴾ بضم النون وإسكان الحاء وتخفيف الرّاء مع كسرها.

٣ ـ وقرا الباقون ﴿لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ﴾ بضمّ النون وفتح الحاء وتشديد الرّاء وكسرها(٢٨٨).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

حَرَقَ: «حَرَقَهُ بالنَّارِ يَحرِقُهُ، وأَحْرَقَهُ وَحَرَّقَهُ: بِمَعْنَى فاحْتَرَقَ وَتَحَرَّقَ»(٢٨٩). قال الفرّاء ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: من قرأ (لَنَحْرُقَنَّهُ) لَنَبْرُدَنَّهُ بالحديد برداً من حَرَقْتُهُ أَحْرُقُهُ حَرْقاً، قال: وقَرأ عليٌ ـ كَرَّم الله وَجهَهُ ـ (لَنَحْرُقَنَّهُ) أي لَنَبْرُدَنَّهُ، يُقالُ: حرَقَهُ بالِمحْرَقِ أي بَرَدَهُ به؛ ومنه القراءة (لَنُحَرِّقَنَّهُ)، ويجوز أن يكون أراد إحراقها بالنَّار، وحَرَّقَهُ مُكَثَّرَة عن حَرَقَه كما ذَهَبَ إليه الزَّجّاجُ من أنَّ (لَنُحَرِّقَنَّهُ) بمعنَى لَنَبْرُدَنَّهُ مرَّةً بعد مرَّة، لأنَّ الجَوْهَرَ المَبْرُودَ لا يحتَمِلُ ذلك، وبهذا ردَّ عليه الفارِسِيُّ قوله(٢٩٠).

ثالثاً: التفسير:

لمّا سمع موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قول السامري فيما عمله في فتنة عبادة العجل

(٢٨٨) انظر: النشر ج٢/ص٣٢٢.

(٢٨٩) القاموس المحيط ص١١٢٨.

(٢٩٠) انظر: لسان العرب ج١٠/ص٥٤.

أمره أن يذهب بعيداً عنه، ودعا عليه بعدم مماسة أحد أو مسه، ثم برد العجل بالمبارد ونثره في اليم.

يقول ابن كثير - رَحِمَهُ اللَّهُ - في تفسير هذه الآية: ﴿قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ﴾: «أي كما أخذت ومسست ما لم يكن لك أخذه ومسه من أثر الرسول فعقوبتك في الدنيا أن تقول لا مساس، أي لا تماس الناس ولا يمسُّونك ﴿وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا﴾ أي يوم القيامة ﴿لَّن تُخْلَفَهُۥ﴾ أي لا محيد لك عنه... وقوله: ﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ﴾ أي معبودك ﴿ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا﴾ أي أقمت على عبادته يعني العجل ﴿لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ﴾ قال الضحاك عن ابن عباس والسدي: استحله بالمبارد وألقاه على النار وقال قتادة: استحال العجل من الذهب لحماً ودماً، فحرقه بالنار، ثم ألقى رماده في البحر، ولهذا قال: ﴿ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا﴾»[٢٩١].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة الأولى (فَاذْهَبْ فَإِنَّ) بإدغام الباء في الفاء السرعة في إصدار الأمر من موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ للسامريّ بأن يذهب من بينهم لما في الإدغام من السرعة والخفة في النطق.

وحيث تشتدُّ وجوه التناسب الصوتي بين حرفي الباء والفاء فإنَّ هذه القراءة توحي بتناسب العقوبة التي أصدرها موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ مع الذنب الذي اقترفه السامري.

في حين أنَّ القراءة الثانية ﴿فَٱذْهَبْ فَإِنَّ﴾ بإظهار الباء والفاء تفيد إعلان وإظهار الجُرم الذي أجرمه السامريّ، ومن ثَمَّ كان الطرد والعزل عقوبةً له على جُرمِه.

يقول سيد قطب - رَحِمَهُ اللَّهُ -: «اذهب مطروداً لا يمسُّك أحدٌ لا بسوءٍ ولا بخير، ولا تمسّ أحداً، وكانت إحدى العقوبات في ديانةِ موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ

(٢٩١) تفسير ابن كثير ج٣ /ص ٢٩٠، وانظر: تفسير ابن وهب ج٢/ ص١٢.

عقوبة العزل، وإعلان دنس المدنّس فلا يقربه أحدٌ ولا يقربُ أحداً»[٢٩٢].

أمّا القراءة الثالثة ﴿لَّن تُخْلِفَهُ﴾ فقد أفادت عدم إخلاف السامري لهذا الموعد وعدم غيابه عنه.

في حين أفادت القراءة الرابعة ﴿لَّن تُخْلَفَهُۥ﴾ أنَّ الله تعالى لن يُخْلِفَ السامريَّ موعدَ عذابِه، وعُقوبته، ولكن يذيقُه إيَّاه.

يقول الإمام الطبري: «وقوله: ﴿وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ﴾ اختلفت القرّاء في قراءته فقرأته عامة قرّاء أهل المدينة والكوفة ﴿لَّن تُخْلَفَهُۥ﴾ بضم التاء وفتح اللام بمعنى: وإنَّ لك موعداً لعذابك وعقوبتك على ما فعلت من إضلالك قومي حتى عبدوا العجل من دون الله، لن يُخْلِفَكَهُ الله، ولكن يُذِيقَكَه.

وقرأ ذلك الحسن وقتادةُ وأبو نهيك[٢٩٣] ﴿وَإِنَّ لَكَ مَوْعِداً لَّن تُخْلِفَهُ﴾ بضمّ التاء وكسر اللام، بمعنى: وإنَّ لك موعداً لن تُخْلِفَهُ أنت يا سامريّ، وتأوّلوه بمعنى: لن تَغيبَ عنه»[٢٩٤]. أمّا القراءة ﴿لَنَحْرُقَنَّهُ﴾ بفتح النون وتخفيف الراء، وضمها فقد أفادت برد العجل المصنوع من الذهب بالمبرد.

في حين أنَّ القراءةَ ﴿لَنُحْرِقَنَّهُ﴾ بضم النون وتخفيف الراء وكسرها قد أفادت إِحراقَ العجلِ بالنار.

في حين أفادت القراءة ﴿لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ﴾ بضم النون وكسر الراء وتشديدها المبالغةُ في برده أو إحراقه بالنار.

يقول ابن عطية الأندلسي - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - في معنى القراءات الثلاث الأخيرة: وقرأت فرقةٌ ﴿لَنُحْرِقَنَّهُ﴾ بتخفيف الراء بمعنى بالنار، وقرأ عليّ بن أبي

---

(٢٩٢) في ظلال القرآن ج٤/ص٢٣٤٩.

(٢٩٣) هو عثمان بن نهيك الأزدى الفراهيدى، أبو نهيك البصري القارىء، كان يختلف إلى خراسان، من التابعين، أحاديثه في البخاري. انظر: تهذيب التهذيب ج٧/ ص١٤٢، وتهذيب الكمال ج١٩ /ص٥٠١.

(٢٩٤) تفسير الطبري مج٩ /ج١٦/ص٢٢٦.

طالب، وابن عباس - ﷺ - ﴿لَنَحْرُقَنَّهُ﴾ بضم الراء وفتح النون بمعنى لنبردنَّه بالمبرد، وقرأ نافع وغيره ﴿لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ﴾ بضم النون وكسر الراء وشدِّها وهذا تضعيف مبالغة لا تعدية وهي قراءة تحتمل الحرق بالنار وتحتمل بالمبرد»[٢٩٥].

بالجمع بين القراءات يتبيَّنُ أنَّ نبيَّ الله موسى عليه السلام أصدر حكماً نافِذاً على السامريّ بالعزل والطرد بمجرَّد اعترافه بجريمته أمام قومه، كما هدَّده بأنَّ له موعداً لعقوبته يوم القيامة لن يستطيع إخلافه، ولن يخلفه الله إياه بل سينجزه، وأمَّا بالنسبة للعجل الذي اتخذه إلهاً فيُحتمل أنْ يكون قد برده بالمبرد، أو أحرقه بالنار أو الأمرين معاً، ومن ثَمَّ ألقى بقاياه في اليم؛ مبالغةً في إتلافه والتخلُّص منه، وكذلك إهانته وتحقيره بإظهار عجزه عن أنْ يكون إلهاً، وإمعاناً في تقريع الذين اتخذوه إلهاً بعبادتهم إيَّاه من دون الله، والله أعلم.

٢٦ - قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾﴾ [طه: ١٠٢].

أولاً: القراءات:

١ - قرأ أبو عمرو (نَنْفُخُ فِي الصُّورِ) بالنون وفتحها وضم الفاء.

٢ - وقرأ الباقون (يُنفَخُ فِي الصُّورِ) بالياء وفَتْح الفاء[٢٩٦].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

نَفَخَ: النَّفْخُ معروف، نَفَخَ فيه فانْتَفَخَ، نَفَخ بفمِهِ نَفْخاً إذا أخرَجَ منه الرِّيح، يكون ذلك في الاستراحة والمعالجة ونحوهما[٢٩٧].

(٢٩٥) المحرر الوجيز ج٤/ص٦٢ ، وانظر، الملخص ص٢٧٧.

(٢٩٦) انظر: النشر ج٢/ص٣٢٢.

(٢٩٧) انظر: لسان العرب ج٣ /ص ٧٤.

ثالثاً: التفسير:

تبيِّنُ الآيةُ أنَّ يومَ القيامةِ هو اليوم الذي يَنْفُخُ فيه إسرافيلُ عليه السلام في الصُّور النَّفْخَةَ الثانيةَ، حيثُ يُحْشَرُ المجرمونَ يومها إلى أرض المحشر زُرْقَ العُيونِ سودَ الوجوهِ(٢٩٨).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة الأولى (نَنْفُخُ فِي الصُّورِ) أنَّ الله ـ تعالى ـ أسنَدَ النفخَ في الصُّور لنفسهِ وهو الآمِرُ بالنَّفْخِ وذلك لتعظيم المأمور بالنَّفْخ، وهو إسرافيل عليه السلام.

يقول السمين الحلبي ـ رحمه الله ـ: «وقرأ أبو عمرو (نَنْفُخُ) مبنياً للفاعل بنون العظمةِ أسندَ الفعلَ إلى الآمِرِ به تعظيماً للمأمورِ وهو المَلَك إسرافيلُ عليه السلام»(٢٩٩).

يقول ابن خالويه ـ رحمه الله ـ: «النافخُ وإنْ كانَ إسرافيل، فإنَّ الله ـ تعالى ـ هو المقدِّر لذلك، وهو الآمرُ والخالِقُ فينسِبُ الفعلَ إلى نفسه، كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر: ٤٢] **والذي يَتوفَّى هو مَلَك الموت**»(٣٠٠).

بينما أفادت القراءة الثانية (يُنْفَخُ فِي الصُّورِ) بالبناء للمفعول أهمية ذلك الحدث وهو النفخ في الصور.

يقول الطبري ـ رحمه الله ـ: «واختلفت القراء في ذلك، فقرأته عامة قرَّاء الأمصار (يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ) بالياء وضَمِّها على ما لم يُسَمَّ فاعله، بمعنى: يوم يأمر الله إسرافيل فينفخ في الصور»(٣٠١).

---

(٢٩٨) صفوة التفاسير ج٢/ص٢١٥.
(٢٩٩) الدر المصون ج٥/ص٥٤.
(٣٠٠) إعراب القراءات السبع ج٢/ص٥٤.
(٣٠١) تفسير الطبري مج٩ ج١٦/ص٢٢٩.

بالجمع بين القراءتين يتبيَّن تعظيم الله تعالى لإسرافيلَ عليه السلام فهو الذي ينفُخُ في الصور بأمرِ الله تعالى وتقديره، كما يتبيَّنُ تعظيم الحدث وهو النفخ في الصور يوم القيامة، والله أعلم.

٢٧ ـ قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾ [طه: ١١٠].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ يعقوب (أَيْدِيهُمْ) بضم الهاء.

٢ ـ وقرأ الباقون (أَيْدِيهِمْ) بكسر الهاء[٣٠٢].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(اليَدُ) أصلها يَدْيٌ على فَعْل ساكنة العَين لأنَّ جَمْعَها (أَيْدٍ) و(يُدِيّ)، و(اليَدُ) القوَّة[٣٠٣].

ثالثاً: التفسير:

يقول الله ـ عز وجل ـ لمحمد ﷺ إنَّه يعلم أحوال الخلائق فلا تخفى عليه خافية من أمور الدنيا وأمور الآخرة، ولا تحيط علومهم بمعلوماته تعالى.

يقول الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾: «يقول تعالى ذكره: يعلم ربُّك يا محمد ما بين أيدي هؤلاء الذين يتبعون الداعي من أمر يوم القيامة، وما الذي يصيرون إليه من الثواب والعقاب ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ يقول: ويعلم أمر ما خَلَّفوه وراءهم من أمر الدنيا... وقوله: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ يقول تعالى ذكره: ولا يحيط خلقُه به علماً ومعنى الكلام: أنَّه مُحيطٌ بعباده علماً، ولا يُحيط عبادُه به علماً»[٣٠٤].

---

(٣٠٢) انظر: القراءات في هامش القرآن الكريم ص٣١٩.

(٣٠٣) انظر: مختار الصحاح ص٧٥١.

(٣٠٤) انظر: تفسير الطبري مج٩ /ج١٦/ص٢٣٥.

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

استئناساً بما سبق ذكره في الفقرة رقم (١) من هذه السورة، حيث أوضحت أنَّ الضمة هي أقوى الحركات وأثقلها ثمَّ تليها الكسرة فإنَّ:

القراءة الأولى (أَيْدِيهُمْ) تفيد ثِقَلَ هذا الموقفِ وهولَه على من يعبدُ الملائكةَ الذين لا يحيطون علماً بما بين أَيديهِم وما خلفَهُم، وهذا ما نفهمُه من خلال تَقْريعِهم.

يقول نظام الدين القمي النيسابوري[٣٠٥] ـ رحمه الله ـ: «وفيه تقريعٌ لمن يعبد الملائكة ليشفعوا له: أي يعلم ما كان قبل خلقهم، وما كان منهم بعد خلقهم من أمر الآخرة والثواب والعقاب، وأنَّهم لا يعلمون شيئاً من ذلك، فكيف يصلحون للمعبودية»[٣٠٦].

أمّا القراءة الثانية (أَيْدِيهِمْ) فإنّها تفيد أنّ علوم هذه الخلائق لا تساوي شيئاً يُذكَرُ بجانب معلومات الله جلّ وعلا.

يقول ابن جنّي ـ رحمه الله ـ: «فجعلوا الضمّة لقوّتها فيما يكثر حجمه، والكسرة لضعفها فيما يَقِلُّ بل يُعْدَمُ ارتفاعه»[٣٠٧].

ويقول الشيخ مصطفى المنصوري ـ رحمه الله ـ: «أي لا تحيط علومهم بمعلوماته جلّ وعلا»[٣٠٨].

بالجمع بين القراءتين تتجلّى صفة من صفات الله ـ تعالى ـ وهي أنَّه الكامل في علمه، والذي يحيط علماً بجميع مخلوقاته، فهو المستحق وحده

(٣٠٥) هو الحسن بن محمد بن الحسين القمي النيسابوري، نظام الدين، ويقال له الأعرج: مفسر له اشتغال بالحكمة والرياضيات، أصله من بلدة (قم)، ومنشأه وسكنه في نيسابور، له كتب منها غرائب القرآن، توفي بعد سنة ٨٥٠ هـ. انظر: الأعلام ج٢ / ص ٢١٦.

(٣٠٦) غرائب القرآن ج٣/ص٢٢٧٧.

(٣٠٧) المحتسب ج٢/ص١٩.

(٣٠٨) المقتطف ج٣/ص٣٦٢.

للعبادة، لذا فإنَّ الذين عبدوا الملائكة الذين هم مخلوقات لله لا تحيط علومهم بمعلوماته ـ جلَّ وعلا ـ شيئاً فهؤلاء يستحقون التقريع والعقاب من الله تعالى، والله أعلم.

٢٨ ـ قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾﴾ [طه: ١١٢].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ ابن كثير (فلا يَخَفْ) بالجزم.

٢ ـ وقرأ الباقون (فلا يَخَافُ) بالرفع(٣٠٩).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«الخَوْفُ: انفعالٌ في النفسِ يَحْدُثُ لتَوَقُّعِ ما يَرِدُ من المكروه أو يفوتُ من المحبوب، وهذا يعني أنَّهُ توقُّعُ مكروهٍ عن أمارَةٍ مَظْنونَةٍ أو معلومة، ويضاد الخوف الأمن» (٣١٠).

ثالثاً: التفسير:

يُبَشِّرُ الله ـ عَجَّلَ ـ المؤمنين الذين يعملون الصّالحات بأنّهم لن يزاد في سيّئاتهم ولن يُنْقَصُ من حسناتهم.

يقول ابن كثير ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ في هذا المعنى: «لمّا ذكر الظالمين ووعيدهم، ثَنَّى بالمتّقين وحُكْمِهِم، وهو أنّهم لا يُظْلَمون ولا يُهضَمون، أي لا يُزاد في سَيئاتهم ولا يُنْقَصُ من حسناتهم»(٣١١).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة الأولى (فلا يَخَفْ) النهي عن الخوف.

---

(٣٠٩) انظر: النشر ج٢/ص٣٢٢

(٣١٠) معجم تفسير مفردات ألفاظ القرآن ص ٢٩٤، وانظر: المفردات ص ٣٠٣.

(٣١١) تفسير ابن كثير ج٣/ص٢٩٤.

قال الإمام ابن أبي مريم ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «والوجه أنّه مجزومٌ؛ لأنّه نهيٌ يراد به الخبر، ولكونه نَهْياً صار مجزوماً، وذلك لأنَّ المعنى من يعمل من الصالحات وهو مؤمن فَلْيَأمَنْ، والمراد بالكلام الإخْبارُ، كأنّه قال: من يعملْ من الصالحات وهو مؤمن فلا خَوْفَ عَلَيْهِ، فهذا من النَّهْي المراد به الخبر، والفاء في قوله (فلا يَخَفْ) إنّما جاءت لكون ما بعدها جواباً للشرط، وهو قوله (وَمَنْ يَعْمَلْ)، وموضع الفاء مع ما بعدها جزمٌ أيضاً؛ لكونها جواباً»[٣١٢].

ويقول أبو العلاء الكرماني ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «وقرأ ابن كثير (فلا يَخَفْ) عن الخوف أمرٌ بالأمن»[٣١٣].

وقد وجّهَ النُّحاةُ قراءة ابن كثير هذه على أنَّ الفعلَ قد سُبقَ بـ (لا النّاهية) فجُزِمَ بها. وهذا أولى من جعل الكلام على الخبر ورفع الفعل (يخاف)، ذلك لأنَّ في النهي تأكيداً على المعنى ولا وجود لذلك التأكيد في أسلوب الخبر، فإنَّ من يعمل الصالحات توجَّبَ عليه عدم الخوف من وقوع الظلم عليه أو هضم أعماله في الحياة الدنيا[٣١٤].

وقد يفيد حذف الألف من الفعل (فلا يَخَفْ) تخفيف أمر الخوف وتهوينه على نفس المؤمن حتى لا يبقى في نفسه شيءٌ منه.

وفي هذا المعنى يقول الدكتور فاضل السامرائي ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «فخفَّف الفعل بالحذف إشارةً إلى تخفيف الأمر على النفس»[٣١٥].

أما القراءة الثانية (لاَ يَخافُ) فقد أفادت الإخبار عن المؤمن الذي يعمل الصالحات بأنه لا يخاف ظلماً ولا هضماً.

---

(٣١٢) الموضح ج٢/ص٨٥٤.
(٣١٣) انظر: غرائب القرآن ج٣/ص٢٢٧٨.
(٣١٤) انظر: ما انفرد به كل من القرّاء السبعة ص٥٣، غرائب القرآن ج٣/ص٢٢٧٨، ومفاتيح الأغاني ص ٢٧٨.
(٣١٥) التعبير القرآني ص ٧٧.

يقول الإمام مكّي بن أبي طالب ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: «وقرأ الباقون بالرفع على الخبرِ أنّه ليس يخافُ أنْ يظلِمَه أحد»[٣١٦].

بالجمع بين القراءتين تتبلور بشارةٌ من الله تعالى للمؤمن الذي يعمل الصالحات في الدنيا بأنْ لا يخاف أنْ يُظْلَمَ، أو يُنْقَص عملُهُ، وأنَّهُ تعالى يوجِب له الأمن فيأمُرُهُ به، كما يؤكِّد عليه فينهاهُ عن نقيضه وهو الخوف، والله أعلم.

٢٩ ـ قال تعالى: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ [طه: ١١٤].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ يعقوب (نَقْضِيَ) بالنون مفتوحة، وكسر الضاد وفتح الياء نصباً على تسمية الفاعل (وَحْيَهُ) بالنصب.

٢ ـ وقرأ الباقون (يُقْضَى) بالياء مضمومة، وفتح الضاد ورفع (وَحْيُهُ)[٣١٧].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

قَضَى: «(قَضَى) يَقْضِي بالكسر (قَضاءً) أي حَكَمَ، والقَضاء: الحُكْم»[٣١٨].

«يُقْضَى إليك وَحْيُه: أي يَفْرغُ جبريلُ من إبلاغِه إليك»[٣١٩].

ثالثاً: التفسير:

تبدأ الآية بإجلال الله ـ تعالى ـ وتقديسه ثم بأمره ـ جلَّ وعلا ـ لسيِّدنا محمد ﷺ بعدم قراءة القرآن على أصحابه من قبل أن يُبَيَّنَ له معانيه.

---

(٣١٦) الكشف عن وجوه القراءات ج٢/ص١٠٧.

(٣١٧) انظر: النشر ج٢/ص٣٢٢.

(٣١٨) انظر: مختار الصحاح ص٥٦٠ .

(٣١٩) المستنير ج٢/ص٤٨.

يقول الطبري: «يقول جلّ ثناؤه لنبيِّه محمد ﷺ: ولا تعجل يا محمد بالقرآن، فتُقْرِئه أصحابك، أو تَقْرَأه عليهم، من قبل أنْ يُوحَى إليك بيانُ معانيه، فعوتِبَ على إكتابه وإملائه ما كان الله يُنَزِّلُه عليه من كِتابِه مَن كان يُكْتِبُهُ ذلك، من قبل أن يُبَيِّنَ له معانيه، وقيل لا تتلُهُ على أحدٍ ولا تُمْلِهِ عليه، حتى نُبَيِّنَه لك»[320].

وقيل: أمره بألاّ يتعجّلَ بالقراءة مع جبريل عليه السلام مخافة أن ينسى القرآن، وأمره بأن يسأل الله زيادةً في علمه.

يقول الصابوني - رحمه الله - في بيان قوله تعالى: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾: «أي: جلّ الله وتقدّس الملك الحقّ الذي قهر سلطانَه كلَّ جبَّارٍ عمّا يصفه به المشركون من خَلْقِه ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾ أي إذا أقرأك جبريلُ القرآنَ فلا تتعجَّل بالقراءة معه، بل استمعْ إليه واصبر حتّى يفرغَ من تلاوته وحينئذٍ تقرأه أنت، قال ابن عباس: كان ﷺ يبادر جبريلَ فيقرأُ قبلَ أن يفرغَ جبريلُ من الوحي حرصاً على حفظ القرآن ومخافةَ النسيان فنهاه الله عن ذلك، قال القرطبي: وهذا كقوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ [القيامة: ١٦] ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ أي سَلِ الله - عز وجل - زيادة العلم النافع، قال الطبري: أمره بمسألته من فوائد العلم ما لا يعلم»[321].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءة الأولى (نَقْضِيَ إِلَيْكَ وَحْيَهُ) على أنّ الفعل مبني للمعلوم مُسْنَدٌ إلى ضمير العظمة مما يفيد تعظيم أمر المُنْزِل.

يقول الطبرسي: «ومن قرأ: (مِنْ قَبْلِ أَنْ نَقْضِيَ إِلَيْكَ وَحْيَهُ) فإنّه أضاف القضاء إلى الله وجعل الوحي مفعوله»[322].

(٣٢٠) تفسير الطبري مج٩ /ج ١٦/ص٢٤٠.

(٣٢١) صفوة التفاسير ج٢/ص٢١٦.

(٣٢٢) مجمع البيان ج١٣/ص١٤٤، وانظر: طلائع البشر ص١٦٨.

أمَّا القراءة الثانية (يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ) فعلى إسناد الفعل للمجهول والمقصود من ينزل بالوحى وهو جبريل عليه السلام لتعظيم شأن المُنْزَل.

يقول ابن أبي مريم ـ رحمه الله ـ: «وقرأ الباقون (يُقْضَى) بضم الياء وفتح الضاد، (وَحْيُهُ) بالرفع. والوجه أنه على إسناد الفعل إلى المفعول به، هو الوحيُ، ومعلوم أنَّ الله تعالى هو المُوحِي، فلذلك وقع الاستغناء عن ذكر الفاعل»(٣٢٣).

بالجمع بين القراءتين يتَّضِحُ عظيم أمر الموحي والموحَى به وبيانَ معانيه بوساطةِ الوحي جبريل عليه السلام، والله أعلم.

٣٠ ـ قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾﴾ [طه: ١١٦].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ أبو جعفر (لِلْمَلاَئِكَةُ اسْجُدُوا) بضم التاء.

٢ ـ وقرأ الباقون (لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُوا) بإخلاص كسر التاء(٣٢٤).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

الملائكة جمع، وواحده (مَلَك)، وهو مشتق من (أَلَكَ) بمعنى: أرسل، وأصل (مَلَك): (مَأْلَك)، فَقُدِّمت العين وهي اللام، وأُخرت الفاء فصارت (مَأْلَكاً)، واستثقلت الهمزة، فنقلت إلى الساكن قبلها، وحذفت، فصار لفظه (ملكاً)، فإذا جُمع، رُدَّ إلى أصله من الهمزة وبقي على قلبه(٣٢٥).

سَجَدَ: «(سَجَدَ) خَضَعَ، ومنه (سُجود) الصَّلاة وهو وَضْعُ الجَبْهة على الأرْض»(٣٢٦).

---

(٣٢٣) الموضح ج٢/ص٨٥٥.
(٣٢٤) انظر: النشر ج٢/ص٢١٠، ٣٢٢.
(٣٢٥) انظر عمدة الحفاظ ج١/ ص١١٢ ـ ١١٣. ومختار الصحاح ص٦٤٢.
(٣٢٦) المرجع السابق ص٣٢٦.

ثالثاً: التفسير:

يُذَكِّرُ الله - ﷻ - نبيَّه محمد ﷺ بأمره الملائكة بالسجود لآدمَ سجود تشريفٍ وتكريم، فسجدوا كلُّهم إلاّ إبليس فقد رفض السجود[٣٢٧].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

ناسبت القراءة الأولى (لِلْمَلاَئِكَةُ اسْجُدُوا) بضمِّ التاء عِظم الأمر وثِقَلِه على الملائكة، فكما أوضحت في الفقرة (١) من هذه السورة أنَّ الضمة أقوى الحركات وأثقلها، ثمَّ تليها الكسرة. فقال: (الملائكةُ) وجاء بالضمة التي هي أثقلُ الحركات للدلالة على ثِقَلِ الموقف، حيث إنَّ الملائكة استعظموا هذا الأمر.

يقول الإمام القرطبيّ - رحمه الله - في هذا المعنى: «إنَّ الملائكةَ لمّا استعظموا بتسبيحهم وتقديسهم أَمَرَهُم بالسجود لغيره ليريهم استغناءه عنهم وعن عبادتهم. وقال بعضهم: عَيَّروا آدم واستصغروه ولم يعرفوا خصائص الصنع به فأمروا بالسجود له تكريماً؛ ويُحتملُ أن يكون الله تعالى أمرهم بالسجود له معاقبةً لهم على قولهم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ لما قال لهم:

﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠] وكان علم منهم أنه إن خاطبهم أنهم قائلون هذا فقال لهم: ﴿إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾. وجاعله خليفة فإذا نفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين، والمعنى ليكون ذلك عقوبةً لكم في ذلك الوقت على ما أنتم قائلون لي الآن»[٣٢٨].

أما القراءة الثانية ﴿لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا﴾ فإنها تفيد التخفيف من ثِقَل الأمر حيث إنَّ الكسرة أخفُّ من الضمة، وحيث إنَّ الملائكة فُطِروا على الطاعة فمهما كان الأمر الذي أُمِروا به فإنهم فاعلوه امتثالاً لأمر الله تعالى وطاعةً

(٣٢٧) أضواء البيان ج٣/ص٧٣.

(٣٢٨) تفسير القرطبي ج١/ص٢٤٩.

له، يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦﴾ [التحريم: ٦].

بالجمع بين القراءتين يتبين أنَّ الله ـ تعالى ـ أمر الملائكة بالسجود لآدم ـ عليه السلام ـ ورغم عِظَم الأمر وثِقَلِهِ عليهم إلاَّ أنهم أطاعوه ونفَّذوه بمجرّد إصداره لهم وهذا ما يتناسب مع طبيعتهم وما خُلِقوا عليه، والله أعلم.

٣١ ـ قال تعالى: ﴿وَأَنَّكَ لَا تَظۡمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضۡحَىٰ ١١٩﴾ [طه: ١١٩].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ نافع وأبو بكر (شعبة) (وَإِنَّكَ لاَ تَظْمَأُ) بكسر الهمزة.

٢ ـ وقرأ الباقون (وَأَنَّكَ لاَ تَظْمَأُ) بفتح الهمزة(٣٢٩).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(إِنَّ، أَنَّ): سبق التعريف بكلٍّ منهما(٣٣٠).

ظَمَأ: «(الظَمَأ): العَطَش»(٣٣١). (ضَحَا) ـ ضَحْواً، وضُحُوًّا وضُحِيًّا: أصابه حرُّ الشمس(٣٣٢).

ثالثاً: التفسير:

يُحَذِّرُ الله تعالى آدمَ عليه السلام أنْ يَتْبَعَ الشيطانَ فيكون ذلك سبباً في خروجه من الجنة حيث لا تعبٌ ولا نصب(٣٣٣)، فلك في الجنة ألا تجوع ولا تعرى، ولك أيضاً ألاّ تشعر بالعطش ولا بحرِّ الشمس، جاء في صفوة التفاسير في تفسير الآية: «﴿وَأَنَّكَ لاَ تَظْمَأُ فِيهَا وَلاَ تَضْحَى﴾ أي ولك أيضاً

(٣٢٩) انظر: النشر ج٢/ص٣٢٢.

(٣٣٠) انظر: الموضع رقم (٢) من هذه السورة ص ٣٣.

(٣٣١) مختار الصحاح ص٤٠٧.

(٣٣٢) انظر: المعجم الوسيط ص٥٣٥.

(٣٣٣) (نَصِبَ) نصباً: أعيا وتعب وجَدَّ واجتهد. انظر: المعجم الوسيط ص٩٢٤.

ألاّ يصيبُكَ العطشُ فيها ولا حرُّ الشمس، لأنَّ الجنةَ دار السرور والحبور[٣٣٤]، لا تعبٌ فيها ولا نصب، ولا حرٌ ولا ظمأ بخلافِ دارِ الدنيا»[٣٣٥].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة الأولى (وَإِنَّكَ لاَ تَظْمَأُ) بكسر همزة (إِنَّ) التأكيد على أنَّ آدم عليه السلام له وعدٌ من الله ـ سبحانه وتعالى ـ بألاّ يظمأ ولا يضحَى.

يقول السيوطي ـ رحمه الله ـ: (إِنَّ) بالكسر والتشديد على أحد أوجهها: التأكيدُ والتحقيقُ وهو الغالب[٣٣٦].

وحيث إِنَّ هذه القراءة بكسر همزة (إِنَّ) أفادت أحد أمرين:

أولهما: استئناف الكلام. حيث **يقول الإمام ابن أبي مريم ـ رحمه الله ـ**: «والوجه أنَّه مقطوعٌ ممَّا قبله، ومُسْتأنَفٌ به، فلهذا كُسِرَ إِنَّ»[٣٣٧].

وثانيهما: العطف على (إِنَّ لَكَ). حيث **يقول الدكتور محمد سالم محيسن**: «قرأ نافع، وشعبة: (وإِنَّك) بكسر الهمزةِ، عطفاً على قوله تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾﴾ وهو من عطف الجمل»[٣٣٨].

فيكون المعنى لما سبق أنَّهُ تعالى بعدما نفى عن آدم عليه السلام الجُوعَ والعُرِيّ، استأنف بجملة جديدةٍ عطفها على الجملة السابقة، وقد نفى عنه فيها ألم الظمأ، وألم الضَّحْو، وكرَّرَ فيها حرفَ التوكيدِ (إِنَّ) للتأكيد على النَّفي المذكور.

أمّا القراءة الثانية (وَأَنَّكَ لاَ تَظْمَأُ) فإنَّها تفيدُ أنَّ لآدم عدم الجوع في الجنة وعدم العري وعدم الظمأ، حيثُ إنَّها من عطف المفردات الذي يوحي

---

(٣٣٤) الحبور: السرور. انظر: مختار الصحاح ص١٦٧.

(٣٣٥) صفوة التفاسير ج ٢/ص٢١٦.

(٣٣٦) انظر: الإتقان ج١/ص٢٠٣.

(٣٣٧) انظر: الموضح ج٢/ص٨٥٥، وإعراب القراءات السبع ج٢/ص٥٦.

(٣٣٨) المغني لمحيسن ج٢/ص٣٤، وانظر: حجة القراءات ص٤٦٤.

بانتفاء جميع تلك الآلام في الوقت نفسه بالدرجة والكيفية نفسها.

يقول ابن أبي مريم - رَحِمَهُ اللَّهُ -: «وقرأ الباقون (وَأَنَّكَ) بفتح الألف، والوجه أنَّه معطوفٌ على قوله: (أَلاَّ تَجُوعَ) كأنَّه قال: إنَّ لك ألاّ تجوع وألاّ تظمأ؛ لأنَّ المعنى في أنْ بالتخفيف وأنَّ بالتشديد واحدٌ في أنَّهما جميعاً يُفيدان معنى المصدر، والتقديرُ: إنَّ لك انتفاء الجوعِ وانتفاء الظمأِ»[٣٣٩].

بالجمع بين القراءتين يتَّضح لنا أن الله تعالى عَدَّدَ نعمه لآدم عَلَيْهِ السَّلَامُ أنَّ له في الجنة ألاّ يجوع، ولا يعرى، ولا يظمأ، ولا يضحى، مؤكِّداً انتفاء هذه الآلام جميعها بقطع النظير عن النظير المزعوم، والذي غرضه: تحقيق تعداد هذه النعم وتكثيرها[٣٤٠]، والله أعلم.

٣٢ - قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾﴾ [طه: ١٢٥].

أولاً: القراءات:

١ - قرأ نافع، وابن كثير، وأبو جعفر (حَشَرْتَنِيَ أَعْمَى) بفتح الياء.

٢ - وقرأ الباقون (حَشَرْتَنِي- أَعْمَى) بمد الياء[٣٤١].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«حَشَرَ: (حَشَرَ) النَّاسَ: جَمَعَهم وبابه ضَرَبَ و نَصَرَ ومنه (يوم الحَشْر)»[٣٤٢].

ثالثاً: التفسير:

يقول الكافر في هذه الآية سائلاً ربَّهُ عن سبب حشره يوم القيامة أعمى وقد كان في الدنيا بصيراً. **جاء في صفوة التفاسير في تفسير هذه الآية:**

---

(٣٣٩) الموضح ج٢/ص٨٥٥.

(٣٤٠) انظر: أضواء البيان ج٣/ص٧٥.

(٣٤١) انظر: في هامش القرآن الكريم ص٣٢٠.

(٣٤٢) مختار الصحاح ص١٣٧.

«أي قال الكافر: يا رَبِّ بأيِّ ذَنْبٍ عاقبتني بالعمَى وقد كنتُ في الدنيا بَصيراً؟»[٣٤٣].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيد القراءة الأولى (حَشَرْتَنِيَ أَعْمَى) ـ بفتح ياء المتكلّم وبغير مَدٍّ ـ السرعة في طرح السؤال والاستفسار عن سبب كونِهِ حُشِرَ أعمى وقد كان بصيراً.

ويقول الطبري: «فإن قال قائلٌ: وكيف قال هذا لربِّه: ﴿...لِمَ حَشَرْتَنِيَ أَعْمَىٰ...﴾ مع معاينة عظيم سلطانه، أَجَهِلَ في ذلك الموقِفِ أنْ يَكونَ لله أنْ يَفْعلَ به ما شاء، أمْ ما وَجْهُ ذلك؟ قِيلَ: إنَّ ذلك منه مَسْألةٌ لربِّهِ يُعَرِّفُهُ الجُرْمَ الذي استحقَّ به ذلك، إذ كان قد جَهِلَه، وظنَّ أن لا جُرْمَ له، استَحَقَّ ذلك به منه، فقال: ربِّ لأيِّ ذَنْبٍ ولأيِّ جُرْم حَشَرْتني أعمَى، وقد كنتُ منْ قَبْلُ في الدنيا بصيراً وأنت لا تعاقِبُ أحداً بدون ما يستحقُّ منك من العقاب»[٣٤٤].

قال الفرَّاء: يُقالُ إنَّهُ يخرجُ من قبرِهِ بصيراً فيُعْمَى في حَشْرِهِ[٣٤٥]. وتفيد القراءة الثانية ﴿حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ﴾ بمدِّ الياء، شعور الكافر بالضرر، وذلك أنه أصبح أعمى، ممّا دفعه لمسألة ربِّه، وطلب دفْع الضرر عنه، لذلك فإنَّ إظهار الياء يدلُّ على أنَّ الكافرَ يريدُ طَلَباً لنفسِهِ حقّاً، وأنَّه لا شيءَ أَلْزَمُ منه لمصلحته هو ودفع الضرر عنه[٣٤٦].

بالجمع بين القراءتين يتبيَّنُ أنَّ الكافرَ يُسارِعُ في الطلبِ من ربِّه أن يدفعَ عنه ما به من ضرر، حيثُ إنّه حُشِرَ أعمى، وقد كان فيما سبَق بصيراً، وذلك ظَنّاً منه أنّه لا جُرْمَ له يستَحِقُّ به منه ذلك، والله أعلم.

---

(٣٤٣) صفوة التفاسير ج٢ /ص٢١٧.

(٣٤٤) تفسير الطبري مج٩ /ج١٦/ص٢٥١.

(٣٤٥) انظر: مجمع البيان ج١٣/ص١٥٣.

(٣٤٦) انظر: بلاغة الكلمة ص٢٧.

٣٣ ـ قال تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡ وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرۡضَىٰ ﴿١٣٠﴾﴾ [طه: ١٣٠].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ الكسائي، وأبو بكر (تُرْضَى) بضم التاء.

٢ ـ وقرأ الباقون (تَرْضَى) بفتح التاء(٣٤٧).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

ترضَى: «الرِّضا مقصورٌ: ضدُّ السَّخَط»(٣٤٨).

ثالثاً: التفسير:

تَحُثُّ هذه الآيةُ سيِّدنا محمدٍ ﷺ على الصَّبْرِ على أذى قومه، بعد أن عَلِمَ أَنَّهُ سَبَقَتْ كَلِمةٌ من الله ـ ﷻ ـ بتأخير عذاب هذه الأُمَّةِ لأَجَلٍ مُسَمَّى، ثمَّ تأمُرُهُ الآية بأن يتَّجِهَ إلى الله تعالى بتسبيحه قبل طلوع الشمسِ، وقبل غروبها، وفي ساعاتِ الليل والنهار حتى يرضى(٣٤٩).

يقول الشيخ مصطفى المنصوري ـ رحمه الله ـ: «﴿فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ أي: إذا كان الأمرُ كذلك، فاصبرْ على ما يقولون من الكُفْرِ، والتكذيبِ ﴿وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ﴾ أي صَلِّ وأنت حامدٌ لربِّكَ، الذي يبلغك إلى كمالك، على هدايته وتوفيقه ونزِّهْهُ عمّا ينسبونه إليه، ممَّا لا يليقُ بشأنه الرفيع، معترفاً أنَّه مولى النعم كلها ﴿قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ﴾ أي: في صلاةِ الفجر ﴿وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ﴾ يعني صلاة الظهر والعصر، لأنَّهما قبل غروبها ﴿وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡ﴾ أي: ومن ساعاته، والمرادُ به المغرب والعشاء، وتقديم الوقت فيهما لاختصاصهما بمزيدِ الفضل، فإنَّ القلبَ فيهما أجمَع، والنفسَ إلى الاستراحةِ

(٣٤٧) انظر: النشر ج٢/ص٣٢٢.

(٣٤٨) لسان العرب ج١٤/ص٣٢٣.

(٣٤٩) انظر: المستنير ج٢/ص٥١.

أَمْيَل، فتكون العبادةُ فيهما أَشَقُّ، لذلك قال تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـًٔا﴾ [المزمل: ٦] ﴿وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ﴾ أمْرٌ بالتطوّعِ في أجزاء النهار، ﴿لَعَلَّكَ تَرۡضَىٰ﴾ أي سَبِّح في هذه الأوقات، رجاء أنْ تنالَ عنده تعالى، ما تَرْضَى به نفسُك، ويَسُرُّ قلبَك، وهو إشارةٌ إلى قوله تعالى: ﴿وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ۞﴾ [الضحى: ٥]»[٣٥٠].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة الأولى (تُرْضَى) بضمِّ التاء، أنَّ محمداً ﷺ يُعْطَى الرضا، ويَرْتضيه الله ﷻ، أي سيُعطيك الله يا محمد من الفضائلِ والدرجاتِ والشفاعةِ العظمَى يوم القيامة، ما يُرْضيك، وستكون عنده مرضيًّا[٣٥١].

يقول الإمام مكي بن أبي طالب ـ رحمه الله ـ: «قوله: ﴿لَعَلَّكَ تَرۡضَىٰ﴾ قرأه الكسائي، وأبو بكر بضم التاء، على ما لم يُسَمَّ فاعله، والذي قام مقام الفاعل هو النبيّ ﷺ والفاعل هو الله جلّ ذِكرُه، تقديره: لعلَّ الله يُرضيكَ بما يعطيك يوم القيامة، و(لعلّ) من الله واجبةٌ»[٣٥٢].

أمّا القراءة الثانيةُ (تَرْضَى) بفتح التاء فهي بمعنى: لعلَّك تثابُ يا محمد على هذه الأعمال بما تَرضى به[٣٥٣].

يقول الطبري ـ رحمه الله ـ في معنى هذه القراءة: إنَّ الله يُعطيك يا محمد حتّى تَرضَى عطيّته وثوابه إيّاك[٣٥٤].

بالجمع بين القراءتين يُعلَمُ إكرام الله ـ تعالى ـ لحبيبه وصفيّه محمد ﷺ حتى يكون مَرْضيًّا عنده، سوف يُرْضيه، ويُعطيه على تلك الأعمال التي ذَكَرتها الآية ما يجعله يَرضَى بما وهبه الله تعالى، والله أعلم.

(٣٥٠) المقتطف ج٣/ص٣٦٩ ـ ٣٧٠.
(٣٥١) انظر: مفاتيح الأغاني ص٢٧٨.
(٣٥٢) الكشف ج٢/ص١٠٧، وانظر: طلائع البشرص١٦٩.
(٣٥٣) انظر: المحرر الوجيز ج٤/ص٧٠.
(٣٥٤) انظر: تفسير الطبري مج٩/ ج١٦/ص٢٥٦.

٣٤ ـ قال تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾﴾ [طه: ١٣١].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ يعقوب (زَهَرَةَ) بفتح الهاء.

٢ ـ وقرأ الباقون (زَهْرَةَ) بإسكان الهاء[٣٥٥].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«الزَّهَرَة: زَهْرَةُ النبت، والزَّهْرَةُ ـ بسكون الهاء ـ زَهْرَةُ الحياة الدنيا، وهي: غضارتها وحسنها»[٣٥٦].

ثالثاً: التفسير:

يأمر الله تعالى نبيَّهُ ﷺ أنْ لا ينظر إلى ما مَتَّع به أصنافاً من الكفارِ من نعيمِ الدنيا وزينتها، لأنَّها لا تدوم.

يقول الطبري: «يقول تعالى ذكرُه لنبيِّه محمدٍ ﷺ ولا تنظر إلى ما جعلنا لضُرَباء هؤلاء المعرضين عن آيات ربِّهم وأشكالِهم، متعةً في حياتهم الدنيا، يتمتَّعون بها، من زهرةِ عاجل الدنيا ونضرتها، (لِنَفْتِنَهم فيه) يقول: لنختبرهم فيما متعناهم به من ذلك، ونبتليهم، فإنَّ ذلك فانٍ زائل، وغُرورٌ وخِدَعٌ تضمحِلُّ، (ورِزقُ ربِّكَ) الذي وعدك أن يَرْزُقكَه في الآخرة حتَّى ترضى، وهو ثوابه إيَّاه (خَيْرٌ) لك مما متَّعناهم به من زهرة الحياة الدنيا. (وأَبْقَى) يقول: وأدوم، لأنَّه لا انقطاع له ولا نفاذ. وذُكِرَ أنَّ هذه الآية نزلت على رسول الله ﷺ من أجل أنَّ رسول الله ﷺ بعثَ إِلَى يهوديّ يستلِفُ منه طعاماً، فأبَى أن يُسْلفه إلا برهن»[٣٥٧].

(٣٥٥) انظر: النشر ج٢/ص٣٢٢.

(٣٥٦) معاني القراءات ج٢/ص١٦١ وانظر: مختار الصحاح ص٢٧٦.

(٣٥٧) تفسير الطبري مج٩ /ج١٦/ص٢٥٦.

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة الأولى (زَهَرَةَ) بفتح الهاء قِصَرُ المُدَّةِ التي يتمتَعُ بها هؤلاء الأزواج في هذه الحياة الدنيا، أي أنَّ المُدَّة التي يتمتعُ بها هؤلاء هي مُدَّةٌ قصيرةٌ كما أنَّ نَوْرَ النباتِ حين يُزهِرُ لا يمكثُ مُزْهِراً ـ كما هو معلوم ـ إلاّ فترةً قصيرة.

يقول الكرماني ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: «وقرأ يعقوب بفتح الهاء والزّاي، أي نَوْرُ النبات»[٣٥٨].

وقال ابن عطيّة ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: «وقوله تعالى: (زَهرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) شبَّهَ نِعَم هؤلاء الكفار بالزَّهرِ وهو ما اصفَرَّ من النَّوْر، وقيل (الزَّهَرُ) النَّوْرُ جُملةً لأنَّ الزَّهرَ له منظرٌ جميلٌ ثمَّ يضْمَحِل، فكذلك حال هؤلاء»[٣٥٩].

يقول الفخر الرازي ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: فإن قيل ما معنى الزهرة فيمن حَرَّكَ قلنا معنى الزهرة بعينه وهو الزينة والبهجة... وأن يكون جمع زاهر وصْفاً لهم بأنهم زهرة هذه الدنيا لصفاء ألوانهم وتهَلُّلِ وجوهِهِم، بخلاف ما عليه الصُّلَحاءُ من شحوبِ الألوانِ والتقشُّفِ في الثياب[٣٦٠].

يقول **الخطيب التبريزي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: «أي زينتها وهو من زهرة النبات وحسنه، ونصب زهرة على فعلٍ مُضمَرٍ، دلَّ عليه (مَتَّعْنا)؛ لأنَّ (متَّعنا) بمنزلة (جعلنا)، فكأنَّه قال: جعلنا لهم زهرة»[٣٦١].

في حين أفادت القراءة الثانيةُ (زَهْرَةَ) بإسكان الهاء، أنَّ ما يتمتَّعُ به هؤلاء الكفار لا يتعدَّى كَونَهُ زينةً لهم في هذه الحياة الدنيا، ويُحْتَمَلُ هنا معنَى أزواجاً ذوي زَهْرَةٍ، كما يَحْتَمِلَ أن تكون على المبالغة في المتعة حتى جُعِلوا نفس الزَّهرة[٣٦٢].

---

(٣٥٨) مفاتيح الأغاني ص٢٧٨.

(٣٥٩) المحرر الوجيز ج٤/ص٧١.

(٣٦٠) انظر: تفسير الرازي ج٢٢/ص١٣٦.

(٣٦١) الملخص ص ٢٨٤.

(٣٦٢) انظر: الدر المصون ج٥/ص٦٦.

بالجمع بين القراءتان تتَّضح العبرة والموعظة من الله ـ تعالى ـ لمحمد ﷺ، ولأُمَّته حيث يأمر نبيَّه ﷺ ألاَّ يمُدَّ عينيه إلى ما مَتَّعَ به أصنافاً من الكفار، من نعيم هذه الدنيا وزينتها ـ وقد بالغ في ذلك حتَّى أصبحوا هم زهرة هذه الحياة الدنيا؛ لصفاء ألوانهم، وتَهَلُّلِ وجوههم ـ لأنَّ هذه الحياة لا يدوم نعيمها، ولا تدوم زينتها، بل سرعان ما يزولُ نعيمها ويضمَحل، كما تزولُ زهرةُ النبات وتضمَحِلّ، والله أعلم.

٣٥ ـ قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَالْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾﴾ [طه: ١٣٢].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ ورش، والسوسي، ووقفاً حمزة (وَامُرْ) بإبدال الهمزة ألفاً.

٢ ـ وقرأ الباقون (وَأْمُرْ) بالهمزة[٣٦٣].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

أمر: إذا أمرت من أمر قلت: مُرْ وأصلُهُ أُؤْمر، فلمَّا اجتمعت همزتان وكَثُرَ استعمالُ الكلمة حُذِفَت الهمزة الأصلية، فزال الساكن، فاسْتُغْنِيَ عن الهمزة الزَّائدة، وقد جاء على الأصل... وقالوا في الأمر: أومُرْ ومُرْ ونَظيرُه كُلْ وخُذْ[٣٦٤].

ثالثاً: التفسير:

يخاطب الله ـ ﷻ ـ نبيَّه محمد ﷺ، ويدخُلُ في عمومِ خطابِه جميع أمَّتِه، فيأمرُهُ بأنْ يأمُرَ أهلَه بالصلاة ويصطبِر عليها، فهو تعالَى الذي يتَكَفَّلُ برزقه، والعاقبةُ للتقوى.

يقول الطبري ـ رَحِمَهُ اللَّهُ **ـ:** «يقول تعالى ذكره لسيدنا محمد ﷺ: ﴿وَأْمُرْ﴾ يا محمد ﴿أَهْلَكَ بِالصَّلاَةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ يقول: واصطبر على

(٣٦٣) انظر: النشر ج١/ ص ٣٩٠.

(٣٦٤) انظر: لسان العرب ج٤/ص٢٧.

القيام بها، وأدائها بحدودها أنت ﴿لاَ نَسْأَلُكَ رِزْقاً﴾ يقول: لا نسألك مالاً، بل نكلفك عملاً ببدنك، نؤتيك عليه أجراً عظيماً وثواباً جزيلاً ﴿نَحْنُ نَرْزُقُكَ﴾ يقول: نحن نعطيك المال ونُكسِبَكه، ولا نسألكه. وقوله: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ يقول والعاقبة الصالحة من عمل كلّ عاملٍ لأهل التقوى والخشية من الله دون من لا يخاف له عقاباً، ولا يرجو له ثواباً»(٣٦٥).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة الأولى (وَامُرْ) بإبدال الهمزة ألفاً، أنَّ الأمرَ يكون باللين والموعظة الحسنة وأن يتسع لهم الصدر حانياً؛ وذلك أنَّ الهمزة حرف مستثقل، والألف حرفٌ يخرج من الجوف بلا عناءٍ ولا مشقَّة. وهو حرفٌ خفيٌ(٣٦٦).

كما يقول الإمام أبو عمرو الداني(٣٦٧): «والهاوي حرف واحدٌ، وهو الألف، وهو حرفٌ اتسع مخرجه لهواء الصوت أشدّ من اتساع غيره»(٣٦٨).

وقد ثبت أنَّ النبي ﷺ كان يتعامل مع أهله باللين والموعظة الحسنة، كما كان يتّسع صدره لهم وهو ﷺ يأمرهم بالصلاة، فقد كان ﷺ يأتي باب فاطمة وزوجها علي - رضي الله عنهما - ليحثهما على أداء الصلاة بأطيب الكلام وأعذبه، واستمرّ ذلك عدّة شهور.

روى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: (لمّا نزلت هذه الآية كان رسول الله ﷺ يأتي باب فاطمة وعلي تسعة أشهر، عند كل صلاة، فيقول: الصلاة رحمكم الله، إنَّما يريدُ الله ليُذهبَ عنكم الرجس أهل البيت،

(٣٦٥) تفسير الطبري مج٩ /ج١٦/ص٢٥٨.

(٣٦٦) انظر: المقتضب ج١ /ص١٩٨.

(٣٦٧) هو عثمان بن سعيد بن عثمان، أبو عمرو الداني، ويقال له ابن الصيرفي، من موالي بني أمية، أحد حفّاظ الحديث، ومن الأئمة في علم القرآن ورواياته وتفسيره، له أكثر من مائة مصنّف، من أهالي دانية بالأندلس، دخل المشرق، فحجّ وزار مصر، وعاد فتوفي في بلده سنة ٤٤٤هـ. انظر: الأعلام ج٤/ ص٢٠٦.

(٣٦٨) التحديد في الإتقان والتجويد ص١١٠.

ويُطَهِّرَكم تطهيراً)[٣٦٩].

أمَّا القراءة الثانية (وَأْمُرْ) بالهمزة فقد أوحت بثِقَلِ الأمر على النفس، وذلك أنَّ النفس تميل إلى الراحة، ومجاهدة النفس تحتاج من الإنسان صبراً وقوَّةَ عزيمةٍ، وهذا ما توحيه الهمزة حيثُ إنَّها حرفٌ شديدٌ مسْتَثْقَلٌ يخرجُ من أقصَى الحَلْق[٣٧٠]، مما استلزم أن يوصِي الله ـ تعالى ـ نبيَّه بالصَّبر على أداء الصلاة وأمر أهله خاصَّةً بأدائها باتباع أسلوب الموعظة الفعلية لأنَّها أكثرُ فائدةً من الموعظة القوليَّة.

يقول أبو العلاء الكرماني ـ رحمه الله ـ: «أراد أنَّك كما تأمرهُم بها فحافظ عليها، فإنَّ الوعظَ بلسانِ الفعلِ أتَمُّ منه بلسان القول»[٣٧١].

بالجمع بين القراءتين يتبيَّنُ أنَّ الله تعالى يأمر نبيَّه ﷺ بأن يأمرَ أهلَهُ بالصلاةِ، ويصطبر على فعلها، وعلى أمرهم بها، مستعيناً بالموعظة بلسان الفعل، إلى جانب لسان القول، والموعظة الحسنة، كما ينصحهم في الخفاء، فالنصيحة في الخفاء تكون أكثر تأثيراً وصدقاً من النصيحة العلنية، والله أعلم.

٣٦ ـ قال تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُواْ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾﴾ [طه: ١٣٥].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ قنبل، ورويس (السِّرَاطِ) بالسين.

٢ ـ وقرأ خلف عن حمزة (الزِّراطَ) بإشمام الصاد زاياً.

٣ ـ وقرأ الباقون (الصِّرَاطِ) بالصاد[٣٧٢].

---

(٣٦٩) انظر: صحيح مسلم ج ٤/ص١٨٨٣، ح٢٤٢٤، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أهل بيت النبي.

(٣٧٠) انظر: شرح المفصل ج٩/ص١٠٧.

(٣٧١) غرائب القرآن ج٣/ص٢٢٨٦.

(٣٧٢) انظر: البدور الزاهرة ص ١٥.

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«السِّراط: لغة في الصِّراط»[٣٧٣].

«وأمَّا (الصِّراط) فإنَّه بكسر الصاد: الطريق»[٣٧٤].

ثالثاً: التفسير:

يأمُرُ الله نبيَّه محمد ﷺ أنْ يقول للكفّار المشركين إنَّ كلَّ واحدٍ منَّا ومنكم في حالة انتظارٍ لما يؤول إليه أمرنا وأمركم وستعلمون عندما تقوم الساعة من هو الضالُّ ومن هو المُهْتَدي؟

يقول الإمام الطبري: «يقولُ تعالى ذكرُهُ لنبيِّه محمد ﷺ: قُل يا محمد: كلكم أيُّها المشركون بالله مُتَرَبِّصٌ؛ يقول: مُنْتَظِرٌ لمن يكونُ الفلاح، وإلى ما يؤولُ أمري وأمرُكم مُتَوقِّفٌ ينتظرُ دوائرَ الزَّمان، ﴿فَتَرَبَّصوا﴾ يقول: فتَرَقَّبوا وانتَظِروا، فستعلمون من أهلُ الطريق المستقيم المعتدل الذي لا اعوجاجَ فيه إذا جاءَ أمرُ الله وقامت القيامةُ، أنحنُ أم أنتم؟ ﴿وَمَنِ اهْتَدَى﴾ يقول: وستعلمون حينئذٍ من المُهْتَدِي الذي هو على سنن الطريق السهل المستقيم، غير الحائد عن قصده منّا ومنكم»[٣٧٥].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

وردت في كلمة الصراط ثلاث قراءات ذُكرت في كتاب وجوه من الإعجاز الموسيقي في القرآن كالآتي: «... ففيه ثلاث قراءات: هي بالسين في (السراط)، كذلك قرأ قُنْبُلٌ عن ابن كثير، لأنها الأصل ولكن أُبدلت صاداً للطاء. وبالصاد قرأ أغلب القرَّاء، وهي أوفق لصوت الطاء المستعلي لمؤاخاتها لها فيه. وبصوتٍ بين الصاد والزاي كذلك قرأ خلفٌ عن حمزة، أشَمَّ الصاد لفظ الزاي، وهذا مجهور، فوافق بذلك الطاء»[٣٧٦].

(٣٧٣) مختار الصحاح ص٣٢٦.
(٣٧٤) شرح المفصل ج١٠/ص٥١.
(٣٧٥) تفسير الطبري مج ٩ / ج ١٦ / ص٢٦٠.
(٣٧٦) وجوه من الإعجاز الموسيقي في القرآن ص ٦٧.

توحي القراءة (السِّرَاطِ) بالسين أنَّ الأصل في الإنسان الإيمان واتباع الهدى وذلك بالفطرة.

عن أبي هريرةَ ﷺ قال: قال النبيُّ ﷺ «ما من مولود إلاَّ يُولدُ على الفِطْرَةِ، فأبواهُ يُهَوِّدانِهِ، أو يُنَصِّرانِهِ أو يُمَجِّسانه، كَمَا تُنْتَجُ البهيمةُ بهيمةَ جمعاء، هلْ تَحسون فيها من جَدْعاء»(٣٧٧).

جاء في شرح المفصل: «يُقالُ السراط بالسين على الأصل، وقال في القاموس: وشرحه: والسين لغة في الكلّ، وقرأ يعقوب (اهدنا السراط المستقيم)، وأصلُ صاده سين قُلِبت مع الطاءِ صاداً لِقُرْبِ مخارجهما»(٣٧٨).

وإنَّ الدينَ الإسلاميَّ الحنيف، الذي يتَّبِعُهُ أصحاب الصراطِ السَّوِيِّ، هو دين اليسر والبساطة، بلا تعقيدات ولا مشقَّة، وهذا ما تُعَبِّرُ عنه السين، فقد **قال الدكتور أحمد مختار عمر**: «لا شك أنَّ السين أكثر بساطة من الصاد، لأنَّ الأخيرةَ تَقْتَضِي عمليَّةً إضافيَّةً على حركات نطق السين وهذه العملية تتمثَّلُ في حركة مؤخَّرِ اللسان إلى أعلى»(٣٧٩).

أمَّا القراءة (الزِّراطَ) بإشمام الصاد زاياً فقد ألقت الضَّوْءَ على تلك الفئة من البشر الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيِّئاً، فهؤلاء إمَّا أنْ يرحمهم الله برحمته فيكونون مع الفائزين بالنجاة من عذاب الله تعالى، وإمَّا أنْ يكونوا ممَّن حقَّ عليهم العذاب.

فهؤلاء هم الفئةُ بين الفئتين التي تشترك مع الصالحين ببعض الأعمال الصالحة، ويشتركون مع العُصاة ببعض الأعمال الفاسدة، وهذا ما أفاده حرف الزَّاي الذي يشترك مع السين في جميع الصفات إلاَّ أنه يختلف عنه في صفة الجهر بينما السين حرف مهموس، كما يشترك الزاي مع الصاد في

---

(٣٧٧) أخرجه البخاري في صحيحه، ج١/ص٤٥٦، ح ١٢٩٢، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي ثم مات.

(٣٧٨) شرح المفصل ج ١٠/ ص ٥١ (في الهامش).

(٣٧٩) دراسة الصوت اللغوي ص٣٤٠.

ثلاث صفاتٍ هي الرخاوة والإصمات والصفير، ويفترِقُ معه في بقيّة الصفات الأخرى[(٣٨٠)].

أمّا القراءة (الصِّرَاطِ) فقد ناسبت أموراً عِدَّةً منها:

١ ـ أنَّ أصحاب الصراط السوِيّ هم الذين يتَّبِعون الهُدى فيسلكون الطريق المستقيم.

٢ ـ قوَّة موقف المؤمنين الذي توحي به قوّة الحرف الذي أُبدلت السين به، ألا وهو حرف الصاد.

٣ ـ إنَّ أصحابَ الصراط السويِّ وهم المؤمنون لا بدَّ أن يظهر أمرهم مهما بلغت قوَّةَ الأعداء وقويت شوكتهم، وزاد طغيانهم، لأنَّ المستقبل للإسلام، ولأنَّه لا يتبع الظلامَ الدامسَ إلاّ بزوغ الفجر الساطع.

٤ ـ إنَّ أصحابَ الصِّراط السَّويّ الذين استحقُّوا الفوز بالدرجات العُلَى لم يكونوا مُتقاعسين عن عبادةِ الله ولكنَّهم كانوا أصحاب عزيمةٍ قويَّةٍ وجِدٍّ ومُثابرةٍ وهم أصحابُ فِعلٍ يُشاهَدُ حِسًّا، وما كانوا أصحاب شعاراتٍ وكلامٍ مُنَمَّقٍ بلا فِعلٍ ملموس.

٥ ـ إنَّ أصحابَ الصِّراطِ السَّوِيّ على يقينٍ من الثَّواب الذي أعَدَّه الله تعالى لهم فنُفوسُهم تَعْرِفُهُ، وإن كانت عيونهم لم ترهُ من قبل.

وذلك حيث: «جعلوا الصاد لأنَّها أقوى لما فيه أثَرٌ مُشاهَدٌ يُرَى وهو الصعود في الجبل والحائطِ ونحو ذلك، وجعلوا السين لضعفها لما لا يظهر، ولا يُشاهدَ حِسَّاً، إلاّ أنَّه مع ذلك فيه صعود الجَدِّ لا صعود الجسم. . .فجعلوا الصاد لقوَّتِها فيما يُشاهَدُ من الأفعال المُعالَجةِ المُتَجَشَّمة، وجعلوا السِّين لضعفها فيما تعرفه النَّفس وإنْ لم تَرَهُ العين»[(٣٨١)].

بالجمع بين القراءات الثلاث يتَّضحُ أنَّ الله تعالى يأمر نبيَّه أنْ يقول

(٣٨٠) انظر: المغني للجمل ص١٤١.

(٣٨١) دراسات في فقه اللغة ص١٤٣.

للكفار إنَّهم سيعلمون يوم القيامة من هم أصحاب الطريق السَّوِي، الذين يتَّبِعون الفطرة السليمة والديانة الإسلامية التي تمتاز بالبساطة والسهولة، والذين يعملون بجد ومُثابرة لنيل الدرجات العلى في الجنة.

كما سيعلمون من هم الذين يستحقون العذاب؛ بسبب عنادهم، وكفرهم في الدنيا، فيقفون على الصراط موقفاً عصيباً يوم القيامة.

وبين هذين الفريقين إشارةٌ إلى فريقٍ ثالثٍ، لا يعلم خبايا نفسِه في الدنيا، ومآلَه في الآخرة إلاّ الله، فإمّا نجاةٌ، وإمّا هلاكٌ، والله أعلم.

الفصل الثاني
تفسير سورة (الأنبياء) من خلال القراءات القرآنية العشر

ويشتمل على مبحثين وهما:

المبحث الأول: تعريف بسورة (الأنبياء).

المبحث الثاني: عرض وتفسير لآيات سورة (الأنبياء) المتضمنة للقراءات القرآنية العشر.

المبحث الأول
التعريف بسورة الأنبياء

ويشتمل على النقاط التالية:

أولاً: اسم السورة.

ثانياً: نوع السورة.

ثالثاً: عدد آيات السورة.

رابعاً: فضائل السورة.

خامساً: مناسبة السورة لما قبلها.

سادساً: هدف السورة وأغراضها.

سابعاً: محور السورة.

ثامناً: مضمون السورة وما اشتملت عليه.

المبحث الأول
التعريف بسورة الأنبياء

أولاً: اسم السورة:

* سُمِّيت هذه السورة (سورة الأنبياء)؛ بسبب اشتمالها على قصصٍ مجموعةٍ من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

يقول الطاهر بن عاشور ـ رحمه الله ـ: «سماها السلف (سورة الأنبياء) . . . ولا يعرف لها اسم غير هذا. ووجه تسميتها سورة الأنبياء أنَّها ذُكِر فيها أسماءُ ستة عشر نبياً، ولم يأتِ مثل هذا العددِ من أسماء الأنبياء في سورة من سور القرآن عدا ما في سورة الأنعام، فقد ذُكِر فيها أسماءُ ثمانية عشرَ نبياً في قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ. . .﴾ [الأنعام: ٨٣] إلى قوله: ﴿. . . وَيُونُسَ وَلُوطًاۚ. . .﴾ [الأنعام٨٦]، فإنْ كانت سورةُ الأنبياءِ هذه نَزلت قبل سورة الأنعام، فقد سَبقت بالتسميةِ بالإضافة إلى الأنبياء؛ وإلاَّ فاختصاصُ سورة الأنعام بذكرِ أحكامِ الأنعام أوجبَ تسميتَها بذلك الاسم، فكانت سورة الأنبياء أجدرَ من بقيةِ سورِ القَرآنِ بهذه التسمية، على أنَّ منَ الحقائق المسلَّمة أنَّ وجهَ التسميةِ لا يوجبها»[٣٨٢].

(٣٨٢) التحرير والتنوير ج١٧/ص٥، وانظر: التفسير المنير ج١٧/ص٥، في رحاب التفسير ج١٣/ص٢٤٤٣، حاشية الشهاب ج٦/ص٤١٢، وصفوة التفاسير ج٢/ص٢٢٠.

* **وقد ذكر لها ابن تيمية[٣٨٣] - رَحِمَهُ اللَّهُ - اسماً آخر في تفسيره، حيث يقول:**

(سورة الأنبياء) سورة الذكر، سورة الأنبياء الذين عليهم نزل الذكر... ثمَّ عزَّز قوله بآياتٍ من الذِّكر الحكيم وردت في هذه السورة وهي:

قوله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾﴾، ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾﴾، وقوله: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾﴾، وقوله: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾﴾، وقوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾﴾، وقوله: ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾﴾، وقوله: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾[٣٨٤].

ثانياً: نوع السورة:

سورة الأنبياء مكية.

يقول السيوطي - رَحِمَهُ اللَّهُ -: «عن ابن الزبير قال: نزلت سورة الأنبياء بمكة»[٣٨٥].

---

(٣٨٣) هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله، شيخ الإسلام الإمام تقي الدين أبي العباس الحرَّاني الدمشقي المعروف بابن تيمية، ولد في حران سنة ٦٦١هـ، وتحوّل به أبوه إلى دمشق فنبغ واشتهر، كان كثير البحث في فنون الحكمة، داعية إصلاح في الدين، آية في التفسير والأصول، فصيح اللسان، قلمه ولسانه متقاربان، له مؤلفات قيّمة كثيرة، مات معتقلاً بقلعة في دمشق سنة ٧٢٨هـ فخرجت دمشق كلها في جنازته. انظر: الأعلام ج١/ ص١٤٤.

(٣٨٤) انظر: دقائق التفسير الجامع مج٢/ج٤/ص٣٥٧، التفسير الكبير ج٥/ص٢١٧، والتفسير الكامل ج٤/ ص٢٥٥.

(٣٨٥) الدر المنثور ج٥ / ص٦١٥.

يقول الألوسي - رَحِمَهُ اللَّهُ -: مكيةٌ بلا خلاف، وأُطلِقَ ذلك فيها، واستُثنيَ منها في الاتفاق قوله تعالى: ﴿...أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ﴾ [الأنبياء: ٤٤][٣٨٦].

ثالثاً: عدد آيات السورة:

عدد آيات سورة الأنبياء اثنتا عشرةَ ومائة آية.

يقول الألوسي - رَحِمَهُ اللَّهُ - في عدد آيات السورة: هي مائةٌ واثنتا عشرةَ آيةٌ في عدِّ الكوفي وإحدى عشرةَ في عدِّ الباقين[٣٨٧].

رابعاً: فضائل السورة:

تعدُّ سورة الأنبياء من فضليات السور، وهي من أوائل ما نزل من القرآن، كما أنّها من السورِ العظيمة التي أذهلت الصحابة بما احتوته من الأمور العظيمة والغريبة، فقد أخرج أبو نعيم الأصبهاني[٣٨٨] في حلية الأولياء:

«عن عامرِ بن ربيعةَ أنّه نزلَ به رجل من العرب فأكرم عامر مثواه، وكلَّم فيه رسول الله ﷺ، فجاءه الرجل فقال: إني استَقْطَعْتُ رسولَ الله ﷺ وادياً ما في العرب وادٍ أفضلُ منهُ، وقد أردتُ أنْ أقطَعَ لك منه قطعةً تكونُ لك ولعقبك من بعدك، قال عامر: لا حاجةَ لي في قَطيعَتك، نزلت اليومَ سورةٌ أذهلتنا عن الدنيا: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ۝١﴾ [الأنبياء: ١] قال الشيخ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: والذي حداه على الزهد والفقر ودعاه إلى إدمان الذكر ما أخبره به النبي ﷺ، وما كان يعانيه في بدنه من الشدة في البعوث والسرايا»[٣٨٩].

---

(٣٨٦) انظر: روح المعاني ج ١٧/ص٣.

(٣٨٧) انظر: روح المعاني ج ١٧/ص٣.

(٣٨٨) هو أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني، أبو نعيم: حافظ، مؤرخ، من الثقات في الحفظ والرواية، ولد بأصبهان سنة ٣٣٦هـ، ومات بها سنة ٤٣٠هـ، من تصانيفه: حلية الأولياء. انظر: الأعلام ج١ / ص ١٥٧.

(٣٨٩) حلية الأولياء ج١ /ص ١٧٩. وانظر: الدر المنثور ج٥ /ص٦١٥، وتفسير ابن كثير ج٣/ص٣٠٤.

خامساً: مناسبة السورة لما قبلها:

إنَّ مناسبة سورة الأنبياء لسورة طه التي تسبقها ظاهرةٌ واضحةٌ لا تحتاجُ لبيان، حيث انتهت سورة طه بالأمر للنبي ﷺ بأنْ يقول للكفار أنْ يتربّصوا وينتظروا؛ ليعلموا يوم القيامة من أصحاب الصراط السوي ومن اهتدى، وفي هذه السورة يُعلِم الله تعالى الكفار بأنَّ حسابَهُم اقتربَ وهم في غفلةٍ معرضون.

يقول السيوطي - رحمه الله - في مناسبة سورة الأنبياء لما قبلها: «ظهر لي في اتصالها بآخر (طه) أنّه سبحانه لما قال: ﴿قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُواْ﴾ [طه: ١٣٥] وقال قبله: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾﴾ [طه: ١٢٩] قال في مطلع هذه: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ [الأنبياء: ١] إشارة إلى قرب الأجل ودنو الأمل المنتظر، وفيه أيضاً مناسبة لقوله هناك: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ﴾ [طه: ١٣١]، فإن قُربَ الساعة يقتضي الإعراض عن هذه الحياة الدنيا؛ لدنوها من الزوال والفناء، ولهذا ورد في الحديث: أنها لما نزلت قيل لبعض الصحابة هلا سألت النبي ﷺ عنها فقال نزلت اليوم سورة أذهلتنا عن الدنيا»[٣٩٠].

يقول الشيخ عبد الحميد كشك[٣٩١] - رحمه الله -: «إنّ سورة (طه) خُتِمت بأنّ الناس قد شغلتهم زهرة الدنيا التي جعلها الله لهم فتنة، وأنّ الله نهى رسوله أن يتطلّعَ إليها، وأمره بالصلاة والصبر عليها، وأنّ العاقبةَ للمتقين،

---

(٣٩٠) أسرار ترتيب القرآن ص١١٠. وانظر: نظم الدرر ج٥/ص٦٣، والتفسير المنير ج١٧/ ص٥ - ٦.

(٣٩١) هو عبد الحميد عبد العزيز محمد كشك: عالم معاصر، فقيه، مفسر، ولد في بلدة شبراخيت بمحافظة البحيرة بمصر سنة ١٩٣٣م، وكان كريماً متواضعاً متحلياً بكل صفات العلماء، كما اشتهر بالمزاح وروح الدعابة، وكان عزيزاً مرفوع الرأس يجاهد بدعوته ولا يخشى في الله لومة لائم. انظر: الشيخ كشك في رحاب الوفاء والرثاء ص١٨. وموضوع (قبض العلماء) بمجلة المنبر الإسلامية الفلسطينية، عدد ٢٥ /ص٣٩. ومنهج الشيخ عبد الحميد كشك في تفسيره (في رحاب التفسير)ص١٢ - ١٣.

وبدأت سورة الأنبياء بمثل ما خُتِمت به (طه) فذكر فيها أنّ الناس غافلون عن الساعة والحساب، وأنّهم إذا سمِعوا القرآن استمعوه وهم لاعبون، وقلوبهم لاهية عنه»[٣٩٢].

سادساً: هدف السورة وأغراضها:

إنَّ هدفَ هذه السورةِ هو الاستدلالُ على تحقُّقِ الساعةِ وقربِها، ووقوعِ الحساب فيها على كافَّةِ البشرِ كما وَعَدَ الله تعالى.

يقول البقاعي ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: «مقصودُها الاستدلالُ على تحقُّقِ الساعة، وقربِها ولو بالموت، ووقوع الحساب فيها على الجليل والحقير، لأنَّ مُوجِدَها لا شريك له يَعوقُه عنها، وهو من لا يُبَدَّلُ القولُ لديه، والدَّالُّ على ذلك أوضحَ دلالةٍ مجموعُ قصص جماعةٍ ممّن ذُكِرَ فيها من الأنبياء عليهم السلام، ولا تستقلُّ قصّةٌ منها استقلالاً ظاهراً بجميع ذلك كما سنبيِّن، ولا يخلو قصّةٌ من قصصهم عن دلالةٍ على شيءٍ من ذلك فَنُسِبَت إلى الكلِّ»[٣٩٣].

كما تعددت أغراض هذه السورة في نطاق العقيدة، فقد تحدثت عن التوحيد والرسالة والبعث.

وقد ذكر **الطاهر بن عاشور** ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: المقاصد التي ذُكِرَت في هذه السورة، وهي:

١ ـ الإنذار بالبعث وتحقيق وقوعه وإنَّه لتحقق وقوعه كان قريباً، وإقامة الحجة عليه بخلق السماوات والأرض عن عدم وخلق الموجودات من السماء.

٢ ـ التحذير من التكذيب بكتاب الله تعالى ورسوله، والتذكير بأن هذا الرسول ﷺ ما هو إلا كأمثاله من الرسل وما جاء إلا بمثل ما جاء به الرسل من قبله، وذكر كثير من أخبار الرسل عليهم السلام.

(٣٩٢) في رحاب التفسير ج١٦/ص٢٤٤٦ (بتصرف).

(٣٩٣) نظم الدرر ج٥/ص٦٣.

٣ ـ التنويه بشأن القرآن وأنه نعمة من الله على المخاطبين وشأن رسول الإسلام ﷺ وأنه رحمة للعالمين.

٤ ـ التذكير بما أصاب الأمم السالفة من جرَّاء تكذيبهم رسلهم، وأنَّ وعدَ الله للذين كذَّبوا واقعٌ ولا يغرّهم تأخيره فهو واقعٌ لا محالة.

٥ ـ حذرهم من أن يغتروا بتأخيره كما اغتر الذين من قبلهم حتى أصابهم بغتة وذكر من أشراط الساعة فتح يأجوج ومأجوج.

٦ ـ ذكرهم بما في خلق السماوات والأرض من الدلالة على الخالق، ومن الإيماء إلى أنَّ وراءَ هذه الحياة حياةٌ أخرى أتقن وأحكم؛ لتجزى كل نفس بما كسبت وينتصر الحق على الباطل، ثم ما في ذلك الخلق من الدلائل على وحدانية الخالق؛ إذ لا يستقيم هذا النظام بتعدد الآلهة، وتنزيه الله ـ تعالى ـ عن الشركاء وعن الأولاد، والاستدلال على وحدانية الله تعالى، وتنزيهه عن وجود ما يكرهه على فعل ما لا يريد، وأنَّ جميع المخلوقات صائرون إلى الفناء.

٧ ـ وأعقب ذلك تذكيرهم بالنعمة الكبرى عليهم وهي نعمة الحفظ. ثم عطف الكلام إلى ذكر الرسل والأنبياء، وتنظير أحوالهم وأحوال أممهم بأحوال محمد ﷺ وأحوال قومه، وكيف نَصَر الله الرسل على أقوامهم، واستجاب دعواتهم، وأنَّ الرسل كلهم جاءوا بدين الله، وهو دين واحد في أصوله قطعه الضالون قطعاً. وأثنى على الرسل عليهم السلام وعلى من آمنوا بهم، وأن العاقبة للمؤمنين في خير الدنيا وخير الآخرة وأن الله سيحكم بين الفريقين بالحق ويعين رسله على تبليغ شرعه[٣٩٤].

سابعاً: محور السورة:

إنَّ محور هذه السورة هو موضوع العقيدة، **يقول الدكتور وهبة الزحيلي ـ حفظه الله ـ:**

(٣٩٤) انظر: التحرير والتنوير ج ١٧/ص٦ ـ ٨.

«موضوعُ السورة بيانُ أصول العقيدة الإسلامية ومبادئها وهي التوحيد، والرسالة النّبوية، والبعث والجزاء، وقد بدأت بوصف أهوال القيامة، ثمَّ ذكرت قصص جُملةٍ من الأنبياء الكرام عليهم السلام»[٣٩٥].

يقول سيد قطب ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «هذه السورة، مكية تعالج الموضوع الرئيس الذي تعالجه السور المكية... موضوع العقيدة... تعالجه في ميادينه الكبيرة: ميادين التوحيد، والرسالة والبعث. وسياقُ السورةِ يُعالجُ ذلك الموضوع بعرضِ النواميسِ الكونيةِ الكبرى، وربط العقيدة بها، فالعقيدةُ جزءٌ من بناءِ هذا الكون، يسيرُ على نواميسهِ الكبرى»[٣٩٦].

ثامناً: مضمون السورة وما اشتملت عليه:

اشتملت سورة (الأنبياء) على مواضيع شتّى يُجملها الشيخ **عبد الحميد كشك** ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ حيث يقول: «مقصود السورة ما اشتملت عليه مجملاً من التنبيه على الحساب في القيامة، وقربِ زمانها، ووصف الكفار بالغفلة، وإثبات النبوَّة، واستيلاء أهل الحقِّ على أهل الضلالة، وحُجَّة الوحدانية، والإخبار عن الملائكة وطاعتهم، وتخليق الله السماوات والأرض بكمال قدرته، وسَيْر الكواكب، ودور الفلك، والإخبار عن موت الخلائق وفنائهم، وكِلاَءِ[٣٩٧] الله ـ تعالى ـ وحفظه العبد من الآفات، وذِكرِ ميزان العدل في القيامة.

وذِكر إبراهيم بالرشد والهداية، وإنكاره على الأصنام وعبَّادها، وسلامة إبراهيم من نار نمرود وإيقادها. ونجاة لوط من قومه أولي العدوان. ونجاةِ نوح من الطوفان. وحكم داود وفهم سليمان، وذكر تسخير الشيطان. وتَضَرُّعِ أيّوب. ودعاء يونس. وسؤال زكريّا. وصلاح مريم. وهلاكِ قُرىً أفرَطوا في

---

(٣٩٥) التفسير المنير ج١٧/ص٦.

(٣٩٦) في ظلال القرآن ج٤/ص٢٣٦٤.

(٣٩٧) كَلأَه يَكْلَؤُه كَلأً وكِلاءً وكِلاءة بالكسر حَرَسَه وحَفِظَه. انظر: لسان العرب ج١ / ص ١٤٥.

الطغيان، وفتح سدِّ يأجوجَ ومأجوج في آخر الزمان، وذُلِّ الكفار والأوثان في دخول النيران، وعزّ أهل الطاعة والإيمان من الأزل إلى الأبد في جميع الأزمان على علالي الجنان، وطَيِّ السماوات في ساعة القيامة. وذِكر الأمم الماضية، والمُنَزَّلة من الكتب في سالف الأزمان.

وإرسال المصطفى ﷺ بالرأفة والرحمة والإحسان، وتبليغ الرسالة على حكم السوية من غير نقصانٍ ورجحان، وطلب حكم الله تعالى على وِفْق الحقّ والحكمة في قوله: ﴿قَٰلَ رَبِّ ٱحۡكُم بِٱلۡحَقِّۗ وَرَبُّنَا ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [الأنبياء: ١١٢]»[٣٩٨].

(٣٩٨) في رحاب التفسير ج١٣/ص ٢٤٤٣ ـ ٢٤٤٤.

المبحث الثاني
عرض وتفسير لآيات سورة (الأنبياء)
المتضمنة للقراءات القرآنية العشر

١ ـ قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٤﴾ [الأنبياء: ٤].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وحفص ﴿قَالَ﴾ بألف على الخبر.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿قُلْ﴾ بغير ألف على الأمر[٣٩٩].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«قول: القَوْل: الكلام على الترتيب، وهو عند المحقِّق: كلّ لفظٍ قال به اللسان تامًّا كان أو ناقصاً»[٤٠٠].

ثالثاً: التفسير:

كشفَ الله تعالى الأمرَ الذي تناجَوا به وأسرُّوه، وهو قولُ بعضِهم لبعضٍ على جهةِ التوبيخ: أَفَتَتَّبِعون السِّحْرَ وأنتم تُبصِرون، ثم أمرَ الله تعالى

(٣٩٩) انظر: النشر ج٢/ص٣٢٣، سراج القارئ المبتدي ص١٥٧.

(٤٠٠) لسان العرب ج١١/ص٦٨١.

نبيه ﷺ أن يقول لهم وللناس جميعاً: ربِّي يعلمُ أقوالَكم هذه، وهو بالمرصادِ في المجازاة عليها.

يقول الألوسي ـ رحمه الله ـ في تفسير قوله تعالى ﴿قَالَ رَبِّى يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾:

«حكايةٌ من جهته تعالى لِمَا قالَ عليه الصلاة والسلام بعدما أُوحِيَ إليه أحوالُهم وأقوالُهم بياناً لظهور أمرهم وانكشاف سرِّهم، ففاعلُ قال ضميرُه ﷺ، والجملة بعده مفعوله... وقرأ باقي السبعة (قُلْ) على الأمر لنبيه ﷺ والقول عامٌّ يشملُ السرَّ والجهرَ فإيثاره على السر لإثبات علمه سبحانه به على النهج البرهاني مع ما فيه من الإيذان بأنَّ علمه تعالى بالأمرين على وتيرةٍ واحدة لا تفاوت بينهما بالجلاء والخفاء قطعاً كما في علوم الخلق.

وفي الكشفِ أنَّ بين السرِّ والقولِ عموماً وخصوصاً من وجه، والمناسب في هذا المقام تعميم القول ليشمل جهره وسره والأخفى فيكون كأنه قيل: يعلم هذا الضربَ وما هو أعلى من ذلك وأدنى منه، وفي ذلك من المبالغةِ في إحاطةِ علمهِ تعالى المناسبةُ لما حُكِيَ عنهم من المبالغةِ في إخفاءِ ما فيه، وإيثار السرِّ على القولِ في بعض الآيات لنكتةٍ تقتضيه هناك ولكل مقامٍ مقالٌ، والجار والمجرور متعلقٌ بمحذوفٍ وقعَ حالاً من القولِ، أي: كائناً في السماءِ والأرض، وقوله سبحانهُ: (وهو السَّمِيعُ) أي: بجميع المسموعات، (العَلِيمُ) أي: بجميع المعلومات، وقيل: أي المبالغ في العلم بالمسموعات والمعلومات، ويدخل في ذلك أقوالهم وأفعالهم دخولاً أولياً اعتراض تذييلي مقدر لمضمون ما قبله متضمن للوعيد بمجازاتهم على ما صدر منهم»[٤٠١].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة الأولى الإخبار بأنَّ محمداً ﷺ قال لأهل مكة: إنَّ الله

(٤٠١) روح المعاني ج١٧/ص١٤.

تعالى يعلم القول في السماوات والأرض.

في حين أفادت القراءة الثانية معنى الأمر من الله تعالى لمحمد ﷺ بأن يقولَ لأهلِ مكةَ: إنَّ الله تعالى يعلمُ القولَ في السماوات والأرض.

يقول الإمام الطبري - رحمه الله -: «اختلفت القراء في قراءة قوله **(قُلْ رَبِّي)** فقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة والبصرة وبعض الكوفيين **(قُلْ رَبِّي)** على وجه الأمر، وقرأه بعض قراء مكة وعامة قراء الكوفة **(قَالَ رَبِّي)** على وجه الخبر.

وكأن الذين قرءوه على وجه الأمر أرادوا من تأويله: قل يا محمد للقائلين (أفتأتون السحر وأنتم تبصرون): ربي يعلم قول كل قائل في السماء والأرض، لا يخفى عليه من شيء، وهو السميع لذلك كله ولما يقولون من الكذب، العليم بصدقي وحقيقة ما أدعوكم إليه وباطل ما تقولون، وغير ذلك من الأشياء كلها، وكأن الذين قرءوا ذلك قال على وجه الخبر أرادوا قال محمد: ربي يعلم القول خبراً من الله عن جواب نبيه إياهم.

والقول في ذلك أنَّهما قراءتان مشهورتان في قَرَأةِ الأمصار قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القُرَّاء وجاءت بهما مصاحفُ المسلمين متَّفقَتا المعنى، وذلك أنَّ الله إذا أرادَ محمداً بقيلِ ذلك قاله، وإذا قاله فعن أمر الله قاله، فبأيِّهما قرأ القارئُ فمُصيبٌ الصوابَ في قراءته»[٤٠٢].

بالجمع بين القراءتين يتَّضح أنَّ الله - عز وجل - أمرَ محمداً ﷺ أن يقولَ لأهل مكةَ بأنَّ الله تعالى يعلم القولَ في السماوات والأرض، وهو السميع العليم؛ فهو يعلم سرَّهم ونجواهم، ويعلم ما هو أخفى من ذلك في السماوات والأرض، وقد أمتثل النبي ﷺ لأمرِ الله تعالى فقالَ ما أمره الله تعالى بقوله، والله أعلم.

٢ - قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ

(٤٠٢) تفسير الطبري مج٩/ج١٧/ص٥.

ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ۝٧﴾ [الأنبياء: ٧].

أولاً: القراءات:

١ - قرأ حفص ﴿نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡ﴾ بالنون وكسر الحاء على لفظ الجمع.

٢ - وقرأ الباقون ﴿يُوحَى إِلَيْهِمْ﴾ بالياء وفتح الحاء على ما لم يُسَمَّ فاعله(٤٠٣).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

وحى: الوَحْيُ: الإشارةُ والكتابةُ والرِّسالةُ والإلهامُ والكلامُ الخَفِيُّ وكلُّ ما ألقيته إلى غيرك(٤٠٤).

الوَحْيُ: «بالفتح مصدر: كل ما ألقيته إلى غيرك لتعلمه كيف كان، ثم غلب في ما يُلْقَى إلى الأنبياء من عنده - ﷻ - وقد يُطلق ويُراد به اسم المفعول منه، أي الموحَى، وقيل: الوحيُ إعلامٌ في خفاء. وشرعاً: كلام الله تعالى المنزل على نبيّ من أنبيائه»(٤٠٥).

ثالثاً: التفسير:

يرُدُّ الله تعالى على كفّار مكة الذين أنكروا إرسال محمد ﷺ لكونه بشراً مثلهم ولم يكن مَلَكاً، فيأمرهم أن يسألوا أهل الكتاب ليتأكدوا أنَّ الله - ﷻ - لم يرسل قبله إلاّ بشراً يوحي إليهم، وما أرسل ملائكةً قط.

يقول البغوي - رحمه الله - في قوله - ﷻ -: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ﴾: «هذا جواب لقولهم: ﴿هَلۡ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡۖ﴾ يعني: إنا لم نرسل الملائكة إلى الأولين، إنما أرسلنا رجالاً نوحي إليهم، ﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ﴾ يعني: أهل التوراة والإنجيل، يريد علماء أهل الكتاب؛ فإنهم لا ينكرون أنَّ الرسل كانوا بشراً، وإنْ أنكروا نبوةَ

---

(٤٠٣) انظر: النشر ج٢/ص ٢٩٦، ٣٢٣.

(٤٠٤) لسان العرب ج١٥/ص٤٤٣

(٤٠٥) الوافي ص ٦٩٦.

محمدٍ ﷺ، وأَمَرَ المشركين بمسألتهم لأنَّهم إلى تصديق من لم يؤمن بالنبي ﷺ أقرب منهم إلى تصديق من آمن به»[٤٠٦].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة الأولى ﴿نُوحِىٓ إِلَيۡهِمۡ﴾ أنَّ الموحي هو الله تبارك وتعالى.

في حين أفادت القراءة الثانية ﴿يُوحَى إِلَيْهِمْ﴾ أنَّ المُوحَى إليهم هم الرسل عليهم الصلاة والسلام.

يقول ابن خالويه ـ رحمه الله ـ: «قوله تعالى ﴿نُوحِىٓ إِلَيۡهِم﴾ يقرأُ بالنون وكسر الحاء، وبالياء وفتحها فالحجة لمن قرأ بالياء أنه أراد بذلك من شَكَّ في نبوةِ محمدٍ ﷺ وكفرَ به وقال هلَّا كان مَلَكاً فأمرهم الله أن يسألوا أهل الكتب هل كانت الرسل إلا رجالاً يوحَى إليهم، والحجَّة لمن قرأه بالنون أنَّه أراد أنَّ الله تعالى أخبرَ به عن نفسه وردَّه على قوله: ﴿أَرۡسَلۡنَا﴾ ليكون الكلام من وجهٍ واحدٍ فيوافقُ بعضُه بعضاً»[٤٠٧].

بالجمع بين القراءتين يُعلم أنَّ جميع الرُّسل الذين اصطفاهم الله ـ عز وجل ـ بالوحي والرسالات السماويةِ كانوا بشراً يُوحَى إليهم، وأنَّ الله تعالى بعظمته وجلاله يُخبِرُ عن نفسه بأنَّه هُو الذي يوحِي إليهم، ممّا يزيد رسالاتهم شرفاً وعظمةً وقُدسيّة، والله أعلم.

٣ ـ قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ حفص، وحمزة، والكسائي، وخلف ﴿نُوحِىٓ إِلَيۡهِ﴾ بالنون وكسر الحاء على لفظ الجمع.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿يُوحَى إِلَيهِ﴾ بالياء وفتح الحاء على ما لم يُسَمَّ

---

(٤٠٦) تفسير البغوي ج٥/ص٣١١.

(٤٠٧) الحجة في القراءات السبع ص ٢٤٨.

فاعله[٤٠٨].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:[٤٠٩].

ثالثاً: التفسير:

يخاطب الله تعالى سيدنا محمداً ﷺ مؤكداً له أنَّ الرسالات السماوية كانت جميعها تثبت وحدانية الله ﷻ.

يقول الطبري - رحمه الله -: «يقول تعالى ذكره: وما أرسلنا يا محمد من قبلك من رسول إلى أمة من الأمم إلا نوحي إليه أنّه لا معبود في السماوات والأرض تصلح العبادة له سواي، ﴿فَٱعۡبُدُونِ﴾ يقول: فأخلِصوا لي العبادة، وأفرِدوا لي الألوهية»[٤١٠].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة الأولى (**نُوحِي إِلَيْهِ**) أنَّ الموحي للرسل هو الله تبارك وتعالى بعظمته وجلاله.

في حين أفادت القراءة الثانية (**يُوحَى إِلَيْهِ**) أنَّ المُوحَى إليه هو أيُّ رسولٍ أرسله الله تعالى من قبل محمد ﷺ.

يقول البغوي - رحمه الله - في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ﴾: «قرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم (**نُوحِي إِلَيْهِ**) بالنون وكسر الحاء على التعظيم لقوله: (**وَمَا أَرْسَلْنَا**) وقرأ الآخرون بالياء وفتح الحاء على الفعل المجهول»[٤١١].

بالجمع بين القراءتين يتَّضح أنَّ الله تعالى لم يرسل رسولاً قط بغير رسالة التوحيد، حيث كان كلُّ واحدٍ من الرسل الكرام يوحَى إليه من الله

(٤٠٨) انظر: النشر ج٢/ص ٢٩٦، ٣٢٣.
(٤٠٩) انظر: المعنى اللغوي للموضع السابق ص١٤٦.
(٤١٠) تفسير الطبري مج٩/ج١٧/ص١٩.
(٤١١) تفسير البغوي ج ٥/ ص٣١٥.

- ﷺ - وحدانية الله، واستحقاقه بمفرده التوحيد والعبادة، والله أعلم.

٤ - قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنبياء: ٣٠]

أولاً: القراءات:

١ - قرأ ابن كثير (**أَلَمْ يَرَ**) بغير واو.

٢ - وقرأ الباقون (**أَوَلَمْ يَرَ**) بالواو[(٤١٢)].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«رأى: (الرُّؤيةُ) بالعَين تتعدَّى إلى مفعولٍ واحدٍ، وبمعنى العلم تتعدَّى إلى مفعولين»[(٤١٣)].

ثالثاً: التفسير:

يُنْكِرُ الله تعالى على الكفارِ عَدَمَ تفكُّرِهم في كيفيةِ خَلْقِ السماواتِ والأرضِ.

يقول الشوكاني - رحمه الله - في بيان قوله تعالى (**أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا**): «الهمزة للإنكار والواو للعطف على المقدر والرؤية هي القلبية: أي ألم يتفكروا أو لم يعلموا ﴿أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا﴾»[(٤١٤)].

ويقول ابن كثير - رحمه الله -: «يقول تعالى منبهاً على قدرته التامة وسلطانه العظيم في خلقه الأشياء وقهره لجميع المخلوقات: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي الجاحدون لألوهيته العابدون معه غيره، ألم يعلموا أن الله هو المستقلُ بالخلقِ المستبدُ بالتدبيرِ فكيف يليقُ أن يُعبَدَ معهُ غيرُه أو يُشرَكَ به ما سواه، ألم يروا ﴿أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا﴾ أي كان الجميع متصلاً بعضُه ببعضٍ متلاصقٌ متراكمٌ بعضُه فوق بعضٍ في ابتداءِ الأمرِ ففتق

---

(٤١٢) انظر: النشر ج٢/ص٣٢٣.

(٤١٣) مختار الصحاح ص٢٦٧.

(٤١٤) فتح القدير ص١١٣٠.

هذهِ من هذهِ فجعلَ السماواتِ سبعاً والأرضَ سبعاً، وفَصَلَ بين السماءِ الدنيا والأرضِ بالهواءِ، فأمطرت السماء وأنبتت الأرضُ ولهذا قال: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي وهم يشاهدون المخلوقات تحدُثُ شيئاً فشيئاً عياناً وذلك كلّه دليلٌ على وجودِ الصانعِ الفاعلِ المختارِ القادرِ على ما يشاء»(٤١٥).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة الأولى (**أَلَمْ يَرَ**) بغير واو وأنَّ الكلام مُسْتأنَفٌ بمعنى الوعظ والتذكير لأولئك الكفرة الذين عبدوا غير الله ﷻ.

يقول ابن زنجلة ـ رحمه الله ـ: «قرأ ابن كثير ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ بغير واو وكذا مكتوب في مصاحفهم بغير واو، وقرأ الباقون بالواو، والواو عطف على ما قبلها كما قال (أَوَلَمْ يَأْتِهِم) [طه: ١٣٣] ومن أسقط الواو لم يجعله نسقاً، لكنه جعله ابتداء كلام في معنى وعظ وتذكير»(٤١٦).

كما أفادت القراءة الثانية (أَوَلَمْ يَرَ) بواو العطف استنكار عدم علمهم الحق وعدم رؤيتهم دلائل قدرة الله تعالى في الكون.

يقول الطاهر بن عاشور ـ رحمه الله ـ: «قرأ الجمهور (**أَوَلَمْ**) بواو بعد الهمزة، وهي واو العطف، فالجملة معطوفة عطف الاستدلال على الخلق الثاني بالخلق الأول، وما فيه من العجائب. وقرأ ابن كثير (**أَلَمْ يَرَ**) بدون واو عطف. **قال أبو شامة**: ولم تثبت الواو في مصاحف أهل مكة. قلت: معناه أنها لم تثبت في المصحف الذي أرسل به عثمان إلى مكة؛ فالتزم قراء مكة رواية عدم الواو إلى أن قرأ بها ابن كثير، وأهملت غير قراءته والاستفهام على كلتا القراءتين إنكاري، توجه الإنكار على إهمالهم للنظر، والرؤية تحتمل أنْ تكون بصرية، وأن تكون علمية. والاستفهام صالح لأن يتوجه إلى كلتيهما لأن إهمالَ النظرِ في المشاهداتِ الدّالةِ على علمِ ما يُنْقِذُ

(٤١٥) تفسير ابن كثير ج٣ / ص٢٣٨.
(٤١٦) حجة القراءات ص ٤٦٧.

علمُهُ من التَّورُّطِ في العقائدِ الضالةِ حَقِيقٌ بالإنكار، وإنكارُ إعمالِ الفكرِ في دلالةِ الأشياءِ على لوازِمِها حتى لا يقعَ أحَدٌ في الضلالِ جديرٌ أيضاً بالإنكارِ، أو بالتقريرِ المشوبِ بإنكارٍ»(٤١٧).

كما يقول البقاعي ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «ولمَّا أنكرَ سبحانهُ اتخاذَهم آلهةً من دونهِ تارةً بقيدِ كونها أرضيةً، وتارةً بقيد كونها سماوية، وتارةً مطلَقة، لِتعُمَّ كلاً من القسمين وغيرهما، واستدلَّ على ذلك كلّه بما لم تبقَ معه شبهة، فدلَّ تفرُّده على أنَّه لا مانعَ له ممَّا يريدُ من بَعْثٍ ولا غيره، وكانَ علمُهم لا يَتجاوزُ ما في السماوات والأرض، قال مُسْتدِلاً على ذلك أيضاً مقرِّراً بما يعلمونَه، أوْ ينبغي أن يَسألوا عنه حتى يَعلموه لتَمكُّنِهم من ذلك: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾، جالياً له في أسلوبِ العظمةِ: **(أَوَلَمْ)** أي ألم يعلموا ذلك بما أوضحنا من أدلَّته ولم يَرَوا، ولكنّه أظهرُ للدلالةِ على أنّهم يُغَطُّون أنوارَ الدلائل عِناداً فقال: **(يَرَ)** أي يعلمُ علماً هو كالمشاهدة، **(الَّذِينَ كَفَرُوا)** أي ستروا ما يعلمون من قدرة الله فأدَّى ذلك إلى الاستهانة والتَّنَقُّصِ فصارَ ذنبهم غير مغفور، وسعيهم غير مشكورٍ، وحذف ابن كثيرٍ الواو العاطفة على ما قدَّرته ممّا هدى إليه السياقُ أيضاً، لا للاستفهام بما دلَّ عليه ختام الآية التي قبلُ من البعث والجزاء المقتضي للإنكار على من أنكره، فكان المعنى على قراءتهِ: نجزي كلَّ ظالم بعد البعث، ألم يرّ المُنكرون لذلك قدرتنا عليه بما أبدعنا من الخلائق، وإنّما أنكر عليهم عدم الرؤيةِ بسبب أنَّ الأجسام وإن تباينت لا يَنفصلُ بعضها عن بعضٍ إلاّ بقادرٍ يفصلُ بينها، فمن البديهي الاستحالةُ أن يرتفعَ شيءٌ منها عن الآخرِ منفصلاً عنه بغيرِ رافعٍ لا سيَّما إذا كان المرتفعُ ثابتاً من غيرِ عماد، فكيف وهو عظيمُ الجسم كبيرُ الجرم؟ وذلك دالٌ على تمام القدرةِ والاختيارِ والتَّنزُّهِ عن كلِّ شائبةِ نقصٍ من مُكافِئٍ وغيرِه، فَصَحَّ الإنكارُ عليهم في عدمِ علمِ ذلك بسببِ أنَّهم عملوا بخلافِ ما يعلمونه»(٤١٨).

---

(٤١٧) التحرير والتنوير ج١٧/ص٥٢، ٥٣.

(٤١٨) نظم الدرر ج٥/ص٧٩.

بالجمع بين القراءتين يتبيّنُ أنَّ في الآية استفهاماً استنكارياً حيثُ يستنكرُ الله - عَجَلّ - على الذين كفروا عدمَ رؤيتهم البصريَّة والقلبية لعظيم خلقِ السماوات والأرض، وما توحيان به من دلائلِ قدرةِ الله تعالى على الخلقِ والبعث، كما أنَّ فيها وعظاً وتذكيراً لهم بما ينبغي لهم أنْ يعلموه علماً كالمشاهدة في كونها يقيناً لا يُداخله أدنى شكٍّ في قدرةِ الله على الخلقِ، والتي يتجلَّى وضوحُها في خلق السماوات والأرض، مما يُثبِتُ تنزيهَ الله - تعالى - عن الشريكِ والولد، وتفرُّدَه بالألوهيةِ والعبودية، والله أعلم.

٥ - قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنبياء: ٣٥].

أولاً: القراءات:

١ - وقرأ يعقوب ﴿وَإِلَيْنَا تَرْجِعون﴾ على الخطاب المبني للمعلوم.

٢ - وقرأ الباقون ﴿وإلينا تُرْجَعون﴾ على الخطاب المبني للمجهول(٤١٩).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

رجع: «رَجَع يَرْجِع رَجْعاً ورُجُوعاً ورُجْعَى ورُجْعاناً ومَرْجِعاً ومَرْجِعةً: انصرف وفي التنزيل: ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴿٨﴾﴾ [العلق: ٨] أي: الرُّجوعَ»(٤٢٠).

ثالثاً: التفسير:

يقول الله تعالى: إنَّ كلَّ نفسٍ لا بدَّ لها أنْ تموتَ، وهي موجودةٌ في هذه الحياة يختبرها الله - تعالى - بالبلايا والنعم ابتلاءً؛ ليعلم من يصبر، ومن يشكر، ثم إلى الله - تعالى - المرجع والمصير.

---

(٤١٩) انظر: البدور الزاهرة ص ٢١١.

(٤٢٠) لسان العرب ج ٨ / ص ١٣٥.

يقول البيضاوي ـ رحمه الله ـ: «﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ﴾ ذائقة مرارة مفارقتها وهو برهان على ما أنكروه ﴿وَنَبْلُوكُم﴾ ونعاملكم معاملة المختبر ﴿بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ﴾ بالبلايا والنعم ﴿فِتْنَةًۖ﴾ ابتلاء مصدر من غير لفظه، ﴿وإلينا تُرجَعون﴾ فنجازيكم بحسب ما يوجد منكم من الصبر والشكر وفيه إيماء إلى أن المقصود من هذه الحياة الابتلاء والتعريض للثواب والعقاب تقريراً لما سبق»[٤٢١].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

وأفادت القراءة الثانية ﴿وإلينا تَرْجِعُونَ﴾ على الخطاب المبني للمعلوم أي: إنكم تَرجعون بأنفسكم بلا تدَخُّلِ الغير، وفي ذلك إشارة إلى وعدٍ للمؤمنين، ووعيد لغيرهم.

أما القراءة الثالثة ﴿وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ على الخطاب المبني للمفعول فقد أفادت أنَّ هناك قوَّةً خارجةً عن الإرادة تدفع بالرجوع إليه سبحانه، وفي ذلك إشارة إلى وعيدٍ محضٍ للكفار.

يقول أبو السعود ـ رحمه الله ـ: «(ونَبْلُوكُم) الخطابُ إمَّا للناسِ كافةً بطريقِ التلوينِ، أو للكفرةِ بطريقِ الالتفاتِ، أى: نعاملُكُم معاملةَ من (يَبْلُوكُم) بالشرِّ والخيرِ بالبلايا والنعم، هل تَصبرون وتَشكرون أو لا، (فِتْنَة) مصدرٌ مؤكِّدٌ (لنبْلُوكُم) من غيرِ لفظِه، (وإلَيْنا تُرجَعون) لا إلى غيرنا ـ لا استقلالاً ولا اشتراكاً ـ فنجازيكُم بحسَبَما يظهرُ منْكُم من الأعمالِ فهو على الأولِ وعدٌ ووعيدٌ، وعلى الثاني وعيدٌ محض، وفيه إيماءٌ إلى أنَّ المقصودَ من هذه الحياةِ الدنيا الابتلاءُ والتعريضُ للثوابِ والعقابِ، وقرىء (يُرجَعون) بالياءِ على الالتفات»[٤٢٢].

ويقول الشعراوي[٤٢٣]**ـ رحمه الله ـ**: «وقوله تعالى: (وإليه ترجعون) **تُقرأ**

---

(٤٢١) تفسير البيضاوي ص٤٤١ (بتصرف بسيط).

(٤٢٢) تفسير أبي السعود ج٤/ص٣٣٥.

(٤٢٣) هو محمد متولي الشعراوي، السيد الشريف أبو سامي، الحسيني نسباً؛ حيث ينتهي=

قراءتان: بضمةٍ على التاء مرة، وبفتحةٍ على التاء:

الأولى (تُرجَعون): معناها أننا نُجْبَرُ على الرجوع، فلا يكون الرجوع إلى الله ـ تعالى ـ بإرادتنا، وهذا ينطبقُ على الكفار الذين يتمنّون عدم الرجوع إلى الله.

أما القراءة الثانية (تَرجِعون) ففيها إرادة. وهي تنطبق على المؤمنين، لأنَّهم يتمنَّون الرجوع إلى الله تعالى»[٤٢٤].

بالجمع بين القراءات الثلاث يتبيَّنُ أنَّ المؤمنين يَرجِعون إلى الله ـ تعالى ـ مُحِبِّين لقاءه ويكون رجوعهم بإرادتهم، أمّا الكفار فإنَّهم يُجْبَرون على الرجوع، سَواءَ أَحَبُّوا لقاء الله أم كرِهوا، وسيُبعَثون بعد الموت للحساب والجزاء، لذا ففي الآيةِ تحذيرٌ للناس عامة وللكفار خاصّة، والله أعلم[٤٢٥].

٦ ـ قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْيِۚ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الأنبياء: ٤٥].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ ابن عامر ﴿وَلاَ تُسْمِعُ الصُّمَّ﴾ بالتاء مضمومة وكسر الميم ونصب (الصمَّ).

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ﴾ بالياء غيباً وفتحها وفتح الميم ورفع (الصُّم)[٤٢٦].

= نسب والدته حبيبة من ناحية والدها إلى الإمام الحسين بن علي ـ كرم الله وجهه ـ ، والشعراوي نسبة إلى مضيق في السعودية اسمه مضيق الشعراوي كان أجداده قد قدموا منه فنسبوا إليه، وهو عالم معاصر جليل، ومفسر مشهور. انظر: من القرية إلى العالمية ص٧ ـ ٨، والشعراوي ...أنا من سلالة البيت ص١٠، ومنهج الشعراوي في التفسير ص ٤٠.

(٤٢٤) انظر: تفسير الشعراوي ج١/ص٢٢٨.

(٤٢٥) انظر: رسالة ماجستير الملاحي ص ٧١.

(٤٢٦) انظر: النشر ج٢/ص٣٢٣.

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

الصَّمَمُ: انْسِدادُ الأُذن وثِقَلُ السمع... الصُّمُّ: جَمْعُ الأَصَمِّ وهو الذي لا يَسْمَعُ وأَراد به الذي لا يَهْتَدي ولا يَقْبَلُ الحَقَّ، من صَمَمِ العَقل لا صَمَمِ الأُذن(٤٢٧).

ثالثاً: التفسير:

يأمرُ الله ـ تعالى ـ سيدنا محمداً ﷺ أنْ يقول للكفار الذين طلبوا منه أنْ يأتي بآية مثل الرسل السابقين، فيخبرهم أنَّه إنَّما يُنذرهم ويخوِّفهم بالوحي، وإنَّ من لا يَتَّعظُ بالذكر والدعاء فهو في منزلة الأصم الذي لا يسمع، وإنما سَمَّاهم (الصمّ) ووضعَه موضعَ ضميرهم للدلالة على تصامِّهم وعدم انتفاعِهم بما يسمعون. والتقييد بـ(إِذَا مَا يُنذَرُونَ) لأن الكلامَ في الإِنذار أو للَمبالغة في تصامِّهم وتجاسُرِهم(٤٢٨).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة الأولى ﴿وَلاَ تُسْمِعُ الصُّم﴾ أنَّ محمداً ﷺ لا يستطيع أنْ يُسمعَ الصمَّ الدعاء، بمعنى أنَّك يا محمد لا تُسمع الصمَّ الدعاء.

يقول ابن زنجلة ـ رحمه الله **ـ:** «قرأ ابن عامر (ولا تُسمِعُ) بالتاء مضمومة (الصُّمَّ) نصباً، أي أنت يا محمد لا تقدِر أنْ تُسمع الصمَّ، كما قال سبحانه ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ﴾ [فاطر: ٢٢] والصمّ ها هنا المعرضون عما يتلى عليهم من ذكر الله فهم بمنزلةِ من لا يَسمع»(٤٢٩).

أما القراءة الثانية ـ ﴿وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ﴾ بالياء غيباً وفتحها وفتح الميم ورفع (الصُّم) ـ فقد أفادت أنَّ الصُّمّ لا يسمعون الدعاء إذا ما يُنذَرون، بمعنى أنه فعل للصم والصم حينئذ مرفوع على أنه فاعل (يَسمع).

(٤٢٧) انظر: لسان العرب ج ١٢ /ص ٣٩٨ ـ ٣٩٩.
(٤٢٨) انظر: تفسير البيضاوي ص ٤٤٢.
(٤٢٩) حجة القراءات ص٤٦٧.

يقول الطبري - رَحِمَهُ اللَّهُ - في معنى هذه القراءة: «ومعنى ذلك: ولا يصغي الكافرُ بالله بسمعِ قلبه إلى تَذكُّرِ ما في وحي الله من المواعظِ والذكر، فيتذكر به ويعتبر، فينزجر عما هو عليه مقيم من ضلالةٍ إذا تلِيَ عليه، وأُريدَ به: ولكنه يعرض عن الاعتبار به والتفكر فيه فعل الأصمّ الذي لا يَسمع ما يقالُ له فيعمل به»[430].

بالجمع بين القراءتين يتَّضحُ أنَّ الكافرَ بالله لا يُصْغِي بسمع قلبه إلى الذِّكرِ، فيتَّعظَ بما جاء فيه، ويقلع عن ضلالته، لكنَّه في حكم الأصمّ الذي لا يَسمَعُ الدُّعاء؛ لهذا فإنك يا محمد لن تُسمِعَ أولئك الكفرةَ الدعاءَ في حالِ إنذاركَ لهم؛ لأنَّهم بمنزلةِ الصُّمّ الذين لا يسمعون، والله أعلم.

٧ - قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنبياء: ٤٧].

أولاً: القراءات:

١ - قرأ نافع، وأبو جعفر ﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالُ حَبَّةٍ﴾ برفع اللام.

٢ - وقرأ الباقون ﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ﴾ بنصب اللام[431].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

مِثقالُ الشيءِ: ما آذَنَ وَزْنَهُ فَثَقُلَ ثِقَلَه... والمثقالُ: وَزْنٌ معلومٌ قَدْرُه... والمِثْقالُ في الأصلِ: مقدارٌ من الوزنِ أيَّ شيءٍ كانَ من قليلٍ أو كثيرٍ، فمعنى مِثْقالَ ذرَّةٍ: وزنَ ذرّة[432].

---

(٤٣٠) تفسير الطبري مج٩/ ج١٧/ص٣٨.

(٤٣١) انظر: النشر ج٢/ص٣٢٤.

(٤٣٢) لسان العرب ج ١١/ ص ١٠٣.

ويقول الشوكاني - رَحِمَهُ اللهُ -: «ومثقالُ الشيءِ ميزانُه: أي وإنْ كانَ في غايةِ الخِفَّةِ والحقارةِ؛ فإنَّ حبةَ الخردلِ(٤٣٣) مثلٌ في الصِّغَر»(٤٣٤).

ثالثاً: التفسير:

يصفُ الله تعالى موقفاً من مواقف يوم القيامة، وهو موقف الحسابِ حين توضَعُ الموازينُ العادلةُ لوزنِ أعمال العباد من حسناتٍ وسيئات، حيثُ لا تُظلَمُ نفسٌ في مقدارِ حبةٍ من خردلٍ من عملها، وكفى بالله مُحاسباً للعبادِ على أعمالهم لأنه أعلمُ بها.

يقولُ الطبري - رَحِمَهُ اللهُ - في تفسير الآية: «يقول تعالى ذكرُه ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ﴾ العدلَ وهو (القِسْطَ) وجعلَ القسطَ وهو موَحَّدٌ من نَعتِ الموازين، وهو جَمْعٌ لأنَّه في مَذهبِ عَدلٍ ورِضا ونَظَر. وقولُه ﴿لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ يقول: لأهلِ يومِ القيامة، ومن وَرَدَ على الله في ذلكَ اليوم من خَلقِه، وقد كان بعضُ أهلِ العربيةِ يوجِّهُ مَعنَى ذلكَ إلى (في) كأنَّ معناهُ عندَه: ونَضَعُ الموازينَ القسطَ في يومِ القيامة، وقوله ﴿فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾ يقول: فلا يَظلِمُ الله نفساً ممَّن وَرَدَ عليهِ منهُم شيئاً بأنْ يعاقِبَه بذنبٍ لم يعملْه أو يبخسه ثوابَ عملٍ عمله، وطاعة أطاعَه بها، ولكنْ يُجازي المحسنَ بإحسانه، ولا يعاقبُ مسيئاً إلا بإساءته... وقوله: ﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ

---

(٤٣٣) الخردل: حبوب دقيقة كحَبّ السمسم هي بزور شجر يسمى عند العرب الخَردل. واسمه في علم النبات (سينَابيس)، وهو صنفان: برّي، وبستاني. وينبت في الهند، ومصر، وأوروبا. وشجرته ذات ساق دقيقة ينتهي ارتفاعها إلى نحو متر. وأوراقها كبيرة. يُخرج أزهاراً صُفراً منها تتكون بزوره إذْ تخرج في مزادات صغيرة مملوءة من هذا الحب، تخرج خضراء ثم تصير سوداء مثل الخرنوب الصغير. وإذا دُقّ هذا الحب ظهرت منه رائحة معطّرة، إذا قُربت من الأنف شماً دَمَعت العينان، وإذا وضع معجونها على الجلد أحدث فيه بعد هنيهة لذعاً وحرارة، ثم لا يستطيع الجلد تحملها طويلاً ويترك موضعه من الجلد شديد الحمرة؛ لتجمُّع الدم بظاهر الجلد، ولذلك يجعل معجونُه بالماء دَواء يوضع على المحل المصاب باحتقان الدم. انظر: التحرير والتنوير ج ١٧/ص ٨٦.

(٤٣٤) فتح القدير ص١١٣٥.

﴿أَتَيْنَا بِهَا﴾ يقول: وإن كان الذي مَن عمل الحسنات، أو عليه من السيئاتِ وزن حبةٍ من خردلٍ أتينا بها: يقول: جئنا بها فأحضرناها إياه . . . وقوله: ﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ يقول: وحسبُ من شَهِدَ ذلك الموقفِ بنا حاسبين، لأنَّهُ لا أحدَ أعلمُ بأعمالهم وما سلف في الدنيا من صالحٍ أو سيءٍ منّا»(٤٣٥).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة الأولى ـ ﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالُ حَبَّةٍ﴾ برفع اللام ـ أنَّ الموازين العادلة تُقامُ يوم القيامةِ حتى إذا وقعت أو وُجِدت حبَّةٌ في غايةِ الصِّغرِ فإنَّ الله ـ تعالى ـ يأتي بها فلا تُظلَمُ نفسٌ شيئاً.

أما القراءة الثانية ـ ﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ﴾ بنصب اللام ـ فقد أفادت الدِّقَّةَ والعدلَ في الحساب، حتى ولو كان في مثل حبة الخردل، فلا تنقَصُ الحسناتُ شيئاً، وإن قلّ، ولا تزيدُ السيئاتُ شيئاً ولو كان في غايةِ الصِّغَر.

يقول البغوي ـ رحمه الله ـ في بيان قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ﴾: «قرأ أهلُ المدينةِ: (مِثْقالُ) برفع اللام هاهنا، وفي سورة لقمان، أي: وإنْ وَقَعَ مِثقالُ حَبَّةٍ، ونَصَبَها الآخرون على معنى: وإن كانَ ذلكَ الشيءُ مثقالُ حبةٍ، أي زنةُ حبةٍ من خردل»(٤٣٦).

بالجمع بين القراءتين يتبيَّنُ أنَّ الموازينَ العادلةَ التي تُنْصَبُ للحسابِ يوم القيامة هي من الدقَّةِ بحيثُ تَزِنُ أدقَّ الأشياءِ، وأصغرها، وأحقرها، حتى وإنْ وقعَ أو وُجِدَ لنفس مثقالُ حبَّةٍ من خردلٍ فإنَّ الله ـ تعالى ـ يأتي بها ويُجازي عليها، سواءَ أكانت خيراً أو كانت شرًّا، والله أعلم.

٨ ـ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [الأنبياء: ٤٨].

---

(٤٣٥) تفسير الطبري مج٩/ج١٧/ص٣٩.

(٤٣٦) تفسير البغوي ج٥ ـ ص٣٢١.

أولاً: القراءات:

١ - قرأ قنبل عن ابن كثير ﴿وَضِئاءً﴾ بهمزتين.

٢ - وقرأ الباقون ﴿وَضِيَآءً﴾ بهمزة واحدة(٤٣٧).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

ض و أ: «الضَّوْءُ والضُّوءُ بالضم الضِياءُ وضاءَتِ النار تضوء ضَوْءاً وضُوءاً وأضَاءَتْ أيضاً وأضاءت غيرها يتعدى يلزم»(٤٣٨).

معنى (وضياء): أنَّهم استضاءوا بها في ظلمات الجهل والغواية(٤٣٩).

ثالثاً: التفسير:

يقول الله - ﷻ -: ولقد آتينا موسى وهارون عليهما السلام ما انتصروا به على فرعون، وما فُرِّقَ به بين الحقِّ والباطل، وما استضاءوا به في ظلماتِ الجهلِ والضلالِ تذكيراً للمتقين.

يقول البغوي - رحمه الله - في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ «يعني الكتاب المفرِّق بين الحقِّ والباطلِ وهو التوراة، وقيل الفرقان النصر على الأعداء كما قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ﴾ [الأنفال: ٤١] يعني يوم بدرٍ لأنَّه قالَ: (وضِيَاءً) أَدْخلَ الواو فيه، أي: آتينا موسَى النَّصرَ والضياءَ وهو التوراة. ومن قال: المرادُ بالفرقان التوراة، قال: الواو في قوله: (وضياء) زائدةٌ مقحمةٌ معناه آتيناه التوراةَ ضياءً، وقيل: هو صفةٌ أخرى للتوراة (وذكراً) تذكيراً (للمتقين)»(٤٤٠).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

ناسبت القراءة الأولى (وَضِئاءً) بهمزتين ثِقَلَ ما حوته التوراة وحملته

(٤٣٧) انظر: النشر ج٢/ص٣٢٤.

(٤٣٨) مختار الصحاح ص ٤٠٣.

(٤٣٩) انظر: فتح القدير ص١١٣٥.

(٤٤٠) تفسير البغوي ج ٥/ص ٣٢٢ (بتصرف).

لقوم موسى عليه السلام من تعاليم وذكر، فإنَّ هذه البيِّنات التي اشتملت عليها هي في غايةِ الشِّدَّةِ والثِّقَلِ على قلوب الكافرين الذين عبدوا العجلَ؛ وذلك أنَّ الهمزةَ حرفٌ شديدٌ مُسْتثقَلٌ، وهي تدُلُّ على ما فيه ثِقَلٌ وشِدَّة(٤٤١).

في حين أنَّ القراءة الثانية (وضِيَاءً) بهمزةٍ واحدةٍ ناسبت أنَّ في التوراةِ ما يُضيءُ الظلامَ للمؤمنين المتَّقين، حيثُ يجدون فيها الذِّكر الذي يَتَّبعونه ليفوزوا بالنجاةِ في الدارين.

بالجمع بين القراءتين يتَّضحُ أنَّ الله ـ تعالى ـ آتى موسى وهارون عليهما السلام التوراة فيها بيِّناتٌ تُضيءُ الظلامَ للمؤمنين؛ ليهتدوا بنورها، فتُسَهِّل لهم الفوزَ، والنَّجاةَ، لكنَّها ثقيلةٌ شديدةٌ على عقولِ الكافرين وعلى قلوبِهم، الذين صَمُّوا وعموا عنها، فلم يفقهوها، فكانَ عقابُهم شديداً، والله أعلم.

٩ـ قال تعالى: ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [الأنبياء: ٥٨].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ الكسائي ﴿جِذاذاً﴾ بكسر الجيم.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿جُذَاذًا﴾ بضمِّ الجيم(٤٤٢).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

الجَذُّ: الإِسْرَاع، الجَذُّ: القَطْعُ المُستَأْصِل، الجَذُّ: الكَسْرُ، وفي المحكم: كسرُ الشيْءِ الصُّلْبِ، الجُذَاذ بالضمِّ: حِجَارَةُ الذَّهَبِ لأَنها تُكَسَّر(٤٤٣).

«(جُذاذاً): حطاماً، جِذاذاً: قطعاً مقطوعة... هو أن يأخذ من كلّ عضوين عضواً، ويدع عضواً: من الجذ وهو القطع»(٤٤٤).

---

(٤٤١) انظر: شرح المفصّل ج٩/ص١٠٧.
(٤٤٢) انظر: النشر ج٢/ص٣٢٤.
(٤٤٣) انظر: تاج العروس ج ٢ /ص ٥٥٥، وكتاب العين ج٦/ص١١.
(٤٤٤) تفسير القرآن ص ٣٣٨.

ثالثاً: التفسير:

تُصَوِّرُ هذه الآية ما فعله إبراهيمُ عليه السلام بالآلهة التي كان يعبدها قومُهُ من دون الله، حيثُ اغتنم فرصةَ انشغالهم بعيدهم، وجاء بفأسٍ، وأخذَ يُحطِّمُها حتى تركها كالهشيم، وأبقى على كبير الأصنامِ، فعلَّقَ الفأسَ في عنُقه؛ رجاءَ أنْ يرجِعوا إليه فيُحاجِجَهم، أو يرجِعوا إلى كبيرهم، فيعلموا عجزَه وتقصيرَه، فيرجعوا إلى دينه عليه السلام، فيعبدوا الله عز وجل.

يقولُ البغوي - رحمه الله - في تفسير الآية: «﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا﴾ قرأ الكسائيُّ: (جِذاذاً) بكسر الجيم أي: كسراً وقِطَعاً جَمعُ جَذيذٍ، وهو الهشيمُ مثلُ خَفيفٍ وخُفاف، وقرأ الآخرون بِضَمِّه، مثلُ الحُطامُ والرُّفات، ﴿إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ﴾ فإنَّه لم يكْسِرْه، وَوَضَعَ الفأسَ في عُنُقه، وقيلَ: رَبَطَهُ بيده وكانت اثنين وسبعين صنماً بعضُها من ذَهبٍ وبَعضُها من فضّة وبعضُها من حديدٍ ورصاص وشَبّة وخشب وحَجر، وكانَ الصّنمُ الكبيرُ من الذَّهبِ مكلّلاً بالجَواهِرِ في عينيه ياقوتَتان تَتَّقِدان. قوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾ قيلَ: معناهُ لعلَّهم يَرْجُعون إلى دِينِهِ وإلى ما يدعوهُم إليه، إذا عَلِموا ضَعْفَ الآلهةِ، وعَجزَها، وقيل: لعلَّهم إليه يرجِعون، فيسألونه»(٤٤٥).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة الأولى (جِذَاذاً) أنَّ إبراهيمَ عليه السلام جعل آلهتهم قِطَعاً مقَطَّعة فكان يأخذ من كلّ عضوين من أعضاء الأصنام عضواً ويترك عضواً.

في حين أفادت القراءة الثانية (جُذَاذاً) بضمِّ الجيم أنَّ الآلهةَ التي استأصلها إبراهيمُ عليه السلام أصبحت مُقَطَّعةً بلا أصلٍ لها بفعلِ فأسه فيها والتي كانَ مُعظمها من الذَّهبِ والفضة - وذلك أنَّ حجارةَ الذَّهبِ تُسمَّى جُذاذاً بضمِّ الجيم وكذلك حجارةُ الفضة الصغيرة كما جاء في تاج العروس في المعنى اللغوي لهذا الموضع - قد جعل القطع التي استأصلها حُطاماً.

---

(٤٤٥) تفسير البغوي ج ٥ / ص ٣٢٤، وانظر: التفسير القرآني للقرآن مج٥/ ج١٧/ ص ٩١٣ - ٩١٤.

وقد ذكر الماوردي في قوله تعالى ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا﴾ وجهين:

أحدهما: حُطاماً وهو تأويل من قرأ بالضم.

والثاني: قطعاً مقطوعة، وهو أن يأخذَ من كلِّ عضوين عضواً ويترك عضواً وهذا تأويل من قرأ بالكسر، مأخوذٌ من الجذّ وهو القطع(٤٤٦).

هكذا وبالجمع بين القراءتين يتبيَّنُ أنَّ إبراهيمَ عليه السلام قطَّع الآلهة التي كانت من المعادن الثمينة حيث كان غالبيَّتها من الذَّهبِ والفضة، فكان يأخذُ مُسرعاً من كلِّ عضوين من أعضاء الآلهة عضواً ويترك عضواً، ثُمَّ إنَّه بالغَ في تكسيرها وتقطيعها حتى جعلها قطعاً صغيرةً كالهشيمِ فلم يُبْقِ لها أصلاً، والله أعلم.

١٠ ـ قال تعالى: ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [الأنبياء: ٦٣].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ ابن كثير، والكسائي، وخلف ﴿فَسَلُوهُم﴾ بالنقل(٤٤٧).

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿فَسْـَٔلُوهُمْ﴾ بغير نقل(٤٤٨).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

سأل: «س أ ل: السُؤْلُ ما يسأله الإنسان»(٤٤٩).

«سَأَلْتُ: أَسْأَل، وسَلْتُ: أَسَلُ، والرَّجُلانِ يَتَساءَلانِ ويَتَسايَلانِ، وجمع

---

(٤٤٦) انظر: تفسير الماوردي ج٣/ ص٤٥١، مجاز القرآن ج٢ /ص٤٠، وغريب القرآن ص٢٥٥.

(٤٤٧) هو نقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها، فيتحرَّك ذلك الساكن بحركة الهمزة، وتسقط من اللفظ لسكونها، وهو نوع من أنواع تخفيف الهمز المفرد، لغةٌ لبعض العرب. انظر: النشر ج١/ص٤٠٨.

(٤٤٨) انظر: المرجع السابق ج١/ص٤١٤، ج٢/ص٣٢٤.

(٤٤٩) مختار الصحاح ص٣٢٦.

المَسْأَلة مَسائِلُ بالهمز، فإِذا حذفوا الهمزة قالوا مَسَلَةٌ، وتَساءلوا: سَأَل بعضُهم بعضاً»[٤٥٠].

ثالثاً: التفسير:

يُجيبُ إبراهيم عليه السلام على سؤال قومه له إن كان هو الذي حطَّم الآلهة أم لا فيقول: لعلَّ الذي حطَّمها هو كبير الآلهة غضباً منها أنْ تُعبَدَ معه فاسألوهم إذا أمكنهم النطق.

يقول «فلما أتوا به، ﴿قَالُوٓاْ﴾ له ﴿ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ﴾؟: ﴿قَالَ﴾ إبراهيم، ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ غضب من أن تعبدوا معه هذه الصغار وهو أكبر منها فكسرهن، وأراد بذلك إبراهيم إقامة الحجة عليهم، فذلك قوله: ﴿فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ﴾ حتى يخبروا من فعل ذلك بهم»[٤٥١].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة الأولى ﴿فَسَلُوهُم﴾ بالنقل السرعة والإشارة عليهم بتجاوز العقبات والصعوبات لمعرفة الفاعل الحقيقي والإسراع بسؤال كبير الآلهةِ وحاشيته المُحَطَّمة.

وأفادت القراءة الثانية ﴿فَسْـَٔلُوهُمْ﴾ من غير نقلٍ والإشارة عليهم بالتدقيق في سؤال الآلهة لمعرفة الفاعل.

يقول الطاهر بن عاشور ـ رحمه الله ـ: ﴿فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ﴾ تهكُّماً بهم وتعريضاً بأن ما لا ينطق ولا يعرب عن نفسه غير أهل للآلهية. وشمل ضمير ﴿فَسْـَٔلُوهُمْ﴾ جميع الأصنام ما تحطم منها وما بقي قائماً. والقوم وإن علموا أنَّ الأصنام لم تكن تتكلم من قبل إلا أنَّ إبراهيم أراد أنْ يقنعهم

(٤٥٠) لسان العرب ج١١/ص٣٨٠.
(٤٥١) تفسير البغوي ج ٥ / ص ٣٢٥.

بأنَّ حدثاً عظيماً مثل هذا يوجب أنْ ينطقوا بتعيين من فعلَه بهم»[٤٥٢].

بالجمع بين القراءتين يتبيَّن أنَّ إبراهيم عليه السلام يُقيمُ الحجَّة على قومه بإجابته على سؤالهم بالإشارة عليهم بالإسراع بسؤال الآلهة والتدقيق في سؤالها، فلعلَّ كبير الآلهة غضبَ من كونها تُعبَدُ معه فقام بتحطيمها واستئصالها، وهذا أمرٌ عظيمٌ يستوجبُ أن تكون عالمةً به لكونها آلهة، ولكنَّ عدم إمكانية نطقها يضعُ العقبات أمام معرفة الفاعل، وحيثُ إنَّها عاجزةٌ عن النُّطق وعن الدفاع عن نفسها أمام ما وقع لها، فهي لا تستحقُ العبادة، وإنَّما الذي يستحقُها هو الخالق الموجِدُ لكلِّ المخلوقات، والذي يستحقُّ التفردَ بالألوهية دونما شريكٍ سبحانه، والله أعلم.

١١ ـ قال تعالى: ﴿أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الأنبياء: ٦٧].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ ابن كثير، وابن عامر، ويعقوب ﴿أُفَّ﴾ بفتح الفاء من غير تنوين.

٢ ـ وقرأ نافع، وأبو جعفر، وحفص ﴿أُفٍّ﴾ بكسر الفاء مع التنوين.

٣ ـ وقرأ الباقون ﴿أُفِّ﴾ بكسر الفاء من غير تنوين[٤٥٣].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«**أفف**: الأُفُّ الوَسَخُ الذي حَوْلَ الظُّفُرِ والتُّفُّ الذي فيه، وقيل: الأُفُّ وسَخُ الأُذُنِ، والتُّفُّ وسَخُ الأظفارِ، يقالُ ذلكَ عندَ اسْتِقْذارِ الشَّيءِ، ثمَّ استُعمِلَ ذلكَ عندَ كلِّ شيءٍ يُضْجَرُ منه، ويُتَأَذَّى به، والأَفَفُ الضَّجَرُ... أُفّ كلمةُ تَضَجُّرٍ»[٤٥٤].

(٤٥٢) التحرير والتنوير ج١٧/ص١٠٠، ١٠١.

(٤٥٣) انظر: النشر ج٢/ص٣٠٦، ٣٢٤.

(٤٥٤) لسان العرب ج ٩/ ص٧ وانظر: الأساس ج٧/ص٣٤٧٥.

«(أُف): اسم للفعل، ومعناه التضجر والكراهية، وبني على حركة لسكون ما قبل آخره، وقرئ بالحركات الثلاث منوناً، وغير منون مثقلاً، فالكسر فيه على أصل البناء، والفتح للتخفيف، والضمّ للاتباع، والتنوين للتنكير، وتركه للتعريف»(٤٥٥).

ثالثاً: التفسير:

يُظهرُ إبراهيمُ عليه السلام تَضَجُّرَهُ من قومه ومما يعبدونه من دون الله تعالى، ويستنكرُ ويستَقْبحُ منهم تعطيل عقولهم عن التفكُّرِ والتَّدَبُّرِ فيما يعبدون؛ وهو لا يستحقُّ العبادة.

يقول أبو السعود في تفسير قوله تعالى ﴿أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾:

«تضجّرٌ منه عليه السلام من إصرارهم على الباطل البيّن، وإظهارُ الاسم الجليلِ في موضعِ الإضمارِ لمزيدِ استقباحِ ما فعلوا، و(أفّ) صوتُ المتضجِّر ومعناه: قُبحاً ونتْناً، واللامُ لبيانِ المتأفَّفِ له (أَفَلَا تَعْقِلُونَ) أي: ألا تتفكَّرون فلا تَعقِلون قُبحَ صنيعِكم»(٤٥٦).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة الأولى (أفَّ) - بفتح الفاء من غير تنوين - الخِفَّةَ، أي أنَّ إبراهيمَ عليه السلام أظهرَ لهم تَضَجُّراً خفيفاً، حيثُ إنَّ الفتحةَ هي أخفُّ الحركات(٤٥٧).

كما أفادت القراءة الثانية (أُفٍّ) - بكسر الفاء مع التنوين - تنكيرُ تَضَجُّرِ إبراهيم وكراهيةَ إبراهيم لهم حيثُ إنَّ إبراهيمَ عليه السلام أظهرَ لهم ولما يعبدون

(٤٥٥) الفريد ج٣/ص ٢٦٨.

(٤٥٦) تفسير أبي السعود ج ٤ / ص ٣٤٦.

(٤٥٧) انظر: شرح التصريح ج١/ص ٥٨، والموضع الأول من سورة طه ص ٢٩.

من دون الله كراهةً عبَّرَ عنها بكلمةِ (أُفٌ) التي تدلُّ على التنكير؛ لتَدُلَّ على عظيمِ هذه الكراهةِ لهم.

أما القراءة الثالثةِ (أُفِّ) بكسر الفاء من غيرِ تنوين فقد أفادت أنَّ كراهته لهم وتضَجُّرَهُ منهم معروفةً، أي الضجرُ والكراهيةُ التي علمتموها.

يقول ابن أبي مريم ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: «(أُفَّ لكم) بفتح الفاء غير منوّنٍ، قرأها ابن كثير، وابن عامر، ويعقوب. والوجه أنّه مبني على الفتح؛ لأنّه اسم سُمِّيَ به الفعلُ، وما كان نحوه فإنَّه يُبنَى على الفتح، نحو سُرعانَ ورُويدَ، ومعناه المصدر، لأنَّ المراد التَّكَرُّه والتضَجُّر، وتَركُ التنوين فيه يَدُلُّ على تَعريفِه.

وقرأ نافع، وحفص عن عاصم (أُفٍّ) بالكسر والتنوين. والوجه أنَّه مبنيٌّ أيضاً، لكنّه على الكسر لالتقاء الساكنين، والتنوين لأجل التنكير والمعنى: كراهةً لكم.

وقرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وشعبة عن عاصم (أفِّ) بالكسر من غير تنوين.

والوجه أنَّه مبني على الكسر كما ذكرنا، لالتقاء الساكنين، وتُرِكَ تنوينُه لكونه معرفة، ومعناه: الكراهةُ لكم»(٤٥٨).

بالجمع بين القراءات الثلاث يتبيَّن أنَّ إبراهيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ تضجَّرَ من قومه لعبادتهم الأصنام، فأظهرَ لهم هذا التضجُّر بكلمةِ (أفّ) التي هيَ أخفُّ كلمةٍ يُعَبَّرُ بها عن التضَجُّرِ، وهم ـ لا شكَّ ـ يعرفونها ويعرفون مدلولها، حيثُ إنَّها معلومةٌ لا تحتاجُ بياناً لها، لكنَّهم لا يعلمون القَدْرَ العظيمَ من التَّضَجُّرِ الذي حوَتْه هذه الكلمةِ الصغيرة، والله أعلم.

١٢ ـ قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [الأنبياء: ٧٣].

(٤٥٨) الموضح ج٢ /ص٨٦٤ (بتصرف).

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ ابن عامر، وعاصم، وحمزة، والكسائي، وخلف، وروح ﴿أَئِمَّةً﴾ بتحقيق الهمزتين.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿أَيِمَّةً﴾ بتسهيل الهمزة الثانية(٤٥٩).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

الإمام: «الإمامُ الذي يُقتدَى به، وجمعه أَئِمَّةٌ»(٤٦٠).

يقول الطاهر بن عاشور ـ رحمه الله ـ: «الأيمة: جمع إمام وهو القدوة والذي يُعمل كعمله. وأصل الإمام المثال الذي يصنع الشيء على صورته في الخير أو في الشر»(٤٦١).

ثالثاً: التفسير:

يمتدح الله تعالى أنبياءه الذين جعلهم أهل خير وصلاح حيث جعلهم أئمّة يهدون بأمر الله تعالى إلى الخير، ويقيمون الصلاةَ ويؤتون الزكاة، ويعبدون الله تعالى دون غيره.

يقول ابن كثير ـ رحمه الله ـ: «﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً﴾ أي: يقتدى بهم، ﴿يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ أي: يدعون إلى الله بإذنه؛ ولهذا قال: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ﴾ من باب عطف الخاص على العام، ﴿وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾ أي: فاعلين لما يأمرون الناس به»(٤٦٢).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

ناسبت القراءة الأولى ﴿أَئِمَّةً﴾ بتحقيق الهمزتين ما يعترض الذين يدعون إلى الله ـ تعالى ـ من صعوباتٍ كثيرة من الكفار الذين يعاندون الرسل

(٤٥٩) انظر: النشر ج١/ص٣٧٨، ج٢/ص٣٢٤.

(٤٦٠) انظر: مختار الصحاح ص٢٠، ولسان العرب ج١٢/ص٢٨.

(٤٦١) التحرير والتنوير ج١٧/ص١٠٩.

(٤٦٢) تفسير ابن كثير ج٣ / ص ٣٢٢.

والدعاة، حيث يصُدُّهم كبرهم وعنادهم عن طريق الهدَى فيصيرون بذلك أعواناً للشيطان في فتنة المؤمنين عن دينهم، وتعذيب الرسل والدعاة، وذلك يوحي به ثِقَلُ النطق بالهمزتين.

يقول مكي بن أبي طالب: «كانوا يُخفّفون المفردة استخفافاً، لثقل الهمزة المفردة، فإذا تكرّرت كان ذلك أعظم ثقلاً، فإذا لزمت كلّ واحدة منهما الأخرى كان ذلك أشدّ ثقلاً»[٤٦٣].

وأفادت القراءة الثانية ﴿أَيِمَّةَ﴾ بتسهيل الهمزة الثانية أنَّ الله ـ تعالى ـ يُسَهِّلُ أمر الدّعوة للرسل والأنبياء الذين يدعون إليه ـ تعالى ـ وذلك بعصمته لهم وبتهوين الصعوبات أمامهم وبتسهيل مهمَّتهم وبحبّهم الخير للناس الذين يدعونهم، وبما يرجونه من رضا الله تعالى.

وقد نقل الرازي عن الجبائي أنَّ الله ـ تعالى ـ وهبهم من لطفه وتوفيقه ما صلحوا به[٤٦٤].

يقول الزمخشري: «فيه أنَّ من صَلُحَ ليكونَ قُدوةً في دين الله فالهدايةُ محتومةٌ عليه مأمورٌ هو بها من جِهةِ الله، ليسَ له أنْ يُخِلَّ بها ويتثاقلَ عنها، وأوّل ذلك أنْ يهتدي بنفسه؛ لأن الانتفاع بهُداه أعمّ، والنفوسُ إلى الاقتداءِ بالمَهديّ أمْيَل»[٤٦٥].

بالجمع بين القراءتين يُعلَمُ أنَّ الأنبياءَ هم الصفوةُ المختارةُ من الخلق، وقد وهبهم الله ـ تعالى ـ العصمة والصلاح في أنفسهم، إلى جانب الصبر، وقوة التحمُّل؛ ليكونوا قادرين على القيام بأعباء الدعوة إلى الله، ومواجهة التحدِّيات، والعقبات التي تعترض طريقهم؛ وذلك حتى تَسْهُلُ مهمَّتهم، فيؤدُّون ما أمرهم الله به على أتمّ وجه، والله أعلم.

١٣ ـ قال تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ

---

(٤٦٣) الكشف ج١/ص٧٠.

(٤٦٤) انظر: تفسير الرازي ج٢٢/ص١٩١.

(٤٦٥) الكشاف ج٢/ص ٥٧٨ ـ ٥٧٩.

فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [الأنبياء: ٨٠].

أولاً: القراءات:

١ - قرأ أبو جعفر، وابن عامر، وحفص ﴿لِتُحْصِنَكُم﴾ بالتاء على التأنيث.

٢ - وقرأ أبو بكر عن عاصم، ورويس ﴿لِنُحْصِنَكُم﴾ بنون العظمة.

٣ - وقرأ الباقون ﴿لِيُحْصِنَكُم﴾ بالياء على التذكير(٤٦٦).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

حصن: «الحِصْن المكان الذي لا يقدر عليه لارتفاعه وجمعه (حُصُونٌ) و(حَصُنَ) بالضم (حَصَانَةً) فهو (حَصِينٌ) أي منيع ويتعدى بالهمزة والتضعيف فيقال: (أَحْصَنْتُهُ) و(حَصَّنْتُهُ)»(٤٦٧).

«قُرئ لِيُحْصِنَكم ولِتُحْصِنَكم ولنحصنكم فمن قرأ لِيُحْصِنكم فالتذكير لِلَّبُوس ومن قرأ لتُحْصِنَكم ذهب إلى الصنعة وإن شئت جعلته للدرع لأنها هي اللبوسُ وهي مؤنثة ومعنى لِيُحْصِنَكم ليمنعكم ويُحْرِزَكم ومن قرأ لِنُحْصِنَكم بالنون فمعنى لنُحْصِنَكم نحنُ الفعلُ لله ﷻ»(٤٦٨).

ثالثاً: التفسير:

تبيّن هذه الآية نعمةً أنعمها الله - سبحانه وتعالى - على داود والمؤمنين معه حيث علّمه طريقةَ صُنعِ الدروعِ التي تحميهم من بطشِ الأعداءِ بهم في الحرب، وهذه نعمةٌ يستوجبُ شكرَ الله عليها.

يقول البغوي - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - في قوله تعالى ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ﴾: «والمرادُ باللبوس هنا الدُّروع لأنها تُلبس، وهو في اللغة اسمٌ لكل ما يُلبس ويُستعمَلُ في الأسلحة كلها، وهو بمعنى الملبوس كالجلوس

(٤٦٦) انظر: النشر ج٢/ص٣٢٤.

(٤٦٧) المصباح المنير ج١ /ص ١٣٩.

(٤٦٨) لسان العرب ج١٣ /ص١٤٤.

والركوب، قال قتادة: أول من صنع الدروع وسردها وحلقها داود وكانت من قبل صفائح، والدرع يجمع الخفة والحصانة، ﴿لِتُحْصِنَكُم﴾ لتحرزكم وتمنعكم، ﴿مِّنۢ بَأْسِكُمْ﴾ أي حرب عدوكم، قال السدي: من وقع السلاح فيكم، ... ﴿فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ﴾، يقول لداود وأهل بيته. وقيل: يقول لأهل مكة فهل أنتم شاكرون نعمي بطاعة الرسول»(٤٦٩).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

إنَّ القراءة الأولى ﴿لِتُحْصِنَكُم﴾ بالتاء على التأنيث تفيد أنَّ الصنعة هي التي تمنعهم من بطش العدو بهم وقد تكون الدرع لأنَّها مؤنّثة.

أمّا القراءة الثانية ﴿لِنُحْصِنَكُم﴾ بنون العظمة فتُخبر به عن الله ﷻ لأنَّه هو المُحَصِّن لا الدرع.

بينما تُبيِّنُ القراءة الثالثة ﴿لِيُحْصِنَكُم﴾ بالياء على التذكير أنَّ اللبوس هو الذي يحميكم فردّه على لفظ اللبوس لا على معناه، أو أنَّه الله تعالى لأنَّه المُحَصِّنُ حقيقةً وعليه ففي الآية التفاتٌ من الخطاب في ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ﴾ إلى الغيبة، بمعنى لِيُحْصِنَكُم الله تعالى.

يقول البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قرأ أبو جعفر وابن عامر وحفص عن عاصم ويعقوب: ﴿لِتُحْصِنَكُم﴾ بالتاء، يعني الصنعة، وقرأ أبو بكر عن عاصم بالنون لقوله: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ﴾ وقرأ الآخرون بالياء، جعلوا الفعل للّبوس، وقيل: ليُحصِنَكم الله ﷻ»(٤٧٠).

بالجمع بين القراءات الثلاث يتبيَّنُ أنَّ الله تعالى هو المُحَصِّنُ حقيقةً وأنّه علَّمَ داوود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ طريقةَ صنع الدروع التي تجمع بين الخفّة والحصانة ليلبسوها؛ فيحميهم بها من بطش العدو بهم في الحرب والقتال، والله أعلم.

(٤٦٩) تفسير البغوي ج ٥ / ص ٣٣٥ (بتصرف).

(٤٧٠) تفسير البغوي ج٥/ص٣٣٥. وانظر: تفسير أبي السعود ج٤/ص٣٥١، الدر المصون ج٥/ص١٠٣، نظم الدّرر ج٥/ص١٠٢، مفاتيح الأغاني ص٢٨١، والحجة في القراءات السبع ص٢٥٠.

١٤ ـ قال تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾﴾ [الأنبياء: ٨١].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ أبو جعفر ﴿ٱلرِّيَٰحَ﴾ بالألف على الجمع.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿ٱلرِّيحَ﴾ بغير ألف على الإفراد[٤٧١].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«الرِّيحُ: نَسِيم الهواء وكذلك نَسيم كل شيء وهي مؤنثة. والرِّيحُ واحدة الرِّياح»[٤٧٢].

«والرِّيحُ أيضا: الغلبة والقوة»[٤٧٣].

ثالثاً: التفسير:

سخَّر الله تعالى الرِّيحَ لنبيِّه سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ تجري بأمره حيث يشاء ثمَّ تعود به عاصفةً سريعةَ الهبوب لتعود به إلى منزله بالشام، وكان الله ـ تعالى ـ عالماً أنَّه سيشكره على نِعَمِه.

يقول البغوي ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ في تفسير قوله تعالى ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً﴾: «أي: وسخرنا لسليمان الريح، وهي هواء متحرك، وهو جسمٌ لطيفٌ يمتنعُ بلطفهِ من القبضِ عليه، ويظهر للحس بحركته، والريح يذكَّر ويؤنَّث، ﴿عَاصِفَةً﴾ شديدةَ الهبوب، فإن قيل: قد قال في موضعٍ آخرَ تجري بأمره رخاءً، والرخاءُ: اللين؟ قيل: كانت الريح تحت أمره إن أراد أن تشتد اشتدت، وإن أراد أن تلين لانت، ﴿تَجْرِي بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾ يعني الشام، وذلك أنها كانت تجري لسليمان وأصحابه حيث شاء سليمان، ثم تعود إلى منزله بالشام، ﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ﴾ علمناه، ﴿عَٰلِمِينَ﴾

(٤٧١) انظر: النشر ج٢ /ص٢٢٣.

(٤٧٢) انظر: لسان العرب ج٢/ص٥٣٤.

(٤٧٣) مختار الصحاح ص٢٦٧.

بصحة التدبير فيه علمنا أن ما يعطى سليمان من تسخير الريح وغيره يدعوه إلى الخضوع لربه ﷻ»[٤٧٤].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تعدَّدت أقوال المفسِّرين في استعمالات القرآن لكلٍّ من كلمتَي الرِّيح والرِّياح، فمنهم من اجتهدَ فأصاب الحقيقةَ، ومنهم من نظر لاستعمال القرآن لإحدى الكلمتين في آيةٍ واحدةٍ وأطلق حكماً عامًّاً لاستعمال القرآن لها في غيرها من الآيات فأخطأ في اجتهاده.

وقد قام **الأستاذ الدكتور علي محمد حسن العماري** ببحثٍ استقرائيٍّ لاستعمال القرآن لكلٍّ من الرِّيح والرياح وما ورد فيهما من قراءات، ثمَّ استخلص منها أنَّ:

(**الرِّيح**) استعملت في الرحمة في خمسة عشر موضعاً ثمَّ ذكرَ اسماء السور التي وردت فيها، واستعملت في العذاب في اثني عشر موضعاً ثمَّ ذكر أسماء السور التي وردت فيها.

وأنَّ (**الرياح**) استعملت في مواضع الرحمة في ثلاث عشرة آية، وذكر أسماء السور التي وردت فيها، واستعملت في العذاب في أربع آيات، وذكر أسماء السور التي وردت فيها ومن ثمَّ قال:

«ونتيجةً لكلِّ هذا أرى أنَّ الذي تطمئنُّ إليه النفس أنَّ:

١ ـ استعمال الريح في مواضع الرحمة مساوٍ لاستعمال الرياح فيها.

٢ ـ استعمال الرِّياح في مواضع الرّحمة أكثر من استعمالها في مواضع العذاب.

٣ ـ استعمال الريح في مواضع العذاب مُقاربٌ لاستعمالها في مواضع الرحمة والثاني أكثر.

(٤٧٤) تفسير البغوي ج ٥ / ص ٣٣٥، وانظر: تفسير القرآن العظيم مج٨/ ص٢٤٥٨ - ٢٤٥٩.

٤ ـ استعمال الرّيح في مواضع العذاب أكثر من استعمال الرّياح فيها»[٤٧٥].

أفادت قراءة ﴿ٱلرِّيَاحَ﴾ بالألف على الجمع أنَّ هذه الرياح متعددة الأهداف والأغراض، كما أنَّ لها أسماء تختلف باختلاف اتجاهات هبوبها، فهناك الرِّيح التي تهبُّ من الشَّرق والتي تسمَّى: (ريح الصّبا)، وهناك الرياح الموسمية، كما أنَّ هناك غيرها، بالإضافة إلى أنَّها تكون عاصفةً تارةً، وتكون ليِّنةً رخاءً تارةً أخرَى.

يقول الطاهر بن عاشور ـ رحمه الله ـ: «وتسخير الريح: تسخيرها لما تصلح له، وهو سير المراكب في البحر. والمراد أنها تجري إلى الشام راجعة عن الأقطار التي خرجت إليها لمصالح مُلك سليمان من غزو أو تجارة بقرينة أنها مسخرة لسليمان فلا بد أن تكون سائرة لفائدة الأمة التي هُو مَلِكها»[٤٧٦].

بينما أفادت قراءة ﴿ٱلرِّيحَ﴾ بغير ألف على الإفراد أنَّ الريح التي سخَّرها الله تعالى لسليمان هيَ جنس الريح مهما تعددت أهدافها وتغيَّرت اتجاهاتها، وهي أيضاً تسيرُ بأمر واحدٍ من البشر سخَّرها الله تعالى له وهو سليمان عليه السلام، كما أفادت هذه القراءة أنَّ هذه الرِّيح المُسَخَّرة لسليمان فيها الغلبةُ والقوَّة له ولجنوده، وأنَّها منقادة له بمجموعها انقياداً كليّاً، وكأنَّها شيءٌ واحدٌ.

جاء في كتاب روح البيان: «فإنَّ تسخير ما سُخِّرَ له عليه السلام من الريح وغيرها كان بطريق الانقياد الكلِّي له، والامتثال بأمره ونهيه، والمقهورية تحت ملكوته، فجيء بلام التمليك»[٤٧٧].

بالجمع بين القراءتين يتبيَّنُ أنَّ الله ـ تعالى ـ سخَّر الرِّيحَ لسليمان

---

(٤٧٥) الريح والرياح ص٥١ ـ ٥٣.

(٤٧٦) التحرير والتنوير ج١٧/ ص١٢٣، ١٢٤. (بتصرف بسيط).

(٤٧٧) روح البيان مج ٥ / ص ٥١٧.

وحده دون غيره من البشر تجري بأمره فهيَ منقادة له انقياداً كلّيّاً تُحقّقُ له كلّ ما أراده منها، وهي وإن كانت متعدِّدة الأغراض والمنافع، ومتعدِّدةَ الاتجاهات التي تهبُّ منها، وكونها عاصفةً أحياناً ورُخاءً أحياناً أخرى، فهيَ واحدةٌ من حيث كونها جنس الرّياح، وقد سخَّرها الله ـ تعالى ـ لتنفيذ أوامر سليمان عليه السلام وحده من البشر، وهي التي فيها الغلبة والقوّة لسليمان وجنوده على سائر أعدائهم.

١٥ ـ قال تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [الأنبياء: ٨٣].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ حمزة ﴿مَسَّنِيْ﴾ بالياء ساكنة.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿مَسَّنِيَ﴾ بفتح الياء(٤٧٨).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

مسَّ: (مَسَّ) الماء الجسد (مَسّاً): أصابه(٤٧٩).

«والمسّ: الإصابة الخفيفة»(٤٨٠).

ثالثاً: التفسير:

يطلب الله ـ عز وجل ـ من سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أن يذكر نبيَّ الله أيوب عليه السلام حين نادَى ربَّه وهو في غاية التأدُّب أنْ يكشف عنه الضُّرّ الذي أصابه.

يقول ابن عاشور في قصة أيوب عليه السلام: «وحاصلها أنه كان نبيئاً وذا ثروة واسعة وعائلة صالحة متواصلة، ثم ابتُلِي بإصاباتٍ لحقت أمواله متتابعة فأتت عليها، وفقد أبناءه السبعة وبناته الثلاثَ في يوم واحد، فتلقى ذلك بالصبر والتسليم. ثم ابتلي بإصابة قروح في جسده وتلقى ذلك كله بصبر

(٤٧٨) انظر: النشر ج٢ / ص٣٢٥.
(٤٧٩) المصباح المنير ج٢/ص٥٧٢.
(٤٨٠) التحرير والتنوير ج١٧/ص١٢٦.

وحكمة وهو يبْتهل إلى الله بالتمجيد والدعاء بكشف الضر. وتلقى رثاءَ أصحابه لحاله بكلام عزيز الحكمة والمعرفة بالله، وأوحى الله إليه بمواعظ. ثم أعاد عليه صحته وأخلفه مالاً أكثر من ماله وولدت له زوجه أولاداً وبناتٍ بعدد من هَلكوا له من قبلُ.

. . .و(إذْ) ظرف قيّد به إيتاءُ أيوب رباطة القلب وحكمة الصبر لأن ذلك الوقت كان أجلى مظاهر علمه وحكمته كما أشارت إليه القصة. . . فصار أيوب مضرب المثل في الصبر.

وقوله: ﴿أَنِّي مَسَّنِي الضُّرُّ﴾ بفتح الهمزة على تقدير باء الجر، أي نادى ربه بأني مسَّني الضُّر. والمسّ: الإصابة الخفيفة. والتعبير به حكاية لما سلكه أيوب في دعائه من الأدب مع الله إذ جعل ما حلّ به من الضر كالمس الخفيف.

والضرّ بضمّ الضاد ما يتضرر به المرء في جسده من مرض أو هزال، أو في ماله من نقص ونحوه. وفي قوله تعالى: ﴿وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّٰحِمِينَ﴾ التعريض بطلب كشف الضرّ عنه بدون سؤال فجعل وصفَ نفسه بما يقتضي الرحمة له، ووصفَ ربه بالأرحمية تعريضاً بسؤاله . . .

وكونُ الله تعالى أرحم الراحمين لأن رحمته أكمل الرحمات لأن كل من رحِم غيرَه فإما أن يرحمه طلباً للثناء في الدنيا أو للثواب في الآخرة أو دفعاً للرقة العارضة للنفس من مشاهدة من تحق الرحمة له فلم يخل من قصد نفع لنفسه، وإما رحمته تعالى عباده فهي خلية عن استجلاب فائدة لذاته العلية»(٤٨١).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أوحت القراءة الأولى ﴿مَسَّنِيْ﴾ بالياء ساكنة محذوفة لالتقاء ساكنين بشعور أيوب عليه السلام بصغر وحقارة ما مسّه من ضر.

(٤٨١) التحرير والتنوير ج١٧/ص١٢٦، ١٢٧ (بتصرف).

بينما أفادت القراءة الثانية ﴿مَسَّنِيَ﴾ بفتح الياء تأدُب أيّوب عليه السلام مع ربّه، وشدّة صبره على البلاء، إذ جعل ما أصابه من الضُرِّ كالمسِّ الذي أصابه منذ وقتٍ قصير، وكأنّه كان ضرره خاصاً بما في نفسه من مرضٍ وهزال، وكأنّه لم يُصَب أيضاً في ماله وولده.

جاء في كتاب دراسة الصوت اللغوي : «لا شكَّ أَنَّ الحركةَ القصيرةَ أقلُّ حجماً وأقصرُ استمراريةً من الطويلة»[٤٨٢]. كما أنَّ الفتحةَ هي أخفُّ الحركات[٤٨٣].

وقد جاء في كتاب روح البيان: «الضَّرَّ بالفتح شائعٌ في كلِّ ضرر، وبالضمِّ خاصٌّ بما في النفس من مرضٍ وهزال ونحوهما»[٤٨٤].

لا يسعني وأنا أجمع بين هاتين القراءتين إلاّ أنْ أقف وقفةَ إجلالٍ وإكبارٍ أمام عظيم صبر هذا النبيّ الكريم، وأنا أتعلّم منه التأدُّب مع الخالق المنعم ـ جلَّ وعلا ـ وهو يستصغر ويستحقر ما أصابه من البلاء وقد ابتُلِي في ماله ووَلَدِهِ وبَدَنِه منذ ما يزيد على سبع سنين ـ على أكثر الأقوال ـ فإذا به يجعل ما أصابه من الضُرِّ كالمسِّ الذي جعله خاصّاً، وكأنّه أصابه في نفسه ـ فقط دونما المال والبنين ـ من مرضٍ وهزال، وفي مدّةٍ قصيرة، والله أعلم.

١٦ ـ قال تعالى: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧﴾ [الأنبياء: ٨٧].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ يعقوب: ﴿أَنْ لَنْ يُقْدَرَ﴾ بالياء مضمومة وفتح الدّال.

(٤٨٢) دراسة الصوت اللغوي ص٣٣٩.
(٤٨٣) أنظر: بلاغة الكلمة ص١١٤.
(٤٨٤) روح البيان مج٥/ ص٥١٩.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿أَن لَّن نَّقْدِرَ﴾ بالنون مفتوحة وكسر الدال[٤٨٥].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«القَدْرُ والقَدَرُ: القضاء والحُكْم وهو ما يُقَدِّره الله ـ عز وجل ـ من القضاء ويحكم به من الأُمور»[٤٨٦].

ثالثاً: التفسير:

تتحدّث هذه الآية عن جانبٍ من قصةِ نبيِّ الله يونس عليه السلام حين غادر قومَه قبل أنْ يُؤذَن له، فقضَى الله ـ تعالى ـ بالتضييق عليه بحبسه في بطن الحوت، وهناك نادى ربَّه تائباً معترفاً بذنبه أنْ لا إله إلاّ أنت سبحانك إنِّي كنت من الظالمين.

يقول أبوالسعود ـ رحمه الله ـ: «﴿وَذَا ٱلنُّونِ﴾ أي: واذكر صاحب الحوت وهو يونسُ عليه السلام ﴿إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا﴾ أي مراغِماً لقومه لـمّا برِمَ من طول دعوته إياهم وشدةِ شكيمتهم وتمادي إصرارِهم مهاجراً عنهم قبل أن يؤمر، وقيل: وعدَهم بالعذاب فلم يأتِهم لميعادهم بتوبتهم ولم يعرف الحال فظن أنه كذّبهم فغضِب من ذلك، وهو من بناء المغالبة للمبالغة أو لأنه أغضبهم بالمهاجَرة لخوفهم لحوقَ العذاب عندها وقرىء مُغضَباً ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ أي لن نضيّقَ عليه أو لن نقضيَ عليه بالعقوبة من القدر، ويؤيده أنه قرىء مشدداً أو لن نُعمِل فيه قدرتَنا، وقيل: هو تمثيلٌ لحاله بحال مَنْ يظن أن لن نقدر عليه أي نعامله معاملةَ من يظن أن لن نقدر عليه في مراغمته قومَه من غير انتظار لأمرنا كما في قوله تعالى: ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ۝٣﴾ [الهمزة: ٣] أي نعامله معاملةَ من يحسَب ذلك، وقيل: خطرةٌ شيطانية سبقت إلى وهمه فسُمّيت ظنّاً للمبالغة، وقرىء بالياء مخففاً ومثقلاً مبنياً للمفعول ﴿فَنَادَىٰ﴾ الفاءُ فصيحة أي فكان ما كان من المساهمة والتقامِ الحوت فنادى ﴿فِى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ أي في الظلمة الشديدةِ المتكاثفة أو في

(٤٨٥) انظر: النشر ج٢/ص٣٢٤.

(٤٨٦) لسان العرب ج٥/ص٨٩، وانظر: حاشية الشهاب ج٦/ ص٤٦٢.

ظلمات بطنِ الحوتِ والبحرِ والليل، وقيل: ابتلع حوتَه حوتٌ أكبرُ منه فحصل في ظلمتي بطني الحوتين وظلمتي البحر والليل ﴿أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ﴾ أي بأنه لا إله إلا أنت على أنّ أنْ مخففةٌ من أنّ وضميرُ الشأن محذوف، أو أي لا إله إلا أنت على أنها مفسّرة ﴿سُبْحَٰنَكَ﴾ أنزهك تنزيهاً لائقاً بك من أن يُعجزك شيءٌ أو أن يكون ابتلائي بهذا بغير سبب من جهتي ﴿إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ لأنفسهم بتعريضها للهلكة حيث بادرت إلى المهاجرة»(٤٨٧).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة الأولى ﴿أَنْ لَنْ يُقْدَرَ﴾ أنَّ يونس عليه السلام ظنَّ أنَّه لن يُقْدَرَ عليه ويُضَيَّق عليه في بطن الحوت، أو أنَّه ـ حين ذهب مغاضباً للملِك(٤٨٨) الذي اختاره ليرسله للقتال ـ ظنَّ أنَّ الملك لن يَقْدِرَ عليه إذا غادر من بينهم.

يقول ابن أبي مريم في هذه القراءة: «والوجه أنَّ الفعل مبنيّ لِمَا لم يُسَمّ فاعله.

ويجوز أنْ يكون إنَّما قرأ كذلك لأنَّه حَمَلَ المعنى على أنَّ يونس ذهبَ مُغاضباً لِلملِك، فظنَّ أنْ لن يَقْدِرَ عليه المَلِك، فلهذا لم يُسْند الفعل إلى الله تعالى»(٤٨٩).

في حين جاءت القراءة الثانية ﴿أَنْ لَنْ نَقْدِرَ﴾ بالتخصيص فأفادت أنَّ يونس عليه السلام ظنَّ أنَّ الله ـ تعالى ـ لن يَقْدِرَ عليه الحبس في بطن الحوت، والتضييق عليه بهذه الكيفية.

يقول ابن أبي مريم ـ رحمه الله ـ في هذه القراءة: «والوجه أنَّ الفعل مسندٌ إلى الله تعالى على لفظ التعظيم، كما أنَّ ما بعده كذلك وهو قوله ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ﴾ [الأنبياء: ٨٨]

(٤٨٧) تفسير أبي السعود ج ٤ / ص ٣٥٣، ٣٥٤.

(٤٨٨) هو الملِك حزقيّا. انظر: الموضح ج٢/ص٨٦٥.

(٤٨٩) الموضح ج٢/ص٨٦٥ (بتصرف بسيط).

والمعنى في ﴿لَنْ نَقْدِرَ﴾: لن نُضيِّق، وقيل لنْ نَقْدِرَ عليه ما قَدَّرْناه من حبسه[490] في بطن الحوت، أي لن نُقَدِّر، وهو من التقدير الذي هو التهيئةُ لإمضاء الأمر في الشيء، قال الله تعالى: ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾﴾[المرسلات: ٢٣] أي: فَقَدَرْنا فنعْمَ المُقَدِّرُون»[491].

بالجمع بين القراءتين يَتَبيَّنُ أنَّ نبيَّ الله يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ حين ذهبَ من بين قومه مُغاضباً لهم، أو للملِكِ ظنًّا منه أنَّ الملِكَ لن يقدِرَ عليه بخروجه من بينهم، وقد كان خروجه قبل أن يأذن الله ـ تعالى ـ له بالخروج مُعْتَقداً أنَّ عمله هذا لا يستوجبُ أنْ يَقْدِرَ الله ـ تعالى ـ عليه ما قَدَّره من التضييق عليه بحبسه في بطن الحوت، والله أعلم.

١٧ ـ قال تعالى: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنبياء: ٨٨].

أولاً: القراءات:

١.قرأ ابن عامر وأبو بكر ﴿نُجِّي﴾ بنون واحدة وتشديد الجيم.

٢.وقرأ الباقون ﴿نُنْجِي﴾ بنونين الثانية ساكنة مع تخفيف الجيم[492][493].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«(نجا) النَّجاءُ: الخَلاصُ من الشَّيء»[494].

---

(٤٩٠) في كتاب الموضح (جنسه) وليس (حبسه).

(٤٩١) الموضح ج٢/ص٨٦٦. وانظر: تفسير النسفي ج٣/ص١٣٣، وفتح القدير ص١١٤٢.

(٤٩٢) في كتاب النشر (الميم) بدلاً من (الجيم)، والمعنى يدل على حرف (الجيم)، فلا شك أنَّه خطأ مطبعي.

(٤٩٣) انظر: النشر ج٢/ص ٣٢٤.

(٤٩٤) لسان العرب ج١٥/ص٣٥٤.

ثالثاً: التفسير:

في الآية بشارةٌ للمؤمنين بالنجاةِ من أيِّ ضُرٍّ، أو بلاءٍ يصيبهم؛ إذا ما استغاثوا بالله ـ تعالى ـ ودعَوه أنْ يُخلِّصهم منه.

يقول الطبري ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: «يقول تعالى ذكره (فَاسْتَجَبْنَا) ليونس دعاءه إيانا، إذ دعانا في بطن الحوت، ونجيناه من الغمّ الذي كان فيه بحبْسه في بطن الحوت وغمه بخطيئته وذنبه (وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ)، يقول جلّ ثناؤه: وكما أنجينا يونس من كرب الحبس في بطن الحوت في البحر إذ دعانا، كذلك ننجي المؤمنين من كربهم إذا استغاثوا بنا ودعونا»[٤٩٥].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة الأولى ﴿نُجِّي﴾ بنون واحدة وتشديد الجيم أنَّ الله ـ تعالى ـ ينجي المؤمنين من ضرٍّ أصابهم بسرعةٍ وخِفَّةٍ ولطافة، مرَّةً بعد مرَّةٍ إنجاءً مُتكرِّراً كثيراً.

يقول مكي بن أبي طالب ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: «وفي التشديد معنى التكرير والتكثير، كأنَّه نجاة بعد نجاة»[٤٩٦].

كما أفادت القراءة الثانية ﴿نُنجِي﴾ بنونين الثانية ساكنة مع تخفيف الجيم أنَّ الله تعالى ينجي المؤمنين إنجاءً عظيماً كاملاً.

يقول البقاعي ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: «﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أي ومثل ذلك الإنجاء العظيم الشأن والتنجية ﴿نُـجِى﴾ أي بمثل ذلك العظمة ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ إنجاءً عظيماً وننجِّيهم تَنجيةً عظيمة، ذِكرُ التَّنجيةِ أولاً يدلُّ على مثلها ثانياً، وذِكرُ الإنجاءِ ثانياً يدلُّ على مثله أولاً، وسرُّ ذلك الإشارةُ إلى شدَّةِ العنايةِ بالمؤمنين؛ لأنهم ليس لهم كصبر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام»[٤٩٧].

---

(٤٩٥) تفسير الطبري مج/٩ ج/١٧/ص٩٦، ٩٧.
(٤٩٦) الكشف ج/٢/ص٩١.
(٤٩٧) نظم الدرر ج/٥/ص١٠٦.

ويقول أبو السعود ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ : «وكذلك أي مثل ذلك الإنجاء الكامل ننجى المؤمنين من غموم دعوا الله تعالى فيها بالإخلاص لا إنجاء أدنى منه»(٤٩٨).

بالجمعِ بين القراءتين يستبشر المؤمنون بأنَّ الله ـ تعالى ـ يُنجيهم إنجاءً عظيماً كاملاً بسرعةٍ، وخفَّةٍ، ولطافةٍ، مرَّةً بعد مرَّةٍ، إنجاءً مُتكرِّراً كثيراً، إذا استغاثوا به، ودعوه بإخلاصٍ أنْ يكشف عنهم ما بهم من ضرّ، والله أعلم.

١٨ ـ قال تعالى: ﴿وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾﴾ [الأنبياء: ٩٥].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر ﴿وَحِرْمٌ﴾ بكسر الحاء وإسكان الراء من غير ألف.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿وَحَرَٰمٌ﴾ بفتح الحاء والراء وألف بعدها(٤٩٩).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«الحِرْمُ بالكسر والحَرامُ: نقيض الحلال وجمعه حُرُمٌ... وروي أَيضاً عن ابن عباس أَنه قال في قوله: ﴿وَحِرْمٌ على قرية أهلكناها﴾ قال: واجبٌ على قرية أَهلكناها أَنه لا يرجع منهم راجع أَي لا يتوب منهم تائب. والحَرام: ما حَرَّم اللهُ»(٥٠٠).

«والحرام: الشيء الممنوع»(٥٠١).

ثالثاً: التفسير:

تقَرِّرُ الآية سنةً في الكون قضاها الله تعالى وأنفذها في الكون

---

(٤٩٨) تفسير أبي السعود ج٤/ص٣٥٤.

(٤٩٩) انظر: النشر ج٢/ص٣٢٤.

(٥٠٠) لسان العرب ج١٢ ص١٣٩ ـ ١٤٧.

(٥٠١) التحرير والتنوير ج١٧/ص١٤٤.

والمخلوقات وهي عدم رجوع الكفار إلى الدنيا إذا نفذَ أمر الله تعالى بإهلاكهم.

يقول السعدي - رحمه الله - في تفسير قوله تعالى: ﴿وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾﴾: «أي: يمتنع على القرى المهلكة المعذبة، الرجوع إلى الدنيا، ليستدركوا ما فرطوا فيه فلا سبيل إلى الرجوع لمن أهلك وعذب، فليحذر المخاطبون، أن يستمروا على ما يوجب الإهلاك فيقع بهم، فلا يمكن رفعه، وليقلعوا وقت الإمكان والإدراك»[٥٠٢].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة الأولى ﴿وَحِرْمٌ﴾ وجوب عدم رجوع الكفار إلى الدنيا بعد إهلاكهم ليتداركوا ما فرَّطوا فيه، ووجوب رجوعهم إلى الله - تعالى - يوم القيامة للحساب والجزاء، على قول ابن عباس السابق أنَّ ﴿وَحِرْمٌ﴾ بمعنى واجب.

وأفادت القراءة الثانية ﴿وَحَرَٰمٌ﴾ امتناع رجوع الكفار إلى الدنيا وامتناع توبتهم بعد إهلاكهم، على أنَّ الحرام بمعنى الممتنع، أو نقيض الحلال، كما في المعنى اللغويّ للكلمة.

يقول الفخر الرّازي - رحمه الله - في قوله تعالى: ﴿وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾﴾: «فاعلم أنَّ قوله: ﴿وَحَرَٰمٌ﴾ خبر فلا بد له من مبتدأ وهو إما قوله: ﴿أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ أو شيء آخر، أما الأول فالتقدير أنَّ عدمَ رجوعهم حرامٌ أي: ممتنعٌ، وإذا كان عدم رجوعهم ممتنعاً، كان رجوعهم واجباً، فهذا الرجوع إما أنْ يكون المراد منه الرجوعُ إلى الآخرة، أو إلى الدنيا:

أما الأول: فيكون المعنى أنَّ رجوعَهم إلى الحياة في الدار الآخرة واجب، ويكون الغرضُ منه إبطالُ قولِ من ينكرُ البعث، وتحقيقُ ما تقدَّم أنَّه

(٥٠٢) تفسير السعدي ص ٥٣١.

لا كفران لسعي أحدٍ، فإنه سبحانه سيعطيه الجزاءَ على ذلك يومَ القيامة. . .
وأما الثاني: فيكون المعنى أنَّ رجوعَهم إلى الدنيا واجبٌ، لكن المعلوم أنَّهم لم يرجعوا إلى الدنيا، فعند هذا ذكر المفسرون وجهين:

الأول: أنَّ الحرام قد يجيء بمعنى الواجب، والدليل عليه الآية والاستعمال والشعر، أما الآية فقوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [الأنعام: ١٥١] وترك الشرك واجب وليس بمحرم، وأما الشعر فقول الخنساء[٥٠٣] ـ رضي الله عنها ـ:

وإن حراماً لا أرى الدهر باكياً على شجوه إلا بكيت على عمرو[٥٠٤]

يعني وإن واجباً، وأما الاستعمال فلأن تسمية أحد الضدين باسم الآخر مجاز مشهور كقوله تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠]، إذا ثبت هذا فالمعنى أنه واجب على أهل كل قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون. . .

الوجه الثاني: أنْ يُترَكَ قوله ﴿وَحَرَامٌ﴾ على ظاهره ويجعل في قوله: ﴿لَا يَرْجِعُونَ﴾ صلة زائدة كما أنه صلة في قوله: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ [الأعراف: ١٢] والمعنى حرام على قرية أهلكناها رجوعهم إلى الدنيا وهو كقوله: ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [يس: ٥٠] أو يكون المعنى وحرام عليهم رجوعهم عن الشرك وترك الأيمان، وهذا قول

(٥٠٣) هي تماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد الرياحية السُّلمية، من بني سُليم من قيس عيلان من مضر، الشهيرة بالخنساء، أشهر شواعر العرب وأشعرهن على الإطلاق، من أهل نجد عاشت أكثر عمرها في العصر الجاهلي، وأدركت الإسلام فأسلمت، لها موقف شجاع مشرِّف يوم القادسية حين استشهد أربعة من أبنائها، توفيت ـ رحمها الله ـ سنة أربع وعشرين للهجرة. انظر: الأعلام ج٢/ ص ٨٦.

(٥٠٤) البيت للخنساء من قصيدة رثت فيها أخاها عمرو حين مات في الجاهلية. ولم أقف على القصيدة فيما توفر لي من كتب الشعر الجاهلي، والبيت مذكور في لسان العرب وفي تفسير الرازي كما هو موثق في الهامش.

طائفة من المفسرين، وهذا كله إذا جعلنا قوله وحرام خبراً لقوله: ﴿أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾، أما إذا جعلناه خبراً لشيء آخر فالتقدير وحرام على قرية أهلكناها ذاك»(٥٠٥).

بالجمع بين القراءتين يكون في الآية حَثٌّ لكلِّ مُكَلَّفٍ بالإسراع في الطاعات، وتسخير ما أنعم الله عليه به من فراغٍ وصحَّةٍ وغنىً في فعل الخيرات، فالحياة الدنيا قصيرةٌ، والعمر ينقضي بسرعةٍ فائقة، وسوف يُسأل العبد عنه يوم القيامة، وفي الحديث (لن تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن شبابه فيما أبلاه وعن عمره فيما أفناه وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه)(٥٠٦).

كما يوجد في الآية تحذيرٌ للكفار والعصاة بأنَّهم لن يعودوا للحياة الدنيا بعد هلاكهم لاستدراك ما فاتهم، فقد قضى الله - ﷻ - بامتناع توبتهم أو رجوعهم بعد إهلاكهم، فامتنع بذلك رجوعهم للدنيا، ووجب رجوعهم إلى الله - تعالى - يوم القيامة للحساب فأصبح هذا وذاك حتماً لازماً، والله أعلم.

١٩ - قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ۝٩٦﴾ [الأنبياء: ٩٦].

أولاً: القراءات:

القراءات في ﴿فُتِحَتْ﴾:

١ - قرأ ابن عامر، وأبو جعفر، ويعقوب ﴿فُتِّحَتْ﴾ بتشديد التاء.

---

(٥٠٥) تفسير الرازي ج٢٢/ص٢٢٠، ٢٢١. وانظر: لسان العرب ج١٢/ص١٣٩ - ١٤٧.

(٥٠٦) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ج١٠ / ص٦٢٦ /ح١٨٣٧٢، وذكره الألباني بنحوه في صحيح الترغيب والترهيب ج٣/ص٢٢٧/ح ٣٥٩٣ وقال: صحيح لغيره. وانظر: مصنف ابن أبي شيبة ج ٧/ ص١٢٥/ ح ٣٤٦٩٤، وكنز العمال ج١٤/ ص٤٤٦/ ح ٣٩٠١١.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿فُتِحَتْ﴾ بتخفيف التاء[٥٠٧].

القراءات في ﴿يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾:

١.قرأ عاصم ﴿يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾ بالهمز.

٢.وقرأ الباقون ﴿يَاجُوجُ وَمَاجُوجُ﴾ بغير همز[٥٠٨].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

يأجوج: (أجج) الأَجِيجُ تَلَهُّبُ النار، الأَجَّةُ والأَجِيجُ صوت النار، وأَجَّجَ بينهم شَراً: أوقده، وأَجَّةُ القوم وأَجِيجُهم: اخْتِلاطُ كلامهم مع حَفيف مشيهم، وقولهم القومُ في أَجَّة أَي: في اختلاط، وجَأَجَ إِذا وقف جُبْناً، وأَجَّ الرَّجُلُ يَئِجُّ أَجِيجاً: صَوَّتَ، وأَجَّ يَؤُجُّ أَجّا: أَسرع، الأَجُّ: الإِسراعُ والهَرْوَلَةُ، والأَجِيجُ والأُجاجُ والائْتِجاجُ : شدَّةُ الحرِّ، وماءٌ أُجاجٌ أَي: ملح، وقيل مرٌّ وقيل: شديد المرارة، وقيل الأُجاجُ: الشديد الحرارة، وكذلك الجمع. قال الله ﷻ: ﴿وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ [الفرقان: ٥٣]، [فاطر: ١٢] وهو الشديد الملوحة والمرارة مثل ماء البحر[٥٠٩].

مأجوج: مجج: الماجُّ من الناسِ والإِبل: الذي لا يستطيعُ أَن يُمْسِكَ رِيقَه من الكِبَر، والماجُّ: الأَحمقُ الذي يَسيلُ لُعابُه، يقال: أَحمق ماجٌّ للذي يسيل لعابه، وقيل: هو الأَحمق مع هَرَم، وجمع الماجِّ من الإِبلِ: مَجَجةٌ، وجمع الماجِّ من الناس: ماجُّونَ، والماجُّ: البعير الذي قد أَسَنَّ وسالَ لُعابه، والماجُّ: الناقة التي تَكْبَرُ حتى تَمُجَّ الماءَ من حَلْقِها، والمَجَجُ: اسْترخاءُ الشِّدْقينِ نحو ما يَعْرِضُ للشيخ إِذا هَرِمَ، والمَجْمَجَةُ: تَغْييرُ الكِتابِ وإِفْسادُه عما كُتِبَ، وفي بعض الكتب: مُروا المَجّاجَ بفتح الميم أَي: مُروا الكاتب يُسَوِّدُه، سمِّي به لأَنَّ قَلَمَه يَمُجُّ المِدادَ، والمَجُّ والمُجاجُ: حَبٌّ كالعَدَسِ إِلا أَنَّه أَشدّ استدارةً منه، المَجَّةُ: حَمْضَةٌ تُشْبِهُ

(٥٠٧) انظر: النشر ج٢/ص ٢٥٨، ٣٢٤.

(٥٠٨) انظر: المرجع السابق ج١/ص٣٩٤، ج٢/ص٣٢٤.

(٥٠٩) انظر: لسان العرب ج٢/ص٢٣٤.

الطَّخْماءَ(٥١٠) غير أَنَّها أَلطف وأَصغر، وأَمَجَّ الفَرَسُ: جَرى جَرْياً شديداً، المُجُجُ: السُّكارى، والمُجُجُ: النَّحل، وأَمَجَّ الرجلُ: إِذا ذهبَ في البِلادِ، وأَمَجَّ إِلى بلدِ كذا: انْطَلَقَ، ومَجْمَجَ الكِتابَ: خَلَّطَه وأَفسَدَه، المَجْمَجَةُ: تَخْليطُ الكِتابِ وإِفسادُه بالقلم، ومَجْمَجْتُ الكِتابَ: إِذا ثَبَّجْتَه ولم تُبَيِّنِ الحروفَ، ومَجْمَجَ الرجلُ في: خَبرِه لم يبينه، ورجلٌ مَجْماجٌ كَبَجْباجٍ: كثيرُ اللحم غليظه(٥١١).

«**يأجوج ومأجوج**: قوم من المغول كثيرو الإفساد، قيل هم قبيلتان من ذرية يافث بن نوح»(٥١٢).

ثالثاً: التفسير:

تُصَوِّرُ هذه الآية إحدى علامات الساعة الكبرى وهي خروج قبيلتي يأجوج ومأجوج بعد فتح السد الذي كان يمنعهما من الخروج بإذن الله تعالى.

يقول السعدي(٥١٣)- رَحِمَهُ اللَّهُ -: «هذا تحذير من الله للناس أنْ يقيموا على الكفر والمعاصي، وأنَّه قد قرب انفتاح يأجوج ومأجوج، وهما قبيلتان عظيمتان من بني آدم، وقد سدّ عليهم ذو القرنين، لما شكي إليه إفسادهم في الأرض، وفي آخر الزمان، ينفتح السد عنهم، فيخرجون إلى الناس في هذه الحالة والوصف، الذي ذكره الله من كل مكان مرتفع، وهو الحدب (ينسلون) أي: يسرعون. وفي هذا دلالة على كثرتهم الباهرة، وإسراعهم في

(٥١٠) الطَّخْماءُ نَبْتةٌ سُهْلِيَّةٌ حَمْضِيَّةٌ، والطَّخْماء أَيضاً النَّجِيل، وهو خَيْر الحَمْض كُلِّه وليس له حَطبٌ ولا خَشَبٌ إنما يَنْبُتُ نباتاً تأكله الإبل. انظر: لسان العرب ج١٢/ صفحة ٤١٩.

(٥١١) انظر: لسان العرب ج٢/ص ٤٢٢، ٤٢٤.

(٥١٢) المبصر ج٦ / ص ٢٠.

(٥١٣) هو عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي التميمي: مفسّر، من علماء الحنابلة من أهل نجد، مولده ووفاته في عنيزة بالقصيم، وهو أول من أنشأ مكتبة فيها سنة ١٣٥٨هـ، له مؤلفات كثيرة، توفي سنة ١٣٦٧هـ. انظر: الأعلام ج٥/ ص ٣٤٠.

الأرض، إما بذواتهم، وإما بما خلق الله لهم من الأسباب التي تقرب لهم البعيد، وتسهل عليهم الصعب، وأنهم يقهرون الناس، ويعلون عليهم في الدنيا، وأنه لا يد لأحد بقتالهم»(٥١٤).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة ﴿فُتِّحَتْ﴾ التكثير والتكرير.

بينما أفادت قراءة ﴿فُتِحَتْ﴾ أنَّ سدّ يأجوج ومأجوجَ الذي يُفتح هو سدٌّ واحدٌ، ويفتح بكامله دفعة واحدة.

يقول مكي بن أبي طالب ـ رَحِمَهُ اللَّهُ **ـ:** «قرأ ابن عامر بالتشديد، وخفَّفَ الباقون، وهما لغتان، وفي التشديد معنى التكرير والتكثير، والتخفيف فيه أبيَنُ لأنَّ تقديره: حتّى إذا فُتِحَ سدُّ يأجوج. فهو واحد، فلا معنى للتكثير. وقيل: التشديد أقوى، لأنَّ ثَمَّ سدًّا وبناءً وردماً. فالفتح لأشياء مختلفة يكون، والتشديد أولى به»(٥١٥).

أمّا فيما يتعلّق بقراءة ﴿يَاجُوجُ وَمَاجُوجُ﴾ بغير همز فإنَّها تبيِّنُ اسم تينك القبيلتين المُفسدتين في الأرض، وهما اسمان أعجميّان لتينك القبيلتين، وقد يكون الاسمان عربيين وعندها فلهما اشتقاقٌ في العربية.

يقول ابن منظور: «**ويأْجُوجُ ومأْجُوجُ**: قبليتان من خلق الله جاءَت القراءَة فيهما بهمز وغير همز، قال: وجاءَ في الحديث (أَنَّ الخلق عشرة أَجزاء تسعة منها يأْجوجُ ومأْجوجُ)(٥١٦) وهما اسمان أَعجميان، واشتقاقُ مثلهما من كلام العرب يخرج من أَجَّتِ النارُ، ومن الماء الأُجاج وهو الشديد الملوحة المُحْرِقُ من ملوحته، قال: ويكون التقدير في يأْجُوجَ يَفْعول، وفي مأْجوج

---

(٥١٤) تفسير السعدي ص ٥٣١، وانظر: زهرة التفاسير مج٩/ ص٤٩١٧ ـ ٤٩١٨.

(٥١٥) الكشف ج٢/ص١١٤. وانظر: المغني لمحيسن ج٣/ص٤٤، والموضح ج٢/ص٨٦٨.

(٥١٦) أخرجه الحاكم في المستدرك، ج٤/ص٥٣٦، ح ٨٥٠٦، كتاب الفتن والملاحم، وقال: صحيح الإسناد.

مفعول كأنه من أَجِيج النار، قال: ويجوز أَنْ يكون يأجوج فاعولاً، وكذلك مأْجوج، قال: وهذا لو كان الاسمان عربيين لكان هذا اشتقاقهما، فأَمَّا الأَعْجَمِيَّةُ فلا تُشْتَقُّ من العربية، ومن لم يهمز وجعل الأَلفين زائدتين يقول: ياجوج من يَجَجْتُ، وماجوج من مَجَجْتُ وهما غير مصروفين قال رؤبة[517]:

لـو أَنَّ يَـاجُـوجَ ومَـاجـوجَ مـعـاً وعَادَ عادٌ واسْتَجاشُوا[518] تُبَّعا[519][520]

بينما قراءة ﴿يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾ بالهمز فإنها تشيرُ إلى صفات تينك القبيلتين.

وقد جاء في حديثٍ لرسول الله ﷺ ذكر بعض صفاتهم في قوله ﷺ: (... ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها ويمر آخرهم فيقولون لقد كان بهذه مرة ماء ويحصر نبي الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مائة دينار لأحدكم اليوم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه فيرسل الله عليهم النغف[521] في رقابهم فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة ثم يهبط

(517) هو رؤبة بن عبد الله العجاج بن رؤبة التميمي السعدي، أبو الجحّاف، أو أبو محمد: من الفصحاء المشهورين، ومن مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، كان أكثر مقامه في البصرة، وأخذ عنه أعيان أهل اللغة، وكانوا يحتجُّون بشِعره، ويقولون بإمامته في اللغة، مات في البادية، وقد أسنّ سنة ١٤٥هـ. انظر: الأعلام ج٣/ ص٣٤.

(518) «اسْتَجاشَه: أَي طَلب منه جيشاً». لسان العرب ج٦/ ص٢٧٧.

(519) البيت لرؤبة من ديوانه، ولم أقف على ديوانه، ولكن بيت الشعر موجود في تهذيب الآثار ج١/ ص١٠١.

(520) لسان العرب ج٢ /ص ٢٣٤.

(521) «النَّغَفُ بفتحتين وغين معجمة الدود الذي يكون في أُنوف الإبل والغنم الواحدة نَغَفَةٌ بفتحتين أيضا قال أبو عبيد وهو أيضا الدود الأبيض الذي يكون في النوى إذا أُنقع وفي الحديث (إن يأجوج ومأجوج يسلط عليهم النَّغَفُ فيأخذ في رقابهم)». مختار الصحاح ص ٦٨٨.

نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم[٥٢٢] ونتنهم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله فيرسل الله طيراً كأعناق البخت[٥٢٣] فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله . . .)[٥٢٤].

يقول ابن عطية ـ رحمه الله ـ: «يأجوج ومأجوج: قبيلتان من بني آدم لكنهم ينقسمون أنواعاً كثيرة، اختلف الناس في عددها، فاختصرت ذكره لعدم الصحة، وفي خلقهم تشويه: منهم المفرط الطول، ومنهم مفرط القصر، على قدر الشبر، وأقل، وأكثر، ومنهم صنف: عظام الآذان، الأذن الواحدة وبرة، والأخرى زعرى يصيف بالواحدة ويشتو في الأخرى، وهي تعمه»[٥٢٥].

ويقول أبو السعود ـ رحمه الله ـ في يأجوج ومأجوج: «قد ذكرنا أنهما من أولاد يافث بن نوح عليه السلام . . .، واختلف في صفاتهم فقيل في غاية صغر الجثة وقصر القامة لا يزيد قَدّهم على شبرٍ واحدٍ، وقيل: في نهايةِ عِظَمِ الجسمِ وطولِ القامةِ تبلغُ قدودُهم نحو مائةٍ وعشرين ذراعاً، وفيهم من عَرَضِه كذلكَ، وقيل لهم مخالبُ وأضراسٌ كالسباع.

وهما اسمان أعجميان بدليل منع الصرف، وقيل عربيان من أج الظليم إذا أسرع وأصلهما الهمزة ـ كما قرأ عاصم ـ وقد قرئ بغير همزة، ومنع صرفهما للتعريف والتأنيث يفسدون في الأرض أي في أرضنا بالقتل والتخريب وإتلاف الزروع قيل كانوا يخرجون أيام الربيع فلا يتركون أخضر إلا أكلوه ولا يابساً إلا احتملوه، وقيل كانوا يأكلون الناس أيضاً»[٥٢٦].

---

(٥٢٢) زهمهم: «ز هـ م: الزُّهْمةُ: الريح المنتنة». مختار الصحاح ص٢٨٠.

(٥٢٣) البخت: «البُخْتِيَّةُ الأُنثى من الجمال البُخْتِ وهي جمالٌ طوالُ الأَعْناق ويُجْمَع على بُخْتٍ وبَخَاتٍ وقيل الجمع بَخاتيُّ غير مصروف». لسان العرب ج٢/ ص١٠.

(٥٢٤) أخرجه مسلم في صحيحه ج٤/ص٢٢٥٠/ح٢٩٣٧، كتاب: الفتن وأشراط الساعة، باب: في صفة الدجال.

(٥٢٥) المحرر الوجيز ج٣/ ص ٥٤٢.

(٥٢٦) تفسير أبي السعود ج ٤ / ص٥٣١.

بالجمع بين القراءات الأربع نجد أنَّ في الآية تحذيراً لكلِّ البشر من شرٍ اقترب وهو فتح السد الذي يحجزُ تينك القبيلتين المسميتين يأجوج ومأجوج، واللتين تتصفان بصفاتٍ كثيرةٍ أذكر منها ما أعانني الله - تعالى - على استنباطه من أقوال علماء اللغة والمفسرين وهي:

١ - هم خلقٌ كثيرو العدد حيث ورد أنَّهم تسعة أعشار البشر، ولا يموت الرجل منهم حتى يرى ألفاً من صلبه.

٢ - يتَّصفون بالجُبن والحمق والشراهة حتى إنَّ أحدهم لا يستطيع أن يمسك لعابه عن السيلان.

٣ - منهم مفرط الطول، ومنهم مفرط القصر ومنهم المتوسط، كما أنَّ الغالب على أجسادهم كثرة اللحم وغلظته، ومنهم صنف: عظام الآذان، الأذن الواحدة وبرة[٥٢٧] والأخرى زعرى[٥٢٨] يصيف بالواحدة ويشتو في الأخرى وهي تَعُمُّه[٥٢٩].

٤ - منهم من يتَّصف باسترخاء الشدقين كما الرجل الكبير الهرم.

٥ - سريعون في مشيتهم وتشبه مشيتهم مشية الذئب، ينسلون من الهضاب والمرتفعات كما في قوله تعالى ﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾، وهم يذهبون في البلاد وينطلقون فيها.

٦ - حيثما حلُّوا يَحُلُّ الخراب والدمار فهم يُدَمِّرون كلَّ شيءٍ ويأكلون الأخضر واليابس، ولا يُبقون على شيء، وقد قيل إنَّهم يأكلون البشر أيضاً.

٧ - تأثيرهم مثل أجيج النار والماء الأجاج، وإنَّ في تسميتهم بهذا الاسم نوعاً من الإعجاز، فاسمهم يدل عليهم وجميع ما ذكرتُه من صفات فمن المعنى الاشتقاقي، فمثلاً يأجوج: من أَجَّتِ النارُ أو الماء الأُجاج وهو

(٥٢٧) وبرة: «الوَبَرُ للبعير كالصُّوف للغنم». انظر: المصباح المنير ج٢/ص٦٤٦.

(٥٢٨) زعرى: «ز ع ر: الزَّعَرُ: قلة الشعر». مختار الصحاح ص٢٨٠.

(٥٢٩) تعمُّه: «عَمَّ الشيء يعم بالضم عُمُوماً أي شمل الجماعة». مختار الصحاح ص٤٦٧.

الشديد الملوحة المُحْرِقُ من ملوحته. والله ـ تعالى ـ أعلم.

٢٠ ـ قال تعالى: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٣].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ أبو جعفر ﴿يُحْزِنُهُمُ﴾ بضم الياء وكسر الزاي.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿يَحْزُنُهُمُ﴾ بفتح الياء وضمّ الزاي[٥٣٠].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«الحُزْنُ والحَزَنُ نقيضُ الفرَح وهو خلافُ السُّرور... والمثالان يَعْتَقِبان هذا الضَّرْبَ باطِّرادٍ، والجمعُ أَحْزانٌ لا يكسَّر على غير ذلك، وقد حَزِنَ بالكسر حَزَناً، وتحازَنَ، وتحَزَّن، ورجل حَزْنانٌ ومِحْزانٌ: شديد الحُزْنِ، وحَزَنَه الأمرُ يَحْزُنُه حُزناً، وأَحْزَنَه فهو مَحْزونٌ ومُحْزَنٌ وحَزِينٌ وحَزِنٌ الأخيرة على النَّسب من قوم حِزانٍ وحُزَناءَ، الجوهري: حَزَنَه لغةُ قريش وأَحْزَنه لغةُ تميم وقد قرئ بهما»[٥٣١].

«والفزع: نفرة النفس وانقباضها مما تتوقع أن يحصل لها من الألم وهو قريب من الجَزع»[٥٣٢].

ثالثاً: التفسير:

يكون المؤمن يوم القيامة آمناً من فزع ذلك اليوم الذي يهابه كل مخلوق، حيث تستقبلهم الملائكة عند خروجهم من قبورهم لتبشِّرهم بما أعدَّ الله لهم من النعيم.

يقول السعدي ـ رحمه الله ـ في تفسير قوله تعالى: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ

(٥٣٠) انظر: النشر ج٢/ص٢٤٤، ٣٢٤.

(٥٣١) لسان العرب ج١٣/ص١٣٤.

(٥٣٢) التحرير والتنوير ج١٧/١٥٦.

﴿ٱلۡأَكۡبَرُ﴾: «أي: لا يقلقهم إذا فزع الناس أكبر فزع، وذلك يوم القيامة، حين تقرب النار، تتغيظ على الكافرين والعاصين فيفزع الناس لذلك الأمر، وهؤلاء لا يحزنهم، لعلمهم بما يقدمون عليه، وأنَّ الله قد أمَّنهم مما يخافون. ﴿وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ إذا بعثوا من قبورهم، وأتوا على النجائب وفداً، لنشورهم، مهنئين لهم قائلين: ﴿هَٰذَا يَوۡمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ﴾ فلْيُهْنِكم ما وَعَدكم الله، وليعظم استبشاركم، بما أمامكم من الكرامة، وليكثر فرحكم وسروركم، بما أمَّنكم اللهُ من المخاوف والمكاره»(٥٣٣).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيد القراءة الأولى ﴿يُحْزِنُهُمُ﴾ عدم تعرض المؤمنين لأدنى وأخف أنواع الحَزَن.

في حين تفيد القراءة الثانية ﴿يَحۡزُنُهُمُ﴾ أنَّ المؤمنين في أمانٍ من هذا الفزع الأكبر مهما اشتدَّ وكان كبيراً، أي أنَّه لا يَفزع فزعاً شديداً.

يقول ابن منظور ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: «للعرب في الحُزن لغتان: إذا فَتَحوا ثَقَّلوا، وإذا ضَمُّوا خفَّفوا؛ يُقال: أصابه حَزَنٌ شديد»(٥٣٤).

يقول الطبري ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: قوله: (لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الأكْبَرُ) يعني النفخة الآخرة. وقال آخرون: بل ذلك حين يؤمر بالعبد إلى النار... وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: ذلك عند النفخة الآخرة، وذلك أن من لم يحزنه ذلك الفزع الأكبر وأمن منه، فهو مما بعدَه أحرَى أن لا يَفزَع، وأن من أفزعه ذلك فغيرُ مأمونٍ عليه الفزعُ مما بعده(٥٣٥).

ويقول أبو السعود ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: «وقوله تعالى: ﴿لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ﴾ بيانٌ لنجاتهم من الأفزاع بالكلية بعد بيان نجاتِهم من النار، لأنهم

(٥٣٣) تفسير السعدي ص ٥٣١.

(٥٣٤) لسان العرب ج١٣/ص١٣٤.

(٥٣٥) انظر: تفسير الطبري مج٩/ج١٧/ص١١٨.

إذا لم يُحزُنْهم أكبرُ الأفزاع لا يحزنهم ما عداه بالضرورة»[٥٣٦].

بالجمع بين القراءتين يتَّضح أنَّ المؤمن يوم القيامة لا يُصيبه أيّ نوعٍ من أنواع الفزع، سواءً أكان خفيفاً أم ثقيلاً، وهذه بشارةٌ للمؤمن الذيَ يخشى الله ـ تعالى ـ في الدنيا بأنْ يؤمِّنه الله ـ تعالى ـ يوم القيامة من أي نوع من أنواع الفزع، والله أعلم.

٢١ ـ قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

أولاً: القراءات:

القراءات في ﴿نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ﴾:

١ ـ قرأ أبو جعفر ﴿تُطْوَى السَّمَاءُ﴾ بالتاء مضمومة على التأنيث وفتح الواو ورفع السماء.

٢ ـ وقرا الباقون ﴿نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ﴾ بالنون مفتوحة وكسر الواو، ونصب السماء.

القراءات في﴿لِلْكُتُبِ﴾:

١ ـ قرأ حمزة والكسائي وخلف وحفص ﴿لِلْكُتُبِ﴾ بضمّ الكاف والتاء من غير ألف على الجمع.

٢ ـ وقرا الباقون ﴿لِلْكِتابِ﴾ بكسر الكاف وفتح التاء مع الألف على الإفراد[٥٣٧].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

طوَى: الطَّيُّ: نقيضُ النَّشر[٥٣٨].

---

(٥٣٦) تفسير أبي السعود ج ٤ / ص ٣٦٠.
(٥٣٧) انظر: النشر ج٢/ص ٣٢٤، ٣٢٥.
(٥٣٨) انظر: لسان العرب ج١٥/ص١٩.

السِّجِلُّ: كتاب العهد ونحوه، والجمع: سجِلَّات... وجاء في التفسير: أنَّ السِّجِلَّ الصحيفة التي بها الكتاب، وقيل السِّجِلّ ملَك، وقيل السِّجِلُّ بلغة الحبش: رجل[539]. الكتاب: «كَتَبَ: من باب نَصَرَ وكِتَّاباً أيضاً وكِتَّابةً، والكِتابُ أيضاً: الفرض والحكم والقدر»[540].

ثالثاً: التفسير:

تصف هذه الآية مشهداً من مشاهد يوم القيامة حيث تُطوى السَّماءُ كما تُطوَى الصحيفة.

يقول الطاهر ابن عاشور - رَحِمَهُ اللَّهُ -: «وقد رُتِّب نظم الجملة على التقديم والتأخير لأغراض بليغة. وأصل الجملة: نعيدُ الخلقَ كما بدأنا أولَ خلقٍ يومَ نطوي السماءَ كطيِّ السجلِّ للكتاب وعْداً علينا. فحُوّل النظمُ فقدِّمَ الظرفُ باديءَ ذي بَدءٍ للتشويقِ إلى متعلِّقِه، ولِمَا في الجملةِ التي أُضِيفَ إليها الظرفُ من الغرابةِ والطِّباقِ، إذ جعل ابتداءُ خلقٍ جديدٍ وهو البعثُ مؤقَّتاً بوقتِ نقضِ خَلقٍ قديم وهو طيُّ السماء، وقدَّم ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ﴾ وهو حال من الضمير المَنصوب في ﴿نُّعِيدُهُۥ﴾ للتعجيل بإيراد الدليل قبل الدعوى لتتمكن في النفس فضلَ تمكّن. وكل ذلك وجوه للاهتمام بتحقيق وقوع البعث، فليس قوله: ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ﴾ متعلقاً بما قبله من قوله تعالى: ﴿وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ وعقب ذلك بما يفيد تحقق حصول البعث من كونه وعداً على الله بتضمين الوعد معنى الإيجاب، فعدي بحرف (على) في قوله تعالى: ﴿وَعْدًا عَلَيْنَآ﴾ أي حقاً واجباً وجملة ﴿إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ مؤكّدة بحرف التوكيد لتنزيل المخاطبين منزلة من ينكر قدرة الله لأنهم لما نَفَوا البعث بعلة تعذر إعادة الأجسام بعد فنائها فقد لزمهم إحالتهم ذلك في جانب قدرة الله»[541].

(٥٣٩) انظر: المرجع السابق ج١١/ص٣٩٠.

(٥٤٠) مختار الصحاح ص٥٨٦.

(٥٤١) التحرير والتنوير ج١٧/١٥٨.

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة الأولى ﴿تُطْوَى السَّمَاءُ﴾ على البناء للمفعول أنَّ السماء يوم القيامة تتلاشى وتُطوَى كطيِّ السجِلِّ للكُتُب، وفيها تعظيم شأن السماء.

«إنَّها صورة كونيةٌ هائلة، اختُصرت في كلمة واحدة ﴿تُطْوَى﴾، عمليةٌ هائلةٌ وعظيمةٌ هي حدث انهيار الكون يوم القيامة فجاء التعبير القرآنيُّ المعجزُ وعبَّر عنها هذا التعبير العجيب»(٥٤٢).

وأفادت القراءة الثانية ﴿نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ﴾ بالبناء للفاعل تعظيم الخالق - ﷻ - بتخصيصَ فعلِ طيِّ السماءِ بالخالق - ﷻ - مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٦٧﴾ [الزمر: ٦٧].

أمّا بالنسبة لكلمة ﴿لِلْكُتُبِ﴾ فأفادت القراءة الأولى ﴿لِلْكُتُبِ﴾ بالجمع أنَّ السماوات جميعها هي التي ستُطوَى وليس سماءً واحدةً.

بينما أفادت القراءة الثانية ﴿لِلْكِتابِ﴾ بالإفراد أنَّ كلَّ سماءٍ من السموات السبع ستُطوَى كما يَطوي الطاوِي السِّجلّ فيه الكتاب.

يقول مكّي بن أبي طالب - رَحِمَهُ ٱللَّهُ -: «وحجّة من وحّدَ أنَّ ابن عباس قال: السِّجل الرَّجُل، فالتقدير: كطيِّ الرّجل الصحيفة... السِّجِل مَلَك يطوي الكتاب. فيكون (طي) على هذين القولين مضافاً إلى الفاعل، واللام في (للكتاب) زائدة... السِّجل الصحيفة بعينها، والمعنى: كطيّ الصحيفة فيها الكتب. فيكون المصدر مُضافاً إلى الفعل. والتقدير: كطيّ الطاوي السِّجِل فبه الكتب أي يدرج الكتب فيها. وتكون اللام غير زائدة، دخلت للتعدِّي، أي قد تعدَّت الطّيّ إلى مفعول وهو السِّجِل، فيكون التوحيد على لفظ السماء، شبَّه تعالى ذكره، طيّه للسماء كطيّ المَلَك للكتاب.

وحجّة من قرأ بالجمع أنَّ لفظ السماء موحّد، يراد به الجمع، لأنَّ

(٥٤٢) صور من سور القرآن ص١٠٦.

السموات كلّها تُطوَى، ليس تُطوَى سماء واحدة، بدليل قوله تعالى ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦٓ﴾ [الزمر: ٦٧] وإذا كان السماء يُراد بها الجمع، فمعناه: يوم نطوي السماوات كطيّ المَلَك للكُتُب، فأنّث الكتب بالجمع... فالقراءة الأولى محمولة على لفظ السماء في التوحيد»[٥٤٣].

بالجمع بين القراءات الأربع يُلاحَظ أنّ الآية تُصوِّرُ مشهداً من مشاهد يوم القيامة حين يطوي الله ـ سبحانه وتعالى ـ كلّ سماء من السماوات السبع، كطيّ المَلَك للكُتُب، فليحذر المخالفون لأوامر الله ـ تعالى ـ العاصون له ذلك اليوم العصيب، وليملأ المؤمنون قلوبهم بخشيته ـ تعالى ـ ليؤمّنهم فزع ذلك اليوم ويجزيهم الجزاء الأوفى، والله أعلم.

٢٢ ـ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٥].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ حمزة وخلف ﴿ٱلزُّبُورِ﴾ بضم الزاي.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿ٱلزَّبُورِ﴾ بفتح الزاي[٥٤٤].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

زَبَرَ: «الزِّبْرُ بالكسر: الكتاب، والجمع زُبُورٌ كقِدْرٍ وقُدُور، ومنه قرأ بعضهم ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زُبُورًا﴾ والمِزْبَرُ كالمبضع: القلم، والزَّبُورُ: الكتاب، وهو فَعول بمعنى مَفعول من زَبَرَ، والزَّبور أيضا كتابُ داود عَلَيْهِ السَّلَامُ»[٥٤٥].

ثالثاً: التفسير:

في الآية بشارةٌ للمؤمنين من الله ـ عز وجل ـ بما قضَى به، وكتبَه في أمّ الكتاب، ومن ثَمَّ في الكتب المُقَدَّسةِ أنّ الأرضَ يرثُها عبادُه الصالحون.

---

(٥٤٣) الكشف ج٢/ص١١٤، ١١٥.

(٥٤٤) انظر: النشر ج٢/ص٢٥٣.

(٥٤٥) مختار الصحاح ص ٢٨٠.

يقول أبو السعود ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ﴾ هو كتاب دواد عَلَيْهِ السَّلَامُ وقيل هو اسم لجنس ما أنزل على الأنبياء عليهم السلام من بعد الذكر أي: التوراة، وقيل: اللوح المحفوظ، أي: وبالله لقد كتبنا في كتاب داود بعد ما كتبنا في التوراة أو كتبنا في جميع الكتب المنزلة بعدما كتبنا وأثبتنا في اللوح المحفوظ أنَّ الأرض يرثها عبادي الصالحون، أي عامة المؤمنين بعد إجلاء الكفار وهذا وعد منه تعالى بإظهار الدين وإعزاز أهله»(٥٤٦).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة الأولى ﴿الزُّبُورِ﴾ أنَّ الله ـ تعالى ـ بعظمته وجلاله قد كتب في الكتب السماويّة المُنَزَّلةِ ما كان قد كتبه وأثبته في اللوح المحفوظ أنَّ أرض الجنة يرثُها عبادُ الله الصالحون، ويكون الخطاب بذلك عامًّا في جميع المؤمنين.

بينما أفادت القراءة الثانية ﴿الزَّبُورِ﴾ تخصيص الزَّبور بكتاب داود عَلَيْهِ السَّلَامُ وتخصيص الذكر بالتوراة وتخصيص الأرض بالأرض المقدَّسة، وعلى ذلك يكون الخطاب الذي كان خاصًا ببني إسرائيل قد أصبح عاماً في جميع الصالحين.

يقول الطاهر بن عاشور ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «وقرأ الجمهور ﴿فِي الزَّبُورِ﴾ بصيغة الإفراد وهو اسم للمزبور، أي المكتوب، فعول بمعنى مفعول، مثل: ناقة حَلوب ورَكوب. وقرأ حمزة بصيغة الجمع: زُبور بوزن فعول جمع زِبْر بكسرٍ فسكونٍ، أي: مزبور، فوزنه مثل قِشر وقُشور، أي: في الكتب. فعلى قراءة الجمهور هو غالبٌ في الإطلاقِ على كتابِ داوودَ، قال تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ [النساء: ١٦٣]، [الإسراء: ٥٥]، فيكون تخصيص هذا الوعد بكتاب داوود لأنَّه لم يذكر وعْد عامّ للصالحين بهذا الإرث في الكتب السماوية قبله. وما ورد في التوراة فيما حكاه القرآن من قول موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ [الأعراف: ١٢٨] فذلك

---

(٥٤٦) تفسير أبي السعود ج٤/ص٣٦١، وانظر: تفسير سفيان الثوري ص٢٠٦.

خاص بأرض المقدس وبني إسرائيل»(٥٤٧).

بالجمع بين القراءتين يُرَى أنَّ الله تعالى يعد وعداً عاماً يُبَشِّرُ به الصالحين من عباده في الزابور وفي جميع الكُتُب المُنَزَّلةِ بعده بما أثبته في اللوح المحفوظ، بأنَّهم سيرثون في هذه الحياة الدنيا الأرضَ المُقدَّسة التي كانت لبني إسرائيل حال كانوا صالحين، كما يبشرهم بأنَّهم هم الذين سيرثون أرض الجنَّة في الحياة الآخرة، والله أعلم.

٢٣ ـ قال تعالى: ﴿قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [الأنبياء: ١١٢].

أولاً: القراءات:

القراءات في ﴿قَٰلَ﴾:

١ ـ قرأ حفص ﴿قَٰلَ﴾ بالألف على الخبر.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿قُلْ﴾ على الأمر من غير ألف.

القراءات في ﴿رَبِّ ٱحْكُم﴾:

١ ـ قرأ أبو جعفر ﴿رَبُّ ٱحْكُم﴾ بضم الباء.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿رَبِّ ٱحْكُم﴾ بكسر الباء.

القراءات في ﴿تَصِفُونَ﴾:

١ ـ قرأ الصوري عن ابن ذكوان ﴿يَصِفُونَ﴾ بالغيب.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿تَصِفُونَ﴾ بالخطاب(٥٤٨).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

الربُّ: المالك، والخالق، والصاحب، والمصلح للشيء(٥٤٩).

---

(٥٤٧) التحرير والتنوير ج١٧/١٦٢.

(٥٤٨) انظر: النشر ج٢/ص٣٢٥.

(٥٤٩) انظر: مجمل اللغة ص ٣٧٠.

احكم: «الحُكْمُ: العِلْمُ والفِقْهُ والقَضاءُ بالعَدْل»[550].

تصفون: «(وصف): وصَف الشيءَ له وعليه وصْفاً وصِفةً حَلّاه والهاء عوض من الواو وقيل الوصْف المصدر والصِّفةُ الحِلْية. . . الوصف وصفك الشيء بحِلْيته ونَعْته وتواصَفُوا الشيءَ من الوصف وقوله ﷻ وربُّنا الرحمن المُستعان على ما تصفون أَراد ما تصفونه من الكذب واستَوْصَفَه الشيءَ سأَله أَن يَصفه له»[551].

ثالثاً: التفسير:

يدعو النبيّ ﷺ ربَّه أنْ يُعَجِّل العذاب لمشركي مكة، ويستعينُ به على ما يصفونه به من الكذب.

يقول الطبري ـ رحمه الله ـ في تفسير هذه الآية: «يقول تعالى ذكره: قل يا محمد: يا رب افصل بيني وبين من كذّبني من مشركي قومي وكفر بك وعبد غيرك بإحلال عذابك ونقمتك بهم وذلك هو الحق الذي أمر الله تعالى نبيه أن يسأل ربه الحكم به وهو نظير قوله جل ثناؤه ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ﴾ [الأعراف: ٨٩]. . . وقل يا محمد: وربنا الذي يرحم عباده ويعمُّهُم بنعمته، الذي أستعينُه عليكم فيما تقولون وتصفون من قولِكم لي فيما أتيتُكم به من عند الله ﴿هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ [الأنبياء: ٣] وقولكم ﴿بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ﴾ [الأنبياء: ٥] وفي كذبكم على الله جل ثناؤه وقيلكم ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۝٨٨﴾ [مريم: ٨٨]، [الأنبياء: ٢٦] فإنَّه هيِّنٌ عليه تغيير ذلك وفصلُ ما بيني وبينكم بتعجيل العقوبة لكم على ما تصفون من ذلك»[552].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة الجمهور ﴿قُلْ﴾ على الأمر أنّ الله ـ تعالى ـ أمر سيّدنا

---

(٥٥٠) لسان العرب ج١٢/ص١٦٣. وانظر: روح المعاني ج١٧/ص١٦٠.

(٥٥١) لسان العرب ج٩/ص٤٢٥.

(٥٥٢) تفسير الطبري مج٩/ج١٧/ص ١٢٩، ١٣٠ (بتصرف).

محمداً ﷺ أن يدعوه - تعالى - بتعذيب مشركي قومه.

وأفادت قراءة حفص ﴿قَالَ﴾ بالألف على الخبر أنَّه ﷺ امتثل لأمر الله تعالى فقال ما أمره الله - تعالى - بقوله.

يقول الشنقيطي - رحمه الله -: «وقراءة الجمهور تدل على أنه ﷺ أمر أن يقول ذلك. وقراءة حفص تدل على أنه امتثل الأمر بالفعل»(٥٥٣).

أمّا قراءة ﴿رَبِّ ٱحْكُمْ﴾ بكسر الباء فإنّها تفيد الدعاء بتعجيل إيقاع العذاب من الله - تعالى - بمشركي مكة وذلك أنَّ الاجتزاء بالكسرة عن الياء فيه سرعةٌ في النطق وهو يدلُّ على طلب السرعةِ في الفعل، وذلك باستعجال العذاب لمشركي مكة.

في حين تفيد قراءة ﴿رَبُّ ٱحْكُم﴾ أنَّ العذاب المرجوّ أنْ يقعَ بهم هو العذاب الشديد دون غيره وذلك أنَّ الضمَّةَ هيَ أقوى الحركات وتدلُّ على القوّة والشِّدَّة.

يقول الألوسي: «وقرأ أبو جعفر (ربُّ) بالضّم على أنَّه منادَى مُفرَد - كما قال صاحب اللوامح(٥٥٤) - وتعقَّبه بأنَّ حذف حرف النداء من اسم الجنس شاذٌّ بابُه الشعر، وقال أبو حيان: إنه ليس بمنادى مفرد بل هو منادى مضافٌ إلى الياء حُذِفَ المضاف إليه وبُنِيَ على الضمِّ كقبلُ وبعدُ، وذلك لغةٌ حكاها سيبويه في المضاف إلى ياء المتكلم حالَ ندائِه ولا شذوذَ فيه»(٥٥٥).

ويقول الدكتور فاضل السامرائي: «إنَّ الضَّمة أقوَى الحركات وأثقلها»(٥٥٦).

أمّا قراءة ﴿تَصِفُونَ﴾ بالغيب والخطاب ففي القراءة بالخطاب تناسب مع

---

(٥٥٣) أضواء البيان ج ٤ / ص ٦٩٦.
(٥٥٤) سبق التعريف به. انظر: ص٣٥.
(٥٥٥) روح المعاني ج١٧/ص١٦٠.
(٥٥٦) بلاغة الكلمة ص١١٤.

ما تقدّم من الآيات وفيه إيحاء بالمواجهة مع الكفار، وفي القراءة بالغيب تحقيرٌ للكفار.

يقول أبو حيان ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: «وقرأ الجمهور ﴿تَصِفُونَ﴾ بتاء الخطاب. وروي أنَّ النبيّ ﷺ قرأ على أُبيّ ﴿عَلَى مَا يَصِفُونَ﴾ بياء الغيبة، ورُوِيَت عن ابن عامر وعاصم»[٥٥٧].

بالجمع بين القراءات الست يتبيَّن أنَّ الله ـ تعالى ـ أمر سيدنا محمداً ﷺ بالدعاء وقد استجاب لأمر الله ـ تعالى ـ فدعا بالتعجيل بالعذاب الشديد من الله القويّ العزيز على مشركي قومه، والاستعانة به تعالى على ما يصفه به هؤلاء الكفار المحتَقَرون من الأوصاف التي يفترونها على شخصه الكريم ﷺ، والله أعلم.

(٥٥٧) البحر المحيط ج ٨ / ص ١٩٦.

الفصل الثالث

تفسير سورة (الحج) من خلال القراءات القرآنية العشر

ويشتمل على مبحثين هما:

المبحث الأول: تعريف بسورة (الحج).

المبحث الثاني: عرض وتفسير لآيات سورة (الحج) المتضمنة للقراءات القرآنية العشر.

المبحث الأول
التعريف بسورة الحج

ويشتمل على النقاط التالية:

أولاً: اسم السورة.

ثانياً: نوع السورة.

ثالثاً: عدد آيات السورة.

رابعاً: فضائل السورة.

خامساً: مناسبة السورة لما قبلها.

سادساً: هدف السورة وأغراضها.

سابعاً: محور السورة.

ثامناً: مضمون السورة وما اشتملت عليه.

المبحث الأول
التعريف بسورة الحج

أولاً: اسم السورة:

تُسَمَّى هذهِ السورةُ بسورةِ الحج، وذلك تخليداً لدعوة خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام، حيثُ بنَى إبراهيمُ عليه السلام الكعبةَ وأمرَه الله ـ تعالى ـ أنْ يُؤَذِّنَ في النَّاسِ بالحَجِّ، وأَسمعَ صوتَه جميعَ المخلوقاتِ فأجابوا نداءَه قائلين: (لبَّيْكَ اللهمَّ لبَّيْك).

يقول الطاهر بن عاشور ـ رحمه الله ـ: «ليس لهذه السورة اسم غير هذا، ووجهُ تسميتِها سورة الحجِّ أنَّ الله ذكرَ فيها كيفَ أمرَ إبراهيمَ عليه السلام بالدعوةِ إلى حجِّ البيتِ الحرامِ، وذكرَ ما شرعَ للناسِ يومئذٍ من النُّسك تنويهاً بالحجّ وما فيه من فضائلَ ومنافع وتقريعاً للذين يصدُّون المؤمنين عن المسجدِ الحرام، وإنْ كان نزولُها قبلَ أنْ يُفرَضَ الحجُّ على المسلمين بالاتفاق، وإنما فُرِضَ الحجُّ بالآيات التي في سورة البقرة وفي سورة آل عمران»(٥٥٨).

ثانياً: نوع السورة:

اشتملت هذه السورة على آياتٍ مدنيَّةٍ إلى جانبِ الآياتِ المكية حيثُ يغلبُ على موضوعاتها التوحيد وإثبات البعث وهذه من موضوعات القرآن

(٥٥٨) التحرير والتنوير مج٨/ج١٧/ص١٧٩. وانظر: التفسير المنير ج١٧/ص١٤٨. وصفوة التفاسير ج٢ / ص٢٤١. والمبصر ج٦/ ص ٩٣.

المكّي، في حين اشتملت على الإذن بالقتال وهذا لم يَكُن إلاَّ في العهد المدني.

يقول القرطبي ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: «وهي مكيّةٌ سوَى ثلاث آيات: قوله تعالى: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ﴾ إلى تمام ثلاث آيات قاله ابن عباس ومجاهد، وعن ابن عباس أيضاً أنهن أربع آيات إلى قوله: ﴿عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ وقال الضحاك وابن عباس أيضا: هي مدنية ـ وقاله قتادة ـ إلا أربع آيات: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾ إلى ﴿عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ فهنَّ مكّيَّاتٍ، وعَدَّ النَّقاشُ[559] ما نَزَل بالمدينةِ عشرَ آياتٍ، **وقال الجمهور:** السورةُ مختَلَطَةٌ منها مكّي ومنها مَدَنِي، وهذا هو الأصَحُّ؛ لأنَّ الآيات تَقتَضِي ذلك لأنَّ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ مكّي و﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ مدنيّ»[560].

ويوضِّح الشهيدُ سيّد قطب ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ ذلك قائلاً: «هذه السورةُ مُشتَرَكةٌ بينَ مكّيَّةٍ ومدنيَّةٍ كما يبدو من دلالةِ آياتِها. وعلى الأخصّ آياتُ الإذنِ بالقتال. وآياتُ العقابِ بالمِثْل. فهيَ مدنيَّةٌ قطعاً. فالمسلمون لم يُؤذَن لهم في القتالِ والقصاصِ إلاَّ بعدَ الهجرة، وبعدَ قيام الدولةِ الإسلاميةِ في المدينة. أمَّا قبلَ ذلكَ فقد قال رسول الله ﷺ ـ حين بايَعه أهلُ يثرب، وعَرضوا عليه أنْ يميلوا على أهلِ مِنَى من الكُفَّار، فيقتلوهم ـ: (إني لم أومَر بِهذا)[561]. حتى إذا صارت المدينةُ دارَ إسلامٍ شرَعَ اللهُ القتالَ لردِّ أذَى المشركين عن

(559) هو محمد بن الحسن بن محمد بن زياد بن هارون، أبو بكر النقّاش، عالم بالقرآن وتفسيره، أصله من الموصل، ومنشأه ببغداد، كان يعمل بنقش السقوف والحيطان، توفي سنة ٣١٥هـ. انظر: الأعلام ج٦/ص٨١.

(560) تفسير القرطبي ج٦/ص٤٣٩٣. وانظر: تفسير البغوي ج٥/ص٣٦١، تفسير الثعالبي ج٣ / ص ٦٩، حاشية الشهاب ج٦/ص٤٨٧، وروح المعاني جزء ١٧ /ص١٦٣.

(561) ذكر ابن كثير أنّه «لما بايع أهل يثرب ليلة العقبة رسول الله ﷺ وكانوا نيفاً وثمانين قالوا: يا رسول الله ألا نميل على أهل الوادي يعنون أهل منى ليالي منى فنقتلهم؟ فقال رسول الله ﷺ: (إني لم أومر بهذا)». تفسير ابن كثير ج٣ / ص٣٨٢. وقد خرَّجه علوي السقاف في كتاب تخريج الظلال ص٢١٣، ح٥٤٢، وقال: حديث صحيح.

المسلمين والدِّفاع عن حريةِ العقيدة، وحريةِ العبادة للمؤمنين.

والذي يغلُبُ على السُّورةِ هو موضوعاتُ السورِ المكيَّة. وجوُّ السورِ المكيَّة. فموضوعاتُ التوحيدِ والتخويفِ منَ السَّاعةِ، وإثباتُ البعثِ، وإنكارُ الشِّرْكِ، ومشاهدُ القيامةِ. وآياتُ الله المبثوثةُ في صفحاتِ الكونِ بارزةٌ في السُّورةِ وإلى جوارِها الموضوعاتُ المدنيةُ من الإذنِ بالقتال، وحمايةُ الشَّعائرِ، والوعدُ بنصرِ الله لمن يقعُ عليه البَغْيُ وهو يرُدُّ العدوان، والأمرُ بالجهادِ في سبيلِ الله»[٥٦٢].

ثالثاً: عدد آيات السورة:

يبلغ عدد آيات سورة الحج ثمانٍ وسبعون آيةٍ في العدِّ الكوفيّ، إلاَّ أنَّ هناك خلافاً في عدد آياتها بحسب العدّ المكّي والبصريّ والشاميّ.

يقول الألوسي ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: «وعدة آياتها ثمانٍ وسبعون في الكوفيّ وسبعٌ وسبعون في المكيّ وخمسٌ وسبعون في البصريّ وأربعٌ وسبعون في الشاميّ»[٥٦٣].

رابعاً: فضائل السورة:

ذكَرَ أبو عبيد ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ في باب فضل هذه السورة عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنَّه سجد في الحجِّ سجدتين وقال: إنَّ هذه السورة فُضِّلت بسجدتين على السُّور[٥٦٤].

وقد ذكر **ابن الجوزي** ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ أنَّها من أعاجيبِ سورِ القرآن، لأن فيها مكيًّا ومدنيًّا، وحضريًّا وسفريًّا، وحربيًّا وسلميًّا، وليليًّا ونهاريًّا، وناسخاً ومنسوخاً.

---

(٥٦٢) في ظلال القرآن ج ٤ / ص٢٤٠٥، ٢٤٠٦.

(٥٦٣) روح المعاني ج١٧/ص١٦٣. وانظر: فنون الأفنان ص ٥٦. حاشية الشهاب ج٦/ص٤٨٧. وفتح القدير ص١١٥٢. والتحرير والتنوير ج١٧/ص١٨٣.

(٥٦٤) انظر: كتاب فضائل القرآن ج٢/ص٥٧، وعارضة الأحوذي ج٣/ ص٥٩.

فأما المكيّ، فمن رأس الثلاثين منها إلى آخرها. وأمّا المدنيّ، فمن رأس خمسٍ وعشرين إلى رأس ثلاثين. وأما الليليُّ فمن أولها إلى آخر خمس آيات. وأما النهاريُّ فمن رأسِ خمسِ آياتٍ إلى رأسِ تسع. وأما السفريّ فمن رأسِ تسع إلى اثنتي عشرة. وأما الحضريّ فإلى رأسِ العشرين منها نُسِبَ إلى المدينة لقربِ مدَّته(٥٦٥).

وأضاف **ابن تيميّة** ـ رحمه الله ـ أنَّها تضمَّنت منازلَ المسيرِ إلى الله، بحيث لا يكونُ منزلةً ولا قاطعاً يقطعُ عنها، ويوجدُ فيها ذكرُ القلوبِ الأربعة، الأعمَى والمريضُ والقاسي والمخبت(٥٦٦) الحَيّ المطمئنُّ إلى الله.

وفيها من التوحيدِ والحِكَم والمواعظِ على اختصارِها ما هو بَيِّنٌ لمن تَدَبَّرَهُ، وفيها ذكرُ الواجباتِ والمستحبَّات كلّها توحيداً وصلاةً وزكاةً وحجًّا وصياماً، قد تضمَّنَ ذلك كلّه قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْۤ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ۩ ﴿٧٧﴾﴾ [الحج: ٧٧](٥٦٧).

خامساً: مناسبة السورة لما قبلها:

هناك اتصالٌ وثيقٌ بين سورةُ الأنبياءِ وسورةُ الحجِّ، حيثُ تحدَّثت كلتا السورتين عن الساعةِ، كما خُتِمت سورةُ الأنبياءِ بوصفِ الساعةِ، وابتُدِئت سورةُ الحجِّ بالحديث عن السَّاعةِ وأهوالها.

يقول السيوطي ـ رحمه الله ـ: «أقولُ وجهُ اتصالها بسورةِ الأنبياءِ أنّه ختمها بوصفِ الساعةِ في قوله ﴿وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ افتتح هذه بذلك فقالَ: ﴿إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ﴿١﴾ يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ﴾»(٥٦٨).

---

(٥٦٥) زاد المسير مج٣/ص٢٢٠.

(٥٦٦) خبت: الإخْبَاتُ الخشوع، يقال أَخْبَتَ لله تعالى. انظر: مختار الصحاح ص١٩٦.

(٥٦٧) انظر: التفسير الكبير ج٥/ص٢١٩.

(٥٦٨) أسرار ترتيب القرآن ص١١١.

ويقول البقاعي ـ رحمه الله ـ : «لما افتُتحت سورة الأنبياء بقوله تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ وكان وارداً في معرضِ التهديد، وتكَرَّرَ في مواضعَ منها: قوله تعالى: ﴿إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥] ﴿سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [الأنبياء: ٣٧ ـ ٣٨] ﴿لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الأنبياء: ٣٩]. . . إلى ما تخلل هذه الآي من التهديد، وشديد الوعيد، حتى لا تكاد تجد أمثال هذه الآي في الوعيد والإنذار بما في الساعة وما بعدها وما بين يديها في نظائر هذه السورة، وقد خُتِمت من ذلك بمثلِ ما به ابتُدِئت، اتَّصلَ بذلك ما يناسبُه من الإعلامِ بهولِ السَّاعةِ وعظيم أمرها، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ﴾ [الحج: ١] ـ إلى قوله ﴿وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ٢] ثمَّ اتبعَ ببسطِ الدلالاتِ على البعثِ الأخيرِ وإقامةِ البرهان: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ. . .﴾ [الحج: ٥]، ثم قال ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ. . .﴾ [الحج: ٦] أي اطَّرَدَ هذا الحكمُ العجيبُ ووضَّحَ من تقلُّبِكم من حالةٍ إلى حالةٍ في الأرحامِ، وبعد خروجِكم إلى الدنيا وأنتم تعلمون ذلك من أنفسكم، وتشاهَدون الأرض على صفةٍ من الهمودِ والموتِ إلى حينِ نزولِ الماءِ فنحيي الأرض ونخرجُ أنواعَ النباتِ وضروبَ الثمراتِ يُسقى بماءٍ واحد ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾﴾ [الحج: ٦] كما أحياكُم أولاً، وأخرجَكُم من العدَمِ إلى الوجود، وأحيا الأرض بعد موتها وهمودها، كذلك تأتي الساعة من غير ريب ولا شك، ويبعثكم لِما وعدَكُم من حسابِكم وجزائكم ﴿فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ﴾ [الشورى: ٧]»(٥٦٩).

سادساً: هدف السورة وأغراضها:

لسورة الحجِّ هدفٌ واضحٌ وأغراضٌ متعدِّدةٌ، فأمَّا هدفُ السورةِ

(٥٦٩) نظم الدرر ج ٥ / ص١٣٠ (بتصرف بسيط). وانظر: فتح القدير ص١١٥٢.

ومقصودُها فهو الحثُّ على التقوَى **كما ذكرَ البقاعي** - رَحِمَهُ اللهُ - **حيث يقول:** «مقصودُها الحثُّ على التقوَى المَغلِيّةُ عن دركةِ[٥٧٠] الاستحقاقِ للحكمِ بالعدلِ إلى درجةِ استئهالِ الإنعامِ بالفَضل، في يومِ الجمعِ للفَصْل، وأنسبُ ما فيها لذلك الحجُّ»[٥٧١].

وأما أغراض السورة فقد ذكرها الطاهر بن عاشور - رَحِمَهُ اللهُ - حيث يقول:

«ومن أغراض هذه السورة: خطابُ الناس بأمرهم أنْ يتقوا الله ويخشوا يوم الجزاء وأهواله، والاستدلال على نفي الشرك وخطاب المشركين بأن يقلعوا عن المكابرة في الاعتراف بانفراد الله - تعالى - بالأُلوهية وعن المجادلة في ذلك اتباعاً لوساوس الشياطين وأنَّ الشياطينَ لا تغني عنهم شيئاً ولا ينصرونَهم في الدنيا وفي الآخرة، وتفظيع جدال المشركين في الوحدانية بأنهم لا يستندون إلى علم، وأنَّهم يُعرِضون عن الحجَّة ليضلُّوا الناس، وأنَّهم يرتابون في البعثِ وهو ثابتٌ لا ريبةَ فيه، وكيف يرتابون فيه بعلَّةِ استحالةِ الإحياءِ بعد الإماتةِ ولا ينظرون أنَّ الله أوجدَ الإنسانَ من ترابٍ ثم من نطفةٍ ثم طوَّرَه أطوراً.

وأنَّ الله ينزلُ الماءَ على الأرضِ الهامدةِ فتحيا وتُخرِجُ من أصنافِ النباتِ، فالله هو القادر على كل ذلك. فهو يحيي الموتَى، وهو على كل شيءٍ قدير، وأنَّ مجادلتَهم بإنكارِ البعث صادرةٌ عن جهالةٍ وتكبُّرٍ عن الامتثالِ لقولِ الرسولِ ﷺ، ووصف المشركين بأنَّهم في تردُّدٍ من أَمرِهم في اتباعِ دينِ الإسلام، والتعريضِ بالمشركين بتكبُّرِهم عن سنَّة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ الذي يَنتمون إليه، ويحسبون أنَّهم حُماةُ دينِه وأمناءُ بيته، وهم يخالفونه في أصلِ الدين، وتذكير لهم بما منَّ الله عليهم في مشروعيةِ الحجِّ من المنافع فكفروا نعمته، وتنظيرهم في تلقِّي دعوةِ الإسلام بالأممِ البائدةِ الذين تلقَّوا

(٥٧٠) «الدَّرَكُ: التبعة، يُسكَّن ويُحرّك». مختار الصحاح ص٢١٨.

(٥٧١) نظم الدُّرر ج٥/ص١٢٩.

دعوةَ الرسلِ بالإعراضِ والكفرِ فحلَّ بهم العذاب، وأنَّه يوشِكُ أنْ يَحلَّ بهؤلاءِ مثله، فلا يغرُّهم تأخيرُ العذابِ فإنَّه إملاءٌ من الله لهم كما أملَى للأمم من قبلِهم. وفي ذلك تأنيسٌ للرسولِ ﷺ والذين آمنوا، وبشارةٌ لهم بعاقبةِ النَّصر على الذين فتنوهم وأخرجوهم من ديارِهم بغيرِ حق.

وأنَّ اختلافَ الأممِ بين أهل هدًى وأهل ضلالٍ أمرٌ به افترقَ الناسُ إلى مللٍ كثيرة، وأن يومَ القيامة هو يوم الفصل بينهم لمشاهدة جزاءِ أهلِ الهُدَى، وجزاءِ أهلِ الضلال، وأنَّ المهتدين والضالين خصمان اختصموا في أمر الله فكان لكل فريقٍ جزاؤه.

وسلَى اللهُ رسولَه ﷺ والمؤمنين بأنَّ الشيطانَ يُفسدُ في قلوب أهل الضلالة آثار دعوة الرسل ولكن الله يحكم دينه ويبطل ما يلقي الشيطان فلذلك ترى الكافرين يعرضون وينكرون آيات القرآن وفيها التنويهُ بالقرآنِ والمتلقِّين له بخشيةٍ وصبرٍ. ووصفُ الكفار بكراهيتهم القرآن وبغضِ المرسَلِ به. والثناءُ على المؤمنين، وأنَّ اللهَ يسَّرَ لهم أتباعَ الحنيفيةِ وسمَّاهم المسلمين والإذن للمسلمين بالقتالِ، وضمانُ النَّصر والتمكين في الأرضِ لهم.

وخُتمت السورةُ بتذكيرِ الناسِ بنعمِ اللهِ عليهم، وأنَّ اللهَ اصطفى خلقاً من الملائكةِ، ومن الناسِ، فأقبلَ على المؤمنين بالإرشادِ إلى ما يقرِّبُهم إلى الله زُلفَى، وأنَّ اللهَ هو مولاهم وناصرُهم»[٥٧٢].

سابعاً: محور السورة:

محورُ سورةِ الحجِّ هو الدعوةُ والحثُّ على التَّقوَى.

يقول سعيد حوَّى في محورِ هذه السورة: «سورة الحجِّ تُفَصِّلُ قوله تعالى في سورة البقرة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١﴾ [البقرة: ٢١] فهيَ مثلُ سورةِ النساء، ومثلُ سورةِ هود، إلاَّ أنَّ سورةَ النِّساءِ حدَّدت معالمَ التَّقوَى، وسورةُ هودِ حَدَّدَت معالمَ

(٥٧٢) التحرير والتنوير ج١٧/ص١٨٣ ـ ١٨٥.

العبادةِ، وسورةُ الحجِّ تُهَيِّجُ على التَّقوَى وتَبعَثُ عليها. . .وكما تُهَيِّجُ سورةُ الحجِّ على التقوى فإنَّها تدُلُّ على منعَرِجات[٥٧٣] الطريق ومَزالِقه[٥٧٤]، وعلى الصَّوارف[٥٧٥]، وأمثال ذلك»[٥٧٦].

ثامناً: مضمون السورة وما اشتملت عليه:

* ابتدأت السورةُ الكريمةُ بمطلعٍ عنيفٍ مُخيفٍ يصَوِّرُ أهوالَ الساعةِ ثمَّ انتقلت إلى أدِلَّةِ البعثِ والنُّشور، تَنتقِلُ السورةُ لتقيمَ الأدِلَّةَ والبراهين على البعثِ بعدَ الفناء، ثمَّ الانتقال إلى دارِ الجزاء؛ لينالَ الإنسانُ جزاءَه إنْ خيراً فخير، وإنْ شراً فشرّ.

* وتحدَّثت السورة عن بعض مشاهد القيامة، حيث يكونُ الأبرارُ في دارِ النعيم، والفُجَّارُ في دارِ الجحيم.

* ثمَّ انتقلت للحديثِ عن الحكمةِ من الإذنِ بقتالِ الكفَّار، وتناولت الحديثَ عن القُرَى المُدَمَّرة بسبب ظلمِها وطغيانِها، وذلك لبيان سُنَّةِ الله في الدعوات، وتطميناً للمسلمين بالعاقبةِ التي تنتظرُ الصابرين.

* وفي ختام السورةِ ضَربت مَثلاً لعبادةِ المشركينَ للأصنام، وبيَّنت أنَّ هذه المعبودات أعجزُ وأحقرُ من أنْ تخلقَ ذبابةً فضلاً عن أنْ تخلقَ إنساناً سميعاً بصيراً، ودعت إلى اتباعِ ملَّةِ الخليلِ إبراهيم فهي كهفُ الإيمان، وركنُ التوحيد[٥٧٧].

(٥٧٣) «مُنْعَرَجُ الوادي بفتح الراء: منعطفه يمنةً ويسرةً». مختار الصحاح ص٤٦٧.
(٥٧٤) «المَزلَقُ والمَزْلَقَةُ: الموضع الذي لا يثبت عليه قدم». المرجع السابق ص٢٨٠.
(٥٧٥) «الصَّرْفُ: التَّقَلُّبُ والحِيلةُ». لسان العرب ج٩/ص١٨٩.
(٥٧٦) الأساس ج٧/ص٣٥٢٠.
(٥٧٧) انظر: صفوة التفاسير ج٢/ص٢٤١، والتفسير المنير ج١٧/ص١٤٩، ١٥٠.

المبحث الثاني
عرض وتفسير لآيات سورة (الحج) المتضمنة للقراءات القرآنية العشر

١ ـ قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ۝٢﴾ [الحج: ٢].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف ﴿سَكْرَى وَمَا هُمْ بِسَكْرَى﴾ بفتح السين وإسكان الكاف من غير ألف فيهما.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ﴾ بضم السين وفتح الكاف وألف بعدها[٥٧٨].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«السُّكْرَ: حالةٌ تَعْترضُ بين المرءِ وعقْله وأكثرُ ما يُستعْملُ ذلك في الشراب المُسْكِرِ وقد يكونُ من غضبٍ وعِشقٍ»[٥٧٩].

---

(٥٧٨) انظر: النشر ج٢/ص ٣٢٥.

(٥٧٩) تاج العروس ج ٣/ ص ٢٧٣، وانظر: المفردات ص٤١٦، والتحرير والتنوير ج١٧/ص١٩١، والمعجم المفصل ص٢٤٥ ـ ٢٤٦.

ثالثاً: التفسير:

تُصَوِّرُ الآيةُ مشهداً من مشاهد يوم القيامة يعبِّرُ عن هول ذلكَ اليومِ وشدَّته.

يقول السعدي ـ رحمه الله ـ: «﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ﴾ مع أنها مجبولة على شدة محبتها لولدها، خصوصاً في هذه الحال، التي لا يعيش إلا بها.

﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا﴾ من شدةِ الفزع والهول، ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَـٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَـٰرَىٰ﴾ أي: تحسَبُهم ـ أيُها الرَّائي لهم ـ سُكارَى من الخمر، وليسوا سُكارَى. ﴿وَلَـٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ فلذلك أذهبَ عقولَهم، وفرَّغَ قلوبَهم، وملأها من الفَزَع، وبلغَتِ القلوبُ الحناجرَ، وشخَصَت الأبصارُ، وفي ذلك اليومِ لا يَجزي والدٌ عن وَلَدِه، ولا مولود هو جازٍ عن والده شيئاً»[580].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

إنَّ القراءة الأولى ﴿سَكْرَى وَمَا هُمْ بِسَكْرَى﴾ تفيدُ أنَّ أهوالَ يوم القيامةِ تؤثِّرُ على أجسادِ الناس كما تؤثِّرُ الآفةُ التي تدخلُ على جسدِ الإنسانَ فتجعله يصابُ بالمرضِ والهلاك.

في حين أنَّ القراءة الثانية ﴿سُكَـٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَـٰرَىٰ﴾ بيَّنت تأثيرَ أهوالِ الساعةِ في عقولِ النَّاسِ وحركَتهم، بعد أنْ بيَّنت القراءةُ الأولى تأثيرَ أهوالِ القيامةِ في أجسادِهم حيثُ إنَّ أهوالَ يوم القيامة تؤثِّرُ في عقول الناس وتُضْعِفُ حركتهم فتجعلهم كالكُسالى.

يقول ابن خالويه ـ رحمه الله ـ في توجيه القراءتين: «فالحجةُ لمن ضمَّ السِّين وأثبتَ الألف: أنّه لمَّا كان السُّكرُ يُضْعِفُ حركةَ الإنسان شُبِّه بكسلان وكُسالى.

(٥٨٠) تفسير السعدي ص ٥٣٢. وانظر تفسير البغوي ج٥/ص٣٦١.

والحجَّةُ لمن فتحَ وحذَفَ الألف: أنَّه لمَّا كان السُّكْرُ آفةٌ داخِلةٌ على الإنسانِ شُبِّه بمَرْضَى وهَلْكَى»[٥٨١].

ويقول ابن جنّي ـ رحمه الله ـ: «فأمَّا في الجميع فيقال: سَكارَى بفتح السين، وسُكارَى بضمِّها، وسَكْرَى كَصَرْعَى وجَرْحَى. وذلك لأنَّ السُّكْرَ عِلَّةٌ لَحِقَت عقولَهم، كما أنَّ الصَّرْعَ والجُرح عِلَّةٌ لَحِقَتْ أجسامَهم. وفَعْلى في التكسير ممَّا يَخْتَصُّ به المُبْتَلون كالمرضَى والسَّقْمَى»[٥٨٢].

بالجمع بين القراءتين يتبيَّن أنَّ أهوالَ يوم القيامة تُحْدِثُ في عقولِ الناسِ وأجسادِهم أثراً فيُصبحون كأنَّهم أُصيبوا بآفةٍ في أجسامهم جعلتهم كالمرضَى، كما أثَّرت على عقولهم وحركتهم فأضعفتها ممّا جعلهم يَبدون كالكُسالى الذين فقدوا نشاطهم فأصبحوا لا يَقوون على الحركة، وذلك في الحقيقة ليس بتأثير آفةٍ أصابتهم ولكنَّها أهوال القيامة، وزلزلة الساعة برهبتها، والله أعلم.

٢ ـ قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾﴾ [الحج: ٥].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ أبو جعفر ﴿وَرَبَأَت﴾ بهمزة مفتوحة بعد الباء.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿وَرَبَتْ﴾ بحذف الهمزة فيهما[٥٨٣].

---

(٥٨١) الحجّة في القراءات السبع ص ٢٥٢. وانظر: تفسير أبي السعود ج٤/ص٣٦٥.

(٥٨٢) المحتسب ج٢/ص٧٢. وانظر: طلائع البشر ص١٧٥.

(٥٨٣) انظر: النشر ج٢/ص٣٢٥.

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«رَبَا الشيء: زاد»[٥٨٤].

«ربت: أي زادت وانتفخت»[٥٨٥].

ربأت: ارتفعت[٥٨٦].

ثالثاً: التفسير:

يستدلُّ الله ـ تعالى ـ على إثباتِ البعثِ بالخلقِ الأولِ، وبإحياءِ الأرضِ الهامدةِ بنزول الماء عليها، «والهمود لا شك متسق مع ذكر الموتى وهم جثث هامدة، لا حراك فيها»[٥٨٧].

وهو ـ سبحانه ـ في هذه الآية يخاطب عباده فيقول: يا أيُّها الناس إن كنتم من البعث في شك واشتباه، وعدم علم بوقوعه، مع أنَّ الواجب عليكم أن تصدقوا ربكم، وتصدقوا رسله في ذلك، ولكن إذا أبيتم إلا الريب، فهاكم دليلين عقليين تشاهدونهما، كل واحد منهما، يدل دلالة قطعية على ما شككتم فيه، ويزيل عن قلوبكم الريب.

أحدهما: الاستدلال بابتداء خلق الإنسان، وأن الذي ابتدأه سيعيده، وذلك بخلق أبي البشر آدم عليه السلام من تراب، ثُمَّ مِنْ منيّ، وهذا ابتداء أول التخليق، ثُمَّ تنقلب تلك النطفة، بإذن الله دماً أحمر، ثُمَّ ينتقل الدم قطعة لحم، بقدر ما يمضغ، وتلك المضغة تارة تكون صوَّر منها خلق الآدمي، وتارة تقذفها الأرحام قبل تخليقها، لِنُبَيِّنَ لَكُمْ أصل نشأتكم، مع قدرته تعالى، على تكميل خلقه في لحظة واحدة، ولكن ليبيِّن لنا كمال حكمته، وعظيم قدرته، وسعة رحمته.

ونبقي في الأرحام من الحمل، الذي لم تقذفه الأرحام، ما نشاء إبقاءه

---

(٥٨٤) مختار الصحاح ص٢٦٧.
(٥٨٥) النهر الماد ج٢ من القسم الأول /ص٤٨٨.
(٥٨٦) انظر: التحرير والتنوير ج١٧/ص٢٠٣.
(٥٨٧) المفردات القرآنية مظهر من مظاهر الإعجاز ص ١١٣.

إلى أجل مسمى، وهو مدة الحمل. ﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ﴾ من بطون أمهاتكم طِفْلاً لا تعلمون شيئاً، وليس لكم قدرة، وسخرنا لكم الأمهات، وأجرينا لكم في ثديها الرزق، ثم تنتقلون طوراً بعد طور، حتى تبلغوا أشدكم، وهو كمال القوة والعقل.

وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى من قبل أن يبلغ سن الأشد، ومنكم من يتجاوزه فيرد إلى سن الهرم والتخريف، الذي به يزول العقل، ويضمحل، كما زالت باقي القوة، وضعفت؛ لأجل ألاّ يعلم هذا المعَمَّر شيئاً مما كان يعلمه قبل ذلك، وذلك لضعف عقله، فقوة الآدمي محفوفة بضعفين، ضعف الطفولة ونقصها، وضعف الهرم ونقصه.

والدليل الثاني: إحياء الأرض بعد موتها، حيث تكون الأرض خاشعة مغبرة لا نبات فيها، ولا خضرة، فَإِذَا أَنزلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ تحركت بالنبات وارتفعت بعد خشوعها وذلك لزيادة نباتها، وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ صنف من أصناف النبات الذي يبهج الناظرين، ويسر المتأملين»(٥٨٨).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة الأولى ﴿وَرَبَأَت﴾ معنَى الارتفاع، بمعنَى أنَّ الأرضَ ترتفعُ بنزولِ الماءِ عليها أي تتوسَّعُ رأسيًّا.

في حين أنَّ القراءةَ الثانيةَ ﴿وَرَبَتْ﴾ أفادت معنَى الزيادة، أي أنَّ الأرضَ تزدادُ وتربو بنزولِ الماءِ عليها حيثُ تنتفخُ وتتوسَّعُ أُفقياً.

يقول ابن جنّي ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «المسموعُ في هذا المعنَى رَبَتْ؛ لأنَّه من رَبَا يَرْبُو: إذا ذهبَ في جهاته زائداً، وهذه حالُ الأرضِ إذا ربَتْ. أمَّا الهمزُ فمن رَبَأْتُ القوم: إذا أشرفت مكاناً عالياً لتنظرَ لهم وتحفظهم. وهذا إنَّما فيه الشخوصُ والانتصاب، وليس له دلالةٌ على الوفور، والانبساط، إلاَّ أنَّه يجوزُ أنْ يكون ذهابه إلى علو الأرض، لما فيه من إفراط الرُّبُوّ، فإذا وُصِفَ علوّها دلَّ على أنّ الزيادة قد شاعت في جميع جهاتها؛ فلذلك هَمَز، وأخذه

(٥٨٨) انظر: تفسير السعدي ص٥٣٣، والتحرير والتنوير ج١٧/ص١٩٦ ـ ٢٠٣.

من رَبَأْتُ القوم، أي: كنت لهم طليعة. وهذا مما يذكر أحد أوصافه، فيدلُّ على بقيَّةِ ذلك وما يصحبه»(٥٨٩).

هكذا بالجمع بين القراءتين يتبيَّنُ أنَّ الأرضَ الهامدةَ ترجعُ لها الحياة بنزول الماء عليها فتهتزّ وتربو وتتوسَّعُ في جميع اتجاهاتها أُفقياً ورأسيًا، فتنبتُ النبات الذي يحفظُ حياة الإنسان والحيوان، وهذا من عظيم قدرة الله تعالى، وهو أحد دليلين ذكرتهما الآية على إثبات قدرة الله ـ تعالى ـ على البعث، والله أعلم.

٣ ـ قال تعالى: ﴿ثَانِيَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ لَهُۥ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ۝٩﴾ [الحج: ٩].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ ابن كثير وأبو عمرو ﴿لِيَضِلَّ﴾ بفتح الياء.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿لِيُضِلَّ﴾ بضم الياء(٥٩٠).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

الضَّلال: العُدولُ عن الطريقِ المستقيم، ويضادُّه الهدايةُ، ويقالُ الضلالُ لكلِّ عدولٍ عن المنهج عمداً كان أو سهواً، يسيراً كان أو كثيراً، فإنَّ الطريقَ المستقيمَ الذي هو المرتضَى صعبٌ جداً.

ثالثاً: التفسير:

يتوعد الله ـ تعالى ـ من يجادلُ في الله مُتَكَبِّراً بغير علم بعذاب الخزي في الدنيا وبعذاب النار في الآخرة. يقول أبو عبيدة في قولِه تعالى: ﴿ثَانِيَ

(٥٨٩) المحتسب ج٢/ص٧٤. وانظر: تفسير القرطبي ج٦/ص٤٤٠٥. والهادي ج٣/ص٦٣.

(٥٩٠) انظر: النشر ج٢/ص٢٩٦.

عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ﴾: «يُقال: جاءني فلانٌ ثانيَ عِطفِهِ أي: يَتَبَخْتَرُ من التَّكَبُّر»[591].

يقول الشوكاني: ﴿ثَانِىَ عِطْفِهِۦ﴾ على الحال من فاعل يجادل، والعطف الجانب وعطف الرجل جانباه من يمين وشمال وفي تفسيره وجهان:

الأول: أنَّ المرادَ به من يلوي عُنقَه مَرحاً وتكبُّراً، وهذا يوصف به المُتَكبِّر والمعنى: ومن الناس من يجادل في الله متكبراً، قال المبرد[592]: العطف ما انثنى من العنق.

والوجه الثاني أنَّ المرادَ بقوله: ﴿ثَانِىَ عِطْفِهِۦ﴾ الإعراضُ: أي معرضاً عن الذِّكْر، واللام في ﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ متعلقٌ بيجادل: أي إنَّ غَرضَه هو الإضلالُ عن السبيل، وإنْ لم يَعترف بذلك، وقرىء لِيَضِلَّ بفتح الياء على أنْ تكونَ اللام هي لامَ العاقبةِ كأنَّه جعلَ ضلالَه غايةً لجدالِه، وجملة ﴿لَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ﴾ مستأنفةٌ مبيّنةٌ لمَا يحصلُ له بسببِ جدالِه من العقوبةِ والخِزْي المُذِل وذلك بما ينالُه من العقوبةِ في الدنيا من العذاب المُعَجَّلِ وسوءُ الذكر على ألسُنِ الناس، وقيل: الخزيُ الدنيويُّ هو القتلُ كما وقعَ في يوم بدر. ﴿وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ أي عذابَ النَّارِ المُحرِقة[593].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة ﴿لِيَضِلَّ﴾ وقوعَ الضَّلالِ على نفسه أي يِضِلَّ هو في نَفسِه وذلك باختياره طريقَ الضَّلالِ وابتعادِه عن طريقِ الهُدَى.

---

(591) مجاز القرآن ج٢/ص٤٥.

(592) هو محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي، أبو العباس، المعروف بالمبرد: إمام العربية ببغداد في زمنه، وأحد أئمة الأدب والأخبار، ممن كتبه: الكامل، والمقتضب، مولده بالبصرة، ووفاته ببغداد سنة ٢٨٦هـ. انظر: الأعلام ج٧ / ص١٤٤.

(593) انظر: فتح القدير ص ١١٥٦.

أمَّا القراءة ﴿لِيُضِلَّ﴾ فقد دلَّت على إضلالِهِ غيرَه من الناسِ عن طريق جدالِه بالباطل.

يقول أبو حيَّان ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «(لَيَضِلَّ) بفتح الياء أي (لَيَضِلَّ) في نفسه، والجمهور بضمِّها أي: (لِيُضِلَّ) غيره، وهو يترتب على إضلاله كثرةَ العذاب، إذْ عليه وِزْرُ من عملَ به. ولما كان مآل جِداله إلى الإضلال كانَ كأنَّه علَّةٌ له، وكذلك لما كان مُعرِضاً عن الهُدَى مُقبلاً على الجِدال بالباطلِ كان كالخارجِ من الهُدى إلى الضَّلال»[٥٩٤].

بالجمع بين القراءتين يتبيَّنُ أنَّ الله ـ تعالى ـ توَعَّدَ من ضلَّ في نفسه باختياره طريق الضلال وأضلَّ غيره وهو يجادل بالباطل بالعذابِ الدُّنيويِّ بسوء الذِّكرِ والخِزْيِ في الدنيا، وبعذابِ الحرقِ بالنارِ يوم القيامة، والله أعلم.

٤ ـ قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾﴾ [الحج: ١١].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ ابن مهران عن روح وزيد عن يعقوب ﴿خاسِرَ الدنيا والآخرةِ﴾ بإثبات الألف على وزن فاعل وخفضِ الآخرة.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَۚ﴾ بغير ألف مع نصب الآخرة[٥٩٥].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«خسر: الخُسْرُ والخُسْران: انتقاصُ رأسُ المال، ويُنسَبُ ذلك إلى الإنسان فيقال: خَسِرَ فلانٌ، وإلى الفعل فيقال: خَسِرَت تِجارَته قال تعالى: ﴿تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ [النازعات: ١٢] ويستعمل ذلك في المقتنيات

(٥٩٤) تفسير البحر المحيط ج٦/ص٣٢٩. وانظر: تفسير أبي السعود ج ٤ / ص ٣٧٠.

(٥٩٥) انظر: النشر ج٢/ص٣٢٥، ٣٢٦.

الخارجة كالمال والجاه في الدنيا وهو الأكثر وفي المقتنيات النفسية كالصحة والسلامة والعقل والإيمان والثواب وهو الذي جعله الله تعالى الخسران المبين وقال: ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾ [الزمر: ١٥]، وقوله: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [البقرة: ١٢١]. . . يجوزُ أنْ يكونَ إشارةً إلى تحرِّي العدالةِ في الوزن وتركِ الحَيْفِ فيما يتعاطاه في الوزن، ويجوزُ أنْ يكونَ ذلك إشارةً إلى تعاطي مالاً يكونُ به ميزانُه في القيامةِ خاسراً فيكون ممن قال فيه: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ [الأعراف: ٩] وكلا المعنيين يتلازمان، وكلُّ خُسرانٍ ذكره الله ـ تعالى ـ في القرآن فهو على هذا المعنى الأخير دون الخسران المتعلق بالمقتنيات الدنيوية والتجارات البشرية»(٥٩٦).

ثالثاً: التفسير:

تَصِفُ هذه الآيةُ نوعاً مُذَبذَباً من الناس خسِرَ الدُّنيا والآخرة بسبب ضعف إيمانه وعدم ثباته على الحقّ.

وقد أخرج البخاري عن ابن عبّاس ـ رضي الله عنهما ـ في سبب نزول هذه الآية أنّه قال: (﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ. . .﴾ قال: كان الرجل يقدم المدينة فإن ولدت امرأته غلاماً ونتجت خيله قال هذا دين صالح وإن لم تلد امرأته ولم تنتج خيله قال هذا دين سوء)(٥٩٧).

ويقول السيوطي ـ رحمه الله ـ: «عن ابن مسعود قال: أسلم رجل من اليهود فذُهِبَ في بصره وماله وولده فتشاءم بالإسلام فقال: لم أصب من ديني هذا خيراً ذهبَ بصري ومالي وولدي، فنزلت ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ. . .﴾ الآية»(٥٩٨).

يقول أبو السعود ـ رحمه الله ـ في تفسير قوله تعالى ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ

---

(٥٩٦) المفردات ص٢٨١.

(٥٩٧) انظر: صحيح البخاري ج٤/ ص١٧٦٨ / ح ٤٤٦٥، كتاب التفسير، سورة الحج.

(٥٩٨) لباب النقول ص ١٤٨.

﴿ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ﴾: شروعٌ في بيانِ حالِ المُذبذبين إثرَ بيانِ حالِ المُجاهـرين أي ومنهُم من يعبدُه سبحانه وتعالى على طَرَفٍ من الدِّين لا ثباتَ له فيه كالَّذي ينحرفُ إلى طَرَفِ الجيشِ فإنْ أحسَّ بظَفَرٍ قَرَّ، وإلاّ فَرَّ، ﴿فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ﴾ أي دنيويٌّ من الصِّحَّةِ والسَّعةِ، ﴿ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ﴾ أي: ثبتَ على ما كانَ عليهِ ظاهراً، لا أنَّه اطمأنَّ به اطمئنانَ المُؤمنينَ الذينَ لا يلويهم عنه صارفٌ، ولا يثنيهم عاطفٌ. ﴿وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ﴾ أي شيءٌ يُفتتنُ به من مكروهٍ يعتريهِ في نفسِه أو أهلِه أو مالِه. ﴿ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ﴾ رُوي أنَّها نزلتْ في أعاريبَ قدِمُوا المدينةَ وكانَ أحدُهم إذَا صحَّ بَدَنُه ونُتجتْ فرسُه مُهراً سَرِيّاً وولدتِ امرأتُه ولداً سَوِيّاً وكثُر مالُه وماشيتُه قال: ما أصبتُ منذُ دخلتُ في ديني هذا إلاَّ خَيْراً واطمأنَّ، وإن كانَ الأمرُ بخلافِه قال: ما أصبتُ إلاَّ شرّاً وانقلبَ. وعن أبي سعيدِ الخُدريِّ ﷺ: أنَّ يهُوديّاً أسلمَ فأصابتْهُ مصائبُ فتشاءَم بالإسلام فأتى النبيَّ ﷺ فقالَ: أقِلْني، فقال عليه السلام: (إنَّ الإسلامَ لا يُقال...)[٥٩٩]. فنزلت، وقيل: نزلتْ في المؤلَّفةِ قلوبُهم.

﴿خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ﴾ فقدَهُما وضيَّعهما بذهابِ عصمتِه وحبوطِ عملِه بالارتدادِ. وقُرِىء خاسرَ بالنَّصبِ على الحالِ، والرَّفعُ على الفاعليةِ. ووضعُ الظَّاهرِ موضعَ الضَّميرِ تنصيصاً على خُسرانِه أو على أنَّه خبرُ مبتدأ محذوفٍ ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي ما ذُكر من الخُسران وما فيه من معنى البُعد للإيذانِ بكونه في غايةِ ما يكونُ ﴿هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ﴾ الواضحُ كونُه خُسراناً إذ لا خُسرانَ مثله»[٦٠٠].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أوضح الدكتور فاضل السامرائي أنَّ ورود الفعل في القرآن يدلُّ على الحدوث والتجدُّد في حينِ أنَّ الاسم يدلُّ على الثبوت حيث يقول: «فمن المعلوم أنَّ الفعلَ يدلُّ على الحدوثِ والتجدُّد، والاسم يدلُّ على

(٥٩٩) أخرجه السيوطي في الدر المنثور ج ٦ / ص ١٤. وانظر: ضعفاء العقيلي ج٣/ ص٣٦٨.

(٦٠٠) تفسير أبي السعود ج ٤ / ص ٣٧١.

الثبوت»[٦٠١]. واستناداً على ذلك فإنَّ:

القراءة الأولى ﴿خاسِرَ الدنيا والآخرةِ﴾ تفيد ثبوت خسرانه خير الدنيا والآخرة حيثُ سُمِّيَ خاسراً للدنيا والآخرة، فقد عبَّرَ باسم الفاعل ليجعلَ صفةَ الخُسرانِ ملازمةً له ثابتةً في حقِّه.

أمَّا القراءة الثانية ﴿خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ﴾ فإنَّها تفيدُ معنى تجَدُّد خسرانه الدنيا والآخرة كلَّما أصابته فتنةٌ من الفتن حيث عبَّرَ بالفعل (خَسِرَ) الذي يدلُّ على تجدُّد الحدَث.

يقول الطاهر بن عاشور ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «والخسران: تلفُ جزءٍ من أصلِ مالِ التجارة، فشبَّه نفعَ الدنيا ونفعَ الآخرةِ بمالِ التاجرِ الساعي في توفيره لأنَّ الناسَ يرغبون في تحصيله، وثنى على ذلك إثبات الخسران لصاحبه، الذي هو من مرادفات مال التجارة المشبه به، فشبَّه فوات النفع المطلوب بخسارة المال. وتعليق الخسران بالدنيا والآخرة على حذف مضاف. والتقدير: خسر خيرَ الدنيا وخيرَ الآخرة. فخسارةُ الدنيا بسبب ما أصابه فيها من الفتنة، وخسارةُ الآخرةِ بسبب عدمِ الانتفاع بثوابها المرجوّ له. والمبين: الذي فيه ما يبين للناس أنه خسران بأدنى تأمل. والمراد أنه خسران شديد لا يخفى»[٦٠٢].

بالجمع بين القراءتين يتَّضح من معنى الآية ما يجعلنا نَحذَرُ من التذبذُبِ وعدمِ الثَّبات على الإيمان لأنَّ ذلك المُذَبْذَب يخسرُ بسبب ما أصابَه من الفتنةِ خيرَ الدنيا، ويخسرُ بسبب عدم انتفاعه بثوابِ الصَّبرِ على تلك الفتنة خيرَ الآخرة، حتى يكونَ ذلك الخُسرانُ مُلازماً لصاحبه ثابتاً له فيُنْعَتُ به ويُصبح: خاسرَ الدنيا والآخرة.

٥ ـ قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ

---

(٦٠١) التعبير القرآني ص٢٢. وانظر: معاني الأبنية ص ٩، ١١.

(٦٠٢) التحرير والتنوير ج١٧/ص٢١٤.

﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾﴾ [الحج: ١٥].

أولاً: القراءات:

١ - قرأ ابن عامر وأبو عمرو وورش ورويس ﴿لِيَقْطَعْ﴾ بكسر اللام.

٢ - وقرأ الباقون ﴿لْيَقْطَعْ﴾ بإسكان اللام(٦٠٣).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«قَطَعَ: القطعُ: فصلُ الشيء مُدركاً بالبصر كالأجسام، أو مُدركاً بالبصيرة كالأشياء المعقولة»(٦٠٤).

ثالثاً: التفسير:

في الآية تحدٌ واضحٌ لكلّ من يشعر بالغيظ من نزول وحي الله على نبيِّه ﷺ، ونصحه بالرجوع إلى الله - تعالى - لعدم جدوى أيّ وسيلةٍ أخرى أمامه.

يقول السعدي - رحمه الله - في بيان معنى الآية: «أي: من كان يظن أن الله لا ينصر رسوله، وأنَّ دينه سيضمحل، فإن النصر من الله ينزل من السماء ﴿فَلْيَمْدُدْ﴾ ذلك الظَّانّ ﴿بِسَبَبٍ﴾ أي: حبل ﴿إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ وليرقى إليها ﴿ثُمَّ لِيَقْطَعْ﴾ النصر النازل عليه من السماء. ﴿فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ﴾ أي: ما يكيد به الرسول، ويعمله من محاربته، والحرص على إبطال دينه، ما يغيظه من ظهور دينه، وهذا استفهام بمعنى النفي (وأنَّه) لا يقدر على شفاء غيظه بما يعمله من الأسباب.

ومعنى هذه الآية الكريمة: يا أيها المعادي للرسول محمد ﷺ، الساعي في إطفاء دينه، الذي يظن بجهله أنَّ سعيه سيفيده شيئاً، اعلم أنك مهما فعلت من الأسباب، وسعيت في كيد الرسول، فإن ذلك لا يذهب

(٦٠٣) انظر: النشر ج٢/ص٣٢٦.

(٦٠٤) المفردات ص ٦٧٧.

غيظك، ولا يشفي كمدك، فليس لك قدرة في ذلك، ولكن سنشير عليك برأي، تتمكن به من شفاء غيظك، ومن قطع النصر عن الرسول ـ إن كان ممكناً ـ ائت الأمر من بابه، وارتق إليه بأسبابه، اعمد إلى حبل من ليف أو غيره، ثم علقه في السماء، ثم اصعد به حتى تصل إلى الأبواب التي ينزل منها النصر، فسدها وأغلقها واقطعها، فبهذه الحال تشفي غيظك، فهذا هو الرأي: والمكيدة، وأما ما سوى هذه الحال فلا يخطر ببالك أنك تشفي بها غيظك، ولو ساعدك من ساعدك من الخلق. وهذه الآية الكريمة، فيها من الوعد والبشارة بنصر الله لدينه ولرسوله وعباده المؤمنين ما لا يخفى، ومن تأييس الكافرين، الذين يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم، والله متم نوره، ولو كره الكافرون، أي: وسعوا مهما أمكنهم»[٦٠٥].

ويقول الدكتور فضل حسن عباس: «قالوا: إنَّ الباء زائدة، والتقدير: (فليمدد سبباً)، أي: فليمدد حبلاً، والغواصون من أجل التقاط المعاني لا يرضون هذا القول، لأنّه ليس المقصود المد وحده، فقد يمد الشخص حبالاً كثيرة من غير أن تكون له بها صلة مباشرة، ولكن المقصود أنْ يصل هو نفسه بهذا الحبل الممدود إلى أعلى.

تلك هي بلاغة القرآن في استعمال الحرف حيناً، وتركه حيناً آخر»[٦٠٦].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيد القراءة الأولى ﴿لِيَقْطَعْ﴾ الأمر من الله ـ تعالى ـ لهذا الإنسان بمدِّ حبلٍ إلى السماء في الحقيقة، وأن يصل هو نفسه بهذا الحبل الممدود إلى أعلى ليفعل ما يُذهب غيظه، وقد جاءت لام الأمر مكسورة على أصلها لتناسب ذكر السماء على أصلها.

يقول الفخر الرازي ـ رحمه الله ـ: «وقال آخرون: المراد منه السماء

(٦٠٥) تفسير السعدي ص ٥٣٥.

(٦٠٦) سلامة الحرف من الزيادة والحذف ص ٣١.

نفسها فإنه يمكن حمل الكلام على السماء نفسها فهو أولى من حمله على سماء البيت، لأن ذلك لا يفهم منه إلا مقيداً، ولأن الغرض ليس الأمر بأن يفعل ذلك، بل الغرض أن يكون ذلك صارفاً له عن الغيظ إلى طاعة الله تعالى، وإذا كان كذلك فكل ما كان المذكور أبعد من الإمكان كان أولى بأن يكون هو المراد ومعلوم أن مد الحبل إلى سماء الدنيا والاختناق به أبعد في الإمكان من مده إلى سقف البيت، لأن ذلك ممكن»(٦٠٧).

بينما تفيد القراءة الثانية ﴿لِيَقْطَعْ﴾ التخفيف عن هذا المُغتاظ من نصر الله لنبيِّه بالإشارة عليه بأمر يسهل فعله وهو مدُّ حبلٍ إلى سقف البيت فيخنق نفسه به حتى يُذهب غيظه.

ويقول الفخر الرازي ـ رحمه الله ـ: «اختلفوا في السماء: فمنهم من قال هو سماء البيت، ومنهم من قال هو السماء في الحقيقة، فقالوا المعنى: من كان يظن أن لن ينصره الله، ثم يغيظه أنه لا يظفر بمطلوبه فليستقص وسعه في إزالة ما يغيظه بأن يفعل ما يفعل من بلغ منه الغيظ كل مبلغ حتى مد حبلاً إلى سماء بيته فاختنق، فلينظر أنه إن فعل ذلك هل يذهب نصر الله الذي يغيظه. وعلى هذا القول اختلفوا في القطع فقال بعضهم: سمي الاختناق قطعاً لأن المختنق يقطع نفسه بحبس مجاريه، وسمي فعله كيداً لأنه وضعه موضع الكيد حيث لم يقدر على غيره، أو على سبيل الاستهزاء إلا أنه لم يكد به محسوده وإنما كاد به نفسه، والمراد ليس في يده إلا ما ليس بمذهب لما يغيظ. وهذا قول الكلبي ومقاتل وقال ابن عباس رضي الله عنه: يشد الحبل في عنقه وفي سقف البيت، ثم ليقطع الحبل حتى يختنق ويهلك، هذا كله إذا حملنا السماء على سقف البيت وهو قول كثير من المفسرين»(٦٠٨).

بالجمع بين القراءتين يظهرُ أمرٌ ليس على حقيقته وإنَّما هو إشارةٌ على ذلك المُغتاظ من نصر الله لنبيِّه بأن يتَّخذَ أحد أمرين ليُذهِبَ غيظَه، وذلك

---

(٦٠٧) تفسير الرازي ج٢٣/ص١٦.

(٦٠٨) تفسير الرازي ج٢٣/ص١٦.

إمَّا بمدِّ حبلٍ إلى سماء بيته ليختنق به، وإمَّا أنْ يَمُدَّ حبلاً إلى السماءِ الحقيقية ليمنعَ النَّصرَ من النزول للنبي ﷺ وهذا غيرُ مُمكنٍ، وإنَّما للحثِّ على صرفِه عن غيظِه ورجوعِه إلى طاعةِ الله تعالى، والله أعلم.

٦ ـ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾﴾ [الحج: ١٧].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ نافع وأبو جعفر، ووقفاً حمزة ﴿والصابين﴾ بحذف الهمزة.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾ بإثبات الهمزة[٦٠٩].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

صبا: الصبيّ: من لم يبلغ الحلم ورجلٌ مُصْبٍ: ذو صِبيان. قال تعالى: ﴿قَالُواْ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ [مريم: ٢٩].

الصَّابئون: قومٌ كانوا على دين نوح، وقيل لكل خارجٍ من الدين إلى دينٍ آخرَ صابىءٌ، من قولهم: صَبَأَ نابُ البعيرِ: إذا طَلَعَ[٦١٠].

ثالثاً: التفسير:

تُحَذِّرُ الآية جميع طوائف أهل الأرضِ من مؤمنين وغيرهم بأنَّ الله ـ تعالى ـ سيجمعهم يوم القيامة ليحكم بينهم بالعدل ويجازيهم على أعمالهم التي عملوها في الدنيا والتي هي مُدَوَّنة في صحائف أعمالهم، والله ـ تعالى ـ خير شاهدٍ على كلِّ شيء.

يقول السعدي ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: «يخبر تعالى عن طوائف أهل الأرض، من الذين أوتوا الكتاب، من المؤمنين واليهود والنصارى والصابئين، ومن المجوس، ومن المشركين أن الله سيجمعُهم جميعَهم ليوم القيامة، ويفصل

(٦٠٩) انظر: النشر ج١/ص٣٩٧.

(٦١٠) انظر: المفردات ص٤٧٥.

بينهم بحكمه العدل، ويجازيهم بأعمالهم التي حفظها وكتبها وشهدها، ولهذا قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾»(٦١١).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة الأولى ﴿والصَّابِين﴾ أنّهم الذين مالوا عن دينهم إلى دينٍ آخر.

بينما قراءة ﴿وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾ أنّهم الذين خرجوا من دينهم إلى دينٍ آخر.

يقول ابن خالويه ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: «قوله تعالى: ﴿وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾ يُقرأ وما شاكله بالهمز وتركه. فالحجة لمن همز: أنّه مأخوذٌ من: صَبأَ فلان: إذا خرج من دينٍ إلى دين.

والحجَّةُ لمن لم يهمز: أن يكون أراد الهمز، فليَّنَ وتركَ، أو يكون أخذه من صبا يصْبو: إذا مال. وبه سُمِّيَ الصَّبِيُّ صَبيّاً لأنَّ قلبه يميلُ إلى كلِّ لعبٍ لفراغه»(٦١٢).

يقول الطبري ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: «الصابئون: قوم يعبدون الملائكةَ، ويصلُّون للقبلة، ويقرءون الزبور»(٦١٣).

بالجمع بين القراءتين يتبيَّنُ أنَّ الصَّابئين قومٌ خرجوا من دينهم ومالوا إلى دينٍ آخرَ(٦١٤) وهم يُصلُّون إلى جهة القبلة، كما أنَّ قلوبَهم فارغةٌ من كلِّ ثباتٍ ويقينٍ فهيَ تميلُ إلى غير دينِها مثل قلوب الصبيان، والله أعلم.

٧ ـ قال تعالى: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾﴾ [الحج: ١٩].

(٦١١) تفسير السعدي ص ٥٣٥.

(٦١٢) الحجّة في القراءات السبع ص٨١، وانظر: حجّة القراءات ص١٠٠.

(٦١٣) تفسير الطبري مج٩/ج١٧/ص ١٥٣. وانظر: روح المعاني ج١٧/ص١٩١.

(٦١٤) انظر: رسالة ماجستير الملاحي ص٨٣.

أولاً: القراءات:

١ ـ وقرأ ابن كثير ﴿هٰذَانِّ﴾ بتشديد النون ومدِّ الألف قبلها.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿هَٰذَانِ﴾ بتخفيف النون[٦١٥].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«هذان: مبني لدلالته على الإشارة»[٦١٦].

ثالثاً: التفسير:

هذه الآية مثالٌ لجمع الله ـ تعالى ـ جميع طوائف الناس يوم القيامة ليحكم بينهم بالعدل، ومنهم هذان الخصمان اللذَان تتحدَّث عنهما هذه الآية.

وقد ذكر **البخاري** سبب نزول هذه الآية حيث يقول: «قال قيس بن عباد[٦١٧]: وفيهم أنزلت ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾. قال هم الذين تبارزوا يوم بدر[٦١٨]»[٦١٩].

يقول ابن عطية في بيان معنى هذه الآية: «والمعنى: أن الإيمان وأهله والكفر وأهله خصمان مذ كانا إلى قيام الساعة بالعداوة والجدال والحرب،

---

(٦١٥) انظر: النشر ج٢/ص ٢٤٨، ٣٢٦.

(٦١٦) مغني اللبيب ص٥٨.

(٦١٧) هو قيس بن عُبَاد القيسي الضبعي، نزيل البصرة، له إدراك، ذكره بن قانع في الصحابة وأورد له حديثاً مرسلاً وقال بن أبي حاتم وغيره قدم المدينة في خلافة عمر فروى عنه وعن أبي ذر وعلي وغيرهم، قال ابن سعد: كان ثقة قليل الحديث، وذكر أبو مخنف أنه من جملة من قتلهم الحجاج ممن خرج مع ابن الأشعث. انظر: الإصابة ج٥/ ص٥٣٥.

(٦١٨) هم حمزة وعلي وعبيدة أو أبو عبيدة بن الحارث وشيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة.

(٦١٩) أخرجه البخاري في صحيحه ج٤/ص١٤٥٨/ح٣٧٤٧. وانظر: لباب النقول ص١٤٨. والمسند الصحيح ص١٥٥. وأسباب النزول للواحدي ص ٢٣٦. والمصنف الحديث ص ٢٦١ ـ ٢٦٢.

وقوله تعالى: ﴿خَصۡمَانِ﴾ يريد طائفتين لأن لفظة خصم هي مصدر يوصف به الجمع والواحد ويدل على أنه أراد الجمع قوله ﴿ٱخۡتَصَمُواْ﴾ فإنها قراءة الجمهور... وقوله ﴿فِي رَبِّهِمۡۖ﴾ معناه في شأن ربهم وصفاته وتوحيده، ويحتمل أن يريد في رضاء ربهم وفي ذاته، ثم بين حكمي الفريقين فتوعد تعالى الكفار بعذاب جهنم، و﴿قُطِّعَتۡ﴾ معناه جعلت لهم بتقدير، كما يفصل الثوب، وروي أنها من نحاس وقيل ليس شيء من الحجارة والفلز أحر منه إذا حمي، وروي في صب ﴿ٱلۡحَمِيمُ﴾ وهو الماء المغلى أنه تضرب رؤوسهم بـ (المقامع)[620] فتنكشف أدمغتهم فيصب ﴿ٱلۡحَمِيمِ﴾ حينئذ، وقيل بل يصب أولاً فيفعل ما وصف، ثم تضرب بـ(المقامع) بعد ذلك، ﴿ٱلۡحَمِيمِ﴾ الماء المغلى، و﴿يُصۡهَرُ﴾ معناه يذاب، وقيل معناه يعصر ...، وقيل معناه ينضج»[621].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيد قراءة ﴿هَٰذَانِّ﴾ كثرة الفِرَق والطوائف المُتخاصمة، وتكرار التخاصُم، كأنَّه خِصامٌ بعد خصامٍ بينها؛ حيثُ التشديدُ يفيد التكثير والتكرير.

يقول مكي بن أبي طالب ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: «وفي التشديد معنى التكرير والتكثير»[622].

بينما قراءة ﴿هَٰذَانِ﴾ بالتخفيف أنَّ المُتخاصمين معروفون وليسوا مبهمين حيثُ التخفيف هنا إجراءُ المبهمِ مُجْرَى الأسماءَ المعروفة.

يقول مكي بن أبي طالب ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: «وحجّة من شدَّدَ النون أنَّ في ذلك ثلاثة أقوال:

---

(٦٢٠) «قمع: المِقْمَعَةُ بالكسر واحدة المَقَامِع من حديد، كالمحجن يضرب بها على رأس الفيل، وقَمَعَهُ: ضربه بها، وقمعه وأقْمَعَهُ أي: قهره وأذله فانْقَمَعَ». مختار الصحاح ص٥٦٠.

(٦٢١) المحرر الوجيز ج ٤ / ص ١١٤. وانظر: تفسير ابن أبي زمنين ج٢/ ص ٢٥.

(٦٢٢) الكشف ج٢/ص٩١.

الأول: أنَّه شدَّدَ النون، ليكون التشديد عِوضاً من الحذف، الذي دخل هذه الأسماء المبهمة في التثنية، لأنَّه قد حُذِفَ ألفٌ منها، لالتقاء الساكنين، وهما الألف التي كانت في آخر الواحد، وألف التثنية، فجعل التشديد في النون عوضاً من المحذوف.

الثاني: أنَّ التشديد وَجَبَ لهذه النون، للفرق بين النون، التي هي عِوض من تنوينٍ ملفوظ به في الواحد، نحو: زيد وعمرو، وبين النون التي لا تنوين في الواحد ملفوظ به، تكون النون عوضاً منه.

والثالث: أنَّ النون شُدِّدَت للفرق بين النون، التي تُحذَف للإضافة، لأنَّ المُبهَم معرفة، فهو لا يُضاف البتة...

وحجَّة من خَفَّفَ أنَّه أجرى المُبهم مُجْرَى سائرِ الأسماء، فخَفَّفَ النون، كما تُخفَّفُ في كلِّ الأسماء، وهو الاختيار، وعليه أتى كلام العرب، وهو المستعمل، وعليه أكثر القراء»[٦٢٣].

بالجمع بين القراءتين يتبيَّن أنَّ الله ـ تعالى ـ يجمعُ يوم القيامةِ أهلَ الطوائفِ الذين اختصموا في شأنِ ربِّهم على اختلافِ أسمائهم وانتماءاتهم، وهو العليم بهم، ويفصِلُ بينهم على رغم كثرتهم وتكرار تخاصمهم، كما توَعَّدَ الكافرين منهم بما أعدَّه لهم من عذاب النار المُحرِقَة، والله أعلم.

٨ ـ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾ [الحج: ٢٣].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ نافع، وحفص، ويعقوب ﴿وَلُؤْلُؤًا﴾ بنصب الهمزة الثانية.

٢ ـ وقرأ شعبة، وأبو جعفر ﴿وَلولُؤاً﴾ بإبدال الهمزة الساكنة واواً ساكنة مدِّيَّة مع نصب الهمزة الثانية.

---

(٦٢٣) المرجع السابق ج١/ ص٣٨٢. وانظر: معاني القراءات ص١٢٢.

٣ ـ وقرأ السوسي ﴿ولوْلُوٍ﴾ بإبدال الهمزة الساكنة واواً ساكنةً مدِّيَّةً مع خفض الهمزة الثانية.

٤ ـ وقرأ الباقون ﴿وَلؤْلؤٍ﴾ بخفض الهمزة الثانية(٦٢٤).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

لألأ: اللُّؤْلُؤَةُ: الدُّرَّةُ، والجمعُ: اللُّؤْلُؤُ واللَّآلِئُ(٦٢٥).

ثالثاً: التفسير:

يبَشِّرُ الله ـ تعالى ـ في هذه الآية المؤمنين بما أعدَّه لهم من ألوان النعيم في الجنَّة.

يقول أبو السعود ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ في بيان هذه الآية: «بيان لحسن حال المؤمنين إثر بيان سوء حال الكفرة وقد غير الأسلوب فيها بإسناد الإدخال إلى الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ وتصدير الجملة بحرف التحقيق إيذاناً بكمال مباينةِ حالهم لحالِ الكفرةِ وإظهاراً لمزيدِ العنايةِ بأمرِ المؤمنين، ودلالة على تحقق مضمون الكلام (يحلون فيها) على البناء للمفعول بالتشديد من التحلية، وقرئ بالتخفيف من الإحلاء بمعنى الإلباس، أي: يحلِّيهم الملائكةُ بأمرِهِ تعالى، وقرىءَ يحلَّونَ من حليةِ المرأةِ إذا لبِسَت حليتَها، ومن في قوله تعالى ﴿مِنۡ أَسَاوِرَ﴾ إما للتبعيض أي: بعض أساور وهي جمعُ أسورةٍ جمعُ سوارٍ، أو للبيانِ لمَّا أنْ ذَكَرَ التحليةَ ممَّا يُنَبِيءُ عنِ الحُليِّ المُبهم وقيل: زائدة، وقيل: نعتٌ لمفعول محذوف ليحلون فإنه بمعنى يلبسون من ذهب بيان للأساور ولؤلؤاً عطف على محل من أساور أو على المفعول المحذوف أو منصوب بفعل مضمر يدل عليه يحلون أي يؤتون وقرىء بالجر عطفاً على أساور وقرئ ﴿لؤلواً﴾ بقلب الهمزة الثانية واواً، ولولياً بقلبها ياء بعد قلبهما واواً، وليلياً بقلبهما ياء، ﴿وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ﴾ غيّر الأسلوب حيث لم يقل: ويلبسون فيها حريراً، لكنْ لا للدلالة على أنَّ الحريرَ ثيابُهم المُعتادة، أو

(٦٢٤) انظر: النشر ج٢/ص٣٢٦. والبدور الزاهرة ص٢١٢.

(٦٢٥) لسان العرب ج ١ / ص ١٨١.

لمجَردِ المحافظةِ على هيئةِ الفواصِلِ، بل للإيذان بأنَّ ثبوتَ اللباسِ لهم أمرٌ مُحَقَّقٌ غنيٌّ عن البيانِ، إذ لا يمكنُ عراؤُهم عنه، وإنما المحتاج إلى البيان أنَّ لباسَهم ماذا بخلافِ الأساورِ واللؤلؤ؟ فإنها ليست من اللوازم الضرورية، فجعلَ بيانَ تحليتِهم بها مقصوداً بالذات، ولعلَّ هذا هو الباعث إلى تقديم بيانِ التحليةِ على بيانِ حالِ اللباس»(٦٢٦).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة ﴿وَلُؤْلُؤًا﴾ بالنصب أنَّ المؤمنين يُحَلَّون في الجنَّةِ لؤلؤاً خالصاً.

كما أفادت قراءةُ ﴿ولؤلؤٍ﴾ بالخفض أنَّ المؤمنين يُحَلَّونَ أساورَ من الذهبِ المُرَصَّعِ باللؤلؤ.

أمَّا القراءتان ﴿ولوْلُؤاً﴾، ﴿ولوْلُؤٍ﴾ بإبدال الهمزة الساكنة واواً مدِّيَّةً في القراءتين السابقتين فإنَّها تفيد أنَّ حصول المؤمنين على اللؤلؤ دائمٌ، ومُيَسَّرٌ لهم، وسهل المنال بلا جهدٍ ولا مشقَّةٍ.

يقول ابن أبي مريم: «وقرأ يعقوب ﴿وَلُؤْلُؤًا﴾ بالنصب... والوجه في نصبه أنَّه محمولٌ على قوله ﴿يُحَلَّوْنَ﴾، كأنه قال: ويُحَلَّوْنَ لُؤْلُؤاً، يقالُ حَلَّيْتُهُ بالذَّهَبِ وحَلَّيْتُهُ الذَّهَبَ.

وأمَّا الهمزتان في اللؤلؤ فيجوز تحقيقهما على الأصل، وتخفيفهما أيضاً بأنْ تُقْلَبَ كلّ واحدة منهما واواً، ويجوزُ أنْ تخَفَّفَ الأولى وتُحَقَّق الثانية، وأنْ تُحقَّق الأولى وتُخَفَّف الثانية، والتخفيف هَاهنا بأنْ تُقْلَبَ الهمزةُ واواً، والتحقيقُ بأنْ تُتْرَكَ همزةً.

وقرأ الباقون ﴿ولؤلؤٍ﴾ بالجرّ في السورتين، والوجه أنَّه معطوفٌ على ﴿ذَهَبٍ﴾ من قوله ﴿أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ﴾، كأنَّه قال: أَساوِرَ من ذَهَبٍ ومِنْ لؤْلؤٍ»(٦٢٧).

---

(٦٢٦) تفسير أبي السعود ج٤/ص٣٧٤، ٣٧٥.

(٦٢٧) الموضح: ج٢ ص٨٧٦، ٨٧٧. (بتصرف بسيط).

ويقول الألوسي: «ولؤلؤٍ بالخفض عطفاً على (أساورَ) أو على (ذهبٍ) لأن السّوارَ قد يكونُ من ذهبٍ مرصعٍ بلؤلؤٍ وقد يكون من لؤلؤٍ فقط كما رأيناه، ويسمى في ديارنا خصراً وأكثرُ ما يكون من المُرجان»(٦٢٨).

بالجمع بين القراءات الأربع يتحقّق أنَّ الله تعالى أعدَّ للمؤمنين في الجنةِ نعيماً كثيراً حيثُ يلبسون لؤلؤاً خالصاً، كما يلبسون أساور الذَّهب المُرَصَّع باللؤلؤِ الصغيرِ، الذي يُسَمَّى مرجاناً، وهم ينالون ذلك كلّه بيسر، وسهولةٍ، وديمومة فلا يَحُول بينهم وبين الحصول عليه غلاءُ ثمنٍ، ولا قلّةُ مالٍ فقد نالوا الجنّةَ التي هي أغلَى من أيِّ ثمن، والله أعلم.

٩ ـ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَـٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَـٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادِۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ [الحج: ٢٥].

أولاً: القراءات:

القراءات في ﴿سَوَآءً ٱلْعَـٰكِفُ فِيهِ﴾:

١ ـ قرأ حفص عن عاصم ﴿سَوَآءً ٱلْعَـٰكِفُ فِيهِ﴾ بالنصب.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿سَوَاءٌ ٱلْعَاكِفُ فِيهِ﴾ بالرفع(٦٢٩).

القراءات في ﴿وَٱلْبَادِۚ﴾:

١ ـ وقرأ ورش، وأبو عمرو، وأبو جعفر ﴿وَٱلْبَادي﴾ بإثبات الياء وصلاً.

٢ ـ وقرأ ابن كثير، ويعقوب ﴿والبادي﴾ بإثبات الياء وصلاً ووقفاً.

٣ ـ وقرأ الباقون ﴿وَٱلْبَادِۚ﴾ بحذف الياء وصلاً ووقفاً(٦٣٠).

---

(٦٢٨) روح المعاني ج١٧/ص٢٠٢.

(٦٢٩) انظر: النشر ج٢/ص٣٢٦.

(٦٣٠) انظر: النشر ج٢/ص٣٢٧.

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«سواء: بمعنى عدل»(٦٣١).

العاكف: المقيم به الحاضر.

البادي: الطارىء من البدو وهو النازع إليه من غربته، وقال بعضهم يدخل في العاكف القريب إذا جاور ولزمه للتعبد وإن لم يكن من أهله(٦٣٢).

بدا: بدا الشيء بدوًا، وبداءً، أي: ظهر ظهوراً بيِّناً، والبدو خلاف الحضر، قال تعالى: ﴿وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ...﴾ [يوسف: ١٠٠] أي البادية: وهي كل مكان يبدو ما يعنّ فيه، أي: يعرض، ويقال للمقيم في البادية: بادٍ، كقوله تعالى: ﴿...سَوَآءً ٱلْعَـٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِۚ...﴾(٦٣٣).

ثالثاً: التفسير:

في الآيةِ تحذيرٌ للذين جمعوا بين الكفر والصدِّ عن سبيل الله ومنع الناس من الإيمان بأن يذيقهم الله ـ تعالى ـ العذاب الأليم.

يقول السعدي ـ رحمه الله ـ: «يخبرُ تعالى عن شناعةِ ما عليه المشركونَ الكافرون بربِّهم، وأنَّهم جمعوا بين الكفرِ باللهِ ورسوله، وبينَ الصدِّ عن سبيلِ اللهِ ومَنْع الناسِ من الإيمان، والصدِّ أيضاً عن المسجدِ الحرام، الذي ليسَ ملكاً لهم ولا لآبائهم، بل الناسُ فيه سواء، المقيمُ فيه، والطارئ إليه، بل صدُّوا عنه أفضلَ الخلق محمداً وأصحابَه، والحالُ أنَّ هذا المسجد الحرام، من حرمته واحترامه وعظمته، أنَّ من يُرِدْ فيهِ بإلحادٍ بظلمٍ نذِقْهُ من عذاب أليم.

فمجردُ إرادةِ الظلمِ والإلحادِ في الحَرَم، مُوجِبٌ للعذاب، وإنْ كانَ

---

(٦٣١) دقائق لغة القرآن ج١/ص٧٣. وقد ذكرت معناها عند الحديث عن (مكاناً سوى) في سورة طه ص ٥٤.

(٦٣٢) انظر: تفسير الرازي ج٢٣/ص٢٤.

(٦٣٣) انظر: المفردات ص ١١٣.

غيره لا يعاقَبُ العبدُ عليه إلا بعملِ الظلم، فكيفَ بمن أتى فيهِ أعظَمَ الظُّلم، منَ الكُفر والشِّرك، والصَّدِّ عن سبيله، ومَنْعِ من يريدُهُ بزيارة، فما ظَنُّكم أنْ يَفْعَلَ اللهُ بهم؟»[٦٣٤].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيد ﴿سَوَآءً ٱلْعَـٰكِفُ فِيهِ﴾ بالنصب أنَّ اللهَ ـ تعالى ـ جعلَ البيت الحرام سواءً للمقيم والزائر.

أمَّا قراءة ﴿سَوَاءٌ ٱلْعَاكِفُ فِيهِ﴾ بالرفع فقد أفادت أنَّ المُقيمَ والزائرِ لبيت الله الحرام يستويان في حق السكن والعبادة فيه.

يقول الفخر الرَّازي ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «رُفع على أنه خبر مبتدأ مقدم أي العاكف والباد فيه سواء، وتقدير الآية المسجد الحرام الذي جعلناه للناس منسكاً فالعاكف والبادي فيه سواء وقرأ عاصم ويعقوب (سواءً) بالنصب بإيقاعِ الجعلِ عليه؛ لأنَّ الجعلَ يتعدَّى إلى مفعولين، والله أعلم»[٦٣٥].

أمَّا قراءة ﴿وَٱلْبَادي﴾ فإنَّ المقصود بها الزائر لبيت الله الحرام المُطيل لزيارته.

في حين أنَّ قراءة ﴿وَٱلْبَادِۚ﴾ يُقصدُ بها الزائر الذي لا تطول زيارته لبيت الله الحرام.

جاء في كتاب دراسة الصوت اللغوي: «لا شكَّ أَنَّ الحركةَ القصيرةَ أقلُّ حجماً وأقصرُ استمراريةً من الطويلة»[٦٣٦].

ويقول الدكتور فاضل السامرائي: «ويمكن هنا أن نذكرَ أصلاً عامًّاً في ذكر الياء وحذفها وهو: أنَّ الاجتزاء بالكسرة عن الياء يختلفُ عن ذكر الياء في كلِّ ما ورد في القرآن الكريم عدا خواتم الآي والنداء، ولها في كلِّ

(٦٣٤) تفسير السعدي ص ٥٣٦.

(٦٣٥) تفسير الرازي ج٢٣/ص ٢٣.

(٦٣٦) دراسة الصوت اللغوي ص٣٣٩.

ذلك خطٌّ عامٌّ إضافةً إلى السياق الخاص، ففي كلِّ موطِنٍ ذُكِرَ الياء فيه يكونُ المقامُ مقامَ إطالةٍ وتفصيلٍ في الكلام، بخلافِ الاجتزاءِ بالكسرةِ فإنَّ فيه اجتزاءً في الكلام»[٦٣٧].

بالجمع بين القراءات الأربع يتبيَّنُ أنَّ الله ـ تعالى ـ قد جعل البيت الحرام سواءً وعدلاً في العبادةِ وفي الإقامةِ بين المقيمِ في مكةَ الملازم لبيته الحرام فيها، والمسافر الذي يحضرُ من البادية للعبادة، سواءً أطالت زيارته أم قَصُرَت، فإنَّ له حقَّ العبادة والإقامة في بيت الله الحرام، ولا يحقُّ لأيٍّ من العاكف أو البادي منعَ الآخر من هذين الحقَّين اللذَيْن جعلهما الله ـ تعالى ـ لكلٍّ منهما سواءً، والله أعلم.

١٠ ـ قال تعالى: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُواْ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾﴾ [الحج: ٢٩].

أولاً: القراءات:

القراءات في: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُواْ﴾:

١ ـ قرأ ابن عامر، وأبو عمرو، وورش، ورويس ﴿ثُمَّ لِيَقْضُوا﴾ بكسرِ اللام.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿ثُمَّ لْيَقْضُواْ﴾ بإسكان اللام.

القراءات في: ﴿وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُواْ﴾

١ ـ قرأ ابن ذكوان ﴿وَلِيُوفوا نُذُورَهُمْ وَلِيَطَّوَّفُوا﴾ بكسر اللام.

٢ ـ وقرأ شعبة ﴿وَلْيُوَفُّوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا﴾ بإسكان اللام وفتح الواو وتشديد الفاء من (ولْيُوَفُّوا).

٣ ـ وقرأ الباقون ﴿وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُواْ﴾ بإسكان اللام منهما[٦٣٨].

(٦٣٧) التعبير القرآني ص٨٠.

(٦٣٨) انظر: النشر ج٢/ص٣٢٦.

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«القضاء: فصل الأمر قولاً كان ذلك أو فعلاً»(٦٣٩).

«**وفَى**: الوافي: الذي بلغَ التَّمام ... وفَى بعهده يفي وفاءً وأوفَى: إذا تمَّمَ العهدَ ولم ينقضْ حفظَه»(٦٤٠).

«**الطّوف**: المشي حولَ الشيءِ ومنه: الطائفُ لمن يدورُ حولَ البيوتِ حافظاً»(٦٤١).

ثالثاً: التفسير:

يقول السعدي - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - في قوله تعالى ﴿ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ﴾: «أي: يقضوا نسكهم، ويزيلوا الوسخ والأذى، الذي لحقهم في حال الإحرام، ﴿وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ﴾ التي أوجبوها على أنفسهم، من الحج، والعمرة والهدايا، ﴿وَلْيَطَّوَّفُواْ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾ أي: القديم، أفضل المساجد على الإطلاق، المعتق: من تسلط الجبابرة عليه. وهذا أمر بالطواف، خصوصاً بعد الأمر بالمناسك عموماً، لفضله، وشرفه، ولكونه المقصود، وما قبله وسائل إليه.

ولعله - والله أعلم أيضاً - لفائدة أخرى، وهو: أنَّ الطَّوافَ مشروعٌ كلَّ وقتٍ، وسواءٌ أكان تابعاً لنُسُك، أم مستقلاً بنفسه»(٦٤٢).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيد قراءة ﴿لِيَقْضُواْ﴾ أمرَ الحجاجِ والمعتمرين بالتحلُّلِ من إحرامِهم بعد أنْ يُتِمُّوا أداءَ مناسِكهم.

في حين أنَّ قراءة ﴿لْيَقْضُواْ﴾ أشارت إلى الأخذِ بالرُّخصِ التي أباحَها

(٦٣٩) المفردات ص٦٧٤.

(٦٤٠) المرجع السابق ص٨٧٨.

(٦٤١) المرجع السابق ص٥٣١.

(٦٤٢) تفسير السعدي ص ٥٣٦.

الإسلامُ لأجلِ التسهيلِ والتيسير في التحلُّل من الإحرام وإذهاب ما لحقَهم من أذىً خلالَ فترةِ الإحرام.

أمَّا قراءة ﴿وِلِيُوفوا نُذورَهُمْ وَلِيَطَّوَّفُوا﴾ فقد أفادت حثَّ الحجَّاجِ والمعتمرين على إيفاءِ نذورِهم على أصولِها كما نَذَروها، والإكثارِ من الطواف بالبيت.

في حين أفادت قراءة ﴿ولْيُوَفُّوا نُذورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا﴾ الحثَّ على أنْ يوَفُّوا نذورَهم بغير تكلُّفٍ ومشقَّة بأخذهم بالرُّخص التي أباحها الله - تعالى - لهم، وأنْ يكثِروا منها ومن الطواف حول الكعبة المشرَّفة.

كذلك فإنَّ قراءةَ ﴿وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُواْ﴾ تفيد أخذَ الحجاجِ والمعتمرين بالرُّخَصِ الشرعيةِ التي شرَعها لهم الدِّين في إيفائِهم بالنُّذورَ، وكذلك عندَ الإكثارِ من الطَّوافِ بالبيت الحرام.

يقول الرازي - رَحِمَهُ اللهُ - في تفسير قوله تعالى ﴿ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ﴾: أصلُ التَّفث في كلام العربِ: كلُّ قاذورةٍ تلحقُ الإنسانَ فيجبُ عليه نقضُها. والمراد هَهُنا قصُّ الشَّاربِ والأظفارِ ونتف الإبط وحلق العانة، والمراد من القضاء إزالةُ التَّفث. . .

أما قوله: ﴿وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ﴾ فقرئ بتشديدِ الفاء ثم يحتملُ ذلك ما أوجبه الدخول في الحج من أنواع المناسك، ويحتملُ أنْ يكونَ المرادُ ما أوجبوه بالنَّذرِ الذي هو القول، وهذا القول هو الأقرب فإنَّ الرَّجل إذا حجَّ أو اعتمرَ فقد يوجِبُ على نفسه من الهَدْي وغيره ما لولا إيجابه لم يكن الحجُّ يقتضيه، فأمَرَ اللهُ تعالى بالوفاءِ بذلك.

أما قوله: ﴿وَلْيَطَّوَّفُواْ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾ فالمرادُ الطوافُ الواجبُ وهو طوافُ الإفاضةِ والزيارة، أما كونُ هذا الطَّواف بعد الوقوفِ ورمي الجمارِ والحلق، ثم هو في يوم النَّحرِ أو بعدَه ففيه تفصيل[٦٤٣].

---

(٦٤٣) انظر: تفسير الرازي ج٢٣/ص٣٠. تفسير ابن كثير ج٣/ص٣٧١، تفسير البيضاوي ص٤٥٤، تفسير أبي السعود ج٤/ص٣٧٩، والدُّر المصون ج٥/ص١٤٥.

بالجمع بين القراءات تتبيَّنُ سماحةُ الإسلام ويُسرُه بأمرِ الحجاج بالتحلُّلِ من إحرامِهم وإذهابِ ما لَحِقَ بهم من أذىً في أثناءِ إحرامِهم، بما تيسَّرَ لهم من وسائلَ، وأخذِهم بالرُّخَصِ المباحةِ في الدِّين، وبأنْ يوَفُّوا نذورَهم كما نَذَروها على أصولِها بغيرِ تكلُّفٍ، وبما يتيسَّرُ لهم وليكثروا منها تقرُّباً إلى الله - تعالى - كما يُكثِروا من التعبُّد لله بالطواف حولَ البيتِ العتيق.

١١ - قال تعالى: ﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾ [الحج: ٣١].

أولاً: القراءات:

١ - قرأ [المدنيان] نافع وأبو جعفر ﴿فَتَخَطَّفُهُ ٱلطَّيْرُ﴾ بفتح الخاء وتشديد الطاء.

٢ - وقرأ الباقون ﴿فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ﴾ بإسكان الخاء وتخفيف الطاء[٦٤٤].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«خطف: الخطف والاختطاف: الاختلاس بالسرعة»[٦٤٥].

ثالثاً: التفسير:

يأمرنا الله - تعالى - بعبادته وحده ويُحذِّرنا من الإشراك به وترك الاعتصام بالإيمان حتى لا تَخَطَّفنا الشياطينُ من كلِّ جانبٍ فتُمَزِّقنا وتذهب بدينِنا ودنيانا.

يقول السعدي - رحمه الله -: «أمَرَهم أنْ يكونوا ﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ﴾ أي: مقبلين عليه وعلى عبادته، معرضين عما سواه. ﴿غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ﴾ فمثله ﴿فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: سقط منها ﴿فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ﴾ بسرعة ﴿أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ أي: بعيد، كذلك المشرك، فالإيمانُ

(٦٤٤) انظر: النشر ج٢/ص٣٢٦.

(٦٤٥) المفردات ص ١٥٠.

بمنزلةِ السماء، محفوظةٌ مرفوعةٌ. ومن تَرَكَ الإيمانَ، بمنزلةِ الساقطِ من السماء، عُرضَةٌ للآفاتِ والبليَّات، فإمَّا أنْ تَخطَفَه الطيرُ فتقطِّعه أعضاءً، كذلك المشركُ إذا تَرَكَ الاعتصامَ بالإيمانِ تخطَّفته الشياطينُ من كلِّ جانبٍ، ومزَّقوه، وأذهبوا عليه دينَه ودنياه»(٦٤٦).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيد قراءة ﴿فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ﴾ سرعةَ خطفِ الشياطين للذينَ تَرَكوا الاعتصامَ بالإيمانِ بالله تعالى.

أمَّا قراءة ﴿فَتَخَطَّفُهُ ٱلطَّيْرِ﴾ فتفيد كثْرةَ الخطفِ وشدَّته.

يقول النسفي: «﴿فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ﴾ أي: تَسلبه بسرعةٍ ﴿فتخَطَّفه﴾ أي تتخَطَّفه مدني، ﴿أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ﴾ أي تُسقطُهُ، والهوي: السقوطُ ﴿فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ بعيد. يجوز أنْ يكونَ هذا تشبيهاً مُركَّباً، ويجوز أنْ يكونَ مفرَّقاً. فإنْ كان تشبيهاً مركباً فكأنَّه قال: من أشرك بالله فقد أهلك نفسه إهلاكاً ليس بعده بأنْ صوَّرَ حالَه بصورةِ حالٍ من خَرَّ من السماء فاختطَفَتْه الطيرُ فتفرَّق قطعاً في حواصلها، أو عصفت به الريحُ حتَّى هوَت به في بعض المهالك البعيدة. وإنْ كان مفرقاً فقد شُبِّه الإيمانُ في علُوه بالسماء، والذي أشركَ بالله بالساقطِ من السماء. والأهواءُ المرديةُ بالطيرِ المتخَطِّفَةِ، والشيطانُ الذي هو يُوقِعُه في الضلال بالريح التي تهوي بما عصفت به في بعض المهاوي المُتْلِفَة»(٦٤٧).

«وليس يخفى أنَّ هذه الصورة تدفع الخيال لمتابعة الحركات السريعة لسقوط المشرك من السماء، وفي لمح البصر تخطفه الطير، أو ترميه في مكان سحيق، بعيد عن الأنظار، ويترك للخيال أنْ يتأمَّل صورة خطف الطير له، وصورة تمزيقه قطعاً، أو يتابع حركة سقوطه في مكان سحيق بعيد»(٦٤٨).

---

(٦٤٦) تفسير السعدي ص ٥٣٨. وانظر: تفسير ابن عربي ج٢/ ص ٣٨٩.

(٦٤٧) تفسير النسفي ج٣/ص١٥٤. وانظر: التفسير القرآني مج٥/ ج١٧/ ص١٠٢٩.

(٦٤٨) دلالات الظاهرة الصوتية ص٢٣٣.

ويصور الشهيد سيد قطب ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ هذا المشهد فيقول: «انظر: لقد خرّ من السماء، انظر: لقد خطفته الطير، انظر: لقد اختفى المسرح ومن فيه!... ولم هذه السرعة الخاطفة؟ لئلاّ يتوهم أحد أنَّ لمن يشرك بالله منبتاً، أو وجوداً أو قراراً، أو امتداداً مهما يبلغ من الحسب والقوة والجاه والبنين؛ إنّما يأتي في ومضة من المجهول، ليذهب في ومضة إلى المجهول»(٦٤٩).

بالجمع بين القراءتين ترسمُ الآيةِ صورةً مُرعبةً، فيها تحذيرٌ من الشِّركِ بالله، ومن تركِ التمسُّك بالإيمان به، كما أنَّ فيها تهديدٌ لمن يفعل ذلك؛ لأنَّ من يفعل ذلك ستُرْديه الأهواءُ في المهالكِ كمن تخطفه الشياطين بشدة وبسرعة وبكثرة، وستوقعُه في الضلال فتُذهب عليه دينَه ودنياه، والله أعلم.

١٢ ـ قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَـٰمِ ۗ فَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [الحج: ٣٤].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ حمزة والكسائي وخلف ﴿مَنسِكاً﴾ بكسر السين.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿مَنسَكًا﴾ بفتح السين(٦٥٠).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

نسك: النُسُك: العبادةُ، والنَّاسِكُ: العابدُ، واختصّ بأعمالِ الحج، والمناسك: مواقفُ النّسُك وأعمالها(٦٥١).

«والمنسِك في كلام العرب هو الموضعُ المعتاد، ومنه تسميةُ مناسكِ

(٦٤٩) التصوير الفني في القرآن ص ١١١.

(٦٥٠) انظر: النشر ج٢/ص٣٢٦.

(٦٥١) المفردات ص ٨٠٢.

الحجّ، لاعتيادِ مواضِعِها»(٦٥٢).

ثالثاً: التفسير:

تثبتُ هذه الآية أنَّ دعوةَ جميعِ الرُّسُلِ واحدةٌ حيثُ تدعو إلى إفراد الله تعالى بالعبودية، فعلى رغمِ تعدُّدِ الشرائع فإنَّ أصلَها واحدٌ، كما أنَّ لكلِّ أمَّةٍ منسكاً واحداً دون غيره.

يقول أبو السعود ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: «﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ﴾ أي: لكلِّ أهلِ دينٍ ﴿جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾ أي: مُتعبَّداً وقُرباناً يتقرَّبون به إلى الله عَزَّ وَجَلَّ. وقُرِىء بكسر السِّين أي: موضعَ نُسُكٍ. وتقديمُ الجارِّ والمجرورِ على الفعل للتَّخصيص، أي: لكلِّ أُمَّةٍ من الأُممِ جعلنا منسكاً لا لبعضٍ دونَ بعضٍ. ﴿لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ﴾ خاصَّةً دون غيرِه ويجعلُوا نسيكتهم لوجهه الكريم عُلِّلَ الجعلُ به تنبيهاً على أنَّ المقصودَ الأصليَّ من المناسكِ تذكُّرُ المعبودِ. ﴿عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾ عند ذبحِها، وفيه تنبيهٌ على أنَّ القُربان يجبُ أنْ يكونَ من الأنعام. والخطابُ في قوله تعالى: ﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ للكلِّ تغليباً. والفاءُ لترتيبِ ما بعدها على ما قبلَها فإنَّ جَعْلَه تعالى لكلِّ أُمَّةٍ من الأُممِ مَنْسكاً ممَّا يدلُّ على وحدانيَّته تعالى. وإنَّما قيل إله واحدٌ ولم يُقل واحدٌ لما أنَّ المرادَ بيانُ أنَّه تعالى واحدُ في ذاتِهِ كما أنَّه واحدٌ في إلهيته للكلِّ. والفاءُ في قوله تعالى: ﴿فَلَهُ أَسْلِمُوا﴾ لترتيبِ ما بعدها من الأمرِ بالإسلام على وحدانيَّتهِ تعالى، وتقديمُ الجارِّ والمجرورِ على الأمرِ للقصر، أي: فإذا كان إلهُكُم إلهاً واحداً فأخلصوا له التَّقرُّبَ أو الذِّكرَ واجعلُوه لوجههِ خاصَّةً، ولا تشوبُوه بالشِّرك، ﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾ تجريدٌ للخطاب إلى رسول اللهِ ﷺ أي: المُتواضعينَ أو المُخلِصين؛ فإنَّ الإخباتَ من الوظائفِ الخاصَّةِ بهم»(٦٥٣).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة ﴿مَنسَكًا﴾ تخصيص المنسك حيث إنَّ الله ـ تعالى ـ جعلَ

(٦٥٢) تفسير الماوردي ج٤/ ص ٢٥.

(٦٥٣) تفسير أبي السعود ج٤/ص٣٨١.

ذبحَ القرابين وإراقةَ الدماء تقرُّباً لله ـ تعالى ـ منسكاً خاصاً بكلِّ أُمَّةٍ من الأمم.

بينما قراءة ﴿مَنسِكاً﴾ فتفيد تحديدَ المكانِ والزمان الذي يتمُّ فيه ذبحُ قرابينهم وإراقةُ دِمائها.

يقول الدكتور محمد سالم محيسن: «وهذا الوزن (مَفْعِل) يصلح أنْ يكون مصدراً ميمياً(٦٥٤) ومعناه: النُّسُك، والمرادُ به هنا: (الذَّبْح).

ويصلحُ أنْ يكونَ اسمَ مكانٍ، أي: مكاناً للنُّسُك، أو اسمَ زمانٍ، أي: وقتُ النُّسُك، والفتحُ هو القياسُ والكسرُ سماعيّ»(٦٥٥).

ويقول البغوي: «﴿جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾ قرأ حمزة والكسائي بكسر السِّين هاهنا وفي آخر السورة، على معنى الاسم مثل المَسْجِد والمَطلِع، أي: مذبحاً، وهو موضعُ القربان، وقرأ الآخرون بفتح السِّين على المصدر، مثل المَدخَل والمَخرَج، أي: إراقةُ الدماءِ وذبحُ القرابين»(٦٥٦).

بالجمع بين القراءتين يتبيَّنُ أنَّ الله ـ تعالى ـ اختصَّ كلَّ أمَّةٍ من الأمم بذَبحِ القرابين وإراقةِ دمائِها تقرُّباً إليه ـ ﷻ ـ كما جعلَ لهم مكاناً خاصًّا بالذَّبح وزماناً خاصًّا به كذلك، يؤدُّون فيه هذا المنسك، والله أعلم.

١٣ ـ قال تعالى: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٣٧﴾ [الحج: ٣٧].

---

(٦٥٤) يُصاغ المصدر الميمي من الفعل الثلاثي على وزن (مَفْعَل) نحو: مَقْدَم، إلاَّ إذا كان مثالاً صحيح اللام تُحذَف فاؤه في المضارع، فإنَّه يُصاغُ على (مَفْعِل) نحو: موعِد. وشذَّت ألفاظ منها المزيد، والمرجع، والمصير، وقياسها فتح العين. أمَّا من غير الثلاثي فإنَّه يُصاغ على زنة اسم المفعول كالمنطلق والمُستخرَج. انظر: معاني الأبنية ص ٣٤.

(٦٥٥) الهادي ج٣/ص٦٧.

(٦٥٦) تفسير البغوي ج ٥ / ص ٣٨٥. وانظر: تفسير الطبري مج٩/ج١٧/ ص ٢٠٣، الكشاف ج٣/ص٢١، وتفسير البيضاوي ص٤٥٥.

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ يعقوب ﴿لَن تَنالَ اللهَ، ولاَكِن تَنالُهُ﴾ بالتاء على التأنيث.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ، وَلَٰكِن يَنَالُهُ﴾ بالياء على التذكير(٦٥٧).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«نَالَ خيراً يَنَالُ نَيْلاً: أصاب»(٦٥٨).

ثالثاً: التفسير:

تقَرِّرُ هذه الآية الهدف من القرابين التي تُذْبح حيثُ لا يصلُ الله تعالى منها لحومها ولا دماؤها، ولكن لا يصله منها إلا تقوى الله وإخلاص النية له تعالى.

يقول الطبري: «﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾ قال: إنِ اتقيتَ اللهَ في هذه البُدن، وعملتَ فيها لله، وطلبتَ ما قال الله تعظيماً لشعائرِ الله ولحرمات الله، فإنَّه قال: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ قال (وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ) قال: وجعلتَه طيِّباً، فذلك الذي يَتقبَّلُ الله. فأمَّا اللحومُ والدماء، فَمِن أين تنالُ اللهَ؟ وقوله: ﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ﴾ يقول: هكذا سخر لكم البُدن. يقول: ﴿لِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾ يقول: كي تعظِّموا الله على ما هداكم، يعني على توفيقه إيَّاكم لدينه وللنُّسك في حجِّكم... ﴿لِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾ قال: على ذبحِها في تلك الأيام: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ يقول: وبشِّر يا محمد الذين أطاعوا الله فأحسنوا في طاعتهم إيَّاه في الدنيا بالجنة في الآخرة»(٦٥٩).

---

(٦٥٧) انظر: النشر ج٢/ص٣٢٦.

(٦٥٨) مختار الصحاح ص٦٨٨. وانظر: التحرير والتنوير ج١٧/ص٢٦٧.

(٦٥٩) تفسير الطبري مج٩/ج١٧/ ص ٢٠٣.

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

إنَّ قراءة ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ، وَلَٰكِن يَنَالُهُ﴾ بالتذكير تفيدُ عدمَ نيلِ الله تعالى أو إصابته أيًّا من لحومِ تلك الذبائح التي تُنْحَرُ كقرابينَ لله أو دمائها، فهنا نفيُ الفعل كائنٌ عن الله تعالى.

أمَّا قراءة التأنيث ﴿لَن تَنَالَ اللهَ، وَلاَكِن تَنالُهُ﴾ فإنَّها تفيدُ عدم إصابةِ اللحوم أو الدِّماءِ أو وصولِها إلى الله تعالى، حيث الفاعلُ المقصودُ بنفي فعلِه هنا هو الدماءُ واللُّحوم.

يقول ابن أبي مريم: «والوجه أنّه إنّما أُنِّثَ الفعل فيهما لتأنيث الفاعل.

أمَّا الأولُ وهو قوله: ﴿لَن تَنالَ اللهَ لحومُها﴾ فإنَّما أُنِّثَ ﴿تَنالَ﴾؛ لأنَّ فاعله جماعة، وهي قوله ﴿لُحُومُهَا﴾.

وأمَّا الثاني وهو قوله: ﴿تنالُهُ التقوى﴾ فإنَّما أُنِّثَ؛ لأنَّ فاعله ﴿ٱلتَّقْوَىٰ﴾ وهي مصدرٌ مؤنث؛ لكونه فَعْلَى.

وقرأ الباقون بالياء فيهما، والوجه أنَّ تذكير الفعل إنَّما هو للفصل بين الفعل وفاعله. أمَّا الأول فقد فصل بين الفعلِ منه وهو ﴿يَنَالُ﴾ وبين فاعله وهو اللحوم، بلفظ ﴿ٱللَّهَ﴾، وأكَّدَ التذكير أنَّ تأنيث اللحوم تأنيثُ جمع، فيجوز تذكيره.

وأمَّا الثاني فقد فصَل بين الفعل منه وفاعلِه بالهاء وهو ضميرُ المفعول في قوله: ﴿يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ﴾، والتأنيث في الفاعلَين كليهما غير حقيقي، فالأمرُ فيه أسهل»[٦٦٠].

بالجمع بين قراءتي التذكير والتأنيث يتأكَّدُ النفيُ المذكور في الآيةِ حيثُ لن يَصِلَ أو يبلغَ أو يُدرِكَ اللهُ ـ تعالى ـ لحومَ تلك الذبائح ولا دماءَها، كما لن تَصِلَ اللحومُ والدماء إلى الله تعالى، وذلك أنَّ الله ـ تعالى ـ هو الغنيُّ عنها ولكنَّها وسيلةُ تَقَرُّبٍ إليه سبحانه فلا بدَّ للمُتَعَبِّدِ إلى الله بها أن

---

(٦٦٠) الموضح ج٢/ص ٨٨١.

يستَشْعِرَ التقوى وإخلاص النية لله ﷻ، والله أعلم.

١٤ ـ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ٣٨﴾ [الحج: ٣٨].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ ابن كثير و[البصريان] أبو عمرو ويعقوب ﴿إن اللهَ يَدْفَعُ﴾ بفتح الياء والفاء وإسكان الدال من غير ألف.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ﴾ بضمِّ الياء وفتح الدال وألف بعدها مع كسر الفاء(٦٦١).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«الدَّفع: الدَّفعُ إذا عُدِّيَ بـ(إلى) اقتضَى معنى الإنالة، نحو قوله تعالى: ﴿فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ﴾، وإذا عُدِّيَ بِعَن اقتضَى معنَى الحماية، نحو: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ﴾ [الحج: ٣٨]»(٦٦٢).

ثالثاً: التفسير:

يؤكِّدُ الله ـ تعالى ـ في هذه الآية دفاعَه عن المؤمنين، وبغضَه للكفار.

وهنا تعبيرٌ جميلٌ للشهيد سيِّد قطب ـ رحمه الله ـ حيث يقول:

«ولم يشأ الله أنْ يتركَ الإيمانَ، والخيرَ، والحقّ عُزْلاً تكافحُ قوَى الطغيان، والشَّرِّ، والباطل، اعتماداً على قوة الإيمان في النفوس وتغَلغُلِ الحقِّ في الفِطَر، وعُمْقِ الخيرِ في القلوب. فالقوةُ الماديَّةُ التي يملِكها الباطلُ قد تُزلزلُ القلوبَ وتَفتنُ النفوسَ وتُزيغُ الفِطَر. وللصَّبر حَدٌّ وللاحتمالِ أمَدٌ، وللطاقةِ البشريةِ مَدىً تنتهي إليه. والله أعلمُ بقلوبِ الناسِ، ونفوسهم. ومن ثَمَّ لم يشأ أنْ يتركَ المؤمنين للفتنة، إلا ريثما يستعدُّون للمقاومة، ويتهيَّؤون

(٦٦١) انظر: النشر ج٢/ص٣٢٦.

(٦٦٢) المفردات ١٧٠.

للدفاع، ويتمكنون من وسائلِ الجهاد... وعندئذ أُذِن لهم في القتالِ لردِّ العدوان.

وقبل أنْ يأذنَ لهم بالانطلاق إلى المعركةِ آذنَهم أنَّه هو سيتولَّى الدفاعَ عنهم؛ فهُم في حمايته: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ وأنَّه يَكْرَه أعداءَهم لكفرهم وخيانتهم فهم مخذولون حتماً: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾»(٦٦٣).

ويقول ابن كثير - رَحِمَهُ ٱللَّهُ -: «يخبرُ تعالى أنَّه يَدفعُ عن عبادِه الذين توكَّلوا عليه وأنابوا إليه شرَّ الأشرار وكيدَ الفجار، ويحفظُهم ويكلؤهم وينصرُهم، كما قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزمر: ٣٦] وقال: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: ٣].

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ أي: لا يحبُّ من عباده من اتَّصَفَ بهذا، وهو الخيانةُ في العهود والمواثيق، لا يفي بما قال. والكفر: الجحد للنعم، فلا يعترف بها»(٦٦٤).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

إنَّ قراءة ﴿إن اللهَ يَدْفَعُ﴾ تفيد أنَّ الدفعَ عن المؤمنين يكونُ من الله تعالى وحدَه فيدفعُ عنهم أذَى المشركين وغيرهم، كما يمنعُ أنْ يصيبهم قليلُ الأذَى أو كثيرُه.

أمَّا قراءة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ﴾ فإنَّها تفيد معنى المفاعلة لا على حقيقتها وإنَّما الدفاع من الله وحده ولكن صيغة المفاعلة جاءت لتدلَّ على المبالغة في الدفاع وقوَّته وتكراره مرَّةً بعد مرَّة.

يقول الشوكاني - رَحِمَهُ ٱللَّهُ -: «قرأ أبو عمرو وابن كثير: «يدفع» وقرأ

(٦٦٣) في ظلال القرآن ج٤/ص٢٤٢٤.

(٦٦٤) تفسير ابن كثير ج٣/ص٣٨١.

الباقون: ﴿يُدَٰفِعُ﴾ وصيغة المفاعلة هنا مجرّدة عن معناها الأصلي، وهو وقوع الفعل من الجانبين كما تدلّ عليه القراءة الأخرى. وقد ترد هذه الصيغة ولا يراد بها معناها الأصلي كثيراً مثل: عاقبتُ اللصَّ ونحو ذلك»(٦٦٥).

ويقول الألوسي ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ كلامٌ مُستأنفٌ مسوقٌ لتوطين قلوب المؤمنين ببيان أنَّ الله تعالى ناصرُهم على أعدائهم بحيثُ لا يقدرون على صدِّهم عن الحجّ، وذكرَ أنَّ ذلك متَّصِلٌ بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ﴾ [الحج: ٢٥] وإنَّ ما وقعَ في البين من ذِكر الشعائر مستطرد لمزيدِ تهجينِ فعلِهم وتقبيحِهم لازديادِ قبح الصدِّ بازدياد تعظيم ما صُدَّ عنه، وتصديره بكلمةِ التحقيقِ لإبرازِ الاعتناءِ التَّامّ بمضمونه، وصيغةُ المفاعَلةِ إما للمبالغةِ أو للدلالةِ على تكرُّر الدفعِ، فإنَّها قد تتجرَّدُ عن وقوعِ الفعل المتكرِّر من الجانبين فيبقَى تكرُّره كالممارسة، أي: إنَّ اللهَ تعالى يبالغُ في دفعِ غائلةِ المشركين وضررهم الذي من جملته الصدُّ عن سبيل الله تعالى والمسجد الحرام مبالغةَ من يغالب فيه أو يدفعها عنهم مرةً بعد أخرى بحسبما يتجدَّدُ منهم القَصْدُ إلى الإضرارِ بهم كما في قوله تعالى: ﴿كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ﴾ [المائدة: ٦٤].

وقرأ أبو عمرو، وابن كثير ﴿يدفع﴾ والمفعولُ محذوفٌ كما أُشيرَ إليه، وفي (البحر)(٦٦٦) أنَّه لم يذكر ما يدفعُه سبحانه عنهم ليكونَ أفخمَ وأعظمَ وأعمّ»(٦٦٧).

بالجمع بين القراءتين يتبيَّنُ أنَّ الله ـ تعالى ـ يبشِّرُ المؤمنين بأنَّه يحميهم ويبالغُ في الدفاعِ عنهم بقوَّةٍ مرَّةً بعدَ مرَّةٍ فيدفعُ عنهم الشُّرورَ والمكائدَ ويُذهبُها عنهم، ولن يتركَهم بمفردِهم لينالَ الكفارُ منهم، أو يصيبوهم بأيِّ نوعٍ من أنواعِ الأذى مهما قلَّ أو كثُر، والله أعلم.

---

(٦٦٥) فتح القدير ص١١٦٨. وانظر: القراءات المتواترة ص ١٩٥.

(٦٦٦) هو تفسير البحر المحيط لأبي حيّان.

(٦٦٧) روح المعاني ج١٧/ص٢٣٨، ٢٣٩. وانظر: تفسير البيضاوي ص٤٥٥. والتحرير والتنوير ج١٧/ص٢٧١، ٢٧٢. وتفسير الرازي ج٢٣/ص٣٨.

١٥ ـ قال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [الحج: ٣٩].

أولاً: القراءات:

القراءات في ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ﴾:

١ ـ قرأ المدنيَّان، والبصريّان[٦٦٨]، وعاصم ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ﴾ بضمّ الهمزة.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿أَذِنَ لِلَّذِينَ﴾ بفتح الهمزة.

القراءات في ﴿يُقَٰتَلُونَ﴾:

١ ـ قرأ المدنيان، وابن عامر وحفص ﴿يُقَاتَلُون﴾ بفتح التاء مجهلاً[٦٦٩].

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿يُقَٰتِلُونَ﴾ بكسر التاء[٦٧٠].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

الإذن في الشيء: إعلامٌ بإجازته والرُّخصةُ فيه نحو ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [النساء: ٦٤] أي: بإرادتِه وأمرِه . . . وقيل: معناه: بعلمِه.

لكنْ بينَ العلم والإذنِ فرقٌ، فإنَّ الإذنَ أخصُّ ولا يكادُ يستعملُ إلا فيما فيه مشيئةٌ به[٦٧١].

«أُذن لهم: أي أُبيح لهم القتال، دفاعاً عن النفس»[٦٧٢].

---

(٦٦٨) المدنيان هما [نافع وأبو جعفر]، والبصريان هما [أبو عمرو ويعقوب].

(٦٦٩) مجهلاً أي: مبني للمجهول.

(٦٧٠) انظر: النشر ج٢/ص٣٢٦.

(٦٧١) المفردات ص ٧١.

(٦٧٢) التفسير القرآني للقرآن مج٥/ ص١٠٤٣.

«ق ت ل: القَتْلُ معروف وبابه نَصَرَ، وتَقْتالا وقَتَلَهُ قِتْلَةَ سوء بالكسر، ومَقَاتِلُ الإنسان: المواضع التي إذا أصيبت قَتَلَتْهُ، يقال: مَقْتَلُ الرجل بين فكيه وقَتَلَ الشيء خُبْراً قال الله تعالى ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ [النساء: ١٥٧] أي: لم يحيطوا به علماً، والمُقاتَلَةُ القتال، وقَاتَلَهُ قِتَالاً، والمُقَاتِلَةُ بكسر التاء: القومُ الذين يصلُحون للقتال، وأقْتَلَهُ: عرَّضَهُ للقتل وقُتِّلُوا تَقْتِيلاً: شدِّدَ للكَثْرَة»(٦٧٣).

ثالثاً: التفسير:

هذه الآيةُ تبَشِّرُ المؤمنين بأنَّ الله تعالى قد أَذِنَ لهم بالقتال وقد تكَفَّلَ بنصرهم على عدوِّهم فجاءت خاتمةُ الآيةِ مناسبةً لمضمونِها.

وقد جاء في سبب نزولها عن ابن عباس قال: (لمّا خرج النبي ﷺ من مكة، قال أبو بكر: أخرجوا نبيّهم، إنّا لله وإنّا إليه راجعون، ليهلكنّ، فنزلت: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ...﴾ قال: فعرف أنّه سيكون قتال)، قال ابن عباس: هي أوّل آية نزلت في القتال(٦٧٤).

يقول أبو السعود ـ رحمه الله ـ في بيان معنى هذه الآية: «﴿أُذِنَ﴾ أي رُخِّصَ. وقُرِئَ على البناء للفاعلِ أي أَذِن اللهُ تعالى ﴿لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ﴾ أي يُقاتلهم المشركون. والمأذونُ فيه محذوفٌ لدلالة المذكورِ عليه فإنَّ مقاتَلة المُشركينَ إيَّاهم دالَّةٌ على مقاتلتهم إيَّاهُم دلالةً نَيِّرَةً. وقُرِىء على صيغةِ المبنيِّ للفاعلِ أي يُريدون أنْ يُقاتِلوا المشركين فيما سيأتي ويَحرصون عليه. فدلالتُه على المحذوفِ أظهرُ ﴿بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟﴾ أي بسببِ أنَّهم ظُلموا. وهم أصحابُ النبيِّ ﷺ ـ ورضي عنهم ـ كانَ المشركون يُؤذونهم وكانُوا يأتونَه عليه السلام بين مضروبٍ ومَشْجُوجٍ ويتظلَّمون إليه فيقولُ عليه السلام: (اصبرُوا فإنّي

(٦٧٣) مختار الصحاح ص ٥٦٠.

(٦٧٤) أخرجه النسائي في المجتبى من السنن ج ٦/ ص٢ / ح ٣٠٨٥ كتاب: الجهاد، باب: وجوب الجهاد. وقال الشيخ الألباني: صحيح، وانظر: السنن الكبرى ج٣ / ص٣ / ح ٤٢٩٢، وسنن الترمذي ج٥ / ص ٣٢٥/ ح ٣١٧١، والصحيح المسند ص١٥٦ ـ ١٥٧.

لم أُومر بالقتالِ)[٦٧٥] حتَّى هاجرُوا فأُنزلتْ وهي أوّلُ آيةٍ نزلتْ في القتالِ بعد ما نُهيَ عنه في نَيِّفٍ وسبعينَ آيةً ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ وعدٌ لهم بالنَّصرِ وتأكيدٌ لما مرَّ من العدةِ الكريمةِ بالدَّفعِ، وتصريحٌ بأنَّ المرادَ به ليسَ مجرَّدَ تخليصِهم من أيدي المشركين بلْ تغليبَهم وإظهارَهم عليهم. والإخبارُ بقُدرتهِ تعالى على نصرِهم واردٌ على سَنَنِ الكبرياءِ، وتأكيدُه بكلمةِ التَّحقيقِ واللَّامِ لمزيدِ تحقيقِ مضمونِه وزيادةِ توطينِ نفوسِ المؤمنينَ»[٦٧٦].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

إنَّ قراءة ﴿أُذِنَ﴾ تفيدُ أنَّ الإذنَ قد حصلَ من الله تعالى للمؤمنين بقتال الكافرين الذين ظلموهم وأخرجوهم من ديارهم، وسهولة ذلك عليه سبحانه.

يقول البقاعي - رَحِمَهُ ٱللَّهُ -: «ولمَّا كان كأنَّه قد قيل: كيف تكون المدافعةُ وبِمَن؟ قيل: بعبادِه المؤمنين، عَبَّرَ عن ذلك بقوله: ﴿أُذِنَ﴾ وأشارَ بقراءة من بناه للمجهول إلى سهولةِ ذلك عليه سبحانه»[٦٧٧].

في حين تفيدُ قراءة ﴿أَذِنَ﴾ أنَّ الله - تعالى - هو الذي أَذِنَ لهم بالقتال وعليه فقد تكَفَّلَ لهم بالنصرِ على عدوِّهم.

أمَّا قراءة ﴿يُقَاتَلُونَ﴾ فإنَّها تعني النبيَّ ﷺ والمؤمنين معه.

في حين تفيد قراءة ﴿يُقَٰتِلُونَ﴾ أنَّ الذين أُذِنَ لهم بالقتال هم المؤمنون القادرون على القتال بمعنى أنَّه خرج من التكليف بالقتال بهذه القراءةِ كلّ من لا يستطيع القتال كالضعفاءُ والمرضَى وغيرهم.

يقول الطاهر بن عاشور - رَحِمَهُ ٱللَّهُ -: «وقرأ نافع، وأبو عمرو، وعاصم: ﴿أُذِن﴾ بالبناء للنائب. وقرأه الباقون بالبناء إلى الفاعل.

وقرأ نافع، وابن عامر، وحفص، وأبو جعفر ﴿يُقَاتَلُونَ﴾ بفتح التاء

---

(٦٧٥) أخرجه النسائي بمعناه عن ابن عباس في كتاب الجهاد، باب وجوب الجهاد ج٦/ ص٢ / ح ٣٠٨٦. وقال الألباني: صحيح الإسناد.

(٦٧٦) تفسير أبي السعود ج٤/ص٣٨٢، ٣٨٣.

(٦٧٧) نظم الدرر ج ٥ / ص ١٥٧.

الفوقية مبنياً إلى المجهول. وقرأه البقية بكسر التاء مبنياً للفاعل.

والذين يقاتَلون مرادٌ بهم المؤمنون على كلتا القراءتين لأنَّهم إذا قوتِلوا فقد قاتَلوا. والقتالُ مُستعمَلٌ في المعنَى المجازيّ إما بمادته، وإما بصيغةِ المُضِيّ.

فَعَلَى قراءةِ فتح التاء فالمرادُ بالقتال فيه القتلُ المجازيّ، وهو الأذَى. وأمّا على قراءة ﴿يُقَاتِلُونَ﴾ بكسر التاء فصيغةُ المُضِيِّ مستعملةٌ مجازاً في التهيُّؤِ والاستعداد، أي أُذِنَ للذين تَهَيّئوا للقتال وانتظروا إذنَ الله. وذلك أنَّ المشركين كانوا يُؤذون المؤمنين بمكةَ أذىً شديداً فكان المسلمون يأتون رسول الله ﷺ من بين مضروب ومشجوج يتظلمون إليه، فيقول لهم: (اصبروا فإني لم أومَر بالقتال)[٦٧٨]، فلما هاجر نزلت هذه الآية بعد بيعة العقبة إذناً لهم بالتهيُّؤ للدفاع عن أنفسهم ولم يكن قتال قبل ذلك كما يؤذن به قوله تعالى عقب هذا: ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ [الحج: ٤٠]»[٦٧٩].

يقول الشنقيطي - رحمه الله - في تفسير قوله تعالى ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ﴾: «أي أُذِنَ لهم في القتال بدليلِ قوله: يقاتلون، وقد صرح جل وعلا في هذه الآية الكريمة: أنه أَذِنَ للذين يقاتَلون وهم النَّبي ﷺ وأصحابُه، ودلَّ قوله: يقاتِلون: على أنَّ المرادَ من يصلحُ للقتال منهم دون من لا يصلحُ له، كالأعمى والأعرج والمريض والضعيف والعاجز عن السفر للجهاد لفقره بدليل قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ...﴾ [النور: ٦١] و[الفتح: ١٧]. وقوله جل وعلا: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ﴾ [التوبة: ٩١]»[٦٨٠].

بالجمع بين القراءات الأربع يتبينُ أنَّ الله - تعالى - أَذِنَ لفئةٍ من

---

(٦٧٨) سبق تخريجه في الصفحة السابقة.

(٦٧٩) التحرير والتنوير ج١٧/ص٢٧٢، ٢٧٣.

(٦٨٠) أضواء البيان ج ٥ / ص ٦٩٩.

المؤمنين بمقاتلةِ الكافرين وهذه الفئةُ هم القادرون منهم على الجهاد، وإذنه تعالى لهم يعني تهيّؤهم واستعدادهم للقتال وأنّه تعالى تكفَّلَ بنصرهم على عدوهم، والله أعلم.

١٦ ـ قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَـٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾ [الحج: ٤٠].

أولاً: القراءات:

القراءات في ﴿دَفْعُ ٱللَّهِ﴾:

١ ـ قرأ المدنيّان، ويعقوب ﴿دِفاعُ اللهِ﴾ بكسر الدال وألف بعد الفاء.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿دَفْعُ ٱللَّهِ﴾ بفتح الدال وإسكان الفاء(٦٨١).

القراءات في ﴿لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ﴾:

١ ـ قرأ المدنيّان [نافع وأبو جعفر]، وابن كثير ﴿لَّهُدِمَتْ صَوَامِعُ﴾ بتخفيف الدال.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ﴾ بتشديدها(٦٨٢).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات(٦٨٣):

«الهَدْمُ نَقِيضُ البناء هَدَمَه يَهْدِمُه هَدْماً وهَدَّمه فانْهَدَمَ وتَهَدَّمَ وهَدَّمُوا بُيوتهم شُدِّدَ للكثرة . . . الهَدْمُ: قَلْعُ المَدَرِ يعني البيوت»(٦٨٤).

(٦٨١) انظر: النشر ج٢/ص٣٢٧.

(٦٨٢) انظر: النشر ج٢/ص٣٢٧.

(٦٨٣) سبق المعنى اللغوي لـ (دفع). انظر: ص ٢٤٧.

(٦٨٤) لسان العرب ج١٢/ص٦٠٣. وانظر: مختار الصحاح ص ٧٠٥.

ثالثاً: التفسير:

يقول البقاعي - رحمه الله -: «ثم وصفهم بما يبين مظلوميتهم على وجه يجمعهم ويوثقهم بالله فقال: ﴿ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم﴾ إلى الشِّعْبِ والحبشةِ والمدينة ﴿بِغَيۡرِ حَقٍّ﴾ أوجبَ ذلك ﴿إِلَّآ أَن يَقُولُواْ﴾ أي: غير قولهم، أو إلاّ قولهم: ﴿رَبُّنَا ٱللَّهُۗ﴾ المحيطُ بصفات الكمال، الموجبُ لإقرارهم في ديارهم، وحبِّهم ومدحِهم واقتفاءِ آثارهم، ... وفي سَوقِ ذلك المساق الاستثناءُ عند من يجعله منقطعاً إشارةٌ إلى أنَّ من أخلصَ لله، صَوَّب الناسُ إليه سهامَ مكرِهم، ولم يَدَعُوا في أذاه شيئاً من جهدهم.

ولما ذكر مدافعتَه، وذكر أنّها عن المؤمنين، بيَّنَ سرَّها عموماً ليُفهَم منها هذا الخاصّ، وصوَّرها تقريباً لفهمها، فقال عاطفاً على ما تقديره: فلولا إذنُ الله لهم لاستمرَّ الشركُ ظاهراً، والباطلُ - باستيلاء الجَهَلةِ على مواطنِ الحجّ - قاهراً، ﴿وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ﴾ أي: المحيطُ بكلِّ شيءٍ علماً وقدرةً في كلِّ شريعة، وفي زمن كلِّ نبيٍّ أرسلَه.

﴿ٱلنَّاسَ﴾ أي: عموماً ﴿بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ﴾ أي: بتسليطِ بعضِهم على بعض، ﴿لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ﴾ وهي معابدُ صغارٌ مرتفعةٌ للرهبان، ﴿وَبِيَعٞ﴾ للنصارى ﴿وَصَلَوَٰتٞ﴾ أي: كنائسَ اليهود، ﴿وَمَسَٰجِدُ﴾ أي: للمسلمين، أخَّرَها لتكون بعيدةً من الهدمِ قريبةً من الذِّكر، ﴿يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ﴾ أي: المَلِكُ الذي لا مَلِكَ غيرُه، ولعلَّ العدولَ عن الإضمارِ إلى الإظهارِ للإشارةِ إلى اختلافِ ذكرِه تعالى في الأماكنِ المذكورةِ بالإخلاصِ وغيرِه، ﴿كَثِيرٗا﴾ لأنَّ كلَّ فرقةٍ تريدُ هدمَ ما للأخرى، بل ربَّما أرادَ بعضُ أهلِ ملَّةٍ إخرابَ بعضِ معابد أهلِ ملَّتِه، فيدفعه الله بمن يريد من عباده، وإذا تأملت ذلك وجدت فيه من الأسرار، ما يدقُّ عن الأفكار، فإنَّه تعالى لمَّا أرادَ بأكثر الناس الفساد، نصبَ لهم من الأضداد، ما يخفِّفُ كثيراً من العناد.

ولما كان التقدير: ولكنْ لم تُهدَمُ المذكورات، لأنَّ اللهَ دفعَ بعضَهم ببعض، وجعلَ بعضَهم في نحور بعض، عطفَ عليه أو على قوله: ﴿أُذِنَ﴾ قوله: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ﴾ أي: الملكُ الأعظمُ، وأظهَرَ ولم يُضمر تعميماً

وتعليقاً للحكمِ بالوصفِ فقال: ﴿مَن يَنصُرُهُ﴾ كائناً كم كان منهم ومن غيرهم، بما يهيئُ له من الأسباب، إجراءً له على الأمرِ المعتاد، وبغير أسبابِ خرقاً للعادة، كما وقَعَ في كثيرِ من الفتوحات...؛ ثم علَّل نصرَه وإنْ ضَعُفَ المنصور، بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾ أي: الذي لا كفءَ له ﴿لَقَوِيٌّ﴾ أي: على ما يريد، ﴿عَزِيزٌ﴾ لا يقدرُ أحدٌ على مغالبته، ومن كانَ ناصِرَه فهو المنصور، وعدوُّه المقهور، ولقد صدقَ سبحانَه فيما وعَدَ به، فأذَلَّ بأنصارِ دينِه ﷺ - جبابرةَ أهلِ الأرض وملوكَهم، ومن أصدقُ من اللهِ حديثاً»[685].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيد قراءةُ ﴿دِفَاعُ اللهِ﴾ المبالغةَ والقوَّةَ في الدفاعِ عنهم، وتكرارَ الدفعِ مرةً تلو الأخرى.

في حين تفيدُ قراءةُ ﴿دَفْعُ ٱللَّهِ﴾ أنَّ اللهَ تعالى وحدَه هو الذي يدافعُ عن المؤمنين فيدفعُ الأذى عنهم دفعةً واحدةً.

أمَّا بالنسبة لقراءة ﴿لَّهُدِمَتْ صَوَامِعُ﴾ فبالتخفيف تفيدُ قلَّةَ الهدمِ أو كثرته.

في حين تفيد قراءة ﴿لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ﴾ بالتشديدِ كثرةَ الهدمِ والمبالغةَ فيه، لأنَّ التشديد يفيدُ الكثرةَ والمبالغةَ في الشيء.

يقول البغوي: «﴿لَّهُدِّمَتْ﴾ قرأ أهل الحجاز بتخفيف الدال، وقرأ الآخرون بالتشديد على التكثير، فالتخفيف يكون للقليل والتكثير، والتشديد يختص بالتكثير»[686].

يقول الطاهر بن عاشور: «وقرأه الباقون بتشديد الدال للمبالغة في الهدم، أي لهدّمت هدْماً ناشئاً عن غيظ بحيث لا يبقون لها أثراً»[687].

(٦٨٥) نظم الدرر ج ٥ / ص ١٥٧، ١٥٨.

(٦٨٦) تفسير البغوي ج ٥ / ص ٣٨٩.

(٦٨٧) التحرير والتنوير ١٧/ص٢٧٧.

بالجمع بين القراءات الأربع يتبيَّنُ أنَّ الله تعالى هو الذي يدفعُ الكافرين بالمؤمنين، ولولا ذلك لهَدَم أصحابُ الطوائف المختلفةِ معابدَ غيرِهم هدماً قليلاً أو هدماً كثيراً ناشئاً عن غيظٍ بحيث لا يبقون لها أثراً، والله أعلم.

١٧ ـ قال تعالى: ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾﴾ [الحج: ٤٥].

أولاً: القراءات:

القراءات في ﴿فَكَأَيِّن﴾:

١ ـ قرأ ابن كثير وأبو جعفر ﴿كائِن﴾ بألف ممدودة بعد الكاف وبعدها همزة مكسورة.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿فَكَأَيِّن﴾ بهمزة مفتوحة بعد الكاف وبعدها ياء مكسورة مُشدَّدة(٦٨٨).

القراءات في ﴿أَهْلَكْنَٰهَا﴾:

١ ـ قرأ البصريَّان [أبو عمرو ويعقوب] ﴿أَهْلَكْتُها﴾ بالتاء مضمومة من غير ألف.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿أَهْلَكْنَٰهَا﴾ بالنون مفتوحة بعد الكاف وبعدها ألف(٦٨٩).

القراءات في ﴿وَبِئْرٍ﴾:

١ ـ قرأ ورش، والسوسي، وأبو جعفر، ووقفاً حمزة ﴿وبِيْرٍ﴾ بإبدال الهمزة ياءً.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿وَبِئْرٍ﴾ بالهمزة(٦٩٠).

---

(٦٨٨) انظر: البدور الزاهرة ص٢١٣، ٢١٤.

(٦٨٩) انظر: النشر ج٢/ص٣٢٧.

(٦٩٠) انظر: النشر ج١/ص ٣٩١، ج٢ / ص٣٢٧.

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

كان: «كَانَ ناقصةُ وتحتاجُ إلى خبرٍ، وتامةٌ بمعنَى حدثَ ووقعَ، ولا تحتاجُ إلى خبرٍ، تقول: أنا أعرفُه مذ كان، أي: مُذ خلق»(٦٩١).

«﴿فَكَأَيِّن﴾: اسمٌ دالٌّ على الإخبارِ عن عددٍ كثير»(٦٩٢).

هلك: «هَلَكَ يَهْلِكُ هُلْكاً وهَلْكاً وهَلاكاً: مات»(٦٩٣).

«[بأر]: البِئْرُ جمعها في القلة أبْؤُرٌ كأفلس، وآبَآرٌ كأحجار، ومن العرب من يقلب الهمزة فيقول: آبار»(٦٩٤).

ثالثاً: التفسير:

يُنذِرُ الله ـ تعالى ـ أهل مكَّة وجميع المكذِّبين مثلهم بما حدث للأمم السابقة من الإهلاك، وقد وجبَ على أصحاب العقول الرشيدةِ أنْ يعتبروا بما حَدث لهم.

يقول البغوي: «﴿فَكَأَيِّن﴾ فكم ﴿مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْتُها﴾ بالتاء هكذا قرأ أهلُ البصرة ويعقوب، وقرأ الآخرون: ﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾ بالنون والألف على التعظيم، ﴿وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ أي: وأهلها ظالمون، ﴿فَهِيَ خَاوِيَةٌ﴾ ساقطة ﴿عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ على سقوفها، ﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ﴾ أي: وكم من بئرٍ معطَّلَةٍ متروكةٍ مُخْلاةٍ عن أهلها، ﴿وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾: رفيعٍ طويل، من قولهم شادَ بناءَه إذا رفعَه. وقيل: مجصص، من الشيد، وهو الجصّ. وقيل: إنَّ البئرَ المعطَّلةَ والقصرَ المشيدَ باليمن، أمَّا القصرُ فعلَى قمة جبل، والبئرُ في سَفْحِه، ولكلِّ واحدٍ منهما قوم كانوا في نعمةٍ فكفروا فأهلكهم الله، وبَقِيَ البئرُ والقصرُ خاليين.

---

(٦٩١) مختار الصحاح ص ٥٨٦.

(٦٩٢) التحرير والتنوير ج١٧/ص٢٨٥. وانظر: البحر المحيط ج٦/ص٣٤٨.

(٦٩٣) لسان العرب ج١٠/ص٥٠٣. وانظر: مختار الصحاح ص ٧٠٥.

(٦٩٤) مختار الصحاح ص ٧٣.

وروي أنَّ هذه البئر كانت بحضرموت في بلدة يقال لها حاضوراء، وذلك أنَّ أربعةَ آلافِ نفرٍ ممَّن آمن بصالح، نَجَوا من العذاب أتَوا حضرموت ومعهم صالح، فلما حضروه مات صالح، فسمِّيَ حضرَموت، لأنَّ صالحاً لمّا حضرَ مات فبنوا حاضوراء، وقعدوا على هذه البئر وأمَّروا عليهم رجلاً فأقاموا دهراً وتناسلوا حتى كثروا، ثم إنهم عبدوا الأصنام وكفروا فأرسل الله إليهم نبياً كان حمالاً فيهم، فقتلوه في السوقِ فأهلكهم اللهُ، وعطِّلت بئرُهم وخربَت قصورهم»(٦٩٥).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة ﴿**كائِن**﴾ أنَّه حادثٌ وواقعٌ وجودَ قريةٍ أهلكَها اللهُ تعالى لظلمِ أهلها فقد مرَّ الصحابة عنها وعلموها.

يقول الطاهر بن عاشور: «وقد وجدَ المسلمون في مسيرهم إلى تبوك بئاراً في ديار ثمود ونهاهم النبي ﷺ عن الشربِ منها إلا بِئراً واحدةً التي شربَت منها ناقةُ صالح عليه السلام»(٦٩٦).

في حين أفادت قراءة ﴿فَكَأَيِّن﴾ التكثير أي هناك قُرىً كثيرةً أهلكها الله ـ تعالى ـ بسبب ظلم أهلها وكفرِهم وتكذيبهم الرُّسل.

يقول الطاهر بن عاشور ـ رحمه الله ـ: «﴿فَكَأَيِّن﴾ اسمٌ دالٌّ على الإخبار عن عدد كثير»(٦٩٧).

أمَّا قراءة ﴿أَهْلَكْتُها﴾ فإنَّها أفادت أنَّ الذي أهلكها هو الله ﷻ.

وأضافت قراءة ﴿أَهْلَكْنَهَا﴾ بنون العظمة أنَّ الله ـ تعالى ـ بعظمته هو الذي أهلكها وقد يكون فيها إشارةٌ إلى إهلاكها بوساطة جنوده من الملائكة وغيرهم والله أعلم.

(٦٩٥) تفسير البغوي ج٥ / ص٢٩٠، ٢٩١ (بتصرف). وانظر: البحر المحيط ج٦/ص٣٤٩.

(٦٩٦) التحرير والتنوير ج١٧/ص ٢٨٦.

(٦٩٧) المرجع السابق ج١٧/ص ٢٨٥. وانظر: البحر المحيط ج٦/ص٣٤٨.

وأمَّا قراءة ﴿وبِيْرٍ﴾ فإنَّها تفيدُ عمق البئر حيث حرف المد الياء يفيد الإطالة كما تفيد هذه القراءة سهولةَ استخدام هذا البئر لوجود الماءِ فيه وآلاتِ الاستقاءِ كذلك.

قال الزمخشري ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «ومعنى المعطَّلة: أنها عامرةٌ فيها الماء، ومعها آلات الاستقاء؛ إلا أنها عطِّلت، أي: تركت لا يستقى منها لهلاك أهلها»(٦٩٨).

في حين أفادت قراءة ﴿وَبِئْرٍ﴾ إلى أنَّ تلك البئر محفورةٌ بكلِّ ما في حفرها من صعوبات، كما أنَّ الهمزةَ بثقلها وصعوبةِ النطق بها قد تشيرُ إلى ما حصل لتلك البئر من الإهلاك، والله أعلم.

يقول أبو حيَّان ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «وينبغي أن يكون ﴿وَبِئْرٍ﴾ ﴿وَقَصْرٍ﴾ من حيث عُطِفا على ﴿مِّن قَرْيَةٍ﴾ أنْ يكونَ التقديرُ أهلكتهما كما كان أهلكتُها مخبراً به عن ﴿فَكَأَيِّن﴾ الذي هو القريةُ من حيث المعنى»(٦٩٩).

بالجمع بين القراءات الستّ يتبيَّنُ أنَّ الله تعالى يُحَذِّرُ الكافرين ويَحُثُّهم على التفكُّرِ فيما حدثَ لكثيرٍ من الأُممِ السابقةِ التي أهلكَها الله ـ تعالى ـ بعظمتِه، فيصيبُ هؤلاء ما أصابَ أولئكَ حيثُ أصبحَت قصورُهم التي في قُراهم خاويةً على عروشها، كما أصبحت آبارُهم معطَّلةً رغمَ عمقِها ووجود الماءِ وآلات السقيا فيها وذلك لهلاك أهلها، والله أعلم.

١٨ ـ قال تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۝٤٧﴾ [الحج: ٤٧].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ ابن كثير، وحمزة، والكسائي، وخلف ﴿يَعُدُّونَ﴾ بالغيب.

---

(٦٩٨) الكشاف ج٣/ص١٧.

(٦٩٩) البحر المحيط ج ٦ / ص ٢٤٨.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿تَعُدُّونَ﴾ بالخطاب[٧٠٠].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«عَدَّهُ: أحصاهُ»[٧٠١].

ثالثاً: التفسير:

يُخبِرُ الله ـ تعالى ـ النبي ﷺ أنَّ يوماً عند الله كألفِ سنةٍ ممَّا يَعدُّ هو والمؤمنون.

يقول الماوردي ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ في تفسير الآية: «قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ﴾ يستبطئون نزوله بهم استهزاء منهم .﴿وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾ ولن يؤخرَ عذابَه عن وقته.

﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ فيه ثلاثةُ أوجهٍ:

أحدها: أنَّ يوماً من الأيام التي خلقَ الله فيها السمواتِ والأرض كألفِ سنةٍ. . .

الثاني: أنَّ طول يومٍ من أيامِ الآخرةِ كطولِ ألفِ سنةٍ من أيامِ الدنيا في المدة.

الثالث: أنَّ ألم العذاب في يوم من أيام الآخرة كألف سنة من أيام الدنيا في الشدَّةِ وكذلك يوم النعيم»[٧٠٢].

ويقول الطاهر بن عاشور ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: «وحُكيَ ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ﴾ بصيغةِ المضارع للإشارة إلى تكريرهم ذلك تجديداً منهم للاستهزاء.

والخطاب للنبي ﷺ والمقصود إبلاغه إياهم.

والباء من قوله ﴿بِٱلْعَذَابِ﴾ لتأكيد معنَى الاستعجالُ بشدّته كأنّه قيل:

---

(٧٠٠) انظر: النشر ج٢/ص٣٢٧.

(٧٠١) مختار الصحاح ص ٤٦٧.

(٧٠٢) تفسير الماوردي ج ٤/ ص ٣٣.

يحرصون على تعجيله»[٧٠٣].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيد قراءة ﴿يَعُدُّنَ﴾ بالغيب ما يعدُّه الكافرون الذين يستعجلون بالعذاب وخاطبهم بالغيب تحقيراً لهم.

بينما تفيد قراءة ﴿تَعُدُّونَ﴾ ما يَعُدُّه النبيُّ والصحابة معه، والخطابُ مُلزمٌ بما سيؤولُ إليه هذا العدُّ من الحسابِ والجزاء.

يقول الطاهر بن عاشور ـ رحمه الله ـ: «والخطابُ في ﴿تَعُدُّونَ﴾ للنبي ﷺ والمؤمنين. وقرأ الجمهور ﴿تَعُدُّونَ﴾ بالفوقية، وقرأه ابن كثير، وحمزة، والكسائي: ﴿ممَّا يَعُدُّون﴾ بياء الغائبين. أي مما يعده المشركون المستعجلون بالعذاب»[٧٠٤].

بالجمع بين القراءتين يتَّضحُ فيهما خبرٌ مستعملٌ في التعريض بالوعيد للكافرين[٧٠٥]، حيثُ يتبيَّنُ أنَّ الله تعالى هيَّأ في هذه الدنيا أياماً تناسبُ أوهامَ المخلوقات، وأزماناً تناسبُ شأنهم، ولكنَّه حليمٌ لا يستطيلُ الزمان، وقادرٌ لا يخافُ الفوتَ[٧٠٦]، لذا فإنَّ يوماً عنده ـ عز وجل ـ كألفِ سنةٍ ممَّا يَعدُّه النبيُّ والمؤمنون معه، وممَّا يَعُدُّه المشركون المحتقرون الذين يستعجلون بالعذاب، وهذا اليوم قادمٌ وقد قَدَرَ الله ـ تعالى ـ له قَدْرَه الذي يتناسبُ مع عظمةِ شأنه، والله أعلم.

١٩ ـ قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوۡاْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٥١﴾﴾ [الحج: ٥١].

(٧٠٣) التحرير والتنوير ج١٧/ص٢٩١ (بتصرف بسيط).
(٧٠٤) المرجع السابق ج١٧/ص٢٩٢ (بتصرف بسيط).
(٧٠٥) انظر: المرجع السابق ج١٧/ص٢٩١.
(٧٠٦) انظر: نظم الدرر ج٥/ص١٦١.

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو بتشديد ﴿مُعَجِّزِينَ﴾ بتشديد الجيم من غير ألف.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿مُعَٰجِزِينَ﴾ بتخفيف الجيم والألف فيها[٧٠٧].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

العَجُزُ بضمّ الجيم: مؤخّر الشَّيءِ يذَكَّرُ ويؤَنَّثُ وهو للرَّجلِ والمرأةِ جميعاً، وجمعُه: أعْجَازٌ، والعَجِيزةُ للمرأة خاصة والعَجْزُ الضعف... أعْجَزَهُ الشيء فاته وعَجَّزَهُ تعجيزاً ثبطه أو نَسَبَهُ إلى العَجْز[٧٠٨].

ثالثاً: التفسير:

يتوعَّدُ الله ـ سبحانه ـ الذين يكَذِّبون الرسول ﷺ ويُشاقُّونه مُثَبِّطين له مُحاولين إعجازَه وهم لا يعلمون أنَّهم يحاولون إعجازَ ربِّ العزَّةِ سبحانه، بالبقاء في النار وملازمتها.

يقول النسفي: «ثم أنذر فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوْا۟﴾ سعى في أمر فلان إذا أفسده بسعيه ﴿فِىٓ ءَايَٰتِنَا﴾ أي القرآن ﴿مُعَٰجِزِينَ﴾ حال ﴿مُعَجِّزِين﴾ حيث كان: مكي وأبو عمرو. وعاجزَه: سابقَه كأن كل واحد منهما في طلبِ إعجازِ الآخرَ عن اللّحاق به، فإذا سبقه قيلَ أعجزَه وعجَّزَه. والمعنى: سعَوا في معناها بالفساد من الطَّعنِ فيها، حيث سمَّوها سحراً وشعراً وأساطيرَ مسابقين في زعمهم وتقديرهم، طامعين أنَّ كيدَهم للإسلام يتمّ لها. ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾ أي النار الموقدة»[٧٠٩].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة ﴿مُعَٰجِزِينَ﴾ فيما يتعلَّق بآيات الله المبالغة في فعل ما يُعجِزُ

(٧٠٧) انظر: النشر ج٢/ص٣٢٧.

(٧٠٨) انظر: مختار الصحاح ص ٤٦٧.

(٧٠٩) تفسير النسفي ج٣/ص١٦٠.

النبي ﷺ والمؤمنين من المسارعة في الشِقاقِ والمعاندةِ والتكذيب لها.

بينما تتعلَّقُ قراءة ﴿مُعَجِّزِينَ﴾ بالنبيّ ﷺ والمؤمنين معه حيثُ إنَّ الكفَّارَ يُثبِّطون عزيمة النبيّ ﷺ ومعه المؤمنين ويَنسُبونهم إلى العجز، وهم يُحاولون إعجاز الله تعالى وهم لا يعلمون.

يقول الماوردي ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: «﴿مُعَجِّزِينَ﴾ قراءة ابن كثير، وأبي عمرو، وقرأ الباقون: ﴿مُعَٰجِزِينَ﴾، فمن قرأ ﴿مُعَجِّزِينَ﴾ ففي تأويله أربعة أوجه:

أحدها: مثبِّطين لمن أراد اتباع النبي ﷺ.

الثاني: مثبطين في اتباع النبي ﷺ.

الثالث: مكذبين.

والرابع: مَعَجِّزِينَ لمن آمن بإظهار تعجيزة في إيمانه.

ومن قرأ ﴿مُعَٰجِزِينَ﴾ ففي تأويله أربعة أوجه:

أحدها: مشاقين.

الثاني: متسارعين.

الثالث: معاندين.

والرابع: مُعَاجِزِينَ يظنون أنهم يُعْجِزُونَ الله هرباً»[٧١٠].

ويقول البقاعي ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: «﴿مُعَٰجِزِينَ﴾ أي: مبالغين في فعل ما يلزم ـ في زعمهم ـ منه عجْزنا، ﴿مُعَجِّزِينَ﴾ أي: مقدرين أنهم يعجزوننا بإخفائهم آياتنا، وإضلالِ النَّاس وصدِّهم عنها بإلقاء الشُّبَه والجدال، اتباعاً للشيطان المَريد، من غير علمٍ ولا هُدَى»[٧١١].

ويقول الطاهر بن عاشور ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: «والمُعاجز: المسابقُ الطالبُ عجزَ مُسايره عن الوصول إلى غايته وعن اللحاق به، فصيغَ له المفاعلةُ لأنَّ

---

(٧١٠) تفسير الماوردي ج ٤/ ص ٣٣ ـ ٣٤.

(٧١١) نظم الدرر ج٥/ص١٦٣. وانظر: المستنير ج٢/ص٩٠.

كلٌّ واحدٍ يطلبُ عجزَ الآخرِ عن لحاقه. والمعنى: أنهم بعملهم يغالبون رسول الله ﷺ وهم لا يشعرون أنَّهم يحاولون أنْ يغلبوا الله، وقد ظنُّوا أنَّهم نالوا مُرادهم في الدنيا ولم يعلموا ما لهم من سوء العاقبة»(٧١٢).

بالجمع بين القراءتين يتبيَّنُ أنَّ الكفَّار يُحاولون تثبيط النبي ﷺ والمؤمنين معه بتعجيزهم بالمجادلاتِ والمناقضات والتكذيب، والمعاندةِ والشِّقاق له ﷺ، وبإخفاء الآيات وصدِّهم عنها وإضلال الناس بهيئةِ السَّاعي في طريقٍ ليسابقَ غيرَه ليفوزَ بالوصول، ولكنَّهم لا يعلمون أنَّهم يُحاولون إعجاز الله ـ تعالى ـ وهم يظنُّون أنَّهم نالوا مرادهم في الدنيا بما يفعلونه، لكنَّهم لم يعلموا ما لهم من سوء العاقبة في الدنيا والآخرة، والله أعلم.

٢٠ ـ قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾﴾ [الحج: ٥٢].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ أبو جعفر ﴿أُمْنِيتِهِ﴾ بتخفيف الياء.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ بتشديد الياء(٧١٣).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«الأُمْنِيَّةُ: واحدةُ الأَمَانِيِّ، قلت: يقال في جمعها أَمَانٍ وأَمَانِيُّ بالتخفيف والتشديد»(٧١٤).

«والتمنِّي: كلمةٌ مشهورة، وحقيقتها: طلبُ الشيءِ العسيرِ حصولُه. والأمنيةُ: الشيءُ المتمَنَّى»(٧١٥).

(٧١٢) التحرير والتنوير ج ١٧/ ص ٢٩٥. وانظر: حاشية القونوي مج١٣/ ص٩٠ ـ ٩١.
(٧١٣) انظر: النشر ج٢/ص٢١٧، ٢١٨.
(٧١٤) مختار الصحاح ص٦٤٢.
(٧١٥) التحرير والتنوير ج١٧/ص ٢٩٣.

ثالثاً: التفسير:

في هذه الآية بيانٌ لحفظ الله - ﷻ - لآياته ووحيه من مكائد الشياطين فقد صدق جلَّ شأنه حيث يقول: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩]. وقد خاض المفسرون في ذكر قصّة الغرانيق، وهي موضوعة، لا أرى فائدةً لذكرها(٧١٦).

يقول السعدي - رَحِمَهُ ٱللَّهُ -: «يخبرُ تعالى بحكمته البالغة، واختياره لعباده، وأنَّ اللهَ ما أرسلَ قبلَ محمدٍ ﷺ ﴿مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ﴾ أي: قرأ قراءته، التي يذكِّرُ بها الناس، ويأمرهم وينهاهم، ﴿أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ أي: في قراءته، من طرُقه ومكايده، ما هو مناقضٌ لتلك القراءة، مع أنَّ اللهَ تعالى قد عصمَ الرُّسلَ بما يبلِّغون عن الله، وحفظَ وحيَه أنْ يشتبِه، أو يَختلِط بغيره. ولكنَّ هذا الإلقاءَ من الشَّيطان، غيرُ مستقرٍّ ولا مُستمرّ، وإنَّما هو عارضٌ يعرضُ، ثمَّ يزول، وللعوارضِ أحكامٌ، ولهذا قال: ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ أي: يزيلُه ويذهبُه ويبطلُه، ويبيِّن أنَّه ليسَ من آياته، و﴿يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ﴾ أي: يُتقِنُها، ويحرِّرها، ويحفظُها، فتبقَى خالصةً من مخالطةِ إلقاءِ الشيطان، ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾ أي: كاملُ القوةِ والاقتدار، فبكمالِ قوَّته، يحفظُ وحيَه، ويزيلُ ما تلقيه الشياطين، ﴿حَكِيمٌ﴾ يضعُ الأشياءَ مواضعَها»(٧١٧).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة الأولى ﴿أُمْنِيتِهِ﴾ بالتخفيف معنى تلاوته وقراءته ﷺ.

بينما قراءة ﴿أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ بالتشديد أفادت تمنِّيه ﷺ إسلام قومه وطاعتهم لله ولرسوله لأنَّ هذه الأمنية هي أحبُّ ما يتمنَّاه ﷺ بشدَّةٍ ويُعلِّقُ أمله بذلك.

يقول الشنقيطي - رَحِمَهُ ٱللَّهُ -: معنى قوله تمنى في هذه الآية الكريمة فيه للعلماء وجهان من التفسير معروفان:

---

(٧١٦) راجع: الإسرائيليات والموضوعات ص ٣١٤ - ٣٢٢.

(٧١٧) تفسير السعدي ص ٥٤٢.

الأول: أنَّ تمنَّى بمعنى: قرأ وتلا . . . وفي صحيح البخاري، عن ابن عباس أنه قال: إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته: إذا حدَّث ألقى الشيطان في حديثه. وكون تمنى بمعنى: قرأ وتلا. هو قول أكثر المفسرين.

القول الثاني: أنَّ تمنَّى في الآية من التَّمني المعروف، وهو تمنيه إسلامَ أمته وطاعتهم لله ولرسله، ومفعولُ (ألقَى) محذوفٌ على أنَّ تمنَّى بمعنى: أحبَّ إيمانَ أمّته، وعلّق أمَلَهُ بذلك، فمفعول (ألقى) يظهر أنَّه من جنس الوساوس، والصدِّ عن دين الله حتى لا يتمّ للنبي ﷺ أو الرسول ما تمنى[(٧١٨)].

بالجمع بين القراءتين يتبيَّنُ أنَّ الشيطانَ يكيدُ لكلِّ نبيٍّ أو رسولٍ يشتهي شيئاً في نفسه لقومه أو للبشرية جمعاء، فحين يقرأُ ما أُوحِيَ إليه من ربِّه مهما كان قليلاً أو كثيراً، فإنَّه يلقي ما يفسِدُ معنى قراءته أو أمنيتِه، إلاَّ أنَّ الله ـ سبحانه ـ يُبطِلُ ما يُلقي الشيطان ويُبقِي وحيَه محفوظاً كما تعهَّدَ سبحانه، وهو الذي وعدَ رسوله بإظهار دينه وقد أظهره سبحانه كما وعد، فحقّق أمنية نبيه ﷺ، والله أعلم.

٢١ ـ قال تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾﴾ [الحج: ٥٤].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ يعقوب ﴿لَهادي﴾ بإثبات الياء وقفاً.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿لَهَادِ﴾ بحذف الياء وقفاً[(٧١٩)].

---

(٧١٨) انظر: أضواء البيان ج ٥ / ص ٧٢٧. والمعجم المفصّل ص ٤٥٩ ـ ٤٦٠. الإسرائيليات والموضوعات ص٣٢٢.

(٧١٩) انظر: البدور الزاهرة ص٢١٤.

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«هدى: الهدايةُ دلالةٌ بلطفٍ»[٧٢٠].

ثالثاً: التفسير:

بعد أن وصف الله ـ تعالى ـ الطائفتين الضالتين فإنَّه يصفُ في هذه الآية الطائفة المؤمنة التي تخشع قلوبها وتطمئنُّ لحكمة الله بفضل هدايته لها.

يقول السعدي ـ رحمه الله ـ: «وأما الطائفة الثالثة، فإنَّه يكون رحمةً في حقِّها، وهم المذكورون بقوله: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ لأنَّ اللهَ منحهُم من العلم، ما به يعرفون الحقَّ من الباطل، والرُّشدَ من الغي، فيميِّزون بين الأمرين، الحقِّ المستقر، الذي يحكمه الله، والباطلِ العارض الذي ينسخه الله، بما على كل منهما من الشواهد، وليعلموا أنَّ الله حكيم، يقيض[٧٢١] بعض أنواع الابتلاء، ليُظهرَ بذلك كمائنَ النفوسِ الخيِّرةِ والشِّريرة، ﴿فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ﴾ بسبب ذلك، ويزداد إيمانهم عند دفعِ المعارض والشُّبه.

﴿فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ﴾ أي: تخشعَ وتخضعَ، وتسلِّمَ لحكمته، وهذا من هدايته إياهم، ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ بسبب إيمانهم، ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ علم بالحق، وعملٍ بمقتضاه، فيثبِّتُ اللهُ الذين آمنوا بالقولِ الثابتِ في الحياة الدُّنيا وفي الآخرة، وهذا النوع من تثبيتِ اللهِ لعبدِه»[٧٢٢].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيد قراءة ﴿لَهَادي﴾ بإثبات الياء ثبوتَ الذين آمنوا على إيمانهم واستمرارِ الهدايةِ من الله ـ تعالى ـ لهم، وديمومَتها بحيثُ تكونُ كاملةً تامَّة.

---

(٧٢٠) المفردات ص ٨٣٥.

(٧٢١) «قَيَّضَ الله ـ تعالى ـ فلاناً لفلان أي: جاءه به وأتاحه له». مختار الصحاح ص ٥٦٠.

(٧٢٢) تفسير السعدي ص ٥٤٢.

بينما أفادت قراءة ﴿لَهَادِ﴾ بحذف الياء هدايتَه تعالى للذين آمنوا على وجه التَّخصيصِ حيثُ يحذفُ من نفوسهم الشُّبَه خاصَّةً، ويدفعُها عنهم بسرعةٍ ولطف.

يقول الدكتور فاضل السامرائي: «ويمكن هنا أن نذكرَ أصلاً عامًّا في ذكر الياء وحذفها وهو: أنَّ الاجتزاء بالكسرة عن الياء يختلفُ عن ذكر الياء في كلِّ ما ورد في القرآن الكريم عدا خواتم الآي والنداء، ولها في كلِّ ذلك خطٌّ عامٌّ إضافةً إلى السياق الخاص، ففي كلِّ موطِنٍ ذُكِرَ الياء فيه يكونُ المقامُ مقامَ إطالةٍ وتفصيلٍ في الكلام، بخلافِ الاجتزاءِ بالكسرةِ فإنَّ فيه اجتزاءً في الكلام»[٧٢٣].

ويقول الألوسي ـ رحمه الله ـ: «وأياً ما كان فقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسۡتَقِيمٍ﴾ اعتراض مقرر لما قبله، والمراد بالذين آمنوا المؤمنين من هذه الأمة على تقدير التخصيص، أو المؤمنون مطلقاً على تقدير التعميم، والمراد بالصراط المستقيم: النظر الصحيح الموصل إلى الحقِّ الصريح، أي: إنَّه تعالى لهادي المؤمنين في الأمور الدينية خصوصاً في المداحض[٧٢٤] والمشكلات التي من جملتها ردّ شبه الشياطين عن آياتِ الله عز وجل»[٧٢٥].

بالجمع بين القراءتين يتبيَّن أنَّ الله تعالى يَخُصُّ بهدايته المؤمنين من هذه الأمَّة وقد يخصُّ أيضاً المؤمنين من غيرها من الأمم فيهديهم إلى صراطه المستقيم ويدفعُ باستمراريةٍ وسرعةٍ ولطافةٍ ما في نفوسهم من الشُّبَهِ الباطلةِ التي يروِّجُ لها الضالُّون ويُثَبِّتُهم بديمومةٍ على الإيمان الذي تطمئنُّ به قلوبُهم وتخشعُ، والله أعلم.

٢٢ ـ قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓاْ أَوۡ

(٧٢٣) التعبير القرآني ص٨٠.

(٧٢٤) «دَحَضَتْ حجته: بطلت». مختار الصحاح ص ٢١٨.

(٧٢٥) روح المعاني ج١٧/ص٢٥٩.

مَاتُوا۟ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٥٨﴾﴾ [الحج: ٥٨].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ ابن عامر ﴿ثُمَّ قُتِّلُوا﴾ بتشديد التاء فيها.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿ثُمَّ قُتِلُوٓا۟﴾ بتخفيف التاء فيها[٧٢٦].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«قتل: أصلُ القتل: إزالةُ الروحِ عن الجسد كالموت، لكن إذا اعتُبِر بفعل المُتَوَلِّي؛ لذلك يقالُ: قَتْلٌ، وإذا اعتُبِر بفوتِ الحياةِ يقالُ: مَوْت»[٧٢٧].

ثالثاً: التفسير:

يتبيَّنُ في هذه الآيةِ فضلُ الهجرةِ في سبيل الله حيثُ ساوَى ربُّ العزَّةِ في الوعد للمهاجرين في سبيله بين من يُقتَل في أثناء هجرته أو جهاده وبين من يموتُ منهم على فراشه فأعدَّ لهم رزقاً كريماً.

يقول أبو السعود ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ في بيان قوله تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: «أي في الجهادِ بحسبما يلوحُ به قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قُتِلُوٓا۟ أَوْ مَاتُوا۟﴾ أي: في تضاعيف المُهاجرة، ومحلُّ الموصول الرَّفعُ على الابتداء وقوله تعالى: ﴿لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ﴾ جواب لقسم محذوفٍ والجملةُ خبرُه ومن منع وقوعَ الجملةِ القسميَّةِ وجوابِها خبراً للمبتدأ يُضمر قولاً هو الخبرُ والجملةُ محكية. وقوله تعالى: ﴿رِزْقًا حَسَنًا﴾ إمَّا مفعول ثانٍ على أنَّه من باب الرَّعي والذَّبحِ أي مَرزوقاً حسناً، أو مصدرٌ مؤكِّدٌ، والمراد به ما لا ينقطعُ أبداً من نعيم الجنَّةِ وإنَّما سوى بينهما في الوعدِ لاستوائهما في القصد. وأصلُ العملَ على أنَّ مراتبَ الحُسنِ متفاوتةٌ فيجوزُ تفاوتُ حال

(٧٢٦) انظر: النشر ج٢/ص٢٤٣. وانظر: البدور الزاهرة ص٢١٤.

(٧٢٧) المفردات ص ٦٥٥. وانظر: أساس البلاغة ص٣٥٤.

المرزوقينَ بحسب تفاوت الأرزاقِ الحسنةِ... ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ۝٥٨﴾ فإنَّه يرزق بغير حسابٍ مع أنَّ ما يرزقه لا يقدِرُ عليه أحدٌ غيرُه والجملة اعتراضٌ تذييليٌّ مقررٌ لما قبله»(٧٢٨).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة ﴿ثُمَّ قُتِلُوٓاْ﴾ قتل المشركين للمؤمنين المهاجرين في سبيل الله حال إمساكهم بهم في أثناء الهجرة أو في أثناء مجاهدة الكافرين بعد هجرتهم بزمن.

في حين أفادت قراءة ﴿ثُمَّ قُتِّلُوٓاْ﴾ بتشديد التاء فيها كثرة القتل وشدَّته حيثُ أكثر ما يخاف منه المهاجر في سبيل الله تعالى هو القتل.

يقول البقاعي ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: «ولما كان المشركون يمنعون بهذه الشبَه وغيرها كثيراً من الناس الإيمان، وكانوا لا يتمكّنون بها إلا ممن يخالطهم، رغَّبَ سبحانه في الهجرة فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ﴾ أي: أوقعوا هجرةَ ديارِهم وأهليهم ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: طريق ذي الجلال والإكرام التي شرَعها، فكانت ظرفاً لمهاجرتهم، فلم يكن لهم بها غرض آخر. ولما كان أكثرُ ما يخاف من الهجرة القتلُ. لقصدِ الأعداء للمهاجر بالمُصادَمة، عند تحقُّق المصادَمة قال معبراً بأداة التراخي إشارةً إلى طولِ العمر وعلو الرتبة بسبب الهجرة: ﴿ثُمَّ قُتِلُوٓاْ﴾ أي بعد الهجرة، وألحقَ به مطلقَ الموتِ فضلاً منه فقال: ﴿أَوْ مَاتُواْ﴾ أي من غيرِ قتلٍ، ﴿لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ﴾ أي: الملكُ الأعلَى ﴿رِزْقًا حَسَنًا﴾ من حين تفارقُ أرواحهم أشباحَهم لأنَّهم أحياءٌ عند ربهم، وذلك لأنَّهم أرضَوا اللهَ بما انخلعوا منه مما أثلوه(٧٢٩) طول أعمارهم. وأثله آباؤهم من قبلهم، وأموالهم وأهليهم وديارهم»(٧٣٠).

بالجمع بين القراءتين يتبيَّنُ أنَّ من قتلوا من الذين هاجروا في

(٧٢٨) تفسير أبي السعود ج ٤ / ص ٣٩٣ (بتصرف).

(٧٢٩) «التأثُّلُ: اتخاذُ أصلِ مالٍ». مختار الصحاح ص ٦.

(٧٣٠) نظم الدرر ج ٥ / ص ١٦٧.

سبيل الله سواءً أكانوا كثراً أم قلةً فهم ممَّن وعدهم الله بالرزق الحسن، وهنا يتَّضحُ فضلُ الهجرةِ في سبيل الله حيثُ سوَّى ربُّ العزَّةِ بين الذي يُقتَلُ في أثناء هجرته أو في أثناء جهاده في سبيل الله بعد هجرته، وبين الذي يموتُ بدون قتالٍ لأنَّ كليهما يستويان في قصدِ المهاجرةِ في سبيل الله تعالى، فقد أعدَّ الله لكليهما أجراً ورزقاً كريماً، والله أعلم.

٢٣ ـ قال تعالى: ﴿لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ۝٥٩﴾ [الحج: ٥٩].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ المدنيان [نافع وأبو جعفر] ﴿مَدْخَلاً﴾ بفتح الميم.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿مُدْخَلاً﴾ بضم الميم(٧٣١).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«دخل: الدخول: نقيض الخروج ويستعمل ذلك في المكان والزمان والأعمال يقال: دخل مكان كذا قال تعالى: ﴿ٱدْخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [البقرة: ٥٨] ... فمدخلٌ من دخلَ يدخُلُ ومَدخلٌ من أدخَلَ ﴿لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ﴾ [الحج: ٥٩] وقوله: ﴿مُدْخَلاً كَرِيماً﴾ [النساء: ٣١] وقرئ بالوجهين»(٧٣٢).

ثالثاً: التفسير:

يقول السعدي ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ **ـ:** «ويكون على هذا القول، قوله: ﴿لَيُدْخِلَنَّهُم مُدْخَلاً يَرْضَوْنَهُ﴾ إما ما يفتحه الله عليهم من البلدان، خصوصاً فتح مكة المشرفة، فإنهم دخلوها في حالة الرضا والسرور، وإما المراد به رزق الآخرة، وأن ذلك دخول الجنة، فتكون الآية جمعت بين الرزقين، رزق الدنيا، ورزق الآخرة، واللفظ صالح لذلك كله، والمعنى صحيح، فلا مانع

(٧٣١) انظر: النشر ج٢/ص٢٢٣.

(٧٣٢) المفردات ص ٣٠٩ (بتصرف).

من إرادة الجميع ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ﴾ بالأمور، ظاهرها، وباطنها، متقدمها، ومتأخرها، ﴿حَلِيمٌ﴾ يعصيه الخلائق، ويبارزونه بالعظائم، وهو لا يعاجلهم بالعقوبة مع كمال اقتداره، بل يواصل لهم رزقه، ويسدي إليهم فضله»(٧٣٣).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيد القراءة الأولى ﴿مَدْخَلاً﴾ أنَّ الله تعالى سيُدخل المؤمنين مكاناً يرضونه وهو الجنة.

بينما تفيدُ قراءة ﴿مُدْخَلاً﴾ أنَّهم ستكونُ لهم مكانةٌ يرضَونها في الجنة التي سيُدخلهم الله ـ تعالى ـ فيها حيثُ رغَدُ العيشِ وهناؤه(٧٣٤).

«ليدخلنهم الله، وكأنهم ضيوفه يوم القيامة، وأكّد ذلك بـ(القسم) و(لامه) و(نون) التوكيد، ﴿مُّدْخَلًا﴾ اسم مكان، وَصَفه بأنهم ﴿يَرْضَوْنَهُۥ﴾ يستطيبون نعيمه، ويفكهون في خيره، وهو الجنة التي تجري من تحتها الأنهار»(٧٣٥).

بالجمع بين القراءتين يجتمعُ للمهاجرين في سبيل الله رَغَدُ المكان ورَغَدُ المكانةِ في الجنةِ التي وعدهم الله إيَّاها فينعمون بالمكان الذي هو الجنَّة، وبالمكانةِ السامية التي وعدهم الله بها كما قال سبحانه: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ۝٧٦﴾ [الفرقان: ٧٦]، **والله أعلم.**

٢٤ ـ قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ۝٦٢﴾ [الحج: ٦٢].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ البصريان وحمزة والكسائي وخلف وحفص ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ﴾ بالغيب.

---

(٧٣٣) تفسير السعدي ص ٥٤٣.

(٧٣٤) انظر: المعنى اللغوي للموضع نفسه. وحاشية القونوي مج ١٣ / ص١٠٢.

(٧٣٥) زهرة التفاسير مج ٩ / ص ٥٠١٢.

٢ - وقرأ الباقون ﴿وَأن مَا تَدْعُونَ﴾ بالخطاب[٧٣٦].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«دعا: الدعاء كالنداء إلا أنَّ النداءَ قد يقال بـ(يا)، أو (أيَا)، ونحو ذلك من غير أنْ يُضَمَّ إليه الاسم، والدعاء لا يكادُ يقالُ إلا إذا كانَ معهُ الاسمُ نحو: يا فلانُ، وقد يُستعملُ كلٌّ واحدٍ منهما موضِعَ الآخر ودعوتُه: إذا سألتُه وإذا استَغَثْتُه، قال تعالى: ﴿قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾[البقرة: ٦٨] أي: سَلْهُ»[٧٣٧].

ثالثاً: التفسير:

تستنكر هذه الآية على المشركين دعاءَ غيرِ الله ممَّن لا يستحقُّ العبادة من دونه تعالى.

يقول البيضاوي: «﴿ذَٰلِكَ﴾ الوصف بكمالِ القدرةِ والعلم. ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ الثابتُ في نفسه الواجبُ لذاته وحدَه، فإنَّ وجوبَ وجودِه ووحدته يقتضيان أنْ يكونَ مبدأً لكلِّ ما يوجَد سواه عالماً بذاته وبما عَدَاه، أو الثابت الإلهية ولا يصلح لها إلا من كان قادراً عالماً. ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾ إلهاً، وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وأبو بكر بالتاء على مخاطبة المشركين، وقرئ بالبناء للمفعول، فتكون الواو لـ (ما) فإنه في معنى الآلهة. ﴿هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ المعدوم في حد ذاته، أو باطل الألوهية. ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ﴾ على الأشياء، ﴿ٱلْكَبِيرُ﴾ على أن يكون له شريك لا شيء أعلى منه شأناً وأكبر منه سلطاناً»[٧٣٨].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيد قراءة ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ﴾ ما يدعوه الكفار من الأصنام

---

(٧٣٦) انظر: النشر ج٢/ص٣٢٧.

(٧٣٧) المفردات ص ٣١٥.

(٧٣٨) تفسير البيضاوي ص٤٥٨.

والخطاب بالغيب للكفار لتحقيرهم.

بينما تفيد قراءة ﴿وَأَن مَا تَدْعُونَ﴾ الالتفات من الغيبة إلى الخطاب لتوجيه التهديد مباشرةً للمشركين وإعلامهم أنَّ ما يدعونه من دون الله - تعالى - باطلٌ، وهو يلزمهم بالعقاب الذي يستحقُّونه بسبب كفرهم.

يقول الدكتور فضل عباس: «أسلوب الغيبة يدلُّ على تفظيع ما عملوه، فهم ليسوا حريِّينَ بهذا الخطاب، ولكنَّ أسلوب الخطابِ فيهِ نظرٌ إلى جهةٍ أخرَى وهو توجيه التهديدِ توجيهاً مباشراً لهم»(٧٣٩).

بالجمع بين القراءتين نُقِرُّ لله - تعالى - بكمال القدرة وشمول العلم وأنَّه وحده المستحِقُّ للعبادة وأنَّ كلَّ ما يدعوه المشركون من دونه باطلٌ، فهم يدعون معدوماً باطلَ الألوهية من دون الله العليّ الكبير، لذا فهم ليسوا حريِّينَ بالخطاب لكنَّ الله - تعالى - يوجِّه التهديد إليهم مباشرةً لدعوتهم غير الله، في حين أنَّه لا شيءَ أعلَى منه شأناً وأكبر منه سلطاناً، ففعلهم هذا مُلزِمٌ لهم بالعقاب، والله أعلم.

٢٥ - قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾﴾ [الحج: ٦٥].

أولاً: القراءات:

١ - قرأ أبو عمرو، وشعبة، وحمزة، والكسائي، ويعقوب، وخلف ﴿لَرَءُفٌ﴾ بقصر الهمزة من غير واو.

٢ - وقرأ الباقون ﴿لَرَءُوفٌ﴾ بواو بعد الهمزة(٧٤٠).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«رأف: الرَّأفة: الرَّحمة، وقد رَؤُف فهو رئفٌ ورؤوفٌ، نحو: يقظٌ

---

(٧٣٩) القراءات القرآنية من الوجهة البلاغية ص٢٨ - ٢٩.

(٧٤٠) انظر: النشر ج٢/ص٢٢٣.

وحَذِر»[٧٤١].

ثالثاً: التفسير:

تُبيِّنُ هذه الآية بعضاً من آيات الله في الكون كتسخير ما في الأرض والسفن التي تجري في البحر ورفع السماء وعدم سقوطها على الأرض رحمةً بالناس.

يقول السعدي ـ رحمه الله ـ: «ألم تشاهد ببصرك وقلبك نعمةَ ربك السابغة، وأياديه الواسعة، و﴿أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ من حيوانات، ونبات، وجمادات، فجميع ما في الأرض، مسخر لبني آدم، حيواناتها، لركوبه، وحمله، وأعماله، وأكله، وأنواع انتفاعه، وأشجارها، وثمارها، يقتاتها، وقد سلط على غرسها واستغلالها، ومعادنها، يستخرجها، وينتفع بها، ﴿وَٱلْفُلْكَ﴾ أي: وسخَّر لكم الفلك، وهي السفن ﴿تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ﴾ تحملكم، وتحمل تجاراتكم، وتوصلكم من محل إلى محل، وتستخرجون من البحر حلية تلبسونها، ومن رحمته بكم أنه ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ﴾ فلولا رحمته وقدرته، لسقطت السماء على الأرض، فتلف ما عليها، وهلك من فيها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾﴾.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ أرحم بُهم من والديهم، ومن أنفسهم، ولهذا يريدُ لهم الخير، ويريدون لهم الشر والضر، ومن رحمته، أنْ سخَّر لهم ما سخَّر من هذه الأشياء»[٧٤٢].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

إنَّ قراءة ﴿لَرَءُفٌ﴾ بقصر الهمزة من غير واو تفيد قصر الرأفةِ من الله على المؤمنين به سبحانه دون غيرهم من الناس. بينما قراءة ﴿لَرَءُوفٌ﴾ تفيد تمام رحمته تعالى ورأفته بالمؤمنين وديمومة هذه الرأفة منه بهم.

(٧٤١) المفردات ص ٣٧٣.

(٧٤٢) تفسير السعدي ص ٥٤٤.

يقول البقاعي ـ رحمه الله ـ: «﴿لَرَءُوفٌ﴾ أي بما يحفظ من سرائرهم عن الزيغ بإرسال الرسل، وإنزالِ الكتب ونصب المناسك، التي يجمع معظمها البيت الذي بوَّأَهُ لإبراهيم عليه السلام، وهو التوحيد والصلاة والحج الحامل على التقوى التي بنيت عليها السورة، فإنَّ الرأفةَ: ألطفُ الرحمةِ وأبلغُها، فالمرؤوفُ به تقيمُه عنايةُ الرأفة حتى تحفظ بمسراها في سرِّه ظهورَ ما يستدعي العفو، وتارةً يكون هذا الحفظُ بالقوةِ بنصبِ الأدلَّة، وتارةً يضمُّ إلى ذلك الفعلُ بخلقِ الهدايةِ في القلب، وهذا خاصٌّ بمن له بالمنعمِ نوعُ صلة»(743).

بالجمع بين القراءتين يتبيَّنُ نفي إنزال الله تعالى أي حجة من الحجج على عبادة غيره ـ سبحانه وتعالى ـ والمبالغة في نفي ذلك، حيث إنَّ الله هو الذي يُنعِم على الناس بنعمه الكثيرة، يُديم ويُتمُّ نعمه على المؤمنين منهم بألطف الرحمة وأبلغِها برأفته بهم، وتَقتَصِرُ رحمتُه عليهم بخَلْقِ الهدايةِ في قلوبهم، والله أعلم.

٢٦ ـ قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ۝٧١﴾ [الحج: ٧١].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب ﴿يُنْزِل﴾ بإسكان النون وتخفيف الزَّاي.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿يُنَزِّل﴾ بفتح النون وتشديد الزاي(744).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«نَزَلَ: النُزولُ في الأصلِ هو انحطاطٌ من علوٍّ. يقالُ: نَزَلَ عن دابَّتِه، ونَزَلَ في مكانِ كَذا: حطَّ رحْلَه فيه وأنزَلَه غيره. قال تعالى: ﴿أَنزِلْنِى مُنزَلًا

(743) نظم الدرر ج ٥ / ص ١٧١.

(744) انظر: البدور الزاهرة ص ٢١٧.

﴿مُبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٩] ونَزَلَ بكذا وأنزَلَه بمعنى، وإنزالُ الله - تعالى - نعمَه ونقمَه على الخلق وإعطاؤهم إيَّاها، وذلك إما بإنزال الشيء نفسه، كإنزال القرآن، وإما بإنزال أسبابه والهداية إليه كإنزال الحديد واللباس ونحو ذلك، قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الكهف: ١]»(٧٤٥).

ثالثاً: التفسير:

إنَّ الكافرين يعبدون من دون الله ما لا يستحق العبادة فهو بلا حجة ولا يستطيع نصرهم من دون الله تعالى.

يقول الطبري - رَحِمَهُ اللهُ - في تفسير الآية: «يقول تعالى ذكره: ويعبد هؤلاء المشركون بالله من دونه ما لم ينزل به جل ثناؤه لهم حجة من السماء في كتاب من كتبه التي أنزلها إلى رسله بأنها آلهة تصلح عبادتها فيعبدوها بأن الله أذن لهم في عبادتها وما ليس لهم به علم أنها آلهة ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ يقول: وما للكافرين بالله الذين يعبدون هذه الأوثان من ناصرٍ ينصرُهم يوم القيامة فينقذهم من عذاب الله ويدفع عنهم عقابه إذا أراد عقابهم»(٧٤٦).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيد قراءة ﴿يُنَزِّل﴾ بتشديد الزاي المبالغة في نفي تنزيل أي حجة من الحجج على ما يعبدون من دون الله.

بينما تفيد قراءة ﴿يُنْزِل﴾ عدم إنزال أيّ حجّة من الحجج التي تدعم معبوداتهم من دون الله.

بالجمع بين القراءتين تزولُ أباطيلُ المشركين بعبادةِ ما لم يُنَزِّلُ الله - تعالى - به ولو حجَّةً واحدةً تثبتُ استحقاقَه للعبادةِ، كما أنَّه لا علمَ لهم

---

(٧٤٥) المفردات ص ٧٩٩.

(٧٤٦) تفسير الطبري مج٩/ج١٧/ ص٢٣٦.

به، ولا يستطيعُ نصرَهم فلا ناصرَ من دون الله تعالى، والله هو الأعلى والأعلم.

٢٧ ـ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾﴾ [الحج: ٧٣].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ يعقوب ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَدْعونَ﴾ بالغيب.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ بالخطاب(٧٤٧).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:(٧٤٨).

ثالثاً: التفسير:

إنَّ ضرب الأمثالِ من أساليب القرآن الكريم التي تُقَرِّبُ الصُّورة إلى ذهنِ السَّامعِ وتوضِّحُ المراد، وفي هذه الآية يضربُ الله مثلاً يُدَلِّلَ على عجزِ الناس عامَّةً، وعجزِ الكفار وما يدعونَه من دون الله ـ تعالى ـ خاصَّة.

يقول النسفي ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ﴾ بين ﴿مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ﴾ لضرب هذا المثل ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ ﴿يَدَّعُونَ﴾ سهل ويعقوب ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ آلهةً باطلةً ﴿لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا﴾ (لن) تأكيدُ نفي المستقبلِ وتأكيدُه هنا للدلالةِ على أنَّ خلقَ الذباب منهم مستحيلٌ كأنَّه قال: محالٌ أنْ يخلُقوا. وتخصيصُ الذبابِ لمهانتِه وضعفِه واستقذارِه، وسمِّيَ ذباباً لأنَّه كلَّما ذُبَّ لاستقذاره آبَ لاستكباره، ﴿وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ﴾: لخلقِ الذباب، ومحلُّه النَّصبُ على الحالِ كأنَّه قيل: مستحيلٌ منهم أنْ يخلقُوا الذبابَ مشروطاً عليهم اجتماعُهم جميعاً لخلقِه وتعاونهم عليه، وهذا من أبلغُ ما أُنزل في تجهيلِ قريشٍ حيثُ وَصَفوا بالإلهيةِ التي تقتضي الاقتدارَ على المقدورات

(٧٤٧) انظر: النشر ج٢/ص٣٢٧.

(٧٤٨) سبق ص ٢٧٤.

كلِّها والإحاطةَ بالمعلومات عن آخرها صوراً وتماثيلَ يستحيلُ منها أنْ تقدِرَ على أقلِّ ما خلقَه الله تعالى وأذلِّه لو اجتمعوا لذلك، ﴿وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا﴾ ﴿شَيْـًٔا﴾ ثاني مفعولي ﴿يَسْلُبْهُمُ﴾ ﴿لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ﴾ أي: هذا الخلقُ الأقلُّ الأذلُّ لو اختطفَ منهم شيئاً فاجتمعوا على أنْ يستخلِصوه منه لم يقدروا. عن ابن عباس - ﷺ - أنهم كانوا يطلونها بالزعفران ورؤوسها بالعسل فإذا سلبَه الذباب عجز الأصنام عن أخذه ﴿ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ﴾ أي الصنم بطلب ما سلب منه ﴿وَٱلْمَطْلُوبُ﴾ الذباب بما سلب وهذا كالتسوية بينهم وبين الذباب في الضعف، ولو حققت وجدت الطالب أضعف وأضعف فإن الذباب حيوان وهو جماد وهو غالب وذاك مغلوب»[749].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيد القراءة الأولى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَدْعونَ﴾ بالغيب أنَّ الخطاب للناس عامَّةً مؤمنين وكفاراً وإخبارهم بأنَّ الكفار غير حريِّين بالخطاب، فهم والذين يدعونهم من دون الله عاجزون مجتمعين عن خلق ذبابٍ أو استنقاذِ ما يسلبهم الذباب إيَّاه.

أمَّا القراءة الثانية ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ فالمقصود بالناس المخاطبين هم الكفار وحدهم، وقد وجَّه إليهم تهديداً مباشراً من خلال خطابه لهم.

يقول سيد قطب: «إنَّه النداء العام، والنفير البعيد الصدى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾.. فإذا تجمَّع الناس على النداء أعلنوا أنهم أمام مثل عام يضرب، لا حالة ولا مناسبة حاضرة: ﴿ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓ﴾.. هذا المثل يضع قاعدة، ويقرر حقيقة. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥ﴾. كل من تدعون من دون الله من آلهة مدعاة. من أصنام وأوثان، ومن أشخاص وقيم وأوضاع، تستنصرون بها من دون الله، وتستعينون بقوتها وتطلبون منها النصر والجاه. كلهم ﴿لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥ﴾. والذباب صغير حقير؛ ولكن هؤلاء الذين يدعونهم آلهة لا

(٧٤٩) تفسير النسفي ج٣/ص١٦٧.

يقدرون ولو اجتمعوا وتساندوا على خلق هذا الذباب الصغير الحقير!

وخلق الذباب مستحيل كخلق الجمل والفيل. لأن الذباب يحتوي على ذلك السر المعجز سر الحياة. فيستوي في استحالة خلقه مع الجمل والفيل. ولكن الأسلوب القرآني المعجز يختار الذباب الصغير الحقير لأن العجز عن خلقه يلقي في الحس ظل الضعف أكثر مما يلقيه العجز عن خلق الجمل والفيل! دون أن يخل هذا بالحقيقة في التعبير. وهذا من بدائع الأسلوب القرآني العجيب! ثم يخطو خطوة أوسع في إبراز الضعف المزري[٧٥٠]: ﴿وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ﴾. والآلهة المدعاة لا تملك استنقاذ شيء من الذباب حين يسلبها إياه، سواء أكانت أصناماً أم أوثاناً أم أشخاصاً! وكم من عزيز يسلبه الذباب من الناس فلا يملكون رده. وقد اختير الذباب بالذات وهو ضعيف حقير. وهو في الوقت ذاته يحمل أخطر الأمراض ويسلب أغلى النفائس: يسلب العيون والجوارح، وقد يسلب الحياة والأرواح. إنه يحمل ميكروب السل والتيفود والدوسنتاريا والرمد. ويسلب ما لا سبيل إلى استنقاذه وهو الضعيف الحقير!.

وهذه حقيقة أخرى كذلك يستخدمها الأسلوب القرآني المعجز. ولو قال: وإن تسلبهم السباع شيئاً لا يستنقذوه منها. لأوحى ذلك بالقوة بدل الضعف. والسباع لا تسلب شيئاً أعظم مما يسلبه الذباب! ولكنه الأسلوب القرآني العجيب!

ويختم ذلك المثل المصور الموحي بهذا التعقيب: ﴿ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾. ليقرر ما ألقاه المثل من ظلال، وما أوحى به إلى المشاعر والقلوب!»[٧٥١].

ويقول الدكتور فضل عباس: «أسلوب الغيبة يدلُّ على تفظيع ما عملوه، فهم ليسوا حريِّينَ بهذا الخطاب، ولكنَّ أسلوب الخطابِ فيهِ نَظرٌ

---

(٧٥٠) «زَرَى عليه فِعله: عابه» مختار الصحاح ص ٢٨٠.

(٧٥١) في ظلال القرآن ج ٤/ص٢٤٤٣، ٢٤٤٤.

إلى جهةٍ أخرَى وهو توجيه التهديدِ توجيهاً مباشراً لهم»[٧٥٢].

بالجمع بين القراءتين نسلِّمُ بعجزنا نحن البشر أمام الخالق العظيم، وإن كان الخطاب للكفار خاصةً أم للناس كافَّةً فلا بدَّ للجميع بالتسليم بضعف ما يدعوه الناس من دون الله سواءً أكان ما يدعونه صنماً أم بشراً يُعَظِّمونه فهم جميعاً عاجزون ضعفاء أمام أحقر وأصغر مخلوق من مخلوقات الله وهو الذباب، ولهذا فقد خاطبهم بأسلوب الغيبة تحقيراً لهم، ولكنَّه وجَّه إليهم تهديداً مباشراً يلزمهم بالعذاب في حال عدم رجوعهم إلى الحقِّ واخذ العبرة والعظةِ من المَثَل المضروب لهم ليتفكَّروا فيه فيعلموا عجزهم وعجز ما يدعونه من دون الله تعالى، والله أعلم.

٢٨ ـ قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٧٦﴾﴾ [الحج: ٧٦].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وخلف ﴿تَرْجِعُ ٱلْأُمُورُ﴾ بفتح حرف المضارعة وكسر الجيم.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ بضم حرف المضارعة وفتح الجيم[٧٥٣].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

رجع: الرجوع: العود إلى ما كان منه البدء أو تقدير البدء مكاناً كان أو فعلاً أو قولاً، وبذاتِه كان رُجُوعه أو بجُزءٍ من أجزائه أو بفعل من أفعاله. فالرُّجوع: العَوْدُ والرَّجْعُ: الإعادةُ والرَّجعة، والرجعة في الطلاق، وفي العود إلى الدنيا بعد الممات[٧٥٤].

(٧٥٢) القراءات القرآنية من الوجهة البلاغية ص٢٨ ـ ٢٩.

(٧٥٣) انظر: النشر ج٢/ص٢٠٨، ٢٠٩.

(٧٥٤) المفردات ص ٣٤٢.

ثالثاً: التفسير:

تقرِّرُ هذه الآيةُ أنَّ الله - تعالى - يتَّصفُ بالعلم الكامل الشامل كما يتَّصف بالقدرة الكاملةِ المطلقة وإليه مَرجع الأمور كلّها.

يقول الفخر الرازي - رَحِمَهُ اللَّهُ -: «ثم بيَّن سبحانه بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ أنه يسمع ما يقولون ويرى ما يفعلون، ولذلك أتبعه بقوله: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ فقال بعضهم ما تقدم في الدنيا وما تأخر، وقال بعضهم: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ أمر الآخرة، ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ أمر الدنيا، ثم أتبعه بقوله: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ فقوله: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ إشارة إلى العلم التام وقوله: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ إشارة إلى القدرة التامة والتفرد بالإلهية والحكم، ومجموعهما يتضمن نهاية الزجر عن الإقدام على المعصية»(٧٥٥).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيد قراءة ﴿تَرْجِعُ ٱلْأُمُورُ﴾ الإشارة إلى علم الله الكامل الشامل وقدرته التامة المطلقة لذا فإنَّ أمور الدنيا والآخرة تعود إليه - تعالى - فهو الإله الأوحد الذي لا كفء له.

جاء في زهرة التفاسير: «أي أنَّ الأمور كلّها ترجع إليه وحده يوم القيامة»(٧٥٦).

بينما تفيد قراءة ﴿تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ بالبناء للمجهول أنَّ الأمور ترجع إلى الله - تعالى - بغاية السهولة بوعد فصلٍ لا بدَّ منه، وذلك يوم يتجلَّى - سبحانه - لفصل القضاء يوم القيامة.

ويقول البقاعي - رَحِمَهُ اللَّهُ -: «﴿وَإِلَى ٱللَّهِ﴾ أي: الذي لا كفْء له، وحده ﴿تُرْجَعُ﴾ أي: بغايةِ السهولةِ بوعدِ فصلٍ لا بدَّ منه ﴿ٱلْأُمُورُ﴾ يوم يتجلَّى

(٧٥٥) تفسير الرازي ج٢٣/ص٧٠.

(٧٥٦) زهرة التفاسير مج٩/ ص ٥٠٣٣.

لفصلِ القضاء، فيكونُ أمرُه ظاهراً لا خَفاءَ فيه، ولا يَصْدُرُ شيءٌ من الأشياء إلاَّ علَى وجهِ العدلِ الظَّاهرِ لكُلِّ أحدٍ أنَّه منه. ولا يكونُ لأحدٍ التفاتٌ إلى غيره، والذي هو بهذه الصِّفةِ له أنْ يُشَرِّعَ ما يشاء، وينسخَ من الشُّروع ما يشاء، ويحكمَ بما يريد»[٧٥٧].

بالجمع بين القراءتين تتَجَلَّى حقيقةُ علم الله الكامل الشامل مع قدرته التَّامَّة المطلقة فهو الله الذي لا إله غيره، وليس له كفواً أحد، فلا بد من رجوع الأُمور إليه سبحانه، لذا فهي ترجعُ منقادةً إليه بغاية السهولة ليفصل بين الَخلق فيها بحكمه العادل يوم القيامة، والله أعلم.

(٧٥٧) نظم الدرر ج ٥ / ص١٧٨.

الفصل الرابع

تفسير سورة (المؤمنون)
من خلال القراءات القرآنية العشر

ويشتمل على مبحثين وهما:

المبحث الأول: تعريف بسورة (المؤمنون).

المبحث الثاني: عرض وتفسير لآيات سورة (المؤمنون) المتضمنة للقراءات القرآنية العشر.

المبحث الأول
التعريف بسورة (المؤمنون)

ويشتمل على النقاط التالية:

أولاً: اسم السورة.

ثانياً: نوع السورة.

ثالثاً: عدد آيات السورة.

رابعاً: فضائل السورة.

خامساً: مناسبة السورة لما قبلها.

سادساً: هدف السورة وأغراضها.

سابعاً: محور السورة.

ثامناً: مضمون السورة وما اشتملت عليه.

المبحث الأول
التعريف بسورة (المؤمنون)

أولاً: اسم السورة:

الاسم الذي عُرِفت به هذه السورة هو سورة (المؤمنون)، كما جرى على الألسنةِ أنْ يُسَمُّوها سورة (قد أفلَحَ)، كما يسمونها (سورة الفلاح)[٧٥٨].

ثانياً: نوع السورة:

أجمع معظمُ المفسرين على أنَّ سورة (المؤمنون) مكيَّة، وتوقَّفَ بعضُهم في الآية التي ذُكِرت فيها الزَّكاة.

يقول ابن الجوزي ـ رحمه الله ـ: «سورة المؤمنين مكية في قول الجميع»[٧٥٩].

ويقول الطاهر بن عاشور ـ رحمه الله ـ: «وهي مكيَّةٌ بالاتفاق. ولا اعتدادَ بتوقف من توقَّفَ في ذلك بأنَّ الآيةَ التي ذُكِرَت فيها الزَّكاةُ، وهي قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤﴾ تعيَّن أنَّها مدنيَّةٌ؛ لأنَّ الزكاة فُرِضَت في المدينة. فالزَّكاةُ المذكورةُ فيها هي الصَّدقةُ، لا زكاةُ النّصبِ المعيَّنةِ في الأموال. وإطلاقُ الزَّكاةِ على الصدقة مشهورٌ في القرآن. قال تعالى:

---

(٧٥٨) انظر: في ظلال القرآن ج٤/ص ٢٤٥٢. والتحرير والتنوير مج٩/ج١٨/ص٥.

(٧٥٩) زاد المسير ج٣/ص ٢٥٤. وانظر: تفسير القرطبي ج٧/ص ٤٤٩٤. والدر المنثور ج٦/ص ٨٢.

﴿... وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ...﴾ [فصلت: ٦ - ٧] وهي من سورة مكيَّة بالاتفاق وقال: ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ۝٥٤ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ...﴾ [مريم: ٥٤ - ٥٥] ولم تكن زكاةُ النّصب مشروعةً في زمنِ إسماعيل»(٧٦٠).

ثالثاً: عدد آيات السورة:

هناك خلافٌ بسيط في عدد آيات هذه السورة، فهي في عدِّ الجمهور مائةٌ وسبعَ عشرةَ آية، وعدَّها أهل الكوفة مائةٌ وثماني عشرةَ آية، وهي عند البصريين مائة وتسع عشرة آية.

يقول أبو السعود - رحمه الله -: «مكية وهي عند البصريين مائة وتسع عشرة آية وعند الكوفيين مائة وثماني عشرة آية»(٧٦١).

ويقول الطاهر بن عاشور - رحمه الله -: «وآياتها مائة وسبع عشرة في عد الجمهور. وعدها أهل الكوفة مائة وثماني عشرة فالجمهور عدوا ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١١﴾ آية وأهل الكوفة عدوا ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠﴾ آية، وما بعدها آية»(٧٦٢).

رابعاً: فضائل السورة:

سورةُ (المؤمنون) تمتازُ بفضائلَ جمَّةٍ: فهيَ تثني على المؤمنين، وتنتصرُ لهم من الكافرين الخالدين في النار، الذين كانوا يتَّخذون المؤمنين سخريًّا فجزاهم الله جنَّته بما صبروا.

«يذكر عن عبد الله بن السائب(٧٦٣): (قرأ النبي ﷺ (المؤمنون) في

---

(٧٦٠) التحرير والتنوير مج٩/ج١٨/ص٥ - ٦.

(٧٦١) تفسير أبي السعود ج٤/ ص ٤٠١. وانظر: تفسير البيضاوي ص٤٦١. والدر المنثور ج٦/ص٨٢.

(٧٦٢) التحرير والتنوير مج٩/ج١٨/ص٦.

(٧٦٣) هو «عبد الله بن السائب بن أبي السائب بن عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ويكنى أبا عبد الرحمن وأمه رملة بنت عروة ذي البردين من بني هلال بن عامر بن=

الصبح حتى إذا جاء ذكر موسى وهارون، أو ذكر عيسى أخذته سعلة فركع)»[٧٦٤].

يقول السيوطي ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «وأخرج البخاري في الأدب المفرد[٧٦٥] عن يزيد بن بابنوس[٧٦٦] قال: قلنا لعائشة: كيف كان خلق رسول الله ﷺ؟ قالت: كان خلقه القرآن، ثم قالت: تقرأ سورة (المؤمنون) ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١﴾ فقرأ حتى بلغ العشر فقالت: هكذا كان خلق رسول الله ﷺ»[٧٦٧].

وذكر القرطبي ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «من حديث أنس عن النبي ﷺ أنه قال: (لما خلق الله جنة عدن وغرس أشجارها بيده قال لها تكلمي فقالت قد أفلح المؤمنون)[٧٦٨]»[٧٦٩].

خامساً: مناسبة السورة لما قبلها:

خُتِمت سورة (الحج) بحثُّ المؤمنين على الجهاد والصلاة والزكاة

= صعصعة، أسلم عبد الله يوم الفتح ولم يزل مقيماً بمكة إلى أن مات بها في زمن عبد الله بن الزبير». الطبقات الكبرى ج٥/ص٤٤٥.

(٧٦٤) أخرجه البخاري في صحيحه ج١/ص٢٦٨، كتاب: صفة الصلاة، باب: الجمع بين السورتين في الركعة.

(٧٦٥) انظر: الأدب المفرد ج١ / ص١١٥، كتاب: حسن الخلق، باب: من دعا الله أن يحسن خلقه.

(٧٦٦) هو يزيد بن بابنوس، بصري، روى عن عائشة زوج النبي ﷺ، ذكره ابن حبان في كتاب الثقات، وروى له البخاري في الأدب، وقال: كان ممّن قاتلوا علياً. انظر: تهذيب الكمال ج٣٢/ص٩٢.

(٧٦٧) أخرجه البخاري في الأدب المفرد ج١/ص١١٥/ح٣٠٨ وقال الشيخ الألباني: ضعيف، وانظر: الدر المنثور ج٦/ص٨٢.

(٧٦٨) أخرجه السيوطي عن ابن عباس في الدر المنثور ج١ / ص٩٣. كما رواه الطبراني (بنحوه) عن ابن عباس رضي الله عنه في المعجم الأوسط ج١/ ص٢٢٤ / ح ٧٣٨. كما ذكره الألباني (بنحوه) عن أبي سعيد رضي الله عنه في صحيح الترغيب والترهيب ج٣/ ص٢٦٠/ح ٣٧١٤، وقال الألباني: صحيح. وانظر: الفوائد ج١/ ص ١٠٩.

(٧٦٩) تفسير القرطبي ج٧/ ص ٤٤٩٤.

والاعتصام بالله، وابتُدِئت سورة (المؤمنون) بالثناء على المؤمنين الذين التزموا أمور الدين خاصَّةً وعامَّة.

يقول البقاعي - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - في مناسبة سورة (المؤمنون) مع سورة (الحج): «لمَّا خُتمت (الحجّ) بنداء الذين آمنوا وأمرهم بأمورِ الدين خاصةً وعامَّة، وختمت بالصلاة والزكاة والعصمة به سبحانه موصوفاً بما ذُكِر، أوجبَ ذلك توقُّعَ المنادين كلَّ خيرٍ، فابتدئت هذهِ بما يُثمرُ الاعتصامَ به سبحانه في الصلاةِ وغيرها، من خلالِ الدِّينِ في الدَّارين، فقال تعالى مفتتحاً بحرف التوقُّع: ﴿قد﴾ وهي نقيضةٌ لِما تثْبُتُ المتوقَّع وتقرِّبُ الماضي من الحالِ ولِما تَنفيه، ﴿أَفْلَحَ﴾ أي فازَ وظفر الآن بكلِّ ما يريد، ونالَ البقاءَ الدَّائمَ في الخير، ﴿ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ وعبَّرَ بالاسمِ إشارةٌ إلى أنَّ منْ أقرَّ بالإيمان وعملَ بما أُمِرَ به في آخر التي قبلها، استحقَّ الوصفَ الثابتَ لأنَّه اتقى وأنفقَ ممَّا رُزِقَ فأفلح ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩]»(٧٧٠).

سادساً: هدف السورة وأغراضها:

هدفُ (سورة المؤمنون) أنَّها جاءت لتبشِّرَ وتستخرجَ عواطفَ الشُّكر، وتُذَكِّرُ لتؤدِّي دورَها في التَّحذيرِ من طُرُقِ الضلال بالتذكير والتعليم والتربيةِ والتوضيحِ والتنويرِ، وكلُّ ذلك مُقدِّمةٌ للمطالبةِ بكثيرٍ من الأحكامِ الإسلاميَّةِ التي يقتضي القيامُ بها الدخولَ في الإسلام كلِّه(٧٧١).

وقد فصَّل الطاهر بن عاشور - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - أغراضَ هذه السورة حيثُ يقول: «هذه السورة تدور آيُها حول محورِ تحقيقِ الوحدانيةِ، وإبطالِ الشِّركِ ونقض قواعده، والتنويه بالإيمان وشرائعه، فكان افتتاحُها بالبشارةِ للمؤمنين بالفلاحِ العظيمِ على ما تحلَّوا به من أصولِ الفضائل الروحيةِ والعمليةِ التي بها تَزكيةُ النَّفسِ واستقامةُ السلوك.

---

(٧٧٠) نظم الدرر ج٥/ص١٨٢. وانظر: التفسير المنير ج١٨/ص٦. وأسرار ترتيب القرآن ص ١١١.

(٧٧١) انظر: الأساس مج٧ / ص٣٦١٣.

وأعقب ذلك بوصف خَلْقِ الإنسانِ، أصلِه ونسلِه الدَّالِّ على تفرُّدِ الله - تعالى - بالإلهيةِ لتفرُّدِه بخلقِ الإنسانِ ونشأتِه ليبتدئَ الناظرُ بالاعتبارِ في تكوينِ ذاتِه، ثم بعدَمِهِ بعدَ الحياة. ودلالةِ ذلك الخَلْقِ على إثباتِ البعثِ بعد المماتِ، وأنَّ اللهَ لم يخلُق الخلقَ سُدىً ولعباً.

وانتقل إلى الاعتبار بخَلق السماوات ودلالتِه على حكمةِ اللهِ تعالى، وإلى الاعتبارِ والامتنانِ بمصنوعاتِ الله تعالى، التي أصلُها الماءُ الذي به حياةُ ما في هذا العالمِ من الحيوانِ والنباتِ وما في ذلك من دقائق الصُّنعِ، وما في الأنعامِ من المَنافع ومنها الحَمْل، ومن تسخيرِ المنافع للناس وما أوتيه الإنسان مَن آلاتِ الفكرِ والنَّظر.

وورد ذكر الحمل على الفلك فكان منه تخلص إلى بعثة نوح وحدث الطوفان. وانتقل إلى التذكير ببعثة الرسل للهدى والإرشاد إلى التوحيد والعمل الصالح وما تلقاها به أقوامهم من الإعراض والطعن والتفرق وما كان من عقاب المكذبين وتلك أمثال لموعظة المعرضين عن دعوة محمد ﷺ فأعقب ذلك بالثناء على الذين آمنوا واتقوا.

وبتنبيه المشركين على أنَّ حالَهم مماثلٌ لأحوالِ الأمم الغابرة وكلمتهم واحدة فهم عرضة لأن يحل بهم ما حل بالأمم الماضية.

وقد أراهم الله مخائل[٧٧٢] العذاب لعلهم يقلعون عن العناد فأصرُّوا على إشراكهم بما ألقَى الشيطان في عقولهم وذكروا بأنهم يقرون إذا سئلوا بأن الله مفرد بالربوبية ولا يجرون على مقتضى إقرارهم أنَّهم سيندمون على الكفر عندما يحضرهم الموت وفي يوم القيامة، وبأنهم عرفوا الرسول ﷺ وخبروا صدقه وأمانته ونصحه المجرد عن طلب المنفعة لنفسه إلا ثواب الله فلا عذر لهم بحال في إشراكهم وتكذيبهم الرسالة ولكنهم متبعون أهواءهم معرضون عن الحق وما تخلل ذلك من جوامع الكلم.

(٧٧٢) «تَخَيَّلَ له أنه كذا وتَخَايَل أي تشبه يقال تَخَيَّلَهُ فَتَخَيَّلَ له، كما يقال: تصوره، فتصور له، وتبيَّنه فتبيَّن له فتحقق له». مختار الصحاح ص ١٩٦.

وخُتِمت بأمرِ النبيِّ ﷺ أنْ يغُضَّ عن سوءِ معاملتِهم ويدفعَها بالتي هي أحسن، ويسألَ المغفرةَ للمؤمنين، وذلك هو الفلاحُ الذي ابتُدِئَت به السُّورة(٧٧٣).

سابعاً: محور السورة:

محورُ السورة هو الكلامُ في أصول الدِّينِ من وجود الخالق وتوحيدِه وإثباتِ الرِّسالةِ والبعث.

يقول الشهيد سيد قطب ـ رحمه الله ـ: «هذه سورة (المؤمنون)... اسمها يدلُّ عليها. ويحدد موضوعها.. فهي تبدأ بصفة المؤمنين، ثم يستطرد السياق فيها إلى دلائل الإيمان في الأنفس والآفاق. ثم إلى حقيقة الإيمان كما عرضها رسل الله صلوات الله عليهم من لدن نوح عليه السلام إلى محمد خاتم الرسل والنبيين؛ وشبهات المكذبين حول هذه الحقيقة واعتراضاتهم عليها، ووقوفهم في وجهها، حتى يستنصر الرسل بربهم، فيهلك المكذبين، وينجي المؤمنين.. ثم يستطرد إلى اختلاف الناس بعد الرسل في تلك الحقيقة الواحدة التي لا تتعدد.. ومن هنا يتحدث عن موقف المشركين من الرسول ﷺ ويستنكر هذا الموقف الذي ليس له مبرر.. وتنتهي السورة بمشهد من مشاهد القيامة يلقون فيه عاقبة التكذيب، ويؤنبون على ذلك الموقف المريب، ويختم بتعقيب يقرر التوحيد المطلق والتوجه إلى الله بطلب الرحمة والغفران.

فهي سورة (المؤمنون) أو هي سورة الإيمان، بكل قضاياه ودلائله وصفاته. وهو موضوع السورة ومحورها الأصيل(٧٧٤).

ثامناً: مضمون السورة وما اشتملت عليه:

مضمون سورة (المؤمنون) هو بيان صفات المؤمنين، وعرض دلائل القدرة والوحدانية، وقصص بعض الأنبياء؛ تسلية لرسول الله ﷺ، وتصوير

---

(٧٧٣) التحرير والتنوير مج٩ /ج١٨ / ص ٦ ـ ٧.

(٧٧٤) في ظلال القرآن ج٤/ص٢٤٥٢.

الشدائد والأهوال التي يلقاها الكفار وقت الاحتضار، وفي يوم القيامة، وبيان مصير كلٍّ من المؤمنين والكفار.

يُقسم الشهيد سيد قطب - رحمه الله - سياق السورة إلى أربعة أشواط:

يبدأ **الشوط الأول** بتقرير الفلاح للمؤمنين: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١﴾... ويبيِّن صفات المؤمنين هؤلاء الذين كتب لهم الفلاح.. ويثني بدلائل الإيمان في الأنفس والآفاق، فيعرض أطوار الحياة الإنسانية منذ نشأتها الأولى إلى نهايتها في الحياة الدنيا متوسعاً في عرض أطوار الجنين، مجملاً في عرض المراحل الأخرى.. ثم يتابع خط الحياة البشرية إلى البعث يوم القيامة.. وبعد ذلك ينتقل من الحياة الإنسانية إلى الدلائل الكونية.

فأما **الشوط الثاني** فينتقل من دلائل الإيمان في الأنفس والآفاق إلى حقيقة الإيمان. حقيقته الواحدة التي توافق عليها الرسل دون استثناء: ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ قالها نوح عليه السلام وقالها كل من جاء بعده من الرسل، حتى انتهت إلى محمد ﷺ وكان اعتراض المكذبين دائماً: ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ ... وكانت العاقبة دائماً أنْ يلجأ الرسل إلى ربهم يطلبون نصره، وأنْ يستجيبَ اللهُ لرسله، فيهلك المكذبين.

والشوط الثالث يتحدث عن تفرق الناس بعد الرسل وتنازعهم حول تلك الحقيقة الواحدة التي جاءوا بها: ﴿فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ۝٥٣﴾ وعن غفلتهم عن ابتلاء الله لهم بالنعمة، واغترارهم بما هم فيه من متاع. بينما المؤمنون مشفقون من خشية ربهم، يعبدونه ولا يشركون به، وهم مع ذلك دائمو الخوف والحذر ﴿وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾.

والشوط الأخير يدعهم وشركهم وزعمهم؛ ويتوجه بالخطاب إلى رسول الله ﷺ أنْ يدفعَ السيئة بالتي هي أحسن، وأنْ يستعيذَ بالله من الشياطين، فلا يغضب ولا يضيق صدرُه بما يقولون.. وإلى جوار هذا مشهد من مشاهد القيامة يصور ما ينتظرهم هناك من عذاب ومهانة وتأنيب.. وتختم السورة بتنزيه الله سبحانه: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ

ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾﴾ وبنفي الفلاح عن الكافرين في مقابل تقرير الفلاح في أول السورة للمؤمنين: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾ وبالتوجه إلى الله طلباً للرحمة والغفران: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾﴾[٧٧٥].

(٧٧٥) انظر: في ظلال القرآن ج٤/ ص٢٤٥٢ ـ ٢٤٥٣.

المبحث الثاني
عرض وتفسير لآيات سورة (المؤمنون)
المتضمنة للقراءات القرآنية العشر

١ ـ قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ⑧﴾ [المؤمنون: ٨]

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ ابن كثير ﴿لأمانتهم﴾ بغير ألف على التوحيد.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿لِأَمَٰنَٰتِهِمْ﴾ بالألف على الجمع[٧٧٦].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

أمن: «(أَمِنَ) بالكسر (أَمَانَةً) فهو (أَمِينٌ) ثم استعمل المصدر في الأعيان مجازاً فقيل الوديعة أمانة ونحوه، والجمعُ: (أَمَانَاتٌ)»[٧٧٧].

الأمانةُ: حالةٌ في الإنسانِ تَبعثُهُ على حفظِ ما يجبُ عليهِ من حقٍّ لغيرِه، وتمنَعُهُ من إضاعتِه، أو جعلِه لنفعِ نفسِه، وضدّها الخيانة.

---

(٧٧٦) انظر: النشر ج٢/ص٣٢٨.

(٧٧٧) المصباح المنير ص ٢٤.

والأمانةُ من أعزّ أوصافِ البشر، وهي من أخلاقِ المسلمين، وفي الحديث: (لاَ إيمَانَ لِمَنْ لاَ أمان له)(٧٧٨)(٧٧٩).

ثالثاً: التفسير:

يمتدحُ الله ـ تعالى ـ المؤمنينَ بأنّهم يحفظون أماناتهم وعهدهم.

يقول السعدي ـ رحمه الله ـ في بيان قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝٨﴾: «أي: مراعون لها، ضابطون، حافظون، حريصون على القيامِ بها وتنفيذها، وهذا عامٌّ في جميعِ الأمانات التي هي حق لله، والتي هي حق للعباد، قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ...﴾ [الأحزاب: ٧٢] فجميع ما أوجبه الله على عبده أمانة، على العبد حفظها بالقيام التام بها، وكذلك يدخل في ذلك أمانات الآدميين، كأمانات الأموال والأسرار ونحوهما، فعلى العبد مراعاة الأمرين، وأداء الأمانتين ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨] وكذلك العهد، يشملُ العهدَ الذي بينهم وبين ربهم، والذي بينهم وبين العباد، وهي الالتزامات، والعقود التي يعقدها العبد، فعليه مراعاتها والوفاءُ بها، ويحرمُ عليه التفريطُ فيها وإهمالُها»(٧٨٠).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

إنَّ القراءة الأولى ﴿لِأَمانتِهِم﴾ تشير إلى أمانةٍ واحدةٍ تجمع كلَّ ما يحمله المسلم من أمر دينه ودنياه قولاً وفعلاً، فهذه القراءة تعبِّرُ عن جنس الأمانة.

يقول القرطبي ـ رحمه الله ـ: «الأمانةُ والعهد يجمع كلّ ما يحمله الإنسان

(٧٧٨) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده برواية أنس بن مالك ج٣/ص ١٣٥/ ح ١٢٤٠٦، وقال شعيب الأرنؤوط: حديث حسن. وانظر: صحيح ابن حبّان ج١ / ص٤٢٢ / ح ١٩٤. ومسند أبي يعلي ج ٥/ ص٢٤٦ / ح ٢٨٦٣.

(٧٧٩) التحرير والتنوير ج٥/ ص ٢٠٣.

(٧٨٠) تفسير السعدي ص ٥٤٧.

من أمر دينه ودنياه قولاً وفعلاً وهذا يعم معاشرة الناس والمواعيد وغير ذلك وغاية ذلك حفظه والقيام به والأمانة أعم من العهد وكل عهد فهو أمانة فيما تقدم فيه قول أو فعل أو معتقد»[٧٨١].

أمّا القراءة الثانية ﴿لِأَمَٰنَتِهِمْ﴾ فإنَّها تتعلَّقُ بجميع أمانات المؤمن التي تكون بينه وبين خالقه من العبادات كالصلاة والصوم وغيرها، وما تكون بين العبيد كالودائع وغيرها.

يقول البغوي ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «والأمانات تختلف فتكون بين الله ـ تعالى ـ وبين العبد كالصلاة والصيام والعبادات التي أوجبها الله عليه، وتكون بين العبيد، كالودائع والصنائع، فعلَى العبد الوفاءُ بجميعها»[٧٨٢].

بالجمع بين القراءتين تتبلور صورةٌ جميلةٌ للمؤمن الذي يحفظ ويرعى جميع أماناته التي تكون بينه وبين خالقه، والتي تكون بينه وبين الناس، فهو بذلك يحفظُ عهدَه وأمانتَه بحفظِ أمرِ دينِه ودُنياه قولاً وفعلاً، فالأمانةُ جنسٌ واحدٌ لا يقبلُ التجزئةَ ولا التبعيض؛ إمَّا أنْ تكون حافظاً للأمانةِ راعياً لها، أو أنْ تكونَ مُضيّعاً لها والعياذُ بالله، والله أعلم.

٢ ـ قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [المؤمنون: ٩].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف ﴿عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ﴾ بالتوحيد.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ﴾ بالجمع[٧٨٣].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

صلاة: «الصَّلاةُ: الدُّعاء، والصلاةُ من الله ـ تعالى ـ الرحمةُ، والصلاةُ واحدةُ الصَّلَواتِ المفروضةِ، وهو اسمٌ يوضعُ موضعَ المصدرِ، يقالُ: صَلَّى

---

(٧٨١) تفسير القرطبي ج٧/ص ٤٤٩٩.

(٧٨٢) تفسير البغوي ج ٥ / ص ٤١٠.

(٧٨٣) انظر: النشر ج٢/ص٣٢٨.

صلاةً، ولا يقالُ تَصْلِيَةً»[784].

ثالثاً: التفسير:

لقد امتازت الصلاةُ عن غيرها من العباداتِ بالكثير، ولأهميَّتها فقد فرِضت من الله مباشرةً للنبيِّ ﷺ ليلةَ الإسراءِ والمعراج بدون وساطة جبريل عليه السلام، لذا فمن صفاتِ المؤمنين أنَّهم على صلواتهم يُحافظون.

يقول الشنقيطي ـ رحمه الله ـ: «ذكر جلَّ وعلا في هذه الآية الكريمة أنَّ من صفاتِ المؤمنين المفلحينَ الوارثينَ الفردوس: أنَّهم يحافظونَ على صلواتهم والمحافظةُ عليها تشملُ إتمامَ أركانِها، وشروطها، وسننها، وفعلها في أوقاتِها في الجماعات في المساجد، ولأجلِ أنَّ ذلك من أسبابِ نيلِ الفردوس أَمَرَ تعالى بالمحافظةِ عليها في قوله تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، وقال تعالى في سورة المعارج: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [المعارج: ٣٤]، وقال فيها أيضاً: ﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [المعارج: ٢٢ ـ ٢٣]، وذم وتوعد من لم يحافظ عليها في قوله: ﴿۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾﴾ [مريم: ٥٩]»[785].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة ﴿عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ﴾ بالإفراد معنى المحافظةِ على الصلاةِ فذُكِرَ المصدرُ ويعني المحافظةُ على كلِّ صلاةٍ من الصلواتِ المفروضة.

أمَّا قراءة ﴿عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ﴾ بالجمع فتفيد المحافظة على أعداد الصلوات كلِّها، وعدم تضييع أيٍّ منها، كما تفيد تعظيم الصلاة وتعظيم من يحافظ عليها، وتعظيم جزائه من الله.

يقول الطاهر بن عاشور: «ثناء على المؤمنين بالمحافظة على

(٧٨٤) مختار الصحاح ص٣٧٥.

(٧٨٥) أضواء البيان ج٥ / ص ٧٧٤ ـ ٧٧٥.

الصلوات، أي بعدم إضاعتها أو إضاعة بعضها، والمحافظة مستعملة في المبالغة في الحفظ... وجيء بالصلوات بصيغة الجمع للإشارة إلى المحافظة على أعدادها كلها تنصيصاً على العموم»[٧٨٦].

ويقول الزمخشري - رحمه الله -: «وقرىء: ﴿عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ﴾ فإن قلت: كيف كرّر ذكر الصلاة أوّلاً وآخراً؟ قلت: هما ذِكران مختلفان فليس بتكرير. وصفوا أَوّلاً بالخشوع في صلاتهم، وآخراً بالمحافظة عليها. وذلك أنْ لا يسهُوْا عنها، ويؤدّوها في أوقاتها، ويقيموا أركانها، ويوكلوا نفوسهم بالاهتمام بها وبما ينبغي أنْ تتمّ به أوصافها. وأيضاً فقد وُحِّدَت أولاً ليُفادَ الخشوعُ في جنسِ الصلاة أيَّ صلاةٍ كانت، وجُمِعَت آخراً لتُفادَ المحافظةُ على أعدادها وهي: الصلوات الخمس، والوتر، والسنن المرتبة مع كل صلاة، وصلاة الجمعة، والعيدين، والجنازة، والاستسقاء، والكسوف والخسوف، وصلاة الضحى، والتهجد وصلاة التسبيح، وصلاة الحاجة. وغيرها من النوافل»[٧٨٧].

ويقول ابن الجزري - رحمه الله -: اكتنف قبل وبعد قوله تعالى ﴿عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ﴾ في هذه السورة من تعظيم الوصف في المتقدِّم وتعظيم الجزاء في المتأخِّر فناسب لفظ الجمع، وكذلك قرأ به أكثر القرَّاء، ولم يكن ذلك في غيرها فناسب الإفراد[٧٨٨].

بالجمع بين القراءتين يستشعرُ المؤمن أهميَّةَ المحافظة على الصلاةِ المفروضة إلى جانب النافلة فبعد ثناء الله - تعالى - على المؤمنين الخاشعين في صلاتهم بقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢﴾ [المؤمنون: ٢] **أثنى عليهم مرَّةً أخرى؛ لمحافظتهم على جميع صلواتهم، ممَّا يدلُّ على تفرُّد الصلاة واختصاصها بما لم يُختَصّ به غيرها من العبادات على الإطلاق، كما يدلُّ على جزيلِ ثوابها، وعظيم صفةِ المحافظةِ عليها، والله أعلم.**

(٧٨٦) التحرير والتنوير مج٩/ج١٨/ص١٨.

(٧٨٧) الكشاف ج٣/ ص ٢٧. وانظر: القراءات وأثرها في علوم العربية ج١/ ص ٣٣٧.

(٧٨٨) انظر: النشر ج٢/ص٣٢٨.

٣ ـ قال تعالى: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾﴾ [المؤمنون: ١٤].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ ابن عامر وأبو بكر[٧٨٩] ﴿عَظْماً فَكَسَوْنَا العَظْمَ﴾ بفتح العين وإسكان الظاء من غير ألف على التوحيد فيهما.

٢ ـ وقرأهما الباقون ﴿عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ﴾ بكسر العين وفتح الظاء وألف بعدها على الجمع[٧٩٠].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«العَظْمُ: الذي عليه اللحمُ من قَصَبِ الحيوانِ، والجمع أَعْظُمٌ وعِظامٌ»[٧٩١].

ثالثاً: التفسير:

يتجلَّى كمالُ قدرةِ الله، واستحقاقه وحده للعبادة ـ ﷻ ـ في أطوار خلقه الإنسان، ونقله له من حالٍ إلى حال، وقد ضَمَّنتُ الموضع الثاني من سورة الحجّ تفصيلاً لأطوار خلق الإنسان كما ذكرها الطاهر بن عاشور[٧٩٢] بما يُغني هنا عن التكرار.

يقول السعدي: «ذكر الله في هذه الآيات أطوار الآدمي وتنقلاته، من ابتداء خلقه إلى آخر ما يصير إليه، فذكر ابتداء خلق أبي النوع البشري آدم عليه السلام، وأنه ﴿مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ﴾ أي: قد سُلَّت، وأُخِذَت من جميع

(٧٨٩) هو شعبة بن عياش بن سالم، أبو بكر الحنّاط الأسدي النهشلي الكوفي الإمام العلم، ولد سنة٩٥هـ، عرض القرآن على عاصم ثلاث مرات، كان سيداً إماماً حجة، كثير العلم والعمل، منقطع القرين، وكان من أئمة السنة توفي رحمه الله سنة ١٩٣هـ.

(٧٩٠) انظر: النشر ج٢ / ص٣٢٨.

(٧٩١) لسان العرب ج١٢/ ص ٤٧٧. وانظر: مختار الصحاح ص٤٦٧.

(٧٩٢) انظر: التحرير والتنوير مج٨ /ج١٧ /ص١٩٦ ـ ٢٠٣.

الأرض، ولذلك جاء بنوعٍ على قدرِ الأرض، منهم الطيِّبُ والخبيث، وبين ذلك، والسَّهل والحَزْن[٧٩٣]، وبين ذلك.

﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ﴾ أي: جنس الآدميين ﴿نُطْفَةً﴾ تخرج من بين الصلب والترائب، فتستقر ﴿فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ وهو الرحم، محفوظة من الفساد والريح وغير ذلك.

﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ﴾ التي قد استقرت قبل ﴿عَلَقَةً﴾ أي: دما أحمر، بعد مضي أربعين يوماً من النطفة، ﴿فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ﴾ بعد أربعين يوماً ﴿مُضْغَةً﴾ أي: قطعةُ لحم صغيرة، بقدر ما يمضغ من صغرها. ﴿فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ﴾ اللينة ﴿عِظَٰمًا﴾ صلبة، قد تخلَّلت اللحم، بحسب حاجة البدن إليها، ﴿فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا﴾ أي: جعلنا اللحم، كسوة للعظام، كما جعلنا العظام، عماداً للَّحم، وذلك في الأربعين الثالثة، ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ نفخَ فيه الرُّوح، فانتقل من كونِه جماداً، إلى أنْ صارَ حيواناً، ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ﴾ أي: تعالَى وتعاظَم وكَثُرَ خَيرُه، ﴿أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾﴾ [السجدة: ٧ ـ ٩] فخلقُهُ كلُّه حَسَن، والإنسانُ من أَحسَنِ مخلوقاته، بل هو أحسنُها على الإطلاق، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [التين: ٤] ولهذا كان خواصُّه أفضلَ المخلوقاتِ وأكملَها»[٧٩٤].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيد قراءة ﴿عَظْماً فَكَسَوْنَا العَظْمَ﴾ بالإفراد خلقُ الله ـ تعالى ـ لجنس العظام وكِسْوَته لحماً، وقد وحَّدَ نسبةً إلى لفظ إفراد الإنسانِ والنُّطفةِ والعَلَقة.

---

(٧٩٣) «الحَزْنُ: ما غلظ من الأرض». مختار الصحاح ص١٦٧.

(٧٩٤) تفسير السعدي ص ٥٤٨.

بينما تفيد قراءة ﴿عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ﴾ بالجمع أصل العظام وتعدُّد أنواعها فمنها الدقيقة والغليظة وغيرها، كما أفادت أنَّ هذا أمرٌ عامٌّ في جميع النَّاس.

يقول ابن جنِّي ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ في توجيه القراءتين: «أمَّا من وحَّدَ فإنَّه ذهبَ إلى لفظ إفراد الإنسان والنُّطفةِ والعلَقة، ومن جمع فإنَّه أرادَ أنَّ هذا أمرٌ عامٌّ في جميع النَّاس»[795].

كما جاء في كتاب طلائع البشر: «قُرِىءَ ﴿عَظْماً، العَظْمَ﴾ بفتح العين وسكون الظاء فيهما، وحذف الألف على الإفراد لقصد الجنس.

وقُرِىءَ بكسر العين وفتح الظاء بعدها ألف على الجمع[796] لقصد الأنواع، والعظامُ أنواعٌ مختلفةٌ بين دقيقةٍ وغليظةٍ، ومستديرةٍ ومستطيلةٍ وغير ذلك»[797].

بالجمع بين القراءتين يتبيَّنُ أنَّ الله ـ تعالى ـ يخلق المضغةَ التي هي طورٌ من أطوار خلق الإنسان عظماً مكسوًّا لحماً، وأنَّ هذا العظمَ الموجود في كلِّ إنسانٍ أنواعٌ مختلفةٌ بين دقيقةٍ وغليظةٍ، ومستديرةٍ ومستطيلةٍ، وهذا عامٌّ في جميع الناس، والله أعلم.

٤ ـ قال تعالى: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [المؤمنون: ٢٠].

أولاً: القراءات:

القراءات في ﴿طُورِ سَيْنَآءَ﴾:

١ ـ قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن كثير، وأبو عمرو ﴿طُورِ سِيْنَاءَ﴾

---

(٧٩٥) المحتسب ج٢/ص٨٧.

(٧٩٦) المعنى يتطلَّبُ لفظةَ (الجمع) لكنها في كتاب (طلائع البشر) كتبت (الإفراد).

(٧٩٧) طلائع البشر ص١٨٢. وانظر: الموضَح ج٢/ص٨٩١. إعراب القراءات السبع ج٢/ص٨٦. الكشف ج٢/ص١٢٦. الحجة في القراءات السبع ص ٢٥٦. الإتحاف ج٢/ص٢٨٢. المستنير ج٢/ص ٩٨. والهادي ج٣/ص٧٤.

بكسر السين.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿طُورِ سَيْنَآءَ﴾ بفتحها.

القراءات في ﴿تَنْبُتُ بِٱلدُّهْنِ﴾:

١ ـ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ورويس ﴿تُنْبِتُ بِٱلدُّهْنِ﴾ بضم التاء وكسر الباء.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿تَنْبُتُ بِٱلدُّهْنِ﴾ بفتح التاء وضم الباء(٧٩٨).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«سين: طور سيناء جبل بالشام وهو طور أضيف إلى سيناء وهي شجر وكذا طُورُ سِينِينَ قال الأخفش سينين شجر واحدتها سينينة قال وقرئ ﴿طور سيناء﴾ وسيناء بالفتح والكسر والفتح أجود في النحو، وقال أبو علي(٧٩٩) إنما لم يصرف لأنه جعل اسما للبقعة»(٨٠٠).

تَنْبُتُ: «نَبَتَ الشَّيْءُ يَنْبُتُ نَبْتاً ونَبَاتاً وتَنَبَّتَ»(٨٠١).

تُنْبِتُ: «تُنْبِتُ فذَهَب كَثيرٌ من النّاس إِلى أَن معناه تُنْبِتُ الدُّهْنَ أَي شَجَرَ الدُّهْنِ أَو حَبَّ الدُّهْنِ»(٨٠٢).

ثالثاً: التفسير:

لقد اختصَّ الله ـ تعالى ـ شجرة الزيتون بما ينفع الناس من زيتها وزيتونها، كما اختصها بمكان منبتها في بقعةٍ مباركةٍ هي طور سيناء.

يقول النسفي ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «﴿وَشَجَرَةً﴾ عطف على ﴿جَنَّٰتٍ﴾ وهي

---

(٧٩٨) انظر: النشر ج٢/ص٣٢٨.

(٧٩٩) هو أبو علي الفارسي، سبقت ترجمته ص ٤١.

(٨٠٠) مختار الصحاح ص٣٢٦. وانظر: أطلس القرآن ص ١٦٦ ـ ١٦٨. وراجع ص ٣٤ ـ ٣٨ من هذه الرسالة.

(٨٠١) تاج العروس ج ١/ ص٥٨٨.

(٨٠٢) المرجع السابق ج ١/ ص٥٨٩.

شجرة الزيتون ﴿تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ﴾، ﴿طُورِ سَيْنَآءَ﴾ و﴿وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾﴾[التين: ٢] لا يخلو إمَّا أنْ يُضافَ الطورُ إلى بقعةٍ اسمها سيناء وسينون، وإما أنْ يكونَ اسماً للجبل مركباً من مضاف ومضاف إليه كامريء القيس، وهو جبلُ فلسطين. و(سِيناء) غيرُ مُنصرفٍ بكلِّ حالٍ، مكسور السين كقراءة الحجازي وأبي عمرو للتعريف والعجمة، أو مفتوحها كقراءة غيرهم لأن الألف للتأنيث كصحراء، ﴿تَنبُتُ بِٱلدُّهْنِ﴾ قال الزجاج: الباء للحال أي تنبت ومعها الدهن ﴿تُنْبِتُ﴾ مكي وأبو عمرو. إما لأنَّ أنبتَ بمعنى نَبَتَ كقوله (حتى إذا أنبت البقل)، أو لأنَّ مفعولَه محذوفٌ أي تُنبِتُ زيتونَها وفيه الدّهن ﴿وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ﴾ أي إدام لهم. قال مقاتل[٨٠٣]: جعل الله تعالى في هذه إداماً ودهناً، فالإدام الزيتون، والدهن الزيت. وقيل: هي أول شجرة نبتت بعد الطوفان. وخص هذه الأنواع الثلاثة لأنها أكرم الشجر وأفضلها وأجمعها للمنافع»[٨٠٤].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيد قراءة ﴿طُورِ سِيْنَاءَ﴾ خروجَ شجرةِ الزَّيتونِ من جبلِ الطُّور المُسَمَّى ﴿طُورِ سِيْنَاءَ﴾ فهذه القراءة أخبرتنا باسم المكان الذي تَنْبُتُ فيه شجرة الزيتون.

بينما تفيد قراءة ﴿طُورِ سَيْنَآءَ﴾ وصفَ البقعةِ التي تخرجُ منها شجرةُ الزيتون بأنَّها بقعةٌ مرتفعةٌ مباركةٌ، كثيرةُ الشجر، حسنةُ المنظر.

يقول الماوردي ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: «وفي طور سيناء خمسة تأويلات:

أحدها: أنَّ سيناء البركة فكأنه قال جبل البركة.

(٨٠٣) هو مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي الخراساني، أبو الحسن البلخي صاحب التفسير: من أعلام المفسرين، أصله من بلخ، انتقل إلى البصرة، ودخل بغداد فحدّث بها، توفي بالبصرة سنة ١٥٠هـ. انظر: تهذيب التهذيب ج١٠/ص٢٤٩، والأعلام ج٧/ ص ٢٨١.

(٨٠٤) تفسير النسفي ج٣/ص١٧٤ ـ ١٧٥.

الثاني: أنَّه الحسن المنظر.

الثالث: أنَّه الكثير الشجر...

الرابع: أنَّه اسم الجبل الذي كلَّم الله عليه موسى.

الخامس: أنَّه المرتفعُ مأخوذٌ من السَّناء، وهو الارتفاع. فعلى هذا التأويل يكون اسماً عربياً وعلى ما تقدم من التأويلات يكون اسماً أعجمياً»(٨٠٥).

ويقول الزمخشري ـ رحمه الله ـ: «﴿طُورِ سَيْنَآءَ﴾ وطور سنين، لا يخلو إما أن يضاف فيه الطور إلى بقعة اسمها سيناء وسينون، وإمّا أن يكون اسماً للجبل مركباً من مضاف ومضاف إليه، كامريء القيس، وكبعلبك، فيمن أضاف. فمن كسر سين سيناء فقد منع الصرف للتعريف والعجمة أو التأنيث؛ لأنها بقعة، وفعلاء لا يكون ألفه للتأنيث كعلباء وحرباء ومن فَتَحَ فلم يصرف؛ لأنّ الألف للتأنيث كصحراء. وقيل: هو جبل فلسطين. وقيل: بين مصر وإيلة. ومنه نودي موسى عليه السلام»(٨٠٦).

أمّا قراءة ﴿تُنبِتُ بِٱلدُّهْنِ﴾ فقد أفادت إنبات شجرة الزيتون للدهن الذي هو الزيت المُستخرج من ثمرها.

بينما تفيد قراءة ﴿تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ﴾ نَبْتَ هذه الشجرة ومعها الدُّهن الذي هو زيت الزيتون الذي يحويه ثَمَرُها.

يقول الشنقيطي ـ رحمه الله ـ: «وقرأ الباقون: (تَنبُت) بفتح التاء، وضم الباء مضارع: نبت الثلاثي، وعلى هذه القراءة، فلا إشكال في حرف الباء في قوله: بالدهن أي: تنبت مصحوبة بالدهن الذي يستخرج من زيتونها، وعلى قراءة ابن كثير وأبي عمرو، ففي الباء إشكال، وهو أن أنبت الرباعي يتعدى بنفسه، ولا يحتاج إلى الباء وقد قدمنا النكتة في الإتيان بمثل هذه

(٨٠٥) تفسير الماوردي ج٤ / ص٥٠. وانظر: القراءات وأثرها في التفسير والأحكام مج ٢ / ص ٦٦٠ ـ ٦٦١.

(٨٠٦) الكشاف ج٣/ ٢٩. وانظر: إعراب ثلاثين سورة ص١٢٨.

الباء في القرآن، وأكثرنا من أمثلته في القرآن، وفي كلام العرب في سورة مريم في الكلام على قوله تعالى ﴿وَهُزِّيَ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ...﴾ [مريم: ٢٥]، ولا يخفى أنَّ (أنبت) الرباعي، على قراءة ابن كثير، وأبي عمرو هنا: لازمة لا متعدية لمفعول، وأنبت تتعدى، وتلزم فمن تعديها قوله تعالى: ﴿يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ﴾ [النحل: ١١]، وقوله تعالى: ﴿فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ جَنَّٰتٖ وَحَبَّ ٱلۡحَصِيدِ﴾ [ق: ٩] ومن لزومها قراءة ابن كثير، وأبي عمرو المذكورة... أنبت... لازم بمعنى: نبت، وهذا هو الصواب في قراءة: تنبت بضم التاء. خلافاً لمن قال: إنَّها مضارع أنبت المتعدي، وأنَّ المفعول محذوف: أي تنبت زيتونها، وفيه الزيت»(٨٠٧).

بالجمع بين القراءات الأربع نعرفُ ما اختصَّ الله به شجرة الزيتون حيثُ تَنبُتُ في أرضٍ مرتفعةٍ مباركةٍ كثيرةِ الشجر حسنةِ المنظر وهيَ المُسَمَّاة بطور سِيناء، والتي تُنبِتُ ثمر الزَّيتون الذي نستخرجُ منه الدُّهن المعروف بزيت الزيتون. فهذه الشجرة تخرجُ من طور سيناء وتُخرِجُ ثمرَها الذي هو حبُّ الزيتون المليءِ بالزيت، والله أعلم.

٥ - قال تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ لَعِبۡرَةٗۖ نُّسۡقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمۡ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٞ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ﴿٢١﴾﴾ [المؤمنون: ٢١].

أولاً: القراءات:

١ - قرأ نافع، وابن عامر، ويعقوب، وشعبة ﴿نَسقِيكُم﴾ بفتح النون.

٢ - وقرأ أبو جعفر ﴿تَسْقِيكُم﴾ بالتاء مفتوحة.

٣ - وقرأ الباقون ﴿نُسْقِيكُم﴾ بضم النون(٨٠٨).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

---

(٨٠٧) أضواء البيان ج٥/ ص٧٨٨. وانظر: تاج العروس ج١/ ص ٥٨٩.

(٨٠٨) انظر: النشر ج٢/ص٣٠٤.

سقي: «س ق ى: السِّقاءُ يكون للبن والماء والقربة تكون للماء خاصة وسَقَاهُ من باب رمى وأسْقَاهُ قال له سقيا وسَقاهُ الله الغيث وأسْقَاهُ والاسم السُّقْيَا بالضم وقيل سَقَاهُ لشفته وأسْقَاهُ لماشيته وأرضه»(٨٠٩).

ثالثاً: التفسير:

نِعَمُ الله ـ تعالى ـ على الإنسان لا تُعَدُّ ولا تُحصَى، ومنها خلقُه الأنعامَ ذات المنافع الكثيرة للناس فمنها نأخذُ اللبن واللحم، ونتَّخذُ بعضها ركوبةً إلى غير ذلك من المنافع.

يقول الزمخشري ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «قرىء: ﴿تَسْقِيْكُم﴾ بتاء مفتوحة، أي: تسقيكم الأنعام ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ أي تتعلق بها منافع من الركوب والحمل وغير ذلك، كما تتعلق بما لا يؤكل لحمه من الخيل والبغال والحمير. وفيها منفعة زائدة، وهي الأكل الذي هو انتفاع بذواتها، والقصد بالأنعام إلى الإبل لأنها هي المحمول عليها في العادة، وقرنها بالفلك التي هي السفائن لأنَّها سفائن البرّ»(٨١٠).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيد القراءة الأولى ﴿نَسْقِيكُم﴾ إرجاع سُقيا اللبن إلى الله تعالى بعظمته فهو الذي خلق هذه الأنعام وهيَّأها لِتُخرجَ لنا اللبن.

وتفيد القراءة الثانية ﴿تَسْقِيْكُم﴾ أنَّ الأنعام هي التي تسقينا اللبن.

يقول الزمخشري: «قرىء: ﴿تَسْقِيْكُم﴾ بتاء مفتوحة، أي: تسقيكم الأنعام»(٨١١).

وتفيد القراءة الثالثة ﴿نُسْقِيكُم﴾ ديمومة سقيا اللبن من الأنعام فهي تعطينا اللبن باستمرار وبدون انقطاع.

---

(٨٠٩) مختار الصحاح ص ٣٢٦.
(٨١٠) الكشاف ج٣/ ص ٢٩.
(٨١١) المرجع السابق ج٣/ ص ٢٩. (سبق في تفسير الآية).

يقول الخطيب التبريزي ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «قال قومٌ: سقَى وأسقَى لغتان في معنَى واحد، وقال آخرون: سَقَيْته ناولته شربة، وأسقَيته: جعلتُ له سقياً، وأجازوا القراءة بالضم؛ لأنَّه شربٌ دائمٌ»(٨١٢).

ويقول ابن أبي مريم ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «﴿نَسْقِيكُم﴾ بفتح النون. . .، والوجه أنَّه من سقاهُ يَسقيهِ، وذلك لما يكون للشفة، قال الله تعالى ﴿. . .وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾﴾ [الإنسان: ٢١] وقرأ الباقون ﴿نُسْقِيكُم﴾ بضم النون، والوجه أنَّه من أسْقَيْتُهُ إذا جعلت له سُقيا، يُقال أسقيتُهُ نهراً إذا جعلتُهُ شِرْباً لهُ، والمعنى أنّا نجعله في كثرته وإدامته كالسُّقيا لكم»(٨١٣).

بالجمع بين القراءات الثلاث يتبيَّنُ أنَّ الله ـ تعالى ـ بعظمته خلق للناس الأنعامَ وهيَّأها لتكون مصنعاً يُخرِجُ لهم اللبنَ فتسقيهم منه بكثرةٍ واستمرارِ سُقيا دائمةً إلى ما شاء الله، والله أعلم.

٦ ـ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [المؤمنون: ٢٣].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ أبو جعفر، والكسائي ﴿مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرِهِ﴾ بخفض الراء وكسر الهاء بعدها.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ برفع الراء وضم الهاء(٨١٤).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

غير: «غَيْرٌ: بمعنى سِوى»(٨١٥).

---

(٨١٢) المُلَخَّص ص١٤٢.

(٨١٣) الموضح ج٢/ص ٧٣٩. وانظر القراءات وأثرها في علوم العربية ج١/ ص ٤٦١.

(٨١٤) انظر: النشر ج٢/ص٢٧٠.

(٨١٥) مختار الصحاح ص ٤٨٨.

ثالثاً: التفسير:

إنَّ دعوةَ نوحٍ عليه السلام هي دعوة سائر الأنبياء بتوحيد الألوهية، هداية الناس لعبادة الله وحده لينجوا من عذاب النار ويتَّقوها.

يقول السعدي ـ رحمه الله ـ: «يذكر تعالى رسالةَ عبده ورسوله نوح عليه السلام، أولَ رسولٍ أرسله لأهل الأرض، فأرسله إلى قومه، وهم يعبدون الأصنام، فأمرهم بعبادة الله وحده، فقال: ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ أي: أخلصوا له العبادة، لأن العبادة لا تصحُّ إلاَّ بإخلاصها. ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ فيه إبطالُ ألوهية غير الله، وإثبات الإلهية لله تعالى، لأنه الخالق الرازق، الذي له الكمال كله، وغيره بخلاف ذلك. ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ ما أنتم عليه من عبادة الأوثان والأصنام، التي صورت على صور قوم صالحين، فعبدوها مع الله، فاستمر على ذلك، يدعوهم سراً وجهاراً، وليلاً ونهاراً، ألف سنة إلا خمسين عاماً، وهم لا يزدادون إلا عتواً ونفوراً»[٨١٦].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيدُ قراءة ﴿مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرِهِ﴾ إبطالُ ألوهيةِ غيرِ الله، فتكون كلمة ﴿غَيْرِهِ﴾ صفةً لـ﴿إِلَٰهٍ﴾ حيثُ إنَّه مجرور بحرف الجر (من) اتباعاً للفظ.

بينما تفيد قراءة ﴿مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ تخصيص الله تعالى بالألوهية، وإثباتها له تعالى وحده، حيثُ إنَّ (من) زائدة، و﴿غَيْرُهُۥٓ﴾ صفة لـ﴿إِلَٰهٍ﴾ على أنَّه في محل رفع مبتدأ مؤخر خبره (ما لكم).

يقول البقاعي ـ رحمه الله ـ: «ودل على الاستغراق بقوله: ﴿مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾»[٨١٧].

ويقول الطاهر بن عاشور ـ رحمه الله ـ: «و﴿غَيْرُهُۥٓ﴾ نعت لـ﴿إِلَٰهٍ﴾. قرأه الجمهور بالرفع على اعتبار محل المنعوت بـ (غير) لأن المنعوت مجرور

(٨١٦) تفسير السعدي ص ٥٥٠.

(٨١٧) نظم الدرر ج ٥ /ص١٩٨

بحرف جر زائد، وقرأه الكسائي بالجر على اعتبار اللفظ المجرور بالحرف الزائد»(٨١٨).

بالجمع بين القراءتين يتضح أنَّ دعوة نوحٍ عليه السلام لقومه كدعوة سائر الرسل فقد دعا قومه إلى عبادة الله وحده حيثُ إنَّه لا يوجد لهم إله غيره، وكلِّ الآلهة التي يعبدونها من دونه باطلةً، لذا يجب عليهم تخصيص العبادةِ له وحده لأنَّه المستحقُّ لها دون جميع تلك الآلهة الباطلة، والله أعلم.

٧ ـ قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾﴾ [المؤمنون: ٢٦].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ يعقوب ﴿كذبوني﴾ بإثبات الياء وصلاً ووقفاً.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿كَذَّبُونِ﴾ بحذف ياء المتكلِّم وصلاً ووقفاً(٨١٩).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«(كذب) الكَذِبُ: نقيضُ الصِّدْقِ كَذَبَ يَكْذِبُ كَذِباً»(٨٢٠).

ثالثاً: التفسير:

هذه الآيةُ هي دعوةُ نوحٍ عليه السلام التي دعاها بعدَ أن استمرَّ يدعو قومه لعبادة الله تسعمائةٍ وخمسين سنة وما آمن معه إلا قليل، بل استمرُّوا في تكذيبه فدعا ربَّه أنْ يؤيده بالنصر الذي لا يكون حقيقةً إلا من عنده سبحانه.

يقول أبو السعود ـ رحمه الله ـ: «﴿قَالَ﴾ استئنافٌ مبنيٌّ على سؤالٍ نشأ من حكايةِ كلامِ الكَفَرةِ كأنَّه قيل فماذا قال عليه السلام بعدما سمع منهم هذه الأباطيلَ؟ فقيل: قال لمَّا رآهم قد أصرُّوا على الكفر والتَّكذيبِ وتمادَوا في

(٨١٨) التحرير والتنوير مج٩/ج١٨/ص٤١. وانظر: روح المعاني ج١٨/ص٣٧. وفتح القدير ص١١٨٧. وتفسير النسفي ج٣/ص١٧٥. وتفسير أبي السعود ج ٤ / ص ٤٠٩. والقراءات وأثرها في علوم العربية ج١/ص٢٧٧.

(٨١٩) انظر: النشر ج٢/ص٣٣٠.

(٨٢٠) لسان العرب ١ / ص ٨٢٧.

الغواية والضَّلالِ حتَّى يئسَ من إيمانهم بالكلِّيةِ وقد أوحى اللهُ إليه أنه لنْ يؤمنَ من قومك إلاَّ مَن قد آمنَ: ﴿رَبِّ ٱنصُرۡنِي﴾ بإهلاكهم بالمرَّةِ؛ فإنَّه حكاية إجماليَّةٌ لقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿وَقَالَ نُوحٞ رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾﴾ [نوح: ٢٦]، ﴿بِمَا كَذَّبُونِ﴾ أي: بسبب تكذيبهم إيَّاي، أو بدل تكذيبهم»(٨٢١).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيد القراءة الأولى ﴿كذبونِي﴾ التصريح بطلب النصر من الله ـ تعالى ـ مع كمال التجاء نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ لربِّه وإلقائه بنفسه كلِّها بين يديه؛ ليأخذ بيده وينصره على قومه الذين كذَّبوه بشدَّةٍ واستمرار.

يقول الدكتور فاضل السامرّائي: «وذلك أنَّ المقام يستدعي إبراز ياء المتكلم، لأنّه مقام التجاء وخوف وخشية. والخوف يستدعي أنْ يَلْصَقَ الإنسانُ بمن يحميه ويُلقي بنفسه كلِّها عليه ويستدعي أنْ يلتَجِىءَ إلى من ينصُره ويأخذ بيده بكلِّ أحاسيسه ومشاعره التجاءً كاملاً»(٨٢٢).

بينما تفيد القراءة الثانية ﴿كَذَّبُونِ﴾ الطلب الضمني من الله ـ تعالى ـ بإهلاك الكافرين كليًّا، فقد اختصر الكلام واكتفى بالتصريح الضمني وبأقصر الكلام حيثُ الاجتزاء بالكسرة يدلُّ على الاجتزاء في الكلام.

يقول الدكتور فاضل السامرائي: «فصرَّحَ بالضمير وأظهرَ نفسه في الطلب الصريح، وحذف الضمير واجتزأ بالإشارةِ إليه في الطلب غير الصريح. وهو تناظرٌ جميلٌ، ففي الطلب الصريح صرَّحَ بالضمير، وفي الطلب غير الصريح لم يُصَرِّح بالضمير»(٨٢٣).

يقول الرازي ـ رَحِمَهُ اللَّهُ **ـ**: «أما قوله: ﴿رَبِّ ٱنصُرۡنِي بِمَا كَذَّبُونِ﴾ ففيه وجوه:

(٨٢١) تفسير أبي السعود ج٤/ص ٤١١. وانظر: روح المعاني ج١٨/ص٣٩.

(٨٢٢) التعبير القرآني ص ٨٤.

(٨٢٣) بلاغة الكلمة ص٢٨.

أحدها: أنَّ في نصرِه إهلاكُهم فكأنَّه قال أهلكهم بسبب تكذيبهم إيَّاي.

وثانيها: انصرني بدل ما كذَّبوني كما تقول هذا بذاك، أي: بدل ذلك ومكانه، والمعنى: أبدلني من غمّ تكذيبهم سلوةَ النَّصر عليهم.

وثالثها: انصرني بإنجاز ما وعدتهم من العذاب وهو ما كذبوه فيه حين قال لهم: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾ [الأعراف: ٥٩]»(٨٢٤).

بالجمع بين القراءتين يتَّضحُ أنَّ نوحاً عليه السلام دعا ربَّه وهو في كمالِ التجائه إليه ليأخذَ بيده وينصره على قومه بعدَ أنْ أوحى إليه ربُّه أنَّه لن يؤمن أحدٌ من قومه بعد ذلك، وكان دعاؤه الله بأن ينصره دعاءً صريحاً شملَ دعاءً ضمنيًا بإنجاز الله ـ تعالى ـ وعده إيَّاه بتعذيب الكفار وإهلاكهم، والله أعلم.

٨ ـ قال تعالى: ﴿فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ أَنِ ٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسۡلُكۡ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ مِنۡهُمۡۖ وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ٢٧﴾ [المؤمنون: ٢٧].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ حفص عن عاصم ﴿مِن كلٍ﴾ بالتنوين.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿مِن كُلِّ﴾ بغير تنوين على الإضافة(٨٢٥).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

كلّ: هي اسمٌ موضوعٌ للاستغراق، وأداةٌ تقتضي الإضافة، وتقع توكيداً وصفة(٨٢٦).

ثالثاً: التفسير:

لمَّا أوحى الله ـ سبحانه وتعالى ـ لنوحٍ بأنَّه لن يؤمن من قومه إلاَّ من

---

(٨٢٤) تفسير الرازي ج٢٣/ ص٩٣. وانظر: الكشاف ج٣/ ص٣٠.

(٨٢٥) انظر: النشر ج٢/ص٢٨٨.

(٨٢٦) انظر: الأدوات النحوية ص ١٤٧.

آمن، أمَرَه أنْ يصنعَ الفلكَ وأرسل إليه جبريلَ ليعلِّمه كيف يصنعها، وأمره حين يرى العلامة الموعودة أن يحملَ معه في السفينة من كلٍّ نوعٍ من المخلوقات ذكراً وأنثى، كما أمره ألاَّ يركب فيها غير المؤمنين من قومه وأهله.

يقول البيضاوي - رَحِمَهُ اللَّهُ -: «﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ بحفظنا نحفظه أن تخطيء فيه أو يفسده عليك مفسد. ﴿وَوَحْيِنَا﴾ وأمرنا وتعليمنا كيف تصنع. ﴿فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا﴾ بالركوب أو نزول العذاب. ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ روي أنّه قيل لنوحٍ إذا فار الماء من التنور اركب أنت ومن معك، فلما نبع الماء منه أخبرته امرأته فركب ومحله في مسجد الكوفة عن يمين الداخل مما يلي باب كندة. وقيل عين وردة من الشام وفيه وجوه أخر ذكرتها في (هود). ﴿فَٱسْلُكْ فِيهَا﴾ فادخل فيها يقال سلك فيه وسلك غيره قال تعالى ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾﴾. ﴿مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ من كلِّ أمتي الذكر والأنثى واحدين مزدوجين، وقرأ حفص: ﴿مِّن كُلٍّ﴾ بالتنوين أي: من كل نوعٍ زوجين واثنين تأكيد. ﴿وَأَهْلَكَ﴾ وأهل بيتك أو من آمن معك. ﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ﴾ أي: القول من الله - تعالى - بإهلاكه لكفره، وإنَّما جيء بـ (على) لأنَّ السابق ضارٌّ كما جيء باللام حيث كان نافعاً في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾. ﴿وَلَا تُخَٰطِبْنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟﴾ بالدعاء لهم بالإنجاء. ﴿إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾ لا محالة لظلمهم بالإشراك والمعاصي، ومن هذا شأنه لا يشفع له ولا يشفع فيه»(٨٢٧).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

إنَّ قراءة التنوين ﴿مِن كُلٍّ﴾ بالتنوين تفيدُ أمرَ الله تعالى لنوحٍ أنْ يحملَ معه في السفينة من كلِّ شيءٍ زوجينِ اثنين، وتكون ﴿ٱثْنَيْنِ﴾ هنا صفةً لـ﴿زَوْجَيْنِ﴾ تفيد التوكيد كما تفيد هذه القراءة شمول الأمر جميعَ المخلوقات بلا استثناء.

(٨٢٧) تفسير البيضاوي ص٤٦٣.

بينما قراءة ﴿مِن كُلِّ﴾ تفيد أمر الله ـ تعالى ـ لنوح عليه السلام أنْ يحملَ في السفينة اثنين من كلِّ زوجين، أي من كلِّ صنفين، بمعنى واحداً من صنف الذكور وواحداً من صنف الإناث. فتكون هذه القراءة مبينةً لتلك بأنَّ الزوجين من كلِ أُمَّةٍ هما من صنفين مختلفين.

يقول الزمخشري ـ رحمه الله ـ: «﴿مِن كُلِّ زَوْجَيْنِ﴾ من كلّ أمتي زوجين، وهما أُمة الذكر وأمّة الأنثى، كالجمال، والنوق، والحُصُن والرِّماك ﴿ٱثْنَيْنِ﴾ واحدين مزدوجين، كالجمل والناقة، والحصان والرَّمَكَة[٨٢٨]: روي أنَّه لم يحمل إلاّ ما يلد ويبيض. وقرىء: ﴿مِّن كُلٍّ﴾ بالتنوين، أي: من كل أمّة زوجين. واثنين: تأكيدٌ وزيادةُ بيان»[٨٢٩].

بالجمع بين القراءتين يتبيَّنُ أنَّ الله ـ سبحانه وتعالى ـ أصدرَ أمرَهُ لنوحٍ عليه السلام بأنْ يحملَ معه من كلِّ أُمَّةٍ من المخلوقات زوجين اثنين ذكراً وأنثى بلا استثناء، وذلك حفاظاً على حياة الأجناس جميعها، والله أعلم.

٩ ـ قال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [المؤمنون: ٢٩].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ أبو بكر ﴿أَنزِلْنِي مَنْزِلاً﴾ بفتح الميم وكسر الزَّاي.

٢ ـ وقرا الباقون ﴿أَنزِلْنِى مُنزَلًا﴾ بضم الميم وفتح الزَّاي[٨٣٠].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«المَنزِلُ: المَنهل والدار والمَنزِلَةُ مثله، والمَنزِلة أيضا: المرتبة لا تُجمع، واسْتَنْزَل فلان أي: حُطَّ عن مرتبته، والمُنْزَلُ بضم الميم وفتح الزاي

---

(٨٢٨) «الرَّمَكة بفتحتين: الأنثى من البراذين، وجمعها رِماكٌ». مختار الصحاح ص ٢٦٧.

(٨٢٩) الكشاف ج٣ / ص ٣٠. وانظر: تفسير البيضاوي ص٤٦٣. والقراءات وأثرها في علوم العربية ج١ / ص ٣٥ ـ ٣٦.

(٨٣٠) انظر: النشر ج٢/ص٣٢٨.

الإنزالُ تقول أَنْزِلْني مُنْزلاً مُباركاً والمَنْزَلُ بفتح الميم والزاي: النُّزُول وهو الحُلول، تقول نَزَلَ يَنْزِل نُزُولاً ومَنْزَلاً وأَنْزَلَهُ غيره واسْتَنْزَلَهُ بمعنى، ونَزَّلَهُ تَنْزِيلاً، والتَّنْزِيلُ أيضاً: الترتيب»[٨٣١].

«النُّزول بالضَّمّ: الحُلول وهو في الأصلِ انحِطاطٌ من عُلو وقد نَزَلَهم ونَزَلَ بهم ونَزَلَ عليهم يَنْزِلُ كَيَضْرِب نُزولاً بالضَّمّ ومَنْزِلاً كَمَقْعَدٍ ومَجْلِسٍ وهذه شاذّة»[٨٣٢].

«نزل: النزول في الأصل هو انحطاط من علو»[٨٣٣].

ثالثاً: التفسير:

يأمر الله - ﷻ - نبيَّه أن يدعوه إذا استوى على ظهر الفلك أن يُنزِلَهُ مكاناً مباركاً ورتبةً مباركةً.

يقول: «ثم أمره تعالى بأَن يحمد ربّه على النجاة من الظلمة، عن استوائه وتمكنه في الفلك، ثم أُمِر بالدعاء في بركة المنزل، وقرأ عاصم في رواية أبي بكر ﴿مَنْزِلا﴾ بفتح الميم وكسر الزاي وهو موضع النزول، وقرأ الباقون وحفص عن عاصم ﴿مُنزَلًا﴾ وهو مصدر بمعنى الإنزال بضم الميم وفتح الزاي، ويجوز أَن يراد موضع النزول»[٨٣٤].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة الأولى ﴿أَنزِلْنِي مَنْزِلاً﴾ موضع النزول، بمعنى أن يكون موضع النزول مباركاً.

وأفادت القراءة الثانية ﴿أَنزِلْنِي مُنزَلًا﴾ فعل النزول بمعنى أنْ يكونَ فعل النزول مباركاً.

(٨٣١) مختار الصحاح ص ٦٨٨.
(٨٣٢) تاج العروس ج ٨/ ص١٣٣. وانظر: لسان العرب ج١١/ ص ٧٨٢.
(٨٣٣) المفردات ص ٧٩٩.
(٨٣٤) المحرر الوجيز ج٤/ص١٤٢.

يقول الماوردي ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ في قوله تعالى ﴿وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا﴾: «قراءة الجمهور بضم الميم، وفتح الزاي، وقرأ عاصم في رواية أبي بكر بفتح الميم، وكسر الزَّاي، والفرق بينهما أنَّ المُنزَلَ بالضَّمِّ فعلُ النزول، وبالفتح موضعُ النزول»[835].

بالجمع بين القراءتين يتبيَّنُ أنَّ الله ـ تعالى ـ يأمرُ نبيَّهُ نوحاً عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أنْ يدعوه حين يستوي على ظهر السفينة أنْ يكون منزله مباركاً فعلاً وموضعاً، أي أن يُباركَ اللهُ مكانَ نزوله وفعل نزوله، والله أعلم.

١٠ ـ قال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [المؤمنون: ٣٢].

أولاً: القراءات:

القراءات في ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾:

١ ـ قرأ أبو عمرو، وعاصم، وحمزة، ويعقوب ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ بكسر النون.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿أَنُ ٱعْبُدُوا اللهَ﴾ بضم النون[836].

القراءات في ﴿مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾:

١ ـ قرأ أبو جعفر، والكسائي ﴿مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِهِ﴾ بخفض الراء وكسر الهاء بعدها.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ برفع الراء وضم الهاء[837].

---

(٨٣٥) تفسير الماوردي ج ٤/ ص ٥٣. وانظر: القراءات وأثرها في علوم العربية ج١ / ص ٦٢٢.

(٨٣٦) انظر: غيث النفع ص ١٩٥.

(٨٣٧) انظر: النشر ج٢/ص٢٧٠ (سبق في الموضع السادس من هذه السورة، انظر: ص٣٠٨ ـ ٣٠٩).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(أنْ): ﴿إنِ﴾ في ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ يجوز أنْ تكونَ مفسِّرة، وأنْ تكون مصدرية[٨٣٨].

ثالثاً: التفسير:

«﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾﴾ هم: عاد أو ثمود. ﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ هو هودٌ أو صالح، وإنَّما جعلَ القولَ موضعَ الإرسال ليدلَّ على أنَّه لم يأتهم من مكانٍ غير مكانِهم وإنَّما أوحِيَ إليه وهو بين أظهرهم. ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾: تفسيرٌ لأرسلنا أي: قلنا لهم على لسان الرسول: اعبدوا الله. ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ عذاب الله»[٨٣٩].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

جاءت (إنْ) هنا مفتوحةً بالاتفاق في قوله تعالى: ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ ولها توجيه عند المفسِّرين حيثُ **يقول الألوسي**: «(إنْ) في قوله تعالى: ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ مفسرةٌ لتضمُّن الإرسال معنى القول أي: قلنا لهم على لسان الرسول: اعبدوا الله، وجوز كونها مصدرية ولا مانع من وصلها بفعل الأمر وقبلها جار مقدر أي أرسلنا فيهم رسولاً بأن اعبدوا الله وحده»[٨٤٠].

أما قراءة ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ فتفيد أنَّ هذا الدين الحنيف هو دينُ يسرٍ، وليس دين عسر، وهو سهلٌ ميَسَّرٌ على المؤمنين، حيث الكسر لالتقاء الساكنين والكسرة حركةٌ أكثر خفَّةً من الضمّ، فهيَ تعبِّرُ عن التيسير والتسهيل.

بينما تفيد قراءة ﴿أَنُ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ صعوبةَ عبادةِ الله وحده وثقلَها على نفوس المشركين، حيثُ الضمَّةُ أثقلُ الحركات، وتدلُّ على ما هو ثقيلٌ على النفس.

---

(٨٣٨) البحر المحيط ج٦/ ص٣٧٣.

(٨٣٩) تفسير البيضاوي ص ٤٦٣ ـ ٤٦٤.

(٨٤٠) روح المعاني ج١٨/ص٤٣.

يقول الدكتور فاضل السامرّائي: «إنَّ الضمة أقوى الحركات وأثقلها، ثمَّ تليها الكسرةُ ثمَّ تليها الفتحةُ وهي أخفُّ الحركات، إنَّ النطق بالضمة يحتاج إلى جهد عَضَلِيٍّ أكثرَ من الكسرة والفتحة، وذلك لأنهَّا لا تُنْطَقُ إلا بانضمام الشَّفتين، وارتفاعهما، ولا تحتاج الكسرةُ ولا الفتحةُ إلى ذلك، كما هو ظاهرٌ ومعلوم»(٨٤١).

أمَّا فيما تختصُّ بقراءتي ﴿مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِهِ﴾ و﴿مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ فقد سبقت في الموضع السادس من هذه السورة(٨٤٢).

بالجمع بين القراءات الأربع تتَّضِحُ دعوةَ جميع الرسل أقوامَهم لعبادة الله وحده فما من إلهٍ غيره لأنَّه الإله الأوحد، وهذه هي الرسالة التي أرسل الله بها رسولاً للذين نجَّاهم الله من الطوفان من قوم نوح عليه السلام، ولكنَّهم لم يتَّعظوا بما حدث لأسلافهم فكان منهم المؤمنون ومنهم الكافرون، وإنَّ من صدَّق الرُّسلَ يؤمن بالله بيُسرٍ وسهولةٍ بينما يكون إيمان الكافرين به عسيراً صعباً ثقيلاً على نفوسهم، والله أعلم.

١١ ـ قال تعالى: ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [المؤمنون: ٣٦].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ أبو جعفر ﴿هَيْهَاتِ هَيْهَاتِ﴾ بكسر التاء منهما.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ﴾ بفتحها فيهما(٨٤٣).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«هيهات: هيهات كلمة تستعمل لتبعيد الشيء، يقال: هيهات هيهات وهيهاتاً ومنه قوله ﷻ: ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾﴾ قال الزجاج:

(٨٤١) بلاغة الكلمة ص١١٤.

(٨٤٢) انظر: ص٣٠٨ ـ ٣٠٩ من هذه الرسالة.

(٨٤٣) انظر: النشر ج٢/ص٣٢٨.

البعد لما توعدون. . . وقال الفسوي[٨٤٤]: هيهات بالكسر جمع هيهات بالفتح»[٨٤٥].

«و(هيهات) كلمة مبنية على فتح الآخر وعلى كسره أيضاً. وقرأها الجمهور بالفتح. وقرأها أبو جعفر بالكسر. وتدل على البعد. وأكثر ما تستعمل مكررة مرتين كما في هذه الآية أو ثلاثاً كما جاء في الشعر.

واختلف فيها أهي فعل أم اسم؛ فجمهور النحاة ذهبوا إلى أن (هيهات) اسم فعل للماضي من البُعد، فمعنى هيهات كذا: بعُد. فيكون ما يلي (هيهات) فاعلاً. وقيل هي اسم للبُعد»[٨٤٦].

ثالثاً: التفسير:

إنَّ من أسباب ضلال الناس ما يعدهم الشيطان به ويُمَنِّيهم من طول الأمل، وعدم إمكان البعث، كما يجعل كبراءهم دعاةً إلى جهنَّم يصدُّون المؤمنين عن سبيل الهدى بتثبيطهم وتعجيزهم.

يقول الطبري ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ في بيان هذه الآية: «وهذا خبر من الله ـ جلّ ثناؤه ـ عن قول الملأ من ثمود أنهم قالوا: هيهات هيهات: أي بعيد ما توعدون أيه القوم، من أنكم بعد موتكم ومصيركم تراباً وعظاماً مخرجون أحياءً من قبوركم، يقولون: ذلك غير كائن»[٨٤٧].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيد قراءةُ ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ﴾ بالفتح على الإفراد معنى: بعيدٌ بعيدٌ ما توعدون بشأنِ بعثِ كلِّ إنسان بعد موته.

---

(٨٤٤) هو أبو علي الفارسي، سبقت ترجمته ص ٤١. وعبارته: ألا ترى أن من فتح هيهات في الواحد قال في جمعه: هيهات فكسر فجعله في كسر التاء في جمعه بمنزلة ما كان الواحد منه منصوباً. انظر: المفردات ص ٨٤٨.

(٨٤٥) المفردات ص ٨٤٧ ـ ٨٤٨. وانظر: تفسير البيضاوي ص ٤٦٤.

(٨٤٦) التحرير والتنوير مج٩/ج١٨/ص٥٤ (بتصرف بسيط).

(٨٤٧) تفسير الطبري ج١٨/ص٢٤.

بينما تفيدُ قراءة ﴿هَيْهَاتِ هَيْهَاتِ﴾ بالكسر على الجمع بمعنى: بعيدٌ بعيدٌ ما توعدون بشأنِ بعثِ جميع الخلائق بعد موتها.

يقول ابن جنّي ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «أمَّا الفتح ـ وهي قراءة العامة ـ فعلى أنَّه واحد، وهو اسم سُمِّيَ به الفعل في الخبر، وهو اسم (بعُدَ)، ومن كسر فقال: (هيهاتِ) منوناً فهو جمع هيهات أو غير منوَّن»(848).

بالجمع بين القراءتين يتبيّن أنَّ الكفَّارَ يستبعدون أمرَ بعثِهم بعد الموتِ استبعاداً تاماً، بمعنى قولهم: إنَّه يستحيلُ بعثُكم جميعاً بعدَ الموت، كما يستحيلُ بعثَ أيٍّ منكم بعدَ موته، والله أعلم.

١٢ ـ قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾﴾ [المؤمنون: ٣٩].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ يعقوب ﴿كَذَّبُونِي﴾ بإثبات الياء وصلاً ووقفاً.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿كَذَّبُونِ﴾ بحذف ياء المتكلِّم وصلاً ووقفاً(849).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«(كذب): الكَذِبُ نقيضُ الصِّدْقِ كَذَبَ يَكْذِبُ كَذِباً»(850).

ثالثاً: التفسير:

يقول البقاعي ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «قوله: ﴿قَالَ رَبِّ﴾ أي أيُّها المُحسِنُ إليّ بإرسالي إليهم وغيره من أنواع التربية ﴿ٱنصُرْنِي﴾ عليهم أي: أوقع لي النصر ﴿بِمَا كَذَّبُونِ﴾»(851).

---

(٨٤٨) المحتسب ج٢/ص٩١. وانظر: المحرر الوجيز ج٤/ص١٤٣.

(٨٤٩) انظر: النشر ج٢/ص٣٣٠.

(٨٥٠) لسان العرب ج ١ /ص٨٢٧.

(٨٥١) نظم الدرر ج٥/ص٢٠٠.

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

العلاقةُ بين القراءتين تبيِّنُ التجاء نبيِّ الله هود عليه السلام لربِّه وإلقائه بنفسه كلِّها بين يدي خالقه يسأله بموجز الكلام صراحةً أنْ ينصُرَهُ على قومه الذين كذَّبوه، كما يسأله ضمناً أنْ يهلكَ المكذِّبين من قومه[٨٥٢].

١٣ ـ قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المؤمنون: ٤٤].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ أبو جعفر، وابن كثير، وأبو عمرو ﴿تَتْرًا﴾ بالتنوين.

٢ ـ وقرأ الأصحاب[٨٥٣] ﴿تَتْرَا﴾ بالإمالة.

٣ ـ وقرأ الباقون ﴿تَتْرَا﴾ بغير تنوين[٨٥٤].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«﴿تَتْرَى﴾: بَعْضُها على إثْرِ بعضٍ تُجرَىٰ ولا تُجرَىٰ»[٨٥٥].

«قوله: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى﴾ فيه قولان:

أحدهما: متواترين يتبع بعضهم بعضاً، قاله ابن عباس، ومجاهد.

الثاني: منقطعين بين كل اثنين دهر طويل وهذا تأويل من قرأ بالتنوين»[٨٥٦].

---

(٨٥٢) راجع الموضع السابع من هذه السورة في تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾﴾ [المؤمنون : ٢٦]، وذلك ص٣١٠ ـ ٣١٢.

(٨٥٣) الأصحاب هم: حمزة والكسائي وخلف.

(٨٥٤) انظر: النشر ج٢/ص ٣٢٨. وانظر: البدور الزاهرة ص٢١٧.

(٨٥٥) غريب القرآن ص٢٦٥.

(٨٥٦) تفسير الماوردي ج ٤ /ص٥٤.

ثالثاً: التفسير:

يقيمُ الله الحجَّةَ على الناس فيرسل إليهم الرسل متتابعين فيقول الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ [فاطر: ٢٤] ويقول: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾[النساء: ١٦٥].

يقول الزمخشري ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: «﴿تترى﴾ فعلى: الألف للتأنيث؛ لأن الرسل جماعة. وقرىء: ﴿تترىً﴾ بالتنوين، والتاء بدل من الواو، كما في: تولج...، أي: متواترين واحداً بعد واحد، من الوتر وهو الفرد: أضاف الرسل إليه تعالى وإلى أممهم ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ [المائدة: ٣٢] ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ [الأعراف/ ١٠١] لأنَّ الإضافة تكون للملابسة، والرسول ملابس المرسل، والمرسل إليه جميعاً بالملابسة، ﴿فَأَتْبَعْنَا﴾ الأمم أو القرون ﴿بَعْضَهُم بَعْضًا﴾ في الإهلاك ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ﴾ أخباراً يُسْمَرُ بها ويُتَعَجَّبُ منها الأحاديث: تكون اسمُ جمعٍ للحديث. ومنه: أحاديثُ رسولِ الله ﷺ. وتكون جمعاً للأحدوثة: التي هي مثل الأضحوكة والألعوبة والأعجوبة. وهي: مما يتحدّث به الناس تلهياً وتعجباً، وهو المراد ههنا»(٨٥٧).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيدُ قراءةُ ﴿تَتْرًا﴾ بالتنوين تتابع الرسل المكلَّفين بالدعوة إلى الله من الله لأقوامهم بعضهم على إثر بعض.

كما تفيد قراءةُ ﴿تترا﴾ بالإمالة، تقارب زمن كلِّ رسولٍ من سلفه فكان بعضهم يدعو بشريعة من سبقهم، ولا يلزم أنْ يكونَ كلٌّ منهم له رسالة.

بينما تفيد قراءة ﴿تَتْرَا﴾ أنَّ الرُّسل التي كانت تأتي بشرائع جديدة كانت منقطعة متفاوتة حيثُ كان بين كلِّ اثنين منهما دهرٌ طويل.

يقول البقاعي ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: «﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا﴾ أي بعد إنشاء كل قرن منهم

(٨٥٧) الكشاف ج٣ / ص ٣٢ ـ ٣٣ (بتصرف بسيط).

وطول إمهالنا له، ومن هنا يعلم أن بين كل رسولين فترة، وأضاف الرسل إليه لأنه في مقام العظمة وزيادة في التسلية فقال: ﴿رُسُلَنَا تَتْرَا﴾ أي واحداً بعد واحد؛ قال الرازي: من وتر القوس لاتصاله»(٨٥٨).

يقول الشوكاني ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: «ثُمَّ بيَّنَ سبحانه أنَّ رُسُلَه كانوا بعد هذه القرون متواترين، وأنَّ شأنَ أُمَمِهم كان واحداً في التكذيب لهم فقال: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا﴾ والجملة معطوفة على الجملة التي قبلها بمعنى: أنَّ إرسال كلِّ رسولٍ متأخرٌ عن إنشاء القرن الذي أرسل إليه، لا على معنى أنّ إرسال الرسل جميعاً متأخر عن إنشاء تلك القرون جميعاً، ومعنى ﴿تَتْراً﴾: تتواتر واحداً بعد واحد ويتبع بعضهم بعضاً، من الوتر وهو الفرد. قال الأصمعي: واترت كتبي عليه: أتبعت بعضها بعضاً إلا أن بين كل واحد منها وبين الآخر مهلة. وقال غيره: المتواترة المتتابعة بغير مهلة. قرأ ابن كثير وابن عمرو ﴿تترىً﴾ بالتنوين على أنَّه مصدر. قال النحاس: وعلى هذا يجوز ﴿تِترى﴾ بكسر التاء الأولى؛ لأن معنى ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا﴾: واترنا، ويجوز أن يكون في موضع الحال، أي متواترين»(٨٥٩).

بالجمع بين القراءتين يتبيَّنُ أنَّ الله ـ تعالى ـ لم يترك أمَّةً بدون أنْ يبعث فيها رسولاً يدعوهم لعبادة الله وحده، لذا فقد أرسلَ الله ـ تعالى ـ الرسل الذين منهم من كان يدعو إلى شريعة من قبله وهؤلاء كانوا متتابعين تتقارب أزمانهم، ومنهم الرسل الذين كان الله ـ تعالى ـ يرسلهم بشرائع جديدة فهؤلاء كانوا منقطعين؛ حيث كان يمضي بين كلِّ اثنين منهم دهراً طويلاً، والله أعلم.

١٤ ـ قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾﴾ [المؤمنون: ٥٠].

(٨٥٨) نظم الدرر ج ٥ / ص ٢٠١.

(٨٥٩) فتح القدير ص١١٨٩.

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ ابن عامر، وعاصم ﴿رَبْوَةٍ﴾ بفتح الرَّاء.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿رُبْوَةٍ﴾ بضم الرَّاء(٨٦٠).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«والرَّبْوُ والرَّبْوَةُ والرُّبْوَةُ والرِّبْوة والرَّباوة والرُّباوة والرِّباوَة والرَّابِيَة والرَّباةُ كلُّ ما ارْتَفَعَ من الأَرض»(٨٦١).

«والرّبوة بضم الراء وفتحها: مكانٌ من الأرض مرتفعٌ دون الجُبيل»(٨٦٢).

ثالثاً: التفسير:

إنَّ خلقَ عيسى عليه السلام بلا أبٍ يعَدُّ معجزةً لا يقدِرُ عليها إلاّ الله الذي خلقَ آدمَ بلا أمٍّ ولا أب، وفي هذه الآيةِ يُخبِرُ الله ـ تعالى ـ عن عيسى وأمِّه حيثُ أسكنهما أرضاً مرتفعةً ذات فسحةٍ وزرعٍ وماءٍ معين.

وبيان ذلك: قوله تعالى: ﴿وَءَاوَيْنَـٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ﴾ «يعني: أنزلناهما إلى ربوة، وذلك أنَّ مريم لمّا ولدت عيسى عليه السلام همَّ قومها أن يرجموها، فخرجت من بيت المقدس إلى أرض دمشق، والربوة: المكان المرتفع.

﴿ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ يعني: أرضاً مستوية، ومعين يعني: الماء الجاري الطاهر، وهو مفعول من العين، وأصله معيون، كما يقال: ثوب مخيط ... الربوة هي دمشق، ويقال هي بيت المقدس؛ لأنّها أقرب إلى السموات من سائر الأرض، ويُقال إنَّها الرملة وفلسطين»(٨٦٣).

---

(٨٦٠) انظر: النشر ج٢/ص٢٣٢.

(٨٦١) لسان العرب ج ١٤/ ص٣٧٧.

(٨٦٢) التحرير والتنوير مج٩/ج١٨/ص٦٧.

(٨٦٣) تفسير السمرقندي ج٢/ ص ٤١٥.

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

ذكر العلماءُ أنَّ العلاقةَ بين قراءتي ﴿رَبْوَةٍ﴾ و﴿رُبْوَةٍ﴾ هي علاقةٌ لغويةٌ حيثُ: ﴿رَبْوَةٍ﴾ لغةُ تميم، و﴿رُبْوَةٍ﴾ لغةُ قريش(٨٦٤).

قلتُ: بالنظر من زاوية اللغةِ فإنَّهُ يُقالُ لكلِّ ما ارتفع من الأرضِ (ربوة)، ويجوز في الرَّاء الحركات الثلاث(٨٦٥)، إلاَّ أنَّه جاءت في هذه الكلمة قراءتان صحيحتان وهما: قراءتا ﴿رَبْوَةٍ﴾ و﴿رُبْوَةٍ﴾ وذلك بأثقلِ الحركات وأخفِّها للراء.

وحيث إنَّ الضَّمَّة أقوى الحركات وأثقلها، ثمَّ تليها الكسرةُ ثمَّ تليها الفتحةُ وهي أخفُّ الحركات(٨٦٦)؛ فذلك يُشعِرُ بأنَّ مريم وابنها عليهما السلام كانا في ظروف صعبة، وسهل الله ـ تعالى ـ لهما الأمر وظروف المعيشة.

وبالنظر من زاوية أخرى فقد جعل الله ـ تعالى ـ مريم وابنها عليهما السلام آيةً للناس حيثُ إنَّ عيسى عليه السلام جاء بلا أبٍ، ورغمَ أنَّ مريم العذراء كانت من بيت إيمانٍ وتقوى، إلاَّ أنه كانَ يسود مجتمع بني إسرائيل آنذاك من الفساد ما لا يعلمه إلاَّ الله، وكان لا بدَّ من إخفاءِ عيسى عليه السلام خوفاً من أنْ يقتلوه، لذا كانت عنايةُ الله ـ تعالى ـ التي تعهدت مريم وابنها عليهما السلام بالرعاية، وكان المسكنُ الذي اختاره الله لهما والذي يُشعرُ بالأمان ويُسَرِّي عن النفس، ويتوفَّرُ فيه المأكلُ والمشرب.

وباعتبار كلِّ ما سبق فإنَّ القراءة الأولى ﴿رُبْوَةٍ﴾ بفتح الرَّاء تفيدُ تيسير اللهِ تعالى هذا المكان لمريم وابنها عليهما السلام وكونه منبسطاً في ذاته ويجري الماء فيه تحت أشجار النخيل التي يمتاز ثمرها بأنَّه الغذاء الوحيد

(٨٦٤) انظر: الكشف ج١/ص٣١٣. والقراءات وأثرها في التفسير والأحكام مج٢/ ص ٩٢٣.

(٨٦٥) انظر: لسان العرب ج١٤/ ص ٣٧٧. والتحرير والتنوير مج٩/ج١٨/ ص٦٧.

(٨٦٦) انظر: بلاغة الكلمة ص١١٤، وقد ورد مفصلاً في الموضع الأول من سورة (طه) ص ٣١.

الذي يغني عن كلِّ ما سواه من الغذاء، وكون المكانِ مرتفعاً يجعله يُشعِرُ بالأمانِ، من حيث ارتفاعه وكونه كاشفاً للمنطقةِ المحيطةِ به.

بينما تفيد القراءة الثانية ﴿رُبْوَةٍ﴾ ارتفاع المكانِ حيثُ يحتاجُ كلُّ مكانٍ مرتفعٍ إلى جهدٍ في صعوده، كما تفيدُ أنَّ مريم ـ عليها السلام ـ كانت في شدَّةٍ ووضعٍ صعبٍ عليها بسبب حملها بعيسى من غير أبٍ، على غير عادة البشر، حيثُ الضمَّةُ أثقلُ الحركاتِ وتُعَبِّرُ عن الثِّقَلِ والصعوبة.

بالجمع بين القراءتين يتبيَّنُ أنَّ الله ـ تعالى تعهَّدَ مريمَ وابنها عليهما السلام بالرعايةِ فخَفَّفَ عنهما ما بهما من شدَّة، ويَسَّرَ لهما (رُبوةً) على رغمَ كونها مرتفعةً وتحتاجُ جهداً لصعودها فإنَّها لارتفاعها تكشفُ ما حولها، وتُشْعِرُ بالأمان، كما أنَّها منبسطةٌ في ذاتها، وكانت ذات ثمرٍ وماءٍ جارٍ، فكان هذا المكان الذي آواهما الله ـ تعالى ـ إليه، مُهَيَّأً لحياتهما فيه من جميع النواحي، والله أعلم.

١٥ ـ قال تعالى: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾﴾ [المؤمنون: ٥٢].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ الكوفيُّون[٨٦٧] ﴿وإِنَّ﴾ بكسر الهمزة وتشديد النون.

٢ ـ قرأ ابن عامر ﴿وأَنْ﴾ بفتح الهمزة وتخفيف النون.

٣ ـ وقرأ الباقون ﴿وأَنَّ﴾ بفتح الهمزة وتشديد النون[٨٦٨].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(إِنَّ): بالكسر والتشديد على أحد أوجهها التي ذكرها لها السيوطي:

التأكيد والتحقيق وهو الغالب نحو: ﴿... إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾ [يس: ١٦].

(٨٦٧) هم عاصم وحمزة والكسائي وخلف. انظر: البدور الزاهرة ص٩.

(٨٦٨) انظر: النشر ج٢/ص٣٢٨. والبدور الزاهرة ص٢١٧.

(أَنَّ): بالفتح والتشديد ذكر لها السيوطي وجهين وأحد وجهيها:

أن تكون حرف تأكيد، والأصحّ أنَّها فرع المكسورة، وأنَّها موصول حرفي.

(أنْ): بالفتح والتخفيف، ذكر لها السيوطي ثمانية أوجه ثالثها:

أن تكون مفسرة بمنزلة: (أي)[869].

ثالثاً: التفسير:

هذه الآيةُ فيها القول للرسل بأنَّ أمتهم واحدة وربهم الذي يعبدونه واحدٌ سبحانه.

يقول البيضاوي: «﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ﴾ أي ولأن ﴿هَٰذِهِۦٓ﴾ والمعلل به ﴿فَٱتَّقُونِ﴾، أو واعلموا أن هذه، وقيل إنه معطوف على ﴿مَا تَعۡمَلُونَ﴾ وقرأ ابن عامر بالتخفيف والكوفيون بالكسر على الاستئناف. ﴿أُمَّتُكُمۡ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ ملتكم ملة واحدة أي متحدة في الاعتقاد وأصول الشرائع، أو جماعتكم جماعة واحدة متفقة على الإيمان والتوحيد في العبادة ونصب ﴿أُمَّةً﴾ على الحال. ﴿وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ﴾ في شق العصا ومخالفة الكلمة»[870].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيدُ قراءة ﴿وَإِنَّ﴾ استئناف الكلام بالقول للرسل إنَّ أمتكم أمَّةً واحدة، أو عطف هذا القول لهم على ما سبق لهم من القول.

وتفيدُ قراءة ﴿وَأَنْ﴾ معنى الصلة أي: هذه أمتكم أمَّةً واحدة.

ويقول البغوي ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: «﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ﴾ قرأ أهل الكوفة: «وإن» بكسر الألف على الابتداء، وقرأ الباقون بفتح الألف، وخفف ابن عامر

(٨٦٩) انظر: الإتقان ج١/ص٢٠٣، ٢٠٤.

(٨٧٠) تفسير البيضاوي ص ٤٦٥.

النون وجعل «إن» صلة، مجازة: وهذه ﴿أُمَّتُكُمْ﴾»[871].

بينما تفيد قراءة ﴿وأَنَّ﴾ معنى اللام.

يقول أبو العباس بن يزيد المبرِّد ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «فأمَّا قوله: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾﴾ فإنَّما المعنى معنى اللام، والتقدير: ولأنَّ هذه أمَّتُكم أمَّةً واحدة، وأنا ربُّكم فاعبدون»[872].

ويقول الطاهر بن عاشور ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «وتأكيد الكلام بحرف (إن) على القراءات كلها للردِّ على المشركين من أمم الرسل أو المشركين المخاطبين بالقرآن»[873].

بالجمع بين القراءات الثلاث نجدُ في الآيةِ استئنافَ القول للرسل وتأكيد كونهم أمَّةً واحدةً، وأنَّ ربَّهم واحدٌ يعبدونه، والله أعلم.

١٦ ـ قال تعالى: ﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [المؤمنون: ٦٧].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ نافع ﴿تُهْجِرون﴾ بضم التاء وكسر الجيم.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿تَهْجُرُونَ﴾ بفتح التاء وضم الجيم[874].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

هَجَرَ: «الهَجْرُ ضد الوصل وبابه نصر وهِجْرَاناً أيضاً والاسم الهِجْرةُ والمُهَاجَرَةُ من أرض إلى أرض ترك الأولى للثانية والتَّهَاجُرُ التقاطع والهَجْرُ بالفتح أيضا الهذيان»[875].

(٨٧١) تفسير البغوي ج ٥ / ص ٤٢٠. وانظر: التحرير والتنوير مج٩/ج١٨ / ص٦٩ ـ ٧٠.
(٨٧٢) المقتضب ج٢/ص٣٤٦.
(٨٧٣) التحرير والتنوير مج٩/ج١٨ / ص٧٠.
(٨٧٤) انظر: النشر ج٢/ص٣٢٩.
(٨٧٥) مختار الصحاح ص ٧٠٥. وانظر: لسان العرب ج ٥ /ص ٢٩٣.

ثالثاً: التفسير:

في الآيةِ تقريعٌ للمشركين حيث يفتخرون بأنَّهم خُدَّامُ البيتِ وقُوَّامُه، ثمَّ يستكبرون عن آياتِ ربِّهم فيهجرونها ويهجرون نبيَّهم، ويسمرون حول الكعبةِ فيذكرون النبيَّ والقرآن بكلامٍ يطعنُ فيهما.

يقول أبو السعود ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ﴾ أي بالبيتِ الحرام أو بالحَرَم. والإضمارُ قبل الذِّكرِ لاشتهارِ استكبارِهم وافتخارِهم بأنَّهم خُدَّامهُ وقُوَّامُه أو بكتابي الذي عبر عنه آياتي على تضمينِ الاستكبارِ معنى التَّكذيبِ أو لأنَّ استكبارَهم على المُسلمين قد حدثَ بسببِ استماعِه. ويجوزُ أنْ تتعلَّق الباء. بقولهِ تعالى: ﴿سَٰمِرًا﴾ أي تسمرُون بذكرِ القُرآنِ وبالطَّعنِ فيه حيثُ كانُوا يجتمعونَ حولَ البيتِ باللَّيلِ يسمرُون وكانت عامَّة سمرِهم ذكرَ القُرآن وتسميته سِحْراً وشِعْراً. والسَّامرُ كالحاضرِ في الإطلاقِ على الجمعِ وقيل هو مصدرٌ جاء على لفظِ الفاعلِ. وقُرىء سَمَراً وسُمَّاراً. وأن تتعلق بقولهِ تعالى: ﴿تَهْجُرُونَ﴾ من الهَجَر بالفتح بمعنى الهَذَيانِ أو التَّركِ، أي: تهذُون في شأنِ القُرآنِ أو تتركونَه، أو من (الهُجْر) بالضَّمِّ وهو الفُحشُ ويؤيِّدُه قراءةُ (تُهجرون) من أهجرَ في منطقهِ إذا أفحشَ فيه. وقُرىء (تهجّرون) من (هجّر) الذي هو مبالغةٌ في (هجَر) إذا هذَى»[٨٧٦].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة ﴿تُهْجِرون﴾ أنَّكم تهذون، وتأتون ما لا خيرَ فيه من الكلام.

يقول مكي بن أبي طالب ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «وحجَّةُ من ضمَّ الجيم أنَّه جعله من الهُجرِ وهو الهذيان، وما لا خير فيه من الكلام»[٨٧٧].

---

(٨٧٦) تفسير أبي السعود ج٤/ص ٤٢٤. وانظر: التفسير الوسيط ج٢ / ص ١٧٠٣ ـ ١٧٠٤.

(٨٧٧) الكشف ج٢/ص١٢٩. وانظر: الموضح ج٢/ص٨٩٧. والقراءات وأثرها في علوم العربية ج١/ ص ٥٣٥.

وأفادت قراءة ﴿تَهْجُرُونَ﴾ أنَّكم تقاطعون آيات الله، وتُعرِضون عنها، ولا تؤمنون بها.

يقول ابن أبي مريم ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «والوجهُ أنَّ المراد أنَّكم كنتم تَهْجُرُونَ آياتي وما يُتْلَى عليكم من القرآن فتعرضون عن سماعها والإيمان بها، وهو من الهَجْرِ بفتح الهاء وهو القطيعة. ويجوز أنْ يكون من الهُجْر أيضاً، فقد يُقال: هَجَرَ في مرضه إذا هذَى يَهْجُرُ»[٨٧٨].

بالجمع بين القراءتين ينكشف أمر الكفَّار الذين كانوا يتفاخرون بأنَّهم خُدَّامُ البيتِ وقوَّامه، فقد كانوا يسمرون حوله ليطعنوا في آياتِ الله ورسوله بكلامٍ لا خيرَ فيه كالهذيانِ، ثمَّ يقاطعون رسولَ الله كما يقاطعون القرآن، فيهجرونه ولا يؤمنون به، فكانوا يسمرون بقول الفاحش والسوء، ويسمرون بما يجعلهم يهجرون الإيمان بالقرآن، والله أعلم.

١٧ ـ قال تعالى: ﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [المؤمنون: ٧٢].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ ابن عامر ﴿خَرْجاً فَخَرْجُ﴾ بفتح الخاء وإسكان الرَّاء فيهما.

٢ ـ وقرأ حمزة والكسائي وخلف ﴿خَرَاجًا فَخَرَاج﴾ بفتح الخاء والرَّاء وألف بعدها.

٣ ـ وقرأ الباقون ﴿خَرْجًا﴾ بفتح الخاء وإسكان الرَّاء، و﴿فَخَرَاجُ﴾ بفتح الخاء والرَّاء وألف بعدها[٨٧٩].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«الخَرْجُ والخَرَاجُ الإتاوة وجمع الخرج أخْرَاجٌ وجمع الخراج أخْرِجَةٌ

---

(٨٧٨) الموضح ج٢/ص ٨٩٧. وانظر: الكشف ج٢/ص١٢٩. والقراءات وأثرها في علوم العربية ج١/ص٥٣٥.

(٨٧٩) انظر: النشر ج٢/ص٣١٥.

كزمان وأزمنة وأخَارِيجُ أيضاً، قلت: وقُرئ قوله تعالى ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ﴾ [المؤمنون: ٧٢]، وأم تسألهم خراجاً، وكذا قوله تعالى ﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا﴾ [الكهف: ٩٤] وخراجاً»(٨٨٠).

«الخرج: ما تبرعت به، والخراج: ما لزمك أداؤه والوجه أن الخرج أخص من الخراج»(٨٨١).

ثالثاً: التفسير:

يقول السعدي في تفسير قوله تعالى: ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٧٢﴾﴾: «أي: أو منعهم من اتباعك يا محمد أنَّك تسألُهم على الإجابة أجراً ﴿فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ﴾ يتكلَّفون من اتباعك، بسبب ما تأخذ منهم من الأجر والخراج، ليس الأمر كذلك ﴿فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ وهذا كما قال الأنبياء لأممهم: ﴿وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ﴾ [هود: ٢٩] أي: ليسوا يدعون الخلق طمعاً فيما يصيبهم منهم من الأموال، وإنَّما يدعون نصحاً لهم، وتحصيلاً لمصالحهم، بل كان الرسل أنصح للخلق من أنفسهم، فجزاهم الله عن أممهم خير الجزاء، ورزقنا الاقتداء بهم في جميع الأحوال»(٨٨٢).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيدُ قراءةُ ﴿خَرْجاً فَخَرْجُ﴾ مقارنة عطاءٍ قليل منهم بعطاء الله ـ تعالى ـ والغرضُ توبيخُ المشركين بسؤالٍ يستنكرُ عليهم أنَّهم لا يؤمنون بسبب طلبكَ منهم قليلَ العطاء فعطاءُ ربِّكَ خير.

وتفيدُ قراءةُ ﴿خَرَاجاً فَخَرَاج﴾ عدم إيمانهم خوفاً من إتاوةٍ تلزمهم بها، فما جعله الله لك من الثواب خير.

بينما تفيدُ قراءةُ ﴿خَرْجًا﴾ و﴿فَخَرَاجُ﴾ خوف المشركين من سؤالك إياهم

(٨٨٠) مختار الصحاح ص١٩٦.

(٨٨١) تفسير الرازي ج٢٣/ ص١١٢.

(٨٨٢) تفسير السعدي ص ٥٥٦.

عطاءً قليلاً فإنَّ ما جعله الله لك عطاءً كثيراً دائماً لك منه خيرٌ.

«لذلك حسنت قراءة من قرأ ﴿خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ﴾ يعني أم تسألهم على هدايتهم قليلاً من عطاء الخلق فالكثير من عطاء الخالق خير»[(٨٨٣)].

يقول الخطيب التبريزي: «قيل: هما لغتان مثل قولك: الحصْدُ والحصاد، وقيل: الخراج لما يخرج من الفرائض في الأموال، والخرج المصدر، ويقال: من قرأ بغير ألف أراد: جُعلاً[(٨٨٤)]، ومن قرأ بالألف أراد: عطاءً[(٨٨٥)]»[(٨٨٦)].

يقول الألوسي ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ : «﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ﴾ متعلق بقوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ﴾ [المؤمنون: ٧٠] فهو انتقال إلى توبيخ آخر، وغير للخطاب لمناسبته ما بعده، وكان المراد أم يزعمون أنك تسألهم على أداء الرسالة ﴿خَرْجًا﴾، أي: جعلاً، فلأجل ذلك لا يؤمنون بك، وقوله تعالى: ﴿فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ﴾ أي رزقه في الدنيا وثوابه في الآخرة تعليل لنفي السؤال المستفاد من الإنكار أي لا تسألهم ذلك فإن ما رزقك الله ـ تعالى ـ في الدنيا والعقبى خير من ذلك لسعته ودوامه وعدم تحمل منة الرجال فيه، وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميره ﷺ من تعليل الحكم وتشريفه ﷺ ما لا يخفى.

و﴿الخرج﴾ بإزاء الدخل يقال لكل ما تخرجه إلى غيرك والخراج غالب في الضريبة على الأرض ففيه إشعار بالكثرة واللزوم فيكون أبلغ ولذلك عبر به عن عطاء الله تعالى، وكذا على ما قيل من أنَّ الخرج ما تبرعت به والخراج ما لزمك واللزوم بالنسبة إليه تعالى إنَّما هو لفضل

(٨٨٣) تفسير الرازي ج٢٣/ ص١١٣.

(٨٨٤) «الجُعْلُ بالضم: ما جعل للإنسان من شيء على فعل». مختار الصحاح ص١١٩.

(٨٨٥) «عطا: أعْطاهُ مالاً، والاسم: العطاء، واسْتَعْطَى وتَعَطَّى: سأل العَطاءَ، ورجل مِعْطَاءٌ: كثير الإعْطاءِ، وامرأة مِعْطاءٌ أيضاً». مختار الصحاح ص٤٦٧.

(٨٨٦) المُلَخَّص ص٢٢٦.

وعده ﷺ، وقيل الخرج أعم من الخراج وساوى بينهما بعضهم»(٨٨٧).

بالجمع بين القراءات يتبيَّنُ أنَّ الله ـ تعالى ـ يوبِّخُ المشركين ويستنكرُ عليهم عدم إيمانهم بالتعريض ببخلهم، ويُخفِّفُ عن نبيِّه وحبيبه محمد ﷺ بأنّه لا يطلبُ منهم القليل من العطاء ولا الكثير ولا يُلزمهم بشيءٍ من ذلك مقابل دعوتهم للإيمان لأنّه ﷺ لا يرجو منهم شيئاً بل يرجو العطاء الكثير الدائم من ربِّه ـ سبحانه ـ والذي هو خيرٌ من عطائهم، والله أعلم.

١٨ ـ قال تعالى: ﴿۞ وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّواْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [المؤمنون: ٧٥].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ دوري الكسائي ﴿طُغْيَٰنِهِمْ﴾ بالإمالة.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿طُغْيَٰنِهِمْ﴾ بغير إمالة(٨٨٨).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«طغا: طَغَا يطْغَى بفتح الغين فيهما ويطْغُو طُغْياناً وطُغْوَانا أي: جاوز الحد، وكلّ مجاوزٍ حدّه في العصيان طَاغٍ، وطَغِيَ بالكسر مثله، وأطْغَاهُ المالُ: جعله طَاغِياً»(٨٨٩).

ثالثاً: التفسير:

يُبيِّنُ الله ـ سبحانه وتعالى ـ طبيعة المشركين التي تأبى عليهم إلاّ التمادي في الكفر والطغيان ما داموا في رغد العيش، وهم يتملَّقون النبي ﷺ ليدعو الله لهم بأنْ يكشف ما بهم من ضرٍّ بسبب القحط، فإذا عادوا لرغد العيشِ عادوا لاستكبارهم وعداوتهم للنبي ﷺ.

يقول النسفي ـ رحمه الله **ـ:** «والمعنى لو كشف الله عنهم هذا الضر وهو

(٨٨٧) روح المعاني ج ١٨/ص ٨٠. وانظر: تفسير البيضاوي ص ٤٦٧.

(٨٨٨) انظر: البدور الزاهرة ص٢١٩.

(٨٨٩) مختار الصحاح ص٤٠٣.

القحط الذي أصابهم برحمته لهم ووجدوا الخصب ﴿لَّلَجُّواْ﴾ أي لتمادوا ﴿فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ يترددون يعني لعادوا إلى ما كانوا عليه من الاستكبار وعداوة رسول الله ﷺ والمؤمنين، ولذهب عنهم هذا التملق بين يديه»[٨٩٠].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيدُ قراءةُ ﴿طُغْيَٰنِهِمْ﴾ ـ بالإمالة ـ ميل المشركين عن الحق بظلمهم وكفرهم، واستكبارهم وعداوتهم للنبي ﷺ.

وتفيد قراءة ﴿طُغْيَٰنِهِمْ﴾ ـ بالألف المدِّيةِ بغير إمالةٍ ـ استمرارهم في ضلالهم، ومداومتهم على الكفر والعناد ومعاداةِ النبي ﷺ.

يقول البقاعي: «أي عادلون متنحُّون مائلون مُنحرِفون في سائرِ أحوالهم سائرون على غيرِ منهج أصلاً، بل خبط عشواء لأنه يجوز أن يراد مطلق الصراط وأن يراد النكرة الموصوفة بالاستقامة.

ولما وُصِفوا بالميل، وكان ربما قال قائل: إنَّ جؤارَهم المذكور آنفاً سلوكٌ في الصراط، بيَّنَ ألاّ اعتداد به لعروضه فقال: ﴿وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ﴾ أي عاملناهم معاملة المرحوم في إزالةِ ضرره وهو معنى ﴿وَكَشَفْنَا﴾ أي بما لنا من العظمة ﴿مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ﴾ وهو الذي عرَضَ جؤارَهم بسببه ﴿لَّلَجُّواْ﴾ أي تمادوا تمادياً عظيماً ﴿في طغيانهم﴾ الذي كانوا عليه قبل الجؤار وهو إفراطهم في منابذة الحق والاستقامة»[٨٩١].

بالجمع بين القراءتين تظهر طبيعة المشركين التي تأبى إلاّ الميل والانحراف عن الحقّ، والاستمرار والتمادي في الضلال وعداوة النبيّ، ولكون هذه طبيعتهم فهم يتحوَّلون عنها فيتملَّقون النبيّ ﷺ لإصابتهم بالقحط، فإذا رحمهم الله فكشف عنهم ما أصابهم من ضرٍّ فسيرجعون لطبيعتهم الدائمة، والله أعلم.

(٨٩٠) تفسير النسفي ج٣/ ص١٨٦.
(٨٩١) نظم الدرر ج ٥ / ص ٢١٤ ـ ٢١٥.

١٩ ـ قال تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ ٨٢﴾ [المؤمنون: ٨٢].

أولاً: القراءات:

القراءات في ﴿أءِذا، أءِنّا﴾:

١ ـ قرأ نافع، والكسائي، ويعقوب ﴿أءِذا، إنّا﴾ بالاستفهام في الأول والإخبار في الثاني.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿أءِذا، أءِنّا﴾ بالاستفهام فيهما[٨٩٢].

القراءات في ﴿مِتۡنَا﴾:

١ ـ قرأ نافع، وحفص، وحمزة، والكسائي، وخلف ﴿مِتْنَا﴾ بكسر الميم.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿مُتْنَا﴾ بضمّ الميم[٨٩٣].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«(موت): المَوْتُ ضدُّ الحياة، ماتَ يمُوت ويَمَاتُ أيضاً فهو مَيِّتٌ ومَيْتٌ مُشدداً ومُخففاً، وقومٌ مَوْتَى وأَمْواتٌ ومَيِّتُون ومَيْتُون مشدَّداً ومُخففاً، ويستوي فيه المُذكر والمُؤنث، قال الله تعالى: ﴿لِّنُحۡـِۧيَ بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗا﴾ ولم يقل مَيِّتةً، والمَيْتَةُ ما لم تلحقه الذَّكاة[٨٩٤] والمُوَاتُ بالضمّ: الموت، والمَوَاتُ بالفتح: ما لا روحَ فيه»[٨٩٥].

ثالثاً: التفسير:

تجسِّدُ هذه الآيةُ موقف الكفّار من البعث، وإنكارهم له واستبعادهم إيّاه.

---

(٨٩٢) البدور الزاهرة ص٢١٨.

(٨٩٣) انظر: في هامش القرآن ص٣٤٧.

(٨٩٤) «والذكاء: الذبح». لسان العرب ج١٤/ ص ٣٥٦.

(٨٩٥) مختار الصحاح ص ٦٤٢.

يقول الطبري ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: «يقول تعالى ذكره: ما اعتبر هؤلاء المشركون بآيات الله، ولا تدبروا ما احتجّ به عليهم من الحجج والدلالة على قدرته، على فعل كلّ ما يشاء، ولكن قالوا مثل ما قال أسلافهم من الأمم المكذّبة رسلها قبلهم: (قَالُوا أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً) يقول: أئذا متنا وعدنا ترابا قد بليت أجسامنا، وبرأت عظامنا من لحومنا (أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ) يقول: إنا لمبعوثون من قبورنا أحياء، كهيئتنا قبل الممات؟ إن هذا لشيء غير كائن»(٨٩٦).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيد قراءة ﴿أَءِذا، إِنَّا﴾ الاستفهامَ الإنكاريُّ للبعث، والتعجُّب من إمكانية حدوثه.

وتفيدُ قراءة ﴿أَءِذا، أَءِنَّا﴾ إنكارَ البعثِ واستبعادَهم له.

بينما تفيدُ قراءة ﴿مِتْنَا﴾ مفارقة الروح للجسد حيثُ يصبحُ الجسد جثَّةً لا روح فيها.

كما تفيدُ قراءة ﴿مُتْنَا﴾ حدوث الموت وحدوث البلَى بعده .

يقول البقاعي ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: «ولما كان معنى الاستفهام الإنكاري النفي، حسن بعده كل الحسن قوله: ﴿بل﴾ وعدل إلى أسلوب الغيبة للإيذان بالغضب بقوله: ﴿قَالُوا۟﴾ أي هؤلاء العرب ﴿مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾ من قوم نوح ومن بعده؛ ثم استأنف قوله: ﴿قَالُوٓا۟﴾ أي منكرين للبعث متعجبين من أمره: ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا﴾ أي: بالبلَى بعد الموت ﴿تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ ثم أكّدوا الإنكارَ بقولهم: ﴿أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ أي من باعثٍ ما»(٨٩٧).

بالجمع بين القراءات الأربع يُخبرُ الله ـ تعالى ـ عن الكفار إنكارَهم للبعث، وتأكيدَ إنكارَ البعث بأسلوبِ الاستفهام الإنكاريّ، فهم يُنكرون البعثَ

(٨٩٦) تفسير الطبري ج١٨/ص٥٥.

(٨٩٧) نظم الدرر ج ٥ / ص٢١٧.

ويتعجَّبون منه حيثُ يُنكرون إعادة الروح إلى الجسد بعدما أصبح جثَّةً لا روح فيها ويتعجّبون من ذلك، وهم يُنكرون البعث، ويستبعدون عودة الحياةِ إلى الجسد بعد ما فارقته فأصبح بالياً، والله أعلم.

٢٠ ـ قال تعالى: ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝٨٥﴾ [المؤمنون: ٨٥]

أولاً: القراءات:

القراءات في ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ﴾ :

١ ـ قرأ البصريان ﴿سيقولون اللهُ﴾ بإثبات ألف الوصل قبل اللام فيها ورفع الهاء من الجلالة.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ﴾ بغير ألف وخفض الهاء(٨٩٨).

القراءات في ﴿تَذَكَّرُونَ﴾:

١ ـ قرأ حفص والأخوان وخلف ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ بتخفيف الذال.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿تَذَّكَّرُونَ﴾ بتشديد الذال(٨٩٩).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«ذكر: الذِّكْرُ الحِفْظُ للشيء تَذْكُرُه، والذِّكْرُ أيضاً: الشيء يجري على اللسان، والذِّكْرُ جَرْيُ الشيء على لسانك»(٩٠٠).

ثالثاً: التفسير:

في الآية تبكيتٌ للكفار؛ لكونهم على رغم أنَّهم يعلمون علماً يقينيًا أنَّ الله هو خالق السماوات والأرض، إلاّ أنهم يتجاهلون ذلك وينسونه بعبادة الأصنام فيشركون به سبحانه.

يقول أبو السعود ـ رحمه الله ـ: «﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ﴾ من

(٨٩٨) انظر: النشر ج٢/ص٣٢٩.

(٨٩٩) انظر: البدور الزاهرة ص٢١٨.

(٩٠٠) لسان العرب ج ٤ / ص ٣٥٦.

المخلوقاتِ تغليباً للعُقلاءِ على غيرِهم ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ جوابُه محذوفٌ ثقةً بدلالة الاستفهامِ عليه أي إنْ كنتُم تعلمون شيئاً فأخبروني به، فإنَّ ذلك كافٍ في الجوابِ. وفيه من المُبالغةِ في وضوحِ الأمرِ وفي تجهيلِهم ما لا يَخفى أو إنْ كنتُم تعلمون ذلكَ فأخبروني وفيه استهانةٌ بهم وتقريرٌ لجهلِهم ولذلك أخبرَ بجوابهم قبل أنْ يُجيبوا حيثُ قيل: ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ لأنَّ بديهةَ العقلِ تضطرُّهم إلى الاعترافِ بأنَّه تعالى خالقُها. ﴿قُلْ﴾ أي عندَ اعترافِهم بذلك تبكيتاً لهم ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ أي أتعلمون ذلكَ أو تقولون ذلكَ فلا تتذكَّرون أنَّ مَن فطرَ الأرضَ وما فيها ابتداءً قادرٌ على إعادتها ثانياً فإنَّ البَدْءَ ليس بأهونَ من الإعادةِ بلِ الأمرُ بالعكس في قياس العقولِ. وقُرىء تتذكَّرون على الأصل»[٩٠١].

رابعاً: **العلاقة التفسيرية بين القراءات:**

لقد تكرر قوله تعالى ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ في هذه الآية: ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ وفي الآيتين ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾﴾، ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾.

ففي الآية الأولى جاء الجوابُ في قراءة الجمهور موافقٌ للفظ السؤال، وفي قراءة البصريَّيْن موافقٌ لمعنى السؤال.

يقول الطاهر بن عاشور ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «والاستفهام مستعمل مجازاً في التقرير. والتقرير هنا مراد به لازم معناه، وهو تبكيت المشركين، وإلجاؤهم إلى الإقرار بما يفضي إلى إبطال معتقدهم الشركَ، فهو مستعمل في معناه الكنائي مع معناه الصريح، والمقصود هو المعنى الكنائي.

ولكونه مراداً به الإلجاء إلى الإقرار كان الجواب عنه بما يريده السائل من إقرار المسؤول محقّقاً لا محيص عنه، إذ لا سبيل إلى الجحد فيه أو المغالطة، فلذلك لم ينتظر السائل جوابهم وبادرهم الجواب عنه بنفسه بقوله: ﴿لِلَّهِ﴾ تبكيتاً لهم، لأنّ الكلام مسوق مساق إبلاغ الحجّة مقدّرة فيه

(٩٠١) تفسير أبي السعود ج٤/ ص٤٢٩.

محاورة وليس هو محاورة حقيقية. وهذا من أسلوب الكلام الصادر من متكلّم واحد. فهؤلاء القوم المقدّر إلجاؤهم إلى الجواب سواء أنصفوا فأقرّوا حقّيّة الجواب أم أنكروا وكابروا فقد حصل المقصود من دمغهم بالحجّة. وهذا أسلوب متّبع في القرآن، فتارة لا يذكر جواباً منهم كما هنا، وكما في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ﴾ [الرعد: ١٦]، وقوله: ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا و... قُلِ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: ٩١]، وتارة يذكر ما سيجيبون به بعد ذكر السؤال منسوباً إليهم أنّهم يجيبون به ثم ينتقل إلى ما يترتّب عليه من توبيخ ونحوه، كقوله تعالى: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [المؤمنون: ٨٤ ـ ٨٥]»[٩٠٢].

أمّا في الآيتين الأخريين فالتوجيه كالآتي:

تفيد قراءة ﴿سَيَقُولُونَ اللهُ﴾ المبادرة بالجواب باللفظ بما يتفق مع السؤال، وذلك لأنّهم ملزمون بقوله، لذا فقد أجابوا به إلزاماً.

بينما تفيد قراءة ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ إجابة المشركين بما يقتضيه معنى السؤال، حيث سيتكلّمون ويجيبون: هي لله.

يقول ابن الجوزي: ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ قرأ أبو عمرو: ﴿لِلَّهِ﴾ بغير ألف هاهنا، وفي اللّذَين بعدها بألف. وقرأ الباقون: ﴿لِلَّهِ﴾ في المواضع الثلاثة. وقراءة أبي عمرو على القياس. قال الزجاج: ومن قرأ: ﴿سَيَقُولُونَ اللهُ﴾ فهو جواب السؤال، ومن قرأ ﴿لِلَّهِ﴾ فجيّد أيضاً، لأنك إذا قلتَ؛ مَنْ صاحبُ هذه الدار؟ فقيل: لزيد، جاز، لأن معنى (مَن صاحب هذه الدار؟): لمن هي؟ وقال أبو علي الفارسي: من قرأ ﴿لِلَّهِ﴾ في الموضعين الآخرين، فقد أجاب على المعنى دون ما يقتضيه اللفظ»[٩٠٣].

---

(٩٠٢) التحرير والتنوير ج ٤ / ص ١٥٠.

(٩٠٣) زاد المسير مج٣/ص٢٦٩. وانظر: القراءات وأثرها في علوم العربية ج٢/ ص٣٠٠ ـ ٣٠٢.

أمّا قراءة ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ فتفيدُ عدم تذكُّرهم لما فيه خفاء الدلالة وما يحتاجُ منهم التأمُّلَ والتفكُّرَ فيه من مخلوقات الله في الكون ولو لوقتٍ قصير.

بينما قراءة ﴿تَذَّكَّرُونَ﴾ تفيدُ عدم تذكُّرهم ما هو ظاهر الدلالة في هذا الكون مثل الظواهر الكونية الواضحة والأحداث العظيمة ذات الأثر الطويل، كما لا يتذكَّرون ما يعلمون تفاصيله من مخلوقاتِ الله في الكون المحيط بهم.

يقول الطاهر بن عاشور: «ووقعت جملة ﴿قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ جواباً لإقرارهم واعترافهم بأنها لله. والاستفهام إنكاري إنكار لعدم تذكرهم بذلك، أي تفطن عقولهم لدلالة ذلك على انفراده تعالى بالإلهية. وخصَّ بالتذكر لما في بعضه من خفاء الدلالة والاحتياج إلى النظر»(٩٠٤).

ويقول الدكتور فاضل السامرّائي: «إنَّ القرآن يحذفُ من الكلمة لغرض، ولا يفعل ذلك إلاّ لغرض، ومن ذلك على سبيل المثال:

إنَّه يحذفُ من الفعل للدلالة على أنَّ الحَدَثَ أقلُّ ممَّا لم يحذف منه، وأنَّ زمنه أقصر، ونحو ذلك فهو يقتطعُ من الفعل للدلالة على الاقتطاع من الحَدَث، أو يحذفُ منه في مقام الإيجاز والاختصار، بخلاف مقام الإطالة والتفصيل»(٩٠٥).

بالجمع بين القراءتين يظهر في الآية توبيخٌ من الله ـ تعالى ـ للمشركين حيثُ يعلمونَ أنَّ الله ـ تعالى ـ هو خالق السموات والأرض ومن فيهن، ولكنَّهم على رغم ذلك يُشركون به سبحانه، وقد فرغت عقولهم عن تذكُّر أيِّ مما في الكون، سواءَ أكانَ ظاهرَ الدلالةِ أم خفيَّها، وسواءَ أكان ذا أثرٍ قريبٍ أم بعيد، لذا فإنَّ الله تعالى ـ يدمغهم بالحجَّةِ ويلزمهم الجواب، والله أعلم.

---

(٩٠٤) التحرير والتنوير مج٩ / ج١٨ / ص١٠٩.

(٩٠٥) بلاغة الكلمة ص١١.

٢١ ـ قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [المؤمنون: ٨٨].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ رويس ﴿بِيَدِهِ﴾ بحذف الصلة من الهاء.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿بِيَدِهِۦ﴾ بإثبات الصلة من الهاء(٩٠٦).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

يد: اليَدُ أصلها يَدْيٌ على فعْل ساكنة العين؛ لأن جمعها أَيْدٍ ويُدِي(٩٠٧).

اليَدُ النِّعمةُ، واليَدُ القُوَّةُ، واليَدُ القُدْرة، واليَدُ المِلْكُ، واليَدُ السُلْطانُ، واليَدُ الطاعةُ، واليَدُ الجَماعةُ(٩٠٨).

ثالثاً: التفسير:

تثبتُ هذه الآيةِ لله ديمومةَ الملكوت والقدرة وتنفيهما عن كلِّ ما سواه ﷻ.

يقول الألوسي: «﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ مما ذكر ومما لم يذكر؛ وصيغة الملكوت للمبالغة في الملك فالمراد به الملك الشامل الظاهر، وقيل: المالكية والمدبرية، وقيل: الخزائن ﴿وَهُوَ يُجِيرُ﴾ أي يمنع من يشاء ممن يشاء ﴿وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ ولا يمنع أحد منه جل وعلا أحداً، وتعدية الفعل بعلى لتضمينه معنى النصرة أو الاستعلاء ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ تكرير لاستهانتهم وتجهيلهم على ما مرّ»(٩٠٩).

(٩٠٦) انظر: البدور الزاهرة ص ٢١٨.

(٩٠٧) انظر: مختار الصحاح ص ٧٤٥.

(٩٠٨) انظر: لسان العرب ج ١٥/ ص ٤٩٣.

(٩٠٩) تفسير الألوسي ج١٨/ص٨٧.

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيدُ قراءةُ ﴿بِيَدِهِ﴾ بالاجتزاء بالكسرةِ بغير صلة ملكوت الله ـ تعالى ـ لكلِّ ما لم يُذكر، وآيات قدرة الله الخفيَّةِ، وانتفاء فعل الملكوت والقدرة عن كلِّ أحدٍ سواه تعالى بما يفيدُ العموم مع الاختصار.

يقول الطاهر بن عاشور ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «وبني فعل ﴿يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ للمجهول لقصد انتفاء الفعل عن كل فاعل فيفيد العموم مع الاختصار.

ولما كان تصرف الله هذا خفياً يحتاج إلى تدبر العقل لإدراكه عُقب الاستفهام بقوله: ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ كما عَقَّبَ الاستفهامَ الأولَ بمثله حثًّا لهم على علمِه والاهتداءِ إليه»[(٩١٠)].

وتفيدُ قراءةُ ﴿بِيَدِهِۦ﴾ بإثبات الصلة من الهاء ملكوت الله لكلِّ ما ذُكِرَ من آيات قدرة الله ـ تعالى ـ وإثبات ملكوته لكلِّ شيءٍ بتفاصيله وجزئيَّاته، وديمومة ملكوته عَجَّلَ.

يقول أبو السعود ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «﴿قُلْ مَنْۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ ممَّا ذُكر وما لم يُذكرْ أي ملكه التَّامُّ القاهرُ وقيل: خزائنُه»[(٩١١)].

بالجمع بين القراءتين يتَّضحُ أنَّ ملكوت الله ـ تعالى ـ شاملٌ لكلِّ شيءٍ ممَّا ذُكِرَ وممَّا لم يُذكَر، كما تتَّضح دلائلُ قدرته الشاملةِ المطلقةِ بما يفيدُ العمومَ مع الاختصار، بديمومةٍ وخلود، والله أعلم.

٢٢ ـ قال تعالى: ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [المؤمنون: ٩٢].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ المدنيان، وحمزة، والكسائي، وخلف، وأبو بكر ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ﴾ برفع الميم.

---

(٩١٠) التحرير والتنوير مج٩/ج١٨/ص١١٢.

(٩١١) تفسير أبي السعود ج٤/ ص٤٢٩.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ﴾ بكسر الميم[٩١٢].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«عَلِم الشيء بالكسر يعلمه عِلْماً: عَرَفَه»[٩١٣].

ثالثاً: التفسير:

تقرِّر هذه الآية نفي الشريك عن الله، وذلك باتصاف الله ـ ﷻ ـ بكمال العلم وشموله، فقد علا وعَظُمَ سبحانه عمّا يشركونه به.

يقول السعدي ـ رحمه الله ـ: «قد نطقت بلسان حالها، وأفهمت ببديع أشكالها، أنَّ المدبر لها إله واحد كامل الأسماء والصفات، قد افتقرت إليه جميع المخلوقات، في ربوبيته لها، وفي إلهيته لها، فكما لا وجود لها ولا دوام إلا بربوبيته، كذلك، لا صلاح لها ولا قوام إلا بعبادته وإفراده بالطاعة، ولهذا نبّه على عظمة صفاته بأنموذج من ذلك، وهو علمه المحيط، فقال: ﴿عَالِمُ ٱلْغَيْبِ﴾ أي: الذي غاب عن أبصارنا وعلمنا، من الواجبات والمستحيلات والممكنات، ﴿وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ وهو ما نشاهد من ذلك ﴿فَتَعَٰلَىٰ﴾ أي: ارتفع وعظم، ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ به، من لا علم عنده، إلا ما علمه الله»[٩١٤].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيدُ القراءةُ الأولى ﴿عَالِمُ ٱلْغَيْبِ﴾ أنَّ الله المُنزَّه عن الولد والشريك يَتَّصفُ بكمال العلم وشموله، فبعد تنزيهه سبحانه عن الولد والشريك، استأنف الكلام بوصفه تعالى بالعلم الكامل الشامل، بما يُثبتُ له هذه الصفة على الدوام؛ لتعبيره بالاسم الذي يفيدُ الثبوت[٩١٥].

---

(٩١٢) انظر: النشر ج٢/ص٣٢٩.

(٩١٣) مختار الصحاح ص ٤٦٧.

(٩١٤) تفسير السعدي ص ٥٥٨.

(٩١٥) انظر: التعبير القرآني ص٢٢.

بينما تفيدُ القراءة الثانية ﴿عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ﴾ تنزيه الله الذي يتَّصفُ بكمال العلم وشموله عن الولد والشريك، ليزول التوهم بأنَّه قد يكون عدم علم من كلِّ إله من الآلهة المتعدِّدة بما يملكه الإله الآخر فلا يحدثُ علوٌّ من أحدهما على الآخر فوصف نفسه سبحانه بكمال العلم وشموله لدفع مثل هذا التوهم.

يقول الطاهر بن عاشور ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: «وإنما أتبع الاستدلال على انتفاء الشريك بقوله: ﴿عَالِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَادَةِ﴾ المراد به عموم العلم، وإحاطته بكل شيء كما أفادتهَ لام التعريف في﴿ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۚ﴾ من الاستغراق الحقيقي، أي عالم كل مغيب وكل ظاهر، لدفع توهم أنْ يقال: إنَّ استقلال كلّ إله بما خلق قد لا يفضي إلى علو بعض الآلهة على بعض، لجواز أنْ لا يعلم أحد من الآلهة بمقدار تفاوت ملكوته على ملكوت الآخر فلا يحصل علو بعضهم على بعض لاشتغال كل إله بملكوته. ووجه الدفع أنَّ الإله إذا جاز أنْ يكون غير خالق لطائفة من المخلوقات التي خلقها غيره لئلا تتداخل القُدَر في مقدورات واحدة لا يجوز أن يكون غير عالم بما خلقه غيره لأن صفات العلم لا تتداخل، فإذا علم أحد الآلهة مقدار ملكوت شركائه فالعالم بأشدِّية ملكوته يعلو على من هو دونه في الملكوت. فظهر أنَّ قوله ﴿عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ من تمام الاستدال على انتفاء الشركاء، ولذلك فرع عنه بالفاء قوله ﴿فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾. وقرأ نافع وحمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم وأبو جعفر وخلف ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ﴾ برفع ﴿عَالِمُ﴾ على أنه خبر مبتدأ محذوف وهو من الحذف الشائع في الاستعمال إذا أريد الإخبار عن شيء بعد أن أجريت عليه أخبار أو صفات.

وقرأه ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو وحفص عن عاصم ويعقوب بجر ﴿عَالِم﴾ على الوصف لاسم الجلالة في قوله ﴿سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾﴾.

و(ما) مصدرية. والمعنى: فتعالى عن إشراكهم، أي هو أعظم من أن

يكون موصوفاً بكونه مشارَكاً في وصفه العظيم، أي هو منزه عن ذلك»(٩١٦).

بالجمع بين القراءتين ننزِّهُ الله الذي يتَّصفُ بكمال العلم وشموله عن الشريك والولد، وليزول التوهم بأنَّه قد يكون عدم علم منه تعالى بما يملكه إله آخر فلا يحدثُ علوٌّ من أحدهما على الآخر لعدمَ علم أحدِهما بالآخر، وصفَ نفسَه سبحانَه بكمالِ العلمِ وشمولِه لدفعِ مثلِ هذاَ التَّوهُم، وليؤكِّد سبحانه بأنَهُ وحده صاحبُ الملكوَت المتفرِّدِ به وبشموليةِ العلم وديمومته له سبحانه في ملكوته.

٢٣ ـ قال تعالى: ﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾ [المؤمنون: ٩٨].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ يعقوب ﴿أَن يَحْضُرُوني﴾ بإثبات ياء المتكلِّم.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿أَن يَحْضُرُونِ﴾ بحذف ياء المتكلِّم(٩١٧).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«حضر: الحُضورُ نقيض المَغيب والغَيْبةِ حَضَرَ يَحْضُرُ حُضُوراً وحِضَارَةً»(٩١٨).

ثالثاً: التفسير:

هذا أمرٌ من الله لنبيِّه ﷺ بالتعوذِ به ـ سبحانه وتعالى ـ من شياطين الإنس والجن.

يقول أبو السعود رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾ أُمر عَلَيْهِ السَّلَامُ بأنْ يعوذَ به تعالى من حضورِهم بعد ما أُمر بالعوذِ به من همزاتِهم؛

(٩١٦) التحرير والتنوير مج٩/ ج١١٦/١٨ ـ ١١٧. وانظر: القراءات وأثرها في التفسير والأحكام مج٢/ ص ٩١٨.

(٩١٧) انظر: البدور الزاهرة ص٢١٨.

(٩١٨) لسان العرب ج٤/ ص ٢٢٩.

للمبالغة في التَّحذيرِ من مُلابستهم. وإعادةُ الفعلِ مع تكريرِ النِّداءِ، لإظهارِ كمالِ الاعتناءِ بالمأمورِ به، وعرضِ نهايةِ الابتهالِ في الاستدعاءِ، أي: أعوذُ بك مِن أنْ يحضرونِي ويحومُوا حولي في حالٍ من الأحوالِ. وتخصيصُ حالِ الصَّلاةِ وقراءةِ القُرآنِ كما رُوي عن ابنِ عبَّاسٍ ﵄. وحالِ حلولِ الأجلِ كما رُوي عن عكرمةَ[919] ﵀ لأنَّها أحرى الأحوالِ بالاستعاذةِ منها»[920].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيدُ قراءة ﴿أَن يَحْضُرُوني﴾ التعوُّذ من همزات الشياطين مراداً به الاستمرار على السلامة منهم، بلفظِ المبتهل إلى ربِّه المكرر لندائه.

يقول الزمخشري: «أُمِرَ بالتعوّذ من نخساتهم بلفظِ المُبتَهِل إلى ربِّه، المُكرِّرِ لندائه، وبالتعوّذ من أنْ يحضُروه أصلاً ويحوموا حوله»[921].

ويقول الطاهر بن عاشور في بيان معنى الآية: «أو يكون أمره بالتعوذ من همزات الشياطين مراداً به الاستمرار على السلامة منهم. قال في «الشفاء»: الأمة مجتمعة (أي مجمعة) على عصمة النبي ﷺ من الشيطان لا في جسمه بأنواع الأذى، ولا على خاطره بالوساوس»[922].

وتفيدُ قراءة ﴿أَن يَحْضُرُونِ﴾ الاستعاذةَ بالله من أنْ يحضرَني الشيطانُ في أمرٍ من أموري كائناً ما كان من جميع الشؤون في جميع الأوقات.

يقول الشنقيطي: «والظاهر في قوله: ﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ۝٩٨﴾ أن المعنى: أعوذ بك أن يحضرني الشيطان في أمر من أموري كائناً

---

(919) هو عكرمة القرشى الهاشمى، أبو عبد الله المدنى، مولى عبد الله بن عباس، أصله من البربر من أهل المغرب، ثقة ثبت عالم بالتفسير، لم يثبت تكذيبه عن ابن عمر، ولا تثبت عنه بدعة، توفي سنة ١٠٤هـ وقيل بعد ذلك بالمدينة. انظر: الأعلام ج٤/ ص ٢٤٤.

(920) تفسير أبي السعود ج٤/ص٤٣١.

(921) الكشاف ج ٣ / ص ٤٢. وانظر: تفسير النسفي ج٣/ ص١٩٠.

(922) التحرير والتنوير مج٩/ج١٨/ص١٢١.

ما كان، سواء كان ذلك وقت تلاوة القرآن، كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾﴾ [النحل: ٩٨] أم كان عند حضور الموت، أم غير ذلك من جميع الشؤون في جميع الأوقات. والعلم عند الله تعالى»[٩٢٣].

ويقول الطاهر بن عاشور: «وأما قوله: ﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾ فهو تعوذ من قربهم؛ لأنَّهم إذا اقتربوا منه لحقه أذاهم».

بالجمع بين القراءتين يتبيَّنُ أنَّ الله ـ تعالى ـ يأمر نبيَّه ﷺ أن يعوذَ بالله من شياطين الإنس والجن بلفظ المبتهل إلى ربِّه، المكرِّرِ لندائه، ليحصل له استمرار السلامة وديمومتها من أنْ يحضروه في أيِّ أمرٍ من أموره في أي وقتٍ من الأوقات، والله أعلم.

٢٤ ـ قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾﴾ [المؤمنون: ٩٩].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ يعقوب ﴿رَب ٱرْجِعُوني﴾ بإثبات ياء المتكلِّم.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿رَبِّ ٱرْجِعُونِ﴾ بحذف ياء المتكلِّم[٩٢٤].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«(رجع): رَجَعَ الشيء بنفسه من باب جلس، ورَجَعَهُ غيره من باب قطع وهُذيل تقول أَرْجَعَهُ غيره بالألف، وقوله تعالى: ﴿يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ﴾ [سبأ: ٣١] أي: يتلاومون والرُّجْعَى الرجوع وكذا المَرْجِعُ ومنه قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ﴾ [الأنعام: ١٦٤] وهو شاذ لأن المصادر

---

(٩٢٣) أضواء البيان ج ٥/ ص٨١٩.

(٩٢٤) انظر: البدور الزاهرة ص٢١٨.

من فَعَل يَفْعِل إنما تكون بالفتح وفلان يُؤمن بالرَّجْعَةِ أي بالرجوع إلى الدنيا بعد الموت»(٩٢٥).

ثالثاً: التفسير:

هذه الآيةُ تُصوِّرُ حالَ من تشغله أمور دنياه عن آخرته، فيُفاجأُ بملائكةِ الموتِ تَنزِعُ روحَه من جسدِه، فيتمنَّى رجوعه للدنيا.

يقول الطبري في تفسير الآية: «يقول تعالى ذكره: حتى إذا جاء أحدَ هؤلاء المشركين الموتُ، وعاين نزول أمر الله به، قال: ـ لعظيم ما يعاين مما يَقْدم عليه من عذاب الله تندّما على ما فات، وتلهُّفا على ما فرط فيه قبل ذلك، من طاعة الله ومسألته للإقالة: ﴿رَبِّ ٱرْجِعُونِ﴾ إلى الدنيا فردّوني إليها، ﴿لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا﴾ يقول: كي أعملَ صالحاً فيما تركتُ قبل اليوم من العمل، فضيعتُه، وفرّطتُ فيه»(٩٢٦).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيدُ قراءة ﴿رَب ٱرْجِعُوني﴾ لجوء الكافر إلى ربّه وهو في أشدِّ حالات ضعفه وخوفه وندمه، حين يعلم أنَّ حقيقةَ وجوده وحياته في الدنيا انتهت، وأنّه سيحاسب على ما اقترفت يداه.

يقول الشهيد سيّد قطب: «إنه مشهد الاحتضار، وإعلان التوبة عند مواجهة الموت، وطلب الرجعة إلى الحياة، لتدارك ما فات، والإصلاح فيما ترك وراءه من أهل ومال. وكأنما المشهد معروض اللحظة للأنظار، مشهود كالعيان!»(٩٢٧).

ويقول الشوكاني: «والمراد بمجيء الموت: مجيء علاماته ﴿قَالَ رَبِّ

---

(٩٢٥) مختار الصحاح ص ٢٦٧.

(٩٢٦) تفسير الطبري ج١٨/ ص٦٠.

(٩٢٧) في ظلال القرآن ج٤/ص٢٤٨٠. وانظر: تفسير البغوي ج ٥ / ص ٤٢٨. وزاد المسير مج٣/ص٢٧٠.

﴿ٱرۡجِعُونِ﴾ أي قال ذلك الواحد الذي حضره الموت تحسراً وتحزناً على ما فرط منه: رب ارجعون، أي ردّوني إلى الدنيا، وإنما قال: ارجعون بضمير الجماعة لتعظيم المخاطب. وقيل: هو على معنى تكرير الفعل، أي: ارجعني ارجعني ارجعني، ومثله قوله: ﴿أَلۡقِيَا فِي جَهَنَّمَ﴾ [ق : ٢٤]. . . معناه ألق ألق. . . وقيل: إنهم لما استغاثوا بالله قال قائلهم: ربّ، ثم رجع إلى مخاطبة الملائكة فقال: ﴿ارجعون لَعَلِّي أَعۡمَلُ صالحاً﴾ أي: أعمل عملاً صالحاً في الدنيا إذا رجعت إليها من الإيمان وما يتبعه من أعمال الخير»[928].

كما تفيدُ ﴿رَبِّ ٱرۡجِعُونِ﴾ تمنِّي الرجوع بسرعةٍ لعمل الأعمال الصالحةِ فقط، وقصر هَدَفِ الرجوع لأجلها فقط ولو لمدَّةٍ قصيرةٍ، حيثُ الاجتزاء بالكسرة يفيد الاجتزاء في الكلام[929].

بالجمع بين القراءتين يتّضحُ في الآيةِ تحذيرٌ لكلِّ من كان طويل الأمل في هذه الحياة، فظنَّ أنَّ الموت سيمهله إلى أن يحقِّقَ آمالَه وطموحاته الدنيويةِ ثمَّ يعملُ لأخراه، فإذا الموت يأتي بغتةً حيثُ لا يبقِي أمامه مُتَّسعٌ من الوقت لأيِّ شيء، ولا يستطيعُ الرجوعَ للدنيا ولو التجأَ إلى الله، وابتهلَ إليه بالدعاء والرجاء لأجلِ العملِ الصالحِ فقط، والله أعلم.

٢٥ ـ قال تعالى: ﴿لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [المؤمنون: ١٠٠].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ الكوفيون[930] ويعقوب ﴿لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ﴾ بإسكان الياء.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿لَعَلِّيَ أَعۡمَلُ﴾ بفتح الياء[931].

---

(٩٢٨) فتح القدير ص١١٩٩. (بتصرف).

(٩٢٩) انظر: التعبير القرآني ص٨٠.

(٩٣٠) هم عاصم وحمزة والكسائي وخلف.

(٩٣١) انظر: النشر ج٢/ص٣٣٠. والبدور الزاهرة ص٢١٨.

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«(لعل): لَعَلَّ كلمة شكٍّ وأصلها علَّ واللام في أولها زائدة ويُقال لَعَلِّي أفعل ولَعَلَّني أفعل بمعنى»[٩٣٢].

ثالثاً: التفسير:

هذه الآيةُ تعليلٌ لطلبِ الرجوع إلى الدنيا عند الموت، وذلك رجاء العمل الصالح فيها وتدارك ما فات بسبب الانشغال بالدنيا عن الآخرة.

يقولُ أبو السعود رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «﴿لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ﴾ أي في الإيمان الذي تركتُه لم ينظمه في سلك الرَّجاءِ كسائر الأعمالِ الصَّالحةِ بأنْ يقولَ لعلِّي أُومنُ فأعملَ الخ، للإشعارِ بأنَّه أمرٌ مقرَّرُ الوقوعِ غنيٌّ عن الإخبارِ بوقوعِه قطعاً فضلاً عن كونِه مرجوَّ الوقوعِ أي لعلي أعملُ في الإيمانِ الذي أتى به البتةَ عملاً صالحاً وقيل: فيما تركتُهُ من المالِ أو من الدُّنيا»[٩٣٣].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيدُ قراءةُ ﴿لَعَلِّي أَعۡمَلُ﴾ بإسكان الياء التجاء الكافر إلى الله وخشيته وخوفه منه بعد أنْ انكشفت الغشاوة التي كانت تغطِّي عينيه فيها ورأى مقعده الأُخرَويّ من النار.

يقول الدكتور فاضل السامرائي: «وذلك أنَّ المقام يستدعي إبراز ياء المتكلِّم، لأنَّه مقام التجاء وخوف وخشية»[٩٣٤].

كما تفيدُ ﴿لَعَلِّيَ أَعۡمَلُ﴾ بفتح الياء السرعةَ في تعليل الغرض من طلب الرجوع للدنيا.

يقول الفخر الرازي: «وجملة الترجي في موضع العلة لمضمون

(٩٣٢) مختار الصحاح ص ٦١٢.

(٩٣٣) تفسير أبي السعود ج٤/ص٤٣٢.

(٩٣٤) التعبير القرآني ص٨٤، وقد ذُكر سابقاً، انظر: ص٨٥.

﴿ٱرۡجِعُونِ﴾»(٩٣٥).

بالجمع بين القراءتين يتبيّن أنَّ الكافرَ يلجأُ إلى الله عند موته، ومعرفة مقامه في الآخرة، فيطلب منه ويرجوه أن يُرجِعَهُ للدنيا معلِّلاً بسرعةِ سببَ طلبِه برجاءِ العملِ الصالحِ في الدنيا وتداركِ ما فاتَه، والله أعلم.

٢٦ ـ قال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ١٠١﴾ [المؤمنون: ١٠١].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ رويس، وأبو عمرو ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ﴾ بإدغام الباءين.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ﴾ بإظهار الباءين(٩٣٦).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«(نسب): النَّسَبُ واحد الأنساب، والنُّسْبَةُ بكسر النون وضمها مثله، ورجلٌ نَسَّابَةٌ أي: عالمٌ بالأنسابِ، والهاء للمُبالغة في المدح، وفُلان يُنَاسِبُ فلاناً فهو نَسِيبُهُ أي: قريبِه، وبينهما مُنَاسَبَةٌ أي مُشاركة، ونَسَبْتُ الرجل: ذكرتُ نَسَبه، وبابه نَصَرَ، ونِسْبَةً أيضاً بالكسر، وانْتَسَبَ إليك أي: ادَّعى أنَّه نسيبُك»(٩٣٧).

ثالثاً: التفسير:

تحذِّرنا هذه الآية من هول يوم القيامة حيثُ لا تُرْتَجَى قرابةٌ ولا ينفعُ نسب.

يقول ابن كثير: «يخبر تعالى أنَّه إذا نفخ في الصور نفخة النشور، وقام الناس من القبور، ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ﴾ أي: لا تنفع الأنساب يومئذ، ولا يرثي والدٌ لولدِه، ولا يلوي عليه، قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَسۡـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمٗا

---

(٩٣٥) التحرير والتنوير مج٩/ج١٨/ص١٢٣.

(٩٣٦) انظر: النشر ج٢/ص٣٢٩.

(٩٣٧) مختار الصحاح ص ٦٨٨.

﴿١٠﴾ يُبَصَّرُونَهُمْ﴾ [المعارج: ١٠ ـ ١١] أي: لا يسألُ القريبُ قريبَه وهو يبْصِرُه، ولو كان عليه من الأوزار ما قد أثقل ظهره، وهو كان أعز الناس عليه في الدنيا، ما التفت إليه ولا حمل عنه وزن جناح بعوضة، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾﴾ [عبس: ٣٤ ـ ٣٧]»(٩٣٨).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيدُ قراءة الجمهور ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ﴾ بإظهار الباءين على الأصل ثبوتُ النسب في الحقيقة يوم القيامة لأنَّ الله إذا أعاد الخلائقَ فالأنساب ثابتة، لأنَّ المُعَادَ هو الولد والوالد.

بينما تفيدُ القراءةُ الأخرَى ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ﴾ بإدغام الباءين نسيانَ الرجلِ ولده ووالده، بمعنى انشغال كلِّ إنسانٍ بنفسه عن أقرب الناس إليه، فلا تفاخر بالأنسابِ ولا تعاطُفَ بينها ولا تراحم مهما كانت شدَّةُ قرابتها، وذلك كنايةٌ عن الخوف الشديد الذي يَشغلُ كلَّ إنسان بنفسه.

يقول الفخر الرازي ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ في معنى القراءتين:

«أما قوله: ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ فمن المعلوم أنه سبحانه إذا أعادهم فالأنساب ثابتة لأن المعاد هو الولد والوالد، فلا يجوز أن يكون المراد نفي النسب في الحقيقة بل المراد نفي حكمه. وذلك من وجوه:

أحدها: أن من حق النسب أنْ يقعَ به التعاطف والتراحم، كما يقال في الدنيا: أسألك بالله والرحم أنْ تفعلَ كذا. فنفَى سبحانه ذلك من حيث إنَّ كلَّ أحدٍ من أهلِ النَّار يكون مشغولاً بنفسه، وذلك يمنعه من الالتفات إلى النسب، وهكذا الحال في الدنيا لأنَّ الرجلَ متى وقعَ في الأمرِ العظيمِ من الآلام ينسَى ولدَه ووالده.

---

(٩٣٨) تفسير ابن كثير ج٣/ص٤٢٨.

وثانيها: أنَّ من حقِّ النسبِ أنْ يحصلَ به التفاخرُ في الدنيا، وأنْ يسألَ بعضَهم عن كيفيةِ نسبِ البعض، وفي الآخرة لا يتفرَّغون لذلك.

وثالثها: أنْ يجعل ذلك استعارة عن الخوف الشديد فكل امرىء مشغول بنفسه عن بنيه وأخيه وفصيلته التي تؤويه فكيف بسائر الأمور»(٩٣٩).

بالجمع بين القراءتين يتبيَّنُ أنَّ الأنساب يوم القيامةِ تبقى في الحقيقةِ وينتفي حكمها من تعاطفِ وتراحمِ وتفاخر، فالله يبعثُ الناس يوم القيامةِ ولداً ووالداً، لكنَّ أهوال القيامة تبعثُ على الخوف الشديد الذي يُنسي الرجلَ أقرب الناسِ إليه؛ لانشغاله بنفسه ومآله عمَّا سواهما، والله أعلم.

٢٧ ـ قال تعالى: ﴿قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾﴾ [المؤمنون: ١٠٦].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف ﴿شَقَاوَتُنَا﴾ بفتح الشين والقاف وألف بعدها.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿شِقْوَتُنَا﴾ بكسر الشين وإسكان القاف من غير ألف(٩٤٠).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«(شقا): الشَّقَاءُ والشَّقَاوَةُ بالفتح ضد السعادة وقرأ قتادة ﴿شِقَاوَتُنَا﴾ بالكسر وهي لغة وقد شَقِيَ شَقَاءً وشِقَاوةً بالكسر أيضاً وأشْقَاهُ الله فهو شَقِيٌّ بيِّن الشِّقْوَةِ بالكسر وفتحه لغة»(٩٤١).

ثالثاً: التفسير:

لا يملك الكافر يوم القيامة إلا الندم وكلمات الاعتذار التي لا تنفعهم

---

(٩٣٩) تفسير الرازي ج٢٣/ص١٢١ ـ ١٢٢.

(٩٤٠) انظر: النشر ج٢/ص٣٢٩.

(٩٤١) مختار الصحاح ص ٣٥٤.

ولا تغني عنهم شيئاً.

يقول السعدي ـ رحمه الله ـ: «﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾ أي: غلبت علينا الشقاوةُ الناشئةُ عن الظلم والإعراضِ عن الحق، والإقبالِ على ما يَضُر، وتركِ ما ينفع، ﴿وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ﴾ في عملهم، وإن كانوا يدرون أنهم ظالمون، أي: فعلنا في الدنيا فعل التائه، الضال السفيه»[٩٤٢].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيدُ قراءةُ ﴿شِقْوَتُنَا﴾ بدون ألف حدوثَ الشِّقوة لهم في الدنيا باختيارهم أسبابها، فكان حالهم الشقاء في الدنيا، وهو شقاءٌ لا يُذْكَرُ بالنسبة لشقاء الآخرة.

وتفيدُ قراءةُ ﴿شَقَاوَتُنَا﴾ بالألف ديمومة الشقاوة لهم في الدارين حيث إنَّ الشِّقوةَ الحاصلةَ لهم في الدنيا باختيارهم أسبابها تبعتهم في أخراهم حيثُ آلوا إلى هذا المصير المخزي فلازمتهم الشَّقاوة في الدَّار الآخرة، وهذه هي الشقاوة العُظمَى.

يقول الطاهر بن عاشور في معنى القراءتين: «مُثِّلَت حالة اختيارهم لأسباب الشقوة بدل أسباب السعادة بحالة غائرة بين السعادة والشقاوة على نفوسهم. وإضافة الشقوة إلى ضميرهم لاختصاصها بهم حين صارت غالبة عليهم.

والشِّقوة بكسر الشين وسكون القاف في قراءة الجمهور. وهي زنة الهيئة من الشقاء. وقرأ حمزة والكسائي وخلف ﴿شَقاوتنا﴾ بفتح الشين وبألف بعد القاف وهو مصدر على صيغة الفعالة مثل الجزالة والسذاجة. وزيادة قوله ﴿قَوْمًا﴾ على أنَّ الضلالةَ من شيمتهم، وبها قوام قوميتهم»[٩٤٣].

ويقول الفخر الرازي ـ رحمه الله ـ: «﴿غَلَبَتْ عَلَيْنَا﴾ ملكتنا من قولك

---

(٩٤٢) تفسير السعدي ص ٥٦٠.

(٩٤٣) التحرير والتنوير مج٩/ج١٨/ص١٢٨.

غلبني فلان على كذا إذا أخذه منك، والشقاوة سوء العاقبة، قرىء: ﴿شِقْوَتُنَا﴾ و﴿شَقَاوَتُنَا﴾ بفتح الشين وكسرها فيهما، . . .الشقوة من الشقاء كجرية الماء، والمصدرُ: الجَرْي، وقد يجيء لفظُ فعلِه، والمرادُ به الهيئة والحال، فيقولُ جلسةً حسنةً وركبةً وقعدةً وذلك من الهيئة، وتقول: عاشَ فلانُ عيشةً طيبةً، ومات ميتةً كريمةً، وهذا هو الحالُ والهيئة، فعلَى هذا المرادُ من الشقوةِ حالُ الشَّقاء»(٩٤٤).

بالجمع بين القراءتين نستشعرُ خوفَ الكافر وخشيته وحزنَه وندمَه وحسرته حيثُ يعترفُ بأنَّ اختياره أسبابَ الشَّقاءِ في الدنيا أشقاهُ فيها شقاءً بسيطاً لا يساوي إلاَّ شيئاً هيِّناً إذا قيسَ بالشقاء الذي عقَّبَ عليه بسبب ذلك الاختيار، ولازمه في الآخرةِ؛ ليحصلَ له الشَّقاءَ الذي ما بعدَه شقاء، وعندها لا ينفعه ندمٌ ولو عضَّ على أصابعه حتَّى تقطَّعت جميعاً، والله أعلم.

٢٨ ـ قال تعالى: ﴿قَالَ ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾﴾ [المؤمنون: ١٠٨].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ يعقوب ﴿وَلاَ تُكَلِّمُوني﴾ بإثبات ياء المتكلِّم.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ بحذف ياء المتكلِّم(٩٤٥).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«كلم: الكلام القول، معروف، وقيل: الكلام ما كان مكتفياً بنفسه وهو الجملة، والقول ما لم يكن مكتفياً بنفسه وهو الجزء من الجملة»(٩٤٦).

ثالثاً: التفسير:

هذه الآية تمثِّلُ الرَّدَّ النهائي على تضرُّع الكفار من ربِّ العالمين الذي له الكلمةُ الأولى والأخيرة في مصير أولئك الكفرة.

---

(٩٤٤) تفسير الرازي ج٢٣/ص١٢٤. وانظر: الكشاف ج٣ / ص٤٤.

(٩٤٥) انظر: البدور الزاهرة ص٢١٨.

(٩٤٦) لسان العرب ج ١٢ / ص٦١٧ ـ ٦١٨.

يقول ابن كثير ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «هذا جواب من الله تعالى للكفار إذا سألوا الخروج من النار والرجعة إلى هذه الدار، يقول: ﴿ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا﴾ أي: امكثوا فيها صاغرين مُهانين أذلاء. ﴿وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ أي: لا تعودوا إلى سؤالكم هذا، فإنه لا جواب لكم عندي»(٩٤٧).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيدُ قراءةُ ﴿وَلاَ تُكَلِّمُوني﴾ منعُ الله ـ تعالى ـ الكفَّارَ من الكلامِ عن تفاصيلِ مسبِّباتِ شقاوتهم التي جعلت مآلهم إلى النار، وطلبهم الرجوعَ إلى الدنيا مؤكِّدين صلاحهم حال عودتهم إليها.

بينما تفيدُ قراءةُ ﴿وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ زجْرَ الله للكفَّار عن الكلامِ البتَّة، فكانَ آخر ما قالوه: ﴿رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡهَا فَإِنۡ عُدۡنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ [المؤمنون: ١٠٧]

يقول النسفي ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «﴿قَالَ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا﴾ اسكتوا سكوت ذلة وهوان ﴿وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ في رفع العذاب عنكم فإنه لا يرفع ولا يخفف. قيل: هو آخر كلام يتكلمون به ثم لا كلام بعد ذلك إلا الشهيق والزفير»(٩٤٨).

بالجمع بين القراءتين يتبيَّنُ أنَّ الله ـ تعالى ـ زجَرَ الكفَّارِ في هذه الآية عن الكلام البتَّةِ قليله وكثيره، ممَّا يدلُّلُ على شدَّةِ غضبِ الله ـ تعالى ـ على الكفارِ وعلمه تعالى أنَّهم لو ردُّوا إلى الدنيا لعادوا لما كانوا عليه، والله أعلم.

٢٩ ـ قال تعالى: ﴿فَٱتَّخَذۡتُمُوهُمۡ سِخۡرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوۡكُمۡ ذِكۡرِي وَكُنتُم مِّنۡهُمۡ تَضۡحَكُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [المؤمنون: ١١٠].

أولاً: القراءات:

القراءات في ﴿فَٱتَّخَذۡتُمُوهُمۡ﴾:

١ ـ قرأ ابن كثير، وحفص، ورويس ﴿فَٱتَّخَذۡتُمُوهُمۡ﴾ بإظهار الذال والتاء

---

(٩٤٧) تفسير ابن كثير ج٣/ ص٤٣٠.

(٩٤٨) تفسير النسفي ج٣/ ١٩٢. وانظر: تفسير الماوردي ج ٤/ ص٦٨.

بعدها.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿فَٱتَّخَذۡتُمُوهُمۡ﴾ بإدغام الذال في التاء[٩٤٩].

القراءات في ﴿سِخۡرِيًّا﴾:

١ ـ قرأ المدنيان وحمزة والكسائي وخلف ﴿سُخۡرِيًّا﴾ بضم السين.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿سِخۡرِيًّا﴾ بكسر السين[٩٥٠].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

﴿فَٱتَّخَذۡتُمُوهُمۡ﴾: «الاتِّخاذُ افتعال من الأخذ إلا أنه ادغم بعد تليين الهمزة وإبدال التاء ثم لما كثر استعماله على لفظ الافتعال توهموا أن التاء أصلية فبنوا منه فعل يفعل فقالوا تَخِذَ يتخذ»[٩٥١].

(سخرياً): هزءاً، وعند الكوفيين المكسور بمعنى الهزء، والمضموم من التسخير والخدمة[٩٥٢].

«والسُّخْرَةُ: ما تَسَخَّرْتَ من دابَّة أَو خادم بلا أَجر ولا ثمن ويقال سَخَرْتُه بمعنى سَخَّرْتُه أَي قَهَرْتُه وذللته»[٩٥٣].

«السُّخْرِيُّ: بالضَّمِّ ما كان من جهةِ السُّخْرة، والسِّخْريُّ بالكسر: ما كان من الهُزؤ»[٩٥٤].

ثالثاً: التفسير:

يؤنِّبُ الله ـ ﷻ ـ الكفَّارَ على ما فعلوه بالمؤمنين حين تشاغلوا

(٩٤٩) انظر: النشر ج٢ / ص١٥.

(٩٥٠) انظر: النشر ج٢/ص٣٢٩.

(٩٥١) مختار الصحاح ص٨.

(٩٥٢) الكليات ص ٥٢١.

(٩٥٣) انظر: لسان العرب ج٤/ ص٤٠٧ ـ ٤٠٨.

(٩٥٤) معاني القرآن للنحاس ج٢/ ص ٧٨٩. وانظر: القراءات وأثرها في معاني العربية ج١/ ص ٤٥٨.

بالسُّخريةِ منهم وتسخيرهم واستعبادهم عن ذكر الله تعالى.

يقول أبو السعود ـ رحمه الله ـ: «﴿فَٱتَّخَذۡتُمُوهُمۡ سِخۡرِيًّا﴾ أي اسكتُوا عن الدُّعاءِ بقولكم: ربنا الخ، لأنَّكم كنتُم تستهزئُون بالدَّاعينَ بقولهم: ربنا آمنا الخ، وتتشاغلُون باستهزائِهم ﴿حَتَّىٰٓ أَنسَوۡكُمۡ﴾ أي الاستهزاءُ بهم ﴿ذِكۡرِي﴾ من فرطِ اشتغالِكم باستهزائِهم ﴿وَكُنتُم مِّنۡهُمۡ تَضۡحَكُونَ﴾ وذلك غايةُ الاستهزاءِ»(٩٥٥).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيدُ القراءةُ ﴿فَٱتَّخَذتُّمُوهُمۡ﴾ بإدغام الذال في التاء اتخاذُ الكفَّارِ للمؤمنينَ ـ وإن كانت لهم بهم قرابةٌ ونسب ـ سِخريًا في مجالسِ نجواهم، وسُخرياً باستعبادهم لهم بما لا يطيقون.

وتفيدُ قراءةُ ﴿فَٱتَّخَذۡتُمُوهُمۡ﴾ بإظهار الذال والتاء قصدَ الكفَّار السُّخريةَ من المؤمنين واستعبادَهم وفعلَ ذلك بالضعفاء علناً أمام الناس.

يقول ابن الجوزي ـ رحمه الله ـ: «قوله تعالى: ﴿فَٱتَّخَذۡتُمُوهُمۡ﴾ قال الزجاج: الأجودُ إدغامُ الذال في التاء لقرب المخرجين، وإن شئتَ أظهرتَ، لأنَّ الذالَ من كلمةٍ والتاءَ من كلمة، وبين الذال والتاء في المخرج شيء من التباعد»(٩٥٦).

أمَّا قراءة ﴿سُخۡرِيًّا﴾ فتفيدُ السُّخرة والعبودية أي تسَخِّروهم وتستعبدوهم.

في حين تفيدُ قراءةُ ﴿سِخۡرِيًّا﴾ الهزء أي تستهزئون بهم.

يقول الزمخشري ـ رحمه الله ـ: «السخريّ ـ بالضم والكسر ـ: مصدر سخر كالسخر، إلاَّ أنَّ في ياء النسب زيادةُ قوّةٍ في الفعل، كما قيلَ: الخصوصيةُ في الخصوص. وعن الكسائي والفراء: أنّ المكسور من الهزء،

(٩٥٥) تفسير أبي السعود ج٤/ ص ٤٣٣.

(٩٥٦) زاد المسير مج ٣/ ص ٢٧٢.

والمضموم من السخرة والعبودية، أي: تسخروهم واستعبدوهم»[٩٥٧].

بالجمع بين القراءتين يتبيَّنُ أنَّ الله ـ ﷻ ـ يُوَبِّخُ الكفَّار بسبب إذلالهم للمؤمنين وتسخيرهم لهم واستهزائهم بهم حتَّى اتخذوهم في مجالس نجواهم موضوعاً للاستهزاء بهم، واتخذوهم في استعبادهم لهم سُخْرةً أمامَ الناس، غيرُ عابئينَ بأيِّ رابطةِ صلةِ من قرابةٍ ونحوها، حتَّى أصبح كلُّ ذلك شغلَهم فنسَوا ذكرَ الله تعالى وهم يضحكون منهم، والله أعلم.

٣٠ ـ قال تعالى: ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾﴾ [المؤمنون: ١١١].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ حمزة والكسائي ﴿إِنَّهُمْ هُمُ﴾ بكسر الهمزة.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿أَنَّهُمْ هُمُ﴾ بفتح الهمزة[٩٥٨].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:[٩٥٩].

ثالثاً: التفسير:

يبشِّرُ الله ـ تعالى ـ المؤمنين بما أعدَّ لهم من النعيم جزاءَ صبرهم فكانوا هم الفائزين بنعيم الجنَّة.

يقول الفخر الرازي: «بيَّن سبحانه ما يستلزم في الكفَّار الأسف والحسرة بأن وصف ما جازى به أولئك المؤمنين فقال: ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾﴾ قرأ حمزة والكسائي (إِنَّهم) بالكسر والباقون بالفتح، فالكسرُ استئنافٌ أي: قد فازوا حيث صبروا فجوزوا بصبرهم أحسن الجزاء، والفتح على أنَّه في موضعِ المفعولِ الثاني من

---

(٩٥٧) الكشاف ج٣/ ص ٤٤. وانظر: القراءات وأثرها في التفسير والأحكام مج٢/ ص ٦٠٧ ـ ٦١١.

(٩٥٨) انظر: النشر ج٢/ص٣٢٩، ٣٣٠.

(٩٥٩) سبق المعنى اللغوي للأدوات (إِنَّ) و(أَنَّ) انظر: ص٣٣.

جزيت، ويجوزُ أنْ يكونَ نصباً بإضمارِ الخافضِ، أي: جزيتُهم الجزاءَ الوافرَ لأنَّهم هم الفائزون»[٩٦٠].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيدُ قراءةُ ﴿أَنَّهُمْ هُمُ﴾ أنَّ الله ـ تعالى ـ جزى المؤمنين فوزَهم، والفوزُ هو نيْلُ المطلوبِ الأعظم، أي ينالون كلَّ ما يطلبونه.

بينما تفيدُ قراءةُ ﴿إِنَّهُمْ هُمُ﴾ أنَّ الله جزى المؤمنين جنَّته بما صبروا، وأكَّدَ إنَّهم هم الفائزون بمنطوق الآيةِ ممَّا يشيرُ بمفهوم الآيةِ إلى أنَّ الكفار هم الخاسرون.

يقول الشنقيطي ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: «وقرأ حمزة والكسائي: إنهم هم الفائزون بكسر همزة إن، وعلى قراءتهما فمفعول جزيتهم: محذوف: أي جزيتهم جنتي إنهم هم الفائزون، وعلى هذه القراءة فإن لاستئناف الكلام، وقرأ الباقون: أنهم هم الفائزون. بفتح همزة أن، وعلى قراءة الجمهور هذه فالمصدر المنسبك، من أن وصلتها: مفعول به لجزيتهم: أي جزيتهم فوزهم كما لا يخفى. والفوز نيل المطلوب الأعظم»[٩٦١].

بالجمع بين القراءتين توضِّح الآية بشارةً للمؤمنين بالتأكيد على فوزهم وعلى نيلهم المطلوب الأعظم في الجنَّةِ، ولا شيء أعظم عندَ أهل الجنةِ من رؤيةِ الله تعالى، والله أعلم.

٣١ ـ قال تعالى: ﴿قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾ [المؤمنون: ١١٢].

أولاً: القراءات:

القراءات في﴿قَٰلَ كَمْ﴾:

(٩٦٠) تفسير الرازي ج ٢٣ / ص ١٢٥ ـ ١٢٦. (بتصرف بسيط).

(٩٦١) أضواء البيان ج ٥/ص٨٢٩. وانظر: القراءات وأثرها في علوم العربية ج٢/ ص ٦٥ ـ ٦٦. والقراءات وأثرها في التفسير والأحكام مج٢/ ص ٨٩٣.

١ ـ قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي ﴿قُلْ كَمْ﴾ بغير ألف على الأمر.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿قَٰلَ كَمْ﴾ بألف على الخبر[٩٦٢].

القراءات في ﴿لَبِثْتُمْ﴾:

١ ـ قرأ أبو عمرو، وابن عامر، وحمزة، والكسائي، وأبو جعفر ﴿لَّبِثْتُمْ﴾ بإدغام الثاء والتاء معاً.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿لَبِثْتُمْ﴾ بإظهار الثاء والتاء[٩٦٣].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

لبث: «اللَّبْث واللَّبَاثُ: المُكْثُ»[٩٦٤].

ثالثاً: التفسير:

إنَّ السؤال في هذه الآيةِ ليس الغرضُ منه معرفةَ مدَّةِ مكث الكفار في الدنيا ولكنِ الشعور باستقصار مدَّةِ مكثهم في الأرض حيثُ كانوا يظنُّونَ أنَّه لا حياةَ إلاَّ فيها، وأنَّه بعد الموت يدوم الفناء، فكان هذا السؤال تبكيتاً وتوبيخاً لهم.

يقول الفخر الرازي ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: «الغرض من هذا السؤال التبكيت والتوبيخ، فقد كانوا ينكرون اللبث في الآخرة أصلاً ولا يعدون اللبث إلا في دار الدنيا ويظنون أنَّه بعد الموتِ يدومُ الفناءُ ولا إعادة، فلما حصلوا في النار وأيقنوا أنَّها دائمةٌ، وهم فيها مُخَلَّدون سألَهم: ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ تنبيهاً لهم على أنَّ ما ظنُّوه دائماً طويلاً، فهو يسيرٌ بالإضافةِ إلى ما أنكروه، فحينئذٍ تحصلُ لهم الحَسرةُ على ما كانوا يعتقدونه في الدنيا، من حيث أيقنوا خلافَه، فليس الغرض السؤال بل الغرض ما ذكرنا»[٩٦٥].

---

(٩٦٢) انظر: النشر ج٢/ص٣٣٠.

(٩٦٣) انظر: البدور الزاهرة ص٢١٩.

(٩٦٤) لسان العرب ج ٢ /ص٢٠٥.

(٩٦٥) تفسير الرازي ج٢٣/ص١٢٦.

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيدُ قراءةُ ﴿قُلْ كَمْ﴾ الأمرُ للمَلَكِ أو بعضُ رؤساءِ أهلِ النار، بسؤالِ الكفَّارِ عن مدَّةِ مكثِهم في الأرض.

بينما تفيدُ قراءةُ ﴿قَالَ كَمْ﴾ الإخبارَ بأنَّ الله ـ تعالى ـ قال لهم وهو أعلمُ بما لبثوا، وإنَّما السؤالُ لاستصغارِ أمرِ الأرضِ، واستقصار أيامهم فيها. وإنهم ليحسون اليوم بقصر تلك الحياة وضآلتها. وإنهم ليائسون ضيقو الصدور، لا يعنيهم حسابها وعدتها[٩٦٦].

أمَّا قراءة ﴿لَبِثْتُمْ﴾ بإدغام الثاء والتاء معاً فإنَّها تفيدُ قصر مدَّةِ مكث الكفار في الأرض، بالقياس مع مدَّة حياتهم في النار.

في حين تفيدُ قراءةُ ﴿لَبِثْتُمْ﴾ بإظهار الثاء والتاء، أنَّهم مكثوا في الأرضِ المدَّةَ التي قضَى الله لهم أنْ يحيَوها بتمامِها، ولم يُنقَصوا منها شيئاً.

يقول الزمخشري: «﴿قَالَ﴾ في مصاحف أهل الكوفة. وقل: في مصاحف أهل الحرمين والبصرة والشام؛ ففي ﴿قَالَ﴾ ضمير الله أو المأمور بسؤالهم من الملائكة، وفي ﴿قُل﴾ ضمير الملَك أو بعضِ رؤساءِ أهلِ النار.

استقصروا مدّة لبثهم في الدنيا بالإضافة إلى خلودهم ولما هم فيه من عذابها، لأنّ الممتحن يستطيل أيام محنته ويستقصر ما مرّ عليه من أيام الدعة إليها. أو لأنهم كانوا في سرور، وأيام السرور قصار، أو لأنّ المنقضي في حكم ما لم يكن، وصدقهم الله في تقالِّهم لسني لبثهم في الدنيا ووبخهم على غفلتهم التي كانوا عليها»[٩٦٧].

بالجمع بين القراءات الأربع يتبين في الآيةِ تحذيرٌ للكفار من الاغترار بالدنيا؛ لأنَّ حياتَهم فيها قصيرةٌ مهما طالت وسيوبِّخهم ربهم فيسألهم وهم في النار عن مدَّةِ مكثهم فيها، ولكنَّهم على رغم أنَّهم مكثوا فيها عمرهم

(٩٦٦) في ظلال القرآن ج٤/ص٢٤٨٢.

(٩٦٧) الكشاف ج٣ /ص٤٤.

بكامله إلاَّ إنَّهم سيجدون هذه الحياة قصيرةً جداً بالقياس إلى خلودهم في النار، والله أعلم.

٣٢ ـ قال تعالى: ﴿قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾﴾ [المؤمنون: ١١٣].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ ابن كثير، والكسائي، وخلف ﴿فَسَلِ﴾ بالنقل(٩٦٨).

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿فَسْـَٔلِ﴾ بغير نقل(٩٦٩).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:(٩٧٠).

ثالثاً: التفسير:

يجيبُ الكفارُ في هذه الآيةِ على السائلِ عن مدَّةِ مكثهم في الأرضِ بأنَّهم لم يمكثوا فيها إلاَّ يوماً أو بعضَ يوم، ولكونهم في ضيقٍ لا يقدرون معه على العدِّ والحساب ينقلون السؤال للعادِّين من البشرِ أو الملائكة.

يقول البيضاوي ـ رحمه الله ـ: «﴿قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ استقصاراً لمدة لبثهم فيها بالنسبة إلى خلودهم في النار، أو لأنَّها كانت أيامَ سرورهم وأيام السرور قصار، أو لأنها منقضية والمنقضي في حكم المعدوم. ﴿فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ﴾ الذين يتمكنون من عد أيامها إن أردت تحقيقها فإنا لما نحن فيه من العذاب مشغولون عن تذكرها وإحصائها، أو الملائكة الذين يعدون أعمار الناس ويحصون أعمالهم. وقرىء ﴿العَادِينَ﴾ بالتخفيف أي الظلمة فإنَّهم يقولون ما نقول، و﴿العَادِينَ﴾ أي القدماء المعمرين فإنهم أيضاً يستقصرون»(٩٧١).

---

(٩٦٨) سبق التعريف بالنقل في الموضع العاشر من سورة الأنبياء، انظر: ص ١٦٢.

(٩٦٩) انظر: النشر ج١/ص٤١٤، ج٢/ص٣٣٠.

(٩٧٠) سبق المعنى اللغوي لـ (سأل). انظر ص١٦٢.

(٩٧١) تفسير البيضاوي ص٤٦٩.

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيدُ قراءة ﴿فَسَل﴾ بالنقل سرعة نقل السؤال للملائكةِ الذين يُحصونَ أعمارَ العباد، ويُحصون أعمالهم.

يقول الزمخشري ـ رحمه الله ـ: «وقرئ: ﴿فسل العادّين﴾ والمعنى: لا نعرف من عدد تلك السنين إلاّ أنا نستقله ونحسبه يوماً أو بعض يوم؛ لما نحن فيه من العذاب، وما فينا أن نعدّها (كم هي) فسَلْ من فيه أنْ يعدّ، ومن يقدر أنْ يلقي إليه فكرَه. وقيل: فسَلِ الملائكةَ الذين يعدّون أعمارَ العبادِ ويحصون أعمالَهم. وقرىء: ﴿العَادِينَ﴾ بالتخفيف أي: الظلمة فإنهم يقولون كما نقول. وقرئ: ﴿العَادِينَ﴾ أي: القدماء المُعَمَّرين، فإنَّهم يستقصِرونها»[972].

بينما تفيدُ قراءةُ ﴿فَسْئَلْ﴾ بغير نقل التدقيق في السؤال، وأنَّ السؤال على ظاهره، وكأنَّهم بعثوا ويظنُّون أنَّ الدنيا ما زالت باقية.

يقول الطاهر بن عاشور ـ رحمه الله ـ: «وأما قولهم: ﴿فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ﴾ فهو اعترافٌ بأنَّهم لم يضبطوا مدةَ مكثهم، فأحالوا السائلَ على من يضبط ذلك من الذين يظنونهم لم يزالوا أحياء لأنهم حسبوا أنهم بعثوا والدنيا باقية، وحسبوا أن السؤال على ظاهره فتبرأوا من عهدة عدم ضبط الجواب»[973].

بالجمع بين القراءتين يتبيَّنُ أنَّ الكفار في الآخرةِ يكونون في كربٍ شديدٍ وحالٍ يُرثَى لها حيثُ لا يستطيعون تقديرَ مدَّةَ مكثهم في الدنيا، فيحيلون السائلَ لهم عنها إلى العادين المختصِّينَ بهذا العمل في الدنيا حيثُ يظنُّونَ أنَّهم بُعثوا والحياةُ كما هي والسؤال على ظاهره أو إحالته إلى الملائكةِ الذين يحسبون أعمار العباد، ويحصون أعمالهم، والله أعلم.

---

(٩٧٢) الكشاف ج ٣/ص٤٤.

(٩٧٣) التحرير والتنوير مج٩/ ج١٨/ ص١٣٢.

٣٣ ـ قال تعالى: ﴿قَـٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾﴾ [المؤمنون: ١١٤].

أولاً: القراءات:

القراءات في ﴿قَالَ إِنْ﴾:

١ ـ قرأ حمزة والكسائي ﴿قَالَ إِنْ﴾ بغير ألف على الأمر.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿قَالَ إِنْ﴾ بألف على الخبر(٩٧٤).

القراءات في ﴿لَّبِثْتُمْ﴾:(٩٧٥).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:(٩٧٦).

ثالثاً: التفسير:

يصَدِّقُ الله ـ ﷻ ـ الكفار فيما قالوه عن مدَّةِ مكثهم في الأرضِ بقوله لهم إنَّهم لم يمكثوا في الأرض إلاَّ قليلاً لو أنَّهم يعلمون مدَّةَ مكثهم في الدنيا.

يقول البغوي: «﴿قَالَ إِن لَّبِثْتُمْ﴾ أي: ما لبثتم في الدنيا، ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ سمَّاه قليلاً لأنَّ الواحدَ وإنْ طالَ مكثُه في الدنيا، فإنَّه يكون قليلاً في جنبِ ما يلبث في الآخرة، لأنَّ لبثه في الدنيا وفي القبر متناهٍ، ﴿لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ قدر لبثكم في الدنيا»(٩٧٧).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيدُ قراءةُ ﴿قُلْ إِنْ﴾ بغير ألف على أمر من يؤمر بسؤالهم.

وتفيدُ قراءةُ ﴿قَالَ إِنْ﴾ على الإخبار عن السائل.

---

(٩٧٤) انظر: النشر ج٢/ص٣٣٠.
(٩٧٥) انظر: البدور الزاهرة ص ٢١٩.
(٩٧٦) سبق في الموضع الحادي والثلاثين من هذه السورة، انظر: ص٣٦٠.
(٩٧٧) تفسير البغوي ج ٥ / ص ٤٣٢.

أمّا قراءةُ ﴿لِّبثّمْ﴾ بإدغام الثاء والتاء معاً فتفيدُ أنّهم شعروا بقصر مدَّةِ مكثهم في الدنيا.

بينما قراءةُ ﴿لَّبِثْتُمْ﴾ بإظهار الثاء والتاء فإنَّها تفيدُ مدةَ مكثهم في الأرضِ بتمامها على حقيقتها.

بالجمع بين القراءات الأربع يتمُّ إخبار الكفار ـ من السائل الذي يؤمر بسؤالهم عن مدة مكثهم ـ بأنَّهم على رغم حياتهم في الدنيا المدةَ التي قدَّرها الله لهم لم يشعروا أنَّهم مكثوا في الأرضِ إلاَّ قليلاً(٩٧٨)، والله أعلم.

(٩٧٨) راجع الموضع الحادي والثلاثين من هذه السورة ص ٣٦٠ ـ ٣٦١.

الفهارس

وتشتمل على:

فهرس المصادر والمراجع.

فهرس الموضوعات.

فهرس المصادر والمراجع

١ ـ **القرآن الكريم.**

ـ أ ـ

٢ ـ الإبانة عن معاني القراءات ـ لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي ـ حقَّقه وقدَّمَ له: الدكتور محيي الدين رمضان ـ دار المأمون للتراث ـ دمشق ـ ط١ (١٣٩٩هـ/١٩٧٩م).

٣ ـ إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر (المسمى منتهى الأماني والمسرات في علوم القراءات) ـ للعلامة الشيخ أحمد بن محمد البنا الدمياطي المتوفي سنة١١١٧هـ ـ تحقيق: الدكتور شعبان محمد إسماعيل ـ عالم الكتب ـ بيروت ـ ط (١٤٠٧هـ /١٩٨٧م).

٤ ـ الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي: مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ـ ط٤(١٣٩٨هـ/١٩٧٨م).

٥ ـ إتمام الأعلام ـ لنزار أباظة ومحمد المالح: دار الفكر ـ ط٢[بدون تاريخ طبع].

٦ ـ الأحرف السبعة للقرآن ـ لأبي عمرو الداني ـ تحقيق: د. عبد المهيمن طحان ـ مكتبة المنارة ـ مكة المكرمة ـ ط١ (١٤٠٨هـ).

٧ ـ الأحرف السبعة ومنزلة القراءات منها ـ للدكتور حسن ضياء الدين عتر: دار البشائر الإسلامية بيروت ـ ط١ (١٤٠٩هـ/١٩٨٨م).

٨ ـ أحكام القرآن ـ لمحمد بن إدريس الشافعي ـ تحقيق: عبد الغني عبد الخالق ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط (١٤٠٠).

٩ ـ الأدوات النحوية في كتب التفسير ـ للدكتور: محمود أحمد الصغير ـ دار الفكر ـ بيروت ـ ط١ (١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م).

١٠ - إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (تفسير أبي السعود) - للقاضي أبي السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي، ت: ٩٨٢هـ - دار الكتب العلمية - بيروت - ط١ (١٤١٩هـ / ١٩٩٩م).

١١ - أساس البلاغة - للإمام الكبير جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، ت: ٥٣٨ هـ - تحقيق: الأستاذ عبد الرحيم محمود - دار المعرفة للطباعة - بيروت - ط (١٣٣٩هـ / ١٩٧٩م).

١٢ - الأساس في التفسير - لسعيد حوى: دار السلام - ط٢ (١٤٠٩هـ/١٩٨٩م).

١٣ - الأسامي والكنى - لأحمد بن حنبل أبي عبد الله الشيباني - تحقيق: عبد الله بن يوسف الجديع - مكتبة دار الأقصى - الكويت - ط١ (١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م).

١٤ - أسباب النزول (دراسة جامعة لأقوال الأئمة: القرطبي، وابن كثير، والواحدي - للإمام عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد، أبي الفضل السيوطي، ت: ٩١١هـ - دراسة وتحقيق: حامد أحمد الطاهر - دار الفجر للتراث - ط١ (١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م).

١٥ - أسباب النزول - للإمام علي بن أحمد، أبي الحسن الواحدي، ت: ٤٦٨هـ - تحقيق: أيمن صالح شعبان - دار الحديث - القاهرة - ط(١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م).

١٦ - أسرار ترتيب القرآن - للحافظ أبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي، ت: ٩١١هـ - دراسة وتحقيق: عبد القادر أحمد عطا، ومرزوق علي إبراهيم - دار الفضيلة - القاهرة - [بدون تاريخ طبع].

١٧ - الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير - للشيخ الدكتور: محمد بن محمد أبو شهبة - مكتبة السنة - القاهرة - ط٤ (١٤٠٨).

١٨ - أسماء القبائل وأنسابها - للعلامة السيد مُعِزّ الدين محمد المهدي الحسيني الشهير بالقزويني - شرح وتحقيق: كامل سليمان الجبوري - دار الكتب العلمية - بيروت - ط١ (١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م).

١٩ - الاشتقاق - لأبي بكر محمد الحسن بن دُريد - تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون - دار الجيل - بيروت - ط١ (١٤١١هـ/١٩٩١م).

٢٠ - أضواء على علم القراءات - للدكتور: إسماعيل نواهضة (جامعة القدس) - مجلة الإسراء - العدد ٨ (١٩٩٧م / رمضان - شوال ١٤١٧هـ) ص٣٨ - ٤٢.

٢١ - أطلس القرآن (أماكن - أقوام - أعلام) - للدكتور شوقي أبو خليل: دار الفكر المعاصر - بيروت - ط١ (٢٠٠٠م)، إعادة (١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م).

٢٢ - الإعجاز العلمي في القرآن الكريم - للدكتور عبد السلام اللوح: مكتبة آفاق للطباعة والنشر - غزة - فلسطين - ط٢ (١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م).

٢٣ - إعجاز القرآن والبلاغة النبوية - لمصطفى صادق الرافعي: دار الكتاب العربي - بيروت - ط ٣(٢٠٠٥م /١٤٢٥هـ).

٢٤ - إعراب القراءات السبع وعللها - لأبي الحسين بن أحمد بن خالويه الهمذاني النحوي الشافعي، ت: ٣٧٠هـ - حقّقه وقدّم له: الدكتور عبد الرحمن بن سليمان العثيمين - مكتبة الخانجي - القاهرة - ط١ (١٤١٣ هـ / ١٩٩٢م).

٢٥ - إعراب القرآن الكريم وبيانه - للأستاذ محيي الدين الدرويش: دار اليمامة، دار ابن كثير - دمشق، بيروت - ط٧ (١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢م).

٢٦ - إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم - لأبي عبد الله الحسين بن خالويه: المكتبة الثقافية - بيروت - ط (١٤٠٧هـ ١٩٨٧م).

٢٧ - الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين) لخير الدين الزركلي: دار العلم للملايين - بيروت - ط٥ (١٩٨٠م).

٢٨ - الإقناع في القراءات السبع - للشيخ الإمام أبي جعفر أحمد بن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري المتوفي سنة٥٤٠هـ - حقّقه وعلّق عليه: الشيخ أحمد فريد المزيدي - دار الكتب العلمية - بيروت - ط١ (١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م).

٢٩ - أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير لأبي بكر الجزائري: دار الفكر - بيروت - ط (١٤١٩هـ - ١٩٩٨م).

٣٠ - إنباه الرواة على أنباء النحاة للوزير جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القفطي - تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم - دار الفكر العربي - القاهرة - ط١ (١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م).

٣١ - أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي) - للقاضى ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي - تصحيح: محمد سالم محيسن - مكتبة الجمهورية العربية - مصر.

— ب —

٣٢ - بحر العلوم (تفسير السمرقندي) - لأبي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، ت: ٣٧٥هـ - تحقيق وتعليق: الشيخ علي محمد معوض، وآخرون - دار الكتب العلمية - بيروت - ط١ (١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م).

٣٣ ـ البحر المحيط ـ لأبي حيّان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيّان ـ دراسة وتحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، وآخرون ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط١ (١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م).

٣٤ ـ البداية والنهاية ـ لأبي الفداء الحافظ عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي: دار أبي حيان ـ القاهرة ـ ط١ (١٤١٦هـ / ١٩٩٦م).

٣٥ ـ البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ـ للقاضي العلامة محمد بن علي الشوكاني ـ دار الفكر ـ ط١ (١٤١٩هـ / ١٩٩٨م).

٣٦ ـ البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريق الشاطبية والدرة ـ لعبد الفتاح القاضي: مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ـ ط١(١٣٧٥هـ/١٩٥٥م).

٣٧ ـ البرهان في علوم القرآن ـ للشيخ محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي ـ تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ ط (١٣٩١هـ).

٣٨ ـ بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ـ لمجد الدين محمد يعقوب الفيروز أبادي ـ تحقيق: محمد علي النجار ـ لجنة إحياء التراث الإسلامي ـ ط٢ (١٤٠٦هـ/١٩٨٦م).

٣٩ ـ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ـ لجلال الدين السيوطي ـ تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم: المكتبة العصرية ـ بيروت ـ [بدون تاريخ طبع].

٤٠ ـ بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ـ للدكتور فاضل السامرائي: دار عمار ـ عمّان ـ ط١ (١٤٢٠هـ/١٩٩٩م).

٤١ ـ بيان السبب الموجب لاختلاف القراءات، وكثرة الطرق والروايات ـ لأبي العباس أحمد بن عمّار المهدوي، ت: ٤٤٠هـ: ضمن كتاب: **أربعة كتب في علوم القرآن** ـ للمهدوي ولابن برّي وللصفاقُسي ولمجهول ـ تحقيق الدكتور: حاتم صالح الضامن ـ عالم الكتب ـ بيروت ـ ط١ (١٤١٨هـ / ١٩٩٨م).

ــ ت ــ

٤٢ ـ تاج العروس من جواهر القاموس ـ لمحمد مرتضى الزبيدي ـ منشورات دار مكتبة الحياة ـ بيروت ـ ط١ (١٣٠٦ هـ).

٤٣ ـ التاريخ الكبير ـ لمحمد بن إسماعيل بن إبراهيم أبي عبد الله البخاري الجعفي ـ تحقيق: السيد هاشم الندوي ـ دار الفكر ـ [بدون تاريخ طبع].

٤٤ ـ تاريخ بغداد ـ لأحمد بن علي أبي بكر الخطيب البغدادي: دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ [بدون تاريخ طبع].

٤٥ ـ التأنيث في اللغة العربية ـ لإبراهيم إبراهيم بركات ـ المكتبة العلمية بالمنصورة ـ ط(١٤٠٤هـ/١٩٨٤م).

٤٦ ـ التبيان في تفسير غريب القرآن ـ لشهاب الدين أحمد بن محمد الهائم المصري، ت: ٨١٥ ـ تحقيق: الدكتور فتحي أنور الدابولي ـ دار الصحابة للتراث بطنطا ـ القاهرة ـ ط١ (١٩٩٢م).

٤٧ ـ تحبير التيسير في قراءات الأئمة العشرة ـ للإمام محمد بن محمد بن الجزري ـ تحقيق: جمال الدين محمد شرف ـ دار الصحابة للتراث بطنطا ـ ط(٢٠٠٤م).

٤٨ ـ التحديد في الإتقان والتجويد ـ لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني الأندلسي، ت: ٤٤٤هـ ـ دراسة وتحقيق: الدكتور غانم قدوري حمد ـ مكتبة دار الأنبار ـ العراق ط١ (١٤٠٧هـ /١٩٨٨م).

٤٩ ـ التحرير والتنوير ـ للطاهر بن عاشور: دار سحنون ـ تونس ـ ط (١٩٩٧م).

٥٠ ـ تخريج أحاديث وآثار كتاب: (في ظلال القرآن لسيد قطب) ـ لعلوي السقّاف: دار الهجرة ـ الرياض ـ ط١ (١٤١٢ هـ / ١٩٩١م).

٥١ ـ تذكرة الحفاظ ـ للإمام أبي عبد الله شمس الدين الذهبي، ت: ٧٤٨ هـ ـ صحح عن النسخة القديمة المحفوظة في مكتبة الحرم المكي ـ دار الفكر العربي.

٥٢ ـ تسمية فقهاء الأمصار من أصحاب رسول الله ﷺ ومن بعدهم ـ لأحمد بن شعيب أبي عبد الرحمن النسائي ـ تحقيق: محمود إبراهيم زايد ـ دار الوعي ـ حلب ـ ط١ (١٣٦٩هـ).

٥٣ ـ التعبير القرآني ـ للدكتور فاضل السامرائي: دار عمار ـ عمّان ـ ط١ (١٩٩٨م).

٥٤ ـ تعدد قراءات القرآن وما يتعلق بها ـ لفضيلة الأستاذ الكبير عبد الرحمن الجزيري ـ إعداد الشيخ: علي حامد عبد الرحيم ـ مجلة الأزهر: يصدرها: مجمع البحوث الإسلامية ـ السنة٧٦ ـ جزء ٦ / أغسطس (٢٠٠٣م) ـ ص٨٥٧.

٥٥ ـ التعديل والتجريح، لمن خرّج له البخاري في الجامع الصحيح ـ لسليمان بن خلف بن سعد أبي الوليد الباجي ـ تحقيق: د. أبو لبابة حسين ـ دار اللواء للنشر والتوزيع ـ الرياض ـ ط١ (١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م).

٥٦ ـ تفسير ابن أبي زمنين (وهو مختصر تفسير يحيى بن سلام) ـ لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن أبي زمنين المري، ت: ٣٩٩هـ ـ تحقيق: محمد حسن إسماعيل وأحمد فريد المزيدي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط١(١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م).

٥٧ ـ تفسير ابن عربي ـ للشيخ محيي الدين بن عربي، ت: ٦٣٨هـ ـ دار صادر ـ بيروت ـ ط١ (١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م).

٥٨ ـ تفسير الجلالين ـ لجلال الدين المحلي، وجلال الدين السيوطي ـ دار الحديث ـ القاهرة ـ ط١ [بدون تاريخ طبع].

٥٩ ـ تفسير سفيان الثوري ـ للإمام أبي عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي / ت: ١٦١هـ ـ راجع النسخة وضبط أعلامها لجنة من العلماء بإشراف الناشر ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط١ (١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م).

٦٠ ـ تفسير سورة طه (تفسيراً موضوعيًّا) ـ لمحمد عبد الكريم أحمد الحسن ـ (رسالة ماجستير) إشراف فضيلة الدكتور محمد أبو زور ـ الجامعة الإسلامية ـ (١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م).

٦١ ـ تفسير الشعراوي ـ للشيخ محمد متولي الشعراوي ـ راجع أصله وخرَّج أحاديثه الأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم ـ أخبار اليوم ـ ط (١٤١١هـ/١٩٩١م).

٦٢ ـ التفسير الكامل (وهو تفسير آي القرآن الكريم) ـ لشيخ الإسلام الإمام تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحرَّاني الدمشقي المعروف بابن تيمية، ت: ٧٢٨ ـ جمع ودراسة وتحقيق وتخريج: أبي سعيد عمر بن غرامة العَمروي ـ دار الفكر ـ بيروت ـ ط١ (١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م).

٦٣ ـ التفسير الكبير ـ للإمام العلامة تقيّ الدين بن تيمية، ت ٧٢٨ ـ تحقيق وتعليق: الدكتور عبد الرحمن عميرة ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط١(١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م).

٦٤ ـ التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) ـ للفخر الرازي ـ دار الكتب العلمية ـ طهران ـ ط٢ [بدون تاريخ طبع].

٦٥ ـ تفسير القرآن (اختصار النكت للماوردي) ـ للشيخ الإمام سلطان العلماء عزّ الدين بن عبد السلام السُلمي الدمشقي الشافعي، ت: ٦٦٠ هـ ـ دار ابن حزم ـ بيروت ـ ط١ (١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م).

٦٦ - تفسير القرآن بالقراءات العشر من خلال سور (الفاتحة، البقرة، وآل عمران) - للأستاذ عبد الله علي الملاحي - إشراف الدكتور: مروان أبو راس - الجامعة الإسلامية - ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

٦٧ - تفسير القرآن العظيم - للإمام الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ت ٧٧٤هـ - تحقيق: د. حامد أحمد الطاهر - دار الفجر للتراث - القاهرة - ط١(١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م).

٦٨ - تفسير القرآن الكريم - للدكتور عبد الله شحاتة: دار غريب للطباعة والنشر - القاهرة - [بدون تايخ طبع].

٦٩ - التفسير القرآني للقرآن - لعبد الكريم الخطيب: دار الفكر العربي - [بدون تاريخ طبع].

٧٠ - التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج - للدكتور وهبة الزحيلي: دار الفكر - دمشق - ط ١ (١٩٩١م).

٧١ - تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) - للإمام عبد الله بن أحمد النسفي، ت: ٧١٠ - تحقيق: الشيخ مروان محمد الشعّار - دار النفائس - ط١ (١٤١٦هـ/١٩٩٦م).

٧٢ - التفسير الوسيط للقرآن الكريم - لفضيلة الدكتور محمد السيد طنطاوي الأستاذ بكلية أصول الدين جامعة الأزهر: مطبعة السعادة - ط (١٤٠٥٥هـ/ ١٩٨٥م).

٧٣ - التفسير الوسيط - للأستاذ الدكتور وهبة الزحيلي: دار الفكر المعاصر - بيروت - ط١ (١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م).

٧٤ - تقريب التهذيب - لأحمد بن علي بن حجر أبي الفضل العسقلاني الشافعي - تحقيق: محمد عوامة - دار الرشيد - سورية - ط١ (١٤٠٦هـ/١٩٨٦م).

٧٥ - تهذيب الآثار (الجزء المفقود) - لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ت: ٣١٠هـ - تحقيق: علي رضا بن عبد الله بن علي رضا - دار المأمون للتراث - دمشق - ط١(١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م).

٧٦ - تهذيب التهذيب - لأحمد بن علي بن حجر أبي الفضل العسقلاني الشافعي: دار الفكر - بيروت - ط١(١٤٠٤هـ/١٩٨٤م).

٧٧ - تهذيب الكمال - ليوسف بن الزكي عبد الرحمن أبي الحجاج المزي - تحقيق: د. بشار عواد معروف - مؤسسة الرسالة - بيروت - ط١ (١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م).

٧٨ ـ التوجيه اللغوي لقراءة عاصم ـ للدكتور صبري المتولّي ـ أجازه الأستاذ الدكتور شوقي ضيف ـ دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ـ القاهرة ـ ط (١٤١٨هـ / ١٩٩٨ م).

٧٩ ـ التوقيف على مهمّات التعاريف (معجم لغوي اصطلاحي) ـ لمحمد عبد الرؤوف المناوي ـ تحقيق: الدكتور محمد رضوان الداية ـ دار الفكر ـ دمشق ـ ط ١ (١٩٩٠م)، إعادة: (١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م).

٨٠ ـ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (تفسير السعدي) ـ لعبد الرحمن بن ناصر بن السعدي ـ تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق ـ مؤسسة الرسالة ـ ط (١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م).

ـ ث ـ

٨١ ـ الثقات ـ لمحمد بن حبان بن أحمد أبي حاتم التميمي البستي ـ تحقيق: السيد شرف الدين أحمد ـ دار الفكر ـ بيروت ـ ط١(١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م).

ـ ج ـ

٨٢ ـ جامع البيان عن تأويل آي القرآن ـ لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ت: ٣١٠هـ ـ قدّم له: الشيخ خليل الميس ـ ضبط وتوثيق وتخريج: صدقي جميل العطار ـ دار الفكر ـ بيروت ـ ط١ (١٤٢١ هـ/ ٢٠٠١م).

٨٣ ـ جامع الصحيح المختصر ـ للإمام محمد بن إسماعيل أبي عبد الله البخاري الجعفي ـ تحقيق: د. مصطفى ديب البغا ـ دار ابن كثير، اليمامة ـ بيروت ـ ط٣ (١٤٠٧هـ/١٩٨٧م).

٨٤ ـ الجامع الصحيح سنن الترمذي ـ لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي السلمي ـ تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

٨٥ ـ الجامع لأحكام القرآن ـ لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي: دار الريان للتراث ـ القاهرة ـ [بدون تاريخ طبع].

٨٦ ـ الجرح والتعديل ـ لعبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس أبي محمد الرازي التميمي: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ ط١ (١٢٧١هـ/١٩٥٢م).

٨٧ ـ الجواهر الحسان في تفسير القرآن ـ للإمام العلامة الشيخ سيدي عبد الرحمن الثعالبي ـ حققه وخرّج أحاديثه ووثّق أصوله أبو محمد الغُماري الإدريسي الحسني ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط١ (١٤١٦هـ / ١٩٩٦م).

٨٨ ـ الجوهر المصون في رواية قالون ـ للعالم العلاّمة المُحقق السيِّد هادي بن حسن بن عبد الرحمن ابن حسن السَّقَّافِ العَلَويّ (١٢٦٦ ـ ١٣٢٩هـ) ـ دار الحاوي للطباعة والنشر والتوزيع ـ ط١ (١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م).

ـ ح ـ

٨٩ ـ حاشية الشهاب المسماة: عناية القاضي وكفاية الراضي ـ للقاضي شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المتوفي سنة ١٠٩٦هـ على تفسير البيضاوي الإمام أبي سعيد ناصر عبد الله بن عمر بن محمد المتوفي سنة ٦٩١هـ ـ ضبطه وخرّج آياته وأحاديثه: الشيخ عبد الرزاق المهدي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط١ (١٤١٧هـ / ١٩٩٧م).

٩٠ ـ حاشية القونوي على تفسير البيضاوي ـ لعصام الدين إسماعيل بن محمد الحنفي، ومعه حاشية ابن التمجيد ـ ضبطه وصحّحه وخرّج آياته: عبد الله محمود محمد عمر ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط١ (١٤٢٢هـ/٢٠٠١م).

٩١ ـ حجة القراءات ـ لعبد الرحمن بن محمد بن زنجلة، أبي زرعة ـ تحقيق: سعيد الأفغاني ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ط٢ (١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م)

٩٢ ـ الحجة للقراء السبعة (أئمة الأمصار بالحجاز والعراق والشام الذين ذكرهم أبو بكر بن مجاهد) لأبي علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي، ت: ٣٧٧هـ ـ حقّقه: بدر الدين قهوجي، وبشير جويجاتي ـ راجعه ودقّقه: عبد العزيز رباح، وأحمد يوسف الدقاق ـ دار المأمون للتراث ـ ط١ (١٤١٣هـ/١٩٩٢ م).

٩٣ ـ الحجة في القراءات السبع ـ للإمام ابن خالويه ـ تحقيق وشرح: الدكتور عبد العال سالم مكرم ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ط٦ (١٤١٧هـ / ١٩٩٦م).

٩٤ ـ حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ـ للحافظ جلال الدين السيوطي ـ تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ـ دار إحياء الكتب العربية ـ (١٣٨٧هـ /١٩٦٧م).

٩٥ ـ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ـ لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني: دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ ط ٤ (١٤٠٥هـ).

٩٦ ـ حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر ـ للشيخ عبد الرزاق البيطار ـ تحقيق: محمد البيطار ـ دار صادر ـ بيروت ـ ط٢ (١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م).

— خ —

٩٧ ـ الخصائص ـ لأبي الفتح عثمان بن جني ـ تحقيق: محمد علي النجار ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط١ (١٤١٢هـ).

— د —

٩٨ ـ دراسات في فقه اللغة ـ للدكتور صبحي الصالح: دار العلم للملايين بيروت ـ ط٩ (١٩٨١م).
٩٩ ـ دراسة الصوت اللغوي ـ للدكتور: أحمد مختار عمر: عالم الكتب ـ القاهرة ـ ط٢ (١٩٨١م).
١٠٠ ـ الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ـ لشيخ الإسلام شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن أحمد الشهير بابن حجر العسقلاني، ت: ٨٥٢هـ: دار الجيل ـ بيروت ـ [بدون تاريخ طبع].
١٠١ ـ الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ـ للإمام شهاب الدين أبي العباس بن يوسف بن محمد بن إبراهيم المعروف بالسمين الحلبي ـ تحقيق وتعليق: الشيخ علي محمد معوض وآخرين ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط١(١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م).
١٠٢ ـ الدر المنثور في التفسير بالمأثور ـ لعبد الرحمن بن الكمال، جلال الدين السيوطي ـ دار الفكر ـ بيروت ـ ط (١٩٩٣م).
١٠٣ ـ دقائق التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن تيميّة ـ للدكتور محمد السيد الجليند: مؤسسة علوم القرآن ـ بيروت ـ ط٣ (١٤٠٦هـ /١٩٨٦ م).
١٠٤ ـ دقائق لغة القرآن في تفسير ابن جرير الطبري ـ جمع وتصنيف وتحقيق: الدكتور: عبد الرحمن عميرة ـ عالم الكتب ـ ط١ ١٤١٣هـ /١٩٩٢م.
١٠٥ ـ دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم ـ للدكتور خالد قاسم بن دومي: عالم الكتب الحديث ـ إربد ـ الأردن ـ ط١(٢٠٠٦م).
١٠٦ ـ ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب: دار المعارف ـ القاهرة ـ ط٣ [بدون تاريخ طبع].

— ر —

١٠٧ ـ روح البيان في تفسير القرآن ـ للإمام الشيخ إسماعيل بن مصطفى الحنفي الخَلْوَتي البروسوي، ت: ١١٢٧هـ ـ ضبطه وصحّحه وخرّج آياته: عبد اللطيف حسن عبد الرحمن ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط١ (١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م).

١٠٨ ـ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ـ للعلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي ت: ١٢٧هـ ـ قرأه وصحّحه: محمد حسين العرب ـ دار الفكر ـ بيروت.

١٠٩ ـ الريح والرياح في القرآن الكريم وفي كلام العرب ـ بحث للأستاذ الدكتور: علي محمد حسن العماري ـ رئيس التحرير: الدكتور: علي أحمد الخطيب ـ الأزهر ـ ط (١٤١٧هـ).

— ز —

١١٠ ـ زاد المسير في علم التفسير ـ للحافظ الإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، ت: ٥٩٧ ـ تحقيق: عبد الرزاق المهدي ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ ط١ (١٤٢٢هـ/٢٠٠١م).

١١١ ـ زهرة التفاسير ـ للإمام الجليل محمد أبي زهرة، ت: ١٣٩٤هـ: دار الفكر العربي ـ القاهرة [بدون تاريخ طبع].

— س —

١١٢ ـ السراج المنير (تفسير القرآن الكريم) ـ للإمام الشيخ خطيب الشربيني: دار المعرفة ـ بيروت ـ ط٢ [بدون تاريخ طبع].

١١٣ ـ سراج القارئ المبتدئ وتذكار القارئ المُنتهي للإمام أبي القاسم علي بن عثمان بن الحسن القاصِح العذري البغدادي ـ إشراف: مكتب البحوث والدراسات ـ دار الفكر ـ بيروت ـ ط (١٤١٥هـ / ١٩٩٥م).

١١٤ ـ سلامة الحرف من الزيادة والحذف ـ للدكتور حسن فضل عباس ـ مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية ـ جامعة الكويت ـ السنة الرابعة ـ العدد التاسع (١٤٠٨هـ/ ديسمبر ١٩٨٧م) ص ٣١.

١١٥ ـ سنن أبي داوود ـ لسليمان بن الأشعث أبي داوود السجستاني الأزدي: دار الفكر ـ تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ـ مع الكتاب تعليقات كمال يوسف الحوت ـ والأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها.

١١٦ ـ سنن النسائي الكبرى ـ لأحمد بن شعيب أبي عبد الرحمن النسائي ـ تحقيق: دكتور: عبد الغفار سليمان البنداري وسيد كسروي حسن ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط١ (١٤١١هـ/ ١٩٩١م).

١١٧ ـ سير أعلام النبلاء ـ لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ـ تحقيق: شعيب الأرناؤوط ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ط٩ (١٤١٣هـ).

ـ ش ـ

١١٨ ـ شاهد القراءات القرآنية عند السيوطي وعلماء اللغة القدامى ـ للدكتور يحيى القاسم ـ مجلة مؤتة للبحوث والدراسات، السلسلة أ: العلوم الإنسانية والاجتماعية (موضوع العدد: اللغة العربية) مجلة علمية محكمة ومفهرسة تصدر عن عمادة البحث العلمي والدراسات العليا ـ جامعة مؤتة / الأردن ـ (رجب ١٤١٤هـ/ كانون أول ١٩٩٣م) ـ المجلد ٨/ العدد٦/ ص١٦٤.

١١٩ ـ شبهات حول القراءات القرآنية ـ للدكتور: فضل عباس ـ مجلة دراسات: (العلوم الإنسانية: مجلة متخصصة ومحكّمة تصدر عن الجامعة الأردنية) ـ مجلد ١٥ ـ عدد٣ ـ رجب (١٤٠٨هـ) ـ ص ١٣٧ ـ ١٣٨.

١٢٠ ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب ـ للمؤرخ الفقيه الأديب أبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي، المتوفي سنة ١٠٨٩هـ ـ دار الفكر. [بدون تاريخ طبع].

١٢١ ـ شرح ابن عقيل ـ لقاضي القضاة بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي المصري الهمداني، ت: ٧٦٩هـ على ألفية الإمام إبي عبد الله محمد جمال الدين بن مالك، ت: ٦٧٢هـ ـ دار الفكر ـ ط (١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م).

١٢٢ ـ شرح التصريح على التوضيح ـ للشيخ العلامة خالد بن عبد الله الأزهري على ألفية ابن مالك في النحو للشيخ الإمام العلامة جمال الدين أبي محمد بن عبد الله بن يوسف ابن هشام الأنصاري: دار إحياء الكتب العربية [بدون تاريخ طبع].

١٢٣ ـ شرح الرضي على الكافية ـ تصحيح وتعليق: يوسف حسن عمر ـ جامعة قاريونس ـ ط (١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م).

١٢٤ ـ شرح المفصل ـ لموفق الدين يعيش بن علي بن يعيش النحوي، ت: ٦٤٣هـ ـ عالم الكتب ـ بيروت ـ [بدون تاريخ طبع].

١٢٥ ـ شرح ديوان الفرزدق ـ لإيليا الحاوي: دار الكتاب اللبناني ـ بيروت ـ ط١ (١٩٨٣م).

١٢٦ ـ الشعراوي . . . أنا من سلالة البيت ـ لسعيد أبي العينين ـ دار أخبار اليوم ـ ط٥.

١٢٧ ـ الشيخ كشك في رحاب الوفاء والرثاء ـ لمحمد عبد الله السمان ـ مكتبة الصحافة للطباعة والنشر.

ـ ص ـ

١٢٨ ـ صحيح ابن حبّان بترتيب ابن بلبان ـ لمحمد بن حبان بن أحمد، أبو حاتم التميمي البستي ـ تحقيق: شعيب الأرنؤوط ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ط٢ (١٤١٤هـ / ١٩٩٣م).

١٢٩ ـ صحيح الترغيب والترهيب ـ لمحمد ناصر الدين الألباني: مكتبة المعارف ـ الرياض ـ ط٥ [بدون تاريخ طبع].

١٣٠ ـ صحيح مسلم ـ للإمام مسلم بن الحجاج أبي الحسين القشيري النيسابوري ـ تحقيق وتعليق: محمد فؤاد عبد الباقي ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت [بدون تاريخ طبع].

١٣١ ـ صفوة التفاسير ـ للشيخ محمد علي الصابوني: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ ط١(١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م).

١٣٢ ـ صور من سور القرآن الكريم ـ لعبد الكريم خلف الحمصي ـ سوريا ـ (١٩٥٠م).

ـ ض ـ

١٣٣ ـ الضعفاء الكبير ـ لأبي جعفر محمد بن عمر بن موسى العقيلي ـ تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي ـ دار المكتبة العلمية ـ بيروت ـ ط١ (١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤م).

ـ ط ـ

١٣٤ ـ طبقات الشافعية الكبرى ـ لتاج الدين أبي نصر عبد الوهاب السبكي ـ تحقيق: محمود محمد الطناجي، وعبد الفتاح الحلو ـ دار إحياء الكتب العربية.

١٣٥ ـ الطبقات الكبرى ـ لمحمد بن سعد بن منيع أبي عبد الله البصري الزهري: دار صادر ـ بيروت [بدون تاريخ طبع].

١٣٦ ـ طبقات المدلسين ـ لأحمد بن علي بن حجر أبي الفضل العسقلاني الشافعي ـ تحقيق: د. عاصم بن عبد الله القريوتي ـ مكتبة المنار ـ عمان ـ ط١(١٤٠٣ هـ/١٩٨٣م).

١٣٧ ـ طبقات المفسرين ـ لأحمد بن محمد الأدنروي ـ تحقيق: سليمان بن صالح الخزي ـ مكتبة العلوم والحكم ـ المدينة المنورة ـ ط١ (١٩٩٧م).

١٣٨ ـ طبقات المفسرين ـ للحافظ شمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداوودي، ت ٩٤٥ ـ تحقيق: علي محمد عمر ـ مكتبة وهبة ـ القاهرة ـ ط٢(١٤١٥هـ / ١٩٩٤م).

١٣٩ ـ طبقات المفسرين ـ لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ـ تحقيق: علي محمد عمر ـ [مجلد واحد] ـ مكتبة وهبة ـ القاهرة ـ ط ١ (١٣٩٦هـ).

١٤٠ ـ طبقات النحويين واللغويين ـ لأبي بكر محمد بن الحسين الزبيدي الأندلسي ـ تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ـ دار المعارف بمصر ـ [بدون تاريخ طبع].

١٤١ ـ طلائع البشر في توجيه القراءات العشر ـ لمحمد الصادق قمحاوي ـ مكتبة العلم والإيمان ـ ط١ [بدون تاريخ طبع].

ـ ع ـ

١٤٢ ـ عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي ـ للإمام الحافظ ابن العربي المالكي، ت: ٥٤٣هـ: دار العلم للجميع ـ [بدون تاريخ طبع].

١٤٣ ـ علم القراءات (نشأته ـ أطواره ـ أثره في العلوم الشرعية) ـ للدكتور نبيل بن محمد إبراهيم آل إسماعيل ـ تقديم: سماحة مفتي عام المملكة العربية السعودية الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ ـ مكتبة التوبة ـ الرياض ـ ط١ (١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م).

١٤٤ ـ العين ـ لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي ـ تحقيق: الدكتور إبراهيم السامرّائي ـ مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت ـ ط١ (١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨م).

ـ غ ـ

١٤٥ ـ غاية النهاية في طبقات القرّاء ـ للإمام شمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن الجزري ـ عني بنشره: ح. برجستراسر ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط١(١٣٥٢هـ / ١٩٣٣م).

١٤٦ ـ غرائب القرآن ورغائب الفرقان على مصحف التهجد ـ للإمام نظام الدين الحسن بن محمد بن الحسين القمي النيسابوري، ت: ٧٢٨ هـ ـ ط١ (١٤١٦هـ / ١٩٩٥م).

١٤٧ ـ غريب الحديث ـ لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي ـ تحقيق: محمد عبد المعيد خان ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ ط١(١٣٩٦م).

١٤٨ ـ غريب القرآن وتفسيره ـ لأبي عبد الرحمن، عبد الله بن يحيى بن المبارك الزيدي المتوفي سنة ٢٣٧هـ ـ حقّقه وعلّق عليه: محمد سليم الحاج ـ عالم الكتب ـ بيروت ـ ط١ (١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م).

١٤٩ ـ غيث النفع في القراءات السبع لعلي النّوري الصفاقسي: دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط١(١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م).

ـ ف ـ

١٥٠ ـ فتح الباري شرح صحيح البخاري ـ لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي: دار المعرفة ـ بيروت ـ ط (١٣٧٩هـ).

١٥١ ـ فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير [مجلد واحد] ـ للإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني: دار ابن حزم ـ ط١ (١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م).

١٥٢ ـ الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية ـ لسليمان بن عمر العجيلي الشافعي الشهير بالجمل، ت: ١٢٠٤هـ: مطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر ـ [بدون تاريخ طبع].

١٥٣ ـ الفريد في إعراب القرآن المجيد (إعراب، تفسير، قراءات) ـ للمنتجب حسين ابن أبي العز الهمذاني، ت: ٦٤٣هـ ـ تحقيق: الدكتور فهمي حسين النمر، والدكتور فؤاد علي مخيمر ـ دار الثقافة ـ الدوحة [بدون تاريخ طبع].

١٥٤ ـ فريدة الدهر في تأصيل وجمع القراءات العشر ـ للفقير محمد إبراهيم محمد سالم (تحريراً وجمعاً): [بدون ناشر] ـ ط (١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م).

١٥٥ ـ فضائل القرآن ومعالمه وآدابه ـ لأبي عبيد القاسم بن سلام ـ تحقيق: أحمد عبد الواحد الخياطي ـ مطبعة فضالة ـ المغرب ـ ط (١٤١٥ هـ/١٩٩٥م).

١٥٦ ـ فنون الأفنان في عيون علوم القرآن ـ لأبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي، ت: ٥٩٧هـ ـ تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط١ (١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م).

١٥٧ ـ فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات ـ لعبد الحي بن عبد الكبير الكتاني: دار المغرب الإسلامي ـ بيروت ـ ط٢ (١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م).

١٥٨ ـ الفوائد ـ لتمام بن محمد الرازي، أبي القاسم ـ تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي ـ مكتبة الرشد ـ الرياض ـ ط١ (١٤١٢هـ).

١٥٩ ـ في رحاب التفسير ـ للشيخ عبد الحميد كشك: المكتب المصري الحديث ـ [بدون تاريخ طبع].

١٦٠ ـ في ظلال القرآن ـ لسيد قطب: دار الشروق ـ بيروت ـ ط٩(١٤٠٠هـ/١٩٨٠م).

١٦١ ـ في قراءات القرآن ـ لعبد الحليم النجار: مجلة كلية الآداب ـ جامعة القاهرة ـ مطبعة جامعة فؤاد الأول ـ مايو(١٩٤٨م) ـ مجلد ١٥ ـ رقم العدد ١ ـ ص١٢٢.

١٦٢ ـ في هامش القرآن الكريم: القراءات العشر المتواترة ـ فكرة وتنفيذ: علوي بن محمد بن أحمد بلفقيه ـ إشراف محمد كريم راجح، شيخ الإقراء في الديار الشامية ـ دار المهاجر للنشر والتوزيع ـ ط٤ (١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م).

— ق —

١٦٣ ـ القاموس المحيط ـ للعلامة اللغوي مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، ت: ٨١٧هـ ـ تحقيق: مكتب التراث في مؤسسة الرسالة ـ مؤسسة الرسالة ـ ط١ (١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م).

١٦٤ ـ قبض العلماء ـ لطارق ديلواني ـ مجلة المنبر الإسلامية ـ مجلة فلسطينية ـ عدد ٢٥ / ص ٣٩.

١٦٥ ـ القراءات (أحكامها ومصدرها) ـ لشعبان محمد إسماعيل: مطبوعات رابطة العالم الإسلامي ـ جدة ـ السنة الثانية ـ ١٤٠٢هـ ـ العدد ١٩.

١٦٦ ـ القراءات القرآنية (تاريخ وتعريف) ـ لعبد الهادي الفضلي: دار القلم ـ بيروت ـ ط٣ (١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م).

١٦٧ ـ القراءات القرآنية ـ للدكتور: أحمد محمد القضاة ـ مجلة الآفاق (جامعة الزرقاء ـ الأردن) ـ سنة١/ ربيع ثان (١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م) ـ عدد١ ـ ص ٤١.

١٦٨ ـ القراءات القرآنية (تاريخها. ثبوتها. حجيتها. وأحكامها) لعبد الحليم بن محمد الهادي قابه ـ إشراف ومراجعة وتقديم: الأستاذ الدكتور مصطفى سعيد الخن ـ دار الغرب الإسلامي ـ بيروت ـ ط١(١٩٩٩م).

١٦٩ ـ القراءات القرآنية (في ضوء علم اللغة الحديث) ـ للدكتور عبد الصبور شاهين: مكتبة الخانجي ـ القاهرة ـ التقديم بتاريخ: نوفمبر (١٩٦٦هـ).

١٧٠ ـ القراءات القرآنية من الوجهة البلاغية للدكتور: فضل حسن عباس، مجلة دراسات، المجلد الرابع عشر، العدد السابع (١٩٨٧م).

١٧١ ـ القراءات وأثرها في التفسير والأحكام (رسالة دكتوراة) ـ لمحمد بن عمر بن سالم بازمول ـ إشراف: فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور عبد السّتّار فتح الله سعيد ـ جامعة أم القرَى (١٤١٢هـ) ـ دار الهجرة لنشر والتوزيع ـ الرياض ـ ط١ (١٤١٧هـ / ١٩٩٦م).

١٧٢ ـ القراءات القرآنية وأثرها في الدراسات النحوية ـ لعبد العال سالم مكرم: مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ط٣ (١٤١٧هـ ١٩٩٦م).

١٧٣ ـ القراءات وأثرها في علوم العربية ـ للدكتور محمد سالم محيسن ـ دار الجيل ـ بيروت ـ ط١ (١٤١٨هـ /١٩٩٨م).

١٧٤ ـ القراءات القرآنية من الوجهة البلاغية ـ للدكتور فضل حسن عباس: مجلة دراسات ـ المجلد الرابع عشر ـ العدد السابع (١٩٨٧م).

١٧٥ ـ القراءات القرآنية وموقف النحو والاستشراق منها ـ لراضي نواصرة: مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع ـ إربد ـ الأردن ـ ط (٢٠٠٣م).

١٧٦ ـ القواعد والإشارات في أصول القراءات ـ لأحمد بن عمر بن محمد بن أبي الرضا الحموي أبو العباس ـ تحقيق: د. عبد الكريم محمد الحسن بكار ـ دار القلم ـ دمشق ـ ط١ (١٤٠٦هـ).

ـ ك ـ

١٧٧ ـ الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة ـ لمحمد بن أحمد أبي عبد الله الذهبي الدمشقي ـ تحقيق: محمد عوامة ـ دار القبلة للثقافة الإسلامية ـ جدة ـ ط١ (١٤١٣هـ/١٩٩٢م).

١٧٨ ـ كتاب سيبويه ـ لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ـ تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون ـ عالم الكتب ـ بيروت [بدون تاريخ طبع].

١٧٩ ـ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ـ لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، ت: ٥٣٨هـ: دار الفكر ـ.

١٨٠ ـ الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها ـ لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي، ت: ٤٣٧هـ ـ تحقيق: الدكتور محيي الدين رمضان ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ط٣ (١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤م)، و ط٥(١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م).

١٨١ ـ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ـ لإسماعيل باشا البغدادي الشهير بالقسطنطيني ـ دار الفكر ـ بيروت ـ ط (١٤١٤هـ).

١٨٢ ـ الكليّات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية) ـ لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكَفوي، ت: ١٠٩٤هـ ـ قابله على نسخة خطيّة، وأعدَّه للطبع ووضع فهارسه: الدكتور عدنان درويش، ومحمد المصري ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ط٢ (١٤١٣هـ / ١٩٩٣م).

١٨٣ ـ كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ـ لعلي بن حسام الدين المتقي الهندي ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ط (١٩٨٩م).

١٨٤ ـ الكواكب الدرية في نزول القرآن على سبعة أحرف ـ لمحمد بن علي بن خلف الحسيني المالكي الأزهري المعروف بالحداد، ت: ١٣٥٧هـ: [يلي كتاب التجديد في الإتقان والتجويد ـ لأحمد محمود عبد السميع الحفيان] ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط١ (١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م).

١٨٥ ـ الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة ـ للشيخ نجم الدين الغزي: دار الفكر.

ـ ل ـ

١٨٦ ـ لباب النقول في أسباب النزول ـ لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ـ دار إحياء العلوم ـ بيروت.

١٨٧ ـ اللباب في تهذيب الأنساب ـ للإمام عزّ الدين بن الحسين علي بن محمد بن محمد بن الأثير، ت: ٦٣٠ هـ ـ تحقيق: الدكتور مصطفى عبد الواحد ـ مطبعة دار التأليف ـ مصر ـ [بدون تاريخ طبع].

١٨٨ ـ لب الألباب في تحرير الأنساب ـ لجلال الدين السيوطي ـ تحقيق: محمد أحمد عبد العزيز ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط١ (١٤١١هـ / ١٩٩١م).

١٨٩ ـ لسان العرب للإمام العلامة جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم ابن منظور الأنصاري الإفريقي المصري ـ حققه وعلق عليه ووضع حواشيه: عامر أحمد حيدر ـ راجعه: عبد المنعم خليل إبراهيم ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط ١ (٢٠٠٢م/ ١٤٢٤هـ).

١٩٠ ـ اللغات في القرآن (رواية ابن سحنون المقرئ المصري بإسناده إلى ابن عباس ـ ﷺ ـ تقديم وتحقيق وتعليق: دكتور توفيق محمد شاهين: مكتبة وهبة ـ ط١ (١٤١٥هـ / ١٩٩٥م).

ـ م ـ

١٩١ ـ ما انفرد به كل من القرّاء السبعة وتوجيهه في النحو العربي ـ للدكتور عبد القادر الهَيْتي: منشورات دار قان يونس ـ بنغازي ـ ط١ (١٩٩٦م).

١٩٢ ـ مباحث في علوم القرآن ـ لمناع القطان: مكتبة المعارف ـ الرياض ـ ط٣(١٤٢١هـ/٢٠٠٠م).

١٩٣ ـ المبصر لنور القرآن ـ لنائلة هاشم صبري: مطبعة الرسالة المقدسية ـ القدس ـ ط١ (١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م).

١٩٤ ـ مجاز القرآن ـ لأبي عبيدة معمر بن المثنى التَّيمي المتوفى سنة ٢١٠هـ ـ عارضه بأصوله وعلّق عليه: الدكتور محمد فؤاد سزكين ـ مكتبة الخانجي بمصر ـ [بدون تاريخ طبع].

١٩٥ ـ المجتبى من السنن ـ لأحمد بن شعيب أبي عبد الرحمن النسائي ـ تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة ـ مكتبة المطبوعات الإسلامية ـ حلب ـ ط٢ (١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م).

١٩٦ ـ مجلة دراسات (القراءات القرآنية من الوجهة البلاغية) ـ للدكتور: فضل حسن عباس: المجلد الرابع عشر ـ العدد السابع (١٩٨٧م).

١٩٧ ـ مجلة دراسات، العلوم الإنسانية والاجتماعية (ظاهرة المد والياء: فتحها وحذفها في قراءة «ورش عن نافع» دراسة فونولوجية تحليلية وصفية) ـ للباحثة: إيمان «محمد أمين» خضر الكيلاني: المجلد الواحد والثلاثون ـ العدد الثالث (٢٠٠٤م).

١٩٨ ـ مجمع البيان في تفسير القرآن بالقرآن ـ للفضل بن الحسن الطبرسي: منشورات دار مكتبة الحياة ـ بيروت ـ [بدون تاريخ طبع].

١٩٩ ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ـ لنور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ـ دار الفكر ـ بيروت ـ ط (١٤١٢هـ).

٢٠٠ ـ مجمل اللغة ـ لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا اللغوي، ت: ٣٩٥هـ ـ دراسة وتحقيق: زهير بن المحسن سلطان ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ط٢ (١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م).

٢٠١ ـ المحتسب في تبيين شواذ القراءات والإيضاح عنها ـ لابن جني ـ تحقيق: علي النجدي ناصف، ود.عبد الفتاح شلبي ـ القاهرة [بدون ناشر] ـ ط (١٣٨٩هـ/١٩٦٩م).

٢٠٢ ـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ـ للقاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، ت: ٥٤٦ ـ تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط ١ (١٤١٣هـ / ١٩٩٣ م).

٢٠٣ ـ مختار الصحاح ـ لمحمد بن أبي بكر الرازي ـ تحقيق: محمود خاطر ـ مكتبة لبنان ـ بيروت ـ ط (١٤١٥ هـ/١٩٩٥م).

٢٠٤ ـ مختصر ابن كثير ـ لمحمد علي الصابوني: دار الصابوني ـ مدينة نصر ـ الطبعة السابعة [بدون تاريخ طبع].

٢٠٥ ـ المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز لشهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المعروف بأبي شامة المقدسي ـ تحقيق: طيار آلتي قولاج ـ دار صادر ـ بيروت ـ ط (١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م).

٢٠٦ ـ المزهر في علوم اللغة وأنواعها ـ لجلال الدين السيوطي ـ تحقيق: فؤاد علي منصور ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط١ (١٩٩٨هـ).

٢٠٧ ـ المستدرك على الصحيحين ـ لمحمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري ـ تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط١(١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م).

٢٠٨ ـ المستنير في تخريج القراءات المتواترة من حيث اللغة، الإعراب، التفسير ـ للدكتور محمد سالم محيسن: دار الجيل ـ بيروت ـ ط١ (١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م).

٢٠٩ ـ مسند أبي يعلي ـ لأحمد بن علي بن المثنى، أبو يعلي الموصلي ـ تحقيق: حسين سليم أسد ـ دار المأمون للتراث ـ دمشق ـ ط١ (١٤٠٤ هـ/١٩٨٤م).

٢١٠ ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل ـ للإمام أحمد بن حنبل أبي عبد الله الشيباني: الأحاديث مذيلة بأحكام شعيب الأرنؤوط عليها ـ مؤسسة قرطبة ـ القاهرة [بدون تاريخ طبع].

٢١١ ـ المسند الصحيح من أسباب النزول ـ لأبي عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي: دار ابن حزم ـ بيروت ـ ط٢ (١٤١٥هـ / ١٩٩٤م).

٢١٢ ـ المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ـ لأحمد بن محمد بن علي الفيومي ـ المكتبة العلمية بيروت ـ [بدون تاريخ طبع].

٢١٣ ـ المصنف الحديث في أسباب النزول ـ لعبد الله إسماعيل عمّار إمام وخطيب مسجد النور بالبريج: إعداداً وتحقيقاً ـ مكتبة آفاق للطباعة والنشر ـ غزة ـ فلسطين ـ ط١ (١٤١٩هـ / ١٩٩٩م).

٢١٤ ـ المصنف في الأحاديث والآثار ـ لأبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي ـ تحقيق: كمال يوسف الحوت ـ مكتبةالرشد ـ الرياض ـ ط ١ (١٤٠٩هـ).

٢١٥ ـ مشاهير علماء الأمصار ـ لمحمد بن حبان بن أحمد أبي حاتم التميمي البستي ـ تحقيق: م.فلايشهمر ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط (١٩٥٩هـ).

٢١٦ ـ المصباح المنير ـ للعلامة أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقرئ: دار الحديث ـ القاهرة ـ ط١ (١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م).

٢١٧ ـ معالم التنزيل في التفسير والتأويل ـ للإمام أبي محمد الحسين بن مسعود البَغَوي، ت: ٥١٦هـ ـ تحقيق: محمد عبد الله النمر، وآخرون ـ دار طيبة للنشر والتوزيع ط٤ (١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م).

وبنفس الترقيم طبعة أخرى: دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ (١٤١٤هـ/١٩٩٣م).

٢١٨ ـ معاني الأبنية في العربية ـ للدكتور فاضل صالح السامرّائي: المكتبة الوطنية ـ بغداد ـ ط١ (١٤٠١هـ / ١٩٨١م).

٢١٩ ـ معاني القراءات ـ لأبي منصور الأزهري محمد بن أحمد المتوفى ٣٧٠هـ ـ تحقيق ودراسة: عيد مصطفى درويش، وعوض بن حمد القَوزي ـ ط١(١٤١٤هـ /١٩٩٣م).

٢٢٠ ـ معاني القرآن ـ للأخفش سعيد بن مَسْعَدة البَلخي المجاشعي ـ دراسة وتحقيق: الدكتور عبد الأمير محمد أمين الورد ـ عالم الكتب ـ بيروت ـ ط١ (١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م).

٢٢١ ـ معاني القرآن ـ لأبي جعفر النحاس ـ تحقيق: الدكتور يحيى مراد ـ دار الحديث ـ القاهرة ـ ط (١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م).

٢٢٢ ـ معاني القرآن ـ لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء، ت: ٢٠٧هـ ـ عالم الكتب ـ بيروت ـ ط٣ (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م).

٢٢٣ ـ معترك الأقران في إعجاز القرآن ـ للحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ـ تحقيق: علي محمد البجاوي ـ دار الفكر العربي [بدون تاريخ طبع].

٢٢٤ ـ معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة ٢٠٠٢م ـ للشيخ كامل سلمان الجبوري: دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط١ (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م).

٢٢٥ ـ المعجم الأوسط ـ لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ـ تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني ـ دار الحرمين ـ القاهرة ـ ط (١٤١٥هـ).

٢٢٦ ـ معجم البلدان ـ لياقوت الحموي ـ تحقيق: فريد عبد العزيز الجندي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط١ (١٤١٠هـ).

٢٢٧ ـ معجم تفسير مفردات ألفاظ القرآن ـ لسميح عاطف الزين ـ الدار الأفريقية العربية ـ لبنان ـ ط (١٤٢٢هـ/٢٠٠١م).

٢٢٨ ـ معجم الشعراء المخضرمين والأمويين ـ للدكتورة عزيزة فوال بابتي ـ دار صادر ـ بيروت ـ ط١ (١٩٩٨م).

٢٢٩ ـ المعجم الكبير ـ لسليمان بن أحمد بن أيوب، أبي القاسم الطبراني ـ تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي ـ مكتبة العلوم والحكم ـ الموصل ـ ط ٢ (١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م).

٢٣٠ ـ معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ـ لعبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي ـ تحقيق: مصطفى السقا ـ عالم الكتب ـ بيروت ـ ط٣ (١٤٠٣هـ).

٢٣١ ـ المعجم المفصّل في تفسير غريب القرآن الكريم ـ للدكتور: محمد ألتونجي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط١ (١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م).

٢٣٢ ـ معجم المؤلفين (تراجم مُصَنِّفي الكتب العربية) ـ لعمر رضا كحالة ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ [بدون تاريخ طبع].

٢٣٣ ـ المعجم الوسيط ـ قام بإخراجه: إبراهيم مصطفى وآخرون: المكتبة الإسلامية ـ تركيا ـ ط٢(١٩٧٢م).

٢٣٤ ـ معرفة القرّاء الكبار على الطبقات والأعصار ـ للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ـ تحقيق: بشار عواد معروف، وآخرون ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ط١ (١٤٠٤هـ).

٢٣٥ ـ المغني في توجيه القراءات العشر المتواترة ـ للدكتور محمد سالم محيسن: دار الجيل ـ بيروت ـ ط٢ (١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨).

٢٣٦ ـ المغني في علم التجويد برواية حفص عن عاصم ـ للدكتور عبد الرحمن الجمل: ط٢ (١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م).

٢٣٧ ـ مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ـ لجمال الدين بن هشام الأنصاري، ت: ٧٦١هـ ـ تحقيق: الدكتور مازن المبارك ومحمد علي حمد الله ـ راجعه: سعيد الأفغاني ـ دار الفكر ـ بيروت ـ ط٥ (١٩٧٩م).

٢٣٨ ـ مفاتيح الأغاني في القراءات والمعاني ـ لأبي العلاء الكرماني المتوفي بعد ٥٦٣هـ ـ دراسة وتحقيق: الدكتور عبد الكريم مصطفى مدلج ـ تقديم: الدكتور محسن عبد الحميد ـ دار ابن حزم ـ ط١(١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م).

٢٣٩ ـ مفردات ألفاظ القرآن ـ للعلامة الراغب الأصفهاني ـ تحقيق: صفوان عدنان داوودي ـ دار القلم ـ دمشق ـ ط ٣ (١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م).

٢٤٠ ـ المفردات القرآنية مظهر من مظاهر الإعجاز ـ للدكتور فضل عباس: مجلة

دراسات (العلوم الإنسانية والتراث) الجامعة الأردنية ـ عمان ـ المجلد الحادي عشر ـ العدد الرابع ـ (صفر ١٤٠٥هـ / تشرين ثاني ١٩٨٤م).

٢٤١ ـ المقتضب ـ لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد، ت: ٢٨٥هـ ـ تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة ـ وزارة الأوقاف ـ لجنة التراث الإسلامي ـ القاهرة ـ ط (١٣٩٩هـ).

٢٤٢ ـ المقتطف من عيون التفاسير ـ لمصطفى الحصن المنصوري ـ تحقيق: محمد علي الصابوني ـ دار السلام ـ ط١ (١٤١٧هـ).

٢٤٣ ـ مقدمة ابن خلدون ـ للإمام عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ـ تحقيق: درويش الجويدي ـ المكتبة العصرية ـ صيدا ـ بيروت ـ ط١ (١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م)، ط٢ (١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م).

٢٤٤ ـ الملخص في إعراب القرآن ـ لأبي زكريا يحيى بن علي بن محمد بن الحسن المعروف بالخطيب التبريزي ـ تحقيق: د. يحيى مراد ـ دار الحديث ـ القاهرة ـ ط (١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م).

٢٤٥ ـ مناهل العرفان في علوم القرآن ـ للشيخ عبد العظيم الزرقاني ـ تحقيق: مكتب البحوث والدراسات ـ دار الفكر ـ بيروت ـ ط١(١٩٩٦م).

٢٤٦ ـ منجد المقرئين ومرشد الطالبين ـ للإمام محمد بن الجزري ـ تفضل بقراءته بعد طبعه: الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطي، والشيخ أحمد محمد شاكر ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط(١٤٠٠هـ/١٩٨٠م).

٢٤٧ ـ من القرية إلى العالمية ـ لمحمد محجوب حسن ـ مكتبة التراث الإسلامي.

٢٤٨ ـ منهج الإمام الطبري في القراءات في تفسيره (رسالة ماجستير) ـ للدكتور: عبد الرحمن يوسف أحمد الجمل ـ إشراف: الدكتور فضل حسن عباس ـ الجامعة الأردنية ـ (١٤١٢هـ / ١٩٩٢م).

٢٤٩ ـ منهج الشعراوي في التفسير (رسالة ماجستير) ـ لإبراهيم عيسى إبراهيم صيدم ـ إشراف: الدكتور عصام العبد زهد ـ الجامعة الإسلامية بغزة ـ (١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م).

٢٥٠ ـ منهج الشيخ عبد الحميد كشك في تفسيره: في رحاب التفسير (رسالة ماجستير) ـ لسمر عمر محمد الصفدي ـ إشراف: الدكتور مروان أبو راس ـ الجامعة الإسلامية بغزة (١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م).

٢٥١ ـ موسوعة القبائل العربية ـ بحوث ميدانية وتاريخية لمحمد سليمان الطيب: دار الفكر العربي ـ ط١ (١٩٩٥هـ / ١٤١٦م).

٢٥٢ ـ الموضح في وجوه القراءات وعللها ـ للإمام ابن أبي مريم ـ تحقيق: د. عمر الكبيسي ـ الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن ـ ط١ (١٤١٤هـ/١٩٩٣م).

— ن —

٢٥٣ ـ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ـ لجمال الدين أبي المحاسن يوسف تغري بردي الأتابكي ـ تعليق: محمد حسين شمس الدين ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط١ (١٤١٣هـ / ١٩٩٢م).

٢٥٤ ـ النسب ـ لأبي عبيد القاسم بن سلام ـ تحقيق ودراسة: مريم محمد خير الدرع ـ تقديم: الدكتور سهيل زكار ـ دار الفكر ـ ط ١ (١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م).

٢٥٥ ـ النشر في القراءات العشر ـ للحافظ أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري ـ أشرف على تصحيحه ومراجعته للمرة الأخيرة: حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الجليل علي محمد الضباع ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٢٥٦ ـ نظرات من الإعجاز البياني في القرآن الكريم (نظرياً وتطبيقياً) ـ لسامي محمد هشام حريز: دار الشروق للنشر والتوزيع ـ الأردن ـ ط١ (٢٠٠٦م).

٢٥٧ ـ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ـ للإمام برهان الدين أبي الحسن إبراهيم ابن عمر البقاعي، ت: ٨٨٥هـ ـ خرَّج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه: عبد الرزاق غالب المهدي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط١ (١٤١٥هـ / ١٩٩٥م).

٢٥٨ ـ نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب ـ للشيخ أحمد بن محمد المقري التلمساني ـ تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي ـ دار الفكر للطباعة والنشر ـ ط ١ (١٤١٩هـ / ١٩٩٨م).

٢٥٩ ـ النكت في إعجاز القرآن ضمن كتاب ثلاث رسائل في إعجاز القرآن لأبي الحسن الرماني ـ تحقيق: محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام ـ دار المعارف بمصر ـ ط ٣ [بدون تاريخ طبع].

٢٦٠ ـ النكت والعيون (تفسير الماوردي) ـ لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، ت: ٤٥٠هـ ـ راجعه وعلق عليه: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط١ (١٤١٢هـ/١٩٩٢م).

٢٦١ ـ النهاية في غريب الحديث والأثر ـ لأبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ـ تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي: المكتبة العلمية ـ بيروت ـ ط (١٣٩٩هـ/١٩٧٩م).

٢٦٢ ـ النهر المارد من البحر المحيط ـ لأبي حيان الأندلسي ت: ٧٥٤هـ ـ تقديم وضبط: بوران وهَدْيان الضناني ـ دار الفكر ـ بيروت ـ ط١ (١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م).

ـ هـ ـ

٢٦٣ ـ الهادي (شرح طيبة النشر في القراءات العشر والكشف عن علل القراءات وتوجيهها) ـ للدكتور محمد سالم محيسن: دار الجيل ـ بيروت.

٢٦٤ ـ همع الهوامع شرح جمع الجوامع في علم العربية ـ للإمام جلال الدين السيوطي: دار المعرفة ـ بيروت [بدون تاريخ طبع].

ـ و ـ

٢٦٥ ـ وجوه من الإعجاز الموسيقي في القرآن ـ للدكتور محيي الدين رمضان: دار الفرقان ـ عمان ـ الأردن ـ ط١(١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م).

٢٦٦ ـ الوافي (معجم وسيط للغة العربية) ـ للشيخ عبد الله البستاني: مكتبة لبنان ـ بيروت ـ ط (١٩٨٠ م).

٢٦٧ ـ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ـ لإبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، ت: ٦٨١هـ ـ تحقيق: الدكتور إحسان عباس ـ دار صادر ـ [بدون تاريخ طبع].

مواقع إلكترونية:

* شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) ـ جوجل ـ موقع الإسلام سؤال وجواب.

* www.iu.sa/magazine/. ـ Google ٣٧ / ٥٧. html

مكتبات إلكترونية مساعدة:

- المكتبة الشاملة ١.
- المكتبة الشاملة ٢.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة



الجامعة الإسلامية - غزة
عمادة الدراسات العليا
كلية أصول الدين
قسم التفسير وعلوم القرآن

تفسير القرآن
بالقراءات القرآنية العشر

من خلال سور: (النور - الفرقان - الشعراء - النمل)

إعداد الباحثة
هدى رشيد جاد الله

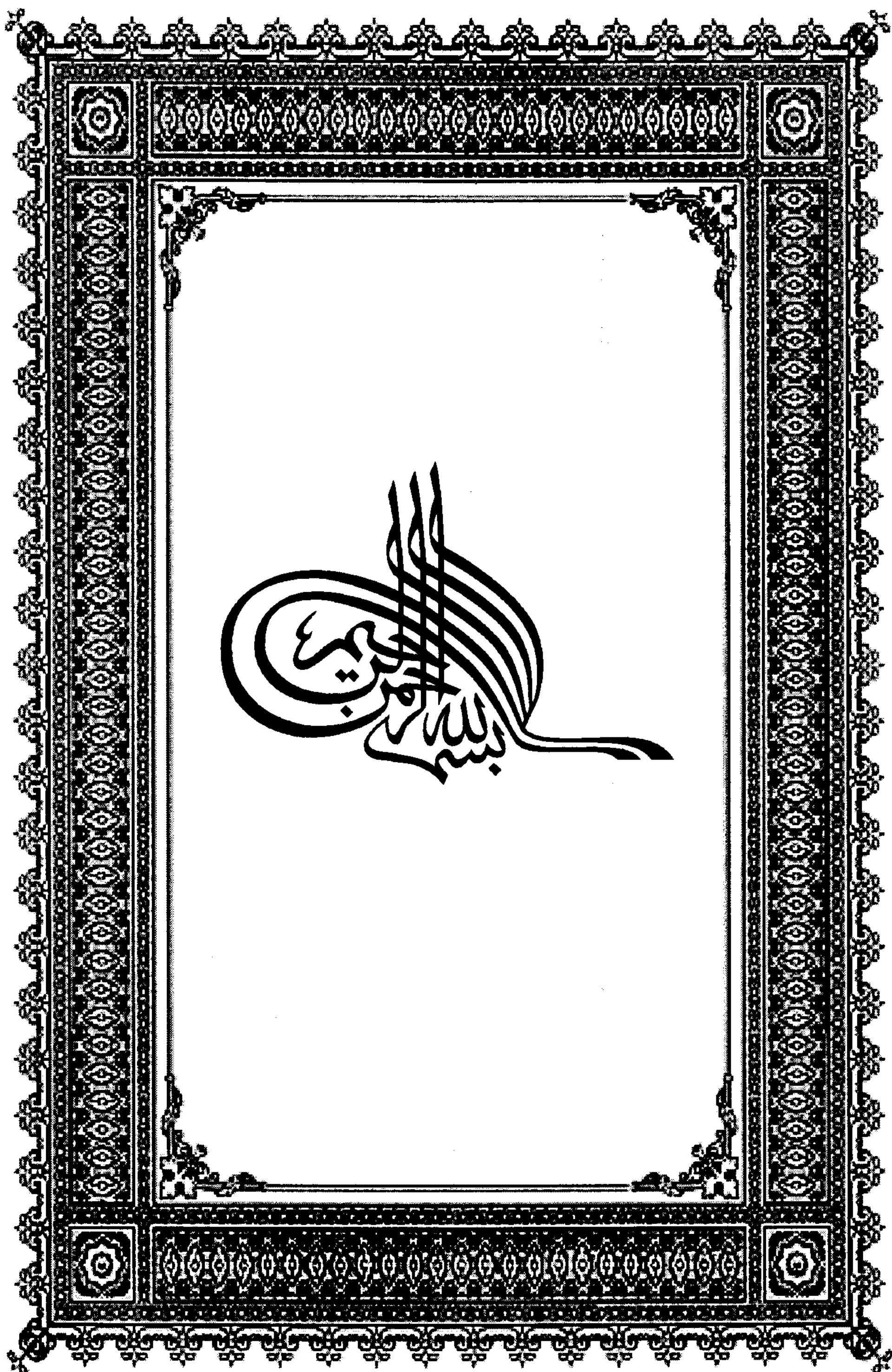
إشراف الدكتور
رياض محمود قاسم

ضبط ومراجعة
د.مروان محمد أبوراس

الجزء الثامن

منشورات الجامعة الإسلامية
ورابطة علماء فلسطين - غزة

بحث مقدم لاستكمال متطلبات درجة الماجيستير في التفسير وعلوم القرآن
تمت المناقشة بسنة ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م


بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾﴾

[الشورى: ٥٢ ـ ٥٣].

شكر وتقدير

أشكر الله مولاي وخالقي الذي منَّ عليَّ بإتمام هذا العمل المتواضع مع رجائي أن يتقبله مني ويجعله خالصاً لوجهه الكريم.

انطلاقا من قوله تعالى: ﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾ ومن قول الرسول ﷺ: (لا يشكر الله من لا يَشْكر الناس)[1] وإيمانا بفضل الاعتراف بالجميل وتقديم الشكر والامتنان لأصحاب المعروف فإني أتقدم بالشكر الجزيل والثناء العظيم لكل من ساعد في إنجاح هذه الرسالة وأخص بالذكر:

أستاذي ومشرفي الفاضل الدكتور رياض قاسم حفظه الله على قبوله الإشراف على هذا البحث ومتابعته له منذ الخطوات الأولى وعلى ما منحني من صدر واسع ونصح وإرشاد ساعد على إخراج هذا العمل بهذه الصورة. أسأل الله أن يجزيه عني خير الجزاء.

كما وأتقدم بالشكر الجزيل لأستاذي الفاضلين:

د. عبد الرحمن الجمل

د. وليد العامودي حفظهما الله

---

(١) سنن الترمذي كتاب البر والصلة باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك، ص٤٤٥، وقال الترمذي هذا حديث صحيح، المسند للامام أحمد بن حنبل، مسند أبي هريرة، ح٧٩٤٤، ص ١٥٢.

على تفضلهما بقبول مناقشة هذا البحث وإثرائه بالنصائح والتوجيهات التي تساعد في إخراجه بأفضل صورة والله أسأل أن يجزل لهم الثواب ويجعل عملهم هذا في ميزان حسناتهم.

كما وأتقدم بالعرفان والتقدير لجامعتنا الإسلامية التي شقت طريقاً صعباً حتى وصلت إلى هذه المكانة العالية بين أصرحة العلم العالمية رئاسة وعمادة وأساتذة وإداريين.

وشكري موصول لكلية أصول الدين بأقسامها عميداً وأساتذةً ومدرسين الذين كان لهم فضل التدريس في مرحلتي البكالوريوس والماجستير.

كما وأشكر موظفي المكتبة المركزية على مساعدتهم لنا أنا والباحثين من زميلاتي وزملائي وتزويدنا بكل ما نحتاجه بتعاون تام وأمانة وإخلاص.

كما وأتقدم بالشكر الجزيل لأفراد عائلتي جميعاً على تشجيعهم ومساعدتهم لي حتى أتممت بحثي هذا.

والشكر الجزيل للأستاذ الفاضل/ محمد عوض الله على تفضله بقبول تدقيق الرسالة، جزاه الله عني خير الجزاء.

كما وأقدم شكري الجزيل للدكتور: زكريا الزميلي حفظه الله على ترجمته لملخص الرسالة باللغة الإنجليزية. فجزاه الله عني خير الجزاء.

ولا أنسى من شكري الجزيل إدارة مدرستي وزميلاتي في العمل وكذلك زميلاتي في دراسة الماجستير وكل من أعان على إنجاح هذا البحث بإسداء معروف أو بتقديم خدمة مهما كانت أو بدعاء لي في ظهر الغيب، فجزى الله الجميع عني خير الجزاء.

وكذلك أتقدم بالشكر والتقدير للأخ/ هاني الصوص على قبوله تنسيق الرسالة تنسيقاً نهائياً فجزاه الله خير الجزاء.

وختاماً آمل من الله أن أكون قد وفقت في إعداد هذا البحث بالطريقة التي تنفع الإسلام والمسلمين وتخدم الدارسين وأن أنال رضى الله عَجَلًّ.

الفصل الأول
تفسير سورة النور بالقراءات القرآنية العشر

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: تعريف بالسورة.

المبحث الثاني: عرض لآيات السورة المتضمنة القراءات العشر

المبحث الأول
تعريف بسورة النور

وفيه مطالب:

المطلب الأول: بيان أن السورة مكية أو مدنية وعدد آياتها.

المطلب الثاني: أسماء السورة ووجه التسمية.

المطلب الثالث: ترتيب نزول السورة.

المطلب الرابع: زمن نزول السورة.

المطلب الخامس: جو نزول السورة.

المطلب السادس: المناسبات في سورة النور. وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: علاقة سورة النور بما قبلها.

المسألة الثانية: علاقة سورة النور بما بعدها.

المطلب السابع: خصائص سورة النور.

المطلب الثامن: أغراض سورة النور وموضوعاتها.

المطلب الأول: بيان أن السورة مكية أو مدنية وعدد آياتها

سورة النور مدنية باتفاق أهل العلم وعدد آياتها أربع وستون آية وقيل اثنتان وستون في عد المدينة ومكة[٢].

المطلب الثاني: أسماء السورة ووجه التسمية

اسم السورة: سورة النور وهو اسم توقيفي لها.

سبب التسمية: سميت بسورة النور لوجوه عدة هي:[٣].

١ ـ لورود لفظ النور فيها متصلاً بذات الله تعالى ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥].

٢ ـ كثرة ورود لفظ النور فيها ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ... مَثَلُ نُورِهِۦ... نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ... وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾ [سورة النور: ٣٥ ـ ٤٠].

٣ ـ أنها تنور العقل والقلب فكما أن نور الله ينير السموات والأرض فما في السورة من أحكام وتشريعات وآداب وأخلاق وسلوكيات تنير درب الأمة وتبعدها عن الانحراف. وكما أن النور يضيء للإنسان في الظلمات ويجعله يرى طريقاً واضحاً فلا يضل ولا يتيه فهي تنور الحياة الاجتماعية للناس.

٤ ـ كون هدفها ومحورها وموضوعاتها نوراً لمن اتبعها وسار عليها.

أسماء أخرى للسورة:

لم أعثر في كتب التفسير على اسم آخر لسورة النور، ولكن إن جاز لي الاجتهاد فيمكن تسميتها بسورة الطهر والعفاف أو سورة التربية الأسرية. وذلك للأمور الآتية:

---

(٢) انظر روح المعاني ج١٠ ص٢٧٣، التحرير والتنوير م٩ ج١٨ ص١٤٠.

(٣) بصائر ذوي التمييز ج٥ ص١٣٣، في رحاب التفسير ج٤ ص٢٨٨١، التحرير والتنوير ج٩، ص١٣٩، التفسير المنير ج٩ ص٤٤٨.

١ ـ اشتمال السورة على آداب وأحكام وحدود وتشريعات تساعد على نشر الطهر والعفاف بين أفراد المجتمع والقضاء على الفساد الأخلاقي والانحراف السلوكي. فمن موضوعاتها التي تناولتها: بيان حد الزنا وحد القذف وحكم اللعان وآداب الاستئذان. . . وغير ذلك.

٢ ـ اهتمامها بالأسرة التي هي النواة الأولى لتكوين المجتمع:

- حيث دعت السورة إلى التشجيع على الزواج وحثت عليه وهو وسيلة بناء الأسرة.

- بينت آداب استئذان الأبناء على الآباء والاستئذان بشكل عام.

- بينت حكم اللعان بين الزوجين حفاظاً على الأسرة والعلاقة بين الزوجين.

حذرت من مخاطر القذف ونشر الشائعات في المجتمع وبينت كيفية التعامل معها حفاظاً على كرامة الفرد والأسرة والمجتمع المسلم.

٣ ـ إن المحور الأساس الذي تدور حوله موضوعات السورة هو التربية عموماً والأسرية خصوصاً والستر والعفاف.

المطلب الثالث: ترتيب نزول السورة

هي السورة السابعة عشرة في ترتيب نزول السور المدنية والرابعة والعشرون في ترتيب المصحف(٤). وعدت السورة المائة في ترتيب نزول المصحف(٥).

(٤) البرهان في علوم القرآن ج١ ص٢٥١.

(٥) التحرير والتنوير م٩ ج١٨ ص١٤٠.

المطلب الرابع: زمن نزول السورة

نزلت سورة النور بعد غزوة بني المصطلق[٦] ونزلت في شأن عائشة ـ ﵂ ـ حين رماها أهل الإفك بما رموها به من الكذب والافتراء.

المطلب الخامس: جو نزول السورة

نزلت سورة النور في فترة من الحياة المدنية ظهرت فيها هيبة المسلمين وقويت فيها عزيمتهم بعد الانتصارات العظيمة التي حققوها بفضل الله ونصره لهم في غزوة بدر والخندق.

ولما رأى أعداء الإسلام انتصار المسلمين وانتقالهم من نصر إلى نصر ومن قوة إلى قوة أخذوا يكيدون للإسلام وللمسلمين عن طريق زعزعة الجبهة الداخلية للمسلمين بإثارة الفتن وبث الشائعات في المجتمع المسلم والتعرض لشخص الرسول ﷺ، ليشككوا المسلمين في قيادتهم ويقللوا من التفافهم حولها.

ومن الفتن التي أثارها أعداء الإسلام وخاصة المنافقون فتنة الإفك التي تعرضت لشخص الرسول ﷺ من خلال الكذب والافتراء على زوجته أم المؤمنين عائشة ـ ﵂ ـ واتهامها في عفتها وطهارتها[٧].

وفي خضم هذا الجو المشحون بالفتن والافتراءات أنزل الله ﷻ سورة النور وبيّن فيها أحكامه العادلة التي تحفظ بيت النبوة والمجتمع كله من الفتن والانحراف وتربي الفرد المسلم والمجتمع بما يحقق الرفعة والسمو

(٦) قال ابن اسحق كانت سنة ست هجرية، وقال موسى بن عقبة سنة أربع للهجرة، وتسمى غزوة المريسيع، قال النعمان بن راشد عن الزهري كان حديث الإفك في غزوة المريسيع. (انظر صحيح البخاري كتاب المغازي. باب غزوة بني المصطلق، ص ٧٨٥).

(٧) يرجع إلى القصة كاملة كما روتها السيدة عائشة ﵂ في صحيح البخاري كتاب المغازي، باب حديث الافك، ص ٧٨٦.

النفسي والروحي والخلقي ولسد منافذ الشر التي تعمل على هدم المجتمع وتدمير كيانه.

وهذه هي أخلاق المنافقين وسماتهم في كل زمان ومكان، فحيث يقوى الإسلام وتظهر شوكته يهب المنافقون لخلخلة الجبهة الداخلية للمسلمين بإثارة الفتن والإشاعات.

وليس للمسلمين خلاص من فتنهم وإشاعاتهم إلا الفرار إلى كتاب الله ﷻ وسنة نبيه ﷺ حيث يجدوا فيهما الملاذ الآمن من أحكام وتشريعات تعين على الثبات والتماسك والتعاون ومنها هذه السورة الكريمة سورة النور.

المطلب السادس: المناسبات في سورة النور، وفيه مسألتان

المسألة الأولى: علاقة سورة النور بما قبلها:

لما كان القرآن الكريم وحدة موضوعية واحدة تتناسق سوره بعضها مع البعض وترتبط حتى تصبح كالبناء الواحد في الأهداف والموضوعات والأغراض، كان الارتباط الوثيق بين سورة النور وسورة المؤمنون.

ووجه هذا الارتباط يظهر من عدة وجوه[٨]:

١ ـ لما بيّن الله تعالى في مطلع سورة المؤمنون صفات المؤمنين ومنها حفظ الفروج ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥﴾ [المؤمنون: ٥] وأتبعها بذكر من ابتغى وراء ذلك ووصفهم بالعادين ﴿فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧﴾ [المؤمنون: ٧]، بيّن في هذه السورة أحكام من لم يحفظ فرجه واعتدى على حدود الله من الزانية والزاني وما اتصل بذلك من حد القذف وحكم اللعان وقصة حادثة الإفك والأمر بالعفة بغض البصر وعدم إبداء

---

(٨) انظر روح المعاني ج٩ص٢٧٣، مجمع البيان في تفسير القرآن ج٧ص ١٩٣، نظم الدرر ج٥ص٢٣٠، تناسق الدرر ص١٠٤.

الزينة والتشجيع على النكاح والاستعفاف لمن لم يقدر عليه... وغير ذلك من أحكام.

٢ ـ أنه لما أخبر الله تعالى في سورة المؤمنون أنه لم يخلق الخلق عبثاً ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾ [المؤمنون: ١١٥]، بل لحكمة وغاية وهي التكليف بالأوامر والنواهي، ذكر في هذه السورة جملة من الأوامر والنواهي التي تعين متبعها على القيام بالتكليف وفق مراد الله تعالى.

المسألة الثانية: علاقة سورة النور بما بعدها(٩):

١ ـ لما ختمت سورة النور ببيان عظمة الله ﷻ وقدرته بذكر سعة ملكه وتعظيم رسوله وتهديد من تجاوز الحد ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٦٤﴾﴾ [النور: ٦٤]، افتتح سورة الفرقان بما يشبه تلك الخاتمة ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾﴾ [الفرقان: ١].

٢ ـ لما تضمنت سورة النور بيان كثير من الأحكام والتشريعات... وهي بمجموعها تعتبر فرقاناً يقوى به الإيمان ولا ينكره مقر بالله ورسوله، اتبعه سبحانه بقوله: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ وهو القرآن المفرق بين الحق والباطل المشتمل على الأحكام والشرائع.

٣ ـ لما بين الله تعالى في سورة النور موقف المنافقين من الرسول ﷺ وعدم طاعتهم له والتزامهم بحكمه... أكد في سورة الفرقان أنه رسول الله وعبده الذي اصطفاه وأنه يحكم بما أنزل الله وهو القرآن الكريم، وأمرهم بطاعته والتزام أمره لأن لله الملك والقدرة ـ جل وعلا.

---

(٩) انظر روح المعاني ٩ص٤٢٠، مجمع البيان ج٧ص٢٥٠، نظم الدرر ج٥ص٢٩١ - ٢٩٣، تناسق الدرر ص١٠٤ ـ ١٠٦.

المطلب السابع: خصائص سورة النور

تميزت سورة النور عن أخواتها من سور القرآن الكريم بميزات، فتح الله عليّ منها بالآتي:

١ ـ تميزت سورة النور عن غيرها من سور القرآن باسمها وارتباطه بذات الله ﷻ. فلم يرد لفظ النور مرتبطا بذات الله ﷻ إلا في هذه السورة، وفي سورة الزمر في قوله تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [الزمر: ٦٩].

٢ ـ تميزت السورة بمحورها الأساس وهدفها العام وهو التربية والاهتمام بالأسرة، حيث شجعت على الزواج وحثت عليه وهو اللبنة الأولى في بناء الأسرة بناءً سليماً، كما بينت آداب الأبناء مع أهليهم ومواقيت الاستئذان.

٣ ـ أنها السورة الوحيدة التي ذكرت فيها قصة الإفك وجاءت فيها براءة عائشة ـ رضي الله عنها ـ.

٤ ـ أنها وسورة الأحزاب السورتان الوحيدتان اللتان ذكرت فيهما آيات الحجاب. ولم ترد في القرآن الكريم إلا فيهما.

المطلب الثامن: أغراض سورة النور وموضوعاتها[١٠]

للسورة أغراض كثيرة وسأقتصر في هذا البحث على أهمها:

١ ـ المحور الرئيسي للسورة هو التربية. التي تشتد في وسائلها إلى درجة الحدود، وترق إلى درجة اللمسات الوجدانية الرقيقة.

٢ ـ تناولت هذه السورة أحكاماً تشريعية وتوجيهات عامة تتعلق بالأسرة، التي هي النواة الأولى للمجتمع.

(١٠) في ظلال القرآن ج٤ ص٢٤٨٦، التحرير والتنوير م٩ ج١٨ ص١٤٠، صفوة التفاسير ج٢ ص٣٢٥.

٣ ـ وضحت السورة الآداب الاجتماعية التي يجب أن يتمسك بها المؤمنون في حياتهم الخاصة والعامة، كالاستئذان عند دخول البيوت وغض البصر وحفظ الفرج، وحرمة اختلاط الرجال بالنساء الأجنبيات، وما ينبغي أن تكون عليه الأسرة المسلمة من الستر والعفاف، والنزاهة والطهر، والاستقامة على شريعة الله، صيانة لحرمتها وحفاظاً عليها من عوامل التفكك الداخلي والانهيار الخلقي الذي يهدم الأمم والشعوب.

٤ ـ ذكرت السورة بعض الحدود التي شرعت تطهيراً للمجتمع من الفساد والفوضى مثل حد القذف وحد الزنا وحكم اللعان.

٥ ـ تعرضت إلى براءة عائشة رضي الله عنها مما ألصقه بها المنافقون من حديث الافك.

٦ ـ حثت على تزويج الشباب وتحرير العبيد بمكاتبتهم وإعتاقهم.

المبحث الثاني
عرض لآيات السورة المتضمنة القراءات العشر

واعتمدت المنهج التالي فيه:

أ - كتابة الآية القرآنية مدار البحث كاملة.

ب - بيان القراءات فيها.

ت - بيان المعنى اللغوي للقراءات.

ث - تفسير الآية كاملة تفسيراً إجمالياً.

ج - بيان العلاقة التفسيرية بين القراءات.

١ - ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَـٰهَا وَفَرَضْنَـٰهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ①﴾ [النور: ١].

القراءات:

١ - قرأ ابن كثير وأبو عمرو «فَرَّضْنَاهَا» بتشديد الراء.

٢ - قرأ الباقون «فَرَضْنَاهَا» بتخفيف الراء[١١].

٣ - قرأ حمزة والكسائي وخلف «تَذَكَّرون» بتخفيف الذال.

---

(١١) انظر النشر ج٢ ص٣٣٠.

٤ ـ قرأ الباقون «تَذَّكَّرون» بالتشديد[١٢].

المعنى اللغوي للقراءات:

الفرض قطع الشيء الصلب والتأثير فيه كفرض الحديد وفرض الزند والقوس. والفرض كالإيجاب ولكن الإيجاب يقال اعتباراً بوقوعه وثباته والفرض بقطع الحكم فيه[١٣].

والفرض قد يكون بمعنى التعيين والتقدير كقوله تعالى: ﴿نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾[١٤].

الذكر ضد النسيان، ذكرت الشيء خلاف نسيته[١٥].

تذكرون بفتح التاء والذال وتشديدهما من التذكر والتفكر والاعتبار.

التفسير:

يخبرنا الله ﷻ أنه أنزل هذه السورة وأوجب علينا العمل بما فيها من آيات بينات واضحات الدلالة لعلنا نتذكر ونتعظ فنتقي المحارم.

يقول النسفي: «سُورَةٌ» خبر مبتدأ محذوف أي هذه سورة «أَنزَلْنَاهَا» صفة لها. . .والسورة الجامعة لجمل آيات بفاتحة لها وخاتمة واشتقاقها من سور المدينة. «وَفَرَضْنَاهَا» أي فرضنا أحكامها التي فيها، وأصل الفرض القطع أي جعلناها مقطوعا بها.

وبالتشديد «فَرَّضْنَاهَا» مكي (ابن كثير) وأبو عمرو للمبالغة في الإيجاب وتوكيده أو لأن فيها فرائض شتى أو لكثرة المفروض عليهم من السلف ومن بعدهم. «وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ»: أي دلائل واضحات. «لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ» لكي تتعظوا[١٦].

---

(١٢) النشر ج٢ص٢٢٦.

(١٣) معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص٤٢١.

(١٤) التحرير والتنوير م٩ ج١٨ص٤٣.

(١٥) معجم المقاييس في اللغة ص٣٨٨.

(١٦) مدارك التنزيل وحقائق التأويل ج٣ص٧٥٨.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة التخفيف (فَرَضْنَاهَا) وجوب العمل بما في السورة من أمر بالحلال ونهي عن الحرام وجوباً قطعياً وهو يقع للقليل والكثير[١٧].

ويرى ابن عاشور أن هذا التفسير يليق بالنظر إلى معظم السورة لا إلى جميعها فإن منها ما لا يتعلق بعمل كقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ...﴾ [النور: ٣٥]، وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ...﴾ [النور: ٣٩].

ويميل إلى القول بأن معنى فرضناها: عيّنا وقدرنا ما فيها من أحكام، مستنداً لقوله تعالى: ﴿نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ [النساء: ٧][١٨].

أما قراءة التشديد (فَرَّضْنَاهَا) فأفادت التأكيد والتكثير والمبالغة[١٩]. فأكدت وجوب العمل بما في السورة على الخلق إلى قيام الساعة.

وأفادت كثرة المفروض عليهم وكثرة الفروض التي في السورة كحد الزنا وحد القذف وحكم اللعان وآداب الاستئذان وغض البصر... وغير ذلك. كما أفاد التشديد وجوب العمل بما في السورة على حد سواء[٢٠] مع بيانها وتفصيلها.

يقول الزجاج: «ومن قرأ بالتشديد فعلى وجهين: أحدهما: على معنى التكثير على معنى إنا فرضنا فيها فروضاً كثيرة. ثانيهما: على معنى بينا وفصلنا ما فيها من الحلال والحرام»[٢١].

ويقول الزمخشري: «والتشديد للمبالغة في الإيجاب وتوكيده أو لأن فيها فرائض شتى، وأنك تقول: فرضت الفريضة وفرضت الفرائض أو لكثرة

(١٧) انظر الكشف ج٢ ص١٣٣، المغني ج٣ص٧٠.

(١٨) التحرير والتنوير م٩ج١٨، ص١٤٢، ١٤٣، وانظر التفسير الكبير لابن تيمية ج٥.

(١٩) بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ص٤٣.

(٢٠) انظر في ظلال القرآن ج٤ص٢٤٨٧.

(٢١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ج٤ص٢٧.

المفروض عليهم من السلف ومن بعدهم»[٢٢].

وبالجمع بين القراءتين يتضح أنهما تحملان معنى الفرض والتفريض. فالله ﷻ أوجب على عباده ما في هذه السورة من أحكام مع التكثير والمبالغة في ذلك لأهميتها.

يقول الطبري: «والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان مشهورتان قد قرأ بكل واحدة منهما علماء القراء فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب، وذلك أن الله قد فصلها وأنزل فيها ضروباً من الأحكام وأمر فيها ونهى وفرض على عباده فيها فرائض، ففيها المعنيان كلاهما الفرض والتفريض...»[٢٣] وأما قراءة (تَذَكَّرون) بالتخفيف فتفيد تذكر ما في السورة من أوامر ونواه ودلائل واضحات وعدم نسيانه.

أما قراءة التشديد (تذَّكَّرون) فتفيد المبالغة في التذكر وعدم النسيان إلى درجة الاعتبار والاتعاظ باعتبار أن التشديد يفيد التكثير والمبالغة.

فيصبح معنى الآية بناء على القراءات فيها: أن الله بالغ في إيجاب ما في السورة على الناس وفي بيانها وتوضيحها حتى يعتبر الناس ويتعظوا، والله أعلم.

٢ ـ ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖۖ وَلَا تَأۡخُذۡكُم بِهِمَا رَأۡفَةٞ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ وَلۡيَشۡهَدۡ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٢﴾ [النور: ٢].

القراءات:

١ ـ قرأ قنبل «رَأَفَةٌ» بفتح الهمزة.

٢ ـ قرأ الباقون «رَأْفَةٌ» بإسكان الهمزة[٢٤].

---

(٢٢) الكشاف ج٣.

(٢٣) جامع البيان م١٠ج١٨ص٦٦.

(٢٤) انظر النشر ج٢ص٣٣٠.

المعنى اللغوي للقراءات:

الرأفة الرحمة وقد رؤف فهو رؤف ورؤوف نحو يقظ وحذر[٢٥]. والرأفة أشد أنواع الرحمة.

التفسير:

تبين الآية حكم حد الزاني والزانية إذا ثبت عليهم ذلك بالأدلة القاطعة وكانا بكرين غير متزوجين وهو الجلد مائة جلدة وتدعو المؤمنين إلى عدم الرأفة والرحمة بهما فيعطلوا حدود الله أو يخففوا الضرب عليهما فلا يوجعوهما إن كان المؤمنون يؤمنون بالله واليوم الآخر فإن الإيمان بالله يقتضي إقامة حدود الله وتدعو إلى أن يحضر إقامة الحد عدد من المؤمنين زيادة في التنكيل بهما وليكونوا عبرة لغيرهما[٢٦].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

الرأفة أشد الرحمة فهي أخص منها، وقرئت (الرأفة) بقراءات منها إسكان الهمزة وفتحها وإبدالها ألفاً، وكلها لغات في المصادر.

قال القرطبي: «والرأفة أرق الرحمة وقرئ رأَفة بفتح الألف على وزن فعَلة وقُرئ رآفة على وزن فعالة ثلاث لغات وهي كلها مصادر أشهرها الأولى من رؤوف إذا رق ورحم»[٢٧].

٣ ـ ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾﴾ [النور: ٤].

القراءات:

١ ـ قرأ الكسائي «المحْصِنات» حيث وقع معرفاً أو منكراً.

---

(٢٥) معجم مفردات ألفاظ القرآن ص ٢٠٦.

(٢٦) انظر زاد المسير ص ٩٨٤، تفسير ابن كثير ج٣ص٢٦٠، ٢٦١.

(٢٧) الجامع لأحكام القرآن ج١٢ ص ١٧١، وانظر معاني القراءات ج٢ص٢٠١، والتبيان في علوم القرآن ج٢ص٢٤٣.

٢ ـ قرأ الباقون «المحْصَنات» بفتح الصاد[٢٨].

المعنى اللغوي للقراءات:

أصل الإحصان المنع والمرأة تكون محصنة بالإسلام والعفاف والحرية والتزويج يقال أحصنت المرأة فهي محصَنة ومحصِنة وكذلك الرجل والمحصن بالفتح يكون بمعنى الفاعل والمفعول[٢٩].

واسم الإحصان يقع على المتزوجة وعلى العفيفة، وإن لم تتزوج[٣٠]. وكل امرأة عفيفة فهي محصنة متزوجة كانت أم بكراً[٣١].

التفسير:

تبين الآية حكم من يتهم المؤمنات العفيفات بالزنا دون أدلة فيقول تعالى أن الذين يتهمون المؤمنات العفيفات الغافلات ويتحدثون عن ارتكابهن الفحشاء كذباً وزوراً يبعدون ويطردون من رحمة الله في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم جزاء فعلهم ذلك. وقذف الرجال داخل في حكم هذه الآية بالمعنى، وإجماع الأمة على ذلك[٣٢].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قرئت (محصَنات) بفتح الصاد وكسرها فقراءة الفتح معناها النساء المتزوجات، المحصنات بالزواج فقد أحصنهن أزواجهن. فعلى هذه القراءة تكون محصَنات مفعول بهن الإحصان من قبل أزواجهن والأزواج فاعلين للإحصان.

وأما قراءة كسر الصاد (المحْصِنات) فالمقصود بهن النساء اللاتي أسلمن فأحصن أنفسهن بالإسلام سواء أكن متزوجات أم أبكاراً، فتكون

(٢٨) انظر النشر، ج٢ص٢٤٩.
(٢٩) لسان العرب، ج١٣ص١٢٠.
(٣٠) التفسير الكبير ج٢٣، ص١٨٧.
(٣١) مختار الصحاح ص١٤١، وانظر تأويل مشكل القرآن ص٥١١.
(٣٢) زهرة التفاسير ج١٠ ص٣٥٧٥، ٥١٤٤، أحكام القرآن لابن العربي ج٣ ص٣٤٣.

النساء المحصِنات هن فاعلات أي أحصن أنفسهن بالإسلام ولم يحصنهن غيرهن. فهن عفيفات بأنفسهن معفوفات من أزواجهنَّ. قال ابن منظور(٣٣): «فمن نصب ذهب إلى ذوات الأزواج اللاتي قد أحصنهنَّ أزواجهنَّ ومن كسر ذهب إلى أنهنَّ أسلمن فأحصنَّ أنفسهنَّ فهنَّ محصِنات»(٣٤).

وبالجمع بين القراءتين يتبين أن الإحصان يكون بالغير وبالنفس وفي كلتا القراءتين تأكيد على عفة النساء وتأكيد على عدم التعرض لهن بالقذف.

٤ ـ ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ أَزۡوَٰجَهُمۡ وَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمۡ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمۡ أَرۡبَعُ شَهَٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٦﴾ [النور: ٦].

القراءات:

١ ـ قرأ حمزة والكسائي وخلف وحفص «أربعُ شهادات» برفع العين.

٢ ـ قرأ الباقون «أربعَ شهادات» بنصب العين(٣٥).

المعنى اللغوي للقراءات:

شهادات جمع شهادة وهي هنا بمعنى اليمين(٣٦).

وسمي اليمين شهادة لأنه بدل منها فهو مجاز بعلاقة الحلول الاعتباري وأن صيغة الشهادة تستعمل في الحلف كثيراً وهنا جعلت بدلا من الشهادة، فكأن المدعي أخرج من نفسه أربعة شهود هي تلك الأيمان الأربع(٣٧).

التفسير:

هذه الآية الكريمة فيها فرج للأزواج وزيادة مخرج إذا قذف أحدهم

---

(٣٣) هو: محمد بن مكرم بن علي بن حقة بن منظور، أبو فضل الأنصاري، من أشهر كتبه لسان العرب في اللغة، توفي سنة ٧١١هـ، (انظر بغية الوعاة ج١ ص ٢٤٨).

(٣٤) لسان العرب، ج ١٣ص١٤٥.

(٣٥) انظر النشر، ج٢ص٣٣٠.

(٣٦) لسان العرب، ج٣ص٢٩٦.

(٣٧) التحرير والتنوير، ج٩، ص١٦٤.

زوجته وتعذر عليه إقامة البينة، أن يلاعنها كما أمر الله ﷻ[٣٨].

فلما بيّن الله ﷻ في الآيات السابقة حكم رمي المحصنات عموماً وبيّن عاقبة من يقذف المحصنات دون وجود أربعة شهداء، ذكر في هذه الآية ما يفرج به على الأزواج الذين يقذفون زوجاتهم وليس لهم شهداء إلا أنفسهم، وهو الملاعنة بين الزوجين حيث يشهد الواحد منهم أربع شهادات بالله تقوم مقام الشهود الأربعة إنه لصادق فيما رمى به زوجته من الزنا، والشهادة الخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين. كما بينت الآية التالية من السورة[٣٩].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

العلاقة بين القراءتين علاقة نحوية لها أثر في المعنى. حيث إن قراءة الرفع باعتبار أن (أربعُ) خبر الابتداء لقوله تعالى: «فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ» يكون بها المعنى على النحو الآتي: أي فشهادة أحدهم التي تزيل عنه حد القذف أربعُ شهادات.

وأما قراءة النصب على اعتبار أن (أربعَ) مصدر يكون بها المعنى كالآتي: أي فشهادة أحدهم واجبة أو لازمة، أو عليهم أن يشهدوا أربعَ شهادات[٤٠].

فالله ﷻ بين من خلال هذه القراءات المخرج والفرج للأزواج القاذفين لزوجاتهم وهو وجوب حلفهم أربعة أيمان بالله إنهم لصادقون فيما رموا به زوجاتهم.

فقراءة الرفع بينت عدد الأيمان المحلوفة. يقول الفراء: «وأما رفع قوله (فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ) فإنه من جهتين: إحداهما فعليه أن يشهد فهي مضمرة (أي عليه) كما أضمرت ما يرفع (فصيامُ ثلاثة) وأشباهه، وإن شئت جعلت رفعه

(٣٨) تفسير ابن كثير، ج٣، ص٢٦٥.

(٣٩) انظر تفسير ابن كثير ج٣ ص٢٦٥، التفسير المنير، ج٩ ص٤٨٩.

(٤٠) انظر المحرر الوجيز ج١٠ص٤٣٩ ـ ٤٤٠.

بالأربع الشهادات: فشهادته أربع شهادات كأنك قلت والذي يوجب من الشهادة أربع، كما تقول من أسلم فصلاته خمس»[٤١].

وقراءة النصب بينت وجوب الحلف بأربعة أيمان[٤٢].

٥ - ﴿وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٧﴾﴾ [النور: ٧].

القراءات:

١ - قرأ نافع ويعقوب «أنْ لعنتُ» بإسكان النون مخففة ورفع لعنت.

٢ - قرأ الباقون «أَنَّ لَعْنَتَ» بتشديد النون ونصب لعنت[٤٣].

المعنى اللغوي للقراءات:

اللعن الطرد والإبعاد على سبيل السَّخَط، وذلك من الله تعالى في الآخرة عقوبة وفي الدنيا انقطاع من قبول رحمته وتوفيقه، ومن الإنسان دعاء على غيره[٤٤].

التفسير:

هذه الآية تبين حكم وعقوبة الزوج القاذف لزوجته إن كان من الكاذبين بعد وقوع الملاعنة بينهما وهو اللعنة من الله عليه.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

يرى العلماء أنَّ (أنْ) هي المخففة من الثقيلة ومعناها (أنه).

فإن القراءة بإسكان النون مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن محذوف ولعنةُ بالرفع مبتدأ والجار والمجرور بعده خبر والجملة خبر (أن) المخففة يكون بها المعنى: أنه لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين.

---

(٤١) معاني القرآن للفراء ج٢ص٢٤٦.

(٤٢) انظر مشكل إعراب القرآن ج١، ص٥٠٩.

(٤٣) انظر النشر ج٢ص٣٣٠.

(٤٤) معجم مفردات ألفاظ القرآن ص ٥٠٥.

وأما قراءة الباقين بتشديد (أنّ) ونصب (لعنتَ) على أنها اسم أنَّ والجار والمجرور بعده خبر (أنَّ) يكون بها المعنى أيضاً: أنه لعنة الله عليه(٤٥).

والصحيح أن التشديد يكون آكد في المعنى من التخفيف ففيه مزيد تأكيد على وقوع اللعنة من الله ﷻ على القاذف فور إدلائه بالشهادة الخامسة، وفي ذلك من التحذير والترهيب ما فيه، ويمكن أن تكون قراءتا التخفيف والتشديد جاءتا لمناسبة حال القاذف من حيث الصدق أو الكذب فتكون قراءة التخفيف مناسبة لحاله إن كان صادقاً، وقراءة التشديد مناسبة لحاله إن كان كاذباً إذ فيها تحقيق الترهيب والتحذير لهذا القاذف من تعجيل وقوع العقوبة عليه من الله ﷻ واستمرارها، والله أعلم.

٦ ـ ﴿وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٩﴾ [النور: ٩].

القراءات:

١ ـ قرأ نافع «الخامسةُ أنْ غَضِبَ اللهُ عليها» بضم الخامسة وإسكان أن وكسر الضاد في غضب ورفع اسم الجلالة بعده.

٢ ـ قرأ يعقوب «الخامسةُ أنْ غَضَبُ اللهِ عليها» برفع الخامسة وإسكان نون أن وفتح ضاد غضب ورفع الباء فيها وكسر هاء الجلالة بعده.

٣ ـ قرأ الباقون «وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا» بتشديد النون ونصب غضب(٤٦).

المعنى اللغوي للقراءات:

الغضب نقيض الرضا. وغضب الله هو إنكاره على من عصاه فيعاقبه(٤٧).

(٤٥) انظر الفريد ج٣ص٥٩٠، المحتسب ج٢ص١٠٢، وانظر المستنير ج١ص١٢٣.

(٤٦) انظر النشر ج٢، ص٣٣١.

(٤٧) لسان العرب، ج١ص٧٦٠.

والغضب يدل على شدة وقوة ومنه اشتد الغضب لأنه اشتداد السخط[٤٨].

التفسير:

يستمر في هذه الآية بيان حكم اللعان بين الرجل القاذف لزوجته والزوجة المتهمة بالزنا. ففي هذه الآية يبين الله ﷻ أن المرأة المقذوفة تدرأ التهمة والعذاب عن نفسها بشهادتها الخامسة بوقوع غضب الله عليها إن كان من الصادقين.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لفظة (الخامسةَ) هنا قرأها حفص بالفتح على أنها صفة لمفعول مطلق محذوف والمفعول المطلق منصوب لفعل محذوف دل عليه الكلام. والتقدير: ويشهد الشهادة الخامسة.

ويكون نصبها أيضاً عند من نصبها بالعطف على قراءة (أربعَ شهادات) بالنصب وأما من قرأها بالرفع فعلى الابتداء أو الخبر، أو بالعطف على قراءة (أربعُ شهادات) بالضم[٤٩].

اما قراءة أنَّ غَضَبَ اللهِ عليها فقد جاءت أنَّ المشددة مع صيغة الاسم (غَضَبَ وغَضَبُ) وجاءت أن المخففة مع صيغة الفعل (غَضِبَ)، وهاتان القراءتان أفادتا تحقيق التحذير والترهيب للزوجة المُلاعِنة حيث إن قراءة التشديد مع الصيغة الاسمية أفادت تأكيد وقوع الغضب عليها من الله وثبوته فور قيامها بالشهادة الخامسة لأن الصيغة الاسمية تفيد الثبوت[٥٠].

قراءة التخفيف مع صيغة الفعل الذي يدل على الحدوث والتجدد تفيد تعجيل العقوبة على الملاعِنة الكاذبة وحدوثها فور افترائها على زوجها[٥١].

---

(٤٨) معجم المقاييس في اللغة ص٨٤٩.
(٤٩) انظر القراءات وأثرها في علوم العربية ج٢ص ٣٠٣.
(٥٠) انظر معاني الأبنية، باب الاسم والفعل ص٢٢.
(٥١) انظر القراءات المتواترة ص ٣١٤.

٧ ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُم مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِۚ وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١١﴾ [النور: ١١].

القراءات:

١ ـ قرأ يعقوب «كُبرَه» بضم الكاف.

٢ ـ قرأ الباقون «كِبْرَهُ» بكسر الكاف[٥٢].

المعنى اللغوي للقراءات:

الكُبر بالضم معناه معظم الإفك أي أشده وأكبره وأكثره.

الكِبر بالكسر البُداءة بالإفك وقيل الإثم.

يقال كبر الشيء أي عظم. وغلب في الاستعمال أن المضموم يستعمل في السن والمكانة.

يقال: هو كُبر القوم بالضم أي أكبرهم سناً ومكانة[٥٣].

التفسير:

هذه الآية أولى الآيات العشر التي نزلت ببراءة عائشة ـ رضي الله عنها ـ فبعد أن بين الله تعالى في الآيات السابقة حكم قذف النساء الأجنبيات غير المحارم، وحكم قذف الزوجات، بين في هذه الآية وما بعدها براءة عائشة ـ رضي الله عنها ـ مما افتراه عليها أهل الإفك، فيذكر سبحانه وتعالى أن الذين جاءوا بالإفك جماعة من المسلمين، ولا تحسبوا يا آل أبي بكر هذا الأمر شراً لكم بل هو خير لكم لنيلكم الثواب العظيم من الله تعالى. ولكل فرد من العصبة الكاذبة جزاء ما اقترف من الذنب على قدر نفاقه، والذي تولى معظم الكذب والافتراء وهو عبد الله بن أبي بن سلول فله عذاب عظيم في الدنيا بإعلان

---

(٥٢) انظر النشر ج ٢ص ٣٣١.

(٥٣) انظر النشر ج ٢ص ٣٣١، الدر المصون ج٨ص٣٨٩، التحرير والتنوير، م٩ج١٨ ص١٧٣، المحتسب ج٢ ص١٠٤.

نفاقه وفي الآخرة يعذب في نار جهنم وبئس المصير(٥٤).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

يرى جمهور أهل اللغة أن القراءتين لغتان. وأيضا بمعنى واحد. قال الألوسي في تفسيره: «...كُبره بضم الكاف وهو ومكسورها مصدران لكبر الشيء عظم ومعناهما واحد»(٥٥).

وقال ابن عاشور: «والكِبر بكسر الكاف في قراءة الجمهور ويجوز ضم الكاف وقرأ به يعقوب وحده، ومعناها أشد الشيء ومعظمه فهما لغتان عند جمهور أئمة اللغة»(٥٦).

ومما سبق: نجد أن قراءة الضم (كُبره) أفادت أن المقصود هو عبد الله بن أبي بن سلول(٥٧) فهو من كبراء قومه وتولى معظم قول الإفك وأشده. ومن المعلوم أن الأمر إذا صدر عمن له مكانة في قومه يكون صداه وأهميته أكبر مما لو صدر عن شخص لا مكانة له في قومه فدلت هذه القراءة على عظم الحدث وأهميته. وأما قراءة الكسر (كِبْرَهُ) فأفادت أن عبد الله بن أبي بن سلول أول من بدأ باختلاق حديث الإفك ونشره بين الناس.

وبالجمع بين القراءتين: يتضح أن عبد الله بن أبي بن سلول هو أول من بدأ حديث الإفك وأول من تولى إشاعته وإذاعته بين الناس فهو يتحمل معظم إثمه وشره، لذلك توعده الله بالعذاب العظيم في الدنيا والآخرة.

٨ - ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [النور: ٢٢].

---

(٥٤) انظر التفسير المنير ج٩ ص٥١١، صفوة التفاسير ج٢ ص٣٢٨.

(٥٥) روح المعاني ج٩ ص٣١٢.

(٥٦) التحرير والتنوير، م٩، ج١٨، ص١٧٣.

(٥٧) الدر المنثور ج٥ ص٣٢.

القراءات:

١ ـ قرأ أبو جعفر «يَتَأَلَّ» بهمزة مفتوحة بين التاء واللام مع تشديد اللام مفتوحة.

٢ ـ قرأ الباقون «يَأْتَلِ» بهمزة ساكنة بين الياء والتاء وكسر اللام خفيفة(٥٨).

المعنى اللغوي للقراءات:

يأتل على وزن يفتعل يأتي بمعنى يحلف من الألية وبمعنى قصرت من ألوت.

يتأل مضارع تألى بمعنى حلف وهو من الألية على وزن يتفعل.

وحقيقة الإيلاء والألية الحلف المقتضي لتقصير في الأمر الذي يحلف عليه(٥٩).

التفسير:

نزلت هذه الآية في أبي بكر الصديق ﷺ ومسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب حيث حلف أبو بكر ﷺ أن لا ينفق على مسطح ـ وكان فقيراً من المهاجرين ومن أقرباء أبي بكر ـ بسبب خوضه في حديث الإفك المتعلق بعائشة ـ ﷺ ـ فنهى الله ﷻ أبا بكر عن قطع المعونة عن مسطح، حتى يغفر الله له، فاستجاب أبو بكر ﷺ وعاد عن يمينه، وقال: «بلى أحب أن يغفر الله لي».

يقول د. محمود حجازي: «وَلاَ يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ»: ولا يحلف أصحاب الغنى والجاه أن يؤتوا أولي القربى والمساكين مما أعطاهم الله من خير جزاء ما اشتركوا في إثم الإفك، وهذا نهي لأبي بكر ﷺ حتى لا يمنع مسطحاً من النفقة التي كان يجريها. وهكذا كل مسلم.

(٥٨) انظر النشر، ج٢ ص٣٣١.

(٥٩) انظر معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص٢٩، وتفسير غريب القرآن ص٣٢٦.

وليعفوا عن السيئات وليصفحوا عن العصاة والمذنبين. «أَلاَ تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ»: وهذا تمثيل أي كما تحبون أن يغفر لكم فاغفروا أنتم لمن دونكم، والله سبحانه كثير المغفرة والرحمة فاقتدوا به واعملوا بما أمر فهو خير لكم»[٦٠].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

رأى بعض العلماء أن القراءتين بمعنى واحد بالنظر إلى المعنى الأول (**لِيَأْتَلِ**) وهو يحلف[٦١]. قال ابن الجزري: «آلى وائتلى وتألى بمعنى فتكون القراءتان بمعنى واحد»[٦٢].

وقال الزمخشري: «ولا يأتل هو من ائتلى إذا حلف افتعال من الألية، وقيل من قولهم ما ألوت جهداً إذا لم تدخر منه شيئاً، ويشهد للأول قراءة الحسن: ولا يتأل»[٦٣].

فدل كلام الإمام الزمخشري على أن القراءتين بمعنى واحد باعتبار المعنى الأول ليأتل. ويكون معنى قراءة (يَأْتَلِ) بالمعنى الأول (يحلف): أي لا يحلف أولوا الفضل (أصحاب الجاه والمال) أن لا يعطوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله، لاشتراكهم في الخوض في حديث الإفك.

وأما باعتبار المعنى الثاني (لَيأْتَلِ) وهو (يقصر) فيكون معنى القراءة: ولا يقصر أولوا الفضل في الإحسان إلى أقربائهم الفقراء لأجل ما ارتكبوا من الإثم. وأما قراءة (يَتَأَلَّ) فأيضاً تفيد النهي عن الحلف على عدم الإنفاق.

وبالجمع بين القراءتين يتبين: أن قراءة (يَتَأَلَّ) جاءت مؤكدة لقراءة

---

(٦٠) التفسير الواضح ج١١ ـ ٢٠ ص٥٧ سورة النور، وانظر أحكام القرآن لابن العربي ج٣.

(٦١) انظر مجمع البيان ج٧ ص٢٠٨، حاشية الجمل ج ٣ص ٢١٤، المغني، ج٣ ص٧٥.

(٦٢) النشر ج ٢ ص ٣٣١.

(٦٣) الكشاف ج ٣ ص ٢٧٩.

(يَأْتَلِ) بمعنى يحلف، وكما أفادت المبالغة في النهي عن الحلف على التقصير في الإنفاق على أولي القربى بسبب ارتكابهم الآثام حتى يغفر الله للمنفقين. باعتبار أن زيادة المبنى في (يَتَأَلَّ) تؤدي إلى زيادة المعنى في (يَأْتَلِ). ويشهد لذلك قول الألوسي في تفسيره:

«وقرأ... يَتَأَلَّ مضارع تألى بمعنى حلف... وهذه القراءة تؤيد المعنى الأول ليأتل»(٦٤).

كما أن قراءة (يتأل) بينت الإجمال من قراءة (يأتل) من جهة تعدد الوجوه التي احتملتها، وأنها من التألي بمعنى الحلف.

٩ - ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [النور: ٢٤].

القراءات:

١ - قرأ همزة والكسائي وخلف «يشهد» بالياء على التذكير.

٢ - قرأ الباقون «تشهد» بالتاء على التأنيث(٦٥).

المعنى اللغوي للقراءات:

الشهادة خبر قاطع تقول شهد الرجل على كذا. وشهد الشاهد عند الحاكم أي بين ما يعلمه وأظهره. وشهد شهادة أي أدى ما عنده من الشهادة(٦٦).

التفسير:

تتحدث هذه الآية عن عقوبة قاذفي المحصنات يوم القيامة حيث تشهد عليهم جوارحهم بما كانوا يعملون من القذف والبهتان في الدنيا وفي ذلك

(٦٤) روح المعاني ج ٩ ص ٣٢١، وانظر أيضاً التفسير الكبير ج ٢٣ ص١٨٧.

(٦٥) انظر النشر ج٢ ص٣٣١.

(٦٦) انظر لسان العرب ج٣ص٢٩٤.

مزيد وعد وترهيب لهؤلاء الناس. وخصت هذه الأعضاء بالذكر مع أن الشهادة من جميع الجسد لأن لهذه الأعضاء عملاً في رمي المحصنات فهم ينطقون بالقذف ويشيرون بالأيدي إلى المقذوفات ويسعون بأرجلهم إلى مجالس الناس لإبلاغهم القذف(٦٧).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

اللسان يذكر ويؤنث وأكثر العرب على تذكيره. فقراءة التذكير جاءت مراعاة للفظ والأصل ولأن الفعل مسند إلى ضمير جمع تكسير ولأن التأنيث غير حقيقي فجمع لسان ألسنة وألسن. وأما قراءة التأنيث فجاءت موافقة لتأنيث اللسان عند الجمع(٦٨).

وترى الباحثة أن قراءة الياء جاءت مراعاة للأصل في تذكير اللسان وقراءة التاء جاءت للدلالة على الكثرة أي كثرة الأعضاء التي تشهد على قاذفي المحصنات يوم القيامة وعلى كثرة الشهادات، حيث إن التأنيث وجمع التكسير يفيد الكثرة(٦٩).

١٠ - ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ [النور: ٣١].

(٦٧) انظر التحرير والتنوير م٩ج١٨ ص١٩١.

(٦٨) انظر البحر المحيط ج٦ص٤٠٥، معاني القرآن للفراء ج٢ص٢٤٨، معاني القراءات ج٢ص٢٠٥.

(٦٩) انظر معاني الأبنية ص١٣٥.

القراءات:

١ ـ قرأ أبو جعفر وابن عامر وأبو بكر «غيرَ» بنصب الراء.

٢ ـ قرأ الباقون «غيرِ» بالخفض(٧٠).

٣ ـ قرأ ابن عامر «أيهُ المؤمنون»

٤ ـ قرأ الباقون «أيها المؤمنون»(٧١).

المعنى اللغوي للقراءات:

أصل الإِرْبَة والأَرْبُ والمأْرُبة: الحاجة. والمقصود بغير أولي الإربة: هم من يتبع أهل البيت ولا حاجة لهم في النساء(٧٢).

التفسير:

يأمر الله ﷻ المؤمنات أن يغضضنَّ أبصارهنَّ عما حرم الله عليهنَّ ويحفظنَ فروجهنَّ عن الزنا ونحوه وأن لا يظهرن زينتهن إلا ما ظهر منها، ثم ترشد الآية المؤمنات إلى من يحل لهن إبداء الزينة أمامهن وهم جميع المذكورين في الآية من أزواج وآباء وآباء الأزواج. . .وغير أولي الإربة أي التابعين الذين لا حاجة لهم في النساء ثم نهى الله النساء عن كل ما من شأنه أن يثير الفتنة كالدق بالرجل في المشية وإسماع صوت الخلخال للناس لأن من شأن ذلك لفت الأنظار وإثارة الشهوة وتختم الآية بالأمر بالرجوع والتوبة إلى الله وفعل ما أمر به من هذه الصفات والأخلاق الواردة في الآية لأن ذلك سبب الفلاح والفوز بالسعادة(٧٣).

---

(٧٠) انظر النشر ج٢ص٣٣٢.

(٧١) المرجع السابق ص١٤٢.

(٧٢) انظر الصحاح للجوهري ج١ ص٨٦ ـ ٨٧، فتح القدير ج٤ ص٢٤.

(٧٣) انظر التفسير المنير ج٩ من ص ٥٤٨ ـ ٥٥٧، أحكام القرآن للجصاص ج٣ ص ٤٦٤.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قُرئت (غير) بالجر والنصب.

فأما قراءة الجر فعلى أنها صفة للتابعين أو بدل. ويكون المعنى بها: لا يبدين زينتهن إلا للتابعين الذين لا إربَ لهم في النساء. وجاز وصف التابعين هنا بغير مع أنها نكرة وذلك لأن التابعين غير معينين وغير مقصودين بأعيانهم وإنما قصد بهم الجنس ولذلك فهم في موضع النكرة فجاز وصفهم بغير[(٧٤)].

وأما قراءة النصب فعلى الحال أو الاستثناء.

فعلى الحال يكون المعنى: ولا يبدين زينتهن للتابعين إلا حال كونهم غير مريدين للنساء.

وعلى الاستثناء يكون المعنى: لا يبدين زينتهن إلا للتابعين إلا أولي الإربة منهم فلا يبدين زينتهن لهم، فتكون غير هنا بمعنى إلا[(٧٥)].

وبالجمع بين القراءتين يتبين أن الله ﷻ يأمر المؤمنات بعدم إبداء الزينة للتابعين المتصفين بأن لهم رغبة في النساء حال وجود الإرب لهم في النساء. فهي دعوة إلى الاحتجاب من التابعين الذين لهم إرب في النساء.

وأما لفظة (**أيها**) فمن قرأها بفتح الهاء في الوصل فلأنها وقعت قبل الألف في التقدير وإنما سقطت في الوصل من اللفظ لالتقاء الساكنين وعليه بني الرسم.

وأما من قرأها بضم الهاء فاتباعاً للضمة التي قبلها لان الألف لما سقطت لالتقاء الساكنين أتبعت حركة الهاء حركة ما قبلها. وهي لغات[(٧٦)].

ويجوز أن تكون قراءة الضم تفيد قوة النداء والتنبيه للمؤمنين لزيادة

---

(٧٤) انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج ج٤ص ٤٢، والحجة للفارسي ج٥ص٣١٨.

(٧٥) معاني القرآن وإعرابه للزجاج أبي اسحق إبراهيم بن السَّري، ج٤ص٤٢.

(٧٦) انظر الكشف ج٢ص١٣٧، معاني القراءات ج٢ص٢٠٧.

تقواهم لله باعتبار أن الضمة هي أقوى الحركات أو لخروجها عن العادة في النداء بيأيها إذ المتعارف عليه أن يكون النداء بيأيها بالألف.

١١ ـ ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [النور: ٣٤].

القراءات:

١ ـ قرأ ابن عامر وحفص وحمزة والكسائي وخلف «مُبيِّنَاتٍ» بكسر الياء.

٢ ـ قرأ الباقون «مُبيَّنَاتٍ» بفتح الياء(٧٧).

المعنى اللغوي للقراءات:

البيان: ما بين به الشيء من الدلالة وغيرها وبان الشيء بياناً: اتضح فهو بَيِّن واستبان الشيء أي ظهر(٧٨).

التفسير:

بعد أن بين الله تعالى في الآيات السابقة أحكام الاستئذان وغض البصر ومن يجوز للمرأة إبداء زينتها لهم، شرع هنا في وصف القرآن الكريم بصفات ثلاث هي: أنه آيات واضحات موضحات ومثلا من الذين خلوا من قبل هؤلاء، وموعظة ينتفع بها المتقون خاصة فيتبعون أوامر الله ويجتنبون نواهيه(٧٩).

كما وفي هذه الآية تأكيد على ما جاء في بدايتها من أنها آيات مبينات واضحات أنزلها الله للعبرة والعظة(٨٠).

(٧٧) انظر النشر ج٢ص ٢٤٨.

(٧٨) لسان العرب ج١٣ص٦٧.

(٧٩) انظر فتح القدير ج٤ ص ٣٠.

(٨٠) انظر التحرير والتنوير ج٩ ص ٢٢٩.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

جاءت قراءة (مبيَّنات) بفتح الياء على اسم المفعول للدلالة على أن الله ﷻ هو الذي بين الآيات وفصلها ووضحها فأصبحت مفصلة واضحة الدلالة على ما يريده الله - جل وعلا -.

قال الألوسي: «مبينات على صيغة المفعول أي آيات بينها الله تعالى وجعلها واضحة الدلالة على الأحكام والحدود وغيرها»[81].

وقال الطبري: «واختلف القراء في قراءة ذلك فقراته عامة قراء المدينة وبعض الكوفيين والبصريين (مُبَيَّنات) بفتح الياء: بمعنى مفصلات وأن الله فصلهن وبينهن لعباده فهن مفصلات مبينات»[82].

وأما قراءة اسم الفاعل بكسر الياء (مُبيِّنات) فأسندت الفعل للآيات فهي موضحة لمقاصد الله سبحانه وتعالى من حلال وحرام وأوامر ونواهٍ يريد من عباده أن يتبعوها ويعملوا بمقتضاها.

قال الطبري: «وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة (مُبيِّنات) بكسر الياء بمعنى أن الآيات هن تبين الحق والصواب للناس وتهديهم إلى الحق»[83].

وبالجمع بين القراءتين: يتضح أن الله أنزل آيات واضحة في نفسها موضحة لغيرها في الدلالة على المقاصد التي أنزلت لأجلها من اشتمالها على الأمثلة والمواعظ التي تزيد المؤمنين تقوى وثقة بالله.

١٢ - ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۚ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٣٥﴾ [النور: ٣٥].

---

(٨١) روح المعاني ج٩ ص ٣٥٣.

(٨٢) جامع البيان مجلد ١٠ ج١٨ ص ١٣٤.

(٨٣) جامع البيان مجلد ١٠ ج١٨ ص ١٣٤.

القراءات:

١ ـ قرأ أبو عمرو والكسائي «دِريء» بكسر الدال مع المد والهمز.

٢ ـ قرأ حمزة وأبو بكر «دُريء» بضم الدال والمد والهمز.

٣ ـ قرأ الباقون «دُري» بضم الدال وتشديد الياء من غير مد ولا همز.

٤ ـ قرأ ابن كثير والبصريان وأبو جعفر «تَوَقَّدَ» بتاء مفتوحة وفتح الواو والدال وتشديد القاف.

٥ ـ قرأ نافع وابن عامر وحفص «يُوْقَد» بياء مضمومة وإسكان الواو وتخفيف القاف ورفع الدال على التذكير.

٦ ـ قرأ الباقون «تُوْقَد» بالتاء على التأنيث(٨٤).

المعنى اللغوي للقراءات:

دُري: نسبة إلى الدر كما تقول وردي نسبة إلى الورد.

ودُريء ودِريء: من درأ بمعنى دفع.

والدرء: الدفع ومعناه أنه يدفع الظلمة لتلألئه(٨٥).

وقد: الواو والقاف والدال كلمة تدل على اشتعال النار، والوقد نفس النار(٨٦).

التفسير:

هذا مثل ضربه الله للناس وشبهه بما يعرفونه ليسهل عليهم فهمه، فيخبر تعالى أنه ذو نور يضيء به السموات والأرض فالله هادي من في

---

(٨٤) انظر النشر ج ٢ص ٣٣٢.

(٨٥) التفسير المنير، ج ٩، ص ٥٧٨.

(٨٦) معجم المقاييس في اللغة، ص ١١٠٠.

السموات والأرض بالنور الحسي والمعنوي صفة نوره تعالى كصفة نور في كوة غير نافذة ينبعث من مصباح فتيلته المشتعلة به في قنديل من الزجاج والزجاج شفاف صافي اللون كأنه والنور فيه ـ في الإنارة والضوء ـ كوكب متلألئ متألق تألق الدر في صفائه ولمعانه وهذا المصباح يستمد نوره وتألقه من زيت شجرة زيتونة متوسطة تصيبها الشمس طول النهار فزيتها صاف يكاد يتألق بنفسه من غير أن تمسه النار فإذا مسته نار ازداد ضوءاً على ضوء، وكذلك أدلة الله وبراهينه واضحة وهي برهان بعد برهان ودليل بعد دليل يهدي الله لنوره أي لدينه الإسلام من يشاء ويبين الله الأمثال للناس تقريباً لأفهامهم والله بكل شيء عليم[(٨٧)].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت كلمة (دُرّيّ) بضم الدال وتشديد الياء ـ نسبة إلى الدر ـ أن نور الزجاجة كالكوكب الدري في ضيائه وصفائه ولمعانه.

قيل إن أصل هذه القراءة (دُريء) بالهمز ثم أبدلت الهمزة ياء وأدغمت في الياء التي قبلها، ومعناها الدرأ أي الدفع: أي يدفع بعضه بعضاً أو يدفع ضوؤه خفاءَه.

أما قراءة (دِريء) فهي من الدفع على وزن فِعّيل حيث يدرأ نور الكواكب بعضها بعضاً أي يدفع ضوؤها خفاءَها أو يدرأ الكوكب الظلام بضوئه ويرفع الظلمة لتلألئه.

وبالنظر في هذه القراءات يتضح أن قراءتي الضم والكسر مع الهمز بمعنى واحد وهو دفع الظلام بالضوء واللمعان[(٨٨)].

ومما سبق يتضح أن الله ﷻ شبه نوره الذي ينور السموات والأرض ويهدي البشر إلى الإيمان بالمشكاة التي فيها مصباح، الذي هو في زجاجة، التي هي كالكوكب الدري في الضياء واللمعان وإزالة الظلمة والخفاء. فكما

---

(٨٧) انظر، جامع البيان مجلد١٠ ج١٨ ص١٣٥، صفوة التفاسير ج٢ص٣٤٠.

(٨٨) انظر الدر المصون ج٨، ص٤٠٦، زاد المسير ص ٧٧٢.

أن نور الله ذاتي في نفسه منور لغيره يدفع عن المؤمن ظلمة الكفر والضلال مع دفع الظلام الحسي وفي ذلك دليل على قوة الإيمان في النفوس التي يدخلها وقوة تأثيره عليها، فكذلك نور الزجاجة المتلألئ في ذاته منور لغيره دافعٌ للظلمة والخفاء من حوله.

وهذا حال قلب المؤمن المنار بالإيمان من الله تعالى فهو إيمان قوي تأثيره كبير على المؤمنين وأفعالهم. ومما يؤيد ذلك قول القاسمي: «فإن النور ظاهر بذاته مظهر لغيره»[٨٩].

وكذا قول أبي السعود: «وعبر عن المنور بالنور ـ فبقوله تعالى: (اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ) تنبيهاً على قوة التنوير وشدة التأثير وإيذاناً بأنه تعالى ظاهر بذاته وكل ما سواه ظاهر بإظهاره. كما أن النور ينير بذاته وما عداه مستنير به»[٩٠].

وأما لفظة (يوقد) فقد تنوعت فيها القراءات ما بين المبني للفاعل والمبني للمفعول.

فيُوْقَد: فعل مضارع مبني للمجهول من الفعل الرباعي (أوقد) ونائب الفاعل ضمير مستتر تقديره (هو) يعود على المصباح أي يوقده المُوقِد[٩١].

وتُوْقَد: فعل مضارع مبني للمجهول ونائب الفاعل ضمير مستتر تقديره (هي) يعود على الزجاجة.

وأما تَوقَّدَ: على وزن تفعَّل فهو فعل ماضٍ والفاعل ضمير مستتر يعود على الزجاجة[٩٢]. ومجيء القراءات على هذا النحو في القرآن أي مرة مبنية للفاعل ومرة مبنية للمفعول ـ لتأكيد وقوع الفعل.

(٨٩) محاسن التأويل ج١٢ ـ ١٣ ص٤٥٢٤.

(٩٠) إرشاد العقل السليم ج٥ص١١٥.

(٩١) التحرير والتنوير ج ٩ص ٢٣٩.

(٩٢) انظر حجة القراءات ص٥٠٠، المغني ج٣ص ٨٠.

وإذا كنا نعرف أن الفعل يدل على الحدوث والتجدد(٩٣) علمنا أن قراءة المضارع أفادت تجدد إيقاد الوقود فهو لا يذوي ولا ينطفيء، وقراءة الماضي أفادت ثبات الوقود وتحققه فكأن نور الزجاجة ثابت مستمر في التوقد لا يذوي ولا ينطفيء وبذلك يكون زيت المصباح دائمة وضوؤه دائماً لامعاً لا ينقطع(٩٤). وهكذا نور الإيمان في قلب المؤمن دائم مستمر كما أن نور الله في السموات والأرض دائم مستمر.

١٣ ـ ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾﴾ [النور: ٣٦].

القراءات:

١ ـ قرأ ابن عامر وأبو بكر «يُسَبَّحُ» بفتح الباء على ما لم يسمَّ فاعله.

٢ ـ قرأ الباقون «يُسَبِّحُ» بكسر الباء مسمى الفاعل(٩٥).

المعنى اللغوي للقراءات:

التسبيح: تنزيه الله تعالى وأصله المر السريع في عبادة الله تعالى، وجعل التسبيح عاماً في العبادات قولاً كان أو فعلاً أو نية(٩٦).

ومعنى يسبح في هذه الآية يصلي كما قال ابن عباس رضي الله عنهما: كل تسبيح في القرآن فهو صلاة(٩٧).

التفسير:

لما ذكر الله تعالى في الآيات السابقة هدايته لمن يشاء من عباده ذكر هنا مواطن العبادة وهي المساجد أحب البقاع إلى الله وبين أن الله أمر ببناء

---

(٩٣) معاني الأبنية ص ٩.

(٩٤) التحرير والتنوير، ج٩ص٢٣٩.

(٩٥) انظر النشر، ج٢، ص ٣٣٢.

(٩٦) معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص٢٤٨.

(٩٧) انظر جامع البيان م١٠، ج١٨ ص ١٤٦.

المساجد وتشييدها على اسمه خاصة وأن تعظم ويرفع شأنها لتكون منارات للهدى ومراكز للإشعاع الروحي. قال ابن عباس ﷺ: «المساجد بيوت الله في الأرض تضيء لأهل السماء كما تضيء النجوم لأهل الأرض».

وأمر تعالى أن يعبد فيها بتوحيده وذكره، وحال هذه المساجد أن يُسَبِّح له فيها أي يصلي لله فيها في الصباح والمساء رجال مؤمنون يتصفون بعدم انشغالهم بالدنيا وزخرفها وعدم التهائهم بالبيع والشراء عن طاعة الله تعالى[٩٨].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قُرئت كلمة (يُسَبِّحُ) مرة بالبناء للفاعل ومرة بالبناء للمفعول ولذلك اختلف إعراب كلمة رجال في بداية الآية التالية لهذه الآية بناءً على اختلاف القراءة في لفظة يسبح.

فإعراب (رجال) على قراءة فتح الباء في يُسَبَّحُ الذي هو فعل مضارع مبني للمجهول ونائب الفاعل الجار والمجرور بعده وهو (له) تأتي بوجهين: الأول: أن تكون رجال مرفوعة لأنها فاعل لفعل محذوف دل عليه المقام كأنه قيل من يسبحه؟ فقيل: يسبحه رجال صفتهم كذا وكذا والثاني: أن رجال مرفوعة على أنها خبر مبتدأ محذوف أي المسبح رجال.

وأما على قراءة كسر الباء في (يُسَبِّحُ) الذي هو فعل مضارع مبني للمعلوم فتكون رجال مرفوعة لأنها فاعل للفعل يُسَبِّحُ[٩٩].

وبناء عل ذلك تكون قراءة (يُسَبِّحُ) مفسرة ومبينة لقراءة (يُسَبَّحُ) حيث إن كل قراءة سدت مسد آية وآيات القرآن يفسر بعضها بعضاً.

قال الشنقيطي: «وإنما ذكرنا أن الآية يبين بعض القراءات فيها معنى بعض لأن المقرر عند العلماء أن القراءتين في الآية الواحدة كالآيتين. وإذا

(٩٨) انظر صفوة التفاسير ج٢ ص ٣٤١.

(٩٩) انظر أضواء البيان، ج٤ص١١٦، التبيان في إعراب القرآن ج٢ص٢٥٠، حاشية الجمل ج٣ص٢٢٧، المغني، ج٣ص٨١.

علمت ذلك فاعلم أن قراءة الجمهور (يُسَبِّحُ) بكسر الباء وفاعله رجال مبينة أن الفاعل المحذوف في قراءة ابن عامر وشعبة عن عاصم (يُسَبَّحُ) بفتح الباء مبنياً للمفعول لحذف الفاعل هو رجال كما لا يخفى»[(١٠٠)].

١٤ - ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾ [النور: ٤٠].

القراءات:

١ - روى البزي «سحابُ» بغير تنوين، «ظلماتٍ» بالخفض.

٢ - روى قنبل «سحابٌ» بالتنوين، «ظلماتٍ» بالخفض.

٣ - قرأ الباقون «سحابٌ»، «ظلماتٌ» بالرفع[(١٠١)].

المعنى اللغوي للقراءات:

السحاب الغيم فيه ماء أو لم يكن ولهذا يقال سحاب جَهام[(*)]. وقد يذكر لفظه ويراد به الظل والظلمة على طريق التشبيه[(١٠٢)].

ظلمات جمع ظلمة وهي عدم النور ويعبر بها عن الجهل والشرك والفسق كما يعبر بالنور عن أضدادها[(١٠٣)].

التفسير:

هذا مثل ثانٍ ضربه الله ﷻ لحال الكفار في الدنيا والآخرة.

فأما المثل الأول ففي قوله تعالى «﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ...﴾ [النور: ٣٩].

(١٠٠) أضواء البيان ج٤ص١١٦.

(١٠١) انظر النشر ج٢ ص٣٣٢.

(*) الجَهام بالفتح السحاب الذي لا ماء فيه. (لسان العرب، ج١٢ص١٢٩، مختار الصحاح ص١١٥).

(١٠٢) انظر معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص ٢٥٣.

(١٠٣) انظر معجم مفردات القرآن ص ٣٥٢.

وأما المثل الثاني فهو هذه الآية حيث شبه الله ﷻ أعمال الكفار التي يعملونها في الدنيا على غير هدى بظلمات متراكمة في بحر عميق كثير الماء تغمره الأمواج المتلاطمة ويحجب نور الكواكب السماوية غيم كثيف فهي ظلمات ثلاث: ظلمة البحر وظلمة الموج وظلمة السحاب، ثم يبين أن من لم يهده الله ولم يوفقه إلى الهداية فهو هالك خاسر في ظلمة الباطل لا نور له ولا هادي(١٠٤).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (سحابُ ظلماتٍ) أن السحاب مضاف إلى الظلمات لأنه يرتفع وقت الظلمات كما يقال سحاب رحمة إذا ارتفع وقت المطر، فالإضافة هنا فسرت وبينت نوع السحاب.

أما قراءة (سحابٌ ظلماتٍ) فعلى التأكيد لظلمات الأولى أو البدل منها وتكون سحابٌ مبتدأ ومن فوقه الخبر والتأكيد يفيد شدة الظلمة التي يعاني منها الكفار.

وأما قراءة (سحابٌ ظلماتٌ) فتكون ظلمات خبر مبتدأ محذوف، التقدير: هي ظلمات أو هذه ظلمات(١٠٥). ففيها إذكارٌ وتنبيهٌ للنفس وإيقاظٌ لها ولفتٌ إلى ما هي عليه من المنزلة الدون حتى تسمو وترتفع.

١٥ ـ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾﴾ [النور: ٤٣].

القراءات:

١ ـ قرأ أبو جعفر «يُذْهِب» بضم الياء وكسر الهاء.

٢ ـ قرأ الباقون «يَذْهَب» بفتح الباء والهاء(١٠٦).

(١٠٤) انظر التفسير المنير، ج٩ ص٥٩٦ ـ ٥٩٧.
(١٠٥) انظر الجامع لأحكام القرآن، ج١٢ ص٢٨٥، إملاء ما منّ به الرحمن ص٤٥٣.
(١٠٦) انظر النشر، ج٢، ص٣٣٢.

المعنى اللغوي للقراءات:

ذهب: الذهاب المضي يقال ذهب بالشيء وأذهبه ويستعمل ذلك في الأعيان والمعاني[١٠٧].

التفسير:

يذكر الله ﷻ في هذه الآية ما يدل على وجوده وقدرته - جل وعلا - وهو أنه يسوق السحاب شيئاً فشيئاً ثم يجمع بعضه على بعض فيصبح ركاماً بعضه فوق بعض فيخرج المطر من بين هذا السحاب الكثيف المركوم وكذلك ينزل الله من السحاب الذي هو كأمثال الجبال أو من جبال البرد الموجودة في السماء برداً فيصيب به من يشاء من عباده فيضره في زرعه وثمره وماشيته ويصرفه ويدفعه عمن يشاء فلا يضره، فالله جعل السماء منشأ للخير والشر وكذلك يقرب ضوء برق هذا السحاب أن يخطف أبصار الناظرين من شدة إضاءته وقوة لمعانه والله يتصرف في الليل والنهار بالطول والقصر والظلمة والنور والحر والبرد، وفي كل ما تقدم عبرة ودلالة واضحة وعظة بليغة على وجود الله سبحانه وتعالى المبدع لكل ذي بصيرة مستنيرة[١٠٨].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قُرئت (يَذهَب) بفتح الياء والهاء مضارع الفعل الماضي ذهب، وعليه تكون الباء في قوله يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ للتعدية فيكون المعنى: يكاد ضوء برق السحاب يذهب بالأبصار لفرط ضيائه.

وقُرئت (يُذهِب) بضم الياء وكسر الهاء مضارع أذهب المزيد بهمزة، والباء على ذلك في الأبصار تكون زائدة وقيل أصلية بمعنى من: أي يذهب من الأبصار[١٠٩].

---

(١٠٧) معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص ٢٠٣.

(١٠٨) انظر محاسن التأويل، ج١٢ - ١٣ ص٤٥٤٠، صفوة التفاسير، ج٢ ص٣٤٢ - ٣٤٣.

(١٠٩) المستنير ج٣ ص١٣٥.

وتقدير المعنى في هذه القراءة يذهب الأبصار[110] أو يذهب من الأبصار[111] أو يذهب ذهابه بالأبصار[112] على اعتبار تعلق الباء بالمصدر لأن الفعل يدل عليه إذ منه أخذ تقديره (يذهب ذهابه بالأبصار).

وبالجمع بين القراءتين تكون قراءة (يُذهب) مؤكدة لقراءة (يَذهب) وزيادة إلصاق ذهاب الأبصار بالضوء، باعتبار أن زيادة المبنى تؤدي إلى زيادة المعنى.

١٦ ـ ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾﴾ [النور: ٤٥].

القراءات:

١ ـ قرأ حمزة والكسائي وخلف «خالق».

٢ ـ قرأ الباقون «خلق»[113].

المعنى اللغوي للقراءات:

خلق: الخلق أصله التقدير المستقيم ويستعمل في إبداع الشيء من غير أصل ولا احتذاء.

وليس الخلق الذي هو الإبداع إلا لله تعالى ويستعمل الخلق في إيجاد الشيء من الشيء[114].

التفسير:

تستمر الآيات في الإخبار عن قدرة الله التامة وسلطانه العظيم في خلق

---

(١١٠) إعراب القراءات الشواذ للعكبري ج٢ص١٨٩.

(١١١) المستنير ج٣ص١٣٥.

(١١٢) مجمع البيان ج٧ص٢٣٠.

(١١٣) انظر النشر، ج٢، ص٣٣٢.

(١١٤) انظر معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص١٧٦.

المخلوقات المختلفة في أشكالها وألوانها وحركاتها وسكناتها من ماء واحد، فمن هذه المخلوقات من يمشي على بطنه كالحية وغيرها ومنهم من يمشي على رجلين كالإنسان والطير ومنهم من يمشي على أربع كالأنعام وسائر الحيوانات، كل ذلك يخلقه الله ﷻ بقدرته ومشيئته فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن فهو على كل شيء قدير(١١٥).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (خَلَق) بالفعل الماضي حدوث الفعل وتحقق وقوعه، أما قراءة (خالق) على اسم الفاعل وإضافته إلى ما بعده فأفادت حدوث الفعل واستمراره ودوامه ودلت على الفاعل وهو الله - جل وعلا - حيث إن اسم الفاعل يدل على الحدث والحدوث وفاعله كما ويدل على ثبوت الوصف في الزمن الماضي ودوامه(١١٦) وقيل إن خَلَق تستعمل لشيء مخصوص وإنما يقال خالق على العموم كما قال الله ﷻ ﴿ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ﴾ [الحشر: ٢٤] وفي الخصوص ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [الأنعام: ١](١١٧).

وبالجمع بين القراءتين يتضح أن قراءة الفعل الماضي (خَلَق) تدل على وقوع الخلق من الله تعالى وخصت بقدرته على خلق المخلوقات الحية على اختلاف أشكالها وألوانها وحركاتها.

أما قراءة (خالق) على اسم الفاعل فدلت على ثبوت صفة الخلق لله تعالى واستمرارها كما وتدل على عموم قدرته لخلق كل شيء ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾﴾ [الزمر: ٦٢]، فالعلاقة بينهما علاقة خصوص وعموم، والله أعلم.

١٧ - ﴿وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [النور: ٤٨].

---

(١١٥) انظر تفسير ابن كثير ج٣ص٢٩٨.

(١١٦) معاني الأبنية ص٤٦.

(١١٧) انظر الجامع لأحكام القرآن ج١٢ص٢٩١.

القراءات:

١ ـ قرأ أبو جعفر «لِيُحْكَم» بضم الياء وفتح الكاف على ما لم يسمى فاعله.

٢ ـ قرأ الباقون «لِيَحْكُم» بفتح الياء وضم الكاف على البناء للفاعل[١١٨].

المعنى اللغوي للقراءات:

الحكم بالشيء أن تقضي بأنه كذا أو ليس بكذا سواء أَلزَمْتَ ذلك غيرك أو لم تلزمه. والحكم أن يقضى بشيء على شيء فيقول هو كذا أو ليس بكذا[١١٩].

التفسير:

شرعت هذه الآية في بيان أحوال المنافقين حيث إنهم يرفضون حكم الله ورسوله فقد نزلت هذه الآية في يهودي ومنافق حدثت بينهما خصومة فدعا اليهودي المنافق للتحاكم عند رسول الله ﷺ ودعا المنافق اليهودي للتحاكم عند كعب بن الأشرف بحجة خوفه من أن يحيف عليه الرسول ﷺ فلما حكم الرسول ﷺ لليهودي لأن له الحق رفض المنافق الحكم وذهب إلى عمر بن الخطاب ﷺ فلما علم برفض المنافق لحكم الرسول ﷺ قام عمر ﷺ بقتله. فنزلت الآية. وقيل سبب آخر بنفس المعنى[١٢٠].

فهي تبين إعراض المنافقين عن التحاكم إلى الله ورسوله ﷺ إذا كان الحق عليهم لعلمهم أنه ﷺ لا يحكم إلا بالحق والعدل.

---

(١١٨) انظر النشر ج٢ ص ٢٢٧.

(١١٩) معجم مفردات ألفاظ القرآن ص ١٤٢ ـ ١٤٣.

(١٢٠) انظر روح المعاني ج٩ص٣٨٦، التحرير والتنوير، م٩ ج١٨ص٢٦٩، الكشاف ج٣ص٣٠١.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة البناء للفاعل (لِيَحْكُم) بيان العلة من إنزال القرآن الكريم وهي الفصل والحكم بين الناس والضمير عائد على الرسول ﷺ فهو الحكم الدنيوي بكتاب الله، ويجوز أن يعود على الله ﷻ مع أن المقصود الرسول ﷺ وذلك بيان لمنزلة الرسول ﷺ[١٢١] وأنه يحكم بحكم الله القائم على الحق والعدل.

أما قراءة البناء للمفعول (لِيُحْكَم) فتفيد الغاية من إنزال القرآن الكريم وهي الحكم به.

وكلا القراءتين تفيد وقوع الفعل (وهو الحكم وفق كتاب الله من الرسول ﷺ) وحدوثه.

وبالجمع بين القراءتين: يتضح أن الله ﷻ جعل الحكم وفق كتابه مساوياً لحكمه ـ جل وعلا ـ وأنه أنزل كتابه حاكماً وفيه الحكم.

١٨ ـ ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور: ٥٥].

القراءات:

١ ـ قرأ أبو بكر «كما استُخلِف» بضم التاء وكسر اللام.

٢ ـ قرأ الباقون «كما استَخلَف» بفتحهما[١٢٢].

٣ ـ قرأ ابن كثير ويعقوب وأبو بكر «وَلَيُبْدِلَنَّهم» بالتخفيف.

٤ ـ قرأ الباقون «وَلَيُبَدِّلَنَّهم» بالتشديد[١٢٣].

---

(١٢١) انظر روح المعاني ج٩ص٣٨٦.

(١٢٢) انظر النشر ج٢ ص ٣٣٢.

(١٢٣) المرجع السابق ص ٣٣٣.

المعنى اللغوي للقراءات:

يقال لمنْ خلف آخر فسد مسده خَلَفٌ، وخلف فلان فلاناً قام بالأمر عنه إما معه وإما بعده، والخلافة النيابة عن الغير(١٢٤).

الإبدال والتبديل والتبدل والاستبدال: جعل شيء مكان آخر وهو أعم من العوض، والتبديل قد يقال للتغيير مطلقاً وإن لم يأت ببدله(١٢٥).

التفسير:

وعد الله المؤمنين الذين جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح بأن يجعلهم خلفاء الأرض وأئمتها كما جعل الذين من قبلهم من المؤمنين من بني إسرائيل خلفاء الأرض لأنه بالمؤمنين تصلح البلاد وأن يمكن لهم دين الإسلام الذي ارتضاه لهم وأن يبدلهم من بعد خوفهم من أعدائهم أمناً لأنهم عبدوه ووحدوه ولم يشركوا به أحد ثم تنذر الآيات بأن من يكفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون الخارجون عن طاعة الله(١٢٦).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

كلا القراءتين بالبناء للفاعل والبناء للمفعول بمعنى واحد، أي أن الله سيجعل المؤمنين خلفاءَ وملوكاً للأرض كما جعل غيرهم من المؤمنين من الأمم السابقة كذلك.

وكما هو معلوم فإن قراءة المبني للمعلوم والمبني للمجهول تفيدان وقوع الفعل وحدوثه، أي أن قراءة المبني للمجهول أكدت قراءة المبني للمعلوم وفي ذلك تأكيد بتحقق وعد الله للمؤمنين وعنايته ـ جل وعلا ـ بهم وباستخلافهم(١٢٧).

أما قراءة (وَلَيُبَدِّلَنَّهم) بالتخفيف والتشديد فيرى بعض العلماء أنهما

---

(١٢٤) انظر معجم مفردات ألفاظ القرآن ص ١٧٤ ـ ١٧٥.

(١٢٥) المرجع السابق ج٤٨.

(١٢٦) انظر التفسير المنير ج٩ ص٦٢٣.

(١٢٧) انظر القراءات وأثرها في التفسير والأحكام ج٢ ص٨٣١ ـ ٨٣٣.

بمعنى واحد[١٢٨] ويمكن استخدام أحدهما في موضع الآخر[١٢٩] وأنهما لغتان[١٣٠] والصحيح أن قراءة التشديد (وَلَيُبَدِّلَنَّهم) من التبديل بمعنى التغيير أي: ليغيرنَّ الله حالهم من الخوف إلى الأمن.

وأما قراءة التخفيف (وَلَيُبْدِلَنَّهم) فمن الإبدال وهي بمعنى وضع شيء مكان آخر فكأن الله سيذهب خوفهم ويضع بدلاً منه الأمن.

وبالجمع بين القراءتين نجد أنهما تظهران نعمة الله على عباده المؤمنين ووعده لهم بتغيير حالهم وإبدال خوفهم أمناً وفي ذلك مزيد عناية من الله للمؤمنين وتكريم لهم فهم لم يكونوا يطمعو إلا في الشعور بالأمن فزادهم الله أمناً بذهاب الخوف عنهم مع شعورهم بالأمن.

١٩ ـ ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾﴾ [النور: ٥٧].

القراءات:

١ ـ قرأ ابن عامر وحمزة «لا يَحْسَبَنَّ» بياء الغيب.

٢ ـ قرأ عاصم «لا تَحْسَبَنَّ» بتاء المخاطب.

٣ ـ قرأ الباقون «لا تَحْسِبَنَّ»[١٣١].

المعنى اللغوي للقراءات:

الحِسبان أن يحكم لأحد النقيضين من غير أن يخطر الآخر بباله فيحْسِبُه ويعقد عليه الأصبع، ويكون بعَرْض أن يعتريه شك ويقارب ذلك الظن لكن الظن أن يُخْطِرَ النَّقيضين بباله فَيُغلِّب أحدهما على الآخر[١٣٢].

---

(١٢٨) التحرير والتنوير، ج٩ص٢٨٨.
(١٢٩) انظر إعراب القرآن للنحاس ج٣ص١٤٦.
(١٣٠) الجامع لأحكام القرآن ج١٢ ص٢٩٩.
(١٣١) انظر النشر ج٢ ص ٢٧٧.
(١٣٢) معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص١٣٢.

التفسير :

هذه الآية فيها تسلية للنبي ﷺ ووعد له بالنصرة فيخبره الله تعالى ألا يظن أن الكافرين الذين عذبوه وكذبوه معجزون لله في هذه الأرض بل الله قادر عليهم في كل وقت ومصيرهم النار ولبئس المرجع والمآل الذي يؤولون إليه(١٣٣).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (لا تَحْسَبَنَّ) بفتح السين وكسرها أن المخاطب محمد ﷺ والذين كفروا مفعول أول لتحسبنَّ ومعجزين مفعول ثانٍ له لأن هذا الفعل يأخذ مفعولين.

أما قراءة (لا يَحْسَبَنَّ) فأفادت أن المخاطب إما محمد ﷺ وإما الكفار فعلى اعتبار أن محمداً ﷺ هو المخاطب أي: لا يحسبن محمد ﷺ الذين كفروا معجزين، يكون الذين كفروا مفعولاً أولاً ومعجزين مفعولاً ثانياً.

وكذلك على اعتبار أن المخاطب الكفار أي: لا يحسبن الكفار الذين كفروا معجزين في الأرض يكون الذين كفروا ومعجزين مفعول يحسبن(١٣٤).

وأما الزمخشري فيقول: إن معجزين في الأرض هما المفعولان: «وقرئ لا يحسبن بالياء وفيه أوجه: أن يكون (معجزين في الأرض) هما المفعولان والمعنى: لا يحسبنَّ الذين كفروا أحداً يعجز الله في الأرض حتى يطمعوا هم في مثل ذلك. وهذا معنىً قويٌّ جيد. وأن يكون فيه ضمير الرسول ﷺ لتقدم ذكره في قوله (وأطيعوا الرسول) وأن يكون الأصل لا يحسبنَّهم الذين كفروا معجزين ثم حذف الضمير الذي هو المفعول الأول وكأن الذي سوَّغ ذلك أن الفاعل والمفعولين لما كانت لشيء واحد اقتنع بذكر اثنين عن ذكر الثالث»(١٣٥).

---

(١٣٣) صفوة التفاسير ج٢ص٣٤٨.
(١٣٤) انظر الجامع لأحكام القرآن ج١٢ص٣٠٠.
(١٣٥) الكشاف ج٣ص٣٠٥.

وبالجمع بين القراءتين يتضح أن في القراءتين تسلية ووعداً لمحمد ﷺ بالنصر على الكفار المكذبين لدعوته المعاندين له، في قراءة الغيب (لا يَحْسَبَنَّ) تهديد وتوبيخ للكفار الذين يظنون أنفسهم معجزين لله وخارج قدرته - جل وعلا - .

٢٠ - ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَـٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ۚ ثَلَـٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ ۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾﴾ [النور: ٥٨].

القراءات:

١ - قرأ حمزة والكسائي وخلف وأبو بكر «ثلاثَ عورات» بالفتح.

٢ - قرأ الباقون «ثلاثُ عوراتٍ» بالرفع(١٣٦).

المعنى اللغوي للقراءات:

عورات: العورة سوأة الإنسان وذلك كناية، وأصلها من العار وذلك لما يلحق في ظهوره من العار أي المذمة. والعورة شقّ في الشيء كالثوب والبيت ونحوه(١٣٧).

التفسير:

تناولت هذه الآية آداب الاستئذان داخل البيت، حيث تدعو الإنسان إلى الطلب من العبيد والإماء وأطفاله الذين عنده أن يستأذنوا قبل الدخول عليه في أوقات محددة هي: قبل صلاة الفجر ووقت القيلولة وبعد صلاة العشاء لأن هذه أوقات راحة وخلوة للإنسان قد تبدو فيها عورته ولا حرج عليهم في الدخول بغير استئذان في غير هذه الأوقات حيث المخالطة

---

(١٣٦) انظر النشر ج٢ص٣٣٣.

(١٣٧) معجم مفردات ألفاظ القرآن ٣٩٨.

والمداخلة تكون بينهم ضرورية بسبب الاستخدام وغيره فلو طلب منهم الاستئذان في كل وقت لشق ذلك عليهم والله يشرع لهم ما فيه الحكمة وصلاح الشأن والحال(١٣٨).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

جاءت قراءة (ثلاثَ عوراتٍ) بالنصب على أنها بدل من (ثلاثَ) مرات المنصوبة على أنها مصدر وقيل على أنها ظرف تقديره ثلاثة أوقات أي: يستأذنونكم في ثلاثة أوقات وهذا أصح في المعنى لأنهم لم يؤمروا بالاستئذان ثلاث مرات وإنما في ثلاثة أوقات حيث بينها بعد ذلك وهي الأوقات المذكورة في الآية.

وإذا كانت بدلاً من الظرف فلا يصح هذا البدل إلا بتقدير محذوف مضاف تقديره: أوقات ثلاث عورات فتبدل أوقات ثلاث عورات من ثلاث مرات وكلاهما ظرف فيبدل ظرف من ظرف فيصح المعنى والإعراب(١٣٩).

وأما قراءة الضم (ثلاثُ عورات) فعلى أنها خبر مبتدأ محذوف تقديره: هذه ثلاث عورات أي: هذه أوقات ثلاث عورات ثم حذف المضاف (الأوقات) وجعلت الأوقات عورات لأن ظهور العورة يكون فيها(١٤٠).

وبالجمع بين القراءتين: يتضح أن قراءة النصب بينت أوقات الاستئذان وقراءة الرفع بينت علة الاستئذان.

٢١ ـ ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٦٤﴾﴾ [النور: ٦٤].

القراءات:

١ ـ قرأ يعقوب «يَرجِعون» بفتح الياء وكسر الجيم.

(١٣٨) انظر محاسن التأويل ج١٢ ص٤٥٤٧.

(١٣٩) انظر مشكل إعراب القرآن ج١ ص٥١٦.

(١٤٠) مشكل إعراب القرآن ج١ص٥١٦، القراءات وأثرها في علوم العربية ج٢ص٣٠.

٢ ـ قرأ الباقون «يُرجَعون» بضم الياء وفتح الجيم[١٤١].

المعنى اللغوي للقراءات:

الرجوع العود إلى ما كان منه البدء أو تقدير البدء مكاناً كان أو فعلاً أو قولاً وبذاته كان رجوعه أو بجزء من أجزائه أو بفعل من أفعاله، فالرجوع العود والرجعُ الإعادة والرجعة في العود إلى الدنيا بعد الممات[١٤٢].

التفسير:

بعد أن تحدث الله تعالى في الآية السابقة عن المنافقين وطالبهم باحترام الرسول ﷺ وتبجيله بين في هذه الآية أنه تعالى مالك جميع السموات والأرض وما فيها ولذلك عليهم (أي المنافقين) عدم مخالفة أوامر ربهم وإتباع رسوله ﷺ وطاعته لأن الله يعلم ما هم عليه من طاعة الرسول ﷺ أو عدمها ويوم القيامة ينبئهم بما فعلوا في الدنيا لأنه ـ جل وعلا ـ عليم بكل شيء عملوه هم وغيرهم ومحيط به وسَيُوَفِ كل واحد بحسب عمله يوم يرجعون إليه[١٤٣].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (يُرجعون) بالبناء للمفعول والفعل متعد أن الله ﷻ هو الذي يرجع هؤلاء المنافقين يوم القيامة فيرجعون بقهر قاهر لهم على ذلك لا يقدرون له على دفاع ولا نوع امتناع[١٤٤] ليحاسبهم على أعمالهم وفي ذلك وعيد وتهديد من الله لهم بمحاسبتهم على أعمالهم السيئة.

أما قراءة (يَرجعون) بالبناء للفاعل والفعل لازم فدلت على أنهم هم

---

(١٤١) انظر النشر ج٢ص ٢٠٨.

(١٤٢) معجم مفردات ألفاظ القرآن ص٢١٢.

(١٤٣) انظر جامع البيان ج١٠ص١٧٩.

(١٤٤) انظر نظم الدرر ج٥ص٢٩٠.

الفاعلون وأنهم يرجعون من أنفسهم وفي ذلك دلالة على لزوم عودتهم وتحقق وقوعها ليحاسبوا على أعمالهم(١٤٥).

وبالجمع بين القراءتين يتضح أن القراءتان تؤكدان تحقق عودة المنافقين يوم القيامة ومحاسبتهم على أعمالهم ومخالفاتهم لله تعالى ورسوله ﷺ.

(١٤٥) انظر معاني القراءات ج٢ص٢١٢، لسان العرب ج٨ص ١١٤.

الفصل الثاني
تفسير سورة الفرقان بالقراءات القرآنية العشر

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: تعريف بالسورة.

المبحث الثاني: عرض لآيات السورة المتضمنة القراءات العشر

المبحث الأول
تعريف بسورة الفرقان

وفيه مطالب:

المطلب الأول: بيان أن السورة مكية أو مدنية وعدد آياتها.

المطلب الثاني: أسماء السورة ووجه التسمية.

المطلب الثالث: ترتيب نزول السورة.

المطلب الرابع: الجو الذي نزلت فيه السورة.

المطلب الخامس: المناسبات في سورة الفرقان. وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: علاقة سورة الفرقان بما قبلها.

المسألة الثانية: علاقة سورة الفرقان بما بعدها.

المطلب السادس: خصائص سورة الفرقان.

المطلب السابع: أغراض سورة الفرقان وموضوعاتها.

المطلب الأول: بيان أن السورة مكية أو مدنية وعدد آياتها[١٤٦]

سورة الفرقان مكية كلها بقول الجمهور، وعدد آياتها سبع وسبعون آية

(١٤٦) انظر مجمع البيان ج٧ص٢٤٩ والبحر المحيط ج٦ص٤٣٩، الجامع لأحكام القرآن ج١٣ص٥ وتفسير الماوردي ج٤ص١٣٠.

باتفاق. وروي عن ابن عباس أنه استثنى منها ثلاث آيات نزلت بالمدينة(١٤٧).

والصحيح أن هذه الآيات مكية كما في صحيح البخاري في تفسير سورة الفرقان حيث أجاب ابن عباس على سؤال سعيد بن جبير عن توبة القاتل عمداً وقراءته للآية (٦٨) من الفرقان بقوله: «هذه مكية نسختها آية مدنية وهي التي في سورة النساء(١٤٨)، كما أن أسلوب السورة وموضوعاتها شاهدة على مكيتها.

المطلب الثاني: أسماء السورة ووجه التسمية

تسمى هذه السورة سورة الفرقان وهو اسم توقيفي لها سميت به على عهد الرسول ﷺ وبمسمع منه. فقد روى البخاري عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه قال: (سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان في حياة الرسول ﷺ فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله ﷺ فكدت أساوره في الصلاة فتصبرت حتى سلم فلبّبته بردائه فانطلقت به أقوده إلى رسول الله ﷺ فقلت: إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها...) الحديث(١٤٩)، والفرقان اسم من أسماء القرآن الكريم سمي به لتفريقه بين الحق والباطل والخير والشر والكفر والإيمان. وورد هذا اللفظ في السورة ثلاث مرات. ووجه التسمية به:

أن في السورة من إعجاز القرآن العام ما تقوم به الحجة على التفرقة بين الحق والباطل ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ

---

(١٤٧) وهي الآيات ٦٨ ـ ٦٩ ـ ٧٠ من سورة الفرقان من قوله تعالى: «﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾.

(١٤٨) انظر صحيح البخاري كتاب التفسير تفسير سورة الفرقان باب قول وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ...حديث٤٧٦٢، ص١٠٠٣.

(١٤٩) صحيح البخاري كتاب التفسير تفسير سورة الفرقان باب قول وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ...حديث٤٧٦٢، ص١٠٠٣.

﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٤٢]، وتسمى أيضا في بعض البلدان بسورة «تبارك الفرقان»(١٥٠).

المطلب الثالث: ترتيب نزول السورة

تعد السورة الواحدة والعشرون في نزول القرآن المكي، نزلت بعد سورة يس(١٥١).

وهي السورة الخامسة والعشرين في ترتيب سور القرآن الكريم.

المطلب الرابع: الجو الذي نزلت فيه السورة(١٥٢)

نزلت سورة الفرقان في السنة العاشرة للبعثة، بين الهجرة إلى الحبشة ورحلة الإسراء.

وكانت هذه الفترة من أشد الفترات العصيبة على محمد ﷺ حيث اشتد إيذاء قريش له بعد وفاة زوجته السيدة خديجة ـ رضي الله عنها ـ وعمه أبي طالب، وبعد هجرته إلى الطائف التي لاقى فيها من الإيذاء ما لاقى، فنزلت سورة الفرقان في هذا الجو الشديد العصيب تسرية وتسلية لمحمد ﷺ تطمئن قلبه وتشد أزره وهو يواجه عناد قريش وتكذيبها وإيذائها له ﷺ.

المطلب الخامس: المناسبات في سورة الفرقان. وفيه مسألتان

المسألة الأولى: علاقة سورة الفرقان بما قبلها(١٥٣):

ترتبط سورة الفرقان بسورة النور التي قبلها ارتباطاً وثيقاً وذلك اعتباراً بالوحدة الموضوعية للقرآن الكريم، ويظهر هذا الارتباط من وجوه عدة هي:

---

(١٥٠) التحرير والتنوير، م٩ ج١٨ ص٣١٣.

(١٥١) البرهان في علوم القرآن ج١ ص٢٤٩.

(١٥٢) انظر تفسير القرآن الكريم، د. عبد الله شحادة ج٩ ص٣٦٦٤.

(١٥٣) انظر روح المعاني ج٩ ص٤٢٠، تناسق الدرر ص١٠٤، ١٠٥، نظم الدرر ج٥ ص٢٩١، تفسير المراغي ج٦ ص١٤٥.

١ ـ لما ختمت سورة النور ببيان سعة ملك الله تعالى وشمول علمه وتعظيم نبيه محمد ﷺ بدئت سورة الفرقان بتعظيم الله تعالى الذي له ملك السموات والأرض من غير ولد ولا شريك في الملك.

٢ ـ فصلت سورة الفرقان وفسرت ما جاء مجملاً في سورة النور.

فقد ختمت سورة النور بقوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٦٤﴾﴾ [النور: ٦٤]، وجاءت سورة الفرقان مفصلة لصفات الله ﷻ الذي له ملك السموات والأرض.

كما أنه ورد في سورة الفرقان كثير من مخلوقات الله(١٥٤).

كمد الظل والليل والنهار والرياح والماء والأنعام وخلق السموات والأرض في ستة أيام والاستواء على العرش وبروج السماء والسراج والقمر، وغير ذلك مما هو تفصيل لقوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ﴾.

٣ ـ لما مدح الله ﷻ في سورة النور محمداً ﷺ وأثنى عليه، وذم المنافقين المخالفين له المبتعدين عن طاعته، أكد في سورة الفرقان مدح محمد ﷺ وشرف مكانته وعلو منزلته عند الله تعالى فهو عبده الذي اصطفاه من خلقه وكرمه بنزول القرآن عليه.

٤ ـ لما ذكر الله ﷻ في سورة النور وجوب متابعة المسلمين للرسول ﷺ وحذر من مخالفته، بين في هذه تعاليه جل شأنه عما سواه في ذاته وصفاته وأفعاله ودل على كثرة خيره جل وعلا ودوامه، وأنه لذلك يجب إتباع أمر نبيه الذي اختاره وأنزل عليه قرآنه ليكون للعالمين نذيراً.

المسألة الثانية: علاقة سورة الفرقان بما بعدها(١٥٥):

سورة الشعراء بَسَطَت وفصلت ما أشير إلى ذكره في سورة الفرقان من

---

(١٥٤) ورد ذكر هذه المخلوقات في الآيات ٤٦ ـ ٦١ من سورة الفرقان.

(١٥٥) انظر روح المعاني ج١٠ص٥٨، تناسق الدرر ص١٠٦، ١٠٧.

قصص الأنبياء. فقد وردت الإشارة في سورة الفرقان إلى إهلاك الله تعالى لقوم موسى وهارون ونوح وعاد وثمود عليهم السلام بسبب تكذيبهم وكفرهم بالله تعالى ورسله ورتب ذكرها في الشعراء على ترتيب ذكرها في الفرقان(١٥٦).

وكما كانت سورة الفرقان تسلية للرسول ﷺ كانت سورة الشعراء كذلك لاشتمالها على تفصيل قصص الأنبياء ـ عليهم السلام ـ وما لاقوه من أقوامهم من تكذيب وإيذاء وتعذيب وما في ذلك من تسرية وتسلية للرسول ﷺ.

كما أن كلتا السورتين افتتحتا بما يفيد مدح القرآن الكريم وختمتا بتوعد الكافرين بالهلاك والعذاب.

المطلب السادس: خصائص سورة الفرقان

تميزت سورة الفرقان عن غيرها من سور القرآن الكريم باسمها التوقيفي الذي سميت به. فبعد تتبعي لأسماء سور القرآن في المصحف الشريف وجدت أن سورة الفرقان هي السورة الوحيدة التي تحمل اسماً من أسماء القرآن الكريم. حيث إن الفرقان هو اسم للقرآن الكريم لأنه يفرق بين الحق والباطل والخير والشر والكفر والإيمان.

كما تميزت سورة الفرقان عن غيرها من سور القرآن الكريم بافتتاحيتها. فإنها وسورة الملك السورتان الوحيدتان اللتان افتتحتا بقوله تعالى: «تبارك». فقد افتتحت سورة الفرقان بقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١﴾ [الفرقان: ١].

وافتتحت سورة الملك بقوله تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١﴾ [الملك: ١]، كما وتميزت سورة الفرقان بمحورها الرئيس وموضوعها الذي تعالجه. فسورة الفرقان تبدو كلها وكأنها إيناس للرسول ﷺ

(١٥٦) قصة موسى عليه السلام وردت من الآية ١٠وما بعدها ونوح الآية ١٠٥ وما بعدها وعاد آية ١٢٣ وما بعدها وهكذا على ترتيب آيات الفرقان.

وتسرية وتطمين له وتقوية وهو يواجه مشركي مكة وعنادهم وتطاولهم عليه وتعنتهم معه وجدالهم بالباطل ووقوفهم في وجه الهدى وصدهم عنه(١٥٧).

المطلب السابع: أغراض سورة الفرقان وموضوعاتها

سورة الفرقان سورة مكية تعنى كغيرها من سور القرآن المكي بأمور العقيدة وتعالج شبهات المشركين حول رسالة محمد ﷺ. ومحور السورة الأساس يدور حول إثبات صدق محمد ﷺ وحول عقيدة الإيمان بالبعث والجزاء وفي ذلك تسرية وتسلية لمحمد ﷺ.

ومن أهم الموضوعات التي تناولتها السورة ما يلي(١٥٨):

١ ـ تمجيد وتسبيح الله ﷻ الذي أنزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً.

٢ ـ إثبات البعث والجزاء والإنذار بالجزاء في الآخرة للمكذبين والتبشير بالثواب للصالحين.

٣ ـ إيراد الأدلة على وحدانية الله ﷻ وقدرته الظاهرة في السموات والأرض.

٤ ـ ذكر بعض الأنبياء ومواقف أقوامهم منهم وما حل بأولئك الأقوام من هلاك ودمار نتيجة كفرهم وتكذيبهم دعوة الأنبياء عليهم السلام.

٥ ـ بيان صفات عباد الرحمن وما أكرمهم الله به من الأخلاق الحميدة التي استحقوا بها الأجر العظيم في جنات النعيم.

٦ ـ الموازنة بين نعيم المؤمنين وعذاب الكافرين.

٧ ـ بيان مقام محمد ﷺ في الرسالة وواجبه فيها.

٨ ـ ذكر شبهات المشركين حول رسالة محمد ﷺ والرد عليها.

---

(١٥٧) انظر في ظلال القرآن ج٥ص٢٥٤٤.

(١٥٨) انظر في ظلال القرآن ج٥ص٢٥٤٤، تفسير المراغي ج٦ص١٤٦، زهرة التفاسير ج١٠ ص٥٢٣٩، صفوة التفاسير ج٢ ص٣٥٣.

المبحث الثاني
عرض لآيات سورة الفرقان المتضمنة القراءات العشر

واعتمدت المنهج التالي فيه:

كتابة الآية القرآنية مدار البحث كاملة.

بيان القراءات فيها.

بيان المعنى اللغوي للقراءات.

تفسير الآية كاملة تفسيراً إجمالياً.

بيان العلاقة التفسيرية بين القراءات.

١ ـ ﴿أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ ٱلظَّـٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾﴾ [الفرقان: ٨].

القراءات:

١ ـ قرأ حمزة والكسائي وخلف «نَأْكُلُ منها» بالنون.

٢ ـ قرأ الباقون «يَأْكُلُ منها» بالياء[١٥٩].

(١٥٩) النشر ج٢ص٣٣٣.

المعنى اللغوي للقراءات:

الأكل تناول المطعم، والأكل لما يؤكل بضم الكاف وسكونه[١٦٠].

التفسير:

هذه الآية وما قبلها من قول المشركين الذين ينكرون نبوة محمد ﷺ ويسخرون من كونه يأكل الطعام كما يأكلون ويمشي في الأسواق كما يمشون ويطلبون أدلة على نبوته منها أن يكون مَلَكاً أو بشراً يمشي معه ملك أو يؤيد بنزول كنز عليه من السماء يستغني به ولا يحتاج إلى الكسب والمعاش أو يكون له بستان يأكل منه ويرتزق ويأكلون هم من ذلك البستان فينتفعون به في دنياهم ومعاشهم، وبعد هذه السخرية يقول هؤلاء الظالمون لأتباع محمد ﷺ ما تتبعون وتؤيدون إلا رجلاً مسحوراً لانتفاء وجود كل ما ذكروه سابقاً معه على حد زعمهم[١٦١].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة الياء (يأكل منها) أن الكفار اقترحوا كدليل على نبوة محمد ﷺ أن تكون له جنة أي بستان يأكل منه ﷺ فيستغني عن طلب الكسب والمعاش.

وأما قراءة النون (نأكل منها) فتفيد اقتراح الكفار أن يكون للرسول ﷺ جنة يأكلون هم منها فينتفعون في دنياهم ومعاشهم ويتيقنون أن ثمرها حقيقة لا سحراً فيصدقون بنبوة الرسول[١٦٢].

وبالجمع بين القراءتين: يتبين أنهم اقترحوا أن تكون للرسول ﷺ جنة يستغني بها عن طلب الكسب والمعاش فتكون له ميزة عليهم ويأكلون هم منها فيتيقنوا أن ثمرها حقيقة لا سحر لأنهم كانوا يتهمونه بالسحر.

---

(١٦٠) معجم مفردات ألفاظ القرآن ص٢٧.

(١٦١) انظر الكشاف، ج٣ص٣١٦.

(١٦٢) انظر التحرير والتنوير، ج٩ص٣٢٨.

٢ ـ ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا ﴿١٠﴾﴾ [الفرقان: ١٠].

القراءات:

١ ـ قرأ ابن كثير وابن عامر وأبو بكر «يَجْعَلُ لَكَ» برفع اللام.

٢ ـ قرا الباقون «يَجْعَلْ لك» بالجزم(١٦٣).

المعنى اللغوي للقراءات:

جعل لفظ عام في الأفعال كلها وهو أعم من فعل وصنع وسائر أخواتها، ويتصرف على خمسة أوجه: صار وطفق، وأوجد، إيجاد شيء من شيء، في تصيير الشيء على حالة دون حالة، الحكم بالشيء على الشيء حقاً كان أو باطلا(١٦٤).

التفسير:

يمجد الله ﷻ نفسه ويعظمها ويبين لمحمد ﷺ أنه لو أراد لجعل له خيراً مما تمناه له المشركون من نعم الدنيا، حدائق تجري من تحتها الأنهار، لا جنة واحدة وجعل فيها قصوراً رفيعة مشيدة.

قال الزمخشري: «تكاثر خير» الَّذِي إِن شَاء وهب لك في الدنيا «خَيْرًا» مما قالوا وهو أن يجعل لك مثل ما وعدك في الآخرة من الجنات والقصور»(١٦٥).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة الجزم العطف على موضع (جعل) لأنه جواب الشرط في موضع جزم، فيكون «وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا» داخلاً في المشيئة أي: إن شاء الله فعل ذلك بك يا محمد ﷺ وهو فاعله بلا شك.

---

(١٦٣) النشر ج٢ص٣٣٣.

(١٦٤) انظر معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص١٠٦.

(١٦٥) الكشاف ج٣ص٣١٧.

وأفادت قراءة الرفع (يَجْعَلُ لَكَ) الاستئناف والقطع وفيه معنى الحتم ليس بموقوف على المشيئة أي: لا بد أن يجعل لك يا محمد ﷺ قصوراً[166].

وبالجمع بين القراءتين: يتبين أن قراءة الاستئناف بينت قراءة الجزم فالله ﷻ لو شاء لجعل لمحمد ﷺ ما طلبه له المشركون في الدنيا من قصور وجنات مع قدرته - جل وعلا - الكاملة على ذلك ولكنه حتماً وقطعاً سيجعل له جنات وقصور في الآخرة تنفيذاً لوعده جل وعلا.

٣ - ﴿وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾﴾ [الفرقان: ١٣].

القراءات:

١ - قرأ ابن كثير «**ضَيْقا**» بإسكان الياء وتخفيفها.

٢ - قرأ الباقون «**ضَيِّقا**» بكسر الياء وتشديدها[167].

المعنى اللغوي للقراءات:

ضيقا: الضِّيْق ضد السَّعة، ويقال الضَّيْق أيضاً، الضَّيْقة يستعمل في الفقر والبخل والغم قال: «﴿وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ﴾ [التوبة: ١١٨] وقال: ﴿وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ [النحل: ١٢٧]، كل ذلك عبارة عن الحزن. ﴿وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ﴾ [الطلاق: ٦].

ينطوي على تضييق النفقة وتضييق الصدر[168].

التفسير:

يصف الله ﷻ في هذه الآية وصول الكفار إلى نار جهنم والضجيج

(١٦٦) انظر الكشاف ج٣ ص٣١٧.

(١٦٧) الكشف ج٢ ص١٤٤.

(١٦٨) انظر النشر ج٢ ص١٩٧.

الذي يحدثونه عند وصولهم إليها، والمكان الضيق الذي ألقوا فيه.

يقول الصابوني في تفسير هذه الآية: ﴿وَإِذَآ أُلْقُواْ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا﴾ أي إذا ألقوا في جهنم في مكانٍ ضيق، قال ابن عباس ﷺ: تضيق عليهم ضيق الزُّج في الرمح الزُّج: الحديدة التي في أسفل الرمح، ﴿مُّقَرَّنِينَ﴾ أي مصفدين قد قرنت أيديهم إلى أعناقهم بالسلاسل، ﴿ دَعَوْاْ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾﴾ أي دعوا في ذلك المكان على أنفسهم بالويل والهلاك. يقولون يا هلاكنا، نادوا نداء المتمني الهلاك ليسلموا مما هو أشد منه(١٦٩).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

ذهب كثير من العلماء إلى أن كلتا القراءتين بمعنى واحد، وهما لغتان وتفيدان المبالغة في الوصف.

قال ابن عاشور: «قرأ الجمهور (ضَيِّقا) بتشديد الياء، وقرأه ابن كثير (ضَيْقا) بسكون الياء وكلاهما للمبالغة في الوصف مثل: ميّت وميْت. لأن الضيِّق بالتشديد صيغة تمكن الوصف من الموصوف، والضيْق بالسكون وصف بالمصدر»(١٧٠).

قال ابن خالويه(١٧١): قوله تعالى: ﴿مَكَانًا ضَيِّقًا﴾ يقرأ بالتشديد والتخفيف، فقيل هما لغتان وقيل أراد التشديد فخفف. قيل الضيِّق فيما يرى ويحد، يقال: بيت ضَيِّق وفيه ضيق والضيق فيما لا يحد ولا يرى يقال: صدر ضيق وفيه ضَيْق»(١٧٢).

والذي يتبين مما سبق أن كل قراءة أفادت معنىً غير الذي أفادته

---

(١٦٩) صفوة التفاسير ج٢ ص٣٥٧.

(١٧٠) التحرير والتنوير، ج٩ ص٣٣٤.

(١٧١) هو الحسين بن أحمد بن خالويه، أبو عبد الله، لغوي من كبار النحاة، أصله من همذان، استوطن حلب وعظمت بها شهرته، كان له منزلة رفيعة عند بني حمدان، من مؤلفاته: مختصر في شواذ القرآن، الحجة في القراءات السبع، ت في حلب سنة٣٧٠. (انظر الأعلام للزركلي ج٢ص ٢٣١).

(١٧٢) الحجة لابن خالويه ص٢٦٥.

الأخرى، فإن قراءة التشديد (ضَيِّقا) أفادت ضيق المكان وقراءة التخفيف (ضَيْقا) أفادت ضيق الصدر.

قال الزمخشري: «الكرب مع الضيق كما أن الرَّوح مع السعة... ولقد جمع الله على أهل النار أنواع التضييق والإرهاق حيث ألقاهم في مكان ضيق يتراصون فيه تراصاً، كما روى ابن عباس في تفسيره: تضيق عليهم ضيق الزُّج في الرمح. وهم مع ذلك الضيق مقرنون في السلاسل قرنت أيديهم إلى أعناقهم في الجوامع. وقيل يُقرن مع كل كافر شيطانه في سلسلة»(١٧٣).

وأضاف الشنقيطي معنىً آخر في تفسيره حيث قال بعد تفسير الآية: «فما وجه التعبير في سورة هود بقوله ضائق على وزن فاعل، وفي الفرقان والأنعام بقوله ضيقاً على وزن فيعل مع أنه في المواضع الثلاث هو الوصف من ضاق يضيق فهو ضيق.

والجواب عن هذا: هو أنه تقرر في فن الصرف أن جميع أوزان الصفة المشبهة باسم الفاعل إن قصد بها الحدوث والتجدد جاءت على وزن فاعل مطلقاً... وإن لم يقصد بها الحدوث والتجدد بقيت على أصلها»(١٧٤).

وبالجمع بين القراءتين يتضح أن الكفار ألقوا في مكان شديد الضيق لا يحدث لهم الانتقال منه ولا يتغير حالهم فيه مما يسبب لهم ضيق الصدر فيشعرون بالكرب والحزن والغم.

٤ ـ ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾﴾ [الفرقان: ١٧].

القراءات:

١ ـ قرأ أبو جعفر وابن كثير ويعقوب وحفص «يَحْشُرُهُمْ» بالياء.

٢ ـ قرأ الباقون «نحشرهم» بالنون.

(١٧٣) الكشاف ج٣ص٣١٨.

(١٧٤) أضواء البيان ج٤ص١٤٧.

٣ ـ قرأ ابن عامر «فنقول» بالنون.

٤ ـ قرأ الباقون «فيقول» بالياء[١٧٥].

المعنى اللغوي للقراءات:

الحشر: إخراج الجماعة عن مقرهم وإزعاجهم عنه إلى الحرب ونحوها. وسمي يوم القيامة يوم الحشر كما سمي يوم البعث ويوم النشر[١٧٦].

التفسير:

بعد أن توعد الله المشركين بالنار ووصف لهم ما يلاقونه فيها من ضيق وكرب وغم، بين لهم ما يكون عليه حالهم قبل ذلك في الحشر هم ومعبودوهم من دون الله، حيث يتبرأ منهم المعبودون.

قال ابن كثير: «يقول تعالى مخبراً عما يقع يوم القيامة من تقريع الكفار في عبادتهم من عبدوا من دون الله وغيرهم، فقال: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ قال مجاهد: هو عيسى والعزير والملائكة، ﴿فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ...﴾ الآية أي فيقول تبارك وتعالى للمعبودين ءأنتم دعوتم هؤلاء إلى عبادتكم من دوني أم هم عبدوكم من تلقاء أنفسهم من غير دعوة منكم لهم، كما قال الله تعالى «﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾﴾» [المائدة: ١١٦][١٧٧].

وقال المنصوري في تفسير قوله تعالى: ﴿أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ﴿١٧﴾﴾: أي ضلوا بأنفسهم لإخلالهم بالنظر الصحيح وإعراضهم عن المرشد النصيح،

---

(١٧٥) انظر النشر ج٢ص ٢٥٠.

(١٧٦) معجم مفردات ألفاظ القرآن ص١٣٤.

(١٧٧) تفسير ابن كثير ج٣ ص ٣١٢.

وفائدة سؤالهم مع علمه تعالى بالمسئول عنه ليبكت عبدتهم ويوبخهم على الإشراك[178].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (يَحْشُرُهُمْ . . . فَيَقُولُ) أن الكلام جرى على نسق واحد، هو الغيبة، حيث يخبر الله تعالى عن نفسه بأنه يحشر المشركين يوم القيامة ويوبخهم ويبكتهم على اتخاذهم آلهة تعبد من دون الله.

أما قراءة (نَحْشُرُهُمْ . . . فَيَقُولُ) فأفادت الالتفات من التكلم إلى الغيبة والإفراد بعد الجمع قال ابن عاشور: «وقرأ الجمهور (نَحْشُرُهُمْ) بالنون، و(يَقُولُ) بالياء ففيه الالتفات من التكلم إلى الغيبة[179].

وبالجمع بين القراءتين: يتبين لنا أن الله ﷻ أخبر عن نفسه بأنه الذي يحشر الناس منفرداً يوم القيامة دون حاجة منه جل وعلا إلى شريك أو معين. فرغم شدة العمل وعظمته فهو يعمله بمفرده. وهذا دليل عظمته وقدرته وتفرده جل وعلا وتنزهه عن الشريك والنظير. فقراءة التكلم بالنون تفيد العظمة، وقراءة الغيبة بالياء تفيد التفرد والوحدانية والله أعلم.

٥ ـ ﴿قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُواْ ٱلذِّكْرَ وَكَانُواْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٨﴾﴾ [الفرقان: ١٨].

القراءات:

١ ـ قرأ أبو جعفر «نُتَخَذَ» بضم النون وفتح الخاء.

٢ ـ قرأ الباقون «نَتَّخِذَ» بفتح النون وكسر الخاء[180].

المعنى اللغوي للقراءات:

أخذ: الأخذ حوز الشيء وتحصيله، وذلك تارة بالتناول وتارة بالقهر.

---

(١٧٨) المقتطف ج ٤ص ١٢.

(١٧٩) التحرير والتنوير، م٩ج١٨ ص ٣٣٧.

(١٨٠) انظر النشر ج٢ص٢٥٠.

والاتخاذ افتعال منه، ويعدى إلى مفعولين ويجري مجرى الجعل[181].

التفسير:

بعد أن أخبر الله تعالى عما يلاقيه الكفار من تقريع وتبكيت بسبب اتخاذهم آلهة من دون الله، يخبر بما يجيب به المعبودون عن السؤال الموجه لهم من الله تعالى في الآية السابقة حيث أجابوا بتبرئهم من عبدتهم وأعلنوا ولايتهم لله وتنزيهه سبحانه وتعالى مما أضافه إليه المشركون وتعجبهم مما قيل.

قال الطبرسي: «قَالُوا: يعني المعبودين من الملائكة والإنس والأصنام إذا أحياهم الله وأنطقهم «سُبْحَانَكَ»: تنزيهاً لك عن الشريك وعن أن يكون لنا معبود سواك، «مَا كَانَ يَنبَغِي لَنَا أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاء»: أي ليس لنا أن نوالي أعداءك بل أنت ولينا من دونهم، وقيل معناه: ما كان يجوز لنا وللعابدين وما كان يحق لنا أن نأمر أحداً بأن يعبدنا ولا يعبدك، فإنا لو أمرناهم بذلك لكنّا واليناهم ونحن لا نوالي من يكفر بك. ومن قرأ «نُتَخَذَ» فمعناه ما كان يحق لنا أن نُعبَد.

﴿وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ﴾ معناه: ولكن طولت أعمارهم وأعمار آبائهم ومتعتهم بالأموال والأولاد بعد موت الرسل حتى نسوا الذكر المنزل على الأنبياء وتركوه .﴿وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٨﴾﴾ أي هلكى فاسدين»[182].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

ذهب بعض العلماء إلى أن (نُتَخَذَ) بالضم يتعدى إلى مفعول واحد كقراءة الجمهور وقيل إلى مفعولين، أولهما الضمير في (نُتَخَذَ) النائب عن الفاعل وثانيهما من أولياء ومن زائدة وأفادت هذه القراءة أن المعبودين تبرءوا من أن يكون لهم الحق أن يعبدوا من دون الله.

---

(١٨١) معجم مفردات ألفاظ القرآن ص١٩، ٢٠.

(١٨٢) مجمع البيان ج٧ ص٢٥٦.

يرى ابن الجزري أن الأحسن ما ذهب إليه ابن جني وغيره، من أن يكون (من أولياء) حالاً ومن زائدة لمكان النفي المتقدم كما يقول (ما اتخذت زيداً من وكيل). ويكون المعنى: ما كان لنا أن نُعبَد من دونك ولا نَستحق الولاء ولا العبادة(١٨٣).

وأما قراءة الفتح (نَتَّخِذَ) فأفادت تبرؤ المعبودين من أن يكون لهم أولياء غير الله تعالى، قال الطبري: «فذهب الذين فتحوها إلى المعنى الذي بيناه في تأويله من أن الملائكة وعيسى عليه السلام ومن عبد من دون الله من المؤمنين هم الذين تبرؤوا أن يكون كان لهم ولي غير الله تعالى ذكره»(١٨٤).

وبالجمع بين القراءتين نجد أن المعبودين من الملائكة وعيسى عليه السلام وغيرهم تبرءوا من اتخاذهم أولياء من دون الله ومن أن يكونوا دعوا الناس إلى عبادتهم.

٦ - ﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ۚ وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾﴾ [الفرقان: ١٩].

القراءات:

١ - قرأ قنبل «يَقُولُونَ» بالغيب.

٢ - قرأ الباقون «تَقُولُونَ» بالخطاب.

٣ - قرأ حفص «تَسْتَطِيعُونَ» بالتاء على الخطاب.

٤ - قرأ الباقون «يَسْتَطِيعُونَ» بالياء على الغيب(١٨٥).

التفسير:

في هذه الآية التفات إلى خطاب المشركين، فبعدما تبرأ الشركاء من

(١٨٣) انظر النشر ج٢ص٢٥٠، المحتسب ج٢ص١٢٠.
(١٨٤) جامع البيان م ١٠ ج١٩ ص ١٩١.
(١٨٥) النشر ج٢ص ٢٥٠.

المشركين يقول تعالى لهؤلاء المشركين: لقد كذبكم الشركاء في قولكم - إنهم آلهة وإنهم أضلوكم - وبذلك فقد قامت عليكم الحجة فلا تستطيعون صرف العذاب عنكم ولا نصر أنفسكم، ومن يشرك منكم نذقه عذاباً كبيراً(186).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة الغيب (بِما يَقُولُون) عود الضمير على المعبودين فالمعنى: أي كذبكم المعبودون بقولهم - وقولهم: ﴿قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَـٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٨﴾﴾.

أما قراءة الخطاب (بِمَا تَقُولُونَ) فأفادت عود الضمير على العابدين (المشركين)، فالمعنى: أن المعبودين كذبوا المشركين بقولهم إنهم آلهة وإنهم أضلوهم السبيل.

وأما قراءة الغيب في (فما يَسْتَطِيعُون) فأفادت عجز الآلهة عن دفع الضُر أو نصر المشركين، حيث يعود الضمير فيها على الآلهة (المعبودين).

وأما قراءة الخطاب (فَمَا تَسْتَطِيعُونَ) فأفادت عجز المشركين عن دفع الضُر عن أنفسهم أو نصرها، حيث يعود الضمير فيها على المشركين(187).

وبالجمع بين القراءتين يتضح أنّ في القراءتين بالخطاب والغيبة تعنيفاً للكفار وتضييقاً عليهم وتيئيساً لهم، فسواءاً أكان التكذيب بقول المعبودين أم تكذيب قول العابدين فلن يستطيع المشركون النجاة وصرف العذاب عن أنفسهم لا بواسطة المعبودين ولا بواسطة أنفسهم.

٧ - ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَـٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾﴾ [الفرقان: ٢٥].

(١٨٦) انظر محاسن التأويل، ج١٢ ص٤٥٧١.

(١٨٧) انظر الكشاف ج٣ص ٣٢١.

القراءات:

١ ـ قرأ أبو عمرو والكوفيون «تَشَقَّقُ» بتخفيف الشين.

٢ ـ قرأ الباقون «تَشَّقَّقُ» بالتشديد.

٣ ـ قرأ ابن كثير «نُنْزِل» بنونين الأولى مضمومة والثانية ساكنة مع تخفيف الزاي ورفع اللام.

٤ ـ قرأ الباقون «نُزِّلَ» بنون واحدة وتشديد الزاي وفتح اللام(١٨٨).

المعنى اللغوي للقراءات:

١ ـ تشقق: الشق الخرم الواقع في الشيء، يقال شققته بنصفين، والشقة القطعة المنشقة كالنصف(١٨٩).

والتشقق التفتح بين أجزاء ملتئمة(١٩٠).

٢ ـ نزل: النزول في الأصل هو انحطاط من علو، يقال نزل عن دابته ونزل في مكان كذا حط رحله فيه وانزله غيره. ونزل بكذا وأنزله بمعنى(١٩١).

التفسير:

بعد بيان الله في الآيات السابقة طلب المشركين المنكرين للبعث ويوم القيامة انزال الملائكة يخبر تعالى في هذه الآية عن هول يوم القيامة وما يكون فيه من أمور عظيمة مثل انشقاق السماء ونزول الملائكة.

قال الزحيلي: «وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاء بِالْغَمَام» أي اذكر أيها النبي الرسول يوم تتشقق السماء عن الغمام وتنفتح به ويتبدل نظام العالم وتنتهي الدنيا

(١٨٨) انظر النشر ج٢ ص٢٥٠.

(١٨٩) معجم مفردات ألفاظ القرآن ص٢٩٦.

(١٩٠) التحرير والتنوير، م٩ج١٩ص٩.

(١٩١) معجم مفردات ألفاظ القرآن ص٥٤٣.

وتصبح الشمس والكواكب أشبه بالغمام لتفرقها وتحللها وتناثرها في الجو. «وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنزِيلًا»: أي وتنزل الملائكة وفي أيديهم صحائف أعمال العباد[١٩٢].

وقال **أبو السعود**: «وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنزِيلًا» أي تنزيلاً عجيباً غير معهود[١٩٣].

وقال **الزمخشري**: «والمعنى أن السماء تنفتح بغمام يخرج منها وفي الغمام الملائكة ينزلون وفي أيديهم صحائف أعمال العباد»[١٩٤].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

ذهب كثير من العلماء إلى أن كلتا القرائتين في اللفظتين (تَشَقَّقُ - نُزِّلَ) من باب الاختلاف في أداء الألفاظ وأنهما بمعنى واحد.

قال الطبري في الكلام على تَشَقَّقُ: «والقول في ذلك عندي أنهما قراءتان مستفيضتان في قرأة الأمصار بمعنى واحد فبأيهما قرأ القارئ فمصيب»[١٩٥].

وقال مكي بن أبي طالب: «وقوله: (وَيَوْمَ تَشَّقَّقُ) قرأ الحرميان وابن عامر بالتشديد على إدغام التاء الثانية في الشين إذ أصله تتشقق وحسن الإدغام وقوي لأن الشين أقوى من التاء فإذا أدغمت التاء في الشين نقلتها إلى حالة أقوى من حالتها قبل الإدغام. وقرأ الباقون بالتخفيف على حذف التاء استخفافاً لاجتماع المثلين»[١٩٦].

قال الطبرسي: «تَشَقَّقُ أصله تتشقق فادغم التاء في الشين، والتخفيف أكثر في الكلام، لأن الحذف أخف عليهم من الإدغام، ومن قرأ (وَنُزِّلَ

---

(١٩٢) التفسير المنير ج ١٩ص ٥١.
(١٩٣) إرشاد العقل السليم ج ٥ ص ٦.
(١٩٤) الكشاف ج٣ ص٣٢٦.
(١٩٥) جامع البيان ج٧ص٢٥٨.
(١٩٦) الكشف ٢ ص١٤٥.

الْمَلَائِكَةُ تَنزِيلًا) فإن أنزل مثل نزل»(١٩٧).

والصحيح أن قراءة التشديد في (تَشَقَّقُ) أفادت المبالغة في التفتح وكثرة التشقق عن قراءة التخفيف تشقق، باعتبار أن زيادة المبنى تفيد زيادة المعنى.

وأما لفظة (نُزِّلَ) بالبناء للمجهول فأفادت المبالغة والتدرج مع الكثرة والتأكيد. ففيها إشارة إلى كثرة الملائكة النازلين من السماء في ذلك اليوم العظيم وتدرج نزولهم، كما تفيد أن نزولهم عجيب غير معهود فهو نزول بالذات لا بمجرد الاتصال النوراني لذلك أكدت بتنزيلاً.

قال ابن عاشور: وأكد نزول الملائكة بالمفعول المطلق لإفادة أنه نزول بالذات لا بمجرد الاتصال النوراني مثل الخواطر الملكية التي تشعشع في نفوس أهل الكمال(١٩٨).

٨ ـ ﴿وَعَادًا وَثَمُودَا وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾﴾ [الفرقان: ٣٨].

القراءات:

١ ـ قرأ يعقوب وحمزة وحفص «ثَمُودَ» بفتح الدال ووقفوا على الدال بالسكون.

٢ ـ قرأ الباقون «ثَمُوداً» بالتنوين ووقفوا على الألف المبدلة من التنوين(١٩٩).

المعنى اللغوي للقراءات:

ثمود قيل هو أعجمي وقيل هو عربي، وترك صرفه لكونه اسم قبيلة. وهو فعول من الثمد وهو الماء القليل الذي لا مادة له(٢٠٠).

(١٩٧) مجمع البيان ج٧ص٢٥٨.
(١٩٨) التحريروالتنوير، م١٠ ج١٩ ص١٠.
(١٩٩) انظر النشر ص ٢١٧.
(٢٠٠) معجم مفردات ألفاظ القرآن ص٩٢.

التفسير:

يتوعد الله ﷻ مشركي مكة ومن كذب بالرسول ﷺ العذاب والتدمير الذي أصاب قوم عاد وثمود الذين كذبوا الرسل.

قال المراغي في تفسيره: «وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ» أي ودمرنا عاداً قوم هود عليه السلام بالريح الصرصر العاتية، وقوم صالح بالصيحة، وأهلكنا أصحاب الرس الذين كانوا باليمامة وقتلوا نبيهم... «وَقُرُوناً بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيراً» أي وأمماً كثيرة أهلكناهم لما كذبوا الرسل»(٢٠١).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

ذهب ابن عاشور إلى أن قراءة التنوين (ثموداً) جاءت للمزاوجة مع (عاداً) وعلى اعتبار أن ثمود اسم الأب الأكبر.

وأما قراءة (ثمودَ) فنسبة إلى القبيلة أو الأمة أو لأن الاسم يحمل علامة التأنيث المعنوي. قال ابن عاشور: «وتنوين «عاداً وثموداً» مع أن المراد الأمتان. فأما تنوين «عَادًا» فهو وجه وجيه لأنه اسم عري عن علامة التأنيث وغير زائد على ثلاثة أحرف فحقه الصرف.

وأما صرف (ثَمُودًا) في قراءة الجمهور فعلى اعتبار اسم الأب. والأظهر عندي أن تنوينه للمزاوجة مع (عاداً) كما قال: ﴿سَلَٰسِلَاْ وَأَغۡلَٰلٗا وَسَعِيرًا﴾ [الإنسان: ٤].

وقرأ حمزة وحفص ويعقوب بغير تنوين على ما يقتضيه ظاهر اسم الأمة من التأنيث المعنوي»(٢٠٢).

وقال الزمخشري: «وقريء وثمودَ على تأويل القبيلة، واما المنصرف فعلى تأويل الحي أو لأنه اسم الأب الأكبر»(٢٠٣).

(٢٠١) تفسير المراغي ج٧ص١٧.

(٢٠٢) التحرير والتنوير ج٩ص٢٦.

(٢٠٣) الكشاف ج٥ص٣٣٠.

وبالجمع بين القراءتين نجد أن قراءة (ثمود) ناسبت ما يقتضيه ظاهر اسم الأمة من التأنيث المعنوي، أما قراءة التنوين (ثَمُودًا) فناسب المزاوجة(٢٠٤) مع (عاداً) وللدلالة على اسم الأب الأكبر. وكلاهما يدل على وقوع العذاب على قبيلة ثمود.

٩ ـ ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾﴾ [الفرقان: ٤١].

القراءات:

١ ـ قرأ حفص «هُزُوا» بإبدال الهمز واواً.

٢ ـ قرأ الباقون «هُزُءاً» بالهمز.

٣ ـ قرأ حمزة وخلف «هُزْءاً» بإسكان الزاي(٢٠٥).

المعنى اللغوي للقراءات:

الهُزْء والهُزُء: السخرية. هزئ به ومنه(٢٠٦). ويحتمل معنى هزواً وجهين:

الأول: لعباً، الثاني: باطلا(٢٠٧).

التفسير:

يخبر الله تعالى في هذه الآية عن استهزاء المشركين وسخريتهم بالرسول ﷺ فيقول: إذا رءاك المشركون الذين كفروا بالله ورسوله اتخذوك موضع سخرية واستهزاء أو مهزوءاً بك ـ مقارنة بما هم عليه من العزة

(٢٠٤) المزاوجة في اللغة مصدر، زاوج بين الشيئين إذا قارب بينهما وفي الاصطلاح: أن يزاوج بين معنيين في الشرط والجزاء (انظر: خزانة الأدب وغاية الأرب ج٢ ص٤٣٥، عروس الأفراح ص٢٤٠).

(٢٠٥) انظر النشر، ج٢.

(٢٠٦) لسان العرب ج١ص٢١٩.

(٢٠٧) انظر الماوردي ج٣ص٣١٩.

والشرف والسيادة وما أنت عليه من الفقر واليتم والمسكنة ـ على سبيل العيب والازدراء. قبحهم الله كما قال تعالى في شأن غيره من الرسل ﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الأنعام: ١٠][٢٠٨].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

(الهُزْء والهُزُء) في اللغة كما سبق بمعنى السخرية وتقرأ بوجوه فتبدل الهمزة واواً مع ضم الزاي وهي قراءة حفص وتقرأ (هُزْءاً) بإسكان الزاي وتحقيق الهمزة وهي قراءة خلف وحمزة، وتقرأ (هُزُءاً) بضم الزاي مع تحقيق الهمزة وهي قراءة جمهور القراء العشرة، وكلها لهجات عربية.

أفادت قراءة (هُزُواً) مبالغة الكفار في الاستهزاء بالرسول ﷺ واستمرارهم بها فهزوا مصدر بمعنى المفعول للمبالغة[٢٠٩].

أما قراءة (هُزْءاً) فتفيد اتخاذ الكفار الرسول ﷺ موضع سخرية لهم كون السكون يفيد الثبات والاستقرار.

أما قراءة (هُزُؤاً) فأفادت المعاني السابقة جميعاً لجمعها بين ثقل الضمة وتواليها، وشدة الهمزة وثقلها، وما يفيده السكون من الثبات والاستقرار. لذلك فقد بينت أن الكافرين قد جعلوا الرسول ﷺ موضعاً لسخريتهم الشديدة ولعبهم.

وبالجمع بين القراءات يتبين أن الكفار بالغوا في الاستهزاء بالرسول ﷺ واتخاذه موضعاً لسخريتهم عند رؤيته واستمروا بها.

١٠ ـ ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾﴾ [الفرقان: ٤٨].

---

(٢٠٨) انظر تفسير ابن كثير ج٣ص٣١٩ التفسير المنير ج١٠ص٧٨.

(٢٠٩) انظر روح المعاني ج١٠ص٢٣.

القراءات:

١ ـ قرأ ابن كثير «الريح» مفردة.

٢ ـ قرأ الباقون «الرياح» بالجمع.

٣ ـ قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر ويعقوب «نُشُراً» بضم النون والشين.

٤ ـ قرأ عاصم «بُشْراً» بالباء المضمومة مع إسكان الشين.

٥ ـ قرأ ابن عامر «نُشْراً» بضم النون وإسكان الشين.

٦ ـ قرأ الباقون «نَشراً» بفتح النون وإسكان الشين(٢١٠).

المعنى اللغوي للقراءات:

الريح: معروف وهي فيما قيل الهواء المتحرك. وعامة المواضع التي ذكر الله تعالى فيها إرسال الريح بلفظ الواحد فعبارة عن العذاب وكل موضع ذكر فيه بلفظ الجمع فعبارة عن الرحمة(٢١١).

بُشرا: من البشارة(٢١٢).

نُشُرا: النشر بمعنى البسط ومنه نشر الثوب والصحيفة والسحاب والنعمة. والنُشُر جمع ناشر(٢١٣).

والنُشُر والنَشر بمعنى مثل رُسُل ورُسْل(٢١٤).

ونَشَرَ بمعنى أحيا(٢١٥).

(٢١٠) انظر النشر ج٢ ص٢٧٠ الرياح.

(٢١١) معجم مفردات ألفاظ القرآن ص٢٣٢.

(٢١٢) انظر الكشف ج١ ص٤٦٦.

(٢١٣) معجم مفردات ألفاظ القرآن ص٥٤٨.

(٢١٤) حجة القراءات ص٢٨٥.

(٢١٥) بصائر ذوي التمييز ج٥ ص٥٤.

التفسير:

هذه الآية استكمال لما شرع فيه الله تعالى في الآيات السابقة من بيان الأدلة الدالة على وجوده ـ جل وعلا ـ وقدرته التامة على الخلق «خلق الأشياء المختلفة والمتضادة». فبعد أن ذكر في الآيات السابقة كيف أنه تعالى بسط الظل ومده وقت النهار... وكيف جعل الليل لباساً والنهار معاشاً... بين في هذه الآية أنه من تمام قدرته وسلطانه العظيم الإتيان بالريح المبشرة بنزول المطر غوثاً للعباد(٢١٦).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

بالنسبة لقراءة لفظة الريح، اتفق المفسرون على أنه لا فرق بين القراءتين الجمع والإفراد باعتبار أن قراءة الإفراد تفيد الجنس الذي يدل على القليل والكثير، وقراءة الجمع تفيد أن كل ريح تساوي أختها في الدلالة على التوحيد والنفع.

قال ابن الجوزي: «فمن جمع فكل ريح تساوي أختها في الدلالة على التوحيد والنفع ومن وحد أراد الجنس»(٢١٧).

وقال بعض المفسرين إن الإفراد يأتي مع العذاب والجمع يأتي مع الرحمة، وهم قالوا بذلك باعتبار الأغلب في القرآن الكريم حيث جاءت الريح في القرآن الكريم مفردة مع العذاب مجموعة مع الرحمة إلا في قوله تعالى ﴿وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ [يونس: ٢٢] جاءت مفردة مع الرحمة لأن ريح إجراء السفن إنما هي ريح واحدة متصلة بخلاف ريح العذاب فهي شديدة ملتئمة، ولذلك وصفت في سورة يونس بالطيبة فزال الاشتراك بينها وبين ريح العذاب(٢١٨).

أما بالنسبة لقراءة لفظة (بشراً) فإن القراءة بالنون سواء بضمها وضم

---

(٢١٦) انظر تفسير ابن كثير ج٣ ص٣٢٠، المقتطف ج٤ص٢٨.

(٢١٧) زاد المسير ص٩٨.

(٢١٨) انظر جامع أحكام القرآن ج١ ص ٥٩٤، ٥٩٥.

الشين أو بضمها وإسكان الشين (نُشراً ـ نُشْراً) فهي بمعنى واحد، وإنما سكنت الشين (تخفيفاً) كرسول: رُسُل ورُسْل.

ومعنى القراءة بها على اعتبار (نُشُراً) جمع نشور بمعنى ناشر أي محيي: أي أن الله تعالى يسوق الرياح لتحيي الأرض إذ هي تأتي بالمطر الذي يكون به الإنبات. ويجوز أن تكون نُشُراً جمع نشور بمعنى منشور، كركوب بمعنى مركوب... كأن الله ﷻ أحيا الريح لتأتي بين يدي رحمته فهي ريح منشورة أي محياة(٢١٩).

أما قراءة (نَشْراً) فقد ذهب الفراء إلى أن النشر هي الريح الطيبة اللينة التي تنشئ السحاب. وذهب آخرون إلى أن نَشْراً مصدر نشرت الريح السحاب نشراً أي بسطته وهو خلاف الطي فيكون المعنى على ذلك: وهو الذي يرسل الرياح ناشرة للسحاب. وهذا المعنى موافق لقوله تعالى: ﴿وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ۝٣﴾ [المرسلات: ٣](٢٢٠).

ويحتمل المعنى أن تكون نَشْراً بمعنى متفرقة على وجوهها على معنى تنشرها هنا وهنا وأن يكون بمعنى منشورة أي محياة.

أما قراءة (بُشْراً) فهي من البشارة جمع بشير، أي أن الريح تبشر بنزول المطر ومنه قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ﴾ [الروم: ٤٦] وأصل الشين الضم ولكن سكنت تخفيفاً(٢٢١).

وبالنظر في هذه القراءات المتنوعة نجد أن الله ﷻ بين لنا من خلالها وظائف الرياح وأدوارها، فهي ناشرة للسحاب الذي يأتي بالمطر أي منشئة وباسطة له، وهي ناشرة للأرض محيية لها بإنزال المطر الذي يكون به النبات وهي مبشرة بنزول المطر الذي به حياة كل شيء ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٠].

(٢١٩) انظر الكشف ج١ ص ٤٦٥، ٤٦٦.
(٢٢٠) انظر ابن زنجلة ص ٢٨٥.
(٢٢١) انظر الكشف ج١ ص٤٦٦.

وبالنظر إلى هذه المعاني تظهر لنا العلاقة بين القراءات حيث إن الريح لأنها منشئة للسحاب باسطة له فهي بذلك تكون مبشرة بنزول المطر، والله أعلم.

١١ ـ ﴿لِّنُحْـِۧيَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾﴾ [الفرقان: ٤٩].

القراءات:

١ ـ قرأ أبو جعفر «مَيِّتًا» بتشديد الياء.

٢ ـ قرأ الباقون «مَيْتًا» بتخفيف الياء[(٢٢٢)].

المعنى اللغوي للقراءات:

الموت هو السكون ويعني ذهاب القوة من الشيء، وهو خلاف الحياة. وكل ما سكن فقد مات وقيل المَيْت والمَيِّت بمعنى واحد لأنه مخفف منه. وقيل المَيْت الذي مات والمَيِّت والمائت الذي لم يمت بعد[(٢٢٣)].

التفسير:

لما أخبر الله تعالى في الآية السابقة أنه يسوق الرياح لتبشر بنزول المطر الطهور من السماء بين في هذه الآية فوائد هذا المطر وهي إحياء البلد الميت المجدب الذي لا زرع فيه ولا ماء. وسقيُ الخلق الكثير من الناس والأنعام، فكل من احتاج للشرب شرب منه سواء من شرب ومن لم يشرب[(٢٢٤)].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قراءة (مَيْتًا ومَيِّتًا) بالتخفيف والتشديد وصفت بها البلدة وهو لفظ مذكر

---

(٢٢٢) انظر النشر ج٢ص١٦٩.

(٢٢٣) انظر لسان العرب ج٢ص٩١، معجم مقاييس اللغة ص٩٦٨.

(٢٢٤) انظر الجامع لأحكام القرآن ج١٣ ص٦٠، التحرير والتنوير، م٩ ج١٩ص٤٨، المقتطف ج٤ص٢٨، صفوة التفاسير ج٢ص٣٦٦.

ذلك لأن البلدة تذكر وتؤنث كما أن ميتاً لفظ يستعمل للمؤنث والمذكر، ولأن البلدة بمعنى البلد أي المكان أو القطعة من الأرض عامرة كانت أم غامرة[(٢٢٥)].

والبلدة الميت هي الأرض المجدبة القاحلة التي لا زرع فيها ولا نبات.

(والميْت والميِّت) بمعنى واحد يشترك فيه المذكر والمؤنث. قاله الزجاج[(٢٢٦)].

وترى الباحثة أن قراءة التشديد أفادت المبالغة في اتصاف الأرض بالقحط والجدب فكأنهما صفة ثابتة للبلدة، وإحياؤها بالماء النازل من السماء رغم ذلك أعظم دليل على قدرة الله سبحانه وتعالى على الإحياء.

١٢ ـ ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ۝٥٠﴾ [الفرقان: ٥٠].

القراءات:

١ ـ قرأ حمزة والكسائي وخلف «لِيَذْكُروا» بإسكان الذال وتخفيفها وتخفيف الكاف وضمها.

٢ ـ قرأ الباقون «لِيَذَّكَّرُوا» بفتح الذال مع التشديد وفتح الكاف مع تشديدها[(٢٢٧)].

المعنى اللغوي للقراءات:

لِيَذْكُروا: بإسكان الذال وضم الكاف مع تخفيفها من ذكر يذكر وهو من الذكر ضد النسيان.

---

(٢٢٥) الغامر من الأرض خلاف العامر وأصل الغمر إزالة أثر الشيء، (معجم مفردات الفاظ القرآن ص٤٠٨، لسان العرب ج٥ ص٣٦ ـ ٣٧).

(٢٢٦) انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج ج٤، ص٧١.

(٢٢٧) انظر النشر ج٢ ص٢٣٠.

لِيَذَّكَّرُوا: بفتح الكاف والذال مع تشديدها من التذكر والتفكر والاتعاظ(٢٢٨).

التفسير:

يتحدث الله ﷻ في هذه الآية عن نعمة المطر التي يسوقها إلى ناس ويصرفها عن آخرين، لعلهم يشكرون أو يعتبرون، يقول الشنقيطي في تفسير هذه الآية:

«ولقد صرفنا المطر بين الناس فأنزلنا مطراً كثيراً في بعض السنين على بعض البلاد ومنعنا المطر في بعض السنين عن بعض البلاد فيكثر الخصب في بعضها والجدب في بعضها الآخر. وقوله «لِيَذَّكَّرُوا» أي صرفناه بينهم لأجل أن يتذكروا: أي يتذكر الذين أخصبت أرضهم لكثرة المطر نعمة الله عليهم فيشكروا، ويتذكر الذين أجدبت أرضهم ما نزل بهم من البلاء فيبادروا بالتوبة إلى الله جل وعلا ليرحمهم ويسقيهم. وقوله «فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاَّ كُفُورًا» أي كفراً لنعمة من أنزل عليهم المطر وذلك بقولهم: مطرنا بنوء كذا»(٢٢٩).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة التخفيف (لِيَذْكُروا) أن الله صرف الماء بينهم ليذكر من أصابهم المطر نعمة الله فيشكرونه، ويذكر المحرومون منه ما حل بهم من بلاء فيستغفرونه.

أما قراءة التشديد (لِيَذَّكَّرُوا) فتفيد الدعوة إلى أخذ العبرة والعظة من هذا التصريف بعد حدوث الذكر الذي هو ضد النسيان.

وقد ذهب كثير من العلماء إلى أن الذكر والتذكر بمعنى واحد أو بمعنى قريب إلا أن التذكر فيه مبالغة وأكثر من الذكر.

---

(٢٢٨) حجة القراءات ص٥١١، الكشف، ج٢، ص١٤٧.

(٢٢٩) أضواء البيان ج٤ ص١٦٩.

قال أبو علي الفارسي: «وقول حمزة يذكر في معنى يتذكر... وهما بمعنى إلا أن التفعل في التذكر والنظر أكثر»[٢٣٠].

أما القرطبي فقد قال: «وقرأ حمزة والكسائي (لِيَذْكُروا) مخففة الذال من الذكر والباقون مثقلاً من التذكر: أي ليذكروا نعم الله ويعلموا أن من أنعم بها لا يجوز الإشراك به فالتذكر قريب من الذكر غير أن التذكر يطلق فيما بعد عن القلب فيحتاج إلى تكلف في الذكر»[٢٣١].

وبالجمع بين القراءتين نجد أن الآية أمرت بالذكر والتذكر ولا شك أن التذكر وهو الاعتبار والاتعاظ لا يكون إلا بعد الذكر وفيه تكلف وبذل جهد، وأن الذكر بدون تذكر لا قيمة له. كما أن قراءة التشديد تفيد تكرار التذكر مرة بعد مرة لأن التذكر يكون فيما بعد عن القلب وكذلك تفيد المبالغة في ضرورة الانتباه من الغفلة.

١٣ - ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۩ (٦٠)﴾ [الفرقان: ٦٠].

القراءات:

١ - قرأ حمزة والكسائي «يَأْمُرُنَا» بالغيب.

٢ - قرأ الباقون «تَأْمُرُنَا» بالخطاب[٢٣٢].

المعنى اللغوي للقراءات:

الأمر الشأن وجمعه أمور مصدر أمرْته إذا كلّفتَه أن يفعل شيئاً وهو لفظ عام للأفعال والأقوال كلها[٢٣٣].

---

(٢٣٠) الحجة للفارسي ج٥ ص٣٤٦.

(٢٣١) الجامع لأحكام القرآن ج١٣ص٦٢.

(٢٣٢) انظر النشر ج٢ ص٢٥١.

(٢٣٣) معجم مفردات ألفاظ القرآن ص٣١ - ٣٢.

التفسير:

يخبر تعالى في هذه الآية على سبيل التعجيب من عناد الكفار وبهتانهم في رفض إفراد الله بالوحدانية عندما أمرهم بذلك محمد ﷺ، حيث ينكرون على محمد ﷺ أن يدعوهم لإفراد الله ﷻ بالوحدانية ولا تزيدهم دعوته ﷺ إلا فراراً وابتعادا(٢٣٤).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

الفعل في القراءتين مسند إلى الرسول ﷺ، والعلاقة بين القراءات بلاغية فيها التفات من الخطاب على الغيبة.

فقد أفادت قراءة الجمهور (تَأْمُرُنَا) بالخطاب أن هذا رد من الكفار على محمد ﷺ بعد أمره لهم بالسجود لله جل وعلا، أي إفراده بالوحدانية.

وأما قراءة الغيبة (يَأْمُرُنَا) فأفادت أن المشركين خاطب بعضهم بعضاً على جهة الإنكار، فهم يستنكرون أن يستجيبوا لما أمرهم به محمد ﷺ، فالفاعل في الحالتين محمد ﷺ.

قال مكي بن أبي طالب: «قوله (لما تَأْمُرُنَا) قرأه حمزة والكسائي بالياء على الإخبار عن النبي ﷺ على وجه الإنكار منهم أن يسجدوا لما يأمرهم به محمد ﷺ. وقرأ الباقون بالتاء على الخطاب منهم للنبي ﷺ، لأنهم أنكروا أمره لهم بالسجود لله فقالوا أنسجد لما يأمرنا محمد؟»(٢٣٥).

وبالجمع بين القراءتين يتضح أن الكفار رفضوا إفراد الله بالوحدانية وأنكروا على محمد ﷺ أمره لهم بالسجود لله سواء بصيغة الخطاب أم الغيبة أي سواء بمشافهة النبي ﷺ بالرد مباشرة منهم أو بقولهم فيما بينهم دون مشافهته ﷺ.

(٢٣٤) انظر محاسن التأويل ج١٢، ١٣ص٤٥٨٧.

(٢٣٥) الكشف، ج٤، ص ١٤٦.

١٤ ـ ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾﴾ [الفرقان: ٦١].

القراءات:

١ ـ قرأ حمزة والكسائي وخلف «سُرُجاً» بضم السين والراء من غير ألف على الجمع.

٢ ـ قرأ الباقون «سراجاً» بكسر السين وفتح الراء وألف بعدها على الإفراد(٢٣٦).

المعنى اللغوي للقراءات:

السراج: الزاهر بفتيلة ودهن، ويعبر به عن كل مضيء. قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ [نوح: ١٦] يقال أسرجت السراج وسرّجت كذا إذا جعلته في الحسن كالسراج(٢٣٧).

السراج: المصباح الزاهر الضياء(٢٣٨).

التفسير:

قال الزحيلي عند تفسيره لهذه الآية: «وبعد أن حكى سبحانه عن الكفار مزيد النفرة عن السجود، ذكر ما لو تفكروا فيه لعرفوا وجوب السجود والعبادة للرحمن، فقال: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾﴾.

يمجد الله تعالى نفسه ويعظمها على جميل ما خلق في السموات، فيذكر أنه تعاظم وتقدس الله الذي جعل في السماء كواكب عظاماً ومنازل لتلك الكواكب السيارة وغيرها التي عدها المتقدمون ألفاً ورصدتها الآلات الحديثة أكثر من مائتي ألف ألف، وجعل في السماء سراجاً وهي الشمس

(٢٣٦) انظر النشر ج٢ ص٢٥١.
(٢٣٧) معجم مفردات ألفاظ القرآن ص ٢٥٧.
(٢٣٨) التحرير والتنوير م٩ ج١٩ ص٦٤.

المنيرة التي هي كالسراج في الوجود، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾﴾ [النبأ: ١٣]، وجعل في السماء أيضاً قمراً منيراً أي مشرقاً مضيئاً كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا﴾ [يونس: ٥][٢٣٩].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

العلاقة بين القرائتين علاقة تخصيص وعموم. فقد أفادت قراءة الإفراد (سراجاً) أن المقصود الشمس العظيمة في حجمها وضيائها وخصها بالذكر لشرفها على غيرها من الكواكب.

أما قراءة الجمع (سُرُجاً) فأفادت أن المقصود الكواكب جميعها والتي منها الشمس والقمر، فأفادت ذكر عموم ما في السماء والتي منها الشمس. فقد خصص في قراءة الإفراد بعض أفراد العام وهي الشمس، كما أن قراءة الإفراد تفيد شرف الشمس على غيرها من الكواكب[٢٤٠].

١٥ ـ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾﴾ [الفرقان: ٦٢].

القراءات:

١ ـ قرأ حمزة وخلف «يَذْكُر» بتخفيف الذال وتخفيف الكاف مضمومة.

٢ ـ قرأ الباقون «يَذَّكَّرَ» بتشديدهما مفتوحين[٢٤١].

المعنى اللغوي للقراءات:

الذكر ضد النسيان، ذكرت الشيء خلاف نسيته[٢٤٢].

---

(٢٣٩) التفسير المنير ج ١٠ص١٠٤ ـ ١٠٥.

(٢٤٠) انظر القراءات وأثرها في التفسير والأحكام ج٢ ص٦٩٥.

(٢٤١) انظر النشر، ج٢ ص٢٦٦.

(٢٤٢) معجم المقاييس في اللغة.

يذكر ويتذكر يأتيان بمعنى واحد، يقال ذكرت حاجتك وتذكرتها[٢٤٣].

التفسير:

تتحدث هذه الآية عن دليل من أدلة قدرة الله تعالى ووحدانيته، فهي تبين أن الله جعل الليل والنهار متعاقبين يخلف كل منهما الآخر توقيتاً لعبادة العباد، فمن فاته عمل بالنهار استدركه بالليل، ومن فاته عمل بالليل استدركه بالنهار، وفي ذلك عظة لمن أراد أن يتذكر واجب الله عليه فيؤديه ويتفكر في عظيم صنع الله فيشكره على نعمه. وقد جاء في الحديث الشريف (إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل)[٢٤٤].

ورُويَ أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أطال صلاة الضحى فقيل له: صنعت اليوم شيئاً لم تكن تصنعه، فقال: إنه بقي عليَّ من وردي شيء فأحببت أن أتمه أو قال أقضيه وتلا هذه الآية ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾﴾ [الفرقان: ٦٢][٢٤٥].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

ذهب كثير من العلماء إلى أن الذكر والتذكر بمعنى واحد أو معنى متقارب.

(فيذكر) مخففاً هو مضارع ذكر الذي هو ضد النسيان، و(يذّكّر) مشدداً أصله يتذكر فأدغمت التاء في الذال. إلا أن (يذّكّر) بالتشديد فيه أشد عملاً أو يحتاج إلى مزيد تكلف جهد ومشقة.

قال الطبري: «وقد يكون التشديد والتخفيف في مثل هذا بمعنى واحد

---

(٢٤٣) معاني القرآن للفراء ج٢ ص ٢٧١.

(٢٤٤) انظر الدر المنثور ج٥ ص٧٥، والتحرير والتنوير م٩ ج١٩ص٦٤، والحديث أخرجه مسلم في كتاب التوبة باب قبول التوبة، حديث ٢٧٥٩، ص١٣٥٢.

(٢٤٥) انظر تفسير ابن كثير ج٣ ص٣٢٤، و التفسير المنير ج١٠ ص ١٠٥، أحكام القرآن للجصاص ج٣ص٥٠٤.

يقال ذكرت حاجة فلان وتذكرتها، والقول في ذلك أنهما قراءتان معروفتان متقاربتا المعنى، فبأيتهما قرأ القاريء فمصيب الصواب فيهما»(٢٤٦).

وقال ابن عاشور: «والتذكر تفعّل من الذكر أي تكلف الذكر»(٢٤٧).

والصحيح أن التذكر والاعتبار لا يحدث إلا بعد الذكر الذي هو ضد النسيان، وأن قراءة التشديد أفادت التكرار والمبالغة في تذكر ما يجب على الإنسان اتجاه ربه مرة بعد مرة مع تكلف الجهد والمشقة.

١٦ ـ ﴿وَالَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾ [الفرقان: ٦٧].

القراءات:

١ ـ قرأ المدنيان (نافع وأبو جعفر) وابن عامر «يُقْتِرُوا» بضم الياء وكسر التاء.

٢ ـ قرأ ابن كثير والبصريان تعريف «يَقْتِرُوا» بفتح الياء وكسر التاء.

٣ ـ قرأ الباقون «يَقْتُرُوا» بفتح الياء وضم التاء(٢٤٨).

المعنى اللغوي للقراءات:

القتر تقليل النفقة وهو بإزاء الإسراف وكلاهما مذمومان. وقد قترت الشيء وأقترته وقتّرته أي قللته(٢٤٩).

التفسير:

يصف الله ﷻ في هذه الآية إنفاق عباد الرحمن فهو عدل وسط بين الإسراف والتقتير، يقول ابن كثير في تفسيره لهذه الآية: «أي ليسوا بمبذرين في إنفاقهم فيصرفون فوق الحاجة ولا بخلاء على أهليهم فيقصرون في

---

(٢٤٦) جامع البيان م١١ ج١٩ ص٣٢.
(٢٤٧) التحرير والتنوير، م٩ ج١٩ ص٦٦.
(٢٤٨) انظر النشر ج٢ ص٣٣٤.
(٢٤٩) معجم مفردات ألفاظ القرآن ص٤٣٩.

حقهم فلا يكفونهم، بل عدلاً خياراً وخير الأمور أوسطها لا هذا ولا هذا»[(٢٥٠)].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

ذهب جمهور العلماء إلى أن (قتر يَقتُر ويَقتِر وأقتر) لغات بمعنى واحد تفيد التضييق في الإنفاق، قال الطبري بعد أن ذكر اختلاف القرّاء في هذه القراءة: «والصواب من القول في ذلك أن كل هذه القراءات على اختلاف ألفاظها لغات مشهورات في العرب وقراءات مستفيضات.

وفي قرّاء الأمصار بمعنى واحد، فبأيهما قرأ القارئ فمصيب»[(٢٥١)].

وقال أبو حيان: «وكلها لغات في التضييق»[(٢٥٢)].

وقال ابن خالويه: إن قراءة فتح الياء وكسر التاء «يَقْتِرُوا» مأخوذة من قتر يَقتِر مثل ضرب يضرِب، وقراءة ضم التاء «يَقْتُرُوا» مأخوذة من قتر يقتُر مثل خرج يخرُج، وأن قراءة ضم الياء وكسر التاء «يُقْتِرُوا» مأخوذة من أقتر يُقتِر وهما لغتان معناهما قلة الإنفاق[(٢٥٣)].

وقال الألوسي بعد ذكر اختلاف القراء في هذه القراءة: «وكلها لغات في التضييق»[(٢٥٤)].

ومما سبق يتبين أن القراءات الثلاث لغات بمعنى واحد تفيد أن إنفاق عباد الرحمن وسط بين الإسراف والإقتار فليس فيه إسراف يدخل في حد التبذير ولا تضييق يدخل في حد البخل والشح، ويجوز أن تكون قراءة ضم الياء وكسر التاء (يُقْتِرُوا) جاءت لمناسبة الفعل قبلها (يُسرِفوا). والله أعلم.

(٢٥٠) تفسير ابن كثير ج٣ ص٣٢٥.

(٢٥١) جامع البيان ج١١ص٤٠.

(٢٥٢) البحر المحيط ج٦ص٤٧١.

(٢٥٣) الحجة ابن خالويه ص٢٦٦.

(٢٥٤) روح المعاني، ج١٠ص٤٦.

١٧ ـ ﴿يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ۝٦٩﴾ [الفرقان: ٦٩].

القراءات:

١ ـ قرأ ابن كثير وأبو جعفر ويعقوب «يُضَعَّفْ. . .يخلدْ» بضم الياء وتضعيف العين وجزم الفاء والدال.

٢ ـ قرأ ابن عامر «يُضَعَّفُ. . .يخلدُ» بتضعيف العين وضم الفاء والدال[٢٥٥].

٣ ـ قرأ الباقون «يُضاعف» بإثبات الألف وتخفيف العين[٢٥٦].

٤ ـ وضم شعبة الفاء والدال وسكنهما الباقون.

المعنى اللغوي للقراءات:

يضاعف: الضعف من الألفاظ المتضايفة التي يقتضي وجود أحدها وجود الآخر كالنصف والزوج، وهو تركُّب قدرين متساويين ويختص بالعدد، فإذا قيل: أضعفت الشيء وضَعَّفته وضاعفته ضممت إليه مثله فصاعداً. قال بعضهم ضاعفت أبلغ من ضَعَّفْت[٢٥٧].

الخلد: بقاء الشيء على الحالة التي هو عليها[٢٥٨].

التفسير:

لما ذكر الله ﷻ في الآيات السابقة صفات عباد الرحمن التي يتحلون بها، ذكر هنا صفات التخلية التي يجب أن يتخلوا عنها من شرك وقتل نفس وزنا، وبين أن تلك آثام ومن يفعلها يلقى ويجازى عذاباً شديداً مضاعفاً يوم

(٢٥٥) النشر ج٢، ص ٢٥١.

(٢٥٦) المرجع السابق ص١٧٢.

(٢٥٧) معجم مفردات ألفاظ القرآن ص٣٣٢.

(٢٥٨) المرجع السابق ص١٧٣.

القيامة ويخلد فيه ذليلاً مهاناً[٢٥٩].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قرأ القراء (يضاعف. . .ويخلد) - (يضعف. . .ويخلد) بالجزم والرفع. فأما من رفع فعلى معنى القطع والاستئناف أو الحال.

فمعنى القطع والاستئناف عندهم أن الكلام انتهى عند يلق أثاماً ثم ابتدئ بيضاعف له العذاب. ويرى ابن عاشور أن الاستئناف بياني حيث يبين أن لقي الآثام يكون بمضاعفة العذاب والخلود فيه مع الإذلال والاحتقار[٢٦٠]. وأما من يرى أن الرفع يفيد الحال فيكون عنده المعنى: يلق أثاماً مضاعفاً له العذاب[٢٦١].

وأما من جزم فعلى اعتبار أنه بدل من جواب الشرط (يلق أثاماً) لأنهما بمعنى واحد، لأن لقي الآثام هو مضاعفة العذاب كما قال سيبويه: «مضاعفة العذاب لقي الآثام»[٢٦٢] ويجوز في القواعد اللغوية أن يبدل الفعل من الفعل إذا اشتمل على المعنى نفسه أما إذا اختلفت المعاني وتباينت فلم يجز البدل[٢٦٣].

وأما قراءة (يُضَعِّفْ) بالتشديد و(يُضاعف) بالألف والتخفيف فذهب جمهور العلماء إلى أنهما بمعنى واحد[٢٦٤]. لأنهما تفيدان الكثرة والتكرار، فالتشديد يفيد الكثرة والمداومة مرة بعد مرة.

ويرى أبو عمر أن (ضاعفت) تفيد الكثرة أكثر من (ضعَّفت) لأن (ضعَّفت) معناه مرتان أما (ضاعفت) فمعناه جعلته أكثر من مرتين[٢٦٥].

---

(٢٥٩) انظر التفسير الكبير، للرازي، ج٢٤، ص١١٠ - ١١١.
(٢٦٠) انظر التحرير والتنوير، م٩ ج١٩ ص٧٥.
(٢٦١) انظر روح المعاني ج١٠ ص٤٨.
(٢٦٢) الجامع لأحكام القرآن ج١٣ ص٨٢.
(٢٦٣) مشكل اعراب القرآن ج٢ ص٥٢٦، والفريد ج٣ص٦٤٢.
(٢٦٤) حجة القراءات، ص٥١٥، الحجة للفارسي ج٥ ص٣٥٢.
(٢٦٥) انظر الكشف ج٢ ص٣٠٠ فقرة ١٥٠ - ١٥١.

وأما قراءة (يخلد) بالجزم والرفع فنسق على (يضاعف) بالجزم والرفع[٢٦٦].

وبالجمع بين القراءتين: يتبين أن الله ﷻ يكثر العذاب لمن يرتكبون تلك الآثام المذكورة ويجمعون بين الكفر والمعاصي ويضاعفه عليهم مرة بعد مرة بعد اجتماع أنواع العذاب الحسي والمعنوي لهم في نار جهنم.

١٨ ـ ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾ [الفرقان: ٧٤].

القراءات:

١ ـ قرأ المدنيان وابن كثير ويعقوب وابن عامر وحفص «ذُرِّيَّاتِنا» بالألف على الجمع.

٢ ـ قرأ الباقون «ذُرِّيَّتِنا» بغير ألف على الإفراد[٢٦٧].

التفسير:

يصف الله ﷻ دعاء عباد الرحمن الذين يستحقون دخول الجنة، فهم يدعونه أن يقرّ عيونهم برؤية أزواجهم وذرياتهم طائعين له ـ جل وعلا ـ وأن يجعلهم أئمة يقتدي بهم المتقون، وهذا أحسن ما يطلب.

قال ابن عطية: «وقرة العين يحتمل أن تكون من القرار ويحتمل أن تكون من القرّ وهو الأشهر، لأن دمع السرور بارد ودمع الحزن ساخن، فمن هذا يقال: أقرَّ الله عينك وأسخن الله عين العدو. وقرة العين في الأزواج والذرية أن يراهم الإنسان مطيعين لله تبارك وتعالى. . . والوجه في ذلك أنهم كانوا في أول الإسلام يهتدي الابن والأبُ كافر ويهتدي الزوج والزوجة كافرة، فكانت قرة عينهم في إيمان أحبابهم. . . وقوله تعالى

---

(٢٦٦) حجة القراءات ص٥١٤.

(٢٦٧) انظر النشر ص٢٥١.

«لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا»... أي اجعلنا يأتم بنا المتقون»[٢٦٨].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

كلمة ذُرِّيَّاتِنَا تقرأ بالجمع والتوحيد.

فقراءة الجمع جاءت للمزاوجة[٢٦٩] مع أزواجنا في قوله تعالى: «هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا» وأما قراءة الإفراد فلأنها تحمل معنى الجمع وإن كان لفظها لفظ التوحيد فقد قال تعالى ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾ [آل عمران: ٣٤] بعد ذكر الأنبياء ـ عليهم السلام ـ فاستُغنيَ عن جمعها لأنها جمع.

قال مكي بن أبي طالب: «إن قراءة الجمع جاءت حملاً على المعنى لأن لكل واحد ذرية فجمع لأنهم جماعة لا تحصى ويقوي ذلك قول: (من أزواجنا) بالجمع، وأيضا فإنه لما كانت الذرية تقع للواحد والجمع وكان معنى الكلام الجمع أتى بلفظ لا يحتمل إلا الجمع ولأن المعنى على ذلك بُني، وأما قراءة التوحيد فلأن الذرية تقع للجمع فلما دلت على الجمع بلفظها استُغنيَ عن جمعها»[٢٧٠].

١٩ ـ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ۝٧٥﴾ [الفرقان: ٧٥].

القراءات:

١ ـ قرأ حمزة والكسائي وخلف وأبو بكر «يَلْقَون» بفتح الياء واسكان اللام وتخفيف القاف.

٢ ـ قرأ الباقون «يُلَقَّوْنَ» بضم الياء وفتح اللام وتشديد القاف[٢٧١].

---

(٢٦٨) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية، ج١١، ص٨٠، ٨١.

(٢٦٩) سبق تعريفها ص٨٠.

(٢٧٠) انظر الكشف، ج٢ ص ١٤٨ بنحو ذلك.

(٢٧١) انظر النشر ج٢ ص٢٥١.

المعنى اللغوي للقراءات:

لقي: اللقاء مقابلة الشيء ومصادفته معاً، وقد يُعبر به عن كل واحد منهما، يقال لقيه يلقاه لقاءً ولُقِيًّا ولُقْية. ويقال ذلك في الادراك بالحس وبالبصر والبصيرة، ويقال لقيته بكذا إذا استقبلته به وتلقاه كذا أي لقيه[٢٧٢].

يُلَقَّوْنَ: «مضارع لقّي مبني للمجهول يتعدى لمفعولين، يَلْقَون: مضارع لقى الثلاثي مبني للمعلوم يتعدى لفعل»[٢٧٣].

التفسير:

يبين الله ـ سبحانه وتعالى ـ في هذه الآية جزاء عباد الرحمن المتصفين بالصفات الجليلة التي سبق ذكرها، حيث إن الله ـ سبحانه وتعالى ـ يجازيهم على صبرهم وطاعتهم له بالجنة فتتلقاهم الملائكة بالترحيب والاحترام والتحية والسلام.

يقول المنصوري: «أُوْلَئِكَ» إشارة إلى المتصفين بتلك الفضائل الجليلة والصفات النبيلة «يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ» الغرفة الدرجة العالية من المنازل، أي يثابون أعلى منازل الجنة وهي اسم جنس أريد به الجمع كقوله تعالى: ﴿وَهُمْ فِي ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾ [سبأ: ٣٧]، «بِمَا صَبَرُوا» أي بصبرهم على المشاق من مضض الطاعات ورفض الشهوات وتحمل المجاهدات، «وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا» من جهة الملائكة «تَحِيَّةً وَسَلَامًا» أي تحييهم الملائكة ويدعون لهم بطول الحياة والسلامة من الآفات ويمكن أن يكون السلام من الله تعالى...»[٢٧٤].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة البناء للمجهول ـ على ما لم يسم فاعله ـ أن الفعل من قبل الملائكة (فيُلَقَّون) مضارع تلقى المبني للمجهول يتعدى إلى مفعولين أحدهما نائب عن الفاعل وهو الواو في (يُلَقَّوْنَ) والثاني تحيةً، أما قراءة

---

(٢٧٢) معجم مفردات القرآن ص٥٠٧ ـ ٥٠٨.

(٢٧٣) المغني ج٣ ص ٩٦، وانظر: تفسير ابن وهب المسمى الواضح ج٢ ص٩٠.

(٢٧٤) المقتطف ج ٤ ص ٤٠.

البناء للمعلوم (يَلْقون) فتفيد أن الفعل من أهل الجنة وهو مضارع الفعل لقي الذي يتعدى إلى مفعول واحد.

ونجد أن قراءة التشديد (يُلَقَّوْنَ) بينت أن الملائكة يستقبلون أهل الجنة ويُسمعونهم التحية والسلام تكريماً لهم، أما قراءة التخفيف (يَلْقون) فأفادت أن أهل الجنة يستقبلون كلام الملائكة وهو التحية والسلام.

قال ابن زنجلة(٢٧٥): «قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر (يَلْقون) بالتخفيف أي يلقون - أهل الجنة - فيها تحية وسلاماً - جعلنا الله منهم - فالفعل لهم... وقرأ الباقون (يُلَقَّوْنَ) بالتشديد أي يلقيهم الله أو ملائكته التحية والسلام إذا دخلوا الجنة»(٢٧٦).

وقال ابن عاشور: «واللقّي واللقاء استقبال شيء ومصادفته... وقد استعير اللقّي لسماع التحية أي أنهم يسمعون ذلك في الجنة من غير أن يدخلوا على بأس أو يدخل عليهم بأس بل هم مصادفون تحية إكرام وثناء مثل تحيات العظماء والملوك التي يرتلها الشعراء والمنشدون.

ويجوز أن يكون إطلاق اللقّيُ لسماع ألفاظ التحية والسلام لأجل الإيمان إلى أنهم يسمعون التحية من الملائكة يَلقونهم بها فهو مجاز بالحذف قال تعالى: ﴿وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٣]»(٢٧٧).

وبالجمع بين القراءتين يتبين أن أهل الجنة يَلقَون التحية ويتلقونها وفي ذلك مبالغة في احترامهم وتكريمهم من الله ﷻ.

(٢٧٥) هو: عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة (أبو زرعة) المقرىء، مالكي، ترك مؤلفات عدة منها: حجة القراءات. (انظر مقدمة تحقيق كتاب حجة القراءات، تحقيق سعيد الأفغاني ص٢٥).

(٢٧٦) حجة القراءات ص ٥١٥.

(٢٧٧) التحرير والتنوير، م٩ ج١٩ ص ٨٤.

الفصل الثالث
تفسير سورة الشعراء بالقراءات القرآنية العشر

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: تعريف بالسورة.

المبحث الثاني: عرض لآيات السورة المتضمنة القراءات العشر.

المبحث الأول
تعريف بسورة الشعراء

وفيه مطالب:

المطلب الأول: بيان أن السورة مكية أو مدنية وعدد آياتها.

المطلب الثاني: أسماء السورة ووجه التسمية.

المطلب الثالث: ترتيب نزول السورة.

المطلب الرابع: المناسبات في سورة الشعراء. وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: علاقة سورة الشعراء بما قبلها.

المسألة الثانية: علاقة سورة الشعراء بما بعدها.

المطلب الخامس: خصائص سورة الشعراء.

المطلب السادس: أغراض سورة الشعراء وموضوعاتها.

المطلب الأول: بيان أن السورة مكية أو مدنية وعدد آياتها

سورة الشعراء مكية وعدد آياتها مائتان وسبع وعشرون أية وقيل مائتان وست وعشرون[(٢٧٨)].

(٢٧٨) انظر روح المعاني ج١٠ ص٥٨، مجمع البيان ج٧ ص٢٨٥، الجامع لأحكام القرآن ج١٣ص٩٤، مدارك التنزيل ج٣ص٨٠٥.

المطلب الثاني: أسماء السورة ووجه التسمية[٢٧٩]

تسمى سورة الشعراء وهو اسمها التوقيفي وتسمى أيضاً بسورة (طسم) وبالجامعة.

وجه تسميتها بهذه الأسماء:

- سميت بسورة الشعراء لورود لفظ الشعراء فيها.
- وسميت بسورة (طسم) لافتتاحها بهذه الأحرف.
- وسميت بالجامعة لأنها أول سورة جمعت ذكر الرسل أصحاب الشرائع المعلومة إلى الرسالة المحمدية.

المطلب الثالث: ترتيب نزول السورة

هي السورة السابعة والأربعون في ترتيب نزول السور، نزلت بعد سورة الواقعة وقبل سورة النمل والسورة السادسة والعشرون في ترتيب المصحف[٢٨٠].

المطلب الرابع: المناسبات في سورة الشعراء. وفيه مسألتان

المسألة الأولى: علاقة سورة الشعراء بما قبلها (سورة الفرقان):

تتصل سورة الشعراء بسورة الفرقان من وجوه عديدة هي:

١ - اشتمال سورة الشعراء على بسط وتفصيل لبعض ما ذكر في سورة الفرقان، فلما أشار الله تعالى في الفرقان إلى قصص مجملة، شرح هذه القصص وفصلها أبلغ تفصيل في سورة الشعراء ورتبها على ترتيب ورودها في سورة الفرقان، وجاء بقصص أخرى مثل قصة إبراهيم وقوم لوط وقوم شعيب - عليهم جميعاً أفضل الصلاة والسلام -[٢٨١].

---

(٢٧٩) انظر فتح القدير ج٤، ص٩٢، التحرير والتنوير، م٩ ج١٩ ص٨٩.

(٢٨٠) البرهان في علوم القرآن ج١ ص ٢٤٩.

(٢٨١) انظر روح المعاني ج١٠ ص ٥٨، تناسق الدرر ص١٠٦، ١٠٧، نظم الدرر ج٥، ص٣٤٥.

٢ ـ لما ختمت سورة الفرقان بذكر صفات عباد الرحمن من إعراض عن الجاهلين واللغو، ختمت هذه السورة بذكر الشعراء الذين هم بخلاف ذلك واستثنى منهم من يتصف بصفات عباد الرحمن وبين ما يمدح من الشعر ويدخل في قوله تعالى (سلاماً) وما يذم منه ويدخل في اللغو.

٣ ـ كلتا السورتين افتتحت بما يفيد مدح القرآن الكريم وختمتا بوعيد الكافرين والمكذبين به.

٤ ـ لما ختمت سورة الفرقان ببيان شناعة مصير الكافر وذكرت ما ذكرت من وعيد له ابتدأت هذه بتسلية النبي ﷺ وذلك مظنة إشفاقه عليهم ﷺ لما جبل عليه من الرحمة والشفقة وبيان أن الله لو شاء لأنزل عليهم أية تبهرهم وتذل جبابرتهم.

المسألة الثانية: علاقة سورة الشعراء بما بعدها «سورة النمل»(٢٨٢):

١ ـ تعتبر سورة النمل كالتتمة بالنسبة لسورة الشعراء حيث زاد فيها الله سبحانه ذكر باقي القرون فذكر سليمان وداوود ـ عليهما السلام ـ وفصل في قصة لوط أكثر مما في سورة الشعراء.

٢ ـ كلتا السورتين ابتدأت بالحديث عن القرآن الكريم وبيان إعجازه وعجز الكافرين عن الإتيان بمثله مع أن حروفه معروفة لهم. إلا أنه جاء في سورة النمل ذكر اسم القرآن الكريم ولم يأت ذلك في سورة الشعراء.

المطلب الخامس: خصائص سورة الشعراء

تميزت سورة الشعراء عن غيرها من السور بميزات منها:

١ ـ اسمها حيث لم يرد لفظ الشعراء إلا فيها.

٢ ـ جمعها لقصص العديد من الرسل بتفصيل لم يأت في غيرها وكان ورود بعض القصص فيها لأول مرة.

---

(٢٨٢) انظر تناسق الدرر ص١٠٧.

المطلب السادس: أغراض سورة الشعراء وموضوعاتها

للسورة أغراض كثيرة وسأقتصر في هذا البحث على أهمها:

١ - موضوع سورة الشعراء الرئيس ومحورها الأساس هو موضوع السور المكية جميعاً ومحورها وهو: العقيدة، ملخصة في عناصرها الأساسية من توحيد وإثبات صدق محمد ﷺ وتأكيد أن القرآن كلام الله المنزل على محمد ﷺ ووقوع الحساب والجزاء يوم القيامة.

٢ - تسلية للرسول ﷺ وبيان أن ما حدث له من قومه حدث لإخوانه من الرسل ما هو أشد منه وبيان عاقبة الكافرين والمكذبين له ولغيره من الرسل عليهم السلام.

٣ - تحدثت السورة من بدايتها عن القرآن الكريم الذي أنزل لهداية الناس جميعاً.

٤ - ذكرت السورة قصص العديد من الرسل السابقين وفصلت الحديث عنهم وبينت عاقبة المكذبين لهم.

٥ - تحدثت عن المؤمنين والمكذبين والسعداء والأشقياء ومصير كل منهم يوم القيامة.

٦ - بينت السورة سنة الله تعالى في التعامل مع المكذبين للرسل عليهم السلام.

٧ - تحدثت عن القرآن الكريم وعظمت من شأنه وبينت مصدره، وختمت بالرد على مزاعم المكذبين بالقرآن الكريم والمشككين في مصدره(٢٨٣).

(٢٨٣) انظر في ظلال القرآن ج٥ ص٢٥٨٣، التحرير والتنوير م٩ ج١٩، ص٩٠، صفوة التفاسير ج٢ ص٣٧٣.

المبحث الثاني
عرض لآيات السورة المتضمنة القراءات العشر

واعتمدت المنهج التالي فيه:

كتابة الآية القرآنية مدار البحث كاملة.

بيان القراءات فيها.

بيان المعنى اللغوي للقراءات.

تفسير الآية كاملة تفسيراً إجمالياً.

بيان العلاقة التفسيرية بين القراءات.

١ ـ ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴿٤﴾﴾ [الشعراء: ٤].

القراءات:

١ ـ قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب «نُنْزِل» بنونين مع ضم الأولى وإسكان الثانية وتخفيف الزاي.

٢ ـ قرأ الباقون «نُنَزِّل» بفتح النون الثانية وتشديد الزاي[٢٨٤].

(٢٨٤) انظر: الميسر في القراءات الأربعة عشر ص ٣٦٧.

المعنى اللغوي للقراءات:

نزل: النزول في الأصل انحطاط من علو، يقال نزل عن دابته ونزل في مكان كذا حط رحله فيه وأنزله غيره، ونزل بكذا وأنزله بمعنى(٢٨٥).

التفسير:

يخبر الله تعالى محمداً ﷺ ألا يهلك نفسه حزنا على عدم إيمان قومه برسالته فلو شاء الله إيمانهم لأنزل عليهم آية من السماء تجبرهم وتضطرهم إلى الإيمان قهراً فتصبح رقابهم خاضعة ذليلة منقادة لإرادة الله ﷻ أو يصبح كبراؤهم ورؤساؤهم منقادين لما يريده الله ولكن الله ﷻ لم يفعل ذلك لأنه يريد من الناس أن يؤمنوا طواعية وباختيارهم(٢٨٦).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

إن قراءة (نُنْزِل) بنونين مع ضم الأولى وإسكان الثانية وتخفيف الزاي تفيد النزول مرة واحدة أما قراءة (نُنَزِّل) بفتح النون الثانية وتشديد الزاي فتفيد التدرج في النزول حيث إن التشديد يفيد التدرج في الفعل وتكراره.

وبالجمع بين القراءتين يتضح أن قراءة (نُنَزِّل) أفادت معنى أكثر مما أفادته قراءة (نُنْزِل) وفيها مزيد دلالة على قدرة الله تعالى وعظمته.

٢ - ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾﴾ [الشعراء: ١٣].

القراءات:

١ - قرأ يعقوب «يضيقَ... ينطلقَ» بنصب القاف منهما.

٢ - قرأ الباقون «يضيقُ... ينطلقُ» برفعهما(٢٨٧).

---

(٢٨٥) معجم مفردات ألفاظ القرآن ص٥٤٣.

(٢٨٦) انظر التفسير المنير، ج١٠ ص١٣٤، ١٣٥.

(٢٨٧) النشر ج٢ ص٣٣٥.

المعنى اللغوي للقراءات:

الضيق ضد السعة وهو هنا مستعار للغضب والكمد(٢٨٨).

«والانطلاق حقيقته مطاوع أطلقه إذا أرسله ولم يحبسه فهو حقيقة في الذهاب واستعير هنا لفصاحة اللسان وبيانه في الكلام»(٢٨٩).

التفسير:

لما خاف موسى عليه السلام من تكذيب فرعون وقومه له وما يترتب على الخوف من ضيق في صدره وعقدة في لسانه وخشية من عدم استطاعته تبليغ دعوة الله على الوجه الأكمل طلب من الله عز وجل أن يجعل معه أخاه هارون رسولاً ليكون له عوناً في تبليغ الرسالة(٢٩٠).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة الرفع (أن يضيقُ...وينطلقُ) معطوفة على أخاف الذي هو خبر إنَّ، إنها إخبار من موسى عليه السلام بخوفه من وقوع ضيق صدره وعدم انطلاق لسانه.

أما قراءة النصب (يضيقَ...وينطلقَ) فجاءت عطفاً على يكذبون وهي صلة أن، أي أن موسى عليه السلام يتوقع أن يضيق صدره ولا ينطلق لسانه من تكذيبهم.

يقول الزمخشري: «يضيقُ وينطلقُ بالرفع لأنهما معطوفان على خبر (إنَّ) وبالنصب لعطفهما على صلة (أن) والفرق بينهما في المعنى أن الرفع يفيد أن فيه ثلاث علل: خوف التكذيب وضيق الصدر وامتناع انطلاق

(٢٨٨) معجم مفردات ألفاظ القرآن ص٣٣٦ التحرير والتنوير، م ٩ ج١٩ ص١٠٦.

(٢٨٩) التحرير والتنوير ج٩ ص١٠٦.

(٢٩٠) انظر المقتطف ج٤ ص٤٦.

اللسان، والنصب على أن خوفه متعلق بهذه الثلاثة»[٢٩١]. وبهذا فإن قراءة النصب تفيد دخول ضيق الصدر وعدم انطلاق اللسان تحت الخوف.

وبالجمع بين القراءتين يتبين أن خوف موسى عليه السلام من تكذيب فرعون له كان محققاً فجاءت قراءة الرفع وأما قراءة النصب فجاءت على توقع موسى عليه السلام تكذيب فرعون وقومه له فالقراءتان جمعتا بين ما هو محقق وما هو متوقع عند موسى عليه السلام من فرعون وقومه.

٣ ـ ﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [الشعراء: ٤٢].

القراءات:

١ ـ قرأ الكسائي «نَعِم» بكسر العين.

٢ ـ قرأ الباقون «نَعَم» بفتح العين[٢٩٢].

المعنى اللغوي للقراءات:

نعم كلمة للإيجاب من لفظ النعمة. «حرف نعم يقرر مضمون الكلام الذي يجاب به فهو تصديق بعد الخبر وإعلام بعد الاستفهام بحصول الجانب المستفهم عنه»[٢٩٣]. «هي حروف تصديق ووعد وإعلام...»[٢٩٤].

التفسير:

لما طلب السحرة من فرعون الإحسان إليهم والتقرب إليه إن هم غلبوا موسى عليه السلام أجابهم بهذا الجواب أي ولكم أخص مما تطلبون أجعلكم من المقربين عندي ومن جلسائي[٢٩٥].

---

(٢٩١) الكشاف ج٣ ص٣٥١، انظر أيضاً روح المعاني ج١٠ ص٦٥، البحر المحيط ج٧ ص٨ التحرير والتنوير، م٩، ج١٩، ص١٠٧.

(٢٩٢) النشر ج٢ ص٢٦٩.

(٢٩٣) التحرير والتنوير، م٥ ج٩ ص٤٦.

(٢٩٤) بصائر ذوي التمييز ج٥ ص٨٨.

(٢٩٥) انظر تفسير ابن كثير ج٣ ص٣٣٤.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قُرئت (نعم) بفتح العين وكسرها ويرى بعض العلماء أنهما لغتان[(٢٩٦)].

ولكن الملاحظ أن القراءة بالفتح تفيد إجابة فرعون لما طلبه السحرة منه والتصديق لما أخبرهم به من تقريبهم من مجلسه أما القراءة بكسر العين فتفيد الإعلام والتقرير لما طلبوا من إحسان وقرب، لثقة السحرة وفرعون بأنهم هم الغالبون.

فالقراءتان فيهما معنى الإجابة والتقرير لما توسموا ورجوا من إحسان وتعظيم بقربهم من فرعون.

قال ابن عاشور: «وقول فرعون نعم إجابة عما استفهموا أو تقرير لما توسموا على الاحتمالين المذكورين في قوله (إن لنا لأجراً) آنفاً، فحرف نعم يقرر مضمون الكلام الذي يجاب به فهو تصديق بعد الخبر وإعلام بعد الاستفهام بحصول الجانب المستفهم عنه والمعنيان محتملان هنا على قراءة نافع ومن وافقه وأما على قراءة غيرهم فيتعين المعنى الثاني»[(٢٩٧)].

٤ ـ ﴿فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الشعراء: ٤٥].

القراءات:

١ ـ قرأ البزي وصلاً «تَّلَقَّفُ» بتشديد التاء والقاف مع فتحهما.

٢ ـ قرأ حفص «تَلْقَفُ» بتخفيف التاء والقاف وفتحهما مع إسكان اللام.

٣ ـ قرأ الباقون «تَلَقَّفُ» بتخفيف التاء وتشديد القاف مع الفتح وفتح اللام[(٢٩٨)].

---

(٢٩٦) انظر روح المعاني ج١٠ ص٧٧، الكشاف، ج٣ص٣٥٩، إرشاد العقل السليم ج٥ ص٤٠.

(٢٩٧) التحرير والتنوير، م ٥ج٩ ص٤٦.

(٢٩٨) انظر النشر ج٢ ص٢٧١.

المعنى اللغوي للقراءات:

لقف: لَقِفْتُ الشيء ألقفه وتَلَقَّفْتُه: تناولته بالحذق سواء في ذلك تناوله بالفم أو اليد[٢٩٩]. لقف الشيء من باب فهم وتلقَّفه أي تناوله بسرعة[٣٠٠]. والتلقف: مبالغة في اللقفة، وهو الابتلاع والازدراد[٣٠١].

التفسير:

تتحدث الآية عن معجزة موسى عليه السلام التي جاء بها إلى فرعون وملئه بعد أن وصفوه بالكذب وجمعوا له السحرة ليثبتوا أنه ساحر وليس نبياً فلما ألقى السحرة حبالهم وعصيهم وخيل للناس من سحرهم أنها حيات تسعى ألقى موسى عليه السلام عصاه فتحولت إلى ثعبان كبير يلتهم ويلقف بسرعة كل ما ألقوا من حبال وعصي فآمن السحرة لعلمهم صدق موسى عليه السلام.

يقول الصابوني: «﴿فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾﴾: أي فألقى موسى العصا فانقلبت حية عظيمة فإذا هي تبتلع وتزدرد الحبال والعصي التي اختلقوها باسم السحر حيث خيلوها للناس حيات تسعى وسمى تلك الأشياء إفكاً مبالغة»[٣٠٢].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءات الثلاث أن عصا موسى عليه السلام تحولت إلى ثعبان مخيف يلتهم ويزدرد بسرعة إفك السحرة وخداعهم وفي ذلك دلالة على صدقه وكذبهم ولكن قراءة التشديد (تَلَقَّفُ، تَّلَقَّفُ) تفيد الكثرة والتكرار[٣٠٣].

٥ - ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [الشعراء: ٥٦].

---

(٢٩٩) معجم مفردات ألفاظ القرآن ص٥٠٧.

(٣٠٠) مختار الصحاح ص ٦٠٢.

(٣٠١) التحرير والتنوير، م ٥ ج٩ ص٤٩.

(٣٠٢) صفوة التفاسير ج٢ ص٣٧٩.

(٣٠٣) الخصائص ج٢ ص١٥٥.

القراءات:

١ ـ قرأ الكوفيون (عاصم وحمزة والكسائي وخلف) وابن ذكوان وهشام بخلف عنه «حاذرون» بألف بعد الحاء.

٢ ـ قرأ الباقون «حذرون» بحذف الألف[٣٠٤].

المعنى اللغوي للقراءات:

الحَذَر والحِذْر: التحرز. ورجل حَذِر بكسر الذال وضمها أي: متيقظ متحرز والجمع حذرون وحذارى بفتح الراء[٣٠٥].

التفسير:

لما استمر فرعون وقومه في تكذيب موسى عليه السلام بعدما جاءهم من البينات ولم يبق لهم إلا العذاب أمر الله تعالى موسى عليه السلام أن يخرج ببني إسرائيل من مصر فخرج ولما علم فرعون بخروجهم جمع قومه وأخبرهم بأن بني إسرائيل طائفة قليلة يسهل متابعتها وأسرها وقتلها وأنهم يغيظونهم ويضايقونهم دائما وأنهم أي قوم فرعون دائموا اليقظة مستعدون بالسلاح للقتال في كل وقت فعليهم لذلك أن يجتمعوا معه لإبادة بني إسرائيل[٣٠٦].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

ذهب بعض العلماء إلى أنهما لغتان وبمعنى واحد[٣٠٧]. ولكن بالنظر إلى القراءتين نجد أن كلاً منهما أفادت معنى جديداً للآخر فقد أفادت قراءة حذرون التي هي اسم فاعل أنهم دائماً متيقظون فالحذِر من كان الحذَر في خلقته فهو لا يلقاك إلا حذراً دائم اليقظة منتبهاً.

(٣٠٤) النشر ج٢ ص٣٣٥.

(٣٠٥) مختار الصحاح ص ١٢٧.

(٣٠٦) انظر التفسير المنير ج١٠ ص١٧٤.

(٣٠٧) انظر مجاز القرآن ج٢ ص٨٦، الكشف ج٢ ص١٥١.

أما قراءة (حاذرون) على أنها صفة مشبهة فتفيد الاستقبال أي: أنهم مستعدون للقتال في المستقبل[٣٠٨].

وبالجمع بين القراءتين يتبين أن قوم فرعون حذرون وحاذرون فلأنهم خائفون فهم دائماً متيقظون مستعدون بالسلاح للقتال في المستقبل حيث إن الخائف يكون دائماً متيقظاً مستعداً.

٦ ـ ﴿قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ ﴿١١١﴾﴾ [الشعراء: ١١١].

القراءات:

١ ـ قرأ يعقوب «وأتباعك» بقطع الهمزة وإسكان التاء مخففة وضم العين وألف قبلها على الجمع.

٢ ـ قرأ الباقون «واتبعك» بوصل الهمزة وتشديد التاء مفتوحة وفتح العين من غير ألف[٣٠٩].

المعنى اللغوي للقراءات:

يقال تبعه واتبعه قفا أثره، ويقال أتبعه إذا لحقه[٣١٠]. فتبعه سار في أثره واتبعه لحقه.

التفسير:

هذه حجة من حجج قوم نوح عليه السلام التي ساقوها لتبرير عدم إيمانهم بدعوته وهي أن أتباعه والمؤمنين به هم الأقلون جاهاً ومالاً. حيث قالوا له: كيف نؤمن بك وقد اتبعك أراذلنا فنتساوى معهم[٣١١].

---

(٣٠٨) انظر روح المعاني ج١٠ص٨١، جامع البيان، م١١ ج ١٩ص٧٧، إرشاد العقل السليم ج٥ص٤٢.

(٣٠٩) النشر ج٢ص٣٣٥.

(٣١٠) معجم مفردات ألفاظ القرآن ص٨٣.

(٣١١) انظر البحر المحيط، ج٧ ص٣٠، تفسير ابن وهب المسمى الواضح ج٢ص٩٨.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

جاءت قراءة (واتبعك) فعلاً ماضياً لتبين حال نوح عليه السلام حيث إن أتباعه هم الأقل مالاً وجاهاً في مجتمعهم.

أما قراءة (وأتباعك) فيحتمل إعرابها وجهين مع اتفاق المعنى:

الأول: أن (أتباعك) مبتدأ و(الأرذلون) خبرها. ويكون المعنى: أنؤمن لك نحن وأتباعك الأرذلون(٣١٢).

ونجد فيها معنى القصر حيث قصروا أتباع نوح عليه السلام على (الأرذلون) ولذا هم يرفضون أن يكونوا في عدادهم.

الثاني: أن (أتباعك) معطوف على الضمير في نؤمن. فيكون المعنى: أنؤمن لك نحن وأتباعك الأرذلون؟ وهنا تكون الأرذلون صفة لأتباع(٣١٣).

وبالجمع بين القراءتين يتضح أن قوم نوح عليه السلام أخبروه أن سبب عدم إيمانهم به أنهم لا يريدون أن يتساووا وأن يُعَدوا مع أتباعه المقصورين على الأرذلين وحالهم وصفتهم أنهم أرذلون أي أقل مالاً وجاهاً من غيرهم.

كما أن صيغة الماضي تفيد ثبات هذه الصفة لهم وصيغة الاسم تفيد استمرار اتصافهم بها.

٨ ـ ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾﴾ [الشعراء: ١٣٧].

القراءات:

١ ـ قرأ أبو جعفر وابن كثير والبصريان والكسائي «خَلْق» بفتح الخاء وإسكان اللام.

٢ ـ قرأ الباقون «خُلُق» بضم الخاء واللام(٣١٤).

---

(٣١٢) المحتسب ج٢ ص١٣١.

(٣١٣) المرجع السابق ص١٣١.

(٣١٤) انظر النشر ج٢ص٣٣٥، ٣٣٦.

المعنى اللغوي للقراءات:

الخُلُق بضم الخاء واللام العادة والدين. والخَلْق بفتح الخاء وإسكان اللام بمعنى الكذب والاختلاق(٣١٥).

التفسير:

هذا جواب قوم هود لهود عليه السلام عندما دعاهم إلى الإيمان بالله وباليوم الآخر حيث ردوا عليه بأن هذا الذي جاءهم به ما هو إلا أمر مختلق من قديم وأنكروا البعث قائلين أن عادتهم كعادة غيرهم يعيشون ثم يموتون ولا بعث لهم ولا حساب.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءة بفتح الخاء وإسكان اللام (خَلْق) لها وجهان:

الأول: بمعنى اختلاق الأولين وكذبهم ويقصدون الأنبياء والمرسلين كما قال تعالى عنهم ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَٰذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ ۝٧﴾ [ص: ٧].

الثاني: بمعنى خلقنا كما خلق الأولين من قبلنا نحيا كما حيوا ونموت كما ماتوا ولا نبعث كما لم يبعثوا.

أما القراءة بضم الخاء واللام (خُلُق) فهي بمعنى العادة أو الدين أي: أن عادتهم كعادة من قبلهم يحيون ويموتون ولا بعث لهم ولا حساب(٣١٦).

وبالجمع بين القراءتين يمكن القول إن قوم هود عليه السلام أنكروا دعوته لهم للإيمان بحجة أن ما جاءهم به هو كذب واختلاق ككذب السابقين له من الأنبياء والرسل واختلاقهم على حد زعمهم وأن عادتهم كعادة من قبلهم حياة وموت ولا بعث لهم ولا حساب.

٩ - ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ ۝١٤٩﴾ [الشعراء: ١٤٩].

(٣١٥) انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج ج٤ ص٩٧.
(٣١٦) انظر الكشف ج٢ ص١٥١، المغني ج٣ص٩٩.

القراءات:

١ ـ قرأ الكوفيون (عاصم وحمزة والكسائي وخلف) وابن عامر «فارهين» بألف بعد الفاء.

٢ ـ قرأ الباقون «فرهين» بغير ألف[٣١٧].

المعنى اللغوي للقراءات:

الفره: الأشر، وفارهين: حاذقين [٣١٨].

فارهين: حاذقين، فرهين: أشرين[٣١٩].

فارهين: من الفراهة وهي جودة منظر الشيء وقوة كماله في نوعه[٣٢٠]. وقيل فرهين فرحين لأن العرب تعاقب بين الهاء والحاء فالفره: الأشر الفرح[٣٢١].

التفسير:

جاءت هذه الآية في معرض تحذير النبي صالح عليه السلام لقومه من عدم ترك الله لهم وسلبهم النعم التي هم فيها من زروع وبساتين ونخل ناضج يانع الثمر وحذاقة وأشر وفرح في نحتهم البيوت في الجبال إن هم لم يستجيبوا لدعوة الله عز وجل لهم بالإيمان[٣٢٢].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

ذهب بعض العلماء إلى أن فاره وفره بمعنى واحد[٣٢٣].

---

(٣١٧) النشر ج٢ص٣٣٦.

(٣١٨) معجم مفردات ألفاظ القرآن ص٤٢٤.

(٣١٩) معاني القرآن للفراء ج٢ص٢٨٢.

(٣٢٠) انظر المحرر الوجيز ج١١ص١٣٩.

(٣٢١) انظر الجامع لأحكام القرآن ج١٣ص١٣٨.

(٣٢٢) انظر إرشاد العقل السليم ج٥ص٥٥.

(٣٢٣) انظر جامع البيان، م١١ ج١٩ص١٠١، مجاز القرآن ج٢ص٨٩.

والصحيح أن كل قراءة أفادت معنى جديداً للقراءة الأخرى فقراءة (فارهين) أفادت أن المعنى حاذقين أي ماهرين في النحت بارعين به.

أما قراءة (فرهين) بغير ألف فأفادت أن المعنى: أنهم أشرون بطرون أو متعجبون متكبرون فرحون بهذا الصنيع الذي لم يسبقهم إليه أحد.

ويرى **أبو السعود** أن (فارهين) «من الفراهة وهي النشاط فإن الحاذق يعمل بنشاط وطيب قلب»(٣٢٤).

وبالجمع بين القراءتين: يمكن القول إن قوم صالح عليه السلام لاتصافهم بالفراهة أي الحذق والنشاط في نحت البيوت أصبح حالهم أنهم بطرون متكبرون مغترون بصنيعهم فحذاقتهم سبب بطرهم وتكبرهم.

١٠ ـ ﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾﴾ [الشعراء: ١٧٦].

القراءات:

١ ـ قرأ المدنيان (نافع وأبو جعفر) وابن كثير وابن عامر «لَيْكَةَ» بلام مفتوحة من غير ألف وصل قبلها ولا همزة بعدها وبفتح تاء التأنيث في الوصل مثل حيوة وطلحة.

٢ ـ قرأ الباقون «الْأَيْكَةِ» بألف وصل مع إسكان اللام وهمزة مفتوحة بعدها وخفض تاء التأنيث(٣٢٥).

المعنى اللغوي للقراءات:

الأيك الشجر الكثير الملتف الواحدة أيكة(٣٢٦).

وأصحاب الأيكة هم أهل مدين قوم شعيب عليه السلام على أصح الأقوال(٣٢٧).

---

(٣٢٤) إرشاد العقل السليم ج٥ص٥٥.
(٣٢٥) النشر ج٢ص٣٣٦.
(٣٢٦) مختار الصحاح ص٣٦.
(٣٢٧) انظر تفسير ابن كثير ج٣ص٣٤٥، تنوير المقباس ص٣١٣.

التفسير:

هذه بداية قصة شعيب عليه السلام مع قومه الذين كانت لهم أيكة يعبدونها من دون الله فبعث الله لهم شعيباً عليه السلام ليدعوهم إلى عبادة الله عز وجل. فما كان منهم إلا أن كذبوه ورفضوا الإيمان به وبدعوته(٣٢٨).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

(الأيكة وليكة) مترادفتان عند أكثر العلماء(٣٢٩). ويقال هما مثل مكة وبكة(٣٣٠).

وقرئت (ليكة) بلام مفتوحة بلا ألف وصل قبلها ولا همز بعدها وفتح تاء التأنيث غير منصرفة للعلمية والتأنيث كطلحة، وقُرئت الأيكة بهمزة وصل وسكون اللام وبعدها همزة مفتوحة وبكسر التاء منصرفة. وقيل إن (ليكة) اسم القرية التي كان فيها قوم شعيب عليه السلام، والأيكة اسم للبلد(٣٣١).

١١ ـ ﴿وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾﴾ [الشعراء: ١٨٢].

القراءات:

١ ـ قرأ حفص وحمزة والكسائي وخلف «بالقِسطاس» بخفض القاف.

٢ ـ قرأ الباقون «بالقُسطاس» برفع القاف(٣٣٢).

المعنى اللغوي للقراءات:

القِسط: الكوز عند أهل الأمصار والقسط مكيال وهو نصف صاع والقسط النصيب.

---

(٣٢٨) تفسير ابن كثير ج٣ ص٣٤٥.

(٣٢٩) انظر فتح الباري ج ٩ ص ٤٤٤، إتحاف فضلاء البشر ج٢ص٣١٩.

(٣٣٠) الصحاح للجوهري ج٤ص١٥٧٣، ١٥٧٤.

(٣٣١) إبراز المعاني من حرز الأماني ص ٦٢١.

(٣٣٢) النشر ج٢ص٣٠٧.

القسطاس بضم القاف وخفضها: الميزان(٣٣٣).

التفسير:

يأمر نبي الله شعيب عليه السلام قومه في هذه الآية والتي قبلها أن يكملوا الكيل للناس ولا ينقصوه أو يأخذوه تاماً إن كان لهم ولكن عليهم أن يأخذوا كما يعطوا ويعطوا كما يأخذون ويزنوا بالميزان السوي العدل(٣٣٤).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أجمع العلماء على أن قراءة (القِسطاس والقُسطاس) بمعنى واحد هو الميزان ويعبر به عن العدالة كما يعبر عنها بالميزان وأنهما لغتان(٣٣٥).

(والقِسطاس والقُسطاس) أعدل الموازين وأقومها(٣٣٦).

وبالنظر في القراءتين يتبين أن في قراءة الكسر (القِسطاس) يأمر الله عز وجل بإيفاء الكيل عند الوزن وكذلك الوزن بالعدل وعدم بخس الناس أشياءهم، أما قراءة الضم (القُسطاس) ففيها طلب مزيد تحري العدل عند الوزن، حيث إن الضمة التي هي أثقل الحركات تفيد الشدة والقوة وهي بالتالي تدل على ضرورة تحري العدل في الوزن.

١٢ - ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾﴾ [الشعراء: ١٨٧].

القراءات:

١ - قرأ حفص «كِسَفاً» بفتح السين.

(٣٣٣) انظر لسان العرب ج٧ص٣٧٨، تاج العروس ج١٦ ص ٣٧٨.

(٣٣٤) مختار الصحاح ج١ص٢٢٣.

(٣٣٥) انظر الكشف ج٢ ص ٤٦، مفاتيح الأغاني ص٢٤٨، إتحاف فضلاء البشر ج٢ص٣٢٠، القراءات وأثرها في علوم العربية ج١ ص٢١٧.

(٣٣٦) لسان العرب ج٦ ص٩٣.

٢ ـ قرأ الباقون «كِسْفاً» بإسكان السين[٣٣٧].

المعنى اللغوي للقراءات:

كسفاً بفتح السين أي قطعاً وهي جمع كسفة وهي القطعة والجانب وكسفاً بسكون السين على التوحيد وجمعه أكساف وكسوف وقيل معناها أيضا القطع[٣٣٨].

والكسفة القطعة من الشيء والجمع كِسْف وكِسَف وقيل الكِسْف والكِسْفة واحد[٣٣٩].

التفسير:

رد قوم شعيب عليه السلام على دعوته لهم بإيفاء الكيل والميزان وتقوى الله تعالى وطاعته وتحذيره لهم من غضب الله تعالى عليهم بهذه الآية حيث قالوا له: إن كنت حقاً صادقاً فأنزل علينا من السماء قطعاً نعذب بها أو أنزل السماء قطعة واحدة علينا تظلنا وذلك كناية عن طلبهم العذاب ولم يكن طلبهم ذلك إلا تصميماً منهم على الجحود والتكذيب[٣٤٠].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

ذهب العلماء إلى أن (الكِسَف) بفتح السين وإسكانها جمع كسفة. وأن الإسكان يحمل معنى الفتح[٣٤١].

أفادت قراءة (كسَفاً) بفتح السين أنهم طلبوا من نبيهم أن ينزل عليهم قطعاً من السماء يهلكهم الله بها لتكذيبهم به وقولهم هذا على سبيل التعنت والعناد. وقد تكون القراءة بالفتح على المصدر فيكون المعنى أو تسقط

(٣٣٧) النشر ج٢ص٣٠٩.
(٣٣٨) معالم التنزيل ج٣ ص٣٠٩، وانظر تفسير غريب القرآن ص٣٢٠.
(٣٣٩) مختار الصحاح ص٥٧١.
(٣٤٠) انظر تفسير ابن كثير ج٣ص٣٤٦، المقتطف ج٤ص٨٠.
(٣٤١) انظر الكشف ج٢ص٥١.

السماء علينا قطعاً قطعة بعد قطعة[342].

وأما قراءة (كسْفاً) بإسكان السين فتعني: أسقط علينا السماء قطعة واحدة كالغطاء تظللنا أو طبقاً واحداً. قال الأخفش: من قرأ كسْفاً جعله واحداً ومن قرأ كسَفاً جعله جمعاً[343].

وبالجمع بين القراءتين يتبين أن قوم مدين من تعنتهم وتجبرهم طلبوا من نبيهم شعيب عليه السلام أن يأتيهم بالعذاب إن كان صادقاً سواء بإنزال السماء عليهم طبقاً واحداً كالغطاء أو قطعاً مفرقة قطعة بعد قطعة فهم طلبوا العذاب مجتمعاً ومفرقاً.

١٣ - ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ﴿١٩٣﴾﴾ [الشعراء: ١٩٣].

القراءات:

١ - قرأ يعقوب وابن عامر وحمزة والكسائي وخلف وأبو بكر «نَزَّلَ» بتشديد الزاي ونصب «الروحَ الأمينَ».

٢ - قرأ الباقون «نَزَلَ به الروحُ الأمينُ» بالتخفيف ورفعهما[344].

المعنى اللغوي للقراءات:

نزل: النزول في الأصل انحطاط من علو، يقال نزل عن دابته ونزل في مكان كذا حط رحله فيه وأنزله غيره، ونزل بكذا وأنزله بمعنى[345].
الروح الأمين هو جبريل عليه السلام[346].

التفسير:

يبين الله تعالى في هذه الآية أن القرآن هو تنزيل من عند الله عز وجل

---

(٣٤٢) انظر المرجع السابق ص٥١.
(٣٤٣) الجامع لأحكام القرآن ج١٣ص١٤٦.
(٣٤٤) النشر ج٢ص٣٣٦.
(٣٤٥) معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص٥٤٣.
(٣٤٦) معاني القرآن وإعرابه للزجاج، ج٤ص١٠٠.

وليس سحراً ولا شعراً كما ادعى الكافرون قد نزل به جبريل عليه السلام بأمر الله تعالى ليبلغه إلى محمد ﷺ.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

جاءت قراءة (نزل) بتخفيف الزاي ورفع (الروحُ الأمينُ) على أن (نزل) فعل ماض و(الروح) فاعل و(الأمين) صفة له فأسندت الفعل إلى جبريل عليه السلام فيكون المعنى: نزل جبريل عليه السلام بالقرآن على محمد ﷺ.

أما قراءة (نزّل) بتشديد الزاي ونصب (الروحَ الأمينَ) فجاءت على أن (نزّل) فعل ماض مضعف العين والفاعل ضمير مستتر تقديره هو يعود على الله عز وجل و(الروحَ) مفعول به و(الأمينَ) صفةٌ له. فيكون المعنى: أن الله عز وجل أنزل جبريل عليه السلام بالقرآن على محمد ﷺ حيث إن معنى نزّل به أنزل[٣٤٧].

وبالجمع بين القراءتين يتضح أن الله عز وجل نزّل جبريل عليه السلام بالقرآن فنزل به على محمد ﷺ فالله عز وجل هو المنزّل وجبريل عليه السلام هو النازل المنفذ لأمر الله تعالى.

١٤ ـ ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾﴾ [الشعراء: ١٩٧].

القراءات:

١ ـ قرأ ابن عامر «تكن» بالتاء على التأنيث، «آيةٌ» بالرفع.

٢ ـ قرأ الباقون «يكن ـ آيةً» بالياء على التذكير والنصب[٣٤٨].

المعنى اللغوي للقراءات:

كان: فعل ناسخ ناقص تدخل على الجملة الاسمية فترفع المبتدأ

---

(٣٤٧) حجة القراءات ص٥٢١، القراءات وأثرها في علوم العربية ج٢ص٣٠٧.

(٣٤٨) النشر ج٢ص٣٣٦.

وتسميه اسمها وتنصب الخبر وتسميه خبرها فهي العامل في الاسم والخبر معاً[349].

الآيةُ: العلامة والجمع آيٌ وآيايٌ وآياتٌ[350].

التفسير:

يقول الطبري في تفسير هذه الآية والتي قبلها: «يقول تعالى ذكره: وإن هذا القرآن لفي زبر الأولين: يعني كتب الأولين... يعني أن ذكره وخبره في بعض ما نزل من الكتب على بعض رسله. وقوله ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾﴾: يقول تعالى ذكره: أولم يكن لهؤلاء المعرضين عما يأتيك يا محمد ﷺ من ذكر ربك دلالة على أنك رسول رب العالمين، أن يعلم حقيقة ذلك وصحته علماء بني إسرائيل[351].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قُرئت (أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ آيَةً) بالياء ونصب (آية) على اعتبار أن (آية) خبر يكن واسمها (أن يعلمه) فيكون المعنى: أولم يكن لهم علم علماء بني إسرائيل (أن النبي حق وأن نبوته حق) آية موضحة، لأن العلماء من بني إسرائيل وجدوا ذكر النبي ﷺ مكتوباً في التوراة والإنجيل، وأما قراءة (أَوَلَمْ تَكُن لَّهُمْ آيَةٌ) بالتاء ورفع آية فعلى اعتبار (آية) اسم تكن و(أن يعلمه) خبرها لأن (أن) مع الفعل تكون مصدر والتقدير: أولم تكن لهم آية معجزة ودلالة واضحة في علم علماء بني إسرائيل ﷺ حيث وجدوا ذكره ﷺ في الكتب السابقة له ولكنهم كذبوا به بعد ما جاءهم من العلم[352].

وبالجمع نجد أن علم علماء بني إسرائيل بنبوة محمد ﷺ من خلال كتبهم التي ورد فيها ذكره ﷺ دليل وعلامة ظاهرة على صدق محمد ﷺ.

---

(٣٤٩) انظر التطبيق النحوي ص١١١.

(٣٥٠) مختار الصحاح ٣٧.

(٣٥١) جامع البيان، م١١ج١٩ ص١١٣.

(٣٥٢) انظر حجة القراءات ص٥٢١، القراءات وأثرها في علوم العربية ج٢، ص٣٠٧.

١٥ ـ ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾﴾ [الشعراء: ١٧٢].

القراءات:

١ ـ قرأ المدنيان (نافع وأبو جعفر) وابن عامر «فتوكل» بالفاء.

٢ ـ قرأ الباقون «وتوكل» بالواو[٣٥٣].

المعنى اللغوي للقراءات:

«التوكل: تفويض المرء أمره إلى من يكفيه مهمه. وما دام لا كافي إلا الله وجب التوكل عليه ﷻ»[٣٥٤].

التفسير:

يطلب الله ﷻ من نبيه محمد ﷺ أن يفوض أمره إلى الله تعالى عند تكذيب قومه له فالله حافظه ومؤيده لأنه الغالب القاهر ـ جل وعلا ـ الذي لا يمانع في شيء يريده الرحيم بالمؤمنين من عباده[٣٥٥].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قُرئت (توكل) بالفاء والواو ويرى بعض العلماء أنهما بمعنى واحد[٣٥٦].

والذي يتضح أن قراءة الفاء أفادت أن الفاء تفريعية واقعة في جواب شرط مقدر مفهوم من السياق أي: إذا أنذرت عشيرتك فعصوك فعندها توكل على الله[٣٥٧].

أما قراءة الواو (وتوكل) فأفادت العطف أي أن آية ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾﴾ معطوفة على قوله تعالى: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ [الشعراء: ٢١٣] أو على جواب الشرط: فقل إني بريء. . .فيكون المعنى:

(٣٥٣) النشر ج٢ ص٣٣٦.

(٣٥٤) أيسر التفاسير ج٣ص٥٤٨.

(٣٥٥) المرجع السابق ص٥٤٨.

(٣٥٦) التحرير والتنوير، م٩ ج١٩، ص٢٠٣.

(٣٥٧) المرجع السابق ص٢٠٣.

فلا تدع مع الله إلهاً آخر وتوكل على الله أو قل إني بريء وتوكل على الله، والله أعلم[٣٥٨].

١٦ - ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾﴾ [الشعراء: ٢٢٤].

القراءات:

١ - قرأ نافع «يتْبَعُهُم» بإسكان التاء وفتح الباء.

٢ - قرأ الباقون «يَتَّبِعُهُمُ» بفتح التاء مع التشديد وكسر الباء[٣٥٩].

المعنى اللغوي للقراءات:

يقال تبعه واتبعه قفا أثره، ويقال أتبعه إذا لحقه[٣٦٠].

التفسير:

يرد الله ﷻ في هذه الآية على من زعم أن محمداً ﷺ شاعرٌ فيبين الله تعالى أن الشعراء يلحق بهم ويقتفي أثرهم الضالون من الإنس والجن المنحرفون عن طريق الحق والاستقامة، وأما أتباع محمد فهم المهتدون المستقيمون على شرع الله ﷻ ففيها تنزيه لمحمد ﷺ وأتباعه[٣٦١].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة التخفيف (يتْبَعُهُم) أن الغاوين يسلكون مسلك الشعراء الضالين ويتبعون منهجهم وأسلوبهم.

وأما قراءة التشديد (يَتَّبِعُهُمُ) فتفيد أن الغاوين من جملة الشعراء يفعلون فعلهم ويسلكون مسلكهم حيث كانوا يقومون برواية الشعر الذي يقوله

---

(٣٥٨) التحرير والتنوير، م٩ج١٩ص٢٠٣، المغني، ج٣، ص١٠٢.

(٣٥٩) النشر ج٢ ص٢٧٤.

(٣٦٠) معجم مفردات ألفاظ القرآن ص٨٣.

(٣٦١) انظر التفسير المنير ج١٠ص٢٦٨، صفوة التفاسير ج٢ ص٣٩٧.

الشعراء في هجاء الرسول ﷺ ومن معه من المسلمين[٣٦٢].

وبالجمع بين القراءتين: يتبين أن قراءة التشديد أبلغ في تنزيه الرسول ﷺ وأتباعه عن الشعر كما أنها أبلغ في بيان مدى اتباع الضالين الحائرين للشعراء باعتبار أن زيادة المبنى تؤدي إلى زيادة المعنى.

(٣٦٢) روح المعاني ج١٠ص١٤٢.

الفصل الرابع

تفسير سورة النمل بالقراءات القرآنية العشر

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: تعريف بالسورة.

المبحث الثاني: عرض لآيات السورة المتضمنة القراءات العشر.

المبحث الأول
تعريف بسورة النمل

وفيه مطالب:

المطلب الأول: بيان أن السورة مكية أو مدنية وعدد آياتها.

المطلب الثاني: أسماء السورة ووجه التسمية.

المطلب الثالث: ترتيب نزول السورة.

المطلب الرابع: جو نزول السورة.

المطلب الخامس: المناسبات في سورة النمل. وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: علاقة سورة النمل بما قبلها.

المسألة الثانية: علاقة سورة النمل بما بعدها.

المطلب السادس: خصائص سورة النمل.

المطلب السابع: أغراض سورة النمل وموضوعاتها.

المطلب الأول: بيان أن السورة مكية أم مدنية وعدد آياتها

سورة النمل سورة مكية بالإجماع[٣٦٣]. عدد آياتها ثلاث وتسعون آية

---

(٣٦٣) انظر زاد المسير، ص١٠٤٠، الجامع لأحكام القرآن ج١٣ص١٦٥، في رحاب التفسير ج٤ص٣٤٨٩.

وقيل أربع وتسعون وقيل خمس وتسعون(٣٦٤).

المطلب الثاني: أسماء السورة ووجه التسمية

سميت سورة النمل بأسماء عديدة هي:

١ ـ سورة النمل: ووجه التسمية هي ورود لفظ النمل فيها وحكاية النملة التي نصحت قومها بدخول مساكنهم حتى لا يحطمنهم سليمان ﷺ وجنوده وهم لا يشعرون ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٨﴾ [النمل: ١٨].

٢ ـ سورة سليمان: ووجه التسمية به هو تناول قصة سليمان عليه السلام من جوانب مختلفة لم تذكر في سور أخرى.

٣ ـ سورة الهدهد: ووجه التسمية به هو ورود لفظ الهدهد وقصته مع سليمان عليه السلام فيها(٣٦٥).

المطلب الثالث: ترتيب نزول السورة

نزلت سورة النمل بعد سورة الشعراء وقبل سورة القصص حسب ترتيب المصحف وتعد الآية السابعة والأربعون في نزول السور المكية(٣٦٦) وترتيبها السورة السابعة والعشرون في ترتيب المصحف.

المطلب الرابع: جو نزول السورة(٣٦٧)

نزلت سورة النمل في بداية مرحلة الجهر بالدعوة، عندما أمر الله نبيه محمداً ﷺ أن ينذر عشيرته الأقربين ويجهر بدعوته بعد استمرارها ثلاث

(٣٦٤) انظر روح المعاني ج١٠ص١٥١، الجامع لأحكام القرآن ج١٣ص١٦٥، التحرير والتنوير، م٩ ج١٩ص٢١٥.

(٣٦٥) انظر التحرير والتنوير، م٩ ج١٩ص٢١٥.

(٣٦٦) انظر البرهان، ج١ص٢٤٩.

(٣٦٧) انظر سورة النمل دراسة تحليلية وموضوعية ص٤ ـ ١٠ باختصار.

سنوات سراً، حيث استجاب الرسول ﷺ وبدأ يدعو إلى الله جهرا كما روى الإمام البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لما نزلت وأنذر عشيرتك الأقربين صعد النبي ﷺ على الصفا فجعل ينادي: يا بني فهر، يا بني عدي - لبطون قريش - حتى اجتمعوا فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وزعماء قريش فقال النبي ﷺ أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً تخرج بسفح هذا الجبل أكنتم مصدقي؟ قالوا ما جربنا عليك كذباً، قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، فقال أبو لهب: تبا لك، إنما جمعتنا لهذا؟ ثم قام، فنزلت هذه السورة (تبت يدا أبي لهب وتب)»[٣٦٨].

بعد ذلك شعرت قريش وأدركت خطورة دعوة محمد ﷺ فعملت على مواجهتها بطرق عديدة منها:

- اللجوء إلى عمه أبي طالب ليثنيه عن الدعوة.
- الإغراء بتقديم عروض أخرى عليه كالمال والجاه والسيادة.

ولكن فشلت هذه الطرق فكانت الحرب بين أهل الإيمان وأهل الكفر، تمثلت في أساليب متعددة منها: الإعراض والمقاطعة والتكذيب والإيذاء والتعذيب والحصار الاقتصادي. ومما ورد في تعذيب الرسول ﷺ وصحابته الكرام الأحاديث الآتية:

١ - عن عبد الله رضي الله عنه قال: (بينا رسول الله ﷺ ساجد وحوله ناس من قريش، جاء عقبة بن أبي مُعيط بسلى جزور فقذفه على ظهر النبي ﷺ فلم يرفع رأسه فجاءت فاطمة عليها السلام فأخذته من ظهره ودعت على من صنع ذلك فقال النبي ﷺ: اللهم عليك الملأ من قريش أبا جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأمية بن خلف وأبي بن خلف)[٣٦٩].

---

(٣٦٨) صحيح البخاري كتاب: التفسير باب: وأنذر عشيرتك الأقربين واخفض جناحك ح٤٧٧٠، ص ٩٢٩.

(٣٦٩) صحيح البخاري كتاب: مناقب الأنصار باب: ما لقي النبي ﷺ وأصحابه من المشركين بمكة ح ٣٨٥٤، ص٧٣١.

٢ ـ قال خباب: (أتيت النبي ﷺ وهو متوسد بردة وهو في ظل الكعبة، وقد لقينا من المشركين شدة، فقلت: يا رسول الله ألا تدعو الله، فقعد وهو محمر وجهه فقال: لقد كان من قبلكم ليمشط بمشاط الحديد ما دون عظامه من لحم أو عصب، ما يصرفه ذلك عن دينه، ويوضع المنشار على مفرق رأسه فيُشق باثنين، ما يصرفه ذلك عن دينه وليُتمنَّ الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ما يخاف إلا الله)[٣٧٠].

هذا هو الجو الذي نزلت فيه سورة النمل، جو مليء بألوان العذاب المعنوي والجسدي فكانت السورة بآياتها المقروءة والمكتوبة البينة الواضحة للرد على المشركين وتحديهم واثبات ان القرآن هو كلام الله المنزل على عبده محمد ﷺ لهداية الناس وسعادتهم في الدنيا والآخرة فالإيمان به واجب ومخالفته كفر ومآل الكافرين النار.

المطلب الخامس: المناسبات في سورة النمل. وفيه مسألتان

المسألة الأولى: علاقة سورة النمل بما قبلها[٣٧١]:

تتصل سورة النمل بما قبلها «سورة الشعراء» اتصالاً وثيقاً يظهر من وجوه عدة هي:

١ ـ أنها كالتتمة لما قبلها في بيان بقية قصص الأنبياء وخاصة قصة داوود وسليمان عليه السلام وتفصيل قصة لوط عليه السلام.

٢ ـ أنها جاءت مفصلة لما أجمل في سورة الشعراء.

٣ ـ كلتا السورتين ابتدأت بتمجيد القرآن وتنزيهه وبيان إعجازه.

المسألة الثانية: علاقة سورة النمل بما بعدها[٣٧٢]:

(٣٧٠) صحيح البخاري كتاب: مناقب الأنصار باب: ما لقي النبي ﷺ وأصحابه من المشركين بمكة ح ٣٨٥٢، ص ٧٣٠، ٧٣١.

(٣٧١) انظر تناسق الدرر، ص١٠٧.

(٣٧٢) انظر التفسير المنير، ج١٠ص٤٠٩.

يوجد اتصال وعلاقة بين سورة النمل وسورة القصص يمكن بيانه بالآتي:

١ ـ تعتبر سورة القصص مفصلة لما جاء موجزاً في سورة النمل من قصة موسى عليه السلام ومن ذكر آيات الله تعالى.

٢ ـ كما ورد في سورة القصص إيجاز لما جاء مفصلاً في سورة النمل.

المطلب السادس: خصائص سورة النمل

تميزت سورة النمل بمميزات من أهمها:

١ ـ ورود لفظ النمل والهدهد فيها ولم يردا في أي سورة أخرى.

٢ ـ تفصيل الحديث عن ملك سليمان عليه السلام.

٣ ـ بدايتها حيث إنها السورة الوحيدة التي بدأت بالحرفين (طس).

المطلب السابع: أغراض سورة النمل وموضوعاتها[٣٧٣]

اشتملت سورة النمل على أغراض وموضوعات عديدة من أهمها:

١ ـ أن محور السورة وموضوعها الرئيس هو بيان أصول العقيدة من توحيد ونبوة وبعث وبيان إعجاز القرآن الكريم وشرف منزلته.

٢ ـ بيان أن القرآن كتاب هداية لمن أراد الاهتداء.

٣ ـ تفصيل ملك سليمان عليه السلام وغيره من الأنبياء وأخذ العبر والعظات من قصصهم.

٤ ـ تسلية الرسول ﷺ فيما يلقاه من أذى قومه وإعراضهم عنه.

---

(٣٧٣) انظر التحرير والتنوير، ج٩ص٢١٦، التفسير المنير، ج١٠ص٢٧٧، صفوة التفاسير، ج٢ص٤٠٠.

المبحث الثاني
عرض لآيات السورة المتضمنة القراءات العشر

واعتمدت المنهج التالي فيه:

كتابة الآية القرآنية مدار البحث كاملة.

بيان القراءات فيها.

بيان المعنى اللغوي للقراءات.

تفسير الآية كاملة تفسيراً إجمالياً.

بيان العلاقة التفسيرية بين القراءات.

١ ـ ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾﴾ [النمل: ٧].

القراءات:

١ ـ قرأ الكوفيون (عاصم وحمزة والكسائي وخلف) ويعقوب «بشهابٍ» بالتنوين.

٢ ـ قرأ الباقون «بشهابِ» بغير تنوين[٣٧٤].

---

(٣٧٤) النشر ج٢ص٣٣٧.

المعنى اللغوي للقراءات:

الشهاب: الشعلة الساطعة من النار الموقدة ومن العارض في الجو. والشهبة البياض المختلط بالسواد تشبيهاً بالشهاب المختلط بالدخان(٣٧٥).

القبس المتناول من الشعلة(٣٧٦). عود جاف مأخوذ من معظم النار(٣٧٧).

التفسير:

هذه بداية قصة موسى عليه السلام في هذه السورة ضمن القصص الواردة فيها حيث يقول تعالى: واذكر يا محمد ﷺ ما قاله موسى لأهله (في مسيره من مدين إلى مصر في وادي طوى) بعد أن رأى ناراً وقد غشيتهم ظلمة الليل: إنه سيذهب ليأتي بخبر عن الطريق الذي ضيعوه أو بشعلة نار مقبوسة أي مأخوذة من أصلها ليستدفئوا بها. وذلك يدل على حاجتهم إلى الدفء وهذا لا يكون إلا في برد شديد(٣٧٨).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة التنوين (بِشِهَابٍ قَبَسٍ) أن قبس صفة لشهاب أو بدلٌ منه فيكون المعنى: سآتيكم بشعلة نار مقبوسة أي مأخوذة من أصلها أو آتيكم بشهاب مقتبس(٣٧٩).

أما قراءة (بِشِهَابِ قَبَسٍ) من غير تنوين بالإضافة فهي إضافة بيانية لما بينهما من العموم والخصوص كقولك خاتم فضة أو ثوب خز فإن الشهاب يكون قبساً وغير قبس(٣٨٠).

---

(٣٧٥) معجم مفردات ألفاظ القرآن ص٣٠٠.
(٣٧٦) المرجع السابق ص٤٣٦.
(٣٧٧) نظم الدرر ج٥ص٤١٠.
(٣٧٨) المقتطف ج٤ص٩٥ بتصرف.
(٣٧٩) انظر روح المعاني ج١٠ص١٥٦، جامع البيان، م١١ج٢٠ص١٣٣.
(٣٨٠) انظر روح المعاني ج١٠ص١٥٦.

وبالنظر إلى ما سبق يمكن القول: إن قراءة التنوين أفادت أن المراد بالشهاب القبس، وأما قراءة الإضافة فأفادت أن الشهاب غير القبس لأن العرب في كلامها تترك إضافة الاسم إلى نعته وإلى نفسه فإن الإضافات في كلام العرب المعروف هي إضافة الشيء إلى غير نفسه وغير نعته[٣٨١].

وبالجمع بين القراءتين يتبين أن القبس الذي هو عبارة عن عود جاف مأخوذ من معظم النار بحيث استحكمت فيه النار فلا ينطفئ أصبح كالشهاب في اشتعال ناره وسطوعها[٣٨٢].

٢ ـ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ۝١٨﴾ [النمل: ١٨].

القراءات:

١ ـ قرأ رويس «لا يَحْطِمَنْكُم» بإسكان النون.

٢ ـ قرأ الباقون «لاَ يَحْطِمَنَّكُمْ» بتشديد النون مفتوحة[٣٨٣].

المعنى اللغوي للقراءات:

الحطم: كسر الشيء مثل الهشم[٣٨٤].

التفسير:

هذه قصة النملة التي وردت في هذه السورة فبعد أن حشر لسليمان جنوده من الجن والإنس وهم لا يوزعون قدموا على وادي النمل فنادت نملة يقال هي الملكة على النمل ودعتهم إلى الاختباء في مساكنهم حتى لا يكسرنهم سليمان عليه السلام ومن معه وهم لا يشعرون بهم[٣٨٥].

---

(٣٨١) انظر جامع البيان، م١١ ج٢٠، ص١٣٣.

(٣٨٢) انظر نظم الدرر ج٥ص٤١٠.

(٣٨٣) النشر ج٢ص ٢٤٦.

(٣٨٤) معجم مفردات ألفاظ القرآن ص١٣٨.

(٣٨٥) انظر التفسير المنير، ج١٠ص٣٠٢، حاشية الشهاب ج٧ ص ٣٩.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قُرئت (لاَ يَحْطِمَنَّكُمْ) بتشديد النون وتخفيفها وهي نون التوكيد التي تخفف وتشدد ولفظ هذه الكلمة يوحي بالنهي وفيه جواب الجزاء فمن اعتبر لا ناهية أراد بالمعنى: تحذير النملة للنمل من تحطيم سليمان عليه السلام لهن ومن أن يكنَّ سبباً في التحطيم بعدم دخول المنازل، ومن اعتبر لا نافية كانت الجملة واقعة في جواب الأمر فكان لها حكم جواب شرط مقدر. فالتقدير: إن تدخلوا مساكنكم لا يَحطمنَّكم سليمان عليه السلام أو إن لم تدخلوا مساكنكم حُطِّمتم(٣٨٦).

وبالجمع بين القراءتين: يمكن القول إن قراءة التشديد آكد في المعنى من قراءة التخفيف وفيها دلالة على كثرة الفاعلين للحطم لكثرة جنود سليمان عليه السلام(٣٨٧)، والله أعلم.

٣ ـ ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾﴾ [النمل: ٢١].

القراءات:

١ ـ قرأ ابن كثير «لَيَأْتِيَنَّنِي» بنونين الأولى مفتوحة مشددة والثانية مكسورة مخففة.

٢ ـ قرأ الباقون «لَيَأْتِيَنِّي» بنون واحدة مكسورة مشددة(٣٨٨).

المعنى اللغوي للقراءات:

الإتيان: مجيء بسهولة. ويقال للمجيء بالذات وبالأمر وبالتدبير ويقال في الخير والشر وفي الأعيان والأعراض(٣٨٩).

---

(٣٨٦) انظر معاني القراءات ج٢ص٢٣٤، انظر التحرير والتنوير، م٩ج٢٠ص٢٤٢.

(٣٨٧) انظر الحجة للفارسي ج٥ص٣٨٦.

(٣٨٨) انظر النشر ج٢ص٣٣٧.

(٣٨٩) معجم مفردات ألفاظ القرآن ص ١٤.

التفسير:

بعد أن تفقد سليمان عليه السلام الطير ولم يجد الهدهد بينها وتساءل عن سبب غيابه، توعده في هذه الآية بالعقاب الأليم بالسجن أو نتف الريش أو الذبح إن لم يأته بحجة واضحة تبين عذره(٣٩٠).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

جاءت قراءة (لَيَأْتِيَنَّنِي) على الأصل بنونين الأولى مشددة والثانية مخففة، والنون المشددة للتأكيد والمخففة للوقاية. وأصل الفعل ليأتيني بنون واحدة مكسورة هي نون الوقاية ثم دخلت نون التوكيد لتوكيد القسم.

وأما قراءة (لَيَأْتِيَنِّي) بنون واحدة مكسورة مشددة فعلى أنها نون التوكيد الثقيلة كسرت لمناسبة الياء وحذفت نون الوقاية للتخفيف(٣٩١).

ويرى النسفي أن قراءة (لَيَأْتِيَنِّي) بنون واحدة مكسورة مشددة جاءت لمشاكلة ما قبلها من قوله تعالى: (لَأُعَذِّبَنَّهُ، لَأَذْبَحَنَّهُ)(٣٩٢).

وذهب كثير من العلماء إلى أن قراءة (لَيَأْتِيَنِّي) بنون واحدة مكسورة مشددة حذفت منها نون الوقاية تخفيفاً لاستثقال اجتماع ثلاث نونات(٣٩٣).

وبالجمع بين القراءتين يتضح أن قراءة (لَيَأْتِيَنِّي) بحذف نون الوقاية تفيد السرعة في الإتيان بالحجة والبرهان على الغياب كما أن قراءة (لَيَأْتِيَنَّنِي) قد تفيد أن المطلوب من الهدهد المجيء بالحجة الواضحة على غيابه مع التفصيل باعتبار أن زيادة المبنى تؤدي إلى زيادة المعنى فالقراءتان جمعتا بين السرعة والتفصيل. والله أعلم.

---

(٣٩٠) انظر صفوة التفاسير ج٢ص٤٠٦.

(٣٩١) انظر المغني ج٣ص١٠٣، ١٠٤.

(٣٩٢) مدارك التنزيل ص٨٣٦.

(٣٩٣) انظر الحجة لابن خالويه ص٢٧٠، الكشف ج٢، ص١٥٥، المغني ج٣ص١٠٤.

٤ ـ ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾﴾ [النمل: ٢٢].

القراءات:

١ ـ قرأ عاصم وروح «فمكَث» بفتح الكاف.

٢ ـ قرأ الباقون «فمكُث» بضم الكاف.

٣ ـ قرأ أبو عمرو والبزي «من سبأَ» بفتح الهمزة من غير تنوين.

٤ ـ قرأ قنبل «من سبأْ» بإسكان الهمزة.

٥ ـ قرأ الباقون «من سبإٍ» بالخفض والتنوين[٣٩٤].

المعنى اللغوي للقراءات:

المكث: ثبات مع انتظار يقال مَكَثَ مُكْثاً[٣٩٥].

سبأ: اسم بلد تفرق أهله ولهذا يقال ذهبوا أيادي سبأ أي تفرقوا تفرق أهل هذا المكان من كل جانب[٣٩٦].

التفسير:

تبين هذه الآية الحجة الواضحة التي طلبها سليمان عليه السلام من الهدهد ليبين سبب غيابه فيكون معنى الآية: غاب الهدهد زماناً يسيراً ثم قال لسليمان عليه السلام اطلعت على ما لم تطلع عليه أنت ولا جنودك وجئتك من سبأ بخبر صدق حق يقين وحدثه عن مملكة سبأ وملكتها[٣٩٧].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

ذهب كثير من العلماء إلى أن قراءة (فمكَث، فمكُث) بمعنى

---

(٣٩٤) النشر ج٢ص٣٣٧.

(٣٩٥) معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص٥٢٥.

(٣٩٦) معجم مفردات ألفاظ القرآن، ٢٤٨.

(٣٩٧) انظر تفسير ابن كثير ج٣ص٣٦٠.

واحد[٣٩٨].

فقراءة الفتح جاءت على الأغلب في الأفعال الماضية ويدل عليها قوله تعالى: (إِنَّكُمْ مَاكِثُون) [الزخرف: ٧٧] وفاعل لا يكون من (فَعُل) وإنما من(فَعَل) بالفتح واسم الفاعل من (مكُث) بالضم يكون على وزن فعيل أي مكيث كظريف وكريم[٣٩٩].

وبالجمع بين القراءتين يتبين أن قراءة الضم أشارت إلى شدة الغيبة عن سليمان عليه السلام، حيث يرى البقاعي إن (مكُث) بالضم فيها «إشارة إلى شدة الغيبة عن سليمان عليه السلام ليوافق إفهام حركة الكلمة ما أَفْهَمَهُ تركيب الكلام»[٤٠٠]. على اعتبار أن الضمة أقوى الحركات فهي تفيد الشدة والقوة، والله أعلم.

وأما قراءة (من سبإٍ) فتُقرأ مصروفة وغير مصروفة فمن صرف جعله اسماً لأب القبيلة وهو سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان[٤٠١] وأما من منعه من الصرف فجعله اسماً للقبيلة أو المكان فقد منعه للتعريف والتأنيث[٤٠٢]. وأما من قرأه بإسكان الهمزة فلأنه نوى الوقف عليها أو سكن الهمزة تخفيفاً[٤٠٣].

وبالجمع بين القراءات يمكن القول إن قراءة الصرف بينت قراءة المنع من الصرف فهي تبين لنا سبب تسمية ذلك المكان بسبأ وهو نسبة إلى أب القبيلة وهذا يحدث كثيراً أن يسمى المكان باسم شخص معين.

وأما قراءة السكون فتفيد تحقير هؤلاء القوم وتحقير ملكهم أمام ملك

---

(٣٩٨) انظر الكشف، ج٢ص١٥٥، مجمع البيان، ج٧ص٣٣٥، تفسير مدارك التنزيل ج ٣ ص٨٢٦، الحجة لابن خالويه، ص٢٧٠.

(٣٩٩) انظر الكشف، ج٢ص١٥٥.

(٤٠٠) نظم الدرر، ج٥ص٤١٩.

(٤٠١) أسماء القبائل وأنسابها، ص١٤٠، انظر جمهرة أنساب العرب ص٣٣٠.

(٤٠٢) انظر إتحاف فضلاء البشر ج٢ ص٣٢٥.

(٤٠٣) انظر الكشف ج٢ص١٥٦.

سليمان عليه السلام وسلطانه حيث إن السكون وهو انعدام الحركة أفاد هنا انعدام المكانة لقوم سبأ أمام مكانة سليمان عليه السلام العظيمة.

يقول البقاعي: «وحكمة تسكين قنبل له بنية الوقف الإشارة إلى تحقير أمرهم بالنسبة إلى نبي الله سليمان عليه السلام بأنهم ليست لهم معه حركة أصلاً على ما هم فيه من الفخامة والعز والبأس الشديد»(٤٠٤).

٥ ـ ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [النمل: ٢٥].

القراءات:

١ ـ قرأ أبو جعفر والكسائي ورويس بتخفيف اللام «ألا يَسْجُدُوا».

٢ ـ قرأ الباقون «ألاَّ يَسْجُدُوا» بتشديد اللام.

٣ ـ قرأ الكسائي «تخفون... تعلنون» بالخطاب فيهما.

٤ ـ قرأ الباقون «يخفون... يعلنون» بالغيب فيهما(٤٠٥).

المعنى اللغوي للقراءات:

السجود أصله التَّطامُن والتذلل وجعل ذلك عبارة عن التذلل لله تعالى وعبادته وهو عام في الإنسان والحيوانات والجمادات وذلك ضربان: سجود باختيار وليس ذلك إلا للإنسان وبه يستحق الثواب، وسجود تسخير وهو للإنسان والحيوانات والنبات(٤٠٦).

الخفاء ما يستتر به كالغطاء ويقابل به الإبداء والإعلان(٤٠٧).

والعلانية ضد السر وأكثر ما يقال ذلك في المعاني دون الأعيان(٤٠٨).

(٤٠٤) نظم الدرر ج٥ص٤٢٠.
(٤٠٥) النشر ج٢ص٣٣٧.
(٤٠٦) معجم مفردات ألفاظ القرآن ص٢٥١.
(٤٠٧) معجم مفردات ألفاظ القرآن ص١٧١.
(٤٠٨) المرجع السابق ٣٨٦.

التفسير:

هذه الآية من ضمن الخبر اليقين الذي جاء به الهدهد بعد غيبته حيث حدث سليمان عليه السلام مملكة سبأ وملكتهم التي تحكمهم وعبادتهم للأصنام ثم ذكر هنا أن الشيطان زين لهم ترك عبادة الله عز وجل فهم لا يسجدون لله الذي يعلم ما هو مخبوء ومخفي في السموات والأرض ويعلم ما يخفيه العباد وما يعلنونه من الأقوال والأفعال[٤٠٩].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة التشديد (أَلاَّ يَسْجُدُوا) على اعتبار أن «ألاَّ» تتكون من (أن ولا) أن المعنى: فصدهم الشيطان عن طريق الهداية لئلا يسجدوا، ويسجدوا هنا فعل مضارع منصوب بأن وعلامة نصبه حذف النون. ويجوز أن تتعلق بزين على البدل فيكون المعنى: وزين لهم الشيطان لئلا يسجدوا[٤١٠].

أما قراءة التخفيف (أَلا يَسْجُدُوا) فهي استئناف ابتدئ بأداة الاستفتاح (ألا) وما بعدها منادى محذوف دلت عليه «يا» فيكون المعنى: ألا يا هؤلاء أو يا قوم اسجدوا لله، فاسجدوا هنا فعل أمر. والعرب تحذف المنادى لدلالة (يا) عليه مثل قولهم: ألا يا ارحمونا أي ألا يا هؤلاء ارحمونا لأن يا لا يليها الفعل إلا مع إضمار[٤١١].

والابتداء بالاستفتاح في هذه القراءة للدلالة على تنبيههم على عظم المقام حتى لا يكون أحدٌ منهم غافلاً عن الوعظ وكذلك حذف المنادى للدلالة على ضرورة الإسراع بالسجود حتى لا يصيبهم شر الشيطان ولئلا يكونوا مثل أولئك القوم في عدم السجود لله تعالى[٤١٢].

ومما سبق يتبين أن الله تعالى بين في القراءة الأولى هدف الشيطان من

---

(٤٠٩) انظر الحجة للفارسي ج٥ص٣٨٣، الكشف ج٢ص١٥٧، نظم الدرر ج٥ص٤٢١.
(٤١٠) انظر الكشف ج٢ص١٥٨، حجة القراءات ص٥٢٦.
(٤١١) نظم الدرر ج٥ص٤٢١.
(٤١٢) القراءات وأثرها في علوم العربية ج٢ ص١١٦.

صد الناس وهو عدم سجودهم لله تعالى والقراءة الثانية تدعوهم إلى السجود لأنه مرضاة لله ﷻ ومخزاة للشيطان الملعون لعدم سجوده وخضوعه لأمر الله تعالى.

وأما قراءة (تخفون وتعلنون) بالتاء على الخطاب فناسبت قراءة التخفيف التي تفيد الأمر من الله للناس بالسجود ودلت على أن الكلام من الله تعالى. وأما قراءة (يخفون ويعلنون) بالياء على الغيبة فناسبت قراءة التشديد التي تتحدث عن قوم غائبين ودلت على أن المتكلم هو الهدهد.

ثم إن الالتفات من الغيبة إلى الخطاب يفيد إعلام الله للمخاطبين بعلمه الواسع حيث لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء وبناء على ذلك يجب على كل إنسان خشية الله تعالى وتقواه(٤١٣).

٦ ـ ﴿ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [النمل: ٢٨].

القراءات:

١ ـ قرأ أبو عمرو وعاصم وحمزة «فألقِهْ» بإسكان الهاء.

٢ ـ قرأ قالون «فألقِهِ» بكسر الهاء.

٣ ـ قرأ الباقون «ألقهِي» بصلتها بياء في الوصل(٤١٤).

المعنى اللغوي للقراءات:

الإلقاء طرح الشيء حيث تلقاه ثم استعمل في كل طرح(٤١٥).

التفسير:

هذا أمر من سليمان عليه السلام للهدهد بأن يذهب إلى ملكة سبأ وقومها

(٤١٣) القراءات وأثرها في علوم العربية ج٢ ص١١٦.

(٤١٤) الكشف ج٢ص١٥٩.

(٤١٥) بصائر ذوي التمييز ج ٤ص٤٤١.

فيلقي إليهم برسالة سليمان عليه السلام ثم يتنحى جانباً ليرى ما يكون من أمرهم.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

جاءت قراءة كسر الهاء مع وصلها بياء على الأصل (أَلْقِهُو) لأن الهاء قبلها متحرك مكسور والياء بدل من الواو والهاء أصلها الضم وإنما كسرت إتباعاً لما قبلها والاستثقال، للخروج من كسر إلى ضم، فلما انكسرت الهاء انقلبت الواو ياء.

وأما قراءة كسر الهاء «فألقهِ» مع عدم وصلها بياء فجاءت على أصل الفعل قبل الجزم وذلك أن أصله «ألقيه» فحذفت الياء التي بعد الهاء لسكونها وسكون الياء التي بعد الهاء، فبقيت الهاء مكسورة من غير ياء بعد الكسرة.

وأما قراءة «فألقهْ» بإسكان الهاء فجاءت لكونها لام الفعل لأنها آخر اللفظ فأسكنت للجزم وقيل أسكنت على نية الوقف(٤١٦).

وبالنظر إلى ما سبق يتضح أن قراءة حذف الياء تفيد السرعة في الإلقاء ومن ثم التنحي جانباً لرؤية ما يصدر عنهم.

كما أن قراءة كسر الهاء مع الياء تفيد قرب الهدهد من مجلسهم عند إلقائه الخطاب.

٧ ـ ﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيۡمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٖ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيۡرٞ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُمۚ بَلۡ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمۡ تَفۡرَحُونَ ٣٦﴾ [النمل: ٣٦].

القراءات:

١ ـ قرأ نافع وأبو عمرو وأبو جعفر «أتمدونَنِي» بنونين وياء وصلاً وابن كثير وصلاً ووقفاً.

(٤١٦) انظر الكشف، ج٢ص١٤٠، ١٤١ ـ ١٥٩، ١٦٠.

٢ ـ قرأ حمزة ويعقوب «أتمدونّي» بنون مشددة مع المد وياء في نهاية الكلمة.

٣ ـ قرأ الباقون «أتمدونَن» بنونين مع حذف الياء[٤١٧].

المعنى اللغوي للقراءات:

أصل المد الجر، ومدّ النهر ومدَّه نهر آخر ومددت عيني إلى كذا، ومددتُه في غيه ومَدَدْتُ الإبل سقيتها المديد، وأمددت الجيش بمدد والجيش بطعام[٤١٨].

التفسير:

تبين هذه الآية موقف سليمان عليه السلام من هدية ملكة سبأ التي بعثتها لتختبره أهو نبي أم ملك؟ فلما جاء الرسل إلى سليمان عليه السلام بالهدية لم ينظر إليها وأعرض عنها واستنكر عليهم أن يمدوه بالمال وقد آتاه الله ما هو خير مما عندهم وهو النبوة والملك الواسع العريض والمال الوفير وبين لهم أنهم هم الذين يفرحون بالهدايا لأنهم طلاب دنيا أما هو فلا يهمه إلا الدعوة إلى دين الله عز وجل ودخولهم في الإسلام وترك عبادة الشمس والأصنام[٤١٩].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قُرئت (أتمدونِّي) بنون مشددة على الإدغام لاجتماع المثلين فتمد الواو مد كلمي لازم مثقل لالتقاء الساكنين.

وقرئت (أتمدونني) بنونين ظاهرتين على الأصل فالنون الأولى هي نون الرفع والنون الثانية هي نون الوقاية التي تقي الفعل من أن يكسر من أجل الياء.

وقرئت (أتمدونَنِ) وصلاً ووقفاً بدون ياء على الأصل.

---

(٤١٧) انظر غيث النفع، ص٢١١.

(٤١٨) معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص٥١٨، ٥١٩.

(٤١٩) انظر التفسير المنير ج١٠ص٣٢٣.

وبالجمع بين القراءتين يمكن القول إن قراءة الإدغام (أتمدونّي) تفيد معنىً زائداً عما يفهم من القراءتين الأخيرتين وهو المبالغة في إنكار سليمان عليه السلام على قوم سبأ أن يزودوه بالمال وقد أعطاه الله ما هو خير مما عندهم(٤٢٠).

٨ ـ ﴿قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِي ٱلصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [النمل: ٤٤].

القراءات:

١ ـ قرأ قنبل «سأقيها» بهمز الألف.

٢ ـ قرأ الباقون «ساقيها» بغير همز(٤٢١).

المعنى اللغوي للقراءات:

الساق ساق القدم، والساق من الإنسان ما بين الركبة والقدم(٤٢٢).

التفسير:

أعد سليمان عليه السلام قصراً عظيماً لاستقبال ملكة سبأ ليريها عظمة ملكه وسلطانه الذي أعطاه الله له، فلما وصلت ملكة سبأ إلى القصر استقبلها وفد الاستقبال السليماني ودعوها إلى الدخول وكان صحن القصر مشيداً من الزجاج الأبيض الشفاف فلما رأته ظنت أنه ماء وكشفت عن ساقيها فقال لها سليمان عليه السلام إنه قصر مصنوع من الرخام الأمرد الأملس ومن الزجاج الصافي وأن الماء يجري من تحته وليس فيه، وعندما رأت ملكة سبأ ذلك

---

(٤٢٠) انظر الكشف ج٢ص١٦٠.

(٤٢١) النشر ج٢ص٣٣٨.

(٤٢٢) انظر لسان العرب ج١٠ص٢٠١.

استدلت على التوحيد والنبوة فأعلنت إسلامها واعترفت بأنها ظلمت نفسها بكفرها وعدم إيمانها وخضعت لله رب العالمين[٤٢٣].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قُرئت (ساقيها) بدون همزة وقُرئت (سأقيها) بهمزة. فمن قرأها بدون همز فعلى الأصل لقول مكي بن أبي طالب: «فأما من لم يهمزه فهو على الأصل لأن كل ما لا أصل له في الهمز لا يجوز همزه إلا لعلة نحو أن تكون فيه واوٌ مضمومة. فيجوز همزها وليس في هذا واوٌ مضمومة»[٤٢٤].

أما من قرأها بهمزة فجاز له ذلك لجواز همزها في الجمع نحو قولك: سؤق وأسؤق. ويرى مكي بن أبي طالب أن هذا القول ضعيف[٤٢٥].

والذي يظهر لنا مما سبق: أن قراءة (سأق) بالهمزة وهي ساكنة والهمزة فيها قصر وانحباس في النطق والسكون فيه انعدام الحركة ويدل على الثبات، دل ذلك على الموضع المكشوف من الساق وكذلك قصر المسافة التي كشفتها من ساقيها عندما حسبت الرخام ماء.

وأن قراءة (ساقيها) بالألف ممدودة وهي تعتبر فتحة طويلة في الحركات (والمد هو إطالة زمن الصوت عند النطق بالحرف والمد هنا طبيعي بمقدار حركتين)[٤٢٦] وهو أقل مقدار للمد دلت على مدة وزمن المسافة التي كشفتها من ساقيها.

وبالجمع بين القراءتين يتضح أن: قراءة الهمز بينت المقدار والموضع المكشوف من الساق، وقراءة الألف بينت الزمن الذي كشف به ذلك المقدار وكلاهما قليل وكلتا القراءتين أكدت هذا المعنى. والله أعلم.

---

(٤٢٣) انظر التفسير المنير ج١٠ ص٣٣٤، ٣٣٥.

(٤٢٤) الكشف ج٢ص١٦١.

(٤٢٥) انظر المرجع السابق ص١٦١.

(٤٢٦) انظر بغية المريد من أحكام التجويد ص٢٠٤، ٢٠٨.

٩ ـ ﴿قَالُوا۟ تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَـٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [النمل: ٤٩].

القراءات:

١ ـ قرأ حمزة والكسائي وخلف «لتبيتُنه... ثم لتقولُن» بالتاء على الخطاب في الفعلين وضم التاء الثانية من الأول وضم اللام الثانية من الثاني.

٢ ـ قرأ الباقون «لنبيتَنه... لنقولَن» بالنون وفتح التاء واللام.

٣ ـ قرأ شعبة «مَهْلَك» بفتح الميم واللام(٤٢٧).

٤ ـ قرأ حفص «مَهْلِك» بفتح الميم وكسر اللام.

٥ ـ قرأ الباقون «مُهْلَك» بضم الميم وفتح اللام(٤٢٨).

المعنى اللغوي للقراءات:

أقسم حلف، والقسم بفتحتين اليمين، وقاسمه حلف له(٤٢٩).

التبييت والبيات: مباغتة العدو ليلاً(٤٣٠).

التفسير:

هذا قول الرهط التسعة (وهم أشراف ثمود وسادتها) عند تشاورهم مع بعضهم البعض حيث قالوا مخاطبين بعضهم: احلفوا على مباغتة صالح عليه السلام وأهله ليلاً بالهلاك ثم نقول لأولياء الدم عند حضورهم ما حضرنا وقت إهلاكهم ولا علمنا مكانه ولا ندري من قتل صالحاً عليه السلام وأتباعه وإنا لصادقون فيما نقول(٤٣١).

---

(٤٢٧) النشر ج٢ص٣٣٨.

(٤٢٨) النشر ج٢ص٣١١.

(٤٢٩) مختار الصحاح ص٥٣٥.

(٤٣٠) التحرير والتنوير ج٩ص٢٨٣.

(٤٣١) انظر تفسير د. عبد الله شحادة ج١٠ص٣٨٩٤.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (لتبيتُنه... ثم لتقولُن) بالتاء أن هذا خطاب من قوم صالح عليه السلام بعضهم لبعض على اعتبار تقاسموا فعل أمر فالمعنى: احلفوا فيما بينكم على قتل صالح عليه السلام وأتباعه ثم إنكار أنكم فعلتم ذلك عند حضور الأولياء[٤٣٢].

أما قراءة (لنبيتَنه... لنقولَن) بالنون فهي إخبار من جميعهم عن أنفسهم فالمعنى: احلفوا أن نهلك صالحاً عليه السلام وأتباعه ثم ننكر هذه الفعلة عند مجيء أولياء الدم.

وبالجمع بين القراءتين يتضح أنهم استخدموا أسلوب الخطاب للحث على ارتكاب الفعل، وقراءة الإخبار بالنون للدلالة على مشاركة جميعهم في الفعل ولا يخفى ما في ذلك من تأكيد عزمهم على إهلاك صالحِ عليه السلام.

أما قراءة (مَهْلِك) فقُرئت بفتح الميم وكسر اللام، وبفتح الميم واللام (مَهْلَك) وبضم الميم وفتح اللام (مُهْلَك).

فأما قراءة (مَهْلِك): فهي مصدر ميمي سماعي من هلك الثلاثي وهي اسم مكان كالمجلس ودليله قوله تعالى «حتى إذا بلغ مغرب الشمس» أي الموضع الذي تغرب فيه. فالمعنى: «ما شهدنا زمان هلاكهم ولا مكانه»[٤٣٣].

أما قراءة (مَهْلَك): فهي مصدر ميمي قياسي من هلك الثلاثي، فالمعنى: أي ما شهدنا هلاكهم[٤٣٤].

وأما قراءة (مُهْلَك): فهي «مصدر ميمي قياسي من أهلك المزيد بهمزة، والمعنى: ما شهدنا موضع إهلاك أهله، ويجوز أن يكون اسم مكان

(٤٣٢) انظر الكشف ج٢ص١٦٢.

(٤٣٣) البحر المحيط ج٧ص٨٠.

(٤٣٤) إتحاف فضلاء البشر ج ٢ص٣٣٠، البحر المحيط ج٧ص٨١.

والمعنى: ما شهدنا موضع إهلاك أهله، ويجوز أن يكون للزمان أي ما شهدنا وقت إهلاكهم»(٤٣٥).

وبالنظر في القراءات السابقة نجد أن قراءة (مُهْلَك) بضم الميم وفتح اللام تحتمل القراءتين (مَهْلِك ـ مَهْلَك) فهي تشمل المصدر واسم المكان واسم الزمان والمعنى أي: ما شهدنا إهلاك أهله أو وقت إهلاكهم أو مكانه. ولا يخفى ما في ذلك من دلالة على المبالغة في نفي مشاركتهم في إهلاكهم لقوم صالح عليه السلام. ولذلك أكد الله عز وجل في الآيات التالية تدميرهم بناء على ما عزموا على فعله.

١٠ ـ ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَـٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾﴾ [النمل: ٥١].

القراءات:

١ ـ قرأ الكوفيون (عاصم وحمزة والكسائي وخلف) ويعقوب «أَنَّا» بفتح الهمزة.

٢ ـ قرأ الباقون «إنّا» بكسر الهمزة(٤٣٦).

المعنى اللغوي للقراءات:

إنَّ وأنَّ حرفان ينصبان الاسم ويرفعان الخبر، فالمكسورة منهما يؤكد بها الخبر والمفتوحة وما بعدها في تأويل المصدر(٤٣٧).

التفسير:

يخبر الله تعالى محمداً ﷺ في هذه الآية بأن يحذر قومه من عاقبة تكذيبهم له حتى لا يصيبهم ما أصاب قوم صالح عليه السلام، الذين كذبوه

(٤٣٥) الكشف ج٢ص٢٢٧، وانظر أيضاً إتحاف فضلاء البشر ج٢ص٣٣٠، التحرير والتنوير، م٩ج٢٠ص٢٨٣.
(٤٣٦) النشر ج٢ص٣٣٨.
(٤٣٧) مختار الصحاح ص٢٩.

وطغوا فأهلكهم الله ﷻ أجمعين ولم يبق منهم أحداً(٤٣٨).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة كسر الهمزة (إنَّا دمرناهم) أنها ابتدائية حيث انتهى الكلام عند مكرهم وابتدأ الله تعالى بالإخبار عن تدميره لقوم صالح عليه السلام. وبما أن (إنّ) المكسورة يؤكد بها الخبر، فهذه القراءة تدل على تأكيد تدمير الله ﷻ لقوم ثمود وبيان لعظمته ـ جل وعلا ـ لاتصالها بنون العظمة.

أما القراءة بفتح الهمزة (أَنَّا دمرناهم) فيأتي إعرابها على وجهين:

الأول: الرفع على اعتبار أنها بدل من العاقبة أو خبر مبتدأ محذوف تقديره: هو أنَّا دمرناهم.

الثاني: النصب على اعتبار أنها خبر كان الناقصة تقديره: فانظر كيف كان عاقبة أمرهم تدميرنا إياهم(٤٣٩). وبما أن (أنّ) المفتوحة وما بعدها في تأويل مصدر والمصادر تفيد الكثرة.

يمكن القول إن قراءة (أنَّا دمرناهم) تفيد بيان كثرة التدمير والمبالغة فيه.

وبالجمع بين القراءتين يتضح أن قراءة الكسر أكدت وقوع الحدث وقراءة الفتح بينت كثرته والمبالغة فيه.

١١ ـ ﴿فَأَنجَيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَـٰهَا مِنَ ٱلْغَـٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [النمل: ٥٧].

القراءات:

١ ـ قرأ أبو بكر «قَدَرناها» بتخفيف الدال.

---

(٤٣٨) انظر جامع البيان، م ١١ج٢٠ص١٧٤.

(٤٣٩) انظر جامع البيان، م١١ ج٢٠ص١٧٤ ، الكشف ج٢ص١٦٣.

٢ ـ قرأ الباقون «قدَّرناها» بتشديد الدال[٤٤٠].

المعنى اللغوي للقراءات:

القَدَر والقَدْر: ما يقدره الله من القضاء. وقَدَرَ الشيء أي قَدَّره من التقدير[٤٤١].

التفسير:

تتحدث الآية عن نجاة لوط وأهله عليه السلام من الهلاك إلا امرأته قضى الله عز وجل عليها أن تكون من الباقين في القرية للعذاب[٤٤٢].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قُرئت (قَدَرناها وقَدَّرناها) مخففة ومثقلة. وقيل هما لغتان بمعنى واحد[٤٤٣].

ولكن يمكن القول إن قراءة التشديد تفيد الكثرة والمبالغة للدلالة على تحقق هلاك امرأة لوط عليه السلام لأفعالها المشينة. والله أعلم[٤٤٤].

١٢ ـ ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [النمل: ٥٩].

القراءات:

١ ـ قرأ البصريان (أبو عمرو ويعقوب) وعاصم «أمَّا يُشْرِكُونَ» بالياء على الغيب.

٢ ـ قرأ الباقون «أمَّا تُشْرِكُونَ» بالتاء على الخطاب[٤٤٥].

---

(٤٤٠) النشر، ج٢ص ٣٠٢.
(٤٤١) مختار الصحاح، ص٥٢٣.
(٤٤٢) انظر تفسير بحر العلوم، ج ٢ص٥٠١، معالم التنزيل، ج٤ص١٨٢.
(٤٤٣) انظر القراءات وأثرها في علوم العربية، ج١ص٢١٥.
(٤٤٤) انظر الأفعال في القرآن الكريم ج٢ص١٠٨٨، ١٠٨٩.
(٤٤٥) النشر ج٢ص٣٣٨.

المعنى اللغوي للقراءات:

الشرك اسم معناه الكفر(٤٤٦).

التفسير:

هذا خطاب من الله ﷻ إلى محمد ﷺ يدعوه فيه إلى حمد الله على جميع نعمه ومنها إهلاكه للأمم الغابرة التي كفرت بالله، والسلام على عباده الذين اصطفى وهم الصحابة الكرام رضوان الله عليهم، واللفظ يعم أيضاً الملائكة والأنبياء والصحابة والتابعين، ثم ختمت الآية بتوبيخ المشركين على إشراكهم وكفرهم بالله(٤٤٧).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

جاءت قراءة (أَمَّا يُشْرِكُونَ) بالياء على الغيب على اعتبار أن الكلام خبرٌ عن أهل الشرك وهم غيب وحملٌ على لفظ الغيبة الذي قبله «وأمطرنا عليهم مطرا»(٤٤٨).

أما قراءة (أَمَّا تُشْرِكُونَ) بالتاء فجاءت نسقاً على لفظ الخطاب في قوله تعالى: «قل الحمد لله...» حيث خاطب الله سبحانه محمداً ﷺ آمراً إياه أن يخبر المشركين هل الله خير أم ما يشركون؟ فجاءت تشركون على سبيل المخاطبة لهم(٤٤٩).

وبالنظر إلى ما سبق يمكن القول: إن قراءة الغيب (أَمَّا يُشْرِكُونَ) فيها توبيخ وتبكيت للكفار على شركهم حيث تفيد إعراض الله تعالى عن خطابه لهم وقراءة (أَمَّا تُشْرِكُونَ) بالخطاب فيها مواجهة لهم وفي ذلك ما فيه من تقريع مع تهديد ووعيد. والله أعلم.

١٣ ـ ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ

---

(٤٤٦) مختار الصحاح ص٣٣٦.

(٤٤٧) انظر زاد المسير ص١٠٥١، التسهيل ج٢ص١٣٤.

(٤٤٨) القراءات وأثرها في علوم العربية ج٢ص١٥١.

(٤٤٩) انظر حجة القراءات ص٥٣٣.

ٱلْأَرْضِۗ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ [النمل: ٦٢].

القراءات:

١ - قرأ أبو عمرو وهشام وروح «يَذَّكَّرُون» بالغيب مع تشديد الذال.

٢ - قرأ الباقون «تَذَكَّرُون» بالخطاب مع تخفيف الذال(٤٥٠).

المعنى اللغوي للقراءات:

الذكر ضد النسيان، ذكرت الشيء خلاف نسيته.

يذكر ويتذكر يأتيان بمعنى واحد، يقال ذكرت حاجتك وتذكرتها(٤٥١) والتذكير: الوعظ(٤٥٢).

هذه الآية استمرار لآيات التوبيخ للكافرين والمشركين على إشراكهم بالله تعالى من لا يساويه في شيء من خلقه، فيقول تعالى مقرراً وموبخاً للكافرين أن الله خير مما يعبدون فهو الذي يجيب صاحب الضرورة إذا دعاه ويكشف عنكم الضر ويجعلكم سكان الأرض بعد هلاك أهلها أفلا تتذكرون ذلك فتعتبرون وتتعظون؟(٤٥٣).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة الغيب (يذّكرون) أنها خبر من الله عن الكافرين واستمرار الله ﷻ في توبيخهم وتقريعهم لأنهم لا يتذكرون قدرة الله ولا يعتبرون بها كما أنها جاءت على نسق ما قبلها من الآيات التي تدل على الغيب كما في قوله تعالى: «بل أكثرهم لا يعلمون».

أما قراءة (تذَكَّرون) بالتاء على الخطاب فلأنها قريبة من المخاطبة في

(٤٥٠) النشر ج٢ص٣٣٩.

(٤٥١) انظر مختار الصحاح ص٢٢٢، ٢٢٣.

(٤٥٢) بصائر ذوي التمييز ج٣ص١٣.

(٤٥٣) انظر بحر العلوم ج٢ ص٥٠٢.

قوله تعالى: «ويجعلكم خلفاء الأرض»[٤٥٤].

وبالجمع بين القراءتين: يتبين أن قراءة الغيب مع التشديد فيها مبالغة في التقريع والإنكار على المشركين حيث إن الغيبة تفيد الإعراض وفيه توبيخ وإنكار لما هم عليه كما أن التشديد يفيد تكرار التذكر ليحصل لهم الفهم[٤٥٥] والمبالغة في إنكار عدم اعتبارهم بما بين أيديهم من أدلة على قدرة الله واستحقاقه للتوحيد وعدم الشرك به. والله أعلم.

١٤ ـ ﴿أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [النمل: ٦٣].

القراءات:

١ ـ قرأ ابن كثير «الريح» مفردة.

٢ ـ قرأ الباقون «الرياح» بالجمع[٤٥٦].

٣ ـ قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر ويعقوب «نُشُراً» بضم النون والشين.

٤ ـ قرأ عاصم «بُشْراً» بالباء المضمومة مع إسكان الشين.

٥ ـ قرأ ابن عامر «نُشْراً» بضم النون وإسكان الشين.

٦ ـ قرأ الباقون «نَشراً» بفتح النون وإسكان الشين[٤٥٧].

المعنى اللغوي للقراءات:

الريح: معروف وهي فيما قيل الهواء المتحرك. وعامة المواضع التي ذكر الله تعالى فيها إرسال الريح بلفظ الواحد فعبارة عن العذاب وكل موضع

---

(٤٥٤) انظر بحر العلوم ج٢ص٥٠٢، حجة القراءات ص٥٣٤، القراءات وأثرها في علوم العربية ج٢ص١٥١.

(٤٥٥) انظر الكشف ج١ص٤٥٧.

(٤٥٦) النشر ج٢ص١٦٨.

(٤٥٧) انظر النشر ج٢، ص ٢٧٠.

ذكر فيه بلفظ الجمع فعبارة عن الرحمة[٤٥٨].

بُشراً: من البشارة[٤٥٩].

نُشُراً: النشر بمعنى البسط ومنه نشر الثوب والصحيفة والسحاب والنعمة. والنُشُر جمع ناشر[٤٦٠].

والنُشُر والنَشر بمعنى مثل رُسُل ورُسْل[٤٦١].

ونَشَرَ بمعنى أحيا[٤٦٢].

التفسير:

هذه الآية استكمال لما شرع فيه الله تعالى في الآيات السابقة من بيان الأدلة على وجوده - جل وعلا - وقدرته التامة على الخلق وتنزهه جل وعلا عن الشريك مستخدماً الاستفهام المراد به التقرير والتصريح بكمال قدرته ووحدانيته جل وعلا حيث تفهم الآيات: أم ما تشركون بالله خير أم الله الذي يهديكم في ظلمات البر والبحر إذا ضللتم الطريق بواسطة النجوم التي في السماء والذي يرسل الرياح مبشرة بقدوم المطر الذي يحي الأرض الموات[٤٦٣] ثم تختم الآية بتنزيه الله ﷻ عما يشركون به من آلهة عاجزة لا تنفع ولا تضر أي أن المعنى: الله الذي يرشدكم إذا ضللتم الطريق بوساطة النجوم التي جعلها في السماء والذي يرسل لكم الرياح مبشرة بقدوم المطر خير مما تشركون به من آلهة عاجزة لا تنفع ولا تضر.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

بالنسبة لقراءة لفظة (الريح)، اتفق المفسرون على أنه لا فرق بين

---

(٤٥٨) معجم مفردات ألفاظ القرآن ص٢٣٢.

(٤٥٩) انظر حجة القراءات ص٢٨٦.

(٤٦٠) انظر معجم مفردات القرآن ص٥٤٨.

(٤٦١) حجة القراءات، ص٢٨٥.

(٤٦٢) انظر بصائر ذوي التمييز، ج٥، ص٥٤.

(٤٦٣) انظر جامع البيان، م١١ ج٢٠ ص ٤، محاسن التأويل ١٢، ١٣ص٤٦٨٠.

القراءتين الجمع والإفراد باعتبار أن قراءة الإفراد تفيد الجنس الذي يدل على القليل والكثير، وقراءة الجمع تفيد أن كل ريح تساوي أختها في الدلالة على التوحيد والنفع.

قال ابن الجوزي: «فمن جمع فكل ريح تساوي أختها في الدلالة على التوحيد والنفع ومن وحد أراد الجنس»(٤٦٤).

وقال بعض المفسرين إن الإفراد يأتي مع العذاب والجمع يأتي مع الرحمة، وهم قالوا بذلك باعتبار الأغلب في القرآن الكريم حيث جاءت الريح في القرآن الكريم مفردة مع العذاب مجموعة مع الرحمة إلا في قوله تعالى ﴿وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ [يونس: ٢٢] حيث جاءت مفردة مع الرحمة لأن ريح إجراء السفن إنما هي ريح واحدة متصلة بخلاف ريح العذاب فهي شديدة ملتئمة، ولذلك وصفت في سورة يونس بالطيبة فزال الاشتراك بينها وبين ريح العذاب(٤٦٥).

أما بالنسبة لقراءة لفظة (بشراً): فإن القراءة بالنون سواء بضمها وضم الشين أو بضمها وإسكان الشين (نُشُراً ـ نُشْراً) فهي بمعنى واحد، وإنما سكنت الشين تخفيفاً كرسول: رُسُل ورُسْل.

ومعنى القراءة بها على اعتبار (نُشُراً) جمع نشور بمعنى ناشر أي محيي: أي أن الله تعالى يسوق الرياح لتحيي الأرض إذ هي تأتي بالمطر الذي يكون به الإنبات.

ويجوز أن تكون (نُشُراً) جمع نشور بمعنى منشور، كركوب بمعنى مركوب. . .

---

(٤٦٤) زاد المسير ص٩٨.

(٤٦٥) انظر جامع أحكام القرآن ج١ ص ٥٩٤، ٥٩٥.

كأن الله ﷻ أحيا الريح لتأتي بين يدي رحمته فهي ريح منشورة أي محياة[٤٦٦].

أما قراءة (نَشراً) فقد ذهب الفراء إلى أن النشر هي الريح الطيبة اللينة التي تنشئ السحاب. وذهب آخرون إلى أن (نَشْراً) مصدر نشرت الريح السحاب نشراً أي بسطته وهو خلاف الطي فيكون المعنى على ذلك: وهو الذي يرسل الرياح ناشرة للسحاب. وهذا المعنى موافق لقوله تعالى: ﴿وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشۡرٗا ۝٣﴾ [المرسلات: ٣][٤٦٧].

ويحتمل المعنى أن تكون (نَشْراً) بمعنى متفرقة على وجوهها على معنى تنشرها هنا وهنا وأن يكون بمعنى منشورة أي محياة.

أما قراءة (بُشْراً) فهي من البشارة جمع بشير، أي أن الريح تبشر بنزول المطر ومنه قوله تعالى ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرۡسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٖ﴾ [الروم: ٤٦] وأصل الشين الضم ولكن سكنت تخفيفاً[٤٦٨].

وبالنظر في هذه القراءات المتنوعة نجد أن الله ﷻ بين لنا من خلالها وظائف الرياح وأدوارها، فهي ناشرة للسحاب الذي يأتي بالمطر أي منشئة وباسطة له، وهي ناشرة للأرض محيية لها بإنزال المطر الذي يكون به النبات وهي مبشرة بنزول المطر الذي به حياة كل شيء ﴿وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٠].

وبالنظر إلى هذه المعاني تظهر لنا العلاقة بين القراءات حيث إن الريح لأنها منشئة للسحاب باسطة له فهي بذلك تكون مبشرة بنزول المطر، والله أعلم.

١٥ ـ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبٗا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخۡرَجُونَ ۝٦٧﴾ [النمل: ٦٧].

(٤٦٦) انظر الكشف ج١ ص ٤٦٥، ٤٦٦.

(٤٦٧) انظر حجة القراءات ص ٢٨٥.

(٤٦٨) انظر الكشف ج١ ص٤٦٦.

القراءات:

١ ـ قرأ نافع وأبو جعفر «إذا كنَّا... أئِنَّا». غير أن نافع يقرأ (آينا) ممدودة.

٢ ـ قرأ ابن عامر والكسائي «أئِذا كُنَّا... إِنَّنا».

٣ ـ قرأ الباقون «أئِذا كُنَّا... أئِنَّا».

٤ ـ قرأ ابن كثير وأبو عمرو «أَيِذَا كنَّا... أَيِنَّا» ويأتي أبو عمرو بألف بعد الهمزة[٤٦٩].

المعنى اللغوي للقراءات:

إذا: ظرف مبني لما يستقبل من الزمان والأصل في استعمال إذا أن تدخل على المتيقن وقوعه أو الراجح، والأصل في استعمال عن أن تدخل على المشكوك فيه او المستحيل[٤٧٠].

التفسير:

بعد أن وصف الله تعالى في الآية السابقة الزاعمين علم الغيب بالعمى، ذكر هنا شبهتهم التي دفعتهم إلى إنكار البعث وهي: إنكارهم قدرة الله تعالى على بعثهم بعد أن يصبحوا تراباً[٤٧١].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (إذا كنَّا... أئِنَّا) بالإخبار في الأول والاستفهام في الثاني أنهم ينكرون البعث بعد الموت ولا ينكرون تحولهم إلى تراب لأنهم

---

(٤٦٩) انظر تقريب النشر ص٢٥ باب الهمزتين المجتمعتين من كلمة، الميسر في القراءات الأربعة عشر ص٣٨٣، الحجة للفارسي ج٥ ص ٤٠٢.

(٤٧٠) انظر دراسات لأسلوب القرآن الكريم القسم الأول، الجزء الأول، ص٧٤، ٧٥.

(٤٧١) انظر نظم الدرر ج٥ص٤٤٦، التحرير والتنوير م١٠ج٢٠ص٢٤، التفسير الوسيط للطنطاوي ج١٠ص٧٦، المبصر لنور القرآن م٧ ج٢٠ ص ١٦.

كانوا يعلمون أنهم يصيرون تراباً[٤٧٢].

أما قراءة (أَئِذا كُنَّا . . . إِنَّنا) بالاستفهام في الأول والإخبار في الثاني ففيها شدة إنكار الكفار أن تتحول الأجساد بعد أن أصبحت تراباً إلى أجساد حية يوم القيامة.

وأما قراءة الاستفهام فيهما فقد أفادت المبالغة في الإنكار والتناهي في الاستبعاد والجحود. فهم ينكرون أشد الإنكار أن يبعثوا أحياءً بعد تحولهم إلى تراب[٤٧٣].

وأما قراءة (أَيِذَا كنَّا . . . أَيِنَّا) بالياء والادخال ففيها تهكم وسخرية من الكفار بإمكانية البعث والخروج بعد الموت وتحلل الأجساد وتحولها إلى تراب. والله أعلم.

١٦ ـ ﴿بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلۡمُهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّنۡهَاۖ بَلۡ هُم مِّنۡهَا عَمُونَ ۝٦٦﴾ [النمل: ٦٦].

القراءات:

١ ـ قرأ ابن كثير والبصريان (أبو عمرو ويعقوب) وأبو جعفر «أَدرك» بقطع الهمزة مفتوحة وإسكان الدال من غير ألف بعدها.

٢ ـ قرأ الباقون «ادَّارك» بوصل الهمزة وتشديد الدال مفتوحة والف بعدها[٤٧٤].

المعنى اللغوي للقراءات:

أدرك الشيء بلغ وقته وانتهى. وادّارك بمعنى تواطأ وتحقق[٤٧٥].

أدرك على وزن أفعل أي: بلغ ولحق. ادّارك يعني تدارك وتتابع

(٤٧٢) انظر حجة القراءات ص٣٧٠.

(٤٧٣) انظر نظم الدرر ج٥ ص ٤٤٦، وتفسير البيضاوي ج٤ ص ٢٧٦.

(٤٧٤) النشر ج٢ص٣٣٩.

(٤٧٥) انظر لسان العرب ج١٠ص٥٠٨، ٥٠٩.

علمهم في الآخرة وتلاحق[٤٧٦].

التفسير:

اختلف العلماء في معنى (ادَّارك) على أقوال عديدة منها:

١ ـ أن ادَّارك بمعنى تتابع ولحق بعضه بعضاً[٤٧٧].

٢ ـ ادَّارك أي تكامل علمهم في الآخرة[٤٧٨].

٣ ـ أن التدارك وهو أصل (ادَّارك) يستعمل مجازاً مرسلاً في الاختلاط والاضطراب، لأن التدارك والتلاحق يلزمه التداخل، فهم ينفون البعث ثم يزعمون أن الأصنام شفعاؤهم عند الله من العذاب، وهذا يقتضي إثبات البعث ولكنهم لا يعذبون في الآخرة أي بسبب الآخرة[٤٧٩].

ومما سبق نلاحظ أن المشركين تفاوت علمهم في أمر الآخرة:

- ففريق ينكر وقوعها من خلال تتابع علم الخلف عن السلف بالإنكار.
- وفريق يثبت وقوعها لكن دون أن يعذب فيها أو يدري ما يحدث فيها.
- وفريق اضطرب في أمرها أهي كائنة أم لا؟.

والتفسير الواضح في هذه الآية هو ما ذهب إليه الشنقيطي حيث يقول في تفسير هذه الآية: «بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ: أي تكامل علمهم في الآخرة، حين يعاينوها أي يعلمون في الآخرة علماً كاملاً ما كانوا يجهلونه في الدنيا.

﴿فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ﴾: أي في دار

(٤٧٦) انظر معالم التنزيل ج٤ص١٤٣، ١٤٤، وتأويل مشكل القرآن ٣٥٤.

(٤٧٧) معالم التنزيل، ج٤ص١٨٤.

(٤٧٨) أضواء البيان، ج٤ص٢٠٧.

(٤٧٩) التحرير والتنوير، ج١٠ص٢١.

الدنيا، فهذا الذي كانوا يشكون فيه في دار الدنيا ويعمون عنه مما جاءتهم به الرسل، يعلمونه في الآخرة علماً كاملاً لا يخالجه شك، عند معاينتهم لما كانوا ينكرونه من البعث والجزاء»[٤٨٠].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة القطع (أدرك) بمعنى لحق وبلغ، إنكار من الله تعالى أن يكون علم الكافرين بلغ أمر الآخرة، فهي استفهام إنكاري غرضه التقرير والتوبيخ على طلبهم علم ما لا يبلغونه أبداً.

والمعنى: هل بلغ علمهم بالآخرة ومتى تكون؟، أي أنهم لم يدركوا علم الآخرة ووقت حدوثها ودل على ذلك قوله تعالى: ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ﴾ أي: من علمها.

أما قراءة (ادَّارك) بتشديد الدال مع همزة وصل قبلها فإن أصلها تدارك ثم أدغمت التاء في الدال وشددت وجيء بهمزة الوصل قبلها ليسهل نطق الدال، ومعناها: تتابع وتلاحق وتكامل ومعنى الآية على ذلك فيه قولان:

أحدهما: بل تكامل علمهم يوم القيامة لأنهم مبعوثون، قال ابن عباس - رضي الله عنه - «ما جهلوه في الدنيا علموه في الآخرة».

الثاني: بل تدارك ظنهم وحدسهم في الحكم على الآخرة فتارة يقولون إنها كائنة وتارة يقولون لا تكون[٤٨١].

وبالجمع بين القراءتين يتضح أن: يوم القيامة يستوي علم الكافرين بالآخرة مع ما وعدوا به من الثواب والعقاب وإن كانت علومهم مختلفة في الدنيا، كما أنهم يعلمون في الآخرة ما جهلوه في الدنيا. كما أن قراءة (ادَّارك) فيها مبالغة في تكامل علم الكفار يوم الآخرة بما جهلوه في الدنيا.

---

(٤٨٠) أضواء البيان ج٤ص٢٠٧.

(٤٨١) انظر معالم التنزيل ج٤، ص ١٤٣، القراءات وأثرها في التفسير والأحكام ج٢ص٦١٨، ٦١٩.

كما أنها آكد وأعم من قراءة (أَدرَك) حيث التكامل يكون بعد البلوغ واللحوق. والله أعلم.

١٧ ـ ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [النمل: ٧٠].

القراءات:

١ ـ قرأ ابن كثير «ضِيْقٍ» بكسر الضاد.

٢ ـ قرأ الباقون «ضَيْقٍ» بفتحها[(٤٨٢)].

المعنى اللغوي للقراءات:

الضِّيْق ضد السَّعة، ويقال الضَّيْق أيضا، الضَّيْقة يستعمل في الفقر والبخل والغم قال: ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ﴾ [التوبة: ١١٨] وقال: ﴿وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ [النحل: ١٢٧]، كل ذلك عبارة عن الحزن. ﴿وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ﴾ [الطلاق: ٦] ، ينطوي على تضييق النفقة وتضييق الصدر[(٤٨٣)].

التفسير:

تنهى الآية محمداً ﷺ من أن يحزن ويضيق صدره على الكفار لإصرارهم على الكفر والتكذيب ومكرهم لأن الله يعصمه من الناس[(٤٨٤)].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

ذهب كثير من العلماء إلى أن القراءتين لغتان[(٤٨٥)].

وقال الفراء: فالضَيق ما ضاق عنه صدرك والضِيق ما يكون في الذي

(٤٨٢) النشر ج٢ص٣٠٥.

(٤٨٣) معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص٣٣٦.

(٤٨٤) انظر إرشاد العقل السليم ج٥ص١٠٠.

(٤٨٥) الكشف ج٢ص٤١، القراءات وأثرها في علوم العربية ج١ص٢٨٩.

يتسع مثل الدار والثوب[٤٨٦] والذي يتضح مما سبق أن قراءة الفتح (ضَيْقٍ) أفادت نهي الرسول ﷺ عن أن يضيق صدره ويشعر بالغم بسبب مكر الكفار. ويؤكد ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ إذ الحزن مكانه القلب «الصدر».

وأما قراءة الكسر ففيها إشارة إلى نهي الرسول ﷺ عن أن يضيق به المكان حزناً بسبب مكرهم، بناءً على ما قاله الفراء.

وبالجمع بين القراءتين يمكن القول: إن الله ينهى محمداً ﷺ عن الشعور بالحزن والغم على مكر الكفار لئلا يضيق به المكان بسبب ذلك. والله أعلم.

١٨ ـ ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾﴾ [النمل: ٨٠].

القراءات:

١ ـ قرأ ابن كثير «يَسْمَعُ الصُّمُّ» بالياء مع فتحها وفتح الميم وضم ميم الصم.

٢ ـ قرأ الباقون «تُسْمِعُ الصُّمَّ» بالتاء وضمها وكسر الميم ونصب ميم الصم[٤٨٧].

المعنى اللغوي للقراءات:

السمع قوة في الأذن به يُدرِك الأصوات. ويعبر تارة بالسمع عن الأذن وتارة عن الفهم وتارة عن الطاعة[٤٨٨]. الصمم فقدان حاسة السمع وبه يوصف من لا يصغي إلى الحق ولا يقبله[٤٨٩].

---

(٤٨٦) معاني القرآن للفراء ج٢ص١١٥.

(٤٨٧) النشر، ج٢ص٣٣٩.

(٤٨٨) انظر معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص٢٧٠، ٢٧١.

(٤٨٩) انظر المرجع السابق، ص٣٢٠.

التفسير:

هذا خطاب من الله تعالى إلى محمد ﷺ يدعوه إلى عدم الاكتراث للكفار المعرضين عن الدعوة لأنهم كالموتى لا حس لهم ولا عقل وكالصم في عدم سماعهم دعاء النبي ﷺ ونداءه لهم بالإيمان بالله ﷻ لأنهم كالصم الذين في آذانهم وقر فلا يستجيبون للدعاء ولا سيما إذا تولوا مدبرين لأن الأصم إذا كان بعيداً وناديته كان أبعد عن السماع حيث اجتمع له مع الصمم بعد المسافة(٤٩٠).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة الياء (لا يَسْمَعُ الصُّمُّ) أن الكفار هم الفاعلون فصورت حالهم في إعراضهم وعدم انقيادهم إلى الحق كالأصم المعرض المبتعد عن السماع فهو أشد في نفي اتباعهم للحق وسماعهم له.

وأما قراءة التاء (لا تُسْمِعُ الصُّمَّ) فهي نسق على ما قبلها من قوله تعالى ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ فهي خطاب لمحمد ﷺ ينفي فيه الله تعالى أن يتمكن محمد ﷺ من إسماعهم دعوة الحق لأنهم من شدة إعراضهم عنه كالموتى الذين لا حس ولا عقل لهم(٤٩١).

وبالجمع بين القراءتين يمكن القول: إن الله ﷻ ينفي سماع الكفار للدعوة بأنفسهم وينفي إسماعهم من الرسول ﷺ لفرط إعراضهم عنها.

١٩ ـ ﴿وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾﴾ [النمل: ٨١].

القراءات:

١ ـ قرأ حمزة «تَهْدي» بالتاء وفتحها وإسكان الهاء من غير ألف. «العميَ» بالنصب.

---

(٤٩٠) انظر صفوة التفاسير ج٢ص٤١٩.

(٤٩١) انظر الكشف ج٢ص١٦٥، الحجة للفارسي ج٥ص٤٠٣.

٢ ـ قرأ الباقون «بِهَادي» بالباء وكسرها وفتح الهاء وألف بعدها. «العميِ» بالخفض[٤٩٢].

المعنى اللغوي للقراءات:

الهدى: الرشاد والدلالة. وهديته الطريق والبيت هداية أي عرّفته[٤٩٣].

العمى يقال في افتقاد البصر والبصيرة ويقال في الأول أعمى وفي الثاني أعمى وعمٍ[٤٩٤].

التفسير:

تمثل هذه الآية حال الكفار المعرضين عن الإيمان والاستجابة للهداية بحال الأعمى الذي ضل الطريق فهو لا يهتدي. فيقول تعالى لمحمد ﷺ: إنك لست بمرشد من أعماه الله عن طريق الهداية لأنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء كما ورد في الآية، ولكنك تسمع الدعوة إلى من يؤمن ويصدق بالقرآن فأولئك هم المنقادون المخلصون[٤٩٥].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (تَهْدي العميَ) بالفعل المضارع واعتبار العمي مفعولاً به نفي هداية محمد ﷺ للكفار وهي إخبار بعدم هدايتهم لشدة عنادهم وإعراضهم.

أما قراءة (بِهَادِي الْعُمْيِ) باسم الفاعل والعمي مضاف إليه من إضافة اسم الفاعل لمفعوله فتفيد نفي هداية الكفار في الحال والاستقبال لفرط إعراضهم فهم كالعمي الذين لا يرون الطريق[٤٩٦].

ومما سبق يتضح نفي قدرة محمد ﷺ على هداية الكفار إلى طريق الله

(٤٩٢) النشر ج٢ص ٣٣٩.
(٤٩٣) الصحاح للجوهري ج٣ ص٢٥٥.
(٤٩٤) معجم مفردات ألفاظ القرآن ص٣٨٩.
(٤٩٥) انظر فتح القدير ج٤ص١٥١.
(٤٩٦) حجة القراءات ص٥٣٧، المغني ج٣ص١١٣.

ﷺ في الحال والاستقبال لشدة إعراضهم وعنادهم.

٢٠ ـ ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [النمل: ٨٢].

القراءات:

١ ـ قرأ الكوفيون (عاصم وحمزة والكسائي وخلف) ويعقوب بفتح همزة «أَنَّ».

٢ ـ قرأ الباقون بكسر الهمزة «إِنَّ»[٤٩٧].

المعنى اللغوي للقراءات:

إنَّ وأنَّ حرفان ينصبان الاسم ويرفعان الخبر، فالمكسورة منهما يؤكد بها الخبر والمفتوحة وما بعدها في تأويل المصدر[٤٩٨].

التفسير:

يخبر الله تعالى في هذه الآية عن الدابة التي تخرج في آخر الزمان بعد فساد الناس وتركهم أوامر الله وتبديلهم دينهم، فيقول تعالى: إذا وجب العذاب على الناس لكفرهم يخرج الله لهم من الأرض دابة تكلمهم وتخبرهم أن أهل مكة كانوا لا يؤمنون بالقرآن والبعث.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة فتح الهمزة (أَنَّ النَّاس) على تقدير حرف الجر أي: بأن الناس أن ذلك حكاية قول الدابة: أي تكلمهم أو تنبئهم بأن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون.

أما قراءة الكسر (إِنَّ النَّاس) فتفيد أن الكلام انتهى عند تكلمهم ثم ابتدأ بالخبر إن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون على إضمار القول أي تكلمهم

---

(٤٩٧) النشر ج٢ص٣٣٨.

(٤٩٨) مختار الصحاح ص٢٩.

فتقول: إن الناس . . .[٤٩٩].

وبالجمع بين القراءتين نجد أن قراءة الفتح مبينة لقراءة الكسر، فقراءة الكسر تفيد الإخبار عن قول الدابة وفيها إثبات وقوع الكلام من الدابة وتحققه، وأما قراءة الفتح فبينت كلام الدابة وقولها. والله أعلم

٢١ ـ ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [النمل: ٨٧].

القراءات:

١ ـ قرأ حمزة وخلف وحفص «أَتَوه» بفتح التاء وقصر الهمزة.

٢ ـ قرأ الباقون «آتُوْه» بضم التاء ومد الهمز[٥٠٠].

المعنى اللغوي للقراءات:

أتى من الإتيان أي المجيء[٥٠١]. الإتيان مجيء بسهولة. . . والإتيان يقال للمجيء بالذات وبالأمر وبالتدبير[٥٠٢]. آتوه بمعنى حاضروه[٥٠٣]. وبمعنى فاعلوه[٥٠٤].

التفسير:

هذه الآية تتحدث عما يحدث يوم القيامة حيث ينفخُ في الصور النفخة الأولى فيفزع من في السموات والأرض حتى يموتوا من شدة الفزع إلا من شاء الله لهم ألا يموتوا وكل الأحياء الذين ماتوا بعد الفزع سيبعثون ويأتون ويحضرون بين يدي الله صاغرين ذليلين[٥٠٥].

---

(٤٩٩) انظر الكشف، ج٢ص١٦٧، بحر العلوم، ج٢ص٥٠٥.

(٥٠٠) النشر ج٢ ص٣٣٩.

(٥٠١) انظر مختار الصحاح، ص٥.

(٥٠٢) معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص ١٤.

(٥٠٣) انظر البحر المحيط، ج٧ص٩٤.

(٥٠٤) انظر معاني القرآن للفراء، ج٢ص٣٠١.

(٥٠٥) انظر زاد المسير، ص١٠٥٥، مجمع البيان، ج٧ص٣٦٥.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قُرئت (أتوه) بالقصر وبالمد (آتوه) فقراءة القصر على أنه فعل ماضٍ[٥٠٦] يدل على وقوع الفعل وثباته فيوم القيامة مجيئهم إلى الله محقق.

أما قراءة المد على أنه اسم فاعل[٥٠٧] أصله آتيونه فتدل على استمرار تحقق وقوع المجيء والحضور للوقوف بين يدي الله تعالى للمحاسبة على الأعمال.

ويجوز القول: إن قراءة القصر (أتوه) تفيد السرعة في المجيء يوم القيامة وفي ذلك تقرير لتحقق مجيئهم ووقوفهم أمام الله يوم القيامة كما تفيد التصغير والإذلال، أما قراءة المد (آتوه) فتفيد تأكيد الحضور والمجيء للوقوف بين يدي الله يوم القيامة عن قراءة القصر (أتوه). والله أعلم.

٢٢ - ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [النمل: ٨٨].

القراءات:

١ - قرأ ابن كثير وهشام وأبو عمرو ويعقوب «يفعلون» بالغيب.

٢ - قرأ الباقون «تفعلون» بالخطاب[٥٠٨].

المعنى اللغوي للقراءات:

الفعل التأثير من جهة مؤثر، وهو عام لما كان بإجادة أو غير إجادة، ولما كان بعلم أو غير علم، وقصد أو غير قصد، ولما كان من الإنسان والحيوان والجمادات[٥٠٩].

---

(٥٠٦) إتحاف فضلاء البشر ج٢ص ٣٣٥.

(٥٠٧) المرجع السابق ص٣٣٥.

(٥٠٨) النشر ج٢ص٣٣٩.

(٥٠٩) معجم مفردات ألفاظ القرآن ص٤٢٨.

التفسير:

لما ذكر تعالى إذلالهم وانكسارهم في الآية السابقة ذكر في هذه انكسار ما هو أعظم منهم خلقاً وهي الجبال فقال تعالى مخاطباً محمداً ﷺ أو كل أحد بعد القيام من الفزع: وترى الجبال العظيمة شاهقة الارتفاع ثابتة لا تتحرك ولكنها تتحرك حركة لا تحس بها كحركة السحاب تمر مراً سريعاً وهذا الأمر العظيم دليل على قدرة الله ﷻ وعظمته فهو قد خلق كل شيء فأحكم خلقه وأنه تعالى العالم المتقن الخالق لهذه المخلوقات العظيمة يعلم ما تفعلون ولا يخفى عليه أمركم(٥١٠).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

جاءت قراءة الخطاب (تفعلون) إشعاراً من الله لهم بقربهم منه ورضاه عنهم مما يشيع الطمأنينة في نفوسهم بعد الفزع الذي أصابهم والمظاهر العظيمة التي رأوها والتي تدل على عظمة الله تعالى وقدرته(٥١١).

أما قراءة الغيب (يفعلون) فجاءت حملاً(٥١٢) على لفظ الغيبة في قوله تعالى: «وكل أتوه داخرين»، كما أنها تفيد الإبعاد والترهيب. والله أعلم.

٢٣ - ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [النمل: ٨٩].

القراءات:

١ - قرأ الكوفيون (عاصم وحمزة والكسائي وخلف) «فزعٍ يَومَئذ» بتنوين فزع وفتح ميم يومئذ.

٢ - قرأ الباقون «فزعِ يومِئذ» بغير تنوين وكسر ميم يومئذ.

---

(٥١٠) انظر نظم الدرر، ج٥ص٤٥٥.
(٥١١) انظر المرجع السابق، ص٤٥٦.
(٥١٢) الحمل هو: تساوي المحمول والمحمول عليه في علة الحكم وثبوت اللفظ وانتفاء المانع ج٢ص١٤٧، وانظر: المعجم المفصل في علوم اللغة، ج١، ص٢٩١، الخصائص، ابن جني، ج٢، ص٤١١.

٣ ـ قرأ المدنيان (نافع وأبو جعفر) «فزعِ يومَئذ» بغير تنوين مع فتح ميم يومَئذ(٥١٣).

المعنى اللغوي للقراءات:

الفزع: الفَرَقُ والذعر من الشيء. وهو في الأصل مصدر(٥١٤).

التفسير:

هذه الآية بيان لما ختمت به سابقتها فكأنه قيل: ماذا يكون بعد تلك الأهوال والفزع فيجاب بأن الله خبير بعمل العاملين فيجازيهم على أعمالهم فمن عمل الحسنات فيجازيه الله بخير مما جاء به ويؤمنه من ذعر يوم القيامة وأهواله(٥١٥).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

يرى كثير من العلماء أن القراءتين (بالتنوين والإضافة) بمعنى واحد»(٥١٦).

حيث إن قراءة الإضافة تفيد العموم والكثرة فالمعنى أن يكون الأمن من جميع فزع ذلك اليوم، وقد يراد به فزع مخصوص وهو كقوله تعالى ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ﴾ [الأنبياء: ١٠٣]، وكذا قراءة التنوين تعني الأمن من فزع دون فزع أي الأمن من فزع واحد وقيل تعني الكثرة لأنه مصدر والمصدر يدل على الكثرة(٥١٧).

---

(٥١٣) انظر النشر، ج٢ص٣٤٠.

(٥١٤) لسان العرب، ج٨ص٢٩٩.

(٥١٥) انظر روح المعاني ج١٠ص٢٤٦.

(٥١٦) انظر الحجة للفارسي ج٥ص ٤٠٩، الكشف ج٢ص١٧٠، الجامع لأحكام القرآن ج١٣، ص٢٥٤، التحرير والتنوير، م١٠ ج٢٠ ص٥٣.

(٥١٧) انظر الحجة للفارسي ج٥ ص٤٠٩، والكشف ج٢ ص١٧٠، والتحرير والتنوير، م١٠ مجلد٢٠ص٥٣.

٢٤ - ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [النمل: ٩٣].

القراءات:

١ - قرأ نافع وابن عامر وحفص وأبو جعفر ويعقوب «تعملون» بالتاء على الخطاب.

٢ - قرأ الباقون «يعملون» بالياء على الغيبة(٥١٨).

المعنى اللغوي للقراءات:

العمل كل فعل يكون من الحيوان بقصد فهو أخص من الفعل. والعمل يستعمل في الأعمال الصالحة والسيئة(٥١٩).

التفسير:

خطاب من الله لمحمد ﷺ يدعوه إلى حمد الله على نعمة النبوة والعلم وأن يقول للكفار أن الله سيريهم دلائل قدرته ووحدانيته فيعرفونها ويهددهم بقدرة الله عليهم وانه ليس بغافل عما يصنع أولئك الكفار وسيجازيهم على أعمالهم. وفي الآية تهديد ووعيد للكافرين.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

العلاقة بين القراءتين علاقة بلاغية فقراءة التاء التفات من الخطاب للغيبة وتفيد وعد الله تعالى للمؤمنين بأن يجازوا على أعمالهم الصالحة لأن الله ليس بغافل عنها، وأما قراءة الغيبة ففيها وعيد للكافرين وتهديد بنيل العقاب على كفرهم وعدم إيمانهم.

وبالجمع بين القراءتين نجد أنهما تحملان معنى الوعد والوعيد. والله اعلم.

---

(٥١٨) النشر ج٢ص٢٦٣.

(٥١٩) معجم مفردات ألفاظ القرآن ص٣٨٩.

الفهارس العامة

فهرس المراجع

● القرآن الكريم.

١ ـ الإبانة عن معاني القراءات/ أبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي: تحقيق: د. محيي الدين رمضان ـ دار المأمون للتراث ـ بيروت ـ ط١ ـ ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

٢ ـ إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع/ الإمام الشاطبي: تأليف: الإمام عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المعروف بأبي شامة الدمشقي ـ شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

٣ ـ إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر «المسمى» منتهى الأماني والمسرات في علوم القراءات/ تأليف العلامة الشيخ أحمد بن محمد البنا، الجزء الثاني، حققه وقدم له الدكتور شعبان محمد اسماعيل، عالم الكتب، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

٤ ـ الإتقان في علوم القرآن/ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي: ضبطه وصححه وخرج آياته: محمد سالم هاشم ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط١ ـ ١٤٢١هـ.

٥ ـ احكام القرآن / تأليف الإمام أبي بكر احمد الرازي الجصاص ـ مراجعة: صدقي محمد جميل دار الفكر ـ ط١ ـ ١٤٢١هـ.

٦ ـ أحكام القرآن/ لأبي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي ـ طبعة جديدة منقحة وفريدة ـ دار الفكر ـ بيروت ـ لبنان.

٧ ـ الإحكام في أصول الأحكام/ سيف الدين أبي الحسن علي بن أبي علي بن محمد الآمدي ـ راجعها ودققها: جماعة من العلماء بإشراف الناشر ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ١٤٠٠هـ.

٨ - أسماء القبائل وأنسابها / تأليف العلامة السيد معز الدين محمد المهدي الحسيني الشهير بالقزويني المتوفي سنة ١٣٠٠هـ: شرح وتحقيق كامل سلمان الجبوري - منشورات محمد علي بيضون - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط١ - ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

٩ - أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن/ تأليف محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي الموريتاني المالكي الإفريقي وتتمته لتلميذه عطية محمد سالم ويليه دفع ايهام الإضطراب عن آيات الكتاب ورسالة منع المجاز عن المنزل للتعبد والإعجاز - طبعة جديدة مصححة ومنقحة اعتنى بها الشيخ صلاح الدين العلايلي - دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان - ط١ - ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

١٠ - إعراب القراءات السبع وعللها/ أبي عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه: حققه وقدم له: د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين - مكتبة الخانجي - القاهرة - ط١ - ١٤١٣هـ.

١١ - إعراب القراءات الشواذ/ أبي البقاء العكبري: دراسة وتحقيق: محمد السيد أحمد عزوز - عالم الكتب - ط١ - ١٤١٧هـ.

١٢ - إعراب القرآن/ أبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس: تحقيق: د. زهير غازي زاهد - عالم الكتب مكتبة النهضة العربية - ط٣ - ١٤٠٩هـ.

١٣ - إعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج/ تحقيق ودراسة: إبراهيم الأبياري - دار الكتب الإسلامية - ط٢ - ١٤٠٢هـ.

١٤ - الأعلام قاموس تراجم لأشهر النساء والرجال من العرب والمستعربين من العرب والمستعربين والمستشرقين/ تأليف خير الدين الزركلي - دار العلم للملايين - بيروت - ط٥ - ١٩٨٠م.

١٥ - الأفعال في القرآن الكريم دراسة استقرائية للفعل في القرآن الكريم في جميع قراءاته/ الدكتور عبد الحميد مصطفى السيد - الطبعة الأولى ٢٠٠٤م - دار الحامد للنشر والتوزيع.

١٦ - إملاء ما منَّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن/ تأليف أبي البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري - دار الفكر - ١٤١٤هـ.

١٧ - أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير وبهامشه نهر الخير على أيسر التفاسير/ أبي بكر الجزائري: المكتبة العصرية - بيروت - ط٢ - ١٤٢٢هـ.

١٨ ـ الإيضاح في علوم البلاغة/ الخطيب القزويني: دار الكتاب اللبناني ـ ط٤ ـ ١٣٩٥هـ.

١٩ ـ بدائع الفوائد/ للعلامة الإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الدمشقي ابن قيم الجوزية المتوفي سنة ٧٥١هـ: ضبط نصه وخرج آياته أحمد عبد السلام ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ ـ ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

٢٠ ـ البرهان في علوم القرآن/ محمد بن عبد الله الزركشي: خرج أحاديثه وقدم له وعلّق عليه: مصطفى عبد القادر عطى ـ دار الفكر ـ ١٤٢١هـ.

٢١ ـ بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز/ محمد بن يعقوب الفيروزابادي: تحقيق: الأستاذ عبد العليم الطحاوي ـ القاهرة ـ ١٣٩٠هـ.

٢٢ ـ بغية المريد من أحكام التجويد/ مهدي محمد الحرازي ـ راجعه وقدم له: عبد الباسط هاشم ـ دار البشائر الإسلامية ـ ط١ ـ ١٤٢٢هـ.

٢٣ ـ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة / جلال الدين السيوطي ـ تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم: المكتبة العصرية ـ بيروت.

٢٤ ـ تاج العروس من جوهر القاموس/ تأليف السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي ـ تحقيق: محمود محمد الطناحي ـ دار الهداية للطباعة والنشر.

٢٥ ـ تأويل مشكل القرآن / ابن قتيبة ـ شرحه ونشره: السيد أحمد صقر ـ المكتبة العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط٣ ـ ١٤٠١هـ.

٢٦ ـ التبيان في إعراب القرآن/ أبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري: دار الفكر ـ ١٤٢١هـ.

٢٧ ـ التبيان في البيان/ للإمام الطيبي: تحقيق ودراسة: د. عبد الستار حسين رقُّوط ـ دار الجيل ـ بيروت ـ ١٤١٦هـ.

٢٨ ـ التسهيل لعلوم التنزيل/ أبي القاسم محمد بن أحمد بن جزي الكلبي: ضبطه وصححه وخرّج آياته: محمد سالم هاشم ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط١ ـ ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

٢٩ ـ التطبيق النحوي/ الدكتور عبده الراجحي أستاذ العلوم اللغوية بجامعتي الإسكندرية وبيروت العربية ـ دار النهضة العربية ـ للطباعة والنشر ـ بيروت ـ ١٩٨٣م.

٣٠ ـ تفسير ابن عطية المحرر الوجيز في تفسير القرآن العزيز/ لأبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي: تحقيق وتعليق عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، السيد عبد العال السيد إبراهيم ـ طبع على نفقة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني امير دولة قطر ـ ط١ ـ ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٥م.

٣١ ـ تفسير ابن وهب المسمى الواضح في تفسير القرآن/ أبي محمد عبد الله بن وهب الدينوري ـ تحقيق: أحمد فريد ـ منشورات محمد علي بيضون ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان.

٣٢ ـ تفسير أبي السعود أو إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم/ للقاضي أبي السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي ـ المتوفي سنة ٩٨٢هـ ـ وضع حواشيه عبد اللطيف عبد الرحمن ـ منشورات محمد علي بيضون ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان.

٣٣ ـ تفسير البيضاوي المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل / الإمام ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن ابي عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي ـ وبهامشه حاشية الكازروني ـ مكتبة البحوث والدراسات ـ دار الفكر ـ ١٤١٦هـ.

٣٤ ـ تفسير التحرير والتنوير/ تأليف سماحة الأستاذ الإمام الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور ـ دار سحنون للنشر والتوزيع ـ تونس.

٣٥ ـ تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم/ أبي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي: تحقيق وتعليق: الشيخ علي محمد معوض، الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الدكتور: زكريا عبد المجيد النوّي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط١ ـ ١٤١٣هـ.

٣٦ ـ تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل/ تأليف علامة الشام محمد جمال الدين القاسمي ـ دار إحياء الكتب العربية فيصل عيسى البابي الحلبي.

٣٧ ـ تفسير القرآن العظيم/للإمام الجليل الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي المتوفي سنة ٧٧٤هـ ـ مكتبة دار التراث ٢٢شارع الجمهورية ـ القاهرة.

٣٨ ـ تفسير القرآن الكريم/د. عبد الله شحاتة: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ـ القاهرة ط٢ ـ ١٤٢٠هـ.

٣٩ ـ التفسير الكبير/ الإمام الفخر الرازي: دار الكتب العلمية ـ طهران ـ ط٢.

٤٠ ـ التفسير الكبير/ للعلامة تقي الدين بن تيمية ـ تحقيق وتعليق: د. عبد الرحمن عميرة ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان.

٤١ ـ التفسير الواضح/ دكتور محمد محمود حجازي: جامعة الأزهر مطبعة الاستقلال الكبرى ـ ط٤ ـ ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م.

٤٢ ـ التفسير الوسيط للقرآن الكريم/ د. محمد السيد طنطاوي: مطبعة السعادة.

٤٣ ـ تقريب النشر في القراءات العشر/ ابن الجزري ـ تحقيق وتقديم: إبراهيم عطوه عوض ـ دار الحديث ـ القاهرة ـ ط٣ ـ ١٤١٦هـ.

٤٤ ـ تنوير المقباس من سير ابن عباس/ لأبي طاهر بن يعقوب الفيروزابادي ـ دار الفكر.

٤٥ ـ جامع البيان عن تأويل آي القرآن/ تأليف أبي جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفي سنة ٢١٠هـ: دار الفكر ـ بيروت ـ لبنان ـ ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

٤٦ ـ الجامع لأحكام القرآن/ لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي: راجعه وضبطه وعلق عليه الدكتور محمد إبراهيم الحفناوي أستاذ أصول الفقه بكلية الشريعة والقانون بالقاهرة ـ خرج أحاديثه الدكتور محمود حامد عثمان مدرس اصول الفقه بكلية الشريعة والقانون بطنطا ـ دار الحديث ـ القاهرة ـ ط١ ـ سنة ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م ـ ط٢ ـ ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

٤٧ ـ جمهرة أنساب العرب/ أبي محمد علي ابن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي ـ تحقيق وتعليق: عبد السلام محمد هارون ـ ط٤ ـ دار المعارف ـ ص٣٣٠.

٤٨ ـ جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع/ أحمد الهاشمي: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ ط١٢.

٤٩ ـ حاشية الجمل على الجلالين المسماة بالفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية/ تأليف العلامة الشيخ سليمان الجمل: المكتبة الإسلامية.

٥٠ ـ حجة القراءات/ للامام الجليل أبي زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة رحمه الله، تحقيق سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، الطبعة الخامسة ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

٥١ ـ الحجة في القراءات السبع للامام ابن خالويه/ تحقيق وشرح: الدكتور عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة الطبعة السادسة ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

٥٢ ـ خزانة الأدب وغاية الأرب/ تأليف: تقي الدين أبي بكر علي المعروف بابن حجّة الحموي ـ شرح: عصام شعيتو ـ دار ومكتبة الهلال ـ بيروت ـ ط٢ ـ ١٩٩١م.

٥٣ ـ الخصائص / أبي الفتح عثمان ابن جني: حققه: محمد علي النجار ـ دار الهدى للطباعة والنشر ـ بيروت ـ لبنان دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ ـ ١٤١٢هـ.

٥٤ ـ الدر المصون في علوم الكتاب المكنون / تأليف أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي ـ تحقيق: احمد محمد الخرّاط ـ دار القلم دمشق.

٥٥ ـ الدر المنثور في التفسير بالمأثور وبهامشه القرآن الكريم مع تفسير ابن عباس/ دار المعرفة للطباعة والنشر ـ بيروت لبنان.

٥٦ ـ دراسات لأسلوب القرآن الكريم/ محمد عبد الخالق عضيمة: دار الحديث ـ القاهرة.

٥٧ ـ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني/ تأليف العلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي المتوفي سنة ١٢٧هـ ـ ضبطه وصححه علي عبد الباري عطية ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ ـ ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.

٥٨ ـ زهرة التفاسير/ محمد أبو زهرة: دار الفكر العربي ـ ١٣١٦هـ.

٥٩ ـ سنن الترمذي/ محمد بن عيسى بن سورة الترمذي: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ـ ط١.

٦٠ ـ سورة النمل دراسة تحليلية وموضوعية/ رسالة ماجستير ـ إعداد الباحث: محمد حسن البلبيسي ـ إشراف: د. رياض قاسم ـ ١٤٢٤هـ.

٦١ ـ شرح التصريح على التوضيح/ خالد بن عبد الله الأزهري: على ألفية ابن مالك في النحو للشيخ العلامة جمال الدين أبي محمد بن عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري وبهامشه حاشية الشيخ يس بن زين الدين العليمي الحمصي ـ دار إحياء الكتب العربية.

٦٢ ـ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية/ تأليف اسماعيل بن حماد الجوهري: تحقيق أحمد عبد الغفور عطّار ـ دار العلم للملايين ـ بيروت ـ ط١ ـ القاهرة ـ ١٣٧٦هـ ـ ١٩٥٦م ـ ط٢ ـ بيروت ـ ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

٦٣ ـ صحيح البخاري/ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري: بيت الأفكار الدولية للنشر ـ ١٤١٩هـ.

٦٤ ـ صحيح مسلم وهو المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله ﷺ / أبي الحسين مسلم بن حجاج القشيري النيسابوري: دار الفكر ـ بيروت ـ ط١ ـ ١٤٢٤هـ.

٦٥ ـ صفوة التفاسير تفسير للقرآن الكريم جامع بين المأثور والمعقول مستمد من أوثق كتب التفسير/ الطبري، الكشاف، القرطبي، الألوسي، ابن كثير، البحر المحيط، وغيرها بأسلوب ميسر وتنظيم حديث مع العناية بالوجوه البيانية واللغوية ـ تأليف محمد علي الصابوني: دار الصابوني.

٦٦ ـ عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح / للشيخ بهاء الدين السبكي ـ تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي ـ المكتبة العصرية ـ صيدا ـ بيروت ـ ط ١ ـ ١٤٢٣هـ.

٦٧ ـ غاية النهاية في طبقات القراء / شمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن الجزري: عني بنشره ج برجستراسر ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط٣ ـ ١٩٨٢م.

٦٨ ـ غيث النفع في القراءات السبع/ علي النوري الصفاقسي: ضبطه وصححه وخرج آياته: محمد عبد القادر شاهين ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط١ ـ ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م.

٦٩ ـ فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير/ تأليف محمد بن علي بن محمد الشوكاني: عالم الكتب.

٧٠ ـ في رحاب التفسير/ عبد الحميد كشك: المكتب المصري الحديث ـ ١٤١٠هـ.

٧١ ـ في ظلال القرآن/ سيد قطب: دار الشروق ـ الطبعة الشرعية التاسعة ـ ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.

٧٢ ـ القراءات وأثرها في التفسير والأحكام/ إعداد محمد بن عمر بن سالم بازمول لنيل درجة الدكتوراة في الشريعة الإسلامية ـ دار الهجرة للنشر والتوزيع ـ ط١ ـ ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

٧٣ ـ القراءات وأثرها في علوم العربية/ تأليف الدكتور محمد سالم محيسن، المجلد الأول، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م.

٧٤ ـ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل/ تأليف أبي القاسم جارالله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي: شرحه وضبطه وراجعه يوسف الحمّادي المستشار الأسبق للتربية الدينية بجمهورية مصر العربية ـ الناشر مكتبة مصر سعيد جودة السحار وشركاه.

٧٥ ـ الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها/ أبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي: تحقيق: د. رمضان محيي الدين ـ مؤسسة الرسالة ط٥ ـ ١٤١٨هـ.

٧٦ ـ لسان العرب/ للامام العلامة جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم بن منظور الأنصاري الإفريقي المصري المتوفي سنة ٧١١هـ ـ حققه وعلق عليه ووضع حواشيه عامر احمد حيدر ـ راجعه عبد المنعم خليل إبراهيم ـ منشورات محمد علي بيضون لنشر كتب السنة والجماعة ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ ـ ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

٧٧ ـ لطائف الإشارات لفنون القراءات/ الإمام شهاب الدين القسطلاني ـ تحقيق وتعليق: عامر السيد عثمان ود. عبد الصبور شاهين ـ القاهرة ١٣٩٢هـ.

٧٨ ـ المبصر لنور القرآن/ نائلة هاشم صبري ـ مطبعة الرسالة المقدسية ـ ط١ ـ ١٤٢٢هـ.

٧٩ ـ مجاز القرآن/ صنعة أبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي المتوفي سنة ٢١٠هـ، عارضه بأصوله وعلق عليه محمد فؤاد سزكين، الجزء الثاني، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة.

٨٠ ـ مجمع البيان في تفسير القرآن/ تأليف الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي من أكابر العلماء في القرن السادس، يقع في عشرة أجزاء، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

٨١ ـ المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والايضاح عنها/ تأليف أبي الفتح عثمان بن جني، الجزء الثاني، بتحقيق علي النجدي ناصف، الدكتور عبد الفتاح اسماعيل شلبي، القاهرة ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

٨٢ ـ مختار الصحاح/ للشيخ الإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي رحمه الله: عني بترتيبه محمود خاطر ـ راجعته وحققته لجنة من علماء العربية ـ دار الفكر ـ بيروت.

٨٣ ـ المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز/ تأليف شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المعروف بابي شامة المقدسي ـ حققه: طيار آلتي قولاج ـ دار صادر ـ بيروت ـ ١٣٩٥هـ.

٨٤ ـ المستنير في تخريج القراءات المتواترة من حيث اللغة ـ الإعراب ـ التفسير/ تأليف الدكتور محمد سالم محيسن ـ دار الجيل ـ بيروت ـ ط١ ـ ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.

٨٥ ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل/ ضبط ومراجعة: صدقي جميل العطار ـ دار الفكر ـ ط٢ ـ ١٤١٤هـ.

٨٦ ـ مشكل إعراب القرآن/ ابي محمد مكي بن أبي طالب القيسي: تحقيق: د. حاتم صالح الضامن ـ مؤسسة الرسالة ـ ط٤ ـ ١٤٠٨هـ.

٨٧ ـ معالم التنزيل في التفسير والتأويل/ أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي: دار الفكر ـ ط١ ـ ١٤٢٢هـ.

٨٨ ـ معاني الأبنية/ د. فاضل السامرائي.

٨٩ ـ معاني القرآن/ أبي جعفر النحاس: تحقيق: د. يحيى مراد ـ دار الحديث ـ القاهرة ـ ١٤٢٥.

٩٠ ـ معاني القرآن/ تأليف أبي زكريا يحيى بن زياد الفراء: ت سنة ٢٠٧هـ ـ عالم الكتب.

٩١ ـ معاني القرآن/ لأبي جعفر النحاس، ت٣٣٨هـ، تحقيق د: يحيى مراد، الجزء الثاني، دار الحديث، القاهرة، سنة الطبع ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.

٩٢ ـ معاني القرآن/ للأخفش سعيد بن مسعدة البلخي المجاشعي: دراسة وتحقيق الدكتور عبد الأمير محمد أمين الورد ـ عالم الكتب.

٩٣ ـ معاني القرآن وإعرابه/ للزجاج أبي إسحق إبراهيم بن السَّري: شرح وتحقيق: د. عبد الجليل عبده شلبي ـ عالم الكتب ـ ط١ ـ ١٤٠٨هـ.

٩٤ ـ معترك الأقران في إعجاز القرآن/ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي.

٩٥ ـ المعجم المفصل في علوم اللغة (الألسنيات)/ إعداد: د. محمد التنوجي والأستاذ راجي الأسمر ـ مراجعة: د. إميل يعقوب ـ دار الكتب العلمية ـ ط١ ـ ١٤١٤هـ.

٩٦ ـ معجم المقاييس في اللغة/ أبي الحسن احمد بن فارس بن زكريا: دار الفكر للطباعة والنشر ـ بيروت ـ ط١ ـ ١٤١٥هـ.

٩٧ ـ المعجم الوسيط / مجمع اللغة العربية ـ ط٣.

٩٨ ـ معجم مفردات ألفاظ القرآن/ تأليف العلامة أبي القاسم الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني: المتوفي سنة ٥٠٣هـ ـ ضبطه وصححه وخرج آياته وشواهده ابراهيم شمس الدين ـ منشورات محمد علي بيضون ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ ـ ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

٩٩ ـ معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار/ شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ـ تحقيق: طيار آلتي قولاج ـ ط١ ـ استانبول ـ ١٤١٦هـ.

١٠٠ ـ المغني في توجيه القراءات العشر/ د. محمد سالم محيسن: دار الجيل ـ بيروت ـ ط٢ ـ ١٤٠٨هـ.

١٠١ ـ مفاتيح الأغاني في القراءات والمعاني / لأبي العلاء الكرماني ـ ٥٦٣هـ.

١٠٢ ـ المقتطف من عيون التفاسير/ تأليف العلامة مصطفى الخيري المنصوري: حققه وخرج أحاديثه خادم الكتاب والسنة محمد علي الصابوني ـ دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ـ ط١ ـ ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

١٠٣ ـ مناهل العرفان في علوم القرآن/ محمد عبد العظيم الزرقاني ـ طبعة جديدة منقحة ـ دار الفكر.

١٠٤ ـ منجد المقرئين ومرشد الطالبين/ ابن الجزري: دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط سنة ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.

١٠٥ ـ منهج الإمام الطبري في القراءات في تفسيره (رسالة ماجستير) / إعداد: د.عبد الرحمن الجمل: إشراف: د. فضل عباس ـ ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.

١٠٦ ـ الميسر في القراءات الأربع عشر/ تأليف: محمد فهد خاروف ـ مراجعة: محمد كريم راجح ـ دار الكلم الطيب ـ دمشق ـ بيروت ـ ط١ ـ ١٤٢٠هـ.

١٠٧ ـ النشر في القراءات العشر/ للحافظ أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري المتوفي سنة ٨٣٣هـ الجزء الثاني دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

١٠٨ ـ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور/ للإمام برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي ـ خرج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه: عبد الرَّزاق غالب المهدي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت لبنان ـ ط١ ـ ١٤١٥هـ.

١٠٩ ـ النكت والعيون تفسير الماوردي/ تصنيف: أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري ـ راجعه وعلق عليه: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم.

١١٠ ـ التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج/ وهبة الزحيلي ـ دار الفكر ـ ط٢ ـ ١٤٢٤ ـ ٢٠٠٣م.

فهرس المواضيع

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة



الجامعة الإسلامية - غزة
عمادة الدراسات العليا
كلية أصول الدين
قسم التفسير وعلوم القرآن

تفسير القرآن
بالقراءات القرآنية العشر

من خلال سور: (القصص - العنكبوت - الروم - لقمان - السجدة - الأحزاب)

إعداد الباحثة
وفاء مصباح حسونة

إشراف الدكتور
د. رياض محمود قاسم

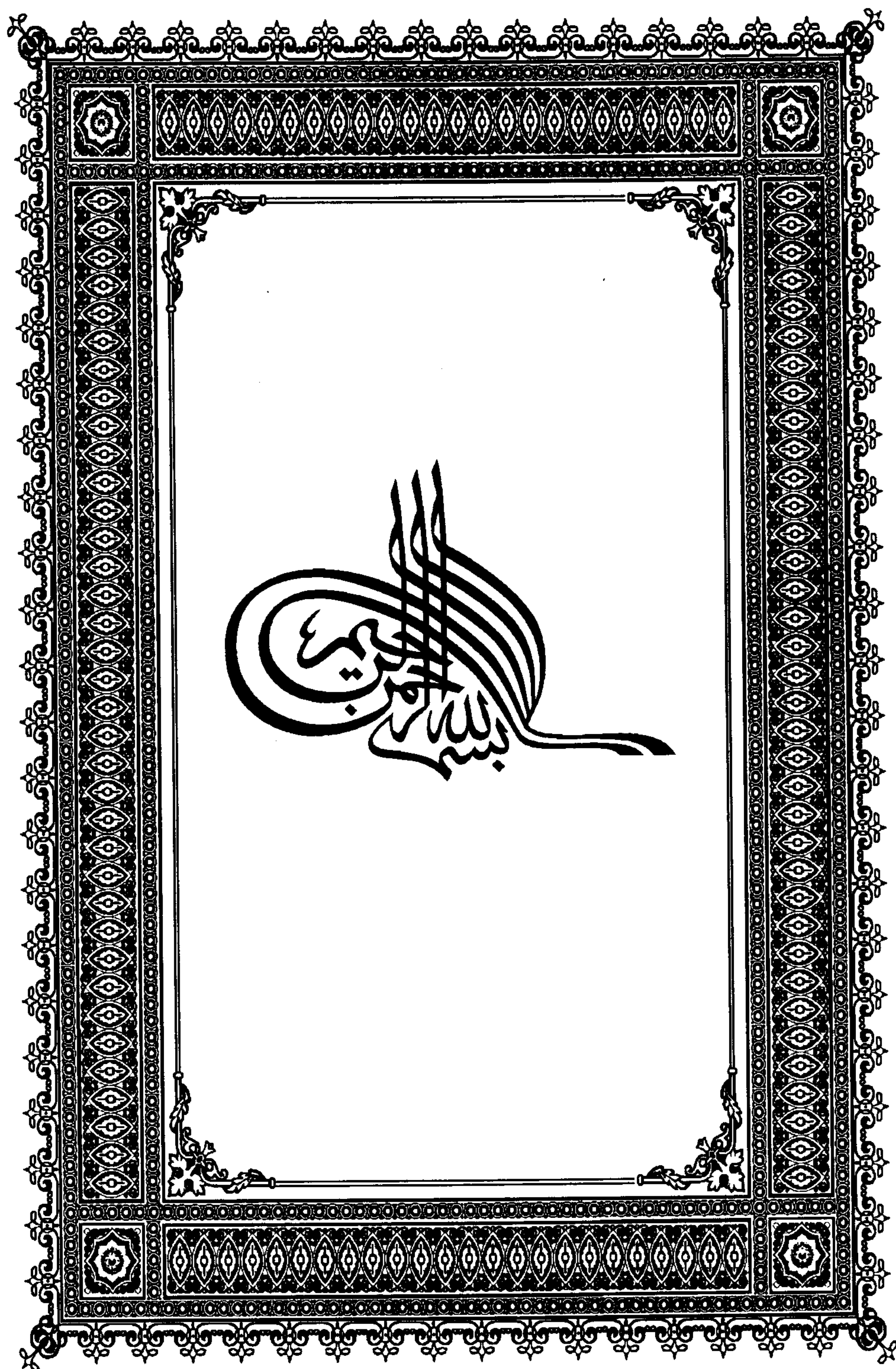
ضبط ومراجعة
د.مروان محمد أبوراس

الجزء التاسع

منشورات الجامعة الإسلامية
ورابطة علماء فلسطين - غزة

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير (بحث تكميلي) في قسم تفسير القرآن وعلومه بكلية أصول الدين- الجامعة الإسلامية

١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م


بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾﴾

[الشورى: ٥٢ ـ ٥٣].

مفتاح مختصرات الرسالة

الإتحاف: إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر للدمياطي.

الإبانة: الإبانة عن معاني القراءات لمكي بن أبي طالب القيسي.

الإتقان: الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي.

الأحرف السبعة: الأحرف السبعة ومنزلة القراءات منها لحسن ضياء الدين عتر.

بحر العلوم: تفسير السمرقندي لأبي الليث نصر محمد بن أحمد بن إبراهيم.

التفسير المنير: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج لوهبه الزحيلي.

تفسير أبي السعود: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لأبي السعود العمادي.

تفسير البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل للإمام البيضاوي.

تفسير النسفي: المسمى مدارك التنزيل وحقائق التأويل عبدالله أحمد محمود النسفي.

جامع البيان: جامع البيان في تفسير القرآن لابن جرير الطبري.

الدر المصون: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي.

روح المعاني: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لشهاب الدين الألوسي.

زاد المسير: زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي.

فتح القدير: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للشوكاني.

الكشف: الكشف عن وجوه القراءات وعللها وحججها لمكي بن أبي طالب.

الكشاف: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل لجار الله الزمخشري.

المحرر الوجيز: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبن عطية.

مجمع البيان: مجمع البيان في تفسير القرآن لأبي علي الطبرسي.

المستنير: المستنير في تخريج القراءات المتواترة لمحمد سالم محيسن.

المغني: المغني في توجيه القراءات العشر المتواترة د/ محمد سالم محيسن.

المقتطف: المقتطف من عيون التفاسير لمصطفى الخيري المنصوري.

المفردات: معجم مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني.

مفاتيح الأغاني: مفاتيح الأغاني في القراءات والمعاني لأبي العلاء الكرماني.

مناهل العرفان: مناهل العرفان في علوم القران للزرقاني.

مفاتيح الغيب: تفسير الفخر الرازي المشهور بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي.

النشر: النشر في القراءات العشر للحافظ أبي الخير ابن الجزري.

نظم الدرر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور لبرهان الدين البقاعي.

مفتاح مصطلحات الرسالة

البصريان: أبو عمرو ويعقوب.

الباقون: باقي القراء.

الحرميان: نافع وابن كثير.

الكوفيون: عاصم وحمزة والكسائي وخلف.

المدنيان: نافع وأبو جعفر.

شكر وتقدير

أشكر الله تعالى أن منَّ عليَّ بإتمام هذا العمل المتواضع مع رجائي أن يتقبله مني ويجعله خالصاً لوجهه الكريم.

فإني أتقدم بجزيل الشكر لكل من ساعدني في إنجاز هذه الرسالة سواء بالجهد أم بالتوجيه من أساتذة كرام.

وأخص بالذكر أستاذي ومشرفي الفاضل **الدكتور رياض قاسم** حفظه الله تعالى على قبوله الإشراف على هذا البحث.

كما وأتقدم بالشكر الجزيل لأستاذيَّ الفاضلين عضوي لجنه المناقشة:

د/ زكريا الزميلي

د/ عصام زهد حفظهما الله تعالى

على تفضلهما بقبول مناقشة هذا البحث وإثرائه بالنصائح والتوجيهات التي تساعد في إخراجه بأفضل صوره، وأسأل الله أن يجزل لهما الثواب ويجعله في ميزان حسناتهما.

كما وأتقدم بالشكر للجامعة الإسلامية التي فتحت لنا طريقاً لهذا العلم وأخص بالشكر كلية أصول الدين ممثله في عميدها وأساتذتها وأسأل الله أن تظل حرماً علمياً شامخاً...

كما وأتقدم بالشكر الجزيل للدراسات العليا ممثله بعميدها والقائمين عليها فجزآهم الله خير الجزاء.

وأتقدم بالشكر الجزيل للأخ سرحان كلوب على ترجمته ملخص الرسالة باللغة الانجليزية فجزاه الله عني خير الجزاء.

وأتقدم بالشكر للأخت الغالية دعاء على طباعتها للرسالة وتنسيقها الرسالة تنسيقاً نهائياً فجزاها الله خير الجزاء.

وختاماً آمل أن أكون قد وفقت في إعداد هذا البحث بالطريقة التي تنفع الإسلام والمسلمين وتخدم الدارسين وأن تنال رضى الله ﷻ.

الفصل الأول
تفسير سورة القصص من خلال القراءات العشر

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: التعريف بالسورة ويشتمل على التالي:

أولاً: اسم السورة وسبب التسمية.

ثانياً: عدد آياتها وترتيبها في النزول.

ثالثاً: زمن ومكان نزول السورة.

رابعاً: محور السورة.

خامساً: الأهداف العامة للسورة.

سادساً: المناسبات.

المبحث الثاني: عرض لآيات سورة القصص المتضمنة للقراءات العشر

المبحث الأول
تعريف سورة القصص

أولاً: اسم السورة وسبب التسمية:

سميت هذه السورة بسورة القصص لاشتمالها على عدد من القصص، ولم أقف على اسم آخر لها. ومما يؤيد ذلك:

قال ابن عاشور: سميت بذلك لوقوع لفظ القصص، وهذه القصص تدور حول قصة موسى عليه السلام فيما لقيه في مصر قبل خروجه منها[١].

وقال وهبه الزحيلي: «سميت بذلك لأن الله تعالى ذكر فيها قصة موسى مفصله واضحة من حين ولادته إلى حين رسالته، والتي برز فيها لطف الله تعالى بالمؤمنين وخذلانه للكافرين وبعد ذلك ذكر قصة قارون»[٢] وهذا هو الاسم التوقيفي لها، أي أن الله تعالى هو الذي سماها به.

ثانياً: عدد آياتها وترتيبها في النزول:

أجمع المفسرون أنها ثمان وثمانون آية باتفاق العادين[٣]. إلا أن الإمام

---

(١) انظر: التحرير والتنوير ج١٠ ص٦١.

(٢) التفسير المنير ج١٩ ص٩.

(٣) انظر: المحرر الوجيز ص١٤٣٢، البحر المحيط ج٧ ص٩٩، الجامع لأحكام القرآن ج٧ ص٢٢١.

الرازي[٤] قال في تفسيره هي سبع أو ثمان وثمانون آية[٥].

وقد أوضح الزرقاني سبب الخلاف بقوله «أن النبي ﷺ كان يقف على رؤوس الآي تعليماً لأصحابه أنها رؤوس آي، حتى إذا علموا ذلك وصل النبي ﷺ الآية بما بعدها طلباً لتمام المعنى، فيظن بعض الناس أن ما وقف عليه النبي ﷺ ليس فاصله، فيصلها بما بعدها معتبراً أن الجميع آية واحده والبعض يعتبرها آية مستقلة فلا يصلها بما بعدها»[٦].

وترتيبها في نزول المصحف: هي السورة التاسعة والأربعون، حسب ترتيب المصحف التوقيفي، نزلت بعد سورة النمل وقبل سورة الإسراء[٧].

ثالثاً: زمن ومكان نزول السورة:

ذهب العلماء إلى أن سورة القصص مكية النزول، لأنها تركز على موضوعات العقيدة.

ومنهم من قال أن الآية الخامسة والثمانون، وهي قولة تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ [القصص: ٨٥] مدنية، حيث نزلت على رسول الله ﷺ، وهو في طريقه للهجرة بين مكة والمدينة، وذلك مواساة لرسول الله وتسلية له ﷺ.

قال ابن عباس: نزلت بالجُحفة[*] في وقت هجرة رسول الله ﷺ إلى

---

(٤) عبد الرحمن بن أحمد بن الحسن أبو الفضل الرازي الإمام المقرئ وهو ثقة ولد سنه إحدى وسبعين وثلاثمائة ومات سنه أربع وخمسين وأربعمائة. انظر: غاية النهاية ج١ ص٣٦١.

(٥) انظر: مفاتيح الغيب ج١٨ ص٢٢٤.

(٦) مناهل العرفان ج١ ص٢٨٩.

(٧) انظر: تفسير كشك ج٤ ص٣٦٢٢.

(*) الجحفة: هي ميقات أهل الشام ومصر والمغرب وهي قرية كبيرة كانت عامره ذات منبر وهي على طريق المدينة على نحو سبع (مَرَاحِل) أي أبعاد، من المدينة ونحو ثلاث مراحل من مكة وهي من قرب من رابغ وهي واد بين الحرمين قرب البحر وكان أسمها (مهيعة) وإنما سميت بالجحفة لأن السيل أجتحفها وحمل أهلها في بعض الأعوام وهي الآن خراب. انظر: معجم البلدان ج٢ ص١٢٩.

المدينة تسلية له[٨].

رابعاً: محور السورة:

بعد النظر في السورة ظهر أن المحور الرئيسي للسورة هو الصراع بين الحق والباطل وقد ظهر جلياً في السورة من أولها إلى آخرها نحو صراع بني إسرائيل ومعهم موسى مع فرعون وصراع بني إسرائيل مع قارون.

ويدور محور السورة حول قصتين، وكلاهما تمسكا بالمال والاستعلاء وكانت عاقبتهما العذاب.

أولاهما: قصة فرعون المتجبر، الذي أذاق بني إسرائيل العذاب.

ثانيهما: قصة الاستعلاء والطغيان بالثروة والمال ممثلة في قارون مع قومه. ثم تحدثت السورة عن بلوغ موسى الرشد، وقتله للقبطي، وهجرته إلى مدين وتزوجه بابنة شعيب، وتكليف الله له بدعوة فرعون، ثم تحدثت عن كفار مكة. ثم انتقلت إلى الحديث عن قارون وختمت السورة بالإرشاد إلى طريق الإيمان الذي دعا إليه الرسل الكرام.

فعلى هذه القصص جاءت السورة لتقرر أن عاقبة الصبر جميلة وأن المسلمين المستضعفين ستعود حريتهم بالإيمان بالله تعالى[٩].

خامساً: الأهداف العامة للسورة:

أهم أهداف السورة هي:

١ ـ وضّحت أصول العقيدة والتوحيد والرسالة والبعث في ثنايا قصص الأنبياء.

٢ ـ بيان قصة موسى مع فرعون التي تمثل الصراع بين طغيان القوي

(٨) انظر: التحرير والتنوير ج١٠ ص٦١.

(٩) انظر: صفوه التفاسير ج٢ ص٤٢٤.

وضعف الضعيف.

٣ ـ كشف جرائم فرعون حيث إنه طغى وبغى واستعبد، وذبح الأبناء واستحيا النساء وادعى الربوبية.

٤ ـ ذكر قصة قارون مع قوم موسى واعتماده على طغيان الثروة والمال، فكان مصيره الخسف.

٥ ـ ثواب الآخرة يكون للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً.

٦ ـ الإيمان بالله وباليوم الآخر هو طريق السعادة الموجب لمضاعفة الحسنات وتحقيق النصر لرسول الله ﷺ على أعدائه وعودته إلى مكة فاتحاً.

٧ ـ بيان نهاية العالم كله وهو الهلاك الشامل، وانفراد الله تعالى بالبقاء والدوام والحكم والحساب[١٠].

سادساً: المناسبات:

يلاحظ التناسب بين سورة النمل وسورة القصص والعنكبوت، فمن أمعن النظر وجد ترابطاً عجيباً وتكاملاً متيناً يربط بين هذه السور مع بعضها البعض.

قال الصابوني: «سورة القصص من السور المكية التي تهتم (بجانب العقيدة، التوحيد، والرسالة، والبعث) وهي تتفق في منهجها وهدفها مع سورتي (النمل، والشعراء) كما اتفقت في جو النزول، فهي تُكَمل أو تُفَصّل ما أُجمل في السورتين قبلها»[١١].

وقال في مقدمة سورة النمل: هي من السور المكية التي تهتم بالحديث عن أصول العقيدة (التوحيد، والرسالة، والبعث) وهي إحدى سور ثلاث نزلت متتالية، ووضعت في المصحف متتالية وهي (الشعراء، والنمل، والقصص) ويكاد يكون منهاجها واحداً، في سلوك مسلك العظة والعبرة،

---

(١٠) انظر: التفسير المنير ج١٩ ص٥٣ ـ ٥٤، تفسير كشك ج٤ ص٣٦٢٤.

(١١) صفوة التفاسير ج٢ ص٤٢٣.

عن طريق قصص الغابرين[١٢].

وقال وهبة الزحيلي: «تلتقي هذه السورة مع ما سبقها في بيان أصول العقيدة والتوحيد والرسالة والبعث في ثنايا قصص الأنبياء وإيضاح الأدلة المثبتة لهذه الأصول في قضايا الكون وعجائبه البديعة ونظمه الفريد»[١٣].

(١٢) انظر: المرجع السابق ج٢ ص٤٢٣.
(١٣) التفسير المنير ج١٩ ص١٠.

المبحث الثاني
عرض لآيات سورة القصص المتضمنة للقراءات العشر

المبحث الثاني
عرض لآيات السورة المتضمنة للقراءات العشر

وهي على النحو الآتي:

١ ـ قال تعالى: ﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ ⑥﴾ [القصص: ٦].

القـراءة:

قرأ حمزة والكسائي وخلف (وَيَرى) بالياء وفتحها وإمالة فتحه الراء بعدها ورفع الأسماء الثلاثة بعدها. (فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا).

وقرأ الباقون بالنون (وُنرِيَ) وضمها وكسر الراء وفتح الياء ونصب الأسماء الثلاثة[١٤].

المعنـى اللغـوي للقـراءة:

قال الراغب[١٥]: رأى: عينه همزة، ولامه ياء، لقولهم: رؤية.

فيقال: ترى ويرى ونرى.

والرؤية: إدراك المرئي، وهي على أضرب بحسب قوى النفس.

---

(١٤) انظر النشر ج٢ ص٢٥٥.

(١٥) الراغب: هو الحسن بن المفضل، أبو القاسم، أديب اشتهر بالتفسير واللغة، انظر كشف الظنون ج١ ص٣٦.

الأول: بالحاسة وما يجري مجراها.

الثاني: بالوهم والتخيل.

الثالث: بالتفكر.

الرابع: بالعقل[١٦].

المعنى الإجمالي للآية:

في هذه الآية الكريمة يمكِّن الله تعالى المؤمنين في الأرض ويثبت سلطانهم بالاستيلاء عليها والتصرف فيها كيف شاءوا بعد أن كانوا مستذلين لفرعون وجنوده، ثم يُرِيَ الله تعالى فرعون وهامان وجنودهما ما كانوا يخافونه ويحذرونه على يد المستضعفين.

قال ابن عاشور في: ﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ التمكين في الأرض: تثبيت سلطانهم فيما ملكوه وهي أرض الشام، ويحتمل أن يكون المعنى أن يكون تقويتهم بين أمم الأرض[١٧].

وقال القرطبي[١٨]: نمكن لهم أي نجعلهم مقتدرين على الأرض وأهلها حتى يستولوا عليها، يعني أرض الشام ومصر[١٩].

وقال سعيد حوى: ﴿وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا﴾ من بني إسرائيل ﴿مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ﴾ أي ما كانوا يتوقونه منهم، والمعنى: يرون منهم ما حذروه من قهر بني إسرائيل[٢٠].

وقال الشوكاني: أي يرون الذي كانوا يحذرون منه ويجتهدون في دفعه

---

(١٦) انظر: المفردات ص٣٧٢.

(١٧) انظر: التحرير والتنوير ج١٠ ص٧١.

(١٨) محمد بن أحمد بن أبي بكر يكنى بأبو عبدالله الأنصاري الخزرجي القرطبي المالكي ولد بقرطبة إمام متبحر في العلم له تصانيف عديدة توفي سنه ٦٧١هـ. انظر: طبقات المفسرين ج٢ ص٦٩.

(١٩) انظر: الجامع لأحكام القرآن ج٧ ص٢٢٣.

(٢٠) انظر: الأساس في التفسير ج٧ ص٤٠٦١.

من ذهاب ملكهم وهلاكهم على يد مولود من بني إسرائيل وهو موسى عليه السلام [٢١].

العلاقة بين القراءتين:

تدل قراءة من قرأ (**نُرِيَ**) بالنون على العظمة لأنه يعود على الله تعالى، فيكون المعنى أن الله أراهم ما كانوا يحذرون.

وقراءة من قرأ (**يَرَى**) تدل على أن فرعون يرى من الله تعالى ما كان يخافه أي بإرادته. وعلى هذا يكون المعنى متداخل وهو: أن الله تعالى يُرِي فرعون وجنوده ما كانوا يحذرون.

قال أبو علي[٢٢]: «حجة من قرأ (**نُري**) أن ما قبله للمتكلم، فينبغي أن يكون ما بعده أيضاً كذلك، ليكون الكلام على وجه واحد، لأن فرعون يُرى ذلك.

وحجة (**يَرَى**) أن فرعون وحزبه يرون ذلك، ويعلم أنهم يرونه إذا أروه»[٢٣].

قال ابن زنجلة[٢٤]: «من قرأ (**يَرَى**)، كان المعنى: هم يعاينون، والفعل لهم.

وقال: إن المعنيين يتداخلان، لأن فرعون ومن ذكر معه إذا أراهم الله من المستضعفين ما كانوا يحذرون رأوا ذلك وإذا رأوه فلا شك أن الله عز وجل أراهموه»[٢٥].

---

(٢١) انظر: فتح القدير ج٤ ص١٥٩.

(٢٢) أبو علي الفارسي: الحسن بن أحمد بن الغفار بن سليمان بن أبان، النحوي المشهور، ألف كتاب التذكرة والحجة، توفي سنه ٣٧٧هـ، انظر: غاية النهاية ج١ ص٢٠٦.

(٢٣) الحجة للقراء السبعة ج٣ ص٢٤٩.

(٢٤) عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة المقرئ أبو زرعه فقيه مالكي، له عده تصانيف منها الحجة للقراءات. انظر: الأعلام ج٣ ص٣٢٥.

(٢٥) الحجة في القراءات ص٥٤٢.

الجمع بين القراءتين:

يتضح منهما أن الله تعالى يُري فرعون وهامان وجنودهما بقدرته ما كانوا يخافونه ويدفعونه.

٢ ـ قال تعالى: ﴿فَالْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَـٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾﴾ [القصص: ٨].

القراءة:

قرأ حمزة، والكسائي، وخلف بضم الحاء وإسكان الزاي **(حُزْناً)**.

وقرأ الباقون بفتحها **(حَزَنا)**(٢٦).

المعنى اللغوي للقراءة:

الحُزْن والحَزونَة: خشونة في النفس لما يحصل فيه من الغم.

والحُزْنُ والحَزَنُ: خلاف السرور.

وقيل الحَزْنُ: ما غلظ من الأرض وفيها حزونه والحزُانه بالضم: هم عيال الرجل الذي يتحزن بأمرهم(٢٧).

المعنى الإجمالي للآية:

في هذه الآية يتضح مآل موسى عليه السلام بعد أن وضعته أمه في صندوق فألقته في اليم، بعد ذلك التقطه نفر من آل فرعون لا يدرون ما يخبئه لهم القدر، من أن موسى بعد أن يكبر سيكون عدواً لهم ولآلهتهم ومصدراً لقلقهم وحزنهم.

قال ابن عاشور: الالتقاط، مأخوذ من اللقط وهو تناول الشيء الملقي في الأرض ونحوها بقصد أو ذهول(٢٨).

---

(٢٦) انظر: النشر ج٢ ص٣٤١.
(٢٧) انظر: المفردات ص٢١٣، تاج اللغة ج٥ ص٩٨.
(٢٨) انظر: التحرير والتنوير ج١٠ ص٧٥.

وقال الشوكاني: الالتقاط: إصابة الشيء من غير طلب.

والمراد بآل فرعون هم الذين أخذوا التابوت الذي فيه موسى من البحر[٢٩].

وقال ابن عطية: آل فرعون: «أهله، ويروى أن آسية امرأة فرعون رأت التابوت يعوم في اليم فأمرت بسوقه وفتحه، فرأت فيه صبياً فرحمته وأحبته[٣٠].

﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ **قال الشوكاني**: أخذوه ليكون لهم قرة عين لا ليكون عدواً فكان عاقبة ذلك أنه كان لهم عدواً وحزناً.

﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾ تعليل لما قبله، وخاطئين: عاصين آثمين في كل أفعالهم وأقوالهم»[٣١].

وقال سعيد حوى: «أي كانوا مذنبين فعاقبهم الله بأن ربى فيهم عدوهم ومن هو سبب هلاكهم على أيديهم، وكانوا خاطئين في كل شيء فليس خطؤهم في تربية عدوهم ببدع منهم»[٣٢].

أي أخذه آل فرعون من غير طلب منهم ليكون قرة عين لهم فكان بتقدير الله تعالى عدواً وحزناً لأنهم أذنبوا في حق الله فجعله عقاباً لهم حيث كان سبباً في هلاكهم.

العلاقة بين القراءات:

القراءتان هنا من باب اللغات فقط لا فرق بينهما.

قال أبو علي: الحَزن والحُزن: لغتان مثل: العَجم والعُجم[٣٣].

(٢٩) انظر: فتح القدير ج٤ ص١٦٠.

(٣٠) المحرر الوجيز ص١٤٣٤.

(٣١) فتح القدير ج٤ ص١٦٠.

(٣٢) الأساس في التفسير ج٧ ص٤٠٦٣.

(٣٣) انظر: الحجة للقراء ج٣ ص٢٤٦.

كما قال الشوكاني: هما لغتان كالعَدم والعُدم، والرَّشد والرُّشد، والسَّقَم والسُّقْم.

وقال كذلك ابن عاشور، والقرطبي، والألوسي[٣٤]، وأبو حيان[٣٥] وغيرهم من المفسرين.

والذي نرجحه من هذين القولين هو أن: الحَزن بالفتح أخف من الحُزن بالضمة وذلك لثقل الحركة الضمة وبالتالي كان موسى على قراءة الضمة أشد حزناً لهم، حيث بث الحزن في نفوسهم، وهم يعلمون أن هذه عاقبتهم لكنهم عاجزون عن دفعها والله أعلم.

٣ ـ قال تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ وَجَدَ عَلَيۡهِ أُمَّةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسۡقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمۡرَأَتَيۡنِ تَذُودَانِۖ قَالَ مَا خَطۡبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسۡقِي حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيۡخٞ كَبِيرٞ ﴿٢٣﴾﴾ [القصص: ٢٣].

القـراءة:

(يَصدُرَ الرعاء) قرأ أبو جعفر وابن عامر وأبو عمرو بفتح الياء وضم الدال.

وقرأ الباقون بضم الياء وكسر الدال **(يُصدِرَ)**[٣٦].

المعنى اللغـوي للقـراءة:

الصَّدْرُ: الجارحة وقيل أن أعلى مقدم كل شيء وأوله وكل ما واجهك. ومنه قوله تعالى: ﴿رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ﴿٢٥﴾﴾ [طه: ٢٥].

---

(٣٤) شهاب الدين محمود الألوسي ولد عام ١٢١٧هـ والألوسي نسبه إلى ألوس وهي قرية على الفرات وهو أمير البيان توفي سنه ١٢٧٠هـ له تصانيف عديدة منها روح المعاني. انظر: حليه البشر ج٣ ص١٤٥.

(٣٥) انظر: فتح القدير ج٤ ص١٩٠، التحرير والتنوير ج١٠ ص٧٦، الجامع لأحكام القرآن ج٧ ص٢٢٥، روح المعاني ج١٠ ص٤٧.

(٣٦) انظر: النشر ج٢ ص٣٤١.

ثم استعير هذا اللفظ لمقدمة الأشياء كصَدِرِ الفتاة، وصَدِرِ المجلس، والكتاب، والكلام.

وصَدَرَهُ أصاب صَدْرَهُ، أو قصد صَدْرَهُ.

وتحمل معنى الانصراف، تقول: صدَرَتِ الإبلُ عن الماءِ صدراً أي انصرفت(٣٧).

ونرجح المعنى الأخير لأنه الذي يتناسب مع سياقها في النص.

المعنى الإجمالي للآية:

يبيّن الله تعالى ما فعل موسى عليه السلام عندما وصل إلى مدين وورد ماءها وكان فيها بئر يرده رعاة الشاة، فوجد جماعه من الناس يسقون، ووجد امرأتين تذودان غنمهما فلما رآهما موسى رق لهما ورحمهما، فقال لهما لماذا لا تردان مع هؤلاء؟ قالتا: لا يحصل لنا سقي إلا بعد فراغهم.

قال ابن عاشور في معنى الآية: إنه لما بلغ موسى أرض مدين وذلك حين ورد ماءهم قال فالورود هنا: الوصول والبلوغ. فوجد أمة من الناس، والأمة: هي الجماعة الكثيرة العدد. ﴿وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ﴾ أي في مكان غير المكان الذي حول الماء، أي في جانب مباعد للأمة من الناس، وجد امرأتين في جهة مبتعدة ﴿تَذُودَانِّ﴾ تطردان، وقال حقيقة الذود: طرد الأنعام عن الماء. ثم سألهما ما خطبكما؟ قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء.

والإصدار: الإرجاع عن السقي، أي حتى يسقي الرعاء ويُصدروا مواشيهم فبالإصدار جعل الغير صادراً، أي حتى يذهب رعاة الإبل بأنعامهم فلا يبق الزحام. ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾: اعتذاراً عن حضورهما للسقيّ مع الرجال لعدم وجود رجلاً يستقي لهما لأن الرجل الوحيد لهما أبوهما(٣٨).

(٣٧) انظر: المفردات ص٤٧٧، القاموس المحيط ج١ ص٥٩٤.

(٣٨) انظر: التحرير والتنوير ج١٠ ص١٠٠.

العلاقة بين القراءتين:

أفادت قراءة فتح الياء وضم الدال (**يَصدُر**): بانتهاء ورجوع الرعاء من سقيهم للماشية. وقراءة ضم الياء وكسر الدال (**يُصدِر**): بانتهاء الماشية من السقي وذهاب الرعاء بأنعامهم فلا يبق الزحام منعاً من الاختلاط.

والجمع بينهما: هو انتهاء الماشية من الشرب، وانتهاء الرعاء ورجوعهم من السقي.

وقال أبو منصور[٣٩]: من قرأ (**يَصدُر**) فهو من صدر عن الماء، يصدر إذا رجع بعد الورود. ومن قرأ (**يُصدِر**) فمعناه حتى يصدروا وارداتهم من الماشية[٤٠].

قال القرطبي موضّحاً معنى القراءتين: «(**يَصدُر**): من صدر وهو ضد ورد أي يرجع الرعاء. (**ويُصدِر**) من أصدر أي حتى يصدروا مواشيهم من وردهم»[٤١].

وذهب الألوسي لهذا المعنى للقراءة قال: «قراءه (**يَصدر**) بفتح الياء تدل على فرط حيائهما وتواريهما عن الاختلاط بالأجانب.

وقراءة (**يُصدر**) بضم الياء تدل على إصدار الرعاة المواشي ولم يفهم صدورهم عن الماء»[٤٢].

وقال أبو حيان: «(**يَصدُر**) بفتح الياء وضم الدال أي يصدرون بأغنامهم، ومن قرأ بضم الياء وكسر الدال أي يصدرون أغنامهم»[٤٣].

---

(٣٩) العلامة اللغوي أبو منصور محمد أحمد بن الأزهر بن طلحه ولد سنه ٢٨٢هـ، وتوفي سنه ٣٧٠هـ، انظر: الترجمة في مقدمة معاني القراءات ص٤ ـ ٧.

(٤٠) انظر: معاني القراءات ص٢٥٠.

(٤١) الجامع لأحكام القرآن ج٧ ص٢٤٠.

(٤٢) روح المعاني ج١٠ ص٧٢.

(٤٣) البحر المحيط ج٧ ص١٠٨.

الجمع بين القراءتين:

يتضح من قراءه (يَصدُر) أن عادتهم السقي كل يوم فحتى ينتهي الرعاء من السقي والمواشي من الشرب، ثم يسقي لهما، وهذا يدل على حيائهما لحرصهما على عدم الاختلاط. وهذا يدل على عمل المرأة في المجتمع بحيث لا يتم الاختلاط مع الرجال الذي يولد الاحتكاك المباشر وأنه يجوز لها العمل الذي يتم فيه الحفاظ على حياءها وشرفها كالعمل في المدارس ومهنه الطب وغيرها، والله أعلم.

٤ ـ قال تعالى: ﴿۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلۡأَجَلَ وَسَارَ بِأَهۡلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارٗاۖ قَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ أَوۡ جَذۡوَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ ٢٩﴾ [القصص: ٢٩].

القـراءة:

قرأ عاصم بفتح الجيم (جَذوة) وقرأ حمزة وخلف بضمها (جُذوة).

وقرأ الباقون بكسرها (جِذوة)[٤٤].

المعنـى اللغـوي للقـراءة:

الجُذوة والجِذوة: الذي يبقى من الحطب بعد الاشتعال، أو هو العود الغليظ.

والجمع: جِذى[٤٥].

التفسيـر الإجمالـي للآيـة:

في هذه الآية الكريمة لما قضى موسى عليه السلام المدة وهي الأجل الآخر سار بأهله نحو مصر، فقال لزوجته أقيموا مكانكم، وعندما أبصر ناراً قال ﴿لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ﴾ أي بخبر الطريق، أو جذوة وهي القطعة الملتهبة من النار لكي يتدفؤا بها.

---

(٤٤) انظر: النشر ج٢ ص٣٤١.

(٤٥) انظر: التحرير والتنوير ج١٠ ص١١١.

قال الألوسي في الآية: «﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلۡأَجَلَ﴾ أي أتم المدة المضروبة لما أراد شعيب منه عليه السلام، والمراد الأجل الآخر، فلما أتم الأجل ﴿وَسَارَ بِأَهۡلِهِۦٓ﴾ نحو مصر بإذن من شعيب عليه السلام لزيارة والدته وأخيه وأخته وذوي قرابته ﴿ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ﴾ أي أبصر من الجهة التي تلي الطور لا من بعضه كما هو المتبادر، وأصل الإيناس: على ما قيل الإحساس. ﴿قَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ﴾ أي أقيموا مكانكم وكان معه عليه السلام على قولٍ: امرأته وخادم، وعلى قولٍ: كان معه ولدان له أيضاً.

وقيل: إنه عليه السلام خرج بأهله وماله في فصل الشتاء وأخذ على غير الطريق مخافة ملوك الشام، وامرأته حامل لا يدري أليلاً تضع أم نهاراً فسار في البرية لا يعرف طرقها فألجأه السير إلى جانب الطور الغربي الأيمن في ليلة مظلمة مثلجة شديدة البرد، فأضل الطريق يوماً حتى أدركه الليل فأخذ امرأته الطلق فقدح زنده فأصلد(*) فنظر فإذا نار تلوح من بُعد فقال: امكثوا ﴿إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ﴾ أي بخبر الطريق بأن أجد عندها من يخبرني به ﴿أَوۡ جَذۡوَةٖ﴾ قال عود غليظ سواء كان في رأسه نار أو لم يكن ﴿لَعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ﴾ أي تستدفئون»(٤٦)

العلاقة بين القراءات:

مآل القراءات واحد وهي بنفس المعنى وهو: الجَذوة والجِذوة والجُذوة هي القطعة الملتهبة أو الجمرة من النار.

قال مكي(٤٧): «هي لغات كلها في الجذوة من النار، وهي القطعة الغليظة من الحطب نار ليس فيها لهب»(٤٨). وقال بذلك الدكتور محمد

(*) الصلد: هو الحجر الصلب، وقيل هو الزند، * أصلد الرجل أي أصلد زنده. انظر: الصحاح ج٢ ص٤٩٨.

(٤٦) روح المعاني ج١٠ ص٧٢.

(٤٧) مكي بن أبي طالب أبو محمد القيسي القرطبي ولد عام ٣٥٥هـ وتوفي عام ٤٣٧هـ أستاذ القراء، انظر: غاية النهاية ج٢ ص٣٠٩.

(٤٨) الكشف ج٢ ص١٧٣.

سالم محيسن[٤٩].

وقال ابن عطية[٥٠]: «الجُذوة القطعة من النار في قطعة عود كبيرة لا لهب لها إنما جمرة. وأصل الجذوة أصول الشجر»[٥١].

قال ابن عاشور: «قرئ بالوجوه الثلاثة **والجُذوة**: هي العود الغليظ، قيل مطلقاً وقيل المشتعل»[٥٢].

الجمع بين القراءتين: والذي نرجحه من ذلك أن هذه مراحل اشتعال النار فأولاً القطعة سواء كانت مشتعلة أو لم تكن ثم تصبح شعلة من النار إلى أن تصير جمراً والله أعلم.

٥ ـ قال تعالى: ﴿ٱسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ فَذَٰنِكَ بُرْهَـٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [القصص: ٣٢].

القـراءة:

قرأ المدنيان والبصريان وابن كثير بفتح الراء والهاء **(الرَهَب)**.

رواه حفص بفتح الراء وإسكان الهاء **(الرَهْب)**.

وقرأ الباقون بضم الراء وإسكان الهاء **(الرُهْب)**[٥٣].

قرأ ابن كثير وأبو عمر ورويس بتشديد النون **(فذانّك)**.

وقرأ الباقون بالتخفيف **(فذانْك)**[٥٤].

---

(٤٩) انظر: المستنير ج٢ ص١٨٧، القراءات وأثرها في علوم اللغة ج١ ص٢٤٠.

(٥٠) هو عبد الحق غالب بن عبد الرحمن بن عطية أبو محمد مفسر فقيه أندلسي ولي قضاء المرية له المحرر الوجيز توفي سنه ٥٤٦هـ، انظر: سير أعلام النبلاء ج١٩ ص٥٨٧.

(٥١) المحرر الوجيز ص١٤٤١.

(٥٢) التحرير والتنوير ج١٠ ص١١١.

(٥٣) انظر: النشر ج٢ ص٤٢١.

(٥٤) انظر: النشر ج٢ ص١٨٧.

المعنى اللغوي للقراءة:

رَهَبَ، يَرْهَبُ، رهبةً ورُهباً بالضم وَرَهَباً بالتحريك أي خاف.

الرهب في اللغة: بمعنى الخوف مع تحرز واضطراب وهي بمعنى الفزع والرعب.

قال تعالى: ﴿وَإِيَّىَ فَٱرْهَبُونِ﴾ [البقرة: ٤٠]: أي خافون، والترهب: التعبد(٥٥).

المعنى الإجمالي للآية:

في هذه الآية تتضح معجزات موسى عليه السلام، فأمره الله أن يضع يده في جيبه تخرج بيضاء من غير سوء أي مرض، وأمره أن يضع يده على صدره ليطمئن فهذه آيتان من الله إلى فرعون وملأه. قال ابن كثير في معنى الآية: ﴿ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ﴾ أي إذا أدخلت يدك في جيب درعك ثم أخرجتها فإنها تخرج تتلألأ كأنها قطعه قمر في لمعان البرق، ﴿مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ من غير برص. ﴿وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ﴾ من الرعب، أي أنه أمر عليه السلام إذا خاف من شيء أن يضم إليه جناحه من الرهب وهو يده، فإذا فعل ذلك ذهب عنه ما يجده من الخوف .﴿فَذَٰنِكَ بُرْهَـٰنَانِ مِن رَّبِّكَ﴾ يعني إلقاء العصا وجعلها حيه تسعى، وإدخاله يده في جيبه تخرج بيضاء من غير سوء دليلان قاطعان واضحان على قدرة الفاعل المختار وصحة نبوة من يجري هذا الخارق على يديه ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ﴾ قومه من الرؤساء والكبراء، إنهم كانوا قوماً فاسقين خارجين عن طاعة الله مخالفين لأمره ودينه(٥٦).

العلاقة بين القراءات:

ذهب المفسرون إلى أن هذه القراءات من باب اللغات.

قال أبو منصور: كلها بمعنى واحد وهو الفرق والخوف.

---

(٥٥) انظر: المفردات ص٣٦٧، لسان العرب ج١ ص٥٠٧.

(٥٦) انظر: تفسير القرآن العظيم ج٣ ص٤٠٠.

قال وأما أهل التفسير فالرهب عندهم: الفزع، ويقويه من قرأ **(الرُهب)**[٥٧].

وقال بذلك الدكتور محمد سالم محيسن[٥٨].

وقال الشوكاني: من الرهب: من أجل الرهب وهو الخوف. وقال أهل المعاني: الرهب الكم بلغة حمير وبني حنيفة. وعلى هذا يكون المعنى: اضمم إليك يدك وأخرجها من الكم[٥٩].

ولكن رد الألوسي والقرطبي على من قال إنها بمعنى الكم بقوله: إن ذلك لا يطابق بلاغة التنزيل مما لا ريب فيه... وقال الحزم عندي عدم ثبوت هذه اللغة.

وقال الرهب: من أجل الرهب أي إذا أصابك الرهب عند رؤية الحية فاضمم إليك جناحك، جعل الرهب الذي كان يصيبه سبباً وعلة فيما أمر به من ضم جناحه إليه.

الجمع بينهما: يتضح من ذلك إن هذه المراحل لتدرج الخوف يبدأ بالرعب ثم الفزع ثم الخوف والله أعلم.

(فذانك) «إشارة إلى العصا واليد فهما مؤنثتان. ولكن ذكرا لتذكير الخبر، كما أنه قد يؤنث المذكر لتأنيث الخبر»[٦٠].

فقراءة المخفف مثنى ذاك، والمشدد مثنى ذلك. وأرى أنه لا فرق بين من قرأها بالتخفيف والتشديد لأن كلها مثنى وكلها لغات بمعنى واحد والله أعلم.

٦ ـ قال تعالى: ﴿وَأَخِى هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾﴾ [القصص: ٣٤].

---

(٥٧) انظر: معاني القراءات ص٢٥١.
(٥٨) انظر: المستنير ج٢ ص١٨٨، القراءات وأثرها في علوم اللغة ج١ ص٢٩٧.
(٥٩) انظر: فتح القدير ج٤ ص١٧٠.
(٦٠) البحر المحيط ج١٠ ص١١٣.

القـراءة:

قرأ نافع وأبو جعفر بالنقل إلا إن أبا جعفر أبدل التنوين ألفاً .(**مَعِيَ رِدْءاً يُصَدِّقُنِي**) وقرأ الباقون بعدم النقل(٦١). وقرأ حمزة وعاصم برفع القاف (**يُصَدِّقُنِي**) وقرأ الباقون بالجزم (**يُصَدِّقْنِي**)(٦٢).

المعنـى اللغـوي للقـراءة:

الردء: هو الذي يتبع غيره مُعيناً له.

وردىء الشيء بالشيء جعل له ردءاً(٦٣).

وقال أبو منصور: معناها العون، يقال: أردأت الرجل إذا أعنته(٦٤).

وقال الألوسي: ردأتة على عدوه أعنته. ويقال: ردأت الحائط أردؤه إذا دعمته بخشبه لئلا يسقط(٦٥).

المعنـى الإجمالـي للآيـة:

في هذه الآية طلب موسى عليه السلام عندما كلفه الله بالرسالة وأمره أن يذهب إلى فرعون ويشد العضد بأخيه هارون لأنه كان فصيح اللسان.

قال ابن كثير في معنى الآية: «﴿وَأَخِى هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا﴾ أي وزيراً ومعيناً ومقوياً لأمري يصدقني فيما أقول وأخبر به عن الله عز وجل لأن خبر الاثنين أنجع في النفوس من خبر الواحد»(٦٦). ﴿يُصَدِّقُنِىٓ﴾ أي يخلص بلسانه الحق ويبسط القول فيه ويجادل به الكفار.

---

(٦١) انظر: تقريب النشر ص٣٧.
(٦٢) النشر ج٢ ص٢٥٦.
(٦٣) انظر: المفردات ص٣٥١، لسان العرب ج١ ص١٠٣.
(٦٤) معاني القراءات ص٢٥٢.
(٦٥) روح المعاني ج١٠ ص٧٧.
(٦٦) تفسير القرآن العظيم ج٣ ص٤٠٠.

﴿إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾ إذا لم يكن معي هارون لعدم انطلاق لساني بالمحاجة[٦٧].

العلاقة بين القراءات:

قال ابن خالويه[٦٨]: «الحجة لمن حقق (ردءاً) أنه أتى الكلام على أصله، ومعناه العون، والحجة لمن خفف: أنه نقل حركه الهمزة إلى الدال فحركها ولين الهمزة تخفيفاً.

(يصدقني) قال أجمع على جزمه خمسه من الأئمة جواباً للطلب، ورفعه حمزة وعاصم ولهما فيه وجهان:

أحدهما: أنهما جعلاه صله للنكرة.

والثاني: أنهما جعلاه حالاً من الهاء»[٦٩].

قال الشوكاني: حذفت الهمزة تخفيفاً في قراءة نافع وأبو جعفر، ويجوز أن يكون ترك الهمز من قولهم أردى على المائة إذا زاد عليها، فكان المعنى أرسله معي زيادة في تصديقي.

و**(يصدقني)** قرأ عاصم وحمزة يصدقني على الرفع على الاستئناف، أو صفه لردء، أو حال من مفعول أرسله، وقرأ الباقون بالجزم على جواب الطلب[٧٠].

قال أبو علي: «وجه الرفع في **(يصدقني)** أنه صفه للنكرة، وتقديره: ردءاً مصدقاً، وسأل ربه بهذا الوصف، ومن جزم كان على معنى الجزاء، إن أرسلته صدقني»[٧١].

وقال الألوسي: «قرأ أبو جعفر، ونافع، والمدنيان رداً بحذف الهمزة

---

(٦٧) روح المعاني ج١٠ ص٧٧.

(٦٨) الحسن بن أحمد بن خالوية بن حمدون، أبو عبدالله النحوي اللغوي، الإمام المشهور أخذ القراءات عرضاً عن أبي بكر بن مجاهد، وابن الأنباري، له تصانيف كثيرة منها البديع في القرآن الكريم، انظر غاية النهاية ج١ ص٢٣٧.

(٦٩) الحجة في القراءات ص٢٧٨.

(٧٠) فتح القدير ج٤ ص١٧٣.

(٧١) الحجة للقراء ج٣ ص٢٥٥.

ونقل حركتها إلى الدال.

والمشهور عن أبي جعفر أنه قرأ بالنقل ولا همز ولا تنوين، ووجهه أنه أجرى الوصل مجرى الوقف، وجوز في ردا على قراءه التخفيف كونه منقوصاً بمعنى زيادة من رديت عليه إذا زدت»[٧٢].

وقال القرطبي مثل ذلك[٧٣].

٧ ـ قال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّيٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [القصص: ٣٧].

القـراءة:

قرأ حمزة، والكسائي، وخلف العاشر بياء التذكير **(ومن يكون)**.

وقرأ الباقون بتاء التأنيث **(ومن تكون)**. وجاز تذكير الفعل وتأنيثه لأن الفاعل مؤنث مجازياً[٧٤].

المعنـى الإجمالـي للآيـة:

عندما جاء موسى عليه السلام بالمعجزات التي تدل على أنه نبي قال الكفار عنها أنها من قبيل السحر، فقال لهم موسى ربي أعلم، أي يعلم الله أني على حق وانتم الكاذبين ويعلم من تكون له العاقبة الحميدة في الدنيا والآخرة.

قال ابن عطية في معناها: «إنهم لما رموا موسى عليه السلام بالسحر قارب موسى في احتجاجه وراعه تكذيبهم، فرد الأمر إلى الله، وعول على ما يظهره الله تعالى في شأنه، وتوعدهم بنقمة من الله تعالى»[٧٥].

﴿وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ﴾ أي العاقبة المحمودة في الدار وهي

(٧٢) روح المعاني ج١٠ ص٧٧.
(٧٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن ج٧ ص٢٥٥.
(٧٤) المستنير ج١ ص١٩٠.
(٧٥) المحرر الوجيز ص١٤٤٢.

الدنيا، وعاقبتها أن يختم للإنسان بما يفضي بة إلى الجنة بفضل الله تعالى وكرمة، ووجه إرادة العاقبة المحمودة من مطلق العاقبة إنها هي التي دعا الله تعالى إليها عبادة، وركب فيهم عقولاً ترشدهم إليها ومكنهم منها.

﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ أي لا يسعد ولا ينجح ولا يفوز بمطلوب ولا ينجو عن محذور من كان ظالماً فاجراً كاذباً على الله تعالى(٧٦).

العلاقـة بيـن القـراءتيـن:

لتنوع القراءات أثر نحوي من حيث جواز معامله المؤنث الغير حقيقي معاملة المذكر.

لا فرق بينهما من حيث المعنى، إلا أن تكون على التأنيث، ويكون على التذكير، فالعلاقة علاقة بلاغية من خلال أسلوب الالتفات في المخاطبة بين التذكير والتأنيث.

قال ابن عاشور: (تكون) «على أصل تأنيث لفظ عاقبة الدار، والباقون قرأها بالياء على الخيار في فعل الفاعل المجازي التأنيث»(٧٧).

وقال الشوكاني: (من يكون) بالتحتية على أن اسم يكون عاقبه الدار، والتذكير لوقوع الفصل ولأنه تأنيث مجازي وقرأ الباقون تكون وهي أفصح من القراءة الأولى(٧٨).

٨ ـ قال تعالى: ﴿وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [القصص: ٣٩].

القـراءة:

قرأ نافع وحمزة والكسائي ويعقوب وخلف العاشر **(لا يَرجِعون)** بفتح الياء وكسر الجيم على البناء للفاعل.

---

(٧٦) انظر روح المعاني ج١٠ ص٧٩.

(٧٧) التحرير والتنوير ج١٠ ص١٢١.

(٧٨) انظر: فتح القدير ج٤ ص١٧٣.

وقرأ الباقون (**لا يُرجَعون**) بضم الياء وفتح الجيم على البناء للمفعول[٧٩].

المعنى اللغوي للقراءة:

الرجوع: العود إلى ما كان منه البدء.

والرجع: الإعادة، والرجعة: في الطلاق، وفي العود إلى الدنيا بعد الممات[٨٠].

المعنى الإجمالي للآية:

يبيّن الله تعالى استكبار فرعون وإعراضه عن قبول دعوة موسى عليه السلام لظنه أنه لن يحاسب أو يبعث يوم القيامة ولن يرجع هو وجنوده إلى الله تعالى ليجازيهم على كفرهم وعتوهم.

قال الشوكاني: ﴿وَٱسۡتَكۡبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ﴾ المراد فرعون وجنوده استكبروا في الأرض في أرض مصر، والاستكبار هو التعظيم بغير استحقاق، بل بالعدوان لأنه لم يكن له حجه يدفع بها ما جاء به موسى، ولا ما يستطيع فعله أمام المعجزات التي جاء بها موسى عليه السلام، ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ إِلَيۡنَا لَا يُرۡجَعُونَ﴾ أي فرعون وجنوده، والمراد بالرجوع البعث والمعاد[٨١].

العلاقة بين القراءتين:

أفادت قراءة (**يُرجَعون**) إن الكفار ظنوا لا رجوع للحساب والبعث، ومن قرأ (**يَرجِعون**) أي ظنوا أنهم لن يصيروا أحياء بعد أن بليت أجسامهم.

قال مكي: مبنياً على الفاعل، وقراءة الجمهور مبنياً للمفعول.

وقال القرطبي: «من قرأ بفتح الياء وكسر الجيم على أنه مسمى

(٧٩) المستنير ج١ ص١٩١.

(٨٠) انظر: المفردات ص٣٤٢.

(٨١) انظر: فتح القدير ج٤ ص١٧٤.

الفاعل، والباقون على الفعل المجهول»[82]. قال أبو حيان مثل ذلك.

الجمع بين القراءات: أن كل إنسان سيبعث يوم القيامة وسوف يعود إلى الله تعالى وسيحاسب على عمله وليس لنا أن نمتنع عن هذا الرجوع.

٩ ـ قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُواْ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ أَوَلَمْ يَكْفُرُواْ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ قَالُواْ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [القصص: ٤٨].

القـراءة:

قرأ الكوفيون (**سِحْرانِ**) بكسر السين إسكان الحاء من غير ألف قبلها.

وقرأ الباقون (**سَاحِرانِ**) بفتح السين وألف بعدها وكسر الحاء[83].

المعنـى اللغـوي للقـراءة:

السَحَرَ: قيل طرف الحلقوم، والرئة، وقيل انتفخ سحره، وبعير سَحِيرَ: عظيم السحر. **والسُحَارَه**: ما ينتزع عند الذبح فيرمى به. وقيل منه اشتق السِحْرَ، وهو إصابة السحر. وهو على معان منها: خداع وتخيلات لا حقيقة لها، واستجلاب معاونة الشيطان[84].

المعنـى الإجمالـي للآيـة:

لما أرسل الله تعالى محمداً ﷺ فكذبه قومه وقالوا لولا أوتي مثل ما أوتي موسى، فرد الله عليهم بقوله أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل، وقالوا عنهما ساحران تظاهرا وتعاونا وأعلنوا الكفر بكل ما جاء به سيدنا موسى وسيدنا محمد عليهما السلام.

قال الشوكاني في معنى الآية: «لما جاء أهل مكة الحق من عند الله وهو محمد وما أنزل عليه من القرآن قالوا تعنتاً وجدالاً بالباطل: هلاّ أوتي

(٨٢) الجامع لأحكام القرآن ج٧ ص٢٥٧، البحر المحيط ج٧ ص١١٥.

(٨٣) انظر: النشر ج٢ ص٢٥٦.

(٨٤) انظر: المفردات ص٤١١.

هذا الرسول مثل ما أوتي موسى من الآيات التي من جملتها التوراة المنزلة عليه جملة واحدة، فأجاب الله عليهم ﴿أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ﴾ أي من قبل هذا القول، أو من ظهور محمد عليه السلام.

والمعنى: أنهم قد كفروا بآيات موسى عليه السلام كما كفروا بآيات محمد عليه السلام.

﴿قَالُوا سِحْرَانِ﴾ أي موسى ومحمد عليهما السلام، ﴿تَظَاهَرَا﴾ أي تعاونا على السحر.

﴿وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ﴾ أي بكل من موسى ومحمد عليهما السلام، أو موسى وعيسى عليهما السلام. وعلى القراءة الثانية التوراة والقرآن أو الإنجيل والقرآن»(٨٥).

العلاقة بين القراءات:

معنى القراءتين متداخل فعلى القراءة الأولى **(ساحران)** يقصدون بهما موسى ومحمد عليهما السلام.

ومن قرأ **(سِحران)** قصد ما جاء به موسى وهي التوراة وما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام وهو القرآن.

والجمع بينهما: أن موسى ومحمد عليهما السلام **(سَاحِرَانَ)** وما جاءا به هو السحر وهو التوراة والقرآن بقولهما سحران.

وذلك هو الراجح على اختلاف الأوجه.

وعلى هذا يكون المعنى: إن الكفار إذا دعاهم النبي سواء كان نبينا أم موسى أم عيسى صلوات الله وسلامه عليهم قالوا هذان كتابان والساحران تعاونا(٨٦).

---

(٨٥) فتح القدير ج٤ ص١٧٧.

(٨٦) القراءات وأثرها في التفسير والأحكام ج٢ ص٦٢٣.

وقال أبو علي: «وجه من قال (**ساحران**) أنه قال (**تظاهرا**) والمظاهرة: المعاونة.

ووجه من قال (**سِحران**) أنه نسب المعاونة إلى السحرين على الأتساع، كان المعنى: كل سحر منهما يقوي الآخر، لأنهما تشابها واتفقا ونحو ذلك»(٨٧).

قال محمد سالم محيسن(٨٨): من قرأ (**سِحْرَان**) عائد إلى ما جاء به كل من سيدنا محمد وسيدنا موسى عليهما السلام.

من قرأ (**ساحران**) أي هما ساحران عن الرسول ﷺ وموسى عليه السلام(٨٩).

قال الألوسي: «من قرأ (**سِحران**) عنى ما أوتي نبينا محمد وما أوتي موسى عليهما السلام. ومن قرأ (**ساحران**): أراد الكفرة بهما نبينا محمد وموسى عليهما السلام»(٩٠).

وبالجمع بين القراءات: يتبيّن إن هؤلاء الكفرة أرادوا أن موسى عليه السلام والرسول محمد ﷺ اتفقا وتعونا على السحر فهما ساحران وما جاءوا به من التوراة والقرآن سحران ولكن حفظهم الله من هذا الكلام فهما ليسا بساحرين.

١٠ ـ قال تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلۡهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفۡ مِنۡ أَرۡضِنَآۚ أَوَلَمۡ نُمَكِّن لَّهُمۡ حَرَمًا ءَامِنٗا يُجۡبَىٰٓ إِلَيۡهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيۡءٖ رِّزۡقٗا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٥٧﴾ [القصص: ٥٧].

---

(٨٧) الحجة للقراء ص٢٥٦.

(٨٨) أستاذ مشارك للدراسات القرآنية واللغوية بالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة ـ عضو لجنة تصحيح المصاحف ومراجعتها بالأزهر. انظر: مقدمة كتابة المغني.

(٨٩) انظر: المستنير ج٢ ص١٩٢.

(٩٠) روح المعاني ج١٠ ص٩١.

القـراءة:

قرأ المدنيان ورويس بالتاء على التأنيث (**تُجبى**)، وقرأ الباقون بالياء على التذكير (**يُجبى**)[٩١].

المعنـى اللغـوي للقـراءة:

الجبي: الجمع.

يقال: جبيت الماء في الحوض: جمعته. والحوض الجامع له: جابية، وجمعها جواب. ومنه استعير: جبيت الخراج جباية[٩٢].

وقال ابن عاشور: «**الجبي**: الجمع والجلب ومنه جباية الخراج»[٩٣].

المعنـى الإجمالـي للآيـة:

في هذه الآية قال كفار قريش لرسول الله ﷺ إن دخلنا في دينك واتبعناك وآمنا بك نتخطف من أرضنا، **وقال ابن عاشور**: (الخطف انتزاع الشيء بسرعة)[٩٤]، فرد الله عليهم فقال ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا﴾ أي ألم نجعل لهم حرماً ذا أمن وهذا الحرم تجمع إليه الثمرات على اختلاف أنواعها ولكنهم لا يعلمون هذا.

قال سعيد حوى في معنى الآية: ﴿وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ﴾ يخبر الله في هذه الآية عن اعتذار الكفار في عدم إتباع الهدى، حيث قالوا لرسول الله: نخشى إن اتبعنا ما جئت به من الهدى أن يتخطفنا الناس فرد الله عليهم قولهم ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا﴾ يعني هذا الذي اعتذروا به كذب وباطل، لأن الله جعلهم في بلد آمن وحرم معظّمُ آمن، فكيف يكون هذا الحرم أمناً لهم حال كفرهم، ولا يكون لهم أمناً وقد أسلموا واتبعوا الحق؟

﴿يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ أي تجلب وتجمع إليه من كل الثمار،

---

(٩١) انظر: النشر ج٢ ص٢٥٦.

(٩٢) انظر: المفردات ص١٨٦.

(٩٣) التحرير والتنوير ج١٠ ص١٤٩.

(٩٤) المرجع السابق ج١٠ ص١٤٩.

﴿رِزْقًا مِّن لَّدُنَّا﴾ أي من عندنا، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي قليل منهم من يقر بأن ذلك من عند الله تعالى[٩٥].

العلاقـة بيـن القـراءات:

لاختلاف هذه القراءة أثر نحوي من حيث جواز معاملة المؤنث الغير حقيقي معاملة المذكر.

قراءة (**تُجبى**) أي تجمع له ثمرات كل شيء رزقاً من الله تعالى، وكذلك (**يُجبى**) لها أيضاً أي يجمع من كل الثمار لهذا البلد رزقاً من عند الله تعالى. وهي من باب الالتفات بين التذكير والتأنيث.

قال الدكتور محمد سالم محيسن: «يجبى قرأ نافع وأبو جعفر ورويس بتاء التأنيث والباقون بياء التذكير وجاز تأنيث الفعل وتذكيره لأن الفاعل مؤنث مجازي»[٩٦].

قال ابن عطية: (**يجبى**) يجمع ويجلب، وقرأ نافع بالتاء من فوق، وقرأ الباقون بالياء أي يجمع[٩٧].

وقال الألوسي: (**يجبى**) أي يحمل إليه ويجمع منه من كل جانب وجهه، وأصل معناه الإحاطة[٩٨].

وقال الرازي: أن تأنيث الثمرات تأنيث جمع وليس تأنيث حقيقي، فيجوز تأنيثه على اللفظ وتذكيره على المعنى[٩٩].

وبالجمع بينهما: يتبين عظم ورفعه ومكانه الحرم الشريف عند الله

(٩٥) انظر: الأساس في التفسير ج٧ ص٤١٠١ باختصار.

(٩٦) المستنير ج٢ ص١٩٣.

(٩٧) انظر: المحرر الوجيز ص١٤٤٥.

(٩٨) انظر: روح المعاني ج١٠ ص٩٧.

(٩٩) انظر: مفاتيح الغيب ج١٣ ص٤.

تعالى حيث يجمع له ثمرات من كل مكان إضافة إلى إحاطة هذا الرزق بها والله أعلم.

١١ ـ قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِيٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ۝٥٩﴾ [القصص: ٥٩].

القـراءة:

قرأ حمزة والكسائي بكسر الهمزة وصلاً **(في إِمِّها)**.

وقرأ الباقون بضمها وفتح الميم **(في أُمَّها)**، وأما في حال الابتداء بها فجميع القراء يبدءون بهمزه مضمومة **(أُمِّها)**[١٠٠].

المعنـى اللغـوي للقـراءة:

أم: هي الوالدة القريبة التي ولدته.

ولها عدة دلالات:

الأمة: كل جماعه يجمعهم أمر ما إما دين واحد أو زمان واحد أو مكان واحد.

أمه واحدة: صنفاً واحداً، وأمة يدعون: جماعة يتخيرون العلم والعمل الصالح.

﴿وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ [يوسف: ٤٥]: بعد حين.

﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١٢٠﴾ [النحل: ١٢٠].

قائماً مقام الجماعة[١٠١]. وهكذا فقد تعددت معانيها.

---

(١٠٠) انظر: النشر ج٢ ص١٨٦.

(١٠١) انظر: المفردات ص٨٦.

التفسير الإجمالي للآية:

في هذه الآية اقتضت حكمة الله تعالى أن لا يهلك قرية من القرى حتى يبعث رسولاً ينذرهم ويتلوا عليهم آيات الله الناطقة بما أوجبه الله عليهم وما أعده الله لهم من الثواب للمطيع والعقاب للعاصي.

قال الصابوني في معناها: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ﴾ أي ما جرت عادة الله جل شأنه أن يهلك أهل القرى الكافرة، ﴿حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِنَا﴾ أي حتى يبعث في أصلها وعاصمتها رسولاً يبلغهم رسالة الله لقطع الحجج والمعاذير، ﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَـٰلِمُونَ﴾ أي وما كنا لنهلك القرى إلا وقد استحق أهلها الإهلاك، لإصرارهم على الكفر بعد الأعذار إليهم ببعثة المرسلين(١٠٢).

قال القرطبي: «لا يهلكهم الله إلا إذا استحقوا الإهلاك بظلمهم، وفي هذا بيان لعدله وتقدسه عن الظلم، ولا يهلكهم بعد تأكيد الحجة والإلزام ببعثه الرسل عليهم السلام، ولا يجعل علمه تعالى حجه عليهم»(١٠٣).

العلاقة بين القراءتين:

أفادت قراءة الكسر **(في إمها)** أن هذه القرية هي الأكبر والأعظم من بين القرى، هي الأم بالنسبة لباقي القرى. وقراءة الضم يُقصد بها أم القرى وهي مكة.

قال الألوسي: **(في أُمها)** في أصلها وكبيرتها التي يرجع تلك القرى إليها.

وقرئ **(في إمها)** بكسر الهمزة إتباعاً للميم(١٠٤).

وقال الشوكاني: معنى **(في أُمها)** أكبرها وأعظمها وخص الأعظم منها

---

(١٠٢) انظر: صفوة التفاسير ج٢ ص٤٤٠.

(١٠٣) الجامع لأحكام القرآن ج٧ ص٢٦٦.

(١٠٤) انظر روح المعاني ج١٠ ص٩٨.

بالبعثة إليها لأن فيها أشراف القوم، وأهل الفهم والرأي، وفيها والملوك والأكابر فصارت بهذا الاعتبار كالأم لما حولها من القرى(١٠٥).

وقال الرازي: «**(في أُمها)** أن لها وجهين من المعاني:

أحدها: أي يبعث الله في القرية التي هي أمها وأصلها وقصبتها التي هي أعمالها وتوابعها رسولاً لإلزام الحجة.

ثانيها: وما كان ربك مهلك القرى التي في الأرض حتى يبعث في أم القرى يعني مكة رسولاً هو محمد خاتم النبيين»(١٠٦).

يكون الجمع بينهما: ما كان الله مهلك القرى حتى يبعث في أمها وهي مكة رسولاً وهي الأكبر والأعظم فيما بين القرى والله أعلم.

١٢ ـ قال تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَاۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [القصص: ٦٠].

القـراءة:

قرأ أبو عمرو بخلف عن السوسي **(يَعْقِلُونَ)** بياء الغيب على الالتفات.

وقرأ الباقون بتاء الخطاب **(تَعْقِلُونَ)**(١٠٧).

المعنـى اللغـوي للقـراءة:

يعقلون: من العقل، يقال للقوة المتهيئة لقبول العلم، ويقال للعلم الذي يستفيد منه الإنسان بتلك القوة عقل.

وأصل العقل: الإمساك، كعقل البعير بالعقال، وعقل الدواء بطنه، وعقلت المرأة شعرها وعقل لسانه: كفه(١٠٨).

---

(١٠٥) فتح القدير ج٤ ص١٨١.

(١٠٦) مفاتيح الغيب ج١٣ ص٦.

(١٠٧) انظر: النشر ج٢ ص٢٥٦.

(١٠٨) انظر: المفردات ص٥٧٨.

المعنـى الإجمالـي للآيـة:

إن كل شيء أعطاه الله تعالى للإنسان من نعم هي من متاع هذه الدنيا وزينتها وهي فانية زائلة، وما عند الله هو الباقي أفلا تعقلون هذا الأمر لتستعدوا للآخرة وتعرضوا عن الدنيا.

قال ابن عطية: خاطب الله تعالى قريشاً محقراً لما كانوا يفخرون به من مال وبنين وغير ذلك من قوة لم تكن عند محمد عليه السلام ولا عند من آمن به، فأخبر الله تعالى قريشاً أن ذلك متاع الدنيا الفاني وأن الآخرة وما فيها من النعيم الذي أعده الله تعالى لهؤلاء المؤمنين خيرٌ وأبقى لهم من كل شيء في هذه الدنيا(١٠٩).

وقال الألوسي في معنى الآية: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ﴾ أي وما أصبتم من شيء من أمور الدنيا وأسبابها، ﴿فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ فهو شيء يتمتع به ويتزين به أياماً قلائل ويشعر بالقلة، ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ الجنة والثواب ﴿خَيۡرٞ﴾ في نفسه من ذلك لأنه لذة خالصة وبهجة كاملة، ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ ألا تتفكرون فلا تفعلون هذا الأمر الواضح فتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير وتخافون على ذهاب ما جمعتموه من متاع الحياة الدنيا وتمتنعون عن إتباع الهدى(١١٠).

العلاقـة بيـن القـراءات:

(يَعْقِلُونَ)، **(تَعْقِلُونَ)** من باب الالتفات من الخطاب إلى الغيبة.

فكانت **(تعقلون)** أبلغ، لتوجيه الخطاب إليهم مباشرة، أي لم لا تعقلون.

أما قراءه **(يعقلون)** بالغيبة، لبعدهم وبعد عقولهم عن الدين، ولبعدهم عن توجيه الخطاب لهم.

---

(١٠٩) انظر: المحرر الوجيز ١٤٤٦.

(١١٠) انظر: روح المعاني ج١٠ ص٩٩.

بالجمع بينهما: أن (**تعقلون**) أشد توبيخاً لهم لتوجيه الخطاب لهم مباشرة بأنهم لا عقل لهم، وأنهم لا (**يعقلون**) لبعدهم عن الدين.

وقال أبو علي: «حجه من قرأ بالتاء قوله ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ﴾ أفلا تعقلون، ليكون الكلام وجهاً واحداً، ومن قرأ بالياء، كان المعنى أفلا يعقلون يا محمد»(١١١).

قال ابن زنجلة: «(**أفلا يعقلون**) بالياء على معنى أنه قل لهم يا محمد»(١١٢).

قال ابن عاشور: «(**يعقلون**) بياء الغيبة على الالتفات عن خطابهم لتعجب المؤمنين من حالهم، وقيل لأنهم لما كانوا لا يعقلون نزلوا منزله الغائب لبعدهم عن مقام الخطاب»(١١٣).

وقال الألوسي: «(**يعقلون**) بياء الغيبة على الالتفات وهو أبلغ في الموعظة لإشعاره بأنهم لعدم عقلهم لا يصلحون للخطاب، فالالتفات هنا لعدم الالتفات زجراً لهم»(١١٤).

وقال أبو حيان: «(**أفلا تعقلون**) توبيخ لهم، ومن قرأ بالياء كان المعنى: إعراض عن خطابهم وخطاب غيرهم كأنه قال انظروا إلى هؤلاء وسخافة عقولهم.

ومن قرأ بالتاء كان المعنى: توبيخهم في كونهم أهملوا العقل»(١١٥).

فبالجمع بينهما: يتضح أن المشركين أعرضوا عن الدين فأهملوا عقولهم فمن لا يرجح منافع الآخرة على منافع الدنيا يكون خارجاً عن حد العقل والله أعلم.

---

(١١١) الحجة للقراء ج٣ ص٢٥٦.

(١١٢) الحجة في القراءات ص٥٤٨.

(١١٣) التحرير والتنوير ج١١ ص١٥٣.

(١١٤) روح المعاني ج١٠ ص٩٩.

(١١٥) البحر المحيط ج٧ ص١١٢.

١٣ ـ قال تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْاْ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [القصص: ٨٢].

القـراءة:

قرأ يعقوب وحفص (**لخَسَف بنا**) بفتح الخاء والسين.

وقرأ الباقون (**لخُسِف بنا**) بضم الخاء وكسر السين[١١٦].

المعنـى اللغـوي للقـراءة:

خسف من خسوف القمر، وقال بعضهم: الكسوف فيهما إذا زال بعض ضوئهما، والخسوف: إذا ذهب كله. ويقال خسفه الله وخسف هو، قال تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ فاستعير الخسف للذل، فقيل: تحمل فلان خسفاً[١١٧].

قال الشوكاني: خسف المكان يخسف خسوفاً ذهب في الأرض[١١٨].

المعنـى الإجمالـي للآيـة:

في هذه الآية بيّن الله تعالى عاقبة قارون بعد أن أنعم الله عليه، وآتاه من المال والعلم حتى أصبح الناس يتمنون بما به من النعمة، ولكن بعد ما حل به الخسف أصبح الذين تمنوا مكانه يقولون لولا أن من الله علينا لخسف بنا الأرض.

قال ابن كثير في معنى الآية: «﴿وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْاْ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ﴾ أي الذين رأوه في زينته تمنوا لهم ما له وما عنده هم الذين قالوا ﴿يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾﴾ [القصص: ٧٩].

فلما خسف به أصبحوا يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من

---

(١١٦) انظر: النشر ج٢ ص٣٤٢.

(١١٧) انظر: المفردات ص٢٨٢.

(١١٨) انظر: فتح القدير ج٤ ص١٨٧.

عباده ويقدر أي ليس المال بدال على رضا الله تعالى عن صاحبه فإن الله يعطي ويمنع ويضيق ويوسع ويخفض ويرفع، وله الحكمة التامة والحجة البالغة.

﴿لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا﴾ أي لولا لطف الله تعالى بنا وإحسانه إلينا لخسف بنا كما خسف به لأنا وددنا أن نكون مثله، ﴿وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ يعنون أنه كان كافراً ولا يفلح الكافر عند الله تعالى لا في الدنيا ولا في الآخرة»[119].

العلاقة بين القراءات:

القراءتان تتفقان في المضمون: بحيث أن قراءة الضم لم يذكر الفاعل أي لخسف الله بنا أما قراءة الفتح ذكر الفاعل أي لخسف الله بنا.

قال ابن خالوية: يقرأ بالضم (**لخُسف**) دلاله على ما لم يسم فاعله، وبالفتح (**لخَسف**) دلاله على الإخبار بذلك عن الله ﷻ[120].

قال مكي بذلك أيضاً[121].

قال ابن عاشور: «(**لخُسف**) قرأت على البناء للمجهول للعلم بالفاعل من قولهم: لولا أن من الله علينا، ومن قرأ (**لخَسف**) أي لخسف الله بنا»[122].

وقال بهذا المعنى الشوكاني، والألوسي[123].

(**خَسَف**) بفتح الخاء والسين على البناء للفاعل والفاعل ضمير مستتر

(١١٩) تفسير القرآن العظيم ج٣ ص٤١٢.

(١٢٠) الحجة في القراءات ص٢٧٩.

(١٢١) انظر الكشف ج٢ ص١٧٦.

(١٢٢) التحرير والتنوير ج١٠ ص١٨٨.

(١٢٣) انظر: فتح القدير ج٤ ص١٨٨، روح المعاني ج١٠ ص١٢٥.

تقدير هو يعود على الله تعالى في قوله تعالى: ﴿لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا﴾.

(خُسِف) بضم الخاء وكسر السين على البناء للمفعول ونائب الفاعل الجار والمجرور وهو (بنا)[١٢٤].

هذا والله تعالى أعلم.

(١٢٤) القراءات وأثرها في التفسير والأحكام ج٢ ص٣٤٣.

الفصل الثاني
تفسير سورة العنكبوت من خلال القراءات العشر

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: التعريف بالسورة ويشتمل على التالي:

أولاً: اسم السورة وسبب التسمية.

ثانياً: عدد آياتها وترتيبها في النزول.

ثالثاً: زمن ومكان نزول السورة.

رابعاً: محور السورة.

خامساً: الأهداف العامة للسورة.

سادساً: المناسبات.

المبحث الثاني: عرض لآيات سورة القصص المتضمنة للقراءات العشر

المبحث الأول
تعريف سورة العنكبوت

أولاً: اسم السورة وسبب التسمية:

سميت هذه السورة بسورة العنكبوت واشتهرت بهذا الاسم منذ عهد رسول الله ﷺ لأن الله تعالى ضرب العنكبوت فيها مثلاً.

وقال ابن عاشور: «لأنها اختصت بذكر مَثَل العنكبوت في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾ [العنكبوت: ٤١]»(١٢٥).

قال الصابوني: «سميت سورة العنكبوت لأن الله تعالى ضرب العنكبوت فيها مثلاً للأصنام المنحوتة قال تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾»(١٢٦). وقال مثل ذلك وهبه الزحيلي(١٢٧).

وسميت بهذا الاسم لأنها ركزت على قضية مهمة وهي الولاء والبراء.

قال سيد قطب: «أن هناك قوة واحدة وهي قوة الله وما عداها من قوة الخلق فهو هزيل واهم من تعلق به أو احتمى فهو كالعنكبوت الضعيفة تحتمي بخيوط واهية، تخدعهم قوة الحكم والسلطان يحسبونها القوة القادرة

---

(١٢٥) التحرير والتنوير ج١٠ ص٢٠٠.

(١٢٦) صفوة التفاسير ج٢ ص٤٥١.

(١٢٧) انظر: التفسير المنير ج١٩ ص١٨١.

التي تعمل في هذه الأرض فيتوجهون إليها بمخاوفهم ورغائبهم ويخشونها ويفزعون منها ويترضونها ليكفوا عن أنفسهم أذاها أو يضمنوا لأنفسهم حماها، وتخدعهم قوة المال يحسبونها القوة المسيطرة على أقدار الناس وعلى أقدار الحياة ويتقدمون إليها في رغب وفي رهب ويسعون في الحصول عليها، تخدعهم هذه القوة الظاهرة في أيدي الناس وفي أيدي الجماعات وفي أيدي الدول وينسون القوة الوحيدة التي تخلق سائر القوة الصغيرة وينسون إن الالتجاء إلى تلك القوى سواء كانت في أيدي الناس أو الجماعات أو الدول كالتجاء العنكبوت إلى بيت العنكبوت حشرة ضعيفة رخوة واهنة لا حماية لها من تكوينها الرخو ولا وقاية لها من بيتها الواهن وليس هناك إلا حماية الله وركنه القوي الركين وولاية الله وحدها هي الولاية وما عداها فهو واهن ضعيف هزيل مهما علا واستطال ومهما تجبر وطغى ومها ملك من وسائل البطش والطغيان والتنكيل»[١٢٨].

ثانياً: عدد آياتها وترتيبها في النزول:

اتفق العلماء على أن عدد آيات السورة تسع وستون آية باتفاقهم.

قال الشيخ كشك: «تسع وستون باتفاق أصحاب العد من أهل الأمصار»[١٢٩].

وقال بذلك ابن عاشور والقرطبي[١٣٠].

وقال الرازي عدد آياتها سبعون أو تسع وستون آية[١٣١].

ترتيبها في المصحف:

«هي السورة الخامسة والثمانون في ترتيب نزول سور القرآن، نزلت بعد الروم وقبل المطففين، ونزلت في أواخر سنه إحدى عشرة قبل الهجرة

(١٢٨) في ظلال القرآن ج ٦ ص٤١١. باختصار.

(١٢٩) تفسير كشك ج٥ ص٣٧٢٢.

(١٣٠) انظر: التحرير والتنوير ج١٠ ص٢٠٠، الجامع لأحكام القرآن ج٧ ص٢٨٧.

(١٣١) مفاتيح الغيب ج١٣ ص٢٦.

فهي من آخر ما نزل في مكة»[١٣٢].

ثالثاً: زمن ومكان نزول السورة:

ذهب بعض العلماء إن سورة العنكبوت مكية، وبعضهم قال إنها مدنية.

قال الشوكاني: «اختلف في كونها مكية أو مدنية، أو بعضها مكياً وبعضها مدنياً على ثلاثة أقوال: **الأول**: أنها مكية كلها. **والقول الثاني** أنها مدنية كلها، **وقال القرطبي**: وهو أحد قولي ابن عباس وقتادة. **والقول الثالث**: أنها مكية إلا عشر آيات من أولها»[١٣٣].

وقال ابن عاشور: «مكيه كلها في قول الجمهور، ومدنيه كلها في أحد قولي ابن عباس وقتادة، وقيل بعضها مدني»[١٣٤].

وقال ابن عطية: «هذه السورة مكية إلا صدرها فإنها مدنية نزلت في سائلي من كان في المسلمين بمكة»[١٣٥].

ويرجح سيد قطب أنها مكية بقوله: «ولكننا نرجح أن السورة كلها مكية ورد على من قال أنها مدنية بقوله ورد في سبب نزول الآية الثامنة أنها نزلت في إسلام سعد بن أبي وقاص وإسلامه كان في مكة، وهذه الآية نزلت فيه وهي من ضمن الآيات الإحدى عشرة التي قيل أنها مدنية لذلك نرجح مكية الآيات كلها»[١٣٦].

فهي من السور المكية التي تقرر (أصول العقيدة الوحدانية ـ والرسالة ـ والبعث).

---

(١٣٢) التحرير والتنوير ج١٠ ص٢٠٠.

(١٣٣) فتح القدير ج٤ ص١٩١. الجامع لأحكام القرآن ج٧ ص٢٨٧.

(١٣٤) التحرير والتنوير ج١٠ ص٢٠٠.

(١٣٥) المحرر الوجيز ص١٤٥٤.

(١٣٦) في ظلال القرآن ج٤ ص٣٨٤.

رابعاً: محور السورة:

يدور محور السورة حول سنة الابتلاء والصبر عليه حيث بينت السورة في البداية الإيمان والصبر عليه وليس هو مجرد كلمة باللسان كما قال تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢﴾ [العنكبوت: ٢].

ثم وضّحت قصص الأنبياء وما لاقوه من محن وابتلاءات في سبيل الدعوة ورغّبت المؤمنين بالهجرة فراراً بدينهم من الفتن وهذا من الابتلاء الذي لا بد من الصبر عليه.

وختمت بالنهي عن مجادلة أهل الكتاب إلا بالحسنى وتثبيت المؤمنين وطمأنتهم أمام هذه المحن والفتن والابتلاءات.

فكان هذا هو المحور الرئيسي للسورة[١٣٧].

خامساً: الأهداف العامة للسورة:

اشتملت هذه السورة على عدة أمور منها:

١. اختبار المؤمنين على الشدائد والمحن وما يتعرض له الدعاة من عقبات في سبيل الدعوة.

٢. بيان محنة الأنبياء التي هي أشد من محنة المؤمنين فقد قص الله تعالى على رسوله ﷺ قصة نوح وإبراهيم ولوط وشعيب وهود وصالح وموسى وهارون عليهم السلام.

٣. بيان جزاء المؤمنين الذين صبروا على المحن والشدائد.

٤. توعد المشركين بالعذاب بغتة.

٥. مجادلة الكافرين بالتي هي أحسن مع إقامة الحجة عليهم.

٦. ضرب الله الأمثال تقريعاً وتوبيخاً للكافرين حيث ضرب الله المثل

(١٣٧) انظر: صفوة التفاسير ج٤ ص٤٥٠.

في اتخاذ المشركين أولياء من دون الله كمثل العنكبوت.

٧. أهمية الصبر على المكارة والتكاليف، والفتن والمحن.

٨. يختم الله تعالى السورة بتثبيت المؤمنين وطمأنة المجاهدين[١٣٨].

سادساً: المناسبات:

١ ـ ذكر الله تعالى في السورة السابقة (القصص) استعلاء فرعون وجبروته وجعل أهلها شيعاً. وافتتح هذه السورة بذكر المؤمنين الذين فتنهم المشركون، وعذبوهم على الإيمان دون ما عذب به فرعون بني إسرائيل.

٢ ـ ذكر في السورة السابقة (القصص) نجاة إبراهيم عليه السلام ثم نجاة من اتبع لوط وهلاك قارون وفرعون وهامان.

٣ ـ بيّن هناك في سورة (القصص) عبدة الأصنام والأوثان وذكر أنه يفضحهم يوم القيامة على رؤوس الأشهاد وهنا بين ضعفهم كضعف بيت العنكبوت.

٤ ـ ذكر في سورة القصص في الخاتمة إشارة إلى هجرة النبي ﷺ، وهنا في سورة العنكبوت أشار إلى هجرة المؤمنين[١٣٩].

---

(١٣٨) انظر: التحرير والتنوير ج١٠ ص٢١٠.

(١٣٩) تفسير كشك ج٤ ص٢٧٢٤، انظر أسرار ترتيب القرآن ص١٣٢، تناسق الدرر ص١٠٩.

المبحث الثاني
عرض لآيات سورة العنكبوت المتضمنة للقراءات العشر

المبحث الثاني
عرض لآيات سورة العنكبوت المتضمنة للقراءات العشر

وهي على النحو التالي:

١ ـ قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ١٩﴾ [العنكبوت: ١٩].

القراءة:

قرأ حمزة والكسائي وخلف بتاء الخطاب (**أَوَلَمْ تَرَوْا**).

وقرأ الباقون بياء الغيبة (**أَوَلَمْ يَرَوْا**)[١٤٠].

المعنى الإجمالي للآية:

في هذه الآية خاطب الله تعالى الكافرين فقال لهم ألم تروا كيف بدأ الله الخلق وأنشأه بعد أن كان غير موجود، وإن الله تعالى الذي بدأ هذا الخلق قادرٌ على إعادته بعد الفناء وإن ذلك يسير على الله تعالى.

قال الصابوني: «الاستفهام في (**أولم**) للتوبيخ لمنكري الحشر أي أولم ير المكذبون بالدلائل الساطعة كيف خلق تعالى الخلق ابتداءاً من العدم، فيستدلون بالخلقة الأولى على الإعادة للحشر»[١٤١].

---

(١٤٠) انظر: النشر ج٢ ص٢٥٧.

(١٤١) صفوة التفاسير ج٢ ص٤٥٥.

وقال القرطبي: «قيل المعنى أولم يروا كيف يبدىء الله الثمار ثم تفنى ثم يعيدها أبداً، وكذلك يبدأ خلق الإنسان ثم يهلكه بعد أن خلق الإنسان، ثم يهلكه بعد أن خُلق منه ولداً، وخَلق من الولد ولداً، وكذلك سائر الحيوان، أي فإذا رأيتم قدرته على الإبداء والإيجاد فهو القادر على الإعادة، لأنه إذا أراد أمراً قال له كن فيكون»(١٤٢).

العلاقة بين القراءتين:

القراءتان هنا من باب الالتفات من الخطاب إلى الغيبة. فأفادت قراءة **(أَوَلَمْ تَرَوْا)** بتوجيه الخطاب للكفار مباشرة لإنكارهم البعث والحساب، بينما أفادت قراءة **(أَوَلَمْ يَرَوْا)** البلاغ للمنكرين على طريق الغيبة.

قال ابن خالويه بهذا المعنى(١٤٣).

وقال مكي بن أبي طالب: «المعنى على قراءة **(أَوَلَمْ تَرَوْا)** أي قل لهم يا محمد: أولم تروا كيف يبدىء الله الخلق، وأنها أجريت على مخاطبة إبراهيم لقومه.

وقال معنى قراءة **(أَوَلَمْ يَرَوْا)**: أولم ير الذين اقتصصنا عليهم قصص الأمم السالفة، كيف يبدىء الله تعالى الخلق»(١٤٤).

وقال ابن عاشور: «إن الالتفات من الخطاب إلى الغيبة لنكته إبعادهم من شرف الحضور بعد الإخبار عنهم بأنهم مكذبون»(١٤٥).

فالجمع بين القراءتين:

إن قراءة الخطاب تتضمن معنى التشديد والوعيد والتوبيخ للكفار لإنكارهم البعث يوم القيامة، وذلك لتوجيه الخطاب لهم مباشرة، بخلاف قراءة الغيبة فهي لإنكار ما هم عليه من عدم تصديقهم بالبعث فهم يرون

---

(١٤٢) الجامع لأحكام القرآن ج٧ ص٢٩٩.
(١٤٣) انظر: الحجة في القراءات ص٢٧٩.
(١٤٤) انظر: الكشف ج٢ ص١٧٧.
(١٤٥) التحرير والتنوير ج١٠ ص٢٢٨.

كيف خلق الله الخلق ابتداء وهذا دليل كافي على قدرة الله على البعث يوم القيامة.

فكلاهما توبيخ للكفار لإنكارهم البعث وهم يرون كيف يبدأ الله الخلق والله أعلم.

٢ - قال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾ [العنكبوت: ٢٠].

القـراءة:

قرأ ابن كثير وأبو عمرو بألف بعد الشين **(النَّشَآءَة)**.

وقرأ الباقون بإسكان الشين من غير ألف فيها **(النَّشْأَةَ)**[١٤٦].

المعنـى اللغـوي للقـراءة:

نشأ: من نَشَأَ نُشوءاً ونِشاءً ونَشْأَةً ونَشَآءَةً أي حيِيَ، وربا، وشب.

فالنّشءُ والنَّشْأةُ: هي إحداثُ الشيء وتربيته، ومنه نَشَأَ فلان، والناشئ يراد به الشاب.

والإِنْشَاء: إيجاد الشيء وإحداثه، **وأَنْشَأَ:** أي جعل وابتدأ وأوجد.

وأَنْشَأَ الشيءَ: وضعه[١٤٧].

المعنـى الإجمالـي للآيـة:

في هذه الآية أمرٌ من الله ﷻ لرسولهِ ﷺ أن يأمر الكفار بالسير في الأرض والتأمل في مخلوقات الله تعالى مختلفة الأشكال والألوان، ولينظروا ما في خلقها من عجائب تبين قدرة الله تعالى الذي لا يقدر أي أحد على إيجادها إلا هو الواحد القهار، فهو القادر على إيجادها عند البعث كما بدأها

(١٤٦) انظر: النشر ج٢ ص٢٥٧.

(١٤٧) انظر: المفردات ص٨٠٨، الكليات ص١٩٧، القاموس المحيط ج١ ص١٢٢، لسان العرب ج١ ص٢٠٤.

أول مره وكل ذلك على الله تعالى يسير.

قال ابن عاشور: بعدما استدل الله تعالى عليهم بما هو مرئي وقريب منهم، استدل عليهم هنا بما هو بعيد منهم وهو إيجاد المخلوقات وتعاقب الأمم، لذلك أمر الله رسوله أن يدعوهم إلى السير في الأرض لينظروا إلى آثار خلق الله تعالى للأشياء من العدم ليؤمنوا أن إعادتها من العدم بعد زوالها ليس بأصعب أو أعجب من ابتداء خلقها أول مرة. وإنما أمرهم بالسير في الأرض لأن السير يدني الرائي من مشاهدات مختلفة من هذه الدنيا(١٤٨).

وقال الشوكاني: «﴿قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ﴾ أي انظروا إلى كثرة الأمم واختلاف ألوانهم وطبائعهم وانظروا إلى مساكنهم وآثارهم وما بقي منها لتعلموا كمال قدرة الله.

﴿ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْآخِرَةَ﴾ أي إن الله الذي بدأ النشأة الأولى وخلقها على هذه الكيفية قادر على أن ينشئها مرة ثانية بعد البعث»(١٤٩).

وقال الزمخشري: «إنهما نشأتان وإن كل واحدة منهما إنشاء: أي ابتداع واختراع وإخراج من العدم إلى الوجود، لا تفاوت بينهما، إلا أن الآخرة إنشاء بعد إنشاء مثله»(١٥٠).

العلاقة بين القراءتين:

القراءتان من باب اللغات، وقال بذلك عدد من العلماء والمفسرين منهم.

مكي بن أبي طالب قال: «النّشأةُ والنّشآءةُ لغتان كرَأفَةُ والرَآفَةُ والكَأْبةُ والكَآبَةُ. وقيل النشأةُ بغير مد اسم المصدر كالعطاء، والنشآءةُ بالمد هو المصدر كالإعطاء يدل على المدة الثانية في الخلق كالكرةِ الثانية»(١٥١).

---

(١٤٨) انظر: التحرير والتنوير ج١٠ ص٢٣٠ ـ ٢٣١.

(١٤٩) انظر: فتح القدير ج٤ ص١٩٧.

(١٥٠) الكشاف ج٣ ص٢٠٣.

(١٥١) الكشف ج٢ ص١٧٨.

وبهذا المعنى قال أيضاً ابن خالويه، وأبو علي الفارسي[(١٥٢)] ومحمد سالم محيسن[(١٥٣)].

وهو قول عدد من المفسرين: مثل الزمخشري، وأبي حيان، والقرطبي، والشوكاني والألوسي[(١٥٤)].

فبالجمع بينهما: يتضح من القراءة الأولى أن معنى النشأة هي نشأة الإنسان الأولى التي هي من العدم، والنشآءة بمعنى خلق وأنشأ الله تعالى الخلق بعدما أماتهم وهي النشأة الثانية. وكلاهما إنشاءٌ من العدم والله أعلم.

٣ ـ قال تعالى: ﴿وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيۡنِكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ثُمَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُ بَعۡضُكُم بِبَعۡضٖ وَيَلۡعَنُ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا وَمَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ٢٥﴾ [العنكبوت: ٢٥].

القـراءة:

قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي ورويس برفع **(مودةُ)** من غير تنوين وخفض **(بينِكم)**.

قرأ حمزة وحفص وروح بالنصب **(مودةَ)**.

وقرأ الباقون بنصبها **(مودةً)** منونة ونصب **(بَيْنَكم)**[(١٥٥)].

المعنـى اللغـوي للقـراءة:

الود: هو خالص المحبة في محبة الشيء أو أي أمر ما، وتمني كونه.

ويستعمل في كل واحد من المعنيين على أن التمني يتضمن معنى الود، لأن التمني هو حصول ما توده[(١٥٦)].

---

(١٥٢) انظر: الحجة في القراءات السبع ص ٢٧٩، الحجة للقراء السبع ج٣ص٢٥٨.

(١٥٣) انظر: المغني ج٣ ص١٢٦، المستنير ج٢ ص١٩٨، والقراءات وأثرها في علوم اللغة ج١ ص٢٩٨.

(١٥٤) انظر: الكشاف ج٣ ص٢٠٣، البحر المحيط ج٧ ص١٤٢، الجامع لأحكام القرآن ج٧ ص٢٩٩، فتح القدير ج٤ ص١٩٧، روح المعاني ج١٠ ص١٤٨.

(١٥٥) انظر: النشر ج٢ ص٢٥٧.

(١٥٦) انظر: المفردات ص٨٦٠، القاموس المحيط ج١ ص٤٦٨.

المعنـى الإجمالـي للآيـة:

في هذه الآية قال إبراهيم عليه السلام لقومه من باب النصيحة، أنتم اتخذتم هذه الأصنام مودة تعبدونها من دون الله وتتآلف قلوبكم عليها وتتواصلوا من أجلها، لكن يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضاً. ثم في ذلك اليوم يكون مصيركم أنتم وآلهتكم النار، وما لكم من ناصر ينصركم لأنكم اتخذتم هذه الأصنام مودة بينكم.

قـال الألـوسي: ﴿إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ﴾ أي لتتوادوا وتتواصلوا وتجتمعوا على عبادتها كما يتفق الناس على أي مذهب(١٥٧).

وقال الرازي: اتخاذكم هذه الأصنام مودة ما هو إلا تقليداً فإن بين بعضكم وبعض مودة فلا يريد أن يفارقه صاحبه في السيرة والطريقة، أو بينكم وبين آبائكم مودة فلزمتم ما هم عليه من الضلال. ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ﴾ يعني يوم يزول العمى عن القلوب وتتضح الأمور يكفر بعضكم ببعض ويعلموا فساد ما كانوا عليه، ﴿وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ يريد كل واحد أن يبعد صاحبه باللعن لكن لا يتباعدون بل هم مجتمعون في النار ﴿وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ﴾ مصيركم جميعاً فيها، ﴿وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾ أي أنتم في النار ولا ناصر لكم(١٥٨).

العلاقـة بيـن القـراءات:

الاختلاف في القراءات راجع إلى اختلاف الإعراب.

فعلى قراءة الرفع يكون المعنى: إنكم تتوددوا لهذه الأصنام وتحبونها ثم يوم القيامة تعذبون بسببها.

وعلى قراءة النصب يكون المعنى: أنكم تجتمعوا على عبادة هذه

---

(١٥٧) انظر: روح المعاني ج١٠ ص١٥٠.

(١٥٨) انظر: مفاتيح الغيب ج١٣ ص٥٥.

الأصنام في الدنيا، وسوف تجتمعون يوم القيامة في النار بسببها.

قال ابن خالويه: «حجه من رفع مع الإضافة: أنه جعل (إنما) كلمتين منفصلتين (إنّ) الناصبة و(ما) بمعنى الذي، والمعنى: إن الذي اتخذتموه أوثاناً مودة بينكم.

وحجه من نصب: أنه جعل (**المودة**) مفعول اتخذتم، سواء أضاف أو نون، وجعل إنما كلمة واحدة، أو جعل (**المودة**) بدلاً من الأوثان، ومن نصب (**بينكم**) مع التنوين جعله ظرفاً، ومن خفضه مع الإضافة جعله اسماً بمعنى وصلكم»(١٥٩).

وذهب ابن كثير إلى هذا المعنى للقراءتين فقال: «يقول إبراهيم عليه السلام لقومه مقرعاً لهم وموبخاً على سوء صنيعهم في عبادتهم للأوثان إنما اتخذتم هذه لتجتمعوا على عبادتها في الدنيا صداقه وألفه منكم لبعضكم البعض في الحياة الدنيا وهذا على قراءة من نصب (**مودةَ بينكم**) على أنه مفعول له، وأما على قراءة الرفع فمعناه إنما اتخاذكم هذا لتحصل لكم المودة في الدنيا فقط ثم يوم القيامة ينعكس هذا الحال فتبقى هذه الصداقة والمودة بغضاً وشنآناً»(١٦٠). وذهب البغوي إلى مثل ذلك المعنى(١٦١).

فالجمع بينهما على اختلاف الإعراب: أن هذه الأصنام اتخذتموها مودة، وقربة لكم تحبونها وتتقربون إليها من دون الله تعالى، لتتوادوا جمعياً على محبتها لتبقى صداقتكم فيما بينكم في الدنيا لتستمر هذه المحبة، لكن وسوف تجتمعون يوم القيامة على العذاب كما اجتمعتم عليها في الدنيا والله أعلم.

٤ ـ قال تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾﴾ [العنكبوت: ٢٨].

---

(١٥٩) الحجة في القراءات ص٢٧٩ ـ ٢٨٠.

(١٦٠) تفسير القرآن العظيم ج٤ ص٤٢٠.

(١٦١) معالم التنزيل ج٤ ص٢١٧.

٥ ـ قال تعالى: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [العنكبوت: ٢٩].

القـراءة:

قرأ ابن عامر وأبو جعفر ونافع وابن كثير ويعقوب وحفص بالإخبار في الأول **(إنكم لتأتون الفاحشة)** والاستفهام في الثاني **(أإنكم لتأتون الرجال)**.

وقرأ الباقون **(أئنكم لتأتون الفاحشة)**، و**(أئنكم لتأتون الرجال)** بالاستفهام[١٦٢].

المعنى الإجمالي للآيـة:

يقول تعالى مخبراً عن نبيه لوط أنه أنكر على قومه سوء صنيعهم وما كانوا يفعلونه من قبيح الأعمال في إتيانهم الذكران من العالمين ولم يسبقهم إلى هذه الفعلة أحد من بني آدم قبلهم وكانوا مع هذا لا يؤمنون بالله تعالى، ويكذبون برسل الله الكرام ويخالفون أوامرهم وما جاءوا به.

وقوله: «﴿وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ﴾ أي يقفون في طريق الناس يقتلونهم ويأخذون أموالهم ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ﴾ أي يفعلون ما لا يليق من الأقوال والأفعال في مجالسهم التي يجتمعون فيها لا ينكر بعضهم على بعض شيئاً من ذلك، فلم يكن منهم إلا أن قالوا ائتنا بعذاب من عند الله تعالى إن كنت من الصادقين وهذا من كفرهم واستهزائهم وعنادهم ولهذا استنصر عليهم نبي الله تعالى فقال (رب انصرني على القوم المفسدين)»[١٦٣].

(١٦٢) تقريب النشر ص٢٥.

(١٦٣) انظر: تفسير القرآن العظيم ج٣ ص٤٢٢.

العلاقة بين القراءات:

قال السمرقندي: (**إنكم لتأتون**) على رواية حفص على معنى الخبر.

وقرأ أبو عمرو (**أئنكم**) على معنى الاستفهام.

والثانية (**أئنكم لتأتون الرجال**) اتفقوا على لفظ الاستفهام واختلفوا في الأول.

فمن قرأ على وجه الإخبار يكون المعنى: أي إنكم تفعلون وتكون على وجه التعيير، ومن قرأ على وجه الاستفهام فيكون المراد من الاستفهام التوبيخ والتقريع(١٦٤).

وبالجمع بينهما: يتضح أن الخبر يتضمن معنى التوبيخ والتقريع بينما الاستفهام يتضمن معنى التوبيخ والتقريع مع مزيد من الإنكار.

٦ ـ قال تعالى: ﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًاۚ قَالُوا۟ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَاۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [العنكبوت: ٣٢].

٧ ـ وقال تعالى: ﴿وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [العنكبوت: ٣٣].

القراءة:

قرأ حمزة، والكسائي، ويعقوب وخلف بالتخفيف (**لنُنْجِيَنّه**).

وقرأ الباقون بالتشديد (**لنُنَجّيَنّه**).

وقرأ نافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحفص وأبو جعفر (**مُنَجُّوك**) بالتشديد.

وقرأ الباقون (**مُنْجُوك**) بالتخفيف(١٦٥).

---

(١٦٤) بحر العلوم ج٢ ص٥٣٦.

(١٦٥) انظر: النشر ج٢ ص١٩٤.

المعنى اللغوي للقراءة:

يقال نَجْيتُه وأَنْجَيتُه.

فمعنى النَّجَاء: هو الانفصالُ من الشيء، ومنه نَجَا فلان من فلان أي انفصلَ عنه.

والإنجاء: خلوص الشيء قبل وقوعه في المهلكة. وله معنى آخر وهو الذهاب والانكشاف من المكان. ومنه ناقةٌ ناجيةٌ، والنّجَاةُ والنّجْوةُ من الأرض هي التي لا يعلوها سيل(١٦٦).

المعنى الإجمالي للآية:

بيَّن الله قدوم الملائكة عليها السلام إلى لوط عليه السلام لإرسال العذاب عليهم لما كانوا يفعلوا من أفعال تتنزه عنها النفس البشرية، ونجاته عليه السلام ونجاة من آمن معه إلا امرأته كانت من الهالكين. فجاءت الملائكة لإبراهيم عليه السلام بالبشرى، فأخبروه أنهم أُرسلوا إلى قوم لوط لإهلاكهم، قال إبراهيم عليه السلام إن فيها لوطاً قالوا نحن أعلم بمن فيها وأعلم بمكان لوط لننجينه من العذاب إلا امرأته. فجاءت الملائكة إلى لوط عليه السلام بعد مفارقتهم إبراهيم عليه السلام ضاق بهم خوفاً عليهم من قومه، وحزن عليهم فلما رأوه الملائكة بهذه الصورة قالوا لا تخف ولا تحزن إنا منجوك من العذاب إلا امرأتك فهي من الهالكين.

قال ابن عطية: «روى ابن عباس رضي الله عنهما أن إبراهيم عليه السلام لما علم من قبل الملائكة أن قوم لوط يعذبون أشفق على المؤمنين فجادل الملائكة، وقال: أرأيتم إن كان فيهم مائه بيت من المؤمنين أتتركونهم؟ قالوا: ليس فيهم ذلك، فجعل ينحدر حتى انتهى إلى عشرة أبيات، فقالت له الملائكة: ليس فيها عشرة ولا خمسة ولا ثلاثة ولا اثنان، فحينئذ قال إبراهيم عليه السلام إن فيها لوطاً فراجعوه حينئذ بأنا نحن أعلم بمن فيها»(١٦٧)، لننجينه إلا

---

(١٦٦) ـ انظر: المفردات ص٧٩٢.

(١٦٧) المحرر الوجيز ص١٤٦١.

امرأته فهي من الهالكين.

قال الشوكاني: «﴿وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ﴾ أي لما جاءت الرسل لوطاً بعد مفارقتهم إبراهيم عليه السلام ساء بهم وخاف منهم لظنه أنهم من البشر فخاف عليهم من قومه لكونهم في أقبح صورة من الصور البشرية، ﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ أي عجز، وضاق صدره، فلما شاهدت الملائكة ما حل به من الحزن ﴿وَقَالُواْ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ﴾ أي لا تخف علينا من قومك فإنهم لا يستطيعوا فعل شيء لأنا رسل ربك، و﴿إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ﴾ من العذاب الذي أمرنا الله بإرساله عليهم.

﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ أخبروا لوط بما جاءوا به من إهلاك قومه وتنجية أهله إلا امرأته فهي في العذاب كما أخبروا بذلك إبراهيم عليه السلام[(١٦٨)].

العلاقة بين القراءات:

الفعل ننجي دال على التكرير لنوع الفعل على معنى نجاة بعد نجاة.

(لننْجيَنّه) و**(مُنَجُّوكَ)** يقرءان بالتشديد والتخفيف[(١٦٩)] ومن العلماء من قال أنهما لغتان ومنهم من قال إنهما بمعنى واحد.

قال ابن خالويه: الحجة في ذلك أن المشدد مشتق من **(نَجّي)** والمخفف مشتق من **(أنجى)**[(١٧٠)].

وقال مكي بن أبي طالب: هما لغتان في القرآن[(١٧١)].

قال السمرقندي: معناهما واحد، يقال أنجيته ونجيته بمعنى واحد[(١٧٢)].

---

(١٦٨) انظر: فتح القدير ج٤ ص٢٠٠.

(١٦٩) انظر: الجامع لأحكام القرآن ج٧ ص٣٠٥، روح المعاني ج١٠ ص١٥٦، التحرير والتنوير ج١٠ ص٢٤٥.

(١٧٠) انظر: الحجة في القراءات ص٢٨٠.

(١٧١) انظر: الكشف ج٢ ص١٧٩.

(١٧٢) بحر العلوم ج٢ ص٥٣٧.

الجمع بينهما: كلما زاد المبنى زاد المعنى فإن في قراءة التشديد زيادة تأكيد على نجاة لوط عليه السلام من العذاب المنزل على قومه، وتأكيداً على إنزال العذاب على من يفعل الفاحشة والله أعلم.

٨ ـ قال تعالى: ﴿إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ٣٤﴾ [العنكبوت: ٣٤].

القـراءة:

قرأ ابن عامر بتشديد الزاي (**مُنَزِّلون**)، وقرأ الباقون بتخفيفها (**مُنْزِلونَ**)[١٧٣].

المعنى اللغوي للقـراءة:

النزول: من الفعل نَزَلَ.

ونَزَلَ: تدل على هبوط الشيء ووقوعه.

أو هو الانحطاط من علو، يقال: نَزَلَ عن دابته نُزولاً، ونَزَلَ في مكان كذا: أي حط رحله وحل فيه ويقال: نَزَلَ المطرُ من السماءِ نزولاً، والنّازِلَةُ: هي الشدائد تَتَنَزلُ، والنَزَالُ في الحرب أن يتنازلُ الفريقان، والنّزولُ: ما يُهيأُ للضيف. وإنزالُ الله تعالى نعمهِ ونقمهِ على الخلق إعطاؤهم إياها[١٧٤].

المعنى الإجمالي للآيـة:

في هذه الآية تأكيد بإنزال العذاب على قوم لوط لما كانوا يفعلون من الأفعال القبيحة وفسقهم وخروجهم عن طاعة الله ورسوله.

قال ابن كثير: «إن جبريل عليه السلام اقتلع قراهم من قرار الأرض ثم رفعها إلى عنان السماء ثم قلبها عليهم، وأرسل الله عليهم حجارة من سجيل

---

(١٧٣) النشر ج٢ ص٣٤٣.

(١٧٤) انظر: معجم مقاييس اللغة ج٥ ص٤١٧، المفردات ٧٩٩.

منضود مسومة عند ربك وما هي من الظالمين ببعيد وجعل الله مكانها بحيرة خبيثة منتنة وجعلهم عبرة إلى يوم التناد، وهم من أشد الناس عذاباً يوم المعاد»(١٧٥).

العلاقة بين القراءات:

ذهب كثير من المفسرين إلى أن القراءتين هنا من باب اللغات.

ومنهم من قال أنها من اللغات، ومنهم من قال إنها بمعنى واحد فقال مكي بن أبي طالب: قرأ ابن عامر بالتشديد، وقرأ الباقون بالتخفيف، وهما لغتان (**نَزَّلَ وأَنْزَلَ**)(١٧٦).

قال السمرقندي: قرأت (مُنْزِلونَ) بالتشديد والتخفيف ومعناهما واحد(١٧٧).

وبالجمع بينهما: ففي قراءة التشديد زيادة تأكيد لشدة إنكارهم وعدم إيمانهم، وتضعيف العذاب المنزل عليهم وانحطاطهم بعد أن كانوا يتمتعون في النعيم فأعطاهم الله تعالى وأنزل عليهم العذاب الأليم، بخلاف قراءة التخفيف فقد يكون ذلك في بداية إنزال العذاب عليهم خفيفاً ثم اشتد نزوله عليهم مقارنة مع ارتكابهم أعظم الكبائر، والله أعلم.

٩ ـ قال تعالى: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُواْ مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [العنكبوت: ٣٨].

القـراءة:

قرأ يعقوب وحمزة بغير تنوين (**وَثمُودَ**).

وقرأ الباقون بالتنوين (**وَثمُوداً**)(١٧٨).

(١٧٥) تفسير القرآن العظيم ج٣ ص٤٢٣.

(١٧٦) الكشف ج٢ ص١٧٩.

(١٧٧) بحر العلوم ج٢ ص٥٣٧.

(١٧٨) النشر ج٢ ص٢١٧.

المعنى اللغوي للقراءة:

ثَمود قيل: هو اسم أعجمي، وقيل: هو عربي، وترك صرفه لكونه اسم قبيلة، أو أرض، ومن صرفه جعله اسم حي أو أب، والثمد: هو الماء القليل، وماءٌ مَثْمُود: كثير الناس عليه(١٧٩).

المعنى الإجمالي للآية:

بيَّن الله تعالى في مواطن من القرآن أنه أرسل الرسل إلى أقوامهم إلا أنهم كذبوا وكفروا بهم وبما جاءوا به.

قال القرطبي: «واذكر عاداً إذ أرسلنا إليهم هوداً فكذبوه فأهلكناهم، وثموداً أرسلنا إليهم صالحاً فأهلكناهم بالصيحة كما أهلكنا عاداً بالريح العقيم ﴿وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم﴾ يا معشر الكفار، ﴿مِّن مَّسَٰكِنِهِمۡۖ﴾، بالحجر والأحقاف آيات في أهلاكهم، ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ أي أعمالهم الخسيسة فحسبوها رفيعة ﴿فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ أي طريق الحق ﴿وَكَانُواْ مُسۡتَبۡصِرِينَ﴾ وكانوا مستبصرين في الضلالة، أو قد عرفوا الحق من الباطل، لكن اتبعوا الباطل على الحق»(١٨٠).

العلاقة بين القراءات:

اختلاف القراءة راجع إلى المعنى اللغوي لكلمة ثمود فمن قرأها بالتنوين كانت اسماً للقبيلة ومن قرأها بغير تنوين كانت اسماً للحي، وعلى كلا القراءتين كانت ثمود اسم لمنطقه، أو لحي يكون الحي جزء من القبيلة التي أنزل الله عليهم فيها العذاب.

قال محمد سالم محيسن بذلك: «ف (ثمودَ) بغير تنوين على أنه ممنوع من الصرف للعلمية والتأنيث على إرادة القبيلة، وبالتنوين مصروفاً على إرادة الحي»(١٨١). **وقال الألوسي:** مثل ذلك(١٨٢).

---

(١٧٩) انظر: المفردات ص١٧٦، الصحاح ج٢ ص٤٥١.
(١٨٠) الجامع لأحكام القرآن ج٧ ص٣٠٦.
(١٨١) القراءات وأثرها في علوم اللغة ج١ ص٣١٨.
(١٨٢) انظر: روح المعاني ج١٠ ص١٥٨.

١٠ ـ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٤٢﴾﴾ [العنكبوت: ٤٢].

القـراءة:

قرأ عاصم والبصريان (**يدعون**) بالغيب.

وقرأ الباقون بالخطاب (**تدعون**)[١٨٣].

المعنـى اللغـوي للقـراءة:

الدعاء: هو النداء. وهو الرغبة إلى الله والعبادة له والتوسل إليه.

يقال: دعا له في الخير، ودعا إليه: طلب له.

والدعاء إلى الشيء: الحث على قصده[١٨٤].

المعنـى الإجمالـي للآيـة:

هذه الآية الكريمة توضح إحاطة علم الله سبحانه وتعالى بكل شيء، يعلم ما يعبد الكفار من دونه من أي شيء من أصنام أو غيرها وهو العزيز الحكيم الذي لا يعجزه شيء.

قال ابن عاشور: إن الله يعلم أن ما تدعونه من دونه ما هي موجودة وإنما هي معدومة، فهذا تحقير لكم ولما تعبدون من دون الله لأنها ما هي إلا آلهة معدومة[١٨٥]. فكيف تعبدونها وهي محقرة والله مطلع عليكم.

وقال ابن كثير: إن الله تعالى يتوعد الكافرين في عبادتهم غير الله تعالى ومن أشرك به فهو تعالى يعلم ما هم عليه من الأعمال ويعلم ما يعبدون من دونه من الأنداد وسيجازيهم على ذلك إنه حكيم عليم[١٨٦].

---

(١٨٣) انظر: النشر ج٢ ص٣٤٣.

(١٨٤) انظر: المفردات ص٣١٥، والكليات ص٤٤٦.

(١٨٥) انظر: التحرير والتنوير ج١٠ ص٢٥٤.

(١٨٦) انظر: تفسير القرآن العظيم ج٣ ص٤٢٤.

العلاقـة بيـن القـراءات:

العلاقة بين القراءات علاقة بلاغيه باستخدام أسلوب الالتفات من الخطاب إلى الغيبة.

فأفادت قراءة الخطاب زيادة تهديد ووعيد، فالله تعالى أعلم ما تدعون أيها الكفار من دونه، وأن ما تدعونه لا يساوي شيئاً.

ومنهم من صرح أنها تحمل معنى التهديد والوعيد.

قال محمد سالم محيسن: «من قرأ بياء الغيب، لمناسبة الغيبة في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ﴾ [العنكبوت: ٤١].

ومنهم من قرأ بتاء الخطاب، على الالتفات من الغيبة إلى الخطاب، والخطاب للمشركين وحسن ذلك لأن في الكلام معنى التهديد والوعيد، والتوبيخ لهم، وذلك أبلغ في الوعظ، والزجر»[١٨٧].

وقال أيضاً بهذا المعنى **مكي بن أبي طالب**[١٨٨].

قال الزمخشري: قرئ بالياء والتاء وهذا تأكيد للمثل وهو مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت، وزيادة على ذلك حيث لم يجعل ما يدعونه شيئاً[١٨٩].

وقال الألوسي بذلك لكن قال أن **(تدعون)** من باب الالتفات للإيذان بالغضب[١٩٠].

وقال أبو حيان بمعنى قريب من ذلك[١٩١].

الجمع بين القراءتين: إن الله تعالى يعلم أنكم لا تدعون شيئاً موجوداً

---

(١٨٧) المغني ج٣ ص١٢٨، المستنير ج٢ ص٢٠٠.

(١٨٨) انظر: الكشف ج٢ ص١٧٩.

(١٨٩) انظر: الكشاف ج٣ ص٢٠٦.

(١٩٠) انظر: روح المعاني ج١٠ ص١٦٢.

(١٩١) انظر: البحر المحيط ج٧ ص١٤٩.

ولكنكم تدعون شيئاً معدوماً، وهذا يدل على حقارة ما تدعون من دون الله تعالى، وهذا من قبيل التهديد لهم لأنهم يدعون هذه الأصنام التي لا تستجيب، فالله وحده الذي يسمع الدعاء والنداء.

١١ ـ قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ قُلْ إِنَّمَا ٱلْأَيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾﴾ [العنكبوت: ٥٠].

القـراءة:

قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي وخلف وأبو بكر **(آية)** بالتوحيد.
وقرأ الباقون بالجمع **(ءايات)**(١٩٢).

المعنى الإجمالي للآيـة:

لم يكتفِ الكفار بأن تكون معجزة النبي محمد ﷺ القرآن فقط بل أرادوا أن يأتيهم بمعجزات أخرى مثل العصا والناقة، لكن الله تعالى أمره أن يرد عليهم: إن الآيات من عند الله وإنما أنا نذير ومبلغ وفقاً لإرادته تعالى.

قال الألوسي: قال أهل الكتاب للرسول عليه الصلاة والسلام تعنتاً واستكباراً لولا أنزلت علينا آيات من عند ربك لنؤمن بك، فأمر الله تعالى رسوله محمد عليه الصلاة والسلام أن يرد عليهم إنما الآيات عند الله يُنزّلها حسبما شاء من غير دخل لأحد في ذلك، وإنما أنا نذير مبين ما عليّ إلا الإنذار بما أوتيت من الآيات لا الإتيان بما اقترحتموه(١٩٣).

العلاقـة بيـن القـراءات:

القراءتان هنا من باب الإفراد والجمع.

فمن قرأ **آية** على الإفراد دلّت على **آية** واحدة من عند الله تعالى، ومن قرأ **آيات** أي عدة **آيات** منزلة من عنده تعالى، **فالآية** الواحدة تدخل ضمن **الآيات**، **فالآية والآيات** كلها من عند الله تعالى.

---

(١٩٢) النشر ج٢ ص٣٤٣.

(١٩٣) انظر: روح المعاني ج١١ ص٦.

ومن العلماء من قال بذلك:

قال ابن خالويه: «حجة من وحد: أنه اجتزأ بالواحد من الجمع لأنه ناب عنه وقام مقامه وحجة من جمع: أنه أتى باللفظ على حقيقته»(١٩٤).

وقال الدكتور محمد سالم محيسن: «من قرأ (**آية**) بالتوحيد على إرادة الجنس، ومن قرأ (**آيات**) بالجمع على إرادة الأنواع»(١٩٥).

قال ابن عاشور: «الجمع والإفراد في هذا سواء لأن القصد إلى الجنس، فالآية الواحدة كافية في التصديق»(١٩٦).

قال السمرقندي: «(**آيات**) بلفظ الجمع يعني آيات القرآن، وقرأ الباقون (**آية**) يعني آية واحدة يعني أنه كان لا يكتب وكان له في ذلك آية بينة لنبوته ويجوز أن يكون معناه آيات للجنس»(١٩٧).

الجمع بين القراءتين: أن النبي ﷺ آية بينه على صدق القرآن وأنه من عند الله تعالى فلولا أنزل آية أو آيات متعددة من المعجزات فكلها من عند الله علينا أن نؤمن بها، والله أعلم.

١٢ ـ قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [العنكبوت: ٥٥].

القراءة:

قرأ نافع والكوفيون بالياء (**يقول**).

وقرأ الباقون بالنون (**نقول**)(١٩٨).

---

(١٩٤) الحجة في القراءات ص٢٨٠ انظر: الكشف ج٢ ص١٨٠.
(١٩٥) المستنير ج٢ ص٢٠١.
(١٩٦) التحرير والتنوير ج١٠ ص١٤.
(١٩٧) بحر العلوم ج٢ ص٥٤٠.
(١٩٨) النشر ج٢ ص٣٤٣.

المعنى اللغوي للقراءة:

القول: مصدر قال، ومنه قَوْله، ومقال، ومقالة، وقيل، وقال.

والقول: يطلق على كل حرف من حروف المعجم، أو من حروف المعاني، أو هو الكلام على الترتيب، وهو كل لفظ قال به اللسان تاماً كان أو ناقصاً، أو هي الألفاظ المفردة التي يبنى عليها الكلام(١٩٩).

المعنى الإجمالي للآية:

بيَّن الله تعالى هنا جزاء استكبارهم وتعنتهم، ففي يوم القيامة تحيط النار بهم من كل جانب من فوقهم ومن تحت أرجلهم ويقول لهم ذوقوا جزاء ما كنتم تعملون من المعاصي في الدنيا.

قال الصابوني: كانوا يستعجلون بالعذاب ولكن حالهم أن جهنم محيطة بهم يوم القيامة كإحاطة السوار بالمعصم، لا مفر لهم منها، فيوم تحيط بهم النار من فوقهم ومن تحت أرجلهم يقول الله لهم ذوقوا جزاء ما كنتم تعملون في الدنيا من الاستهزاء والإجرام وسيء الأعمال(٢٠٠).

العلاقة بين القراءات:

العلاقة بين القراءات علاقة بلاغية من باب الالتفات من الغيبة إلى المتكلم، فالقراءتان متداخلتان لأن الملائكة تبلغ عن الله تعالى، فالله الذي يقول ذوقوا ما كنتم تعملون وتقول الملائكة عن الله تعالى ذلك.

قال الدكتور محمد سالم محيسن: «من قرأ بالياء **(يقول)** كان المعنى إخبار عن الله تعالى، والفاعل ضمير مستتر تقديره هو يعود على الله تعالى.

ومن قرأ بالنون **(نقول)** إخبار من الله تعالى عن نفسه، لأن كل شيء لا يكون إلا بأمره وإن كان الله تعالى لا يكلمهم وإنما تكلمهم الملائكة عن

(١٩٩) انظر: لسان العرب ص٦٨١، الكليات ص٧١٠.

(٢٠٠) انظر: صفوة التفاسير ج٢ ص٤٦٦.

أمره ومشيئته، ونسب الفعل إليه ﷻ لأن الملائكة لا تكلمهم إلا عن أمره وإرادته»[٢٠١].

قال الألوسي: (يقول) أي الله ﷻ، وقيل الملك الموكل بهم.

(نقول) بنون العظمة وهو ظاهر أن القائل هو الله تعالى[٢٠٢].

قال أبو حيان: يقول الله ﷻ، ونقول بنون العظمة أو نون الجماعة هم الملائكة[٢٠٣].

وقال الطبري: يقول الله تعالى لهم ذوقوا من العذاب جزاء ما كنتم تعملون في الدنيا من معاصي لله تعالى[٢٠٤].

الجمع بين القراءتين:

يقول الله تعالى يوم القيامة للكافرين ذوقوا من العذاب جزاءً لما كنتم تعملوا في هذه الدنيا من معاصي، فتعظيماً لهذا العذاب يقول لهم الله تعالى ذوقوا، وتقول الملائكة عن الله تعالى ذوقوا جزاءً لما كنتم تعملون.

١٣ ـ قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾﴾ [العنكبوت: ٥٨].

القـراءة:

قرأ حمزة والكسائي وخلف بالثاء المثلثة ساكنه بعد النون وإبدال الهمزة ياء (**لنثوينهم**).

وقرأ الباقون بالباء الموحدة والهمزة (**لنبوئنهم**)[٢٠٥].

المعنـى اللغـوي للقـراءة:

أصل **البواء**: مساواة الأجزاء في المكان.

---

(٢٠١) المغني ج٣ ص١٢٩، انظر: المستنير ج٢ ص٢٠٢، الكشف ج٢ ص١٨٠، الحجة للقراء ج٣ ص٢٦٢، الحجة في القراءات ص٢٨١.

(٢٠٢) روح المعاني ج١١ ص٩.

(٢٠٣) البحر المحيط ج٧ ص١٥٢.

(٢٠٤) انظر: جامع البيان ج١١ ص٦٨٥٨.

(٢٠٥) النشر ج٢ ص٣٤٤.

يقال مكان بواء: إذا لم يكن نائياً بنازله، وبوأه منزلاً: أنزله فيه، وبوأت له مكاناً: سويته فتبوأ، وباء فلان بدم فلان يبوء به أي ساواه[(٢٠٦)].

والثواء: الإقامة مع الاستقرار.

يقال: ثوى يثوى ثواءاً والثويةُ: مأوى الغنم[(٢٠٧)].

المعنى الإجمالي للآية:

ذكر الله تعالى في الآية السابقة حال الكافرين يوم القيامة وما لهم من العذاب جزاءً لهم، أعقبها ببيان حال المؤمنين وما لهم من النعيم، بحيث ينزلهم الله المنزلة العالية في جناتٍ تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً وهذا أحسن جزاء يجازي به الله عباده المخلصين.

قال الشوكاني: في هذه الآية ترغيب بالهجرة من بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام وتأكيد لما سبقها في آية ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [العنكبوت: ٥٦]. فإن جزاء من هاجر وصبر على الطاعة أن يكون في الجنة وينزلنهم الله تعالى غرف الجنة وهي أعلاها، وهذه الغرف تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أي لا يموتون وهذا نعم أجر العاملين للأعمال الصالحة[(٢٠٨)].

العلاقة بين القراءات:

أفادت قراءة **(لنبوئنهم)** أي لننزلنهم، وأفادت قراءة **(لنثوينهم)** أي لننزلنهم منزلا في الجنة يثوون به أي يقيمون فيه.

ومن العلماء من قال بذلك:

قال ابن خالويه: «حجة من قرأ بالنون والباء: أنه أراد لننزلنهم من الجنة غرفاً، ودليله ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ [الحشر: ٩]،

(٢٠٦) انظر: المفردات ص١٥٨، لسان العرب ج١ ص٤٦.

(٢٠٧) انظر: المفردات ص١٨١.

(٢٠٨) انظر: فتح القدير ج٤ ص٢١٠.

وحجة من قرأ بالنون والثاء: أنه أراد: النزول والإقامة ومنه قوله ﴿وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِيٓ أَهْلِ مَدْيَنَ﴾» [القصص: ٤٥](٢٠٩).

قال الزمخشري والألوسي مثل ذلك: لنبوئنهم أي لننزلنهم، ولنثوينهم بالثاء من الثواء بمعنى الإقامة(٢١٠).

وقال الطبري: إنهما قراءتان مشهورتان، وهما متقاربتان في المعنى، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وذلك أن قوله **(لنبوئنهم)** هو بوأته منزلاً، أي أنزلته، وكذلك **(لنثوينهم)** هو من أثويته مسكناً إذا أنزلته منزلاً(٢١١).

الجمع بين القراءتين:

يبوئ الله تعالى المؤمنين الذين عملوا الصالحات غرفاً في الجنة يثوون فيها يُقيمون خالدين فيها، فيكون إنزالهم هذه الغرف للإقامة الدائمة والاستقرار فيها والله أعلم.

١٤ ـ قال تعالى: ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾ [العنكبوت: ٦٦].

القـراءة:

قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي وخلف وقالون بإسكان اللام **(ولْيتمتعوا)**.

وقرأ الباقون بكسرها **(ولِيتمتعوا)**(٢١٢).

المعنـى اللغـوي للقـراءة:

المتاع: انتفاع ممتد الوقت، يقال متّعه الله بكذا، وأمتعه، وتمتّع به.

وكل موضع ذكر فيه تمتعوا في الدنيا فعلى طريق التهديد، وذلك لما فيه من معنى التوسع.

---

(٢٠٩) الحجة في القراءات ص٢٨١، انظر: المغني ج٣ ص١٣٠ ـ ١٣١، والمستنير ج٢ ص٢٠٤، الكشف ج٢ ص١٨١، الحجة للقراء ج٣ ص٢٦٤.

(٢١٠) انظر: الكشاف ج٣ ص٢١٠، روح المعاني ج١١ ص١١.

(٢١١) جامع البيان ج١١ ص٦٨٦٠.

(٢١٢) النشر ج٢ ص٣٤٤.

المتوع: هو الامتداد والارتفاع.

يقال: متّع النهار، ومتّع النبات إذا ارتفع، **والمتاع**: كل ما ينتفع به متاع[٢١٣].

المعنـى الإجمالـي للآيـة:

يمهل الله الكافرين في الدنيا لعلهم يرجعون إلى الله تعالى لكن ما من فائدة، فإنهم يكفرون بالله وبما أنعم الله تعالى عليهم، ويدعهم في طغيانهم يتمتعون ويزيدون في غيهم، ثم يكون مصيرهم إلى النار وبأس المصير.

قال النسفي: ﴿لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾ من النعمة ويكفروا بها ويتمتعوا بها في الدنيا، فيوم القيامة يعلمون شر أعمالهم، فمن قرأها بالكسر أي لكي يكفروا وكي يتمتعوا ويعودوا إلى شركهم بعد أن أنجاهم الله إلى البر في الآية السابقة، وبالعود إلى شركهم يكونون كافرين بنعمة النجاة قاصدين التمتع والتلذذ على خلاف المؤمنين فإنهم يشكرون الله على نعمة النجاة.

ومن قرأها بالسكون فهي من باب الوعيد والتهديد، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر وكلٌ يعلم ما عمل وقدم لله تعالى[٢١٤] وسيجازى كل إنسان بما عمل بلا زيادة ولا نقصان.

العلاقـة بيـن القـراءات:

الخلاف هنا في **(وليتمتعوا)** على اللام فمن قرأها بالسكون جعلها لام أمر، ومن قرأها بالكسر جعلها لام كي، وكلها تتضمن معنى الوعيد والتهديد للكفار.

قال ابن خالويه: «حجة من سكنها أنه جعلها لام وعيد في لفظ الأمر. ولمن كسرها وجهان: أن تكون لام وعيد أجراها على أصلها، أو أن تكون لام كي»[٢١٥].

(٢١٣) انظر: المفردات ص٧٥٧، الصحاح ج٣ ص١٢٨٣.

(٢١٤) انظر: تفسير النسفي ج٣ ص ٢٦٤.

(٢١٥) الحجة في القراءات ص ٢٨٣.

وقال أبو علي: «من كسر اللام وجعلها الجارة، كانت متعلقة بالإشراك، والمعنى: يشركون ليكفروا أي لا عائده لهم في الإشراك إلا الكفر، فليس يرد عليهم الشرك نفعاً، إلا التمتع بما يستمتعون به في العاجلة من غير نصيب في الآخرة، ومن قرأها بالسكون أراد الأمر بمعنى التهديد والوعيد»[٢١٦].

قال الألوسي: «الظاهر أن اللام لام كي أي يشركون ليكونوا كافرين بما آتيناهم من نعمه بسبب شركهم وليتمتعوا باجتماعهم على عبادة الأصنام وتوادهم عليها فالشرك سبب لهذا الكفران وقيل: اللام فيهما لام الأمر والأمر بالكفران والتمتع مجاز في الخذلان والتهديد»[٢١٧].

قال الطبري: «من قرأ بكسر اللام بمعنى كي يتمتعوا آتيناهم ذلك، ومن قرأ بسكون اللام على وجه الوعيد والتوبيخ، أي اكفروا فإنكم سوف تعلمون ماذا تلقون من عذاب الله بكفركم به»[٢١٨].

الجمع بين القراءتين:

(وليتمتعوا) تتضمن معنى الطلب والهدف منه التوبيخ والتهديد على كلا القراءتين، أي اكفروا بنعمة الله تعالى وتمتعوا في الدنيا ثم سوف تعلمون أن هذا التمتع قصير مقصور على الدنيا فقط.

١٥ ـ قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝٦٩﴾ [العنكبوت: ٦٩].

القـراءة:

قرأ أبو عمرو بإسكان الباء **(سُبْلنا)**.

وقرأ الباقون بضمها **(سُبُلنا)** بضم الباء[٢١٩].

---

(٢١٦) الحجة للقراء ج٣ ص٢٦٥.

(٢١٧) روح المعاني ج١١ ص٣.

(٢١٨) جامع البيان ج١١ ص٦٨٦٤.

(٢١٩) انظر: تقريب النشر ص ١٥٨.

المعنى اللغوي للقراءة:

السبيل: الطريق الذي فيه سهولة، وجمعه سبل. أو هو كل ما يأتي إلى الشيء فهو سبيل، أو هو كل ما اعتاد على سلوكه[٢٢٠].

المعنى الإجمالي للآية:

يبيّن الله تعالى فضل الجهاد باختلاف أنواعه، فمن جاهد وأخلص فإن الله يهديه طريق وسبيل الخير ويسهله الله تعالى عليه، وإن الله تعالى مع من أحسن وأخلص.

قال سعيد حوى: «﴿وَالَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا﴾ أي في حقنا ومن أجلنا خالصاً لله فقط، وأطلق لفظ المجاهدة ليتناول كل ما تجب مجاهدته في النفس والشيطان وأعداء الدين، ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَاۚ﴾ أي لنبصرنهم طرقنا في الدنيا والآخرة، أو لنزيدنهم هداية إلى سبل الخير وتوفيقاً، ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ بالنصرة والمعونة في الدنيا، وبالثواب والمغفرة في العقبى»[٢٢١].

العلاقة بين القراءتين:

اختلاف القراءتين مما لا أثر له في المعنى فقط اختلافهما من قبيل اللهجات.

(٢٢٠) انظر: المفردات ص٣٩٠، والكليات ص٥١٣.

(٢٢١) الأساس في التفسير ج٨ ص٤٢٢٩.

الفصل الثالث
تفسير سورة الروم من خلال القراءات العشر

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: التعريف بالسورة ويشتمل على:

أولاً: اسم السورة وسبب التسمية.

ثانياً: عدد آياتها وترتيبها في النزول.

ثالثاً: زمن ومكان نزول السورة.

رابعاً: محور السورة.

خامساً: الأهداف العامة للسورة.

سادساً: المناسبات.

المبحث الثاني: عرض لآيات سورة الروم المتضمنة للقراءات العشر

المبحث الأول
تعريف سورة الروم

أولاً: اسم السورة وسبب التسمية:

تسمى هذه السورة بالروم وهذا هو الاسم الثابت لها منذ عهد الرسول ﷺ، وسبب إطلاق هذا الاسم عليها لذكر اسم الروم فيها حيث لم يرد في غيرها من سور القرآن[٢٢٢]. وأيضاً لاشتمال قصتها على معجزة. تفيد للمؤمنين فرحاً عظيماً، بعد حزن يسير، فتبطل شماتة أعدائهم، وتدل على أن العاقبة لهم.

خاصة وأنها معجزة غيبية، لم تكن قد حدثت بعد وهي انتصار دولة الروم على دولة الفرس ـ الوثنيين ـ في فترة سنوات قليلة، بعد ذلك الانتصار الكاسح، الذي حققه الفرس على الروم.

وقال الصابوني: «سميت بذلك لذكر تلك المعجزة الباهرة التي تدل على صدق أنباء القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢﴾ [الروم: ٢] ﴿فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣﴾ [الروم: ٣] ﴿فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤﴾» [الروم: ٤][٢٢٣].

(٢٢٢) التحرير والتنوير ج١٠ ص٣٩.

(٢٢٣) صفوة التفاسير ج٣ ص٤٧.

ثانياً: عدد آياتها وترتيبها في النزول:

اختلف في عدد آياتها حيث قال ابن عاشور عدد آياتها في عد أهل المدينة وأهل مكة تسع وخمسون، وفي عد أهل الشام والبصرة والكوفة ستون، وقال الألوسي بذلك أيضاً[٢٢٤].

وقد بيّنت سبب الاختلاف في عدد الآيات في الفصل الأول[٢٢٥].

ترتيبها في النزول:

«هي السورة الرابعة والثمانون في تعداد نزول السور نزلت بعد الانشقاق وقبل سورة العنكبوت. حيث كان غلب الروم على الفرس في بيعة الرضوان، وفي بعض الروايات ذكرت أن غلب الروم على الفرس وقع بعد مضي سبع سنين من غلب الفرس على الروم، ومنهم من قال إن سورة الروم نزلت في سنة إحدى عشرة قبل الهجرة من أن بيعة الرضوان كانت سنة ست بعد الهجرة»[٢٢٦].

ثالثاً: زمن ومكان نزول السورة:

«اتفق العلماء على إن سورة الروم مكية النزول، ومنهم من قال أنها مكية إلا آية وهي قوله تعالى: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾﴾ [الروم: ١٧] فهي مدنية النزول»[٢٢٧].

فسورة الروم سورة مكيّة وقد نزلت لتنبئ الرسول ﷺ والمسلمين بأمر غيبي سيقع بعد أعوام وهو انتصار الروم على الفرس بعد أن هزموا وهذا الإخبار بأمر غيبي هو في قمة الإعجاز ومن أظهر الدلالات على نبوة وصدق الرسول الكريم ﷺ.

---

(٢٢٤) انظر: روح المعاني ج٧ ص١٦.

(٢٢٥) انظر: من الرسالة ص١٤.

(٢٢٦) التحرير والتنوير ج١٠ ص٤٠.

(٢٢٧) روح المعاني ج٧ ص١٧.

رابعاً: محور السورة:

سورة الروم مكية وأهدافها نفس أهداف السور المكية التي تعالج قضايا العقيدة الإسلامية في إطارها العام وميدانها الفسيح الإيمان بالوحدانية وبالرسالة وبالبعث والجزاء(٢٢٨).

خامساً: الأهداف العامة للسورة:

على النحو التالي:

١ ـ الكشف عن الرباط الوثيق: بين أحوال الناس، وأحداث الحياة، وماضي البشرية وحاضرها ومستقبلها، وسنن الكون، ونواميس الوجود.

٢ ـ الإخبار عن حدث غيبي وهو انتصار الروم على الفرس وهي من أظهر الدلائل على صدق القرآن وصدق نبوة الرسول ﷺ.

٣ ـ تحدثت السورة عن أشراط الساعة وعن مصير كل من المؤمنين والكافرين.

٤ ـ إثبات البعث والرجوع للحساب يوم القيامة.

٥ ـ إثبات وحدانية الله سبحانه وتعالى بالمشاهد الكونية والدلائل القطعية.

٦ ـ بيان أن الإسلام هو دين الفطرة، فطر الله الناس عليه لا يتبدل ولا يتغير.

٧ ـ آيات السورة تتحدث عن آيات الله المبهرة في الكون وهذه الآيات واضحة بيّنة لمن نظر وأمعن في ملكوت الله ومخلوقاته.

٨ ـ من طبيعة المشرك الإنابة إلى الله إذا مسه الضر، والإشراك به حين الرخاء.

---

(٢٢٨) انظر: صفوة التفاسير ج٢ ص٤٧٠.

٩ ـ من دأب الناس الفرح بالنعمة والقنوط حين الشدة، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات.

١٠ ـ الأمر بالتصدق على ذوي القربى والمساكين وابن السبيل.

١١ ـ الدلائل التي وضعها سبحانه في الأنفس شاهدة على وحدانيته.

١٢ ـ للخير والشر فائدة تعود إلى المرء يوم تجزى كل نفس بما كسبت.

١٣ ـ أخذ العبرة والعظة في آثار المكذبين وفي ذلك عبرة لمن اعتبر.

١٤ ـ تسلية الرسول ﷺ على عدم إيمان قومه بأنهم صم عمي لا يسمعون ولا يبصرون.

١٥ ـ بيان أن الكافرين يكذبون بالآخرة لأنهم كانوا يكذبون بها في الدنيا.

١٦ ـ الإرشاد إلى أن الرسول ﷺ قد بلغ الغاية في الإعذار والإنذار، وأن قومه قد بلغوا الغاية في التكذيب والإنكار.

١٧ ـ أمر الله رسوله ﷺ بإدامة التبليغ مهما لقي من الأذى، وطمأنه بنصره وخذلان من كذب به(٢٢٩).

سادساً: المناسبات:

١ ـ كانت بداية سورة العنكبوت بالجهاد وختمت به وبدأت سورة الروم بما يفيد إن الله سينصر المؤمنين.

٢ ـ إن ما في هذه السورة من الحجج على التبليغ والنظر في الآفاق والأنفس مفصل هنا لما جاء مجملاً في سورة العنكبوت. في مثل قوله تعالى ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ۚ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾ [العنكبوت ٢٠].

---

(٢٢٩) انظر: التحرير والتنوير ج١٠ ص٤٠، صفوة التفاسير ج٣ ص٤٧٠.

فقد جاء بذلك هنا: مفصلاً.

في مثل قوله تعالى ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ. . .﴾ [الروم: ٨].

وقوله تعالى ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ. . .﴾ [الروم: ٩].

وقوله تعالى ﴿ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾﴾ [الروم: ١١].

٣ ـ إن كلاً منهما افتتح ب (ألم) غير متعقب بذكر القرآن(٢٣٠).

---

(٢٣٠) انظر: تفسير كشك ص٣٨٤٥، التفسير المنير ج٢١ ص٤٣، أسرار ترتيب القرآن ص١٢٤.

المبحث الثاني

عرض لآيات سورة الروم المتضمنة للقراءات العشر

المبحث الثاني
عرض لآيات سورة الروم المتضمنة للقراءات العشر

على النحو الآتي:

١ ـ قال تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسۡتَهۡزِءُونَ ١٠﴾ [الروم: ١٠].

القـراءة :

قرأ المدنيان وابن كثير والبصريان بالرفع **(كان عاقبةُ)**.

وقرأ الباقون بالنصب **(كان عاقبةَ)**[٢٣١].

المعنـى الإجمالـي للآيـة:

يخبر الله تعالى في هذه الآية أن عاقبة الذين يعملون السيئات ويكفرون بالله تعالى، ورسله الكرام، أن يجازيهم على أعمالهم السيئة بأقبح أنواع العذاب جزاءاً لما كانوا به يستهزئون.

قال الصابوني في معنى الآية: «أي ثم كان عاقبة المجرمين المكذبين بالله العقوبة، التي هي أسوأ العقوبات وهي نار جهنم، وذلك لأجل تكذيبهم بآيات الله المنزلة على رسلنا واستهزاءهم به»[٢٣٢].

---

(٢٣١) النشر ج٢ ص٢٥٨.

(٢٣٢) صفوة التفاسير ج٢ ص٤٧٣.

العلاقة بين القراءتين:

اختلف العلماء في **(عاقبَةَ)** و**(عاقبةُ)**.

وقال محمد سالم محيسن: من قرأ **(عاقبةُ)** بالرفع على أنها اسم كان وخبرها السوأى ومعناها: مصير المسيئين جهنم بسبب تكذيبهم بالله وبآياته.

ومن قرأ **(عاقبةَ)** بالنصب على أنها خبر كان واسمها السوأى، ومعناها أن السوأى عاقبة الذين أساءوا وذلك بدخولهم جهنم بسبب تكذيبهم بآيات الله(٢٣٣).

وقال الشوكاني مثل ذلك: «إن قراءة الرفع **(عاقبةُ)** دلَّت على أنها اسم كان، وخبرها السوأى: أي الفعلة أو الخصلة أو العقوبة.

وقراءة النصب **(عاقبةَ)** دلَّت على أنها خبر كان، والاسم السوأى، والتقدير ثم كان التكذيب عاقبة الذين أساءوا»(٢٣٤).

قال الألوسي، وابن عطية بذلك، والقرطبي لكن زاد بقوله: من نصب عاقبة جاز أن يكون اسمها التكذيب، أي كان التكذيب عاقبة الذين أساءوا(٢٣٥).

الجمع بين القراءتين:

أفادت القراءتان بالرفع والفتح أن مصير الكافرين جهنم وهي أسوأ أنواع العذاب وذلك بسبب كفرهم وتكذيبهم بالله تعالى.

٢ ـ قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ١١﴾ [الروم: ١١].

(٢٣٣) انظر: المغني ج٣ ص١٣٢.
(٢٣٤) فتح القدير ج٤ ص٢١٥.
(٢٣٥) انظر: روح المعاني ج١١ ص٢٤، المحرر الوجيز ص١٤٧٢، الجامع لأحكام القرآن ج٧ ص٣٣٨.

القـراءة:

قرأ أبو عمرو وأبو بكر وروح بالغيب (**يُرْجَعُونَ**)، وقرأ الباقون بالخطاب (**تُرْجَعُونَ**)[(٢٣٦)].

المعنـى اللغـوي للقـراءة:

الرجوع: العود إلى ما كان منه البدء، والرجع الإعادة.

والرجعة في الطلاق، وفي العود إلى الدنيا بعد الممات[(٢٣٧)].

المعنـى الإجمالـي للآيـة:

بعد أن بيَّن الله تعالى عاقبة المكذبين، وضَّح أنه تعالى يبدأ الخلق بعد الممات وهو قادر على إعادته كما هو قادر على بداءة الخلق فإليه المرجع والمعاد.

قال الشوكاني: «﴿ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ أي يخلقهم أولاً، ثم يعيدهم بعد الموت أحياء. ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ بعد الممات للحساب، فيجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته بالرجوع إلى الله تعالى يوم القيامة»[(٢٣٨)].

العلاقـة بيـن القـراءتين:

العلاقة بينهما علاقة بلاغية وهي الالتفات من الخطاب للغيبة.

قال مكي بن أبي طالب: «حجة من قرأ بالياء أنه حمله على الغيبة في قولة تعالى: ﴿يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ أي: يُرجِع الخلق، والخلق هم المخلوقون كلهم، لكن وحد اللفظ في قوله (يعيده) رداً على توحيد لفظ الخلق، ثم جمع في قوله (**تُرْجَعُونَ**) رداً على معنى الخلق.

---

(٢٣٦) انظر: النشر ج٢ ص٣٤٤.

(٢٣٧) انظر: المفردات ص٣٤٢.

(٢٣٨) فتح القدير ج٤ ص٢١٥.

وحجة من قرأ بالتاء أنه رده إلى الخطاب بعد الغيبة»[٢٣٩].

وقال بذلك الدكتور محمد سالم محيسن، وأبو علي الفارسي[٢٤٠].

وقال الألوسي: «الظاهر أن (**يُرْجَعُونَ**) بياء الغيبة، إلا أنه عدل عنها إلى خطاب المشركين لمكافحتهم بالوعيد ومواجهتهم بالتهديد وإيهام أن ذلك مخصوص بهم فهو التفات للمبالغة في الوعيد والترهيب»[٢٤١].

الجمع بين القراءتين:

دلَّت قراءة (**تُرْجَعُونَ**) التي تعود على الكفار، وقراءة (**يُرْجَعُونَ**) التي تعود على الخلق جميعاً، على قدرة الله تعالى على إعادة الخلق مرة ثانية للرجوع يوم القيامة والقصد من الالتفات من الغيبة التوبيخ والتقريع والتهديد بمواجهتهم بالخطاب والله أعلم.

٣ ـ قال تعالى: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَاۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الروم: ١٩].

القراءة:

قرأ حمزة والكسائي وخلف (**تَخرُجون**) بفتح حرف المضارعة وضم الراء ووافقهم يعقوب وابن ذكوان، وقرأ الباقون بضم حرف المضارعة وفتح الراء (**تُخرَجون**)[٢٤٢].

المعنى اللغوي للقراءة:

تخرجون: من الفعل خرج خروجاً ومخرجاً.

والمخرج: هو الموضع، ويستعمل الخروج في معنى الظهور، ومعنى الانتقال.

---

(٢٣٩) الكشف ج٢ ص١٨٣.
(٢٤٠) انظر: المغني ج٣ ص١٣٢ ـ ١٣٣، الحجة للقراء ج٣ ص٢٦٧.
(٢٤١) روح المعاني ج١١ ص٢٤.
(٢٤٢) تقريب النشر ص١١٥.

أو هو الانفصال من المكان الذي هو فيه إلى مكان غيره[٢٤٣].

وقال بذلك ابن عاشور: هو فصل شيء محوي عن حاوية، يقال: أخرجه من الدار أي فصله[٢٤٤].

المعنى الإجمالي للآية:

في هذه الآية بيان لقدرة الله العظيمة فهو قادر على إخراج الحي من الميت، وإخراج الميت من الحي، وإخراج النبات من الأرض، فكما هو قادر على تلك الأمور قادر على إخراجكم من قبوركم وإن ذلك على الله يسير.

قال ابن عاشور: من صور إخراج الحي من الميت إخراج الأجنة من النطف، وإخراج الفرخ من البيضة، وإخراج المؤمن من الكافر، وإخراج الميت من الحي على عكس ذلك.

وفيها إيماء على أن الله يخرج من الكافرين أفاضل المؤمنين كإخراج خالد بن الوليد من أبيه الوليد بن المغيرة، وإخراج أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط وغيرهم كثير ممن كانوا ميتين بكفرهم ولكن أخرج الله منهم أحياء بإيمانهم[٢٤٥].

﴿وَيُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَاۚ﴾ بالنبات بعد يبسها، والمعنى: «ومثل ذلك الإخراج تخرجون من قبوركم، فإن الإبداء والإعادة يتساويان في قدرة من هو قادر على إخراج الميت من الحي وعكسه»[٢٤٦].

---

(٢٤٣) انظر: القاموس المحيط ج١ ص٢٩٠، الكليات ص٤٣٢.

(٢٤٤) انظر: التحرير والتنوير ج١٠ ص٦٨.

(٢٤٥) انظر: المرجع السابق ج١٠ ص٦٨.

(٢٤٦) الأساس في التفسير ج٨ ص٤٢٦٤.

العلاقة بين القراءتين:

القراءة من باب الالتفات من الخطاب إلى الغيبة.

قال ابن خالويه: حجة من فتح التاء، وضم الراء **(تَخرُجون)**: أنه جعل الفعل لهم.

وحجة من ضم التاء وفتح الراء **(تُخرَجون)**: أنه جعله لما لم يسم فاعله(٢٤٧).

قال القرطبي: المعنيان متقاربان، وقراءة الفتح على نسق الكلام والمعنى: أي إذا دعاكم خرجتم أي أطعتم(٢٤٨).

قال الشوكاني في معناها: يحي الله الأرض بالنبات بعد موتها وهو شبيه بإخراج الحي من الميت فمثل ذلك الإخراج تخرجون من قبوركم(٢٤٩).

الجمع بين القراءتين:

دلَّت القراءتان على قدرة الله تعالى في إحياء من لا حياة فيه وذلك بإخراجهم من الأرض بعد أن كانوا أمواتاً، وفي هذا إثبات على استحقاق الله للعبادة، وتتضمن إثبات البعث بعد الموت فالخطاب موجه للكفار والمؤمنين والله أعلم.

٤ ـ قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [الروم: ٢٢].

القراءة:

روى حفص عن عاصم بكسر اللام **(لِلْعَالِمِينَ)** وقرأ الباقون بفتحها **(لِلعالَمينَ)**(٢٥٠).

---

(٢٤٧) الحجة في القراءات ص٢٨٣.
(٢٤٨) انظر: الجامع لأحكام القرآن ج٧ ص٣٤٧.
(٢٤٩) انظر: فتح القدير ج٤ ص٢١٩.
(٢٥٠) النشر ج٢ ص٣٤٤.

المعنى اللغوي للقراءة:

العالِمين: بالكسر، مشتق من العلم.

والعلم: هو إدراك الشيء بحقيقته.

والعالمين: بالفتح هم عالمي زمانهم، وقيل: هم فضلاء زمانهم الذين يجري كل واحد منهم مجرى كل عالم(٢٥١).

المعنى الإجمالي للآية:

في هذه الآية دليل من الأدلة على قدرة الله تعالى الباهرة وهي خلق السموات والأرض وجعلها في هذا النظام البديع، وأيضاً خلق الله بني آدم مختلفين في لغاتهم التي يتكلمون بها، ومختلفين في ألوانهم وأشكالهم، كل ذلك آيات واضحة على قدرة الله تعالى.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي من آياته الدالة على قدرته العظيمة خلق السموات والأرض وما فيهما من أمور لا يقدر عليها إلا الله كرفع السماء بغير عمد، وتمهيد الأرض وغيرها من الأمور.

قال القرطبي: «﴿وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ﴾ أي اختلاف اللغات: من عربية وأعجمية وتركية ورومية وغيرها من اللغات، ﴿وَأَلْوَٰنِكُمْ﴾ اختلاف الألوان في الصور من البياض والسواد والحمرة فلا ترى أحداً إلا وتفرق بينه وبين الآخر.

وهذا ليس من فعل الوالدين أو أي أحدٍ إلا الله الواحد القادر على ذلك، فهذا أدل دليل على المدبر البارئ، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ﴾ أي في ذلك كله آيات للبر والفاجر فلتتعظوا بها وبغيرها من الآيات الدالة على قدرة الله تعالى(٢٥٢).

(٢٥١) انظر: المفردات ص٥٨٢.

(٢٥٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن ج٧ ص٣٤٥٨.

العلاقة بين القراءتين:

«أفادت قراءة فتح اللام أن هذه الآيات لجميع البشر، وخصصت قراءة كسر اللام بعض أفراد هذا العموم بالذكر فهم العلماء تنبيهاً لخاصية العالِم في الفهم والاعتبار والاستنباط دون الجاهل»(٢٥٣).

قال ابن خالويه: «والحجة لمن فتح: أنه جعله جمع (عالَم) والعالَم يحتوي كل المخلوقات من إنس، وجان، وجماد، وحيوان. والحجة لمن كسر: أنه جعله جمع (عالِم) لأن العالِم أقرب إلى الاعتبار من الجاهل. ودليله قوله ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ﴾(٢٥٤). قال بذلك محمد سالم محيسن(٢٥٥).

قال ابن عاشور: معنى قراءة فتح اللام: إن في ذلك آيات لجميع الناس لأنها ثابتة عندهم وآياته معلومة بمجرد التفات الذهن دون إمعان النظر.

ومعنى قراءة كسر اللام: أي إن هذه الآيات لأولي العلم فقط(٢٥٦).

وقال السيوطي، وابن عطية والألوسي مثل ذلك(٢٥٧).

الجمع بين القراءتين:

أفادت قراءة كسر اللام على إن التبصر لهذه الآيات إنما يكون من العلماء خصهم الله تعالى لأنهم أهل النظر والاستنباط والاعتبار دون الجاهلين الذين هم في غفلة وسهو عن تدبر الآيات والتفكر.

والقراءة بفتح اللام معناها جميع المخلوقات فالعالَمين جمع عالَم كما

---

(٢٥٣) القراءات وأثرها في التفسير والأحكام ج٢ ص٦٩٦.

(٢٥٤) الحجة في القراءات ص٢٨٢.

(٢٥٥) انظر: المستنير ج٢ ص٢٠٨، والقراءات وأثرها في علوم اللغة ج١ ص٦٢٦.

(٢٥٦) انظر: التحرير والتنوير ج١٠ ص٧٥.

(٢٥٧) انظر: معترك الأقران ج٢ ص٦٢٥، المحرر الوجيز ص١٤٧٤، روح المعاني ج١١ ص٣٢.

قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة: ١]، والعالَم جميع المخلوقات في كل أوان فذلك أعم من جميع الخلق إذ الآيات يشهدها العالِم والجاهل وفيها آية للجميع وحجة لكل الخلق ليس بحجة على العالِم دون الجاهل فكان العموم أولى بذلك(٢٥٨).

٥ ـ قال تعالى: ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ۝٣٢﴾ [الروم: ٣٢].

القـراءة :

قرأ حمزة والكسائي بألف بعد الفاء وتخفيف الراء (**فارْقوا**)، وقرأ الباقون بغير ألف وتشديد الراء (**فرّقوا**)(٢٥٩).

المعنـى اللغـوي للقـراءة:

فرّق: من التفريق والتميز بين الشيئين.

ومن ذلك: فَرَقَ الشعر، والفِرقُ: القطيع من الغنم، والفُرُق الفلق بين الشيء.

والفرقان: كتاب الله تعالى فرّق بين الحق والباطل(٢٦٠).

المعنـى الإجمالـي للآيـة:

بيان تفرق الأمة إلى فرق ومذاهب وأحزاب ومنهم من يتعصب على مذهبة ويدافع عن مذهبة وهو فرح به.

قال سعيد حوى: ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا﴾ أي فرقاً كل واحدة تشايع إمامها الذي أضلها، فهنا أمر من الله أن نكون على الدين الصحيح لا مثل المشركين الذين فرقوا دينهم وبدلوه وغيروه، ﴿كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ أي كل حزب فرح بمذهبه مسرور يجد باطلة حقا، ودلّت

(٢٥٨) انظر: القراءات وأثرها في التفسير والأحكام ج٢ ص٦٩٦.

(٢٥٩) النشر ج٢ ص٢٠٠.

(٢٦٠) انظر: مقاييس اللغة ص٤٩٤.

الآية على أن الشرك رأس العلل، ومنه يحدث التفرق وتنشأ المذاهب والتفرق والعصبية للباطل[٢٦١].

العلاقة بين القراءتين:

أفادت قراءة **(فرّقوا)** أن المشركين اتخذوا عدة آلهة، وفرقوا الدين إلى أحزاب وشيع كل يعادي الآخر.

وأفادت قراءة **(فارقوا)** ابتعاد المشركين عن الدين الإسلامي، ولم يتبعوه.

ومن العلماء من قال بذلك حيث قال:

ابن خالويه: «حجة من أثبت الألف **(فارقوا)** أنه أراد: ترك الدين، وانصرفوا عنه. وحجة من قرأ **(فرّقوا)**: أنه أراد: جعلوه فرقاً آمنوا ببعض وكفروا ببعض، ودليلة ﴿وَكَانُوا۟ شِيَعًا﴾ في الآية نفسها»[٢٦٢].

قال محمد سالم محيسن مثل ذلك[٢٦٣].

قال ابن كثير: معنى **(فرّقوا)** على معنى لا تكونوا كالمشركين الذين بدّلوا دينهم أي فرّقوه.

وقرأ بعضهم: **(فارقوا)** دينهم أي تركوه وراء ظهورهم، وهؤلاء مثل الأديان الباطلة[٢٦٤].

وقال الألوسي والزمخشري والبيضاوي بمعنى مشابه لقول ابن كثير[٢٦٥].

---

(٢٦١) انظر: الأساس في التفسير ج٨ ص٤٢٧٢.

(٢٦٢) الحجة في القراءات ص١٥٢.

(٢٦٣) انظر: المستنير ج٢ ص٢٠٩.

(٢٦٤) انظر: تفسير القرآن العظيم ج٤ ص٤٤٣.

(٢٦٥) انظر: روح المعاني ج١١ ص٤١، الكشاف ج٣ ص٢٢٢، تفسير البيضاوي ج٤ ص٣٣٥.

الجمـع بيـن القراءتيـن:

دلّت (**فارقوا**) على أنهم تركوا الدين، من المفارقة والفراق على معنى أنهم خرجوا منه.

ودلّت (**فرّقوا**) على أنهم آمنوا ببعض وكفروا ببعض أي من التفريق.

فحالُ من فارق دينه وحالُ من فرّق في دينه فآمن ببعض وكفر ببعض أنه حالٌ واحد ومآل واحد فالكفار فارقوا وفرّقوا(٢٦٦).

٦ ـ قال تعالى: ﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُواْ بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الروم: ٣٦].

القـراءة :

قرأ البصريان، والكسائي، وخلف بكسر النون (**يقنِطون**)، والباقون بفتحها (**يَقْنَطُونَ**)(٢٦٧).

المعنـى اللغـوي للقـراءة:

قَنِطَ قَنْطاً وقَنَاطَة، وقَنّطه تقْنِيطاً: آيسه ومنعه.

والقنوط: يدل على اليأس من الشيء واليأس من الخير والرحمة أيضاً(٢٦٨).

المعنـى الإجمالـي للآيـة:

بيّن الله تعالى عندما يكون الإنسان بأي نعمة من النعم مال أو ولد أو أي نعمة أخرى فإنه يفرح بها لكن إذا أصابه شيء من الآلام أو ما يزعجه فإنه ييأس من رحمة الله ويقنط مما أصابه.

---

(٢٦٦) انظر: القراءات وأثرها في التفسير والأحكام ج٢ ص٥٥٣.

(٢٦٧) النشرج٢ ص٢٢٧.

(٢٦٨) انظر: القاموس المحيط ج١ ص٩٢٣، لسان العرب ج٧ ص٣٨٦، المفردات ص٦٨٥.

قال الألوسي: ﴿وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةً﴾ أي من نعمة وصحة وسعة ﴿فَرِحُواْ بِهَاۖ﴾ بطراً فإنه هو الفرح المذموم المنهي عنه، ﴿وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ﴾ شدة، أو مصيبة ﴿بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ﴾ بسبب معاصيهم، وما يفعلون من شر، ﴿إِذَا هُمۡ يَقۡنَطُونَ﴾ أي القنوط من رحمة الله ﷻ[269].

العلاقة بين القراءتين:

اختلاف القراءة هنا من ناحية اختلاف حركه الفعل.

قال محمد سالم محيسن: القراءتان ترجعان إلى أصل الاشتقاق فالقراءة الأولى مضارع **(قنَط يقنِط)** بفتح العين في الماضي، وكسرها في المضارع.

والقراءة الثانية مضارع **(قنِط يقنَط)** بكسر العين في الماضي، وفتحها في المضارع ومعناها لا تيأسوا[270].

وقال ابن عاشور: هما لغتان[271].

الجمع بين القراءتين:

دلّت القراءتان على أن القنوط يداهم الإنسان فجأة، وذلك بسبب ضعف نفسه فقد ورد النهي عن القنوط وهو اليأس من رحمة الله تعالى والقنوط واليأس سببه المعصية فدلّت القراءتان: على أنّ من غير اللائق بالعبد المذنب الذي أسرف على نفسه أن يقنط من رحمة الله تعالى ما دامت التوبة والإنابة والإسلام والعمل الصالح في متناول يده والله أعلم.

٧ ـ قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن رِّبٗا لِّيَرۡبُوَاْ فِيٓ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرۡبُواْ عِندَ ٱللَّهِۖ وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن زَكَوٰةٖ تُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُضۡعِفُونَ ٣٩﴾ [الروم: ٣٩].

---

(٢٦٩) روح المعاني ج١١ ص٤٢.
(٢٧٠) القراءات وأثرها في علوم اللغة ج١ ص٢٧١.
(٢٧١) انظر التحرير والتنوير ج٧ ص١٥١.

القـراءة :

«قرأ ابن كثير بقصر الهمزة **(وما أتيتم)**، وقرأ الباقون بمدها **(وما ءاتيتم)**»[٢٧٢].

«وقرأ المدنيان ويعقوب بالخطاب وضم التاء وإسكان الواو **(لِتُربوْا)** وقرأ الباقون بالغيب وفتح الياء والواو **(ليَربُوَا)**»[٢٧٣].

المعنى الإجمالي للآيـة:

في هذه الآية الكريمة ينكر الله على من يتعامل في معاملاته بالربا، فليس له أجر ولا زيادة في ماله، لكن ما يقدمه الإنسان من صدقه خالصة لوجه الله تعالى فهي التي يثاب عليها ويضاعف الله له الأجر أضعافاً مضاعفه.

قال ابن عطية: يحتمل معنى الآية النهي عن الربا في التجارات، فما فعل المرء من ربا ليزداد به من مال وفعله ذلك في أموال الناس، فإن ذلك لا يربو عند الله تعالى ولا يزكو بل فيه الإثم ومحق البركة، لكن ما أعطى الإنسان من صدقه وزكاة فهي تنمية لماله وتطهيرٌ له يريد بذلك وجه الله تعالى فذلك الذي يجازى عليه أضعافاً مضاعفه من الأجر[٢٧٤].

العلاقـة بيـن القراءتيـن:

(وما آتيتم) الاختلاف فيها راجعٌ إلى مد **(آتيتم)** وعدم مدها.

قال مكي بن أبي طالب: «**(وما آتيتم)** قرأه ابن كثير بغير مد، جعله من باب المجيء، وقرأ الباقون بالمد، وجعلوه من باب الإعطاء، ومعناه: وما أعطيتم من عطية، لتعوضوا أكثر منها، فلا ثواب لكم فيها عند الله، وذلك مثل الرجل يهدي إلى الرجل هدية ليعوضه أكثر منها، وهذا مباح

---

(٢٧٢) غيث النفع ص٢٢٢.

(٢٧٣) النشر ج٢ ص٢٥٨.

(٢٧٤) انظر: المحرر الوجيز ص١٤٧٩.

لأمه محمد ﷺ، وهو غير مباح للنبي عليه السلام.

وترك المد معناه: ما جئتم من ربا، فهو يرجع إلى معنى الإعطاء»(٢٧٥).

وقال الشوكاني: قراءة القصر تئول إلى قراءة المد لأن معناها ما فعلتم على وجه الإعطاء(٢٧٦).

وقال الألوسي: «قرأ ابن كثير (**أتيتم**) بالقصر، وعلى قراءة الجمهور معناه أعطيتم، وعلى هذه القراءة المعنى ما جئتم أي ما جئتم من عطاء ربا»(٢٧٧).

و(**ليربوا**) الاختلاف فيها راجع إلى الالتفات من الخطاب إلى الغيبة.

قال الطبري: «(**لِيَربُوَا**) بفتح الياء من يربو بمعنى: وما آتيتم من ربا ليربوا ذلك الربا في أموال الناس.

و(**لتُربوُا**) بضم التاء من تُربوا بمعنى: وما آتيتم من ربا لتربوا أنتم في أموال الناس»(٢٧٨).

الجمع بين القراءتين:

(**وما آتيتم من ربا**): بدون المد أي ما آتيتم من هدية يتوقع بها مزيد مكافأة ليزيد في أموالهم، ينمو فيها فلا يثاب عليه من عند الله.

ومعنى (**آتيتم**) بالمد: أي أصبحوا ذوي زيادة لإعطائهم الربا في أموال الناس فدلّتا على تحريم الربا، وكل زيادة في أموال الناس غير مشروعه، ليربوا ذلك ويزيد في أموالهم، فهذا يعود عليه بالخسارة في الدنيا والآخرة والله أعلم.

---

(٢٧٥) الكشف ج٢ ص١٨٤، انظر: الحجة في القراءات ج٢ ص٢٨٣.

(٢٧٦) انظر: فتح القدير ج٤ ص٢٢٧.

(٢٧٧) روح المعاني ج١١ ص٤٥.

(٢٧٨) جامع البيان المجلد ١١ج ١٩ ص٦٨٩٨.

٨ ـ قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [الروم: ٤٠].

القـراءة:

قرأ حمزة والكسائي وخلف بالخطاب **(تُشْرِكون)**، وقرأ الباقون بالغيب **(يُشْرِكون)**(٢٧٩).

المعنـى اللغـوي للقـراءة:

الشرك: هو الخلط بين المُلكين، وهو أن يوجد شيء لاثنين فصاعداً.

والشرك نوعان وهما: الشرك العظيم، وهو إثبات شريك لله تعالى، يقال: أشرك فلان بالله تعالى.

والثاني: شرك صغير وهو مراعاة غير الله تعالى معه في بعض الأمور وهو الرياء والنفاق(٢٨٠).

المعنـى الإجمالـي للآيـة:

بيّن الله تعالى أنه وحده جل جلاله هو القادر على الخلق ابتداءً وهو القادر على الرزق باختلاف أنواعه ثم بعد ذلك يميتكم وبعد ذلكم يحييكم الحياة الثانية للبعث والحساب، فهل يستطيع أحد من المعبودات الأخرى التي تعبدونها من دون الله فعل ذلك؟ كلا الله وحده هو القادر على ذلك تنزه وتعالى عن الشريك والولد والوالد.

قال ابن كثير: «﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ﴾ أي هو الخالق الرازق للإنسان، يولد لا سمع له ولا بصر ولا قوى ويرزقه الله القوى واللباس والمال.

(٢٧٩) النشر ج٢ ص٢١٢.

(٢٨٠) انظر: المفردات ص٤٥١ ـ ٤٥٢.

﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ أي بعد هذه الحياة، ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ يوم القيامة، ﴿هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم﴾ أي الذين تعبدونهم من دون الله، ﴿مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيْءٍ﴾ أي لا يقدر أحد منهم على فعل شيء من ذلك بل الله سبحانه هو المستقل بالخلق والرزق والإحياء والإماتة ثم يبعثهم يوم القيامة ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ أي تعالى وتقدس وتنزه وتعاظم وجل وعز أن يكون له شريك أو نظير أو مساوي»[٢٨١].

العلاقة بين القراءتين:

هذه القراءة من باب الالتفات من الخطاب إلى الغيبة ومن العلماء من قال بذلك ومنهم ابن عاشور[٢٨٢].

الجمع بين القراءتين:

حال المشركين السابقين في عبادتهم للآلهة من دون الله، يشركون مع الله تعالى في الرخاء، توسلاً واستشفاعاً بها، وينسونها إذا اشتد بهم البلاء، ويصرفون وجوههم عنها إليه، ويخلصون له في العبادة والدعاء والرجاء.

فتعالى الله عما تشركون أيها الكفار مع الله إلهاً آخر، فدلّتا على التهكم بهم وبما يعبدون من دون الله، وتنزيه الله تعالى عن الشريك، ونفي ربوبيتهم وألوهيتهم.

٩ - قال تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الروم: ٤١].

القراءة:

قرأ قنبل، وروح بالنون (**لِنُذيقهم**)، وقرأ الباقون بالياء (**لِيُذِيقَهم**)[٢٨٣].

---

(٢٨١) تفسير القرآن العظيم ج٣ ص٤٤٤.
(٢٨٢) انظر: التحرير والتنوير ج١٠ ص١٠٨.
(٢٨٣) انظر: النشر ج٢ ص٢٥٨.

المعنى الغوي للقراءة:

الذوق: هو وجود الطعم في الفم، ويكون فيما قل تناوله دون ما كثر. ثم كثر حتى جعل عبارة عن كل تجربة.

واختير في القرآن لفظ الذوق في العذاب، واستعمل مع الرحمة أيضاً[(٢٨٤)].

المعنى الإجمالي للآية:

في هذه الآية يبيّن الله أن الفساد عم وانتشر في كل مكان في البر والبحر وذلك بسبب ما اكتسب الناس بأفعالهم من المعاصي والذنوب، فكان الفساد تنبيهاً لهم لأخذ الموعظة والاعتبار منها لعلهم يرجعون إلى الله.

قال سعيد حوى: «إن المراد بالفساد: هو ما يترتب على المعاصي والشرك فثمره العذاب النكد، أو المراد منه نقص البركات في البر والبحر»[(٢٨٥)].

وقال الصابوني: ظهرت البلايا والنكبات في بر الأرض وبحرها بسبب معاصي الناس وذنوبهم. ﴿لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟﴾ أي ليذيقهم وبال أعمالهم التي عملوها في الدنيا ويوم القيامة يحاسبهم الله على ما فعلوا. ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ أي يتوبون إلى الله ويرجعون عن المعاصي[(٢٨٦)].

العلاقة بين القراءتين:

هذه القراءة من باب الالتفات من الخطاب للغيبة، والغرض منه تعظيم ما يصيبهم من عذاب يوم القيامة.

قال مكي بن أبي طالب: «من قرأ بالنون فهي إخبار من الله جل ذكره عن نفسه.

---

(٢٨٤) انظر: المفردات ص٣٣٢، والكليات ٤٦٢.

(٢٨٥) الأساس في التفسير ج٨ ص٤٢٨٦.

(٢٨٦) انظر: صفوة التفاسير ج٣ ص٤٨١.

ومن قرأ بالياء حمله على لفظ الغيبة التي قبله وهو قوله ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ﴾ [الروم: ٤٠]»[٢٨٧] وبهذا المعنى قال الدكتور محمد سالم محيسن[٢٨٨].

قال الطبري: ليذيقهم الله بعض الذي عملوا، ونذيقهم على وجه الخبر عن الله تعالى[٢٨٩].

وقال أبو حيان: «المعنى أنه تعالى أفسد أسباب دنياهم ومحقهم ليذيقهم وبال أعمالهم قبل أن يعاقبهم بها في الدنيا»[٢٩٠].

وقال ابن عاشور: أي يذيقهم الله.

وقال الشوكاني: يذيقهم عقاب بعض ما عملوا أو جزاء بعض ما عملوا[٢٩١].

وقال القرطبي: دلّت قراءة من قرأ بالنون على التعظيم[٢٩٢].

الجمع بين القراءتين:

دلّت قراءة (**ليذيقهم**) على أن الله تعالى يذيقهم بعض جزاء ما عملوا أي أن الفساد هو جزاء أعمالهم لا نفس أعمالهم فالذي أذيقوا هو جزاء بعض ما عملوا.

ودلّت قراءة (**لنذيقنهم**) إن الله تعالى يذيقهم ذلك العذاب فدلّت على عظم ما يصيبهم، وعظم قدرة الله تعالى يوم القيامة. فدلّتا على عظم عذاب يوم القيامة.

١٠ ـ قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَـٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ

(٢٨٧) الكشف ج٢ ص١٨٥.

(٢٨٨) انظر: المغني ج٣ ص١٣٦، المستنير ج٢ ص٢١٢ ـ ٢١٣.

(٢٨٩) انظر: جامع البيان المجلد ١١ ص٦٩٠٢ ج١٩ ص٥٤.

(٢٩٠) البحر المحيط ج٧ ص١٧١.

(٢٩١) انظر: التحرير والتنوير ج١٠ ص١١٣، فتح القدير ج٤ ص٢٢٨.

(٢٩٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن ج٧ ص٣٦٥.

عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴿٤٨﴾ [الروم: ٤٨].

القـراءة:

قرأ ابن كثير، وحمزة، والكسائي بالإفراد **(الريح)**، وقرأ الباقون بالألف بعد الياء على الجمع **(الرياح)**[٢٩٣].

قرأ المدنيان وابن عامر وعاصم **(كِسَفاً)** بفتح السين.

وقرأ الباقون (كِسْفا) بسكون[٢٩٤].

المعنـى اللغـوي للقـراءة:

الرياح: هو الهواء المتحرك.

والريح بلفظ الواحد هو العذاب، وبلفظ الجمع هو الرحمة[٢٩٥].

وكِسَفا: من كَسَفَ القمر يكْسِفُ كُسوفاً، وكَسَفَ القمر أي ذهب نوره وتغير إلى السواد.

والتكسيف: التقطيع، وكَسَف الشيء يكسِفُ كِسْفاً.

والكِسْفُ والكِسْفة والكَسيفة: القطعة[٢٩٦].

قال الشوكاني: الكسف جمع كسفة، وهي القطعة من السحاب[٢٩٧].

المعنـى الإجمالـي للآيـة:

يبيّن الله تعالى في هذه الآية أنه تعالى هو القادر فقط على إرسال الرياح التي هي سببٌ في إنزال المطر، وذلك بعد أن يتبخر الماء، ثم يتكون في السماء على شكل سحاب، ينزل من خلاله المطر ويختلف قلةً

---

(٢٩٣) انظر: النشر ج٢ ص١٦٨.

(٢٩٤) انظر: النشر ج٢ ص٢٣٢.

(٢٩٥) انظر: المفردات ص٣٧٠.

(٢٩٦) انظر: لسان العرب ج٦ ص٢٩٨ ـ ٢٩٩.

(٢٩٧) انظر: فتح القدير ج٤ ص٢٣٠.

وكثرة تبعاً لاختلاف الرياح فإذا أصاب الناس المطر إذا هم يفرحون به.

قال ابن كثير: يبيّن الله تعالى كيف يخلق السحاب فقال إما من البحر أو مما يشاء الله ﷻ ثم ﴿فَيَبْسُطُهُۥ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ أي يمده ويكثره ويجعل من القليل كثيراً ثم ينشىء السحاب ﴿وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا﴾ أي قطعاً، ﴿فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ﴾ أي المطر يخرج من بين السحاب ﴿فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ أي لحاجتهم له يفرحون به(٢٩٨).

العلاقة بين القراءات:

قال الدكتور محمد سالم: «قراءة الرياح بالجمع دلّت على اختلاف أنواع الرياح في هبوبها جنوباً وشمالاً وفي أوصافها حارة وباردة.

ومن قرأ بالإفراد فهو اسم جنس يصدق على القليل والكثير»(٢٩٩).

قال القرطبي: «ما كان بمعنى الرحمة فهو جمع، وما كان بمعنى العذاب فهو موحد»(٣٠٠).

وقال الشوكاني مثل ذلك(٣٠١).

وقال ابن عاشور: جاءت الرياح بصيغة الجمع لأنه شاع في استعمالها أنها ريح البشارة بالمطر لأن الرياح التي تثير السحاب هي الرياح المختلفة في هبوبها بين شمال وجنوب، بخلاف المفرد فإنه غلب في استعمالها على ريح القوة والشدة لأنها تتصل من جهة واحدة حتى تشتد(٣٠٢).

وقال الرازي: «سمى النافعة رياحاً والضارة ريحاً لأن النافعة كثيرة الأنواع، كثيرة الأفراد فإن كل يوم وليلة تهب نفحات من الرياح النافعة ولا

---

(٢٩٨) تفسير القرآن العظيم ج٣ ص٤٤٦.

(٢٩٩) القراءات وأثرها في علوم اللغة ص٣٤٥.

(٣٠٠) الجامع لأحكام القرآن ج٧ ص٣٦٧.

(٣٠١) انظر: فتح القدير ج٤ ص٢٣٠.

(٣٠٢) انظر: التحرير والتنوير ج١٠ ص١٢١.

تهب الريح الضارة في أعوام بل الضارة في الغالب لا تهب في الدهور.

والنافعة لا تكون إلا رياحاً فإن ما يهب مرة واحدة لا يصلح الهواء ولا ينشىء السحاب ولا يجري السفن، وأما الضارة بنفحة واحدة كريح السموم»(٣٠٣).

بينما قراءة (كِسَفا) و(كِسْفا) فهما بمعنى واحد وهو القطعة من السحاب.

قال أبو علي: «الكِسَف القطع، والواحد كِسْفة مثل سِدْرَة وسِدَر، ومن قرأ كِسْفا مثل سذرة وسذر، فيكون معنى القراءتين واحداً»(٣٠٤).

قال ابن خالويه: حجة من فتح: «أنه أراد به جمع (كِسَفه) كقولك قطعة وقطع. وحجة من أسكن: أنه شبهه بالمصدر في قولهم علم، وحلم»(٣٠٥).

الجمع بين القراءات:

الله تعالى جلت قدرته هو مصرف الرياح ومسخر السحب ومنزل الغيث. «فجاءت ريح» في القرآن الكريم مفردة وبصيغة الجمع «رياح» وحيث ورد ذكر كلمة «ريح» مفردة، يكون ذلك للعذاب، بينما تجيء كلمة «رياح» في حالة الجمع للرحمة وإنزال الغيث أو باعتبار الأفراد اسم جنس يطلق على القليل والكثير فتتفق مع الجمع وقراءه كسفاً: أن الله تعالى يجعل السماء قطعه واحده أو قطعاً كثيرة.

١١ ـ قال تعالى: ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾ [الروم: ٥٠].

(٣٠٣) مفاتيح الغيب ج١٣ ص١٣٥.

(٣٠٤) الحجة للقراء ج٣ ص٢٦٩.

(٣٠٥) الحجة في القراءات ص٢٢٠.

القـراءة:

قرأ المدنيان والبصريان وابن كثير وأبو بكر **(أثر)** بقصر الهمزة وحذف الألف بعد الثاء على التوحيد، وقرأ الباقون بمد الهمزة وألف بعد الثاء على الجمع **(ءآثار)**[٣٠٦].

المعنى اللغـوي للقـراءة:

أثر الشيء: حصول ما يدل على وجوده أي بقية الشيء، أو هو ما يبقى بعد الشيء فيدل عليه كأثر القدم وأثر البناء وأثر الطريق ثم استعير لكل ما يتفرع عن شيء[٣٠٧].

المعنى الإجمالي للآية:

بعد أن بيّن الله في الآية السابقة أنه وحده تعالى القادر على إرسال المطر، بيّن هنا وجوب التفكر في آثار نعمته علينا، بهذا المطر الذي ينتفع به الإنسان ويجعله رحمة لنا، ويحي به الأرض بعد موتها، فكما أحيا الأرض بعد موتها فهو قادر على إحياء الموتى يوم القيامة لحسابهم.

وهذا دليل منطقي يخاطب أصحاب العقول فيقنعهم بأن يوم القيامة حق.

قال الشوكاني: «﴿فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ﴾ أي آثاره بإنزال المطر، والنبات، والزرع التي يكون بها الخصب ورخاء العيش، أي انظر نظر اعتبار وتفكر لتستدل على قدرة الله وتفرده بهذا الصنع العجيب، ﴿كَيۡفَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ﴾ أي انظر إلى كيفية هذا الإحياء البديع للأرض، ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ أي إن الله القادر على فعل إحياء الأرض الميتة فهو قادر على إحياء الموتى للبعث والحساب، وهو على كل شيء قادر لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء»[٣٠٨].

---

(٣٠٦) انظر: النشر ج٢ ص٢٥٨.

(٣٠٧) انظر: المفردات ص٦٢، الكليات ص٤٠.

(٣٠٨) انظر: فتح القدير ج٤ ص٢٣١.

العلاقة بين القراءتين:

اختلفت القراءة من بين الجمع والإفراد، فأفادت قراءة الجمع على آثار المطر في الأرض، بينما أفادت قراءة الإفراد على إحياء الله الأرض، ومن العلماء من قال بذلك:

قال مكي بن أبي طالب: «**(آثار)** بالجمع لكثره ما تؤثر الرحمة في الأرض، وهو المطر. ومن قرأ بالتوحيد، لأنه لما أضيف إلى المفرد أفرد ليأتلف الكلام، وهو أيضاً فإن الواحد يدل على الجمع، وهو أخف، ويقوي ذلك أن بعده (كيف يحيي الأرض) فهذا إخبار عن واحد»[٣٠٩].

قال ابن خالويه: «حجة من وحد: أنه اكتفى بالواحد من الجمع، لنيابته عنه، ودليله قوله ﴿هُمْ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى﴾ [طه: ٨٤] ولم يقل آثاري.

والحجة لمن جمع: أنه أراد به آثار المطر في الأرض مرة بعد مرة، والمراد بهذا من الله ﷻ تعريف من لا يقر بالبعث، ولا يوقن بحياة بعد موت، فأراهم الله تعالى إحياء بعد موت، ليعرفوا ما غاب عنهم بما شاهدوه عياناً، فتكون أبلغ في الوعظ لهم، وأثبت للحجة عليهم»[٣١٠].

قال الطبري: «من قرأ **(أثر)** كان المعنى: انظر يا محمد إلى أثر الغيث الذي أصاب الله عباده، ومن قرأ **(آثار)** كان المعنى: انظر إلى آثار الغيث الذي أصاب الله به من أصاب كيف يحيي الأرض بعد موتها وقال معنى القراءتين متقارب: وذلك أن الله أحيا الأرض بغيث أنزله عليها، فإن الغيث أحياها بإحياء الله إياها به، فإذا أحياها الغيث فإن الله هو المحيي لها»[٣١١].

وقال أبو حيان من قرأ: «**(آثار)** بالجمع رجع الضمير إلى آثار الرحمة وهو النبات.

---

(٣٠٩) الكشف ج٢ ص١٨٥.

(٣١٠) الحجة في القراءات السبع ص٢٨٣، انظر المغني ج٣ ص١٣٦ ـ ١٣٧، القراءات وأثرها في علوم اللغة ص٣٥٢.

(٣١١) جامع البيان المجلد ١١ ص٦٩٠٧ ج١٩ ص٥٩.

ومن قرأ (**أثر**) لأن الرحمة هي الغيث وأثرها النبات»[٣١٢].

وقال القرطبي من قرأ **آثار** بالجمع دلّت على أن رحمة الله يراد بها الكثرة[٣١٣].

الجمع بين القراءتين:

دلّت قراءة (**آثار**) ما يترتب على نزول المطر من النبات والأشجار والثمار وهي بعينها آثار حياة الأرض بعد موتها بينما دلّت قراءة (**أثر**) على الإفراد، وهو إحياء الله تعالى الأرض بعد موتها بالمطر. فدلّتا على الأمر بالنظر في آثار النبات والغيث وأنها متعددة وذلك للاعتبار والاستدلال على آثار الله تعالى الدالة على وجوده وتصرفه بما فيه رحمة للخلق.

١٢ ـ قال تعالى: ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [الروم: ٥٢].

١٣ ـ ﴿وَمَآ أَنتَ بِهَـٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَـٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [الروم: ٥٣].

القـراءة:

قرأ ابن كثير بالياء التحتية وفتحها وفتح الميم ورفع الصم (ولا يَسمَعُ الصمُ)، وقرأ الباقون بالتاء الفوقية وضمها وكسر الميم ونصب الصم (تُسمِعُ الصمَ).

وقرأ حمزة (**تَهْدي العميَ**) بالتاء الفوقية وفتحها وإسكان الهاء من غير ألف وفتح ياء العمي على النصب، وقرأ الباقون بالباء الموحدة المكسورة وفتح الهاء وألف بعدها وكسر ياء العمي على الخفض (**بِهَادي العميِ**)[٣١٤].

---

(٣١٢) البحر المحيط ج٧ ص١٧٤.

(٣١٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن ج٧ ص٣٦٨.

(٣١٤) انظر: النشر ج٢ ص٢٥٤.

المعنـى الإجمالـي للآيـة:

هذا خطاب موجه من الله تعالى للرسول محمد عليه الصلاة والسلام أي إنك لا تستطيع إسماع الموتى في قبورهم، وكذلك لن تستطيع أن تسمع من كان في أذنيه صمم ولا يسمع نداءك ودعاءك، وكذلك لن تستطيع أن ترشد من أعماه الله، فكذلك الكافرون لن يستطيعوا سماع المواعظ التي تقدمها لهم. فشبههم بالموتى، وبمن كان في أذنيه صمم، وبالأعمى الذي لا يميز بين الأشياء.

قال سعيد حوى: «﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ أي موتى القلوب، فكأن هؤلاء في حكم الموتى فلا تطمع أن يقبلوا منك، ﴿وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ﴾ أي النداء ﴿إِذَا وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ﴾ إذا ذهبوا معرضين عنك ﴿وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْيِ﴾ أي عمي القلوب ﴿عَن ضَلَٰلَتِهِمْۖ﴾ التي هم عليها ﴿إِن تُسْمِعُ﴾ أي ما تسمع ﴿إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ أي القرآن ﴿فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾ أي خاضعون منقادون مستجيبون مطيعون فهؤلاء هم المؤمنون حقا»[٣١٥].

قال ابن كثير: يقول الله تعالى إنك لن تستطيع أن تسمع الأموات في أجداثها، ولا يبلغ كلامك الصم الذين لا يسمعون وهم مع ذلك مُدْبرون، كذلك لا تقدر على هداية العميان عن الحق وردهم عن الضلالة، بل ذلك إلى الله وحده يهدي من يشاء ويضل من يشاء.

فالموتى يسمعون ويعرفون من يزورهم، بخلاف الكافرين في الدنيا فهم مصابون بموت القلوب، وبالصمم، وبعمى الأبصار لذلك هم لا يعقلون ولا يسمعون كلام النبي ﷺ[٣١٦].

العلاقـة بيـن القراءتيـن:

معنى القراءتين متقارب، أي إن الكفار الذين أعرضوا عن الرسول ﷺ ولم يؤمنوا بما جاء به فالرسول ﷺ لا يملك الهداية.

---

(٣١٥) الأساس في التفسير ج٨ ص٤٢٨٩.

(٣١٦) انظر تفسير القرآن العظيم ج٣ ص٤٤٧.

قال أبو علي: «هذا مثلٌ ضربه الله للكافر، والمعنى: كما أنك لا تسمع الميت لبعد استماعه وامتناع ذلك منه، كذلك لا تسمع الكفار، والمعنى: أنه لا ينتفع بما يسمعه لأنه لا يعيه ولا يعمل به، ويبتعد عنه، فإذا كان كذلك فالمعنى: ولا تسمع ولا يسمع متقاربان، لأن المعنى إنك لا تسمع الكافر ما تأتيه من حكمة وموعظة كما لا تسمع الأصم المدبر عنك»(٣١٧).

قال أبو منصور: «المعنى أي ما أنت بصارف الذين ضلوا عن ضلالتهم، وقيل ما أنت بمرشد الكفار بعد ضلالتهم في سابق علم الله»(٣١٨).

الجمع بين القراءتين:

معنى قراءة ابن كثير أي إن الصم لا يسمعون الدعاء لأنهم صم والمراد بالدعاء النداء وهذا تمثيل لإعراض الكفار عن الحق.

وقراءة الجمهور معناها إن الرسول لا يُسمع الصم الدعاء ولا يهدي العمي، فلا تعارض بين هذه المعاني فالكفار يعرضون عن الوحي الذي جاء به الرسول ولا يسمعون له والرسول لا يملك أن يُسمع من يعرض عنه. فلا تشتغل ولا تحزن بهؤلاء الذين تتبدل بهم الأحوال من عدم الإيمان بآياتنا وعدم تعقلها فإنهم موتى وصم وعمي وأنت لا تقدر على إسماعهم وهدايتهم وإنما تسمع وتهدي من يؤمن بآياتنا أي يعقل هذه الحجج ويصدقها فهم مسلمون.

١٤ ـ قال تعالى: ﴿۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ۝٥٤﴾ [الروم: ٥٤].

(٣١٧) الحجة للقراء ج٣ ص٢٧٠.

(٣١٨) معاني القرآن ج٢ ص٢٦٧.

القـراءة:

قرأ حمزة وشعبة وحفص في أحد الوجهين بفتح الضاد (**ضَعف**) والباقون بضمها (**ضُعف**)[٣١٩].

المعنـى اللغـوي للقـراءة:

الضعف: خلاف القوة، ويقال وقد ضَعُفَ فهو ضعيف.

وقد يكون الضعف في النفس والبدن وفي الحال، وجمعها ضعيف وضعاف، واستضعفته وجدته ضعيفاً[٣٢٠]. والضعف في الآية كما قال الشوكاني النطفة[٣٢١].

المعنـى الإجمالـي للآيـة:

فبعد أن بيّن الله تعالى فيما سبق أحوال الرياح ونزول المطر بيّن الله تعالى في هذه الآية المراحل التي يمر بها الإنسان، فأولاً ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ﴾ أي مبناكم من الضعف وهي النطفة، ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً﴾ والضعف هنا أي عندما كان جنيناً وطفلاً ومولوداً ورضيعاً ومفطوماً فهذه كلها في غاية الضعف، والقوة في انتقاله من الطفولة إلى قوة الشباب، ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ فبعد القوة يضعف بالكبر والكهولة والنقصان وهي في تمام الضعف.

﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ أي من الضعف والقوة والشباب والشيب كله بمشيئته تعالى، ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ﴾ أي هو العليم بتدبير أحوال الخلق، وبأعمالهم، فإن عملوا خيراً يعلمه وإن عملوا شراً يعلمه[٣٢٢].

---

(٣١٩) انظر: النشر ج٢ ص٢٥٩.

(٣٢٠) انظر: المفردات ص٥٠٧.

(٣٢١) انظر: فتح القدير ج٤ ص٢٣١.

(٣٢٢) انظر: مفاتيح الغيب ج١٣ ص١٣٧.

العلاقـة بيـن القراءتيـن:

العلاقة بين القراءتين علاقة لغوية باعتبار أن (**ضَعف**) و(**ضُعف**) لغتان.

قال مكي بن أبي طالب: هما لغتان كالفَقر والفُقر(٣٢٣).

وقال بذلك أبو علي الفارسي، ومحمد سالم محيسن(٣٢٤).

قال الألوسي: الضم والفتح لغتان في ذلك كما في الفَقر والفُقر، والفتح لغة تميم، والضم لغة قريش(٣٢٥).

قال البيضاوي بذلك(٣٢٦).

وقال أبو حيان مثل ذلك لكن قال (**الضُعف**) بالضم في البدن (**وضَعف**) بالفتح في العقل(٣٢٧).

وقال القرطبي، والشوكاني، وابن عطية مثل ذلك(٣٢٨).

وقال ابن عاشور: «إن النبي نطق بلغه الضم لأنها لغة قومه، وإن الفتح رخصه لمن يقرأ بلغه قبيلة أخرى، ومن لم يكن له لغة تخصه فهو مخير بين القراءتين»(٣٢٩).

الجمع بين القراءتين: إن الله تعالى ابتدأ خلق الإنسان من نطفه وهي غاية في الضعف والصغر والإنسان يجمع بين ضعف البدن والعقل، والله أعلم.

---

(٣٢٣) انظر: الكشف ج٢ ص١٨٥.

(٣٢٤) انظر: الحجة للقراء ج٣ ص٢٧٠، المغني ج٣ ص١٣٧، القراءات وأثرها في علوم اللغة ج١ ص٢٩٨.

(٣٢٥) روح المعاني ج١١ ص٥٩.

(٣٢٦) تفسير البيضاوي ج٤ ص٣٤١.

(٣٢٧) انظر: البحر المحيط ج٧ ص١٧٥.

(٣٢٨) انظر: الجامع لأحكام القرآن ج٧ ص٣٧٠، فتح القدير ج٤ ص٢٣٢، المحرر الوجيز ص١٤٨٢.

(٣٢٩) التحرير والتنوير ج١٠ ص١٢٧.

١٥ ـ قال تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ۝٥٧﴾ [الروم: ٥٧].

القـراءة:

قرأ الكوفيون بالياء على التذكير **(لا يَنفَعُ)**، وقرأ الباقون بالتاء على التأنيث **(لا تنفع)**[٣٣٠].

المعنـى اللغـوي للقـراءة:

النفع: ضد الضر، نَفَعه، يَنْفَعَهُ، نَفْعاً، ومَنْفعَةً.

يقال: فلان ينتفع بكذا، ونَفَعْتُ فلاناً بكذا فانتفع به.

ومن أسماء الله تعالى النافع: أي هو يوصل النفع إلى من يشاء من خلقه حيث هو الخالق للنفع والضر[٣٣١].

المعنـى الإجمالـي للآيـة:

يبيّن الله تعالى أن الكافرين يوم القيامة لا ينفعهم ما عملوا في هذه الدنيا من المعاصي، ولا تنفع معذرتهم، ولا توبتهم لأنه ذهب أوان التوبة.

قال ابن عطية: هذا إخبار من الله تعالى عن هول يوم القيامة وشدة أحواله على الكافرين فإنه في ذلك اليوم لا ينفعهم اعتذار، ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ والعتبى هي الرضا بمعنى يعتبون أي يرضون، أي لا يعطون رضا[٣٣٢].

وقيل المعنى هم لا يعاتبون على سيآتهم بل يعاقبون عليها[٣٣٣].

---

(٣٣٠) النشر ج٢ ص٢٥٩.

(٣٣١) انظر: لسان العرب ص٣٥٨ ـ ٣٥٩.

(٣٣٢) المحرر الوجيز ص١٤٨٢.

(٣٣٣) انظر: روح المعاني ج١١ ص٦١.

العلاقة بين القراءتين:

اختلف القراء في تذكير الفعل وتأنيثه.

قال مكي بن أبي طالب: «من قرأ بالياء حمله على العذر، وهو مذكر لأن المعذرة والعذر سواء، ومن قرأ بالتاء، لتأنيث لفظ المعذرة»(٣٣٤).

قال أبو علي الفارسي: التأنيث لأن المعذرة اسم مؤنث، وأما التذكير فلأن التأنيث ليس حقيقياً، ولأنه فصل بين الفعل والفاعل والفصل يحسّن التذكير(٣٣٥).

قال أبو منصور مثل ذلك(٣٣٦).

١٦ ـ قال تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [الروم: ٦٠].

القراءة:

قرأ رويس بتخفيف النون **(ولا يَسْتَخِفَّنْكَ)**، وقرأ الباقون بالتشديد **(وَلا يَسْتَخِفَّنَّكَ)**(٣٣٧).

المعنى الإجمالي للآية:

خطاب من الله تعالى لرسوله محمد ﷺ بأن يصبر على المشركين وأذاهم ولا يكون ذلك سبباً في عدم الصبر والجزع، وأن تترك الصبر بسبب تكذيبهم، فإن الله وحده القادر عليهم، وقادر على نصرك عليهم.

قال ابن عاشور: الأمر للنبي ﷺ بالصبر فـ﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ فهي جملة تعليليه للأمر بالصبر وهي تأنيس للنبي ﷺ بتحقيق وعد الله بالانتقام

---

(٣٣٤) الحجة في القراءات ص١٨٦.

(٣٣٥) انظر: الحجة للقراء ج٣ ص٢٧١.

(٣٣٦) انظر: معاني القرآن ج٢ ص٢٢٦.

(٣٣٧) تقريب النشر ص ١٠٣.

من المكذبين وانتصار الرسول عليهم.

(ولا يَسْتَخِفَّنَّكَ) أي لا يحملنك على ترك الصبر، وذلك من الجزع والغضب فذلك يشبه تقلقل الشيء الخفيف، ونهي الرسول ﷺ عن أن يستخف الذين لا يوقنون ونهى عن الخفة التي من شأنها أن تحدث للعاقل إذا رأى عناد من يرشده إلى الصلاح. ﴿الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ هم المشركون، الذي يكون منهم الإجرام، والظلم، والكفر، وعدم العلم وكان منهم النضر بن الحارث، فهم لا يوقنون ولا يؤمنون بالأمور اليقينية(٣٣٨).

العلاقـة بيـن القراءتيـن:

قال أبو منصور: النون للتأكيد، يجوز فيها التخفيف والتشديد، ومعناه لا يستجهلنك الذين لا يوقنون فيستزلوك حتى تتبعهم(٣٣٩).

الجمع بينهما: دلّت قراءة التشديد على تأكيد أنه لن يكون من رسول الله ما يطلبونه هؤلاء الكفار المتعنتين، فالرسول عليه السلام محفوظ من عند الله تعالى، هذا والله تعالى أعلم.

---

(٣٣٨) انظر: التحرير والتنوير ج١٠ ص١٣٥ ـ ١٣٦.

(٣٣٩) انظر: معاني القرآن ج٣ ص٢٦٨.

الفصل الرابع
تفسير سورة لقمان من خلال القراءات العشر

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: التعريف بالسورة ويشتمل على:

أولاً: اسم السورة وسبب التسمية.

ثانياً: عدد آياتها وترتيبها في النزول.

ثالثاً: زمن ومكان نزول السورة.

رابعاً: محور السورة.

خامساً: الأهداف العامة للسورة.

سادساً: المناسبات.

المبحث الثاني: عرض لآيات سورة لقمان المتضمنة للقراءات العشر

المبحث الأول
تعريف سورة لقمان

أولاً: اسم السورة سبب التسمية:

سميت سورة لقمان بهذا الاسم لأن الله ﷻ ذكر فيها لقمان وجملاً من حكمته التي أدب بها ابنه، وبهذا الاسم عرفت بين المفسرين وليس لها غير هذا الاسم.

وقال الصابوني: «سميت سورة لقمان بهذا الاسم لاشتمالها على قصة لقمان التي تضمنت فضيلة الحكمة وسر معرفة الله تعالى وصفاته، وذم الشرك، والأمر بمكارم الأخلاق، والنهي عن القبائح والمنكرات وما تضمنته من الوصايا الثمينة»[٣٤٠].

وقال عبد الله شحاتة: «سميت بسورة لقمان لورود قصه لقمان فيها وكان من الحكماء الأقدمين»[٣٤١].

ثانياً: عدد آياتها وترتيبها في النزول:

اختُلف في عدد آياتها ففي عد أهل المدينة ومكة عددها ثلاثٌ وثلاثون آية، وفي عد أهل الشام والبصرة والكوفة أربعٌ وثلاثون آية.

وترتيبها بين سور القرآن هي السورة السابعة والخمسون في تعداد نزول

(٣٤٠) صفوة التفاسير ج٣ ص٤٨٦.

(٣٤١) أهداف ومقاصد القرآن ج١١ ص٤١٧٤.

السور، ونزلت بعد الصافات وقبل سبأ(٣٤٢).

ثالثاً: زمن ومكان نزول السورة:

هذه السورة من السور المكية التي نزلت بمكة.

قال ابن عاشور: هذه السورة مكية عند ابن عباس وعنه أيضاً أنها مكية إلا ثلاث آيات من قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾ [لقمان: ٢٧] إلى قوله: ﴿بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾﴾.

وقيل إنها مكية إلا قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾﴾ [لقمان: ٤].

أي إن الصلاة والزكاة فرضتا في المدينة لكن الصحيح أن الصلاة فرضت في مكة، وأن أصل الزكاة أيضاً فرض في مكة، لكن تحديد الأنصبة والمقادير كان بالمدينة(٣٤٣).

وقال سيد قطب: «هذه السورة مكية نموذج من نماذج الطريقة القرآنية في مخاطبة القلب البشري، وهي تعالج قضية العقيدة في نفوس المشركين الذين انحرفوا عن تلك الحقيقة إنها القضية التي تعالجها السور المكية في أساليب شتى»(٣٤٤).

رابعاً: محور السورة:

يدور محور السورة حول تأكيد (قضية العقيدة) ففيها عدة جولات تدور حول تأكيد العقيدة وترسيخها في النفوس وهذا ما تعالجه السور المكية، حيث تتلخص العقيدة في توحيد الخالق وعبادته وحده وشكر ءالآئه والإيمان بالآخرة والحكم بما أنزل الله(٣٤٥).

---

(٣٤٢) التحرير والتنوير ج١٠ ص٦٤.
(٣٤٣) انظر: روح المعاني ج١١ ص٦٤.
(٣٤٤) في ظلال القرآن ج٤ ص٤٧١.
(٣٤٥) انظر: تفسير القرآن الكريم ج١١ ص٤١٧٤.

سورة لقمان من السور المكية التي تعالج موضوع العقيدة وتعتني بالتركيز على الأصول الثلاثة لعقيدة الإيمان وهي الوحدانية والنبوة والبعث والنشور كما هو الحال في السورة المكية.

خامساً: الأهداف العامة للسورة:

لسورة لقمان عده أهداف وأهمها:

١. بيان السورة قصه لقمان وحكمته التي وجهها لابنه.

٢. بيان قدرة الله تعالى في هذا الكون البديع.

٣. التحذير من دعوة الشيطان وعدم الاستجابة لدعوته الضالة في الحياة الدنيا.

٤. بيّنت السورة أفضل طرق تربية الأولاد واشتملت على أسلوب وعظي مميز فيه من الرقة والحنو واللطف والهدوء ما يثير النفوس للاستجابه. فلقمان ينصح ابنه بكل مودة ولطف ورقّة ويكثر من استخدام كلمة (يا بني) وقد أوصاه بوصايا هي قمة الآداب الاجتماعية والأخلاق الحميدة، وهي:

١ ـ أوصاه بعدم الشرك بالله ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان: ١٣].

٢ ـ بر الوالدين ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [لقمان: ١٤].

٣ ـ المحافظة على الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على المصائب: ﴿يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾﴾ [لقمان: ١٧].

٤ ـ الآداب والأخلاق ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾﴾ [لقمان: ١٨].

٥ ـ وضع هدف للحياة وأهمية التخطيط: ﴿وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ

مِن صَوْتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾﴾ [لقمان: ١٩]، لأن معنى القصد أن يكون له هدف في الحياة.

٦ - ألا يكون الإنسان إمعة فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَاۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًاۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾﴾ [لقمان: ١٥].

سادساً: المناسبات:

علاقة سورة لقمان بما قبلها (سورة الروم).

١ - ذكر فيهما عن الدين الإسلامي وكيفيه بدء الخلق.

٢ - قوله تعالى: ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾﴾ [لقمان: ٣] متعلق بقولة في آخر الروم ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِۖ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [الروم: ٥٦] فهذا عين إيقانهم بالآخرة وهم المحسنون الموقنون[٣٤٦].

٣ - إنه قال في السورة السابقة ﴿ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾﴾ [الروم: ١١]، وقال هنا ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾﴾ [لقمان: ٢٨].

٤ - وقال أيضاً في سورة الروم ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍۚ وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [الروم: ٥٨] وقال في سورة لقمان ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًاۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾﴾ [لقمان: ٧].

٥ - حكى الله في السورتين ما عليه حال المشركين من القلق والاضطراب إذ يضرعون لله وقت الشدة ويكفرون به وقت الرخاء.

٦ - ذكر في السورة السابقة محاربة ملكين عظيمين لأجل الدنيا وذكر

(٣٤٦) انظر: أسرار ترتيب القرآن ص١٢٥.

هنا قصه عبد مملوك زهد في الدنيا، وأوصى بالصبر والمسالمة.

٧ ـ وأيضاً في سورة لقمان دليل واضح على إكمال لما ذكره في سورة الروم[٣٤٧].

(٣٤٧) انظر: تفسير كشك ج٥ ص٣٩٥٦، التفسير المنير ج٢١ ـ ٢٢ ص١٢٥.

المبحث الثاني
عرض لآيات سورة لقمان المتضمنة للقراءات العشر

المبحث الثاني
عرض لآيات سورة لقمان المتضمنة للقراءات العشر

على النحو الآتي:

١ ـ قال تعالى: ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾﴾ [لقمان: ٣].

القـراءة:

قرأ حمزة بالرفع (هدىً ورحمةٌ)، وقرأ الباقون بالنصب (هدىً ورحمةً)[٣٤٨].

المعنـى اللغـوي للقـراءة:

الرحمة: هي رقه تقتضي الإحسان إلى المرحوم.

وتستعمل في الرقة المجردة، والإحسان المجرد عن الرقة نحو رحم الله تعالى فلاناً، وإذا وُصف الله تعالى بها فليس يراد بها إلا الإحسان المجرد دون رقة. والرحمة من الله تعالى إنعام وتفضل، ومن البشر رقة وتعطف[٣٤٩].

المعنـى الإجمالـي للآيـة:

آيات القران الكريم ما هي إلا هداية ورحمة للمؤمنين الذين أحسنوا العمل في الدنيا، واتقوا الله تعالى بالأعمال الصالحة من صلاة، وزكاة

(٣٤٨) النشر ج٢ ص٢٥٩.

وغيرها من الأعمال التي بها يكونون محسنين لله. فيوم القيامة هم المنتفعون بها دون غيرهم.

العلاقة بين القراءتين:

لقد ذهب أهل التفسير والقراءات إلى أن قراءة الرفع تدل على أنها خبر لمبتدأ محذوف أي (القرآن هدى ورحمة)، بينما قراءة النصب تدل على أنهما حال للكتاب.

قال مكي بن أبي طالب: «حجة من رفع أنه أضمر مبتدأ وجعل **(هدى)** خبره، وعطف عليه **(ورحمة)** وتقديره: هو هدى ورحمة».

وحجة من نصب أنه جعل **(هدى)** في موضع نصب على الحال من (الكتاب) وعطف عليه **(ورحمة)** فنصبها على الحال، تقديره: هادياً وراحماً للمؤمنين، يعني الكتاب، لأن به هَدى الله المؤمنين ورحمهَم، وتقديره: تلك آيات الكتاب الحكيم هادياً وراحماً للمؤمنين(٣٥٠).

قال الدكتور محمد سالم محيسن بذلك(٣٥١).

وقال البغوي: «من قرأ بالرفع على الابتداء أي هو هدى ورحمة.

ومن قرأ بالنصب على أنه حال للمحسنين»(٣٥٢).

قال الشوكاني، والقرطبي، وابن عاشور، مثل ذلك(٣٥٣).

الجمع بينهما: يتضح أن آيات القرآن الكريم هدى ورحمة للمحسنين.

٢ ـ قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ

---

(٣٤٩) انظر: المفردات ص٣٤٧.

(٣٥٠) الكشف ج٣ ص١٨٧.

(٣٥١) المستنير ج٢ ص٢١٧.

(٣٥٢) معالم التنزيل ج٣ ص٤٢١.

(٣٥٣) فتح القدير ج٤ ص٢٣٤، انظر الجامع لأحكام القرآن ج٧ ص٣٧٣، التحرير والتنوير ج١٠ ص١٤١.

ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾﴾ [لقمان: ٦].

القـراءة:

قرأ ابن كثير وأبو عمرو بفتح الياء (**ليَضل**)، وقرأ الباقون بضم الياء (ليُضل)(٣٥٤).

وقرأ يعقوب وحمزة والكسائي وخلف وحفص بالنصب (**ويتخذَها**)، وقرأ الباقون بالرفع (**ويتخذُها**)(٣٥٥).

المعنـى اللغـوي للقـراءة:

الضلال: هو العدول عن الطريق المستقيم، وضده الهداية.

ويقال الضلال لكل عدول عن المنهج عمداً كان أو سهواً يسيراً كان أو كثيراً.

ويستعمل أيضاً ممن يكون منه الخطأ، لذلك نسب الضلال للأنبياء(٣٥٦).

المعنـى الإجمالـي للآيـة:

في هذه الآية الكريمة بيّن الله تعالى أن هناك من يشتري كل ما يشغل عن طاعة الله تعالى من الغناء والملاهي، ويتخذ الطريق الموصل لله تعالى استهزاءاً، هؤلاء لهم عذاب مهين.

«فالمعنى: أي يستبدل ما يلهي عن طاعة الله تعالى ويصد عن سبيله، بما لا خير منه ولا فائدة، كالأحاديث المضحكة، والأساطير التي لا اعتداد لها، والغناء الماجن، وسائر ما لا خير منه من فضول الكلام. قيل:

---

(٣٥٤) انظر: النشر ج٢ ص٢٢٤ ـ ٢٢٥.
(٣٥٥) انظر: النشر ج٢ ص٢٥٩ ـ ٢٦٠.
(٣٥٦) المفردات ص٥٠٩ ـ ٥١٠.

هو شراء المغنيات، (أن رسول الله ﷺ قال: لا تبيعوا القينات والمغنيات ولا تشترونهن ولا تعلموهن ولا خير في تجارة فيهن وثمنهن حرام)[٣٥٧]* «﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ يفعل ذلك ليخالف الإسلام وأهله، ﴿وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا﴾ ويتخذ آيات الله هزواً يستهزئ بها. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ أي الذين استهانوا بآيات الله تعالى وسبيله لهم يوم القيامة العذاب الدائم المستمر»[٣٥٨].

حكم استماع الموسيقى:

قال أكثر أهل العلم إن لهو الحديث هو الغناء وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (إن الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل) وعبد الله بن مسعود رضي الله عنه هو من أصحاب الرسول ﷺ ومن علمائهم رضي الله عنهم أجمعين. استماع الموسيقى والأغاني حرام، ولا شك في تحريمه، وقد جاء عن السلف من الصحابة والتابعين أن الغناء ينبت النفاق في القلب، واستماع الغناء من لهو الحديث والركون إليه، وقد قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٦﴾ [لقمان: ٦] قال ابن مسعود في تفسير الآية: (والله الذي لا إله إلا هو إنه الغناء). ثم إن الاستماع إلى الأغاني والموسيقى وقوع فيما حذر منه النبي ﷺ بقوله :«**صوتان ملعونان فاجران أنهى عنهما: صوت مزمار، ورنة شيطان عند نغمة ومرح ورنة عند مصيبة لطم خدود وشق جيوب**»[٣٥٩]. وتعددت الأحاديث التي تنهى عن استماع الأغاني واستعمال المعازف وآلات اللهو لأنه من فعل الفساق التي ترد شهادتهم، وعلى هذا فإنني أوجه النصيحة إلى إخواني المسلمين بالحذر من استماع الأغاني والموسيقى، وألا يغتروا بقول من قال من أهل العلم بإباحة

(٣٥٧) المقتطف ج٤ ص٢١٨.

(*) أخرجه الترمذي في كتاب التفسير ٣٤٥/٥ وقال عنه حديث غريب.

(٣٥٨) تفسير القرآن العظيم ج٣ ص٤٥١.

(٣٥٩) ذكره السيوطي في الجامع الكبير ج٢ ص٢٧٧٨.

المعازف؛ لأن الأدلة على تحريمه واضحة وصريحة[٣٦٠].

العلاقـة بيـن القراءتيـن:

أفادت قراءة فتح الياء (**لِيَضل**) أن الإنسان يضل نفسه أولاً.

بينما أفادت قراءة الضم (**لِيُضل**) أنه يُضل غيره عن طريق الهدى أيضاً.

قال الزمخشري: «إن قراءة الضم بيّنة لأن النضر كان غرضه باشتراء اللهو أن يصد الناس عن الدخول في الإسلام واستماع القرآن ويضلهم عنه.

وقراءة الفتح فيها معنيان أحدهما: ليثبت على ضلاله الذي كان عليه ويزيد فيه.

والثاني: أن يوضع لِيَضل موضع لِيُضل، من قبل أن من أضل كان ضالاً لا محالة فدل بالرديف على المردوف»[٣٦١].

وقال الألوسي والشوكاني وابن عطية والقرطبي مثل ذلك[٣٦٢].

الجمـع بيـن القـراءات:

دلّت القراءتان على أن بعض الناس يشترون لهو الحديث ليضلوا عن سبيل الله تعالى. فقراءة الفتح: دلّت على أنه يضل نفسه، بينما قراءة الضم دلّت على أنه لا يكتفي بإضلال نفسه فقط بل يُضل غيره من الناس فمعنى القراءتين متداخل بحيث لا يكتفي المرء بإضلال نفسه بل يُضل نفسه أولاً ويضل الناس معه أيضاً، (فهو ضال ومضل). فلا فائدة تعود على من يشتري لهو الحديث إلا إضاعة الوقت وإضلال نفسه وإضلال غيره من الناس ليصد بذلك العمل عن سبيل الله.

(٣٦٠) انظر: الجامع لأحكام القرآن ج٧ ص٣٧٧.

(٣٦١) الكشاف ج٣ ص٢٣٠.

(٣٦٢) انظر: روح المعاني ج١١ ص٧٩، فتح القدير ج٤ ص٢٣٤ المحرر الوجيز ص١٤٨٨، الجامع لأحكام القرآن ج٧ ص٣٧٩.

أما (**يتخذُها**) قرأت بالفتح عطفاً على (**ليُضِلّ**)، وقرأت بالضم عطفاً على (**يشتري**).

قال بذلك القرطبي، الألوسي، والزمخشري[٣٦٣].

فقراءة الفتح أفادت أن الإنسان المضل يتخذ السبيل (الإسلام أو القرآن) سخريةً ليضل عن سبيل الله تعالى.

وقراءة الضم أفادت أنه يشتري آيات الله تعالى للإضلال عن سبيل الله تعالى.

وعلى كلا القراءتين بالضم والفتح يتضح أن الإنسان المضل يتخذ آيات الله تعالى أو الإسلام سخريه ليشغل الناس بلهو الحديث ليصدهم ويضلهم عن الإسلام والله أعلم.

٣ ـ قال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٧﴾ [لقمان: ٧].

القـراءة:

(**أذْنيه**) قرأ نافع بإسكان الذال، وقرأ الباقون (**أُذُنَيْهِ**) بضم الذال[٣٦٤].

المعنـى الإجمالـي للآيـة:

في هذه الآية بيان لحال الكافرين الذين يعرضون عن القرآن الكريم استكباراً، فشبههم بمن كان في أذنيه صممٌ ولا يسمع، فهؤلاء لهم عذاب أليم.

قال ابن عاشور: هذا تمثيل لمن أعرض عن آيات الله، فهو إعراض استكبار لا إعراض تفريط في الخير، فشبهه في ذلك بالذي لا يسمع الآيات التي تتلى عليه ووجه الشبه بينهما هو عدم التأثر، وكرر التشبيه لتقويته مع

---

(٣٦٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن ج٧ ص٣٧٩، المحرر الوجيز ص١٤٨٤، الكشاف ج٣ ص٢٣٠.

(٣٦٤) انظر: تقريب النشر ص ١٥٩.

اختلاف الكيفية في أن عدم السمع مرة مع تمكن آلة السمع، ومرة مع انعدام قوة آلته فشبه ثانياً بمن في أذنيه وقر وهو: الثقل.

فترتب على هذه الأعمال أن الله تعالى توعدهم بعذاب أليم يوم القيامة(٣٦٥).

العلاقة بين القراءتين:

ترجع إلى اللغات ولا يترتب عليها اختلاف في المعنى.

٤ ـ قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان: ١٣].

القراءة:

قرأ ابن كثير بإسكان الياء (**يا بنيْ**)، وقرأ حفص بفتح الياء (**يا بنيَّ**)، وقرأ الباقون بكسر الياء (**يا بنيِّ**)(٣٦٦).

المعنى الإجمالي للآية:

يقول الله تعالى مخبراً عن وصية لقمان لولده، أن هذه النصيحة نصيحة إشفاق ورحمة عليه، فقال له لا تشرك بالله تعالى أي لا تجعل مع الله شريكاً، لأنه أعظم الظلم.

عن عبد الله ﷺ قال: لما نزلت ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢] شق ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ وقالوا: أينا لا يظلم نفسه؟ فقال رسول الله ﷺ: «ليس هو كما تظنون إنما هو كما قال لقمان لابنه: يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم»(٣٦٧).

﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ تعليل للنهي السابق ﴿لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ﴾،

---

(٣٦٥) انظر: التحرير والتنوير ج١٠ ص١٤٤.

(٣٦٦) انظر: النشر ج٢ ص٢١٧.

(٣٦٧) الجامع لأحكام القرآن ج٧ ص٣٨٤.

وسمى الشرك ظلماً لأنه وضع العبادة في غير موضعها، وبدأ بأقرب المقربين له بالنصيحة وهو ابنه، وبأهم الأمور وهو المنع من الشرك بالله تعالى الذي هو أعظم الذنوب على الإطلاق(٣٦٨).

العلاقة بين القراءتين:

قرأت بفتح الياء وكسرها.

فمن فتحها **(يا بنيَّ)** فلخفة الفتحة عنده، ومن كسرها **(يا بنيِّ)** لوجود ياء محذوفة عوض عنها بالكسرة، ف **(يا بنيِّ)** عبارة عن ثلاث ياءات ياء التصغير، وياء أصلية وهي لام الفعل، وياء الإضافة إلى النفس، فحذفت الأخيرة تخفيفاً للاسم لما اجتمع فيه ثلاث ياءات وعوض عنها بالكسر(٣٦٩).

قال القرطبي مثل ذلك(٣٧٠).

الجمع بين القراءتين:

هكذا كان الفرق بين القراءتين فمن قرأ بالفتح لخفة الفتحة عنده ومن قرأ بالكسر عوضاً عن الياء المحذوفة. لكن أفادت كلمة **(يا بني)** أنه يجب على المربي أن يختار الألفاظ المحببة والمشوقة لدى المتربي، وأن يشعره بأنه يحبه، وأنه لا ينصحه إلا من باب حبه له، وأنه حتى لو تشدد معه فهو لحرصه وخوفه عليه، حيث استعمل القرآن الكريم في البداية لفظ **(يا بني)** الذي كما يقول العلماء يدل على نداء المحبة والإشفاق وأن تصغير بني للتحبب ولبيان زيادة الحب والعطف والله أعلم.

٥ ـ قال تعالى: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ﴿١٦﴾﴾ [لقمان: ١٦].

---

(٣٦٨) المقتطف ج٤ ص٢٢١.

(٣٦٩) انظر: الحجة في القراءات ص٢٨٤.

(٣٧٠) انظر: الجامع لأحكام القرآن ج٧ ص٣٨٤.

القـراءة:

قرأ المدنيان بالرفع (**مثقالُ**) وقرأ الباقون بالنصب (**مثقالَ**)[٣٧١].

المعنى اللغـوي للقـراءة:

المثقال: ما يوزن به وهو من الثقل.

فكل ما يترجح على ما يوزن به، أو يقدّر به يقال: ثقل.

ويقال في أذنيه ثقل: أي لا يسمع[٣٧٢].

المعنى الإجمالـي للآيـة:

تضمنت هذه الآية إحدى وصايا لقمان لابنه، فقال له إن كل شيء مهما دق وصغر، في أي مكان كان في الأرض أو في السماء فهو في علم الله تعالى فقط، فإن الله تعالى يأتي بها يوم القيامة ليجازي عليها.

قال ابن كثير: إن المظلمة أو الخطيئة لو كانت مثقال حبة خردل ﴿يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ﴾ أي يحضرها الله تعالى يوم القيامة حين يضع الموازين بالقسط ويجازي عليها إن خيراً فخير وإن شراً فشر ولو كانت تلك الذرة محصنة محجبة في داخل صخرة صماء أو غائبة ذاهبة في أرجاء السموات والأرض فإن الله يأتي بها لا تخفى عليه خافية ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض، ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ أي لطيف العلم فلا تخفى عليه الأشياء وإن دقت ولطفت وتضاءلت (خَبِيرٌ) بدبيب النمل في الليل البهيم[٣٧٣].

العلاقـة بيـن القراءتيـن:

اختلاف القراءات راجع إلى اختلاف الإعراب حيث إن قراءة الرفع تدل على أن (**مثقالُ**) اسم لكان، وقراءة النصب تدل على أن (**مثقالَ**) خبر لكان.

---

(٣٧١) تقريب النشر ص١٤٣.

(٣٧٢) انظر: المفردات ص١٧٤.

(٣٧٣) انظر: تفسير القرآن العظيم ج٣ ص٤٥٤.

قال الشوكاني: من قرأ بالنصب جعلها خبر لكان، واسمها هو أحد تلك المقدرات، ومن قرأ بالرفع جعل كان تامة(٣٧٤).

وقال الدكتور محمد سالم محيسن: من قرأ برفع مثقال جعل (كان) تامة بمعنى وقع وحدث لا تحتاج إلى خبر، فرفع مثقال بها على أنه فاعل لكان.

ومن نصب مثقال، جعل (كان) ناقصة تحتاج إلى اسم وخبر(٣٧٥).

قال القرطبي: أراد الله تعالى الطاعات والمعاصي فإن تكُ حسنة أو سيئة مثقال وزن الحبة يأتي بها الله تعالى، وفي ذلك تخويف للإنسان وموعظة له يتأتى من قدرة الله تعالى وإحاطة علمه بكل شيء(٣٧٦).

الجمع بين القراءتين:

أفادت قراءة الرفع على أن مثقال: أنه إن حدثت ووقعت إما سيئة أو حسنة مثقالُ هذه الحبة يعلمها الله تعالى.

وقراءة النصب: تحتاج إلى تقدير: أي أن التي سألتني عنها إن تك مثقال حبه يعلمها الله حيث سأله هل لو عملت الخطيئة حيث لا يراني أحد كيف يعلمها الله تعالى؟ فأجابه بذلك.

فكلا القراءتين تأكيد على أن الله تعالى لا يخفى عليه خافية وإن كانت مثل حبة الخردل في صغرها فإن الله تعالى يأتي بها يوم القيامة.

وقال القرطبي: إن الخردلة الحس لا يدرك لها ثقلاً إذ لا ترجح ميزاناً أي لو كان للإنسان رزق حبة خردل في هذه المواضع جاء الله تعالى بها حتى يسوقها إلى من هي رزقه(٣٧٧).

---

(٣٧٤) انظر: فتح القدير ج٤ ص٢٣٩.
(٣٧٥) المغني ج٣ ص٣٩، المستنير ج٢ ص٢٢٠، انظر الحجة في القراءات ص٢٨٦.
(٣٧٦) انظر: الجامع لأحكام القرآن ج٧ ص٣٨٧.
(٣٧٧) انظر: المرجع السابق ج٧ ص٣٨٧.

٦ ـ قال تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾﴾ [لقمان: ١٨].

القراءة:

قرأ ابن كثير وأبو جعفر وابن عامر وعاصم ويعقوب بتشديد العين من غير ألف **(وَلا تُصَعِّرْ)**، وقرأ الباقون بتخفيفها وألف قبلها **(تُصَاعِر)**[٣٧٨].

المعنى اللغوي للقراءة:

الصَعَرَ: ميل في العنق، **والتصعير**: إمالته من النظر كبراً[٣٧٩].

وقيل: ميل في الوجه، أو أحد الشقين، أو داء في البعير، يلوي عنقه منه.

وصَعّر وصَاعَرهُ وأَصْعرَه: أماله عن النظر إلى الناس تهاوناً من كبر[٣٨٠].

المعنى الإجمالي للآية:

هذه من وصايا لقمان لابنه فنهاه هنا عن التكبر الذي من مظاهره أن يميل الإنسان وجهه تكبراً وإعراضاً عنهم، أيضاً نهاه عن المشي في الأرض بطراً بغير حق، فإن الله تعالى يكره كل متكبر مختال.

قال الشوكاني: «﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ المعنى لا تعرض عن الناس تكبراً عليهم ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾ أي خيلاء، والمعنى النهي عن التكبر والتجبر، والمختال من يمرح في مشيه، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ تعليل للنهي لأن الاختيال هو المرح، والفخور من يفتخر على الناس بما له من المال أو الشرف أو القوة أو غير ذلك وليس منه التحدث بنعم الله»[٣٨١].

---

(٣٧٨) النشر ج٢ ص٢٦٠.

(٣٧٩) انظر: المفردات ص٤٨٤.

(٣٨٠) انظر: القاموس المحيط ج١ ص٥٩٥.

(٣٨١) فتح القدير ج٤ ص٢٣٩.

العلاقة بين القراءتين:

ذهب العلماء إلى أنهما من لغات العرب وهما بمعنى: الميل والإعراض عن الناس تكبراً وإعجاباً. إلا أن قراءة **(وَلا تُصَعِّرْ)** تفيد المبالغة في الإعراض أكثر من قراءة **(تُصَاعِر)** وذلك للتخفيف فيها.

قال مكي بن أبي طالب: «هما جميعاً لغتان بمعنى: ولا تعرض بوجهك عن الناس تجبراً. وأصله: من الصعر وهو داء يأخذ الإبل في رؤوسها وأعناقها فتميل أعناقها منه»[٣٨٢].

قال الزمخشري: يقال أصْعَرٌ خده وصَعّرَه وصَاعَرَهُ كقولك: أعْلاه وعلّاه وعَالاه.

والصعر: داء يصيب البعير يلوي منه عنقه، والمعنى: أقبل على الناس بوجهك تواضعاً ولا تولهم شق وجهك وصفحته كما يفعل المتكبرون[٣٨٣].

وقال أبو جعفر النحاس: أصلها من الصعر وهو داء يأخذ الإبل تلوي عنقها، فقيل هذا للمتكبر، لأنه يلوي عنقه تكبراً **(ولا تصعر)** على التكثير، **(وتصاعر)** تعارض بوجهك[٣٨٤].

وقال ابن عاشور: المعنى: لا تحتقر الناس فالنهي عن الإعراض عنهم احتقاراً لهم لا عن خصوص مصاعرة الخد فيشتمل الاحتقار بالقول والشتم وغير ذلك[٣٨٥].

وقال الشوكاني وابن عطية والقرطبي والألوسي والبغوي مثل ذلك[٣٨٦].

(٣٨٢) الكشف ج٣ ص١٨٨، وانظر المغني ج٣ ص١٤٠، الحجة في القراءات ص٢٨٦، الحجة للقراء ج٣ ص٢٧٣.

(٣٨٣) انظر: الكشاف ج٣ ص٢٣٤.

(٣٨٤) معاني القران ج٢ ص٩٨٣.

(٣٨٥) التحرير والتنوير ج١٠ ص١٦٦.

(٣٨٦) انظر: فتح القدير ج٤ ص٢٣٩، المحرر الوجيز ص١٤٨٨، الجامع لإحكام القرآن ج٧ ص٣٨٩، روح المعاني ج١١ ص٩٠، تفسير البغوي ج٣ ص٤٢٤.

الجمع بين القراءتين:

بالجمع بين القراءتين لا بد من عدم احتقار الناس بالإعراض عنهم بالتكبر أو بالميل عنهم أو بالتشدق بالكلام على اختلاف أنواع الإعراض والنهي عن المبالغة في ذلك، حتى لا يكون هذا الإعراض مثل الصعر الذي يصيب الإبل.

٧ ـ قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾ [لقمان: ٢٠].

القراءة:

قرأ المدنيان وأبو عمرو وحفص بفتح العين وهاء مضمومة على التذكير والجمع (**نعَمهُ**)، وقرأ الباقون بإسكان العين وتاء منونه منصوبة على التأنيث والتوحيد (**نعْمةً**)[٣٨٧].

المعنى اللغوي للقراءة:

النعمة: هي الحالة الحسنة التي يكون عليها الإنسان.

يقال: نعّمه تنعيماً فتنعم، أي جعله في نعمة أي في لين عيش وخصب.

والنعيم: النعمة الكثيرة، وهي ما أنعم الله به عليك، فلان واسع النعمة أي واسع المال.

قال ابن عاشور: النعمة: هي المنفعة التي يقصد بها فاعلها الإحسان إلى غيره[٣٨٨].

ويختلف الإحسان عن الإنعام أن الإحسان على النفس والآخرين فيقال

---

(٣٨٧) انظر: النشر ج٢ ص٢٦٠.

(٣٨٨) انظر: المفردات ص٨١٤ ـ ٨١٥، الصحاح ج٥ ص٢٠٤١، التحرير والتنوير ج١٠ ص١٧٩.

أنعمت على فلان أما الإحسان أحسنت إلى فلان وأحسنت إلى نفسي.

المعنى الإجمالي للآيـة:

يأمر الله تعالى هنا تدبر آياته في السموات والأرض، والتفكر في تلك النعم التي أنعم الله بها عليهم، وبهذه الآيات والنعم إثبات على وجود الله تعالى وعلى ذلك يستحق العبادة وحده.

قال سعيد حوى: «﴿أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ ما فيها من شموس وأقمار ونجوم وغير ذلك، ﴿وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ من بحار وأنهار ومعادن ودواب وغير ذلك.

﴿وَأَسْبَغَ﴾ أي أتم، ﴿عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً﴾ أي بالمشاهدة، ﴿وَبَاطِنَةً﴾ مما لا يعلم إلا بالدليل.

وقيل الظاهرة: السمع والبصر واللسان وسائر الجوارح، والباطنة: القلب والعقل وما أشبه ذلك، وقيل: تخفيف الشرائع وتضعيف الذرائع والخلق، ونيل العطايا وصرف البلايا، وقبول الخلق ورضا الرب، وقيل: الظاهرة ما سوّى من خلقك، والباطنة ما ستر من عيوبك ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ علم كسبي، ﴿وَلَا هُدًى﴾ علم فطري ﴿وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾ أي مضيء مبين»(٣٨٩).

العلاقـة بيـن القراءتيـن:

اختلاف القراءتين راجعٌ إلى جمع أو إفراد القراءة وإن كان مضمونهما بمعنى واحد وهي إرادة تعدد نعم الله علينا.

فقراءة الجمع دلّت على جميع النعم التي ينعم الله بها على الإنسان.

وقراءة الإفراد دلّت على نعمة الإسلام والإسلام جامع لجميع النعم.

ومن العلماء اكتفوا بقولهم إنهما تدلان على الجمع والإفراد ومنهم

---

(٣٨٩) الأساس في التفسير ج٨ ص٤٣٣٤.

القرطبي وابن عطية[٣٩٠].

قال مكي بن أبي طالب: «حجة من جمع أن نعم الله جل ذكره لا تحصى فهي كثيرة فالجمع يدل على ذلك، ودل على ذلك قوله ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١٨﴾ [النحل: ١٨] وحجة الإفراد: أن المفرد يدل على الجمع، لذلك قال نعمة، ولم يقل نعم.

وقال القراءتان بمعنى واحد»[٣٩١].

وقال ابن خالويه: حجة من وحد أنه أراد نعمة الإسلام، لأنها جامعة لكل النعم، وما سواها يصغر في جنبها[٣٩٢].

قال الألوسي: «من قرأ بالإفراد أراد الجنس، وقال الزجاج من قرأ بالإفراد كان المعنى ما أعطاهم من التوحيد، وبالجمع جميع ما أنعم الله تعالى عليهم»[٣٩٣].

وقال الشوكاني بهذا المعنى أيضاً[٣٩٤].

الجمع بين القراءتين:

دلّت (نعَمهُ) بالجمع على تعدد نعم الله تعالى فهي كثيرة لا تعد ولا تحصى.

بينما دلّت (نعْمةً) بالإفراد على إنها اسم جنس يطلق على نعمة واحدة من نعم الله تعالى علينا وفي ذلك تنبيه على نعمة الإسلام وما يجمع من نعم أخرى، وتعدد نعم الله علينا يدل على قدرته سبحانه.

٨ ـ قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ

---

(٣٩٠) انظر: الجامع لأحكام القرآن ج٧ ص٣٨٩، المحرر الوجيز ص١٤٨٨.

(٣٩١) الكشف ج٣ ص١٨٩، انظر المغني ج٣ ص١٤١.

(٣٩٢) انظر: الحجة في القراءات ص٢٨٦.

(٣٩٣) روح المعاني ج١١ ص٩٤.

(٣٩٤) انظر: فتح القدير ج٤ ص٢٤١.

بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾ [لقمان: ٢٧].

القـراءة:

قرأ البصريان بنصب الراء **(والبحرَ)**، وقرأ الباقون بالرفع **(والبحرُ)**[٣٩٥].

المعنى اللغوي للقـراءة:

البحر: الماء الكثير، أو المالح فقط.

ويقال: أبحرٌ، وبحورٌ، وبِحار[٣٩٦].

المعنى الإجمالي للآيـة:

يخبر الله تعالى أنه لو ثبت أن كل الأشجار التي في الدنيا صارت كلها أقلاماً، ومداده ممتد إلى سبعة أبحر، وبذلك المداد كتبت كلمات الله تعالى ما نفذت كلمات الله تعالى. **قال النسفي**: لو أن ما في الأرض من الشجر أقلام، والبحر يمده من بعد نفاده سبعة أبحر وكتبت بتلك الأقلام وبذلك المداد كلمات الله تعالى ما نفذت كلماته وما نفذت الأقلام والمداد ﴿مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۗ﴾ أي كلماته التي هي عبارة عن معلوماته ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ لا يعجزه شيء، ﴿حَكِيمٌ﴾ لا يخرج من علمه وحكمته شيء فلا تنفذ كلماته وحكمه[٣٩٧].

العلاقـة بيـن القراءتيـن:

من قرأ بالنصب عطفاً على اسم إن أي (لو أن البحر ممدود بسبعة أبحر ما نفذت كلمات الله) ومن قرأ بالرفع على أنه مبتدأ والجملة في محل نصب حال أي (لو البحر هذه حاله ما نفذت كلمات الله تعالى).

---

(٣٩٥) النشر ج٢ ص٢٦٠.

(٣٩٦) انظر القاموس المحيط ج١ ص٤٩٥.

(٣٩٧) انظر تفسير النسفي ج٣ ص٢٨٤.

قال أبو علي: المراد بذلك والله أعلم: المقدر دون ما خرج منه إلى الوجود.

ومن نصب البحر فلأنه معطوف على اسم إن وأقلام خبرها والتقدير: لو أن الشجر الأرض أقلام، والبحر يمده من بعده سبعة أبحر، إذا عطفت البحر على اسم إن فنصبته كان خبره يمده، ومن رفع استأنف كأنه قال: والبحر هذه حاله.

وقال بعض أهل النظر: ليس الكلام ولكن المراد تأمل عجيب الصنعة وإتقانها الذي لا ينفد، وليس المراد الكلام[٣٩٨].

قال مكي بن أبي طالب مثل ذلك. وقال بذلك أيضاً الدكتور محمد سالم محيسن[٣٩٩].

قال الزمخشري: «من قرأ عطفاً بالنصب على اسم إن، وبالرفع عطفاً على محل إن ومعمولها على معنى: ولو ثبت كون الأشجار أقلاماً وثبت كون البحر ممدوداً بسبعة أبحر ما نفدت كلمات الله»[٤٠٠]. قال القرطبي وابن عطية مثل ذلك[٤٠١].

لكن قال البيضاوي: البحر بمعنى المكان، أي مكان الماء يمده من بعد فناء الماء الذي كان في ذلك المكان[٤٠٢].

الجمع بين القراءتين:

تدل القراءتان على إحاطة علم الله تعالى بجميع الأشياء، وإن كلمات الله تعالى غير متناهية وأنها لا تنفد لو قدر ذلك باتساع البحر وامتداده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله تعالى.

---

(٣٩٨) انظر: الحجة للقراء ج٣ ص٢٧٥.
(٣٩٩) انظر: الكشف ج٣ ص١٨٩، المستنير ج٢ ص٢٢٣.
(٤٠٠) الكشاف ج٣ ص٢٣٦.
(٤٠١) انظر: الجامع لأحكام القرآن ج٧ ص٣٩٦، المحرر الوجيز ص١٤٩٠.
(٤٠٢) انظر: تفسير البيضاوي ج٤ ص٣٥٠ ـ ٣٥١.

٩ ـ قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾﴾ [لقمان: ٣٠].

القـراءة:

قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي وخلف بالغيب (**وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ**)، وقرأ الباقون بالخطاب (**وَأَنَّ مَا تَدْعُونَ**)[٤٠٣].

المعنـى الإجمالـي للآيـة:

كل ما ذكر الله تعالى من آيات داله على إثبات أنه هو الحق، وان ما سواه هو الباطل، وهو العلي الكبير في ربوبيته وسلطانه.

والمعنى: «أن ذلك الوصف الذي وُصف به نفسه، من عجائب قدرته وحكمته التي يعجز عنها الأحياء القادرون العالمون، فكيف بالجماد الذي يدعونه من دون الله تعالى؟ إنما هو بسبب أنه تعالى هو الحق الثابت إلهيته، وبطلان إلهية ما يدعونه من دونه تعالى، ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ أي وبيان أنه تعالى هو المرتفع على كل شيء، فهو العلي في صفاته الكبير في ذاته»[٤٠٤].

العلاقـة بيـن القراءتيـن:

العلاقة بين القراءتين علاقة بلاغية باستخدام أسلوب الالتفات من الخطاب إلى الغيبة.

قال الدكتور محمد سالم محيسن: «من قرأ بالياء من تحت على إرادة الغيبة، ومن قرأ بالتاء من فوق على إرادة الخطاب، والمخاطب الكفار، والمشركون الحاضرون لأنه أدعى إلى تبكيتهم»[٤٠٥].

١٠ ـ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى

(٤٠٣) النشر ج٢ ص٢٤٥.

(٤٠٤) المقتطف ج٤ ص٢٢٨.

(٤٠٥) المغني ج٣ ص٥٧.

ٱلْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾﴾ [لقمان: ٣٤].

القـراءة:

قرأ ابن كثير والبصريان بالتخفيف وحمزة والكسائي وخلف **(ويُنْزِل)**، وقرأ الباقون بالتشديد **(وينَزّل)**[٤٠٦].

المعنـى الإجمالـي للآيـة:

يوضّح الله تعالى علمه للغيب وهي مفاتح الغيب كما ذكر الرسول ﷺ فعلم الساعة، وإنزال المطر، وعلمه ما في الأرحام، وما تكسب كل نفس في المستقبل، وعلمه بأي أرض تموت، هذه الأمور كلها في علم الله تعالى فقط.

قال الصابوني: الله تعالى اختص بعلم مفاتح الغيب، فالله تعالى عنده معرفه قيام الساعة التي تقوم فيها القيامة، وعنده معرفه نزول المطر ومحل نزوله، ويعلم ما في الأرحام من ذكر أو أنثى، شقيَ أو سعيد، وعنده علم ما يكون للإنسان في غده، وماذا يفعل من خير أو شر، وعلمه أين يموت الإنسان إذ هو نفسه لا يعلم أين سيموت وفي أي مكان سيقبر. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ أي أن الله تعالى يعلم كل الأمور، خبير بظواهر الأشياء وبواطنها[٤٠٧].

العلاقـة بيـن القراءتيـن:

قال ابن عاشور: معنى القراءة بالتشديد زيادة في علم الله تعالى، أي إن الله تعالى ينزل الغيث، ويعلم وقت نزول الغيث، زيادة في ذلك أنه يجدد نزول الغيث المرة بعد المرة عند احتياج الأرض، ويعلم وقت نزول المطر من قرب وبعد وضبط ووقت[٤٠٨].

---

(٤٠٦) النشر ج٢ ص١٦٤.

(٤٠٧) انظر: صفوة التفاسير ج٢ ص٤٩٨.

(٤٠٨) انظر: التحرير والتنوير ج١٠ ص١٩٧.

الجمع بين القراءتين:

قراءة التشديد تدل على تأكيد قدرة الله تعالى في إنزال المطر، وعلمه بوقته ومكانه وبكل شيء تحتاجه الأرض من المطر.

هذا والله تعالى أعلم.

الفصل الخامس
تفسير سورة السجدة من خلال القراءات العشر

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: التعريف بالسورة ويشتمل على:

أولاً: اسم السورة وسبب التسمية.

ثانياً: عدد آياتها وترتيبها في النزول.

ثالثاً: زمن ومكان نزول السورة.

رابعاً: محور السورة.

خامساً: الأهداف العامة للسورة.

سادساً: المناسبات.

المبحث الثاني: عرض لآيات سورة السجدة المتضمنة للقراءات العشر

المبحث الأول
تعريف سـورة السجـدة

أولاً: اسم السورة وسبب التسمية:

«تسمى هذه السورة (سورة السجدة) وهو الاسم التوقيفي لها المكتوب في المصاحف. وسميت سورة السجدة لما فيها من وصف المؤمنين الذين يسجدون لله تعالى ويسبحونه عند سماع آيات القرآن»[٤٠٩].

وذكر العلماء لها عدة أسماء:

١. منها (ألم تنزيل) حيث قال جابر بن عبدالله: حيث كان الرسول لا ينام حتى يقرأ (ألم تنزيل) وتبارك الذي بيده الملك[٤١٠].

٢. قيل وسميت بالمضاجع لوقوع هذا اللفظ فيها، وهو مضجع النوم[٤١١].

وذكر القرطبي في تفسيره عن مسند الدارمي أن خالد بن معدان[٤١٢]

(٤٠٩) التفسير المنير ج١٩ ص١٨٢.

(٤١٠) أخرجه الدارمي في كتاب فضائل القرآن باب في فضل سورة تنزيل السجدة وتبارك ٤٥٥/٢، جابر بن عبدالله صحابي جليل راوي للحديث، توفي سنه ٧٨هـ، انظر شباب الصحابة مواقف وعبر ص١٣٢.

(٤١١) انظر: التحرير والتنوير ج١٠ ص٢٠٣، الجامع لأحكام القرآن ج٧ ص٤١٥.

(٤١٢) خالد بن معدان الكلاعي، أبو عبد الله، تابعي، ثقة، ممن اشتهروا بالعبادة، أصله من اليمن، وإقامته في حمص بالشام، وكان يتولى شرطة يزيد ابن معاوية / انظر: الأعلام ج٢ ص ٢٩٩.

سماها المنجية قال بلغني أن رجلاً يقرؤها ما يقرأ شيئاً غيرها. وكان كثير الخطايا فنشرت جناحها وقالت: «رب اغفر له فإنه كان يكثر من قراءتي فشفّعها الرب فيه وقال: اكتبوا له بكل خطيئة حسنة وارفعوا له درجه»[٤١٣].

٣ .**وقال الطبرسي**[٤١٤]: تسمى سورة (سجدة لقمان) لوقوعها بعد سورة لقمان لئلا يلتبس بسورة (حم السجدة) وهي سورة فصلت[٤١٥].

٤. وتسمى (سورة الجُمعة) وذلك لأن النبي ﷺ كان يقرأها في فجر يوم الجمعة[٤١٦].

ثانياً: عدد آياتها وترتيبها في النزول:

اختُلف في عدد آياتها:

فعدها الجمهور ثلاثين آية. وعدها البصريون تسعاً وعشرين آية..

ونزلت بعد سورة النحل وقبل سورة نوح. وترتيبها بين سور القرآن هي السورة الثالثة والسبعون في النزول[٤١٧].

ثالثاً: زمن ومكان نزول السورة:

هذه السورة مكيه النزول.

وقيل مكيه إلا ثلاث آيات مدنية وهي ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ ⑱﴾ [السجدة: ١٨] إلى قوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

ومكان نزولها: قيل نزلت يوم بدر في علي بن أبي طالب[٤١٨].

---

(٤١٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن ج٧ ص٤٠٢.

(٤١٤) الفضل بن الحسن بن الفضل المشهدي أمين الدين، أبو علي الطبرسي الشيعي من علماء الإمامية توفي سنه ٥٤٨هـ له عده تصانيف منها كنوز النجاح، مجمع البيان، انظر: كشف الظنون ج٤ ص٢٩٠.

(٤١٥) مجمع البيان ج٨ ص٨٧.

(٤١٦) انظر: تفسير كشك ج٥ ص٤٠٥٢.

(٤١٧) انظر: التحرير والتنوير ج١٠ ص٢٠٤.

(٤١٨) انظر: المرجع السابق ج١٠ ص٢٠٤.

رابعاً: محور السورة:

تخاطب هذه السورة القلب البشري بالعقيدة الصحيحة وهذه هي القضية التي تعالجها سائر السور المكية، لكن كل منها تعالجها بأسلوب خاص.

فتبدأ هذه السورة بأدلة وبراهين على تلك القضية المعروضة في صفحة هذا الكون ومشاهد عن اليوم الآخر، ثم ترسم صوراً للنفوس المؤمنة، والنفوس الجاحدة، وتصور الجزاء وما يتلقاه هؤلاء وهؤلاء[٤١٩]. فهي إنذار للكفار بهذا الكتاب، المبشر للمؤمنين بدخول الجنة، والنجاة من النار. واسمها «السجدة» منطبق على ذلك بما دعت إليه آياتها من التواضع، وترك الاستكبار.

خامساً: الأهداف العامة للسورة:

لسورة السجدة عدة أهداف وأهمها:

١. هدف السورة الأساس هو الخضوع لله تعالى لأن السجود هو صفة الخضوع لله تعالى.

٢. إثبات كون السورة هو كتاب الله المنزل على رسوله.

٣. إثبات رسالة النبي ﷺ وبيان أن مشركي العرب لم يأتهم رسول من قبله. وإبطال مزاعم المشركين بأن الرسول افترى هذا القرآن من عنده.

٤. إثبات وحدانية الله، وأنه المتصرف في الكون، المدبر له على أتم نظام وأحكم وجه.

٥. وصف لحال المجرمين الكافرين، وحال المؤمنين الطائعين لله تعالى.

٦. إثبات لأصول العقيدة (التوحيد ـ الرسالة ـ البعث).

---

(٤١٩) انظر: تفسير القرآن الكريم ج١١ ص٤٢١١.

٧. إثبات البعث بعد الفناء وهو الذي جادل فيه المشركون واتخذوه ذريعة لتكذيب الرسول ﷺ.

٨. تبيّن السورة كذلك عقاب من لا يخضع لله في الدنيا، فعدم الخضوع لله في الدنيا إيماناً به وتعظيماً له ينتج عنه خضوع ذلٍ في الآخرة.

٩. توجه السورة للناس بأن يتذكروا الآخرة ويخضعوا لله تعالى في الدنيا حتى يكونوا من الفائزين في الدنيا والآخرة[٤٢٠].

سادساً: المناسبات:

علاقة سورة السجدة بالسورة التي قبلها (سورة لقمان):

١. تظهر العلاقة بين السورتين من ناحية اشتمال كل منهما على أدلة التوحيد، وذكر في سورة لقمان الأصل الثاني وهو الحشر، وختمها بالأصلين (التوحيد ـ والرسالة)، وهذه السورة بدأت ببيان الأصل الثالث وهو الرسالة والنبوة.

٢. تعد هذه السورة شرحاً وتفصيلاً للسورة السابقة[٤٢١].

٣.اشتمال كل منهما على دلائل الألوهية.

٤. شرحت هذه السورة مفاتيح الغيب المذكورة في سورة لقمان[٤٢٢].

٥. إذا كانت سورة لقمان: اهتمت بالحث على إتباع الكتاب الكريم وهو القرآن. فإن السجدة: قد اهتمت بنفي الريب والشك عنه وبينت أنه تنزيل من رب العالمين.

---

(٤٢٠) انظر: التحرير والتنوير ج١٠ ص٢٠٤.

(٤٢١) انظر: التفسير المنير ج١٩ ص١٨٣.

(٤٢٢) انظر: تفسير كشك ج٥ ص٤٠٥١، الأساس ج٨ ص٤٣٤٩.

المبحث الثاني
عرض لآيات سورة السجدة المتضمنة للقراءات العشر

المبحث الثاني
عرض لآيات سورة سجدة المتضمنة للقراءات العشر

على النحو الآتي:

١ ـ قال تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ⑦﴾ [السجدة: ٧].

القـراءة:

قرأ نافع والكوفيون بفتح اللام (خَلَقَهُ)، وقرأ الباقون بإسكانها **(خلْقَه)**[٤٢٣].

المعنـى اللغـوي للقـراءة:

الخلق: هو التقدير المستقيم، ويستعمل في إبداع الشيء من غير أصل ولا احتذاء. ويستعمل في إيجاد الشيء من الشيء.

وقال القرطبي: خلقة معناه اخترع وأوجد بعد العدم.

والخلق الذي هو الإبداع لا يكون إلا لله تعالى[٤٢٤].

---

(٤٢٣) انظر: النشر ج٢ ص ٢٦٠.

(٤٢٤) انظر: المفردات ص٢٩٦، الجامع لأحكام القرآن ج١ ص٢٣٩.

المعنى الإجمالي للآية:

«أتقن الله تعالى وأحكم كل مخلوق خلقه، إذ ما من مخلوق خلقه الله تعالى إلا وهو مرتب على ما اقتضته الحكمة وأوجبته المصلحة، وقيل أحسن بمعنى ألهم، فالمعنى: ألهم خلقة كل شيء مما يحتاجون إليه، ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ﴾ على وجه بديع تحار العقول في فهمه حيث خلق آدم عليه السلام على فطرة عجيبة، منطوية على فطرة سائر أفراد الجنس انطواءً إجمالياً، فخلقه من تراب مجبول بالماء حتى صار طيناً ويبس هذا الطين فصار صلصالاً له رنة وصوت، ثم نفخ فيه الروح فصار بشراً سوياً»(٤٢٥).

العلاقة بين القراءتين:

أفادت قراءة فتح اللام (**خَلَقَه**) أنه تعالى أحسن وأتقن خلق كل شيء من الموجودات التي خلقها. بينما أفادت قراءة سكون اللام (**خلْقَه**) أنه تعالى أعطى خلقه مما يحتاجون إليه تكرماً وتفضلاً منه تعالى.

قال ابن عاشور: من قرأ بالفتح (**خَلَقَه**) بصيغه فعل الماضي على أن الجملة صفة لشيء أي كل شيء من الموجودات التي خلقها الله تعالى وهم يعرفون كثيراً منها.

ومن قرأ بالسكون (**خلْقَه**) على أنه اسم هو بدل من (كل شيء) بدل اشتمال(٤٢٦).

وقال الألوسي: يكون (**خَلَقَه**) بمعنى أعطى أي أعطى سبحانه خلقهُ اللائق به بطريق الإحسان والتفضل، وقال أو تكون مفعول ثاني بمعنى الإلهام أي ألهم وعرف خلقه كل شيء مما يحتاجون إليه(٤٢٧).

---

(٤٢٥) المقتطف ج٤ ص٢٤١.

(٤٢٦) التحرير والتنوير ج١٠ ص٢١٥.

(٤٢٧) انظر: روح المعاني ج١١ ص١٢٣، السراج المنير ج٣ ص٢٠٥، الفتوحات الإلهية ج٣ ص١٩٤، النكت والعيون ج٤ ص٣٥٥، الكشاف ج٣ ص٢٤١، معاني القرآن وإعرابه ج٤ ص٢٠٤.

وقال القرطبي: قرأت بالفتح لسهولتها، وهي في موضع نعت لشيء ومعناها: أحكم كل شيء خَلَقَهُ، أو أن كل شيء خلقه حسن، لأنه لا يقدر أحد أن يأتي بمثله، وهو دال على خالقه.

ومن أسكن اللام فهي مصدر أي أحسن خلق كل شيء خلقاً[٤٢٨].

الجمـع بيـن القراءتيـن:

بيان خلق الله تعالى للإنسان في أحسن صورة، بحيث وضع كل شيء في موضعه بإتقان وحكمه وإن كان في نفسه قبيحاً لكنه متقن. وبيّنت القراءتان قدرة الله تعالى في الخلق وإتقانه وإحاطة علمه بكل شيء، وخاصة أدق المخلوقات بما فيها الإنسان فهو المتفضل على خلقه بما يحتاجون له بحيث عرفهم كل شيء والله أعلم.

٢ ـ قال تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٠﴾﴾ [السجدة: ١٠].

القـراءة:

قرأ ابن عامر، وأبو جعفر بالإخبار في الأول والاستفهام في الثاني (**أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا**) وقرأ الباقون نافع والكسائي ويعقوب بالاستفهام في الأول والإخبار في الثاني (**أئذا ضللنا في الأرض إنا**)[٤٢٩].

المعنـى الإجمالـي للآيـة:

هذه الآية من قول كفار مكة المنكرين للبعث والنشور: فقالوا أئذا هلكنا وصارت عظامنا ولحومنا تراباً واختلط بتراب الأرض حتى غابت فيه ولم تتميز عنه بعد ذلك (أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ) أي سوف نخلق بعد ذلك خلقاً جديداً، ونعود إلى الحياة مرة ثانيه؟ فهذا استبعاد منهم للبعث مع استهزائهم وكفرهم وجحودهم بلقاء الله تعالى يوم القيامة[٤٣٠].

---

(٤٢٨) انظر: الجامع لأحكام القرآن ج٧ ص٤٠٧.

(٤٢٩) تقريب النشر ص٢٥.

(٤٣٠) نظر: صفوة التفاسير ج٢ ص٥٠٣.

العلاقة بين القراءتين:

اختلفت القراءتان في الاستفهام والإخبار، فقراءة الاستفهام تفيد الاستهزاء والتهكم، بينما قراءة الإخبار فهي إخبار عن المشركين.

قال ابن عاشور: قرأ نافع والكسائي ويعقوب (إنا لفي خلق جديد) بهمزة واحدة على الإخبار اكتفاء بدخول الاستفهام على أول الجملة ومتعلقها، وقرأ الباقون (أإنا لفي خلق جديد) بهمزتين أولاهما للاستفهام والثانية تأكيد لهمزة الاستفهام الداخلة على (أإذا ضللنا في الأرض).

وقرأ ابن عامر على ترك الاستفهام في الموضعين على أن الكلام خبر مستعمل في التهكم(٤٣١). وقال الألوسي بذلك(٤٣٢).

٣ ـ قال تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة: ١٧].

القـراءة:

قرأ يعقوب وحمزة بإسكان الياء (**ما أخفيْ**) وقرأ الباقون بفتحها (**ما أخفيَ**)(٤٣٣).

المعنى الإجمالي للآية:

تبيّن هذه الآية ما أعده الله تعالى للمؤمنين في الجنة من النعيم جزاء ما عملوا في الدنيا من أعمال صالحه، فلا يعلم أحد من الخلق مقدار ما يعطيهم من النعيم، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، جزاء لما عملوا من الصالحات(٤٣٤).

---

(٤٣١) التحرير والتنوير ج١٠ ص٢١٩.

(٤٣٢) انظر: روح المعاني ج١١ ص١٢٥.

(٤٣٣) النشر ج٢ ص٢٦٠.

(٤٣٤) انظر: صفوة التفاسير ج٢ ص٥٠٤.

العلاقة بين القراءتين:

أفادت قراءة (**ما أُخفيْ**) عدم إدراك العقول والنفوس ما أعد الله للإنسان في الجنة.

وأفادت قراءة (**ما أُخفيَ**) اطلاع الله على هذا النعيم المخفي المستور في الدنيا المنكشف لنا يوم القيامة بإذن الله تعالى، وعظم هذا النعيم لذلك ستره عنا.

قال الزمخشري: «ما أخفيَ لهم على البناء للمفعول، وما أخفي لهم على البناء للفاعل وهو الله سبحانه، وما أخفي لهم، وما تخفي لهم وما أخفيت لهم الثلاثة للمتكلم وهو الله سبحانه»(٤٣٥).

٤ ـ قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [السجدة: ٢٤].

القراءة:

قرأ حمزة والكسائي ورويس بكسر اللام وتخفيف الميم (**لِمَا صبروا**)، وقرأ الباقون بفتح اللام وتشديد الميم (**لَمّا صبروا**)(٤٣٦).

المعنى الإجمالي للآية:

قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيِمَّةً﴾ أي منهم من بني إسرائيل قادة وقدوة يقتدي بهم، وجعل منهم الأنبياء، وجعل منهم أئمة يدعون إلى طاعة الله تعالى، ويرشدونهم إلى الله تعالى، و﴿لَمَّا صَبَرُواْ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ أي حين صبروا على تحمل المشاق في سبيل الله تعالى وكانوا يصدقون بآيات الله تعالى أشد التصديق جعل منهم الأئمة(٤٣٧).

---

(٤٣٥) الكشاف ج٣ ص٢٤٣ ـ انظر فتح القدير ج٤ ص٢٥٣، روح المعاني ج١١ ص١٣٢، الفتوحات الإلهية ج٣ ص١٩٧، معاني القرآن وإعرابه ج٤ ص٢٠٧.

(٤٣٦) النشر ج٢ ص٢٦٠.

(٤٣٧) انظر: صفوة التفاسير ج٢ ص٥٠٦.

العلاقة بين القراءتين:

(لَمّا صبروا) تقرأ (لما) بالتشديد والتخفيف.

فدل تشديد (لمّا) على أنها ظرف بمعنى أنه تعالى جعلهم أئمة حين صبروا أو لصبرهم.

والتخفيف (لمَا) على أنها مصدريه أي جعلهم أئمة بسبب صبرهم.

وقال محمد سالم محيسن: «من قرأ بكسر اللام وتخفيف الميم جعل اللام حرف جر و(ما) مصدريه مجرورة باللام، والجار والمجرور متعلق بجعل، والتقدير: وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لصبرهم.

ومن قرأ بفتح اللام وتشديد الميم، على أن لما بمعنى الظرف أي بمعنى حين، والمعنى: وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا حين صبرهم»(٤٣٨).

وقال البغوي: «من قرأ بكسر اللام أي لصبرهم، وقرأ الباقون بفتح اللام أي صبروا على دينهم وعلى البلاء من عدوهم»(٤٣٩).

وقال الشوكاني: «قرأ الجمهور بفتح اللام (لَما) أي حين صبروا، والضمير للأئمة، وفي لما معنى الجزاء، والتقدير: لما صبروا جعلناهم أئمة لصبرهم.

ومن قرأ بكسر اللام (لِما) أي جعلناهم أئمة لصبرهم.

وهذا الصبر هو صبرهم على مشاق التكليف وهداية الناس، وقيل صبروا عن الدنيا»(٤٤٠).

الجمع بين القراءتين:

فالقراءتان معناهما أي حين صبروا على الدنيا وبسبب صبرهم على

---

(٤٣٨) المغني ج٣ ص١٤٥.

(٤٣٩) معالم التنزيل ج٣ ص٤٣٤.

(٤٤٠) فتح القدير ج٤ ص٢٥٧، انظر: روح المعاني ج١١ ص١٣٨، التحرير والتنوير ج١٠ ص٢٣٨، المحرر الوجيز ص١٤٩٧.

الدعوة والأذى والتكليف جعل الله تعالى منهم أئمة.

وهذه بشارة أيضاً لأصحاب الرسول ﷺ، بأن يكونوا أئمة للإسلام إذ هم صبروا على الدعوة والمشاق فيها.

هذا والله تعالى أعلم.

الفصل السادس
تفسير سورة الأحزاب من خلال القراءات العشر

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: التعريف بالسورة ويشتمل على:

أولاً: اسم السورة وسبب التسمية.

ثانياً: عدد آياتها وترتيبها في النزول.

ثالثاً: زمن ومكان نزول السورة.

رابعاً: محور السورة.

خامساً: الأهداف العامة للسورة.

سادساً: المناسبات.

المبحث الثاني: عرض لآيات سورة الأحزاب المتضمنة للقراءات العشر

المبحث الأول
تعريف سورة الأحزاب

أولاً: اسم السورة وسبب التسمية:

سميت سورة الأحزاب بهذا الاسم وهو الاسم الثابت لها في المصاحف لأن المشركين تحزبوا على المسلمين من كل جهة فاجتمع كفار مكة مع غطفان وبني قريظة وأوباش العرب[٤٤١] على حرب المسلمين ولكن الله ردهم مدحورين وكفى المؤمنين القتال بتلك المعجزة الباهرة[٤٤٢].

ثانياً: عدد آياتها وترتيبها في النزول:

«عدد آياتها ثلاث وسبعون آية باتفاق أصحاب العدد.

وترتيبها في النزول: هي السورة التسعون في عداد السور النازلة من القرآن، نزلت بعد سورة الأنفال، وقبل سورة المائدة»[٤٤٣].

ثالثاً: زمن ومكان نزول السورة:

نزلت في أواخر سنه خمس من الهجرة.

وروى ابن وهب وابن القاسم عن مالك: أنها كانت سنة أربع وهي سنة غزوة الأحزاب وتسمى غزوة الخندق.

(٤٤١) أوباش العرب: هم الأخلاط من الناس، انظر: لسان العرب ج١ ص٥٠٩.

(٤٤٢) انظر: في رحاب القرآن ج٥ ص٤٧٦٠، التفسير المنير ج٢٢ ص٢٢٥.

(٤٤٣) التحرير والتنوير ج١٠ ص٢٤٥.

ومكان نزول هذه السورة في المدينة فهي مدنية باتفاق(٤٤٤).

رابعاً: محور السورة:

سورة الأحزاب من السور المدنية التي تتناول الجانب التشريعي لحياة الأمة الإسلامية شأن سائر السور المدنية وقد تناولت حياة المسلمين الخاصة والعامة وبالأخص أمر الأسرة فشرعت الأحكام بما يكفل للمجتمع السعادة والهناء وأبطلت بعض التقاليد والعادات الموروثة مثل التبني والظهار واعتقاد وجود قلبين للإنسان وطهرت من رواسب المجتمع الجاهلي ومن تلك الخرافات والأساطير الموهومة التي كانت متفشية في ذلك الزمان.

فمحورها تأكيد على معنى الاستسلام لله تعالى والامتثال لأوامره وأوامر رسوله ﷺ بدون معرفة الحكمة من وراء ذلك فطاعة الله تعالى لازمة واجبة في كل الأمور.

خامساً: الأهداف العامة للسورة:

اشتملت سورة الأحزاب على أهداف متعددة حيث ركزت على الجانب التشريعي وهذا شأن السور المدنية. ومن الأهداف التي تناولتها السورة:

١ ـ تناولت حياة المسلمين خاصة وعامة وبالأخص حياة الأسرة فشرعت الأحكام بما يكفل للمجتمع السعادة.

٢ ـ أبطلت بعض التقاليد المحرمة كالتبني والظهار واعتقاد وجود قلبين للإنسان.

٣ ـ بيّنت أحكام النكاح والطلاق والعدة، وخصائص النبي ﷺ في النكاح، وتخييره في القسم بين الأزواج.

٤ ـ أمرت بتقوى الله ﷻ.

٥ ـ اشتملت على توجيهات وآداب إسلاميه، كآداب الوليمة، وآداب

(٤٤٤) المرجع السابق ج١٠ ص٢٤٥، صفوة التفاسير ج٢ ص٥٠٩.

الستر، والحجاب، وآداب معاملة النبي ﷺ.

٦ ـ تحدثت السورة عن غزوة الأحزاب وصورتها تصويراً دقيقاً، بحيث بيّنت خفايا المنافقين، وذم المعرضين، ووفاء الصادقين بالعهد، ورد الكفار بغيظهم.

٧ ـ دعت إلى الاستسلام والخضوع التام الكامل لله رب العالمين خالقنا.

٨ ـ تحدثت السورة عن عدة مواقف صعبة مرّت على الرسول ﷺ وعلى المسلمين في تلك الفترة منها إلغاء التبني ﴿ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٥﴾ [الأحزاب: ٥]، وتطليق زيد بن حارثة لزينب بنت جحش ثم زواج الرسول ﷺ منها، وأحكام الحجاب ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٥٩﴾ [الأحزاب: ٥٩][٤٤٥].

سادساً: المناسبات:

علاقة هذه السورة بالسورة التي قبلها (السجدة).

تظهر صله هذه السورة بسورة السجدة في التشابه بين المطلع والخاتمة.

حيث ختمت سورة السجدة بالإعراض عن الكافرين وانتظار عذابهم، وبدأت سورة الأحزاب بأمر النبي ﷺ بالتقوى وعدم الطاعة للكافرين[٤٤٦].

قال البقاعي: «لما ختمت التي قبلها بالإعراض عن الكافرين وانتظار ما

(٤٤٥) انظر: صفوة التفاسير ج٢ ص٥٠٩، في رحاب القرآن ج٥ ص٤٧٦٠، التحرير والتنوير ج١٠ ص٢٤٥.

(٤٤٦) انظر: في رحاب التفسير ج٥ ص٤٠٧٧، التفسير المنير ج٢١ ص٢٥٥، تناسق الدرر ص١٢٦.

يحكم به فيهم رب العالمين، بعد تحقيق أن تنزيل الكتاب من عند المدبر لهذا الخلق كله والنهي عن الشك في لقائه، افتتح هنا الأمر بأساس ذلك والنهي عن طاعة المخالفين مجاهرين كانوا أو مسائرين، والأمر بإتباع الوحي الذي أعظمه الكتاب تنبيهاً على أن الإعراض إنما يكون طاعة لله تعالى مع مراعاة تقواه»(٤٤٧).

(٤٤٧) نظم الدرر ج٦ ص٦٧.

المبحث الثاني
عرض لآيات سورة الأحزاب المتضمنة للقراءات العشر

المبحث الثاني
عرض لآيات سورة الأحزاب المتضمنة للقراءات العشر

على النحو الآتي:

١ - قال تعالى: ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٢﴾﴾ [الأحزاب: ٢].

القـراءة:

قرأ أبو عمرو بالغيب **(بما يعملون)**، وقرأها الباقون بالخطاب **(بما تعملون)**[٤٤٨].

المعنـى اللغـوي للقـراءة:

العمل: كل فعل يكون بقصد فهو أخص من الفعل.

لأن الفعل ينسب إلى أي فعل بغير قصد[٤٤٩].

المعنـى الإجمالـي للآيـة:

الخطاب في هذه الآية موجه للرسول محمد عليه الصلاة والسلام فقال له الله تعالى اتبع ما يُوحى إليك من الشرع القويم، والدين الحكيم، فالله تعالى لا يخفى عليه خافيه من أعمالكم فيعلم المطيع منكم والعاصي وسوف

(٤٤٨) انظر: النشر ج٢ ص٢٦٠.

(٤٤٩) انظر: مفردات ألفاظ القرآن ص٥٨٧.

يجازيكم على أعمالكم[٤٥٠].

العلاقة بين القراءات:

العلاقة بين القراءات علاقة بلاغية باستخدام أسلوب الالتفات من الخطاب إلى الغيبة.

قال ابن عاشور: «بتاء الخطاب تدل على خطاب النبي ﷺ والأمة لأن هذا الأمر أعلق بالأمة.

وبالياء بالغيبة على أنه راجع للناس كلهم شامل للمسلمين والكافرين والمنافقين ليفيد مع تعليل الأمر بالإتباع تعريضاً بالمشركين والمنافقين بمحاسبه الله إياهم، وكنايه عن اطلاع الله تعالى رسوله ﷺ على ما يعلم منهم»[٤٥١].

الجمع بينهما: والغرض من هذا الأسلوب التعليل حثاً على الإخلاص في العمل، ونفياً لما يعتري النفوس من الريبة في وقت الشدة[٤٥٢].

٢ ـ قال تعالى: ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ۝٤﴾ [الأحزاب: ٤].

القراءة:

قرأ عاصم بضم التاء وتخفيف الظاء وألف بعدها مع تخفيفها (**تُظاهِرون**)، وكذلك حمزة والكسائي وخلف إلا أنهم قرءوا بفتح التاء والهاء (**تَظاهَرون**)، وقرأ ابن عامر كذلك إلا أنه قرأ بتشديد الظاء (**تظّاهَرون**)، وقرأ الباقون كذلك إلا أنهم بتشديد الهاء مفتوحة من غير ألف قبلها (**تظّهرون**)[٤٥٣].

---

(٤٥٠) انظر: المقتطف ج٤ ص٢٤٨.
(٤٥١) التحرير والتنوير ج١٠ ص٢٥٣.
(٤٥٢) انظر: نظم الدرر ج٦ ص٧١.
(٤٥٣) انظر: النشر ج٢ ص٢٦٠.

المعنى اللغوي للقراءة:

الظهر: الجارحة، والظهار: أن يقول الرجل لامرأته أنت علي كظهر أمي.

وقد (ظاهر) من امرأته وتَظَهّر منها وظَهّر منها تظهيراً كله بمعنى.

وظهر الشيء أن يحصل الشيء على ظهر الأرض فلا يخفى(٤٥٤).

المعنى الإجمالي للآية:

هذا مثلٌ ضربه الله تعالى تمهيداً لما بعده، في كون استحالة اجتماع قلبين في جوف واحد وقد كانت العرب تزعم أن اللبيب له قلبان في جوفه، ﴿وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔي تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْۚ﴾ أي وما جعل زوجاتكم اللواتي تظاهرون منهن أمهاتكم، ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْۚ﴾ أي وما جعل الأبناء من التبني الذين ليسوا من أصلابكم أبناءً لكم في الحقيقة ﴿ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْۖ﴾ ما يفهم من الظهار والتبني قول بأفواهكم فقط بالقول دون مصداق ذلك في الحقيقة، ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ﴾ أي الله تعالى يقول الحق الموافق للحقيقة(٤٥٥).

العلاقة بين القراءات:

تظاهرون قرأت بالتخفيف والتشديد وكله بمعنى واحد.

ومعنى الظهار: قول الرجل لامرأته أنت علي كظهر أمي أي زوجته محرمه عليه.

(تُظَاهِرون) من ظاهر منها حاذر منها وظهر منها وحش منها.

(تَظَاهَرون) من أظاهر بمعنى تظاهر أي تباعد منها بجهة الظهار.

(تَظَّاهَرون) من تظّهر أي تحرز منها.

---

(٤٥٤) انظر: المفردات ص٥٤١، مختار الصحاح ص٤٠٧، البحر المحيط ج٧ ص٦٠٨.

(٤٥٥) انظر: المقتطف ج٤ ص٢٤٩، صفوة التفاسير ج٢ ص٥١١.

(تَظّهرون) اظّهر بمعنى تظّهر أي خلص منها[456].

الجمع بينهما: فجميعها تضمنت مراتب البعد عن الزوجة إلى أن يصير طلاقاً فأولاً يضيق منها ثم يبتعد عنها، ويحترز منها إلى أن يتخلص منها والله أعلم.

٣ ـ قال تعالى: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا ۝١٠﴾ [الأحزاب: ١٠].

القراءة:

قرأ المدنيان وابن عامر وأبو بكر بألف وصلاً ووقفاً (**الظُّنُونَا**)، وقرأ البصريان وحمزة بغير ألف (**الظنون**)، وقرأ الباقون ابن كثير والكسائي وخلف وحفص بألف في الوقف دون الوصل (**الظُّنُونَا**)[457].

المعنى اللغوي للقراءة:

الظن: اسم لما يحصل عن أماره، ومتى قويت أدت إلى العلم، ومتى ضعفت جداً لم يتجاوز حد التوهم.

والظن في كثير من الأمور مذموم، وهو الظن الذي هو التوهم[458].

المعنى الإجمالي للآية:

قال تعالى: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ أي من أعلى الوادي من الشرق وهم بنو غطفان ومن تابعهم من أهل نجد، وانضم إليهم يهود بني قريظة وبني النضير، ومن أسفل الوادي جهة الغرب وهم قريش ومن شايعهم من أوباش العرب ﴿وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ مالت وانحرفت عن مستوى نظرها، ﴿وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ﴾ لأن الرئة تنتفخ من شده الفزع أي زالت عن أماكنها حتى كادت تبلغ الحناجر، ﴿وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا﴾

(٤٥٦) انظر: الكشاف ج٣ ص٢٥٠.
(٤٥٧) انظر: النشر ج٢ ص٢٦٠.
(٤٥٨) انظر: المفردات ص٥٣٩.

تظنون بالله تعالى أنواع من الظنون حيث ظن المخلصون بالله أنه ينجز وعده في إعلاء دينه، والمنافقون خافوا وزلزلوا(٤٥٩).

العلاقة بين القراءات:

الاختلاف في القراءات اختلاف في الأداء لا في لفظ القرآن.

قال مكي: «من أثبت الألف في الوصل انه اتبع الخط، فهي في المصحف بألف، وإنما كتبت بالألف لأنها رأس آية.

ومن حذف الألف أنه أتى به على الأصل، إذ لا أصل للألف فيه كله»(٤٦٠).

٤ ـ قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ۝١٣﴾ [الأحزاب: ١٣].

القـراءة:

قرأ حفص بضم الميم (**مُقام**)، وقرأ الباقون بفتحها (**مَقام**)(٤٦١).

المعنى اللغوي للقـراءة:

المَقام، والمُقام قد يكون كل واحد منهما بمعنى الإقامة، وقد يكون بمعنى موضع القيام فإذا كان من قام يقوم فمفتوح، وكان من أقام يقوم فمضموم.

وبالفتح أي لا موضع لكم، وبالضم لا إقامة لكم(٤٦٢).

---

(٤٥٩) انظر: المقتطف ج٤ ص٢٣.

(٤٦٠) الكشف ج٣ ص١٩٥.

(٤٦١) انظر: النشر ج٢ ص٢٦٠.

(٤٦٢) انظر: مختار الصحاح ص٥٥٧.

المعنـى الإجمالـي للآيـة:

وإذ قالت طائفة من المنافقين وهم: أوس وأتباعه، وأبي بن سلول وأشياعه ﴿يَٰٓأَهۡلَ يَثۡرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمۡ فَٱرۡجِعُواْۚ﴾ يا أهل المدينة لا قرار لكم ولا إقامة فارجعوا إلى أماكنكم واتركوا محمد ﷺ وأصحابه، ﴿وَيَسۡتَـٔۡذِنُ فَرِيقٞ مِّنۡهُمُ ٱلنَّبِيَّ﴾ ويستأذن جماعه من المنافقين الرسول ﷺ في الانصراف متعللين بعلل واهية، بقولهم ﴿إِنَّ بُيُوتَنَا عَوۡرَةٞ﴾ أي غير حصينة، معرضة للعدو والسراق، لكن هي ليست بعورة ولكن يريدون الفرار من القتال[٤٦٣].

العلاقـة بيـن القـراءات:

لقد ذهب أهل التفسير إلى أن القراءتين بمعنى واحد أي ليس لكم مكان أو أي موضع تقيمون فيه.

ومنهم من قال: من قرأ بالضم بمعنى الإقامة من أقام أي لا إقامة لكم في مكان القتال أو مقارعه الأبطال.

ومن قرأ بالفتح من قام، بمعنى الموضع الذي يقام فيه[٤٦٤].

ومنهم من قال إنها على قولين:

أحدهما: «لا مقام لكم على دين محمد ﷺ فارجعوا إلى دين مشركي العرب.

والثاني: لا مقام لكم على القتال فارجعوا إلى طلب الأمان»[٤٦٥].

وبالجمع بينهما: يتضح أن المنافقين ليس لهم مكان أو أي موضع عند النبي ﷺ في مقام القتال والمرابطة وليس لكم أي قيام بأعمال القتال، وأيضاً إنهم لا يثبتوا على الدين الإسلامي فهم مزعزعون والله أعلم.

٥ ـ قال تعالى: ﴿وَلَوۡ دُخِلَتۡ عَلَيۡهِم مِّنۡ أَقۡطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُواْ ٱلۡفِتۡنَةَ لَأٓتَوۡهَا وَمَا تَلَبَّثُواْ بِهَآ إِلَّا يَسِيرٗا ١٤﴾ [الأحزاب: ١٤].

---

(٤٦٣) انظر: صفوة التفاسير ج٢ ص٥١٥.

(٤٦٤) انظر: معاني القرآن ج٢ ص٩٥٦، نظم الدرر ج٦ ص٨٣.

(٤٦٥) زاد المسير ج٣ ص١١١٦ ـ ١١١٧.

القـراءة:

لأتوها: قرأ المدنيان وابن كثير بغير مد **(لأتوها)**، وقرأ الباقون بالمد **(لآتوها)**[٤٦٦].

المعنى الإجمالـي للآيـة:

في هذه الآية بيّن الله تعالى أنه لو دخل الأعداء على المنافقين من جميع جوانب المدينة ثم سئلوا الفتنه أي الرجعة والردة وقتال المسلمين لأتوها، أي لأعطوها من أنفسهم غير مبالين بالإسلام وأهله[٤٦٧].

العلاقـة بيـن القـراءات:

لآتوها: قرأت بالقصر وبالمد.

فقراءة المد معناها لأعطوها، وبالقصر لجاءوها وفعلوها[٤٦٨].

قال ابن عاشور: الإتيان القدوم إلى المكان، بأنهم يخرجون من المدينة التي كانوا فيها ليفتنوا المسلمين، ولأتوها أتوا الفتنه.

وبالجمع بينهما: يتضح أن من صفاتهم إذا سئلوا الفتنه وهي الدخول في الكفر لجاؤها مسرعين وبالمد يدل على زيادة هذه الفتنه والدخول فيها بسرعة وفعلها دون التقصير بها.

٦ ـ قال تعالى: ﴿يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ ۖ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾﴾ [الأحزاب: ٢٠].

القـراءة:

قرأ رويس بتشديد السين وفتحها وألف بعدها **(يسّاءلون)**، وقرأ الباقون

(٤٦٦) انظر: النشر ج٢ ص٢٦١.

(٤٦٧) انظر: المقتطف ج٤ ص٢٥٥.

(٤٦٨) انظر: الكشاف ج٣ ص٢٥٤، التبيان ج٢ ص٣١٨.

بإسكان من غير ألف (يسْألون)[٤٦٩].

المعنى الإجمالي للآية:

هذه من صفاتهم القبيحة في الجبن والخور والضعف ﴿يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟﴾ بل هو قريب منهم وإن لهم عودة إليهم، ﴿وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ﴾ أي يودون إذا جاءت الأحزاب أنهم لا يكونون حاضرين معكم في المدينة بل في البادية يسألون عن أخباركم وما كان من أمركم مع عدوكم، ﴿وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا﴾ أي لو كانوا بينكم ما قاتلوا معكم إلا قليلاً لكثرة جبنهم وذلتهم وضعف يقينهم والله سبحانه العالم بهم[٤٧٠].

العلاقة بين القراءات:

يتساءلون أي يسأل بعضهم بعضاً[٤٧١].

وبالجمع بينهما: يتضح أن قراءة التشديد تدل على شده حبهم وسؤالهم عن كل شيء من أخبار المسلمين بخلاف الأخرى والله أعلم.

٧ ـ قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١].

القراءة:

قرأ عاصم بضم الهمزة (**أُسوة**)، وقرأ الباقون بكسرها (**إِسوة**)[٤٧٢].

المعنى الإجمالي للآية:

هذه الآية تبيّن أن الرسول ﷺ خصلة حسنه يقتدى به في جهاده، وإخلاصه وصبره، ﴿لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ﴾ أي يرجو ثوابه ولقاءه وذكر الله

---

(٤٦٩) انظر: النشر ج٢ ص٢٦١.

(٤٧٠) انظر: تفسير القرآن العظيم ج٣ ص٤٨٣.

(٤٧١) انظر: الإتحاف ج٢ ص٣٧٣.

(٤٧٢) انظر: النشر ج٢ ص٢٦١.

تعالى بلسانه وقلبه في الخوف والرجاء والشدة[٤٧٣].

العلاقة بين القراءات:

ذهب بعضهم إلى أن (**أُسوة**) و(**إِسوة**) لغتان[٤٧٤].

ومنهم من قال إن قراءة الضم فيها وجهان:

أحدهما: أنه في نفسه أسوة حسنة أي قدوة وهو المؤتسى أي المقتدى به.

الثاني: أنه فيه خصلة من حقها أن يؤتسى بها وتتبع وهي المؤاساة بنفسه[٤٧٥].

وقال البقاعي: من قرأ بالضم بمعنى أن الرسول ﷺ لنا قدوة عظيمة.

وبالكسر: بمعنى تساوون أنفسكم به وهو أعلى الناس قدراً، فيجب على كل أحد أن يفدي الرسول وأن لا يساوي نفسه بنفسه ﷺ[٤٧٦].

وبالجمع بينهما: يكون معناهما أن الرسول الكريم ﷺ لنا قدوة وأسوة نتأسى به في جميع أمورنا، وأن لا نساويه بأنفسنا فهو أعلى من كل إنسان.

٨ ـ قال تعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ﴿٣٠﴾﴾ [الأحزاب: ٣٠].

القراءة:

قرأ ابن كثير وابن عامر بالنون وتشديد العين وكسرها من غير ألف قبلها ونصب العذاب (**نضعِّف العذابَ**).

وقرأ أبو جعفر والبصريان بالياء وتشديد العين وفتحها من غير ألف

(٤٧٣) انظر: تفسير القرآن العظيم ج٣ ص٤٨٣.

(٤٧٤) انظر: التبيان ج٢ ص٣١٩، الكشف ج٣ ص١٩٦.

(٤٧٥) انظر: الكشاف ج٣ ص٢٥٦.

(٤٧٦) انظر: نظم الدرر ج٦ ص٩١.

قبلها ورفع العذاب أي (**يضعَّف العذابُ**).

وقرأ الباقون كذلك إلا أنهم بتخفيف العين وألف قبلها (**يضاعف**)[477].

المعنى اللغوي للقراءة:

الضعف: خلاف القوة.

التضعيف: أن يزاد على أصل الشيء فيجعل مثلين أو أكثر.

الأضعاف، والمُضاعَفَةُ: يقال ضعّفتُ الشيء وأضعفته وضاعفته بمعنى الزيادة.

وضِعْفُ الشيء مثله، وضِعْفَاهُ: مثلاه، وأَضْعَافُهُ: أمثاله[478].

المعنى الإجمالي للآية:

أخبر الله هنا أن من جاءت من نساء النبي ﷺ بفاحشة كبيره ظاهره القبح، أو عصيانهن للرسول عليه السلام، والغرض من ذلك مجرد التحذير لا أن منهن من أتت بفاحشة فإن الله صان أزواج الرسول عليه السلام من القبائح.

﴿يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ﴾ أي يعذبن ضعفي العذاب لأن الذنب منهن أقبح، فإن الزيادة في القبح تابعه لزيادة فضل المذنب، فلشرفهن وفضل درجتهن تضاعف الحرمات تضاعف العقوبات، فضوعف لهن الأجر والعذاب لعظم الضرر في جرائمهن في إيذاء النبي عليه السلام[479].

العلاقة بين القراءات:

لقد ذهب أهل التفسير إلى أن القراءتين ترجعان إلى معنى واحد وهو من التضعيف وهو الزيادة في العدد. ومنهم من قال أن (يضاعف) بمعنى

---

(٤٧٧) انظر: النشر ج٢ ص٢٦١.

(٤٧٨) انظر: الصحاح ص١٣٩.

(٤٧٩) انظر: المقتطف ج٤ ص٢٦٢، الجامع لأحكام القرآن ج٧ ص٤٧٧.

ضاعف العذاب أضعافاً مضاعفه.

و(**يضعف**) أي يضعف العذاب مرتين(٤٨٠).

قراءه النون (**نضعف**) تدل على عظمته سبحانه، والبناء للمجهول تدل على العناية بتهويل العذاب(٤٨١).

بالجمع بينهما: يتضح أن مضمون القراءتان يقصد بهما التكثير والمضاعفة.

٩ ـ قال تعالى: ﴿۞ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾ [الأحزاب: ٣١].

القـراءة:

قرأ حمزة والكسائي وخلف بالياء فيهما (**ويعمل صالحا يؤتها**).

وقرأ الباقون بالتاء على التأنيث في الأول وبالنون في الثاني ﴿وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ﴾(٤٨٢).

المعنـى الإجمالـي للآيـة:

خطاب موجه لنساء النبي ﷺ فمن تدم على الطاعات نؤتها أجرها مرتين مرة على الطاعة، ومرة على طلبهن رضا رسول الله عليه السلام بالقناعة وحسن المعاشرة ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾ وأعد الله لهن على ذلك الجنة زيادة على أجرها المضاعف(٤٨٣).

العلاقـة بيـن القـراءات:

من قرأ بالياء ردها إلى اسم الله تعالى أي يؤتها الله أجرها مرتين.

---

(٤٨٠) انظر: معاني القرآن ج٢ ص٩٦٠.

(٤٨١) انظر: نظم الدرر ج٦ ص١٠٠.

(٤٨٢) انظر: النشر ج٢ ص٢٦١.

(٤٨٣) انظر: المقتطف ج٤ ص٢٦٣.

ومن قرأ بالتاء على نسق ما قبلها لأنه قال (منكن) فظهر التأنيث فكان الاختيار.

(وتعمل) لأن اللفظة لما نُسقت على شكلها وما قرن منها أولى أن تنسق على ما بعدها. **(ونؤتها)** إخبار من الله تعالى عن نفسه(٤٨٤).

١٠ ـ قال تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الأحزاب: ٣٣].

القـراءة:

قرأ المدنيان وعاصم بفتح القاف **(وقَرن)**، وقرأ الباقون بكسرها **(وقِرن)**(٤٨٥).

المعنى اللغوي للقـراءة:

القرار في المكان الاستقرار تقول قَرِرتُ بالمكان، وأقَرُ قراراً أي أستقر بالمكان(٤٨٦).

المعنى الإجمالي للآيـة:

في هذه الآية يعرض الله بعض الآداب التي أمر الله تعالى بها نساء النبي ونساء الأمة تبعاً لهن في ذلك وقال ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ أي إلزمن بيوتكن فلا تخرجن لغير حاجه ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ﴾ أي فلا تظهرن زينتكن، الجاهلية الأولى قيل هو الزمن الذي ولد فيه إبراهيم عليه السلام. كانت المرأة تلبس الدرع وتمشي وسط الطريق تعرض نفسها للرجال وقيل غير ذلك. ولكن المقصود منها أن تخالف من كان قبلها في التبرج والتكسر وإظهار المحاسن للرجال إلى غير ذلك مما لا يجوز شرعاً. وذلك يشمل

(٤٨٤) انظر: إعراب القراءات السبع ج٢ ص١٩٨ ـ ١٩٩.
(٤٨٥) انظر: النشر ج٢ ص٢٦١.
(٤٨٦) انظر: مختار الصحاح ص٥٢٨.

الأقوال أيضاً فيلزمن البيوت.

﴿وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾ أي فيما أمر ونهى. ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ **قال الزجاج:** قيل يراد به نساء النبي، وقيل يراد به نساؤه وأهله الذين هم أهل بيته، أي ليزيل عنكم الذنوب ويطهركم أهل بيت رسول الله ﷺ(٤٨٧).

العلاقة بين القراءات:

(قرن) «من الوقار وقر يقر وقاراً.

أو تكون من القرار من قررت بالمكان، إذا استقررتن في بيوتكن غلب عليكن الوقار»(٤٨٨).

فمن قرأ بالكسر من قرر من الوقار، ومن قرأ بالفتح من الاستقرار لا من الوقار(٤٨٩).

وبالجمع بينهما: يكون المعنى أن النبي ﷺ يأمرهن بملازمه البيوت وهو أمر مطلوب لجميع النساء، وذلك بالتزام الحجاب وعدم التبرج وهذا يؤدي إلى اتصافهن بالوقار والحشمة.

١١ ـ قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ [الأحزاب: ٣٦].

القراءة:

قرأ الكوفيون وهشام بالياء على التذكير **(أن يكون)**، وقرأ الباقون بالتاء على التأنيث **(أن تكون)**(٤٩٠).

---

(٤٨٧) انظر: الجامع لأحكام القرآن ج٧ ص٤٨٢.

(٤٨٨) المحرر الوجيز ص١٥١١.

(٤٨٩) انظر: إعراب القراءات ج٢ ص٢٠٠، الجامع لأحكام القرآن ج٧ ص٤٨٠.

(٤٩٠) انظر: النشر ج٢ ص٢٦١.

المعنى الإجمالي للآية:

نزلت هذه الآية في زينب بنت جحش، وخطبها رسول الله ﷺ لزيد بن حارثه، فأبت هي وأخوها عبد الله فنزلت فلما سمعا الآية رضيا وجعلت أمرها بيد رسول الله فأنكحها زيداً وساق رسول الله إليها مهراً عشرة دنانير وخماراً ودرعاً وملحفة ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ﴾ إن يختاروا من أمرهم ما شاءوا بل يجب أن يجعلوا رأيهم تبعاً لرأيه ومن يعص في أمر من الأمور ضل عن الحق والسعادة(٤٩١).

العلاقة بين القراءات:

من قرأ بالياء لأن تأنيث الخيرة غير حقيقي.

والمراد جميع المؤمنين والمؤمنات.

واعلم الله تعالى أنه لا اختيار على ما قضاه الله ورسوله ﷺ(٤٩٢).

١٢ ـ قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [الأحزاب: ٤٠].

القراءة:

قرأ عاصم بفتح التاء **(وخاتَم)**، وقرأ الباقون بكسرها **(وخاتِم)**(٤٩٣).

المعنى اللغوي للقراءة:

الختم: هو الطبع والإتمام والسد والوصول إلى الانتهاء.

الخاتم: هو الطابع يقال منه ختمت الكتاب إذا طبعته.

يقال ختم الشيء، وختم العمل إذا فرغ منه، وختم على قلبه إذا جعله لا يفهم شيء، وختام كل مشروب: آخره، وختام الوادي أقصاه، وخاتمة

---

(٤٩١) انظر: المقتطف ج٤ ص٢٦٦.

(٤٩٢) انظر: زاد المسير ج٣ ص٤٦٥.

(٤٩٣) انظر: النشر ج٢ ص٢٦١.

كل شيء عاقبته وآخرته[٤٩٤].

المعنى الإجمالي للآية:

في هذه الآية نهى الله أن يقال زيد بن محمد، أي لم يكن أباه وإن كان قد تبناه. ولكن ﴿رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ...﴾ في هذه الآية نص على أنه لا نبي بعده وإذا كان لا نبي بعده فلا رسول بعده بالطريق الأولى لأن مقام الرسالة أخص من مقام النبوة.

وتعددت الروايات في ختم النبوة منها، في صحيح مسلم عن جابر قال: قال رسول الله: «**مثلي ومثل الأنبياء كمثل رجل بنى داراً فأتمها وأكملها إلا موضع لبنه فجعل الناس يدخلون ويتعجبون منها ويقولون لولا موضع اللبنة. قال رسول الله فأنا موضع اللبنة جئت فختمت الأنبياء**»[*][٤٩٥].

العلاقة بين القراءات:

(خاتَم) قرأت بالفتح أي آخرهم فلا نبي بعده.

(خاتِم) بالكسر أي ختمهم فهو خاتمهم[٤٩٦].

وبالفتح تكون اسم للآلة، وبالكسر خاتِم اسم فاعل[٤٩٧].

قال الشوكاني: «معنى القراءة الأولى بكسر التاء أنه ختمهم: أي جاء آخرهم.

ومعنى القراءة الثانية بالفتح أي أنه صار كالخاتم لهم الذي يختتمون به ويتزينون بكونه منهم»[٤٩٨].

وبالجمع يكون: الرسول ﷺ خاتم الرسالات وآخر النبيين، فالشرع

---

(٤٩٤) انظر: القاموس المحيط ج٤ ص١٠٢، والصحاح ١٦٩، دقائق لغة القرآن ج١ ص٢٥٦.

(*) أخرجه مسلم في الفضائل باب ذكره كونه خاتم النبيين ج٤ ص١٧٩٠ - ١٧٩١.

(٤٩٥) انظر: تفسير القرآن العظيم ج٣ ص٥٠١.

(٤٩٦) مفاتيح الأغاني ص٣٣٣.

(٤٩٧) انظر الإتحاف ج٢ ص٣٧٦.

(٤٩٨) فتح القدير ج٤ ص٢٨٥.

أتمه الله تعالى على يده وأكمله وهو ما يتزين به (كالخاتم)، فهو خاتم النبيين والمرسلين فلا نبي بعده.

١٣ ـ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحۡتُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمۡ عَلَيۡهِنَّ مِنۡ عِدَّةٖ تَعۡتَدُّونَهَاۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ٤٩﴾ [الأحزاب: ٤٩].

القـراءة:

قرأ حمزة والكسائي وخلف بضم التاء وألف بعد ميم (**تُماسوهن**)، وقرأ الباقون بفتح التاء من غير ألف (**تمسوهن**)[٤٩٩].

المعنـى الإجمالـي للآيـة:

بعد أن بيّن الله تعالى قصه زيد، خاطب هنا المؤمنين مبيّناً لهم حكم الزوجة إذا طلقها زوجها قبل الدخول فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحۡتُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾ أي عقدتم بهن عقد النكاح ﴿ثُمَّ طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾ ثم طلقتم من قبل أن تجامعوهن، فكنى عن ذلك بلفظ المس، ﴿فَمَا لَكُمۡ عَلَيۡهِنَّ مِنۡ عِدَّةٖ تَعۡتَدُّونَهَاۖ﴾ أي ما لكم عدة تستوفون عددها، وإسناد ذلك إلى الرجال للدلالة على أن العدة حق لهم، ﴿فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا﴾ أي أخرجوهن من بيوتكم إذ ليس عليكم عليهن عدة ينتظرون بها، والسراح الجميل هنا كنايه عن الطلاق، وقيل أن لا يطالبها بما كان قد أعطاها[٥٠٠].

العلاقـة بيـن القـراءات:

الحجة لمن أثبت الألف أن ماسا فعل من اثنين. والحجة لمن حذفها أنه جعل الفعل للرجال[٥٠١]، المس هو الجماع، والمعنى واحد فيهما يكون

(٤٩٩) انظر: النشر ج٢ ص١٧٢.
(٥٠٠) انظر: فتح القدير ج٤ ص٢٩٠ ـ ٢٩١.
(٥٠١) انظر: الحجة في القراءات ص٩٨.

إن طلقتموهن قبل أن تجامعوهن ما لكم عليهن من عدة تعتدونها والله أعلم.

١٤ ـ قال تعالى: ﴿۞ تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾﴾ [الأحزاب: ٥١].

القراءة:

قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وأبو بكر (**ترجئ**) بالهمز، والباقون بغير همزة (ترجي)[٥٠٢].

المعنى اللغوي للقراءة:

أرجيت الأمر وأرجأته: أي أخرته[٥٠٣].

المعنى الإجمالي للآية:

في هذه الآية خطاب موجه للنبي ﷺ فقال الله تعالى: ﴿تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ﴾ أي تؤخر ﴿وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ﴾ أي تضم إليك.

والمعنى إن الله تعالى وسّع على النبي ﷺ وجعل له الخيار في نسائه فيؤخر من يشاء منهن ويؤخر نوبتها ويتركها ولا يأتيها من غير طلاق، ويضم إليه من شاء منهن ويبيت عندها، وقد كان القسم واجباً عليه حتى نزلت هذه الآية، فارتفع الوجوب وصار الخيار إليه، وقيل هي في الواهبات أنفسهن، لا في غيرهن من الزوجات ﴿وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾ الابتغاء الطلب، والعزل الإزالة، والمعنى أنه أراد أن يؤوي إليه امرأة ممن قد عزلن من القسمة ويضمها إليه فلا حرج عليه في ذلك، والحاصل أن الله تعالى فوض الأمر إلى رسوله ﷺ يصنع في زوجاته ما شاء في أمرهن فعل توسعة

(٥٠٢) التيسير في القراءات السبع ص٩٧.

(٥٠٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن ج٧ ص٥٠٩.

عليه ونفياً للحرج عنه، ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ﴾ أي ذلك التفويض الذي فوضناك أقرب إلى رضاهن لأنه حكم الله تعالى، ﴿وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ﴾ أي لا يحصل معهن حزن بتأثيرك بعضهن دون بعض، ويرضين جميعاً بما أعطيتهن من تقريب وإرجاء وعزل وإيواء، ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا﴾ يعلم كل ما تضمرونه، عليماً بكل شيء لا تخفى عليه خافيه، حليماً لا يعاجل العصاة بالعقوبة(٥٠٤).

العلاقة بين القراءات:

قيل إنهما لغتان من أرجيت الأمر وأرجأته إذا أخرته(٥٠٥).

وقيل ترجئ بالهمز من تؤخر: أي تؤخر الواهبات فلا تقبل هبتها أو من نسائك بالطلاق أو غيره مع ما يؤنسها من أن تؤويها.

وبغير همز من الرجاء أي تؤخرها مع أفعال تكون بها راجيه عطفك(٥٠٦).

فمضمونهما بمعنى واحد وهما من التأخير والله أعلم.

١٥ ـ قال تعالى: ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ رَّقِيبًا ﴿٥٢﴾﴾ [الأحزاب: ٥٢].

القراءة:

قرأ البصريان بالتاء على التأنيث **(لا تحل)**، وقرأ الباقون بالياء على التذكير **(لا يحل)**(٥٠٧).

---

(٥٠٤) انظر: فتح القدير ج٤ ص٢٩٣.

(٥٠٥) انظر: المحرر الوجيز ص٥٠٩٠.

(٥٠٦) انظر: نظم الدرر ج٦ ص١٢٢.

(٥٠٧) انظر: النشر ج٢ ص٢٦١.

المعنى الإجمالي للآية:

في هذه الآية حرم الله تعالى على النبي ﷺ أن يتزوج على نسائه مكافأة لهن بما فعلن من اختيار الله تعالى ورسوله والدار الآخرة لما خيرهن الرسول ﷺ بأمر الله له بذلك.

﴿وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ﴾ أي ليس لك أن تطلق واحدة منهن أو أكثر وتتزوج بدل من طلقت منهن، ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ﴾ أي لا يحل التبدل بأزواجك ولو أعجبك حسن غيرهن ممن أردت أن تجعلها بدلاً من إحداهن، ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ استثناء من النساء ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ رَّقِيبًا﴾ أي مراقباً حافظاً مهيمناً لا يخفى عليه شيء[٥٠٨].

العلاقة بين القراءات:

لاختلاف القراءات أثر نحوي من حيث جواز معامله المؤنث الغير حقيقي معامله المذكر، فالنساء تأنيثها ليس حقيقي إنما هو تأنيث الجمع.

(لا تحل) قرأت بالتذكير والتأنيث والمراد: لا تحل لك جميع النساء[٥٠٩].

١٦ ـ قال تعالى: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾﴾ [الأحزاب: ٦٦].

١٧ ـ قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾﴾ [الأحزاب: ٦٧].

القراءة:

قرأ يعقوب وابن عامر **(ساداتنا)** بالجمع وكسر التاء، وقرأ الباقون بالتوحيد ونصب التاء **(سادتَنا)**[٥١٠].

---

(٥٠٨) انظر: فتح القدير ج٤ ص٢٩٤.

(٥٠٩) انظر: الحجة للقراء ص٢٨٦.

(٥١٠) انظر: النشر ج٢ ص٢٦١.

قرأ المدنيان، وابن عامر وأبو بكر بألف وقفاً ووصلاً (**السبيلا - والرسولا**).

وقرأ البصريان، وحمزة بغير ألف في الحالين، والباقون بغير ألف في الوصل، وألف في الوقف(٥١١).

المعنى الإجمالي للآية:

في هذه الآيتين بيان عاقبه الكافرين ففي الآخرة تقلب وجوههم في النار من جهة إلى جهة أو يوم تتغير وجوههم من حال إلى حال فتتوارد عليها الهيئات القبيحة من شدة الأهوال، أو يوم يلقون في النار مقلوبين منكوسين، وخص الوجه لأنه أكرم الأعضاء ففيه مزيد تفظيع وتهويل.

﴿يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠﴾ يقولون متحسرين على ما فاتهم يا ليتنا أطعنا الله والرسول ﷺ.

﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا﴾ أي أطعنا ملوكنا وولاتنا الذين يتولون تدبير أمورنا والرؤساء الذين أخذنا عنهم فنون الشر وكان هذا في مقابله ما تمنوه من طاعة الله تعالى وطاعة الرسول ﷺ ﴿فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾ أي ضلوهم عن الطريق الحق بما دعوه لنا وزينوه من الأباطيل(٥١٢).

العلاقة بين القراءات:

حجة من أثبت الألف في الوصل (**الرسولا**) لأنه اتبع خط المصحف، ولأنها رأس آية.

وحجة من حذف الألف في الوصل جاء بها على الأصل، ولا أصل للألف.

وحجة من حذف الألف في الوقف إنه أجرى الوقف مجرى الوصل(٥١٣).

---

(٥١١) انظر: النشر ج٢ ص٢٦٠ - ٢٦١.
(٥١٢) انظر: روح المعاني ج١١ ص٩٤.
(٥١٣) انظر: الكشف ج٢ ص١٩٥.

السبيلا: من أثبت الألف فيها مشيرة إلى أنه سبيل واسع جداً واضح وأنه مما يتلذذ بذكره ويجب تفخيمه[٥١٤].

(سادتنا) جمع الجمع لأن سادة جمع سيد، وسادات جمع الجمع فسادة جمع التكسير[٥١٥]. والجمع يدل على الكثرة. وجمع الجمع يدل على القليل والكثير فهم أطاعوا سادتهم.

١٨ - قال تعالى: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾﴾ [الأحزاب: ٦٨].

القراءة:

قرأ عاصم بالباء الموحدة من تحت (كَبِيراً)، وقرأ الباقون بالثاء **(كثيراً)**[٥١٦].

المعنى الإجمالي للآية:

كان جزاؤهم الضعف قال تعالى: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾ أي عذابين يضاعف كل واحد منها الآخر عذاباً على ضلالهم، ﴿وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾ أي لعناً شديداً عظيماً.

العلاقة بين القراءات:

(كثيراً) قرأت بالباء من الكبر أي أشد اللعن أو أعظمه لأنه لما كان الكبر مثل العظم في المعنى، وكان كل شيء كبيراً عظيماً دل العظم على الكثرة وعلى الكبر فتضمنت القراءة بالباء المعنيين جميعاً، وقرئ بالثاء من الكثرة أي مرة بعد مرة، أي إنهم يلعنون مرة بعد مرة[٥١٧].

---

(٥١٤) انظر: نظم الدرر ج٦ ص١٣٩.

(٥١٥) إعراب القراءات ج٢ ص٢٠٦.

(٥١٦) انظر: النشر ج٢ ص٢٦١.

(٥١٧) انظر: طلائع البشر في توجيه القراءات ص٢١٩.

الجمع بين القراءات:

من قرأ كثيراً: تدل على تعدد اللعن، **ومن قرأ كبيراً:** تدل على أن اللعن عظيم أي العنهم لعناً كثيراً وعظيماً.

هذا والله تعالى أعلم.

الفهـارس العامـة

فهرس المصادر والمراجع

فهرس المصادر والمراجع[518]:

١ - القرآن الكريم.

٢ - أسرار ترتيب القران للحافظ جلال الدين السيوطي، دراسة وتحقيق عبد القادر أحمد عطا ط٢، ١٣٩٨، ١٩٧٨ دار الاعتصام.

٣ - الإبانة عن معاني القراءات/ مكي بن أبي طالب القيسي تحقيق: د. محيي الدين رمضان: دار المأمون للتراث ـ دمشق، بيروت ـ ط الأولى ـ ١٩٧٩م.

٤ - أبنية الأفعال (دراسة لغوية قرآنية) / د. نجاة عبد العظيم الكوفي: دار الثقافة للنشر والتوزيع ـ القاهرة ١٩٨٩م.

٥ - إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر / شهاب الدين الدمياطي الشهير بالبناء، حققه وقدم له الدكتور شعبان محمد إسماعيل، عالم الكتب، ط١، ١٤٠٧هـ.

٦ - إعراب القراءات السبع وعللها للإمام ابن خالوية مؤسسة الرسالة ط١، ١٤٢١هـ.

٧ - الإتقان في علوم القرآن/ جلال الدين السيوطي ـ تقديم وتعليق: د. مصطفى ديب البغا: دار ابن كثير ـ دمشق، بيروت ـ ط٥ ـ ٢٠٠٢م.

٨ - الأحرف السبعة ومنزلة القراءات منها/ حسن ضياء الدين عتر: دار البشائر الإسلامية بيروت ط الأولى ـ ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م.

٩ - الأساس في التفسير/ سعيد حوى: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع. الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.

(٥١٨) الفهرس مرتب على حروف المعجم.

١٠ ـ الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، ط٨، ١٩٨٩م.
١١ ـ إعراب القرآن الكريم وبيانه/ محيي الدين الدرويش: دار ابن كثير واليمامة ـ دمشق، بيروت ـ ط٤ ـ ١٩٩٤م.
١٢ ـ أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم/ عبد الله محمود شحاتة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ ط٢ ـ ١٩٨١م.
١٣ ـ إعجاز القرآن والبلاغة النبوية / مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي ط٣، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م.
١٤ ـ البداية والنهاية/ أبي الفداء إسماعيل بن عمر ابن كثير: مكتبة المعارف ـ بيروت.
١٥ ـ البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريق الشاطبية / عبد الفتاح القاضي، ويليه القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب ـ دار الكتاب العربي ـ ط الأولى، ١٤٢١هـ.
١٦ ـ البرهان في علوم القرآن/ بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ـ خرَّج حديثه وقدم له وعلق عليه: محمد أبو الفضل: دار التراث للطباعة والنشر والتوزيع ـ القاهرة ـ ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٤م.
١٧ ـ بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز/ الفيروز آبادي ـ تحقيق: محمد علي النجار: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ لجنة إحياء التراث الإسلامي ـ ط٢ ١٩٨٦م.
١٨ ـ بلاغة الكلمة في التعبير القرآني/ فاضل السامرائي: دار عمار ـ عمَّان ـ الطبعة الأولى ١٩٩٩م.
١٩ ـ تقريب النشر في القراءات العشر لابن الجزري ت سنه ٨٣٣هـ تحقيق إبراهيم عطوه عوض، دار الحديث القاهرة، ط ٣، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.
٢٠ ـ تاج العروس من جواهر القاموس/ محمد مرتضى الزبيدي: منشورات دار مكتبة الحياة ـ بيروت ـ ط الأولى ـ ١٣٠٦هـ.
٢١ ـ تأويل مشكل القرآن/ ابن قتيبة ـ شرحه ونشره: السيد أحمد صقر: دار التراث ـ القاهرة ـ ط الثانية ـ ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م.
٢٢ ـ التحرير والتنوير/ محمد الطاهر ابن عاشور: دار سحنون للنشر والتوزيع ـ تونس ـ ١٩٩٧م.
٢٣ ـ التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج الأستاذ وهبه الزحيلي، دار الفكر دمشق سوريه ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧ ط١.
٢٤ ـ تفسير النسفي المسمى مدارك التنزيل وحقائق التأويل تأليف أبي البركات عبد الله

بن أحمد بن محمود النسفي ت سنه ٧٠١هـ تحقيق سيد زكريا، مكتبه نزار مصطفى الباز الرياض، ط١، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

٢٥ ـ تفسير ابن عطية (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) لأبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي ٤٨١هـ ـ ٥٤١هـ / دار ابن حزم ط١ ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.

٢٦ ـ تفسير القرآن الكريم ـ عبد الله شحاتة / دار غريب للنشر والتوزيع.

٢٧ ـ تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم لأبي الليث نصر محمد أحمد إبراهيم السمرقندي، ت سنه ٣٧٥هـ تحقيق محمد معوض، دار الكتب العربية بيروت لبنان ط١ ١٤١٣هـ ـ ١٩٣٠م.

٢٨ ـ تفسير أبي السعود المسمى (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم) / أبي السعود محمد بن محمد العمادي الحنفي: إشراف مكتب البحوث للدراسات ـ دار الفكر ـ ط الأولى ـ ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م.

٢٩ ـ تفسير البحر المحيط/ أبي حيان الأندلسي ـ دراسة وتحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون: منشورات محمد علي بيضون ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ الطبعة الأولى ـ ٢٠٠١م.

٣٠ ـ تفسير البيضاوي المسمى (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) / الإمام البيضاوي ـ تحقيق: عبد القادر عرفات العشا حسونة: دار الفكر ـ بيروت ١٤١٦هـ ١٩٩٦م.

٣١ ـ تفسير الثعلبي المسمى (الجواهر الحسان في تفسير القرآن) / عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت.

٣٢ ـ تفسير الخازن المسمى (لباب التأويل في معاني التنزيل) / علاء الدين علي ابن محمد بن إبراهيم الشهير بالخازن: مصطفى البابي الحلبي وأولاده ـ مصر ط٢ ـ ١٩٥٥م.

٣٣ ـ تفسير الفخر الرازي المشهور بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب/ محمد الرازي فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر المشتهر بخطيب الري ٥٤٤هـ ٦٠٤هـ: دار الفكر ـ بيروت ـ ط الأولى ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

٣٤ ـ تفسير القاسمي المسمى (محاسن التأويل) / محمد جمال الدين القاسمي ـ تعليق وتخريج الآيات والأحاديث: محمد فؤاد عبد الباقي: دار إحياء الكتب العربية ـ ١٩٧٠م.

٣٥ ـ تفسير القرآن العظيم/ الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي ت سنه ٧٧٤هـ : دار المعرفة بيروت ط٩ ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

٣٦ ـ تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر (الفاتحة، البقرة، آل عمران) رسالة

ماجستير/ إعداد الباحث: عبد الله الملاحي، إشراف: د. مروان أبو راس ـ ٢٠٠٢م.

٣٧ ـ التبيان في إعراب القرآن يعرض لأهم وجوه القراءات ويعرب جميع آي القرآن / تأليف أبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري ت٦١٦هـ، دار الفكر للطباعة والنشر ط١٤٢١هـ.

٣٨ ـ تناسق الدرر في تناسب السور / للحافظ جلال الدين السيوطي.

٣٩ ـ التفسير والمفسرون / محمد حسين الذهبي، مكتبة وهبه ـ القاهرة ط٥، ١٤١٣هـ.

٤٠ ـ جامع البيان في تفسير القرآن/ ابن جرير الطبري: دار المعرفة ـ بيروت ـ ط٣ ـ ١٩٧٨م.

٤١ ـ الجامع لأحكام القرآن/ أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ـ راجعه: د. محمد إبراهيم الحفناوي، خرج أحاديثه: د. محمود حامد عثمان: دار الحديث ـ القاهرة ـ ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.

٤٢ ـ حجة القراءات/ أبي زرعه عبد الرحمن بن محمد ابن زنجلة ـ تحقيق: سعيد الأفغاني: مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ط٥ ط ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

٤٣ ـ الحجة في القراءات السبع/ أبي عبد الله ابن خالويه ـ تحقيق: الدكتور عبد العال سالم مكرم: مؤسسه الرسالة ـ الطبعة الأولى١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

٤٤ ـ الحجة للقراء السبعة أئمة الأمصار بالحجاز والعراق والشام الذين ذكرهم أبو بكر بن مجاهد / أبي علي الحسن بن أحمد بن الغفار الفارسي ت سنه ٣٧٧هـ وضح حواشيه وعلق عليه كامل مصطفى الهنداوي منشورات محمد علي بيضون لنشر كتب السنة والجماعة دار الكتب العلمية ـ بيروت لبنان ـ الطبعة الأولى ـ ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م.

٤٥ ـ الدر المصون في علوم الكتاب المكنون/ شهاب الدين أبي العباس بن يوسف بن محمد بن إبراهيم المعروف بالسمين الحلي ـ تحقيق: علي محمد معوض وآخرون: دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ الطبعة الأولى ـ ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

٤٦ ـ الدر المنثور/ جلال الدين السيوطي: دار الفكر ـ بيروت ـ ١٩٩٣م.

٤٧ ـ دلائل الإعجاز / عبد القاهر عبد الرحمن محمد الجرجاني النحوي ت سنه ٤٧٤هـ علق عليه محمود محمد شاكر / مطبعه المدني بالقاهرة دار المدني بجدة، ط٣.

٤٨ ـ دقائق لغة القرآن في تفسير ابن جرير جمع وتصنيف وتحقيق الدكتور عبد الرحمن عميره / عالم الكتب.

٤٩ ـ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني/ للعلامة أبي الفضل شهاب الدين سيد محمود الألوسي البغدادي ت ١٢٧٥هـ: دار الفكر للطباعة.

٥٠ ـ زاد المسير في علم التفسير/ عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ـ تحقيق: عبد الرزاق المهدي: دار الكتاب العربي بيروت لبنان ط١ ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م.

٥١ ـ سنن أبي داود/ لسليمان بن أشعث السجستاني ـ تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد: دار الفكر.

٥٢ ـ سنن الترمذي (الجامع الصحيح) أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي ـ تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون: دار إحياء التراث العربي بيروت.

٥٣ ـ سنن الدرامي/ عبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد الدرامي ـ تحقيق: فواز أحمد زمرلي وخالد السبع العلمي: دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ ط الأولى ـ بيروت ـ ١٤٠٧هـ.

٥٤ ـ سنن النسائي (المجتبى) / أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ لبنان.

٥٥ ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب / الأديب أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي، دار الفكر ـ بيروت.

٥٦ ـ صحيح مسلم/ الإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري ـ تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي: دار إحياء التراث العربي عيسى البابي الحلبي ـ بيروت ـ ط١.

٥٧ ـ صفوة التفاسير/ محمد علي الصابوني: دار الصابوني الطبعة التاسعة.

٥٨ ـ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، ط٢ ـ ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

٥٩ ـ طلائع البشر في توجيه القراءات العشر/محمد صادق قمحاوي ـ ط١.

٦٠ ـ غيث النفع في القراءات السبع/ تأليف ولي الله سيدي علي ألنوري الصفا قسي ويليه مختصر بلوغ الأمنية، وهو شرح فضيلة الشيخ علي محمد الضباع شيخ المقارىء المصرية، على نظم تحرير مسائل الشاطبيه للشيخ حسن خلف الحسيني المقرئ ضبطه وخرج آياته محمد عبد القادر شاهين، منشورات محمد علي يبيضون دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الأولى ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م.

٦١ ـ الفتوحات الإلهية توضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية تأليف سليمان بن عمر العجلي الشافعي ـ دار إحياء الكتب العربية.

٦٢ ـ فتح الباري شرح صحيح البخاري/ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ـ تحقيق: عبد العزيز بن عبد الله بن باز. ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي: دار الفكر.

٦٣ - فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير/ محمد بن علي بن محمد الشوكاني - دار الفكر - بيروت.

٦٤ - في رحاب التفسير/ عبد الحميد كشك: المكتب المصري الحديث.

٦٥ - في ظلال القرآن/ سيد قطب: دار إحياء التراث العربي - بيروت، لبنان - ط السابعة١٣٩١هـ - ١٩٧١م.

٦٦ - القراءات وأثرها في التفسير والأحكام (رسالة دكتوراة) / محمد بن عمر بن سالم بازمول - إشراف: د. عبد الستار فتح الله سعيد: دار الهجرة - الرياض - الطبعة الأولى - ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

٦٧ - القراءات وأثرها في علوم العربية/ محمد سالم محيسن: دار الجيل - بيروت الطبعة الأولى - ١٩٩٨م.

٦٨ - القاموس المحيط، الفيروز آبادي: تحقيق صفوان عدنان داودي، دار العلم دمشق، ط٢ ١٤١٨هـ.

٦٩ - الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل/ أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي - شرحه وضبطه وراجعه: يوسف الحمادي: مكتبة مصر.

٧٠ - الكشف عن وجوه القراءات وعللها وحججها/ أبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي ٣٥٥هـ ٤٣٧هـ - تحقيق: محيي الدين رمضان: مؤسسة الرسالة - ط٥ - ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٧١ - كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون العلامة مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الحنفي المعروف بحجي خليفة، دار الفكر بيروت ١٤١٤هـ.

٧٢ - الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية لأبي البقاء أيوب بن موسى الكفوي، مؤسسه الرسالة.

٧٣ - لسان العرب/ جمال الدين أبي الفضل ابن منظور منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط١ ٢٠٠٣م - ١٤٢٤هـ.

٧٤ - لباب النقول في أسباب النزول جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي - مكتبه الصفا ط١/ ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

٧٥ - لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير / محمد لطفي الصباغ المكتب الإسلامي، ط٣.

٧٦ - منهج الإمام الطبري في القراءات في تفسيره رسالة ماجستير / إعداد الدكتور عبد

الرحمن الجمل، إشراف الدكتور فضل حسن عباس، مقدمه لكلية الشريعة في الجامعة الأردنية ١٤١٢هـ.

٧٧ - مناهل العرفان في علوم القران الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني ت سنه ١٢٥٠هـ تحقيق أحمد بن علي - دار الحديث القاهرة ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٧٨ - مباحث في علوم القرآن/ مناع القطان: مؤسسة الرسالة - بيروت - ط٩ - ١٩٨٠م.

٧٩ - المغني في توجيه القراءات العشر المتواترة د/ محمد سالم محيسن / دار الجيل بيروت ط٢ - ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٨٠ - مجمع البيان في تفسير القرآن/ أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي: دار الفكر - بيروت - ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

٨١ - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز/ ابن عطية الأندلسي - تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد: دار الكتب العلمية - بيروت - ط الأولى - ١٩٩٣م.

٨٢ - مختار الصحاح/ محمد بن أبي بكر الرازي - عُني بترتيبه: محمود أفندي خاطر، وضبطه وراجعه: الشيخ حمزة فتح الله: طباعة نظارة المعارف العمومية - المطبعة الأميرية بمصر - ط٢ - ١٩١٠م.

٨٣ - المستنير في تخريج القراءات المتواترة/ د. محمد سالم محيسن: دار الجيل - بيروت. ط الأولى - ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

٨٤ - مسند أحمد/ الإمام أحمد بن حنبل الشيباني: دار الفكر.

٨٥ - معالم التنزيل المعروف بتفسير البغوي/ أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي - تحقيق: خالد العك ومروان سوار: دار الفكر بيروت - ط٢ - ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

٨٦ - معاني القراءات/ أبي منصور الأزهري محمد بن أحمد سنه ٣٧٠هـ ت - ٩٨٠هـ - تحقيق: عيد مصطفى درويش والدكتور عوض بن حمد القوزي: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

٨٧ - معاني القرآن/ أبي جعفر النحاس - تحقيق: يحيي مراد: دار الحديث - القاهرة - ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

٨٨ - معاني القرآن/ أبي زكريا الفراء: عالم الكتب - بيروت - ط٣ - ١٩٨٣م.

٨٩ - معاني القرآن/ الأخفش - دراسة وتحقيق: عبد الأمير محمد أمير الورد: عالم الكتب - بيروت - الطبعة الأولى - ١٩٨٥م.

٩٠ - معاني القرآن وإعرابه/ أبي اسحق الزجاج تحقيق: د. عبد الجليل عبده شلبي: عالم الكتب - بيروت - الطبعة الأولى - ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
٩١ - معجم مقاييس اللغة / أبي الحسن أحمد بن فارس - تحقيق: عبد السلام محمد هارون دار الجيل - بيروت.
٩٢ - معجم مفردات ألفاظ القرآن/ الراغب الأصفهاني - خرج آياته وشواهده: إبراهيم شمس الدين: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٩٩٧م.
٩٣ - منجد المقرئين ومرشد الطالبين / محمد ابن الجزري، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
٩٤ - معترك الأقران في إعجاز القرآن / جلال الدين السيوطي تحقيق علي محمد البجاوي، دار الفكر العربي.
٩٥ - مفاتيح الأغاني في القراءات والمعاني / لأبي العلاء الكرماني، دار ابن حزم تحقيق الدكتور عبد الكريم مصطفى ط١ - ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
٩٦ - معجم البلدان ياقوت الحموي - تحقيق فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية بيروت ط١ - ١٩٩٥م.
٩٧ - نظم الدرر في تناسب الآيات والسور / للأمام برهان الدين أبي الحسن إبراهيم البقاعي ت٨٥٥هـ - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.
٩٨ - النشر في القراءات العشر للحافظ أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري ت سنه ٨٢٣هـ - دار الكتب العلمية بيروت لبنان - أشرف على تصحيحه الأستاذ علي محمد الصباغ. الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
٩٩ - النكت والعيون تفسير الماوردي تصنيف أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، دار الكتب العلمية بيروت لبنان علق عليه السيد بن عبد المقصود عبد الرحيم.

فهرس الموضوعات

الجامعة الإسلامية - غزة
عمادة الدراسات العليا
كلية أصول الدين
قسم التفسير وعلوم القرآن

تفسير القرآن
بالقراءات القرآنية العشر

من خلال سور: (سبأ - فاطر - يس - الصافات - ص)

إعداد الباحث
سامي خليل رضوان

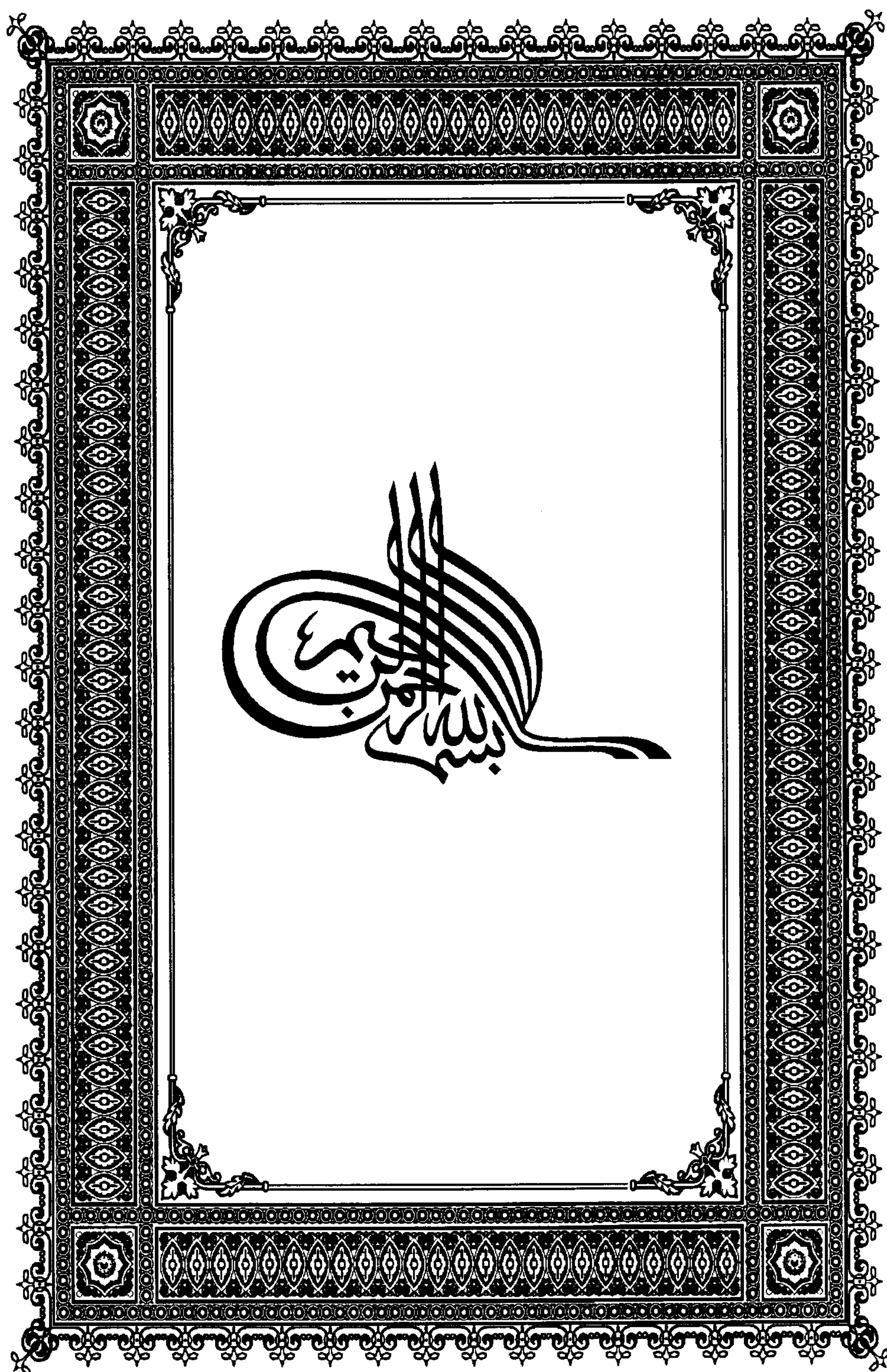
إشراف الدكتور
د. زكريا الزميلي

ضبط ومراجعة
د.مروان محمد أبوراس

الجزء العاشر

منشورات الجامعة الإسلامية
ورابطة علماء فلسطين - غزة

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير
في التفسير وعلوم القرآن
١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م


بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾﴾

[الشورى: ٥٢ ـ ٥٣]

شكر وتقدير

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، والصلاة والسلام على سيد المرسلين المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن سار على دربه بإحسان إلى يوم الدين.

امتثالاً واسترشاداً بقول الله - عز وجل -: ﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾ [لقمان: ١٢] وقول النبي - ﷺ -: (لا يشكر الله من لا يشكر الناس)[1].

أعرب عن شكري وعرفاني وتقديري العظيم لفضيلة الدكتور: زكريا إبراهيم الزميلي - حفظه الله - على قبوله الإشراف على هذا البحث، وعلى الجهد الكبير الذي بذله حتى وصل إلى هذه الصورة، فجزاه الله عني خير الجزاء.

كما وأتقدم بعظيم الشكر والامتنان إلى أستاذيّ الفاضلين:

فضيلة الدكتور: عبد الرحمن الجمل - حفظه الله ورعاه -.

فضيلة الدكتور: رياض محمود قاسم - حفظه الله ورعاه -.

اللّذين تفضلا بقبول المناقشة، وبذلا جهداً مثمراً في نقدها وأبديا

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٧٩٣٩/٢ - ٨٠١٩) والترمذي في كتاب البر والصلة باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك، حديث رقم (١٩٥٤) وقال الترمذي (حديث حسن صحيح).

ملاحظاتٍ لتخرج في أفضل صورة ممكنة، أسأل الله أن يحسن ثوابهما.

ولا يفوتني هنا أن أعرب عن تقديري للجهود الراقية التي بذلتها الجامعة الإسلامية بصورة عامة، وكلية أصول الدين بصورة خاصة، وأخص بالذكر قسم الدراسات العليا ممثلة بأساتذتها الكرام من كافة التخصصات على الجهد المبذول لتثقيف هذا الجيل، والشكر موصول لعمادة الدراسات العليا، وجميع القائمين عليها على ما يبذلونه من جهود مباركة لطلاب وطالبات الدراسات العليا فجزاهم الله عنا خير الجزاء.

وأقدم شكري ودعائي لكل من ساهم ولو بأقل جهد في إتمام هذا البحث أو خصني بدعوة في ظهر الغيب.

وأخيراً أسأل الله ﷻ أن يتقبل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن يجعله في ميزان حسناتي يوم القيامة، إنّه وليّ ذلك والقادر عليه.



مفتاح مختصرات ورموز الرسالة

١ ـ **الإبانة**: الإبانة عن معاني القراءات / لمكي بن أبي طالب.

٢ ـ **الإتحاف**: إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر / للدمياطي.

٣ ـ **الإتقان**: الإتقان في علوم القرآن / لجلال الدين السيوطي.

٤ ـ **إعجاز القرآن**: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية / مصطفى صادق الرفاعي.

٥ ـ **الأحرف السبعة**: الأحرف السبعة ومنزلة القراءات منها / لحسن ضياء الدين عتر.

٦ ـ **البدور الزاهرة**: البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة / عبد الفتاح القاضي.

٧ ـ **البصائر**: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز / للفيروز أبادي.

٨ ـ **التحرير والتنوير**: تفسير التحرير والتنوير / محمد الطاهر ابن عاشور.

٩ ـ **تاج العروس**: تاج العروس من جواهر القاموس / محمد مرتضى الزبيدي.

١٠ ـ **تفسير ابن كثير**: تفسير القرآن العظيم / للحافظ ابن كثير.

١١ ـ **تفسير أبي السعود**: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم / لأبي السعود العمادي.

١٢ ـ **تفسير البغوي**: معالم التنزيل المسمى بتفسير البغوي / أبو محمد الحسين الفراء البغوي.

١٣ ـ **تفسير الألوسي**: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني / لأبي الفضل شهاب الدين الألوسي.

١٤ ـ **تفسير الطبري**: جامع البيان في تأويل آي القرآن / لابن جرير الطبري.

١٥ ـ **تفسير محاسن التأويل**: محاسن التأويل / لمحمد جمال الدين القاسمي.

١٦ ـ **تفسير القرطبي**: الجامع لأحكام القرآن / لأبي عبد الله القرطبي.

١٧ ـ **تفسير الكشاف**: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل / الزمخشري.

١٨ ـ **تفسير الرازي**: التفسير الكبير ومفاتيح الغيب / لفخر الدين الرازي.

١٩ ـ **تفسير البيضاوي**: أنوار التنزيل وأسرار التأويل / للإمام البيضاوي.

٢٠ ـ **التفسير المنير**: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج / وهبة الزحيلي.

٢١ ـ **الظلال**: في ظلال القرآن / سيد قطب.

٢٢ ـ **الحجة**: الحجة في القراءات السبع / الحسين بن أحمد بن خالويه أبو عبدالله.

٢٣ ـ **الحجة للقراء**: الحجة للقراء السبعة / أبو علي الحسن بن عبد الغفار الفارسي.

٢٤ ـ **الدر**: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون / للسمين الحلبي.

٢٥ ـ **زاد المسير**: زاد المسير في علم التفسير / لابن الجوزي.

٢٦ ـ **غاية النهاية**: غاية النهاية في طبقات القراء / لابن الجزري.

٢٧ ـ **الكشف**: الكشف عن وجوه القراءات وعللها وحججها / مكي بن أبي طالب.

٢٨ ـ **غرائب القرآن**: غرائب القرآن ورغائب الفرقان على مصحف التهجد / الإمام نظام الدين النيسابوري.

٢٩ ـ **فتح القدير**: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية / الشوكاني.

٣٠ ـ **المصباح المنير**: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي / أحمد الفيومي.

٣١ ـ **معرفة القراء الكبار**: معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار / محمد الذهبي.

٣٢ ـ **المغني**: المغني في توجيه القراءات العشر المتواترة / محمد سالم محيسن.

٣٣ ـ **النشر**: النشر في القراءات العشر / للحافظ أبي الخير ابن الجزري.

٣٤ ـ **نظم الدرر**: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور / لبرهان الدين البقاعي.

٣٥ ـ **الهادي**: الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر / محمد سالم محيسن.

٣٦ ـ **المغني في علم التجويد**: المغني في علم التجويد برواية حفص عن عاصم / د.عبد الرحمن الجمل.



الفصل الأول
تفسير سورتي (سبأ وفاطر)
من خلال القراءات القرآنية العشر

ويشتمل على أربعة مباحث هي:

المبحث الأول: تعريف بسورة (سبأ) وأهم الموضوعات فيها.

المبحث الثاني: عرض وتفسير لآيات سورة (سبأ) المتضمنة للقراءات.

المبحث الثالث: تعريف بسورة (فاطر) وأهم الموضوعات فيها.

المبحث الرابع: عرض وتفسير لآيات سورة (فاطر) المتضمنة للقراءات.

المبحث الأول
التعريف بسورة سبأ وبيان أهم الموضوعات فيها:

أولاً: اسم السورة.

ثانياً: نوع السورة.

ثالثاً: عدد آيات السورة.

رابعاً: مناسبة السورة لما قبلها.

خامساً: أغراض السورة.

سادساً: محور السورة.

سابعاً: أهم مقاصد السورة.

المبحث الأول
التعريف بسورة (سبأ) وبيان أهم الموضوعات فيها

أولاً: اسم السورة:

يقول الطاهر ابن عاشور[٢] ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «هذا اسمها الذي اشتهرت به في كتب السُنة، وكتب التفسير، وبين القراء، ولم أقف على تسميتها في عصر النبوة، ووجه تسميتها به أنها ذكرت فيها قصة أهل سبأ»[٣].

يقول الصابوني[٤]: «سميت سورة (سبأ) بهذا الاسم، لأن الله ـ تعالى ـ ذكر فيها قصة سبأ، وهم ملوك اليمن، وقد كان أهلها في نعمة ورخاء وسرور وهناء، وكانت مساكنهم حدائق وجنات، فلما كفروا النعمة دمرهم الله بالسيل العرم وجعلهم عبرة لمن يعتبر»[٥].

---

(٢) الطاهر ابن عاشور: هو محمد الفاضل بن محمد الطاهر ابن عاشور أديب خطيب مشارك في علوم الدين من طلائع النهضة الحديثة النابهين في تونس شغل خطة القضاء بتونس ثم مفتي الجمهورية. انظر: معجم الأدباء للجبوري ج٦ ص٥٤، ألأعلام ج٦ ص٣٢٥.

(٣) التحرير والتنوير لابن عاشور ج٢٢ ص١٣٣.

(٤) هو محمد بن علي الصابوني، من أساتذة كلية الشريعة بمكة المكرمة، كان له نشاط في علوم القرآن والتفسير ومن ثم قام بتأليف عدة كتب في التفسير وعلوم القرآن، وهو أشعري الاعتقاد مما جعل كتبه واختصاراته عرضة للنقد والرد. انظر شبكة المعلومات الدولية (الانترنت) ـ جوجل ـ موقع الإسلام سؤال وجواب.

(٥) صفوة التفاسير للصابوني ج٢٢ ص٥٤٣.

ثانياً: نوع السورة:

مكية في قول الجميع، إلا آية واحدة اختلف فيها، وهي قوله تعالى ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٦﴾﴾ [سبأ: ٦]، فقالت فرقة: هي مكية، والمراد بالمؤمنين من أسلم بالمدينة، كعبد الله بن سلام وغيره، قال مقاتل، وقال قتادة: هم أمة محمد ـ ﷺ ـ المؤمنون به كائناً من كان[٦].

يقول الألوسي: هي مكية كما روى ابن عباس وقتادة[٧].

ثالثاً: عدد آيات السورة:

ـ عدد آيات السورة أربع وخمسون آية[٨].

ـ عدد آياتها أربع وخمسون (٥٤) آية، عدد كلماتها ثمانمائة وثلاث وثمانون (٨٨٣) كلمة عدد حروفها أربعة آلاف وخمسمائة واثنا عشر (٤٥١٢) حرفاً[٩].

رابعاً: مناسبة السورة لما قبلها:

لما ختمت سورة الأحزاب بأنه سبحانه عرض أداء الأمانة وحملها، وهي جميع ما في الوجود من المنافع على السموات والأرض والجبال، فأشفقن منها، وحملها الإنسان الذي هو الإنس والجن، وأن نتيجة العرض والأداء والحمل العذاب والثواب، فعلم، الكل ملكه وفي ملكه، خائفون من عظمته مشفقون من قهر سطوته وقاهر جبروته، وأنه المالك التام المُلك، والملِك المطاع المتصرف في كل شيء، من غير دفاع وختم ذلك بصفتي المغفرة والرحمة دلك على ذلك أنه ابتدأ هذا بقوله: «الحمد لله» أي

---

(٦) القرطبي ج١٤ ص٢٥٨.
(٧) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي ج٨ ص١٠٢.
(٨) القرطبي ج١٤ ص٢٥٨.
(٩) المبصر لنور القرآن لنائلة هاشم صبري ج٢٢ ص٢٥٤.

الإحاطة بأوصاف الكمال من الخلق، والأمر كله مما يمكن أن يكون، ويحيط به علمه سبحانه ذي الجلال والكمال(١٠).

تظهر صلة هذه السورة بما قبلها من وجوه ثلاثة:

الأول: أن هذه السورة افتتحت ببيان صفات الملك التام والقدرة الشاملة التي تناسب ختام السورة السابقة في تطبيق العقاب وتقديم الثواب ﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾﴾ [الأحزاب: ٧٣].

الثاني: كان آخر الأحزاب: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ ومطلع سبأ في فاصلة الآية الثانية ﴿وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ﴾.

الثالث: في سورة الأحزاب سأل الكفار عن الساعة استهزاء، وفي هذه السورة حكى القرآن عنهم إنكارها صراحة(١١).

خامساً: أغراض السورة:

يقول الطاهر بن عاشور: (من أغراض هذه السورة إبطال قواعد الشرك وأعظمُها إشراكهم آلهة مع الله، وإنكار البعث فابتدأ بدليل على انفراده تعالى بالإلهية ونفي الإلهية عن أصنامهم ونفي أن تكون الأصنام شفعاء لعُبّادها.

وإثبات إحاطة علم الله بما في السموات وما في الأرض فيما يُخبر به فهو واقع ومن ذلك إثبات البعث والجزاء.

وإثبات صدق النبي - ﷺ - فيما أخبر به، وصدق ما جاء به القرآن، وأن القرآن شهدت به علماء أهل الكتاب.

تهديد المشركين وموعظتهم بما حلّ ببعض الأمم المشركة من قبل، وعُرض بأن جَعْلهم لله شركاء كفران لنعمة الخالق، فضرب لهم المثل بمن شكروا نعمة الله واتقوه، فأوتوا خير الدنيا والآخرة، وسخرت لهم الخيرات

---

(١٠) نظم الدرر ج٦ ص١٤٤.

(١١) التفسير المنير د. وهبة الزحيلي ج٢٢ ص١٣١.

مثل داود وسليمان، وبمن كفروا بالله فسلطت عليه الأرزاء في الدنيا، وأعد لهم العذاب في الآخرة، مثل سبأ)(١٢).

سادساً: محور السورة:

سورة سبأ من السور المكية التي تهتم بموضوع العقيدة الإسلامية، وتناولت أصول الدين من إثبات الوحدانية والنبوة والبعث والنشور.

يقول الصابوني: «تتحدث هذه السورة عن قضية هامة، هي إنكار المشركين للآخرة، وتكذيبهم بالبعث بعد الموت، فأمرت الرسول ـ ﷺ ـ أن يقسم بربه العظيم، على وقوع المعاد، بعد فناء الأجساد ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ [سبأ: ٣].

وتناولت قصص بعض الرسل، فذكرت «داود» وولده «سليمان» ـ ﷺ ـ وما سخر الله لهما من أنواع النعم، كتسخير الريح لسليمان، وتسخير الطير والجبال تسبّح مع «داود» إظهاراً لفضل الله عليهما في ذلك العطاء الواسع.

وتناولت ـ أيضاً ـ بعض شبهات المشركين حول رسالة خاتم الأنبياء والمرسلين، ففندتها بالحجة الدامغة والبرهان الساطع، كما أقامت الأدلة والبراهين على وجود الله ووحدانيته(١٣).

سابعاً: أهم مقاصد سورة سبأ:

١ ـ تمجيد الله والثناء عليه، وتخصيصه بالحمد في الآخرة.

٢ ـ إثبات أمر قيام الساعة.

٣ ـ قصة داود أو جانب منها.

٤ ـ قصة سليمان أو جانب منها.

٥ ـ قصة سبأ وعاقبة كفرهم.

---

(١٢) انظر التحرير والتنوير ج٢٢ ص١٣٤ ـ ١٣٥.

(١٣) انظر صفوة التفاسير للصابوني ج٢٢ ص٥٤٣.

٦ ـ مشاهد القيامة.

٧ ـ عاقبة المترفين والكافرين[١٤].



(١٤) تفسير القرآن الكريم د. عبد الله شحادة ج٢٢ ص٤٣٦٧.

المبحث الثاني
عرض لآيات سورة (سبأ) المتضمنة للقراءات القرآنية العشر وتفسيرها

ويشتمل على:

أولاً: القراءات.

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات.

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات.

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات.

خامساً: الجمع بين القراءات.



المبحث الثاني
عرض لآيات سورة (سبأ)
المتضمنة للقراءات القرآنية العشر وتفسيرها

١ ـ قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝٣﴾ [سبأ: ٣].

أولاً: القراءات:

أ ـ كلمة ﴿عَٰلِمِ﴾:

١ ـ قرأ نافع وابن عامر وأبو جعفر ورويس عن يعقوب **(عالمُ الْغَيْبِ)** بصيغة فاعل، وبرفع **(عالمَ)** على القطع.

٢ ـ قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وخلف وروح عن يعقوب بصيغة اسم فاعل ـ أيضاً ـ ومجرور على الصفة لاسم الجلالة في قوله: **(وربي)** **(عالمِ)**

٣ ـ وقرأ حمزة والكسائي ﴿عَلَّٰمِ ٱلْغُيُوبِ﴾ بصيغة المبالغة وبالجر على النعت[١٥].

ب ـ كلمة ﴿يَعْزُبُ﴾:

(١٥) انظر النشر ج٢ ص٣٤٩.

١ - قرأ الجمهور بضم الزاي ﴿لَا يَعْزُبُ﴾.

٢ - وقرأه الكسائي بكسر الزاي (**لا يعزِبُ**)[١٦].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

أ - (العِلْمُ): إدراك الشيء بحقيقته، واليقين، ونور يقذفه الله في قلب من يحب[١٧].

ب - (عَزَبَ) الشيء: عزوباً: بَعُدَ وخفي وغاب[١٨].

ت - (عَزَبَ): يقال عزب عن حلمه وأعزب حلمه، كقولك: أضل بعيره، وأعزب الله عقلك، ويقال عزب ظهر المرأة إذا أغابت، وفي الحديث (من قرأ القرآن في أربعين فقد عزب)[١٩] أي أبعد العهد بأوّله من عزب بإبله[٢٠].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

تتحدث هذه الآية الكريمة عن إنكار المشركين للبعث والقيامة فقال - سبحانه -: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ﴾ أي: وقال المشركون من قومك يا محمد لا قيامة أبداً ولا مبعث ولا نشور، قال البيضاوي: (وهو إنكار لمجيئها أو استبطاء استهزاء بالوعد به)[٢١].

﴿قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ﴾: أي قل لهم يا محمد: أقسم بالله العظيم لتأتينكم الساعة فإنها واقعة لا محالة، قال ابن كثير: (هذه إحدى الآيات الثلاث التي أمر الله رسوله أن يقسم بربه العظيم على وقوعها، والثانية في

(١٦) انظر النشر ج٢ ص٣٤٩.
(١٧) المعجم الوسيط ص٦٢٤.
(١٨) مختار الصحاح للرازي ص٤٢٩.
(١٩) النهاية في غريب الحديث، والأثر لابن الأثير ج٣ ص٢٢٧. المكتبة العلمية.
(٢٠) أساس البلاغة للزمخشري ج١ ص٣٠٨.
(٢١) تفسير البيضاوي ج٢ ص١٢٢.

يونس: ﴿قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾ [يونس: ٥٣]، والثالثة في التغابن ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾﴾ [التغابن: ٧] أي: هو ـ جلّ وعلا ـ، العالم بما خفي عن الأبصار، وغاب عن الأنظار، لا يغيب عنه مقدار وزن الذرة في العالم العلوي أو السفلي: ﴿وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ﴾ أي ولا أصغر من الذرة ولا اكبر منها ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ أي لا يعلمه إلا الله ـ تعالى ـ وهو في لوح محفوظ، والغرض أن الله ـ تعالى ـ لا تخفى عليه ذرة في الكون، فكيف يخفى عليه البشر وأحوالهم؟ فالعظام وإن تلاشت وتفرقت وتمزقت فهو تعالى عالمٌ أين ذهبت وتفرقت، ثم يعيدها يوم القيامة)»[٢٢].

ويقول الطاهر ابن عاشور في تفسير قوله تعالى ﴿وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ﴾: (أن الله أشار بقوله إلى ما لا يعلمه إلا هو من العناصر والقوى الدقيقة وأجزاؤها الجليلة آثارها، وتسييرها بما يشمل الأرواح التي تحل في الأجسام والقوى التي تودعها فيها)[٢٣].

يقول طنطاوي: (قوله تعالى: ﴿يَعْزُبُ﴾ بمعنى يغيب ويخفى والمعنى: قل ـ أيها الرسول الكريم ـ لهؤلاء المنكرين لإتيان الساعة: كذبتم في إنكاركم وحق الله لتأتينكم، والذي أخبرني بذلك هو الله ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ﴾: أي عالم ما غاب وخفي عن حسكم، فلا يغيب عن علمه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض، ولا أصغر من ذلك المثقال ولا أكبر منه إلا وهو مثبت وكائن في اللوح المحفوظ الذي فيه تسجل أحوال الخلائق وأقوالهم وأفعالهم)[٢٤].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءة الأولى: ﴿عَالِمُ﴾ بالرفع فيجوز أن يكون (عالمُ) خبر مبتدأ

---

(٢٢) صفوة التفاسير للصابوني الجزء الثاني ص٥٤٥.

(٢٣) التحرير والتنوير لابن عاشور ج٢٢ ص١٤٢.

(٢٤) التفسير الوسيط محمد سيد طنطاوي ج١ ص٣٤٥٩.

محذوف تقديره هو عالم الغيب، ويجوز فيمن رفع (عالم) أن يكون ابتداءً وخبره ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ﴾.

أما القراءة الثانية: الجر في (عالمِ) على إتباعه المجرور ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ (عالم الغيب).

أما القراءة الثالثة: (علاّم الغيب): في إتباعه ما قبله، مثل: عالمُ الغيب وعلاّم الغيوب أبلغ وقد قال: ﴿يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [سبأ: ٤٨]، وقال: ﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١٠٩].

وحجة ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ﴾ قوله ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ [التغابن: ١٨].

و﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾﴾ [الجن: ٢٦][(٢٥)].

يقول أبو علي[(٢٦)]: قوله تعالى ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ﴾ [سبأ: ٣] يقرأ (**علام الغيب**) و(**عالم الغيب**)، بالخفض و(**عالم الغيب**) بالرفع، فالحجة لمن خفض أنه جعله وصفاً لقوله: ﴿بَلَىٰ وَرَبِّى﴾ لأنه مخفوض يراد القسم، فأما علاّم فهو أبلغ في المدح من عالم وعليم، ودليله قوله في آخرها: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّى يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾﴾ [سبأ: ٤٨]، وقيل: بل شدد دلالة على التكثير، لأنه مضاف إلى جمع.

والحجة لمن قرأه بالرفع أنه جعله خبر ابتداء محذوف، معناه: هو عالم الغيب[(٢٧)].

أما فيما يختص بقراءة: (**يعزُبُ ويعزِبُ**) فيقول أبو علي: (**يعزُبُ**

---

(٢٥) الحجة للقراء السبعة ج٦ ص٥ ـ ٦.

(٢٦) أبو علي هو الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن سليمان بن أبان، الإمام أبو علي الفارسي، النحوي المشهور، أصله من (فسا) من عمل شيراز، روى القراءة عرضاً عن أبي بكر بن مجاهد، توفي سنة ٣٧٧هـ، أوصى بثلث ماله لنحاة بغداد، فكان ثلاثين ألف دينار. انظر: غاية النهاية ج١ ص٢٠٦ ـ ٢٠٧.

(٢٧) الحجة في القراءات السبع لابن خالويه وحيث يرد سأشير إليه بـ «الحجة» ص٢٩١ ـ ٢٩٢.

ويعزِبُ) لغتان، ومثله عِشِرُ وعِشُرُ، ويعكِفُ ويعكُفُ، ويفسِقُ ويفسُقُ وهو كثير[(٢٨)].

ويقول الطاهر ابن عاشور في ﴿لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ﴾: «لا يعزب علمه وقد تقدم في سورة يونس ﴿وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [يونس: ٦١][(٢٩)].

خامساً: الجمع بين القراءات:

١ - قراءة الرفع ﴿عَـٰلِمُ﴾ على أنه خبر مبتدأ محذوف تقديره هو عالمُ الغيب أما قراءة الجر (**عالم**) فعلى إتباعه المجرور ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ (عالم الغيب) وأما القراءة الثالثة ﴿عَلَّـٰمُ ٱلۡغُيُوبِ﴾: تفيد المبالغة كقوله: ﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلۡغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١٠٩].

٢ - قراءة ﴿يَعۡزُبُ﴾ بضم الزاي وضم الباء وقراءة (يعزِبُ) بكسر الزاي وضم الباء القراءتان بالمعنى نفسه، ومعناهما: يغيب ويخفى، وتفيدان إحاطة علم الله - ﷻ - بكل شيء وقدرته على إعادة الأجساد بعد أن تصير رفاتاً وتراباً، والله أعلم.

٢ - قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوۡ فِيٓ ءَايَـٰتِنَا مُعَـٰجِزِينَ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مِّن رِّجۡزٍ أَلِيمٞ ۝٥﴾ [سبأ: ٥].

أولاً: القراءات:

أ - كلمة ﴿مُعَـٰجِزِينَ﴾:

١ - قرأ الجمهور ﴿مُعَـٰجِزِينَ﴾ بصيغة المفاعلة.

٢ - وقرأه ابن كثير وأبو عمرو ﴿معجّزين﴾ بصيغة اسم الفاعل من عجّز، بتشديد الجيم.

---

(٢٨) الحجة ص٢٩٢.

(٢٩) التحرير والتنوير ج٢٢ ص١٤١.

ب ـ كلمة ﴿أَلِيمٌ﴾:

١ ـ قرأ الجمهور (أليمٍ) بالجر صفة لـ ﴿رِّجْزٍ﴾.

٢ ـ وقرأه ابن كثير وحفص ويعقوب بالرفع صفة لـ ﴿عَذَابٌ﴾[٣٠].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

أ ـ (عاجَزَ) فلانٌ: ذهب فلم يوصل إليه ولم يقدر عليه، يقال: طلبته فعاجز: سبق فلم يُدرك، يقال: عاجز إلى ثقة، وعاجز عن الحق إلى الباطل[٣١].

ب ـ (ألم) ألماً: وَجع فهو ألِمٌ.

(آلمه) إيلاماً: أوجعه فهو مؤلم وأليم، (تألّم): توجّع.

والألم في الفلسفة: الشعور بما يضاد اللذة سواء أكان شعوراً نفسياً أم خلقياً[٣٢].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

تتحدث هذه الآية الكريمة عن الكفار الذين بذلوا جهدهم، وجدّوا لإبطال القرآن مغالبين لرسولنا، يظنون أنهم يعجزونه بما يثيرونه من شبهات حول رسالته والقرآن ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ﴾ أي فهؤلاء المجرمون لهم عذاب من أسوأ العذاب، شديد الإيلام، قال قتادة: الرجزُ: سوء العذاب[٣٣].

ويقول الطاهر ابن عاشور: (ومعنى ﴿سَعَوْاْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا﴾ اجتهدوا بالصد عنها ومحاولة إبطالها، فالسعي مستعار للجد في فعل ما، وقد تقدم بيانه عند قوله تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوْاْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥١﴾﴾

(٣٠) النشر ج٢ ص٣٢٧.
(٣١) المعجم الوسيط ص٥٨٥.
(٣٢) مختار الصحاح للرازي ص٢٢.
(٣٣) صفوة التفاسير للصابوني المجلد الثاني ص٥٤٥.

في سورة الحج، وآيات الله هنا: القرآن كما يدل عليه قوله بعد ﴿ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ﴾.

و﴿مُعَـٰجِزِينَ﴾ مبالغة في مُعجزين، وهو تمثيل، شُبّهت حالهم في مكرهم بالنبي - ﷺ - بحال من يمشي سريعاً ليسبق غيره يعجزه. والعذاب: عذاب جهنم، والرجز: أسوأ العذاب، وتقدم في قوله تعالى: ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾.

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قال أبو علي: (الرجز: العذاب، بدلالة قوله سبحانه ﴿لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ﴾ [الأعراف: ١٣٤] وقال: ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة: ٥٩]، وإذا كان الرجز العذاب، جاز أن يوصف بأليم، كما أن نفس العذاب قد جاز أن يوصف به في نحو قوله: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٧٧].

ومثل هذا في أن الصفة تجري على المضاف مرة، وعلى المضاف إليه مرة أخرى، قوله - تعالى -: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾﴾ [البروج: ٢١ - ٢٢]، فالجر على حمله على اللوح، والرفع على حمله على القرآن، وإذا كان القرآن في لوح وكان اللوح محفوظاً، فالقرآن محفوظاً أيضاً.

فكذلك قوله سبحانه: ﴿مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ﴾ [سبأ: ٥] والجر في أليم أبينُ، لأنه إذا كان عذابٌ من عذاب أليم، كان العذاب الأول أليماً، وإذا أجريت الأليمُ على العذاب، كان المعنى عذابٌ أليم من عذاب فالأول أكثر فائدة)[٣٤].

يقول ابن خالويه[٣٥] «قوله تعالى: ﴿مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ﴾ يقرأ بالخفض

---

(٣٤) الحجة للقراءات السبعة ج٦ ص٧.

(٣٥) هو أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه النحوي اللغوي، أصله من همذان لكنه دخل بغداد وأدرك جلة العلماء، كانت وفاته سنة ٣٧٠هـ بحلب. انظر وفيات الأعيان ج٢ ص١٧٨ - ١٧٩.

والرفع، فالحجة لمن خفض: أنه جعله وصفاً للرجز، والحجة لمن رفعه: أنه جعله وصفاً لقوله: ﴿لَهُمْ عَذَابٌ﴾ ومعنى أليم: مؤلم موجع»[٣٦].

خامساً: الجمع بين القراءات:

١ - قراءة **(معجّزين)** بصيغة اسم الفاعل تفيد حال الكفار وهم يسعون في الصد عن سبيل الله.

وقراءة ﴿مُعَـٰجِزِينَ﴾ بصيغة المفاعلة مبالغة في معجزين وشبهت حال الكفار بحال من يمشي سريعاً ليسبق غيره ليعجزه، وبالجمع بين القراءتين يتبيّن أن القراءة الثانية **(معاجزين)** أفادت معناً جديداً وهو إسراع الكفار في الصد عن سبيل الله.

٢ - قراءة الرفع ﴿أَلِيمٌ﴾ على النعت للعذاب على تقدير عذابٌ أليمٌ من رجز وأما على قراءة الخفض **﴿أليم﴾** فتقديره: (لهم عذابٌ من عذابِ أليم) أي من هذا الصنف من أصناف العَذاب وهو العذاب الذي توعد الله به الكفّار الذين يصدّون عن دعوة الله جزاء مكرهم وصدهم عن سبيل الله، والقراءتان بالمعنى نفسه، والله أعلم.

٣ - قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٩﴾﴾ [سبأ: ٩].

أولاً: القراءات:

﴿نَخْسِفْ﴾

١ - قرأ الكسائي وحده **(نخسبّهم)** بإدغام الفاء في الباء. والكِسْف بكسر الكاف وسكون السين في قراءة الجمهور، وهو القطعة من الشيء، وقرأها حفص بفتح السين ﴿كِسَفًا﴾.

٢ - قرأ الجمهور ﴿نَخْسِفْ - ونُسْقِطْ﴾ بنون العظمة.

---

(٣٦) الحجة ص٢٩٢.

٣ ـ وقرأها حمزة والكسائي وخلف بياء الغائب[٣٧].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«**خسفت**» الأرض ـ خسفاً وخسوفاً: غارت بما عليها.

ويقال خسف الله بهم الأرض: غيّبهم فيها وفي التنزيل العزيز ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾﴾ [القصص: ٨١][٣٨].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

يقول سيد قطب: (هذا مشهد كوني عظيم فخسف الأرض يقع ويشهده الناس، وترويه القصص والروايات أيضاً، وسقوط قطع من السماء، يقع كذلك عند سقوط الشهب وحدوث الصواعق، وهم رأوا شيئاً من هذا أو سمعوا عنه، فهذه اللمسة توقظ الغفاة الغافلين الذين يستبعدون مجيء الساعة والعذاب أقرب إليهم لو أراد الله أن يأخذهم به في هذه الأرض، قبل قيام الساعة يمكن أن يقع بهم من هذه الأرض وهذه السماء التي يجدونها من بين أيديهم ومن خلفهم محيط بهم، وليست بعيدة عنهم بعد الساعة المغيبة في علم الله، ولا يأمن مكر الله إلا القوم الفاسقون)[٣٩].

يقول سعيد حوّى: (﴿أَفَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ فلو أنهم رأوا لأيقنوا بقدرة الله التي لا يعجزها شيء وبالتالي لأيقنوا باليوم الآخر، فلم يعودوا يشاهدون عظمة الخلق والخالق ﴿إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ أي قطعاً ومن المعلوم أن النيازك التي تصطدم بالجو يومياً لو أنها تصل إلى الأرض بأن كان حجمها أكبر مما هي عليه فإن حياة الإنسان على الأرض تكون مهددة

(٣٧) النشر ج٢ ص٣٤٩.

(٣٨) المعجم الوسيط ص٢٣٤.

(٣٩) في ظلال القرآن سيد قطب وحيث يرد سأشير إليه بـ «الظلال» ج٢٢ ص٢٨٩٦.

يومياً. ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ أي دلالة على قدرة الله على بعث الأجساد. لأن من خلق السموات في ارتفاعها واتساعها وهذه الأرضين في انخفاضها وأطوالها وأعراضها، لقادر على إعادة الأجسام ونشر الرميم من العظام)[٤٠].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

يقول مكي بن أبي طالب: قوله: ﴿إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ ـ أَوْ نُسْقِطْ﴾ قرأه حمزة والكسائي بالياء في الثلاثة، وقرأ الباقون بالنون فيهن.

وحجة من قرأ بالياء أنه ردّ الأفعال الثلاثة على الإخبار عن الله جلّ ذكره عن نفسه، لتقدم ذكره في قوله: ﴿أَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾.

وحجة من قرأ بالنون أنه حمله على ما بعده من الإخبار عن الله ـ جلّ ذكره ـ عن نفسه في قوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا﴾، وهو الاختيار، لأن الأكثر عليه[٤١].

قال أبو علي: (حجة النون قوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ﴾ [سبأ: ١٠] فالنون أشبه بـ﴿ءَاتَيْنَا﴾، وحجة الياء قوله ﴿أَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ [سبأ: ٨] فالياء على الحمل على اسم الله، فأما إدغام الكسائي الفاء في الباء في ﴿نَخْسِفْ بِهِمُ﴾ فإن إدغام الفاء في الباء لا يجوز، وإن جاز إدغام التاء في الفاء، وذلك أن الفاء من بطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا، وانحدر الصوت بها إلى الفم حتى اتصلت بمخرج التاء)[٤٢].

يقول الإمام ابن خالويه: (في قوله تعالى: ﴿إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ﴾ ﴿أَوْ نُسْقِطْ﴾ يقرآن بالنون والياء، فالحجة لمن قرأ بالنون أنه جعله من إخبار الله

---

(٤٠) الأساس في التفسير سعيد حوّى المجلد الثامن ص٤٥١٣.

(٤١) الحجة للقراء السبع وحيث يرد سأشير إليه بـ«الحجة للقراء» ج٦ ص٧ ـ ٨.

(٤٢) الكشف ج٢ ص٢٠٢.

تعالى عن ذاته، والحجة لمن قرأ بالياء: أنه جعله من إخبار النبي - ﷺ - عن ربه - ﷻ -.

واتفق القراء على إظهار الفاء عند الباء إلا ما قرأه الكسائي مدغماً.

وحجته أن مخرج الباء من الشفتين، ومخرج الفاء من باطن الشفة السفلى، وأطراف الثنايا العليا، فاتفقا في المخرج للمقاربة، إلا أن في الفاء تفشياً يبطل الإدغام، فأما إدغام الياء في الفاء فصواب)(٤٣).

خامساً: الجمع بين القراءات:

قراءة الأفعال بالنون ﴿إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ﴾ ﴿أَوْ نُسْقِطْ﴾ فقد جعله من إخبار الله تعالى عن ذاته.

وقراءة الأفعال بالياء **(يشأ يخسف) (أو يسقط)** فقد جعله من إخبار النبي - ﷺ - عن ربه - ﷻ -، وكل قراءة من القراءتين أفادت معناً جديداً.

والقراءتان تفيدان قدرة الله على تعذيب هؤلاء الكفار، فالله قادر على أن يخسف بهم الأرض أو يسقط عليهم كسفاً من السماء، جزاء تكذيبهم للآيات وكفرهم بالرسول - ﷺ -، والله أعلم.

٤ - قال تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾﴾ [سبأ: ١٢].

أولاً: القراءات:

١ - ﴿ٱلرِّيحَ﴾ قرأ شعبة عن عاصم برفع الحاء وقرأ الباقون بنصبها.

٢ - قرأ أبو جعفر بالجمع ﴿ٱلرِّيَٰحِ﴾ وغيره بالإفراد(٤٤).

(٤٣) الحجة ص٢٩٢.

(٤٤) النشر ج٢ ص٣٤٩، البدور الزاهرة ص٣٢٢.

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«الريح»: الهواء إذا تحرك. ومؤنثه الرائحة، وجمعه الرياح.

يقال رجل ساكن الريح: وقور.

وهبّت ريحه: جرى أمره على ما يريد(٤٥).

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾﴾ [سبأ: ١٢].

يقول سيد قطب: «وتسخير الريح لسليمان تتكاثر حوله الروايات، وتبدو ظلال الإسرائيليات واضحة في تلك الروايات، والتحرج من الخوض في تلك الروايات أولى، والاكتفاء بالنص القرآني أسلم.

ومنه يستفاد أن الله سخر الريح لسليمان وجعل غدوها أي توجهها غادية إلى بقعة معينة يستغرق شهراً، ورواحها أي انعكاس اتجاهها في الرواح يستغرق شهراً كذلك، وفق مصلحة تحصل من غدوها ورواحا يدركها سليمان - عليه السلام - ويحققها بأمر الله.

والقطر النحاس، وسياق الآيات يشير إلى أن هذا كان معجزة خارقة كإلانة الحديد لداود، وقد يكون ذلك بأن فجر الله له عيناً بركانية من النحاس المذاب من الأرض، أو بأن الله ألهمه إذابة النحاس حتى يصير ويصبح قابلاً للصب والطرق وهو من فضل الله.

وكذلك سخر الله له طائفة من الجن يعملون بأمره، ومن عصى منهم ناله عذاب الله، ﴿وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾﴾، ولعل هذا التعقيب يذكر على هذا النحو لبيان خضوع الجن لله، كان بعض المشركين يعبدهم من دون الله، ومن مثلهم معرضون للعقاب عندما يزيغون

---

(٤٥) المعجم الوسيط ص٣٨١.

عن أمر الله»[٤٦].

يقول الطاهر ابن عاشور: قوله تعالى: ﴿۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا﴾ والمناسبة مثل مناسبة ذكر داود فإن سليمان كان موصوفاً بالإنابة قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنَابَ﴾ في سورة (ص).

والريح عطف على الحديد، ومعنى تسخير الريح: خلق ريح تلائم سير سفائنه للغزو أو التجارة فجعل الله لمراسيه في شطوط فلسطين رياحاً موسمياً تهب شهراً مشرّقة لتذهب في ذلك الموسم سفنه، وتهب شهراً مغرّبة لترجع سفنه إلى شواطئ فلسطين.

فأطلق الغدو على الانصراف والانطلاق من المكان وأطلق الرواح على الرجوع.

والقِطر هو النحاس المذاب، والإسالة جعل الشيء سائلاً منبطحاً في الأرض كسيل الوادي، ﴿عَيْنَ ٱلْقِطْرِ﴾ ليست عيناً حقيقية ولكنها مستعارة لمصب ما يصهر في مصانعه من النحاس[٤٧].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

يقول الإمام ابن خالويه: (في قوله تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ﴾ اتفاق القراء على نصب الريح إلا ما رواه أبو بكر عن عاصم بالرفع.

فالحجة لمن نصب: إضمار فعل معناه: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا﴾ وسخرنا لسليمان الريح.

أما الحجة لعاصم فإنه رفعه بالابتداء ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ﴾ الخبر)[٤٨].

قال أبو علي: (وجهُ النصب أن الريح حملت على التسخير في قوله ـ

(٤٦) الظلال ج٢٢ ص٢٨٩٨.

(٤٧) التحرير والتنوير ج٢٢ ص١٥٨ ـ ١٥٩.

(٤٨) الحجة ص٢٩٢.

تعالى ـ: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ﴾ [ص: ٣٦] فكما حملت في هذا على التسخير، كذلك ينبغي أن تحمل هنا عليه.

ومما يقوّي النصب قوله: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا﴾ [سبأ: ١٢] والنصب يحمل على سخرنا، ووجه الرفع: أن الريح إذا سخرت لسليمان جاز أن يقال: له الريح، على معنى تسخير الريح، فالرفع على هذا يؤول إلى معنى النصب، لأن المصدر المقدر في تقدير الإضافة إلى المفعول به)(٤٩).

يقول الإمام مكي بن أبي طالب: (قوله تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ﴾ قرأه أبو بكر برفع (**الريح**) على الابتداء، والمجرور قبله الخبر، وحسن ذلك لأن الريح لما سخرت له صارت كأنها في قبضته إذ عن أمره تسير، فأخبر عنها أنها في ملكه، إذ هو مالك أمرها في سيرها به، وقرأ الباقون بنصب ﴿ٱلرِّيحَ﴾ على إضمار وسخرنا لسليمان الريح، لأنها سخّرت له، وليس بمالكها على الحقيقية، وإنما ملك تسخيرها بأمر الله، ويقوّي النصب إجماعهم على قوله: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً﴾ [الأنبياء: ٨١] فهذا يدل على تسخيرها له في حال عصوفها، والنصب هو الإختيار، لأن المعنى عليه)(٥٠).

يقول الإمام الطبري في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾ [سبأ: ١٢] اختلف القراء في قراءة قوله: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ﴾ فقرأته عامة قراء الأمصار ولسليمان الريح بنصب الريح، بمعنى ولقد آتينا داود منا فضلاً وسخرنا لسليمان الريح، وقرأ ذلك عاصم. ولسليمان الريح رفعاً بحرف الصفة إذ لم يظهر الناصب والصواب من القراءة في ذلك عندنا النصب لإجماع الحجة من القراء عليه(٥١).

(٤٩) الحجة للقراءات السبعة ج٦ ص١٠.

(٥٠) الكشف ج٢ ص٢٠٢ ـ ٢٠٣.

(٥١) جامع البيان في تفسير آي القرآن، للإمام الطبري المجلد العشر ج٢٢ ص٤٦، وحيث يرد سأشير إليه بـ «الطبري».

ويرى الباحث أنه لا يجوز التمييز بين القراءات الصحيحة المتواترة كما يقول الإمام الطبري.

خامساً: الجمع بين القراءات:

القراءة الأولى: قراءة النصب ﴿ٱلرِّيحَ﴾ على إضمار فعل معناه: وسخرنا لسليمان الريحَ، أي أن الله سخر لسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر ولما سخرت لسليمان الريح أصبح كأنه مالك لها فجاءت القراءة الثانية قراءة الرفع (**الريحُ**) لتبين أن سليمان يملك التصرف فيها لتسخير الله الريح له.

وتبيّن الآية الكريمة ما أوتيه سليمانُ من فضلٍ كرامةً لأبيه على إنابته ولسليمانَ على نشأته الصالحة، فقد سخر الله له ريحاً تلائم سير سفائنه للغزو أو التجارة، فكانت تهب شهراً مشرقة، لتذهب في ذلك الموسم سفنه، وتهب شهراً مغربة لترجع سفنه، والله أعلم.

٥ ـ قال تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾﴾ [سبأ: ١٤].

أولاً: القراءات:

(المنسأة)

١ ـ قرأ المدنيان (نافع وأبو جعفر) وأبو عمرو بألف بعد السين بدلاً من الهمزة.

٢ ـ وقرأ ابن ذكوان بهمزة ساكنة بعد السين.

٣ ـ وقرأ الباقون بهمزة مفتوحة بعد السين.

٤ ـ والهمزة فيه وقفاً التسهيل بين بين فقط(٥٢).

(٥٢) النشر ج٢ ص٣٤٩ ـ ٣٥٠، والبدور الزاهرة ص٣٢٢.

﴿تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ﴾

١ ـ قرأ رويس بضم التاء الأولى وضم الباء الموحدة بعدها وكسر الياء التحتية المشددة على البناء للمفعول.

٢ ـ وقرأ الباقون بفتح الثلاثة على البناء للفاعل[٥٣].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

أ ـ «المنسأة»: العصا الغليظة التي تكون مع الراعي، وفي التنزيل العزيز: ﴿مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ﴾[٥٤].

ب ـ «تبيّنَ»: أي ظهر واتضح وهو من الإيضاح والوضوح وفي المثل قد «بيّن الصبح لذي عينين» أي تبيّن[٥٥].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

يقول الطبري: (يقول تعالى ذكره فلما أمضينا قضاءنا على سليمان بالموت فمات، فما دلهم على موته يقول لم يدل الجن على موت سليمان إلا دابة الأرض، وهي الأرضة وقعت في عصاه التي كان متكئاً عليها فأكلتها فذلك قول الله ﷻ تأكل منسأته)[٥٦].

يقول القرطبي: (قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ﴾ أي فلما حكمنا على سليمان بالموت حتى صار كالأمر المفروغ منه ووقع به الموت ﴿مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ﴾ وذلك أنه كان متكئاً على المِنسأة ـ وهي العصا بلسان الحبشة ـ فمات كذلك وبقي خافي الحال إلى أن سقط ميتاً لانكسار العصا لأكل الأرضة إياها، فعُلم موته بذلك، وكانت الأرضة دالّة على موته، أي سبباً لظهور موته، وكان سأل الله ـ

(٥٣) النشر ج٢ ص٣٥٠، والبدور الزاهرة للقاضي ص٣٢٢.
(٥٤) المعجم الوسيط ص٩١٦.
(٥٥) مختار الصحاح للرازي ص٧٢.
(٥٦) الطبري ج٢٢ ص٥٠.

تعالى - ألا يعلموا بموته حتى تمضي عليه سنة)[٥٧].

يقول صاحب (تذكرة الأريب في تفسير الغريب): «ودابة الأرض هي الأرضة، والمنسأة العصا، وكان قد مات قائماً متوكئاً على عصاه فلما أكلتها الأرضة وخر، وذلك بعد سنة والجن لا يعلمون بموته، فلو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين»[٥٨].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

يقول الإمام مكي بن أبي طالب: قوله تعالى: ﴿مِنسَأَتَهُۥ﴾ قرأه نافع وأبو عمرو بألف من غير همز، وقرأ الباقون بهمزة مفتوحة إلا ابن ذكوان، فإنه أسكن الهمزة.

وحجة من قرأ بألف أنها لغة مسموعة في بدل الهمزة بألف في هذا، حكاه سيبويه، فأصل الهمزة من «نسأه»، يقال: نسأتُ الغنم إذا سقتها، وفتح التاء عَلَمَ بـ «تأكل» فأبدل من الهمزة المفتوحة ألفاً، كان الأصل أن تجعل بين بين، لكن البدل في هذا محكي مسموع عن العرب، وحكى ابن دُريد[٥٩] في الجمهرة أن «المنسأة» غير مهموزة «مَفعَلة» من نسَّ الإبل إذا سقاها، كان البدل عنده من سين كما قال: «دسّاها» وهو بعيد، إذ لم يجتمع في المنسأة إذا جعلتها من نسَّ إلا سينان، كان أصلها مُنَسَّسَة.

وحجة من همز انه أتى به على الأصل، إذ أصله الهمز و«**المنسأة**» العصا، وقد حكى سيبويه في تصغير العصا «مُنيسئة» بالهمز.

قال: تردّها إلى أصلها، ولا تجعل البدل منها لازماً، وقد قالوا في جمعها «مناسئ» بالهمز، لأن التصغير والجمع يردّ الأشياء إلى أصولها في

(٥٧) القرطبي ج١٤ ص٢٧٨.
(٥٨) تذكرة الأريب في تفسير الغريب ج١ ص٩٣.
(٥٩) هو محمد بن الحسن بن دُريد أبو بكر، أخذ عن أبي حاتم السجستاني والرّياشي وغيرهما، وعنه أبو سعيد اليرافي، وأبو عبد الله المرزباني، من أكابر علماء العربية واللغة والأنساب، (ت ٣٢١هـ). ترجم في أنباه الرواة ٩٢/٣ ومراتب النحويين ٨٤.

أكثر الكلام، وقد قالوا: عيد وأعياد، فلم يردوا الواو في الجمع وأصل الياء في عيد الواو، لأنه من (عاد يعود)، وأراهم لم يردوا الواو في أعياد لئلا يشبه جمع (عود)، فأما من أسكن الهمزة فهو بعيد في الجواز، إنما يجوز الإسكان للاستثقال لطول الكلمة، وهذا غير مشهور في اللغات، إنما يوجد في الشعر[٦٠].

والقياس في همز منسأة إذا خفّفت الهمزة منها أن تُجعل بين بين، على أنهم خففوا همزتها على غير القياس، وكثر التخفيف فيها، وقال سيبويه: تقول مُنسِئة في تحقير منسأة، لأنها من نسأت، فلم يُجعل البدلُ فيها لازماً كياء عيدٍ، حيث قالوا في تكسيره أعيادٌ، ويدل على أنه ليس ببدل لازم قولهم في تكسيرها: مناسئ، فيما حكاه سيبويه[٦١].

يقول الدكتور محمد سالم محيسن: اختلف القرّاء في ﴿مِنسَأَتَهُۥ﴾ من قوله تعالى: ﴿مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ﴾ [سبأ: ١٤].

فقرأ أبو عمرو نافع وأبو جعفر «**منساته**» بألف بعد السين بدلاً من الهمزة، يقال: نسأت الغنم إذا سقتها، فأُبدل من الهمزة المفتوحة ألفٌ، وكان الأصل أن تسهل بين بين، لكن البدل في هذا صحيح ومسموع عند العرب، وهو لغة (أهل الحجاز).

وقرأ ابن ذكوان وهشام بخُلفٍ عنه «**مِنسأْته**» بهمزة ساكنة للتخفيف.

وقرأ الباقون: (**منسأته**) بهمزة مفتوحة وهو الوجه الثاني لـ (هشام) وذلك على الأصل، فاسم الآلة من أوزانه (مِفْعَلَة) مثل (مِكْنَسَة)، والمنسأة: العصا، والجمع «**مناسئ**» بالهمز[٦٢].

يقول الإمام ابن خالويه: (قوله تعالى: ﴿تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ﴾ يقرأ بالهمز

---

(٦٠) كتاب سيبويه ٢/١٤٥ ـ ١٥٣، والحجة في القراءات السبع ٢٦٧، وتفسير غريب القرآن ٣٥٤. وتفسير مشكل القرآن إعراب القرآن ١٨٩/ب.

(٦١) الحجة للقراء السبعة ج٦ ص١١ ـ ١٢.

(٦٢) الهادي ج٣ ص١٥٤.

وتركه، فالحجة لمن همز أنه أتى باللفظ على أصل الاشتقاق، لأن العصا سميت بذلك لأن الراعي ينسئ بها الإبل عن الحوض أي يؤخرها، والحجة لمن ترك الهمز: أنه أراد التخفيف)(٦٣).

يقول الدكتور محمد محيسن: (اختلف القراء في ﴿تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ﴾ من قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾ [سبأ: ١٤].

فقرأ رويس **(تُبُيِّنت)** بضم التاء الأولى، وضم الباء الموحدة بعدها، وكسر الياء التحتية المشددة، على البناء للمفعول، ونائب الفاعل ﴿ٱلْجِنُّ﴾.

وقرأ الباقون ﴿تَبَيَّنَتِ﴾ بفتح الحروف الثلاثة، على البناء للفاعل، والفاعل ﴿ٱلْجِنُّ﴾(٦٤).

يقول الطاهر ابن عاشور: قرأ الجمهور **(تبينت الجن)** بفتح الفوقية والموحدة والتحتية، وقرأ رويس عن يعقوب بضم الفوقية والموحدة وكسر التحتية بالبناء للمفعول، أي تبين الناس الجنّ، و﴿أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ بدل اشتمال من الجنّ على كلتا القراءتين(٦٥).

خامساً: الجمع بين القراءتين:

القراءة الأولى: ﴿تَبَيَّنَتِ﴾: بفتح الحروف الثلاثة على البناء للفاعل والفاعل ﴿ٱلْجِنُّ﴾، أفادت أن الجن أنفسهم لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين، ثم جاءت القراءة الثانية **(تبينت)** بضم الفوقية لتبين أنه اتضح لناس أن الجن لا يعلمون الغيب والله أعلم.

والآية الكريمة تبيّن إبطال ما يعتقده المشركون أن الجن يعلمون الغيب، فلو كانوا يعلمون الغيب، لعلموا بوفاة سليمان ـ عليه السلام ـ، والله أعلم.

---

(٦٣) الحجة ص٢٩٣.

(٦٤) الهادي ج٣ ص١٥٤.

(٦٥) التحرير والتنوير ج٢٢ ص١٦٤.

٦ ـ قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾﴾ [سبأ: ١٥].

أولاً: القراءات:

١ ـ كلمة (**سبأ**):

أ ـ قرأ البزي وأبو عمرو بفتح الهمزة من غير تنوين (**سبأَ**).

ب ـ وقرأ قنبل بإسكانها (**سبأْ**).

ج ـ وقرأ الباقون بكسرها منونة[٦٦].

٢ ـ كلمة ﴿مَسْكَنِهِمْ﴾.

أ ـ قرأ حفص وحمزة بإسكان السين وفتح الكاف على الإفراد ﴿مَسْكَنِهِمْ﴾.

ب ـ وقرأ الكسائي وخلف بإسكان السين وكسر الكاف (**مسْكِنهم**).

ج ـ وقرأ الباقون بفتح السين وألف بعدها وكسر الكاف على الجمع (**مسَاكِنهم**)[٦٧].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«**سبأ**»: اسم رجل يجمع عامة قبائل اليمن (يصرف ويترك صرفه، ويُمدُّ ولا يُمدُّ).

وفي المثل: «تفرقوا أيادي سبأ»، لأنه لما غرق مكانهم وذهبت مساكنهم وجناتهم تبددوا في البلاد، فأخذت كل طائفة منهم طريقاً[٦٨].

(٦٦) انظر النشر ج٢ ص٣٣٧، والبدور الزاهرة للقاضي ص٣٢٢.
(٦٧) انظر النشر ج٢ ص٣٥٠، والبدور الزاهرة للقاضي ص٣٢٢، والتحرير والتنوير لابن عاشور ج٢٢ ص١٦٦.
(٦٨) المعجم الوسيط ص٤١١.

«المسكن»: مكان السكن والجمع مساكن. و«السّكْنُ»: أهل الدار وسكانها[٦٩].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

يقول الصابوني في تفسير هذه الآية الكريمة: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ﴾: (اللام موطئة للقسم، أي والله لقد كان لقوم سبأ في موضع سكناهم باليمن آية عظيمة دالة على الله - جل وعلا - وعلى قدرته على مجازاة المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته، فإن قوم سبأ لما كفروا نعمة الله خرّب الله ملكهم، وشتت شملهم ومزقهم شرّ ممزق، وجعلهم عبرة لمن يعتبر)[٧٠].

ويقول ابن عطية عند الكلام على قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا﴾: (لما فرغ التمثيل لمحمد - ﷺ - رجع التمثيل لهم (أي للمشركين أي لحالهم) بسبأ وما كان من هلاكهم، بالكفر والعتو، فهذه القصة تمثيل أمة بأمة، وبلاد بأخرى وذلك من قياس وعبرة).

وهي فائدة تدوين التاريخ وتقلبات الأمم، كما قال تعالى ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [النحل: ١١٢ - ١١٣] فسوق هذه القصة تعريف بأشباه سبأ، والمعنى: لقد كان لسبأ في حال مساكنهم ونظام بلادهم آية، أي دلالة بتبدل الأحوال وتقلب الأزمان، فهي آية على تصرف الله ونعمته عليهم فلم يهتدوا بتلك الآية، فأشركوا به وقد كان في إنعامه عليهم ما هو دليل على وجوده ثم على وحدانيته[٧١].

(٦٩) المعجم الوسيط ٤٤.

(٧٠) صفوة التفاسير، للصابوني ج٢ ص٥٥٠.

(٧١) التحرير والتنوير ج٢٢ ص١٦٥ - ١٦٦.

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

يقول الإمام ابن خالويه في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ﴾: كلمة ﴿فِي مَسْكَنِهِمْ﴾ يقرأ بالتوحيد والجمع، فالحجة لمن وحد: أنه اجتزأ بالتوحيد من الجمع، والحجة لمن جمع: أنه جعل كل موضع منها مسكناً[٧٢].

يقول الإمام مكي بن أبي طالب: (قوله تعالى: ﴿فِي مَسْكَنِهِمْ﴾ قرأ الكسائي بالتوحيد، وكسر الكاف وكذلك حفص وحمزة غير أنهما فتحا الكاف، وقرأ الباقون بالجمع.

وحجة من وحّد أنه بمعنى السكنى، فهو مصدر يدل على القليل والكثير من جنسه، فاستغنى به عن الجمع مع خفة الواحد.

وحجة من جمع أنه لما كان لكل واحد منهم مسكن وجب الجمع، ليوافق اللفظ المعنى.

وحجة من فتح الكاف في الواحد أنه أتى به على المستعمل المعروف، لأن المصدر من «فعل يفعلُ»، والأخفش يقول: **(المسكن)** بالكسر لغة مستعملة، وهي في المسجد كثيرة، قال: والفتح في المسجد لغة أهل الحجاز، وهي قليلة الاستعمال عنده، والاختيار الجمع، لأن عليه الأكثر، وعليه العمل)[٧٣].

قال أبو علي: من قال: ﴿مَسَٰكِنُهُمْ﴾ أتى باللفظ وفقاً للمعنى، لأن لكل ساكن مسكناً فجمع، والمساكن: جمع مسكن، الذي هو اسم للموضع من سكن يسكن.

ومن قال: **(مَسْكِنهم)** فيشبه أن يكون جعل المسكن مصدراً وحذف المضاف والتقدير في مواضع مساكنهم، فلما جعل المسكن كالسكنى

(٧٢) الحجة ص٢٩٣.

(٧٣) انظر زاد المسير ٦/٤٤٣، وكتاب سيبويه ٢/٢٩٥، الكشف ص٢٠٤ ـ ٢٠٥.

والسكون أفرد، كما تُفرد المصادر، وعلى ذلك قوله سبحانه: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ [القمر: ٥٥].

أي: مواضع قعود، ألا ترى أن لكل واحدٍ من المتقين موضع قعودٍ، فهذا التأويل أشبه من أن تحمله على الوجه الآخر.

فأما **قول الكسائي**: (في مسكِنِهم فالأشبه فيه الفتح، لأن اسم المكان من فَعَلَ يفعُلُ على المَفْعَل، فإن لم تُرد المكان ولكن المصدر، فالمصدر أيضاً يجيء على المفْعَل مثل: المحشر ونحوه)(٧٤).

يقول الدكتور محمد محيسن: اختلف القراء في (**مسكنهم**) من قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ﴾ [سبأ: ١٥]. فقرأ (حفص وحمزة) ﴿مَسْكَنِهِمْ﴾ بسكون السين، وفتح الكاف بلا ألف، على الإفراد، وهو مصدر ميمي قياسي لأن (فَعَلَ يُفْعُل) بفتح العين في الماضي، وضمها في المضارع قياس مصدره الميمي أن يأتي بفتح العين، نحو: المقْعد، والمُدْخل، والمخرج والمصدر يدل على القليل والكثير من جنسه، فاستغنى به عن الجمع، مع خفة المفرد.

وقرأ (الكسائي وخلف العاشر) المتبقيان من مدلول (**صَحْبٌ**) (**مَسْكِنِهِمْ**) بالتوحيد، وكسر الكاف على أنه اسم للمكان مثل: (المسجد).

وقيل: هو مصدر ميمي خرج عن القياس نحو: «المطْلِع» وهو لغة أهل اليمن.

وقرأ الباقون ﴿مَسَٰكِنِهِمْ﴾ بفتح السين وألف بعدها، وكسر الكاف على الجمع، لأنه لما كان لكل واحد مسكن وجب الجمع ليوافق اللفظ المعنى(٧٥).

---

(٧٤) الحجة للقراء ج٦ ص١٣ ـ ١٤.

(٧٥) الهادي ج٣ ص١٥٥.

خامساً: الجمع بين القراءات:

من قرأ ﴿مَسْكَنِهِمْ﴾ بالتوحيد أنه بمعنى السكنى، فهو مصدر يدل على القليل والكثير من جنسه، فاستغنى به عن الجمع مع خفة الواحد. ومن قرأ ﴿مَسَٰكِنِهِمْ﴾ بالجمع، أنه جعل لكل واحد منهم مسكن. والآية الكريمة تبيّن أن الله - عز وجل - أنعم على أهل سبأ في مساكنهم شبيه جنتين، عن اليمين والشمال أشجار متصلة بعضها ببعض، فكانوا يتفيئون ظلالها في الصبح والمساء، ويجنون ثمارها من نخيل وأعناب وغيرها، وهذا كان يتطلب منهم شكر الله - عز وجل - على هذه النعمة وليس كفرانها كما فعلوا، والله أعلم.

٧ - قال تعالى: ﴿فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾﴾ [سبأ: ١٦].

أولاً: القراءات:

(أُكُل)

١ - قرأ البصريان «أبو عمرو ويعقوب» بضم الكاف وترك التنوين **(أُكُلِ)**.

٢ - قرأ الباقون بضم الكاف والتنوين[٧٦].

٣ - قرأ نافع وابن كثير بضم الهمزة وسكون الكاف **(أُكْلِ)**.

٤ - وقرأ الباقون **(أُكْلٍ)** بالتنوين مجروراً[٧٧].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«ألأُكْـلُ - الأُكُـلُ»: الثَّمرُ، قال تعالى في وصف الجنة «أكلها دائمٌ وظلها».

---

(٧٦) انظر النشر ج٢ ص٣٥٠، والبدور الزاهرة ص٣٢٣.

(٧٧) التحرير والتنوير لابن عاشور ج٢٢ ص١٧٢.

و«الأُكُلَة»: المرة من الطعام[٧٨].

والخمط: شجر الأراك ويطلق على الشيء المُرّ[٧٩].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

يقول سيد قطب: (أعرضوا عن شكر الله، وعن العمل الصالح، والتصرف الحميد، فيما أنعم الله عليهم فسلبهم الله هذا الرخاء الجميل الذي يعيشون فيه، وأرسل السيل الجارف الذي يحمل العرم في طريقه، وهي الحجارة لشدة تدفقه، فحطم السد وانساحت المياه فطغت وأغرقت، ثم لم يعد الماء يخزن بعد ذلك فجفت واحترقت، وتبدلت تلك الجنان الفسيح صحراء تتناثر فيها الأشجار البرية الخشنة. ﴿وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾﴾.

والخمط شجر الأراك أو قل شجر ذي شوك، والأثل شجر يشبه الطرفاء، والسدر النبق وهو أجود ما صار لهم ولم يعد لهم منه إلا قليل)[٨٠].

قال الطبري: (وحين أعرضوا عن تصديق الرسل، ثقب ذلك السدّ الذي كان يحبس عنهم السيول، ثم فاض الماء على جناتهم فغرّقتها، وخرّب أرضهم وديارهم ﴿وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ﴾ أي وبدلناهم بتلك البساتين الغناءة، بساتين قاحلة جرداء وشيء من الأشجار، التي لا ينتفع بثمرها كشجر الأثل والسدر، فأرسل الله عليهم سيلاً، غرق أموالهم وخرب دورهم، والخمط كل شجرة لها شوك وثمرتها مرة)[٨١].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

اختلف القراء في ﴿أُكُلٍ خَمْطٍ﴾ من قوله تعالى: ﴿وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ

---

(٧٨) المعجم الوسيط ص٢٣.

(٧٩) التحرير والتنوير لابن عاشور ص١٧١.

(٨٠) الظلال ج٢٢ ص٢٩٠١.

(٨١) الطبري ج٢٢ ص٥٦.

جَنَّتَيۡنِ ذَوَاتَىۡ أُكُلٍ خَمۡطٍ﴾ [سبأ: ١٦] **يقول الدكتور محمد محيسن**: (قرأ «أبو عمرو، ويعقوب» **(أُكُلِ خَمْطٍ)** بضم الكاف، وترك التنوين، على إضافة **(أُكُلِ)** إلى **(خَمْطٍ)** من إضافة الشيء إلى جنسه نحو: «ثوبُ خزّ» أي من «خزّ» والأكل: الجنى، وهو الثمر. والخمط: كل شجرة مرّة الثمر ذات شوك. وقرأ نافع وابن كثير **(أُكْلٍ خَمْطٍ)** بإسكان الكاف وتنوين اللام، على أنه مقطوع عن الإضافة، وذلك أن **(خَمْطٍ)** عطف بيان على **(أُكْلَ)** فبيّن أن **(الأُكُلِ)** وهو: الثمر ومن هذا الشجر وهو: **(الخمط)** إذ لم يجز أن يكون الخمطَ بدلاً ولا نعتاً لـ **(أُكُلٍ)**.

وقرأ الباقون وهم: (ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي وأبو جعفر وخلف العاشر) ﴿أُكُلٍ خَمۡطٍ﴾ بضم الكاف مع التنوين، وقد تقدم توجيه ذلك)[٨٢].

يقول الإمام مكي بن أبي طالب: (قرأ أبو عمرو بإضافة **(أكل)** إلى **(خَمْطٍ)** وقرأ الباقون بتنوين **(أكل)** من غير إضافة. وحجة من أضاف أنه كما تقول: ثمر خَمْط، وثمر نَبْق، أي ثمر شجرتين، وثمر شجر خمط فهم من باب الإضافة بمعنى **(من خمط)** كـ «ثوب خزّ» أي من خزّ، فكذلك هذا معناه: أكل من خمط، فالأكل الجنى، وهو الثمر.

وحجة من نونه أنه جعله **(خمطاً)** عطف بيان، فبيّن أن الأُكُل وهو الثمر من هذا الشجر وهو الخمط، إذ لم يجز أن يكون الخمط بدلاً ولا نعتاً للأُكل، فلما عدل به عن الإضافة لم يكن فيه غير عطف البيان، لأنه بيان لما قبله)[٨٣].

يقول الإمام ابن خالويه في قوله تعالى ﴿ذَوَاتَىۡ أُكُلٍ خَمۡطٍ﴾: «أجمع القراء على التنوين إلا أبا عمرو فإنه أضاف، فالحجة لمن نوّن: أنه جعل **(الخمط)** و**(الأثل)** بدلاً من الأكل وهو في المعنى، ولذلك كرهوا إضافته،

---

(٨٢) الهادي ج٣ ص١٥٦.

(٨٣) الكشف ج٢ ص٢٠٥.

لأن الشيء لا يضاف إلى نفسه، والحجة لأبي عمرو أنه جعل الأكل أشياء كثيرة، و(الخمط): ثمر الأراك، فأما (**أكل**) فيقرأ بضم الكاف على الأصل وإسكانها تخفيفاً»[٨٤].

الخلاصة: القراءتان مشهورتان ومتقاربتان في المعنى.

يقول الإمام الطبري: (قرأ عامة قراء الأمصار بتنوين أكل غير أبي عمرو، فإنه يضيفها إلى الخمط بمعنى ذواتي ثمر خمط، وأما الذين لم يضيفوا ذلك إلى الخمط وينونون الأكل، فإنهم جعلوا من الخمط هو الأكل وردّوه عليه في إعرابه وبضم الألف والكاف من الأكل قرأت قراء الأمصار غير نافع فإنه كان يخفف منها.

والصواب من القراءة في ذلك عندي، قراءة من قرأه ذواتي أكل بضم الألف والكاف، لإجماع الحجة من القراء عليه وبتنوين أكل لاستفاضة القراءة بذلك في قراء الأمصار، من غير أن أرى خطأ قراءة من قرأ ذلك بإضافته إلى الخمط)[٨٥].

خامساً: الجمع بين القراءات:

من قرأ (**أُكُلِ خَمْطٍ**) بضم الكاف وترك التنوين على الإضافة فهذا من إضافة الشيء إلى جنسه والأكل: الجني، هو الثمر، والخمط: كل شجرة مرّة الثمر، والله أعلم.

ومن قرأ (**أُكُلٍ خَمْطٍ**) وذلك على أن (**خَمْطٌ**) عطف بيان على (**أُكُلٍ**) فبيّن أن ﴿ٱلۡأُكُلِ﴾ هو: الثمر من هذا الشجر وهو الخمط، فهو ليس بدلاً ولا نعتاً لـ (**أُكُلٍ**). والآية الكريمة تبيّن أن الله - ﷻ - أبدلهم بتلك البساتين الممتلئة بالأشجار المثمرة، بساتين قاحلة جرداء ذات أكل مر بشع، وشيء من الأشجار التي لا ينتفع بثمرها، كشجر الأثل والسدر، والله أعلم.

---

(٨٤) الحجة ص٢٩٣.

(٨٥) الطبري ج٢٢ ص٥٦.

٨ ـ قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾﴾ [سبأ: ١٧].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ حمزة والكسائي وخلف ويعقوب وحفص بالنون مع كسر الزاي ونصب الكفور ﴿نُجَٰزِىٓ ـ ٱلْكَفُورَ﴾ والكسائي على أصله في إدغام اللام في (هل) في النون ﴿نُجَٰزِىٓ﴾.

٢ ـ وقرأ الباقون بالياء وفتح الزاي ورفع **(الكفورُ)** **(يُجازي إلا الكفورُ)**[٨٦].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«جزى» الشيء: كفى وأغنى وفي التنزيل العزيز: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا﴾.

«جازاه»: أثابه وعاقبه، «الجازية»: الثواب والعقاب[٨٧].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

يقول القرطبي في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟﴾ (أي هذا التبديل جزاء كفرهم، وموضع ﴿ذَٰلِكَ﴾ نصب، أي جزيناهم ذلك بكفرهم. **(وهل يجازى إلا الكفور)** أي أن الكافر يُجازى على أعماله ويحاسب عليها ويحبط ما عمل من خير، ويبيّن هذا قوله تعالى في الأول ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟﴾ وفي الثاني: **(وهل يجازى إلا الكفور)** ومعنى **(يُجازى)** يكافأ بكل عمل عمله، ومعنى﴿جَزَيْنَٰهُم﴾ وفيناهم، فهذا حقيقة اللغة، وإن كان (جازى) يقع بمعنى (جزى) مجازاً)[٨٨].

يقول البيضاوي: (﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟﴾ بكفرانهم النعمة أو

---

(٨٦) النشر ج٢ ص٣٥٠، والبدور الزاهرة للقاضي ص٣٢٣.

(٨٧) المعجم الوسيط ص١٢٢.

(٨٨) القرطبي ج١٤ ص٢٨٨.

بكفرهم بالرسل، إذ روي أنه بعث إليهم ثلاثة عشر نبياً، فكذبوهم وتقديم المفعول للتعميم لا للتخصيص، وهل يجازى إلا الكفور وهل يجازى بمثل ما فعلنا بهم إلا البليغ في الكفران أو الكفر)[89].

يقول ابن عادل في قوله تعالى: ﴿وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ﴾ قال مجاهد: (يجازي أي يعاقب ويقال في العقوبة وفي التوبة يُجزي)، قال الفراء: (المؤمن يُجزى ولا يُجازى أي: يُجزى الثواب بعمله ولا يكافأ بسيئاته)[90].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

يقول الإمام ابن خالويه في قوله تعالى: ﴿وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ۝١٧﴾: (يقرأ بالياء وفتح الزاي، وبالنون وكسر الزاي، فالحجة لمن قرأه بالياء والفتح: أنه جعله فعل ما لم يسم فاعله فرفع لذلك الكفور، والحجة لمن قرأه بالنون: أنه جعل الفعل لله ـ عز وجل ـ وعدّاه إلى ﴿ٱلْكَفُورَ﴾ فنصبه به)[91].

و(هل) يجيء في الكلام على أربعة أوجه: يكون جَحْداً كقوله: (وهل يجازى إلا الكفور) ودليل ذلك مجيء التحقيق بعدها، وتكون استفهاماً كقوله: ﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ۝٧٢﴾ [الشعراء: ٧٢] ويكون أمراً كقوله ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩] ويكون بمعنى «قد» كقوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ﴾[92].

قال أبو علي: (حجة ﴿نُجَٰزِىٓ﴾ قوله سبحانه: ﴿جَزَيْنَٰهُم﴾ وهي قراءة الأعمش فيما زعموا، ومن قال: (**يُجازى**)، فالمجازي: الله عز وجل وإن بني الفعل للمفعول به وهذا مثل قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ و﴿فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾.

(٨٩) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي ص٥٦٨.

(٩٠) اللباب في علوم الكتاب، لابن عادل ج١٦ ص٤٧.

(٩١) النشر ج٢ ص٣٥٠، والبدور الزاهرة للقاضي ص٣٢٣.

(٩٢) تأويل مشكل القرآن، ص٢٨ ـ ٢٩.

وأما قوله تعالى: ﴿وَهَلْ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾﴾ والكفور وغيره يُجزى على فعله وإنما خصّ الكفور بهذا لأن المؤمن قد يكفّر عن ذنوبه بطاعاته، فلا يُجازى على ذنوبه التي تُكفَّر والكافر عمله يحبط فلا يكفّر عن سيئاته، كما يكفر عن سيئات المؤمن)(٩٣).

يقول الإمام الطبري: (قرأ عامة قراء المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة وهل يجازى بالياء وفتح الزاي على وجه ما لم يسم فاعله، إلا الكفور رفعاً.

وهل نجازي إلا الكفور بالنون وكسر الزاي ونصب الكفور. والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان مشهورتان في قراءة الأمصار متقاربتا المعنى فبأيهما قرأ القارئ فمصيب)(٩٤).

خامساً: الجمع بين القراءات:

حجة من قرأ: ﴿نُجَٰزِيٓ﴾ قوله سبحانه: ﴿جَزَيْنَٰهُم﴾ ومن قرأ (**يُجازى**)، فالمجازي: الله ﷻ وإن بني الفعل للمفعول به وهذا مثل قوله ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ [سبأ: ٢٣].

يتبيّن أن القراءات تفيد أن الله ﷻ عاقب هؤلاء الكفار، وجازاهم على كفرهم بالله، وجحدهم لنعمته، بأن حرمهم ما كانوا فيه من نعمة وجنان وذلك جزاء كفرهم، والله أعلم.

٩ - قال تعالى: ﴿فَقَالُوا۟ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾﴾ [سبأ: ١٩].

(٩٣) الحجة ص٢٩٤، الحجة للقراءات ج٦ ص ١٨.

(٩٤) الطبري ج٢٢ ص٥٧.

أولاً: القراءات:

﴿رَبَّنَا بَٰعِدْ﴾:

١ ـ قرأ يعقوب برفع الباء من **(رَبُّنَا)** وفتح العين والدال وألف قبل العين من **(بَاعَدَ)**.

٢ ـ وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وهشام بنصب الباء وكسر العين مشددة من غير ألف، مع إسكان الدال **(رَبَّنَا بَعِّدْ)**.

٣ ـ قرأ الباقون مثل ابن كثير إلا أنهم بالألف وتخفيف العين **(رَبَّنَا بَاعَدَ)**[٩٥].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«باعدَه» مباعدة، وبعاداً: أبعده وجانبه وجافاه.

وبين الشيئين: فرّق بينهما، وفي التنزيل العزيز: ﴿فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ و**(بَعَّدَه)**: أبعده[٩٦].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

يقول الصابوني في تفسير الآية الكريمة: (﴿فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ إخبارٌ بما قابلوا به النعم من الكفران أي: أنهم حين بطروا النعمة، وملوا العافية، وسئموا الراحة طلبوا من الله أن يباعد بين قراهم المتصلة ليمشوا في المفاوز ويتزودوا للأسفار، فعجّل الله إجابتهم بتخريب تلك القرى، وجعلها مفاوز قفاراً ﴿وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ أي: ظلموا أنفسهم بكفرهم وجحودهم النعمة ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ﴾ أي جعلناهم أخباراً تُروى للناس بعدهم ﴿وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ أي وفرقناهم في البلاد، وجعلنا في قصتهم عبراً وعظات لكل عبدٍ صابرٍ على البلاء، شاكرٍ في النعماء.

---

(٩٥) النشر ج٢ ص٣٥٠، والبدور الزاهرة، للقاضي ص٣٢٣.

(٩٦) المعجم الوسيط ص٦٣.

والمقصود من ذكر قصة سبأ تحذير الناس من كفران النعمة لئلا يحل بهم ما حل بمن قبلهم، ولهذا أصبحت قصتهم يضرب بها المثل فيقال: (ذهبوا أيدي سبأ)(٩٧).

يقول ابن أبي زمنين في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا بَٰعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا﴾. (أي: ملّوا النعمة كما ملّت بنو إسرائيل المن والسلوى وظلموا أنفسهم بشركهم فجعلناهم أحاديث لمن بعدهم ﴿وَمَزَّقۡنَٰهُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍۚ﴾ أي: بدون عظامهم وأوصالهم فأكلهم التراب)(٩٨).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

يقول الإمام ابن خالويه في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا بَٰعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا﴾: (يقرأ بتشديد العين وكسرها من غير ألف، وبالتخفيف وإثبات الألف بين الباء والعين.

فالحجة لمن شدّد: أنه أراد التكرير يعني بَعْد بُعْد وهو ضد القرب.

والحجة لمن أدخل الألف وخفف: أنه استجفى أن يأتي بالعين مشددة فأدخل الألف وخفف، كقوله تعالى: ﴿عَقَّدتُّمُ﴾ و**(عاقدتم)** وقد ذكرت علله هناك بأين من هذا، وهما في حالة التشديد والتخفيف عند الكوفيين مجزومان بلام مقدرة، حذفت مع حرف المضارعة، وعند البصريين مبنياً على معنى الطلب بلفظ الأمر على ما وجب للفعل في الأصل)(٩٩).

يقول الإمام مكي بن أبي طالب: (قوله تعالى: ﴿بَٰعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو وهشام بالتشديد من غير ألف، وقرأ الباقون بألف مخففاً، على وزن (فاعل)، والقراءتان بمعنى واحد، حكى سيبويه (ضاعف وضعّف) بمعنى واحد، فهو بمعنى التباعد)(١٠٠).

(٩٧) صفوة التفاسير، للصابوني ج٢ ص٥٥٢.
(٩٨) تفسير ابن أبي زمنين ج٢ ص٥٨.
(٩٩) الحجة ص٢٩٤.
(١٠٠) الكشف ج٢ ص٢٠٦ ـ ٢٠٧، وكتاب سيبويه ٢/٢٨٤، وتفسير النسفي ٣/٣٢٣.

يقول الدكتور محمد محيسن: قرأ يعقوب (رَبُّنَا) بضم الباء على الابتداء، وقرأ (بَاعَدَ) بألف بعد الباء، وفتح العين والدال، فعل ماضٍ والجملة خبر المبتدأ.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وهشام ﴿رَبَّنَا﴾ بالنصب على النداء وقرؤوا (بَعِّدْ) مضعف العين.

وقرأ الباقون ﴿رَبَّنَا﴾ بالنصب على النداء، و﴿بَاعِدْ﴾ بالألف وكسر العين مخففة، وسكون الدال، فعل طلب.

المعنى: طلب بعض (أهل سبأ) وهم أهل الثراء من الله تعالى أن يباعد بين أسفارهم، ويجعل الطريق بين (اليمن والشام) صحاري مقفرة، ليتطاولوا على الفقراء بركوب الرواحل، وحمل الزاد والماء في جمع حاشد من الحراب، وذلك ليتفاخروا بمظاهرهم على الفقراء(١٠١).

قال أبو علي: ذكر سيبويه فاعل وفعّل قد يجيئان بمعنى كقولهم: ضاعف وضعّف، فيجوز أن يكون باعد وبعَّد من ذلك، واللفظان جميعاً على معنى الطلب والدعاء.

والمعنى في الوجهين على أنهم كرهوا ما كانوا فيه من السعة والخصب وكفاية الكدح في المعيشة وهؤلاء ممن دخل في جملة قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾ [القصص: ٥٨](١٠٢).

خامساً: الجمع بين القراءات:

القراءة الأولى: (ربنا بَاعَدَ) على أن (رَبُّنَا) مبتدأ وجملة باعَدَ خبر المبتدأ، والمعنى أن الله باعد بين عمرانهم وأما قراءة ﴿رَبَّنَا بَاعِدْ﴾: تفيد الطلب من الله أن يباعد بين أسفارهم.

---

(١٠١) الهادي ص١٥٧ ـ ١٥٨.

(١٠٢) الحجة للقراء ج٦ ص١٩.

وبالجمع بين القراءات يتضح لنا أن هذه الآية الكريمة تخبرنا بما قابلوا به النعم من الكفران فبطروا النعمة وسئموا الراحة، وطلبوا من الله أن يباعد بين قراهم المتصلة فعجّل الله لهم إجابتهم بتخريب تلك القرى وجعلها مفاوز قفاراً، والله أعلم.

١٠ ـ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [سبأ: ٢٠].

أولاً: القراءات:

﴿صَدَّقَ عَلَيْهِمْ﴾

١ ـ قرأ الكوفيون (عاصم وحمزة والكسائي وخلف) بتشديد الدال ﴿صَدَّقَ﴾.

٢ ـ وقرأ الباقون بتخفيفها (**صدَق**) وضم هاء (**عَلَيْهُمْ**) حمزة ويعقوب(١٠٣).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«**صَدَقَ**» فلانٌ في الحديث صِدْقاً: أخبر بالواقع.

«**صدَّقه**» وصَدّق به. تصديقاً، وتصداقاً: اعترف بصدق قوله وحققه.

وفي التنزيل العزيز ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ﴾ [سبأ: ٢٠].

يقال صدّق على الأمر: أقرّه محدثه(١٠٤).

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

يقول الطاهر ابن عاشور في تفسير الآية الكريمة: «والمقصود تنبيه المؤمنين إلى مكائد الشيطان، وسوء عاقبة أتباعه ليحذروه ويستيقظوا لكيده فلا يقعوا في شرك وسوسته.

---

(١٠٣) النشر ج٢ ص٣٥٠، والبدور الزاهرة ص٣٢٣.

(١٠٤) المعجم الوسيط ص٥١٠.

فالمعنى: أن الشيطان سوّل للمشركين أو سوّل للمُمثَّل بهم حالُ المشركين الإشراك بالمنعم، وحسّن لهم ضد النعمة حتى تمنّوه وتوسم فيهم الانخداع له، فألقى إليهم وسوسته وكرّه إليهم نصائح الصالحين منهم فصدق توسُّمُه فيهم أنهم يأخذون بدعوته فقبلوها وأعرضوا عن خلافها فاتبعوه»(١٠٥).

يقول سيد قطب: «لقد سلك القوم هذا المسلك الذي انتهى إلى تلك النهاية، لأن إبليس صدق عليهم ظنه في قدرته على غوايتهم فأغواهم، ﴿فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ كما يقع عادة في الجماعات فلا تخلو من قلة مؤمنة تستعصي على الغواية وتثبت أن هناك حقاً ثابتاً يعرفه من طلبه، ويمكن لكل من أراد أن يجده أن يستمسك به حتى في أحلك الظروف»(١٠٦).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

اختلفوا في التشديد والتخفيف ﴿صَدَّقَ﴾، **(صدق).**

قال أبو علي: (معنى التخفيف: أنه صدق ظنّه الذي ظنه بهم من متابعتهم إياه إذا أغواهم، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾﴾ [لأعراف: ١٦].

فظنه هذا ينتصب انتصاب المفعول به، ويجوز أن ينتصب انتصاب الظرف، صدق عليهم إبليسُ في ظنه، ولا يكون متعدياً تَصَق إلى المفعول به.

ووجه من قال: ﴿صَدَّقَ﴾ بالتشديد أنه نصب على أنه مفعول به وعدّى ﴿صَدَّقَ﴾ إليه)(١٠٧).

---

(١٠٥) التحرير والتنوير ج٢٢ ص١٨٢.

(١٠٦) الظلال ج٢٢ ص٢٩٠٢.

(١٠٧) الحجة للقراء ج٦ ص٢٠ ـ ٢١.

يقول الإمام الطبري: (﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ﴾ بتشديد الدال من صدق بمعنى أنه قال ظناً منه، ولا تجد أكثرهم شاكرين، وقال فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين، ثم صدّق ظنه ذلك فيهم فتحقق ذلك بهم وباتباعهم إياه.

ولقد صَدَق بتخفيف الدال بمعنى ولقد صدق عليهم ظنه.

والصواب من القول في ذلك عندي أنهما قراءتان معروفتان متقاربتا المعنى)(١٠٨).

يقول الإمام ابن خالويه: «قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ﴾ [سبأ: ٢٠] يقرأ بتشديد الدال وتخفيفها، ومعناهما قريب وذلك أن إبليس لعنه الله قال: ﴿وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ [النساء: ١١٩] ظاناً لذلك، لا متيقناً فلما تابعه عليه من سبقت له الشقوة عند الله ـ ﷻ ـ صدّق ظنه عليهم»(١٠٩).

يقول الإمام مكي بن أبي طالب: «حجة من شدّد أنه عدّى ﴿صَدَّقَ﴾ إلى الظن فنصبه به على معنى: أن إبليس صدّق ظنه، فصار يقيناً حين اتبعه الكفار، وأطاعوه في الكفر، وقد كان ظنَّ ظنّاً لا يدري هل يصح، فلما اتبعوه صح ظنّه فيهم.

وحجة من خفّف أنه لم يعدّ **(صدق)** إلى مفعول، لكن نصب ﴿ظَنَّهُۥ﴾ على الظرف، أي صدّق في ظنه حين اتبعوه»(١١٠).

خامساً: الجمع بين القراءتين:

القراءة الأولى بالتخفيف **(صدق)** تفيد أن إبليس ـ لعنه الله ـ قد توسم بالمشركين اتباع دعوته وقد صدق هذا التوسم، أمّا القراءة الثانية بالتشديد

---

(١٠٨) الطبري ج٢٢ ص٦٠.

(١٠٩) الحجة ص٢٩٤.

(١١٠) الكشف ج٢ ص٢٠٧.

﴿صَدَّقَ﴾ فتفيد أن إبليس ـ لعنه الله ـ توسم بالمشركين اتباع دعوته وجدّ في الوسوسة حتى حقق هذا التوسم.

وبالجمع بين القرائتين يتبين أن إبليس ـ عليه لعنة الله ـ قد أوقع على المشركين ظنّه فصدق توسمه فيهم أنهم يأخذون بدعوته ولم يقتصر إبليس ـ لعنه الله ـ على مجرد التوسم والظن بالمشركين بل جدّ في الوسوسة حتى استهواهم فحقق ظنّه عليهم، والله أعلم.

١١ ـ قال تعالى: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾ [سبأ: ٢٣].

أولاً: القراءات:

أ) ﴿أَذِنَ لَهُۥ﴾:

١ ـ قرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي وخلف بضم الهمزة (**أُذِنَ لَهُ**).

٢ ـ قرأ الباقون بفحتها ﴿أَذِنَ﴾(١١١).

ب) ﴿إِذَا فُزِّعَ﴾:

١ ـ قرأ ابن عامر ويعقوب بفتح الفاء والزاي مشدد ﴿**فَزَّع**﴾.

٢ ـ قرأ الباقون بضم الفاء وكسر الزاي مشدد أيضاً ﴿فُزِّعَ﴾(١١٢).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

١ ـ أذن: «الإذان»: في الشرع: فكُ الحَجْر وإطلاق التصرف لمن كان ممنوعاً منه شرعاً، والإعلام بإجازة الشيء والرخصة فيه(١١٣).

---

(١١١) انظر النشر ج٢ ص٣٥٠، والبدور الزاهرة، للقاضي ص٣٢٣.

(١١٢) انظر المصدر السابق ص٣٥٧، والبدور الزاهرة للقاضي ص٣٢٣.

(١١٣) المعجم الوسيط ص١٢.

٢ ـ «فزع»: «فَزِعَ» فزعاً: خاف وذُعِرَ فهو فَزِعٌ.

«فُزِّع» عنه: كشف عنه الفزع وأزيل وفي التنزيل العزيز ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾.

«الفَزِعَ»: المغيثُ والمستغيثُ(١١٤).

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

يقول البيضاوي: (ولا تنفع الشفاعة عنده فلا تنفعهم شفاعة أيضاً كما يزعمون إذ لا تنفع الشفاعة عند الله إلا لمن أذن له، أذن أن يشفع أو أذن أن يُشفع له لعلو شأنه)(١١٥).

قال ابن كثير: (أي: أنه تعالى لعظمته وكبريائه وجلاله لا يجترئ أحدٌ أن يشفع عنده في شيء إلا بعد إذنه له في الشفاعة كقوله: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ وقوله: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾، وإنما كانت الشفاعة لسيد ولد آدم إظهار لمقامه الشريف فهو أكبر شفيع عند الله، وذلك حين يقوم المقام المحمود ليشفع في الخلق كلهم)(١١٦).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

يقول الإمام ابن خالويه: «قوله تعالى: ﴿إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ يقرأ بضم الهمزة دلالة على ما لم يسم فاعله، ونصبها إخباراً بالفعل عن الله عز وجل»(١١٧).

يقول الدكتور محمد محيسن: «اختلفت القراءة في ﴿أَذِنَ لَهُۥ﴾ من قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ: ٢٣].

فقرأ (أبو عمرو وحمزة والكسائي وخلف العاشر) (**أُذِنَ**) بضم الهمزة على البناء للمفعول و«له» نائب فاعل.

(١١٤) المصدر السابق ص٦٨٧.
(١١٥) تفسير البيضاوي ص٥٦٩.
(١١٦) مختصر ابن كثير ج٣ ص١٢٩.
(١١٧) الحجة ص٢٩٥.

وقرأ الباقون ﴿أَذِنَ﴾ بفتح الهمزة، على البناء للفاعل، والفاعل ضمير مستتر تقديره هو يعود على ﴿وَرَبُّكَ﴾ من قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ والجار والمجرور متعلقان بـ﴿أَذِنَ﴾(١١٨).

قال أبو علي: حجة من قال: ﴿أَذِنَ﴾ مبني الفعل للفاعل انه أسنده إلى ضمير اسم الله ـ تعالى ـ وقال: ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [النبأ: ٣٨].

ومن قال: (أُذِنَ) يبني الفعل للمفعول به فهو يريدُ ذا المعنى كما أن قوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾، و(فزّع) واحدٌ في المعنى، وإن اختلفت الألفاظ»(١١٩).

يقول الإمام مكي بن أبي طالب: «قرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي بضم الهمزة (أُذِنَ) بنوا الفعل للمفعول فقام المخفوض وهو «له» مقام الفاعل.

وقرأ الباقون بفتح الهمزة ﴿أَذِنَ﴾، بنوا الفعل للفاعل، وهو الله جلّ ذكره، كما قال: ﴿إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ﴾ [النجم: ٢٦]، والمعنى في القراءتين سواء، وفتح الهمزة أحبُّ إليّ لاجتماع الحرمين وعاصم على ذلك»(١٢٠).

يقول الدكتور محمد محيسن: «قرأ ابن عامر ويعقوب (فَزَّع) بفتح الفاء والزاي مع التشديد، على البناء للفاعل، والفاعل ضمير مستتر تقديره «ه» يعود على ﴿وَرَبُّكَ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ [سبأ: ٢١]، أي إذا أنزل الله الفزع عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم، قال بعضهم لبعض استبشاراً: ماذا قال ربكم في الشفاعة؟ قالوا: الحق، أي قد أذن في

(١١٨) الهادي ج٣ ص١٥٩.
(١١٩) الحجة للقراء ج٦ ص١٩.
(١٢٠) الكشف ج٢ ص٢٠٧.

الشفاعة، وقرأ الباقون ﴿فُزِّعَ﴾ بضم الفاء، وكسر الزاي مشددة، على البناء للمفعول، والجار والمجرور وهو: ﴿عَن قُلُوبِهِمْ﴾ نائب فاعل»[121].

خامساً: الجمع بين القراءات:

من قرأ (**أُذُن**) بضم الهمزة دلالة على البناء للمجهول ومن قرأ ﴿أَذِنَ﴾ بنصب الهمزة إخباراً بالفعل عن الله ﷻ.

وبالجمع بين القراءات أي: القراءة الأولى بفتح الهمزة على البناء للفاعل والقراءة الثانية بالضم على البناء للمفعول يتبيّن أن القراءتين بمعنى واحد، وإن اختلفت الألفاظ، فالآية الكريمة بيّنت أنه لما زال الفزع والخوف عن قلوب الشفعاء من الملائكة والأنبياء قال بعضهم لبعض: ماذا قال ربكم في أمر الشفاعة؟ فأجابوهم بقولهم: قالوا الحق أي أنه أذن بالشفاعة للمؤمنين، والله أعلم.

١٢ ـ قال تعالى: ﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [سبأ: ٣٧].

أولاً: القراءات:

١ ـ ﴿لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ﴾:

أ ـ روى رويس (**جَزاء**) بالنصب على الحال مع التنوين وكسره وصلاً ورفع الضعف بالابتداء.

ب ـ قرأ الباقون بالرفع من غير تنوين وخفض الضعف بالإضافة. ﴿لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ﴾.

٢ ـ ﴿ٱلْغُرُفَٰتِ﴾:

أ ـ قرأ حمزة في الغرْفة بإسكان الراء من غير ألف على التوحيد.

(١٢١) الهادي ص١٥٨ ـ ١٥٩.

ب ـ وقرأ الباقون بضم الراء مع الألف على الجمع[١٢٢].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

١ ـ «جزى» الشيءُ: جزاءً: كفى وأغنى.

«جازاه»: أثابه وعاقبه.

«الجزاء»: الجازية [١٢٣].

٢ ـ «الغُرْفَة»: ما غُرف من الماء وغيره باليد والجمع غِراف وغُرف وغرفات وفي التنزيل العزيز: «وهم في الغرفات آمنون»[١٢٤].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

تبيّن هذه الآية الكريمة أنه ليست أموالكم وأولادكم التي تفتخرون بها وتكاثرون هي التي تقربكم من الله قربى، وإنّما يقرب الإيمان والعمل الصالح قال الطبري: «الزلفى: القربى، ولا يعتبر الناس بكثرة المال والولد[١٢٥]، ولهذا قال تعالى بعده: ﴿إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ أي إلا المؤمن الصالح الذي ينفق ماله في سبيل الله، ويعلم ولده الخير ويربيه على الصلاح، فإن هذا الذي يقرّب من الله وتضاعف لهم حسناتهم، الحسنة بعشر أمثالها وبأكثر إلى سبعمائة ضعف «وهم في الغرفات آمنون» أي وهم في منازل الجنة آمنون من كل عذاب ومكروه»[١٢٦].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

يقول الدكتور محمد محيسن: «اختلف القراء في ﴿جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ﴾ من قوله تعالى﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ بِمَا عَمِلُواْ﴾ [سبأ: ٣٧] فقرأ (رويس)

(١٢٢) النشر ج٢ ص٣٥١.

(١٢٣) المعجم الوسيط ص١٢٢.

(١٢٤) المعجم الوسيط ص٦٥.

(١٢٥) تفسير الطبري ج٢٢ ص٦٨.

(١٢٦) صفوة التفاسير، للصابوني ج٢ ص٥٥٧.

(جزاء) بالنصب مع التنوين وكسره وصلاً للساكنين، والنصب على الحال من الضمير المستتر في الخبر المتقدم وهو: ﴿لَهُمْ﴾ وقرءوا ﴿ٱلضِّعْفِ﴾ بالجر على الإضافة.

المعنى: وما أموالكم ولا أولادكم أيها المعاندون بالتي تقربكم عند الله تعالى، لكن القربى من الله لمن آمن وعمل صالحاً، فأولئك يقربهم من الله تعالى إيمانهم وعملهم الصالح، ولهم عند الله جزاءٌ حسنٌ مضاعف، لأن الحسنة بعشر أمثالها، والله يضاعف لمن يشاء»(١٢٧).

يقول الإمام ابن خالويه: «قوله تعالى: ﴿وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ﴾ يقرأ بالتوحيد والجمع.

فالحجة لمن وحّد: أنه اجتزأ بالواحد عن الجمع كقوله تعالى: ﴿وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَآ﴾ [الحاقة: ١٧] يريد به الملائكة، والحجة لمن جمع قوله تعالى: ﴿لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ﴾ [الزمر: ٢٠] وكلٌ صواب اللفظ، قريب المعنى»(١٢٨).

قال أبو علي: «حجة حمزة في قراءته الغرفة قوله سبحانه ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟﴾ [الفرقان: ٧٥] فكما أن الغرفة يراد بها الجمع والكثرة كذلك قوله: ﴿وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾ [سبأ: ٣٧] يراد بها الكثرة واسم الجنس.

وحجة الجمع قوله: ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ﴾ [الزمر: ٢٠]، فكما أن الغرف جمعٌ، كذلك الغرفات ينبغي أن يكون جمعاً، فإن قلت: إن الغرفات قد تكون للقليل واسمُ الجنس للكثير واستغراق الجمع، فإن الجمع بالألف والتاء كقوله سبحانه ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥] فهذا لا يريد إلا الكثرة، لأن ما عداها لا يكون موضع افتخار(١٢٩).

(١٢٧) الهادي ج٣ ص١٦٠.

(١٢٨) الحجة ص٢٩٥.

(١٢٩) الحجة للقراء ج٦ ص٢٢.

ويقول الطاهر ابن عاشور: (قرأ الجمهور ﴿فِي ٱلْغُرُفَٰتِ﴾ بصيغة الجمع وقرأ حمزة ﴿فِي ٱلْغُرُفَٰتِ﴾ بالإفراد. والغرفات: جمع غُرفة، وهي البيت المعتلي وهو أجمل منظراً وأشمل مرأى، و﴿ءَامِنُونَ﴾ خبر ثان، يعني تلقي في نفوسهم الأمن من انقطاع ذلك النعيم)(١٣٠).

يقول الإمام مكي بن أبي طالب: (في قوله تعالى ﴿فِي ٱلْغُرُفَٰتِ﴾ قرأ حمزة (**في الغرفة**) بالتوحيد، لأنه يدل على الجمع، وهو اسم للجنس وهو أخف، وقد أجمعوا على التوحيد في قوله: ﴿يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ﴾ [الفرقان: ٧٥]، وقرأ الباقون بالجمع، لأن أصحاب الغرف جماعات كثيرة، فلهم غرف كثيرة، فالجمع أولى به في اللفظ والمعنى، وليكون اللفظ مطابقاً للمعنى، وهو الإختيار لأن الجماعة عليه)(١٣١).

يقول الدكتور محمد سالم محيسن: اختلف القراء في ﴿ٱلْغُرُفَٰتِ﴾ من قوله تعالى: ﴿وَهُمْ فِي ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾ [سبأ: ٣٧] فقرأ حمزة ﴿ٱلْغُرْفَةَ﴾ على التوحيد وهو اسم جنس يدل على الجمع، ومنه قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ﴾ [الفرقان: ٧٥]. وقرأ الباقون ﴿ٱلْغُرُفَٰتِ﴾ على الجمع، لأن أصحاب (الغرف) جماعات كثيرة، فلهم غرف كثيرة. وقد اتفق القرّاء العشرة على الوقف على ﴿ٱلْغُرُفَٰتِ﴾ التي في سبأ بالتاء، سواء من قرأ بالإفراد أو بالجمع(١٣٢).

خامساً: الجمع بين القراءات:

من قرأ ﴿ٱلْغُرْفَةَ﴾ على التوحيد فهو اسم جنس يدل على الجمع ومنه قوله تعالى ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ﴾ [الفرقان: ٧٥].

ومن قرأ ﴿ٱلْغُرُفَٰتِ﴾ على الجمع، لأن أصحاب (الغرف) جماعات كثيرة، فلهم غرف كثيرة.

---

(١٣٠) التحرير والتنوير ج٢٢ ص٢١٨.

(١٣١) الكشف ج٢ ص٢٠٨.

(١٣٢) الهادي ج٣ ص١٦٠.

يتبيّن ما أعده الله للمؤمن الصالح الذي ينفق ماله في سبيل الله ويربّي أولاده على الصلاح من منازل الجنة العالية، يأمنون من كل عذابٍ ومكروهٍ، فالله ﷻ ضاعف حسناتهم، الحسنة بعشر أمثالها وبأكثر إلى سبعمائة ضعف، والله أعلم.

١٣ ـ قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [سبأ: ٤٠].

أولاً: القراءات:

﴿يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ﴾

١ ـ قرأ حفص عن عاصم بياء الغائب فيها والضمير عائد إلى ربي.

٢ ـ قرأ الجمهور (**نحشرهم**) و(**نقول**) بنون العظمة[١٣٣].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«**حشرهم**»: حشراً: جمعهم وساقهم ويقال: حشرَ الله الخلق حشراً: بعثهم من مضاجعهم وساقهم.

«**الحشر**»: الاجتماع، واجتماع الخلق يوم القيامة[١٣٤].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

يقول الطبري: «يقول تعالى ذكره ويوم نحشر هؤلاء الكفار بالله جميعاً ثم نقول للملائكة أهؤلاء كانوا يعبدونكم من دوننا فتتبرأ منهم الملائكة قالوا سبحانك ربنا تنزيهاً لك وتبرئة مما أضاف إليه هؤلاء من الشركاء والأنداد»[١٣٥].

(١٣٣) انظر النشر ج٢ ص٢٥٧، والتحرير والتنوير ص٢٢٣.
(١٣٤) المعجم الوسيط ص١٧٥.
(١٣٥) جامع البيان في تفسير القرآن، للطبري ج٢٢ ص٦٩.

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قال أبو علي: «حجة الياء أن قبله: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ﴾ [سبأ: ٣٩] ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ﴾ [سبأ: ٤٠]، ووجه النون أنه انتقال من لفظ الإفراد إلى الجمع، كما أن قوله سبحانه: ﴿أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا ۝٢﴾ [الإسراء: ٢] انتقال من الجمع إلى الإفراد، والجمع ما نفهمه من قوله سبحانه: ﴿وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى﴾ [الإسراء: ٢](١٣٦).

يقول الطاهر ابن عاشور: «قرأ الجمهور **(نحشرهم)** و**(نقول)** بنون العظمة، وقرأ حفص عن عاصم بياء الغائب فيها، والضمير عائد إلى ﴿رَبِّي﴾ من قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ﴾»(١٣٧).

يقول الإمام الطبري: «في تفسير الآية ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون استفهام كقوله لعيسى أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله؟»(١٣٨).

خامساً: الجمع بين القراءات:

من قرأ بياء الغائب ﴿يَحْشُرُهُمْ﴾ و﴿يَقُولُ﴾ فلأن مثل هذه الآية قوله تعالى ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾ [سبأ: من الآية ٣٩] ومن قرأ بنون العظمة ﴿**نحشرهم**﴾ و**(نقول)** ففيه انتقال من الإفراد إلى الجمع، كما أن قوله سبحانه ﴿أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا﴾ [الإسراء: ٢] فيه انتقال من الجمع إلى الإفراد.

والآية الكريمة تبيّن أن هذا الكلام خطاب للملائكة وتقريع للكفار، وقد علم سبحانه أن الملائكة منزهون عما نُسب إليهم، والغرض من السؤال

---

(١٣٦) الحجة للقراء ج٦ ص٢٤ ـ ٢٥.

(١٣٧) التحرير والتنوير ج٢٢ ص٢٢٣.

(١٣٨) الطبري ج٢٢ ص٦٩.

والجواب أن يكون تقريع للمشركين أشد، وخجلهم أعظم، والله أعلم.

١٤ ـ قال تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٍ ۝٥٢﴾ [سبأ: ٥٢].

أولاً: القراءات:

﴿ٱلتَّنَاوُشُ﴾:

١ ـ قرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم وخلفٌ بالهمز في موقع الواو، قال الزجّاج: وهو من إبدال الواو المضمومة همزة، لقصد التخفيف في نطق الضمة.

٢ ـ وقرأ الباقون بالواو المحضة بعد الألف من غير مد[١٣٩].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«**تناوش**» القوم في القتال: تناول بعضهم بعضاً بالرماح ولم يتدانَوْا كل التداني، وفي التنزيل العزيز: ﴿وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٍ﴾.

«**نأش**» الشيء نأشاً: أخذه في بطش ـ باعده وأخّره[١٤٠].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

يقول سيد قطب: «الآن بعد فوات الأوان ﴿وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٍ﴾ وكيف يتناولون الإيمان من مكانهم هذا، ومكان الإيمان بعيد عنهم فقد كان ذلك في الدنيا فضيعوه»[١٤١].

وقال السدي: «هي التوبة، أي طلبوها وقد بَعُدت، لأنه إنما تقبل في الدنيا وقيل: التناوش التناول، قال ابن السِّكيت: يقال للرجل إذا تناول رجلاً ليأخذ برأسه ولحيته: ناشه ينوشه نَوْشاً.

(١٣٩) انظر النشر ج٢ ص٣٥١، والتحرير والتنوير ص٢٤١.
(١٤٠) المعجم الوسيط ص٨٩٥.
(١٤١) الظلال ج٢٢ ص٢٩١٦.

﴿وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٍ﴾ أي أنى لهم الإيمان في الآخرة، وقد كفروا في الدنيا»(١٤٢).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

يقول الدكتور محمد محيسن: «قرأ أبو عمرو وشعبة وحمزة والكسائي وخلف العاشر (**التناؤش**) بهمزة مضمومة بعد الألف، فيصير المد متصلاً، فكل يمد حسب مذهبه، وهو مشتق من نأش إذا طلب، فالمعنى وكيف يكون لهم تناول الإيمان من مكان بعيد وهو الآخرة»(١٤٣).

يقول الإمام مكي بن أبي طالب: «وحجة من همز أنه جعله مشتقاً من «**نأش**» إذا طلب، فالمعنى: وكيف لهم طلب الإيمان في الآخرة، وهو المكان البعيد، وذلك أنهم آمنوا في موضع لا ينتفعون بالإيمان فيه، ويجوز أن يكون مشتقاً من «ناش ينوش» إذا تناول، لكن لمّا أفقمت الواو أبدلوا منها همزة، فيكون المعنى: وكيف يكون لهم تناول الإيمان من مكان بعيد وهو الآخرة.

وحجة من لم يهمز أنه جعله مشتقاً من «ناش ينوش» إذا تناول على التفسير الذي ذكرنا، فتكون القراءتان بمعنى: إذا جعلت الهمزة بدلاً من الواو المضمومة»(١٤٤).

قال أبو علي: قوله تعالى: ﴿وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٍ﴾، كأنهم آمنوا حين لم ينتفعوا بالإيمان كما قال: ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا﴾ [الأنعام: ١٥٨] فكأن المعنى: كيف يتناولونه من بُعد وهم لم يتناولونه من قرب في حين الاختبار، والانتفاع بالإيمان؟

والتناوش: التناول من مُنشت تنوش.

فمن لم يهمز جعله فاعلاً من النوش الذي هو التناول، ومن همز

(١٤٢) القرطبي، ج١٤ ص٣١٦.
(١٤٣) الهادي ج٣ ص١٦١ - ١٦٢.
(١٤٤) الكشف ج٢ ص٢٠٨.

احتمل أمرين: أحدهما أن يكون من تنوشُ، إلا أنه أبدل من الواو الهمزة لانضمامها مثلُ أُقتت ونحو ذلك، والآخر أن يكون من النأش وهو الطلب[١٤٥].

يقول الإمام ابن خالويه: (قوله تعالى: ﴿ٱلتَّنَاوُشُ﴾ يقرأ بتحقيق الهمز وإبداله، فالحجة لمن همز: أنه أراد التباعد، والحجة لمن ترك الهمز: أنه أراد التناول[١٤٦].

خامساً: الجمع بين القراءات:

من قرأ **(التناؤش)** بالهمز أراد التباعد أي طلب الإيمان في الآخرة وهذا المكان البعيد.

ومن قرأ ﴿ٱلتَّنَاوُشُ﴾ أراد التناول.

والآية الكريمة تبيّن أن الكفار في الآخرة يتمنون العودة للدنيا لتناول الإيمان ولكن أنّى لهم ذلك، فقد ذهبت الدنيا، فصارت منهم بمكان بعيد هذا والله أعلم.



(١٤٥) الحجة للقراء ج٦ ص٢٣.

(١٤٦) الحجة ص٢٩٥.

المبحث الثالث
التعريف بسورة فاطر وبيان أهم الموضوعات فيها

أولاً: اسم السورة.

ثانياً: نوع السورة.

ثالثاً: عدد آيات السورة.

رابعاً: مناسبة السورة لما قبلها.

خامساً: هدف السورة وأغراضها.

سادساً: محور السورة.

سابعاً: مضمون السورة، وما اشتملت عليه.



المبحث الثالث
تعريف بسورة (فاطر) وبيان أهم الموضوعات فيها

أولاً: اسم السورة:

- **يقول ابن عاشور:** (سميت سورة «فاطر» في كثير من المصاحف في المشرق والمغرب وفي كثير من التفاسير، وسميت في صحيح البخاري وفي سنن الترمذي وفي كثير من المصاحف والتفاسير «سورة الملائكة».

ووجه تسميتها «سورة فاطر» أن هذا الوصف وقع في طالعة السورة ولم يقع في أول سورة أخرى ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ. . .﴾ [فاطر: ١]، ووجه تسميتها: «سورة الملائكة» أنه ذكر في أولها صفة الملائكة ولم يقع في سورة أخرى)(١٤٧).

- **يقول الصابوني:** (سميت «سورة فاطر» لذكر هذا الاسم الجليل، والنعت الجميل في طليعتها، لما في هذا الوصف من الدلالة على الإبداع والاختراع والإيجاد لا على مثال سابق، ولما فيه من التصوير الدقيق، المشير إلى عظمة ذي الجلال، وباهر قدرته وعجيب صنعه، فهو الذي خلق الملائكة وأبدع تكوينهم بهذا الخلق العجيب)(١٤٨).

(١٤٧) التحرير والتنوير، ج٢٢ ص٢٤٧، وتفسير القرآن الكريم، لعبدالله شحاتة ج٢٢ ص٤٤١٦.

(١٤٨) صفوة التفاسير، للصابوني ج٢٢ ص٥٦٣ ـ ٥٦٤.

ثانياً: نوع السورة:

ـ سورة فاطر مكية نزلت بعد الفرقان، وقد نزلت سورة فاطر فيما بين الهجرة إلى الحبشة والإسراء(١٤٩).

ـ **قال الألوسي** في تقديمه لسورة فاطر: (هي مكية كما روي عن ابن عباس وقتادة وغيرهما وفي مجمع البيان قال الحسن: هي مكية إلا آيتين ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾﴾ [فاطر: ٢٩].

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾﴾ [فاطر: ٣٢](١٥٠).

ثالثاً: عدد آيات السورة:

هذه السورة هي الثالثة والأربعون في ترتيب نزول سور القرآن، نزلت بعد سورة الفرقان وقبل سورة مريم.

وقد عدت آياتها في عدّ أهل المدينة والشام ستاً وأربعين، وفي عدّ أهل مكة والكوفة خمساً وأربعين(١٥١).

رابعاً: مناسبة السورة لما قبلها:

ـ **يقول البقاعي**: «لما أثبت سبحانه في التي قبلها (سبأ) الحشر الذي هو الإيجاد الثاني، ودل عليه بجزئيات من القدرة على أشياء في الكون إلى أن ختم بأخذ الكفار أخذاً اضطرهم إلى الإيمان بظهور الحمد لهم أتم ظهور، وبالحيلولة بينهم وبين جميع ما يشتهون كما كانوا متعوا في الدنيا بأغلب ما يشتهون من كثرة الأموال والأولاد، وما مع ذلك من الراحة من

---

(١٤٩) تفسير القرآن الكريم، د.عبد الله شحاتة ج٢٢ ص٤٤١٦.
(١٥٠) روح المعاني، للألوسي ج٢٢ ص١.
(١٥١) التحرير والتنوير ج٢٢ ص٢٤٧.

أكثر الأنكاد، وكأن الحمد يكون بالمنع والإعدام كما يكون بالإعطاء والإنعام»[١٥٢].

- **يقول سعيد حوّى**: «إن التلاحم بين سورتي سبأ وفاطر قائم فالسورتان مترابطتا المعنى، وإذا كانت سورة سبأ قد فصّلت وبيّنت استحقاق الله ﷻ للشكر، فإن سورة فاطر فصّلت وحددت طريق الشكر العملي»[١٥٣].

خامساً: هدف السورة وأغراضها:

يقول سيد قطب: «السورة وحدة متماسكة متوالية الحلقات متتالية الإيقاعات، والسمة البارزة الملحوظة في هذه الإيقاعات هي تجميع الخيوط كلها في يد القدرة المبدعة، وإظهار هذه اليد تحرك الخيوط كلها وتجمعها وتقبضها وتبسطها وتشدها وترضيها، بلا معقب ولا شريك ولا ظهير»[١٥٤].

يقول الطاهر ابن عاشور: «اشتملت هذه السورة على إثبات تفرد الله تعالى بالألوهية، فافتتحت بما يدل على أنه مستحق الحمد على ما أبدع من الكائنات الدال إبداعها على تفرده تعالى بالألوهية. وعلى إثبات صدق الرسول - ﷺ - فيما جاء به وأنه جاء به الرسل من قبله وإثبات البعث والدار الآخرة»[١٥٥].

سادساً: محور السورة:

تسير السورة في الغرض العام الذي نزلت به معظم الآيات المكية، والتي يرجع أغلبها إلى المقصد الأول من رسالة كل رسول، وهو قضايا العقيدة والدعوة إلى توحيد الله وإقامة البراهين على وجوده، وهدم قواعد الشرك والحث على تطهير القلوب من الرذائل والتحلي بمكارم الأخلاق[١٥٦].

---

(١٥٢) نظم الدرر المجلد السادس ص١٤٤.

(١٥٣) الأساس في التفسير، لسعيد حوى المجلد الثامن ص٤٥٦٠.

(١٥٤) الظلال ج٢٢ ص٢٩١٩.

(١٥٥) التحرير والتنوير ج٢٢ ص٢٤٧.

(١٥٦) صفوة التفاسير، للصابوني ج٢٢ ص٥٦٣.

سابعاً: مضمون السورة وما اشتملت عليه:

١ ـ الأدلة على قدرة الله بإبداعه للكون وأنه المنعم المتفضل.

٢ ـ تذكير الناس بالنعم ليشكروها.

٣ ـ تثبيت فؤاد الرسول ـ ﷺ ـ بذكر تكذيب السابقين للمرسلين.

٤ ـ بيان اختلاف ألوان الجبال والناس والدواب والأنعام.

٥ ـ تقسيم المؤمنين من حيث العمل إلى ثلاثة أقسام.

٦ ـ جزاء المؤمنين بألوان النعيم في الجنة، وجزاء الكافرين بألوان العذاب في النار.

٧ ـ مناقشات متعددة للمشركين ولفت أنظارهم إلى مظاهر القدرة في السابق واللاحق[١٥٧].



(١٥٧) تفسير القرآن الكريم، د. عبد الله شحاتة ج٢٢ ص٤٤٦٠.

المبحث الرابع
عرض لآيات سورة (فاطر)
المتضمنة للقراءات القرآنية العشر وتفسيرها

١ ـ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ٣﴾ [فاطر: ٣].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ أبو جعفر وحمزة والكسائي بخفض الراء (غيرِ).

٢ ـ قرأ الباقون بالرفع ﴿غَيۡرُ﴾(١٥٨).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(غيرُ) يكون اسماً بمعنى إلا، نقول جاء القوم غير محمد، معناه إلا محمداً. ويعرب حينئذٍ إعراب الاسم الواقع بعد إلا، فهو هنا منصوب على الاستثناء، ويكون اسماً بمعنى سوى نحو مررت بغيرك، أي سواك وبمعنى ليس نحو كلامك غيرُ مفهوم: أي ليس بمفهوم(١٥٩).

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

ـ **يقول الإمام الطبري**: في تفسير هذه الآية الكريمة: «يقول تعالى ذكره للمشركين به من قوم رسول الله ـ ﷺ ـ من قريش، يا أيها الناس

(١٥٨) انظر النشر ج٢ ص٣٥١، والبدور الزاهرة ٣٢٦.

(١٥٩) المعجم الوسيط ص٦٦٨.

اذكروا نعمة الله عليكم بفتحه لكم من خيراته ما فتح، وبسطه لكم من العيش ما بسط وفكروا فانظروا هل من خالق سوى فاطر السموات والأرض الذي بيده مفاتيح أرزاقكم ومغالقها يرزقكم من السماء والأرض فتعبدون دونه لا إله إلا هو»(١٦٠).

- **يقول الزمخشري**: «ليس المراد بذكر النعمة ذكرها باللسان فقط، ولكن المراد حفظها من الكفران، وشكرها بمعرفة حقها، والاعتراف بها، وإطاعة موليها، ومنه قول الرجل لمن أنعم عليه: اذكر أياديّ عندك، «هل من خالق» استفهام إنكاري بمعنى النفي أي لا خالق غيره - تعالى»(١٦١).

يقول سيد طنطاوي في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ...﴾: «المراد فيه ذكر النعمة: ذكرها باللسان والقلب، وشكر الله - تعالى - عليها، واستعمالها فيما خلقت له. والمراد بالنعمة هنا: النعم الكثيرة التي أنعم بها - سبحانه - على الناس كنعمة خلقهم، ورزقهم، وتسخير كثير من الكائنات لهم»(١٦٢).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

يقول الدكتور محمد محيسن: (قرأ أبو جعفر وحمزة والكسائي وخلف العاشر (**غيرِ**) بالجر، نعتاً لـ ﴿خَٰلِقٍ﴾ على اللفظ، لأن ﴿هَلۡ﴾ حرف استفهام، و﴿مِنۡ﴾ حرف جر زائد و﴿خَٰلِقٍ﴾ مبتدأ، والخبر جملة ﴿يَرۡزُقُكُم﴾. وقرأ الباقون ﴿غَيۡرُ﴾ بالرفع صفة لـ ﴿خَٰلِقٍ﴾ على المحل، و﴿مِنۡ﴾ زائدة للتأكيد وخالق مبتدأ والخبر جملة ﴿يَرۡزُقُكُم﴾(١٦٣).

يقول الإمام مكي بن أبي طالب: (قوله: ﴿غَيۡرُ ٱللَّهِ﴾ قرأ حمزة والكسائي بخفض «**غير**» جعلاه نعتاً لـ﴿خَٰلِقٍ﴾ على اللفظ، و«**يرزقكم**» خبر

---

(١٦٠) القرطبي ج٢٢ ص٧٧.
(١٦١) الكشاف ج٣ ص٤٧١.
(١٦٢)1الوسيط، لسيد طنطاوي ج١ ص٣٤٩٦.
(١٦٣) الهادي ج٣ ص١٦٣.

الابتداء، وهو «**خالق**» لأن «من» زائدة، دخلت على الابتداء للتأكيد والعموم، ويجوز أن يكون الخبر محذوفاً، أي هل خالق رازق غير الله موجود.

وقرأ الباقون برفع «**غير**» جعلوه نعتاً لـ «**خالق**»، على الموضع لأن «**من**» زائدة، والتقدير: هل خالق غير الله، ويكون الخبر «**يرزقكم**» أو يكون محذوفاً، أي: هل خالق غير الله موجود، ويجوز أن ترفع «**غير**» على أنه خبر الخالق، لأن «**خالقاً**» مبتدأ والقراءتان بمعنى واحد)[١٦٤].

يقول الإمام ابن خالويه: (قوله تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ يقرأ بالرفع والخفض فالحجة لمن رفع: أنه أراد: هل غير الله من خالق أو يجعله نعتاً لخالق قبل دخول (مِنْ) أو يجعل «هل» بمعنى «ما» و«**غير**» بمعنى «إلاّ» كقوله: ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩][١٦٥] والحجة لمن خفض أنه جعله نعتاً لخالق، أراد: ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم﴾ [فاطر: ٣].

قال أبو علي: (من قال: (**غيرِ**) جعله صفة على اللفظ، وذلك حسن لإتباعه الجرّ بالجرّ، فأما الخبر على قولهما فيجوز أن يكون: ﴿يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [فاطر: ٣] ويرزقكم في موضع رفع على أنه الخبر.

ومن قال: «هل من خالقٍ غيرُ الله» احتمل الرفعُ غير وجهٍ، يجوز أن يكون خبر المبتدأ، وارتفاع غير بأنه خبر المبتدأ ويجوز أن يكون صفة على الموضع، والخبر مضمر تقديره: هل من خالق غير الله في الوجود أو العالم؟ ويجوز أن يكون غيرُ استثناء، والخبر مضمرٌ كأنه: هل من خالق إلا الله، والخبر مضمرٌ قبل كقولك: ما خالق إلا الله، وموضع الجار المجرور رفع الابتداء وزيادة هذا الحرف في غير الإيجاب كثيرٌ نحو: هل من رجل؟

---

(١٦٤) الكشف ج٢ ص٢١٠.

(١٦٥) الحجة ص٢٩٦.

﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٦٢](١٦٦).

يقول الإمام القرطبي: (يجوز في «غير» الرفع والنصب والخفض، فالرفع من وجهين:

أحدهما: بمعنى هل من خالق إلا الله، بمعنى ما خالق إلا الله.

والثاني: أن يكون نعتاً على الموضع، لأن المعنى: هل من خالق غير الله، و«من» زائدة والنصب على الاستثناء، والخفض على اللفظ)(١٦٧).

خامساً: الجمع بين القراءات:

من قرأ (**غير**) بالجر فهي نعت لـ (**خالق**) ومن قرأ ﴿غَيْرُ﴾ بالرفع فعلى أنه صفة لـ ﴿خَٰلِقٍ﴾ على المحل والآية الكريمة تبيّن أن الله ﷻ يذكر الناس بنعمه عليهم ويرشدهم إلى الاستدلال على توحيده، بوجوب إفراد العبادة له فكما أنه المستقل بالخلق والرزق، فكذلك يجب أن يُفرد بالعبادة، ولا يشرك به غيره من الأصنام والأوثان، والله أعلم.

٢ ـ قوله تعالى: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ۝٤﴾ [فاطر: ٤].

أولاً: القراءات:

﴿تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ۝٤﴾

١ ـ قرأ ابن عامر الشامي وحمزة والكسائي ويعقوب وخلف بفتح التاء وكسر الجيم.

٢ ـ قرأ الباقون بضم التاء وفتح الجيم(١٦٨).

(١٦٦) الحجة للقراء ج٦ ص٢٦ ـ ٢٧.
(١٦٧) القرطبي ج ١٤ ص٣٢٣.
(١٦٨) البدور الزاهرة ص٣٢٦.

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

الرَّجْع: هو الرد والانصراف.

ويقال رجع هو: ارتد وانصرف.

المَرْجِع: الرجوع، وفي التنزيل العزيز ﴿إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾(١٦٩).

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

يقول ابن جزي في قوله تعالى: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ﴾ (الآية فيها تسلية للنبي - ﷺ - على تكذيب قومه كأنه يقول إن يكذبوك فلا تحزن لذلك فإن الله سينصرك عليهم، كما كذبت رسلٌ من قبلك فنصرهم الله)(١٧٠).

يقول سيد قطب: (تلك هي الحقائق الكبرى واضحة وبارزة، فإن يكذبوك فلا عليك من التكذيب، فلست بدعاً من الرسل، ﴿فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ والأمر كله لله، وإليه ترجع الأمور، وما التبليغ والتكذيب إلا وسائل وأسباب، والعواقب متروكة لله وحده يدبر أمرها كيف يريد)(١٧١).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

يقول القرطبي - رحمه الله -: (قرأ الحسن والأعرج ويعقوب وابن عامر وأبو حيوه وابن مُحيْصن وحميد والأعمش وحمزة ويحيى والكسائي وخلف (بفتح التاء) على أنه مسمى الفاعل واختاره أبو عبيد لقوله تعالى: ﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾ [الشورى: ١٥٣] وقرأ الباقون ﴿تُرْجَعُ﴾ بضم التاء على الفعل للمجهول وهي أيضاً قراءة حسنة ودليله: ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ﴾ [التوبة: ٩٤](١٧٢).

يقول الألوسي: - رحمه الله - في قوله تعالى: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ [لا

(١٦٩) المعجم الوسيط ص٣٣١.
(١٧٠) التسهيل لعلوم التنزيل، ج١ ص١٦٢٢.
(١٧١) الظلال ج٢٢ ص٢٩٢٦.
(١٧٢) القرطبي ج١٤ ص٣٢٣.

إلى غيره - ﷻ - فيجازي سبحانه كلاً منك ومنهم بما يليق به، وفي الاقتصار على ذكر اختصاص المرجع به تعالى مع إبهام الجزاء ثواباً وعقاباً من المبالغة في الوعيد ما لا يخفى وقرئ (ترجع) بفتح التاء من الرجوع والأول أدخل في التهويل(١٧٣).

خامساً: الجمع بين القراءتين:

من قرأ ﴿ترجع﴾ بفتح التاء على أنه مسمى الفاعل. ومن قرأ ﴿تُرْجَعُ﴾ بضم التاء على بناء الفعل للمجهول. والآية الكريمة تبيّن وعيد الله ﷻ للكفار بأنه سيجزيهم على تكذيبهم للرسول بأوفر الجزاء في الآخرة نتيجة تكذيبهم، والله أعلم.

٣ - قوله تعالى: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾﴾ [فاطر: ٨].

أولاً: القراءات:

﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ﴾

١ - قرأ أبو جعفر بضم التاء وكسر الهاء ونصب السين من (**نفسك**).

٢ - قرأ الباقون بفتح التاء والهاء ورفع السين من ﴿نَفْسُكَ﴾(١٧٤).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

ذهب: ذهاباً وذهوباً ومذهباً: مرَّ ومضى.

يقال: ذهب الأثر: زال وانمحى.

(**أَذْهَبَهُ**): أزاله، وفي التنزيل العزيز: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾(١٧٥).

---

(١٧٣) روح المعاني ج٢٢ ص١٦٨.

(١٧٤) النشر ج٢ ص ٣٥١، والبدور الزاهرة ص٣٢٦.

(١٧٥) المعجم الوسيط ص٣١٧.

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

يقول الطبري - رَحِمَهُ ٱللَّهُ -: (﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ﴾ أي لا يحزنك ذلك عليهم، فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء)(١٧٦).

يقول الصابوني - رَحِمَهُ ٱللَّهُ -: (﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾ الاستفهام للإنكار وجوابه محذوف، والتقدير أفمن زين له الشيطان عمله السيئ حتى رآه حسناً(١٧٧). واستحسن ما هو عليه من الكفر والضلال، كمن استقبحه واختار طريق الإيمان؟. فالكل بمشيئة الله فهو - تعالى - الذي يصرف من يشاء عن طريق الهدى ويهدي من يشاء بتوفيقه للعمل الصالح والإيمان، فلا تغتم يا محمد ولا تُهلك نفسك حسرةً على تركهم الإيمان، فالله هو العالم بما يصنع هؤلاء من القبائح وسيجازيهم عليها)(١٧٨).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

يقول الدكتور محمد محيسن: (قرأ أبو جعفر (**تُذهب**) بضم التاء وكسر الهاء معدّى بالهمزة، والفاعل ضمير مستتر تقديره «أنت» والمراد به نبينا محمد - ﷺ - المشار له في قوله تعالى: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ (فاطر٤)، وقرأ (**نَفسك**) بالنصب مفعول به. وقرأ الباقون ﴿تَذْهَبْ﴾ بفتح التاء والهاء، مضارع «ذهب» الثلاثي وقرأوا ﴿نَفْسُكَ﴾ بالرفع فاعل)(١٧٩).

يقول الإمام الطبري: «اختلفت القراء في قراءة قوله تعالى: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ﴾ فقرأته قراء الأمصار سوى أبو جعفر المدني «فلا تذهب نفسك» بفتح التاء من تذهب بنصبها بمعنى لا تذهب أنت يا محمد نفسك.

والصواب من القراءة في ذلك عندنا ما عليه قراء الأمصار لإجماع

(١٧٦) الطبري ج٣ ص٤٧٤.

(١٧٧) صفوة التفاسير، للصابوني ج٢٢ ص٥٦٧.

(١٧٨) الطبري ج٢٢ ص٧٩.

(١٧٩) الهادي ج٣ ص١٦٤.

الحجة من القراء عليه»[١٨٠].

يقول القرطبي - رحمه الله -: «قرأ أبو جعفر وشيبة وابن مُحيْصن: (**فلا تُذهب**) بضم التاء وكسر الهاء (**نفسَك**) نصباً على المفعول، وقرأ الباقون بفتح التاء والهاء والمعنيان متقاربان»[١٨١].

يقول الألوسي: «قرأ أبو جعفر وقتادة وعيسى والأشهب وشيبة وأبو حيوه، وحميد والأعمش وابن محيصن (**تذهب**) من أذهب سنداً إلى ضمير المخاطب (**نفسك**) بالنصب على المفعول به»[١٨٢].

خامساً: الجمع بين القراءات:

من قرأ (**تُذهِب نفسَك**) الفاعل ضمير مستتر تقديره «أنت» والمراد به نبينا محمد - ﷺ - المشار له بقوله تعالى ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ [فاطر: ٤].

ومن قرأ ﴿تَذْهَبْ﴾ بفتح التاء والهاء، مضارع «ذهب» و«نفسُك» فاعل والآية الكريمة تخاطب سيدنا محمداً - ﷺ - فتقول له: لا تأسف على هؤلاء الكفار فإن الله حكيم في قدره إنما يضل من يضل ويهدي من يهدي، لما له في ذلك من الحجة البالغة والعلم التام، والله أعلم.

٤ - قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴿٩﴾﴾ [فاطر: ٩].

أولاً: القراءات:

في ﴿ٱلرِّيَٰحَ﴾، ﴿مَّيِّتٍ﴾

١ - قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي وخلف بالإفراد ﴿**الريح**﴾.

٢ - قرأ الباقون بالجمع ﴿ٱلرِّيَٰحَ﴾.

---

(١٨٠) الطبري ج٢٢ ص٧٩.

(١٨١) القرطبي ج١٤ ص٣٢٦.

(١٨٢) تفسير الألوسي ج٢٢ ص١٧١.

٣ ـ قرأ نافع وأبو جعفر وحفص وحمزة والكسائي وخلف بالتشديد ﴿مَيِّتٍ﴾.

٤ ـ قرأ الباقون بالتخفيف (مَيْت) بالتخفيف[١٨٣].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

الرِّيحُ: الهواء إذا تحرك والجمع رياح. ذهبت ريحه: أي قوته. الريح لآل فلان: النصر والغلبة. هبَّت ريحه: جرى أمره على ما يريد.

كلمة «**ميت**»، الموت: ضد الحياة، ويطلق **الموت** ويراد به ما يقابل العقل والإيمان، «أفمن كان ميْتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس»، الميت: الذي فارق الحياة[١٨٤].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

يقول الصابوني ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: (الله ـ تعالى ـ بقدرته هو الذي أرسل الرياح مبشرة بنزول المطر، فحركت السحاب وأهاجته، والتعبير بالمضارع عن الماضي ﴿فَتُثِيرُ﴾ لاستحضار تلك الصورة البديعة الدالة على كمال القدرة والحكمة[١٨٥].

فسقنا السحاب الذي يحمل الغيث إلى بلدٍ مجدب قاحل، فأحيينا به الأرض بعد جدبها ويبسها، كذلك يحيى الله الموتى من قبورهم)[١٨٦].

يقول الطبري ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: (الله الذي أرسل الرياح فتثير سحاباً للحيا والغيث فسقناه إلى بلد ميت، أي: فسقناه إلى بلدٍ مجدب الأهل محل الأرض وأثر لا نبت فيه ولا زرع، فأحيينا به الأرض بعد موتها يقول فأخصبنا بغيث ذلك السحاب الأرض التي سقناه إليها بعد جدوبها وأنبتنا فيها الزرع بعد المحل، كذلك النشور، أي: هكذا ينشر الله الموتى بعد بلائهم

(١٨٣) البدور الزاهرة، للقاضي ص٣٢٦، وانظر النشر ج٢ ص٢٢٣.
(١٨٤) المعجم الوسيط ص٣٨١ ـ ٨٩١.
(١٨٥) انظر أبو السعود ج٣ ص٢٣٩.
(١٨٦) انظر صفوة التفاسير، للصابوني ج٢٢ ص٥٦٧.

في قبورهم فيحييهم بعد فنائهم كما أحيينا هذه الأرض بالغيث بعد مماتها)(١٨٧).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

يقول الإمام القرطبي - رَحِمَهُ ٱللَّهُ -: (قرأ حمزة والكسائي وابن كثير ﴿**الريح**﴾ على الإفراد، وقرأ الباقون بالجمع، فمن وحّد الريح فلأنه اسمٌ للجنس يدل على القليل والكثير، ومن جمع فلاختلاف الجهات التي تهب منها الرياح، ومن جمع مع الرحمة ووحد مع العذاب فإن فعل ذلك اعتباراً للأغلب في القرآن نحو ﴿ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ﴾ و﴿الريح ٱلْعَقِيمَ﴾، فجاءت في القرآن مجموعة مع الرحمة مفردة مع العذاب إلا في يونس في قوله ﴿وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾، وروي أن رسول الله - ﷺ - كان يقول إذا هبت الريح: «اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً»)(١٨٨).

خامساً: الجمع بين القراءات:

من وحّد ﴿**الريح**﴾ فلأنه اسم للجنس يدل على القليل والكثير، ومن جمع فلاختلاف الجهات التي تهب منها الرياح، فالقراءتان متقاربتا المعنى، فالله - عَزَّ وَجَلَّ - يرسل الرياح مبشرات بالمطر لتحي الأرض بعد موتها، وكذلك يحي الله الموتى من قبورهم، والله أعلم.

٥ - قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾﴾ [فاطر: ١١].

أولاً: القراءات:

١ - قرأ يعقوب بفتح الياء التحتية وضم القاف (**يَنقُص**).

٢ - قرأ الباقون بضم الياء وفتح القاف ﴿يُنقَصُ﴾(١٨٩).

---

(١٨٧) الطبري ج٢٢ ص٧٩.

(١٨٨) مسند الشافعي ج١ ص٨١.

(١٨٩) انظر النشر ج٢ ص٣٥٢، والبدور الزاهرة، للقاضي ص٣٢٦.

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(نقص) الشيء: نقصاً ونقصاناً: خسَّ وقلَّ، ويقال: نقص عقله أو دينه: ضعف.

تنقَّص الشيء: أخذ منه قليلاً قليلاً[١٩٠].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

يقول البيضاوي: (والله خلقكم من تراب بخلق آدم منه ثم من نطفة بخلق ذريته منها ثم جعلكم أزواجاً ذكراناً وإناثاً وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه إلا معلومة له وما يعمر من معمر وما يمد في عمره من مصير إلى الكبر ولا ينقص من عمره إلا مثبت في اللوح، وقيل المراد بالنقصان من ما يمر من عمره وينقص فإنه يكتب في صحيفة عمره يوماً فيوماً، ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٍ﴾ هو علم الله أو اللوح أو الصحيفة إشارة إلى الحفظ أو الزيادة والنقصان)[١٩١].

يقول النيسابوري في قوله تعالى: ﴿وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ﴾: (قال سعيد بن جبير: مكتوب في أول الكتاب عمره كذا وكذا سنة، ويكتب أسفل من ذلك ذهب يوم ذهب يومان ذهب ثلاثة أيام حتى ينقطع عمره)[١٩٢].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

يقول الدكتور محمد محيسن: (قرأ «روح، ورويس» بخُلفٍ عنه ﴿يَنقُصُ﴾ بفتح الياء وضم القاف مبنياً للفاعل، والفاعل يفهم من المقام، تقديره «أيّ شيء ما».

وقرأ الباقون ﴿يُنقَصُ﴾ بضم الياء، وفتح القاف، مبنياً للفاعل، وهو

(١٩٠) المعجم الوسيط ص٩٤٦.

(١٩١) البيضاوي ص٥٧٦.

(١٩٢) الكشف والبيان، للنيسابوري ج٨ ص١٠٢.

الوجه الثاني لـ«رويس» والجار والمجرور، وهو ﴿مِنْ عُمُرِهِۦٓ﴾ نائب فاعل)[١٩٣].

يقول القرطبي - رَحِمَهُ اللَّهُ -: (قراءة العامة ﴿يُنقَصُ﴾ بضم الياء وفتح القاف، وقرأت فرقة منهم يعقوب «يَنقُص» بفتح الياء وضم القاف، أي لا ينقص من عمره شيء. ويقال نقص الشيء بنفسه ونقصه غيرُه، وزاد بنفسه وزاده غيره، متعدٍ ولازم[١٩٤].

وقرأ الحسن وابن سيرين وعيسى «ولا يَنقُص» بالبناء للفاعل، وفاعله ضمير المعمر ﴿إِلَّا فِى كِتَٰبٍ﴾ قال ابن عباس هو اللوح المحفوظ)[١٩٥].

خامساً: الجمع بين القراءات:

من قرأ (**يَنقُص**) بفتح الياء وضم القاف فقد جعل الفاعل مقدر تقديره (أيُّ شيء)، ومن قرأ ﴿يُنقَصُ﴾ بضم الياء وفتح القاف فقد جعل بناه للمجهول ونائب الفاعل هو (من عمره)، والقراءتان تفيدان أن أجل الإنسان مكتوبٌ في اللوح المحفوظ وأن الله - عَزَّ وَجَلَّ - قدّر لكل إنسان حياته وهو نطفة في رحم أمه، فمن قُضي له أن يعمر حتى يدركه الكبر أو يعمر أنقص من ذلك فكل بالغ أجله الذي قد قضي له، والله أعلم.

٦ - قوله تعالى: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾﴾ [فاطر: ٣٣].

أولاً: القراءات:

أ - ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾

١ - قرأ أبو عمرو (**يُدخَلونها**) بضم الياء وفتح الخاء.

---

(١٩٣) الهادي ج٣ ص١٦٤.

(١٩٤) القرطبي ج٣ ص٣٣٤.

(١٩٥) روح المعاني ج٢٢ ص١٧٨.

٢ ـ قرأ الباقون بفتح الياء وضم الخاء ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾[١٩٦].

ب ـ ﴿وَلُؤْلُؤًا﴾

١ ـ قرأ عاصم ونافع وأبو جعفر بالنصب ووافقهم يعقوب ﴿وَلُؤْلُؤًا﴾.

٢ ـ قرأ الباقون بالخفض (لؤلؤٍ)[١٩٧].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

١ ـ **(دخل)** المكان ونحوه، وفيه. دخولاً: صار داخله و(مَدْخلاً) بفتح الميم ويقال: دخل الدار، وأصله دخل في الدار، فلما حُذف حرف الجر انتصب انتصاب المفعول به[١٩٨].

٢ ـ **(اللؤلؤ)** الدُّر، وهو يتكون من الأصداف من رواسب أو جوامد صلبة لمّاعة مستديرة في بعض الحيوانات المائية من الرَّخْويات.

واحدته: لؤلؤه، والجمع لآليء[١٩٩].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

يقول الصابوني في تفسير هذه الآية الكريمة: (أخبر الله سبحانه وتعالى عما أعده للمؤمنين من جناتٍ ينعمون فيها بأنواع النعيم، وهي مراتب ودرجات حسب تفاوت الأعمال، فيه جنات كثيرة وليست واحدة، فهناك جنة الفردوس وجنة عدن وجنة النعيم وجنة المأوى، وجنة الخلد، وجنة السلام، وجنة عليين، وفي كل جنة مراتب ونزلٌ بحسب مراتب العاملين، ويزينون في الجنة بأساور من ذهب مرصَّعة باللؤلؤ وجميع ما يلبسونه في الجنة من الحرير)[٢٠٠].

---

(١٩٦) النشر ج٢ ص٢٥٢.

(١٩٧) النشر ج٢ ص٣٢٦.

(١٩٨) مختار الصحاح ص٢٠٠.

(١٩٩) المعجم الوسيط ص٨١٠.

(٢٠٠) صفوة التفاسير، للصابوني ج٢٢ ص٥٧٧.

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

يقول الإمام ابن خالويه: (قوله تعالى: ﴿يَدۡخُلُونَهَا﴾ يقرأ بفتح الياء وضم الخاء، وبضم الياء وفتح الخاء، فالحجة لمن قرأه بفتح الياء: أنه جعل الدخول فِعلاً لهم والتحلية إلى غيرهم ففرَّق بين الفعلين لهذا المعنى.

والحجة لمن قرأه بضم الياء: أنه جعله فعلِ ما لم يسم فاعله وزاوج بذلك بين هذا الفعل وبين قوله: ﴿يَدۡخُلُونَهَا ـ يُحَلَّوۡنَ﴾ ليشاكل بذلك بين اللفظين)[٢٠١].

ويقول أبو علي: (﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ﴾ نكرةٌ ﴿يَدۡخُلُونَهَا﴾، و(**يُدْخلونها**) صفة لها، لأنها جملة، والنكرات توصف بالجُمَلِ.

وكلهم قرأ: (**ولؤلؤٍ**) بالجر غير نافع وعاصم في رواية أبي بكر. فقد قرأها بالنصب ﴿وَلُؤۡلُؤٗا﴾، أنه إذا قال: ﴿يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ﴾، كان بمنزلة يحلّون فيها أساور، وقيل إن أكثر التفسير على الجرَّ: أساورَ من ذهبٍ ولؤلؤٍ)[٢٠٢].

يقول الإمام مكي بن أبي طالب ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: (قوله تعالى: ﴿يَدۡخُلُونَهَا﴾، قرأ أبو عمرو بضم الياء، وفتح الخاء، بنى الفعل للمفعول، فالواو ضمير مفعول، قام مقام الفاعل، ويقوّي ذلك أن بعده ﴿يُحَلَّوۡنَ﴾، على ما لم يُسمَّ فاعله أيضاً، فأجرى الكلمتين على سنن واحد.

وقرأ الباقون بفتح الياء وضم الخاء، بنوا الفعل للفاعل، فالواو ضمير الفاعل، ويقوّي ذلك أن بعده: ﴿وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ [فاطر: ٣٤]، فأضاف الحمد إليهم، فكذلك يجب أن يكون (الدخول) مضافاً إليهم، والقراءتان ترجعان إلى معنى واحد)[٢٠٣].

---

(٢٠١) الحجة ص٢٩٦.

(٢٠٢) الحجة للقراء ج٦ ص٢٨ ـ ٢٩.

(٢٠٣) الكشف ج٢ ص٢١١.

خامساً: الجمع بين القراءات:

القراءة الأولى ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾ بفتح الياء وضم الخاء جعل الدخول فعلاً لهم والتحلية إلى غيرهم.

والقراءة الثانية (**يُدخَلونها**) بضم الياء وفتح الخاء جعله فعل لنائب فاعل وزاوج بذلك بين قوله: (**يدخلونها ـ ويحلون**) وبذلك تضيف القراءة الثانية معنىً جديداً في التفسير، والله أعلم.

٧ ـ قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾﴾ [فاطر: ٣٦].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ أبو عمرو بالياء وضمها وفتح الزاي ورفع كل (**كذلك يُجزى كلُّ كفور**).

٢ ـ قرأ الباقون بالنون وفتحها وكسر الزاي ونصب كل ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾[٢٠٤].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(**جزى**) الشيء ـ جزاءً: كفى وأغنى، وفي التنزيل العزيز: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا﴾.

(**جازاه**): أثابه وعاقبه.

(**الجزاء**): الثواب والعقاب[٢٠٥].

ثالثاً: التفسيرالإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

يقول القرطبي: (قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ﴾، لما ذكر أهل الجنة وأحوالهم ومقالتهم، ذكر أهل النار وأحوالهم ومقالتهم، ﴿لَا

(٢٠٤) النشر ج٢ ص٣٥٢، البدور الزاهرة ص٣٢٧.

(٢٠٥) المعجم الوسيط ص١٢٢.

يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا﴾، مثل: ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾، ﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾ مثل ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾، ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾، أي كل كافر بالله ورسوله)[٢٠٦].

يقول سيد قطب في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾﴾ [فاطر: ٣٦].

(فلا هذه ولا تلك، حتى الرحمة بالموت لا تنال! ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ...﴾ ثم ها نحن أولاء يطرق أسماعنا صوت غليظ محشرج مختلط الأصداء، متناوح من شتى الأرجاء إنه صوت المنبوذين في جهنم يصطرخون فيها)[٢٠٧].

يقول الخازن في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ...﴾ أي: (أن الذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا فيستريحوا مما هم فيه ولا يخفف عنهم من عذاب النار بل يبقوا يستغيثون ويصيحون في النار)[٢٠٨].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

يقول الإمام ابن خالويه: (قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾ يقرأ بضم الياء وفتح الزاي والرفع، والنون مفتوحة وكسر الزاي والنصب، فالحجة لمن ضم: أنه دلَّ بالفعل على بنائه لما لم يُسمَّ فاعله، فرفع ما أتى بعده به.

والحجة لمن قرأ بالنون والفتح: أنه أراد حكاية ما أخبر الله - عز وجل - عن نفسه نصب قوله: (كل كفور) بتعدي الفعل إليه)[٢٠٩].

---

(٢٠٦) القرطبي ج٢٢ ص٣٥٢.
(٢٠٧) الظلال ٢٢ ص٢٩٤٥.
(٢٠٨) تفسير الخازن ج٥ ص٣٠٤.
(٢٠٩) الحجة ص٢٩٦.

يقول الدكتور محمد محيسن: (قرأ أبو عمرو **(يُجزى)** بالياء التحتية المضمومة وفتح الزاي وألف بعدها على البناء للمفعول، وقرأ ﴿كلٌّ﴾ بالرفع نائب فاعل.

وقرأ الباقون ﴿نَجْزِي﴾ بالنون المفتوحة وكسر الزاي وياء ساكنة مديّة بعدها، على البناء للفاعل والفاعل ضمير مستتر تقديره «نحن» والمراد به «الله ـ تعالى ـ» وقد أسند الفعل إلى ضمير العظمة لمناسبة قوله تعالى قبلُ: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ [النمل: ٣٢]، وقرأوا ﴿كلَّ﴾ بالنصب مفعول به)[٢١٠].

يقول أبو علي: (قرأ أبو عمرو وكذلك ﴿يُجْزَىٰ﴾ بالياء **(كلُّ كفور)** رفعٌ. وقرأ الباقون: ﴿نَجْزِي﴾ بالنون ﴿كُلَّ كَفُورٍ﴾ نصباً.

ووجه النون قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم﴾ [فاطر: ٣٧]، ويجزى في المعنى مثل نجزي، ومثله **(فُزِّع عَن قلوبهم)** و**(فُزِّع)**، **ومن حجَّة يُجزى قوله:** ﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾[٢١١].

يقول الإمام مكي بن أبي طالب: (قوله: ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾ قرأه أبو عمرو بياء مضمومة، وفتح الزاي على لفظ الغيبة، ورفع ﴿كُلّ﴾ بنى الفعل للمفعول، فرفعه بالفعل، لقيامه مقام الفاعل، وهو ﴿كُلّ﴾ ويقوّي ذلك أن قبله فعلاً بُني للمفعول بلفظ الغيبة أيضاً، وهو قوله: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم﴾ وقرأ الباقون بنون مفتوحة وكسر الزاي ونصب ﴿كُلَّ﴾ بنوا الفعل للفاعل، وهو الله جلَّ ذكره، فهو إخبار من الله عن نفسه ويقوّي ذلك قوله بعده ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم﴾ [فاطر: ٣٧]. وهو في العلة مثل ﴿وَهَلْ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ﴾ [سبأ: ١٧] في القراءتين جميعاً، والنون أحب «إلى» لأن الجماعة على ذلك)[٢١٢].

---

(٢١٠) الهادي ص١٦٤.

(٢١١) الحجة للقراء ج٦ ص٢٧.

(٢١٢) الكشف ج٢ ص٢١٠.

خامساً: الجمع بين القراءتين:

القراءة الأولى ﴿**كذلك يُجزى كلُّ كفور**﴾ بنى الفعل للمفعول ويقوي ذلك أن قبله فعلاً بني للمفعول أيضاً بلفظ الغيبة وهو قوله: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم﴾، أما القراءة الثانية ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ﴾ على أن الفاعل ضمير مستتر تقديره (نحن) والمراد به الله - تعالى - وهو إخبار من الله عن نفسه ويقوّي ذلك قوله بعده ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم﴾ [فاطر: ٣٧] والقراءتان تفيدان خلود الكفار في نار جهنم فلا يخفف عنهم فيموتوا، لأنهم لو ماتوا لاستراحوا، والله أعلم.

٨ - قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾﴾ [فاطر: ٤٠].

أولاً: القراءات:

١ - قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة وخلف وحفص بغير ألف على التوحيد ﴿**بينت**﴾.

٢ - قرأ الباقون بالألف على الجمع ﴿بَيِّنَٰتٍ﴾[٢١٣].

ومن قرأ بالجمع وقف بالتاء، وأما من قرأ بالإفراد فمنهم من وقف بالهاء على مذهبه، وهما ابن كثير وأبو عمرو، ومنهم من وقف بالتاء على أصل مذهبه وهم: حفص وخلف وحمزة[٢١٤].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(أبان): ظهر واتضح، (أبان) الشيء: أظهره وأوضحه.

تبيَّن الشيء: ظهر واتضح، تأمله حتى اتضح، تبيّن في أمره: تثبت وتأنى[٢١٥].

---

(٢١٣) النشر ج٢ ص٣٥٢.

(٢١٤) البدور الزاهرة ص٣٢٧.

(٢١٥) المعجم الوسيط ص٨٠.

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

يقول الطبري - رَحِمَهُ ٱللَّهُ -: «يقول تعالى ذكره لنبيه محمد - ﷺ - قل يا محمد لمشركي قومك أرأيتم أيها القوم شركاءكم الذين تدعون من دون الله، أروني ماذا خلقوا من الأرض يقول أروني أي شيء خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السموات، يقول أم لشركائكم شرك مع الله في السموات إن لم يكونوا خلقوا من الأرض شيئاً، أم آتينا هؤلاء المشركين كتاباً أنزلناه عليهم من السماء بأن يشركوا بالله الأوثان والأصنام فهم على برهان مما أمرتهم فيه من الإشراك بي. وقوله: ﴿بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّـٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾. وذلك قول بعضهم لبعض غروراً ما نعبد آلهتنا إلا ليقربونا إلى الله زلفى خداعاً من بعضهم لبعض وغروراً وإنما تزلفهم آلهتهم إلى النار وتقصيهم من الله ورحمته»(٢١٦).

يقول الشربيني في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ...﴾ «أي: أخبروني شركاءكم الذين شاركوكم في أموالكم وفي أعمالكم، فأنتم تعبدونهم من دون الله، أي: من غيره وهم الأصنام الذين زعمتم أنهم شركاء الله تعالى أخبروني أي شيء خلقوا من الأرض لتصح لكم دعوى الشركة فيهم وإلا فإدعاؤكم فيهم كذبٌ محض، وأروني ماذا خلقوا لكم من السموات»(٢١٧).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

يقول الإمام مكي بن أبي طالب: «قوله: (على بينه) قرأه نافع وابن عامر والكسائي وأبو بكر بالجمع، لكثرة ما جاء به النبي - ﷺ - من الآيات والبراهين على صحة صدقه ونبوّته من القرآن، وغير ذلك، فوجب أن يُقرأ بالجمع ليظهر أن النبي - ﷺ - جاء بآيات تدل على نبوّته، ويقّوي الجمع أنها في المصاحف كلها بالتاء، ولو كانت موحدة لكانت بالهاء، وهو

---

(٢١٦) الطبري ج٢٢ ص٩٤.

(٢١٧) السراج المنير، للشربيني ج٣ ص٤٠٦.

الاختيار، لأن المعنى عليه والمصحف عليه، وقرأ الباقون بالتوحيد، على إرادة ما في كتاب الله، أو ما يأتي به النبي - ﷺ - من البراهين على صدقه، وهو وإن كان مفرداً يدل على الجمع، ودليله قوله: ﴿إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي﴾ [هود: ٢٨]، وقوله ﴿قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ٧٣]. ويدلُ على التوحيد أنها في مصحف ابن مسعود بالهاء»(٢١٨).

يقول الإمام ابن خالويه في قوله تعالى ﴿فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ﴾: «يُقرأ بالتوحيد والجمع، فالحجة لمن قرأه بالجمع أنه وجده مكتوباً في السواء بالتاء فأخذ بما وجده في الخط، وفرّق بينهم علماء القراءات بفرقان مستحسن: فقال من وحّد، أراد: الرسول - ﷺ - ودليله على قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ۞ رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ [البينة: ١ - ٢]. ومن جمع أراد: القرآن ودليله قوله تعالى: ﴿وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥](٢١٩).

قال أبو علي: وجهُ الإفراد: أن يُجعل ما في الكتاب، أو ما يأتي به النبي - ﷺ - بينه على لفظ الإفراد، وإن كانت عدة أشياء، كما قال: ﴿أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي﴾ [هود: ٢٨]، ﴿قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ٧٣].

فأما قوله سبحانه: ﴿جَاءُو بِالْبَيِّنَٰتِ وَالزُّبُرِ﴾، فإنما هو على قوله: ﴿فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُو بِالْبَيِّنَٰتِ وَالزُّبُرِ﴾ [آل عمران: ١٨٤]. فلأن مع كل واحد من الأنبياء بينة، فإذا جمعوا جمعت البينة لجمعهم، وقال سبحانه: ﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ۞ رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ [البينة: ١ - ٢].

وزعموا أن مصحف عبد الله بالهاء، فهذا دليل على الإفراد والجمع في البينات، على أنه في الكتاب ضروباً من البينة، فجمع كذلك(٢٢٠).

(٢١٨) الكشف ج٢ ص٤١ - ٤٢.

(٢١٩) الحجة ص٢٩٧.

(٢٢٠) الحجة للقراء ج٦ ص٣٠.

خامساً: والجمع بين القراءات:

القراءة الأولى ﴿بَيِّنَتٌ﴾ من وحّد فقد أراد: الرسول - ﷺ - ودليله قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ۝١ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [البينة: ١ - ٢]. والقراءة الثانية ﴿بَيِّنَتٌ﴾ بالجمع فقد أراد بها القرآن ودليله قوله تعالى: ﴿وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥]، والله أعلم.

٩ - قوله تعالى: ﴿ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ۝٤٣﴾ [فاطر: ٤٣].

أولاً: القراءات:

﴿وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ﴾.

١ - قرأ حمزة بإسكان الهمزة وصلاً.

٢ - الباقون بكسرها، وإسكانها وقفاً.

فإذا وقف عليها فالهمزة فيها وجه واحد وهو إبدال الهمزة ياء خالصة لسكونها وانكسار ما قبلها. ولهشام ثلاثة أوجه: الأول كحمزة، والثاني: إبدالها ياء مكسورة مع روم حركتها، والثالث: تسهيلها بين بين مع الروم[٢٢١].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(ساءَ) سوءاً: لحقه ما يشينه ويقبّحه.

(السوء): يقال في القبح، رجلُ سوءٍ، وعمل سوء.

(السوأة): الخلة القبيحة، كل عمل وأمر شائن.

(السَّيِئ): كل قبيح وشائن[٢٢٢].

---

(٢٢١) انظر النشر ج٢ ص٣٥٢، والبدور الزاهرة ص٣٢٨.

(٢٢٢) انظر المعجم الوسيط ص٤٦٠.

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

يقول الطبري - رحمه الله - قوله تعالى: ﴿ٱسْتِكْبَارًا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ يقول: (نفروا استكباراً في الأرض وخدعة سيئة وذلك أنهم صدُّوا الضعفاء عن اتباعه مع كفرهم به والمكر هنا هو الشرك وأضيف المكر إلى السيئ، والسيئ من نعت المكر، ولا ينزل المكر السيئ إلا بالذين يمكرونه أي لا يحل مكروه هؤلاء المشركون إلا بهم.

﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أي فهل ينتظر هؤلاء المشركون من قومك يا محمد إلا سنة الله بهم في عاجل كفرهم به أليم العقاب، وأن يحل بهم نقمتي على شركهم بي وتكذيبهم رسولي مثل الذي أحللت بمن قبلهم من أشكالهم من الأمم، فلن تجد يا محمد لسنة الله تغييراً ولن تجد لسنة الله في خلقه تبديلاً، فلن يغير ذلك ولا يبدّله لأنه لا مردَّ لقضائه)[٢٢٣].

يقول شهاب الدين المصري: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ﴾ أي: ولا يحيط[٢٢٤].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

يقول الإمام ابن خالويه في قوله تعالى: ﴿وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ﴾ (أجمع القراء فيه على كسر الياء وخفض الهمزة إلا ما قرأه حمزة بوقف الهمزة كالجزم في الفعل، وإنما فعل ذلك تخفيفاً للحرف لاجتماع الكسرات وتواليها مع الهمزة، كما فعل أبو عمرو في قوله ﴿بَارِئِكُمْ﴾ [البقرة: ٥٤])[٢٢٥].

يقول الدكتور محمد محيسن: (اختلف القراء في ﴿ٱلسَّيِّئِ﴾ من قوله تعالى: ﴿ٱسْتِكْبَارًا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ﴾ .[فاطر: ٤٣] فقرأ حمزة **(السيئ)** بإسكان الهمزة وصلاً ووقفاً، إجراء للوصل مجرى الوقف لتوالي الحركات،

---

(٢٢٣) الطبري ج٢٢ ص٩٦.

(٢٢٤) التبيان في تفسير غريب القرآن، لشهاب الدين المصري، ج١ ص٣٤٧.

(٢٢٥) الحجة ص٢٩٦.

وذلك للتخفيف. وقرأ الباقون ﴿ٱلسَّيِّئِ﴾ بهمزة مكسورة على الأصل لأنه مضاف إليه)[٢٢٦].

يقول الإمام مكي بن أبي طالب: (قوله: **(ومكر السيئ)** قرأه حمزة بإسكان الهمزة، وقرأها الباقون بكسرها وحجة من أسكن أنه استثقل كسرة على ياء مشددة، فهي مقام كسرتين، والكسرة ثقيلة. وهي على الياء المشددة أثقل ثم كسرة على همزة، والكسر على الهمز ثقيل أيضاً، فاجتمع أشياء ثقيلة، فأسكن الهمزة استخفافاً وقرأ الباقون بهمزة مكسورة على الأصل)[٢٢٧].

يقول الألوسي - رَحِمَهُ ٱللَّهُ -: (قرأ الأعمش وحمزة **(السيئ)** بإسكان الهمزة في الوصل إجراء له مجرى الوقف أو لتوالي الحركات وإجراء المنفصل مجرى المتصل، وزعم الزجاج أن هذه القراءة لحن لما فيها من حذف الإعراب، وزعم محمد بن يزيد أن الحذف لا يجوز في نثر ولا شعر لأن حركات الإعراب دخلت للفرق بين المعاني وقد أعظم بعض النحويين أن يكون الأعمش قرأ بها).

قال أبو علي: (التقدير في قوله - عَزَّ وَجَلَّ -: ﴿ٱسۡتِكۡبَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [فاطر: ٤٣].

استكبروا استكباراً في الأرض ومكر السيئ، أي مكروا المكر السيئ، فأضيف المصدر إلى صفة المصدر، المعنى: ومكروا المكر السيئ، ألا ترى أنه قد جاء بعد ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦ﴾ [فاطر: ٤٣]. فكما أن السيئ صفة للمصدر، كذلك الذي قبل.

تقديره: ومكروا المكر السيئ، وكذلك قوله: ﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [النحل: ٤٥].

---

(٢٢٦) الهادي ج٣ ص١٦٥.

(٢٢٧) الكشف ج٢ ص٤٣.

تقديره: الذين مكروا المكرات السيئات، فحذف المصدر من قوله: المكرات السيئات وأقام صفته مقامه، فوقعت الإضافة إليه كما كانت تقع على موصوفه (المصدر). فأما قراءة حمزة: **(ومكر السيىءْ)** وإسكانه الهمزة في الإدراج، فإن ذلك يكون على إجرائها في الوصل مُجراها في الوقف.

مثل من قالوا في الوقف: أفعَيْ وأفعَوْ، فأبدلوا من الألف الواو والياء ثم أجروها في الوصل مجراها في الوقف فقالوا: هذا أفعَوْا يا هذا، فكذلك عمل حمزة بالهمزة في هذا الموضع لأنها كالألف في أنها حرف علة، كما أن الألف كذلك.

وكذلك نزلت حركة الإعراب منزلة غير حركة الإعراب، في أن استجيز فيها من التخفيف ما استجيز في غيرها، وليس يختل بذلك دلالة الإعراب.

خامساً: الجمع بين القراءتين:

القراءة الأولى ﴿ٱلسَّيِّئِ﴾ بالكسر على الهمزة هنا يفيد الشرك بالله - ﷻ - والقراءة الثانية **(السيىءْ)** بالسكون على الهمزة يفيد نفس المعنى ولكن فيه استخفافاً في اللفظ على القارئ. فالقراءتان بمعنى واحد وتبيّن مكر هؤلاء الكفار ليفتنوا ضعفاء الإيمان عن دين الله - ﷻ - ولكن هذا المكر سيرتد إليهم وسيهلكهم كما أهلك من قبلهم من الأمم، والله أعلم.



الفصل الثاني
تفسير سورتي (يس والصافات)
من خلال القراءات القرآنية العشر

ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: تعريف بسورة (يس) وبيان أهم الموضوعات فيها.

المبحث الثاني: عرض لآيات سورة (يس) المتضمنة للقراءات وتفسيرها.

المبحث الثالث: تعريف بسورة (الصافات) وبيان أهم الموضوعات فيها.

المبحث الرابع: عرض لآيات سورة (الصافات) المتضمنة للقراءات وتفسيرها.



المبحث الأول
تعريف بسورة يس وبيان أهم الموضوعات فيها

أولاً: اسم السورة.

ثانياً: نوع السورة.

ثالثاً: عدد آيات السورة.

رابعاً: فضائل السورة.

خامساً: مناسبة السورة لما قبلها.

سادساً: أهداف السورة وأغراضها.

سابعاً: مضمون السورة وما اشتملت عليه.



المبحث الأول
تعريف بسورة (يس) وبيان أهم الموضوعات فيها

أولاً: اسم السورة:

* **يقول ابن عاشور:** سميت هذه السورة (يس) بمسمى الحرفين الواقعين في أولها في رسم المصحف، لأنها انفردت بهما فكانا مميزين لها عن بقية السور، فصار منطوقهما عَلَماً عليها، وكذلك ورد اسمها عن النبي ﷺ[٢٢٨].

* **يقول النسفي:** («يس» عن ابن عباس رضي الله عنه: معناها يا إنسان في لغة طيئ، وعن ابن الحنفية: يا محمد، وقيل: يا سيد)[٢٢٩].

* **يقول الدكتور عبد الله شحاتة:** (للسورة اسمان: سورة يس لافتتاحها بها، وسورة حبيب النجار لاشتمالها على قصته، فقد جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [يس: ٢٠]. أن هذا الرجل يسمى «حبيب النجار»)[٢٣٠].

وهذا الاسم (حبيب النجار) من الإسرائيليات التي يستأنس فيها في هذا الجانب لأنه ليس لها علاقة بالأمور العقائدية.

---

(٢٢٨) التحرير والتنوير ج٢٢ ص٣٤١.

(٢٢٩) تفسير النسفي ج٤ ص٢.

(٢٣٠) تفسير القرآن الكريم، د. عبد الله شحاتة ج٢٢ ص٤٤٦١.

ثانياً: نوع السورة:

* **يقول سيد قطب**: (هذه السورة مكية ذات فواصل قصيرة، وإيقاعات سريعة متتالية عميقة الأثر)[٢٣١].

* **يقول الصابوني**: (سورة يس سورة مكية وقد تناولت مواضيع أساسية ثلاثة، وهي الإيمان بالبعث والنشور، وقصة أهل القرية، والأدلة والبراهين على وحدانية رب العالمين)[٢٣٢].

ثالثاً: عدد آيات السورة:

* هي السورة الحادية والأربعون في ترتيب النزول نزلت بعد سورة «الجن» وقبل سورة «الفرقان»، وعُدّت آياتها عند جمهور الأمصار اثنتين وثمانين[٢٣٣].

قال القرطبي: (هي ثلاث وثمانون آية)[٢٣٤].

يقول سيد قطب: (عدد آياتها ثلاث وثمانون، بينما هي أقصر من سابقتها «سورة فاطر» وعدد آياتها خمس وأربعون)[٢٣٥].

رابعاً: فضائل السورة:

* أخرج أبو النصر السجزي في الإبانة وحسنه عن عائشة ـ رضي الله تعالى عنها ـ قالت: (قال رسول الله ـ ﷺ ـ: إن في القرآن لسورة تدعى العظيمة عند الله تعالى، ويدعى صاحبها الشريف عند الله تعالى يشفع صاحبها يوم القيامة في أكثر من ربيعة وحضر وهي سورة «يس») وذكر

(٢٣١) الظلال ج٢٢ ص٢٩٥٦.

(٢٣٢) صفوة التفاسير للصابوني ج٣ ص٥.

(٢٣٣) التحرير والتنوير ج٢٢ ص٣٤٢.

(٢٣٤) القرطبي ج٢٣ ص١.

(٢٣٥) الظلال ج٢٢ ص٢٩٥٦.

- أيضاً - أنها تسمى المعممة والمدافعة والقاضية[٢٣٦].

* عن أبي هريرة - رضي الله عنه - يقول قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (من قرأ (يس) في ليلة أصبح مغفوراً له، ومن قرأ حم التي يذكر فيه الدخان أصبح مغفوراً له)[٢٣٧].

خامساً: مناسبة السورة لما قبلها:

يقول الدكتور وهبة الزحيلي: تظهر صلة هذه السورة بما قبلها من وجوه ثلاثة:

الوجه الأول: بعد أن ذكر الله - سبحانه - في سورة فاطر قوله: ﴿وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾ [فاطر: ٣٧] وقوله: ﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾﴾ [فاطر: ٤٢].

والمراد به محمد - صلى الله عليه وسلم - وقد أعرضوا عنه، وكذبوه، افتتح هذه السورة بالقسم على صحة رسالته، وأنه على صراطٍ مستقيم، وأنه أُرسل لينذر قوماً ما أنذر آباؤهم.

الوجه الثاني: هناك تشابه بين السورتين في إيراد بعض أدلة القدرة الإلهية الكونية، فقال تعالى في سورة فاطر ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [فاطر: ١٣]، وقال: في سورة (يس) ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾﴾ [يس ٣٨ - ٣٩].

والثالث: قوله سبحانه في فاطر: ﴿وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ﴾، وقال في

(٢٣٦) جامع الأحاديث للسيوطي ج١٣ ص٣٠٣، وقال البيهقي تفرد به محمد بن عبد الرحمن عن سليمان هو منكر.

(٢٣٧) المسند الجامع لأبي الفضل السيد أبو المعاطي النوري ج٤٤ ص١٧٠، اللآلئ المصنوعة في الحديث ج١ ص٢١٤.

يس: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾﴾[٢٣٨].

سادساً: أهداف السورة وأغراضها:

الموضوعات الرئيسة للسورة هي موضوعات السور المكية، وهدفها الأول هو بناء أسس العقيدة، فهي تتعرض لطبيعة الوحي، وصدق الرسالة، وتسوق قصة أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون، لتحذر من عاقبة التكذيب بالوحي والرسالة، وتتعرض السورة لقضية الألوهية والوحدانية، وقضية البعث والنشور وكلها مواضيع تتعلق ببناء العقيدة[٢٣٩].

التحدي بإعجاز القرآن الكريم بالحروف المقطعة وبالقسم بالقرآن تنويهاً به، وأدمج وصفه بالحكيم إشارة إلى بلوغه أعلى درجات الإحكام والمقصود من ذلك تحقيق رسالة محمد ـ ﷺ ـ وتفضيل الدين الذي جاء به[٢٤٠].

سابعاً: مضمون السورة وما اشتملت عليه:

أهم مقاصد سورة يس:

١ ـ بيان أن محمداً ـ ﷺ ـ رسولٌ من عند الله حقاً، وأنه نذير للأميين وغيرهم.

٢ ـ حقت كلمة العذاب على أكثر المُنذَرين، فلم يستجيبوا للنبي ﷺ.

٣ ـ عاند أهل مكة النبي ـ ﷺ ـ وكذبوه، فعميت عيونهم عن رؤية الحق، وانسدّ في وجههم طريق الهداية.

٤ ـ ضرب المثل بقصة أنطاكية الذين كذبوا الرسل، ونصحهم ناصح بإتباع الرسل فقتلوه، فأدخله الله الجنة.

٥ ـ عاقب الله المكذبين بالصيحة الواحدة فانتهت حياتهم.

(٢٣٨) التفسير المنير د. وهبه الزحيلي ج٢٢ ص٢٨٧ ـ ٢٨٨.
(٢٣٩) الظلال ج٢٢ ص٢٩٥٦.
(٢٤٠) التحرير والتنوير ج٢٢ ص٣٤٣.

٦ ـ دلائل القدرة الإلهية في إحياء الأرض بعد موتها، وخلق الأزواج كلها من النبات والحيوان والإنسان وأشياء أخرى لا نعلمها.

٧ ـ سير الشمس والقمر بحسبان ونظام بديع لا يتخلف.

٨ ـ إثبات البعث بما أقامه الله تعالى من أدلة في الأنفس وفي الآفاق[٢٤١].



(٢٤١) تفسير القرآن الكريم، د. عبد الله شحاتة ج٢٣ ص٤٥٥٠.

المبحث الثاني
عرض لآيات سورة (يس)
المتضمنة للقراءات القرآنية العشر وتفسيرها

١ ـ قوله تعالى: ﴿يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢﴾ [يٓس: ١ ـ ٢].

أولاً: القراءات:

١ ـ سكت أبو جعفر على (يا) و(سين) سكتة لطيفة من غير تنفس، ولا يخفى أنه يلزم من السكت على نون ﴿يسٓ ۝١﴾ إظهارها.

٢ ـ قرأ ورش والشامي وشعبة والكسائي ويعقوب وخلف في اختياره بإدغام النون في الواو مع الغنة.

٣ ـ قرأ الباقون بإظهارها.

٤ ـ ﴿وَٱلْقُرْءَانِ﴾ فيها نقل لابن كثير في الحالين ولحمزة في الوقف[٢٤٢].

ثانياً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

يقول ابن عاشور: (القول فيه كالقول في الحروف المقطعة الواقعة في أوائل السور، ومن الناس من يدعي أن ﴿يسٓ ۝١﴾ اسم من أسماء النبي ـ ﷺ ـ)[٢٤٣].

---

(٢٤٢) النشر ج٢ ص٣٥٣، والبدور الزاهرة ص٣٢٩.

(٢٤٣) التحرير والتنوير ج٢٢ ص٣٤٤.

يقول سيد قطب: (يقسم الله بهذين الحرفين: (يا)، (سين) كما يقسم بالقرآن الحكيم، وهذا الجمع بين الأحرف المقطعة، والقرآن يرجح الوجه الذي اخترناه في تفسير هذه الأحرف في أوائل السور، والعلاقة بين ذكرها، وذكر القرآن، وأن آية كونه من عند الله، الآية التي لا يتدبرونها فيردهم القرآن إليها، أنه مصوغ من جنس هذه الأحرف الميسرة لهم ولكن نسقه التفكيري والتعبيري فوق ما يملكون صياغته من هذه الأحرف)(٢٤٤).

يقول ابن أبي حاتم في قوله تعالى: ﴿يسٓ ۝١﴾ عن ابن عباس رضي الله عنه قال: (يس) أي: يا إنسان(٢٤٥).

ثالثاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

يقول الإمام مكي بن أبي طالب: (قرأ ورش وأبو بكر والكسائي وابن عامر بإدغام النون من ﴿يسٓ ۝١﴾ في الواو من ﴿وَٱلْقُرْءَانِ﴾ على نية الوصل، وقرأ الباقون بالإظهار على نية الوقف على النون، إذْ هي حروف مقطعة غير معربة، وحقها أن يوقف على كل حرف منها، والوقف على الحرف يوجب الإظهار ويمنع من إدغامه وهو الاختيار، لأن الأكثر عليه، ولأنه الأصل)(٢٤٦).

يقول الإمام ابن خالويه: (قوله تعالى: ﴿يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ﴾ يُقرأ بإدغام النون في الواو، وإظهارها، فالحجة لمن أدغم أن أتى به على الأصل، والحجة لمن أظهر أن حروف التهجي ليست كغيرها، لأنه يُنوى بها الوقف على كل حرف منها، فكأنه بذلك منفرد مما بعده، فإن قيل: فيلزم مَنْ أدغم النون هاهنا في الواو أن يدغم في قوله ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ﴾، فقل: هذا لا يلزم، لأن الياء أخف من الواو وأسهل في اللفظ)(٢٤٧).

---

(٢٤٤) الظلال ج٢٢ ص٢٩٥٨.
(٢٤٥) تفسير ابن أبي حاتم ج١٠ ص٣١٨٨.
(٢٤٦) الكشف ج٢ ص٢١٤.
(٢٤٧) الحجة ص٢٩٧.

قال الألوسي - رَحِمَهُ اللَّهُ -: (قرأ جَمعٌ بسكون النون مدغمةً في الواو، وآخرون بسكونها مظهرةً والقراءتان سبعيتان، وقرأ ابن اسحق وعيسى بفتح النون)(٢٤٨).

رابعاً: الجمع بين القراءات:

القراءة الأولى على الإدغام ﴿يسٓ ۝١ وَٱلۡقُرۡءَانِ﴾ أتى به على أصل القراءة. والقراءة الثانية على الإظهار فلأن حروف التهجي ليست كغيرها، فيقف القارئ على كل حرف منها، فكأنه بذلك منفرد عما بعده. والحروف المقطعة في أوائل السور تبيّن عظمة هذا القرآن وإعجازه، والله أعلم.

٢ - قوله تعالى: ﴿تَنزِيلَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝٥﴾ [يٓس: ٥].

أولاً: القراءات:

١ - قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وخلف وحفص بنصب اللام ﴿تَنزِيلَ﴾.

٢ - وقرأ الباقون برفعها ﴿تَنزِيلُ﴾(٢٤٩).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

تنزّل: نزل في مهله، وفي التنزيل العزيز: ﴿تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا﴾ وتنزيل مصدر للفعل نزّل أو تنزّل.

المَنْزَل: النزول.

المَنْزِلة: الدار والمكانة والمرتبة(٢٥٠).

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

يقول الطبري - رَحِمَهُ اللَّهُ -: في تفسير قوله تعالى: ﴿تَنزِيلَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝٥﴾:

---

(٢٤٨) الألوسي ج٢٢ ص٢١١.

(٢٤٩) النشر ج٢ ص٢٥٣، والبدور الزاهرة ٣٢٩.

(٢٥٠) المعجم الوسيط ص٩١٥.

(معنى الكلام إنك لمن المرسلين يا محمد إرسال الرب العزيز في انتقامه من أهل الكفر به، الرحيم بمن تاب إليه وأناب من كفره وفسوقه أن يعاقبه على سالف جرمه بعد توبته له)[٢٥١].

يقول القرطبي: (التنزيل يرجع إلى القرآن وقيل: إلى النبي - ﷺ -، أي إنك لمن المرسلين، وإنك ﴿تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝٥﴾ فالتنزيل على هذا بمعنى الإرسال، ويقال: أرسل الله المطر وأنزله بمعنى واحد، ومحمد - ﷺ - رحمة الله أنزلها من السماء و﴿ٱلْعَزِيزِ﴾ المنتقم ممن خالفه، و﴿ٱلرَّحِيمِ ۝٥﴾ بأهل طاعته)[٢٥٢].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

يقول الإمام مكي بن أبي طالب: قوله: ﴿تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝٥﴾ قرأ ابن عامر وحفص وحمزة والكسائي بالنصب على المصدر.

وقرأ الباقون بالرفع فيها[٢٥٣].

يقول الإمام الطبري - رحمه الله -: (قرأ عامة المدينة والبصرة **(تنزيل)** برفع تنزيل والرفع في ذلك يتجه من وجهين، أحدهما: بأن يجعل خبراً فيكون معنى الكلام، أنه تنزيل العزيز الرحيم، والآخر: بالابتداء فيكون معنى الكلام حينئذٍ إنك لمن المرسلين هذا تنزيل العزيز الرحيم، وقرأته عامة قراء الكوفة وبعض أهل الشام تنزيلَ نصباً على المصدر من قوله إنك لمن المرسلين لأن الإرسال إنما هو عن التنزيل فكأنه قيل: لَمُنزَّلٌ تنزيلَ العزيز الرحيم)[٢٥٤].

يقول الإمام ابن خالويه: (قوله تعالى: ﴿تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝٥﴾ يقرأ برفع اللام ونصبها فالحجة لمن رفع: أنه جعله خبر إبتداء محذوف، معناه:

---

(٢٥١) الطبري ج٢٢ ص٩٧.
(٢٥٢) القرطبي ج١٥ ص٦.
(٢٥٣) الكشف ص٢١٤.
(٢٥٤) الطبري ج٢٢ ص٩٧.

هذا تنزيلُ العزيز، والحجة لمن نصب: أنه أراد المصدر كما قال تعالى: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [النمل: ٨٨][٢٥٥]).

يقول الدكتور محمد محيسن: (قرأ شعبة ونافع وابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر ويعقوب **(تنزيلُ)** برفع اللام على أنه خبر لمبتدأ محذوف، أي هو تنزيلُ العزيز الرحيم، أو ذلك تنزيلُ العزيز الرحيم، أو القرآن تنزيلُ العزيز الرحيم، وقرأ الباقون **(تنزيلَ)** بنصب اللام على المصدر، وهو منصوب بفعل من لفظه أيْ ننزله تنزيلَ العزيز الرحيم، أو أنزلناه تنزيل العزيز الرحيم)[٢٥٦].

قال أبو علي الفارسي: (من رفع فعلى: هو تنزيلُ العزيز، أو على تنزيلُ العزيز الرحيم هذا. والنصب على تنزَّل تنزيل العزيز)[٢٥٧].

خامساً: الجمع بين القراءات:

القراءة الأولى بالرفع **(تنزيلُ)** جعله خبر إبتداء محذوف تقديره: هذا تنزيلُ العزيز. والقراءة الثانية بالنصب **(تنزيلَ)** أراد المصدر كما قال تعالى: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [النمل: ٨٨]، أي تنزلَ تنزيلَ العزيز الرحيم.

والقراءتان متقاربتا المعنى والآية الكريمة تبيّن أن القرآن الكريم منزلٌ من عند الله، وأضيف إلى صفتي ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ لما فيه من آثار عزة الله تعالى، والله أعلم.

٣ ـ قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝٩﴾ [يس: ٩].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص وخلف بفتح السين

---

(٢٥٥) الحجة ص٢٩٧ ـ ٢٩٨.

(٢٥٦) الهادي ج٣ ص١٦٧.

(٢٥٧) الحجة للقراء ج٦ ص٣٤.

﴿سَدًّا﴾.

٢ ـ قرأ الباقون بضمها (سُدًّا)[٢٥٨].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

﴿سَدًّا﴾ للشيء: أغلق خلله وردم ثُلْمه.

سدّ عليه باب الكلام: منعه منه.

السُّدُّ: الحاجز بين الشيئين، والبناء في مجرى الماء ليحجزه[٢٥٩].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

يقول الطاهر ابن عاشور في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا﴾ «هذا ارتقاء في حرمانهم من الاهتداء لو أرادوا تأملاً بأن فظاظة قلوبهم لا تقبل الاستنتاج من الأدلة والحجج، بحيث لا يتحولون عما هم فيه، فمثّلت حالهم بحالة من جُعلوا بين سدّين، أي جدارين: سداً أمامهم، وسداً خلفهم، فلو راموا تحوّلاً عن مكانهم وسعيهم إلى مرادهم لما استطاعوا كقوله تعالى ﴿فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ﴾ [يس: ٦٧] ومانع الإيمان إما أن يكون في النفس وإما أن يكون خارجاً عنها»[٢٦٠].

يقول الإمام الطبري ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا﴾ أنه زين لهم سوء أعمالهم فهم يعمهون ولا يبصرون رشداً، ولا يتنبهون حقاً»[٢٦١].

يقول الفراء في قوله تعالى: «﴿فَأَغْشَيْنَٰهُمْ﴾ أي: فألبسنا أبصارهم غشاوة ونزلت هذه الآية في قوم أرادوا قتل النبي ـ ﷺ ـ من بني مخزوم، فأتوه في مصلاه ليلاً، فأعمى الله أبصارهم عنه، فجعلوا يسمعون صوته

(٢٥٨) النشر ج٢ ص٣١٥، والبدور الزاهرة ص٣٢٩.

(٢٥٩) المعجم الوسيط ص٤٢٢.

(٢٦٠) التحرير والتنوير ج٢٢ ص٣٥٠ ـ ٣٥١.

(٢٦١) الطبري ج٢٢ ص٩٩.

بالقرآن ولا يرونه، فذلك قوله: ﴿فَأَغْشَيْنَٰهُمْ﴾ وتقرأ (**فأعشيناهم**) بالعين. لأن العَشْوَ بالليل، إذا أمسيت وأنت لا ترى شيئاً فهو العَشْو»(٢٦٢).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قال أبو علي الفارسي: «الضمُّ أكثر القراءتين واللغتين، وحُكي عن بعض المفسرين ما كان من الخَلق فهو سُدّ بالضم، وما كان من البناء مفتوح، وقيل: السُدُّ بالضم في كل ما صنع الله والعباد وهما سواءً.

وقال أيضاً: السُدُّ يجوز أن يجعله صفة كالحلو والمر، ويجوز أن يريد: ذي السُدَّ.

أي يُسدُّ الأفق كما يسُدُّ السدُّ، فحذف المضاف، وإن كان السُدُّ مصدراً جاز أن تصفه به»(٢٦٣).

قال الألوسي - رَحِمَهُ اللَّهُ -: «ما كان من عمل الناس فهو بالفتح، وما كان من خلق الله تعالى فهو بالضم، وقيل العكس»(٢٦٤).

خامساً: الجمع بين القراءتين:

من قرأ ﴿سَدًّا﴾ بالفتح أي بناء وجدار يفصل بين الناس فهم لا يرون نور الإيمان.

ومن قرأ (**سُدا**) بالضم جعله صفة كالحُلْو والمُرْ أو أراد ذي السُّد أي يسد الأفق، والله أعلم.

٤ - قوله تعالى: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ [يس: ١٤].

---

(٢٦٢) معاني القرآن، للفراء ج٤ ص٦٩.

(٢٦٣) الحجة للقراء ج٦ ص٣٧.

(٢٦٤) تفسير الألوسي ج٢٢ ص٢١٥.

أولاً: القراءات:

﴿فَعَزَّزۡنَا﴾

١ ـ قرأ شعبة بتخفيف الزاي الأولى **(فعزَزنا)**.

٢ ـ وقرأ الباقون بتشديد الزاي الأولى ﴿فَعَزَّزۡنَا﴾[٢٦٥].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(عـزَّزه): شـدَّده وقـوَّاه وفـي الـتـنـزيـل الـعـزيـز: ﴿إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٖ﴾.

ويـقـال: عـزَّز الـمـاءُ الأرض: لـبَّدهـا وشـدَّدهـا فـلا تـسـوخ فـيـهـا الأرجل[٢٦٦].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

قال الألوسي ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: ﴿فَعَزَّزۡنَا﴾ أي قويناهما وشددنا قاله مجاهد وابن قتيبة.

وقال يقال: تعزز لحمُ الناقة إذا صَلُب، ويقال للأرض الصلبة: العزاز[٢٦٧].

قال الطبري ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: (قوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٖ﴾، قال: ذكر لنا أن عيسى بن مريم بعث رجلين من الحواريين إلى أنطاكية مدينة الروم فكذبوهما فأعزهما بثالث فقالوا إنا إليكم مرسلون، وقال آخرون بل كانوا رسلاً أرسلهم الله إليهم، وروي عن مجاهد قوله فعزّزنا بثالث قال: شدّدنا)[٢٦٨].

---

(٢٦٥) النشر ج٢ ص٣٥٣، والبدور الزاهرة ص٣٢٩.

(٢٦٦) المعجم الوسيط ص٥٩٨.

(٢٦٧) تفسير الألوسي ج٢٢ ص١٠١.

(٢٦٨) الطبري ج٢٢ ص١٠١.

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

يقول الإمام ابن خالويه: (قوله تعالى: ﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾، أجمع القراء على تشديد الزاي فيه إلا ما رواه أبو بكر عن عاصم من التخفيف.

فمعنى التشديد: قوّينا، ومنه: أعزك الله.

ومعنى التخفيف: غلبنا ومنه: «من عزَّ بزّ» أي من غلب: أخذ السلب)[٢٦٩].

يقول الطبري - رَحِمَهُ اللَّهُ -: (القراءة عندنا بالتشديد لإجماع الحجة من القراء عليه، وأن معناه شُدِّد ﴿فَعَزَّزْنَا﴾ فقوّينا، وإذا خُفِّف **(فعززنا)** أي فغلبنا وليس لغلبنا في هذا الموضع كثير معنى)[٢٧٠].

قال الدكتور محمد محيسن: (من قرأ بتخفيف الزاي **(فعزَزنا)** من «عَزَزَ» مثل قولك: «شَدَدْت» يقال: «عَزَزْتُ القوم، وأعززتهم وعزَّزتهم»، قويتهم وشددتهم وهو متعدّ إلى مفعول، والمفعول محذوف، أي فقوّينا المرسلين برسول ثالث، وقرأ الباقون ﴿فَعَزَّزْنَا﴾ بتشديد الزاي من «عزَّز» مضعف العين بمعنى القوة - أيضاً -، إذنْ فالقراءتان بمعنى واحد)[٢٧١].

قال أبو علي: (قال بعضهم: عزَّزنا: قوّينا وكثرنا.

وأما عزَزْنا، فغلبنا من قوله: «وعزَّني في الخطاب»)[٢٧٢].

خامساً: الجمع بين القراءتين:

يتبيّن أن الله - عَزَّ وَجَلَّ - قوّى الرسولين الأولين بثالث ليشد من عضدهما ويساندهما، ولكنهم كذبوهم ولم يؤمنوا بهم، وأما على قراءة من قرأ **(فعزَزنا)** بالتخفيف بمعنى «غلبنا»؛ فهي ليست بعيدة عن معنى قوّينا أو

---

(٢٦٩) الحجة ص٢٩٨.

(٢٧٠) الطبري ج٢٢ ص١٠١.

(٢٧١) الهادي ج٣ ص١٦٧.

(٢٧٢) الحجة للقراء ج٦ ص٣٨.

شدّدنا لأن الغَلْب من معانيه القوة والشدّة.

فالرسل غالبون بالحجة والبيان والرسالة الحق التي هي من عند الله ﷻ، والله أعلم

٥ ـ قوله تعالى: ﴿قَالُوا طَائِرُكُم مَّعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾﴾ [يس: ١٩].

أولاً: القراءات:

﴿أَئِن ذُكِّرْتُم﴾

١ ـ قرأ أبو جعفر بفتح الهمزة الثانية وتسهيلها وإدخال ألف بينها وبين الأولى على أصله.

٢ ـ وقرأ الباقون بكسرها وكلٌّ على أصله في التسهيل وغيره.

فقالون وأبو عمرو بالتسهيل مع الإدخال، وورش وابن كثير ورويس بالتسهيل من غير إدخال، وهشام بالتحقيق مع الإدخال وتركه، والباقون بالتحقيق من غير إدخال.

﴿ذُكِّرْتُم﴾

١ ـ قرأ أبو جعفر بتخفيف الكاف.

٢ ـ قرأ الباقون بتشديدها[٢٧٣].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(ذكرَ) الشيء: ذِكْراً، وذُكْراً، وذكرى، وتذكاراً: حفظه واستحضره وجرى على لسانه بعد نسيانه.

(تذاكروا) في الأمر: تفاوضوا فيه. (تذاكروا) في الشيء: ذكروه[٢٧٤].

---

(٢٧٣) النشر ج٢ ص٣٥٣، والبدور الزاهرة، للقاضي ص٣٢٩.

(٢٧٤) المعجم الوسيط ص٣١٣.

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

يقول الطبري - رحمه الله -: (قالت الرسل لأصحاب القرية طائركم معكم أئن ذكرتم يقولون أعمالكم وأرزاقكم وحظكم من الخير والشر معكم ذلك كله في أعناقكم وما ذلك من شؤمنا إن أصابكم سوء فيما كتب عليكم وسبق لكم من الله)(٢٧٥).

يقول سيد قطب: (﴿قَالُوا طَائِرُكُم مَّعَكُمْ﴾ فالقول بالتشاؤم من دعوة أو من وجهٍ هو خرافة من خرافات الجاهلية، والرسل يبينون لقومهم أنها خرافة، أو حظهم ونصيبهم من خير ومن شر، لا يأتيهم من خارج نفوسهم، إنما هو معهم، مرتبط بنواياهم وأعمالهم، متوقف على كسبهم وعملهم، وفي وسعهم أن يجعلوا حظهم ونصيبهم خيراً أو يجعلوه شراً، فإن إرادة الله في العبد تنفذ من خلال نفسه، وهو يحمل طائره معه، وقالوا لهم: ﴿أَئِن ذُكِّرْتُم﴾، يعني أترجموننا وتعذبوننا لأننا نذكركم! أفهذا جزاء التذكير؟ ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ تتجاوزون الحدود في التفكير والتقدير، وتجازون على الموعظة بالتهديد والوعيد، وتردون على الدعوة بالرجم والتعذيب)(٢٧٦).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قال الإمام ابن خالويه: (قوله تعالى: ﴿أَئِن ذُكِّرْتُم﴾ يقرأ بهمزتين محققتين، وبهمزة وياء)(٢٧٧).

يقول الدكتور محمد محيسن: (قرأ أبو جعفر **(ءَأَن ذُكِرتم)** بفتح الهمزة الثانية، وتسهيلها، وإدخال ألف بين الهمزتين، وذلك على حذف لام العلة، أي لأن ذكرتم.

وقرأ **(ذُكِرْتُم)** بتخفيف الكاف على أنه فعل ماضٍ مبني للمجهول، من

---

(٢٧٥) الطبري ج٢٢ ص١٠٢.

(٢٧٦) الظلال ج٢٣ ص٢٩٦٢.

(٢٧٧) الحجة ص٢٩٨.

الذّكْر وتاء المخاطبين نائب فاعل وقرأ الباقون ﴿أَإِن ذُكِّرْتُمْ﴾ بكسر الهمزة الثانية، وهي همزة إن الشرطية، وهم في الهمزتين على أصولهم، (فقالون وأبو عمرو) بتسهيل الهمزة الثانية مع الإدخال.

(وورش وابن كثير ورويس) بالتسهيل مع عدم الإدخال.

و(هشام) بالتحقيق مع الإدخال وعدمه، والباقون بالتحقيق مع عدم الإدخال.

وقرأوا ـ أيضاً ـ ﴿ذُكِّرْتُمْ﴾ بتشديد الكاف، على أنه فعل ماضٍ مبني للمجهول من «التذكُّر» وتاء المخاطبين نائب فاعل)[٢٧٨].

قال الإمام الطبري ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: (قرأ عامة الأمصار أئن ذكرتم بكسر الألف من إن وفتح ألف الاستفهام بمعنى إن ذكرناكم فمعكم طائركم ثم أدخل على إن التي هي حرف جزاء ألف استفهام في قول بعض نحوي البصرة)[٢٧٩].

قال أبو الحسن: معناه حيث ذُكَرتم، قال وفي بعضِ الحروف: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ [طـه: ٦٩] ومن قال: ﴿أَإِن ذُكِّرْتُمْ﴾ فإنما هي إن التي للجزاء دخلت عليها ألف استفهام، والمعنى: أإن تشاءمتم، لأن ﴿تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾ معناه: تشاءمنا بكم، فكأنهم قالوا: أئن ذُكّرتم تشاءمتم! فحذف الجواب لتقدم ما يدل عليه، وأصل تطيرنا: تفعلنا، من الطائر عند العرب الذي به يتشاءمون، ويتيمنّون، وقدم تقدم ذكر ذلك.

وقد قرأ من غير السبعة **(أأن ذكرتم)** بفتح أن، والمعنى ألأن ذكرتم تشاءمتم[٢٨٠].

---

(٢٧٨) الهادي ج٣.

(٢٧٩) الطبري ج٢٢ ص١٠٢.

(٢٨٠) الحجة للقراء ج٦ ص٣٩.

خامساً: الجمع بين القراءتين:

من قرأ (**أَإِن ذكرتم**) بتشديد الكاف فعلى أنه فعل ماضي مبني للمجهول من التذكر وتاء المخاطبين نائب فاعل وهي بمعنى أإن تشاءمتم، لأن ﴿تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾ معناه: تشاءمنا بكم، فكأنهم قالوا: أئن ذكرتم تشاءمتم، وحذف الجواب لتقدم ما يدل عليه. ومن قرأ (**أَإِن ذكرتم**) بتخفيف الكاف من الذِّكر بمعنى لأن ذكرتم.

والقراءتان بمعنى واحد والآية فيها تقريع للكفار تقول لهم: إن الطائر الذي تنسبون إليه الشؤم هو معكم أي في نفوسكم، فسبب شؤمكم هو كفركم وسوء سمعكم للمواعظ، والله أعلم.

٦ - قوله تعالى: ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [يس: ٢٩].

أولاً: القراءات:

١ - قرأ أبو جعفر برفع التاء فيهن (**صيحةٌ واحدةٌ**) على أن (**كان**) تامة و(**صيحة**) فاعل أي ما وقعت إلا صيحةٌ واحدة.

٢ - قرأ الباقون بنصبهن على أن (**كان**) ناقصة أي ما كانت هي أي الأخذة إلا صيحة واحدة واتفقوا على نصب ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ إذ هو مفعول ينظرون(٢٨١).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(**الصَّيحة**): الصِّياح، النفخ في الصور في الآخرة، وفي التنزيل العزيز ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾﴾ [ق: ٤٢].

وهي الغرة يُفجأُ الناس بها، وهي العذاب، ﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ﴾ [هود: ٦٧](٢٨٢).

---

(٢٨١) انظر النشر ج٢ ص٣٥٣، البدور الزاهرة، للقاضي ص٣٣٠.

(٢٨٢) المعجم الوسيط ٥٣٠.

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

قال الإمام الطبري - رَحِمَهُ اللَّهُ - في تفسير هذه الآية الكريمة: (أي أن الله لم ينزل على قوم هذا المؤمن الذي قتله قومه لدعائه إياهم إلى الله ونصيحته لهم من بعده يعني من بعد مهلكه من جند من السماء، ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ فأهلك الله ذلك الملك وأهل أنطاكية فبادوا عن وجه الأرض ولم تبق منهم باقية)(٢٨٣).

يقول البيضاوي: (﴿إِن كَانَتْ﴾ ما كانت الأخذة أو العقوبة إلا صيحة واحدة صاح بها جبريل ﴿فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾ ميتون شُبهوا بالنار رمزاً إلى أن الحي كالنار الساطعة والميت كرمادها)(٢٨٤).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

يقول الدكتور محمد محيسن: (قرأ أبو جعفر (**صيحةٌ**) في الموضعين بالرفع على أن (**كان**) تامة تكتفي بمرفوعها، و(**صيحةٌ**) فاعل، وقرأ - أيضاً - ﴿وَاحِدَةٌ﴾ بالرفع صفة لـ(**صيحةٌ**) أي ما وقع إلا صيحةٌ واحدةٌ.

وقرأ الباقون ﴿صَيْحَةً﴾ في الموضعين بالنصب، على أن ﴿كَانَ﴾ ناقصة، واسمها مضمر، و﴿صَيْحَةً﴾ خبر كان.

وقرأوا - أيضاً - ﴿وَاحِدَةً﴾ بالنصب صفة لـ ﴿صَيْحَةً﴾ والمعنى: إن كانت الأخذةُ إلا صيحةً واحدةً.

تنبيه: ﴿صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ الموضع الثاني من قوله تعالى: ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [يس: ٤٩]، اتفق القراء العشرة على قراءته بالنصب، على أن ﴿صَيْحَةً﴾ مفعول، ﴿يَنظُرُونَ﴾ و﴿وَاحِدَةً﴾ صفة)(٢٨٥).

---

(٢٨٣) الطبري ج٢٣ ص٢ - ٣.

(٢٨٤) تفسير البيضاوي ص٥٨٤.

(٢٨٥) الهادي ج٣ ص١٦٨ - ١٦٩.

خامساً: الجمع بين القراءتين:

من قرأ (**صيحةٌ**) بالرفع فعلى أنها فاعل أي ما وقع إلا صيحةٌ واحدة.

ومن قرأ ﴿صَيْحَةً﴾ بالنصب فالمعنى: إن كانت الأخذة إلا صيحة واحدة.

والقراءتان تفيدان معنىً متقارباً وتبيّن الآية الكريمة هوان الكفار على الله - ﷻ - واستحقارهِ سبحانه لهم، وإهلاكهم بالصيحة نتيجة تكذيبهم للنبي المرسل لهم وقتلهم إياه، والله أعلم.

٧ - قوله تعالى: ﴿وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [يس: ٣٢].

أولاً: القراءات:

١ - قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة وابن جماز بتشديد الميم ﴿لَّمَّا﴾.

٢ - قرأ الباقون بتخفيفها (**لِمَا**)[٢٨٦].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(**لمّا**): لمّا على ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: أن تختص بالمضارع.

الوجه الثاني: أن تختص بالماضي.

الوجه الثالث: أن تكون حرف استثناء بمعنى إلاّ فتدخل على الجملة الاسمية، وفي التنزيل العزيز: ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾﴾ فيمن شدد الميم.

(**لما**) يقال: ما يلمو فمُ فلانٍ بكلمة: أي لا يستعظم شيئاً تكلم به من قبيح. ولما الشيء: أخذه بأجمعه[٢٨٧].

(٢٨٦) انظر النشر ج٢ ص٣٥٣، والبدور الزاهرة ص٣٣٠.

(٢٨٧) انظر المعجم الوسيط ص٨٤٠.

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

قال الطبري ـ رحمه الله ـ في تفسير الآية الكريمة: (يقول تعالى ذكره ألم ير هؤلاء المشركون بالله من قومك يا محمد كم أهلكنا قبلهم بتكذيبهم رسلنا وكفرهم بآياتنا من القرون الخالية أنهم إليهم لا يرجعون، وأن كل هذه القرون التي أهلكناها والذين لم نهلكهم وغيرهم عندنا يوم القيامة جميعهم محضرون)(٢٨٨).

يقول الطاهر ابن عاشور: (والمعنى أن كل القرون محضرون لدينا مجتمعين، أي ليس إحضارهم في أوقات مختلفة ولا في أمكنة متعددة. فكلمة (كل) أفادت أن الإحضار محيط بهم بحيث لا ينفلت فريق منهم، وكلمة ﴿جَمِيعٌ﴾ أفادت أنهم محضرون مجتمعين فليست إحدى الكلمتين بمغنية عن الأخرى)(٢٨٩).

يقول سيد قطب: (قوله تعالى: ﴿وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾﴾، يأخذ القرآن في استعراض الآيات الكونية التي يمرون عليها معرضين غافلين، وهي مبثوثة في أنفسهم وفيما حولهم وفي تاريخهم القديم وهم مع هذا لا يشعرون ولا يذكرون: ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾﴾. وهم يستعجلون بالعذاب غير مصدقين: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾﴾، وبمناسبة الاستعجال والتكذيب يستعرض مشهداً مطولاً من مشاهد يوم القيامة يرون فيه مصيرهم الذي به يستعجلون كأنه حاضر تراه العيون)(٢٩٠).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قال الإمام مكي بن أبي طالب: (حجة من خفف أنه جعل ما زائدة واللام «لام» تأكيد دخلت في خبر «إن» للفرق بين الخفيفة بمعنى (ما)

(٢٨٨) تفسير الطبري ج٢٣ ص٣.
(٢٨٩) التحرير والتنوير ج٢٣ ص١١.
(٢٩٠) الظلال ج٢٣ ص٢٩٦٦.

والخفيفة من الثقيلة، و«إن» في حكم الثقيلة، لأن التثقيل أصلها، وإن كانت لم تعمل، لأن معناها قائم في الكلام، وتقديره: وإن كلاً لجميعٌ لدينا محضرون.

وحجة من شدد أنه جعل «لما» بمعنى «إلا» و«إن» بمعنى «ما» وتقديره: وما كل إلا جميع لدينا محضرون، فهو إبتداء وخبر.

وقد قال القراء في هذه القراءة: إنّ ﴿لَمَّا﴾ أصلها ﴿لِمَن مَّا﴾ ثم أدغم النون في الميم فاجتمع ثلاث ميمات، فحذفت ميم استخفافاً، وشبهّه بقولهم: «عَلْماء بنو فلان» يريدون: «على الماء» فأدغم اللام في اللام ثم حذفوا (إحدى اللامين) استخفافاً وهي الأولى، وبقيت الثانية ساكنة وهي لام الماء)[٢٩١].

قال الألوسي: (قرأ جمع من السبعة «لما» بالتخفيف على أن «إن» مخففة من الثقيلة و«اللام» فارقة و«ما» مزيدة للتأكيد والمعنى أن الشأن كلهم مجموعون إلخ... وهذا مذهب البصريين.

وذهب الكوفيون إلى أن «إن» نافية و«اللام» بمعنى إلا و«ما» مزيدة)[٢٩٢].

ويرى الباحث أن الألوسي لا يُسَلَّمُ له بما قال؛ لأنه لا يوجد زوائد في القرآن الكريم.

خامساً: الجمع بين القراءتين:

القراءة الأولى بالتخفيف جعل (ما) زائدة واللام (لام) تأكيد وتقدير الجملة: ﴿وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾﴾. والقراءة الثانية بالتشديد فقد جعل (لمّا) بمعنى (إلاّ) وتقديره وما كلٌ إلا جميع لدينا محضرون، فهو إبتداء وخبر.

---

(٢٩١) الكشف ج٢ ص٢١٥، وانظر كتاب سيبويه ج١ ص٣١٨ ـ ٣٣٠، وتفسير مشكل إعراب القرآن ١٩٤/ب.

(٢٩٢) تفسير الألوسي ج٢٣ ص٦.

والآية الكريمة تبيّن توعد الله - ﷻ - لهؤلاء الكفار بالعذاب في الآخرة، وتكذيب لاعتقادهم انتفاء البعث كما كانوا يدّعون، سيجمعهم الله يوم القيامة لحسابهم، كلتا القراءتين تفيدان التأكيد على أن الإحضار محيط بالكافرين المكذبين للرسل وهذا مأخوذ من أسلوبي التوكيد والقصر اللّذين ترتبا على اختلاف القراءة في الآية، والله أعلم.

٨ - قوله تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلۡأَرۡضُ ٱلۡمَيۡتَةُ أَحۡيَيۡنَٰهَا وَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهَا حَبّٗا فَمِنۡهُ يَأۡكُلُونَ ٣٣﴾ [يٓس: ٣٣].

أولاً: القراءات:

١ - قرأ نافع وأبو جعفر بتشديد الياء (**الميّتة**).

٢ - قرأ الباقون بالتخفيف ﴿ٱلۡمَيۡتَةُ﴾(٢٩٣).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(**المَوْت**): ضد الحياة ويطلق الموت ويراد به ما يقابل العقل والإيمان، نحو ما في التنزيل العزيز: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

(**المَيْتُ**): الذي فارق الحياة والجمع أموات.

(**الميّتُ**): الميْت ومن في حكم الميْت والجمع أموات وموتى(٢٩٤).

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

يقول القرطبي: (قوله تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلۡأَرۡضُ ٱلۡمَيۡتَةُ أَحۡيَيۡنَٰهَا﴾، نبههم الله تعالى بهذا على إحياء الموتى، وذكّرهم توحيده وكمال قدرته، وهي الأرض الميتة أحياها بالنبات وإخراج الحب منها «فمنه»، أي من الحب «يأكلون» وبه يتغذون)(٢٩٥).

---

(٢٩٣) انظر النشر ج٢ ص٣٥٣، والبدور الزاهرة، للقاضي ص٣٣٠.

(٢٩٤) المعجم الوسيط ص٨٩١.

(٢٩٥) القرطبي ج١٥ ص٢٥.

يقول سعيد حوّى: (﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ﴾، أي علامة تدل على أن الله يبعث الموتى: إحياء الأرض اليابسة؛ أو دلالة لهم على وجود الله الصانع وقدرته التامة وإحيائه الموتى إحياء الأرض الهامدة التي لا شيء فيها من النبات «وأخرجنا منها» من الأرض «حباً فمنه»، أي من الحب «يأكلون» أي جعلناه رزقاً لهم ولأنعامهم، وقد قدم الجار والمجرور «فمنه» ليدل على أن جنس الحب هو الشيء الذي يتعلق به معظم العيش، ويقوم بالأرزاق منه إصلاح الناس، وإذا قلَّ جاء القحط، ووقع الضر، وإذنْ فقد حضر الهلاك ونزل البلاء)[٢٩٦].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءتان (الميتة) و(الميّتة) بالمعنى نفسه وفي ذلك يقول الطاهر ابن عاشور قرأ نافع وأبو جعفر (الميّتة) بتشديد الياء، وقرأ الباقون بتخفيف الياء، والمعنى واحد وهما سواء في الاستعمال[٢٩٧].

خامساً: الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين قراءة التشديد، وقراءة التخفيف يتبيّن أنهما تفيدان معنًى واحداً، فالآية الكريمة تبيّن للكفار قدرة الله - ﷻ - على إحياء الموتى، فالذي يحيي الأرض الميتة، ويخرج منها الحب الذي يأكلونه، قادرٌ على إحياء الموتى، والله أعلم.

٩ - قوله تعالى: ﴿لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [يس: ٣٥].

أولاً: القراءات:

﴿عَمِلَتْهُ﴾

١ - قرأ حمزة والكسائي وخلف وشعبة بحذف هاء الضمير **(عملت)**.

---

(٢٩٦) الأساس في التفسير سعيد حوّى ٨/٤٦٣٧.

(٢٩٧) التحرير والتنوير ج٢٣ ص١٣.

٢ ـ قرأ الباقون بإثبات الهاء ﴿عَمِلَتْهُ﴾[٢٩٨].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(عَمِلَ): عملاً فعل فعلاً عن قصد.

(العامِلْ): من يعمل في مهنة أو صنعة.

(العَمَلُ): المهنة والفعل والجمع أعمال[٢٩٩].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

يقول الطبري ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: (يقول ـ تعالى ذكره ـ أنشأنا هذه الجنات في هذه الأرض ليأكل عبادي من ثمره و«ما» عملته أيديهم، أي ليأكلوا من ثمر الجنات التي أنشأناها لهم ومما غرسوا هم وزرعوا، وما التي في قوله: ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾ في موضع خفض عطفاً على الثمر بمعنى ومن الذي عملت، وقوله: ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ أفلا يشكر هؤلاء القوم الذين رزقناهم هذا الرزق من هذه الأرض الميتة التي أحييناها لهم من رزقهم ذلك وأنعمنا عليهم به؟)[٣٠٠].

يقول سيد قطب: ﴿لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾.

(الحياة معجزة لا تملك يد البشر أن تجريها، إنما هي يد الله التي تجري المعجزات، وتبث روح الحياة في الموت، وإن رؤية الزرع النامي والجنان الوارفة لتفتح العين والقلب على يد الله المبدعة وهي تشق التربة عن النبتة المتطلعة للحرية والنور، ويد الله هي التي أقدرتهم على العمل كما أقدرت الزرع على الحياة والنماء.

﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ ويلتفت عنهم بعد هذه اللمسة الرقيقة ليسبح الله الذي أطلعهم على النبت والجنان وجعل الزرع أزواجاً ذكراناً وإناثاً كالناس

(٢٩٨) انظر النشر ج٢ ص٣٥٣، والبدور الزاهرة، للقاضي ص٣٣٠.

(٢٩٩) المعجم الوسيط ص٦٢٨.

(٣٠٠) الطبري ج٢٣ ص٤.

وكغيرهم من خلق الله الذي لا يعلمه سواه)[٣٠١].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

يقول الإمام ابن خالويه: (قوله تعالى: ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾ يقرأ بإثبات الهاء وطرحها فالحجة لمن أثبتها: أنه أتى بالكلام على أصل ما وجب، لأن الهاء عائدة على «ما» في صلتها، لأنها من أسماء النواقص التي تحتاج إلى صلة وعائد، والحجة لمن حذفها: أنه لما اجتمع في الصلة فعل وفاعل ومفعول خفف الكلمة بحذف المفعول، لأنه فضلة[*] في الكلام[٣٠٢].

يقول الدكتور محمد محيسن: (قرأ شعبة وحمزة والكسائي وخلف العاشر ﴿وَمَا عَمِلَتْ﴾ بحذف هاء الضمير وهي مقدرة، والتقدير وما عملته أيديهم، وهذه القراءة موافقة لرسم مصحف أهل الكوفة، وقرأ الباقون ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ﴾ بإثبات الهاء على الأصل، وهذه القراءة موافقة في الرسم لبقية المصاحف)[٣٠٣].

يقول مكي بن أبي طالب: (قوله: ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾ قرأ أبو بكر وحمزة والكسائي بغير هاء، حذفوا الهاء من صلة «ما» لطول الاسم، وهي مرادة مقدرة، وقرأ الباقون بالهاء على الأصل، ولأنها ثابتة في المصحف، وهو الاختيار، وكلهم قرأ ﴿**عملت أيديهم**﴾ بغير هاء، والأصل الهاء)[٣٠٤].

قال أبو علي: (اختلفوا في إثبات الهاء وسقوطها من قوله - عز وجل -: ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾ [يس: ٣٥]. القول إن أكثر ما جاء في التنزيل من هذا على حذف الهاء، كقوله: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا﴾ [الفرقان: ٤١]. و﴿وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ [النمل: ٥٩]. فكلٌّ على إرادة الهاء

(٣٠١) الظلال ج٢٣ ص٢٩٦٧.

(*) الفضلة: شيء زائد على الكلام أو الجملة يأتي بعد تمام الجملة أو الكلام ربّما يستغنى عنه، كالمفعول به والنعت والحال وما شابه.

(٣٠٢) الحجة ص٢٩٨.

(٣٠٣) الهادي ج٣ ص١٦٩.

(٣٠٤) الكشف ج٢ ص٢١٦.

وحذفها، وقد جاء في الإثبات في قوله: ﴿إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [البقرة: ٢٧٥]. وقوله ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾ [يس: ٣٥]. وموضع «ما» على هذا جرٌّ تقديره: ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم، ويجوز أن تقدر «ما» نافية، فيكون المعنى: ليأكلوا من ثمره ولم تفعله أيديهم ومن قدّر هذا التقدير لم يكن صلة، وإذا لم يكن صلة لم يقتضِ الهاء الراجعة إلى الموصول)[٣٠٥].

خامساً: الجمع بين القراءتين:

القراءتان تفيدان معنًى واحداً فمن حذف الهاء فهي مقدرة عندهم ومن أثبتها فلأنها مثبتة في المصحف الأصل، والآية الكريمة تبيّن إنكار الله - عَزَّ وَجَلَّ - على هؤلاء المشركين الذين أنعم الله عليهم بهذه النعم الكثيرة، من البساتين الموجودة، ومما زرعوا بأيديهم، ولكنهم مع ذلك لم يشكروا الله على نعمه؛ بل استمروا في شركهم بالله سبحانه، والله أعلم.

١٠ - قوله تعالى: ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾﴾ [يس: ٣٩].

أولاً: القراءات:

﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ﴾

١ - قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وروح برفع الراء هكذا ﴿وَٱلْقَمَرُ﴾.

٢ - قرأ الباقون بنصبها هكذا ﴿وَٱلْقَمَرَ﴾[٣٠٦].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(القمرُ): جِرْمٌ سماوي صغير يدور حول كوكب أكبر منه ويكون تابعاً له، ومنه القمر التابع للأرض، والأقمار التي تدور حول كواكب المريخ وزحل والمشتري[٣٠٧].

---

(٣٠٥) الحجة للقراء ج١ ص٤١.

(٣٠٦) النشر ج٢ ص٣٥٣، والبدور الزاهرة للقاضي ص٣٣٠.

(٣٠٧) المعجم الوسيط ص٧٥٨.

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

يقول الطبري - رَحِمَهُ اللَّهُ - في معنى الآية الكريمة: (وآية لهم تقديرنا القمر منازل للنقصان بعد تناهيه وتمامه واستوائه حتى عاد كالعرجون القديم، والعرجون: من العِذق من الموضع النابت في النخلة إلى موضع الشماريخ وإنما شبهه - جل ثناؤه - بالعرجون القديم والقديم هو اليابس؛ لأن ذلك من العذق لا يكاد يوجد إلا متقوساً منحنياً إذا قَدِم ويبس ولا يكاد أن يصاب مستوياً معتدلاً كأغصان سائر الأشجار وفروعها، فكذلك القمر إذا كان في آخر الشهر قبل استدارته صار في انحنائه وتقوّسه نظير ذلك العرجون)[٣٠٨].

يقول الطاهر ابن عاشور: (قوله تعالى: ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ﴾، التقدير يطلق على جعل الأشياء بقدر ونظام مُحكم، ويطلق على تحديد المقدار من شيء تُطلب معرفة مقداره مثل تقدير الأوقات، وتقدير الكميات من الموزونات والمعدودات، وكلا الإطلاقين مرادٌ هنا، فإن الله قدّر للشمس والقمر نظام سيرهما وقدّر بذلك حساب الفصول السنوية الأشهر والأيام والليالي)[٣٠٩].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

يقول الإمام ابن خالويه: (قوله تعالى: ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ﴾ يُقرأ بالرفع والنصب، فالحجة لمن رفع: أنه ابتدأه وجعل ما بعده خبراً عنه، والهاء عائدة عليه وبها صلُح الكلام، والحجة لمن نصب: أنه أضمر فعلاً فسّره ما بعده، فكأنه في التقدير: وقدّرنا القمر قدّرناه)[٣١٠].

يقول الدكتور محمد محيسن: (قرأ نافع وروح وابن كثير وأبو عمرو **(والقمرُ)** بالرفع، على أنه مبتدأ، وجملة **(قدرناه)** إلخ خبر، وقرأ الباقون **(والقمرَ)** بالنصب، وذلك على إضمار فعل على الاشتغال، والتقدير: وقدّرنا

---

(٣٠٨) الطبري ج٢٣ ص٦.

(٣٠٩) التحرير والتنوير ج٢٣ ص٢٢.

(٣١٠) الحجة ص٢٩٨.

القمر)[٣١١].

يقول الإمام مكي بن أبي طالب: (قوله تعالى: ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ﴾ قرأه الكوفيون وابن عامر بالنصب وقرأ الباقون بالرفع، وحجة من نصب أنه نصبه على إضمار فعل، تفسيره ﴿قَدَّرْنَٰهُ﴾، تقديره: وقدّرنا القمر قدرناه منازل، أي ذا منازل، ويجوز أن يكون جاز النصب فيه ليحمل على ما قبله مما عمل فيه الفعل، فأضمر فعلاً يعمل في (**القمر**) ليعطف فيه الفعل على ما عمل فيه الفعل، وحجة من رفع ـ وهو الاختيار لأن عليه أهلَ الحرمين وأبا عمرو ـ أنه قطعه مما قبله، وجعله مستأنفاً فرفعه بالابتداء (**وقدرناه**) الخبر، ويجوز أن يكون رفعه على العطف على قوله: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ﴾، فعطف جملة على جملة)[٣١٢].

قال أبو علي: (الرفع على قوله: آية لهم القمرُ قدرناه منازل، مثل قوله: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ﴾ [يس: ٣٧] وكأن التقدير: وآية لهم الليل نسلخ منه النهار، وآية لهم القمر قدّرناه منازل، فهو على هذا أشبه بالجمل التي قبلها، ومن نصبه فقد حمله سيبويه على: زيداً ضربتهُ. ويجوز في نصبه وجه آخر، وهو أن تحمله على ﴿نَسْلَخُ﴾ الذي هو خبر المبتدأ على ما أجازه سيبويه من قولهم: زيد ضربته وعمروٌ أكرمتهُ وعمراً أكرمته)[٣١٣].

يقول الطبري ـ رحمه الله ـ: (من قرأ بالرفع عطف بها على الشمس، والشمس معطوفة على الليل وتأويل الكلام: وآيةٌ لهم القمر قدرناه منازل، فمن قرأ بالنصب على تقدير: وقدّرنا القمر منازل. والصواب من القول أنهما قراءتان مشهورتان صحيحتا المعنى فبأيهما قرأ القارئ فمصيب)[٣١٤].

(٣١١) الهادي ج٣ ص١٧٠.
(٣١٢) الكشف ج٢ ص٢١٦.
(٣١٣) الحجة للقراء ج٦ ص٤.
(٣١٤) الطبري ج٢٣ ص٥.

خامساً: الجمع بين القراءتين:

القراءتان بمعنى واحد. فمن قرأ (**والقمرُ**) بالرفع فعلى أنه مبتدأ ومن قرأ ﴿وَٱلْقَمَرَ﴾ بالنصب فعلى إضمار فعل وتقديره (وقدرنا القمر قدرناه) والآية الكريمة تبيّن قدرة الله - ﷻ - وعظمته بأن جعل نور القمر يزيد في أيام معينة، وينقص في أيام أخرى بحسب تشكلاته واقترابه وابتعاده من ضُوء الشمس، والله أعلم.

١١ - قوله تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾﴾ [يس: ٤١].

أولاً: القراءات:

١ - قرأ ابن كثير وعاصم وحمزة والكسائي وخلف وأبو عمرو بغير ألف على التوحيد مع فتح التاء ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾.

٢ - قرأ الباقون بالألف على الجمع مع كسر التاء (**ذرياتهم**)(٣١٥).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(**الذُريّة**): نسل الإنسان والنساء والصغار، وفي الحديث أنه - ﷺ - رأى امرأة مقتولة، فقال: ما كانت هذه تقاتل، إلحَقْ خالداً فقل له: لا تقتل ذريّة ولا عسيفاً(٣١٦).

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

يقول الطبري - رحمه الله -: في تفسير الآية الكريمة: (يقول تعالى ذكره ودليل لهم - أيضاً - وعلامةٌ على قدرتنا على كل ما نشاء، ﴿حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ يعني من نجا من ولد آدم في سفينة نوح، والفلك هي السفينة، والمشحون المملوء الموقر).

---

(٣١٥) انظر النشر ج٢ ص٢٧٣، والبدور الزاهرة، للقاضي ص٣٢٠.

(٣١٦) المعجم الوسيط ص٣١٠.

وعن ابن عباس: الفلك المشحون أي الممتلئ وقيل: المثقل[٣١٧].

يقول الطاهر ابن عاشور في تفسير الآية: (فيها انتقال من آيات في الأرض وفي السماء إلى عد آية في البحر تجمع بين العبرة والمنة، وهي آية تسخير الفُلْك أن تسير على الماء وتسخير الماء لتطفو عليه دون أن يغرقها.

ولما كانت ذريات المخاطبين مما أراد الله بقاءه في الأرض حين أمر نوحاً بصنع الفلك لإنجاء الأنواع، وأمره بحمل أزواجٍ من الناس هم الذين تولد منهم البشر بعد الطوفان نُزّل البشر كله منزلةً محمولين في الفلك المشحون في زمن نوح، وذكر الذريات يقتضي أن أصولهم محمولون بطريق الكناية إيجازاً في الكلام، وأن أنفسهم محمولون كذلك كأنه قيل: إنا حملنا أصولهم وحملناهم وحملنا ذرياتهم، إذ لولا نجاة الأصول ما جاءت الذريات، وكانت الحكمة من حمل الأصول بقاء الذريات؛ فكانت النعمة شاملة للكل، وهذا كالامتنان في قوله: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً﴾)[٣١٨].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

يقول الإمام مكي بن أبي طالب: (قوله: ﴿حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ قرأ نافع وابن عامر بالجمع، لكثرة ذرية من حُمل في الفلك، وقرأ الباقون بالتوحيد؛ لأنه يدل على الجمع، كما قال ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ [الإسراء: ٣]، والجمع أحبّ إليّ أنه أول على المعنى)[٣١٩].

يقول الدكتور محمد محيسن: (قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وحمزة والكسائي وخلف العاشر ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ بحذف الألف التي بعد الياء،

---

(٣١٧) الطبري ج٢٣ ص٧.

(٣١٨) التحرير والتنوير ج٢٣ ص٢٧.

(٣١٩) الكشف ج٢ ص٢١٧.

وفتح التاء على الإفراد، وحجة ذلك أن «**الذرية**» تقع للواحد والجمع، ولا شيء أكثر من ذرية آدم ـ عليه السلام ـ فلما صح وقوع «**الذرية**» للجمع استغنى بذلك عن الجمع.

وقرأ الباقون ذرياتهم بالجمع، وحجة ذلك أنه لما كانت «**الذرية**» تقع للواحد أتى بلفظ لا يقع للواحد، فجمع لتخلص الكلمة إلى معناه المقصود إليه، لا يشركها فيه شيء وهو الجمع لأن ظهور بني آدم استخرج منها ذريات كثيرة، لا يعلم عددهم إلا الله ـ تعالى ـ)(٣٢٠).

خامساً: الجمع بين القراءتين:

من قرأ (**ذرياتهم**) بالجمع فلأن ظهور بني آدم استخرج منها ذريات كثيرة.

ومن قرأ ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ بالإفراد، لأن الذرية تقع للواحد والجمع فالقراءتان تفيدان معنى واحد والآية الكريمة تبيّن قدرة الله ـ تبارك وتعالى ـ في تسخيره البحر ليحمل السفن، فمن ذلك بل أوله سفينة نوح ـ عليه السلام ـ التي أنجاه الله تعالى فيها بمن معه من المؤمنين الذين لم يبق على وجه الأرض من ذرية آدم ـ عليه السلام ـ غيرهم، والله أعلم.

١٢ ـ قوله تعالى: ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [يس: ٤٩].

أولاً: القراءات:

﴿يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾﴾.

١ ـ قرأ أبو جعفر بإسكان الخاء وتشديد الصاد (**يَخْصِّمُون**).

٢ ـ قرأ أبو عمرو باختلاس فتحة الخاء وتشديد الصاد (**يَخَصِّمُونَ**).

---

(٣٢٠) المغني ج٣ ص١٧٨.

٣ ـ قرأ ورش وابن كثير وهشام بفتح الخاء وتشديد الصاد (**يخَصّمون**).

٤ ـ قرأ ابن ذكوان وعاصم والكسائي ويعقوب وخلف في اختياره بكسر الخاء وتشديد الصاد ﴿يَخِصِّمُونَ﴾.

٥ ـ قرأ حمزة بإسكان الخاء وتخفيف الصاد (**يَخْصِمون**).

٦ ـ قالون له وجهان: الأولى كأبي جعفر والثاني كأبي عمرو، والياء مفتوحة للجميع[٣٢١].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(**خَصِمَ**) خصماً، وخصاماً: أحكم الخصومة وجادل فهو خصيم.

(**أَخْصَمَ**) فلاناً: لقّنه حُجته على خصمه ليغلبه.

(**خاصمه**) مُخَاصمةً وخِصَاماً، جادله نازعه فهو مُخاصِم وخَصيم[٣٢٢].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

قال الإمام القرطبي ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ في تفسير الآية الكريمة: (أي ما ينتظرون إلا نفخة إسرافيل تأخذهم وهم يختصمون في أمور دنياهم فيموتون في مكانهم، وهذه نفخة الصعق)[٣٢٣].

يقول الشيخ سعيد حوّى ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: (حمل ابن كثير قوله تعالى: ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾﴾ على أن المراد بذلك النفخة الأولى وهي واحدة من ثلاث نفخات كائنات قال: (والله أعلم وهذه نفخة الفزع، ينفخ في الصور نفخة الفزع والناس في أسواقهم ومعايشهم يختصمون ويتشاجرون على عادتهم، فبينما هم كذلك إذ أمر الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ إسرافيل فنفخ في الصور نفخة، يطولها ويمدها، فلا يبقى أحد على وجه

---

(٣٢١) انظر النشر ج٢ ص٣٥٤، البدور الزاهرة، للقاضي ص٣٣١.

(٣٢٢) المعجم الوسيط ص٢٣٩.

(٣٢٣) القرطبي ج١٥ ص٣٨.

الأرض إلا أصغى ليتاً، ورفع ليتاً، وهي صفحة العنق، يتسمّع الصوت من قبل السماء ثم يساق الموجودون من الناس إلى محشر إلى يوم القيامة بالنار، تحيط بهم من جوانبهم، ولهذا قال تعالى: ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً﴾ أي على ما يملكونه، الأمر أهم من ذلك)(٣٢٤).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

يقول الإمام ابن خالويه: (قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾﴾ يقرأ بإسكان الخاء والتخفيف وبتشديد الصاد ـ أيضاً ـ مع الإسكان، وبفتح الياء والخاء وكسر الصاد والتشديد وبفتح الياء وبكسر الياء والخاء والصاد وهم بمعنى «الخصم»، ﴿يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾﴾)(٣٢٥).

يقول الإمام مكي بن أبي طالب: «قوله: (**يَخصّمون**) قرأه حمزة بإسكان الخاء مخففاً، وقرأ قالون بإخفاء حركة الخاء والتشديد، ومثله أبو عمرو، وقد قيل عن أبي عمرو أنه اختلس حركة الخاء، وقرأ ورش وهشام وابن كثير بفتح الخاء والتشديد وقرأ الكسائي وعاصم وابن ذكوان بكسر الخاء والتشديد، وحجة من أسكن الخاء وخفّف أنه بناه على وزن «يفعلون»، مستقبل «**خصم يخصم**» فهو يتعدى إلى مفعول مضمر محذوف، لدلالة الكلام عليه، تقديره: يخصم بعضهم بعضاً، وحجة من اختلس حركة الخاء وأخفاها أن أصله «يفتعلون» فالخاء ساكنة، فلما كانت ساكنة في الأصل في «**يختصمون**» وأدغمت التاء في الصاد لم يمكن أن يجتمع ساكنان المشدد والخاء، فأعطاهما حركة مختلسة، أو مخفاة ليدل بذلك على أن أصل الخاء السكون، فيدل على أصلها أنه السكون بعض الحركة فيها، لأن الحركة المختلسة والمخفاة حركة ناقصة، وحجة من فتح الخاء وشدّد وهو الاختيار لأنه الأصل، أنه بناه على «يفتعلون» أي يختصمون، فحاول إدغام التاء في الصاد لقربها منها، فألقى حركة التاء على الخاء وأدغم التاء في

(٣٢٤) الأساس في التفسير لسعيد حوّى المجلد الثامن ص٤٦٥٢.

(٣٢٥) الحجة ص٢٩٨.

الصاد لقربها منها، وحجة من كسر الخاء أنه لما أدغم التاء في الصاد لما ذكرنا من قرب المخرجين، اجتمع ساكنان، الخاء والمشدد، فكسر الخاء لالتقاء الساكنين، ولم يلق حركة التاء على الخاء كما قالوا: مسّنا السماء، فحذفوا السين الأولى لالتقاء الساكنين، بعد إسكانها للتخفيف، ولم يلقوا حركتها على الميم»(٣٢٦).

قال أبو علي: «من قرأ «**يَخَصَّمون**» حذف الحركة من الحرف المدغم، وألقاها على الساكن الذي قبلها، وهذا أحسن الوجوه بدلالة قولهم: رُدّ وفِرَّ وعَضَّ فألقوا حركة العين على الساكن، ومن قال «**يخِصَّمون**» حذف الحركة، إلا أنه لم يلقها على الساكن كما ألقاها الأول، ومن قال «**يخْصِمون**» جمع بين الساكنين الخاء والحرف المدغم، وأما من قرأ «**يخْصِمون**» تقديره يخصم بعضهم بعضاً، فحذف المضاف وحُذف المفعول به كثيرٌ في التنزيل وغيره»(٣٢٧).

خامساً: الجمع بين القراءتين:

القراءات كلها بمعنى واحد وهذه الفروق في الحركات هي للتخفيف في النطق. والآية الكريمة تبيّن أن الله ـ عز وجل ـ يأمر إسرافيل فينفخ في الصور نفخة الفزع، والناس في أسواقهم ومعايشهم يختصمون ويتشاجرون على عادتهم، والله أعلم.

١٣ ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [يس: ٥٥].

أولاً: القراءات:

﴿شُغُلٍ﴾

١ ـ أسكن الغين نافع وابن كثير وأبو عمرو (**شُغْل**).

(٣٢٦) الكشف ج٢ ص٢١٨.

(٣٢٧) الحجة للقراء السبعة ج٦ ص٤٢، والمغني ج٣ ص١٧٩.

٢ ـ ضمها الباقون ﴿شُغُلٍ﴾.

﴿فَٰكِهُونَ ۝٥٥﴾

١ ـ حذف أبو جعفر الألف بعد الفاء (فكهون).

٢ ـ أثبتها الباقون ﴿فَٰكِهُونَ ۝٥٥﴾[٣٢٨].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(**شغل**) بسكون الغين وضمها، والجمع (أشغال) من باب قطع فهو (شاغِل)[٣٢٩].

و(**الشُغْلَ**) ضد الفراغ.

ويقال هو في شغل شاغل للمبالغة ويطلق على العمل فيقال: شُغل شاق وعلى ما يُعمل فيقال: شُغلٌ جيد والجمع (أشغال)[٣٣٠].

(**فَكِه**): فكهاً وفكاهة: كان طيبَ النفس مزّاحاً.

(**فكّه**) القوم: أتاهم بالفاكهة وأطرفهم بملح الكلام.

(**تفكّه**): أكل الفاكهة[٣٣١].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

يقول الطبري ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ في تفسير هذه الآية: (اختلف أهل التأويل في معنى الشغل الذي وصف الله ـ جل ثناؤه ـ أصحاب الجنة أنهم فيه يوم القيامة، فقال بعضهم: ذلك افتضاض العذارى وورد ذلك عن ابن مسعود، وعن ابن عباس أنه قال: شغلهم افتضاض الأبكار، وقال مجاهد في شغل

---

(٣٢٨) النشر ج٢ ص٣٥٤، والبدور الزاهرة للقاضي ص٣٣١.

(٣٢٩) مختار الصحاح ص١٩٣.

(٣٣٠) المعجم الوسيط ص٤٨٦.

(٣٣١) المعجم الوسيط ص٦٩٩.

في نعمة. وقيل شغلهم النعيم عما فيه أهل النار)[٣٣٢].

يقول الإمام القرطبي ـ رحمه الله ـ: (أصحاب الجنة في شغل بما هم فيه من اللذات والنعيم عن الاهتمام بأهل المعاصي ومصيرهم إلى النار وإن كانوا أقرباءهم وأهليهم، وقال ابن كيسان: «في شغل» أي في زيارة بعضهم بعضاً، وقيل في ضيافة الله تعالى)[٣٣٣].

يقول الصابوني: (أي أن أصحاب الجنة في ذلك اليوم مشغولون بما هم فيه من اللذات والنعيم عن التفكير بأهل النار، يتفكهون ويتلذذون بالحور العين، وبالأكل والشرب والسماع للأوتار).

وعن ابن عباس: شُغلوا بافتضاض الأبكار وسماع الأوتار عن أهاليهم من أهل النار لا يذكرونهم لئلا يتنغصوا[٣٣٤].

ويقول ابن عاشور: (هذا يؤذن أهل الجنة عجّل بهم إلى النعيم قبل أن يبعث إلى النار أهلها، وأن أهل الجنة غير حاضرين ذلك المحضر)[٣٣٥].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

يقول الإمام ابن خالويه: (قوله تعالى: ﴿فِي شُغُلٍ﴾ يُقرأ بضمتين متواليتين، وبضم الشين وإسكان الغين، فقيل هما لغتان فصيحتان، وقيل: الأصل الضم، والإسكان: تخفيف، وقيل: من شغلهم: افتضاض الأبكار، وقيل استماع النَّغم والألحان)[٣٣٦].

يقول الإمام مكي بن أبي طالب: (قوله: «في شغل» قرأ الكوفيون

(٣٣٢) الطبري ج٣ ص١٣.

(٣٣٣) القرطبي ج١٥ ص٤٣.

(٣٣٤) صفوة التفاسير للصابوني ج٣ ص١٧.

(٣٣٥) التحرير والتنوير ج٢٣ ص٤١.

(٣٣٦) الحجة ص٢٩٩.

وابن عامر بضم الغين، وأسكن الباقون وهما لغتان كالسُّحْت والسُّحُت)[٣٣٧].

يقول الدكتور محمد سالم محيسن في كتابه المغني: **(شغل)** قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو «شغْل» بإسكان الغين، وقرأ الباقون بضم الغين، والإسكان والضم لغتان في كل اسم على ثلاثة أحرف أوله مضموم، والإسكان هو الأصل وهو لغة (تميم ـ وأسد). والضم لغة (الحجازيين).

﴿فَـٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾﴾.

قرأ أبو جعفر فكهون بحذف الألف التي بعد الفاء، على أنه صفة مشبهة.

وقرأ حفص وابن عامر بإثبات الألف التي بعد الفاء، على أنه اسم فاعل.

وقرأ الباقون بإثبات الألف التي بعد الفاء[٣٣٨].

خامساً: الجمع بين القراءتين:

من قرأ **(فكهون)** فهو على أنه صفة مشبهة للشغل المشغولين به.

ومن قرأ ﴿فَـٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾﴾ فعلى أنه اسم فاعل أي أنهم هم مشغولون بشغلهم في الجنة وبما أعد لهم من النعيم حتى أنهم ينشغلوا عن أقاربهم وأهليهم، والله أعلم.

١٤ ـ قوله تعالى: ﴿هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَـٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾﴾ [يس: ٥٦].

أولا: القراءات:

١ ـ قرأ حمزة والكسائي وخلف ﴿ظُلَل﴾ بضم الظاء من غير ألف.

(٣٣٧) الكشف ج٢ ص٢١٩.
(٣٣٨) المغني ج٣ ص١٨٠ ـ ١٨١.

٢ ـ قرأ الباقون بكسر الظاء وألف ﴿ظِلَـٰلٍ﴾[٣٣٩].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(الظلُ): ضُوء شعاع الشمس إذا استترت عنك بحاجز، والجمع ظِلال وأظلال، والظِلُ من كل شئ: شخصه.

يقال: ظل الشباب وظل الشتاء وظل الليل: سواده.

وظُلَلَ بضم الظاء وفتح اللام جمع (ظُلّة) وهي ما يظل كالقِباب.[٣٤٠].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

يقول الطبري ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: (﴿هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ﴾ أي أصحاب الجنة وأزواجهم من أهل الجنة وقيل المقصود بالظلال الحلائل، وقيل: الظل منهم وأزواجهم في «كن» لا يضحون لشمس، كما يضحى لها أهل الدنيا؛ لأنه لا شمس فيها، والأرائك هي الحجال فيها السرر والفرش واحدتها أريكة)[٣٤١].

يقول ابن عاشور: (الأرائك: جمع أريكة، والأريكة: اسم لمجموع السرير والحَجَله فإذا كان السرير في الحجلة سمي الجميع أريكة، وهذا من الكلمات الدالة على شيء مركب من شيئين، مثل المائدة اسم للخِوان الذي عليه طعام. والإتكاء هيئة بين الاضطجاع والجلوس وهو اضطجاع على جنب دون وضع الرأس والكتف على الفراش وكان المترفهون من الأمم المتحضرة يأكلون متكئين كان ذلك من عادة سادة الفرس والروم ومن يتشبه بهم من العرب)[٣٤٢].

يقول ابن كثير: (قوله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ: ﴿هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ﴾ قال مجاهد وحلائلهم، ﴿فِى ظِلَـٰلٍ﴾ أي في ظلال الأشجار، ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ﴾

(٣٣٩) النشر في القراءات العشر ج٢ ص٣٥٥، والبدور الزاهرة، للقاضي ص٣٣١.
(٣٤٠) المعجم الوسيط ص٥٧٧.
(٣٤١) الطبري ج٢٣ ص١٤.
(٣٤٢) التحرير والتنوير ج٢٣ ص٤٢.

الأرائك هي السرر تحت الحجال)[٣٤٣].

يقول الصابوني: (أي هم وأزواجهم في ظلال الجنان الوارفة، حيث لا شمس فيها ولا زمهرير، متكئون على السرر المزيّنة بالثياب والستور)[٣٤٤].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

يقول الإمام ابن خالويه: (قوله تعالى: ﴿فِي ظِلَٰلٍ﴾ يُقرأ بضم الظاء وفتح اللام من غير ألف بين اللامين وبكسر الظاء وألف بين اللامين، فالحجة لمن ضم الظاء أنه جعله جمع «ظُلّة»، ودليله قوله تعالى: ﴿فِي ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾، والحجة لمن كسر الظاء؛ أنه جعله جمع ظل، وهو ما سُتر من الشمس في أول النهار إلى وقت الزوال وما سُتر بعد ذلك فهو فِيء، لأنه ظِلٌّ فاء من كل مكان إلى مكان أي: رجع ودليله قوله تعالى: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ۝٣٠﴾)[٣٤٥].

يقول الإمام مكي بن أبي طالب: (حجة من ضم الظاء أنه جعله جمع «ظُلّة» كغرفة وغرف ودليله إجماعهم على قوله: ﴿فِي ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾ [البقرة: ٢١٠].

وحجة من كسر الظاء أنه يحتمل أن يكون أيضاً جمع «ظله» كبرمه وبرام فتكون القراءتان بمعنى واحد والأكثر عليه، ويجوز أن يكون جمع «ظلل» كما قال: ﴿يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ﴾ [النحل: ٤٨]، جمع «**ظل**»)[٣٤٦].

يقول الدكتور محمد محيسن: (من قرأ «ظُلل» بضم الظاء وحذف الألف على وزن «فُعل» مثل: عُمر على أنه جمع «ظُلّه» مثل «غُرَف وغُرْفة» وقرأ الباقون «ظلال» بكسر الظاء وألف بعد اللام على أنه جمع «ظِلّ» على

(٣٤٣) تفسير ابن كثير ج٣ ص٥٧٥.
(٣٤٤) صفوة التفاسير، للصابوني ج٣ ص١٧.
(٣٤٥) الحجة ص٢٩٩.
(٣٤٦) الكشف ج٢ ص٢١٩.

وزن «فِعْل»، مثل: «ذئب وذئاب» أو جمع «ظُلّه» مثل: «قُلّه وقلال»)(٣٤٧).

خامساً: الجمع بين القراءات:

من قرأ (**ظُلَلْ**) فعلى أنه جمع (**ظُلّهْ**) وهو ما ستر من الشمس. ومن قرأ ﴿ظِلَٰلٍ﴾ فعلى أنه جمع (ظل) وهو يحتمل معنيين ما ستر من الشمس أو النهار إلى وقت الزوال وما سُتر بعد ذلك فهو فيء وبذلك تكون القراءة الثانية أفادت معنًى جديداً للآية.

يتضح من خلال القراءات ما أعده الله لأهل الجنة من نعيم، وأنهم هم وزوجاتهم المؤمنات في ظلال دائمة ممتدة لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً، متكئون على السرر المزينة بالستور والفرش، والله أعلم.

١٥ ـ قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [يس: ٦٢].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ أبو عمرو وابن عامر بضم الجيم وإسكان الباء وتخفيف اللام (**جُبْلاً**).

٢ ـ قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي وخلف ورويس بضم الجيم والباء جميعاً وتخفيف اللام، وروى روح كذلك إلا أنه بتشديد اللام ﴿جِبِلًّا﴾(٣٤٨).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(**الجَبْلُ**) و(**الجِبْل**): الأمة، والجماعة من الناس.

(**الجُبْلة**): الخلقة والطبيعة والأمة والجماعة من الناس.

(**الجِبِلُّ**): الأمة والجماعة من الناس وفي التنزيل العزيز: ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ

(٣٤٧) الهادي ج٣ ص١٧٢.

(٣٤٨) النشر في القراءات العشر ج٢ ص٣٥٥، والبدور الزاهرة للقاضي ص٣٣١.

مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا﴾[٣٤٩].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

يقول ابن كثير - رَحِمَهُ اللَّهُ - في تفسير هذه الآية الكريمة: (الجِبِلة: الخلق الكثير قاله مجاهد، وقوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾ أي أفما كان لكم عقل في مخالفة ربكم فيما أمركم به من عبادته وحده لا شريك له وعدولكم إلى إتباع الشيطان، فيتميز الناس يوم القيامة فيمّيز المؤمن عن الكافر)[٣٥٠].

يقول الإمام القرطبي - رَحِمَهُ اللَّهُ - (قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ﴾ أي أغوى ﴿جِبِلًّا كَثِيرًا﴾ أي خلقاً كثيراً، قاله مجاهد، قتادة: جموعاً كثيرة. الكلبي: أمماً كثيرة، والمعنى واحد.

﴿أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾ عداوته وتعلموا أن الواجب طاعة الله)[٣٥١].

يقول الإمام الطبري - رَحِمَهُ اللَّهُ -: (القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾﴾، يعني - تعالى ذكره - بقوله ولقد صدّ الشيطان منكم خلقاً كثيراً عن طاعتي وإفرادي بالألوهية حتى عبدوه واتخذوا من دوني آلهة يعبدونها)[٣٥٢].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

يقول الإمام ابن خالويه: (قوله تعالى: ﴿جِبِلًّا كَثِيرًا﴾ يُقرأ بضم الجيم والباء وبإسكانها مع التخفيف، وبكسر الجيم والباء وتشديد اللام، وكلها لغات معناها الخِلقة والطبع، وما جُبل الإنسان عليه)[٣٥٣].

يقول الإمام مكي بن أبي طالب: (قوله: ﴿جِبِلًّا﴾ حجة من قرأ بكسر

(٣٤٩) المعجم الوسيط ص١٠٦.
(٣٥٠) تفسير ابن كثير ج٣ ص٥٧٦.
(٣٥١) القرطبي ج٢٣ ص٤٧.
(٣٥٢) الطبري ج٢٣ ص١٦.
(٣٥٣) الحجة ص٢٩٩.

الجيم والتشديد أنه جعله جمع «جبلّة» وهي الخلق، جعله جمع بينه وبين واحده الهاء، وحجة من قرأ بضمتين أنه جعله جمع «جبيل»، وهو الخلق أيضاً، كرغيف ورغف، وكذلك الحجة لمن أسكن الباء وضم الجيم، إلا أنه أسكن تخفيفاً، وأصل التاء الضم كرسول ورسل)(٣٥٤).

يقول الدكتور محمد محيسن: (﴿جِبِلًّا﴾ قُرأ بكسر الجيم والباء مع تشديد اللام على أنه جمع «جبلّة» وهي الخلق، وقُرأ «جُبْلاً» بضم الجيم وسكون الباء وتخفيف اللام على أنه جمع «جبيل» وهو الخلق - أيضاً - مثل: «رغيف ورغف» إلا أنه أسكن الباء تخفيفاً، وقُرأ «جُبُلاً بضم الجيم والباء وتشديد اللام على أنه جمع «جِبَل» بكسر الجيم وفتح الباء.

المعنى: لقد أضل الشيطان منكم جبلاً أي خلقاً كثيراً، أفلم تكونوا تعقلون أن ذلك كان بسبب الشيطان فتجنبوا تزيينه وإغوائه)(٣٥٥).

يقول الإمام القرطبي: (ورد في «جِبِلاً» خمس قراءات هي: جِبِلاً، جُبْلاً، جُبُلاً، جبلاً، جِبْلاً. وكلها لغات بمعنى الخلق).

يقول النحاس: (أبينها القراءة الأولى «جبلاً» والدليل على ذلك أنهم قد أجمعوا أن قرءوا «والجبلّة الأولين»، فيكون «جبلاً» جمع «جِبِلّة» والاشتقاق فيه كله واحد، وإنما هو من جبل الله - ﷻ - الخلق أي خلقهم)(٣٥٦).

خامساً: الجمع بين القراءات:

القراءتان بمعنى واحد تفيدان إغواء الشيطان وإضلاله لخلقٍ كثيرين، والآية الكريمة تبيّن تحذير الله - ﷻ - للإنسان من الشيطان الذي أضل خلقاً، وأمماً كثيرة من أن يتبع سُبَل الشيطان وأن يحكم عقله، ويحذر من تزيين الشيطان وإغوائه له، والله أعلم.

(٣٥٤) الكشف ج٢ ص٢١٩.

(٣٥٥) المغني ج٣ ص١٨٢ - ١٨٣.

(٣٥٦) القرطبي ج٢٣ ص٤٧.

١٦ ـ قوله تعالى: ﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي ٱلْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [يس: ٦٨].

أولاً: القراءات:

﴿نُنَكِّسْهُ فِي ٱلْخَلْقِ﴾

١ ـ قرأ عاصم وحمزة بضم النون الأولى وفتح الثانية وكسر الكاف وتشديدها ﴿نُنَكِّسْهُ﴾.

قرأ الباقون بفتح النون الأولى وإسكان الثانية وضم الكاف مخففة **(نَنْكُسه)**[٣٥٧].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(نَكَس) الشيء: نكساً: قلبه، أي جعل أعلاه أسفله أو مقدّمه مؤخره.

(نُكِسَ الفرس): لم يلحق بالخيل في جريها.

ويقال نُكِس على رأسه: رجع عما عرفه.

نكس الله فلاناً في العمر: أطال عمره إلى أرذل العمر فعاد إلى حالٍ كحال الطفولة في الضعف والعجز، وفي التنزيل العزيز: ﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي ٱلْخَلْقِ﴾[٣٥٨].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

يقول الإمام الطبري ـ رحمه الله ـ: (يقول ـ تعالى ذكره ـ ومن نعمره فنمد له في العمر ننكسه في الخلق، يقول نرده إلى مثل حاله في الصّبا من الهَرم والكِبر، وذلك هو النكس في الخلق فيصير لا يعلم شيئاً بعد العلم الذي كان يعلمه)[٣٥٩].

---

(٣٥٧) النشر في القراءات العشر ج٢ ص٣٥٥، والبدور الزاهرة للقاضي ص٣٣١.

(٣٥٨) المعجم الوسيط ص٩٥٢.

(٣٥٩) الطبري ج٢٣ ص١٨.

يقول الإمام القرطبي: (المعنى أنه يصير إلى حال الهرم الذي يشبه حال الصبا، وقال سفيان في قوله تعالى: ﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ﴾ إذا بلغ ثمانين سنةً تغير جسمه وضعفت قوته فطول العمر يصيّر الشباب هرماً، والقوة ضعفاً والزيادة نقصاً، وهذا هو الغالب وقد تعوّذ - ﷺ - من أن يردّ إلى أرذل العمر)[٣٦٠].

يقول الصابوني: (أي ومن نُطل عمره نقلبه في أطوار منكساً في الخلق فيصير كالطفل لا يعلم شيئاً، قال قتادة يصير إلى حال الهرم الذي يشبه حال الصبا، فطول العمر يصيّر الشباب هرماً والقوة ضعفاً، والزيادة نقصاً)[٣٦١].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

يقول الإمام ابن خالويه: (قوله تعالى: ﴿نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ﴾ يُقرأ بضم النون والتشديد، وبفتحها والتخفيف، فقيل: هما لغتان بمعنى واحد، وقيل: معنى التشديد: التكثير والترداد، ومعنى التخفيف: المرة الواحدة.

وفرّق «أبو عمرو» بينهما فقال: نكّسَ الرجل عن دابته بالتشديد ونكس في مرضه رَدَّ فيه ومعناه: نعيده إلى أرذل العمر يريد به: الهرم)[٣٦٢].

يقول الدكتور محمد محيسن: (﴿نُنَكِّسْهُ﴾ للتكثير وذلك إشارة إلى تعدد الرد من الشباب إلى الكهولة ثم إلى الشيخوخة ثم إلى الهرم).

و(**نَنْكُسْه**) مضارع «نكس» بالتخفيف أي من نُطل عمره نرده من قوة الشباب إلى ضعف الهرم)[٣٦٣].

يقول الإمام مكي بن أبي طالب: (﴿نُنَكِّسْهُ﴾، (**نَنْكُسه**) هما لغتان مثل «قَتل وقتّل» وأنكر الأخفش التخفيف، ولم يعرف إلا التشديد، وقال لا يكادون يقولون: نكسْته، إلا لما يقلب، فيجعل رأسه أسفل. وروي عن أبي

---

(٣٦٠) القرطبي ج٢٣ ص٥١.

(٣٦١) صفو ة التفاسير للصابوني ج٣ ص٥١.

(٣٦٢) الحجة ص٣٣٠.

(٣٦٣) الهادي ج٣ ص١٧٣.

عمرو أنه أنكر التشديد)[٣٦٤].

خامساً: الجمع بين القراءات:

القراءتان تفيدان معنى واحد، فقراءة التخفيف تفيد رد الإنسان من قوة الشباب إلى ضعف الهرم، وقراءة التشديد تفيد تعدد الرد من الشباب إلى الكهولة ثم إلى الشيخوخة ثم إلى الهرم، والله أعلم.

١٧ ـ قوله تعالى: ﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾﴾ [يٰس: ٧٠].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ المدنيان «نافع وأبو جعفر» وابن عامر ويعقوب بالخطاب **(لتنذر)**.

٢ ـ قرأ الباقون بالغيب ﴿لِّيُنذِرَ﴾[٣٦٥].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(نَذِرَ) بالشيء نَذْراً، ونذارة: علِمَه فحذِره، يقال: نذِرُوا بالعدو.

(أنذره) الشيء: أعلمه به وخوَّنه منه.

(تناذَرَ) القوم: أنذر بعضهم بعضاً شراً. خوّف بعضهم بعضاً منه.

(النَّذارة): الإنذار[٣٦٦].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

يقول ابن كثير: (قوله تعالى: ﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا﴾ أي لينذر هذا القرآن المبين كل حي على وجه الأرض كقوله: ﴿لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ﴾ وقال ـ جل وعلا ـ: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ

(٣٦٤) الكشف ج٢ ص٢٢٠.

(٣٦٥) النشر ج٢ ص٣٥٥، والبدور الزاهرة ص٣٢١.

(٣٦٦) المعجم الوسيط ص٩١٢.

كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُولَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾﴾ [هود: ١٧]، وإنما ينتفع بنذارته من هو حي القلب مستنير البصيرة كما قال قتادة حي القلب - حي البصر وقال الضحاك يعني عاقلاً ﴿وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[٣٦٧].

يقول الصابوني: ﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا﴾ أي لينذر بهذا القرآن من كان حي القلب مستنير البصيرة، وهم المؤمنون لأنهم المنتفعون به ﴿وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ أي وتجب كلمة العذاب على الكافرين لأنهم كالأموات لا يعقلون ما يخاطبون به[٣٦٨].

قال القرطبي: (﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا﴾ أي حي القلب، قاله قتادة والضحاك: عاقلاً وقيل: المعنى لتنذر من كان مؤمناً في علم الله)[٣٦٩].

قال البيضاوي: (وجعلهم في مقابلة من كان حياً إشعاراً بأنهم لكفرهم وسقوط حجتهم، وعدم تأملهم أمواتٌ في الحقيقة)[٣٧٠].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

يقول الإمام ابن خالويه: (قال تعالى: ﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا﴾ يقرأ بالياء والتاء فالحجة لمن قرأه بالياء قوله: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ﴾ والحجة لمن قرأه بالتاء، أنه جعله عليه السلام مخاطبة ووجه الياء أن يكون للقرآن، لقوله تعالى: ﴿لِأُنذِرَكُم بِهِۦ﴾)[٣٧١].

يقول الإمام مكي بن أبي طالب: (قوله: ﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا﴾ قرأ نافع وابن عامر بالتاء على الخطاب للنبي - ﷺ - لأنه هو النذير لأمته، كما

---

(٣٦٧) تفسير ابن كثير ج٣ ص٥٨٠.

(٣٦٨) صفوة التفاسير، للصابوني ج٣ ص٢١.

(٣٦٩) القرطبي ج٢٣ ص٥٥.

(٣٧٠) تفسير البيضاوي ج٢ ص١٦٢.

(٣٧١) الحجة ص٣٠٠.

قال: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۖ﴾ وقرأ الباقون على الإخبار عن القرآن، لأنه نذير لمن أنزل عليهم، كما قال: ﴿كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ۝٣ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا﴾ [فصلت: ٣ ـ ٤][٣٧٢].

يقول الدكتور محمد محيسن: (اختلف القرّاء في ﴿لِّيُنذِرَ﴾ من قوله تعالى: ﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيّٗا وَيَحِقَّ ٱلۡقَوۡلُ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٧٠﴾.

قرأ يعقوب ونافع وابن عامر وأبو جعفر لتنذر بتاء الخطاب والفاعل ضمير مستتر تقديره «أنت» والمراد به نبينا محمد ـ ﷺ ـ لأنه النذير لأمته.

وقرأ البزّي موضع يس ﴿لِّيُنذِرَ﴾ بياء الغيبة قولاً واحداً، والفاعل ضمير مستتر تقديره «هو» والمراد به القرآن الكريم لأنه نذير لمن أنزل عليهم ﴿كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ۝٣ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا﴾ [فصلت: ٣ ـ ٤].

وقرأ البزيّ موضع الأحقاف (**لتنذر، لينذر**) بالخطاب والغيبة.

وقرأ الباقون الموضعين هنا والأحقاف «**لينذر**» بياء الغيبة قولاً واحداً[٣٧٣].

قال صاحب كتاب الحجة للقراء السبعة أئمة الأمصار: وجه التاء أنه خطاب النبي ـ ﷺ ـ ومن قال (**يُنذر**) أراد القرآن، ومعنى من كان حياً، من المؤمنين، لأن الكفار أمواتٌ، كما قال ﴿أَمۡوَٰتٌ غَيۡرُ أَحۡيَآءٖۖ﴾ [النحل: ٢٦]، وقال: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ﴾ [الأنعام: ١٢٢][٣٧٤].

خامساً: الجمع بين القراءات:

القراءة الأولى (**لتنذر**) بالخطاب أفادت أن الله تعالى جعل النبي ﷺ

(٣٧٢) الكشف ج٢ ص٢٢٠.

(٣٧٣) الهادي ج٣ ص١٧٤.

(٣٧٤) الحجة للقراء ج٦ ص١٧٤.

نذيراً وبشيراً للبشر بكلامه ﷺ والقراءة الثانية (لينذر) بالغيبة أفادت معنًى جديداً وهو الإخبار عن القرآن وبأن النبي نذير بما أنزل عليه من القرآن الكريم، ويتبيّن من خلال الآية الكريمة إنذار الله - ﷻ - للمؤمنين أصحاب القلوب الحيَّة والعقول المستنيرة، أما الكفار فقد قامت عليهم الحجة بعد بعثة النبي ﷺ، ونزول القرآن الكريم، والله أعلم.

١٨ - قوله تعالى: ﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [يس: ٧٦].

أولاً: القراءات:

﴿يَحْزُنكَ﴾

١ - قرأ نافع بضم الياء وكسر الزاي (**يُحزِنك**).

٢ - قرأ الباقون بفتح الياء وضم الزاي ﴿يَحْزُنكَ﴾[٣٧٥].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(حَزَن) الأمر فلاناً - حُزناً: غمّة، وفي التنزيل العزيز ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ﴾ [المائدة: ٤١] فهو محزونٌ وحزين.

وحَزَن الرجل حَزْناً: اغتمَّ وفي التنزيل العزيز ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾[٣٧٦].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

يقول الإمام ابن عاشور: (قوله تعالى: ﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾، أي فلا تحزنك أقوالهم في الإشراك وإنكار البعث والتكذيب والأذى للرسول - ﷺ - للمؤمنين ولذلك حذف المقول، أي لا يحزنك قولهم الذي هو من شأنه أن يحزنك، والنهي عن الحزن فهي عن سببه وهو اشتغال بال الرسول بإعراضهم عن قبول الدين الحق، وهو يستلزم الأمر بالأسباب الصارفة

---

(٣٧٥) النشر ج٢ ص٣٥٥، والبدور الزاهرة ص٣٢٢.

(٣٧٦) المعجم الوسيط ص١٧١.

للحزن عن نفسه من التسلّي بعناية الله تعالى وعقابه من عادوه)[٣٧٧].

يقول الإمام الطبري - رَحِمَهُ اللَّهُ -: (قوله تعالى: ﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد - ﷺ - فلا يحزنك يا محمد قول هؤلاء المشركين من قومك لك أنك شاعر وما جئتنا به هو الشعر ولا تكذيبهم بآيات الله وجحودهم نبوّتك فإنا نعلم أن ما يدعوهم إلى قول ذلك الحسد وهم يعلمون أن الذي جئتهم به ليس بشعر ولا يشبه الشعر فنعلم ما يسرون وما يعلنون)[٣٧٨].

يقول الإمام الصابوني: (قوله تعالى: ﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾ أي لا تحزن يا محمد على تكذيبهم لك واتهامهم بأنك شاعر أو ساحر وهذه تسليةٌ للنبي - ﷺ -)[٣٧٩].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

يقول الإمام ابن عاشور: (قرأ نافع (**يُحزنك**) بضم الياء وكسر الزاي من أحزنه إذا أدخل عليه حزناً، وقرأه الباقون بفتح الياء وضم الزاي من حَزَنه بفتح الزاي بمعنى أحزنه وهما بمعنى واحد)[٣٨٠].

يقول الدكتور محمد محيسن: (قوله تعالى: ﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾ قرأ نافع بضم الياء وكسر الزاي على أنه مضارع «أحزن» الثلاثي المزيد بالهمزة نحو: «أكرم - يكرم».

قرأ أبو جعفر بفتح الياء وضم الزاي غير أنه في موضع سورة الأنبياء ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ﴾، فقد قرأه بضم الياء وكسر الزاي.

قرأ الباقون بفتح الياء وضم الزاي.

قال الراغب: (في مادة «حَزِن»، «الحُزن» بضم الحاء، وسكون الزاي،

---

(٣٧٧) التحرير والتنوير ج٢٣ ص٧٢.
(٣٧٨) الطبري ج٢٣ ص٢٠.
(٣٧٩) صفوة التفاسير للصابوني ج٣ ص٢٢.
(٣٨٠) التحرير والتنوير ج٢٣ ص٧٣.

والحزن بفتح الحاء والزاي خشونة في الأرض، وخشونة في النفس لما لها من الغم ويضاده الفرح)[٣٨١].

خامساً: الجمع بين القراءات:

القراءة الأولى: **(يُحزنك)** تفيد أن الكفار أدخلوا الحزن على رسول الله ﷺ بتكذيبهم للرسول، والقراءة الثانية: ﴿يَحْزُنكَ﴾ تفيد أن كلام الكفار وتكذيبهم للنبي ﷺ أحزن الرسول. ويمكن الجمع بين القراءتين بأن الكفار هم سبب حزن النبي - ﷺ - والآية الكريمة تدعو النبي إلى عدم الإهتمام بتكذيبهم وإدعاءاتهم الباطلة فالله - ﷻ - يعلم كذبهم ويعلم ما يسرون وما يعلنون، والله أعلم.

١٩ - قال تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾﴾ [يس: ٨١].

أولاً: القراءات:

﴿بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ﴾:

١ - قرأ رويس بياء مفتوحة وإسكان القاف من غير ألف وضم الراء **(يقدر)**.

٢ - قرأ الباقون بالباء وفتح القاف وألف بعدها وخفض الراء منونة ﴿بِقَٰدِرٍ﴾[٣٨٢].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(قَدَرَ) عليه: قدارة: تمكن منه.

قَدَرَ الشيء قَدْراً: بين مقداره، ويقال قدر الأمر: دبّره وفكر في تسويته.

---

(٣٨١) المغني ج١ ص٣٨٠.
(٣٨٢) النشر ج٢ ص٣٥٥، والبدور الزاهرة ص٣٣٢.

(القادر): اسم أو صفة لله تعالى.

(القديرُ): ذو القدرة، وهو الفاعل لما يشاء على قَدْر ما تقتضي الحكمة لا زائداً عليه ولا ناقصاً عنه، ولذلك لا يوصف به إلا الله تعالى[٣٨٣].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

يقول الإمام الطبري - رَحِمَهُ اللَّهُ -: (قوله تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾، يقول - تعالى ذكره - منبهاً هذا الكافر الذي قال من يحيي العظام وهي رميم على خطأ قوله وعظيم جهله أو ليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلكم فإن خلق مثلكم من العظام الرميم ليس بأعظم من خلق السموات والأرض، يقول فمن لم يتعذر عليه خلق ما هو أعظم من خلقكم فكيف يتعذر عليه إحياء العظام من بعد ما قد رمّت وبليت)[٣٨٤].

يقول ابن كثير: (يقول - تعالى ذكره - منبهاً على قدرته العظيمة في خلق السموات السبع بما فيها والكواكب السيارة والثوابت والأرضين السبع وما فيها من جبال ورمال وبحار وما بين ذلك ومرشداً إلى الاستدلال على إعادة الأجساد بخلق هذه الأشياء العظيمة كقوله تعالى: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾، وقال - عَزَّ وَجَلَّ - ههنا ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾، أي مثل البشر فيعيدهم كما بدأهم، قاله ابن جرير وهذه الآية الكريمة كقوله - عَزَّ وَجَلَّ - ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾﴾ [الاحقاف: ٣٣][٣٨٥].

يقول الشيخ الصابوني: (أي أوليس الذي خلق السموات والأرض مع

---

(٣٨٣) المعجم الوسيط ص٧١٨ - ٧١٩.

(٣٨٤) الطبري ج٢٣ ص٢٢.

(٣٨٥) تفسير ابن كثير ج٣ ص٥٨٢.

كبر جرمهما، وعظم شأنهما قادر على أن يخلق أجساد بني آدم بعد فنائها؟ بلى هو القادر على ذلك فهو الخلّاق المبدع في الخلق والتكوين العليم بكل شيء)[٣٨٦].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

يقول ابن عاشور: (قرأ الجمهور ﴿بِقَـٰدِرٍ﴾ بالباء الموحدة وبألف بعد القاف وجر الاسم بالباء المزيدة في النفي لتأكيده.

وقرأ رويس عن يعقوب بتحتية بصيغة المضارع (**يقدر**))[٣٨٧].

يقول الدكتور محمد محيسن: (قرأ رويس بياء تحتية مفتوحة، وإسكان القاف وضم الراء على أنه مضارع «**قدر**».

وقرأ الباقون ﴿بِقَـٰدِرٍ﴾ بباء موحدة مكسورة في مكان الياء، مع فتح القاف وألف بعدها، وكسر الراء منونة، على أنه اسم فاعل من «قدر»)[٣٨٨].

خامساً: الجمع بين القراءات:

القراءة الأولى ﴿بِقَـٰدِرٍ﴾ تثبت صفة القدرة لله - عز وجل - فالله الذي خلق السماوات والأرض قادر على أن يخلق مثلكم أيها الكفار من العظام الرميم، والقراءة الثانية (**يقدر**) بصيغة الفعل المضارع تفيد استمرار قدرة الله - عز وجل - على الخلق وعلى إعادة الخلق مرة أخرى بعد أن أصبح رميم.

والآية الكريمة فيها ضرب المثل من الله - عز وجل - بقدرته على خلق الشيء العظيم للاستدلال على قدرته على خلق ما هو دون ذلك، فالله الخالق المبدع الذي خلق السموات والأرض قادرٌ على أن يعيد خلق الإنسان، والله أعلم.

---

(٣٨٦) صفوة التفاسير، للصابوني ج٣ ص٢٢.

(٣٨٧) التحرير والتنوير ج٢٣ ص٧٨.

(٣٨٨) المغني ج٣ ص١٨٥.

٢٠ ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس: ٨٢].

أولاً: القراءات:

﴿فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾

١ ـ قرأ ابن عامر الشامي والكسائي بنصب النون (**فيكونَ**).

٢ ـ قرأ الباقون برفع النون ﴿فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾[٣٨٩].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(**كان**) الشيء كوْناً، وكياناً وكينونة: حدث فهو كائن والمفعول مكونٌ، تأتي كان بمعنى «وقع» مثل: «ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن».

كوّن الله الشيء: أخرجه من العدم إلى الوجود[٣٩٠].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

قال ابن كثير: (قوله ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾، أي إنما يأمر بالشيء أمراً واحداً لا يحتاج إلى تكرار وتأكيد).

قال الإمام أحمد: (إن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: (إن الله تعالى يقول يا عبادي كلكم مذنب إلا من عافيت فاستغفروني أغفر لكم وكلكم فقير إلا من أغنيت، إني جواد ماجد واجد أفعل ما أشاء، عطائي كلام وعذابي كلام إذا أردت شيئاً فإنما أقول له كن فيكون)[٣٩١].

(٣٨٩) النشر ج٢ ص٣٥٦، والبدور الزاهرة للقاضي ص٣٣٢.

(٣٩٠) المعجم الوسيط ص٨٠٥ ـ ٨٠٦.

(٣٩١) مسند أحمد (مسند ابي ذر) ج٣٥ ص٤٢٨. مؤسسة الرسالة، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة ج١١ ص٥٣٧٥.

قال القرطبي: (قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾، أي إذا أراد خلق شيء لا يحتاج إلى تعب ومعالجة)[٣٩٢].

يقول الصابوني ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: (قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس: ٨٢] أي لا يصعب عليه ـ جلّ وعلا ـ شيء لأن **أمره بين الكاف والنون** فمتى أراد الله تعالى شيئاً وُجد بدون تعب ولا جهد ولا كلفة ولا عناء)[٣٩٣].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قال الإمام القرطبي: (قرأ الكسائي (**فيكونَ**) بالنصب عطفاً على ﴿**يقول**﴾ أي إذا أراد خلق شيءٍ لا يحتاج إلى تعب ومعالجة)[٣٩٤].

يقول الدكتور محمد محيسن: (قرأ ابن عامر والكسائي بنصب نون (**فيكونَ**).

ووجه النصب أنه على تقدير إضمار «أن» بعد الفاء الواقعة بعد حصر «بإنما».

قرأ الباقون بالرفع في ﴿فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ وذلك على الاستئناف والتقدير «فهو يكون»)[٣٩٥].

يقول ابن عاشور: (قرأ الجمهور ﴿فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ مرفوعاً على تقدير: أن يقولَ له كن فيكون، وقرأه ابن عامر والكسائي بالنصب عطفاً على ﴿يَقُولَ﴾ المنصوب)[٣٩٦].

قرأ ابن عامر والكسائي (**كن فيكون**) نصباً، وقرأ الباقون ﴿فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾

---

(٣٩٢) القرطبي ج٢٣ ص٦٠.

(٣٩٣) صفوة التفاسير، للصابوني ج٣ ص٢٣.

(٣٩٤) القرطبي ج٢٣ ص٦٠.

(٣٩٥) المغني ص١٧٨.

(٣٩٦) التحرير والتنوير ج٢٣ ص٨٠.

رفعاً، أما الكسائي فإنه يحمل نصب **(فيكونَ)** على ما قبله من **(أنْ)** ولا ينصِبُ ﴿فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ إذا لم يكن قبله (أنْ) فيحمل عليها.

وأما ابن عامر فإنه ينصب **(فيكونَ)** كان قبلها (أنْ) أو لم يكن(٣٩٧).

خامساً: الجمع بين القراءات:

القراءتان بالمعنى نفسه والآية الكريمة تدلل على بيان قدرة الله - ﷻ - وأن **أمره بين الكاف والنون** لا يلحقه تعب أو مشقة، والله أعلم.

٢١ - قوله تعالى: ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [يس: ٨٣].

أولاً: القراءات:

﴿بِيَدِهِ - تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾

١ - قرأ رويس بحذف صلة هاء الضمير **(بيده)**.

٢ - قرأ الباقون بإثبات صلة هاء الضمير ﴿بِيَدِهِ﴾.

٣ - قرأ يعقوب بفتح التاء وكسر الجيم **(تَرجعون)**.

٣ - قرأ الباقون بضم التاء وفتح الجيم ﴿تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾(٣٩٨).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

اليدُ: من أعضاء الجسد، وهي من المنكب إلى أطراف الأصابع.

اليدُ من كل شيء: مقبضه ومنه يد السيف والسكين والفأس والرَّحى.

يدُ السلطان: القدرة والقوة(٣٩٩).

قال الراغب: «**الرجوع**»: العود إلى مكان منه البدء، مثل قوله تعالى:

---

(٣٩٧) الحجة للقراء ج٦ ص٤٧.

(٣٩٨) البدور الزاهرة ص٣٣٢، النشر ج٢ ص٢٠٨.

(٣٩٩) المعجم الوسيط ص١٠٦٣.

﴿فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمۡ قَالُواْ يَـٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلۡكَيۡلُ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَآ أَخَانَا نَكۡتَلۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يوسف: ٦٣].

«الرجع» بسكون الجيم: الإعادة، مثل قوله تعالى: ﴿وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَـٰهَآ أَنَّهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ﴿٩٥﴾﴾ [الأنبياء: ٩٥][٤٠٠].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

يقول ابن كثير: (قوله تعالى: ﴿فَسُبۡحَـٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىۡءٍ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ أي: تنزيه وتقديس وتبرئة من السوء للحي القيوم الذي بيده مقاليد السموات والأرض وإليه يُرجع الأمر كله وله الخلق والأمر وإليه يَرْجع العباد يوم المعاد فيجازي كل عامل بعمله وهو العادل المنعم المتفضل)[٤٠١].

يقول الإمام الطبري: (قوله تعالى: ﴿فَسُبۡحَـٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىۡءٍ﴾ يقول ـ تعالى ذكره ـ فتنزه الذي بيده ملكوت كل شيء وخزائنه وقوله وإليه تُرجعون يقول: وإليه تردّون وتصيرون بعد مماتكم)[٤٠٢].

يقول الصابوني: (﴿فَسُبۡحَـٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىۡءٍ﴾ أي تنزّه وتمجد عن صفات النقص، الإله العظيم الجليل، الذي بيده الملك الواسع، والقدرة التامة على كل الأشياء، وإليه تُرجعون أي: وإليه وحده مرجع الخلائق للحساب والجزاء)[٤٠٣].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

اختلف القراء في لفظ ﴿تُرۡجَعُونَ﴾ وما جاء منه إذا كان من رجوع الآخرة نحو ﴿ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ سواء كان غيباً أو خطاباً.

فقرأ يعقوب بفتح حرف المضارعة، وكسر الجيم وذلك على البناء

(٤٠٠) انظر المفردات في غريب القرآن ص١٨٨.
(٤٠١) تفسير ابن كثير ج٣ ص٥٨٢.
(٤٠٢) الطبري ج٣ ص٢٢.
(٤٠٣) صفوة التفاسير، للصابوني ج٣ ص٢٣.

للفاعل وهو فعل مضارع من «**رجع**».

وقرأ الباقون بضم حرف المضارعة وفتح الجيم، وذلك على البناء للمفعول وهو مضارع «**رجع**»[٤٠٤].

خامساً: الجمع بين القراءات:

القراءتان بالمعنى نفسه وتفيدان رجوع العباد لله - ﷻ - يوم القيامة ليجازي كل واحد بعمله. والآية الكريمة فيها تنزيه الله - ﷻ - وتمجيده ورفعته عن كل نقص فبيده سبحانه ملكوت السموات والأرض ويرجع إليه كل الخلائق للعرض عليه والحساب بين يديه، والله أعلم.



(٤٠٤) المغني ج١ ص١٣١.

المبحث الثالث
تعريف عام بسورة الصافات وبيان أهم الموضوعات فيها

أولاً: اسم السورة.

ثانياً: نوع السورة.

ثالثاً: عدد آيات السورة.

رابعاً: مناسبة السورة لما قبلها.

خامساً: أهداف السورة وأغراضها.

سادساً: مقاصد السورة.

سابعاً: مضمون السورة وما اشتملت عليه.



المبحث الثالث
تعريف عام بسورة (الصافات) وبيان أهم الموضوعات فيها

أولاً: اسم السورة:

يقول ابن عاشور: (اسمها المشهور المتفق عليه (الصافات) وبذلك سميت في كتب التفسير، وكتب السنة وفي المصاحف كلها، ولم يثبت شيء عن النبي - ﷺ - في تسميتها، وقال في الإتقان: رأيت في كلام الجعبري أن سورة (الصافات) تسمى (سورة الذبيح) وذلك يحتاج إلى مستند من الأثر)[٤٠٥].

يقول الصابوني: (سميت السورة (سورة الصافات) تذكيراً للعباد بالملأ الأعلى من الملائكة الأطهار، الذين لا ينفكون عن عبادة الله ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ۝٢٠﴾ [الأنبياء ٢٠]. وبيان وظائفهم التي كلفوا بها)[٤٠٦].

ثانياً: نوع السورة:

قال الألوسي: (هي مكية ولم يحكوا في ذلك خلافاً)[٤٠٧].

---

(٤٠٥) التحرير والتنوير ج٢٣ ص٨١.

(٤٠٦) صفوة التفاسير، للصابوني ج٣ ص٢٥.

(٤٠٧) تفسير الألوسي ج٨ ص٦٤.

قال ابن عاشور: (هي مكيّة بالاتفاق، وهي السادسة والخمسون في تعداد نزول السور، نزلت بعد سورة الأنعام وقبل سورة لقمان)[٤٠٨].

يقول الصابوني: «سورة الصافات من السور المكية التي تُعنى بأصول العقيدة الإسلامية «التوحيد، الوحي، البعث والجزاء»، شأنها كسائر السور المكية التي تهدف إلى تثبيت دعائم الإيمان»[٤٠٩].

ثالثاً: عدد آيات السورة:

قال الألوسي: (هي مائةٌ وإحدى وثمانون آيةً عند البصريين، ومائة واثنتان وثمانون عند غيرهم)[٤١٠].

يقول ابن عاشور: (عدد آياتها مائةٌ واثنتان وثمانون عند أكثر أهل العدد، وعدّها البصريون مائةً وإحدى وثمانين)[٤١١].

يقول الإمام النيسابوري - رحمه الله -: (سورة الصافات مكية حروفها ثلاثة آلاف وثمانمائة وستة وعشرون وكلماتها ثمانمائة وستون وآياتها مائة وإحدى وثمانون)[٤١٢].

رابعاً: مناسبة السورة لما قبلها:

تظهر مناسبة هذه السورة لما قبلها من نواحٍ ثلاث:

١ - وجود الشبه بين أول هذه السورة وآخر «يس» السورة المتقدمة في بيان قدرته تعالى الشاملة لكل شيء في السموات والأرض، ومنه المعاد وإحياء الموتى، لأن الله تعالى كما في «يس» هو المنشئ السريع الإنجاز لا تتهيأ إلا إذا كان الخالق الموجد واحداً.

---

(٤٠٨) التحرير والتنوير ج٢٣ ص٨١.

(٤٠٩) صفوة التفاسير، للصابوني ج٣ ص٢٥.

(٤١٠) تفسير الألوسي ج٨ ص٦٤.

(٤١١) التحرير والتنوير ج١٣ ص٨١.

(٤١٢) غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري في حاشية تفسير الطبري ج٢٣ ص٣٩.

٢ ـ هذه السورة بعد «يس» كالأعراف بعد الأنعام، وكالشعراء بعد الفرقان في تفصيل أحوال القرون الماضية المشار إليهم وإلى إهلاكهم في سورة «يس» المتقدمة في قوله سبحانه: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾﴾ [يس: ٣١].

٣ ـ توضح هذه السورة ما أجمل في السورة السابقة من أحوال المؤمنين وأحوال الكافرين في الدنيا والآخرة(٤١٣).

خامساً: أهداف السورة وأغراضها:

موضوع هذه السورة كسائر السور المكيّة في بيان أصول الاعتقاد: وهي التوحيد، والوحي، والنبوة، وإثبات البعث والجزاء، وقد تحدثت عن مغيبات ثلاث: هي الملائكة والجن والبعث والجزاء في الآخرة، فابتدأت بالكلام عن الملائكة الصّافات قوائمها أو أجنحتها في السماء استعداداً لتنفيذ أمر الله، والزاجرات السَّحاب لتصريفه كيفما يشاء الله، والذين أقسم الله بهم للدلالة على التوحيد وخلق السموات والأرض، وتزينها بالكواكب.

ثم أشارت إلى الجن ومطاردتهم بالشهب الثاقبة المرصودة لهذا الغرض، للرد على المشركين الجاهلين الذين زعموا وجود نسب وقرابة بين الله تعالى وبين الجن، وأبانت موقف المشركين من البعث وإنكاره وأحوالهم في الدنيا والآخرة، وردت عليهم رداً قاطعاً حاسماً(٤١٤).

يقول سيد قطب ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: (هذه السورة تستهدف كسائر السور المكية ـ بناء العقيدة في النفوس، وتخليصها من شوائب الشرك في كل صوره وأشكاله، ولكنها وبصفة خاصة تعالج صورة معينة من صور الشرك التي كانت سائدة في البيئة العربية الأولى، وتقف أمام هذه الصورة طويلاً، وتكشف عن زيفها وبطلانها بوسائل شتى، تلك هي الصورة التي كانت جاهلية العرب تستسيغها، وهي تزعم أن هناك قرابةً بين الله تعالى والجن،

(٤١٣) تفسير الطبري ج٢٣ ص٦٠.

(٤١٤) نفس المصدر السابق ج٢٣ ص٦١.

وتستطرد في تلك الأسطورة فتزعم أنه من التزاوج بين الله ـ تعالى ـ والجِنَّة وُلدت الملائكة، ثم تزعم أن الملائكة إناث، وأنهن بنات الله! هذه الأسطورة تتعرض لحملة قوية في هذه السورة، تكشف عن تهافتها وسخفها، ونظراً لأنها هي الموضوع الذي تعالجه السورة فإنها تبدأ بالإشارة على طوائفَ من الملائكة)[٤١٥].

سادساً: مقاصد السورة:

قال الفيروز أبادي: (معظم مقصود السورة هو: الإخبار عن وصف الملائكة والمصلين للعبادة ودلائل الوحدانية ورجم الشياطين، وذل الظالمين، وعز المطيعين في الجنان، وقهر المجرمين في النيران، ومعجزة إبراهيم، وفداء إسماعيل في جزاء الانقياد وبشارة إبراهيم بإسحق، والمنة على موسى وهارون بإيتاء الكتاب، وحكاية الناس في حال الدعوة، وهلاك قوم لوط، وحبس يونس في بطن الحوت، وبيان فساد عقيدة المشركين في إثبات النسبة، ودرجات الملائكة في مقام العبادة، وما منح الله الأنبياء من النصر والتأييد، وتنزيه حضرة ذي الجلال عن الأنداد والأضداد في قوله ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الصافات: ١٨][٤١٦].

سابعاً: ما اشتملت عليه السورة من موضوعات:

يقول الشيخ أحمد المراغي: مجمل ما حوته السورة من موضوعات هي:

١ ـ التوحيد ودليله في الآفاق والأنفس.

٢ ـ خلق السموات والأرض، ووصفه ـ سبحانه ـ لذلك.

٣ ـ إنكار المشركين للبعث وما يتبع ذلك من محاورة أهل الجنة لأهل النار وهم يطلعون عليهم.

---

(٤١٥) الظلال ج٢٣ ص٢٩٨٠ ـ ٢٩٨١.

(٤١٦) تفسير القرآن الكريم د. عبد الله شحاتة المجلد الثاني عشر ج٢٢ ص٤٤٦٠.

٤ ـ وصف الجنة ونعيمها.

٥ ـ قصص بعض الأنبياء كنوح وإبراهيم وإسماعيل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ.

٦ ـ دفعُ فِرْيَةٍ قالها المشركون، وتوبيخهم عليها إذ قالوا: الملائكة بنات الله، تعالى الله عمّا يقولون ويفترون.

٧ ـ تنزيه الله ـ سبحانه ـ عن ذلك.

٨ ـ بيان أن المشركين لا يفتنون إلا ذوي الأحلام الضعيفة المستعدة للإضلال.

٩ ـ وصف الملائكة بأنهم صافون مسبحون.

١٠ ـ مدح المرسلين، وسلام الله عليهم.

١١ ـ حمد الله وثناؤه على نفسه بأنه رب العزة، ورب الخلق أجمعين[٤١٧].



(٤١٧) تفسير المراغي المجلد الثامن، د. أحمد مصطفى المراغي ص٩٣.

المبحث الرابع
عرض لآيات سورة (الصافات)
المتضمنة للقراءات القرآنية العشر وتفسيرها

١ ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِزِينَةٍ ٱلۡكَوَاكِبِ ۝٦﴾ [الصافات: ٦].

أولاً: القراءات:

﴿بِزِينَةٍ﴾

١ ـ قرأ عاصم وحمزة بالتنوين ﴿بِزِينَةٍ﴾.

٢ ـ قرأ الباقون بغير تنوين (**بزينة**).

﴿ٱلۡكَوَاكِبِ ۝٦﴾

١ ـ قرأ أبو بكر بنصب الباء (**الكواكبَ**).

٢ ـ قرأ الباقون بخفضها ﴿ٱلۡكَوَاكِبِ﴾(٤١٨).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

أ ـ «**الزينة**»: ما يُتَزيَّنُ به، ويومُ الزينة يوم العيد ـ و«الزَّيْنُ»: ضدُّ الشين(٤١٩).

(٤١٨) انظر النشر ج٢ ص٣٥٦.

(٤١٩) مختار الصحاح ص١٦١.

«**زانه**» ـ زيناً: جَمَّله وحسَّنه. «ازدان»: حَسُن وجَمُل.

«**الزينة**»: الزَّيان، ويوم الزينة يوم العيد(٤٢٠).

ب ـ «**الكوكب**»: النجم يقال «كوكبٌ»، و«كوكبةٌ»، كما قالوا: بياضٌ وبَياضةٌ وعجوزٌ وعجوزةٌ، و«كوكبٌ» الروضة نورها، وكوكب الشيء معظمه(٤٢١).

الكوكب: جِرْمٌ سماوي يدور حول الشمس، ويستضيء بضُوئها.

ويقال: ذهبوا تحت كل كوكب: «تفرقوا» والجمع كواكب، ويقال: يومٌ ذو كواكب: ذو شدائد كأنه أظلم حتى رئيت فيه كواكب السماء(٤٢٢).

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

يقول ابن كثير: (يخبر ـ تعالى ـ أنه زيّن السماء الدنيا للناظرين إليها من أهل الأرض بزينة الكواكب وقرئ بالإضافة والبدل وكلاهما بمعنى واحد فالكواكب السيارة والثوابت يثقب ضوؤها جرم السماء الشفاف فتضيء لأهل الأرض كما قال ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴿٥﴾﴾، وقال ـ ﷻ ـ: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾﴾)(٤٢٣) [الحجر: ١٦ ـ ١٨].

يقول سيد قطب ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ في هذه الآية: (ونظرة إلى السماء كافية لرؤية هذه الزينة، ولإدراك أن الجمال عنصر مقصود في بناء هذا الكون، وأن صنعة الصانع فيه بديعةُ التكوين جميلةُ التنسيق، وأن الجمال فيه نظرةٌ عميقة لا عَرَضٌ سَطْحِيّ، وأن تصحيحه قائم على جمال التكوين كما هو قائم على كمال الوظيفة سواء بسواء، فكل شيء بقدر، وكل شيء فيه يؤدي

(٤٢٠) المعجم الوسيط ص٤١٠.
(٤٢١) مختار الصحاح ص٣١١.
(٤٢٢) المعجم الوسيط ص٧٩٣.
(٤٢٣) تفسير ابن كثير ج٤ ص٣.

وظيفته بدقة وهو في مجموعة جميلة)[٤٢٤].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قوله تعالى: ﴿بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ﴾ إنه عند أهل البصرة شبيه بالمصدر، لأن المصدر عندهم إذا نُوّن عَمِلَ عَمَلَ الفعل، وكذلك إذا أضيف إلى الفاعل أو المفعول، كقوله تعالى: ﴿أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾﴾ [البلد: ١٤ ـ ١٥]، والفاعل محذوف لدلالة المقام عليه، أي بأنْ زيّن الله تعالى الكواكب في كونها مضيئةً حسنةً في نفسها، والحجة لمن نوّن وخَفَض ﴿بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ﴾ على أن المراد بالزينة: ما يُتَزَيَّنُ به، وهي مقطوعة عن الإضافة، و﴿ٱلْكَوَاكِبُ﴾ عطف بيان، فكأنه قال: إنا زينا السماء الدنيا بالكواكب، فالدنيا نعت للسماء، أي زيّنا السماء القريبة منكم بالكواكب، وقرأ الباقون **(بزينةِ الكواكب)** بحذف التنوين والخفض، على إضافة **(زينة)** إلى **(الكواكب)** وهي من إضافة المصدر إلى المفعول به، كقوله تعالى: ﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ﴾ [فصلت: ٤٩][٤٢٥].

خامساً: الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءات الثلاث: يتبيّن أن الله ـ عز وجل ـ زيّن السماء الدنيا (القريبة) منكم بهذه الكواكب المضيئة التي تدلل على عظمته ـ سبحانه وتعالى ـ والله أعلم.

٢ ـ قوله تعالى: ﴿لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾﴾ [الصافات: ٨].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ حمزة والكسائي وخلف وحفص بتشديد السين والميم ﴿لَّا يَسَّمَّعُونَ﴾.

---

(٤٢٤) الظلال ج٢٣ ص٢٩٨٣ ـ ٢٩٨٤.

(٤٢٥) انظر حجة القراءات لابن زنجلة ص٦٠٤، والحجة ص٣٠٠.

٢ - قرأ الباقون بتخفيفهما ﴿لَا يَسْمَعُونَ﴾[٤٢٦].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«سَمِعَ» لفلان، أو إليه أو إلى حديثه سَمْعاً وسماعاً: أصغى وأنصت.

سَمِعَ له: أطاعه.

سمع الله لمن حمده: أجاب حمده وتقبَّله[٤٢٧].

«السَّمْع»: سمع الإنسان يكون واحداً وجمعاً كقوله تعالى: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾، لأنه في الأصل مصدر قولك **«سَمِعَ»** الشيء بالكسر «سَمْعاً»، و**«سَماعاً»** وقد يُجمع على «أسماع» وجمع الأسماع **«أسامع»**.

و**«استمع»** له أي أصغى، و**«تسمَّع»** إليه و**«اسَّمَّع»** إليه بالإدغام ويقال تسمَّع إليه و**«سَمع»** إليه وسمع له كلُّه بمعنى واحد[٤٢٨].

ثالثاً: المعنى الإجمالي للآية:

قال ابن كثير - رَحِمَهُ ٱللَّهُ -: (قال تعالى: ﴿لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ أي لئلا يصلوا إلى الملأ الأعلى وهي السموات ومن فيها من الملائكة إذا تكلموا بما يوحيه الله - تعالى - بما يقوله من شرعه وقدره)[٤٢٩].

يقول سيد قطب - رَحِمَهُ ٱللَّهُ -: (من الكواكب رجوم تحفظ السماء من كل شيطان عاتٍ متمرد وتذوده عن الاستماع إلى ما يدور في الملأ الأعلى، فإذا حاول التسمع تلقفته الرجوم من كل جانب، فتدحره دحراً، وله في الآخرة عذاب موصول لا ينقطع)[٤٣٠].

---

(٤٢٦) انظر النشر ج٢ ص٣٥٦، والبدور الزاهرة، للقاضي ص٣٣٣.

(٤٢٧) انظر المعجم الوسيط ص٤٤٩.

(٤٢٨) انظر مختار الصحاح ص١٧٩.

(٤٢٩) تفسير ابن كثير ج٤ ص٣.

(٤٣٠) الظلال ج٢٣ ص٢٩٨٤.

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قوله تعالى: ﴿لَا يَسَّمَّعُونَ﴾ يُقرأ بتشديد السين والميم، وبإسكان السين والتخفيف. فالحجة لمن شدد أنه أراد يتسمعون، فأسكن التاء وأدغمها في السين فصارتا سيناً مشددة(٤٣١).

يقول أبو علي الفارسي: (وقد يتسمع ولا يسمع، فإذا نفى التسمع فقد نفى سمعه من جهة التسمّع، ومن جهة غيره، فهو أبلغ)(٤٣٢).

وحجة من خففه؛ أنه حمله على أنه نفى عنهم السمع بدلالة قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾﴾ [الشعراء: ٢١٢]، ولم يقل عن التسمع، فهم يتسمعون ولكن لا يسمعون شيئاً، ودليله قوله تعالى عن قول الجن ﴿فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْآنَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ [الجن: ٩].

فدّل ذلك على أنهم يتسمعون الآن فيُطْرَدون بالشهب ولا يسمعون شيئاً، فيبعد على هذا النص أن ينفيَ عنهم السّمع، إذ قد أخبر أنهم يتسمعون فيُطردون بالشهب، وهو الاختيار لصحة معناه، ولأن الأكثر عليه(٤٣٣).

خامساً: الجمع بين القراءات:

القراءة الأولى ﴿لَا يَسَّمَّعُونَ﴾: تفيد نفي السمع عن الجن.

القراءة الثانية (**لا يَسْمَعُون**): أي لا يستمعون، وقد يستمع الشخص ولا يسمع فإذا نفى عنهم التسمع فهو أبلغ في نفي السمع عنهم.

ويمكن الجمع بينهما أن القراءتين تفيدان نفي السمع عن الجن وأن الشياطين كانت تسترق السمع قبل مولد النبي - ﷺ - أما بعد مولده - ﷺ - فمنعوا من الاستماع، والله أعلم.

---

(٤٣١) الحجة ص٣٠٠.

(٤٣٢) الحجة للقراء ج٦ ص٥٢، وحجة القراءات لابن زنجلة ص٦٠٥.

(٤٣٣) الكشف ج٢ ص٢٢٢.

٣ ـ قوله تعالى: ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الصافات: ١٢].

أولاً: القراءات:

﴿عَجِبْتَ﴾

١ ـ قرأ حمزة والكسائي وخلف بضم التاء (**عجبتُ**).

٢ ـ قرأ الباقون بفتح التاء ﴿عَجِبْتَ﴾[٤٣٤].

ثانياً: المعنى اللغوي القراءات:

«**عجبَ**» منه عَجَباً وعَجْباً وعُجْباً: أنكره لقلة اعتياده عليه.

«**أعجبه**» الأمر: حمله على العجب منه.

«**أعجب به**»: عجب منه وسُرَّ به، فهو معجبٌ، ترفّع واستكبر[٤٣٥].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

يقول سيد قطب ـ رحمه الله ـ: (حقّ لرسول الله ـ ﷺ ـ أن يعجب من أمرهم، فإن المؤمن الذي يرى آيات الله واضحة هذا الوضوح، كثيرة هذه الكثرة ـ يعجب ـ ولا شك ـ ويدهش كيف يمكن أن تعمى عنها القلوب؟ وكيف يمكن أن تقف منها هذا الموقف العجيب! وبينما رسول الله ـ ﷺ ـ يعجب منهم هذا العجب، إذا هم يسخرون من القضية الواضحة التي يعرضها عليهم، سواء في وحدانية الله، أو في شأن البعث والنشور)[٤٣٦].

يقول الشيخ الصابوني في تفسير الآية الكريمة: (أي بل عجبت يا محمد من تكذيبهم للبعث مع رؤيتهم قدرة الله الباهرة، وهم يسخرون منك، ومما تقول لهم في ذلك)[٤٣٧].

(٤٣٤) انظر النشر ج٢ ص٣٥٦، والبدور الزاهرة للقاضي ص٣٣٣.

(٤٣٥) المعجم الوسيط ص٥٨٤.

(٤٣٦) الظلال ج٢٣ ص٢٩٨٥.

(٤٣٧) صفوة التفاسير للصابوني ج٣ ص٢٨.

قال أبو السعود[٤٣٨]: (المعنى عجبت من قدرة الله ـ تعالى ـ على هذه الخلائق العظيمة، وإنكارهم للبعث، وهم يسخرون من تعجبك، وتقريرك للبعث)[٤٣٩].

يقول الشيخ السعدي: (﴿بَلْ عَجِبْتَ﴾ يا أيها الرسول وأيها الإنسان، من تكذيب من كذَّب بالبعث، بعد أن أريتهم من الآيات العظيمة والأدلة المستقيمة، وهو حقيقة محل عجب واستغراب؛ لأنه مما لا يقبل الإنكار، (و) أعجب من إنكارهم وأبلغ منه، أنهم (**يسخرون**) ممن جاء بالخبر عن البعث، فلم يكفهم مجرد الإنكار، حتى زادوا السخرية بالقول الحق)[٤٤٠].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

﴿عجبت﴾ قُرِئت بضم التاء وبفتحها.

حجة من قرأ بالفتح أي: ﴿بَلْ عَجِبْتَ﴾ يا محمد من نزول الوحي عليك و﴿وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾﴾، ويجوز أن يكون ﴿بَلْ عَجِبْتَ﴾ من إنكارهم البعث، وحجتهم قوله ﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ﴾ [الرعد: ٥].

وحجة من قرأ بالضم: قل يا محمد بل (**عجبتُ**) أنا من إنكار المشركين للبعث مع قيام الأدلة على إمكانه[٤٤١].

و- أيضاً ـ الحجة لمن ضمَّ (**عجبتُ**): أنه من إخبار الله ـ تعالى ـ عن نفسه، فالعجب من الله ـ ﷻ ـ إنكار لأفعالهم من إنكارهم البعث، وسخرياتهم من القرآن، وازدرائهم بالرسول جرأةً على الله وتمرداً وعدواناً وتكبراً، فهذا العجب من الله ـ ﷻ ـ، والفرق بينه وبين عجب المخلوقين؛ أن المخلوق لا يعجب إلا عند نظره إلى ما لم يكن في علمه، ولا جَرَتْ

---

(٤٣٨) أبو السعود: هو محمد بن محمد مصطفى العمادي: مفسر شاعر من علماء الترك المستعربين، ولد قرب القسطينية، كان حاضر الذهن، سريع البديهة، توفي سنة ٩٨٢هـ، وهو مدفون بقرب مرقد أبي أيوب الأنصاري انظر: الأعلام ج٧ ص٥٩.

(٤٣٩) تفسير أبي السعود ج٤ ص٢٦٦.

(٤٤٠) تفسير السعدي ج٢٤ ص٢٦٦.

(٤٤١) الهادي ج٣ ص١٧٨ ـ ١٧٩.

العادة بمثله فبهره ما رأى من ذلك، فيتعجب من ذلك، ولكنّ العجب من الله ـ عَجَلّ ـ على طريق المجازاة للكفار بأفعالهم(٤٤٢).

خامساً: الجمع بين القراءات:

من قرأ ﴿بَلْ عَجِبْتَ﴾ بالفتح أي: عجبت يا محمد من نزول الوحي عليك أو من إنكار الكفار للبعث، ومن قرأ (عجبتُ) بالضم أي: أن النبي يعجب من إنكار المشركين للبعث، أو أنه من إخبار الله ـ تعالى ـ عن نفسه من إنكار المشركين للبعث، وسخريتهم بالقرآن واستهزائهم بالرسول، ويمكن الجمع بين القرائتين: أن إنكار المشركين للبعث هو مدعاةٌ للعجب سواء كان العجب من الله ـ عَجَلّ ـ أو من الرسول ـ ﷺ ـ، والله أعلم.

٤ ـ قوله تعالى: ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الصافات: ١٦].

أولاً: القراءات:

﴿أَءِذَا مِتْنَا﴾ ﴿أَءِنَّا﴾

١ ـ قرأ المدنيان «نافع وأبو جعفر» والكسائي ويعقوب بالاستفهام في الأول والإخبار في الثاني **(أءذا متنا)**، ﴿إِنَّا﴾.

٢ ـ قرأ ابن عامر بالإخبار في الأول والاستفهام في الثاني **(إذا متنا)**، **(أئِنَّا)**.

٣ ـ قرأ الباقون بالاستفهام فيهما ﴿أَءِذَا مِتْنَا﴾، ﴿أَءِنَّا﴾(٤٤٣).

﴿مِتْنَا﴾

٤ ـ قرأ نافع وحمزة والكسائي وخلف العاشر وحفص بكسر الميم ﴿مِتْنَا﴾.

---

(٤٤٢) الحجة ص٣٠١ ـ ٣٠٢، والحجة للقراء ج٦ ص٥٣.

(٤٤٣) البدور الزاهرة، للقاضي ص٣٣٣.

٥ ـ وقرأ الباقون بضم الميم (**مُتنا**)[٤٤٤].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

مَوْت: الأزهري عن الليث: المَوْت خلقٌ من خلق الله تعالى.

غيرُه: الموت والموتان ضد الحياة.

والمُوات بالضم: المَوْت، مات يموت موتاً ويَمات[٤٤٥].

ثالثاً: المعنى الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

يقول الإمام الطبري: في تفسير الآية الكريمة: (يقول المشركون منكرين بعث الله إياهم بعد بلائهم: أئنا لمبعوثون أحياء من قبورنا بعد مماتنا مصيرنا تراباً وعظاماً قد ذهب عنها اللحوم؟)[٤٤٦].

يقول الإمام الشوكاني: (في قوله تعالى: ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَـٰمًا﴾ الاستفهام للإنكار، أي أنبعث إذا متنا؟ فالعامل في (إذا) هو ما دل عليه ﴿أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾، وهو أنبعث، لأنفس مبعوثون، وهذا الإنكار للبعث منهم هو السبب الذي لأجله كذبوا الرسل وما نزل عليهم، واستهزءوا بما جاءوا به من المعجزات)[٤٤٧].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

والقراءتان ترجعان إلى أصل الاشتقاق، فالقراءة الأولى وهي كسر الميم، من «مات يمات» نحو «خاف يخاف» الأجوف، من باب «فهم يفهم»، والأصل «مَوِتَ» بفتح فاء الكلمة، وكسر عينها، فإذا أسند إلى ضمير الرفع المتحرك قيل «مِتْ» بكسر فاء الكلمة، وذلك لأننا نقلنا حركة العين إلى الفاء، بعد حذف حركة الفاء، ثم حذفنا الواو للساكنين، والثانية

(٤٤٤) انظر النشر ج٣ ص١٥.

(٤٤٥) لسان العرب ٦/١.

(٤٤٦) الطبري المجلد السادس ص٢٩٨.

(٤٤٧) فتح القدير، للشوكاني المجلد الرابع ص٣٨٨.

وهي بضم الميم، من «مات يموت» نحو: «قام يقوم» الأجوف من باب «نصر ينصر» وأصل «مات»، «موت» تحركت الواو وانفتح ما قبلها فقلبت ألفاً، وأصل «يمُوتُ»، «يَمْوُتُ» بضم عين الكلمة، فنقلت ضمتها إلى الساكن قبلها(٤٤٨).

خامساً: الجمع بين القراءات:

القراءة الأولى ﴿أَءِذَا مِتْنَا - أَءِنَّا﴾ تفيد الاستفهام والإنكار للمشركين للبعث، والقراءة الثانية **(أئذا متنا إنَّا)** تفيد الإستفهام والإخبار من المشركين للبعث مرة أخرى بعد الموت.

ويمكن الجمع بين القراءتين بأن الكفار كانوا يستهزءون ويستنكرون البعث مرة أخرى بعد الموت فهم يخبرون عن ذلك من باب التهكم والسخرية والله أعلم.

٥ - قوله تعالى: ﴿أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [الصافات: ١٧].

أولاً: القراءات:

١ - قرأ أبو جعفر وابن عامر وقالون بإسكان الواو في **(أوْ)** من **(أوْ آباءنا)**.

٢ - قرأ الباقون بفتح الواو ﴿أَوَ ءَابَآؤُنَا﴾(٤٤٩).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(الأب): الوالد والجد ويطلق على العم، وعلى صاحب الشيء وعلى من كان سبباً في إيجاد شيء أو ظهوره أو إصلاحه، والجمع آباء، وأُبُوٌّ، وأُبُوَّةٌ، وفي التنزيل العزيز: ﴿وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ﴾ [يوسف: ٣٨]. ويقال: لله أبوك في معرض المدح والتعجب، وبأبي أنت أفديك بأبي، ويقال: لا أبا لك، في موضع التعجب والحث والزجر(٤٥٠).

---

(٤٤٨) المغني ج١ ص٣٧٣.

(٤٤٩) النشر ج٢ ص٣٥٧.

(٤٥٠) المعجم الوسيط ص٤.

ثالثاً: المعنى الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

يقول الإمام البيضاوي: (قوله تعالى: ﴿أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلۡأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾﴾ عطف على محل (إن) واسمها، أو على الضمير في ﴿مَبۡعُوثُونَ﴾ فإنه مفصول منه بهمزة الاستفهام لزيادة الاستبعاد لبعد زمانهم، والواو على معنى الترديد)(٤٥١).

يقول الإمام القرطبي: (قوله تعالى: ﴿أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلۡأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾﴾ أي: أو تُبْعثُ آباؤنا، دخلت ألف الاستفهام على حرف العطف، وقرأ نافع **(أَوْ ءابآؤنا)** بسكون الواو)(٤٥٢).

يقول الصابوني: (قوله تعالى: ﴿أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلۡأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾﴾ أي: أو آباؤنا الأولون كذلك سيبعثون؟ أي: أيبعث ـ أيضاً ـ آباؤنا؟ وهذا زيادة في استبعاد الأمر، يعنون أنهم أقدم، فبعثهم أبعد وأبطل)(٤٥٣).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

﴿أَوَ ءَابَآؤُنَا﴾ قُرِئت بإسكان الواو (أَوْ)، وبفتح الواو ﴿أَوَ﴾.

حجة من أسكن الواو وأثبت قبلها همزة، أنه جعلها (أَوْ) التي للإباحة في الإنكار، أي: أنكروا بَعْثهم وبَعْثَ آبائهم بعد الموت.

وحجة من فتح الواو وقبلها همزة ﴿أَوَ﴾، أنه جعلها واو العطف، دخلت عليها ألف الاستفهام، التي معناها الإنكار للبعث بعد الموت، وهو وجه الكلام وهو الاختيار لأن الجماعة عليه(٤٥٤).

خامساً: الجمع بين القراءات:

القراءة الأولى ﴿أَوَ ءَابَآؤُنَا﴾ بفتح الواو ﴿أَوَ﴾ فيها إنكار للبعث بعد

---

(٤٥١) تفسير البيضاوي ج٢٣ ص٥٩٠.
(٤٥٢) القرطبي ج١٥ ص٦٣.
(٤٥٣) صفوة التفاسير، للصابوني ج٣ ص٢٨.
(٤٥٤) الكشف ج٢ ص٢٢٣ ـ ٢٢٤، والهادي ج٣ ص١٧٩، وكتاب سيبويه ١/٥٧٤.

الموت لهم ولآبائهم، القراءة الثانية (أوءآباؤنا) بإسكان الواو (أوْ) فيها زيادة في الإنكار لبعثهم وبعث آبائهم بعد الموت.

وبالجمع بين القراءتين يتبيّن جحود الكفار وإنكارهم للبعث بعد الموت، وخصوصاً إنكار بَعْثَ أجدادهم وآبائهم السابقين، الذين بَلِيت عظامُهم، والله أعلم.

٦ ـ قوله تعالى: ﴿قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَاخِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الصافات: ١٨].

أولاً: القراءات:

﴿نَعَمْ﴾

١ ـ قرأ الكسائي بكسر العين (**نَعِمْ**).

٢ ـ قرأ الباقون بفتح العين ﴿نَعَمْ﴾[٤٥٥].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

﴿نَعَمْ﴾: حرف جواب، ويكون تصديقاً للمخبر في جواب الخبر في نحو: الظلم مرتعه وخيم.

ووعداً للطالب في جواب الأمر أو النهي في نحو: افْعَلْ، ولا تَفْعَل، وإعلاماً للسائل في جواب الاستفهام في نحو: هل أديت الأمانة؟[٤٥٦].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

يقول الإمام ابن كثير: (قال تعالى: ﴿قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَاخِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ أي: قل لهم يا محمد: نعم تبعثون يوم القيامة بعد ما تصيرون تراباً وعظاماً، وأنتم داخرون، أي: حقيرون تحت القدرة العظيمة، كما قال تبارك وتعالى: ﴿وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ﴾ [النمل: ٨٧][٤٥٧].

---

(٤٥٥) البدور الزاهرة ص٣٣٣.

(٤٥٦) المعجم الوسيط ص٩٣٥، مختار الصحاح ص٣٥٨.

(٤٥٧) تفسير ابن كثير ج٤ ص٤.

يقول الإمام الطبري: (قوله تعالى ﴿قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَاخِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ أي: يقول الله لنبيه محمد - ﷺ - قل لهؤلاء: نعم أنتم مبعوثون بعد مصيركم تراباً وعظاماً، أحياءً كما كنتم قبل مماتكم، وأنتم داخرون، أي: وأنتم صاغرون أشدُّ الصغر من قولهم: صاغر داخر)[458].

يقول سيد قطب: (نعم ستبعثون أنتم وآباؤكم الأولون، ستبعثون وأنتم داخرون، ذليلون مستسلمون غير مستعصين ولا متأبين، نعم ... ثم يدخل في استعراض ذلك كيف يكون، وإذا هم أمام مشهد من المشاهد المطولة المتعددة الجوانب، المتنوعة الأساليب، المزدحمة بالمناظر الحية والحركات المتتابعة يلتقي فيها الوصف بالحوار، فتسير على نسق الحكاية فترة، ثم تنتقل إلى نسق الحوار أخرى، ويتخلل عرض الأحداث والحركات، وبذلك يستكمل المشهد كل سمات الحياة)[459].

يقول المبرد: (الفصل بين نعم وبلى أن نعم تكون جواباً لكل كلام لا نفي فيه، وبلى لا تكون جواباً إلا لكلام فيه نفي)[460].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

(نعم) بفتح العين **(نَعَم)** وكسرها **(نَعِمْ)**.

نعم: حرف تصديق ووعد وإعلام[461].

فالأول: بعد الخبر كقام زيد، والثاني: بعد (افعل - ولا تفعل) نحو: لا تفعل، وهلاّ لم تفعل. والثالث: عند الاستفهام نحو «هل جاءك زيد» ونحو ﴿فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا﴾ [الأعراف: ٤٤].

و«نعم» هنا من النوع الثالث، لأنها جاءت بعد الاستفهام، الذي حكاه الله على لسان المشركين (أإذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا لمبعوثون، أو آباؤنا

(٤٥٨) الطبري المجلد السادس ص٢٩٨.
(٤٥٩) الظلال ج٢٣ ص٢٩٨٥.
(٤٦٠) المقتضب للمبرد ج٢ ص١٢٥.
(٤٦١) المعجم الوسيط ص٩٣٥.

الأولون؟). جاء بعد قوله ـ تعالى ـ بعد ذلك ﴿قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَاخِرُونَ ﴿١٨﴾﴾[٤٦٢].

خامساً: الجمع بين القراءات:

بالجمع بين القراءتين يتبيّن أنهما قراءتان بالمعنى نفسه، والمعنى: أن هؤلاء المشركين المنكرين للبعث، سيبعثون صاغرين ذليلين للوقوف بين يدي الله ـ عز وجل ـ يوم القيامة، والله أعلم.

٧ ـ قوله تعالى: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [الصافات: ٢٥].

أولاً: القراءات:

﴿تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾﴾

١ ـ شدد البزي وأبو جعفر التاء وصلاً مع المد المشبع للساكنين.

٢ ـ خففها الباقون مع القصر في الحالين، وكذلك البزي وأبو جعفر ابتداء[٤٦٣].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(نَصَرَهُ) على عدوه ـ نصراً ونُصره: أيده وأعانه عليه ومنه نجّاه وخلّصه، فهو ناصرٌ وهي ناصرةٌ، والجمع نصّار، نُصُور، وهو وهي نصيرٌ والجمع أنصار.

(ناصره): نصر أحدُهما الآخر، (تناصر) القومُ: نصر بعضُهم بعضاً.

(استنصر) بفلان: استغاث به وطلب نصرته[٤٦٤].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

يقول ابن عاشور: (قوله ـ تعالى ـ ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ أي ما لكم لا ينصر بعضكم بعضاً، فيدفع عنه الشقاء الذي هو فيه، وأين تناصركم

(٤٦٢) المغني ج٢ ص١٣٠.

(٤٦٣) البدور الزاهرة ص٣٣٤.

(٤٦٤) المعجم الوسيط ص٩٢٥، ومختار الصحاح ص٣٥٥.

الذي كنتم تناصرون في الدنيا، وتتألبون على الرسول وعلى المؤمنين)(٤٦٥).

يقول الألوسي: (قوله تعالى ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ أي لا ينصر بعضكم بعضاً، والخطاب لهم وآلهتهم، أو لهم فقط أي: ما لكم لا ينصر بعضكم بعضاً، كما كنتم تزعمون في الدنيا، فقد روي أن أبا جهل قال يوم بدر: نحن جميع منتصر، وتأخير هذا السؤال إلى ذلك الوقت؛ لأنه وقت تنجيز العذاب وشدة الحاجة إلى النصرة وحالة انقطاع الرجال والتقريع والتوبيخ حينئذٍ أشد وقعاً وتأثيراً)(٤٦٦).

يقول سيد قطب: قوله تعالى ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ ما لكم لا ينصر بعضكم بعضاً وأنتم هنا جميعاً؟ وكلكم في حاجة إلى الناصر المعين؟! ومعكم آلهتكم التي كنتم تعبدون! ولا جواب بطبيعة الحال ولا كلام لهم(٤٦٧).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لم يجد الباحث في كتب التوجيه توجيهاً لهاتين القراءتين، ويرى الباحث أن القراءتين تفيدان نفس المعنى، سواءً قراءة التشديد على التاء أم قراءة التخفيف.

خامساً: الجمع بين القراءتين:

بالجمع بين القراءتين يتبيّن أنهما بالمعنى نفسه، فالآية الكريمة توبخ الكفار وتستهزئ بهم، وتبيّن ضعفهم في الآخرة وعجزهم عن نصرة بعضهم البعض، والله أعلم.

٨ ـ قوله تعالى: ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الصافات: ٤٠].

---

(٤٦٥) التحرير والتنوير ج٢٣ ص١٠٢.

(٤٦٦) تفسير الألوسي المجلد الثامن عشر ص٨١.

(٤٦٧) الظلال ج٢٣ ص٢٩٨٦.

أولاً: القراءات:

﴿ٱلْمُخْلَصِينَ ۝٤٠﴾

١ ـ قرأ الكوفيون (عاصم وحمزة والكسائي وخلف) والمدنيان (نافع وأبو جعفر) بفتح اللام ﴿ٱلْمُخْلَصِينَ ۝٤٠﴾.

٢ ـ قرأ الباقون بكسر اللام (**المخلِصين**)(٤٦٨).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

خلص: خَلَص الشيء بالفتح، يَخْلُص خُلُوصاً وخَلاصاً إذا كان قد نشب ثم نجا وسلم وأخلصه وخلّصه وأَخْلص لله دينه: أمحَضَه. وأخلص الشيء: اختاره.

وقرئ: إلا عبادك المُخلِصين والمُخْلَصين.

قال الثعلبي: يعني بالمخلِصين، الذين أخلصوا العبادة لله تعالى، والمخلَصين، الذين أخلصهم الله ـ عز وجل.

قال الزجاج: المخلَص: الذي أخلصه الله، جعله مختاراً خالصاً من الدنس.

والمخلِصْ: الذي وحّد الله ـ تعالى ـ خالِصاً، ولذلك قيل لسورة: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ سورة الإخلاص.

قال ابن الأثير: سميت بذلك؛ لأنها خالصة في صفة الله تعالى(٤٦٩).

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

يقول الإمام القرطبي: (قوله تعالى ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ۝٤٠﴾ استثناء ممَنْ يذوق العذاب، وقراءة أهل المدينة والكوفة ﴿ٱلْمُخْلَصِينَ ۝٤٠﴾ بفتح

---

(٤٦٨) النشر ج٢ ص٢٩٥.

(٤٦٩) لسان العرب ٥/١.

اللام، يعني الذين أخلصهم الله لطاعته ودينه وولايته، وقرأ الباقون بكسر اللام (المخلِصين) أي: الذين أخلصوا لله العبادة، وقيل: هو استثناء منقطع، أي إنكم أيها المجرمون ذائقو العذابِ؛ لكنَّ عباد الله المخلصين لا يذوقون العذاب)[٤٧٠].

يقول أبو السعود: (قوله تعالى ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾ استثناء منقطع من ضمير ذائقوا، فالمعنى: إنكم أيها الكفرة لذائقون العذابَ الأليمَ، لكنَّ عباد الله المخلصين الموحدين ليسوا كذلك، وقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ إشارة إليهم للإيذان بأنهم ممتازون بما اتصفوا به من الإخلاص في عبادة الله تعالى عمّن عداهم)[٤٧١].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

﴿ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾ من قوله تعالى: ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾، قرأها ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر ويعقوب (**المخلِصين**) بكسر اللام، وقرأها الباقون ﴿ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾ بفتح اللام[٤٧٢].

وحجة من كسر اللام على أنه اسم فاعل، من «أَخْلَص» الرباعي؛ لأنهم أخلصوا أنفسهم لعبادة الله ـ تعالى. وحجة من فتح اللام، على أنه اسم مفعول، من «أُخْلِصَ»؛ لأن الله ـ سبحانه وتعالى ـ أخلصهم أي: اختارهم لعبادته[٤٧٣].

خامساً: الجمع بين القراءات:

القراءة الأولى ﴿ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾ أي: هم الذين أخلصهم الله لطاعته وعبادته، والقراءة الثانية (**مخلِصين**) أي: هم الذين أخلصوا لله العبادة.

---

(٤٧٠) القرطبي ج١٥ ص٤٠.
(٤٧١) أبو السعود المجلد الرابع ص٤١٩ ـ ٤٢٠.
(٤٧٢) النشر ج٢ ص٢٩٥.
(٤٧٣) المغني ج٣ ص١٨٩.

وبالجمع بين القراءتين أي: هؤلاء الذين أخلصهم الله ـ تعالى ـ واختارهم، فأخلصوا عبادتهم لله ـ تعالى ـ فهم مخلَصين مخلِصين لله تعالى، والله أعلم.

٩ ـ قوله تعالى: ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الصافات: ٤٧].

أولاً: القراءات:

﴿يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾﴾

١ ـ قرأ الأخوان (حمزة والكسائي) وخلف بكسر الزاي (**ينزِفون**).

٢ ـ قرأ الباقون بفتح الزاي ﴿يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾﴾[٤٧٤].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(**نَزَف**) ماء البئر نزحه كُلَّه و«نزف» هو يتعدّى ويلزم وبابه ضرب، و«نُزِفت» البئر ـ أيضاً ـ على ما لم يُسمَّ فاعله[٤٧٥] وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾﴾ أي: لا يُسكرون يريد لا تنزف عقولُهم و«أنزف» القوم انقطع شرابهم.

ويقال: «نُزِف» عقلُه: ذهب بسكرٍ، ونحوه منزوف ونزيف[٤٧٦].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

يقول ابن كثير: (قوله تعالى ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾﴾ نزّه الله ـ سبحانه ـ خمر الجنة عن الآفات، التي في خمر الدنيا من صداع

---

(٤٧٤) النشر ج٢ ص٣٥٧، والبدور الزاهرة، للقاضي ص٣٣٤.

(٤٧٥) مصطلح (ما لم يسم فاعله): هو نائب الفاعل، الذي كان قبل بناء الفعل للمجهول مفعولاً مثل: (نَزَفْتُ البئرَ)، فلما بني الفعل (نزف) للمفعول (المجهول) أصبح نائب فاعل هكذا (نُزِفَتْ البئرُ).

(٤٧٦) المعجم الوسيط ص٩١٤، ومختار الصحاح ص٣٣٤.

الرأس، ووجع البطن وهو الغَوْل، وذهابها بالعقل جملة، ولا هم عنها يُنزفون، أي: لا تذهب عقولهم)[477].

يقول البيضاوي: (قوله تعالى: ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ غائلة كما في خمر الدنيا، كالخمار من غاله يغوله إذا أفسده ومنه الغول، ﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾ يسكرون من نزف الشارب فهو نزيف ومنزوف، إذا ذهب عقله، أفرده بالنفي وعطفه على ما يعمه، لأنه من عظم فساده كأنه حُبِس برأسه)[478].

يقول البقاعي: (قوله تعالى ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ أي فساد من تصديع رأس أو إرخاء مِفْصل أو إخماد كَبِد أو غير ذلك مما يغتال أي: يَهْلك، أو يكون سبباً للهلاك ﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا﴾ أي عادة بعد شربها ﴿يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾﴾ أي يذهب كل شيء من عقولهم، وإن طال شربهم وكثر لئلا ينقص نعيمهم ولا ينفد شرابهم)[479].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قوله تعالى: ﴿يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾﴾

قرأه حمزة والكسائي بكسر الزاي، وقرأ الباقون بفتحها[480].

وحجة من كسر، أنه جعله من «أنزف يَنْزِف» إذا سكر، والمعنى: ولا هم عن الخمر يسكرون فتزول عقولهم، أي: تبعد عقولهم، كما تَفعل خمر الدنيا، وقيل: هو من أنزف يَنْزَفُ إذا فرغ شرابه، فالمعنى: ولا هم عن الخمر ينفد شرابهم، كما ينفد شراب الدنيا.

فالمعنى الأول: من نفاد العقل، والثاني من نفاد الشراب.

والأحسن أن يحمل على نفاد الشراب، لأن نفاد العقل قد نفاه عن

(٤٧٧) تفسير ابن كثير ج٤ ص٦.

(٤٧٨) تفسير البيضاوي ص٥٩٢.

(٤٧٩) نظم الدرر المجلد السادس ص٣٢٢.

(٤٨٠) النشر ج٢ ص٣٥٧.

خمر الجنة في قوله ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ أي لا تغتال عقولهم فتذهبها، فلو حُمل «ينزفون» على نفاد العقل لكان المعنى مكرراً، وحمله على معنيين أولى[481].

خامساً: الجمع بين القراءات:

القراءة الأولى ﴿يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾﴾ أي: أن خمر الآخرة لا يُسكر ولا تزول عقولهم بسببه، والثانية ﴿يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾﴾ أي: أن خمر الآخرة لا ينفد كما شراب الدنيا.

وبالجمع بين القراءات يتبيّن أن القراءتين بمعنى واحد، فإن خمر الجنة لا يسكر؛ فتزول عقولهم، ولا ينفد كما ينفدُ شراب الدنيا، والله أعلم.

١٠ ـ قوله تعالى: ﴿فَأَقْبَلُوٓا۟ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾﴾ [الصافات: ٩٤].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ حمزة بضم الياء **(يُزفون)**.

٢ ـ قرأ الباقون بفتح الياء ﴿يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾﴾[482].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«زفَّ» زفاً وزفوفاً، وزفيفاً: أسرع، وفي التنزيل العزيز: ﴿فَأَقْبَلُوٓا۟ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾﴾ وزفت الريح: هبت في مُضِيٍّ، وزفَّ الطائر زفّاً وزفيفاً: رمى بنفسه وسط جناحيه.

وزفت العروس: زفافاً وزفّة: نقلها من بيت أبويها إلى بيت زوجها[483].

---

(٤٨١) الحجة ص٣٠٢، الكشف ج٢ ص٢٢٤، وكتاب سيبويه ٥٧٤/١.

(٤٨٢) النشر ج٢ ص٣٥٧، والبدور الزاهرة ص٣٣٥.

(٤٨٣) المعجم الوسيط ص٣٩٥، ومختار الصحاح ص١٥٧.

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

يقول ابن عاشور: (قوله تعالى: ﴿فَأَقْبَلُوٓاْ إِلَيْهِ﴾ تعقيب نسبي، وجاءه المرسلون إليه مسرعين ﴿يَزِفُّونَ﴾ أي يعْدون، والزَّف الإسراع في الجري، ومنه زفيف النعامة وزفها وهو عَدْوها الأول حين تنطلق)(٤٨٤).

يقول الألوسي: (في قوله تعالى: ﴿فَأَقْبَلُوٓاْ إِلَيْهِ﴾ أي إلى إبراهيم - عليه السلام - بعد رجوعهم من عيدهم وسؤالهم عن الكاسر، وقولهم ﴿فَأْتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ﴾ [الأنبياء: ٦١].

(يزفّون) أي: يسرعون من زف النعام أسرع لخلطه الطيران بالمشي.

ومصدره الزف والزفيف، وقيل: ﴿يَزِفُّونَ﴾ أي يمشون على تؤدة ومهل من زفاف العروس إذ كانوا في طمأنينة من أن ينال أصنامهم بشيء لعزتها)(٤٨٥).

يقول سيد قطب: (قوله تعالى ﴿فَأَقْبَلُوٓاْ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾﴾ لقد تسامعوا بالخبر، وعرفوا مَنِ الفاعل، فأقبلوا إليه يسرعون الخطى، ويُحدثون حوله زفيفاً، وهم جمع كثير غاضب هائج، وهو فرد واحد، لكنه فرد مؤمن، فرد يعرف طريقه، فرد واضح التصور لإلهه، عقيدته معروفة له، محدودة يدمكها في نفسه، ويراها في الكون من حوله، فهي أقوى من هذه الكثرة الهائجة المائجة المدخولة العقيدة، المضطربة التصور)(٤٨٦).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

(يزفّون): قرأ حمزة وحده بضم الياء وكسر الزاي، وقرأ الباقون بفتح الياء وكسر الزاي.

---

(٤٨٤) التحرير والتنوير ج٢٣ ص١٤٢.

(٤٨٥) تفسير الألوسي المجلد الثاني عشر ص١٢٣.

(٤٨٦) الظلال ج٤ ص٢٩٩٢.

وحجة من فتح أنه أخبر عنهم أنفسهم بالزفيف وهو الإسراع، يقال: زَفَّت الإبل تزفُّ، إذا أسرعت.

وحجة من ضم أنه أخبر عنهم أنهم يحملون غيرهم على الإسراع، فالمفعول محذوف، والمعنى: فأقبلوا إليه يحملون غيرهم على الإسراع، أي يحمل بعضهم بعضاً على الإسراع.

قال الأصمعي(٤٨٧): (يقال: أُزفَت الإبل إذا حملتها على أن تَزِف، أي: تسرع، والزفيف الإسراع في الخطو مع مقاربة المشي)(٤٨٨).

خامساً: الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين: يتبيّن أن القراءتين بمعنى الإسراع في الخطو ومقاربة المشي، سواء كان الإخبار عن المشركين أنفسهم بالإسراع، أم حث غيرهم على الإسراع، أي: يحمل بعضهم بعضاً على الإسراع، والله أعلم

١١ ـ قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [الصافات: ١٠٢].

أولاً: القراءات:

﴿يَٰبُنَىَّ﴾، ﴿مَاذَا تَرَىٰ ۚ﴾، ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾، ﴿سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾.

أ ـ ﴿يَٰبُنَىَّ﴾.

١ ـ قرأ حفص بفتح الياء ﴿يَٰبُنَىَّ﴾.

٢ ـ كسرها الباقون (**يا بُنيِّ**).

ب ـ ﴿مَاذَا تَرَىٰ ۚ﴾.

(٤٨٧) الأصمعي: هو عبد الملك بن قريب «اللغوي» روى عن ابن عون ونافع بن نُعيم، وعنه نصر بن علي، وروى الحروف عن الكسائي، وثّقه ابن مَعين (ت٢١٦هـ)، انظر: طبقات القراء ٤٧٠/١.

(٤٨٨) انظر الحجة ص٣٠٢، والكشف ج٢ ص٢٢٥، والهادي ج٣ ص١٨٠.

١ ـ قرأ الأخوان «حمزة والكسائي» وخلف بضم التاء، وكسر الراء وبعدها ياء ساكنة مدية **(ماذا تُري)**.

٢ ـ قرأ الباقون بفتح التاء والراء وبعدها ألف ﴿مَاذَا تَرَىٰ﴾.

ج ـ ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾.

١ ـ قرأ ابن عامر وأبو جعفر بفتح التاء **(يا أبتَ)**.

٢ ـ قرأ الباقون بكسر التاء ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾.

٣ ـ وقف بالهاء ابن كثير وابن عامر وأبو جعفر ويعقوب **(يا أبه)**.

د ـ ﴿سَتَجِدُنِيٓ﴾

١ ـ قرأ المدنيان «نافع وأبو جعفر» بفتح الياء **(ستجدنيَ)**.

٢ ـ قرأ الباقون بسكون الياء ﴿سَتَجِدُنِيٓ﴾(٤٨٩).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

١ ـ بُني: الابن الولد ولامه في الأصل منقلبة عن واو عند بعضهم، أي: بنو.

وقال في معتل الياء: الابن الولد فعلٌ محذوفة اللام مجتلبٌ لها ألف الوصل «ابن» وإنما قضي أنه من الياء، لأن بني يبني أكثر من كلامهم يبنوُ، والجمع أبناء(٤٩٠).

٢ ـ رأى: «الرؤية» بالعين تعدّى إلى مفعول واحد، وبمعنى العِلْم تتعدى إلى مفعولين و«رَأى» يرى «رأياً ورؤية» و«**راءةً**» مثل راعةٍ، والرأي مفرد آراء(٤٩١).

توضيح: الفعل (رأى): إذا كان بمعنى (أبصر) أي: الرؤية بالعين،

---

(٤٨٩) انظر النشر ج٢ ص٢٨٩ ـ ٣٥٧، والبدور الزاهرة، ص٣٣٥.

(٤٩٠) لسان العرب ١٣/١.

(٤٩١) مختار الصحاح ص١٣٣.

فإنه يتعدى إلى مفعول واحد. نحو حديث: «من رأى منكم منكراً»، وإذا كانت بمعنى (عَلِم)، فإنها تتعدى إلى مفعولين نحو: رأيتُ فلاناً صادقاً أي: علمتُ فلاناً صادقاً.

٣ ـ **أبتِ**: قولهم يا أبتِ افعل جعلوا تاء التأنيث عوضاً عن ياء الإضافة ويقال «يا أبتِ»، «يا أبتَ» لغتان فمن فتح أراد النُّدبه فحذف ويقولون: لا «أبا» لك ولا «أباً» لك وهو مدح وربما قالوا: لا «أباك» لأن اللام كالمقحمة(٤٩٢).

٤ ـ **ستجدني**: من وَجَدَ، قال سيبويه: (وقد قال ناس من العرب: وَجَدَ يجدُ كأنهم حذفوها من يَوْجُد، وقال: هذا لا يكاد يوجد في الكلام والمصدر وجْداً وجدةً ووجوداً ووجداناً وإجْداناً. وأوجده إياه: جعله يجده)(٤٩٣).

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

يقول الإمام الطبري: (قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ﴾ يقول: فلما بلغ الغلام الذي بُشِّر به إبراهيم مع إبراهيم العملَ، وهو في السعي، وذلك حين أطاق معونته على عمله.

قال إبراهيم خليل الرحمن لابنه: ﴿يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ﴾. وكان فيما ذكر أن إبراهيم نذر حين بشرته الملائكة بإسحاق ولداً أن يجعله إذا ولدته سارة لله ذبيحاً، فلما بلغ مع أبيه السعي أُري إبراهيم في المنام، فقيل له: أوفِ لله بنذرك، ورؤيا الأنبياء يقين، فلذلك مضى لما رأى في المنام، وقال له ابنه إسحاق ما قال)(٤٩٤).

يقول سيد قطب: (في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ﴾ فلما جاءه غلاماً ممتازاً يشهد له ربُّه بأنه حليم وها هو ذا ما يكاد يأنس به، وصباه

(٤٩٢) نفس المصدر السابق ص١٢.
(٤٩٣) لسان العرب ٣/١.
(٤٩٤) الطبري المجلد السادس ص٣١٥.

يتفتح ويبلغ معه السعي، ويرافقه في الحياة حتى يرى في المنام أنه يذبحه ويدرك أنها إشارة وليست وحياً صريحاً أو أمراً مباشراً، ولكنه يلبي من غير انزعاج ولا جزع ولا اضطراب، ويعرض الأمر على ابنه في اطمئنان المؤمن المالك لأعصابه يريد لابنه أن يأخذ الأمر طاعة وإسلاماً، لا قهراً واضطراباً، لينال الأجر من الله وليتذوق حلاوة التسليم، فما كان من أمر الغلام إلا أن ارتقى إلى الأفق الذي ارتقى إليه أبوه من قبل، ويرجع الفضل كله لله إن هو أعانه على ما يطلب إليه وأصبره على ما يراد به)[٤٩٥].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

﴿فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾: بفتح التاء والراء «تَرَى»، وبضم التاء وكسر الراء «تُرِي».

فالحجة لمن فتح التاء: أنه أراد به: معنى الرُّؤيَّة، والرأي[٤٩٦].

يقول الدكتور محمد سالم محيسن: («تَرَى» بفتح التاء والراء من «الرأي» الذي هو الاعتقاد في القلب ـ أيضاً ـ، وهو مضارع «رأى» ويتعدى إلى مفعول واحد، وهو «ماذا» على أنها اسم استفهام مفعول مقدّم لـ «ترى» أيْ: أيَّ شيء ترى)[٤٩٧].

والحجة لمن ضم وكسر: أنه أراد المشورة، والأصل فيه «تُرائي» فنقل كسرة الهمزة إلى الراء، وحذف الهمزة لسكونها وسكون الياء.

فالمعنى: فانظر ماذا تحملني عليه من الرأي فيما قلت لك، هل تصبر أم تجزع.

وقيل: جواب الذبيح في قوله: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ فهو يتعدى إلى مفعولين، يجوز الاقتصار على أحدهما، كـ«أعطى»[٤٩٨].

---

(٤٩٥) الظلال ج٤ ص٢٩٩٤ ـ ٢٩٩٥.
(٤٩٦) الحجة ص٣٠٣.
(٤٩٧) الهادي ج٣ ص١٨٢.
(٤٩٨) الكشف ج٢ ص٢٢٥.

خامساً: الجمع بين القراءات:

يستفاد من القراءة الأولى ﴿مَاذَا تَرَىٰ﴾ أنّ إبراهيم ـ عليه السلام ـ سأل إسماعيل عليه السلام عن موقفه الذي سيتخذه تجاه ما قال والده هل سيقبل أن يذبح ويصبر أم يجزع، أما القراءة الثانية (**تُري**) فإنها أفادت أن إبراهيم عليه السلام سأل ابنه المشورة لنفسه تلطفاً مع ابنه أو أنه عليه السلام اخبر ابنه أنه مقدم على ذبحه وينتظر منه أن يريه الامتثال والصبر أم الجزع والقراءات بمجموعها تفيد أن إبراهيم عليه السلام كان مقدماً لا محالة على تنفيذ أمر الله تعالى وتفيد تلطفه عليه السلام مع ابنه وتشجيعه على امتثال أمر الله تعالى، والله اعلم.

١٣ ـ قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ [الصافات: ١٢٣].

أولاً: القراءات:

﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ﴾

١ ـ قرأ ابن ذكوان بخلف عنه بوصل همزة ﴿إِلْيَاسَ﴾، فيصير اللفظ بلام ساكنة بعد إن، فإن وقف على ﴿إن﴾ إبتدأ بهمزة مفتوحة لأن الأصل «ياس» دخلت عليه «أل».

٢ ـ قرأ الباقون بهمزة قطع مكسورة في الحالين(٤٩٩).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

﴿إِلْيَاسَ﴾: اسم أعجمي(٥٠٠).

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

يقول الطبري: (قوله: ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾﴾: هو إلياس بن ياسين بن منخاص بن العيزار ابن هارون بن عمران، وقيل: إنه إدريس.

(٤٩٩) البدور الزاهرة، ص٣٣٥.
(٥٠٠) مختار الصحاح ص٢٢.

وهذا النبي من المرسلين الذين أرسلهم الله لبني إسرائيل يدعوهم لتقوى الله)(٥٠١).

يقول سيد قطب: (ولقد دعا إلياسُ قومه إلى التوحيد مستنكراً عبادتهم لبعل وتركهم أحسن الخالقين ربهم ورب آبائهم الأولين، كما استنكر إبراهيم عبادة أبيه وقومه للأصنام، وكما استنكر كل رسول عبادة قومه الوثنيين)(٥٠٢).

يقول البغوي: (روي عن عبد الله بن مسعود قال: إلياس هو إدريس وفي مصحفه وإن إدريس لمن المرسلين، وقيل هو نبي من أنبياء بني إسرائيل، وقد أرسله الله لبني إسرائيل عندما ظهر فيهم الفساد والشرك ونصبوا الأوثان وعبدوها من دون الله، فبعث الله - عز وجل - إليهم إلياس نبياً)(٥٠٣).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

﴿إِلْيَاسَ﴾ قرأ ابن عامر ﴿إِلْيَاسَ﴾ بهمزة وصل وقرأها الباقون بهمزة قطع مكسورة ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ﴾ بوصل الألف جعل اسمه «ياساً» ثم أدخل عليه الألف واللام للتعريف.

وقرأ الباقون: ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ﴾ بالهمز، جعلوا أول الاسم على هذه القراءة «الألف» كأنه من نفس الكلمة نقول: ﴿إِلْيَاسَ﴾ كما نقول «إسحق وإبراهيم» وحجته قوله بعدها ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾﴾(٥٠٤).

يقول أبو علي الفارسي: (أما قول من أثبت الهمزة مكسورة فيقويه قول من قال: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾﴾، فهذا يدل على أن الهمزة ثابتة في إلياس ثبوتها في قوله: ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ [الصافات: ١٢٣]، ويقوي ثبات الهمزة في إلياس أن هذا ليس موضعُ تحذف فيه الهمزة، إنما

---

(٥٠١) الطبري المجلد السادس ص٣٢١.

(٥٠٢) الظلال ج٤ ص٢٩٩٧.

(٥٠٣) تفسير البغوي المجلد الرابع ص٣٣٨.

(٥٠٤) حجة القراءات، لابن زنجلة ص٦١٠، والهادي ج٣ ص١٨٢.

هو موضع تجعل فيه بَيْن بَيْن في التخفيف، كما يخفف: سئم، وبئس، ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ﴾ [البقرة: ٢٦٠][٥٠٥].

خامساً: الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين: القراءة الأولى بهمزة وصل والقراءة الثانية بهمزة القطع، القراءتان لغتان بالمعنى نفسه، وهو نبي أرسله الله - ﷻ - لبني إسرائيل لهدايتهم ودعوتهم إلى توحيد الله الخالص ونبذ عبادة الأوثان والأصنام والأنداد، والله أعلم.

١٤ - قال تعالى: ﴿ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾﴾ [الصافات ١٢٦].

أولاً: القراءات:

﴿ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ﴾

١ - قرأ حفص ويعقوب وحمزة والكسائي وخلف بالنصب في الأسماء الثلاثة.

٢ - قرأ الباقون برفع الثلاثة[٥٠٦].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

﴿ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ﴾

الله: علمٌ على الإلٰه المعبود بحق، أصله إله، دخلت عليه أل، ثم حذفت همزته وأدغم اللامان[٥٠٧].

«ربّ»: كل شيء مالكه و«الرَّبُّ» اسم من أسماء الله تعالى، ولا يقال في غيره إلا بالإضافة، وقد قالوه في الجاهلية للملك.

(٥٠٥) الحجة للقراء ج٦ ص٦٠.

(٥٠٦) النشر ج٢ ص٣٦٠، والبدور الزاهرة ص٣٣٦.

(٥٠٧) المعجم الوسيط ص٢٥.

«**الرَّبَّاني**» المتألِّه العارف بالله ـ تعالى ـ ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ﴾[٥٠٨].

الرَّبَّاني: هو الذي يُعلِّم الناس صغار العلم قبل كباره.

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

يقول البقاعي: (قوله تعالى ﴿ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾﴾، ذكر اسم الإله الأعظم «الله» الجامع لجميع الصفات، تنبيهاً على أنه الأول المطلق، الذي لم يكن شيء إلا به «ربكم» أي: المحسن إليكم وحده، ولما كانوا ربما أسندوا إيجادهم إلى قبلهم غباوة منهم أو عناداً قال «ورب آبائكم الأولين» أي: الذين هم أول لكم، فشمل ذلك آباءهم الأقربين، ومن قبلهم إلى آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ[٥٠٩].

يقول أبو السعود: (قوله ﴿ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾﴾ بالنصب على البدلية من أحسن الخالقين، وقُرِئ بالرفع على الابتداء، والتعرّض لذكر ربوبيته ـ تعالى ـ لآبائهم، لتأكيد إنكار تركهم لعبادته ـ تعالى ـ والإشعار ببطلان آراء آبائهم ـ أيضاً ـ)[٥١٠].

يقول الصابوني: (أتتركون عبادة أحسن الخالقين، الذي هو ربكم ورب آبائكم الأولين، و«بعل» اسم صنم لهم كانوا يعبدونه، وبذلك سميت مدينتهم بعلبك، والمعنى: أتدعون ربّاً اختلقتموه وهو هذا الصنم وتتركون أحسن من يقال له خالق وهو «الله» ربكم ورب آبائكم الأولين؟)[٥١١].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قوله تعالى: ﴿ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾﴾ يُقرأ بالنصب والرفع.

---

(٥٠٨) مختار الصحاح ص١٣٤.

(٥٠٩) نظم الدرر المجلد السادس ص٣٣٧.

(٥١٠) تفسير أبي السعود المجلد الرابع ص٤٢٢.

(٥١١) صفوة التفاسير، للصابوني ج٣.

فالحجة لمن نصب: أنه جعله بدلاً من قوله: ﴿بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾﴾ [الصافات: ١٢٥ ـ ١٢٦].

ويحتمل أن يكون أضمر فعلاً، كالذي أُظْهِرَ فَنُصِبَ به، أو أضمر «أعني» فإن العرب تنصب بإضماره مدحاً وتعظيماً.

والحجة لمن رفع: أنه أضمر اسماً ابتدأ به، وجعل اسم الله ـ تعالى ـ خبراً له، لأن الكلام الذي قبله قد تم فكأنه قال: هو الله ربكم، ودليله قوله: ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا﴾ [النور: ١] و﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ١] يريد بهما هي سورة، وهذه براءة من الله، أو يبتدئ باسم الله ـ عز وجل ـ مستأنفاً له، فيرفعه ويجعل قوله «ربكم» الخبر ويعطف عليه ما بعده(٥١٢).

خامساً: الجمع بين القراءات:

القراءة الأولى: ﴿ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾﴾ بالنصب على البدلية من ﴿أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ وفيه استنكار لفعل المشركين تركهم عبادة الله وعبادتهم لصنم لا يضر ولا ينفع، القراءة الثانية: **(اللَّهُ ربُّكم وربُّ آبائكم الأولين)** بالرفع على الابتداء، بمعنى أن الآية السابقة قد تم معناه وهذه بداية آية جديدة فيها تذكير لهؤلاء المشركين بأن الله ـ تعالى ـ هو ربهم ورب آبائهم الأولين.

بالجمع بين القراءتين يتبيّن أن الآية الكريمة تبيّن أن الله هو المألوه، المربوب، صاحب الكمال المطلق في صفاته وأسمائه الذي يستحق أن يُفرد بالعبادة؛ فكيف تعبدون مَن لا يجلب نفعاً، ولا يدفع ضراً، وتتركون عبادة من لا يعتريه النقص أو الزلل ...؟! فلم تعبدون ما لا ينفع ولا يضر، وتذرون عبادة أحسن الخالقين، والله أعلم.

١٥ ـ قوله تعالى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾﴾ [الصافات: ١٣٠].

(٥١٢) انظر الحجة ص٣٠٤، والكشف ج٢ ص٢٢٦، الهادي ج٣ ص١٨٣.

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ نافع وابن عامر ويعقوب «آل ياسين» بفتح الهمزة والمد وقطع اللام من الياء وحدها مثل ﴿ءَالِ يَعْقُوبَ﴾.

٢ ـ قرأ الباقون بكسر الهمزة وإسكان اللام بعدها ووصلها بالياء كلمة واحدة[(٥١٣)].

ثانياً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

يقول الإمام البيضاوي: (قوله تعالى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾﴾ لغة في إلياس كسينا وسينين، وقيل: جمع له مراد به هو وأتباعه، والعَلَمُ إذا جُمع يجب تعريفه باللام أو للمنسوب بحذف ياء النسب كالأعجمين.

وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب[(٥١٤)] على إضافة آل ياسين لأنهما في المصحف مفصولان فيكون ياسين أبا إلياس وقيل: محمد ـ ﷺ ـ)[(٥١٥)].

يقول ابن كثير: («سلام على إلْياسين» كما يُقال في إسماعيل وإسماعين وهي لغة بني أسد ويقال ميكال وميكائيل وميكائين وإبراهيم وإبراهام، وإسرائيل وإسرائين وطور سيناء وطور سينين، وهو موضع واحد وكل هذا شائع، وقرأ آخرون «سلامٌ على آل ياسين» يعني آل محمد ـ ﷺ ـ)[(٥١٦)].

يقول سيد قطب: في قوله تعالى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾﴾: (نلمح هنا الناحية الفنية فقد روعيت الفاصلة وإيقاعها الموسيقي في إرجاع اسم إلياس بصيغة «إلياسين» على طريقة القرآن في ملاحظة تناسق الإيقاع في التعبير)[(٥١٧)].

---

(٥١٣) النشر ج٢ ص٣٦٠، والبدور الزاهرة، ص٣٣٦.

(٥١٤) النشر ج٢ ص٣٦٠.

(٥١٥) تفسير البيضاوي ج٢٣ ص ٥٩٦.

(٥١٦) تفسير ابن كثير المجلد الرابع ص٢٠.

(٥١٧) الظلال ج٢٣ ص٢٩٩٨.

ثالثاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قوله تعالى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلۡ يَاسِينَ ١٣٠﴾ يقرأ بكسر الهمزة وقصرها وإسكان اللام بعدها وبفتح الهمزة ومدها وكسر اللام بعدها.

فالحجة لمن كسر الهمزة: أنه أراد ﴿إِلۡيَاسَ﴾ فزاد في آخره الياء والنون، ليساوي به ما قبله من رؤوس الآي، ودليله ما قرأه ابن مسعود «سلام على إدراسين» يريد: إدريس وعلى هذه القراءة يكون «إلياسين» كلمة واحدة، و(إلياسين) جمع منسوب إلى إلياس فيكون السلام واقعاً على من نسب إلى «**إلياس**» فقط.

والحجة لمن فتح الهمزة: أنه جعله اسمين: أحدهما مضاف إلى الآخر، معناه سلام على آل محمد - ﷺ - لأنه قيل في تفسير قوله تعالى: ﴿يسٓ ١﴾: يريد يا محمد، واختلف الناس في قولهم: آل محمد، فقيل: معناه من آل إليه بنسب أو قرابة.

وقيل من كان على دينه، ودليله قوله تعالى: ﴿وَأَغۡرَقۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ﴾ [البقرة: ٥٠].

وقيل آله: أصحابه، وأهله، وذريته[٥١٨].

رابعاً: الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين في الآية الكريمة سواءً أكان المقصود «إلياس» النبي - عليه السلام - أو «ياسين» وهو اسم نبي - أيضاً - فإن الآية على كلا الروايتين تبيّن تعظيم الله - عز وجل - للأنبياء وتنزيل، رحمته وسلامه على آل النبي كرامة وتقديراً لهذا النبي، والله تعالى أعلم.

١٦ - قوله تعالى: ﴿أَصۡطَفَى ٱلۡبَنَاتِ عَلَى ٱلۡبَنِينَ ١٥٣﴾ [الصافات: ١٥٣].

(٥١٨) الحجة ص٣٠٣، والهادي ج٣ ص١٨٣ - ١٨٤، والكشف ج٢ ص٢٢٧ - ٢٢٨.

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ أبو جعفر بوصل الهمزة على لفظ الخبر فيبتدئ بهمزة مكسورة.

٢ ـ قرأ الباقون بقطع الهمزة على لفظ الاستفهام(٥١٩).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

أصطفى: و(الصَّفيُّ) و(المُصافي) و(الصَفِيُّ) ما يصطفيه الرئيس من المغنم لنفسه قبل القسمة وهو (الصَّفية) أيضاً والجمع (صفايا) و(أصفاه) الوُدَّ أخلصه له و(صافاه) و(تصافيا) تخالصا، و(اصطفاه) اختاره(٥٢٠).

اصطفاه: فضله واختاره، (تصافيا): تخالصا في الود(٥٢١).

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

يقول ابن كثير: (يقول الله ـ تعالى ـ منكراً عليهم: ﴿أَصۡطَفَى ٱلۡبَنَاتِ عَلَى ٱلۡبَنِينَ ١٥٣﴾؟ أي: أيُّ شيء يحمله على أن يختار البنات دون البنين)(٥٢٢).

يقول أبو السعود: (قوله تعالى: ﴿أَصۡطَفَى ٱلۡبَنَاتِ عَلَى ٱلۡبَنِينَ ١٥٣﴾ إثباتٌ لإفكهم وتقرير لكذبهم فيما قالوا ببيان استلزامه لأمر بيّن الاستحالة هو اصطفاؤه ـ تعالى ـ البنات على البنين، والاصطفاء: أخذُ صفوة الشيء لنفسه)(٥٢٣).

يقول البقاعي: (قوله تعالى: ﴿أَصۡطَفَى﴾ بهمزة الاستفهام الإنكاري، ومن أسقطها فهي عنده مقدرة مرادة، أي: أخبروني، هل اختار هذا السيد الذي أنتم مقرون بتمام علمه وشمول قدرته وعلو سؤدده ما تسترذلونه، ولما

---

(٥١٩) النشر ج٢ ص٣٦٠.

(٥٢٠) مختار الصحاح ص٢٠٦.

(٥٢١) المعجم الوسيط ص٥١٨.

(٥٢٢) تفسير ابن كثير ج٢٣ ص٢٢.

(٥٢٣) تفسير أبو السعود المجلد الرابع ص٤٢٢ ـ ٤٢٣.

كان التعبير بالبنت أكره إليهم من التعبير بالأنثى، والتعبير بالابن أحب إليهم من التعبير بالذكر، قال: «البنات» اللاتي تستنكفون أنتم من لحوقهن بكم، وتستحيون من نسبتهن إليكم، حتى أن بعضكم ليصل في إبعادهن إلى الوأد)[٥٢٤].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

«أصْطفى» قُرئت بهمزة وصل وهمزة قطع.

حجة من قرأ بهمزة الوصل على أن يكون حكايةً عن قولهم: «ليقولون: إصطفى» ويجوز أن يكون المعنى: (وإنهم لكاذبون، قالوا: اصطفى البنات) تحذف (قالوا).

وحجة من قرأ بهمزة القطع وبفتح الألف وهو الاختيار، لأن المعنى: سلهم هل اصطفى البنات على البنين، فالألف ألف استفهام ومعناها التوبيخ، دخلت على ألف وصل، والأصل: (أاصْطفى) فسقطت ألف الوصل[٥٢٥].

يقول أبو علي الفارسي: (الوجه الهمز على وجه التقريع لهم بذلك والتوبيخ، ويقوّي ذلك قوله: ﴿أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ﴾ [الزخرف: ١٦] وقوله: ﴿أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الطور: ٣٩]. ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾﴾ [النجم: ٢١] فكما أن هذه المواضع كلها استفهام كذلك قوله: ﴿أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ﴾)[٥٢٦].

خامساً: الجمع بين القراءات:

بالجمع بين القراءتين: القراءة الأولى، التي تفيد الإخبار عن كذب المشركين وإفكهم بوصف الملائكة بالإناث وبأنهم بنات الله، والقراءة الثانية، التي تفيد الاستفهام الذي فيه التوبيخ والتقريع لهؤلاء المشركين على

---

(٥٢٤) نظم الدرر المجلد السادس ص٣٤٦.

(٥٢٥) انظر: حجة القراءات، لابن زنجلة ص٦١٢، والهادي ج٣ ص١٨٤.

(٥٢٦) الحجة للقراء ج٦ ص٦٤.

إدعائهم الكاذب، يتضح كذب هؤلاء المشركين وتطاولهم على الله - عَجَّلَ - وافتراؤهم عليه بهذا الادعاء الكاذب، والله أعلم.

١٧ - قوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾﴾ [الصافات: ١٥٥].

أولاً: القراءات:

﴿تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾﴾.

١ - قرأ حمزة والكسائي وخلف وحفص بتخفيف الذال ﴿تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾﴾.

٢ - قرأ الباقون بتشديد الذال (**تذّكرون**)[٥٢٧].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(**الذَّكرْ**) و(**الذَّكرى**) و(**الذُّكْرة**) ضد النسيان تقول ذكرْتُه ذِكرى و(**الذِّكْر**) الصيت والثناء، قال الله - تعالى -: ﴿صٓ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِى ٱلذِّكۡرِ ﴿١﴾﴾ أي: ذي الشرف[٥٢٨].

(**ذكَرَ**) الشيء ذِكْراً وذُكْراً وذِكْرى وتَذكاراً: حفظه واستحضره وجرى على لسانه بعد نسيانه، وذَكَرَ فلانة: خطبها.

الذِّكْر: الصيت والصلاة لله والدعاء إليه والقرآن[٥٢٩].

ثالثاً: المعنى الإجمالي للآية:

يقول الطبري: (﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ أي: أفلا تتدبرون ما تقولون؟ فتعرفوا خطأه، فتنتبهوا عن قبله)[٥٣٠].

يقول الشوكاني: (﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ أي: تتذكرون، فحذفت إحدى التاءين، والمعنى: ألا تعتبرون وتتفكرون، فتتذكرون بطلان قولكم)[٥٣١].

---

(٥٢٧) النشر ج٢ ص٢١٦.

(٥٢٨) مختار الصحاح ص١٣٠.

(٥٢٩) المعجم الوسيط ص٣١٣.

(٥٣٠) الطبري المجلد السادس ص٣٢٧.

(٥٣١) فتح القدير، للشوكاني المجلد الرابع ص٤١٣ - ٤١٤، وتفسير الألوسي المجلد الثاني عشر ص٣٤٥.

يقول الإمام البقاعي: (في قوله تعالى ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ أي: أفلا تتعظون)(٥٣٢).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قرأ حفص وحمزة والكسائي وخلف العاشر بتخفيف الذال، وذلك على حذف إحدى التاءين تخفيفاً؛ لأن الأصل «تتذكرون» وقرأ الباقون بتشديد الذال(٥٣٣).

وذلك على إدغام التاء في الذال، لأنهما متقاربان في المخرج، إذ التاء تخرج من طرف اللسان مع ما يليه من أصول الثنايا العليا، والذال تخرج من طرف اللسان مع أطراف الثنايا العليا، والحرفان متفقان في الصفات التالية: الإستفال، والانفتاح، والإصمات(٥٣٤).

خامساً: الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين في الآية الكريمة يتبيّن أن القراءتين بمعنى واحد، وهو معنى التفكر والاتعاظ والتدبر، والله أعلم.



(٥٣٢) تفسير البقاعي المجلد الرابع ص٣٤٥.

(٥٣٣) انظر النشر ج٢ ص٢١٦.

(٥٣٤) المغني ج٣ ص١١٤.

الفصل الثالث
تفسير سورة (ص)
من خلال القراءات القرآنية العشر

ويشتمل على مبحثين هما:

المبحث الأول: تعريف بسورة (ص) وبيان أهم الموضوعات فيها.

المبحث الثاني: عرض آيات سورة (ص) المتضمنة للقراءات العشر وتفسيرها.



المبحث الأول
التعريف بسورة ص وبيان أهم الموضوعات فيها

ويشتمل على النقاط التالية:

أولاً: اسم السورة.

ثانياً: نوع السورة.

ثالثاً: عدد آيات السورة.

رابعاً: مناسبة السورة لما قبلها.

خامساً: أغراض السورة.

سادساً: محور السورة.

سابعاً: مضمون السورة وما اشتملت عليه.



المبحث الأول
التعريف بسورة (ص) وبيان أهم الموضوعات فيها

أولاً: اسم السورة:

اسم سورة ﴿صٓ﴾ له معنى عند العلماء الربانيين من أنه مطابقة ما بين الخلق والأمر وتسمى سورة داود - عليه السلام - كما قال ابن الجوزي - رحمه الله -[٥٣٥].

«ص» هو اسم للسورة، كما ذكرنا في سائر حروف التهجي، في أوائل السور، وقال محمد بن كعب القرظي: (﴿صٓ﴾ مفتاح اسم الصمد وصادق الوعد)، وقال الضحاك: (معناه صدق الله)[٥٣٦].

يقول الصابوني: تسمى السورة الكريمة سورة «ص» وهو حرف من حروف الهجاء للإشادة بالكتاب المعجز الذي تحدى الله به الأولين والآخرين، وهو المنظوم من أمثال هذه الحروف الهجائية[٥٣٧].

ثانياً: نوع السورة:

يقول سيد قطب: (هذه السور مكية، تعالج موضوعات السور المكية

(٥٣٥) تناسب الدرر ٣٥٦/٦.

(٥٣٦) تفسير البغوي ٣٠٦/٤.

(٥٣٧) صفوة التفاسير للصابوني ج٣ ص٤٤.

قضية التوحيد، وقضية الوحي وقضية الحساب في الآخرة)[٥٣٨].

يقول القاسمي: (سورة «ص» مكية وقيل مدنية وضُعّف)[٥٣٩].

يقول الألوسي: (سورة «ص» مكية كما روي عن ابن عباس، وقيل مدنية وليس بصحيح كما قال الداني)[٥٤٠].

ويرى الباحث: أن السورة مكية بعد البحث في بعض كتب التفاسير التي أشارت إلى أن السورة مكيّة، وفيها ما في السور المكية من صفات قصر الآيات، وقصص الأنبياء.

ثالثاً: عدد آيات السورة:

هي مكية نزلت بعد سورة القمر، وعدد آياتها ثمان وثمانون آية[٥٤١].

يقول الألوسي: (هي ثمان وثمانون آية في الكوفي، وست وثمانون في الحجازي والبصري والشامي، وخمس وثمانون في عد أيوب بن المتوكل وحده، ولم يقل أحد أن «ص» وحدها آية، كما قيل في غيرها من الحروف في أوائل السور)[٥٤٢].

رابعاً: مناسبة السورة لما قبلها:

يقول البقاعي: (بعدما ذكر ـ سبحانه ـ في آخر الصافات أن جند الله هم الغالبون ـ إن رُئي أنهم ضعفاء وإن تأخر نصرهم ـ غلبه آخرها عزٌ للمؤمنين، لأنه ـ سبحانه ـ محيط بصفات الكمال، فكان آخر الصافات من التنزيه والحمد وما معهما، وعلى ذلك دلت تسميتها بحرف (ص)، وذكر

(٥٣٨) الظلال ج٢٣ ص٣٠٠٤.

(٥٣٩) تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل للقاسمي ١٤٢/٨.

(٥٤٠) تفسيرالألوسي ١٦٠/٨.

(٥٤١) تفسير المراغي ج٢٣ ص٩٤.

(٥٤٢) تفسير الألوسي المجلد الثامن ص١٦٠.

فيها من الأنبياء، الذين لم يكن على أيديهم إهلاك، بل ابتلوا وسلمهم الله من أعدائهم من الجن والإنس، وحال محمد - ﷺ - من أدل الأحوال على ذلك، لما كان فيه من الضعف أولاً والمُلك آخره[٥٤٣].

يقول الدكتور وهبه الزحيلي: تظهر صلة هذه السورة بما قبلها من وجهين:

الأول: أن الله تعالى حكى في آخر سورة الصافات التي قبلها قول الكفار: ﴿لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾﴾ ثم كفروا به، ثم افتتح هذه السورة بالقسم القرآني ذي الذكر، لتفعيل المجمل هناك.

الثاني: أن هذه السورة بعد الصافات، كـ(طس) - النمل بعد الشعراء، وكـ(طه) والأنبياء بعد مريم، وكـ(يوسف) بعد هود، في كونها متممة لها بذكر من بقي من الأنبياء، ممن لم يذكر في تلك، مثل داوود، وسليمان وأيوب، وآدم وأشار إلى بقية من ذكر)[٥٤٤].

خامساً: هدف السورة وأغراضها:

١ - بيان تعجب الكفار من نبوة الرسول - ﷺ -.

٢ - وصف الكفار للرسول بالاختلاق والافتراء وبيان بطلان فريتهم واختلاقهم.

٣ - اختصاص الحق - تبارك وتعالى - بملك السماء والأرض.

٤ - ذكر قصة سليمان وأيوب وإبراهيم - عليهم السلام - وأخذ العبر من قصصهم.

٥ - عجز حال الأشقياء يوم القيامة.

(٥٤٣) تناسب الدرر ج٦ ص٣٥٦.

(٥٤٤) التفسير المنير ج٢٣ ص١٦١.

٦ ـ تهديد الله ـ عز وجل ـ للكفار على تكذيبهم بالنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

سادساً: محور السورة:

تعالج هذه السورة قضية الوحي وتدور معظم آياتها حول قضية الوحي إلى محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهي تمثل الدهشة والاستغراب والمفاجأة التي تلقى بها كبار المشركين في مكة دعوة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لهم إلى توحيد الله، وإخبارهم بقصة الوحي، واختياره رسولاً من عند الله[٥٤٥].

سابعاً: مضمون السورة وما اشتملت عليه:

١ ـ تخلفُ المشركون وإعراضهم عن الحق، مع ضرب المَثَل لهم بالأمم الماضية التي حادت عن الحق فهلكت.

٢ ـ إنكارهم للوحدانية، وإنكارهم لنبوة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

٣ ـ إنكارهم للبعث والحساب.

٤ ـ قصص داود وسليمان وأيوب وإبراهيم وإسحق ويعقوب وغيرهم من النبيين ـ عليهم السلام ـ.

٥ ـ وصف نعيم أهل الجنة، وصف عذاب أهل النار، وتلاعن بعضهم بعضاً، وسؤالهم عن المؤمنين ولِمَ لم يروهم في النار؟

٦ ـ قصص آدم عليه السلام.

٧ ـ قسم إبليس ليُغوينّ بني آدم أجمعين إلا عباد الله المخلصين.

٨ ـ أمر الله نبيه أن يقول للمشركين، ما أطلب منكم أجراً على تبليغ رسالتي، ولا أنا بالذي يدّعي علم شيء هو لا يعرفه.

٩ ـ إن القرآن أنزل للثقلين كافة.

١٠ ـ إن المشركين بعد موتهم يعلمون حقيقة أمرهم[٥٤٦].

(٥٤٥) الظلال ج٢٣ ص٣٠٠٤.

(٥٤٦) تفسير المراغي ج٢٣ ص١٣٩ ـ ١٤٠.

المبحث الثاني
عرض آيات سورة (ص)
المتضمنة للقراءات القرآنية العشر وتفسيرها

١ ـ قال تعالى: ﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى ۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ ﴿٨﴾﴾ [ص: ٨].

أولاً: القراءات:

﴿أَءُنزِلَ﴾

١ ـ قرأ قالون وأبو جعفر بالتسهيل مع الإدخال.

٢ ـ قرأ ورش وابن كثير ورويس بالتسهيل من غير إدخال.

٣ ـ قرأ أبو عمرو بالتسهيل مع الإدخال وتركه.

٤ ـ لهشام ثلاثة أوجه: الأول كقالون، والثاني: التحقيق مع الإدخال، والثالث: التحقيق بلا إدخال وهو قراءة الباقين(٥٤٧).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«أنزل» الشيء: جعله ينزل ويقال: أنزل الله كلامه على أنبيائه أي: أوحى به.

وأنزل حاجته على كريم، جعله موضع أمله ورجائه.

(٥٤٧) النشر ج٢ ص٣٦١، والبدور الزاهرة، ص٣٣٧.

وأنزل الضيف، أحلّه وهيأ له نُزُلة.

«النُزل»: بوزن القُفْل ما يُهيأ للتنزيل والجمع[٥٤٨].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

يقول الألوسي: (في قوله تعالى: ﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ﴾ «أي القرآن» ﴿مِنۢ بَيْنِنَاۚ﴾ ونحن رؤساء الناس وأشرافهم كقولهم ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾﴾ [الزخرف: ٣١].

وأمثال هذه المقالات الباطلة دليل على أن مناط تكذيبهم ليس إلا حسد وقصر النظر على الحطام الدنيوي ﴿بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ﴾ أي ليس قصدهم الطعن في اختصاصك بالرسالة، ولكنهم يشكون في أصل إنزاله، «بل» تكذيباً لما يظهر من إنكارهم إنزال الذكر عليه من بينهم، أي إنما قصدهم الشك في أن الله يوحي على أحد بالرسالة شكاً من وقوعه)[٥٤٩].

يقول الشاذلي أبو العباس: (هذه المقالة الباطلة دليل أن مناط تكذيبهم هو الحسد وقصر النظر على الحطام الدنيوية فعيونهم منطمسة عن أنوار الحق، ولذلك استبعدوا اصطفائه ـ ﷺ ـ بالوحي)[٥٥٠].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قوله تعالى: ﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ﴾ [ص: ٦] يُقرأ بهمزتين الأولى مفتوحة والثانية مضمومة وبهمزة واحدة، وبهمزة و واو بعدها، ومثله: ﴿أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا﴾ [ص: ٧]، فالحجة لمن أثبت الهمزتين، أنه أتى بالكلام على أصله ووفّاه ما أوجبه القياس له، والأولى همزة الاستفهام، والثانية ألف القطع، والحجة لمن قرأ بهمزة واحدة: أنه أخبر ولم يستفهم.

---

(٥٤٨) المعجم الوسيط ص٩٢٥، ومختار الصحاح، للرازي ص٦٥٥.

(٥٤٩) تفسير الألوسي ١٨٦/١٢.

(٥٥٠) البحر المديد، للشاذلي، ج٦ ص٢٠٤.

والحجة لمن قرأ بهمزة و واو: أنه حقّق الأولى وخفف الثانية وكانت مضمومة فصارت في اللفظ واواً(٥٥١).

خامساً: الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين يتبيّن أن القراءة بهمزتين، الأولى: مفتوحة والثانية: مضمومة تفيد الاستفهام الانكاري من كفار قريش، والقراءة الثانية بهمزة واحدة مطوّلة تفيد الإخبار الذي فيه سخرية واستهزاء (وشك من قبل المشركين)، وبالقراءتين: (الاستفهام والإخبار) من المشركين يتبيّن حسد المشركين للنبي محمد - ﷺ - واستهزاؤهم وإنكارهم لرسالته ودعوته، وشكهم بالذكر الذي هو القرآن، والله أعلم.

٢ - قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ مَّا لَهَا مِن فَوَاقٖ ﴿١٥﴾﴾ [ص: ١٥].

أولاً: القراءات:

١ - قرأ حمزة و الكسائي وخلف بضم الفاء (**فُواق**).

٢ - قرأ الباقون بفتحها ﴿فَوَاقٖ ﴿١٥﴾﴾(٥٥٢).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«فُواق»: يُقرأ بالفتح والضم أي: ما لها من نظرة وراحة وإفاقة.

- وهي تقلص فجائي للحجاب الحاجز، يُحدث شهقة قصيرة يقطعها تقلّص المزمار.

- ما يأخذ المحتضر عند الفزع.

- الراحة والتمهل وفي التنزيل العزيز: ﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ مَّا لَهَا مِن فَوَاقٖ ﴿١٥﴾﴾(٥٥٣).

---

(٥٥١) الحجة ص٣٠٥، وحجة القراءات لابن زنجلة ص٦١٢.

(٥٥٢) النشر ج٢ ص٣٦١.

(٥٥٣) المعجم الوسيط ص٧٠٦، ومختار الصحاح للرازي ص ٢٨١.

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

يقول الطبري: (يقول تعالى ذكره: ﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ المشركون بالله من قريش ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ يعني بالصيحة الواحدة: النفخة الأولى في الصور ﴿مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ﴿١٥﴾﴾ يقول: ما لتلك الصيحة من فيقة يعني من فتور ولا انقطاع)(٥٥٤).

يقول سيد قطب: (قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً ...﴾.

هذه الصيحة إذا جاءت لا تستأخر، ولو فترة قصيرة مقدار ما فوق ناقة، وهي المسافة بين الحلبتين لأنها تجيء في موعدها المحدد، الذي لا يستقدم ولا يتأخر، كما قدر الله لهذه الأمة الأخيرة أن يُنظرها ويمهلها، فلا يأخذها بالدمار والهلاك كما أخذ من قبل أولئك الأحزاب)(٥٥٥).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قوله تعالى: ﴿مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ﴿١٥﴾﴾ يُقرأ بضم الفاء وفتحها.

فقيل: هما لغتان بمعنى واحد، وقيل: من ضمّ أراد، قدر ما بين الحلبتين للناقة، أو الرجوع، ومن فتح أراد: أي من راحة(٥٥٦) وقيل: «فُواق» بضم الفاء، هو لغة «تميم وأسد وقيس». وبفتح الفاء، وهو لغة أهل الحجاز(٥٥٧).

خامساً: الجمع بين القراءتين:

بالجمع بين القراءتين يتبيّن أن من قرأها بالضم جعلها فواق ناقةٍ ما بين الحلبتين، ومن قرأها بالفتح أراد الراحة، والقراءتان بمعنى واحد، تفيدان أن هؤلاء المشركين ما ينظرون إلا عذاباً يهلكهم لا إفاقة لهم منه، والله أعلم.

---

(٥٥٤) الطبري ج٢٣ ص٨٤.
(٥٥٥) الظلال ج٢٣ ص٣٠١٤.
(٥٥٦) حجة القراءات، لابن زنجلة ص٦١٣، الكشف ج٢ ص٢٣١، والحجة ص٣٠٤.
(٥٥٧) الهادي ج٣ ص١٨٥.

٣ ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسۡعٌ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةً وَلِىَ نَعۡجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلۡخِطَابِ ﴿٢٣﴾﴾ [ص: ٢٣].

أولاً: القراءات:

﴿وَلِىَ نَعۡجَةٌ﴾

١ ـ قرأ حفص بفتح الياء ﴿نَعۡجَةٌ﴾.

٢ ـ قرأ الباقون بإسكان الياء (**ولِيْ**)(٥٥٨).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«**ولِيَ**»: اللام حرف جر مبني على الكسر، ومعناه هنا للملك.

الياء: ضمير المتكلم، يُروى بوجهين:

أ ـ بالسكون هكذا «**لِيْ**».

ب ـ بالفتح هكذا «**لِيَ**».

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

يقول الألوسي: (قوله تعالى ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى﴾ استئناف لبيان ما فيه الخصومة، والمراد بالأخوة أخوة الدين أو أخوة الصداقة أو أخوة الشركة والخلطة، لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلۡخُلَطَآءِ﴾ [ص: ٢٤]، والمشهور أنهما كانا من الملائكة، بل قيل لاختلاف في ذلك)(٥٥٩).

يقول سيد قطب: (القضية تحمل ظلماً صارخاً مثيراً، لا يحتمل التأويل ومن ثم اندفع داوود يقضي على إثر سماعه لهذه المظلمة الصارخة، ولم يوجه إلى الخصم الآخر حديثاً، ولم يسمع له حجة، وقد كان الرجلان ملكين جاءا للامتحان: امتحان النبي الملك الذي ولاه الله أمرَ الناس،

(٥٥٨) البدور الزاهرة، ص٣٣٨.

(٥٥٩) تفسير الألوسي ١٢/١٨١.

ليقضي بينهم بالحق والعدل، وليتبيّن قبل إصدار الحكم)(٥٦٠).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قوله تعالى: ﴿وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ إسكان الياء إجماعاً إلا ما رواه (حفص) عن (عاصم) بالفتح لقلة الاسم، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَعَزَّنِي﴾ بالتشديد إجماع، إلا ما رواه - أيضاً - عنه بالتشديد، وإثبات الألف، وهما لغتان معناهما: غالبتني وغلبتني(٥٦١).

قال أبو علي: (إسكان الياء وتحريكها حسنان جميعاً)(٥٦٢).

خامساً: الجمع بين القراءتين:

بالجمع بين القراءتين؛ القراءة الأولى: بإسكان الياء، والقراءة الثانية: بفتحها، يتبيّن أن القراءتين بمعنى واحد، والقراءتان تفيدان الملكية لأحد الخصمين بالنعجة التي جاء الخصمان، وهما ملكان يحتكمان إلى داود - عليه السلام - فيها، لأجل الابتلاء والاختبار وتعليمه التأني قبل إصدار الحكم، والله أعلم.

٤ - قال تعالى: ﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ (٢٤)﴾ [ص: ٢٤].

أولاً: القراءات:

﴿أَنَّمَا فَتَنَّاهُ﴾

١ - قرأ أبو عمرو بتخفيف النون (**أنما فتناه**).

٢ - قرأ الباقون بتشديد النون ﴿أَنَّمَا فَتَنَّاهُ﴾.

---

(٥٦٠) الظلال ج٢٣ ص٣٠١٨.

(٥٦١) المصحف الذي بين أيدينا وهو برواية حفص، خلا من رواية التشديد، وإثبات الألف ولم يخرج عن الإجماع. الحجة ص٣٠٥.

(٥٦٢) الحجة للقراء ج٦ ص٦٨.

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

﴿فَتَنَّٰهُ﴾

«فتن»: المعدِن، فتناً وفتوناً، صهره في النار ليختبره، ويقال: فتنته النار، صهرته.

«الفتنة»: الاختبار بالنار والابتلاء.

«افْتتن» بالأمر، استهواه وأعجبه.

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

يقول البيضاوي: (قوله تعالى: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ﴾ جواب قسم محذوف قُصِد به المبالغة في إنكار فعل خليطه. وتهجين طمعه ولعله قال ذلك بعد اعترافه، أو على تقدير صدق المدعي، والسؤال مصدر مضاف إلى مفعوله وتعديته إلى مفعول آخر بإلى لتضمنه معنى الإضافة ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ﴾ الشركاء الذين خلطوا أموالهم جمع خليط، ليعتدي بعضهم على بعض إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليلٌ ما هم، ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ﴾ ابتليناه بالذنب وامتحناه بتلك الحكومة، هل ينتبه بها؟ ﴿فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ﴾ لذنبه ﴿وَخَرَّ رَاكِعًا﴾ ساجداً، على تسمية الركوع سجوداً، و﴿أَنَابَ﴾ رجع إلى الله بالتوبة[٥٦٣].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قرأ أبو عمرو (**أنما فتناه**) بالتخفيف يعني الملكين، يريد: قصداه بالخطاب.

وقرأ الباقون ﴿أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ﴾ مشددة النون[٥٦٤].

وروي عن أبي عمرو: ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ﴾ يعني: «الملكين، أي: علم داوود أنهما امتحناه، وفسر أبو عبيد وغيره الظن هنا بالعلم[٥٦٥].

(٥٦٣) تفسير البيضاوي ج٢٣ ص٦٠١.

(٥٦٤) الحجة للقراء ج٦ ص٧٠.

(٥٦٥) مجاز القرآن ج٢ ص١٨١.

خامساً: الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين: القراءة الأولى: التي هي بتشديد النون، هكذا ﴿فَتَنَّهُ﴾ تفيد أن المقصود هو الله ـ عز وجل ـ قد امتحن نبيه داود واختبره.

والقراءة الثانية: التي هي بتخفيف النون، هكذا «**فَتَنَاه**» تفيد أن المقصود الملكان اللذان أرسلهما الله ـ عز وجل ـ ليختبروا نبيه داود ـ عليه السلام ـ في القضاء والحكم عليه.

وعلى كلتا الروايتين؛ فإن المعنى واحد، وهو أن الله ـ سبحانه ـ أراد أن يختبر نبيه داود ـ عليه السلام ـ ليعلمه درساً بأن لا يتعجل الأمر؛ بل يتروى فيه، ويتأنى وينتبه إلى ذنبه؛ ليتوب إلى الله وينوب إليه، والله أعلم.

٥ ـ قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص: ٢٩].

أولاً: القراءات:

﴿لِّيَدَّبَّرُوٓا۟﴾

١ ـ قرأ أبو جعفر بالخطاب مع تخفيف الدال (**لتدبروا**).

٢ ـ قرأ الباقون بالغيب والتشديد ﴿لِّيَدَّبَّرُوٓا۟﴾[٥٦٦].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

التدبر: التفكر فيه[٥٦٧].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

يقول أبو السعود: (قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ﴾ خبر مبتدأ محذوف هو عبارة عن القرآن أو السورة وقوله تعالى: ﴿أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ﴾ صفة وقوله: ﴿مُبَٰرَكٌ﴾ خبر ثان أو صفة لكتاب وقوله تعالى: ﴿لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ﴾ متعلق

---

(٥٦٦) النشر ج٢ ص٣٦١.

(٥٦٧) مختار الصحاح، للرازي ص١٧١.

بأنزلناه أي أنزلناه ليتفكروا في آياته، التي من جُملتها هذه الآيات المعبرة عن أسرار التكوين والتشريع، ﴿وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ٢٩﴾ أي ليتعظ به ذوو العقول السليمة)[568].

يقول البغوي: (قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ﴾ أي: هذا الكتاب أنزلناه إليك، ﴿مُبَٰرَكٌ﴾ كثير خيره ونفعه، ﴿لِّيَدَّبَّرُوٓاْ﴾ أي: ليتدبروا، ﴿ءَايَٰتِهِۦ﴾ وليتفكروا فيه، وليتبعوا آياته ويتعظوا بها)[569].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [ص: ٢٩].

اختلف القراء في ﴿لِّيَدَّبَّرُوٓاْ﴾:

فقرأ أبو جعفر **«لتدبروا»** بتاء فوقية بعد اللام مع تخفيف الدال، والأصل **«لتتدبروا»** فحذفت إحدى التاءين تخفيفاً، والمعنى: لتتدبر أنت أيها النبيُّ والمسلمون.

وقرأ الباقون **«ليدّبروا»** بالياء التحتية، وتشديد الدال، والأصل **«ليتدبروا»** فأدغمت التاء في الدال، لتجانسهما في المخرج، وأراد بالمعنى: ليتدبر المسلمون؛ فيتقرر عندهم صحتها، وتسكن نفوسهم إلى العلم بها[570].

خامساً: الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين؛ نجد أن القراءة الأولى بتاء فوقية تفيد أن الخطاب مقصود به النبي والمسلمون، والقراءة الثانية تفيد أن الخطاب مقصود به المسلمون، والكتاب منزلٌ للنبي، فالنبي هو أول من تدبره وتفكّر فيه، فلا اختلاف في المعنى، إن كان المقصود بالآية النبي أو المسلمين، والله أعلم.

---

(٥٦٨) تفسير أبي السعود ج٥ ص٢٦٢.

(٥٦٩) تفسير البغوي ج٤ ص٣٥٢.

(٥٧٠) الحجة للقراء ج٦ ص٦٧ ـ ٦٨، والهادي ج٣ ص١٨٥.

٦ ـ قال تعالى: ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾﴾ [ص: ٣٣].

أولاً: القراءات:

﴿بِالسُّوقِ﴾

١ ـ قرأ قنبل بهمزة ساكنة بعد السين (**بالسُّؤق**) وعنه ـ كذلك ـ بهمزة مضمومة بعد السين وبعدها واو ساكنة مدية (**بالسُّؤوق**).

٢ ـ قرأ الباقون بغير همز ﴿بِالسُّوقِ﴾(٥٧١).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«**الساق**» من الحيوان: ما بين الركبة والقدم «مؤنّثة» وفي التنزيل العزيز ﴿فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾﴾، ومن الشجرة ونحوها؛ ما بين أصلها إلى متشعب فروعها وأغصانها والجمع سُوق وسيقان وأَسْوُقٌ.

وفي المثل «كشف عن ساقه»: يُضرب في شدة الأمر، كما يقال: قامت الحرب على ساق(٥٧٢).

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

يقول السمرقندي: (قوله تعالى ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ﴾ يعني: قال سليمان: ردوا الخيل عليّ، فردت عليه ﴿فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾﴾ يعني: يضرب السوق وهو جمع الساق و«**الأعناق**» وهو جمع العناق، وقال عامة المفسرين: ضرب سوقها وأعناقها، وقال بعضها: لم يعقر ولكن جعل على سوقهن، وعلى أعناقهن سمة وجعلها في سبيل الله قال: لأن التوبة لا تكون بأمر منكر.

ولكنَّ الجواب عنه أن يقال له، يجوز أن يكون ذلك مباحاً في ذلك

---

(٥٧١) انظر النشر ج٢ ص٣٣٨، والبدور الزاهرة، ص٣٣٨.

(٥٧٢) المعجم الوسيط ص٤٦٤، ومختار الصحاح للرازي ص١٨٣.

الوقت، وإنما أراد بذلك الاستهانة بحال الدنيا لمكان فريضة الله تعالى)[٥٧٣].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قوله تعالى﴿بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ﴾ [ص: ٣٣].

قرأ قنبل بهمزة ساكنة بعد السين «**السُؤق**» وعنه كذلك بهمزة مضمومة بعد السين وبعدها واو ساكنة مدية «بالسُؤوق».

قرأ الباقون بغير همز «بالسوق»[٥٧٤].

قال أبو علي: (ساقٌ وسُوقٌ مثل لابة ولُوب وقارة وقور، وبدنةٍ وبُدَن، وخَشبة وخُشُب، وأما الهمز في السوق فغيره أحسن وأكثر، وللهمز فيه وجهٌ في القياس والسماع، فأما السماع فإن أبا الحسن كان يقول: إن إباحيّة النميري بهمز الواو التي قبلها. فأما وجه القياس، فإن هذه الهمزة لما يكن بينها وبين الضمة حاجز صارت كأنها عليها، فهمزها كما يهمزها إذا تحركت بالضم.

وأما ما رواه أبو عمرو عن ابن كثير، بالسؤوق فجائزٌ كثير، وذلك أن الواو إذا كانت عيناً مضمومة جاز فيها الهمز، كما جاز في الفاء نحو: أُجُوه، وأُقّتَت ومن تمكُّن الهمز في ذلك أنهم همزوا: أدؤرٌ ثم قلبوا فقالوا: أآدُرٌ، فلم يعيدوا الواو التي هي عينٌ، وجعلوه بمنزلة قائل، وهو قويئلٌ)[٥٧٥].

خامساً: الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءات يتبيّن أنها ـ جميعاً ـ تفيد نفس المعنى، ولكنها لغات مختلفة بمعنى واحد، فالآية الكريمة تتحدث أن سليمان ـ عليه السلام ـ

---

(٥٧٣) بحر العلوم، للسمرقندي المسمى ج٣ ص١٣٥.

(٥٧٤) النشر ج٢ ص٣٣٨.

(٥٧٥) الحجة للقراء ج٦ ص٦٩ ـ ٧٠.

جمعت له الخيل، وضرب هذه الخيل على سوقها وأعناقها، والله أعلم.

٧ ـ قال تعالى ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَـٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾﴾ [ص: ٤١].

أولاً: القراءات:

﴿بِنُصْبٍ﴾

١ ـ قرأ أبو جعفر بضم النون والصاد (**بنُصُب**).

٢ ـ قرأ يعقوب بفتحها (**بنَصَب**).

٣ ـ قرأ الباقون بضم النون وإسكان الصاد ﴿بِنُصْبٍ﴾[٥٧٦].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«**النُصْب**»: المنصوب، وما يقام من بناء ذكرى لشخص أو حادثة. والشر والبلاء.

«**نَصِبَ**» نَصَباً: أعيا وتعب.

«**ناصبه**» العداوة أو الحرب: أظهرها له وأقامها[٥٧٧].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

يقول الألوسي: (النصبُ والضر في الجسد، والعذاب في الأهل والمال، وإسناد المسمى إلى الشيطان قيل على ظاهره وذلك عليه اللعنة، سمع ثناء الملائكة ـ عليهم السلام ـ على أيوب ـ عليه السلام ـ فحسده، وسأل الله ـ تعالى ـ أن يسلطه على جسده وماله وولده ففعل ـ عز وجل ـ ابتلاءاً له[٥٧٨].

يقول سيد قطب: (كان أيوب عبداً صالحاً أوّاباً، وقد ابتلاه الله فصبر

(٥٧٦) البدور الزاهرة، ص٣٣٨، والنشر ج٢ ص٣٦١.

(٥٧٧) المعجم الوسيط ص٩٢٤.

(٥٧٨) تفسير الألوسي ١٢/٢٠٦.

صبراً جميلاً، ويبدو أن ابتلاءه كان بذهاب المال والأهل والصحة جميعاً، ولكنه ظل على صلته بربه ورضاه بما قسم له، وكان الشيطان يوسوس لخلصائه القلائل، بأنّ الله لو كان يحب أيوب ما ابتلاه، وعندئذ توجه إلى ربه بالشكوى مما يلقى من إيذاء الشيطان، فلما عرف ربُّه منه صِدْقَه وصَبْرَه؛ أدركه برحمته، وأنهى ابتلاءه ورد عليه عافيته، إذ أمره أن يضرب الأرض بقدمه فتتفجر منه عينٌ باردة يغتسل منها ويشرب فيشفى ويبرأ)(٥٧٩).

رابعا: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

اختلف القراء في ﴿بِنُصْبٍ﴾ من قوله تعالى: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ [ص: ٤١].

فقرأ أبو جعفر بضم النون والصاد «**بنُصُب**»، وقرأ يعقوب بفتحها «**بنَصَب**» وقرأ الباقون بضم النون وإسكان الصاد ﴿بِنُصْبٍ﴾(٥٨٠).

وكلها لغات بمعنى واحد وهو التعب والمشقه(٥٨١).

قال أبو عبيدة: نُصب: أي بلاء وشر.

قال: وتقول العرب: أنصبني: أي عذبني وبرح بي.

قال: **والنَّصْبُ**: إذا فتح أولها وأسكن ثانيها واحدُ أنصاب الحرم، وكل شيء نصبته وجعلته علماً، ولأنصبنك نصب العود، ويقال: نصب بعيره ليلته نصباً، **قال أبو الحسن**: النصَّب الإعياء، يمسُّنا فيها نصبٌ ولا أذى، قال: وأرى (نَصَبٌ ونُصْبٌ) لغتين، مثل: (البُخْلِ والبَخَل)، في معنى الوجع(٥٨٢).

---

(٥٧٩) الظلال ج٢٣ ص٣٠٢١.
(٥٨٠) النشر ج٢ ص٣٦١.
(٥٨١) الهادي ج٣ ص١٨٦.
(٥٨٢) الحجة للقراء ج٢ ص٧٠ ـ ٧١.

خامساً: الجمع بين القراءات:

القراءة الأولى (**بنصب**) بفتح النون والصاد: تفيد التعب والمشقة.

والقراءة الثانية (**النُصب**) تفيد: البلاء والشر.

والقراءة الثالثة: (**النُصْب والنصَب**) تفيد معنى الوجع.

فالقراءات الثلاث تبيّن ابتلاء سيدنا أيوب - عليه السلام - في نفسه وماله وأهله وإنه لبلاء عظيم، لا يقدر عليه إلا الصادقون الصابرون، والله أعلم.

٨ - قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾﴾ [ص: ٤٥].

أولاً: القراءات:

﴿عِبَٰدَنَآ﴾

١ - قرأ ابن كثير (**عبدنا**) بغير ألف على التوحيد.

٢ - قرأ الباقون بالألف على الجمع ﴿عِبَٰدَنَآ﴾[٥٨٣].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«**العبدُ**»: الرقيق وهو ضد الحرية وجمعه عبيدٌ وعبادٌ وأعبدٌ: والإنسان حراً كان أو رقيقاً فإنه مربوبٌ لله عز وجل. وأصل العبودية: الذل والخضوع.

و(**العبادة**): الطاعة و(**التعبّد**) التنسك[٥٨٤].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

يقول أبو السعود: (قوله تعالى ﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾ عطف بيان لعبادنا، وقرئ عبدنا؛ إمّا على إبراهيم وحده لمزيد شرفه عطف بيان، والباقيان عطفٌ على عبدنا، وإما على أن (**عبدنا**) اسم جنس وضع

(٥٨٣) النشر ج٢ ص٣٦١.

(٥٨٤) المعجم الوسيط ص٥٧٩، ومختار الصحاح للرازي ص٤٠٧.

موضع الجمع، ﴿أُوْلِي ٱلْأَيْدِي وَٱلْأَبْصَٰرِ﴾ أولي القوة في الطاعة والبصيرة في الدين أو أولي الأعمال الجليلة والعلوم الشريفة فعبّر بالأيدي عن الأعمال، لأن أكثرها تُباشر بها، وبالأبصار عن المعارف؛ لأنها أقوى ميادينها)(٥٨٥).

يقول النسفي: (لما كانت الأعمال تباشر بالأيدي غُلّبت، فقيل في كل عمل: هذا ما عملت أيديهم وإن كان عملاً لا تتأتى فيه المباشرة بالأيدي، أو كان العمال جذماً لا أيدي لهم وعلى هذا ورد قوله: ﴿أُوْلِي ٱلْأَيْدِي وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾﴾ أي أولي الأعمال الظاهرة والفكر الباطنة كأن الذين لا يعملون أعمال الآخرة ولا يجاهدون في الله لا استبصار لهم، وفيه تعريض بكل من لم يكن من عمال الله ولا من المستبصرين في دين الله، وتوبيخ على تركهم المجاهدة والتأمل مع كونهم متمكنين منها)(٥٨٦).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

اختلف القراء في ﴿عِبَٰدَنَآ﴾ من قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِي ٱلْأَيْدِي وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾﴾ [ص: ٤٥].

قرأ ابن كثير (**عبدنا**) بغير ألف على التوحيد وقرأ الباقون: ﴿عِبَٰدَنَآ﴾ بالألف على الجمع(٥٨٧).

وحجة إفراد «**عبدنا**» أنه اختصه بالإضافة على التكرمة له والاختصاص؛ إجلالاً وتعظيماً له وحينئذٍ يكون ما بعده وهو «إسحاق ويعقوب» معطوف عليه، كما قيل في مكة: «بيت الله»، وكما اختص بالخلة في قوله ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٤]، وحجة من جمع ﴿عِبَٰدَنَآ﴾؛ أنه ذكر أسماءهم فقال: ﴿إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾ وهم بدل من

---

(٥٨٥) تفسير أبي السعود ج٥ ص٧٩.

(٥٨٦) تفسير النسفي ج٢ ص٤٠.

(٥٨٧) النشر ج٢ ص٣٦١.

قوله: ﴿عِبَٰدَنَآ﴾، وذلك أنه أجملهم ثم بيّن أسماءهم، كقولك: (رأيت أصحابك)، ثم نقول: (زيداً وعمراً...)(٥٨٨).

خامساً: الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءات: (قراءة الجمع «عبادنا» وقراءة الإفراد «عبدنا») يتبيّن أن المقام مقام أخذ القدوة من هؤلاء الأنبياء، سواءً سيدنا إبراهيم أو اسحق أو يعقوب ـ عليهم السلام ـ فالقراءتان بالمعنى نفسه، والآية الكريمة تتحدث عن الأعمال العظيمة التي قام بها هؤلاء الأنبياء، الذين هم قدوة للمؤمنين من بعدهم، والله أعلم.

٩ ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾﴾ [ص: ٤٦].

أولاً: القراءات:

﴿بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى﴾

١ ـ قرأ المدنيان (نافع وأبو جعفر)، وهشام بحذف التنوين على الإضافة (**بخالصةِ**).

٢ ـ قرأ الباقون بإثبات التنوين ﴿بِخَالِصَةٍ﴾(٥٨٩).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«**الخالصة**» يقال: هذا الشيء خالصةٌ لك: خاصٌّ بك، وفي التنزيل العزيز: ﴿وَقَالُواْ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا﴾.

«استخلصه» لنفسه: استخصّه.

«الخلاص»: ما يُتخلص به من الخصومة(٥٩٠).

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

يقول الطبري: (قوله ـ ﷻ ـ ﴿إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ﴾ يقول ـ تعالى

(٥٨٨) الحجة ص٣٠٥، وحجة القراءات لابن زنجلة ص٦١٣، والهادي ج٣ ص١٨٦.

(٥٨٩) النشر ج٢ ص٣٦١، والبدور الزاهرة ص٣٣٨.

(٥٩٠) المعجم الوسيط ص٢٤٩، ومختار الصحاح للرازي ص١٨٤.

ذكره ـ: إنّا خصصناهم بخاصة ذكرى الدار، بمعنى أنهم أخلصوا بخالصة الذكرى، أي: أنهم كانوا يُذِكِّرون الناس بالدار الآخرة، ويدعونهم إلى طاعة الله، والعمل للدار الآخرة)[٥٩١].

يقول القرطبي: (قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ ۝٤٦﴾ أي إنّا أخلصناهم بأن خلصت لهم ذكرى الدار، أي تذكير الدار الآخرة، والدار يجوز أن تكون الدنيا، أي ليتذكروا الدنيا ويزهدوا فيها)[٥٩٢].

يقول أبو عبد الله السلمي في قوله تعالى: ﴿أَخۡلَصۡنَٰهُم﴾ أي نزع الله ما في قلوبهم من حب الدنيا، وأخلصهم بحب الآخرة، فصفت قلوبهم لذكر الله، وقيل «أخلصناهم بخالصة» أبقينا عليهم في أعقابهم بحسن الثناء)[٥٩٣].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

اختلف القراء في ﴿بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ ۝٤٦﴾ من قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ ۝٤٦﴾.

فقرأ نافع وأبو جعفر وهشام بحذف التنوين على الإضافة «بخالصةِ»، وقرأ الباقون بإثبات التنوين (**بخالصةٍ**)[٥٩٤] وحجة من نوّن «بخالصةٍ» أنه جعل «ذكرى» بدلاً من «خالصة»، فالتقدير: إنا أخلصناهم بذكرى الدار، أي بذكرهم لمعادهم، أي: اختارهم، لذكرهم لمعادهم، دليله قوله: ﴿وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشۡفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٤٩] وقيل: المعنى؛ إنا أخلصناهم بأن يذكروا، مخفف في الدنيا بالثناء الحسن وهو قوله: ﴿وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ۝١٠٨ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ۝١٠٩﴾ [الصافات: ١٠٨ ـ ١٠٩]، فـ«ذكرى» في هذين الوجهين في موضع نصب بـ«خالصة»، ويجوز أن تكون «ذكرى» في موضع رفع على

---

(٥٩١) الطبري ج٢٣ ص١١٠.

(٥٩٢) القرطبي ج٥ ص٢١٨.

(٥٩٣) تفسير السلمي ج٢ ص١٩٠.

(٥٩٤) النشر ج٢ ص٣٦١.

معنى: أخلصناهم بأن خلصت لهم ذكرى الدار، أي: خلص لهم ذكر معادهم والاستعداد له، والتنوين في المصدر واسم الفاعل وتركه سواء في المعنى، والأصل التنوين، وهو أحبُّ إليّ، لأنه الأصل والجماعة عليه(٥٩٥).

خامساً: الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين، قراءة التنوين، وقراءة حذف التنوين على الإضافة، نجد أن القراءتين تفيدان المعنى نفسه الذي بيّنته الآية الكريمة، بتذكيرهم الناس بالدار الآخرة، وتزهيدهم بالدنيا، والله أعلم.

١٠ ـ قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾﴾ [ص: ٤٨].

أولاً: القراءات:

﴿وَٱلْيَسَعَ﴾

١ ـ قرأ حمزة والكسائي وخلف بتشديد اللام وإسكان الياء **(اللّيسع)**.

٢ ـ قرأ الباقون بإسكان اللام مخففة وفتح الياء ﴿وَٱلْيَسَعَ﴾(٥٩٦).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

اليسع: اسم علم أعجمي، كإدريس وإسماعيل ونحوهما من الأعلام، والألف واللام فيها لخفة في التعريب(٥٩٧).

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

يقول البقاعي في قوله تعالى ﴿وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ﴾: (أي: أباك وما صبر

---

(٥٩٥) الحجة ص٣٠٦، وحجة القراءات، لابن زنجلة ص٦١٣، والحجة ج٦ ص٧١، والهادي ج٣ ص١٨٦، والكشف ج٢ ص٢٣٢، وزاد المسير ١٤٦/٧.

(٥٩٦) النشر ج٢ ص٢٦٠، والبدور الزاهرة ص٣٣٩.

(٥٩٧) الحجة للقراء ج٦ ص٧٥.

عليه من البلاء بالغربة والانفراد والوحدة والإشراف على الموت وما صار إليه بعد ذلك البلاء من الفرج والرئاسة والذكر في هذه البلدة و«اليسع» أي: الذي استخلفه إلياس - عليه السلام - على بني إسرائيل، فجمعهم الله عليه بعد ذلك الخلاف الشديد الذي كان منهم لإلياس عليه السلام ﴿وَذَا ٱلْكِفْلِ﴾ أي النصيب العظيم بالوفاء بما يكلفه من كل أمر عليّ وعمل صالح زكي ﴿وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾﴾ أي ممن اختير للنبوة)(٥٩٨).

يقول سيد قطب: وكذلك يشهد الله - سبحانه - لإسماعيل واليسع وذي الكفل، أنهم من الأخيار ويوجه خاتم أنبيائه وخير رسله - ﷺ - ليذكرهم ويعيش بهم، ويتأمل صبرهم ورحمة الله بهم، ويصبر على ما يلقاه من قومه المكذبين الضالين، فالصبر هو طريق الرسالات وطريق الدعوات.

والله لا يدع عباده الصابرين حتى يعوضهم من صبرهم خيراً ورحمة وبركة واصطفاء... وما عند الله خير(٥٩٩).

يقول السمعاني في قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ﴾: (إسماعيل: هو إسماعيل بن إبراهيم، وقوله و«اليسع» اليسع: هو نبي من الأنبياء ويقال: هو تلميذ إلياس النبي - عليه السلام - خلفه في قومه(٦٠٠).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

اختلف القراء في ﴿وَٱلْيَسَعَ﴾ من قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾﴾ [ص: ٤٨].

فقرأ حمزة والكسائي وخلف بتشديد اللام «اللّيْسع» وقرأ الباقون بإسكان اللام مخففة وفتح الياء «الْيَسع»(٦٠١).

قال أبو علي: (نرى أن الكسائي إنما قال «اليسع» ليجعله اسماً على

(٥٩٨) نظم الدرر ج٦ ص٣٩٣.
(٥٩٩) الظلال ج٢٣ ص٣٠٢٣.
(٦٠٠) تفسير السمعاني ج٤ ص٤٤٨.
(٦٠١) النشر ج٢ ص٢٦٠.

صورة الصفات، فيحسن لذلك دخول لام المعرفة عليه، فيكون كالحارث والعباس، ونحو ذلك...

ووجه قراءة من قرأ: «**اليسع**» أن الألف واللام قد تدخلان الكلمة على وجه الزيادة، كما حكى أبو الحسن: الخمسة العشر درهماً، وقد قال بعضهم في «**إلياس**» أنه اسمٌ علمٌ، وقرأ ابن عامر: ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ [الصافات: ١٢٣]، فعلى هذا أيضاً يكون اليسع(٦٠٢).

خامساً: الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءات، يتبيّن أن من قرأ بتشديد اللام أو بتخفيفها هما سواءٌ في المعنى فكلتاهما تتحدثان عن نبي من أنبياء الله، استخلفه «**إلياس**» على بني إسرائيل، والآية الكريمة تخاطب سيدنا محمد ـ ﷺ ـ على أخذ القدوة من هؤلاء الأنبياء الأخيار الذين سبقوه، والله أعلم.

١١ ـ قال تعالى: ﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٥٣﴾﴾ [ص: ٥٣].

أولاً: القراءات:

﴿تُوعَدُونَ﴾

١ ـ قرأ ابن كثير وأبو عمرو بالغيب (**يوعدون**).

٢ ـ قرأ الباقون بالخطاب ﴿تُوعَدُونَ﴾(٦٠٣).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«الوعد» يُستعمل في الخير والشر يقال «وعد» يَعِدُ بالكسر «وعداً».

«وعده» الأمر، وبه وَعْداً وموعداً، وموعدةً وموعوداً: منّاه به، ووعد فلان بالشر وعيداً: هدده به. قالوا في الخير «الوعد» و«العِدّة» وفي الشر «الإيعاد» و«الوعيد»(٦٠٤).

---

(٦٠٢) الحجة للقراء ج٦ ص٧٥ ـ ٧٦ بتصرف.

(٦٠٣) النشر ج٢ ص٣٦١.

(٦٠٤) المعجم الوسيط ص١٠٤٣، ومختار الصحاح للرازي ص٧٢٨.

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

يقول الألوسي في قوله تعالى: ﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ۝٥٣﴾ (أي: لأجل يوم الحساب فإن ما وُعِدُوه لأجل طاعتهم وأعمالهم الصالحة، وهي تظهر بالحساب فجعل كأنه علة لتوقف إنجاز الوعد فالنسبة لليوم والحساب مجازية)[٦٠٥].

يقول أبو السعود في قوله تعالى: ﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ۝٥٣﴾ (أي: لأجله فإن الحساب علة للوصول إلى الجزاء).

يقول البغوي في قوله تعالى: ﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ۝٥٣﴾ (أي: ما يوعد المتقون أي قل للمؤمنين: هذا ما توعدون ليوم الحساب، أي في يوم الحساب)[٦٠٦].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

اختلف القراء في قوله: ﴿مَا تُوعَدُونَ﴾ من قوله تعالى: ﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ۝٥٣﴾ [ص: ٥٣].

فقرأ ابن كثير وأبو عمرو بالغيب «**يوعدون**»، وقرأ الباقون بالخطاب ﴿تُوعَدُونَ﴾[٦٠٧].

وحجة من قرأ «هذا ما يوعدون» بالياء أن الكلام أتى عقيب الخبر عن المتقين، فأتبع ذلك فقال: ﴿مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ۝٥٠ ... ۝٥١ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ۝٥٢﴾ [ص: ٥٠ ـ ٥٢] فجرى الكلام بعد ذلك بالخبر عنهم، وحجة من قرأ ﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ﴾ بالتاء أن الخبر قد تناهى عند قوله تعالى: ﴿أَتْرَابٌ ۝٥٢﴾ ثم ابتدئ الكلام بعد ذلك بالخبر عن حكاية ما خوطبوا به نظير قوله تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ﴾، ثم تناهى الخبر عنهم ثم جاء الكلام بعده

(٦٠٥) تفسير الألوسي ٢١٤/١٢.

(٦٠٦) تفسير البغوي ج٤ ص٣٦٤.

(٦٠٧) النشر ج٢ ص٣٦١.

على حكاية ما خوطبوا به، فقال: ﴿وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [الزخرف: ٧١] أي: وقيل لهم[٦٠٨].

خامساً: الجمع بين القراءات:

القراءة الأولى: **(يوعدون)** جاء استكمالاً للحديث عن المتقين ﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾﴾.

والقراءة الثانية: ﴿تُوعَدُونَ﴾ أن الكلام أبتدئ بعد الخبر عن ما خوطبوا به، وجاء الكلام بعده على حكاية ما خوطبوا به، فقال: ﴿وَأَنتُمْ خَٰلِدُونَ﴾ [الزخرف: ٧١].

وبالجمع بين القراءتين: يتبيّن أن القراءتين بالمعنى نفسه، سواء أكان الخطاب للمتقين على جهة الغيب أو الخطاب، فالآية الكريمة تتحدث عن النعيم الذي أعده الله ـ سبحانه ـ للمؤمنين يوم القيامة، والله أعلم.

١٢ ـ قال تعالى: ﴿هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾﴾ [ص: ٥٧].

أولا: القراءات:

﴿وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾﴾

١ ـ قرأ حمزة والكسائي وخلف وحفص بتشديد السين ﴿وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾﴾.

٢ ـ قرأ الباقون بتخفيفها **(غساق)**[٦٠٩].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«الغسّاق»: الغساق: ما يسيل من جلود أهل النار وصديدهم وفي التنزيل ﴿إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾﴾ وقيل هو البارد المُنتن.

«الغسق»: ظلمة الليل[٦١٠].

---

(٦٠٨) حجة القراءات، لابن زنجلة ص٦١٤، والكشف ج٢ ص٢٣٢، والهادي ج٣ ص١٨٧.

(٦٠٩) النشر ج٢ ص٣٦١.

(٦١٠) المعجم الوسيط ص٦٥٢، ومختار الصحاح للرازي ٤٧٤.

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

يقول الطبري في قوله تعالى: ﴿هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾﴾ (الحميم هو الذي قد أغلي حتى انتهى حرّهُ فهم يسقون الحميم، وما يسيل من صديدهم، وقيل الحميم دموع أعينهم تجمع في حياض النار فيسقونه)[٦١١].

يقول سيد قطب: (لهم فيه شراب ساخن وطعام مقيء، إنه ما يغسق ويسيل من أهل النار! أو لهم صنوف أخرى من العذاب)[٦١٢].

يقول الشوكاني في قوله تعالى: ﴿هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾﴾ (هذا في موضع رفع بالابتداء، وخبره حميم، وغساق على التقديم والتأخير، أي هذا حميم وغساق فليذوقوه).

قال الفراء والزجاج: تقدير الآية: هذا حميم وغساق فليذوقوه.

والحميم الماء الحار، الذي قد انتهى حرّه، والغساق: ما سال من جلود أهل النار من القيح والصديد وقيل هو المنتن[٦١٣].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

اختلف القراء في قوله: ﴿وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾﴾ من قوله تعالى: ﴿هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾﴾ [ص: ٥٧].

فقرأ حمزة والكسائي وخلف وحفص بتشديد السين «غسّاق» وقرأ الباقون بتخفيفها «غساق»[٦١٤].

وحجة من قرأ بتشديد السين على أنه صفة لموصوف محذوف، والتقدير: وشراب حميم وشراب غسّاق. والحميم: الذي بلغ في حرّه غايته.

(٦١١) الطبري ج٢٣ ص١١٣.
(٦١٢) الظلال ج٢٣ ص٣٠٢٤.
(٦١٣) فتح القدير ج٤ ص٦٢٦.
(٦١٤) النشر ج٢ ص٣٦١.

والغسّاق: ما يجتمع من صديد أهل النار، وهو مشتق من «غسقت عينه» إذا سالت، والتشديد للمبالغة.

ومن قرأ بتخفيف السين هو اسم للصديد والعياذ بالله(٦١٥).

يقول الإمام ابن خالويه: «وغساق» يقرأ بتشديد السين وتخفيفها، وهما لغتان وقيل: معناه: شراب قاتل ببرده ونتنه، وقيل ما يسيل من صديد أهل النار(٦١٦).

خامساً: الجمع بين القراءات:

بالجمع بين القراءات، يتبيّن أن القراءتين لغتان بمعنى واحد فالقراءتان تفيدان ما يشربه أهل النار من الصديد والعياذ بالله، غير أن القراءة الثانية ﴿وَغَسَّاقٌ ۝٥٧﴾ بالتشديد أفادت المبالغة في شرب الكفار من هذا الصدأ.

والآية الكريمة تبيّن ما يلاقيه الكفار في نار جهنم من عذاب فشرابهم من حميم و غسّاق: أي الماء الحار جداً، والصديد الذي يسيل من جلود أهل النار، والعياذ بالله، والله أعلم.

١٣ ـ قال تعالى: ﴿وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ۝٥٨﴾ [ص: ٥٨].

أولاً: القراءات:

﴿وَءَاخَرُ﴾

١ ـ قرأ البصريان (أبو عمرو ويعقوب) بضم الهمزة من غير مد (**أُخر**).

٢ ـ قرأ الباقون بفتح الهمزة وألف بعدها على التوحيد ﴿وَءَاخَرُ﴾(٦١٧).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

الآخرُ: أحد الشيئين، ويكونان من جنس واحد، وهو اسم على وزن

(٦١٥) الهادي ج٣ ص١٨٨، والكشف ج٢ ص٢٣٢.

(٦١٦) الحجة ص٣٠٦، وحجة القراءات، لابن زنجلة ص٦١٥.

(٦١٧) النشر ج٢ ص٣٦١، والبدور الزاهرة، ص٣٤٠.

أفعل والأنثى «**أُخْرى**» وبمعنى: غَيْر[٦١٨].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

يقول القرطبي في قوله تعالى: ﴿وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴿٥٨﴾﴾ (أي: وعذاب آخر سوى الحميم والغساق ﴿مِن شَكْلِهِۦٓ﴾ قال قتادة: من نحوه، قال ابن مسعود هو الزمهرير.

«**أزواج**» أي أصناف وألوان من العذاب)[٦١٩].

يقول سيد قطب في قوله تعالى: ﴿وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴿٥٨﴾﴾ (أي: لهم صنوف أخرى من جنس هذا العذاب يعبّر عنها بأنها أزواج)[٦٢٠].

يقول البيضاوي في قوله تعالى: ﴿وَءَاخَرُ﴾ (أي: مذوق أو عذاب آخر، (وقرأ البصريان مذوقات) أو أنواع أخرى من عذاب آخر، ﴿مِن شَكْلِهِۦٓ﴾، من مثل هذا المذوق أو العذاب في الشدة، ﴿أَزْوَٰجٌ ﴿٥٨﴾﴾ أي أجناس)[٦٢١].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

اختلف القراء في ﴿وَءَاخَرُ﴾ من قوله تعالى: ﴿وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴿٥٨﴾﴾ [ص: ٥٨].

فقرأ أبو عمرو ويعقوب بضم الهمزة من غير مد على الجمع «أُخر».

وقرأ الباقون بفتح الهمزة وألف بعدها، على التوحيد﴿وَءَاخَرُ﴾[٦٢٢].

وحجة من قرأ على الجمع «أُخر»، وذلك لكثرة أصناف العذاب التي يعذبون بها، غير الحميم، والغسّاق، و«**أُخر**» جمع «**أُخرى**» مثل: «**الكُبَر**»، و«**الكُبْرى**» و«**أُخر**» ممنوع من الصرف للوصفية والعدل.

(٦١٨) المعجم الوسيط ص٨، ومختار الصحاح، للرازي ص٩.
(٦١٩) القرطبي ج١٥ ص٢٢٣.
(٦٢٠) الظلال ج٢٣ ص٣٠٢٤.
(٦٢١) تفسير البيضاوي ج٢٣ ص٦٠٥.
(٦٢٢) النشر ج٢ ص٣٦١.

وحجة من قرأ بالإفراد «**آخر**» على أنه مفرد أريد به الزمهرير وهو ممنوع من الصرف للوصفية، ووزن الفعل، ومن قرأ بالجمع رفعه على الابتداء و(**أزواج**) خبره، ومن قرأ بالإفراد رفعه على الابتداء و«**من شكله**» خبر مقدم و«**أزواج**» مبتدأ مؤخر، والجملة من المبتدأ الثاني وخبره خبر المبتدأ الأول(٦٢٣).

من أفرد فإنه عطف على قوله «حميم وغسّاق» و«آخر» أي: وعذاب آخر من شكله، أي: مثل ذلك، وحجته ما روي عن ابن مسعود أنه قال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ﴾: الزمهرير، فتفسيره حجة لمن قرأ «**وآخر**» بالتوحيد لأن الزمهرير واحد.

وحجة من قرأ: «**أُخر**» على الجمع أن (**الأُخر**) قد نعت بالجمع، فدل على أن المنعوت جمعٌ مثله.

قال الزجاج: من قرأ «**وأُخَرُ**» فالمعنى أُخر، لأن قوله «**أزواج**» معناه: أنواع(٦٢٤).

خامساً: الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءات: يتبيّن أن القراءة الأولى بالإفراد تفيد أن المقصود بالآية هو عذاب آخر وهو الزمهرير، والقراءة الثانية بالجمع تفيد كثرة أصناف العذاب التي يعذبون بها غير الحميم والغسّاق، وعلى هذا تفيد القراءة الثانية معنىً جديداً والقراءتان صحيحتان، والآية الكريمة تفيد تنوع العذاب الذي يلاقيه الكفار يوم القيامة، والله أعلم.

١٤ ـ قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٦٣﴾﴾ [ص: ٦٢ ـ ٦٣].

(٦٢٣) الحجة ص٣٠٦، والهادي ج٣ ص١٨٨.

(٦٢٤) حجة القراءات، لابن زنجلة ص٦١٥.

أولاً: القراءات:

﴿ٱلْأَشْرَارِ - أَتَّخَذْنَٰهُمْ﴾

١ - قرأ أبو عمرو ويعقوب وحمزة والكسائي وخلف بوصل همز «**اتخذناهم**» على الخبر والابتداء بكسر الهمزة.

٢ - قرأ الباقون بقطع الهمزة مفتوحة على الاستفهام ﴿أَتَّخَذْنَٰهُمْ﴾[٦٢٥].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«**أخذ**» الشيء: أخذاً، وتأخاذاً ومأخذاً: حازه وحصّله.

أخذ فلاناً بذنبه: جازاه، أخذ على يد فلان: منعه ممّا يريد أن يفعله.

أخذ على فمه: منعه من الكلام، أخذ عليه الأرض: ضيّق عليه سبلها.

«اتخذه»: أخذه[٦٢٦].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

يقول الطبري: (القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٦٣﴾﴾.

يقول - تعالى ذكره - لما ذكر الطاغون الذين وصف - جل ثناؤه - صفتهم في هذه الآيات، وهم فيما ذكر أبو جهل والوليد بن المغيرة وذووهما ﴿مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا﴾ يقول: ما بالنا لا نرى معنا في النار رجالاً ﴿كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾﴾ يقول: كنّا نعدهم في الدنيا من أشرارنا وعنوا بذلك فيما ذكر صهيباً وخباباً وبلالاً وسلمان)[٦٢٧].

يقول سيد قطب: (ها هم أولاء يتفقدون المؤمنين، الذين كانوا

---

(٦٢٥) النشر ج٢ ص٣٦٢.

(٦٢٦) المعجم الوسيط ص٨.

(٦٢٧) الطبري ج٢٣ ص١١٦.

يتعالون عليهم في الدنيا، ويظنون بهم شراً، ويسخرون من دعواهم في النعيم، ها هم أولاء يتفقدونهم، فلا يرونهم معهم مقتحمين في النار، فيتساءلون: أين هم؟ أين ذهبوا؟ أم تراهم هنا ولكن زاغت عنهم أبصارنا؟ «وقالوا ما لنا لا نرى رجالاً كنّا نعدّهم من الأشرار، أَتخذناهم سخريّاً؟ أم زاغت عنهم الأبصار؟» بينما هؤلاء الرجال الذي يتساءلون عنهم، هناك في الجنان)[٦٢٨].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

اختلف القراء في ﴿أَتَّخَذْنَٰهُمْ﴾ على قراءتين:

قرأ أبو عمرو ويعقوب وحمزة والكسائي وخلف بوصل همز «**اتخذناهم**» على الخبر والابتداء بكسر الهمزة.

وقرأ الباقون بقطع الهمزة مفتوحة على الاستفهام ﴿أَتَّخَذْنَٰهُمْ﴾[٦٢٩].

حجة من قرأ بهمزة قطع وصلاً وابتداء، على الاستفهام الذي معناه: التقرير والتوبيخ.

ومعناه: أنه يوبّخ بعضهم بعضاً على ما فعلوه في الدنيا، من استهزائهم بالمؤمنين، و«أَمْ» هي المعادلة لهمزة الاستفهام.

وحجة من قرأ بهمزة وصل، تحذف وصلاً وتثبت بدءاً، مكسورة على الخبر، لأنهم قد علموا أنهم اتخذوا المؤمنين في الدنيا سخرياً، فأخبروا عما فعلوه في الدنيا ولم يستخبروا عن أمر لم يعملوه[٦٣٠].

قال ابن خالويه: (الحجة لمن قطع، أنه جعلها ألف استفهام، دخلت على ألف الوصل، فسقطت لدخولها).

ولمن وصل وجهان: أحدهما، أنه أخبر بالفعل ولم يدخل عليه

---

(٦٢٨) الظلال ج٢٣ ص٣٠٢٤.

(٦٢٩) النشر ج٢ ص٣٦٢.

(٦٣٠) الهادي ج٣ ص١٨٩، والكشف ج٢ ص٢٣٣.

استفهاماً، والثاني، أنه طرح الاستفهام لدلالة قوله «أم زاغت عنهم الأبصار» عليها)[٦٣١].

خامساً: الجمع بين القراءتين:

قراءة الاستفهام ﴿أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا﴾ لعلها تصف حالتهم عند أول دخولهم النار وسؤالهم عن المؤمنين، وبعد أن يتأكدوا أن المؤمنين ليسوا في النار معهم جاءت القراءة الثانية بالخبر ﴿أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا﴾ تصف حالتهم وحكايتهم عن أنفسهم أنهم اتخذوا سخرياً. أم كانوا خيراً منّا ونحن لا نعلم وكانت أبصارنا تزيغ في الدنيا فلا نعدُّهم شيئاً، وبالجمع بين القراءتين سواء قراءة القطع على الاستفهام، أم قراءة الوصل على الخبر، فالقراءتان تضيفان معاني جديدة للآية، تبيّن ندم الكفار وحسرتهم يوم القيامة، وهم في النار عندما لا يجدون من كانوا يسخرون منهم من ضعاف المسلمين، والله أعلم.

١٥ ـ قال تعالى: ﴿أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَٰرُ ﴿٦٣﴾﴾ [ص: ٦٣].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ نافع وأبو جعفر وحمزة والكسائي وخلف بضم السين (**سُخرياً**).

٢ ـ قرأ الباقون بكسر السين ﴿سِخْرِيًّا﴾[٦٣٢].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«**سَخِرَ**» منه، وبه، سَخْراً وسُخْراً، وسُخريّة، وسُخريَة: هزئ به.

وفي التنزيل العزيز: ﴿قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ﴾.

«**سَخّره**»: كلفه ما لا يريد وقهره وكلّفه عملاً بلا أجر[٦٣٣].

---

(٦٣١) الحجة ص٣٠٧.

(٦٣٢) النشر ج٢ ص٣٦٢، والبدور الزاهرة، ص٣٤٠.

(٦٣٣) المعجم الوسيط ص٤٢١، ومختار الصحاح، للرازي ص٢٩٠.

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

يقول الشوكاني في قوله تعالى: ﴿أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ ﴿٦٣﴾﴾ (قال مجاهد: المعنى أتخذناهم سخرياً في الدنيا، فأخطأنا أم زاغت عنهم الأبصار فلم نعلم مكانهم؟ والإنكار المفهوم من الاستفهام متوجه إلى كل واحد من الأمرين)[٦٣٤].

قال البغوي في قوله تعالى: ﴿أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ ﴿٦٣﴾﴾ (هذا من الاستفهام، الذي معناه التوبيخ والتعجب ومعنى الآية: ما لنا لا نرى هؤلاء الذين اتخذناهم سخرياً لم يدخلوا معنا النار، أم دخلوها فزاغت عنهم أبصارنا فلم نرهم حين دخلوا، وقيل: أم هم في النار، ولكن احتجبوا عن أبصارنا).

فقال ابن كيسان: (يعني أم كانوا خيراً منّا، ولكن نحن لا نعلم، وكانت أبصارنا تزيغ عنهم فلا نعدهم شيئاً)[٦٣٥].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

اختلف القراء في «**سخرياً**» حكي عن أبي عمرو قال: ما كان من قِبل العبودية، فسُخريٌّ مضموم. وما كان من قِبل السَّخِر، فسِخريٌّ مكسور السين[٦٣٦].

يقول الطبري: (يقول بعض أهل العلم بالعربية من أهل البصرة: من كسر السين من السخرى فإنه يريد به الهزء يريد يسخر به، ومن ضمها فإنه يجعلها من السخرة يستخرونهم يستذلونهم)[٦٣٧].

(٦٣٤) فتح القدير ج٤ ص٤٤٢.
(٦٣٥) تفسير البغوي ج٤ ص٣٦٥.
(٦٣٦) الحجة للقراء ج٦ ص٨٥.
(٦٣٧) الطبري ج٢٣ ص١١٦.

خامساً: الجمع بين القراءات:

القراءة الأولى بالضم تفيد العبودية لهؤلاء الصحابة والسخرة لهم والقراءة الثانية بالكسر تفيد الهزء والسخرية بهم، وبالجمع بين القرائتين، فالقراءتان تفيدان الاستهزاء والسخرية والنظرة الدون لهؤلاء الصحابة رضوان الله عليهم من أولئك المشركين المتغطرسين المتكبرين، ثم تبيّن الآية الكريمة عاقبة هؤلاء المشركين، ووبال أمرهم في الآخرة، والله أعلم.

١٦ ـ قال تعالى: ﴿إِن يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٧٠﴾ [ص: ٧٠].

أولاً: القراءات:

﴿أَنَّمَآ﴾

١ ـ قرأ أبو جعفر بكسر همز **(إنّما)** على الحكاية.

٢ ـ قرأ الباقون بفتحها ﴿أَنَّمَآ﴾(٦٣٨).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«أنما» تفيد الحصر وهي مركبة من «**أنّ**» المفتوحة الهمزة و«**ما**» الكافة وليست «أنّ» المفتوحة الهمزة إلا «إنّ» المكسورة تُغيّر كسرة همزتها إلى فتحة، تفيد معنىً مصدرياً مشرباً بـ«أنْ» المصدرية إشراباً بديعاً، جعل شعاره فتح همزتها، وهذا من دقيق الوضع في اللغة العربية(٦٣٩).

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

يقول ابن عاشور: (قوله تعالى: ﴿إِن يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٧٠﴾ مبيّنة لجملة ﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ۝٦٩﴾ أي ما علمت بذلك النبأ إلا بوحي من الله، وإنما أوحى الله إليّ ذلك لأكون نذيراً مبيناً)(٦٤٠).

(٦٣٨) النشر ج٢ ص٣٦٢.

(٦٣٩) التحرير والتنوير ج٢٣ ص٢٩٩.

(٦٤٠) التحرير والتنوير ج٢٣ ص٢٩٨.

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

اختلف القراء في قوله «**أنّما**» على قولين: الأول بكسر الهمزة على الحكاية «إنّما» والثاني بفتح الهمزة «**أنّما**».

وحجة من قرأ بكسر الهمزة على الحكاية «**إنّما**» أنه جعل «**إنّ**» وما بعدها نائب فاعل، والتقدير: يوحى إليّ أنني نذير مبين.

وحجة من قرأ بفتح الهمزة «**أنّما**» على أنّ «**أنّما**» وما في حيزها نائب فاعل والتقدير: يوحي إليّ كوني نذير مبين(٦٤١).

خامساً: الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين؛ قراءة الفتح، وقراءة الكسر، يتبيّن أن القراءتين بمعنى واحد، فالقراءتان صحيحتان وتفيدان إثبات نبوة الرسول - ﷺ - وأنه نبيّ يوحى إليه لينذر قومه من النار، إن بقوا على شركهم، والله أعلم.

١٧ - قال تعالى: ﴿قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾﴾ [ص: ٨٤].

أولاً: القراءات:

﴿فَٱلْحَقُّ﴾

١ - قرأ عاصم وحمزة وخلف بالرفع ﴿فَٱلْحَقُّ﴾.

٢ - قرأ الباقون بالنصب (**فالحقَّ**).

ولا خلاف بينهم في نصب والحقَّ(٦٤٢).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«**الحقُّ**»: اسم من أسمائه تعالى.

والحق: الثابت بلا شك، وفي التنزيل العزيز ﴿إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ

---

(٦٤١) الهادي ج٣ ص١٩٠.

(٦٤٢) النشر ج٢ ص٣٦٢، والبدور الزاهرة، ص٣٤٠.

نَنطِقُونَ﴾.

ويوصف به، فيقال: (قولٌ حقٌّ)، ويقال: هو العالِمُ حَقُّ، العالِم: مُتناهٍ في العلم.

وهو حقٌ بكذا: جديرٌ به، والجمع حقوق وحِقاق[٦٤٣].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

يقول البقاعي: (قوله تعالى: ﴿قَالَ فَٱلْحَقُّ﴾، أي: فبسبب إغوائك وغوايتهم أقول الحق «**والحق**» أي لا غيره أبداً «**أقول**» أي لا أقول إلا الحق، فإن كل شيء قلته ثبت، فلم يقدر أحد على نقضه ولا نقصه، ولما كانت إجابته بالإنظار، ربما كانت سبباً لطمعه في الخلاص، قطع رجاءه بما أبرزه في أسلوب التأكيد من قوله جواباً لقسم مقدر وبياناً للحق، وفي قراءة عاصم وحمزة برفع «**فالحق**» يكون هو المقسم به أي: فالحق قسمي)[٦٤٤].

يقول الألوسي: (في «قال» أي: الله - ﷻ - ﴿فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ﴾ برفع الأول على أنه مبتدأ محذوف الخبر، أو خبر محذوف المبتدأ، ونصب الثاني على أنه مفعول لما بعده، قدم عليه للقصر أي: لا أقول إلا الحق، والفاء لترتيب مضمون ما بعدها على ما قبلها، أي: فالحق قسمي)[٦٤٥].

قال الزمخشري: (﴿وَٱلْحَقَّ أَقُولُ﴾ أي ولا أقول إلا الحق، على حكاية لفظ المقسم به، ومعناه التوكيد والتشديد)[٦٤٦].

يقول الماوردي في قوله تعالى: ﴿قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنا الحق وأقول الحق، الثاني: الحق مني والحق قولي،

---

(٦٤٣) المعجم الوسيط ص١٨٨.

(٦٤٤) نظم الدرر ج٦ ص٤٠٧.

(٦٤٥) تفسير الألوسي المجلد الثاني عشر ص٢٢٩.

(٦٤٦) الكشاف للزمخشري ج٥ ص٢٨٤.

والثالث: معناه حقاً لأملئن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين(٦٤٧).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

اختلف العلماء في قول «**فالحقّ**» بالرفع والنصب.

حجة من نصب «**الحق**» الأول كان منصوباً بفعل مضمر، وذلك الفعل هو ما ظهر في نحو قوله ﴿وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ﴾، وقوله ﴿لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ﴾ [الأنفال: ٨] وهذا هو الوجه.

ويجوز أن تنصب على التشبيه بالقسم، فيكون الناصب لـ«**الحق**»، ما ينصب القسم في نحو «الله لأفعلنّ»، فيكون التقدير: «**والحق لأملأنّ**».

وحجة من رفع، كان «**الحق**» محتملاً لوجهين: أحدهما، يكون خبراً مبتدؤه محذوف تقديره:

«أن الحق والحق أقول»، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ﴾ [يونس: ٣٠].

فكما جاز وصفه سبحانه بالحق، كذلك يجوز أن يكون خبراً في قوله: «فالحقُ مني» كما قال: ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ [البقرة: ١٤٧](٦٤٨).

يقول ابن خالويه: الحجة لمن نصب «الحق» الأول أنه أراد الإغراء، معناه: فاتبعوا الحق، وأعمل الفعل المؤخر في الثاني، والحجة لمن رفع الأول: أنه أضمر له ما يرفعه ـ يريد: فهذا الحق، ونصب الثاني بالفعل المؤخر(٦٤٩).

خامساً: الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين، قراءة الرفع وقراءة النصب «**للحق**» الأول يتبيّن أن القراءتين تفيدان معنى واحداً وهو إثبات قول الحق الله ـ ﷻ ـ.

(٦٤٧) النكت والعيون، للماوردي، ج٥ ص١١٢.
(٦٤٨) الحجة في القراءات السبع، لابن خالويه ص٣٠٧.
(٦٤٩) حجة القراءات، لابن زنجلة ص٦١٨، الهادي ج٣ ص١٩٠، الكشف ج٢ ص٨٤.

فالآية الكريمة: «تثبت قول الحق لله - ﷻ -»، وتؤكد توعده للشيطان ولأتباعه بأن مصيرهم نار جهنم جزاء إغوائهم للناس، والله أعلم.



الفهارس



فهرست المصادر والمراجع

أولاً: حرف الهمزة:

١ ـ القرآن الكريم.

٢ ـ الإبانة عن معاني القراءات ـ لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي ـ حقّقه وقدّم له: الدكتور محيي الدين رمضان ـ دار المأمون للتراث دمشق ـ ط ١ (١٣٩٩هـ/١٩٧٩م).

٣ ـ إتحاف فضلاء البشر بالقراء الأربعة عشر (المسمى منتهى الأماني والمسرات في علوم القراءات) ـ للعلامة الشيخ أحمد بن محمد البنا الدمياطي المتوفى سنة ١١١٧هـ ـ تحقيق: الدكتور شعبان محمد إسماعيل ـ عالم الكتب ـ بيروت ـ ط (١٤٠٧هـ/١٩٨٧م).

٤ ـ الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي: مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ـ ط ٤ (١٣٩٨هـ/١٩٧٨م).

٥ ـ الأحرف السبعة للقرآن ـ لأبي عمرو الداني ـ تحقيق: د. عبد المهيمن طحان ـ مكتبة المنارة ـ مكة المكرمة ـ ط١ (١٤٠٨هـ).

٦ ـ الأحرف السبعة ومنزلة القراءات منها ـ للدكتور حسن ضياء الدين عتر: دار البشائر الإسلامية ـ بيروت ط١ (١٤٠٩هـ/١٩٨٨م).

٧ ـ أحكام القرآن ـ لمحمد بن إدريس الشافعي ـ تحقيق: عبد الغني عبد الخالق ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ط (١٤٠٠هـ).

٨ ـ إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (تفسير أبي السعود) ـ للقاضي أبي السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي، ت: ٩٨٢هـ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط١ (١٤١٩هـ/١٩٩٩م).

٩ - أساس البلاغة للإمام الكبير جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، ت: ٥٣٨هـ - تحقيق: الأستاذ عبد الرحيم محمود - دار المعرفة للطباعة - بيروت - ط (١٣٣٩هـ/١٩٧٩م).

١٠ - الأساس في التفسير - لسعيد حوّى: دار السلام ط٢ (١٤٠٩هـ/١٩٨٩م).

١١ - أسباب النزول (دراسة جامعة لأقوال الأئمة: القرطبي، وابن كثير، والواحدي - للإمام عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد، أبي الفضل السيوطي، ت: ٩١١هـ) - دراسة وتحقيق: حامد أحمد الطاهر - دار الفجر للتراث - ط١ (١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م).

١٢ - الإعجاز العلمي في القرآن - للدكتور عبد السلام اللوح: مكتبة آفاق للطباعة والنشر - غزة - فلسطين - ط٢ (١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م).

١٣ - إعجاز القرآن والبلاغة النبوية - لمصطفى صادق الرافعي: دار الكتاب العربي - بيروت ط٣ (٢٠٠٥م/١٤٢٥هـ).

١٤ - الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء عند العرب والمستعربين والمستشرقين) لخير الدين الزركلي: دار العلم للملايين - بيروت - ط٥ ١٩٨٠م).

١٥ - أطراف الغرائب والأفراد - المقدسي، أبو الفضل محمد بن طاهر: دار الكتب العلمية.

١٦ - أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي) - للقاضي ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي - تصحيح: محمد سالم محيسن - مكتبة الجمهورية العربية - مصر.

١٧ - أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير لأبي بكر الجزائري: دار الفكر - بيروت - ط - (١٤٠٦هـ/١٩٨٦م).

ثانياً: حرف الباء:

١٨ - البحر المحيط - لأبي حيّان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيّان - دراسة وتحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، وآخرون - دار الكتب العلمية - بيروت - ط١ (١٤١٩هـ/١٩٩٨م).

١٩ - البحر المديد - أحمد بن محمد بن المهدي الشاذلي الفارسي أبو العباس: دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط٢ - (١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م).

٢٠ - البداية والنهاية - لأبي الفداء الحافظ عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي: دار أبي حيّان - القاهرة - ط ١ (١٤١٦هـ/١٩٩٦م).

٢١ - البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريق الشاطبية والدرة - لعبد الفتاح القاضي - مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده - مصر - ط١ (١٣٧٥هـ/١٩٥٥م).

٢٢ - بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز - لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي - تحقيق: محمد علي النجار - لجنة إحياء التراث الإسلامي - ط٢ (١٤٠٦هـ/١٩٨٦م).

ثالثاً: حرف التاء:

٢٣ - تاج العروس من جواهر القاموس - لمحمد مرتضى الزبيدي - منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت - ط١ (١٣٠٦هـ).

٢٤ - التبيان في تفسير غريب القرآن - لشهاب الدين أحمد بن محمد الهائم المصري، ت: ٨١٥هـ - تحقيق: الدكتور فتحي أنور الدابولي - دار الصحابة للتراث بطنطا - القاهرة - ط١ (١٩٩٢م).

٢٥ - التحرير والتنوير - للطاهر بن عاشور: دار سحنون - تونس - ط (١٩٩٧م).

٢٦ - تذكرة الحفاظ - للإمام أبي عبد الله شمس الدين الذهبي، ت: ٧٤٨هـ - صحح عن النسخة القديمة المحفوظة في مكتبة الحرم المكي - دار الفكر العربي.

٢٧ - التسهيل لعلوم التنزيل لابن الجزري - أحمد بن إبراهيم بن خالد الموصلي، أبو علي، توفي سنة ٢٣٦هـ.

٢٨ - تفسير ابن أبي حاتم - الإمام الحافظ أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي: دار النشر، المكتبة العصرية - صيدا، تحقيق: أسعد محمود الطيب.

٢٩ - تفسير ابن أبي زمنين (وهو مختصر تفسير يحيى بن سلام) - لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن أبي زمنين المري، ت: ٣٩٩هـ - تحقيق: محمد حسن إسماعيل وأحمد فريد المزيدي - دار الكتب العلمية - بيروت - ط١ (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م).

٣٠ - تفسير الجلالين - لجلال الدين المحلي، وجلال الدين السيوطي - دار الحديث - القاهرة - ط١ (بدون تاريخ طبع).

٣١ - التفسير الوسيط - للأستاذ الدكتور وهبة الزحيلي: دار الفكر المعاصر - بيروت - ط١ (١٤٢٢هـ/٢٠٠١م).

٣٢ - التفسير الكبير - للإمام العلاّمة تقيّ الدين ابن تيمية، ت: ٧٢٨هـ - تحقيق وتعليق: الدكتور عبد الرحمن عميرة - دار الكتب العلمية - بيروت - ط (١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م).

٣٣ ـ التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) ـ للفخر الرازي ـ دار الكتب العلمية ـ طهران ـ ط٢ (بدون تاريخ طبع)..

٣٤ ـ تفسير القرآن (اختصار النكت للماوردي) ـ للشيخ الإمام سلطان العلماء عزّ الدين بن عبد السلام السُلمي الدمشقي الشافعي، ت: ٦٦٠هـ ـ دار ابن حزم ـ بيروت ـ ط١ (١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م).

٣٥ ـ تفسير القرآن بالقراءات العشر من خلال سور (الفاتحة، البقرة وآل عمران) ـ للأستاذ عبد الله علي الملاحي ـ إشراف الدكتور: مروان أبوراس ـ الجامعة الإسلامية ـ (١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م).

٣٦ ـ تفسير القرآن العظيم ـ للإمام الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ت٧٧٤هـ ـ تحقيق: د. حامد أحمد الطاهر ـ دار الفجر للتراث ـ القاهرة ـ ط١ (١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م).

٣٧ ـ تفسير القرآن الكريم ـ للدكتور عبدالله شحاتة: دار غريب للطباعة والنشر ـ القاهرة ـ بدون تاريخ طبع.

٣٨ ـ التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ـ للدكتور وهبة الزحيلي: دار الفكر ـ دمشق ـ ط١ (١٩٩١م).

٣٩ ـ تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) ـ للإمام عبد الله بن أحمد النسفي، ت: ٧١٠هـ ـ تحقيق: الشيخ مروان محمد الشعّار ـ دار النفائس ـ ط١ (١٤١٦هـ/١٩٩٦م).

٤٠ ـ التفسير الوسيط ـ للأستاذ الدكتور وهبة الزحيلي: دار الفكر المعاصر ـ بيروت ـ ط١ (١٤٢٢هـ/٢٠٠١م).

٤١ ـ التفسير الوسيط ـ محمد سيد طنطاوي ـ مصدر الكتاب: موقع التفاسير http:// www.altfasir.com.

٤٢ ـ تفسير الخازن ـ لباب التأويل في معاني التنزيل ـ علاء الدين علي بن محمد البغدادي الشهير بالخازن، دار النشر: دار الفكر ـ بيروت ـ لبنان ـ (١٣٩٩هـ/١٩٧٩م).

٤٣ ـ تفسير السراج المنير ـ محمد بن أحمد الشربيني ـ شمس الدين، دار النشر: دار الكتب العلمية، بيروت.

٤٤ ـ تفسير السمعاني ـ أبوالمظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني، تحقيق ياسر بن إبراهيم، الناشر: دار الوطن ـ الرياض، سنة النشر (١٤١٨هـ/١٩٩٧م)، مكان النشر: السعودية.

٤٥ ـ تقريب التهذيب ـ لأحمد بن علي بن حجر أبي الفضل العسقلاني الشافعي ـ تحقيق: محمد عوامة ـ دار الرشيد ـ سورية ـ ط١ (١٤٠٦هـ/١٩٨٦م).

٤٦ ـ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (تفسير السعدي) ـ لعبد الرحمن بن ناصر بن السعدي ـ تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق ـ مؤسسة الرسالة ط (١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م).

رابعاً: حرف الجيم:

٤٧ ـ جامع البيان عن تأويل آي القرآن ـ لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ت: ٣١٠هـ ـ قدّم له: الشيخ خليل الميس ـ ضبط وتوثيق وتخريج: صدقي جميل العطار ـ دار الفكر ـ بيروت ـ ط١ (١٤٢١هـ/٢٠٠١م).

٤٨ ـ جامع الصحيح المختصر ـ للإمام محمد بن إسماعيل أبي عبد الله البخاري الجعفي ـ تحقيق: د. مصطفى ديب البغا ـ دار ابن كثير، اليمامة ـ بيروت ـ ط٣ (١٤٠٧هـ/١٩٨٧م).

٤٩ ـ الجامع الصحيح سنن الترمذي ـ لأبي عيسى الترمذي السلمي ـ تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

٥٠ ـ الجامع لأحكام القرآن ـ لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي: دار الريان للتراث ـ القاهرة ـ (بدون تاريخ طبع).

٥١ ـ الجواهر الحسان في تفسير القرآن ـ للإمام العلامة الشيخ سيدي عبد الرحمن الثعالبي ـ حققه وخرّج أحاديثه ووثّق أصوله أبو محمد الغُماري الإدريسي الحسني ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ط١ (١٤١٧هـ/١٩٩٧م).

خامساً: حرف الحاء:

٥٢ ـ حجة القراءات ـ لعبد الرحمن بن محمد بن زنجلة، أبي زرعة ـ تحقيق: سعيد الأفغاني ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ط٢ (١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م).

٥٣ ـ الحجة للقراء السبعة (أئمة الأمصار بالحجاز والعراق والشام الذين ذكرهم أبو بكر بن مجاهد) لأبي علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي، ت: ٣٣٧هـ ـ حققه: بدر الدين القهوجي، وبشير جويجاتي ـ راجعه ودققه: عبد العزيز رباح، وأحمد يوسف الدقاق ـ دار المأمون للتراث ـ ط١ (١٤١٣هـ/١٩٩٢م).

٥٤ - الحجة في القراءات السبع - للإمام ابن خالويه - تحقيق وشرح: الدكتور عبد العال سالم مكرم - مؤسسة الرسالة - بيروت - ط٦ (١٤١٧هـ/١٩٩٦م).

٥٥ - حقائق التفسير (تفسير السلمي) - أبو عبد الله محمد بن الحسين السلمي، توفي سنة ٤١٢هـ، تحقيق سيد عمران، سنة النشر: (١٤٢١هـ/٢٠٠١م) - مكان النشر، لبنان، بيروت.

سادساً: حرف الدال:

٥٦ - الدر المنثور في التفسير بالمأثور - لعبد الرحمن بن الكمال، جلال الدين السيوطي - دار الفكر - بيروت - ط (١٩٩٣م).

٥٧ - ديوان جرير: بشرح محمد بن حبيب - دار المعارف - القاهرة - ط٣ (بدون تاريخ طبع).

سابعاً: حرف الراء:

٥٨ - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني - للعلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي ت: ١٢٧هـ - قرأه وصححه: محمد حسين العرب - دار الفكر - بيروت.

ثامناً: حرف الزاي:

٥٩ - زاد المسير في علم التفسير - للحافظ الإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، ت: ٥٩٧هـ - تحقيق: عبد الرازق المهدي - دار الكتاب العربي - بيروت - ط١ (١٤٢٢هـ/٢٠٠١م).

تاسعاً: حرف السين:

٦٠ - سنن أبي داود - لسليمان بن الأشعث أبي داود السجستاني الأزدي: دار الفكر - تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد - مع الكتاب تعليقات كمال يوسف الحوت - والأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها.

٦١ - السنن الترمذي (الجامع الصحيح) - أبو عيسي محمد بن عيسى الترمذي - تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٦٢ - السنن الصغرى للبيهقي - أحمد بن الحسين بن علي البيهقي أبو بكر تحقيق: محمد ضياء الرحمن الأعظمي، الناشر مكتبة الدار: سنة النشر (١٤١٠هـ/١٩٨٩م): مكان النشر: المدينة المنورة.

٦٣ ـ سنن النسائي الكبرى ـ لأحمد بن شعيب أبي عبد الرحمن النسائي ـ تحقيق: دكتور: عبد الغفار سليمان البنداري وسيد كسوري حسن ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط١ (١٤١١هـ/١٩٩١م).

٦٤ ـ سير أعلام النبلاء ـ لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ـ تحقيق: شعيب الأرناؤوط ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ط٩ (١٤١٣هـ).

عاشراً: حرف الشين:

٦٥ ـ شرح ابن عقيل ـ لقاضي القضاة بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي المصري الهمداني، ت: ٧٦٩هـ على ألفية الإمام أبي عبد الله محمد جمال الدين بن مالك، ت: ٦٧٢هـ ـ دار الفكر ـ ط (١٤٠٥هـ/١٩٨٥م).

حادي عشر: حرف الصاد:

٦٦ ـ الصحاح في اللغة ـ للجوهري، مصدر الكتاب: موقع الوراق.

٦٧ ـ صحيح مسلم ـ للإمام مسلم بن الحجاج أبي الحسين القشيري النيسابوري ـ تحقيق وتعليق: محمد فؤاد عبد الباقي ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت (بدون تاريخ طبع).

٦٨ ـ صفوة التفاسير ـ للشيخ محمد علي الصابوني: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ ط١ (١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م).

ثاني عشر: حرف العين:

٦٩ ـ عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي ـ للإمام الحافظ ابن العربي المالكي، ت: ٥٤٣هـ: دار العلم للجميع (بدون تاريخ طبع).

ثالث عشر: حرف الغين:

٧٠ ـ غاية النهاية في طبقات القراء ـ للإمام شمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن الجزري ـ عني بنشره: ح.برجستراسر ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط١ (١٣٥٢هـ/ ١٩٣٣م).

٧١ ـ غرائب القرآن ورغائب الفرقان على مصحف التهجد ـ للإمام نظام الدين الحسن بن محمد بن الحسين القمي النيسابوري، ت: ٧٢٨هـ ـ ط١ (١٤١٦هـ/١٩٩٥م).

رابع عشر: حرف الفاء:

٧٢ - فتح الباري شرح صحيح البخاري - لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي: دار المعرفة - بيروت - ط (١٣٧٩هـ).

٧٣ - فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير (مجلد واحد) - للإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني: دار ابن حزم - ط١ (١٤٢١هـ/٢٠٠٠م).

٧٤ - فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات - لعبد الحي بن عبد الكبير الكتاني: دار الغرب الإسلامي - بيروت - ط٢ (١٤٠٢هـ/١٩٨٢م).

٧٥ - في ظلال القرآن - لسيد قطب: دار الشروق - بيروت - ط٩ (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م).

٧٦ - في رحاب التفسير - للشيخ عبد الحميد كشك: المكتب المصري للحديث - (بدون تاريخ).

خامس عشر: حرف القاف:

٧٧ - القاموس المحيط - للعلامة اللغوي مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، ت: ٨١٧هـ - تحقيق: مكتب التراث في مؤسسة الرسالة - مؤسسة الرسالة - ط١ (١٤٠٦هـ/١٩٨٦م).

سادس عشر: حرف الكاف:

٧٨ - كتاب سيبويه - لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر - تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون - عالم الكتب - بيروت (بدون تاريخ طبع).

٧٩ - الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل - لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، ت: ٥٣٨هـ: دار الفكر.

٨٠ - الكشاف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها - لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي، ت: ٤٣٧هـ - تحقيق: الدكتور محيي الدين رمضان - مؤسسة الرسالة - بيروت - ط٣ (١٤٠٤هـ/١٩٨٤م)، و ط٥ (١٤١٨هـ/١٩٩٧م).

٨١ - الكشف والبيان - أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري - دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، لبنان - (١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م)، ط١ تحقيق: أبي محمد بن عاشور.

سابع عشر: حرف اللام:

٨٢ ـ لباب النقول في أسباب النزول ـ لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ـ دار إحياء العلوم ـ بيروت.

٨٣ ـ اللباب في علوم الكتاب ـ أبو حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي، دار النشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت، لبنان ـ (١٤١٩هـ/١٩٩٨م)، ط١ ـ عدد الأجزاء ٢٠، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود.

٨٤ ـ لسان العرب ـ للإمام العلامة جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم ابن منظور الأنصاري الإفريقي المصري ـ حققه وعلق عليه ووضع حواشيه: عامر أحمد حيدر ـ راجعه: عبد المنعم خليل إبراهيم ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط١ (١٤٢٤هـ/٢٠٠٢م).

تاسع عشر: حرف الميم:

٨٥ ـ مباحث في علوم القرآن ـ لمناع القطان: مكتبة المعارف ـ الرياض ـ ط٣ (١٤٢١هـ/٢٠٠٢م).

٨٦ ـ المبصر لنون القرآن ـ لنائلة هاشم صبري: مطبعة الرسالة المقدسية ـ القدس ـ ط١ (١٤٢٢هـ/٢٠٠١م).

٨٧ ـ مجاز القرآن ـ لأبي عبيدة معمر بن المثنى التّيمي المتوفى سنة ٢١٠هـ ـ عارضه بأصوله وعلّق عليه: الدكتور محمد فؤاد سزكين ـ مكتبة الخانجي بمصر ـ (بدون تاريخ طبع).

٨٨ ـ المحيط في اللغة ـ الصاحب بن عباد، مصدر الكتاب (موقع الوراق).

٨٩ ـ مختار الصحاح ـ لمحمد بن أبي بكر الرازي ـ تحقيق: محمود خاطر ـ مكتبة لبنان ـ بيروت ـ ط (١٤١٥هـ/١٩٩٣م).

٩٠ ـ مختصر ابن كثير ـ لمحمد علي الصابوني: دار الصابوني ـ مدينة نصر ـ الطبعة السابعة (بدون تاريخ طبع).

٩١ ـ مسند أحمد بن حنبل ـ أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني، الناشر: مؤسسة قرطبة، القاهرة.

٩٢ ـ المسند الجامع ـ أبي الفضل السيد أبو المعاصي النوري، توفي سنة ١٤٠١هـ.

٩٣ ـ المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ـ لأحمد بن محمد بن علي الفيومي ـ المكتبة العلمية ـ بيروت ـ (بدون تاريخ طبع).

٩٤ - معالم التنزيل في التفسير والتأويل - للإمام أبي محمد الحسين بن مسعود البَغَوي، ت: ٥١٦هـ - تحقيق: محمد عبد الله النمر، وآخرون - دار طيبة للنشر والتوزيع ط٤ (١٤١٧هـ/١٩٩٧م).

٩٥ - المعالم الجغرافية الواردة في السيرة النبوية - مصدر الكتاب: موقع الإسلام http://www.al-islam.com .

٩٦ - معاني القرآن لأبي جعفر النحاس - تحقيق: الدكتور يحيى مراد - دار الحديث - القاهرة - ط (١٤٠٣هـ/١٩٨٣م).

٩٧ - معاني القرآن لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء، ت: ٢٠٧هـ - عالم الكتب - بيروت - ط٣ (١٤٠٣هـ/٢٠٠٤م).

٩٨ - معترك الأقران في إعجاز القرآن - للحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي - تحقيق: علي محمد البجاوي - دار الفكر العربي (بدون تاريخ طبع).

٩٩ - معجم البلدان - لياقوت الحموي - تحقيق: فريد عبد العزيز الجندي - دار الكتب العلمية - بيروت - ط١ (١٤١٠هـ).

١٠٠ - المعجم الجامع في تراجم العلماء وطلبة العلم المعاصرين - المؤلف: أعضاء ملتقى أهل الحديث، مصدر الكتاب: ملتقى أهل الحديث.

١٠١ - المعجم الوسيط - قام بإخراجه: إبراهيم مصطفى وآخرون: المكتبة الإسلامية - تركيا - ط٢ (١٩٧٢م).

١٠٢ - معرفة القراء الكبار على الطبقات والأمصار - محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبو عبد الله - الناشر مؤسسة الرسالة - بيروت - ط١ - (١٤٠٤هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف، شعيب الأرناؤوط، صالح مهدي عباس.

١٠٣ - المغني في توجيه القراءات العشر المتواترة - للدكتور محمد سالم محيسن: دار الجيل - بيروت ط١ (١٤٠٨هـ/١٩٨٨م).

١٠٤ - المغني في علم التجويد برواية حفص عن عاصم - للدكتور عبد الرحمن الجمل: ط٢ (١٤٢٠هـ/١٩٩٩م).

١٠٥ - مفردات ألفاظ القرآن - للعلامة الراغب الأصفهاني - تحقيق: صفوان عدنان داوودي - دار القلم - دمشق - ط٣ (١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م).

١٠٦ - المقتضب - لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد، ت: ٢٨٥هـ - تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة - وزارة الأوقاف لجنة التراث الإسلامي - القاهرة - ط (١٣٩٩هـ).ذ

١٠٧ ـ مناهل العرفان في علوم القرآن ـ للشيخ عبد العظيم الزرقاني ـ تحقيق: مكتب البحوث والدراسات ـ دار الفكر ـ بيروت ـ ط١ (١٩٩٦م).

١٠٨ ـ منهج الإمام الطبري في القراءات في تفسيره (رسالة ماجستير) ـ للدكتور: عبد الرحمن يوسف أحمد الجمل ـ إشراف: الدكتور فضل حسن عباس ـ الجامعة الأردنية ـ (١٤١٢هـ/١٩٩٢م).

١٠٩ ـ النشر في القراءات العشر ـ للحافظ أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بإبن الجزري ـ أشرف على تصحيحه ومراجعته للمرة الأخيرة: حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الجليل علي محمد الضباع ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.

١١٠ ـ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ـ للإمام برهان الدين أبي الحسن إبراهيم ابن عمر البقاعي، ت: ٨٨٥هـ ـ خرّج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه: عبد الرازق غالب المهدي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط١ (١٤١٥هـ/١٩٩٥م).

١١١ ـ النكت في إعجاز القرآن ـ ضمن كتاب ثلاث رسائل إعجاز القرآن ـ لأبي الحسن الرماني ـ تحقيق: محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام ـ دار المعارف بمصر ـ ط٣ (بدون تاريخ طبع).

١١٢ ـ النكت والعيون (تفسير الماوردي) ـ لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، ت: ٤٥٠هـ ـ راجعه وعلق عليه السيد ابن عبد المقصود ابن عبد الرحيم ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ط١ (١٤١٢هـ/١٩٩٢م).

١١٣ ـ الهادي (شرح طيبة النشر في القراءات العشر والكشف عن علل القراءات وتوجيهها) ـ للدكتور محمد محيسن: دار الجيل ـ بيروت.



فهرس الموضوعات

الجامعة الإسلامية - غزة
عمادة الدراسات العليا
كلية أصول الدين
قسم التفسير وعلوم القرآن

تفسير القرآن
بالقراءات القرآنية العشر

من سورة الزمر حتى نهاية سورة محمد

إعداد الباحث
عماد شعبان الشريف

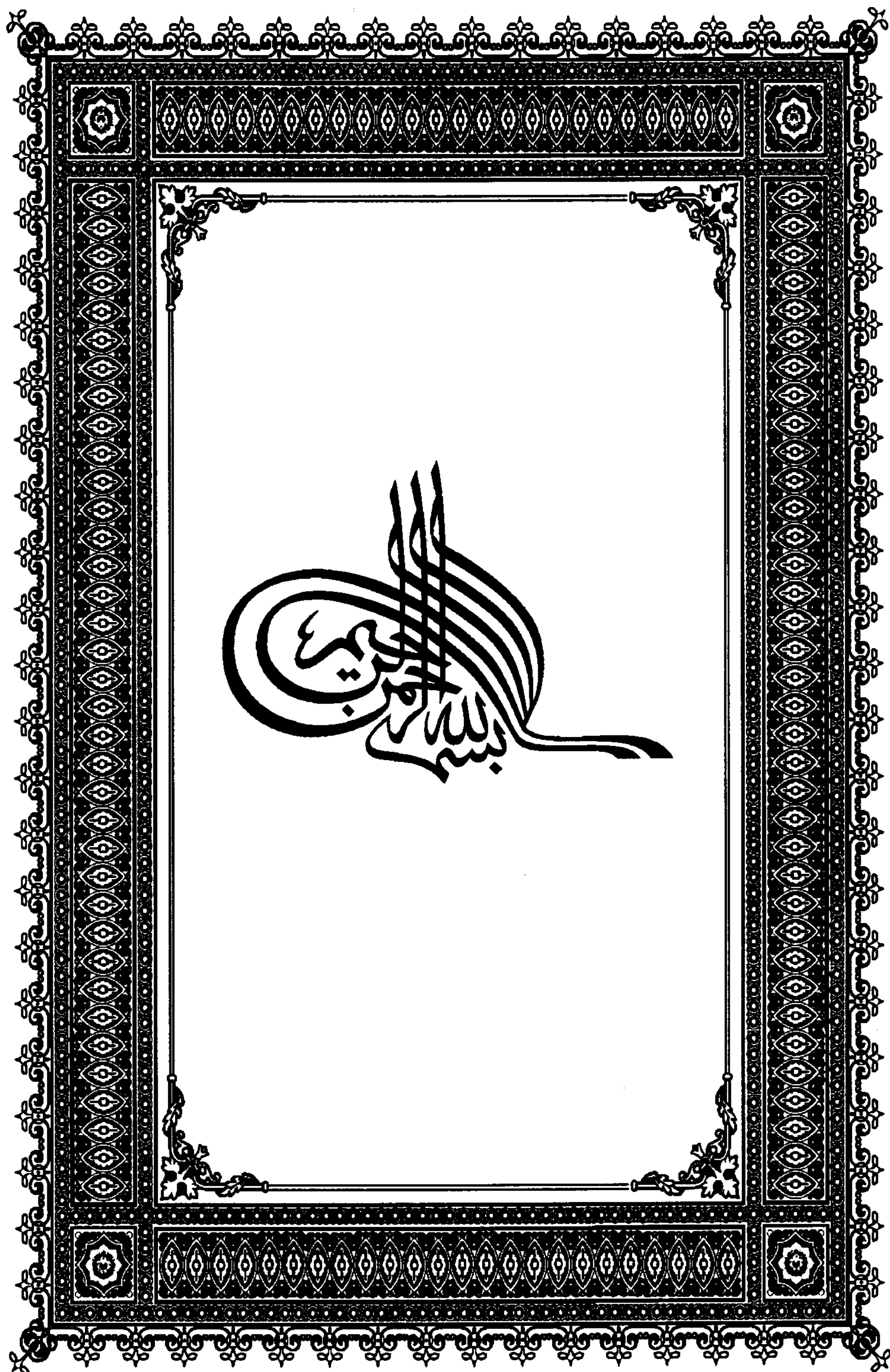
إشراف الدكتور
د. رياض محمود قاسم

ضبط ومراجعة
د.مروان محمد أبوراس

الجزء الحادي عشر

منشورات الجامعة الإسلامية
ورابطة علماء فلسطين - غزة

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير
في التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين
١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م


بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٢ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ ٥٣﴾

[الشورى: ٥٢ ـ ٥٣]

شكرٌ وتقديرٌ

انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾ [لقمان: ١٢] ومن قول الرسول ﷺ **«لا يشكر الله من لا يشكر النَّاس»**[(١)].

فإنني أتوجه بدايةً بالحمد والثناء إلى الله تعالى الذي وفقني لإتمام هذا البحث ثم أتوجه بخالص شكري وامتناني إلى أستاذي الجليل فضيلة الدكتور/ رياض محمود قاسم الذي تفضل بقبول الإشراف على هذه الرسالة، وقد جاد عليَّ بإرشاداته السديدة، ونصائحه الدقيقة، وملاحظاته القيمة العميقة، كل ذلك بطلاقة وجه ورحابة صدر، فجزاه الله عني خير الجزاء وبارك الله له في وقته وعلمه.

كما أتقدم بجزيل الشكر والتقدير لأستاذيّ الجليلين، عضوي لجنة المناقشة:

فضيلة الدكتور/ عبدالرحمن يوسف الجمل... حفظه الله

وفضيلة الدكتور/ زكريا إبراهيم الزميلي...حفظه الله

لقبولهما مناقشة هذا البحث، ولما بذلاه من جهدٍ ووقتٍ في قراءته

---

(١) مسند الإمام أحمد: مسند أبي هريرة، ج٢ ص٢٩٥ ح٧٩٢٦، سنن أبي داود: كتاب الأدب، باب في شكر المعروف، ج٤ ص٢٥٥ ح٤٨١١، وسنن الترمذي: كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك ج٤ ص٣٣٩، ح١٩٥٤، وقال الترمذي هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

رُغم أعبائهما الكثيرة، وأسأله سبحانه أن ينفعني بملاحظاتهما التي يبديانها لتحسين هذا البحث وتزيينه.

ولا يفوتني هنا أن أسجل شكري وامتناني إلى الجامعة الإسلامية الغراء التي أنهلتنا من معينها الصافي الشيء الكثير، ممثلةً برئيس الجامعة الأستاذ الدكتور/ كمالين كامل شعث.

كما لا يفوتني أن أرفع أغلى برقيات الشكر والثناء إلى أساتذتي الكرام أعضاء الهيئة التدريسية في كلية أصول الدين، على دورهم الرائد في الجامعة وخارجها ونسأله سبحانه أن يوفقهم لأداء الأمانة التي كلفوا بها.

وكذلك أبرق بشكري وتقديري إلى عمادة الدراسات العليا ممثلةً بعميدها الدكتور/ مازن إسماعيل هنية وأساتذتها الكرام.

وأبرق بالشكر العميق إلى الإخوة في المكتبة المركزية، ودائرة العلاقات العامة على جهدهم في تسهيل مهمة الباحثين.

وأبرق بالشكر العميق والحب والتقدير لشيخي وأستاذي المربي الفاضل الأستاذ: محمد صالح طه (أبو أيمن) على ما قدَّم من جهدٍ في تدقيق الرسالة ومراجعتها.

وكذلك أبرق بالشكر والتقدير إلى الأخ الفاضل عبدالله محمد شعيب على ما بذل من جهد كبير في طباعة الرسالة وتنسيقها.

كما وأتقدم بالشكر والتقدير لجميع أفراد عائلتي، وإخواني في مسجد التقوى على تشجيعهم لي لإكمال دراستي في مجال التفسير وعلوم القرآن.

ولا يفوتني أن أتقدم بالشكر والتقدير لإدارة مدرستي ممثلةً بناظرها ومساعديها على ما قدموه لي من تسهيلات أثناء الدراسة.

وأخيراً أتوجه بشكري وتقديري لكل من ساهم في إخراج هذه الرسالة إلى النور ولو بأقل مجهودٍ.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

الفصل الأول
تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر
من خلال سور الزمر ـ غافر ـ فصلت

المبحث الأول: عرضٌ وتفسيرٌ لآيات سورة الزمر المتضمنة للقراءات العشر.

المبحث الثاني: عرضٌ وتفسيرٌ لآيات سورة غافر المتضمنة للقراءات العشر.

المبحث الثالث: عرضٌ وتفسيرٌ لآيات سورة فصلت المتضمنة للقراءات العشر.

المبحث الأول
عرضٌ وتفسيرٌ لآيات سورة الزمر
المتضمنة للقراءات القرآنية العشر

١ ـ قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾﴾ [الزمر: ٨].

القراءات:

١ ـ قرأ ابن كثير وأبو عمرو (لِيَضِلَّ عَن سَبِيلِهِ) بفتح الياء.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ بضم الياء[٢].

المعنى اللغوي للقراءات:

الضلال: هو العدول عن الطريق المستقيم، ويضاده الهداية، ويقال الضلال لكل عدول عن المنهج عمداً كان أو سهواً[٣].

وجاء في لسان العرب: الإضلال في كلام العرب ضد الهداية والرشاد، يقال: أضللتُ فلاناً إذا وجهته للضلال عن الطريق، وضلَّ الشيء

(٢) انظر إتحاف فضلاء البشر ص٤٨٠، حجة القراءات ص٦١٩.

(٣) انظر مفردات ألفاظ القرآن للأصفهاني ص٥٠٩.

يضل ضلالاً أي: ضاع وهلك[٤].

التفسير:

يخبر المولى ﷻ في هذه الآية عن حال الإنسان الكافر إذا أصابه شدةٌ من فقرٍ أو مرضٍ أو بلاءٍ، تضرع إلى ربه بالدعاء في إزالة تلك الشدة، مقبلاً إليه مخبتاً مطيعاً، ثم إذا أعطاه وملّكه نعمةً منه، وفرّج عنه كربته نسي هذا الإنسان ربه الذي كان يدعوه من قبل في كشف الضرّ عنه، وقيل نسي الضرَّ الذي كان يدعو ربه لكشفه، وتمرَّد وطغى، وجعل لله شركاء في العبادة ليصد عن دين الله وطاعته.

قال الشوكاني: «نسي ما كان يدعو إليه من قبل أي: نسي الضر الذي كان يدعو الله إلى كشفه عنه من قبل بأن يخوله ما خوله، وقيل: نسي الدعاء الذي كان يتضرع به وتركه أو نسي ربه الذي كان يدعوه ويتضرع إليه، ثم جاوز ذلك الى الشرك بالله وهو معنى قوله ﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ أي شركاء من الأصنام أو غيرها يستغيث بها ويعبدها»[٥].

وقال القرطبي: «﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ أي: أوثاناً وأصناماً، وقال السدي: يعني أنداداً من الرجال يعتمدون عليهم في جميع أمورهم، ﴿ لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦٓ﴾ أي: ليقتدي به الجهال»[٦]، قل تمتع بكفرك قليلاً: أمرٌ من الله بالتهديد لهذا الإنسان الكافر، أي تمتع بهذه الحياة الدنيا الفانية وتلذذ فيها، وأنت على كفرك، عمراً قليلاً فإن مصيرك إلى نار جهنم.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيد قراءة (لَيَضلَ) بالفتح أنه بسبب اتخاذه أنداداً لله فقد ضلّ هو عن سبيل الله أو ازداد ضلالاً إلى ضلاله، قال الزمخشري: «وقرئ (لَيَضل) بفتح

(٤) انظر لسان العرب ج١١ ص ٣٩١.
(٥) فتح القدير ج٤ ص ٦٣٥.
(٦) الجامع لأحكام القرآن ج٨ ص٢٠٢.

الياء وضمها بمعنى أن نتيجة جعله لله أنداداً ضلالُه عن سبيل الله او إضلاله»(٧).

وقال الألوسي: «(ليَضل) بفتح الياء أي: ليزداد ضلالاً أو ليثبت عليه»(٨).

وقال الإمام ابن زنجلة: «(لِيَضِلَّ عن سبيله) بفتح الياء أي: ليَضل هو، وحجتهما: قوله : ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [النحل: ١٢٥](٩).

وأما قراءة (ليُضل) بالضم: تفيد أنه جعل لله أنداداً أي: شركاء من الأصنام أو غيرها يستغيث بها ويعبدها ليضل الناس عن طريق الله التي هي الإسلام والتوحيد(١٠).

وقال أبو حيان: «وقرأ الجمهور (ليُضِلَ) بضم الياء، أي: ما اكتفى بضلال نفسه حتى جعل غيره يضل»(١١).

وقال الإمام ابن زنجلة: «وقرأ الباقون: (ليُضِلَّ) بضم الياء، أي: ليُضِلَ غيره، وإنما وصفه بالإضلال لأن الذي أخبر الله عنه ذلك قد ثبت له أنه ضال بقوله: ﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا﴾»(١٢).

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين يتبيّن لنا أنَّ هذا الكافر الذي أشرك بالله تعالى وجعل له أمثالاً وأشباهاً قد ضل عن سبيل الله تعالى ولم يكتف بضلال نفسه هو، إنما تعدى ذلك إلى إضلال الناس وصدهم عن سبيل الله تعالى وطاعته إما بفعله أو قوله إلى أن يشاركه في ذلك الإثم والضلال، فيزداد بذلك إثماً على إثمه، وضلالاً على ضلاله.

(٧) الكشاف ج٢ ص٣٨٩.
(٨) روح المعاني للألوسي ج٢٣ ص٢٤٥.
(٩) حجة القراءات ص٦١٩.
(١٠) انظر فتح القدير ج٤ ص ٦٣٥.
(١١) البحر المحيط ج٧ ص٤٠١.
(١٢) حجة القراءات ص٦٢٠.

٢ ـ قال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝٩﴾ [الزمر: ٩].

القراءات:

١ ـ قرأ ابن كثير ونافع وحمزة (أَمَنْ هو قانتٌ) بتخفيف الميم.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ﴾ بتشديد الميم[١٣].

المعنى اللغوي للقراءات:

أمَّن تقديره: أَمْ مَنْ، وقال محمد محيسن: «(أمَّن) أصلها أم، مَنْ، فـ (أَمْ) للاستفهام و(مَنْ) اسم موصول بمعنى الذي[١٤]».

التفسير:

يُبَيِّن الله تعالى في هذه الآية حال المؤمن الصالح ووصفه بعد أن ذكر في الآية التي تسبقها حال الكافر وضلاله، وجحوده ومعصيته، قال محمد حجازي: «أما المؤمن الصالح فهذا وصفه بل أمَّن هو قانتٌ في جوف الليل ساجداً وقائماً يدعو ربه، ويحذر حسابه ويخشى عقابه، ويرجو رحمته كمن تقدم ذكره من العصاة، هل يستوي المؤمن والكافر والطائع والعاصي، لا يستويان أبداً، فإنه لا يستوي الذين يعلمون الحق فيتبعونه، ويعملون به والذين لا يعلمون الحق، ولذلك فإنهم يتخبطون تخبط العشواء، ويسيرون في ضلالةٍ عَمْياء وإنَّما يتذكر أولو الألباب، والعقول الصافية من المؤمنين»[١٥].

ويقول ابن كثير: «يقول ﷻ أمن هذه صفته كمن أشرك بالله وجعل له

(١٣) انظر النشر في القراءات العشر ج٢ ص ٣٦٢.

(١٤) المستنير في تخريج القراءات المتواترة ج٣ ص٢٥.

(١٥) التفسير الواضح لمحمد حجازي م٣ ج٢٣ ص٧٢.

أنداداً؟ لا يستوون عند الله، كما قال تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [آل عمران: ١١٣](١٦).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد أفادت قراءة (أَمَن) بالتخفيف على ادخال همزة الاستفهام على من الموصولة، فيكون تقدير الكلام أمن هو قانتٌ آناء الليل ساجداً وقائماً كغيره؟ قال ابن عاشور: «قرأ نافع وابن كثير وحمزة وحدهم أَمَنْ بتخفيف الميم على أن الهمزة دخلت على، من الموصولة فيجوز أن تكون الهمزة همزة استفهام ومن مبتدأ والخبر محذوفٌ دلَّ عليه الكلام قبله من ذكر الكافر في قوله: ﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ إلى قوله: ﴿مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ﴾»(١٧).

وقال محمد سالم محيسن: «(أَمَنْ) قرأ نافع وابن كثير، بتخفيف الميم على أنَّ (من) موصولةٌ دخلت عليها همزة الاستفهام التقريري»(١٨).

وهناك وجهٌ آخر ذكره العلماء لقراءة (أَمَنْ) بالتخفيف وهو: أنَّ الألف للنداء، قال مكي بن أبي طالب: «وحجة من خففه أنه جعله نداءً، فالألف للنداء ودليله (هل يستوي) ناداه، شبهه بالنداء ثم أمره»(١٩).

وقال ابن زنجلة: «ومن قرأ (أَمَنْ) بالتخفيف فإن معناه (يامن هو قانتٌ) والعرب تنادي بالألف كما تنادي بياء فتقول: يا زيد أقبل»(٢٠) وهذا القول أيَّده الفراء أيضاً(٢١).

وأمَّا قراءة (أمّن) بالتشديد «على أنَّ (من) موصولة دخلت عليها (أم)

---

(١٦) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٤ ص٤٨.
(١٧) التحرير والتنوير م١١ ج٢٤ ص ٣٦٦٨.
(١٨) المستنير في تخريج القراءات المتواترة ج٣ ص٢٥.
(١٩) الكشف عن وجوه القراءات السبع ج٢ ص٢٣٧.
(٢٠) حجة القراءات ص ٦٢١.
(٢١) انظر الجامع لأحكام القرآن ج٨ ص ٢٠٢.

المتصلة ثم أدغمت الميم في الميم»[٢٢].

قال الشوكاني: في معنى أمَّنْ المشدَّدة «أم داخلة على من الموصولة وأدغمت الميم في الميم وأم هي المتصلة، ومعادلها محذوف تقديره: الكافر خير أم الذي هو قانتٌ، وقيل: هي المنقطعة المقدرة ببل، والهمزة أي: بل أمن هو قانتٌ كالكافر»[٢٣]. وعلى القول الأول الذي ذكره الشوكاني تكون الألف هنا استفهاميةً ويؤيده قول ابن زنجلة نقلاً عن الزجاج، قال: «من قرأ (أمّن) بالتشديد فمعناه: (بل أمَّن هو قانتٌ كغيره؟) أي: من هو مطيع كمن هو عاص؟ ويكون على هذا الخبر محذوفاً لدلالة الكلام عليه كقوله: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآيِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد: ٣٣]»[٢٤]. ويؤيده أيضاً الزحيلي، قال: (أمّن بالتشديد: بادخال (أم) بمعنى بل والهمزة على (من) بمعنى الذي، وليس بمعنى الاستفهام، لأنَّ (أم) للاستفهام، فلا يدخل على ما هو استفهامٌ، وفي الكلام محذوفٌ تقديره: العاصون ربهم خيرٌ أمن هو قانتٌ، ودخل على هذا المحذوف أيضاً: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾»[٢٥].

٣. قال تعالى: ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾﴾ [الزمر: ٢٠].

القراءات:

١ ـ قرأ أبو جعفر (لكنَّ الذين) بتشديد نون لكن.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ﴾ بالتخفيف[٢٦].

---

(٢٢) المستنير في تخريج القراءات المتواترة ج٣ ص٢٥.

(٢٣) فتح القدير ج٤ ص ٦٣٦.

(٢٤) حجة القراءات ص٦٢٠.

(٢٥) التفسير المنير للزحيلي ج٢٣ ص٢٥٥.

(٢٦) انظر إتحاف فضلاء البشر ص ٤٨.

المعنى اللغوي للقراءات:

قال ابن منظور: «يقول الفراء: للعرب في لكنَّ لغتان: بتشديد النون مفتوحة، وإسكانها خفيفة فمن شدَّدها نصب بها الأسماء، ولم يلها فعل ولا يفعل، ومن خففَّ نونها وأسكنها ولم يعملها في شيءٍ اسمٍ ولا فعلٍ، وكان الذي يعمل في الاسم الذي بعدها، ما معه مما ينصبه أو يرفعه أو يخفضه، وقال الجوهري: لكن، خفيفةٌ وثقيلةٌ، حرف عطفٍ للاستدراك، والتحقيق يوجب بها بعد نفيٍ، إلَّا أنَّ الثقيلة تعمل عمل إنَّ، تنصب الاسم وترفع الخبر، ويستدرك بها بعد النفي والإيجاب... والخفيفة لا تعمل لأنها تقع على الأسماء والأفعال»[٢٧].

التفسير:

يخبر المولى ﷻ في هذه الآية عن عباده المتقين السعداء أنَّ لهم غرفاً في الجنّة وهي القصور الشاهقة من فوقها غرفٌ مبنيةٌ، طباقٌ فوق طباقٍ مبنياتٌ محكماتٌ مزخرفاتٌ عالياتٌ[٢٨].

قال الطبري: «يقول تعالى ذكره: لكن الذين اتقوا ربهم بأداء فرائضه واجتناب محارمه لهم في الجنّة غرفٌ من فوقها غرفٌ مبنيةٌ علالي بعضها فوق بعضٍ تجري من تحتها الأنهار، يقول تعالى ذكره: تجري من تحت أشجار جنّاتها الأنهار»[٢٩].

وقال الدكتور محمد محيسن: «والذين اتقوا ربهم وآمنوا به وخافوا عقابه سيجزيهم الله تعالى يوم القيامة خيراً بأن يدخلهم الجنة وينزلون فيها منازل رفيعةً ويتمتعون فيها بشتى أنواع المتع التي لا تخطر على قلب بشرٍ، من ذلك أنهم يقيمون في قصورٍ فخمةٍ ذات حدائق غنّاء تجري من تحتها

---

(٢٧) لسان العرب ج١٢ ص٢٩٣.

(٢٨) انظر تفسير القرآن العظيم ج٤ ص٥٠.

(٢٩) جامع البيان في تفسير القرآن للطبري ج٢٣ ص٢٠٨.

الأنهار، وبهذا وعد الله المؤمنين والله لا يخلف الميعاد»[٣٠].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيد قراءة (لكنَّ) بالتشديد أنَّ لكنَّ عاملةٌ ناصبةٌ لاسمها وعندئذٍ تكون الذين اسمها في محل نصب.

وأما قراءة (لكنِ الذين) بنون ساكنة مخففة مع تحريكها وصلاً بالكسر تخلصاً من الساكنين فإنَّها تفيد أن لكن مخففةٌ مهملةٌ، وعندئذ تكون الذين مبتدأً[٣١].

وقال الدمياطي: «واختلف في (لكن الذين اتقوا) .. فأبو جعفر بتشديد النون، فيها فالموصول محله النصب والباقون بالتخفيف، فالموصول رفع بالابتداء»[٣٢].

٤ .قال تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًاۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [الزمر: ٢٩].

القراءات:

١ ـ قرأ ابن كثير والبصريان[٣٣] (سالِماً) بألف بعد السين وكسر اللام.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿سَلَمًا﴾ بغير ألف وفتح اللام[٣٤].

المعنى اللغوي للقراءات:

السِّلم والسَّلامة: البراءة، وقيل السِّلم: اسم بإزاء حرب، السِّلم

---

(٣٠) المستنير في تخريج القراءات المتواترة ج٣ ص٢٦.

(٣١) انظر المستنير في تخريج القراءات المتواترة ج٣ ص٢٦.

(٣٢) إتحاف فضلاء البشر ص٢٣٤.

(٣٣) البصريان: (أبو عمرو، ويعقوب).

(٣٤) انظر النشر في القراءات العشر ج٢ ص٣٦٢، المبسوط في القراءات العشر للأصبهاني ص٢٣٦.

والسَّلامة: التعري من الآفات الظاهرة والباطنة، والإسلام: الدخول في السِّلم، وهو أن يَسْلَم كل واحدٍ منهما أن ينالَه من ألم صاحبه[٣٥].

وقال ابن منظورٍ: «السَّلام والسَّلامة: البراءة، وتسلَّمَ منه: تبرأ، وقال الأعرابي: السَّلامة العافية، وقال: والسَّلام والاستسلام وحكى السِّلم والسَّلْمُ الاستسلام ضد الحرب وفي التنزيل العزيز: ورجلاً سلماً لرجلٍ، وقلبٌ سليمٌ أي: سالمٌ «والإسلام والاستسلام: الانقياد والإسلام من الشريعة: إظهار الخضوع»[٣٦] وقال شهاب الدين المصري: «سلماً لرجل: أي خالصاً له لا يشركه فيه غيره يقال سلم بالشيء لفلانٍ إذا خلص له»[٣٧].

التفسير:

يضرب الله تعالى مثلاً في هذه الآية لصنفين مختلفين من الناس أحدهما مؤمنٌ بربه موحدٌ له لا يعبد سواه ولا يسعى لإرضاء غيره، والآخر مشركٌ بالله تعالى يعبدُ آلهةً غيره ويتجه إلى شركاء مختلفين، فهو في حيرةٍ وارتباكٍ لا يدري كيف يرضيهم جميعاً وهذا مثله مثل رجلٍ مملوكٍ لشركاء متشاكسين أي: مختلفين كلٌّ له رأيٌ وحاجةٌ وكلٌّ يطلب من هذا العبد حاجةً لا يطلبها الآخر فيظل حائراً متخبطاً لا يستطيع أن يلبي حاجة أحدٍ أو يُرضيَ أحداً منهم، وأمَّا الأول المؤمن فمثله مثل رجلٍ مملوكٍ لشخصٍ واحدٍ، فهو سالمٌ له ليس لغيره سبيلٌ عليه، فيخلص له في طلبه ويسعى لإرضائه دائماً، فهل يستوي حال كلٍّ منهما[٣٨]، ويقول القرطبي: «هذا الذي يخدم جماعةَ شركاء أخلاقهم مختلفة، ونيَّاتهم متباينةٌ لا يلقاه رجلٌ إلا جرّه واستخدمه، فهو يلقى منهم العناء والنصب والتعب العظيم، وهو مع ذلك كله لا يرضي واحداً منهم بخدمته لكثرة الحقوق في رقبته، والذي يخدم واحداً لا ينازعه

(٣٥) انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٤٢٣.
(٣٦) انظر لسان العرب ج١٢ ص٢٩٣.
(٣٧) التبيان في تفسير غريب القرآن لشهاب الدين المصري ج١ ص٣٦٣.
(٣٨) انظر التفسير الواضح م٣ ج٢٣ ص٧٨ ـ ٧٩.

فيه أحدٌ، إذا أطاعه وحده عرف ذلك له وإن أخطأ صفح عن خطئه، فأيهما أقل تعباً أو على هدىً مستقيم»[٣٩]. «مما لا شك فيه أن الذي لا يخدم إلَّا واحداً أهدأ بالاً وأسعد حياةً فإذا ثبت ذلك تبيّن بطلان القول بادعاء الشركاء وثبت أنَّ الله إلهٌ واحدٌ لا شريك له»[٤٠]، ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الأنبياء: ٢٢].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قرأ ابن كثيرٍ والبصريان (سالِماً) بألفٍ بعد السين وكسر اللام: اسم فاعلٍ من سلم أي: خالصاً له من الشركة، وأمَّا قراءة الجمهور (سَلماً) بفتح السين واللام بدون ألفٍ: مصدر وصف به مبالغةً في الخلوص من الشركة[٤١].

قال البغوي: «قرأ أهل مكة والبصرة سالماً بالألف أي: خالصاً له لا شريك ولا منازع له فيه، وقرأ الآخرون سلماً بفتح اللاَّم من غير ألفٍ وهو الذي لا ينازع فيه من قولهم هو لك سلمٌ أي مسلمٌ لا منازع لك فيه»[٤٢].

الجمع بين القراءات:

وعند الجمع بين القراءتين لا نجد كبير فرقٍ في المعنى إلَّا أن الأولى (سَالِماً) تفيد الخلوص من الشركة لأنَّ «الخالص ضد المشرك»[٤٣]، وأمَّا الثانية (سَلَماً) فهي إضافة إلى أنها تفيد الخلوص من الشركة ففيها زيادة معنىً ومبالغة في الخلوص والاستسلام لدرجة عدم وجود منازعٍ له فيه لتسليمه له بالكليَّة لأنَّ التعبير بالمصدر أقوى في الدلالة من التعبير باسم

(٣٩) الجامع لأحكام القرآن ج٨ ص٢١٥.
(٤٠) انظر المستنير في تخريج القراءات المتواترة ج٣ ص٢٧.
(٤١) انظر إتحاف فضلاء البشر ص٤٨١.
(٤٢) معالم التنزيل ج٤ ص٧٨٧.
(٤٣) حجة القراءات ص ٦٢٢.

الفاعل، فاسم الفاعل يدل على حدوث الفعل ولا يعني ذلك ثبوته على الدوام، بينما يدل المصدر على ثبوت الحالة التي هو عليها من الخلوص والاستسلام(٤٤). والسلم ضد التنازع، فكان تأويله: «ورجلاً سُلِّمَ لرجلٍ فلم ينازع فيه، ومنه قيل للسلف: سَلَمٌ لأنه سلِّم إلى من استلفه»(٤٥).

٥. قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾﴾ [الزمر: ٣٦].

القراءات:

١ ـ قرأ أبو جعفر، وحمزة، والكسائي، وخلف (عِبَادَهُ) بألف على الجمع.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿عَبْدَهُۥ﴾ بغير ألف على التوحيد(٤٦).

المعنى اللغوي للقراءات:

العبدُ: هو الإنسان حرّاً أو رقيقاً، يُذهبُ بذلك إلى أنه مربوبٌ لباريه ﷻ، ويقال فلانٌ عبدٌ بيِّن العبودية، وأصل العبودية الخضوع والتذلل(٤٧).

يقال: «عبَد الله، عبادةً، وعبوديَّةً: انقاد له وخضع وذَلَّ. ويقال: عبَّدَه: ذلَّله، وفي التنزيل: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٢﴾﴾ [الشعراء: ٢٢]»(٤٨).

التفسير:

تأتي هذه الآية في سياق الرّد على كفار قريشٍ عند تهديدهم للنبي ﷺ

(٤٤) انظر اسم الفاعل من كتاب الأبنية في العربية ص٤٦.
(٤٥) حجة القراءات ص ٦٢٢.
(٤٦) النشر في القراءات العشر ج٢ ص٣٦٣.
(٤٧) انظر لسان العرب ج٢ ص٢٧١.
(٤٨) المعجم الوسيط ص٦٠٨.

بآلهتهم أنها ستصيبه بسوءٍ كما يزعمون بسبب سبّه آلهتهم وتعييبها، فأنزل الله تعالى هذه الآية يخبره سبحانه فيها أنه حاميه وكافيه من كل سوءٍ وشرٍ وحافظه من كل أذىً وبأسٍ فلا معنى لتهديدهم وتخويفهم رسول الله ﷺ لأنَّ هذا التخويف والتهديد في غير محله وهو محض كذبٍ وافتراءٍ وادعاءٍ باطلٍ لا أساس له من الصحة لأنَّ هذه الأوثان لا تضر ولا تنفع. والهمزة في قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ للتقرير بمعنى: أليس الله كافياً عبده ورسوله محمداً ﷺ من شر من يريده بسوءٍ؟ قال أبو حيان: «قالت قريشٌ: لئن لم ينته محمدٌ ﷺ عن تعييب آلهتنا وتعييبنا، لنسلطها عليه فتصيبه بخبلٍ وتعتريه بسوءٍ فأنزل الله: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ أي شر من يريده بشرٍّ، والهمزة الداخلة على النفي للتقرير، أي: هو كافٍ عبده، وفي إضافته إليه تشريفٌ عظيمٌ لنبيه»(٤٩).

وقال أبو السعود: «هذه تسليةٌ لرسول الله ﷺ عمّا قالت له قريشٌ إنّا نخاف أن تخبلك آلهتنا أو ليصيبنك منهم خبلٌ أو جنونٌ»(٥٠).

وقال القرطبي: قال قتادة: «مشى خالد بن الوليد الى العزَّى ليكسرها بالفأس، فقال له سادنها: أحذركها يا خالد فإنَّ لها شدةً لا يقوم لها شيءٌ، فعمد خالد إلى العزى فهشم أنفها حتى كسرها بالفأس وتخويفهم لخالد تخويفٌ للنبي ﷺ لأنه الذي وجه خالداً»(٥١).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيد قراءة (عَبْدَهُ) على التوحيد أنَّ المراد بالخطاب هو سيدنا محمدٌ ﷺ بمعنى أليس الله بكافٍ عبده محمداً، ودلّ على ذلك قوله تعالى: ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ يعني الأصنام، وأمّا قراءة (عِبَادَهُ) على الجمع فإنَّها تفيد أنَّ المراد بالخطاب هو جميع الأنبياء عليهم السلام ثم رجع إلى مخاطبةِ محمدٍ ﷺ فهو داخلٌ في الكفاية(٥٢)، وأضاف القرطبي على ذلك أن

(٤٩) انظر البحر المحيط ج٥ ص٧٠٧.

(٥٠) تفسير أبي السعود ج٤ ص ٦١٥.

(٥١) الجامع لأحكام القرآن ج٨ ص٢١٩.

المؤمنين يدخلون في الخطاب أيضاً مع الأنبياء فقال: «وقرأ حمزة والكسائي (عِبَادَهُ) وهم الأنبياء أو الأنبياء والمؤمنون بهم»(٥٣).

وقال الدمياطي: «(عِبَادَهُ) بألفٍ على الجمع على إرادة الأنبياء والمطيعين من المؤمنين»(٥٤).

وتعقيباً على القراءتين يقول الطبري: «والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان مشهورتان في قراءة الأمصار فبأيتهما قرأ القارئ فمصيبٌ لصحة معنييهما واستفاضة القراءة بهما في قراء الأمصار»(٥٥).

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين يتبيّن المعنى: أنَّ الله ﷻ تكفل دائماً بحماية وحفظ عباده المؤمنين جميعاً، بدءاً بالأنبياء كلهم ومن بعدهم من آمنوا معهم وأطاعوهم إلى يوم الدين، وعلى هذا يكون الخطاب شمل جميع المؤمنين أيضاً بما فيهم سيدنا محمدٌ ﷺ والأنبياء قبله.

٦ ـ قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الزمر: ٣٨].

القراءات:

١ ـ قرأ البصريان بتنوين (كَاشِفَاتٌ ـ مُمْسِكَاتٌ) ونصب (ضرَّه) و(رحمتَه).

---

(٥٢) انظر جامع البيان م١١ ج٢٤ ص٥، الكشف عن وجوه القراءات السبع ج٢ ص٢٣٩.

(٥٣) الجامع لأحكام القرآن ج٨ ص٢١٩.

(٥٤) إتحاف فضلاء البشر ص٤٨١.

(٥٥) جامع البيان م١١ ج٢٤ ص٥.

٢ ـ وقرأ الباقون بغير تنوينٍ فيهما وخفض (ضُرِّه) و(رَحْمَتِهِ)[٥٦].

المعنى اللغوي للقراءات:

١ ـ الكشف: كالضرب، والكاشفة: الإظهار، ورفع الشيء عما يواريه ويغطيه[٥٧].

كشف الشيء كشفاً: رفع عنه ما يواريه ويغطيه، ويقال: كشف الأمر: أظهره وكشف الله غمَّه أزاله[٥٨]، وفي التنزيل: ﴿رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾﴾[الدخان: ١٢].

٢ ـ الضُّر: الشدة والبلاء وسوء الحال، قال الأصفهاني: «سوء الحال، إما في نفسه لقلة العلم والفضل والعفة، وإما في بدنه لعدم جارحة ونقص، وإما في حالةٍ ظاهرةٍ من قلة مالٍ أو جاهٍ»[٥٩]، يقول صاحب المعجم الوسيط: «ضرَّه، وبه ضُرّاً، وضَرَراً، ألحق به مكروهاً وأذىً»[٦٠].

٣ ـ «مسك: إمساك الشيء: التعلق به وحفظه، واستمسكت بالشيء: إذا تحريت الإمساك، ويقال أمسكت عنه كذا، أي: منعته»[٦١].

٤ ـ «الرحمة: النعمة والرخاء، وقال الأصفهاني: «الرحمة: رقةٌ تقتضي الإحسان إلى المرحوم، وقد تستعمل تارةً في الرقة المجردة، وتارةً في الإحسان المجرد عن الرقة، نحو رحم الله فلاناً، وإذا وصف به الباري فليس يراد به إلا الإحسان المجرد دون الرقة، وعلى هذا رُوي أن الرحمة من الله إنعامٌ وإفضالٌ، ومن الآدميين رقةٌ وتعطفٌ»[٦٢].

---

(٥٦) انظر النشر في القراءات العشر ج٢ ص٣٦٣.
(٥٧) انظر القاموس المحيط ص٣٨٦.
(٥٨) انظر المعجم الوسيط ص٥٧٩.
(٥٩) مفردات ألفاظ القرآن ص ٥٠٣.
(٦٠) المعجم الوسيط ص٥٣٨.
(٦١) مفردات ألفاظ القرآن ص٧٦٨.
(٦٢) المصدر السابق ص ٣٤٧.

التفسير:

في سياق الرد على المشركين الذين يتوعدون محمداً ﷺ بنقمة أصنامهم عليه ومضرتها له، وفي سياق إقامة الدليل على بطلان الشرك وعبادة الأصنام وعجزها عن جلب النفع ودفع الضر وكشف السوء يقول المولى جل شأنه لنبيه محمدٍ ﷺ: «ولئن سألت يا محمد هؤلاء المشركين العادلين بالله الأوثان والأصنام من خلق السموات والأرض ليقولن الذي خلقهنَّ الله»[٦٣]، قال القرطبي: «بيَّن أنهم مع عبادتهم الأوثان مُقِرُّون بأن الخالق هو الله، وإذا كان الله هو الخالق فكيف يخوفونك بآلهتهم التي هي مخلوقةٌ لله تعالى، وأنت رسول الله الذي خلقها وخلق السموات والأرض؟»[٦٤]، ثم أمر الله سبحانه رسوله أن يبكتهم بعد هذا الاعتراف ويوبخهم فقال: «أخبروني عن آلهتكم هذه هل تقدر على كشف ما أراده الله بي من الضر، هل تمنع هذه الأصنام ضرّاً أراده الله أو تمسك عني رحمةً أرادها الله بحيث لا تصل إليَّ، قل يا محمد (حسبي الله) أي عليه توكلت أي اعتمدت (وعليه يتوكل المتوكلون) أي: عليه لا على غيره يعتمد المعتمدون»[٦٥].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

بعض العلماء لا يجد اختلاف معنىً بين القراءتين سوى اختلافٍ في اللفظ تعلق بمعموله، فيقول ابن عاشور: «قرأ الجمهور (كاشفاتُ ضُرِّهِ) (ممسكاتُ رَحمَتِهِ) بإضافة الوصفين إلى الاسمين وقرأ أبو عمرو ويعقوب بتنوين الوصفين ونصب (ضرَّه) و(رحمَتَهُ) وهو اختلافٌ في لفظٍ تعلق بمعموله والمعنى واحدٌ»[٦٦]، وبعضهم اعتبر تقارباً بينهما في المعنى، قال

(٦٣) جامع البيان م١١ ج٢٤ ص٦.

(٦٤) الجامع لأحكام القرآن ج٨ ص٢٢٠.

(٦٥) فتح القدير ج٤ ص٦٥٣.

(٦٦) التحرير والتنوير م١١ ج٢٤ ص٢٩٦.

الطبري: «والصواب من القول في ذلك عندنا أنهما قراءتان مشهورتان متقاربتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيبٌ»[٦٧]، إلاَّ أنَّ قراءة (هل هُنَّ كاشفاتٌ ضُرَه) و(ممسكاتٌ رحمتَهُ) بالتنوين والنصب أنها تفيد الحال والاستقبال بمعنى هل تستطيع آلهتكم أن تمنع عني ما ينزل بي من الضر أو تستطيع أن تحبس عني رحمةً أرادها الله، وعلى هذا يكون الضر والرحمة ما لم يقعا بعد، وأما القراءة الثانية (هل هنَّ كاشفتُ ضرِّه) و(ممسكاتُ رحمَتِهِ) بالضم دون التنوين مع الكسر لـ (ضرِّه) و(رحمتِه) بالإضافة، فإنها تفيد ما ثبت وقوعه ومضى، بمعنى إذا وقع بي ضرٌّ هل تستطيع آلهتكم أن تكشف ما وقع بي من الضِّر أو الرحمة التي أصابتني من الله تعالى، قال الإمام ابن خالويه: «الحجة لمن نون: أنه أراد الحال والاستقبال، ولمن أضاف انه أراد: ما ثبت ومضى»[٦٨].

قال الفراء: «وللإضافة معنىً مضى من الفعل فإذا رأيت الفعل قد مضى في المعنى فآثر الإضافة فيه»[٦٩].

وقال ابن زنجلة: «حجة أبي عمرو ـ أي في قراءة التنوين والنصب ـ: أنَّ الفعل منتظرٌ وأنَّه لم يقع، وما لم يقع من أسماء الفاعلين إذا كان في الحال فالوجه فيه النصب، المعنى: هل هن يكشفن ضرَّه أو يمسكن رحمته، وحجة الإضافة: أن الإضافة قد استعملتها العرب في الماضي والمنتظر، وأنَّ التنوين لم يستعمل إلا في المنتظر خاصةً»[٧٠].

وبالجمع بين القراءتين يظهر زيادة معنى في عجز الآلهة عن كشف الضر حيث إنَّها لا تستطيع كشف ضرٌّ وقع في الماضي أو هو واقعٌ في الحال أو سوف يقع في المستقبل وفي ذلك زيادة بيانٍ في ضعف الآلهة وعجزها، وكلتا القراءتين تحملان المعنى نفسه في عجز الآلهة وضعفها إلَّا

(٦٧) جامع البيان م١١ ج٢٤ ص٦.

(٦٨) الحجة في القراءات السبع ص٣١٠.

(٦٩) معاني القرآن للفراء ج٢ ص٤٢٠.

(٧٠) حجة القراءات ص٦٢٣، انظر الحجة في القراءات السبع ص٣٤٢.

أنَّ من يعجز عن تحقيق شيءٍ في الماضي وفي الحال وفي المستقبل يكون أشدُّ ضعفاً وعجزاً من غيره، والله أعلم، وفي ذلك زيادة تبكيتٍ وتوبيخٍ للكفار لعبادتهم ما هو عاجزٌ بالكلية عن تحقيق أي أمرٍ لهم.

٧. **قال تعالى: قل** ﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [الزمر: ٣٩ - ٤٠].

القراءات:

١ ـ قرأ شعبة (مَكانَاتِكُم) بألفٍ بعد النون على الجمع.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿مَكَانَتِكُمْ﴾ بغير ألفٍ بعد النون على الإفراد[٧١].

المعنى اللغوي للقراءات:

المكان عند أهل اللغة: الموضع الحاوي للشيء، ويقال مكنته ومكنت له فتمكن، وأمكنت فلاناً من فلانٍ، ويقال: مكان ومكانة وفي التنزيل: ﴿ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾﴾ [التكوير: ٢٠]، أي: متمكن ذي قدرٍ ومنزلةٍ[٧٢].

وجاء في لسان العرب: المكانة: التؤدة وقد تمكن ومرَّ على مكينته أي: على تؤدته، ويقال: الناس على مكاناتهم أي: على استقاماتهم، وفي التنزيل: ﴿ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ أي: على حيالكم وناحيتكم وقيل: أي على ما أنتم مستمكنون[٧٣].

وقال الزمخشري: «على مَكَانَتِكُم: أي على حالكم التي أنتم عليها

---

(٧١) انظر غيث النفع في القراءات السبع لمحمد شاهين ص٤٤٨ والمستنير في تخريج القراءات المتواترة ج٣ ص٣٠.

(٧٢) انظر مفردات الفاظ القرآن ص٧٧٣.

(٧٣) انظر لسان العرب ج١٣ ص٤١٤.

وجهتكم من العداوة تمكنتم منها»[٧٤].

التفسير:

يأمر الله ﷻ في هذه الآية سيدنا محمداً ﷺ بأن يقول للمشركين من قومه بعد أن أقام عليهم الدليل وألزمهم بالحجة التي لم يستطيعوا إنكارها: ﴿أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ أي: اعملوا على طريقتكم وحالكم التي أنتم عليها من المكر والكيد والخداع، قال الألوسي: «على حالتكم أي: التي أنتم عليها من العداوة التي تمكنتهم فيها لأن المكانة نقلت من المكان المحسوس إلى الحالة التي عليها الشخص واستعيرت لها استعارة محسوسٍ لمعقولٍ... وقال: وجواز أن يكون المعنى اعملوا على حسب تمكنكم واستطاعتكم»[٧٥].

﴿إِنِّي عَامِلٌ﴾: قال الشوكاني: «أي: على حالتي التي أنا عليها وتمكنت منها، وحذف ذلك للعلم به مما قبله، ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣٩ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ أي: يهينه ويذله في الدنيا، فيظهر عند ذلك أنه المبطل وخصمه المحق، والمراد بهذا العذاب عذاب الدنيا وما حل بهم من القتل والأسر والقهر والذلة، ثم ذكر عذاب الآخرة فقال: ﴿وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ أي: دائمٌ مستمرٌ في الدار الآخرة وهو عذاب النار»[٧٦] والأمر في قوله تعالى: ﴿أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ كما قال الألوسي: «للتهديد وإيراده بصيغة الأمر كما قال غير واحدٍ، مبالغةٌ في الوعيد كأن المهدد يريد تعذيبه مجمعاً عازماً عليه فيحمله بالأمر على ما يؤدي إليه وتسجيلٌ بأنَّ المُهَدَدُ لا يتأتى منه إلا الشر كالمأمور به الذي لا يقدر أن يتفصى[٧٧] عنه»[٧٨].

---

(٧٤) الكشاف ج٣ ص٣٩٩.

(٧٥) روح المعاني ج٢٤ ص٦.

(٧٦) فتح القدير ج٤ ص٦٥٢.

(٧٧) افتصَّ الشيء: فصله وانتزعه من غيره، وانفصَّ: انفصل، (انظر المعجم الوسيط ص٧٢٤).

(٧٨) روح المعاني ج٨ ص٣١.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قال ابن خالويه: «قرأ أبو عليٍّ (على مَكَانَاتِكُم) جماعةٌ، وقرأ الباقون ﴿عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ واحدةٌ، مَنْ أفرد فلأنه مصدر، والمصادر تفرد في موضع الجمع لأنه يراد به الكثير كما يراد في سائر أسماء الأجناس، ومن جمع فلأنهم جمعوا»(٧٩).

وقال في موضع آخر: «الحجة لمن قرأه بالجمع أنه جعل لكل واحدٍ منهم مكانةً يعمل عليها فجمع على هذا المعنى، ويحتمل أن يكون أراد بالجمع الواحد كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ والمخاطب بذلك محمدٌ ﷺ فإن قيل: فكيف أمرهم النبي ﷺ أن يثبتوا على عمل الكفر وقد دعاهم إلى الإيمان؟، فقل: إن هذا أمر معناه التهديد والوعيد، كقوله: (اعملوا ما شئتم) توعداً لهم بذلك»(٨٠).

وقال مكي بن أبي طالب: «(مَكَانَتِكُم) قرأه أبو بكر بالجمع، حيث وقع، جعله جمع مكانةٍ، وهي الحالة التي هم عليها، فلما كانوا على أحوال مختلفة من أمر دنياهم جمع، لاختلاف الأنواع وهو مصدر، فالمعنى: اعملوا على أحوالكم التي أنتم عليها، فليس يضرنا ذلك، وفي الكلام معنى التهديد والوعيد»(٨١).

والذي يراه الباحث: إنَّ قراءة (مَكَانَاتِكُم) بالجمع تعطي دلالات عدة في هذا السياق القرآني وهي:

١ ـ إنَّ الجمع يوحي بالطرائق المتعددة والأحوال المختلفة لمكر أولئك القوم وتفرع سبل الغواية والضلال في حين أن قوله تعالى: ﴿إِنِّي عَامِلٌ﴾ توحي بأن طريق الحق واحدٌ لا يتبدل كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ

(٧٩) الحجة في القراءات السبع ص١٢١.
(٨٠) المصدر السابق ص١٧.
(٨١) الكشف عن وجوه القراءات السبع ج١ ص٤٥٢.

وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام: ١٥٣].

٢ - قراءة الجمع تستدعي التحدي الرباني الدَّال على القدرة الإلهية رغم تعدد مكرهم وسبل غوايتهم.

٣ - إنَّ زيادة التحدي لكفار قريشٍ بتجميع جهدهم وقوتهم وتعدد أحوالهم المختلفة تفيد زيادة معنىً ومبالغةً وشدةً في التهديد والوعيد لهؤلاء الكفار.

٨ - **قال تعالى:** ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [الزمر: ٤٢].

القراءات:

١ - قرأ حمزة والكسائي وخلف (قُضِيَ عليها المَوتُ) بضم القاف وكسر الضاد وفتح الياء و(الموتُ) بالرفع.

٢ - قرأ الباقون ﴿قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ﴾ بفتح القاف والضاد و(الموتَ) بالنصب[٨٢].

المعنى اللغوي للقراءات:

القضاء: فصل الأمر قولاً كان ذلك أو فعلاً، ويعبر عن الموت بالقضاء، فيقال: فلانٌ قضى نحبه، كأنَّه فصل أمره المختص به من دنياه[٨٣] وفي التنزيل: ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾ [الأحزاب: ٢٣].

وقال ابن منظور: «القضاء: الحكم وأصله (قضايٌ) لأنه من قضيت، وقضى بمعنى الأداء والإنهاء فتقول قضيت دَيْنِي أي: أتممته، وقضى في

(٨٢) انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع ج٢ ص٢٣٩، النشر في القراءات العشر ج٢ ص٣٦٣.

(٨٣) انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٦٧٥.

اللغة على ضروبٍ، كلها ترجع الى معنى انقطاع الشيء وتمامه، فيقال: قضى القاضي بين الخصوم أي: قطع بينهم في الحكم»(٨٤).

التفسير:

في هذه الآية يسوق المولى ﷻ الدليل على وحدانيته ﷻ وكمال قدرته ووصف ذاته بكل كمالٍ وتنزيهها عن كل نقص، دليلاً لا يستطيع أحدٌ من كان صنماً أو غيره أن يشركه في ذلك، فالله تعالى هو الذي يتصرف في الوجود كيف شاء وبما شاء، وهو الذي يتوفى الأنفس ويقبضها من الأبدان، عند فناء آجالها وانقضاء مدة حياتها وهي الوفاة الكبرى، ويتوفى أيضاً الأنفس التي لم تمت في منامها وهي الوفاة الصغرى، كما يقول بعض العلماء، قال أبو حيان: «ومعنى يتوفى الأنفس، يميتها والتي أي: والأنفس التي لم تمت في منامها، أي يتوفاها حين تنام، تشبيهاً للنوم بالأموات، ومنه ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ﴾ [الأنعام: ٦٠] فبين الميت والنائم قدرٌ مشتركٌ، وهو كونهما لا يميزان ولا يتصرفان، فيمسك من قضى عليها الموت الحقيقي، ولا يردها في وقتها حيةً، ويرسل النائمة لجسدها الى أجل ضربه لموتها»(٨٥)، وقال ابن كثيرٍ: «أخبر تعالى بأنه المتصرف في الوجود كما يشاء وأنه يتوفى الأنفس والوفاة الكبرى، بما يرسل من الحفظة - الملائكة - الذين يقبضونها من الأبدان، والوفاة الصغرى عند المنام»(٨٦).

وفي قوله تعالى: ﴿فَيُمۡسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيۡهَا ٱلۡمَوۡتَ وَيُرۡسِلُ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّىۚ﴾ أي: فيمسك الروح التي قضى على صاحبها الموت فلا يردها إلى البدن، ويرسل الأنفس النائمة إلى بدنها عند اليقظة إلى وقتٍ محدودٍ، هو أجل موتها الحقيقي، قال الطبري: «إنَّ أرواح الأحياء والأموات تلتقي في المنام، فيتعارف ما شاء الله منها، فإذا أراد جميعها الرجوع إلى أجسادها

(٨٤) لسان العرب ج١٥ ص١٨٧.
(٨٥) البحر المحيط ج٧ ص٤١٤.
(٨٦) تفسير القرآن العظيم ج٤ ص٥٦.

أمسك الله أرواح الأموات عنده وحبسها، وأرسل أرواح الأحياء حتى ترجع إلى أجسادها إلى أجلٍ مسمًّى»[٨٧].

وقال القرطبي: «وفي الآية تنبيهٌ على عظيم قدرته تعالى، وانفراده بالألوهية، وأنه يفعل ما يشاء، ويحيى ويميت، لا يقدر على ذلك سواه»[٨٨].

ولذلك قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾، أي: إنَّ في هذه الأفعال العجيبة التي ذكرها في توفي الأنفس المائتة والنائمة وإرسالها إلى أجلٍ مسمًّى، لعلاماتٍ واضحةً قاطعةً على كمال قدرة الله وعلمه لقومٍ يجيلون أفكارهم ويعتبرون[٨٩].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

في القراءة الأولى (فيمسك التي قُضي عليها بالموت)، بضم القاف وكسر الضاد، ورفع الموت، يكون الفعل مبنياً للمفعول، والموت نائب فاعلٍ، وعلى هذا لم يذكر الفاعل هنا وذلك بسبب العلم به حيث من المعلوم أن الذي يقبض الأرواح ويتوفى الأنفس هو الله ﷻ، وكما يقول أهل اللغة: إن المبني للمجهول يكون له أغراضٌ منها: الجهل به، ومنها التعظيم، ومنها التحقير، ومنها العلم به، ومنها إيثار غرض السامع، لأنَّه ربما لم يشته ذكر الفاعل إما حبّاً له، وإمَّا بغضه[٩٠]. ولذلك فإنَّ قراءة البناء للمفعول تكون في سياق العلم بالفاعل ولربما التعظيم لأنها تأتي في سياق الحديث عن قدرة الله تعالى وإثبات وحدانيته، وهناك قولٌ آخر، لتدل على التيسير والسهولة في قضاء الموت، قال البقاعي: «(التي قضى)، أي ختم وحكم وبتَّ بتّاً مقدراً مفروغاً منه، وقراءة البناء للمفعول موضحةٌ لهذا

---

(٨٧) جامع البيان م١١ ج٢٤ ص٧.

(٨٨) الجامع لأحكام القرآن ج٨ ص٢٢٣.

(٨٩) انظر البحر المحيط ج٧ ص٤١٤.

(٩٠) انظر توجيه اللمع لابن خباز ص١٢٧.

المعنى بزيادة اليسر والسهولة»[٩١].

وقال ابن عاشور: «(قُضِيَ عليها الموتُ)، ببناء الفعل للنائب وبرفع الموت وهو على مراعاة نزع الخافض والتقدير: قضي عليها بالموت: فلما حذف الخافض صار الاسم الذي كان مجروراً بمنزلة المفعول به، فحل نائباً عن الفاعل، أو على تضمين (قضيَ)، معنى كتب وقدر»[٩٢].

وأمَّا قراءة ﴿فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ﴾، بفتح القاف والضاد، ونصب الموت، بأن الفعل مبنيٌ للفاعل والمعنى في ذلك أن قضى الله عليها الموت، ويدل على ذلك قوله سبحانه: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ﴾، وأما القرطبي فيعتبر أنَّ المعنى في القراءتين واحدٌ غير أن الأولى أبْيَن وأشبه بنسق الكلام[٩٣]. والباحث يرى: أنَّ إسناد الفعل إلى الله تعالى أشد تمكناً في الحدث من بنائه للمجهول، فما أسند إليه صراحةً أثبت وأقوى مما لم يسند إليه صراحة ويزيد معنى الفعل تأكيداً مما يتناسب مع إقامة الدليل على وحدانيته تعالى وتفرده بالألوهية.

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين يكون الدليل فيهما أقوى على وحدانية الله تعالى وعظيم قدرته، حيث إنَّ الله تعالى بيده كل شيءٍ ويفعل ما يشاء، ويحي ويميت ولا يقدر على ذلك سواه ومما يزيد ذلك عظمةً، أنَّ أَمْرَ قضاء الموت يكون بسهولةٍ ويسرٍ، وأصبح معلوماً لدى جميع الخلق أنَّ هذه القدرة لا تنبغي إلا لله الواحد القهار المتفرد بالألوهية.

٩ ـ قال تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الزمر: ٤٤].

---

(٩١) نظم الدرر ج٦ ص٤٥٤.

(٩٢) التحرير والتنوير ج٢٤ ص٦٢.

(٩٣) انظر الجامع لأحكام القرآن ج٨ ص٢٢٣.

القراءات:

١ - قرأ يعقوب (تَرْجِعُون) بفتح التاء وكسر الجيم على البناء للفاعل.
٢ - قرأ الباقون ﴿تُرْجَعُونَ﴾ بضم التاء وفتح الجيم على البناء للمفعول[٩٤].

المعنى اللغوي للقراءات:

الرجوع: العود إلى ما كان منه البدء، فالرجوع: العود، والرَّجْعُ: الإعادة، والرجعة في الطلاق وفي العود إلى الدنيا بعد الممات[٩٥]، وقوله ﷻ: ﴿قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا﴾ [المؤمنون: ٩٩ - ١٠٠]، يعني العبد إذا بعث يوم القيامة أبصر وعرف ما كان ينكر في الدنيا بقوله لربه: (ارْجِعُون) أي: ردُّوني إلى الدنيا[٩٦].

التفسير:

بعد تبكيت الله تعالى وتجهيله الكفار الذين عبدوا الأصنام من دون الله - في آيةٍ سابقةٍ - يأمر الله تعالى سيدنا محمداً ﷺ أنْ يقول لهؤلاء المشركين: إنْ كنتم تعبدون هذه الآلهة التي لا تملك لكم ضرّاً ولا نفعاً لتكون لكم شفعاء يوم القيامة، فإنَّ الشفاعة لله وحده، ولا يملك أحدٌ شفاعةً إلاَّ بإذنه، لأنَّ ملك السموات والأرض له وحده ولا يشركه فيه أحدٌ، ثمَّ إليه وحده الأمر والمصير يوم القيامة، وإليه تُرْجعون فيحاسبكم على أعمالكم[٩٧].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (تُرْجَعُون) على البناء للمفعول أنَّ الرجوع يوم القيامة

---

(٩٤) انظر إتحاف فضلاء البشر ص٤٨٢، الشامل في القراءات المتواترة ص٢٤٨.
(٩٥) انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٣٤٢.
(٩٦) لسان العرب ج٨ ص١١٤.
(٩٧) انظر فتح القدير ج٤ ص٦٥٥، التفسير الواضح م٣ ج٢٤ ص٩.

يكون على غير إرادتهم إلى الله تعالى قسراً وبأيسر أمرٍ من أمره، وهم كارهون بقوةٍ خارجةٍ عن الإرادة تدفعهم بالرجوع إلى الله تعالى. وأمَّا قراءة (تَرْجِعون) على البناء للفاعل، فقد أفادت وقوع الرجوع منهم وبذاتهم إلى الله تعالى يوم القيامة ليحاسبهم سواء كرهوا أم رضوا ذلك. قال ابن عاشور: «و(تُرجَعون) بضم التاء وفتح الجيم في قراءة الجمهور، وقرأَهُ يعقوب بفتح التاء وكسر الجيم والقراءة الأولى على اعتبار أن الله أرجعهم وإن كانوا كارهين لأنهم أنكروا البعث، والقراءة الثانية باعتبار وقوع الرجوع منهم بقطع النظر عن الاختيار أو الجبر»[98].

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين يكون المعنى: أن الجميع راجعٌ إلى الله تعالى يوم القيامة للحساب سواءً أحبَّ لقاء الله تعالى واختار الرجوع إليه أم كره لقاءه وأُجبِر على الرجوع فيجازي اللَّهُ كلاًّ بعمله.

١٠ ـ قال تعالى: ﴿قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر: ٥٣].

القراءات:

١ ـ قرأ أبو عمرو والكسائي ويعقوب وخلف العاشر (لا تَقنِطُوا) بكسر النون.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿لَا تَقْنَطُوا۟﴾ بفتح النون[99].

المعنى اللغوي للقراءات:

القُنُوط: اليأس من الخير، يقال قَنَطَ يَقْنَطُ قنوطاً وقَنِط يَقنَط[100].

---

(٩٨) التحرير والتنوير م١ ج١ ص٣٧٧ عند تفسيره للآية (٢٨) من سورة البقرة.

(٩٩) انظر إتحاف فضلاء البشر ص ٤٨٢، والمستنير في تخريج القراءات المتواترة ج٣ ص ٣١.

(١٠٠) مفردات ألفاظ القرآن ص٦٨٥.

قال ابن منظور: القُنوط بالضم: المصدر، وقَنِطَ يَقنِطُ ويقنُط قُنوطاً مثل جلس يجلس جلوساً، وقَنِطَ قنطاً وهو قانِط: يائس، وأما قَنَط يقنَط بالفتح فيهما، وقَنِطَ يَقنِط، بالكسر فيهما، فإنما هو على الجمع بين اللغتين(١٠١).

التفسير:

هذه الآية الكريمة تبعث في النفوس الأمل والرجاء والثقة بالله تعالى بأن يغفر الله لهم ذنوبهم ويرحمهم فهو عظيم المغفرة واسع الرحمة بعباده، يعلم ضعفهم وعجزهم، فيغفر ذنوب من يتوب إليه توبة خالصةً صادقةً ويتبع شرعه ويمتثل أوامره، يقول سيد قطب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إنَّها الرحمة الواسعة التي تسع كل معصيةٍ كائنةً ما كانت، وإنَّها الدعوة للأوبة، دعوة العصاة المسرفين الشاردين المبعدين في تيه الضلال، دعوتهم إلى الأمل والرجاء والثقة بعفو الله، إنَّ الله رحيمٌ بعباده، وهو يعلم ضعفهم وعجزهم، ويعلم العوامل المسلطة عليهم من داخل كيانهم ومن خارجه، ويعلم أن الشيطان يقعد لهم كل مرصدٍ، ويأخذ عليهم كل طريقٍ... ثم يقول: يعلم الله سبحانه عن هذا المخلوق كل هذا فيمد له العون، ويوسع له في الرحمة، ولا يأخذه بمعصيته حتى يهيئ له جميع الوسائل ليصلح خطأه ويقيم خطاه على الصراط، وبعد أن يلج في المعصية ويسرف في الذنب، ويحسب أنه قد طرد وانتهى أمره، ولم يعد يقبل ولا يستقبل، في هذه اللحظة، لحظة اليأس والقنوط يسمع نداء الرحمة الندى بلطف: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾»(١٠٢).

في هذه الآية يأمر الله تعالى نبيَّه محمداً ﷺ أنْ يُخبر الذين أفرطوا في الجناية على أنفسهم بالمعاصي والآثام ألا ييئسوا من مغفرة الله ورحمته فإنَّ

(١٠١) انظر لسان العرب ج٧ ص٣٨٦.

(١٠٢) في ظلال القرآن لسيد قطب ج٥ ص٣٠٥٨.

الله تعالى يغفر جميع الذنوب بمغفرته ويعفو عمَّن يشاء بعفوه، وإن كانت ذنوبه مثل زبد البحر ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ أي: إنَّه عظيم المغفرة واسع الرحمة، وظاهر الآية يدل على أنَّها دعوةٌ للمؤمنين إلى عدم اليأس من رحمة الله تعالى والذي يدل على ذلك، إضافة العباد لنفسه الشريفة بقوله: ﴿قُلْ يَـٰعِبَادِىَ﴾ إلاَّ أنَّ السياق القرآني يدل على أن الآية عامَّةٌ في جميع أهل المعاصي مؤمنهم وكافرهم، قال ابن عاشور: «الخطاب بعنوان (يا عبادي) مرادٌ به المشركون ابتداءً بدليل قوله: ﴿وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ وقوله: ﴿وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّـٰخِرِينَ﴾... فهذا الخطاب جرى على غير الغالب في مثله في عادة القرآن عند ذكر (عبادي) بالإضافة إلى ضمير المتكلم إلى الله تعالى»[١٠٣].

وقال ابن كثيرٍ: «الآية الكريمة هي دعوةٌ لجميع العصاة من الكفرة وغيرهم إلى التوبة والإنابة وإخبارٌ بأنَّ الله تبارك وتعالى يغفر الذنوب جميعاً لمن تاب منها ورجع عنها وإن كانت مهما كانت وإن كثرت وكانت مثل زبد البحر، ولا يصح حمل هذه على غير توبةٍ، لأنَّ الشرك لا يُغفر لمن لم يتب منه»[١٠٤].

وأمَّا أبو حيان، فإنه يعتبر هذه الآية عامةً في كل كافرٍ يتوب، ومؤمنٍ عاصٍ يتوب، تمحو الذنب توبته، وعلى هذا فالغفران مشروطٌ بالتوبة الصادقة، ومقيدةٌ أيضاً بالمؤمن العاصي غير التائب بالمشيئة[١٠٥]، قال العلماء هذه أرجى آيةٍ في كتاب الله تعالى لمن يئس من التوبة.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

العلاقة بين القراءتين (تقنَطُوا بالفتح، وتقنِطُوا بالكسر) علاقةٌ لغويةٌ فقط والمعنى واحدٌ حيث إنَّ القُنُوطَ هو اليأس: قال الدكتور محمد

(١٠٣) التحرير والتنوير م١١ ج٢٤ ص٤٠.

(١٠٤) تفسير القرآن العظيم ج٤ ص٥٩.

(١٠٥) انظر البحر المحيط ج٧ ص ٤١٦.

محيسن: (لا تَقْنَطُوا) : قرأ أبو عمرو، والكسائي، ويعقوب وخلف العاشر، بكسر النون مثل ضرب يضرب، وهي لغة أهل الحجاز، وأسد، وقرأ الباقون بفتحها، مثل علم يعلم وهي لغة بعض العرب»[١٠٦].

وقال الشوكاني: في قوله تعالى: ﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾﴾ [الحجر: ٥٦] قرئ بفتح النون من (يقْنَطُ) وبكسرها وهما لغتان»[١٠٧].

١١ ـ قال تعالى: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الزمر: ٥٦].

القراءات:

١ ـ قرأ أبو جعفر (يَا حَسْرَتايَ) بياء مفتوحة بعد الألف وسكنها ابن وردان بخلافٍ عنه.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿يَٰحَسْرَتَىٰ﴾ بغير ياء[١٠٨].

المعنى اللغوي للقراءات:

الحسرة: «الغم على ما فاته والندم عليه، كأنه انحسر عنه الجهل الذي حمله على ما ارتكبه»[١٠٩].

وقال ابن منظور: «الحَسرُ والحَسَرُ والحُسُور: الإعياء والتعب، والحسرة: أشد الندم حتى يبقى النادم كالحسير من الدواب لا منفعة فيه،

(١٠٦) المستنير في تخريج القراءات المتواترة ج٣ ص٣١.

(١٠٧) فتح القدير ج٤ ص ١٨٤.

(١٠٨) انظر النشر في القراءات العشر ج٢ ص ٦٦٣، وتحبير التيسير في قراءات الأئمة العشرة ص١٩٧.

(١٠٩) مفردات ألفاظ القرآن ص٢٣٥.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ﴾ أي: حسرة وندماً»(١١٠).

التفسيـر:

تشير الآية الكريمة إلى الحسرة والندم اللذين يشعر بهما الكافر يوم القيامة بسبب كفره وضلاله ومعصيته وتفريطه في أوامر الله تعالى وتقصيره في طاعته وحقه، ولم يقف الأمر به عند هذا الحد، بل كان من المستهزئين الساخرين بشريعة الله ودينه ورسوله والمؤمنين، والآية فيها تحذيرٌ لمن يتقاعس عن التوبة والإنابة إلى الله تعالى والدخول في دينه بعد أن بيَّن لهم في الآيات السابقة سعة رحمته وعظيم مغفرته، وأمرهم بأن يتوبوا إلى الله تعالى ويسلموا له ويتبعوا أوامره قبل أن يأتيهم العذاب بغتةً، فيتحسرون ويندمون أشدَّ الندم يوم القيامة، قال ابن كثير: «﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ أي: يوم القيامة يتحسر المجرم المفرِّط في التوبة والإنابة ويود لو كان من المحسنين المخلصين المطيعين لله ﷻ، وقوله تبارك وتعالى: ﴿وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ﴾ أي: إنَّما كان عملي في الدنيا عملُ ساخرٍ مستهزئٍ غير موقنٍ ولا مصدقٍ»(١١١).

وقال الطبري: «أخبر الله ما العباد قائلونه قبل أن يقولوه وعلمه قبل أن يعلموه، قال: ولا يُنبِّئك مثل خبير: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾»(١١٢).

وقال الشوكاني: «﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ قال البصريون: أي: حذراً أنْ تقول نفسٌ، وقال الزجاج: خوف أن تصيروا إلى حالٍ تقولون فيها: يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله، قيل: «والمراد بالنفس النفس الكافرة، وقيل: المراد به التكثير... والحسرة:

(١١٠) لسان العرب ج٤ ص١٩٠.

(١١١) تفسير القرآن العظيم ج٤ ص٦٢.

(١١٢) جامع البيان ج٢٤ ص١٤.

الندامة، ومعنى ﴿عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾، على ما فرطت في طاعة الله، قاله الحسن، وقال الضحاك: على ما فرطت في ذكر الله، ويعني به القرآن والعمل به»[113].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (يا حَسْرَتايَ) بالياء بعد الألف المبالغة في التحسر والندم يوم القيامة، قال البقاعي: «ودلَّ على تجاوز هذا التحسر الحد قراءة أبي جعفر، (يا حَسْرَتايَ) بالجمع بين العوض وهو الألف والمعوض عنه وهو الياء، وحلَّ المصدر لأنَّ ما حلَّ إليه أصرح في الإسناد وأفخم وأدل على المراد وأعظم»[114]، وكذلك تفيد تعدد الحسرات يوم القيامة لتتابع الحسرات، حسرةً بعد حسرةٍ، وربما تفيد تثنية الحسرة، جاء في البحر المحيط: «قرأ الجمهور يا حسرتا، بإبدال ياء المتكلم ألفاً، وأبو جعفر: يا حسرتاي، بياء الإضافة، وعنه: يا حسرتايْ بالألف والياء جمعاً بين العوض والمعوض، والياء مفتوحةٌ أو ساكنةٌ، وقال أبو الفضل الرازي في تصنيفه (كتاب اللوامح) : ولو ذهب إلى أنه أراد تثنية الحسرة مثل لبيك وسعديك، لأنَّ معناها لبٌ بعد لبٍ وسعدٌ بعد سعدٍ، فكذلك هذه الحسرة بعد حسرةٍ، لكثرة حسراتهم يومئذٍ، أو أراد حسرتين فقط، من فوت الجنة لدخول النار مذهباً ولكان ألف التثنية في تقدير الياء على لغة بلحرث بن كعب»[115].

وقال ابن عاشور: وقرأ أبو جعفر وحْده (يا حَسْرَتايَ) بالجمع بين ياء المتكلم والألف التي جُعلت عوضاً عن الياء في قولهم: (يا حَسْرَتِي)[116]. والأشهر عن أبي جعفر أن الياء التي بعد الألف مفتوحةٌ، وتعدية الحسرة بحرف الاستعلاء كما هو غالبها للدلالة على تمكن التحسر من مدخول

(١١٣) انظر فتح القدير ج٤ ص٦٦١.
(١١٤) نظم الدرر ج٦ ص٤٦٣.
(١١٥) البحر المحيط ج٧ ص ٤١٧.
(١١٦) هذه قراءة الحسن وهي شاذةٌ، واستُشهِدَ بها هنا للدلالة على أنَّ القراءات الأخرى التي قرئ بها على غير ما يلفظه العرب بقولهم (يا حسرتي).

(على) و(ما) في (ما فَرَّطْتُ) مصدرية، أي على تفريطي في جنب الله»[117].

وأمَّا قراءة (يا حَسْرَتَا) بالألف بدل (يا حَسْرَتِي) وبدون ياء بعد الألف فإنها تدل على تعظيم الاستغاثة وشدتها حيث إنها أمكن في الاستغاثة بمد الصوت مع الألف، من الياء بدون ألفٍ مع أنَّ كليهما فيهما النداء والإستغاثة والعرب كانت تحول الياء التي في كتابة اسم المتكلم في الإستغاثة ألفاً فتقول يا ويلتا ويا ندما، فيخرجون ذلك على لفظ الدعاء[118].

الجمع بين القراءات:

قراءة (يا حَسْرَتِي) بدون ألف مدية تدل على التحسر والندم والاستغاثة، وقراءة (يا حَسْرَتَا) بدون ياء الإضافة أضافت معنى: المبالغة والشدَّة في الاصطراخ والاستغاثة والمناداة والندم، وأما القراءة الثانية: (يا حَسْرَتَاي) فقد أضافت معنىً آخرَ بالإضافة إلى المبالغة في الاصطراخ والاستغاثة والمناداة والندم وهو: تكرار الحسرات وكثرتها وتتابعها، حسرةً بعد حسرةٍ يوم القيامة على هذا الكافر واستحالة استدراكه ما فاته، وذلك عند انكشاف أحوال يوم القيامة وحلول أوجالها وأهوالها، فيتحسر على فوت الجنة ويتحسر على دخوله النار، ويتحسر على ما فاته في الدنيا دون الرجوع إلى الله تعالى... وفي ذلك أيضاً دلالةٌ على شدة التحذير والنذير والوعيد للكفار الذين لم يسلموا بعد قوله تعالى: ﴿وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾.

١٢ ـ قال تعالى: ﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الزمر: ٦١].

القراءات:

١ ـ قرأ روح (وَيُنْجِي) بتخفيف الجيم مع سكون النون.

(١١٧) التحرير والتنوير م١١ ج٢٤ ص٤٥ ـ ٤٦.

(١١٨) انظر جامع البيان١١ ج٢٤ ص١٣، والجامع لأحكام القرآن ج٨ ص٢٣٠.

٢ ـ وقرأ الباقون (وَيُنَجِّي) بتشديد الجيم مع فتح النون[١١٩].

٣ ـ قرأ حمزة، والكسائِي، وخلف، وأبو بكر (بِمَفَازَاتِهِم) بألف على الجمع.

٤ ـ وقرأ الباقون (بِمَفَازَتِهِم) بغير ألف على الإفراد[١٢٠].

المعنى اللغوي للقراءات:

١ ـ وينَجِّي: أصل النَّجاء الانفصال من الشيء، ومنه نجا فلان من فلان وأنجيته ونجَّيتُه، والنَجوة والنَجاة: المكان المرتفع المنفصل بارتفاعه عما حوله، وقيل: سُمِّي لكونه ناجياً من السيل[١٢١].

وجاء في لسان العرب: النجاء: الخَلاصُ منَ الشيءِ، نَجَا يَنْجُو نَجْواً ونَجَاءً، ونجَّى واستنجى كنَجَا، ومعنى نَجَوتُ الشيء في اللغة: خلَّصتُه وألقيتُه[١٢٢].

٢ ـ بمفازتهم: «الفوز: الظفر بالخير مع حصول السلامة، والمفازة، قيل: سمِّيت تفاؤلاً للفوز، وسمِّيت بذلك إذا وصل إلى الفوز»[١٢٣].

وجاء في لسان العرب: «الفوز: النَّجاء والظفر بالأمنية والخير، وفاز به فوزاً ومفازاً ومفازةً، يقال: فاز بالخير وفاز من العذاب، وأفازه الله بكذا ففاز به أي: ذهب به»[١٢٤].

التفسيـر:

تأتي هذه الآية استكمالاً لبيان حال المؤمنين المتقين الذين اتقوا الشرك

(١١٩) انظر إتحاف فضلاء البشر ص٤٨٢، والمستنير في القراءات العشر ص٣٨٩.
(١٢٠) انظر النشر في القراءات العشر ج٢ ص ٣٦٣.
(١٢١) انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٧٩٢.
(١٢٢) انظر لسان العرب ج١٥ ص٣٠٥.
(١٢٣) مفردات ألفاظ القرآن ص٦٤٧.
(١٢٤) لسان العرب ج٥ ص٣٩٢.

والمعاصي مرضاةً لله تعالى وعبادةً خالصةً له مقابل حال الفريق الآخر من الناس وهم المكذبون المتكبرون الذين تسود وجوههم نتيجةً للخزي الذي يصيبهم يوم القيامة، وأما هؤلاء المتقون فينجيهم الله تعالى بسبب سعادتهم وفوزهم بما كانوا يتمنون لا يمسهم خوفٌ ولا هلعٌ ولا جزعٌ ولا هم يحزنون في الآخرة، قال الزحيلي: «هذا حال الفريق الآخر في مواجهة المشركين المكذبين، وهو أنَّ الله ينجي الذين اتقوا الشرك ومعاصي الله من عذاب جهنم، ينجيهم بفوزهم، أي بنجاتهم من النار، وفوزهم بالجنة، وينفي السوء والحزن عنهم يوم القيامة، بل هم آمنون من كل فزع»(١٢٥)، وعن النبي ﷺ تفسير هذه الآية من حديث أبي هريرة قال: «(يَحشرُ الله مع كلِّ امرئٍ عمله، فيكون عمل المؤمن معه في أحسن صورةٍ، وأطيب ريح، فكلَّما كان رعبٌ أو خوفٌ قال: لا ترع فما أنت بالمراد به، ولا أنت بالمعني به، فإذا كثر ذلك عليه قال: فما أحسنك فمن أنت، فيقول: أما تعرفني أنا عملك الصالح حملتني على ثقلي، فوالله لأحملنَّك، ولأدفعنَّ عنك فهي التي قال الله: ﴿وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾»(١٢٦).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قراءة (يُنْجِي) بتخفيف الجيم مع سكون النون تفيد مطلق النجاة لبعض من اتقى وهي تدل على قصر مدة الفعل وسرعته بدون مبالغةٍ في الفعل، وهذه النجاة عامةٌ لجميع المتقين.

وأمَّا قراءة (ينَجِّي) بتشديد الجيم مع فتح النون فإنَّها تفيد التعظيم والمبالغة في الإنجاء مع التكرار، قال فضل السامرائي: «إنَّ (فعَّل) يفيد التكثير والمبالغة غالباً نحو قطَّع وفتَّح وكسَّر وحرَّق، . . . ومن مقتضيات

(١٢٥) التفسير المنير ج٢٤ ص٤٤.

(١٢٦) ذكره القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن ج٨ ص٢٣٣، وبحثت عنه في كتب الحديث ولم أجده.

التكثير والمبالغة في الحدث استغراق وقتٍ أطول وأنه يفيد تلبثاً أو مكثاً، (فقطَّع) يفيد استغراق وقتٍ أطول من (قَطَع)»[127].

وقال: «إنَّ القرآن يحذف من الكلمة لغرض ولا يفعل ذلك إلا لغرض ومن ذلك على سبيل المثال: «أنَّه يحذف من الفعل للدلالة على أنَّ الحدث أقل مما لم يحذف منه، وأنَّ زمنه أقصر ونحو ذلك»[128]، ويؤيد ما ذُكر سابقاً قراءة (مفازاتهم) بالجمع فإنَّها تدل على تكرار الإنجاء والمبالغة فيه مع تكرار الفوز وتعدده، وقد جاء في تفسير البقاعي: «(ويُنْجِي) أي مطلق انجاءٍ لبعض من اتقى بما أشارت إليه قراءة يعقوب بالتخفيف، وتنجيةٌ عظيمةٌ لبعضهم بما أفادته قراءة الباقين بالتشديد، وأظهر ولم يضمر زيادةً على تعظيم حالهم وتسكين قلوبهم، (الله) أي يفعل بما له من صفات الكمال في نجاتهم فعل المبالغ في ذلك»[129]، والمبالغة في الإنجاء تدل على سوء الحال وعظمه لأهل النار وأن أهل النار في سوءٍ متجددٍ دائماً.

وأمَّا قراء (بمَفازاتِهِم) بالجمع فإنَّها تفيد تعدد أنواع النَّجاء واختلاف أسبابها فقد جاء في تفسير ابن عطية: «وقرأ جمهور القراء: (بمَفازتِهِم) وذلك على اسم الجنس، وهو مصدر من الفوز، وقرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم (بمَفازاتِهِم) على الجمع من حيث النجاة أنواعٌ، والأسباب مختلفةٌ... وفي الكلام حذف مضافٍ تقديره: وينجي الله الذين اتقوا بأسباب أو بدواعي مفازاتهم، قال السدي: (بمَفازاتِهِم) بفضائلهم»[130]، وكذلك تفيد قراءة الجمع تعدد أنواع المفازات، وتعدد أمكنة الفوز بتعدد الطوائف على اعتبار أنَّ المفازة تدل على مكان الفوز، والجمع دائماً يدل على الكثرة والتعدد، لذلك دلَّت قراءة الجمع على كثرة وتعدد أنواع النجاة والفوز وأسبابهما، قال ابن عاشور: «قرأ حمزة والكسائي

(١٢٧) بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ص٥٨.

(١٢٨) المصدر السابق ص٩.

(١٢٩) نظم الدرر ج٦ ص٤٦٦.

(١٣٠) المحرر الوجيز ج٤ ص٥٣٩.

وأبو بكرٍ عن عاصم وخلفٍ (بمَفازاتِهِم) بصيغة الجمع وهي تجري على المعنيين في المفازةَ لأن المصدر قد يجمع باعتبار تعدد المصادر منه، أو باعتبار تعدد أنواعه وكذلك تعدد أمكنة الفوز بتعدد الطوائف، وعلى هذا فإضافة المفازة إلى ضمير (الذين اتقوا) لتعريفها بهم، أي: المفازة التي علمتم أنّها لهم وهي الجنة»(١٣١).

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين يتبيّن أنَّ النجاة عامَّةٌ لجميع المتقين في الآخرة بمجرد أنَّهم تجاوزوا النار وخلصوا منها، ونفي السوء عنهم مما يترتب عليه فوزهم بالجنة ويؤيده قوله تعالى: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

قال الشوكاني: «الزحزحة: التنحية والإبعاد: تكرير الزَّح، أي: فمن بعد عن النار يومئذٍ ونجي، فقد فاز، أي: ظفر بما يريد، ونجا مما يخاف، وهذا هو الفوز الحقيقي الذي لا فوز يقاربه»(١٣٢) ويؤيده حديث رسول الله ﷺ قال: «فمن أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر وليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه»(١٣٣)، وفي حديث آخر يرويه أبو هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «موضع سوطٍ في الجنَّة لخيرٌ من الدنيا وما فيها اقرءوا إن شئتم ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾»(١٣٤).

وكذلك يفيد الجمع بين القراءات: تتابع النجاة لبعض المتقين نجاةً

(١٣١) التحرير والتنوير م١١ ج٢٤ ص٥٢ ـ ٥٣.

(١٣٢) فتح القدير ج١ ص٤٠٩.

(١٣٣) صحيح مسلم: كتاب الإمارة، باب وجوب بيعة الإمام الأول فالأول ج٣ ص١٤٧٢ ح١٨٤٤.

(١٣٤) سنن الترمذي: كتاب تفسير القرآن عن رسول الله، باب ومن سورة آل عمران ج٥ ص٢٣٢ ح٣٠١٣، قال عنه أبو عيسى الترمذي: هذا حديثٌ حسنٌ صحيح.

بعد نجاةٍ وفوزهم فوزاً بعد فوزٍ، فمفازة كل أحدٍ في الأخرى على قدر مفازته بالطاعات في الدنيا(١٣٥)، فبقدر ما أتى الإنسان في الدنيا من الطاعات بقدر ما نجا وبقدر ما فاز في الآخرة وحصل على الدرجات العلى والمنازل المتعددة في الآخرة، وبقدر ما يكون المتقون في سعادةٍ في الآخرة بقدر ما يكون أهل النار في سوءٍ وحزنٍ وغمٍّ ثابتٍ متجددٍ دائماً، وفي الآية ترغيبٌ بحال أهل الجنة وترهيبٌ من حال أهل النار، والله تعالى أعلم.

١٣ ـ قال تعالى: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [الزمر: ٦٤].

القراءات:

١ ـ قرأ المدنيان: (تأمرُونِي) بتخفيف النون وكسرها.

٢ ـ قرأ ابن عامر (تأمرُونَنِي) بنونين خفيفتين، الأولى مفتوحةٌ والثانية مكسورةٌ.

٣ ـ قرأ الباقون ﴿تَأْمُرُوٓنِّيٓ﴾ بنونٍ مشددةٍ(١٣٦).

المعنى اللغوي للقراءات:

الأمر: الشأن، وجمعه أمورٌ، ومصدر أمرته: إذا كلفته أن يفعل شيئاً، وهو لفظٌ عامٌ للأفعال والأقوال كلّها، والأمر: التقدم بالشيء سواء كان ذلك بقولهم: افعل وليفعل، أو كان بلفظ خبرٍ، أو كان بإشارةٍ(١٣٧).

وقال الفيروزأبادي: «الأمر: ضد النهي، كالإمارة والإيمار

(١٣٥) انظر نظم الدرر ج٦ ص٤٦٦.

(١٣٦) انظر المستنير في القراءات العشر ص٣٨٩، النشر ج٢ ص٣٦٣، المستنير في تخريج القراءات المتواترة ج٣ ص٣٣.

(١٣٧) انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٨٨.

بكسرهما... ويقال: عليَّ أمرَةٌ مطاعةٌ بالفتح للمَرَّة منه، أي: له علي أمرةٌ أطيعه فيها»[١٣٨].

التفسيـر:

في هذه الآية الكريمة يأمر الله تعالى نبيَّه محمداً ﷺ أن يرد على كفار قريش مُنكراً عليهم مُوبخاً لهم، لما دعوه إليه من عبادة آلهتهم وترك عبادة ربه ﷻ، بعد أن أقام الله تعالى الأدلة القاطعة على زيف ادعائهم وبطلان عبادتهم للأصنام وعجزها عن حمايتهم أو دفع الضر عنهم، وبعد أن ساق الله تعالى الأدلة والآيات الدالة على عظمته وتفرده بالألوهية والخلق، ووحدانيته التي تقتضي التسليم له بالعبودية والخضوع، ولذلك نعتهم الله تعالى بالجاهلين على اعتبار أن الجهل صار سجيةً لهم لإنكارهم هذه الدلائل الواضحات على وحدانيته، وأمَّا عن سبب نزول هذه الآية فيقول ابن كثير: «﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾﴾ وذكروا في سبب نزولها ما رواه ابن أبي حاتمٍ وغيره عن ابن عباسٍ ﷺ أن المشركين من جهلهم دعوا الرسول ﷺ إلى عبادة آلهتهم ويعبدوا معه إلهه فنزلت ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾﴾[١٣٩]»[١٤٠].

وقال السعدي: «(قل) يا أيها الرسول لهؤلاء الجاهلين، الذين دعوك إلى عبادة غير الله: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾﴾ أي: هذا الأمر صدر من جهلكم وإلا فلو كان لكم علمٌ بأن الله تعالى الكامل من جميع الوجوه، مُسْدِي جميع النعم هو المستحق للعبادة، دون من كان ناقصاً من كل وجهٍ، لا ينفع ولا يضر، لم تأمروني بذلك»[١٤١].

وأمَّا عن وصفهم بالجاهلين فقال ابن عاشور: «ونداؤهم بوصف

(١٣٨) القاموس المحيط ص٣١١.
(١٣٩) انظر لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي ص٤٩٨.
(١٤٠) تفسير القرآن العظيم ج٤ ص ٦٣.
(١٤١) تفسير السعدي ص٦٧١.

الجاهلين تقريعٌ لهم بعد أن وصفوا بالخسران، ليجمع لهم بين نقص الآخرة ونقص الدنيا، والجهل هنا ضد العلم، لأنهم جهلوا دلالة الدلائل المتقدمة فلم تفد منهم شيئاً، فعموا عن دلائل الوحدانية التي هي عبادة أجسامٍ من الصخر الأصم»(١٤٢).

والاستفهام في قوله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ﴾ للإنكار والتوبيخ لتدل على مدى قبح طلبهم وشدة اعتراض النبي ﷺ عليهم ورفضه لطلبهم، قال ابن عاشور: «أمر الرسول ﷺ بأن يوجه إليهم هذا الاستفهام الإنكاري منوعاً على ما قبله إذ كانت أنفسهم قد خسئت بما جَبَهها من الكلام السابق، تأييساً لهم من محاولة صرف الرسول ﷺ عن التوحيد إلى عبادة غير الله»(١٤٣).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيد قراءة (تأمروني) بتخفيف النون وكسرها أنَّ كفار قريشٍ طلبوا من رسول الله ﷺ أن يعبد آلهتهم، مع عدم الملاحّة عليه بهذا الطلب ولا تكراره، حيث عرضوا عليه ذلك من خلال مساومةٍ على أن يعبد آلهتهم سنةً ويعبدوا إلهه سنةً، إذا رفض أن يكف عن سبِّ آلهتهم، ويقرهم على عبادتهم لها، ويؤيد ذلك ما جاء في تفسير الشوكاني لسورة (الكافرون) عن ابن عباس قال: «إنَّ قريشاً دعت رسول الله ﷺ إلى أن يعطوه مالاً فيكون أغنى رجلٍ بمكة، ويزوجوه ما أراد من النساء، فقالوا: هذا لك يا محمد، وكفْ عن شتم آلهتنا، ولا تذكرها بسوءٍ، فإن لم تفعل، فإنَّا نعرض عليك خصلةً واحدةً، ولك فيها صلاحٌ، قال: ما هي؟ قالوا: تعبد آلهتنا سنةً، ونعبد إلهك سنةً، قال: حتى أنظر ما يأتيني من ربي، فجاء الوحي من عند الله ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢﴾ إلى آخر السورة، وأنزل الله: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ۝٦٤﴾ إلى قوله: ﴿بَلِ

(١٤٢) التحرير والتنوير م١١ ج٢٤ ص٥٧.
(١٤٣) المصدر السابق م١١ ج٢٤ ص٥٧.

ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾»(١٤٤)(١٤٥). فقراءة (تَأمُرُونِي) بنون واحدة مع التخفيف لم تشر إلى تكرار الطلب وإنَّما كان الطلب غير مباشرٍ، فيه خداعٌ ومكرٌ حيث إنَّه بإقرارهم على عبادتهم لأصنامهم يعتبر عبادة لها، وإذا قبل مساومتهم وعرضهم بأن يعبد آلهتهم سنةً ويعبدوا إلهه سنةً فيكونوا قد حققوا مُرادَهم من أن يحرفوه عن عبادة ربه ويعبِّدوه آلهتهم، ولن يعبدوا إلهه بعد ذلك، وهذا يدل على مدى مكرهم وخداعهم. وربَّما تفيد قراءة (تَأمُرُونِي) بنون واحدة مع التخفيف أنَّهم لم يطلبوا منه عبادة أصنامهم مباشرةً وإنَّما تعريضاً بذلك حيث قال أطفيش إباضي: «طلبوا رسول الله ﷺ أن يتمسح ببعض آلهتهم فيؤمنوا، فذلك التمسح هو العبادة المذكورة، وذلك لفرط غباوتهم»(١٤٦).

وأمَّا قراءة (تَأمُرُونَنِي) بنونين مع التخفيف فإنَّها تفيد أنَّهم طلبوا من النبيِّ ﷺ أن يعبد آلهتهم سنةً ويعبدوا إلهه سنةً مع تكرار الطلب على التراخي دون ملاحَّةٍ عليه بذلك، وهذا ما تشير إليه قراءة التخفيف بنونين دون مدٍّ في الصوت.

وأمَّا قراءة (تَأْمُرُونِّي) بالتشديد فإنها تفيد التكرار والمبالغة في الملاحَّة على النبي ﷺ في قبول طلبهم بعبادة آلهتهم، وترك عبادة الله تعالى، لأن التشديد يفيد التكثير والمبالغة والتكرار في الفعل على خلاف قراءة التخفيف فإنها تفيد التقليل في الفعل.

كما أنها توحي بشدة إنكار النبي ﷺ على طلبهم ولذلك كان من مدِّ الصوت في (تَأْمُرُونِّي) بست حركات أكثر تأكيداً في معنى الإنكار وأكثر إرهاباً لهم، قال البقاعي: «ولمَّا كان تقيد الإنكار على فعلهم لهم أرجع، وتأخير ما سبق من الكلام لإنكاره أروع، وكان مد الصوت أوكد في معنى

---

(١٤٤) انظر أسباب النزول للسيوطي ص٤٧٣. ذكره الطبراني في المعجم الصغير: ج٢ ص٤٤، وقال عنه ضعيف.

(١٤٥) فتح القدير ج١ ص٥٠٨.

(١٤٦) تفسير أطفيش أباضي: الإسطوانة الإلكترونية ـ المكتبة الشاملة ج٩ ص١٩٤.

الكلام وأفزغ وأهول وأفظع، قال صارفاً الكلام إلى خطابهم، لأنَّه أقعد في إرهابهم وأشد في اكتئابهم (تَأْمُرُونِّي) بالإدغام المقتضي للمد في قراءة أكثر القراء، ولعل الإدغام إشارة إلى أنهم حالوه ﷺ في أمر آلهتهم على سبيل المكر والخداع»[١٤٧].

ويأتي شدة إنكار النبي ﷺ عليهم بعد أن عرضوا عليه ذلك عقب الدلائل الواضحات التي بيّنها الله تعالى الدالة على عظمته وتفرده بالألوهية والوحدانية فيقتضي السياق الشدة في الإنكار والاعتراض على هؤلاء الكفار، لتأييسها من محاولة صرف النبي ﷺ عن عبادة ربه ﷻ، قال الألوسي: «﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾﴾ أي: أبعد الآيات المقتضية لعبادته تعالى وحده غير الله أعبد، فغير مفعولٌ مقدم لأعبد، (وتَأْمُرُونِّي) اعتراضٌ للدلالة على أنَّهم أمروه به عقيب ذلك، وقالوا له ﷺ: استلِم بعض آلهتنا ونؤمن بإلهك، لفرط غباوتهم، ولذا نودوا بعنوان الجهل»[١٤٨].

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءات: يتبيّن لنا الطرائق المختلفة التي يسلكها الكفار في الغواية والإضلال لعباد الله المؤمنين، فتارةً يكون بالطلب المباشر مع الملاحَّةِ في الطلب، وتارةً يكون بالمساومة على هذا الدين مقابل المال أو غيره، وتارةً يكون بالطلب بالتنازل عن أجزاءٍ من هذا الدين لالتقاء أهل الكفر في منتصف الطريق، وتارةً يكون بالتعريض، وبينما هم كذلك يأتي الرد الإلهي الجازم من عند الله ﷻ ليفضح مكر هؤلاء الكفرة المجرمين بالإنكار الشديد عليهم وأنه لا مساومة على الدين والعقيدة ولا أنصاف حلولٍ، بل هو الدين الكامل والعقيدة الواحدة التي لا تقبل المساومة أو التجزئة ولا يملك أحدٌ أن يتنازل عنها ولذلك كان هذا هو المنهج الرباني

(١٤٧) نظم الدرر ج٦ ص٤٦٧.

(١٤٨) روح المعاني ج٢٤ ص٢٣.

المتمثل في رد رسول الله ﷺ على الكفرة المجرمين والإنكار بشدةٍ عليهم، وفيه دعوة إلى كلِّ مسلم داعيةٍ أن يلتزم هذا النهج في مواجهة مكر أهل الكفر ومساوماتهم وأن يُغلظ الرَّد عليهم وأن يفضح زيف ادعاءاتهم في التقارب والوحدة والمصالحة، بل الكفر كله ملةٌ واحدةٌ وما هي إلا سهامٌ متنوعةٌ من سهام الشيطان يريدون أن يوقعوا بها عباد الله تعالى.

١٤ ـ قال تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٧١﴾ [الزمر: ٧١].

١٥ ـ قال تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ۝٧٣﴾ [الزمر: ٧٣].

القراءات:

١ ـ قرأ الكوفيون (فُتِحَت، وَفُتِحَت) بالتخفيف.

٢ ـ قرأ الباقون (فُتِّحَت، وفُتِّحَت) بالتشديد[(١٤٩)].

المعنى اللغـوي للقراءات:

«الفتح: إزالة الإغلاق والإشكال، وذلك ضربان: أحدهما: يُدرك بالبصر كفتح الباب ونحوه، وكفتح القفل والغلق والمتاع،... والثاني: يُدرك بالبصيرة كفتح الهم، وإزالة الغم»[(١٥٠)].

وقال ابن منظور: «الفتح: نقيض الإغلاق، فَتَحهُ فتحاً وافتتَحه فانفتَح

(١٤٩) انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع ج٢ ص ٢٤١، النشر في القراءات العشر ج٢ ص٢٤١.

(١٥٠) مفردات ألفاظ القرآن ص٦٢١.

وتَفتَّح. الجوهري: فُتِّحت الأبواب شدِّد للكثرة فتفتَّحت»(١٥١).

التفسيـر:

استكمالاً لبيان ما يكون عليه حال النَّاس يوم القيامة، يعرض المولى ﷻ في هاتين الآيتين الكريمتين صورتين متقابلتين لحال كلٍّ من الكافرين المجرمين، والمؤمنين المتقين.

الصورة الأولى: تبيِّن حال الكفار وهم يساقون إلى نار جهنَّم جماعاتٍ متفرقةً كلٌّ حسب عملها في الدنيا، فيكونون أذلَّاء صاغرين، فتفتح لهم أبواب جهنَّم عند وصولهم إليها، ويُدَعُّون فيها بعنفٍ وشدَّةٍ، وتوبخهم خزنة جهنم من الملائكة على تقصيرهم في حق الله تعالى، وعلى كفرهم بأنبيائهم الذين جاءوا لهدايتهم وإنذارهم من شرِّ ذلك اليوم، وما يكون أمام هؤلاء المجرمين إلا الاعتراف بالذنب.

والصورة الثانية: تبيّن حال المؤمنين المتقين على النقيض تماماً من حال الكفار، وهم يساقون الى الجنَّة كُرَماء أعزاء، في جماعاتٍ فتفتَّح لهم أبوابها، وترحب بهم الملائكة أشدَّ ترحابٍ، وتقول لهم : سلامٌ عليكم طبتم فادخلوها خالدين، فيحمدون الله تعالى على أن صدقهم وعده، وأدخلهم الجنَّة.

قال السعدي: «﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ أي: سوقاً عنيفاً يُضربون بالسياط الموجعة، من الزبانية الغلاظ الشداد، إلى شرِّ محبسٍ وأفظع موضعٍ، وهي جهنَّم التي قد جمعت كل عذابٍ، وحضرها كلُّ شقاءٍ، وزال عنها كلُّ سرورٍ، كما قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾﴾ [الطور: ١٣] أي: يدفعون إليها دفعاً، وذلك لامتناعهم من دخولها. ويساقون إليها (زُمَراً) أي: فِرَقاً متفرقةً، كلُّ زمرةٍ مع الزمرة التي تناسب عملها، وتشاكل سعيها، يلعن بعضهم بعضاً، ويبرأ بعضهم من بعضٍ

(١٥١) لسان العرب ج٢ ص٥٣٧.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا﴾ أي: وصلوا إلى ساحتها (فُتِحَتْ) لهم أي: لأجلهم (أبوابها) لقدومهم»[152].

قال ابن عاشور: «جملة (فُتِحَتْ) جواب (إذا) لأنَّها ضمنت معنى الشرط، وأغنى عن ذكر (إذا) عن الإتيان بـ (لَمَّا) التوقيتية، والتقدير: فلما جاءوها فتحت أبوابها، أي: وكانت مغلقةً لتفتح في وجوههم حين مجيئهم فجأة تهويلاً ورعباً»[153]. وقال ابن كثير: «أي: بمجرد وصولهم إليها فُتِحَتْ لهم أبوابها سريعاً لتعجل لهم العقوبة ثم يقول لهم خزنتها من الزبانية الذين هم غلاظٌ شدادُ القوى: على وجه التقريع والتوبيخ والتنكيل ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ أي: من جنسكم تتمكنون من مخاطبتهم والأخذ عنهم ﴿يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ﴾ أي: يقيمون عليكم الحجج والبراهين على صحة ما دعوكم إليه ﴿وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ أي: ويحذرونكم من شر هذا اليوم؟ فيقول الكفار (بلى) أي: قد جاءونا وأنذرونا وأقاموا علينا الحجج والبراهين»[154].

وأمَّا عن حال أهل الجنة، قال السعدي: «﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ﴾ بتوحيده والعمل بطاعته، سوق إكرامٍ وإعزازٍ، يحشرون وفدا على النجائب[155]. ﴿إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا﴾ فرحين مستبشرين، كل زمرة مع الزمرة التي تناسب عملها وتشاكله ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا﴾ أي: وصلوا لتلك الرحاب الرحيبة والمنازل الأنيقة وهبت عليهم ريحها ونسيمها، وآن خلودها ونعيمها، و﴿فُتِحَتْ﴾ لهم ﴿أَبْوَٰبُهَا﴾ فتح إكرام، لكرام الخلق ليكرموا فيها .﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا﴾ تهنئةً لهم وترحيباً، ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾ أي: سلامٌ من كلِّ آفةٍ وشر حالٍ عليكم، ﴿طِبْتُمْ﴾ أي: طابت قلوبكم بمعرفة الله ومحبته وخشيته،

---

(١٥٢) تفسير السعدي ص٦٧٢.

(١٥٣) التحرير والتنوير م١١ ج٢٤ ص٦٩.

(١٥٤) تفسير القرآن العظيم ج٤ ص٦٦.

(١٥٥) نجائب الأشياء: لبابها وخالصها وخيارها وأفضلها، انظر القاموس المحيط ص١٢٥، المعجم الوسيط ص٩٤٠.

وألسنتكم بذكره، وجوارحكم بطاعته»[١٥٦].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (فُتِحَت) بالتخفيف على أصل الفعل بدون تكرارٍ في الفتح أي فتحت الأبواب مرةً واحدةً، وأمَّا قراءة (فُتِّحَت) بالتشديد، فقد أفادت: التكثير والتكرار والمبالغة في الفعل، واستغراق وقتٍ أطول وأنَّه يفيد تلبثاً ومكثاً[١٥٧].

قال ابن خالويه: «قوله تعالى: ﴿فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ [الزمر: ٧١] ﴿وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ [الزمر: ٧٣] يقرآن بالتشديد والتخفيف، فالحجة لمن شدد: أنه أراد: تكرير الفعل، لأن كل باب منها فتح، ودليله: إجماعهم على التشديد في قوله: ﴿وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ﴾ [يوسف: ٢٣] والحجة لمن خفف: أنه دل بذلك على فتحها مرةً واحدةً، فكان التخفيف أولى، لأنَّ الفعل لم يتردد ولم يكثر»[١٥٨].

وقال أبو منصور الأزهري: «من شدَّد فهو أبلغ، وأكثر في باب الفتح من التخفيف»[١٥٩].

وقال ابن زنجله: «قال اليزيدي: كل ما فتح مرةً بعد مرةٍ فهو (التفتيح)، ووجه التخفيف أن التخفيف يصلح للقليل والكثير، وقالوا: لأنها تفتح مرةً واحدةً»[١٦٠].

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءات يتبيَّن أنَّ أبواب النار تفتح في وقتٍ واحدٍ بمجرد وصولهم إليها بدون انتظارٍ ولا إهمالٍ مع الشدة والمبالغة في طريقة

(١٥٦) تفسير السعدي ص٦٧٣.

(١٥٧) ورد نظيره في كتاب: بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ص٥٨.

(١٥٨) الحجة في القراءات السبع ص٣١١.

(١٥٩) معاني القراءات ج٢ ص٣٤١.

(١٦٠) حجة القراءات ص ٦٢٦.

فتح أبواب النار حيث إن لها سبعة أبوابٍ كلها تفتح في وقتٍ واحدٍ، والمبالغة في فتح الأبواب دليل الشدة والإحكام في إغلاقها قبل مجيئهم ليكون أشد لعذابها وأعظم لحرها، كما وأن تفتيح الأبواب بهذه الصورة المبالغ فيها، تستدعي وقوف أهل النار على أبوابها مما يزيدهم ذلاً وصغاراً وهم ينتظرون دخولها وحرَّها.

وأما المبالغة في فتح أبواب الجنة الثمانية فتدل على المبالغة في الترحاب بأهل الجنة وإكرامهم والواو في جملة (وفُتِحَتْ أَبْوابُها) على قول أكثر المفسرين: إنَّها واو الحال، أي: حين جاءوها وقد فتحت أبوابها فوجدوا الأبواب مفتوحةً على ما هو الشأن في اقتبال أهل الكرامة(١٦١).

وقد جاء في زاد المسير: «أنَّها واو الحال، فالمعنى: جاؤوها وقد فُتحت أبوابها، فدخلت الواو لبيان أنَّ الأبواب كانت مفتَّحةً قبل مجيئهم، وحذفت من قصة أهل النار لبيان أنَّها كانت مغلَّقةً قبل مجيئهم، ووجه الحكمة في ذلك ثلاثة أوجه:

أحدها: أن أهل الجنَّة جاؤوها وقد فتحت أبوابها ليستعجلوا السرور والفرح إذا رأوا الأبواب مفتَّحةً، وأهل النَّار يأتونها وأبوابها مغلقةً ليكون أشدَّ لحرِّها.

الثاني: أنَّ الوقوف على الباب، المغلق نوعُ ذلٍّ، فاصِلين أهل الجنَّة عنه، وجعل في حق أهل النار.

والثالث: أنه لو وجدَ أهل الجنة بابها مغلقاً لأثَّر انتظار فتحه في كمال الكرم، ومن كمال الكرم غلقُ باب النار إلى حين مجيء أهلها، لأنَّ الكريم يعجِّلُ المثوبة، ويؤخر العقوبة»(١٦٢).

---

(١٦١) انظر التحرير والتنوير م١١ ج٢٤ ص٧١.

(١٦٢) زاد المسير ص١٢٣٧.

المبحث الثاني
عرض وتفسير لآيات سورة غافر
المتضمنة للقراءات القرآنية العشر

١ ـ قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۝٦﴾ [غافر: ٦].

القراءات:

١ ـ قرأ نافع والشامي (كَلِمَاتُ) بألف بعد الميم على الجمع.
٢ ـ وقرأ الباقون ﴿كَلِمَتُ﴾ بغير ألف على الإفراد[١٦٣].

المعنى اللغوي للقراءات:

الكلام: «اسم جنسٍ يقع على القليل والكثير، والكلم لا يكون أقل من ثلاث كلماتٍ، لأنه جمع كلمةٍ»[١٦٤]، وقال الأصفهاني: «الكلام يقع على الألفاظ المنظومة، وعلى المعاني التي تحتها مجموعة، وعند النَّحويين يقع على الجزء منه، اسماً كان، أو فعلاً، أو أداة»[١٦٥].

وجاء في لسان العرب: «والكلمة تقع على الحرف الواحد من حروف

(١٦٣) غيث النفع في القراءات السبع ص٤٥١، وانظر حجة القراءات ص ٦٢٤.
(١٦٤) الصحاح للجوهري ج٥ ص٢٠٢٣.
(١٦٥) مفردات ألفاظ القرآن ص٧٢٢.

الهجاء، وتقع على لفظةٍ مؤلفةٍ من جماعة حروفٍ ذات معنىً، وتقع على قصيدةٍ بكاملها وخطبةٍ بأسرها»[١٦٦].

التفسير:

يخبر المولى ﷻ سيدنا محمداً ﷺ، بأنَّ حكمه بالهلاك والعذاب على الكفرة الذين كذبوه، قد وجب وثبت كما تحقق حكمه ﷻ بالهلاك والعذاب على الذين كفروا وكذبوا بأنبيائهم من الأمم السابقة، لأن العلة واحدة، وهي أنهم أصحاب النار.

قال الزحيلي: «﴿وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۝٦﴾ أي: ومثل ذلك عذاب كل كافر، والمعنى: وكما وجب العذاب على الأمم المكذبة لرسلهم، وجب على الذين كفروا بك يا محمد، وجادلوك بالباطل، وتحزبوا عليك، فالسبب واحد، والعلَّة واحدة، وذلك العذاب هو استحقاقهم النار، والمراد بكلمة العذاب، هي أنهم مستحقون النار»[١٦٧].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قال بعض العلماء: إن قراءة ﴿كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ بالتوحيد تدل على الجمع، فالكلمة والكلام يترادفان في مثل هذا، حيث إن المراد منها: قول الله تعالى، أي: نفذ قوله وحكمه، وقال جمهور المفسرين: المراد بالكلمات أو الكلمة القرآن، واستبعد ابن عطية[١٦٨] أن يكون المراد من (كلماتُ ربك) بالجمع أو الإفراد القرآن، واستظهر أنَّ المراد منها قول الله، أي: نفذ قوله وحكمه، وقريب من ذلك قال ابن عباس: كلمات الله وعده،

---

(١٦٦) لسان العرب ج١٢ ص٥٢٣.

(١٦٧) التفسير المنير ج٢٤ ص٧٦.

(١٦٨) هذا من كلام ابن عاشور، انظر التحرير والتنوير م٥ ج٨ ص١٩.

وقيل: كلمات الله: أمره ونهيه، ووعده، ووعيده[١٦٩]، وقال الشوكاني: «المراد بالكلمات العبادات أو متعلقاتها من الوعد والوعيد، والمعنى: أن الله قد أتم وعده ووعيده»[١٧٠]، وقال ابن عاشور: «وقرأ الجمهور ﴿كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ بالإفراد، وقرأ نافعٌ وابن عامرٍ وأبو جعفرٍ بصيغة الجمع، والإفراد هنا مساوٍ للجمع، لأن المراد به الجنس بقرينة أن الضمير المجرور بـ (على) تعلق بفعل (حَقَّت) وهو ضمير جمع فلا جرم أن تكون الكلمة جنساً صادقاً بالمتعدد بحسب تعدد أزمان كلمات الوعيد وتعدد الأمم المتوعَّدة»[١٧١].

وقال مكي بن أبي طالب: «وحجة من جمع، أنَّ معنى (الكلماتُ) في هذا هو ما جاء من عند الله من وعدٍ ووعيد وثواب وعقاب، وأخبار عما كان، وعمَّا يكون، وذلك كثير، مَنْ جمع (الكلماتُ) لكثرة ذلك، . . . وحجة من قرأ بالتوحيد أن الواحد في مثل هذا يدل على الجمع»[١٧٢].

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين يتبيّن أنَّ الله تعالى هدَّد كفار قريشٍ بعذابٍ شديدٍ من جنس العذاب الذي أصاب الأقوام السالفة الغابرة، فتكون القراءة الثانية بالجمع مبيِّنة للقراءة الأولى بالتوحيد، حيث إنَّ قراءة التوحيد أفادت أن العذاب قد ثبت في حقِّ هؤلاء الكفار كما ثبت في حقِّ من قبلهم، وأما قراءة الجمع فإنها تدل على أنَّ كلمات الوعيد والتهديد التي أُوحِي بها إلى الرسل جميعاً لإبلاغها أقوامهم واحدة، وعلى ذلك يكون المعنى: بمثل أخذ الله قوم نوح والأحزاب وغيرهم حقت على كفار قومك كلمات الوعيد إذا لم يقلعوا عن كفرهم.

(١٦٩) انظر المصدر السابق م٥ ج٨ ص١٩، عند تفسيره للآية (١١٤) من سورة الأنعام.

(١٧٠) فتح القدير ج٢ ص٤٦٧.

(١٧١) التحرير والتنوير م١١ ج٢٤ ص٨٨.

(١٧٢) الكشف عن وجوه القراءات السبع ج١ ص٤٤٨.

٢ ـ قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًاۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾ [غافر: ١٣].

القراءات:

١ ـ قرأ ابن كثيرٍ، وأبو عمرو، ويعقوب (وَيُنْزِلُ) بالتخفيف.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿وَيُنَزِّلُ﴾ بالتشديد[١٧٣].

المعنى اللغوي للقراءات:

النزول: هو الانحطاط من علوٍّ، يقال نزل عن دابته، ونزل في مكان كذا، أي: حط رحله فيه[١٧٤]، وجاء في لسان العرب: النزول: الحلول، ونزل من علوٍّ إلى أسفل: انحدر، ونزَّله وأنزله بمعنىً، ولا فرق بين نزَّلت وأنزلت إلا صيغة التكثير[١٧٥].

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن دلائل توحيد الله تعالى وربوبيته، وعلامات قدرته، وعظيم سلطانه، ورحمته بعباده، تذكيراً لهم بنعمه الجليلة التي لا تتوارى ولا تنقطع، فيريهم آياته الباهرة الدالة على عظيم قدرته، وينزِّلُ من السماء رزقاً لهم بإدرار الغيث الذي يُخرِج به أقواتهم وغذاء أنعامهم، وما يتذكَّر ويتعظ بهذه الآيات ويعتبر بها ويعلم حقيقة ما تدل عليه إلَّا من ينيب ويرجع إلى توحيد الله تعالى ويقبل على طاعته[١٧٦].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (يُنْزِل) بالتخفيف من الإنزال، أنَّ الله تعالى ينزل عليهم

---

(١٧٣) انظر إتحاف فضلاء البشر ص٤٨٤، البدور الزاهرة ص٣٨٧.

(١٧٤) انظر مفردات ألفاظ القرآن ص ٧٩٩.

(١٧٥) انظر لسان العرب ج١١ ص٦٥٦.

(١٧٦) انظر جامع البيان م١١ ج٢٤ ص٣٢، فتح القدير ج٤ ص٦٨٠.

الغيث سبب الرزق مرةً واحدةً ويحتمل الزيادة.

أمَّا قراءة ﴿يُنَزِّلَ﴾ بالتشديد تفيد أنَّ الله تعالى ينزل عليهم الغيث سبب الرزق بشكلٍ دائمٍ ومتكررٍ، فقراءة التشديد تفيد التدرج والتكرار والتكثير في الفعل، وربما قراءة التشديد تفيد إضافةً إلى ما سبق تعدد وتنوع أنواع الرزق، فمنه المطر الذي يُنبتُ الأرض ويتسبب عنه الرزق، ومنه ما حكم الله به وكتبه لعباده من رزقٍ يناله المرء في تجارةٍ أو عملٍ أو غير ذلك[177].

الجمع بين القراءات:

قراءة ﴿يُنَزِّلَ﴾ بالتشديد مبيِّنة لقراءة (يُنزِل) بالتخفيف، حيث إنَّ قراءة التخفيف أفادت أن الله تعالى ينزل الرزق للنَّاس دون إيضاح لطبيعة هذا الإنزال، أمَّا قراءة التشديد فقد أضافت معنى استمرار هذه النعمة وكثرتها وتعددها وتنوعها وتكرارها على الدوام، تذكيراً لهم بكمال النعمة عليهم، وفي ذلك زيادة دلالة على قدرة الله تعالى وعظيم سلطانه.

٣ ـ قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَقۡضِي بِٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقۡضُونَ بِشَيۡءٍۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿٢٠﴾﴾ [غافر: ٢٠].

القراءات:

١ ـ قرأ نافع وهشام (والذين تَدْعُونَ) بالتاء.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ﴾ بالياء[178].

المعنى اللغوي للقراءات:

«الدعاء كالنداء، إلا أنَّ النداء قد يقال بـ (يا) أو (أيا)، ونحو ذلك من غير أن يضم إليه الاسم، والدعاء لا يكاد يقال إلا إذا كان معه الاسم،

(١٧٧) انظر بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ص٦٠.

(١٧٨) انظر النشر ج٢ ص ٣٦٥، تحبير التيسير ص ١٩٨.

نحو: يا فلان، وقد يستعمل كل واحد منهما موضع الآخر»[١٧٩]. «والدعوى معناها، الدعاء، وروي عن النبي ﷺ أنه قال: (الدعاء هو العبادة)[١٨٠]، ثم قرأ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر: ٦٠] وقال الله ﷻ: ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [الصافات: ١٢٥]، أي: أتعبدون رباً سوى الله، . . . والدعاء: الرغبة إلى الله ﷻ»[١٨١].

التفسير:

تشير هذه الآية الكريمة إلى صفةٍ عظيمةٍ من صفات الله تعالى لا تنبغي لأحد سواه، ولا يقدر عليها إلا من اتصف بجميع صفات الكمال، وكان عالماً بجميع الأحوال، فهو الذي سيقضي بين الخلائق يوم القيامة بالحق، وقد اتصف ﷻ بالحكمة والعدل، لذلك لن يكون في حكمه جورٌ أو ظلمٌ، فيعذب من شاء ممن أساء بعدله، ويجزي ويثيب من شاء بعدله.

في مقابل ذلك يُبيِّنُ الله تعالى عجز الآلهة التي يعبدها هؤلاء الكفار الجهلاء عن القضاء بشيءٍ، ونفى القدرة بالقضاء عن الآلهة من باب التهكم والازدراء، لأن الجميع يعلم بعجز هذه الآلهة عن فعل أي شيءٍ، قال أبو حيان: «﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ﴾: هذا قدحٌ في أصنامهم وتهكم بهم، لأن ما لا يوصف بالقدرة، لا يقال فيه يقضي ولا يقضي»[١٨٢].

وقال البقاعي: «ولمّا كانت المراتب دون عظمته سبحانه لا تنحصر ولا يحتوي عليها كل شيءٍ، أثبت الجار فقال: ﴿مِن دُونِهِ﴾ أي: سواه، ومن

---

(١٧٩) مفردات ألفاظ القران ص٣١٥.

(١٨٠) سنن الترمذي: كتاب تفسير القرآن، باب سورة البقرة ج٥ ص٢١١ ح٢٩٦٩، والسنن الكبرى: للبيهقي، باب سورة غافر ج٦ ص٤٥٠ ح١١٤٦٤. قال عنه أبو عيسى الترمذي: هذا حديث حسنٌ صحيحٌ.

(١٨١) لسان العرب ج٤ ص٢٦٣.

(١٨٢) البحر المحيط ج٧ ص٤٣٩.

المعلوم أنَّهم خَلقُه فهم دون رتبته، لأنهم في قهره ﴿لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ﴾ أصلاً، فضلاً عن أن يقضوا بما يعارضه حكمه، فلا مانع له من القضاء بالحق»[١٨٣].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيد قراءة ﴿يَدْعُونَ﴾ بياء الغيبة، الإخبار عن هؤلاء الكفار أنَّهم يعبدون من دون الله أصناماً لا تضر ولا تنفع عديمة القدرة، لا تستطيع أن تقضي بشيءٍ.

وأما قراءة (تَدْعُونَ) بالتاء تفيد توجيه الخطاب للكفار، «على معنى: قل لهم يا محمد»[١٨٤]، قال مكي بن أبي طالب :﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ قرأ نافعٌ وهشامٌ بالتاء، على الخطاب للكفار، على معنى: قل لهم يا محمد الذين تدعون أيها المشركون من دونه، وقرأ الباقون بالياء، ردُّوه على ما جرى من ذكر الكفار قبله[١٨٥].

وقال ابن عاشور: «قرأ نافعٌ وهشامٌ عن ابن عمار (تَدْعُونَ) بتاء الخطاب على الالتفات من الغيبة إلى الخطاب، لقرع أسماع المشركين بذلك»[١٨٦].

الجمع بين القراءات:

بالجمع بين القراءتين، يتبيَّن: أنَّ الله تعالى أمر نبيَّه محمداً ﷺ أن يردَّ على هؤلاء المشركين الذين يعبدون آلهةً صماء لا تملك شيئاً ولا ترد قضاءً ولا تستطيع أن تقضي بشيءٍ، بأنَّ الله وحده سوف يقضي بالحق بين العباد يوم القيامة، وفي الآية تحذير لهؤلاء الكفار من الاستمرار في غيِّهم

(١٨٣) نظم الدرر ج٦ ص٤٩٨.
(١٨٤) المحرر الوجيز لابن عطية ج٤ ص٥٥٣، انظر البحر المحيط ج٧ ص٤٣٩.
(١٨٥) الكشف عن وجوه القراءات السبع ج٢ ص٢٤٢.
(١٨٦) التحرير والتنوير م١١ ج٢٤ ص١١٨.

وإعراضهم عن عبادة الله تعالى، من خلال قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ أي: (السميع) لمقالة الكفار (البصير) بأعمالهم.

قال أبو حيان: «تدعون بتاء الخطاب، أي: قل لهم يا محمد ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾: تقرير لقوله: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾﴾، وعيد لهم بأنه يسمع ما يقولون ويبصر ما يعملون، وتعريض بأصنامهم أنها لا تسمع ولا تبصر»[187] وفي ذلك زيادة توبيخٍ لهم.

٤ ـ قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُواْ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٢١﴾﴾ [غافر: ٢١].

القراءات:

١ ـ قرأ ابن عامر (أشدَّ منكُمْ) بالكاف.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿أَشَدَّ مِنْهُمْ﴾ بالهاء[188].

المعنى اللغوي للقراءات:

منكم: مِن: بالكسر حرف خافض، وهو لابتداء الغاية، وقد تكون للتبعيض، وقد تكون للبيان والتفسير، وقد تدخل توكيداً، وقد تأتي للتحليل، وقد تكون للبدل، وقد تأتي للتمييز[189].

والكاف: ضمير يعود على المخاطب. والهاء: ضمير يعود على الغائبين.

---

(١٨٧) البحر المحيط ج٧ ص٤٣٩.

(١٨٨) انظر النشر في القراءات العشر ج٢ ص٣٦٥.

(١٨٩) انظر الصحاح ج٦ ص٢٢٠٨، المعجم الوسيط ص٩٣٦، القاموس المحيط ص١١١٢.

التفسيـر:

الله ﷻ في هذه الآية يحيل كفار قريش على الاعتبار بغيرهم من الأقوام السابقة وما زالت آثارهم حاضرةً أمام أعينهم فقد كان ممن سبقهم أشدّ قوةً من هؤلاء الكفار الحاضرين (وَأَقْوَى آثاراً فِي الأَرْضِ) أي: حصونهم وقصورهم وعساكرهم وعلى الرغم من ذلك أهلكهم الله تعالى بذنوبهم.

قال الطبري: «يقول تعالى ذكره، أولم يسر هؤلاء المقيمون على شركهم بالله المكذبون رسوله من قريش في البلاد فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم، يقول فيروا ما الذي كان خاتمة أمم الذين كانوا من قبلهم من الأمم الذين سلكوا سبيلهم في الكفر بالله وتكذيب رسله، كانوا هم أشد منهم قوة، يقول: كانت تلك الأمم الذين كانوا من قبلهم أشدَّ منهم بطشاً، وأبقى في الأرض آثاراً فلم تنفعهم شدة قواهم وعظم أجسامهم إذ جاءهم أمر الله وأخذهم بما أجرموا من معاصيه واكتسبوا من الآثام، ولكنه أباد جمعهم، وصارت مساكنهم خاوية منهم بما ظلموا، وما كان لهم من الله من واقٍ أي: ما كان لهم من أحدٍ يدفع عنهم عذاب الله أو يقيهم عذابه»(١٩٠).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

يرى بعض العلماء أنَّ من قرأ (منهم) بضمير الغيبة، قرأها جرياً على ما سبق من الضمائر الغائبة في الإخبار عن كفار قريش، ليكون موافقاً لما قبله من ألفاظ الغيبة في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ فيكون معنى أشدَّ منهم، أي: أشدَّ من قومك.

وأمَّا من قرأ (منكم) بضمير الخطاب، فعلى سبيل الالتفات عن الغيبة إلى الخطاب كقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة: ٥] بعد قوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾

(١٩٠) جامع البيان م١١ ج٢٤ ص٣٦.

[الفاتحة: ١]، وعلى هذا يكون الخطاب موجهاً لأهل مكة[١٩١]، على معنى أن الذين مضوا من الكفار كانوا أشدَّ منكم أيها الكفار الحاضرون: «وحَسُنَ الخطاب هنا لأنه خطاب لأهل مكة، فحسنَ الخطاب بحضورهم، فجعل الخطاب على لفظ الحاضر المخاطب»[١٩٢].

وأمَّا أبو منصور الأزهري فقد اعتبر أن «من قرأ (منكم) فهو خطاب لهذه الأمة، ومن قرأ (منهم) فهو إخبارٌ عنهم»[١٩٣]، وعلى هذا القول فإن الخطاب يتعدى أهل قريشٍ ليكون موجهاً إلى جميع الأمة إلى يوم الدين لأخذ العبرة من ذلك.

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين يتبيّن أنّ الخطاب موجهٌ لجميع الأمَّة من المؤمنين والكافرين، حاضرين وغائبين، على سبيل التقريع والاستنكار والتهديد لكفار قريشٍ إنْ بقوا على كفرهم ولم يعتبروا، ولأخذ العبرة والعظة من قبل المؤمنين ممَّا حدث مع الأمم السابقة من انتقام شديدٍ، فأخذهم الله بما أجرموا واكتسبوا من الآثام وأباد جمعهم، وهم أشدُّ قوةً وبطشاً من غيرهم، فلم تنفعهم قوتهم، والله تعالى أعلم.

٥ ـ قال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾﴾ [غافر: ٢٦].

القراءات:

١ ـ قرأ الكوفيون ويعقوب (أَوْ أَنْ) بزيادة همزةٍ مفتوحةٍ قبل الواو مع إسكان الواو.

٢ ـ قرأ الباقون (وَأَنْ) بدون همزةٍ قبل الألف وفتح الواو.

---

(١٩١) انظر حجة القراءات ص٦٢٩، الكشف عن وجوه القراءات السبع ج٢ ص٢٤٢.

(١٩٢) الحجة للقراء السبعة ص٣٤٨.

(١٩٣) معاني القراءات ج٢ ص٣٤٤.

٣ ـ قرأ نافع، وأبو عمرو، وأبو جعفر، ويعقوب، وحفص (يُظهِر) بضم الياء وكسر الهاء، (الفَسَادَ) بالنصب.

٤ ـ قرأ الباقون (يَظهَر) بفتح الياء والهاء، (الفَسَادُ) بالرفع[١٩٤].

المعنى اللغوي للقراءات:

١ ـ الظهر والظاهر: خلاف البطن والباطن، والظهور: الظفر بالشيء والإطلاع عليه، يقال: ظهر فلان على فلان أي: قوي عليه، وفلان ظاهر على فلان، أي غالب عليه، وظهر الشيء بالفتح، ظهوراً: تبيّن، وأظهرت الشيء بيَّنته[١٩٥]، وجاء في مفردات ألفاظ القرآن، ظهر الشيء أصله: أن يحصل شيءٌ على ظهر الأرض فلا يخفى، وقوله تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [الروم: ٤١] أي: كثر وشاع[١٩٦].

٢ ـ الفساد: التلف والعطب، والاضطراب، وإلحاق الضرر، والمفسدة: ضد المصلحة[١٩٧].

٣ ـ قال الأصفهاني: «الفساد: خروج الشيء من الاعتدال، قليلاً كان الخروج عنه أو كثيراً ويضاده الصلاح»[١٩٨].

التفسير:

في سياق الحديث عن الأمم السابقة وما حدث لهم من إنزال أشد العقوبات بهم بسبب ذنوبهم وكفرهم بأنبيائهم مع كونهم أشد قوةً وآثاراً في الأرض، والطلب من كفار قريش أن يسيروا في الأرض ويقفوا على آثار تلك الأقوام السابقة لأخذ العبرة والعظة، تعرض الآيات قصة فرعون مع

(١٩٤) انظر النشر في القراءات العشر ج٢ ص٣٦٥، وتحبير التيسير ص١٥٩.

(١٩٥) انظر لسان العرب ج٤ ص٥٢٠.

(١٩٦) انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٥٤١.

(١٩٧) انظر المعجم الوسيط ص٧٢١.

(١٩٨) مفردات ألفاظ القرآن ص٦٣٦.

موسى عليه السلام، وموقفه من دعوته وعزم فرعون عليه لعنة الله على قتل موسى عليه السلام غير آبه بغضب الله وعقابه خوفاً على مكانته وملكه وسلطانه، ﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ ذَرُونِيٓ أَقۡتُلۡ مُوسَىٰ﴾ قال ابن كثير: «وهذا عزم من فرعون لعنه الله تعالى على قتل موسى عليه السلام، أي: قال لقومه دعوني حتى أقتل لكم هذا، ﴿وَلۡيَدۡعُ رَبَّهُۥٓ﴾ أي: لا أبالي منه، وهذا في غاية الجحد والتجهرم[199] والعناد»[200].

وقال الشوكاني: «إنما قال هذا لأنه كان في خاصة قومه من يمنعه من قتل موسى، مخافة أن ينزل العذاب، والمعنى: اتركوني أقتله ﴿وَلۡيَدۡعُ رَبَّهُۥٓ﴾ الذي يزعم أنه أرسله إلينا فليمنعه من القتل إن قدر على ذلك»[201]. «ثم رجع إلى قومه يريهم النصيحة، فقال: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ﴾، والدين: السلطان، . . . وتبديل دينهم هو تغييره، وكانوا يعبدونه، ويعبدون الأصنام، كما قال: (ويذرك وآلهتك)، ﴿أَوۡ أَن يُظۡهِرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ﴾ وذلك بالتهارج[202] الذي يذهب معه الأمن، وتتعطل المزارع والمكاسب، ويهلك الناس، قتلاً وضياعاً، فأخاف فساد دينكم ودنياكم معاً»[203].

قال الشوكاني: «جعل اللعين ظهور ما دعا إليه موسى وانتشاره في الأرض، واهتداء الناس به فساداً، وليس الفساد إلا من هو عليه ومن تابعه»[204].

---

(١٩٩) الجهرمية: ثيابٌ منسوبةٌ من نحو البسط وما يشبهها، يقال: من كتَّانٍ، (انظر لسان العرب ج١٢ ص١١١). ويحتمل التجهرم في الحديث: الفظاظة والشدة والكبرياء في القول.

(٢٠٠) تفسير القرآن العظيم ج٤ ص٧٨.

(٢٠١) فتح القدير ج٤ ص٦٨٥.

(٢٠٢) أصل الهرج: الكثرة في الشيء والاتساع، والفتنة في آخر الزمان، وشدة القتل وكثرته، (انظر تاج العروس ج٦ ص٢٧٥).

(٢٠٣) البحر المحيط ج٧ ص٤٤١، بتصرف يسير.

(٢٠٤) فتح القدير ج٤ ص٦٨٥.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد أفادت قراءة (أو أن) بزيادة همزة مفتوحة قبل الواو: خوف فرعون من وقوع أحد الاحتمالين: تبديل الدين أو وقوع الفساد، فيكون المعنى: إنّي أخاف عليكم أن يبدل دينكم، أي: يغيِّر ما أنتم عليه وهو عبادته وعبادة الأصنام، أو يقع الفساد بينكم، وقد جعل فرعون طاعة الله هي الفساد.

وأمّا قراءة (وأن) بدون همزة قبل الواو، أفادت خوف فرعون من وقوع الأمرين معاً (تبديل الدين، ووقوع الفساد) في آنٍ واحد، فيكون المعنى: أخاف عليكم إبطال دينكم والفساد معه[٢٠٥]، «يعني: أنه جمع بين تبديل الدين وإظهار الفساد»[٢٠٦]، «وقد وقعا فبدل الله دينهم بالإيمان وأفسد ملك فرعون»[٢٠٧].

وأمّا قراءة (يُظهِر) بضم الياء وكسر الهاء فقد أفادت إسناد فعل الإظهار إلى موسى عليه السلام، أي: «يظهر موسى في الأرض الفساد، وحجتهم أنه أشبه بما قبله، لأنَّ قبله (يُبَدِّل)»[٢٠٨]، وأما القراءة الثانية (يَظهَرُ) بفتح الياء والهاء، فأنها تفيد إضافة الفعل إلى الفساد فيكون الفساد مرفوعاً على الفاعلية فيكون له المعنى: أنه إذا وقع التبديل في الدين ظهر الفساد في الأرض بسببه.

قال الرازي: «أما وجه القراءة الأولى فهو أسند الفعل إلى موسى في قوله (يُبدِّل) فكذلك في يظهر ليكون الكلام على نسق واحد، وأما وجه القراءة الثانية فهو أنه إذا بُدِّلَ الدين فقد ظهر الفساد الحاصل بسبب ذلك التبديل»[٢٠٩].

---

(٢٠٥) انظر حجة القراءات ص٦٣٠.
(٢٠٦) التفسير الكبير م١٤ ج٢٧ ص٥٦.
(٢٠٧) الكشف عن وجوه القراءات السبع ج٢ ص٢٤٣.
(٢٠٨) حجة القراءات ص٦٣٠.
(٢٠٩) التفسير الكبير م١٤ ج٢٧ ص٥٦.

وقال ابن عاشور: «يَظهر بفتح الياء وبرفع (الفسادُ) على معنى: أن الفساد يظهر بسبب ظهور أتباع موسى، أو بأن يجترئ غيره على مثل دعواه بأن تزول حُرمة الدولة لأن شأن أهل الخوف عن عمل أن ينقلب جبنهم شجاعة إذا رأوا نجاح من اجترأ على العمل الذي يريدون مثله»(٢١٠).

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءات فإنَّه يحمل المعنى الثاني على المعنى الأول بحيث يصبح المعنى: إنَّ خوف فرعون واقعٌ في جميع الأحوال بحيث إنَّه إذا وقع تبديل الدين عند القوم، فقد فرعون هيبته وعبوديتهم له، وترتب على ذلك ظهور الفساد، وفقد ملكه وسلطانه وأفسدت عليه الدنيا وهذا الذي يسميه فرعون الفساد بزعمه.

قال البقاعي: «وبنصب الفسادَ أي: بفساد المعائش فإنه إذا غلب علينا قوي على من سوانا، فسفك الدماء وسبي الذرية، وانتهب الأموال، ففسدت الدنيا مع فساد الدين، فسمَّى اللعين الصلاحَ لمخالفته لطريقته الفاسدة فساداً كما هو شأن كل مفسدٍ مع المصلحين»(٢١١).

وإذا لم يقع التبديل عاجلاً فإنه يحصل به الضعف الذي يؤدي في النهاية إلى إفساد معايش الظالمين وزعزعة ملكهم وسلطانهم.

٦ ـ قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡۖ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ ﴿٣٥﴾﴾ [غافر: ٣٥].

القراءات:

١ ـ قرأ أبو عمرو وابن ذكوان (على كُلِّ قَلبٍ) بتنوين قلبٍ بالكسر.

---

(٢١٠) التحرير والتنوير ج٢٤ ص١٢٦.

(٢١١) نظم الدرر ج٦ ص٥٠٦.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ﴾ قلب بالكسر دون تنوين[٢١٢].

المعنى اللغوي للقراءات:

القلب: الفؤاد، وقد يعبَّر به عن القلب، قال الفراء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾ [ق: ٣٧] أي: عقل[٢١٣]. وقال الأصفهاني: قلب الشيء: تصريفه وصرفه عن وجه إلى وجه كقلب الثوب، وقلب الإنسان، أي: صرفه عن طريقه، وقلب الإنسان قيل: سمي به لكثرة تقلبه، ويعبر بالقلب عن المعاني التي تختص به من الروح والعلم والشجاعة وغير ذلك[٢١٤].

التفسير:

في هذه الآيات يبيّن الله تعالى موقفه وموقف المؤمنين من أولئك المجادلين المخاصمين الذين يكثرون الجدال في آيات الله تعالى إبطالاً لها ودفعاً للحق بالباطل بغير حجة أو دليل، فيمقتهم الله تعالى، ويبغضهم المؤمنون، وكما طبع الله على قلوب هؤلاء المجادلين كذلك يختم الله تعالى بالضلال على قلب كل متكبرٍ عن الايمان ومتجبرٍ على العباد.

قال ابن كثير: «﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ﴾ أي: الذين يدفعون الحق بالباطل ويجادلون الحجج بغير دليلٍ وحجةٍ معهم من الله تعالى، فإن الله ﷻ يمقت على ذلك أشد المقت ولهذا قال تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣﴾ [الصف: ٣] أي: والمؤمنون أيضاً يبغضون من تكون هذه صفته فإن من كانت هذه صفته يطبع الله على قلبه، فلا يعرف بعد ذلك معروفاً ولا ينكر منكراً، ولهذا قال تبارك

(٢١٢) انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع ج٢ ص٢٤٤، النشر في القراءات العشر ج٢ ص٣٦٥.

(٢١٣) الصحاح ج١ ص٢٠٥.

(٢١٤) انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٦٨١.

وتعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ﴾، أي: على اتباع الحق»(٢١٥)، وقال الشوكاني: «أي كما طبع على قلوب هؤلاء المجادلين فكذلك يطبع: أي: يختم على كل قلب متكبرٍ جبارٍ»(٢١٦).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ) بتنوين الباء مع الكسر، أن التكبر وصف للقلب، لأنه هو مركزها ومنبعها، فيكون القلب مراداً به الجملة لأن القلب هو محل التكبر، فيكون القلب هو المتكبر وإذا تكبر القلب كان صاحبه متكبراً، فيكون المعنى أن صاحبه متكبر(٢١٧).

وأمَّا قراءة ﴿عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ﴾ بدون تنوين الباء، بإضافة (قلب) إلى (متكبر) فإن التكبر يقع على محذوف تقديره، كل، أو رجل، والمعنى يكون: على كل قلب رجلٍ متكبرٍ، فالطبع يقع على قلوب جميع المتكبرين(٢١٨).

قال الطبرسي: «مَن نَوَّنَ فإنه جعل المتكبر صفةً لقلب، فإذا وصف القلب بالتكبر كان صاحبه في المعنى متكبراً، فكأنه أضاف التكبر إلى القلب كما أضيف الصعر(٢١٩) إلى الخدّ فِي قوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ [لقمان: ١٨] فكما يكون بتصعير الخد متكبراً كذلك يكون بالتكبر في القلب متكبراً بجملة، وأما من أضافه فقال: ﴿عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ﴾ فلا يخلو من أن يُقَدَّرَ الكلام على ظاهره أو يُقَدَّرَ فيه حذفاً فإن تركه على ظاهره كان المعنى: يطبع الله على كل قلب متكبرٍ أي يطبع على جملة القلب من المتكبر، وليس المراد أن يطبع على كل قلبه فيعم الجميع بالطبع، إنما

---

(٢١٥) تفسير القرآن العظيم ج٤ ص٨١.

(٢١٦) فتح القدير ج٤ ص٦٩٠.

(٢١٧) انظر حجة القراءات ص٦٣٠، والحجة في القراءات السبع ص٣١٤.

(٢١٨) انظر فتح القدير ج٤ ص٦٩٠.

(٢١٩) التَّصعُّر: ميلٌ في الوجه، أو في أحد الشِّقَّين، القاموس المحيط ص٣٨٢.

المعنى: أنه يطبع على القلب إذا كانت قلباً قلباً والطبع علامة في جملة القلب كالختم عليه فإذا كان الحمل على الظاهر غير مستقيم علمت أن الكلام ليس على ظاهره وإنه حذف منه شيء وذلك المحذوف إذا أظهرته كذلك يطبع الله على كل قلب كل متكبر فيكون المعنى يطبع على القلوب إذا كانت قلباً قلباً من كل متكبر ويختم عليه»[٢٢٠].

الجمع بين القراءات:

لا يوجد فرقٌ جوهريٌ في المعنى ولا يوجد تغايرٌ بينهما، فالمعاني في القراءتين متداخلةٌ وتعطي معنىً واحداً، وإذا نظرنا إلى معنيي القراءتين وجدنا أنَّ الطبع يقع على قلب صاحب التكبر سواء كان التكبر مضافاً إلى القلب أو إلى صاحب القلب، فالمعنى واحدٌ.

قال مكي بن أبي طالب: «قرأ أبو عمرو وابن ذكوان بتنوين (قلبٍ) جعلا (متكبراً) من صفة القلب، وإذا تكبر القلب تكبر صاحب القلب، وإذا تكبر صاحب القلب، تكبر القلب فالمعاني متداخلة غير متغايرة، وقرأ الباقون، بإضافة القلب الى متكبرٍ، والمعنى على ما تقدم، غير أنه أضاف التكبر إلى صاحب القلب، وفي القراءة الأولى أضاف التكبر إلى القلب، وإذا كان في القلب كبرٌ، ففي صاحبه كبرٌ، وإذا كان في صاحب القلب كِبرٌ ففي القلب كبر، فالقراءتان بمعنىً واحدٍ»[٢٢١].

٧ ـ قال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴿٣٧﴾﴾ [غافر: ٣٦ ـ ٣٧].

(٢٢٠) مجمع البيان م٥ ج٢٤ ص١٩٦.

(٢٢١) الكشف عن وجوه القراءات السبع ج٢ ص ٢٤٤.

القراءات:

١ ـ قرأ حفص ﴿فَأَطَّلِعَ﴾ بنصب العين.

٢ ـ قرأ الباقون (فأطّلِعُ) برفع العين[(٢٢٢)].

٣ ـ قرأ الكوفيون ﴿وَصُدَّ﴾ بضم الصاد.

٤ ـ قرأ الباقون (صَدَّ) بفتح الصاد[(٢٢٣)].

المعنى اللغوي للقراءات:

١ ـ فأطَّلعُ: طالع الشيء مطالعةً، وطلاعاً: اطَّلع عليه بإدامة النظر فيه، والطَّلعُ: المكان المشرف الذي يُطّلعُ منه، ويقال: استطلع الشيء، طلب طلوعه ومعرفته[(٢٢٤)]، وأطلعه على الأمر: أعلمه به[(٢٢٥)].

٢ ـ صَدَّ: «الصدود والصَّدُّ قد يكون انصرافاً عن الشيء وامتناعاً، نحو: ﴿يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾ [النساء: ٦١]، وقد يكون صرفاً ومنعاً نحو: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [النمل: ٢٤]»[(٢٢٦)].

وقال الجوهري: «صدَّ عنه يَصِدُّ صُدُوداً: أعرَضَ: وصَدَّ عن الأمر صَدّاً، منعه وصرفه عنه»[(٢٢٧)].

التفسير:

في سياق الحديث عن قصة فرعون مع موسى عليه السلام وموقفه من دعوته وصدِّه الناس عن السبيل وجداله الحجج بالباطل ليدحض به الحق،

(٢٢٢) انظر النشر في القراءات العشر ج٢ ص ٣٦٥، وتحبير التيسير ص١٩٩.
(٢٢٣) انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع ج٢ ص٢٤٤.
(٢٢٤) انظر المعجم الوسيط ص٥٨٩.
(٢٢٥) انظر لسان العرب ج٨ ص ٢٣٦.
(٢٢٦) مفردات ألفاظ القرآن ص ٤٧٧.
(٢٢٧) الصحاح ج٢ ص ٤٩٥.

يعرض المولى ﷻ موقفاً آخر لفرعون مليئاً بالسخرية والاستهزاء والتكذيب بموسى عليه السلام يدل على مدى كفره وتمرُّده وعتُوه، فيطلب من وزيره هامان أن يبني له صرحاً، والصرح: هو القصر العظيم الضخم العالي، نحو السماء لعله حسب زعمه أن يبلغ الأسباب أي: الطرق الموصلة إلى السماء، فينظر إلى إله موسى، قالها فرعون عليه لعنة الله سخرية واستهزاءً بموسى عليه السلام وإنكاراً وتكذيباً له ولِمَا جاء به ليدلل بحجته الباطلة استحالة أن يحصل ذلك، واستحالة أن يكون الله تعالى قد أرسل موسى عليه السلام.

قال ابن كثيرٍ: «يقول تعالى: مخبراً عن فرعون وعتوه وتمرده وافترائِه في تكذيبه موسى عليه الصلاة والسلام أنه أمر وزيره هامان أن يبني له صرحاً، وهو القصر العالي المنيف الشاهق، وكان اتخاذه من الآجر المضروب من الطين المشوي، كما قال تعالى: ﴿فَأَوْقِدْ لِي يَـٰهَـٰمَـٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّي صَرْحًا﴾ ولهذا قال إبراهيم النخعي[٢٢٨]: كانوا يكرهون البناء بالآجر وأن يجعلوه في قبورهم، رواه ابن أبي حاتم، وقوله: ﴿لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَـٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَـٰبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ﴾ إلخ، قال سعيد بن جبير وأبو صالح[٢٢٩] أبواب السموات، وقيل: طرق السموات، ﴿فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَـٰذِبًا﴾ وهذا من كفره وتمرده، أنه كذَّب موسى عليه الصلاة والسلام في أنَّ الله ﷻ أرسله إليه، قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ أي بصنعه هذا الذي أراد أن يوهم به الرعية أنه يعمل شيئاً يتوصل به إلى تكذيب موسى عليه الصلاة والسلام، ولهذا قال تعالى:

---

(٢٢٨) هو: إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن سعد بن مالك بن النخع النخعي اليماني ثم الكوفي، أحد الأئمة المشاهير والأعلام، تابعيٌّ، رأى عائشة رضي الله عنها، وعاصر عدداً من الصحابة ولكنه لم يروِ عنهم، توفي سنة ٩٥هـ وله ٤٩ سنة، (انظر سير أعلام النبلاء ج٤ ص٥٢٠، وفيات الأعيان ج١ ص٢٥).

(٢٢٩) هو: ذكوان بن عبدالله، وكنيته: أبو صالح السَّمان ويقال له أبو صالح الزيات لأنه كان يجلب السمن والزيت من المدينة إلى الكوفة، مولى أم المؤمنين جويرية الغطفانية، كان من كبار العلماء بالمدينة، وولد في خلافة عمر، توفي سنة ١٠١هـ، (انظر سير أعلام النبلاء ج٥ ص٣٦، مشاهير علماء الأمصار ج١ ص٧٥).

﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾ قال ابن عباس، ومجاهد: يعني: إلا في خسار»[٢٣٠]، وقال الطبرسي: ﴿زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾ أي: قبيح عمله وإنَّما زين له ذلك أصحابه وجلساؤه وزين له الشيطان كما قال: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ﴾»[٢٣١].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (فأطَّلِعُ) بالرفع العطف على أبلغ التي قبلها في الآية التي سبقتها فهو في هذا داخل في حيز الترجِّي[٢٣٢]، «والتقدير: لعلي أبلغ ولعلي أطلع، كأنه توقع أمرين على ظنّه»[٢٣٣]، وقال الرازي: «من رفع فقد عطفه على قوله (أبلغ) والتقدير لعلي أبلغ الأسباب ثم أطلع إلا أن حرف ثم أشدُّ تراخياً من الفاء»[٢٣٤].

وأما قراءة (فأَطَّلِعَ) بالنصب أفادت أنها جواب لعل، قال الرازي: «ومن نصب جعله جواباً والمعنى: لعلي أبلغُ الأسبابَ فمتى بلغتُها أطَّلعُ والمعنى مختلف، لأنَّ الأول: ـ بالرفع ـ لعلي أطلع، والثاني: ـ بالنصب ـ لعلِّي أبلغ وأنا ضامر أني متى بلغت فلا بد وأن أطلع»[٢٣٥]. وجاء في فتح القدير: «قال النَّحاس: ومعنى النصب خلاف معنى الرفع، لأن معنى النصب: متى بلغت الأسباب اطلعت، ومعنى الرفع: لعلي أبلغ الأسباب أطلع بعد ذلك»[٢٣٦].

وبالجمع بين القراءتين يكون المعنى: لعلي أبلغ ولعلي أطلع فإذا بلغت اطلعت، وهو الجمع بين الترجي وجواب الترجي، وفي ذلك إيحاء

(٢٣٠) تفسير القرآن العظيم ج٤ ص ٨١.
(٢٣١) مجمع البيان م٥ ج٢٤ ص ٢٠٠.
(٢٣٢) انظر فتح القدير ج٤ ص ٦٩١.
(٢٣٣) الكشف عن وجوه القراءات السبع ج٢ ص٢٤٤.
(٢٣٤) التفسير الكبير م١٤ ج٢٧ ص٦٨.
(٢٣٥) المصدر السابق ج٢٧ ص٦٨.
(٢٣٦) فتح القدير ج٤ ص ٦٩١.

من فرعون باستحالة بلوغ الأسباب مما يترتب عليه استحالة الاطلاع لذلك قال بعدها ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًاۚ﴾ أي: إنِّي لأظن موسى كاذباً في قوله: إنَّ له إلهاً غيري أرسله إلينا.

أفادت قراءة ﴿وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِۚ﴾ بضم الصاد على المبني للمجهول ولم يسمَّ فاعله هنا، فالمعنى: أن غير فرعون صدَّه عن سبيل الله تعالى، وحجة من قرأ بالضم أنَّ ما قبله مبني للمفعول، فجُعل ما عُطِفَ عليه مثله، والذي قبله ﴿وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾(٢٣٧)، وأما الفاعل: الذي صَدَّ فرعونَ عن سبيل الله، ففيه رأيان للعلماء:

الرأي الأول: أنَّ الصَّاد عن السبيل هو الشيطان، قال السمرقندي: «فمن قرأ: بالضم فمعناه: إنَّ فرعون صُرِفَ عن طريق الهدى يعني: إنَّ الشيطان زَيَّن له سوءَ عمله، وصرفه عن طريق الهدى»(٢٣٨)، وقال أبو علي الهنداوي: «والصَّادُ له هم طغاة أصحابه والشيطان كما بُيِّن ذلك في الآية الأخرى في قوله: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [النمل: ٢٤]»(٢٣٩).

الرأي الثاني: أنَّ الصَّاد عن السبيل والذي يقوم مقام الفاعل هو الله تعالى، قال ابن زنجلة: «﴿وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِۚ﴾، بضم الصاد على ما لم يُسَمَّ فاعله، وجعلوا الفعل لله: إنَّ الله صدَّه عن السبيل كما قال: ﴿وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [التوبة: ٨٧] أي طبع الله عليها، وحجتهم: أنَّ الكلام أتى عقيب الخبر من الله»(٢٤٠).

وقال البغوي: «﴿وَصُدَّ﴾ بضم الصاد نسقاً على قوله: (زُيِّن لفرعونَ) قال ابن عباس: صدَّهُ الله عن سبيل الهدى»(٢٤١) وبمثله قال أبو

(٢٣٧) انظر الحجة للقراء السبعة ج٣ ص ٣٥٢، والحجة في القراءات السبع ص٣١٥.

(٢٣٨) بحر العلوم ج٣ ص١٦٨.

(٢٣٩) انظر الحجة للقراء السبعة ج٣ ص ٣٥٢.

(٢٤٠) حجة القراءات ص ٦٣٢.

(٢٤١) معالم التنزيل ج٤ ص ٨٦.

السعود[٢٤٢].

وأمَّا قراءة (وصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ) بفتح الصاد فإنها أفادت أن الفاعل في الصَدِّ هو فرعون فيكون المعنى: إن فرعون صدَّ الناس ومنعهم عن سبيل الله تعالى.

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين، يظهر من المعنى: أنَّ الشيطان وأصحاب فرعون قد زينوا لفرعون سوء عمله، فصدوه عن سبيل الهدى وطريق الرشاد، مما زادوه غيّاً وكفراً وعناداً، فأعرض فرعون عن السبيل، ومن ثَمَّ منع قومه، وصدهم عن اتباع السبيل، ويجوز أن يكون المعنى: أن الشيطان زين له سوء عمله فزاد في كفره وغيِّه، ومنع النَّاس من اتباع سبيل الرشاد وبسبب ذلك طبع الله على قلبه ومنعه من اتباع سبيل الرشاد والله تعالى أعلم.

٨ ـ قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾﴾ [غافر: ٤٠].

القراءات:

١ ـ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وشعبة، وأبو جعفر، ويعقوب (يُدخَلون) بضم الياء، وفتح الخاء.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿يَدْخُلُونَ﴾ بفتح الياء، وضم الخاء[٢٤٣].

المعنى اللغوي للقراءات:

الدخول: «نقيض الخروج، ويستعمل ذلك في المكان، والزمان،

---

(٢٤٢) انظر تفسير أبي السعود ج٥ ص١٨.

(٢٤٣) انظر غيث النفع في القراءات السبع ص٤٥٤، المستنير في تخريج القراءات المتواترة ج٣ ص٤٠.

والأعمال، يقال: دخل مكان كذا»[٢٤٤].

«والمدْخَل، بالفتح: الدُّخول وموضع الدُّخول أيضاً، دَخلت مَدْخَلاً حسناً ودَخلت مَدْخَلَ صدقٍ، والمُدخَل: بضم الميم: الإدخال والمفعول من أدخله، وتقول أَدخلته مُدْخَلَ صِدقٍ»[٢٤٥].

التفسيـر:

تعرض هذه الآية جانباً من فضل الله تعالى وسعة رحمته بعباده، وتبعث الأمل والرجاء في نفوس من عصاه في الدنيا من المسلمين، بأنه ﷻ يُقَدِّرُ ضَعفهم، فضاعف لهم الحسنات وجعلها كفارةً للسيئات، ولم يُجزِهم بالسيئة إلا مثلها، كما وتبشِّرُ المؤمنين الصالحين من عباد الله تعالى بالجنة يدخلونها ويرزقون فيها بغير حدٍّ ولا تقديرٍ.

قال سيد قطب رحمه الله: «فقد اقتضى فضل الله أن تضاعف الحسنات ولا تضاعف السيئات، رحمةً من الله بعباده، وتقديراً لضعفهم، وللجواذب، والموانع لهم في طريق الخير والاستقامة، فضاعف لهم الحسنات، وجعلها كفارةً للسيئات، فإذا هم وصلوا الجنّة بعد الحساب، رزقهم الله فيها بغير حسابٍ»[٢٤٦].

قال السعدي: «أي: يعطون أجرهم بلا حدٍّ ولا عدٍّ، بل يعطيهم الله ما لا تبلغه أعمالهم»[٢٤٧].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة ﴿يَدۡخُلُونَ﴾ بفتح الياء أنهم هم الذين يدخلون، فأضيف الفعل إلى الداخلين فكانوا هم الداخلين بأمر الله تعالى، على أنَّ أعمالهم

---

(٢٤٤) مفردات ألفاظ القرآن ص٣٠٩.

(٢٤٥) لسان العرب ج١١ ص ٢٤١.

(٢٤٦) في ظلال القرآن ج٥ ص٣٠٨٣.

(٢٤٧) تفسير السعدي ص٦٨١.

الصالحة أهلتهم لدخول الجنَّة، قال ابن زنجلة: «﴿يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾ بفتح الياء، وحجتهم قوله تعالى: ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ (٤٦)﴾ [الحجر: ٤٦] وقوله: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ١٦] فكان أمر الله إياهم أن يدخلوها دليلاً على ما أسند الفعل إليهم»(٢٤٨).

وأمَّا قراءة (يُدخَلون) بضم الياء، على المبني للمجهول فقد أفادت دخولهم الجنّة بفعل غيرهم أي: أن غيرهم يدخلهم الجنَّة، قال مكي بن أبي طالب: (يُدخَلون) «أضافوا الفعل إلى غيرهم، لأنَّهم لا يدخلون الجنَّة حتى يدخلهم الله جلّ ذكره إياها»(٢٤٩)، وحجتهم في ذلك قوله تعالى: ﴿وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [إبراهيم: ٢٣]، كما إنَّها تفيد أنَّ الأعمال ليست هي التي تدخلهم الجنة، إنما هي سببٌ لنيل رحمة الله ورضوانه، كما جاء في حديث رسول الله ﷺ قال: «سدِّدُوا وقاربوا، وأبشروا، فإنَّه لن يُدْخِلَ الجنةَ أحداً عَمَلُهُ، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا، إلا أن يتغمدنِيَ الله برحمة، واعلموا أنَّ أحبَّ العمل إلى الله أدوَمُهُ وإنْ قَلَّ»(٢٥٠). وربَّما أفادت قراءة المبني للمجهول السهولة واليسر في دخولهم الجنَّة بعد أمر الله تعالى لهم بذلك، لأن المبني للمجهول في اللغة يدل على التسهيل والتيسير في وقوع الحدث، كما يدل على مزيد عنايةٍ بهم وتكريمٍ لهم.

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين نجد أنَّ القراءتين متداخلتان، فأعمالهم كانت سبباً في دخولهم الجنة، وأمَّا الدخول نفسه وما فيه من النَّعيم الكثير فهو محض فضلٍ من الله تعالى، فالقراءتان جمعتا بين المعنيين، يقول مكي بن

---

(٢٤٨) حجة القراءات ص٦٣٣.

(٢٤٩) الكشف عن وجوه القراءات السبع ج١ ص ٣٩٧.

(٢٥٠) صحيح مسلم: كتاب صفة يوم القيامة والجنة والنار، باب لن يدخل أحدٌ الجنة بعمله بل برحمة الله تعالى، ج٤ ص٢١٧١ ح٢٨١٨.

أبي طالب: «القراءتان متداخلتان، لأنهم إذا أمروا بالدخول دخلوا، ولأنهم لا يدخلونها حتى يدخلهم الله إياها فهم داخلون مُدخلون»[٢٥١]. وإذا دخلوا وجدوا من السهولة والتيسير ما يدل على عناية الله بهم وتكريم الله لهم بما يفوق أعمالهم التي عملوها في الدنيا.

٩ ـ قال تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر: ٤٦].

القراءات:

١ ـ قرأ أبو جعفر، وحفص، وحمزة، والكسائي، وخلف، ويعقوب ﴿أَدْخِلُوٓاْ﴾ بقطع الألف وكسر الخاء.

٢ ـ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو بكر (ادخُلُوا) بوصل الهمزة، وضم الخاء[٢٥٢].

التفسير:

يخبر المولى ﷻ في هذه الآية عن مصير قوم فرعون وما حلَّ بهم من سوء العذاب، من غرقٍ في الدنيا ومن حرقٍ في الآخرة، ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾، أي: النَّارُ يُحرَقون بها صباحاً ومساءً، قال المفسرون: المراد بالنَّار في هذه الآية القبر وعذابهم في القبور بدليل قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾.

قال الطبري: «يقول تعالى ذكره مبيّناً عن سوء العذاب الذي حلَّ بهؤلاء الأشقياء من قوم فرعون ذلك الذي حاق بهم من سوء عذاب الله، النَّار يعرضون عليها، أنهم لما هلكوا وغرَّقهم الله جعلت أرواحهم في أجواف طيرٍ سودٍ، فهي تُعرَضُ على النَّارِ كلَّ يومٍ مرتين غُدوّاً وعشياً إلى أن

(٢٥١) الكشف عن وجوه القراءات السبع ج١ ص ٣٩٨.

(٢٥٢) انظر النشر في القراءات العشر ج٢ ص٣٦٥، والمبسوط في القراءات العشر ص٢٤٠.

تقوم الساعة»[٢٥٣]، وجاء في حديث الرسول ﷺ الذي يرويه ابن عمر ﵄ أن رسول الله ﷺ قال: «إن أحدكم إذا مات عُرِضَ عليه مقعدُه بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، فيقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة»[٢٥٤]، وفي الحديث عن ابن مسعود ﵁ قال: إنَّ أرواح آل فرعون ومن كان مثلهم من الكفار تعرض على النار بالغداة والعشي فيقال هذه داركم[٢٥٥]، وعنه أيضاً: «إنَّ أرواح آل فرعون في أجواف طيرٍ سودٍ تغدو على جهنَّمَ وتروح عليها، فذلك عرضها[٢٥٦]»[٢٥٧]، ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾، أي: يوم القيامة يقال للملائكة: أدخلوا فرعون وقومَه نارَ جهنَّم التي هي أشد من عذاب الدنيا، قال الطبرسي: «وهذا أمرٌ لآل فرعون بالدخول أو أمرٌ للملائكة بإدخالهم في أشد العذاب، وهو عذاب جهنم»[٢٥٨].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة ﴿أَدْخِلُوٓاْ﴾ بقطع الألف وكسر الخاء: أنَّ الأمر هنا موجهٌ إلى الملائكة الذين هم خزنة النار أن يُدخلوا آل فرعون أشدَّ العذاب، «لأنَّ الدخول ليس هو ما يشاءونه، ويفتعلونه من ذات أنفسهم، بل الزبانية يدخلونهم بعسف، وعنفٍ، وضربٍ، وسحبٍ»[٢٥٩].

---

(٢٥٣) جامع البيان م١١ ج٢٤ ص٤٦.

(٢٥٤) البخاري: كتاب الجنائز، باب الميت، يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي، ج١ ص٤٦٤ ح١٣١٣.

(٢٥٥) ذكره القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن ج٨ ص٢٧٠، وابن كثيرٍ بمعناه ج٤ ص٨٢، ولم أجده في كتب الحديث.

(٢٥٦) أخرجه: ابن أبي شيبة في مصنفه ج٧ ص٥٤، وابن حجر في فتح الباري: كتاب الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر ج٣ ص٢٣٣، قال ابن حجر فيه ليث ضعيف.

(٢٥٧) تفسير القرآن العظيم ج٤ ص٨٤.

(٢٥٨) مجمع البيان م٥ ج٢٤ ص٢٠٣.

(٢٥٩) إعراب القراءات السبع وعللها ج٢ ص٢٧٢.

وأمَّا قراءة (ادخُلُوا) بوصل الهمزة، وضم الخاء فعلى أن الأمر هنا موجه إلى آل فرعون، وتكون (آل فرعون) منصوبة على النداء، بمعنى: ادخلوا يا آل فرعون أشدَّ العذاب. قال صاحب زاد المسير: «قرأ ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو، وأبو بكر وأبان عن عاصم: (الساعة ادخلوا) بالضم وضم الخاء على معنى الأمر لهم بالدخول، والابتداء على قراءة هؤلاء بضم الألف، وقرأَ الباقون: بالقطع مع كسر الخاء على جهة الأمر للملائكة بإدخالهم، وهؤلاء يبتدئون بفتح الألف»(٢٦٠).

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين يتبيَّن المعنى أنَّ هناك أمراً للملائكة بإدخال هؤلاء الكفار نار جهنم، كما أنَّ هناك أمراً آخر لآل فرعون بدخول النار انصياعاً لأمر الملائكة، فإذا أدخِلوا دخلوا، وفيها شدة تعنيفٍ وترهيبٍ لهم وزيادة عزمٍ على تعذيبهم.

١٠ ـ قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾﴾ [غافر: ٥٢].

القراءات:

١ ـ قرأ نافع والكوفيون ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ﴾ بالياء على التذكير.

٢ ـ قرأ الباقون (يومَ لا تَنْفَعُ) بالتاء على التأنيث(٢٦١).

المعنى اللغوي للقراءات:

«النفع ضد الضر، يقال: نفعته بكذا فانتفع به، والاسم المنفعة»(٢٦٢). وقال الأصفهاني: «النفع: ما يستعان به في الوصول إلى الخيرات، وما

---

(٢٦٠) زاد المسير ص١٢٤٨، وانظر الجامع لأحكام القرآن ج٨ ص٢٧١.

(٢٦١) انظر النشر في القراءات العشر ج٢ ص٣٦٥، وتحبير التيسير ص١٩٩.

(٢٦٢) الصحاح ج٣ ص١٢١٧.

يتوصل به إلى الخير، فهو خير، فالنفع خير، وضده الضر. قال تعالى: ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ [الفرقان: ٣]»[٢٦٣].

التفسير:

تبيّن هذه الآية أنَّ الكفار لن ينفعهم معذرةٌ ولا توبةٌ يوم القيامة ولهم اللَّعنة بالطرد من رحمة الله تعالى، ودوام العذاب في أسوأ مكانٍ وهي النار.

يقول الطبرسي: «﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ﴾، أي: إن اعتذروا من كفرهم لم يقبل منهم وإن تابوا لم تنفعهم التوبة، وإنما نفى تنفعهم المعذرة في الآخرة مع كونها نافعةً في دار الدنيا، لأن الآخرة دار الإلجاء إلى العمل والملجأ غير محمودٍ على العمل الذي ألجئ إليه ﴿وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ﴾، أي: البعد من الرحمة والحكم عليهم بدوام العقاب ﴿وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾، جهنم نعوذ بالله منها»[٢٦٤].

وقال ابن جرير: «يوم لا ينفع أهل الشرك اعتذارهم لأنهم لا يعتذرون إن اعتذروا إلا بباطل، وذلك أن الله قد أعذر إليهم في الدنيا، وتابع عليهم الحجج فيها فلا حجة لهم في الآخرة إلا الاعتصام بالكذب بأن يقولوا ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣]»[٢٦٥].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قُرئ ﴿يَنفَعُ﴾ بالتذكير والتأنيث لأن الفاعل ﴿مَعْذِرَتُهُمْ﴾ مؤنث غير حقيقي، قال ابن خالويه: «يقرأ بالتاء دلالة على تأنيث المعذرة، وبالياء للحائل بين الفعل والاسم، أو لأن تأنيث الاسم ليس بحقيقي»[٢٦٦].

وتعليقاً على معنى القراءتين قال ابن جرير: «والصواب من القول في

---

(٢٦٣) مفردات ألفاظ القرآن ص٨١٩.

(٢٦٤) مجمع البيان م٥ ج٢٤ ص٢٠٦.

(٢٦٥) جامع البيان م١١ ج٢٤ ص٤٩.

(٢٦٦) الحجة في القراءات ص٣١٧.

ذلك أنهما قراءتان معروفتان، بمعنىً واحدٍ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب»[٢٦٧].

ويرى الباحث أنَّه لا بدَّ من تسليط الضوء على دلالة كلِّ قراءةٍ في سياق الآية وأثرها على المعنى، فالقاعدة اللغوية تجيز استخدام تذكير الفعل وتأنيثه إذا كان الفاعل مؤنثاً غير حقيقيٍ، ولكن لا بد من البحث عن حكمة استعمال التذكير في قراءة، والتأنيث في قراءةٍ أخرى، فكل قراءةٍ لها دلالتها على المعنى.

في قراءة (تَنْفَعُهُمْ) بتاء التأنيث كان تسليط الضوء في نفي المنفعة على المعذرة نفسها، بحيث لن تنفع المعذرة لأنها لم تقع، فتفيد نفي المعذرة ومن ثمَّ المنفعة، على معنى: لا تقع المعذرة من الظالمين فتنفعهم.

وأمَّا في قراءة (يَنْفَعُهُمْ) بالتذكير كان تسليط الضوء في نفي المنفعة على الظالمين، بحيث لا يقبل من الظالمين اعتذارٌ فينفعهم، فتفيد وقوع المعذرة من الظالمين وإن كانت قليلة، ولكن لا تنفعهم معذرتهم بسبب ظلمهم، ولأنَّ المعذرة تكون باطلة، ولا يجدون دفاعاً عن أنفسهم إلا بها، وقال الألوسي: «(لا) قيل: تحتمل أن تكون لنفي النفع فقط على معنى: أنَّهم يعتذرون ولا ينفعهم معذرتهم لبطلانها، وتحتمل أن تكون لنفي النفع والمعذرة، على معنى: لا تقع معذرة لتنفع»[٢٦٨].

وقال الزمخشري: «يحتمل أنَّهم يعتذرون بمعذرة ولكنَّها لا تنفع، لأنَّها باطلة، وأنَّهم لو جاءوا بمعذرة لم تكن مقبولة، لقوله تعالى: ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ۝٣٦﴾ [المرسلات: ٣٦]»[٢٦٩].

وقال الجرجاني في حاشية الكشاف تعقيباً على قول الزمخشري:

(٢٦٧) جامع البيان م١١ ج٢٤ ص٤٩.
(٢٦٨) روح المعاني ج٢٤ ص٧٧.
(٢٦٩) الكشاف ج٣ ص٤٣٢.

«قلت: هما الاحتمالان في قوله تعالى: ـ (ولا شفيع يطاع) ـ ولكن بين الموضعين فرقاً يصير أحدهما معه عكس الآخر، وذلكَ أنَّه هنا على تقدير أن يكون المراد أنَّهم لا معذرة لهم البتَّة، يكون قد نفى صفة المعذرة، وهي المنفعة التي لها تراد المعذرة قطعاً لرجائهم كي لا يعتذروا البتَّة، كأنَّه قيل: إذا لم يحصل ثمرة المعذرة فكيف يقع ما لا ثمرة له، وفي الآية المتقدمة جعل نفي الموصوف بتا لنفي الصفة»(٢٧٠).

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين يتبيَّن من المعنى: نفي النَّفع مطلقاً للظالمين معذرتهم سواء اعتذروا أو لم يعتذروا، وإن وقعت المعذرة فهي باطلةٌ.

١١ ـ قال تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [غافر: ٥٨].

القراءات:

١ ـ قرأ عاصم وحمزة والكسائي وخلف ﴿قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ﴾ بالتاء.

٢ ـ وقرأ الباقون (قليلاً ما يَتَذَكَّرُون) بالياء(٢٧١).

المعنى اللغوي للقراءات:

الذِّكْر: «تارة يقال ويراد به هيئة للنفس بها يمكن للإنسان أن يحفظ ما يقتنيه من المعرفة، وهو كالحفظ، إلَّا أن الحفظ يقال اعتباراً بإحرازه، والذِّكْر يقال اعتباراً باستحضاره»(٢٧٢)، وقال ابن منظورٍ: «الذِّكْر: الحفظ للشيء تذكره»(٢٧٣).

---

(٢٧٠) المصدر السابق ج٣ ص٤٣٢.

(٢٧١) المبسوط في القراءات العشر ص٢٤٠.

(٢٧٢) مفردات ألفاظ القرآن ص٣٢٨.

(٢٧٣) لسان العرب ج٤ ص٣٠٨.

التفسيـر:

يخبر المولى ﷻ في هذه الآية أنَّه لا يمكن الجمع والمساواة بين النقيضين في حال، فكما أنَّه لا يستوي الأعمى الذي فقد حاسة البصر، والبصير الذي أنعم عليه الله بهذه الحاسة، فكذلك لا يمكن أن يستوي المؤمنون الأبرار، والكفرة الفُجَّار، قال ابن جرير الطبري: «وما يستوي الأعمى الذي لا يبصر شيئاً وهو مثل الكافر الذي لا يتأمل حجج الله بعينيه، فيتدبرها، ويعتبر بها فيعلم وحدانيته وقدرته على خلق ما شاء من شيءٍ ويؤمن به ويصدِّق، والبصير الذي يرى بعينيه ما شَخَصَ لهما ويبصرُه، وذلك مثل للمؤمن الذي يرى بعينيه حجج الله فيتفكر فيها ويتعظ، ويعلم ما دلَّت عليه من توحيد صانعه، وعظيم سلطانه وقدرته على خلق ما يشاء، يقول جل ثناؤه كذلك لا يستوي الكافر والمؤمن ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [البقرة: ٨٢]، يقول جل ثناؤه، ولا يستوي أيضاً كذلك المؤمنون بالله ورسوله المطيعون لربهم، ولا المسيء وهو الكافر به العاصي له المخالف أمره، ﴿قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ﴾، يقول جل ثناؤه قليلاً ما تتذكرون أيها الناس حجج الله فتعتبرون وتتعظون»(٢٧٤).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (يتذكرون) بياء الغيبة، الإخبار عن هؤلاء الكفار أنهم قليلاً ما يتذكرون، أي: يَقِلُّ نظرهم فيما ينبغي أن ينظروا فيه ممّا دعوا إليه(٢٧٥)، وهذه هي حالهم مقابل حال المؤمنين الذين يبصرون حجج الله فيتفكرونها ويتعظون بها.

وأمَّا قراءة ﴿تَتَذَكَّرُونَ﴾ بتاء الخطاب فتفيد توجيه الخطاب إلى الكفار بأمرٍ من الله لنبيِّه محمدٍ ﷺ، على معنى: قل لهم يا محمد إنكم أيها الكفار قليلاً ما تتذكرون، كما أن قراءة ﴿تَتَذَكَّرُونَ﴾ بتاء الخطاب على الالتفات من

---

(٢٧٤) جامع البيان م١١ ج٢٤ ص٥١.

(٢٧٥) انظر الحجة للقراء السبعة ج٣ ص٣٥٣، مفاتيح الأغاني ص٣٦٠.

الغيبة إلى الخطاب فيها مزيد توبيخ وتقريع لكفار قريش، قال النيسابوري: «﴿قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ﴾ فيه مزيد توبيخ وتقريع وفيه أنَّ هذا التفاوت مما يعثر عليه المكلف بأدنى تأمل لو لم يكن معانداً، مقصراً»(٢٧٦)، وقال الألوسي: «إنَّ التاء للتغليب أو الالتفات أو أمر الرسول ﷺ بالمخاطبة أي: بتقدير قُلْ قَبْلَه، وآثر العلاَّمَة الطيبي، الالتفات لأن العدول من الغيبة إلى الخطاب في مقام التوبيخ يدل على العنف الشديد والإنكار البليغ، فهذه الآية متصلة بخلق السموات وهو كلام مع المجادلين، وتعقبه صاحب الكشف بأنه يجوز أن يجعل ما ذكر نكتة التغليب، فيكون أولى لفائدة التعميم أيضاً فليفهم، والظاهر أن التغليب جاء على احتمال كون الضمير للناس، واحتمال كونه للكفار لأن بعض الناس أو الكفار مخاطبٌ هنا، والتقليل أيضاً يصح إجراؤه على ظاهره لأن منهم من يتذكر ويهتدي»(٢٧٧).

ومن العلماء من اعتبر أن التاء أعم(٢٧٨)، قال ابن زنجلة: «والتاء أعم لأنها تجمع الصنفين أي أنتم وهم»(٢٧٩).

وأمَّا ابن عاشور فقال: «والخطاب للذين لا يجادلون في آيات الله، وكون الخطاب لجميع الأمة من مؤمنين ومشركين وأن التذكر القليل هو تذكر المؤمنين فهو قليلٌ بالنسبة لعدم تذكر المشركين بعيدٌ عن سياق الرد ولا يلاقي الالتفات»(٢٨٠)، ولكن الظاهر من سياق الآية أن المخاطب هم المجادلون من كفار قريش لأنها جاءت في سياق المفارقة بينهم وبين المؤمنين الذي يتعظون ويعتبرون بآيات الله تعالى، وقال الألوسي: «وقال الجلبي: الضمير إذا كان للناس فالتقليل على معناه الحقيقي، والمستثنى هم المؤمنون، وإذا كان للكفار فهو بمعنى النفي، ثم الظاهر أن المخاطب من

(٢٧٦) تفسير النيسابوري ج٤ ص٢٩٢٧.

(٢٧٧) روح المعاني ج٢٤ ص٨٠.

(٢٧٨) انظر الكشاف ج٣ ص٤٣٢.

(٢٧٩) حجة القراءات ص٦٣٤.

(٢٨٠) التحرير والتنوير م١١ ج٢٤ ص١٧٦.

خاطبه ﷺ من قريشٍ»(٢٨١).

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين يظهر: أنَّ الله تعالى أمر نبيّه محمداً ﷺ أن يخاطب هؤلاء المجادلين في آيات الله من الكفار، على وجه التوبيخ والتقريع والإنكار الشديد عليهم، وأن يقول لهم إنهم لا يعتبرون ولا يتعظون من هذه الأمثال التي يضربها الله سبحانه للناس، إلا قليلاً أو لا يتعظون أصلاً، فإنه قد يعبر بقلة الشيء عن عدمه.

١٢ ـ قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر: ٦٠].

القراءات:

١ ـ قرأ ابن كثيرٍ، وأبو جعفرٍ، وأبو بكرٍ، ورويسٌ (سيُدْخَلون) بضم الياء وفتح الخاء.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿سَيَدْخُلُونَ﴾ بفتح الياء وضم الخاء(٢٨٢).

التفسير:

في هذه الآية الكريمة، يدعو المولى ﷻ عباده إلى التوجه إليه بالدعاء والإخلاص له في العبادة، فيستجيب الله لهم، ويحذر المتكبرين عن عبادته، ويتوعدهم بنار جهنم يدخلونها أذلاء صاغرين.

قال ابن كثير: «هذا من فضله تبارك وتعالى، وكرمه أنه ندب عباده إلى دعائه، وتكفل لهم بالإجابة كما كان سفيان الثوري يقول: يا من أحبَّ عباده إليه من سأله فأكثر سؤاله، ويا من أبغض عباده إليه من لم يسأله،

(٢٨١) روح المعاني ج٢٤ ص٨٠.

(٢٨٢) انظر تحبير التيسير ص١٩٩، والمستنير في تخريج القراءات المتواترة ج٣ ص٤٣.

وليس أحد كذلك غيرك يا رب رواه ابن أبي حاتم، وفي هذا المعنى يقول الشاعر:

الله يغضب إن تركت سؤاله وبنيّ آدم حين يسأل يغضبُ[(٢٨٣)].

وقال قتادة: قال كعب الأحبار أُعطِيَت هذه الأمة ثلاثاً لم تعطهن أمة قبلها إلا نبي: كان إذا أرسل الله نبيّاً قال له أنت شاهد على أمتك، وجعلكم شهداء على النَّاس، وكان يقال له: ليس عليك في الدين من حرج، وقال لهذه الأمة: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨] وكان يقال له ادعني أستجب لك، وقال لهذه الأمة: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠][(٢٨٤)]، وعلى هذا يكون المقصود بالدعاء هو السؤال، إلَّا أن بعض المفسرين قالوا: المقصود بالدعاء العبادة والتوحيد، قال الشوكاني: «قال أكثر المفسرين: المعنى: وحِّدُوني واعبدوني أتقبلُ عبادَتكم وأغفرُ لكم، وقيل المراد بالدعاء السؤال بجلب النفع ودفع الضُرِّ، قيل: الأول أولى لأنَّ الدعاء في أكثر استعمالات الكتاب العزيز هو العبادة، قلت: بل الثاني أولى لأن معنى الدعاء حقيقةً وشرعاً هو الطلب، فإن استعمل في غير ذلك فهو مجاز، على أن الدعاء في نفسه باعتبار معناه الحقيقي هو عبادة، بل مخ العبادة كما ورد بذلك الحديث الصحيح[(٢٨٥)]، فالله سبحانه قد أمر عباده بدعائه، ووعدهم بالإجابة ووعده الحق، وما يُبَدَّلُ القولُ لديه ولا يخلف المعياد، ثم صرّح سبحانه بأن هذا الدعاء باعتبار معناه الحقيقي وهو الطلب، هو من عبادته فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ أي: ذليلين صاغرين، وهذا وعيدٌ شديدٌ لمن استكبر عن دعاء الله، وفيه لطفٌ بعباده عظيم وإحسانٌ إليهم جليلٌ حيث توعد من ترك

(٢٨٣) لم أقف عليه، والبيت ذكره ابن كثيرٍ في تفسيره ج٤ ص٨٧.

(٢٨٤) تفسير القرآن العظيم ج٤ ص٨٧.

(٢٨٥) سنن الترمذي: كتاب الدعوات عن رسول الله. الدعاء، باب ما جاء في فضل الدعاء، ج٥ ص٤٥٦ ح٣٣٧١. قال عنه أبو عيسى الترمذي: هذا حديثٌ غريبٌ من هذا الوجه.

طلب الخير منه، واستدفاع الشر به بهذا الوعيد البالغ، وعاقبه بهذه العقوبة العظيمة»[٢٨٦].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة ﴿سَيَدْخُلُونَ﴾ بفتح الياء وضم الخاء، أنَّ المستكبرين عن عبادة الله تعالى سيدخلون يوم القيامة نار جهنَّم بأنفسهم، بوعدٍ لا خلف فيه من الله تعالى بسبب تكبرهم واستكبارهم على الله تعالى بالدعاء والعبادة، فأضيف الفعل في هذه القراءة إلى الداخلين، وهم المستكبرون.

وأمَّا قراءة (سيُدخَلون) بضم الياء، وفتح الخاء، فقد أفادت دخولهم النار بفعل غيرهم أي: إنَّ غيرهم سوف يدخلهم (جهنَّم) وهم ملائكة العذاب[٢٨٧]، بأمرٍ من الله تعالى، وربَّما أفادت المبني للمجهول زيادة التحقير والذلِّ لهم فيجتمع عليهم الذلُّ والإهانةُ والعذابُ جزاء استكبارهم.

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين يظهر من المعنى أنهم سيدخلون نار جهنم يوم القيامة بسبب أعمالهم واستكبارهم بأمرٍ من الله تعالى والذي سيدفعهم إلى نار جهنم هم ملائكة العذاب الذين يعنفونهم ويحقرونهم على استكبارهم عن عبادة الله تعالى لقوله سبحانه وتعالى: ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾﴾ [الطور: ١٣] **فإذا أُدخلوا دخلوا وهم صاغرون أذلاء.**

١٣ ـ قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [غافر: ٧٧].

القراءات:

١ ـ قرأ يعقوب (يَرْجِعُون) بفتح التاء وكسر الجيم على البناء للفاعل.

(٢٨٦) فتح القدير ج٤ ص٦٩٩.

(٢٨٧) انظر التحرير والتنوير م١١ ج٢٤ ص١٨٣.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿يُرْجَعُونَ﴾ بضم التاء وفتح الجيم على البناء للمفعول[٢٨٨].

سبق الحديث عن هذه القراءة عند تفسير الآية (٤٤) من سورة الزمر[٢٨٩].

(٢٨٨) انظر إتحاف فضلاء البشر ص٤٨٧، الشامل في القراءات المتواترة ص٢٥٠.

(٢٨٩) انظر ص٣١ من هذا البحث.

المبحث الثالث
عرض وتفسير لآيات سورة فصلت
المتضمنة للقراءات القرآنية العشر

١ ـ قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴿١٠﴾﴾ [فصلت: ١٠].

القراءات:

١ ـ قرأ أبو جعفر (سَواءٌ) بالرفع.

٢ ـ قرأ يعقوب (سَواءٍ) بالخفض.

٣ ـ قرأ الباقون ﴿سَوَاءً﴾ بالنصب[٢٩٠].

المعنى اللغوي للقراءات:

«المساواة: المعادلة المعتبرة بالذرع والوزن، والكيل، يقال: هذا ثوبٌ مساوٍ لذاك الثوب»[٢٩١]، «والسواء: العدل، قال تعالى: ﴿فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ﴾ [الأنفال: ٥٨]، وسَواء الشيء وسطه، قال تعالى: ﴿فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾

(٢٩٠) انظر النشر في القراءات العشر ج٢ ص٣٦٦.

(٢٩١) مفردات ألفاظ القرآن ص٤٣٩.

(٢٩٢) الصحاح ج٦ ص٢٣٨٤.

[الصَّافات: ٥٥] وَسِواءُ الشيء: غيرُه»[٢٩٢]، وساواه: ماثله وعادله، وسَوَّى الشيء: قوَّمه وعدَّله وجعله سويًا، يقال مكانٌ سواءٌ، وثوبٌ سواءٌ، أي: مستوٍ طوله وعرضه وطبقاته[٢٩٣].

التفسير:

تأتي هذه الآية استكمالاً لآيةٍ سبقتها فيها الإنكار الشديد من رب العزة ﷻ على أولئك المشركين الذين عبدوا معه غيره وساووا بينه وبين ما يعبدون من أصنام خسيسة لا تضر ولا تنفع، وهو الخالق المبدع لكلِّ شيءٍ، وهو ربُّ العالمين بيده الأمر كله، القاهر، المقتدر على كل شيء، ثم يعرض المولى ﷻ في هذه الآية الدلائل القاطعات الواضحات على وحدانيته، وعظيم قدرته، وتفرده بالألوهية، فقال: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا﴾، قال ابن كثير: «أي: جعلها مباركةً قابلةً للخير والبذر والغراس، وقدَّر فيها أقواتَها، وهو ما يحتاج أهلها إليه من الأرزاق، والأماكن التي تزرع وتغرس، يعني: يوم الثلاثاء والأربعاء فهما مع اليومين السابقين أربعة لهذا قال: ﴿فِيٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ﴾ أي: لمن أراد السؤال عن ذلك ليعلمه»[٢٩٤].

وقال الطبرسي: «﴿سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ﴾ أي: مستوية كاملة من غير زيادةٍ ولا نقصانٍ للسائلين عن مدة خلق الأرض، وقيل: معناه للذين يسألون الله أرزاقهم ويطلبون أقواتهم، فإن كلاً يطلب القوت، ويسأله»[٢٩٥]، وقال القرطبي: «معنى: ﴿سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ﴾ ولغير السائلين، أي: خلق الأرض وما فيها لمن سأل ولمن لم يسأل، ويعطي من سأل ومن لم يسأل»[٢٩٦].

(٢٩٣) انظر المعجم الوسيط ص٤٩٢.
(٢٩٤) تفسير القرآن العظيم ج٤ ص٩٥.
(٢٩٥) مجمع البيان م٥ ج٢٥ ص٧.
(٢٩٦) الجامع لأحكام القرآن ج٨ ص٣٩١.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

كل قراءة من القراءات الثلاث أفادت معنىً آخر مغايراً لمعنى القراءة الأخرى:

فقراءة (سَوَاءٍ) بالخفض أفادت أنَّها نعتٌ لأربعة أيامٍ، فيكون المعنى: «في أربعة أيامٍ مستوياتٍ تامَّاتٍ للسائلين»(٢٩٧).

وأما قراءة (سَوَاءٌ) بالضم فقد أفادت «أنها خبرٌ لمبتدأٍ محذوفٍ أي: هي سواءٌ»(٢٩٨).

وجاء في مفاتيح الأغاني: «من رفع فعلى معنى: هي سواء للسائلين، وقال السدِّي وقتادة: سواء لا زيادة ولا نقصان، جواباً لمن سأل: في كم خلقت الأرض؟»(٢٩٩).

وأمَّا قراءة ﴿سَوَآءً﴾ بالنصب، فقد أفادت أنَّها حال من ضمير ﴿أَقْوَاتَهَا﴾ أو من أيام أو بالنصب على المصدر فيكون المعنى: استوت سواءً واستواءً»(٣٠٠).

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءات يظهر من المعنى: أنَّ الله تعالى، قدَّر فيها أقواتها سواءً أي: كاملةً من غير زيادةٍ ولا نقصانٍ، لأجل الطالبين المحتاجين، الذين يسألون الله أرزاقهم ويطلبون أقواتهم، ولِمن سأل عن الأمر واستفهم عن حقيقة وقوعه، وأراد العبرة منه، فإنه يجده كما قال تعالى، كل ذلك في أربعة أيامٍ، كاملةٍ تامةٍ مستويةٍ بلا زيادةٍ ولا نقصانٍ.

٢ ـ قال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِيٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ

(٢٩٧) نظم الدرر ج٦ ص٥٦٦، انظر زاد المسير ص١٢٥٣، معالم التنزيل ج٤ ص٩٦.

(٢٩٨) المستنير في تخريج القراءات المتواترة ج٣ ص٢٤.

(٢٩٩) مفاتيح الأغاني ص٣٦١.

(٣٠٠) انظر مجمع البيان م٥ ج٢٥ ص٧.

عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَخۡزَىٰۖ وَهُمۡ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾﴾ [فصلت: ١٦].

القراءات:

١ - قرأ أبو جعفرٍ وابن عامرٍ والكوفيون ﴿نَّحِسَاتٍ﴾ بكسر الحاء.

٢ - وقرأ الباقون (نَحْسَاتٍ) بإسكان الحاء(٣٠١).

المعنى اللغوي للقراءات:

«النَّحْس: الأمر العظيم، والرِّيح الباردة إذا أدبرت، والغبار في أقطار السماء، وضدُّ السَّعْد»(٣٠٢)، والنّحاس: اللهيب بلا دخانٍ، وذلك لشبهه في اللون بالنحاس، وأصل النَّحْس، أن يحمرَّ الأفق فيصير كالنحاس، أي: لهبٌ بلا دخانٍ، فصار ذلك مثلاً للشؤم»(٣٠٣).

وقال الزجاج: «ونحساتٍ مشئوماتٍ واحدها نَحِسٌ»(٣٠٤).

التفسير:

تصف هذه الآيات نوع العذاب الذي أرسله الله تعالى على قوم عاد جرَّاء استكبارهم في الأرض بغير حق وكفرهم بالله تعالى، وتكذيبهم لأنبيائهم، فقال سبحانه: ﴿فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا﴾ قال ابن كثير: «قال بعضهم وهي الشديدة الهبوب، وقيل الباردة، وقيل هي التي لها صوت، والحق أنَّها متصفةٌ بجميع ذلك فإنها كانت ريحاً شديدةً قويةً لتكون عقوبتهم من جنس ما اغتروا به من قواهم، وكانت ذات صوت مزعج ومنه سُمِّي النهر المشهور ببلاد المشرق صرصرٌ لقوة صوت جريه، ﴿فِيٓ أَيَّامٖ نَّحِسَاتٖ﴾

(٣٠١) انظر النشر في القراءات العشر ج٢ ص٣٦٦، تحبير التيسير ص٢٠٠.

(٣٠٢) القاموس المحيط ص٥١٩.

(٣٠٣) انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٧٩٤.

(٣٠٤) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ج٤ ص٣٨٣.

أي: متتابعات»[٣٠٥]، وقال الطبرسي: «أي نكدات مشئومات ذوات نحوس وقيل نحسات ذوات غبار وتراب حتى لا يكاد يبصر بعضهم بعضاً عن الجبائي[٣٠٦]، وقيل نحسات باردات، والعرب تسمي البرد نحساً»[٣٠٧]، ﴿لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ أي: لكي نذيقهم العذاب المخزي المذل في الدنيا بسبب ذلك الاستكبار ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ﴾ أي: ولعذابهم في الآخرة أشدُّ إهانة وذلاً وأعظم خزياً من عذابهم في الدنيا وليس لهم ناصر يمنعهم من العذاب أو يدفعه عنهم[٣٠٨].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

العلاقة بين القراءتين (نَحِسَات بكسر الحاء، ونَحْسَات بتسكين الحاء) علاقة لغوية فقط، والمعنى واحد على رأي أكثر المفسرين، قال الطبري: «والصواب من القول في ذلك أن يقال: إنهما قراءتان مشهورتان قد قرأ بكل واحدة منهما قراء علماء مع اتفاق معنييهما، وذلك أن تحريك الحاء وتسكينها في ذلك لغتان معروفتان يقال: هذا يوم نَحْسٍ بكسر الحاءِ وسكونها... فمن كان في لغته يومُ نَحْس قال في أيامِ نَحْسَات، ومن كان في لغته يومُ نَحِسٍ قال في أيامِ نَحِسَات»[٣٠٩].

وقال ابن زنجلة: «قال الكسائي والفراء: هما لغتان بمعنى واحد، يقال: نَحْس ونَحِس، وأيام نَحْسَاتٍ، ونَحِسَاتٍ أي: مشائيم»[٣١٠]، وقال

---

(٣٠٥) تفسير القرآن العظيم ج٤ ص٩٧.

(٣٠٦) هو: محمد بن عبدالوهاب بن سلام الجبائي، وكنيته: أبو علي البصري، وشيخ المعتزلة، له تصانيف كثيرة، منها كتاب التفسير الكبير، ابنه: عبدالسلام ـ أبو هاشم الجبائي ـ شيخ المعتزلة، توفي أبو علي سنة ٣٠٣هـ عن ٦٨ سنة. (انظر سير أعلام النبلاء ج٧ ص١٨٣، طبقات المفسرين(١) ج١ ص١٠٢، شذرات الذهب ج١ ص٢٨٧).

(٣٠٧) مجمع البيان م٥ ج٢٥ ص١٣.

(٣٠٨) انظر فتح القدير ج٤ ص٧١٦.

(٣٠٩) جامع البيان م١١ ج٢٤ ص٦٧.

(٣١٠) حجة القراءات ص٦٣٥.

أبو منصور: من قرأ (نَحْسَاتٍ) بسكون الحاء فالواحد: نَحْس، يقال: يومٌ نَحْسٌ، وأيامٌ نَحْسَات جمع الجمع، ومن قرأ ﴿نَّحِسَاتٍ﴾ فالواحد نَحِسٌ، وأيام نَحِسَةٌ، ثم نَحِسَات جمع الجمع، ومعنى النَحِسَات والنَحْسَات: المشئومات»(٣١١).

وأمَّا حجة من قرأ (نَحْسَاتٍ) بإسكان الحاء، قوله تعالى: ﴿فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ﴾ [القمر: ١٩] أي: في يوم شؤم وبلاءٍ وهُلك، وحجة من قرأ ﴿نَّحِسَاتٍ﴾ بكسر الحاء أنَّ النَّحِسَات صفة لليوم(٣١٢)، قال الطبري: «وقد قال بعضهم: النَّحْس بسكون الحاء هو الشؤم نفسه وإنَّ إضافة اليوم إلى النَّحْس إنَّما هو إضافة إلى الشؤم، وأنَّ النَّحِس بكسر الحاء نعتٌ لليوم بأنَّه مشئوم، ولذلك قيل في أيام نَحْسات لأنها أيام مشائيم»(٣١٣)، وعلى هذا تكون قراءة (نَحْساتٍ) بإسكان الحاء فيها مبالغة وصفٍ للشؤم أكثر مما تحمله قراءة ﴿نَّحِسَاتٍ﴾ بكسر الحاء التي تصف الأيام بالشؤم، و(نَحْسات) مصدر والتعبير بالمصدر أقوى دلالة وأبلغ من التعبير بالوصف لما فيه من معنى الملاصقة بينه وبين المضاف وهو (الأيام) مما يدل على ثبوت الحالة التي عليها، ويؤيد ذلك ما ذكره الألوسي قال: «﴿فِيٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ﴾ جمع نحسةٍ بكسر الحاء صفةٌ مشبهة من نحس نحساً كعلم علماً نقيض سعد سعداً، وقرأ الحرميان، وأبو عمرو، والنخعي، وعيسى، والأعرج (نَحساتٍ) بسكون الحاء فاحتمل أن يكون مصدراً وصف به مبالغةً»(٣١٤).

٣ ـ قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾﴾ [فصلت: ١٩].

---

(٣١١) معاني القراءات ج٢ ص٣٥٢.
(٣١٢) انظر إعراب القراءات السبع وعللها لابن خالويه ص٢٧٦.
(٣١٣) جامع البيان ج٢١ ص٦٧.
(٣١٤) روح المعاني ج٢٤ ص١١٢.

القراءات:

١ ـ قرأ نافعٌ ويعقوب (نَحْشُرُ) بالنون وفتحها وضم الشين، (وأعداءَ) بالنصب.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿يُحْشَرُ﴾ بالياء وضمها وفتح الشين، و﴿أَعْدَآءُ﴾ بالرفع(٣١٥).

المعنى اللغوي للقراءات:

«الحشر: إخراج الجماعة عن مقرهم، وإزعاجهم عنه إلى الحرب ونحوها... وسُمِّيَ يوم القيامة يوم الحشر كما سمي يوم البعث والنشر»(٣١٦)، وقال ابن منظور: «والحشر: جَمْعُ الناسِ يوم القيامة، والحَشْرُ: حَشرُ يوم القيامة، والمَحْشَرُ: المجمع الذي يحشر إليه القوم، وكذلك إذا حشروا إلى بلدٍ أو معسكرٍ أو نحوه»(٣١٧).

التفسير:

لما فرغ الله تعالى من موعظة المشركين بما حلّ بالأمم المكذبة من قبلهم وإنذارهم بعذاب يحل بهم في الدنيا كما حلَّ بأولئك المكذبين، انتقل في هذه الآية الكريمة إلى إنذارهم بما سيحلُّ بهم في الآخرة فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾﴾ أي: «واذكر لهم يا محمد طرفاً من عذاب يوم القيامة بعد تهديدهم بعذاب الدنيا لعلهم يرجعون، اذكر لهم يوم يحشر أعداء الله من الكفرة إلى النَّار، ومواقف الحساب فهم يساقون إليها كما تساق الأنعام بشدة حتى إذا تكاملوا واجتمع أولهم على آخرهم يدفعون إلى جهنم دفعاً»(٣١٨)، كما قال سبحانه وتعالى:

---

(٣١٥) انظر النشر في القراءات العشر ج٢ ص٣٦٦، تحبير التيسير ص٢٠٠.

(٣١٦) مفردات ألفاظ القرآن ص٢٣٧.

(٣١٧) لسان العرب ج٤ ص١٩٠.

(٣١٨) التفسير الواضح م٣ ج٢٤ ص٦١.

﴿وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾﴾ [مريم: ٨٦]، «والتعبير عنهم بأعداء الله تعالى لذمهم والإيذان بعلة ما يحيق بهم من ألوان العذاب»(٣١٩).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (نحشرُ أعداءَ) بنون العظمة إسناد فعل الحشر من الله تعالى إلى نفسه فهو يخبر عن نفسه، والمعنى «يحشر الله ﷻ أعداءه الكفار من الأولين والآخرين»(٣٢٠). قال مكي بن أبي طالب: «قرأ نافعٌ بالنون ونصب (الأعداء)، على الإخبار من الله جلَّ ذكره عن نفسه، ردَّه على قوله: ﴿وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [فصلت: ١٨] فعطف مخبراً عن نفسه على مخبرٍ عن نفسه، وهو هو، فذلك أحسن في مطابقة الكلام وبناء آخره على أوله، ونصب (أعداء) بوقوع الفعل عليهم»(٣٢١).

وأمَّا القراءة الثانية بياء الغيبة فإنه بنى الفعل للمجهول ولم يسمِّ فاعله على سبيل الإخبار عنهم، على أن الملائكة هم الحاشرون لهم بأمرٍ من الله تعالى، قال الرازي: «وأيضاً الحاشرون لهم هم المأمورون بقوله: ﴿ٱحْشُرُوا۟﴾ [الصافات: ٢٢] وهم الملائكة، وأيضاً هذه القراءة موافقة لقوله: ﴿يُوزَعُونَ﴾»(٣٢٢)، كما أن هذه القراءة تدل على سهولة الحدث ويسره، قال البقاعي: «﴿يُحْشَرُ﴾ أي: يجمع بكثرةٍ بأمرٍ قاهرٍ لا كلفة علينا فيه، هذه على قراءة الجماعة بالبناء للمفعول»(٣٢٣).

الجمع بين القراءات:

تفيد القراءة بالياء ﴿يُحْشَرُ﴾ أنَّ الله تعالى يأمر الملائكة يوم القيامة

---

(٣١٩) روح المعاني ج٢٤ ص١١٤.

(٣٢٠) التفسير الكبير م١٤ ج٢٧ ص١١٥، وانظر الكشاف ج٣ ص٤٥٠.

(٣٢١) الكشف عن وجوه القراءات السبع ج٢ ص٢٤٨.

(٣٢٢) التفسير الكبير م١٤ ج٢٧ ص١١٥، وانظر الكشف عن وجوه القراءات السبع ج٢ ص٢٤٨.

(٣٢٣) نظم الدرر ج٦ ص٥٦٣.

بحشر أولئك الكفرة الظالمين لينالوا عقابهم الأليم بسبب كفرهم وتكذيبهم لأنبيائهم ويتم هذا الأمر بسهولة ويسر دون جهدٍ أو مشقةٍ، ولم يذكر الله تعالى الفاعل هنا، إمَّا من أجل العلم به لأنَّ الأمر يتم بأمر الله تعالى وهو الحاشر لهم بأمره، وإما لتعظيم الفاعل وهو الله تعالى مقابل تحقير أعداء الله تعالى.

وأمَّا قراءة (نَحْشرُ) بنون العظمة فإنَّها نسبت فعل الحشر إلى الله تعالى مباشرة بأنَّه هو الفاعل، فيكون إسناد الفعل إلى الله صراحةً أثبت وأقوى مما لم يسند إليه صراحة، وفي هذه القراءة التفاتٌ من الغيبة إلى التَّكلم بنون العظمة تعظيماً للفاعل وهو الله تعالى مقابل تحقير أعداء الله، كما أنَّ فيها زيادة توكيد الفعل ودلالة على شدة انتقام الله تعالى من أولئك الكفار بما يتناسب مع عظمته فيكون الفعل المبني للفاعل بنون العظمة يضيف معنىً زائداً على القراءة الأخرى، وهو المبالغة والشدة في الانتقام والتعذيب، والله تعالى أعلم.

٤ ـ قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾﴾ [فصلت: ٢١].

القراءات:

١ ـ قرأ يعقوب (تَرْجِعُونَ) بفتح التاء وكسر الجيم على المبني للفاعل.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿تُرْجَعُونَ﴾ بضم التاء وفتح الجيم على المبني للمفعول[٣٢٤].

المعنى اللغوي للقراءات:

الرجوع: العود إلى ما كان منه البدء، فالرجوع: العود، والرَّجْعُ: الإعادة، والرجعة في الطلاق وفي العود إلى الدنيا بعد الممات[٣٢٥]، «وقوله

(٣٢٤) انظر الشامل في القراءات المتواترة ص٢٤٨، إتحاف فضلاء البشر ص٤٨٩.
(٣٢٥) انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٣٤٢.

عَجَلَّ: ﴿قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ۝٩٩ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا﴾ [المؤمنون: ٩٩ ـ ١٠٠]، يعني العبد إذا بعث يوم القيامة أبصر وعرف ما كان ينكر في الدنيا بقوله لربه: (ارْجِعُون) أي: ردُّوني إلى الدنيا»(٣٢٦).

التفسير:

تعرض هذه الآية الكريمة لمشهدٍ عظيم من مشاهد يوم القيامة ـ يحدث مع الكفار المجرمين يوم يحشرهمُ الله تعالى للحساب ـ لا تتصوره عقولهم، فتشهد عليهم جوارحهم وأعضاؤهم بأمر الله تعالى، بما اقترفوه من جرائمٍ وآثام، فيسألون بتعجبٍ واستغرابٍ جوارحهم وأعضاءهم ﴿لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَاۖ﴾ فترد عليهم الجوارح التي أنطقها الله تعالى، أنَّ الذي أنطقنا هو الله الذي أنطق كل شيءٍ، قال ابن جريرٍ: «يقول تعالى ذكره، وقال هؤلاء الذين يحشرون إلى النار من أعداء الله سبحانه لجلودهم، إذ شهدت عليهم بما كانوا في الدنيا يعملون، لم شهدتم علينا بما كنا نعمل في الدنيا، فأجابتهم جلودهم، أنطقنا الذي أنطق كل شيء، فنطقنا وذكر أن هذه الجوارح تشهد على أهلها عند استشهاد الله إياها عليهم إذا هم أنكروا الأفعال التي كانوا فعلوها في الدنيا بما يسخط الله»(٣٢٧)، وقوله: ﴿وَهُوَ خَلَقَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾، قال البغوي: «ليس هذا من جواب الجلود»(٣٢٨). وقال الألوسي: «يحتمل أن يكون من تمام كلام الجلود ومقول القول، ويحتمل أن يكون مستأنفاً من كلامه عَجَلَّ، والأول أظهر»(٣٢٩)، «والمعنى: أنَّ من قدر على خلقكم وإنشائكم ابتداءً قدر على إعادتكم ورجعكم إليه»(٣٣٠).

(٣٢٦) لسان العرب ج٨ ص١١٤.

(٣٢٧) جامع البيان ج٢١ ص٦٨.

(٣٢٨) معالم التنزيل ج٤ ص١٠٠.

(٣٢٩) روح المعاني ج٢٤ ص١١٦.

(٣٣٠) فتح القدير ج٤ ص٧١٨.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة ﴿تُرْجَعُونَ﴾ على البناء للمفعول أنَّ الرجوع يوم القيامة يكون على غير إرادتهم إلى الله تعالى قسراً وبأيسر أمرٍ، وهم كارهون بقوةٍ خارجةٍ عن الإرادة تدفعهم بالرجوع إلى الله تعالى. وأمَّا قراءة (تَرْجِعون) على البناء للفاعل، فقد أفادت وقوع الرجوع منهم وبذاتهم أنهم يرجعون إلى الله يوم القيامة ليحاسبهم سواء كرهوا أم رضوا ذلك. قال ابن عاشور: «والقراءة الأولى ـ قراءة الضم ـ على اعتبار أنّ الله أرجعهم، وإن كانوا كارهين لأنهم أنكروا البعث، والقراءة الثانية ـ قراءة الفتح ـ باعتبار وقوع الرجوع منهم بغض النظر عن الاختيار أو الجبر[٣٣١]. هذا على اعتبار أنَّ الكلام في قوله: ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ من تتمة كلام الجلود. وأمَّا على معنى أن الكلام مستأنفٌ من كلام الله تعالى فربما تفيد معنىً آخر، وهو أنَّ قراءة (تَرْجِعُون) بالفتح المقصود بها المؤمنون، لأنهم يتمنون الرجوع إلى الله تعالى، كذلك جاءت بصيغة الرغبة والإرادة، والقراءة الأخرى ﴿تُرْجَعُونَ﴾ على المبني للمفعول المقصود بها الكفار لأنَّهم يتمنون عدم الرجوع إلى الله تعالى، ولذلك جاءت بصيغة الإجبار[٣٣٢].

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين يتبيّن المعنى أن الجميع راجعٌ إلى الله تعالى يوم القيامة للحساب سواءً أحب لقاء الله تعالى واختار الرجوع أم كره لقاءه وأُجبِر على الرجوع.

٥ ـ قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [فصلت: ٢٩].

(٣٣١) انظر التحرير والتنوير م١ ج١ ص٣٧٧ عند تفسيره للآية (٢٨) من سورة البقرة.

(٣٣٢) انظر تفسير الشعراوي ج١ ص٢٣١، عند تفسيره للآية (٢٨) من سورة البقرة.

القراءات:

١ ـ قرأ ابن كثيرٍ، والسوسي، وابن عامرٍ، وأبو بكرٍ، ويعقوب (أَرْنَا) بإسكان الراء.

٢ ـ قرأ الدوري باختلاس كسرة الراء.

٣ ـ وقرأ الباقون ﴿أَرِنَا﴾ بكسر الراء(٣٣٣).

المعنى اللغوي للقراءات:

الرؤية: النظر بالعين وبالقلب، والرؤيا: ما يرى في النوم، وتراءوا: رأى بعضهم بعضاً(٣٣٤)، وارتأى الشيء: أبصره، وتراءى فلان: نظر إلى وجهه في المرآة ونحوها(٣٣٥).

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن موقف الكفار يوم القيامة من اللذَيْن أضلاهم عن سبيل الله تعالى في الحياة الدنيا من الجنّ والإنس، فيطلبون من الله تعالى أن يبصرهم باللَذَين أضلاهم من الجنّ والإنس لينتقموا منهما ويدوسوهما بأقدامهم ليكونا أسفل منهم في نار جهنم تشفياً وانتقاماً منهما، وقد اختلف في معنى: ﴿ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا﴾ فقال بعض العلماء المراد هنا جنس الجنّ والإنس من الكفار، الذين كانوا يسولون لهم ويحملونهم على المعاصي، وقيل: المراد إبليس وقابيل لأنهما سنّا المعصية لبني آدم(٣٣٦)، قال الطبري: «يقول تعالى ذكره: وقال الذين كفروا بالله ورسوله يوم القيامة بعدما أدخلوا جهنم يا ربنا أرنا اللذين أضلانا من خلقك من جنهم وإنسهم، وقيل: إنَّ الذي هو من الجنّ إبليس، والذي هو من الإنس ابن آدم الذي

---

(٣٣٣) انظر المبسوط في القراءات العشر ص٢٤٢، تحبير التيسير ص٢٠٠.

(٣٣٤) انظر القاموس المحيط ص١١٥٧.

(٣٣٥) انظر المعجم الوسيط ص٣٤٤.

(٣٣٦) انظر فتح القدير ج٤ ص٧٢١.

قتل أخاه... وقوله: ﴿نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ﴾ يقول: نجعل هذين اللذين أضلانا تحت أقدامنا، لأن أبواب جهنم بعضها أسفل من بعضٍ وكل ما سفل منها فهو أشد على أهله، وعذاب أهله أغلظ ولذلك سألَ الكفار ربهم أن يريهم اللذين أضلاهم ليجعلوهما أسفل منهم ليكونا في أشدِّ العذاب في الدرك الأسفل من النار»(٣٣٧).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة ﴿أَرِنَا﴾ بكسر الراء أنَّ الكفار يسألون الله تعالى يوم القيامة وهم في النَّار أنْ يريهم ويبصرهم اللذين أضلاهم عن سبيل الله في الحياة الدنيا، ليتيسر لهم الانتقام منهم بسبب إضلالهما إيَّاهم.

وأما قراءة (أرْنا) بسكون الراء فقد أفادت معنىً آخر إضافياً إلى معنى الرؤيا والتبصير، حيث إنَّ معنى (أرْنا) أعطنا وهو التمكين فيكون المعنى: أنَّهم يسألون الله تعالى أن يمكنَّهم من اللذين أضلاهم حتى ينتقموا منهما شرَّ انتقامٍ بدوسهما تحت أقدامهم زيادةً في الإهانة والإذلال. «وعن الخليل (إذا قلتَ: أرني ثوبك بكسر الراء، فالمعنى: بصرنيه، وإذا قلته بسكون الراء فهو استعطاء، فمعناه أعطنيه)، وعلى هذا يكون معنى قراءة ابن كثيرٍ وابن عامرٍ ومن وافقهما: مَكنَّا من الَّذين أضلانا كي نجعلهما تحت أقدامنا، أي: ائذن لنا بإهانتهما وخزيهما»(٣٣٨).

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين يظهر أنَّ الكفَّار يسألون الله ﷻ يوم القيامة أن يمكنَّهم من اللَّذين أضلاهم، ولا يكون التمكين إلا بعد الرؤية والإبصار، وذلك من أجل الانتقام منهما ودوسهما بأقدامهم، وفي ذلك شدة انتقامٍ وإذلالٍ لهما لشدة عداوتهم لهما وبغضهم إياهما، ويؤيده قول الطبرسي:

(٣٣٧) جامع البيان م١١ ج٢٤ ص٧٢.
(٣٣٨) التحرير والتنوير م١١ ج٢٤ ص٢٨١، وانظر: نظم الدرر ج٦ ص٥٧٠.

«تمنوا الشدة لشدة عداوتهم لهم وبغضهم إياهم بما أضلوهم وأغووهم أن يجعلوهما تحت أقدامهم في الدرك الأسفل من النار»(٣٣٩).

٦ ـ قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [فصلت: ٣٩].

القراءات:

١ ـ قرأ أبو جعفر (وربأت) بهمزة قبل التاء.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿وَرَبَتْ﴾ بدون همزة قبل التاء(٣٤٠).

المعنى اللغوي للقراءات:

ربا الشيء، يربُو رُبُوّاً ورباءً: زاد ونما، وأربيتُه: نمَّيتُه، وقوله ﷻ في صفة الأرض ﴿ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾، قيل معناه: عَظُمت وانتفخت(٣٤١).

وربأت بالهمز، معناه: ارتفعت، وربأ لهم: اطَّلَعَ لهم على شرفٍ، أي: مكانٌ مرتفع والربيئة: الطليعة، أي: الذي ينظر القوم لئلا يدهم عدوٌ ولا يكون إلَّا على جبلٍ أو مرتفع، وأرتبأتُ الجبلَ: صَعدتُه، وَربَأت الأرض رباءً، زكت وارتفعت(٣٤٢).

التفسير:

في سياق الرَدِّ على المشركين منكري البعث والإحياء بعد الإماتة، تعرض الآية الكريمة لآيةٍ عظيمةٍ ودلالةٍ قويةٍ تدل على الوحدانية لله تعالى، وعظيم سلطانه، وكمال قدرته على إحياء الموتى والبعث يوم القيامة، يقول

(٣٣٩) مجمع البيان م٥ ج٢٥ ص٢٠.

(٣٤٠) انظر إتحاف فضلاء البشر ص٤٨٩، الشامل في القراءات المتواترة ص٢٥١.

(٣٤١) انظر لسان العرب ج١٤ ص٣٠٤.

(٣٤٢) انظر لسان العرب ج١ ص٨٣.

سعيد حوى: «﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ﴾ الدالة على توحيده وقدراته على إحياء الموتى والبعث ﴿أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَـٰشِعَةً﴾ أي: هامدة لا نبات فيها بل هي ميتة يابسة مغبَّرة، والخشوع: التذلل فاستعير لحال الأرض إذا كانت قحطة لا نبات فيها ﴿فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ﴾ أي: المطر ﴿ٱهْتَزَّتْ﴾ أي: تحركت بالنبات ﴿وَرَبَتْ﴾ أي: انتفخت»[343].

قال الشوكاني: «ومعنى رَبَتْ: انتفخت وعلت قبل أن تنبت: قاله مجاهد وغيره، وعلى هذا ففي الكلام تقديم وتأخير، وتقديره: ربت واهتزت، وقيل: الاهتزاز والربو قد يكونان قبل خروج النبات وقد يكون بعده»[344]. وقال ابن كثير: «أي: أخرجت من جميع ألوان الزروع والثمار»[345]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ﴾ قال الطبري: «يقول تعالى ذكره: إنَّ الذي أحيا هذه الأرض الدارسة، فأخرج منها النبات، وجعلها تهتز بالزرع من بعد يبسها ودثورها بالمطر الذي أنزل عليها، لقادرٌ أن يحييَ أموات من بني آدم بعد مماتهم بالماء الذي ينزل من السماء لإحيائهم»[346].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة ﴿وَرَبَتْ﴾ بدون همزة أن هذه الأرض الميّتة اليابسة والمغبَّرة إذا ما نزل عليها المطر اهتزت بالنبات وانتفخت وعظمت.

وأمَّا قراءة (ربأت) بهمزة قبل التاء فقد أضافت معنى الارتفاع إلى الأرض بعد الانتفاخ، والمعنى واحدٌ لأن الأرض إذا ارتوت بالماء تحركت بالنبات، وإذا أراد النبات أن يظهر انتفخت الأرض وارتفعت.

قال الزمخشري: «والربو، وهو الانتفاخ: إذا أخصبت وتزخرفت بالنبات كأنها بمنزلة المختال في زيِّه، وهي قبل ذلك كالذليل الكاسف البال

---

(٣٤٣) الأساس في التفسير ج٩ ص٥٠٢٦.

(٣٤٤) فتح القدير ج٤ ص٧٢٧.

(٣٤٥) تفسير القرآن العظيم ج٤ ص١٠٤.

(٣٤٦) جامع البيان م١١ ج٢٤ ص٧٨.

في الأطمار الرثة، وقُرِئ (وربأت) أي: ارتفعت لأن النبت إذا همَّ أن يظهر: ارتفعت له الأرض»[347]، وقال أبو حيان: «(وربت) أي: زادت وانتفخت، . . . (وربأت) بالهمز هنا وفي فصلت أي: ارتفعت وأشرقت، يقال: فلان يربأ بنفسه عن كذا: أي: يرتفع بها عنه»[348]، وقال ابن عطية: «ووجهها أن يكون من رَبَأْتَ القوم إذا عَلَوْتَ شَرَفاً من الأرضِ طليعة، فكأن الأرض بالماء تتطاول وتعلو»[349].

وقال: «وربأت بألفٍ مهموزةٍ أيضاً بمعنى: علت وارتفعت، ومنه الربيئة، وهو الذي يرتفع حتى يرصد للقوم ثم ذكر تعالى الأمر الذي ينبغي أن يقاس على هذه الآية والعبرة، وذلك إحياء الموتى»[350].

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين يتبيَّن: أنَّ الأرض الميتة اليابسة، إذا ما أنزل عليها الماء دبّت بها الحياة فاهتزت بالنبات وانتفخت ثم ارتفعت بعد ذلك وعلت، حتى ظهر هذا التحول في الأرض للنَّاظرين، وفي ذلك دلالةٌ أقوى وزيادة عبرةٍ على إحياء الموتى.

٧ ـ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾﴾ [فصلت: ٤٠].

القراءات:

١ ـ قرأ حمزة (يَلحَدون) بفتح الياء والحاء.

---

(٣٤٧) الكشاف ج٣ ص٤٥٥.

(٣٤٨) البحر المحيط ج٦ ص٣٢٨، عند تفسيره للآية (٥) من سورة الحج.

(٣٤٩) المحرر الوجيز ج٤ ص١٠٩، عند تفسيره للآية (٥) من سورة الحج.

(٣٥٠) المصدر السابق ج٥ ص١٨.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿يُلْحِدُونَ﴾ بضم الياء وكسر الحاء[٣٥١].

المعنى اللغوي للقراءات:

اللَّحد: حفرة مائلة عن الوسط، يقال: لحد القبر وألحده: حفره، وألحد الميت: جعله في اللّحد، وألحد فلان: مال عن الحقِّ، والإلحاد ضربان: إلحاد إلى الشرك بالله، وإلحاد إلى الشرك بالأسباب، فالأول ينافي الإيمان ويبطله، والثاني: يوهن عراه ولا يبطله[٣٥٢].

وجاء في لسان العرب: أصل الإلحاد: الميل والعدول عن الشيء، والمُلحِدُ العادِلُ عن الحق المُدخلُ فيه ما ليس فيه، يقال: قَد أَلحَد في الدين ولحَدَ أي: حادَ عنه[٣٥٣].

التفسيـر:

في هذه الآية الكريمة يتوعد المولى ﷻ الذين يلحدون في آياته ويطعنون فيها بالتحريف والتكذيب والإنكار لها بعد ظهور الأدلة والبراهين على وجوده ووحدانيته، وكمال قدرته، وينتقصون منها، هؤلاء لا يغيب أمرهم عن الله تعالى ولا يخفى شرهم عليه، فالله تعالى لهم بالمرصاد، فلا يستطيعون أن يفلتوا من عذابه أو يتخلصوا من عقابه، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ﴾ «قال ابن عباسٍ: الإلحاد، وضع الكلام على غير موضعه، وقال قتادة وغيره هو الكفر والعناد»[٣٥٤]. وقال السعدي: «الإلحاد في آيات الله: الميل بها عن الصواب، بأي وجهٍ كان: إما بإنكارها، وجحودها، وتكذيب من جاء بها، وإما بتحريفها وتصريفها عن معناها الحقيقي، وإثبات معانٍ لها ما أرادها الله منها، فتوعدً تعالى من ألحد

---

(٣٥١) انظر إتحاف فضلاء البشر ص٤٨٩، غيث النفع في القراءات السبع ص٤٦.

(٣٥٢) انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٧٣٧.

(٣٥٣) انظر لسان العرب ج٣ ص٣٨٩.

(٣٥٤) تفسير القرآن العظيم ج٤ ص١٠٤.

فيها بأنه لا يخفى عليه، بل هو مطلّع على ظاهره وباطنه، وسيجازيه على إلحاده بما كان يعمل»(٣٥٥).

وقال ابن كثيرٍ: «وقوله ﷻ: ﴿لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ﴾ فيه تهديدٌ شديدٌ ووعيدٌ آكدٌ أي: أنَّه تعالى عالمٌ بمن يلحد في آياته وأسمائه وسيجزيه على ذلك بالعقوبة والنكال، ولهذا قال تعالى: ﴿أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِيٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ أي: أيستوي هذا وهذا؟ لا يستويان»(٣٥٦). قال الرازي: «وهذا استفهامٌ بمعنى التقرير، والغرض التنبيه على أن الذين يلحدون في آياتنا يُلْقَوْنَ في النار، والذين يؤمنون بآياتنا يأتون آمنين يوم القيامة، ثم قال: ﴿ٱعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ وهذا أيضاً تهديدٌ ثالثٌ، ونظيره ما يقوله الملك المهيب عند الغضب الشديد، إذا أخذ يعاتب بعض عبيده ثم يقول لهم: ﴿ٱعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْ﴾ فإنَّ هذا ما يدل على الوعيد الشديد»(٣٥٧).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

ذهب بعض العلماء إلى أن معنى القراءتين واحدٌ، قال السمرقندي: «قرأ حمزة ﴿يَلْحِدُونَ﴾ بنصب الحاء، والياء، والباقون: بضم الياء، وكسر الحاء، ومعناهما واحدٌ، لحد وألحد بمعنىً واحدٍ»(٣٥٨). وقال الزجاج: «(يَلحَدُون) بفتح الياء والحاء، وتفسير يَلحدون يجعلون الكلام على غير جهته، ومن هذا اللَّحد لأنه الحفر في جانب القبر، يقال لَحَدَ وألحَدَ، في معنىً واحدٍ»(٣٥٩).

إلَّا أنَّ للفرَّاء رأياً آخر ذكره ابن منظور في معجمه فقال: «قال الفراء: قرئ يَلْحَدون فمن قرأ يَلْحَدون أراد يميلون إليه، ويُلحدون

(٣٥٥) تفسير السعدي ص٦٢٢.

(٣٥٦) تفسير القرآن العظيم ج٤ ص١٠٤.

(٣٥٧) التفسير الكبير م١١ ج٢٧ ص١٣٢.

(٣٥٨) بحر العلوم ج٣ ص١٨٥.

(٣٥٩) معاني القرآن وإعرابه ج٤ ص٣٨٨.

يعترضون، قال وقوله: ﴿وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۭ بِظُلۡمٖ﴾ [الحج: ٢٥] أي: باعتراض»[٣٦٠].

وعلى هذا يكون معنى قراءة (يَلحدون) بفتح الياء: مجرد الميل عن الحق، بحرف الكلم عن مواضعه وتصريفه عن معناه الحقيقي، وربما يناسب هذا المعنى الفتحة حيث أنها أخف من الضم في النطق، مما لها أثر الخفة في الإلحاد على المعنى.

وأمَّا قراءة ﴿يُلۡحِدُونَ﴾ بضم الياء: فإنها تفيد الاعتراض، على آيات الله بالتكذيب والإنكار والمعاداة ويناسبها الضم لما في الضم من ثقل النطق إشارةً إلى ثقل حالة الإلحاد التي هم فيها[٣٦١]، ويحتمل أنهم يحملون غيرهم على الإلحاد في آيات الله، فيزداد بذلك إلحاداً إلى إلحاده، على معنى ألحد الميت، أي: جعله في القبر، وكما في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادٗا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾ [الزمر: ٨] قال العلماء: أي: لِيُضِلَ غيره[٣٦٢].

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين يتبيَّن أنَّ الله تعالى توعَدَّ كلَّ من يميل عن الحق إلى الباطل سواء كان بتحريف آيات الله عن مواضعها وصرفها عن معناها الحقيقي، أو بإنكارها وجحودها، وتكذيب ما جاء بها، والاعتراض عليها، كل بحسب عمله سيجازيه الله وينتقم منه يوم القيامة، ولذلك قال تعالى: ﴿ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

٨ ـ قال تعالى: ﴿وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا أَعۡجَمِيّٗا لَّقَالُواْ لَوۡلَا فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥٓۖ ءَا۬عۡجَمِيّٞ وَعَرَبِيّٞۗ قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞۚ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًىۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوۡنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ﴿٤٤﴾﴾ [فصلت: ٤٤].

(٣٦٠) لسان العرب ج٣ ص٣٨٩.

(٣٦١) انظر كتاب بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، موضوع الحركة غير الإعرابية ص١٠٢ ـ ١٠٨.

(٣٦٢) انظر ص٩ من هذا البحث.

القراءات:

١ ـ قرأ هشام (أعجميٌّ) بهمزة واحدة على الخبر.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿ءَاْعْجَمِيٌّ﴾ بهمزتين على الاستفهام.

وسهل الهمزتين من غير إدخال ألف الفصل: ورشٌ، وابن كثيرٍ، وابن ذكوان، وحفصٌ، ورُويسٌ، ولورش أيضاً إبدالها ألفاً مع المدِّ المشبع.

وقالون، وأبو عمرو، وأبو جعفر، بتسهيل الثانية مع إدخال ألف الفصل، وحققها الباقون(٣٦٣).

المعنى اللغوي للقراءات:

العجمة: خلاف الإبانة، والإعجام: الإبهام، والعَجَم: خلاف العَرَب، والعجمي منسوب إليهم(٣٦٤)، «ورجلٌ أعجَميٌّ وأَعْجَمُ إذا كان في لسانه عُجمة، وإن أفصح بالعجمية، وكلامٌ عجَمٌ وأعجميٌّ بيِّنُ العُجمة»(٣٦٥).

وقال د. محمد حجازي: «الأعجمي وصف للكلام الذي لا يفهم وللمتكلم الذي لا يفصح، سواء كان من العرب أو العجم»(٣٦٦).

التفسير:

قال ابن كثيرٍ: «لمَّا ذكر تعالى القرآن وفصاحته وبلاغته وإحكامه في لفظه ومعناه، ومع هذا لم يؤمن به المشركون، نبَّه على أن كفرهم به كفر عنادٍ وتعنتٍ، كما قال ﷻ: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الشعراء: ١٩٨ ـ ١٩٩] وكذلك لو أنزل القرآن كله بلغة العجم لقالوا على وجه التعنت والعناد ﴿لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾ أي: لقالوا هلا أنزل مفصلاً بلغة العرب، ولأنكروا ذلك، فقالوا

(٣٦٣) انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع ج٢ ص٢٤٨، تحبير التيسير ص٢٠١.

(٣٦٤) انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٥٤٩.

(٣٦٥) لسان العرب ج١٢ ص٣٨٦.

(٣٦٦) التفسير الواضح م٣ ج٢٤ ص٧٠.

أأعجمي وعربي، أي: كيف ينزل كلام أعجمي على مخاطب عربي لا يفهمه؟ هكذا رُويَ هذا المعنى عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والسدي وغيرهم، وقيل المراد بقولهم: ﴿لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾ أي: هل أنزل بعضها بالأعجمي وبعضها بالعربي؟ هذا قول الحسن البصري وكان يقرؤها كذلك بلا استفهام في قوله أعجمي وهو رواية عن سعيد بن جبير وهو في التعنت والعناد أبلغ، ثم قال ﷺ: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾ أي: قل يا محمد هذا القرآن لمن آمن به هدىً لقلبه وشفاء لما في الصدور من الشكوك والريب، ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ﴾ أي: لا يفهمون ما فيه ﴿ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ أي: لا يهتدون إلى ما فيه من البيان، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ [الإسراء: ٨٢] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ قال مجاهد: يعني: بعيد من قلوبهم، قال ابن جرير: معناه: كأنَّ من يخاطبهم، يناديهم من مكانٍ بعيدٍ لا يفهمون ما يقول... وقال الضحاك: ينادون يوم القيامة بأشنع أسمائهم»[٣٦٧].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة هشام (أَعْجمِيٌّ) بهمزة واحدة بدون مد، أنَّ الكلام كله خبرٌ عنهم حكاية على قول الكفار «بأن القرآن أعجمي، والرسول أو المرسل إليه عربي»[٣٦٨]. «ويجوز أن يكون المراد هلا فصلت آياته فجعل بعضها أعجمياً لإفهام العجم، وبعضها عربياً لإفهام العرب»[٣٦٩].

قال مكي بن أبي طالب: «قراءة هشام هنا بهمزة على الخبر فإنه جعل الكلام كله خبراً، حكاية عن قول الكفار أنهم قالوا: لولا فصلت آيات القرآن بعضه أعجمي وبعضه عربي، فيعرف العربي ما فيه من العربي ويعرف

(٣٦٧) تفسير القرآن العظيم ج٤ ص١٠٥.

(٣٦٨) بحر العلوم ج٣ ص١٨٧، التفسير الكبير م١٤ ج٢٧ ص١٣٤.

(٣٦٩) روح المعاني ج٢٤ ص١٣٠.

العجمي ما فيه من العجمي»[٣٧٠].

وأمَّا قراءة ﴿ءَأَعْجَمِيٌّ﴾ فقد أفادت الاستفهام منهم على الإنكار لذلك، فالهمزة الأولى همزة إنكار وتوبيخ على لفظ الاستفهام، والثانية ألف القطع[٣٧١]، قال الرازي: «وأما القراءة بهمزتين: فالهمزة الأولى همزة إنكار، والمراد أنكروا، وقالوا قرآن أعجميٌّ ورسول عربي، أو مرسل إليه عربي»[٣٧٢].

وقال مكي بن أبي طالب: «القراءة بالاستفهام أنه على الإنكار منهم لذلك، لأنه قال: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟﴾ منكرين: أقرآنٌ أعجميٌّ ونبيٌّ عربيٌّ، كيف يكون هذا، فأخبر: عمَّا لم يكن لو كان كيف يكون، فبيَّن أنه لو أنزل القرآن بلسان العجم لقالت قريشٌ: أقرآنٌ أعجميٌّ ونبيٌّ عربيٌّ: إنكاراً منهم لذلك»[٣٧٣].

وأمَّا قراءة (ءاعجميٌّ) بهمزةٍ واحدةٍ مع المد على الاستفهام أفادت ما أفادته قراءة ﴿ءَأَعْجَمِيٌّ﴾ بهمزتين إلَّا أنَّ فيها المبالغة والشدة في الإنكار مع الاستهجان منهم لحدوث ذلك إن وقع، وحركة المد الطويلة في (ءاعجميٌّ) تدل على ذلك.

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءات يتبيَّن من المعنى: أنه تعالى، لو أنزل القرآن بلسان العجم، ففي كل الأحوال سيعترض المشركون ويمارون ويجادلون، سواءٌ كان القرآن عربياً أم أعجمياً، وأقلهم اعتراضاً سيطلبون تفصيل الآيات بعضها أعجمي حتى يفهمه العجم، وبعضها عربي حتى يفهمه العرب، وذلك على قراءة (أعجميٌّ) بهمزةٍ واحدةٍ، وستجد من هؤلاء المشركين من ينكر

(٣٧٠) الكشف عن وجوه القراءات السبع ج٢ ص٢٤٨.
(٣٧١) انظر إعراب القراءات السبع وعللها ج٤ ص٢٧٨.
(٣٧٢) التفسير الكبير م١٤ ج٢٧ ص١٣٤.
(٣٧٣) الكشف عن وجوه القراءات السبع ج٢ ص٢٤٨.

ذلك ويقول: أقرآنٌ أعجميٌّ ونبيٌّ عربيٌّ كيف يكون هذا، وذلك على قراءة ﴿ءَأَعْجَمِيٌّ﴾ بهمزتين، ومنهم من يبالغ في الإنكار ويستهجن حدوث ذلك، وهذا على قراءة (ءاعجميٌّ) بهمزة المد، فالقراءات جميعها: تبيّن أنهم في كل الأحوال سيعترضون، ويجادلون، مع اختلاف درجة اعتراضهم وإنكارهم.

قال السمرقندي: «والغرض أنهم لعنادهم لا ينفكون عن المراء والاعتراض سواء كان القرآن عربياً أو أعجمياً»[374].

وقال ابن عطية: «أخبر الله تعالى عنهم، أنه لو كان على أيِّ وجهٍ تخيل لكان لهم قولٌ، واعتراضٌ فاسدٌ»[375].

٩ - قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِۚ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦۚ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓاْ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾﴾ [فصلت: ٤٧].

القراءات:

١ - قرأ ابن كثيرٍ، والبصريان، وحمزة، والكسائي، وخلفٌ، وأبو بكر (ثَمَرَةٍ) بغير ألف على التوحيد.

٢ - قرأ الباقون ﴿ثَمَرَٰتٍ﴾ بألفٍ على الجمع[376].

المعنى اللغوي للقراءات:

«الثمر: اسمٌ لكل ما يُتَطَعَّمْ من أحمال الشجر، الواحدة: ثمرةٌ، والجمع: ثمارٌ وثمراتٌ»[377]، ويطلق أيضاً على أنواع المال، والأولاد، قال ابن منظورٍ: «الثمر: حَمْلُ الشجر، وأنواع المال، والولد: ثمرة القلب، وفي الحديث: إذا مات ولد العبد قال الله تعالى لملائكته: قبضتم ثمرة فؤاده،

---

(٣٧٤) بحر العلوم ج٣ ص١٨٦.

(٣٧٥) المحرر الوجيز ج٥ ص٢٠.

(٣٧٦) انظر النشر في القراءات العشر ج٢ ص٣٦٧.

(٣٧٧) مفردات ألفاظ القرآن ص١٧٦.

فيقولون: نعم[٣٧٨]، قيل للولد ثمرة لأن الثمرة ما ينتجه الشجر والولد ينتجه الأب»[٣٧٩].

التفسيـر:

تتحدث الآية الكريمة عن بعض علوم الغيب التي تفرَّدَ الله تعالى بها عمَّن سواه، وقصرها على نفسه، ولم يطلع عليها أحداً حتى أحبَّ الخلق إليه، وهذه من جملة مفاتح الغيب التي لا يعلمها إلا الله تعالى، «وهي: موعد قيام الساعة، وخروج الثمرات من أكمامها، أي: أغلفتها وحملُ الأنثيات وَوَضعُهُنَّ»[٣٨٠]، قال ابن كثير: «﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ أي: لا يعلم ذلك أحدٌ سواه كما قال محمدٌ ﷺ وهو سيد البشر لجبريل عليه الصلاة والسلام وهو من سادات الملائكة حين سأله عن الساعة فقال: «**ما المسؤول عنها بأعلم من السائل**»[٣٨١]»[٣٨٢].

وقال الرازي: «﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ وهذه الكلمة تفيد الحصر، أي لا يعلم وقت الساعة بعينه إلا الله، وكما أن هذا العلم ليس إلا عند الله فكذلك العلم بحدوث الحوادث المستقبلية في أوقاتها المعيَّنة ليس إلا عند الله تعالى، ثم ذكر من أمثلة هذا الباب مثالين **أحدهما**: قوله: ﴿وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا﴾، **والثاني** قوله: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾ قال أبو عبيدة: أكمامها وهي ما كانت فيه الثمرة واحدها كم

(٣٧٨) جزء من حديث رواه الترمذي في سننه: كتاب ما جاء في الجنائز عن رسول الله ﷺ، باب فضل المصيبة إذا احتسبت ج٣ ص٣٤١، وقال الترمذي هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ.

(٣٧٩) لسان العرب ج٤ ص١٠٦.

(٣٨٠) المستنير في القراءات المتواترة ج٣ ص٤٨.

(٣٨١) جزء من حديث رواه البخاري: كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي عن الإيمان والإسلام والإحسان، ج١ ص٢٧ ح٥٠، ومسلم: كتاب الإيمان باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان، ج١ ص٣٦ ح٨.

(٣٨٢) تفسير القرآن العظيم ج٤ ص١٠٥.

وكمة»[٣٨٣]. ﴿وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ أَيۡنَ شُرَكَآءِى﴾ «أي: يوم القيامة ينادي الله المشركين على رؤوس الخلائق، أين شركائي الذين عبدتموهم معي ﴿قَالُوٓاْ ءَاذَنَّٰكَ﴾ أي: أعلمناك ﴿مَا مِنَّا مِن شَهِيدٖ﴾ أي: ليس أحدٌ منا يشهد اليوم أنَّ معك شريكاً»[٣٨٤]، قال المفسرون: لما عاينوا القيامة تبرءوا من الأصنام وتبرأت الأصنام منهم، وأعلنوا إيمانهم وتوحيدهم في وقتٍ لا ينفع فيه إيمانٌ[٣٨٥].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قال العلماء: من قرأ ﴿ثَمَرَٰتٖ﴾ على الجمع، أراد جميع أنواع الثمرات، لاختلافها وتنوعها، والجمع يراد به الكثرة والتعدد.

ومن قرأ (ثَمَرَةٍ) على التوحيد أراد بها الجنس أي: جنس الثمرات، لأن الثمرة تؤدي عن الثمار، قال ابن زنجلة: «قرأ نافعٌ، وابن عامرٍ، وحفصٌ: ﴿مِن ثَمَرَٰتٖ مِّنۡ أَكۡمَامِهَا﴾ بالألف على الجمع، وحجتهم أنها مكتوبة في المصاحف بالتاء، وأخرى: وهي أنه ليس يراد ثمرة دون ثمرة، وإنَّما يراد جمع الثمرات ويقوي الجمع: «قوله: ﴿فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٖ مُّخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهَاۚ﴾ [فاطر: ٢٧]. وقرأ الباقون: (من ثمرةٍ من أكمامها) على واحدة: لأنَّ الثمرة تؤدي عن الثمار لأنها الجنس، وحجتهم، قوله ﴿وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ﴾ قالوا: كما أفرد أنثى كذلك ينبغي أن يكون (من ثمرةٍ) مفردة، ويكون المراد أجناس الثمار»[٣٨٦].

وقال د. **محمد سالم محيسن**: «﴿ثَمَرَٰتٖ﴾ قرأ نافع وابن عامر، وحفص، وأبو جعفر، بألف بعد الراء على الجمع، وذلك لاختلافها

(٣٨٣) التفسير الكبير م٤ ج٢٧ ص١٣٧.

(٣٨٤) تفسير القرآن العظيم ج٤ ص١٠٦.

(٣٨٥) انظر الجامع لأحكام القرآن ج٨ ص٣١٤، فتح القدير ج٤ ص٧٣١.

(٣٨٦) حجة القراءات ص٦٣٨.

وتنوعها، وقرأ الباقون بغير ألف على الإفراد لإرادة الجنس»(٣٨٧)، وذكر مكي بن أبي طالب أنَّ «الجمع لكثرة أنواع الثمرات الخارجة من غلافاتها، والأكمام: الغلافات التي تخرج منها الثمرات، وهو جمع كِمْ، وقرأ الباقون بالتوحيد، لأن دخول (من) على (ثمرةٍ) يدل على الكثرة»(٣٨٨).

الجمع بين القراءات:

قراءة ﴿ثَمَرَٰتٍ﴾ بالجمع مبيّنةٌ أن المقصود جميع أنواع الثمرات صغيرها وكبيرها، صالحها وفاسدها، من الفواكه والحبوب وغيرها، حتى لا يتوهم أحدٌ أن المقصود ثمرةٌ دون ثمرةٍ، أو نوعٌ مقصودٌ من الثمار، وفي ذلك إظهار لعظمة الله ﷻ، كما في قوله: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا﴾ [فاطر: ٢٧].

قال البقاعي: «﴿مِن ثَمَرَٰتٍ﴾ أي: صغيرةً أو كبيرةً صالحةً أو فاسدةً من الفواكه والحبوب وغيرها، والإفراد في قراءة الجماعة للجنس الصالح للقليل والكثير، نبَّهت قراء نافع وابن عامرٍ وحفصٍ عن عاصمٍ بالجمع على كثرة الأنواع»(٣٨٩).

١٠ ـ قال تعالى: ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ۝٥١﴾ [فصلت: ٥١].

القراءات:

١ ـ قرأ ابن ذكوان، وأبو جعفر (وَنَاء) بألف ممدودة بعد النون وبعدها همزةٌ مفتوحةٌ.

٢ ـ قرأ الباقون (وَنَأَى) بهمزةٍ مفتوحةٍ ممدودةٍ بعد النون(٣٩٠).

(٣٨٧) المستنير في القراءات المتواترة ج٣ ص٤٧.

(٣٨٨) الكشف عن وجوه القراءات السبع ج٢ ص٢٤٩.

(٣٨٩) نظم الدرر ج٦ ص٥٨٥.

(٣٩٠) انظر المستنير في تخريج القراءات المتواترة ج٣ ص٤٨، النشر ج٢ ص٢٣١.

المعنى اللغوي للقراءات:

١ ـ ناء: ناء بحمله ينوء نَوْءاً وتَنْوَاءً نهض بجهدٍ ومشقةٍ، وقيل: أثقل فسقط، ويقال: ناء بالحمل إذا نهض به مثقلاً، وناءَ به الحملُ إذا أثقله، وقوله تعالى: ﴿مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ﴾ [القصص: ٧٦] المعنى: إنَّ مفاتحه لتنوء بالعصبة أي تُميلهم من ثقلها(٣٩١).

٢ ـ «نأى: النَّأيُ: البُعد، ينأى: بَعدُ، بوزن نَعى يَنْعَى، ونأوتُ، لغةٌ في نأيتُ، والنَّأيُ: المفارقة»(٣٩٢) وجاء في الصحاح: «نأيته ونأيتُ عنه نأياً بمعنىً، أي: بعدت، وأَنْأَيتُه فَانْتَأَى، أَي: أبعدته فبَعُدَ، وتناءَوا، أي: تباعَدُوا، والمُنْتَأى: الموضع البعيد»(٣٩٣).

التفسيـر:

«أشارت هذه الآية إلى بعض الغرائز والصفات الكامنة في الإنسان، فمن بني الإنسان الذين إن أنعم الله عليهم في الدنيا استكبروا، وتجبروا وأعرضوا عن الإيمان بالله تعالى، وتركوا فعل الخير، وإن أصابهم الله بشرٌ رجعوا إليه وأكثروا من الدعاء تضرعاً إليه، وسألوا الله أن يكشف عنهم ما حلَّ بهم، فهؤلاء لا يعرفون ربهم وخالقهم إلَّا في حالات الشدة والبلاء، أما في حالات السعة والهناء، فإنهم يكونون بعيدين عن الله تعالى»(٣٩٤).

قال ابن جريرٍ الطبري: «يقول تعالى ذكره: وإذا نحن أنعمنا على الكافر فكشفنا ما به من ضُرٍّ ورزقناه غنىً وسعةً، ووهبنا له صحة جسم وعافيةً أعرض عمَّا دعوناه إليه من طاعتنا وصدَّ عنه، ونأى بجانبه، يقولَ وبعد من إجابتنا إلى ما دعوناه إليه، ويعني بجانبه: بناحيته... وقوله:

(٣٩١) انظر لسان العرب ج١ ص١٧٤ مادة (نوأ).

(٣٩٢) لسان العرب ج١٥ ص٣٠٠ مادة (نأى).

(٣٩٣) الصحاح ج٦ ص٢٤٩٩.

(٣٩٤) المستنير في القراءات المتواترة ج٣ ص٤٩.

﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ﴾ يعني بالعريض: الكثير»[395]، وقال البقاعي: ومعنى: ﴿عَرِيضٍ﴾ «أي: مديد العرض جداً، وأما طوله فلا تسأل عنه، وهذا كنايةٌ عن النهاية في الكثرة»[396].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (ونأى) أن هذا الإنسان الكافر إذا ما أنعم الله تعالى عليه وكشف ما به من ضرٍّ استكبر عن شكر الله تعالى وأعرض عن عبادته والإيمان به وأبعد نفسه عن إجابة دعوة الله تعالى له بالإيمان، وجاء في لسان العرب: «يقال للرجل إذا تكبر وأعرض بوجهه: نأى جانبه، ومعناه أنه نأى جانبه من وراء أي نحاه، قال تعالى: ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾، أي: أنأى جانبه عن خالقه متغانياً معرضاً عن عبادته ودعائه، وقيل: نأى بجانبه أي: تباعد عن القبول»[397]. وقال القرطبي: «ومعنى ﴿وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾ أي: ترفع عن الانقياد إلى الحق وتكبر على أنبياء الله، وقيل: (نأى) تباعد»[398]، وبنحو ذلك قال الشوكاني[399].

وأمّا قراءة (ناء) فإنها أفادت أن هذا الإنسان الكافر إذا ما أنعم الله عليه تثاقل عن أداء الشكر لله تعالى على هذه النعم ومال بجانبه استكباراً وتثاقلاً عن عبادة الله تعالى كمن يحمل ثقلاً كبيراً يمنعه من القيام والنهوض، قال ابن عاشور: «وقيل: ناء في هذه القراءة بمعنى ثقل، أي: عن الشكر، أي: في معنى قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾» [الأعراف: ١٧٦][400]، وقال النيسابوري: «ومن قرأ (ناء) فإما من النوء بمعنى

(٣٩٥) جامع البيان م١١ ج٢٥ ص٤.

(٣٩٦) نظم الدرر ج٦ ص٥٨٩.

(٣٩٧) لسان العرب ج١٥ ص٣٠٠.

(٣٩٨) الجامع لأحكام القرآن ج٨ ص٣١٥.

(٣٩٩) انظر فتح القدير ج٤ ص٧٣٢.

(٤٠٠) التحرير والتنوير م٧ ج١٥ ص١٩٢ عند تفسيره للآية (٨٣) من سورة الإسراء.

النهوض مستثقلاً، وإما مقلوبٌ كقولهم: (راء) في رأي»[٤٠١]، وقال البقاعي: «(النوء) : الميل، قال الرازي والنوء: الكوكب مال عن العين عند الغروب، يقال: ناء بالحِمْلِ إذا نهض به مثقلاً، وناء به الحِمْلُ إذا أماله لثقله»[٤٠٢].

وقال الألوسي: «وقرأ ابن عامرٍ برواية ابن ذكوان (وناء) هنا وفي فصلت فقيل ذلك من باب القلب، ووضع العين محل اللام كراء ووراء، وقيل لا قلب، و(ناء) بمعنى: نهض كما في قوله:

حتى إذا مَا التَأَمَتْ مَفَاصِلُهُ ... وَنَاءَ في شَقِّ الشِمالِ كَاهِلُهُ[٤٠٣]

نهض متوكئاً على شماله، وفسر نهض هنا بأسرع، والكلام على تقدير مضافٍ، أي: أسرع بصرف جانبه، وقيل: معناه: تثاقل عن أداء الشكر فِعْلَ المعرض»[٤٠٤].

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين، يتبيَّن من المعنى: أنَّ هذا الكافر إذا ما أنعم الله تعالى عليه أعرض عن عبادته وطاعته وأبعد نفسه عن إجابة دعوته مستكبراً، متثاقلاً عن أداء شكر هذه النعم لله تعالى، مستعلياً متفاخراً على غيره مدَّعياً أن هذه النعم من كسبه واجتهاده وفي ذلك دليلٌ على شدة انحرافه وطغيانه وتكبره، فالقراءتان ترسمان مشهداً دقيقاً للحالات التي يكون عليها هؤلاء الكفار من اغترارٍ بالسوء وجحودٍ للنعم وبطرانٍ للحق ونكرانٍ للجميل، ملازمٍ لهم في جميع أحوالهم في السراء والضراء مع تفاوت درجات جحودهم واستكبارهم تبعاً لتمكن الكفر من قلوبهم والله تعالى أعلم.

---

(٤٠١) تفسير النيسابوري ج٣ ص٢١٠٠ عند تفسيره للآية (٨٣) من سورة الإسراء.

(٤٠٢) نظم الدرر ج٥ ص٥١٧ عند تفسيره للآية (٧٦) من سورة القصص.

(٤٠٣) لم أقف عليه، والبيت ذكره الألوسي، وابن عطية.

(٤٠٤) روح المعاني ج١٥ ص١٤٧ عند تفسيره للآية (٨٣) من سورة الإسراء.

الفصـل الثانـي
تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر
من خلال سور الشورى ـ الزخرف ـ الدخان

المبحث الأول: عرضٌ وتفسيرٌ لآيات سورة الشورى المتضمنة للقراءات العشر.

المبحث الثاني: عرضٌ وتفسيرٌ لآيات سورة الزخرف المتضمنة للقراءات العشر.

المبحث الثالث: عرضٌ وتفسيرٌ لآيات سورة الدخان المتضمنة للقراءات العشر.

المبحث الأول
عرضٌ وتفسيرٌ لآيات سورة الشورى
المتضمنة للقراءات القرآنية العشر

١ ـ قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُوحِىٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٣﴾ [الشورى: ٣].

القراءات:

١ ـ قرأ ابن كثيرٍ (يُوحَى) بفتح الحاء على التجهيل.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿يُوحِىٓ﴾ بكسر الحاء على التسمية[٤٠٥].

المعنى اللغوي للقراءات:

الوحي: «الإشارة والكتابة والمكتوب، والرِّسالة، والإلهام، والكلام الخفي، وكلُّ ما ألقيتَه إلى غيرك، والصوت يكون في النَّاس وغيرهم، كالوحي والوحاة... وأوحَى إليه: بعثه، وألهمه»[٤٠٦]. وقال الأصفهاني: «أصل الوحي: الإشارة السريعة، ولتضمن السرعة قيل: أمر وحي، وذلك يكون بالكلام على سبيل الرمز والتعريض، وقد يكون بصوت مجرد على التركيب، وبإشارةٍ ببعض الجوارح، وبالكتابة،... ويقال: للكلمة الإلهية

(٤٠٥) انظر النشر في القراءات العشر ج٢ ص٣٦٧، تحبير التيسير ص٢٠٢.

(٤٠٦) القاموس المحيط ص١٢٠٧.

التي تلقى إلى أنبيائه وأوليائه وحيٌ، وذلك أضرب حسبما دلَّ عليه قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ﴾ [الشورى: ٥١]»(٤٠٧).

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن قضية عقديةٍ لها أصالتها بين الأمم كانت محور جدلٍ بين الكفار وأنبيائهم على مدار التاريخ والأزمان، قضية الوحي وحقيقته، ووحدته، ووحدة مصدره، وهو الله العزيز الحكيم، ووحدة الرسالة التي بعث بها الرسل، المنبثقة عن هذا الوحي.

يقول سيد قطب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: مثل ذلك، وعلى هذا النسق، وبهذه الطريقة يكون الوحي إليك وإلى الذين من قبلك، فهو كلماتٌ وألفاظٌ، وعباراتٌ مصوغةٌ من الأحرف التي يعرفها الناس، ويفهمونها ويدركون معانيها، ولكنهم لا يملكون أن يصوغوا مثلها ممَّا بين أيديهم من أحرفٍ يعرفونها. ومن الناحية الأخرى، تقرر وحدة الوحي ووحدة مصدره، فالمُوحِي هو الله العزيز الحكيم، والمُوحَى إليهم هم الرسل على مدار الزمان، والوحي واحدٌ في جوهره على اختلاف الرسل، واختلاف الزمان: ﴿إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ﴾ إنَّها قصةٌ بعيدة البداية، ضاربةٌ في أطواء الزمان، وسلسلةٌ كثيرةُ الحلقات، متشابكة الحلقات، ومنهجٌ ثابت الأصول على تعدد الفروع، وهذه الحقيقة ـ على هذا النحو ـ حين تستقر في ضمائر المؤمنين تشعرهم بأصالة ما هم عليه وثباته، ووحدة مصدره وطريقه، وتشدهم إلى مصدر هذا الوحي: ﴿ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾»(٤٠٨). وقال الشوكاني: «هذا كلامٌ مستأنفٌ غير متعلقٍ بما قبله: أي مثل ذلك الإيحاء الذي أُوحِي إلى سائر الأنبياء من كتب الله المنزلة عليهم المشتملة على الدعوة إلى التوحيد والبعث يوحي إليك يا محمد في هذه السورة، وقيل: إنَّ ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢﴾

(٤٠٧) مفردات ألفاظ القرآن ص ٨٥٨.

(٤٠٨) في ظلال القرآن ج٥ ص٣١٣٩ ـ ٣١٤٠.

أُوْحِيَت إلى من قبله من الأنبياء، فتكون الإشارة بقوله: (كذلك) إليها»[409].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (يُوحَى) على المبني للمفعول أنَّ جملة ﴿ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ بيانٌ للفاعل، كأنهم سألوا من يوحي إليك، فقيل: ﴿ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾، و(كذلك) تكون مبتدأ على أنَّ الكاف اسم بمعنى: مثل، أي: مثل ذلك يوحى، و(يوحى) خبرها. قال البغوي: «قرأ ابن كثير (يُوْحَى) بفتح الحاء، وحجته قوله: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ﴾ [الزمر: ٦٥]، فعلى هذه القراءة قوله ﴿ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ تبيينٌ للفاعل لأنه قيل: من يوحي؟ فقيل: ﴿ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾»[410]. وفي هذه القراءة تأكيدٌ على حقيقة الوحي ووحدته ووحدة مصدره وهو الله العزيز الحكيم، وكأنهم شككوا في حقيقة الوحي وما جاء به النبي ﷺ، والموحي لهذا الرسول، ولذلك جاء الفعل (يُوحَى) بالمبني للمفعول للدلالة على أنَّ الموحي معلوم لدى الجميع، ولمَّا سألوا من الموحي أجابهم بقوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾، قال البقاعي: «ولمَّا كان الاهتمام بالوحي لمعرفة أنَّه حقٌّ، كما أشارت إليه قراءة ابن كثيرٍ بالبناء للمفعول، والمُوحِي إليه، لمعرفة أنه رسولٌ حقاً وكان المراد بالمضارع مجرد إيقاع مدلوله لا يفيد الاستقبال صح أن يتعلق به قوله مقدماً على الفاعل: (وإلى الذين) والقائم مقام الفاعل في قراءة ابن كثيرٍ ضميرٌ يعود على (كذلك)»[411].

وأمَّا قراءة (يُوحِي) بكسر الحاء على المبني للفاعل ففيها إسناد الفعل إلى الله تعالى مباشرة، فيكون «الفاعل (الله) و(العَزيزُ الحَكِيمُ) نعتان، والكاف منصوبة المحل إما نعتاً لمصدرٍ، أو حالاً من ضميرٍ، أي: إيحاءً

(٤٠٩) فتح القدير ج٤ ص ٧٣٧.

(٤١٠) معالم التنزيل ج٤ ص١٠٦.

(٤١١) نظم الدرر ج٦ ص٥٧٩.

مثل ذلك الإيحاء»[٤١٢]، وفي هذه القراءة تأكيدٌ على وحدة الرسالة التي بعث الله بها إلى الرسل عن طريق الوحي، وكأن شَكَّ الكفارِ واقعٌ على القرآن أنَّه من عند الله، ولم يكن الشكُّ في المُوحِي وهو الله، لذلك جاء بالمبني للفاعل للإشارة إلى حقيقة ما جاء به النبي ﷺ هو مثل ما جاء به الأنبياء السابقون، أو أنَّ ما تضمنته هذه السورة من معانٍ هو مثل ما أوحاه الله إلى الأنبياء من قبله، ولذلك تحداهم الله تعالى أن يأتوا بمثل هذا القرآن.

وفي قراءة المبني للمفعول يوقف على (قبلك)، ويبتدأ: بـ ﴿ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾، وأمّا في قراءة المبني للفاعل لا يوقف إلا على (الحكيم)، قال مكي ابن أبي طالب: «(كذلك يوحي) قرأه ابن كثيرٍ بفتح الحاء على ما لم يُسَمَّ فاعله، فيوقف في قراءته على (قبلك) ويبتدأ: ﴿ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾، على التبيان لما قبله، كأنه قيل من يوحيه؟ فيقال: ﴿ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾، فالمعنى على هذه القراءة: (كذلك يُوحى إليك يا محمد مثل ما أوحي إلى الأنبياء قبلك)، وقيل معناه: (إنَّ الله جلَّ ذكره أعلمه أن هذه السورة أوحيت إلى الأنبياء قبل محمدٍ)، و(إليك) يقوم مقام الفاعل، أو يضمر المصدر يقوم مقام الفاعل، قرأ الباقون بكسر الحاء، فلا يوقف إلا على (الحكيم)، لأنهم أسندوا الفعل إلى الله جلَّ ذكره، فهو الفاعل، فلا يوقف على الفعل دون الفاعل، ولا على الفاعل دون نعته»[٤١٣].

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين، يُكشَف لنا عن حقيقة هؤلاء الكفار وصدفهم وجدالهم الحق بالباطل، فهم لم يقفوا إلى حد إنكار مصدر هذا القرآن الكريم، وإنما تعدوه إلى إنكار حقيقة الوحي، والموحي وهو الله تعالى، لذلك حملت القراءتان الردَّ على كل هؤلاء المجادلين المشككين في حقيقة

---

(٤١٢) اللباب ج١٧ ص١٦٢.

(٤١٣) الكشف عن وجوه القراءات السبع ج٢ ص ٢٥٠.

الوحي والرسالة والقرآن المنزل من عند الله تعالى، يقول الإمام سيد قطب: «ومن الناحية الأخرى تقرر هذه الآية وحدة الوحي، ووحدة مصدره، فالموحي هو الله العزيز الحكيم، والمُوحَى إليهم هم الرسل على مدار الزمان، والوحي واحدٌ في جوهره على اختلاف الرسل، واختلاف الزمان»[(٤١٤)].

٢ ـ قال تعالى: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥﴾ [الشورى: ٥].

القراءات:

١ ـ قرأ نافعٌ والكسائي (يَكادُ) بالياء على التذكير.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿تَكَادُ﴾ بالتاء على التأنيث[(٤١٥)].

٣ ـ قرأ أبو عمرٍو، وشعبة، ويعقوب (يَنفَطِرْنَ) بالنون والتخفيف.

٤ ـ قرأ الباقون ﴿يَتَفَطَّرْنَ﴾ بالتاء والتشديد[(٤١٦)].

المعنى اللغوي للقراءات:

١ ـ «تكاد: وضع كاد لمقاربة الفعل، يقال: كاد يفعل: إذا لم يكن قد فعل، وإذا كان معه حرف نفي يكون لما قد وقع، ويكون قريباً من أن لا يكون»[(٤١٧)]، «كاد يفعل كذا، يكاد كوداً أو مكادةً، أي قارب ولم يفعل»[(٤١٨)].

---

(٤١٤) في ظلال القرآن ج٥ ص٣١٣٩، بتصرف قليل.

(٤١٥) انظر إتحاف فضلاء البشر ص٤٩١، الكشف عن وجوه القراءات السبع ج٢ ص٢٥٠.

(٤١٦) انظر الشامل في القراءات المتواترة ص٢٥١، إتحاف فضلاء البشر ص٤٩١.

(٤١٧) مفردات ألفاظ القرآن ص٧٢٩.

(٤١٨) الصحاح ج٢ ص٥٣٢.

٢ - يتفطرن: «أصل الفطر: الشق طولاً»[٤١٩] «فطر الشيء يفطرُه فطراً وفطرَه: شقَّه، وتفطَّر الشيء: تشقق»[٤٢٠].

التفسيـر:

تتحدث الآية الكريمة عن حال المخلوقات وحركتها عند سماع كلمة الكفر، ووصف الله بما لا يليق به من صفات النقص، فهذه السموات تقارب أن تتشقق واحدة فوق الأخرى من فظاعة وهول قول المشركين، بأن لله ولداً، أو أن الملائكة بنات الله، وأمَّا الملائكة فإنهم ينزهون الله تعالى عما لا يليق به ولا يجوز في وصفه، ويتعجبون من جرأة المشركين على خالقهم، ويستغفرون لمن في الأرض، فيدعون للكافرين بالتوبة والهداية، وللمؤمنين بأن يتجاوز ربهم عمَّا فَرَط منهم من سيئاتٍ.

يقول د. محمد محيسن: «لفظاعة قول المشركين: إنَّ لله ولداً، واتخاذهم آلهةً يعبدونها من دونه تعالى مع قيام الأدلة القاطعة والبراهين الساطعة على أنه هو الله الواحد القهار الذي لم يتخذ صاحبةً ولا ولداً، لفظاعة ذلك القول، وشدة هوله تكاد السموات يتشققن من فوق بعضهن»[٤٢١]، «وهؤلاء الملائكة الذين هم خلقٌ من خلقه يسبحون حامدين ربهم شاكرين له نعمه التي لا تحصى، ويستغفرون لمن في الأرض إما للكافرين فيدعون لهم بالتوفيق والهداية، وإما للمؤمنين فيدعون لهم بأن يتجاوز ربهم عمَّا فَرَط منهم من سيئاتٍ»[٤٢٢].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قال بعض العلماء: إنَّ قراءة (تكاد) بالتذكير والتأنيث لأن الفاعل

(٤١٩) مفردات ألفاظ القرآن ص٣٥٣.

(٤٢٠) لسان العرب ج٥ ص٥٥.

(٤٢١) المستنير في القراءات المتواترة ج٣ ص٥١.

(٤٢٢) التفسير الواضح م٣ ج٢٥ ص١٠.

(السموات) مؤنث غير حقيقي فيكون التذكير لأن التأنيث غير حقيقي، والتأنيث حملاً على لفظه[٤٢٣].

ولكن يجوز عند العرب تذكير فعل المؤنث للقلة والتأنيث للكثرة، قال ابن زنجلة: «قرأ نافعٌ، والكسائي: (يكادُ السَّمواتُ) بالياء، لأن السموات جمع قليل، والعرب تذكر فعل المؤنث إذا كان قليلاً كقوله: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ﴾ [التوبة: ٥]، ولم يقل: انسلخت، ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ﴾ [يوسف: ٣٠] ولم يقل: وقالت»[٤٢٤].

تعرضت الباحثة أمال حماد لهذه القراءة عند تفسير قوله تعالى: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾﴾ [مريم: ٩٠] فقالت: «قراءة (يكادُ السَّمواتُ) هي إشارة إلى مجموع السموات وإن كان قليلاً مقابل كلمة الكفر التي قالها الكافرون في حق الله استخفافاً بها، وهم لا يدرون عظمها.

أمّا قراءة ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ فهي إشارةٌ إلى عظم هذه السموات مقابل عظم قول المشركين على الله جل جلاله»[٤٢٥].

وقراءة (ينْفَطِرْنَ) بالنون والتخفيف أفادت أن السموات تقارب أن تنشق تغيظاً من فظاعة وهول قول المشركين، بادعاء الشريك والولد له ﷻ.

وأمّا قراءة ﴿يَتَفَطَّرْنَ﴾ فقد أضافت معنى المبالغة والتكثير والتكرير في الإنشقاق مرة بعد مرةٍ استعظاماً لقول المشركين إنَّ لله ولداً، قال مكي بن أبي طالب: «وحجة من قرأ بالتاء مشدداً أنه جعله مضارع: فطَرَ، وفطَّرَ من التكثير، والتكثير أليق بهذا المعنى، لأنه موضع مبالغةٍ واستعظامٍ لما قالوا: إنَّ لله ولداً»[٤٢٦] وقال ابن زنجلة: «﴿يَتَفَطَّرْنَ﴾ بالتاء، أي: يتشققن،

(٤٢٣) انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع ج٢ ص٩٣ و٢٥٠.

(٤٢٤) حجة القراءات ص ٦٤٠.

(٤٢٥) تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر من خلال سور (الإسراء ـ الكهف ـ مريم) رسالة ماجستير للباحثة أمال حماد ص٣١٣.

(٤٢٦) الكشف عن وجوه القراءات السبع ج٢ ص٩٠.

والأمر في التاء والنون يرجع إلى معنىً واحدٍ، إلَّا أن التاء للتكثير، وذلك أن (يَنْفَطِرْنَ) من (فُطِرت، فانفطرت) مثل (كُسِرَتْ، فانكسرت) و﴿يَتَفَطَّرْنَ﴾ من قولك (فُطِّرت فتفطَّرتْ) مثل (كُسِّرت فتكسَّرت) فهذا لا يكون إلا للتكثير»(٤٢٧).

وقال البقاعي: «﴿يَتَفَطَّرْنَ﴾ أيّ: يتشققن وينفطر أجزاؤهن مطلق انفطارٍ في قراءة من قرأ بالنون، وخفف، وتفطراً شديداً في قراءة الباقين بالتاء المثناة من فوق مفتوحةً، وتشديد الطاء»(٤٢٨).

الجمع بين القراءات:

القراءتان معاً ترسمان صورةً دقيقةً للأثر المترتب على هذه الكلمات الشنيعة، التي يحسبها هؤلاء الجاهلون هيِّنَةً قليلةً وهي عند الله عظيمةٌ، فمن هولها وفظاعتها وشناعة كفرها، تتحرك هذه المخلوقات بدءاً بالسموات على عظم خلقهن ووثاقة إبداعهنَّ، تغيظاً واستنكاراً تقارب على التصدع والتشقق الشديد المتكرر، خضوعاً وخشيةً من سلطان الله تعالى وتعظيماً له وطاعةً(٤٢٩). وأمَّا الملائكة فإنهم يُقبِلون على التسبيح لله تعالى فينزهونه عمَّا لا يليق به، ويقدسونه بإثبات الكمال له وحده ملتبسين بحمده ﷻ، «لأنَّ تسبيح الملائكة وتنزيههم له تعالى لمزيد عظمته تبارك وتعالى وعظيم جلاله جل وعلا، والاستغفار لغيرهم للخوف عليهم من سطوة جبروته ﷻ»(٤٣٠).

٣ ـ قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾﴾ [الشورى: ٢٣].

---

(٤٢٧) حجة القراءات ص ٦٤٠.
(٤٢٨) نظم الدرر ج٦ ص٥٩٨.
(٤٢٩) انظر المحرر الوجيز ج٥ ص٢٦.
(٤٣٠) روح المعاني ج٢٥ ص١٢.

القراءات:

١ ـ قرأ ابن كثيرٍ، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي (يَبْشُرُ) بفتح الياء وإسكان الباء، وضم الشين مخففة.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿يُبَشِّرُ﴾ بضم الياء وفتح الباء، وكسر الشين مشددةً[٤٣١].

المعنى اللغوي للقراءات:

جاء في لسان العرب: البشارة: ما يعطاه المُبَشِّر بالأمر، والبشير: المُبَشِّر الذي يُبَشِّرُ القوم بأمر خيرٍ أو شرٍ، وبُشُراً جمع بَشُور، وبُشْراً مخففٌ منه وقوله ﷻ يُبَشِّرُك، وقرئ: يَبْشُرُك، قال الفراء: كأنَّ المشدد منه على بشارات البُشَرَاء، وكأن المخفف من وجه الإفراح والسُّرُور، وقال الزجاج: معنى يَبْشُرُك يَسُرُّك ويُفرحُكَ، وبَشَرْتُ الرَّجلَ أبشُرُه إذا أفرحته وبَشِرَ يَبشُرُ إذا فرح قال: ومعنى يَبْشُرك، ويُبَشِّرُك من البشارة، قال: وأصل هذا كله أن بشرة الإنسان تنبسط عند السرور[٤٣٢].

وجاء في مفردات ألفاظ القرآن: «وبشرته: أخبرته بسار بسط بشرة وجهه، وذلك أنَّ النفس إذا سُرَّت انتشر الدم. . .وأبشرت الرجل بشرته على التكثير»[٤٣٣].

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن فضلٍ كبيرٍ وإنعام كريمٍ، أعدهما الله تعالى لعباده المؤمنين المتقين، يبشرهم بهما ليتعجلوا السرورَ، ويزدادوا شوقاً إلى لقائه، وليحفزهم ذلك على الجدِّ والإخلاص في العمل، لأنَّ الله تعالى لا

---

(٤٣١) انظر إتحاف فضلاء البشر ص٤٩٢، المستنير في تخريج القراءات المتواترة ج٣ ص٥٢.

(٤٣٢) انظر لسان العرب ج١ ص٢٨٧ ـ ٢٨٨.

(٤٣٣) مفردات ألفاظ القرآن ص١٢٥.

يتقبل إلَّا من المؤمنين المخلصين، قال الطبري: «يقول تعالى ذكره: هذا الذي أخبرتكم أيها الناس أنّي أعددته للذين آمنوا، وعملوا الصالحات في الآخرة من النعيم والكرامة، البشرى التي يبشرُ الله عباده الذين آمنوا به في الدنيا وعملوا بطاعته فيها»(٤٣٤).

وقوله: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ بمعنى أي: قل لهم يا محمد لا أسألكم على تبليغ الرِّسالة وتعليم الشريعة أجراً من مالٍ أو غيره، إلَّا أن تحفظوا حقَّ قرابتي ولا تؤذوني حتى أبلغ رسالة ربي، قال ابن كثيرٍ: «أي: قل يا محمد لهؤلاء المشركين من كفار قريشٍ لا أسألكم على هذا البلاغ والنصح لكم مالاً تعطونيه، وإنَّما أطلب منكم أن تكفوا شرَّكم عني، وتذروني أبلغ رسالات ربي إن لم تنصروني فلا تؤذوني بما بيني وبينكم من القرابة»(٤٣٥). وقوله: ﴿وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا﴾ أي: ومن يكتسب حسنةً واحدةً، ويفعل طاعةً من الطاعات يضاف له ثوابها، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ أي: كثير المغفرة للمذنبين، كثير الشكر للمطيعين، فلا يضيع عنده عمل العاملين(٤٣٦).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (يَبْشُرُ) بالتخفيف على رأي بعض العلماء، أنَّ الله تعالى يبشر المؤمنين الذين آمنوا به وعملوا الصالحات في الدنيا مطلق بشارةٍ لجميع المتقين بما أعدَّ الله للمؤمنين في الآخرة من روضات الجنات، والنعيم المقيم، قال البقاعي: «﴿ٱلَّذِى يُبَشِّرُ﴾ أي: مطلق بشارةٍ عند من خفف، وبشارةً كثيرةً عند من ثَقَّل»(٤٣٧).

وبعض العلماء قال: يَبْشُرُ بالتخفيف أي: يَبْشُرُ الله وجوههم، بمعنى:

---

(٤٣٤) جامع البيان م١١ ج٢٥ ص١٥.

(٤٣٥) تفسير القرآن العظيم ج٤ ص١١٤.

(٤٣٦) انظر المصدر السابق ج٤ ص١١٤.

(٤٣٧) نظم الدرر ج٦ ص٦٦٣.

ينور الله وجوههم، أو ينضر الله وجوههم، فترى النضرة فيها[٤٣٨]. وجاء في تفسير ابن عطية: «وقال الجحدري[٤٣٩] في تفسيرها ترى النضرة في الوجوه»[٤٤٠].

ويؤيد هذا الرأي قول الفراء: «كأن المشدد منه على بشارات البُشراء، وكأن المخفف من وجه الإفراح والسرور»[٤٤١].

وعلى هذا يكون المعنى: الله تعالى يخبر المؤمنين بما أعدّ لهم من الكرامة في الآخرة، ليسعدوا في الدنيا وينضر وجوههم حتى ترى النضرة فيها، وهذا من قبيل ثواب الدنيا الذي يجعله الله لهم.

وأمّا قراءة ﴿يُبَشِّرُ﴾ بالتشديد فقد أفادت معنى التكثير والاستمرار في البشرى للمؤمنين على الاتساع والتجدد كلّما عملوا صالحاً، فيبشره مطلق بشارةٍ في البداية ثم يبشِّره بعد ذلك على الاتساع[٤٤٢]، وتزداد البشرى له كلّما زاد في طاعته لله تعالى وعمل صالحاً.

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين يتبيّن: أنَّ الله تعالى يُبَشِّرُ هؤلاء المؤمنين الذين عملوا الصالحات وأكثروا من الطاعات مطلق بشارةٍ لجميعهم ليدخل الفرح والسرور إلى نفوسهم، فتنضر وجوههم وتنبسط سريرتهم وينور الله وجوههم، وبشرى أخرى متجددة، بشرى بعد بشرى كلّما عمل هذا الإنسان صالحاً وزاد في طاعته لله، زاد الله له في فضله وكرامته ونعيمه في الآخرة،

(٤٣٨) انظر حجة القراءات ص٦٤١.

(٤٣٩) هو: عاصم بن العجاج الجحدري، أبو المحتسر، من بني قيس بن ثعلبة، وهو من عبّاد أهل البصرة وقرائهم، توفي سنة ١٢٩هـ، (انظر مشاهير علماء الأمصار ج١ ص٩٤، الطبقات الكبرى ج٧ ص٢٣٥).

(٤٤٠) المحرر الوجيز ج٥ ص٣٣.

(٤٤١) لسان العرب ج١ ص٢٨٧.

(٤٤٢) انظر اللباب ج١٧ ص١٨٧.

وذلك ليتعجلوا السرور، ويزدادوا حافزاً في طاعته ومرضاته، وشوقاً إلى لقائه، والله تعالى أعلم.

٤ ـ قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [الشورى: ٢٥].

القراءات:

١ ـ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وحفص ﴿تَفْعَلُونَ﴾ بالخطاب.

٢ ـ قرأ الباقون (يَفْعَلون) بالغيب(٤٤٣).

المعنى اللغوي للقراءات:

«الفعل: كنايةٌ عن كل عملٍ متعدٍّ أو غير متعدٍّ، فعَل، يَفْعَل، فعْلاً، وفعِلاً، فالاسم مكسور والمصدر مفتوح»(٤٤٤)، وجاء في المفردات «الفعل: التأثير من جهة مؤثرٍ، وهو عامٌ لما كان بإجادةٍ أو غير إجادةٍ، ولما كان بعلمٍ أو غير علمٍ، وقصدٍ أو غير قصدٍ، ولما كان من الإنسان والحيوان والجَمادات والعملَ مثله»(٤٤٥).

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن سعة رحمة الله تعالى بعباده، وعظيم فضله وكرمه، وامتنانه عليهم بقبول التوبة من عباده إذا ما تابوا إليه وأنابوا، وشعروا بالندم على ما فعلوا، ويعفو عن الذنوب صغيرها وكبيرها لمن يشاء، قال الشوكاني: «﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾ أي: يقبل من المذنبين من عباده توبتهم إليه مما عملوا من المعاصي، واقترفوا من السيئات، والتوبة الندم على المعصية والعزم على عدم المعاودة لها، وقيل:

---

(٤٤٣) النشر في القراءات العشر ج٢ ص٣٦٧، تحبير التيسير ص٢٠٢.

(٤٤٤) لسان العرب ج١١ ص٥٢٨.

(٤٤٥) مفردات ألفاظ القرآن ص٦٤٠.

التوبة عن أوليائه، وأهل طاعته، والأول أولى، فإن التوبة مقبولةٌ من جميع العباد مسلمهم، وكافرهم إذا كانت صحيحةً، صادرةً عن خلوص نيةٍ، وعزيمةٍ صحيحةٍ، ﴿وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ على العموم لمن تاب عن سيئةٍ، ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَـلُونَ﴾ من خيرٍ وشرٍّ فيجازي كلاً بما يستحقه»[٤٤٦].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

بعض العلماء اعتبر أنَّ العلاقة بين القراءتين علاقةٌ بلاغيةٌ باستخدام أسلوب الالتفات من الخطاب إلى الغيبة، وعلى هذا يكون المقصود بالخطاب في كلتا القراءتين هم المشركون وفي الآية توعدٌ وتهديدٌ لهم، وقراءة ﴿تَفْعَـلُونَ﴾ بتاء الخطاب أبلغ في التهديد والتخويف من قراءة الغيب لأنَّ التهديد يكون موجهاً توجيهاً مباشراً لهم، قال ابن عاشور: «قرأ الجمهور (ما يفعلون) بياء الغيبة أي: ما يفعل عبادهُ، وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصمٍ وخلفٍ بتاء الخطاب على طريقة الالتفات»[٤٤٧].

وقال صاحب زاد المسير: «قرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: بالتاء، وقرأ الباقون، بالياء على الإخبار عن المشركين والتهديد لهم»[٤٤٨].

وقال البقاعي: «قرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم، ورويس عن يعقوب بالخطاب لافتاً للقول عن غيب العباد لأنه أبلغ في التخويف، وقرأ الباقون بالغيب نسقاً على العباد وهو أعلم وأوضح في المراد فعفوه مع العلم عن سعة الحلم»[٤٤٩].

وبعض العلماء اعتبر أنَّ كل قراءةٍ تفيد معنىً: فقراءة (يفعلون) بالياء تفيد الإخبار عن المشركين بأن الله يعلم ما يفعل هؤلاء العباد من المشركين.

---

(٤٤٦) فتح القدير ج٤ ص٧٥٠.
(٤٤٧) التحرير والتنوير م١٢ ج٢٥، انظر روح المعاني ج٢٥ ص٣٦.
(٤٤٨) زاد المسير ص١٢٦٨.
(٤٤٩) نظم الدرر ج٦ ص٦٢٨.

وأمَّا قراءة ﴿تَفْعَلُونَ﴾ فتفيد أنَّ الخطاب هنا لجميع العباد من مشركين وغيرهم قال أبو الحسن الفارسي: «حجة التاء: قبله ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾، ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ أي: ما يفعل عباده، وحُجة التاء: أنَّ التاء تعمُّ المخاطبين والغيب، فتفعلون تقع على الجميع فهو في العموم مثل عباده»[٤٥٠].

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين يتبيَّن أنَّ الخطاب يعم الجميع من مؤمنٍ وعاصٍ وكافر، ففي حق الكفار والعصاة تهديدٌ ووعيدٌ لهم إن لم يتوبوا إلى ربهم، وربما كان الإخبار بالغيب للدلالة على أنهم غير حريين بالخطاب مباشرةً، تحقيراً لهم، وأمَّا في حق المؤمنين تحذيرٌ لهم من الوقوع في المعاصي ومخالفة أمره، وحثٌّ لهم على فعل الطاعات واجتناب أعمال العصاة والمشركين.

٥ ـ قال تعالى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾﴾ [الشورى: ٢٧].

القراءات:

١ ـ قرأ ابن كثيرٍ، وأبو عمرو، ويعقوب (يُنْزِلُ) بالتخفيف.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿يُنَزِّلُ﴾ بالتشديد[٤٥١].

سبق الحديث عن هذه القراءة عند تفسير الآية (١٣) من سورة غافر[٤٥٢].

٦ ـ قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾﴾ [الشورى: ٢٨].

(٤٥٠) الحجة للقراء السبعة ج٣ ص٣٦٢.

(٤٥١) انظر الشامل في القراءات المتواترة ص٢٥١.

(٤٥٢) انظر ص٥٧ من هذا البحث.

القراءات:

١ - قرأ ابن كثيرٍ، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي، ويعقوب وخلفٌ (يُنْزِل) بالتخفيف.

٢ - قرأ الباقون ﴿يُنَزِّلُ﴾ بالتشديد[٤٥٣].

المعنى اللغوي للقراءات:

سبق التعرض لمعنى هذه القراءة عند تفسير الآية (١٣) من سورة غافر[٤٥٤].

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن فضل الله تعالى على عباده ورحمته بهم بإنزال المطر النافع عليهم في وقت حاجتهم وفقرهم إليه بعدما يئسوا من نزوله، وفي الآية تعدادٌ لنعم الله تعالى وتذكير بها، ليستدعي ذلك شكر الله تعالى وحمده على جميع أفعاله، قال الطبرسي: «﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟﴾ أي: ينزله عليهم من بعد ما يئسوا من نزوله، والغيث ما كان نافعاً في وقته، والمطر قد يكون نافعاً، وقد يكون ضاراً في وقته وغير وقته، ووجه إنزاله بعد القنوط أنه أدعى إلى شكر الآتي به، وتعظيمه، والمعرفة بموقع إحسانه، ﴿وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ﴾ أي: ويفرق نعمته ويبسطها بإخراج النبات، والثمار التي يكون سببها المطر ﴿وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ﴾ الذي يتولى تدبير عباده وتقدير أمورهم، ومصالحهم المالك لهم ﴿ٱلْحَمِيدُ﴾ المحمود على جميع أفعاله لكون جميعها إحساناً ومنافع»[٤٥٥].

---

(٤٥٣) انظر إتحاف فضلاء البشر ص ٤٩٢.

(٤٥٤) انظر ص٥٧ من هذا البحث.

(٤٥٥) مجمع البيان م٥ ج٢٤ ص٥٤.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (يُنْزِل) بالتخفيف أنَّ الله تعالى ينزل عليهم ما يغيثهم من مطر بعدما يئسوا من نزوله رحمةً بالناس، والفعل (ينزل) من الإنزال يفيد وقوع الحدث مرةً واحدةً ويحتمل الزيادة(٤٥٦).

أمَّا قراءة ﴿يُنَزِّلُ﴾ بالتشديد تفيد أنَّ الله تعالى ينزل عليهم ما يغيثهم من مطرٍ بشكلٍ دائم ومتكررٍ، فقراءة التشديد تفيد التدرج والتكرار والتكثير، ويحتمل أنَّ قراءة التشديد تفيد أهميةَ الغيث الذي ينزل في ذلك الوقت لحاجتهم وفقرهم إليه بعدما يئسوا من نزوله، فقراءة التشديد تستعمل أحياناً فيما هو أهم وأبلغ(٤٥٧).

الجمع بين القراءات:

قراءة ﴿يُنَزِّلُ﴾ بالتشديد مبيِّنة لقراءة (يُنْزِل) بالتخفيف، حيث إنَّ قراءة التخفيف أفادت أن الله تعالى ينزل الغيث على الناس في وقت حاجتهم له رحمةً بهم ولينتفعوا به، أما قراءة التشديد فقد أضافت معنى استمرار هذه النعمة وكثرتها وتكرارها على الدوام، تذكيراً بكمال النعمة عليهم ليستدعي ذلك زيادة شكر المنعم وحمده.

٧ ـ قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴿٣٠﴾﴾ [الشورى: ٣٠].

القراءات:

١ ـ قرأ أبو جعفرٍ، ونافعٌ، وابن عامرٍ (بِمَا كَسَبت) بغير فاء.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿فَبِمَا كَسَبَتۡ﴾ بالفاء(٤٥٨).

---

(٤٥٦) انظر بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ص٦٠.
(٤٥٧) انظر بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ص٦١.
(٤٥٨) انظر المبسوط في القراءات العشر ص٢٤٣، تحبير التيسير ص٢٠٢.

المعنى اللغوي للقراءات:

«الكسب: ما يتحراه الإنسان مما فيه اجتلاب نفع، وتحصيل حظ ككسب المال، وقد يستعمل فيما يظن الإنسان أنه يجلب منفعة، ثم استجلب به مضرَّة، والكسب يقال: فيما أخذه لنفسه ولغيره»[(٤٥٩)].

وجاء في لسان العرب: الكسب: طلب الرزق، وأصله الجمع يقال: كسب يكسب كسباً، وتكسَّب واكتَسَب، وقيل: كَسَبَ: أَصَاب، واكتسب: تصرَّف واجتهد[(٤٦٠)].

التفسير:

في هذه الآية الكريمة ينبِّه الله تعالى الناس إلى أن ما أصابهم من مصائب في النفس أو الأهل أو المال، وما أصابهم من بؤس إلا بسبب معاصيهم التي اكتسبوها وأصابوها بأيديهم، على الرغم من أنَّ الله تعالى برحمته يتجاوز عن كثيرٍ من الذنوب فلا يعاقبهم عليها.

يقول د. محمد حجازي: «وما أصابكم أيها الناس في الدنيا من مصيبةٍ فبما كسبته أيديكم، واقترفته جوارحكم حتى بعض الأمراض، والآفات الزراعية، ويظهر والله أعلم أن الذنوب نوعان، نوعٌ يعذب الله صاحبه في الدنيا لأنه هيِّن بسيطٌ فيصيبه بسببه مرضٌ أو ألمٌ، ونوع عذابه شديد فهو في الآخرة فقط، وإذا أحب الله عبداً عجَّل له العقوبة في الدنيا، وإذا كرهه لسوء عمله تركه يقترف من السيئات ما شاء، ثم يأخذه أخذ عزيزٍ مقتدرٍ لحسابٍ عسيرٍ وعذابٍ شديدٍ، وقد ينال الإنسان منا بعض الألم تكفيراً له عن ذنوب أو زيادةً له في الثواب، والله يعفو عن كثير من الذنوب عفواً مع القدرة الكاملة»[(٤٦١)] فلا يعاقبهم عليها.

---

(٤٥٩) مفردات ألفاظ القرآن ص ٧١٠.

(٤٦٠) انظر لسان العرب ج١ ص٧١٦.

(٤٦١) التفسير الواضح م٣ ج٢٥ ص٢٤.

وقال القرطبي: «﴿وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾ أي يعفو عن كثيرٍ من المعاصي ألَّا يكون عليها حدودٌ، وهو مقتضى قول الحسن، وقيل: أي يعفو عن كثيرٍ من العصاة فلا يعجل عليهم بالعقوبة»[٤٦٢].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد أفادت قراءة (بما كسبت) الإخبار من الله تعالى عن سبب المصائب التي تقع على الناس على سبيل الجواز والعموم بدون تعيين التسبب، و(ما) في (ما أصابكم) بمعنى: الذي، وهي مبتدأ وخبره (بما كسبت أيديكم) ولا تتضمن معنى الشرط، فالمعنى: والذي أصابكم وقع بما كسبت أيديكم[٤٦٣]، لأن ما الشرطية تدل على التسبب، أما الموصولية فتدل على الإيماء إلى جملة الخبر على الجواز، فقد يراد به واحدٌ بعينه أو غيره بالقرينة[٤٦٤].

قال أبو علي الحسن الفارسي: «إذا أثبت الفاء فدليل على أنَّ الأمر الثاني وجب بالأول، وذلك نحو قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [البقرة: ٢٧٤] ثم قال: ﴿فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾ [البقرة: ٢٧٤] فثبات الفاء يدل على أن وجوب الأجر إنما هو من أجل الإنفاق... فإذا لم يذكر الفاء جاز أن يكون الثاني وجب للأول، وجاز أن يكون لغيره»[٤٦٥].

وأمَّا قراءة ﴿فَبِمَا كَسَبَتۡ﴾ أخبرت عن سبب المصائب التي أصابتهم على وجه التعيين، لما جاء في الحجة للقراء السبعة وغيره من الكتب، فتكون ما شرطيةً أو متضمنةً معنى الشرط، والفاء رابطة لجواب الشرط (بما كسبت أيديكم) ويكون وقوع فعل الشرط ماضياً للدلالة على التحقق[٤٦٦]، «والمعنى:

(٤٦٢) الجامع لأحكام القرآن ج٨ ص٣٥٢.
(٤٦٣) انظر حجة القراءات ص٤٦٢.
(٤٦٤) انظر التحرير والتنوير م١١ ج٢٥ ص٩٩.
(٤٦٥) الحجة للقراء السبعة ج٣ ص ٣٦٣.
(٤٦٦) انظر التحرير والتنوير م١٢ ج٢٥ ص٩٩.

ما تصبكم من مصيبةٍ فبما كسبت أيديكم»[٤٦٧] قال الثعالبي: «معنى الكلام مع ثبوتها ـ أي ثبوت الفاء (فبما) ـ التلازم، أي: لولا كسبكم ما أصابتكم مصيبةٌ، والمصيبة: إنما هي بكسب الأيدي، ومعنى الكلام مع حذفها، يجوز أن يكون التلازم، ويجوز أن يعرى منه»[٤٦٨].

وقال البقاعي: «وإثبات الفاء في قراءة الباقين زيادةٌ في إيضاح السببية، فقرءوا (فبما) لتضمن المبتدأ الشرط أي: فهو بالَّذي»[٤٦٩].

الجمع بين القراءات:

بين القراءتين اتحادٌ في المعنى مع وضوح السبب وتعينه في القراءة الثانية (فبما) عن القراءة الأولى (بما)، فالقراءة الثانية مبيِّنةٌ ومخصصةٌ للقراءة الأولى، بتعيين سبب المصائب وهي أعمالهم التي ارتكبوها وفي ذلك قال ابن عاشور: «قراءة الجمهور (فبما) ـ معيِّنٌ معنى عموم التسبب لأفعالهم فيما يصيبهم من المصائب لأنَّ (ما) في هذه القراءة إما شرطية، والشرط دال على التسبب، وإما موصولةٌ مشبهةٌ بالشرطية، فالموصولية تفيد الإيماء إلى علة الخبر، وتشبيهها بالشرطية يفيد التسبب، وقراءة نافع وابن عامر ـ (بما) ـ لا تعيِّن التسبب بل تجوزه، لأن الموصول قد يراد به واحدٌ معينٌ بالوصف بالصلة، فتحمل على العموم بالقرينة، وبتأييد القراءة الأخرى، لأن الأصل في القراءات الصحيحة اتحاد المعاني، وكلتا القراءتين سواء في احتمال أن يكون المقصود بالخطاب فريقاً معيناً، وأن يكون المقصود به جميع الناس، وكذلك في أن يكون المراد مصائب معينَّة حصلت في الماضي، وأن يراد جميع المصائب التي حصلت والتي تحصل، ومعنى الآية على كلا التقديرين يفيد: أنَّ مما يصيب الناس من مصائب الدنيا ما هو إلا جزاء لهم على أعمالهم التي لا يرضاها الله تعالى كمثل المصيبة، أو المصائب التي أصابت

(٤٦٧) معاني القراءات ج٢ ص٣٥٦.
(٤٦٨) تفسير الثعالبي ج٣ ص١٣٢.
(٤٦٩) نظم الدرر ج٦ ص٦٣١.

المشركين لأجل تكذيبهم، وأذاهم للرسول»[٤٧٠].

وبالجمع بين القراءتين يكون المعنى: أنَّ ما أصاب الناس من مصيبةٍ فمنه ما هو بسبب معاصيهم وأعمالهم فيجازون عليها في الدنيا، أو في الدنيا والآخرة، وهذا في حق المشركين والعصاة من المسلمين، ومنه ما هو بسببٍ آخر غير ذلك لخيرٍ أراده الله تعالى لهذا المصاب، ولأجل تعريضه للأجر العظيم بالصبر عليه، وهذا في حق المؤمنين، قال البيضاوي: «والآية مخصوصةٌ بالمجرمين، فإن ما أصاب غيرهم فلأسبابٍ أخر منها تعريضه للأجر العظيم بالصبر عليه»[٤٧١].

فالقراءة الثانية تخص المجرمين فقط، وأما القراءة الأولى فالآية تعمُّ جميع الناس مؤمنين وكافرين، والله تعالى أعلم.

قال ابن عاشور: «إن كانت (ما) موصولةً كانت دلالتها محتملةً للعموم وللخصوص، لأن الموصول يكون للعهد ويكون للجنس، وأيّاً ما كان فهو دال على أن من المصائب التي تصيب الناس في الدنيا ما سلطه الله عليهم جزاءً على سوء أعمالهم، وإذا كان ذلك ثابتاً بالنسبة لأناسٍ معينين كان فيه نذارةٌ وتحذيرٌ لغيرهم ممن يفعل من جنس أفعالهم أن تحلَ بهم مصائب في الدنيا جزاءً على أعمالهم زيادةً في التنكيل بهم إلَّا أنَّ هذا الجزاء لا يطرد، فقد يجازي الله قوماً على أعمالهم جزاءً في الدنيا مع جزاء الآخرة، وقد يترك قوماً إلى جزاء الآخرة، فجزاء الآخرة في الخير والشر هو المطرد الموعود به، والجزاء في الدنيا قد يحصل وقد لا يحصل»[٤٧٢].

٨ ـ قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾﴾ [الشورى: ٣٢ ـ ٣٣].

---

(٤٧٠) التحرير والتنوير م١٢ ج٢٥ ص٩٩.

(٤٧١) تفسير البيضاوي ج٥ ص١٣١.

(٤٧٢) التحرير والتنوير م١٢ ج٢٥ ص١٠٠.

القراءات:

١ ـ قرأ نافع وأبو جعفر (الرِّياح) على الجمع.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿ٱلرِّيحَ﴾ على الإفراد[٤٧٣].

المعنى اللغوي للقراءات:

الرِّيح: الهواء إذا تحرك، وتطلق على الرحمة، والقوة، يقال ذهبت ريحه، وتطلق على النصر والغلبة[٤٧٤].

قال الأصفهاني: «عامة المواضع التي ذكر الله تعالى فيها إرسال الريح بلفظ الواحد فعبارةٌ عن العذاب، وكل موضعٍ ذكر فيه بلفظ الجمع فعبارةٌ عن الرحمة»[٤٧٥]. وهذا فيه نظر، لأنَّ ما ذُكِرَ هو على وجه الغالب في القرآن وليس مطَّرداً.

التفسيـر:

تتحدث الآيتان الكريمتان عن دليلٍ آخر من دلائل قدرة الله تعالى، ووحدانيته وعظيم سلطانه، ورحمته بعباده، تذكيراً لهم بنعمه الجليلة التي لا تتوارى ولا تنقطع، يقول ابن كثيرٍ: «ومن آياته الدالة على قدرته الباهرة، وسلطانه، تسخيره البحر لتجري فيه الفلك بأمره، وهي الجواري في البحر كالأعلام أي: الجبال، ﴿إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ﴾ أي: التي تسير في البحر بالسفن لو شاء لسَكَّنها حتى لا تتحرك السفن بل تبقى راكدةً لا تجيء ولا تذهب، بل واقفةً على ظهره أي: على وجه الماء .﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ﴾ أي: في الشدائد ﴿شَكُورٍ﴾ أي: إنَّ في تسخيره البحر وإجرائه الهوى بقدر ما يحتاجون إليه لسيرهم لدلالات على نعمه تعالى على خلقه، لكل

(٤٧٣) انظر إتحاف فضلاء البشر ص٤٩٢، الشامل في القراءات المتواترة ص٢٥١.

(٤٧٤) انظر المعجم الوسيط ص٤٠٥.

(٤٧٥) مفردات ألفاظ القرآن ص٣٧٠.

صبارٍ أي: في الشدائد، شكورٍ في الرخاء»[476].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

ذهب بعض علماء التفسير إلى أنَّه لا فرق من حيث المعنى بين القراءتين، «فمن وحَّد الريح فلأنه اسمٌ للجنس يدل على القليل والكثير، ومن جمع فلاختلاف الجهات التي تهب منها الرياح»[477].

إلَّا أنَّ بعض العلماء اعتبر أنَّ الريح إذا جاءت في القرآن مفردةً فإنه يراد بها ريح العذاب خاصةً، وإذا جاء بالجمع تأتي في الرحمة مستدلين على ذلك بقول النبي ﷺ: «اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً»[478][479]. إلَّا أن ما ذكره بعض العلماء من استعمال الرياح في الخير، والريح في الشر فهو على الغالب في القرآن، قال ابن عاشورٍ: «وفي قراءة الجمهور ما يدل على أنَّ الرِّيح قد تطلق بصيغة الإفراد على الرِّيح الخير، وما قيل إنَّ الرِّياح للخير، والرِّيح للعذاب في القرآن هو غالبٌ لا مطَّردٌ، وقد قرئ في آياتٍ أخرى الرِّياح، والرِّيح في سياق الخير دون العذاب»[480].

وجاء في حاشية الكشاف: «وهم يقولون إنَّ الرِّيح لم ترد في القرآن إلا عذاباً بخلاف الرِّياح، وهذه الآية تخرم الإطلاق، فإن الرِّيح المذكورة هنا نعمةٌ ورحمةٌ، إذ بواسطتها يسيِّر الله السفن في البحر حتى لو سكنت

(٤٧٦) تفسير القرآن العظيم ج٤ ص١١٩.
(٤٧٧) الجامع لأحكام القرآن ج١ ص٥٩٥.
(٤٧٨) مسند الإمام الشافعي باب ما هبت ريحٌ قط إلا جثا النبي ج١ ص٨١، والمعجم الكبير للطبراني: باب٣ ج١١ ص٤٦٤ ح١٣١٣، قال عنه الألباني ضعيف جداً، انظر سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ج٩ ص٢٨٨ ح٤٢١٧، وضعيف الجامع الصغير ح٤٤٦١.
(٤٧٩) انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع ج١ ص٢٧١، مفردات ألفاظ القرآن ص٣٧٠.
(٤٨٠) التحرير والتنوير م١٢ ج٢٥ ص١٠٦.

لركدت السفن، ولا ينكر أنَّ الغالب من ورودها مفردةً ما ذكروه، وأما اطراده فلا، وما ورد في الحديث: «اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً» فلأجل الغالب في الإطلاق، والله أعلم»[٤٨١]. وبمثله جاء في حاشية القونوي[٤٨٢].

وعلى هذا يكون المقصود من قراءة الإفراد في هذا الموضع اسماً للجنس كما قاله بعض المفسرين، فلا اختلاف في معنى القراءتين والله أعلم.

٩ ـ قال تعالى: ﴿وَيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٖ ٣٥﴾ [الشورى: ٣٥].

القراءات:

١ ـ قرأ ابن عامر والمدنيان (وَيعلمُ) بضم الميم.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿وَيَعۡلَمَ﴾ بفتح الميم[٤٨٣].

المعنى اللغوي للقراءات:

العلم: نقيض الجهل، وعَلِمْتُ الشيء أي: عرفتُه[٤٨٤]. وقال الأصفهاني: العلم: إدراك الشيء بحقيقته وذلك ضربان: أحدهما: إدراك ذات الشيء، والثاني: الحكم على الشيء بوجود شيءٍ هو موجودٌ له، أو نفي شيءٍ هو منفيٌّ عنه. والعلم: الأثر الذي يعلم به الشيء كعلم الطريق وعلم الجيش[٤٨٥].

---

(٤٨١) الكشاف ج٣ ص ٤٧٢.

(٤٨٢) انظر حاشية القونوي ج١٧ ص٢٤٤.

(٤٨٣) انظر النشر في القراءات العشر ج٢ ص٣٦٧.

(٤٨٤) انظر لسان العرب م١٢ ج٢٥ ص٤١٧.

(٤٨٥) انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٥٨٠.

التفسيـر:

قال القرطبي: «يعنى الكفار، أي: إذا توسطوا البحر وغشيتهم الرِّياح من كل مكانٍ أو بقيت السفن رواكد، علموا أنْ لاَ ملجأ لهم سوى الله، ولا دافع لهم إن أراد الله إهلاكهم فيخلصون له العبادة»(٤٨٦).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قراءة (ويعلمُ) بالرفع تفيد أن الجملة استئنافيةٌ بعد انقطاعٍ ليس لها ارتباطٌ بما قبلها، لأن الشرط والجزاء قد تم قبله(٤٨٧)، أو الجملة الفعلية تكون خبراً لمبتدإٍ محذوفٍ تقديره وهو يعلم الذين(٤٨٨).

«والرفع والاستئناف على أنَّ ذلك تهديدٌ للمشركين بأنهم لا محيص لهم من عذاب الله تعالى، . . . وحذف متعلق المحيص إبهاماً له تهويلاً للتهديد لتذهب النفس كل مذهب ممكنٍ فيكون قوله (وَيَعْلَمُ الذينَ يُجَادِلُونَ) خبراً مراداً به الإنشاء والطلب فهو في قوة: وَليعلمْ الذين يجادلون، أو اعلموا يا من يجادلون وليس خبراً عنهم لأنهم لا يؤمنون بذلك حتى يعلموه»(٤٨٩).

وأمَّا قراءة ﴿وَيَعْلَمَ﴾ بالنصب تفيد أن الجملة معطوفةٌ على تعليل محذوفٍ تقديره، لينتقم منهم ﴿وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا﴾(٤٩٠). وقيل: إنَّ الواو واو المعية التي يُنْصَب الفعل المضارع بعدها بـ (أنَّ) مضمرةً(٤٩١)، فيكون المعنى: أنَّ الله تعالى يرسل الرياح عاصفةً في البحر فيهلك من في السفينة بما كسبوا من الذنوب أو يعفو عن كثيرٍ من أهلها فينجيهم من الغرق، ليعلم الذين يجادلون في آياتنا ما لهم من محيصٍ.

---

(٤٨٦) الجامع لأحكام القرآن ج٨ ص٣٥٧.

(٤٨٧) انظر حجة القراءات ص٦٤٣.

(٤٨٨) انظر الكشف ج٢ ص ٢٥١، الحجة للقراء السبعة ج٣ ص٢٦٤.

(٤٨٩) التحرير والتنوير م ١٢ ج٢٥ ص١٠٣.

(٤٩٠) انظر الكشاف ج٣ ص٤٧٢، التفسير الكبير م ١٤ ج ٢٧ ص١٧٧.

(٤٩١) انظر التحرير والتنوير م ١٢ ج٢٥ ص١٠٣.

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين يتبيَّن أن الآية عامةٌ للجميع على معنى: إن يشأ الله يعصف الرِّيح فيغرق بعضاً من السفن، وينجي بعضاً آخر عفواً منه، ويحذِّر آخرين ليعلموا أن لا ملجأ لهم من الله تعالى، والله تعالى يعلم الذين يجادلون في آياته، فليحذروا أن يصيبهم ما أصاب غيرهم من العذاب والإهلاك فليس لهم منجى من عقابه، وليتعظ غيرهم بذلك.

١٠ ـ قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الشورى: ٣٧].

القراءات:

١ ـ قرأ حمزة والكسائي وخلفٌ (كَبِير) بكسر الباء من غير ألف ولا همزة على التوحيد.

٢ ـ قرأ الباقون بفتح الباء وألفٍ وهمزةٍ مكسورةٍ بعدها على الجمع[٤٩٢].

المعنى اللغوي للقراءات:

الكبيرة: هي كل ذنبٍ تعظم عقوبته، وجمعها كبائر، قيل: أريد به الشرك، وقيل: هي الشرك وسائر المعاصي الموبقة، كالزنا وقتل النفس المحرمة[٤٩٣]، وقال ابن منظورٍ: «هي الفعلة القبيحة من الذنوب المنهي عنها شرعاً، العظيم أمرها كالقتل والزنا، والفرار من الزحف، وغير ذلك»[٤٩٤].

(٤٩٢) انظر النشر في القراءات العشر ج٢ ص٣٦٨، تحبير التيسير ص٢٠٢.

(٤٩٣) انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٦٩٧.

(٤٩٤) لسان العرب ج٥ ص١٢٦.

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن بعض صفات المؤمنين الذين آمنوا بربهم وعليه يتوكلون، فالآية معطوفةٌ على الآية التي سبقتها في قوله تعالى: ﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الشورى: ٣٦]، فبعد أن ذكر المولى ﷻ الذين يستحقون ثوابه، وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا، بيَّن في هذه الآية الكريمة صفات هؤلاء المؤمنين فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ﴾ قال السمرقندي: «وهذا نعتُ المؤمنين أيضاً، الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش... والكبيرة: ما أوجب الله تعالى الحدَّ عليها في الدنيا أو العذاب في الآخرة، ثم قال: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ يعني: إذا غضبوا على أحدٍ يتجاوزون، ويكظمون غيظهم»(٤٩٥). وقال الشوكاني: «المراد بكبائر الإثم: الكبائر من الذنوب...، والفواحش من الكبائر ولكنها مع وصف كونها فاحشةً كأنَّها فوقها، وذلك كالقتل، والزنا، ونحو ذلك وقال مقاتل: الفواحش موجبات الحدود، وقال السدي: هي الزنا»(٤٩٦).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

ذهب بعض علماء التفسير إلى أن القراءتين بمعنىً واحدٍ على اعتبار أن من أفرد فقد أراد الجمع لأنه اسم جنسٍ يدل على القليل والكثير، ومن جمع فلأنه أراد العموم، وهي موافقة لرسم المصحف.

قال السمين الحلبي: «قرأ الأخوان هنا وفي النجم (كبير الإثم) بالإفراد، والباقون (كبائر) بالجمع في السورتين، والمفرد هنا في معنى الجمع، والرسم يحتمل القراءتين»(٤٩٧) وقال ابن عاشورٍ: «قرأ الجمهور (كبائر) بصيغة الجمع، وقرأ حمزة، والكسائي، وخلفٌ (كبير) بالإفراد،

(٤٩٥) بحر العلوم ج٣ ص١٩٨.

(٤٩٦) فتح القدير ج٤ ص٧٥٧.

(٤٩٧) الدر المصون ج٩ ص٥٦١.

فكبائر الإثم: الفعلات الكبيرة من جنس الإثم وهي الآثام العظيمة التي نهى الشرع عنها نهياً جازماً، وتوعد فاعلها بعقاب الآخرة مثل القذف، والاعتداء، والبغي، وعلى قراءة (كبير الإثم) مرادٌ به معنى كبائر الإثم لأن المفرد لما أضيف إلى معرَّف بلام الجنس من إضافة الصفة إلى الموصوف كان له حكم ما أضيف هو إليه»(٤٩٨).

واعتبر بعض العلماء أنَّ المقصود بـ (كبير) على التوحيد: الشرك بالله على قول ابن عباسٍ: كبير الإثم، هو الشرك(٤٩٩)، وقال ابن خالويه: «﴿كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ﴾ يقرأ بالتوحيد والجمع، فالحجة لمن وحَّدَ أنه أراد: به الشرك بالله فقط، لأن الله تعالى أوجب على نفسه غفران ما سواه من الذنوب، ولذلك سمَّاه ظُلماً عظيماً، والحجة لمن جمع: أنه أراد بذلك: الشرك، والقتل، والزنا، والقذف، وشرب الخمر، والفرارُ من الزَّحف، وعقوق الوالدين، فذلك سَبعٌ»(٥٠٠).

وقال الفراء: «وفُسِّرَ عن ابن عباسٍ: أنَّ كبير الإثم هو الشرك، فهذا موافقٌ لمن قرأ (كبير الإثم) بالتوحيد وقرأ العوام ﴿كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ﴾ فيجعلون كبائر كأنه شيءٌ عامٌ، وهو في الأصل واحدٌ، وكأنِّي أستحب لمن قرأ: كبائر أن يخفض الفواحش، لتكون الكبائر مضافةً إلى مجموع إذ كانت جمعاً»(٥٠١).

الجمع بين القراءات:

يمكن الجمع بين القراءتين والمعاني بالتوفيق بينهما، وذلك أنَّ ما عند الله خيرٌ وأبقى للذين آمنوا والذين يجتنبون الشرك بالله تعالى والفواحش

(٤٩٨) التحرير والتنوير م١٢ ج٢٥ ص١١٠.

(٤٩٩) انظر تفسير أبي السعود ج٥ ص٧٠، الكشاف ج٣ ص٤٧٢، جامع البيان م١١ ج٢٥ ص٢٣.

(٥٠٠) الحجة في القراءات السبع ص٣١٩.

(٥٠١) معاني القرآن للفراء ج٣ ص٢٥.

الأخرى من زنىً وسرقةٍ وقتلٍ وغير ذلك من الكبائر، فقراءة التوحيد أشارت إلى الشرك بالله تعالى وأمَّا قراءة الجمع فأشارت إلى الكبائر الأخرى إضافةً إلى كبيرة الشرك التي هي أكبر هذه الكبائر.

١١ - قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ [الشورى: ٥١].

القراءات:

١ - قرأ نافع (أو يُرْسِلُ - فَيوحِيْ) بضم اللام، وإسكان الياء.

٢ - قرأ الباقون ﴿أَوْ يُرْسِلَ - فَيُوحِىَ﴾ بفتح اللام والياء[٥٠٢].

المعنى اللغوي للقراءات:

أصل الرسل: الانبعاث على التؤدة، يقال إبلٌ مراسيل، أي: منبعثةٌ انبعاثاً سهلاً، ومنه: الرسول المنبعث، والرسول يقال: تارةً القول المتحمَّل، وتارةً لمُتَحمِّل القول والرِّسالة[٥٠٣].

وجاء في لسان العرب: الإرسال التوجيه، والاسم: الرِّسالة، والرَّسالة، والرَّسول، والرَّسول معناه في اللغة: الذي يتابع أخبار الذي بعثه أخذاً من قولهم، وسمِّي الرَّسول رسولاً لأنه ذو رسولٍ، أي: ذو رسالةٍ، ويقال أرسلت فلاناً في رسالةٍ فهو مُرْسَلٌ ورسولٌ[٥٠٤].

التفسير:

تشير هذه الآية الكريمة إلى مقامات الوحي بالنسبة إلى جناب الله

---

(٥٠٢) انظر المبسوط في القراءات العشر ص٢٤٢، النشر في القراءات العشر ج٢ ص٣٦٨، تحبير التيسير ص٢٠٢.

(٥٠٣) انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٣٥٣.

(٥٠٤) انظر لسان العرب ج١١ ص٢٨٣ - ٢٨٤.

ﷻ، والطرق التي يكلم الله تعالى بها أنبياءه ورسله[٥٠٥]. قال الطبري: «يقول تعالى ذكره: وما ينبغي لبشرٍ من بني آدم أن يكلمه ربه إلَّا وحياً يوحي الله إليه كيف شاء أو إلهاماً وإما غيره، أو من وراء حجابٍ، يقول: أو يكلمه بحيث يسمع كلامه ولا يراه، كما كلَّم موسى نبيّه ﷺ، أو يرسل رسولاً، يقول: أو يرسل الله من ملائكته رسولاً إما جبرائيل وإما غيره، فيوحي بإذنه ما يشاء، يقول: فيوحي ذلك الرَّسول إلى المرسل إليه بإذن ربه ما يشاء، يعني: ما يشاء ربه أن يوحيه إليه من أمرٍ ونهيٍ وغير ذلك من الرِّسالة والوحي»[٥٠٦].

قال المفسرون: سبب نزول هذه الآية أنَّ اليهود قالوا للنبي ﷺ: ألا تكلم الله وتنظر إليه إن كنت نبياً كما كلَّمه موسى ونظر إليه، فإنَّا لن نؤمن لك حتى تفعل ذلك، فقال النبي ﷺ: «إنَّ موسى لم ينظر إليه»، فنزلت الآية[٥٠٧].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

العلاقة بين القراءتين علاقةٌ نَحْوِيةٌ مع اتفاقٍ بينهما في المعنى، قال ابن خالويه: «(أو يرسل رسولاً فيوحي) يقرآن بالرفع والنصب، فالحجة لمن رفع أنَّه استأنف بـ (أو) فخرج من النصب إلى الرفع، والحجة لمن نصب أنه عطفه على معنى قوله: (إلَّا وحياً)، لأنه بمعنى أن يوحي إليه أو يرسل رسولاً فيوحي، فيعطف بعضاً على بعضٍ بـ (أو) وبـ (الفاء)»[٥٠٨].

قال مكي بن أبي طالب: «حجة من رفع وأسكن الياء أنه استأنفه وقطعه مما قبله، أو رفعه على إضمار مبتدأٍ تقديره: أو هو يرسل رسولاً، ويجوز رفع (يرسل) على الحال، على أن يجعل (إلَّا وحياً) حالاً، ويعطف

---

(٥٠٥) انظر تفسير القرآن العظيم ج٤ ص١٢٣.

(٥٠٦) جامع البيان م١١ ج٢٥ ص٢٨.

(٥٠٧) انظر أسباب النزول ص٢٨١، بحثت عنه في كتب الحديث ولم أقف عليه.

(٥٠٨) الحجة في القراءات السبع ص٣١٩.

عليه (أو يرسل) ويعطف عليه (فيوحي).

وحجة من نصب أنَّه حمله على معنى المصدر، لأن قوله (إلا وحياً) معناه: إلَّا أنْ يوحي، فيعطف (أو يرسل) على (أن يوحي) فنصبه، تقديره: إلَّا أن يوحي أو يرسل رسولاً فيوحي، ولا يحسن عطفه على (أن يكلمه) لأنه يلزم منه تغير المعنى، لأنه يصير المعنى إلى نفي الرسل، أو إلى نفي المرسل إليهم الرسل، لأنه يصير التقدير: وما كان لبشرٍ أن يُرسل رسولاً، أي: أن يرسله الله رسولاً، فلا بد من حمله، إذا نصبه، على معنى وحي[٥٠٩].

وقال أبو حيان: «قرأ الجمهور: بنصب الفعلين عطفاً، أو يرسل على المضمر الذي يتعلق به من وراء حجابٍ تقديره: أو يكلمه من وراء حجاب، وهذا المضمر معطوفٌ على (وحياً)، والمعنى: إلا بوحي، أو سماع من وراء حجابٍ، أو إرسال رسولٍ فيوحي ذلك الرسول إلى النبي الذي أُرسل عنه بإذن الله ما يشاء... وقال الزمخشري: ووحياً، وأن يرسل، مصدران واقعان موقع الحال، لأنَّ أنْ يُرسل في معنى: إرسالاً، ومن وراء حجاب ظرفٌ واقعٌ موقع الحال أيضاً، كقوله: (وعلى جنوبهم) والتقدير: وما صحَّ أن يكلم أحداً إلَّا موحياً أو مسمعاً من وراء حجاب، أو مرسلاً[٥١٠]. وقرأ نافعٌ وأهل المدينة، أو يرسل رسولاً فيوحي بالرفع فيهما، فخرج على إضمار هو يرسل، أو على ما يتعلق به من وراء، إذ تقديره: أو يسمع من وراء حجابٍ، ووحياً مصدرٌ في موضع الحال، عطف عليه ذلك المقدر المعطوف عليه، (أو يرسلُ) والتقدير: إلَّا موحياً أو مسمعاً من وراء حجابٍ»[٥١١].

القراءتان كلتاهما تقطعان أنَّ هذه الأقسام الثلاثة التي ذكرتها الآية

(٥٠٩) الكشف عن وجوه القراءات السبع ج٢ ص٢٥٤، انظر الدر المصون للسمين الحلبي ج٩ ص٥٦٧.

(٥١٠) انظر الكشاف ج٣ ص٤٧٥.

(٥١١) البحر المحيط ج٧ ص٥٠٤ بتصرف قليل.

(الإيحاء، وإسماع الكلام من وراء حجابٍ، وإرسال الرسل) هي من أنواع الكلام مع حصر التكليم فيها، وقراءة النصب ربما تزيل توهماً وقع عند البعض مفاده أن الرسالة ليست من أنواع التكليم على تقدير: (أو يرسل) بالرفع استئناف بعد انقطاعٍ، أو خبرٌ لمبتدأٍ تقديره (هو).

قال ابن عطية: «وفي هذه الآية دليلٌ على أنَّ الرسالة من أنواع التكليم، وأن الحالف المُرْسِل حانثٌ إذا حلف ألَّا يُكلِّمَ إنساناً»[٥١٢].

(٥١٢) المحرر الوجيز ج٥ ص٤٤، وانظر البحر المحيط ج٧ ص٥٠٤.

المبحث الثاني
عرض وتفسير لآيات سورة الزخرف
المتضمنة للقراءات القرآنية العشر

١ - قال تعالى: ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ۝٥﴾ [الزخرف: ٥].

القراءات:

١ - قرأ المدنيان، وحمزة، والكسائي، وخلفٌ (إِنْ كُنتُمْ) بكسر الهمزة.

٢ - قرأ الباقون ﴿أَن كُنتُمْ﴾ بفتح الهمزة[٥١٣].

التفسير:

تشير الآية الكريمة إلى سنة الله تعالى في التعامل مع خلقه، بإرسال الرسل إليهم وتذكيرهم بالله تعالى رغم إعراض المشركين عن دعوته، وتكذيبهم الرسل، واستكبارهم في الأرض[٥١٤]. قال ابن كثير: «اختلف المفسرون في معناها، فقيل: معناها أتحسبون أن نصفح عنكم فلا نعذبكم ولم تفعلوا ما أمرتم به. قاله: ابن عباسٍ رضي الله عنهما وأبو صالح، ومجاهد

(٥١٣) انظر النشر في القراءات العشر ج٢ ص ٣٦٨، تحبير التيسير ص٢٠٣.

(٥١٤) انظر الجامع لأحكام القرآن م١١ ج٢٥ ص٣١.

والسدِّي، واختاره ابن جرير، وقال قتادة في قوله تعالى: ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا﴾ والله لو أنَّ هذا القرآن رُفِع حين ردَّته أوائل هذه الأمة لهلكوا، ولكنَّ الله تعالى عاد بعائدته، ورحمته فكرَّره عليهم، ودعاهم إليه عشرين سنةً أو ما شاء الله من ذلك، وقول قتادة لطيف المعنى جداً، وحاصله أنْ يقول في معناه: أنه تعالى من لطفه ورحمته بخلقه لا يترك دعاءهم إلى الخير وإلى الذكر الحكيم، وهو القرآن، وإن كانوا مسرفين معرضين عنه بل يأمر به ليهتدي من قدَّرَ هدايته، وتقوم الحجة على من كتب شقاوته»[٥١٥].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة ﴿أَن كُنتُمْ﴾ بفتح الهمزة على أنَّ (أنْ) تعليلية وأنَّ أمرَ الإسراف والتكذيب قد كان ومضى، وأنَّه صار طابعاً لهم[٥١٦]، والمعنى: أفنترك تذكيركم إعراضاً عنكم بسبب كونكم مسرفين في التكذيب والعصيان بل لا نزال نعيد التذكير رحمةً بكم[٥١٧]، والاستفهام الاستنكاري معناه: إنَّا لا نفعل ذلك[٥١٨].

وعلى المعنى الذي ذكره ابن عباسٍ وآخرون يكون المعنى: أفنضرب عنكم ذكر العذاب، لأنَّكم أسرفتم وكفرتم[٥١٩].

قال ابن الجوزي: «المراد بالذِّكر قولان: أحدهما: أنَّه ذِكرُ العذاب، فالمعنى: أفنمسكُ عن عذابكم ونترككم على كفركم؟ وهذا على قول ابن عباسٍ، ومجاهدٍ، والسدِّي. والثاني: أنَّه القرآن: فالمعنى: أفنمسك عن إنزالِ القرآن من أجل أنكم لا تؤمنون به؟ وهو معنى قول قتادة»[٥٢٠].

(٥١٥) تفسير القرآن العظيم ج٤ ص١٢٥.
(٥١٦) انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع ج٢ ص٢٥٥.
(٥١٧) انظر التحرير والتنوير م ١٢ ج٢٥ ص١٦٤.
(٥١٨) انظر مجمع البيان م ٥ ج٢٤ ص٧٠.
(٥١٩) انظر بحر العلوم ج٣ ص٢٠٣.
(٥٢٠) زاد المسير ص١٢٧٤.

وأمَّا قراءة (إنْ كُنتُمْ) بكسر الهمزة فتفيد أنَّ أمر الإسراف لم يقع بعد على أنَّ (إنْ) شرطية، وجواب الشرط ما قبله من جملة الكلام ونظير ذلك قوله: ﴿أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [المائدة: ٢](٥٢١).

قال ابن خالويه: «الحجة لمن كسر: أنه جعل (إنْ) حرف شرط، وجعل الفعل بمعنى المستقبل، وحذف الجواب علماً بالمراد»(٥٢٢)، على معنى: «إن تكونوا مسرفين أي: نضرب عنكم العذاب»(٥٢٣).

وقال ابن زنجلة: «ومن كسرها فعلى معنى الاستقبال، والمعنى: إن تكونوا مسرفين نضرب عنكم الذكر، المراد - والله أعلم - من الكلام استقبال فعلهم، فأراد ﷺ تعريفهم أنَّهم غير متروكين من الإنذار والإعذار إليهم»(٥٢٤).

وبعض العلماء اعتبر أنَّ إسرافهم كان متحققاً أي: واقعاً بالفعل وهذا هو حالهم أي: أنهم متصفون بالإسراف، قال البقاعي: «وعلى قراءة نافع، وحمزة، والكسائي بكسر (إنْ) على كونها شرطيةً يكون الكلام مسبوقاً في غاية ما يكون من الإنصاف، فيكون المعنى: أنترككم مهملين فننحي عنكم الذكر والحال أنَّكم قومٌ يمكن أنْ تكونوا متصفين بالإسراف، يعني: أنَّ المسرف أهلٌ لأنْ يوعظ ويكلم بما يرده عن الإسراف، وأنتم وإن ادعيتم أنَّكم مصلحون لا تقدرون أن تدفعوا عنكم إمكان الإسراف فكيف يدفع عنكم إنزال الذكر الواعظ وأنتم بحيث يمكن أن تكونوا مسرفين فتحتاجوا إليه»(٥٢٥).

وقال النسفي: «(إنْ كُنتُم) مدنيٌّ وحمزة. وهو من الشرط الذي يصدر

---

(٥٢١) انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع ج٢ ص٢٥٥.

(٥٢٢) الحجة في القراءات السبع ص٣٢١.

(٥٢٣) معاني القراءات ج٢ ص٣٦١.

(٥٢٤) حجة القراءات ص ٦٤٥.

(٥٢٥) نظم الدرر ج٧ ص٧.

عن المدل بصحة الأمر المتحقق لثبوته كما يقول الأجير: إن كنت عملت لك فوفني حقي وهو عالمٌ بذلك»(٥٢٦).

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءات يظهر أنَّ الله تعالى: يعاتب هؤلاء المشركين المسرفين في التكذيب والعصيان موبخاً لهم ومحذراً من إمعانهم في الإعراض عنه قائلاً لهم على معنى: لا نترك تذكيركم ونعرض عنكم فلا نعظكم بالقرآن لأجل أنَّكم مسرفون في التكذيب والعصيان، بل لا نزال نذكِّرُكم، ونعظُكم به إلى أنْ ترجعوا إلى طريق الحقِّ رحمةً بكم، أو تقوم الحجة على من استمر في إسرافه وتكذيبه، ورفض الهداية، والله تعالى أعلم.

٢ ـ قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝١٠﴾ [الزخرف: ١٠].

القراءات:

١ ـ قرأ عاصمٌ، وحمزة، والكسائي، وخلفٌ ﴿مَهْدًا﴾ بفتح الميم، وسكون الهاء.

٢ ـ قرأ الباقون (مِهاداً) بكسر الميم وفتح الهاء، وألفٍ بعدها(٥٢٧).

المعنى اللغوي للقراءات:

المَهْد والمِهَاد: المكان المُمَهَّد المُوَطَّأ، ومَهَّدْت لك كذا: هيأته وسويته(٥٢٨).

---

(٥٢٦) تفسير النسفي ج٤ ص١٠٩.

(٥٢٧) انظر غيث النفع في القراءات السبع ص ٤٧١، إتحاف فضلاء البشر ص ٤٩٤.

(٥٢٨) انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٧٨٠.

وجاء في لسان العرب: المهاد: الفراش، وقد مهَّدْتُ الفراش مَهْداً: بسطته ووطأته، والجمع أمهده ومُهُد. وقيل المِهاد أجمع من المَهْد كالأرض جعلها الله مِهَاداً للعباد. وتمهيد الأمور: تسويتها وإصلاحها(٥٢٩). وجاء في المعجم الوسيط: المِهَاد: الفراش والأرض المنخفضة المستوية، وجمعها أمهده، ومُهُد، والمَهْد: السرير يهيأ للصبي ويوطأ لينام فيه والأرض السهلة المستوية وجمعها مُهُود(٥٣٠).

التفسير:

في سياق إقامة الدليل على وحدانية الله ﷻ، وتفرده بالربوبية والألوهية، وبعد إقرار المشركين لله بالخلق والإيجاد، تأتي هذه الآية الكريمة لتقيم الدليل على وحدانيته وكمال قدرته، وتذكرهم بعظيم نعمه عليهم التي تقتضي الشكر له، وإفراده بالعبودية والوحدانية قال القرطبي: «﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا﴾ وصف نفسه سبحانه بكمال القدرة، وهذا ابتداء إخبار منه عن نفسه، ولو كان هذا إخباراً عن قول الكفار لقال الذي جعل لنا الأرض، ﴿مَهْدًا﴾ فراشاً وبساطاً...، ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾ أي: معايش، وقيل طرقاً، لتسلكوا منها إلى حيث أردتم، ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ فتستدلون بمقدوراته على قدرته، وقيل: ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ في أسفاركم، وقيل: لعلكم تعرفون نعمة الله عليكم، وقيل: تهتدون إلى معايشكم»(٥٣١).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد اعتبر أكثر العلماء أنَّ القراءتين بمعنىً واحدٍ، قال مكي بن أبي طالب: «وحجة من قرأ بألفٍ أنَّه جعله اسماً كالفراش، وهو اسم ما يمهد، كما قال: ﴿جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا﴾ [البقرة: ٢٢]، ﴿جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا﴾

---

(٥٢٩) انظر لسان العرب ج٣ ص٤١٠.

(٥٣٠) انظر المعجم الوسيط ص٩٢٧.

(٥٣١) الجامع لأحكام القرآن ج٨ ص٣٧٩ بتصرفٍ يسير.

[نوح: ١٩] ، فالفراش والبساط اسم ما يفرش وما يبسط كذلك المهاد اسم ما يمهد، ويجوز أن يكون جمع مهد، فجمع المصدر، جعله اسماً غير مصدرٍ كـ (بغلٍ وبغالٍ). وحجة من قرأ بغير ألف أنه جعله مصدراً كالفرش، لكن عمل فيه عاملٌ من غير لفظه، والتقدير: الذي مهد لكم الأرض مهداً، فـ (جعل) قام مقام (مهد) ويجوز أن يكون المعنى: ذات مهدٍ، أي: ذات فرشٍ، فيكون في المعنى كالمهاد، فالقراءتان على هذا بمعنىً»[٥٣٢]. وقال د. محمد محيسن: «وهما مصدران بمعنىً واحدٍ، يقال مهدته مهداً، ومهاداً، والمهد والمهاد اسم لما يمهد كالفراش اسم لما يفرش»[٥٣٣].

وقال ابن عاشورٍ: «(وقرأ الجمهور (مهاداً) بكسر الميم وألفٍ بعد الهاء، وهو اسمٌ بمعنى الممهود مثل الفراش واللباس، ويجوز أن يكون جمع مهدٍ، وهو اسمٌ لما يمهد للصبي، أي يوضع عليه ويُحمل فيه، فيكون لوزن كعابٍ جمعاً لكعبٍ، ومعنى الجمع على اعتبار كثرة البقاع. وقرأ عاصمٌ، وحمزة، والكسائي، وخلفٌ مهداً بفتح الميم وسكون الهاء، أي: كالمهد الذي يمهد للصبي، وهو اسمٌ بمصدرٍ مهده، على أن المصدر بمعنى المفعول كالخلق بمعنى المخلوق، ثم شاع ذلك فصار اسماً لما يمهد، ومعنى القراءتين واحدٌ»[٥٣٤].

الجمع بين القراءات:

إذا ما قسنا على المعنى اللغوي نجد أنَّ معنى القراءتين متقاربان على معنى أن المهاد: هي الأرض المنخفضة المستوية، ومعنى المهد: الأرض السهلة المستوية.

وعلى ذلك يكون المعنى: إنَّ الله تعالى جعل لكم الأرض ممهودةً

(٥٣٢) الكشف عن وجوه القراءات السبع ج٢ ص٩٨.

(٥٣٣) المستنير في تخريج القراءات المتواترة ج٣ ص٥٦.

(٥٣٤) التحرير والتنوير م٨ ج١٦ ص٢٦٣ عند تفسيره للآية (٥٣) من سورة طه.

مسهَّلةً ومستويةً غير مرتفعةٍ للسير والجلوس والاضطجاع بحيث لا يكون فيها كثيرٌ من النتوء.

٣ ـ قال تعالى: ﴿وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾﴾ [الزخرف: ١١].

القراءات:

١ ـ قرأ أبو جعفرٍ (مَيِّتاً) مشددة الياء.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿مَّيْتًا﴾ بتسكين الياء[٥٣٥].

٣ ـ قرأ ابن ذكوان، وحمزة، والكسائي، وخلفٌ (تَخْرُجُون) بفتح التاء وضم الراء.

٤ ـ قرأ الباقون ﴿تُخْرَجُونَ﴾ بضم التاء وفتح الراء[٥٣٦].

المعنى اللغوي للقراءات:

١ ـ الموت: ضد الحياة وهي من (مات يموت ويَمَات) ويقال: مَيِّتٌ ومَيْتٌ بالتشديد، والتخفيف والمعنى واحد على قول الزجاج[٥٣٧].

٢ ـ الخروج: نقيض الدخول، والمخرج: موضع الخروج[٥٣٨].

«خرج خروجاً: برز من مقره أو حاله، سواء كان مقره داراً، أو بلداً أو ثوباً، وسواءً كان حاله حالةً في نفسه، أو في أسبابه الخارجة»[٥٣٩].

(٥٣٥) انظر المبسوط في القراءات العشر ص ٢٤٤، إتحاف فضلاء البشر ص٤٩٤.
(٥٣٦) انظر إتحاف فضلاء البشر ص ٤٩٤، الشامل في القراءات المتواترة ص ٢٥٢.
(٥٣٧) انظر لسان العرب ج٢ ص٩١.
(٥٣٨) انظر لسان العرب ج٢ ص٢٣٩.
(٥٣٩) مفردات ألفاظ القرآن ص٧٨١.

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن دليلٍ آخر من دلائل وحدانية الله تعالى وكمال قدرته، وعظيم سلطانه، ونعمةً أخرى من نعم الله تعالى التي امتن بها على الناس رحمةً ولطفاً بهم تستوجب شكراً وحمداً خالِصَيْن لهذا المنعم، ومعنى قوله سبحانه وتعالى: «أي: إنَّ الله هو الذي جعل الأرض ذلولاً، وأنزل من السماء ماءً بقدرٍ على حسب احتياج الناس، وبقدر منافعهم، فأحيا بهذا الماء الأرض القاحلة المجدبة، فأنبتت وأينعت، وأخرجت الحب والزرع، والزهر، والثمر، (كذلك تخرجون) أي: كما بعث الحياة في الأرض المجدبة قادرٌ على أن يخرجكم من قبوركم، ويحييكم بعد موتكم»(٥٤٠).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

العلاقة لغويةٌ بين القراءتين في (ميْتاً) بالتخفيف و(ميِّتاً) بالتشديد، والمعنى واحدٌ على رأي بعض علماء التفسير واللغة، جاء في لسان العرب: القول في مَيْت كالقول في مَيِّت، لأنه مخفف منه، وقال الزجاج: المَيْت المَيِّت بالتشديد، إلَّا أنه يخفف، يقال: مَيْت ومَيِّت، والمعنى واحدٌ، ويستوي فيه المذكر والمؤنث(٥٤١). وقال الرازي: «قال أهل اللغة: المَيْت مخففاً تخفيف مَيِّتٍ، ومعناهما واحدٌ ثقل أو خُفف»(٥٤٢).

وقال السمرقندي: «قرأ نافعٌ (مَيِّتاً) بالتشديد، وقرأ الباقون بالتخفيف، ومعناهما واحدٌ»(٥٤٣).

ولكن لا يمنع ذلك أن تضيف قراءة التشديد معنىً زائداً على قراءة التخفيف، حيث إنَّ زيادة المبنى تؤدي إلى زيادة المعنى في اللغة، وعليه

---

(٥٤٠) المستنير في تخريج القراءات المتواترة ج٣ ص٥٧.
(٥٤١) انظر لسان العرب ج٢ ص٩١.
(٥٤٢) التفسير الكبير م٧ ج١٣ ص١٧١ عند تفسيره للآية (١٢٢) من سورة الأنعام.
(٥٤٣) بحر العلوم بتصرف قليل ج١ ص٥١١ عند تفسيره للآية (١٢٢) من سورة الأنعام.

فإن قراءة التخفيف تدل على أن هذه الأرض تكون جافة يابسةً خاليةً عن النماء والنبات بالكلية فتكون الأرض ساكنةً والسكون موتٌ على قول أهل اللغة.

وأمَّا قراءة التشديد تعطي دلالةً على شدة موت الأرض ويباستها بحيث أن من يراها لا يظن مطلقاً أن هذه الأرض يمكن لها أن تحيا مرةً أخرى وتنبت بالزروع، ولكن بقدرة الله تعالى ومشيئته تصبح هذه الأرض حيةً مخضرَّةً بالزروع بعد أن ينزل الله عليها الماء، وفي ذلك دلالةٌ أبلغ على قدرة الله تعالى في إحياء الموتى مرةً أخرى وإخراجهم من قبورهم بأيسر أمرٍ من أمره تعالى وأسهل شأنٍ(٥٤٤). بما يدل عليه قراءة المبني للمجهول في (تُخْرَجون).

وأمَّا قراءة (تَخْرُجون) فقد أضاف الفعل إلى المخاطبين أي: هم الفاعلون على معنى أنكم تخرجون بأنفسكم، لأن الله تعالى إذا بعثهم من قبورهم يوم القيامة وأحياهم خرجوا بأمر من الله تعالى دون تلكؤٍ، مدفوعين بأنفسهم للخروج.

وأمَّا قراءة ﴿تُخْرَجُونَ﴾ بالمبني للمفعول، فالمخاطبون مفعولٌ بهم قاموا مقام الفاعل، وفيه إشارة إلى أن خروجهم من الأرض يوم القيامة يكون على غير إرادتهم قسراً وبأيسر أمر وأسهل شأن، وهم كارهون للخروج خوفاً مما ينتظرهم، وعلى هذا يمكن اعتبار قراءة المبني للمفعول ﴿تُخْرَجُونَ﴾ المقصود بها الكفار لبيان حالهم فهم لا يتمنون الخروج ولا يرغبون بملاقاة الله ﷻ خوفا من عقابه، فيُخرَجون من قبورهم على الرَّغم منهم وعلى غير إرادتهم.

وعلى عكس ذلك قراءة (تَخْرُجون) بالمبني للفاعل فيمكن اعتبارها بياناً لحال المؤمن المطمئن الراغب في لقاء الله تعالى الذي ينتظر أمر الله تعالى له بالخروج ليخرج مندفعاً بذاته من غير تلكؤٍ.

وعلى كلِّ حالٍ «فالقراءتان متداخلتان في المعنى لأنَّ الله تعالى إذا

(٥٤٤) انظر نظم الدرر ج٧ ص١٠.

أخرجهم خرجوا، وإذا خرجوا، فبإخراج الله خرجوا، فهم فاعلون مفعولون»[٥٤٥].

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين يكون المعنى أي: كما أحيا الله تعالى هذه الأرض المجدبة الميتة التي لا أمل لكم فيها بالحياة والانتفاع، قادرٌ على أن يبعثكم من قبوركم، ويخرجكم أحياءً بأيسر أمرٍ وأسهل شأنٍ سواء كنتم كارهين لذلك أم راغبين، والله أعلم.

٤ ـ قال تعالى: ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ۝١٨﴾ [الزخرف: ١٨].

القراءات:

١ ـ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وحفص ﴿يُنَشَّؤُاْ﴾ بضم الياء، وفتح النون، وتشديد الشين.

٢ ـ قرأ الباقون (يَنْشَأُ) بفتح الياء، وإسكان النون، وتخفيف الشين[٥٤٦].

المعنى اللغوي للقراءات:

النشء، والنشأة: إحداث الشيء وتربيته، فيقال: نشأ فلانٌ، والإنشاء: إيجاد الشيء وتربيته[٥٤٧].

ويُقال: نشأ يَنْشأُ نَشْئاً ونُشُوءاً، ونَشَاءً، أي: ربا وشبَّ، والنشوء

(٥٤٥) حجة القراءات ص ٢٨٠ بتصرف قليل.

(٥٤٦) انظر النشر في القراءات العشر ج٢ ص٣٦٨، تحبير التيسيير ص٢٠٣.

(٥٤٧) انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٨٠٧.

التربية، وعليه قولهم: نَشَأْتُ في بني فلان، نَشْئاً ونُشُوءاً، أي: شببتُ فيهم(٥٤٨).

التفسير:

في هذه الآية الكريمة يستنكر المولى ﷻ على هؤلاء المشركين الذين ينسبون إليه ما يكرهونه ولا يحبونه، وتسود وجوههم، ويحزنون إذا ما بشروا به، فينسبون له البنات اللاتي يَتَرَبَّيْنَ في الحلية والزينة، بما يتصفن من ضعف البنية والجسم وعدم القدرة على الكفاح، ولا يملكن الحجة في مواجهة الخصم.

قال الشوكاني: «والمعنى: أَوَجعلوا له سبحانه مَنْ شَأْنُه أن يُربَّى في الزينة، وهو عاجزٌ عن أن يقوم بأمور نفسه، وإذا خوصم لا يقدر على إقامة حجته ودفع ما يجادل به خصمه لنقصان عقله وضعف رأيه»(٥٤٩)، قال القرطبي: «ومعنى الآية: أيُضاف إلى الله مَن هذا وصفه! أي: لا يجوز ذلك»(٥٥٠).

وقال المراغي: «وفي قوله: ﴿يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلْحِلْيَةِ﴾ إيماءٌ إلى ما فيهنَّ من الدِّعة والرخاوة والخلق بضعف المقاومة الجسمية واللسانية كما أنَّ فيه دلالةً على أن النشوء في الزينة ونعومة العيش من المعايب والمذام للرجال، وهو من محاسن ربات الحجال، فعليهم أن يجتنبوا ذلك ويأنفوا منه، ويربئوا بأنفسهم عنه»(٥٥١).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءتان بمعنىً واحدٍ على رأي بعض أهل التفسير أو متقاربتا المعنى

---

(٥٤٨) انظر لسان العرب ج١ ص١٧٠.
(٥٤٩) فتح القدير ج٤ ص٧٧٠.
(٥٥٠) الجامع لأحكام القرآن ج٨ ص٣٨٥.
(٥٥١) تفسير المراغي م٩ ج٢٥ ص٧٧.

على رأي الطبري(٥٥٢)، فكلتا القراءتين بمعنى التربية من نشأ وأنشأ، ولكن كل قراءةٍ لها دلالتها على المعنى، فقراءة يَنْشَأُ تفيد مطلق التربية على الطريقة التي جرت بها عوائدهم دون إفادة الاختلاف في طبيعة هذه التربية، مع نَسبِ فِعلِ النَّشأةِ لهم، أي هم الذين نشؤوا، لأن الله تعالى أنشأهم، فيكون المعنى: أتجعلون لله ما يَترَبَّى في الزينة والحلية.

وأما قراءة ﴿يُنَشَّؤُا﴾ فتفيد اختلاف طبيعة كل نشأةٍ عن الأخرى بما تحتاج إليه من جهدٍ وعنايةٍ مستمرةٍ حسب متطلبات هذه النَشْأة ومن يقوم عليها، والفعل المبني للمجهول يدل على ذلك لما فيه من خصوصية كل نشأةٍ وعدم تقيدها بنشأةٍ معينةٍ، وقراءة التشديد فيها دلالةٌ على زيادة ضعف الإناث مما يتطلب مزيد عنايةٍ وجهدٍ في التربية شيئاً فشيئاً بالتدرج حتى تكبر، فقراءة التشديد تفيد مزيد إنكارٍ على هؤلاء الكفار، ومزيد توبيخٍ لهم على فعلتهم الشنيعة فيما ينسبون إلى الله تعالى ما هو أشدَّ ضعفاً وأقلَّ حيلةً في حين أنَّهم يرفضونه لأنفسهم.

قال ابن خالويه: «(أومَنْ يَنْشَأُ في الحِلْيَةِ) يقرأ بفتح الياء وإسكان النون والتخفيف، وبضم الياء، وفتح النون والتشديد فالحجة لمن خفف: أنه جعل الفعل من قولهم: نشأ الغلام فهو ناشئٌ، والحجة لمن شدَّد: أنه جعل الفعل المفعول به لم يُسمَّ فاعله، ودليله قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾﴾ [الواقعة: ٣٥] فأنْشَأْتُ ونَشَّأْتُ بمعنىً واحدٍ»(٥٥٣).

وقال البقاعي: «واتخذ من (يَنْشَأ) أي: على ما جرت به عوائدكم على قراءة الجماعة، ومن تنشئونه وتحلونه بجهدكم على قراءة ضم الباء وتشديد الشين»(٥٥٤).

(٥٥٢) انظر جامع البيان م١١ ج٢٥ ص٣٥.

(٥٥٣) الحجة في القراءات السبع ص٣٢٠.

(٥٥٤) نظم الدرر ج٧ ص١٥.

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين يظهر أن القراءتين متداخلتان في المعنى كقوله تعالى: و(يُدْخلون) و(يَدْخُلون) لأنه إذا أنشئ في الحلية نشأ فيها، ومعلوم أنه لا يَنْشَأ فيها حتى يُنَشَّأ(٥٥٥).

٥ ـ قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الزخرف: ١٩].

القراءات:

١ ـ قرأ المدنيان، وابن كثير، وابن عامر، ويعقوب (عِنْدَ الرَّحْمَنِ) بنون ساكنة، وفتح الدال، من غير ألف على أنه ظرف.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿عِبَادُ الرَّحْمَنِ﴾ بالباء وألفٍ بعدها، ورفع الدال، جمع عبد.

٣ ـ قرأ المدنيان ﴿أَشَهِدُوا﴾ بهمزتين الأولى مفتوحةٌ، والثانية مضمومةٌ مسهلةٌ على أصلها مع إسكان الشين، وفصل بينهما بألفٍ، أبو جعفر، وقالون بخلافٍ على أصلهما في الهمزتين من كلمةٍ.

٤ ـ قرأ الباقون ﴿أَشَهِدُوا﴾ بهمزةٍ واحدةٍ مفتوحةٍ، وفتح الشين(٥٥٦).

المعنى اللغوي للقراءات:

الشهادة: خبرٌ قاطع، تقول: شَهِدَ الرَّجلُ على كذا، وربما قالوا شَهْدَ الرَّجُلُ، بسكون الهاء للتخفيف، وقولهم: اشهدْ بكذا: أي: احلفْ، والمشاهدة المعاينة، وشَهِدَهُ شُهوداً، أي: حضره فهو شاهدٌ(٥٥٧).

قال الراغب: الشهادة: الحضور مع المشاهدة، إما بالبصر، أو

---

(٥٥٥) انظر حجة القراءات ص ٦٤٧.

(٥٥٦) انظر النشر في القراءات العشر ج٢ ص٣٦٩.

(٥٥٧) انظر الصحاح ج٢ ص٤٩٤.

البصيرة، وهي قولٌ صادرٌ عن علم حصل بمشاهدة بصيرةٍ أو بصرٍ، وقوله: ﴿أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ﴾ [الزخرف: ١٩] يعني: مشاهدة البصر(٥٥٨).

التفسير:

تأتي هذه الآية الكريمة استكمالاً للآية السابقة، فيها إنكارٌ شديدٌ على هؤلاء المشركين وبيان حال كفرهم وما وصلوا إليه من افتراءٍ وتكذيبٍ في أن جعلوا الملائكة بنات الله، ومعنى الآية: «لقد جعل الكفار والمشركون الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً، فمن قال لهم إنَّ الملائكة إناثٌ؟ هل أحضرهم الله يوم خلق الملائكة فعرفوا أنَّهم إناثٌ، وهل رأوهم وخالطوهم حتى يحكموا عليهم بالأنوثة أو الذكورة؟ إنَّ هذا الافتراء الواضح والسخف الفظيع سيسجَّلُ عليهم في اللوح المحفوظ وسيُسألون عنه يوم الحساب، وسيلقون جزاءهم على هذا الافتراء»(٥٥٩).

قال المراغي: «﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا﴾ أي: سمُّوهم وحكموا لهم بذلك، وفي هذا كفرٌ من وجوهٍ ثلاثةٍ:

١ - إنَّهم نسبوا إلى الله الولد.

٢ - إنَّهم أعطوه أحسن النصيبين.

٣ - إنَّهم استخفوا بالملائكة بجعلهم إناثاً.

وقد ردَّ الله عليهم فقال: ﴿أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ﴾ أي: أحضروا خلق الله لهم، فشاهدوهم بنات حتى يحكموا بأنوثتهم؟ ونحو الآية قوله: ﴿أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ ﴿١٥٠﴾﴾ [الصافات: ١٥٠] وفي هذا تجهيلٌ شديدٌ لهم، ورميٌ بهم بالسفه والحمق»(٥٦٠).

---

(٥٥٨) انظر مفردات ألفاظ القرآن ص١٤٠.

(٥٥٩) المستنير في تخريج القراءات المتواترة ج٣ ص٥٩.

(٥٦٠) تفسير المراغي م٩ ج٢٥ ص٧٨.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قراءة (عند الرحمن) على الظرفية فيها دلالةٌ على رفع منزلة الملائكة وتقريبهم من الله ﷻ كما قال: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾﴾ [النساء: ١٧٢] ، والقرب قرب كرامةٍ وليس قرب المسافة، «فمعناه الذين هم أقرب إلى الله منكم»(٥٦١).

وأمَّا قراءة ﴿عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ فعلى أنها جمع عبدٍ، وفيها دلالةٌ على تكذيب الكفار في ادعائهم أنَّ الملائكة إناثٌ بنات الله، كما قال تعالى: ﴿أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾﴾ [الصافات: ١٥٠] وفيها التسوية بين الملائكة وغيرهم في العبودية لله تعالى(٥٦٢).

قال مكي ابن أبي طالب: «قوله: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ قرأه الكوفيون وأبو عمرو (عباد) جمع (عبدٍ)، وقرأ الباقون (عند) على أنه ظرف، وحجة من جعله ظرفاً إجماعهم على قوله: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنبياء: ١٩]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٦]، فهذا كله يراد به الملائكة، وفي هذه القراءة دلالةٌ على شرف منزلتهم وجلالة قدرهم، وفضلهم على الآدميين.

وحجة من جعله جمع (عبدٍ) قوله: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦] يعني الملائكة، وفيه التسوية بين الآدميين والملائكة في أن كلاً عباد الله، و(عند) في هذا ليس يُراد به قرب المسافة، لأن الله في كل مكان يعلمه، كما قال: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤]، ولكن معنى (عند) الرفعة في الدرجة والشرف في الحال، ومن جعله جمع (عبدٍ) دلَّ بذلك على نفي قول من جعل الملائكة بنات الله، تعالى عن ذلك علوّاً كبيراً، لأنه يخبر أنهم عباده، والولد لا يكون عبد أبيه، فهي قراءة تدل على تكذيب من

(٥٦١) المصدر السابق م٩ ج٢٥ ص٧٨.
(٥٦٢) انظر الحجة في القراءات السبع ص٣٢٠، حجة القراءات ص٦٤٧.

ادَّعى ذلك، وردّاً لقوله، فالقراءتان متكافئتان صحيحتا المعنى»[٥٦٣].

الجمع بين القراءات:

القراءتان معاً تعطيان وصفاً دقيقاً للملائكة، أنهم عباد الرحمن تشريفاً لهم، وتنزيهاً عن أن يكونوا أبناء الله، وأنَّهم في منزلةٍ قريبةٍ ودرجةٍ عاليةٍ عند الله تعالى، دلالةً على إخلاصهم في الطاعة والعبودية، وقد جمع الله تعالى بين الوصفين في غير هذه الآية فقال: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦][٥٦٤]، وكلتا القراءتين فيها الإنكار على الكفار والتكذيب لهم في ادعائهم أن الملائكة بنات الله من حيث إنهم جعلوا له من عباده بناتٍ على القراءة الأولى ﴿عِبَدُ الرَّحْمَنِ﴾، وإذا كانوا عند الرحمن في منزلةٍ عاليةٍ وهم في السماء كيف علموا بحالهم وهم أبعد ما يكون للعلم بحالهم[٥٦٥] على القراءة الثانية (عِنْد الرحمن).

وأمَّا قراءة (أشهدوا) و(أأُشهدوا) فقد ذهب بعض العلماء إلى أن القراءتين بمعنىً واحدٍ على اعتبار أن الهمزة في كلتا القراءتين للاستفهام بمعنى الإنكار والتوبيخ وهي تفيد النفي[٥٦٦]. ولكن لكل قراءةٍ دلالتها على المعنى.

فقراءة ﴿أَشَهِدُواْ﴾ تفيد أن الفعل لهم أي: أحضروا هم بأنفسهم خلق الملائكة حين خُلقوا، وهي من الفعل الثلاثي شَهِدَ يَشهد، وفيها الاستنكار، والتوبيخ لهم على أن قالوا ما لم يحضروا ممَّا حُكْمُه أن يُعْلَمَ بالمشاهدة[٥٦٧].

وقراءة (أَأُشْهِدُوا) بهمزتين، الأولى للاستفهام، وهي تفيد الإنكار

(٥٦٣) الكشف عن وجوه القراءات السبع ج٢ ص٢٥٧.
(٥٦٤) انظر المحرر الوجيز ج٥ ص٤٩.
(٥٦٥) انظر بحر العلوم ج٣ ص٢٠٥.
(٥٦٦) انظر معاني القرآن للفراء ج٣ ص٣٠، معاني القراءات ج٢ ص ٣٦٣.
(٥٦٧) انظر الحجة للقراء السبعة ج٣ ص ٣٧٣.

والتوبيخ مع التقرير، والثانية للتعدية إلى مفعولين، أحدهما يقوم مقام الفاعل[٥٦٨] «وجيء بصيغة النائب عن الفاعل دون صيغة الفاعل لأنَّ الفاعل معلومٌ أنَّه الله تعالى، لأن العالم العلوي الذي كان فيه خلق الملائكة لا يحضرهُ إلا من أمر الله بحضوره»[٥٦٩]، والمعنى: «أأشهدهم الله خلق الملائكة، وفيه نفي وقوع ذلك كقوله تعالى: ﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الكهف: ٥١]»[٥٧٠] وهذه القراءة فيها تنبيهٌ بالمبني للمفعول على عجزهم عن شهود ذلك إلا بمن يشهدهم إياه، وهو الله رب العالمين، مما يزيد ذلك في توبيخهم وتقريعهم.

الجمع بين القراءتين:

تعقيباً على القراءتين قال البقاعي: «فقال تهكماً بهم وتوبيخاً لهم، وإنكاراً عليهم، إظهاراً لفساد عقولهم بأن دعاويهم مجردةٌ عن الأدلة: (أشهدوا) أي: أحضروا حضوراً هم فيه على تمام الخبرة ظاهراً، وباطناً هذا هو معنى قراءة الجماعة، وأدخل نافع همزة التوبيخ على أخرى مضمومةٍ ببناء الفعل للمفعول، تنبيهاً على عجزهم عن شهود ذلك إلَّا بمن يشهدهم إياه، وهو الخالق لا غيره، ومدها في إحدى الروايتين زيادةً في المادة عليهم بالفضيحة، وسهل الثانية بينهما، وبين الواو إشارةً إلى انحطاط أمرهم، وسفول آرائهم وأفعالهم، وجميع تقلباتهم، وأحوالهم كما سيكشف عنه الزمان، ونوازل الحدثان»[٥٧١].

٦ ـ قال تعالى: ﴿قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الزخرف: ٢٤].

---

(٥٦٨) انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع ج٢ ص٢٥٧.
(٥٦٩) التحرير والتنوير م١٢ ج٢٥ ص١٨٣.
(٥٧٠) المصدر السابق م١٢ ص٢٥ ص١٨٣.
(٥٧١) نظم الدرر ج٧ ص١٦.

القراءات:

١ ـ قرأ ابن عامرٍ وحفصٌ ﴿قَـٰلَ﴾ على الخبر.

٢ ـ قرأ الباقون (قُلْ) على الأمر.

٣ ـ قرأ أبو جعفر (جِئْنَاكُم) بنونٍ وألفٍ على الجمع.

٤ ـ قرأ الباقون ﴿جِئۡتُكُم﴾ على التوحيد(٥٧٢).

المعنى اللغوي للقراءات:

١ ـ القول: هو الكلام، أو كلُّ لفظٍ مَذَلَ به اللِّسان، تامّاً، أو ناقصاً، وجمعها أقوالٌ، وأقاويل، والقول في الخير، والقال، والقيل، والقالة في الشَّر(٥٧٣).

٢ ـ جاء: قال الأصفهاني: «جاء يجيء ومجيئاً، والمجيء كالإتيان، لكن المجيء أعم، لأن الإتيان مجيء بسهولةٍ، والإتيان قد يقال باعتبار القصد وإن لم يكن منه الحصول، والمجيء يقال اعتباراً بالحصول، ويقال: جاء في الأعيان والمعاني، ولِمَا يكون مجيئه بذاته وأمره، ولمن قصد مكاناً أو عملاً أو زماناً»(٥٧٤).

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن طبيعة الكفار في تعاملهم مع أنبيائهم ومواجهتهم دعوتهم إليهم بعبادة التوحيد وترك عبادة الأوثان، بالحجة الباطلة، وهي استئنافٌ للآية السابقة، والمعنى: «كان كل نبي يُرسل إلى قومه بعبادة التوحيد فيواجهونه بحجةٍ باطلةٍ وهي قولهم: ﴿إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ﴾ هذا كان دأبهم وديدنهم فقد كانوا يرفضون

---

(٥٧٢) انظر النشر في القراءات العشر ج٢ ص٣٦٩، تحبير التيسير ص٢٠٣.

(٥٧٣) انظر القاموس المحيط ص٩٤٧.

(٥٧٤) مفردات ألفاظ القرآن ص٢١٢.

التزحزح عن دين آبائهم علماً بأن الدين الجديد أهدى مما وجدوا آباءهم عليه»(٥٧٥). قال الطبري: «يقول تعالى ذكره لنبيِّه محمدٍ ﷺ، قل يا محمد لهؤلاء المشركين من قومك القائلين: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ أولو جئتكم أيها القوم من عند ربكم بأهدى إلى طريق الحق، وأدلَّ لكم على سبيل الرَّشاد مما وجدتم أنتم عليه آباءكم من الدِّين والملة ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ يقول: فقال ذلك لهم فأجابوه بأن قالوا له كما قال الذين من قبلهم من الأمم المكذبة رسلها لأنبيائها إنَّا بما أرسلتم به يا أيها القوم كافرون، يعني: جاحدون منكرون»(٥٧٦).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (قال) على الماضي أنَّها إخبارٌ عن النذير أي: (نبيُّهم) أنه قال لهم ﴿أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ﴾، ثم أخبر الله جل ذكره بجوابهم للنذير، فقال عنهم: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾(٥٧٧).

وأمَّا قراءة (قُل) على الأمر، ذهب بعض العلماء إلى «أنَّهُ أمرٌ من الله تعالى للنذير ليقول لهم ذلك، فهو حكاية عن الحال التي جرت من أمر الله جلَّ ذكره فأخبرنا الله: (أنه أمرٌ للنذير، فقال له: قل لهم أولو جئتكم، وأخبرنا الله بما أجابوا به النذير في قوله: ﴿إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾»(٥٧٨).

ولكن بعض العلماء ذهب إلى أن (قُل) هي أمرٌ للرسول محمدٍ ﷺ أن يقول ذلك جواباً على قول المشركين(٥٧٩)، قال أبو حيان: «والظاهر أنَّ

(٥٧٥) المستنير في القراءات المتواترة ج٣ ص٦٠.

(٥٧٦) جامع البيان م١١ ج٢٥ ص٣٨.

(٥٧٧) انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع ج٢ ص٢٥٨، حجة القراءات ص٦٤٩.

(٥٧٨) الكشف عن وجوه القراءات السبع ج٢ ص٢٥٨، انظر مجمع البيان للطبرسي ج٥، الحجة للقراء السبعة ج٣ ص٣٧٥، المحرر الوجير ج٥ ص٢٤.

(٥٧٩) انظر التحرير والتنوير م١٢ ج٢٥ ص١٨٩.

الضمير في قال، أو في قل، للرسول أي: قل يا محمد لقومك، أتتبعون آباءكم، ولو جئتكم بدينٍ أهدى من الدين الذي وجدتم عليه آباءكم؟»[٥٨٠].

وأمَّا قراءة (جئتكم) فالضمير فيها يعود على النذير على رأي من قال أن المقصود بـ (قال) أو (قل) هو النذير وليس الرسول محمد ﷺ، وعليه فإنَّ قراءة (جئناكم) يعود ضمير المتكلم فيها على النذر جميعهم، لأن تكذيب أحدهم هو تكذيبٌ لهم جميعاً، قال البقاعي: «أولو (جئتكم) الضمير فيه للنذير، وفي قراءة أبي جعفر: (أولو جئناكم) للنذر كلهم»[٥٨١].

وأمَّا على رأي من قال: المقصود بـ (قال) أو (قل) هو الرسول ﷺ فيكون الضمير في (جئتكم) يعود على النبي ﷺ و(جئناكم) يعود الضمير على الرسول ﷺ ومن قبله من الرسل عليهم السلام، قال ابن عاشورٍ: «وقرأ الجمهور (جئتكم) بضمير تاء المتكلم، وقرأ أبو جعفر (جئناكم) بنون ضمير المتكلم المشارك، وأبو جعفر من الذين قرءوا (قل) بصيغة الأمر فيكون ضمير (جئناكم) عائداً للنبي ﷺ المخاطب بفعل (قل) لتعظيمه ﷺ من جانب ربه تعالى الذي خاطبه بقوله: (قل)»[٥٨٢].

وقال د. محمد محيسن: «قرأ أبو جعفر (جئناكم) بنونٍ مفتوحةٍ مكان التاء المضمومة، وألفٍ بعدها على إسناد الفعل إلى ضمير الجمع، والمراد الرسول ﷺ وَمَنْ قبله مِنَ الرسل عليهم السلام، وقرأ الباقون (جئتكم) بتاءٍ مضمومةٍ على إسناد الفعل إلى ضمير المتكلم، والمراد الرسول ﷺ»[٥٨٣].

الجمع بين القراءات:

من خلال الجمع بين القراءات يتبيَّن أنَّ الله تعالى لقَّن جميع رسله

---

(٥٨٠) البحر المحيط ج٨ ص١٢، انظر حجة القراءات ص٦٤٩، معاني القراءات ج٢ ص٣٦٣.

(٥٨١) نظم الدرر ج٧ ص٢٠.

(٥٨٢) التحرير والتنوير م١٢ ج٢٥ ص١٨٩.

(٥٨٣) المستنير في القراءات المتواترة ج٣ ص٦٠.

عليهم السلام بما فيهم محمدٌ ﷺ، أن يجيبوا أقوامهم بهذا ويقولوا لهم (أولو جئتكم - أو جئناكم - بأهدى ممّا وجدتم عليه آباءكم)، وأمّا الكفار فهذا هو دأبهم وديدنهم جميعاً عبر الأزمنة مع أنبيائهم، دائماً ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ أي: منكرون وجاحدون لكل ما أرسلتم به من التوحيد والإيمان والبعث والنشور، وفي هذا مواساةٌ للنبي ﷺ على ما يلاقيه من قومه من إعراضٍ عن دعوة الله ﷻ، وتكذيبٍ لرسالته.

٧ - قال تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الزخرف: ٣٣].

القراءات:

١ - قرأ ابن كثيرٍ، وأبو عمرو، وأبو جعفرٍ (سَقْفاً) بفتح السين وإسكان القاف.

٢ - قرأ الباقون ﴿سُقُفًا﴾ بضم السين والقاف(٥٨٤).

المعنى اللغوي للقراءات:

قال ابن منظورٍ: «السقف: غماءُ البيت، والجمع سُقوفٌ وسُقفٌ، فأمّا قراءة من قرأ: لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبُيوتهم سَقْفاً من فضةٍ فهو واحدٌ يدل على الجمع، أي: لجعلنا لبيت كل واحدٍ منها سقفاً من فضةٍ»(٥٨٥).

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن قيمة الحياة الدنيا وحقارتها في ميزان الله تعالى وهوانها عليه بحيث إنّه لولاَ أنْ يرغبَ كثيرٌ من الناس في الكفر، ويجتمعوا عليه، إذا رأو الكافر في سعةٍ من الرزق لخصَّ هذه الدنيا بالكفار

---

(٥٨٤) انظر النشر في القراءات العشر ج٢ ص٣٦٩، المبسوط في القراءات العشر ص٢٤٥.

(٥٨٥) لسان العرب ج٩ ص١٥٥.

وجعل لهم القصور الشاهقة سقفها من فضة، وجعل لهم مصاعد وسلالم من فضة عليها يعرجون ويصعدون.

قال القرطبي: «قال العلماء: ذكر حقارة الدنيا وقلة خطرها، وأنها عنده من الهوان بحيث كان يجعل بيوت الكفرة ودرجها ذهباً وفضةً لولا غلبة حب الدنيا على القلوب، فيحمل ذلك على الكفر، قال الحسن: المعنى لولا أن يكفر الناس جميعاً بسبب ميلهم إلى الدنيا وتركهم الآخرة، لأعطيناهم في الدنيا ما وصفناه، لهوان الدنيا عند الله ﷻ»(٥٨٦).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة ﴿سُقُفًا﴾ بضم السين والقاف أنها جمع سقفٍ على لفظ (البيوت) لأنَّ لكلِّ بيتٍ سقفاً فجُمع على اللفظ والمعنى، وأما قراءة (سَقْفاً) بفتح السين، وإسكان القاف أفادت أنها مفرد على التوحيد على معنى: أنَّ لكل بيتٍ سقفاً، لأن الواحد يدل على الجمع، ولأن لفظ (البيوت) يدل على أنَّ لكلِّ بيت سقفاً.

الجمع بين القراءات:

لا فرق بين القراءتين من حيث المعنى باعتبار أن قراءة الإفراد (سَقْفاً) هي اسم جنس يشمل القليل والكثير، فتتفق مع قراءة الجمع ﴿سُقُفًا﴾ إذ المراد الكثير بقرينة (البيوت)(٥٨٧).

٨ ـ قال تعالى: ﴿وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾﴾ [الزخرف: ٣٤ ـ ٣٥].

---

(٥٨٦) الجامع لأحكام القرآن ج٨ ص٣٩٥، انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع ج٢ ص٢٥٨، معاني القراءات ج٢ ص٣٦٤، حجة القراءات ص٦٤٩.

(٥٨٧) انظر حاشية القونوي ج١٧ ص٣١٧، التفسير الكبير م١٤ ج٢٧ ص٢١٢.

القراءات:

١ ـ قرأ عاصمٌ، وحمزة، وابن جمازٍ، وهشامٌ بخلافٍ عنه ﴿لَمَّا مَتَٰعُ﴾ بتشديد الميم.

٢ ـ قرأ الباقون (لَمَا متاع) بتخفيف الميم(٥٨٨).

المعنى اللغوي للقراءات:

«لمَّا: يستعمل على وجهين:

أحدهما: لنفي الماضي وتقريب الفعل نحو: ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ﴾ [آل عمران: ١٤٢].

والثاني: علماً للظرف نحو: ﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ﴾ [يوسف: ٩٦] أي: في وقت مجيئه»(٥٨٩).

وجاء في لسان العرب أنَّ لمَّا مشددة الميم لها معانٍ في كلام العرب: أحدها أنها تكون بمعنى الحين إذا ابتدئ بها أو كانت معطوفةً بواوٍ أو فاءٍ وأجيبت بفعلٍ يكون جوابها مثل: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ﴾ [الصافات: ١٠٢] معناه: حين، وتكون لمَّا بمعنى: لم الجازمة مثل: ﴿لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ﴾ [ص: ٨]، أي: لم يذوقوه، وتكون بمعنى إلَّا مثل: ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾﴾ [الطارق: ٤] معناه: ما كل نفسٍ إلا عليها حافظٌ، وقد تكون انتظاراً لشيءٍ متوقع وقد تكون انقطاعاً لشيءٍ قد مضى(٥٩٠).

التفسـير:

تأتي هذه الآية استكمالاً للآيات السابقة التي تكشف عن حقيقة الحياة الدنيا وحقارتها، وهوانها على الله تعالى وأنها لا تساوي في ملك الله جناح

(٥٨٨) انظر تحبير التيسير ص٢٠٣، إتحاف فضلاء البشر ص٤٩٥.

(٥٨٩) مفردات ألفاظ القرآن ص٧٤٦.

(٥٩٠) انظر لسان العرب ج١٢ ص٥٥٢.

بعوضةٍ، فتأتي هذه الآية لتبيِّن أنَّ ما ذكر من وصف لهذه الحياة الدنيا، وما فيها من زينة وزخارف، ما هو إلا ترفٌ زائلٌ لا قيمة له بجانب ما أعده الله تعالى من النعيم المقيم للمتقين أهل التقوى والآخرة.

قال ابن جريرٍ: «يقول تعالى ذكره، وما كل هذه الأشياء التي ذكرت من السقف من الفضة والمعارج، والأبواب، والسرر من فضةٍ، والزخرف إلَّا متاعٌ يستمتع به أهل الدنيا في الدنيا، ﴿وَٱلْأَخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٣٥] يقول تعالى ذكره: وزيِّن الدَّار الآخرة، وبهاؤها عند ربك للمتقين الذين اتقوا الله فخافوا عقابه، فجَدُّوا في طاعته، وحذروا معاصيه خاصةً دون غيرهم من خلق الله»(٥٩١).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (لمَّا) بالتشديد أنَّ كل ما ذُكِرَ من البيوت المصفوفة من زخارف وفضةٍ وغيرها، وكل ذلك النَّعيم العاجل الذي يعطيه الله تعالى للكفار ما هو إلا شيءٌ يتمتع به في الحياة الدنيا الزائلة وفي هذه القراءة تكون (إنْ) بمعنى ما النافية، و(لمَّا) بمعنى إلَّا الاستثنائية، وفيها نفي ما يعتقده هؤلاء الكفَّار أنَّ هذه السعادة في الدنيا وامتلاكهم لهذا النعيم هي بسبب مرضاة الله عليهم، وأنَّ السعيد في الدنيا هو سعيدٌ في الآخرة، وهذا ما تفيده (إنْ) بمعنى (ما) النافية، وفيها قصر هذا السعادة وهذا النَّعيم على متاع الحياة الدنيا، وفي ذلك زيادة تحقيرٍ لهذه الدنيا ومتاعها. وأنَّ صاحبه لا يزال فقيراً وإن استوسقت له الدنيا مُلكاً ومَلِكاً، لأنه لا بد أن يبقى في نفسه شيءٌ لا تبلغه قدرته فهو لا يزال مغبوناً(٥٩٢)، وجاء في حاشية القونوي: «(إنْ) هي المخففة و(لمَّا) بالتشديد بمعنى إلَّا بقرينة (أنْ) النافية، وفي هذه القراءة مبالغةٌ لإفادة الكلام حينئذ القصر»(٥٩٣).

(٥٩١) جامع البيان م١١ ج٢٥ ص٤٢.
(٥٩٢) انظر نظم الدرر ج٧ ص٢٧.
(٥٩٣) حاشية القونوي ج١٧ ص ٣١٩.

وقال حقّي: «إنْ نافية ولـمَّا بالتشديد بمعنى إلَّا أي: وما كل ذلك المذكور من البيوت الموصوفة بالصفات المفصلة إلَّا شيءٌ يتمتع به في الحياة الدنيا، لا دوام له ولا حاصل إلَّا الندامة والغرامة»[٥٩٤].

وأمَّا قراءة (لمَا) بالتخفيف فقد أفادت العموم والشمول مع التأكيد على أنَّ كلَّ هذه الأشياء المذكورة التي يتمناها الإنسان والتي يتمتع بها الكافر هي متاع الحياة الدنيا، وفيها تأكيدٌ وإخبارٌ من الله تعالى على دناءة الحياة الدنيا ومتاعها، وأنَّ لها ضرَّةً هي الآخرة، وهي خيرٌ وأبقى عند الله للمتقين من هذا المتاع الزائل بالموت، وفي هذه القراءة تكون (إنْ) المخففة من إنَّ الثقيلة، واللاّم هي الفارقة بين المخففة وغيرها والميم زائدةً للتأكيد[٥٩٥]، «أو موصولةً بتقدير (لما هو متاع)»[٥٩٦]، وعلى ذلك يكون المعنى: (وإنَّ كل ذلك لمتاع الحياة الدنيا)[٥٩٧].

الجمع بين القراءات:

قراءة (لمَا) بالتخفيف أفادت العموم والشمول مع التأكيد أنَّ كل هذه الأشياء متاع الحياة الدنيا، دون أن يشير إلى نفي توهم الكفار أنَّ هذا النعيم سبب مرضاة الله تعالى، ولم تقصر هذا النعيم على الحياة الدنيا في اللفظ.

وأمَّا قراءة (لمَّا) بالتشديد فإضافة على التأكيد أن هذه الأشياء المذكورة وهذا النعيم هو متاع الحياة الدنيا فإنها قصرت هذه السعادة وهذا النعيم على الحياة الدنيا، ونفت كلَّ توهمٍ لهؤلاء الكفار أنَّ السعيد في الدنيا سعيدٌ في الآخرة، وأنَّ هذا النعيم سببٌ مرضاة الله تعالى.

وبالجمع بين القراءتين يتبيَّن أنَّ كل ذلك النعيم وهذه الزخارف التي

---

(٥٩٤) روح البيان ج٨ ص٤٠٧.

(٥٩٥) انظر إتحاف فضلاء البشر ص٤٩٥، المستنير في تخريج القراءات المتواترة ج٣ ص٦١.

(٥٩٦) روح المعاني ج٢٥ ص٨٠.

(٥٩٧) انظر حجة القراءات ص٦٥٠، معاني القراءات ج٢ ص٣٦٤.

يعطيها الله للكفار وهي أقصى ما يتمناه الإنسان من الغنى في الدنيا ما هي إلَّا أشياءٌ يُتَمَتَّعُ بها في الدنيا وتنتهي بموت صاحبها وليس له نصيبٌ في الآخرة، وكل ذلك لا يساوي شيئاً عند ربك، فالآخرة هي الأَوْلَى للمتقين ويعطاها الإنسان بسبب تقوى الله ومرضاته.

٩ ـ قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾﴾ [الزخرف: ٣٦].

القراءات:

١ ـ قرأ يعقوب (يُقَيِّضْ) بالياء.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿نُقَيِّضْ﴾ بالنون[٥٩٨].

المعنى اللغوي للقراءات:

قيّض: بمعنى هيأ، وسبَّبَ، وقدَّر، فيقال: قَيَّضَ الله فلاناً لفلانٍ أي: جاءه به وأتاحه له، وقيَّض الله قريناً أي: هيأَهُ، وسبَّبَه من حيث لا يحتسبُه[٥٩٩]. وفي قوله تعالى: ﴿نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا﴾ قال الزجاج: «أي: نُسَبِّبْ له شيطاناً يجعل الله له ذلك جزاءه»[٦٠٠]، وقال الأصفهاني: «أي: نتح، ليستولي عليه استيلاء القيض على البيض، وهو القشر الأعلى»[٦٠١].

التفسير:

يُبَيِّن الله تعالى في هذه الآية أنَّ من يعرض ويتعام ويتغافل عن القرآن، وعن عبادة الرحمن فإنه يهيئ له شيطاناً يلازمه ولا يفارقه دائماً، فيتسلط عليه بالوسوسة والإغواء، ويدعوه دائماً إلى كلِّ ضلالٍ، ويزين له كلَّ شرٍّ،

---

(٥٩٨) انظر النشر في القراءات العشر ج٢ ص٣٦٩، تحبير التيسير ص٢٠٣.

(٥٩٩) انظر لسان العرب ج٧ ص٢٢٥.

(٦٠٠) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ج٤ ص٤١٢.

(٦٠١) مفردات ألفاظ القران ص٦٨٧.

وذلك لأنه آثر العمى على الهدى وأعرض عن النظر في القرآن[٦٠٢]، قال الألوسي: «﴿نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا﴾ أي: نتح له شيطاناً ليستولي عليه استيلاء القيض على البيض وهو القشر الأعلى، ﴿فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾ دائماً لا يفارقه ولا يزال يوسوسه، ويغويه، وهذا عقابٌ على الكفر بالختم وعدم الفلاح، كما يقال: إنَّ الله تعالى يعاقب على المعصية بمزيد اكتساب السيئات»[٦٠٣].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

كلتا القراءتين تفيدان أنَّ الله ﷻ هو الفاعل أي: أنَّ التقيض من فعل الله تعالى سواء قرأته بالياء أو النون[٦٠٤]، إلَّا أن إسناد الفعل إلى الله تعالى بنون العظمة، بيانٌ لعظم الرَّحمن، وقدرته الواسعة على الفعل والانتقام، ففي ذلك مزيدٌ من التهديد والوعيد بالعقاب والانتقام من الذين يُعرِضُون ويتعامون عن ذكر الرَّحمن وسماع قول الحقِّ، قال الطبرسي: «من قرأ يقيض بالياء فالضمير يعود على الرَّحمن، ومن قرأ بالنون، فالمعنى على ذلك لكنه سبحانه أخبر عن نفسه بنون العظمة»[٦٠٥].

١٠ ـ قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾﴾ [الزخرف: ٣٧ ـ ٣٨].

القراءات:

١ ـ قرأ المدنيان، وابن كثير، وابن عامر، وأبو بكر (جاءَانا) بألف بعد الهمزة على التثنية.

---

(٦٠٢) انظر التفسير الواضح م٣ ج٢٥ ص٤٥.

(٦٠٣) روح المعاني ج٢٥ ص٨١.

(٦٠٤) انظر معاني القراءات ج٢ ص٣٦٤.

(٦٠٥) مجمع البيان م٥ ج٢٥ ص٨٤.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿جَآءَنَا﴾ بغير ألف على المفرد[٦٠٦].

التفسير:

هاتان الآيتان استكمالٌ للآية السابقة، ويُبَيِّنُ الله ﷻ فيهما أن هؤلاء الشياطين الذين يتسلطون على الكفار يصدونهم عن سبيل الهدى، ومن جهل هؤلاء الكفار يحسبون أنَّ الشياطين مهتدون فيطيعونهم.

«ولا يزال الشيطان يُغري أتباعه فإذا ما جاء يوم القيامة وبعث الله كلٍ عاصٍ وشيطانه عندئذٍ يرى العصاة ما كانوا عليه من الضلال، فيقول كلٌ منهم حسرةً وندامةً لشيطانه: يا ليت الدنيا فرَّقت بيني وبينك، وباعدت بيننا بعد المشرقين، فبئس الصاحب أنت، لقد جلبت عليَّ الويلات، وأوقعتني في تلك المصائب والنكبات»[٦٠٧].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (جاءانا) على التثنية، الإخبار عن الكافر وشيطانه المصاحب له بالمجيء إلى المحشر يوم القيامة.

وأمَّا قراءة (جاءنا) على التوحيد أفادت الإخبار عن الكافر وحده بالمجيء إلى المحشر[٦٠٨]. وفي كلتا القراءتين يقول العاشي أي: (الكافر) لقرينه الشيطان (يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين) أي: قال في ذلك الوقت لقرينه الذي أغواه يا ليت بيني وبينك بعد ما بين المشرق والمغرب فلم أرك ولم أغتر بك فبئس القرين كنت لي في الدنيا حيث أضللتني وأوردتني النار وبئس القرين أنت لي اليوم، حيث إنهما يكونان

---

(٦٠٦) انظر النشر في القراءات العشر ج٢ ص٣٦٩.

(٦٠٧) المستنير في تخريج القراءات المتواترة ج٣ ص٦٢، انظر التفسير الواضح م٣ ج٢٥ ص٤٥.

(٦٠٨) انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع ج٢ ص٢٥٩.

مشدودين في سلسلة واحدةٍ زيادةَ عقوبةٍ وَغَمٍّ[(٦٠٩)].

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين يتَبيَّن أنَّ كلاً من الكافر وقرينه الشيطان الذي أغواه سيحشران معاً في عذابٍ واحدٍ يوم القيامة، فقراءة ﴿جَآءَنَا﴾ بالإفراد أوضحت أن الكافر يجيء يوم القيامة إلى المحشر، ولا تصرح بمجيء الشيطان معه، ولكنَّه يُفهم ضمنيّاً من قوله تعالى: ﴿يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ﴾، وأما قراءة (جاءانا) بالتثنية فصرَّحت بمجيء الاثنين معاً في سلسلةٍ واحدةٍ الكافر وقرينه الشيطان، فأوضحت ما أبهمته القراءة الأولى، قال ابن عاشورٍ: «والمعنى على القراءتين واحدٌ، لأن قراءة التثنية صريحةٌ في مجيء الشيطان مع قرينه الكافر، وأن المتندم هو الكافر، والقراءة بالإفراد متضمنةٌ مجيء الشيطان من قوله: ﴿يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ﴾ إذ عُلِمَ أنَّ شيطانه القرين حاضرٌ من خطاب الآخر إياه بقوله: (وبينك)، وحرف (يا) أصله للنداء، ويستعمل للتلهف كثيراً كما في قوله: ﴿يَٰحَسْرَةً﴾ [يس: ٣٠] وهو هنا للتلهف والتندم»[(٦١٠)].

١١ ـ قال تعالى: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [الزخرف: ٤١ ـ ٤٢].

القراءات:

١ ـ قرأ رويسٌ (نَذْهَبَنْ ـ نُرِيَنْكَ) بتسكين النون فيهما.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿نَذْهَبَنَّ﴾ ـ ﴿نُرِيَنَّكَ﴾ بفتح النون مع التشديد فيهما[(٦١١)].

---

(٦٠٩) انظر مجمع البيان م٥ ج٢٥ ص٨٦.

(٦١٠) التحرير والتنوير م١٢ ج٢٥ ص٢١٣.

(٦١١) انظر إتحاف فضلاء البشر ص٤٩٦، الشامل في القراءات المتواترة ص٢٥٢.

المعنى اللغوي للقراءات:

١ ـ نذهبنَّ: فعل مضارع من ذَهَبَ، ذَهاباً، وذُهُوباً، ومَذْهَباً: مرَّ ومضى ومات، ويقال: ذهبَ به الأثر: زال وامَّحى، ويقال: ذَهَبَتْ به الخُيَلاءُ: أزالته عن وقاره، وأذهبه: أزاله(٦١٢).

٢ ـ نُرِيَنَّكَ: فعل مضارع من رأى، والرؤية: النظر بالعين وبالقلب، والرؤيا: ما يرى في النوم، وتراءوا: رأى بعضهم بعضاً، وارتأى الشيء: أبصره، وتراءَى فلان: نظر إلى وجهه في المرآة ونحوها(٦١٣).

التفسيـر:

يخبر المولى ﷻ سيدنا محمداً ﷺ مطمئِناً إيَّاه ومواسياً له ـ بعد أن واجه الكثيرون من كفار مكة دعوته بالكفر والعناد والمعاداة ـ بأنَّ هؤلاء الكفار سينتقم الله منهم لا محالة إمَّا بعد أن ينتقل الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى وإمَّا في حياته. يقول الزحيلي: «أي: إنَّهم لا يفلتون من العقاب في العاجل أو الآجل، فإن قبضنا روحك وأمتناك أيها الرسول قبل نزول العذاب بهم، فنحن منتقمون منهم إمَّا في الدنيا أو في الآخرة، وإن أبصرناك الذي وعدناهم به من العذاب قبل موتك، فنحن قادرون أيضاً عليه، ومتى شئنا عذبناهم، وقد أقرَّ الله عينه في حال حياته، فقهرهم يوم بدرٍ، وأصبح المتحكم فيهم، والمالك لحصونهم وقلاعهم. والتعبير بالوعد دليلٌ على وقوعه حتماً، لأنَّ الله لا يخلف الميعاد»(٦١٤).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيد القراءة الأولى: (نَذْهَبَنْ ـ نُرِيَنْكَ) بتسكين النون معنى الوعيد من الله تعالى لهؤلاء الكفار بالانتقام منهم إمَّا في الدنيا أو في الآخرة، ووعدٌ من الله لرسوله ﷺ بإظهار هذا الدِّين إن كان في حياته ﷺ أو بعد وفاته،

---

(٦١٢) انظر القاموس المحيط ص٨١، المعجم الوسيط ص٣٤٠.

(٦١٣) انظر القاموس المحيط ص١١٥٧، المعجم الوسيط ص٣٤٤.

(٦١٤) التفسير المنير ج٢٥ ص١٥٨.

والوعد مؤكدٌ منه ﷻ بدخول (ما) بعد (إنْ) الشرطية، وبالنون الخفيفة للتأكيد، والمعنى: إننا منتقمون منهم في الدنيا سواء كنت حيّاً أو بعد موتك.

وأمّا القراءة الثانية: ﴿نَذْهَبَنَّ﴾ - ﴿نُرِيَنَّكَ﴾ بفتح النون مع التشديد إضافةً إلى ما سبق فإنَّها تفيد زيادة التوكيد وتحقيق الانتقام من هؤلاء الكفار، للدلالة على أنَّ الانتقام واقعٌ لهم لا محالة في الدنيا والآخرة، لأنَّ زيادة المبنى تؤدي إلى زيادةٍ في المعنى، والأمر قد وقع لهم في الدنيا، وأرى الله رسوله ﷺ الانتقام من الكفار بقتل صناديدهم يوم بدرٍ وغيرها إلّا من تحصَّن بالإيمان، وأراه النَّصر عليهم أيضاً وإظهار هذا الدِّين في حياته[٦١٥]، كما أنَّ قراءة التشديد تفيد التكثير والشدَّة في الفعل، ممَّا توحي بشدة الانتقام من الكفار.

الجمع بين القراءات:

القراءة الثانية بالتشديد مؤكدة للقراءة الأولى بالتخفيف، والقراءتان معاً تؤكدان أنَّ وعد الله تعالى لنبيِّه ﷺ بالنَّصر والتمكين لدينه، ووعيده للكفار بالانتقام الشديد منهم متحققٌ لا محالة في الدنيا والآخرة، في الحال والمستقبل، والله تعالى أعلم.

١٢ - قال تعالى: ﴿فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [الزخرف: ٥٣].

القراءات:

١ - قرأ يعقوب وحفصٌ ﴿أَسْوِرَةٌ﴾ بإسكان السين من غير ألف.

٢ - قرأ الباقون (أساوِرَةٌ) بفتح السين وألف بعدها[٦١٦].

(٦١٥) انظر روح المعاني ج٢٥ ص٨٤، التحرير والتنوير م١٢ ج٢٥ ص٢٠١.

(٦١٦) انظر النشر في القراءات العشر ج٢ ص٣٦٩، تحبير التيسير ص٢٠٤.

المعنى اللغوي للقراءات:

الإسْوَار: لغةٌ في السُّوار: للحلية التي تُلبَس في المعصم، جمعها أسورةٌ، وجمع الجمع أساوِرُ، وأساوِرَةٌ(٦١٧).

وقال الجوهري: «السُّوارُ: سَوارُ المرأة، والجمع أَسْوِرَةٌ، وجمع الجمعِ أساوِرٌ، وقُرِئ: (فلولا أُلقيَ عليه أساوِرَةٌ من ذَهَبٍ)، وقد يكون جمع أَسَاوِرَ»(٦١٨).

التفسير:

يخبر المولى ﷻ في هذه الآية عن موقف فرعون من دعوة موسى عليه السلام وجداله الحق بحجج باطلةٍ لا تستند إلى دليلٍ، مستهزئاً بموسى عليه السلام، ومشككاً الناس في نبوته، وصدق دعوته، فبعد أن أرسل الله موسى عليه السلام إلى فرعون وقومه وجاءهم بالمعجزات الدالة على صدق نبوته، جمع فرعون قومه ونادى فيهم قائلاً: «إنّا إذا سودنا رجلاً، حلَّيناه بأوسمة الشرف، وألبسناه أسورةً من الذهب، فهذا موسى الذي يدَّعي أنه رسول من قبل ربِّ العالمين، وقد ألقيت عليه مقاليد الشرف والسيادة، هل رأيتم في يده أسورةً من ذهبٍ ألقيت عليه من قبل الإله الذي أرسله، ولماذا لم يرسل معه حاشيةً من الملائكة يمشون وراءه صفاً صفاً مقترناً بعضهم ببعض ليكونوا أتباعه وأعوانه، كما تمشي الحاشية خلف الملك المتوج؟ فلا هو مُحلًى بالذهب كما هو الحال في أشرافنا، ولا هو مصحوبٌ بحاشيةٍ من الملائكة حتى نصدقه، ونعرف أنه رسول رب العالمين كما يقول»(٦١٩).

(٦١٧) انظر المعجم الوسيط ص٤٨٧.
(٦١٨) الصحاح ج٢ ص٦٩٠.
(٦١٩) المستنير في تخريج القراءات العشر ج٣ ص٦٥، انظر التفسير الواضح م٣ ج٢٥ ص٥٠.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لا فرق بين القراءتين من حيث المعنى، إلاّ أنَّ قراءة ﴿أَسْوِرَةٌ﴾ تفيد أنها جمع السوار، وقراءة أساورة تفيد أنها جمع الجمع، ويقال أساور جمع سوار(٦٢٠).

قال البغوي: «قرأ حفصٌ ويعقوب ﴿أَسْوِرَةٌ﴾ جمع سوار، وقرأ الآخرون (أساورة) على جمع الأسورة، وهي جمع الجمع»(٦٢١).

وبعض العلماء اعتبر أن العلاقة لغويةٌ بين القراءتين على اعتبار أنه يجوز أن يقال (سوارٌ) و(أسوارٌ) وهي لغاتٌ، قال ابن عاشورٍ: «الأساورة: جمع أسوارٍ لغةٌ في سِوَارٍ، وأصل الجمع أساوير مخففٌ بحذف إشباع الكسرة ثم عوض الهاء عن المحذوف كما عوضت في زنادقة جمع زنديقٍ إذ حقه زناديق، وأمّا سوارٌ فيجمع على أسورة»(٦٢٢).

١٣ ـ قال تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الزخرف: ٥٥ ـ ٥٦].

القراءات:

١ ـ قرأ حمزة، والكسائي (سُلُفاً) بضم السين واللام.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿سَلَفًا﴾ بفتح السين واللام(٦٢٣).

المعنى اللغوي للقراءات:

السَلَف: المتقدم، وفي قوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الزخرف: ٥٦] أي: معتبراً متقدماً(٦٢٤).

(٦٢٠) انظر بحر العلوم ج٣ ص٢٠٩.
(٦٢١) تفسير البغوي ج٤ ص١٢٧.
(٦٢٢) التحرير والتنوير م١٢ ج٢٥ ص٢٣٢، انظر حجة القراءات ص٦٥١.
(٦٢٣) انظر النشر في القراءات العشر ج٢ ص٣٦٩، المبسوط في القراءات العشر ص٢٤٥.
(٦٢٤) انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٤٢٠.

قال ابن منظور: «والسَّالِفُ: المتقدم، والسَّلْفُ والسَّليفُ والسَّلْفَة: الجماعة المتقدمون، وقوله عَجَلَّ: ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾، ويُقرأ: سُلُفاً وسُلَفاً، قال الزجاج: سُلُفاً جمع سَليف، أي: جمعاً قد مضى، ومن قرأ سُلَفاً فهو جمع سُلْفَةٍ أي: عصبةً قد مضت، والتَّسليف: التقديم، وقال الفراء: يقول جعلناهم سَلَفاً متقدمين ليتعظ بهم الآخرون»[٦٢٥].

التفسير:

بعد أن أخبر الله جلَّ وعلا في آيةٍ سابقةٍ، عن موقف فرعون وقومه من دعوة موسى عليه السلام وصدِّهم عن دعوة الله تعالى، واستهزائهم بموسى عليه السلام، ومن آمن معه، يخبر سبحانه في هذه الآية عن مصير فرعون وقومه، وما حلَّ بهم من عذاب وانتقام شديدٍ بسبب كفرهم وعنادهم، فأغرقهم جميعاً وجعلهم قدوةً ومثلاً لمَن بعدهم من الكفار في استحقاق العذاب والدمار، يعتبرون به لئلا يصيبهم مثل ذلك، قال البقاعي: «لمَّا كان إهلاكهم بسبب إغضابهم لله وبالكبر على رسله، كانوا سبباً لأن يتعظ بحالهم من يأتي بعدهم فلذلك قال تعالى: ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ﴾ أي: بأخذنا لهم على هذه الصورة من الإغراق وغيره مما تقدم (سلفاً) متقدماً لكل من يهلك بعدهم إهلاكاً في الدارين أو إحداهما عاقبتهم كما قال سبحانه عز من قائل وتبارك وتعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ [القصص: ٤١] (ومثلاً) أي: حديثاً عجيباً سائراً مسير المثل (للآخرين) الذين خلفوا بعدهم من زمنهم إلى آخر الدهر فيكون حالهم عظةً لناسٍ وإضلالاً للآخرين، فمن قضى أن يكون على مثل حالهم عمل مثل أعمالهم، ومن أراد النجاة ممَّا نالهم تجنب أفعالهم»[٦٢٦].

---

(٦٢٥) لسان العرب ج٩ ص١٥٨.

(٦٢٦) نظم الدرر ج٧ ص٣٩.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

ذهب العلماء إلى أن القراءتين بمعنىً واحدٍ على اعتبار أنّ «من قرأ ﴿سَلَفًا﴾ فهو جمع سالفٍ وسَلَف، ومعناه: جعلناهم متقدمين ليتعظ بهم من بعدهم، ومن قرأ (سُلفاً) فهو جمع سَليفٍ بالمعنى الأول، يقال سَلَفْت القوم أسْلفُهم، إذا تقدمتهم»[٦٢٧].

قال مكي بن أبي طالب: «وحجة من ضمَّ أنه جعله لسَلَفْ، كَأَسَدِ وَأُسُدِ، وَوَثَنٍ ووُثُنٍ، وهو كثير، وقيل: هو جمعٌ لسليفٍ، كرغيفٍ وَرُغُفٍ، وهو كثيرٌ أيضاً، و(السليف) المتقدم، والعرب تقول: مضى منّا سالِف وسَلَف وسليف، وقيل: السلف جمع سالفٍ، نادرٌ، وسلفٌ جمع سليفٍ، كرغيفٍ ورُغفٍ، فهو جمع الجمع.

وحجة من فتح أنّه حمله على بناء يقع للكثرة في الجمع، وجعله جمع سالفٍ، كخادمٍ وَخَدَم، وغائبٍ وغَيَبٍ، فالقراءتان بمعنىً واحدٍ»[٦٢٨]. وبمثله قال القرطبيَ، وذكرَ أنَّ معناهما واحدٌ أيضاً[٦٢٩]. ويؤيده ما جاء في لسان العرب أنَّ السَّالف: المتقدم والسَّلف والسَّليف والسُّلفة: الجماعة المتقدمون، وقول الزجاج: سُلُفاً جمع سليفٍ أي جمعاً قد مضى[٦٣٠]، وعلى هذا فالقراءتان بمعنىً واحدٍ.

١٤ ـ قال تعالى: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾﴾ [الزخرف: ٥٧].

(٦٢٧) معاني القراءات ج٢ ص٣٦٧، انظر زاد المسير ص١٢٨١.

(٦٢٨) الكشف عن وجوه القراءات السبع ج٢ ص٢٦٠.

(٦٢٩) انظر الجامع لأحكام القرآن ج٨ ص٤١٠.

(٦٣٠) انظر لسان العرب ج٩ ص١٥٨.

القراءات:

١ ـ قرأ ابن كثيرٍ، والبصريان، وعاصمٌ، وحمزة ﴿يَصِدُّونَ﴾ بكسر الصاد.

٢ ـ قرأ الباقون (يَصُدُّون) بضم الصاد[٦٣١].

المعنى اللغوي للقراءات:

الصَّدُّ: الإعراضُ، وصَدَّ عنه صُدُوداً: أعرضَ، وصَدَّ فلاناً عن كذا صَدّاً: منعه وصَرَفَه[٦٣٢]، وَصَدَّ يَصُدُّ صَديداً: ضَجَّ، وفي التنزيل: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾﴾ [الزخرف: ٥٧]، أي: يَضِجُّون وَيعجَبُون، وقد قُرِئَ (يَصُدُّون) بالضم أي: يعرضون[٦٣٣].

وقال د. محمد حجازي: «صَدَّ يَصِدُّ بمعنى: يَضِجُّ ويضحك (جدلاً) أي: لأجل الجدل والمراء»[٦٣٤].

التفسير:

ذكر المفسرون: «أنه لَمَّا نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٩٨]، قال عبدالله بن الزبعريِّ: هذا خاصةٌ لنا ولآلهتنا أم لجميع الأمم؟ فقال ﷺ: «بل لجميع الأمم» فقال: خصمتُك ورب الكعبة، ألست تزعم أنَّ عيسى بن مريم نبيٌّ وتثني عليه خيراً وعلى أمه، وقد علمت أنَّ النصارى يعبدونهما، واليهود يعبدون عزيراً، والملائكة يُعبَدُون، فإذا كان هؤلاء في النَّار فقد رضينا أنْ نكون نحن وآلهتنا

(٦٣١) انظر النشر في القراءات العشر ج٢ ص٣٦٩.

(٦٣٢) انظر الصحاح ج٢ ص٤٩٥.

(٦٣٣) انظر القاموس المحيط ص٢٦٥.

(٦٣٤) التفسير الواضح م٣ ج٢٥ ص٥١.

معهم، فسكت النبي ﷺ، وفرح القوم وضحكوا، وَضَجُوا، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [الأنبياء: ١٠١]، ونزلت هذه الآية أيضاً»[٦٣٥][٦٣٦].

في هذه الآية الكريمة يخبر المولى ﷻ عن تعنت كفار قريشٍ مع رسول الله ﷺ، وشدة كفرهم وعنادهم، وجدالهم الحقَّ بالباطل، ومعنى الآية: «ولمَّا ضَرَبَ ابن الزَبعريُّ عيسى ابنَ مريمَ مثلاً، وحاجَّك في عبادة النصارى له حيث قال: أليست النصارى تعبد المسيح وأنت يا محمد تقول: إنَّه كان نبيّاً وعبداً من عباد الله صالحاً، فإن كان في النَّار فقد رضينا أن نكون وآلهتنا مع عيسى بن مريم، وقد فرِحَتْ قريشُ بهذه المحَاجَّة وضحكوا وارتفعت أصواتُهم»[٦٣٧]، قال القرطبي: «ولو تأمل ابن الزبعريُّ الآية ما اعترض عليها لأنه قال: (وَمَا تَعْبُدُونَ) ولم يَقُل ومن تعبدون، وإنَّما أراد الأصنام ونحوها مما لا يعقل، ولم يرد المسيح ولا الملائكة، وإن كانوا معبودين»[٦٣٨].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (يَصُدُّون) بضم الصاد أنَّ كفار قريش قد عدلوا وأعرضوا عمَّا جاء به النبي ﷺ، بعد ضرب ابن الزبعري عيسى ابنِ مريمَ مثلاً وحاجَّ النبيَّ ﷺ به، لأنَّ معنى: (يَصُدُّون) بضم الصاد، العدول والإعراض.

وأمَّا قراءة (يَصِدُّون) بكسر الصاد أفادت أنَّ كفار قريشٍ قد ضحكوا

(٦٣٥) انظر أسباب النزول للواحدي ص٢٨١ ـ ٢٨٢، قال السيوطي عنه: صحيح، ذكره الهيثمي في المجمع ج٧ ص١٠٤، وقال: رواه أحمد والطبراني وفيه عاصم بن بهدلة، وثقه أحمد وغيره، وبقية رجاله رجال الصحيح، انظر أسباب النزول للسيوطي ص٣٦١.

(٦٣٦) التفسير الكبير م١٤ ج٢٧ ص٢٢٢، انظر الجامع لأحكام القرآن ج٨ ص٤١١، أسباب النزول للواحدي ص٢٨٢.

(٦٣٧) التفسير الواضح م٣ ج٢٥ ص٥٢.

(٦٣٨) الجامع لأحكام القرآن ج٨ ص٤١١.

وضجُّوا، وعلت أصواتُهم من احتجاج ابن الزبعريِّ بالمثل بعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، لأنَّ معنى ﴿يَصِدُّونَ﴾ بالكسر من الضجيج والصخب[٦٣٩].

قال ابن عاشورٍ: «(يَصُدُّون) بضم الصاد من الصُدُودِ، إمَّا بمعنى الإعراض والمعرض عنه محذوف لظهوره من المقام، أي: يُعرِضُون عن القرآن لأنَّهم أوهموا بجَدَلِهِمْ أنَّ في القرآن تناقضاً، وإما على أنَّ الضمَّ لغة في مضارع صدَّ بمعنى ضجَّ مثل لغة كسر الصاد، وهو قول الفراء والكسائي، وقرأ ابن كثيرٍ، وأبو عمرو، وحمزة، وحفصٌ عن عاصم، ويعقوب بكسر الصاد، وهو الصَدُّ بمعنى الضجيج والصَّخب، والمعنى إذا قريشٌ قومك يصخبون ويضُجُّون من احتجاج ابن الزبعريِّ بالمثل بعيسى»[٦٤٠].

وجاء في الجامع لأحكام القرآن: «من ضَمَّ فمعناه يعدلون، فيكون المعنى: من أجل الميل يعدلون، ولا يُعدَّى يصدون بمن، ومن كسر فمعناه يضجُّون فـ (من) متصلة بـ ﴿يَصِدُّونَ﴾، والمعنى: يضجُّون منه»[٦٤١]. «وقيل: إنهما لغتان بمعنى (يضجُّون)»[٦٤٢].

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين يتبيَّن أنَّ كفار قريشٍ قد عدلوا وأعرضوا عمَّا جاء به النَّبي ﷺ من الحقِّ ولم يكتفوا بذلك الإعراض بل تعدَّوه إلى السخرية والضحك والضجيج فرحاً بمحاجَّةِ ابن الزبعريِّ ظنّاً منهم أنَّه غَلَبَ النَّبي ﷺ في محاجَّتِه.

(٦٣٩) انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع ج٢ ص٢٦٠، معاني القراءات ج٢ ص٣٦٧، إعراب القراءات السبع وعللها ج٢ ص٣٠١.

(٦٤٠) التحرير والتنوير م١٢ ج٢٥ ص٣٣٨.

(٦٤١) الجامع لأحكام القرآن ج٨ ص٤١١.

(٦٤٢) الكشف عن وجوه القراءات السبع ج٢ ص٢٦٠، انظر جامع البيان م١١ ج٢٥ ص٥٢.

١٥ - قال تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ ٥٨﴾ [الزخرف: ٥٨].

القراءات:

١ - قرأ الكوفيون، ورَوْحٌ ﴿ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ﴾ بتحقيق الهمزتين، وألف بعدها.

٢ - قرأ الباقون (آلِهَتُنا خَيْرٌ) بهمزةٍ واحدةٍ بعدها مدَّةٌ أي: بالتسهيل(٦٤٣).

المعنى اللغوي للقراءات:

الإله: هو الله ﷻ، وكلُّ ما اتُخِذَ من دونه معبوداً إلهٌ عند مُتَخِذِه، والجمع آلهةٌ، والآلهة: الأصنام، سَمُّوها بذلك لاعتقادهم أنَّ العبادة تُحَقُّ لها(٦٤٤).

والإلهيات: كل ما يتعلق بذات الإله وصفاته، والله: اسم علم على الإله المعبود بحقٍ، وأصله إله، دخلت عليه أل، ثم حذفت همزته وأدغم اللاّمان(٦٤٥).

التفسير:

هذه الآية استكمالٌ للآية السابقة فبعد أن قرأ الرسول ﷺ قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٩٨]، وجادلت قريشٌ رسول الله ﷺ في أمر هذه الآية وتَقدَّم ابن الزبعريِّ بمحاجَّتِه في عبادة النصارى لعيسى بن مريم، قال المشركون: ءألهتنا خير أم هو؟ ويقصدون بذلك: آلهتنا التي نعبدها خيرٌ أم المسيح عيسى بن مريم؟ فإن

(٦٤٣) انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع ج٢ ص٢٦٠، تحبير التيسير ص٢٠٤.
(٦٤٤) انظر لسان العرب ج١٣ ص٤٦٧.
(٦٤٥) انظر المعجم الوسيط ص٤٥.

كان عيسى في النَّار فلتكن آلهتنا معه(٦٤٦)، وقيل: المقصود محمدٌ ﷺ على معنى أنَّهم قالوا: «يا محمد آلهتنا التي نعبدها خيرٌ أم محمدٌ فنعبدُ محمداً ونترك آلهتنا»(٦٤٧) وقوله تعالى: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا﴾ أي: ما قالوا لك هذا المثال إلا على وجه الجدل والمكابرة في القول لا لطلب الحقِّ، ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ أي: شديدو الخصومة والجدال بالباطل(٦٤٨).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لا فرق بين القراءتين من حيث المعنى، وإنما الاختلاف من حيث تحقيق الهمزة الثانية في كلمة (ءآلهتنا) أو تسهيلها، وأمَّا الهمزة الأولى، فالجميع متفقٌ على تحقيقها لأنَّها للاستفهام وعلى هذا يكون معنى القراءتين واحداً.

قال صاحب غيث النفع: «(ءآلهتنا) هذا ما اجتمع فيه ثلاث همزات لأنَّ أصله أأألهة بهمزتين، الأولى مفتوحةٌ، والثانية ساكنةٌ، والثالثة همزة الاستفهام، وأجمعوا على إبدال الثالثة ألفاً لسكونها، وانفتاح ما قبلها، كما أبدلت في آدم وآمنوا، وأجمعوا، أيضاً على تحقيق الأولى التي للاستفهام واختلفوا في الثانية، فقرأ الكوفيون بتحقيقها، والباقون بالتسهيل، ولم يُدخل أحدٌ بينهما ألفاً، وكذلك لم يبدل أحدٌ ممن روى إبدال الثانية عن الأزرَق عن ورش في نحو ءأنذرتهم، بل اتفقوا على التسهيل، وورشٌ على أصلهِ من المدِّ والتوسط والقصر لأنَّه مما وقع فيه حرف المدِّ بعد الهمز، ولا يضرنا تغيره بالتسهيل إذ لا فرق في هذا الباب بين الهمز المُحَقَّق والمُغَيَّر»(٦٤٩).

---

(٦٤٦) انظر تفسير أبي السعود ج٥ ص٩٠.

(٦٤٧) جامع البيان م١١ ج٢٥ ص٥٣.

(٦٤٨) انظر التفسير الكبير م١٤ ج٢٧ ص٢٢٢.

(٦٤٩) غيث النفع في القراءات السبع ص٤٧٥، انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع ج٢ ص٥٨.

وقال ابن عادل: «﴿وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا﴾ قرأ أهل الكوفة بتحقيق الهمزة الثانية، والباقون بتسهيلها بين بين، ولم يُدخل أحدٌ من القرَّاء الذين من قاعدتهم الفصل بين الهمزتين بألفٍ ألفاً كراهةً لتوالي أربع متشابهات، وأبدل الجميع الهمزة الثانية ألفاً، ولا بد من زيادة بيان، وذلك أنَّ آلهةً جمع إلهٍ كعمادٍ، وأعمدةٍ، فالأصل أألهةٌ، بهمزتين الأولى زائدة، والثانية فاء الكلمة، وقعت الثانية ساكنة بعد مفتوحة، فوجب قلبها ألفاً (كآمن وبابه) ثم دخلت همزة الاستفهام على الكل فالتقى همزتان في اللفظ، الأولى للاستفهام، والثانية همزة (أفعلة) فالكوفيون لم يعتدُّوا باجتماعهما، فأبقوهما على ما لهما، وغيرهم استثقل فخفف الثانية بالتسهيل بين بين، والثالثة ألفٌ محضَةٌ لم تغير البتَّة»[٦٥٠].

١٦ ـ قال تعالى: ﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [الزخرف: ٦٨].

القراءات:

١ ـ قرأ يعقوب (خَوْفَ) بالفتح بدون تنوين.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿خَوْفٌ﴾ بالضَّم مع التنوين[٦٥١].

المعنى اللغوي للقراءات:

الخوف: الفزع، يقال: خَافَ يَخَافُ خَوْفاً وخَيْفاً ومخافَةً وخِيفةً بالكسر، وهو: انفعالٌ في النَّفس يحدث لتوقع ما يرد من المكروه أو يفوت من المحبوب، والخوفُ أيضاً بمعنى: القتل، قيلَ: ومنه: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ﴾ [البقرة: ١٥٥][٦٥٢].

---

(٦٥٠) اللباب ج١٧ ص٢٨٣.

(٦٥١) انظر إتحاف فضلاء البشر ص٤٩٧، الشامل في القراءات المتواترة ص٢٥٢.

(٦٥٢) انظر القاموس المحيط ص٧٢٨، المعجم الوسيط ص٢٨٦.

التفسـير:

تتحدث الآية الكريمة عن حال المؤمنين الأخلاء المتحابِّين في الله يوم القيامة وخطاب الله تعالى المؤمنين تطميناً وتأنيساً لهم بنفي الخوف والحزن عنهم، فيقول: «يا عبادي لا خوفٌ عليكم اليوم من عقابي فإنِّي قد أمنتكم منه برضاي عنكم، ولا أنتم تحزنون على فراق الدنيا، فإنَّ الذي قد متم عليه خيرٌ لكم ممَّا فارقتموه منها»[٦٥٣].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قراءة (لا خوفَ) بالفتح دون تنوين تفيد نفي جنس الخوف مطلقاً عن المؤمنين بأيِّ حال من الأحوال، وبأيِّ وجهٍ من الوجوه بأن يقع بهم أي مكروهٍ أو عقابٍ من الله تعالى على غرار أهل الضلال في الآخرة، «لأنَّ (لا) إذا دخلت على النكرة دلت على نفي الجنس، وأنَّها إذا بُني الاسم بعدها على الفتح كان نفي الجنس نصاً، وإذا لم يبنَ الاسم على الفتح كان نفي الجنس ظاهراً مع احتمال أن يُراد نفي واحدٍ من ذلك الجنس إذا كان المقام صالحاً لهذا الاحتمال»[٦٥٤]. وفي هذه القراءة (لا) نافية للجنس فهي تعمل عمل (إنَّ) من نصب المبتدأ ورفع الخبر، وهي تفيد نفي الخبر عن الجنس الواقع بعدها نصاً، أي نفياً عامّاً على سبيل الاستغراق، لا على سبيل الاحتمال[٦٥٥].

وأمَّا قراءة ﴿لَا خَوْفٌ﴾ بالضَّم مع التنوين فقد تفيد نفي الخوف الواحد، أو نفي المجموع عنهم احتمالاً لا نصاً، لأنَّ (لا) في هذه القراءة لا النافية العاملة عمل ليس، فهي تعمل عمل الأفعال الناسخة، واسمها (خوفٌ) نكرة مرفوعٌ، وهذا شرطٌ لعملها عمل ليس، وهي تفيد احتمال نفي

---

(٦٥٣) جامع البيان م١١ ج٢٥ ص٥٧.

(٦٥٤) التحرير والتنوير م٦ ج١١ ص٢١٦، عند تفسيره للآية (٦٢) من سورة يونس.

(٦٥٥) انظر موسوعة الحروف في اللغة العربية للدكتور إميل يعقوب ص٣٨٤.

الواحد أو نفي الجنس[٦٥٦]. وأمّا ابن عاشورٍ فيعتبر أنَّ القراءتين برفع اسم (لا) أو بنائه على الفتح متساويتان في الدلالة في هذا الموضع، لأنَّ النفي وقع في أجناس المعاني لا في أجناس الذوات، فما ذكر سابقاً ينطبق على الأجناس التي لها أفراد من الذوات مثل رجلٍ[٦٥٧].

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين تكون القراءة الأولى بالفتح مبيّنة للقراءة الثانية بالضَّم: أنَّ الله تعالى نفى مطلق الخوف عن المؤمنين، الواحد والمجموع، في الحال وفي المستقبل، فلا خوفٌ عليهم في أيِّ حالٍ من الأحوال وبأيِّ وجهٍ من الوجوه وفي أيِّ وقتٍ من الأوقات.

١٧ ـ قال تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾﴾ [الزخرف: ٧١].

القراءات:

١ ـ قرأ المدنيان، وابن عامر، وحفص ﴿تَشْتَهِيهِ﴾ بزيادة هاء ضمير المذكر بعد الياء.

٢ ـ قرأ الباقون (تَشْتَهِي) بحذف الهاء[٦٥٨].

المعنى اللغوي للقراءات:

«أصل الشَهْوَة: نزوع النفس إلى ما تريده، وذلك في الدنيا ضربان: صادقةٌ، وكاذبةٌ، فالصادقة: ما يختل البدن من دونه، كشهوة الطعام عند الجوع، والكاذبة: ما لا يختل من دونه، وقد يسمى المشتهى شهوةً، وقد يقال للقوة التي تشتهي الشيء: شهوة»[٦٥٩].

---

(٦٥٦) انظر شرح ابن عقيل لمحمد محي الدين عبدالحميد م١ ج٢ ص٥.
(٦٥٧) انظر التحرير والتنوير م٦ ج١١ ص٢١٦، عند تفسيره للآية (٦٢) من سورة يونس.
(٦٥٨) انظر النشر في القراءات العشر ج٢ ص٣٧١، المبسوط في القراءات العشر ص٢٤٥.
(٦٥٩) مفردات ألفاظ القرآن ص٤٦٨.

وشهيَ الشيء، وشهاهُ يشهاهُ شهوةً، واشتهاهُ، وتَشَهَّاهُ، أحبَّه ورَغب فيه، وقوله ﷻ: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [سبأ: ٥٤]، أي: يرغبون فيه من الرجوع إلى الدنيا(٦٦٠).

التفسيـر:

تصف الآية الكريمة الحالة التي يكون عليها المؤمنون في الجنَّة، وما أعدَّ الله تعالى لهم من أنواع النعيم الدائم الذي لا ينقطع، ومنه: أنَّه يطوف عليهم ولدانٌ صباح الوجوه بآنيةٍ وأكوابٍ من ذهبٍ، وفيها كلُّ ما لذَّ وطاب، وما تشتهيه أنفسهم، ويخطر على بالهم، وما لا يخطر على بالهم، وتلذه أعينهم بالنظر إليه.

قال الطبرسي: «﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ﴾ أي: بقصاع ﴿مِّن ذَهَبٍ﴾ فيها ألوان الأطعمة ﴿وَأَكْوَابٍ﴾ أي: كيزان لا عرى لها، وقيل بآنيةٍ مستديرةِ الرأس، اكتفى سبحانه بذكر الصحاف والأكواب عن ذكر الطعام والشراب ﴿وَفِيهَا﴾ أي: وفي الجنة ﴿مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ﴾ من أنواع النعيم المشروبة والمطعومة، والملبوسة، والمشمومة، وغيرها ﴿وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ﴾ أي: وما تلذه العيون بالنظر إليه، وإنما أضاف الالتذاذ إلى الأعين، وإنما الملتذ على الحقيقة هو الإنسان لأنَّ المناظر الحسنة سببٌ من أسباب اللَّذة فإضافة اللَّذة إلى الموضع الذي يلذ الإنسان به أحسن، لما في ذلك من البيان مع الإيجاز، وقد جمع الله سبحانه بقوله ﴿مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ﴾ فلَو اجتمع الخلائق كلهم على أنْ يصفوا ما في الجنة من أنواع النعيم لم يزيدوا على ما انتظمته هاتان الصفتان ﴿وَأَنتُمْ فِيهَا﴾ أي: في الجنة وأنواع من الملاذ ﴿خَٰلِدُونَ﴾ أي: دائمون مؤبدون»(٦٦١).

---

(٦٦٠) انظر لسان العرب ج١٤ ص٤٤٥.

(٦٦١) مجمع البيان م٥ ج٢٥ ص٩٨.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

على قراءة ﴿تَشْتَهِيهِ﴾ تكون هاء الضمير في محل نصب مفعول به عائدةً إلى (ما) الموصولة بمعنى الَّذي وحجة من قرأها قوله تعالى: ﴿إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ [البقرة: ٢٧٥] ولم يقل يتخبط.

وأما قراءة (تشتهي) فقد حذفت الهاء للاختصار، ومثاله كثيرٌ في القرآن الكريم كقوله تعالى: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا﴾ [الفرقان: ٤١]، ولم يقل: بعثه الله(٦٦٢).

وعلى هذا فالقراءتان بمعنىً واحدٍ على رأي بعض أهل التفسير، قال الطبري: «واختلف القراء في قراءة قوله ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ﴾ فقرأته عامَّة قرَّاء العراق تشتهي بغير هاء، وكذلك هو في مصاحفهم، والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان مشهورتان بمعنىً واحدٍ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيبٌ»(٦٦٣).

إلَّا أنَّ الباحث يرى أنَّ إلحاق هاء الضمير بالفعل (تَشْتَهِي) لها دلالاتٌ على المعنى، فالضمائر أعرف المعارف، تفيد التعريف، وعليه فإن الضمير في ﴿تَشْتَهِيهِ﴾ تفيد حصر أنواع النعم المشتهاة في النفوس من الأشياء المعقولة والمسموعة والملموسة وغيرها من الأشياء المعروفة لديه.

قال البقاعي: «ولمَّا كانت اللذة محصورةً في المشتهى قال تعالى: ﴿مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ﴾ من الأشياء المعقولة والمسموعة والملموسة وغيرها جزاءً لهم على ما منعوا أنفسهم من الشهوات في الدنيا»(٦٦٤). وقال الزمخشري: «وقرئ تشتهي، وتشتهيه وهذا حصر لأنواع النعم لأنَّها إمَّا مشتهاةٌ في القلوب وإمَّا مستلذةٌ في العيون»(٦٦٥).

(٦٦٢) انظر حجة القراءات ص٦٥٤.
(٦٦٣) جامع البيان م١١ ج٢٥ ص٥٨.
(٦٦٤) نظم الدرر ج٧ ص٥١.
(٦٦٥) الكشاف ج٣ ص٤٩٩، انظر إعراب القرآن الكريم وبيانه ج٩ ص١٠٥.

ويُحتمل أنَّ هاء الضمير خصصت الشهوة بما لا يتعارض مع حكمة الله تعالى بحيث إنه لا يظن امرؤٌ بأن كل ما يخطر على باله في الدنيا وتشتهيه فهو مشتهىً له في الآخرة ومتحققٌ، فمثلاً لا يشتهي الإنسان في الآخرة شيئاً من مناهي الشريعة الإسلامية كفعل فاحشةٍ أو غيرها، قال حقِّي: «﴿وَفِيهَا﴾ أي: في الجنة ﴿مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ﴾ من فنون الملاذ والمشتهيات النفسانية كالمطاعم والمشارب والمناكح والملابس والمراكب ونحو ذلك، قال في (الأسئلة المُقحَمة): أهل الجنَّة هل يعطيهم الله جميع ما يسألونه وتشتهي أنفسهم، ولو اشتهت نفوسهم شيئاً من مناهي الشريعة كيف يكون حاله، والجواب معنى الآية: أنَّ نعيم الجنة كله مما تشتهيه الأنفس، وليس فيها ما لا تشتهيه النفوس، ولا تصل إليه، وقد قيل يعصم الله أهل الجنة من شهوةٍ محالٍ أو منهي عنه، يقول الفقير: دل هذا على أنَّه ليس في الجنَّة اللُّواطة المحرمة في دبر امرأته فليس فيها اشتهاء اللُّواطة لكونها مخالفةً للحكمة الإلهية... وأمَّا الخمر فليست كاللُّواطة لكونها حلالاً على بعض الأمم، والحاصل أنه ليس في الجنة ما يخالف الحكمة كائناً ما كان، ولذا تستتر فيها الأزواج عن غير محارمهنَّ، وإنْ كان لا حل ولا حرمة هناك»[٦٦٦].

وممَّا يؤيد قصر الشهوة على ما لا ينافي حكمة الله تعالى، حديث رسول الله ﷺ الذي أورده ابن خالويه في كتابه: «سأل أعرابيٌّ رسول الله ﷺ فقال: إنِّي سمعتُ الله يقول: وفيها ما تشتهي الأنفس، وإنِّي رجلٌ أشتهي النوم فهل في الجنة نومٌ؟ فقال عليه السلام: إنَّ النَّوم أخو الموت، ولا موت في الجنَّة[٦٦٧]»[٦٦٨].

وفي هذا الحديث دليلٌ على أنَّه ليس كل ما يشتهيه الإنسان في الدنيا فهو مشتهىً له في الآخرة.

---

(٦٦٦) روح البيان في تفسير القرآن ج٨ ص٤٣٢ ـ ٤٣٣.
(٦٦٧) أخرجه أبو نعيم في مصنفه، باب صفة الجنة: ج٢ ص٥٧.
(٦٦٨) إعراب القراءات السبع وعللها ج٢ ص٣٠٤.

وأمَّا قراءة (تشتهي) بدون هاء الضمير فإنها أفادت العموم بدون تخصيصٍ للشهوة ولا حصرٍ لأنواع النعم على معنى: أنَّ في الجنة كل ما تشتهي النفس من الأشياء المعلومة والمعروفة، وغير المعروفة فجاءت القراءة بهاء الضمير ﴿تَشْتَهِيهِ﴾ لتفيد تخصيص العموم بما لا يتعارض مع الحكمة الإلهية.

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين يظهر أنّ في الجنة كل ما تشتهي الأنفس من متاعٍ ونعم تخطر على بال الإنسان من الأشياء المعروفة لديه والمشتهيات في النفوس بدون انقطاعٍ على الدوام، يعطيه الله تعالى لمن سأله واشتهاه، وكل ذلك في حدود ما لا يخالف حكمة الله تعالى وفيما أجازه من شهوةٍ للإنسان، والله تعالى أعلم.

١٨ ـ قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾ سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الزخرف: ٨١ ـ ٨٢].

القراءات:

١ ـ قرأ حمزة، والكسائي (وُلْدٌ) بضم الواو وإسكان اللاَّم.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿وَلَدٌ﴾ بفتح الواو واللاَّم[(٦٦٩)].

المعنى اللغوي للقراءات:

الوَلَد: كُلُّ ما وُلِدَ، ويُطلَقُ على الذكر والأنثى والمثنى والجمع، وتجمع على أولادٍ، وَوِلْدَة، وإِلْدَة، وَوُلْدِ بالضم[(٦٧٠)].

---

(٦٦٩) انظر إتحاف فضلاء البشر ص٤٩٧، البدور الزاهرة ص٤٠٣.

(٦٧٠) انظر القاموس المحيط ص٢٩٥، المعجم الوسيط ص١٠٩٩.

التفسيـر:

يأمر الله تعالى سيدنا محمداً ﷺ أنْ يخاطب الكفار الذين يعبدون الملائكة ويزعمون أنَّهم بنات الله، ويعبدون المسيح ويزعمون أنّه ابن الله، وذلك على سبيل التهكم والتقريع، قائلاً لهم إن كان لله ولدٌ كما تزعمون في قولكم، فأنا أول من عَبَدَ الله وحده، لأن من عَبَدَ الله وحده فقد دفع أن يكون له ولدٌ، هذا على أحد الأقوال، والمعنى: ما كان للرحمن ولدٌ. وقيل: المعنى: قل يا محمد: إنْ ثبت لله ولدٌ فأنا أول من يعبد الولد الذي تزعمون ثبوته، لأنَّ تعظيم الولد تعظيمٌ للوالد، ولكنه يستحيل أن يكون له ولدٌ، وفيه نفيٌ للولد على أبلغ وجهٍ وأتمّ عبارةٍ وأحسن أسلوبٍ، ولا سبيل إلى اعتقاد ذلك(٦٧١).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قراءة (وَلَدٌ) بفتح الواو واللاَّم، تفيد الجنس لأنَّها تصلح للإفراد والجمع، لادعائهم في عيسى أنَّه ابن الله، وفي الملائكة أنَّها بنات الله.

وأمَّا قراءة (وُلْدٌ) بضم الواو وإسكان اللاَّم، فإنَّها تفيد إرادة الجمع على الكثرة، فتكون قد جمعت كل ما يدَّعون لله من ولد.

قال البقاعي: «قل إن كان للرحمن ولدٌ كما زعمتم، والمراد به الجنس لادعائهم في الملائكة، وغَيْرُهُم في غَيْرِهِم، وقراءة حمزة، والكسائي، بضم ثمَّ سكون على أنَّه جمعٌ على إرادة الكثرة»(٦٧٢).

وقال د. محمد محيسن: «قرأ حمزة، والكسائي، بضم الواو وسكون اللاّم جمعُ (ولَدٍ) مثل (أَسَدٌ، وأُسْدٌ). وقرأ الباقون بفتحهما اسم مفردٍ قائمٌ مقام الجمع»(٦٧٣). وقيل: إنَّ (الوَلَدَ) بالفتح الابن، والابنة، و(الوُلْدُ) بالضَّم

(٦٧١) انظر الجامع لأحكام القرآن ج٨ ص٤٢٥، فتح القدير ج٤ ص٧٩٢.

(٦٧٢) نظم الدرر ج٧ ص٥٥ بتصرفٍ يسيرٍ.

(٦٧٣) المستنير في تخريج القراءات المتواترة ج٣ ص٦٩.

الأهل[٦٧٤].

الجمع بين القراءات:

القراءة الثانية (وُلْدٌ) جاءت لتبيِّنَ أنَّ المقصود هو إرادة الجمع وليس الإفراد على أنَّ ليس لله الابن كما يزعمون في عيسى عليه السلام، وليس له البنات كما يزعمون في الملائكة، وليس له الأهل كما يزعم غيرهم، فهو منزَّهٌ عمَّا يصفونه من الولد، والأهل.

١٩ ـ قال تعالى: ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَـٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [الزخرف: ٨٣].

القراءات:

١ ـ قرأ أبو جعفرٍ (يَلْقَوا) بفتح الياء التحتية وإسكان اللَّام بلا ألفٍ وفتح القاف.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿يُلَـٰقُوا۟﴾ بضم الياء وإثبات الألف وضم القاف[٦٧٥].

المعنى اللغوي للقراءات:

اللقاء: هو: «مقابلة الشيء ومصادفته معاً، وقد يُعَبَّرُ به عن كل واحدٍ منهما، يقال: لقيتُه، يلقاه لقاءً ولقياً ولقيه، ويقال: ذلك في الإدراك بالحس وبالبصر، والبصيرة»[٦٧٦].

وتقول: لاقيتُ بين طرفي قضيبٍ أي: حَنَيْتُه حتى تلاقيا والتقيا، وكلُ شيءٍ استقبل شيئاً أو صادفه فقد لقيه من الأشياء كلها، واللِّقِيَّان: كل شيئين يلقى أحدهما صاحبه فهما لَقِيَّان[٦٧٧].

---

(٦٧٤) انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع ج٢ ص٩٢.
(٦٧٥) انظر إتحاف فضلاء البشر ص٤٩٧، تحبير التيسير ص٢٠٤.
(٦٧٦) مفردات ألفاظ القرآن ص٧٤٥.
(٦٧٧) انظر لسان العرب ج١٥ ص٢٥٤.

التفسيـر:

في هذه الآية الكريمة يأمر الله تعالى نبيَّه محمداً ﷺ بأن يترك كفار مكة حين كذَّبوا بعذاب الآخرة، يخوضوا في باطلهم ويلعبوا في دنياهم كما يشاءون ويحبون حتى يُلاقُوا يومهم الذي يوعدون، وهو يوم القيامة، بما فيه من عذاب شديد بسبب كفرهم وتكذيبهم نبيِّهم ﷺ[٦٧٨]، والمقصود من هذا الخطاب التهديد والوعيد لكفار قريش، كما قال المراغي: «ولا يخفى ما في هذا من شديد الوعيد والتهديد»[٦٧٩].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (يَلْقَوا) أنَّهم يلقون هذا اليوم الذي توعدهم الله تعالى به يوم القيامة وما فيه من عذابٍ ونكالٍ مدفوعين إليه بذاتهم ومن تلقاء أنفسهم منساقين إليه.

وأما قراءة ﴿يُلَٰقُوا۟﴾ أفادت أنهم يلاقون هذا اليوم بما فيه من عذابٍ شديدٍ مدفوعين إليه بغيرهم، أي: بقوة خارجية تدفعهم لذلك على غير إرادتهم، حيث إنَّ فعل (يُلاقوا) من صيغ المفاعلة التي تدل على اشتراك أكثر من طرف في الفعل، أو تدل على الملاقاة بين الطرفين بالقدر نفسه بحيث يكون الكفار مدفوعين للقاء العذاب، ويكون العذاب مدفوعاً إليهم، وفي هذا دلالةٌ على شدة العذاب الذي سيلاقونه يوم القيامة، وفي ذلك زيادة تهديدٍ ووعيدٍ لهم، «قال سيبويه: اعلم انك إذا قلت فاعلتُه فقد كان من غيرك إليك مثل ما كان منك إليه حين قلت فاعلته، وهذا يعني اشتراك طرفي الفعل في المفاعلة في معنى الفاعلية والمفعولية، فيكون البادئ فاعلاً صريحاً والثاني مفعولاً صريحاً، ويجيء العكس ضمناً أي: الغرض من ألف المفاعلة اقتسام الفاعلية والمفعولية في اللفظ والاشتراك فيهما من حيث المعنى»[٦٨٠].

---

(٦٧٨) انظر الجامع لأحكام القرآن ج٨ ص٤٢٦.

(٦٧٩) تفسير المراغي ج٩ ص١١٥.

(٦٨٠) أبنية الأفعال دراسة لغوية قرآنية ص٥٤، دكتورة نجاة عبدالعظيم الكوفي.

وقال أ. د. حمد الحملاوي: «فَاعَلَ يكثر استعماله في معنيين، إحداهما: التشارك بين اثنين فأكثر، وهو أن يفعل أحدهما بصاحبه فعلاً، فيقابله الآخر بمثله، وحينئذ ينسب للبادئ نسبة الفاعلية، وللمقابل نسبة المفعولية»(٦٨١).

ويحتمل إضافةً لما سبق ذكره، أنَّ قراءة (يَلْقَوا) تدل على سرعة لقاء العذاب لهؤلاء الكفار في الدنيا كما حصل معهم في غزوة بدرٍ.

وأمَّا قراءة ﴿يُلَٰقُواْ﴾ تدل على طول فترة الإمهال لهم حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون في الآخرة، لأنَّ المد يدل على طول زمن الفعل، وفي ذلك زيادة تهديدٍ أيضاً لتذهب نفوسهم كل مذهبٍ ممكن.

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين يتبيّن أنَ الله تعالى يتوعد هؤلاء الكفار بملاقاة العذاب مدفوعين إليه منساقين بسهولةٍ ويسرٍ على غير إرادتهم، فمنهم من يلقى عذابه سريعاً في الدنيا والآخرة، ومنهم من يطيل الله في إمهاله حتى إذا أخذه لم يفلته فيلاقي أشدَّ العذاب في الآخرة والله تعالى أعلم.

٢٠ ـ قال تعالى: ﴿وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [الزخرف: ٨٥].

القراءات:

١ ـ قرأ ابن كثيرٍ، وحمزة، والكسائي، وخلفٌ، ورويسٌ (يُرْجَعُون) بياء الغيب.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿تُرْجَعُونَ﴾ بتاء الخطاب(٦٨٢).

---

(٦٨١) شذا العرف في الصرف ص٤٠، للأستاذ الدكتور أحمد الحملاوي.

(٦٨٢) انظر النشر في القراءات العشر ج٢ ص٣٧٠، تحبير التيسير ص٢٠٤.

المعنى اللغوي للقراءات:

سبق التعرض لمعنى هذه القراءة عند تفسير الآية (٢١) من سورة فُصِّلت[٦٨٣].

التفسير:

يَرُدُّ الله تعالى في هذه الآية الكريمة على مَنْ ادَّعى لله تعالى الولدَ، ووصفه بما لا يليق بجلاله، وعظيم سلطانه، فأثبت لنفسه ما لا ينبغي لغيره، ويُستحال لهم، ونَزَّه نفسه عن العيوب والنقائص، فهو خالق السموات والأرض، وصاحب الأمر فيهما، وهو وحده الذي يعلمُ متى تقوم الساعة، ويُبعثُ الناس من قبورهم ليُجازَى كلٌ بعمله الذي اكتسبه في الدنيا، فإنْ كان خيراً فخيرٌ، وإنْ كان شرّاً فشرٌ.

قال الطبري: «يقول تعالى ذكره: وتبارك الذي له سلطان السموات السبع، والأرض وما بينهما من الأشياء كلها، جارٍ على جميع ذلك حكمه، ماضٍ فيهم قضاؤه، يقول: فكيف يكون له شريكاً من كان في سلطانه، وحكّمه فيه نافذٌ ﴿وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ يقول: وعنده علم الساعة التي تقوم فيها القيامة، ويُحشر فيها الخلق من قبورهم لموقف الحساب، قوله ﴿وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ يقول: وإليه أيها النَّاس تُرَدُّون من بعد مماتكم، فتصيرون إليه، فيجازِي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته»[٦٨٤].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (يُرْجَعُون) بياء الغيب بالمبني للمفعول أنَّ الإخبار واقعٌ من الله تعالى عن هؤلاء المشركين، أنَّهم راجعون إلى الله تعالى يوم القيامة بأيسرِ أمرٍ وبدون كُلفةٍ ليُحَاسَبوا على أعمالهم في الدنيا[٦٨٥].

---

(٦٨٣) انظر ص٩٨ من هذا البحث.

(٦٨٤) جامع البيان م١١ ص٢٥ ص٦٢.

(٦٨٥) انظر بحر العلوم ج٣ ص٢١٤.

وأمّا قراءة ﴿تُرْجَعُونَ﴾ بتاء الخطاب بالمبني للمفعول أفادت على رأي بعض أهل التفسير أنّ الخطاب موجهٌ إلى الرسول ﷺ بأن يقول لهم ذلك، قال مكي بن أبي طالب: «وقرأ الباقون بالتاء على المخاطبة، على معنى: قل لهم يا محمد: إلى الله ترجعون»(٦٨٦).

واعتبر بعض العلماء القراءة الثانية هي للالتفات من الغيبة إلى الخطاب للتهديد وعليه فإن المخاطبين هم المجرمون المذكورون وفي هذه القراءة التهديد أشدُّ وأبلغُ لأنَّ العتاب بالمواجهة أشدُّ تأثيراً وأدَلُّ على شدة الغضب(٦٨٧).

قال البقاعي: «وقراءة الجماعة وهم من عدا ابن كثير، وحمزة، والكسائي، وورش عن يعقوب بالخطاب أشدُّ تهديداً من قراءة الباقين، وأدلُّ على تناهي الغضب على من لا يقبل إليه بالمتاب بعد رفع كل ما يمكن أنْ يتسبب عنه ارتيابٌ»(٦٨٨)، وقال بعض العلماء: يجوز أن يراد به الغيب والمخاطبون فيغلب الخطاب على الغيبة فيكون الغيب مرادين مع غيرهم(٦٨٩).

وقال حقّي: «الالتفات للتهديد، أي: تردُّون للجزاء فاهتموا بالاستعداد للقائه قال بعض الكبار وإليه تُرْجَعون بالاختيار والإضطرار فأهل السعادة يَرْجِعُون إليه بالاختيار على قدم الشوق والمحبة والعبودية، وأهل الشقاوة يَرْجِعُون إليه بالاضطرار بالموت بالسلاسل والأغلال يُسْحَبُون على وجوههم إلى النّار»(٦٩٠).

(٦٨٦) الكشف عن وجوه القراءات السبع ج٢ ص٢٦٢.
(٦٨٧) انظر حاشية القونوي ج١٧ ص٣٦٢، روح المعاني ج٢٥ ص١٠٧.
(٦٨٨) نظم الدرر ج٧ ص٥٨.
(٦٨٩) انظر الحجة للقراء السبعة ج٣ ص٣٨٢، الكشف عن وجوه القراءات السبع ج٢ ص٢٦٢.
(٦٩٠) روح البيان في تفسير القرآن ج٨ ص٤٤١.

الجمع بين القراءات:

كلتا القراءتين على المبني للمجهول تدلان على أن الجميع راجعٌ إلى الله تعالى على وجه التأكيد ليجازى كلٌ بعمله، وذلك يتم بأيسر أمرٍ وأسهل شأنٍ دون كلفةٍ على الله تعالى سواءً رغبوا بذلك أم لم يرغبوا، وبالجمع بين القراءتين فالخطاب يعمُّ الجميع من الحاضرين من كفار قريشٍ على وجه التهديد والوعيد، وغيرهم من الغائبين تحذيراً لهم من أن يبقوا على كفرهم أو أن يفعلوا مثلهم، أو إخباراً عمَّن قضى منهم، والله تعالى أعلم.

٢١ ـ قال تعالى: ﴿وَقِيلِهِۦ يَـٰرَبِّ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [الزخرف: ٨٨].

القراءات:

١ ـ قرأ حمزة، وعاصم ﴿وَقِيلِهِۦ﴾ بخفض اللام، وكسر الهاء.

٢ ـ قرأ الباقون (قِيلَهُ) بفتح اللَّام وضم الهاء[٦٩١].

المعنى اللغوي للقراءات:

سبق التعرض لها عند تفسير الآية (٢٤) من هذه السورة[٦٩٢].

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن علم الله تعالى بشكوى رسول الله ﷺ قومه إلى ربه بأنَّهم تخلفوا عن الإيمان بالله تعالى وحده وكذَّبوا به وبرسالته وبما أنزل عليه، وهذه الشكوى صدرت منه ﷺ بعد ما ضَجِر منهم وعرف إصرارهم على الكفر والعناد.

قال الزحيلي: «ثم أعلن الله تعالى علمه بشكوى النبي ﷺ من إعراض

---

(٦٩١) النشر في القراءات العشر ج٢ ص٣٧٠، تحبير التيسير ص٢٠٤.

(٦٩٢) انظر ص١٦٨ من هذا البحث.

قومه قائلاً: ﴿وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾ أي: ويعلم الله تعالى علم الساعة، وقول النبي ﷺ وشكواه إلى ربه من قومه الذين كذَّبوه: يا رب إنَّ هؤلاء القوم الذين أرسلتني إليهم قومٌ لا يؤمنون، ولا يصدقون بك، ولا برسالتي إليهم، كما أخبر تعالى في آية أخرى ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾﴾ [الفرقان: ٣٠](٦٩٣).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

اختلف علماء التفسير والقراءات فيما تفيده كل قراءة من القراءتين السابقتين على عدة أوجهٍ فذكر مكي بن أبي طالبٍ خمسة أوجهٍ لقراءة النصب وهي جميع ما ذكره العلماء ووجهاً واحداً لقراءة الكسر، وغيره زاد عليه في قراءة الكسر وجهاً آخر، فقال: «وحجة من قرأ بالنَّصب أنه يَنْصُب (قِيلَه) على أحد خمسة أوجهٍ: الوجه الأول: أنَّه معطوفٌ على مفعول (يكتبون) المحذوف، تقديره: ورُسُلنا لديهم يكتبون ذلك وقيله يا رب(٦٩٤)، والوجه الثاني: أنْ يكون معطوفاً على مفعول (تعلمون) المحذوف، تقديره: إلَّا من شهد بالحق وهم يعلمون الحق وقيلَه، أي: يعلمون قيلَه يا رب(٦٩٥)، والوجه الثالث: أنْ يكون معطوفاً على قوله ﴿سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم﴾ أي: نسمع سِرَّهم ونَجْواهم ونسمع قيلَه يا رب(٦٩٦). والوجه الرابع: أنْ يكون معطوفاً على موضع الساعة، في قوله: ﴿وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾، لأنَّ معناه: يعلمُ الساعة ويعلمُ قيلَه(٦٩٧)، والوجه الخامس: أنْ ينتصب على

(٦٩٣) التفسير المنير ج٢٥ ص١٩٨.

(٦٩٤) انظر البحر المحيط ج٨ ص٣٠، فتح القدير ج٤ ص٧٩٥.

(٦٩٥) انظر المرجعين السابقين ج٨ ص٣٠، ج٤ ص٧٩٥.

(٦٩٦) انظر الحجة للقراء السبعة ج٣ ص٣٨٣، الكشاف ج٣ ص٤٩٨، زاد المسير ص١٢٨٦، الجامع لأحكام القرآن ج٨ ص٤٢٩.

(٦٩٧) انظر الحجة للقراء السبعة ج٣ ص٣٨٢، الكشاف ج٣ ص٤٩٨، زاد المسير ص١٢٨٥، روح المعاني ج٢٥ ص١٠٨.

المصدر كأنَّه قال: ويقول قيلَهُ(٦٩٨).

«وحجة من خفضه أنَّه على لفظ الساعة، أي: وعنده علمُ الساعة وعلمُ قيلِهِ يا ربِّ، أي: ويعلمُ وقت قيام الساعة، ويعلم قوله وتضرعه»(٦٩٩)، وذكر ابن عاشور وجهاً آخر إلى قراءة الكسر فقال: «(قيله) يجوز في جرِّه وجهان: أحدهما أن يكون عطفاً على الساعة في قوله: ﴿وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ أي: وعلمُ قِيْل الرسول: يا ربِّ، وهو على هذا وعد للرسول بالنصر وتهديدٌ لهم بالانتقام، وثانيهما: أن تكون الواو للقسم ويكون جواب القسم جملة ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٞ لَّا يُؤۡمِنُونَ﴾ على أنَّ الله أقسم بقول الرسول: يا رب تعظيماً للرسول ولِقِيلِه الذي هو تفويضٌ للرَّبِّ وثقةٌ به»(٧٠٠).

٢٢ ـ قال تعالى: ﴿فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ وَقُلۡ سَلَٰمٞۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ۝٨٩﴾ [الزخرف: ٨٩].

القراءات:

١ ـ قرأ المدنيان وابن عامرٍ (فَسَوفَ تَعْلَمُونَ) بتاء الخطاب.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ﴾ بياء الغيب(٧٠١).

المعنى اللغوي للقراءات:

سبق التعرض لمعنى هذه القراءة عند تفسير الآية (٣٥) من سورة الشورى(٧٠٢).

---

(٦٩٨) انظر معاني القراءات ج٢ ص٣٦٩، الحجة للقراء السبعة ج٣ ص٣٨٢، التحرير والتنوير م١٢ ج٢٥ ص٢٧٢.

(٦٩٩) الكشف عن وجوه القراءات السبع ج٢ ص٢٦٢ ـ ٢٦٣، انظر فتح القدير ج٤ ص٧٩٥.

(٧٠٠) التحرير والتنوير م١٢ ج٢٥ ص٢٧٣، انظر البحر المحيط ج٨ ص٣٠.

(٧٠١) انظر النشر في القراءات العشر ج٢ ص٣٧٠، تحبير التيسير ص٢٠٥.

(٧٠٢) انظر ص١٤٣ من هذا البحث.

التفسير:

بعد أن أخبر الله تعالى عن علمه بشكوى رسول الله ﷺ قومَه إليه بسبب كفرهم وإصرارهم على عداوته، أمر الله تعالى نبيَّه ﷺ بالإعراض عنهم، ونبذ إشراكهم قائلاً: ﴿فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾﴾، أي: اصفح عن المشركين صفح المغاضب لا الموافق المجامل، وأعرض عمَّا يقولون، وما يرمونك به من السِّحر والكَهَانة، واصبر على دعوتهم إلى أنْ يأتي أمرُ الله، وقل: أمري معكم مسالمةٌ ومتاركةٌ إلى حين، فسوف يعلمون عاقبة كفرهم، وهذا تهديدٌ شديدٌ ووعيدٌ أكيدٌ من الله لهم، ووعدٌ ضمنيٌ بنصر الإسلام والمسلمين عليهم(٧٠٣).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة: (فَسَوفَ تَعْلَمُونَ) بتاء الخطاب على رأي أهل التفسير أنَّ الخطاب موجهٌ إلى سيدنا محمدٍ ﷺ، على معنى قل لهم يا محمد: (سَلامٌ فَسَوفَ تَعْلَمُونَ)، قال الطبري: «واختلفت القراء في قراءة قوله: ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾، فقرأ ذلك عامَّةُ قرَّاء المدينة (فَسَوفَ تَعْلَمُونَ) بالتاء على وجه الخطاب بمعنى: أمر الله ﷻ نبيَّه ﷺ أن يقول ذلك للمشركين مع قوله سلامٌ»(٧٠٤).

وفي قراءة (فَسَوفَ تَعلَمُونَ) بالخطاب مبالغةٌ وشدةٌ في التهديد والوعيد لكفار قريشٍ لأنَّ التهديد بالمواجهة أشد تأثيراً وأدلُّ على تناهي الغضب وشدته(٧٠٥).

وأمَّا قراءة ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ بالغيب فإنَّها تفيد الإخبار من الله تعالى لنبيه محمد ﷺ بأنهم سوف يعلمون يوم يلاقون العذاب، عاقبة إجرامهم

(٧٠٣) انظر التفسير المنير ج٢٥ ص١٩٨.

(٧٠٤) جامع البيان م١٠ ج٢٥ ص٦٣، انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع ج٢ ص٢٦٣، مفاتيح الأغاني في القراءات والمعاني ص٣٦٨.

(٧٠٥) انظر نظم الدرر ج٧ ص٦.

وكفرهم، وفي هذه القراءة تهديدٌ ووعيدٌ أيضاً للكافرين، قال الطبري: «وقرأته عامة قراء الكوفة، وبعض قراء مكة ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ بالياء على وجه الخبر وأنه وعيدٌ من الله تعالى للمشركين، فتأويله على هذه القراءة فاصفح عنهم يا محمد وقل سلامٌ، ثم ابتدأ تعالى ذكره الوعيد لهم فقال فسوف يعلمون ما يلقون من البلاء، والنكال، والعذاب على كفرهم»[٧٠٦].

وقال ابن عاشورٍ: «وقرأه الجمهور بياءِ تحتيةٍ على أنه وعدٌ من الله لرسوله ﷺ بأنه منتقمٌ من المكذبين»[٧٠٧].

الجمع بين القراءات:

كلتا القراءتين تفيدان ثبوت التهديد والوعيد لكفّار قريش، إلّا أنَّ قراءة (تعلمون) بالخطاب أشدُّ تهديداً وأبلغ في التهويل من قراءة (يعلمون) بالغيب، لأنَّ العتاب بالمواجهة أشد تأثيراً وأدلُّ على شدة الغضب[٧٠٨].

وبالجمع بين القراءتين يكون المعنى: قل يا محمد لكفار قريشٍ تهديداً لهم إنَّكم سوف تعلمون يوم القيامة عاقبة جرمكم وكفركم عندما تلاقون أشد العذاب كما سيعلم غَيْرُهم من الكفّار والظالمين عاقبة ظلمهم وكفرهم يوم القيامة.

(٧٠٦) جامع البيان م١١ ج٢٥ ص٦٣، انظر الجامع لأحكام القرآن ج٨ ص٤٣٠.

(٧٠٧) التحرير والتنوير م١٢ ج٢٥ ص٢٧٤.

(٧٠٨) انظر حاشية القونوي ج١٧ ص٣٦٢، عند تفسيره للآية (٨٥) من هذه السورة.

المبحث الثالث
عرضٌ وتفسيرٌ لآيات سورة الدخان
المتضمنة للقراءات القرآنية العشر

١ ـ قال تعالى: ﴿رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ۝٧﴾ [الدخان: ٧].

القراءات:

١ ـ قرأ الكوفيون ﴿رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ بخفض الباء.

٢ ـ قرأ الباقون (رَبُّ السَّمَواتِ) برفع الباء(٧٠٩).

المعنى اللغوي للقراءات:

الرَّبُّ: اسم من أسماء الله تعالى، ولا يقال الرَّبُّ في غير الله تعالىإلَّابالإضافة، وقد قالوه في الجاهلية للملك، وتقول: الله رَبُّ كلِّ شيءٍ أي: مالكه ومستحقُه وله الربوبية على جميع الخلق، لا شريك له، وهو ربُّ الأرباب، ومالكُ الملوك.

ويُقال لكلِّ من مَلَك شيئاً، هو ربُّه، فيقال: هو رَبُّ الدَّابة، وربُّ الدَّار، وربُّ البيت.

---

(٧٠٩) انظر النشر في القراءات العشر ج٢ ص٣٧١، تحبير التيسير ص٢٠٥.

والرَّبُّ في اللغة يطلق على المالك، والسَّيِّد، والمُدَبِّر، والمُرَبِّي، والقَيِّم، والمُنْعِم[٧١٠].

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن حقيقة مصدر القرآن الكريم الذي لا ينبغي إلَّا لله العظيم الذي له أجلُّ الصفات وأعظمها وهو مالك هذا الكون كله وهو ربُّ السموات والأرض وما بينهما من الأشياء كلِّها، قال الطبري: «يقول تعالى ذكره: الذي أنزل هذا الكتاب يا محمد عليك وأرسلك إلى هؤلاء المشركين رحمةً من ربك مالك السموات السبع والأرض وما بينهما من الأشياء كلِّها، وقوله: ﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ يقول: إن كنتم توقنون بحقيقة ما أخبرتكم من أنَّ ربَّكم ربُّ السموات والأرض، فإنَّ الذي أخبرتكم أنَّ الله هو الذي هذه الصفات صفاته وأن هذا القرآن تنزيله ومحمداً ﷺ رسولُه حقٌّ يقينٌ فأيقنوا به كما أيقنتم بما توقنون من حقائق الأشياء وغيرِه»[٧١١].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

العلاقة بين القراءتين علاقةٌ نَحْوِيةٌ والمعنى متقاربٌ بينهما، حيث إنَّ كل قراءة كان لها أثرها في الإعراب، فعلى قراءة (رَبُّ) بالرفع يكون إعرابها على أحد ثلاثة أمورٍ:

- إمَّا أن يكون خبراً لمبتدأٍ محذوفٍ، والمعنى: (هُوَ ربُّ السموات والأرض).

- وإمَّا أن يكون مبتدأً وخبره جملة (لا إلهَ إلَّا هُوَ).

- وإمَّا أن يكون بدلاً من (السَّميعُ العَليمُ) والمعنى: (الذي أَنْزَلَ القُرْآنَ هُو السَّمِيعُ العَلِيمُ، وهو ربُّ السموات والأرض).

(٧١٠) انظر لسان العرب ج١ ص٣٩٩، مفردات ألفاظ القرآن ص٣٣٦.

(٧١١) جامع البيان م١١ ج٢٥ ص٦٦.

وأمَّا على قراءة (ربِّ) بالكسر يكون إعرابها على أحد أمرين:

- إمَّا بدلاً من (ربِّكَ) والمعنى: (رحمةً من ربِّ السموات والأرض)[٧١٢].

- وإمَّا نعتاً من (ربِّكَ) أيضاً والمعنى: (رحمةً من ربك، ربِّ السموات والأرض)[٧١٣].

قال مكي ابن أبي طالب: «قوله: ﴿رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ قرأه الكوفيون بخفض (رَبِّ) على البدل من (رَبِّكَ) المتقدم، وقرأ الباقون بالرفع على الابتداء، قطعوه ممَّا قبله، وخبره الجملة التي بعده، قوله: (لا إله إلا هو)، ويجوز رفعه على إضمار مبتدإٍ، أي: هو ربُّ السموات»[٧١٤].

٢ - قال تعالى: ﴿يَوۡمَ نَبۡطِشُ ٱلۡبَطۡشَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الدخان: ١٦].

القراءات:

١ - قرأ أبو جعفر (يومَ نَبْطُشُ) بضم الطاء.

٢ - قرأ الباقون ﴿نَبۡطِشُ﴾ بكسر الطاء[٧١٥].

المعنى اللغوي للقراءات:

البَطْشُ: أخذُ الشيء بقوةٍ وعنفٍ[٧١٦]، «ويقال: بَطَشَ به بَطْشاً: أخذه بالعنف، وفي التنزيل ﴿وَإِذَا بَطَشۡتُم بَطَشۡتُمۡ جَبَّارِينَ﴾ [الشعراء: ١٣٠]، ويُقال:

(٧١٢) انظر فتح القدير ج٤ ص٧٩٩، التحرير والتنوير م١٢ ج٢٥ ص٢٨٣، مجمع البيان م٥ ج٢٥ ص١٠٦.

(٧١٣) انظر فتح القدير ج٤ ص٧٩٩.

(٧١٤) الكشف عن وجوه القراءات السبع ج٢ ص٢٦٤.

(٧١٥) المبسوط ص٢٤٦، انظر البدور الزاهرة ص٤٠٤.

(٧١٦) انظر القاموس المحيط ص٥٢٦.

بَطَشَتْ به الدنيا، وبالشيء: أمسكه بقوةٍ»[٧١٧].

التفسيـر:

تتحدث الآية الكريمة عن توعد الله تعالى للمشركين بأن يأخذهم أخذاً عنيفاً وقاسياً، وينتقم منهم انتقاماً شديداً بسبب عنادهم وإصرارهم على كفرهم وتكذيبهم نبيَّه ﷺ، واختلف علماء التفسير في المراد بيوم البطشة على قولين:

الأول: أنَّه يوم القيامة وهو قول ابن عباسٍ والحسن.

والثاني: أنَّه يوم بدرٍ، وهو قول ابن مسعود وأبي بن كعبٍ[٧١٨].

قال الزحيلي: «﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ١٦﴾ أي: إنَّكم مؤجلون إلى عذابٍ شديدٍ هو عذاب النَّار في يوم القيامة، ذلك اليوم الذي يكون فيه البأس الأكبر، والأخذ الأشد، وفيه ننتقم أشدَّ الانتقام، أي: نعاقب هؤلاء الكفار، وقيل كما رُوِيَ عن ابن مسعودٍ: إنه يوم بدر لمَّا عادوا إلى التكذيب والكفر بعد رفع العذاب عنهم، انتقم الله منهم بوقعة بدرٍ، قال ابن مسعود: البطشة الكبرى يوم بدرٍ»[٧١٩].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

ذهب بعض علماء التفسير إلى أنَّ العلاقة بين القراءتين لُغَويةٌ، ومعناهما واحدٌ، قال الشوكاني: «قرأ الجمهور (نَبْطِشُ) بفتح النون وكسر الطاء: أي نَبطِش بهم، وقرأ الحسن، وأبو جعفر بضم الطاء وهي لغةٌ»[٧٢٠]، وقال أبو السعود: «وقُرِئ (نَبطُشُ) بضم الطاء وهي لغةٌ»[٧٢١].

(٧١٧) المعجم الوسيط ص٨١.
(٧١٨) انظر زاد المسير ص١٢٨٩.
(٧١٩) التفسير المنير ج٢٥ ص٢١٤.
(٧٢٠) فتح القدير ج٤ ص٨٠١.
(٧٢١) تفسير أبي السعود ج٥ ص١٠٢.

وقال د. محمد محيسن: «(نَبْطُشُ) قرأ أبو جعفر بضم الطاء، والباقون بكسرها، وهما لغتان بمعنىً واحدٍ»[722].

ويمكن أنْ يُحمل معنى كل قراءةٍ على الحركة غير الإعرابية في كل قراءةٍ من القراءتين المذكورتين «حيث إنَّ النطق بالضم أثقل ويحتاج إلى جهدٍ عضليٍّ أكثر من الكسر»[723]، ممَّا يجعل لذلك أثراً في المعنى، وعلى ذلك فإنَّ قراءة (نَبْطُشُ) بالضم تدل على ثقل حالة البطش الحاصلة للكفار فهي أثقل وأشقُّ وأعظم أنواع البَطْشِ عليهم من حالة البَطْشِ الناتجة عن قراءة (نبْطِشُ) بالكسر فالبطش في هذه القراءة يكون شديداً ولكنَّه أخفُّ ممَّا عليه حالة البطش في القراءة السابقة.

وعلى ذلك يمكن حمل المعنيين اللَّذَين ذكرهما كلٌّ من ابن عباسٍ، وابن مسعودٍ على القراءتين السابقتين، فيمكن حمل المعنى الذي ذكره ابن مسعودٍ وهو أنَّ المقصود بيوم البطش: هو يوم بدرٍ، على قراءة (نَبْطِشُ) بالكسر، لأنَّه مَهْمَا بلغت شدة البَطْشِ في الدنيا لا تبلغ درجة البَطْشِ في الآخرة يوم القيامة، ويمكن حمل المعنى الذي ذكره ابن عباسٍ، وهو أنَّ المقصود بيوم البَطْشِ: هو يوم القيامة على قراءة (نَبْطُشُ) بالضَّم، لأن أعظم أنواع البَطْشِ وأشدَّه لا يتحقق إلا في الآخرة، والله تعالى أعلم.

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين يكون المعنى على ما ذكر سابقاً، أنَّ الله تعالى توَّعَدَ كفار مكَّة بأخذٍ شديدٍ وانتقام عسيرٍ في الدنيا، وقد وقع لهم ذلك بقتل صناديدهم في معركة بدرٍ، وسينتقم منهم بأشدَّ من ذلك الانتقام وأعظمه في الآخرة يوم يلاقون أشدَّ العذاب في النَّار، فالانتقام والبطش بهم واقعٌ لهم في الدنيا والآخرة، والله تعالى أعلم.

(٧٢٢) المستنير في تخريج القراءات المتواترة ج٣ ص٧٤.

(٧٢٣) بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ص١٠٣ بتصرف قليل.

٣ ـ قال تعالى: ﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الدخان: ٢٣].

القراءات:

١ ـ قرأ نافعٌ، وابن كثيرٍ، وأبو جعفر (فاسْرِ) بهمزة وصلٍ.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿فَأَسْرِ﴾ بهمزة قطع[٧٢٤].

المعنى اللغوي للقراءات:

«السُّرَى: سَيْر الليل، يقال: سُرَى وَأَسْرَى.

والسُّرَى: سَيْر الليل عامَّته، وقيل: السُّرَى سيُر الليل كله، وسَرَيْتَ سُرىً ومَسْرىً، وأَسْرَيتُ بمعنى إذا سِرْتُ ليلاً، وبالألف لغة أهل الحجار، وجاء القرآن بهما جميعاً، ويقال: قد سَرَى به، وأسرى، وسَرَيتُ باللَّيل، وأَسْرَيتُ، إذا سرتُ ليلاً»[٧٢٥]، ومعنى سرى أي: مضى، وفي التنزيل: ﴿وَالَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴿٤﴾﴾ [الفجر: ٤] أي: يمضي[٧٢٦].

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن أمر الله تعالى لموسى عليه السلام استجابةً لطلبه بعد أن اشتدَّ الحال بمن آمن مع موسى عليه السلام من بني إسرائيل، وتآمر فرعونُ وقومُه على قتله، بأن يأخذ من آمَن معه ويسير بهم ليلاً حتى لا يدركه فرعون وقومُه، إذا ما علموا بخروجه لأنهم سيتبعونه بحثاً عنهم.

قال القرطبي: «قوله تعالى: ﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا﴾ أي: فأجبنا دعاءه وأوحينا إليه أن أَسْرِ بعبادي بمن آمن بالله من بني إسرائيل (ليلاً) أي: قبل الصباح»[٧٢٧] ﴿إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾ قال ابن عاشورٍ: «تفيد تعليلاً للآخر

(٧٢٤) انظر إتحاف فضلاء البشر ص٤٩٩، الشامل في القراءات المتواترة ص٢٥٣.

(٧٢٥) مفردات ألفاظ القرآن ص٤٠٨.

(٧٢٦) انظر لسان العرب ج١٤ ص٣٨٢.

(٧٢٧) الجامع لأحكام القرآن ج٨ ص٤٤٠.

بالإسراء ليلاً لأنه مما يستغرب، أي: إنَّكم مُتَّبعون، فأردنا أن تقطعوا مسافةً يتعذر على فرعون لحاقكم»(٧٢٨).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

ذهب بعض علماء التفسير إلى أنَّ العلاقة بين القراءتين هي من قبيل اللُّغات والمعنى واحدٌ، قال الرازي: «قرأ ابن كثيرٍ، ونافعٌ ﴿فَأَسْرِ﴾ موصولة الألف والباقون مقطوعة الألف، سَرَى وأَسْرَى لغتان»(٧٢٩).

وقال السمرقندي: «قرأ ابن كثيرٍ، ونافعٌ، (فاسْرِ) بجزم الألف، وقرأ الباقون: ﴿فَأَسْرِ﴾ ومعناهما واحدٌ يُقَال: سَرَيْت، وَأَسْرَيْت: إذا سِرْت بالليل»(٧٣٠).

إلَّا أنَّ بعض العلماء ذهبوا إلى أنَّ القراءتين بينهما اختلافٌ في المعنى، فقيل إنَّ: أسْرَى لأول اللَّيل، وسَرَى لآخره، قال ابن عادل: القراءتان مأخوذتان من لُغَتَي هذا الفعل فإنَّه يقال: سَرَى، ومنه ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ ۝٤﴾ [الفجر: ٤]، وأسْرَى، ومنه: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ﴾ [الإسراء: ١]، وهل هما بمعنىً واحدٍ أو بينهما فرقٌ؟ خلافٌ، فقيل: هما بمعنىً واحدٍ، وقيل: أسْرَى لأول الليل، وسرى آخره(٧٣١).

ويؤيد ذلك ابن عطية بقوله: «قرأ نافعٌ وابن كثيرٍ (فاسْرِ) من سَرَى إذا سار في أثناء الليل، وقرأ الباقون ﴿فَأَسْرِ﴾ إذا سار في أول الليل»(٧٣٢). وبنحوه قال القرطبي(٧٣٣).

---

(٧٢٨) التحرير والتنوير م١٢ ج٢٥ ص٢٩٩.

(٧٢٩) التفسير الكبير م١٤ ج٢٧ ص٢٤٧، انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع ج١ ص٥٣٥ عند تفسيره للآية (٨١) من سورة هود.

(٧٣٠) بحر العلوم ج٢ ص١٣٧، انظر تفسير البغوي ج٢ ص٣٣٤. عند تفسيرهما للآية (٨١) من سورة هود.

(٧٣١) انظر اللباب ج١٠ ص٥٣٧، عند تفسيره للآية (٨١) من سورة هود.

(٧٣٢) المحرر الوجيز ج٣ ص١٩٨، عند تفسيره للآية (٨١) من سورة هود.

(٧٣٣) انظر الجامع لأحكام القرآن ج٥ ص٧٤، عند تفسيره للآية (٨١) من سورة هود.

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين يتبيَّن أنَّ الله تعالى أمر موسى عليه السلام أن يسري بمن آمن معه من بني إسرائيل من أول الليل حتى يجاوز البلد الخارج منها وهي مصر ويكون قد وقع له النجاة والخروج آخر الليل بالسحر وعلى ذلك جاءت القراءتان لتوضِّحا بداية السري ونهايته مع النجاة ـ والله أعلم.

٤ ـ قال تعالى: ﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَـٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [الدخان: ٢٥ ـ ٢٧].

القراءات:

١ ـ قرأ أبو جعفرٍ (فَكِهِين) بحذف الألف بعد الفاء.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿فَـٰكِهِينَ﴾ بإثبات الألف بعد الفاء[٧٣٤].

المعنى اللغوي للقراءات:

«الفاكهة: قيل: هي الثمار كلها، وقيل: بل هي الثمار ما عدا العنب والرُّمان»[٧٣٥].

وأمَّا الفاكه: فقال ابن منظور: إنَّه الذي كثرت فاكهته، والفَكِه: الذي ينال من أعراض النَّاس، والفَكِه: الأشِر البَطِر، والفاكهة من التفكه، وقرئ: (وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَكِهِين)، أي: أشرين، وفاكهين أي: ناعمين، وأهل التفسير يختارون ما كان في وصف أهل الجنة فاكهين، وما كان في وصف أهل النار فكهين أي: أشرين على الحال[٧٣٦].

(٧٣٤) انظر إتحاف فضلاء البشر ص٤٩٩، البدور الزاهرة ص٤٠٥.

(٧٣٥) مفردات ألفاظ القرآن ص٦٤٣.

(٧٣٦) انظر لسان العرب ج١٣ ص٥٢٣.

التفسيـر:

تتحدث الآية الكريمة عن تعداد النعم الكثيرة التي كان يتمتع بها فرعون وقومُه في حياتهم، كانوا فيها لاعبين لاهين ومسرورين، كانوا أصحاب فاكهةٍ متنوعةٍ متعددةٍ، ولكنَّهم كانوا بطِرين مستَخِفِّين لا يؤدون حقَّ الله تعالى في هذه النعم بالشكر والعبادة، فتركوها خلفهم بعد أن أهلكهم الله تعالى بالغرق، فلم تغن عنهم من الله شيئاً.

قال د. محمد حجازي: «يا ويلهم كم تركوا بمصر من جناتٍ وعيونٍ وزروعٍ ومقام كريم، وقصورٍ ومجالس للسمر والمتعة، وكم تركوا من نعمةٍ كانوا فيها أصحابَ فاكهةٍ، وكانوا أشرين بطِرين مستَخِفِّين مستهزئين لا يقومون بالشكر لصاحب تلك النعمة»(٧٣٧).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة ﴿فَٰكِهِينَ﴾ بالألف بعد الياء أنَّ فرعون وقومه كانوا أصحاب فاكهة متنوعةٍ ومتعددةٍ وكانوا متنعِّمين طيبي الأنفس.

وأمَّا قراءة (فكِهين) فقد أفادت أنَّهم كانوا يعيشون في نعمٍ كثيرةٍ ولكنهم كانوا أشرين بطرين لهذه النعم مستخِفِّين بشكرها.

قال ابن عادلٍ: «قوله: ﴿فَٰكِهِينَ﴾ العامَّة على الألف، أي: طيبي الأنفُس، أو أصحاب فاكهةٍ كَلابِن، وتَامِر، وقيل: (فَكِهين): لاهين.

وقرأ الحسن، وأبو رجاء: (فَكِهين)، أي: مستخفين مستهزئين بنعمة الله»(٧٣٨).

وقال الشوكاني: «قرأ الجمهور ﴿فَٰكِهِينَ﴾ بالألف، وقرأ أبو جعفرٍ (فكِهين) بغير ألفٍ، والمعنى على القراءة الأولى: متنعِّمين طيبةً أنفسهم،

(٧٣٧) التفسير الواضح ج٣ ص٦٥.

(٧٣٨) اللباب ج١٧ ص٣٢٢، انظر البحر المحيط ج٨ ص٣٦.

وعلى القراءة الثانية: أشرين بطرين»[٧٣٩].

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين يتضح حال قوم فرعون قبل الإغراق، فقد كانوا ينعمون بأطيب أنواع الفاكهة والثمار وكان لهم الأنهار المتدفقة، والآبار المترعة بالماء وكان لهم المال والخير الوفير، وكانوا ينعمون بعيشةٍ هنيةٍ ويستمتعون بأنواع اللّذة، ومع كل ذلك فقد كانوا بطرين، مستهزئين ومستخفين بشكر النعمة التي كانوا فيها، والله تعالى أعلم.

٥ ـ قال تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ۝٤٣ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ۝٤٤ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِي فِي ٱلْبُطُونِ ۝٤٥﴾ [الدخان: ٤٣ ـ ٤٥].

القراءات:

١ ـ قرأ ابن كثيرٍ، وحفصٌ، وورشٌ ﴿يَغْلِي﴾ بالياء على التذكير.

٢ ـ قرأ الباقون (تَغْلِي) بالتاء على التأنيث[٧٤٠].

المعنى اللغوي للقراءات:

الغُلُوُّ: تجاوز الحد، يقال ذلك إذا كان في السعر غلاءٌ، وإذا كان في القَدرِ، والمنزِلَة عُلُوٌّ، ويقال: غلا في القول والأمر والدين، أي: جاوز الحد، ومنه الغلي والغليان يقال: في القِدْرِ إذا طفحت، ومنه قوله تعالى: ﴿طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ۝٤٤ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِي فِي ٱلْبُطُونِ ۝٤٥ كَغَلْيِ ٱلْحَمِيمِ ۝٤٦﴾ الدخان [٤٤ ـ ٤٦][٧٤١]. وأغلى الماء: جعله يغلي، ويقال: أغلى القِدْرَ، وغَلَتِ القِدْرُ، أي: فارت، وطفحت بقوة الحرارة[٧٤٢].

(٧٣٩) فتح القدير ج٤ ص٨٠٥ بتصرفٍ يسير، انظر الجامع لأحكام القرآن ج٨ ص٤٤٣.

(٧٤٠) انظر النشر في القراءات العشر ج٢ ص٣٧١، تحبير التيسير ص ٢٠٥.

(٧٤١) انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٦١٣.

(٧٤٢) انظر المعجم الوسيط ص٦٩٣.

التفسيـر:

تتحدث الآية الكريمة عن وعيد الله تعالى للكفار الجاحدين لقاءه المكذِّبين نبيَّهم، وما أنزل الله تعالى، فبعد أن أقام ربُّ العزة ﷻ الدليل على حقيقة البعث والقيامة في آيات سابقة أعقبه بذكر ما يتعرض له هذا الكافر الجاحد يوم القيامة من عذاب شديدٍ، وإذلالٍ مُهينٍ في نار جهنم على أيدي ملائكة العذاب.

قال الزحيلي: «وبعد إقامة الدليل على أنَّ القيامة حقٌّ، ووصف ذلك اليوم، أردفه تعالى بوعيد الفُجَّار الكفَّار الجاحدين لقاءه قائلاً: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ۝٤٣ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ﴾ أي: إنَّ الشجرة التي خلقها الله في جهنَّم وهي الشجرة الملعونة، يكون ثمرها طعام أهل النَّار الكثيري الإثم، قولاً وفعلاً، فإذا جاءوا أكلوا منها ويدخل معهم أبو جهل، و﴿ٱلْأَثِيمِ﴾: مبالغة الإثم، ﴿كَٱلْمُهْلِ يَغْلِي فِى ٱلْبُطُونِ ۝٤٥ كَغَلْيِ ٱلْحَمِيمِ﴾، أي: وذلك الطعام يشبه دردي الزيت، وعكر القطران، والنُّحاس المذاب، يغلي في بطون الكفار كغلي الماء الشديد الحرارة، لحرارته ورداءته، شبَّه ما يصير في البطون منها بالمهل: وهو النُّحاس المذاب»(٧٤٣).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة ﴿يَغْلِى﴾ بياء التذكير أنَّ الفعل (يغلي) يعود على الطعام أي: أنَّ الطعام يغلي فهو الفاعل، وأما قراءة (تغلي) بتاء التأنيث فقد أفادت أنَّ الفعل (تغلي) يعود على الشجرة أي: أنَّ الشجرة تغلي فهي الفاعل، قال الطبرسي: «من قرأ (تغلي) بالتاء فعلي الشجرة كأنَّ الشجرة تغلي، ومن قرأ بالياء حمله على الطعام وهو الشجرة في المعنى»(٧٤٤).

قال مكي بن أبي طالب: «والمعنى في القراءتين واحدٌ، لأنَّ (الشجرة)

(٧٤٣) التفسير المنير ج٢٥ ص٢٣٦.

(٧٤٤) مجمع البيان م٥ ج٢٥ ص١١٧، انظر الجامع لأحكام القرآن ج٨ ص٤٥١، نظم الدرر ج٧ ص٨١.

هي (الطعام) فالطعام هو الشجرة، ولا يجوز حمل التذكير في (يغلي) على (المهل) لأنَّ (المهل) إنما ذكر للتشبيه، فليس هو الذي يغلي»(٧٤٥).

٦ ـ قال تعالى: ﴿خُذُوهُ فَٱعۡتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلۡجَحِيمِ ۝٤٧﴾ [الدخان: ٤٧].

القراءات:

١ ـ قرأ نافعٌ، وابن كثيرٍ، وابن عامرٍ، ويعقوب (فَاعْتُلُوهُ) بضم التاء.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿فَٱعۡتِلُوهُ﴾ بكسر التاء(٧٤٦).

المعنى اللغوي للقراءات:

«العَتْلُ: الأخذ بمجامع الشيء وجرُّه بقهرٍ، كعَتَل البعير»(٧٤٧).

وقال ابن منظور: العُتُلُّ هو: الشديد الجافي، والفظ الغليظ من الناس، وقيل: هو الجافي الغليظ، وقيل هو الشديد من الرِّجال والدَّواب، ويقال: عَتلَه يَعْتِله، ويَعْتُله عَتْلاً، فانْعَتَل، أي: جَرَّه جَرّاً عنيفاً، وجذبه فحمله، وفي التنزيل: ﴿خُذُوهُ فَٱعۡتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [الدخان: ٤٧]. قرأ عاصمٌ، وحمزة، والكسائي، وأبو عمروٍ فاعْتِلوُه، بكسر التاء، وابن كثيرٍ، ونافعٌ، وابن عامرٍ، ويعقوب فاعْتُلوهُ، بضم التاء، قال الأزهري: وهما لغتان فصيحتان، والمعنى: خُذُوه فاقصِفوه كما يُقصَفُ الحطب، والعَتْل: الدفع والإرهاق بالسَّوق العنيف(٧٤٨).

التفسير:

في سياق الحديث عن وعيد الله تعالى للكافرين الجاحدين، وما

(٧٤٥) الكشف عن وجوه القراءات السبع ج٢ ص٢٦٤ انظر الحجة للقراء السبعة ج٣ ص٣٨٧.

(٧٤٦) انظر النشر في القراءات العشر ج٢ ص٣٧١، تحبير التيسير ص٢٠٥.

(٧٤٧) مفردات ألفاظ القرآن ص٥٤٦.

(٧٤٨) انظر لسان العرب ج١١ ص٤٢٣.

يتعرضون له من عذابٍ شديدٍ مُذِلٍّ ومُهينٍ يوم القيامة، تأتي هذه الآية الكريمة لتكشف عن مشهدٍ آخر من مشاهد العذاب، والإذلال يتعرض له هؤلاء الكفار المجرمون على أيدي ملائكة العذاب فيقول تعالى: ﴿خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾﴾ والمعنى: أي: «يقال لزبانية جهنَّم: خذوه فجرُّوه جرّاً بعنفٍ وشدةٍ، خذوه فجُرُّوه إلى وسط جهنم، ثم صُبُّوا فوق رأسِه عذاباً وهو الحميم»[749] قال الطبرسي: «قال مقاتلٌ إنَّ خازن النَّار يمُر به على رأسه فيذهب رأسه عن دماغه ثم يُصَبُّ فيه ﴿مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ﴾ وهو الماء الذي قد انتهى حرُّه»[750].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

ذهب بعض المفسرين إلى أنَّ العلاقة بين القراءتين لغويةٌ ومعناهما واحدٌ، قال مكي بن أبي طالب: «قوله (فاعْتُلوه) قرأه الحرميان، وابن عامرٍ، بضم التاء، وقرأ الباقون بالكسر، وهما لغتان (عَتَلَ يَعتُل، ويَعتِلُ) مثل (عَكَفَ يَعْكُفُ، وَيَعْكِف، وحَشَر، يَحشُر، ويَحشِرُ) ومعناه: فرُدُّوه بعنف»[751].

وقال السمرقندي: «قرأ نافعٌ، وابن كثيرٍ، وابن عامرٍ، (فاعتُلوه) بضم التاء، والباقون بكسرها، وهما لغتان، معناهما واحدٌ، يعني: امضوا به بالعنف والشِّدة»[752].

إلَّا أنَّ قراءة الضمِّ لها دلالة المبالغة والشدة في جرِّ الكفَّار إلى العذاب وتعنيفهم أكثر منه في قراءة الكسر، لأنَّ الضمَّ أقوى الحركات مما يدل على ثقل حالة الفعل الحاصل للكفَّار من جرٍّ إلى نار جهنَّم، وقراءة

(٧٤٩) التفسير الواضح ج٣ ص٦٩.
(٧٥٠) مجمع البيان م٥ ج٢٥ ص١١٨.
(٧٥١) الكشف عن وجوه القراءات السبع ج٢ ص٢٦٤، انظر معاني القراءات ج٢ ص٣٧٢.
(٧٥٢) بحر العلوم ج٣ ص٢٢٠.

الكسر تدل أيضا على شدة جرِّ الكفار وتعنيفهم إلَّا أنَّ قراءة الضم أشدُّ وأبلغ وأعنف.

قال البقاعي: «(فاعتُلوه) أي: جرُّوه بقهرٍ وعنفٍ وسرعةٍ إلى العذاب، والإهانة بحيث يكون كأنَّه محمولٌ، وقال الرازي في اللَّوامع: والعتل أن يأخذ بمجامع ثوبه عند صدره يجرُّه، وقراءة الضمِّ أدلُّ على تناهي الغلظة، والشدة من قراءة الكسر»(٧٥٣).

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين يتضح لنا أنَّ الكفار والمكذبين يُجَرُّون جميعهم إلى نار جهنم بعنفٍ وشدةٍ وإذلالٍ، إلَّا أنَّ درجة العنف والشدة في تعامل الملائكة للكفار تتفاوت بما يتناسب ودرجة كفرهم وتكذيبهم وعداوتهم للمسلمين، فهي مع أرباب الكفر وزعمائه أشدُّ وأعنف وأبلغ من عامَّة المكذبين والكافرين، فكلَّما زادت درجة الكفر والتكذيب والعداء كلَّما اشتد الإذلال والقهر والإهانة لهم، والله تعالى أعلم.

٧ ـ قال تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾﴾ [الدخان: ٤٩].

القراءات:

١ ـ قرأ الكسائي (ذُقْ أَنَّكَ) بفتح الهمزة.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿ذُقْ إِنَّكَ﴾ بكسر الهمزة(٧٥٤).

المعنى اللغوي للقراءات:

إنَّ وأنَّ: معناهما التوكيد فتقول: إنَّ زيداً قائمٌ، كأنَّك قلتَ: زيدٌ قائم زيدٌ قائم(٧٥٥).

---

(٧٥٣) نظم الدرر ج٧ ص٨٢.

(٧٥٤) انظر النشر في القراءات العشر ج٢ ص٣٧١، المبسوط في القراءات العشر ص٢٤٧.

(٧٥٥) انظر توجيه اللُّمع ص١٤٩.

وأما عن الفرق بينهما فيقول ابن الخبَّاز: «وأما فرقه بين إنَّ وأنَّ: فاعلم أنهما يتفقان عملاً وتركيباً ومعنىً، ويختلفان صيغةً وموضعاً، أما اتفاقهما في العمل: فإنَّهما ينصُبان الاسم ويرفعان الخبر، وأما اتفاقهما في التركيب: فلأن كلَّ واحدةٍ منهما من همزةٍ ونونين، وأمَّا اتفاقهما في المعنى: فلأنَّهما يؤكدان الجملة، وأما اختلافهما في الصيغة فلأنَّ أول إحداهما مكسورٌ، وأول الأخرى مفتوحٌ، وذلك للفرق. وإنَّما خصُّوا بالفتح المصدرية: لأنَّها واسمها وخبرها في موضع اسم مفردٍ، وأمَّا اختلافهما في الموضع: فلأنَّ إنَّ المكسورة وما بعدها في موضِع الجملة، وأنَّ المفتوحة وما بعدها في موضع المفرد»[٧٥٦].

التفسير:

بعد أنْ عرض الله تعالى في آياتٍ سابقةٍ لمشاهد العذاب الذي يتعرض له الكافر في عذاب جهنم يوم القيامة تأتي هذه الآية لتستكمل مشهداً آخر من الإذلال والقهر، فيقال: له على سبيل السخرية والاستهزاء والإهانة: ذُق هذا العذاب فإنَّك أنت العزيز الكريم.

قال الطبرسي: «وذلك أنَّه كان يقول: أنا أعزُّ أهل الوادي وأكرمهم، فيقول له المَلَك: ذق العذاب أيها المتعزز المتكرِّم في زعمك، وفيما كنت تقول، وقيل إنَّه على معنى النقيض، فكأنَّه قيل: إنَّك أنت الذليل المهين، إلَّا أنَّه قيل على هذا الوجه للاستخفاف به، وقيل: معناه إنَّك أنت العزيز في قومك الكريم عليهم فما أغنى ذلك عنك»[٧٥٧].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

على قراءة (أَنَّك) بالفتح يكون المعنى: «ذق لأنَّك أنت العزيز الكريم

(٧٥٦) توجيه اللُّمع ص١٥٢ ـ ١٥٣.

(٧٥٧) مجمع البيان م٥ ج٢٥ ص١١٨.

عند نفسك في دعواك، فأما عندنا فلست عزيزاً ولا كريماً»(٧٥٨)، وذلك على تقدير لام التعليل(٧٥٩)، وقيل: هو على معنى الاستخفاف والتوبيخ والتهكم(٧٦٠).

وأمَّا على قراءة (إِنَّكَ) بالكسر تكون (إِنَّك) ابتدائيةً على جهة الإخبار حكايةً عن هذا الكافر لما كان يقوله في الدنيا وقيل إنَّ المقصود بذلك هو أبو جهلٍ حيث كان يقول: (ما بالوادي أعزُّ منِّي ولا أكرم) فنزلت هذه الآية(٧٦١)، «والمعنى: إِنَّك أنت العزيز الكريم في زعمك وفيما كنت تقوله في الدنيا، فجرى الخبر على ما كان يقول هو في الدنيا، ويصف نفسه به، أو على ما كان يوصف به في الدنيا»(٧٦٢).

الجمع بين القراءات:

القراءتان تتحدان في المعنى بحيث إنَّ الملائكة تقول لهذا الكافر (أبو جهل)، على رأي أهل التفسير الذي كان يعتبر نفسه أعزَّ النَّاس وأكرمهم ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾ على زعمك كما كنت تدعي وتصف نفسك به في الدنيا عند قومك لذلك ذق مزيداً من العذاب، وهذا الكلام على سبيل التهكم والاستهزاء والتوبيخ والاستحقار.

٨ ـ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾﴾ [الدخان: ٥١].

القراءات:

١ ـ قرأ المدنيان، وابن عامرٍ (مُقَام) بضم الميم الأولى.

---

(٧٥٨) حجة القراءات ص٦٥٧، انظر تفسير البغوي ج٤ ص١٣٩.

(٧٥٩) انظر المستنير في تخريج القراءات المتواترة ج٣ ص٧٦، غيث النفع في القراءات السبع ٤٧٨.

(٧٦٠) انظر الجامع لأحكام القرآن ج٨ ص٤٥٣، معاني القراءات ج٢ ص٣٧٢.

(٧٦١) انظر أسباب النزول للواحدي ص٢٨٢، لباب النقول للسيوطي ص٣٨٨.

(٧٦٢) الكشف عن وجوه القراءات السبع ج٢ ص٢٦٥.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿مَقَامٍ﴾ بفتح الميم الأولى[٧٦٣].

المعنى اللغوي للقراءات:

القيام: نقيض الجلوس، وهو بمعنى: الوقوف والثبات، فيقال: قاموا، أي: بمعنى وقفوا وثبتوا في مكانهم غير متقدمين ولا متأخرين[٧٦٤].

والمَقام: موضع القدمين، والمُقام والمُقامة: الموضع الذي تقيم فيه، والمُقامَة الإقامة، والمَقامةَ بالفتح: المجلس والجماعة من الناس، وقد يكون كلٌ منهما بمعنى الإقامة وقد يكون بمعنى موضع القيام، وقوله تعالى: ﴿لَا مُقَامَ لَكُمْ﴾ [الأحزاب: ١] أي: لا موضع لكم، وقُرِىءَ (لا مُقام لكم) بالضم: أي: لا إقامة لكم[٧٦٥].

التفسير:

بعد أن ذكر الله تعالى أحوال أهل النَّار، ووعيده للكافرين الجاحدين، وما يرونه من أهوال ذلك اليوم، أعقب ذلك بذكر أحوال أهل الجنة، ووعده ﷻ للمتقين بما يلاقونه في جنَّات النَّعيم من أنواع التكريم في الملبس والزوجات والمآكل، يتمتعون فيها بحياةٍ طيبةٍ رغيدةٍ، ويعيشون في منزلٍ كريم يليق بهم، يكونون فيه آمنين من كل شر، فقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾﴾ أي: «إنّ المتقين الله في الدنيا الخائفين عقابه، المنتظرين فضله وثوابه، يكونون في الآخرة في مجالس يأمنون فيها من الموت ومن كلِّ ما يحزنهم، ويصيبهم من الآفات والآلام»[٧٦٦].

---

(٧٦٣) انظر النشر في القراءات العشر ج٢ ص٣٧١، تحبير التيسير ص٢٠٥.

(٧٦٤) انظر لسان العرب ج١٢ ص٤٩٦.

(٧٦٥) المصدر السابق ج١٢ ص٤٩٨.

(٧٦٦) تفسير المراغي ج٩ ص١٣٧.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (في مُقام) بالضمِّ أنَّ المقصود هو الإقامة، وأما قراءة (في مَقام) أفادت أن المقصود هو مكان القيام ويتناول المسكن وما يتبعه[٧٦٧]، وهذه القراءة أعمُّ من حيث المعنى حيث إنها شملت الإقامة ومكان القيام وهو المجلس والمشهد معاً[٧٦٨]، والعلاقة بينهما تكون من قبيل علاقة الخصوص بالعموم، فلا تكون الإقامة أمينةً إلَّا إذا كان المكان أميناً، وإذا كان المكان أميناً كانت الإقامة أمينةً.

ويحتمل أنَّه يراد بكلتا القراءتين المكان على المعنى اللغوي للقراءتين واستعمالاتهما وعلى هذا يكون معنى القراءتين واحداً[٧٦٩].

قال الطبرسي: «من فتح الميم أراد به المجلس والمشهد، كما قال: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ ووصفه بالأمن يقوي أنَّ المراد به المكان، ومن ضمَّ فإنَّه يحتمل أن يريد به المكان من أقام فيكون على هذا معنى القراءتين واحداً، ويجوز أن يجعله مصدراً ويقدر المضاف محذوفاً أي: موضع إقامة»[٧٧٠].

(٧٦٧) انظر التحرير والتنوير م١٢ ج٢٥ ص٣١٧.
(٧٦٨) انظر الحجة للقراء السبعة ج٣ ص٣٨٨.
(٧٦٩) انظر المصدر السابق ج٣ ص٣٨٨، روح المعاني ج٢٥ ص١٣٤.
(٧٧٠) مجمع البيان م٥ ج٢٥ ص١١٩.

الفصل الثالث
تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر
من خلال سور الجاثية ـ الأحقاف ـ محمد

المبحث الأول: عرضٌ وتفسيرٌ لآيات سورة الجاثية المتضمنة للقراءات العشر.

المبحث الثاني: عرضٌ وتفسيرٌ لآيات سورة الأحقاف المتضمنة للقراءات العشر.

البحث الثالث: عرضٌ وتفسيرٌ لآيات سورة محمد المتضمنة للقراءات العشر.

المبحث الأول
عرض وتفسير لآيات سورة الجاثية
المتضمنة للقراءات القرآنية العشر

١ ـ قال تعالى: ﴿وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ④﴾ [الجاثية: ٤].

القراءات:

١ ـ قرأ حمزة، والكسائي، ويعقوب (آياتٍ لقومٍ) بكسر التاء.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ﴾ بضم التاء[٧٧١]. في الآيتين (٤) و(٥) من هذه السورة.

المعنى اللغوي للقراءات:

الآية في اللّغة تطلق على عدة معانٍ منها:

١ ـ العلامة أو الدلالة أو الأمارة يقال: سُمِّيَت الآية، من القرآن آيةً لأنّها علامة لانقطاع كلامٍ من كلامٍ.

٢ ـ الجماعة: يقال: خرج القوم بآيتهم أي: بجماعتهم. ويُقال: سمِّيت الآيةُ آيةً لأنّها جماعةٌ من حروف القرآن.

(٧٧١) انظر النشر في القراءات العشر ج٢ ص٣٧١، تحبير التيسير ص٢٠٥.

٣ ـ المعجزة: قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً﴾ [المؤمنون: ٥٠] أي: معجزةً.

٤ ـ العبرة: قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ۝٧﴾ [يوسف: ٧] أي: أمور وعبرٌ مختلفة.

وجمع الآية: آيٌ، وآياتٌ، والفعل تأيًا، أي: توقف وتمكّث، تقديره تعيٌ، ويقال: قد تأيَّيت على وزن تَفَعَّلت أي: تلبَّثت وتحَبَّسْتَ(٧٧٢).

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن دلائل قاطعةٍ على وجود الله ﷻ ووحدانيته، وعظيم قدرته، وكمال قيومته، وتنزيهه عن كل نقصٍ لا يليق بجلاله وعظيم سلطانه، فبعد أن ذكر في الآية السابقة دلائل واضحات من الكون في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٣﴾ [الجاثية: ٣] أتبعها بذكر دليلٍ آخر من الأنفس فقال: ﴿وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝٤﴾ «أي: إنَّ في خلقكم دون وجودٍ سابقٍ، ومروركم في أطوارٍ مختلفةٍ من الخلق، من ترابٍ، ثم من علقةٍ ثم من مضغة إلى أن يصير الواحد منكم إنساناً كامل الذات والصفات البشرية، وفي خلق ما يفرِّق وينشر من دابَّة في نواحي الأرض المختلفة وأقاليمها المتفاوتة حرارةً وبرودةً واعتدالاً، وأراضيها الرطبة والجافة، وأنواع حيواناتها الإنسية والوحشية، والبرية والبحرية والجوية، آياتٌ ودلائل أخرى شديدة الوضوح، تدل على قدرة الصانع العظيم وحكمته، التي يعتبر بها أهل اليقين، الذين آمنوا ثم قبلوا الحق... فأيقنوا يقيناً تامّاً لا يخالطه أي شكٍّ»(٧٧٣).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

العلاقة بين القراءتين علاقةٌ نحويةٌ، فلكلِّ قراءةٍ أثرها في الإعراب،

(٧٧٢) انظر لسان العرب ج١٤ ص٦٢.

(٧٧٣) التفسير المنير ج٢٥ ص٢٥١.

والمعنى متقاربٌ بينهما. فعلى قراءة (آياتٍ) بالنَّصب في الموضعين تحمل على نصب (إنَّ) في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٣﴾ فيكون المعنى: إنَّ (في خلقكم أياتٍ لقوم يوقنون)، فتكون (آياتٍ) معطوفة على اسم (إنَّ)، وخبرها (وفي خلقكم).

وأمَّا على قراءة (آياتٌ) بالرَّفع في الموضعين فلها وجهان: إمَّا أنها تحمل على العطف على موضع (إنَّ) وما عملت فيه، لأنَّ موضعها رفع بالابتداء، وإمَّا أنَّها تحمل على الاستئناف، بحيث يكون قوله تعالى: ﴿وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ﴾ مستأنفاً، ويكون الكلام جملةً معطوفةً على جملةٍ[774].

٢ ـ قال تعالى: ﴿وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝٥﴾ [الجاثية: ٥].

القراءات:

١ ـ قرأ حمزة، والكسائي، وخلفٌ (الرِّيح) بالتوحيد.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿ٱلرِّيَٰحِ﴾ بالجمع[775].

سبق التعرض لهذه القراءة عند تفسير الآية (٣٣) من سورة الشورى[776].

٣ ـ قرأ حمزة، والكسائي، ويعقوب (آياتٍ) بكسر التاء.

٤ ـ قرأ الباقون ﴿ءَايَٰتٌ﴾ بضم التاء[777].

---

(٧٧٤) انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع ج٢ ص٢٦٧، مجمع البيان م٥ ج٢٥ ص١٢٣، المحرر الوجيز ج٥ ص٨٠.

(٧٧٥) انظر البدور الزاهرة ص٤٠٦، تحبير التيسير ص٢٠٥.

(٧٧٦) انظر ص ١٤٠ من هذا البحث.

(٧٧٧) انظر البدور الزاهرة ص٤٠٦، النشر في القراءات العشر ج٢ ص٣٧١.

لقد تم الحديث عن هذه القراءة في الآية السابقة (٤) من هذه السورة(٧٧٨).

٣ ـ قال تعالى: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾﴾ [الجاثية: ٦].

القراءات:

١ ـ قرأ المدنيان، وابن كثيرٍ، وأبو عمرو، ورَوحٌ، وحفصٌ ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ بالغيب.

٢ ـ قرأ الباقون (تؤمنون) بالخطاب(٧٧٩).

المعنى اللغوي للقراءات:

أصل الأمن: طمأنينة النفس، وزوال الخوف، والأمن والأمانة والأمان في الأصل مصادر، والأمانة ضد الخيانة(٧٨٠)، ومنه الإيمان: وهو ضد الكفر، ومعناه: التصديق والاعتقاد، وهو مصدر آمن يؤمن، إيماناً، وقيل: الإيمان: الثقة، آمن به أي: وثق به.

وعرَّف الزَّجّاج الإيمان فقال هو: إظهار الخضوع وقبول الشريعة، ولِمَا أتى به النبي ﷺ واعتقاده وتصديقه بالقلب، وقيل: إنَّ الإيمان هو: أداء الأمانة التي ائتمن الله الإنسان عليها من فرائض وعباداتٍ، وقبول شريعته والعمل بها(٧٨١).

التفسير:

بعد أن عرض الله تعالى في الآيات السابقة آياته الباهرة الدالة على

(٧٧٨) انظر ص٢٣١ من هذا البحث.
(٧٧٩) انظر النشر في القراءات العشر ج٢ ص٣٧١، المبسوط في القراءات العشر ص٢٤٧.
(٧٨٠) انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٩٠.
(٧٨١) انظر لسان العرب ج١٣ ص٢١.

وحدانيته وعظيم قدرته، خاطب الله تعالى في هذه الآية نبيَّه محمداً ﷺ قائلاً له: «تلك آيات الله الكونية، وآياته نتلوها عليك يا رسول الله بالحقِّ لا شك فيها ولا لبس ولا تغير بل هي آياتٌ بيِّنَاتٌ وحججٌ واضحاتٌ، وما يعقلها إلَّا العالمون، وأمَّا أنتم يا أهل مكة، فبأي حديثٍ بعد هذا الحديث الذي أنزل الله، وبأية آيةٍ بعد هذه الآية تؤمنون»[782].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (تؤمنون) بتاء الخطاب على رأي بعض المفسرين أنَّ الخطاب موجَّهٌ إلى النبي ﷺ أن يقول ذلك للكفار، «على معنى: قل لهم يا محمد فبأي حديثٍ بعد الله وآياته تؤمنون أيها الكافرون»[783].

وبعض المفسرين اعتبروا أنَّ المخاطبين هم المشركون، وهذا على وجه التهديد، قال الطبري: «يقول تعالى ذكره للمشركين به، فبأي حديثٍ أيها القوم بعد حديث الله هذا الذي يتلوه عليكم، وبعد حججه عليكم، وأدلَّتِه التي دلَّكم بها على وحدانيته من أنَّه لا ربَّ لكم سواه تصدقون إنْ أنتم كذَّبْتُم لحديثه، وآياته، وهذا التأويل على مذهب قراءة من قرأ (تؤمنون) على وجه الخطاب من الله بهذا الكلام للمشركين»[784].

وفي هذه القراءة يكون التهديد والتبكيت لهم أشدَّ وأبلغ، قال البقاعي: «من خاطب - وهم الجمهور - ردُّوه على قوله (وفيَ خلقكم) وهي أقوى تبكيتاً»[785].

وأمَّا قراءة ﴿يُؤۡمِنُونَ﴾ بالغيب فإنها تفيد الإخبار من الله تعالى لنبيِّه محمدٍ ﷺ عن المشركين، على معنى: فبأي حديثٍ يا محمد بعد حديث الله تعالى يؤمن هؤلاء المشركون، قال الطبري: «وأمَّا على قراءة من

(٧٨٢) التفسير الواضح ج٣ ص٧٣.

(٧٨٣) الكشف عن وجوه القراءات السبع ج٢ ص٢٦٧، انظر معالم التنزيل ج٤ ص١٤٢.

(٧٨٤) جامع البيان م١١ ج٢٥ ص٨٥، انظر المحرر الوجيز ج٥ ص٨٢.

(٧٨٥) نظم الدرر ج٧ ص٩٢.

قرأه (يؤمنون) بالياء، فإن معناه: فبأي حديث يا محمد بعد حديث الله الذي يتلوه عليك، وآياته هذه التي نبَّه هؤلاء المشركين عليها، وذكَّرهم بها يؤمن هؤلاء المشركون»[٧٨٦] وقال القرطبي: «وقراءة العامة بالياء على الخبر»[٧٨٧].

الجمع بين القراءات:

كلتا القراءتين تفيدان التوبيخ والتقريع مع التهديد لكفَّار قريش، إلَّا أنَّ قراءة (تؤمنون) بالخطاب أشدُّ توبيخاً، وتقريعاً وأقوى تهديداً من قراءة (يؤمنون) الغيب.

وبالجمع بين القراءتين يكون المعنى: قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يكذِّبُون الحُجج القاطعة والأدلَّة الباهرة على وحدانيته، موبخاً لهم ومهدداً إياهم، إن كنتم لا تؤمنون بها فبأي حديثٍ بعد حديث الله تعالى وآياته تؤمنون أيها المشركون.

٤ ـ قال تعالى: ﴿هَٰذَا هُدًىۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ عَذَابٞ مِّن رِّجۡزٍ أَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [الجاثية: ١١].

القراءات:

١ ـ قرأ ابن كثير، وحفص، ويعقوب ﴿مِّن رِّجۡزٍ أَلِيمٌ﴾ بضم الميم.

٢ ـ قرأ الباقون (مِنْ رِجزٍ أليمٍ) بخفض الميم[٧٨٨].

المعنى اللغوي للقراءات:

الألم: الوَجع، والجمع آلام، والأليم: المؤلم المُوجع، والعذاب الأليم: الذي يبلغ إيجاعُه غاية البلوغ، وإذا قلت عذابٌ أليم فهو بمعنى

---

(٧٨٦) جامع البيان م١١ ج٢٥ ص٨٥.

(٧٨٧) الجامع لأحكام القرآن ج٨ ص٤٥٩.

(٧٨٨) انظر إتحاف فضلاء البشر ص٥٠١، البدور الزاهرة ص٤٠٦.

مؤلمٍ موجعٍ[٧٨٩].

التفسيـر:

يخبر المولى ﷻ في هذه الآية الكريمة عن حقيقة القرآن الذي أنزله ﷻ على سيدنا محمدٍ ﷺ، أنَّه هدىً للناس، ودليلٌ وبيانٌ على الحقِّ، يخرج الناس من الكفر والجهل إلى نور الإيمان والعلم، وأنَّ الذين كفروا بالله تعالى وجحدوا آياته الدالة على الحقِّ لهم عذابٌ أليمٌ موجعٌ من أشدِّ أنواع العذاب يوم القيامة.

قال الطبري: «يقول تعالى ذكره: هذا القرآن الذي أنزلناه على محمدٍ (هدىً)، يقول: بيانٌ ودليلٌ على الحقِّ يهدي إلى صراطٍ مستقيم من اتبعه وعمل بما فيه، ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾، يقول: والذين جحَدوا ما في القرآن من الآيات الدالات على الحق، ولم يصدِّقُوا بها ويعملوا بها، لهم عذابٌ أليمٌ يوم القيامة موجعٌ»[٧٩٠] وقال البقاعي: «(لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيم) أي: عقابٌ قذرٌ شديدٌ جداً عظيم القلقلة والاضطراب متتابع الحرَكات»[٧٩١].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة ﴿أَلِيمٌ﴾ بالضم أنها نعتٌ لـ ﴿عَذَابٌ﴾ والمعنى: أنَّ لهم عذابٌ أليمٌ من جملة العذاب، على معنى: رجز هو العذاب[٧٩٢]، وعلى معنى: الرِّجز: أشدُّ العذاب وأسوؤه، يكون المعنى: «لهم عذابٌ أليمٌ من أسوأ أنواع العذاب وأشدِّه ألماً وإهانةً»[٧٩٣].

(٧٨٩) انظر لسان العرب ج١٢ ص٢٢.

(٧٩٠) جامع البيان م١١ ج٢٥ ص٨٥٦.

(٧٩١) نظم الدرر ج٧ ص٩٤.

(٧٩٢) انظر المحرر الوجيز ج٥ ص٨٢.

(٧٩٣) التفسير الوسيط م١١ ج٢٢ ص١٤٨، عند تفسيره للآية (٥) من سورة سبأ.

قال ابن عاشورٍ: «الرجز أشدُّ العذاب، ويجوز أن يكون حرف (من) للبيان فالعذاب هو الرِّجز ويجوز أن يكون للتبعيض، أي: عذابٌ ممَّا يسمى الرجز وهو أشدُّه»[794].

وعلى معنى الرجز: هو النَّجَس أي: النجاسة، يكون المعنى: «لهم عذابٌ من تجرُّع رجسٍ أو شرب رجسٍ، فيكنون تنبيهاً للعذاب»[795].

وأمَّا قراءة (أليمِ) بالكسر فإنَّها أفادت أنها نعتٌ لـ (رجزٍ) والمعنى يكون: «لهم عذابٌ مِّن عذابِ أليمِ، وذلك على معنى الرجز هو العذاب، فإذا كان عذابهم من عذابِ أليمِ كان عذابهم أليماً»[796]، ويحتمل أن يكون المعنى: لهم عذابٌ شديد القذَارة سيِّئٌ جداً ووصفه أنَّه مؤلمٌ، وفي إسناد الألم إلى الرجز مبالغةٌ في وصف العذاب[797].

الجمع بين القراءات:

القراءة الثانية فيها زيادة بيانٍ للقراءة الأولى، حيث إنَّ القراءة الأولى بيَّنَت أنَّ العذاب الذي يصيب هؤلاء المشركين أليمٌ، وأمَّا القراءة الثانية بيَّنَت أن هذا العذاب من أشدِّ أنواع العذاب وأقذره وأسوئِه، ممَّا تضيف مبالغة تهديدٍ وزيادة تهويلٍ ووعيدٍ لهؤلاء الكفَّار.

وبالجمع بين القراءتين يكون المعنى: إنَّ الذين كفروا بآيات الله تعالى وجحدوها، لهم عذابٌ أليمٌ، قذرٌ وشديدٌ، من أسوأ أنواع العذاب وأشدِّه.

٥ ـ قال تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِىَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الجاثية: ١٤].

---

(٧٩٤) التحرير والتنوير م١٢ ج٢٥ ص٣٣٥ بتصرف قليل.

(٧٩٥) اللباب ج١٧ ص٣٥٢.

(٧٩٦) المصدر السابق ج١٧ ص٣٥٢.

(٧٩٧) انظر تفسير أطفيش أباضي ـ المكتبة الإلكترونية ـ المكتبة الشاملة ج١٠ ص٣٩.

القراءات:

١ ـ قرأ ابن عامرٍ، وحمزة، والكسائي، وخلفٌ، (لَنَجْزِيَ) بالنون وكسر الزاي، وفتح الياء.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿لِيَجْزِيَ﴾ بالياء، وكسر الزاي، وفتح الياء.

٣ ـ قرأ أبو جعفر (لِيُجْزَى) بضم الياء وفتح الزاي مجهلا[٧٩٨].

المعنى اللغوي للقراءات:

الجزاء: هو المكافأة على الشيء، ويقال: جَزاه به، وعليه جزاءً، وجازاه مجازاةً وجزاءً، والجزاء يكون ثواباً، ويكون عقاباً، وقيل: إنَّ (جَزيتُه) لا يكون إلَّا في الخير، أمَّا (جازيتُه) يكون في الخير والشر[٧٩٩].

التفسير:

يخاطب الله تعالى في هذه الآية سيدنا محمداً ﷺ قائلاً له: يا محمد قُلْ للذين آمنوا بربهم واهتدوا بنوره، اغفروا للذين لا يخشون لقاء الله تعالى ولا يخافون بأسه وعذابه لأنَّ الله تعالى سيجازي المؤمنين بما عملوا من الصالحات، ويجازي الكافرين بما اجترحوا من السيئات[٨٠٠]. قال الطبري: «﴿لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ يقول: ليجزيَ الله هؤلاء الذين يؤذونهم من المشركين في الآخرة فيصيبهم عذابه بما كانوا في الدنيا يكسبون من الإثم ثمَّ بأذاهم أهل الإيمان بالله»[٨٠١].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة ﴿لِيَجْزِيَ﴾ بالياء وكسر الزاي وفتح الياء، أنَّ الله تعالى

---

(٧٩٨) انظر النشر في القراءات العشر ج٢ ص٣٧٢، المبسوط في القراءات العشر ص٢٤٧.
(٧٩٩) انظر لسان العرب ج١٤ ص٢٤٧.
(٨٠٠) انظر المستنير في تخريج القراءات المتواترة ج٣ ص٨٢.
(٨٠١) جامع البيان م١١ ج٢٥ ص٨٦.

يخبر عن نفسه أنه سيجزي كلاً بعمله وكسبه يوم القيامة وذلك على نسق قوله تعالى ﴿لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ﴾، أو أنَّ الإخبار واقع من الرسول ﷺ عن ربه (أنه سيجزي) بتكليف من الله تعالى على معنى: «قل لهم يا محمد: ليجزيَ الله قوماً»[802] قال ابن خالويه: «﴿لِيَجْزِىَ قَوْمًۢا﴾ يقرأ بالياء إخباراً من الرسول ﷺ عن ربه وبالنون إخباراً من الله ﷻ عن نفسه»[803].

وأمَّا قراءة (لنَجزِي) بالنون وكسر الزاي، أفادت أنَّ الله تعالى يخبر عن نفسه أنه سيجزي كلاًّ بعمله يوم القيامة، على معنى: نحن نجزي، وحجتهم في ذلك قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟﴾ [سبأ: 17][804]، قال مكي بن أبي طالب: «قوله: ﴿لِيَجْزِىَ قَوْمًۢا﴾ قرأه ابن عامرٍ، وحمزة، والكسائي بالنون على معنى: الإخبار من الله جلَّ ذكره عن نفسه بالجزاء فهو المجازي كلاًّ بعمله»[805]. وفي هذه القراءة التفاتٌ من الغيبة إلى التكلم بنون العظمة تعظيماً لله تعالى.

كلتا القراءتين أفادتا أنَّ الله ﷻ هو الفاعل وهو المجازي سواءً قرأته بالياء أو النون إلَّا أنَّ إسناد الفعل إلى الله تعالى بنون العظمة، بيانٌ لعظم الرَّحمن وقدرته الواسعة على المجازاة بالإحسان، أو بالعذاب والانتقام ففي ذلك مزيد ترغيبٍ للمؤمنين، ومزيد تهديدٍ ووعيدٍ بالعقاب والانتقام من الكافرين الذين يؤذون عباده المؤمنين.

وأمَّا قراءة (ليُجزى) بضم الياء وفتح الزاي على التجهيل للفاعل على معنى: (ليجزى الخير أو الشرَّ قوماً) فالخير أو الشر مفعولٌ أولٌ، أو أن يكون نائب فاعل بتقدير حرف الجر لجزائهم على اختلافٍ بين العلماء في إعرابها[806]، أفادت الإبلاغ في تعظيم الفاعل لأنَّه معلوم لدى الجميع ولا

(802) إعراب القراءات السبع وعللها ج2 ص313.
(803) الحجة في القراءات السبع ص325.
(804) انظر حجة القراءات ص660.
(805) الكشف عن وجوه القراءات السبع ج2 ص268.
(806) انظر المستنير في القراءات المتواترة ج3 ص82.

يحتاج إلى بيان أو دليل، وتعظيم ما أقيم مقام الفاعل، وهو الجزاء أيضاً لأنَّ عظمته على حسب ما أقيم مقامه(٨٠٧).

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءات يتَبَيَّن أنَّ الله تعالى أخبر عن نفسه أنه سيجازي كلًّا بعمله يوم القيامة، فالمؤمن يجازيه بإحسانه وإيمانه وصبره، إمعاناً وإكراماً عظيماً منه، والكافر سيجازيه بكفره ومعصيته وإيذائه للمؤمنين، انتقاماً شديداً منه يتناسب مع عظيم إثمهم ومعصيتهم لله تعالى.

٦ ـ قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الجاثية: ١٥].

القراءات:

١ ـ قرأ يعقوب (تَرجِعُون) بفتح التاء، وكسر الجيم على المبني للفاعل.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿تُرْجَعُونَ﴾ بضم التاء، وفتح الجيم على المبني للمفعول(٨٠٨).

سبق الحديث عن هذه القراءة عند تفسير الآية (٢١) من سورة فصلت(٨٠٩).

٧ ـ قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الجاثية: ٢١].

---

(٨٠٧) انظر نظم الدرر ج٧ ص٩٧.

(٨٠٨) انظر البدور الزاهرة ص٤٠٧، إتحاف فضلاء البشر ص٥٠٢.

(٨٠٩) انظر ص٩٨ من هذا البحث.

القراءات:

١ - قرأ حمزة، والكسائي، وخلفٌ، وحفصٌ ﴿سَوَآءً مَّحۡيَاهُمۡ﴾ بالنصب.

٢ - قرأ الباقون (سواءٌ محياهُم) بالرفع(٨١٠).

المعنى اللغوي للقراءات:

«المساواة: المعادلة المعتبرة بالذرع والوزن، والكيل، يقال: هذا ثوب مساوٍ لذاك الثوب»(٨١١)، وساواهُ: ماثلهُ وعادلهُ، يقال ثوبٌ سواءٌ، ومكانٌ سواءٌ، أي: مستوٍ طوله وعَرضه(٨١٢).

التفسيـر:

تتحدث الآية الكريمة عن ميزان العدل عند الله تعالى في التعامل مع النَّاس والحكم بينهم، فلا يمكن أنْ يساوي المشرك الذي اكتسب الشرك والمعاصي، بالمؤمن الذي صدق الله تعالى ورسوله في المنزلة والجزاء سواء في محياهم أو مماتهم، وفي هذه الآية ردٌّ على المشركين وأصحاب المعاصي الذين يظنُّون أنَّهم أفضل حالاً من المؤمنين في الآخرة لكونهم أحسن حالاً في الدنيا لأنهم يملكون القصور والأموال والسلطان.

قال الطبري: «يقول تعالى ذكره: أم ظنَّ الذين اجترحوا السيئات من الأعمال في الدنيا، وكذَّبوا رسل الله وخالفوا أمر ربهم، وعبدوا غيره، أنْ نجعلهم في الآخرة كالذين آمنوا بالله، وصدَّقُوا رسله، وعملوا الصالحات فأطاعوا الله، وأخلصوا له العبادة دون ما سواه من الأنداد والآلهة، كلَّا ما كان الله ليفعل ذلك، لقد ميَّز بين الفريقين فجعل حزب الإيمان في الجنَّة، وحزب الكفر في السعير»(٨١٣)، «وهذا تهديدٌ عامٌّ لكل من خرج على الدين

---

(٨١٠) انظر النشر في القراءات العشر ج٢ ص٣٧٢، تحبير التيسير ص٢٠٧.

(٨١١) مفردات ألفاظ القرآن ص٤٣٩.

(٨١٢) انظر المعجم الوسيط ص٤٩٢.

(٨١٣) جامع البيان م١١ ج٢٥ ص٨٩.

ولم يمتثل أمره، بأنَّه ليس من العدل أن يُسَوَّى بينه وبين من سار على الصراط المستقيم»[٨١٤].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

العلاقة بين القراءتين نحويةٌ وكل قراءةٍ لها أثرها في المعنى.

فقراءة (سواءٌ) بالرفع تفيد أنَّها خبرٌ مقدمٌ والمبتدأ (محياهُم ومماتُهم) والتقدير: محياهُم ومماتُهم سواءٌ، وعلى هذا يكون إخباراً من الله تعالى عنهم، أنَّ محياهم ومماتهم سواءٌ، والضمير في محياهم ومماتهم إمَّا يختص بالكفار، وإما يعود على الفريقين من الكفار والمؤمنين، فتكون الجملة إخباراً عن حال كلٍّ من الكفار والمؤمنين بأنَّ محيا الكفَّار ومماتهم سواءٌ وهو غير كريمٍ، ومحيا وممات المؤمنين سواءٌ وهو كريمٌ[٨١٥].

قال البغوي: «وقرأ الآخرون بالرفع على الابتداء والخبر، أي: محياهم ومماتهم سواءٌ، فالضمير فيهما يرجع إلى المؤمنين والكافرين جميعاً، معناه: المؤمن مؤمنٌ محياه، ومماته أي: في الدنيا والآخرة، والكافر كافرٌ في الدنيا والآخرة»[٨١٦]، وفي هذا المعنى «قال مجاهدٌ: المؤمن يموت مؤمناً، ويُبْعَثُ مؤمناً، والكافر يموت كافراً ويُبْعَثُ كافراً»[٨١٧].

وأمَّا قراءة ﴿سَوَآءَ﴾ بالنصب تفيد أنها حالٌ من الضمير في (نجعلهم)، و(محياهُم) فاعلٌ، و(مماتُهم) معطوفٌ عليه[٨١٨]، وبعض العلماء ذكر وجوهاً أخرى لقراءة النصب: أحدها أنْ تجعل (محياهم ومماتهم) بدلاً من الضمير في (نجعلهم) فينصب (سواءً) على أنه مفعولٌ ثانٍ لـ (نجعل) على تقدير: أن نجعل محياهم ومماتهم سواءً، والثاني: أن تنصب (سواءً) على أنه مفعول

(٨١٤) التفسير الواضح م٣ ج٢٥ ص٧٨.
(٨١٥) انظر المحرر الوجير ج٥ ص٨٥.
(٨١٦) معالم التنزيل ج٤ ص١٤٣.
(٨١٧) الجامع لأحكام القرآن ج٨ ص٤٦٥.
(٨١٨) انظر المستنير في القراءات المتواترة ج٣ ص٨٣.

ثانٍ لـ (جعل) وتجعل محياهم ومماتهم ظرفين، والتقدير: أن نجعلهم سواء في محياهم ومماتهم ولكن على الوجهين الآخرين يلزم نصب محياهم ومماتهم[819]، ولم يثبت أنَّ أحداً قرأ بها من القراء العشرة فيكون حمل قراءة النصب على الوجهين الآخرين مخالفاً للقراءة المتواترة لـ (محياهُم ومماتُهم بالرفع) فيبقى الوجه الأول لقراءة (سواءً) على أنَّها حالٌ من الضمير في (نجعلهم) هو المعتمد.

وعلى هذه القراءة يكون المعنى: «أحسبوا أنَّ حياة الكافرين ومماتهم كحياة المؤمنين وموتهم سواءً، كلَّا»[820]. وفي ذلك إنكار حسبانهم، ونفي أن تكون حياة الكافرين وموتهم، كحياة المؤمنين وموتهم، ولذلك قال تعالى: ﴿سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ﴾ أي بئس ما حكم به هؤلاء الذين ساووا بين الذين اجترحوا السيئات، والذين آمنوا وعلموا الصالحات.

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين يَتَبَيَّن أنَّ الله تعالى أنكر على هؤلاء المجرمين المجترحين للسيئات ادعاءهم أنَّهم في الآخرة في حالٍ أفضل من المؤمنين لكونهم أكثر منهم مالاً وجاهاً في الدنيا، أو أنَّهم في منزلة المؤمنين في الآخرة فلا يمكن أن يتساوى الفريقان في حياتهم ولا في مماتهم فمن كان مؤمناً في الدنيا يُبعثُ مؤمناً في الآخرة، ومن كان كافراً في الدنيا يُبعثُ كافراً في الآخرة.

٨ ـ قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٖ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمۡعِهِۦ وَقَلۡبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةٗ فَمَن يَهۡدِيهِ مِنۢ بَعۡدِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الجاثية: ٢٣].

(٨١٩) انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع ج٢ ص٢٦٨.
(٨٢٠) معالم التنزيل ج٤ ص١٤٣.

القراءات:

١ ـ قرأ حمزة، والكسائي، وخلفٌ (غَشْوَةً) بفتح الغين، وإسكان الشين من غير ألفٍ.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿غِشَٰوَةً﴾ بكسر الغين، وفتح الشين، وألفٍ بعدها[٨٢١].

المعنى اللغوي للقراءات:

الغشاء: هو الغطاء وجمعها أغشيةٌ ومنه الغَشاوة[٨٢٢]، ما يغطى به الشيء، والغاشية: كل ما يغطي الشيء كغاشية السرج، ويقال: غشيه غشاوةً وغشاءً أي: ستره[٨٢٣].

التفسير:

في هذه الآية الكريمة يرسم ربُّ العزة ﷻ صورةً حقيقيةً لطبيعة النفس البشرية التي تجحد آيات الله تعالى، وتتبع الهوى المتقلب، فتتجاذبها الشهوات ويتلاعب بها الشيطان، فكلَّما هوت شيئاً، اتبعته وركبته حتى أصبحت عبداً له، حتى أضلَّ الله صاحبها، وختم على سمعه وقلبه بحيث لا يتأثر بالمواعظ ولا يتفكر في آيات الله تعالى، وجعل على بصره غطاءً حتى لا يبصر الرشد ولا يرى الحجة التي تنير له الطريق.

فيخاطب الله تعالى رسوله محمداً ﷺ قائلاً له: «﴿أَفَرَءَيْتَ﴾ يا محمد ﴿مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ أي: اتخذ دينه ما يهواه فلا يهوى شيئاً إلا ركبه، لأنَّه لا يؤمن بالله ولا يخافه فاتبع هواه في أموره، ولا يحجزه تقوى، وقيل: معناه من اتخذ معبوده ما يهواه دون ما دلَّت الدلالة على أنَّ العبادة تحقُّ

(٨٢١) انظر النشر في القراءات العشر ج٢ ص٣٧٢، تحبير التيسير ص٢٠٦.

(٨٢٢) انظر المعجم الوسيط ص٦٨٦.

(٨٢٣) انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٦٠٧.

له، فإذا استحسن شيئاً وهواه اتخذه إلهاً، وكان أحدهم يعبد الحجر، فإذا رأى ما هو أحسن منه رمى به وعبد الآخر، وقيل معناه: أفرأيت من انقاد لهواه انقياده لإلهه ومعبوده، ويرتكب ما يدعوه إليه ولم يرد أنَّه يعبد هواه ويعتقد أنه تحقُّ له العبادة لأنَّ ذلك لا يعتقده أحدٌ، ﴿وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٍ﴾ أي: خذله الله وخلاه وما اختاره جزاءً له على كفره وعناده وترك تدبره على علم منه باستحقاقه لذلك، وقيل: أضله الله أي: وجده ضالاً على حسب ما علِمه فخرج معلومه على وفق ما علمه، وقيل معناه: أنَّه ضَلَّ عن الله، ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمۡعِهِۦ وَقَلۡبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً﴾، ﴿فَمَن يَهۡدِيهِ مِنۢ بَعۡدِ ٱللَّهِۚ﴾ أي: من بعد هداية الله إيَّاه، والمعنى: إذا لم يهتدِ بهدى الله بعد ظهوره، ووضوحه، فلا طمع في اهتدائه ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ أي: أفلا تتعظون بهذه المواعظ»(٨٢٤).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

العلاقة بين القراءتين علاقةٌ لُغويةٌ، ومعناهما واحدٌ على رأي أهل التفسير.

قال الشوكاني: «قرأ الجمهور ﴿غِشَٰوَةً﴾ بالألف مع كسر الغين، وقرأ حمزة، والكسائي (غَشْوَةً) بغير ألفٍ مع فتح الغين، ومنه قول الشاعر:

لئن كنت ألبستني غَشْوةً ... لقد كنت أصغيتك الودَّ حيناً

وقرأ ابن مسعودٍ، والأعمش كقراءة الجمهور مع فتح الغين، وهي لغة ربيعة، وقرأ الحسن وعكرمة بضمها(٨٢٥)، وهي لغة عكل»(٨٢٦).

وقال السمرقندي: «قرأ حمزة، والكسائي، (غَشْوَةً) بنصب الغين بغير ألفٍ، والباقون ﴿غِشَٰوَةً﴾ بكسر الغين، كما اختلفوا في سورة البقرة،

(٨٢٤) مجمع البيان م٥ ج٢٥ ص١٣٥، بتصرف يسير.

(٨٢٥) هذه القراءة ذكرها الزمخشري في الكشاف ج٣ ص٥١٢، وهي غير متواترة.

(٨٢٦) فتح القدير ج٥ ص١٢، انظر المحرر الوجيز ج٥ ص٨٧.

ومعناهما واحدٌ»[٨٢٧].

وقال د. محيسن: «﴿غِشَٰوَةً﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلفٌ العاشر بفتح الغين وإسكان الشين وحذف الألف، والباقون بكسر الغين وفتح الشين، وإثبات الألف، وهما لغتان بمعنىً واحدٍ، وهو الغطاء»[٨٢٨].

٩ ـ قال تعالى: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الجاثية: ٢٨].

القراءات:

١ ـ قرأ يعقوب ﴿كُلَّ أُمَّةٍ﴾ بنصب اللام.

٢ ـ قرأ الباقون (كلُّ أمَّةٍ) برفع اللام[٨٢٩].

المعنى اللغوي للقراءات:

الكلُّ: اسم يجمع الأجزاء، يقال: كلُّهم مُنطلقٌ، وكلُّهُنَّ منطلقةٌ، ومنطلقٌ، الذكر والأنثى في ذلك سواءٌ، والكلُّ تدل على التناهي فتقول: العَالِمُ كلُّ العَالِم، يريد بذلك التناهي وأنَّه قد بلغ الغاية فيما يصفه به من الخصال، فالكل عبارةٌ عن أجزاء الشيء[٨٣٠].

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن بعض أهوال يوم القيامة، وترسم صورةً حقيقيةً لما يحدث مع الأمم من الناس في ذلك اليوم من هول ما يرون من شدة خوفهم ورعبهم.

---

(٨٢٧) بحر العلوم ج٣ ص٢٢٦، بتصرف قليل.

(٨٢٨) المستنير في تخريج القراءات المتواترة ج٣ ص٨٤.

(٨٢٩) انظر النشر في القراءات العشر ج٢ ص٣٧٢، تحبير التيسير ص٢٠٦.

(٨٣٠) انظر لسان العرب ج١١ ص٥٩٠.

يقول الزحيلي: «﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً﴾ أي: وتنظر أصحاب كل ملةٍ ودين واحدٍ جاثيةً على الركب من شدة الخوف والرعب، فالنَّاس لشدة الأمر يجثون بين يدي الله عند الحساب ﴿كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا﴾ أي: (كلُّ أمَّة تُدعى إلى كتابها المنزَّل على رسلهم، أو إلى صحيفة أعمالهم)، كما قال تعالى: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [الزمر: ٦٩]، ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: في يوم القيامة يجزيكم الله بما عملتم في الدنيا من خيرٍ وشرٍ، تجازون بها من غير زيادةٍ ولا نقصٍ»(٨٣١)، قيل: «إنَّ الجثو للكفار خاصةً، وقيل: هو عامٌّ للكفار والمؤمنين ينتظرون الحساب»(٨٣٢).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

العلاقة بين القراءتين علاقةٌ نَحْوِيةٌ ولكل قراءةٍ أثرها في المعنى.

فقراءة ﴿كُلُّ أُمَّةٍ﴾ بالرفع تفيد أنَّها مبتدأٌ وخبرها ﴿تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا﴾ والجملة استئنافٌ بيانيٌّ لتبيِّن أنَّ الجثو للحساب(٨٣٣). أي: أنَّ بعد ذلك الجثو يكون الحساب.

وأمَّا قراءة ﴿كُلَّ أُمَّةٍ﴾ بالنصب تفيد أنها بدل من (كلَّ أمةٍ) الأولى، والمعنى: وترى كلَّ أمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا(٨٣٤)، وقراءة النصب فيها إيضاحُ لسبب الجثو أنَّ ذلك الجثو بسبب انتظار الحساب الذي يأتي بعد الجثو.

قال القرطبي: «قرأ يعقوب الحضرمي ﴿كُلَّ أُمَّةٍ﴾ بالنصب على البدل من (كل) الأولى لما في الثانية من الإيضاح الذي ليس في الأولى، إذ ليس في جثوها شيء من حال شرح الجثو كما في الثانية من ذكر السبب الداعي

(٨٣١) التفسير المنير ج٢٥ ص٢٨٦.

(٨٣٢) مجمع البيان م٥ ج٢٥ ص١٣٨.

(٨٣٣) انظر التحرير والتنوير م١٢ ج٢٥ ص٣٦٧ ـ ٣٦٨.

(٨٣٤) انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج ج٤ ص٤٣٥، معاني القراءات ج٢ ص٣٧٧.

إليه، وهو استدعاؤها إلى كتابها»(٨٣٥).

وقال ابن عاشورٍ: «قرأ يعقوب (كلَّ) بالنصب على البدل من قوله: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ﴾ وجملة (تدعى) حال من (كلَّ أمَّةٍ) فأعيدت كلمة (كلَّ أمَّةٍ) دون اكتفاء بقوله (تدعى) أو يدعون، للتهويل، والدعاء إلى الكتاب بالأمم، تجثو ثم تدعى كلُّ أمَّةٍ إلى كتابها فتذهب إليه للحساب، أي: يذهب أفرادها للحساب، ولو قيل: وترى كلَّ أمَّةٍ جاثيةً تدعى إلى كتابها لأوهم أنَّ الجثو والدعاء إلى الكتاب يحصلان معاً مع ما في إعادة الخبر مرة ثانية من التهويل»(٨٣٦).

الجمع بين القراءتين:

القراءتان معاً توضحان أنَّ جثو جميع الأمم يكون بسبب الحساب مع الترتيب بين الجثو والحساب، إذ الحساب يأتي بعد طول انتظارٍ من بعد الجثو، وفي ذلك زيادة تهويلٍ لتذهب أنفسهم كل مذهبٍ، حيث إنَّ انتظار الحساب أهول على النفس من الوقوع فيه، والله تعالى أعلم.

١٠ ـ قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِي مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [الجاثية: ٣٢].

القراءات:

١ ـ قرأ حمزة (الساعةَ) بالنصب.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿وَٱلسَّاعَةُ﴾ بالرفع(٨٣٧).

---

(٨٣٥) الجامع لأحكام القرآن ج٨ ص٤٧٢.

(٨٣٦) التحرير والتنوير م١٢ ج٢٥ ص٣٦٨.

(٨٣٧) انظر النشر في القراءات العشر ج٢ ص٣٧٢، غيث النفع ص٤٨٠.

المعنى اللغوي للقراءات:

الساعة: جزءٌ من أجزاء الزمن، ويعبر به عن القيامة، قال تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾﴾ [القمر: ١]، وقال: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ﴾ [الأعراف: ١٨٧][٨٣٨].

التفسير:

يخبر الله تعالى عمَّا بلغه هؤلاء الكفار من الاستكبار، والعناد، والإصرار على الكفر، حيث إنَّهم إذا ذُكِّروا بآيات الله تعالى وبحقيقة البعث، وقيام الساعة، أنكروها واستبعدوا وقوعها استغراباً أنَّ ذلك قد يحدث، قال الزحيلي: «وإذا قيل لهؤلاء الكفار من طريق الرسول ﷺ والمؤمنين، إنَّ وعْدَ الله بالبعث والحساب، وبجميع الأمور المستقبلية في الآخرة حقٌّ ثابتٌ، وواقعٌ لا محالة، والقيامة لا شكَّ في وقوعها، فآمنوا بذلك، واعملوا لما ينجيكم من العذاب، قلتم: لا نعرف ما القيامة، وإن نتوهم وقوعها إلَّا توهُمَاً مرجوحاً أو ظنًّا لا يقين فيه ولا علم، وما نحن بمتحققين ولا موقنين أنَّ القيامة آتيةٌ»[٨٣٩].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

العلاقة بين القراءتين نَحْويةٌ والمعنى بينهما متقاربٌ على رأي الطبري[٨٤٠].

فقراءة (الساعةَ) بالنصب تفيد أنَّها معطوفةٌ على قوله تعالى: ﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ والمعنى: (وإذَا قِيلَ إنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وإنَّ السَّاعَةَ لا رَيْبَ فِيهَا)[٨٤١]، على أنَّ الجملتين متصلتان، وهما من تمام جملة مقول القول،

---

(٨٣٨) انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٤٣٤.

(٨٣٩) التفسير المنير ج٢٥ ص٢٩٢.

(٨٤٠) انظر جامع البيان م١١ ج٢٥ ص٩٦.

(٨٤١) انظر حجة القراءات ص ٦٢٦، معاني القراءات ج٢ ص٣٧٧، معاني القرآن وإعرابه للزجاج ج٤ ص٤٣٥.

سواءٌ أكان من كلام النبي ﷺ أو من كلام المؤمنين.

وأما قراءة ﴿وَٱلسَّاعَةُ﴾ بالرفع تفيد أنها متبدأ وخبرها ﴿لَا رَيْبَ فِيهَا﴾، على أنها استئناف بيانٍ، أو أنّها معطوفةٌ على موضع (إنَّ) وما عملت فيه، والمعنى: (وإذا قيل: إنَّ وعدَ الله حقٌ، وقيل والساعة لا ريب فيها)(٨٤٢)، وعلى ذلك ليس بالضرورة أن تكون الجملتان متصلتين فيمكن أن يقول الرسول ﷺ، أو المؤمنون جملةً منها، أو أن يقول الجملتان متصلتان، وفي كلتا الحالتين هم يشككون في آيات الله تعالى، وفي حقيقة البعث.

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين يتبيَّن شدة الحالة التي عليها الكفار من الإنكار والجحود لآيات الله تعالى ولحقيقة البعث وقيام الساعة، فهم في كلِّ حالٍ منكرون سواءً ذُكِّروا بآيات الله تعالى، أو بحقيقة البعث والحساب، أو بكلتيهما معاً.

١١ - قال تعالى: ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الجاثية: ٣٥].

القراءات:

١ - قرأ حمزة، والكسائي، وخلفٌ (يَخْرُجُون) بفتح الياء.

٢ - قرأ الباقون ﴿يُخْرَجُونَ﴾ بضم الياء(٨٤٣).

المعنى اللغوي للقراءات:

سبق التعرض لمعنى هذه القراءة عند تفسير الآية (١١) من سورة الزخرف(٨٤٤).

---

(٨٤٢) انظر حجة القراءات ص٦٦٢، بحر العلوم ج٣ ص٢٢٨.
(٨٤٣) انظر إتحاف فضلاء البشر ص٥٠٢، البدور الزاهرة ص٤٠٧.
(٨٤٤) انظر ص١٥٨ من هذا البحث.

التفسـير:

تتحدث الآية الكريمة عن سبب العقاب الذي يصيب هؤلاء المشركين يوم القيامة، ودخولهم النَّار، والمعنى: «أي: ذلكم العذاب الذي وقع بكم بسبب أنَّكم اتخذتم القرآن هُزواً ولعباً، وخدعتكم الدنيا بزخارفها وزينتها، فاطمأننتم إليها، وظننتم ألَّا دار غيرها، ولا بعث ولا نشور، فاليوم لا يخرجون من النَّار، ولا يطلب منهم العتبى بالرجوع إلى طاعة الله، واسترضائه، لأنَّه يوم لا تقبل منه التوبة، ولا تنفعُ المعذرة»[٨٤٥].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

كلتا القراءتين بياء الغيبة، فيهما التفاتٌ من الخطاب إلى الغيبة، وكان مقتضى الظاهر أنْ يقال: لا تَخْرُجون، بأسلوب الخطاب على نسق الخطاب السابق، ولكن عدل عن الخطاب إلى الغيبة تحقيراً وإهانةً لهم، قال أبو السعود: «وقرئ يَخْرُجُون من الخروج، والالتفات إلى الغيبة للإيذان بإسقاطهم عن رتبة الخطاب استهانةً أو بنقلهم من مقام الخطاب إلى غيابة النّار»[٨٤٦] إلَّا أنَّ كلَّ قراءةٍ لها أثرها في المعنى.

ففي قراءة (يَخْرُجُون) بفتح الياء وضم الراء، أضاف الفعل لهم، أي: هم الفاعلون، على معنى أنهم يريدون أن يخرجوا من النَّار مندفعين بأنفسهم فلا يستطيعون الخروج لأنَّ الله تعالى يمنعهم من ذلك، وهذا فيه إشارة إلى شِدَّة ما يلاقونه من عذاب الآخرة مما يدفعهم للخروج دون تفكيرٍ ويؤيده قول الله تعالى: ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾ [الحج: ٢٢][٨٤٧].

وأمَّا في قراءة ﴿يُخْرَجُونَ﴾ بضم الياء، وفتح الراء، بالمبني للمفعول،

(٨٤٥) التفسير المنير ج٢٥ ص٢٩٣، انظر تفسير المراغي م٩ ج٢٥ ص١٦٦.

(٨٤٦) تفسير أبي السعود ج٥ ص١١٩، انظر روح المعاني ج٢٦ ص٢، فتح القدير ج٥ ص١٦.

(٨٤٧) انظر التحرير والتنوير م١٢ ج٢٥ ص٣٧٦.

فالمحكي عنهم مفعولٌ به قاموا مقام الفاعل، وفيه إشارةٌ إلى أنَّهم لا يستطيعون الخروج بأنفسهم، فيسألون من يُخرجهم من النَّار، فلا يُخرجهم أحدٌ، «لأنَّ الله لا يُخرجهم، ولا يَقدر غيره على ذلك»(٨٤٨).

قال ابن عاشورٍ: «قرأ الجمهور ﴿يُخْرَجُونَ﴾ بضم الياء، وفتح الراء، فالمعنى: أنَّهم يسألون من يُخرجهم، فلا يخرجهم أحد كما في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا﴾ [المؤمنون: ١٠٧]، وقوله: ﴿فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ [غافر: ١١].

وقرأ حمزة، والكسائي (يَخرُجون) بفتح الياء، وضم الراء، فالمعنى: أنَّهم يفزعون إلى الخروج فلا يستطيعون لقوله تعالى: ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾ [السجدة: ٢٠]»(٨٤٩).

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين يتبيَّن أنَّ هؤلاء الكفَّار من شدة ما يذوقون من عذاب جهنَّم يفزعون إلى الخروج من النَّار مندفعين فلا يستطيعون لأنَّ الله تعالى يمنعهم من الخروج ثم يعمدون إلى التوسل إلى الله تعالى ليخرجهم، أو إلى الملائكة فلا يخرجهم أحدٌ، لأنَّ الله تعالى كتب عليهم ذلك، فعلى القراءتين سواءً أرادوا الخروج بأنفسهم، أو اعتذروا إلى الله تعالى وتوسلوا إليه فلن يخرجوا منها، لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾﴾ [غافر: ٥٢].

(٨٤٨) نظم الدرر ج٧ ص١١١.

(٨٤٩) التحرير والتنوير م١٢ج٢٥ ص٣٧٦.

المبحث الثاني
عرض وتفسير لآيات سورة الأحقاف
المتضمنة للقراءات القرآنية العشر

١ ـ قال تعالى: ﴿وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾﴾ [الأحقاف: ١٢].

القراءات:

١ ـ قرأ المدنيان، وابن عامرٍ، ويعقوب (لِتُنْذِرَ) بالتاء.
٢ ـ قرأ الباقون ﴿لِّيُنذِرَ﴾ بالياء[٨٥٠].

المعنى اللغوي للقراءات:

الإنْذَار: هو الإعلام مع التخويف، قال الأصفهاني: «الإنذار: إخبارٌ فيه تخويفٌ كما أنَّ التبشير إخبارٌ فيه سرور، قال تعالى: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾﴾ [الليل: ١٤]»[٨٥١].

يقال: أنذره الشيء: أعلمه به، وخَوَّفه منه، ويقال: تناذر القومُ: أي: أنذر بعضهم بعضاً شرّاً، أو خوَّفَ بعضُهم بعضاً منه[٨٥٢].

(٨٥٠) انظر النشر في القراءات العشر ج٢ ص٣٧٢، تحبير التيسير ص٢٠٦.
(٨٥١) مفردات ألفاظ القرآن ص٧٩٧.
(٨٥٢) انظر المعجم الوسيط ص٩٥١.

التفسير:

في سياق محاجَّة النبيِّ ﷺ المشركين لكفرهم بالقرآن وتكذيبهم النبيَّ ﷺ، وفي سياق إقامة الأدلة على صدق الرسول ﷺ وصحة القرآن، وأنَّه من عند الله تعالى، تأتي هذه الآية لتقيم الدليل على صدق القرآن الكريم وصحته، ومعنى الآية: «وممَّا يدلُّ على أنَّ القرآن حقٌّ وصدقٌ، وأنَّه من عند الله: اعترافكم بإنزال الله التوراة على موسى، الذي هو إمامٌ، وقدوةٌ يقتدى به في الدين، وهو رحمةٌ لمن آمن به، وهذا القرآن الموافق للتوراة في أصول الشرائع، مصدِّقٌ لكتاب موسى، ولغيره من الكتب الإلهية المتقدمة، أنزله الله حال كونه بلغةٍ عربيةٍ، واضحةٍ فصيحةٍ يفهمونها، من أجل أن يُنْذِرَ به هذا النبيُّ من عذاب الله الذين ظلموا أنفسهم وهم مشركو مكة، ويبشر به المؤمنين الذين أحسنوا عملاً، فهو مشتمل على النذارة للكافرين، والبشارة للمؤمنين، وهو ليس إفكاً قديماً كما يزعمون، بدليل توافقه مع التوراة»[٨٥٣].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (لتُنْذِرَ) بالتاء على معنى المخاطبة أنَّ المقصود بذلك هو النبيُّ ﷺ خاصَّةً، والمعنى: لتنذر أنت يا محمد[٨٥٤]، وعلى هذا يكون وصف النبي ﷺ بأنَّه منذر، ووصف الكتاب بأنَّه بشرى للمحسنين[٨٥٥]، أي: هذا الكتاب مصدقٌ، وبشرى.

وأمَّا قراءة ﴿لِّيُنذِرَ﴾ بالياء على معنى الخبر عنه، فإنَّها تفيد أنَّ الإنذار أسند إمَّا إلى الكتاب، وعلى هذا يكون «(لتُنْذِرَ) علةً للكتاب باعتبار صفته وحاله»[٨٥٦]، وإمَّا إلى الرسول ﷺ، والمعنى: ليخوف محمدٌ ﷺ

---

(٨٥٣) التفسير المنير ج٢٦ ص٢٧.

(٨٥٤) انظر بحر العلوم ج٣ ص٢٣٢.

(٨٥٥) انظر التحرير والتنوير م١٢ ج٢٦ ص٢٦.

(٨٥٦) المصدر السابق م١٢ ج٢٦ ص٢٦.

بالقرآن الذين ظلموا[857]، أو إلى الله تعالى، والمعنى: لينذر الله تعالى الذين ظلموا، ويحتمل أن يكون الإنذار أسند إلى القرآن، وإلى الله تعالى، وإلى الرسول ﷺ في آنٍ واحدٍ «فيكون المعنى: لينذر القرآن، ولينذرَ الله تعالى، ولينذر محمدٌ ﷺ»[858].

الجمع بين القراءات:

بالجمع بين القراءتين يتبيَّن أنَّ الله تعالى أنزل القرآن بهذه الصفات لينذر به الذين ظلموا، ويبشِّرَ به المحسنين، وأمرَ النبيَّ ﷺ أن ينذر ويخوف به الذين ظلموا أنفسهم وأشركوا بالله تعالى، لأنَّ هذا القرآن مشتمل على النذارة للكافرين، والبشارة للمؤمنين وهو مع ذلك موافقٌ للكتب السماوية السابقة.

٢ ـ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾﴾ [الأحقاف: ١٣].

القراءات:

١ ـ قرأ يعقوب (خَوْفَ) بالفتح بدون تنوين.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿خَوْفٌ﴾ بالضم مع التنوين[859].

سبق الحديث عن هذه القراءة عند تفسير الآية (٦٨) من سورة الزخرف[860].

٣ ـ قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَـٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَـٰلُهُۥ ثَلَـٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ

(٨٥٧) انظر بحر العلوم ج٣ ص٢٣٢.

(٨٥٨) إعراب القراءات السبع وعللها ج٢ ص٣١٦.

(٨٥٩) انظر إتحاف فضلاء البشر ص٤٩٧، الشامل في القراءات المتواترة ص٢٥٢.

(٨٦٠) انظر ص١٩٢ من هذا البحث.

أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾﴾ [الأحقاف: ١٥].

القراءات:

١ ـ قرأ الكوفيون ﴿إِحْسَانًا﴾ بزيادة همزةٍ مكسورةٍ قبل الحاء، وإسكان الحاء، وألفٍ بعد السين.

٢ ـ قرأ الباقون (حُسْناً) بضم الحاء، وإسكان السين من غير همزةٍ ولا ألفٍ[٨٦١].

٣ ـ قرأ الكوفيون، وابن ذكوان، ويعقوب ﴿كُرْهًا﴾ بضم الكاف.

٤ ـ قرأ الباقون (كَرْهاً) بفتح الكاف[٨٦٢].

٥ ـ قرأ يعقوب (وفَصْلُهُ) بفتح الفاء، وإسكان الصاد من غير ألفٍ.

٦ ـ قرأ الباقون ﴿وَفِصَالُهُ﴾ بكسر الفاء، وفتح الصاد، وألفٍ بعدها[٨٦٣].

المعنى اللغوي للقراءات:

١ ـ الحُسن: عبارةٌ عن كلِّ مبهجٍ مرغوبٍ فيه، وذلك ثلاثة أضرب:

مستحسن من جهة العقل، ومستحسنٌ من جهة الهوى، ومستحسنٌ من جهة الحس.

والحسنة يعبر عنها عن كل ما يسرُّ من نعمةٍ تنال الإنسان في نفسه وبدنه وأحواله، وعكسها السيئة، وأمَّا الإحسان يقال على وجهين: أحدهما الإنعام على الآخرين، يقال: أحسن إلى فلانٍ، والثاني: إحسان في فعله،

(٨٦١) انظر النشر في القراءات العشر ج٢ ص٣٧٣.

(٨٦٢) انظر تحبير التيسير ص٢٠٦.

(٨٦٣) انظر النشر في القراءات العشر ج٢ ص٣٧٣، تحبير التيسير ص٢٠٦.

وذلك إذا عمل عملاً حسناً، والإحسان أعمُّ من الإنعام، وهو فوق العدل، إذ إنَّ العدل أن يعطي الإنسان ما عليه ويأخذ أقل مما له، وأما الإحسان فهو أن يعطي أكثر مما عليه، ويأخذ أقل مما له[٨٦٤].

٢ ـ الكره: قيل إنَّ الكَرْه، والكُرْه واحدٌ بمعنى المشقة، وقيل الكَره بالفتح: المشقة التي تنال الإنسان من الخارج فيما يُحمل عليه بإكراهٍ، أي: ما أكرهك عليه غيرُك، والكُره بالضم: ما يناله الإنسان من ذاته، وهو يعافُه، أي: ما أكرهت نفسك عليه، وهو قول الفراء[٨٦٥].

٣ ـ «الفصل: إبانة أحد الشيئين من الآخر، حتى يكون بينهما فرجةٌ، ومنه قيل المفاصل، الواحد مفصل، وفُصِلَتْ الشاة: قُطِعَتْ مفاصلها»[٨٦٦].

والفصال: الفطام، ومعنى قوله تعالى: ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾ أي: مدى حمل المرأة إلى منتهى الوقت الذي يُفْصَلُ فيه الولد عن رضاعها ثلاثون شهراً، وفَصَلت المرأة ولدها أي: فطمته[٨٦٧].

التفسيـر:

بعد أن ذكر الله تعالى في آياتٍ سابقاتٍ توحيده ﷻ، وإخلاص العبادة له، والاستقامة في العمل، وجزاء المؤمنين الموحدِّين المستقيمين على الشريعة، أمرَ وَوَصَّى بِبِرِّ الوالدين، وخصَّ بالذِّكر في هذه الآية البارَّ بوالديه بعد بلوغه الأربعين عاماً، وبشَّرَه بقبول أعماله الصالحة، والتجاوز عن سيئاته، وجعله في عداد أصحاب الجنَّة.

قال المراغي: «﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا﴾ أي: أمرناه بالإحسانِ إليهما والحنو عليهما والبرِّ بهما في حياتهما، وبعد مماتهما، وجعلنا البرَّ

---

(٨٦٤) انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٢٣٥.

(٨٦٥) انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٧٠٧، لسان العرب ج١٣ص٥٣٤.

(٨٦٦) مفردات ألفاظ القرآن ص٦٣٨.

(٨٦٧) انظر لسان العرب ج١١ ص٥٢٢.

بهما من أفضل الأعمال، وعقوقهما من الكبائر، والآيات، والأحاديث في هذا الباب كثيرةٌ، ثم ذكر سبب التوصية، وخصَّ الكلام بالأم لأنَّها أضعف وأولى بالرعاية، وفضلها أعظم كما ورد في صحيح الأحاديث، ومن ثم كان لها ثلثا البر، فقال: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ أي: إنَّها قاست في حمله مشقَّةً وتعباً من وحم وغثيانٍ، وثقلٍ إلى نحو أولئك مما ينال الحوامل، وقاست في وضعه مشقَّةً من تعبِ الطلق وألم الوضع، وكل هذا يستدعي البِرَّ بها واستحقاقها الكرامة وجميل الصحبة، ثمَّ بيَّن سبحانه مدة حمله وفصاله، فقال: ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾ أي: ومدة حمله وفصاله ثلاثون شهراً تكابدُ الأمُّ فيها الآلام الجسمية والنفسية، فتسهر الليالي ذواتِ العدد إذا مرض، وتقوم بغذائه، وتنظيفه، وكل شئونه بلا ضجرٍ ولا ملالٍ، وتحزن إذا اعتلَّ جسمه، أو ناله مكروه يؤثر في نموه وحسن صحته»[٨٦٨].

قال الشوكاني: «وقد استدل بهذه الآية على أنَّ أقلَّ الحمل ستة أشهر، لأنَّ مدة الرِّضاع سنتان»[٨٦٩]، فذكر في هذه الآية أقلَّ مدة الحمل، وأكثر مدة الرِّضاع.

وقوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ أي: إذا بلغ كمال قوته وعقله، قيل: الأشد: سنُّ الحلم، وقيل: إذا بلغ عمره ثماني عشرة سنة، وإذا بلغ أربعين سنة ﴿قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ﴾ أي: ألهمني ووفقني ﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ﴾، أي: ألهمني شكر نعمتك عليَّ بالهداية، وعلى والديَّ حتى ربياني صغيراً ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ﴾ أي: ووفقني أن أعمل عملاً صالحاً ترضاه مني ﴿وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ﴾ أي: اجعل ذريتي صالحين متمكنين في الصلاح، ﴿إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ أي: إنِّي يا رب تبتُ إليك من جميع الذنوب، وإنِّي لك من المنقادين لطاعتك المخلصين لتوحيدك[٨٧٠]. قال ابن كثيرٍ: «وفي الآية إرشادٌ لمن بلغ الأربعين

(٨٦٨) تفسير المراغي م٩ ج٢٦ ص١٧.

(٨٦٩) فتح القدير ج٥ ص٢٦.

(٨٧٠) انظر المصدر السابق ج٥ ص٢٦.

أن يجدِّد التوبة، والإنابة إلى الله ﷻ ويعزم عليها»[871].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

١ ـ ذهب بعض العلماء إلى أنَّ العلاقة بين القراءتين (حُسْناً، وإحْسَاناً) لغوية فقط ومعناهما واحدٌ، قال الفراء: «قرأها أهل الكوفة بالألف، وكذلك هي في مصاحفهم، وأهل المدينة، وأهل البصرة يقرءون: (حُسناً) وكذلك هي في مصاحفهم، ومعناهما واحدٌ والله أعلم»[872]، على معنى: ووصينا الإنسان، وأمرناه بأن يحسن إلى والديه إحساناً أو حسناً.

إلَّا أنَّ مكي بن أبي طالب قال: «قوله ﴿بِوَٰلِدَيۡهِ إِحۡسَٰنًا﴾ فقرأه الكوفيون (إحساناً) على وزن (إفعالاً) مثل (إكرام) وقرأه الباقون (حُسْناً) على وزن (فُعْلٍ) مثل (قُفْلٍ) وحجة من قرأ على وزنَ (إفعالٍ) أنه جعله مصدراً لـ (أحسن) على تقدير: أن أحسن إليهما إحساناً. وحجة من قرأ على وزن (فُعْلٍ) أنَّه على تقدير حذف مضافٍ وحذف موصوفٍ، تقديره: ووصينا الإنسان بوالديه أمراً ذا حُسنٍ، أي: ليأت الحسن في أمرهما، فحذف المنعوت، وقام النعت مقامه وهو (ذا)، ثم حذف المضاف وقام المضاف إليه مقامه، وهو حسنٌ»[873].

فما ذكره مكي بن أبي طالب لا يعني أنَّ القراءتين بمعنىً واحدٍ، حيث إنَّ قراءة (إحساناً) فيها زيادة الألف، وزيادة المبنى تدلُّ على زيادةٍ في المعنى، وما ورد في قواميس اللغة يثبت ذلك، وبناءً على ما تقدم فإنَّ قراءة (إحساناً) تضيف معنىً زائداً على قراءة (حُسْناً)، فالحسن هو: الوقوف عند حدِّ الواجب في التعامل مع الوالدين، فتكون هذه القراءة قد أشارت إلى أنَّ الإنسان ملزمٌ بأن يحسن إلى والديه ويعطيهما حقهما وواجبهما عليه، دون

(٨٧١) تفسير القرآن العظيم ج٤ ص١٦٠.

(٨٧٢) معاني القرآن للفراء ج٣ ص٥٢.

(٨٧٣) الكشف عن وجوه القراءات السبع ج٢ ص٢٧٢، انظر القراءات وأثرها في علوم العربية ج١ ص٦٦٨.

أن تشير إلى الإكرام الزائد عليهما، ويحتمل أن تكون هذه القراءة في حقِّ الأبوين الكافرين، وأما قراءة (إحساناً) ففيها مبالغة الإحسان والإكرام إليهما بما يزيد على حدِّ الواجب فلا يقف عند حدِّ ما أوجبهُ الله عليه، بل لا بد أن يزيد في الإنعام والإكرام عليهما، ويحتمل أن تكون هذه القراءة في حق الأبوين المؤمنين.

ويؤيد ما سبق قول الشعراوي: «كلمة (الإحسان): تدل على المبالغة في العطاء الزائد. . .الَّذي نسميه مقام الإحسان»[٨٧٤]. وقال: «الإحسان: هو أن تفعل فوق ما كلَّفك الله مستشعراً أنَّه يراك، فان لم تكن تراه فإنه يراك، والإحسان من أحسن، فيكون معناها أنَّه ارتضى التكاليف، وزاد على ما كلَّفه»[٨٧٥]. وقال أيضاً: «كأنَّه يقول لك في الآية التي نحن بصددها: إيَّاك أن تعمل مع والديك القدر المفروض فقط، بل أَدخل في برِّهما، والإنعامِ عليهما، والتلَطُّفِ بهما، والرحمة لهما، وذلة الانكسار فوق ما يطلبَ منك»[٨٧٦].

٢ ـ ذهب بعض علماء التفسير إلى أن القراءتين (كُرْهاً) بالضم (وكَرْهاً) بالفتح بمعنىً واحدٍ، وهما لغتان مثل: الضُّعف والضَّعف، والشَّهد والشُّهْدِ[٨٧٧]، قال الشوكاني: «قرأ الجمهور (كُرْهاً) في الموضعين بضم الكاف، وقرأ أبو عمرو، وأهل الحجاز بفتحهما. قال الكسائي: وهما لغتان بمعنىً واحدٍ، قال أبو حاتم: (الكَرْه) بالفتح لا يُحسَن لأنَّه الغضب والغلبة»[٨٧٨].

إلَّا أنَّه لا ينبغي لأبي حاتمٍ أن يردَّ قراءةً منهما أو يفاضل بينهما لأنَّ القراءتين متواترتان، ولكلِّ قراءةٍ أثرها في المعنى، وعلى ذلك فإنَّ قراءة

---

(٨٧٤) تفسير الشعراوي ج٤ ص٢١٩ عند تفسيره للآية (٣٦) من سورة النساء.

(٨٧٥) المصدر السابق ج٤ ص٢٢١ عند تفسيره للآية (٣٦) من سورة النساء.

(٨٧٦) نفس المصدر السابق ج٤ ص٢٢١ عند تفسيره للآية (٣٦) من سورة النساء.

(٨٧٧) انظر الجامع لأحكام القرآن ج٨ ص٤٨٦، الكشف ج٢ ص٢٧.

(٨٧٨) فتح القدير ج٥ ص٢٥، انظر روح المعاني ج٢٦ ص١٧.

(كُرْهاً) بالضّم أفادت معنى المشقة أي: حملته أمُّه على مشقَّةٍ وألمٍ، ووضعته على مشقةٍ وألمٍ.

وأمّا قراءة (كَرْهاً) بالفتح، فقد أفادت معنى الغلبة والقهر، أي: حملته أمُّه على مشَقَّةٍ وهي كارهة لأحوال ذلك الحمل، ووضعته على مشقَّةٍ وألمٍ وهي كارهةٌ لوضعه(٨٧٩).

٣ ـ ذهب بعض العلماء إلى أنَّ قراءتي (فَصْلُه) و(فِصَالُه) لغتان بمعنىً واحدٍ، على أنَّهما مصدران كالفطم والفطام(٨٨٠). وردَّ الطبري قراءة (فَصْلُه) بدون ألف، واعتبرها شاذةً فقال: «واختلف القراء في قراءة قوله: (وَفِصَالُه) فقرأ ذلك عامة قراء الأمصار، غير الحسن، (وَحَمْلُهُ وَفِصَالُه) بمعنى فاصلته أمُّه فصالاً ومفاصلةً، وذكر عن الحسن البصري أنه كان يقرؤه (وَحَمْلُهُ وفَصْلُه) بفتح الفاء بغير ألفٍ بمعنى: وفصل أمُّه إياه، والصواب من القول في ذلك عندنا ما عليه قراء الأمصار لإجماع الحجة من القراء عليه، وشذوذ ما خالفه»(٨٨١).

والصحيح أنَّه لا يحق للإمام الطبري أنْ يطعن في قراءةٍ متواترةٍ أو يردَّها، لأنَّ القراءات المتواترة جميعها وحيٌ من الله تعالى، ولا تفاضل بينها، ويرى الباحث أنَّ كلَّ قراءةٍ من القراءتين أفادت معنىً، فقراءة (فَصْلُه) أفادت معنى الفطم إذا فطمته أمُّه مرةً واحدةً من طرفها أي أن الفعل يقع من طرف الأم.

وأمّا قراءة (فِصَالُه) فقد أفادت معنى الفطام إذا فاصلته أمُّه مع وقوع الفعل على التراخي من طرفين لأن الفعل على صيغة (المفاعلة) التي تفيد المشاركة في الفعل، وعلى هذا يكون المعنى أنَّه فاصل أمَّه، وفاصلتهُ أمُّه،

---

(٨٧٩) انظر حجة القراءات ص٦٦٤، الجامع لأحكام القرآن ج٨ ص٤٨٦، التحرير والتنوير م١٢ ج٢٦.

(٨٨٠) انظر الجامع لأحكام القرآن ج٧ ص٣٨٥ عند تفسيره للآية (١٤) من سورة لقمان.

(٨٨١) جامع البيان ج٢٦ ص١١.

وعلى هذا يتضح أن مدة الحمل مع نهاية الرضاع ثلاثون شهراً فإذا بلغ هذه المدة تفصله أمُّه أو أنه يفصل نفسه.

قال ابن عطية: «قرأ جمهور النَّاس: (وَفِصَالُه) وذلك أنَّها مفاعلةٌ من اثنين، كأنه فاصل أمَّه وفاصلته، وقرئ (فَصْلُه) كأنَّ الأم هي التي فصلته»(٨٨٢).

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءات يتضح أنَّ الله تعالى وَصَّى الإنسان بأن يحسن إلى والديه سواء كانا كافرين، ـ فعليه أن يؤدي الواجب الذي فرضه الله عليه تجاههما ـ أو كانا مؤمنين فعليه أن يبالغ لهما في الإكرام والإنعام أكثر مما فرضه الله عليه لأنهما يستحقان أكثر من ذلك فأمُّه حملته على مشقَّةٍ وألم ووضعته على مشقةٍ وألم وهي كارهةٌ لأحوال الحمل، لشدة ما تعانيه منَ آلام، ولكنها احتملت ذلك على غلبةٍ وقهرٍ، وبَيَّنَت الآية أنَّ مدة الحمل مع الرَّضاع ثلاثون شهراً وعليه فإنه إذا بلغ الطفل نهاية مدة الرَّضاع فعلى الأم أن تفصله، فالطفل يكون مهيأً للفصل واستجابته لذلك تكون كبيرةً وهذا ما يتضح من قراءة (فِصَالُه) التي تدل على أنَّ الفصال يقع من الطفل ومن الأم أيضاً وهي نهاية ما يحتاج إليه الطفل من الرَّضاع، والله تعالى أعلم.

٤ ـ قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمۡ فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَعۡدَ ٱلصِّدۡقِ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ١٦﴾ [الأحقاف: ١٦].

القراءات:

١ ـ قرأ حمزة، والكسائي، وخلفٌ، وحفصٌ ﴿نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ، وَنَتَجَاوَزُ﴾ بنون مفتوحة في الفعلين ونصب (أحسنَ).

٢ ـ قرأ الباقون (يُتَقَبلُ عنهم أحسنُ، ويُتَجَاوَزُ) بالياء المضمومة في

(٨٨٢) المحرر الوجيز ج٥ ص٩٧.

الفعلين، وبرفع (أحسنُ)[٨٨٣].

المعنى اللغوي للقراءات:

١ ـ تجاوز عن الشيء: أغضى وعفا عنه، ويُقال: تجاوز عن الذنب، أي: لم يؤاخذ به[٨٨٤].

ويُقال تَجَوَّز في هذا: أي: احتمله، وأغمض فيه، وعن ذنبه: لم يؤاخذ به، كتجاوز وجاوز[٨٨٥].

٢ ـ التقبل: هو «قبول الشيء على وجه يقتضي ثواباً كالهداية ونحوها»[٨٨٦].

التفسير:

بعد أن وصَّى الله تعالى ببرِّ الوالدين، والإحسان إليهما، بيَّن في هذه الآية الكريمة، أنَّ هؤلاء الذين يتصفون بهذه الصفات الكريمة من برِّ الوالدين، وطاعة الله تعالى، هم الذين يتَقبل الله منهم الحسنات التي عملوها، ويتجاوز عن زلَّاتهم، ويغفرها لهم في جملة أصحاب الجنَّة الذين يكرمهم الله تعالى بالعفو والغفران، وذلك بوعدٍ صادقٍ من الله تعالى، وعدهم به على ألسنة الرسل في الدنيا، بأن يتقبل من محسنهم، ويتجاوز عن مسيئهم[٨٨٧].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة ﴿نَتَقَبَّلُ﴾ ـ ﴿وَنَتَجَاوَزُ﴾ بنون العظمة إسناد الفعل من الله

(٨٨٣) انظر النشر في القراءات العشر ج٢ ص٣٧٣، تحبير التيسير ص٢٠٧.

(٨٨٤) انظر المعجم الوسيط ص١٦٨.

(٨٨٥) انظر القاموس المحيط ص٤٥٦.

(٨٨٦) لسان العرب ج١١ ص٥٣٦.

(٨٨٧) انظر التفسير الواضح م٣ ج٢٦ ص١١.

تعالى إلى نفسه، فهو يخبر عن نفسه، والمعنى: نحن نتقبل عنهم، ونتجاوز عن سيئاتهم، وذلك على نسق قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ ليأتلف الكلام على نظامٍ واحدٍ[888]. قال مكي بن أبي طالب: «حجة من قرأ بالنون أنَّه حمله علىَ الإخبار من الله جلَّ ذكره عن نفسه بالتقبل والمجازاة، وحَسُن ذلك، لأنَّ قبله إخباراً عن الله جلَّ ذكره عن نفسه في قوله: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾، ونَصَبَ (أحسَنَ) بوقوع يتقبل عليه»[889].

وأمَّا القراءة الثانية (يُتقبَل) بياء الغيبة فإنَّه بنى الفعل للمفعول وأقام (أحسنُ) مقام الفاعل فرفعه، ولم يسمِّ الفاعل لأنه معلومٌ بديهةً أنَّ المتقبل هو الله تعالى، فبناؤه للمفعول كبنائه للفاعل في العلم بالفاعل[890].

الجمع بين القراءات:

كلتا القراءتين أفادتا أنَّ الفاعل هو الله تعالى وهو الذي يتقبل من عباده أحسن أعمالهم، ويتجاوز عن سيئاتهم، سواءً قرأته بالياء أو بالنون، إلَّا أنَّ إسناد الفعل إلى الله تعالى بنون العظمة فيه مزيد تشريفٍ وتكريمٍ للمؤمنين المتقين، وبيانٌ لعنايته بهم.

وأمَّا قراءة المبني للمفعول ففيها بيانٌ ليسر وسرعة تقبل الله تعالى أعمالهم الصالحات وغفرانه لسيئاتهم وفي ذلك ترغيبٌ لهم بعمل الصالحات والإكثار منها.

فالقراءتان معاً بيّنتا منزلة هؤلاء المؤمنين المتقين ـ الذين يقدمون لله تعالى أحسن ما عندهم ـ عند الله تعالى.

٥ ـ قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ

(888) انظر حجة القراءات ص٦٦٤، إعراب القراءات السبع وعللها ج٢ ص٣١٧.

(889) الكشف عن وجوه القراءات السبع ج٢ ص٢٧٢.

(890) انظر مجمع البيان م٦ ج٢٦ ص١٢، التحرير والتنوير م١٢ ج٢٦ ص١٢.

إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الأحقاف: ١٧].

القراءات:

١ ـ قرأ يعقوب، وابن عامرٍ، وابن كثيرٍ (أُفَّ) بفتح الفاء من غير تنوينٍ.

٢ ـ قرأ نافع، وحفصٌ، وأبو جعفر ﴿أُفٍّ﴾ بكسر الفاء مع التنوين.

٣ ـ قرأ الباقون (أُفِّ) بكسر الفاء من غير تنوينٍ(٨٩١).

المعنى اللغوي للقراءات:

أف: هو صوتٌ ينبىء عن تضجرٍ وكراهةٍ، قال الأصفهاني: «أصل الأُف: كل مستقذرٍ من وسخ وقلامة ظفر وما يجري مجراها، ويقال ذلك لكلِّ مستخفٍ به استقذاراً له، نحو: ﴿أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٧]، وقد أَفَّفْت لكذا: إذا قلت ذلك استقذاراً له، ومنه قيل للضجر من استقذار شيءٍ: أَفَّفَ فلان»(٨٩٢).

التفسير:

بعد أن أمر الله تعالى عباده المؤمنين ببرِّ الوالدين والإحسان إليهما، وبيَّن حال الداعين للوالدين البارِّين بهما، وما لهم من فوزٍ ومغفرةٍ وأجرٍ عظيم عند الله تعالى يوم القيامة، يعرض في هذه الآية الكريمة صورةً متقابلةً من أصحاب الصنف الثاني، الذي لم يرعَ في الله حقاً، ولم يرع لوالديه حرمةً، وردَّ الجميل بالقبيح، وجازى الحسنة بالسيئة، فهذا والداه قد تعبا في تربيته، وسهرا لراحته، ورعياه حتى اكتمل، واجتهدا في نصيحته ودعوتهِ إلى الإسلام والإيمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، فلم يزده دعاؤهما إيَّاه إلى الحقِّ ونصيحتهما له إلَّا عُتُوّاً وتمرُداً على الله تعالى،

---

(٨٩١) انظر النشر في القراءات العشر ج٢ ص٢٣٠، إتحاف فضلاء البشر ص٥٠٤.

(٨٩٢) مفردات ألفاظ القرآن ص٧٩.

وتمادِياً في جهله واستكباره، فقال لهما: أفٍّ لكما أتعدانني أنْ أُبعث بعد الموت وأنْ أُخرجَ من القبر للحساب، وقد مضت قرونٌ من الأمم قبلي ومضت آلاف السنين، ولم يُبعَثْ منهم أحدٌ. ووالداه يستصرخان الله عليه، ويستغيثانه عليه أن يؤمن بالله ويقرَّ بالبعث، ويلجآن إلى الله أن يرشده ويهديه، ويقولون له: ويلك وهلاكك آمن مع المؤمنين، لأنَّ وعد الله حقٌّ، وقد وعد المؤمنين بالثواب، والكافرين بالعقاب، فيردُّ عليهما قائلاً: ما هذا الذي تقولونه إلَّا من أساطير وأباطيل الأولين[٨٩٣].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

ذهب بعض العلماء إلى أنَّ القراءات الثلاث بمعنى واحدٍ والاختلاف فيها من قبيل اللغات. قال البغوي: «﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾ فيه ثلاث لغاتٍ، قرأ ابن كثير وابن عامرٍ ويعقوب: بفتح الفاء، وقرأ أبو جعفر ونافع وحفص بالكسر والتنوين، والباقون بكسر الفاء غير منون ومعناها واحدٌ وهي كلمة كراهيةٍ»[٨٩٤].

وقال مكي ابن أبي طالب: «وأصل (أُف) المصدر من قوله: أُفّه وتُفه، أي: نَتْناً ودَفْراً، وهو اسمٌ سُمِّي به الفعل، فبنيَ على فتح أو على كسرٍ أو على ضمٍّ، منون أو غير منونٍ، ذلك جائزٌ فيه لأنَّ فيه لغَاتٌ مشهورةٌ. فمن نوَّنه قدَّر فيه التنكير، ومن لم ينوِّنه قدَّر فيه التعريف، ومعناه لا يقع منك لهما تكَرُّهٌ وتضجُّرٌ»[٨٩٥].

إلَّا أنَّ كلَّ قراءةٍ من القراءات الثلاث لها دلالتها على المعنى حسب ما تفيده كلُّ حركةٍ على آخر الكلمة.

---

(٨٩٣) انظر جامع البيان م١١ ج٢٦ ص١٣ ـ ١٤، التفسير الواضح م٣ ج٢٦ ص١١.

(٨٩٤) معالم التنزيل ج٣ ص٩١ عند تفسيره للآية (٢٣) من سورة الإسراء، انظر الجامع لأحكام القرآن ج٨ ص٤٨٩، فتح القدير ج٥ ص٨٢.

(٨٩٥) الكشف عن وجوه القراءات السبع ج٢ ص٤٢، عند حديثه عن الآية (٢٣) من سورة الإسراء.

فقراءة (أُفَّ) بالفتح أفادت تعريف (أُف) وهو الصوت المعروف لدى النَّاس بالتأفف وهو الأذى الذي أقله الأذى باللسان بأوجز كلمة. وفي ذلك دلالةٌ على النهي عن التأفف المتعارف عليه ولو كان بسيطاً.

وأمَّا قراءة (أُفِّ) بالكسر بدون تنوينٍ أفادت تعريف (أُف) أيضاً ولكنَّه التأفف البسيط الذي يحملِ الأذى باللسانِ، أو بالحركة، ولكن بدرجةٍ أقل من سابقه. وفي ذلك دلالةٌ على النهي عن التأفف ولو بأقل ما يسمع من صوتٍ.

وأمَّا قراءة ﴿أُفٍّ﴾ بالكسر مع التنوينِ فقد أفادت تنكير (أُف) وهو أيُّ صوتٍ أو تذمُرٍ غير متعارفٍ عليه ولو كان بسيطاً جدّاً. وفي ذلك دلالة على النهي عن أي تذمُرٍ ولو كان غير متعارفٍ عليه.

قال أبو علي الحسن الفارسي: «من نوَّنَ فقال: (أُفٌّ) جعله نكرةً مثل غاقٍ وصهٍ، ونحو ذلك من الأصوات، وهذا التنوين في الصوت دليل التنكير، ومن لم يُنوِّن جعله معرفةً، كأنَّه في المعنى الصوت الذي يُعرف، وكلُّ واحدٍ من الكسرِ والفتح، إنَّما هو لالتقاء الساكنين، فأمَّا التنوين فدليل التنكير، وحذفه دليل التعريف»(٨٩٦).

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءات يتبيَّنُ أنَّ كلَّ أنواع التذَمُرِ والتضجُر المتعارف عليه وغير المتعارف عليه ولو كان قليلاً ولو بأيسر جزءٍ من لفظةٍ أو حركةٍ فيها أذى، بصوتٍ أو بدون صوتٍ فمنهيٌّ عنها.

٦ ـ قال تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الأحقاف: ١٩].

(٨٩٦) الحجة للقراء السبعة ج٣ ص٣٩٩، انظر إعراب القراءات السبع وعللها ج١ ص٣٦٧ عند حديثه عن الآية (٢٣) من سورة الإسراء.

القراءات:

١ ـ قرأ ابن كثيرٍ، والبصريان، وعاصم ﴿وَلِيُوَفِّيَهُمْ﴾ بالياء.

٢ ـ قرأ الباقون (ولنُوَفِّيَهُم) بالنون[٨٩٧].

المعنى اللغوي للقراءات:

الوفاء: هو التمام، والوافي: الذي بلغ التمام، فيقال: درهمٌ وافٍ، وأوفيت الكيل والميزان، أي: أتممته، وأوفى: إذا تمَّم العهد ولم ينقض حفظه، وضده الغدر[٨٩٨]. ومن قال أوفى فمعناه: أوفاني حقَّه، أي: أتمَّه ولم ينقص منه شيئاً، والوفِيُّ: الذي يعطي الحقَّ ويأخذ الحقَّ[٨٩٩].

التفسيـر:

يبيِّن الله تعالى في هذه الآية الكريمة مراتب ودرجات كلٍّ من الفريقين يوم القيامة، فريق المؤمنين المحسنين، وفريق الكافرين المسيئين، «ولكلِّ فريقٍ من الفريقين المؤمنين المحسنين الأبرار، والكافرين الأشقياء المسيئين الأشرار من الجنِّ والإنس مراتب، ومنازل عند الله يوم القيامة إما عُليَا، وإما دُنيَا، من جزاء ما عملوا من الخير والشر، ومن أجل ما عملوا منها، وليوفيهم جزاء أعمالهم، المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته، وهم لا يظلمون شيئاً بنقص ثوابٍ أو زيادة عقابٍ، ولا يظلمهم الله مثقال ذرةٍ فما دونها»[٩٠٠].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (لِيُوفِّيَهُم) بياء الغيبة أنَّ الله تعالى يخبر عن نفسه أنه

(٨٩٧) انظر النشر في القراءات العشر ج٢ ص٣٧٣، المبسوط في القراءات العشر ص٢٤٩.

(٨٩٨) انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٨٧٨.

(٨٩٩) انظر اللسان ج١٥ ص٣٩٨.

(٩٠٠) التفسير المنير ج٢٦ ص٤٤.

سيحاسب كلاً بعمله ليوفيهم جزاء أعمالهم كاملةً دون نقصِ ثوابٍ أو زيادة عقابٍ، وذلك على نسق قوله تعالى: ﴿وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ﴾ [الأحقاف: ١٧](٩٠١) أو على نسق قوله تعالى: ﴿نَتَقَبَّلُ، وَنَتَجَاوَزُ﴾ [الأحقاف: ١٦] والمعنى: (يتقبل الله، ويتجاوز، وليوفيهم أعمالهم)، وذلك ليأتلف الكلام على نظامٍ واحدٍ(٩٠٢).

وأمَّا قراءة (لِنُوَفِّيَهُم) بالنُّون فقد أفادت أنَّ الله تعالى يخبر عن نفسه بنون العظمة أنَّه سيحاسب كلاً بعمله يوم القيامة ليُوفيهم جزاء أعمالهم، على معنى: لنوفِّيَهم نحن أعمالهم، وحجتهم في ذلك أنَّها جاءت عقيب قوله تعالى: ﴿نَتَقَبَّلُ، وَنَتَجَاوَزُ﴾ [الأحقاف: ١٢] ليأتلف الكلام على نسقٍ واحدٍ(٩٠٣). وفي هذه القراءة التفاتٌ من الغيبة إلى التكلم بنون العظمة تعظيماً لله تعالى.

الجمع بين القراءتين:

كلتا القراءتين أفادتا الإخبار من الله ﷻ عن نفسه أنه سيحاسب كلًّا بعمله ويوفيهم جزاء أعمالهم كاملةً دون نقصان ثوابٍ أو زيادة عقابٍ، إلَّا أنَّ إسناد الفعل إلى الله تعالى بنون العظمة فيه مزيد عنايةٍ بالمؤمنين وترغيبٌ لهم بالإكثار من الحسنات وتشويقٌ لهم ليوم الجزاء، وبقدر ذلك فيه مزيد تهديدٍ ووعيدٍ بالعقاب للكافرين المسيئين والانتقام منهم على قدر ما عصوا الله تعالى وأساءوا في حياتهم.

٧ ـ قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ

---

(٩٠١) انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع ج٢ ص٢٧٣.

(٩٠٢) انظر حجة القراءات ص ٦٦٥، الكشف عن وجوه القراءات السبع ج١ ص٣٤٥، عند الحديث عن الآية (٥٧) من سورة آل عمران.

(٩٠٣) انظر معاني القراءات ج٢ ص٣٨١، حجة القراءات ص٦٦٥، الكشف عن وجوه القراءات السبع ج٢ ص٢٧٣.

ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأحقاف: ٢٠].

القراءات:

١ ـ قرأ ابن ذكوان، وروحٌ (أَأَذْهَبْتُم) بهمزتين مفتوحتين محققتين من غير مدٍّ. وابن كثيرٍ، وأبو جعفر، ورويس بهمزتين محققة فمسهلة. وهشام، وأبو جعفر أطول مدّاً على أصلهما في قراءة الهمز.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿أَذْهَبْتُمْ﴾ بهمزةٍ واحدةٍ على الخبر[٩٠٤].

المعنى اللغوي للقراءات:

الذهاب: السير والمرور، يقال: يَذهبُ ذهاباً، والمذهب: مصدر، كالذهاب، وذهب به وأذهَبَه غيره: أزاله[٩٠٥]، ويقال: ذهب الأثر: زال وامَّحي، ويقال: ذَهَبَتْ به الخُيَلاءُ: أزالته عن وقاره[٩٠٦].

التفسير:

بعد بيان إيصال الحق لكل إنسانٍ واستيفاء جزاء أعماله كاملاً دون نقصٍ يوم القيامة، بيَّن الله تعالى في هذه الآية الكريمة أحوال العقاب وأهوال القيامة التي يتعرض لها الكفار المجرمون يوم القيامة، ومعنى الآية: «واذكر أيها النبيُّ لقومك حين تعرض النَّار على الكفَّار، يعذبون فيها، أو ينكشف الغطاء، فينظرون إلى النَّار، ويقربون منها، فيقال لهم تقريعاً وتوبيخاً: استوفيتم وأخذتم لذائذكم في الدنيا، وتمتعتم بها، باتباع الشهوات، واللَّذات في معاصي الله سبحانه دون مبالاةٍ بالذنب، وتكذيباً منكم لما جاءت به الرُّسل من الوعد بالحساب، والعقاب، والثواب، فلم

(٩٠٤) انظر البدور الزاهرة ص٤٠٩، تحبير التيسير ص٢٠٧.

(٩٠٥) انظر لسان العرب ج١ ص٣٩٣.

(٩٠٦) انظر المعجم الوسيط ص٣٤٠.

يبق لكم بعد استيفاء حظوظكم شيءً منها، ففي هذا اليوم تجازون بالعذاب الذي فيه ذلٌ لكم، وخزيٌ عليكم، وإهانةٌ بسبب تكبركم عن عبادة الله، والإيمان به، وتوحيده، وخروجكم عن طاعة الله، وعملكم بمعاصيه»(٩٠٧).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة ﴿أَذْهَبْتُمْ﴾ بهمزةٍ واحدةٍ أنَّ الكلام خبرٌ عنهم، أي: يقال لهم ذلك على سبيل التقريع والتوبيخ لهم، والمعنى: ويوم يُعرَضُ الذين كفروا على النَّار يقال لهم: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ﴾(٩٠٨).

وأمَّا قراءة (أَأَذْهَبْتُم) بهمزتين الأولى للاستفهام والثانية ألف القطع بدون مدٍّ بينهما، فقد أفاد الاستفهام الإنكار والتقريع والتوبيخ مع التهديد والوعيد، الذي يدل عليه قوله تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ . . .﴾ «والمعنى والله أعلم: أأذهبتم طيباتكم وتلتمسون الفرج؟ هذا غير كائنٍ»(٩٠٩). قال البقاعي: «(أَأَذْهَبْتُم) في قراءة نافع، وأبي عمرو، والكوفيين بالإخبار، وقراءة الباقين بالاستفهام لزيادة الإنكار والتوبيخ»(٩١٠).

وأمَّا قراءة (ءاأَذْهَبْتُم) بهمزتين مع المد بينهما، فقد أفادت ما أفادته قراءة (أَأَذْهَبْتُم) بهمزتين بدون مدٍّ، مع الإنكار والتوبيخ، إلا أنَّ فيها المبالغة والشدة في الإنكار على هؤلاء الكفار، وفيها زيادة تقريع وتوبيخٍ وتشنيعٍ لهم على فعلهم، مع زيادة التهديد والتخويف، ممَّا يدل على شدة معصيتهم لله تعالى وإنكارهم لنعمه ولذلك جاءت قراءة الاستفهام مع المد لتدل على عظم معصيتهم، وكبر جرمهم في حق الله تعالى.

(٩٠٧) التفسير المنير ج٢٦ ص٤٥.

(٩٠٨) انظر حجة القراءات ص٦٦٥.

(٩٠٩) المصدر السابق ص٦٦٥.

(٩١٠) انظر نظم الدرر ج٧ ص١٣٣.

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءات يتبيَّن أنَّ الله تعالى يخبر عمَّا سيحدث مع هؤلاء الكفار المجرمين يوم القيامة حيث سيقف الذين كفروا على النَّار فيرون سعيرها ثم يلقون فيها، ويقال لهم على سبيل الزجر والتأنيب والتقريع والتوبيخ ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا﴾ أي: ضيعتم وأتلفتم الطيبات التي أنعم الله بها عليكم في حياتكم الدنيا، لأنَّهم لم يذكروا الله حقَّ ذكره عند شهواتهم بل نالوها مع مخالفة أمره ونهيه ﷻ، ولذلك يقال لهم تهديداً ووعيداً ﴿فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ﴾[911].

٨ ـ قال تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّي أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأحقاف: ٢٣].

القراءات:

١ ـ قرأ أبو عمرو (أُبْلِغُكُم) بسكون الباء، وتخفيف اللام.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿وَأُبَلِّغُكُم﴾ بفتح الباء وتشديد اللام[912].

المعنى اللغوي للقراءات:

البلاغ في اللغة له عدة معانٍ ومنها: البلاغ بمعنى الانتهاء إلى أقصى المقصد والمنتهى، مكاناً كان أو زماناً، أو أمراً من الأمور، والبلاغ: بمعنى الكفاية، والبلاغ: بمعنى التبليغ، ومنه الإبلاغ: بمعنى الإيصال، يقال: بَلَّغْتُ القوم بَلاغاً وهو اسمٌ يقوم مقام التبليغ، بمعنى: أوصلتُ لهم رسالةً أو كلاماً، وأَبْلَغْتُهُ، وبَلَّغْتُه: بمعنىً واحدٍ[913].

---

(٩١١) انظر نظم الدرر ج٧ ص١٣٣، التفسير الوسيط م١٣ ج٢٦ ص٣٥.

(٩١٢) انظر إتحاف فضلاء البشر ص٥٠٥، المستنير في القراءات المتواترة ج٣ ص٩٤.

(٩١٣) انظر مفردات ألفاظ القرآن ص١٤٤، لسان العرب ج٨ ص٤١٩.

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن هودٍ عليه السلام، إذ أرسله الله تعالى إلى قوم عادٍ كبقية الرسل إلى أقوامهم، لينذرهم من عذاب الله تعالى، ويبلِّغُهم رسالة ربِّه، فما كان منهم إلَّا أنْ صدُّوا عن دعوة الله تعالى، وطلبوا منه أنْ يأتيهم بما يعدهم من عذابٍ إنْ كان صادقاً، مستبعدين أن يقع ذلك، فقال لهم عندئذٍ: «إنَّما العلم عند الله، فهو وحده الذي يعلم متى يأتي العذاب، وإنَّما أنا رسولٌ فقط لا علم لي بشيءٍ وظيفتي البلاغ، أبلغكم ما أرسلت به إليكم، ولكنِّي أراكم قوماً تجهلون الحقائق العامة»(٩١٤).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (أُبْلِغُكُم) بالتخفيف: أنَّ مهمَّة الرسول هي إبلاغ الرِّسالة التي أمره الله تعالى بها مطلق تبليغٍ إلى قومه بإيصالها إليهم دون بذل الجهد في التبليغ، وهي تدل على قصرِ الفعل وسرعته بدون مبالغةٍ في الفعل وإلحاحٍ عليهم بتقبل سبل الهداية.

وأمَّا قراءة ﴿وَأُبَلِّغُكُمْ﴾ بالتشديد: فإنَّها تفيد أنَّ مهمَّة الرسول هي تبليغ الرسالة التي أمره الله تعالى بها مع المبالغة في الفعل والتكرار وبذل كامل الجهد في إيصالها إليهم لإقامة الحجة عليهم، «والمعنى: أنَّ الذي شأني وشرطي: أن أبلغكم ما أرسلت به من الإنذار والتخويف والصَّرْفِ عمَّا يعرِّضُكم لسخط الله بجهدي»(٩١٥).

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين يتبيَّن أنَّ مهمة الرسل هي إبلاغ الرِّسالة التي أمرهم الله تعالى بها، بما فيها من إنذارٍ ووعيدٍ بعذاب الله تعالى، إن لم يؤمنوا بها وذلك مجرد إيصالٍ وإبلاغٍ، ولكن لمزيد إقامة الحجة عليهم،

---

(٩١٤) التفسير الواضح م٣ ج٢٦ ص١٤.

(٩١٥) الكشاف ج٣ ص٥٢٤.

يبذل الرسل كامل جهدهم ووقتهم في دعوتهم إلى الله تعالى وإقناعهم بها، وصرفهم عن عذاب الله تعالى أن يحقَّ بهم، فإن لم يؤمنوا، بعد ذلك ينزل بهم عذاب الله تعالى، وتقام عليهم الحُجَّةُ يوم القيامة، والله تعالى أعلم.

٩ ـ قال تعالى: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [الأحقاف: ٢٥].

القراءات:

١ ـ قرأ يعقوب، وعاصمٌ، وحمزة، وخلفٌ ﴿يُرَىٰٓ﴾ بضم الياء وفتح الراء، و﴿مَسَٰكِنُهُمْ﴾ بضم النون.

٢ ـ قرأ الباقون (تَرَى) بتاءٍ مفتوحةٍ على الخطاب، و(مَسَاكِنَهُم) بفتح النون[٩١٦].

المعنى اللغوي للقراءات:

سبق التعرض لمعنى هذه القراءة عند تفسير الآية (٢٩) من سورة فصلت[٩١٧].

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن عذاب قوم هودٍ عليه السلام إذ كذَّبوا نبيَّهم هوداً عليه السلام، وصدُّوا أنفسهم عن دعوة الله تعالى، فأرسل الله عليهم ريحاً فيها عذابٌ مؤلمٌ شديدٌ عاصفٌ تخرِّبُ وتهلك كلَّ شيءٍ تمرُّ عليه من النَّاس، والدواب، والأموال، بأمرِ الله تعالى، ولم يسلم من هذا العذاب إلَّا هودٌ عليه السلام ومن آمن معه، فأصبحوا بعد هذا العذاب لا يُرى من آثارهم إلا مساكنُهم لتبقى شاهدةً عليهم، ولتكون عبرةً لمن بعدهم، وبمثل هذه العقوبة

---

(٩١٦) انظر النشر في القراءات العشر ج٢ ص٣٧٣، المستنير في القراءات العشر ص٤٠٤.

(٩١٧) انظر ص ١٠٠ من هذا البحث.

يجزي الله تعالى الكافرين المجرمين[918].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة ﴿يُرَىٰٓ﴾ بالضم على المبني للمفعول ورفع ﴿مَسَٰكِنُهُمۡۚ﴾ على أنَّها نائب فاعلٍ، أنَّ الفعل (يُرَى) عامٌ للجميع لكل من تتأتى منه الرؤية في ذلك الوقت وفي كل وقتٍ والمعنى: لا يُرى شيءٌ إلا مساكنهم ما زالت قائمةً لأنَّهم هلكوا جميعاً[919].

وأمَّا قراءة (تَرَى) بالتاء المفتوحة على الخطاب فقد أفادت أنَّ المقصود هو النبيُّ ﷺ على معنى: لا ترى يا محمد شيئاً إلا مساكنَهم[920]، أو أنَّ المخاطب كلُّ من تتأتى منه الرؤية حينئذٍ على قول بعض العلماء، قال ابن عاشورٍ: «والخطاب في قوله: (لا تَرَى) لمن تتأتى منه الرؤية حينئذٍ إتماماً لاستحضار حالة الدمار العجيبة حتى كأنَّ الآية نازلةٌ في وقت حدوث هذه الحادثة»[921].

وقال الألوسي: «وقرأ الجمهور (لا تَرَى) بتاء الخطاب (إلا مساكنَهم) بالنصب، والخطاب لكلِّ أحدٍ تتأتى منه الرؤية تنبيهاً على أنَّ حالهم بحيث لو حضر كل أحدٍ بلادهم، لا يرى إلا مساكنهم، أو لسيد المخاطبين ﷺ»[922].

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين يتبيَّن أنَّ الرؤيةَ لجميعِ من تتأتى منه الرؤية

---

(٩١٨) انظر التفسير الواضح م٣ ج٢٧ ص١٤.

(٩١٩) انظر التفسير الواضح م٣ ج٢٦ ص١٤، المستنير في تخريج القراءات المتواترة ج٣ ص٩٥.

(٩٢٠) انظر بحر العلوم ج٣ ص٢٣٥، فتح القدير ج٥ ص٣٢، حجة القراءات ص٦٦٦.

(٩٢١) التحرير والتنوير م١٢ ج٢٦ ص٥١.

(٩٢٢) روح المعاني ج٢٦ ص٢٦.

سواءً كان في عهد قوم هودٍ من غيرهم لمن حضر بلادهم، أو في عهد النبي ﷺ، وفي ذلك مزيد إعجازٍ وعبرةٍ، بأن جعل الله تعالى بيوتهم قائمةً حتى يراها كلُّ إنسانٍ ليستحضر حالة الدمار والهلاك الحاصلة بهم فيعتبر منها.

١٠ ـ قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾﴾ [الأحقاف: ٣٣].

القراءات:

١ ـ قرأ يعقوب (يَقْدِرُ) بالياء وسكون القاف.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿بِقَادِرٍ﴾ بالياء والألف[٩٢٣].

المعنى اللغوي للقراءات:

القادر والقدير: من صفات الله تعالى يكونان من القُدْرَة، ويكونان من التقدير، والقادر: اسم فاعلٍ من قدَرَ يَقْدِرُ، والقدير فعيل منه وهو للمبالغة[٩٢٤].

«والقدرة: إذا وصف بها الإنسان، فاسم لهيئة له بها يتمكن من فعل شيءٍ ما، وإذا وصف الله تعالى بها فهي نفيُ العجز عنه»[٩٢٥].

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن دليل قدرة الله تعالى على البعث والنشور، والإحياء بعد الإماتة ردّاً على الكفَّار المنكرين لحقيقة البعث يوم القيامة المستبعدين حدوثه، مع الاستدلال على ذلك بدليل قدرته الواسعة على خلق

(٩٢٣) انظر إتحاف فضلاء البشر ص٥٠٥، المبسوط في القراءات العشر ص٢٤٩.

(٩٢٤) انظر اللسان ج٥ ص٧٤.

(٩٢٥) مفردات ألفاظ القرآن ص٦٥٧.

السموات والأرض وما فيها بأيسر ما يمكن دون جهدٍ أو تعبٍ، قال ابن كثيرٍ: «يقول تعالى: أولم ير هؤلاء المنكرون للبعث يوم القيامة المستبعدون قيام الأجساد يوم المعاد ﴿أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ﴾ أي: ولم يكرثه خلقهن بل قال لها كوني، فكانت بلا ممانعةٍ ولا مخالفةٍ، بل طائعةً مجيبةً خائفةً وَجِلَةً أفليس ذلك بقادرٍ على أن يحيي الموتى؟ كما قال ﷻ في الآية الأخرى ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [غافر: ٥٧] ولهذا قال تعالى: ﴿بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾»(٩٢٦).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قراءة ﴿بِقَٰدِرٍ﴾ بصيغة اسم الفاعل تدل على ثبوت القدرة لله تعالى التي لا تساويها قدرةٌ، مع التأكيد على نفي ادعائهم وإنكارهم لحقيقة البعث والذي يدل عليه حرف الجر الَّذي سبق الاسم (بِقَادِرٍ)، قال البقاعي: «وأكد الإنكار المتضمن للنفي بزيادة الجار في حيز (أن) فقال تعالى: ﴿بِقَٰدِرٍ﴾ أي: قدرةً عظيمةً تامَّةً بليغةً»(٩٢٧).

وقال عند تفسير قوله تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم﴾ [يس: ٨١]: «وأثبت الجار تحقيقاً للأمر، وتأكيداً للتقرير فقال: (بقادرٍ) أي: بثابتٍ له قدرةٌ لا يساويها قدرةٌ»(٩٢٨).

وأمَّا قراءة (يَقْدِرُ) بصيغة الفعل المضارع فإنها تفيد استمرار القدرة لله تعالى على الإحياء بعد الإماتة في المستقبل وعلى الدوام، حيث إنَّ الفعل المضارع يفيد الاستمرار، والتكرار، والتجدد، قال البقاعي: «ومعنى قراءة رويس عن يعقوب (يَقْدِرُ) بتحتانيةٍ مفتوحةٍ، وإسكان القاف من غير ألف،

(٩٢٦) تفسير القرآن العظيم ج٤ ص١٧٤.

(٩٢٧) نظم الدرر ج٧ ص١٤٤.

(٩٢٨) المصدر السابق ج٦ ص٢٨٧ عند تفسيره للآية (٨١) من سورة يس.

ورفع الراء، أنَّه يجدد تعليق القدرة على سبيل الاستمرار»[٩٢٩]، وفي ذلك نفي العجز عن الله تعالى من كلِّ وجهٍ، كما أنَّ هذه القراءة فيها مزيد بيانٍ لقدرة الله تعالى، وزيادة استدلالٍ على البعث.

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين يتبيَّن أنَّ الآية فيها تأكيدٌ على كمال قدرة الله تعالى الواسعة في كل وقتٍ في الماضي والحال والمستقبل على الإحياء وغير ذلك مما تقتضيه حكمة الله تعالى، مع التأكيد على نفي إنكار الكفَّار لحقيقة البعث، وفي ذلك زيادة توبيخٍ وتقريعٍ للمشركين على جهلهم وانطماس بصائرهم حيث لم يعرفوا أنَّ الله تعالى الذي له هذه القدرة المطلقة الواسعة لقادرٌ على أنْ يعيدهم إلى الحياة بعد موتهم[٩٣٠].

(٩٢٩) نفس المصدر السابق ج٦ ص٢٨٧ عند تفسيره للآية (٨١) من سورة يس.

(٩٣٠) انظر التفسير الوسيط م١٣ ج٢٦ ص٥٠.

المبحث الثالث
عرضٌ وتفسيرٌ لآيات سورة محمد
المتضمنة للقراءات القرآنية العشر

١ - قال تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾﴾ [محمد: ٤].

القراءات:

١ - قرأ حفصٌ وأبو عمرو، ويعقوب ﴿قُتِلُواْ﴾ بضم القاف وكسر التاء.

٢ - قرأ الباقون (قاتَلُوا) بالألف وفتح التاء(٩٣١).

المعنى اللغوي للقراءات:

أصلُ القَتْلِ: إزالة الروح عن الجسد، كالموت، لكن إذا اعتُبِرَ بفعل المُتَوَلِّي لذلك يُقال: قَتْلٌ، وإذا اعتُبِرَ بِفَوت الحياةِ يُقال: مَوْتٌ. والمُقَاتَلَة: المحاربة وتحرِّي القَتْل، ومثله قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ [البقرة: ١٩٣]. وهي على صيغة المفاعلة(٩٣٢) التي تعني المشاركة بين طرفي الفعل.

---

(٩٣١) انظر النشر في القراءات العشر ص٣٧٤، المبسوط في القراءات العشر ص٢٥٠.

(٩٣٢) انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٧٠٠.

التفسـير:

يأمر الله تعالى في هذه الآية الكريمة المؤمنين بجهاد الكافرين، مع بذل الجهد في قتلهم لتطهير الأرض من رجسهم، حتى لا تبقى لهم شوكةٌ، ولا قوةٌ في الأرض ليكونوا أذلةً صاغرين أمام عزة المؤمنين، كما ويرشدهم ﷻ إلى كيفية التعامل معهم في المعارك والحروب، فأمر ﷻ المؤمنين بضَربِ رِقابِ الكافرين في القتال فقال: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ﴾، قال الزجاج: «أي فاضربوا الرّقاب ضرباً»[(٩٣٣)]، وقال القرطبي: «خصَّ الرِّقاب بالذكر لأن القتل أكثر ما يكون بها»[(٩٣٤)]، قال الزمخشري: «وفي هذه العبارة ﴿فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ﴾ من الغلظة والشدة ما ليس في لفظ القتل، لما فيها من تصوير القتل بأشنع صورةٍ، وهو حزُّ العنق، وإطارة الرأس عن البدن، ولقد زاد من هذه الغلظة في قوله تعالى: ﴿فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾﴾» [الأنفال: ١٢][(٩٣٥)]، ثم قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ﴾ أي: حتى إذا هزمتموهم وأكثرتم فيهم القتل والجراحات، ولم تبق لهم قوةٌ فأسروهم وشدوا عليهم الحبلَ، ﴿فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾، أي: فإمَّا أنْ تَمُنُّوا عليهم وتطلقوا سراحهم، وإمَّا أن تطلقوهم نظير فديةٍ، ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ أي: حتى يضع أهل الحرب أسلحتهم فلا يقاتلون، وقيل: حتى لا يبقى أحدٌ من المشركين[(٩٣٦)]، ﴿وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾ أي: ولو شاء الله لانتقم من الكافرين بعقوبةٍ ونكالٍ من عنده، ولكنَّه أمركم بالجهاد وقتال الأعداء ليختبر إيمانكم وثباتكم ويظهر المطيع من العاصي، ﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾، أي: والذين استشهدوا وهم يدافعون عن دين الله فلن يُذْهِبَ أعمالهم بل يكثرها، وينميها، ويجازيهم عليها يوم القيامة[(٩٣٧)].

---

(٩٣٣) معاني القرآن وإعرابه ج٥ ص٦.

(٩٣٤) الجامع لأحكام القرآن ج٨ ص٥١٢، انظر فتح القدير ج٥ ص٤٣.

(٩٣٥) الكشاف ج٣ ص٥٣٠.

(٩٣٦) انظر مجمع البيان م٦ ج٢٦ ص٣٠.

(٩٣٧) انظر تفسير القرآن العظيم ج٤ ص١٧٦.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة ﴿قُتِلُوا﴾ بضم القاف وكسر التاء بدون ألفٍ: أن الله تعالى وعد الذين قُتِلوا في سبيل الله تعالى على أيدي الكفار، بأنَّهم لن يُذْهِبَ عملهم وسيهديهم إلى طريق الجنة، ويصلح بالهم في الآخرة، قال مكي بن أبي طالب: «وفي هذه القراءة قوةٌ وزيادة معنىً، وذلك أنَّ من قُتِل في سبيل الله لم يقتل حتى قاتل، فقد اجتمع له القتال في سبيل الله تعالى ثم القتل، فكان من قُتِل في قتال في سبيل الله، فقد قاتل، وليس كل من قاتل قُتِلَ»[٩٣٨].

وأما قراءة (قاتلوا) بالألف، وفتح التاء، فإنَّها تفيدُ أنَّ وَعْدَ الله تعالى عامٌّ لجميع من قاتل في سبيل الله تعالى سواءً قُتِلَ أو لم يُقْتَل، قال ابن زنجلة: «وقرأ الباقون (قاتَلوا) أعمُّ ثواباً وأبلغ للممدوح في المجاهدين في سبيل الله، لأنّه إذا فعل ذلك بالمقاتل في سبيله، وإن لم يُقْتَل ولم يَقْتُل كان أعمَّ من أن يكون ذلك الوَعْدُ منه لمن قُتِلَ دون من قاتل»[٩٣٩].

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين يتبيَّن أنَّ الله تعالى وَعَدَ جميع من قاتل في سبيله ﷻ سواء قُتِلوا أو لم يُقتَلوا بأنَّه لن يُضَيِّع أعمالهم ولن يهلكها بل يجازيهم عليها في الآخرة، قال البقاعي: «وفي قراءة البصريين، وحفص ﴿قُتِلُوا﴾ وهي أكثر ترغيباً، والأولى (قاتلوا) أعظم ترجيةً»[٩٤٠].

٢ ـ قال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ

---

(٩٣٨) الكشف عن وجوه القراءات السبع ج٢ ص٢٧٦.

(٩٣٩) حجة القراءات ص٦٦٦، انظر الحجة للقراء السبعة ج٣ ص٤٠٢.

(٩٤٠) نظم الدرر ج٧ ص١٥٣.

أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾ [محمد: ١٥].

القراءات:

١ ـ قرأ ابن كثيرٍ (أَسِنٍ) بغير مد بعد الهمزة.

٢ ـ قرأ الباقون (آسِنٍ) بالمد[٩٤١].

المعنى اللغوي للقراءات:

الآسِنْ من الماء: مثل الآجن[٩٤٢]، يقال: أسِنَ الماء إذا تغيَّرت ريحه وطعمه تغيُّراً منكراً[٩٤٣].

التفسير:

يُبيِّن الله تعالى في هذه الآية الكريمة الفرق بين المؤمنين والكافرين في الجزاء، والمآل يوم القيامة، فذكر ما أعدَّه الله تعالى للمؤمنين المتقين من أنواع النعيم الكثيرة التي لا تخطر على بالٍ، ومن جملتها، أنهارٌ من ماءٍ لا يتسرب إليه نتنٌ ولا رائحةٌ كريهةٌ ولا يتغير طعمه لطول المكث، وفيها أنهارٌ من لبن صابحٍ[٩٤٤] لا يتغير طعمه بحموضةٍ كلبن الدنيا، وفيها أنهارٌ من عسلٍ مصفًّى، خالصٍ من الشمع والقذى والشوائب، ولهم أيضاً في الجنَّة من كل أصناف وأنواع الثمار وأشهاها وأحسنها، وإلى جانب كلِّ ذلك، لهم مغفرةٌ عظيمةٌ من ربهم لذنوبهم، وذكر مقابل ذلك، ما أعدَّه للكافرين من خلودٍ في نار جهنم وعذابٍ شديدٍ بما كانوا يكسبون في الدنيا، ومن جملة عذابهم، الماء الحميم شديد الغليان يُسقاه الكافرون فيقطع أمعاءهم، إلى

---

(٩٤١) انظر النشر في القراءات العشر ج٢ ص٣٧٤.

(٩٤٢) الآجن: هو ما تغير طعمه ولونه ورائحته، انظر المعجم الوسيط ص٢٧.

(٩٤٣) انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٧٦، لسان العرب ج١٣ ص١٦.

(٩٤٤) الصَّابح: البَيِّن، الواضح، المشرق، يقال: صَبُحَ الوجه صباحةً: أشرق وجَمُلَ، ولبنٌ صابحٌ أي: شديد البياض والوضوح. انظر المعجم الوسيط ص٥٣٠.

جانب أنواع العذاب الأخرى، فلا يستوي حال الكافرين وجزاؤهم، وحال المؤمنين وجزاؤهم بحال(٩٤٥).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (غيرُ أسِنٍ) بدون مدٍّ على صيغة (فَعِلَ)، أنها إخبارٌ من الله تعالى عن الحال التي يكون عليها الماء حين جريه، والمعنى: أنَّ في الجنةِ أنهاراً من ماءٍ غير متغيرٍ في حال جريه(٩٤٦).

وأمّا قراءة (غيرُ آسِنٍ) بالمد على صيغة (اسم الفاعل) تفيد أنَّها إخبارٌ من الله تعالى عن حال الماء فيما لا يصير إليه في المستقبل مع طول المكث(٩٤٧).

والمعنى: أنَّ في الجنَّة أنهاراً من ماءٍ لا يتغير على كثرة المكث(٩٤٨).

قال الطبرسي: «قال أبو الحسن (أَسِنٍ) إنما هو للحال التي تكون عليها، ومن قرأ (آسِنٍ) على فاعل فإنَّما يريد أن ذلك لا يصير إليه فيما يستقبل. . .، المعنى: (فيها أنهارٌ من ماءٍ غيرُ آسنٍ) أي: غير متغيرٍ لطول المقام كما تتغير مياه الدنيا»(٩٤٩).

الجمع بين القراءات:

القراءتان معاً تكشفان عن صفة ماء الأنهار التي تجري في الجنَّة بأنَّه ماءٌ ثابتٌ غيرُ متغيرِ الطعم واللون والرائحة حال جريه، ولن يتغير مستقبلاً

(٩٤٥) انظر التفسير الواضح م٣ ج٢٦ ص٢٦، فتح القدير ج٥ ص٤٩.

(٩٤٦) انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع ج٢ ص٢٧٧، الحجة للقراء السبعة ج٣ ص٤٠٣.

(٩٤٧) انظر حجة القراءات ص٦٧٧.

(٩٤٨) انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع ج٢ ص٢٧٧.

(٩٤٩) مجمع البيان م٦ ج٢٦ ص٣٤.

مع طول المكث، «وإن أضيف إليه غيره فإنه لا يقبل التغير بوجهٍ»[(٩٥٠)]، والله تعالى أعلم.

٣ ـ قال تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾﴾ [محمد: ٢٢].

القراءات:

١ ـ قرأ نافعٌ (عَسِيْتُم) بكسر السين.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿عَسَيْتُمْ﴾ بفتح السين[(٩٥١)].

٣ ـ قرأ رويس (تُوُلِّيْتُم) بضم التاء والواو، وكسر اللام المشددة.

٤ ـ قرأ الباقون ﴿تَوَلَّيْتُمْ﴾ بفتح التاء والواو واللام المشددة.

٥ ـ قرأ يعقوب (تَقْطَعُوا) بفتح التاء، وإسكان القاف، وفتح الطاء مخففةً.

٦ ـ قرأ الباقون ﴿وَتُقَطِّعُوا﴾ بضم التاء، وفتح القاف، وكسر الطاء مشددةً[(٩٥٢)].

المعنى اللغوي للقراءات:

١ ـ عسى: «فعلٌ جامدٌ من أخوات كادَ، وتكون للتَّرجِّي في المحبوب، والإشفاق في المكروه»[(٩٥٣)].

وقيل: عسى كلمة تكون للشك واليقين، فإذا وقعت من الله تعالى فهي يقين، وإذا وقعت من العباد فهي ظنٌّ[(٩٥٤)].

---

(٩٥٠) نظم الدرر ج٧ ص١٥٩.

(٩٥١) انظر غيث النفع ص٤٨٨، البدور الزاهرة ص٤١٢.

(٩٥٢) انظر النشر في القراءات العشر ج٢ ص٣٧٤، تحبير التيسير ص٢٠٨.

(٩٥٣) القاموس المحيط ص١١٨٠، منجد الطلاب ص٤٧٧.

(٩٥٤) انظر لسان العرب ج١٥ ص٥٤.

٢ ـ تولى: بمعنى أعرض، وولّى هارباً أي: أدبر وفرَّ، وتولّى الأمر: أي تقلّده، وتولاّه: أي اتخذه وليّاً[٩٥٥]، وإذا عدِّي تولّي بـ (عن) لفظاً أو تقديراً اقتضى معنى الإعراض، وترك قُرْبَةٍ، والتولّي قد يكون بالجسم، وقد يكون بترك الإصغاء والائتمار[٩٥٦].

٣ ـ القطع: فصل الشيء وإبانته عن أجزائه[٩٥٧]، والقطع: فصل الشيء مدركاً بالبصر، كقطع الأعضاء، أو مدركاً بالعقل، مثل: قطع الرحم، وهو الهجران، ومنع البرّ بهم[٩٥٨].

التفسيـر:

يخاطب الله تعالى في هذه الآية المنافقين الذين إذا أنزلت سورةٌ محكمةٌ وذُكِرَ فيها القتال، نظروا إلى رسول الله ﷺ، نظر المغشي عليه، فيقول لهم موبخاً ومحذراً إياهم .﴿فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ﴾ أيها المنافقون ﴿إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ﴾ أي: إن تولّيتم عن تنزيل الله جل ثناؤه وفارقتم أحكام كتابه وأدبرتم عن محمدٍ ﷺ وعمّا جاء به، أن تفسدوا في الأرض بأن تعصوا الله، فتكفروا به وتسفكوا الدماء، وتقطعوا أرحامكم، وتعودوا لما كنتم عليه في جاهليتكم من التشتت والتفرق، بعدما جمعكم الله بالإسلام، وألّف به بين قلوبكم[٩٥٩].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

١ ـ ذهب علماء التفسير إلى أنَّ العلاقة بين القراءتين في (عَسَيْتُم) بفتح السين و(عَسِيْتُم) بكسر السين، علاقة لُغويةٌ فقط، وعلى هذا فإنَّ

---

(٩٥٥) انظر القاموس المحيط ص١٢٠٩.
(٩٥٦) انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٦٨٨.
(٩٥٧) لسان العرب ج٨ ص٢٢٦.
(٩٥٨) انظر مفردات ألفاظ القرآن ص ٦٧٧.
(٩٥٩) انظر جامع البيان م١١ ج٢٦ ص٣٥.

معناهما واحدٌ، قال ابن عاشورٍ: «قرأ نافعٌ وحدَه (عَسِيْتُم) بكسر السين، وقرأه بقية العشرة بفتح السين، وهما لغتان[960] في فعل عسى إذا اتصل به ضمير، قال أبو علي الفارسي: وجه الكسر أنَّ فعله: عَسِيَ مثل رَضِيَ، ولم ينطقوا به إلَّا إذا أسند هذا الفعل إلى ضميرٍ وإسناده إلى الضمير لغة أهل الحجاز، أمَّا بنو تميم فلا يسندونه إلى الضمير البتة»[961].

٢ ـ ذهب بعض العلماء إلى أنَّ قراءة ﴿إِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ بفتح التاء واللَّام بمعنى الإعراض والمعنى: إنْ أعرضتم عن الإسلام ﴿أَن تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بقتل بعضكم بعضاً. وقيل: بمعنى الولاية لأمور النَّاس، والمعنى: إن تَوليتُم أمور النَّاس، ﴿أَن تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بالجور والظلم، والتعذيب والتنكيل وحجتهم في ذلك قراءة المبني للمفعول (تُوليتُم)[962].

وقال أبو حيانٍ: «والأظهر أنَّ ذلك خطاب للمنافقين في أمر القتال، وهو الذي سبقت الآيات فيه، أي إنْ أعرضتم عن امتثال أمر الله في القتال»[963].

وعلى كلِّ حالٍ فجميع ما ذكر من معانٍ تحتمله الآية لأن التولِّي والإعراض عن الإسلام وعن الجهاد، وتولِّي أمور النَّاس بالظلم والجور، كل ذلك ثمرته ونتيجته الإفساد في الأرض، وقطيعة الرَّحم.

وأمَّا قراءة (تُولِّيتُم) بضم التاء وكسر اللام على المبني للمفعول فمعناها وُليتُم أمور الناس وتقلدتموها، ووَكَّلَكُم الله إليهم[964]. وقيل: «المعنى إنْ وُلِّيَ عليكم ولاةُ جورٍ تحركتم معهم في الفتنة وعاونتموهم على ظلمهم»[965].

---

(٩٦٠) انظر الجامع لأحكام القرآن ج٨ ص٥٢٩، فتح القدير ج٥ ص٥٥.
(٩٦١) التحرير والتنوير م١٢ ج٢٦ ص١١٢.
(٩٦٢) انظر زاد المسير ص١٣١٣، معالم التنزيل ج٤ ص١٦٦.
(٩٦٣) البحر المحيط ج٨ ص٨٢.
(٩٦٤) انظر المحرر الوجيز ج٥ ص١١٨.
(٩٦٥) معاني القراءات ج٢ ص٣٨٨.

٣ ـ قراءة (تَقْطَعُوا أَرْحَامَكم) بدون تشديد تفيد مطلق القطع للرحم وهو مجرد الهجران، والمعنى: إن أعرضتم عن الإسلام أو توليتم أمور الناس بالظلم والتعذيب والجور، فإن ثمرة ذلك الإفساد في الأرض وقطع الرَّحم.

وأمَّا قراءة ﴿وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرْحَامَكُمْ﴾ فإنها تفيد المبالغة في قطع الرحم مع التكثير، قال أبو منصور الأزهري: «من قرأ (وَتَقْطَعُوا) فهو من قولك قطع رحَمهُ يقطعها، ومن قرأ ﴿وَتُقَطِّعُوٓاْ﴾ فهو من (قَطَّعَ) رَحِمَهُ يُقَطِّعُهَا، وهو أبلغ في باب قطيعة الرَّحم من قَطَعَ يَقْطعُ»(٩٦٦).

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءات يتبيَّن أنَّ الله تعالى يخاطب المنافقين على سبيل التوبيخ والتهديد قائلاً لهم لعلكم أيها المنافقون إنْ أعرضتم عن دين الإسلام الذي جاء به محمدٌ ﷺ أو تولَّيتم أمور الناس وأعمالهم وظلمتم في الأرض، أو اتبعتم وُلاة الجور والظلم ودخلتم إلى دنياهم أن يؤدي ذلك إلى الإفساد في الأرض والتناحر ومقاتلة الأقارب وإهلاك البنات وهجران الرَّحم وقطعها، ومنع بِرِّهم كما كان ذلك سائداً أيام الجاهلية.

٤ ـ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾﴾ [محمد: ٢٥].

القراءات:

١ ـ قرأ أبو عمرو (وَأُمْلِيَ لهم) بضم الهمزة، وكسر اللام وفتح الياء.

٢ ـ قرأ يعقوب (وَأُمْلِيْ لهم) بضم الهمزة، وكسر اللام وتسكين الياء.

٣ ـ قرأ الباقون ﴿وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾ بفتح الهمزة واللام، وألفٍ بعدها(٩٦٧).

---

(٩٦٦) المصدر السابق ج٢ ص٣٨٨.

(٩٦٧) النشر في القراءات العشر ج٢ ص٣٧٤، تحبير التيسير ص٢٠٩.

المعنى اللغوي للقراءات:

الإملاء: الإمداد، ومنه قيل للمُدَّة الطويلة مَلاوَةٌ من الدَّهر، وَمَليٌّ من الدَّهر، يقال: تَملَّيتُ الثوب: تمتَعتُ به طويلاً، ومعنى قوله تعالى: ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمۡ وَأَمۡلَىٰ لَهُمۡ﴾ [محمد: ٢٥] أي: أَمْهَلَ لهم، وأصلُ أَمْلَيْتُ: أَمْلَلْتُ فقلبت اللام ياءً تخفيفاً[٩٦٨].

التفسير:

يخبر الله تعالى في هذه الآية عن حال الذين ارتدوا عن دين الله تعالى، وعادوا إلى الكفر بعد ما تَبَيَّن لهم طريق الحق والهداية بما جاءهم به رسول الله ﷺ من المعجزات الظاهرة والدلائل الواضحة، هؤلاء زيَّن لهم الشيطان خطاياهم، وسهلَّ لهم الوقوع فيها، وحسَّنَ لهم كفرهم، وخدعهم وغرَّهم بالأماني الكاذبة به، والآمال الزائفة، ووعدهم بطول العمر، ومدِّ الأجل[٩٦٩].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (أَمْلَىَ لهم) بفتح الهمزة واللام على البناء للفاعل أنَّ الذي أملى لهم هو الشيطان على رأي بعض أهل التفسير، على معنى: الشيطان سوَّلَ لهم أي: زين لهم خطاياهم، وأملى لهم أي: مدَّ لهم الشيطان في الأماني والآمال الكاذبة ووعدهم بطول العمر[٩٧٠].

وقيل: إنَّ الذي أملى لهم هو الله تعالى وذلك بإسناد الفعل إلى الله ﷻ على رأي بعض أهل التفسير أيضاً، على معنى: الشيطان زين لهم كفرهم وخطاياهم، والله تعالى أملى لهم بأن أمهلهم الله ولم يعجل لهم

(٩٦٨) انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٧٧٦ ـ ٧٧٧.

(٩٦٩) انظر التفسير المنير ج٢٦ ص١٢٣، التفسير الواضح م٣ ج٢٦ ص٣٢.

(٩٧٠) انظر الجامع لأحكام القرآن ج٨ ص٥٣١، فتح القدير ج٥ ص٥٥.

العقوبة[(٩٧١)]، واختار هذا المعنى: الفراء[(٩٧٢)].

وقال ابن زنجلة: «قوله: ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمۡ وَأَمۡلَىٰ لَهُمۡ﴾، التسويل راجعٌ إلى الشيطان، والإملاء إلى الله»[(٩٧٣)].

وأمَّا قراءة و(أُمْلِيَ لهم) بضم الهمزة وكسر اللاَّم وفتح الياء على المبني للمفعول، والفعل ماضٍ، ولم يسَمِّ الفاعل، فيحتمل أن يكون الفاعل في المعنى: هو الله ﷻ، ويحتمل أن يكون الشيطان. إلَّا أنَّ القراءة بالبناء للمفعول تفيد تسهيل حدوث الفعل فى إطالة العمر وإسباغ النعم عليهم وتسهيل الأماني والأحلام، عن المعاجلة بالنِّقم، حتى اغتروا، وهي موافقة لقوله تعالى: ﴿سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ إِنَّ كَيۡدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾﴾ [القلم: ٤٤ ـ ٤٥][(٩٧٤)]، وعلى القراءتين السابقتين يجوز المعنيان أي: يملي الشيطان ويملي الله تعالى، والله أعلم.

وأمَّا قراءة (وَأُمْلِي لَهُمْ) بضم الهمزة وكسر اللام، وتسكين الياء على البناء للفاعل، والفعل مضارع مسند إلى الله تعالى، فالله تعالى يخبر عن نفسه أنه يفعل ذلك[(٩٧٥)]، أي: أنه يمهل لهم في العذاب، وإسناد الفعل إلى الله مباشرةً فيه مزيد تهديدٍ ووعيدٍ لهم، كما في قوله تعالى: ﴿وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ إِنَّ كَيۡدِي مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾﴾ [الأعراف: ١٨٣]، قال ابن عاشورٍ: «قرأ يعقوب بضم الهمزة، وكسر اللاَّم وسكون التحتية على أنَّه مُسنَد إلى المتكلم، فالضمير عائدٌ إلى الله تعالى، أي: الشيطان سوّل لهم، وأنا أملي لهم فيكون الكلام وعيداً، أي: أنا أؤخرهم قليلاً ثم أعاقبهم»[(٩٧٦)].

---

(٩٧١) انظر معاني القرآن للفراء ج٣ ص٦٣.

(٩٧٢) انظر حجة القراءات ص ٦٦٩.

(٩٧٣) المصدر السابق ص٦٦٩.

(٩٧٤) انظر نظم الدرر ج٧ ص١٧١.

(٩٧٥) انظر الجامع لأحكام القرآن ج٨ ص٥٣٢، إعراب القراءات السبع وعللها ج٢ ص٣٢٥.

(٩٧٦) التحرير والتنوير م١٢ ج٢٦ ص١١٦.

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءات يَتَبيَّن أنَّ الله تعالى يخبر عن الشيطان ويخبر عن نفسه، أن الذين ارتدوا عن الإيمان بالله تعالى وعادوا إلى الكفر من بعد ما عرفوا الحقَّ، الشيطان سوَّل لهم كفرهم وارتدادهم عن دين الله تعالى، وأمْلَىَ لهم بأن شغل قلوبهم بالمعاصي عن الإيمان وأملهم بطول البقاء في الدنيا، وتحقيق الأماني، والله تعالى أملى لهم بأن أمهلهم ولم يعجل العقوبة لهم في الدنيا حتى إذا أخذهم لم يفلتهم الله تعالى، ويعذبهم عذاباً شديداً كما يستحقون بما عملوا وارتدوا عن دينه.

٥ ـ قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ كَرِهُوا۟ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ ۖ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾﴾ [محمد: ٢٦].

القراءات:

١ ـ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وحفص ﴿إِسْرَارَهُمْ﴾ بكسر الهمزة.

٢ ـ قرأ الباقون (أَسْرَارَهُم) بفتح الهمزة[٩٧٧].

المعنى اللغوي للقراءات:

الإِسْرَارُ: نقيضُ الإعلان، ويستعمل في الأعيان والمعاني، والسِّرُّ: من الأسْرار التي تُكْتَم، والسِّرُّ هو الحديث المُكْتَم في النَّفْس، ويقال: أسْرَرْتُ إلى فلان حديثاً: أي: أفضيت إليه خفيةً، وأسَّر الشيء كتمه[٩٧٨].

التفسير:

بعد أن ذكر الله ﷻ حال الكافرين الذين ارتدوا عن دين الله تعالى، وتغرير الشيطان بهم، بيَّن في هذه الآية الكريمة سبب إضلال الشيطان لهم،

(٩٧٧) انظر النشر في القراءات العشر ج٢ ص٣٧٤.

(٩٧٨) انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٤٠٤.

واستيلائه عليهم بالتسويل والإملاء، «أنَّ هؤلاء المنافقين، وغيرهم من اليهود الذين ارتدوا على أدبارهم قالوا للذين أبغضوا ما نزَّل الله في قرآنه، وهم المشركون أو يهود بني قريظة والنضير، من يهود المدينة: سنطيعكم في بعض الأمور، كعداوة النبي ﷺ، ومخالفة ما جاء به، والقعود عن الجهاد معه، أي: إنَّهم مالؤوهم وتآمروا معهم سِراً أو في الباطن، وهكذا شأن المنافقين يظهرون خلاف ما يبطنون، لذا كشفهم له وأبان أنَّه يعلم ما يسرُّون وما يعلنون، كقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَكۡتُبُ مَا يُبَيِّتُونَۖ﴾ [النساء: ٨١]»[٩٧٩].

يقول المراغي: «ولا يخفى ما في ذلك من الوعيد وشديد التهديد»[٩٨٠].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة ﴿إِسۡرَارَهُمۡ﴾ بكسر الهمزة، بالقراءة على المصدر وهي اسم جنس من أسرَرْتُ إسراراً، أنَّ المقصود من ذلك: أنَّ الله يعلم إخفاءهم وهو ما أَسرُّوه في أنفسهم وما قالوه لليهود في الخفاء ﴿سَنُطِيعُكُمۡ فِي بَعۡضِ ٱلۡأَمۡرِۖ﴾.

وأمَّا قراءة (أَسْرَارَهُم) بفتح الهمزة بالقراءة على الجمع من سر، فقد أفادت أن المقصود من ذلك: أن الله يعلم جميع أسرارهم التي أخفوها ومنها قولهم هذا الذي أظهره الله لفضحهم[٩٨١]، والجمع لاختلاف ضروب الإسرار من بني آدم[٩٨٢].

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين يتبيَّن أن الله تعالى يخبر على سبيل التهديد

---

(٩٧٩) التفسير المنير ج٢٦ ص١٢٤.

(٩٨٠) تفسير المراغي م٩ ج٢٦ ص٧٠.

(٩٨١) انظر روح المعاني ج٢٦ ص٧٥.

(٩٨٢) انظر حجة القراءات ص٦٦٩، الكشف عن وجوه القراءات السبع ج٢ ص٢٧٨، الجامع لأحكام القرآن ج٨ ص٥٣٢.

والوعيد للمنافقين، أنَّه يعلم جميع ما يسرُّ هؤلاء المنافقون من أقوالٍ وأسرارٍ ومن جملتها إسرارهم لليهود بعداوة النبي ﷺ، وطاعتهم في بعض الأمور من مخالفة ما جاء به النبي ﷺ، والقعود عن الجهاد.

٦ ـ قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾﴾ [محمد: ٢٨].

القراءات:

١ ـ قرأ شُعبة (رُضْوَانَه) بضم الراء.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿رِضْوَٰنَهُۥ﴾ بكسر الراء(٩٨٣).

المعنى اللغوي للقراءات:

الرِّضى: ضد السخط، ويقال: رضي يرضى رضًى، فهو مرضيٌّ ومرضوٌّ، وأرضاه: أعطاه ما يُرضيه، واسترضاه وترَّضاه طلب رضاه وَرضِيَّته(٩٨٤).

ورضا العبد عن الله أن لا يكره ما يجري به قضاؤه، ورضا الله عن العبد هو أن يراه مؤتمِراً لأمره، ومنتهياً عن نهيه، والرِّضوان: الرِّضا الكثير(٩٨٥).

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن سبب العذاب الذي يصيب المنافقين والكافرين الذين ارتدوا عن دين الله تعالى عند قبض أرواحهم وذلك في قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾﴾ [محمد: ٢٧]،

(٩٨٣) انظر البدور الزاهرة ص٤١٢، غيث النفع ص٤٨٩.

(٩٨٤) انظر القاموس المحيط ص١١٦٠.

(٩٨٥) انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٣٥٦.

فبيَّن ﷻ في هذه الآية الكريمة سبب ذلك الضرب عند التوفِّي فقال: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسۡخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضۡوَٰنَهُۥ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ أي: «ذلك التوفِّي على الصفة المذكورة بسبب اتباعهم ما يُسخطُ الله من الكفر والمعاصي، وتآمرهم مع أعداءِ الله على معاداة ومحاربة النبي ﷺ، وكراهيتهم ما يرضي الله من الإيمان الحق، والتوحيد والطاعة، فأبطل أعمالهم الخيرية بهذا السبب، ومنها ما عملوا من الخير قبل الرِّدَّة»(٩٨٦).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

ذهب معظم العلماء إلى أن العلاقة بين القراءتين علاقةٌ لغويةٌ، ومعناهما واحدٌ.

قال السمرقندي: «قرأ عاصمٌ في رواية أبي بكرٍ (رُضْوانَه) بضم الراء، والباقون بالكسر، وهما لغتان، وتفسيرهما واحدٌ»(٩٨٧).

وقال مكي بن أبي طالب: «قوله ﴿رِضۡوَٰنَهُۥ﴾ قرأه أبو بكرٍ بضم الراء حيث وقع، إلَّا في المائدة: ﴿رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [المائدة: ١٦] فإنَّه كسر كالجماعة، وقرأ الباقون بالكسر حيث وقع، وهما مصدران بمعنىً واحدٍ، فالكسر كالحِرْمان، والضَّم كالشُّكْران»(٩٨٨).

وقيل: إنَّ المكسور اسمٌ ومنه: رضوان خازن الجنَّة، والمضموم مصدر، إلَّا أن الألوسي نفى صحة هذا القول فقال: «وقيل: المكسور اسمٌ، والمضموم مصدرٌ، وهو قولٌ لا ثبت له»(٩٨٩).

ويحتمل أن يكون لكلِّ قراءةٍ أثرٌ في المعنى حيث إنَّ (رُضْوان) بالضم

(٩٨٦) التفسير المنير ج٢٦ ص١٢٥.

(٩٨٧) بحر العلوم ج١ ص٢٥٢، عند تفسيره للآية (١٥) من سورة آل عمران.

(٩٨٨) الكشف عن وجوه القراءات السبع ج١ ص٣٣٧، عند حديثه عن: (رِضوان، ورُضوان) في الآية (١٥) من سورة آل عمران.

(٩٨٩) روح المعاني ج٣ ص١٠١، عند تفسيره للآية (١٥) من سورة آل عمران.

فيها تفخيمٌ للراء ممَّا يدل على تفخيم وتعظيم ذلك الرِّضوان الذي كرهه هؤلاء المرتدون عن دين الله تعالى، فاستعمال المصدر من الرضى وهو (الرضوان) فيه مبالغةٌ في معنى الرِّضى، وتفخيم الراء بالضم فيه زيادة مبالغةٍ في معنى الرِّضى، ليدل على أن سبب عذابهم وضربهم عند توفِّيهم هو بسبب كراهتهم أعظم أسباب رضا الله وهو الإيمان، والجهاد في سبيل الله تعالى.

وأمَّا قراءة (رِضْوان) بالكسر وترقيق الراء فتدل على أنَّ سبب عذابهم هو بسبب كراهتهم لسائر الطاعات المؤدية إلى رضوانه تعالى وهي أخف ما يكون على النفس، وأقلُّ ما يؤدي إلى رضوانه.

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين يتبيَّن أن هؤلاء المرتدين كرهوا جميع ما يؤدي إلى رضوانه ﷻ، فهم كرهوا أعظم أسباب رضاه، وهو الإيمان بالله تعالى وطاعة رسوله، والجهاد في سبيله، وهم لما دونه بالقعود عن سائر الطاعات أكره(٩٩٠)، والله تعالى أعلم.

٧ ـ قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾﴾ [محمد: ٣١].

القراءات:

١ ـ قرأ أبو بكرٍ (وَلَيَبْلُونَّكم ـ يَعْلمَ ـ يَبْلُوَ) بالياء في الثلاثة.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾ ـ ﴿نَعْلَمَ﴾ بالنون.

٣ ـ قرأ رويسٌ (نَبْلوْا) بإسكان الواو.

٤ ـ قرأ الباقون ﴿وَنَبْلُوَا۟﴾ بفتح الواو(٩٩١).

---

(٩٩٠) انظر نظم الدرر ج٧ ص١٧٣.

(٩٩١) انظر النشر في القراءات العشر ج٢ ص٣٧٥، تحبير التيسير ص٢٠٨.

المعنى اللغوي للقراءات:

١ ـ «البلاء: المحنة تنزل بالمرء ليُختبر بها، والغم والحزن، والجهد الشديد في الأمر»[٩٩٢]. يقال: بَلَوتُ الرَّجلَ بلواً وبَلاءً، وابتليته: اختبرته، وبلاه: إذا جَرَّبه واختبره، وابتلاه الله: امتحنه، والبلاء يكون في الخير والشر[٩٩٣].

٢ ـ يعلم: سبق التعرض لمعنى هذه القراءة عند تفسير الآية (٣٥) من سورة الشورى[٩٩٤].

التفسيـر:

يخاطب الله تعالى في هذه الآية عباده المؤمنين قائلاً لهم: «ولنختبرنكم بالأمر والجهاد، وسائر التكاليف الشاقَّة حتى يُمَيِّزَ المجاهد الصابر من غيره، ويُعْرَف ذو البصيرة في دينه من ذي الشك والحَيْرَةَ فيه، والمؤمن من المنافق، ونبلوَ أخباركم، فنعرف الصادق منكم في إيمانه من الكاذب»[٩٩٥].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (وَلَيَبْلُونَّكم ـ يَعْلمَ ـ يَبْلُوَ) بياء الغيبة، الإخبار من النبي ﷺ عن الله ﷻ، على معنى: ليختبرنَّكم الله، على رأي بعض العلماء، قال ابن خالويه: «ولنبلونكم حتى نعلم، (ونبلوَ أخباركم) يقرأان بالياء والنون، فالحجة لمن قرأ بالياء: أنَّه جعله من إخبار النبي عن الله ﷻ، والحجة لمن قرأه بالنون: أنَّه جعله من إخبار الله ﷻ عن نفسه»[٩٩٦]. أو هي إخبارٌ

(٩٩٢) المعجم الوسيط ص٩١.

(٩٩٣) انظر لسان العرب ج١٤ ص٨٣.

(٩٩٤) انظر ص١٤٣ من هذا البحث.

(٩٩٥) تفسير المراغي م٩ ج٢٦ ص٧٢.

(٩٩٦) الحجة في القراءات السبع ص٣٢٩.

من الله تعالى بياء الغيبية عن نفسه، وذلك على نسق قوله تعالى في الآية التي سبقتها ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ [محمد: ٣٠][٩٩٧].

وأمّا قراءة ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾ - ﴿نَعْلَمَ﴾ - ﴿وَنَبْلُوَا﴾ بالنون، فقد أفادت أنَّ الله تعالى يخبر عن نفسه بنون العظمة على معنى: «لنختبرنَّكم بالحرب حتى نعلم المجاهدين منكم ونعلم الصابرين لأمر الله»[٩٩٨]. وحجتهم في ذلك أنها جاءت بعد إخبارٍ من الله تعالى بالنون أيضاً وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ﴾ [محمد: ٣٠][٩٩٩]، وفي هذه القراءة التفات من الغيبية إلى التكلم بنون العظمة تعظيماً لله تعالى، وبيان قدرته الواسعة على ابتلاء جميع النّاس بالأوامر الشديدة على النفوس بما له من صفات العظمة.

وأمّا قراءة (نبلُوْا) بتسكين الواو، فهي استئنافٌ بعد انقطاعٍ عمّا قبله، والمعنى: (سنبلوا أخباركم)[١٠٠٠].

قال ابن عطية: «وروى رويسٌ عن يعقوب: (ويبلُوْا) بالرفع على القطع، والإعلام بأن ابتلاءه دائمٌ»[١٠٠١].

الجمع بين القراءات:

القراءات جميعها أفادت أنَّ الله تعالى يخبر عن نفسه أنه سيبتلي المؤمنين حتى يظهر المجاهدين في سبيله والصابرين على مشاقّ الجهاد، من غيرهم، إلّا أنَّ إسناد الفعلِ إلى الله تعالى بنون العظمة فيه مزيد تأكيدٍ على حقيقة الابتلاء بما هو شاقٌ على نفوس المؤمنين جميعهم دون استثناءٍ،

(٩٩٧) انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع ج٢ ص٢٧٨، المستنير في تخريج القراءات المتواترة ج٣ ص١٠٤.

(٩٩٨) معاني القراءات ج٢ ص٢٨٩.

(٩٩٩) انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع ج٢ ص٢٧٨، مجمع البيان م٦ ج٢٦ ص٤٥.

(١٠٠٠) انظر معاني القراءات ج٢ ص٢٨٩.

(١٠٠١) المحرر الوجيز ج٥ ص١٢١.

وعلى الدوام، بما تفيده قراءة الفعل (ويبلُوْا) بالرفع، ليميز الله تعالى الخبيث من الطيب، مع تعظيم ذلك الابتلاء، كما أنَّ في هذه القراءة مزيد تشريفٍ وتعظيمٍ لهؤلاء المؤمنين الذين يبتليهم الله تعالى بنفسه.

٨ ـ قال تعالى: ﴿فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ ﴿٣٥﴾﴾ [محمد: ٣٥].

القراءات:

١ ـ قرأ حمزة، وخلفٌ، وأبو بكرٍ (السِّلْم) بكسر السين.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿ٱلسَّلْمِ﴾ بفتح السين[(١٠٠٢)].

المعنى اللغوي للقراءات:

السِّلْم والسَّلامة: التعري من الآفات الظاهرة والباطنة، والسَّلام والسِّلْم والسَّلْم: الصلح، وقيل: السِّلم اسم بإزاء حرب، والإسلام: الدخول في السِّلم، وهو أن يَسْلَمَ كل واحدٍ منهما أن يناله من ألم صاحبه[(١٠٠٣)]، «والسَّلْمُ: الاستسلام والتسليم، والأسر من غير حربٍ»[(١٠٠٤)].

التفسير:

في هذه الآية الكريمة ينهى الله تعالى المؤمنين أن يضعفوا عن مقاتلة المشركين، ويدعوهم إلى الصلح والمسالمة على سبيل الخوف منهم، ما دامت كفة المؤمنين راجحةً في الحرب ولهم الغلبة على عدوهم، ويبشِّرُ المؤمنين بأنَّه معهم بالنصر والتمكين ولن ينقصهم من ثواب أعمالهم شيئاً.

قال ابن كثيرٍ: «﴿فَلَا تَهِنُوا۟﴾ أي: لا تضعفوا عن الأعداء ﴿وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى

(١٠٠٢) انظر إتحاف فضلاء البشر ص٥٠٨، المبسوط في القراءات العشر ص٢٥١.

(١٠٠٣) انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٤٢٣.

(١٠٠٤) المعجم الوسيط ص٤٧٢.

﴿ٱلسَّلۡمِ﴾ أي: المهادنة والمسالمة ووضع القتال بينكم، وبين الكفار في حال قوتكم وكثرة عَددِكُم، وَعُدَدِكُم، ولهذا قال ﴿فَلَا تَهِنُواْ وَتَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلۡمِ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ﴾ أي: في حال عُلُوِّكُم على عدوِّكم فأمَّا إذا كان الكفار فيهم قوة، وكثرة بالنسبة إلى جميع المسلمين، ورأى الإمام في المهادنة والمعاهدة مصلحةً، فله أنْ يفعل ذلك كما فعل رسول الله ﷺ حين صدَّه كفَّار قريشٍ عن مكة، ودعوه إلى الصلح، ووضع الحرب بينهم وبينه عشر سنين فأجابهم ﷺ إلى ذلك، وقوله جَلَّت عظمتُه ﴿وَٱللَّهُ مَعَكُمۡ﴾ فيه بشارةٌ عظيمةٌ بالنّصر والظفر على الأعداء، ﴿وَلَن يَتِرَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ﴾ أي: ولن يحبطها ويبطلها ويسلبكم إيَّاها، بل يوفِّيكم ثوابها، ولا ينقصكم منها شيئاً، والله أعلم»[١٠٠٥].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

ذهب بعض العلماء إلى أنَّ القراءتين (السَّلم والسِّلْم) بمعنىً واحدٍ وهما لغتان ومعناهما: الصلح والمسالمة، قال مكي بن أبي طالب: «قوله: ﴿وَتَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلۡمِ﴾ قرأه أبو بكرٍ، وحمزة بكسر السين، وفتحها، وهما لغتان يُراد بها الصُلح»[١٠٠٦].

وقال حقّي: «(السّلْم) بفتح السين وكسرها لغتان بمعنى الصلح، أي: ولا تدعوا الكفَّار إلى الصلح فوراً فإنَّ ذلك فيه ذلةٌ»[١٠٠٧].

وذهب البعض إلى أن (السِّلْم) بالكسر بمعنى الاستسلام، قال السمرقندي: «قرأ حمزة في رواية أبي بكرٍ: إلى السِّلم، بكسر السين، والباقون: بالنصب، قال بعضهم: وهما لغتان وقال بعضهم: أحدهما صلحٌ، والآخر استسلامٌ»[١٠٠٨].

(١٠٠٥) تفسير القرآن العظيم ج٤ ص١٨٤.

(١٠٠٦) الكشف عن وجوه القراءات السبع ج٢ ص٢٧٩، انظر الحجة للقراء السبعة ج٣ ص٤٠٧.

(١٠٠٧) روح البيان ج٨ ص٥٤٧.

(١٠٠٨) بحر العلوم ج٣ ص٢٤٧.

وذهب بعض العلماء إلى أنَّ قراءة (السَّلم) بالفتح بمعنى الصلح والمسالمة، وأمَّا قراءة (السِّلْم) بالكسر فهي بمعنى الإسلام(١٠٠٩).

قال ابن عطية: «وفرقةٌ ممن كسر السين إنَّه بمعنى الإسلام، أي: لا تهنوا وتكونوا داعين إلى الإسلام فقط دون مقاتلين بسببه»(١٠١٠).

وقال ابن زنجلة: «(السِّلْم بالكسر: الإسلام، كقوله: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ﴾ [الأنفال: ٦١] أي: الإسلام، وبالفتح: الصلح»(١٠١١).

ويشير ابن عباسٍ إلى هذا المعنى بقوله: «﴿وَتَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلْمِ﴾ إلى الصلح، ويُقال: إلى الإسلام قبل القتال»(١٠١٢).

وبناءً على ما تقدم يمكن أن يكون معنى قراءة ﴿ٱلسَّلْمِ﴾ بالفتح: المصالحة والمسالمة، وقراءة (السِّلْم) بالكسر الإسلام.

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين يصبح المعنى: الله تعالى ينهى المؤمنين أن يضعفوا ويكونوا داعين إلى الإسلام فقط دون أن يقاتلوا بسببه، أو أن يدعوا الكفار إلى المسالمة والمصالحة ابتداءً خوفاً منهم، في حال أنَّهم الأعلون ولهم الغلبة على عدوِّهم، لأنَّ في ذلك ذلةً للمؤمنين.

قال سيد طنطاوي: «قالوا: ومحل النهي عن الدعوة إلى صلح الكفَّار ومسالمتهم، إذا كان هذا الصلح أو تلك المسالمة تؤدي إلى إذلال المسلمين، أو إظهارهم بمظهر الضعيف القابل لشروط أعدائه، أمَّا إذا كانت الدعوة إلى السِّلم لا تضر بمصلحة المسلمين فلا بأس من قبولها، عملاً بقوله تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ [الأنفال: ٦١](١٠١٣).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

(١٠٠٩) انظر جامع البيان ج٢ ص٣٢٣، عند تفسيره للآية (٢٠٨) من سورة البقرة.

(١٠١٠) المحرر الوجيز ج٥ ص١٢٢.

(١٠١١) حجة القراءات ص٦٧٠.

(١٠١٢) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس ص٤٣٠.

(١٠١٣) التفسير الوسيط م١٣ ج٢٦ ص١٠١.

الفهارس العامة

* - فهرس المصادر والمراجع.
* - فهرس الموضوعات.

فهـرس المصـادر والمراجـع

١ - الإبانة عن معاني القراءات/ لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي - تحقيق: د. محي الدين رمضان - دار المأمون للتراث - دمشق - ط١ - ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٢ - أبنية الأفعال دراسة لغوية قرآنية/ للدكتورة نجاة عبدالعظيم الكوفي - دار الثقافة للنشر والتوزيع - القاهرة - ١٩٨٩م.

٣ - إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر/ للشيخ شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبدالغني الدمياطي، الشهير بالبنا - وضع حواشيه: الشيخ أنس مهرة - دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان - ط١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٤ - الأحرف السبعة ومنزلة القراءات منها/ لحسن ضياء الدين عتر: دار البشائر الإسلامية - بيروت - ط١ - ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.

٥ - الاختلاف بين القراءات/ لأحمد البيلي - دار الجيل - بيروت - ط١ - ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٦ - الاختلاف في القراءات القرآنية وأثره في اتساع المعاني/ لإياد السامرائي (شبكة المعلومات الدولية - شبكة التفسير والدراسات القرآنية www. tafsir. net).

٧ - الأساس في التفسير/ لسعيد حوى - دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة - ط١ - ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٨ - أسباب النزول/ لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري المتوفى سنة ٤٦٨هـ - تحقيق: أيمن صالح شعبان - دار الحديث - القاهرة - ٢٠٠٣م.

٩ - أسباب النزول/ للإمام السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ، تحقيق حامد أحمد الطاهر - القاهرة - دار الفجر للتراث - ط١ - سنة ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

١٠ - إعراب القراءات السبع وعللها/ لأبي عبدالله الحسين بن أحمد بن خالويه الهمذاني الشافعي - تحقيق: د. عبدالرحمن بن سليمان العثيمين - مكتبة الخانجي - القاهرة - ط١ - ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

١١ ـ إعراب القرآن الكريم وبيانه/ لمحي الدين الدرويش ـ اليمامة للطباعة والنشر ـ دمشق ـ بيروت ـ ط٤ ـ ١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٤م.

١٢ ـ الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل/ لبهجت عبدالواحد صالح ـ دار الفكر للنشر والتوزيع ـ عمان ـ الأردن ـ ط٢ ـ ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م.

١٣ ـ الأعلام ـ قاموس تراجم لأشهر النساء والرجال من العرب والمستعربين من العرب، والمستعربين والمستشرقين/ لخير الدين الزركلي ـ دار العلم للملايين ـ بيروت ـ ط٥ ـ ١٩٨٠م.

١٤ ـ الأفعال في القرآن الكريم دراسة استقرائية للفعل في القرآن الكريم في جميع قراءاته/ للدكتور عبدالحميد مصطفى السيد ـ دار الحامد للنشر والتوزيع ـ ط١ ـ ٢٠٠٤م.

١٥ ـ الإقناع في القراءات السبع/ للشيخ الإمام أبي جعفر أحمد بن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري المتوفى سنة ٥٤٠هـ ـ تحقيق: الشيخ أحمد فريد المزيدي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ ـ ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م.

١٦ ـ البحر المحيط/ لأبي حيان الأندلسي ـ دراسة وتحقيق وتعليق: عادل أحمد عبدالموجود وآخرون ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط١ ـ ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

١٧ ـ البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة/ للشيخ عبدالفتاح عبدالغني القاضي ـ دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع ـ ط١ ـ ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٤م.

١٨ ـ البرهان في علوم القرآن/ لمحمد بن عبدالله الزركشي ـ تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ـ دار الجيل ـ بيروت ـ ط ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

١٩ ـ بلاغة الكلمة في التعبير القرآني/ لفاضل صالح السامرائي ـ شركة العاتك لصناعة الكتاب للطباعة والنشر والتوزيع ـ القاهرة ـ ط٢ ـ ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م.

٢٠ ـ تاج العروس من جوهر القاموس/ للسيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي ـ تحقيق: د. حُسين نصار ـ دار الهداية، للطباعة والنشر والتوزيع ـ ط١٣٦٩هـ ـ ١٩٦٩م.

٢١ ـ التبيان في إعراب القرآن/ لأبي البقاء عبدالله بن الحسين العبكري: دار الفكر ـ ١٤٢١هـ.

٢٢ ـ التبيان في تفسير غريب القرآن/ لشهاب الدين المصري ـ تحقيق: د. فتحي أنور الدابولي ـ دار الصحابة للتراث ـ طنطا ـ القاهرة ـ ١٩٩٢م.

٢٣ ـ تحبير التيسير في قراءات الأئمة العشرة/ للإمام محمد بن محمد بن علي بن يوسف الجزري المتوفى سنة ٨٣٢هـ ـ دار الصحابة للتراث ـ ٢٠٠٤م.

٢٤ ـ التعبير القرآني / للدكتور فاضل صالح السامرائي ـ مطابع جامعة الموصل ـ ١٩٨٩م.

٢٥ ـ تفسير أبي السعود ـ المسمَّى بإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم/ للقاضي أبي السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي ـ تحقيق: عبدالقادر أحمد عطا ـ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ـ لبنان ـ بيروت ـ ط٢ ـ ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.

٢٦ ـ تفسير البيضاوي ـ المسمَّى بأنوار التنزيل وأسرار التأويل/ للإمام ناصر الدين أبي سعد عبدالله بن أبي عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي ـ مكتبة البحوث والدراسات ـ دار الفكر ـ ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

٢٧ ـ تفسير التحرير والتنوير/ للإمام الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور ـ دار سُحنُون للنشر والتوزيع ـ تونس.

٢٨ ـ تفسير الثعالبي المسمَّى (الحسان في تفسير القرآن) لعبدالرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت.

٢٩ ـ تفسير السعدي ـ المسمَّى بتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان/ لعبدالرحمن بن ناصر السعدي ـ المكتبة العصرية ـ صيدا ـ بيروت ـ ط جديدة ـ ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.

٣٠ ـ تفسير السمرقندي ـ المسمَّى بحر العلوم/ لأبي الليث ناصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، المتوفى سنة ٣٧٥هـ ـ تحقيق وتعليق: الشيخ علي محمد معوض ـ والشيخ عادل عبدالمجود ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ ـ ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

٣١ ـ تفسير الشعراوي/ لمحمد متولي الشعراوي: أخبار اليوم ـ قطاع الثقافة.

٣٢ ـ تفسير القاسمي ـ المسمَّى بمحاسن التأويل/ لمحمد جمال الدين القاسمي ـ دار الفكر ـ بيروت ـ ط٢ ـ ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.

٣٣ ـ تفسير القرآن العظيم/ للإمام الحافظ أبي الفداء ابن كثير القرشي الدمشقي ـ المتوفى سنة ٧٧٤هـ ـ دار الحديث ـ القاهرة ـ ط١ ـ ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

٣٤ ـ تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر (الفاتحة ـ البقرة ـ آل عمران) رسالة ماجستير/ إعداد الباحث: عبدالله الملاحي ـ إشراف الدكتور مروان ابو راس ـ ٢٠٠٢م ـ الجامعة الإسلامية.

٣٥ ـ تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر من خلال سور (الإسراء ـ الكهف ـ مريم) رسالة ماجستير إعداد الباحثة آمال خميس حماد ـ إشراف الدكتور عبدالرحمن الجمل ـ ٢٠٠٦م ـ الجامعة الإسلامية.

٣٦ - التفسير الكبير ومفاتيح الغيب/ للإمام محمد الرازي المسمَّى بالفخر الرازي - دار الفكر للطباعة والنشر - ط١ - ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

٣٧ - تفسير المراغي/ للأستاذ أحمد مصطفى المراغي - أستاذ الشريعة الإسلامية واللغة العربية بكلية دار العلوم - دار الفكر.

٣٨ - التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج/ لوهبي الزحيلي - دار الفكر - دمشق - ط٢ - ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

٣٩ - تفسير النسفي/ لأبي البركات النسفي - مطبوعات محمد علي صبيح وأولاده - مصر.

٤٠ - تفسير النيسابوري - المسمَّى بغرائب القرآن ورغائب الفرقان / لنظام الدين الحسن النيسابوري - القاهرة - دار الصفوة للنشر والتوزيع ١٩٩٥م.

٤١ - التفسير الواضح/ للدكتور: محمد محمود حجازي - دار التفسير للطبع والنشر - الزقازيق - ط١٠ - ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٤٢ - التفسير الوسيط للقرآن الكريم/ تأليف د. محمد السيد طنطاوي - مطبعة السعادة - ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م.

٤٣ - تفسير زاد المسير في علم التفسير/ لعبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧ - تحقيق: زهير الشاويش - دار بن حزم للطباعة والنشر - بيروت - ط١ جديدة - ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

٤٤ - تقريب النشر في القراءات العشر/ لابن الجزري - تحقيق وتقديم: إبراهيم عطوة عوض - دار الحديث - القاهرة - ط٣ - ١٤١٦هـ.

٤٥ - تنوير المقباس من تفسير ابن عباس/ لأبي طاهر بن يعقوب الفيروز آبادي - دار الفكر.

٤٦ - توجيه اللُّمع/ للعلامة أحمد بن الحسين بن الخباز - شرح كتاب اللُّمع/ لأبي الفتح ابن جني، دراسة وتحقيق: أ. د. فايز زكي محمد دياب - دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة - ط١ - ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

٤٧ - جامع البيان عن تأويل القرآن/ لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠هـ - دار المعرفة - بيروت - لبنان - ط٣ - ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

٤٨ - الجامع لأحكام القرآن/ لأبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي - راجعه وعلق عليه، الدكتور محمد إبراهيم الحفناوي - وخرج أحاديثه الدكتور محمود حامد عثمان - دار الحديث - القاهرة - ط١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

٤٩ - حاشية القونوي على تفسير الإمام البيضاوي/ لعصام الدين إسماعيل بن محمد الحنفي المتوفى سنة ١١٩٥هـ - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٥٠ ـ حجة القراءات/ للإمام أبي زرعة عبدالرحمن بن محمد بن زنجلة ـ تحقيق: سعيد الأفغاني ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ط٥ ـ ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

٥١ ـ الحجة في القراءات السبع/ للإمام ابن خالويه ـ تحقيق وشرح: الدكتور عبدالعال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ط٦ ـ ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

٥٢ ـ الحجة للقراء السبعة/ لأبي علي الحسن بن أحمد بن عبدالغفار الفارسي ـ المتوفى سنة ٣٧٧هـ ـ وضع حاشيته: كامل مصطفى الهنداوي ـ منشورات محمد علي بيضون ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ ـ ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م.

٥٣ ـ الدُّر المصون في علوم الكتاب المكنون/ لأحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي المتوفى سنة ٧٥٦هـ ـ تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط ـ دار القلم بدمشق.

٥٤ ـ روح البيان في تفسير القرآن/ للشيخ إسماعيل حقّي بن مصطفى الحنفي المتوفى سنة ١١٢٧هـ ـ ضبطه وصححه: عبداللطيف حسن عبدالرحمن ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ ـ ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

٥٥ ـ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني/ لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي المتوفى سنة ١٢٧٠هـ ـ دار احياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان.

٥٦ ـ سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة/ لمحمد ناصر الدين الألباني، الرياض ـ مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ط١ ـ سنة ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

٥٧ ـ سنن البيهقي الكبرى/ لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، المتوفى سنة ٤٥٨هـ ـ تحقيق: محمد عبدالقادر عطا ـ مكتبة دار الباز ـ مكة المكرمة ـ ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

٥٨ ـ سنن الترمذي/ محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي ـ المتوفى سنة ٢٧٩هـ ـ تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان.

٥٩ ـ السنن الكبرى/ لأحمد بن شعيب أبو عبدالرحمن النسائي، المتوفى سنة ٣٠٣هـ ـ تحقيق: د. عبدالغفار سليمان البنداوي، سيد كسروي حسن ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط١ ـ ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

٦٠ ـ سير أعلام النبلاء/ لمحمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبو عبدالله، المتوفى سنة ٧٤٨هـ ـ تحقيق: شعيب الأرناؤوط، محمد نعيم العرقسوسي ـ دار الرسالة ـ بيروت ـ ط٩ ـ ١٤١٣هـ.

٦١ - الشامل في القراءات المتواترة/ للدكتور محمد حبش - دار الكلم الطيب - دمشق - بيروت - ط١ - ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٦٢ - شذا العرف في فن الصرف/ للأستاذ الدكتور أحمد الحملاوي - المكتبة الثقافية - بيروت - لبنان.

٦٣ - شذرات الذهب في أخبار من ذهب/ عبدالحي بن أحمد العكري الدمشقي، المتوفى سنة ١٠٨٩هـ - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.

٦٤ - شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك/ لمحمد محي الدين عبدالحميد، مكتبة دار التراث - القاهرة - طبعة جديدة ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٦٥ - الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية/ لإسماعيل بن حماد الجوهري - تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار - دار العلم للملايين - بيروت - ط٢ - ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٦٦ - صحيح بخاري/ محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الحنفي المتوفى سنة ٢٥٦هـ - تحقيق: د. مصطفى ديب البغا - دار ابن كثير - اليمامة - بيروت - لبنان - ط٣ - ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٦٧ - صحيح مسلم/ لمسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري المتوفى سنة ٢٦١هـ - تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي - دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان.

٦٨ - ضعيف الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير) / لمحمد ناصر الدين الألباني - بيروت - المكتب الإسلامي - ط٣ - ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

٦٩ - الطبقات الكبرى/ لمحمد بن سعيد بن منيع أبو عبدالله البصري الزهري المتوفى سنة ٢٣٠هـ - دار صادر - بيروت.

٧٠ - طبقات المفسرين/ عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ - تحقيق: علي محمد عمر - مكتبة وهبة - القاهرة - ط١ - ١٣٩٦هـ.

٧١ - علوم القرآن - مدخل إلى تفسير القرآن وبيانه وإعجازه/ الدكتور عدنان محمد زرزور - المكتب الإسلامي - بيروت - ط٢ - ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

٧٢ - غاية النهاية في طبقات القراء/ لشمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن الجزري - دار الكتب العملية - بيروت - ط٣ - ١٩٨٢م.

٧٣ - غيث النفع في القراءات السبع/ لعلي النوري الصفاقسي - ضبطه وصححه: محمد عبدالقادر شاهين - دار الكتب العلمية - بيروت - ط١ - ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

٧٤ ـ فتح الباري في شرح صحيح البخاري/ لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، المتوفى سنة ٨٥٢هـ، بيروت ـ دار المعرفة ـ سنة النشر ١٣٧٩هـ، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، محب الدين الخطيب.

٧٥ ـ فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير/ للإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني المتوفى سنة ١٢٥٥هـ ـ حققه وخرج أحاديثه: سيد إبراهيم ـ دار الحديث ـ القاهرة ـ ط٣ ـ ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

٧٦ ـ في ظلال القرآن/ لسيد قطب ـ دار الشروق ـ القاهرة ـ ط١٥ ـ ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

٧٧ ـ القاموس المحيط/ لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي المتوفى سنة ٨١٧هـ ـ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ ـ ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

٧٨ ـ القراءات الشاذة وتوجيهها النحوي/ للدكتور محمود أحمد الصغير ـ دار الفكر ـ بيروت ـ لبنان ١٩٩٩م.

٧٩ ـ القراءات وأثرها في علوم اللغة/ للدكتور محمد سالم محيس: دار الجيل ـ بيروت ـ ط١ ـ ١٩٩٨م.

٨٠ ـ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل/ لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي المتوفى سنة ٥٣٨هـ ـ دار الفكر للطباعة والنشر.

٨١ ـ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون/ لمصطفى بن عبدالله القسطنطيني الرومي الحنفي المتوفى سنة ١٠٦٧هـ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

٨٢ ـ الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها/ لمكي بن أبي طالب القيسي المتوفى سنة ٤٣٧هـ ـ تحقيق: د. محي الدين رمضان ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ط٥ ـ ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

٨٣ ـ لباب النقول في أسباب النزول/ لجلال الدين السيوطي ـ خرج أحاديثه: محمود بن الجميل ـ مكتبة الصفا ـ القاهرة ـ ط١ ـ ٢٠٠٢م.

٨٤ ـ اللباب في علوم الكتاب/للإمام أبي حفص عُمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي ـ تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبدالموجود ـ الشيخ علي محمد معوض ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ ـ ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

٨٥ ـ لسان العرب/ للإمام جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم بن منظور الأنصاري المتوفى سنة ٧١١هـ ـ دار الفكر ـ بيروت.

٨٦ - لمسات بيانية في نصوص من التنزيل/ للدكتور فاضل صالح السامرَّائي - القاهرة - شركة العاتك لصناعة الكتاب للطباعة والنشر والتوزيع بالقاهرة، ط٢ - ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

٨٧ - المبسوط في القراءات العشر/ لأبي بكر محمد بن الحسين بن مهران الأصبهاني المتوفى سنة ٣٨١هـ - دار الصحابة للتراث - طنطا - مصر - ٢٠٠٣م.

٨٨ - مجمع البيان في تفسير القرآن/ للشيخ أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي - منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت - لبنان.

٨٩ - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز/ لابن عطية الأندلسي - تحقيق: عبدالسلام عبدالشافي محمد - دار الكتب العلمية - بيروت - ط١ - ١٩٩٣م.

٩٠ - المستنير في القراءات العشر/ للإمام أبي ظاهر سوار المتوفى سنة ٤٩٦هـ - علق عليه: جمال الدين محمد شرف - دار الصحابة للتراث - طنطا - مصر.

٩١ - المستنير في تخريج القراءات المتواترة من حيث اللغة - الإعراب - التفسير/ للدكتور محمد سالم محيسن - دار الجيل - بيروت - ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

٩٢ - مسند أحمد/ لأحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني المتوفى سنة ٢٤١هـ - مؤسسة قرطبة - مصر.

٩٣ - مسند الإمام الشافعي/ لمحمد بن إدريس أبو عبدالله الشافعي المتوفى سنة ٢٠٤هـ - دار الكتب العملية - بيروت - لبنان.

٩٤ - مشاهير علماء الأمصار/ لمحمد بن حيان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي المتوفى سنة ٣٥٤هـ - دار الكتب العلمية - بيروت - ١٩٥٩م.

٩٥ - مصنف ابن أبي شيبة/ لأبي بكر عبدالله محمد بن أبي شيبة الكوفي، المتوفى سنة ٢٣٥هـ، الرياض - مكتبة الرشد - ط١ - سنة ١٤٠٩هـ، تحقيق كمال يوسف الحوت.

٩٦ - معالم التنزيل المسمَّى بتفسير البغوي/ لأبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي المتوفى سنة ٥١٠هـ - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط١ - ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

٩٧ - معاني الأبنية في العربية/ لفاضل السامرائي - ط١ - ١٩٨١م.

٩٨ - معاني القراءات/ لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري المتوفى سنة ٣٧٠هـ - تحقيق: د. مصطفى درويش - د. عوض بن حمد القوزي.

٩٩ - معاني القرآن وإعرابه/ للزجاج - أبي اسحق إبراهيم بن السَّري المتوفى سنة ٣١١هـ - شرح وتحقيق: د. عبدالجليل عبده شلبي - عالم الكتب - بيروت - ط١ - ١٤٠٨هـ.

١٠٠ ـ معاني القرآن/ لأبي بكر زكريا يحيى بن زياد الفراء المتوفى سنة ٢٠٧هـ ـ عالم الكتب ـ بيروت ـ ط٣ ـ ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

١٠١ ـ معاني النحو/ للدكتور فاضل السامرَّائي ـ القاهرة ـ شركة العاتك لصناعة الكتاب ط٢ ـ ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٣م.

١٠٢ ـ المعجم الأوسط/ لسليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني المتوفى سنة ٣٦٠هـ ـ تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد ـ دار الحرمين ـ القاهرة ـ ١٤١٥هـ.

١٠٣ ـ المعجم الكبير/ سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني المتوفى سنة ٣٦٠هـ ـ تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي ـ ط٢ ـ ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٣م.

١٠٤ ـ المعجم الوسيط/ للدكتور إبراهيم أنيس ـ وآخرون.

١٠٥ ـ معجم مفردات ألفاظ القرآن/ لأبي القاسم الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني المتوفى سنة ٥٠٣هـ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ ـ ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

١٠٦ ـ معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار/ لشمس الدين أبي عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ـ تحقيق: طيار آلتي قولاج ـ ط١ ـ استانبول ـ ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.

١٠٧ ـ المعنى القرآني في ضوء اختلاف القراءات/ للدكتور أحمد سعيد الخطيب (شبكة المعلومات الدولية ـ شبكة التفسير والدراسات القرآنية www. tafsir. net).

١٠٨ ـ مفاتيح الأغاني في القراءات والمعاني/ لأبي العلاء الكرمي المتوفى سنة ٥٦٣هـ ـ دراسة وتحقيق: د. عبدالكريم مصطفى مدلج ـ دار بن حزم ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ ـ ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

١٠٩ ـ مناهل العرفان في علوم القرآن/ للأستاذ الشيخ محمد عبدالعظيم الزرقاني ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان.

١١٠ ـ منجد الطلاب في اللغة والأعلام/ عن منجد معلوف اليسوعي ـ نظر فيه ووقف على ضبطه: فؤاد إفرام البُستاني ـ ط٣٨ ـ دار المشرق ـ بيروت ـ لبنان.

١١١ ـ منجد المقرئين ومرشد الطالبين/ لابن الجزري ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.

١١٢ ـ منهج الإمام الطبري في تفسيره (رسالة ماجستير) / للدكتور عبدالرحمن يوسف الجمل بإشراف: د. فضل عباس ـ ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

١١٣ ـ موسوعة الحروف في اللغة العربية/ للدكتور إميل بديع يعقوب، دار الجيل بيروت ـ ط١ سنة ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

١١٤ ـ النشر في القراءات العشر/ للحافظ أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري المتوفى سنة ٨٣٣هـ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان.

١١٥ ـ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور/ للإمام برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي المتوفى سنة ٨٨٥هـ ـ دار الكتب العملية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ ـ ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

١١٦ ـ وفيات الأعيان وأنباء الزمان/ لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر المتوفى سنة ٦٨٨هـ ـ تحقيق: الدكتور إحسان عباسي/ دار الثقافة ـ بيروت ـ ١٩٦٨م.

فهرس الموضوعات

الجامعة الإسلامية - غزة
عمادة الدراسات العليا
كلية أصول الدين
قسم التفسير وعلوم القرآن

تفسير القرآن
بالقراءات القرآنية العشر

من خلال سور: (الفتح وحتى آخر المنافقون)

إعداد الباحث
عادل عبد القادر الهور

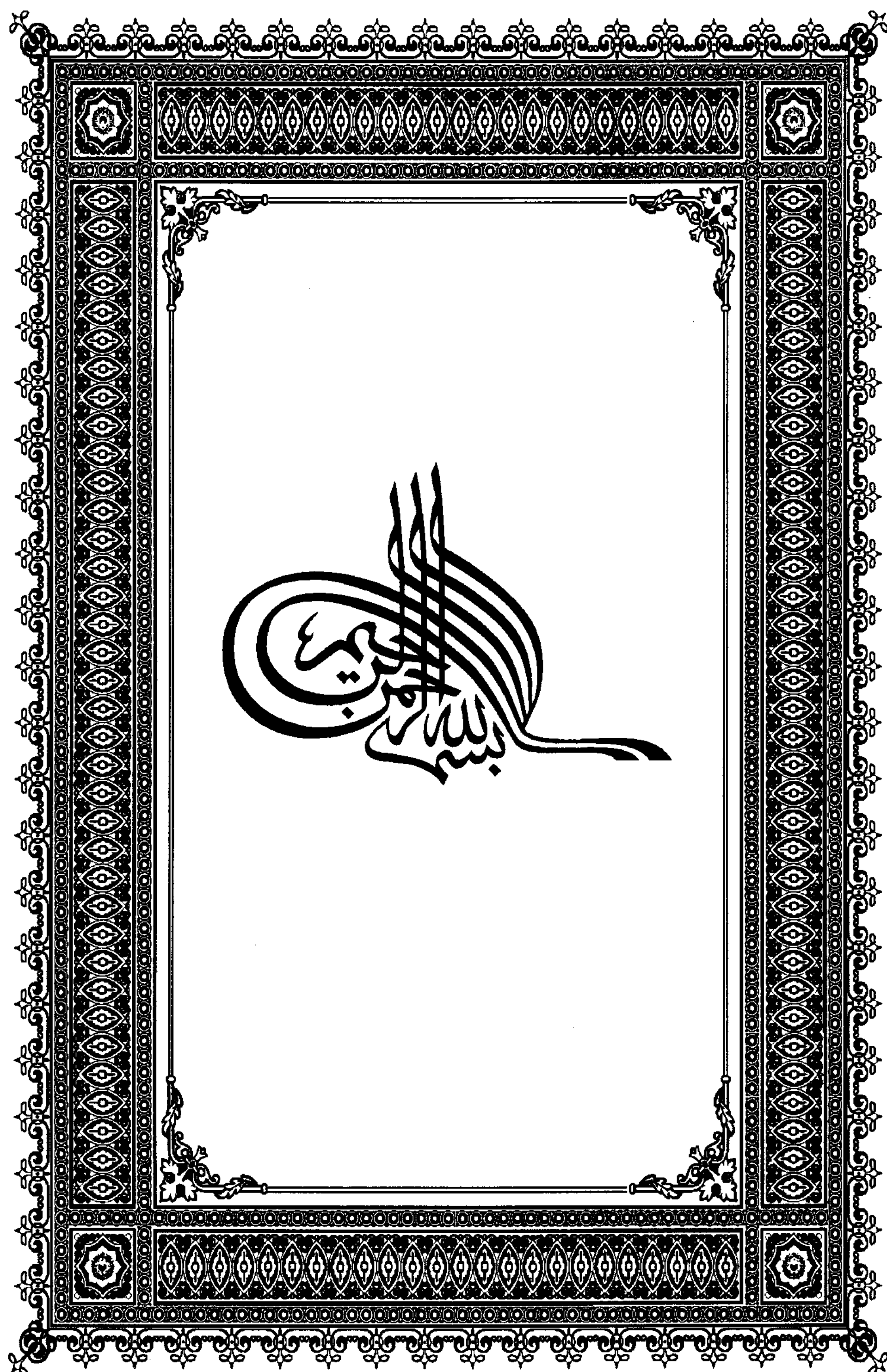
إشراف الدكتور
زكريا إبراهيم الزميلي

ضبط ومراجعة
د.مروان محمد أبوراس

الجزء الثاني عشر

منشورات الجامعة الإسلامية
ورابطة علماء فلسطين - غزة

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير
في التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين
١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م


بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ ﴿٥٣﴾﴾

[الشورى: ٥٢ ـ ٥٣]

شكر ووفاء

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾﴾ [لقمان: ١٢].

وقال رسول الله ﷺ: «**لا يشكر الله من لا يشكر الناس**»(١).

انطلاقاً من هذا الهَدْي، أتقدم بالشكر الجليل والثناء العظيم إلى مولاي الرحمن الرحيم، الذي لا إله إلا هو الحيُّ القيوم، ثمّ لمعلّمي الكريم، ورسولي الأمين، محمد عليه أفضل الصلوات وأتمّ التسليم، ثم أتوجّه بالشكر والإمتنان لفضيلة الدكتور زكريا إبراهيم الزميلي ـ حفظه الله ورعاه ـ الذي تفضل بقبول الإشراف على هذا البحث، فكان ناصحاً أميناً، ومرشداً ومعلماً حكيماً، جزاه الله تعالى عني خير الجزاء.

وأتقدم بالشكر إلى أستاذيَّ الفاضلين عضوي لجنة المناقشة:

الدكتور وليد محمد العامودي.

والدكتور زهدي محمد أبو نعمة الذَيْنِ قَبِلا مناقشة هذه الرسالة.

كما وأتقدم بجزيل شكري، وعميق امتناني، إلى الأستاذ الدكتور زياد

(١) مسند الإمام أحمد (ج٢ ص٢٩٥ رقم الحديث ٧٩٢٦)، وأبو داود في كتاب الأدب باب شكر المعروف ج٤ ص٢٥٥ رقم الحديث ٤٨١١)، والترمذي ـ كتاب البر والصلة ـ باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك ـ (ج٤ ص٣٣٩ رقم الحديث ١٩٥٤) وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

مقداد، عميد الدراسات العليا ـ حفظه الله ورعاه ـ الذي كان سبباً في إخراج هذا البحث إلى النور.

والشكر موصولٌ إلى الجامعة الإسلامية، وأساتذتها الكرام، والهيئة التدريسية بكلية أصول الدين، وعمادة الدراسات العليا، حفظهم الله تعالى ورعاهم.

وأشكر أيضاً الأخوة العاملين في مكتبة الجامعة الإسلامية المركزية، الذين سهَّلوا للباحثين، ويسَّروا لهم، وعملوا على إفادتهم.

كما وإنني أشكر الدكتور مروان أبوراس، والدكتور عبد الرحمن الجمل، الذين شَجَّعا وباركا هذا الجهد، ليصل إلى أحسن وأبهى صِوَرِه.

كما وأتقدم بخالص شكري للأستاذ بسام عليان المحاضر بكلية الدعوة الإسلامية، والذي قام بمراجعة وتدقيق هذا البحث لُغوياً وفنياً، فجزاه الله خير الجزاء، وكذلك أشكر الأستاذ صالح المتولي حفظه الله ورعاه الذي قام بترجمة ملخص الرسالة إلى اللغة الإنجليزية.

كذلك لا يفوتني أن أتقدم بخالص شكري وامتناني لزوجتي، وأخواتي اللاتي شاركنني في طباعة هذه الرسالة.

كما وأتقدم بعظيم شكري ووفائي لكل من ساعدني فقدَّم إليَّ كتاباً أو علماً أو نصحاً وبذل معي جهداً ووقتاً، سائلاً المولى أن يجعل ذلك في ميزان حسناتهم.

وأخيراً أسأل الله تعالى الحليم العليم، العليّ العظيم أن يمنَّ عليَّ بقبول هذا العمل، خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به الإسلام والمسلمين، وأن يجعله في ميزان حسناتي يوم ألقاه، وأن يمنَّ عليَّ بالمغفرة والستر، والتوفيق والسداد، وأن يصلح لي دنياي، فأكون فيها سعيداً، وأن يصلح لي آخرتي فأكون فيها من الفائزين، وصلى الله وسلم وبارك على رسولنا الكريم محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الفصل الأول
تفسير القرآن الكريم بالقراءات القرآنية العشر
من خلال سور الفتح ـ الحجرات ـ ق ـ الذاريات

المبحث الأول: عرض وتفسير لآيات سورة الفتح المتضمنة للقراءات العشر.

المبحث الثاني: عرض وتفسير لآيات سورة الحجرات المتضمنة للقراءات العشر.

المبحث الثالث: عرض وتفسير لآيات سورة ق المتضمنة للقراءات العشر.

المبحث الرابع: عرض وتفسير لآيات سورة الذاريات المتضمنة للقراءات العشر.

المبحث الأول
عرض وتفسير لآيات سورة الفتح
المتضمنة للقراءات القرآنية العشر

بين يدي السورة:

وهي سورة مدنية، وهي تسع وعشرون آية نزلت في السنة السادسة من الهجرة النبوية الشريفة بعد صلح الحديبية، وذلك أثناء عودته ﷺ ليلاً من الحديبية، وهو في طريقه إلى المدينة المنورة[٢].

سبب تسميتها بهذا الاسم:

سميت بسورة الفتح؛ لأن الله تعالى بشَّر المؤمنين في مطلع السورة بالفتح المبين[٣].

الأحداث التي نزلت فيها السورة:

كان نزولها في جوٍّ بالغِ الصعوبة، فالصحابة الكرام خرجوا من المدينة المنورة وهو على يقين كبير بزيارة مكة المكرمة، والطواف بالبيت بحسب ما

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن المعروف بتفسير القرطبي ج٩ ص٩١، وحيثما ورد بعد ذلك فسأكتفي بقولي الجامع لأحكام القرآن، وروح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني المعروف بتفسير الألوسي ج٣ ص٢٢٨ / دار الكتب العلمية - ط١ - ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م وحيثما ورد بعد ذلك فسأكتفي بالقول: روح المعاني.

(٣) انظر: صفوة التفاسير ج٣ ص٢٠٠.

فهموا من رؤيا رسول الله ﷺ التي رآها وبشَّرهم بها، وهي أنه ﷺ رأى في منامه وهو في المدينة، أنه قد دخل هو وأصحابه المسجد الحرام، وأخذ مفتاح الكعبة، وطافوا واعتمروا، وحلق بعضهم، وقصّر البعض، ولكن ذلك لم يحدث في نفس السنة التي خرجوا بها بحسب الاتفاق، وصلح الحديبية الذي من بنوده عودتهم إلى المدينة هذا العام دون الذهاب إلى مكة والرجوع في العام القادم، فحزنوا حزناً شديداً لدرجة أنهم كادوا يقعون في معصية أمر رسول الله ﷺ عندما أمرهم أن يحلقوا وينحروا في مكانهم في الحديبية فلم يفعلوا، لولا مشورة السيدة أم سَلَمَة رضي الله عنها وأرضاها على رسول الله ﷺ بأن يخرج من خيمته ولا يكلم أحداً فيحلق وينحر، ففعل ذلك رسول الله ﷺ، فقاموا وفعلوا. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى ما كان يشعر به الصحابة من ضيق بسبب ما جاء في بنود صلح الحديبية من شروط اعتبرها الصحابة الكرام ظلماً شديداً، ومثال ذلك: ردّ من يأتيهم مسلماً إلى المدينة، وعدم إرجاع الكفار لمن يأتيهم مرتداً، هذه هي الأجواء والمشاعر التي نزلت حينها هذه السورة المباركة، فجاءت لتخفف عن المسلمين، وتذهب عنهم ما أصابهم من إحباط، وتبشرهم بالنصر والفتح المبين[٤].

الموضوع العام للسورة:

دارت هذه السورة حول صلح الحديبية، وتناولت جميع تفاصيله وأحداثه ومواقفه، فجاءت لتبشر المؤمنين في مطلع السورة، وتخبرهم بقرب الفتح والنصر المبين، وذكرتهم بمنة الله تعالى عليهم، فهو الذي أنزل عليهم السكينة، وبشرتهم بمغفرته، وشهدت لهم بالإيمان.

وتناولت السورة بيعة الرضوان، وذكَّرت المؤمنين بأهميتها، وضرورة الوفاء بها، وحذرت من النكوث، وأشادت بموقف المؤمنين الصادق في الوفاء، وبشرتهم برضى الله تعالى عليهم، وبالنصر والتمكين.

(٤) انظر: تفسير في ظلال القرآن لسيد قطب ج٦ ص٣٣١٣، ٣٣١٤، وحيثما ورد بعد ذلك فسأكتفي بقولي الظلال.

كذلك ذكرت السورة موقف المتخلفين، أمام هذه الأحداث الجِسام، الذين تخلفوا عن الحديبية بأعذار كاذبة واهية، وبيّنت كذبهم وكشفتهم.

وفي الختام أَثْنَتْ السورة على محمد ﷺ ومن معه من المؤمنين، وقدمت لنا وصفاً جميلاً لهذه الثلة المؤمنة، تناولت خَلْقَهُمْ وخُلُقَهَمْ، وذلك تزكيةً لهم، وبياناً لفضلهم[5].

١ - قال تعالى: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾﴾ [الفتح: ٦].

القراءات:

١ - قرأ ابن كثير وأبو عمرو (دائرة السُوء) بضم السين.

٢ - وقرأها الباقون ﴿دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾ بفتح السين[6].

المعنى اللغوي للقراءات:

السوء من (س و أ): فعل سيء، وأفعال سيئة، وهو من السوء: البرص. وسؤت وجه فلان، ووقاك الله من السوء ومن الأسواء، وهو اسم جامع لكل آفة وداء[7].

التفسير:

جاءت هذه الآية لتصف الحالة التي سيكون عليها هؤلاء الناس، من المنافقين والمشركين من عقاب وخزي وقتل في الدنيا، وفي الآخرة عذاب

---

(٥) انظر: الرحيق المختوم ص٣٩٨، ٤٠٦، وحيثما ورد بعد ذلك فسأكتفي بالقول: الرحيق المختوم، والظلال ج٦ ص٣٣١٣، ٣٣١٤. وروح المعاني ج٣ ص٢٣٨، والجامع لأحكام القرآن ج٩ ص٩١.

(٦) انظر: النشر في القراءات العشر ج٢ ص٢١٤.

(٧) انظر: أساس البلاغة ص٢٢٣.

شديد بسبب ما يمارسونه ضد رسول الله ﷺ، حيث إنهم ظنّوا أن رسول الله ﷺ - وقد خرج إلى الحديبية - أنه سيهزم فيها هزيمة شديدة، ولن ينصره الله تعالى، فهؤلاء ستدور عليهم الدائرة، وسيعود محمد ﷺ وأصحابه الكرام إلى المدينة منتصرين بإذن الله تعالى وبعدها سيقتلهم النبي ﷺ، وفي الآخرة سيحل عليهم غضب الله تعالى وعقابه، ويدخلهم جهنم وبئس المهاد.

قال الطبري: «قوله تعالى: ﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ﴾ أنه لن ينصرك، وأهل الإيمان بك على أعدائك، ولن يظهر كلمته فيجعلها العليا على كلمة الكافرين به، وذلك كان السوء من ظنونهم التي ذكرها الله تعالى في هذا الموضع»[٨].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أشار عدد من العلماء إلى أن قراءة الضم والفتح كليهما بمعنى واحد، أو هما من اللغات العربية: فقال أبو السعود: «وقرئ (دائرة السوء) بالضم وهما لغتان»[٩].

وذهب آخرون إلى أن هناك فرقاً بين القراءتين: فقال ابن خالويه[١٠]: «السوء بالفتح الفساد مثل ظن السوء ﴿وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ﴾ [الفتح: ١٢]، وذلك أنهم ظنوا أن رسول الله ﷺ لن يعود إلى مولده أبداً، والسوء بالضم: الشر»[١١].

(٨) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج٩ ص٧٤٧٣، وحيثما ورد بعد ذلك فسأكتفي بقولي: جامع البيان.

(٩) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم المعروف بتفسير (أبو السعود) ج٦ ص٩٩، وحيثما ورد بعد ذلك سأكتفي بقولي: تفسير (أبو السعود).

(١٠) هو الحسين بن أحمد بن خالويه بن حمدون، كنيته أبو عبد الله النحوي اللغوي، وكانت وفاته سنة ٣٧٠هـ، (انظر: غاية النهاية ج١ ص٢٣٧).

(١١) إعراب القراءات السبع وعللها ج٢ ص(٣٢٧ - ٣٢٨) (بتصرف).

وقال الدكتور محمد محيسن: «قرأ ابن كثير وأبو عمرو السوء بضم السين وهو الضرر. والباقون بفتحها وهو الذم»[١٢].

ويرى الباحث: أن القول بأن القراءة بالفتح والضم هما بمعنى واحد أمر لا يُسَلَّمُ به، فهذا القرآن الذي هو كلام الله تعالى المعجز في بلاغته، الدقيق في اختيار حروفه وألفاظه وكلماته ينبغي على العلماء والباحثين أن لا يدَّخروا جهداً في معرفة أسراره، والكشف عن معانيه.

كذلك إن الفرق بين قراءة الضم وقراءة الفتح فيها واضح وبائن، وعليه: فقد أفادت القراءة بالفتح، على أن صفة هؤلاء الناس هي الذَّم والرداءة والفساد. بمعنى أن هؤلاء الناس الذين ذكرهم الله تعالى: صفتهم أنهم مذمومون فاسدون، تحيط بهم الذلة والرداءة كإحاطة السوار بالمعصم بسبب ظنهم السَّيِّئ، وخلقهم الفاسد.

بينما أفادت القراءة بالضم، أن هؤلاء الناس الفاسدين المذمومين، الذين ينتظرون وقوع الشر والهزيمة بالمسلمين، ولا يدخرون من أجل حصول ذلك جهداً. سينزل الله تعالى بهم العذاب، وسيهزمون، وسيحلّ بهم الدمار والخراب.

وفي هذا السياق لا بد من الإشارة إلى ما أورده ابن زنجلة[١٣] إذ قال: «السوء بالضم: الشر والعذاب والبلاء، والسوء بالفتح: الفساد والهلاك»[١٤]. وحجته بذلك قوله تعالى: ﴿وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾ أي هلكى. فإنه لم يكن موفقاً إذا قصد بالهلاك الهلاك الحقيقي الذي يصل إلى حد الاستئصال، وهو أشد أنواع العذاب. وسبب ذلك أنه جعل المضموم يدل على العذاب، بينما جعل المفتوح يدل على الهلاك. ومن

(١٢) المستنير في تخريج القراءات ج٣ ص١٠٦، وحيثما ورد بعد ذلك فسأكتفي بقولي: المستنير.

(١٣) هو عبد الرحمٰن بن محمد بن زنجلة، كنيته أبو زرعة، المقرئ الجليل، صاحب كتاب الحجة في القراءات [انظر: سير أعلام النبلاء ج٣ ص٣٢٥].

(١٤) انظر: حجة القراءات ص (٦٧٠ ـ ٦٧١) .

المعروف أن الهلاك أشد من العذاب، فقد يعذب قوم ولا يهلكون. أما الهلاك فيكون ساحقاً ماحقاً. وهو بهذا القول قد خالف حقيقة لغوية، وهي أن الضمة أقوى من الفتحة، بل هي أقوى الحركات وأثقلها، وهي التي تعبر عن المعنى الثقيل القوي والعظيم، بدرجة أكبر بكثير من الفتحة التي هي في الدرجة الثالثة من حيث القوة.

قال الدكتور فاضل السامرائي(١٥): «وينبغي لنا أن نشير إلى حقيقة لغوية معلومة اتفق عليها علماء اللغة قديماً وحديثاً، وهي أن الضمة أقوى الحركات وأثقلها، ثم تليها الكسرة، ثم تليها الفتحة وهي أخف الحركات»(١٦). إنتهى قول الدكتور فاضل.

ثم إن احتجاجه بقوله تعالى: ﴿بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٢﴾﴾ ليس بالقوي، وذلك لأن المقصود من السوء في الآية الكريمة هو الظن الفاسد الذي سبب الهلاك، وليس هو الهلاك نفسه. قال الخازن: «يعني صرتم بسبب ذلك الظن الفاسد قوماً بائرين هالكين»(١٧).

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين، يظهر أن هؤلاء المنافقين والمشركين الذين

---

(١٥) هو فاضل بن صالح بن مهدي بن خليل السامرائي البدري وهي احدى عشائر سامراء في العراق، ولد فيها سنة ١٣٥٢هـ ـ ١٩٣٣م، كنيته أبو محمد، حصل على درجة الدكتوراه في اللغة العربية، ويعمل حالياً في جامعة الشارقة استاذاً لمادة النحو والتعبير القرآني، [انظر: معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة ٢٠٠٢م كامل الجبوري ج٤ ص٤١٤ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط١ ـ ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م والشبكة الالكترونية للمعلومات جوجل].

(١٦) بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ص١٠٢.

(١٧) تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل المجلد الرابع ج٦ ص١٩٣ / شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ـ ط٢ ـ ١٣٧٥هـ ـ ١٩٥٥م ـ وحيثما ورد بعد ذلك فسأكتفي بالقول تفسير الخازن.

فسدت نفوسهم، وأصابها الذم بسبب ظنهم الفاسد، سينزل الله تعالى بهم العذاب والبؤس والشقاء جزاءً بما عملوا.

٢ ـ **قال تعالى**: ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾﴾ [الفتح: ٩].

القراءات:

١ ـ قرأ ابن كثير وأبو عمرو (ليؤمنوا بالله ورسوله ويعزروه ويوقروه ويسبحوه) بالياء في الأربعة.

٢ ـ وقرأهن الباقون بالتاء[(١٨)].

المعنى اللغوي للقراءات:

أ ـ **لتؤمنوا**: مِن أمن، والأمان والأمانة بمعنى. وقد أَمِنْتُ فأنا آمن، وآمَنْتُ غيري، من الأمن والأمان، والله تعالى المؤمن؛ لأنه آمن عباده من أن يظلمهم. وأصل آمن أَأْمَنَ بهمزتين لُيِّنت الثانية. وجاءت بمعنى الأمن وهو ضد الخوف[(١٩)] جاءت ـ أيضاً ـ بمعنى التصديق[(٢٠)].

ب ـ **وتعزروه**: أَصل التَّعْزير التأْديب؛ ولهذا يسمى الضربُ دون الحد تَعْزيراً إِنما هو أَدَبٌ. يقال عَزَرْتُه وعَزَّرْتُه، فهو من الأَضداد، وعَزَّرَه فخَّمه وعظَّمه، فهو نحْوُ الضد. والعَزْرُ النَّصْرُ بالسيف. **وعَزَرَه عَزْراً وعَزَّرَه: أَعانَه وقوّاه ونصره، وأصل التعزير المنع أو الردُّ**[(٢١)].

ج ـ **وتوقروه**: الوقارُ الرَّزانةُ والحلم والعَظَمة[(٢٢)]. قال ابن منظور:

(١٨) انظر: التذكرة في القراءات ج٢ ص٦٨٧.

(١٩) انظر: الصحاح في اللغة والعلوم ص٣٨ إعداد وتصنيف نديم مَرْعَشلي وأسامة مرعشلي / دار الحضارة العربية بيروت الطبعة الأولى ١٩٧٥م.

(٢٠) انظر: لسان العرب ج١٣ ص٢١.

(٢١) انظر: لسان العرب ج٤ ص٥٦٢.

(٢٢) انظر: المعجم الوسيط ص١٠٤٩.

«ووَقَّرَ الرجلَ بَجَّلَه. وتُعَزِّرُوه وتُوَقِّرُوه؛ والتوقير: التعظيم والتَّرْزِينُ»[23].

د ـ **وتسبحوه**: التسبيح التنزيه[24] وقال ابن منظور: «وسَبَحَ في الكلام إِذا أَكثر فيه، والتَّسبيح التنزيه، وسبحان الله معناه تنزيهاً لله من الصاحبة والولد، وقيل: تنزيه الله تعالى عن كل ما لا ينبغي له أَن يوصف، ونَصْبُه أَنه في موضع فعل على معنى تسبيحاً له، تقول سَبَّحْتُ الله تسبيحاً له أَي نزهته تنزيهاً»[25].

التفسير:

معنى تعزروه: تعظِّموه وتفخِّموه، ومعنى توقروه: تعظموه، وقيل الضميران في الفعلين للنبي ﷺ، وهنا وقف تام، ثم يبتدئ: ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾ أي تسبحوا الله ﷻ.

﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ أي غدوة وعشية، ويكون معنى التعزير هو النصرة والضرب بين يديه بالسيف[26]، وقيل: الضمائر كلها في الأفعال الثلاثة لله ﷻ، فيكون معنى تعزروه وتوقروه تثبتون له التوحيد وتنفون عنه الشركاء، وقيل تنصروا دينه وتجاهدوا مع رسوله ﷺ، وفي التسبيح وجهان: أحدهما: التنزيه له ﷻ من كل قبيح، والثاني: الصلاة[27].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أ ـ قوله تعالى: ﴿لِتُؤْمِنُوا﴾

أفادت القراءة بالتاء (لتؤمنوا) بأن الخطاب للنبي ﷺ ولأمته، بمعنى إنا

(٢٣) لسان العرب ج٥ ص٢٩١.

(٢٤) انظر: مختار الصحاح ص١٦٢.

(٢٥) لسان العرب ج٢ ص٤٧١.

(٢٦) انظر: الدر المنثور في التفسير المأثور ج٦ ص٦٣.

(٢٧) انظر: فتح القدير ج٥ ص٥٨ / دار الحديث ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٧م.

أرسلناك يا محمد ـ ﷺ ـ للناس حتى تجعلهم يؤمنون بالله تعالى وبك أنت رسول الله عليه الصلاة والسلام، وقوله تعالى: ﴿لِتُؤْمِنُوا﴾ لا إشكال في كونها تشمل الرسول ﷺ وأمته، لأن الرسول ﷺ المأمور بأن يحمل الناس على الإيمان بالله ورسوله، فمن باب أولى أن يكون قد آمن وصدق بالله وبرسوله، فهو مأمور مثلهم بالإيمان والتصديق.

أما القراءة بالياء فقد أفادت بأن المقصود من الخطاب هي الأمة وحدها، ويكون المعنى إنا أرسلناك شاهداً إلى الخلق، ليؤمنوا بالله تعالى ورسوله ﷺ ويعزروه.

قال الشوكاني: «فعلى القراءة الأولى الخطاب لرسول الله ﷺ وأمته، وعلى القراءة الثانية المراد المبشرين والمنذرين»[٢٨].

وقال البقاعي: «(لتؤمنوا) أي الذين حكمنا بإيمانهم ممن أرسلناك إليهم، هذا على قراءة ابن كثير وأبي عمرو بالغيب، وعلى قراءة الباقين بالخطاب المعنى: أيها الرسول ومن قضينا بهداه من أمته، مجددين لذلك في كل لحظة مستمرين عليه، وكذا الأفعال بعده»[٢٩].

وقال البيضاوي: «﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ الخطاب هنا للنبي ﷺ والأمة، أو لهم على أن خطابه منزل منزلة خطابهم»[٣٠].

الجمع بين القراءتين:

إن كلا القراءتين أفادتا بوجوب الإيمان والتصديق بالله تعالى وبرسوله ﷺ، سواء كانت بالغائب أو بالحاضر، والأمر بالإيمان والتصديق موجه للنبي ﷺ كما هو موجه لأمته عليه الصلاة والسلام ودلّ على ذلك القراءة بالتاء.

---

(٢٨) فتح القدير ج٥ ص٥٨.

(٢٩) نظم الدرر ج٧ ص١٩٢.

(٣٠) تفسير البيضاوي ج٥ ص٢٠١.

ب ـ قوله تعالى: ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾

أفادت القراءة بالياء التحتية على الغيب فيهما، بأن الخطاب موجه للأمة فقط في كل زمان ومكان، سواء في عهد النبي ﷺ أو بعد وفاته؛ وذلك لأن نصرة رسول الله ﷺ وتوقيره هي نصرةٌ للإسلام، وتوقيرٌ له، والخطاب شامل لمن يحضرون رسول الله ﷺ، ولمن يأتون من بعده، ولو بآلاف السنين، والأمر مستمر على الدوام.

أما القراءة بالتاء فيهما، فهي موجهة للنبي ﷺ وأمته. والخطاب بالحاضر فيه إشعار بأنه موجه بشكل خاص لمن يحضرون رسول الله ﷺ. فإذا كانت نصرة النبي ﷺ ونصرة دينه واجبة ولازمة في كل زمان ومكان، فهي من باب أولى أوجب وألزم على من كانوا يحضرون رسول الله ﷺ، لأهمية ذلك وضرورته، لأنه من المعلوم أن رسول الله ﷺ كان بحاجة ماسة لهذه النصرة في بداية دعوته، لأن الإسلام كان لا يزال في بداية نشأته، والأخطار التي تحدق به كبيرة وعظيمة وجليلة.

وهذا الذي ذُكِرَ على رأي من قال بأن الضمير فيهما عائد لرسول الله ﷺ، وهو رأي الكثير من المفسرين.

قال البغوي: «هذه الكنايات راجعة إلى رسول الله ﷺ، وها هنا وقف(٣١)، وتسبحوه: أي تسبحوا الله تعالى، يريد تصلوا له»(٣٢). وقال بذلك ابن الجوزي وغيره(٣٣).

أما على رأي من قال بأن الضمير عائد لله تعالى فيهما، فيكون المعنى على القراءة بالياء على أن الخطاب موجه للأمة فقط. وعلى القراءة بالتاء فيكون الخطاب فيها موجهاً لرسول الله ﷺ وأمته معاً. قال الشوكاني: «وقيل

---

(٣١) يقصد الوقوف عند القراءة على قوله تعالى: ﴿وَتُوَقِّرُوهُ﴾ والابتداء بقوله تعالى: ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾.

(٣٢) معالم التنزيل في التفسير والتأويل المشهور بتفسير البغوي ج٥ ص١٠٣ / دار الفكر ـ ط١، وحيثما ورد بعد ذلك فسأكتفي بقولي تفسير البغوي.

(٣٣) انظر: زاد المسير في علم التفسير ص١٣١٩.

الضمائر كلها في الأفعال الثلاثة عائدة لله ﷻ وذكرنا ذلك سابقاً»[٣٤]. وقال السمين الحلبي: «والضمائر المنصوبةُ راجعةٌ إلى الله تعالى. وقيل: على الرسول إلَّا الأخير»[٣٥].

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين، يظهر بأن الخطاب موجه للرسول ﷺ وأمته، وأن نصرة رسول الله ﷺ واحترامه واجبة على الأمة في كل مكان، وفي أي وقت، وهي كذلك ألزم وأوجب على من كانوا يحضرون رسول الله ﷺ ويعيشون معه، لأهمية ذلك، لأن الإسلام آنذاك لم يزل في بدايته، والأخطار من حوله كبيرة وعظيمة، ورسول الله ﷺ بحاجة إلى التعزيز والمؤازرة.

هذا على أن الضمير في الفعلين الأولين عائدٌ لرسول الله ﷺ.

أما إذا كان الضمير عائداً لله تعالى فيكون الجمع بين القراءتين، بمعنى أن الرسول وأمته مأمورة بأن تثبت لله تعالى التوحيد، وأن تنفي عنه الشركاء، أو بأن تنصر دينه، وتجاهد مع رسول الله ﷺ[٣٦].

ج ـ قوله تعالى: ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾

لا خلاف بين العلماء على أن الضمير في هذه الكلمة عائد إلى الله تعالى، وعلى ذلك، فقد أفادت القراءة بالياء على أن الخطاب موجه للأمة فقط.

أما القراءة بالتاء، فقد أفادت بأن الخطاب موجه لرسول الله ﷺ وأمته.

---

(٣٤) فتح القدير ج٥ ص٥٨.
(٣٥) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ج٦ ص١٦٠ / دار الكتب العلمية ـ ط الأولى ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م، وحيثما ورد بعد ذلك فسأكتفي بالقول: الدر المصون.
(٣٦) انظر: فتح القدير ج٥ ص٥٨.

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بينهما، يظهر بأن رسول الله ﷺ وكذلك أمته مأمورون بتسبيح الله تعالى، وتنزيهه عن كل قبيح، والصلاة له وعبادته على أحسن حال.

٣ ـ **قال تعالى**: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾﴾ [الفتح: ١٠].

القراءات:

أ ـ قوله تعالى: ﴿عَلَيْهُ ٱللَّهَ﴾

١ ـ قرأ حفص ﴿بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ﴾ بضم الهاء من عليه.

٢ ـ وكسرها الباقون(٣٧).

ب ـ قوله تعالى: ﴿فَسَيُؤْتِيهِ﴾

١ ـ وقرأ الحرميان (نافع وابن كثير) وابن عامر، وروح (فسنؤتيه) بالنون.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿فَسَيُؤْتِيهِ﴾ بالياء(٣٨).

المعنى اللغوي للقراءات:

أ ـ عليه: على: حرف جر، ومعناه استعلاء الشيء، تقول: هذا على ظهر الجبل وعلى رأسه، ويكون ـ أيضاً ـ أن يَطْوي مُسْتَعْلِياً، كقولك: مر الماء عليه، وأمْررْت يدي عليه، وأما مَرَرْت على فلان فَجَرى هذا كالمثل.

---

(٣٧) انظر: التذكرة في القراءات ج٢ ص٦٨٧.

(٣٨) انظر: التذكرة في القراءات ج٢ ص٦٨٧، والتجريد لبغية المريد في القراءات السبع ص٣٠٨.

وعلينا أميرٌ، كقولك: عليه مالٌ لأنه شيء اعتلاه[٣٩].

ب ـ **فسيؤتيه:** أتى أتْياً، وإتْياناً، وإتْياً، ومأتى، ومأْتاةً: جاء[٤٠]. وآتيته مالاً بالمد أعطيته[٤١].

التفسير:

يقول الله تعالى: لنبيه محمد ﷺ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ﴾ في الحديبية من أصحابك على أن لا يفروا عند لقاء العدو، ولا يولوهم الأدبار، ﴿إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ يقول: إنما يبايعون بيعتهم إياك الله؛ لأن الله تعالى ضمن لهم الجنة بوفائهم له بذلك[٤٢].

قال سيد قطب رحمه الله تعالى: «فالإيحاء فيه أكثر إلى تكريم المبايعين وتعظيم شأن البيعة، والإشارة إلى الناس جاءت بمناسبة الحديث عن الأعراب المتخلفين»[٤٣].

وجاء في المنتخب، أي إن الذين يعاهدونك على بذل الطاقة لنصرتك، إنما يعاهدون الله، وإن قوة الله معك فوق قوتهم، فمن نقض عهدك بعد ميثاقه فلا يعود ضرر ذلك إلا على نفسه، ومن وفى بالعهد الذي عاهد عليه الله لإتمام بيعتك فسيعطيه الله ثواباً بالغاً عظيماً[٤٤].

وقال ابن كثير في بيان معنى ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾: «أي هو حاضر معهم يسمع أقوالهم، ويرى مكانهم، ويعلم ضمائرهم وظواهرهم فهو تعالى هو المبايع بواسطة رسول الله ﷺ»[٤٥].

---

(٣٩) انظر: لسان العرب ج١٥ ص٨٧.
(٤٠) انظر: المعجم الوسيط ص٤.
(٤١) انظر: المصباح المنير ص٨.
(٤٢) انظر: جامع البيان ج٩ ص٧٤٧٦.
(٤٣) الظلال ج٦ ص٣٣١٥.
(٤٤) المنتحب في تفسير القرآن ص٧٥٨ ط١٨.
(٤٥) تفسير القرآن العظيم المشهور بتفسير ابن كثير ج٤ ص١٩٩ / دار المعرفة الطبعة السادسة، وحيثما ورد بعد ذلك فسأكتفي بقولي تفسير القرآن العظيم.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أ ـ قوله تعالى: ﴿عَلَيْهُ ٱللَّهَ﴾

لم أجد من علماء التفسير والقراءات من يُفرِّق بين القراءتين في قوله تعالى: ﴿عَلَيْهُ ٱللَّهَ﴾، ولكن هذا لا يمنع من النظر والبحث لمعرفة الفرق؛ وذلك لأن الفرق بين الضمة والكسرة في الاستخدام واضح؛ لأنه من المعلوم بأن الضمة هي من أثقل الحركات، وأشدها قوة، وعلى ذلك: فقد أفادت القراءة بالكسر، بأن الذي يقوم بالوفاء بعهده الذي قطعه على نفسه لله تعالى، فإن الله سيؤتيه أجراً عظيماً مكافأة له على وفائه.

أما القراءة بالضم، فقد أفادت بأن هذا العهد الذي قطعوه على أنفسهم أمام الله تعالى، هو أمر عظيم وثقيل، ويحتاج إلى تطويع النفس وتصبيرها من أجل الوفاء به. وذلك لأن حركة الضم هي من أقوى الحركات وأثقلها، وإن النطق بالضم يحتاج إلى جهد عضلي أكثر من الكسرة والفتحة[٤٦].

وجاء في التفسير ما يدل على عظم هذا العهد وثقله، حيث أورد ابن الجوزي: «أنهم بايعوا الله تعالى على الموت وأن لا يفروا»[٤٧].

الجمع بين القراءتين:

إن كلا القراءتين جاءت لتبيّن بأن الذي يوفي بعهده مع الله تعالى، فإن الله تعالى سيؤتيه مقابل هذا الوفاء أجراً عظيماً.

إلا أن القراءة بالضم أوضحت بأن هذا العهد وهذه البيعة كانت أمراً عظيماً وثقيلاً، وتحتاج من النفس الصبر والمثابرة؛ ليتم لها تحقيق الوفاء؛ لذلك ناسب هذا الجَهد والوفاءَ حصولُ عظيمُ الأجر من الله تعالى؛ لأن الجزاء من جنس العمل.

ب ـ قوله تعالى: ﴿فَسَيُؤْتِيهِ﴾

---

(٤٦) انظر: بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ـ د. فاضل السامرائي ـ ص١٠٢، ١٠٣.

(٤٧) زاد المسير في علم التفسير ص١٣١٩.

فقد أفادت القراءة بالنون (فسنؤتيه) بأن الله تعالى يخبر عن نفسه، كذلك فإن حرف النون فيها هو إخبار عن جمع[٤٨].

وأما القراءة بالياء التحتية، فهي على لفظ الغيب المتقدم قبله، وهو قوله تعالى: ﴿يَدُ ٱللَّهِ﴾، وقوله تعالى: ﴿بِمَا عَٰهَدَ عَلَيۡهُ ٱللَّهَ﴾، والمعنى أي ﴿فَسَيُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمًا﴾[٤٩].

ويرى الباحث بأن القراءة بالنون فيها ميزة واضحة وكبيرة، وشرف عظيم خص الله - ﷻ - به الذين يوفون ببيعتهم معه، حيث إنه - ﷻ - هو الذي يخبر عن نفسه بنفسه في إعطاء الأجر، ولا يخبر عنه أحدٌ غيره، ومن مثل ذلك، الحديث: «**خلق الله آدم بيده**»[٥٠] ففيه تشريف لآدم.

الجمع بين القراءتين:

كلا القراءتين أفادتا بأن الله تعالى قد أخبرنا بأن الذين يوفون بعهدهم الذي يقطعونه على أنفسهم في بيعتهم مع الله، فإن الله تعالى جعل لهم مقابل ذلك أجراً عظيماً.

إلا أن القراءة بالنون بيَّنَتْ بأن الله تعالى العظيم يخبر بنفسه عن إعطاء هذا الأجر، ولا يخبر عنه أحد غيره، وفي هذا ميزة شرف لهؤلاء الموفون ببيعتهم.

وانظر في عالمنا هذا، كم يكون الفرق كبيراً بأن يقال: بأن الملك الفلاني سيعطي جائزة لفلان، وبين أن يظهر هذا الملك، ويخبر بنفسه عن هذه الجائزة، ولله المثل الأعلى.

(٤٨) انظر: حجة القراءات للإمام أبي زرعة ص٦٧٢.

(٤٩) انظر: الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها للإمام مكي ابن أبي طالب القيسي ج٢ ص٢٨٠، وحيثما ورد بعد ذلك فسأكتفي بقولي: الكشف.

(٥٠) السنن الكبرى للإمام النسائي - كتاب عمل اليوم والليلة - باب ما يقول إذا عطس (ج٩ ص٩٣ - رقم الحديث ٩٩٧٧) .

٤ ـ قال تعالى: ﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا ﴿١١﴾﴾ [الفتح: ١١].

القراءات:

١ ـ قرأ حمزة والكسائي (إن أراد بكم ضُراً) بضم الضاد.

٢ ـ والباقون ﴿ضَرًّا﴾ بفتحها(٥١).

المعنى اللغوي للقراءات:

الضَرُّ: خلاف النفع. وقد ضَرَّه وضَارَّه بمعنى. والاسم الضَرَرُ. وقال: والضُرُّ بالضم الهُزال وسوء الحال(٥٢). وجاء في المعجم الوسيط: «ضَرّهُ، وبه ضُرًّا وضَرَرًا، ألحق به مكروهاً وأذى»(٥٣).

التفسير:

هذه الآية الكريمة جاءت لتفضح موقف هؤلاء الأعراب الذين تخلفوا عن رسول الله ﷺ في ذهابه إلى مكة معتمراً، حيث إن رسول الله ﷺ استنفرهم ليخرجوا معه ـ وهم أعراب المدينة مزية وجهينة.

وأخبر الله ﷻ رسوله محمداً ﷺ بأنهم سيأتون إليك، ويعتذرون إليك، ويخبروك بأنهم لم يخرجوا بسبب خوفهم على أموالهم وأهليهم، ويطلبون منك أن تستغفر لهم، إلا أنهم كاذبون في دعواهم، وغير صادقين في طلبهم للاستغفار.

---

(٥١) انظر: النشر ج٢ ص٢٨٥، وإرشاد المريد إلى مقصود القصيد في القراءات العشر للشيخ علي الضباع ص٣٦٢، وحيثما ورد بعد ذلك فسأكتفي بقولي إرشاد المريد.

(٥٢) انظر: الصحاح في اللغة ص٦٤٢.

(٥٣) المعجم الوسيط ص٥٣٧.

ثم يقرر الله تعالى نوع الرد الذي سيرد به عليهم رسول الله ﷺ وهو تصحيح فساد عقيدتهم حيث إن الله تعالى هو الذي يعلم حقيقة أمرهم. واعتذارهم لرسول الله ﷺ وطلب المغفرة منه لن يرد أمر الله تعالى إذا أراد الله تعالى أن يهلكهم(٥٤).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

اختلف علماء التفسير والقراءات في بيان الفرق بين القراءتين. فذهب بعض العلماء إلى أنه لا فرق بين القراءتين. فأبو السعود مثلاً: ذكر القراءة بالضم ولم يفرق بينهما(٥٥).

وذهب الشيخ أحمد البنا: إلى أنهما لغتان، كالضُعف والضَعف(٥٦). وقال الدكتور محمد محيسن: «وهما لغتان بمعنى واحد»(٥٧).

وعلى هذا: فقد أفادت القراءة بالفتح معنى الضر الذي هو خلاف النفع. قال الطبري: «فَقَرَأَتْهُ قُرَّاءُ المدينة والبصرة وبعض قراء الكوفة بفتح الضاد بمعنى الضر الذي هو خلاف النفع»(٥٨). وقال مكي(٥٩): «وحجة من قرأ بالفتح، أنه حمله على الضر الذي هو خلاف النفع، ودل على أنه المراد ما أتي بعده نقيضه: وهو قوله سبحانه: ﴿أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًاۢ﴾ فالنفع نقيض

(٥٤) انظر: جامع البيان ج٩ ص٧٤٧٧، ٧٤٧٨ (بتصرف).

(٥٥) انظر: تفسير أبو السعود ج٦ ص١٠٠.

(٥٦) انظر: إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر المسمى منتهى الأماني والمسرات في علوم القراءات ج٢ ص٤٨٢، وحيثما ورد بعد ذلك فسأكتفي بقولي: إتحاف فضلاء البشر.

(٥٧) المستنير ج٣ ص١٠٩.

(٥٨) جامع البيان ج٩ ص٧٤٧٨.

(٥٩) هو مكي بن أبي طالب، أبو محمد القيسي القرطبي، كان أستاذاً في القراءة، توفي سنة ٤٣٧هـ [انظر: غاية النهاية ج٢ ص٣٠٩].

الضَر بالفتح»[٦٠]. وقال البغوي: «وقرأ الآخرون بفتحها؛ لأنه قابله بالنفع، والنفع ضد الضرر، وذلك أنهم ظنوا أن تخلفهم عن النبي ﷺ يدفع عنهم الضّر، ويعجل لهم النفع بالسلامة في أنفسهم وأموالهم، فأخبرهم الله تعالى أنه إن أراد بهم شيئاً من ذلك لم يقدر أحد على نفعه»[٦١].

أما القراءة بالضم، فقد أفادت بأن المقصود من (الضُر) بالضم هو السقم والبؤس والبلاء، قال مكي: «من قرأ بالضم أنه جعله من سوء الحال كما قال تعالى: ﴿فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ﴾ [الأنبياء: ٨٤] أي من سوء الحال»[٦٢].

الجمع بين القراءتين:

إن القراءة بالفتح دلت على معنى الضرر الذي هو خلاف النفع بدون تحديد وبيان لنوع أو اسم الضرر، إلا أن القراءة بالضم جاءت لتشرح وتبيّن اسم ونوع هذا الضرر الذي قد يقع بهؤلاء المتخلفين، وهو البؤس والسقم وسوء الحال.

٥ ـ قال تعالى: ﴿بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٢﴾﴾ [الفتح: ١٢].

القراءات:

١ ـ قرأ هشام والكسائي (بل ظننتم) بإدغام الباء في الظاء.

٢ ـ وقرأ الباقون بإظهارها[٦٣].

---

(٦٠) الكشف ج٢ ص٢٨١.
(٦١) تفسير البغوي ج٥ ص١٠٤.
(٦٢) الكشف ج٢ ص٢٨١.
(٦٣) انظر: تقريب النشر ص١٢٧، البدور الزاهرة ص٣٧٤.

المعنى اللغوي للقراءتين:

الظَّنُّ: العلمُ دون يقين، وقد يوضع مَوْضِع العِلم وبابه رَدَّ، وتقول: ظَنَنْتُك زيداً، وظَنَنْتُ زيداً، إياك تَضَعُ الضَّمِير المنْفَصِلَ موضعَ المتَّصِل، والظِّنِين المُتَّهم والظِّنَّة التُّهمة(٦٤).

وقال ابن منظور: «الظَنُّ شك ويقين إلَّا أنه ليس بيقينِ عيان إنما هو يقينُ تدبرٍ، فأما يقين العيان فلا يقال فيه إلا علم، وهو يكون اسماً ومصدراً، وجمع الظن الذي هو اسم ظُنُون»(٦٥).

وجاء في المصباح المنير بأن الظن خلاف اليقين، وقد يستعمل بمعنى اليقين كقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ﴾ [البقرة: ٤٦](٦٦).

التفسير:

هذه الآية تؤكد وتبيّن السبب الحقيقي وراء تخلف هؤلاء الأعراب عن اللحاق برسول الله ﷺ، وهو اعتقادهم الفاسد بأن رسول الله ﷺ ومن معه من الصحابة الكرام سيهلكون، ولن يرجعوا إلى أهليهم وأوطانهم أبداً، وحسَّن ذلك الشيطان في قلوبهم، فأعجبهم ذلك الاعتقاد فترجموه بعدم خروجهم مع رسول الله ﷺ.

ولقد ظنوا ظنهم وزُيِّن هذا الظن في قلوبهم حتى إنهم لم يروا غيره، ولم يفكروا في سواه، وكان هذا هو ظن السوء بالله تعالى الناشئ من أن قلوبهم بور، وهو تعبير عجيب، فالأرض البور ميتة جرداء، وكذلك قلوبهم، وكذلك هم بكل كيانهم بور لا حياة ولا خصب ولا ثمار.

فالقلب الذي يخلو من حسن الظن بالله تعالى، يكون بوراً ميتاً أجرد نهايته إلى البوار والدمار. قال الطبري عن هؤلاء المتخلفين: «ما تخلفتم

---

(٦٤) انظر: مختار الصحاح ص٢٢٦.

(٦٥) لسان العرب ج١٣ ص٢٧٢.

(٦٦) انظر: المصباح المنير ص٢٣٠ للشيخ العلامة أحمد الفيومي المقري / دار الحديث - الطبعة الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

خلاف رسول الله ﷺ، وما قعدتم عن صحبته من أجل شغلكم بأموالكم وأهليكم، بل تخلفتم ظناً منكم أن رسول الله ﷺ ومن معه من أصحابه سَيَهلِكون، فلا يرجعون إليكم أبداً باستئصال العدو إياهم»(٦٧).

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

يقول الباحث: لم يذكر العلماء عن هذه القراءة إلا الشيء القليل قال الشيخ أحمد البنا: «وأدغم الكسائي لام ﴿بَلْ ظَنَنتُمْ﴾»(٦٨).

وأمام هذا، لا ينبغي التسرع واعتبار القراءتين من لهجات ولغات العرب فقط، وأنه لا فرق بينهما، فالقراءة بالإدغام لها دلالة غير موجودة في سواها؛ وذلك لأن الإدغام فيه تشديد للحرف وقد عرَّف الدكتور عبد الرحمن الجمل الإدغام بأنه: إدخال حرف ساكن في حرف متحرك بحيث يصيران حرفاً واحداً مشدداً من جنس الثاني(٦٩).

وعرفه الشيخ محمد الجريسي فقال: «هو خلط الحرفين المتماثلين أو المتقاربين أو المتجانسين فيصيران حرفاً واحداً مشدداً، يرتفع اللسان عند النطق بهما ارتفاعة واحدة»(٧٠).

ومن كلا التعريفين، يتضح بأن الحرف الذي أصبح مشدداً وقويّاً وثقيلاً، هو حرف الظاء، وهو أول حروف كلمة (ظن)، وحرف الظاء من الحروف القوية حسب تصنيف حروف اللغة(٧١)، فكيف إذا كان مشدداً كما هو حاصل.

وكأن المراد من شدة وقوة هذا الحرف، الإشارة إلى بيان شدة وقوة ظنهم الفاسد، الذي ظنوه برسول الله ﷺ وأصحابه الأبرار، حتى أصبح هذا

---

(٦٧) جامع البيان ج٩ ص٧٤٧٨.
(٦٨) إتحاف فضلاء البشر ج٢ ص٤٨٢.
(٦٩) انظر: المغني في علم التجويد ص٧٤ ط٥.
(٧٠) نهاية القول المفيد في علم التجويد ص١٤٠.
(٧١) انظر: المغني في علم التجويد / د. عبد الرحمن الجمل ص١٣٩.

الظن مستحسناً لديهم، ومن قوته وشدة استحسانه، أصبح معتقداً يقينياً لديهم، ومنعهم من اللحاق برسول الله ﷺ.

وإذا قال قائل: إنما جعل الإدغام لتخفيف النطق بالحرف لثقله، فيتم التخلص من هذا الثقل بإدغام هذا الحرف، الذي سبب بُعد مخرجه هذا الثقل في الحرف الذي بعده، طلباً لسهولة النطق به، ويرى الباحث: أن هذا صحيح وحاصل في حرف اللام في كلمة (بل)، فمن أجل تخفيف النطق به أدغم في الظاء، ولكن ما نتج عن هذا الإدغام أيضاً إضافة على ما ذُكر، هو إكساب حرف الظاء قوة إلى قوته، وشدة إلى شدته من غير صعوبة، أو منع في النطق.

الجمع بين القراءتين:

إن كلا القراءتين أفادتنا حدوث الظن الفاسد من الأعراب، إلا أن القراءة بالإدغام والتشديد أفادت بيان درجة وقوة هذا الظن، حيث إنه ظنٌ قويٌ وصل في نفوسهم إلى درجة الاستحسان والتصديق والاعتقاد.

٦ ـ قال تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾﴾ [الفتح: ١٥].

القراءات:

١ ـ قرأ الأخوان[٧٢] وخلف (كلِم) بكسر اللام من غير ألف.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿كَلَـٰمَ﴾ بفتحها وألف بعدها[٧٣].

---

(٧٢) الأخوان هما: حمزة والكسائي.

(٧٣) انظر: البدور الزاهرة ص٣٧٣.

المعنى اللغوي للقراءتين:

كلم: الكلام اسمُ جنس يَقَع على القليل والكثير، والكَلِم لا يكون أقَلَّ من ثلاثِ كلمات؛ لأنه جمع كلمة مثل نَبِقة ونَبِق، وفيها ثلاث لغات كَلِمَة وكِلْمَة وكَلْمَة(٧٤).

والكلمة تقع على الحرف الواحد من حروف الهجاء، وتقع على لفظة مؤلفة من جماعة حروفٍ ذَاتِ مَعْنيً، وتقع على قصيدة بكمالها وخطبة بأسرها. يقال: قال الشاعر في كلمته أي في قصيدته(٧٥).

التفسير:

في هذه الآية يحكي الله ﷻ عن حال هؤلاء المتخلفين الذين ذكرنا قصة تخلفهم عن رسول الله ﷺ عند ذهابه إلى مكة معتمراً، واستنفرهم فلم يذهبوا معه وقعدوا، وهم الآن يتمنوا أن يأخذهم رسول الله ﷺ إلى خيبر؛ وذلك طلباً للغنائم التي وعدها الله ﷻ لأهل الحديبية عوضاً لهم عن رجوعهم، وهم بذلك يريدون أن يخالفوا أمر الله تعالى، وهو أنه ﷻ قد خصَّ أهل الحديبية وحدهم بهذه الغنائم، وأن لا يشاركهم بها أحد. فأمر الله ﷻ نبيه ﷺ بأن لا يخرجهم معه. فسيقول هؤلاء المتخلفون ليس الأمر كما تقولون، ولكنكم لا تريدون لنا أن نخرج معكم؛ لأنكم تحسدونا، فتولى الله ﷻ الرد على هذا القول الباطل لهؤلاء المتخلفين، فقال سبحانه: ﴿بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ أي لا يفهمون منها إلا قليلاً، وهو حرصهم على الغنائم وأمور الدنيا(٧٦)، أو لا يفقهون من أمر الدين إلا قليلاً وهو ترك القتال(٧٧).

---

(٧٤) انظر: مختار الصحاح ص٣١٢.

(٧٥) انظر: لسان العرب ج١٢ ص٥٢٤.

(٧٦) انظر: جامع البيان ج٩ ص٧٤٨٠، ٧٤٨٢، وتفسير القرآن العظيم ج٤ ص٢٠٤، وصفوة التفاسير للصابوني ج٣ ص٢٠٥.

(٧٧) انظر: الجامع لأحكام القرآن ج١٦ ص٢٣٠.

وقال ابن الجوزي شرحاً لمعنى ﴿كَلَٰمَ ٱللَّهِۚ﴾: «أحدهما أنه مواعيد الله بغنيمة خيبر لأهل الحديبية خاصة، والثاني: أمر الله لنبيه عليه الصلاة والسلام أن لا يسير معه منهم أحد، وذلك أن الله وعده وهو بالحديبية أن يفتح عليه ونهاه أن يسير معه أحد من المتخلفين»[78].

يقول الباحث: وأياً كان المعنى، فخلاصته: أن هؤلاء المتخلفين قد حرمهم الله من شرف الذهاب مع رسول الله ﷺ، والحصول على الغنائم؛ وذلك عقاباً لهم.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة بإثبات الألف ﴿كَلَٰمَ ٱللَّهِۚ﴾ على اعتبار أنها مصدر، وهي اسم جنس يقع على القليل والكثير من الكلام، وقد أشار إلى ذلك بعض علماء اللغة والتفسير[79].

وقال أبو منصور: «من قرأ ﴿كَلَٰمَ ٱللَّهِۚ﴾ فهو اسم من كلم يكلم تكليماً وكلاماً، وقد يوضع الاسم موضع المصدر، فالكلام اسم ولا يجمع؛ لأنه بمنزلة المصدر»[80].

أما القراءة بدون ألف (كلم) فقد دلت على أنها جمع كلمة[81].

ومن هنا يتضح لنا الفرق بين القراءتين، فقراءة (كلام) بالألف يطلق على كثير الكلام وقليله. وقراءة (كلم) بدون ألف لا يكون أقل من ثلاث كلمات، لأنها جمع كلمة.

وعلى ذلك يكون المعنى على القراءة بإثبات اللام (كلام) أنهم عملوا على تبديل أوامر الله تعالى دون أن تبيّن القراءة، هل هو أمر أو أمران أو

(٧٨) زاد المسير ص١٣٢٠ (بتصرف).
(٧٩) انظر: معاني القرآن ج٣ ص٦٦، والجامع لأحكام القرآن ج٩ ص٩٨.
(٨٠) معاني القراءات ج٣ ص٢٠.
(٨١) انظر: جامع البيان ج٩ ص٧٤٨٢، والجامع لأحكام القرآن ج٩ ص٩٨.

أكثر من ذلك، أما على القراءة بحذف اللام (كلم)، فقد أفادت أن الذي حاول هؤلاء تبديله، وفعل عكسه لم يكن أمراً أو أمرين، بل هو أكثر، هذا من جانب، ومن جانب آخر، فقد أفادت القراءة بإثبات اللام (كلام)، للدلالة على نفسية هؤلاء الذين تخلفوا، فالذي حدث لهم من تخلف عن الذهاب مع رسول الله ﷺ لم يكن خطأً عابراً؛ لأن نفسية هؤلاء متعودة على الكذب وتكرار الفعل، فها هم يقومون بتقصد تبديل كلام الله تعالى وأوامره ونواهيه، سواء كانت قليلة أو كثيرة؛ لأن نفسيتهم سقيمة وقلوبهم مريضة.

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين، يتضح أن هؤلاء الذين يريدون تبديل كلام الله تعالى لم يقوموا بهذا الفعل؛ لأن أوامر الله تعالى كانت كثيرة أو قليلة، بل لأن نفسية هؤلاء مريضة؛ ولأنهم يتقصدون فعل ذلك.

٧ ـ قال تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ⑰﴾ [الفتح: ١٧].

القراءات:

١ ـ قرأ أبو جعفر ونافع وابن عامر ﴿يُدْخِلْهُ، يُعَذِّبْهُ﴾ بنون العظمة فيهما.

٢ ـ وقرأ الباقون بالياء في الحرفين(٨٢).

المعنى اللغوي للقراءتين:

أ ـ دخل: الدخول نقيض الخروج دَخَل يَدْخُل دُخُولاً وتَدَخَّل ودَخَل به، ويقال: دَخَلْتُ البيت، والصحيح فيه أن تريد دخلت إلى البيت،

(٨٢) انظر: المبسوط في القراءات العشر لأبي بكر الأصبهاني ص٢٥١.

وحذفت حرف الجر، فانتصب انتصاب المفعول به[٨٣].

ب ـ عذب: عذُب الماء بالضم عذوبة ساغ مشربه فهو عذب، واستعذبته رايته عذباً، وجمعه عذاب، مثل: سهم وسهام، وعذَّبته تعذيباً عاقبته والاسم العَذاب، وأصله في كلام العرب، الضرب ثم استعمل في كل عقوبة مؤلمة، واستعير للأمور الشاقة، فقيل: السفر قطعة من العذاب[٨٤]. وجاء في اللسان: عذبه تعذيباً منَعَه وفَطَمه عن الأمر، وكل من منعته شيئاً، فقد أَعْذَبْتَه وعذَّبْته[٨٥].

التفسير:

بعد أن تحدث الله ﷻ في الآيات السابقة عن حال المتخلفين عن رسول الله ﷺ، وما ينتظرهم من بؤس وسوء وعذاب ونكال بسبب تخلفهم بغير عذر مقبول، بيَّن الله ﷻ في هذه الآية أن هناك صنفاً من المتخلفين مستثنى من هذا العذاب والنكال؛ وذلك لأن الله تعالى رخَّص لهم عدم ذهابهم؛ لأنهم من أصحاب الأعذار الحقيقية، وهم غير مكلفين للخروج للغزو، ولا للقتال، ولا إثم عليهم ولا حرج.

ولكن هذه الآية وإن كانت ترخص لهؤلاء الجلوس ولا تكلفهم بالغزو، إلا إنها وفي نفس الوقت لا تنهاهم عن الخروج، ولا تحرم عليهم ذلك، بل إن من يخرج من هؤلاء فإن أجره مضاعف عند الله تعالى. وقد غزى ابن أم مكتوم ﷺ، وقد كان أعمى، وحضر بعض حروب القادسية وكان يمسك بالراية.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبۡهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ أي من أطاع الله ورسوله فيما أمراه به ونهياه عنه فسيجازيه الله سبحانه بالجنات التي هذا وصفها، وكذلك فإن من يعرض عن

(٨٣) انظر: لسان العرب / ج١١ ص٢٣٩ ـ ٢٤٠ ـ دار صادر.

(٨٤) انظر: المصباح المنير ص٢٣٧.

(٨٥) لسان العرب ج١ ص٥٨٤.

الطاعة ويتخلف عن قتال أهل الشرك إذا دعي له، ولم يستجب لدعاء الله ورسوله، يعذبه عذاباً شديد الألم، وذلك عذاب جهنم يوم القيامة[٨٦].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

إن معظم المفسرين لم يذكروا الفرق بين القراءتين، بل إن بعضهم صرَّح بأنهما بمعنى واحد.

قال السمرقندي: «وكلاهما يرجع إلى معنى واحد»[٨٧].

وذهب الآخرون إلى وجود فرق بينهما فابن عاشور مثلاً اعتبر النون في قوله تعالى: ﴿ندخله﴾، و﴿نُعَذِّبْهُ﴾ أنها نون العظمة وهي على الالتفات من الغيبة إلى المتكلم. و(يدخله) بالياء التحتية جرياً على أسلوب الغيبة بعود الضمير إلى اسم الجلالة[٨٨]. وقال بذلك أيضاً الدكتور محمد محيسن[٨٩].

وقال أبو منصور موضحاً الفرق بين القراءتين: «فالنون أخبار الله ﷻ عن نفسه على التعظيم، والياء إخبار عن الله ﷻ»[٩٠]. وبمثل ذلك أيضاً قال ابن زنجلة[٩١].

يقول الباحث: ومما سبق من عرض للآراء، يتبيَّن لنا وجود فرق بين القراءتين، ولكنهم قَصَرُوا المعنى في الفرق بينهما، على أن القراءة بالنون هي إخبار الله تعالى بنفسه، والقراءة بالياء هي إخبار عن الله تعالى ولكنهم لم يتطرقوا إلى دلالات ذلك وحكمته.

---

(٨٦) انظر: روح المعاني ج١٣ ص٢٥٩، وجامع البيان ج٩ ص٧٤٨٥، ٧٤٨٦ (بتصرف)، وفتح القدير ج٥ ص٦٢ (بتصرف).

(٨٧) بحر العلوم ج٣ ص٣٠١ / دار الفكر.

(٨٨) انظر: التحرير والتنوير م١٢ ج٢٦ ص١٧٢ / دار ابن سحنون التونسية (بتصرف). وأينما ذكرته بعد ذلك فسأكتفي بقولي التحرير والتنوير.

(٨٩) انظر: المستنير ج٣ ص١١٢.

(٩٠) معاني القراءات ج٣ ص٢٠.

(٩١) انظر: حجة القراءات ص٦٧٤.

فالقراءة بالياء فيهما جاءت على الغيب، وذلك جرياً على أسلوب الغيبة بعودة الضمير على لفظ الجلالة، والمعنى: ومن يطع الله ورسوله يدخله الله، ومن تولى يعذبه الله تعالى.

أما القراءة بالنون فيهما، فقد جاءت لبيان ميزة خاصة، وللفت الأنظار إلى أهمية هذه الطاعة، وكذلك بيان عظم تلك المعصية، فقوله تعالى: ﴿ندخله﴾ بنون العظمة تظهر عظم أجر هؤلاء المطيعين، وبيان شرفهم وفضلهم، لأن الله تعالى يخبرهم بنفسه وهذا مزيد شرف لهم.

وقوله تعالى: ﴿نُعَذِّبْهُ﴾ فيها إظهار لبيان عظم جريمة هؤلاء العاصين؛ وذلك لأن الله تعالى يخبر عن عذابهم بنفسه، وكأنه ﷻ سيتولى تعذيبهم بنفسه، وفي هذا مزيد تهديد ووعيد، وزجر لهم عن الاستمرار في طريقهم وغيّهم.

الجمع بين القراءتين:

إن كلا القراءتين أفادتا ثبوت الأجر للمطيعين، ووقوع العذاب على العاصين. وكذلك أظهرتا بيان شرف ومكانة هؤلاء المطيعين عند الله تعالى، وذلك في قوله تعالى: ﴿ندخله﴾، وأشعرت بالتهديد والوعيد وشدة العذاب للعاصين، وذلك في قوله تعالى: ﴿نُعَذِّبْهُ﴾.

٨ ـ **قال تعالى:** ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ [الفتح: ٢٤].

القراءات:

١ ـ قرأ أبو عمرو «يعني البصري» (بما يعملون) بالياء.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ بالتاء[٩٢].

---

(٩٢) انظر: تحبير التيسير في قراءة الأئمة العشرة للإمام المحقق محمد الجزري ص٢٠٩.

المعنى اللغوي للقراءتين:

عمل: من باب طَرِبَ، وأعْمَلَهُ غيرُه واستعمله بمعنى، واستعمله أيضاً أي طلب إليه العمل واعْتَمَل اضطرَبَ في العمل، ورجلٌ عَمِلٌ بكسر الميم أي مطبُوعٌ على العمل، ورجلٌ عَمُولٌ. وقال: والتَّعمِيل تولية العَمَل، يقال: عمَّله على البصرة(٩٣).

وجاء في تاج العروس: هو حركة البدن بكلِّه أو بعضه، وربما أطلق على حركة النفس، فهو إحداث أمر، قولاً كان أو فعلاً بالجارحة أو القلب، ولكن الأسبق للفهم اختصاصه بالجارحة، وخصَّه البعض بما لا يكون قولا(٩٤).

التفسير:

تتحدث هذه الآية الكريمة عن مشهد من مشاهد الحديبية، حيث إن مجموعة من المشركين نحو أربعين أو أقل أو أكثر أرادوا الغدر برسول الله ﷺ ومن معه من الصحابة الكرام، فبعث رسول الله ﷺ فأتى بهم أسرى ثم عفا عنهم رسول الله ﷺ ولم يقتلهم، وكان ذلك أيام السفراء الذين كانوا يمشون بين النبي عليه الصلاة والسلام وبين أهل مكة. فيذكرهم الله ﷻ بهذا الحادث، ليبيِّن لهم بأنه ﷻ هو وحده المسير لهم، فهم يسيرون بقدره ومشيئته فيما يختارون، وفيما يرفضون وأنه ﷻ يريد بهم الخير، فإذا استسلموا له تحقق لهم الخير كله من أيسر الطرق، وهو بصير بهم، ظاهرهم وخافيهم، فهو يختار لهم عن علم وعن بصر، ولن يضيع عليهم شيئاً يستحقونه(٩٥).

---

(٩٣) انظر: مختار الصحاح ص٢٥٠.

(٩٤) تاج العروس من جواهر القاموس لمحمد الحسيني أبو الفيض الملقب بمرتضى الزبيدي ج٨ ص٣٤ / دار مكتبة الحياة بيروت ـ لبنان، وأينما ورد بعد ذلك فسأكتفي بقولي: تاج العروس.

(٩٥) انظر: جامع البيان ج٩ ص٧٤٩٥ (بتصرف)، والتحرير والتنوير م١٢ ج٢٦ ص١٨٤ (بتصرف)، والظلال قطب ج٦ ص٣٣٢٨.

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت القراءة بالتاء على الخطاب بأن المقصود من الخطاب هم المؤمنون، فالحديث في هذه الآية موجه للمؤمنين، حيث إن الله ﷻ يذكِّرهم بهذا الحادث، ويشعرهم بمنته عليهم، حيث إنه ﷻ كَفَّ أيدي الكفار عنهم، وحفظهم من مكر وبطش الكافرين، وكذلك أيضاً كفَّ أيديكم أيها المؤمنون عنهم، لحكمة يعلمها الله ﷻ، فعفوتم عنهم. وهذا العمل الذي قمتم به من الكفّ والعفو، هو من تدبير الله ﷻ لكم، وهو سبحانه عليم به، وبصير بدقائقه.

أما القراءة بالياء، فقد أفادت بأن الخطاب هنا في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ موجه للمشركين، بمعنى أنه ﷻ يعلم مكركم. كذلك فيه تهديد بأنه ﷻ سيجازيهم على أفعالهم وغدرهم وصدهم للمؤمنين عن المسجد الحرام.

قال الألوسي: «(يعملون) تهديد للكفار»[٩٦].

قال الشيخ أحمد الإدريسي: «﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ من مقاتلتهم وهزمهم أولاً، والكف عنهم ثانياً لتعظيم بيت الله الحرام، وقال: ياء الغيب أي بما يعمل المشركون»[٩٧].

وقال ابن عطية: «﴿بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ بالتاء على الخطاب، و(بما يعملون) على ذكر الكفار وتهديدهم»[٩٨].

ويجوز كذلك أن يكون المقصود بالخطاب على قراءة التاء كُلاً من المؤمنين والكافرين.

قال ابن زنجلة عند شرح معنى القراءة: «بالياء أي كان الله بما عمل

(٩٦) روح المعاني ج١٣ ص٢٦٦.

(٩٧) تفسير البحر المديد ج٧ ص٢٠٧.

(٩٨) المحرر الوجيز ج٥ ص١٣٥ دار الكتب العلمية ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

الكفار من كفرهم وصدهم عن المسجد بصيراً، وقرأ الباقون بالتاء أي أنتم وهم. وحجتهم أنه قد جرى ذكرهما في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم﴾»[99] وبنحو ذلك قال مكي أيضاً[100].

وخلاصة كل ما ذكر سابقاً، فقد أفادت القراءة بالياء أن الخطاب موجه للكفار فقط.

أما القراءة بالتاء على الخطاب، فقد أفادت بأن الخطاب موجه للمؤمنين على الغالب، أو موجه للمؤمنين والكافرين على رأي بعض العلماء.

الجمع بين القراءتين:

إن كلا القراءتين أفادتا بأن الله تعالى عالم بدقائق وأفعال وتصرفات العباد، فإذا اعتبرنا بأن الخطاب في القراءة بالتاء موجه للمؤمنين فقط، حيث إنه ﷻ بصير ومراقب لأفعال عباده المؤمنين من قتالهم للكفار، والظفر بهم والعفو عنهم. فإن القراءة بالياء أيضاً تأتي لتبيّن بأنه ﷻ مراقب لما يقوم به الكفار، وسيجازيهم على أفعالهم.

أما إذا اعتبرنا بأن الخطاب في القراءة بالتاء موجه للمؤمنين والكافرين معاً، فإن الخطاب على القراءة بالياء موجه للكافرين وحدهم. وذلك تخصيصاً لهم، بقصد تهديدهم وإنذارهم، وذلك بسبب ما يقومون به من مكر بالمؤمنين.

٩ ـ قال تعالى: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ ۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾﴾ [الفتح: ٢٥].

(٩٩) حجة القراءات ص٦٧٤.

(١٠٠) انظر: الكشف ج٢ ص٢٨٢.

القراءات:

١ ـ قرأها ورش (تطؤهم) بالإبدال بالوجوه الثلاثة[(١٠١)].

٢ ـ وقرأها أبو جعفر (تطوهم) بحذف الهمزة فينطق بواو ساكنة.

٣ ـ وقرأها حمزة في الوقف فقط بوجهين الأول الحذف كأبي جعفر. والثاني بتسهيل الهمزة بين الألف والهمز[(١٠٢)].

المعنى اللغوي للقراءات:

الوطئ الدوس: وَطِىءَ الشيءَ يَطَؤُهُ وَطْأً داسَه[(١٠٣)]. وتطلق كذلك، ويراد بها الضغطة[(١٠٤)].

التفسير:

جاءت هذه الآية لتبيِّن سبب الكف عن قتال الكفار في الحديبية، وتذكِّر المؤمنين بأن هؤلاء الكفار الذين ذكرتهم الآيات السابقة، هم مجرمون وحالة النزاع والاختلاف لم تنته معهم، بل هي مستمرة. وما كان ذاك الكف عن قتالهم، إلا لأن الله ﷻ يعلم أن من بينهم أناساً مؤمنين لا يعلمهم المسلمون، فلو حدث القتال لكان من الممكن أن يقوم المسلمون بقتل المؤمنين، وهم يجهلون حالهم، ثم بعد ذلك يتضح لهم بأنهم قتلوا أناساً مؤمنين، فيلحقهم العيب والإثم والكفَّارة ومسبَّة الكافرين لهم. ويؤكد الله ﷻ ذلك حيث بيّن بأنه لو تميَّز هؤلاء الرجال والنساء عن الكفار، واستطاع المؤمنون معرفتهم، وتأكد عدم وقوع الأذية لهم عن طريق الخطأ والجهل بحالهم ﴿لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أي لعذب الله ﷻ هؤلاء الكفار بتسليط

(١٠١) أي بمد البدل أربع أو خمس أو ست حركات.

(١٠٢) انظر: البدور الزاهرة ص٣٧٤.

(١٠٣) انظر: لسان العرب ج١ ص١٩٥.

(١٠٤) انظر: الصحاح في اللغة ص١٢٩٨.

المؤمنين عليهم، فيقتلونهم قتلاً ذريعاً[١٠٥].

قال الرازي: «يعني لولا رجال ونساء يؤمنون غير معلومين»[١٠٦].

وقال الدكتور صلاح الخالدي: «إن الله لم يرد نشوب الحرب بينهما بسبب وجود رجال مؤمنين ونساء مؤمنات في مكة، مسْتَخْفِين بإيمانهم، لا يعرفهم المسلمون، فلو وقع القتال مع الكفار، فقد يقتل المسلمون بعض إخوانهم المستخفين خطأ، وبذلك يندمون، ولو انفصل هؤلاء المؤمنون عن مجموع الكافرين لأنشب الله تعالى القتال، وعذّب الكفار على أيدي المؤمنين عذاباً أليماً»[١٠٧].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة بدون همز وبواو ساكنة فقط على معنى أنه لو حدث القتال لوقع العذاب على المؤمنين غير المعروفة حالهم للمؤمنين، وذلك أثناء الحرب.

أما القراءة (بالهمز) والمد أو بالتسهيل، فقد أظهرت مدى القتل والدمار، وعظيم العذاب الذي كان سيقع للمؤمنين عن طريق الخطأ لو حدث القتال؛ وذلك لأنه من المعروف أنِ المد هو زيادة وطول في زمن الصوت، وهذه الزيادة وهذا الطول في القراءة يشير إلى المبالغة في القتل والبأس. كذلك فإن القراءة بزيادة همزة، هي زيادة في المبنى، والزيادة في المبنى زيادة في المعنى على النحو الذي ذكرنا.

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين، يتضح مدى البأس والقتل والبطش، الذي كان

---

(١٠٥) انظر: تفسير القرآن العظيم ج٤ ص٢٠٨ (بتصرف).

(١٠٦) تفسير الرازي المعروف بالفخر الرازي ج١٠ ص٨٢ / دار إحياء التراث العربي - ط الثانية ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، وحيثما ورد بعد ذلك فسأكتفي بقول: تفسير الرازي.

(١٠٧) انظر: التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق ص١٦٤.

سيحدث للمؤمنين بأيدي المؤمنين أنفسهم عن طريق الخطأ. ولكن الله سبحانه سَلَّم.

١٠ ـ قال تعالى: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾﴾ [الفتح: ٢٧].

القراءات:

١ ـ قرأ السوسي (الرويا) بإبدال الهمز مطلقاً بواو وبدون مد.

٢ ـ وقرأها أبو جعفر (الرُّيَّا) بالإدغام مع الإبدال في الحالين(١٠٨).

٣ ـ وقرأها حمزة بالوجهين، الأول كالسوسي، والثاني كأبي جعفر وذلك في حالة الوقف فقط(١٠٩).

المعنى اللغوي للقراءات:

الرؤيا بالعين تتعدى إلى مفعول واحد، وبمعنى العلم تتعدى إلى مفعولين، يقال: رأى زيد عالماً ورأى رأياً ورُؤْيَةً ورَاْءَةً مثل راعَة، والرؤيا ما رأيته في منامك(١١٠).

التفسير:

عملت هذه الآية على رفع الحرج والضيق الذي أصاب بعض المسلمين؛ وذلك لأنهم رجعوا من الحديبية ولم يدخلوا المسجد الحرام، ولم يحلقوا ولم يقصروا كما كانوا يظنون، وحسبوا أن رؤيا النبي ﷺ التي رآها في منامه وحَدَّثهم بها وفرحوا بها، حسبوها ستتحقق في عام الحديبية. فلما رجعوا بدون ذلك ضاقت صدورهم فأنزل الله ﷻ هذه الآية تأكيداً منه

---

(١٠٨) أي بإبدال الهمز واواً وإدغامها بالياء سواء في الوقف أو في الوصل.

(١٠٩) انظر: البدور الزاهرة ص٣٧٤.

(١١٠) انظر: لسان العرب ج١٤ ص٢٩١، ٢٩٧.

سبحانه بأن رؤيا رسول الله ﷺ حق، وستتحقق وستصبح حقيقة، ولكنه ﷻ أخَّر وقوعها عام الحديبية لحكمة يعلمها ﴿فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا﴾ أي علم بأن تأخيرها فيه خير كثير. وهذا الخير هو ما فسره بقوله تعالى: ﴿فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾.

قال الإمام الطبري: «بأن المقصود بالفتح هنا هو صلح الحديبية وفتح خيبر»(١١١). وقال ابن القيم عن هذا الفتح: «فتح مكة: هو الفتح الأعظم الذي أعز الله به دينه ورسوله وجنده وحزبه الأمين، واستنقذ به بلده وبيته الذي جعله هدى للعالمين، من أيدي الكفار والمشركين، وهو الفتح الذي استبشر به أهل السماء، وضربت أطناب عزه على مناكب الجوزاء، ودخل الناس به في دين الله أفواجاً، وأشرق به وجه الأرض ضياءً وابتهاجاً»(١١٢).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة بالهمز على معنى ما رآه النبي ﷺ في منامه هو حق، أي إن الله تعالى صدقك فيما رأيت في منامك وهو حقٌّ.

أما القراءة بواو وبدون همز (الرويا) ففيها دلالة على حسن وجمال ما رآه النبي ﷺ، لدرجة أن الصحابة رضوان الله عليهم عندما أخبروا بها فرحوا فرحاً شديداً؛ لأنهم علموا أنهم سيذهبون إلى مكة، ويطوفون ويعتمرون فامتلأت نفوسهم فرحاً وسروراً، وارتوت بهجةً وأملاً.

قال ابن منظور: «ورجل له رُواء بالضم، أي منظرٌ، ورأيت رجلاً ذا رُواء طمح بصري إليه. فالرواء بالضم والمد: المنظر الحسن»(١١٣).

هذا من جانب ومن جانب آخر، فإن هذه القراءة بالواو وبدون همز

---

(١١١) انظر: جامع البيان ج٩ ص٧٥١١.

(١١٢) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ج٣ ص٣٩٤ / تحقيق شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط - مؤسسة الرسالة بيروت - شارع سوريا - ط١٥ - ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

(١١٣) لسان العرب ج١٤ ص٣٤٨ (بتصرف).

مع الإدغام تدل على المبالغة في حسن ما رأى النبي ﷺ، وتدل على عظيم أثره على الصحابة الكرام، ودل على ذلك التشديد الناتج عن الإدغام، والذي هو للمبالغة، والله تعالى أعلى وأعلم.

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بينهما نعلم أن الرؤية التي رآها النبي ﷺ كانت صادقة ومحببة إليه ﷺ، وإلى صحابته الكرام، لدرجة أنهم امتلأت نفوسهم فرحاً، وارتوت قلوبهم بهجة وحبّاً وشوقاً وانتظاراً لتحقيقها.

١١ ـ قال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح: ٢٩].

القراءات:

أ ـ قوله تعالى: ﴿وَرِضْوَٰنًا﴾

١ ـ قرأ شعبة (رُضوانا) بضم الراء.

٢ ـ وقرأ الباقون (رِضوانا) بالكسر(١١٤).

ب ـ قوله تعالى: ﴿شَطْـَٔهُۥ﴾

١ ـ قرأ ابن كثير وابن عامر برواية ابن ذكوان (أخرج شطَأه) بفتح الطاء.

٢ ـ وقرأ الباقون (شطْأه) بإسكان الطاء(١١٥).

(١١٤) انظر: غيث النفع في القراءات السبع للإمام الصفاقصي ص٤٩٢.

(١١٥) انظر: مفاتيح الأغاني في القراءات والمعاني للكرماني ص٣٧٧، وتحبير التيسير للجزري ص٢٠٩.

ج ـ قوله تعالى: ﴿فَآزَرَهُۥ﴾

١ ـ قرأ ابن ذكوان (عن ابن عامر) بقصر الهمزة.

٢ ـ وقرأ الباقون بالمد(١١٦).

د ـ قوله تعالى: ﴿سُوقِهِۦ﴾

١ ـ قرأ قنبل (عن ابن كثير) بهمزة ساكنة بعد السين بدلاً من الواو.

٢ ـ وقرأها أيضاً بضم الهمزة بعد السين وبعدها واو ساكنة.

٣ ـ وقرأها الباقون (سوقه) بواو ساكنة(١١٧).

المعنى اللغوي للقراءات:

أ ـ رضي: رضيَ عنه وعليه يَرْضى رِضاً ورِضواناً ويُضَمَّان، أرضاه أعطاه ما يرضيه(١١٨). وقال في اللسان الرضا مقصور ضد السخط(١١٩).

ب ـ شطأ: الشطء فرخُ الزرع والنخل، وقيل: هو ورق الزَّرْع، وفي التنزيل: ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ﴾؛ أي طَرَفَه وجمعه شُطُوْءٌ(١٢٠).

ج ـ آزره: الأَزْرُ القوة آزَرْتُ فلاناً أي عاونته والإزارُ معروف(١٢١)، قال في اللسان: «الأزر القوّة والأزر الظهر، وآزر الشيءُ الشيءَ ساواه وحاذاه»(١٢٢).

---

(١١٦) انظر: غيث النفع في القراءات السبع ص٤٩٣.

(١١٧) انظر: البدور الزاهرة ص٣٧٤.

(١١٨) انظر: القاموس المحيط في اللغة للفيروز آبادي ـ ضبط وتوثيق: يوسف البقاعي ـ دار الفكر ـ بيروت ـ لبنان ـ ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م ـ ص١١٦٠.

(١١٩) انظر: لسان العرب ج١٤ ص٣٢٣.

(١٢٠) انظر: لسان العرب ج١ ص١٠٠.

(١٢١) انظر: الصحاح في اللغة ص١٧.

(١٢٢) لسان العرب ج٤ ص١٨.

د ـ سوق: الساق ساق القدم والجمع سوقٌ وسيقانٌ وأَسْؤُقٌ، وامرأةٌ سَوْقَاءُ حَسَنَةُ الساق، وساق الشجرة جِذعها(١٢٣).

التفسير:

هذه الآية هي خاتمة سورة الفتح، ولمَّا علمنا ما جاء من آيات كريمات في هذه السورة تتحدث عن رسول الله ﷺ، وعن المؤمنين وجهادهم وصبرهم في مواجهة الكافرين والمنافقين والمتخاذلين، وذكرهم في كافة المحطات والمواقف في الحرب، وعقد الصلح، وفي بيعة الرضوان، وفي دخول مكة وغير ذلك ...، فجاءت هذه الآية تصف لنا هؤلاء الفرسان الميامين، وتحدد لنا ملامح شخصيتهم. فهذه الطائفة التي حملت لواء الحق، وخاضت غمار المواجهة، وهي متمثلة في القائد العظيم محمد رسول الله ﷺ، والذين ساروا على نهجه، واتبعوا دينه من المؤمنين الصادقين، هؤلاء قلوبهم على الكفار شديدة وغليظة، أما فيما بينهم فهم متراحمون.

وقوله تعالى: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ غليظة عليهم قلوبهم، قليلة بهم رحمتهم ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ رقيقة قلوب بعضهم لبعض، ليّنة أنفسهم لهم، وهم يلتمسون بركوعهم وسجودهم، وشدتهم على الكفار، ورحمة بعضهم بعضاً رحمة الله تعالى وجنته، وهؤلاء أيضاً لهم علامات في وجوههم من كثرة عبادتهم لله، وهي السمت الحسن، والتواضع والخشوع، أو هي نور وبياض في وجوههم يوم القيامة(١٢٤). ومن صفاتهم أيضاً أنهم كثيرون الركوع والسجود لله تعالى(١٢٥).

---

(١٢٣) انظر: الصحاح في اللغة ص٥١٩.

(١٢٤) جامع البيان ج٩ ص٧٥١٢، تفسير الحسن البصري ج٢ ص٢٩٣ جمع د. محمد عبد الرحيم / دار الحديث القاهرة، وحيثما ورد بعد ذلك فسأكتفي بقولي: تفسير الحسن البصري.

(١٢٥) انظر: البحر المحيط ج٨ ص١٠١.

وهذا الذي ذكرناه كله هو صفتهم ونعتهم في التوراة، أما في الإنجيل، فوصفهم ومثلهم كزرع أخرج فراخه وفروعه، فقَوِيَ هذا الزرع، وكبرت تلك الفراخ، وعظمت واستقام هذا الزرع على أصوله. وهو وفي مثل هذا المنظر يعجب الزرّاع بقوته وكثافته وحسن منظره، ليغتاظ بهم الكفار. وهؤلاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات وعدهم الله تعالى بالمغفرة التامة، والأجر العظيم والرزق الكريم في جنات النعيم(١٢٦).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أ ـ قوله تعالى: ﴿وَرِضۡوَٰنٗاۖ﴾

أفادت القراءة بكسر الراء، بمعنى أنهم يرجون من الله تعالى أن يرضى عنهم، ولا يسخط أبداً. قال النيسابوري(١٢٧): «وَرِضْوَاناً أن يرضى عنهم»(١٢٨). وبمثله قال الخازن(١٢٩).

أما القراءة بضم الراء، فهي على معنى أن محمداً ﷺ ومن معه من المؤمنين يرجون من الله تعالى أقصى درجات الرضى، وهي على المبالغة، وذلك أن يكرمهم الله تعالى بالنعم المتعددة الأصناف والأذواق داخل الجنة، وهي ثمرة ونتيجة لرضى الله تعالى عنهم. فإذا رضي الله ﷻ عنهم زاد لهم في النعم والعطاء.

ويدل على ذلك ما قاله السمين الحلبي في قوله الآخر عن الفرق بين القراءتين في قوله تعالى: ﴿رِضۡوَٰنٖ﴾ [آل عمران: ١٥] أنَّ المكسور اسم، ومنه

---

(١٢٦) انظر: جامع البيان ج٩ ص٧٥١٥ (بتصرف)، والبغوي ج٥ ص١١٧، ١١٨. وصفوة التفاسير ج٣ ص٢١١ ـ ٢١٢.

(١٢٧) هو أحمد بن إبراهيم النيسابوري المفسر المعروف صاحب تفسير الكشف والبيان عن تفسير القرآن، وكانت وفاته سنة ٤٢٧هـ [انظر: طبقات المفسرين للسيوطي ج١ ص٢٨].

(١٢٨) انظر: الكشف والبيان / دار إحياء التراث العربي ط الأولى/ ج٩ ص٦٥.

(١٢٩) انظر: تفسير الخازن المجلد الرابع ج٦ ص٢١٤.

رِضْوان خازنُ الجنة صلى الله على نبينا وعلى أنبيائه وملائكته، والمضمومُ هو المصدر(١٣٠). كما أن إسم المصدر وُضِع للدلالة على الإسم، بينما جاء المصدر للدلالة على الحدث(١٣١).

يقول الباحث: ومن المعروف بأن المصدر أبلغ من الاسم، وكذلك إن وجود حركة الضم التي هي أقوى الحركات يفيد بذلك ويؤكده، فهم سألوا الله تعالى الجنة دخولاً، ثم يسألونه ﷻ بعد ذلك أن يزيد لهم في الأصناف والأنواع من النعم، والله تعالى أعلم.

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بينهما، يظهر بأن هؤلاء الذين ذكرهم الله تعالى إنما هم يرجون منه سبحانه أقصى درجات الرضى. وهي رحمة الله تعالى بهم، فيرضى عنهم ولا يسخط أبداً، وليس ذلك فحسب، بل ويزيد لهم من أصناف نعمه في الجنة. جعلنا الله من أصحابها.

ب ـ قوله تعالى: ﴿شَطْـَٔهُۥ﴾

ذهب علماء التفسير إلى أن القراءتين هما لغتان، مثل: النَّهْر والنَّهَر.

قال البغوي: «قرأ ابن كثير، وابن عامر: «شطأه» بفتح الطاء، وقرأ الآخرون بسكونها، وهما لغتان كالنهر والنهر، وأراد أفراخه، يقال: أشطأ الزرع فهو مشطىء، إذا أفرخ»(١٣٢).

وقال السمين الحلبي: «وقرأ ابن كثير وابن ذكوان بفتح الطاء، والباقون بإسكانها، وهما لغتان»(١٣٣). وقال الشربيني: «وقرأ ابن كثير وابن

---

(١٣٠) انظر: الدر المصون / دار القلم ـ دمشق ـ تحقيق: أحمد محمد الخراط ـ ط١ ـ ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م ـ ج٣ ص٦٨.

(١٣١) انظر: معاني النحو ـ د. فاضل السامرائي ـ ج٣ ص١٤٣.

(١٣٢) تفسير البغوي / دار طيبة ج٧ ص٣٢٤.

(١٣٣) الدر المصون ج٦ ص١٦٧.

ذكوان: بفتح الطاء والباقون بإسكانها. وهما لغتان كالنهر والنهر»[١٣٤].

ويرى الباحث: أن هذا صحيح، إلا أنه من الممكن أن تمتاز القراءة بالفتح على الأخرى التي هي بالسكون، وذلك كالتالي:

أفادت القراءة باسكان الطاء (شطأه)، بمعنى طرفه أو أطرافه، وهو النبت يخرج بمحاذاته.

بينما أفادت القراءة بفتح الطاء (شطأه)، بالمبالغة حيث زيادة الفتحة في هذه القراءة دلت على المبالغة والتكثير في هذه الفراخ، وهذا فيه إشارة للمهمة التى جاءت من أجلها تلك الفراخ، وهي تقوية الزرع. وإثبات الفتحة هنا يشعر بنوع من المفاعلة، ويشير إلى هدف وفعل جاء من أجله الشطأ، وكأنك تقول: هذا الزرع جاء بما يقوم بفعل وعمل التقوية له وهو الشطأ، والله تعالى أعلم.

الجمع بين القراءتين:

إن كلا القراءتين دلتا على خروج الشطئ، وهو فراخ الزرع، ولكن القراءة الثانية بفتح الطاء زادت في المعنى، فبيّنت أن هذه الفراخ عددها كبير وكثير، فهي ليست فرخاً واحداً، بل هي عدد من الفراخ والنبت، وعمل هذه الفراخ هو تقوية الزرع.

ج ـ قوله تعالى: ﴿فَآزَرَهُۥ﴾

ذهب عدد من علماء التفسير والقراءات إلى أن كلا القراءتين بمعنى واحد، وممن ذهب إلى ذلك السمرقندي[١٣٥]، ومحمد طنطاوي[١٣٦].

ومن علماء القراءات مكي القيسي[١٣٧]، وأحمد البنا[١٣٨]، والدكتور

(١٣٤) السراج المنير دار الكتب العلمية / ج٤ ص٤٢.
(١٣٥) انظر: بحر العلوم ج٣ ص٢٥٩ / دار الكتب العلمية ط الأولى ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.
(١٣٦) انظر: الوسيط ج١٣ ص١٥٦ / مطبعة السعادة ـ ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.
(١٣٧) انظر: الكشف ص٢٨٢.
(١٣٨) انظر: إتحاف فضلاء البشر ج٢ ص٤٨٤.

محمد محيسن[١٣٩].

إلا أن الباحث لا يسلم بذلك، وخاصة أن عدداً من علماء التفسير والقراءات يؤكدون وقوع الفرق في المعنى بين هاتين القراءتين، وتفصيله كالتالي:

أفادت القراءة (فأزره) بدون ألف بالقصر، أي قوَّاه وشدَّ أزره بمعنى قوى الشطىءُ الزرعَ[١٤٠]. ولمثل ذلك ذهب أبو السعود أيضاً[١٤١].

وأفادت القراءة بالألف وبالمد (فآزره) بمعنى ساواه وحاذه وعاونه.

وقوله (آزره) بالمد فيها مفاعلة، بمعنى أن الزرع والشطئ قوى بعضه بعضاً، ومن الملاحظ أن (آزره) بالمد فيها زيادة في المبنى، والزيادة في المبنى ينتج عنها زيادة في المعنى. فإذا كانت القراءة بالقصر بدون ألف (أزره) بمعنى أن الشطئ قوى الزرع.

فإن القراءة بالمد مع وجود الألف (آزره) تدل على أن الشطئ أصبح مساوياً ومحاذياً ومعاوناً للزرع، والزيادة في المد في القراءة يشعر بمد وطول الشطأ حتى أصبح طويلاً مثل الزرع وقواه. قال ابن الجوزي: «(فآزره) أي ساواه وصار مثل الأم»[١٤٢].

وقال الخازن: «فآزره أي قوّاه وأعانه وشد أزره»[١٤٣].

وذكر كلٌ من أبي السعود[١٤٤]، والزمخشري[١٤٥]، والشنقيطي بأن

(١٣٩) انظر: المستنير ج٣ ص١١٤.

(١٤٠) انظر: تفسير الكشاف ج٤ ص٤٦٩.

(١٤١) انظر: تفسير أبو السعود ج٦ ص١٠٩.

(١٤٢) انظر: زاد المسير ص١٣٢٦.

(١٤٣) انظر: تفسير الخازن المجلد الرابع ج٦ ص٢١٥.

(١٤٤) انظر: تفسير أبو السعود ج٦ ص١٠٨.

(١٤٥) انظر: الكشاف ج٤ ص٤٦٩.

قوله تعالى: ﴿فَآزَرَهُ﴾ من المؤازرة وهي المعاونة(١٤٦).

الجمع بين القراءتين:

إن كلا القراءتين أفادتا بوقوع المعاونة والقوة، فالشطئ يقوّي الزرع ويعاونه.

ولكن القراءة بالمد مع وجود الألف (فآزره) زادت في المقصد، وأضافت معنى جديداً، وهو أن هذه المؤازرة والمعاونة بلغت مبلغاً كبيراً، بحيث أصبح الشطئ مساوياً ومحاذياً للزرع في قوته، وطوله، وحسن منظره، وهما في هذه الصورة البهية أصبح كلٌ منهما مؤازراً ومقوّياً للآخر.

د ـ قوله تعالى: ﴿سُوقِهِ﴾

أشارت تأويلات العلماء إلى أن القراءتين بمعنى واحد؛ لأن العرب كانوا يقرؤون بهمز، ثم تركوا الهمز، ولربما يهمزون ويتركون.

قال ابن منظور: «وساقُ الشجرةِ جِذْعُها، وقيل: ما بين أَصلها إلى مُشَعَّب أَفنانها، وجمع ذلك كله أَسْوُقٌ وأَسْؤُقٌ وسُوُوق وسؤوق وسُوْق وسُؤْق الأَخيرة نادرة، توهموا ضمة السين على الواو»(١٤٧).

ويرى الباحث: أن القراءة بالهمز توحي وتشير إلى قوة هذه السوق التي تحمل هذا الزرع، ويحسن ذلك؛ لأن الله ﷻ قال عن الزرع بأنه استغلظ؛ لذلك حسنت الإشارة أيضاً إلى الساق الذي يحمل هذا الزرع بأنه قوي؛ لأن قوة الزرع من قوة ساقه. ويدل على ذلك أيضاً قوة الهمزة وثقلها، والله تعالى أعلم.

---

(١٤٦) انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ج٥ ص١٥٧ / دار إحياء التراث العربي ط الأولى ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

(١٤٧) انظر: لسان العرب ج١٠ ص١٦٩.

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بينهما يتضح لنا بأن هذه السوق التي تحمل الزرع هي سوق قوية شديدة.

تمت سورة الفتح بحمد الله تعالى وتوفيقه.



المبحث الثاني
عرض وتفسير لآيات سورة الحجرات
المتضمنة للقراءات القرآنية العشر

بين يدي السورة:

هذه السورة هي سورة مدنية نزلت بالمدينة المنورة، وهي ثماني عشرة آية، اشتملت السورة على حقائق مهمة في العقيدة والآداب والأخلاق، وأرست الأسس لإنشاء مدينةٍ فاضلة، ومجتمعٍ نظيف، وامتازت هذه السورة الجليلة بأمرين أساسيين:

الأول: وضعت هذه السورة مبادئ وأسس كاملة ومناهج مهمة؛ ليقوم عليها عالَم فاضل نظيف، ومجتمع مصون.

الثاني: تناولت موضوع الإيمان، وأظهرت مدى أهميته وفضله، فهو هبة ربانية عظيمة يَمُنُّ الله تعالى بها على من يشاء(١٤٨).

سبب التسمية:

سُمِّيت هذه السورة الكريمة بسورة الحجرات؛ لأن الله تعالى ذكر فيها بيوت أزواج رسول الله ﷺ، وهي الحجرات التي كان يسكنها أمهات

(١٤٨) انظر: الجامع لأحكام القرآن ج٩ ص١١٧، وصفوة التفاسير ج٣ ص٢١٣، ٢١٤.

المؤمنين الطاهرات رضي الله عنهن جميعاً، وبيَّن الله تعالى حرمتها(١٤٩).

مناسبتها للسورة التي قبلها:

لما تحدثت السورة السابقة عن قتال الكافرين ومعاداتهم، بَيَّنَتْ هنا بوجوب وضرورة قتال الباغين المعتدين من المسلمين أيضاً إذا رفضوا الانصياع، والكف عن عدوانهم، كذلك فإن كلتا السورتين تناولتا الحديث عن المؤمنين، وعن رسول الله ﷺ، وأظهرتا شرفه ومكانته(١٥٠).

الموضوع العام للسورة:

تحدثت هذه السورة الكريمة عن الآداب التي يجب أن يتأدب بها الإنسان المسلم المؤمن بالله تعالى وبرسوله تجاه رسول الله عليه الصلاة والسلام، فأمرتْ المؤمنين أن لا يُبْدُوا رأياً في حكم من أحكام التشريع، أو يقضوا حكماً بين يدي رسول الله ﷺ، وأمرتهم أن يخفضوا أصواتهم إذا تحدثوا مع رسول الله ﷺ تعظيماً وتشريفاً له عليه الصلاة والسلام. ثم انتقلت إلى الحديث عن الأدب العام الذي يشمل كل أفراد المجتمع، فقررت دعائم المجتمع الفاضل، وأرست أسسه، فهي تمنع الإشاعات، وتحذر منها، وتحاربها، وتأمر بالتثبت من الأخبار، وحذرت من الهمز، واللمز، والسخرية، والغيبة، والتجسس، والظن، وإيذاء المسلمين لبعضهم البعض، ودعت إلى مكارم الأخلاق، وحثت على الإصلاح بين المتقاتلين والمتخاصمين، وأمرت بدفع عدوان المعتدين الباغين(١٥١).

١ ـ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ١﴾ [الحجرات: ١].

(١٤٩) انظر: صفوة التفاسير ج٣ ص٢١٣، ٢١٤.
(١٥٠) انظر: روح المعاني ج١٣ ص٢٨٤.
(١٥١) انظر: الظلال ج٦ ص٣٣٣٥، ٣٣٣٦، ٣٣٣٧، وصفوة التفاسير ج٣ ص٢١٣، ٢١٤.

القراءات:

١ - قرأ يعقوب (لا تَقدَّموا) بفتح التاء والدال.

٢ - وقرأ الباقون ﴿لَا تُقَدِّمُواْ﴾ بضم التاء وكسر الدال[١٥٢].

المعنى اللغوي للقراءات:

قدم قَدْمَاً وقُدُوْمَاً القوم، يعني سبقهم. وتَقَدَّم خلاف تأخر، واسْتَقْدَمَ القوم: تَقَدَّمَهمْ[١٥٣].

قال ابن منظور: «في أسماء الله تعالى المقدم: هو الذي يقدِّم الأشياءَ ويضعها في موضعها»[١٥٤].

التفسير:

هذا نداء للمؤمنين الذين أقروا بوحدانية الله تعالى، وبنبوة نبيه محمد ﷺ، بأن لا يعجلوا بقضاء أمر من أمور دينهم قبل أن يقضي الله ورسوله به لهم، حتى لا يقضوا بخلاف أمر الله وأمر رسوله ﷺ، فيكونوا بذلك قد عجلوا بالأمر والنهي دونه، وفي هذه الآية يؤدب الله تعالى عباده المؤمنين، ويعلمهم كيف يكون التعامل مع رسول الله ﷺ من توقير، واحترام، وتعظيم، وتبجيل[١٥٥].

وقال الدكتور عبد المنعم تعيلب: «أي يا أهل التصديق والإيمان لا تسبقوا أمر الله تعالى وأمر رسوله ﷺ، ولا تأتوا شيئاً دون اتباع الكتاب والسنة، ولا تعجلوا قبل أن يقضي لكم ربكم سبحانه ويعلمكم نبيكم ﷺ»[١٥٦].

---

(١٥٢) انظر: المستنير ص٤٠٨، والنشر ج٢ ص٢٨٦.
(١٥٣) انظر: المنجد في اللغة والأعلام ص٦١٣.
(١٥٤) لسان العرب ج١٢ ص٤٦٥.
(١٥٥) انظر: جامع البيان ج٩ ص٧٥٢١، وتفسير القرآن العظيم ج٤ ص٢٢٠.
(١٥٦) فتح الرحمن ج٦ ص٣٣٧٠.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

ذهب جمهور المفسرين وبعض علماء القراءات إلى أن هناك فرقاً بين القراءتين؛ لذلك فقد دلَّت القراءة بالضم على أن المراد: لا تقدموا أمراً من ما يكون في نفوسكم على أمر آخر من أوامر رسول الله ﷺ، بمعنى وجوب طاعته، وعدم معصيته.

قال الزمخشري: «﴿لَا تُقَدِّمُوا۟﴾ من غير ذكر مفعول: وجهان، أحدهما: أن يحذف؛ ليتناول كل ما يقع في النفس مما يقدم، والثاني: أن لا يقصد قصد مفعول ولا حذفه، ويتوجه بالنهي إلى نفس التقدمة، كأنه قيل: لا تقدموا على التلبس بهذا الفعل، ولا تجعلوه منكم بسبيل»(١٥٧).

وقال سيد قطب: «لا تقترحوا على الله ورسوله اقتراحاً، لا في خاصة أنفسكم، ولا في أمور الحياة من حولكم، ولا تقولوا في أمر قبل قول الله فيه على لسان رسوله، ولا تقضوا في أمر لا ترجعون فيه إلى قول الله وقول رسوله»(١٥٨).

أما القراءة بالفتح، فقد دلت على أن المراد من قوله: ﴿لَا تَقَدَّمُوا۟﴾ المعنى: لا تتقدموا، وحذفت التاء للتخفيف، وعلى هذه القراءة فإن النهي أشمل، وعليه يكون المعنى بالقراءة بالفتح يفيد بعدم جواز التقدم على رسول الله ﷺ، بمعنى عدم التفاضل على رسول الله ﷺ، وذلك يشمل القول والفعل والبدن والمكانة أيضاً.

قال ابن عاشور: «والتقدم حقيقته: المشي قبل الغير، وفعله المجرد قدم من باب نصر. وقدَّم بمعنى تقدم، كأنه نفسه فهو مضاعف صار غير متعد، فمعنى ﴿لَا تُقَدِّمُوا۟﴾ لا تتقدموا. ففعل ﴿لَا تُقَدِّمُوا۟﴾ مضارع قدم القاصر، بمعنى تقدم على غيره، وليس لهذا الفعل مفعول، ومنه اشتقت

---

(١٥٧) الكشاف ج٤ ص٢.

(١٥٨) الظلال ج٦ ص٣٣٣٨.

مقدمة الجيش للجماعة المتقدمة منه وهي ضد الساقة»(١٥٩). وقال ابن منظور: «من قرأ: (تُقَدِّموا) فمعناه: لا تُقدّموا كلاماً قبل كلامه، ومن قرأ: (تَقَدَّموا) فمعناه لا تَقَدَّموا قبله»(١٦٠).

الجمع بين القراءتين:

إن كلا القراءتين حملتا في مضمونها عدم تجاوز رسول الله ﷺ، وإذا كانت القراءة بالضم اختصت بما يدور في النفوس من الآراء، وكانت في المخالفات والأوامر والنواهي في المسائل الدينية والحرب، فإن القراءة بالفتح جاءت أشمل وأعم، وأضافت معانٍ جديدة، وهي أن التقدم ممنوع في القول والفعل والمكانة، وحتى المشي أمام رسول الله ﷺ، وهي بذلك تعالج السلوك الأدبي.

٢ ـ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾ [الحجرات: ٤].

القراءات:

١ ـ قرأ أبو جعفر (الحجَرات) بفتح الجيم.

٢ ـ وقرأها الباقون ﴿ٱلْحُجُرَٰتِ﴾ بضمها(١٦١).

المعنى اللغوي للقراءات:

الحُجْرُ المنعُ من التصرف، وحَجَرَ عليه القاضي يَحْجُرُ حَجْراً إذا منعه من التصرف في ماله، والمَحْجَرُ أيضاً الحِجرُ، وهو الحرام(١٦٢).

(١٥٩) التحرير والتنوير م١٢ج٢٦ ص٢١٥ ـ ٢١٦ (بتصرف).

(١٦٠) لسان العرب ج١٢ ص٤٦٧.

(١٦١) انظر: المستنير ص٤٠٨، والبدور الزاهر ص٣٧٦.

(١٦٢) انظر: تاج العروس ج٣ ص١٢٣.

وحجرة القوم ناحية دارهم[١٦٣].

التفسير:

هذه الآية الكريمة نزلت في أولئك الأعراب الغلاظ، الذين جاءوا إلى رسول الله ﷺ فلم يصبروا ويتأدبوا حتى يخرج رسول الله ﷺ، بل نادوه: يا محمد يا محمد، فذمّهم الله بعدم العقل، حيث لم يعقلوا عن الله الأدب مع رسول الله عليه الصلاة والسلام، واحترامه[١٦٤].

قال ابن عاشور: «وكانت الحجرات تسعاً من جريد النخل، أي الحواجز التي بين كل واحدة والأخرى ، وعلى أبوابها مُسوح من شعر أسود، وعَرض البيت من باب الحجرة إلى باب البيت نحو سبعة أذرع، ومساحة البيت الداخل، أي الذي في داخل الحجرة عشرة أذرع، أي فتصير مساحة الحجرة مع البيت سبعة عشر ذراعاً»[١٦٥].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

ذهب عموم علماء التفسير والقراءات إلى عدم التفرقة في المعنى بين القراءتين.

قال الشوكاني: «قرأ الجمهور ﴿ٱلْحُجُرَٰتِ﴾ بضم الجيم، وقرأ أبو جعفر بن القعقاع وشيبة بفتحها تخفيفاً.. ثم قال: وهي لغات»[١٦٦]. وقال الشيخ أحمد البنا: «فأبو جعفر بفتح الجيم والباقون بضمها، لغتان في جمع حجرة، وهي القطعة من الأرض المحجورة بحائط»[١٦٧].

يقول الباحث: ولكن هذا لا يمنع من البحث عن فرق مقبول بين

(١٦٣) انظر: الصحاح في اللغة ص١٨٢.
(١٦٤) انظر: تيسير الكريم المنان المعروف بتفسير السعدي ج١ ص٧٩٩.
(١٦٥) التحرير والتنوير م١٢ ج٢٦ ص٢٢٦ ـ ٢٢٧.
(١٦٦) فتح القدير ج٥ ص٧٣ (بتصرف).
(١٦٧) إتحاف فضلاء البشر ج٢ ص٤٨٥ ـ ٤٨٦.

القراءتين، وبالنظر فيهما يظهر: إن الحجرة هي المكان المحدد الذي يحدده الإنسان ليجعله له سكناً، وهذا المكان له حرمته، فلا يجوز أن يقتحمه أحدٌ أو يزعج ساكنيه بقول، أو فعل، أو بدخول دون إذن، وإذا عرفنا ذلك، وعرفنا أيضاً بأن الضمة هي أقوى الحركات وأثقلها، فإن ذلك يدل على قوة منع اقتحامها أي الحجرات، والتحذير منه، فهي بالضم تفيد أقصى وأكبر وأقوى درجات المنع والحرمة، خاصة وأن الحديث هنا عن حجرات أزواج رسول الله ﷺ، وهذا يتطلب مزيد عناية وقوة في المنع، والله تعالى أعلم.

الجمع بين القراءتين:

كلا القراءتين أفادتا، بأن هذا المكان وهو الحجرات، هو المكان المخصص للسكن المعروف بحرمته على غير ساكنيه إلا بإذنهم، والقراءة بالضم أفادت شدة هذه الحرمة، خاصة وأن الحديث هنا عن حجرات أزواج رسول الله ﷺ.

٣ ـ **قال تعالى:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ۝٦﴾ [الحجرات: ٦].

القراءات:

١ ـ قرأ الأخوان وخلف (فتثَبَّتُوا) بتاء مثلثة فوقية مفتوحة بعد التاء، وبعدها باء موحدة مفتوحة مشددة، وبعدها تاء مثناه فوقية مضمومة.

٢ ـ وقرأها الباقون ﴿فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ بباء موحدة مفتوحة بعد التاء، وبعدها ياء مثناه تحتية مفتوحة مشددة، وبعدها نون مضمومة(١٦٨).

المعنى اللغوي للقراءتين:

بأنَ الأمر يَبِيْنُ فهو بيِّنٌ، وجاء بائنٌ على الأصل، وأبانَ إِبَانَةً وبيَّن

---

(١٦٨) انظر: البدور الزاهرة ص٣٧٦.

وتَبَيَّن واستبان كلها بمعنى الوضوح والانكشاف، والاسم البيانُ[(١٦٩)].

التفسير:

هذه الآية الكريمة تعالج حدثاً اجتماعياً مهماً، وهو عدم الاستعجال في اتهام الناس، والحكم بمجرد سماع خبر عنهم، خاصة إذا كان هذا الخبر من فاسق لا يُؤمَن كذبه، وبَيَّنتْ الآية أن عاقبة الاستعجال، والحكم بدون بيّنة هي الندم الحقيقي، لأنه قد يُحدث ظلماً للغير.

قال النسفي في بيان هذه الآية: «قوله تعالى: ﴿فَتَبَيَّنُوٓا۟﴾ فتوقفوا فيه، تَطَلَّبوا بيان الأمر، وانكشاف الحقيقة، ولا تعتمدوا قول الفاسق؛ لأن من لم يتحامَ جنس الفسوق لا يتحامى الكذب الذي هو نوع منه. وفي الآية دلالة قبول خبر الواحد العدل لأنا لو توقفنا في خبره لسوينا بينه وبين الفاسق، ولخلا التخصيص به عن الفائدة، والفسوق الخروج عن الشيء، فيقال: فسقت الرطبة عن قشرها»[(١٧٠)]. وقال وهبة الزحيلي: «فاطلبوا بيان الحقيقة، وتثبتوا من صحة النبأ قبل ترتيب الآثار عليه، خشية أن تصيبوا قوماً أبرياء بسوء أو مكروه، فتصيروا على ما فعلتم من الخطأ نادمين مغتمين، متمنيين أنه لم يقع»[(١٧١)].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

اختلف المفسرون وعلماء القراءات في بيان الفرق بين القراءتين فذهب بعضهم إلى أن كلا القراءتين متقاربتان، وهما بمعنى واحد.

قال الشنقيطي: «ومعنى القراءتين واحد، وهو الأمر بالتأني، وعدم العجلة حتى تظهر الحقيقة فيما أنبأ به الفاسق»[(١٧٢)]. وقال الزمخشري:

(١٦٩) انظر: المصباح المنير ص٤٧.
(١٧٠) مدارك التنزيل وحقائق التأويل م٢ ج٤ ص١٦٨ / وحيثما ورد بعد ذلك فسأكتفي بقولي: تفسير النسفي.
(١٧١) التفسير الوجيز ص٥١٧.
(١٧٢) أضواء البيان ج٥ ص١٦٦.

«والتثبت والتبين متقاربان، وهما طلب الثبات والبيان والتعرف»[١٧٣]. وقال الدكتور محمد محيسن: «وهما متقاربا المعنى»[١٧٤].

وقال آخرون بوجود فرق بيِّنٍ وواضحٍ بين القراءتين. فالتثبت أدق وأوثق وأعمق، وبه تنكشف الحقيقة. فقد يتبيَّن الرجل ولا يثبت، وممن قال بذلك الشوكاني، وابن عاشور وغيرهم ....

قال الشوكاني: «والمراد من التبين التعرف والتفحص، ومن التثبت: الأناة وعدم العجلة والتبصر في الأمر الواقع، والخبر الوارد حتى يتضح ويظهر»[١٧٥].

وقال ابن عاشور: «والتَّبَيُّن: تطلب البيان، وهو ظهور الأمر، والتثبت التحري، وتطلب الثبات، وهو الصدق»[١٧٦]. وجاء في تفسير الجلالين: (فتبينوا): صدقه من كذبه، وفي قراءة (فتثبتوا) من الثبات[١٧٧].

وعلى هذا فقد أفادت القراءة بالتاء (فتبينوا) على معنى طلب الحقيقة في صحة الخبر، وهي مرحلة دراسة الخبر، والنظر إليه لمعرفة صدقه من كذبه.

أما القراءة بالثاء (فتثبتوا)، فقد أفادت بوجوب المبالغة في البحث والتحري، حتى نصل إلى درجة التثبت، وهي مرحلة القطع، وإقامة الدليل الثابت على ما نقول أو يقولون، وكلمة تثبتوا هي من الثبات وعدم التغير. قال ابن منظور: «ويقال: ثَبَتَ فلانٌ في المكان يَثْبُتُ ثُبُوْتاً فهو ثابتٌ إذا أقام به. وقال أيضاً: وأثبت حجته: أقامها وأوضحها»[١٧٨].

(١٧٣) تفسير الكشاف ج٤ ص٨.

(١٧٤) المستنير ج٣ ص١١٧.

(١٧٥) فتح القدير ج٥ ص٧٣.

(١٧٦) التحرير والتنوير م١٢ ج٢٦ ص٢٣١.

(١٧٧) انظر: تفسير الجلالين ص٤٩٠ ومعه المصحف الشريف.

(١٧٨) لسان العرب ج٢ ص١٩ ـ ٢٠.

الجمع بين القراءتين:

كلا القراءتين دلتا على وجوب عدم التعجل في الحكم، وطلب التمهل والاستيضاح، إلا أن القراءة بالثاء زادت في أن هذا التمهل، والاستيضاح يجب أن يصل إلى مرحلة التثبت من صحة الخبر أو عدمه بالدليل القاطع، فالخبر الذي يَرِدُ إلينا من الفاسق نستقبله بالتفحص والنظر فيه ونقوم بدراسته والاستفسار عن صدقه أو كذبه، هذا على قراءة (فتبينوا)، ومن ثم لا بد أن ننظر في تلك المعلومات التي حصلنا عليها عبر تلك الدراسة والفحص بتمهل وأناة، ونقوم بالربط بين مجريات الأمور والشواهد؛ لتتضح لنا حقيقة الخبر بشكل جليّ وواضح، واثبات ذلك بالدليل، وهذا على قراءة (فتثبتوا)، وهي مرحلة الحكم على الخبر.

٤ ـ **قال تعالى:** ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَـٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٩﴾ [الحجرات: ٩].

القراءات:

١ ـ قرأ المدنيان والمكي والبصري ورويس ﴿تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ﴾ بتسهيل الهمزة الثانية.

٢ ـ وقرأها الباقون بالتحقيق، أي بتحقيق الهمزة الثانية[١٧٩].

المعنى اللغوي للقراءتين:

فاء يفيء فيئاً: رجع، وأفاءه غيرُهُ: رجَعَهُ[١٨٠]. وتطلق ويراد بها صرف الشيء عن وجهه، فالإفاءة والإستفاءة التَحوُّل[١٨١].

(١٧٩) انظر: البدور الزاهرة ٣٧٦.

(١٨٠) انظر: الصحاح في اللغة ص٨٨٤.

(١٨١) انظر: القاموس المحيط ص٤٦.

التفسير:

يتحدث الله ﷻ في هذه الآية عن قضية الخصام والقتال، الذي قد يحدث بين طوائف المؤمنين، وكيف يكون العلاج والتصرف في مثل هذه المسألة إن حدثت.

فقال الطبري في شرح هذه الآية: «وإن طائفتان من أهل الإيمان اقتتلوا، فأصلحوا أيها المؤمنون بينهما بالدعاء إلى حكم كتاب الله، والرضا بما فيه لهما وعليهما، وذلك هو الإصلاح بينهما بالعدل، فإن أَبَتْ إحدى هاتين الطائفتين الإجابة إلى حكم كتاب الله تعالى، وتعدَّت ما جعل الله عدلاً بين خلقه، وأجابت الأخرى منهما، فقاتلوا التي تتعدّى حتى ترجع على حكم الله؛ فإن رجعت الباغية بعد قتالكم إياها إلى الرضا بحكم الله فأصلحوا بين الطائفتين بالعدل»(١٨٢).

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

الواضح أن كلا القراءتين بمعنى واحد، وهي من اللغات العربية، وهذا التسهيل في الهمزة الثانية ليس له علاقة في المعنى، ولم يغير من معنى الكلمة شيئاً، والله أعلم.

٥ ـ **قال تعالى:** ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الحجرات: ١٠].

القراءات:

١ ـ قرأ يعقوب (إِخْوتِكم) بكسر الهمزة وإسكان الخاء وتاء مكسورة على الجمع.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿أَخَوَيْكُمْ﴾ بفتح الهمزة والخاء وياء ساكنة على التثنية(١٨٣).

(١٨٢) جامع البيان ج٩ ص٧٥٣٢، ٧٥٣٣ (بتصرف).

(١٨٣) انظر: النشر ج٢ ص٢٨٦.

المعنى اللغوي للقراءتين:

الأخ أصله أَخَوٌ بفتح الخاء؛ لأنه جُمِع على آخاءٍ، مثل آباءٍ والذاهب منه واو؛ لأنك تقول في التثنية: أَخَوَان، وبعض العرب يقول أَخَان على النقص، ويجمع أيضاً على إِخْوان، مثل: خرَبَ وخِربانٍ. وأكثر ما يستعمل الإخوان في الأصدقاء والإخوة في الولادة(١٨٤).

التفسير:

وفي هذه الآية يُذَكِّر الله ﷻ المؤمنين بأنهم إخوة متحابون وما كان ينبغي لهم أن يتقاتلوا، أما وقد وقع القتال بينهم، فيجب على المؤمنين أن يبادروا بالإصلاح بين المتخاصمين، ثم يذكر الله ﷻ الجميع بضرورة تقواه، وإتباع أوامره، واجتناب نواهيه حتى يفوزوا برحمته ورضوانه.

قال الصابوني: «ليس المؤمنون إلا أخوة، جمعتهم رابطة الإيمان، فلا ينبغي أن تكون بينهم عداوة ولا شحناء ولا تباغض ولا تقاتل. وقال عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ أي فأصلحوا بين إخوانكم المؤمنين، ولا تتركوا الفرقة تدبُّ، والبغضاء تعمل عملها»(١٨٥).

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت القراءة بالياء ﴿أَخَوَيْكُمْ﴾ في بيان أن أقل عدد يقع بينه القتال والنزاع هو اثنان فصاعداً. قال ابن عطية: «وقرأ الجمهور من القراء ﴿بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾؛ وذلك رعاية لحال أقل عدد يقع فيه القتال والتشاجر»(١٨٦). وقال البيضاوي: «وخص الاثنين بالذكر؛ لأنهما أقل من يقع بينهم الشقاق»(١٨٧)

(١٨٤) انظر: مختار الصحاح ص١٥.

(١٨٥) صفوة التفاسير ج٣ ص٢١٧ (بتصرف).

(١٨٦) المحرر الوجيز ج٥ ص١٤٨.

(١٨٧) تفسير البيضاوي ج١ ص٢١٦.

وقال بذلك أيضاً الشيخ أحمد البنا(١٨٨). وقال أبو السعود: «القراءة بالتثنية وتخصيصها بالذكر لإثبات وجوب الإصلاح فيما فوق ذلك بطريق الأولوية؛ لتضاعف الفتنة والفساد الناتج عنه»(١٨٩).

وأما القراءة بالتاء فهي جمع أخ، باعتبار أن كل فرد من الطائفتين كالأخ.

ويرى الباحث: أن في ذلك إشارة وتنبيهاً للمصلحين بأن يقفوا من كِلا المتخاصمين موقفاً حقاً عدلاً، ولا يحابون طرفاً على الآخر، ولا يظلمون، وذلك لأن كل فرد من هؤلاء الأفراد المتقاتلين هو أخ لكم.

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين، يخبرنا الله ﷻ بأن الإصلاح بين المتقاتلين واجب، وبأن كل فرد من هؤلاء المتقاتلين من المسلمين هو أخ لكم. كذلك وإذا كان الإصلاح بين الاثنين واجباً، فهو أوجب وألزم في حالة وقوع القتال بين أكثر من هذا العدد؛ لذلك لتضاعف الفساد والفتنة التي قد تنتج عن ذلك الاقتتال.

٦ ـ **قال تعالى:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١﴾ [الحجرات: ١١].

القراءات:

أ ـ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ﴾

١ ـ قرأ يعقوب (ولا تَلمُزوا) بضم الميم.

(١٨٨) انظر: إتحاف فضلاء البشر ج٢ ص٤٨٦.

(١٨٩) تفسير أبو السعود ج٦ ص١١٦ (بتصرف).

٢ ـ وقرأها الباقون ﴿وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ﴾ بكسرها[١٩٠].

ب ـ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنَابَزُواْ﴾

١ ـ قرأ البزي وصلاً (ولآ تّنابزوا) بتشديد التاء مع المد المشبع.

٢ ـ والآخرون ﴿وَلَا تَنَابَزُواْ﴾ بدون مد ولا تشديد[١٩١].

ج ـ قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾

١ ـ قرأ البصري والكسائي وخلاد بخلف عنه (يتب فأولئك) بإدغام الباء في الفاء.

٢ ـ وقرأ الآخرون بدون إدغام[١٩٢].

المعنى اللغوي للقراءات:

أ ـ تلمزوا: اللَّمْزُ هو العيب، وأصله الإشارة بالعين ونحوها، وقد لَمَزَهُ يَلْمُزُهُ ويَلْمِزُهُ لَمْزاً.

ورجلٌ لمَّازٌ ولُمَزَةٌ أي عيَّابٌ. ويقال أيضاً لَمَزَهُ يَلْمِزه لَمْزاً إذا ضربه ودَفَعَه[١٩٣].

ب ـ تنابزوا: النَّبَزُ بالتحريك اللَّقَبُ، والجمع الأَنْبازُ، والنَّبْزُ بالتسكين المصدرُ تقول: نَبَزَهُ يَنْبِزُه نَبْزاً أي لَقَّبَه، والاسم النَّبَزُ كالنَّزَبِ. وفلا يُنَبِّزُ بالصِّبْيان أَي يُلَقِّبُهم شدِّد للكثرة. وتَنابَزُوا بالأَلقاب أي لَقَّبَ بعضهم بعضاً. والتَّنابُزُ: التداعي بالأَلقاب، وهو يكثر فيما كان ذمّاً[١٩٤].

---

(١٩٠) انظر: التذكرة في القراءات ج٢ ص٦٨٩.

(١٩١) انظر: البدور الزاهرة ص٣٧٦.

(١٩٢) انظر: البدور الزاهرة ص٣٧٧.

(١٩٣) انظر: الصحاح في اللغة ص١٠٦٢.

(١٩٤) انظر: لسان العرب ج٥ ص٤١٣.

ج - ومن لم يتب: تاب إلى الله تَوْبَاً وتوبةً ومتاباً وتابةً وتَتْوِبَةً: رَجَعَ عن المعصِيَةِ، وهو تائبٌ وتوَّابٌ(١٩٥).

التفسير:

قال الإمام سيد قطب رحمه الله في تفسيره لهذه الآية الكريمة: «إن المجتمع الفاضل الذي يقيمه الإسلام بهدي القرآن، مجتمع له أدب رفيع، ولكل فرد فيه كرامته التي لا تمسّ، وهي من كرامة المجموع. ولمز أي فرد هو لمز لذات النفس؛ لأن الجماعة كلها واحدة، كرامتها واحدة. والقرآن في هذه الآية يهتف للمؤمنين بذلك النداء الحبيب: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، وينهاهم بأن يسخر قوم من قوم، أي رجال برجال فلعلهم خير منهم عند الله، أو أن يسخر نساء من نساء فلعلهن خير منهن في ميزان الله تعالى، ومن السخرية اللمز والتنابز بالألقاب الذي يكرهها أصحابها، ويحسون فيها سخرية وعيباً، ومن حق المؤمن على المؤمن ألا يناديه بلقب يكرهه ويزري به ومن أدب المؤمن أن لا يؤذي أخاه بمثل هذا»(١٩٦). قال الفرَّاء: «وكان الرجل يقول للرجل من اليهود وقد أسلم: يا يهودي فنُهُوا عن ذلك»(١٩٧).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أ - قوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓا﴾

لم يفرق العديد من العلماء بين القراءتين: فقال السمرقندي: «وقرأ بعضهم ولا تلمزوا بضم الميم، وقرأت العامة بالكسر وهما لغتان»(١٩٨). وقال أبو منصور: «هما لغتان لَمَزَهُ يَلْمِزُهُ ويَلْمُزُه إذا عابه باليد أو بالعين أو باللسان أو الإشارة»(١٩٩). وذهب إلى ذلك أيضاً الشيخ أحمد البنا

(١٩٥) انظر: القاموس المحيط ص٥٩.

(١٩٦) الظلال ج٦ ص٣٣٤٤ (بتصرف).

(١٩٧) معاني القرآن ج٣ ص٧٢.

(١٩٨) بحر العلوم ج٣ ص٣١١.

(١٩٩) معاني القراءات ج٣ ص٢٥.

وغيره[٢٠٠].

إلا أن الناظر إلى القراءة بالضم لا يمكن أن يغفل الفعل الذي تقوم به هذه الحركة، حيث إنها من أثقل وأقوى الحركات، وإذا كانت هذه الكلمة كما قال سيد قطب: «فكأنما هي وخزة حسية لا عيبة معنوية»[٢٠١]. فإنها تكون على القراءة بالضم ضربة بمطرقة شديدة، لما في الضم من القوة والثقل، فكيف إذا علمنا أن هذه الكلمة اشتملت على ضمتين متلاحقتين وواو، وتم بيان أثر حركة الضم على المعنى سابقاً[٢٠٢].

وعلى هذا فإن القراءة بالكسر، قد بيَّنت عدم جواز لمز المسلم لأخيه المسلم.

أما القراءة بالضم، فقد بيَّنت عِظَم جُرم هذه الفعلة الشنيعة، وأظهرت كذلك عظم ثقلها، وقوة تأثيرها على من وقعت عليه، والله تعالى أعلم.

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين، يأمرنا الله ﷻ بعدم لمز المؤمن لأخيه المؤمن، وإن هذا اللمز هو صعب وثقيل على نفس المؤمن، وهو من الأفعال الشنيعة القوية التأثير في نفس الملموز.

ب ـ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنَابَزُواْ﴾

أفادت القراءة بدون تشديد التاء وعدم المد المشبع في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنَابَزُواْ﴾، على منع جواز التنابز بالألقاب، وهو أن يدعو المرء صاحبه بلقب يسوءه[٢٠٣].

وأما القراءة بتشديد التاء ومد الألف بالإشباع، فقد دلّ على المبالغة

(٢٠٠) انظر: إتحاف فضلاء البشر ج٢ ص٤٨٦.
(٢٠١) الظلال ج٦ ص٣٣٤٤.
(٢٠٢) انظر: ص٢٢.
(٢٠٣) انظر: نظم الدرر ج٧ ص٢٣٣.

في النهي عن ارتكاب مثل هذه المعصية، وفيه دلالة على قوة حجم الفساد الذي تحدثه هذه التصرفات، وثقله على نفوس المؤمنين. ودل على ذلك طول المد الذي وقع في (لا) الناهية وإشباعه، والإدغام والتشديد في التاء؛ والإنسان وهو يقرأ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا﴾ بالمد والإدغام، فهو يسرح بفكره مع طول المد، ويبدأ يستعرض أمام عينيه كبر هذه المعصية والآثار التي تخلفها، وما إن ينتهي القارىء من طول مده حتى تنتهي معه كل إمارة سوء، وشهوة نفس؛ لأن النهي كان طويلاً وكبيراً وزاجراً. ومن المعروف بأن طول المد يؤثر بشكل كبير في المعنى، لذلك قرأ حفص بمد طويل في قوله تعالى: ﴿وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا﴾ [الفرقان: ٦٩]، فمد الصلة في كلمة (فيه) بإشباع على خلاف القاعدة، وذلك تشنيعاً له بحال العاصي. يقول الدكتور عبد الرحمن الجمل: «فإنها وقعت بين ساكن ومتحرك، ومع هذا فقد قرأها حفص بالصلة، وذلك تشنيعاً بحال العاصي»(٢٠٤).

الجمع بين القراءتين:

كلا القراءتين في كلمة ﴿وَلَا تَنَابَزُوا﴾ أفادتا منع جواز دعوة المرء لصاحبه بلقب يسوءه.

إلا أن القراءة بالمد المشبع في الألف وتشديد التاء، دلت على المبالغة في النهي عن التنابز بالألقاب، ودليل ذلك طول المد وإشباعه في قوله: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا﴾.

ج ـ قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ﴾

إن القراءة بدون إدغام الباء مع الفاء تدل على الإشارة إلى الذين لم يقلعوا عن هذه الأفعال بأنهم ظالمون لأنفسهم، ومعتدون على حق غيرهم.

بينما أفادت القراءة بإدغام الباء مع الفاء سرعة الإشارة لهؤلاء الناس

(٢٠٤) التيسير في علم التجويد للدكتور عبد الرحمن الجمل ص٨٣.

بهذا الحكم، وهو الظلم، وسرعة التعقيب هنا فيها إشارة إلى هؤلاء الناس بضرورة الإسراع في التوبة.

فإذا كانت الفاء كما هو معروف في اللغة للترتيب والتعقيب كما في القراءة بدون إدغام، فهي هنا في القراءة بالإدغام أشد سرعة في التعقيب، ويشعر القارئ وكأن الحروف تسابق بعضها بعضاً للوصول إلى سرعة الإشارة لهؤلاء الناس ووصفهم بالظلم، لدرجة أن القارئ لا يكاد ينطق بحرفين اثنين من كلمة (يتب) حتى يجد الفاء قد أطلت عليه مقتحمة تلك الكلمة، ومسرعة بالإشارة وإصدار الحكم على هؤلاء المعتدين؛ وفي ذلك إشارة إلى أن الأصل الإسراع في التوبة، وترك هذه الصفات المشينة فوراً؛ لأن رفض الاستجابة أو تأخيرها هو ظلم ومهلكة للنفس. وفي هذا تهديدٌ لهم.

الجمع بين القراءتين:

إن كلا القراءتين أفادتا بوقوع الإنذار لهؤلاء الناس، وتهديدهم بأنهم سينطبق عليهم وصف الظلم، وسيتلبسون به إذا لم يسارعوا في التوبة، ولكن القراءة بالإدغام زادت معنىً آخر، وهو سرعة الحكم عليهم بالظلم وسرعة تلبسهم به في حال عدم توبتهم. وهذا يدل على أن التهديد في هذه القراءة أقوى وأسرع وأثقل على نفوسهم، وفيه إشارة إلى ضرورة الإسراع بالتوبة، ليسبقوا إلى النجاة قبل أن يسبق إليهم نتيجة الظلم، وهي العقاب من الله تعالى والله تعالى أعلم.

٤ ـ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ١٢﴾ [الحجرات: ١٢].

القراءات:

أ ـ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ﴾

١ ـ قرأها البزي وصلاً (ولاَ تَّجسسوا) بتشديد التاء مع المد المشبع.

٢ ـ وقرأها الباقون (ولا تَجَسسوا) بدون مد ولا تشديد[٢٠٥].

ب ـ قوله تعالى: ﴿مَيۡتٗا﴾

١ ـ قرأها نافع (ميّتاً) بتشديد الياء وكسرها.

٢ ـ وقرأها الباقون (ميْتاً) بإسكانها[٢٠٦].

المعنى اللغوي للقراءات:

أ ـ تجسسوا: الجَسُّ المَسُّ باليد كالإجتساس، وموضعه المَجَسَّةُ وتَفَحُّصُ الأخبارِ كالتَجَسُّسِ، ومنه الجاسوس. وجسه بعينه أي أحد النظر إليه ليَسْتَثبِت[٢٠٧].

ب ـ ميتا: الموتُ ضدُّ الحياة، وقد مات يموت وتَمَاْتُ أيضاً. فهو ميِّتٌ ومَيْتٌ. وقوم مَوْتَى وأمواتٌ. ومَيِّتُون ومَيْتُون[٢٠٨].

التفسير:

فأما هذه الآية فتقيم سياجاً آخرَ في هذا المجتمع الفاضل الكريم حول حرمات الأشخاص وكرامتهم وحرياتهم، بينما هي تعلم الناس كيف ينظفون مشاعرهم وضمائرهم في أسلوب مؤثر عجيب[٢٠٩]. وفي هذه الآية أمر الله ﷻ عباده المؤمنين بأن يبتعدوا عن التهمة، والتخون، وإساءة الظن بالأهل والناس، وأمرهم كذلك بأن لا يبحثوا عن عورات المسلمين، ولا يتبعوا معايبهم، وأن لا يطلعوا على معايبهم وسرِّهم، ونهاهم عن الغيبة، وبيَّن لهم كيف تكون شناعتها وقبحها، فهي كأكل لحم أخيه ميتاً، ثم أمرهم ﷻ

---

(٢٠٥) انظر: البدور الزاهرة ص٣٧٦.

(٢٠٦) انظر: التذكرة ج٢ ص٦٨٩.

(٢٠٧) انظر: القاموس المحيط ص٤٨٢.

(٢٠٨) انظر: الصحاح في اللغة ص١١٢٢.

(٢٠٩) انظر: الظلال ج٦ ص٣٣٤٥.

بأن يتقوه ويخافوه، ويحذروا عقابه، وذلك بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه[٢١٠].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أ ـ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾

أفادت القراءة بدون مد ولا إدغام؛ لبيان حرمة فعل التجسس على المسلمين، بينما أفادت القراءة بالمد والإدغام، بمعنى بيان شدة النهي عن هذا الفعل، لما له من أثر بالغ يؤدي إلى فساد عظيم في النسيج المجتمعي، ويسبب ألماً شديداً في النفس المسلمة عموماً، ولقد تم الإسهاب في شرح الفرق بين القراءتين عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا﴾ في الآية السابقة. فالقول فيها مثل القول في هذه الآية تماماً، إلا أن النهي هنا هو عن التجسس وتتبع عورات المسلمين، والنهي هناك عن التنابز[٢١١].

الجمع بين القراءتين:

كلا القراءتين أفادتا منع تجسس المسلمين بعضهم على بعض، إلا أن القراءة بالمد في الألف وتشديد التاء أظهرت مدى المبالغة في المنع، والشدة في تحريم ذلك الفعل.

ب ـ قوله تعالى: ﴿مَيْتًا﴾

القليل من علماء التفسير والقراءات من علَّق على القراءات في هذه الكلمة، واعتبروا أن لا فرق بين القراءتين.

قال الطبري: «وهما قراءتان معروفتان متقاربتا المعنى»[٢١٢]. وقال أبو منصور: «الميِّت والميْتَ واحد وهما مثل هيِّن وهيْن وليِّن وليْن»[٢١٣]. وقال

(٢١٠) انظر: الدر المنثور في التفسير المأثور ج٦ ص١٠٠، وصفوة التفاسير ج٣ ص٢١٨.
(٢١١) للاستزادة انظر: ص٦٧.
(٢١٢) جامع البيان ج٩ ص٧٥٤٥، ٧٥٤٦.
(٢١٣) معاني القراءات ج٣ ص٢٥.

الإمام أبو زرعة: «وهما لغتان، الأصل التشديد، ومن خفف استثقل التشديد فحذف الياء»[٢١٤].

ولكن الناظر إلى القراءة بالتشديد يجد أن الكلمة فيها ثقل وزيادة في مبنى الكلمة، وذلك لأن حرف الياء أصبح مشدداً، فأصبح عندنا ياء أخرى مدغمة في الياء الثانية.

ومن دلائل التشديد أنه يدل على المبالغة في الشيء. قال محمد الحسيني: «أمات الله الشيء وموَّته بالتشديد للمبالغة»[٢١٥]. وعلى هذا فالقراءة بالتشديد تفيد المبالغة والتأكيد.

ولما كان الموت يطلق ويراد به الكثير من المعاني، ومنها النوم، قال تعالى: ﴿وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ [الزمر: ٤٢]، وقال رسول الله ﷺ في الدعاء «**الحمد لله الذي أحيانا بعد أن أماتنا وإليه النشور**»[٢١٦]، فإن القراءة بالتشديد جاءت لتؤكد بأن المقصود في المثل المضروب هو الموت الحقيقي، حتى لا يذهب الناس من شدة استغرابهم واستهجانهم، مذاهب في تفسير قوله: (ميتا) لأن النفس لا تقبل أبداً أكل الميتة من اللحم الذي يؤكل عادة مثل: البقر والغنم، وغيره فكيف تقبل أن تأكله من لحم الأخ الميت، فجاءت القراءة بالتشديد، لتقطع عليهم أفكارهم وظنونهم، ولتؤكد بأن المقصود هو الموت الحقيقي.

هذا من جانب، وأما من الجانب الآخر: فلو قال قائل بعدم إمكانية حدوث اللبس في تفسير معنى الموت عند القراءة بالتخفيف، فالقراءة بالتخفيف واضحة الدلالة على الموت الحقيقي ولا مجال للظن، فعلى هذا الإعتبار لو سلَّمْنا به، تكون القراءة بالتشديد قد أضافت معنى جديداً، وهو

(٢١٤) حجة القراءات ص٦٧٧.

(٢١٥) تاج العروس ج٥ ص١٠٨.

(٢١٦) صحيح البخاري ـ كتاب الدعوات ـ باب ما يقول إذا نام (ج٨ ص٦٩ رقم الحديث ٦٣١٢)، وصحيح مسلم ـ كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ـ باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع (ج٤ ص٢٠٨٣) .

المبالغة في الموت، والمبالغة في الموت تدل على أن هذا الميت قد مات منذ زمن، وهذا يستوجب تحلله وفساد لحمه؛ فإذا كان أكل لحم الميت منكراً ومكروهاً، وإن كان هذا الميت قد مات حديثاً فإن أكله وهو فاسد أشد قبحاً ونكراناً.

الجمع بين القراءتين:

كلا القراءتين أفادتا بأن الغيبة كأكل لحم الأخ الميت. والمقصود بالموت هو على حقيقته، والتشديد للمبالغة. والقراءة بالتشديد التي هي للمبالغة في الفعل تبيّن بأن المقصود هو الموت الحقيقي، وتشعر أيضاً بقدم موته، وفساد لحمه؛ لتظهر حجم الشناعة والكراهة في أكله، والله تعالى أعلى وأعلم.

٥ ـ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات: ١٣].

القراءات:

١ ـ قرأ البزي (لتّعارفوا) بتشديد التاء وصلاً ووقفاً.

٢ ـ وقرأها غيره ﴿لِتَعَارَفُوٓاْ﴾ بالتخفيف[٢١٧].

المعنى اللغوي للقراءتين:

عَرَفَهُ يَعْرِفُهُ مَعْرِفَةً وعِرفاناً وعِرْفَةً بالكسر، وعِرِفَّاناً بكسرتين ومشددة الفاء عَلِمَه فهو عارِفٌ وعَرِيفٌ وعَرُوفَةٌ[٢١٨].

---

(٢١٧) انظر: البدور الزاهرة ص٣٧٦.

(٢١٨) انظر: القاموس المحيط ص٧٥٢.

التفسير:

قال ابن كثير: «يقول الله تعالى مخبراً للناس أنه خلقهم من نفس واحدة، وجعل منها زوجها وهما آدم وحواء، وجعلهم شعوباً، وهي أعم من القبائل، وبعد القبائل مراتب أُخر، كالفصائل والعشائر والعمائر والأفخاذ وغير ذلك»(٢١٩).

وقال الصابوني: «أي وجعلناكم شعوباً شتى وقبائل متعددة؛ ليحصل بينكم التعارف والتآلف لا التناحر والتخالف، والتفاضل بين الناس ليس بالأنساب والأحساب، ولكن بالإيمان والتقوى. فمن أراد شرفاً في الدنيا، ومنزلةً في الآخرة، فليتق الله تعالى، والله ﷻ عليم بالعباد، مطلع على ظواهرهم وبواطنهم، يعلم التقي والشقي، والصالح والطالح»(٢٢٠).

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

قال الشوكاني: «قرأ الجمهور بتخفيف التاء وأصله (لتتعارفوا) فحذفت إحدى التاءين. وقرأ البزي بتشديدها على الإدغام»(٢٢١). وذهب إلى ذلك أبو السعود(٢٢٢).

وعليه فإذا كانت القراءة بالتخفيف أصلها (لتتعارفوا) وحذفت التاء للتخفيف، فإن القراءة بالتشديد جاءت لتدل على وجود هذه التاء المحذوفة؛ لأن التشديد هو عبارة عن حرفين مدغمين؛ والتشديد معروف أنه في حرف التاء؛ فأصبح عندنا تاءان.

وبهذا يتضح بأن الهدف من القراءة بالتشديد هو كشف الستار عن

(٢١٩) تفسير القرآن العظيم ج٤ ص٢٣٢ (بتصرف).
(٢٢٠) صفوة التفاسير ج٣ ص٢١٩ ـ ٢٢٠ (بتصرف).
(٢٢١) فتح القدير ج٥ ص٨٢.
(٢٢٢) انظر: تفسير أبو السعود ج٦ ص١١٩.

كلمة (لتعارفوا)، وبيان أنها على الأصل تكون بتاءين، ولكن حذفت إحداهما للتخفيف، والله أعلم.

وهذا فنٌ جديدٌ من فنون القراءات القرآنية، فالقراءات القرآنية لا تأتي فقط للدلالة على بيان المعاني وتفسيرها، بل إن فوائدها أعم وأشمل، وها هي تأتي لتدل على أصل الكلمة، وبيان ما حُذِفَ منها.

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين، نستطيع أن نتعرف على أصل كلمة (لتعارفوا) وبيان ما حذف منها من أحرف، ومثل ذلك: حرف التاء الذي حُذف من كلمة (لتعارفوا) ؛ لأن أصلها (لتتعارفوا) فجاءت القراءة الثانية لتدل على أصل الكلمة، والله تعالى أعلم.

٦ ـ **قال تعالى:** ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمْۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾﴾ [الحجرات: ١٤].

القراءات:

١ ـ قرأ البصريان (يألتكم) بهمزة ساكنة بين الياء واللام، ويبدلها أبو عمرو على أصله في الهمز الساكن.

٢ ـ وقرأها الباقون ﴿يَلِتْكُم﴾ بكسر اللام من غير همز[٢٢٣].

المعنى اللغوي للقراءتين:

وأَلَتَه مالَه وحقه يَألِتُه أَلْتاً من حَدّ ضَرَب: المعنى نقصه، وأَلَتَه عن وجهه حبسه وصرفه[٢٢٤].

(٢٢٣) انظر: النشر ج٢ ص٢٨٦.

(٢٢٤) انظر: تاج العروس ج١ ص٥٢٢.

التفسير:

هذه الآية الكريمة تظهر أن هؤلاء الأعراب الذين ذكرهم الله تعالى لم يكونوا مؤمنين، ولكنهم دخلوا في الإسلام مخافة القتل والسلب؛ لذلك قال الله تعالى: ﴿وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا﴾ أي استسلمنا مخافة القتل فأظهرنا إسلامنا. ثم دعاهم الله تعالى إلى الإخلاص في الإيمان والتوحيد، وبيّن لهم أنهم إن فعلوا ذلك طاعة لله ورسوله فإن الله تعالى سيحتسب لهم أجرهم، ولن ينقص منه شيئاً.

وقد نزلت هذه الآية في أعراب من بني أسد بن خزيمة قدموا على رسول الله ﷺ في سنة جدبة وأظهروا الشهادتين، ولكنهم في الحقيقة لم يكونوا مؤمنين، فعاثوا في طرق المدينة فساداً بالعذرات، وأغلوا أسعارها، وجعلوا يمنّون على رسول الله ﷺ، يقولون: أتيناك بالأثقال والعيال، فأنزل الله تعالى فيهم هذه الآية، أو هي نزلت في أعراب أرادوا أن يَتَسَمُّوا بإسم الهجرة قبل أن يهاجروا؛ فأعلم الله أن لهم أسماء الأعراب لا أسماء المهاجرين، وقيل: غير ذلك، والآية خاصة لبعض الأعراب، وليس لجميعهم؛ لأن منهم من يؤمن بالله واليوم الآخر»[٢٢٥].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

ذهب كلٌ من علماء التفسير والقراءات إلى عدم التفريق بين القراءتين.

قال ابن عادل: «هما لغتان لا ينقصكم. فالأولى لغة غطفان وأسد، والثانية لغة الحجاز»[٢٢٦].

وقال مصطفى الرافعي: «قوله تعالى: ﴿لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـًٔا﴾ أي لا ينقصكم بلغة بني عبس»[٢٢٧].

(٢٢٥) انظر: تفسير القرطبي ج٩ ص١٤٩ ـ ١٥٠.

(٢٢٦) انظر: اللباب /دار الكتب العلمية/ ج١٧ ص٥٥٨.

(٢٢٧) انظر: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ص٥٤.

وقال السمرقندي: «ومعناها واحد. يقال لاته يلته وألته يألته إذا أنقص حقه»[٢٢٨].

وإلى نحو ذلك أيضاً ذهب جمهرة من علماء القراءات منهم: الإمام ابن خالويه[٢٢٩]، والشيخ الكرماني[٢٣٠].

أما الطبري فله قول آخر، وهو أنه صوَّب القراءة بدون همز. فقال: «والصواب من القراءة عندنا في ذلك ما عليه قراء المدينة والكوفة (لا يلتكم) بغير ألف ولا همز»[٢٣١].

ولعله لم يكن موفقاً في ذلك، لأنه بهذا القول ينكر أو يُضَعِّف قراءة صحيحة ثابتة، وهذا لا يجوز، لمجرد أنه لا يستصيغها؛ لأنها قراءة توقيفية صحيحة.

وخلاصة القول: أن كلا القراءتين بمعنى لا ينقصكم هذا صحيح، إلا أن القراءة بالألف والهمز (يألتكم) فيها زيادة في مبنى الكلمة، كذلك لا يخفى علينا كم فيها من الثقل والشدة في النطق، بينما القراءة بدون ألف وهمز (يلتكم) أقل في المبنى، وأسهل في النطق. وقد ذكر الماوردي: بأن يألتكم أكثر وأبلغ من يلتكم[٢٣٢].

وعلى ذلك: فقد أفادت القراءة بدون ألف وهمز على معنى أن الله تعالى لن ينقصكم أعمالكم.

أما القراءة بإثبات الألف مع الهمز، فإن فيها قوة وثقلاً ومبالغة، وهذه القوة وهذا الثقل في النطق مع الهمز يشعر بالمنازعة، والأخذ بالقوة، ويكون المعنى على هذه القراءة: أن الله تعالى لن يأخذ منكم حقكم، ولن

---

(٢٢٨) بحر العلوم ج٣ ص٢٦٧.

(٢٢٩) انظر: الحجة في القراءات السبع ص٣٣٠، ٣٣١.

(٢٣٠) انظر: مفاتيح الأغاني ص٣٧٩، ٣٨٠.

(٢٣١) جامع البيان ج٩ ص٧٥٥٢.

(٢٣٢) انظر: النكت والعيون ج٥ ص٣٣٨.

ينازعكم فيه، وفي هذا إشارة بثبوت هذا الحق، والأجر لهم.

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين يخبر الله ﷻ بأنه لن ينقص هؤلاء الناس أجورهم وأعمالهم، ولن ينازعهم في احتساب أجرهم لهم، ويطمئنهم بثبوته لهم.

٧ ـ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الحجرات: ١٨].

القراءات:

١ ـ قرأ المكي (بما يعملون) بالياء على الغيب.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ بالتاء على الخطاب(٢٣٣).

المعنى اللغوي للقراءتين:

العمل هو حركة البدن بكلّه أو بعضه، وربما أطلق على حركة النفس، فهو إحداث أمر، قولاً كان أو فعلاً، بالجارحة أو القلب، ولكن الأسبق للفهم اختصاصه بالجارحة، وخصه البعض بما لا يكون قولاً، وقد تم بيانها سابقاً عند تفسير سورة الفتح(٢٣٤).

التفسير:

بعد هذا العرض القرآني الطويل من أوامر ونواهي، وتحذيرات وإرشادات اجتماعية وإيمانية. ختم الله ﷻ هذه السورة بِمُسَلَّمَة وقاعدة إيمانية عريضة، وهي أنه ﷻ مطلع على كل شيء وبصير بكل شيء، بما في ذلك ما تقومون به من أعمال، وفي ذلك إشارة إليهم بأن الله تعالى مراقب لتصرفاتهم وأفعالهم، ويعلم مدى استجابتهم لأوامره.

---

(٢٣٣) انظر: غيث النفع ص٤٩٥.

(٢٣٤) انظر: ص٣٦.

قال سيد قطب: «والذي يعلم غيب السموات والأرض، يعلم غيب النفوس، ومكنون الضمائر وحقائق الشعور، ويبصر بما يعمله الناس، فلا يستمد علمه بهم من كلمات تقولها ألسنتهم، ولكن من مشاعر تجيش في قلوبهم، وأعمال تصدق ما يجيش في القلوب»(٢٣٥).

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

قال ابن عاشور: «قرأ الجمهور ﴿بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ بتاء الخطاب، وقرأه ابن كثير بياء الغيبة»(٢٣٦). وقال البيضاوي: «وقرأ ابن كثير بالياء لما في الآية من الغيبة»(٢٣٧). وقال ابن خالويه: «إجماع القراء على التاء خطاباً للحاضرين، إلا ابن كثير فإنه قرأه بالياء على معنى الغيبة»(٢٣٨).

وعلى هذا فإن القراءة بالياء على الغيب، أما القراءة بالتاء فهي خطابٌ للحاضر، فإن قال قائل وهل بينهما فرق في المعنى؟ كانت الإجابة بنعم؛ وذلك لأن القراءة بالتاء على الحاضر أسرع في التلقي، وأشد في الزجر والردع، وأكثر تأثيراً، حيث يتوجه الله لهم بالخطاب مباشرة، وكأنهم يقفون لحظة الخطاب بين يدي الله تعالى، ومثل هذا الشعور معروف كيف يفعل فعله في الحالة النفسية لدى هؤلاء. ومما يؤيد هذا القول ما قاله الدكتور محمد عيسى وذلك في توجيهه لمثل هذه القراءات في سورة البقرة فقال: «فالقراءة فيها بالياء لتناسب الكلام السابق، والقراءة فيها بالتاء فهي خطاب، وهذا التفات من الغيبة إلى الخطاب، ومن فوائده التنبيه؛ وذلك ليكون أوقع في النفس، وأكثر إثارة وتأثيراً، ولكن يبقى أن لكل موطن نكتاً يختص بها يميزه عن غيره من المواطن، وذلك يختلف باختلاف سياق الآية»(٢٣٩).

---

(٢٣٥) انظر: الظلال ج٦ ص٣٣٥٤.

(٢٣٦) التحرير والتنوير م١٢ ج٢٦ ص٢٧١.

(٢٣٧) تفسير البيضاوي ج٥ ص٢٢٢.

(٢٣٨) الحجة في القراءات السبع ٣٣١.

(٢٣٩) أثر القراءات القرآنية في الفهم اللغوي / د. محمد عيسى - ص١١٤ - دار السلام - ط الأولى.

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بينهما، يُظهر لنا القرآن الكريم جانباً من أسراره البلاغية، التي تفعل فعلها في النفوس، ويرسم لنا صوراً، ويخط لنا ألواناً في كيفية التنوع في الخطاب الذي يلامس الحس والوجدان، فان كانت القراءة على الغيب تنذر الناس، وتخبرهم بأن الله تعالى يراقبهم، فإن القراءة على الخطاب أشد إنذاراً، وأكثر تأثيراً على النفس، وأبلغ في الزجر والردع.

تمت سورة الحجرات بحمد الله تعالى وتوفيقه.



المبحث الثالث
عرض وتفسير لآيات سورة «ق»
المتضمنة للقراءات القرآنية العشر

بين يدي السورة:

هذه السورة هي سورة مكية، وآياتها خمس وأربعون، تعمل على علاج أصول العقيدة، ولكن الموضوع الذي دارت حوله، وتناولته بإسهاب، وعالجته بالحجة والبرهان الناصع، هو موضوع البعث والنشور[٢٤٠].

الموضوع العام للسورة:

إن المحور المركزي لهذه السورة، هو موضوع البعث والنشور. فابتدأت السورة بالحديث عن قصة الحياة بعد الموت والبعث بعد الفناء، ثم لفتت الأنظار إلى عظم قدرة الله تعالى المتجلية في الكون بجميع تفاصيله، في السماء وفي الأرض، وما به من ماء ونبات وثمر وطلع ونخيل وزرع، لتدلل على عظمة هذه القدرة وقوتها.

وبعد أن تحدثت السورة عن البعث، وبيَّنت بالدليل القاطع قدرة الله تعالى على ذلك، حذرت المكذِّبين من كفار مكة بأن يحدث لهم كما حدث مع الأمم السالفة، من عذاب وكوارث بسبب تكذيبهم.

(٢٤٠) انظر: تفسير القرطبي ج٩ ص١٥٢، وروح المعاني ج١٣ ص٣٢١.

وبعد ذلك ذكَّرت السورة الأمة البشرية بمواقف صعبة للغاية لا حول للإنسان بها، ولا قوة وهي سكرات الموت والنشر والحساب، ثم ساقت لنا صورة من هذه الصور، وهي كيفية البعث التي تبدأ بصيحة الحق، التي تخرج الناس من قبورهم كأنهم جراد منتشر(٢٤١).

١ ـ قال تعالى: ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ۝٣﴾ [ق: ٣].

القراءات:

أ ـ قوله تعالى: ﴿أَءِذَا﴾

١ ـ قرأ قالون والبصري وأبو جعفر (أئذا) بتسهيل الهمزة الثانية مع الإدخال(٢٤٢).

٢ ـ وقرأ ورش ومكي ورويس بتسهيلها من غير إدخال.

٣ ـ وقرأها الباقون بتحقيق الهمز من غير إدخال إلا هشاماً فله الإدخال وعدمه(٢٤٣).

المعنى اللغوي للقراءات:

١ ـ **أئذا**: إذا اسم يدلُّ على زمان مستقبل، ولم تستعمَل إلا مضافة إلى جملة. تقول: أجيئك إذا احْمَّر البُسْر وإذا قَدم فلان، والدليل على أنها اسم وقوعها موقع قولك: آتيك يوم يَقْدُم فلان، وهي ظرف وفيها مُجَازاة؛ لأَنَّ جزاء الشرط ثلاثة أشياء: أحدها: الفعل، كقولك: إن تأتِني آتِك. الثاني: الفاء، كقولك: إن تأتني فأنَا مُحسن إليك، والثالث: إذا، كقوله تعالى: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ [الروم: ٣٦]. وتكون للشيء توافقه في حالٍ أنت فيها نحو قولك: خرجت فإذا زيد قائم،

---

(٢٤١) انظر: صفوة التفاسير ج٣ ص٢٢٣.

(٢٤٢) أي مع إدخال ألف بين الهمزتين.

(٢٤٣) انظر: البدور الزاهرة ص٣٧٨، غيث النفع ص٤٩٦.

المعنى: خرجت ففاجأني زيد في الوقت بقيام[٢٤٤].

٢ ـ متنا: الموت ضد الحياة، وقد مات يموت وتَمَاتُ أيضاً فهو ميِّتٌ ومَيْتٌ. وقوم موْتَى وأموات. وقد سبق تعريفها عند تفسير سورة الحجرات[٢٤٥].

التفسير:

هذه الآية تظهر مدى إنكار هؤلاء الكفار ليوم البعث، لدرجة أنهم يستغربون، ويستبعدون أن يعيدهم الله تعالى كما كانوا بعد أن يبلوا، وتذهب أجسادهم.

بمعنى أنهم يقولون: أئذا متنا وبلينا، وتقطعت الأوصال منَّا، وصرنا تراباً كيف يمكن الرجوع بعد ذلك إلى هذه البنية وهذا التركيب؟ وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ﴾ أي بعيد الوقوع، فهم يعتقدون استحالته وعدم إمكانه[٢٤٦].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أ ـ أئذا

أفادت القراءة بتحقيق الهمزتين أو تحقيق الهمزة الأولى وتسهيل الثانية، بأن الكفار مستغربون ومتعجبون، بل ومنكرون لهذه العملية، وهي إعادة الأجساد إلى ما كانت عليه قبل الموت بعد أن تبلى وتفنى.

قال الألوسي: «﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا﴾ تقرير للتعجب وتأكيد للإنكار أو لبيان موضع تعجبهم»[٢٤٧].

---

(٢٤٤) انظر: مختار الصحاح ص١٧.
(٢٤٥) انظر: عند تفسير سورة الحجرات الآية: ١٣ ص٦٩.
(٢٤٦) انظر: تفسير القرآن العظيم ج٤ ص٢٣٧.
(٢٤٧) روح المعاني ج١٣ ص٣٢٣.

أما القراءة مع إدخال ألف، فهي تبيّن مدى قوة هذا التعجب، وحجم هذا الاستغراب، وقوة هذا الإنكار، حيث إنهم بلغوا في تعجبهم واستغرابهم مبلغاً انتهى بهم إلى الجحود والإنكار. والدليل على ذلك الزيادة في مبنى الكلمة بألف، والزيادة في المبنى زيادة في المعنى، وكذلك وجود المد الذي هو للمبالغة.

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين، يظهر بأن هؤلاء الكفار متعجبون ومستغربون، ومنكرون لذلك الرجع. وهذا التعجب والاستغراب قد بلغ في نفوسهم مبلغاً كبيراً حتى وصل بهم إلى درجة الاستهجان، ومن ثم الإنكار.

ب ـ متنا

أفادت القراءة بكسر الميم، بأن الكفار مستغربون ومتعجبون من إعادتهم بعد الموت.

بينما أفادت القراءة بضم الميم، بيان قوة هذا الاستغراب من الإعادة بعد الموت.

وهذا واضح من الضم في كلمة (مُتنا)، وكأنهم يقولون: أئذا مُتنا موتاً ثقيلاً طويلاً لدرجة أننا أصبحنا معه تراباً وعظاماً هل سنعود؟.

وكأنهم يقولون للمؤمنين وللرسول: هل أنتم تدركون ما تقولون ..؟ هل أنتم فعلاً تقصدون الموت الطويل الثقيل هو بعينه الذي سنصبح بعده تراباً وعظاماً، ومن ثم نحن سنعود، هل هذا معقول؟!، والتعبير بضم الميم يدل على ذلك؛ لأن الضمة من أقوى الحركات وأثقلها، فهم مستغربون من الإعادة والبعث أولاً، ثم إنهم مستغربون من عودة الأجساد التي تفنى وتبلى ثانياً.

الجمع بين القراءتين:

كلا القراءتين دَلّتا على الاستغراب لدى الكفار من الرجعة بعد

الموت، والقراءة بالضم بيَّنت بأن الاستغراب واقع لهم؛ لأنهم لا يصدقون بأن الأجساد تعود بعد الموت الثقيل الطويل الذي تحدث معه ذهاب الأبدان.

٢ ـ قال تعالى: ﴿رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ﴿١١﴾﴾ [ق: ١١].

القراءات:

١ ـ قرأ أبو جعفر (ميّتا) بالتشديد على الياء.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿مَيْتًا﴾ بالتخفيف فيها[٢٤٨].

المعنى اللغوي للقراءتين:

الموت ضد الحياة، وقد مات يموت وتَمَاْتُ أيضاً فهو ميِّتٌ ومَيْتٌ. وقد سبق بيانها عند تفسير سورة الحجرات[٢٤٩].

التفسير:

أي أنبتنا كل ذلك رزقاً للخلق لينتفعوا به، وأحيينا بذلك الماء أرضاً جدبة لا ماء فيها ولا زرع، فأنبتنا فيها الكلأ والعشب[٢٥٠]. قال الدكتور عبد المنعم: «وهلا تأملوا الأرض المترامية الأطراف، المثبتة بالجبال، المستودعة خيراً وركازاً، المنبتة أقواتاً وثماراً، وخضراً ومرعى؟ فإن في تأمل آثار الرحمة، وإتقان الصنعة، ما يرسخ اليقين باقتدار الصانع الحكيم على إحياء المقبورين؛ وما يُذَكِّر بقوة الله تعالى المتين على جمعنا ليوم الدين»[٢٥١].

(٢٤٨) انظر: البدور الزاهرة ص٣٧٨، الشامل في القراءات المتواترة ص٢٥٨.

(٢٤٩) انظر: عند تفسير سورة الحجرات الآية: ١٣.

(٢٥٠) انظر: صفوة التفاسير ج٣ ص٢٢٥.

(٢٥١) فتح الرحمن ج٦ ص٣٣٩٤.

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت القراءة بالتخفيف، بأن الله تعالى قد أحيا بهذا الماء أرضاً جدبة لا نماء فيها(٢٥٢).

أمّا القراءة بالتثقيل والتشديد، فإنها تدلّ على أن هذه الأرض التي أحياها الله، هي أرضٌ بالغةُ الجدب. فالمبالغة والتشديد في القراءة أفادت مبالغة في موت هذه الأرض، لدرجة أن الناظر إليها لا يخطر بباله أن هذه الأرض القاسية الجدباء عديمة النفع ـ لا يخطر بباله أبداً ـ بأن تكون ذات يوم خَضِرة، لها زرع ونباتٌ حسن. وفي هذا بيان لقوة الله تعالى الذي جعل من هذه الأرض المعدومة النفع لشدة موتها، جعل منها أرضاً طيبة ذات زرع وماء وحب وحصاد.

الجمع بين القراءتين:

ويتبيّن من الجمع بين القراءتين، بأن هذه الأرض الميتة التي أحياها الله تعالى ليست أرضاً عادية في موتها، بل هي شديدة الموت، عديمة النفع، أو لربما لم تُنبِت قبل ذلك في يوم من الأيام.

٣ ـ قال تعالى: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾﴾ [ق: ١٤].

القراءات:

١ ـ قرأ ورش (وعيدي) بإثبات الياء في حال الوصل فقط وحذفها وقفاً.

٢ ـ وقرأ يعقوب (وعيدي) بإثباتها في الحالين.

٣ ـ وقرأ الباقون ﴿وَعِيدِ﴾ بحذفها في الحالين وصلاً ووقفاً(٢٥٣).

---

(٢٥٢) انظر: روح المعاني ج١٣ ص٣٢٧ (بتصرف).

(٢٥٣) انظر التذكرة في القراءات ج٢ ص٦٩١، والنشر ج٢ ص٢٨٦.

المعنى اللغوي للقراءات:

وعَدَه الأمْرَ، وبه يَعِدُ عِدَةً ووَعْداً ومَوْعِداً ومَوْعِدَةً ومَوْعُوْداً ومَوْعودَةً وخيراً وشراً. فإذا أُسْقِطا قيل في الخير وَعَدَ، وفي الشر أوْعَدَ[٢٥٤]. ووعده الأمر منّاه به، وتَوَعَّدَه تهدده، واليوم الموعود هو يوم القيامة[٢٥٥].

التفسير:

يُذكِّر الله ﷻ المكذبين - الذين ينكرون البعث، ويُصِرُّون على تكذيب رسلهم - يذكرهم بمصير الأمم التي جاءت قبلهم، وكذبت رسلها فأهلكهم الله تعالى. وفي هذه الآية بيان بأن مصير هؤلاء المنكرين والمكذبين للنبي ﷺ سيكون مثل مصير من سبقهم إن لم يسارعوا إلى الإيمان والتصديق.

وبعد أن ذَكَرَ الله تعالى تكذيبَ المشركين للنبيّ ﷺ، ذكر المكذِّبين للرسُل من الأقوام السابقة مثل قوم نوحٍ وأصحابِ الرسّ وثمود، وعادٍ وفرعون وغيرهم، وما انتهى إليه أمرُهم من الخسران والعذاب. وهذا كله تسلية لرسوله ﷺ، وتسرية عنه، وإنذاراً لكفار قريش بأنهم سيصيبهم ما أصابَ الذين من قبلهم إن أصرّوا على التكذيب والكفر والعناد. وقال القرطبي: «﴿فَحَقَّ وَعِيدِ﴾ أي فحق عليهم وعيدي وعقابي»[٢٥٦].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة بحذف الياء، بيان ما سيصيب هؤلاء المشركين من العقاب والعذاب في حالة استمرارهم على الكفر، وتكذيبهم للنبي عليه الصلاة والسلام، وبأن مصيرهم سيكون مثل مصير المكذبين من قبلهم.

(٢٥٤) القاموس المحيط للفيروز آبادي ص٢٩٥ / ضبطه ووثقه يوسف البقاعي - دار الفكر بيروت لبنان - ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

(٢٥٥) انظر: المعجم الوسيط ص١٠٤٣.

(٢٥٦) الجامع لأحكام القرآن ج٩ ص١٥٦.

أما القراءة بإثبات الياء، فقد أظهرت شدة وقوة هذا العذاب الذي سينزل بهم، ودلّ على ذلك زيادة حرف الياء التي دلت على المبالغة في العذاب والعقاب. فإن إضافة الفعل إلى الله تعالى بقوله: (وعيدي) فيه ما فيه من التهديد والقوة والمبالغة في العذاب. فأي وعيد كوعيد الله تعالى، وأي عقاب كعقاب الله تعالى. فإن الآية تشير بإشراف الله تعالى المباشر على هذا التعذيب لهم.

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءات، يبيّن لنا الله تعالى كم سيكون هذا العذاب شديداً وقاسياً على أولئك المكذبين الذين ينكرون البعث، ولا يؤمنون بالله تعالى ويكذبون رسله.

٤ ـ قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾﴾ [ق: ٣٠].

القراءات:

١ ـ قرأ نافع، وأبو بكر (يوم يَقُول) بالياء.

٢ ـ وقرأها الباقون ﴿يَوْمَ نَقُولُ﴾ بالنون(٢٥٧).

المعنى اللغوي للقراءتين:

القول الكلام على الترتيب، وهو عند المحقق كل لفظٍ قال به اللسان، تاماً كان أو ناقصاً، تقول: قال يقول قولاً، والفاعل قائل، والمفعول مَقُول(٢٥٨).

---

(٢٥٧) انظر: المبسوط في القراءات العشر ص٢٥٣، التذكرة في القراءات ج٢ ص٦٩١.
(٢٥٨) انظر: لسان العرب ج١١ ص٥٧٢.

التفسير:

هذه الآية الكريمة تظهر لنا حال النار الشعورية تجاه المستحقين لعذابها، وفيها إشارة تهديد لأولئك المنكرين الكافرين بأن جهنم هي مصيرهم، وهي تنتظرهم بشوق.

وإن هذا المشهد كله مشهد حوار. يظهر فيه جهنم في معرض الحوار، وبهذا السؤال والجواب يتجلى مشهد عجيب رهيب فهذا هو كل كفارٍ عنيد مناع للخير معتدٍ مريب .. هؤلاء هم الكثرة التي تقذف في جهنم تباعاً، وتتكدس ركاماً، ثم ينادى عليها ﴿هَلِ ٱمْتَلَأْتِ﴾ واكتفيت؟ ولكنها تتلمظ وتتحرق وتقول في نهم شديد: ﴿هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ إجابة لهذا النداء فيا للهول الرهيب المهيب[٢٥٩].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت القراءة بالياء على الغيبة بالإخبار من الرسول ﷺ عن الله تعالى.

بينما أفادت القراءة بالنون بوقوع الإخبار مباشرة من الله تعالى عن نفسه على الحاضر[٢٦٠].

قال ابن عادل: «وقرأ نافع وأبو بكر: (يقول لجهنم) بياء الغيبة والفاعل: الله تعالى لتقدم ذكره في قوله (وقد قدمت)»[٢٦١].

وقال ابن عاشور: «وقراءة الباقين بالنون على الالتفاف بل هو التفات تابع لتبديل طريق الإخبار من الحديث عن غائب إلى خطاب حاضر»[٢٦٢].

ووقوع الإخبار من الله تعالى بنون العظمة بالالتفات من الغائب إلى الحاضر يضفي عظمة للموقف، وزجراً وردعاً للمجرمين العاصين، والكفار

---

(٢٥٩) الظلال ج٦ ص٣٣٦٥.
(٢٦٠) انظر: الحجة في القراءات السبع ص٣٣١.
(٢٦١) تفسير اللباب ج١٨ ص٣٧.
(٢٦٢) التحرير والتنوير م١٢ ج٢٦ ص٣١٧.

والمنكرين، وكأن الله تعالى يريد أن يؤكد لهم، بقوله لهم: أنا بعظمتي لا غيري، سأكون مشرفاً ومباشراً على دخولكم في جهنم.

الجمع بين القراءتين:

كلا القراءتين أفادتا وقوع القول لجهنم وسؤالها عن قابليتها ومدى استعدادها لتلقي الكثير ممن يستحق دخولها من المعاندين والكافرين، إلا أن الإخبار بنون العظمة يضفي مزيداً من التهديد والوعيد والزجر لهم؛ ليرتدعوا حين يتخيلوا مثل هذا المشهد المريع.

٥ ـ قال تعالى: ﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾﴾ [ق: ٣٢].

القراءات:

١ ـ قرأ ابن كثير (ما يوعدون) بالغيب، أي بالياء.

٢ ـ وقرأها الباقون ﴿مَا تُوعَدُونَ﴾ بالخطاب، أي بالتاء[٢٦٣].

المعنى اللغوي للقراءتين:

وعَدَه الأمْرَ وبه يَعِدُ عِدَةً ووَعْداً ومَوْعِداً ومَوْعِدَةً ومَوْعُوْداً ومَوْعودَةً وخيراً وشراً. فإذا أُسْقِطا قيل في الخير وَعَدَ، وفي الشر أوْعَدَ[٢٦٤].

التفسير:

إذا كان الله ﷻ قد أنذر وتوعد الكافرين، وعرض صورة جهنم، ووصف لنا حالها مع الذين استحقوا دخولها، فهو ﷻ في هذه الآية الكريمة يقدِّم لنا صورة أخرى، ومشهداً آخر من مشاهد يوم القيامة، وهو مشهد الجنة وحالها مع المؤمنين، ويعرض ما أكرم به المطيعين من ثواب ونعيم.

---

(٢٦٣) انظر: النشر ج٢ ص٢٨٦، تحبير التيسير ص٢٠٩.

(٢٦٤) انظر: ص٨٧.

قال الصابوني: «أي يقال لهم هذا الذي ترونه من النعيم، هو ما وعده الله لكل عبد أوّاب، أي رجّاع إلى الله تعالى، حافظ لعهده وأمره»[٢٦٥].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت القراءة بالتاء على أنه خطاب للمؤمنين، بمعنى: قل لهم يا محمد ﷺ هذا ما توعدون، أو يكون المعنى أن يقال لهم يوم القيامة: هذا ما توعدون أي هذا الذي كنا نعدكم به في الدنيا من جزاء، سيكون لكم يوم القيامة، فها هو أمامكم ترونه حقيقة بأعينكم.

قال حقي: «أي حال كونهم أولئك المتقين مقولاً لهم من قبل الله تعالى أو على ألسنة الملائكة عندما شاهدوا الجنة ونعيمها»[٢٦٦]. وقال ابن زنجلة: «وقرأ الباقون بالتاء، أي يقال لهم هذا ما توعدون»[٢٦٧].

وذكر مكي أن القراءة بالتاء على المخاطبة، بمعنى قل لهم يا محمد هذا ما توعدون[٢٦٨].

أما القراءة بالياء فقد وقع على الغيبة بياء الغيبة. وفي هذه القراءة تقرير وبيان حقيقة، وهي أن هذا النعيم وهذه الجنة وما فيها، هي ما كان الله يعد به المؤمنين، فها هي حاضرة أمامكم.

قال الألوسي: «وقرأ ابن كثير وأبو عمرو (يوعدون) بياء الغيبة والجملة على هذه القراءة قيل: اعتراض أو حال من الجنة»، وقال أبو حيان: «هي اعتراض، والمراد هذا القول هو الذي وقع الوعد به وهو كما ترى»[٢٦٩].

(٢٦٥) صفوة التفاسير ج٣ ص٢٢٩.

(٢٦٦) روح البيان في تفسير القرآن لإسماعيل حقي البروسوي ج٩ ص١٢٩ / ضبط وتصحيح عبد اللطيف عبد الرحمن ـ دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م، وحيثما ورد بعد ذلك فسأكتفي بقولي تفسير حقي.

(٢٦٧) حجة القراءات ص٦٧٨.

(٢٦٨) انظر: الكشف ج٢ ص٢٨٥.

(٢٦٩) روح المعاني ج١٣ ص٣٣٩.

وعلى هذا يكون المعنى بالقراءة بالياء، هو بيان وتقرير حقيقة، وهي بأن الذي وعد الله به ها هو حق موجود حقيقة، وهو الجنة ونعيمها.

أما القراءة بالتاء فهي تدل على أن الله تعالى أو الملائكة سيخاطبون المؤمنين عندما يرون الجنة ونعيمها، ويذكّرونهم بنعمة الله عليهم، وبصدق وعد الله لهم، وهذا الخطاب ـ في تلك اللحظات ـ فيه تشويق وإسعاد وتبشير لهم، فهم وحتى هذه اللحظة فقط شاهدوا الجنة، فيأتيهم الخطاب من الله تعالى أو من ملائكته، بأن ما ترونه بأعينكم هو لكم، وهذه الجنة التي ترونها هي ما كان يَعِدُ به الله لكم، فستدخلونها .. لذلك، تلى هذه الآية قوله تعالى: ﴿ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الحجر: ٤٦].

كذلك، فإن هذا الخطاب فيه تبكيت وتحسير للذين كذَّبوا وأنكروا، فها هم يرون بأن وعد الله لعباده قد تحقق، وكأنهم في هذه اللحظات يقولون ﴿يَٰلَيۡتَنَآ أَطَعۡنَا ٱللَّهَ وَأَطَعۡنَا ٱلرَّسُولَا۠﴾ [الأحزاب: ٦٦].

الجمع بين القراءتين:

إن كلا القراءتين دلتا على وقوع وعد الله تعالى لعباده من الجزاء، والثواب والجنة وما فيها.

ولكن القراءة بالتاء أضافت معنى جديداً، وهو وقوع الخطاب للمؤمنين في تلك اللحظات، وهو خطاب تذكير وتبشير لهم.

٦ ـ قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَأَدۡبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾﴾ [ق: ٤٠].

القراءات:

١ ـ قرأ المدنيان ومكي وحمزة وخلف (وإِدبار السجود) بكسر الهمزة.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿وَأَدۡبَٰرَ﴾ بفتحها[٢٧٠].

---

(٢٧٠) انظر: الإقناع في القراءات السبع ص٦٣، التذكرة في القراءات ج٢ ص٦٩١، والبدور الزاهرة ص٣٧٩.

المعنى اللغوي للقراءتين:

الدال والباء والراء. أصل هذا الباب أنَّ جُلّه في قياسٍ واحد، وهو آخِر الشَّيء وخَلْفُه خلافُ قُبُلِه[٢٧١]، وجاء في المنجد: والأدبار الآخر يقال: جاءَ دُبُرَ الشهر، وفي دُبُره وعلى دُبُره وأدْبَارَ الشهر وفي أَدْبارِهِ أي في آخره[٢٧٢]. والدبر الأصل[٢٧٣].

التفسير:

جاءت هذه الآيات في سياق دعوة الله ﷻ النبي ﷺ للصبر على المعاندين المكذبين، ودعاه الله ﷻ إلى اللجوء إليه، والدوام على التسبيح والصلاة.

قال الصابوني: «أي ومن الليل فَصَلِّ لله تهجداً وأعقاب الصلوات المفروضة»[٢٧٤].

ويرى ابن كثير أن المعنى: إما أن يكون المقصود منه التسبيح بعد كل صلاة، أو الصلاة ركعتين بعد صلاة المغرب[٢٧٥].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت القراءة بالفتح على الجمع أي جمع دبر، بمعنى لزوم فعل ذلك خلف كل الصلوات، وليس صلاة واحدة فقط، وكذلك إن الأمر بالتسبيح

---

(٢٧١) انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس ص٣٧٤ / تحقيق شهاب الدين أبو عمرو ـ دار الفكر الطبعة الثانية ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م.

(٢٧٢) انظر: المنجد في اللغة والأعلام ص٢٠٥.

(٢٧٣) انظر: تثقيف اللسان وتلقيم الجنان /عمر الصقلي النحوي اللغوي ط الأولى بيروت ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م/ ص٢٣٦.

(٢٧٤) صفوة التفاسير للصابوني ج٣.

(٢٧٥) انظر: تفسير القرآن العظيم ج٤ ص٢٤٦.

عقب كل صلاة مباشرة بلا تراخي.

أما القراءة بالكسر، فهي مصدر أدبر إدبار، وهي تفيد أن الأمر بالتسبيح يكون بعد تولي وذهاب السجود أي الصلاة أيضاً، بمعنى أن التسبيح ليس فقط في أدبار الصلوات، بل وبعد انقضائها أيضاً، وفي هذا إشارة إلى دوام واستمرار التسبيح في جميع الأوقات، وليس بعد الصلاة مباشرة فقط.

قال الشوكاني: «﴿وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ﴾ أي وسبحه أعقاب الصلوات، قرأ الجمهور أدبار بفتح الهمزة جمع دُبُر، وقرأ نافع وابن كثير وحمزة بكسرها على المصدر، من أدبر الشيء إدباراً، إذا ولى»[٢٧٦]. وقال أبو حيان: «وإدبار بكسر الهمزة وهو مصدر تقول: أدبرت الصلاة انقضت وتمت»[٢٧٧]. وقال النيسابوري: «بكسر الهمزة مصدر أدبر الشيء إدباراً إذا ولى، ومن فتح الهمزة جعله جمع دبر بمعنى خلف»[٢٧٨]. وقال د. محمد محيسن: «بالكسر مصدر أدبر بمعنى مضى والباقون بالفتح جمع «دَبر» وهو آخر الصلاة وعقبها. وجمع باعتبار تعدد السجود»[٢٧٩].

وبذلك فقد تأكد بأن المعنى في القراءة بالفتح، هو الأمر بالتسبيح أو بالصلاة عقب الصلاة مباشرة. أما قراءة الكسر فقد دلت على لزوم ذلك بعد أن تمضي وتُولِي الصلاة، وفي هذا بيان بأن التسبيح ليس فقط في أدبار الصلاة، ولكن أيضاً بعد انقضائها، وفيه إشارة إلى المداومة على التسبيح في جميع الأوقات. سواء بعد الصلاة مباشرة أم بعد انقضائها ولو بساعات، وذلك يصلح. فلو نظرنا إلى سياق الآية لوجدنا أن الأمر بالتسبيح والصلاة

---

(٢٧٦) فتح القدير ج٥ ص٩٧.

(٢٧٧) البحر المحيط ج٨ ص١٢٨.

(٢٧٨) الوسيط في تفسير القرآن المجيد ج٤ ص١٧١ / دار الكتب العلمية بيروت لبنان ـ الطبعة الأولى ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م، وحيثما ورد بعد ذلك فسأكتفي بقولي تفسير النيسابوري.

(٢٧٩) المستنير ج٣ ص١٢٣.

لرسول الله ﷺ كان من أجل أن لا ينشغل في الدعاء على المكذبين وسبهم ولعنهم. فالآية السابقة تأمره ﷺ أن يصبر على ما يقول الكفار، وأن يلجأ إلى التسبيح والصلاة. ولتحقيق ذلك فإن التسبيح والصلاة لا يكون فقط عقب الصلوات المكتوبات، بل في جميع الأوقات لذلك عبر بالقراءة وإدبار.

ويدل على ذلك ما قاله الرازي في تفسيرها: «فاصبر على ما يقولون واجعل كلامك بدل الدعاء عليهم التسبيح لله والحمد له، ولا تكن كصاحب الحوت أو كنوح عليه السلام»(٢٨٠).

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءاتين، يظهر أن الأمر بالتسبيح للنبي ﷺ ليس فقط عقب الصلوات، بل هو في جميع الأوقات أيضاً، وذلك أنسب للهدف المرجو من هذا التسبيح، وهو شغل النبي ﷺ بالعبادة والتسبيح والشكر لله تعالى، وترك الكافرين لشأنهم ومآلهم.

٧ ـ **قال تعالى:** ﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾﴾ [ق: ٤١].

القراءات:

أ ـ قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنَادِ﴾

١ ـ قرأ يعقوب وابن كثير بخلف عنه (يُنَادي) بإثبات الياء في الوقف.

٢ ـ وقرأ الباقون (يُنَاد) بحذفها وقفاً(٢٨١).

ب ـ قوله تعالى: ﴿ٱلْمُنَادِ﴾

١ ـ قرأ ابن كثير ويعقوب (المنادي) بإثبات الياء وصلاً ووقفاً، وأثبتها المدنيان وأبو عمرو في الوصل فقط.

---

(٢٨٠) تفسير الرازي ج١٠ ص١٥٣.

(٢٨١) انظر: البدور الزاهرة ص٣٧٩.

٢ ـ وقرأها الباقون (المناد) بحذف الياء مطلقاً[٢٨٢].

المعنى اللغوي للقراءات:

النداء الصَّوتُ، وقد يُضمُّ ونَادَاه مُناداةً ونداءً صاحَ به. ونَادَاه أيضاً جَالَسه في النَّادي، وتنادَوْا نَادَى بَعضُهم بعضاً. وتَنَادوْا أي تَجَالَسُوا في النادي. والنَّدِيُّ على فَعِيل مَجلِس القَوْم ومُتَحَدَّثُهم وكذا النَّدوة والنَّادي والمُنْتَدَى[٢٨٣].

التفسير:

وفي هذه الآية الكريمة، والآيات التي تليها، يصف الله ﷻ كيفية البدء بهذه العملية التي أنكرها الكفار واستعجبوا منها، وهي عملية البعث وجمع الأجساد الذاهبة والبالية وإعادتها كما كانت، وفي هذا الوصف تجاوز لاعتراض الكافرين.

فلم يقتصر على الإخبار الذي وقع في الآيات السابقة، بل ذهب مذهباً بعيداً حيث انتقل إلى مرحلة بيان وتفصيل وشرح كيفية حدوث ذلك. وهذا الوصف لهذا الموقف المهول يأخذ بلبِّ المنكرين وأبصارهم، ويُسكت منهم اللسان، ويترك أفواههم مفتوحة، ويأخذهم من مرحلة الإنكار إلى مرحلة التفكير في هذا الموقف المهيب والرهيب. وهذا الوصف فيه تأكيد لحدوثه، وإنذار للمنكرين والكافرين، وتسرية للنبي ﷺ ومن معه.

قال مقاتل[٢٨٤]: «واستمع يا محمد ﴿يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ﴾ فهو إسرافيل وهي النفحة الآخرة ﴿مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ يعني من الأرض، وقال: وإسرافيل عليه السلام قائم على صخرة بيت المقدس وهي أقرب الأرض إلى السماء بثمانية عشر

(٢٨٢) انظر: النشر ج٢ ص٢٨٦، البدور الزاهرة ص٣٧٩.

(٢٨٣) انظر: مختار الصحاح ص٣٥٠.

(٢٨٤) هو مقاتل بن سليمان الأزدي، كنيته أبو الحسن مفسر معروف، كانت سنة وفاته نيِّف وخمسين ومائة [انظر: سير أعلام النبلاء ج٧ ص٢٠١ ـ ٢٠٢].

ميلاً، فيسمع الخلائق كلهم، فيجتمعون ببيت المقدس، وهي وسط الأرض، وهو المكان القريب»(٢٨٥).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة بحذف الياء في كلا الكلمتين؛ للدلالة على وقوع هذا النداء، وهو النفخة الثانية التي يحيي الله تعالى بها الخلائق.

أما القراءة بإثبات الياء فيهما، فقد جاءت للدلالة على أن هذا النداء وإن كانت كلماته قليلة، إلا أنه من المحتمل أن يكون فيها طول وقوة وتأثير على الخلائق عظيم، وكيف لا وهو الذي سيحيي الله تعالى به الخلائق. ودل على ذلك زيادة حرف الياء والمد فيها الذي هو للمبالغة.

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين، يتبيّن لنا قوة هذا النداء، ولربما طُوله وعِظَم أمرِه وشدةِ تأثيره على الخلائق في ذلك اليوم المهيب، يوم النشور والبعث والرجوع إلى الله تعالى.

٨ ـ قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًاۚ ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾﴾ [ق: ٤٤].

القراءات:

١ ـ قرأ نافع وابن كثير وابن عامر (تشَّقَّق) بتشديد الشين.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿تَشَقَّقُ﴾ بتخفيفها(٢٨٦).

المعنى اللغوي للقراءتين:

الشَقُّ واحد الشُقوق، وهو في الأصل مصدر. وتقول: بيد فلان

---

(٢٨٥) تفسير مقاتل ج٣ ص٢٧٣، ٢٧٤.

(٢٨٦) انظر: غيث النفع ص٤٩٨، وحجة القراءات ٦٧٩.

وبرجله شُقُوقٌ، ولا تَقُل شُقَاقٌ، وإنما الشُقاقُ داءٌ يكون للدواب وهو تشقق يصيب أرساغَها قال: والشَقُّ: الصبحُ. والشِق بالكسر نصف الشيء؛ يقال أخذت شِقَّ الشاة وشِقَّةَ الشاة. والشِق أيضاً: الناحية من الجبل. والشق أيضاً: الشقيق يقال هو أخي وشِقُّ نفسي. والشِق المشَقَّةُ(٢٨٧). وشَقَّه صَدَعَه(٢٨٨).

التفسير:

وفي هذه الآية استمرار لشرح وبيان عملية البعث، وذلك أن الله ﷻ ينزل مطراً من السماء تنبت به أجساد الخلائق في قبورها، كما ينبت الحبَّ في الثرى بالماء، فإذا تكاملت الأجساد أمر الله تعالى إسرافيل فينفخ في الصور، وقد أودعت الأرواح في ثقب الصور، فإذا نفخ إسرافيل فيه خرجت الأرواح تتوهج بين السماء والأرض، ثم ترجع كل روح إلى الجسد الذي كانت تعمره، فترجع كل روح إلى جسدها، فتدبّ فيه كما يدبُّ السّمُّ في اللديغ، وتنشق الأرض عنهم، فيقومون إلى موقف الحساب سراعاً مبادرين إلى أمر الله ﷻ(٢٨٩).

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت القراءة بدون تشديد، على معنى أن الأرض ستنشق عن الموتى يوم القيامة؛ ليخرجوا لفصل القضاء.

أما القراءة بالتشديد، فقد أفادت المبالغة في التشقق، فالأرض كلها ستتشقق، وليست أي شقوق، إنها شقوق كبيرة وكثيرة تسمح لمن بداخلها بالخروج بسهولة وبسرعة كبيرة؛ لذلك عبَّر القرآن بقوله: ﴿سِرَاعًاۚ﴾ أي مسرعين، والسرعة في الخروج تفيد بأن الأرض ستنشق عن كل واحد، ويصبح لكل واحد شَقّه الخاص به الذي سيخرج منه، وهذا يؤدي إلى

---

(٢٨٧) انظر: الصحاح في اللغة ص٥٦٣.

(٢٨٨) انظر: القاموس المحيط للفيروز آبادي ص٨٠٨ /دار الفكر ١٩٩٥م.

(٢٨٩) انظر: تفسير القرآن العظيم ج٤ ص٢٤٧.

سهولة في الخروج، وسرعة حدوثه فلا تزاحم، وكذلك أفاد بكثرة الشقوق التي ستحدث، وكِبَر حجمها بحيث تتسع لخروج الإنسان. لهذا كان التعبير بالتشديد والمبالغة دالاً على كل هذه المعاني. قال ابن عاشور: «(تشقق) بفتح التاء وتشديد الشين أصلها (تتشقق) بتاءين فأدغمت التاء الثانية في الشين بعد قلبها شيناً لتقارب مخرجها، والقراءة بالتخفيف (تشقق) على حذف تاء التفعيل لاستثقال الجمع بين التاءين»(٢٩٠).

وعلى هذا تكون أصل قراءة (تشقق) بالتشديد، هي (تتشقق) وفيها تاء ثانية. والزيادة في المبنى زيادة في المعنى على النحو الذي ذكرنا.

الجمع بين القراءتين:

كلا القراءتين دلَّتا على حدوث تشقق الأرض لإخراج الناس للبعث والحشر.

ولكن القراءة بالتشديد أفادت معنى زائداً، وهو المبالغة في التشقق، وكثرة الشقوق، وكِبر حجمها وذلك لتسريع عملية الخروج، والله تعالى أعلم.

٩ ـ قال تعالى: ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾﴾ [ق: ٤٥].

القراءات:

١ ـ قرأ ورش (وعيدي) بإثبات الياء في حال الوصل فقط وحذفها وقفاً.

٢ ـ وقرأ يعقوب (وعيدي) بإثباتها في الحالين.

٣ ـ وقرأ الباقون ﴿وَعِيدِ﴾ بحذفها في الحالين وصلاً ووقفاً(٢٩١).

---

(٢٩٠) انظر: التحرير والتنوير م١٢ ج٢٦ ص٣٣٢ ـ ٣٣٣.

(٢٩١) انظر: البدور الزاهرة ص٣٧٨.

المعنى اللغوي للقراءات:

وعَدَه الأمْرَ وبه يَعِدُ عِدَةً ووَعْداً ومَوْعِداً ومَوْعِدَةً ومَوْعُوْداً ومَوْعودَةً وخيراً وشراً[٢٩٢].

التفسير:

جاءت هذا الآية تسلية للرسول ﷺ وتهديداً لهم، وما أنت أيها النبي عليه الصلاة والسلام بمسيطر عليهم، تقهرهم على الإيمان أو تملك لهم شيئاً، إنما أنت منذر؛ وقيل: أُريد التحلم عنهم، وترك الغلظة عليهم؛ فذكِّر بهذا الحق الذي جاءك والذكر العزيز؛ وأنذر الذين يخافون أن يُحشروا إلى ربهم؛ أما القاسية قلوبهم والذين لا يرجون لقاء الله، ولا يستيقنون بالآخرة فلا تغني عنهم النذر، ولا تنفعهم الآيات[٢٩٣].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة مع حذف الياء (وعيد) بمعنى: فذكِّر يا محمد عليه الصلاة والسلام بهذا القرآن الذي أنزلته من يخاف الوعيد الذي أوعدته من عصاني وخالف أمري[٢٩٤].

أما القراءة بإثبات الياء، فقد أظهرت شدَّة وقوة هذا العذاب، وهذا الوعيد، الذي سينزل بهم، ودل على ذلك زيادة حرف الياء التي دلت على المبالغة في العذاب والعقاب. وإن إضافة الفعل إلى الله تعالى بقوله: (وعيدي) فيه ما فيه من التهديد والقوة، والمبالغة في العذاب. فأي وعيد كوعيد الله تعالى؟. وأي عقاب كعقاب الله تعالى؟ فإن الآية تشير بإشراف الله تعالى المباشر على هذا التعذيب لهم.

---

(٢٩٢) مضى بيانها للمزيد انظر: تفسير الآية: ١٤ من سورة ق صفحة ٨٧.

(٢٩٣) انظر: فتح الرحمن ج٦ ص٣٤٠٨.

(٢٩٤) انظر: جامع البيان ج٩ ص٧٥٩٧.

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين، يكشف لنا الله تعالى عن مدى عظم هذا الوعيد وشدَّته، وقوَّة عذابه الذي توعد به العاصين، الذين لا يلتزمون أمره، فهذا الوعيد الشديد كفيل بأن يردع مثل هؤلاء الذين كان تذكيرهم به، وتحذيرهم منه، له ثمرته وأهميته على نفوسهم وقلوبهم.

تمت سورة (ق) بحمد الله تعالى وتوفيقه.



المبحث الرابع
عرض وتفسير لآيات سورة الذاريات
المتضمنة للقراءات القرآنية العشر

بين يدي السورة:

هي سورة مكية، وهي ستون آية، تقوم هذه السورة على تشديد دعائم الإيمان، وتستهدف تخليص هذا القلب من عوالق الأرض، ومعوقات الإيمان، وتجريده لعبادة الله تعالى وحده، وذلك بلفت النظر إلى قدرة الله تعالى العظيمة[٢٩٥].

مناسبتها لما قبلها:

لما ختمت سورة «ق» بذكر البعث، واشتملت على ذكر الجزاء والجنة والنار، افتتحت هذه السورة بالإقسام على أن ما وُعدوا به لصادق، وأن الجزاء لحق واقع. كذلك لمَّا ذُكِر في «ق» إهلاك الكثير من القرون على وجه الإجمال، ذُكِر هنا في «الذاريات» إهلاك بعضهم على سبيل التفصيل[٢٩٦].

(٢٩٥) انظر تفسير القرطبي ج٩ ص١٧١، والظلال ج٦ ص٣٣٧٣.
(٢٩٦) انظر: روح المعاني ج١٤ ص٣.

الموضوع العام للسورة:

إن المحور العام الذي تدور حوله هذه السورة المباركة، هو تثبيت الإيمان في القلوب، وترسيخ العقيدة في النفوس، وذلك من خلال توجيه الأبصار إلى قدرة الله تعالى وقوته في الخلق؛ لذلك فقد بدأت بذكر قوى أربع من أمر الله تعالى وقوته، وهي الرياح التي تذروا الغبار، وتسيِّر المراكب في البحار، والسحاب الذي يحمل الأمطار، والسفن التي تجري على سطح الماء بقدرته تعالى، والملائكة الأطهار المكلفين بتدبير شؤون الخلق، وأقسم الله تعالى بها على أن الحشر كائن لا محالة، وأنه لا بد من البعث والجزاء.

واستعرضت السورة موقفين اثنين: موقف كفار مكة المعاندين المنكرين المكذبين، وبيَّنت ما سينالهم من عذاب وسوء خاتمة، وموقف المؤمنين المصدقين، وما أعده الله تعالى لهم من نعيم وكرامة.

وذكرت السورة قصص الرسل الكرام، وموقف أممهم الطاغية منهم، من تكذيب وإيذاء، وبيَّنت ما حلَّ بهم من عذابٍ ودمارٍ بسبب هذه الأفعال، تحذيراً لكفار قريش، وتهديداً لهم؛ ليرتدعوا وينزجروا(٢٩٧).

١ ـ **قال تعالى:** ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا ١﴾ [الذاريات: ١].

القراءات:

١ ـ قرأ حمزة وأبو عمرو (والذاريات ذروا) بإدغام التاء في الذال.

٢ ـ وقرأ الباقون بإظهارها(٢٩٨).

المعنى اللغوي للقراءتين:

الذرا بالفتح هو اسم لكل ما يُسْتَتَرُ به، والذرا اسم لما ذَرَتْهُ الريح.

---

(٢٩٧) انظر: صفوة التفاسير ج٣ ص٢٣٢.

(٢٩٨) انظر: التذكرة في القراءات ج٢ ص٦٩٣.

وذرا الشيء، أي سقط، وذروتُه أنا أي طيَّرته وأذهبته، والذارياتُ: الرياح. وذرت الريح التراب وغَيْرَه تذْرُه وتذْريه ذَرواً وذَرياً أي سفته، ومنه قولهم: ذرى الناس الحنطة وأذريت الشيء إذا ألقيته كالقائل الحب للزرع(٢٩٩).

التفسير:

قال سيد قطب رحمه الله تعالى: «هذه السورة ذات جو خاص، فهي تبدأ بذكر قوى أربع من أمر الله تعالى في لفظ مبهم الدلالة، يوقع في الحس لأول مرة ووهلة، أنه أمام أمور ذات سر، ويقسم الله تعالى بهذه الخلائق الأربع: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ۝٥ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ ۝٦﴾»(٣٠٠). وقوله تعالى: ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا ۝١﴾ يعني الرياح التي تذرو التراب ذرواً، يقال: ذرت الريحُ الترابَ وأذْرَت(٣٠١). وقال عبد الله علوان: «أقسم الله تعالى بالرياح تذروا التراب وتنشره، وتبدده»(٣٠٢).

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

سبب الإدغام فيهما هو تقارب الحرفين، فقد عرَّف الدكتور عبد الرحمن الجمل التقارب بأنهما الحرفان اللذان تقاربا مخرجاً وصفةً، أو مخرجاً لا صفة، أو صفةً لا مخرجاً(٣٠٣). والتقارب واضح وبائن بينهما، فهما يشتركان في كثير من الصفات. هذا من جانب، ومن الجانب الآخر، فإن كانت القراءة بدون إدغام قد جاءت للدلالة على الريح التي تذروا التراب وغيره، فإن القراءة بالإدغام وبالمد في الألف الذي تولد عن الإدغام دلَّت على عظمة هذه الريح، وقوة فعلها، وبيان عظمة ما يُقْسِم الله تعالى به.

(٢٩٩) انظر: الصحاح في اللغة ص٣٤٥.
(٣٠٠) الظلال ج٦ ص٣٣٧٣، ٣٣٧٥ (بتصرف).
(٣٠١) انظر: تفسير البغوي ج٥ ص١٣٨.
(٣٠٢) مصحف الصحابة في شرح كلمات القرآن الكريم ص٥٢٠.
(٣٠٣) انظر المغني في علم التجويد ص٢٠٨.

الجمع بين القراءتين:

أفاد الجمع بين القراءتين بيان عظم وأهمية ما يقسم الله تعالى به، وإظهار عظم شأن هذه الريح وأهميتها، ومدى فاعليتها في هذا الكون المنظم والمنسق غاية التنظيم والتنسيق، والله تعالى أعلم.

٢ ـ **قال تعالى:** ﴿فَٱلْجَٰرِيَٰتِ يُسْرًا ﴿٣﴾﴾ [الذاريات: ٣].

القراءات:

١ ـ قرأ أبو جعفر (فالجاريات يُسُرا) بضم السين.

٢ ـ وقرأها الباقون ﴿يُسْرًا﴾ بسكون السين[٣٠٤].

المعنى اللغوي للقراءتين:

اليَسْرُ: اللِّيْنُ والانقيادُ يكون ذلك للإنسان والفرس، وقد يَسَرَ يَيْسِرُ. وياسَرَه: لايَنَهُ. وقال: اليُسْرَ ضد العسر[٣٠٥].

التفسير:

في هذه الآية يقسم الله ﷻ بالسفن التي تجري على وجه الماء جرياً سهلاً بيسر، وهي تحمل ذرية بني آدم، وهذا الإقسام فيه دليل على عظم آيات الله تعالى وجليل نعمه علينا، وفيه لفت لانتباه الناس إلى مثل هذه النعم التي يهبها الله تعالى لنا ليل نهار، بتقدير وترتيب رباني صرف، لا دخل للإنسان فيه، والجاريات هي السفن التي تجري في البحر جرياً سهلاً، أو هي الرياح الجارية في مهابها، أو هي الكواكب التي تجري في منازلها[٣٠٦].

---

(٣٠٤) انظر: البدور الزاهرة ص٣٨٠، الشامل في القراءات المتواترة ص٢٥٨.

(٣٠٥) انظر: لسان العرب ج٥ ص٢٩٥.

(٣٠٦) انظر: صفوة التفاسير ج٣ ص٢٣٣، وتفسير البيضاوي ج٥ ص٢٣٤ (بتصرف).

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت القراءة بإسكان السين، أن هذه السفن في البحر، أو الرياح في مهابها، أو الكواكب في منازلها، جميعها تجري بيسر وسهولة.

بينما أفادت القراءة بضم السين، المبالغة في سهولة الجري، وهذا واضح، فالسفن الضخمة المحمَّلة بملايين الأطنان والأثقال رغم ثِقَلِها، وضخامة حجمها إلا أنها مع ذلك تجري بيسر شديد، مقارنة بحجمها ووزنها، وكذلك الرياح والكواكب الضخمة. ودل على ذلك قوة حركة الضم التي تأتي للدلالة على قوة حصول الشيء والمبالغة فيه، وهي هنا تدل على المبالغة في سهولة الجري.

الجمع بين القراءتين:

كلا القراءتين دلَّتا على يسر وسهولة الجري، إلا أن القراءة بالضم أفادت المبالغة في سهولة الجري ويسره وكثرته، ودلَّ على ذلك حركة الضم التي هي للقوة في الفعل والمبالغة فيه؛ لأنها من أقوى حركات اللغة العربية قاطبةً.

٣ ـ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝١٥﴾ [الذاريات: ١٥].

القراءات:

١ ـ قرأ ابن كثير المكي وابن ذكوان[٣٠٧] وشعبة[٣٠٨] والأخوان[٣٠٩] (وعِيون) بكسر العين.

٢ ـ وقرأها الباقون ﴿وَعُيُونٍ﴾ بالضم[٣١٠].

(٣٠٧) هو أبو عمرو بن ذكوان الدمشقي.

(٣٠٨) رواية عن عاصم، أي أنه روى هذه القراءة عن عاصم.

(٣٠٩) الأخوان هما حمزة والكسائي.

(٣١٠) انظر: غيث النفع ص٤٩٩، وإتحاف فضلاء البشر ج٢ ص٤٩١.

المعنى اللغوي للقراءتين:

العَيْنُ: حاسَّة الرؤية، وهي مؤنَّثة، والجمع أعْيُنٌ وعُيونٌ وأَعْيَانٌ. وتصغيرها عُيَيْنَة. قال: وعين الشيء خياره[٣١١]. وقال ابن منظور: «والعَيْنُ عين الماء، والعين التي يخرج منها الماء، والعين يَنْبُوع الماء الذي يَنْبُع من الأرض ويجري»[٣١٢].

التفسير:

وفي هذه الآية يقول الله تعالى مخبراً عن حال المتقين لجلاله ﷻ، إنهم يوم مَعادهم يكونون في جناتٍ وعيون، منعَّمين وفرحين، يأكلون ويشربون، بخلاف ما فيه أولئك الأشقياء من العذاب والنكال والحريق والأغلال، فهم في ضنك وعذاب شديدين مستمرين بلا انقطاع[٣١٣].

قال سيد قطب: «فهذا الطريق طريق المتقين الأيقاظ الشديدي الحساسية برقابة الله تعالى لهم ورقابتهم هم لأنفسهم هؤلاء ﴿فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾»[٣١٤]. قوله تعالى: ﴿وَعُيُونٍ﴾ معناه في خلالها أي بين الأنهار في الجنة[٣١٥].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت القراءة بالكسر، على معنى أنهم في الجنة يسرحون بين أنهارها، ويأكلون من ثمارها، فرحين بنعم الله تعالى التي أنعمها عليهم جزاء عملهم الصالح في الدنيا.

أما القراءة بالضم، فقد دلَّت على عظمة هذه العيون، وكثرتها، وقوة

(٣١١) انظر: الصحاح في اللغة ص٨٠١.
(٣١٢) لسان العرب ج١٣ ص٣٠٣.
(٣١٣) انظر: تفسير القرآن العظيم ج٤ ص٢٤٩.
(٣١٤) الظلال ج٦ ص٣٣٧٦.
(٣١٥) تفسير الرازي ج١٠ ص١٦٥.

مائها، فهي لا تنضب أبداً، ودلَّ على ذلك قوة حركة الضم، قال طنطاوي: «أي في جنات عظيمة ونعيم دائم لا ينقطع»[٣١٦].

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بينهما، يخبرنا الله تعالى عن ماهية هذه العيون والأنهار، التي أعدها لعباده المتقين، فهي عيون عظيمة كثيرة، لا ينضب ماؤها ولا يَتخيلُ جمالَها وروعَتها، وحسن مائها المتخيلون، ولا يصفها الواصفون.

٤ ـ قال تعالى: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الذاريات: ٢٣].

القراءات:

١ ـ قرأ حمزة والكسائي وخلف وأبو بكر (مثلُ) بالرفع.

٢ ـ وقرأها الباقون ﴿مِّثْلَ﴾ بالنصب[٣١٧].

المعنى اللغوي للقراءتين:

مِثْل كلمة تَسْوية، يقال: هذا مِثْلهُ ومَثَلُه، كما يقال شِبْهُه وشَبَهُه، والمَثَل ما يُضرب به من الأمثال، ومَثَلُ الشيء أيضاً بفتحتين صِفَتُه، والمثال الفراش[٣١٨].

التفسير:

إن الله تعالى يقسم في هذه الآية على حقيقة كل ما ذكره من أمور البعث، ويوم القيامة، وما فيها من جنة ونار، وعذاب وثواب، وعلى الرزق أيضاً.

---

(٣١٦) انظر: التفسير الوسيط ج١٤ ص٤٧.

(٣١٧) انظر: النشر ج٢ ص٢٨٦، ٢٨٧.

(٣١٨) انظر: مختار الصحاح ص٣٣١.

يقول ابن كثير: «يقسم الله تعالى بنفسه الكريمة أن ما وعدهم به من أمر القيامة والبعث والجزاء كان لا محالة وهو حق لا مرية فيه، فلا تشكُّوا فيه، كما لا تشكُّوا في نطقكم حين تنطقون»(٣١٩). وأورد ابن الجوزي أن المعنى ما ذكره من أمر الآيات والرزق، وما وعدتم به من أمر النبي ﷺ(٣٢٠).

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت القراءة بالضم، على أنها صفة «لحق» بمعنى مثل نطقكم.

بينما أفادت القراءة بالفتح، على أنه منصوب على التوكيد، بمعنى إنه لحق حقاً مثل نطقكم. وعليه فالقراءة بالنصب، دلَّت على تأكيد حدوث ذلك وحتميته.

قال السمرقندي: «فمن قرأ بالضم فهو نعت للحق وصفة له، ومن قرأ بالنصب فهو على التوكيد على معنى أنه لحق حقاً مثلَ نطقكم»(٣٢١).

وقال النسفي: «بالرفع صفة للحق أي حق مثل نطقكم، وبالنصب أي إنه لحق حقاً مثل نطقكم»(٣٢٢). وإلى نحو ذلك ذهب عدد من المفسرين، منهم: الفخر الرازي(٣٢٣).

وقال ابن زنجلة: «فمن رفع مثل فهي من صفة الحق المعنى أنه مثلُ نطقكم، قال: ويجوز أن يكون منصوباً على التوكيد على معنى إنه لحقٌ حقاً مثل نطقكم»(٣٢٤).

---

(٣١٩) تفسير القرآن العظيم ج٤ ص٢٥١.

(٣٢٠) زاد المسير ص١٣٤٩.

(٣٢١) بحر العلوم ج٣ ص٢٧٨.

(٣٢٢) تفسير النسفي م٢ ج٤ ص١٨٥.

(٣٢٣) انظر: تفسير الرازي ج١٠ ص١٧٣.

(٣٢٤) حجة القراءات ص٦٧٩ (بتصرف).

وقال بذلك: أبو العلاء الكرماني وأبو منصور الأزهري(٣٢٥).

الجمع بين القراءتين:

وللجمع بين القراءتين نقول: كلا القراءتين أفادتا حقيقة وقوع البعث والنشر، وما يليه من ثواب وعقاب، وجنة ونار، إلا أن القراءة بالفتح جاءت على صيغة التأكيد؛ لبيان حتمية وقطعية وقوعه، فهو سيقع حتماً.

٥ ـ **قال تعالى:** ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [الذاريات: ٢٤].

القراءات:

١ ـ قرأ هشام (إبراهَام) بفتح الهاء وألف بعدها.

٢ ـ وقرأها الباقون ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾ بكسر الهاء وبعدها ياء(٣٢٦).

المعنى اللغوي للقراءتين:

إبراهيم هو ابن آزر المذكور في القرآن، ويرجع نسبه إلى سام بن نوح عليه السلام، ولد في بابل، أزال الله به الشرور وأبطل به الضلال، آتاه رشده وهو في صغره، وابتعثه رسولاً واتخذه خليلاً في كبره(٣٢٧). ويقال بأنه عاش مائة وخمسة وسبعين عاماً، وهو إسم أعجمي سرياني معناه أب رحيم، ويقال: أنه بمعنى شدة النظر مشتق من البرهمة وهي شدة النظر(٣٢٨).

---

(٣٢٥) انظر: مفاتيح الأغاني ص٣٨٢، ومعاني القراءات ج٣ ص٣٠.

(٣٢٦) انظر: غيث النفع ص٤٩٩، والبدور الزاهرة ص٣٨٠.

(٣٢٧) انظر: قصص الأنبياء ص١٠٢.

(٣٢٨) انظر: الإتقان ج٢ ص١٠٦٣، ١٠٦٤، ومعترك الأقران في إعجاز القرآن ج٢ ص٤ / دار الكتب العلمية ـ ط الأولى ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م، ومعجم مقاييس اللغة ص١٦٦.

التفسير:

هذه الآية تأتي بعد عرض سريع لمشهد المنكرين المستعجلين للعذاب على سبيل التهكم، وبعد تأكيد الله ﷻ على صدق وقوع ما وعد به، فتأتي هذه الآية تروي عن الرسول ﷺ برواية قصص من كان قبله من الأنبياء والمرسلين، وكيف أن الله تعالى كان معهم وناصرهم، كذلك جاءت بالتهديد والوعيد للمنكرين، وكأنها تقول لهم: لئن لم تنتهوا سيحل بكم مثل ما حل بمن سبقكم من المنكرين الكافرين.

يقول سيد قطب: «ويبدأ الحديث عن إبراهيم بالسؤال تنويهاً بهذا الحديث وتهيأ للأذهان مع وصف ضيف إبراهيم بالمكرمين، إما لأنهم كذلك عند الله تعالى، وإما إشارة إلى إكرام إبراهيم لهم كما ورد في القصة»(٣٢٩). وقال الطبري: «يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ، يخبره أنه محلٌ بمن تمادى في غيّه، وأصرَّ على كفره، ما أحل بمن قبلهم من الأمم الخالية، ومذكراً قومه من قريش بإخباره إياهم أخبارهم وقصصهم وما فعل بهم»(٣٣٠).

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت القراءة بالياء وبدون ألف ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾، على معنى ذكره بإسمه الذي يدل عليه وهو إبراهيم والذي هو مشتق من الرحمة في السريانية. ثبوت الصفة به، وملازمتها له، وهي صفة الرحمة والحلم.

أما القراءة بدون ياء وبإثبات الألف (إبراهام)، فقد جاءت على وجه المبالغة؛ للدلالة على غلبة هذه الصفة عليه، ولفت الأنظار إلى سعة حجمها في قلبه، وشدة بيان أثرها على سلوكه، فهي صفة متأصلة فيه(٣٣١). ودلَّ

(٣٢٩) الظلال ج٦ ص٣٣٨٢.

(٣٣٠) جامع البيان ج٩ ص٧٦٢٥.

(٣٣١) انظر: معاني القراءات ص٦٣، ومعاني الأبنية في العربية ص٩٤، وبنية الفعل في شافية ابن الحاجب ص٢٠٩.

على ذلك أيضاً المد الذي هو للزيادة والمبالغة وقد أشار القرآن الكريم إلى مثل هذه الصفة فقال: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾﴾ [هود: ٧٥]. والحلم هي صفة تدل على عدم التعجل على من يسيء، وهذه غاية في الرحمة واللطف[٣٣٢].

وقد ذكرت الباحثة أحلام أبو شعبان في معرض تفسيرها لهذه القراءة في سورة التوبة أن قراءة (إبراهيم) بالياء وبدون ألف، أفادت ثبوت الصفة له، وملازمتها له، وأنها متأصلة فيه عليه السلام؛ وذلك لأن صيغة فعيل تدل على ثبوت الصفة.

وقالت عن القراءة بثبوت الألف (إبراهام) فقراءة الألف هنا تفيد زيادة في الوصف والمبالغة فيه[٣٣٣].

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين، يظهر مدى حجم الرحمة التي يتمتع بها إبراهيم عليه السلام وكثرته، فهو مع قوة عزيمته وشدة صبره، إلا أنه غاية في الحلم والرحمة، فمن شدة رحمته حلم على الناس، وصبر عليهم، فهو لا يتعجل في طلب تعذيبهم، ومحاسبة المسيء منهم.

٦ ـ **قال تعالى**: ﴿إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [الذاريات: ٢٥].

القراءات:

١ ـ قرأ الأخوان[٣٣٤] (قال سِلم) بكسر السين وإسكان اللام.

---

(٣٣٢) انظر: روائع البيان ص٢٣٠.

(٣٣٣) انظر: رسالة ماجستير في تفسير القرآن بالقراءات العشر ص٢٦٠ ـ إشراف د. زهدي أبو نعمة.

(٣٣٤) والأخوان هما: حمزة والكسائي.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿سَلَٰمٌ﴾ بفتح السين واللام وألف بعدها[٣٣٥].

المعنى اللغوي للقراءتين:

السَّلْمُ: هو نوع من الدلاو له عروةٌ واحدة، ويقال لمن لدغته الحَيَّة: سَلِيْم ومسْلوم. ورجل سليم: سالِمٌ سَلِمَ سلامةً. وقولهم: السلام عليكم: أي السلامة من الله عليكم، والسلام السداد[٣٣٦].

التفسير:

وفي هذه الآية يصور الله ﷻ هذا المشهد المهيب عند دخول هؤلاء الملائكة، الذين جاءوا على هيئة شُبَّان حِسان، عليهم مهابة عظيمة. وكيف كان استقبال إبراهيم عليه السلام لهم.

يقول ابن كثير: «وذلك أن الملائكة وهم: جبريل وإسرافيل وميكائيل قدموا عليه في صورة شبان حسان، عليهم مهابة عظيمة، ولهذا قال عز من قائل: ﴿قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾»[٣٣٧].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

ذهب بعض علماء التفسير والقراءات إلى أنهما بمعنى واحد، فقال البيضاوي: «وقرأ حمزة والكسائي (قال سلم) وقرئ منصوباً والمعنى واحد»[٣٣٨]. وكذلك اعتبر أبو السعود أن القراءة بالرفع والنصب كلاهما بمعنى واحد[٣٣٩]. وقال الدكتور محمد محيسن: «وهما لغتان مثل حرم وحرام»[٣٤٠].

(٣٣٥) انظر: البدور الزاهرة ص٣٨٠.
(٣٣٦) انظر: القاموس المحيط ص١٠١١ ـ ١٠١٢.
(٣٣٧) تفسير القرآن العظيم ج٤ ص٢٥٢.
(٣٣٨) تفسير البيضاوي ج٥ ص٢٣٨.
(٣٣٩) انظر: تفسير أبو السعود ج٦ ص١٣٧.
(٣٤٠) المستنير ج٣ ص١٢٥.

وذهب غيرهم إلى وجود فرق بين القراءتين، فذكر الطبري أن القراءة (سلام) بالألف بمعنى قال إبراهيم لهم: سلام عليكم، وقال: (سِلمٌ) بغير ألف بمعنى قال أنتم سلم(٣٤١).

وقال ابن زنجلة: «بغير ألف، أي أمري سليم، أي لا بأس علينا»(٣٤٢).

يقول الباحث: وعلى هذا تكون قد أفادت القراءة بالألف (سلام)، على أنها تظهر ترحيب إبراهيم بهم، وردّه على سلامهم وقبولهم ضيوفاً عليه.

أما القراءة بدون ألف، فدلّت على أن إبراهيم عليه السلام لم يستقبلهم ويرد عليهم السلام فحسب، بل أمّنهم وأنزلهم في حمايته، وطمأنهم ظناً منه باحتمال حدوث مكروه لهم من قومه؛ لذلك فإنه لما علم قومه بقدومهم، وجاءوا ليأخذوهم، قال إبراهيم عليه السلام: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيَ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ [هود: ٨٠]، وظل رافضاً لتسليمهم إلى قومه.

الجمع بين القراءتين:

كلا القراءتين دلّتا على استقبال إبراهيم لهم، ورده على سلامهم بالمثل، أو بما هو أفضل، إلا أن القراءة بدون ألف دلّت على أن إبراهيم عليه السلام أدخلهم في كنفه، وطمأنهم على أنفسهم بأنه لن يمسهم مكروه، ولا هو.

٧ ـ **قال تعالى:** ﴿فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّٰعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الذاريات: ٤٤].

---

(٣٤١) انظر: جامع البيان ج٩ ص٧٦٢٥، ٧٦٢٦.

(٣٤٢) حجة القراءات ص٦٧٩، ٦٨٠.

القراءات:

١ ـ قرأ الكسائي (الصعْقة) بإسكان العين من غير ألف قبلها.

٢ ـ وقرأها الباقون ﴿ٱلصَّـٰعِقَةُ﴾ بكسر العين وألف قبلها[٣٤٣].

المعنى اللغوي للقراءتين:

(الصاعقة): صعق الإنسان صَعْقا وصَعَقَاً فهو صَعِقٌ: غُشِيَ عليه وذهب عقله من صوت يسمعه كالهَدَّة الشديدة. وصَعِق صَعَقاً وصَعْقاً وصَعْقَةَ وتَصْعاقاً، فهو صَعِقٌ: مات[٣٤٤].

التفسير:

هذه الآية الكريمة تظهر صورة من العذاب الشديد الذي أصاب المعاندين من قوم ثمود الذين عصوا أمر الله تبارك وتعالى، وخالفوا أوامره، وقتلوا الناقة، برغم ما لاقوه من التحذير والوعيد، فنزل بهم ما نزل من العذاب والنكال والموت ليستأصل كفرهم ويذيقهم ألوان ما صنعوا من باطل، فصعقهم صعقاً فماتوا.

وهم لمَّا رأَوا العلامات التي بيَّنها لهم صالح عليه الصلاة والسلام من إصفرار وجوههم واحمرارها واسودادها، عمدوا إلى قتله، فنجاه الله تعالى إلى فلسطين، وفي اليوم الرابع في ضحوته أتتهم الصيحة فهلكوا[٣٤٥].

يقول الصابوني: «أي فاستكبروا عن امتثال أمر الله، وعصوا رسولهم، فعقروا الناقة، فأخذتهم الصيحة المهلكة، صيحة العذاب، وهم يشاهدونها ويعاينونها؛ لأنها جاءتهم في وضح النهار»[٣٤٦].

---

(٣٤٣) انظر: النشر ج٢ ص٢٨٧، والبدور الزاهرة ص٣٨١.

(٣٤٤) انظر: لسان العرب ج١٠ ص١٩٨.

(٣٤٥) انظر: تفسير أبو السعود ج٦ ص١٣٩.

(٣٤٦) انظر: صفوة التفاسير ج٣ ص٢٣٩.

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت القراءة بالألف ﴿ٱلصَّٰعِقَةُ﴾ على معنى العذاب المهلك الذي حلَّ بقوم ثمود وقتلهم جميعاً.

أما القراءة بدون ألف (الصعقة)، للدلالة على المرة الواحدة، بمعنى أنها حدثت لهم مرة واحدة، لا مرات متتالية، وهذه المرة كانت كفيلة بإهلاكهم جميعاً.

قال البيضاوي: «وقرأ الكسائي (الصعقة) وهي المرة من الصعق»(٣٤٧).

وذهب إلى ذلك مجموعة من المفسرين منهم: النسفي(٣٤٨)، وأبو السعود(٣٤٩).

وقال ابن زنجلة: «بغير ألف وهي مصدر صعق يَصْعَقَ صعْقاً وصعْقةً واحدة، وحجته أن الصعقة هي المرة الواحد»(٣٥٠). وقال بذلك أبو منصور(٣٥١) وابن خالويه(٣٥٢).

وذهب آخرون إلى الصاعقة بدون ألف هي الصيحة، وهي الصوت الذي يكون من الصعق.

فقال الدكتور محمد محيسن: «بحذف الألف وسكون العين على إرادة الصوت الذي يصحب الصاعقة، و(الصاعقة) بالألف بعد الصاد وكسر العين، على إرادة النار النازلة من السماء للعقوبة»(٣٥٣). وهذا هو رأي الشيخ أحمد البنا(٣٥٤).

---

(٣٤٧) انظر: تفسير البيضاوي ج٥ ص٢٤٠.
(٣٤٨) انظر: تفسير النسفي م٢ ج٤ ص١٨٧.
(٣٤٩) انظر: تفسير أبو السعود ج٦ ص١٣٩.
(٣٥٠) حجة القراءات ص٦٨٠.
(٣٥١) انظر: معاني القراءات لأبي منصور ج٣ ص٣١.
(٣٥٢) انظر: الحجة في القراءات السبع ص٣٢.
(٣٥٣) المستنير ج٣ ص١٢٦.
(٣٥٤) انظر: إتحاف فضلاء البشر ج٢ ص٤٩٣.

ويرى الباحث: أن الصوت والصيحة، إنما هما واقعاً في كلا الحالتين، وثابتاً في كلا القراءتين، ويدل على ذلك ما ذهب إليه ابن عطية حيث قال: «وهي على القراءتين الصيحة العظيمة، ومنه يقال للوقعة الشديدة من الرعد صاعقة، وهي التي تكون معها النار»[٣٥٥]. وقال أبو منصور: «ومن قرأ (الصاعقة) عنيَ بها الصيحة التي أهلكتهم»[٣٥٦].

وهذا يدل على أن الصاعقة تصاحبها الصيحة في كلا القراءتين.

ولا إشكال في ذلك، ويكون المعنى على القراءة بالألف أن هذه الصاعقة هي عذاب، ونار نازلة من السماء، ويصاحبها وهي نازلة صيحةٌ وصوتٌ مرتفعٌ وعظيمٌ.

وعلى القراءة بدون ألف، يظهر أن هذا العذاب، وهذه النار المهلكة المصحوبة بالصيحة، وهو الصوت العظيم المرتفع، إنما حدثت مرة واحدة، والله أعلم.

الجمع بين القراءتين:

كلا القراءتين دلَّتا على نزول عذاب الله تعالى عليهم، وهو الصاعقة المصاحبة للصيحة العظيمة، وهذه الصاعقة إنما حدثت لهم مرة واحدة، فكانت صعقة واحدة مع صيحة واحدة، فأهلكتهم جميعاً.

٨ ـ قال تعالى: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الذاريات: ٤٦].

القراءات:

١ ـ قرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي وخلف (وقومِ نوح) بخفض الميم.

(٣٥٥) المحرر الوجيز ج٥ ص١٨٠.

(٣٥٦) معاني القراءات ج٣ ص٣١.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿وَقَوْمَ﴾ بنصبها[٣٥٧].

المعنى اللغوي للقراءتين:

القَوْمُ: الجماعةُ من الرِّجالِ والنِّساءِ أو الرجالِ خاصة، أو تدخله النساء على التَّبَعِيَّة. والقوم جمع أقوام، وجمع الجمع أقاوم[٣٥٨].

التفسير:

المعنى أي أهلكنا قوم نوح بالطوفان من قبل إهلاك هؤلاء المذكورين، وهم قوم ثمود وعاد وغيرهم ممن استحقوا عقاب الله تعالى. وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِقِينَ﴾ تعليلٌ للهلاك، أي لأنهم كانوا فسقة خارجين عن طاعة الرحمن بارتكابهم الكفر والعصيان، أصابهم هذا الإهلاك الشديد، والموت المحقق[٣٥٩].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت القراءة بالكسر، معنى أن في قوم نوح آية وعبرة، وذلك أنهم قد حدث لهم المكروه، ونزل بهم العذاب بسبب كفرهم، وذلك على اعتبار أنها معطوفة على (ثمود).

أما القراءة بالفتح فقد أفادت بيان حقيقة ما حصل لهم، ووصفت نوع العذاب الذي حلّ بهم، وهو الغرق والإهلاك الشامل، مثل ما حدث لقوم موسى.

قال أبو حيان: «﴿وَقَوْمَ نُوحٍ﴾ أي وأهلكنا قوم نوح؛ لأن ما قبله يدل عليه. وقال: والجر عطفاً على ثمود أي وفي قوم نوح آية»[٣٦٠]. قال ابن

---

(٣٥٧) انظر: النشر ج٢ ص٢٨٧.

(٣٥٨) انظر: الصحاح في اللغة ص٩٦٥، والقاموس المحيط ص١٠٣٩.

(٣٥٩) انظر: صفوة التفاسير ج٣ ص٢٣٩ (بتصرف).

(٣٦٠) انظر: تفسير البحر المحيط ج٨ ص١٣٩ (بتصرف).

عاشور: «بالنصب بتقدير أذكر أو بفعل محذوف، يدل عليه ما ذكر من القصص قبله، تقديره، وأهلكنا قوم نوح»[361].

وقال أبو منصور: «من نصب فهو معطوف على معنى قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ﴾، ومعناه فأهلكناهم وأهلكنا قوم نوح من قبل.

ويجوز أن يكون محمولاً على قوله تعالى: ﴿فَأَخَذْنَـٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَـٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ﴾ [الذاريات: ٤٠] أي فأغرقناه وجنوده، وأغرقنا قوم نوح من قبل. ومن خفض ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ﴾ فالمعنى وفي قوم نوح آية»[362].

وقال ابن خالويه: «فالحجة لمن نصب أنه رده على قوله تعالى: ﴿وَفِى ثَمُودَ﴾ [الذاريات: ٤٣]»[363].

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين، يظهر بأن ما حدث لقوم نوح من عذاب، كان آية وعبرة لكلِّ المكذِّبين، وهذا العذاب الذي حل بهم كان الغرق والإهلاك.

٩ ـ قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦].

القراءات:

١ ـ قرأ يعقوب (ليعبدوني) بإثبات الياء في الوصل والوقف.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿لِيَعْبُدُونِ﴾ بحذف الياء في الوصل والوقف[364].

---

(٣٦١) التحرير والتنوير م١٢ ج٢٧ ص١٤.

(٣٦٢) معاني القراءات ج٣ ص٣١.

(٣٦٣) الحجة في القراءات ص٣٣٢.

(٣٦٤) انظر: التذكرة في القراءات ج٢ ص٦٩٤، النشر ج٢ ص٢٨٧.

المعنى اللغوي للقراءتين:

العبد الإنسان حرًا كان أو رقيقاً، يُذْهَبُ بذلك إلى أنه مربوب لباريه ﷻ(٣٦٥).

والعَبْدُ خِلاف الحُرِّ، وجمعه عبيدٌ وأعبُدٌ وعُبَادٌ(٣٦٦). والعبادةُ الطَّاعة، والتَّعَبُّد التَّنَسُّك(٣٦٧).

التفسير:

هذه الآية تلفت نظر الإنسان، وتأخذ بلبّه إلى حقيقة مهمة، وهي سبب خلقه ووجوده، وذكر الجن لأنه مشارك لهم في هذه الحقيقة على هذه الأرض على الأقل.

يقول سيد قطب رحمه الله: «وأول جانب من جوانب هذه الحقيقة أن هنالك غاية معينة لوجود الجن والإنس تتمثل في وظيفة من قام بها وأدّاها، فقد حقق غاية وجوده، ومن قصَّر فيها، أو نَكَلَ عنها فقد أبطل غاية وجوده، وأصبح بلا وظيفة، وباتت حياته فارغة من القصد، خاوية من معناها الأصيل، الذي تستمد منه قيمتها الأولى، وقد انفلت من الناموس الذي خرج به إلى الوجود، وانتهى إلى الضياع. هذه الوظيفة المعنية التي تربط الجن والإنس بناموس الوجود، هي العبادة لله، أو هي العبودية لله، أن يكون هناك عبدٌ وربٌّ. عبدٌ يَعْبُد، ورب يُعْبَد، وأن تستقيم حياة العبد كلها على أساس هذا الاعتبار»(٣٦٨).

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت القراءة بدون ياء، بيان وظيفة الإنس والجن، وسبب خلقهم، وهي العبادة. عبادة الله تعالى.

---

(٣٦٥) انظر: لسان العرب ج٣ ص٢٧٠.

(٣٦٦) انظر: الصحاح في اللغة ص٧٠٠.

(٣٦٧) انظر: مختار الصحاح ص٢٢٧.

(٣٦٨) الظلال ج٦ ص٣٣٨٧ (بتصرف).

أما القراءة بياء الملكية، فجاءت لمزيد بيان وتأكيد أن هذه العبادة هي لله وحده، فلا يشرك في هذه العبادة أحد معه، وكأنه سبحانه يقول: ليعبدوني أنا وحدي ولا يعبدوا معي غيري.

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين، يتبيّن أنه لا غنى عن واحدة من الاثنتين فالقراءة بدون ياء بيّنت سبب خلق الله تعالى للإنسان والجن، وهي العبادة لله تعالى. وهذه العبادة لا تكون إلا لله وحده، وهذا ما دلَّت عليه القراءة بإثبات الياء، وكأنه سبحانه يقول: يعبدوني أنا وحدي.

١٠ ـ قال تعالى: ﴿مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾﴾ [الذاريات: ٥٧].

القراءات:

١ ـ قرأ يعقوب (يطعموني) بإثبات الياء في الوصل والوقف.

٢ ـ وقرأها الباقون ﴿يُطْعِمُونِ﴾ بحذف الياء في الوصل والوقف[٣٦٩].

المعنى اللغوي للقراءتين:

الطَّعامُ ما يُؤكل، وربما خُصَّ بالطَعام البُرُّ. والطَعْمُ بالفتح ما يؤدِّيه الذَّوق. يقال: طَعْمُهُ مُرٌّ. والطَّعْمُ أيضاً ما يُشتَهى منه. يقال: ليس له طَعْمٌ، وما فلان بذي طَعْمٍ إذا كان غثاً.

والطُعمُ بالضم الطَّعامُ[٣٧٠].

(٣٦٩) انظر: التذكرة في القراءات ج٢ ص٦٩٤، والنشر ج٢ ص٢٨٧.

(٣٧٠) انظر: الصحاح في اللغة ص٦٧١.

التفسير:

تتحدث هذه الآية عن موضوع بالغ الأهمية في حياة الناس، وهو الرزق. ولأن مسألة الرزق، وكيفية تحصيله مسألة تشغل بال وفكر الكثير من الخلق، وتستنزف جهودهم وأوقاتهم، بل وقد تشغلهم عن الحقيقة، والسبب والهدف الذي خُلقوا لأجله، وهو عبادة الله الواحد القهار.

بيّن الله ﷻ لهم أن هذا كله بيده، وهو المتصرف به كيف يشاء، فهو ﷻ الرزّاق الذي يقدِّر الرزق وينزله على خلقه بعلمه وحكمته. لذلك فلا ينبغي لهم أن ينشغلوا عن هدفهم وقصدهم وعبادتهم لله بحجة البحث عن الرزق. كما أنه سبحانه هو إلهٌ واحدٌ أحد، ليس مثل تلك الآلهة التي تريد ممن يعبدونها أن يشاركوها في الإطعام والرزق.

والله ﷻ ليس بحاجة للطعام، بل هو الذي يُطْعِمُ.

قال البيضاوي: «والمراد أن يبيّن أن شأنه مع عباده ليس شأن السادة مع عبيدهم، فإنهم إنما يملكونهم ليستعينوا بهم في تحصيل معايشهم»[٣٧١]. وقال الصابوني: «فكأنه ﷻ يقول: ما أريد أن أستعين بهم كما يستعين السادة بعبيدهم، فليشتغلوا بما خلقوا له من عبادتي»[٣٧٢].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت القراءة بدون ياء أن الله تعالى لا يريد منهم أن يطعموا أنفسهم، ولا غيرهم من عباده.

جاء في البحر المحيط: «المقصود أي أن يطعموا خلقي»[٣٧٣].

وقال ابن الجوزي: «أي أن يطعموا أحداً من خلقي لأني أنا الرزاق.

(٣٧١) تفسير البيضاوي ج٥ ص٢٤٢.
(٣٧٢) صفوة التفاسير ج٣ ص٢٤٠ ـ ٢٤١.
(٣٧٣) البحر المحيط ج٨ ص١٤١.

وإنما أسند الإطعام إلى نفسه؛ لأن الخلق عيالُ الله، ومن أطعَمَ عيالَ الله فقد أطعمه»[٣٧٤].

أما القراءة بإثبات الياء، فقد أفادت بأن الله تعالى لا يريد منهم أن يطعموه، وأن لا ينشغلوا عن عبادته بذلك، وفي تحصيل الرزق له. وفي هذا تعريض لأصنامهم، فإنهم كانوا يعملون معها ما ينفعها، ويحضرون لها الأكل، فلربما أكلته الكلاب، ثم بالت على الأصنام، ثم لا يصدهم ذلك[٣٧٥]. وقال البيضاوي: «أي ما أريد أن أصرفكم في تحصيل رزقي، فاشتغلوا بما أنتم مخلوقين له ومأمورين به، والمراد أن يبيّن أن شأنه مع عباده ليس شأن السادة مع عبيدهم، فإنهم إنما يملكونهم ليستعينوا بهم في تحصيل معايشهم»[٣٧٦] وقد مرَّ سابقاً. وقال صاحب الوسيط: «أي ما أريد منهم منفعة ولا رزقاً كما يريد الناس بعضهم من بعض، وما أريد منهم طعاماً ولا شراباً، فأنا الذي أُطعِمُ ولا أُطعَم»[٣٧٧].

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين نقول: إن الله تعالى لا يريد من عباده أن يطعموا أنفسهم، ولا غيرهم من الخلق، وكذلك لا يريد منهم أن ينشغلوا في تحصيل الرزق له ﷻ، فهو الذي يُطْعِمُ ولا يُطْعَم، إنما يريد منهم أن ينتبهوا إلى الوظيفة التي خُلقوا من أجلها، وهي عبادته وحده ﷻ.

١١ ـ قال تعالى: ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴿٥٩﴾﴾ [الذاريات: ٥٩].

---

(٣٧٤) انظر: زاد المسير ص١٣٥٢.
(٣٧٥) انظر: نظم الدرر ج٧ ص٢٨٩.
(٣٧٦) تفسير البيضاوي ج٥ ص٢٤٢.
(٣٧٧) التفسير الوسيط ج١٤ ص٣٥.

القراءات:

١ - قرأ يعقوب (تستعجلوني) بإثبات الياء في الوصل والوقف.

٢ - وقرأها الباقون ﴿تَسْتَعْجِلُونَ﴾ بحذف الياء وصلاً ووقفاً(٣٧٨).

المعنى اللغوي للقراءتين:

العَجَلُ والعَجَلة السرعة خلاف البطء. ورجلٌ عَجِلٌ وعَجُلٌ وعَجْلانُ وعاجلٌ وعَجِيلٌ من قوم عَجالى وعُجالى وعِجالٍ(٣٧٩).

التفسير:

وبعد هذا العرض الطويل الذي قدمته هذه السورة، يختتمها الله ﷻ بالإنذار، والتهديد للذين ظلموا واستعجلوا وعد الله تعالى، فإنه سيصيبهم من العذاب مثل ما أصاب من قبلهم.

قال الطبري: «ومعنى الكلام فإن للذين ظلموا نصيباً من عذاب الله، وحظاً نازلاً بهم، مثل نصيب أصحابهم الذين مضوا من قبلهم من الأمم، على مناهجهم من العذاب، فلا يستعجلون به»(٣٨٠). وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ هم أهل مكة وغيرهم من الكفار الذين كذَّبوا الرسول ﷺ وأنكروا رسالته، ومعنى ذنوباً أي حظاً ونصيباً(٣٨١).

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت القراءة بحذف الياء على أنهم وصلوا في تكذيبهم إلى درجة أنهم يستعجلون العذاب، أي أنهم هم الذين يستعجلون بقدوم العذاب عليهم، وحلوله بهم.

---

(٣٧٨) انظر: النشر ج٢ ص٢٨٧، والبدور الزاهرة ص٣٨١.

(٣٧٩) انظر: لسان العرب ج١١ ص٤٢٥.

(٣٨٠) جامع البيان ج٩ ص٧٦٤٢.

(٣٨١) انظر: البحر المحيط ج٨ ص١٤١.

أما القراءة بإثبات الياء فقد أفادت بأنهم بهذا السلوك إنما هم يستعجلون الله تعالى بمعنى أنهم يطلبون من الله تعالى أن يعجل لهم العذاب. وهذا يظهر مدى جهلهم وتجرؤهم على الله تعالى.

والقراءة بإثبات الياء فيها تهديد ووعيد لهم؛ وذلك لأن الله تعالى هو الذي سيتولى تعذيبهم، وإن حدث ذلك فسيكون عذابهم ساحقاً ماحقاً ومهلكاً.

قال الألوسي: «﴿فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ﴾ أي لا يطلبون مني أن أعجل في الإتيان به، يقال: استعجله أي حثه على العجلة وطلبها منه»(٣٨٢). وذكر حقي أن أصله بياء المتكلم، أي لا يطلبون مني أن أعجَلَ في المجيء به، لأن له أجلاً معلوماً، فهو نازلٌ بهم لا محالة في وقته المحتوم(٣٨٣).

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين، يتبيّن أن هؤلاء الكفار كانوا هم أنفسهم يستعجلون قدوم العذاب، وأنهم كذلك يطلبون من الله تعالى أن يستعجل لهم حدوث العذاب، وهذا غاية في الجهل والاستهزاء. وقول الله تعالى: ﴿فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ﴾ فيه تهديد ووعيد لهم.

تمت سورة الذاريات بحمد الله تعالى وتوفيقه.



(٣٨٢) روح المعاني ج١٤ ص٢٤.

(٣٨٣) انظر: تفسير حقي ج٩ ص١٨١.

الفصل الثاني
تفسير القرآن الكريم بالقراءات القرآنية العشر
من خلال سور الطور ـ النجم ـ القمر ـ الرحمٰن

المبحث الأول: عرض وتفسير لآيات سورة الطور المتضمنة للقراءات العشر.

المبحث الثاني: عرض وتفسير لآيات سورة النجم المتضمنة للقراءات العشر.

المبحث الثالث: عرض وتفسير لآيات سورة القمر المتضمنة للقراءات العشر.

المبحث الرابع: عرض وتفسير لآيات سورة الرحمٰن المتضمنة للقراءات العشر.



المبحث الأول
عرض وتفسير لآيات سورة الطور
المتضمنة للقراءات القرآنية العشر

بين يدي السورة:

هذه السورة هي سورة مكية، وهي تسع وأربعون آية، وهذه السورة سورة جليلة، تمثل حملة عميقة التأثير في القلوب البشرية، وهي عبارة عن مطاردة عنيفة للهواجس والشكوك والأباطيل؛ لتثبت الحق وتؤكده، وتبطل الباطل وتقوض أركانه(٣٨٤).

سبب التسمية:

سميت سورة الطور بهذا الاسم؛ لأن الله تعالى بدأ هذه السورة الكريمة، وافتتحها بالقسم بجبل الطور، الذي كلم الله تعالى عنده موسى عليه السلام(٣٨٥).

مناسبتها لما قبلها:

لما كان آخر سورة الذاريات فيه تحذير ووعيد للكافرين المنكرين،

(٣٨٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن ج٩ ص١٩٠.
(٣٨٥) انظر: صفوة التفاسير ج٣ ص٢٤٣.

وبيان ما ينتظرهم من عذاب ونكال، جاء مطلع سورة الطور؛ ليؤكد حدوث ذلك مصحوباً بالقسم من الله تعالى(٣٨٦).

الموضوع العام للسورة:

ابتدأت السورة بالحديث عن أهوال يوم القيامة وشدائدها، وما سيلقاه الكافر في ذلك اليوم الرهيب المهيب، واستعرضت السورة رسالة محمد ﷺ، وأنكرت على الكافرين بها المنكرين لها، وحذَّرتهم وردَّت عليهم بالحجة والبرهان، ثم اختتمت السورة بالتهكم على تلك الآلهة والأصنام التي يؤمن بها الكافرون تهكماً وسخريةً بتلك العقول التافهة، التي اتخذت الأصنام آلهة، وتركت عبادة الله تعالى الواحد القهار(٣٨٧).

١ ـ قال تعالى: ﴿فَـٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ۝١٨﴾ [الطور: ١٨].

القراءات:

١ ـ قرأ أبو جعفر (فكهين) بحذف الألف بعد الفاء.

٢ ـ وقرأها الباقون ﴿فَـٰكِهِينَ﴾ بإثبات الألف(٣٨٨).

المعنى اللغوي للقراءتين:

الفاكِهةُ معروفةٌ، وأجناسُها الفَواكِهُ، والفاكِهانيُّ بالضم الذي يبيعها، والفُكاهَةُ بالضَّم المُزاحُ والفَكاهَةُ بالفتح مصدر فَكِهَ الرجلُ بالكسر فهو فَكِهٌ إذا كان طيِّبَ النَّفْس مَزَّاحاً.

و(فاكهين) أي ناعمين(٣٨٩). والتفكّه التعجب(٣٩٠).

---

(٣٨٦) انظر: روح المعاني ج١٤ ص٢٧.

(٣٨٧) انظر: الظلال ج٦ ص٣٣٩١، ٣٣٩٢، وصفوة التفاسير ج٣ ص٢٤٣.

(٣٨٨) انظر: البدور الزاهرة ص٣٨٢.

(٣٨٩) انظر: الصحاح في اللغة ص٨٧٣.

(٣٩٠) انظر: المصباح المنير ص٢٨٥.

التفسير:

هذه الآية تصف لنا الحالة التي يكون عليها المؤمنون في الجنات، حيث إنهم يكونون في نعيم مقيم، وهم فرحون وطيبة نفوسهم فرحاً ورضاً بما آتاهم الله من فضله، وكذلك لأن الله نجّاهم من النار وعذابها.

قال ابن كثير: «أي يتفكهون بما آتاهم الله من النعيم من أصناف الملاذ، من مآكل ومشارب وملابس ومساكن ومراكب وغير ذلك . . ﴿وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾ أي وقد نجاهم من عذاب النار، وتلك نعمة مستقلة بذاتها على حدتها، مع ما أضيف إليها من دخول الجنة التي فيها من السرور ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر»[٣٩١].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت القراءة بإسقاط الألف، على معنى أنهم في الجنة يكونون فرحين ومسرورين.

أما القراءة بإثبات الألف، فقد أفادت بأنهم وهم في هذه الحالة أصحاب فاكهة أي عندهم فاكهة كثيرة متعددة ومتنوعة، وهم في هذا كلّه ناعمون.

قال مقاتل: «(فكهين) يعنى معجبين، ومن قرأها ﴿فَٰكِهِينَ﴾ يعنى ناعمين محبورين»[٣٩٢].

وجاء في المستنير: «بحذف الألف التي بعد الفاء، على أنها صفة مشبهة من فكه بمعنى فرح، وبإثبات الألف على أنها اسم فاعل بمعنى أصحاب فاكهة كلابن وتامر»[٣٩٣].

وقال القرطبي: «﴿فَٰكِهِينَ﴾ أي ذو فاكهة كثيرة: يقال رجل فاكه أي

(٣٩١) تفسير القرآن العظيم ج٤ ص٢٥٨.

(٣٩٢) تفسير مقاتل ج٣ ص٢٨٣.

(٣٩٣) انظر: المستنير ج٣ ص١٢٨.

ذو فاكهة كما يقال: لابن وتامر، أي ذو لبن وتمر، وقال: (فكهين) بغير ألف ومعناه معجبين ناعمين»[٣٩٤].

وعلى هذا يكون الفرق واضح بين القراءتين، فهي بدون ألف، أفادت وصف حالة الرضا والفرح التي هم عليها، وبإثبات الألف أفادت بأنهم وهم في هذه الحال من الفرح والسرور والرضا، عندهم كل ما تشتهيه أنفسهم من أصناف وأنواع الثمار والفواكه.

الجمع بين القراءتين:

وفي حال الجمع بين القراءتين، يتبيّن لنا أن هؤلاء المؤمنين الذين أدخلهم الله في جنته، وأظلّهم في رحمته، هم في نعيم وسعادة، وفرح وسرور، وهم كذلك عندهم جميع ما يشتهون من أصناف الفاكهة الطيبة الطعم، المتعددة الأصناف والألوان.

٢ ـ قال تعالى: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصۡفُوفَةٖۖ وَزَوَّجۡنَٰهُم بِحُورٍ عِينٖ ٢٠﴾ [الطور: ٢٠].

القراءات:

١ ـ قرأ أبو جعفر (متكين) بحذف الهمزة في الحالين أما حمزة يحذفها عند الوقف فقط في أحدى وجهيه.

٢ ـ وقرأها حمزة بالتسهيل بين بين وهو الوجه الآخر له.

٣ ـ وقرأها الباقون ﴿مُتَّكِـِٔينَ﴾ بإثبات الهمز[٣٩٥].

المعنى اللغوي للقراءات:

المُتَّكَأ مَوضِع الاتّكاء، ومعناه في الآية الكريمة المجلس، وتَوَكَّأَ على

---

(٣٩٤) الجامع لأحكام القرآن ج٩ ص١٩٤ (بتصرف).

(٣٩٥) انظر: البدور الزاهرة ص٣٨٢.

العصا وَأَوْكَاه إيكاءً أي نَصَبَ له مُتكأً[٣٩٦].

التفسير:

لا يزال وصف حال المؤمنين في الجنة وما هم فيه من النعيم قائماً ولكن هذه المرة يصف الله تعالى لنا حالهم كيف يتكئون وعلى ماذا يتكئون.

قال السمرقندي: «أي مستندين استناد راحة لأنهم يُخْدَمُون فلا حاجة لهم إلى الحركة»[٣٩٧].

وقال الصابوني: «أي جالسين على هيئة المضجع على سرر من ذهب مكللة بالدر والياقوت، مصطفَّة بعضها إلى جانب بعض»[٣٩٨].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة بإثبات الهمز؛ للدلالة على الحال التي يكون عليها أصحاب الجنة، إذ إنهم متكئون على سرر مصفوفة، بينما أفادت القراءة بحذف الهمز؛ للدلالة على سهولة هذا الاتكاء، وحصوله بسرعة ويسر وسهولة، فهم يتكئون متى شاءوا، وكيفما شاءوا، على سرر مريحة وفسيحة، والله تعالى أعلم.

٣ ـ **قال تعالى**: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَـٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَـٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ كُلُّ ٱمْرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾﴾ [الطور: ٢١].

القراءات:

أ ـ قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعَتْهُمْ﴾

١ ـ قرأها أبو عمرو (وأتبعناهم) بقطع الهمزة وفتحها، وإسكان التاء

(٣٩٦) انظر: مختار الصحاح ص٣٩١.

(٣٩٧) نظم الدرر ج٧ ص٢٩٧.

(٣٩٨) صفوة التفاسير ج٣ ص٢٤٦.

والعين، ونون وألف بعدها.

٢ ـ وقرأها الباقون (واتَّبعَتْهم) بوصل الهمزة، وتشديد التاء، وفتح العين، وتاء ساكنة بعدها[٣٩٩].

ب ـ قوله تعالى: ﴿ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ﴾

١ ـ قرأ أبو عمرو (ذُرِّيَّاتِهِمْ) بالألف وكسر التاء.

٢ ـ وقرأها ابن عامر ويعقوب (ذُرِّيَّاتُهُم) بالألف وضم التاء.

٣ ـ وقرأها الباقون (ذُرِّيَّتُهُمْ) بضم التاء من غير ألف[٤٠٠].

ج ـ قوله تعالى ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ﴾

١ ـ قرأ المدنيان والبصري والشامي: (ذرياتهم) بألف بعد الياء على الجمع مع كسر التاء.

٢ ـ وقرأها الباقون بحذف الألف على التوحيد مع نصب التاء[٤٠١].

د ـ قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَلَتْنَٰهُم﴾

١ ـ قرأ ابن كثير (ألِتناهم) بكسر اللام.

٢ ـ وقرأها الباقون بالفتح[٤٠٢].

المعنى اللغوي للقراءات:

أ ـ (واتبعتهم): تَبِعْتُ القَوْمَ تَبَعاً وتَباعَةً بالفتح إذا مَشيت خلفهم، أو مرُّوا بك فمَضَيْتَ معهم؛ وكذلك اتَّبَعْتُهم، وأَتْبَعتُ القوم إذا كانوا قد سبقوك فلَحِقتَهم، وتَبِعْتُه وأتْبَعْتُهُ بمعنى واحد[٤٠٣].

---

(٣٩٩) انظر: النشر ج٢ ص٢٨٧.

(٤٠٠) انظر: التذكرة في القراءات ج٢ ص٦٩٥.

(٤٠١) انظر: البدور الزاهرة ص٣٨٢.

(٤٠٢) انظر: غيث النفع ص٥٠٢، البدور الزاهرة ص٣٨٢.

(٤٠٣) انظر: الصحاح في اللغة ص١٠٥.

ب - **(ذريتهم)**: الذَرُ النسل، والذرية فعلية من الذر وهم الصغار، وتكون الذرية واحداً وجمعاً[٤٠٤]. وذرية الرجل ولده، والجمع الذراري والذريات[٤٠٥].

ج - **(ألتناهم)**: وألته ماله وحقه يألته ألتاً من حَدَّ ضرب: المعنى نقصه. سبق تعريفها في سورة الحجرات[٤٠٦].

التفسير:

يخبر الله تعالى عن فضله وكرمه وامتنانه ولطفه بخلقه وإحسانه بهم، وذلك أن المؤمنين إذا اتبعتهم ذرياتهم في الإيمان، يلحقهم بآبائهم في المنزلة، وإن لم يبلغوا عملهم لتقرّ أعين الآباء بالأبناء في منازلهم، فيجمع بينهم على أحسن الوجوه بأن يرفع الناقص العمل بكامل العمل ولا ينقص ذلك في عمله ومنزلته؛ للتساوي بينه وبين ذلك، فإذا دخل أهل الجنة الجنة، فإن كان الولدُ أرفع درجة من والده رُفع والده إليه[٤٠٧].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أولا: قوله تعالى: ﴿وَأَتْبَعْنَٰهُمْ﴾

أفادت القراءة بهمزة القطع وألف بعد النون، بأن الفعل مضاف إلى الله تعالى، وهو على معنى جعلنا ذريتهم مؤمنين، وألحقناهم بهم في الجنة.

وأما القراءة بهمزة الوصل وبدون ألف بعد النون، فقد أفادت بأن الفعل مضاف إلى الذرية، وهو على معنى أن الذرية تبعت المؤمنين على الإيمان، فألحقهم الله بهم في الجنة.

قال السمرقندي: «من قرأ (اتبعناهم) معناه ألحقناهم يعنى الذين آمنوا،

---

(٤٠٤) انظر: المصباح المنير ص١٢٦.

(٤٠٥) انظر مختار الصحاح ص١٢٩.

(٤٠٦) انظر ص٧٥.

(٤٠٧) انظر: معاني القرآن ج٣ ص٩٢، وتفسير القرآن العظيم ج٤ ص٢٥٩.

وجعلنا ذريتهم مؤمنين، ألحقنا بهم ذريتهم في الجنة في درجتهم، ومن قرأ (واتبعتهم) بغير ألف يعني ذريتهم معهم»(٤٠٨).

وقال مكي: «وحجة من قطع الألف أنه أضاف الفعل إلى الله تعالى جل ذكره، فحمله على الإخبار من الله جل ذكره عن نفسه، وقال: وحجة من أضاف الألف أضاف الفعل إلى الذرية فارتفعت بفعلها، ولولا الجماعة لكانت القراءة الأولى أحب إليّ لصحة معناها؛ ولأنه ليس كل من آمن اتبعته ذريته بإيمان. إنما ذلك إلى الله تعالى يوفق من يشاء من ذرية المؤمنين إلى الإيمان بمثل إيمانهم، ويخذل من يشاء فلا يوفقه إلى الإيمان»(٤٠٩).

ويرى الباحث: إن هذا الكلام الذي ورد في الكشف يحتاج إلى تصويب، وذلك لأنه يقول: ولولا الجماعة لكانت القراءة الأولى أحب إليّ لصحة معناها؛ ولأنه ليس كل من آمن اتبعته ذريته بإيمان. وهو بهذا وكأنه يشكك في صحة القراءة الثانية، ولكن ولأن القراءة الثانية عليها الجماعة قَبِلَها مضطراً وغيرَ مقتنع بها. فهو يقول: أحب إليّ لصحة معناها، وهل كان المعنى في القراءة الثانيَة غير صحيح حسب وجهة نظره، ثم يقول: ولأنه ليس كل من آمن اتبعته ذريته بإيمان ... إلى آخر الكلام.

وللرد على هذا الكلام نقول:

أولاً: إن كلا القراءتين صحيحتان، فبالتالي معناهما صحيح، ولا يكون معنى إحداهما صحيحاً والآخر ليس صحيحاً.

ثانياً: من قال بأن القراءة الثانية (واتبعتهم) بأنها تدل على أن المؤمنين ستتبعهم وستلحقهم ذرياتهم بدون إذن من الله، أو توفيق منه ﷻ، فالمشكلة ليست في القراءة الثانية، ولكن في كيفية فهم قصدها ومعناها.

وبعد هذا العرض يتضح الآتي:

(٤٠٨) بحر العلوم ج٣ ص٢٨٤.

(٤٠٩) الكشف ج٢ ص٢٩٠ (بتصرف).

إن القراءة (واتبعتهم) بهمزة الوصل وبدون ألف بعد النون تفيد التتابع والمشاهدة والقرب، وكأنه يقصد الذرية المقربة من الزوجة والأولاد، بدليل القراءة في قوله تعالى: ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ على الإفراد بدون ألف ولا جماعة.

أما القراءة (واتبعناهم) بهمزة قطع وألف بعد النون فقد تشير على معنى أكبر وأشمل وأبعد، وهي تفيد معنى الإلحاق، والإلحاق أبعد من التتابع؛ لذلك سُمِّيَ من عاصروا الصحابة تابعون؛ لقربهم. أما من جاء بعدهم، ونحن، ومن سيأتي بعدنا لاحقون.

وعلى هذا يكون المعنى في قراءة (واتبعناهم) أي والذين شاء الله لهم بأن يسيروا على الإيمان من أحفادهم، وإن جاءوا بعدهم بسنوات، وإن لم يرَ الآخرون منهم الأولين، كلهم سيجمعهم الله تعالى مع بعضهم البعض في جنته، ودليل ذلك قوله تعالى على قراءة الجمع: (واتبعناهم ذرياتهم)، فهي ليست ذرية واحدة، بل ذريات وأقارب كثر. وهي كذلك دلت أنه في المحصلة أنه ستكون ذريات كبيرة وكثيرة مجتمعة؛ وذلك لأن كل واحد منهم يجب أن يكون معه ولده، والولد يجب أن يكون معه ولده، والولد الآخر هذا يجب أن يكون معه ولده وهكذا. قال أبو السعود: «وقُرئ ذرياتهم للمبالغة في الكثرة»[٤١٠].

وهناك لطيفة بين القراءتين وهي:

عبَّر القرآنُ الكريم على قراءة: ﴿وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم﴾ وأضاف وأسند الفعل إلى الذرية على اعتبار الذرية القريبة، وهم الزوجة والأولاد، وكأنه يقول: أن الأصل والأجدر بالذرية القريبة المُشَاهِدة والمتابِعة أن تختار هذا الإتباع بنفسها؛ لأنها رأت هذا الأب الصالح والأم الصالحة، بل إن هذا الأب الصالح المؤمن، وهذه الأم الصالحة المؤمنة، هي التي ربَّت ذريتها، وعلَّمتهم الإيمان والصلاة. فالأصل في هذه الذرية القريبة والمُشَاهِدة، أن لا يكون لها خياراً إلا أن تتبع وتسير خلف وليّها، وأن تكون مبادرة لاختيار

(٤١٠) تفسير أبو السعود ج٦ ص١٤٦.

ذلك من نفسها وبإرادة الله تعالى لذلك أسند الفعل في الإتباع إليها.

كذلك كان تعبير القرآن على قراءة (واتبعناهم)، وأضاف وأسند الفعل إليه ﷻ، وذلك على اعتبار أن هذه الذرِّيَّات الكثيرة والمتباعدة في الزمن، فلربما جاء لهذا الصالح الذي توفاه الله ﷻ من ذريته صالحون من أحفاده، ولربما كان الأب القريب لهذه الذرية غير مؤمن وليس له فضل عليهم بالإيمان، فأراد الله تعالى لهؤلاء الأولاد والذرية بالإيمان، فضلاً منه، فألحقهم بجدهم الأول الذي لم يروه، وهذا يحتاج إلى فعل الله تعالى الخالص؛ لذلك كان إسناد الفعل إلى الله ظاهراً والله أعلم.

الجمع بين القراءتين:

وفى الجمع بين القراءتين، يظهر لنا بان الله تعالى سيجمع المؤمنين مع ذرياتهم في جنته، وفي درجتهم رحمة منه ومنّة، حتى ولو كانوا ألفاً من الأولاد قليلاً كانوا أو كثيراً.

ثانياً: قوله تعالى: ﴿ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ﴾

أفادت القراءة بدون ألف أن المراد جنس الذرية.

أما القراءة بألف مع كسر التاء، فقد أفادت جمع ذرية.

أما القراءة بألف مع ضم التاء، فقد أفادت الجمع مع المبالغة في التكثير.

قال السمرقندي: «من قرأ ذرياتهم بألف فهو جمع ذرية، من قرأ بغير ألف فهو عبارة عن جنس، ويقع على الجماعة أيضاً»[٤١١].

وقال البيضاوي: «بالجمع وضم التاء للمبالغة في كثرتهم والتصريح، فإن الذرية تقع على الواحد والكثير»[٤١٢]. وذكر أبو السعود أنها للمبالغة في

(٤١١) بحر العلوم ج٣ ص٢٨٤.
(٤١٢) تفسير البيضاوي ج٥ ص٢٤٧.

الكثرة(٤١٣).

وقال مكي: «القراءة بالجمع لكثرة ذرية المؤمنين، فحملوه على المعنى فكسروا التاء؛ لأنه جمع مُسَلَّم منصوب ب (ألحقنا)، ولفظ الجمع فيها هو الاختيار؛ لكثرة من تناسل من المؤمنين واتبعوا منهاج آبائهم في الإيمان»(٤١٤).

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين، يظهر أن الله تعالى سيجمع المؤمنين مع ذريتهم في الجنة، وهذه الذرية قد تكون ذريات كثيرة، حتى ولو بلغ عدد الأولاد ألفاً أو أكثرَ.

ثالثاً: قوله تعالى: ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ﴾

والقول فيها مثل ما قلنا في القراءة السابقة ﴿ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ﴾(٤١٥).

رابعاً: قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَلَتْنَٰهُم﴾

وقد مضى الحديث عنها في اللغة والتفسير في سورة الحجرات، وهي بمعنى واحد من اللغات العربية(٤١٦).

٤ ـ **قال تعالى**: ﴿يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾ [الطور: ٢٣].

القراءات:

١ ـ قرأ المكي والبصريان (لا لغوَ فيها ولا تأثيمَ) بفتح الواو من (لغو) والميم من (تأثيم) من غير تنوين.

(٤١٣) انظر: تفسير أبو السعود ج٦ ص١٤٦.
(٤١٤) الكشف ج٢ ص٢٩١ (بتصرف).
(٤١٥) انظر: الصفحة السابقة ١٣٨.
(٤١٦) انظر: ص٧٥ و٧٦.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾ برفعهما مع التنوين.

٣ ـ وقرأ (تأثيم) بإبدال الهمز ألفاً ورش والسوسي وأبو جعفر، وفي الوقف فقط حمزة(٤١٧).

المعنى اللغوي للقراءات:

اللَّغو واللَّغا السَّقَط وما لا يعتدّ به من الكلام وغيره، ولا يُحصَل منه على فائدة ولا على نفع(٤١٨).

التفسير:

وفي هذه الآية الكريمة يعرض لنا المشهد ألوان المناعم واللذائذ في ذلك النعيم، فإذا هم يتعاطون كأساً ليست كخمر الدنيا، تطلق اللغو والهذر من الشفاه والألسنة، وتشيع الإثم والمعصية في الحس والجوارح، إنما هي مصفَّاة مبرأة، يعطونهم إياها الخدم بأيديهم، وهذا التعاطي (كأساً) يعني خمراً، ولا حلف في شربهم، ولا مأثم يعني ولا كذب، كفعل أهل الدنيا إذا شربوا الخمر(٤١٩).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة بالرفع والتنوين على وجه الإخبار. بمعنى أن اللغو والتأثيم المعروف والذي نعرفه غير موجود، وليس طابعاً عاماً عندهم.

أما القراءة بالنصب وبغير تنوين، فقد جاءت على وجه التبرئة أي النفي العام لجميع الوجوه من ذلك الصنف، أي لا يوجد أي نوع من أنواع اللغو، ولا تأثيم على الإطلاق، قلَّ أم كثُر، نعرفه كنّا، أم نجهله.

قال الطبري: «بالرفع والتنوين على وجه الخبر، على أنه ليس في

(٤١٧) انظر: البدور الزاهرة ص٣٨٢.

(٤١٨) انظر: لسان العرب ج١٥ ص٢٥٠.

(٤١٩) انظر: تفسير مقاتل ج٣ ص٢٨٤، والظلال ج٦ ص٣٣٩٧.

الكأس لغو ولا تأثيم.

وقرأ بعض قراء البصرة: (لا لغو فيها ولا تاثيم) نصباً غير منوَّن على وجه التبرئة»[٤٢٠].

وقال السمرقندي: «فمن قرأ بالنصب فهو على التبرئة، ومن قرأ بالضم، فهو على معنى الخبر يعني ليس فيها لغو ولا تأثيم»[٤٢١].

وقال مكي: «وحجة من فتح أنه أراد النفي العام المستغرق لجميع الوجوه من ذلك الصنف»[٤٢٢].

وقال الدكتور محمد محيسن: «برفع الواو والميم مع التنوين، على أن لا نافية للوحدة، وبفتح الواو والميم مع عدم التنوين، على أن لا نافية للجنس»[٤٢٣].

وقال ابن زنجلة: «فمن رفع فعلى ضربين على الرفع بالابتداء و(فيها) خبر، وعلى أن تكون (لا) في مذهب ليس رافعة، ومن نصب فعلى النفي والتبرئة. ثم قال: فمن رفع كأنه جعله جواباً لقول القائل: (أفيهما لغو أو تأثيم) فجعله نفياً لهذا، ومن نصب جعله جواباً لقوله (هل من لغو فيها أو تأثيم) فجوابه (لا لغو فيها ولا تاثيم)»[٤٢٤]. ويقول الدكتور محمد عيسى: «ولقد جاءت مجموعة من الآيات على هذا النحو في القران الكريم»[٤٢٥].

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين، يتبيّن أن هذا الكأس أو الخمر التي يشربونها في الجنة، ليس فيها لغو ولا تأثيم، بل ليس فيها أيَّ نوعٍ من أنواع اللغو

(٤٢٠) جامع البيان ج٩ ص٧٦٦١.
(٤٢١) بحر العلوم ج٣ ص٢٨٤.
(٤٢٢) الكشف ج١ ص٣٠٥.
(٤٢٣) المستنير ج٣ ص١٣١ (بتصرف).
(٤٢٤) حجة القراءات ٦٨٣ (بتصرف).
(٤٢٥) أثر القراءات القرآنية في الفهم اللغوي ص٤١٠، ٤١١.

والتأثيم، قليلاً كان أو كثيراً، نعرفه كنا، أو لا نعرفه.

٥ ـ قال تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾﴾ [الطور: ٢٤].

القراءات:

١ ـ قرأ السوسي وشعبة وأبو جعفر (لؤلؤ) بإبدال الهمزة الأولى مطلقاً[٤٢٦].

٢ ـ وقرأها حمزة بإبدال الهمزة الأولى في حالة الوقف فقط.

٣ ـ وقرأ هشام وحمزة بإبدال الهمزة الثانية، ولهما أيضاً التسهيل مع الروم، ولهما إبدال بالواو الخالصة مع السكون والإشمام والروم[٤٢٧].

المعنى اللغوي للقراءات:

اللؤلؤةُ الدُرَّةُ والجمعُ اللُّؤْلُؤُ والَّلآلِئُ، والعرب تقول لصاحب اللؤلؤ لآلٌ على مثال لعَّاع[٤٢٨].

التفسير:

وفي وصف هؤلاء الولدان، الذين يقومون على خدمة المؤمنين في الجنة، يقف الإنسان مع نفسه وقفة يسرح فيها العقل، ويسبح فيها الوجدان، وينجذب إليها القلب انجذاباً.

ثم لم يلبث هذا التأمل طويلاً، حتى ينادي منادي النفس والعقل بانبهار شديد، أيّ نعمة هذه التي سيكون عليها المؤمنون في الجنة؟ إنه، والله لهو الفوز العظيم.

---

(٤٢٦) يعني إبدالها واواً ساكنة.

(٤٢٧) انظر: غيث النفع ص٥٠٢، والبدور الزاهرة ص٣٨٣.

(٤٢٨) انظر: الصحاح في اللغة ص١٠٣٣.

يقول سيد قطب معلقاً على هذه الآية الكريمة: «في حين يقوم على خدمتهم ويطوف بالكأس عليهم غلمان صِبَاح أبرياء فيهم نظافة وفيهم صيافة وفيهم نداوة»(٤٢٩).

وقال الطبري: «كأنهم لؤلؤ في بياضه وصفائه مكنون يعني مصون في كنّ، فهو أنقى له وأصفى لبياضه»(٤٣٠).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

إن كلا القراءتين بمعنى واحد وهنَّ من اللغات العربية فالعرب قد تقرأ بالهمز وقد تترك الهمز تخفيفاً.

٦ ـ **قال تعالى**: ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾﴾ [الطور: ٢٨].

القراءات:

١ ـ قرأ نافع والكسائي (ندعوه أنه) بفتح الهمزة.

٢ ـ وقرأها الباقون ﴿نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ﴾ بالكسر(٤٣١).

المعنى اللغوي للقراءتين:

إنَّ حرف توكيد، تنصب الاسم، وترفع الخبر. وأَنَّ كذلك حرف توكيد ومصدر تنصب الاسم، وترفع الخبر(٤٣٢).

التفسير:

هذه الآية تعرض لنا جانباً من الحديث، الذي دار بين هؤلاء المُنَعَّمين

(٤٢٩) الظلال ج٦ ص٣٣٩٧.

(٤٣٠) جامع البيان ج٩ ص٧٦٦٢.

(٤٣١) انظر: التذكرة في القراءات ج٢ ص٦٩٦.

(٤٣٢) انظر: المنجد في اللغة والأعلام ص١٩.

في الجنة، الذين لقوا ما لقوا من النعيم والرغد والفرح والسرور، فتذكروا كيف كانوا يعبدون الله تعالى في الدنيا، وكيف كانوا يدعونه بأنه يمنّ عليهم بالرحمة والوقاية من العذاب؛ لأن الله تعالى هو الذي يقدر على ذلك، فهو البر الرحيم، وهم الآن في هذه اللحظات قد وجدوا ذلك حقاً وعملياً، فهم اليوم ينعمون ويرغدون بهذه الرحمة.

قال القرطبي: «أي في الدنيا بأن يمن علينا بالمغفرة عن تقصيرنا وقيل (ندعوه) أي نعبده»[٤٣٣].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت القراءة بفتح الهمزة (أنه) بمعنى التعليل أي لأنه برٌّ رحيم، وهو الذي يغفر لنا، ويرحمنا؛ ولأن هذه هي صفته كنّا نعبده خوفاً وطمعاً.

أما القراءة بكسر الهمزة (إنه)، فقد جاءت على الاستئناف، والتأكيد بمعنى: إن الله برٌّ غفورٌ رحيمٌ؛ لذلك هو قد غفر لنا، ورحمنا، وأدخلنا جنته، وإنَّ ما نحن فيه من نعيم ورحمة، هو من آثار مغفرته ورحمته وبرّه بنا.

قال الطبري: «(أنه) بفتح الألف بمعنى: إنا كنا من قبل ندعوه؛ لأنه البرّ، أو بأنه هو البر. وقال: وبالكسر على الابتداء»[٤٣٤]. وقال الألوسي: «(أنه) بفتح الهمزة لتقدير لام الجر التعليلية قبلها، أي لأنه»[٤٣٥]. وقال الشوكاني: «قرأ الجمهور بكسر الهمزة على الاستئناف، وقرأ نافع والكسائي بفتحها، أي لأنه»[٤٣٦]. وإلى ذلك القول ذهب ابن عادل وغيره[٤٣٧].

(٤٣٣) الجامع لأحكام القرآن ج٩ ص١٩٨.

(٤٣٤) جامع البيان ج٩ ص٧٦٦٣.

(٤٣٥) روح المعاني ج١٤ ص٣٦.

(٤٣٦) فتح القدير ج٥ ص١١٩.

(٤٣٧) انظر: تفسير اللباب ج١٨ ص١٣٣.

وقال أبو منصور: «من قرأ (ندعوه أنه) بفتح الألف فمعناه؛ لأنه أو بأنه، ومن قرأ: إنه فهو استئناف»(٤٣٨). وقال مكي: «بفتح الهمزة على تقدير؛ لأنه هو البر و(أن) اسم لدخول حرف الجر عليها، وقرأ الباقون بكسر الهمزة على القطع والابتداء، و(إن) حرف للتأكيد وفي القراءتين بمعنى التأكيد أن الله برّ رحيم، لكن الكسر أمكن في التأكيد من الفتح؛ لأن الكسر فيه معنى الإلزام أنه برٌّ رحيم على كل حال بالمؤمنين، والفتح فيه معنى فعل شيء لأجل شيء آخر؛ لأن دعاءهم إياه كان لأنه برٌّ رحيم بالمؤمنين، فالكسر أبين في التأكيد»(٤٣٩).

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين يكون المعنى: أن الله تعالى برٌّ رحيم غفور، وهذه عقيدة عند المؤمنين؛ ولذلك هم كانوا يدعونه ويعبدونه حُبًّاً فيه، وخوفاً منه سبحانه، ورجاءً بأن يغفر لهم ويرحمهم.

٧ ـ **قال تعالى**: ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الطور: ٣٧].

القراءات:

١ ـ قرأ قنبل وهشام وحفص بخلف عنه (المسيطرون) بالسين.

٢ ـ وقرأ حمزة بخلف عن خلاد (المصيطرون) بإشمام الصاد زاياً.

٣ ـ وقرأها الباقون بصاد خالصة(٤٤٠).

المعنى اللغوي للقراءات:

سَيْطَرَ سَيْطَرَةً وتَسَيْطَرَ عليهم كان مُسيطراً عليهم أي رقيباً ومتسلطاً

---

(٤٣٨) معاني القراءات ج٣ ص٣٥.

(٤٣٩) الكشف ج٢ ص٢٩١، ٢٩٢.

(٤٤٠) انظر: غيث النفع ص٣٠٥، والبدور الزاهرة ص٣٨٣.

ومتعهداً لأعمالهم وأحوالهم وأصله من السطر[٤٤١].

التفسير:

جاءت هذه الآية الكريمة في سياق مجموعة من الآيات الكريمة التي تنكر على الكافرين تكذيبهم وإنكارهم وعدم إيمانهم، والاستمرار في كيدهم للنبي ﷺ.

فالمتصرف الوحيد، والمسيطر على كل تفاصيل هذا الكون، هو الله تعالى، لا هم ولا أحد غيره. وهو ﷻ عنده خزائن الرزق والنبوة.

قال الشوكاني: «﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ﴾ أي خزائن أرزاق العباد، وقيل: مفاتيح الرحمة»[٤٤٢]. وجاء في البحر المديد بأن الخزائن بمعنى النبوة والرزق، وغيرها[٤٤٣].

وقال سيد قطب: «وإذا لم يكونوا كذلك، ولم يدعوا هذه الدعوة، فمن ذا يملك الخزائن؟ ومن ذا يسيطر على مقاليد الأمور؟ القرآن يقول: إنه الله القابض الباسط المدبّر المتصرف، وهذا هو التفسير الوحيد لما يجري في الكون من قبض وبسط وتصريف وتدبير بعد انتفاء أن يكونوا هم المالكين للخزائن، المسيطرين على تصريف الأمور»[٤٤٤].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

الواضح أن القراءات الثلاث كلها بمعنى واحد؛ لأن الأصل هي السين، ولكن كتبه بعض الناس، وقرأه بالصاد، مراعاة للطاء ليتناسب النطق[٤٤٥]. قال الألوسي: «(المسيطرون) بالصاد لمكان حرف الاستعلاء

(٤٤١) انظر: المنجد في اللغة والأعلام ص٣٦٨.
(٤٤٢) فتح القدير ج٥ ص١٢٢.
(٤٤٣) انظر: البحر المديد ج٧ ص٢٢٧.
(٤٤٤) الظلال ج٦ ص٣٤٠٠.
(٤٤٥) انظر: المحرر الوجيز ج٥ ص١٩٣.

وهو الطاء»[٤٤٦].

وقال ابن زنجلة: «(والمسيطرون) الأرباب المتسلطون. يقال: تسيطر علينا، وتصيطر بالصاد والسين، والأصل السين، وكل سين بعدها طاء يجوز أن تقلب صاداً ويجوز الإشمام»[٤٤٧].

وقال مكي: «وحجة من قرأ (السراط) بالسين، وهو قنبل وابن كثير أن السين في هذا هو الأصل، وإنما أبدل منها صاداً؛ لأجل الطاء التي بعدها، فقرأها على أصلها، ويدل على أن السين هو الأصل أنه لو كانت الصاد هي الأصل لم ترد إلى السين؛ لضعف السين، وليس من أصول كلام العرب أن يردُّوا الأقوى إلى الأضعف، وإنما أصولهم في الحروف إذا أبدلوا أن يردُّوا الأضعف إلى الأقوى أبداً، وحجة من قرأ بالصاد أنه اتبع المصحف وأن السين حرف مهموس فيه تَسَفُّل وبعدها حرف مطبق مجهور مستعل، واللفظ بالمطبق المجهور بعد المُسْتَفِل المهموس فيه تَكَلُّف وصعوبة، فأبدل من السين صاداً لمؤاخاتها الطاء في الإطباق والتصعيد؛ ليكون عمل اللسان في الإطباق والتصعيد عملاً واحداً، فذلك أسهل وأخف وعليه جمهور العرب وأكثر القراء. ثم قال: وحجة من قرأه بين الصاد والزاي وهو خلف عن حمزة أنه لما رأى الصاد فيها مخالفة للطاء في الجهر؛ لأن الصاد حرف مهموس والطاء حرف مجهور، أشم الصاد لفظ الزاي للجهر الذي فيها فصار قبل الطاء حرف يشابهها في الإطباق وفي الجهر»[٤٤٨].

الجمع بين القراءات:

كلا القراءتين بمعنى واحد، وقد أفادتنا بأن المتصرف الوحيد بهذا الكون هو الله تعالى لا غيره، وإنما أبدلت السين صاداً لصعوبة النطق بالسين عند الطاء، ولنفس السبب أُشربت الصاد زاياً، وتمَّ بيان ذلك سابقاً.

(٤٤٦) روح المعاني ج١٤ ص٣٨.

(٤٤٧) حجة القراءات ص٦٨٤.

(٤٤٨) الكشف ج١ ص٣٤ وذلك عند الحديث عن الصراط في سورة الفاتحة.

٨ ـ قال تعالى: ﴿فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الطور: ٤٥].

القراءات:

أ ـ قوله تعالى: ﴿يُلَٰقُوا۟﴾

١ ـ قرأ أبو جعفر (يَلْقَوا) بفتح الياء وإسكان اللام وفتح القاف.

٢ ـ وقرأها الباقون (يُلاَقُوا) بضم الياء وفتح اللام وألف بعدها مع ضم القاف[٤٤٩].

ب ـ قوله تعالى: ﴿يُصْعَقُونَ﴾

١ ـ قرأ ابن عامر وعاصم (يصعقون) بضم الياء.

٢ ـ وقرأ الباقون بفتحها[٤٥٠].

المعنى اللغوي للقراءات:

أ ـ (يلاقوا)

لَقِيَه لِقَاءً بالكسر والمد، ولُقىً بالضم والقصر، ولُقِيّاً بالضم والتشديد ولُقْيَاناً ولُقْيَانَةً واحدة بالضم فيها ولَقْيَه واحدة بالفتح ولِقَاْءة واحدة بالكسر والمد، ولا تقل لَقَاةً فإنها مُوَلَّدة وليست من كلام العرب، وأَلْقَاْهُ طَرَحَهُ تقول أَلْقِهْ من يدك وأَلْق به من يدك، وألقى إليه المودَّة وبالمودَّة، والْتَقَوْا وتَلاَقَوْا بمعنى، واستلقى على قفاه، وتَلَقَّاْهُ أي استقبله[٤٥١].

ب ـ (يصعقون)

صعق الإنسان صَعْقاً وصَعَقاً فهو صَعِقٌ: غُشِيَ عليه وذهب عقله من

---

(٤٤٩) انظر: البدور الزاهرة ص٣٨٣.

(٤٥٠) انظر: النشر ج٢ ص٢٨٨.

(٤٥١) انظر: مختار الصحاح ص٣٢٥.

صوت يسمعه كالهَدَّة الشديدة. والصعيق هو الذي صُعِق فَمَات. وقد مر تعريفها في سورة الذاريات(٤٥٢).

التفسير:

جاءت هذه الآية الكريمة بتعابير فريدة عجيبة، فهي إضافة إلى أنها تحمل في طياتها التهديد والوعيد، إلا أنها في هذه المرة قد أوقفت الكافرين المعاندين عند حدِّهم، ووضعت حدّاً لكبرهم وغرورهم، فلا يحسب هؤلاء الكفار الذين يتحدث إليهم النبي، ويناقشهم ويعرض عليهم الإيمان طمعاً في إيمانهم ورحمة بهم، لا يحسبون أن النبي ﷺ في حاجة إليهم، بل الأصل أنهم هم في حاجته، فهم المحتاجون إلى الإيمان، فلا يأخذهم بذلك الغرور، وكأنه يقول لهم: إن بقيتم على عنادكم وتكذيبكم بعد ما عرفتم من الحق الذي جاء به إليكم النبي ﷺ فليس لكم بعد ذلك إلا الذل والإهمال، فلا مجال ولا خيار لكم بعد هذا البيان إلا الإيمان وإتباع الرسول ﷺ، أو تركِكم إلى مصيركم المحتوم والعذاب الأليم.

يقول الصابوني في تفسيره لهذه الآية: «أي اتركهم يا محمد يتمادون في غيهم وضلالهم حتى يلاقوا ذلك اليوم الرهيب يوم القيامة الذي يأتيهم فيه من العذاب ما يزيل عقولهم ويسلب ألبابهم»(٤٥٣).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أولاً: قوله تعالى: ﴿يُلَقُوا﴾

أفادت القراءة بـ(يلقوا) بفتح الياء وإسكان اللام وفتح القاف، أن هؤلاء الكفار المعاندين يلقون هذا اليوم الذي توعدهم به الله تعالى، وما به من شدة وعذاب، وهذا اللقاء لهذا العذاب سيكون بدفعهم إليه، فهم الذين

(٤٥٢) انظر: ص١١٥.
(٤٥٣) صفوة التفاسير ج٣ ص٢٥١.

سيلقونه؛ وذلك لأنهم هم الذين اختاروا كفرهم ورفضهم للإيمان في حياتهم الدنيا.

أما القراءة بـ (يلاقوا) فقد أفادت معنى المشاركة والمفاعلة، فإذا كانوا على القراءة الأولى هم المدفوعون للعذاب، المنساقون إليه، فإن العذاب على هذه القراءة مندفع إليهم أيضاً، فأصبح الفعل فيه مشاركة من الطرفين، فكلاهما يندفع إلى الآخر، فهم مدفوعون إلى العذاب، والعذاب مدفوع إليهم.

كذلك فإن هذه المشاركة والمفاعلة تفيد مدى المشقة التي سيلاقيها هؤلاء، لما في المعنى من مكابدة، فهم على هذه القراءة يلاقون ويكابدون ويصارعون، فهم إذن في عذاب وضنك شديدين طويلين، وكلمة (يلاقون) تفيد الاستمرار والتنوع وطول فترة العذاب، ودلّ عليه المد، حيث إن المد يدل على طول زمن الفعل، فهم يلاقون العذاب مرة بعد مرة، وصنفاً بعد صنفٍ. قال إطفيش: «﴿حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ﴾ مفاعلة بمعنى الفعل، وقال: أو شَبَّهَ اليوم بشيء يتلقاهم، فتكون المفاعلة على بابها»[٤٥٤]. كذلك ويحتمل إضافة لما سبق ذكره أن قراءة (يلقوا) تدل على سرعة لقاء العذاب لهؤلاء الكفار في الدنيا كما حصل معهم في غزوة بدر.

وأما قراءة (يلاقوا) تدل على طول فترة الإمهال لهم، حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون في الآخرة؛ لأن المد يدل على طول زمن الفعل، وفي ذلك زيادة تهديد؛ لتذهب نفوسهم كل مذهب ممكن[٤٥٥].

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين، يتبيّن لنا بأن هذا العذاب الذي توعدهم الله تعالى به هو عذاب شديد، فيه مكابدة ومفاعلة، وهذا العذاب هو عذاب

(٤٥٤) تفسير إطفيش ج١٠ ص٣٨٠.

(٤٥٥) انظر: رسالة في تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر / الباحث عماد شعبان الشريف - إشراف: د. رياض قاسم - ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م - ص١٧٩.

طويل متتابع يلاقيهم مرة بعد مرة، وأصنافه مختلفة، يلاقيهم صنفاً بعد صنف.

ثانيا: قوله تعالى: ﴿يُصْعَقُونَ﴾

أفادت القراءة بـ (يَصعقون) بفتح الياء بمعنى يموتون، والفعل منسوبٌ إليهم أي هم يموتون.

أما القراءة بـ (يُصعَقون) أي أن غيرهم هو الذي يصعقهم.

قال الكرماني: «(يومهم الذي فيه يَصعقون) أي يموتون من قوله: ﴿فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الزمر: ٦٨]. وقرأ عاصم: بضم الياء من أصعقهم الله إذا قتلهم وأهلكهم»[٤٥٦].

وقال الشيخ أحمد البنا: «بضم الياء مبنياً للمفعول، والمعنى أن غيرهم أصعقهم، والباقون بفتحها مبنياً للفاعل»[٤٥٧].

وعلى هذا، فإذا كانت كلا القراءتين أفادت معنى أن هذا سيقع لهم يوم سيقتلون، أو يموتون في يوم بدر، أو يوم القيامة، حسب ما جاء في التفاسير[٤٥٨]، فإن القراءة بالضم تفيد أن هذا الهلاك، وهذا الموت، إنما حدث لهم من شدة ما رأوا من الأهوال، وعظيم الزلزال.

قال البقاعي: «(يصعقون) بالموت من شدة الأهوال، وعظيم الزلزال كما صُعِقَ بنو إسرائيل في الطور»[٤٥٩]. وهذا حدث لهم يوم بدر، فقد عُذِّبوا وقُتِّلوا وشاهدوا أهوالاً جساماً، وسيحدث لهم ذلك يوم القيامة.

والقراءة بالضم تفيد مدى شدة ما سيلاقونه من العذاب والصعق؛ لأن الضمة من أقوى الحركات على الإطلاق، كذلك ويحتمل أن يكون المعنى

(٤٥٦) مفاتيح الأغاني ص٣٨٤.

(٤٥٧) إتحاف فضلاء البشر ج٢ ص٤٩٨.

(٤٥٨) انظر: روح المعاني ج١٤ ص٣٩، وفتح القدير ج٥ ص١٢٣.

(٤٥٩) نظم الدرر ج٧ ص٣٠٩.

على القراءة بالفتح، أن ذلك الذي يتوعدهم الله به سيحدث لهم عند موتهم العادي حين يموتون واحداً تلو الآخر، وعلى القراءة بالضم، أي أن ذلك سيحدث لهم عندما يهلكهم الله تعالى سواء في يوم بدر أو يوم القيامة.

قال أبو حيان: «أي يوم موتهم واحداً واحداً والصعق العذاب أو يوم بدر لأنهم عذبوا فيه، أو يوم القيامة»(٤٦٠).

الجمع بين القراءتين:

والجمعُ بين القراءتين، يُظهر لنا بأن هذا الموت الذي سيقع لهم، إنما سيقع من شدة هول العذاب، أو أن هذا الذي يتوعدهم الله تعالى به، سيلاقونه حين يموتون واحد تلو الآخر أو بعذاب أو إهلاك من الله تعالى.

تمت سورة الطور بحمد الله تعالى وتوفيقه.



(٤٦٠) البحر المحيط ج٨ ص١٥٠.

المبحث الثاني
عرض وتفسير لآيات سورة النجم
المتضمنة للقراءات القرآنية العشر

بين يدي السورة:

هذه السورة هي سورة مكية، وهي إحدى وستون آية، وهي أول سورة أعلنها رسول الله ﷺ بمكة المكرمة، وهي سورة ذات طابع خاص، تمتاز بأنها منظومة ذات نغم وإيقاع، وموزونة ومقفاة، تبحث في موضوع الرسالة في إطارها العام، والبعث والنشور(٤٦١).

مناسبتها لما قبلها:

العلاقة بين السورتين واضحة جلية، فسورة الطور اختتمت بذكر النجوم، وهذه السورة افتتحت بذكر النجم، والأولى فيها ذكر لذرية المؤمنين، وهذه فيها ذكر لذرية اليهود(٤٦٢).

الموضوع العام للسورة:

تتحدث السورة الكريمة في موضوعها الرئيس عن قصة الإسراء والمعراج، التي حدثت مع رسول الله ﷺ، وبيان صدق الوحي، وتستعرض

(٤٦١) انظر: الجامع لأحكام القرآن ج٩ ص٢٠٦، والظلال ج٦ ص٣٤٠٥.

(٤٦٢) انظر: روح المعاني ج١٤ ص٤٤.

أصول العقيدة كما هي منذ أقدم الرسالات، وكل ذلك في مقاطع عامة للسورة وهي:

المقطع الأول: ابتدأت الحديث في هذا المقطع عن الإسراء والمعراج، وأكدت صدق رسول الله ﷺ فيما رأى من عجائب وغرائب في ملكوت الله تعالى الواسع، وأكدت صدق الوحي ووهن عقيدة الشرك.

المقطع الثاني: تناولت في هذا المقطع الحديث عن آلهتهم المدعاة، وأوثانهم الباطلة، وهي اللات والعزى ومناة، وذكرت أوهامهم وافتراءاتهم على الملائكة، بأنها بنات الله تعالى، واعتمادهم في ذلك على الظن الباطل.

المقطع الثالث: في هذا المقطع يأمر الله تعالى بالإعراض عن المكذبين، وتركهم إلى مصيرهم، وعدم الحزن عليهم، وفي ذلك لفتة وإشارة تهديد ووعيد لهم، وتحقيرٌ لحالهم؛ لأنهم أصرُّوا على كفرهم بعد بيان الحق، وظهور بطلان شركهم.

المقطع الرابع: وفي هذا المقطع يقرر الله تعالى عقيدة راسخة، وحقيقة عادلة، وهي أنه لا تحمل نفسٌ خطايا غيرها، ولا تجزى إلا بما قدمت هي من قول وعمل.

المقطع الخامس: ولما ذكر الله تعالى موضوع المحاسبة والجزاء، أخذ في استعراض قدرته تعالى في الإحياء والإماتة، وبيان أصل خلق الإنسان، ثم عرجت على ذكر الأقوام التي طغت وبغت، وكيف أن الله تعالى أهلكهم في لفتة تحذير ونذير؛ ليعود الناس إلى ربهم ويعبدوه حق العبادة(٤٦٣).

١ ـ **قال تعالى:** ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ⑪﴾ [النجم: ١١].

(٤٦٣) انظر: الظلال ج٦ ص٣٤٠٥، وصفوة التفاسير ج٣ ص٢٥٣.

القراءات:

١ ـ قرأ أبو جعفر وهشام (كذَّب) بتشديد الذال.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿كَذَبَ﴾ بتخفيفها[(٤٦٤)].

المعنى اللغوي للقراءتين:

كذب: هو كذوب وكذَّاب وكُذَبة وكَيْذُبانٌ، وكذَبَ أخاه كذِباً وكِذَّاباً وليس لمكذوبٍ رأيٍ. وكاذبه مكاذبة وكِذاباً، والصدوق لا يكاذب وتكذّب تكلّف الكَذِبَ، وكذَّبه وكذَّبَ به: جعله كاذباً بأن وصفه بالكذب. وهو من تكذيب العرب. وجاء بأكذوبة وأكاذيب. وواعدني فأكذبته وجدته كاذباً[(٤٦٥)].
والكذبُ هو الإخبار عن الشيء بخلاف ما هو، سواءٌ فيه العمد والخطأ، ولا واسطة بين الصدق والكذب[(٤٦٦)].

التفسير:

تناولت هذه الآية حدثاً عظيماً جليلاً من الأحداث العظيمة الجليلة، التي حدثت لرسول الله ﷺ ليلة الإسراء والمعراج، وهذا الحدث هو الرؤيا. واختلف المفسرون فيها، فمنهم من قال: هو رأى ربَّه ﷻ. وقال غيرهم: بل رأى جبريلَ عليه السلام[(٤٦٧)].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت القراءة بالتخفيف، أن قلب محمد عليه الصلاة والسلام لم يوهمه بأنه رأى، بل كانت رؤية صادقة حقيقية، وليست وهماً ولا خيالاً، فكان قلبه صادقاً فيها.

(٤٦٤) انظر: النشر ج٢ ص٢٨٨، التجريد لبغية المريد ص٣١٢.
(٤٦٥) انظر: أساس البلاغة ص٣٨٩.
(٤٦٦) انظر: المصباح المنير ص٣١٤.
(٤٦٧) انظر: نظم الدرر ج٧ ص٣١٥.

أما القراءة بالتشديد فقد أفادت بأن قلب محمد ﷺ لم ينكر ما رأته عينه، بل صدَّق وأكَّد.

قال ابن الجوزي: «فمن شدَّد أراد ما أنكر فؤادُه ما رأته عينُه؛ ومن خفَّف أراد: ما أوهمه فؤاده أنه رأى ولم ير، بل صَدَقَ الفؤاد رؤيته»(٤٦٨). وإلى ذلك ذهب الماوردي وغيره(٤٦٩).

وقال الشيخ أحمد البنا: «بتشديد الذال أي ما رآه سيدنا محمد ﷺ بعينه صدَّقه قلبُه ولم ينكره. وبالتخفيف: أي صَدَق قلبُ محمد ﷺ في رؤية ربه تعالى»(٤٧٠). وقال بذلك أيضاً ابن زنجلة والأزهري(٤٧١).

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين يتبيّن لنا بأن محمداً ﷺ قد حدثت له الرؤيا لله تعالى أو لجبريل على الاختلاف، وهذه الرؤيا بالبصر لم تكن وهماً ولا خيالاً، بل صَدَق بذلك قلبُه، فكانت حقاً، وكذلك إن قلب محمد ﷺ لم ينكر هذه الرؤية الحقيقية، بل صدَّقها وأكدها.

٢ ـ **قال تعالى:** ﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾﴾ [النجم: ١٢].

القراءات:

١ ـ قرأ حمزة والكسائي وخلف ويعقوب (أفتَمْرونه) بفتح التاء وإسكان الميم من غير ألف.

٢ ـ وقرأها الباقون ﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ﴾ بضم التاء وفتح الميم وألف بعدها(٤٧٢).

(٤٦٨) زاد المسير ص١٣٦٢.

(٤٦٩) انظر: النكت والعيون ج٥ ص٣٩٤.

(٤٧٠) إتحاف فضلاء البشر ج٢ ص٤٩٩، ٥٠٠ (بتصرف).

(٤٧١) انظر: حجة القراءات لابن زنجلة ص٦٨٥، ومعاني القراءات للأزهري ج٣ ص٣٧.

(٤٧٢) انظر: النشر ج٢ ص٢٨٨.

المعنى اللغوي للقراءتين:

أفتمارونه: مريتُ الناقةَ مَرْياً إذا مسحتُ ضرعها ليدرّ. وأمْرَتِ الناقةُ أي درَّ لبنُها. ومَرَاه حقَّه أي جحده[٤٧٣]. وماراه مراءً جادله. والامتراء في الشيء الشك فيه[٤٧٤].

التفسير:

هذه الآية تبيِّن لنا موقف الكافرين تجاه هذه الكرامة الكبيرة التي كرَّم الله بها نبيه محمداً ﷺ، وفيها إنكار وتقريع لهم ولهذا الموقف الذي وقفوه.

قال الخازن: «يعني أفتجادلونه على ما يرى، وذلك أنهم جادلوه حين أسري به وقالوا له صف لنا بيت المقدس وأخبرنا عن عيرنا في الطريق وغير ذلك مما جادلوه به. والمعنى: أفتجادلونه جدالاً ترمون به دفعه عمَّا رآه وعَلِمَه»[٤٧٥]. وقال الشعراوي: «أفتجادلونه على ما رأى من آيات الله تعالى»[٤٧٦].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت القراءة بضم التاء وفتح الميم (أفتُمَارونه) على معنى أتجادلونه، أي أنهم أكثروا من الجدال والأسئلة لرسول الله ﷺ، فكانوا يسألون والرسول ﷺ يجيبهم، فسألوا عن وصف المسجد الأقصى، وسألوا عن العير وغير ذلك.

أما القراءة بفتح التاء وتسكين الميم (أفتَمْرونه) فقد أفادت بأن هؤلاء الكفار جحدوه، وأنكروا وكذبوا ما قاله لهم رسول الله ﷺ.

---

(٤٧٣) انظر: الصحاح في اللغة ص١٠٩٥.
(٤٧٤) انظر: مختار الصحاح ص٣٣٥.
(٤٧٥) تفسير الخازن المجلد الرابع ج٦ ص٢٥٨.
(٤٧٦) زبدة التفاسير ص٦٠٤.

قال البغوي: «(أفتَمرونه) بفتح التاء وسكون الميم بلا ألف: أي أفتجحدونه. تقول العرب: مريت الرجل إذا جحدته.

وبالألف وضم التاء (أفتُمارونه) على معنى أفتجادلونه على ما يرى وذلك أنهم جادلوه حين أسرى به ﷺ فقالوا: صف لنا بيت المقدس، وأخبرنا عن عيرنا في الطريق، وغير ذلك مما جادلوه به وكانوا يهدفون إلى دفعه عمّا شاهده»[٤٧٧]. قاله الطبري[٤٧٨] والشوكاني[٤٧٩]. وقال بذلك أيضاً: ابن خالويه[٤٨٠]، ومكي[٤٨١].

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين، يظهر أن هؤلاء الكفار الذين حدثهم رسول الله ﷺ عن رحلته المباركة في الإسراء والمعراج لم يصدّقوا رسول الله ﷺ، وأخذوا يجادلونه جدالاً كبيراً، وكان هدفهم من هذا الجدال هو إنكارهم وتكذيبهم، لرسول الله ﷺ، ومحاولة صرفه ودفعه عن ما رأى وعلم.

٣ ـ **قال تعالى**: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾﴾ [النجم: ١٩].

القراءات:

١ ـ قرأ رويس (اللاتَّ) بتشديد التاء مع المد المشبع.

٢ ـ وقرأها الباقون (اللات) بالتخفيف.

٣ ـ وقرأها الكسائي (اللاه) بالهاء عند الوقف فقط والباقون بالتاء[٤٨٢].

(٤٧٧) تفسير البغوي ج٥ ص١٥٣ (بتصرف).
(٤٧٨) انظر: جامع البيان ج٩ ص٧٦٨٦.
(٤٧٩) انظر: فتح القدير ج٥ ص١٢٨.
(٤٨٠) انظر: الحجة في القراءات السبع ص٣٣٥.
(٤٨١) انظر: الكشف ج٢ ص٢٩٤، ٢٩٥.
(٤٨٢) انظر: البدور الزاهرة ص٣٨٤.

المعنى اللغوي للقراءات:

لات اسم لصنم كانوا يعبدونه، ومرَّ تعريفها في اللغة عند تفسير سورة الحجرات(٤٨٣).

التفسير:

إن لهذه الآية مدلولات عظيمة وساحرة، فهي إضافة للمعنى الظاهر المعروف، تحمل معاني ساحرة باهرة، فيها تبكيت وتحسير للكافرين، وفيها كذلك تذكير لهم، فلو نظرنا بتفحص لوجدنا أن هذه الآية جاءت بعد أن عرض لنا الله ﷻ موقف المشركين المكذبين المنكرين لقصة الإسراء والمعراج وما تخللها من كرامات، ثم قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾ تأكيداً لما حدث، وتعظيماً له فإن الذي رآه رسولنا عظيم وكبيرٌ، وآيات وكرامات ومشاهد باهرة وحقيقية، وبعد هذه الآية يأتي قول الله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾﴾، وفي ذلك مفارقة عجيبة ومناسبة أعجب تُظْهِرُ لهؤلاء الكافرين والمنكرين مدى تفاهتهم وسفه عقولهم. وكأن الله تعالى يقول لهم لقد علمتم وسمعتم ما حدث لمحمد رسول الله عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم من الكرامات، وعلمتم قدر الله تعالى وقدر رسوله ﷺ، إلا أنكم تنكرون وتجادلون. فأخبروني عن آلهتكم التي تعبدونها من دون الله وماذا فعلت لكم؟ فهل لها شيء من أفعال العظمة التي يتصف بها الله ﷻ؟!.

قال الزمخشري: «(اللات والعزى ومناة) أصنام كانت لهم وهي مؤنثات»(٤٨٤).

وقال الصابوني: «أي اخبرونا يا معشر الكفار عن هذه الآلهة التي تعبدونها (اللات والعزى ومناة) هل لها شيء من القدرة والعظمة التي وُصف

---

(٤٨٣) انظر: ص٧٧.

(٤٨٤) تفسير الكشاف ج٤ ص٣٩.

بها ربّ العزة حتى زعمتم أنها آلهة»(٤٨٥).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة بالتخفيف على أنها اسم صنم كانوا يعبدونه.

أما القراءة بالتشديد، فقد جاءت اسم فاعل؛ للدلالة على أصل وسبب التسمية، فهي نسبة للرجل الذي كان يقوم على إطعام الحجاج، وكان يلِتّ لهم السويق، فلما مات عبدوه، وصنعوا على هيئته صنماً. قال أبو السعود: «وقرئ بتشديد التاء على أنه اسم فاعل اشتهر به رجل كان يلتّ السمنَ بالزيت، ويطعمه الحاجّ، وقيل: كان يلتُّ السويقَ بالطائف، ويُطعمهُ الحاجَّ، فلمَّا مات عكفوا على قبره يعبدونه، وقيل كان يجلس على حجر، فلما مات سُمِّيَ الحجر باسمه، وعُبد من دون الله تعالى. وقيل: كان الحجر على صورتِه»(٤٨٦).

وقال ابن الجوزي: «فقرأ الجمهور بتخفيف التاء، وهو اسم صنم كان لثقيف اتخذوه من دون الله. وقال: (اللات) ورد في تفسير ذلك عن ابن عباس ومجاهد، أن رجلاً كان يأتي السويق للحجاج فلما مات عكفوا على قبره فعبدوه. وقال بذلك أيضاً الرازي في تفسيره، وغيره(٤٨٧).

وقال الشيخ أحمد البنا عن القراءة بتشديد التاء: «قال ابن عباس: كان رجلاً بسوق عكاظ يلت السمن والسويق عند صخرة ويطعمه الحاج، فلما مات عبدوا الحجر الذي كان عنده إجلالاً لذلك الرجل سموه باسمه. أما القراءة بالتخفيف: فهي للدلالة على اسم صنم لثقيف بالطائف»(٤٨٨).

يقول الباحث: أما عن القراءة بالهاء عند الوقف (اللاه) فقد تفرد بها

---

(٤٨٥) صفوة التفاسير ج٣ ص٢٥٧.

(٤٨٦) تفسير أبو السعود ج٦ ص١٥٥.

(٤٨٧) انظر: تفسير الرازي ج١٠ ص٢٤٧.

(٤٨٨) إتحاف فضلاء البشر ج٢ ص٥٠١ (بتصرف).

الكسائي. وهذه القراءة على الأصل، إذ أنهم اشتقوا اسم هذا الصنم من اسم الله تعالى.

فقد كان المشركون يتعاطون (الله) اسماً لبعض أصنامهم، فصرفهم الله إلى اللات صيانة لهذا الاسم وذبًّا عنه[٤٨٩].

قال ابن خالويه: «فأما الوقف على اللات فبالتاء إجماعاً إلا ما تفرد به الكسائي من الوقف عليها بالهاء والاختيار التاء؛ لأن الله تعالى منعهم أن يحلفوا بالله قالوا (اللات)، ولما منعهم أن يحلفوا بالعزيز قالوا (العُزَّى)»[٤٩٠].

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءات، يتضح لنا: بأن الكفار اتخذوا أصناماً لهم، واشتقوا أسماءً لها من اسم الله تعالى، وهذه الأصنام منها، اللات. كذلك وإن تسمية بعض الأصنام يرجع إلى ذلك الرجل الذي كان يلت السويق، ويطعمه للحجاج، فسَمُّوا الصنم باسمه، والله أعلم.

٤ ـ **قال تعالى:** ﴿وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾﴾ [النجم: ٢٠].

القراءات:

١ ـ قرأ ابن كثير (ومناءة) بهمزة بعد الألف.

٢ ـ وقرأها الباقون ﴿وَمَنَوٰةَ﴾ بغير همز[٤٩١].

المعنى اللغوي للقراءتين:

مناة: قال ابن منظور: «ومنىً بمكة، يُصرف ولا يُصرف، سُمِّيت

(٤٨٩) انظر: زاد المسير ص١٣٦٣.

(٤٩٠) الحجة في القراءات السبع ص٣٣٦.

(٤٩١) انظر: النشر ج٢ ص٢٨٨، وغيث النفع ص٥٠٤.

بذلك لما يُمنى فيها من الدماء أي يُراق. ومنَاة صخرة»[٤٩٢] وقال الرازي: «ومَنَاةُ اسم صنمٍ كان لِهُذَيلٍ وخُزَاعَة بين مكة والمدينة»[٤٩٣].

التفسير:

هذه الآية عبارة عن خطاب من الله تعالى للكافرين، يسألهم فيه عن هذه الآلهة الباطلة التي لا حول لها ولا قوة ولا تضر ولا تنفع، عسى أن يفكروا فيما هم فيه من جهل وضلال، فيمتنعوا عنه وينزجروا. والمعنى: أخبروني عن هذه الأصنام التي اتخذتموها آلهة، وتركتم عبادة ربكم الذي خلقكم، ووهبكم الحياة وشتَّى أصناف النعم. قال الزمخشري: «(ومناة) هي صخرة لهذيل وخزاعة وعن ابن عباس ﷺ لثقيف»[٤٩٤].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت القراءة بالهمزة (منأت) أنها مشتقة من النوء، وهو المطر؛ وذلك لأنهم كانوا يستمطرون عندها الأنواء.

أما القراءة بدون همزة (منات) فهي مشتقة من مَنَىٰ يَمْنِي بمعنى صَبَّ؛ وذلك لأن دماء النسائك كانت تُصَبّ عندها، وهناك من قال كانت مياه تصب عندها.

قال ابن عادل: «أما قراءة ابن كثير (منأت) فاشتقاقها من النوء، وهو المطر؛ لأنهم كانوا يستمطرون عندها الأنواء. وأما قراءة العامة (منات) فاشتقاقها من منى يمني أي صَبَّ لأن دماء النسائك كانت تصب عندها»[٤٩٥]. وقال بذلك البيضاوي وغيرهم[٤٩٦].

---

(٤٩٢) لسان العرب ج١٥ ص٢٩٣، ٢٩٧ (بتصرف).
(٤٩٣) مختار الصحاح ص٣٤٢.
(٤٩٤) تفسير الكشاف ج٤ ص٣٩ (بتصرف).
(٤٩٥) تفسير اللباب ج١٨ ص١٧٧. (بتصرف).
(٤٩٦) انظر: تفسير البيضاوي ج٥ ص٢٥٦.

وزاد على ذلك الدكتور محمد محيسن بقوله: «بغير همز: (منات) وهي مشتقة من منى يمني أي صبَّ لأن ماء البحار كانت تصب عندها»(٤٩٧).

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين، يظهر لنا بعض ما كان يفعله الكفار عند هذه الأصنام. فإن هذه الأصنام التي كانوا يعبدونها من دون الله كانوا يصُبُّون دماء الذبائح والنسائك عندها، وكانوا يستمطرون عندها، أي يدعون ويطلبون نزول المطر.

٥ ـ قال تعالى: ﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾﴾ [النجم: ٢٢].

القراءات:

١ ـ قرأ ابن كثير المكي (ضِئْزَى) بهمزة ساكنة بعد الضاد.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿ضِيزَىٰٓ﴾ بياء تحتية ساكنة بعد الضاد(٤٩٨).

المعنى اللغوي للقراءتين:

(ضيزى): ضاز في الحكم أي جار. يقال: ضازه حقه يَضِيْزُهُ ضَيْزاً، أي بَخَسَه ونقصه. وقد يهمز فيقال: ضَأَزَهُ ضَأْزاً. وقوله تعالى: ﴿قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ﴾ أي جائرة، وبعض العرب تقول: ضِئْزى ضُؤزى بالهمز(٤٩٩). وقال الرازي: «وإنما كسروا الضاد لتَسْلم الياءُ؛ لأنه ليس في الكلام فِعْلَى صِفَةً، وإنما هو من بناء الأسماء، كالشِّعْرَى والدِّفْلَى(٥٠٠)، ومن العرب من يقول

---

(٤٩٧) المستنير ج٣ ص١٣٥ (بتصرف).

(٤٩٨) انظر: التذكرة في القراءات ج٢ ص٦٦٨، ٦٩٩، والبدور الزاهرة ص٣٨٤.

(٤٩٩) انظر: الصحاح في اللغة ص٦٥٥.

(٥٠٠) والدِّفلى: هي نَبت مُرٌّ يكون واحداً وجمعاً، يُنَوَّن ولا يُنوَّن. [انظر: مختار الصحاح للإمام الرازي ص١٢٢].

ضِئْزَى بالهمزة»[٥٠١].

التفسير:

يشير الله ﷻ إلى ذلك المنطق الباطل الأعوج، الذي يسلكه الكافرون. حيث إنهم يكرهون لأنفسهم البنات، ويجعلونهن وينسبونهن لله تبارك وتعالى.

وقوله تعالى: ﴿تِلْكَ﴾ إشارة إلى القسمة المنفهمة من الجملة الاستفهامية ﴿إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾﴾ أي جائرة غير معتدلة، يعني القسمة التي قسمتم من نسبة البنات إلى الله تعالى، وإيثاركم أنفسكم البنين، حيث جعلتم له سبحانه ما تستنكفون منه، ولا ترضونه لأنفسكم، فكيف ترضونه لله تعالى؟![٥٠٢].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

هناك من اعتبر أن كلا القراءتين بمعنى واحد، وممن قال بذلك: بعض علماء التفسير وجمهرة من علماء القراءات[٥٠٣].

إلا أن هذا المذهب وهذا القول لا يمنع من البحث، لمحاولة الوصول إلى فرق منطقي ومقبول. فصحيح أن المعنى قد يكون متقارباً إلى درجة أن يحكم عليه البعض أو الكل بأنه بمعنى واحد، إلا أنه قد يكون هناك فرق ولو كان دقيقاً، خاصة إذا علمنا بأن هناك عدداً من علماء التفسير يشيرون إلى ذلك الفرق في هذه الكلمة.

وعليه فقد أفادت القراءة بالمد والهمز (ضائزة) بمعنى ظالمة أو جائرة أو منقوصة.

---

(٥٠١) مختار الصحاح ص٢١٦.

(٥٠٢) انظر: روح المعاني ج١٤ ص٥٧، وتفسير النيسابوري ج٤ ص١٩٩.

(٥٠٣) انظر: تفسير النيسابوري ج٤ ص٢٠٠، وحجة القراءات ص٦٨٦، معاني القراءات للأزهري ج٣ ص٣.

أما القراءة بدون مد وبغير همز (ضيزى)، فقد أفادت معنى المبالغة في الجور والظلم، فهي قسمة ظالمة وجائرة شديدة الجور، وهي كذلك؛ لأن هذه المعادلة لو كانت بين إنسان بشري وآخر مثله لكانت ظالمة فكيف لو كانت بين البشر وبين الله تعالى؟ حقّاً إنها لشديدة الظلم.

قال الرازي: «(ضيزى) قرئ بالهمز وبغير الهمز، وعلى الأولى هي فِعلى بكسر الفاء، كذكرى على أنه مصدر وصف به كرجل عدل، أي قسمة ضائزة، وعلى القراءة الثانية هي فعلى، وكان أصلها (ضوزى) لكن عين الكلمة يائية، فكسرت الفاء؛ لتسلم العين عن القلب. كذلك فعل ببيض، فإن جمع أفعل فعل، تقول: أسود وسود وأحمر وحمر، وتقول: أبيض وبيض وكان الوزن بيضاً، وكان يلزم منه قلب العين، فكسرت الباء وتركت الباء على حالها، وعلى هذا ضيزى للمبالغة من ضائزة، تقول: فاضل وأفضل وفاضلة وفضلى، وكبير وأكبر وكبيرة وكبرى، كذلك ضائز وضوز وضائزة وضوزى. على هذا نقول: أضوز من ضائز وضيزى من ضائزة»(٥٠٤). وقال إطفيش: «أو ضيزى مصدر كذكرى وصف به مبالغة كرجل عدل»(٥٠٥).

وإذا علمنا كما ذكرنا سابقاً بأن أصل كلمة (ضِيزى) هو (ضُوزى) بالضم على الضاد، ولكن كسرت الضاد حتى لا ينقلب حرف الياء إلى واو، فلعل هذا الأصل خير دليل على المعنى الذي تقدم، وهو أن هذه الكلمة بدون مد ولا همز (ضيزى) تدل على المبالغة، ومما يؤكد ذلك وجود الضمة في أصل الكلمة التي هي أقوى الحركات على الإطلاق.

قال الشيخ أحمد الحملاوي في معرض حديثه عن هذه الآية: «فان كانت [فعلى] صفة محضة وجب تصحيح الياء، وقلب الضمة كسرة، ولم يسمع منه إلا (قسمة ضيزى)»(٥٠٦).

---

(٥٠٤) تفسير الرازي ج١٠ ص٢٤٩.

(٥٠٥) تفسير إطفيش ج٤ ص٤٠٦.

(٥٠٦) شذرات العرف في فن الصرف / مكتبة المعارف ط الأولى ١٤٢٢هـ ص١٤٨.

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين، ظهر لنا بأن هذه القسمة التي قسمها الكافرون، وذلك بنسبة ما يكرهونه لأنفسهم لله تعالى، هي قسمة جائرة ظالمة، وهذا الجور وهذا الظلم هو شديد وعظيم وكبير، وهو ليس كأي ظلم، فإن الذي لا يرضاه الإنسان لنفسه الأصل أن لا يرضاه لأخيه الإنسان، فكيف يرضاه لله العظيم الكبير المتعال؟! حقاً، والله إنها قسمةٌ شديدةُ الجور.

٦ ـ قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْۖ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾﴾ [النجم: ٣٢].

القراءات:

أ ـ قال تعالى: ﴿كَبَٰٓئِرَ﴾

١ ـ قرأ حمزة والكسائي وخلف (كبِيْر) بغير ألف وبكسر الباء وبعدها ياء ساكنة.

٢ ـ وقرأها الباقون ﴿كَبَٰٓئِرَ﴾ بإثبات الألف وبدون ياء(٥٠٧).

ب ـ قال تعالى: ﴿أُمَّهَٰتِكُمْ﴾

١ ـ قرأ حمزة (إِمِهاتكم) بكسر الهمزة والميم في حالة الوصل فقط.

٢ ـ وقرأها الكسائي (إِمَهاتكم) بكسر الهمزة وفتح الميم في حالة الوصل فقط.

٣ ـ وقرأها الباقون (أُمَهاتكم) بضم الهمزة وفتح الميم(٥٠٨).

---

(٥٠٧) انظر: حجة القراءات ص٦٨٦، والشامل في القراءات المتواترة ص٢٥٩، والبدور الزاهرة ص٣٨٥.

(٥٠٨) انظر: البدور الزاهرة ص٣٨٥.

المعنى اللغوي للقراءات:

أ - **(كبائر)**: الكبير في صفة الله تعالى العظيم الجليل، والمتكِّبر الذي تكبر عن ظلم عباده، والكِبْرِياء عظمة الله تعالى، جاءت على فعلياء؛ ويقال كبُر بالضم يَكْبُرَ أي عَظُم، فهو كبير. والكبائر الواردة في الآية: واحدتها كبيرة، وهي الفعلةُ القبيحةُ من الذنوب المنهي عنها شرعاً العظيم أمرها(٥٠٩).

ب - **(أمهاتكم)** الأم: والجمع أُمَّات وأُمهات، وقيل: الأمهات للناس، والأمَّات للبهائم، ويقال: لا أم لك كلام للذم، وربما قيل للمدح والاستحسان(٥١٠).

التفسير:

يتحدث الله ﷻ لنا في هذه الآية عن صفات المحسنين، أو عن أشهر الصفات لهؤلاء، سيجازيهم الله ﷻ بالحسنى، وهي الجنة. وفي باطن هذه الآيات أمرٌ لنا من الله تعالى بالابتعاد عن هذه الكبائر والفواحش؛ لأن الله تعالى يأمر بكل ما هو خير، وينهى عن كل ما هو شرّ، كذلك يذكِّرنا الله ﷻ بأصل خلقنا ومراحله، إذ نكون أجنّة، ثم مرحلة الرضاعة وغير ذلك .... قال القرطبي: «هذا نعت للمحسنين، أي هم لا يرتكبون كبائر الإثم، وهو الشرك؛ لأنه أكبر الآثام، (والفواحش) الزنى، و﴿كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ﴾ كل ذنب ختم بالنار (والفواحش) كل ذنب فيه حدّ»(٥١١).

وقال سيد قطب: «في تفسيره للآية: فهو العلم السابق على ظاهر أعمالهم، العلم المتعلق بحقيقتهم الثابتة التي لا يعلمونها هم، ولا يعرفها إلا الذي خلقهم. علمٌ كان وهو ينشئ أصلهم من الأرض، وهم بعد في عالم الغيب. وكان وهم أجنة في بطون أمهاتهم، لم يروا النور بعد، علم بالحقيقة قبل الظاهر، وبالطبيعة قبل العمل. ومن كانت هذه طبيعة علمه

(٥٠٩) انظر: لسان العرب ج٥ ص١٢٥، ١٢٦، ١٢٩ (بتصرف).

(٥١٠) انظر: المنجد في اللغة والأعلام ص١٧.

(٥١١) الجامع لأحكام القرآن ج٩ ص٢٢١، ٢٢٢ (بتصرف).

يكون من اللغو بل من سوء الأدب أن يعرفه إنسان بنفسه وأن يعلمه سبحانه بحقيقته وأن يثني على نفسه أمامه يقول له: أنا كذا وكذا»[٥١٢]. وسبب نزول هذه الآية هو قول اليهود إذا أهلك لهم صبي صغير قالوا عنه: هو صدِّيق فأنزل الله ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ﴾[٥١٣].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أولاً: قوله تعالى: ﴿كَبَٰٓئِرَ﴾

أفادت القراءة بالألف والهمز (كبائر) أن هناك مجموعة من المعاصي الكبيرة التي يجب على المسلمين اجتنابها، وهذه الكبائر هي مجموعة من الأشياء يجب على المسلمين أن يحذروا من القرب منها؛ لخطورة ما يترتب عليها من عظيم الإثم والعقاب.

أما القراءة بدون ألف ولا همز (كبير) فقد أفادت بأن من بين هذه الكبائر هناك كبيرة واحدة خطيرة، وهي أعظم الكبائر وأخطرها على الإطلاق، واجتنابها لازم وضروري، والقرب منها خطير للغاية، وأفردها الله ﷻ لعظيم ما يترتب عليها، إنها الشرك بالله تعالى، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨].

قال النسفي: «(كبير) أي النوع الكبير منه»[٥١٤].

وقال الزمخشري: «وقرئ (كبير الإثم) أي النوع الكبير منه وقيل هو الشرك بالله تعالى»[٥١٥].

وذكر **أبو السعود** أن القراءة بدون ألف (كبير الإثم) تدل على إرادة

(٥١٢) الظلال ج٦ ص٣٤١٣.

(٥١٣) انظر: أسباب النزول للإمام للسيوطي /تحقيق حامد طاهر ط الأولى دار الفجر للتراث ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م / ص٣٨٩.

(٥١٤) تفسير النسفي م٢ ج٤ ص١٩٨.

(٥١٥) تفسير الكشاف ج٤ ص٤١.

الجنس أو الشرك[٥١٦].

وقال ابن زنجلة: «بغير ألف يعني الشرك»[٥١٧]. وقال الدكتور محمد محيسن: «(كبِير) بكسر الباء الموحدة بعدها ياء ساكنة على التوحيد. وقال: (كبَائر) بفتح الباء وألف بعدها وبعد الألف همزة مكسورة على الجمع»[٥١٨].

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءات يظهر بأن هؤلاء المحسنين، من صفاتهم أنهم يجتنبون الكبائر من الزنا، وغير ذلك مما يلزم الحد، وهم من باب أولى يجتنبون أكبر الكبائر التي وصفها الله تعالى: ﴿كَبِيرٌ﴾، وهي الشرك بالله تعالى.

ثانياً: قوله تعالى: ﴿أُمَّهَٰتِكُمْ﴾

قال العلامة أحمد الفيومي المقرئ عن أصل هذه الكلمة: «في الناس أمهات وفي غير الناس أمّات للفرقة، ثم قال: إن فيها أربع لغات: أم بضم الهمزة وكسرها وأمة وأُمهة، فالأمهات والأمات لغتان ليست إحداهما أصلاً للأخرى»[٥١٩]. وعلى هذا فإن هذه القراءات بمعنى واحد، وهي لغات القبائل العربية، والله تعالى أعلم.

٧ ـ قال تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾﴾ [النجم: ٣٦].

القراءات:

١ ـ قرأ أبو جعفر (يُنَبَّا) بإبدال الهمز[٥٢٠] وصلاً ووقفاً، أما حمزة وهشام ففي الوقف فقط.

(٥١٦) انظر: تفسير أبو السعود ج٦ ص١٥٩.
(٥١٧) حجة القراءات ٦٨٦.
(٥١٨) المستنير ج٣ ص١٣٦ (بتصرف).
(٥١٩) المصباح المنير ص٢٠.
(٥٢٠) تبدل الهمزة ألفاً.

٢ - وقرأ الباقون ﴿يُنَبَّأْ﴾ بغير إبدال[٥٢١].

المعنى اللغوي للقراءتين:

النبأ الخَبَر يُقال نَبَأَ ونَبَّأَ وأَنْبَأَ أي أخبر، ومنه النبيُّ؛ لأنه أنبأ عن الله، وهو فَعِيْل بمعنى فَاعِل، تركوا هَمْزَه كالذرِّية والبريَّة والخابية إلا أهل مكة فإنهم يهمزون الأربعة[٥٢٢].

التفسير:

تتحدث هذه الآية والتي قبلها وبعدها عن الرجل الذي لم يجد ما يُحْمَل عليه للمشاركة في الغزو مع رسول الله ﷺ، فلقيه صديقٌ له، فدفع إليه شيئاً حتى يَتَحَمَّل عنه العذاب يوم القيامة، فأنزل الله: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾﴾ [النجم: ٣٣][٥٢٣]. وأورد الرازي أن سبب نزولها أنها نزلت في الوليد بن المغيرة، كان جالساً عند رسول الله ﷺ، فسمع موعظةً أثَّرت فيه تأثيراً كبيراً، فقال له رجل: لم تترك دين آبائك، لا تخف، وأعطني كذا، وأنا أتحمل عنك أوزارك، فأعطاه بعض ما التزمه، وتولى عن الوعظ وسماع كلام النبي ﷺ[٥٢٤]. وأيما كان السبب، ففي هذه الآية يبيّن الله تعالى أنه سيحاسب كل واحدٍ بما قدّم، ولن يأخذ أحداً بجريرة غيره، ولن يقبل الله ﷻ بمحاسبة أحد عوضاً عن غيره. قال القاسمي: «﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ أي لا تؤخذ نفس بذنب غيرها»[٥٢٥].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت القراءة بالهمز على قصد الإخبار، أي ألم يخبر بما في

(٥٢١) انظر: البدور الزاهرة ص٣٨٥.
(٥٢٢) انظر: مختار الصحاح ص٣٤٥.
(٥٢٣) انظر: أسباب النزول ص٣٩٠.
(٥٢٤) انظر: تفسير الرازي ج١٠ ص٢٧٢.
(٥٢٥) تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل ج١٥ ص٥٥٨٣ / دار إحياء الكتب العربية، وحيثما ذكرته فسأكتفي بقولي: تفسير القاسمي.

الصحف، أما القراءة بالمد وبدون همز، فقد أفادت المبالغة في الإخبار والتأكيد، والمد يعني إطالة زمن الصوت، وكأنه ﷺ يقول: ألم يعلم علماً يقينياً وأكيداً من صحف إبراهيم وموسى، ومن أخبار إبراهيم عليه السلام أنه لا تؤخذ نفس بذنب غيرها، وإذا لم يكن عنده علم يقيني أكيد بهذا الأمر، ألم يُبْلَغ ويُخْبَر من هنا أو هناك عن خطأ فعله، فيحمله ذلك على التوقف والسؤال والتأكد، للوصول إلى الحقيقة والصواب. قال الفخر الرازي: «إن من علم العلم كله لا يؤمر ولا يُلزم بحضور مجلس رسول الله عليه الصلاة والسلام، ومن جهل جهلاً مطلقاً فهو كالنائم، فهل علم هذا الرجل كل العلم فجاز له التولي عن رسول الله ﷺ، أو لم يسمع شيئاً وما بلغه دعوة أصلاً فيعذره، والحقيقة أنه لا واحد من الأمرين كائن فهو في التولي غير معذور على الإطلاق»(٥٢٦).

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين، تسأل الآية الكريمة عن علم هذا الرجل المذكور بما فعل من جهالةٍ فتقول: ألم يُخْبَر ويَعْلَم عن خطأ ما يقوم به؟، ثم ألم يكن عنده عِلمٌ يقينيٌ وأكيدٌ بما جاء في صحف إبراهيم وموسى بأنه لا تؤخذ نفس بذنب غيرها. وفي القراءة بالتشديد إشارة إلى أنه لا بد للإنسان أن يتعلم دينه من جهة موثوقة، وأن يجتهد ليبلغ هذا العلم المتلقى مبلغاً قوياً في نفسه، وليس مجرد إخبار، وفيه إشارة إلى أن الإنسان إذا بلغه خبر ولو كان ضعيفاً، لزم عليه التوقف والتحقق من ما يقوم به حتى يتأكد علمه به، لذلك فإن الآية فيها لمحة من استغراب وعتاب، فهو إن لم يكن عالماً ومتأكداً من صحة أو خطأ ما فعله، فلا يخلو أن يكون قد وصل له خبر من هنا أو هناك، من صحف إبراهيم، أو صحف موسى عليهما السلام، أو من أخبار إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وهذا الخبر وإن كان ضعيفاً، فهو يحمله على التدبر والتفكر فيما يقوم به؛ ليصل أخيراً إلى

(٥٢٦) تفسير الرازي ج١٠ ص٢٧٤ (بتصرف).

الصواب والحقيقة.

٨ ـ قال تعالى: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ۝٣٧﴾ [النجم: ٣٧].

القراءات:

١ ـ قرأ هشام (إبراهَام) بفتح الهاء وألف بعدها.

٢ ـ وقرأ الباقون (إبراهِيم) بكسر الهاء بدون ألف بعدها(٥٢٧).

المعنى اللغوي للقراءتين:

إبراهيم اسم أعجمي، وقد ورد بيانه عند تفسير سورة الذاريات(٥٢٨).

التفسير:

أي وفَّر وأتمَّ ما ابتلي به من الكلمات، أو ما فرض عليه، وعمل بما أُمر به، أو بالغ في الوفاء بما عاهد الله، وتخصيصه بذلك؛ لاحتماله ما لم يحتمله غيره، كالصبر على نار النمرود، وعلى ذبح الولد(٥٢٩). وقال الصابوني: «أي وبما في صحف إبراهيم الذي تمَّم ما أُمِر به من طاعة الله، وتبليغ رسالته على وجه الكمال والتمام»(٥٣٠).

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت القراءة بكسر الهاء وبدون ألف، على أنها ذِكْرٌ له باسمه، وهو إبراهيم.

أما القراءة بفتح الهاء وزيادة ألف؛ للدلالة على صفة عظيمة من

---

(٥٢٧) انظر: البدور الزاهرة ص٣٨٥.

(٥٢٨) انظر: عند تفسير سورة الذاريات الآية: ٢٤ ص١١٠.

(٥٢٩) انظر تفسير أبو السعود ج٦ ص١٦٠، وتفسير الحسن البصري ج٢ ص٣١٠، وتفسير مجاهد ج٢ ص٦٣٢ ـ تحقيق عبد الرحمن السورتي / المنشورات العلمية ـ بيروت.

(٥٣٠) صفوة التفاسير ج٣ ص٢٦٠.

صفاته، وهي الرحمة. وتَمَّ بيان ذلك عند تفسير سورة الذاريات(٥٣١).

٩ ـ قال تعالى: ﴿وَأَنَّ عَلَيۡهِ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰ ﴿٤٧﴾﴾ [النجم: ٤٧].

القراءات:

١ ـ قرأ ابن كثير وأبو عمرو (النَّشَآءة) بفتح الشين والمد.

٢ ـ وقرأها الباقون ﴿ٱلنَّشۡأَةَ﴾ بإسكان الشين والقصر(٥٣٢).

المعنى اللغوي للقراءتين:

النشأة: أنشَأَهُ الله: خَلَقَه، والاسم النشأة والنشاءة بالمد عن أبي عمرو بن العلاء. وأنشأ يفعلُ كذا أي: ابتدأ. وفلان يُنشِئُ الأحاديث أي يَضَعُها(٥٣٣). وجاء في لسان العرب: والمُنْشَآت السفن المرفوعة الشرع(٥٣٤).

التفسير:

تأتي هذه الآية الكريمة ضمن مجموعة من الآيات، كلها تتحدث عن قدرة الله ﷻ وقوته اللامحدودة في أشياء كثيرة، منها النشأة، وهي إعادة الأبدان وإنشاؤها من جديد، وإعادة الأرواح إليها. قال أبو السعود: «أي الإحياء بعد الموت وفاءً بوعده»(٥٣٥). وقال القرطبي: «أي إعادة الأرواح في الأشباح للبعث»(٥٣٦). وقال ابن كثير: «أي كما خلق البداءة هو قادر على الإعادة، وهي النشأة الآخرة يوم القيامة»(٥٣٧).

---

(٥٣١) انظر: عند تفسير سورة الذاريات الآية: ٢٤ ص١١٠.
(٥٣٢) انظر: التذكرة في القراءات ج٢ ص٦٠١، وحجة القراءات ص٦٨٦.
(٥٣٣) انظر: الصحاح في اللغة ص١١٦٤ ـ ١١٦٥.
(٥٣٤) انظر: لسان العرب ج١ ص١٧٣.
(٥٣٥) تفسير أبو السعود ج٦ ص١٦١.
(٥٣٦) الجامع لأحكام القرآن ج٩ ص٢٣٠.
(٥٣٧) تفسير القرآن العظيم ج٤ ص٢٧٧.

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت القراءة بدون مد (النشأة)، بمعنى أن الله تعالى سيعيد الأبدان بإنشائها بعد فنائها، وسيعيد الأرواح إليها، لتعود حية كما كانت بإذنه ﷻ، وفيها بيان لقدرة الله تعالى العظيمة في الإحياء والإعادة. قال الألوسي: «هي الإحياء بعد الإماتة وفاءً بوعده جل شأنه»[٥٣٨].

أما القراءة بالمد (النشآءة) فجاءت هذه القراءة؛ لبيان مدى العظمة التي تتمتع بها القدرة الإلهية المبدعة غاية الإبداع، والعظيمة غاية العِظَم، فالقراءة بالمد دلَّت على المبالغة والتعظيم، وأظهرت أن أمر الإنشاء ليس أمراً عادياً، بل هو أمر عظيم كبير، تفاصيله كثيرة، ومتعددة ومختلفة، ومتنوعة بتنوع أصناف هذه الأبدان وأشكالها من طول وحجم ولون، والأصابع بدقائقها، وجميع تفاصيلها من بصمة كما هو معروف وغيره، وما بها من نفوس مختلفة ومتضادة، كذلك وما تحمله من أرواح متآلفة، وغير متآلفة، وكيف أن كل روح سترجع إلى البدن الذي خرجت منه، كل ذلك تدركه وتستعرض تفاصيله وأنت تقرأ بالقراءة بالمد (النشاءة) فالمد أثناء القراءة تسمح لهذا العقل بأن يفكر، ويسرح ويتأمل بكل هذه التفاصيل، كذلك فإنها تظهر مدى العظمة في الكُنْه والفعل، وفي الجوهر والمظهر، إلا أن هذه العظمة وبكل تفاصيلها، هي هينة على الله تعالى ويسيرة، فإذا أراد الله تعالى شيئاً إنما يقول له كن فيكون، وعلى ذلك فالمد في القراءة يشير إلى أمرين: الأول: بيان عظمة هذا الفعل وكثرة تفاصيله. الثاني: بيان العظمة الهائلة، والقوة الربانية المهولة، وذلك لأن من عرف كل هذه التفاصيل التي تتعلق بإعادة الأبدان كما كانت بعد الفناء بكل تفاصيلها البالغة في الإعجاز والعظمة، ثم عرف بأن هذه الإعادة وهذا الإنشاء، هو أمر يسير على الله تعالى، بل هو بالغ في اليسر، وقف صامتاً من هول ما علم من أسرار هذه القدرة الإلهية، التي لا يمكن أن تقف عند حد، أو يحيط بها وصف، وإذا تكلم فإنه سيجد عقله وقلبه وكله ينطقون بكلمة واحدة، وهي التسبيح

---

(٥٣٨) روح المعاني ج١٤ ص٦٨.

والتعظيم والتبجيل لله تبارك وتعالى ـ فسبحان الله العظيم ـ ... قال الألوسي: «(النشاءة) بالمد مصدر نشأ الثلاثي»[٥٣٩]. ومن المعروف أن المصدر أبلغ في التعبير.

١٠ ـ قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ۝٥٠﴾ [النجم: ٥٠].

القراءات:

١ ـ قرأ أبو جعفر ونافع وأبو عمرو ويعقوب (عاداً الاولى) مدغمة وغير منونة ولا مهموزة.

٢ ـ وقرأها قالون عن نافع (عادا الأولى) مدغمة مهموزة ساكنة.

٣ ـ وقرأها الباقون ﴿عَادًا ٱلْأُولَىٰ﴾ منونة مهموزة وغير مدغمة[٥٤٠].

المعنى اللغوي للقراءات:

عاد: رجل من العرب الأولى، قبيلته قديمة، سُمِّيَت به، يقال: ما أدري أي عاد هو، أي أيُّ خلق[٥٤١].

التفسير:

لا تزال هذه الآية والآيات التي تأتي في سياقها تتحدث عن قوة الله تعالى وقدرته وعظمته، ولكنها في هذه الآية بلغت عظمتها إلى حد الإهلاك، الذي حدث بفعل قوة الله تعالى وعظمته لأولئك القوم الذين كانوا من أشد الناس قوة، وأعتاهم وأطغاهم. إلا أن قوة الله تعالى أكبر وأعظم. وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ۝٥٠﴾ هم القدماء لأنهم أولى الأمم هلاكاً بعد قوم نوح عليه الصلاة والسلام[٥٤٢]. وقال الصابوني: «أي أهلك

(٥٣٩) روح المعاني ج١٤ ص٦٨.

(٥٤٠) انظر: المبسوط في القراءات العشر ص٢٥٦.

(٥٤١) انظر: المنجد في اللغة والأعلام ص٥٣٦.

(٥٤٢) انظر: تفسير البيضاوي ج٥ ص٢٦٠.

قوم عاد القدماء الذين بُعِثَ لهم نبيُّ الله هود ﷺ، وكانوا من أشد الناس وأقواهم وأعتاهم على الله تعالى وأطغاهم، فأهلكهم الله تعالى بالريح الصرصر العاتية»[٥٤٣].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أ ـ أفادت القراءة بالتنوين ـ أي بصرف (عاداً الأولى) ـ على أنه اسم للأب يعني أب القبيلة.

أما القراءة بدون تنوين ـ أي بلا صرف ـ فهي على أنه اسم للقبيلة أو الأم.

قال ابن عادل: «صرفوا عاداً إما لأنه اسم للحي أو الأب. وقال: وغير مصروف ذهاباً به إلى القبيلة أو الأم»[٥٤٤].

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين، يتضح بأن هذه القبيلة التي أهلكها الله تعالى، هي قبيلة عاد، وسبب تسميتها بهذا الاسم، نسبة للأب، وهو جدّ القبيلة عاد، ولمّا ذكر الله تعالى عاداً إنما أراد بالإهلاك عموم القبيلة.

ب ـ أما القراءة بالإدغام والهمز على الواو: (عاد لؤلى)، فهي على لغة من يبدل الواو الناشئة عن إشباع الضمة همزاً[٥٤٥].

ج ـ والقراءة بحذف الهمزة الأولى، وإدغام التنوين في اللام: (عاداً لُولى) فهو كقول الكثير من العرب: هذا الأحمرُ جاء، ثم يحذفون الهمز فيقولون: هذا لَحْمرُ قد جاء[٥٤٦]. فهي بذلك من اللغات العربية.

---

(٥٤٣) صفوة التفاسير ج٣ ص٢٦١.

(٥٤٤) تفسير اللباب ج١٨ ص٢٠٠.

(٥٤٥) انظر: التحرير والتنوير م١٣ ج٢٧ ص١٥٣.

(٥٤٦) انظر: معاني القراءات للأزهري ج٣ ص٣٩.

١١ ـ قال تعالى: ﴿وَثَمُودَا فَمَآ أَبْقَىٰ ۝٥١﴾ [النجم: ٥١].

القراءات:

١ ـ قرأ عاصم ويعقوب وحمزة (وثَمُوْدَ) بترك تنوين الدال.

٢ ـ وقرأها الباقون ﴿وَثَمُودَا﴾ بالتنوين(٥٤٧).

المعنى اللغوي للقراءتين:

ثمود هي قبيلة من العرب الأولى، يصرف ولا يصرف؛ ويقال: إنهم من بقية عاد، وهم قوم صالح على نبينا وعليه الصلاة والسلام(٥٤٨). وثمد ثمداً الشيء فلاناً صيَّره يفنى ماله. والمثمود من الرجال الذي كثُر عليه السؤال حتى أنفدوا ما عنده. وثمد ثمداً وأثمد وأستثمد الماء جعل له موضعاً كالحوض ليتجمع فيه. والثمْدُ والثَمَدُ جمع ثماد الماء القليل يتجمع في الشتاء وينضب في الصيف(٥٤٩).

التفسير:

والحديث في هذه الآية هو استكمالٌ لما سبق في الآية السابقة من عملية الإهلاك، ولكن هذه المرة لثمود. قال البغوي: «(وثمود) قوم صالح أهلكهم الله تعالى بالصيحة فما أبقى منهم أحداً»(٥٥٠).

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت القراءة بالصرف، على أنها اسم للأب، أي أب القبيلة التي اشتهرت باسمه.

---

(٥٤٧) انظر: غيث النفع ص٥٠٧، والبدور الزاهرة ص٣٨٦.
(٥٤٨) انظر: لسان العرب ج٣ ص١٠٥.
(٥٤٩) انظر: المنجد في اللغة والأعلام ص٧٤.
(٥٥٠) تفسير البغوي ج٥ ص١٦٠.

أما القراء بدون صرف - أي بغير تنوين - فقد أفادت معنى اسم القبيلة.

قال ابن عاشور: «(وثموداً) بالتنوين على إطلاق اسم جد القبيلة عليها. وقرأه عاصم وحمزة بدون تنوين على إرادة اسم القبيلة»(٥٥١). وجاء في الجلالين: «بالصرف اسم للأب وبلا صرف للقبيلة»(٥٥٢).

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع يظهر أن هذه القبيلة التي أهلكها الله تعالى هي قبيلة ثمود، وسبب تسميتها نسبة للأب وهو جد القبيلة ثمود، ولما ذكر الله ثمود على أنه الأب، إنما قصد القبيلة التي أهلكها الله ﷻ.

١٢ - قال تعالى: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾﴾ [النجم: ٥٥].

القراءات:

١ - قرأ يعقوب (تّمَارَىٰ) بتاء واحدة مشددة وذلك في حال الوصل.

٢ - وقرأها الباقون ﴿تَتَمَارَىٰ﴾ بتاءين خفيفتين(٥٥٣).

المعنى اللغوي للقراءتين:

ورد تعريفها في مطلع السورة عند قوله تعالى: ﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾﴾(٥٥٤).

التفسير:

هذه الآية الكريمة تُذَكِّر هذا الإنسان بنعم الله العظيمة عليه؛ لأن الله تعالى قد منَّ على هذا الإنسان بالإسلام والإيمان، ورَحِمَه من أن يكون مثل

(٥٥١) التحرير والتنوير م١٣ ج٢٧ ص١٥٤.
(٥٥٢) تفسير الجلالين ص٥٠٧.
(٥٥٣) انظر: التذكرة في القراءات ج٢ ص٧٠١، والبدور الزاهرة ص٣٨٦.
(٥٥٤) انظر: ص١٥٦.

هؤلاء الذين أُهِلكوا، وكأن الله تعالى في هذه الآية يُذكِّر هذا الإنسان بقوته الهائلة التي أهلكت الكافرين، وكذلك يذكِّره بنعمه العظيمة عليه؛ لأنه لم يجعله من هؤلاء القوم الهالكين أو المستحقين لمثل هذا الهلاك.

قال الصابوني: «أي فبأي نعم الله الدالة على وحدانيته وقدرته تتشكك أيها الانسان وتكذب»(٥٥٥).

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت القراءة بتاء واحدة، على معنى الجحود والشك، أي فبأي آلاء ربك أيها الإنسان تشك أو تجحد وتنكر.

أما القراءة بتاءين اثنتين، فقد أفادت معنى الكثرة، أي مرة بعد مرة. وهذا دليل على كثرة حدوث ذلك من الإنسان، أو هي على هذه القراءة تكون إحدى التاءين للخطاب، والثانية للتفاعل.

قال أبو منصور: «من قرأ (تمارى) بتاءين فإحدى التاءين تاء الخطاب والثانية تاء التفاعل على معنى أيها الإنسان بأي نعم ربك التي تدل لك على أنه واحد تتشكك»(٥٥٦).

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين، يخاطب الله ﷻ هذا الإنسان، مستنكراً عليه فعله، إذ الواجب عليه فعله أمام نعم الله تعالى الظاهرة، وقوته القاهرة أن يقف مُسَلِماً ومصدقاً، لا أن يكون جاحداً ومشككاً.

تمت سورة النجم بحمد الله تعالى وتوفيقه.



(٥٥٥) صفوة التفاسير ج٣ ص٢٦٢.

(٥٥٦) معاني القراءات ج٣ ص٤٠.

المبحث الثالث
عرض وتفسير لآيات سورة القمر
المتضمنة للقراءات القرآنية العشر

بين يدي السورة:

هذه السورة هي سورة مكية، وآياتها خمس وخمسون آية، وتسمى اقتربت، وهذه السورة من مطلعها إلى خاتمتها هي بمثابة حملة رهيبة رعيبة مفزعة على قلوب المكذبين بالنذر، وفي نفس الوقت ذاته هي طمأنة عميقة ووثيقة للقلوب المؤمنة المصدقة(٥٥٧).

مناسبتها لما قبلها:

هذه السورة تأتي بتفصيل القول في أحوال الأمم التي أشار الله تعالى إلى إهلاكهم في السورة السابقة، كما أنه لا يخفى ما بين السورتين من تناسق في الأسماء «النجم ـ القمر»(٥٥٨).

الموضوع العام للسورة:

تركزت محاور هذه السورة الكريمة في الحديث حول ثلاث محاور.

---

(٥٥٧) انظر: الجامع لأحكام القرآن ج٩ ص٢٣٥، وروح المعاني ج١٤ ص٧٣.

(٥٥٨) انظر: روح المعاني ج١٤ ص٧٣.

المحور الأول: تحدثت السورة الكريمة عن تلك المعجزة الكونية، وهي انشقاق القمر الذي حدث في زمان النبي ﷺ، تصديقاً وتأييداً له، وبيان صدق رسالته ﷺ، وهي بهذا الذكر تسطر تلك المعجزة كحقيقة أبدية واقعية إلى يوم القيامة.

المحور الثاني: ويدور هذا المحور حول الحديث عن أهوال يوم القيامة وما فيه من أحداث مفزعة رهيبة، وشدائد مخيفة، ووصف للحالة التي سيخرج عليها هؤلاء من قبورهم من ذل وهوان، وتستعرض كذلك صورة من صور عذابهم، فهم يسحبون على وجوههم في النار سحباً.

المحور الثالث: يتحدث هذا المحور عن مصارع المكذبين من الأمم السابقة، وبيان لعاقبتهم المخزية، وتحذير قريش من أن يلقوا نفس هذا المصير(٥٥٩).

١ ـ قال تعالى: ﴿وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ۝٣﴾ [القمر: ٣].

القراءات:

١ ـ قرأ أبو جعفر (مُسْتَقِرٍ) بخفض الراء.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿مُّسْتَقِرٌّ﴾ برفعها(٥٦٠).

المعنى اللغوي للقراءتين:

قرَّ الشيءُ مِن باب ضَرَبَ، اسْتَقَرَّ بالمكان والاسم القَرَارُ، ومنه قيل لليوم الأول من أيام التشريق يومُ القَرِّ؛ لأن الناس يَقِرُّونَ في مِنى للنحر؛ والاستقرار التمكّن، وقرار الأرض المُسْتَقِرُّ الثابتُ(٥٦١).

---

(٥٥٩) انظر: الظلال ج٦ ص٣٤٢٤، وصفوة التفاسير ج٣ ص٢٦٤.

(٥٦٠) انظر: النشر ج٢ ص٢٨٩.

(٥٦١) انظر: المصباح المنير ص٢٩٥.

التفسير:

هذه الآية تصف لنا نفسية هؤلاء الكفار المعاندة المكذبة، المنكرة للحق الواضح الظاهر، المتبعة للهوى والباطل، فهي نفسيات مريضة باطلة مُبطِلة ضَالة مُضِلة، ليس لها ميزانٌ صادق، ولا حكم عادل تجاه هذه الآيات الصادقة، والمعجزات الخالدة، فهم يسارعون إلى إنكار الحق، ويظنّون به الظنونا، وفي نفس الوقت وبسرعة أشد يغمسون أنفسهم في مستنقع الباطل غمساً؛ جاءهم الرسول ﷺ وهم يعرفون نسبه وصدقه وحسن خلقه، فسفّهوه ... وأيده الله بالآيات والمعجزات الخالدات فكذّبوه .. استزلهم الشيطان وقادهم للهوى وتركوا الحق الواضح، واتبعوا سرابهم الكاذب، وها هم اليوم يؤكدون ضلالهم مرة أخرى، وذلك بإنكارهم لآية عظيمة من آيات الله، وهي انشقاق القمر.

قال الرازي: في شرح هذه الآية «وهو يحتمل أمرين أحدهما: كذبوا محمداً ﷺ المخبر عن اقتراب الساعة؛ وثانيهما: كذبوا بالآية، وهي انشقاق القمر. فإن قلنا كذبوا محمداً عليه الصلاة والسلام فقوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُمْۚ﴾ أي تركوا الحجة، وأوّلوا الآيات، وقالوا هو مجنون تُعينه الجن، وكاهنٌ يقول عن النجوم، ويختار الأوقات للأفعال، وساحرٌ. فهذه أهواءهم، وإن قلنا كذبوا بانشقاق القمر فقوله: ﴿وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُمْۚ﴾ في أنه سَحَر القمر، وأنه خسوف، والقمر لم يصبه شيء، فهذه أهواءهم وكذلك قولهم في كل آية»(٥٦٢).

وقوله تعالى: ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ﴾ فيه تهديد لهم، وتأكيد على إنجاز ما وعد الله من العقوبة.

قال السمرقندي: «يعنى كل قول من الله تعالى له حقيقة منه في الدنيا سيظهر، وما كان منه في الآخرة سيعرف. يعني ما وعد لهم من عقوبة. ويقال: معناه مستقر لأهل النار عملهم، ولأهل الجنة عملهم. يعني يعطي

---

(٥٦٢) تفسير الرازي ج١٠ ص٢٩٠.

لكل فريق جزاء أعمالهم»[٥٦٣].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت القراءة بالرفع ﴿مُّسْتَقِرٌّ﴾ على أنها خبر كل، بمعنى كل أمرٍ في الدنيا أو في الآخرة سيظهر. فالخير سيستقر بأهله، والشر سيستقر بأهله. والمعنى أن أمرك أيها الرسول محمد عليه الصلاة والسلام سينتهي إلى الاستقرار بالنصر في الدنيا، والفوز بالجنة في الآخرة.

أما القراءة بالجر (مستقرٍ) فهي صفة لأمر، وهو بذلك يكون معطوفاً على الساعة، ويكون المعنى: اقتربت الساعة، واقترب كلّ أمر مستقر، يعني أشراطها.

قال الزمخشري: «أي كلُ أمرٍ لا بد أن يصير إلى غاية يستقر عليها، وأن أمر محمد عليه الصلاة والسلام سيصير إلى غاية يتبيّن عندها أنه حق أو باطل وسيظهر لهم عاقبته»[٥٦٤].

وقال ابن عجيبة: «وقرئ مستقر بالجر، فيعطف على الساعة، أي: اقتربت الساعة وكل أمر مستقر يعني أشراطها»[٥٦٥].

وقال ابن عطية: «وقرئ (كل أمر مستقرٍ) بجر مستقرٍ يعني بذلك أشراطها»[٥٦٦].

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين، تبيّن أن الله ﷻ يخبرنا أن تكذيب هؤلاء الكفار وإنكارهم لن ينفعهم، ولن يدوم ضلالهم، فكل أمر في الدنيا أو في

(٥٦٣) تفسير بحر العلوم ج٣ ص٢٩٨.
(٥٦٤) الكشاف ج٤ ص٤٤.
(٥٦٥) البحر المديد ج٧ ص٢٥٢.
(٥٦٦) المحرر الوجيز ج٥ ص٢١٢.

الآخرة سينتهي إلى الظهور والاستقرار.

فالله ﷻ سَيُظْهِر الحق، وسينصر رسوله ﷺ ومن معه في الدنيا، وسيكون في الآخرة هو وأمته من الفائزين. وكذلك إن أمر الساعة التي كذب بها الكفار سيظهر، وستظهر أشراطها لهم.

٢ ـ قال تعالى: ﴿حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌۖ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ۝٥﴾ [القمر: ٥].

القراءات:

١ ـ قرأ يعقوب (تُغْني) بالياء عند الوقف فقط.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿تُغْنِ﴾ بحذفها مطلقاً[٥٦٧].

المعنى اللغوي للقراءتين:

غَنِيَ به عنه غُنْيَةٌ. وغَنِيَتِ المرأةُ بزوجها غُنْيَاناً، أي استغنتْ. وغَنِيَ بالمكان، أي أقام. وَغَنِيَ أي عاش. وأغنيتُ عنكَ مُغْنى فلانٍ، ومَغْنَى فلانٍ، وَمغْناة فلانٍ، إذا أجزأتُ عنك مُجْزَأَهُ. ويقال: ما يُغْني عنك هذا أي ما يُجزىء عنك وما ينفعك[٥٦٨].

التفسير:

يصور الله ﷻ الحد الذي وصلوا إليه في إعراضهم، لدرجة أنهم لا ينتفعون بالأنباء، ولا جدوى للنذر معهم.

قال السمرقندي: «يعني جاءهم كلمة بالغة وهو القرآن يعني حكمة وثيقة ﴿فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ﴾ يعني لا تنفعهم النذر إن لم يؤمنوا»[٥٦٩]. وقال محمد طنطاوي: «والنذر جمع نذير بمعنى مُنْذِر»[٥٧٠].

---

(٥٦٧) انظر: البدور الزاهرة ص٣٨٧.

(٥٦٨) انظر: الصحاح في اللغة ص٨٣٠.

(٥٦٩) بحر العلوم ج٣ ص٢٩٨.

(٥٧٠) التفسير الوسيط ج١٤ ص١٢٤.

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت القراءة بإثبات الياء، أن النذر لم تنفع هؤلاء الكفار؛ وذلك لشدة كفرهم، وعدم استقبالهم للإيمان، ولم تنشرح إليه صدورهم.

أما القراءة بحذف الياء، فلقد عبَّرت عن هذا الحد الذي وصلوا إليه، ليس بالمعنى المستنبط من الكلمة فقط، بل بخط الكلمة أيضاً؛ وأعني بالخط فكما سقطت غاية أحرف الكلمة في تغني وهي الياء، كذلك سقطت ثمرة الإنذار فلم يقبلوا، ولم يستجيبوا.

وهذه القراءة تظهر شدة ضعف تأثير الآيات والنذر في نفوس هؤلاء الكفار، وذلك بسبب فساد هذه النفوس والقلوب. وهذا ظاهر في حذف الياء وسرعة النطق بالكلمة بدون الياء.

قال البقاعي: «ولعل الإشارة بإسقاط يا (تغني) بإجماع المصاحف من غير موجب في اللفظ إلى أنه كما سقطت غاية أحرف الكلمة، سقطت ثمرة الإنذار وهو القبول»(٥٧١).

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين، تبيّن لنا أن هذه النذر، التي لم تغن عنهم ولم تنفعهم، كانت منعدمة التأثير في نفوسهم، بل كانت شديدة انعدام التأثير في نفوس هؤلاء الذين رفضوا استقبال الإيمان، ودلَّ على ذلك حذف الياء وسرعة النطق بالكلمة بدونها.

٣ ـ قال تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ ۝٦﴾ [القمر: ٦].

القراءات:

أ ـ قال تعالى: ﴿ٱلدَّاعِ﴾

(٥٧١) نظم الدرر ج٧ ص٣٤٦.

١ ـ قرأ أبو عمرو وأبو جعفر وورش (الداعِي) بإثبات الياء وصلاً.

٢ ـ وقرأ البزي ويعقوب بإثباتها في الحالين[٥٧٢].

٣ ـ وقرأ الباقون (الداعْ) بحذفها مطلقاً[٥٧٣].

ب ـ قال تعالى: ﴿نُكُرٍ﴾

١ ـ قرأ ابن كثير (نُكْر) بإسكان الكاف.

٢ ـ وقرأ الباقون (نُكُر) بضمها[٥٧٤].

المعنى اللغوي للقراءات:

﴿ٱلدَّاعِ﴾: دعا بالشيء دعْواً، ودعوةً، ودُعاءً، ودعوى: طلب إحضاره. قال: ويقال: دعاه إلى القتال، ودعاه إلى الصلاة. ودعاه إلى الدين وإلى المذهب: حثه على اعتقاده وساقه إليه[٥٧٥].

﴿نُكُرٍ﴾: النكرة ضد المعرفة. وقد نكِرْتُ الرجلَ بالكسر نُكْرَاً ونُكُوْرَاً، وأَنْكَرْتُهُ واسْتَنْكَرْتُهُ بمعْنَىً. وقد نَكُرَ الأمر بالضم أي صَعُبَ واشتدَّ. والإنكارُ الجحود[٥٧٦].

التفسير:

هذا أمر من الله ﷻ للرسول ﷺ بترك هؤلاء، فلقد وصلوا إلى حدٍ مبالغٍ فيه من الصدود والإنكار.

قال ابن عجيبة: «ومعنى نُكُر أي شيء منكر فظيع، تنكره النفوس،

(٥٧٢) أي في الوصل والوقف.

(٥٧٣) انظر: غيث النفع ص٥٠٨، والبدور الزاهرة ص٣٨٧.

(٥٧٤) انظر: التيسير في القراءات السبع ص١٦٦.

(٥٧٥) انظر: المعجم الوسيط ص٢٨٦.

(٥٧٦) انظر: الصحاح في اللغة ص١٢٠٤.

لعدم العهد بمثله، وهو هول يوم القيامة»[٥٧٧].

يقول سيد قطب رَحِمَهُ اللَّهُ: «وعند هذا الحد من تصور إعراضهم وإصرارهم، وعدم انتفاعهم بالأنباء، وقلة جدوى النذر مع هؤلاء، يتوجه الخطاب إلى رسول الله ﷺ للإعراض عنهم، وتركهم يلاقون اليوم الذي لا يحفلون النذير باقترابه، وهم يرون انشقاق القمر بين يدي مجيئه»[٥٧٨].

واختلف العلماء في بيان من هو الداعي، فقيل: هو إسرافيل. وقيل: هو جبريل. وقيل: ملك غيرهما عليهما السلام. وقيل: هو الله ﷻ[٥٧٩].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أولاً: قوله تعالى: ﴿ٱلدَّاعِ﴾

أفادت القراءة بإثبات الياء، على معنى: أي يا محمد عليه الصلاة والسلام اتركهم إلى يوم يبعثهم الله تعالى فيه، حيث سيدعوهم الداعي إلى الخروج من قبورهم، والعودة بعد هذا الموت الطويل.

أما القراءة بحذف الياء، فقد دلّت على سرعة هذا النداء، وقلة كلماته، فبكلمات قليلة يحي الله ﷻ كل هذه الأعداد المهولة من البشر، ويعيدهم من بعد العدم.

قال الألوسي: «وجوز أن يكون الدعاء للإعادة في ذلك اليوم كما الأمر في كن فيكون»[٥٨٠].

الجمع بين القراءتين:

(٥٧٧) تفسير البحر المديد ج٧ ص٢٥٣.

(٥٧٨) الظلال ج٦ ص٣٤٢٩.

(٥٧٩) انظر: روح المعاني ج١٤ ص٧٩.

(٥٨٠) روح المعاني ج١٤ ص٧٩.

وبالجمع بين القراءتين، يظهر أن الدعاء ربما لن يكون ذو كلمات كثيرة أو طويلة. بل ما هو إلا كلمات قليلة فيخرج الناس للقضاء، ودلَّ على ذلك حذف الياء من كلمة الداعي، وسرعة نطقها وخفتها، بل المبالغة في الخفة.

ثانياً: قوله تعالى: ﴿نُّكُرٍ﴾

ذكر بعض العلماء أنهما من اللغات العربية، وأن الإسكان جاء للتخفيف[٥٨١]. ولكن الناظر إلى حركة الضم على حرف الكاف، فإنه من خلالها يستطيع أن يستنبط فرقاً بين القراءتين، وعليه فقد أفادت القراءة بالسكون على الكاف (نُكْر)، للدلالة على أمر فظيع وصعب ومنكر.

أما القراءة بضم الكاف (نُكُر) فهي لبيان شدة هذا اليوم، ومدى قوته ودرجة صعوبته، فهو أمر ليس صعباً فقط، وليس فظيعاً فحسب، بل هو غاية في الفظاعة بحيث لا تتصوره النفس، ودل على ذلك قوة حركة الضم، وزاد في الدلالة وجود الضمتين المتلاحقتين، فإذا كان الضم يعبر عن القوة فكيف بضمتين متلاحقتين[٥٨٢].

وجاء في الصحاح نكر الأمر بالضم صعب واشتد[٥٨٣]. قال السعدي: «قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ﴾ أي أمر فظيع، تنكره الخليقة، فلم تر منظراً أفظع ولا أوجع منه»[٥٨٤].

وفي ذلك مزيد زجر وردع وإنذار للناس كافة، حتى يفعلوا كل ما بوسعهم للاستعداد لمثل هذا اليوم؛ ليكونوا من الناجين بإذنه ﷻ.

---

(٥٨١) انظر: الحجة للقراء السبعة ج٦ ص٢٤٢ لأبي علي الفارسي / دار المأمون للتراث بيروت ـ ط الأولى ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م، والكشف ج٢ ص٢٩٧.

(٥٨٢) انظر: ما قاله السامرائي في كتابه: بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ص١٠٢.

(٥٨٣) انظر: الصحاح في اللغة ص١٢٠٤.

(٥٨٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ج٧ ص٢٢٨ / نشر الإدارة العامة للبحوث والدعوة والإرشاد ـ الرياض ١٤٠٤هـ.

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بينهما، يرسم لنا القرآن الكريم صورة مهيبة جليلة وفظيعة، تعبيراً عن مدى فظاعة هذا اليوم، وشدَّته على الخلائق.

٤ ـ قال تعالى: ﴿خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ۝٧﴾ [القمر: ٧].

القراءات:

١ ـ قرأ أبو جعفر ونافع وابن كثير وابن عامر وعاصم ﴿خُشَّعًا﴾ بضم الخاء وفتح الشين مشددة.

٢ ـ وقرأها الباقون (خَاشِعاً) بفتح الخاء وبعدها ألف وكسر الشين[٥٨٥].

المعنى اللغوي للقراءتين:

الخشوع الخضوع كالإختشاع، والفعل كمنع يقال: خَشَعَ يَخْشَعُ خُشُوْعَاً واخْتَشَعَ. وخشع بِبَصَرِهِ أي غَضَهُ وهو مُجَاْز. قال: الخشوع في الصوت والبصر كالخضوع في البدن[٥٨٦].

التفسير:

بعد أن بيّن الله ﷻ في الآية السابقة أن الناس سيحيون من جديد بدعوة من الداعي، بيَّن الله ﷻ في هذه الآية الكيفية والحالة التي سيكون عليها الناس أثناء خروجهم من قبورهم. وهم بحال غاية في الحيرة والذل والهول بسبب ما سيحدث لهم حينها.

(٥٨٥) انظر: المبسوط في القراءات العشر ص٢٥٧، والنشر في القراءات العشر ج٢ ص٢٨٩.

(٥٨٦) انظر: تاج العروس ج٥ ص٣١٨.

يقول سيد قطب: «وهو مشهد من مشاهد ذلك اليوم، يناسب هوله وشدته ظلال السورة كلها، ويتناسق مع الإرهاص باقتراب الساعة، ومع الإنباء بانشقاق القمر، ومع الإيقاع الموسيقي في السورة كذلك، وهو متقارب شديد. وهو مع سرعته شاخص متحرك، مكتمل السمات والحركات؛ هذه جموع خارجة من الأجداث في لحظة واحدة، كأنهم جراد منتشر (ومشهد الجراد المعهود يساعد على تصور المنظر المعروض)، وهذه الجموع خاشعة أبصارها من الذل والهول، وهي تسرع في سيرها نحو الداعي الذي يدعوها لأمر غريب نكير شديد لا تعرفه ولا تطمئن إليه»(٥٨٧).

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت القراءة بضم الخاء وتشديد الشين، على معنى الجمع، وهي الحالة والصفة العامة التي ستكون عليها تلك الجموع. وهي الذلة والهوان.

أما القراءة بفتح الخاء وبعدها ألف، فهي على معنى التوحيد أي بمعنى أن كل واحد منهم سيكون كذلك، وذلك حتى لا يظن ظانّ بأن صفة الذل والخشوع هي وصف لعموم حالة الجموع، وقد يكون هناك بعض الأفراد منهم غير مشمولين بهذه الصفة، جاءت هذه القراءة على التوحيد، لتؤكد بأن كل واحد على حدة من هؤلاء ستكون صفته كذلك، وهذه غاية في المبالغة.

قال البغوي: «قرأ أبو عمرو ويعقوب وحمزة والكسائي (خاشعاً) على الواحد، وقرأ الآخرون ﴿خُشَّعًا﴾ بضم الخاء وتشديد الشين على الجمع، ويجوز في أسماء الفاعلين إذا تقدمت على الجماعة التوحيد والجمع والتذكير، والتأنيث، تقول: مررت برجال حسن أوجههم، وحسنة أوجههم وحسان أوجههم»(٥٨٨).

(٥٨٧) الظلال ج٦ ص٣٤٢٩.

(٥٨٨) تفسير البغوي ج٥ ص١٦٢.

وقال البقاعي: «وإفراده في قراءة أبي عمرو ويعقوب وحمزة والكسائي على أن الخشوع بلغ في النهاية من الشدة ونسبته إلى كل بصر على حد سواء»[(٥٨٩)].

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين، يتبيّن أن الحالة التي يخرج بها هؤلاء من قبورهم، هي حالة من الذل والهوان والذهول، وهذه الصفة ستلازم كل فرد منهم على السواء، ولا ينجو منها أحد من هؤلاء المنكرين الجاحدين.

٥ ـ قال تعالى: ﴿مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ۝٨﴾ [القمر: ٨].

القراءات:

١ ـ قرأ المدنيان وأبو عمرو (الداعي) بإثبات الياء وصلاً.

٢ ـ وقرأها ابن كثير ويعقوب بإثبات الياء في الحالين.

٣ ـ وقرأها الباقون ﴿ٱلدَّاعِ﴾ بحذف الياء في الحالين[(٥٩٠)].

المعنى اللغوي للقراءات:

دعا بالشيء دعْواً، ودعوةً، ودُعاءً، ودعوى: طلب إحضاره، وقد سبق بيانها في نفس السورة[(٥٩١)].

التفسير:

إذا كان قد بيَّن الله تبارك وتعالى في الآيات السابقة حقيقة يوم البعث،

---

(٥٨٩) نظم الدرر ج٧ ص٥٣٦.

(٥٩٠) انظر: النشر ج٢ ص٢٨٩، والبدور الزاهرة ص٣٨٧.

(٥٩١) انظر ص١٨٦.

وأن هناك منادياً سينادي على الخلائق للخروج من قبورها ليوم الحساب، وأن هؤلاء المنكرين سيخرجون في ذلة وخضوع وهوان وحيرة، فإنه ﷺ بيّن لنا في هذه الآية كيفية الاستجابة بعد الخروج، فهم مسرعون غاية الإسراع في سيرهم إلى الداعي.

قال سيد قطب: «وفي أثناء هذا التجمع والخشوع والإسراع يقول الكافرون ﴿هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ وهي قوة المكروب المجهود الذي يخرج ليواجه الأمر الصعب الرعيب»(٥٩٢).

وقال الصابوني: «أي مسرعين مادي أعناقهم إلى الداعي لا يتلكؤون ولا يتأخرون»(٥٩٣).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة بإثبات الياء، بمعنى أنهم سيخرجون لِيُلَبُّوا دعاء الداعي الذي دعاهم للخروج.

أما القراءة بحذف الياء، فهي إشارة إلى أن هذا الداعي الذي دعاهم للخروج، إنما دعاهم بكلمات سريعة وقليلة، ودلّ على ذلك سرعة النطق بها، وقلة عدد حروفها، وذلك لحذف حرف الياء من كلمة (الداعي).

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين عُلِمَ بأن الناس سيخرجون مسرعين نحو الداعي الذي دعاهم بكلمات قليلة في حروفها، كبيرة وقوية في وقعها، لدرجة أنهم لبُّوا أمر النداء مباشرة وبسرعة وبدون تردد.

٦ ـ **قال تعالى**: ﴿فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ۝١١﴾ [القمر: ١١].

---

(٥٩٢) الظلال ج٦ ص٣٤٢٩.

(٥٩٣) صفوة التفاسير ج٣ ص٢٦٧.

القراءات:

١ ـ قرأ ابن عامر وأبو جعفر ويعقوب (فَفَتَّحنا) بتشديد التاء.

٢ ـ وقرأها الباقون ﴿فَفَتَحْنَآ﴾ بالتخفيف[٥٩٤].

المعنى اللغوي للقراءتين:

الفتحُ نَقِيْضُ الإغلاق؛ فَتَحَهُ يَفْتَحه فَتْحاً وافْتَتَحه وفتَّحه فانْفَتَحَ وتَفَتَّح. وفُتِّحَتِ الأبواب شدّد للكثرة[٥٩٥].

التفسير:

تأتي هذه الآية في سياق مجموعة من الآيات، تتحدث عن العقاب والعذاب، الذي أنزله الله ﷻ على الأمم السابقة، التي كذبت رسولها، وفي ذلك إشارة لهؤلاء المكذبين أن المصير الذي لاقاه هؤلاء من الممكن أن تلاقوه أنتم بسبب كفركم، كذلك فإن هذه الآية ومثلها تفتح باب التدبر لهؤلاء الذين غرَّتهم عقولهم وأضلتهم أهواءُهم. أي انظروا إلى ما حل بمن سبقكم فاعتبروا وآمنوا قبل أن يأتيكم ما أتاهم فتكون عاقبتكم الخسران والذل والهوان.

قال سيد قطب: «وبعد هذا الإيقاع العنيف في مطلع السورة؛ والمشهد المكروب الذي يشمل المكذبين في يوم القيامة؛ يأخذ في عرض مشاهد التنكيل والتعذيب الذي أصاب بالفعل أجيال المكذبين قبلهم، وعرض مصارع الأمم التي سلكت من قبل مسلكهم، بادئاً بقوم نوح»[٥٩٦].

وقال الصابوني: «أي فأرسلنا المطر من السماء مُنْصَبّاً بقوة وغزارة»[٥٩٧].

---

(٥٩٤) انظر: الشامل ص٢٦٠، والبدور الزاهرة ص٣٨٨.

(٥٩٥) انظر: لسان العرب ج٢ ص٥٣٦.

(٥٩٦) الظلال ج٦ ص٣٤٢٩.

(٥٩٧) صفوة التفاسير ج٣ ص٢٦٧.

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت القراءة بدون تشديد بيان أن الله تعالى انتصر لأنبيائه، وانتقم من المكذبين، وذلك بإنزال المطر الغزير عليهم حتى أغرقهم، والفتح لأبواب السماء يكون مرة واحدة فقط.

أما القراءة بالتشديد فقد دلَّت على المبالغة في الفعل؛ لبيان مدى شدّة المطر النازل، وكثرته. ولبيان كثرة الأبواب التي تفتَّحت من السماء، وكان التفتُّح مرة بعد مرة.

قال ابن عطية: «وقرأ ابن عامر وأبو جعفر والأعرج ففتَّحنا بشدها على المبالغة»(٥٩٨).

وقال السمرقندي: «تشديد التاء على تكثير الفعل»(٥٩٩).

وقال البيضاوي: «فتَّحنا بالتشديد لكثرة الأبواب»(٦٠٠). وقال ابن خالويه: «ووجه التخفيف أن الفتح في وقت واحد، ووجه التشديد أن التفتح من السماء كان كما التفجُّر من الأرض شيئاً بعد شيء ودام وكثر»(٦٠١).

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين، يظهر بأن هذا المطر الغزير الذي أنزله الله على المكذبين من السماء كان غاية في الشدة والغزارة والمبالغة لدرجة أن السماء أخذت تتفتح مرة بعد مرة، وبأبواب كثيرة، ودائمة المطر، ولم يقتصر الأمر عند الفتح مرة واحدة.

٧ ـ **قال تعالى:** ﴿وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾﴾ [القمر: ١٢].

(٥٩٨) المحرر الوجيز ج٥ ص٢١٤.
(٥٩٩) بحر العلوم ج٣ ص٢٩٩.
(٦٠٠) تفسير البيضاوي ج٥ ص٢٦٥.
(٦٠١) الحجة في القراءات ص٣٣٨.

القراءات:

١ ـ قرأ مكي وابن ذكوان وشعبة والأخوان (عِيوناً) بكسر العين.
٢ ـ وقرأها الباقون ﴿عُيُونًا﴾ بالضم[٦٠٢].

المعنى اللغوي للقراءتين:

العَيْنُ عين الماء، والعين التي يخرج منها الماء، والعين يَنْبُوع الماء الذي يَنْبُع من الأرض ويجري[٦٠٣].

التفسير:

إذا كانت السماء صبت ماءَها بغزارة شديدة، فإن الأرض أيضاً قد شاركت بإغراق هؤلاء وتعذيبهم؛ لأنها قد تفجَّرت بالماء فأصبحت عيوناً تفور فوراً.

قال البيضاوي: «وجعلنا الأرض كلها كأنها عيون متفجرة، وأصله وفجَّرنا عيون الأرض فغير للمبالغة»[٦٠٤].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت القراءة بالكسر بأن الله ﷻ قد جعل الأرض عيوناً متفجرة، وجاءت بالكسر مجانسة بالياء[٦٠٥].

أما القراءة بالضم على العين، فقد أفادت بيان قوة هذه العيون، فهي تفيض بالماء بقوة وغزارة شديدة مقابلة لما تفعله السماء من إنزال للمطر بقوة وغزارة، ودل على ذلك قوة حركة الضم التي هي من أقوى الحركات قاطبة.

---

(٦٠٢) انظر: غيث النفع ص٥٠٩.
(٦٠٣) سبق بيانها عند تفسير سورة الذاريات ص١٠٦.
(٦٠٤) تفسير البيضاوي ج٥ ص٢٦٥.
(٦٠٥) انظر: أضواء البيان ج٥ ص٢١٠.

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين، يتبيّن كثرة وقوة هذه العيون التي تفجرت بالماء، لدرجة أن الأرض أصبحت كلها عيوناً تتفجر بالماء وتفيض به بقوة.

٨ ـ **قال تعالى:** ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٦﴾﴾ [القمر: ١٦].

القراءات:

١ ـ قرأ ورش (ونذري) بإثبات الياء وصلاً فقط.

٢ ـ وقرأ يعقوب بإثباتها في الحالين.

٣ ـ وقرأها الباقون ﴿وَنُذُرِ﴾ بحذف الياء مطلقاً[٦٠٦].

المعنى اللغوي للقراءات:

الإنذار الإبلاغُ ولا يكون إلا في التخويف، والاسمُ النُّذُر بضمتين، والنَّذير المُنْذِر والإنذار أيضاً[٦٠٧].

التفسير:

لقد وردت هذه الكلمات في ستة مواضع في هذه السورة[٦٠٨]، وهي لبيان هول ما لحق بهم. والاستفهام للتعظيم والتعجب، أي كان عذابي وإنذاري لهم على هيئة هائلة، لا يحيط بها الوصف، والنذر جمع نذير معنى الإنذار، أي فكيف كان عذابي وإنذاري[٦٠٩].

(٦٠٦) انظر: النشر ج٢ ص٢٨٩، والبدور الزاهرة ص٣٨٨.
(٦٠٧) انظر: مختار الصحاح ص٣٥١.
(٦٠٨) انظر: الآيات (١٦، ١٨، ٢١، ٣٠، ٣٧، ٣٩) من سورة القمر.
(٦٠٩) انظر: البحر المديد ج٧ ص٢٥٧، وتفسير غريب القرآن ص٤٣٢، دار الكتب العلمية بيروت ـ ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة بحذف الياء على معنى أرأيتم وسمعتم كيف كان عذاب الله تعالى هائلاً وشديداً، وأدركتم أن نذري كانت حقاً وصدقاً.

أما القراءة بإثبات الياء وإن كانت قد حملت في نفس المعنى الذي ذكرناه في القراءة بالحذف، إلا أنها أضفت طابعاً آخر على هذه الكلمة، وهو طابع ومشهد كله رعب وزجرٌ وردعٌ فإذا كان الإنذار بحد ذاته مرعباً، فكيف إذا نُسِب هذا الإنذار إلى قوِيّ جبّار، وذلك بإثبات الياء، وهي حرف كامل ممدود.

كذلك فإن المد في حرف الياء يشير إلى أن هذا الإنذار كان مجموعة من الإنذارات جاءتهم على أوقات متفرقة، وتركت لهم فرصة من الوقت ليعتبروا، ولكنهم لم يعتبروا، ودلّ على ذلك إطالة زمن الصوت وزيادته عند نطق حرف الياء الممدودة في (ونذري).

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين أظهر لنا الله ﷻ كيف كان عظيم عذابه على الكافرين، وكيف أن إنذاره لهم لم يكن إلا حقاً وحقيقة، وهذا الإنذار كان عبارة عن مجموعة من الإنذارات جاءتهم في أوقات زمنية ومنحتهم فرصة من الوقت ليستفيدوا منها، ولكنهم لم يفعلوا. والقول في باقي المواضع التي وردت فيها هذه القراءة مثل القول في هذا الموضع تماماً.

٩ ـ قال تعالى: ﴿أَءُلْقِيَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾﴾ [القمر: ٢٥].

القراءات:

١ ـ قرأ قالون وأبو جعفر (أألقي) بتسهيل الهمزة الثانية مع إدخال ألف بينهما.

٢ ـ وقرأها أبو عمرو بالتسهيل مع الإدخال وعدمه.

٣ ـ وقرأها بالتسهيل من غير إدخال ورش ومكي ورويس.

٤ ـ وقرأها هشام بثلاثة أوجه التسهيل مع الإدخال والتحقيق مع الإدخال وعدمه.

٥ ـ وقرأها الباقون (أألقي) بالتحقيق بلا إدخال[٦١٠].

المعنى اللغوي للقراءات:

(أألقي): ألقيت الشيء بالألف طرحتُه، وألقيتُ إليه القولَ وبالقولِ أبلغته، وألقيته عليه بمعنى أمليته وهو كالتعليم، وألقيت المتاع على الدابة بمعنى وضعته[٦١١].

التفسير:

تبيّن هذه الآية الكريمة مدى سفه وجهل وعناد هؤلاء الكافرين، وذلك أنهم يمتنعون عن الإيمان بأسباب واهية باطلة كما هو حالهم في هذه الآية، فهم ينكرون على رسولهم صالح عليه السلام، ويرفضون تصديقه؛ لأنه بشر مثلهم، فهم ينكرون أن ينزل الذكر على رجل منهم ومن بينهم. أو كان سبب إنكارهم؛ لأنه واحد من أفنائهم، وليس من أشرافهم[٦١٢].

قال الطبري: «يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل مكذّبي رسوله صالح ﷺ من قومه ثمود: ﴿أَءُلْقِيَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا﴾ يعنون بذلك: أنزل الوحي وخصّ بالنبوّة من بيننا وهو واحد منا، إنكاراً منهم أن يكون الله يُرسل رسولاً من بني آدم»[٦١٣].

(٦١٠) انظر: غيث النفع ص٥٠٩، والبدور الزاهرة ص٣٨٨.

(٦١١) انظر: المصباح المنير ص٣٣١.

(٦١٢) انظر: التفسير الوسيط ج١٤ ص١٣٩.

(٦١٣) جامع البيان ج٩ ص٧٧٤٦.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة بتحقيق الهمزة، وتسهيلها بدون إدخال ألف ولا مد على معنى الاستفهام بمعنى كيف يخصه الله تعالى من بيننا وينزل عليه الذكر، فأية ميزة خصه الله تعالى بها، وهو اعتراض من الكافرين على الله تبارك وتعالى(٦١٤).

أما القراءة بتسهيل الهمز مع إدخال ألف ممدودة، فقد تعدت مرحلة الاستفهام إلى مرحلة الاستغراب والتعجب والمبالغة في الاعتراض، بمعنى أنهم متعجبون ومستغربون ومعترضون من اختيار الله تعالى للنبي المرسل، ودلّ على ذلك وجود المد الذي هو بمعنى الزيادة والمبالغة في الفعل.

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بينها، يتبيّن كيف أن هؤلاء الكفار، يتساءلون باستغرابٍ وتعجبٍ شديدين سؤال المنكرين والمعترضين على إختيار المرسلين من قِبَلِ الله تعالى عمَّا يقولون علواً كبيراً.

١٠ ـ **قال تعالى:** ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴿٢٦﴾﴾ [القمر: ٢٦].

القراءات:

١ ـ قرأ ابن عامر وحمزة (ستعلمون) بالخطاب.

٢ ـ وقرأها الباقون ﴿سَيَعْلَمُونَ﴾ بالغيب(٦١٥).

المعنى اللغوي للقراءتين:

العمل هو حركة البدن بكلِّه أو بعضه، وربما أطلق على حركة النفس. فهو إحداث أمر، قولاً كان أو فعلاً بالجارحة أو القلب، ولكن الأسبق

(٦١٤) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ج٧ ص٢٣٥.

(٦١٥) انظر: النشر ج٢ ص٢٨٩، والشامل ص٢٦٠.

للفهم اختصاصه بالجارحة، وخصَّه البعض بما لا يكون قولاً، وقد مضى تعريفها عند تفسير سورة الفتح(٦١٦).

التفسير:

في هذه الآية يَرُدُّ الله ﷻ على إنكارهم واتهامهم لصالح بأنه كذَّاب وأشرّ، أي بطر بقوله تعالى: سيعلمون أنهم هم الكذَّابون الأشرون، لكن أورد ذلك مورد الإبهام إيماءً إلَّا أنه مما لا يكاد يخفي(٦١٧).

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت القراءة بالياء على أنها إخبار من الله تعالى لصالح، بأن العذاب سيقع عليهم بعد زمن معين. أما القراءة بالتاء فهي خطاب من صالح لقومه، وذلك بأن صالحاً أخبر قومه بوقوع العذاب عليهم بعد زمن معين(٦١٨).

قال أبو حيان: «سيعلمون بياء الغيبة، وهو من إعلام الله تعالى لصالح عليه السلام؛ وقال بتاء الخطاب: أي قل لهم يا صالح وعداً يراد به الزمان المستقبل»(٦١٩).

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين يظهر بأن الله تعالى قد أخبر صالحاً عليه الصلاة والسلام بوقوع العذاب عليهم بعد مدة وأمره بتبليغ قومه بذلك.

تمت سورة القمر بحمد الله تعالى وتوفيقه.

(٦١٦) انظر: ص٣٥.

(٦١٧) انظر: روح المعاني ج١٤ ص٨٨.

(٦١٨) انظر: فتح القدير ج٥ ص١٥١.

(٦١٩) انظر: البحر المحيط ج٨ ص١٧٩.

المبحث الرابع
عرض وتفسير لآيات سورة الرحمن
المتضمنة للقراءات القرآنية العشر

بين يدي السورة:

هذه السورة هي سورة مكية، وهي ثمان وسبعون آية، سمِّيت بعروس القرآن، فهي كالعروس بين سائر السور الكريمة، وهي ذات نسق خاص ملحوظ، فهي إعلان وإعلام يصدح في الوجود، مخبراً بآلاء الله تعالى الباهرة الظاهرة في جميل صنعه وإبداع خلقه(٦٢٠).

مناسبتها لما قبلها:

لما ذكر الله تعالى حال المكذبين المجرمين ومآلهم، وبيَّن حال المتقين، فإنه فصَّل هذا الإجمال في الذكر أشد التفصيل في هذه السورة، كذلك لمَّا عدَّد الله تعالى ما نزل بالمكذبين من الأمم السالفة من صنوف العذاب، عدَّد في هذه السورة ما أفاض الله تعالى به على كافة الأنام من فنون نعمه الدينية والدنيوية(٦٢١).

(٦٢٠) انظر: روح المعاني ج١٤ ص٩٦، والظلال ج٦ ص٣٤٤٥، وصفوة التفاسير ج٣ ص٢٧٤.

(٦٢١) انظر: روح المعاني ج١٤ ص٩٦.

الموضوع العام للسورة:

تناولت هذه السورة الكريمة ثلاثة مواضيع رئيسة:

الأول: تناولت السورة ذكر آلاء الله تعالى الباهرة، وتعدد نعمه الكثيرة، وأشارت إلى تمجيده والثناء عليه ﷻ في خاتمة السورة.

الثاني: تحدثت السورة عن دلائل القدرة الإلهية الباهرة في تسيير الأفلاك، وتسخير السفن الكبيرة، التي تمخر عباب البحر بلا توقف، وكأنها الجبال الشاهقة من كبر حجمها وضخامتها، وفي تجلِّي الله تعالى على جميع مخلوقاته بقهرهم بالموت والفناء.

الثالث: تناولت الحديث عن يوم القيامة وأهوالها، وبيان حال الأشقياء المجرمين، وما يحل بهم من عذاب أليم، وتناولت كذلك حال المؤمنين، وبيان ما هم فيه من النعيم، والسعادة الأبدية بتفصيل وإسهاب معقول(٦٢٢).

١ ـ **قال تعالى:** ﴿وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾﴾ [الرحمٰن: ١٢].

القراءات:

١ ـ قرأ ابن عامر بنصب الحب، وذا، والريحان (والحبَّ ذا العصفِ الريحانَ).

٢ ـ وقرأ حمزة والكسائي وخلف بجر الريحان فقط، وَرَفْع الحب وذو (والحبُّ ذو العصفِ والريحانِ).

٣ ـ وقرأ الباقون برفع الثلاثة(٦٢٣).

المعنى اللغوي للقراءات:

أ ـ **(والحب)**: قال في اللسان: «والحَبُّ الزرع صغيراً كان أو كبيراً،

(٦٢٢) انظر: صفوة التفاسير ج٣ ص٢٧٤.

(٦٢٣) انظر: النشر ج٢ ص٢٨٩، والبدور الزاهرة ص٣٩٠، وإرشاد المريد ص٣٦٨.

واحدته حبةٌ، والحَبُّ معروف مُستعمل في أشياء جمَّة حبةٌ من بُرّ وحَبَّة من شَعير، حتى يقولون حبّة من عنب. قال: والحِبَّة حبُّ الرياحين وواحده حَبَّة»[٦٢٤].

ب ـ **(ذو)**: ذو بمعنى صاحب فلا يكون إلا مضافاً، فإن وصَفْتَ به نكرة أضفته إلى نكرة، وإن وصفت به معرفة أضفته إلى الألف واللام. ولا يجوز إضافته إلى مضمر ولا إلى زيدٍ ونحوه[٦٢٥].

ج ـ **(والريحان)**: الريحان نبت معروف، وهو الرِزْق أيضاً[٦٢٦].

التفسير:

تأتي هذه الآية في سياق تعداد نعم الله تعالى على الإنسان، فالله سبحانه خلق هذا الإنسان في أبهى وأحسن صورة، وعلَّمَه البيان، وجعل له الأرض مسكناً يناسبه، وذلَّلها له، وجعل من فوقه سماءً عظيمة، فيها من أسباب الرزق والحماية، وفوائد شتى، وأوجد لهذا الإنسان في هذه الأرض شتى أنواع النعم، وأسباب الحياة من مأكل ومشرب، وليس له فحسب بل ولِدَوَابّه أيضاً.

قال الطبري: «يقول تعالى ذكره: وفيها الحبّ وهو حبّ البُرّ والشعير ذو الورق. والتبن: هو العصف»[٦٢٧]. أما الريحان فاختلف في معناه، فمنهم من قال: بأنه كل ما له رائحة ذكية من الحشائش[٦٢٨]. ومنهم من ذهب إلى أنه الرزق وهو اللب: أي فيه ما يتلذذ به، والجامع بين التلذذ والتغذي[٦٢٩]. قال مجاهد: «(العصف) ورق الحنطة، (والريحان) الرزق»[٦٣٠].

(٦٢٤) لسان العرب ج١ ص٢٩٣.
(٦٢٥) انظر: مختار الصحاح ص١٣١.
(٦٢٦) انظر: مختار الصحاح ص١٥٢.
(٦٢٧) جامع البيان ج٩ ص٧٧٦٩.
(٦٢٨) انظر: التحرير والتنوير م١٣ ج٢٧ ص٢٤٢.
(٦٢٩) انظر: البحر المديد ج٧ ص٢٦٨، والتبيان في تفسير غريب القرآن ص٣٠٧.
(٦٣٠) تفسير مجاهد ج٢ ص٦٤٠.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أولاً: الرفع في الثلاثة، والنصب في الثلاثة مع الألف

أفادت القراءة بالرفع في الثلاثة على أنها معطوفة على المرفوع قبلها وهو قوله تعالى: ﴿فِيهَا فَٰكِهَةٌ﴾، والمعنى: فيها فاكهة وفيها الحبُ ذو العصف وفيها الريحانُ.

أما القراءة بالنصب في الثلاثة مع الألف فهي عطف على المنصوب قبلها، وهو قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ⑦﴾ [الرحمٰن: ٧]، أو قوله تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ⑩﴾[الرحمٰن: ١٠]، أو هي بمعنى خَلَقَ أي خَلَقَ الحبَّ ذا العصفِ وخَلَقَ الريحانَ.

قال أبو حيان: «برفع الثلاثة عطفاً على المرفوع قبله، وقال: بنصب الثلاثة أي وخلق الحب»[٦٣١]. **وقال الشوكاني:** «برفع الثلاثة عطفاً على فاكهة. وقال: وبنصبها عطفاً على الأرض، أو على إضمار فعل أي وخلق الحب ذا العصف والريحان»[٦٣٢].

وقال أحمد البنا: «بنصب الثلاثة على إضمار الفعل، أي أخصُّ أو خَلَقَ أو عطفاً على الأرض و(ذا) صفة الحب، وبرفع الثلاثة عطفاً على المرفوع قبله أي فيها فاكهة وفيها الحب و(ذو) صفة»[٦٣٣].

وقال ابن خالويه: «فالحجة لمن قرأه بالواو أنه ردَّه على قوله تعالى: ﴿فِيهَا فَٰكِهَةٌ﴾. والحجة لمن قرأه بالألف والنصب، أنه ردَّه على قوله تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ⑩﴾ وأنبت الحب ذا العصف»[٦٣٤]. وإلى ذلك أيضاً ذهب ابن زنجلة[٦٣٥] وأبو منصور الأزهري وغيرهما[٦٣٦].

---

(٦٣١) البحر المحيط ج٨ ص١٨٨ (بتصرف).
(٦٣٢) فتح القدير ج٥ ص١٥٩ (بتصرف).
(٦٣٣) إتحاف فضلاء البشر ج٢ ص٥٠٩ (بتصرف).
(٦٣٤) الحجة في القراءات السبع ص٣٣٨.
(٦٣٥) انظر: حجة القراءات ص٦٩٠، ٦٩١.
(٦٣٦) انظر: معاني القراءات لأبي منصور ج٣ ص٤٤.

ثانياً: القراءة بخفض النون في قوله تعالى: ﴿وَٱلرَّيۡحَانُ﴾

أفادت القراءة بخفض النون في (الريحان) عطفاً على (العصف) فيكون المعنى: والحب ذو العصف الذي هو علف البهائم. والريحان الذي هو مطعم الإنسان. وأجاز البعض أن تكون (الريحان) معطوفة على فاكهة ولكنها جرَّت للمجاورة.

قال الألوسي: «(والريحان) بالجرّ عطفاً على (العصف)، إذ يبعد عليها حمله على المشموم، والقريب حمله على اللبّ، فكأنه قيل: والحبُّ ذو العصفِ الذي هو رزق دوابكم، وذو اللّبّ الذي هو رزق لكم. وجَوَّز أن يكون الريحان في هذه القراءة عطفاً على (الفاكهة)، كما في قراءة الرفع والجر للمجاورة»(٦٣٧).

وقال أبو حيان: «والريحان بالجر والمعنى: والحب ذو العصف الذي هو علف البهائم، والريحان الذي هو مطعم الناس»(٦٣٨).

وقال الشوكاني: «والريحان بالجر عطفاً على العصف»(٦٣٩). **وقال ابن خالويه**: «بالخفض ردّاً على العصف؛ لأن العصف التبن، والريحان ما فيه من الرزق وهو الحبّ»(٦٤٠).

وعلى هذا تكون القراءة بالرفع بمعنى: فيها فاكهة، وفيها الحبُّ ذو العصفِ، وفيها الريحانُ، وهذا من تعداد نعم الله تعالى على الناس.

وأما القراءة بالجر عطفاً على العصف، فيكون المعنى: من باب مزيد تذكير بنعم الله تعالى على هذا الإنسان، حيث عقد مقارنة بين طعام الدّوابّ الذي هو حبٌّ له أوراق، وبين طعام الإنسان الذي هو الريحان أي الرزق.

---

(٦٣٧) روح المعاني ج١٤ ص١٠٣.

(٦٣٨) البحر المحيط ج٨ ص١٨٩.

(٦٣٩) فتح القدير ج٥ ص١٥٩.

(٦٤٠) الحجة في القراءات ص٣٣٨.

وذلك أنه لما ذكر الحبّ أو التبن للبهائم ذكر هنا اللبّ الذي يأكله الإنسان بتلذذ وهو الريحان.

قال الخازن: «وقيل: العصف التبن، والريحان ثمرته، فذكر قوت الناس والأنعام»[٦٤١].

قال الزمخشري: «(العصف) ورق الزرع، وقيل: التبن، (والريحان): الرزق وهو اللبّ. أراد فيها ما يتلذذ به من الفواكه، والجامع بين التلذذ والتغذي»[٦٤٢].

ويرى الباحث أنه لا بد من الإشارة إلى أن كل ما ذكر من النعم السابقة، هي طعام للإنسان، فمنها خاص بالتغذية مثل الحبّ وهو الحنطة والشعير، ومنها ما هو للتلذّذ والتغذية معاً، مثل: النخيل أو الريحان، وهو ما يتلذَّذ به من الفواكه مع حصول التغذية.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ﴾ إشارة إلى أن هذا الحبَّ صاحب الورق، ورقه وهو التبن طعام لِدَوَابِّكُم، وكذلك بعض حبوبه، أو ما ردئ منها، وهذا حاصل في إطعام الدَّواب. **قال السعدي**: «﴿وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ﴾ أي ذو الساق الذي يداس فينتفع بتبنه للأنعام وغيرها، ويدخل في ذلك حبّ البُرّ والشعير والذرة والأرز، والدخن وغير ذلك»[٦٤٣].

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين، يذكِّر الله ﷻ هذا الإنسان بنعمه العظيمة

(٦٤١) تفسير الخازن المجلد الرابع ج٧ ص٣.
(٦٤٢) تفسير الكشاف ج٤ ص٥٠.
(٦٤٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان المشهور بتفسير السعدي ج٧ ص٢٤٧ /تحقيق محمد النجار / الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد الرياض المملكة العربية السعودية / ١٤٠٤هـ. وحيثما ورد بعد ذلك فسأكتفي بالقول: تفسير السعدي.

عليه، فهذا الحبُّ الذي هو للتغذية تتغذون به، وتطعمون من ورقه أنعامكم، ومن بعض حبوبه أيضاً. وهذا الريحان الذي هو للتلذذ والتغذية مثل الفاكهة ذات المذاق الحسن، والرائحة الحسنة، كلّ ذلك خلقه الله تعالى لكم، وإذا كان بعض أنواع الحب، وكذلك العصف طعاماً لِدَوَابِّكم، فإن الله تعالى زادكم إكراماً، بأن خصَّكم بالفاكهة، وهذا ما أشارت إليه قراءة الجر بالعطف على العصف.

٢ ـ قال تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾﴾ [الرحمٰن: ٢٢].

القراءات:

أ ـ قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ﴾

١ ـ قرأ المدنيان والبصريان (يُخرَج) بضم الياء وفتح الراء.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿يَخْرُجُ﴾ بفتح الياء وضم الراء(٦٤٤).

ب ـ قوله تعالى: ﴿ٱللُّؤْلُؤُ﴾

١ ـ قرأ السوسي وشعبة وأبو جعفر (اللولؤ) بإبدال الهمزة الأولى واواً.

٢ ـ وقرأها حمزة بإبدال الهمزة الأولى في حالة الوقف فقط.

٣ ـ وقرأ هشام وحمزة بإبدال الهمزة الثانية (اللؤلو)، ولهما أيضاً التسهيل مع الروم، ولهما إبدال بالواو الخالصة مع السكون والإشمام والروم(٦٤٥).

المعنى اللغوي للقراءات:

أ ـ (خرج): الخروج نقيض الدخول، خَرَجَ يَخْرُج خُروجاً ومَخْرَجاً

(٦٤٤) انظر: التجريد لبغية المريد ص٣١٥، والبدور الزاهر ص٣٩٠.

(٦٤٥) انظر: غيث النفع ص٥٠٢، والبدور الزاهرة ص٣٨٣، المبسوط في القراءات العشر ٢٥٨، إتحاف فضلاء البشر ج٢ ص٥١٠.

فهو خارجٌ وخَروجٌ وخَرَّاجٌ، وقد أخْرَجَهُ وخَرَجَ به[٦٤٦].

ب ـ **(اللؤلؤ)**: اللؤلؤ الدُرَّةُ، والجمع اللُّؤلُؤُ واللآلِئُ وبَائعُه لآل، وقد مرَّ تعريفها في سورة الطور[٦٤٧].

التفسير:

وهذه الآية أيضاً تعرض نعمةً أخرى من نعم الله تعالى، إلا أنها تتمتع بميزة فريدة، فهي لا تعرض تلك النعمة فحسب، بل وإنها تلفت نظر الإنسان، وتأخذ بفكره إلى ضرورة النظر في الأشياء، التي حوله مثل: البحار وغيرها، والبحث فيها لاستخراج كنوزها، والكشف عن أسرارها، لأن الذي سيفكر في الدخول في هذا البحر العباب ليستخرج هذه الكنوز، فإنه بذلك قد فتح أمام عينيه آفاقاً كبيرة وكثيرة ومتعددة من العلم والمعرفة والاستكشاف، فالأمر لن يقتصر بعد ذلك على البحار، بل سيصبح الاستكشاف غاية هذا الإنسان في كل الأشياء التي حوله.

وقوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾﴾ أي من مجموعها، فإذا وجد ذلك لإحداها لكفى، واللؤلؤ معروف، فأما المرجان، فقيل: هو صغار اللؤلؤ، أو هو نوع من الجواهر أحمر اللون[٦٤٨]. أو اللؤلؤ هو كبار اللؤلؤ، والمرجان هو الصغار[٦٤٩].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أ ـ قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ﴾

أفادت القراءة بضم الياء وفتح الراء على ما لم يسمّ فاعله، وهي

(٦٤٦) انظر: لسان العرب ج٢ ص٢٤٩.

(٦٤٧) انظر: ص١٤٢.

(٦٤٨) انظر: تفسير القرآن العظيم ج٤ ص٢٩٢ (بتصرف)، والأساس في التفسير ج١٠ ص٥٦٥١.

(٦٤٩) انظر: الدر المنثور في التفسير المأثور ج٦ ص١٩٥.

تكون بذلك مبنيّاً للمفعول، ويكون اللؤلؤ على هذه القراءة نائب فاعل يخرج.

ويكون المعنى على هذه القراءة، أن هذا اللؤلؤ لا يخرج من تلقاء نفسه، وإنما هناك من يقوم بإخراجه، ولعله ﷻ أخفى الفاعل المُخْرِج لهذا اللؤلؤ؛ لتعدد الفاعل وأسباب الخروج، فلربما يخرج من فعل الإنسان من خلال تسخير إمكاناته لحصول ذلك، ولربما يخرج بسبب عوامل الطبيعة، مثل هيجان البحر وتقلُّبه، وارتفاع موجه، ومن المعروف أن البحر في فترة ما، يخرج ما فيه من طحالب وعوالق وأشياء تكون بداخله، فيخرج هذا اللؤلؤ معها، وكل ذلك بقوة الله تعالى وإرادته.

أما القراءة بفتح الياء وضم الراء، فهي على البناء للفاعل ويكون اللؤلؤ هو فاعل يخرج.

وليس المعنى على هذه القراءة أن اللؤلؤ يقوم بإخراج نفسه بنفسه، ولكن على الاتساع؛ لأنه إذا أُخرج فقد خَرج، بمعنى أن النتيجة أنه خرج بغض النظر عن من أخرجه. وأيضاً من الممكن أن يكون على سبيل الإخبار، بمعنى أن هذا البحر فيه كنوز ثمينة تخرج منه بدون التطرق إلى من يخرجها، أو إلى كيفية إخراجها.

قال الشنقيطي: «(يُخرَج) بضم الياء وفتح الراء مبنياً للمفعول، وعليه فاللؤلؤ نائب فاعل يخرج، وقوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ﴾ بفتح الياء وضم الراء مبنياً للفاعل، وعليه فاللؤلؤ فاعل يخرج»(٦٥٠).

وذكر القيسي: أن القراءة بضم الياء وفتح الراء هي حملاً للكلام على معناه، لأن اللؤلؤ والمرجان لا يخرجان منهما بأنفسهما من غير مخرج لهما. أما القراءة بفتح الياء وضم الراء، فقد أضافوا الفعل إلى اللؤلؤ والمرجان على الاتساع؛ لأنه إذا أُخرج فقد خَرج(٦٥١). وقال بذلك أيضاً ابن

(٦٥٠) أضواء البيان ج٥ ص٢٢٥ (بتصرف).

(٦٥١) الكشف عن وجوه القراءات ص٣٠١.

زنجلة[٦٥٢].

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين يبيّن الله ﷻ بأن هذين البحرين يخرج منهما أو من أحدهما اللؤلؤُ والمرجانُ، وهذا الخروج يكون بفعل فاعل، ولا يخرج من تلقاء نفسه، فقد يخرج بفعل الإنسان، أو بفعل عوامل الطبيعة، كالمد والجزر وغير ذلك، وكل ذلك بإرادة الله تعالى وقوته.

ب ـ قوله تعالى: ﴿ٱللُّؤۡلُؤُ﴾

مضى الحديث عنها سابقاً في سورة الطور، وهي من اللغات العربية[٦٥٣].

٣ ـ قال تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡمُنشَـَٔاتُ فِي ٱلۡبَحۡرِ كَٱلۡأَعۡلَٰمِ ۝٢٤﴾ [الرحمـٰن: ٢٤].

القراءات:

أ ـ قوله تعالى: ﴿ٱلۡجَوَارِ﴾

١ ـ قرأ يعقوب (الجَوارِي) بإثبات الياء عند الوقف.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿ٱلۡجَوَارِ﴾ بحذفها مطلقاً[٦٥٤].

ب ـ قوله تعالى: ﴿ٱلۡمُنشَـَٔاتُ﴾

١ ـ قرأ حمزة وشعبة بخلف عنه (المنشِآت) بكسر الشين.

٢ ـ وقرأ الباقون بفتح الشين ﴿ٱلۡمُنشَـَٔاتُ﴾ وهو الطريق الثاني لشعبة.

---

(٦٥٢) انظر: حجة القراءات ٦٩١.

(٦٥٣) انظر: ص١٤٢.

(٦٥٤) انظر: البدور الزاهرة ص٣٩٠.

٣ ـ وقرأها حمزة (المنشيَات) عند الوقف فقط بإبدال الهمز ياء[٦٥٥].

المعنى اللغوي للقراءات:

أ ـ (**الجوار**): الْجَارِيَةُ السَّفِينَةُ، سُمِّيَتْ بِذَلِكَ، لِجَرْيِهَا فِي الْبَحْرِ، وَمِنْهُ قِيلَ لِلأَمَةِ جَارِيَةٌ عَلَى التَّشْبِيهِ؛ لِجَرْيِهَا مُسْتَسْخَرَةً فِي أَشْغَالِ مَوَالِيهَا، وَالأَصْلُ فِيهَا الشَّابَّةُ؛ لِخِفَّتِهَا ثُمَّ تَوَسَّعُوا حَتَّى سَمَّوْا كُلَّ أَمَةٍ جَارِيَةً وَإِنْ كَانَتْ عَجُوزاً لاَ تَقْدِرُ عَلَى السَّعْيِ، تَسْمِيَةً بِمَا كَانَتْ عَلَيْهِ وَالْجَمْعُ فِيهِمَا الْجَوَارِي[٦٥٦]. وقال ابن منظور: «وَجَرَتِ السفينةُ جَرْياً كذلك، والجاريةُ السفينة صفة غالبة وفي التنزيل ﴿حَمَلْنَٰكُمْ فِي ٱلْجَارِيَةِ﴾ [الحاقة: ١١][٦٥٧].

ب ـ (**المنشآت**): أنشأه الله: خلقَهُ، والاسم النشأة والنشاءة بالمد عن أبي عمرو بن العلاء. وأنشأ يفعل كذا أي: ابتدأ. وفلان ينشئ الأحاديث أي يضعها. وجاء في لسان العرب: والمُنْشَآت السفن المرفوعة الشرع، وقد مر تعريفها في سورة النجم[٦٥٨].

التفسير:

وهذه أيضاً نعمة عظيمة من نعم الله تعالى الكثيرة علينا، وقال سبحانه: ﴿وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِي ٱلْبَحْرِ﴾ والتخصيص هنا له فائدة، وذلك حتى لا يظن الإنسان بأنه صاحب الفضل الأول في إيجاد هذه السفن؛ لأن الخالق الحقيقي لجميع أدواتها، والمواد التي بنيت منها هو الله تعالى؛ ثم إن القضية ليست في بناء هذه السفن فحسب، فهناك ما هو أهمّ من ذلك، وهو جريانها وعدم غَرَقِها، فهي تجري بسهولة ويسر، وهي تحمل من الأثقال ما هو بِوَزنِ الجبال، وعندما قال الله تعالى: ﴿كَٱلْأَعْلَٰمِ﴾ تظهر لنا

---

(٦٥٥) انظر: غيث النفع ص٥١١، البدور الزاهر ص٣٩٠.
(٦٥٦) انظر: المصباح المنير ص٦٣.
(٦٥٧) لسان العرب ج١٤ ص١٤١.
(٦٥٨) انظر: ص١٧٣.

فائدة، فهي فعلاً مثل الجبال في ارتفاعها وضخامتها، وكبر حجمها، وقوة رسوخها، فإذا كان الجبل راسخاً في الأرض بمعنى أن جزءاً من هذا الجبل نازل ومثبت في الأرض، فكذلك السفن، فإن جزءاً منها نازل ومثبت في الماء، وفائدة النزول والرسوخ في كلا الشيئين: «الجبال، والسفن» هو التثبيت، والله أعلم(٦٥٩).

وخصها في الذكر؛ لأن جريانها في البحر لا صنع للبشر فيه، وهم معترفون بذلك(٦٦٠).

والتشبيه بين السفن والأعلام على حقيقته فهو تشبيه حسي. جاء في كتاب من بلاغة القرآن: شبَّه السفن الجارية في البحر بالجبال بجامع الضخامة في كلٍّ، وعليه يكون وجه الشبه واحداً وحسياً(٦٦١).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أولاً: ﴿ٱلْجَوَارِ﴾

أفادت القراءة بحذف الياء على معنى أن هذه السفن التي تجري في البحر، هي ملك لله تعالى، وخصها له سبحانه؛ وذلك للتنبيه لأن المالك الحقيقي لها هو الله تعالى، وإن كان الإنسان هو الذي بناها، ولكن جميع المواد المستخدمة في صناعتها هي من خلق الله تعالى، كذلك فإن الذي وهبها صفة السير والجري في الماء والبحار هو الله تعالى لا أحد غيره.

أما القراءة بإثبات الياء فقد دلّت على كثرة جري هذه السفن، وكثرة استخدامها في خدمة وقضاء حوائج الإنسان، فهي تجري في الليل والنهار، وعلى الدوام، ولا غنى للإنسان عنها. ودل على كثرة وزيادة جريانها الزيادة

---

(٦٥٩) وقد وجدت الشيخ سعيد حوى قد ذكر مثل ذلك في الأساس ج١٠ ص٥٦٦٥.

(٦٦٠) تفسير حقي ج٩ ص٢٩٥.

(٦٦١) انظر: كتاب من بلاغة القرآن محمد علوان ونعمان علوان ص١٤٩.

في مبنى الكلمة، وذلك بإثبات الياء ومن المعروف أن الزيادة في المبنى هي زيادة في المعنى.

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين، يبيّن الله تعالى لنا عظيم نعمه علينا، ومن هذه النعم هي السفن التي تجري في البحر لقضاء حاجة الناس، وهي تقوم بهذه الوظيفة ليلاً ونهاراً، وعلى الدوام بلا انقطاع.

ثانياً: ﴿ٱلْمُنشَـَٔاتُ﴾

أفادت القراءة بالفتح (المنشَآت) على معنى أنشأها الله تعالى أو الناس.

أمّا القراءة بكسر الشين (المنشِآت) فهي بمعنى الظاهرات السير اللاتي يُقبِلن ويدبرن.

أو هُنَّ المنشِآت للسير أو البادءات أو المنشِآت للأمواج بفعل السير.

قال أبو السعود: «(المنشَآت) المرفوعاتُ الشُّرُع، أو المصنوعاتُ، وقُرِئَ بكسر الشين أي الرافعاتُ الشرُعَ أو اللاتي يُنشِئن الأمواج بجريهن»[٦٦٢]. **وقال الثعالبي:** «(المنشِآت) بكسر الشين أي اللواتي أنشأن جريهن أي ابتدأنه. وقال: بفتح الشين أي أنشأه الله أو الناس»[٦٦٣].

وقال الزمخشري: «(المنشَآت) المرفوعات الشرع وقرئ بكسر الشين وهي الرافعات الشرع أو اللاتي يُنشئن الأمواج بجريهن»[٦٦٤]. وقال بنحو ذلك الشيخ أحمد البنا[٦٦٥] وأبو منصور[٦٦٦].

---

(٦٦٢) تفسير أبو السعود ج٦ ص١٧٧.

(٦٦٣) انظر الجواهر الحسان في تفسير القرآن المعروف بتفسير الثعالبي ج٣ ص٢٧٤، وحيثما ورد بعد ذلك فسأكتفي بقولي: تفسير الثعالبي.

(٦٦٤) انظر: تفسير الكشاف ج٤ ص٥١.

(٦٦٥) انظر: إتحاف فضلاء البشر ج٢ ص٥١٠، ٥١١.

(٦٦٦) معاني القراءات ج٣ ص٤٦.

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين يخبرنا الله تعالى عن نعمةٍ عظيمة من نعمه، وهي السفن المبتدئة في الجري، الرافعة لشرعها، المستمسكة المنشئة للأمواج بسبب جريها في الماء لخدمة هذا الإنسان، وهذه السفن العظيمة هي لله تعالى، هو الذي أنشأها أو الإنسان، بمعنى أنه ﷻ يسَّر للإنسان أسباب إنشائها، وسهَّل عملية جريانها، وأكسبها هذه الصفة.

٤ ـ قال تعالى: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾﴾ [الرحمٰن: ٣١].

القراءات:

أ ـ قوله تعالى: ﴿سَنَفْرُغُ﴾

١ ـ قرأ حمزة والكسائي وخلف (سَيَفْرُغُ) بالياء.

٢ ـ وقرأ الباقون (سنَفْرغ) بالنون[٦٦٧].

ب ـ قوله تعالى: ﴿أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾

١ ـ قرأ ابن عامر (أيهُ) بضم الهاء وصلاً.

٢ ـ وقرأ الباقون بفتحها.

٣ ـ وقرأها البصري والكسائي (أيها) بالألف وقفاً.

٤ ـ وقرأها الباقون بهاء ساكنة وبدون ألف[٦٦٨].

المعنى اللغوي للقراءات:

أ ـ (فرغ): الفراغُ الخلاءُ فَرَغَ يَفْرَغُ ويَفْرُغُ فراغاً وفروغاً، وفَرِغَ يَفْرَغُ وفي التنزيل: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا﴾ [القصص: ١٠]، كذلك قوله

---

(٦٦٧) انظر: النشر ج٢ ص٢٩٠، غيث النفع ص٥١١.

(٦٦٨) انظر: البدور الزاهرة ص٣٩٠.

تعالى: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾﴾ [الرحمٰن: ٣١]، أي سنعمد[٦٦٩].

ب ـ (أيه) أي حرف نداء[٦٧٠].

التفسير:

هذه الآية الكريمة فيها من التهديد والوعيد ما لا يخفى على أحد.

فالله ﷻ هو الذي يخبرنا عن نفسه، وهو الذي سيقصد ويتجرد لحساب الجن والإنس، نسأله ﷻ أن يكون بنا لطيفاً ورحيماً، فأملنا به كذلك.

وعن معنى هذه الآية، قيل: هو وعيد من الله تعالى للخلق بالمحاسبة، وليس هو فراغاً عن شغل لأن الله تعالى لا يشغله شأن عن شأن، فهو كقول القائل لمن يريد تهديده: لأتفرَّغنَّ لك وما به شُغل، وهذا قول ابن عباس، وإنما حسُن ذكر هذا الفراغ لسبق ذكر الشأن[٦٧١].

ويرى الباحث: أن معنى هذه الآية هو أنَّ الله تعالى سيترك لكم مساحةً وفراغاً من الوقت، وسيمهلكم، وبعد هذا الإمهال سيحاسبكم على ما قدمتم.

والدليل على ذلك ما قاله الخازن حيث قال: «وقيل معناه سنقصدكم بعد الترك والإمهال، ونأخذ في أمركم»[٦٧٢]. ومن المعروف أن معنى الفراغ هو الخلاء كما جاء في لسان العرب[٦٧٣].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة بالنون (سنفرغ) بنون العظمة على سبيل الالتفات، وهو إخبار من الله تعالى عن نفسه.

(٦٦٩) انظر: لسان العرب ج٨ ص٤٤٤، ٤٤٥.
(٦٧٠) انظر: المنجد في اللغة والأعلام ص٢٢.
(٦٧١) انظر: تفسير الخازن المجلد الرابع ج٧ ص٦.
(٦٧٢) انظر: تفسير الخازن المجلد الرابع ج٧ ص٦.
(٦٧٣) انظر: لسان العرب ج٨ ص٤٤٤.

أما القراءة بالياء (سيفرغ) فهي على الغيبة، إخبار عن الله تعالى بمعنى: أي سيفرغ الله تعالى.

قال النيسابوري: «بالنون إسناد الفعل إلى المتكلم»[٦٧٤].

وقال الشوكاني: «وقرأ حمزة والكسائي بالتحتية مفتوحة مع ضم الراء أي سيفرغ الله»[٦٧٥].

وقال مكي القيسي: «بالياء أنه رده على لفظ الغيبة المتقدم في قوله تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ﴾ وحجة من قرأ بالنون أنه حمله على الإخبار من الله جل ذكره عن نفس»[٦٧٦].

وقال بمثله الشيخ أحمد البنا[٦٧٧].

وعلى ما ذكرنا، لا شك أن القراءة بالنون فيها مزيد تهديد ووعيد؛ لأن الذي يخبر هو الله العظيم، بنون العظمة وتأثيره في النفس أوقع وأكثر إثارة وتأثيراً.

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين، يخبرنا الله ﷻ بأنه سيقصد إلى حساب ومعاقبة الكفار من الجن والإنس يوم القيامة.

٥ ـ قال تعالى: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾﴾ [الرحمٰن: ٣٥].

القراءات:

أ ـ قوله تعالى: ﴿شُوَاظٌ﴾

(٦٧٤) تفسير النيسابوري ج٤ ص٢٢٢ (بتصرف).

(٦٧٥) تفسير فتح القدير ج٥ ص١٦٣.

(٦٧٦) الكشف ج٢ ص٣٠١، ٣٠٢.

(٦٧٧) انظر: إتحاف فضلاء البشر ج٢ ص٥١١.

١ ـ قرأ ابن كثير (شِواظ) بكسر الشين.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿شُوَاظٌ﴾ بضمها[٦٧٨].

ب ـ قوله تعالى: ﴿وَنُحَاسٌ﴾

١ ـ قرأ ابن كثير وأبو عمرو وروح (نُحاسٍ) بخفض السين.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿وَنُحَاسٌ﴾ برفعها[٦٧٩].

المعنى اللغوي للقراءات:

أ ـ (شواظ) الشُّواظ والشِّواظ اللهب الذي لا دخان فيه.

وقيل: الشُواظ قطعة من نار ليس فيها نحاس. وقيل: الشواظ لهب النار، ولا يكون إلا من نار، وشيء آخر يخلطه[٦٨٠].

ب ـ (نحاس) النَّحس: الجهد والضُر. والنَّحْسُ خلاف السَّعدِ من النجوم وغيرها، والجمع أَنْحُسٌ ونحوسٌ. قال: والنِّحاس ضربٌ من الصُفر، والآنية شديدُ الحمرة، والنُّحاس بضم النون الدُّخان الذي لا لهب فيه[٦٨١].

التفسير:

جاءت هذه الآية بعد إعلانٍ من الله تعالى وإخبارٍ منه سبحانه للجن والإنس بأنهم لا يستطيعون أن يفرّوا منه ﷻ، ولا يستطيعون أن يخرجوا من أقطار السماوات والأرض، طلباً للفرار من عذاب الله أو لشيءٍ آخر؛ لأن ذلك لا يمكن أن يحدث، ومن حاول أن يقوم بذلك، فإن الله تعالى جعل الشواظ له بالمرصاد، يرسله عليه مع النحاس، فلا يجدون بذلك نصيراً ولا مخرجاً. والظاهر أن هذه الآية تحكي عن أهوال يوم القيامة.

---

(٦٧٨) انظر: التذكرة في القراءات ج٢ ص٧٠٦، النشر ج٢ ص٢٩٠.

(٦٧٩) انظر: النشر ج٢ ص٢٩٠، والبدور الزاهرة ص٣٩٠.

(٦٨٠) انظر: لسان العرب ج٧ ص٤٤٦.

(٦٨١) انظر: المرجع السابق نفسه ج٦ ص٢٢٧.

قال النسفي: «والمعنى إذا خرجتم من قبوركم يرسل عليكما لهب خالص من النار، ودخان يسوقكم إلى المحشر ﴿فَلَا تَنتَصِرَانِ﴾ فلا تمتنعان منهما»(٦٨٢). وقال به النيسابوري(٦٨٣).

ويرى الباحث: أن الناظر إلى هذه الآية بتفحص شديد، يمكن له أن يجد ما هو أكثر من ما ذُكر سابقاً من معاني. فالآية فيها نداء من باب الإعلان للناس عن حقيقة لا يمكن لأحد من الجن أو الإنس أن يفعلها إلا بإرادة الله تعالى، وهذه الحقيقة هي: إنكم أيها الجن والإنس لا يمكن لكم أن تخرجوا من أقطار السموات والأرض ما دام الله تعالى لا يريد لكم ذلك. والمعنى أنكم عاجزون عن فعل ذلك في كل وقت، سواء في الدنيا أو في الآخرة، أو يوم الحساب. فالأمر إذاً غير مقصور على يوم القيامة وأهوالها، بل ويشمل الدنيا كما شمل الآخرة، وليس هناك ما يمنع ذلك.

وقدَّم الله تعالى ذكر الجن في هذا السياق وفي هذا التحدي؛ لأن الجن أقدر على فعل ذلك من الإنس، وذلك يرجع إلى القدرات التي وهبها الله لهم.

وقوله تعالى: ﴿يُرْسَلُ﴾ بلغة المضارع يفيد استمرارية حدوث ذلك، ومن المعروف أن الجن تحاول على الدوام الصعود إلى السموات لاستراق السمع، فتكون الشهب وقطع النار الملتهبة لهم بالمرصاد. قال ابن عطية: «ومعنى الآية مستمر في تعجيز الجن والإنس»(٦٨٤).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أولاً: شواظ

ذهب علماء اللغة والتفسير والقراءات إلى أن كلا القراءتين بمعنى

(٦٨٢) تفسير النسفي م٢ ج٤ ص٢١١.

(٦٨٣) انظر: تفسير النيسابوري ج٤ ص٢٢٣.

(٦٨٤) المحرر الوجيز ج٥ ص٢٣١.

واحد[٦٨٥].

وهذا الذي ذكره العلماء صحيح، إلا أن القراءة بالضم لها مدلولاتها، وذلك بأن وجود الضمة على الشين يعطي قوة في المعنى؛ لأن الضمة من أقوى الحركات.

وعلى هذا يكون المعنى بالقراءة بالضم أن هذا الشواظ وهو النار ذو قوة بالغة في إيذاء الكافرين وحرقهم.

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين، يظهر بأن هذا الشواظ المرسل على الكافرين له قوة غاية في الإيذاء، وبالغة في الفتك بهم، وهذا ما أفادته القراءة بالضم، التي هي من أقوى الحركات وأثقلها.

ثانياً: نحاس

أفادت القراءة بالضم عطفاً على شواظ بمعنى: أنه يُرْسَلُ على الكافرين يوم القيامة شواظٌ وكذلك يُرْسَلُ عليهم نحاسٌ.

فيُرْسَلُ الشواظُ تارةً، ويُرْسَلُ النحاسُ تارة أخرى، أو يُرْسَلا مَعاً، ولكن كل واحدٍ منهما على حدة، وعلى هذا يكون معنى النحاس كما قال بعض المفسرين، هو الصفر المذاب، وذلك لما له من شدة بالغة في الألم[٦٨٦].

أو هو بمعنى الدخان، فالدخان أيضاً هو عذاب وفيه إيذاء الكافرين، إلا أن الأول أنسب.

أمّا القراءة بالجر، فقد أفادت بأن هذا الشواظ الذي يرسله الله تعالى

---

(٦٨٥) انظر: حجة القراءات ص٦٩٣، وبحر العلوم ج٣ ص٣٠٩، ومختار الصحاح ص١٢٨.

(٦٨٦) انظر: تفسير أبو السعود ج٦ ص١٧٩.

على الكافرين مركب ومُكَوَّن من عنصرين اثنين، وهما النار والدخان. فيكون معنى النحاس في هذه القراءة هو الدخان أظهر، وذلك بأن النار عندما يكون لها دخان تكون ظاهرة، وظهور النار مُهِمٌّ لإرعاب وتخويف الكافرين، وحصول مزيد من الألم الذي يلحق بهم.

قال النيسابوري: «من قرأ بالرفع فمعناه يُرْسَلُ عليكما هذا مرة وهذا مرة. ويجوز أن يُرْسَلا معاً من غير أن يمزج أحدهما بالآخر، ومن قرأ بالجر فبتقدير وشيء من نحاس»(٦٨٧).

وقال الرازي في حديثه عن القراءة بالجر: «فالشواظ مركب من نار ومن نحاس، وهو الدخان، وعلى هذا المرسل شيء واحد لا شيئان»(٦٨٨).

الجمع بين القراءتين:

وعند الجمع بين القراءتين، نجد أن الله تعالى يخبرنا بأن هؤلاء الكفار المجرمين، سيعذبهم الله تعالى يوم القيامة، وذلك بأنه سيرسل عليهم الشواظ تارة، والنحاس المصبوب أو الدخان تارة أخرى. أو يرسلهما معاً دون أن يمتزجا ببعضهما. وكذلك فإنه ﷻ يخبرنا بأن هذا الشواظ هو مكوَّن من نار ومن دخان.

٦ ـ **قال تعالى**: ﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ۝٥٦﴾ [الرحمٰن: ٥٦].

القراءات:

١ ـ قرأ الكسائي (يطمُثْهُنَّ) بضم الميم على الاختلاف.

٢ ـ وقرأها الباقون ﴿يَطْمِثْهُنَّ﴾ بالكسر(٦٨٩).

---

(٦٨٧) تفسير النيسابوري ج٤ ص٢٢٣ (بتصرف).

(٦٨٨) تفسير الرازي ج١٠ ص٣٦٣، والكشاف ج٢ ص٣٠٢.

(٦٨٩) انظر: النشر ج٢ ص٢٩٠، ٢٩١، والبدور الزاهرة ص٣٩٠، ٣٩١.

المعنى اللغوي للقراءات:

(الطمث) امرأةٌ طامثٌ ونساء طُمْثٌ وقد طَمَثت وطمِثَت. وطمثَها: مسَّها وقيل افتضها. ولا يكون إلا نكاحاً بالتدمية، لم يطمثهن: لم يدمهن بالنكاح(٦٩٠).

والأصل في معنى الطمث هو الحيض، ثم جعل للنكاح. وقال: الطمثُ: المسُّ، وذلك في كل شيء يُمَسّ(٦٩١).

التفسير:

تتحدث هذه الآية الكريمة عن بعض أوصاف تلك الحور التي أعدها الله ﷻ لأوليائه وأحبابه في الجنة. فإذا كن مقصورات في الخيام، ولا ينظرن إلا إلى أزواجهن، وهن خاضعات لهم، فهن كذلك لم يقم أحد بلمسهنَّ ولا بمسِّهن، وكذلك لم يقم أحد من باب أولى بنكاحهن ولا بفض بكارتهن. وذلك مزيد إكرامٍ لهؤلاء الرجال، فهنّ خالصات لكم منذ نشأتهن، فلم يقربهن إنس ولا جانٌ.

قال الطبري: «لم يمسهن إنس قبل هؤلاء الذين وصَفَ جلّ ثناؤه صفتهم، وهم الذين قال الله فيهم ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ [الرحمٰن: ٤٦]، ولا جانّ»(٦٩٢). وأورد الماوردي بأن المعنى: «أنهن قصرنَ طرفهن على أزواجهن لا يسددن النظر إلى غيرهم ولا يبغين بهم بدلاً»(٦٩٣).

وقال الشوكاني: «الطمث هو الإفتضاض، وهو النكاح بالتدمية، يقال: طمث الجارية إذا افترعها»(٦٩٤).

---

(٦٩٠) انظر: أساس البلاغة ص٢٨٤.

(٦٩١) انظر: لسان العرب ج٢ ص١٦٥.

(٦٩٢) جامع البيان ج٩ ص٧٨٠٣.

(٦٩٣) تفسير النكت والعيون ج٥ ص٤٣٩.

(٦٩٤) فتح القدير ج٥ ص١٦٩.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

علماء القراءات والكثير من المفسرين لم يفرقوا بين القراءتين، إلا أنه وبالنظر فيهما، يمكن أن يظهر لنا فرق بينهما.

وهو كالتالي:

أفادت القراءة بالضم على أن هؤلاء اللاتي ذكرهن الله تعالى، وجعلهن زوجات لأصحاب الجنة، لم يقم أحد من الإنس ولا من الجن بجماعهن، ولا بفض بكارتهن.

والمعنى على هذه القراءة يناسب ما ذهب إليه عدد من المفسرين، وهو أن الطمث هو النكاح بالتدمية. أي فض بكارتهن ونزول الدم، وناسب ذلك الضم، فحركة الضم هي أقوى الحركات وأثقلها وفض البكارة والنكاح بالتدمية هو شيء فيه قوة ومبالغة، وهو أقصى درجات المس.

أمّا القراءة بالكسر فهي على أن هؤلاء اللاتي ذكرهن الله تعالى لم يقم أحد من الإنس والجن بمسهن، وهذه القراءة بالكسر تناسب ما ذهب إليه عدد آخر من المفسرين، وهو أن الطمث هو المس بمعنى لم يمسهن أحد وناسب ذلك المعنى حركة الكسر، فهي من الحركات الضعيفة، والمس هو أقل ما يحدث وهو مقدمات الجماع.

قال ابن الجوزي: «عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ﴾ وفي معناه قولان: أحدهما: لم يفتضضهن، والطمث النكاح بالتدمية ومنه قيل: للحائض طامث، والثاني: لم يمسسهن، يقال: ما طمث هذا البعير حبل قط، أي ما مسّه»[٦٩٥].

وقال ابن عادل: «وأصل الطمث الجماع المؤدي إلى خروج دم البكر. وقال أيضاً: وقيل: الطمث المسّ الخالص»[٦٩٦]. وجاء في الصحاح:

---

(٦٩٥) زاد المسير ص١٣٨٢.

(٦٩٦) اللباب ج١٨ ص٣٤١.

الطمثُ المسُّ وذلك في كلِ شيءٍ يُمَسّ[٦٩٧].

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين يخبرنا الله تعالى بأن تلك الأزواج اللاتي أعدهن الله تبارك وتعالى لأصحاب الجنة، لم يقم أحد من الإنس ولا من الجن بجماعهن، ولا بنكاحهن مع التدمية.

وكذلك فإنه لم يقم أحد من الإنس ولا من الجن بمسهن، لا بلمس ولا بنكاح بتدمية أو بغير تدمية.

٧ ـ **قال تعالى:** ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾﴾ [الرحمٰن: ٧٨].

القراءات:

١ ـ قرأ ابن عامر (ذُو الجلال) بالواو.

٢ ـ وقرأها الباقون ﴿ذِى ٱلْجَلَٰلِ﴾ بالياء[٦٩٨].

المعنى اللغوي للقراءتين:

(ذو) ذو بمعنى صاحب، فلا يكون إلا مضافاً، فإن وصَفْتَ به نكرة أضفته إلى نكرة، وإن وصفت به معرفة أضفته إلى الألف واللام. ولا يجوز إضافته إلى مضمر، ولا إلى زيدٍ ونحوه[٦٩٩].

التفسير:

هذه الآية عظيمة جليلة جاءت كخاتمة لسورة عظيمة جليلة، سُمّيت باسم من أسماء الله تعالى وهو الرحمن، وكذلك جاءت كنتيجة، وهي

---

(٦٩٧) انظر: الصحاح في اللغة ص٦٧٩.

(٦٩٨) انظر: التذكرة في القراءات ج٢ ص٧٠٧.

(٦٩٩) انظر: مختار الصحاح ص١٣١.

مفخرة لكل مسلم مؤمن بالله تعالى.

فهذا الإله العظيم الذي له كل هذه النعم والبركات التي ذكرها، وهذا الإله العظيم الذي يمهل الكافرين المكذبين، ثم يحاسبهم بعد أن ترك لهم مساحة كبيرة ووقتاً طويلاً وفرصة للتوبة والإنابة والعودة إليه سبحانه. وهذا الإله الرحمن الرحيم الذي يلطف بعباده، وسينجيهم من النار وأهوالها رحمة منه سبحانه. وهذا الإله الكريم الذي سيكرم عباده في الجنة، وسيزيد لهم في العطاء إلى درجة ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

إنه إله عظيم جليل لطيف قدير، واجب علينا ذكره وتمجيده فإذا كان ربنا هذا حاله في كل ما ذكرنا، وأكثر بكثير، فلنا الفخر بأن نكون عباداً له، نذكره ونعبده ونُمَجِّده ونعظمه ونُجِله، ونطلب كرمه ورحمته على الدوام. وقوله تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ﴾ فيه وجهان: الأول: معناه ثبت اسم ربك. والثاني أن ذكر اسمه سبحانه يُمْنٌ وبركة، ترغيباً في المداومة على ذكره.

أما قوله تعالى: ﴿ذِى ٱلْجَلَٰلِ﴾، ففيه وجهان أيضاً، الأول: أنه الجليل. والثاني أنه المستحق للإجلال والإعظام. وفي ﴿وَٱلْإِكْرَامِ﴾ وجهان: أحدهما الكريم، والثاني ذو الإكرام لمن يطيعه(٧٠٠).

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت القراءة بالياء (ذي) على أنها وصف (لربك) .

أما القراءة بالواو (ذو) فهي صفة (لاسم) .

قال أبو حيان: ﴿ذِى ٱلْجَلَٰلِ﴾ صفة لربك. وقال أيضاً: (ذو) صفة للاسم»(٧٠١).

(٧٠٠) انظر: النكت والعيون ج٥ ص٤٤٤.

(٧٠١) البحر المحيط ج٨ ص١٩٨.

وقال مكي القيسي: «بالواو (ذو) صفة للاسم. وقال أيضاً: (ذي) بالياء جعلوه صفة لـ(الرب) . ثم قال فالقراءتان ترجعان لمعنى واحد»[٧٠٢]. وعلى هذا فان القراءتين بمعنى واحد.

تمت سورة الرحمن بحمد الله تعالى وتوفيقه.



(٧٠٢) الكشف ج٢ ص٣٠٣.

الفصل الثالث
تفسير القرآن الكريم بالقراءات القرآنية العشر
من خلال سور الواقعة ـ الحديد ـ المجادلة ـ الحشر

المبحث الأول: عرض وتفسير لآيات سورة الواقعة المتضمنة للقراءات العشر.

المبحث الثاني: عرض وتفسير لآيات سورة الحديد المتضمنة للقراءات العشر.

المبحث الثالث: عرض وتفسير لآيات سورة المجادلة المتضمنة للقراءات العشر.

المبحث الرابع: عرض وتفسير لآيات سورة الحشر المتضمنة للقراءات العشر.

المبحث الأول
عرض وتفسير لآيات سورة الواقعة المتضمنة للقراءات القرآنية العشر

بين يدي السورة:

هذه السورة هي سورة مكية، وهي ست وتسعون آية، وتشتمل هذه السورة على ذكر أحوال يوم القيامة، وما يكون بين يدي الساعة من أهوال وانقسام الناس إلى أقسام وطوائف ثلاثة وهي: أصحاب اليمين، وأصحاب الشمال، والسابقون، وبيَّنت السورة مآل كل فريق، وأقامت الدلائل على وجود الله تعالى ووحدانيته، وكمال قدرته في بديع خلقه، وحسن صنعه في خلق الإنسان، وإخراج النبات وإنزال الماء، وما أودع الله تعالى من قوة في النار، ثم عرجت على ذكر القرآن العظيم، وبيان عظمته ومكانته العالية، وخلوّه من التبديل والتغيير، وذلك في إشارة للرد على كل المتشككين(٧٠٣).

مناسبتها لما قبلها:

هناك ترابط واضح بين السورتين، فكلتاهما متفقتان في ذكر ووصف يوم القيامة، والجنة والنار، كذلك فإنه لما ذكر الله تعالى في الأولى العذاب للمجرمين، والنعيم للمؤمنين، وفاضل بين المؤمنين، فانقسم المكلفون على إثر ذلك إلى ثلاثة أقسام وهي: كافر، ومؤمن فاضل، ومؤمن مفضول،

(٧٠٣) انظر: الظلال ج٦ ص٣٤٦٢، وصفوة التفاسير ج٣ ص٢٨٦.

وبهذه الأقسام الثلاثة جاءت سورة الواقعة، وذكرتها في مطلع أول السورة الكريمة[٧٠٤].

الموضوع العام للسورة:

المحور الأساسي للسورة، هو موضوع النشأة الآخرة والبعث والجزاء وذلك ردٌّ على الشاكِّين فيها وعلى المشركين بالله تعالى، المكذبين بالقرآن الكريم، وذكرت أقسام الناس الثلاثة، وبيّنت ما يلاقونه من نعيم وعذابٍ، ووصفت ذلك وصفاً مفصلاً وافياً، ثم ذكرت القرآن الكريم الذي يحدثهم عن كل هذه الأشياء، وبيّنت أنه قرآن كريم، لا يمسّه إلا المطهرون، ولا يتسرب إليه باطل، ولا يشوبه شك أبداً، ثم عرضت السورة الكريمة مشهداً من مشاهد الرجوع إلى الله تعالى، وهو الموت الذي هو أول منازل الآخرة، ثم ختمت السورة بتسبيح الله تعالى وتمجيده[٧٠٥].

١ ـ قال تعالى: ﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الواقعة: ١٩].

القراءات:

١ ـ قرأ الكوفيون[٧٠٦] ﴿وَلَا يُنزِفُونَ﴾ بكسر الزاي.

٢ ـ وقرأها الباقون (ولا يُنْزَفون) بالفتح[٧٠٧].

المعنى اللغوي للقراءتين:

(ولا ينزفون): **قال ابن منظور**: «نَزَفْتُ ماءَ البئرِ نَزْفاً، إذا نزحْته كله ونَزَفَتْ هي، يتعدّى ولا يتعدى، ونُزِفَتْ أيضاً على ما لم يسمّ فاعله. وقال: ويقال: نزف الدمُ إذا خرج منه كثيراً حتى يَضْعُف. وقال: والنزيفُ

(٧٠٤) انظر: روح المعاني ج١٤ ص١٢٨.

(٧٠٥) انظر: صفوة التفاسير ج٣ ص٢٨٦.

(٧٠٦) الكوفيون هم حمزة والكسائي وخلف.

(٧٠٧) انظر: النشر ج٢ ص٢٧٢، غيث النفع ص٥١٤، إرشاد المريد ص٣٧٠.

والمَنْزوفُ: السكرانُ المنزوفُ العقل وقد نُزِفَ. وفي التنزيل العزيز: ﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ﴾ أي لا يسكرون»[٧٠٨].

التفسير:

تتحدث هذه الآية عن بعض شراب هذه الثلة المقربة إلى ربها، الفائزة برضاه وجنته. إنهم المقربون، لقد جعل الله لهم من يقوم على خدمتهم، ويطوف عليهم بالخمر شراباً لهم. وهذه الخمر ليست كخمر الدنيا، فهي طيبة ولذيذة لا تنقطع ولا تضر أبداً.

لذا قال الله تعالى: ﴿لَّا يُصَدَّعُونَ﴾ أي لا تسبب لهم وجعاً وألماً وصداعاً في الرأس، ﴿وَلَا يُنزِفُونَ﴾ ولا تذهب عقولهم بالسكر.

قال البغوي: «﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا﴾ لا تصدع رؤوسهم من شربها ﴿وَلَا يُنزِفُونَ﴾ أي لا يسكرون»[٧٠٩].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت القراءة بفتح الزاي على معنى، أن هؤلاء المقربين الذين ذكرهم الله تعالى: يطوف عليهم من يخدمونهم من الولدان المخلدون، فيقدمون لهم الخمر فيشربونها، وهذه الخمر لا تسبب لهم السكر، فهم لا يسكرون بسبب تناولها، لأن هذه الخمر المقدمة لهم في الجنة ليست كخمر الدنيا.

أما القراءة بكسر الزاي فقد أفادت بأن هذه الخمر المذكورة التي يشربونها، لا يمكن أن تنفد، فهي موهوبةٌ لهم على الدوام وبلا انقطاع.

قال ابن عجيبة: «(ولا يُنْزَفون) بفتح الزاي ولا يسكرون، يقال نزَف الرجل ذهب عقله بالسُكر. وقال عن القراءة بكسر الزاي: أي لا ينفد

(٧٠٨) لسان العرب ج٩ ص٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٧.

(٧٠٩) تفسير البغوي ج٥ ص١٧٩.

شرابهم. يقال أنزف القوم: وفي الحديث «زمزم لا تُنْزَفُ ولا تُذَمّ»[(٧١٠)] إذا نفد شرابهم»[(٧١١)].

وهذا هو قول الطبري وغيره[(٧١٢)].

قال ابن زنجلة: «بكسر الزاي أي لا ينفد شرابهم كما ينفد شراب أهل الدنيا، والعرب تقول للقوم إذا فني زادهم قد أُنزفوا. أما عن القراءة بفتح الزاي فقد قال: لا تذهب عقولهم بشربها، يقال للرجل إذا سكر أُنزف عقله»[(٧١٣)].

الجمع بين القراءتين:

وإذا ما جمعنا بين القراءتين فإنه يتضح بأن هذه الخمر التي يشربها أهل الجنة، الذين ذكرهم الله تعالى هي خمر طيبة، لا تذهب بالعقول ولا تُسْكِرَها، وكذلك هي متوفرة لهم على الدوام بلا انقطاع، فهي لا تنفد.

٢ ـ قال تعالى: ﴿وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾﴾ [الواقعة: ٢٢].

القراءات:

١ ـ قرأ أبو جعفر وحمزة والكسائي (وحُورٍ عينٍ) بخفض الاسمين.

٢ ـ وقرأهما الباقون ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾ بالرفع[(٧١٤)].

المعنى اللغوي للقراءات:

حار: رجع. وفلان حائر بائر يعني هو هالك أو كاسد، والحَوَرُ بفتحتين جُلُوْدٌ حُمْرٌ تغشَّى بها السِّلال، الواحدة حَوَرة بفتحتين أيضاً. والحَوَر

(٧١٠) انظر النهاية في غريب الحديث لابن الاثير الجزري ٢/ ١٦٩.
(٧١١) تفسير البحر المديد ج٧ ص٢٩٠.
(٧١٢) انظر: جامع البيان ج٩ ص٧٨٣٣.
(٧١٣) حجة القراءات ص٦٩٤.
(٧١٤) النشر ج٢ ص٢٩١.

أيضاً شدة بياض العين، وشدة سوادها، وامرأة حوراء بيِّنة الحَوَر. وتَحْوِير الثياب تبييضُها[٧١٥].

التفسير:

إضافة إلى النعم التي ذكرها الله تعالى، وخصّ بها تلك الثلة المذكورة فلهم أيضاً حور عين في الجنة تلاقيهم في القصور أو حور عين تطوف عليهم مع الولدان.

قال الصابوني: «أي ولهم مع ذلك النعيم نساء من الحور العين الواسعات العيون في غاية الجمال والبهاء، كأنهُنَّ اللؤلؤ في الصفاء والنقاء الذي لم تمسه الأيدي»[٧١٦].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة بالرفع، على أنها معطوفة على ولدان؛ أو على أنها مبتدأ لخبر محذوف أو مضمر، والمعنى أي ولهم حور عين أو نساؤهم حور عين.

أما القراءة بالجر فأكثر العلماء على دربين، فإما أن تكون عطفاً على أكواب، أو جنَّات.

وبذلك يكون المعنى: أي تنعمون بالجنات، وبحور العين في الجنات، أو أنهم كما ينعمون بالأكواب فإنهم كذلك ينعمون بالحور.

ويجوز أن تكون كذلك عطفاً على أكواب بمعنى يطوف عليهم بأكواب وبحورٍ عين أو تطوف الحور العين نفسها عليهم إضافة إلى الولدان المخلدون؛ ومن ذهب إلى ذلك من العلماء قال: بأن الطواف للحور يكون في القصور، ومنهم من لم يحدد على اعتبار أن هذا من الملذات التي يُكَرَمُ

(٧١٥) انظر: مختار الصحاح ص٩٨.

(٧١٦) صفوة التفاسير ج٣ ص٢٩٠.

بها هؤلاء المقربون، حيث لا مانع من طواف الحور عليهم كما يطوفون الولدان، ولا مانع من طواف الولدان بالحور كذلك، وفرَّقوا بين الحور المقصورات وبين الحور الطوافات.

قال الشوكاني: «برفعها عطفاً على (ولدان) أو على تقدير مبتدأ، أي نساؤهم حور عين، أو على تقدير خبر: أي ولهم حورٌ عين، أما القراءة بالجر فقد أورد أنها عطفاً على أكواب، وجائز أن يكون معطوفاً على (جنَّات)، أي هم في جنات وفي حور، على تقدير مضاف محذوف، أي: وفي معاشرة حور»[٧١٧].

وقال ابن كثير: «بالرفع: وتقديره: ولهم فيها حور عين. قراءة الجر تحتمل معنيين:

أحدهما: أن يكون الإعراب على الإتباع بما قبله.

ثانيهما: أن مما يطوف به الولدان إضافة إلى الأكواب أيضاً الحور العين. لكن ذلك في القصور»[٧١٨].

وذكر الرازي بأن الرفع هو المشهور، ويكون عطفاً على ولدان في اللفظ لا في المعنى أو في المعنى على التقدير بمعنى لهم ولدان ولهم حور، وأجاز أن يكون المعنى على الرفع أيضاً بأن الحور تطوف كما يطوف الولدان. ولكن الأول هو الأشهر، فقال: ليست الحور منحصرات في جنس بل لأهل الجنة ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾﴾ في حظائر معظَّمات ولهن حواري وخوادم؛ وحور تطوف مع الولدان السقاة، فيكون وكأنه قال: يطوف عليهم ولدان ونساء[٧١٩].

(٧١٧) فتح القدير ج٥ ص١٧٩ (بتصرف).

(٧١٨) تفسير القرآن العظيم ج٤ ص٣٠٨ (بتصرف).

(٧١٩) انظر: تفسير الرازي ج١٠ ص٣٩٧.

الجمع بين القراءات:

وعند الجمع بين القراءات يتضح بأن الله ﷻ يكرم هذا الصنف من أهل الجنة بكرامات كثيرة، منها الحور العين المقصورة في الخيام، وإضافة إلى ذلك زيادة في الإكرام والتمتع فإن هناك صنف آخر من الحور تطوف عليهم كما يطوف الولدان لخدمتهم أو يطوف بهن الولدان كما يطوفون بالأكواب، والله أعلم.

٣ ـ قال تعالى: ﴿عُرُبًا أَتْرَابًا ۝٣٧﴾ [الواقعة: ٣٧].

القراءات:

١ ـ قرأ شعبة وحمزة وخلف (عُرْبَاً) بإسكان الراء.

٢ ـ وقرأها الباقون ﴿عُرُبًا﴾ بالضم(٧٢٠).

المعنى اللغوي للقراءتين:

(عرباً): العرب جيلٌ من الناس والنسبة إليهم عَرَبِيٌّ وهم أهل الأمصار، والأعراب منهم سُكَّان البادية خاصة. والنسبة إليهم أَعْرابيٌّ، وليس الأعراب جمعاً للعرب بل هم اسم جنس(٧٢١).

والعروب من النساء المتحببة إلى زوجها، والجمع عُرُبٌ ومنه قوله تعالى: ﴿عُرُبًا أَتْرَابًا ۝٣٧﴾ ويوم العروبَةِ هو يوم الجمعة(٧٢٢).

التفسير:

لا تزال هذه الآيات الكريمات تنثر لنا من فيض هُدَاهَا وتعطينا من شذى عطرها، وتروي لنا عن نعم الله تعالى وكراماته الجليلة ألواناً وألواناً .. ولكنَّ الحديث هنا عن صنف آخر، وثلة أخرى .. إنهم أصحاب اليمين

---

(٧٢٠) انظر: البدور الزاهرة ص٣٩٢.

(٧٢١) انظر: مختار الصحاح ص٢٣٤.

(٧٢٢) انظر: الصحاح في اللغة ص٧٢٠.

.. نساؤهم ﴿عُرُبًا أَتْرَابًا﴾ أي متحببات متغنِجَات لأزواجهن، ومتعشقات لهم، لا يَنْظُرْنَ إلى أحدٍ سواهم، ولا يرغبن غيرهم أبداً. وهنَّ في سنٍ واحدة بنات أربعَ عشر سنة أو ثلاث وثلاثين على اختلاف الأقوال.

قال مجاهد: «(عرباً) يعني: محِبَّات عاشقات لبعولتهن»(٧٢٣). وقال الفيض الكاشاني: «متحننات أي شديدات الشوق والبكاء ومتحببات إليهم، وقال يتكلمن بالعربية»(٧٢٤)، وقال السمرقندي: «(أتراباً) يعني مستويات في السن»(٧٢٥). وقال ابن عطية: «معناه في الشكل والقد حتى يقول الرائي هم أتراب»(٧٢٦).

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

علماء التفسير والقراءات ذهبوا إلى أن المعنى واحدٌ في كلا القراءتين، أو هما من اللغات، ولم يفرقوا بينهما في المعنى.

وهذا الكلام في إطاره العام مقبول، ولكن الناظر لحركة الضم بدل السكون، يدرك ما هو أكثر من ذلك فحركة الضم والقوة التي تضيفها على المعنى ليست عنَّا ببعيد وعلى هذا:

أفادت القراءة بإسكان الراء في (عُرْباً) على معنى أن الحور اللآتي ذكرهن الله تعالى متحببات ومتعشِّقات إلى أزواجهن وغَنِجات، يُحْسِنَّ التبعُل، وكلامهن حسن مع أزواجهن.

أما القراءة بالضم على الراء، فقد أفادت الإمعان والقوة في التأثير في كل ما ذكرنا .. فهن غاية في التبعل، وعشقهن لا محدود بحيث لا يرغبن بديلاً عن أزواجهن، وكثيرات الغنج وقويات في التأثير على قلوب

(٧٢٣) تفسير مجاهد ج٢ ص٦٤٨.

(٧٢٤) تفسير الصافي ج٥ ص١٢٤ / مكتبة الصدر طهران ١٣٧٣هـ - ١٩٥١م.

(٧٢٥) بحر العلوم ج٣ ص٣١٦.

(٧٢٦) المحرر الوجيز ج٥ ص٢٤٥.

أزواجهن، ودلَّ على ذلك زيادة حركة الضم وقوتها، ونحن نعلم بأن الضمة أقوى الحركات قاطبة كما أوضحنا سابقاً.

وهذه القوة أشارت إلى أنهن يفعلن ذلك بكثرة، وبتأثير قوي وبليغ على قلوب الأزواج لدرجة أنهم أي الأزواج يذهبون مذهباً بعيداً في حبهن والتلذذ بهنَّ. وكل هذا ناسبَ قوة حركة الضم. وكأن الله تعالى يقول لنا: إن هذا الذي ذكرنا من هذه الصفات ليس كالذي ترونه من نساء الدنيا المتحببات، بل هو أقوى وأكثر، وذلك لأن في الجنة ما لا عين رأت.

وبإثباتنا للضمة يصبح عندنا ضمتان متلاحقتان وهذا آكد لما ذكرنا.

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين يظهر بأن هؤلاء الحور اللاتي ذكرهن الله تعالى، وجعلهن لأصحاب اليمين، ووصفهن بهذه الصفات، من غنج وتعشق وتحبب لأزواجهن .. إنما يفعلن ذلك على الدوام، وبتأثير قوي يحوز على إعجاب الأزواج، بحيث يتملك قلوبهم وشعورهم فهم متلذذون بذلك أيمّا تلذُذ.

٤ ـ قال تعالى: ﴿وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الواقعة: ٤٧].

القراءات:

أ ـ قوله تعالى: ﴿مِتْنَا﴾

١ ـ قرأ الأخوان[٧٢٧] وحفص وخلف ونافع (مِتْنَا) بكسر الميم.

٢ ـ وقرأها الباقون (مُتْنَا) بالضم[٧٢٨].

(٧٢٧) الأخوان هم حمزة والكسائي.

(٧٢٨) انظر: البدور الزاهرة ص٣٩٢.

ب ـ قوله تعالى: ﴿أَءِنَّا﴾

١ ـ قرأ المدنيان والكسائي ويعقوب (إنا) بالإخبار.

٢ ـ وقرأ الباقون (أئنا) بالاستفهام[٧٢٩].

المعنى اللغوي للقراءات:

(متنا) الموت ضد الحياة، وقد مات يموت وتَمَاْتُ أيضاً فهو ميِّتٌ ومَيْتٌ. وقوم موْتَى وأموات. ومَيِّتُون ومَيْتُون، وقد مضى بيانها عند تفسير سورة الحجرات[٧٣٠].

(أئنا) إنَّ أداة توكيد ونصب. جرى بيانها عند تفسير سورة الطور[٧٣١].

التفسير:

تأتي هذه الآية لعرض صنف آخر من الناس، ولكنها في هذه المرة تحكي لنا عن المكذبين المنكرين المستحقين لعذاب الله تعالى... إنهم أصحاب الشمال.

هؤلاء الناس أنكروا البعث، وكذَّبوا ولم يصدِّقوا بأن الله تعالى سيعيدهم بعد موتهم، وهم من سَخَفِهم وحمقهم يقولون: ﴿أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾، ونسوا بأن الله تعالى قد خلقهم في المرة الأولى، وهو قادر على إعادتهم .. ونسوا أن ينظروا في أنفسهم وخَلْقِهم، ويسألوا أنفسهم من الذي خلقهم، فإنهم سيقولون الله. فإذا كان الأمر كذلك فإن الذي خلقكم أيها السفهاء هو نفسه الذي سيعيدكم.

قال طنطاوي: «أي إنهم فوق ترفهم وإصرارهم على ارتكاب الآثام، كانوا يقولون على سبيل الإنكار لمن نصحهم بإتباع الحق: أئذا متنا، وانتهت حياتنا ووضعنا في القبور وصرنا تراباً وعظاماً أئنا لمبعوثون ومعادون إلى

---

(٧٢٩) انظر: المرجع السابق ص٣٩٢.

(٧٣٠) انظر: ص٧٠.

(٧٣١) انظر: ص١٤٣.

الحياة مرة أخرى»[٧٣٢].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أ ـ قوله تعالى: ﴿مِتْنَا﴾

أفادت القراءة بالكسر بمعنى، أنهم ينكرون ويتعجبون من إعادة الله تعالى لهم إلى الحياة بعد ما ماتوا وفارقوا هذه الحياة.

أما القراءة بالضم، فهي تفيد بأن إنكارهم وعجبهم يشتد أكثر؛ لأن الله ﷻ أيضاً سيعيد من ماتوا من زمان بعيد، وحصل لهم موت طويل لدرجة أن لحمهم وعظمهم قد ذهب ولم يعد موجوداً البتة. ودل على ذلك حركة الضم التي تدل على قوة ومبالغة في المعنى، فالقوة في الضمة تدل على موت طويل. ودل على ذلك ذكرهم في الآية اللاحقة، ﴿أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾﴾ أي يستغربون من إحياء من ماتوا منذ زمن بعيد.

ب ـ قوله تعالى: ﴿أَءِنَّا﴾

أفادت القراءة بهمزتين على الاستفهام؛ وذلك لأنهم متعجبون ومنكرون وجاحدون لحدوث ذلك البعث، أما القراءة بهمزة واحدة فهي على الخبر[٧٣٣].

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءات يظهر مدى الضلال والفساد الذي أصاب عقولهم وقلوبهم، فهم ينكرون ويجحدون البعث، بل ويتعجبون من إمكانية حدوثه.

---

(٧٣٢) التفسير الوسيط ج١٤ ص٢١٨.

(٧٣٣) انظر: أضواء البيان ج٥ ص٢٤٠.

٥ ـ قال تعالى: ﴿أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [الواقعة: ٤٨].

القراءات:

١ ـ قرأ قالون[٧٣٤] وأبو جعفر وابن عامر (أَوْ) بإسكان الواو.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿أَوَ﴾ بفتحها[٧٣٥].

المعنى اللغوي للقراءتين:

أوْ: حرف عطف من معانيه الشك، تقول: بتنا يوماً أو يومين. ومن معانيه الإبهام، تقول: نحن أم أنتم على الحق. كذلك يستخدم للإباحة تقول: جالس العلماء أو الزهاد. ومن استخداماته أيضاً التخيير، تقول: سر راكباً أو ماشياً[٧٣٦].

التفسير:

هذه الآية معطوفة على سابقتها .. والمعنى: أن هؤلاء المنكرين للبعث الذين ينكرون عودتهم ويستغربونها متعجبون. وإن إنكارهم واستغرابهم وتعجبهم من عودة آبائهم الذين ماتوا منذ سنوات طويلة أشد وأبلغ.

قال الصابوني: «تأكيداً للإنكار ومبالغة فيه. أي وهل سيبعث آباؤنا الأوائل بعد أن بليت أجسادهم وتفتتت عظامهم»[٧٣٧].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت القراءة بإسكان الواو، على معنى الشك والاستبعاد بأن يبعثهم الله تعالى هم وآباءهم على حد سواء من الاستبعاد، أي أنهم يشكُّون

---

(٧٣٤) قرأها رواية عن نافع.

(٧٣٥) انظر: البدور الزاهرة ص٣٩٢.

(٧٣٦) انظر: المنجد في اللغة والأعلام ص٢٠.

(٧٣٧) صفوة التفاسير ج٣ ص٢٩٢.

في البعث والإعادة، ولا يؤمنون به ويجحدونه، أما القراءة بفتح الواو، فقد أفادت شدة الاستبعاد في الآباء مع شدة الاستغراب، فهم عندما أنكروا حدوث ذلك لهم ولآبائهم، كان إنكارهم أشد في حدوث ذلك البعث لآبائهم على اعتبار أنهم ماتوا منذ أزمان بعيدة، وبَلُوا ولم يَبْقَ منهم شيء(٧٣٨).

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين يظهر بأن هؤلاء الكفار ينكرون البعث لهم ولآبائهم، ويستغربون حدوثه، وإن إنكار حدوث ذلك لآبائهم أشد وأكثر غرابة في نفوسهم؛ وذلك لأن آباءهم القدماء الذين ماتوا منذ آلاف السنين بلوا وفنوا ولم يَبْقَ منهم شيء.

٦ ـ قال تعالى: ﴿فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ۝٥٣﴾ [الواقعة: ٥٣].

القراءات:

١ ـ قرأ أبو جعفر (فَمَالُون) بحذف الهمزة مع ضم اللام.

٢ ـ وقرأها الباقون ﴿فَمَالِـُٔونَ﴾ بإثبات الهمزة(٧٣٩).

المعنى اللغوي للقراءتين:

المَلأ بالفتح: مصدر مَلأْتُ الإناءَ فهو مملوءٌ، ودلو ملآى على فَعْلَى، وَكُوزٌ مَلآنُ والمِلءُ بالكسر اسم ما يأخذه الإناءُ إذا امتلأ(٧٤٠).

التفسير:

الخطاب هنا لهؤلاء المنكرين المكذبين بالبعث، وهم كفار أهل مكة.

---

(٧٣٨) انظر: المحرر الوجيز ج٥ ص٢٤٦ (بتصرف).

(٧٣٩) انظر: إتحاف فضلاء البشر ج٢ ص٥١٦.

(٧٤٠) انظر: الصحاح في اللغة ص١١١١.

فبعد أن عرض الله كيف كان إنكارهم وتكذيبهم بالبعث والنشور، يعرض هاهنا ما سيلاقونه من عذاب ونكال في جهنم بسبب هذا التكذيب. ومن بعض هذه الصور أنهم سيأكلون من شجر الزقوم؛ وهو شجر ينبت في أصل جهنم، وسيملئون بطونهم من هذا الشجر. والذي أجبرهم على هذا الأكل رغم كراهته هو الجوع الشديد. وقوله تعالى: ﴿فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾﴾ أي يأكلون فتمتلئ بطونهم من شدة الجوع، فإنه الذي اضطرهم وقسرهم على أكل ما لا يؤكل من الزقوم(٧٤١).

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت القراءة بدون همز (فمالون)، على معنى أنهم سيملؤن بطونهم من الزقوم.

أما القراءة بإثبات الهمزة ﴿فَمَالِـُٔونَ﴾، فقد أفادت بيان قوة هذا الفعل وثقله وكثرته، فهم يملؤون بطونهم من هذا الطعام بكثرة وبقوة وبلا إنقطاع ولا توقف، حتى أصبحوا مثقلين في بطونهم، متضايقين منها، فهي ملآى، وكارهة لهذا الفعل نفوسُهُم، فهم يفعلونه وهم مستثقلون له وكارهون إلا أنه لا بديل لهم عنه. ودل على ذلك الثقل والقوة التي في حرف الهمز.

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بينهما يتضح قوة هذا الملأ للبطون، وكثرته وشدته على البدن والنفس، ويظهر مدى الكره والتضايق والثقل الذي يشعرون في أبدانهم ونفوسهم، إلا أنهم لا يجدون عن هذا الفعل مناصاً ولا منه خلاصاً، فهم يفعلونه مجبرين ومكرهين، فتضاعف عندهم العذاب، فهم معذبون في نفوسهم؛ لأنهم يقومون بفعل ما يكرهون، وكذلك فهم معذبون بما يشعرون من ألم في أبدانهم من قسوة ما يجدون.

---

(٧٤١) انظر: روح المعاني ج١٤ ص١٤٥.

٧ ـ قال تعالى: ﴿فَشَـٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ۝٥٥﴾ [الواقعة: ٥٥].

القراءات:

١ ـ قرأ المدنيان[٧٤٢] وعاصم وحمزة ﴿شُرْبَ﴾ بضم الشين.

٢ ـ وقرأها الباقون (شَرْب) بالفتح[٧٤٣].

المعنى اللغوي للقراءتين:

(شرب): الشُّرْبُ مصدر شَرِبْتُ أشْرَبُ شَرْباً وشُرباً. وشَرِبَ الماءَ وغيره شَرْبَاً وشُرباً وشِربا، ومنه قوله تعالى: ﴿فَشَـٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ۝٥٤﴾ [الواقعة: ٥٤][٧٤٤]. قال الرازي: «الشرب بالفتح مصدر، وبالضم والكسر اسمان، وقال: والشِرب بالكسر الحظ من الماء»[٧٤٥].

التفسير:

فإذا كان الجوع قد اضطرهم على أكل ما لا يؤكل كما في الآية السابقة، فهم هنا أيضاً يضطرهم العطش الشديد إلى شرب ما لا يشرب من الماء الساخن الذي يقطِّع الأمعاء.

و**(الهيم)** أي الإبل العِطاش؛ لأن بِها الهيام وهو داء يشبه الاستسقاء جمع أهيم، أو جمع هيماء وهو أي: الهُيام بالضم: داء يصيب الإبل فتشرب ولا تروى[٧٤٦].

---

(٧٤٢) المدنيان هما نافع وأبو جعفر.

(٧٤٣) انظر: النشر ج٢ ص٢٩١.

(٧٤٤) انظر: لسان العرب ج١ ص٤٨٧.

(٧٤٥) مختار الصحاح ص١٨٩.

(٧٤٦) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ج٧ ص٤١٤.

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

اختلف علماء التفسير والقراءات اختلافاً واسعاً في إيجاد الفرق بين القراءتين في هذه الكلمة القرآنية، فمنهم من قال إنها بمعنى واحد. ومنهم من قال كلاهما مصدر. وذهب آخرون إلى أن القراءة بالضم هي مصدر. وذهب غيرهم أنها اسم لما يشرب. وقال بعضهم: بالضم اسم وبالنصب مصدر. وقال غيرهم وقيل: الشُرب الإناء والشَرب المصدر وهكذا.

قال السمرقندي: «من قرأ بالضم فهو اسم، ومن قرأ بالنصب فهو المصدر»[٧٤٧].

وإلى ذلك ذهب ابن عادل وغيره[٧٤٨].

وقال الألوسي: «بالضم مصدر وقيل اسم لما شرب. وقال بفتح الشين: وهو مصدر شرب»[٧٤٩].

وقال الزمخشري: «فالفتح والضم مصدران»[٧٥٠]. وقال بمثله عمر النسفي[٧٥١]، وقال الكرماني: «المعنى فيهما واحد»[٧٥٢].

وبعد هذا العرض يتضح تعدد الاختلاف في التفريق في المعنى بين القراءتين؛ وذلك يرجع لشدة تقارب المعنى وتداخله، ولكن ومن خلال العرض، يظهر أن أغلبهم قد قال بأن القراءة بالضم هي اسم. والقراءة بالفتح هي مصدر، والمصدر يدل على الكثرة والمبالغة في الفعل.

(٧٤٧) بحر العلوم ج٣ ص٣١٧.

(٧٤٨) انظر: تفسير اللباب ج١٨ ص٤٠٥.

(٧٤٩) روح المعاني ج١٤ ص١٤٦.

(٧٥٠) تفسير الكشاف ج٤ ص٥٩.

(٧٥١) انظر: طلبة الطلبة في الإصطلاحات الفقهية / دار النفائس بيروت ـ لبنان ـ ط٢ ـ ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

(٧٥٢) مفاتيح الأغاني ص٣٩٣.

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بينهما يظهر بأن هؤلاء الذين يعذبون في نار جهنم، يذهبون من شدة حرها إلى الشرب، فلا يجدون إلا الحميم، فيشربون بكثرة، وعلى الدوام، ولكن شربهم هذا من شرب الإبل المصابة بالعطش، فهي تشرب ولا تروى حتى تموت.

٨ ـ **قال تعالى:** ﴿ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [الواقعة: ٥٩].

القراءات:

١ ـ قرأ الحرميان والبصري وهشام بخلف عنه (أأنتم) بتسهيل الهمزة الثانية.

٢ ـ وقرأها ورش (آأنتم) بإبدالها ألفاً مع المد الطويل.

٣ ـ وقرأها قالون والبصري وهشام (أاأنتم) بإدخال ألف بينهما.

٤ ـ وقرأها الباقون (أأنتم) بتحقيق الهمزة من غير إدخال[(٧٥٣)].

المعنى اللغوي للقراءات:

جاء في المعجم الوسيط: أنت: ضمير رفع منفصل، للمخاطبين. وأنتم: ضمير رفع منفصل للمخاطبين[(٧٥٤)].

التفسير:

هذه الآية تأتي ضمن مجموعة من الآيات المتلاحقة التي ساقها الله ﷻ لتذكّر هؤلاء المنكرين للبعث بأشياء موجودة في أنفسهم، أو بين أيديهم، تدل على عظيم قدرة الله تعالى على الإنشاء والخلق والإبداع، وكل ذلك في حوار علمي ومنطقي، أدلته أشياء موجودة في أنفسهم، أو شاهدة

---

(٧٥٣) انظر: غيث النفع ص٥١٥.

(٧٥٤) انظر: المعجم الوسيط ص٢٩.

قائمة بين أيديهم، منها هذا المني الذي يصبونه في أرحام زوجاتهم .. وهو أصل خلقهم، وذكر المني، ليُذكِّر هذا الإنسان بأصل خلقه، وهم لا يستطيعون أن ينكروا هذه الحقيقة، بل يعترفون بأن الخالق هو الله تعالى. وذِكْرِ المني هنا مهم، فهذا المتغطرس المكذب الذي عمَّى الشيطانُ على بصره وقلبه، لا بد وأن تَمْثُلَ له أشياء مهمة حال ذكر المني، وهي كيف أن الله تعالى خلقه، ويسَّر له طريقاً في أرحام النساء، ومن ثم بقدرته وعظمته أصبح هذا المني جنيناً، ومن ثم طفلاً خلقه الله في أحسن صورة، وأجمل منظر، وكل ذلك بدون أي تدخل منهم أو فضل؛ وكأنه ﷻ يقول لهم: فإذا كنتم تعترفون بأنني خلقت هذا أفلا تصدقون بأني قادر على إنشائكم وإعادتكم مرة أخرى.

قال الشوكاني في تفسير هذه الآية: «أي تقدِّرونه وتصوِّرونه بشراً أم نحن المقدِّرون المصورون له»[٧٥٥]. وقال ابن الجوزي: «وفيه تنبيه على شيئين: أحدهما الامتنان إذا خلق من الماء المهين بشراً سوياً، والثاني: أن من قَدِرَ على خلق ما شاهدتموه من أصل وجودكم كان أقدر على خلق ما غاب عنكم من إعادتكم»[٧٥٦].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة بهمزتين خالصتين على معنى الاستفهام والتقريع والتقرير؛ وذلك لأن الإجابة قطعاً أنهم لم يخلقوا ذلك، لم يستطيعوا حتى التفكير به. بل هو الله الخالق العظيم.

أما القراءة بتسهيل الهمزة الثانية ففيها معنى الاستفهام أكبر، وبالتالي يكون التقريع والتقرير أكبر.

أما القراءة بإدخال ألف بينهما فهي دالة على المبالغة في الاستفهام،

(٧٥٥) فتح القدير ج٥ ص١٨٧.

(٧٥٦) زاد المسير ص١٣٩٠.

ويتبع ذلك الشدة في تقريعهم وتقريرهم. ويدل على ذلك زيادة في زمن الحرف، وهذه الزيادة في زمن الحرف يتبعها زيادة في المعنى والاستفهام.

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءات الثلاث، يتضح ويظهر كيف يردّ الله ﷻ على هؤلاء المتعجبين من أمر البعث والمنكرون له، ولعودة تلك العظام كما كانت بعد أن فنيت، فيسألهم الله تعالى عن أصل خلقهم وهو «ما يمنونه» يسألهم سؤال استفهامي تقريري وتقريعي لهم.

٩ ـ قال تعالى: ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [الواقعة: ٦٠].

القراءات:

١ ـ قرأ ابن كثير (قَدَرْنَا) بتخفيف الدال.

٢ ـ وقرأها الباقون ﴿قَدَّرْنَا﴾ بالتشديد(٧٥٧).

المعنى اللغوي للقراءتين:

قَدْرُ الشيء مَبْلَغُهُ. وقَدَرُ الله وقَدْرُهُ بمعنًى، وهو في الأصل مصدر، والقَدَرُ والقَدْرُ أيضاً: ما يُقَدِّرُهُ الله ﷻ من القضاء(٧٥٨).

التفسير:

إذا كان الله ﷻ قد ذكَّرهم بأصل إنشائهم وحياتهم، فإنه ﷻ يذكرهم في هذه الآية بالموت الذي قهرهم الله تعالى به وقسَّمه عليهم، فمنهم من يموت صغيراً ومنهم من يموت كبيراً وهم في ذلك مغلوبون ومسبوقون، وفي هذه الآية تهديد لهم بالإهلاك والعذاب في حالة عدم إيمانهم

(٧٥٧) انظر: التذكرة ج٢ ص٧١٠، البدور الزاهرة ص٣٩٢.

(٧٥٨) انظر: الصحاح في اللغة ص٨٩٩.

وتصديقهم.

قال الشنقيطي: «والمعنى وما نحن بمغلوبين على أن نبدل أمثالكم إن أهلكناهم، لو شئنا فنحن قادرون على إهلاكهم، ولا يوجد أحد يغلبنا ويمنعنا من خلق أمثالكم بدلاً منكم»[٧٥٩].

وقال الطبري: «يقول تعالى ذكره: ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ﴾ أيها الناس ﴿ٱلْمَوْتَ﴾ فجعلناه لبعض، وأخَّرناه عن بعض إلى أجل مسمى»[٧٦٠].

يقول الباحث: وقوله تعالى: ﴿وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ غاية في الدقة والإعجاز. والمعنى: أن قضية الإنشاء، وأصل خلقكم مليئة بالدقائق والتفاصيل والإعجاز، وأنتم تُخَاطَبون اليوم بما علمتم، وما علمه الإنسان أشياء قليلة ومتواضعة في هذا المجال؛ فالمني الذي هو أصل خلق الإنسان، كل ما عرفوه عنه أنه يوضع في الرحم بواسطة الرجل فيصبح طفلاً. ولكن أصل وكيفية خلق هذا المني وتهيئته ليصبح طفلاً، وجميع تفاصيل هذه الرحلة الطويلة وعناصرها من مني ودم وعظم ولحم وروح، كل ذلك علمه عند الخالق المبدع، وهم لا يعلمونه أبداً. وكان الأصل بهم عند إدراكهم لتلك الحقيقة أن يعرفوا مدى جهلهم وظلمهم لأنفسهم، فيبادروا إلى التصديق والتوبة عن ما قدموا وقالوا.

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

اختلف المفسرون في بيان وإيضاح الفرق بين القراءتين، فذهب بعضهم إلى أن كلا القراءتين بمعنى واحد، أو هما لغتان، فقال ابن عاشور أيضاً: «أن كلا القراءتين بمعنى واحد»[٧٦١]. وقال البغوي: «قرأ ابن كثير بتخفيف الدال والباقون بتشديدها وهما لغتان»[٧٦٢].

---

(٧٥٩) أضواء البيان ج٥ ص٢٤٤.

(٧٦٠) جامع البيان ج٩ ص٧٨٥٩.

(٧٦١) التحرير والتنوير م١٣ ج٢٧ ص٣١٦ (بتصرف).

(٧٦٢) تفسير البغوي ج٥ ص١٨٤، ١٨٥.

وقال آخرون: بأن هناك فرقاً بين القراءتين: فقال النسفي: «بالتخفيف: سبقْتُه بالشيء إذا أعجزته عنه وغلبته عليه»[٧٦٣]. وقال الزمخشري: «﴿قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ﴾ تقديراً، وقسمناه عليكم قسمة الرزق على اختلاف وتفاوت كما تقتضيه مشيئتنا، فاختلفت أعماركم من قصير وطويل ومتوسط، وقال: وبالتخفيف سبقته على الشيء إذا أعجزته عنه وغلبته عليه ولم تمكنه منه»[٧٦٤].

ويرى الباحث: أن القراءة بالتشديد، على معنى أن الله تعالى قد قسَّم الآجال بين الناس، فمنهم من يموت صغيراً، ومنهم من يموت في عمر متوسطٍ، ومنهم من يموت كبيراً. فالتشديد يدل على المبالغة في الشرح والتفصيل، فالقراءة بالتشديد دالة على المبالغة والدقة في التقدير، بمعنى: أن الله تعالى قدَّر الموت تقديراً، وذلك أنه سبحانه قدَّره بجميع تفاصيله المتعلقة به، فقدَّر الله تعالى لبعضهم أن يموت وهو في بطن أمه وقدّرَ للآخرين أن يموتوا على هذه البسيطة. فقدَّر الله تعالى لبعضهم أن يموت صغيراً، ومنهم كبيراً ومنهم دون ذلك وقدَّر الله تعالى الزمان والمكان والهيئة التي سيكونون عليها عند الموت، وقدَّر الله ﷻ أسباب الموت المختلفة، فلكل واحدٍ منهم سبب جعله الله لموته.

إنها تفاصيل كثيرة ودقيقة كانت القراءة بالتشديد مناسبة للتعبير عنها، والله أعلم.

أما القراءة بالتخفيف، فقد أفادت بأن الله تعالى قد قهرهم وغلبهم، وذلك بكتابة وتقدير الموت عليهم، بحيث إنهم لم ولن يتمكنوا أن يردُّوا هذا التقدير، فهم مغلوبون ومسبوقون به.

(٧٦٣) تفسير النسفي م٢ ج٤ ص٢١٨.

(٧٦٤) تفسير الكشاف ج٤ ص٦٠.

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين، يخاطب الله تعالى المنكرين للبعث، ويذكرهم بأنه سبحانه قد كتب الموت وقدره عليهم، فمنهم من يموت صغيراً، ومنهم من يموت كبيراً، وكذلك بيَّن الله تعالى لهم أن هذا الموت هم مغلوبون عليه رغماً عنهم، ولن يتمكَّنوا من دفعه أو تأجيله ولو للحظة واحدة.

١٠ ـ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [الواقعة: ٦٢].

القراءات:

أ ـ قوله تعالى: ﴿ٱلنَّشْأَةَ﴾

١ ـ قرأ المكي والبصري (النَشَآة) بفتح الشين وألف بعدها مع المد.

٢ ـ وقرأها الباقون (النَشْأة) بإسكان الشين من غير ألف ولا مد[٧٦٥].

ب ـ قوله تعالى: ﴿تَذَكَّرُونَ﴾

١ ـ قرأ حفص والأخوان وخلف (تذَكَرون) بتخفيف الذال.

٢ ـ وقرأها الباقون (تذَّكَرون) بالتشديد[٧٦٦].

المعنى اللغوي للقراءات:

أ ـ (النشأة): مضى بيانها في سورة النجم[٧٦٧].

ب ـ (تذكرون): الذِّكْرُ الحِفْظُ للشيء تَذْكُرُه. والذِّكرُ أيضاً: الشيء يجري على اللسان، والذِّكْرُ الصلاة لله تعالى، والدعاء إليه، والثناء عليه[٧٦٨].

(٧٦٥) انظر: غيث النفع ص٥١٥.
(٧٦٦) انظر: البدور الزاهرة ص٣٩٢.
(٧٦٧) انظر: ص١٧٣.
(٧٦٨) انظر: لسان العرب ج٤ ص٣٠٨، ٣١٠.

التفسير:

إن هذه الآية الكريمة منظومة متكاملة لها عناصرها وإمكاناتها، وتبحث عن تحقيق أهدافها، وهذا هو الشق الطيني منها.

أما شقها الآخر، فهي روح تتحرك وتجري فيها دماء العاطفة، ولها قلب غاية في الرحمة والعطف. وكأنها رجل رحيم، يمسح على قلوب هؤلاء الغافلين بلمسة من حنان ورحمة ورفق، ويأخذ بأيديهم إلى الخلاص والتذكرة والهداية والفوز والنجاح.

وكل ذلك أظهره ذلك الأسلوب الراقي في التحاور والإقناع، وهذا الرقي والإبداع ليس في كلمات هذا الحوار وجمله فقط، ولكن لأن الذي يحاور بهذه الطريقة المتلطفة في الإقناع والصبر على الإقناع هو الله تعالى الكبير المتعال الذي لا يعجزه شيء. حقاً إنه الله، هذا ما يمكن أن نقوله.

قال ابن الجوزي: «قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾، وهي ابتداء خلقكم من نطفة وعلقة. ﴿فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ أي: فهلاً تعتبرون فتعلموا قدر الله فتقروا بالبعث»(٧٦٩).

وجاء في تنوير المقباس: ﴿ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ الخلق الأول في بطون الأمهات، ويقال خلق آدم. ﴿فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ فهلا تتعظون بالخلق الأول فتؤمنوا بالخلق الآخر(٧٧٠).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أولاً: النشأة: وقد تم بيانها عند تفسير سورة النجم(٧٧١).

ثانياً: تذكرون:

أفادت القراءة بالتخفيف، على معنى أنكم أيها المنكرون للبعث

(٧٦٩) زاد المسير ص١٣٩١.
(٧٧٠) انظر: تنوير المقباس المنسوب لابن عباس ص٥٣٦.
(٧٧١) انظر: ص١٧٣.

والنشور، والمتعجبون منه انظروا إلى أنفسكم كيف خلقكم الله، وكيف كنتم أطفالاً ثم شباباً، أو انظروا إلى أصل خلقكم إلى آدم عليه السلام كيف أنشأه الله تعالى، فإن الله فعل ذلك، وأنشأكم أول مرة، وهو قادر أن ينشأكم من جديد بعد موتكم. فلعلكم تتذكرون وتتعظون، ويحضكم هذا التذكر إلى الإيمان بالبعث.

أما القراءة بتشديد الذال، فقد أفادت بأنه من الأولى بكم أن يكون تذكركم وموعظتكم كبيرة ومؤثرة وفعالة، بل غاية في التأثير، والمبالغة في الاعتبار الذي يؤدي بكم حتماً إلى التصديق. فإن من يعلم كل هذا الذي ذكره الله تعالى من أمثلة في الإنشاء والخلق، الأجدر به أن يبادر بالإيمان والتصديق. فتلك موعظة بالغة، تتطلب منهم تذكرة بالغة، واعتباراً وتصديقاً عميقاً، يكون ثمرة تأملكم، وتفاعلكم وتفكيركم الجيد في كل ما ذكر.

وأصل القراءة بالتشديد (تذكرون) أصلها (تتذكرون).

جاء في تنوير المقباس: ﴿فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ فهلا تتعظون بالخلق الأول فتؤمنوا بالخلق الآخر(٧٧٢).

وقال ابن الجوزي: «أي فهلا تعتبرون فتعلموا قدرة الله تعالى فتقروا بالبعث»(٧٧٣).

وقال البقاعي: «أي تذكراً عظيماً تكرهون أنفسك»(٧٧٤).

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين يتضح كيف يحضُّ الله تبارك وتعالى هؤلاء المنكرين للبعث للنظر في الأمثلة التي ذكرها الله تعالى لهم والتي تتحدث عن نشأتهم وخلقهم الأول، فلعل ذلك يحملهم على النظر بتفكر وتأمل بالغ، تكون

(٧٧٢) انظر: تنوير المقباس المنسوب لابن عباس ص٥٣٦.
(٧٧٣) زاد المسير ص١٣٩١.
(٧٧٤) نظم الدرر ج٧ ص٤١٧.

نتيجة تذكره بالغة تحملهم على التصديق والإيمان بالبعث والنشور.

١١ ـ قال تعالى: ﴿لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَـٰهُ حُطَـٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [الواقعة: ٦٥].

القراءات:

١ ـ قرأ البزي بخلف عنه بالمد الطويل في (فَظَلْتُمُوْآ) وبتشديد التاء في (تفكهون).

٢ ـ وقرأها الباقون ﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ بدون مد مع تخفيف التاء[(٧٧٥)].

المعنى اللغوي للقراءات:

أ ـ فظلتم: قال ابن منظور: ظَلَّ نهارَه يفعلُ كذا وكذا يَظَلُّ ظَلاً وظُلُولاً وظَلِلْتُ أنا وظَلْتُ وظِلْتُ، لا يقال ذلك إلا في النهار لكنه قد سمع في بعض الشعر ظَلَّ ليْلَه، وظَلِلْتُ أعمل كذا بالكسر ظُلُوْلاً إذا عمِلْتُه بالنهار دون الليل؛ ومنه قوله تعالى: ﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ وهو من شواذّ التخفيف[(٧٧٦)].

ب ـ تفكهون: التفكه التَعَّجُب والندم، وتَفَكَّه تَعَجَّبَ وقيل: تَنَدَّم[(٧٧٧)]. وقد جرى بيانها عند تفسير سورة الطور[(٧٧٨)].

التفسير:

جاءت هذه الآية تعقيباً على مَثَلٍ آخر في الإنشاء والقدرة، وهو كيف أن الله تعالى خلق وأنشأ هذا الزرع الذي هو مقوِّم أساسي من مقومات حياة الناس، فمنه يأكلون ويعتاشون.

---

(٧٧٥) انظر: غيث النفع ص٥١٥.

(٧٧٦) لسان العرب ج١١ ص٤١٥.

(٧٧٧) انظر: مختار الصحاح ص٢٧٨.

(٧٧٨) انظر: ص١٣٠.

فلو أن الله تعالى بقدرته أهلكه، أو جعله يابساً لا فائدة ولا خير فيه، فإنكم ستحزنون، وتبقون في ضنك وندم شديد بسبب ذلك.

قال الماوردي: «والحطام الهشيم الهالك الذي لا ينتفع به»(٧٧٩).

قال الزمخشري: «تعجبون أو تندمون على اجتهادكم فيه، أو على ما أصبتم لأجله من المعاصي فتتحدثون فيه»(٧٨٠).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة بدون مد (فظلتم)، وبدون إدغام (تفكهون) أن هؤلاء الذين ذكرهم الله تعالى سيمكثون في عذاب، يذكرون ما حدث لهم، ويتحدثون عنه بألم وحزن.

أما القراءة بالمد في (فظلتم)، وبتشديد التاء في (تفكهون) فقد أفادت بيان شدة تأثير ذلك عليهم، وبيان شدة حزنهم وألمهم، وطول فترة هذا الحزن والألم.

ودل على ذلك المد والتشديد. والمد والتشديد فيهما يفيد المبالغة في أثر ذلك عليهم، والزيادة في زمن الصوت التي أفرزها المد تظهر مدى طول الفترة الزمنية التي سيبقون فيها في عذاب وحزن. والتشديد في التاء في قوله: (تفكهون) لبيان قوة وشدة حزنهم.

قال السمرقندي: «﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ يعني فصرتم تندمون، ويقال: يعني تتعجبون من يُبْسِه بعد خُضْرَتِه»(٧٨١).

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين، يخبرنا الله تعالى عن حال هؤلاء القوم، وعن

(٧٧٩) النكت والعيون ج٥ ص٤٦٠.

(٧٨٠) تفسير الكشاف ج٤ ص٤٦٤ (بتصرف).

(٧٨١) بحر العلوم ج٣ ص٣١٨.

طبيعة هذا الحزن والضنك، والندم والتلاوم الذي حصل لهم، فهو حزن وضنك طويل شديد، وكذلك الضنك والعذاب والتلاوم.

١٢ ـ قال تعالى: ﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾ [الواقعة: ٦٦].

القراءات:

١ ـ قرأ أبو بكر[٧٨٢] (أإنا لمغرمون) بهمزتين الأولى مفتوحة والثانية مكسورة.

٢ ـ وقرأها الباقون ﴿إِنَّا﴾ بهمزة واحدة مكسورة[٧٨٣].

المعنى اللغوي للقراءتين:

إِنَّ حرف توكيد تنصب الاسم وترفع الخبر. وقد جرى بيانها سابقاً عند تفسير سورة الطور[٧٨٤].

التفسير:

هذه الآية فيها مزيد بيان للحالة التي سيكونون عليها، حيث هلاك زرعهم كما جاء في الآية السابقة. وقوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾ أي لملزَمون غرامةَ ما أنفقنا، أو مهلكونَ بهلاكِ رزقنا من الغَرام وهو الهلاكُ الذي سيصيبهم بسبب ما قدَّموا[٧٨٥].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت القراءة باثبات الهمزتين، على معنى الاستفهام للتعجب لِمَا نزل بكم من ذهاب ما أنفقتم، أو لما نزل بكم من العذاب. أما القراءة بهمزة

(٧٨٢) وهو شعبة عن عاصم.

(٧٨٣) انظر: التذكرة في القراءات ج٢ ص٧١٠.

(٧٨٤) انظر: ص١٤٣.

(٧٨٥) انظر: تفسير أبو السعود ج٦ ص١٩٣.

واحدة فهي على معنى الإخبار عن ما حدث لهم(٧٨٦). قال السمرقندي: «بهمزتين على الاستفهام، وقال: وبهمزة واحدة على معنى الخبر»(٧٨٧).

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين: يصف الله ﷻ حال هؤلاء الناس في حالة هلاك زرعهم بأنهم سيبقون في حزن شديد، يوقنون معه بأنهم معذبون، أو هالكة أموالهم ونفقاتهم، وهم بسبب ذلك متعجبون لما يحدث لهم.

١٣ ـ قال تعالى: ﴿ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾﴾ [الواقعة: ٧٢].

القراءات:

١ ـ قرأ أبو جعفر بخلف عن ابن وردان (المُنْشُون) بحذف الهمزة مع ضم الشين، ووافقه حمزة عند الوقف وهو وجه من أوجهه الثلاثة.

٢ ـ وقرأها حمزة بالتسهيل بين بين، وبابدال الهمز ياءً.

٣ ـ وقرأها الباقون ﴿ٱلْمُنشِـُٔونَ﴾ بالهمزة المحققة مع كسر الشين، وهو الوجه الثاني لابن وردان(٧٨٨).

المعنى اللغوي للقراءات:

أنشأه الله: خلقه، والاسم النشأة والنشاءة بالمد عن أبي عمرو بن العلاء. وأنشأ يفعل كذا أي: ابتدأ. وقد جرى بيانها عند تفسير سورة النجم(٧٨٩).

(٧٨٦) انظر: فتح القدير ج٥ ص١٨٩.
(٧٨٧) بحر العلوم ج٣ ص٣١٨.
(٧٨٨) انظر: البدور الزاهرة ص٣٩٣.
(٧٨٩) انظر: ص١٧٣.

التفسير:

وهذا مثل آخر يسوقه الله ﷻ في الإنشاء والقدرة على الخلق، ولكنه ذكر هذه المرة النار التي ينتفعون منها في شؤون حياتهم، من تدفأة وطبخ وأشياء كثيرة في جميع تفاصيل حياتهم. فيسألهم الله تعالى عن مَنْ خَلَقَهَا وأنشأها.

قال الطبري: «يقول تعالى ذكره: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ﴾ أيها الناس النار التي تستخرجونها من زندكم ﴿ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ﴾ يقول: أأنتم أحدثتم شجرتها واخترعتم أصلها ﴿أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ﴾ أم نحن اخترعنا ذلك وأحدثناه»[790]. وقال ابن كثير: «وللعرب شجرتان: إحداهما المرخ، والأخرى العَفَار، إذا أُخذ منها غصنان أخضران فحُك أحدهما بالآخر تناثر من بينهما شرر النار»[791].

وقال ابن الجوزي: «في المراد بشجرتها ثلاثة أقوال: أحدهما أنها الحديد. والثاني أنها الشجرة التي تتخذ منها الزنود، وهو خشب يحك بعضه ببعض فتخرج منه النار. والثالث أن شجرتها أصلها»[792].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة بإثبات الهمزة، على معنى بيان أن هذا الإنشاء إنما هو إنشاء قوي ومتين ومحكم، فهو صنعة الله تعالى الجبار القدير الذي أحسن كل شيءٍ خلقه، فلقد كانت بذرة صغيرة، فإذا هي بإذن الله تعالى شجرة قوية متينة محكمة الإنشاء. ودل على ذلك استخدام الهمزة التي هي للقوة، كذلك الصعوبة في اللفظ التي تحتاج الى تكلف وقوة، فأنت عندما تلفظ بالكلمة ﴿ٱلْمُنشِـُٔونَ﴾ تعترضك الهمزة، فتشعر وأنت تلفظ بها كأنك تقف

---

(٧٩٠) جامع البيان ج٩ ص٧٨٦٤.

(٧٩١) تفسير القرآن العظيم ج٣ ص٣١٨.

(٧٩٢) زاد المسير ص١٣٩١.

بتؤدة وتمعن على تفاصيل هذا الإنشاء القوي المتقن المتعدد المراحل.

أما القراءة بحذف الهمز أو بالتسهيل، فهي للدلالة على أن هذا الإنشاء، وإن كانت تفاصيله كثيرة ومتعددة وقوية وتحتاج إلى وقت وظروف وأسباب للحصول على تمامه في القوة، والحسن في الصورة، والإتقان في الصنعة؛ إلا أنه سهل وهيِّن على الله تعالى، إنما يقول له كن فيكون، ودلّ على ذلك التخفيف على القراءة بدون همز، والتسهيل أيضاً، فهو سهل وخفيف على الله تعالى، والله سبحانه أعلم.

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بينهما، يظهر لنا الله تبارك وتعالى أن هذه الصنعة، وهذا الإتقان وهذا الإنشاء القوي المتين بجميع تفاصيله، إنما هو سهل عليه ﷻ، إنما يقول له كن فيكون بإذنه تعالى.

١٤ ـ قال تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾﴾ [الواقعة: ٧٥].

القراءات:

١ ـ قرأ حمزة والكسائي وخلف (بموقع) بإسكان الواو من غير ألف على التوحيد.

٢ ـ وقرأها الباقون ﴿بِمَوَٰقِعِ﴾ بفتح الواو وألف بعدها على الجمع(٧٩٣).

المعنى اللغوي للقراءتين:

الوَقْعَةُ: صَدْمةُ الحرب والواقِعَةُ مثله. والواقِعَةُ: القيامة. ومواقِعُ الغيثِ مساقِطُه.

---

(٧٩٣) انظر: النشر ج٢ ص٢٩١.

ويقال: وقعَ الشيءُ موقِعَه. والوَقْعُ بالتسكين: المكان المرتفع من الجبل(٧٩٤).

التفسير:

هنا ينتقل الله ﷻ إلى جملة الافتراءات التي أكالوها، فهم إضافة إلى إنكارهم للبعث، هم ينكرون كتاب الله تعالى وقرآنه الذي أنزله على سيدنا محمد ﷺ، وقالوا عنه بأنه سحر، وغير ذلك من التهم الباطلة.

فجاء الرد من الله تعالى مباشرة بالقسم، أو بالتلويح بالقسم على اختلاف المفسرين بأن هذا القرآن الذي تقولون فيه الأقاويل، هو قرآن عظيم، عظيم في كل شيء، في الوصف، وفي المعنى.

واختلف المفسرون في المراد من قوله تعالى: ﴿بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾:

فقال بعضهم: مواقع ومساقط الكواكب السيارة في الفضاء. وقال البعض الآخر بل هي آيات القرآن حيث أنه نزل منجَّماً على محمد ﷺ.

قال سيد قطب: «فالأمر أوضح وأجلى من أن يحتاج إلى قسم وهذا التلويح بالقسم والعدول عنه أسلوب ذو تأثير في تقرير الحقيقة التي لا تحتاج إلى القسم لأنها ثابتة واضحة، إنه لقرآنٌ كريم وليس كما تدَّعون قول كاهن ولا قول مجنون ولا مفتري على الله من أساطير الأولين»(٧٩٥).

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت القراءة بدون ألف (موقع) للدلالة على المكان الذي تقع فيه النجوم، وهو السماء بالعموم، وبدون تفصيل، ذلك على من قال بأن المقصود من النجوم الكواكب السيارة، أما على معنى أن المقصود بها آيات القرآن، فيكون الموقع هو القرآن على العموم دون تفصيل.

---

(٧٩٤) انظر: الصحاح في اللغة ص١٣٠٧ ـ ١٣٠٨.

(٧٩٥) الظلال ج٦ ص٣٤٧١ (بتصرف).

أما القراءة بإثبات الألف ﴿بِمَوَٰقِعِ﴾ فهي على الجمع والمراد منه، بيان تعدد ذلك وكثرته واختلافه.

فمن قال بأن المقصود بها نجوم القرآن، وهي آياته التي نزلت نجوماً متفرقة .. فالمقصود هنا أن الله تعالى يقسم بمواقع تلك الآيات والسور، حيث إن كل سورة، أو كل آية تقع في مكان مختلف عن غيرها في داخل المصحف الشريف، وهذا المكان موضوعةٌ هيَ فيه بدقة وعناية فائقتين.

ومن قال بأن المقصود هنا بالنجوم هو على حقيقته، أي الكواكب، فيكون المعنى أن الله تعالى يقسم بمواقع تلك النجوم والكواكب، والجمع هنا؛ لبيان اختلاف مساقط ومواقع هذه النجوم.

وهذا الاختلاف فيه آيات للناس، فكل نجم له موقع ومسقط، أو مواقع ومساقط خاصة به، اختارها الله تعالى له بكل عناية ودقة، وإقسام الله تعالى بهذه المواقع له أهمية واضحة، تدل على عظمة الخالق، وتلفِتُ الانتباه إلى هذا الكون الفسيح المنظم المتناسق المهيب، ويتناول لنا شيئاً واحداً يراه الناس ليل نهار، أو يرون بعض عناصره وهو النجوم السيارة ذات المواقع والمساقط المختلفة والمتعددة، تنتقل فيها بكل دقة وعناية دون أن يصطدم أحدهما بالآخر، وكل منهما له زمان ومكان لا يحيد عنه. قال تعالى: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يس: ٣٨ ـ ٤٠].

فالقراءة بالجمع إذاً تدل على اختلاف مساقط تلك النجوم، ولربما تشير الآية إلى تعدد مساقط النجم الواحد كذلك، والله أعلم.

قال القصبي: «ومواقع النجوم: مواضعها ومنازلها، فلكل نجم مدار يدور فيه لا يتعداه»[(٧٩٦)].

قال ابن الجوزي: «ومن أفرد فلأنه اسم جنس، ومن جمع فلاختلاف

(٧٩٦) تفسير آيات الأحكام ج٤ ص٣٥١.

ذلك»[٧٩٧].

وقال ابن عادل: «ومواقعها: مساقطها ومغاربها»[٧٩٨]. وقال مكي: «(بموقع) بالتوحيد من غير ألف؛ لأنه مصدر يدل على القليل والكثير، فلم يحتج إلى جمعه. وقال: وبالجمع على المعنى؛ لأن مواقع النجوم كثيرة وذلك حيث يغيب كل نجم. وقيل: معناه مواقع القرآن حيث نزل على النبي ﷺ نجوماً شيئاً بعد شيء»[٧٩٩]. وقال أبو منصور: «من قرأ (بموقع) فاللفظ موحد ومعناه الجمع، ومن قرأ ﴿بِمَوَٰقِعِ﴾ فإن لكل نجم موقعاً على حدة»[٨٠٠].

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بينهما، يتضح لنا بأن هذه النجوم أي الكواكب لها مساقط مختلفة، فكل نجم منها له موقع أو مواقع خاصة به، ينتقل فيها بدقة ونظام باهر، أو أن هذه الآيات والسور القرآنية لها أماكن في القرآن الكريم، وضعت فيه بعناية بحيث لا يصلح غيرها في مكانها.

١٥ ـ قال تعالى: ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الواقعة: ٨٩].

القراءات:

١ ـ قرأ رويس[٨٠١] (فَرُوْح) بضم الراء.

٢ ـ وقرأها الباقون ﴿فَرَوْحٌ﴾ بالفتح[٨٠٢].

---

(٧٩٧) زاد المسير ص١٣٩٢.

(٧٩٨) اللباب ج١٨ ص٤٣٠.

(٧٩٩) الكشف ج٢ ص٣٠٦.

(٨٠٠) معاني القراءات ج٣ ص٥٢.

(٨٠١) قرأ ذلك رواية عن القارىء يعقوب الحضرمي.

(٨٠٢) انظر: التذكرة في القراءات ج٢ ص٧١٠، والبدور الزاهرة ص٣٩٣.

المعنى اللغوي للقراءتين:

الرُّوح يُذَكَّرُ ويؤنث والجمع الأرواح. ويسمى القرآن، وعيسى، وجبرائيل عليهما السلام روحاً كذلك. والرَّوح بالفتح من الاستراحة، وكذا الراحةُ. والروح أيضاً والريحانُ الرحمة والرزق[(٨٠٣)].

التفسير:

وفي ختام هذه السورة المباركة يعرض لنا الله ﷻ خاتمة ونهاية، ومآل كل من الأصناف التي عرضها في أول السورة، والحديث هنا في هذه الآية عن المقربين حيث ينتظرهم عند قبض روحهم، وانتقالهم إلى الله تعالى، ينتظرهم راحة من هموم الدنيا، ورحمة أبدية سرمدية من الله تعالى .. نسأل الله تعالى أن يختم لنا بالحسنى جميعاً.

قال ابن كثير: «أي لهم روح وريحان وتبشرهم الملائكة بذلك عند الموت»[(٨٠٤)].

وقال البقاعي: «(فروح) أي فله راحة ورحمة. وقال: (وريحان) أي رزقٌ عظيم ونبات حسن بهيج وأزاهير طيبة الرائحة»[(٨٠٥)].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت القراءة بالضم، على معنى أن هؤلاء المقربين إذا ما قبضت أرواحهم، فإن الله ﷻ سيحيلها إلى رحمته، وإلى حياة دائمة باقية، وإن أرواحهم تخرج حال خروجها في ريحان.

أما القراءة بالفتح، فقد أفادت بأن أرواح المقربين تخرج إلى برد أو إلى راحة واستراحة.

(٨٠٣) انظر: مختار الصحاح ص١٥٢.
(٨٠٤) تفسير القرآن العظيم ج٤ ص٣٢١.
(٨٠٥) نظم الدرر ج٧ ص٤٢٩ (بتصرف).

وعلى هذا فإذا كانت روح هؤلاء المقربين تخرج حال قبضها إلى استراحة وراحة من كل عوالق ومصاعب ومشاقِّ هذه الحياة الدنيا.

فإن القراءة بالضم شرحت بعض جوانب هذه الراحة، وهي أنهم سيكونون في حياة أبدية خالدة، كلها رحمة. كذلك فإنها وصفت لنا حال الروح عند خروجها بأنها تكون في ريحان.

وأورد البغوي: «أنه من قرأ بالضم: فمعناه تخرج روحه في الريحان. ومن قرأ بالفتح: معناه فله روح وهو الراحة»[٨٠٦]. وقال الشوكاني: «(رَوح) بفتح الراء ومعناه: الراحة من الدنيا والاستراحة من أحوالها.

أما عن القراءة بالضم فقال: ومعنى هذه القراءة الرحمة لأنها كالحياة للمرحوم»[٨٠٧].

وقال ابن عجيبة: «الروح بالفتح: الراحة لأرواحهم ونعيم الريح وهي نسيم يهب عليهم، وقرئ بالضم: أي الحياة والبقاء أو فله حياة طيبة دائمة لا موت فيها»[٨٠٨]. وقال أبو منصور: «من قرأ (فرُوحٌ وريحان) فمعناه حياة دائمة لا موت فيها. قال: ومن قرأ ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾ فالرَّوح الفرح. قال وقد يكون الروح بمعنى الاستراحة والبرد»[٨٠٩].

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين، يتضح بأن روح أو أرواح المقربين عندما تُقبض تخرج إلى راحة واستراحة من الدنيا وهمومها، وهذه الراحة تكون في الحياة الأبدية الدائمة المليئة برحمة الله تعالى ونعمه.

تمت سورة الواقعة بحمد الله تعالى وتوفيقه.

(٨٠٦) تفسير البغوي ج٥ ص١٨٨ (بتصرف).

(٨٠٧) فتح القدير ج٥ ص١٩٤.

(٨٠٨) البحر المديد ج٧ ص٣٠٤ (بتصرف).

(٨٠٩) معاني القراءات ج٣ ص٥٣.

المبحث الثاني
عرض وتفسير لآيات سورة الحديد
المتضمنة للقراءات القرآنية العشر

بين يدي السورة:

هذه السورة هي سورة مدنية، وهي تسع وعشرون آية، وهي تعنى بالتشريع والتربية والتوجيه، وتبني المجتمع الإسلامي على أساس العقيدة الصافية، والأخلاق الكريمة، والتشريع الحكيم[٨١٠].

سبب التسمية:

سميت بالحديد؛ لورود ذكر الحديد فيها، وهو قوة الإنسان يستعين به في السلم والحرب، وعدته في البناء والعمران[٨١١].

مناسبتها لما قبلها:

لما ابتدأت سورة الواقعة بالتسبيح اختتمت هذه السورة بالأمر به والحث عليه[٨١٢].

---

(٨١٠) انظر: تفسير القرطبي ج٩ ص٣٠٧، صفوة التفاسير ج٣ ص٣٠٠.

(٨١١) انظر: صفوة التفاسير ج٣ ص٣٠٠.

(٨١٢) انظر: روح المعاني ج١٤ ص١٦٤.

الموضوع العام للسورة:

المحور الأساسي الذي دارت حوله السورة، هو ترسيخ الإيمان في القلب، وما ينبثق عن هذه الحقيقة من خشوع وتقوى وإخلاص وتجرد وبذل وتضحية، وقد سارت في إقرار هذه الحقيقة عبر ثلاثة مواضيع رئيسة:

الأول: ترسيخ حقيقة أن الكون كله لله تعالى فهو خالقه ومبدعه والمتصرف فيه.

الثاني: وجوب التضحية بالنفس والنفيس لإعزاز دين الله تعالى، ورفع منار الإسلام.

الثالث: تصوير حقيقة الحياة الدنيا، وبيان أن ما فيها من بهرج ومتاع خادع، حتى لا يغتر بها الإنسان فيضل ويغوى(٨١٣).

١ ـ قال تعالى: ﴿لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ۝٥﴾ [الحديد: ٥].

القراءات:

١ ـ قرأ الشامي ويعقوب والأخوان وخلف (تَرْجِعُ) بفتح التاء وكسر الجيم.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿تُرْجَعُ﴾ بضم التاء وفتح الجيم(٨١٤).

المعنى اللغوي للقراءتين:

رَجَع يَرْجِع رَجْعاً وَرُجُوعاً وَرُجْعَى وَرُجْعاناً ومَرْجِعاً ومَرْجِعةً انصرف وفي التنزيل: ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ۝٨﴾ [العلق: ٨] أي الرُّجوع والمَرجِع(٨١٥).

(٨١٣) انظر: الظلال ج٦ ص٣٤٧٦، ٣٤٧٧، صفوة التفاسير ج٣ ص٣٠٠.

(٨١٤) انظر: البدور الزاهرة ص٣٩٤، وغيث النفع ص٥١٧.

(٨١٥) انظر: لسان العرب ج٨ ص١١٤.

التفسير:

تأتي هذه الآية الشريفة بعد مجموعة من آيات كريمات، تبيِّن عظيم شأن الله تعالى وقوته وقدرته وملكيته المطلقة للسموات والأرض، ولكل شيء. ثم تأتي هذه الآية تتويجاً لكل ذلك. فكل الأمور مردها إلى الله تعالى يوم القيامة. ولا شك أن هذه الآية تأتي بعد سورة الواقعة التي تحدثت عن إنكار الكفار ليوم البعث والنشور، وتكذيبهم للرجوع مرة أخرى؛ وذلك لتؤكد مرة أخرى في السياق الذي ذكرناه على البعث والحساب.

قال الصابوني: «أي إليه وحده مرجع أمور الخلائق في الآخرة فيجازيهم على أعمالهم»[٨١٦].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت القراءة بالفتح، على معنى أنها ترجع من تلقاء نفسها، وذلك على وجه الإخبار من الله تعالى بأن الأمور سترجع إلى الله تعالى.

أما القراءة بالضم، فقد دلت على أن رجوعها يكون بفعل فاعل، وهو الله تعالى: وهذا الرجوع ليس بكيفها، ولا بمزاجها، ولكن بقوة الله تعالى يقسرها على ذلك قسراً.

ويدل على ذلك الترتيب الذي جاءت عليه هذه السورة حيث إنها جاءت بعد سورة الواقعة التي ذكرت مواقف هؤلاء المنكرين للبعث والحشر، والرجوع إلى الله تعالى. فجاءت هذه الآية لتؤكد مرة أخرى بحقيقة البعث والحشر والرجوع، وكل ذلك سيحدث للخلائق ليس بإرادتها.

ولكن رغماً عنها شاءت أم أبت، والآلية والكيفية التي يتم بها حشر الناس من قدوم النار التي تسوق الناس وغيرها من الأمور المصاحبة لعملية الحشر يؤكد ذلك.

(٨١٦) صفوة التفاسير ج٣ ص٣٠٣.

وكذلك ما ذكره ابن عاشور إذ قال: «﴿تُرْجَعُ﴾ بضم التاء وفتح الجيم على معنى يرجعها مُرْجِع وهو الله قسراً، و(تَرجِعُ) بفتح التاء وكسر الجيم أي ترجع من تلقاء نفسها، فهي التي ستقوم بهذا الفعل، لأنها مسخرة لذلك في آجالها»(٨١٧).

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين، يظهر بأن الأمور ترجع إلى الله تعالى، ولكن هذا الرجوع لا يكون باختيارها، ولكن يحدث ذلك لها قسراً، فعملية الرجوع، وما يتعلق بها من آليات وطريقة الحشر والبعث تدل على ذلك.

٢ ـ قال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝٨﴾ [الحديد: ٨].

القراءات:

١ ـ قرأ أبو عمرو (أُخِذَ) بضم الهمزة وكسر الخاء. وقرأ (ميثاقُكم) برفع القاف.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿أَخَذَ﴾ بفتح الهمزة والخاء، و﴿مِيثَاقَكُمْ﴾ بفتح القاف(٨١٨).

المعنى اللغوي للقراءات:

أ ـ أخذ: الأخذ خلاف العطاء، وهو أيضاً التناول أخذتُ الشيءَ آخُذُه أَخْذاً تناولته؛ وأَخَذَه يأْخُذه أَخْذاً والإِخذ بالكسر الاسم، وإذا أمرت قلت خُذ(٨١٩).

ب ـ (وثق): وثقتُ بفلان أثِقُ ثقةً إذا ائتمنتَه. والميثاقُ العهدُ، والجمعُ

(٨١٧) التحرير والتنوير م١٣ ج٢٧ ص٣٦٦.

(٨١٨) انظر: النشر ج٢ ص٢٩٢، والتذكرة في القراءات ج٢ ص٧١١.

(٨١٩) انظر: لسان العرب ج٣ ص٤٧٢.

المواثِيقُ والميائِقُ والمَيَاثيقُ أيضاً[٨٢٠].

التفسير:

جاءت هذه الآية الكريمة بعد تقدمة جليلة وواضحة تبيِّن قدرة وعظمة ومقدرة الله تعالى، وبعد أمر الله تعالى لعباده بأن يؤمنوا؛ بمعنى فإذا كان الحال كذلك في شأن الله تعالى فكان الأجدر بكم أن تؤمنوا، وعدم إيمانكم هو أمر مستهجن ومنكر، وخاصة أن الله تعالى أخذ على عباده الميثاق بالإيمان به سبحانه.

قال الطبري: «يقول تعالى ذكره: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ وما شأنكم أيها الناس لا تقِرُّون بوحدانية الله، ورسوله محمد ﷺ يدعوكم إلى الإقرار بوحدانيته، وقد أتاكم من الحجج على حقيقة ذلك ما قطع عذركم، وأزال الشك من قلوبكم ﴿وَقَدْ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمْ﴾ قيل: عَنِيَ بذلك وقد أخذ منكم ربكم ميثاقكم في صلب آدم بأن الله ربكم لا إله لكم سواه»[٨٢١].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة بفتح الهمز والخاء (أَخَذ)، على أنها فعل ماضٍ، والميثاق يكون في هذه الحالة مفعولاً به؛ لذلك نصبت القاف، وهي إخبار وتذكير للناس بأن الله تعالى قد أخذ عليهم الميثاق والعهد أن يؤمنوا بوحدانيته، وذلك وَهُمْ في صلب آدم عليه السلام.

أما القراءة بضم الهمز وكسر الخاء في (أُخِذ) فهي على صيغة المبني للمجهول، و(ميثاقُكم) في هذه الحالة تصبح نائب فاعل؛ لذلك ضُمت القاف.

والتنكير هنا يفيد التعظيم، والإشعار بأهمية هذا الميثاق وهذا العهد،

(٨٢٠) انظر: الصحاح في اللغة ص١٢٦٥.

(٨٢١) جامع البيان ج٩ ص٧٨٨٤.

ووجود حركة الضم على الهمز يشعر بقوة هذا الميثاق، وضرورة الالتزام به وعدم مخالفته؛ كذلك إن صيغة التنكير هذه تلفت الأذهان وتشد الأسماع إلى تفاصيل كثيرة مستورة في عملية الأخذ للميثاق، مما يفتح أمام السامع آفاقاً كثيرة في التدبر والتفكر والتمعن، فكيف أُخِذ الميثاق؟ ومن الذي أخذه ومتى؟ إلى غير ذلك من التأملات . . .

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بينهما، يُظهر الله تعالى لنا أهمية هذا العهد، ويبيّن لنا قوته وضرورة الالتزام به، وهذه الأهمية وهذه القوة فيه تشير إلى عظم درجة وأجر من أوفى، وشدة وِزْر مَنْ نَكَصَ وَأَبَى والله تعالى أعلم.

٣ ـ قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾﴾ [الحديد: ٩].

القراءات:

١ ـ قرأ المكي والبصري (يُنْزِل) بإسكان النون وتخفيف الزاي.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿يُنَزِّلُ﴾ بفتح النون وتشديد الزاي[٨٢٢].

المعنى اللغوي للقراءتين:

نزل: النُّزُول الحلول، وقد نَزَلَهم ونَزَل عليهم ونَزَل بهم يَنزل نُزُولاً ومَنْزَلاً ومَنْزِلاً بالكسر شاذ[٨٢٣]. جاء في المصباح: نزل من عُلْو إلى سُفْل ينزل نزولا[٨٢٤].

---

(٨٢٢) انظر: غيث النفع ص٥١٧.

(٨٢٣) انظر: لسان العرب ج١١ ص٦٥٦.

(٨٢٤) انظر: المصباح المنير ص٣٥٦.

التفسير:

يخاطب الله تعالى عباده في هذه الآية بكل تلَطُّف ومودةٍ ورحمة بعد أن أمرهم بالإيمان، ويخبرهم بأنه سبحانه يرسل لهم المعجزات الخالدات، والقرآن الكريم بقصد هدايتهم، وإخراجهم من الظلمات إلى النور، ومن المعاصي إلى الطاعة، ومن السخط إلى الرضى، ومن النار إلى الجنة، وهو سبحانه يفعل ذلك رحمة منه، ورأفة بكم. قال ابن الجوزي: «قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ﴾ يعني محمد ﷺ ﴿ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ يعني القرآن ﴿لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ يعني الشرك إلى نور الإيمان ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ حين بعث الرسول ونصب الأدلة»(٨٢٥).

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت القراءة بالتخفيف (يُنْزِل) بمعنى الإنزال من علو إلى أسفل، ومن المعروف أن القرآن الكريم نزل على رسولنا محمد ﷺ من السماء(٨٢٦).

أما القراءة بالتشديد، فقد أفادت كثرة هذا النزول، والمبالغة فيه، وتدرجه، وتعدده على فترات ومراحل في أزمان وأماكن مختلفة(٨٢٧)، ومن المعلوم بأن القرآن الكريم نزل منجماً بحسب الوقائع والأحداث، أو ما دون ذلك من أنواع النزول.

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بينهما، تتأكد لنا صور وكيفيات نزول القرآن الكريم، فهو نزل مرات كثيرة بآيات مختلفة في أزمان وأماكن متعددة، وفي كل ذلك كان نزوله من السماء إلى الأرض.

---

(٨٢٥) زاد المسير ص١٣٩٧.

(٨٢٦) انظر المصباح المنير ص٣٥٦.

(٨٢٧) انظر الكشف ج٢ ص٤٢٣، والمستنير ج٣ ص١٥٧، وبلاغة الكلمة في التعبير القرآني ـ د. فاضل السامرائي ـ ص٦٠.

٤ ـ قال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحديد: ١٠].

القراءات:

١ ـ قرأ ابن عامر (وَكُلٌّ) برفع اللام.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿وَكُلًّا﴾ بنصبها(٨٢٨).

المعنى اللغوي للقراءتين:

الكُلُّ اسم يجمع الأجزاء، ويقال: كلُّهم منطلِق، وكلهنَّ منطلقة ومنطلق، الذكر والأُنثى في ذلك سواء(٨٢٩).

التفسير:

في هذه الآية الكريمة ينكر الله تعالى على المؤمنين عدم إنفاقهم في سبيله تعالى، وذلك إشارة منه سبحانه على ما يجب عليهم في حق إسلامهم؛ فإيمانهم بالله ورسوله يتطلب منهم الإنفاق لتصديق ذلك الإيمان، وكأنه سبحانه يقول لهم: إذا كنتم قد آمنتم بالله، وصدقتم بأن هناك ثواباً وجنة، فكيف لا تنفقون أموالكم لتحصلوا على ذلك الأجر قبل موتكم وذهاب أموالكم، خاصة إذا كان الإسلام بحاجةٍ ماسَّةٍ إلى ذلك الإنفاق، خاصة في بداية عهده؛ ثم بيَّن الله سبحانه عظيم أجر من استثمر ماله في تلك الأوقات التي كان يحتاج إليها الإسلام قبل الفتح، يوم كان الإسلام مستضعفاً، وأنصاره كانوا فقراء مطاردين بحاجة ماسَّة لأية وسيلة من وسائل الدعم.

(٨٢٨) انظر: التذكرة في القراءات ج٢ ص٧١١.

(٨٢٩) انظر: لسان العرب ج١١ ص٥٩٠، ٥٩١.

قال الصابوني: «أي: أيُّ شيءٍ يمنعكم من الإنفاق في سبيل الله، وفيما يقرِّبكم من ربكم، وأنتم تموتون وتخلفون، أموالكم وهي صائرة إلى الله تعالى. وقوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ﴾ أي لا يستوي في الفضل من أنفق ماله وقاتل الأعداء مع رسول الله ﷺ قبل فتح مكة مع من أنفق ماله وقاتل بعد فتح مكة، وقوله تعالى: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾ أي وكُلاًّ، ممن آمن وأنفق قبل الفتح، ومن آمن وأنفق بعد الفتح وعده الله الجنة مع تفاوت الدرجات»[830].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت القراءة بالرفع، على معنى الابتداء أي وكلٌّ وعده الله تعالى. أي كلا الفريقين الذين ذكرهم الله.

أما القراءة بالنصب، فقد أفادت التخصيص، أي كل واحد من الفريقين، ولعل التخصيص هنا يفيد بأن كل فريق من الفريقين المذكورين وعدهم الله الحسنى؛ لبيان أهمية ما قام به كل فريق، بمعنى أن التفاوت في الأجر والسبق للفريق الأول لا يضر ولا ينقص أجر الفريق الثاني، فإن الأول موعود بالحسنى، وكذلك الثاني أو الآخر موعود بالحسنى، والله أعلم.

وذكر أبو السعود أن القراءة بالنصب (وكلاًّ) أي وكلّ واحد من الفريقين وعده الله المثوبة الحسنى، وهي الجنة لا الأولين فقط، وقرئ (وكلٌّ) بالرفع على الابتداء بمعنى وكلٌّ وعده الله تعالى[831]. وقال الزمخشري: «(وكلاً) وكل واحد من الفريقين ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾ أي المثوبة الحسنى وهي الجنة مع تفاوت الدرجات»[832].

---

(٨٣٠) صفوة التفاسير ج٣ ص٣٠٤، ٣٠٥ (بتصرف).

(٨٣١) انظر: تفسير أبو السعود ج٦ ص٢٠٢.

(٨٣٢) تفسير الكشاف ج٤ ص٦٥.

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين، يظهر بأن الأجر قد وعد الله تعالى به كلّ فريق على حده، فهو ﷻ وعد الفريق الأول، وكذلك وعد الفريق الثاني، وذلك حتى لا يظن ظانٌّ بأن أجر الفريق الثاني قد ذهب أو انتقص؛ وذلك لعظم فضل الفريق الأول، فجاء التخصيص لكلا الفريقين؛ لينفي ذلك الظن.

٥ ـ قال تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [الحديد: ١١].

القراءات:

١ ـ قرأ ابن كثير وابن عامر (فيُضَعِّفَه) بدون ألف مع التشديد ونصب الفاء.

٢ ـ وقرأها ابن كثير كذلك ولكنه رفع الفاء (فيُضَعِّفُهُ).

٣ ـ وقرأها عاصم ﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ﴾ بالألف وفتح الفاء.

٤ ـ وقرأها الباقون (فَيُضَاْعِفُه) بالألف مع رفع الفاء[(٨٣٣)].

المعنى اللغوي للقراءات:

الضَعْفُ والضُعْفُ خلاف القوة. وأضْعَفَه وضَعَّفَه: صَيَّره ضَعِيْفاً. واسْتَضْعَفَه: وتَضَعَّفَه: وجده ضعيفاً فَرَكِبه بِسُوء، وأضْعَفَ الشيءَ وضَعَّفَه وضَاْعَفَه: زاد على أصل الشيء وجعله مثيله أو أكثر[(٨٣٤)].

التفسير:

يحث الله ﷻ في هذه الآية على الإنفاق في سبيله، ويرغِّب فيه عبر

---

(٨٣٣) انظر: حجة القراءات ص٦٩٩، والبدور الزاهرة ص٣٩٤.

(٨٣٤) انظر: لسان العرب ج٩ ص٢٠٣، ٢٠٤.

بيان هذا الأجر المضاعف من الثواب لمن يفعل ذلك والاستفهام فيها للحث والترغيب.

وقوله تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ هذا ندبٌ بليغ من الله تعالى للناس للإنفاق في سبيله، مؤكدٌ للأمر السابق به، وللتوبيخ على تركه؛ فالاستفهام هنا ليس على حقيقته، بل هو للحث على الإنفاق(٨٣٥).

وقال الصابوني: «قوله تعالى: ﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ﴾ أي يعطيه أجره على إنفاقه مضاعفاً. ﴿وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ أي وله مع المضاعفة ثواب عظيم كريم وهو الجنة»(٨٣٦).

وقال ابن كثير: «أي جزاء جميل، ورزق باهر، وهو الجنة يوم القيامة»(٨٣٧).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أولاً: القراءة بالرفع والنصب: فجاءت القراءة بالرفع في قوله تعالى: (فيضاعفُه)، و(فيضعِّفُه) على أنها معطوفة على قوله تعالى: ﴿يُقْرِضُ﴾، أو على الابتداء والانقطاع من الأول.

أما النصب (يضاعفَه) و(يضعِّفَه) فهي جواباً على الإستفهام، بمعنى أنه لما قال الله تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ فكأنه قال: أيقرض الله أحدٌ قرضاً حسناً، فيكون قوله تعالى: ﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ﴾ و(يضعِّفَه) بالنصب جواباً عن الاستفهام حينئذ(٨٣٨).

---

(٨٣٥) انظر: روح المعاني ج١٤ ص١٧٣.

(٨٣٦) صفوة التفاسير ج٣ ص٣٠٥.

(٨٣٧) تفسير القرآن العظيم ج٤ ص٣٢٩.

(٨٣٨) انظر: تفسير الرازي ج١٠ ص٤٥٥، والمحرر الوجيز ج٥ ص٢٦٠، والدر المصون ج٦ ص٢٧٤، ٢٧٥ نقلاً عن ابن عطية.

ثانياً: القراءة باثبات الألف (فيضاعفه) أو عدم اثباتها مع تشديد العين (فيضعّفه).

جاءت القراءة بالتشديد على العين مع حذف الألف؛ لتدل على أن العمل الصالح سيضاعف، وسيكبر وسيكثر في الكيف والأجر حتى يصبح أمثال العمل الأصلي، ولكن بزيادة محدودة، كأن يكون مثليه في الزيادة.

أما القراءة بدون تشديد مع إثبات الألف، فقد دلت على أن هذه المضاعفة هي زيادة لا محدودة، ومطردة وغير محصورة، ودل على ذلك وجود المد الذي هو للمبالغة والزيادة، فإذا كان التشديد يدل على المبالغة في الفعل كما في القراءة بالتشديد، فإن المد الذي هو عبارة عن إطالة زمن الصوت كما في قراءة اثبات الألف يدل على المبالغة والزيادة المطردة في الفعل؛ كذلك فإننا لو ذهبنا لِعَدِّ الحروف في كلا القراءتين لوجدنا أن عدد حروف القراءة بالتشديد (فيضعّفه) هي سبعة أحرف مع عَدِّ الحرفِ المشدد، ولو ذهبنا لنعدّ حروف القراءة بالمد (فيضاعفه) لوجدناها أيضاً سبعة أحرف، ولكن ما هو جديد وملاحظ أن هناك زيادة في القراءة بالمد على القراءة بالتشديد، وهذه الزيادة هي المد الذي لحق بحرف الألف، وهذا مما يزيد في الدلالة على أن القراءة بالألف تدل على المضاعفة الكثيرة اللامحدودة، كذلك لو نظرنا إلى الآيات التي جاءت على القراءة بالألف والمد، لوجدنا أنها مردفة بمعنى الأضعاف الكثيرة، والأجر اللامحدود، ومثل ذلك قوله تعالى:

١ ـ ﴿... مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ [البقرة: ٢٤٥].

٢ ـ ﴿... وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١].

٣ ـ ﴿... وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠].

وكذلك الآيات التي جاءت في العذاب، فجاءت القراءة بالمد مع الألف تردفها الكلمات التي تدل على العذاب اللامتناهي، ومثل ذلك قوله تعالى:

﴿يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ۝٦٩﴾ [الفرقان: ٦٩] فهو عذاب أبدي مضاعف وسرمدي.

أما الآية التي جاءت في سورة الأحزاب بتقييد المضاعفة إلى ضعفين، فهي دليل على أنها لو لم تقيد بضعفين لَدَلَّتْ القراءة بالمد مع الألف إلى الأضعاف اللامحدود، قال تعالى: ﴿يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ﴾ [الأحزاب: ٣٠]. والله تعالى أعلى وأعلم.

٦ ـ قال تعالى: ﴿يَوۡمَ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ قِيلَ ٱرۡجِعُواْ وَرَآءَكُمۡ فَٱلۡتَمِسُواْ نُورٗا فَضُرِبَ بَيۡنَهُم بِسُورٖ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلۡعَذَابُ ۝١٣﴾ [الحديد: ١٣].

القراءات:

١ ـ قرأ حمزة (أَنْظِرونا) بقطع الهمزة المفتوحة وكسر الظاء.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿ٱنظُرُونَا﴾ بهمزة وصل مع ضم الظاء(٨٣٩).

المعنى اللغوي للقراءتين:

النَّظَر والنَّظَرَانُ بفتحتين تأمُّل الشيء بالعين وقد نَظَر إلى الشيء. والنَّظَر أيضاً الانتظار، يقال منهما نَظَره يَنْظُره بالضم نظراً(٨٤٠).

التفسير:

بعد أن حث الله سبحانه على الإنفاق، ورغَّب فيه، وعرض لنا صورة

(٨٣٩) انظر: النشر ج٢ ص٢٩٢، وغيث النفع ص٥١٧، وتحبير التيسير ص٢١٥.
(٨٤٠) انظر: مختار الصحاح ص٣٥٧.

ومشهداً لما سيكون عليه المطيعون المصدقون المنفقون من نور وهدىً وإبصار على الصراط، عرض لنا في هذه الآية مشهداً مغايراً معكوساً مليئاً بالظلام والتخبط، وعدم الإبصار على الصراط، وذلك كله لاستنكافهم عن طاعة الله تعالى وتكذيبهم، وبالتالي عدم إنفاقهم، فإذا كانت صورة المؤمنين المصدقين يوم القيامة مشرقة مليئة بالنور والهدى، فإن حال المنافقين يومئذ هو التخبط والظلام والضلال. قال البقاعي: «ولمَّا عظم هذا الأجر الكريم ببيان ما لأهله في الوقت الكائن فيه، عظمه بما لأضدادهم من النكال»[٨٤١].

ويرى الباحث: أن المنافقين أمام هذا العمى والضلال والظلام يشاهدون ما عليه المؤمنين من الهدى والنور، فيلجؤون إليهم، طالبين الاقتباس والاستفادة من نورهم؛ ليساعدهم ذلك في السير على الصراط والنجاة من النار، ولكن لا يفلحون ولا ينجحون.

قال سيد قطب: «فحيثما تتوجه أنظار المؤمنين والمؤمنات يشع ذلك النور اللطيف الشفيف، ولكن أنَّى للمنافقين أن يقتبسوا من هذا النور، وقد عاشوا حياتهم كلها في الظلام، إن صوتاً مجهولاً يناديهم ﴿قِيلَ ٱرۡجِعُواْ وَرَآءَكُمۡ فَٱلۡتَمِسُواْ نُورٗاۖ﴾ ويبدو أنه صوت للتهكم والتذكير بما كان منهم في الدنيا من نفاق ودسّ في الظَّلام، ارجعوا وراءكم إلى الدنيا إلى ما كنتم تعملون، ارجعوا إلى النور يُلتَمس من هناك من العمل في الدنيا ارجعوا فليس اليوم يُلتمس النور»[٨٤٢].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت القراءة بالوصل، على معنى (انتظرونا) أي قفوا في مكانكم حتى نلحق بكم، وهذا قول المنافقين للمؤمنين يوم القيامة. أو بمعنى انظروا إلينا، وذلك أنهم عندما ينظرون بوجوههم المشعة بالنور إلى المنافقين يستفيد المنافقون من هذا النور في المشي.

(٨٤١) نظم الدرر ج٧ ص٤٤٤.

(٨٤٢) الظلال ج٦ ص٣٤٨٦.

أما القراءة بالقطع، فقد أفادت معنى (أمهلونا) سواء كانت بالتمهل في المشي أو المكث في مكانكم، والحاصل أن المراد هنا أي اتركوا لنا مجالاً كي نتدبر أنفسنا كيف نلحق بكم أو كيف نستفيد من نوركم في ذلك؟!.

قال الرازي: «فقوله (انظرونا) يحتمل وجهين: الأول: أنظرونا أي انتظرونا؛ لأنه يسرع بالمؤمنين إلى الجنة كالبرق الخاطفة، والمنافقون مشاة، والثاني: أنظرونا: أي انظروا إلينا؛ لأنهم إذا نظروا إليهم استقبلوهم بوجوههم والنور بين أيديهم، فيستضيئون به، فيمكنهم ذلك من السير، وأما قراءة (أنظِرونا) مكسورة الظاء فهي من النظرة والإمهال. والمعنى أنه جعل اتئادهم في المشي إلى أن يلحقوا بهم إنظاراً لهم»(٨٤٣). وبهذا قال أبو حيان(٨٤٤)، والسمين الحلبي وغيرهم(٨٤٥).

وقال البقاعي: «(انظرونا) أي أنظرونا بأن تمكثوا في مكانكم لنلحق بكم. وعن القراءة بقطع الهمزة وكسر الظاء قال: أي أخِّرونا في المشي وتأنوا علينا وأمهلوا علينا، لا تطلبوا منَّا السرعة فيه، بل أمكثوا في مكانكم لننظر في أمرنا كيف نلحق بكم، والحاصل أنهم عَدُّوا تأنيهم في المشي وتلبثهم ليلحقوا بهم إنظاراً لهم»(٨٤٦).

وقال السمرقندي: «فمن قرأ بالنصب فمعناه: أمهلونا، ومن قرأ بالضم فمعناه انتظرونا»(٨٤٧).

وقال الشيخ عبد الله العبكري: «(انْظُرُونا) انتظرونا، و(أَنْظِرُونا) أَخِّرونا»(٨٤٨).

---

(٨٤٣) انظر: تفسير الرازي ج١٠ ص٤٥٧.
(٨٤٤) انظر: البحر المحيط ج٨ ص٢٢٠.
(٨٤٥) انظر: الدر المصون ج٦ ص٢٧٦.
(٨٤٦) نظم الدرر ج٧ ص٤٤٤.
(٨٤٧) بحر العلوم ج٣ ص٣٢٥.
(٨٤٨) كتاب إملاء ما منَّ به الرحمن من وجوه الإعراب في القرآن / دار الفكر بيروت ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م / ص٥٥١.

وقال أحمد البنا: «بقطع الهمزة من الأنظار أي أمهلونا، وبهمزة وصل من (نظر)، انتظر ذلك بأنه يسرع بالخلص إلى الجنة على نجب فيقول المنافقون انتظرونا لأنا مشاة ولا نستطيع لحوقكم»[٨٤٩].

وقال السمين الحلبي: «ويجوز أن يكون من النظر وهو الإبصار؛ لأنهم إذا نظروا إليهم إستقبلوهم بوجوههم، فيضيءُ لهم المكان»[٨٥٠]. وقال الدكتور محمد محيسن: «بالقطع من الإنظار وهو الإمهال، وبالوصل من (نظر) بمعنى أنتظر، ويجوز أن يكون من النظر وهو الإبصار»[٨٥١].

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين، يظهر لنا كيف يكون حال المنافقين والمنافقات، وذلك أنهم لا يستطيعون المشي على الصراط، وذلك لعدم وجود النور الذي يمشون به، فيطلبوا من المؤمنين أن ينتظروهم، أو يتمهلوا في سيرهم، ولا يسرعوا حتى يتمكنوا من اللحاق بهم، أو ينظروا إليهم؛ وذلك لأن النور بين أيدي المؤمنين، فإذا استقبلوهم بوجوههم استفاد المنافقون من هذا النور.

٧ ـ قال تعالى: ﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾﴾ [الحديد: ١٤].

القراءات:

١ ـ قرأ أبو جعفر (الأمَانيْ) بتخفيف الياء وسكنوها.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿ٱلْأَمَانِيُّ﴾ بتشديد الياء مع ضمها[٨٥٢].

(٨٤٩) إتحاف فضلاء البشر ج٢ ص٥٢١ (بتصرف).
(٨٥٠) الدر المصون ج٦ ص٢٧٦.
(٨٥١) المستنير ج٣ ص١٥٥ (بتصرف).
(٨٥٢) انظر: البدور الزاهرة ص٣٩٤.

المعنى اللغوي للقراءتين:

تمنَّى الشيء أراده وهو من المَنَى أي القدر(٨٥٣).

التفسير:

لا يزال المنافقون يبذلون جهدهم لمحاولة الوصول إلى درجة المؤمنين، فالصدمة التي تَلَقَّوْهَا تحتاج منهم إلى وقت حتى يستوعبوا ما يحصل لهم، فلقد كان الشيطان يزرع في نفوسهم الأماني بأن الله تعالى سيرحمهم، ونفوسهم المريضة صدقت ذلك. فلقد حاولوا أن يلتمسوا من نور المؤمنين فلم يفلحوا، وقيل: لهم ارجعوا. ثم ضُرب بينهم بسور ليتمَّ الفصل بينهم وبين المؤمنين وحصل ذلك، فلم يقطع المنافقون الأمل فأخذوا ينادون على المؤمنين من خلف السور، ويسألونهم ألم نكن معكم نصوم ونصلي؟ فأجابهم المؤمنون: الجواب الحاسم والنهائي بأنكم كنتم تفعلون ذلك مَكْرَاً وخديعةً ليس لأجل الله تعالى.

قال الصابوني: «أي قال لهم المؤمنون نعم كنتم معنا في الظاهر، ولكنكم أهلكتم أنفسكم بالنفاق ﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾ أي انتظرتم بالمؤمنين الدوائر ﴿وَٱرْتَبْتُمْ﴾ أي شككتم في أمر الدين ﴿وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِيُّ﴾ أي خدعتكم الأماني الفارغة بسعة رحمة الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ أي جاء الموت ﴿وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾﴾ أي وخدعكم الشيطان الماكر بقوله: إن الله عفو كريم لا يعذبكم»(٨٥٤).

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت القراءة بالتخفيف، على معنى أن هذه الأماني؛ وهي تخيُّلاتهم بأنهم سيفلتون من عقاب الله أو بأن رحمة الله ستكون من حظهم قد غرَّتهم، وكانت سبباً في خسرانهم.

---

(٨٥٣) انظر: المنجد في اللغة والأعلام ص٧٧٧.

(٨٥٤) صفوة التفاسير ج٣ ص٣٠٦.

أما القراءة بالتشديد وضم الياء، فقد أوضحت مدى قوة تلك الأماني والأوهام والأباطيل التي كانت تسكن في عقولهم وقلوبهم لدرجة أنها أقنعتهم بصواب ظنِّهم، وخدعتهم حتى أوصلتهم إلى طريق الخسران والهلاك. ودل على ذلك التشديد الذي هو للمبالغة، وحركة الضم القوية على نفس الحرف وهو الياء.

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين، يظهر كيف كان هؤلاء المنافقون هائمين في الضلال، ومتبعين للأهواء والظنون، بأن الله تعالى سيشملهم في رحمته، فكانت أمانيّهم قوية، وحاضرة في عقولهم وقلوبهم بقوة، ومن قوتها اعتقد هؤلاء فعلاً أنهم سينجون إلا أنها لم تكن سوى خدعة من خدع الشيطان.

٨ ـ **قال تعالى:** ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾ [الحديد: ١٥].

القراءات:

١ ـ قرأ أبو جعفر وابن عامر ويعقوب (تُؤْخَذُ) بالتاء.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿يُؤْخَذُ﴾ بالياء[(٨٥٥)].

المعنى اللغوي للقراءتين:

الأخذ خلاف العطاء، وقد مضى بيانها في أول هذه السور[(٨٥٦)].

التفسير:

لا يزال المؤمنون يؤكدون للمنافقين بأنهم لن يفلتوا من عذاب الله وعقابه، ولن يستطيعوا أن يَفْدُوا أنفسهم على الإطلاق مهما كان نوع وحجم

---

(٨٥٥) انظر: المبسوط في القراءات العشر ص٢٦١، والنشر ج٢ ص٢٩٢.

(٨٥٦) انظر: ص٢٦٧.

هذه الفدية. فلا تؤخذ منكم ولا من الذين كفروا، وَذِكْرُ الكافرين في هذا الموضع يضع المنافقين والكافرين في كفة واحدة؛ وذلك لأنهم كانوا يعملون لحساب وصالح الذين كفروا، وينفذون سياستهم، ويخدمون مصلحتهم، ولعلَّ تَرْكِ المجال للمؤمنين للردّ على المنافقين هنا وإخبارهم بما ينتظرهم من النار والعذاب والثبور. ذلك بسبب ما كان يجده المؤمنون من المكر الشديد، والتربص والبأس من هذه الفئة الضالة المجرمة، التي كانت تعمل ليل نهار على الفتك بالمؤمنين؛ لذلك أسلمهم الله الزمام للرد على المنافقين.

قال الطبري: «يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل المؤمنين لأهل النفاق، بعد أن ميَّز بينهم في القيامة ﴿فَٱلْيَوْمَ﴾ أيها المنافقون ﴿لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ﴾ يعني عوضاً وبدلاً يقول: لا يؤخذ ذلك منكم بدلاً من عقابكم وعذابكم، فيخلصكم من عذاب الله ﴿وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ يقول: ولا تؤخذ الفدية أيضاً من الذين كفروا»[٨٥٧].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت القراءة بالتاء (تؤخذ) لتأنيث الفدية، أي لأن الفدية مؤنث، استخدم التأنيث في الفعل (تؤخذ).

أما القراءة بالياء في الفعل، فهي إما لأن التأنيث فيها مجازي غير حقيقي، فردّه على الأصل، أو لأجل التفرقة بين الفعل والفدية.

قال ابن عادل: «(تؤخذ) بالتأنيث للفظ الفدية، وبالياء من تحت؛ لأن التأنيث مجازي»[٨٥٨].

وقال مكي القيسي: «بالتاء لتأنيث الفدية، وبالياء لأجل التفرقة بين الفعل والفدية»[٨٥٩].

(٨٥٧) جامع البيان ج٩ ص٧٨٩٣.
(٨٥٨) اللباب ج١٨ ص٤٧٦ (بتصرف).
(٨٥٩) الكشف ج٢ ص٣٠٩، ٣١٠ (بتصرف).

وقال ابن خالويه: «فمن ذكَّر قال: تأنيث الفدية غير حقيقي ومن أنث رده على اللفظ»[(٨٦٠)].

ويرى الباحث أن التعبير بالتاء الحاضرة له دلالات غير موجودة في التعبير بالياء الغائبة، بمعنى أن القصد من التعبير والقراءة بالتاء أن هذه الفدية لا تؤخذ أبداً حتى ولو كانت حاضرة عندكم حينها، وموجودة بين أيديكم. وهذه إشارة لقطع الأمل في حصول ذلك، والله أعلم.

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين يتضح بأن هؤلاء المنافقين لا يمكن أن يفدوا أنفسهم بأي نوع من أنواع الفدية ولو كانوا يملكونها، ولو كانت حاضرة بين أيديهم.

٩ ـ قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الحديد: ١٦].

القراءات:

أ ـ قوله تعالى: ﴿نَزَلَ﴾

١ ـ قرأ نافع وحفص ﴿نَزَلَ﴾ مخففاً.

٢ ـ وقرأها الباقون (نَزَّل) بالتشديد[(٨٦١)].

ب ـ قوله تعالى: ﴿وَلَا يَكُونُواْ﴾

١ ـ قرأها رويس (ولا تَكُونُوا) بالخطاب.

٢ ـ وقرأها الباقون ﴿وَلَا يَكُونُواْ﴾ بالغيب[(٨٦٢)].

(٨٦٠) إعراب القراءات ج٢ ص٣٥٢ (بتصرف).

(٨٦١) انظر: تحبير التيسير ص٢١٥، والبدور الزاهرة ص٣٩٥.

(٨٦٢) انظر: تقريب النشر ص٢٥٣.

المعنى اللغوي للقراءات:

أ ـ **(نزل)** النزول هو الحلول وهو النزول من علو إلى أسفل[٨٦٣].

ب ـ **(يكونوا)** كان إذا جعلته عبارة عمَّا مضى من الزمان احتاجَ إلى خبر؛ لأنه دلَّ على الزمان فقط، تقول: كان زيدٌ عالماً. وإذا جعلته عبارة عن حدوث الشيء ووقوعه. استَغنى عن الخبر، لأنه دلَّ على معنى وزمان. تقول: كان الأمرُ وأنا أعرفه مُذْ كان أي مذ خُلِقَ[٨٦٤].

التفسير:

يقول سيد قطب رَحِمَهُ اللَّهُ: «هذا الشوط امتداد لموضوع السورة الرئيس: تحقيق حقيقة الإيمان في النفس حتى ينبثق عنها البذل الخالص في سبيل الله وفيه من موحيات الإيمان، ومن الإيقاعات المؤثرة، قريب مما اشتمل عليه الشوط الأول بعد ذلك المطلع العميق المثير. وهو يبدأ برنَّة عتاب من الله سبحانه للمؤمنين الذين لم يصلوا إلى تلك المرتبة التي يريدها الله لهم، وتلويح لهم بما كان من أهل الكتاب قبلهم من قسوة في القلوب، وفسق في الأعمال، وتحذير من هذا الحال الذي انتهى إليه أهل الكتاب بطول الأمد عليهم مع إطماعهم في عون الله الذي يحي القلوب كما يحي الأرض بعد موتها»[٨٦٥]. وقال الألوسي: «في ذلك استئناف لعتاب المؤمنين على الفتور والتكاسل فيما نُدبوا إليه، والمعاتَب طائفة من المؤمنين وإلا فمنهم من لم يزال خاشعاً منذ أسلم إلى أن ذهب إلى ربه»[٨٦٦].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أ ـ **(وما نزل)**

(٨٦٣) انظر: ص٢٦٩.
(٨٦٤) انظر: الصحاح في اللغة ص١٠٢٦.
(٨٦٥) الظلال ج٦ ص٣٤٨٨.
(٨٦٦) روح المعاني ج١٤ ص١٧٩.

أفادت القراءة بالتخفيف، على معنى ألم يحين الوقت حتى يستجيبوا لذكر الله، وللقرآن الذي نزل. فإضافة الفعل للقرآن في عملية النزول.

أما القراءة بالتشديد، فقد دلت على أن هذا النزول كان بفعل إرادة الله تعالى. فالله تعالى هو الذي نزَّله، كذلك فإن القراءة بالتشديد، تفيد بتكثير النزول، وهذا واضح في نزول القرآن حيث إنه نزل منجماً في مرَّات كثيرةٍ ومتعددةٍ.

قال السمرقندي: «بالتشديد على معنى التكثير والمبالغة»[٨٦٧]. وقال ابن عطية: «(نزَّل) بشد الزاي على معنى نزل الله من الحق»[٨٦٨].

وقال أبو منصور: «من قرأ ﴿وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ فهو من نزل ينزل نزولاً، ومن قرأ (وما نزَّل من الحق) فالفعل لله. أي وما نزَّل الله من الحق»[٨٦٩]. وقال الدكتور محمد محيسن: «بتشديدها إشارة إلى تكثير النزول»[٨٧٠].

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين، يتبيّن أن هذا القرآن الذي نزل إنما هو نزل بفعل وإرادة الله تعالى، وكان نزوله كثيراً ومتعدداً، أفلم يحن الوقت لإيمانهم؟!

ب ـ (ولا يكونوا)

أفادت القراءة بالغيبة جرياً على ما تقدم في السياق، أي تماشياً مع الكلمات التي جاءت بلفظ الغيبة.

أما القراءة بالتاء فقد جاءت على سبيل الالتفات من الغيبة إلى

(٨٦٧) بحر العلوم ج٣ ص٣٢٦.
(٨٦٨) المحرر الوجيز ج٥ ص٢٦٤.
(٨٦٩) معاني القراءات ج٣ ص٥٥.
(٨٧٠) المستنير ج٣ ص١٥٧.

الخطاب، اعتناء بالتحذير، وجعله حاضراً قائماً ليكون أبلغ في الزجر. قال بذلك الألوسي[871]، والشوكاني[872].

كما أن القراءة بالتاء على الإلتفات، تبرز الجانب البلاغي الذي تقدمه لنا القراءات القرآنية.

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين، يَنْهَى الله تعالى عباده المؤمنين من أن يكون حالهم مثل حال أهل الكتاب وحذرهم تحذيراً بيِّناً من فعل ذلك بإسلوبٍ بلاغيٍ مُتْقَن.

١٠ ـ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ [الحديد: ١٨].

القراءات:

أ ـ قوله تعالى: ﴿ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ﴾

١ ـ قرأ ابن كثير وشعبة (المصَدِّقين والمصَدِّقات) بتخفيف الصاد فيهما.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ﴾ بالتشديد فيهما[873].

ب ـ قوله تعالى: ﴿يُضَٰعَفُ﴾

١ ـ قرأ ابن كثير وابن عامر وأبو جعفر ويعقوب (يضعّف) بحذف الألف وتشديد العين.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿يُضَٰعَفُ﴾ بإثبات الألف وتخفيف العين[874].

---

(٨٧١) انظر: روح المعاني ج١٤ ص١٨٠ ـ ١٨١.

(٨٧٢) انظر: فتح القدير ج٥ ص٢٠٦.

(٨٧٣) انظر: التيسير في القراءات السبع ص١٦٩، والشامل في القراءات المتواترة ص٢٦٢.

(٨٧٤) انظر: البدور الزاهرة ص٣٩٥.

المعنى اللغوي للقراءات:

أ ـ **(المصدقين والمصدقات)** الصِدْقُ خلاف الكذب. وقد صَدَقَ في الحديث، وصَدَقَهُ الحديث وصَدَقوهُم القتال، وتصادقا في الحديث وفي المودَّة، والمُصَدِّقُ: الذي يُصَدِّقك في حديثك، والمتصدق الذي يعطي الصدقة[٨٧٥].

ب ـ **(يضاعف)** الضَعْفُ والضُعْفُ خلاف القوة. وقد ضَعُفَ فهو ضعيفٌ، وأضعفه غيره وقوم ضعاف وضُعَفَاْءُ وضَعَفَةٌ، واستضعفه أي عدَّه ضعيفاً، وقد مضى بيانها في أول السورة[٨٧٦].

التفسير:

وذِكْرُ الصَّدَقَة هنا بعد الحث على الخشوع، والتحذير من قسوة القلوب مناسب؛ وذلك لأن الإنفاق في سبيل الله والتصدق بالمال، والبعد عن قسوة القلوب، كل ذلك هو من دلائل الخشوع لله رب العالمين.

قال البقاعي: «من أعظم ما دل على الخشوع المحثوث عليه والبعد عن حال الذين أوتوا الكتاب في القسوة: الصدقة بالإنفاق الذي قرنه في أولها بالإيمان، وحث عليه في كثير من آياتها تنبيهاً على أنه ثمرته التي لا تخلف عنه»[٨٧٧].

وقال الصابوني: «في قوله تعالى: ﴿يُضَٰعَفُ لَهُمۡ وَلَهُمۡ أَجۡرٞ كَرِيمٞ﴾ أي يضاعف لهم ثوابها بأن تكتب الحسنة بعشر أمثالها، ولهم فوق ذلك ثواب حسن جزيل وهو الجنة»[٨٧٨].

---

(٨٧٥) انظر: الصحاح في اللغة ص٥٩٦.

(٨٧٦) انظر: ص٢٧٣.

(٨٧٧) نظم الدرر ج٧ ص٦٩٠.

(٨٧٨) صفوة التفاسير ج٣ ص٣٠٨.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أ ـ (المصدقين والمصدقات)

أفادت القراءة بالتشديد، على إرادة المتصدقين الذين يتصدقون بأموالهم. أما القراءة بالتخفيف فقد أفادت معنى التصديق الذي هو بمعنى الإيمان، وهم الذين صدقوا الله ورسوله. قاله الطبري(٨٧٩)، وابن الجوزي(٨٨٠)، والبيضاوي(٨٨١)، والكرماني أيضاً(٨٨٢)، وغيرهم.

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين، يتبيّن أن هؤلاء المتصدقين الذين ينفقون أموالهم، إنما هم مصدقون ومؤمنون بالله ورسوله وبالبعث والجزاء، وينفقون أملاً في رحمة الله وتحصيل ثوابه وجنته.

أ ـ (يضاعف)

كلا القراءتين أفادتا بأن الله ﷻ سيضَّعف ويضاعف العمل الصالح بمعنى سيزيده في الكمّ والثواب حتى يجعله أمثال ما عمل العبد، فالقراءة بدون ألف مع تشديد العين (يضعِّف) تفيد جعل الشيء أمثاله، والقراءة باثبات الألف وبدون تشديد أيضاً أفادت جعل الشيء أمثاله. ولقد أورد الإمام الرازي: أن التضعيف: أن يزاد على أصل الشيء فيجعله مثلين أو أكثر، وكذلك الإضعاف والمضاعفة يقال ضعَّف الشيء تضعيفاً وأضعفه وضاعفه بمعنىً(٨٨٣).

وهذا الذي ذكره الرازي صحيح إلا أن هذا لا يمنع من إيجاد فرق ما

---

(٨٧٩) انظر: جامع البيان ج٩ ص٧٨٩٦.

(٨٨٠) انظر: زاد المسير ص١٣٩٩.

(٨٨١) انظر: تفسير البيضاوي ج٥ ص٣٠١.

(٨٨٢) مفاتيح الأغاني ص٣٩٥.

(٨٨٣) مختار الصحاح ص٢١٣.

ولو كان دقيقاً بينهما ومفيداً أيضاً، وعلى ذلك يمكن القول: بأن القراءة بدون ألف مع تشديد العين (يضعِّف) أفادت المبالغة في الفعل؛ لوجود التشديد والتشديد للمبالغة كما بيَّنا ذلك مراراً، إلا أن القراءة بإثبات الألف مع المد جاءت للمبالغة والزيادة، وذلك أن المد يفيد المبالغة، وإطالة زمن الصوت يعني الزيادة، فهو للمبالغة والزيادة في الفعل، كذلك لو قمنا بِعَدِّ أحرف القراءتين لوجدنا أن أحرف القراءة بدون ألف مع التشديد (يضعِّف) هيَ خمسة أحرف، وهي: (ي، ض، ع، ع، ف)، وذلك مع اعتبار وعَدِّ الحرف المشدد حرفين على الأصل؛ ولو قمنا بِعَدِّ أحرف القراءة بإثبات الألف مع المد وبدون تشديد (يضاعف) لوجدناها خمسة أحرف كذلك وهي: (ي، ض، ا، ع، ف). فكلا القراءتين حروفها خمسة، ولكن هناك ميزة زائدة في القراءة الثانية (يضاعف)، وهي أن الألف يلحقها مد والمد زيادة لصالح القراءة الثانية على الأولى، وهذه الزيادة لها مدلولها وهو: إذا كانت القراءة بالتشديد أفادت جعل العمل أمثاله في الكم والأجر، فإن القراءة بالألف مع المد دلت أن هذه الزيادة لا تقف إلى حد، فهي زيادة مطردة لا محدودة بإذن الله تعالى، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ [البقرة: ٢٤٥].

فهي أضعاف لا تعد ولا تحصى، وكذلك ما قاله أبو بكر الجزائري في تفسيره لهذه الآية: عند قوله تعالى: ﴿يُضَٰعَفُ لَهُمْ﴾ قال: «أي القرض الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة إلى ألف ألف»[٨٨٤].

وقد ورد تفصيل آخر ومبيَّن لمثلها في أول السورة[٨٨٥].

١١ ـ قال تعالى: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ

(٨٨٤) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير لأبي بكر الجزائري ج٥ ص٢٦٩ / مكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة ـ ط الثالثة ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م / وحيثما ذكرته بعد ذلك سأكتفي بالقول: أيسر التفاسير.

(٨٨٥) انظر ص٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٥.

مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾ [الحديد: ٢٠].

القراءات:

١ - قرأ شعبة (ورُضْوَان) بضم الراء.

٢ - وقرأها الباقون ﴿وَرِضْوَانٌ﴾ بكسر الراء(٨٨٦).

المعنى اللغوي للقراءتين:

رضيَ يَرْضى رِضيً ورِضَاءً بالمدّ أيضاً، والرّضا: المرضِيُ ويُقال: مَرْضُو والمراضاة والرَّاضون واحد، وتم بيانها سابقاً عند تفسير سورة الفتح(٨٨٧).

التفسير:

تأتي هذه الآية الكريمة للتحذير من متاع الدنيا وزخرفها، فهذا المنغمس في زهرة الدنيا ولذائذها يكاد ينشغل فيها أيّما انشغال، ليس معه الهدف الذي جاء من أجله إلى هذه الدنيا، وهو عبادة الله تعالى، والتقرب إليه، فتراه يبخل بما في يديه عن الإنفاق. لذا جاءت هذه الآية لتهزّ القلوب والعقول المنشغلة والمقصرة، وتضعهم أمام الحقيقة الكبرى التي لا مناص منها ولا خلاص، وهي أن كل ما ترونه من زخرف هذه الدنيا، هو متاع زائل بائد؛ وإذا كان الأمر كذلك فبادروا باستغلال هذا المتاع وصرفه في الوجه الحسن الذي على رأسه: الإنفاق في سبيل الله تعالى والتصدق. لذا كان مناسباً مجيءُ هذا التوضيح بعد الآية التي تدعو وترغِّب في الصدقة.

قال ابن عاشور: «أعقب التحريض على الصدقات والإنفاق بالإشارة إلى دحض سبب الشح، إنه الحرص على استبقاء المال لإنفاقه في لذائذ

---

(٨٨٦) انظر: غيث النفع ص٥١٨.

(٨٨٧) انظر: ص٤٣.

الحياة الدنيا، فضرب لهم مثل الحياة الدنيا بحال محقرة على أنها زائلة، تحقيراً لحاصلها، وتزهيداً فيها؛ لأن التعلق بها يعوق عن الفلاح»(888).

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت القراءة بالكسر على أنها اسم، أما القراءة بالضم فهي مصدر. وقد مضى بيانها سابقاً، وإظهار الفرق بين القراءتين عند تفسير سورة الفتح(889).

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بينهما، يبيّن الله ﷻ أن ما ينتظره المؤمن في جنته ليس فقط هو دخول الجنة والنجاة من النار، ولكن هي نعم كثيرة متنوعة ومتعددة في الأصناف والأشكال والأنواع والأذواق، ودَلَّ على ذلك قراءة الضم التي هي مصدر، والله تعالى أعلم.

١٢ ـ قال تعالى: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾﴾ [الحديد: ٢٣].

القراءات:

١ ـ قرأ أبو عمرو (أَتَاكُم) بقصر الهمزة.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿ءَاتَىٰكُمْ﴾ بمدها(890).

المعنى اللغوي للقراءتين:

(أتاكم): أتى أَتْياً، وإِتْيَاناً، وإِتْياً، ومأتى، ومأْتاةً: جاء، وأتي بمعنى

---

(٨٨٨) التحرير والتنوير م١٣ ج٢٧ ص٤٠٠.

(٨٨٩) انظر: ص٢٢.

(٨٩٠) انظر: الإقناع في القراءات السبع ص٤٦٩، والنشر ج٢ ص٢٩٢.

أعطى. وقد مضى بيانها عند تفسير سورة الفتح[٨٩١].

التفسير:

بعد أن بيَّن الله ﷻ في الآية السابقة أن كل ما ينزل من المصائب في المال والزرع والنفس، كل ذلك مكتوب ومقضي من قبل في اللوح المحفوظ قبل أن يخلقها الله ويوجدها، أخبرنا الله سبحانه أن سبب إبلاغنا بذلك حتى لا نحزن على ما يفوتنا من الخير، أو ما ينزل بنا من المصائب؛ وكذلك حتى لا يصيبنا البطر بالنعم التي أعطانا إياها ربنا تعالى.

قال الألوسي: «أي أخبرناكم بذلك؛ لئلا تحزنوا ﴿عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾ من نعيم الدنيا ﴿وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ أي أعطاكموه الله تعالى منها، فإن من علم أن الكل مقدر، يفوت ما قدر فواته، ويأتي ما قدر إتيانه لا محالة، لا يعظم جزعه على ما فات ولا فرحه بما هو آت»[٨٩٢].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت القراءة بالمد، على معنى إعطائكم، أي بما أعطاكم الله تعالى من نعيم الدنيا وزهرتها.

أما القراءة بدون مد، فهي على معنى جاءكم بقدرة الله تعالى وإرادته، وليس بإرادتكم، والتعبير (بجاءكم) يدلّ على أن هذا الرزق والنعم التي قسمها الله لكم ستأتيكم لمكانكم الذي أنتم فيه حتى ولو لم تنهضوا لجلبها، وهذه إشارة إلى كتابة ذلك لكم في كتاب من قبل أن يخلقكم الله تعالى، فهو مقسوم لكم لا محالة.

قال الطبري: «ومعنى قوله ﴿بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ إذا مدت الألف منها: بالذي أعطاكم منها ربكم وملككم وخولكم، وإذا اقتصرت الألف فمعناها:

---

(٨٩١) انظر: ص٢١.

(٨٩٢) روح المعاني ج١٤ ص١٨٧.

بالذي جاءكم منها»[893].

وقال الشيخ أحمد البنا: [بقصر الهمزة من الإتيان أي بما جاءكم وفاعله ضمير (ما) وبالمد من الإيتاء أي بما أعطاكم الله إياه فاعله ضمير اسم (الله) المقدم][894].

ويرى الباحث أنه يجوز أن يكون المعنى في قوله آتاكم بيان كثرة حصول النعم وتعددها، ودل على ذلك المد في الكلمة، الذي هو عبارة عن طول زمن الصوت، الذي يدل على الكثرة والمبالغة، والله أعلم.

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين، يتبيّن أن هذه النعم التي وهبها الله لكم مكتوبة في كتاب قبل خلقكم، وهي ستصيبكم، وستأتيكم سواء نَهَضْتُم لِجَلْبِهَا، أم لم تنهضوا، وهي نعم كثيرة ومتعددة.

١٣ ـ قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحديد: ٢٤].

القراءات:

أ ـ قوله تعالى: ﴿بِٱلْبُخْلِ﴾

١ ـ قرأ حمزة والكسائي (بالبَخَل) بفتح الباء والخاء.

٢ ـ وقرأها الباقون ﴿بِٱلْبُخْلِ﴾ بضم الباء وإسكان الخاء[895].

ب ـ قوله تعالى: ﴿هُوَ﴾

١ ـ قرأ المدنيان وابن عامر بغير (هو).

(٨٩٣) جامع البيان ج٩ ص٧٩٠١.

(٨٩٤) إتحاف فضلاء البشر ج٢ ص٥٢٣.

(٨٩٥) انظر: التذكرة في القراءات ج٢ ص٣٧٦.

٢ ـ وقرأ الباقون بزيادة (هو)(٨٩٦).

المعنى اللغوي للقراءات:

أ ـ (البخل) البُخْل والبَخَل لغتان وقرىء بهما، والبَخْل والبُخول ضد الكرم، وقد بَخِلَ يَبْخَل بُخْلاً وبَخَلاً فهو باخِلٌ ذو بُخْل والجمع بُخّال، وبخيل والجمع بُخَلاء(٨٩٧).

وقال الرازي: «والبُخْل والبَخْل بالفتح والبَخَل بفتحتين كله بمعنى»(٨٩٨).

ب ـ (هو) ضمير للغائب المفرد المذكر. ويقال للمثنى: هما، وجمع المذكر: هم، ويقال للمؤنث المفرد: هي، وللمثنى: هما، وللجمع: هن، ويجوز تسكين الهاء من هو وهي بعد الواو والفاء، وبعد اللام(٨٩٩).

التفسير:

لما ذكر الله تعالى فضل الإنفاق في سبيل الله وحث عليه، وأوضح أنه سبحانه لا يحب كل مختال فخور، وهو المتكبر المتعجب بما أعطاه الله من حظوظ الدنيا.

بيَّن الله ﷻ صفة هؤلاء المذمومين، وهي البخل. وليس ذلك فحسب، بل يأمرون غيرهم بهذه الصفة الذميمة.

قال الصابوني: «أي يبخلون بالإنفاق في سبيل الله، ولا يكفيهم ذلك حتى يأمروا الناس بالبخل ويُرَغِبُونَهُم في الإساءة، وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾

---

(٨٩٦) انظر: النشر ج٢ ص٢٩٢.

(٨٩٧) انظر: لسان العرب ج١١ ص٤٧.

(٨٩٨) مختار الصحاح ص٣٤.

(٨٩٩) انظر: المنجد في اللغة والأعلام ص٨٧٥.

أي ومن يعرض عن الإنفاق، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ أي فإن الله مستغن عنه وعن إنفاقه، محمودٌ في ذاته وصفاته، لا يضره الإعراض عن شكره، ولا ينفعه طاعة الطائعين، وفيه وعيد وتهديد»[٩٠٠].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أ ـ بالبخل

المفسرون وعلماء القراءات وحتى اللغة قالوا: إن المعنى في كلا القراءتين واحد، وهي من اللغات العربية.

قال الرازي: «والبُخْل والبَخْل بالفتح والبَخَل بفتحتين كله بمعنى»[٩٠١].

وقال السمرقندي: «قرأ حمزة والكسائي ﴿وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ﴾ بنصب الخاء والباء، وقرأ الباقون: بضم الباء وإسكان الخاء ومعناها واحد»[٩٠٢]. وقال ابن زنجلة: «وهما لغتان مثل الرشد والرشد»[٩٠٣].

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين، يبيّن الله تعالى لنا أوصاف هؤلاء البَطِرِيْن بما آتاهم الله من نعيم الدنيا وحظوظها، وكيف هم رغم ذلك كله يبخلون بما آتاهم الله تعالى.

ب ـ (فإن الله هو الغني الحميد)

أفادت القراءة بحذف (هو)، على معنى أن الله تعالى الغني الذي لا يفتقر إلى أحد أبداً، فهو متصف بهذه الصفة.

أمّا القراءة بإثبات (هو)، فقد أفادت بأن الله تعالى هو الغني دون

---

(٩٠٠) صفوة التفاسير ج٣ ص٣١٠، ٣١١ (بتصرف).

(٩٠١) مختار الصحاح ص٣٤.

(٩٠٢) بحر العلوم ج٣ ص٣٢٩.

(٩٠٣) حجة القراءات ص٧٠٢.

الخلائق، بمعنى أنه هو وحده الغني تخصيصاً لا غيره، فلا يختص بهذه الصفة أحدٌ غيره.

قال أبو منصور: «من قرأ ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ﴾ فهو عماد، ويسميه البصريون فصلاً، ومعناه أن الله تعالى هو الغني دون الخلائق؛ لأن كل غني إنما يغنيه الله تعالى، وكل غني من الخلق فقير إلى رحمة الله تعالى. ومن قرأ (إن الله الغني الحميد) فمعناه أن الله الغني الذي لا يفتقر إلى أحد»(٩٠٤).
وقال مكي: «واثبات (هو) بيِّن في التأكد وأعظم في المعنى»(٩٠٥).

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين، يظهر بأن الله تعالى غني لا يفتقر إلى أحد أبداً، فهو متصف بهذه الصفة، وهذا الغِنَى الذي اتصف به الله ﷻ هو خاصٌّ به دون أحدٍ من خلقه فهو الغنيُّ ولا أحد غيره.

١٤ ـ قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾﴾ [الحديد: ٢٥].

القراءات:

١ ـ قرأ البصري (رُسْلنا) بإسكان السين.

٢ ـ وقرأها الباقون ﴿رُسُلَنَا﴾ بضمها(٩٠٦).

المعنى اللغوي للقراءتين:

الرَّسَل القطيع من كل شيء والجمع أرسال(٩٠٧). وجاء في تاج

---

(٩٠٤) معاني القراءات ج٣ ص٥٧.
(٩٠٥) الكشف ج٢ ص٣١٢.
(٩٠٦) انظر: غيث النفع ص٥١٩، والبدور الزاهرة ٣٩٥.
(٩٠٧) انظر: لسان العرب ج١١ ص٢٨١.

العروس: والرِّسْلُ بالكسر الرفقُ والتؤدةُ[908]. وقال الإمام محمد الرازي: ورَاسَلَه في مُرَاسَلَةً فهو مُرَاسِلٌ ورَسِيلٌ وأرْسَله في رِسَالة فهو مُرْسَلٌ ورَسُولٌ والجَمْع رُسْلٌ ورُسُلٌ[909].

التفسير:

قال ابن كثير: «يقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ أي المعجزات والحجج الباهرات، والدلائل القاطعات: ﴿وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ وهو النقل المصدق. ﴿وَٱلْمِيزَانَ﴾ وهو العدل. وقال في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ أي وجعلنا الحديد رادعاً لمن أبى الحقَّ وعانده بعد قيام الحجة عليه. وقوله تعالى: ﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ يعني السلاح كالسيوف والحرب والسنان والنِّصال والدروع ونحوها، وقوله تعالى: ﴿وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ أي في معايشهم كالسكة والفأس والقدُوم والمنشار والإزميل والمجرفة وآلات الحراثة والطبخ والحياكة وغير ذلك.

وقوله ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ﴾ أي من يحمل السلاح، ونيَّته في حمل السلاح نصرة الله ورسوله. وقوله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ أي هو قوي عزيز ينصر من ينصره من دون احتياج منه للناس، وإنما شرع الجهاد ليبلو بعضكم ببعض»[910].

يقول الباحث: هناك حكمة من ذكر الحديد واستخداماته في الحرب والنصرة والمنافع مع ذكر الرسالة والأنبياء، وذلك لأن نزول الرسالات والكتب على الأنبياء وإبلاغ الناس بما فيها تكون من نتائجه، أن هناك من يسمع ويؤمن ويستجيب، وهناك من يكفر ويعاند ويبادر بالمقاتلة والمعاداة، وهذا يستلزم الحرب والقتال واستخدام السيف والسلاح الذي هو من الحديد؛ لصدِّ هذا العدوان وإحقاق الحق وإبطال الباطل المتغطرس.

(٩٠٨) انظر: تاج العروس ج٧ ص٣٤٣.

(٩٠٩) مختار الصحاح ص١٤٢.

(٩١٠) تفسير القرآن العظيم ج٤ ص٣٣٧ (بتصرف).

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت القراءة بإسكان الهمزة؛ للدلالة على صفة مهمة من صفات هؤلاء الأنبياء الكرماء الذين أرسلهم الله تعالى، وهذه الصفة هي التؤدة والأناة والتمهل والرفق واللين، قال أحمد الفيومي المقري: «وبعير رَسْل ليِّن السير وناقة رَسْلة»[911].

أما القراءة بضم السين ﴿رُسُلَنَا﴾، فقد أفادت الكثرة والمتابعة في الإرسال، فهم رسل كثر متتابعون، ودل على ذلك التتابع في الضمتين، كذلك فإن الرسُل بضم السين فيها معنى التتابع، قال أحمد الفيومي المقري: «ولا تراسُل في الأذان أي لا متابعة فيه»[912].

الجمع بين القراءتين:

وبعد الجمع بين القراءتين، أظهرت لنا الآية الكريمة صفة مهمة من صفات هؤلاء الأنبياء المرسلين، وهي التمهل والأناة والرفق واللين، وأن هؤلاء الرسل بعثهم الله تعالى متتابعين، وهم كُثر.

١٥ ـ **قال تعالى:** ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الحديد: ٢٧].

القراءات:

١ ـ قرأها السوسي وأبو جعفر (رآفة) بإبدال الهمزة في الوصل والوقف وأبدلها حمزة في الوقف فقط.

٢ ـ وقرأها الباقون ﴿رَأْفَةً﴾ بهمزة بغير إبدال[913].

(٩١١) المصباح المنير ص١٣٨.

(٩١٢) انظر: المصباح المنير ص١٣٨.

(٩١٣) انظر: البدور الزاهرة ص٣٩٥.

المعنى اللغوي للقراءتين:

الرأفة الرحمة، وقيل: أشد الرحمة؛ رَأَفَ به يَرْأَفُ ورئِفَ ورَؤُفَ رَأْفَةً ورَآفةً.

والرأفةُ والرآفةُ مثل الكأبة والكآبة(٩١٤).

التفسير:

بعد أن بيَّن الله ﷻ أنه أرسل الأنبياء والرسل بالرسالة للناس، يعرض هنا مراحل نزول وإرسال الرسل.

قال الطبري: «يقول الله تعالى ذكره: ثم اتبعنا على آثرهم برسلنا الذين أرسلناهم بالبينات على آثار نوح وإبراهيم برسلنا، وأتبعنا بعيسى بن مريم.

وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ﴾ يعني: الذين اتبعوا عيسى على منهاجه وشريعته، وقوله: (رأفة) وهو أشدُّ الرِّقة ﴿وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا﴾ يقول: أحدثوها ﴿مَا كَتَبْنَـٰهَا عَلَيْهِمْ﴾ يقول: ما افترضنا تلك الرهبانية عليهم ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ﴾ يقول: لكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله تعالى.

وقوله: ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ والذين لم يرعوها حق رعايتها هم الذين ابتدعوها ولم يقوموا بها ولكنهم بدَّلوا وخالفوا دين الله تعالى الذي بعث به عيسى فتنصَّروا وتهوَّدوا. وقال البعض بل هم قوم جاءوا من بعد الذين ابتدعوها فلم يرعوها حق رعايتها لأنهم كانوا كفاراً»(٩١٥).

وقال البيضاوي: «والرهبانية التي ابتدعوها هي المبالغة في العبادة والانقطاع عن الناس»(٩١٦).

---

(٩١٤) انظر: لسان العرب ج٩ ص١١٢.

(٩١٥) جامع البيان ج٩ ص٧٩٠٤ (بتصرف).

(٩١٦) تفسير البيضاوي ج٥ ص٣٠٥.

وقوله تعالى: ﴿فَـَٔاتَيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۡهُمۡ أَجۡرَهُمۡۖ﴾ أي فأعطينا الصالحين من أتباع عيسى الذين ثبتوا على العهد وآمنوا بمحمد ﷺ ثواباً مضاعفاً.

وقوله ﴿وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ﴾ أي وكثيرٌ من النصارى خارجون عن حدود الطاعة، منتهكون لمحارم الله تعالى(٩١٧).

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت القراءة بدون مد بمعنى أن الله تعالى جعل في قلوبهم الرحمة، أو أشد أنواع الرحمة.

أما القراءة بالمد فقد جاءت للمبالغة والتكثير، بمعنى أن هذه الصفة موجودة بكثرة وبقوة عندهم، ودل على ذلك أنها مصدر، والمصدر أبلغ من الاسم في التعبير، كذلك وجود المد الذي هو للزيادة والمبالغة.

قال ابن عادل: «(رآفة) بزنة فَعَالة»(٩١٨)، وقال الرازي: (رآفة) على فعالة»(٩١٩).

وكأن قوله تعالى: ﴿رَأۡفَةٗ﴾ للمرة الواحدة، بينما قوله تعالى: (رآفة) مصدر يدل على المبالغة.

قال إسماعيل الحنفي: وقرئ (رآفة) على فعالة بالفتح مصدر كالشجاعة والسخاوة(٩٢٠).

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بينهما يُظهِر لنا الله ﷻ مدى قوة وجود هذه الصفة لديهم، وكثرتها ومدى أصالتها في نفوسهم وقلوبهم.

تمت سورة الحديد بحمد الله تعالى وتوفيقه.

---

(٩١٧) انظر: صفوة التفاسير ج٣ ص٣١٢.
(٩١٨) اللباب ج١٨ ص٥٠٣.
(٩١٩) تفسير الرازي ج١٠ ص٤٧٣.
(٩٢٠) انظر: حاشية القونوي ج١٨ ص٤٧٥.

المبحث الثالث
عرض وتفسير لآيات سورة المجادلة
المتضمنة للقراءات القرآنية العشر

بين يدي السورة:

هذه السورة مدنية، وعدد آياتها اثنتان وعشرون آية، وهي سورة المجادلة وتلفظ بفتح الدال وكسرها، والثاني هو المعروف، وتُسمَّى سورة قد سمع، وسُمِّيت في مصحف أُبيّ رضي الله تعالى عنه الظهار، وتناولت السورة الكريمة أحكام تشريعية كثيرة، مثل حكم الظهار وما تجب على المُظَاهِر من كفارة، وحكم المتناجي، وآداب المجلس، وغير ذلك من الآداب والأحكام[٩٢١].

مناسبتها لما قبلها:

السورة الأولى وهي الحديد خُتِمت ببيان فضل الله تعالى على عباده، وافتتحت المجادلة بما هو من ذلك[٩٢٢].

(٩٢١) انظر: تفسير القرطبي ج٩ ص٣٢٩، روح المعاني ج١٤ ص١٩٧، صفوة التفاسير ج٣ ص٣١٤، ٣١٥.

(٩٢٢) انظر: روح المعاني ج١٤ ص١٩٧.

الموضوع العام للسورة:

اشتملت هذه السورة الكريمة على عدد من الأحكام والآداب، وصاغت ذلك كله عبر أربعة محاور أساسية، وهي:

الأول: ابتدأت السورة بذكر قصة المرأة المجادِلة، وهي خولة بنت ثعلبة، التي ظاهر منها زوجها، فجاءت تشكو ذلك لرسول الله ﷺ ظلم زوجها لها، فقالت: أكل مالي وأفنى شبابي، ونثرت له بطني، حتى إذا كبر سني وانقطع ولدي ظاهر مني، ورسول الله ﷺ يقول لها: ما أراك إلا قد حُرِّمْتِ عليه، فكانت تجادل وتقول: يا رسول الله ﷺ ما طلقني ولكنه ظاهر مني، فيرد عليها قوله السابق. ثم قالت: اللهم إني أشكو إليك فاستجاب الله تعالى دعاءها، وفرَّج كربتها وشكواها. وعلى إثر ذلك تناولت موضوع كفارة الظهار، وبينت حكمها.

الثاني: تحدثت السورة في هذا المحور عن موضع التناجي، وهو الكلام في السِّر بين اثنين فأكثر، وكان هذا من أخلاق اليهود تجاه رسول الله ﷺ، ومن معه من المؤمنين؛ لإيقاع الأذية بهم، فجاءت هذه السورة لتبيِّن حكم التناجي، وحذرت منه ومن عاقبته.

الثالث: في هذا المحور تناولت السورة الحديث عن اليهود والمنافقين، وما يقومون به من أفعال شنيعة تجاه رسول الله ﷺ، فاليهود اللعناء يحضرون مجلس رسول الله ﷺ، ويحيونه بتحية ملغوزة ظاهرها التحية والسلام، وباطنها المسبة والشتيمة وذلك مثل قولهم: السام عليك ويعنون به الموت، والمنافقون اتخذوا اليهود أولياء لهم من دون المؤمنين، يحبونهم وينقلون الأخبار إليهم من أسرار المؤمنين وغيره.

الرابع: هذا المحور ختمت به السورة الكريمة، وهو بيان أصل العلاقة وكيفيتها بين المؤمنين، وإقرار حقيقة الحب في الله والبغض فيه ﷻ، فهو أصل الإيمان وأوثق عرى الدين، وذلك لإظهار وبيان كيف تكون العلاقة،

وعلى أي أساس تبنى، ومن نوالي، ومن نحب، ومن نكره[٩٢٣].

١ ـ **قال تعالى**: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ۝١﴾ [المجادلة: ١].

القراءات:

١ ـ قرأ أبو عمرو البصري وهشام والأخوان[٩٢٤] وخلف (قد سمع) بإدغام الدال في السين.

٢ ـ وقرأ الباقون بدون إدغام[٩٢٥].

المعنى اللغوي للقراءتين:

السَمْعُ: سَمْعُ الإنسان، يكون واحداً وجمعاً كقوله تعالى: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾ [البقرة: ٧]؛ لأنه في الأصل مصدرُ قولك: سَمِعْتُ الشيء سَمْعاً وسَماعاً وقد يُجمع على أسماع وجمع الأسماع أسامِعُ[٩٢٦].

التفسير:

يقول سيد قطب: تبدأ هذه السورة بصورة عجيبة من صور هذه الفترة الفريدة في تاريخ البشرية، فترة اتصال السماء بالأرض في صورة مباشرة محسوسة، ومشاركتها في الحياة اليومية لجماعة من الناس مشاركة ظاهرة. وقال: فنشهد السماء تتدخل في شأن يومي لأسرة صغيرة فقيرة مغمورة، لتقرر حكم الله تعالى في قضيتها، وقد سمع الله تعالى للمرأة وهي تحاور رسول الله ﷺ فيها، ولم تكد تسمعها عائشة رضي الله تعالى عنها وهي قريبة منها، وهي صورة تملأ القلب بوجود الله تعالى وقربه وعطفه

(٩٢٣) انظر: صفوة التفاسير ج٣ ص٣١٤، ٣١٥.

(٩٢٤) الأخوان هما حمزة والكسائي.

(٩٢٥) انظر: إتحاف فضلاء البشر ج٢ ص٥٢٥، البدور الزاهرة ص٣٩٨.

(٩٢٦) انظر: الصحاح في اللغة ص٥٠٢.

ورعايته[٩٢٧].

نزلت هذه الآية في خولة بنت ثعلبة وزوجها أوس بن الصامت[٩٢٨]، وقال بعض العلماء: خويلة بنت خويلد. وقال آخرون خويلة بنت الصامت. وقال غيرهم خويلة بنت الدليج، وكانت مجادلتها رسول الله ﷺ في زوجها أوس بن الصامت، مراجعتها إياه في أمره، وما كان من قوله لها: أنت عليَّ كظهر أمي، ومحاورتها إياه في ذلك[٩٢٩].

وقوله تعالى: ﴿تُجَٰدِلُكَ﴾ أي تراجعك الكلام في شأن زوجها وظهاره منها[٩٣٠].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت القراءة بدون إدغام بمعنى أن الله تعالى قد سمع قول تلك المرأة التي جاءت تشكو زوجها للنبي ﷺ.

أما القراءة بالإدغام فقد دلت على سرعة وقوة سماع الله تعالى لهذه المرأة، مع أنها كانت تتحدث مع رسول الله ﷺ، وكانت أمُّنا عائشة رضي الله عنها في الحجرة المجاورة ولم تسمع شيئاً. ودلّ على ذلك سرعة النطق بالكلمتين، لدرجة إدغام أحدهما في الآخر، فإن كلمة سمع تتسابق مسابقة مع كلمة قد، حتى كادت أن تكون قبلها فما أن حكت المرأة حكايتها حتى سمعها الله تعالى السميع الخبير بكل شيء.

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين يظهر لنا مدى قدرة الله تعالى، وإحاطته بكل شيء، وبيان علمه وسمعه لكل شيء، وبكل شيء، ولو كان حديثاً بين

(٩٢٧) انظر: الظلال ج ٦ ص٣٥٠٣، ٣٥٠٤.

(٩٢٨) انظر تفسير المراغي ج١٠ ص٥.

(٩٢٩) انظر: جامع البيان ج١٠ ص٧٩٢٣.

(٩٣٠) انظر: روائع البيان ص٥٤٢.

اثنين في خفية عن الغير.

٢ ـ قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدْنَهُمْۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ۝٢﴾ [المجادلة: ٢].

القراءات:

١ ـ قرأ عاصم ﴿يُظَٰهِرُونَ﴾ بضم الياء وتخفيف الظاء والهاء وكسرها وألف بينهما في الموضعين.

٢ ـ وقرأ أبو جعفر وابن عامر وحمزة والكسائي وخلف (يَظَّاهَرون) بفتح الياء وتشديد الظاء وألف بعدها وتخفيف الهاء وفتحها.

٣ ـ وقرأ الباقون (يَظَّهَّرون) بفتح الياء وتشديد الظاء والهاء بدون ألف بينهما(٩٣١).

المعنى اللغوي للقراءات:

الظَّهر من كل شيء خلافُ البَطْن، والظهر من الإنسان من لدُن مؤخَّرِ الكاهل إلى أدنى العجز عند آخره(٩٣٢). قال الرازي: «وأَظْهَرَ الشيءَ بيَّنه. وقال: والظِّهار قول الرجل لامرأتِه أنت عليَّ كظهر أمي، وقد ظاهر من امرأتِه وتظهَّر منها وظهَّر منها تظهيراً كله بمعنى»(٩٣٣).

التفسير:

في هذه الآية الكريمة يؤصل الله تعالى لحلٍّ شاملٍ وموضوعي ومنطقي لهذه القضية، ويضع حدّاً فاصلاً ونهائياً لمثل هذه المخالفات. قال سيد قطب: «فهو علاج للقضية من أساسها. إن هذا الظهار قائم على غير أصل.

---

(٩٣١) انظر: النشر ج٢ ص٢٩٢.

(٩٣٢) انظر: لسان العرب ج٤ ص٥٢٠.

(٩٣٣) مختار الصحاح ص٢٢٦.

فالزوجة ليست أُمَّاً حتى تكون محرمة كالأم. فالأم هي التي ولدت. ولا يمكن أن تستحيل الزوجة أُمَّاً بكلمة تُقَال. إنها كلمة منكرة ينكرها الواقع، وكلمة مزورة ينكرها الحق، والأمور في الحياة يجب أن تقوم على الحق والواقع، في وضوح وتحديد، فلا تختلط ذلك الإختلاط، ولا تضطرب هذا الاضطراب»(٩٣٤).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قال أبو منصور: «من قرأ (يَظَّهَّرون) بتشديد الظاء والهاء فالأصل (يتظهَّرون) فأدغمت التاء في الظاء وشددت. ومن قرأ (يظَّاهَرون) فهو في الأصل يتظاهرون فأدغمت التاء في الظاء وشددت أيضاً. وأما قراءة عاصم (يظاهرون) فهو من ظَاهر يُظاهِر ظِهَاراً والمعنى واحد وإن اختلفت الألفاظ. يقال: ظَاْهَرَ الرجلُ من امرأته واظَّاهَر وتظاهر واظَّهَّر ويظَّهَّرُ منها وهو يقول لها: أنت علي كظهر أمي»(٩٣٥).

وقال مكي: «وحجة من قرأ بغير ألف والتشديد أنه جعل أصله (يتظهَّرون) على وزن يتفعَّلون وماضيه تظهَّر على وزن تفعَّل، ثم أدغم التاء في الظاء؛ لقربها منها وحسن الإدغام؛ لأنك تنقل الأضعف إلى الأقوى؛ لأن الظاء أقوى من التاء بكثير، فلما أدغمت التاء في الظاء وقع التشديد في الظاء، والتشديد في الهاء أصل، لأن الهاء عين الفعل، والفعل مضاعف العين، فالتشديد ملازم لعين الفعل.

وحجة من قرأ بألف بناه على تفاعل، فأصله تظاهروا يتظاهرون، ثمّ أدغمت التاء في الظاء على ما قدمنا فوقع التشديد في الظاء لذلك، وخففت الهاء كما كانت مخففة في تظاهر القوم يتظاهرون.

وحجة من قرأ بضم الياء مخففاً أنه بناه على ظاهر يظاهر، فلا تاء فيه

(٩٣٤) الظلال ج٦ ص٣٥٠٦.

(٩٣٥) معاني القراءات ج٣ ص٥٩.

يوجب إدغامها التشديد، فخففت الظاء لذلك، وخففت الهاء؛ لأنها مخففة في الأصل في ظاهر يظاهر»[٩٣٦].

ويرى الباحث أن هذا الذي ذكره العلماء صحيح إلا أنه لا يخفى ما في التشديد والإدغام من المبالغة، وبهذا يكون الخطاب فيه موجَّهاً للذين ظاهروا، والذين بالغوا في المظاهرة، فصدر الأمر عليهم من الله تعالى بأن الذي فعلوه من المظاهرة خطأ وغير صحيح، وليس مقبولاً على الإطلاق، ولو بالغوا في فعله فهذه المبالغة، وهذا الإصرار، لا يغير الحقيقة، وهي أن الزوجات لا يمكن أن يصبحن مثل أم الزوج. كذلك صدر الأمر إليهم بوجوب الكفارة، سواء بالغوا بذلك الفعل وأصروا عليه إصراراً شديداً أو لم يبالغوا، والله تعالى أعلم.

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بينهما يظهر لنا بأن هذا الفعل وهو الظهار لا يغيِّر من الحقيقة القائمة شيئاً حتى ولو بالغَ أصحابُه في فعله والإصرار عليه فإن المحصلة والنتيجة هو أن الزوجة ليست مثل الأم لأن الأم هي التي ولدت.

٣ ـ قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝٣﴾ [المجادلة: ٣].

القراءات:

القول فيها مثل القول في الآية السابقة من ناحية كيفية قراءتها والعلاقة التفسيرية[٩٣٧].

---

(٩٣٦) الكشف ج٢ ص٣١٣.

(٩٣٧) انظر: ص٣٠٥، ٣٠٦.

المعنى اللغوي للقراءات:

الظهار هو قول الرجل لامرأته أنت عليّ كظهر أمي وقد أوضحتُ ذلك في الآية السابقة(٩٣٨).

التفسير:

يوضح الله ﷻ حكم من أتى بهذا الفعل من الظهار، ويبيّن كيفية الرجوع عنه والتحرر من هذا الالتزام الباطل، وذلك عبر كفارة شرعها الله تعالى لهم، تكفيراً لهم عمّا فعلوه وتأديباً لهم حتى لا يعودوا إلى فعل ذلك مرة أخرى.

قال ابن عباس في تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟﴾ أي يرجعون إلى تحليل ما حرموا على أنفسهم من المناكحة ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ فعليه تحرير رقبة ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا﴾ يتجامعا(٩٣٩). وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ﴾ أي ذلكم هو حكم الله تعالى فيمن ظاهر ليتعظ به المؤمنون، حتى تتركوا الظهار ولا تعودوا إليه(٩٤٠).

٤ ـ قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾ [المجادلة: ٧].

القراءات:

أ ـ قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ﴾

١ ـ قرأ أبو جعفر (ما تَكُون) بالتاء على التأنيث.

---

(٩٣٨) انظر: ص٣٠٥.

(٩٣٩) انظر: تنوير المقباس ص٥٤٢.

(٩٤٠) انظر: صفوة التفاسير ج٣ ص٣١٧.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿مَا يَكُونُ﴾ بالياء على التذكير[٩٤١].

ب ـ قوله تعالى: ﴿وَلَآ أَكۡثَرَ﴾

١ ـ قرأ يعقوب (أَكْثَرُ) بالرفع.

٢ ـ وقرأها الباقون ﴿أَكۡثَرَ﴾ بالنصب[٩٤٢].

المعنى اللغوي للقراءات:

أ ـ (يكون) تأتي للدلالة على ما مضى من الزمان، كذلك للدلالة على حدوث الشيء ووقوعه، وقد مضى بيانها عند تفسير سورة الحديد[٩٤٣].

ب ـ (أكثر) الكَثْرَةُ نقيضُ القِّلة وقد كَثرَ الشيءُ فهو كَثيرٌ وقومٌ كثيرٌ وهم كثيرونَ وأَكْثَرَ الرجلُ أي كَثُرَ مالُه[٩٤٤].

التفسير:

يقرر الله ﷻ حقيقة واقعية وهي علمه المطلق بمجريات الأمور، حتى ولو كانت سرًّا بين ثلاثة من الأشخاص، أو أقل أو أكثر. وهذه الحقيقة تردع وتؤدب المخالفين، وتحثهم على الالتزام بما أمر به الله تعالى. وقد ناسب مجيء هذه الآية بعد ذكر كفارة الظهار وحدود الله؛ لأن هذا الظهار على الغالب يكون سره بين الزوج وامرأته، فيخبرهم الله تعالى بأن هذا لا يعفيهم من مسؤوليتهم، فإن كان الحاكم والقاضي لا يراهم ولا يسمع بهم، فإن الله تعالى يراهم ويسمعهم؛ لذلك وجب عليهم الانقياد والالتزام بما أمر الله تعالى به. قال ابن كثير: ولهذا حكى غير واحد الإجماع على أن المراد بهذه الآية معية علم الله تعالى، ولا شك في إرادة ذلك، ولكنّ سمعه

(٩٤١) انظر: النشر ج٢ ص٢٩٢.

(٩٤٢) انظر: نفس المصدر السابق ج٢ ص٢٩٢.

(٩٤٣) انظر: ص٢٨٤.

(٩٤٤) انظر: الصحاح في اللغة ص٩٨٣.

أيضاً مع علمه محيط بهم، وبصره نافذ فيهم، فهو سبحانه مطلع على خلقه، لا يغيب عنه من أمورهم شيء[945].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أولاً: قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ﴾: قال البغوي: «قرأ أبو جعفر بالتاء لتأنيث النجوى، وقرأ الآخرون بالياء لأجل الحائل قال: أي ما من شيء يناجي به الرجل صاحبه ﴿إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ بالعلم»[946]. وقال البقاعي: «(ما تكون) بالفوقية لتأنيث النجوى إشارة إلى العلم بها، ولو ضعفت إلى أعظم حد. وبالتحتانية للحائل، ولأن التأنيث غير حقيقي»[947].

وقال الزمخشري: «وقرئ بالياء والتاء، بالياء على أن النجوى تأنيثها غير حقيقي، ومِنْ فاصلة أو على أن المعنى ما يكون شيء من النجوى»[948].

وقال الدكتور محمد محيسن: «وجاء تذكير الفعل وتأنيثه؛ لأن الفاعل مؤنث غير حقيقي»[949].

وعلى هذا يتضح الفرق بين القراءتين، فقد دلت القراءة بالتاء على أن النجوى مهما ضعفت وخفتت فإن الله تعالى يعلم بها وهو مطلع عليها.

أما القراءة بالياء فقد دلت على ما هو أكثر دقة، وتأكيداً بعلم الله تعالى لما هو أدق وأخفى فإذا كان الله تعالى قد علم بالنجوى ولو كانت خافية، فهو كذلك يعلم الشيء من النجوى، وشيء هنا للتبعيض، وهي للدلالة على ما هو أشد خفاءً وستراً، ودَلّ على ذلك ما قاله البغوي سابقاً حينما قال: وقرأ الآخرون بالياء لأجل الحائل بمعنى ما من شيء يناجي به

(٩٤٥) تفسير القرآن العظيم ج٤ ص٣٤٥.

(٩٤٦) تفسير البغوي ج٥ ص٢٠٢.

(٩٤٧) نظم الدرر ج٧ ص٤٨٨ ـ دار النشر ط ـ ٢ ـ ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٢م.

(٩٤٨) تفسير الكشاف ج٤ ص٧٣، ٧٤.

(٩٤٩) انظر: المستنير ج٣ ص١٦٥.

الرجل صاحبيه إلا هو ﷻ رابعهم بالعلم(٩٥٠).

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين يخبرنا الله تعالى بواسع علمه، لدرجة أنه سبحانه يعلم ما يدور بين المتناجيين، الذين يسرون الحديث بينهما، فمهما كان هذا الحديث خافياً أو خافتاً أو مستوراً فإن الله تعالى يعلمه ويسمعه.

ثانياً: قوله تعالى: ﴿وَلَآ أَكۡثَرَ﴾: جاءت القراءة بالنصب على أن لا لنفي الجنس، ويجوز أن يكون (ولا أكثرَ) بالرفع معطوفاً على محل (لا) مع (أدنى)، كقولك: لا حول ولا قوة إلا بالله، بفتح الحول ورفع القوة. ويجوز أن يكونا مرفوعين على الإبتداء كقولك: لا حول ولا قوة إلا بالله، ويجوز أن يكون إرتفاعهما عطفاً على محل (من نجوى) كأنه قيل: ما يكون من أدنى ولا أكثر إلا هو معهم(٩٥١).

قال ابن عادل: «قوله تعالى: ﴿وَلَآ أَكۡثَرَ﴾ العامة على الجر عطفاً على لفظ (نجوى).

وبالرفع فيه وجهان: أحدهما: أنه معطوف على موضع (نجوى)، لأنه مرفوع و(من) مزيدة.

والثاني: (أدنى) مبتدأ و(إلا هو معهم) خبره، فيكون (ولا أكثر) عطفاً على مبتدأ، وحينئذ يكون (ولا أدنى) من باب عطف الجمل لا المفردات»(٩٥٢).

وقال ابن عاشور: «بنصب (أكثر) عطفاً على لفظ (نجوى)، وبالرفع عطفاً على محل (نجوى)، لأنه مجرور بحرف جر زائد»(٩٥٣).

---

(٩٥٠) تفسير البغوي ج٨ ص٥٤.

(٩٥١) انظر: تفسير الرازي ج١٠ ص٤٩٠.

(٩٥٢) تفسير اللباب ج١٨ ص٥٣٣، ٥٣٤ (بتصرف).

(٩٥٣) التحرير والتنوير م١٣ ج٢٧ ص٢٧ (بتصرف).

وقال أبو منصور: «من قرأ: (ولا أكثرُ) بالرفع عَطَفه على موضع الرفع في قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ﴾، لأن المعنى: ما يكون نجوى ثلاثة، كما قال الله تعالى: ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٨٥] أي ما لكم إلهٌ غيرهُ. ومن قرأ (ولا أكثرَ) بفتح الراء فهو في موضع خفض منسوقة على (ثلاثةٍ)»(٩٥٤).

وعلى هذا فلا فرق بين القراءتين في المعنى، والله تعالى أجل وأعلم.

٥ ـ قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٨﴾﴾ [المجادلة: ٨].

القراءات:

١ ـ قرأ حمزة ورويس (ويَنْتَجُون) بتقديم النون على التاء مع إسكان النون وضم الجيم من غير ألف.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿وَيَتَنَٰجَوْنَ﴾ بتاء ونون مفتوحتين وبعد النون ألف مع فتح الجيم(٩٥٥).

المعنى اللغوي للقراءتين:

قال الإمام محمد الرازي: «والنَّجو السِّرُّ بَيْنَ اثنين يقال: نَجَوْتُه نَجْواً أي سارَرْته وكذا نَاجَيْته وانْتَجَى القَوْمُ وتَنَاجَواْ أي تَسَارُّوا، وانْتَجَاه خَصَّه بمُناجاته والاسم النَّجْوَى»(٩٥٦).

(٩٥٤) معاني القراءات ج٣ ص٦٠ (بتصرف).

(٩٥٥) انظر: النشر ج٢ ص٢٩٣، والبدور الزاهرة ص٣٩٧.

(٩٥٦) مختار الصحاح ص٣٤٨.

التفسير:

هؤلاء الذين ذكرهم الله تعالى هم المنافقون، كانوا يتناجون فيما بينهم مع اليهود في خبر سرايا المؤمنين لكي يحزن ويتألم بذلك المؤمنون؛ وهؤلاء الذين ذكرناهم يقومون بهذه المناجاة مرات كثيرة ومتكررة رغم أن الله تعالى نهاهم عنها. وليس الأمر إلى ذلك الحد بل إنهم يقومون بمجموعة من الأفعال السيئة أيضاً فهم يحيون رسول الله بتحية لم يشرعها الله تعالى ويقولون له عليه الصلاة والسلام «السام عليكم» وهو الموت بدل السلام عليكم. يقولون ذلك حقداً وكفراً. وكانوا يعلمون مدى بشاعة قولهم لدرجة أنهم قالوا: لو كان محمدٌ ﷺ نبياً لعذَّبَنا الله تعالى بما نقول. فقال الله تعالى ردّاً عليهم: ﴿حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ أي يكفيهم عذاباً أن يدخلوا نار جهنم ويصلوا حرَّها[٩٥٧].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

كلا القراءتين من اللغات العربية، وهما بمعنى واحد، قال السمرقندي: «(ينتجون) (ويتناجون) هما لغتان من تناجى القوم وانتجوا»[٩٥٨].

وقال مكي وابن خالويه وأبو منصور الأزهري والدكتور محمد محيسن: معناهما واحد[٩٥٩]. وإلى ذلك ذهب ابن عطية[٩٦٠].

وعلى هذا فلا فرق بين القراءتين في المعنى والله تعالى أعلم.

٦ ـ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ

---

(٩٥٧) انظر: تنوير المقباس ص٥٤٣، وصفوة التفاسير ج٣ ص٣١٩.

(٩٥٨) بحر العلوم ج٣ ص٣٣٥ (بتصرف).

(٩٥٩) انظر: الكشف ج٢ ص٣١٤، والحجة في القراءات ص٣٤٣، ومعاني القراءات ج٣ ص٦٠، والمستنير ج٣ ص١٦٦.

(٩٦٠) انظر: المحرر الوجيز ج٥ ص٢٧٦.

وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوْاْ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰٓ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ [المجادلة: ٩].

القراءات:

١ ـ قرأ رويس (فلا تَنْتَجُون) بتقديم النون على التاء فينطق بتاء مفتوحة فنون ساكنة فتاء مفتوحة فجيم مضمومة.

٢ ـ والباقون ﴿فَلَا تَتَنَٰجَوْاْ﴾ بتاء ونون مفتوحتين وبعدها ألف وفتح الجيم[٩٦١].

المعنى اللغوي للقراءتين:

النَّجو السِّرُّ بَيْنَ اثنين يقال: نَجَوْتُه نَجْواً أي سارَرْته. وقد بيناها في الآية السابقة[٩٦٢].

التفسير:

إذا كان الله ﷻ قد نهى المنافقين واليهود عن النجوى بالإثم والعدوان لما له من ضرر على النفوس والقلوب، وتسببه في إحداث الحزن والألم، فهو أيضاً ينهى المؤمنين عن القيام بفعل ذلك من باب أولى، ثم أمرهم الله ﷻ أن يقصروا تناجيهم على ما كان به طاعة لله تعالى ورسوله ﷺ، وما كان فيه فعل خير، فأمرهم بالبر الذي هو ضد العدوان، وأمرهم بالتقوى الذي يُتَّقَى به من النار من فعل للطاعات وترك للمعاصي. يقول الفخر الرازي: «وأعلم أن القوم متى تناجوا بما هذه صفته يعني التناجي بالخير فقد قلت مناجاتهم، لأن هذا الكلام يستلزم الإظهار وليس التناجي»[٩٦٣].

(٩٦١) انظر: النشر ج٢ ص٢٩٣، والبدور الزاهرة ص٣٩٧.

(٩٦٢) انظر: ص٣١٢.

(٩٦٣) انظر: تفسير الرازي ج١٠ ص٤٩٢.

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

كلتاهما بمعنى واحد، والقول فيهما كالقول في الآية السابقة(٩٦٤).

٧ ـ قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾﴾ [المجادلة: ١٠].

القراءات:

١ ـ قرأ نافع (لِيُحزِنَ) بضم الياء وكسر الزاي.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿لِيَحْزُنَ﴾(٩٦٥).

المعنى اللغوي للقراءتين:

(ليحزن): «الحُزْنُ والحَزَنُ نقِيضُ الفرَح وهو خلاف السُّرور. وللعرب في الحُزْن لغتان إذا فَتَحُوا ثقَّلوا وإذا ضمُّوا خَفَّفُوا يقال: أصابه حَزَنٌ شديد وحُزْنٌ شديد»(٩٦٦).

التفسير:

وتأكيداً لسوء هذا الفعل، يبيّن الله ﷻ بأن هذا الفعل هو من عمل الشيطان ووسوسته وكيده فلا يجدر بالمؤمنين أن يقوموا به. كذلك يبيِّن الله ﷻ بأن كل ما يقوم به الشيطان من مكر وكيد لن يتم إلا بإذن الله تعالى؛ لذلك فإن التوجه للنجاة من هذا الحزن ومن إفرازات هذا الفعل يكون إلى الله تعالى، فهو سبحانه الكافي وهو الحسيب الذي يلجأ إليه العباد، طلباً للنجاة من كل ضيق، ومن كل حزن وكرب. وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ﴾ يعني نجوى المنافقين مع اليهود دون المؤمنين التي هي تقصد

---

(٩٦٤) انظر: ص٣١٢.

(٩٦٥) انظر: غيث النفع ص٥٢١.

(٩٦٦) لسان العرب ج١٣ ص١١١، ١١٢.

وترمي إلى إحزان المؤمنين ﴿مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ أي من طاعة الشيطان وبأمر الشيطان أو من تزيينه لهذا الفعل[٩٦٧].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت القراءة (ليُحزِن) بضم الياء وكسر الزاي على معنى أن الشيطان يسعى من وراء هذا التناجي إلى إحزان الذين آمنوا، فعلى هذا يكون الشيطان هو الفاعل، والمؤمنون مفعول به.

أما القراءة ﴿لِيَحْزُنَ﴾ بفتح الياء وضم الزاي فقد أفادت أن الفاعل هم المؤمنون بمعنى أنهم هم يحزنون بسبب هذا الفعل.

قال محمد طنطاوي: «﴿لِيَحْزُنَ﴾ بفتح الياء وضم الزاي مضارع حزن، فيكون ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ فاعلاً، والحزن: الهم والغم. أي زين الشيطان للمنافقين هذه النجوى السيئة لكي يحزن المؤمنون ويغتموا بسبب ظنهم أن من وراء هذه النجوى أخباراً سيئة تتعلق بهم أو بذويهم.

وقال: (لِيُحْزِنَ) بضم الياء وكسر الزاي، فيكون (الذين آمنوا) مفعولاً. أي فعل الشيطان ما فعل مع المنافقين، لكي يُدخِلَ الحزن والغم على المؤمنين»[٩٦٨]. وقال بمثل ذلك ابن عطية أيضاً[٩٦٩].

ويرى الباحث: أن ما ذهب إليه ابن عاشور بقوله: أنهما لغتان، لا يمنع إيجاد الفرق بينهما نحو الذي ذكرناه والله تعالى أعلم[٩٧٠].

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بينهما يتضح بأن الشيطان هو الذي يُزيِّن للمنافقين،

(٩٦٧) انظر: تفسير مقاتل ج٣ ص٣٣٢، وتنوير المقباس ص٥٤٣.

(٩٦٨) التفسير الوسيط ج١٤ ص٣٣٢.

(٩٦٩) انظر: المحرر الوجيز ج٥ ص٢٧٨.

(٩٧٠) انظر: التحرير والتنوير م١٣ ج٢٧ ص٣٥.

ويشجعهم على القيام بهذا الفعل، وهو النجوى وذلك ليُنْزِل الحزن في قلوب المؤمنين.

٨ ـ **قال تعالى**: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ١١﴾ [المجادلة: ١١].

القراءات:

أ ـ **قوله تعالى**: ﴿فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ﴾

١ ـ قرأ عاصم ﴿فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ﴾ بألف على الجمع.

٢ ـ وقرأ الباقون (في المجْلِس) بغير ألف على التوحيد[٩٧١].

ب ـ **قوله تعالى**: ﴿وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ﴾

١ ـ قرأ المدنيان والشامي وحفص وشعبة بخلف عنه ﴿ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ﴾ بضم الشين.

٢ ـ وقرأ الباقون (انشِزوا فانشِزوا) بكسر الشين، ومن ضم الشين ضم الهمزة ابتداءً ومن كسرها كسر الهمزة ابتداءً[٩٧٢].

المعنى اللغوي للقراءات:

أ ـ **(المجالس)** الجُلوسُ القعود جَلَسَ يَجْلِسُ جلوساً فهو جالس من قوم جُلُوسٍ وجُلاَّس وأَجْلَسَه غيره والجِلْسَةُ الهيئة التي تَجْلِسُ عليها بالكسر. والمجلس موضع الجلوس[٩٧٣].

ب ـ **(انشزوا فانشزوا)** النَشْزُ والنَشَزُ المَتْنُ المرتفعُ من الأرض، وهو

(٩٧١) انظر: التذكرة في القراءات ج٢ ص٧١٦، والنشر ج٢ ص٢٩٣.

(٩٧٢) انظر: البدور الزاهرة ص٣٩٧.

(٩٧٣) انظر: لسان العرب ج٦ ص٣٩.

أيضاً ما ارتفع من الوادي إلى الأرض، وليس بالغليظ والجمع أَنْشَازٌ ونُشُوزٌ، وأَنْشَزَ الشيءَ رفعه عن مكانه، وإنشاز عظم الميت رَفْعُها إلى مواضعها وتركيبُ بعضها على بعض[٩٧٤].

التفسير:

لما نهى الله ﷻ عباده المؤمنين عما يكون سبباً للتباغض والتنافر، وأمرهم بما يصير سبباً لزيادة المحبة والمودة، وهو التوسع في المجالس، بأن يوسع ويفسح بعضهم لبعض وعدم التضايق فيه[٩٧٥].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُوا۟ فَٱنشُزُوا۟﴾ أي وإذا قيل لكم أيها المؤمنون انهضوا من المجالس التي أنتم تجلسون بها، وقوموا لتوسعوا لغيركم فارتفعوا منه، وقوموا طاعة لله تعالى ولرسوله ﷺ، وتقديراً واحتراماً لنفوسكم[٩٧٦].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أولاً: قوله تعالى: ﴿ٱلْمَجَٰلِسِ﴾

أفادت القراءة بالإفراد (المجلس) على إرادة مجلس النبي ﷺ وهو المكان الذي يجلس فيه الرسول ﷺ مع أصحابه.

أما قراءة الجمع (المجالس) فقد جاءت للدلالة على مكان جلوس كل واحد من الجالسين فإذا كان المكان العام الذي يجمع الرسول ﷺ مع صحابته الكرام مجلساً؛ فإن المجالس مكان جلوس كل واحد منهم على حدة. وعلى هذا يكون المراد من الخطاب ومن الأمر أن يجلسوا في مجلس النبي ﷺ متفسحين، كل واحد منهم رضي الله تعالى عنهم يفسح للآخر.

---

(٩٧٤) لسان العرب ج٥ ص٤١٧، ٤١٨.

(٩٧٥) انظر: صفوة التفاسير ج٣ ص٣٢٠، وروائع البيان ص٥٤٣، والتبيان في تفسير غريب القرآن ص٣١٤.

(٩٧٦) انظر: صفوة التفاسير ج٣ ص٣٢٢.

وإذا فسح كل واحد للآخر أصبح المجلس العام وهو مكان جلوسهم جميعاً فسيحاً واسعاً غير ضيق، وأصبحوا هم غير متضايقين فيه. ولعل في هذا إشارة لمراعاة شعور الذين يحبُّون أن يجلسوا عند رسول الله ﷺ ويرونه وجهاً لوجه. فإذا جاء أحدهم فوجد من يفسح له كان ذلك أدباً وخلقاً حسناً، وفي هذا تربية وصقل لنفس المؤمنين؛ ليسع بعضهم بعضاً، ويحترم بعضهم بعضاً، خاصة وأنهم كانوا من شدة حبهم يتضامُّون في مجلسه ﷺ حرصاً منهم، وتنافساً على القرب منه.

قال البغوي: «قراءة (في المجالس) لأن الكل جالس مجلساً، معناه ليتفَسَح كل رجل في مجلسه.

وقراءة (في المجلس) على التوحيد؛ لأن المراد منه مجلس النبي ﷺ»[977]. وأورد الفخر الرازي أن قراءة (المجلس) تدل على التوحيد؛ لأن المراد مجلس النبي ﷺ وهو واحد. أما قراءة الجمع (المجالس) فهي لأن لكل جالس مجلساً على حِدَة أي موضع الجلوس[978]. ويجوز أن يكون المراد بـ (المجالس) أي مجالس العلماء والعلم عموماً. وبـ (المجلس) على التوحيد أي مجلس رسول الله ﷺ خاصة[979].

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بينهما يتبيّن بأن التفسح ضروري ومهم لما له من راحة بدنية ونفسية لدى الجالسين عند رسول الله ﷺ، وإذا أفسح كل واحد وتفسح في مجلسه فإن المجلس ككل سيصبح فسيحاً، وهذا ما عبرت عنه قراءة التوحيد (المجلس) .

ثانياً: قوله تعالى: ﴿ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ﴾

---

(٩٧٧) تفسير البغوي ج٥ ص٢٠٤ (بتصرف).

(٩٧٨) انظر: تفسير الرازي ج١٠ ص٤٩٣.

(٩٧٩) انظر: حجة القراءات ص٧٠٤.

قال الشوكاني: «هما لغتان بمعنىً واحد، يقال: نَشَزَ: أي ارتفع، ينشِز وينشُز كعكف يعكف ويعكف»[٩٨٠]. وقال مثله ابن عادل[٩٨١]. وقال السمرقندي[٩٨٢] وابن عجيبة: هما لغتان[٩٨٣]. وقال أبو منصور أيضاً: «هما لغتان، يقال: نَشَز ينشِز وينشُز إذا نهض»[٩٨٤]. وإلى ذلك ذهب الكثير من علماء القراءات منهم الإمام ابن خالويه[٩٨٥]، وابن زنجلة[٩٨٦]، وأحمد البنا[٩٨٧]. وعلى هذا تكون كلتا القراءتين بمعنى واحد والله أعلم.

٩ ـ **قال تعالى**: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ ﴿١٨﴾﴾ [المجادلة: ١٨].

القراءات:

١ ـ قرأ الشامي وعاصم وحمزة ﴿وَيَحْسَبُونَ﴾ بفتح السين.

٢ ـ وقرأ الباقون (ويَحْسِبُوْنَ) بكسرها[٩٨٨].

المعنى اللغوي للقراءتين:

جاء في المعجم الوسيط: حسب المال ونحوه حِساباً، وحُسْباناً: عدَّه وأحصاه وقدَّره فهو حاسب[٩٨٩]، ومن أسماء الله تعالى الحَسِيبُ وهو الكافي، وهو على وزن فَعِيلٌ بمعنى مُفْعِل من أحْسَبَنِي الشيءُ إذا كَفَاني

---

(٩٨٠) فتح القدير ج٥ ص٢٢٥.
(٩٨١) انظر: اللباب ج١٨ ص٥٤٤.
(٩٨٢) انظر: بحر العلوم ج٣ ص٣٣٧.
(٩٨٣) انظر: البحر المديد ص٣٤٣.
(٩٨٤) معاني القراءات ج٣ ص٦١.
(٩٨٥) انظر: الحجة في القراءات ص٣٤٤.
(٩٨٦) انظر: حجة القراءات ص٧٠٥.
(٩٨٧) انظر: إتحاف فضلاء البشر ج٢ ص٥٢٧.
(٩٨٨) انظر: غيث النفع ص٥٢١.
(٩٨٩) انظر: المعجم الوسيط ص١٧١.

والحَسَبُ الكَرَمُ. والحَسَبُ الشرف الثابتُ في الآباء[990]. وحَسِبَه أي ظَنَّهُ[991].

التفسير:

هذه الآية تبيّن نهاية وعاقبة هؤلاء الذين أشركوا وذلك أن الله تعالى سيحشرهم إليه وسيحاسبهم على ما قدَّموا، ويبيّن الله تعالى مدى تأصل صفة الكذب في قلوب وعقول هؤلاء السفهاء الجاهلين، وذلك بأنهم سيحاولون الكذب كعادتهم التي كانوا عليها في الدنيا، وسيقولون أنهم ما كانوا مشركين إلا أن الله تعالى يقرر ويؤكد أنهم هم الكاذبون المخادعون البالغون حداً في الكذب لم يبلغه غيرهم، فلا يُقْبَلُ لهم عذر. وهذا الكذب لن ينفعهم عند الله تعالى في الآخرة كما كانوا يعتقدون[992].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

قال الرازي: «وحَسِبْتُه صالحاً بالكسر أحْسِبَه بالفتح والكسر مَحْسَبَةً بكسر السين وفتحها وحِسْبَاناً بالكسر ظَنَنْتُه»[993]. وهذا يشير أنَّ كلا القراءتين بمعنى واحد.

ويرى الباحث: أنه لو أمْعَنَّا النظر قليلاً في أسرار نظمها، وسبحنا جميعاً في سعة فضائها، لوجدنا أن هناك ما يشعر بوجود فرق بينهما؛ ومن خلال المعنى اللغوي للكلمة، وأسرار استخدام الحركات، من الممكن أن نصل إلى فرق واضح بينهما.

فمعنى الحسب كما ورد في التعريف هو الظن أو هو العد، والعد يختلف في المعنى عن الظن؛ لأن الظن يطلق على الشك، وقد يطلق أيضاً

---

(990) انظر: لسان العرب ج1 ص310.

(991) انظر تاج العروس ج1 ص210.

(992) انظر: تفسير البحر المديد ج7 ص348.

(993) مختار الصحاح ص85.

على اليقين[994]؛ بينما العد يطلق على الشيء المعتدّ به المحسوب، فهو معلوم وغير ساقط[995]. وإذا علمنا أن الكسرة أقوى من الفتحة في الاستدلال، فيمكن القول بأن القراءة بالكسر جاءت لتؤكد بأن هؤلاء المنافقين كانوا من شدة رعبهم كلما نادى منادٍ، أو وقعت واقعة، ظنّوا أنهم هم المقصودون بذلك؛ لأنهم على وجل من أن يهتك الله أستارهم، ويكشف أسرارهم، فهم يتوقعون الإيقاع بهم ساعة فساعة[996]؛ وهذا الظن كان قوياً لدرجة اليقين، ودلَّ عليه، قوة الرعب الذي كان يصيب قلوبهم، وحركة الكسر التي هي أقوى من الفتح، فجاءت القراءة بالكسر؛ لتشير إلى المعنى المقصود من القراءة بالفتح، والله تعالى أعلم.

١٠ ـ قال تعالى: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾﴾ [المجادلة: ٢١].

القراءات:

١ ـ قرأها المدنيان وابن عامر الشامي (ورُسُلِيَ) بفتح الياء.

٢ ـ وقرأها الباقون ﴿وَرُسُلِيٓ﴾ بإسكان الياء[997].

المعنى اللغوي للقراءتين:

رَاسَلَه في مُرَاسَلَةً فهو مُرَاسِلٌ ورَسِيلٌ وأرْسَله في رِسَالة فهو مُرْسَلٌ ورَسُولٌ والجَمْع رُسْلٌ ورُسُلٌ، وقد ورد بيانها عند تفسير سورة الحديد[998].

---

(٩٩٤) انظر: المصباح المنير ص٢٣٠.

(٩٩٥) انظر: المصدر السابق ص٢٣٦.

(٩٩٦) انظر تفسير الرازي ج١٠ ص٥٤٧.

(٩٩٧) انظر: النشر ج٢ ص٢٩٣، والبدور الزاهرة ص٣٩٨.

(٩٩٨) انظر: ص٢٩٦.

التفسير:

عند قرب نهاية السورة يقول الله ﷻ كلمة الفصل ويحسم الموقف حسماً أبدياً خالداً بأن الغلبة والعزة سيكونان لله تعالى ورسله، ولدين الله تعالى وللرسل وللمؤمنين.

قال سيد قطب: «وهذا وعد الله الصادق الذي كان والذي لا بد أن يكون على الرغم مما قد يبدوا أحياناً من الظاهر الذي يخالف هذا الوعد الصادق. فالذي وقع بالفعل أن الإيمان والتوحيد قد غلبا على الكفر والشرك واستقر توحيد الله تعالى في هذه الأرض؛ ودانت له البشرية بعد كل ما وقف في طريقه من عقبات الشرك والوثنية ... والمؤمن يتعامل مع وعد الله تعالى على أنه الحقيقة الواقعة. فإذا كان الواقع الصغير في جيل محدود أو في رقعة محدودة يخالف تلك الحقيقة، فهذا الواقع هو الباطل الزائل الذي يوجد فترة في الأرض لحكمةٍ خاصة لعلها استجاشة الإيمان وإهاجته لتحقيق وعد الله تعالى في وقته المرسوم»[٩٩٩].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت القراءة بسكون الياء على معنى أن الله تعالى ورسلَهُ الشرفاء سينتصرون على المعاندين المتحدِّين لقدرته وسيغلبونهم.

أما القراءة بفتح الياء فقد جاءت منسجمة مع القوة اللازمة للنصر فالحديث هنا عن القوة التي تؤدي إلى النصر وحركة الفتح أقوى من السكون فجاءت مفتوحة قوية؛ لتنسجم مع حال الآية. فإن الله تعالى سينتصر عليهم بقوته وقوة رسله وصبرهم وجهادهم. وقوة رسله صلى الله عليهم وسلم لها وزن في المعادلة؛ لأن الله تعالى سَيَّرَ هذا الكون بالأسباب؛ وقوة الرسل سيكون لها دور كبير في حسم المعركة. وقد جاءت مفتوحة أيضاً

(٩٩٩) الظلال ج٦ ص٣٥١٤ (بتصرف).

لتناسب فتحة كلمة (أنَاْ) كَلَوْن من ألوان النسق والجمال القرآني في استخدام الحركات والألفاظ القرآنية.

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بينهما يظهر بأن الله تعالى سينتصر هو ورسله على المعاندين المكذبين وسيكون لرسله قوة وتأثير في صنع النصر والله تعالى أعلى وأعلم.

تمت سورة المجادلة بحمد الله تعالى وتوفيقه.



المبحث الرابع
عرض وتفسير لآيات سورة الحشر
المتضمنة للقراءات القرآنية العشر

بين يدي السورة:

هذه السورة هي سورة مدنية وآياتها أربع وعشرون آية نزلت في يهود بني النضير الذين نقضوا العهد مع رسول الله ﷺ ودبَّروا لاغتياله، وذلك في السنة الرابعة من الهجرة الشريفة؛ لذلك سمَّاها ابن عباس رضي الله تعالى عنهما بسورة بني النضير، فعاد رسول الله ﷺ من عندهم، وأعلن التجهيز لحربهم، وأمهلهم ثلاثة أيام للجلاء عن المدينة المنورة، إلا أنهم تحصَّنوا في حصونهم ما يزيد على العشرين يوماً؛ لكنهم استسلموا في النهاية ووافقوا على الجلاء(١٠٠٠).

مناسبتها لما قبلها:

في كلا السورتين أخبرنا الله تعالى بقوته وغلبته على الكافرين ونصره للمؤمنين عليهم، وكذلك ذكر في آخر المجادلة الذين يحادُّون الله تعالى ورسوله، وفي أول الحشر ذكر الله تعالى من شاقَّ الله تعالى ورسوله ﷺ، وفي المجادلة ذكر الله تعالى المنافقين وولاءهم لليهود، وفي سورة الحشر

(١٠٠٠) انظر: الجامع لأحكام القرآن ج٩ ص٣٥٦، والظلال ج٦ ص٣٥١٨، ٣٥١٩.

يبيِّن الله تعالى أن هذا الولاء لا يغني عن اليهود شيئاً لأنهم لم ينفعوهم في محنتهم وحربهم[1001].

الموضوع العام للسورة:

المحور العام لهذه السورة هو الحديث عن غزوة بني النضير وذلك من خلال ثلاثة مواضيع مهمة وهي:

الأول: ابتدأت السورة بتنزيه الله تعالى وتمجيده وذكر بعض آثار قدرته ومظاهر عزته وذلك بإجلاء بني النضير الذين كانوا يتحصنون في حصون عظيمة إلا أن الله تعالى بقدرته هزمهم وأخرجهم صاغرين، ثم تحدثت السورة عن موضوع الغنائم الذي ترتب على خروجهم من بيوتهم وديارهم، وأوضحت شروطه وأحكامه وبيَّنت حكمة تخصيصه للفقراء.

الثاني: تناولت السورة ذكر صنفين من سكان المدينة المنورة الأول: وهم أصحاب الرسول ﷺ، وذكرت السورة مآثرهم وأثنت عليهم ثناءً حسناً، الثاني: ذكرت مقابل ذلك المنافقين الأشرار الذين تحالفوا مع اليهود ضد دعوة الإسلام وأهله، وأوضحت موقفهم المخزي الجبان؛ لأنهم **أولاً**: تحالفوا معهم، **وثانياً**: لم ينفعوهم ولم ينصروهم، مثلهم بذلك مثل الشيطان الذي يغوي الناس ثم يتبرأ منهم.

الثالث: تذكير وتحذير للمؤمنين من الوقوع فيما وقع فيه أولئك المنافقون ولفت عنايتهم إلى عظمة هذا القرآن الكريم وبيان فضله[1002].

١ - قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مِن دِيَـٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى

(١٠٠١) انظر: روح المعاني ج١٤ ص٢٣٢.

(١٠٠٢) انظر: صفوة التفاسير ج٣ ص٣٢٧، ٣٢٨.

ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَـٰرِ ﴿٢﴾﴾ [الحشر: ٢].

القراءات:

أ ـ قوله تعالى: ﴿فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ﴾

١ ـ قرأ الشامي والكسائي وأبو جعفر ويعقوب (الرُّعُب) بضم العين.

٢ ـ وقرأها الباقون ﴿ٱلرُّعْبَ﴾ بإسكان العين(١٠٠٣).

ب ـ قوله تعالى: ﴿يُخْرِبُونَ﴾

١ ـ قرأ أبو عمرو (يُخَرِّبون) بفتح الخاء وتشديد الراء.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿يُخْرِبُونَ﴾ بإسكان الخاء وتخفيف الراء(١٠٠٤).

ج ـ قوله تعالى: ﴿بُيُوتَهُم﴾

١ ـ قرأ ورش والبصري وحفص ﴿بُيُوتَهُمْ﴾ بضم الباء.

٢ ـ وقرأ الباقون (بِيُوْتهم) بكسر الباء(١٠٠٥).

المعنى اللغوي للقراءات:

أ ـ **(الرعب)** الرُّعْبُ والرُّعُبُ الفَزَع والخَوْفُ رَعَبَه يَرْعَبُه رُعْباً وَرُعُباً فهو مَرْعُبٌ ورَعِيبٌ أفْزَعَه، ولا تقل أرْعَبَه ورَعَّبَه تَرْعِباً وتَرْعَاباً فَرَعَبَ رُعْباً وارْتَعَبَ فهو مُرَعَّبٌ ومُرْتَعِبٌ أي فَزِعٌ(١٠٠٦).

ب ـ **(يخربون)** الخَرابُ ضِدُّ العُمْرانِ والجمع أخْرِبَةٌ وخَرِبَ خَرَباً فهو خَرِبٌ وأخْرَبَه وخَرَّبه والخَرْبَةُ موضع الخَرَابِ والجمع خَرِبَاتٌ(١٠٠٧).

(١٠٠٣) انظر: البدور الزاهرة ص٣٩٩، والشامل في القراءات المتواترة ص٢٦٣.

(١٠٠٤) انظر: التذكرة في القراءات ج٢ ص٧١٧، والنشر ج٢ ص٢٩٣.

(١٠٠٥) انظر: غيث النفع ص٥٢٣.

(١٠٠٦) انظر: لسان العرب ج١ ص٤٢٠.

(١٠٠٧) انظر: لسان العرب ج١ ص٣٤٧.

ويخرِّبون بالتشديد يعني يهدمون، وبالتخفيف يخرجون منها ويتركونها[١٠٠٨].

ج - (**بيوتهم**) البيت من الشَّعَر ما زاد على طريقةٍ واحدةٍ، يقع على الصغير والكبير؛ وقد يقال للمبنيّ من غير الأبنية التي هي الأخبِيَةُ بيتٌ؛ والخِبَاءُ بيتٌ صغير من صوف أو شعر، فإذا كان أكبر من الخِباء، فهو بيتٌ، ثم مِظَلَة إذا كبرت عن البيت، وهي تسمى بيتاً أيضاً إذا كان ضخماً مُرَوَّقاً[١٠٠٩].

التفسير:

الله ﷻ هو الذي أخرج الذين جحدوا نبوة محمد ﷺ، وأنكروا رسالته من أهل الكتاب، وهم يهود بني النضير حيث أخرجهم من ديارهم، وكان ذلك حينما غزاهم النبي ﷺ، فاستسلموا بعد حصارهم وقبلوا النزول لأمر رسول الله ﷺ على أن يؤمنهم على دمائهم ونسائهم وذراريهم، وعلى أن لهم ما أقلت الإبل من أموالهم، ويخلوا له دورهم، وسائر أموالهم، فأجابهم رسول الله ﷺ إلى ذلك، فخرجوا من ديارهم، فمنهم من خرج إلى الشام، ومنهم من خرج إلى خيبر، فذلك قول الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ﴾[١٠١٠]. وقوله تعالى: ﴿لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ﴾ أي أن هذا الخروج هو أول حشرهم إلى الشام أي أول ما حُشِروا وأخرجوا ودلَّ بلفظ (أوّل) على أنهم لم يصبهم جلاء قبله[١٠١١]. وقوله تعالى: ﴿وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ﴾ أي: وألقى في قلوب بني النضير الخوف الشديد، مما أضعف قوتهم، وسلبهم الأمن والطمأنينة، فكانت نتيجة هذا الرعب أنهم استسلموا ونزلوا على حكم رسول الله ﷺ[١٠١٢].

(١٠٠٨) تاج العروس ج١ ص٥٢٩.

(١٠٠٩) انظر: لسان العرب ج٢ ص١٤.

(١٠١٠) انظر: جامع البيان ج١٠ ص٧٩٥٣.

(١٠١١) انظر: روح المعاني ج١٤ ص٢٣٤.

(١٠١٢) انظر: صفوة التفاسير ج٣ ص٣٣٠.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أولاً: قوله تعالى: ﴿ٱلرُّعْبَ﴾

قال الدكتور محمد محيسن: «هما لغتان»(١٠١٣).

وهذا صحيح ولكنه لا يمنع أن يكون هناك فرق بينهما، فلو نظرنا لوجدنا أن قراءة (الرُعُب) فيها زيادة حركة الضم على حرف العين والزيادة في المبنى زيادة في المعنى وقد ذكرنا ذلك سابقاً في عدد من المرات؛ فكيف لو كانت الزيادة بحركة هي من أقوى الحركات وهي الضم، وبضم العين يصبح عندنا ضمتان متلاحقتان مما يزيد في القوة في التعبير ويعبر عن المبالغة في الوصف لبيان شدة وقوة الرعب الذي ألقاه الله تعالى في قلوبهم، والدليل على قوة هذا الرعب هي النتيجة، فهم من شدة رعبهم استسلموا للنبي ﷺ بعد أن كانوا يتحصّنون بحصون منيعة ومتينة والله تعالى أعلم.

الجمع بين القراءتين:

يظهر لنا بعد الجمع بيان مدى قوة الرعب الذي ألقاه الله تعالى في قلوبهم، لدرجة دفعهم بها إلى الاستسلام والنزول لأمر رسول الله ﷺ، والخروج من ديارهم.

ثانياً: قوله تعالى: ﴿يُخْرِبُونَ﴾

ذهب عدد من علماء التفسير والقراءات إلى أن المعنى في كلا القراءتين واحد.

فقال البغوي: «قرأ أبو عمر بالتشديد والآخرون بالتخفيف ومعناهما واحد»(١٠١٤)، وإلى ذلك ذهب. وقال الكرماني: «وهما سواء مثل فَرَّحْتُهُ

(١٠١٣) المستنير ج٣ ص١٧١.

(١٠١٤) تفسير البغوي ج٥ ص٢١٠.

وأَفْرَخْتُهُ»[(١٠١٥)].

وذهب آخرون إلى وجود فرق بين القراءتين: وممن ذهب إلى ذلك ابن جرير الطبري وغيره، قال ابن جرير الطبري: «بتخفيف الراء يعني يخرجون منها ويتركونها معطلة خراباً، وبالتشديد في الراء بمعنى يهَدِّمون بيوتهم»[(١٠١٦)]. وقال ابن خالويه: «فالحجة لمن خفف أنه أراد يرحلون ويخلونها، تقول العرب: أخرَبْنا المنزل إذا هم ارتحلوا عنه وإن كان صحيحاً. والحجة لمن شدد أنه أراد يهدمونها وينقضونها، تقول العرب: خرَّبنا المنزل إذا هم هدموه وإن كانوا فيه مقيمين»[(١٠١٧)].

ويرى الباحث: أن المعنى على قراءة التخفيف يكون فراغها وذلك أنهم يخرجون منها ويتركونها معطلة، وخرابها بفعل غيرهم وهي نتيجة ما قاموا به. أما القراءة بالتشديد، فهي بمعنى أنهم يهدمونها ويخربونها بأيديهم.

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بينهما، نعلم أنهم تركوا بيوتهم وليس ذلك فحسب، بل قاموا بتهديمها حسداً منهم حتى لا يستفيد منها المسلمون، وطمعاً في أخذ ما ينتفعون به من الأبواب وغيره. قال الفخر الرازي: «وكانوا ينظرون إلى الخشبة في منازلهم مما يستحسنونه أو الباب فيهدمون بيوتهم»[(١٠١٨)].

ثالثاً: قوله تعالى: ﴿بُيُوتَهُمْ﴾

قال الرازي: «جمع البيت بُيُوت وأبْيَات وأبَابِيْت. وقال: وتصغيره بُيَيْت وبِيِيت بضم أوله وكسره»[(١٠١٩)].

(١٠١٥) مفاتيح الأغاني ص٣٩٧.

(١٠١٦) جامع البيان ج١٠ ص٧٩٥٦ (بتصرف).

(١٠١٧) الحجة في القراءات السبع ص٣٤٤.

(١٠١٨) تفسير الرازي ج١٠ ص٥٠٣.

(١٠١٩) انظر: مختار الصحاح ص٤٩.

وهذا يشير إلى أن كلا القراءتين بمعنى واحد، إلا أننا لو نظرنا إلى حركة الضم على الباء في قوله تعالى: ﴿بُيُوتَهُم﴾ لوجدنا أن لها عملاً يحتمل أن تقوم به غير ما تقوم به حركة الكسر، وعليه فإن القراءة بالكسر اكتفت بالدلالة على المكان الذي خرَّبوه، وهو البيوت، بينما دلت القراءة بالضم على قوة ومتانة وحصانة هذه البيوت التي قاموا بتدميرها، ودليل ذلك استحسان اليهود لمحتوياتها، وركائز بنائها، فقاموا بالعمل على أخذ ما يستطيعون، وكذلك الحسد الذي وجدوه في أنفسهم من ترك هذه البيوت للمسلمين، يشير إلى ماهيتها بحيث أنهم استكثروها على المسلمين والله تعالى أعلم.

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين، يمكننا أن نرسم صورة لهذه البيوت التي تركها اليهود، وخرجوا منها، فهي بيوت متينة وقوية ببنائها وقيمتها، وبمضمونها وشكلها، والله تعالى أعلم.

٢ ـ **قال تعالى:** ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٧﴾ [الحشر: ٧].

القراءات:

١ ـ قرأ أبو جعفر وهشام بخلف عنه (تَكُون) بتاء التأنيث و(دولةٌ) برفع التاء.

٢ ـ وقرأ هشام (يَكُون) بالتذكير و(دولةٌ) بالرفع.

٣ ـ وقرأها الباقون ﴿يَكُونَ﴾ بياء التذكير و﴿دُولَةً﴾ بالنصب[١٠٢٠].

(١٠٢٠) انظر: الشامل في القراءات ص٢٦٣، والنشر ج٢ ص٢٩٣، والبدور الزاهرة ص٣٩٩.

المعنى اللغوي للقراءات:

أ ـ (يكون) تأتي للدلالة على ما مضى من الزمان كذلك للدلالة على حدوث الشيء ووقوعه وقد مضى بيانها عند تفسير سورة الحديد(١٠٢١).

ب ـ (دولة) الدَوْلَةُ في الحرب أن تُدَالَ إحدى الفئتين على الأخرى. يقال: كانت لنا عليهم الدَوْلَةُ، والجمع الدِوَلُ. والدُولَةُ بالضم في المال يقال: صار الفيءُ دُولةً بينهم يَتَداوَلُونَه، يكون مرَّة لهذا ومرَّة لهذا والجمع دُولاتٌ ودُوَلٌ(١٠٢٢).

التفسير:

تأتي هذه الآية والتي قبلها تعقيباً على ما حدث لبني النضير لتعلِّم المسلمين وتخبرهم بكيفية توزيع مثل هذه الأموال سواء مثل ما حدث لبني النضير أو في سائر القرى التي تفتح هكذا بدون قتال. قال الصابوني: «وقوله تعالى: ﴿فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ فحكمها أنها لله تعالى يضعها حيث يشاء، ولرسوله ﷺ يصرفها على نفسه وعلى مصالح المسلمين.

وقوله تعالى: ﴿وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ﴾ أي ولأقرباء الرسول من بني هاشم وعبد المطلب، ولليتامى الذين مات آباؤهم، وللمساكين ذوي الحاجة والفقر. وقوله تعالى ﴿وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ أي وللغريب المنقطع في سفره»(١٠٢٣).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

ذكر مكي القيسي: أن القراءة بالتاء (تكون) ورفع (دولةٌ) جعل كان تامّة بمعنى وقع وحدث تامة لا تحتاج إلى خبر فرفع الدولة بها. وأتى بالتاء

(١٠٢١) انظر: ص٢٨٤.

(١٠٢٢) انظر: الصحاح في اللغة ص٣٣٣.

(١٠٢٣) صفوة التفاسير ج٣ ص٣٣١.

لتأنيث لفظ الدولة. والقراءة بالياء ورفع دولة وتذكير الفعل لأن تأنيث الدولة غير حقيقي، فهو مؤنث مجازي، أما القراءة بالياء (يكون) ونصب الدولة (دولةً) جعلوا كان ناقصة تحتاج إلى اسم وخبر فأضمروا فيها اسمها ونصبوا دولة على خبرها وأتوا بالياء لتذكير اسم كان المضمر فيها، والتقدير: كي لا يكون الفيءُ دُولَةً و(لا) في (كيلا) غير زائدة في القراءتين[١٠٢٤].

وقال أبو منصور: «والدُّولة: اسم المال الذي يُتَدَاول فيكون مرة لهؤلاء ومرة لهؤلاء.

وأما الدَّولة فإنها تكون في الحروب وانتقال من حال إلى حال»[١٠٢٥].

يقول الباحث: وعلى هذا فتأنيث دولة على أنها هي الحال وهي الإنتقال من حال إلى حال في الحروب فالتأنيث حقيقي. قال ابن عاشور: «(تكون) بمثناة فوقية جرياً على تأنيث فاعله»[١٠٢٦].

وتذكيرها على معنى أنها هي المال أو الفيء على القراءة بالضم، والفيء مذكر فناسب التذكير. والمعنى في (تكون) و(يكون) واحد والاختلاف في الإعراب فقط.

أما (دولةٌ) بالضم فهو اسم للمال. و(دولةً) بالفتح فهي الحال التي تتداول وتكون في الحروب وهي الحال السارَّة للإنسان، فيقال هذه دولة فلان أي تداوله[١٠٢٧].

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين يتضح أن الله تعالى نهى أن يكون المال الذي أفاء الله به على نبيه ﷺ، وما يتبعه من حال جيدة ومكانة مرموقة، نهى أن

(١٠٢٤) انظر: الكشف ج٢ ص٣١٦.

(١٠٢٥) معاني القراءات ج٣ ص٦٤.

(١٠٢٦) التحرير والتنوير م١٣ ج٢٧ ص٨٦.

(١٠٢٧) انظر: تفسير الرازي ج١٠ ص٥٠٧.

يكونا حكراً على الأغنياء دون غيرهم من أصحاب الحقوق مثل ذوي القربى والمساكين واليتامى وكافة المذكورين في هذه الآية والله تعالى أعلم.

٣ ـ قال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾﴾ [الحشر: ٨].

القراءات:

١ ـ قرأ شعبة (ورُضوَاناً) بضم الراء.

٢ ـ وقرأها الباقون ﴿وَرِضْوَٰنًا﴾ بالكسر(١٠٢٨).

المعنى اللغوي للقراءتين:

رضيَ يَرْضى رِضيً ورِضَاءً بالمد أيضاً. والرضى ضد السخط. وقد مضى بيانها عند تفسير سورة الفتح(١٠٢٩).

التفسير:

جاءت هذه الآية تعقيباً على الآية السابقة وتفصيلاً لها. بمعنى أن الأموال التي ذكرت وبيَّن الله تعالى كيف يتم تقسيمها، ومنع الله تعالى أن تكون دولة بين الأغنياء؛ فهي كذلك حتى يكون للفقراء المهاجرين نصيب من هذه القسمة. قال الطبري: «كي لا يكون ما أفاء الله تعالى على رسوله ﷺ دُولة بين الأغنياء منكم، ولكن يكون للفقراء المهاجرين. وقِيل: عُنيَ بالمهاجرين مهاجرة قريش»(١٠٣٠). وجاء في تنوير المقباس أخرجهم أهل مكة وكانوا نحو مائة رجل(١٠٣١).

(١٠٢٨) انظر: غيث النفع ص٥٢٣، الشامل في القراءات ص٢٦٣.
(١٠٢٩) انظر: ص٤٣.
(١٠٣٠) جامع البيان ج١٠ ص٧٩٦٧.
(١٠٣١) انظر: تنوير المقباس ص٥٤٦.

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت القراءة الكسر (ورِضْوَاناً) على معنى أنهم يرجون من الله تعالى أن يرضى عنهم ويدخلهم الجنة، ولا يسخط أبداً، أما القراءة بالضم (ورُضْوَاناً) فهي على المبالغة، وهي طلب الزيادة في النعم بجميع أصنافها داخل الجنة. وقد مر بيانها وتفصيلها عند تفسير سورة الفتح(١٠٣٢).

٤ ـ قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾ [الحشر: ١٠].

القراءات:

١ ـ قرأ نافع ومكي والشامي وحفص ﴿رَءُوفٞ﴾ بواو ساكنة بعد الهمز.

٢ ـ وقرأ الباقون (رؤف) بدون واو(١٠٣٣).

المعنى اللغوي للقراءتين:

الرأفة أشد الرحمة وقد رؤف به بالضم رأفة ورآفة(١٠٣٤). وقد مضى بيانها عند تفسير سورة الحديد(١٠٣٥).

التفسير:

تذكر هذه الآية صنفاً آخر من أصناف وطبقات المسلمين التي تستحق أن يصرف عليها من الأموال التي جاءت بالطريق المذكورة، وهي التي أخذت عنوة بغير قتال.

(١٠٣٢) انظر: ص٤٦.

(١٠٣٣) انظر: غيث النفع ص٥٢٣، وإتحاف فضلاء البشر ج٢ ص٥٣٠.

(١٠٣٤) انظر: مختار الصحاح ص١٣٣.

(١٠٣٥) انظر: ص٢٩٩.

قال الصابوني: «هذا هو الصنف الثالث المستحق للإحسان والفضل، وهم التابعون لهم بالإحسان إلى يوم القيامة»[1036].

وقوله: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ هذه الآية تذكر وتشير إلى جماعة من المؤمنين ووصْفِهِم بالسبق بالإيمان اعترافاً بفضلهم، لأن إخوة الدين عندهم أعز وأشرف من النسب[1037]. وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أي خافوا على أنفسهم أن يقع في قلوبهم الحسد لِسَبْق ما أعطى النبي ﷺ المهاجرين الأولين دونهم فدعوا بهذه الدعوات[1038].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت القراءة بدون واو على معنى أن الله تعالى يرأف بعباده وهو رحيم بهم.

أما القراءة بزيادة الواو فهي تدل على المبالغة في الرأفة والرحمة.

قال الصابوني: «قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ أي مبالغ في الرأفة والرحمة»[1039].

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بينهما يخبرنا الله تعالى عن عظيم رأفته، وواسع رحمته ﷻ، فإن رحمة الله تعالى لا تحدها حدود، ولا تقف عند زمان أو مكان، فهي عامة، فالله ﷻ أرحم من الأم على طفلها، أو رضيعها.

٥ ـ **قال تعالى**: ﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ

(١٠٣٦) صفوة التفاسير ج٣ ص٣٣٢.

(١٠٣٧) انظر: تفسير أبو السعود ج٦ ص٢٢٩.

(١٠٣٨) انظر: تنوير المقباس ص٥٤٦.

(١٠٣٩) صفوة التفاسير ج٣ ص٣٣٣.

بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ [الحشر: ١٤].

القراءات:

أ ـ قوله تعالى: ﴿جُدُرٍ﴾

١ ـ قرأ ابن كثير وأبو عمرو (جِدَار) بكسر الجيم وفتح الدال وألف بعدها.

٢ ـ وقرأها الباقون ﴿جُدُرٍ﴾ بضم الجيم والدال(١٠٤٠).

ب ـ قوله تعالى: ﴿تَحْسَبُهُمْ﴾

تم بيانها وإيضاحها تماماً عند تفسير سورة المجادلة(١٠٤١).

المعنى اللغوي للقراءات:

أ ـ (جدر) الجَدْرُ والجِدارُ: الحائط. وجمع الجِدارِ جُدُرٌ، وجمع الجَدْرِ جُدْرَانٌ(١٠٤٢).

ب ـ (تحسبهم) الحسيب هو الله تعالى وهو الكافي. والحَسَب الشرف. ويحسب بمعنى يظنّ. وقد ورد بيانها عند تفسير سورة المجادلة(١٠٤٣).

التفسير:

تأتي هذه الآية في سياق عرض صفات ونفسية اليهود في القتال والحرب، فأخبرنا الله تعالى أن هؤلاء القوم كما قال ابن كثير في تفسيره

(١٠٤٠) انظر: مفاتيح الأغاني ص٣٩٧، والنشر ج٢ ص٢٩٤، والتجريد لبغية المريد في القراءات السبع ص٣١٩.

(١٠٤١) انظر: ص٣٢٠.

(١٠٤٢) انظر: الصحاح في اللغة ص١٣٦.

(١٠٤٣) انظر: ص٣٢٠.

للآية: إنهم من جبنهم وهلعهم لا يقدرون على مواجهة جيش الإسلام بالمبارزة والمقاتلة، بل إمَّا في حصون، أو من وراء جدر محاصرين فيقاتلون للدفع عنهم ضرورة. وقوله تعالى: ﴿بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ﴾ أي عداوتهم فيما بينهم شديدة[1044]. وقوله تعالى: ﴿وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾ أي أهواؤهم متفرقة فيما بينهم. وقوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا﴾ أي: مثل يهود بني النضير كمثل اليهود الآخرين وهم بنو قينقاع الذين غزاهم الرسول ﷺ وأجلاهم قبل غزوة بني النضير[1045].

ويجوز أن يكون المقصود بالذين من قبلهم: هم كفار أهل مكة وما وقع لهم من الهزيمة والأسر. قال البيضاوي: «مثل اليهود كمثل أهل بدر أو بني قينقاع إن صحَّ أنهم أُخرِجوا قبل النضير»[1046].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

(جدر) يجوز أن يكون أتى بالواحد والمراد الجمع؛ لأن المعنى يدلّ على الجمع، إذ لا يكون كلهم وراء جدار واحد. وقيل: الجدار في هذه القراءة يراد به السور، والسور واحد يعم جميعهم ويسترهم.

أما القراءة بالجمع فهي على معنى أن كل فرقة منهم وراء جدار، فهي جُدُر كثيرة يستترون بها في القتال، فجمع على هذا المعنى لكثرة الجدران التي يستترون خلفها[1047].

وقال إسماعيل الحنفي عن قراءة (جدار): لأنه أريد به الجنس فيكون في معنى الجمع، أو لأن المراد السور الجامع للجدر والحيطان[1048].

(١٠٤٤) انظر: تفسير القرآن العظيم ج٤ ص٣٦٤.

(١٠٤٥) انظر: روائع البيان ص٥٤٧.

(١٠٤٦) انظر: تفسير البيضاوي ج٥ ص٣٢٢.

(١٠٤٧) انظر: الكشف ج٢ ص٣١٦، ٣١٧.

(١٠٤٨) انظر: حاشية القونوي على تفسير الإمام البيضاوي ج١٩ ص٢٦ / دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان - ط١ - ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

ويرى الباحث: أنه يجوز أن يكون المقصود بالجدار هو السور الذي يبنونه حول مدينتهم ويتحصنون به. أو أن يكون المقصود بالجدار ما يستترون به من البناء داخل المدينة.

أما القراءة بـ (جدر) على الجمع فهي لبيان أن لديهم جُدُرَاً وتحصينات عديدة يتحصنون بها ويتنقلون من خلالها. وفي هذا بيان مدى حرصهم على سلامة حياتهم وهذا حاصل ومُشَاهَد.

الجمع بين القراءتين:

وبعد الجمع بين القراءتين يظهر لنا الله تعالى نفسية هؤلاء القوم الذين يتمسكون بالحياة ويحرصون عليها حرصاً شديداً فهم يبنون الحصون والجدر يبنون حول مدينتهم سوراً حصيناً ويبنون داخل المدينة أسواراً وجدراً متعددة لتحميهم وليحاربوا ويقاتلوا من خلالها.

٦ ـ قال تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾﴾ [الحشر: ١٦].

القراءات:

١ ـ قرأ حمزة وهشام (بريّ) بالإدغام وقفاً.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿بَرِيٓءٌ﴾ بالهمز[١٠٤٩].

المعنى اللغوي للقراءتين:

برأ منه ومن الدَّين والعيب، من باب سلم، وبرئ من المرض بالكسر بُرءاً بالضم، وعند أهل الحجاز: بَرَأَ من المرض من باب قطع. وقال: وأبرأه من الدين وبرأه تبرئة وتبرأ من كذا فهو براء منه بالفتح والمد لا يثنى ولا يجمع لأنه مصدر كالسماع[١٠٥٠].

(١٠٤٩) انظر: البدور الزاهرة ص٤٠٠.

(١٠٥٠) انظر: مختار الصحاح ص٣٦.

التفسير:

يبيّن الله تعالى أن هذه الإغراءات التي وعد بها المنافقون لإغراء اليهود على القتال والوعود التي قطعها المنافقون على أنفسهم بنصرة اليهود، لم تكن إلا كذباً وخداعاً، ومثلهم في ذلك كمثل الشيطان الذي يغوي الإنسان ويأمره بالكفر ثم يتبرأ منه.

وهذا مثلٌ، مثله الله تعالى للمنافقين الذين أغووا يهود بني النضير ثم خذلوهم بعد ذلك بالشيطان الذي يُغوي ابن آدم ثم يتبرأ منه، والمراد بالشيطان والإنسان هنا الجنس، أي جميع الشياطين، وجميع الناس[١٠٥١].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

إن القراءة بدون همز ولا مد (بري) دلَّت على أن الشيطان يتبرأ من الكفار والذين أطاعوه وعصوا الله تعالى.

أما القراءة بالمد مع الهمز (بريء) فدلَّت على أن الشيطان يبالغ في التخلي والتبرئة من هؤلاء فكأنه يقول لهم إني بريء منكم براءة تامة مؤكدة أبدية، وكيف لا؟ وهو يعلم علم اليقين عاقبة فعله بإغوائهم، وعاقبة فعلهم بسبب معصيتهم لله تعالى، فيتبرأ ولكن هذا التبرؤ بالتأكيد لا يعفيه من العقاب.

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بينهما يظهر لنا شدة مكر هذا الشيطان الذي يوقع الإنسان في الكفر، ثم يتبرأ منه براءة تامة ويتخلى عنه تخلياً كاملاً، شماتةً ببني آدم، ومحاولة للتهرب من ما سيحل بمن يفعل مثل فعلهم من العقاب والنكال.

تمت سورة الحشر بحمد الله تعالى وتوفيقه.

(١٠٥١) التسهيل لعلوم التنزيل ج٤ ص١١٠.

الفصل الرابع
تفسير القرآن الكريم بالقراءات القرآنية العشر
من خلال سور الممتحنة ـ الصف ـ المنافقون

المبحث الأول: عرض وتفسير لآيات سورة الممتحنة المتضمنة للقراءات العشر.

المبحث الثاني: عرض وتفسير لآيات سورة الصف المتضمنة للقراءات العشر.

المبحث الثالث: عرض وتفسير لآيات سورة المنافقون المتضمنة للقراءات العشر.



المبحث الأول
عرض وتفسير لآيات سورة الممتحنة
المتضمنة للقراءات القرآنية العشر

بين يدي السورة:

هذه السورة هي سورة مدنية، وآياتها ثلاث عشرة آية، والممتحِنة بكسر الحاء أي المختَبِرة وهي صفة للسورة، وبفتح الحاء إضافتها إلى المرأة التي نزلت فيها السورة، وهي أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، التي جاءت مهاجرة لرسول الله ﷺ، وتاركةً زوجها عمرو بن العاص ومعها أخواها عِمارة والوليد، فرد رسول الله ﷺ أخويها وحبسها، فقالوا لرسول الله ﷺ: ردها لنا للشرط فقال لهم رسول الله ﷺ: كان الشرط في الرجال لا في النساء فأنزل الله تعالى الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ﴾(١٠٥٢).

مناسبتها لما قبلها:

لما ذكر الله تعالى في السورة السابقة موالاة المنافقين للذين كفروا من أهل الكتاب، ذكر في هذه نهي المؤمنين عن اتخاذ الكافرين أولياء حتى لا

(١٠٥٢) انظر: تفسير الجامع لأحكام القرآن ج٩ ص٣٨٨ ـ ٣٩٥، وصفوة التفاسير ج٣ ص٣٣٩.

يكون حالهم كحال المنافقين(١٠٥٣).

الموضوع العام للسورة:

تتحدث هذه السورة الكريمة عن موضوع مهم ومركزي وهو الحب في الله تعالى والبغض فيه سبحانه، وتمحور هذا الحديث عبر عدد من النقاط وهي:

الأول: تناولت هذه السورة الكريمة موضوع الولاء والبراء، وابتدأت بالتحذير من موالاة أعداء الله تعالى، وبيّنت حكم موالاتهم، وضربت على ذلك أمثلة للبراءة من المشركين، مثل: قصة إبراهيم عليه السلام، وتحدثت أيضاً عن حكم الذين لم يقاتلوا المسلمين، وحكم الذين آذوهم، وحكم المؤمنات المهاجرات من ديار الكفر إلى دولة الإسلام في المدينة المنورة، وضرورة امتحانهن للتأكد من صدقهن.

الثاني: أشارت السورة إلى أن القرابة والنسب والصداقة في هذه الحياة الدنيا، لا تنفع الإنسان أبداً يوم القيامة، حيث لا ينفع يومئذ إلا العمل الصالح(١٠٥٤).

١ ـ **قال تعالى:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ۝١﴾ [الممتحنة: ١].

القراءات:

١ ـ قرأ نافع (وأنا) بإثبات الألف وصلاً ووقفاً.

(١٠٥٣) انظر: روح المعاني ج١٤ ص٢٥٩.
(١٠٥٤) انظر: صفوة التفاسير ج٣ ص٣٣٩.

٢ ـ وقرأ الباقون بحذفها وصلاً وإثباتها وقفاً.

المعنى اللغوي للقراءتين:

أَنَا اسم مَكْنِيٌّ وهو للمتكلم وحده وإنما بُنِي على الفتح فَرْقاً بينه وبين أَنْ التي هي حرف ناصب للفعل، والأَلِفُ الأخيرة إنما هي لبيان الحركة في الوقف، فإن توسطَت الكلامَ سقطَتْ إلا في لغة رَدِيئة[١٠٥٥].

التفسير:

نزلت هذه الآية في الصحابي الجليل حاطب بن أبي بلتعة، وذلك أنه كتب كتاباً لأهل مكة يخبرهم بقدوم النبي ﷺ غازياً فأنزل الله تعالى الوحي بالخبر على سيدنا محمد ﷺ يخبره بذلك[١٠٥٦].

وفي هذه الآية ينهى الله ﷻ عباده المؤمنين عن اتخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين، ويذكِّرهم بما قام به هؤلاء المشركون من كفر بالله تعالى ورسوله، ومن إخراج الرسول والمؤمنين من ديارهم. كذلك نهاهم الله ﷻ عن حبهم ومودتهم ونقل الأخبار إليهم ـ أخبار الرسول ﷺ والمؤمنين ـ . وحذرهم سبحانه من الاستمرار في فعل ذلك؛ لأن الله تعالى يراهم، وسيحاسبهم على فعلهم، وسيكون مصيرهم الضلال والنكال.

قال سيد قطب: «تبدأ السورة بذلك النداء الودود الموحي ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ نداء من ربهم الذي آمنوا به، يدعوهم باسم الإيمان الذي ينسبهم إليه. يدعوهم؛ ليبصرهم بحقائق موقفهم، ويحذرهم حبائل أعدائهم، ويذكرهم بالمهمة الملقاة على عاتقهم»[١٠٥٧].

وقوله تعالى: ﴿تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ أي تسرون إليهم الأخبار بسبب

(١٠٥٥) انظر: مختار الصحاح ص٢٧.

(١٠٥٦) انظر: فتح القدير ج٥ ص٢٥٠، وزاد المسير ص١٤٢٣، وأسباب النزول للسيوطي ص٤١١، ٤١٢.

(١٠٥٧) الظلال ج٦ ص٣٥٤٠.

المودة التي بينكم[(١٠٥٨)]. وقال العُكبري: «(تسرون) توكيد لتلقون بتكرير معناه»[(١٠٥٩)].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادة القراءة بدون ألف عند الوصل (وأنَ) للدلالة على بيان علم الله تعالى وأن الله تعالى يعلم السر وما يخفى.

أما القراءة بألف ممدودة وصلاً ووقفاً (وأنا) فالألف والمد هنا جاء لإظهار عظمة شأن الله تعالى وبيان انفراده في هذه الصفة عن غيره فهو سبحانه لا غيره الذي يعلم السر ويعلم ما تُخفي الصدور، فزيادة الألف والمد للدلالة على المبالغة والتفرد والله تعالى أعلم.

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بينهما يظهر لنا كم هي عظمة الله تعالى وقدرته في علم تفاصيل الأشياء، ولو كانت خافية من الخوافي، وسراً من الأسرار، تبارك الله رب العالمين.

٢ ـ قال تعالى: ﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ ۚ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾﴾ [الممتحنة: ٣].

القراءات:

١ ـ قرأ المدنيان والمكي والبصري (يُفْصَل) بضم الياء وإسكان الفاء وفتح الصاد مخففة.

٢ ـ وقرأ ابن عامر (يُفَصَّل) بضم الياء وفتح الفاء والصاد مشددة.

(١٠٥٨) انظر: تفسير روائع البيان ص٥٤٩.

(١٠٥٩) إملاء ما منَّ به الرحمن ص٥٥٥.

٣ ـ وقرأ عاصم ويعقوب ﴿يَفْصِلُ﴾ بفتح الياء وإسكان الفاء وكسر الصاد مخففة.

٤ ـ وقرأ الأخوان وخلف (يُفَصِّل) بضم الياء وفتح الفاء وكسر الصاد مشددة(١٠٦٠).

المعنى اللغوي للقراءات:

قال ابن منظور: «وفَصَلْتُ الشيء فانْفَصَلَ أي قطعته فانقطع. وقال: والتفصيل: التبيين، وفصَّل القصَّاب الشاة أي عَضَّاها، والفَصْيَل الحاكم ويقال القضاء بين الحق والباطل، وقد فَصَل الحكم وحكم فاصِل وفَيْصَل ماض وحكومة فَيْصَل كذلك»(١٠٦١).

التفسير:

استمراراً في علاج مثل هذه المخالفة يبيِّنُ الله ﷻ أن الخوفَ على سلامة الأهل والأولاد لا يمكن أن يكون مبرراً صحيحاً لارتكاب مثل هذه المخالفة التي ارتكبها حاطب.

قال القرطبي: «لمَّا اعتذر حاطب بأنَّ له أولاداً وأرحاماً فيما بينهم، بيَّن الرَّب ﷻ أن الأهل والأولاد لا ينفعون شيئاً يوم القيامة إن عُصِيَ من أجل ذلك»(١٠٦٢).

وقوله تعالى: ﴿يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ﴾ أي يحكم بينكم(١٠٦٣).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة (يُفْصَل) بضم الياء وفتح الصاد مخففة، والقراءة (يُفَصَّل)

(١٠٦٠) انظر: النشر ج٢ ص٢٩٤، والبدور الزاهرة ٤٠١.

(١٠٦١) لسان العرب ج١١ ص٥٢١، ٥٢٢.

(١٠٦٢) تفسير الجامع لأحكام القرآن ج٩ ص٣٩١.

(١٠٦٣) انظر: كلمات القرآن ص٤٣٨.

بضم الياء وفتح الصاد مع تشديدها على وجه ما لم يسمَّ فاعله.

أما قراءة (يَفصِل) بفتح الياء وكسر الصاد مخففة وقراءة (يُفَصِّل) بضم الياء وكسر الصاد مع التشديد، يفصل الله بينكم أيها القوم(١٠٦٤).

ويرى الباحث: أن القراءة بالبناء للمعلوم (يَفصِل) أو (يُفَصِّل) بالتخفيف والتشديد تدل على أن الله تعالى هو الذي سيفصل بينهم يوم القيامة بدون الإشارة إلى أدوات وكيفيات ذلك.

بينما القراءة على وجه ما لم يسمَّ فاعله تشير إلى كيفيات وبعض طرق الفصل التي ستشارك في عملية الفصل وسيتم بها الحكم عليهم.

ومن المعروف أن الله تعالى يستخدم في ذلك مشاركات من الغير، لإشهادهم على أنفسهم يوم القيامة بما فعلوا وأجرموا، فإن الله تعالى سيُنطق الجلود والأيدي التي فعلت، والأرجل التي مشت ويشهدها عليهم، وهذه ستعتبر من أدوات الفصل، كذلك هناك الميزان الذي له لسان وكفتان يزن بها الأعمال وينطق بالحق، وهناك الملائكة التي ستقوم بتنفيذ ما أمر الله تعالى به من قرار بعد نطق الحكم والفصل بينهم، إلى غير ذلك من اللوازم التي بيَّنها لنا الله تعالى في كثير من الآيات القرآنية والله تعالى أعلم.

أما عن التشديد فالتشديد يفيد التكثير والمبالغة في الفعل، ومن المعروف أن الحساب يوم القيامة على الفتيل والقطمير، وهذا من أشد التفصيل.

قال مكي: «والتشديد فيه معنى التكثير. والتخفيف يحتمل التكثير والتقليل»(١٠٦٥).

وذكر أبو منصور بأن المعنى راجع إلى الله تعالى. والقراءة بالتشديد (يُفصَّل) للتكثير وكذلك (يُفصِّل)(١٠٦٦).

(١٠٦٤) انظر: جامع البيان ج١٠ ص٧٩٨٩، ٧٩٩٠.
(١٠٦٥) الكشف ج٢ ص٣١٨.
(١٠٦٦) انظر: معاني القراءات ج٣ ص٦٥.

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بينهما، يشير الله تعالى لنا إلى وجود بعض المشاركات والآليات التي ستُتَّبع بإذنٍ منه تعالى لإتمام عملية الفصل. كذلك يظهر الله تعالى لنا الطريقة الدقيقة والمبالغة في التفصيل والتبيين التي ستتبع في محاسبتهم.

٣ ـ قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾﴾ [الممتحنة: ٤].

القراءات:

أ ـ قوله تعالى: ﴿أُسْوَةٌ﴾

١ ـ قرأ عاصم ﴿أُسْوَةٌ﴾ بضم الألف.

٢ ـ وقرأ الباقون (إِسْوة) بالكسر[١٠٦٧].

ب ـ قوله تعالى: ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾

١ ـ قرأ هشام (إبراهام) بفتح الهاء وألف بعدها.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾ بكسر الهاء بعدها ياء[١٠٦٨].

المعنى اللغوي للقراءات:

أ ـ أسوة: أَسَّيْتُهُ تأسِيَةً أي عزَّيْتُهُ. وآسَيْتُهُ بمالي مواساةً أي جعلته إسْوَتِيْ فيه. وواسَيْتُهُ لغةٌ ضعيفةٌ فيه. والإسْوَةُ والأُسْوَةُ بالكسر والضم لغتان

(١٠٦٧) انظر: المبسوط في القراءات العشر ص٢٦٤.

(١٠٦٨) انظر: غيث النفع ص٥٢٥، والبدور الزاهرة ص٤٠١.

وهي ما يَأْتَسِيْ به الحزين، يتعزَّى به وجمعها إسىً وأسىً. ثم سُمِّيَ الصَبرُ أسىً. وائتسى به أي اقتدى، يقال: لا تَأْتَسِ بمن ليس لك بأسْوَة، أي لا تَقْتَدِ بمن ليس لك بقدوة(١٠٦٩).

ب ـ إبراهيم: هي اسم أعجمي وقد مضى بيانها عند تفسير سورة الذاريات(١٠٧٠).

التفسير:

لا يزال الله ﷻ يعالج هذه القضية الخطيرة المتمثلة في السلوك الخاطئ الذي قد يدفع الانسان ليفعل مثل ما فعل حاطب ﵁، واشتمل هذا العلاج على الحديث عن هذه القضية بلطف وود، والتوعية والتعليم، ثم التحذير من العواقب، وهو سبحانه بذلك يضع حدًّاً نهائياً لمثل هذا الفعل، ويُشعِر بخطره على سلامة المجتمع المسلم وأمنه، ولكنه تعالى في هذه المرة يسوق الأمثال ويضربها لهم، فالعمل للدين يحتاج إلى تضحية، وما يشعر به حاطب وغيره من الخوف على أهله لم يكن بدعاً ولا شاذاً، ولكن هذا الخوف وهذه الرابطة العاطفية الأسرية لا ينبغي لها أن تدفعه إلى مثل هذا الفعل. فإبراهيم عليه الصلاة والسلام عندما تعلق الأمر بالكفر والإسلام، كان قراره حازماً وحاسماً في التبرأة من قومه وهو قدوة لنا. قال ابن عادل: «لما نهى الله تعالى عن موالاة الكفار ذكر قصة إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وأن من سيرته التَّبرؤ من الكفار، أي فاقتدوا به إلا في الاستغفار لأبيه»(١٠٧١).

وقال العُكبري: «قوله تعالى: ﴿إِلَّا قَوْلَ﴾ هو إستثناء من غير الجنس، والمعنى: لا تتأسوا به في الاستغفار للكفار»(١٠٧٢).

(١٠٦٩) انظر: الصحاح في اللغة ص٢٢ ـ ٢٣.

(١٠٧٠) انظر: ص١١٠.

(١٠٧١) اللباب ج١٩ ص١٥.

(١٠٧٢) إملاء ما منَّ به الرحمن ص٥٥٦.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أولاً: قوله تعالى: ﴿أُسْوَةٌ﴾

إن من الواضح أن كلا القراءتين من اللغات العربية، فهما لغتان والمعنى قدوة[١٠٧٣]. وقال الدكتور محمد محيسن: «بضم الهمزة هي لغة قيس وتميم، وقال عن الكسر هي لغة الحجاز»[١٠٧٤]. إلا أن الضم من الممكن أن يفيد بيان قوة هذه القدوة والأسوة التي ذكرها الله تعالى وهي قصة إبراهيم مع قومه، ومن المعروف أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام كان أمة كما نص على ذلك القرآن الكريم، والضم يؤكد ذلك؛ لأن الضم من أقوى الحركات، بمعنى أن الله تعالى جاء لكم بقدوة وأسوة قوية لرجل له مكانة مهمة، وقوية في الدين، وفي الصبر والثبات، فحري بكم أيها المؤمنون أن تتبعوه، والله تعالى أعلم.

الجمع بين القراءتين:

بالجمع بين القراءتين يظهر مدى قوة أثر هذه القدوة والأسوة التي ذكرها الله تعالى وهي سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام، فإبراهيم عليه السلام كان أمة في صبره وحلمه، وقوة حركة الضم دلَّت على قوة هذه الأسوة، وأهميتها في نفوس المؤمنين.

ثانياً: قوله تعالى: ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾

تمَّ الحديث عنها مفصلاً في سورة الذاريات[١٠٧٥].

٤ ـ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ

(١٠٧٣) انظر: المحرر الوجيز ج٥ ص٢٩٥.

(١٠٧٤) المستنير ج٣ ص١٧٥ (بتصرف).

(١٠٧٥) انظر: ص١١٠.

﴿وَلَا تُمۡسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلۡكَوَافِرِ وَسۡـَٔلُواْ مَآ أَنفَقۡتُمۡ وَلۡيَسۡـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْۚ ذَٰلِكُمۡ حُكۡمُ ٱللَّهِ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿١٠﴾﴾ [الممتحنة: ١٠].

القراءات:

أ ـ قوله تعالى: ﴿وَلَا تُمۡسِكُواْ﴾

١ ـ قرأ البصريان (ولا تُمَسِّكوا) بتشديد السين.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿وَلَا تُمۡسِكُواْ﴾ بتخفيفها[١٠٧٦].

ب ـ قوله تعالى: ﴿وَسۡـَٔلُواْ﴾

١ ـ قرأ المكي والكسائي وخلف (وسَلوا) بنقل حركة الهمزة إلى السين في الحالين، وحمزة في الوقف فقط.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿وَسۡـَٔلُواْ﴾ بإسكان السين بعدها همزة مفتوحة[١٠٧٧].

المعنى اللغوي للقراءات:

أ ـ (ولا تمسكوا): أمْسَكَ بالشَّيءِ وتَمَسَّك به اسْتَمْسَك به وامْتَسَكَ به كُلّه بمعنى اعْتَصَم به، وكذا مَسَّكَ به تَمْسيكاً، وأمسك عن الكلام سَكَت[١٠٧٨].

ب ـ واسألوا: السؤال هو طلب الشيء يقال: سآل وسؤول وسُؤلة. وقوم سَأَلة وسؤَّال. وسألته عن كذا سُؤالاً ومسألة، وساءلته عنه مساءلة، وتساءلوا عنه، وسألته حاجة وأصبت منه سؤالي: أي: طَلْبَتي[١٠٧٩].

(١٠٧٦) انظر: النشر ج٢ ص٢٩٤.
(١٠٧٧) انظر: غيث النفع ص٥٢٦، والنشر ج٢ ص٢٩٤، والبدور الزاهرة ص٤٠٢.
(١٠٧٨) انظر: مختار الصحاح ص٣٣٦.
(١٠٧٩) انظر: أساس البلاغة ص١٩٩.

التفسير:

قال القرطبي: «لما أمر الله تعالى المسلمين بترك موالاة المشركين، اقتضى ذلك مهاجرة المسلمين عن بلاد الشرك إلى بلاد الإسلام، وكان التناكح من أوكد أسباب الموالاة؛ فبيَّن أحكام مهاجرة النساء»[١٠٨٠]. وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ﴾. أي اختبروهن لتعلموا صدق إيمانهن فلقد كان صلح الحديبية الذي جرى بين رسول الله ﷺ وكفار مكة قد تضمَّن أن من أتى أهل مكة من المسلمين لم يُردَّ إليهم، ومن أتى المسلمين من أهل مكة رُدَّ إليهم، فجاءت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط مهاجرة إلى رسول الله ﷺ، فخرج في إثرها أخواها - عمارة والوليد - فقالوا للنبي ﷺ: ردها علينا بالشرط، فقال ﷺ: **«كان الشرط في الرجال لا في النساء»**، فأنزل الله تعالى الآية[١٠٨١].

وقوله تعالى: ﴿وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّۚ وَلَا تُمْسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْۚ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ أي من المهر وذلك إذا كان الأزواج معاهدين، أما إذا كانوا حربيين فلا يعطون ما أنفقوا. وقوله: ﴿أُجُورَهُنَّۚ﴾ مهورهن[١٠٨٢].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُمْسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ﴾ قال: أيما امرأة كفرت بالله فقد انقطع ما بينها وبين زوجها المؤمن من العصمة ولا تعتدوا بها من أزواجكم[١٠٨٣]. والإمساك هو الإبقاء على عقد الزواج بهنَّ[١٠٨٤].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أولاً: قوله تعالى: ﴿وَلَا تُمْسِكُواْ﴾

(١٠٨٠) الجامع لأحكام القرآن ج٩ ص٣٩٥.

(١٠٨١) انظر: صفوة التفاسير ج٣ ص٣٤٤.

(١٠٨٢) انظر: روائع البيان ص٥٥٠.

(١٠٨٣) انظر: تنوير المقباس ص٥٥٠.

(١٠٨٤) انظر: كلمات القرآن ص٤٣٩.

كلا القراءتين بمعنى واحد، إلا أن التشديد يفيد المبالغة في التمسك(١٠٨٥).

قال ابن عادل: «(مسك، وأمسك) بمعنى واحد. يقال: أمسكت الحبل إمساكاً، ومسَّكته تمسيكاً، وفي التشديد مبالغة، والمخفف صالح أيضاً، والأصل (تتمسكوا) بتاءين فحذفت إحداهما»(١٠٨٦).

ويرى الباحث: أنَّ التشديد فيه إشارة لقطع الطريق على من يسول له الشيطان فعل ذلك، مستغلاً طول العشرة الزوجية والألفة بينهما، فجاء القرآن ليشرح ما قد يقع في القلوب، ويسبقهم بإصدار الحكم في التشديد في النهي لما في الفراق من صعوبة وثقل على النفس؛ ليمنعهم من التفكير الذي قد يَذْهَب بهم إلى المعصية والعياذ بالله.

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بينهما، يأمر الله ﷻ عباده المؤمنين بعدم التمسك بِعِصَم الكافرات أو بزوجاتهم الكافرات، ويكون نهيهم عن المبالغة في هذا الأمر من باب أولى؛ وفي ذلك إشارة بضرورة تقديم أمر الله تعالى على ما يدور في النفس من نتائج هذا الانفصال، الذي يؤدي إلى الفراق والترك الذي هو صعب على هذه النفس البشرية التي تغصُّ بالمشاعر والأحاسيس، وتحنُّ إلى طول العشرة وحسن الصحبة.

ثانياً: قوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلُوا۟﴾

أفادت القراءة بدون همز (وسلوا) أي بمعنى اطلبوا حقكم مما أنفقتم من أموالكم في مهر تلك الزوجات، وكذلك مطلوب منكم أن تردوا مهر الزوجات المسلمات لأزواجهنَّ الكفار.

أما القراءة بهمز (واسألوا) فهي للدلالة على طلب ذلك بقوة، فهو حق

(١٠٨٥) بحر العلوم ج٣ ص٣٥٤.

(١٠٨٦) اللباب ج١٩ ص٢٧ (بتصرف).

لكم، وواجب عليهم أن يردوه لكم. ودل على ذلك زيادة الهمزة التي تدل على القوة والاجتهاد في الفعل.

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بينهما يؤكد الله ﷻ لنا بأحقية أخذ هذا الحق الذي شرعه لهم، ولا حرج في استرجاعه ولا إثم فيه.

تمت سورة الممتحنة بحمد الله تعالى وتوفيقه.



المبحث الثاني
عرض وتفسير لآيات سورة الصف
المتضمنة للقراءات القرآنية العشر

بين يدي السورة:

هذه السورة هي سورة مدنية، وهي أربع عشرة آية، وتتناول في طياتها الحديث عن القتال، وجهاد أعداء الله تعالى، والتضحية والبذل في سبيل إعزاز دين الله تعالى[١٠٨٧].

سبب التسمية:

سُمِّيت سورة الصف بهذا الاسم؛ للاصطفاف لقتال أعداء الله ﷻ، وتُسمَّى أيضاً سورة الحواريين وسورة عيسى، وذلك لذكر عيسى عليه السلام وحواريه الكرام[١٠٨٨].

سبب نزولها:

سبب نزولها هو قول شباب من المسلمين: فعلنا في الغزو كذا وكذا ولم يفعلوا، أو بسبب قول المنافقين للمؤمنين: نحن منكم ومعكم ثم يظهر

(١٠٨٧) انظر: الجامع لأحكام القرآن ج٩ ص٤٠٦، وروح المعاني ج١٤ ص٢٧٧، وصفوة التفاسير ج٣ ص٣٤٨.

(١٠٨٨) انظر: صفوة التفاسير ج٣ ص٣٤٨.

من أفعالهم خلاف ذلك[1089].

مناسبتها لما قبلها:

هذه السورة اشتملت على الحث على الجهاد، ورغبت فيه، وأكدت على النهي عن اتخاذ الكفار أولياء، وهذا ما تضمنته السورة التي قبلها[1090].

الموضوع العام للسورة:

تحمل هذه السورة بين طياتها نقاطاً متعددة، كلها تخدم موضوعين أساسيين:

الموضوع الأول: هو استهداف السورة إلى التقرير والتأكيد في ضمير الإنسان المسلم أن دينه هو الدين القويم، والمنهج الإلهي المتكامل في صورته الأخيرة، فلقد سبقته صور منه تتناسب وأزماناً وأطواراً معينة في تاريخ البشرية، وسبقته كذلك مجموعة من التجارب للجماعات وللرسل الكرماء، كانت كلها بمثابة التمهيد لاستقبال هذا المنهج الذي هو خاتمٌ لجميع الرسالات.

أما الموضوع الثاني: فهو يقوم على جعل الإنسان المسلم يدرك هذه الحقيقة وتلك العقيدة؛ ليعرف حجم الأمانة التي تلقى على عاتقه تجاه دينه، مما يدفعه ذلك إلى البذل والجهاد والتقديم والعطاء والإخلاص، والتفاني لنصرة دينه دون تردد ولا وجل.

وأما النقاط التي تخدم هذين الهدفين فهما أيضاً نقطتان مركزيتان، النقطة الأولى: هي حث المؤمنين على الوفاء بما التزموا به، والتحذير من الإخلاف، والتأكيد على ضرورة العمل على نصرة دين الله تعالى وقتال أعداء الله تعالى بشجاعة وبسالة، فهي التجارة الرابحة الموجبة لرضى الله

(١٠٨٩) انظر: روح المعاني ج١٤ ص٢٧٧.

(١٠٩٠) انظر: روح المعاني ج١٤ ص٢٧٧.

تعالى ورحمته، وذكرت سنة الله تعالى في نصر عباده. والنقطة الثانية: تناولت موقف اليهود من دعوة موسى وعيسى عليهما السلام وما أصابهما من أذى وفي ذلك تسلية لرسول الله ﷺ(١٠٩١).

١ ـ قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾﴾ [الصف: ٥].

القراءات:

١ ـ قرأ حمزة (زاغُوْا) بالإمالة.

٢ ـ والآخرون (زَاغُوْا) بغير إمالة(١٠٩٢).

المعنى اللغوي للقراءتين:

الزَّيْغُ المَيْلُ زاغ يزِيْغُ زَيْغاً وزَيَغاناً وزُيُوْغاً وزَيْغُوغةً وأَزَغْتُهُ أنا إزاغةً، وهو زائِغٌ من قوم زاغةٍ: مالَ وقومٌ زاغةٌ عن الشيء أي زائغون(١٠٩٣). وجاء في المعجم الوسيط: مال وتباعد يقال زاغت الشمس: مالت إلى الغروب. وقال: زَيَّغَه عوَّجَه. وأقام زيغه، وأصلح عوجه. وقال: والزيغ الميل عن الحق(١٠٩٤).

التفسير:

يخبر الله ﷻ رسولَه محمد ﷺ، ما حدث لنبيه وكليمه موسى عليه الصلاة والسلام، من أذية وسوء من قومه، رغم أنهم كانوا يعلمون أنه

(١٠٩١) انظر: الظلال ج٦ ص٣٥٥٠، وصفوة التفاسير ج٣ ص٣٤٨.

(١٠٩٢) انظر: غيث النفع ص٥٢٨، والبدور الزاهرة ص٤٠٤.

(١٠٩٣) انظر: لسان العرب ج٨ ص٤٣٢.

(١٠٩٤) انظر: المعجم الوسيط ص٤٠٩ / وهو مجلد واحد يحوي جزأين / المكتبة الإسلامية استنبول تركيا ط١ ـ ١٣٨٠هـ ـ ١٩٦٠م.

مرسل من الله تعالى، إلا أنهم وبرغم ذلك، لم يكفوا عن إيذائه ولم يسمعوا ويطيعوا له، لذلك وبسبب هذا الزيغ والميل عن الحق أزاغ الله تعالى قلوبهم عن الهدى؛ ولما ذكر الله ﷻ أمر الجهاد في أول السورة بيَّن ﷻ أن موسى وعيسى عليهما السلام أُمِرَا بالتوحيد وجاهدا في سبيل الله تعالى؛ وحل العقاب بمن خالفهما؛ أي واذكر لقومك يا محمد عليه الصلاة والسلام هذه القصة ليتعظوا بقصص من سبقهم(١٠٩٥).

ويقول ابن كثير في تفسيره لهذه الآية: «أي لم توصلون الأذى إليَّ وأنتم تعلمون صدقي فيما جئتكم به من الرسالة. وفي هذا تسلية لرسول الله ﷺ فيما أصابه من الكفار من قومه وغيرهم، وأمره له ﷺ بالصبر. وقال أيضاً: وكذلك فيه نهي للمؤمنين أن ينالوا من النبي ﷺ. وقال في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ﴾ أي فلما عدلوا عن إتباع الحق مع علمهم به أزاغ الله قلوبهم عن الهدى وأسكنها الشك والحيرة والخذلان»(١٠٩٦).

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت القراءة بدون إمالة (زاغوا) على معنى أنهم مالوا عن الحق.

أما القراءة بالإمالة فجاءت لتؤكد معنى الفعل الذي قاموا به وهو الميل، فلو سأل سائل ما معنى زاغوا؟ لأجابته القراءة بالإمالة يعني مالوا. وفيه إشارة أنَّ الميل والزيغ حدث لهم في القول والفعل كما أن الميل جاء في اللفظ على قراءة الإمالة وفي المعنى أيضاً والله تعالى أعلم.

الجمع بين القراءتين:

بالجمع بينهما يظهر تأكيد المعنى المراد من الكلمة وهو الميل عن الحق، وإشارة إلى أن الميل حدث في القول والفعل عندهم، فهم يذكرون

(١٠٩٥) انظر: الجامع لأحكام القرآن ج٩ ص٤٠٩.

(١٠٩٦) تفسير القرآن العظيم ج٤ ص٣٨٤ (بتصرف).

غير الحق ويفعلون الباطل.

٢ ـ قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾﴾ [الصف: ٦].

القراءات:

أ ـ قوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعْدِى﴾

١ ـ قرأ المدنيان وابن كثير والبصريان وشعبة (من بَعْدِيَ) بفتح الياء.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿مِنۢ بَعْدِى﴾ بإسكان الياء(١٠٩٧).

ب ـ قوله تعالى: ﴿سِحْرٌ﴾

١ ـ قرأ الأخوان وخلف (سَاحِر) بفتح السين وألف بعدها وكسر الحاء.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿سِحْرٌ﴾ بكسر السين وحذف الألف وإسكان الحاء(١٠٩٨).

المعنى اللغوي للقراءات:

أ ـ من بعدي: البُعْد ضدُّ القُرْب، وقد بَعُد بالضم بُعْداً فهو بَعيد أي مُتَبَاعِدٌ، وأبعَدَه غيره وباعَده وبَعَّد تبعيداً. وقال: والأباعِد ضدُّ الأقَارب وبَعْدُ ضِدُّ قَبْل(١٠٩٩).

ب ـ سحر: السِّحْرُ عَمَلٌ تُقُرِّبَ فيه إلى الشيطان، وبمعونةٍ منه، كل ذلك الأمر كينونة للسحر. ومن السحر الأُخْذَةُ التي تَأْخُذُ العينَ حتى يُظَنَّ أن

(١٠٩٧) انظر: التذكرة في القراءات ج٢ ص٧١٩، والنشر ج٢ ص٢٩٥.

(١٠٩٨) انظر: البدور الزاهرة ص٤٠٣.

(١٠٩٩) انظر: مختار الصحاح ص٤٢، ٤٣.

الأمر كما يُرَى وليس الأصل على ما يُرى. والسِحْرُ الأُخْذَةُ وكلُّ ما لَطُفَ مأْخَذُه ودقَّ فهو سِحْرٌ والجمع أَسْحَارٌ وسُحُورٌ[1100].

التفسير:

وهذا مثال آخر يسوقه الله ﷻ لرسوله وللمؤمنين من أخبار من سبقهم من الأنبياء والمرسلين. وذلك مزيد تسرية للنبي ﷺ، وكذلك لبيان ما يحدث لمن يكذب وينكر ولا يطيع لأمر النبي ﷺ، وفيه عبرة للمؤمنين الذين يتبعون محمد ﷺ؛ وذلك ليتَّعِظوا فلا يفعلوا مثل ما فعل من سبقهم.

قال الصابوني: «أي واذكر يا محمد عليه الصلاة والسلام لقومك هذه القصة أيضاً حين قال عيسى لبني إسرائيل إني رسول الله أرسلت إليكم بالوصف المذكور في التوراة. قال وقوله تعالى: ﴿مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ أي حال كوني مصدقاً ومعترفاً بأحكام التوراة وكتب الله تعالى وأنبيائه جميعاً، ولم آتِكم بشيء يخالف التوراة حتى تنفروا عني. ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ أي وجئت لأبشركم ببعثة رسولٍ يأتي بعدي يسمى أحمد»[1101]. قال القرطبي: «وقال عيسى: يا بني إسرائيل ولم يقل: يا قوم كما قال موسى؛ لأنه لا نسب له فيهم فيكونون قومه»[1102].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أولاً: قوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعْدِي﴾

إن تحريك الياء بالفتح هي على الأصل، ومن أسكن حذف الياء من اللفظ لالتقاء الساكنين، والساكنان هما الياء والسين[1103].

وقال ابن خالويه: «فالحجة لمن فتح التقاء الساكنين: سكونها وسكون

(١١٠٠) انظر: لسان العرب ج٤ ص٣٤٨.

(١١٠١) صفوة التفاسير ج٣ ص٣٥١ (بتصرف).

(١١٠٢) الجامع لأحكام القرآن ج٩ ص٤٠٩.

(١١٠٣) انظر: تفسير الرازي ج١٠ ص٥٢٨.

السين. والحجة لمن أسكنها استثقال الحركة فيها»[١١٠٤].

ويرى الباحث: أنَّ هذا الكلام صحيح إلا أن الفتح واثبات الياء فيه محافظة على بقاء الضمير وهي الياء حاضرة في اللفظ، وفيه إشعار بالتخصيص بمعنى أنه سيأتي من بعدي أنا مباشرة وبدون فاصل، لا من بعد غيري. وهذا حق وقد وقع فعلاً فالنبي محمد ﷺ قد جاء بعد عيسى عليه الصلاة والسلام ولم يفصل بينهما نبي ولا مرسل. أما القراءة بسكون الياء فإنه سيؤدي إلى سقوطها لفظاً بسبب التقاء الساكنين، وبحذف الياء فأن المعنى يصبح بحاجة إلى توضيح، هل سيأتي محمد ﷺ بعد عيسى مباشرة أم بعده ولكن بوجود فاصل أو نبي آخر؟ فجاءت القراءة بإثبات الضمير المخصص وهي الياء المفتوحة؛ لتفيد مجيئه بعد عيسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام مباشرة والله تعالى أعلى وأعلم.

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بينهما يظهر بأن عيسى عليه الصلاة والسلام أخبر قومه بأن محمداً ﷺ سيأتي بعده مباشرة لا من بعد غيره والله تعالى أعلم.

ثانياً: قوله تعالى: ﴿سِحۡرٌ﴾

أفادت القراءة بإثبات الألف وكسر الحاء (ساحر) على أنها نعت لمن يقوم بهذا الفعل.

أما القراءة بدون ألف وبإسكان الحاء فهي نعت لنفس الفعل.

قال السمرقندي: «فمن قرأ (ساحر) فهو فاعل، ومن قرأ (سحر) فهو نعت الفعل»[١١٠٥].

وقال ابن عادل: «قرأ حمزة والكسائي: (ساحر) نعتاً للرجل. قال:

(١١٠٤) الحجة في القراءات السبع ص٣٤٥.

(١١٠٥) بحر العلوم ج٣ ص٣٥٨.

والباقون (سحر) نعتاً لما جاء به الرسول»[1106].

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بينهما يظهر بأن هؤلاء الذين ذكرهم الله تعالى: كذبوا بما جاءهم به رسول الله ﷺ من البينات والمعجزات الدالة على نبوءته وقالوا عنها: إنها سحر، وليس ذلك فحسب، بل اتهموا الرسول نفسه أنه هو الساحر، الذي يفعل هذا السحر، وبذلك فإنهم قد شككوا بالرسول وبما جاء به الرسول ﷺ؛ ليضمنوا نفور الناس عنه، وذهابهم من حوله.

٣ ـ قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝٨﴾ [الصف: ٨].

القراءات:

أ ـ قوله تعالى: ﴿لِيُطْفِـُٔواْ﴾

١ ـ قرأ أبو جعفر (لِيُطْفُوا) بحذف الهمزة.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿لِيُطْفِـُٔواْ﴾ بإثباتها[1107].

ب ـ قوله تعالى: ﴿مُتِمُّ نُورِهِۦ﴾

١ ـ قرأ ابن كثير المكي وحفص والأخوان[1108] ﴿مُتِمُّ﴾ غير منونة و﴿نُورِهِۦ﴾ بالخفض.

٢ ـ وقرأ الباقون (مُتِمٌّ) بالتنوين و(نورَهُ) بنصب الراء[1109].

(١١٠٦) اللباب ج١٩ ص٥٤.

(١١٠٧) انظر: إتحاف فضلاء البشر ج٢ ص٥٣٧.

(١١٠٨) وهما: حمزة والكسائي.

(١١٠٩) انظر: المبسوط في القراءات العشر ص٢٦٤، والبدور الزاهرة ص٤٠٣.

المعنى اللغوي للقراءات:

أ - ليطفئوا: طَفِأَتِ النارُ تَطْفَأُ طفأً وطُفُوءاً وانْطَفَأَتْ ذهب لَهَبُهَا[(١١١٠)]. وجاء في المعجم الوسيط أطفأ النار أو الفتنة ونحوها: أخمدها[(١١١١)].

ب - متم: تَمَّ الشيءُ يتِمّ بالكسر تَمَامَاً وأتمَهُ غيره وتمَّمهُ واسْتَتَمَّه بمعنى وأتَمَّت الحُبْلى فهي مُتِمٌ إذا تَمَّت أيامُ حَمْلِها ووَلَدَتْ لتَمَام وتِمَام ووُلِدَ المولودُ لتَمام وتِمام. وقمر تَمام وتِمامٌ إذا تَمَّ ليلة البَدْر[(١١١٢)].

ج - نور: النُّور الضِّياء والجَمْع أَنْوَار. وأَنَارَ الشَّيْءُ واسْتَنَار بمعنى أي أضَاء، والتَّنْوِيرُ الإنارة وهو أيضاً الإسْفار، وهو أيضاً إزْهار الشَّجَرَة، يقال: نوَّرت الشَّجَرة تَنْويراً وأَنَارَت أي أخْرَجَتْ نَوْرَها[(١١١٣)].

التفسير:

يبيِّن الله تعالى أن هؤلاء الكفار والمشركين يريدون أن يبطلوا دين الله تعالى، وذلك بتكذيب رسوله ﷺ، واتهامه بالسحر والكهانة أو بالسفه والجنون وغيره من التهم، ولكن مثل هذه الأقوال لا يمكن لها أن تمنع الحق أو أن تبطل دين الله تعالى، لأن الله تعالى تكفَّل بظهوره سواءً رضوا أم سخطوا.

وجاء في جامع البيان: «يقول تعالى ذكره يريد هؤلاء القائلون لمحمد ﷺ: هذا ساحر مبين ﴿لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ يقول: يريدون ليبطلوا الحق الذي بعث الله تعالى به محمداً ﷺ بأفواههم يعني بقولهم إنه ساحر، وما جاء به سحر، ﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ﴾ يقول الله تعالى معلنٌ الحق ومظهر دينه وناصر محمداً عليه الصلاة والسلام على من عاداه فذلك إتمام نوره، وعني

(١١١٠) انظر: لسان العرب ج١ ص١١٤.
(١١١١) انظر: المعجم الوسيط ص٥٥٩.
(١١١٢) انظر: مختار الصحاح ص٥٥.
(١١١٣) انظر: مختار الصحاح ص٣٦٦.

بالنور في هذا الموضع الإسلام»(١١١٤).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أولاً: قوله تعالى: ﴿لِيُطۡفِـُٔواْ﴾

أفادت القراءة بدون همز على معنى أنهم يسعون ليمنعون دين الله تعالى ويعملون على القضاء على دعوة رسول الله ﷺ.

أما القراءة بالهمز فقد بيّنت بأنهم يفعلون ذلك بقوة وبأقصى ما يملكون من جهد ووقت ومال، للوصول إلى غايتهم. ودل على ذلك وجود الهمز التي تشعر بالقوة والصعوبة في النطق، وهذه الصعوبة تدل على مدى ما يتحمله المشركون من المشاق للوصول إلى غايتهم، وذلك لأن الرسول ﷺ جاءهم بما يتعارض مع مصالحهم الشخصية وأهوائهم الباطلة، فهم يدافعون بقوة ويحاولون مراراً وتكراراً أن يطفئوا هذا النور، إلا أنه وبرغم من ذلك كله، فإن الله تعالى بقوته التي لا تُغلب سيُتم نوره وينشر هداه.

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بينهما، يتبيّن لنا قوة اجتهاد الكافرين، وما يبذلونه من مال وجهد ووقت، ليبُطلوا دين الله تعالى؛ إلا أن قوة الله أشد، وإرادته أعظم، ولا مطفئ لنوره ولا مبدل لكلماته.

ثانياً: قوله تعالى: ﴿مُتِمُّ نُورِهِۦ﴾

أفادت القراءة بدون تنوين وبالجر على الإضافة والتخفيف. قال ابن عاشور: «وهي من إضافة اسم الفاعل على مفعوله»(١١١٥).

أما القراءة بالتنوين وبنصب نوره فهو الأصل في اسم الفاعل إذا كان

(١١١٤) جامع البيان للطبري ج١٠ ص٨٠١٩.

(١١١٥) التحرير والتنوير م١٣ ج٢٧ ص١٩١.

للحال أو الاستقبال(١١١٦).

وعلى هذا يكون المعنى أن الله تعالى متمٌّ نورَه تماماً كاملاً في الحال وفي الاستقبال، وفي كل وقت، فالله ﷻ سينصر دينه في كل وقت، وحين في الحال وفي الاستقبال وعلى الدوام وأن هذا الظهور وهذا النصر هو ظهورٌ جليٌّ وقويٌّ، ودلَّ على ذلك: التنوين الذي هو للتكثير في اللفظ كما قال السيوطي(١١١٧).

وقد ورد نحو ذلك في رسالة الباحثة أحلام أبو شعبان عند تفسير سورة الأنفال(١١١٨).

وقال أبو منصور: «من قرأ (متمُّ نورِهِ) فهو على الإضافة. ومن قرأ (متمٌّ نورَه) نصب النور بإيقاع الإتمام عليه والمعنى واحد»(١١١٩).

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بينهما، يخبرنا الله تعالى بأنه سيتم نوره تماماً كاملاً وكثيراً وقوياً في الحال والاستقبال، وفي كل وقت وحين.

٤ ـ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٖ ⑩﴾ [الصف: ١٠].

القراءات:

١ ـ قرأ ابن عامر الشامي (تُنَجِّيكم) بتشديد الجيم وفتح النون.

(١١١٦) انظر: الكشف ج٢ ص٣٢٠.

(١١١٧) انظر: الأشباه والنظائر في النحو لجلال الدين السيوطي ج٢ ص١٤٠ / دار الكتب العلمية ـ بيروت / لبنان الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٤م.

(١١١٨) انظر: رسالة ماجستير بعنوان تفسير القرآن بالقراءات العشر ص٩٦ ـ إشراف د. زهدي أبو نعمة.

(١١١٩) معاني القراءات ج٣ ص٦٨.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿تُنجِيكُم﴾ بتخفيف الجيم وسكون الميم[١١٢٠].

المعنى اللغوي للقراءتين:

نجوت من كذا نجاءً ممدودٌ، ونجاةً مقصورٌ. والصدق منجاةٌ. وأَنْجَيْتُ غيري ونجَّيْتُهُ. ونجوتُ أيضاً نجاءً ممدودٌ أي أسرعت وسبقت. والناجِيَةُ: السريعةُ تنجو بمن ركبها[١١٢١].

التفسير:

بعد أن ضرب الله تعالى أمثلة وحكايات عن الذين سبقوا، وكيف كان فعلهم مع أنبيائهم، وحذر الله تعالى المؤمنين من أن يسلكوا مسلكهم، وبيَّن أن هؤلاء الكفار الذين اختاروا تكذيب رسول الله تعالى لن يستطيعوا أن يظهروا على دين الله تعالى، بل إن دينه هو الذي سينتصر وسيظهر؛ بعد كل هذا يأخذ الله سبحانه المؤمنين بلطف إلى رضوانه وجنان طاعته، والبعد عن معصيته ويشجعهم على ذلك بقوله: هل أرشدكم وأخبركم بما ينجيكم من العذاب، ثم بيَّن أن هذا يكون بالإيمان به سبحانه وبرسوله ﷺ وبالجهاد في سبيل الله تعالى بالأموال والأنفس، قال الصابوني: «أي يا من صدقتم الله تعالى ورسوله ﷺ وآمنتم بربكم حق الإيمان، هل أدلكم على تجارة رابحة جليلة الشأن؟ والاستفهام للتشويق ﴿مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ أي تخلصكم وتنقذكم من عذاب شديد مؤلم»[١١٢٢].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

ذكر ابن خالويه: بأن معناهما قريب، وهما لغتان[١١٢٣]، وقال أيضاً:

(١١٢٠) انظر: تحبير التيسير ص٢١٧.

(١١٢١) انظر: الصحاح في اللغة ص١١٤٥.

(١١٢٢) صفوة التفاسير ج٣ ص٣٥٣.

(١١٢٣) انظر: الحجة في القراءات ص٣٤٥.

وهما سواء العرب تقول: أكرم وكرَّم. وأنجى ونجَّى بمعنى واحد[١١٢٤]. وذهب أبو منصور أيضاً إلى أنهما بمعنى واحد[١١٢٥].

ويرى الباحث: أن هذا الذي ذهب إليه العلماء لا يمنع النظر والتأمل لمعرفة الفرق المحتمل بينهما خاصة أننا أمام حرف مشدد، والتشديد يحمل معنى المبالغة والتأكيد كما بيَّنا في آيات سابقة، وعليه فيكون المعنى على قراءة التشديد بيان أهمية وقوة هذه التجارة، ليلفت انتباه الناس إليها فهي ليست كأي تجارة، لأنها تنجي من عذاب الله تعالى الأليم، فهي تجارة رابحة تماماً تفعل فعلها في تخليص الناس من النار، وإدخالهم في رحمة الله تعالى بإذنه سبحانه. كذلك فإن التشديد فيه معنى الاستمرار في الفعل، فهي أي هذه التجارة تنجِّي على الدوام مرة بعد مرة؛ لأن العذاب لا يقتصر على الآخرة، ولكن ربما يكون في الدنيا أيضاً وعلى فترات، والله تعالى أعلم.

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بينهما يعلمنا الله تعالى عن فضل هذه التجارة، ويخبرنا أنها تجارة ذات ميزة مهمة؛ لأنها تقوم بفعل قوي ومهم وهو تنجية الناس من العذاب مرة بعد مرة، وعلى الدوام وبكثرة، وهذا ما أفادته قراءة التشديد والله تعالى أعلم.

٥ ـ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞۖ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ١٤﴾ [الصف: ١٤].

القراءات:

أ ـ قوله تعالى: ﴿أَنصَارُ ٱللَّهِۖ﴾

(١١٢٤) انظر: إعراب القراءات السبع ج٢ ص٣٦٤.

(١١٢٥) انظر: معاني القراءات ج٣ ص٦٨.

١ ـ قرأ ابن عامر ويعقوب والكوفيون (أنصَارَ الله) بغير تنوين، ويقفون على الراء، ويبتدئون لفظ (الله) بهمزة الوصل.

٢ ـ وقرأها الباقون وهم المدنيان والمكي والبصري (أنصَاراً لله) بالتنوين ولام الجر ويقفون بألف ويبتدئون (لله) بدون همزة وصل[١١٢٦].

ب ـ **قوله تعالى:** ﴿مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾

١ ـ قرأ المدنيان[١١٢٧] (أنصاريَ) بفتح الياء.

٢ ـ وقرأها الباقون (أنصاريْ) بالسكون[١١٢٨].

المعنى اللغوي للقراءات:

النَّصر إعانة المظلوم؛ نصره على عدوّه ينصُره ونصَره ينصُره نصرَاً، ورجل ناصِر من قوم نُصَّار ونَصْر مثل صاحب وصحْب وأنصار[١١٢٩].

التفسير:

هذه الآية تلخص ما جاءت به الصورة الكريمة، وتبيِّن ما هو المطلوب من المؤمنين، وتبيّن ما هو مطلوب منهم تجاه نبيهم ودينهم، فإذا كان النبي عيسى عليه السلام الذي جاء ليبشر بنبوءة محمد ﷺ كان له أنصار ومستخلصون ينصرونه ويدافعون عنه فحري بكم أنتم أن تكونوا أنصاراً لهذا النبي ولدينه.

قال سيد قطب: «في هذا الموضع الكريم الذي يرفعكم إليه الله. وهل أرفع من مكان يكون فيه العبد نصيراً للرب؟ إن هذه الصفة تحمل من التكريم ما هو أكبر من الجنة والنعيم.

(١١٢٦) انظر: تقريب النشر في القراءات العشر ص٢٥٥، والبدور الزاهرة ص٤٠٣.
(١١٢٧) المدنيان هما: نافع وأبو جعفر.
(١١٢٨) انظر: تحبير التيسير ص٢١٧، والبدور الزاهرة ص٤٠٣.
(١١٢٩) انظر: لسان العرب ج٥ ص٢١٠.

وقال: وعيسى عليه السلام جاء ليبشر بالنبي الجديد والدين الأخير فما أجدر أتباع محمد ﷺ أن ينتدبوا لهذا الأمر الدائم، كما انتدب الحواريون للأمر الموقوت؛ وهذه هي اللمسة الواضحة في عرض هذا الحوار في هذا السياق»(١١٣٠).

وذكر القرطبي أنَّ في هذه الآية أكَّد الله تعالى أمر الجهاد؛ أي كونوا حواري نبيكم؛ ليظهركم الله على من خالفكم كما أظهر حواري عيسى على من خالفهم. وقوله تعالى: ﴿فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ﴾ الطائفتان في زمن عيسى عليه الصلاة والسلام افترقوا بعد رفعه إلى السماء(١١٣١). وقوله تعالى: ﴿فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَـٰهِرِينَ﴾ أي قوينا الذين آمنوا بعيسى، وأنه عبد الله ورسوله فأصبحوا غالبين عالين. وقيل المقصود بالآية هم المؤمنون الذين بايعوا الرسول عليه الصلاة والسلام في العقبة، وآووه ونصروه حتى أظهر الله دينه(١١٣٢).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أولاً: قوله تعالى: (كونوا أنصاراً لله)

أفادت القراءة بالتنوين على معنى التبعيض بمعنى كونوا بعض أنصار الله تعالى؛ لتنالوا هذا الشرف؛ لأن أنصار الله تعالى كُثُر على مر العصور والأزمان فكونوا بعضهم.

قال الألوسي: في قوله تعالى: **(أنصاراً لله)** «بالتنوين وهو للتبعيض فالمعنى كونوا بعض أنصاره ﷻ»(١١٣٣). وقال بذلك البيضاوي أيضاً(١١٣٤).

(١١٣٠) الظلال ج٦ ص٣٥٦٠، ٣٥٦١ (بتصرف).

(١١٣١) انظر: الجامع لأحكام القرآن ج٩ ص٤١٣، ٤١٤.

(١١٣٢) انظر: روائع البيان ص٥٥٢.

(١١٣٣) روح المعاني ج١٤ ص٢٨٥.

(١١٣٤) انظر: تفسير البيضاوي ج٥ ص٣٣٥.

أما القراءة بالإضافة (أنصار الله) فهي على معنى دوموا على ذلك الفعل.

ذكر مكي القيسي: أن الحجة لمن أضاف أنه على معنى دوموا على ذلك. وحجة من نوّنه أنه حمله على معنى أنه أمرهم أن يدخلوا في أمرٍ لم يكونوا عليه. وقال: ويجوز أن تكون القراءتان بمعنى(١١٣٥).

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بينهما يأمرنا الله تعالى أن نكون بعض أنصاره الكثيرين، فإن أنصار الله تعالى كُثُر، وأمرنا كذلك أن نداوم ونستمر على ذلك الفعل.

ثانياً: قوله تعالى: ﴿مَنْ أَنصَارِيَ إِلَى ٱللَّهِ﴾

أفادت القراءة بسكون الياء على معنى أن عيسى عليه السلام يسأل أصحابه، ويستحثهم على أن يكونوا كذلك. قال حقي: «قال بعض المفسرين «من» يحتمل أن يكون استفهاماً حقيقياً ليعلم وجود الأنصار ويتسلى به، ويحتمل العرض والحث على النصرة»(١١٣٦).

أما القراءة بفتح الياء فقد جاءت منسجمة مع القوة اللازمة للنصر. فالحديث هنا عن القوة التي تؤدي إلى النصر، وحركة الفتح أقوى من السكون، فجاءت مفتوحة قوية؛ لتنسجم مع حال الآية ونوع الطلب، فهو يحتاج إلى أنصار يقوُّونه ويعينونه، وفيه إظهار لهم بما هو مطلوب منهم، وهي القوة والنصرة والدفع. لذلك ناسب ذلك الفتحة، والدفع في اللفظ يدل على احتياجه إلى من يدفع عنه السوء والشر، والله تعالى أعلم. وقد مر مثل ذلك عند تفسير سورة المجادلة(١١٣٧).

(١١٣٥) انظر: الكشف ج٢ ص٣٢١.

(١١٣٦) تفسير حقي ج٩ ص٥٠٤.

(١١٣٧) انظر: ص٣٢٣.

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بينهما يطلب عيسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام من أصحابه أن يكونوا أنصاراً قويين وفاعلين لدين الله تعالى ضد أعدائه، وكذلك أن يكونوا دائمين على هذا الفعل من نصر ومؤازرة، والله تعالى أعلم.

تمت سورة الصف بحمد الله تعالى وتوفيقه.



المبحث الثالث
عرض وتفسير لآيات سورة المنافقون
المتضمنة للقراءات القرآنية العشر

بين يدي السورة:

هذه السورة هي سورة مدنية، وهي إحدى عشرة آية، وتتحدث هذه السورة وبإسهاب عن النفاق والمنافقين، وتعرض لنا صوراً مهمة عن عقليتهم وقلوبهم المريضة، وتفضح سرهم، وتكشف سترهم في عرضها لأخلاقهم وأفعالهم وصفاتهم الذميمة(١١٣٨).

سبب تسميتها بهذا الاسم:

سميت هذه السورة بسورة المنافقين لأنها تركز في آياتها على ذكر النفاق والمنافقين، وتفضحهم وتكشف سترهم(١١٣٩).

مناسبتها لما قبلها:

أنه لما ذكر الله ﷻ المؤمنين في السورة السابقة، ذكر هنا المنافقين، أو أنه لما كان المنافقون هم سبب انفضاض المؤمنين عن رسول الله ﷺ، جاءت بعدها سورة (المنافقون) لتذكرهم وتحذرهم(١١٤٠).

(١١٣٨) انظر: تفسير القرطبي ج٩ ص٤٣٦، وصفوة التفاسير ج٣ ص٣٦١.
(١١٣٩) انظر: صفوة التفاسير ج٣ ص٣٦١.
(١١٤٠) انظر: روح المعاني ج١٤ ص٣٠٣.

الموضوع العام للسورة:

إن الموضوع العام والمركزي لهذه السورة هو الحديث عن المنافقين، بل إن هذه السورة الكريمة تكاد أن تكون مقصورة للحديث عن المنافقين، فلقد بدأت السورة بالحديث عنهم وعن أخلاقهم وصفاتهم الذميمة، التي منها: الكذب والتآمر على رسول الله ﷺ، ومخالفة ظاهرهم للباطن الذي في قلوبهم، وفضحتهم، ثم ذكرت جانباً من مقالاتهم الشنيعة الباطلة في حق رسول الله ﷺ إذ كانوا يقولون:

إنهم سيطردون رسول الله ﷺ ومن معه من المؤمنين بعد عودتهم من غزوة بني المصطلق؛ وذلك لاعتقادهم بأن رسول الله ﷺ سيهزم، وأن دعوته ستزول وتنتهي، وفي مقابل ذلك دعت السورة في ختامها إلى عدم الانشغال بزينة الدنيا عن طاعة الله تعالى وعبادته، وفي ذلك إشارة للمؤمنين وتحذيرٌ لهم من أن ينشغلوا عن مكر المنافقين لهم، وتحذيرهم من أن يسيروا سير المنافقين في فعلهم وقولهم(١١٤١).

١ ـ قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾﴾ [المنافقون: ٤].

القراءات:

أ ـ قوله تعالى: ﴿خُشُبٌ﴾

١ ـ قرأ قنبل عن ابن كثير وأبو عمرو والكسائي (خُشْبٌ) بإسكان الشين.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿خُشُبٌ﴾ بضمها(١١٤٢).

ب ـ قوله تعالى: ﴿يَحْسَبُونَ﴾

(١١٤١) انظر: الظلال ج٦ ص٣٥٧٢، وصفوة التفاسير ج٣ ص٣٦١.

(١١٤٢) انظر: المبسوط في القراءات العشر ص٢٦٥، والبدور الزاهرة ص٤٠٥.

١ ـ قرأ ابن عامر الشامي وعاصم وحمزة وأبو جعفر المدني ﴿يَحْسَبُونَ﴾ بفتح السين.

٢ ـ وقرأ الباقون (يحسِبون) بالكسر(١١٤٣).

المعنى اللغوي للقراءات:

أ ـ خُشُب: قال ابن منظور: الخَشَبَةُ ما غَلُظَ مِن العِيدانِ، والجمع خَشَبٌ، مثل شجرةٍ وشَجَر، وخُشُبٌ وخُشْبٌ وخُشْبَانٌ. وقال: وتضم الشين وتسكن تخفيفاً(١١٤٤).

ب ـ يحسبون: الحسيب هو الله تعالى وهو الكافي. والحَسَب الشرف. حسب المال ونحوه حِساباً، وحُسْباناً: عدَّه وأحصاه وقدَّره فهو حاسب(١١٤٥). ويحسب بمعنى يظن وقد ورد بيانها عند تفسير سورة المجادلة(١١٤٦).

التفسير:

تصور لنا هذه الآية الكريمة بعض صور وأخلاق المنافقين، إذ أنهم أجسام بلا أرواح، وأبدان بلا قلوب، ورؤوس بلا عقول، فهم لا يسمعون ولا يعقلون، خطرهم شديد على معسكر المؤمنين، وهم دائموا الترقب والترصد والخوف والقلق والجبن؛ لأنهم يدركون عاقبة فعلهم، لذلك حذرت هذه الآية الشريفة منهم ومن مكرهم. قال ابن كثير في بيان معنى هذه الآية: «أي وكانوا أشكالاً حسنةً وذوي فصاحة وألسنة وإذا سمعهم السامع يصغي إلى قولهم لبلاغتهم، وهم مع ذلك في غاية الضعف والخور والهلع والجزع والجبن ولهذا قال تعالى: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ أي

(١١٤٣) انظر: غيث النفع ص٥٢٩، وإتحاف فضلاء البشر ج٢ ص٥٣٩.

(١١٤٤) انظر: لسان العرب ج١ ص٣٥١، ٣٥٢.

(١١٤٥) انظر: المعجم الوسيط ص١٧١.

(١١٤٦) انظر: ص٣٢٠.

كلما وقع أمر أو كائنة أو خوف يعتقدون لجبنهم أنه نازل بهم»[1147]. وقوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾ هو ذمٌّ لهم، أي كأنهم في جلوسهم مجالس الرسول ﷺ وهم مستندون فيها فارغة قلوبهم من الإيمان والخير، كأنهم بهذا المنظر والمضمون خشب منصوبة مسندة إلى الحائط، لا تحس ولا تعقل ولا تتحرك، فهي أجرام خالية عن الأرواح لا نفع فيها ولا ثمر. وقوله تعالى: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ أي واقعة عليهم ضارَّة لهم؛ لجبنهم وهلعهم. وقوله تعالى: ﴿هُمُ الْعَدُوُّ﴾ أي الكاملون في العداوة الراسخون فيها. وقوله تعالى: ﴿فَاحْذَرْهُمْ﴾ أي اتق شرهم. وقوله تعالى: ﴿أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ كيف يصرفون عن الحق والرشد إلى ما هم عليه من الكفر والضلال[1148].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أولاً: قوله تعالى: ﴿خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾

قال ابن خالويه: «فالحجة لمن أسكن أنه شبهه في الجمع: ببَدَنَة وبُدْن، ودليله قوله تعالى: ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم﴾ [الحج: ٣٦]. أو يكون أراد الضم، فأُسكِنَ تخفيفاً.

والحجة لمن ضم الشين: أنه أراد جمع الجمع كقولهم: ثِمار وثُمُر»[1149]. ويحتمل أن يكون المعنى عند القراءة بإسكان الشين (خُشْب) هي الخشبة التي نُخِرَ جوفُها؛ وذلك تشبيهاً بحال المنافقين الذين فسدت بواطنهم.

قال الألوسي: «بإسكان الشين تخفيف خشب المضمومة، ونظيره بدنة وبدن. وقيل: جمع خشباء كحمر وحمراء، وهي الخشبة التي نُخِرَ جوفُها،

(١١٤٧) انظر: تفسير القرآن العظيم ج٤ ص٣٩٣.

(١١٤٨) انظر: روائع البيان ص٥٥٤، وتفسير ابن عربي ج٢ ص٣٢٤.

(١١٤٩) الحجة للقراءات ص٣٤٦.

شُبّهوا بها في فساد بواطنهم لنفاقهم»[1150]. وقال بذلك أبو حيان[1151].

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين يخبرنا الله تعالى أن هؤلاء المنافقين لا خير فيهم، فهم مثل الخشب المسندة التي لا فائدة فيها ولا نفع، وهي نخرة من الجوف فاسدة لا تصلح لشيء، وهم كذلك فاسدون في بواطنهم، لا نفع منهم ولا خير فيهم حتى لو كانت أشكالهم حسنة.

ثانياً: قوله تعالى: ﴿يَحۡسَبُونَ﴾

قال الرازي: «وحَسِبْتُه صالحاً بالكسر أحْسِبَه بالفتح والكسر مَحْسَبَةً بكسر السين وفتحها وحِسْبَاناً بالكسر ظَنَنْتُه»[1152].

وقال الفيومي المقري: حسبت المال حسباً من باب قتل أحصيته عدداً، وفي المصدر أيضاً حسبة بالكسر وحسباناً بالضم[1153]. كل ما ذُكر يدل على أن كلا القراءتين بمعنى واحد.

فمعنى الحسب كما ورد في التعريف هو الظن أو هو العد، والعد يختلف في المعنى عن الظن؛ لأن الظن يطلق على الشك، وقد يطلق أيضاً على اليقين[1154]؛ بينما العد يطلق على الشيء المعتدّ به المحسوب، فهو معلوم وغير ساقط[1155]. وإذا علمنا أن الكسرة أقوى من الفتحة في الاستدلال، فيمكن القول بأن القراءة بالكسر جاءت لتؤكد بأن هؤلاء المنافقين كانوا من شدة رعبهم كلما نادى منادٍ، أو وقعت واقعة، ظنّوا أنهم هم المقصودون بذلك؛ لأنهم على وجل من أن يهتك الله أستارهم،

(١١٥٠) روح المعاني ج١٤ ص٣٠٦.

(١١٥١) انظر: البحر المحيط ج٨ ص٢٦٨.

(١١٥٢) مختار الصحاح ص٨٥.

(١١٥٣) المصباح المنير ص٨٣ ـ ٨٤.

(١١٥٤) انظر: المصباح المنير ص٢٣٠.

(١١٥٥) انظر: المصدر السابق ص٢٣٦.

ويكشف أسرارهم، فهم يتوقعون الإيقاع بهم ساعة فساعة[(١١٥٦)]؛ وهذا الظن كان قوياً لدرجة اليقين، ودلَّ عليه، قوة الرعب الذي كان يصيب قلوبهم، وحركة الكسر التي هي أقوى من الفتح[(١١٥٧)]، فجاءت القراءة بالكسر؛ لتشير إلى المعنى المقصود من القراءة بالفتح والله تعالى أعلم.

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بينهما يظهر مدى الرعب الذي كان يعيش به المنافقون، لدرجة أنهم كانوا يظنون ظناً قوياً وصل إلى درجة اليقين أن الله تعالى سيكشفهم في أيَّة لحظة؛ لذلك كانوا كلما نادى منادِ الحرب، أو سمعوا صوتاً، اعتقدوا أنهم هم المقصودون من شدة خوفهم.

٢ ـ **قال تعالى**: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ۝٥﴾ [المنافقون: ٥].

القراءات:

١ ـ قرأ نافع وروح (لَوَوْا) بتخفيف الواو الأولى.

٢ ـ وقرأها الباقون ﴿لَوَّوْا﴾ بتشديدها[(١١٥٨)].

المعنى اللغوي للقراءتين:

لَوَ الحَبْلَ فَتَلَه. يَلْويه لَيّاً. ولَوَى رأسه وأَلْوَى برأسه أمَالَه وأعْرَض. وقال: وقولُه تعالى: ﴿لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ﴾ التشديد لكثرة المبالغة[(١١٥٩)]. وقال في الصحاح: وألوى برأسه: أمال وأعرض[(١١٦٠)].

(١١٥٦) انظر تفسير الرازي ج١٠ ص٥٤٧.

(١١٥٧) انظر: بلاغة الكلمة في التعبير القرآني / د. فاضل السامرائي ص١٠٢.

(١١٥٨) انظر: تحبير التيسير ص٢١٨.

(١١٥٩) انظر: مختار الصحاح ص٣٢٨.

(١١٦٠) انظر: الصحاح في اللغة ص١٠٧١.

التفسير:

وهذه صورة أخرى من صورهم، وصفة أخرى من صفات هؤلاء المنافقين؛ وذلك أنهم رفضوا الرجوع عن النفاق، وأبوا أن يتوبوا، وأصرُّوا على الصدود والاستكبار.

قال القرطبي: «لما نزل القرآن بصفتهم مشى إليهم عشائرهم وقالوا: افتضحتم بالنفاق فتوبوا إلى رسول الله ﷺ من النفاق، واطلبوا أن يستغفر لكم. فلووا رؤوسهم؛ أي حركوها استهزاء وإباء»(١١٦١). وأعرضوا واستهزءوا(١١٦٢).

وقوله تعالى: ﴿ورَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ أي وتراهم يصدون ويمتنعون عمَّا دُعوا إليه، وهم متكبرون عن استغفار رسول الله ﷺ، وجيء بصيغة المضارع ليدل على استمرارهم على الإعراض والعناد(١١٦٣).

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت القراءة بالتخفيف اكتفاء بإسناد الفعل إلى واو الجماعة، وبيان فعلهم القبيح رداً على دعوتهم للاستغفار والتوبة.

أما القراءة بالتشديد فقد دلَّت على التكثير والمبالغة في هذا الفعل وإصرارهم عليه(١١٦٤).

قال ابن عاشور: «﴿لَوَّوْا﴾ بتشديد الواو الأولى هي مضاعف لوى؛ للدلالة على التكثير فيقتضي كثرة اللَّي منهم، وبتخفيف الواو الأولى اكتفاءً بإسناد الفعل إلى ضمير الجماعة»(١١٦٥).

(١١٦١) الجامع لأحكام القرآن ج٩ ص٤٤٠.

(١١٦٢) انظر: كلمات القرآن ص٤٤٠.

(١١٦٣) انظر: البحر المحيط ج٨ ص٢٦٩.

(١١٦٤) انظر: المحرر الوجيز ج٥ ص٣١٤، والكشاف ج٤ ص١٠٢.

(١١٦٥) التحرير والتنوير م١٣ ج٢٧ ص٢٤٤ (بتصرف).

وذكر مكي: أن في التشديد معنى التكثير، أي: لوَّوهَا مرة بعد مرة، وفي التخفيف معنى التقليل، ويصلح للتكثير أيضاً(١١٦٦).

وقال ابن زنجلة عن قراءة التشديد: «وحجتهم في ذلك أن الرؤوس جماعة فوجهها التشديد، وكذلك كل فعل يكثر مرة بعد مرة»(١١٦٧).

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بينهما، يظهر شدة إصرارهم على نفاقهم، ومدى تكبرهم وجحودهم؛ فهم غير مترددين في عدم ذهابهم لرسول الله ﷺ، فهم بفعلهم وَبلَـيِّ رؤوسهم مرة بعد مرة، يؤكدون بأنهم لا يمكن أن يرجعوا عن نفاقهم، ولن يذهبوا لرسول الله ﷺ، ولم يجعلوا ذلك وارداً في حساباتهم.

٣ ـ قال تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَـٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٠﴾﴾ [المنافقون: ١٠].

القراءات:

١ ـ قرأ أبو عمرو البصري (وأكُوْنَ) بإثبات واو بعد النون وبنصب النون.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿وَأَكُن﴾ بحذف الواو وبسكون النون مجزومة(١١٦٨).

المعنى اللغوي للقراءتين:

أكن من كان، وتأتي للدلالة على ما مضى من الزمان، كذلك تأتي

(١١٦٦) انظر: الكشف ج٢ ص٣٢٢.

(١١٦٧) حجة القراءات ص٧١٠.

(١١٦٨) الكشف ج٢ ص٣٢٢، والنشر ج٢ ص٢٩٥، وغيث النفع ص٥٣٠.

للدلالة على حدوث الشيء ووقوعه. وقد ورد بيانها عند تفسير سورة الحديد[(١١٦٩)].

التفسير:

بعد أن حذر الله ﷻ عباده المؤمنين من الانغماس في شهوات الدنيا، والإلتهاء بالأموال والأولاد عن ذكر الله تعالى، أمرهم سبحانه بالإنفاق من أموالهم والتصدق بها قبل أن يأتيهم الموت فيندمون، وفي ذلك إشارة إلى بيان سبب الندم، وهو إدراكهم بأنهم سيتركون هذه الأموال، وسيذهبون من غيرها، وحينها سيتبيّن لهم كم كانوا مخطئين، ويودّون لو أنهم يمهلون إلى أجل ومدة قريبة حتى يتصدقوا ويزكُّوا أموالهم، ويتحصّلوا على الأجر والثواب ويَسْلَموا من العقاب؛ وإن أمر الله تعالى للمؤمنين بالإنفاق هو ترويضٌ لهذه النفس وكسرٌ لشهوتها؛ لإنقاذها من تقديس هذه الأموال والانشغال بها.

قال الطبري: «يقول تعالى ذكره: وأنفقوا أيها المؤمنون بالله ورسوله من الأموال التي رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول إذا نزل به الموت: يا رب هلاَّ أخَّرتني فتُمْهِل لي في الأجل إلى أجل قريب ﴿فَأَصَّدَّقَ﴾ يقول: فأزكي مالي ﴿وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ يقول: وأعمل بطاعتك، وأؤدي فرائضك»[(١١٧٠)].

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت القراءة بإثبات الواو (وأكون) على أنها معطوفة على لفظ قوله تعالى: ﴿فَأَصَّدَّقَ﴾. ومن قرأ: (وأكن) فهي معطوفة على موضع: (أصدق) ولو لم يكن فيه الفاء؛ لأن المعنى إن أخرتني أصدق وأكن[(١١٧١)]. وقد قال

(١١٦٩) انظر: ص٣٨٤.

(١١٧٠) جامع البيان ج١٠ ص٨٠٥٢.

(١١٧١) انظر: معاني القراءات ج٣ ص٧٢.

بذلك الطبري[1172]، وأورد مثله ابن الجوزي وغيرهم[1173].

وقال مكي: «وحجة من نصب أنه عطفه على لفظ (فأصَّدق)؛ لأن (فأصدق) منصوب بإضمار (أن)، لأنه جواب التمني. فهو محمول على المصدر (أخرتني).

وحجة من جزم أنه عطفه على موضع (فأصدق)؛ لأن موضعه قبل دخول الفاء فيه جزم؛ لأنه جواب التمني، وجواب التمني إذا كان بغير فاء ولا واو مجزوم؛ لأنه غير واجب. ففيه مضارعة للشرط وجوابه؛ فلذلك كان مجزوماً، كما يجزم جواب الشرط؛ لأنه غير واجب إذ يجوز أن يقع، ويجوز أن لا يقع»[1174].

وهناك من اعتبر أن القراءة بزيادة الواو (وأكون) عطفاً على (فأصدق)؛ والقراءة بحذف الواو (وأكن) لالتقاء الساكنين[1175].

وعليه فيكون الفرق في الإعراب فقط، إلا أن ذلك لا يمنع من إيجاد فرق في المعنى؛ لأن الزيادة في المبنى زيادة في المعنى، وزيادة الواو والمد يدل على طلب الزيادة في الفعل فهم يطلبون أن يتم تأخيرهم ليكونوا صالحين تمام الصلاح، وهذا يستلزم وقتاً أطول؛ ليفعلوا الخير أكثر، وبالتالي يتحصَّلوا على الثواب الأكبر والله تعالى أعلم.

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بينهما يتبيّن كيف يتمنون لو أن الله تعالى يؤخرهم إلى وقت آخر، ويمد لهم في الأجل حتى يفعلوا الخير، ويصبحوا صالحين تمام الصلاح وأكمله.

(١١٧٢) انظر: جامع البيان ج١٠ ص٨٠٥٤.

(١١٧٣) انظر: زاد المسير ص١٤٤٠.

(١١٧٤) الكشف ج٢ ص٣٢٢ - ٣٢٣ (بتصرف).

(١١٧٥) انظر: إتحاف فضلاء البشر ج٢ ص٥٤١، والمستنير ج٣ ص١٨٤.

٤ ـ قال تعالى: ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَآ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾﴾ [المنافقون: ١١].

القراءات:

١ ـ قرأ شعبة (بما يَعْمَلون) بالغيب.

٢ ـ وقرأها الباقون ﴿بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ بتاء الخطاب[١١٧٦].

المعنى اللغوي للقراءتين:

العمل هو حركة البدن بكله أو بعضه، وربما أطلق على حركة النفس، فهو إحداث أمر، قولاً كان أو فعلاً بالجارحة أو القلب. وقد ورد بيانه عند تفسير سورة الفتح[١١٧٧].

التفسير:

وفي ختام هذه السورة الكريمة يرد الله ﷻ على كل التخمينات والتخييلات، ويبيّن بأسلوب واضح وقاطع لا مجال فيه للبس أو الشك بأنه ﷻ لن يؤخر نفساً عن الموت إذا جاء وقت موتها، ولن ينفع حينئذ ندم النادمين، فمن أراد الخير فليفعل قبل حدوث ذلك؛ وإلا فالندم لا ينفع ولا يؤخر أجلاً أبداً. وقوله تعالى: ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا﴾ أي لن يمهلها ﴿إِذَا جَآءَ أَجَلُهَآ﴾؛ آخر عمرها المكتوب في اللوح. ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ فيجازيكم عليه، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، فسارعوا إلى الخيرات، واستعدوا لما هو آت[١١٧٨].

(١١٧٦) انظر: النشر ج٢ ص٢٩٥، والبدور الزاهرة ص٤٠٥.

(١١٧٧) انظر: ص٣٦.

(١١٧٨) انظر: البحر المديد ج٨ ص٥٣.

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت القراءة بالياء (يعملون) بلفظ الغيبة حمله على ما قبله من معنى.

أما القراءة بالتاء (تعملون) فهي على المخاطبة(١١٧٩).

قال مكي: «بالياء حمله على لفظ الغيبة التي قبله في قوله تعالى: ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا﴾ والنفس بمعنى الجماعة، فلذلك قال: (بما يعملون). وبالتاء جعلوه خطاباً شائعاً لكل الخلق»(١١٨٠).

ويجوز أن تكون القراءة بالياء على أن المقصود فقط المنافقون والكفار. والقراءة بالتاء على إرادة جميع الناس بلا استثناء.

قال ابن عطية: «بالتاء على المخاطبة لجميع الناس. وقال: وبالياء على تخصيص الكفار»(١١٨١).

وقال البقاعي: «(بما تعملون) أي توقعون عمله في الماضي والحال والمآل كله ظاهره وباطنه من هذا الذي أخبرتكم أن المحتضر العاصي يقوله ومن غيره منه ومن غيره أيها الناس»(١١٨٢).

أو أن القراءة بالياء جاءت على معنى الإخبار عن من مات، بينما القراءة بالتاء على المخاطبة للحاضرين كذلك(١١٨٣).

وخلاصة ما ذُكر تكون القراءة بالياء على الغيبة حملاً على ما قبلها، أو بمعنى إرادة الكفار والمنافقين دون غيرهم، أو على الإخبار.

أما القراءة بالتاء فهي على الخطاب وإرادة جميع الناس والله تعالى أعلم.

(١١٧٩) معاني القراءات ج٣ ص٧٢.

(١١٨٠) الكشف ج٢ ص٣٢٣ (بتصرف).

(١١٨١) المحرر الوجيز ج٥ ص٣١٦ ـ دار الكتب العلمية لبنان ـ ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

(١١٨٢) نظم الدرر ج٧ ص٦١٤.

(١١٨٣) انظر: اللباب ج١٩ ص١٢١.

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بينهما يظهر كيف أن الله تعالى يعلم ما يفعله العباد كل العباد، ويوجه الخطاب للمنافقين والكافرين على وجه الخصوص، تهديداً لهم، وذلك ظاهرٌ في القراءة بالياء على لفظ الغيبة والله تعالى أعلم.

وبهذه الكلمات الطيبة تمَّت هذه السورة وبتمامها تمَّت هذه الرسالة

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



الخاتمة

الحمد لله رب العالمين الذي أعانني على إتمام هذا البحث كما رزقني البداية فيه، إنها أيامٌ طيبةٌ مباركة جليلة، وأوقاتٌ ممتعة، وليالي سعيدة، وساعات ثمينة، ودقائق غالية نفيسة، تلك التي قضيتها في إعداد هذا البحث والسهر عليه، حتى صار جزءاً مني، يسكن معي حيث سكنت، ويرحل معي حيث رحلت، فلم تكن أدواته في لحظة من اللحظات جامدة، فهو حياة، بل قل هو روح تسري في النفس، وتشع في القلب، وتحيا في الوجدان، وكيف لا يكون ذلك وأكثر، وهو يعيش مع آيات الله تعالى الكريمات الخالدات، إنه لشرف ما بعده شرف، ونعمة من الله تعالى ليس لها عدّ ولا حدّ، فلك الحمد يا ربنا حمد المعترف بجميلك، والشاكر لفضلك وعظيم منتك، وأسألك يا مولاي أن تسخرني في خدمة دينك، ورفع لواء قرآنك، وأن تجود عليَّ من فيض علمك، وسعة رحمتك، فإنك على كل شيء قدير، وأصلي وأسلم علي النبي الأمي الأمين صاحب الأخلاق العظيمة، والمواقف الحكيمة، إمام اللغة والبيان والفصاحة والبلاغة في اللسان، أمره رشيد، وقوله سديد، لا ينطق عن الهوى، فوعى في قلبه وعقله عن جبريل عليه السلام ما وعى، أحب أمته فحزن من خوفه عليهم ولم يزل، حتى وعده ربه في أمته بالرضى، وذاك يوم الملتقى، فاز من صلى عليه وسلّما. وبعد:

فإنني أمام هذا الموقف وفي هذا الوقت الذي أخط فيه كلمات الختام من آخر ليلة الجمعة وحتى بعد فجر يوم السبت، لا يسعني إلا أن أقول: أنَّ هذا البحث وما به من تفسير للسور الكريمة من أول سورة (الفتح) وحتى

آخر سورة (المنافقون)، وما فيه من فصول ومباحث وحجج وبراهين وآراء وتحليلات وأقوال للعلماء، ولطائف وإشارات وحكم ظاهرات ومعانٍ واضحات في بيان الفرق بين القراءات، كل ذلك وما جاء به من صواب فهو من الله تعالى وتفضلاً منه سبحانه، وما كان به من تقصير أو زللٍ أو خطأ فهو من عند نفسي، وإني لأستغفر الله تعالى عن ذلك وأتوب إليه، وأرجو منه ﷻ أن يعفو عن الزلل والخطأ، وأن يتقبل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم، وإذا كان لا بد لي من كلمة في نهاية هذا البحث فإنه لمن دواعي سروري أن أقدم لإخواني بعضاً من النتائج التي خلصت إليها، وشيئاً من التوصيات التي أتمنى أن يتم تحقيقها.

أولاً: النتائج:

١ ـ إن هذا القرآن هو كلام الله تعالى الذي أعجز به خلقه، وتحداهم بآياته، وقهرهم بقوة بيانه، وعمق معانيه، وتعدد نواحيها مع تعدد الحرف التي نزل بها، وفيه من العلوم والمعارف ما لا نعرف له حداً ولا نهاية، وفيه من الأسرار والحكم الشيء الكثير الكثير، مما يفيدنا في حياتنا وآخرتنا، وهذا ما عشته من خلال هذا البحث.

٢ ـ إن القراءات القرآنية العشر هي قراءات ثابتة متواترة، وإذا كان الأمر كذلك، فإنه لا يجوز لأحدٍ أن يفاضل بينهما فيحسِّن واحدة على حساب الأخرى، أو أن ينكر بعضها أو يردها، كما حدث من بعض المفسرين.

٣ ـ إن القراءات القرآنية العشر التي تواترت عن النبي ﷺ هي أصل للغة والنحو، ولم يكن النحو ولا اللغة في يوم من الأيام أصلاً لها، ولا يجوز ذلك أبداً، وأي تشكيك أو إنكار لأيَّة قراءة ثابتة، بحجة أنها تخالف أصول اللغة وقواعد النحو، فهو تشكيك واعتراض باطل ومردود على صاحبه.

٤ ـ إن العمل في البحث والتفسير للوصول إلى معنى واضح، وفرق

ظاهر بين القراءات أمر جيد ومهم، ولكن لا يجوز لنا أن نذهب بعيداً في ذلك بدون دليل شرعي واضح، أو رأي سديد، أو منطق سليم.

٥ ـ الكثير من القراءات القرآنية اعتبرها العلماء من اللغات العربية، إلا أنها كانت فاتحة خير أمام الوصول إلى معانٍ فريدة وعجيبة تفيد في الأحكام والعبادات.

٦ ـ لقد بات واضحاً أن هذه القراءات القرآنية هي درب من دروب الإعجاز في التفسير والبيان والبلاغة، فهي ورغم كثرتها وتنوعها واختلافها إلا أن هذا الإختلاف الحاصل فيها ليس إختلاف تضاد، بل هو اختلاف تنوع، وكل قراءة من هذه القراءات هي بمثابة آية على إيجازها وتسدُّ مسدها.

٧ ـ القراءات القرآنية السبع أو العشر ليست هي الأحرف السبعة بل هي جزء من هذه الأحرف فقط.

٨ ـ إن للقراءات القرآنية الأثر الواضح في التفسير والفقه والتيسير على الأمة.

ثانياً: أهم التوصيات:

١ ـ أدعو العلماء والمتخصصين إلى لفت انتباه طلاب العلم الشرعي إلى أهمية هذه القراءات كمصدر مهم من مصادر التفسير والفقه والأحكام.

٢ ـ أدعو العلماء المتخصصين في أحكام التجويد أن يتعاملوا مع علم القراءات القرآنية مثل تعاملهم مع أحكام التجويد، فيقوموا بإنشاء حلقات خاصة في تعلم القراءات في المساجد والمؤسسات الشرعية، لضمان نشر هذا العلم.

٣ ـ أدعو الجامعات والمعاهد للتخطيط للبدء بانشاء نواة صلبة متخصصة تأخذ على عاتقها انشاء أقسام خاصة بالقراءات القرآنية.

٤ ـ أدعوا الحكومة ووزارة الأوقاف في هذا البلد الحبيب وكل البلاد

الإسلامية إلى طباعة مصاحف قرآنية بالقراءات العشر المتواترة وتوزيعها بين يدي الناس وطلاب العلم؛ لضمان نشر هذا العلم وذياع صيته.

٥ ـ أتمنى على الجامعة الإسلامية بالقيام بإرسال إخوة متخصصين إلى البلاد الإسلامية العريقة ليلتقوا بجهابذة العلماء، ويأخذوا عنهم الأسانيد بالقراءات القرآنية العشر حتى يعودوا لبلدهم ولأبنائهم، ويساهموا في سرعة نشر هذا العلم القرآني الطيب.

٦ ـ العناية بالقراءات القرآنية الشاذة للوقوف على حقيقتها، ومعرفة سبب ضعفها، وبيان مدى انسجامها مع القراءات القرآنية المتواترة معنىً وحكماً.

٧ ـ كذلك فإنني أوصي بضرورة طباعة تفسير القرآن الكريم بالقرآءات القرآنية العشر، وذلك عبر جمع كل الرسائل التي تناولت هذا الموضوع من أول سورة الفاتحة وحتى آخر سورة الناس، علماً بأن هذا العمل قد تم وأنجز بتمام هذه الرسالة.

وفي الختام أسأل الله العظيم أن يُقَدِّر لنا الخير حيثُ كان، وأن يفتحَ لنا من أبواب فضله وعلمه، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وسلم تسليماً كثيراً.



الفهرس



فهرس المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

١ - إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر / أحمد البنا - تحقيق: د. شعبان إسماعيل - عالم الكتب - بيروت.

٢ - إتقان البرهان في علوم القرآن / د. فضل حسن عباس - دار الفرقان - ط١ - ١٩٩٧م.

٣ - الإتقان في علوم القرآن / جلال الدين السيوطي - تحقيق: أحمد علي - دار الحديث - القاهرة - ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

٤ - أثر القراءات القرآنية في الفهم اللغوي دراسة تطبيقية في سورة البقرة / د. محمد عيسى - دار السلام - ط١ - ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

٥ - أحكام القرآن / أبو بكر أحمد الجصاص - دار الكتب العلمية - بيروت - ط١ - ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

٦ - إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم / أبو السعود محمد العمادي الحنفي - دار الكتب العلمية - بيروت - ط١ - ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

٧ - إرشاد المريد إلى مقصود القصيد في القراءات العشر / علي الضباع - دار الصحابة للتراث بطنطا - ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

٨ - أساس البلاغة / جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري - تحقيق: عبد الرحيم محمود - دار المعرفة - بيروت - لبنان - ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

٩ - الأساس في التفسير / سعيد حوى - دار السلام - ط٦ - ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

١٠ - أسباب النزول / للسيوطي - تحقيق: حامد الطاهر - دار الفجر للتراث - القاهرة - ط١ - ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

١١ - الأشباه والنظائر في النحو / جلال الدين السيوطي - دار الكتب العلمية - بيروت لبنان - ط١ - ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م.

١٢ - أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن / محمد الشنقيطي - دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان - ط١ - ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

١٣ - إعجاز القرآن الكريم / د. فضل حسن عباس، سناء فضل عباس - عمان - ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.

١٤ - إعجاز القرآن والبلاغة النبوية / مصطفى الرافعي - تحقيق: عبد الله المنشاوي - مكتبة الإيمان - المنصورة - ط١ - ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

١٥ - إعراب القراءات السبع وعللها / أبو عبد الله أحمد بن خالويه - تحقيق: د. عبد الرحمن العثيمين - مكتبة الخانجي - بالقاهرة - ط١ - ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

١٦ - الإقناع في القراءات السبع / أبو جعفر أحمد الأنصاري - تحقيق: أحمد المزيدي - دار الكتب العلمية - بيروت - ط١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

١٧ - إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب في القرآن / عبد الله العبكري - دار الفكر - بيروت - ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م.

١٨ - أنوار التنزيل وأسرار التأويل المشهور بتفسير البيضاوي / ناصر الدين الشيرازي البيضاوي - تحقيق: عبد القادر حسونة - دار الفكر - بيروت - لبنان - ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

١٩ - أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير / أبو بكر جابر الجزائري - مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة - ط٣ - ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٢٠ - بحر العلوم / أبو الليث السمرقندي - تحقيق علي معوض وآخرين - دار الكتب العلمية - بيروت - ط١ - ١٤١٣هـ ١٩٩٣م.

٢١ - البحر المحيط / محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي - تحقيق: مجموعة من العلماء - دار الكتب العلمية بيروت - لبنان - ط١ - ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٢٢ - البحر المديد في تفسير القرآن المجيد / أبو العباس أحمد بن محمد المهدي ابن عجيبة الحسني - تحقيق عمر أحمد الراوي - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط١ - ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

٢٣ - البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريق الشاطبية والدرة / عبد الفتاح القاضي - مكتبة أنس بن مالك - مكة المكرمة - ط١ - ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

٢٤ ـ بلاغة الكلمة في التعبير القرآني / د. فاضل صالح السامرائي ـ شركة العاتك للطباعة والنشر والتوزيع ـ القاهرة ـ ط٢ ـ ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م.

٢٥ ـ تاج العروس من جواهر القاموس / محب الدين أبو الفيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي الحنفي ـ دار مكتبة الحياة ـ بيروت ـ لبنان.

٢٦ ـ التبيان في تفسير غريب القرآن / شهاب الدين أحمد محمد بن عماد المعروف بابن الهيثم ـ تحقيق د. ضاحي محمد ـ دار الغرب الإسلامي ـ ط١ ـ ٢٠٠٣م.

٢٧ ـ تثقيف اللسان وتنقيح الجنان / أبو حفص عمر الصقلي النحوي اللغوي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط١ ـ ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

٢٨ ـ التجريد لبغية المريد في القراءات السبع / أبو القاسم عبد الرحمن الصقلي المقري ـ تحقيق عبد الرحمن بدر ـ دار الصحابة للتراث بطنطا ـ ط١ ـ ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

٢٩ ـ تحبير التيسير في قراءات الأئمة العشر / محمد بن محمد الدمشقي المشهور بابن الجزري ـ تحقيق: جمال شرف ـ دار الصحابة للتراث ـ بطنطا.

٣٠ ـ التحرير والتنوير / محمد الطاهر ابن عاشور ـ دار سحنون ـ تونس.

٣١ ـ التذكرة في القراءات / أبو الحسن طاهر بن غلبون ـ تحقيق: د. عبد الفتاح إبراهيم ـ الزهراء للإعلام العربي ـ ط٢ ـ ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

٣٢ ـ التسهيل لعلوم التنزيل / محمد أحمد بن جزي ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ لبنان ـ ط٢ ـ ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م.

٣٣ ـ تفسير ابن عربي / أبو بكر محيي الدين الطائي الحاتمي المعروف بابن عربي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ ـ ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

٣٤ ـ تفسير إطفيش / إطفيش ـ إباضي ـ المكتبة الشاملة ـ الإصدار الثاني.

٣٥ ـ تفسير الجلالين مذيلاً بلباب النقول / جلال الدين المحلي، وجلال الدين السيوطي ـ مكتبة الصفا ـ ط١ ـ ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م.

٣٦ ـ تفسير الحسن البصري/ جمع د. محمد عبد الرحيم ـ دار الحديث ـ القاهرة.

٣٧ ـ تفسير الصافي / الفيض الكاشاني ـ مكتبة الصدر ـ إيران ـ ١٣٧٣هـ ـ ١٩٥١م.

٣٨ ـ تفسير العز بن عبد السلام / عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي الدمشقي الشافعي ـ تحقيق: عبد الله بن إبراهيم الوهبي ـ دار ابن حزم ـ بيروت ـ ط١ ـ ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

٣٩ ـ تفسير القرآن العظيم / أبو الفداء إسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ ط٦ ـ ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

٤٠ - التفسير الكبير/ الفخر الرازي - دار إحياء التراث العربي - بيروت - ط٢ - ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٤١ - تفسير المراغي / أحمد مصطفى المراغي - دار الفكر.

٤٢ - التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج / وهبة الزحيلي - دار الفكر - دمشق - ط١ - ١٩٩١م.

٤٣ - التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق / د. صلاح الخالدي - دار النفائس - عمان - ط١ - ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٤٤ - التفسير الوجيز على هامش القرآن العظيم / د. وهبة الزحيلي - دار الفكر - دمشق - سورية - ط٥ - ١٤٢٧هـ.

٤٥ - التفسير الوسيط / محمد السيد طنطاوي - مطبعة السعادة - ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٤٦ - تفسير آيات الأحكام / القصبي محمود زلط - المجد للثقافة والعلوم - ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م.

٤٧ - تفسير غريب القرآن / أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة - تحقيق السيد أحمد صقر - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

٤٨ - تفسير مجاهد / مجاهد بن جبر التابعي المكي المخزومي - تحقيق وتقديم: عبد الرحمن السورتي - باكستان - المنشورات العلمية - بيروت - .

٤٩ - تفسير مقاتل/ أبو الحسن مقاتل بن سليمان الأزدي - تحقيق: أحمد فريد - دار الكتب العلمية بيروت - لبنان - ط١ - ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٥٠ - تقريب النشر في القراءات العشر / محمد بن محمد المشقي المشهور بابن الجزري - دار الحديث - القاهرة - تحقيق إبراهيم عوض - ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

٥١ - التمهيد في علم التجويد / شمس الدين أبو الخير محمد بن الجزري - تحقيق: غانم حمد - مؤسسة الرسالة - بيروت - ط١ - ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٥٢ - تنوير المقباس من تفسير ابن عباس / أبو الطاهر الفيروز آبادي - مكتبة الثقافة الدينية - ط١ - ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

٥٣ - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان / عبد الرحمن السعدي - تحقيق: محمد النجار - الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض - ١٤٠٤هـ.

٥٤ - التيسير في القراءات السبع / أبو عمرو الداني - دار الكتب العلمية - بيروت - صححه: أوتويرتزل - ط١ - ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

٥٥ ـ التيسير في تخريج القراءات المتواترة من حيث اللغة والإعراب والتفسير/ د. محمد محيسن ـ دار الجيل ـ بيروت ـ ط١ ـ ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.

٥٦ ـ التيسير في علم التجويد برواية حفص عن عاصم / د. عبد الرحمن الجمل ـ ط٣ ـ ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

٥٧ ـ جامع البيان عن تأويل آي القرآن / أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ـ تحقيق أحمد البكري وآخرين ـ دار السلام ـ ط ٣ ـ ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م.

٥٨ ـ الجامع الصحيح المعروف بسنن الترمذي / محمد بن عيسى الترمذي، كنيته أبو عيسى ـ تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان.

٥٩ ـ الجامع لأحكام القرآن المسمى بتفسير القرطبي / أبو عبد الله محمد القرطبي ـ تحقيق د. وجدي باسلوم ـ دار البيان العربي ـ ط١ ـ ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م.

٦٠ ـ الجواهر الحسان في تفسير القرآن / عبد الرحمن الثعالبي ـ تحقيق: أبو محمد الغماري الإدريسي الحسيني ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ ـ ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

٦١ ـ حجة القراءات / أبو زرعة بن زنجلة ـ تحقيق: سعيد الأفغاني ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ط٥ ـ ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

٦٢ ـ الحجة في القراءات السبع / ابن خالويه ـ تحقيق: د. عبد العال مكرم ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ط٦ ـ ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

٦٣ ـ الحجة في القراءات السبعة / أبو علي الفارسي ـ تحقيق بدر قهوجي، بشير جويجاتي ـ دار المأمون ـ للتراث ـ ط٢ ـ ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

٦٤ ـ الدر المصون في علوم الكتاب المكنون / أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي ـ تحقيق: د. أحمد محمد الخراط ـ دار القلم ـ دمشق ـ ط١ ـ ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

٦٥ ـ الدر المصون في علوم الكتاب المكنون / شهاب الدين أبو العباس المعروف بالسمين الحلبي ـ تحقيق: علي معوض وآخرين ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط١ ـ ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

٦٦ ـ الدر المنثور في التفسير المأثور / جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ ـ ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م.

٦٧ ـ رسالة في تفسير القرآن الكريم بالقراءات القرآنية العشر من أول سورة الزمر وحتى آخر سورة محمد / الباحث عماد شعبان الشريف ـ إشراف د. رياض محمود قاسم ـ ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م.

٦٨ - رسالة ماجستير في تفسير القرآن بالقراءات من خلال سورة الأنفال والتوبة ويونس / للباحثة أحلام أبو شعبان - إشراف: د زهدي أبو نعمة - ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

٦٩ - روائع البيان لمعاني القرآن / أيمن عبد العزيز جبر - دار الأرقم - عمان - ط٢ - ١٩٩٧م.

٧٠ - روح البيان في تفسير القرآن المشهور بتفسير حقي / إسماعيل حقي البروسوي - ضبط وتصحيح عبد اللطيف عبد الرحمن - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط١ - ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٧١ - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني / شهاب الدين الألوسي البغدادي - ضبطه علي عطية - دار الكتب العلمية - بيروت - ط١ - ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

٧٢ - زاد المسير في علم التفسير/ أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي ابن محمد الجوزي القرشي البغدادي - دار ابن حزم - بيروت - لبنان - ط١ - ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

٧٣ - زبدة التفاسير / محمد متولي الشعراوي - المكتبة التوفيقية القاهرة - مصر.

٧٤ - سنن أبو داود / الإمام سليمان بن أشعث السجستاني - تحقيق: محمد محيي الدين عبد المجيد - دار الفكر.

٧٥ - سير أعلام النبلاء / أبو عبد الله شمس الدين محمد الذهبي - تحقيق: بشار عواد - مؤسسة الرسالة - بيروت - ط٧ - ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

٧٦ - سير أعلام النبلاء / أبو عبد الله شمس الدين محمد الذهبي - تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ومحمد العرقسوس - مؤسسة الرسالة - بيروت - ط٩ - ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

٧٧ - الشامل في القراءات المتواترة / د. محمد حبش - دار الكلم الطيب - دمشق - بيروت.

٧٨ - شذرات العرف في فن الصرف / أحمد الحملاوي - مكتبة المعارف - ط١ - ١٤٢٢هـ - ص١٤٨.

٧٩ - الصحاح في اللغة والعلوم / نديم مرعشلي، أسامة مرعشلي - دار الحضارة العربية - بيروت - ط١ - ١٩٧٥م.

٨٠ - صحيح البخاري / الإمام محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ابن المغيرة بن بردزيه، كنيته أبو عبد الله البخاري الحنفي - تحقيق: عبد الرؤوف سعد - ١٤٢٣هـ.

٨١ ـ صحيح مسلم / الإمام مسلم بن الحجاج، كنيته أبو الحسن النيسابوري ـ تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

٨٢ ـ صفوة التفاسير / محمد الصابوني ـ دار الصابوني ـ ط١ ـ ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

٨٣ ـ طبقات المفسرين / الحافظ شمس الدين محمد الداوودي ـ تحقيق: علي عمر ـ مكتبة وهبة ـ القاهرة ـ ط٢ ـ ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.

٨٤ ـ طلبة الطلبة في الإصطلاحات الفقهية / عمر النسفي ـ دار النفائس ـ بيروت ـ لبنان ـ ط٢ ـ ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

٨٥ ـ غاية النهاية في طبقات القراء / شمس الدين محمد بن محمد بن الجزري ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط٣ ـ ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.

٨٦ ـ غيث النفع في القراءات السبع / علي النوري الصفاقسي ـ تحقيق: جمال الدين محمد شرف ـ دار الصحابة للتراث ـ بطنطا ـ ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.

٨٧ ـ فتح الرحمن في تفسير القرآن / عبد المنعم تعيلب ـ دار السلام مصر ـ ط١ ـ ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.

٨٨ ـ فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير / محمد الشوكاني ـ تحقيق: سيد إبراهيم ـ دار الحديث القاهرة ١٤٢٧هـ ٢٠٠٧م.

٨٩ ـ في ظلال القرآن / سيد قطب ـ دار الشروق ـ القاهرة ـ ط٢٥ ـ ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

٩٠ ـ القاموس المحيط في اللغة / الفيروز آبادي ـ ضبط وتوثيق: يوسف البقاعي ـ دار الفكر ـ بيروت ـ لبنان ـ ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

٩١ ـ كتاب الجامع الصحيح المعروف بسنن الترمذي / محمد بن عيسى الترمذي، كنيته أبو عيسى ـ تحقيق: أحمد محمد عطا ـ مكتبة دار الباز ـ مكة المكرمة ـ ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

٩٢ ـ كتاب السنن الكبرى / الإمام النسائي ـ ج٩ ص٩٣.

٩٣ ـ كتاب فتح الباري / أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ـ ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي ـ دار المعرفة ـ بيروت.

٩٤ ـ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل / أبو القاسم جار الله محمود الزمخشري الخوارزمي ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان.

٩٥ ـ الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها / مكي بن أبي طالب القيسي ـ تحقيق: د. محيي الدين رمضان ـ مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق.

٩٦ - كلمات القرآن / تاج الدين اليماني، عبد الرحمن السعدي - جمع: محمود ابن الجميل - مكتبة الصفا - ط٢ - ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٩٧ - لباب التأويل في معاني التنزيل المسمى تفسير الخازن / علاء الدين علي ابن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن - شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر - ط٢ - ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م.

٩٨ - اللباب في علوم الكتاب / أبو حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي - تحقيق: عادل عبد الموجود، وعلي معوض - دار الكتب العلمية - بيروت - ط١ - ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٩٩ - لسان العرب / أبو الفضل جمال الدين بن مكرم ابن منظور المصري - دار صادر - بيروت - ط١ - ١٣٠٠هـ.

١٠٠ - مباحث في علوم القرآن / مناع القطان - مكتبة المعارف - الرياض - ط٣ - ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

١٠١ - المبسوط في القراءات العشر/ أبو بكر أحمد الأصبهاني - تحقيق: جمال الدين شرف - دار الصحابة للتراث بطنطا.

١٠٢ - محاسن التأويل المشهور بتفسير القاسمي / محمد القاسمي - دار إحياء الكتب العربية - تصحيح: محمد فؤاد عبد الباقي.

١٠٣ - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز/ لأبي محمد عبد الحق ابن عطية الأندلسي - تحقيق عبد السلام محمد - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط١ - ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

١٠٤ - مختار الصحاح / محمد الرازي - دار الحديث - القاهرة - ط١ - ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

١٠٥ - مدارك التنزيل / عبد الله النسفي - دار إحياء الكتب العربية.

١٠٦ - المستنير في القراءات العشر / أبو طاهر بن سوار - دار الصحابة للتراث بطنطا - ٢٠٠٢م.

١٠٧ - مسند أحمد / الإمام أحمد بن حنبل الشيباني - مؤسسة قرطبة.

١٠٨ - المصباح المنير / أحمد الفيومي المقري - دار الحديث - القاهرة - ط١ - ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

١٠٩ - مصحف الصحابة في شرح كلمات القرآن الكريم / عبد الله علوان - دار الصحابة للتراث بطنطا - ط١ - ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م.

١١٠ ـ معالم التنزيل في التفسير والتأويل المشهور بتفسير البغوي/ أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي ـ دار الفكر ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ ـ ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م.

١١١ ـ معاني الأبنية في العربية / د. فاضل السامرائي ـ جامعة الكويت ـ ط١ ـ ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

١١٢ ـ معاني القراءات / أبو منصور الأزهري ـ تحقيق: د. عيد درويش، عوض القوزي ـ مطابع دار المعارف ـ مصر ـ ١٩٩٣م.

١١٣ ـ معاني القرآن / أبي محمد زكريا بن يحيى بن زياد الفراء ـ تحقيق: د. عبد الفتاح إسماعيل شلبي ـ دار السرور.

١١٤ ـ معاني النحو / د. فاضل صالح السامرائي ـ شركة العاتك للطباعة والنشر والتوزيع ـ القاهرة ـ ط٢ ـ ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٣م.

١١٥ ـ معترك الأقران في إعجاز القرآن / جلال الدين السيوطي ـ ضبط وتصحيح: أحمد شمس الدين ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط١ ـ ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

١١٦ ـ معجم الأدباء / كامل سلمان الجبوري ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط١ ـ ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

١١٧ ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم / محمد فؤاد عبد الباقي ـ دار الريان للتراث ـ دار الحديث مصر ـ ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

١١٨ ـ معجم المقاييس في اللغة / ابن فارس ـ تحقيق: شهاب الدين أبو عمرو ـ دار الفكر ـ ط٢ ـ ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م.

١١٩ ـ المعجم الوسيط / إخراج إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار ـ المكتبة الإسلامية استانبول ـ تركيا ـ ط١ ـ ١٣٨٠هـ ـ ١٩٦٠م.

١٢٠ ـ معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار / أبو عبد الله محمد الذهبي ـ تحقيق أبو عبد الله الشافعي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط١ ـ ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

١٢١ ـ المغني في علم التجويد / د. عبد الرحمن الجمل ـ ط٨ ـ ٢٠٠٦م.

١٢٢ ـ مفاتيح الأغاني في القراءات والمعاني / أبو العلاء الكرماني ـ تحقيق: د. عبد الكريم مدلج ـ دار ابن حزم.

١٢٣ ـ من بلاغة القرآن المعاني، البيان، البديع / د. محمد علوان، د. نعمان علوان ـ ط١ ـ ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.

١٢٤ ـ المنتخب في تفسير القرآن الكريم ـ وزارة الأوقاف المجلس الأعلى للشئون الإسلامية مصر ـ ط١٨ ـ ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.

١٢٥ - المنجد في اللغة والأعلام / دار المشرق - بيروت - ط٣٣ - ١٩٩٢م.

١٢٦ - نتاج الفكر في النحو / أبو القاسم عبد الرحمن السهيلي - تحقيق: عادل الموجود، علي معوض - دار الكتب العلمية - بيروت - ط١ - ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

١٢٧ - النشر في القراءات العشر / محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري - دار الصحابة للتراث - طنطا - ط١ - ٢٠٠٢م.

١٢٨ - نظم الدرر في تناسب الآيات والسور/ برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط١ - ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

١٢٩ - النكت والعيون / أبو الحسن علي الماوردي البصري - دار الكتب العلمية - مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت - ط١ - ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

١٣٠ - نهاية القول المفيد في علم التجويد / مكي الجريسي - مكتبة الصفا - القاهرة - ط١ - ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

١٣١ - الوافي في شرح الشاطبية / عبد الفتاح القاضي - دار السلام - ط٦ - ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

١٣٢ - الوسيط في تفسير القرآن المجيد المشهور بتفسير النيسابوري / أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري - تحقيق: مجموعة من العلماء - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط١ - ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.



فهرس المواضيع

الموضوع	الصفحة

الجامعة الإسلامية - غزة
عمادة الدراسات العليا
كلية أصول الدين
قسم التفسير وعلوم القرآن

تفسير القرآن
بالقراءات القرآنية العشر

(من سورة التغابن إلى سورة الناس)

إعداد الباحث
صابر محمد أحمد

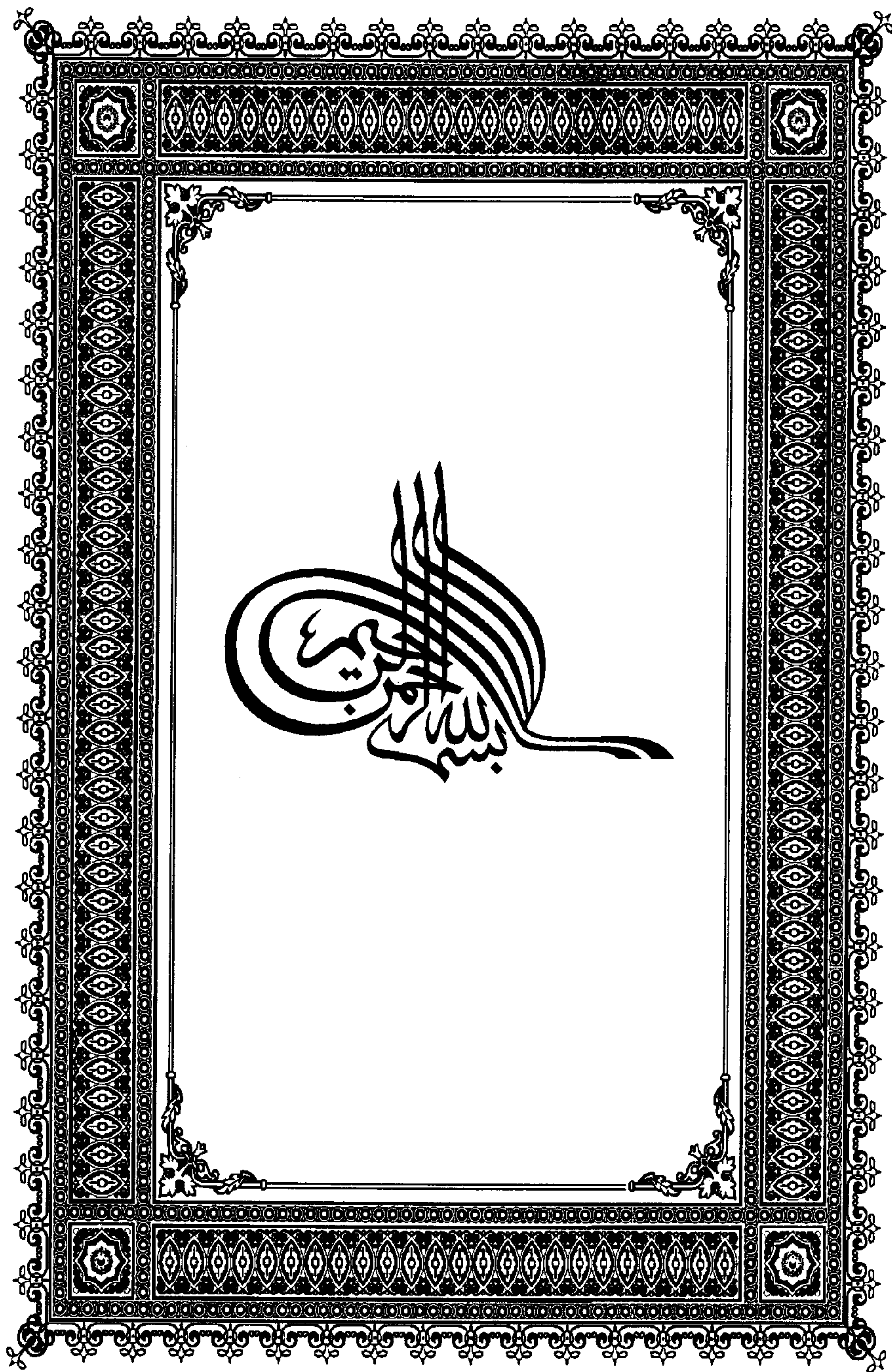
إشراف الدكتور
د. وليد العامودي

ضبط ومراجعة
د. مروان محمد أبوراس

الجزء الثالث عشر

منشورات الجامعة الإسلامية
ورابطة علماء فلسطين - غزة

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير
في التفسير وعلوم القرآن
١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م


بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٥٢) صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ (٥٣)﴾

[الشورى: ٥٢ ـ ٥٣]

شكرٌ وتقديرٌ

الحمد لله وحده. والصلاة والسلام على خير من وطأ الثرى.

أما بعد:

امتثالاً واستجابةً لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾ [لقمان: ١٢]، وقول الرسول ﷺ «**لا يشكر الله من لا يشكر الناس**»[(١)]. أعرب عن شكري وتقديري وعرفاني بالفضل **لفضيلة الدكتور: وليد حسن العامودي** الذي تفضل عليّ رغم أعبائه الكثيرة بقبوله الإشراف على هذه الرسالة، ولما بذله من جهد في قراءتها، وإسداء النصح والتوجيه طوال فترة الإشراف، جزاه الله عني خير الجزاء.

كما وأتقدم بعظيم الشكر والاعتراف بالفضل والامتنان لمناقشيّ الفاضلين:

فضيلة الدكتور: زكريا الزميلي حفظه الله.

وفضيلة الدكتور: زهدي أبو نعمة حفظه الله.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢/٧٩٣٩، ٨٠١٩، ٩٠٣٤). والترمذي (٤/ ٣٣٩) في كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك، حديث رقم: (١٩٥٤)، وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح». قال الشيخ الألباني: «صحيح».

لتفضلهما بمناقشة هذه الرسالة، وعلى ما أبدياه من توجيه وملاحظات لتخرج في أفضل صورة ممكنة، فجزاهما الله عني خير الجزاء.

ولا يفوتني هنا أن أعرب عن تقديري للجهود الراقية التي تبذلها الجامعة الإسلامية بصورة عامة، وكلية أصول الدين بصورة خاصة، ممثلة بأساتذتها الكرام من كافة التخصصات على الجهد المبذول لتثقيف هذا الجيل بالثقافة الإسلامية، وإرشاده إلى طريق الحق والخير؛ لنصرة هذا الدين العظيم. وأقدم شكري ودعائي إلى كل من أسدى إليّ معروفاً، أو أعارني كتاباً، أو قدم لي خدمة أو أبدى تشجيعاً، أو دعا لي في ظهر الغيب، فلهم مني جميعاً كل شكر وتقدير، وجزاهم الله عني خير الجزاء سائلاً المولى أن يجعل عملهم الصالح في ميزان حسناتهم. وأخيراً، أسأل الله القبول لما قمت به إنه نعم المولى ونعم النصير.

مِفتاح مختصرات ورموز الرسالة

الإبانة = الإبانة عن معاني القراءات/ لمكي بن أبي طالب القيسي.

الإتحاف = إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر/ للدمياطي.

الإتقان = الإتقان في علوم القرآن/ لجلال الدين السيوطي.

إعجاز القرآن = إعجاز القرآن والبلاغة النبوية/ مصطفى صادق الرافعي.

الأحرف السبعة = الأحرف السبعة ومنزلة القراءات منها/ لحسن ضياء الدين عتر.

الإرشادات = الإرشادات الجلية في القراءات السبع المرضية/ للدكتور محمد محيسن.

التحرير والتنوير = تفسير التحرير والتنوير/ محمد الطاهر ابن عاشور.

أضواء البيان = أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن/ لمحمد الأمين الشنقيطي.

أوضح المسالك = أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك/ لعبدالله جمال الدين الأنصاري.

اهـ = انتهى.

البصائر = بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز/ للفيروزأبادي.

البلغة = البلغة فى تراجم أئمة النحو واللغة/ للفيروزأبادي.

الخازن = تفسيرالخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل/ لعلاء البغدادي.

الفائق = الفائق في غريب الحديث/ محمود بن عمر الزمخشري.

الفقه الإسلامي = الفقه الإسلامي وأدلته/ للدكتور وهبة الزحيلي.

المكرر = المكرر فيما تواتر من القراءات السبع وتحرر/ للإمام النشار.

بغية الوعاة = بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة/ لجلال الدين السيوطي.

تاج العروس = تاج العروس من جواهر القاموس/ لمحمد مرتضى الزبيدي.

تفسير ابن كثير = تفسير القرآن العظيم/ للحافظ ابن كثير.

تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم/ لأبي السعود العمادي.

تفسير البغوي = معالم التنزيل المسمى بتفسير البغوي/ أبو محمد الحسين الفراء البغوي.

تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن /للثعالبي.

تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبدالرحمن السعدي.

تفسير شحادة = تفسير القرآن الكريم للدكتور عبدالله شحادة.

التذكرة = كتاب التذكرة في القراءات/ لابن غلبون.

فتح القدير = فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية/ للشوكاني.

تفسير الطبرسي = مجمع البيان في تفسير القرآن/ لأبي علي الطبرسي.

الطبري = جامع البيان في تفسير القرآن/ لابن جرير الطبري.

محاسن التأويل = محاسن التأويل/ لمحمد جمال الدين القاسمي.

القرطبي = الجامع لأحكام القرآن/ لأبي عبدالله القرطبي.

تفسير الكشاف = الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري.

تفسيرالرازي = التفسير الكبير ومفاتيح الغيب/ لفخرالدين الرازي.

تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل/ للإمام البيضاوي.

التفسير المنير = التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج/ لوهبة الزحيلي.

التبيان = التبيان في إعراب القرآن/ لأبي البقاء محب الدين العكبري.

التبيان لغريب القرآن = التبيان في تفسير غريب القرآن/ لشهاب الدين المصري.

التيسير = التيسير فى القراءات السبع/ لأبي عمرو الداني.

الظلال = في ظلال القرآن/ سيد قطب.

الحجة = الحجة في القراءات السبع/ الحسين بن أحمد بن خالويه أبو عبدالله.

الحجة للقراء = الحجة للقراء السبعة / أبو علي الحسن بن عبدالغفار الفارسي.

الدر = الدر المصون في علوم الكتاب المكنون/ للسمين الحلبي.

روح المعاني = روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني/ للألوسي.

زاد المسير = زاد المسير في علم التفسير/لابن الجوزي.

غاية النهاية = غاية النهاية في طبقات القراء/لابن الجزري.

فتح الباري = فتح الباري شرح صحيح البخاري/ لابن حجر العسقلاني.

الفريد = الفريد في إعراب القرآن المجيد/ لحسين بن أبي العز الهمذاني.

الكشف = الكشف عن وجوه القراءات وعللها وحججها/ لمكي بن أبي طالب.

لمسات بيانية = لمسات بيانية في نصوص من التنزيل/ للدكتور فاضل السامرائي.

المحرر الوجيز = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز/ لابن عطية الأندلسي.

المصباح المنير = المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي/ أحمد الفيومي.

المستنير = المستنير في تخريج القراءات المتواترة/ لمحمد سالم محيسن.

الموضح = الكتاب الموضح في وجوه القراءات وعللها/ للإمام نصر الشيرازي.

معرفة القراء = معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار/ للذهبي.

المغني = المغني في توجيه القراءات العشر المتواترة/ لمحمد سالم محيسن.

مفاتيح الأغاني = مفاتيح الأغاني في القراءات والمعاني/ لأبي العلاء الكرماني.

مفردات ألفاظ القرآن = معجم مفردات ألفاظ القرآن/ للراغب الأصفهاني.

الميسَّر = الميسر في القراءات الأربع عشرة/ لمحمد فهد خاروف.

النجوم الزاهرة = النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة/ لابن تغري بردي.

النشر = النشر في القراءات العشر/ للحافظ أبي الخير ابن الجزري.

نظم الدرر = نظم الدرر في تناسب الآيات والسور/ لبرهان الدين البقاعي.

الوجيز = الوجيز في تفسير الكتاب العزيز/ لعلي بن أحمد الواحدي.

. . . = في هذا المكان حذف كلام من النص المنقول.

الفصل الأول
تفسير سورة (التغابن) إلى آخر سورة (نوح)
من خلال القراءات القرآنية العشر

ويشتمل على ثمانية مباحث:

المبحث الأول: عرض وتفسير لآيات سورة التغابن المتضمنة للقراءات العشر

المبحث الثاني: عرض وتفسير لآيات سورة الطلاق المتضمنة للقراءات العشر

المبحث الثالث: عرض وتفسير لآيات سورة التحريم المتضمنة للقراءات العشر

المبحث الرابع: عرض وتفسير لآيات سورة الملك المتضمنة للقراءات العشر

المبحث الخامس: عرض وتفسير لآيات سورة القلم المتضمنة للقراءات العشر

المبحث السادس: عرض وتفسير لآيات سورة الحاقة المتضمنة للقراءات العشر

المبحث السابع: عرض وتفسير لآيات سورة المعارج المتضمنة للقراءات العشر

المبحث الثامن: عرض وتفسير لآيات سورة نوح المتضمنة للقراءات العشر

المبحث الأول
عرض وتفسير لآيات سورة التغابن
المتضمنة للقراءات القرآنية العشر

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: بين يدي السورة

المطلب الثاني: عرض وتفسير لآيات سورة التغابن المتضمنة للقراءات العشر

ويشتمل على:

أولاً: القراءات

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات

خامساً: الجمع بين القراءات

المبحث الأول
عرض وتفسير لآيات سورة التغابن المتضمنة للقراءات العشر

المطلب الأول: بين يدي السورة:

هذه السورة من السور المدنية[٢] على الراجح[٣]، والتي من شأنها العناية بالتشريع، ولكن ساد جوها الأول جو السور المكية التي تُعنى بأصول العقيدة[٤]. والتغابن اسم من أسماء يوم القيامة[٥].

أما مناسبتها لسورة (المنافقون): فلما ذكر الله أوصاف المنافقين في سورة (المنافقون)، وحذر المؤمنين من أخلاق المنافقين؛ ناسب في هذه السورة التحذير من صفات الكافرين، وكما نهى الله تعالى في سورة (المنافقون) عن الاشتغال بالأموال والأولاد لئلا يلهي عن ذكر الله، بيَّن في هذه السورة أن الأموال والأولاد فتنة. وكما أمر الله في آخر سورة (المنافقون) بالإنفاق في سبيل الله كذلك أمر بالإنفاق في أواخر هذه السورة؛ حتى لا يغبن الناس يوم القيامة. ولما كان ما قبلها مشتملاً على حال

---

(٢) انظر: القرطبي (١٨/١٠٣).

(٣) وقيل: مكية. انظر تفسير ابن كثير (٨/١٣٥).

(٤) انظر: نحو هذا القول في ظلال القرآن سيد قطب (٦/٣٥٨٣) وحيث يرد سأشير إليه بـ«الظلال».

(٥) انظر: الطبري (٢٨/١٢٦) يقال غُبِنَ الرّجُل في بَيعه، فهو يُغْبَنُ غَبْناً، وذلك إذا اهتُضم فيه. وغَبنَ في رأيه، وذلك إذا ضَعُف رأيُه. معجم مقاييس اللغة (٤/٤١١).

المنافقين، وفي آخرها خطاب للمؤمنين، أتبعه بما يناسبه من تقسيم الناس لمؤمن وكافر[٦].

والمحور الأساس للسورة: بناء أسس العقيدة، والعناية بالتشريع.

المطلب الثاني: عرض وتفسير لآيات سورة التغابن المتضمنة للقراءات العشر:

١ ـ قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا۟ وَتَوَلَّوا۟ ۚ وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ ۚ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ۝٦﴾ [التغابن: ٦].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ أبو عمرو بسكون السين (رُسْلُهُم).

٢ ـ وقرأ الباقون بضمها ﴿رُسُلُهُم﴾[٧].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(رسلهم) من مادة (رسل) الراء والسين واللام أصلٌ واحدٌ مطّردٌ مُنْقاس، يدلُّ على الانبعاث والامتداد. فالرَّسْل: السَّير السَّهل. وناقةٌ رَسْلَةٌ: لا تكلِّفك سِياقاً[٨]، وأرْسَلَهُ في رِسَالة فهو مُرْسِلٌ ورَسُولٌ والجمع رُسْلٌ ورُسُلٌ[٩].

١ ـ القراءة بسكون السين تدل على التؤدة والسهولة، كما يقال: على رِسْلِكَ بالكسر أي: اتئد فيه، كما يقال: على هينتك[١٠] وقال

---

(٦) البحر المحيط (٢٧٦/٨) بتصرف.

(٧) انظر: الميسر (٥٥٦) مصحف الصحابة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدرة تأليف جمال الدين محمد شرف (٥٥٦) وحيث يرد سأشير إليه بـ«مصحف الصحابة»، معجم القراءات (٤٨٧).

(٨) معجم مقاييسُ اللّغة (٣٢٦/٢).

(٩) مختار الصحاح لمحمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي (١٠٢/١).

(١٠) مختار الصحاح (١٠٢/١)، الفائق ـ للزمخشري ـ (٩٤/٣).

الراغب رَحِمَهُ اللهُ: «أصل الرسل الانبعاث على تؤدة وناقة رسلة سهلة السير»[(١١)]. وعمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال لمؤذن بيت المقدس: إذا أذنت فترسل[(١٢)].

٢ ـ القراءة بضم السين تدل على كثرة الرسل إليهم كالقول: جاءت الإبل رُسُلاً أي: متتابعة. وقوله عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾﴾ [الفرقان: ٣٧] وقد نقل البقاعي عن الزجاج قوله: يدل هذا اللفظ على أن قوم نوح قد كذبوا غير نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ بقوله الرسل، ويجوز أن يعني به نوح وحده؛ لأن من كذب بنبي فقد كذب بجميع الأنبياء؛ لأنه مخالف للأنبياء؛ لأن الأنبياء ـ عليهم السلام ـ يؤمنون به وبجميع رسله. ويجوز أن يكون يعني به الواحد، ويذكر لفظ الجنس[(١٣)]. فقال: ﴿بِأَنَّهُۥ﴾ أي: بسبب أن الشأن العظيم البالغ في الفظاعة ﴿كَانَت تَّأْتِيهِمْ﴾ على عادة مستمرة ﴿رُسُلُهُم﴾ أي: رسل الله الذين أرسلهم إليهم، وخصهم بهم ليكونوا موضع سرورهم بهم[(١٤)].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

الإشارة بقوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ تبيّن قوة العلاقة مع ما سبق فيحسن الإتيان بالآية السابقة وهي قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ فَذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ﴾ بعد أن بيَّن الله صفات الكمال والجلال والعظمة له، يخاطب كفار مكة، ويذكرهم بخبر الأمم الخالية، وكيف ذاقوا جزاء أعمالهم، أي: ما لحقهم من العذاب في الدنيا وما ينتظرهم من العذاب، أي: في الآخرة ذلك أي: الذي نزل بهم من العذاب بسبب أنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فكان الإنكار حيث أنكروا أن يكون الرسول من جنس البشر متعجبين من ذلك، وأراد بالبشر الجنس، وذلك لقلة عقولهم؛

(١١) انظر: التعاريف ـ المناوي ـ (٣٦٣/١).

(١٢) انظر: سنن البيهقي (٤٢٨/١).

(١٣) لسان العرب (٢٨٤/١١).

(١٤) نظم الدرر لبرهان الدين البقاعي (١٠/٨).

فبيَّن جل وعلا: أنه غني عنهم مستغنٍ عن عبادتهم حميد على صنعه[١٥].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

١ ـ من قرأ (رسْلهم): فحجة الإسكان ثقل حركة بعد ضمتين لطول الكلمة، وكثرة الحركات. وبيَّنت القراءة بأن الرسل كانوا يعاملونهم بالتؤدة والسهولة، وذلك على قراءة تسكين السين أو أن الرسول الواحد كان يرفق بهم مع ثبات العقيدة التي دعا لها، وتوحدها ليؤمنوا، فما نفع الرفق معهم لأن من كذب بنبي فقد كذب بجميع الأنبياء؛ لأنه مخالف للأنبياء؛ لأن الأنبياء ـ عليهم السلام ـ يؤمنون به وبجميع الرسل[١٦].

٢ ـ من قرأ ﴿رُسُلُهُم﴾: فحجة الضم أن بناء فعول وفعيل على فعل بضم العين في كلام العرب ولم تدع ضرورة إلى إسكان الحرف، فتركوا الكلمة على حق بنيتها[١٧]، وعلى ذلك يكون التفسير: أنه أرسل لهم أكثر من رسول على التتابع ـ على قراءة ضم السين ـ؛ فما نفع معهم كثرة الرسل. لذلك الضم هو الأصل، والتسكين جائز تخفيفاً، ومنهم من يسكن إذا أضاف إلى الضمير هرباً من توالي الحركات[١٨]، والضم والتسكين لغتان[١٩].

خامساً: الجمع بين القراءتين:

بالجمع بين القراءتين يتسع المعنى: وذلك لبيان كثرة الرسل على المعنى الأول، وبيان تلطف الرسول، وثبات معتقده، وثباته على ذلك مع طول مدة بقائه، ومكثه بينهم يدعوهم إلى الله تعالى، على المعنى الثاني.

---

(١٥) البحر المحيط (٨/٢٧٧) بتصرف.

(١٦) لسان العرب (١١/٢٨٤).

(١٧) انظر: حجة القراءات ـ ابن زنجلة (١/٢٢٥).

(١٨) التبيان في إعراب القرآن ـ للعكبري ـ وحيث يرد سأشير إليه بـ«التبيان» (١/٤٩).

(١٩) إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع ـ أبو شامة الدمشقي ـ وحيث يرد سأشير إليه بـ«إبراز المعاني» (٤٢٧).

٢ ـ قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾﴾ [التغابن: ٩].

أولاً: القراءات:

١ ـ أ ـ قرأ يعقوب (نَجْمَعُكُم) بالنون.

ب ـ وقرأ الباقون بالياء ﴿يَجْمَعُكُمْ﴾.

٢ ـ أ ـ قرأ نافع وأبو جعفر وابن عامر (نُكَفِر ـ وَنُدْخِلْهُ) بالنون.

ب ـ وقرأ الباقون بالياء ﴿يُكَفِّرْ ـ وَيُدْخِلْهُ﴾[٢٠].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

١ ـ ﴿يَجْمَعُكُمْ﴾ من الجمع والإحضار (جمع) الجيم والميم والعين أصلٌ واحد، يدلُّ على تَضَامِّ الشَّيء، يقال جَمَعْتُ الشيءَ جَمْعاً[٢١].

٢ ـ (كفر) الكاف والفاء والراء أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على معنىً واحد، وهو السَّتْر والتَّغطية[٢٢].

٣ ـ (دخل) الدال والخاء واللام أصلٌ مطرد، وهو الوُلوج. يقال دخل يدخُل دخولاً[٢٣].

---

(٢٠) انظر: «التلخيص في القراءات الثماني» للإمام أبي معشر عبدالكريم بن عبدالصمد الطبري رحمه الله توفي سنة ٤٧٨هـ (٤٣٨) وحيث يرد ذكره سأشير إليه بالتلخيص، تحبير التيسير ـ ابن الجزري ص٢١٨ وحيث يرد ذكره سأشير إليه بتحبير التيسير ـ «الكتاب الموضح ـ وعللها للإمام نصر بن علي بن محمد أبي عبدالله الشيرازي المتوفى بعد سنة ٥٦٥هـ (١٢٣٧/٣) وحيث يرد ذكره سأشير إليه بالموضح ـ الميسر (٥٥٦) ـ كتاب التيسير ـ تأليف الإمام أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني المتوفى سنة٤٤٤هـ (ص١٧١) وحيث يرد ذكره سأشير إليه بالتيسير.

(٢١) معجم مقاييس اللغة (٤٧٩/١).

(٢٢) معجم مقاييس اللغة (١٩١/٥).

(٢٣) معجم مقاييس اللغة (٣٣٥/٢).

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ﴾ اذكروا ـ الخطاب للمشركين ـ يوم الحشر الذي يجمع الله فيه الخلق، حيث يظهر فيه الغَبْن والتفاوت بينهم، فيغبن المؤمنون أهل الكفر والفسق، فيدخل أهل الإيمان الجنة بمنّة الله، وأهل الكفر لهم النار بعدل الله. فمن آمن بالله وعمل على مرضاته، عفا عن ذنوبه، وأدخله الجنات، خالداً فيها أبداً، ذلك الخلود هو الفوز العظيم الذي يرضي صاحبه على الدوام(٢٤).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قرأ نافع وابن عامر (نكَفِّرْ ـ ندْخِلْهُ) بالنون، وقرأ الباقون بالياء، وحجتهم: أن الاسم الظاهر قد تقدم، وهو قوله ومن يؤمن بالله ويعمل صالحاً، فكذلك قوله: ﴿يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ﴾ ويدخله وحجة النون: قوله: ﴿وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا﴾(٢٥). فالحجة لمن قرأه بالياء: تقديم اسم الله في أول الكلام، والحجة لمن قرأه بالنون: أن الله تعالى أخبر بذلك عن نفسه(٢٦). قال: النويري: ﴿يَجْمَعُكُمْ﴾ بالنون على التعظيم، لمناسبة ﴿أَنزَلْنَا﴾(٢٧).

خامساً: الجمع بين القراءات:

بالجمع بين القراءات يتبيّن أن: الله تعالى يسند الفعل إليه مرة بالغيبة لبيان عظمة يوم الجمع، وبيان عظمة العفو، وبيان نعمة دخول الجنة، ويبيّن قدرته على إنفاذ الفعل مرة أخرى بنون العظمة؛ لبيان أنه قادر على ذلك كله. فصرح مرة بما يترتب على الفعل، ومرة بما يظهر قدرته على إنجاز الفعل.



(٢٤) الخازن (٦/٢١١).
(٢٥) حجة القراءات (١/٧١١).
(٢٦) الحجة (١/٣٤٧).
(٢٧) شرح طيبة النشر (٢/٥٨٨).

٣ ـ قال تعالى: ﴿إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾ [التغابن: ١٧].

أولاً: القراءات:

١ ـ (يُضَعِّفْهُ) قرأ ابن عامر وابن كثير وأبو جعفر ويعقوب بتشديد العين وحذف الألف.

٢ ـ ﴿يُضَٰعِفْهُ﴾ وقرأ الباقون بتخفيفها، وألف قبلها(٢٨).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(ضعف) الضاد والعين والفاء أصلانِ متباينانِ، يدلُ أحدُهما على خلاف القُوَّة، ويدلُّ الآخر على أن يزاد الشَّيءُ مِثلَه، وأمَّا الأصل الآخَر فقال الخليل: أضعفت الشَّيءَ إِضعافاً، وضعَّفتُهُ تضعيفاً، وضاعْفتُهُ مُضاعَفة، وهو أن يُزادَ على أصل الشَّيء فيُجعلَ مثلين أو أكثر(٢٩).

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

﴿إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ تلطف الله في الخطاب تعليماً للاستدعاء فقال: إن تنفقوا أموالكم في سبيل الله، وقد صفت نواياكم وخلصت ﴿يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ﴾ سيكتب لكم بكل واحدة عشراً، أو سبعمائة، وسيزيد مع المغفرة قبول القليل، وإعطاء الجزيل؛ لأنه حليم شكور، لأهل الإنفاق بحسن الجزاء على ما أنفقوا، حليم لا يعجل بالعقوبة على مَن عصاه(٣٠)، وقيل: إن القرض ثوابه أعظم من الصدقة، مع أن الصدقة يجود فيها الإنسان بالشيء كله، في حين أن القرض هو دين يسترجعه صاحبه، لأن فراق المال في إخراج الصدقة يكون لمرة واحدة،

(٢٨) انظر: النفع في القراءات السبع للسفاقسي (٥٨٨) وحيث يرد ذكره سأشير إليه بـ«غيث النفع» المكرر (٤٤٦).

(٢٩) معجم مقاييس اللغة (٣/٣٦٢).

(٣٠) تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل لجمال الدين القاسمي (١٦/٥٨٢٧) بتصرف وحيث يرد ذكره سأشير إليه بـ«محاسن التأويل».

لكن القرض تتعلق نفسك به فكلما صبرت مرة أتتك حسنة، كما أن المتصدق عليه قد يكون غير محتاج، ولكن المقترض لا يكون إلا محتاجاً. والقرض من المال الذي لديك يجعل المال يتناقص، لذلك فالله يعطيك أضعافاً مضاعفة نتيجة هذا القرض، وذلك مناسب تماماً لقوله تعالى: ﴿يَقْبِضُ - وَيَبْصُۜطُ﴾ التي جاء بها في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ أي: ساعة تذهب إليه، ويأخذ كل منا حقه بالحساب، أي: أن المال الذي تقرض منه ينقص في ظاهر الأمر، ولكن الله يزيده ويبسطه أضاعفاً مضاعفة وفي الآخرة يكون الجزاء جزيلا[٣١].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قراءة التخفيف يضاعفه فيها أمر الله أسرع من تكرير الفعل إنما هو كن فكان، وفيه الزيادة المطردة. أما على قراءة التضعيف وحذف الألف يضّعفه فالزيادة الحاصلة لما جعل مثلين[٣٢].

خامساً: الجمع بين القراءات:

بالجمع بين القراءات يتبيّن أن: الله تعالى يضاعف الأجور بزيادة مطردة لفريق من الناس، أرقى وأعلى درجة من الفريق الثاني الذي لم يعدم الأجر، لكونه سيأخذ مثلي ما أقرض فقط، وبذلك يفاضل الله بين الفريقين، ويرغب في قوة القرض ومدى الإخلاص فيه له تعالى.

(٣١) خواطر الشعراوي حول القرآن الكريم مجلد (١٠٥٥/٢) وحيث يرد سأشير إليه بـ«تفسير الشعراوي» بتصرف.

(٣٢) الحجة (٩٨/١).

المبحث الثاني
عرض وتفسير لآيات سورة الطلاق
المتضمنة للقراءات القرآنية العشر

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: بيـن يـدي الـسـورة

المطلب الثاني: عرض وتفسير لآيات سورة الطلاق المتضمنة للقراءات العشر

ويشتمل على:

أولاً: القراءات

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات

خامساً: الجمع بين القراءات

المبحث الثاني
عرض وتفسير لآيات سورة الطلاق المتضمنة للقراءات العشر

المطلب الأول: بين يدي السورة:

سورة الطلاق: مدنية في قول الجميع، من المفصل، آياتها اثنتا عشر بالكوفي والمدني، وإحدى عشرة في البصري[٣٣]. وسبب النزول ما رواه مسلم - رحمه الله - قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ أَخْبَرَنِى أَبُو الزُّبَيْرِ أَنَّهُ سَمِعَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ أَيْمَنَ مَوْلَى عَزَّةَ يَسْأَلُ ابْنَ عُمَرَ وَأَبُو الزُّبَيْرِ يَسْمَعُ ذَلِكَ: كَيْفَ تَرَى فِى رَجُلٍ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ حَائِضاً؟ فَقَالَ: طَلَّقَ ابْنُ عُمَرَ امْرَأَتَهُ وَهيَ حَائِضٌ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ الله ﷺ فَسَأَلَ عُمَرُ رَسُولَ الله ﷺ فَقَالَ إِنَّ عَبْدَ الله بْنَ عُمَرَ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ وَهيَ حَائِضٌ. فَقَالَ لَهُ النبي ﷺ «لِيُرَاجِعْهَا» فَرَدَّهَا وَقَالَ «إِذَا طَهُرَتْ فَلْيُطَلِّقْ أَوْ لِيُمْسِكْ». قَالَ ابْنُ عُمَرَ: وَقَرَأَ النَّبِىُّ ﷺ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾[٣٤]. وقد نزلت الآية بياناً لشرع مبتدأ[٣٥]. والذي أراه أن سبب النزول غير صريح، وما رواه البخاري عَنْ نَافِعٍ عَنْ عَبْدِ الله ابْنِ عُمَرَ - رضي الله عنهما - أَنَّهُ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ وَهِيَ حَائِضٌ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ الله ﷺ فَسَأَلَ عُمَرُ ابْنُ

(٣٣) انظر: المكرر (٤٤٨)، وانظر: كتاب التعريف بسور القرآن وحيث يرد سأكتفي بالإشارة إليه «التعريف بسور القرآن».

(٣٤) صحيح مسلم (١٠٩٣/٢) باب تحريم طلاق الحائض.

(٣٥) انظر: التحرير والتنوير المجلد ١١ (٢٩٣/٢٨).

الْخَطَّابِ، رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مُرْهُ فَلْيُرَاجِعْهَا ثُمَّ لِيُمْسِكْهَا حَتَّى تَطْهُرَ ثُمَّ تَحِيضَ ثُمَّ تَطْهُرَ ثُمَّ إِنْ شَاءَ أَمْسَكَ بَعْدُ وَإِنْ شَاءَ طَلَّقَ قَبْلَ أَنْ يَمَسَّ فَتِلْكَ الْعِدَّةُ[٣٦] الَّتِي أَمَرَ اللهُ أَنْ تُطَلَّقَ لَهَا النِّسَاءُ[٣٧]. وأما مناسبتها لسورة التغابن: فلما قال تعالى في أول التغابن: ﴿لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ والملك يفتقر إلى التصرف على وجه يحصل منه نظام الملك، والحمد يفتقر إلى أن ذلك التصرف يتم بطريق العدل والإحسان في حق المتصرف فيه وبالقدرة على من يمنعه عن التصرف، وتقرير الأحكام في هذه السورة متضمن لهذه الأمور المفتقرة إليها تضمناً لا يفتقر إلى التأمل فيه، فيكون لهذه السورة نسبة إلى تلك السورة، وأما الأول بالآخر فلأنه تعالى أشار في آخر تلك السورة إلى كمال علمه بقوله: ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ﴾ وفي أول هذه السورة إلى كمال علمه بمصالح النساء وبالأحكام المخصوصة بطلاقهن، فكأنه بيّن ذلك الكلي، بهذه الجزئيات[٣٨] فلما نبّه في آخر التغابن على معاداة بعض الأزواج التي ربما تفضي إلى الفراق بالطلاق، ناسب أن يرشد في هذه السورة إلى الطلاق السني، الذي لا يحرم إيقاعه في التفريق بين الزوجين.

ولما ختمت التغابن بأنه تعالى (شكور حليم - عزيز حكيم) مع تمام العلم وشمول القدرة، بعد التحذير من النساء بالعداوة، وكانت العداوة تجر إلى الفراق؛ افتتح هذه بذم الأنفس عند ثوران الحظوظ، بزمام التقوى، وأعلى الخطاب جداً بتوجيهه إلى أعلى الخلق تنبيهاً على عظمة الأحكام الواردة في هذه السورة[٣٩].

---

(٣٦) وَهَذا طَلَاقُ السُّنَّةِ أي «أَنْ يُطَلِّقَهَا طَاهِراً مِنْ غَيْرِ جِمَاعٍ وَيُشْهِدَ شَاهِدَيْنِ».

(٣٧) صحيح البخاري (٢٠١١/٥) كِتَاب الطَّلَاقِ بَاب قَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا۟ ٱلْعِدَّةَ﴾ رقم ٥٢٥١.

(٣٨) انظر: تفسير الرازي (٢٧/٣٠).

(٣٩) نظم الدرر (٢٣/٨).

من مقاصد السورة وأغراضها:

١ ـ الإيماء إلى حكمة تشريع العدة والنهي عن الإضرار بالمطلقات والتضييق عليهن.

٢ ـ الإشهاد على التطليق وعلى المراجعة وإرضاع المطلقة ابنها بأجر.

٣ ـ الأمر بالائتمار والتشاور بين الأبوين في شأن أولادهما. والمحافظة على الوعد لأن الله يؤيد من يتقيه ويتبع حدوده ويجعل له من أمره يسرا ويكفر عنه سيئاته.

٤ ـ أباح الشرع الطلاق عند اشتداد الخلاف بين الزوجين لحل النزاع بينهما.

٥ ـ ينبغي أن يكون الطلاق في طهر لم تجامع فيه الزوجة وتقيم الفترة في بيت زوجها.

٦ ـ أباح الشرع الرجعة بين الزوجين وحث الزوج على الإمساك بمعروف.

٧ ـ عالجت السورة أنواع الكيد والحيل في إصابة الزوجين بالأذى عند إنهاء الحياة الزوجية[٤٠]. فمحور السورة الأساس يدور حول: بيان، وكيفية أحكام الطلاق السني، وما يترتب عليه من العدة، والنفقة، والسكنى، وأجر المرضع، إلى غير ذلك مما ينظم حال الأسرة أثناء قيامها، وبعد الانفصال.

---

(٤٠) انظر: التحرير والتنوير المجلد ١١ (٢٩٣/٢٨) بتصرف تفسير القرآن الكريم للدكتور عبدالله شحادة وحيث يرد سأشير إليه بتفسير شحادة (٥٩٠٨/٢٨ ـ ٥٩١٢) بتصرف. الظلال (٣٥٩٣/٦ ـ ٣٥٩٦) بتصرف، انظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج لوهبة الزحيلي، وحيث يرد سأشير إليه بـ«التفسير المنير» (٢٦١/٢٨).

المطلب الثاني: عرض وتفسير لآيات سورة الطلاق المتضمنة للقراءات العشر:

١ ـ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا۟ ٱلْعِدَّةَ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾﴾ [الطلاق: ١].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ «نافع» بياء ساكنة مدية وهمزة مضمومة (النبيء)، والباقون بالياء المشددة ﴿ٱلنَّبِيُّ﴾.

٢ ـ قرأ «ابن كثير وشعبة» بفتح الياء (مُبَيَّنَةٍ)، وقرأ الباقون بكسرها ﴿مُّبَيِّنَةٍ﴾[٤١].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

١ ـ (النبيء) بالهمز: (نبأ) النون والباء والهمزة قياسه الإتيانُ من مكانٍ إلى مكان[٤٢]، واسم فاعله منبئ، ويجمع نبئ أنبئاء، وقد جاء في جمع نبيء نبآء[٤٣]. ومن هَمَز النبيَّ فلأنه أنبأ عن الله تعالى[٤٤]. فالنبيء: هو الذي ينبئ؛ أي: يخبر عن الله. وكأنه على هذا (فعيل) بمعنى (مفعل) مثل (نذير)

---

(٤١) انظر: كتاب التذكرة في القراءات لابن غلبون (٧٢٣/٢) وحيث يرد ذكره سأشير إليه بـ«التذكرة»، المكرر (٤٤٨) البدور الزاهرة في القراءات العشرة المتواترة من طريق الشاطبي والدرة لعبدالفتاح القاضي (٣٨٦) وحيث يرد ذكره سأشير إليه بـ«البدور الزاهرة» التلخيص (٤٣٩) التيسير (١٣٤/١).

(٤٢) معجم مقاييس اللغة (٣٨٥/٥).

(٤٣) القرطبي (٤١٠/١ ـ ٤١١).

(٤٤) معجم مقاييس اللغة (٣٨٥/٥).

بمعنى منذر ولها نظائر في القرآن و(النبي) بغير همز: من نبا الشيء يَنْبُو إذا ارتفع، ويقال للمكان المرتفع: نَبِيٌّ، وكذلك النبوة والنّباوة وأكثر العرب على ترك الهمز في (النبي) وهو اختيار أهل اللغة؛ لأنه لو كان مهموزاً لجمع على النبئاء، وقد جمعه الله على (الأنبياء) مثل (تقي) و(أتقياء) و(غني) و(أغنياء). وإنما قيل للنبيِّ نبيٌّ: لارتفاع منزلته وشرفه تشبيهاً له بالمكان المرتفع على ما حوله[٤٥].

٢ ـ ﴿مُّبَيِّنَةٍ﴾ قوله تعالى آيات مبينات بكسر الياء وتشديدها بمعنى متبينات، ومن قرأ بفتح الياء فالمعنى: أن الله بيَّنها كقوله تعالى ﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦] وقوله تعالى ﴿إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ [النساء: ١٩] أي: ظاهرة متبينة. وقوله تعالى ﴿وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢﴾ [الزُّخرف: ٢] قيل: معناه المبين الذي أبان طرق الهدى من طرق الضلال، وأبان كل ما تحتاج إليه الأمة. وقال الأزهري: الاستبانة قد يكون واقعاً. يقال: استبنت الشيء إذا تأملته حتى يتبيّن لك، ومنه قوله تعالى ﴿وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ۝٥٥﴾ [الأنعام: ٥٥] المعنى: لتستبين أنت يا محمد، أي: لتزداد إجابة. والتبيان بالكسر وبالفتح، بيَّنت الشيء تبييناً وتبياناً وهو (شاذ) والتبيان مصدر وهو شاذ، لأن المصادر إنما تجيء على التفعال بفتح التاء نحو: التذكار والتكرار والعرب تقول: بيّنت الشيء تبيناً وتبياناً بكسر التاء، وتفعال بالكسر يكون اسماً فأما المصدر فإنه يجيء على تفعال بالفتح مثل التكذاب والتصداق وما أشبهه وفي المصادر حرفان نادران وهما تلقاء الشيء والتبيان ولا يقاس عليهما[٤٦]. مُبَيِّنة أي: ظاهرة مُتَبيِّنة.

---

(٤٥) انظر: كتاب معاني القراءات لأبي منصور الأزهري وحيث يرد سأشير إليه بـ«معاني القراءات» (٥٢)، حجة القراءات (٩٩/١) في الآية ١٦٤ لسورة البقرة.

(٤٦) انظر: تاج العروس من جواهر القاموس لمحمّد بن محمّد بن عبدالرزّاق الحسيني أبو الفيض، الملقب بمرتضى الزّبيدي (٧٩٨١/١) وحيث يرد ذكره سأكتفي بالإشارة «تاج العروس» وانظر: لسان العرب (٦٢/١٣).

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

قوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ نداء تكليفي من الله ﷻ للنبي ﷺ ليخاطب أمته لكونه المقدم عليه إذا طلقتم النساء أي: إذا أردتم تطليقهن ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ أي: لزمان العدة وهو الطهر، أي: مستقبلاتٍ لها لأن المرأةَ إذا طُلقَتْ في طُهرٍ يعقبُهُ القُرْءُ الأولُ من أقرائِهَا فقد طُلقَتْ مستقبلةً لعدتِهَا، والمرادُ أن يُطلَّقنَ في طُهْرٍ لم يقعْ فيهِ جماعٌ، ثم يُخلَّينَ حتى تنقضيَ عدتُهنَّ وهَذا أحسنُ الطلاقِ وأدخلُهُ في السنةِ ﴿وَأَحْصُواْ ٱلْعِدَّةَ﴾ واضبِطُوها وأكملوها ثلاثةَ أقراءٍ كواملَ ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ﴾ في تطويلِ العدةِ عليهنَّ والإضرارِ بهنَّ ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ﴾ من مساكنِهِنَّ عندَ الفراقِ إلى أنْ تنقضيَ عِدتُهُنَّ، وإضافتُهَا إليهنَّ وهيَ لأزواجهنَّ لتأكيدِ النَّهي ببيانِ كمالِ استحقاقِهِنَّ لسُكنَاهَا، كأنها أملاكهُنَّ ﴿وَلَا يَخْرُجْنَ﴾ ولو بإذْنٍ منكُم فإنَّ الإذنَ بالخروجِ في حُكمِ الإخراجِ، ﴿إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ﴾ استثناءٌ من الأولِ، قيلَ: هيَ الزنا فيخرجنَ لإقامة الحدِّ عليهنَّ، وقيلَ: إلا أنْ يبذُونَ على الأزواجِ فيحلُّ حينئذٍ إخراجهُنَّ، ﴿وَتِلْكَ﴾ إشارةٌ إلى ما ذُكرَ من الأحكامِ وما في اسم الإشارةِ من مَعْنَى البُعْدِ مع قُربِ العهدِ بالمشارِ إليهِ؛ للإيذانِ بعلوِّ درجتِهَا وبعدِ منزلتِهَا، ﴿حُدُودُ ٱللَّهِ﴾ التي عيَّنَهَا لعباده. يعني: ما ذكر من سنة الطلاق وما بعدها ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾ أي: يوقع في قلب الزوج مراجعتها بعد الطلقة والطلقتين، وهذا يدل على أن المستحب أن يفرق الطلقات، ولا يوقع الثلاث دفعة واحدة، حتى إذا ندم أمكنه المراجعة(٤٧).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

١ - في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾ قال أبو منصور:(٤٨) من همز

(٤٧) تفسير معالم التنزيل لمحيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي المتوفى٥١٦هـ (١٥/٨) بتصرف وحيث يرد ذكره سأشير إليه بـ«تفسير البغوي».

(٤٨) محمد الأزهري (٢٨٢ ـ ٣٧٠هـ) محمد بن احمد بن الأزهر بن طلحة بن نوح بن=

(النبئ) فهو من النبأ، ومن أنبأ عن الله، أي: أخبر وحجة من همز وإن كان مجموعاً على الأنبياء، أنه مثل: نصيب وأنصباء. ومن لم يهمز (النبي) ذهب به إلى نبا الشيء ينبو إذا ارتفع ويقال للمكان المرتفع: نبي، والنبي أيضاً، الطريق فسمي الرسول نبياً لاهتداء الخلق به كالطريق[49].

٢ - في قوله تعالى ﴿بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ يُقرأ بكسر الياء وفتحها، فالحجة لمن كسر: أنه جعل الفاحشة هي الفاعلة والمبينة على فاعلها. والحجة لمن فتح: أنه جعل الفاحشة مفعولاً بها والله تعالى بيَّنها، فأما قوله: ﴿ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ﴾ [النور: ٣٤] فالفتح فيها بمعنى مفسرات، والكسر بمعنى مفصلات[50]. جاء في التفسير: أن من قرأ مبينة بالكسر، فمعناها ظاهرة، ومن قرأ مبينة بالفتح: فمعناها مكشوفة مظهرة، أي: أوضح أمرها وإذا كسرتها جعلتها فاعلة. أي: هي التي تبين على صاحبها فعلها، وإذا فتحتها جعلتها مفعولاً بها، والفاعل محذوف، وكان التقدير والله أعلم: هو بيَّنها فهي مبيَّنة[51].

خامساً: الجمع بين القراءات:

١ - بالجمع بين القراءتين (نبيء - نبي) نجد أنّ من صفة النبيّ أنه المخبر عن الله ﷻ والمخبر لا بد أن يكون صاحب مكانة عالية لأنه الهادي إلى الطريق المستقيم.

٢ - بالجمع بين القراءتين (مُبَيِّنة - مُبَيَّنة) نجد أنهما يصبان في المعنى نفسه وهو ألَّا تُخرج المرأة من بيتها حتى تظهَر الفاحشة ويتم كشفها.

= الأزهر بن نوح بن حاتم الأزهري الهروي، الشافعي (أبو منصور) أديب، لغوي. ولد في هراة بخراسان. انظر: معجم المؤلفين (٨/٢٣٠)، تذكرة الحفاظ (٣/٩٦٠) سير أعلام النبلاء (١٦/٣١٥)، البلغة فى تراجم أئمة النحو واللغة/محمد بن يعقوب الفيروزأبادي وحيث يرد سأشير إليه «البلغة» (١/٥٩).

(٤٩) معاني القراءات (٥٢).

(٥٠) الحجة (١/١٢١).

(٥١) حجة القراءات (١/١٩٦).

٢ ـ قال تعالى: ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾ [الطلاق: ٣].

أولاً: القراءات:

١ ـ ﴿بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ﴾ قرأ «حفص» بالإضافة.

٢ ـ وقرأ الباقون بتنوين الغين وفتح الراء (بَالِغٌ أمرَه)[٥٢].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(بلغ) الباء واللام والغين أصلٌ واحد، وهو الوُصول إلى الشيء. تقول: بَلَغْتُ المكانَ، إذا وَصَلْتَ إليه. وقد تُسَمّى المُشارَفَةُ بُلوغاً بحقّ المقاربة[٥٣]، بَلغَ الشيءُ يَبْلُغُ بُلُوغاً وبَلاغاً وصَلَ وانْتَهَى. وشيءٌ بالغ أَي: جيِّدٌ وقد بلَغَ في الجَوْدةِ مَبْلغاً ويقال: أَمْرُ الله بَلْغ بالفتح أَي: بالِغٌ من قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ﴾ وأَمرٌ بالِغٌ وبَلْغٌ نافِذٌ يَبْلُغُ أَين أُرِيدَ به[٥٤]. يجوز في الاسم الفَضْلَةِ الذي يَتْلُو الوصفَ العَامِلَ أن يُنْصَبَ به وأن يُخْفَضَ بإضافته[٥٥]، وهما لغتان في إثبات التنوين في اسم الفاعل إذا كان بمعنى الحال، أو الاستقبال، وحذفه[٥٦]، وأما (أمره) فعلى إضافة بالغ إلى أمره إضافة مجازية على نية التنوين، والمعنى: بالغٌ أمرَه، منوناً، إلا أن التنوين حذف تخفيفاً، وأضيف اسم الفاعل إلى ما بعده مجازاً، واسم الفاعل يعمل

(٥٢) انظر: الإتحاف (٤٥٦)، البدور الزاهرة (٣٨٧)، التذكرة (٧٢٣/٢)، الميسر (٥٨٥)، الإرشادات (٤٦٨).

(٥٣) معجم مقاييس اللغة (٣٠١/١).

(٥٤) لسان العرب (٤١٩/٨).

(٥٥) أوضح المسالك (٢٣٠/٣) بتصرف.

(٥٦) تعجيل الندى بشرح قطر الندى (٢٣٢/١)، انظر: الكشف عن وجوه القراءات وعللها وحججها/ مكي بن أبي طالب القيسي وحيث يرد سأشير إليه «الكشف» (٢٣٩/٢، ٣٢٤).

عمل الفعل، والمعنى: سيبلغ أمره فيكم، فبالغ في معنى يبْلُغ (وأمره) منصوب[٥٧].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

لارتباط الآية السابقة بآية المقام؛ سيكون التفسير لهما معاً، فقوله تعالى ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ أي: إذا شارفت العدة على الانقضاء ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ فأحسنوا المعاشرة، والصحبة الجميلة، دون ضرر، ﴿أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ فراقاً لا تشاتم ولا تخاصم، ولا قهر فيه، ﴿وَأَشْهِدُوا﴾ أي: على الطلاق والرجعة ﴿ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ رجلين عدلين، وذلك سداً للخصام. ﴿وَأَقِيمُوا﴾ الخطاب للشهداء ﴿الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾ أي: كونوا على قدر الشهادة، لتكون خالصة لوجه الله ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ تلك الأحكام والحدود ﴿يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ أي: يتعظ بها المؤمن، الذي يقدم الأعمال الصالحة للآخرة. ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا﴾ ولما كان من طبيعة الفصال الضيق والكرب، أمر تعالى بتقواه، لأن من اتقاه سيجعل له فرجاً ومخرجاً مما حل به؛ ليتمكن بهما من المراجعة إذا أرادا الرجوع ثانية، وكما أن من اتقى الله جعل له فرجاً ومخرجاً، فمن لم يتق الله، وقع في الشدائد وعدم تيسير أموره، التي لا يقدر على التخلص منها والخروج من تبعتها، ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ أي: يرزقه الله من حيث لا يدري، ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ في أوامره، ﴿فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ فسيكفيه لكن إن اقتضت الحكمة من الله التأخير إلى زمن؛ فلهذا جاء قوله ﴿إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ﴾ أي: متحقق لا محالة أمر الله سواء أتوكل العبد عليه أم لم يتوكل ﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ ولكن بحسب حكمته تعالى[٥٨].

---

(٥٧) الموضح (١٢٧٥) تعجيل الندى بشرح قطر الندى (٢٣٢/١)، انظر: الكشف (٢٣٩/٢، ٣٢٤).

(٥٨) انظر: الطبري (٤٤٩/٢٣)، تفسير البغوي (٥/١) تفسير السعدي (١/ ٨٦٩) تفسير الثعالبي المسمى (الجواهر الحسان في تفسير القرآن) وحيث يرد سأشير إليه بـ«تفسير الثعالبي».

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قراءة (بَالِغٌ أمْرَه) بالتنوين أراد الحال والاستقبال كقولك الأمير خارج الآن أو غداً، ومن لم ينون جاز أن يريد الماضي والاستقبال[٥٩]، و﴿بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ﴾ بالإضافةِ أي: منفذُ أمرِهِ وبتنوينِ بالغٌ ونصبِ (أمْرَه) أيْ: يبلغُ ما يريدُهُ لا يفوتُهُ مرادٌ ولا يُعجزُه مطلوبٌ[٦٠].

خامساً: الجمع بين القراءات:

بالجمع بين القراءتين نجد أنهما: بَيَانٌ، وَحَضٌّ عَلى التوكلِ، كي يتيقن الزوجان مِنْ نفوذِ أمرِ الله، توكلا على الله أم لَمْ يتَوَكَّلا عليه، فإنْ توكلا على الله كَفَاهما وَتَعَجَّلَتِ الراحةُ والبَرَكةُ، وإن لم يتوكَّلا وَكَّلَهُما إلى عَجْزٍ وَسَخطٍ، وأمرُه سبحانَه في الوجهين بالغٌ نَافِذٌ لا يفوتُهُ مرادٌ ولا يُعجزُه مطلوبٌ. وذلك لأن قراءة ﴿بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ﴾ تفيد أن الله منفذ أمره وقراءة (بالغٌ أمْرَهُ) تفيد أن الله سيبلغ الأمر الذي يريد.



٣ ـ قال تعالى: ﴿وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشۡهُرٖ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ﴿٤﴾﴾ [الطلاق: ٤].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ أبو جعفر بضم السين (يُسُراً).

٢ ـ وقرأ الباقون بسكونها ﴿يُسۡرٗا﴾[٦١].

---

(٥٩) حجة القراءات (١/٣١٠)، الحجة (١/١٧٠).

(٦٠) انظر إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٨/٢٦٢) وحيث يرد سأشير إليه بـ«تفسير أبي السعود».

(٦١) انظر الكنز في القراءات العشر لعبدالله المؤمن (١٥٨) وحيث يرد سأشير إليه بـ«الكنز»، الإتحاف (٥٤٦ ـ ٥٤٧) البدور الزاهرة (٣٨٧) الميسر (٥٨٥) الموضح (١٢٧٥) مصحف الصحابة (٥٥٨) معجم القراءات (٩/٥٠٥).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

١ ـ (يُسُراً) ﴿يُسْرًا﴾، اليسر: ضد العسر واليسر يعنى الرخاء[٦٢]، وقيل: كل اسم على ثلاثة أحرف أَوله مضموم، وأَوسطُه ساكن، فمن العرب من يُثَقِّلُه ومنهم من يخففه، مثل: «عُسْر وعُسُر ـ وحُلْم وحُلُم»، والعُسْرةُ والمَعْسَرةُ والمَعْسُرةُ والعُسْرَى خلاف المَيْسَرة وهي: الأمور التي تَعْسُر[٦٣].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

لما ذكر ـ تعالى ـ أن الطلاق المأمور به يكون لعدة النساء، ذكر تعالى العدة، فقال: ﴿وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ﴾ بأن كن يحضن، ثم ارتفع حيضهن، لكبر أو غيره، ولم يرج رجوعه، فإن عدتها ثلاثة أشهر، جعل لكل شهر، مقابلة حيضة، ﴿وَٱلَّٰٓـِٔي لَمْ يَحِضْنَ﴾ أي: الصغار، اللائي لم يأتهن الحيض بعد، والبالغات اللاتي لم يأتهن حيض بالكلية، فإنهن كالآيسات، عدتهن ثلاثة أشهر، وأما اللائي يحضن، فذكر الله عدتهن في قوله: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ وقوله: ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ﴾ أي: عدتهن ﴿أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ أي: جميع ما في بطونهن، من واحد، ومتعدد، ولا عبرة حينئذ، بالأشهر ولا غيرها، ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾ أي: من اتقى الله تعالى، يسر له الأمور، وسهل عليه كل عسير، ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: الحكم الذي بيّنه الله لكم ﴿أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ﴾ لتمشوا عليه، (وتأتموا) وتقوموا به وتعظموه. ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا﴾ أي: يندفع عنه المحذور، ويحصل له المطلوب[٦٤].

---

(٦٢) انظر: مفردات ألفاظ القرآن (٥٤٨/٢)، الوجوه والنظائر (٤٧٩).

(٦٣) انظر: لسان العرب (٥٦٣/٤).

(٦٤) تفسير السعدي (٨٧٠/١).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

الإسكان في السين، وضمها، لغتان: والإسكان هو الأصل، والضم لمناسبة ضم الحرف الذي قبل السين(٦٥)، الملاحظ أن حرف السين من الحروف الرخوة «والرخاوة هي جريان الصوت لعدم وجود عائق في الجهاز النطقي أثناء مرور صوت السين» وهذا يشير إلى أن قراءة الإسكان في السين تدل أن المتقي له الأمر الميسر لكن بحسب نسبة التقوى عنده، وحركة السين بالضم أقوى من السكون مع أن السكون يظهر صفة الرخاوة أكثر من الحركة لكن الحركة تدل أن نسبة التقوى أكبر عنده.

خامساً: الجمع بين القراءات:

بالجمع بين القراءتين تظهر الإشارة إلى ترغيب الله - تعالى - لزيادة التقوى والتي يبنى عليها زيادة السعة في الأمر للذي تداخل التقوى قلبه أكثر وهذا على قراءة الضم. ولا يعدم تيسر الأمر على قراءة الإسكان كما لم يعدم قلبه من التقوى لكن تيسير الأمر وقوته بحسب قوة التقوى وتمكنها في القلب. وهذا ظاهر من كثرة ورود كلمة التقوى والترغيب لها في المقطع.



٤ - قال تعالى: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ ۚ وَإِن كُنَّ أُو۟لَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۖ وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ۖ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ۝٦﴾ [الطلاق: ٦].

(٦٥) المغني في توجيه القراءات العشر المتواترة للدكتور محمد محيسن (٢٣٤/١) وحيث يرد سأشير إليه بـ«المغني في توجيه القراءات».

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ روح بكسر الواو (وِجدكُم).

٢ ـ وقرأ الباقون بضمها ﴿وُجْدِكُمْ﴾[٦٦].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

﴿وُجْدِكُمْ﴾ أي: تمكنكم وقدر غناكم[٦٧]. والمصدر وَجْداً وجِدَةً ووُجْداً ووجُوداً ووِجْداناً وإِجْداناً أَي: من سَعَتكم وما ملكتم وقال بعضهم من مساكنكمُ، أَي: من سَعَتكم وما ملكتم[٦٨].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

﴿أَسْكِنُوهُنَّ﴾ يعني مطلقات نسائكم ﴿مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم﴾ أي: أسكنوهن حيث سكنتم ﴿مِّن وُجْدِكُمْ﴾ يعني: سعتكم وطاقتكم، فإن كان موسراً يوسع عليها في المسكن والنفقة، وإن كان فقيراً فعلى قدر الطاقة، ﴿وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ﴾ لا تؤذوهن ﴿لِتُضَيِّقُواْ عَلَيْهِنَّ﴾ مساكنهن فيخرجن، ﴿وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُواْ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ فيخرجن من عدتهن. ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ﴾ أي: أرضعن أولادكم ﴿فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ على إرضاعهن ﴿وَأْتَمِرُواْ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ﴾؛ ليقبل بعضكم من بعض إذا أمره بالمعروف، قال الكسائي: شاوروا، قال مقاتل: بتراضي الأب والأم على أجر مسمى. والخطاب للزوجين جميعاً، يأمرهم أن يأتوا بالمعروف وبما هو الأحسن، ولا يقصدوا الضرار. ﴿وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ﴾ في الرضاع والأجرة فأبى الزوج أن يعطي المرأة رضاها وأبت الأم أن ترضعه فليس له إكراهها على إرضاعه، فيستأجر للصبي مرضعاً غير أمه[٦٩].

---

(٦٦) انظر: البدور الزاهرة (٣٨٧)، معجم القراءات (٥٠٥/٩)، الكنز (١٥٨)، الإتحاف (٥٤٦ ـ ٥٤٧).

(٦٧) انظر: مفردات ألفاظ القرآن (٤٩١/٢).

(٦٨) انظر: لسان العرب (٤٤٥/٣).

(٦٩) تفسير البغوي (١٥٣/٨ ـ ١٥٦).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

﴿وُجْدِكُمْ﴾ الضم والكسر لغتان بمعنى: الوسع. والوِجْدُ بالكسر اليسار والسَّعةُ[٧٠] الوُجد بالضم: الغنى والقدرة، يقال: افتقر الرجل بعد وُجد[٧١].

خامساً: الجمع بين القراءات:

بالجمع بين القراءتين يتبيَّن: الترغيب في إيصال حق الزوجة، بحسب الموجود في نطاق الزوج من وُجد عن غنى وقدرة، أو من وِجد بحسب ما يتمكن من اليسار والطاقة المتاحة لديه.

٥ ـ قوله تعالى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾﴾ [الطلاق: ٧].

أولاً: القراءات:

١ ـ أ ـ قرأ «أبو جعفر» (عُسُر) بضم السين.

ب ـ قرأ الباقون ﴿عُسْرٍ﴾ بإسكان السين[٧٢].

٢ ـ أ ـ قرأ «أبو جعفر» بضم السين (يُسُرا).

ب ـ قرأ الباقون بسكونها ﴿يُسْرًا﴾[٧٣].

---

(٧٠) لسان العرب (٣/٤٤٥).

(٧١) تفسير البحر المحيط (٨/٢٨٥).

(٧٢) انظر: الإتحاف (٥٤٦ ـ ٥٤٧)، الكنز (١٥٨)، الميسر (٥٨٥)، معجم القراءات (٩/٥٠٥).

(٧٣) انظر: الكنز في القراءات العشر لعبدالله المؤمن (١٥٨) وحيث يرد سأشير إليه بـ«الكنز» الإتحاف (٥٤٦ ـ ٥٤٧)، البدور الزاهرة (٣٨٧)، مصحف الصحابة (٥٥٨)، معجم القراءات/ للدكتور عبداللطيف الخطيب (٩/٥٠٥).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(العسْر والعُسُر) ضد اليُسْر وهو ما دل على الضّيق والشدَّة والصعوبة. وأَعْسَرَ الرجلُ أَضاق وأَعْسَر فهو مُعْسِر صار ذا عُسْرَةٍ وقلَّةِ ذاتِ يد وعَسَرَ الغريمَ يَعْسِرُه ويَعْسُره عُسْراً وأَعْسَرَه طلب منه الدَّيْنَ على عُسْرة وأَخذه على عُسْرة ولم يرفُق به إِلى مَيْسَرَتِه والعُسْرُ مصدر عَسَرْتُه أَي: أَخذته على عُسْرة والعُسُر بالضم من الإِعْسار وهو الضيقُ، والمَعْسورُ ضد المَيْسور وهما مصدران وسيبويه يقول هما صفتان[٧٤]. ومن بلاغة القرآن الإتيان بـ﴿عُسْرٍ ويُسْرًا﴾ نكرتين غير معرفين باللام لئلا يتوهم من التعريف معنى الاستغراق كما في قوله: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥﴾[٧٥].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ﴾ أمر أهل التَّوسعة أن يُوسِّعوا على نسائهم المرضعات أولادهنَّ ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ﴾ مَنْ كان رزقه بمقدار القوت ﴿فَلْيُنفِقْ﴾ على قدر ذلك. ﴿مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَاۚ﴾ أعطاها. ﴿سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ أعلم الله تعالى المؤمنين أنَّهم - وإن كانوا في حالٍ ضيقةٍ - سَيُوَسِّر عليهم، وكان الغالب عليهم في ذلك الوقت الفقر والفاقة، ثمَّ فتح الله عليهم وجاءهم باليسر، بعد ضيق سعة بعد وعجز قدرة[٧٦].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

(عُسْراً وعُسُراً): الإسكان، والضم، لغتان في كل اسم على ثلاثة أحرف أوله مضموم: والإسكان هو الأصل، والضم لمجانسة ضم الحرف

---

(٧٤) انظر: لسان العرب (٥٦٣/٤).

(٧٥) التحرير والتنوير المجلد ١١ (٣٣٣/٢٨).

(٧٦) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: علي بن أحمد الواحدي - للواحدي - وحيث يرد سأشير إليه بـ«الوجيز» (١١٠٩/١) بتصرف يسير.

الأول[٧٧]. وقيل «كلُّ اسم ثلاثي أولُه مضمومٌ يجوزُ فيه لغتان: التثقيل والتخفيفُ»[٧٨]. فأما التخفَّيف فيكون مصدراً وأما التثقيل فيكون جمعاً[٧٩] وفي التثقيل إشعار بالكثرة، كشغل، وشغل، وطنب، وطنب[٨٠] فإن فعلا - بضمة وبضمتين - من صيغ جموع الكثرة فيفيده ذلك في مبالغة وإن لم يكن جمعاً[٨١] وكل ما كان من الأسماء على وزن فعلة فجمع على التاء فإنّ الأغلب والأكثر في جمعه التثقيل وتحريك من الفعل بالحركة التي في فاء الفعل في الواحد مثل: «ظلمة وظلمات»[٨٢].

خامساً: الجمع بين القراءات:

يتبيّن بالجمع بين القراءتين أنَّ قراءة الضم تفيد التثقيل، كأنه يقول للزوج أنفق فمهما ثقل الأمر عليك سيوازيه الفرج الكثير، وعلى قراءة التخفيف أيضاً أنفق فكما خففت على الزوجة عسرها بما يسرته لها من النفقة؛ فسيجعل الله عسرك ميسراً فلا يطول عليك العسر والضيق والشدة وسيتبعه التيسير من الله تعالى.



٦ - قال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾﴾ [الطلاق: ٨].

أولاً: القراءات:

١ - قرأ «نافع وابن ذكوان وشعبة وأبو جعفر ويعقوب» (نُكُراً) بضم الكاف.

(٧٧) المغني (٢/٣٨٤).
(٧٨) الدر المصون (١/٤١٧ - ٤١٨).
(٧٩) حجة القراءات (١/٧٤٢).
(٨٠) إبراز المعاني (٧٠٦).
(٨١) نظم الدرر (٤/٤٧١).
(٨٢) الكشف والبيان للثعلبى (١/٢٩٦).

٢ ـ قرأ الباقون ﴿نُّكۡرًا﴾ سكون الكاف[٨٣].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

النُّكْرُ بالضم: الدَّهاءُ والفِطْنَةُ[٨٤]، (النُّكْرُ) مثل قفل مثله وهو الأمر القبيح[٨٥].

النُّكْرُ والنُّكُر: الأَمر الشَّديدُ[٨٦] والفظيع[٨٧]، والمُناكَرَةُ المُحارَبَةُ وناكَرَهُ أَي: قاتَلَهُ[٨٨] ومنه قول أبي سفيان بن حَرْب: إنَّ محمداً لم يُنَاكِر أَحَداً إلَّا كانت معه الأَهْوَال[٨٩].

فائدة: قال ابن عطية: النون من قوله: ﴿نُّكۡرًا﴾ هي نصف القرآن، أي نصف حروفه. وقد تقدم أن ذلك مخالف لقول الجمهور: إن نصف القرآن هو حرف التاء من قوله تعالى: في سورة الكهف ﴿وَلۡيَتَلَطَّفۡ﴾[٩٠].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

لما ذكر سبحانه ما تقدم من الأحكام حذر من مخالفتها وذكر عتو قوم خالفوا أوامره فحل بهم عذابه فقال: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ عَتَتۡ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ﴾ [الطلاق: ٨] يعني عصت والمراد أهلها، والمعنى: وكم من أهل قرية أي

---

(٨٣) انظر: النشر (٢/٢١٦)، شرح طيبة النشر في القراءات العشر لأبي القاسم النويري (٢/١٦٥) وحيث يرد سأشير إليه «بشرح الطيبة» انظر البدور الزاهرة (٣٨٧) الموضح (١٢٧٦) الإتحاف (٥٤٧).

(٨٤) القاموس المحيط (١/٦٢٦).

(٨٥) انظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي (٢/٦٢٥) وحيث يرد سأشير إليه بـ«المصباح المنير».

(٨٦) انظر: تاج العروس (١/٣٥٧٠).

(٨٧) انظر: تفسير الجلالين ـ جلال الدين المحلي ـ وجلال الدين السيوطي (١/٧٥٠).

(٨٨) انظر: لسان العرب (٥/٢٣٢).

(٨٩) انظر: الفائق في غريب الحديث للزمخشري (٤/٢٤)، وحيث يرد سأشير إليه بـ(الفائق).

(٩٠) المحرر الوجيز (٤/٣٢٨).

كثير قرى عصت أمر الله ورسله أو أعرضوا عن أمر الله ورسله على تضمين عتت معنى أعرضت ﴿فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا﴾ أي: شددنا على أهلها في الحساب بما عملوا قال مقاتل: حاسبها الله بعملها في الدنيا فجازاها بالعذاب وهو معنى قوله: ﴿وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا﴾ أي: عذبنا أهلها عذاباً عظيماً منكراً في الآخرة وقيل في الكلام تقديم وتأخير، أي: عذبنا أهلها عذاباً نكراً في الدنيا بالجوع والقحط والسيف والخسف والمسخ، وحاسبناهم في الآخرة حساباً شديداً، والنكر الفظيع المهول[٩١]. والمراد حساب الآخرة وعذابها، والتعبير عنهما بلفظ الماضي للدلالة على تحققهما[٩٢]. قال الطاهر ابن عاشور: العذاب النُكُر: هو عذاب الاستئصال بالغرق، والخسف، والرجم، وهو ما ينكره الرأي من فظاعة كيفيته إنكاراً شديداً، وعطفُ العذاب على الحساب مؤذن بأنه غيره[٩٣].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

(نُكراً نُكْراً) لغتان مثل: (الرُعُب والرُعْب) (والسُفُل والسُفْل)[٩٤]. فمن قرأه بالضم أتى به على الأصل. والحجة لمن أسكن أنه خفف الكلمة استثقالاً بضمتين متواليتين، وأولى ما استعمل الإسكان مع النصب، والضم مع الرفع والخفض[٩٥]. وكلمة نُكر بتسكين الكاف هي من أوزان اسم المفعول لأن أوزان اسم المفعول ثمانية من جُملتها فُعل بضمّ الفاء وتسكين العين، أي: الفعل المنكر شديد النكارة. وصيغة فُعُل أبلغ من فُعْل، لأن فيها توالي ضمّتين، فنُكُر أبلغ وأشد في النكارة من نُكر بتسكين الكاف ولو لاحظنا ما ورد في الآيات التي فيها (نُكُر ونُكر) نجد أنه صحيح أن

(٩١) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير محمد بن علي الشوكاني وحيث يرد سأشير إليه بـ«فتح القدير» (٣٤٥/٥) بتصرف.

(٩٢) روح المعاني (١٤١/٢٨).

(٩٣) انظر التحرير والتنوير ـ المجلد ١١ (٣٣٥/٢٨).

(٩٤) حجة القراءات (٤٢٤/١).

(٩٥) الحجة (٢٢٨/١).

الفاصلة تقتضي كلاً من التعبيرين والعبارتين أو الوزنين لكن الدلالة تختلف(٩٦). قوله: ﴿نُّكُرٍ﴾ العامَّةُ على ضمِّ الكاف وهو صفةٌ على فُعُل، وفُعُل في الصفات عزيزٌ، منه: أمرٌ نُكُرٌ، وسُمِّي الشيءُ الشديدُ نُكُراً لأن النفوس تُنْكِره(٩٧).

خامساً: الجمع بين القراءات:

بالجمع بين القراءتين يتبيّن أن: قراءة (نُكُراً) بضم الكاف أبلغ وأشد في النكارة من قراءة ﴿نُّكْرًا﴾ بسكون الكاف؛ لأن توالي الضم يفيد زيادة النكارة وفظاعتها. والضم هو الأصل كما أشارت قراءة (نُكُراً) بضم الكاف، أي: أن هذا النوع من العذاب ونكارته، حُذِّر منه أكثر من مرة، حتى وصل المُحَذَّر لدرجة العتو. وأشارت قراءة ﴿نُّكْرًا﴾ بسكون الكاف إلى نكارة العذاب لمن لم يصل به الأمر لدرجة العتاة.

٧ ـ قال تعالى: ﴿رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴿١١﴾﴾ [الطلاق: ١١].

أولاً: القراءات:

﴿مُبَيِّنَٰتٍ﴾، (مُبيَّنات)، (ندخله)، ﴿يُدْخِلْهُ﴾.

سبق بيانه في سورة التغابن(٩٨).



(٩٦) انظر: لمسات بيانية في نصوص من التنزيل للدكتور/فاضل صالح السامرائي أستاذ النحو في جامعة الشارقة (٧٩٢/١ ـ ٧٩٣) من شبكة المعلومات الدولية وحيث يرد سأشير إليه «لمسات بيانية».

(٩٧) الدر المصون (٥٣٠/٧).

(٩٨) انظر: ص [٢١] من هذا المبحث.

المبحث الثالث
عرض وتفسير لآيات سورة التحريم
المتضمنة للقراءات القرآنية العشر

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: بين يدي السورة

المطلب الثاني: عرض وتفسير لآيات سورة التحريم المتضمنة للقراءات العشر

ويشتمل على:

أولاً: القراءات

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات

خامساً: الجمع بين القراءات



المبحث الثالث
عرض وتفسير لآيات سورة التحريم المتضمنة للقراءات العشر

المطلب الأول: بين يدي السورة:

سورة التحريم مدنية بالإجماع[99]. سُميت بهذا الاسم لبيان شأن التحريم الذي حرمه النبي ﷺ على نفسه من غير أن يحرمه الله عليه، كذا في كتب السنة وكتب التفسير.

وتسمى سورة النبي ﷺ وقال الألوسي: «إن ابن الزبير سماها (سورة النساء)[100]. وتسمى سورة المتحرم[101]، وسبب النزول حادثة بين النبي ﷺ وأمهات المؤمنين كما ورد في الصحاح عن عَطَاءٌ أَنَّهُ سَمِعَ عُبَيْدَ بْنَ عُمَيْرٍ يُخْبِرُ أَنَّهُ سَمِعَ عَائِشَةَ تُخْبِرُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَمْكُثُ عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ فَيَشْرَبُ عِنْدَهَا عَسَلاً قَالَتْ: فَتَوَاطَأْتُ أَنَا وَحَفْصَةُ أَنَّ أَيَّتَنَا مَا دَخَلَ عَلَيْهَا النَّبِيُّ ﷺ فَلْتَقُلْ إِنِّي أَجِدُ مِنْكَ رِيحَ مَغَافِيرَ[102] أَكَلْتَ مَغَافِيرَ فَدَخَلَ عَلَى

(٩٩) انظر: الجواهر الحسان في تفسير القرآن عبدالرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي وحيث يرد سأشير إليه بـ«تفسير الثعالبي» (٣١٤/٤)، وانظر: التحرير والتنوير ـ المجلد ١١ (ص٣٤٣/٢٨).

(١٠٠) التحرير والتنوير ـ المجلد ١١ (٣٤٣/٢٨).

(١٠١) المكرر (٤٥١).

(١٠٢) المغافير هو: شيء كالصمغ ينضحه العرفط حلو كالناطف وله ريح منكرة والعرفط نوع من شجر العضاه والعضاه من شجر الشوك كالطلح والعوسج ويقال المغاثير=

إِحْدَاهُمَا فَقَالَتْ ذَلِكَ لَهُ. فَقَالَ «بَلْ شَرِبْتُ عَسَلاً عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ وَلَنْ أَعُودَ لَهُ». فَنَزَلَ ﴿لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿إِن تَتُوبَآ﴾ لِعَائِشَةَ وَحَفْصَةَ ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا﴾ لِقَوْلِهِ «بَلْ شَرِبْتُ عَسَلاً»(103).

أما مناسبتها لسورة الطلاق، المناسبة الأولى: فلما خُتمت سورة الطلاق بإحاطة علمه وتنزل أمره بين الخافقين في تدبيره، دل عليه أول هذه السورة بإعلاء أمور الخلق بأمر وقع بين خير خلقه وبين نسائه اللاتي من خير النساء واجتهد كلٌ في إخفاء ما تعلق به منه فأظهره سبحانه عتاباً لأزواج نبيه ﷺ في صورة عقابه لأنه أبلغ رفقاً به؛ لأنه يكاد من شفقته أن يبخع نفسه الشريفة رحمة لأمته تارة لطلب رضاهم وأخرى رغبة في هداهم(104) واشتراكهما في الأحكام المخصوصة بالنساء ظاهر، واشتراك الخطاب بالطلاق في أول تلك السورة مع الخطاب بالتحريم في أول هذه السورة(105)، المناسبة الثانية: ولما ذكر في سورة الطلاق خصومة النساء ذكر في هذه خصومة نساء النبي ﷺ فختمت بذكر امرأتين في الجنة وامرأتين في النار والتآخي ظاهر من خلال الطلاق والإيلاء بين السورتين(106).

ومحور السورة الأساس يدور حول: الشؤون التشريعية التي تعالج قضايا وأحكاماً تتعلق ببيت النبوة وبأمهات المؤمنين أزواج رسول الله ﷺ الطاهرات وذلك في إطار تهيئة البيت المسلم والنموذج الأكمل للأسرة

= أيضاً بالثاء. انظر: تفسير غريب ما فى الصحيحين البخاري ومسلم لمحمد بن أبي نصر فتوح بن عبدالله بن فتوح بن حميد بن يصل الأزدي الحميدي (٢٦٢/١).

(١٠٣) صحيح البخاري (٢٠١٦/٥) باب لم تحرم ما أحل الله لك، التحريم رقم ٤٩٦٦ ونحوه عند مسلم (١١٠٠/٢) رقم٣٧٥١ باب وجوب الكفارة على من حرم امرأته ولم ينو الطلاق.

(١٠٤) نظم الدرر (٤٣/٨ ـ ٤٤).

(١٠٥) تفسير الرازي (٣٧/٣٠).

(١٠٦) تناسق الدرر في تناسب السور للسيوطي (١٢٧).

السعيدة، ومن مقاصد السورة وأغراضها: الشؤون التشريعية لمعالجة القضايا والأحكام المتعلقة ببيت النبوة وبأزواج رسول الله ﷺ الطاهرات، لإظهار النموذج الفريد للأسرة المسلمة. ثم تناولت السورة أمراً على جانب كبير من الخطورة وهو إفشاء السر الذي يكون بين الزوجين، والذي يهدد الحياة الزوجية، وضربت المثل على ذلك برسول الله ﷺ حيث أسر إلى حفصة بسر واستكتمها إياه، فأفشته إلى عائشة حتى شاع الأمر وذاع، مما أغضب الرسول ﷺ حتى همَّ بتطليق أزواجه رضي الله عنهن.

كما حملت السورة الكريمة حملة شديدة عنيفة، على أزواج النبي ﷺ حين حدث ما حدث بينهن من التنافس، وغيرة بعضهن من بعض لأمور يسيرة، وتوعدتهن بإبدال الله لرسوله ﷺ بنساء خير منهن، انتصاراً لرسول الله ﷺ، وخُتمت السورة بضرب مثلين: الزوجة الكافرة في عصمة الرجل الصالح المؤمن، والزوجة المؤمنة في عصمة الرجل الفاجر الكافر، تنبيهاً للعباد على أنه لا يغني في الآخرة أحد عن أحد، ولا ينفع حسب ولا نسب، وهو ختم رائع يتناسق مع جو السورة وهدفها في ترسيخ دعائم الفضيلة والإيمان(١٠٧).

المطلب الثاني: عرض وتفسير لآيات سورة التحريم المتضمنة للقراءات العشر:

١ ـ قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٣﴾﴾ [التحريم: ٣].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ نافع بياء ساكنة مدية وهمزة مضمومة (النبيء)، وقرأ الباقون بالياء المشددة ﴿ٱلنَّبِيَّ﴾.

---

(١٠٧) انظر: التحرير والتنوير ـ المجلد ١١ (٢٨/٣٤٥ ـ ٣٤٦) وانظر: صفوة التفاسير للصابوني (٣٥٣).

سبق بيانه في سورة الطلاق[108].

٢ ـ قرأ الكسائي بتخفيف الراء (عَرَفَ)، وقرأ الباقون بتشديدها ﴿عَرَّفَ﴾[109].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(عرف) العين والراء والفاء أصلان صحيحان، يدلُّ أحدُهما على تتابُع الشيء متَّصلاً بعضُه ببعض، والآخر على السكون والطُّمَأنينة[110]، وعرَّفه الأَمرَ أَعلمه إياه وعرَّفه بيتَه أَعلمه بمكانه قال سيبويه عَرَّفْتُه زيداً فذهَب إلى تعدية عرّفت بالتثقيل إلى مفعولين يعني أَنك تقول عرَفت زيداً فيتعدَّى إلى واحد ثم تثقل العين فيتعدَّى إلى مفعولين، وفي حديث عَوْف بن مالك لتَرُدَّنّه أَو لأُعَرِّفَنَّكَها عند رسول الله ﷺ أَي: لأُجازِيَنَّك بها حتى تَعرِف سوء صنيعك وهي كلمة تقال عند التهديد والوعيد ويقال: وعرَف بذَنْبه عُرْفاً واعْتَرَف أَقَرَّ وعرَف له أَقر والمَعْرُوف ضدُّ المُنْكَر والعُرْفُ ضدّ النُّكْر يقال أَوْلاه عُرفاً أَي مَعْروفاً والمَعْروف والعارفةُ خلاف النُّكر والعُرْفُ والمعروف الجُود[111].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

قوله تعالى ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ﴾ واذكر حين أسرَّ النبي ﷺ إلى بعض أزواجه يعني: حفصة ﴿حَدِيثًا﴾ تحريم الجارية وأمر الخلافة أخبرت به عائشة رضوان الله عليهما وعلى أبيهما ﴿فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾ أطلع نبيَّه ـ عليه السلام ـ على إفشائها السِّرَّ ﴿عَرَّفَ بَعْضَهُۥ﴾ أخبر حفصه ببعض ما قالت لعائشة ﴿وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ﴾ فلم يُعرِّفها إيَّاه على وجه التَّكرُّم والإغضاء ﴿فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ﴾ أخبر حفصة بما فعلت ﴿قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا قَالَ

---

(١٠٨) انظر: ص٣٠.

(١٠٩) انظر: النشر (٣٨٨/٢) الإتحاف (٥٤٨)، غيث النفع (٥٩٢)، المكرر (٤٥١).

(١١٠) معجم مقاييس اللغة (٢٨١/٤).

(١١١) انظر: لسان العرب (٢٣٦/٩).

﴿نَبَّأَنِيَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ من أخبرك بما فعلت؟ قال: أنبأني العليم بكل شيء. الذي لا تخفى عليه خافية[112].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قال الفراء: من قرأ ﴿عَرَّفَ﴾ بالتشديد فمعناه: أنه عرّف حَفْصةَ بعْضَ الحديث وترَك بعضه[113] وَأَنَّبَ عليه من قولك عرّفتك الشيء أي: أخبرتك به، فلم يعرّفه إياها إلا على وجه التكرم والإغضاء وألا يبلغ أقصى ما كان منها وجاء في التفسير أن النبي ﷺ أخبرها ببعض ما أعلمه الله عنها أنها قالت. وحجتهم قوله ﴿فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ﴾ أي: خبرها، فهذا دليل على التعريف ويقوي ذلك قوله ﴿وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ﴾ يعني أنه لم يعرفها إياه ولو كان عرّف لكان الإنكار ضده. فقيل: وأنكر بعضاً ولم يقل وأعرض عنه. فالحجة لمن شدد أنه أراد ترداد الكلام في محاورة التعريف فشدد لذلك واحتج بأنه لو كان مخففاً لأتى بعده بالإنكار لأنه ضده بالإعراض[114]. والإعراض لا يكون إلا عن ما عرفه[115]. وأما قراءة (عَرَفَ) بالتخفيف أراد غَضِبَ من ذلك وجازى عليه كما تقول للرجل يُسيء إليك والله لأَعْرِفنَّ لك ذلك، ولقد جازَى حفصةَ بطلاقِها[116]. فالحجة لمن خفف أنه أراد: عرف بعضه من نفسه، وغضب بسببه، وجازى عليه؛ بأن طلق حفصة تطليقة، لإذاعتها ما ائتمنها عليه من سره[117] قال الزجاج: وتأويل هذا حسن بين، ومعنى عرف بعضه أي: جازى عليه كما تقول: لمن تتوعده قد علمت ما عملت وقد عرفت ما صنعت، تأويله فسأجازيك عليه، لا أنك تقصد إلى أن تعرفه أنك قد علمت فقط، ومثله قوله تعالى ﴿وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ﴾

(112) الوجيز (1112/1) بتصرف.

(113) انظر: لسان العرب (236/9).

(114) انظر: الحجة (348/1).

(115) انظر: معاني القراءات (495).

(116) لسان العرب (236/9).

(117) الحجة (348/1).

[البقرة: ١٩٧] فتأويله: يعلمه الله ويجازي عليه، والله يعلم كل ما يُعمل، فقيل: إن النبي ﷺ طلق حفصة تطليقة فكان ذلك[١١٨].

خامساً: الجمع بين القراءات:

بالجمع بين القراءتين يتبيّن أن: قراءة التشديد ﴿عَرَّفَ﴾ تفيد أن النبي ﷺ أخبر زوجه ببعض ما أعلمه الله عنها أنها أفشته، وأما قراءة التخفيف (عَرَفَ) فتفيد غضب النبي ﷺ بسببه وجازى عليه حيث كان الجزاء هو الطلاق الواقع على زوجته.

٢ ـ قال تعالى: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [التحريم: ٤].

أولاً: القراءات:

١ ـ ﴿تَظَٰهَرَا﴾ قرأ الكوفيون بتخفيف الظاء.

٢ ـ وقرأ الباقون بتشديدها (تَظَّاهرا)[١١٩].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

﴿تَظَٰهَرَا﴾ أي: تعاونا[١٢٠] وظاهرته عاونته[١٢١] (ظهر) الظاء والهاء والراء أصلٌ صحيحٌ واحدٌ يدلُّ على قوّةٍ وبروز، من ذلك ظَهَرَ الشيءُ يظهرُ ظهوراً فهو ظاهر، إذا انكشفَ وبرزَ[١٢٢]. ظاهَرَ بعضهم بعضاً أعانه، وظاهَرَ فلان فلاناً عاونه، والظُّهور الظَّفَرُ بالشيء والإطلاع عليه، ظَهَر فلانٌ على فلان أي: قَوِيَ عليه، وفلان ظاهِرٌ على فلان أي غالب عليه وظَهَرْتُ على

---

(١١٨) حجة القراءات (٧١٣/١).

(١١٩) انظر: النشر (٢١٨/٢) الكنز (١٥١)، الإرشادات (٤٧٠) التيسير (٦١/١).

(١٢٠) كتاب الكليات لأبي البقاء الكفومي (٩٤١/١).

(١٢١) مفردات ألفاظ القرآن (٥٥/٢).

(١٢٢) انظر: معجم مقاييس اللغة (٤٧١/٣).

الرجل غلبته[١٢٣] والظهير المعين[١٢٤]، والظَّهيرُ: العَوْنُ والمُظاهر: المُعاونُ وهما يَتَظاهرانِ أي: يَتَعاونان[١٢٥].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ الخطاب للزوجتين الكريمتين من أزواجه ﷺ عائشة وحفصة، كانتا سبباً لتحريم النبي ﷺ على نفسه ما يحبه، فعرض الله عليهما التوبة، وعاتبهما على ذلك، وأخبرهما أن قلوبهما قد صغت أي: مالت وانحرفت عما ينبغي لهن، من الورع والأدب مع الرسول ﷺ واحترامه، وألا يشققن عليه، ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ﴾ أي: تعاونا على ما يشق عليه، ويستمر هذا الأمر منكنّ، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ أي: الجميع أعوان للرسول، مظاهرون، ومن كان هؤلاء أعوانه فهو المنصور، وغيره ممن يناوئه مخذول، وفي هذا أكبر فضيلة وشرف لسيد المرسلين، حيث جعل الباري نفسه [الكريمة]، وخواص خلقه، أعواناً لهذا الرسول الكريم، وهذا فيه من التحذير للزوجتين الكريمتين ما لا يخفى، ثم خوفهما أيضاً، بحالة تشق على النساء غاية المشقة، وهي الطلاق، الذي هو أكبر شيء عليهن[١٢٦].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قرأ عاصم وحمزة والكسائي (وإن تظاهرا عليه) بالتخفيف، وقرأ الباقون بالتشديد (تَظَّاهَرَا) أرادوا (تَتَظَاهَرَا) فأدغموا التاء في الظاء ومن خفف أسقط التاء مثل: (تذَّكرون)[١٢٧] فالأصل (تَتَظَاهَرا)[١٢٨]. وتظاهرا: فعلاً

---

(١٢٣) انظر: كتاب العين لأبي عبدالرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (٣٧/٤).

(١٢٤) انظر: المرجع السابق.

(١٢٥) انظر: المرجع السابق.

(١٢٦) تفسير السعدي (٨٧٢/١).

(١٢٧) انظر: حجة القراءات (٧١٤/١).

(١٢٨) انظر: إبراز المعاني (٣٣٤).

ماضياً على وزن تفاعل[129]. فلما تكررت التاء حذفت إحداهما، لأن التكرار بها وقع، وليس الأول بمحذوف، لأن الأول علامة المضارع، والعلامات لا تحذف[130] فأسند التظاهر إلى الناس[131] ﴿وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ﴾ معناه: وإن تعاونا، يقال: تظاهرَ القومُ على فُلان، وتظافَروا وتضافَروا إذا تعاوَنوا عليه فمن قرأ (تظاهرا) بالتخفيف أو التشديد فالمعنى واحد[132].

خامساً: الجمع بين القراءات:

بالجمع بين القراءتين يتبيّن أن: قراءة التشديد تزيد بيان المعنى في موالاة الله لنبيه ﷺ إذ إن قراءة التشديد تزيد الثقل فمهما كان التظاهر من نساء النبي ﷺ عليه شديداً أو خفيفاً فهو في مرتبة سواء لأن الله تعالى ﴿هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ وهذا بيان لنسائه ﷺ وتهديد بالكف عن مثل هذه الأعمال.



٣ ـ قال تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ۝٥﴾ [التحريم: ٥].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ نافع وأبو عمرو وأبو جعفر بتشديد الدال وفتح الباء (يُبَدِّلَهُ).

٢ ـ وقرأ والباقون بتخفيف الدال وسكون الباء ﴿يُبْدِلَهُۥٓ﴾[133].

---

(١٢٩) انظر: إعراب القرآن لابن سيده (١٣٥/٧).

(١٣٠) انظر: إعراب القرآن للزجاج (٨٤٨/٣).

(١٣١) انظر: حجة القراءات (٦/ ٢٤٨) مادة ظهر.

(١٣٢) تهذيب اللغة (٣١٨/٢) بتصرف.

(١٣٣) انظر: النشر (٣١٤/٢) التيسير (١٧٢/١) الحجة للقراء السبعة ـ للفارسي ـ وحيث يرد سأشير إليه بالحجة للقراء (٩٨/٣).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(بدل) الباء والدال واللام أصلٌ واحد، وهو قيام الشيءِ مَقامَ الشيءِ الذاهب[134] والأَصل في التبديل تغيير الشيء عن حاله والأَصل في الإِبدال جعل شيئاً مكان شيء آخر[135] وتَبَدَّلَهُ وبه واسْتَبْدَلَه وأَبْدَلَهُ منه وبَدَّلَهُ منه: اتَّخَذَه منه بَدَلاً[136] وأَبْدَلْتُهُ بكذا إِبْدَالاً نحيت الأول وجعلت الثاني مكانه وبَدَّلْتُهُ تَبْدِيلاً بمعنى غيرت صورته تغييراً، وبَدَّلَ الله السيئات حسنات، يتعدى إلى مفعولين بنفسه لأنه بمعنى جعل وصيّر[137].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ﴾ أي: فلا ترفعن عليه، فإنه لو طلقكن، لم يضق عليه الأمر، ولم يكن مضطراً إليكن، فإنه سيلقى ويبدله الله أزواجاً خيراً منكن، ديناً وجمالاً، وهذا من باب التعليق الذي لم يوجد، ولا يلزم وجوده، فإنه ما طلقهن، ولو طلقهن، لكان ما ذكره الله من هذه الأزواج الفاضلات، الجامعات بين الإسلام، وهو القيام بالشرائع الظاهرة، والإيمان، وهو: القيام بالشرائع الباطنة، من العقائد وأعمال القلوب. القنوت هو دوام الطاعة واستمرارها ﴿مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ﴾ عما يكرهه الله، فوصفهن بالقيام بما يحبه الله، والتوبة عما يكرهه الله، ﴿ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا﴾ أي: بعضهن ثيب، وبعضهن أبكار، ليتنوع ﷺ، فيما يحب، فلما سمعن ﷺ هذا التخويف والتأديب، بادرن إلى رضا رسول الله ﷺ فكان هذا الوصف منطبقاً عليهن، فصرن أفضل نساء المؤمنين، وفي هذا دليل على أن الله لا يختار لرسوله ﷺ إلا أكمل الأحوال وأعلى الأمور، فلما اختار الله لرسوله بقاء نسائه المذكورات معه

---

(134) معجم مقاييس اللغة (210/1).

(135) انظر: لسان العرب (48/11).

(136) القاموس المحيط (1247/1).

(137) المصباح المنير (39/1).

دل على أنهن خير النساء وأكملهن[138].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قراءة (يُبْدِلَهُ) بالتخفيف من الفعل الثلاثي المزيد بهمزة (أبدل) أفادت نساء النبي ﷺ اللاتي توعدهن الله تعالى بالطلاق. قراءة (يُبَدِّلَهُ) بالتشديد من الفعل المضارع الثلاثي مضعف العين بدل[139] والتشديد للتكثير[140] فالحجة لمن شدد أنه أخذه من قولك بدّل ودليله قوله ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً﴾ [النحل: ١٠١]. والحجة لمن خفف أنه أخذه من أبدل، ودليله قول العرب: أبدلت الشيء من الشيء، إذا أزلت الأول، وجعلت الثاني مكانه، فالتشديد لتكرير الفعل[141].

خامساً: الجمع بين القراءات:

بالجمع بين القراءتين يتبيّن أن: قراءة التخفيف أفادت تبديل الزوجات اللاتي خصهن القرآن بالوعيد إذا طلقهن النبي ﷺ، وقراءة التشديد أفادت أن الوعيد بالطلاق والاستبدال حاصل لكل من تسول لها نفسها فعلاً يغضب رسول الله ﷺ.



٤ ـ قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾﴾ [التحريم: ٨].

(١٣٨) تفسير السعدي (١/٨٧٣).

(١٣٩) المغني (٢/٣٨٦) بتصرف.

(١٤٠) انظر: روح المعاني (٢٨/١٥٥).

(١٤١) الحجة (١/٢٢٩).

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ شعبة بضم النون (نُصُوحاً).

٢ ـ وقرأ الباقون بفتحها ﴿نَّصُوحًا﴾[١٤٢].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(نصح) النون والصاد والحاء أصلٌ يدلُّ على ملاءمة بين شيئين وإصلاح لهما[١٤٣] نَصَحَ الشيءُ خَلَصَ والناصحُ الخالص من العسل وغيره وكل شيءٍ خَلَصَ فقد نَصَحَ، النصوح فعول من النصح والنصوح بالضم مصدر نصحت له نصحاً ونصوحاً[١٤٤] والتوبة النصوح المبالغة في النصح التي لا ينوي التائب معها معاودة المعصية، وقال الحسن ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: ندم بالقلب واستغفار باللسان وترك بالجوارح وإضمار ألا يعود[١٤٥]. قال الفرّاءُ: الذين قَرَءُوا بالفتح جعلوه من صفة التَّوبَة والذين قرءُوا بالضّمّ أَرادوا المصدر مثل القُعود[١٤٦].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ أي: توبة صادقة جازمة، تمحو ما قبلها من السيئات وتلم شعث التائب وتجمعه، وتكفه عما كان يتعاطاه من الدناءات. وعن عمر ابن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: يذنب الذنب ثم لا يرجع فيه. ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ

---

(١٤٢) انظر: النشر (٢/٣٨٨ ـ ٣٨٩)، معجم القراءات (٩/٥٢٧)، الميسر (٥٦١)، الإرشادات (٤٧٠).

(١٤٣) انظر: معجم مقاييس اللغة (٥/٤٣٥).

(١٤٤) انظر: لسان العرب (٢/٦١٥).

(١٤٥) التبيان في تفسير غريب القرآن للدكتور شهاب الدين المصري (١/٤١٨) وحيث يرد سأشير إليه بالتبيان لغريب القرآن.

(١٤٦) انظر: تاج العروس (١/١٧٧٤).

جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ وورودُ صيغةِ الإطماعِ للجري على سَنَنِ الكبرياءِ والإشعارِ بأنَّهُ تفضُّلٌ والتوبةُ غيرُ موجبةٍ له وأنَ العبدَ ينبغي أن يكونَ بين خوفٍ ورجاءٍ وإنْ بالغَ في إقامةِ وظائفِ العبادةِ. ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ﴾ [التَّحريم: ٨] ظرفُ ليدخلَكُمْ ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ﴾ عطفٌ على النبيِّ وفيهِ تعريضٌ بمن أخزاهُم الله تعالَى من أهلِ الكفرِ والفسوقِ واستحمادٌ إلى المؤمنينَ على أنَّ عصمَهُم من مثلِ حالِهِم وقيلَ هو مبتدأٌ خبرُهُ قولُهُ تعالَى: ﴿نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ﴾ أيْ: على الصراطِ وهو على الأولِ استئنافٌ أو حالٌ وهذا قولُه تعالَى: ﴿يَقُولُونَ﴾ أي: يقولونَ إذا طفئ نورُ المنافقينَ ﴿رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾. وقيلَ: يدعونَ تقرباً إلى الله مع تمام نورِهِم وقيلَ: تتفاوتُ أنوارُهُم بحسبِ أعمالِهِم فيسألونَ إتمامَهُ تفضُّلاً. وقيلَ: السابقونَ إلى الجنةِ يمرونَ مثلَ البرقِ على الصراطِ وبعضُهم كالريحِ وبعضُهُم حَبْواً وزحفاً وأولئكَ الذينَ يقولون ﴿رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾(١٤٧).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة الجمهور: ﴿نَّصُوحًا﴾ بفتح النون، وصفاً للتوبة(١٤٨)، وهو صيغة مبالغة، كضروب(١٤٩). أي: توبة بالغة في النصح(١٥٠) ومعناها: أن يحدث نفسه إذا تاب من ذنب ألا يعود إليه أبداً(١٥١). وأفادت قراءة الضم أنهم يُنصحون فيها نُصوحاً ويقال: نصح الشيء نصوحاً، إذا خلص(١٥٢). وحجة من ضم أنه جعله مصدراً. وحجة من قرأ بالفتح أنه المصدر المعروف

(١٤٧) انظر: تفسير ابن كثير (٨/١٧٠)، تفسير أبي السعود (٨/٢٦٩).

(١٤٨) البحر المحيط (٨/٢٩٣).

(١٤٩) انظر: المستنير في تخريج القراءات من حيث اللغة والإعراب والتفسير للدكتور محمد محيسن (٣/١٨٥) وحيث يرد سأشير إليه بـ(المستنير).

(١٥٠) المغني (٣/٣٠٩) وانظر الموضح (٣/١٢٨٠).

(١٥١) إبراز المعاني (٧٠٣).

(١٥٢) معاني القراءات (٤٩٦).

المستعمل في مصدر نصح[١٥٣].

خامساً: الجمع بين القراءات:

بالجمع بين القراءتين يتبيّن أن: قراءة الفتح وصفت التوبة بالنصوح وجعلت التوبة التي لا تردد فيها ولا تخالطها نية العودة إلى العمل المتوب منه بمنزلة الناصح لغيره، وأما قراءة الضم: فتفيد خلوص هذه التوبة لله تعالى.



٥ ـ قال تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾﴾ [التحريم: ١٢].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ أبو عمرو وحفص ويعقوب بضم الكاف والتاء على الجمع ﴿وَكُتُبِهِۦ﴾.

٢ ـ وقرأ الباقون بكسر الكاف وفتح التاء وألف بعدها على الإفراد (كِتَابه)[١٥٤].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(كتب) الكاف والتاء والباء أصلٌ صحيح يدل على جمع شيء إلى شيء[١٥٥].

(١٥٣) الكشف (٣٢٦/٢).

(١٥٤) النشر (٣٨٩/٢)، المكرر (٤٥٢)، التذكرة (٧٢٤/٢)، المبسوط (٢٦٧).

(١٥٥) معجم مقاييس اللغة (١٥٨/٥).

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

قوله تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾ بيَّن تعالى المراد بالروح بأنه جبريل - عليه السلام - في قوله: ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم: ١٧] وهو جبريل، وفي هذه الآية رد على النصارى استدلالهم بها على أن عيسى عليه السلام ابن الله ومن روحه تعالى، سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً(١٥٦).

﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾ بأن نفخ جبريل عليه السلام في جيب درعها فوصلت نفخته إلى مريم رضي الله عنها، فجاء منها عيسى ابن مريم عليه السلام الرسول الكريم والسيد العظيم.

﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ﴾ وهذا وصف لها بالعلم والمعرفة، فإن التصديق بكلمات الله، يشمل كلماته الدينية والقدرية، والتصديق بكتبه، يقتضي معرفة ما به يحصل التصديق، ولا يكون ذلك إلا بالعلم والعمل، ولهذا قال: ﴿وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾ أي: المطيعين لله، المداومين على طاعته بخشية وخشوع، وهذا وصف لها بكمال العمل، فإنها رضي الله عنها صديقة، والصديقية: هي كمال العلم والعمل(١٥٧).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة الجمع أنها صدقت بجميع كتب الله(١٥٨) أي: آمنت بالكتب التي أنزلت قبل عيسى وهي التوراة والزبور وكتب الأنبياء من بني إسرائيل، والإنجيل إن كان قد كتبه الحواريون في حياتها(١٥٩). فالجمع أولى

(١٥٦) أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن للشنقيطي (١٨١٥) باختصار وحيث يرد سأشير إليه بـ(أضواء البيان).

(١٥٧) تفسير السعدي (٨٧٤/١).

(١٥٨) حجة القراءات (٧١٥/١).

(١٥٩) التحرير والتنوير - المجلد ١١ (٣٧٩/٢٨)، وانظر: معاني القراءات (٤٩٦)، والمستنير (١٨٦/٣).

وأحسن. وقراءة الإفراد أفادت أرادت الجنس[١٦٠]. أي: الإنجيل هو المقصود والإفراد يدل بلفظه على القليل والكثير[١٦١].

خامساً: الجمع بين القراءات:

بالجمع بين القراءتين يتبيّن أن: مريم رضي الله عنها آمنت بعيسى عليه السلام أنه نبي ورسول، وبالإنجيل الذي نزل عليه، كما آمنت بالأنبياء السابقين وبالكتب السابقة التي نزلت عليهم. وكأنها ترد على النصارى أن عيسى نبي كإخوانه الأنبياء من قبله.





(١٦٠) حجة القراءات (٧١٥/١) بتصرف يسير.

(١٦١) المغني (٣١٠/٣).

المبحث الرابع
عرض وتفسير لآيات سورة الملك
المتضمنة للقراءات القرآنية العشر

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: بين يدي السورة.

المطلب الثاني: عرض وتفسير لآيات سورة الملك المتضمنة للقراءات العشر

ويشتمل على:

أولاً: القراءات

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات

خامساً: الجمع بين القراءات



المبحث الرابع
عرض وتفسير لآيات سورة الملك المتضمنة للقراءات العشر

المطلب الأول: بين يدي السورة:

هذا الجزء كله من السور المكية، كما كان الجزء الذي سبقه كله من السور المدنية. ولكل منهما طابع مميز، وطعم خاص. وبعض مطالع السور في هذا الجزء من بواكير ما نزل من القرآن كمطلع سورة «المدثر» ومطلع سورة «المزمل»، كما أن فيه سوراً يحتمل أن تكون قد نزلت بعد البعثة بحوالي ثلاث سنوات كسورة «القلم»، وبحوالي عشر سنوات كسورة «الجن» التي يروى أنها نزلت في عودة رسول الله ﷺ من الطائف، حيث أوذي من ثقيف، ثم صرف الله إليه نفراً من الجن فاستمعوا إليه وهو يرتل القرآن، مما حكته سورة الجن في هذا الجزء. وكانت هذه الرحلة بعد وفاة خديجة وأبي طالب قبيل الهجرة بعام أو عامين. وإن كانت هناك رواية أخرى هي الأرجح بأن السورة نزلت في أوائل البعثة.

والقرآن المكي يعالج في الغالب إنشاء العقيدة في الله، وفي الوحي، وفي اليوم الآخر. وإنشاء التصور المنبثق من هذه العقيدة لهذا الوجود وعلاقته بخالقه، والتعريف بالخالق تعريفاً يجعل الشعور به حياً في القلب، مؤثراً موجهاً موحياً بالمشاعر اللائقة بعبد يتجه إلى رب، وبالأدب الذي يلزمه العبد مع الرب، وبالقيم والموازين التي يزن بها المسلم الأشياء

والأحداث والأشخاص[١٦٢].

سورة الملك مكية في قول الجميع. وتسمى الواقية والمنجية[١٦٣]. وآيها في عد أهل الحجاز إحدى وثلاثون، وفي عد غيرهم ثلاثون آية[١٦٤]. ومن أغراض السورة: تعريف المؤمنين معاني من العلم بعظمة الله تعالى وتفرده بالملك الحق، والنظر في إتقان صنعه الدال على تفرده بالإلهية فبذلك يكون في تلك الآيات حظ لعظة المشركين. ومن ذلك التذكير بأنه أقام نظام الموت والحياة لتظهر في الحالين مجاري أعمال العباد في ميادين السبق إلى أحسن الأعمال ونتائج مجاريها. وانفراده بخلق العوالم خلقاً بالغاً غاية الإتقان فيما تراد له. والتذكير بمنّة خلق العالم الأرضي، ودقة نظامه، وملاءمته لحياة الناس، وفيها سعيهم ومنها رزقهم. والموعظة بأن الله قادر على إفساد ذلك النظام فيصبح الناس في كرب وعناء، فيتذكروا قيمة النعم بتصور زوالها. ثم وبخ المشركين على كفرهم نعمة الله تعالى، وعلى وقاحتهم في الاستخفاف بوعيده، وأنه وشيك الوقوع بهم. ووبخهم على استعجالهم موت النبي ﷺ ليستريحوا من دعوته[١٦٥].

فمحور السورة يدور حول: ترسيخ القضايا العقدية، وبخاصة الموت والبعث والحساب.

المطلب الثاني: عرض وتفسير لآيات سورة الملك المتضمنة للقراءات العشر:

١ ـ قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ۝٣﴾ [الملك: ٣].

(١٦٢) الظلال (٣٦٢٨/٦).
(١٦٣) القرطبي (١٥٩/١٨)، وانظر: الإتقان (١٥٧/١).
(١٦٤) التحرير والتنوير مجلد ١٢ (٧/٢٩).
(١٦٥) التحرير والتنوير مجلد ١٢ (٧/٢٩ ـ ٩) بتصرف.

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ «حمزة والكسائي» بتشديد الواو من غير ألف (تفوّت).

٢ ـ وقرأ الباقون بالألف وتخفيف الواو ﴿مِن تَفَٰوُتٍۚ﴾(١٦٦).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(فوت) الفاء والواو والتاء أَصْلٌ صحيح يدلُّ على خلافِ إدراكِ الشّيءِ والوصولِ إليه. وتفاوَتَ الشَّيئانِ: تباعَدَ ما بينهما، والافتيات: افتعالٌ من الفَوت، وهو السَّبق إلى الشَّيء دون الائتمار، ومن الباب: الفَوْت: الفُرْجة بين الشَّيئين، كالفُرجة بين الإصبَعَين(١٦٧) ﴿مِن تَفَٰوُتٍۚ﴾ المعنى ما تَرى في خَلْقِه تعالى للسماءَ، اختِلافاً ولا اضْطراباً، (وتَفوُّتٍ) قال قتادة: المعنى من اخْتلافٍ وقال السُّدِّيُّ مِن تَفوُّتٍ مِن عَيْبٍ، والفَوْتُ الخَلَل والفُرْجَةُ بين الأَصابع والجمع أَفْوات(١٦٨).

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًاۖ﴾ أي: كل واحدة فوق الأخرى، ولسن طبقة واحدة، وخلقها في غاية الحسن والإتقان ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍۚ﴾ أي: خلل ونقص، وإذا انتفى النقص من كل وجه، صارت حسنة كاملة، متناسبة من كل وجه، في لونها وهيئتها وارتفاعها، وما فيها من الشمس والقمر والكواكب النيرات، الثوابت منهن والسيارات. ولما كان كمالها معلوماً، أمر الله ـ تعالى ـ بتكرار النظر إليها والتأمل في أرجائها، قال: ﴿فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ﴾ أي: أعده إليها، ناظراً معتبراً ﴿هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾ أي: نقص واختلال. ﴿ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾ المراد بذلك: كثرة التكرار ﴿يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ أي: عاجزاً عن أن يرى خللاً أو فطوراً، ولو

(١٦٦) الإرشادات (٤٧١)، وانظر: الإتحاف (٥٥٠).

(١٦٧) معجم مقاييس اللغة (٤/٤٥٧).

(١٦٨) لسان العرب (٢/٦٩).

حرص غاية الحرص[١٦٩].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قال سيبويه: فاعل وفعل بمعنى واحد، تقول: ضاعف وضعَّف وتعاهد وتعهَّد فعلى هذا القياس يكون تفاوت وتفوت. بمعنى يقال: تفاوت الشيء تفاوتاً وتفوَّت تفوتاً إذا اختلف، والمعنى: ما ترى في خلق السماء اختلافاً ولا اضطراباً. قالوا: وتفاوت أجود لأنهم يقولون تفاوت الأمر ولا يكادون يقولون تفوت الأمر[١٧٠]. فالحجة لمن أثبت الألف وخفف أنه جعله مصدراً لقولهم تفاوت الشيء تفاوتاً. والحجة لمن حذفها وشدد أنه أخذه من تفوت الشيء تفوتاً، مثل: تكرم تكرماً وقيل: هما لغتان بمعنى واحد[١٧١].

خامساً: الجمع بين القراءات:

بالجمع بين القراءتين يتبيّن أن: قراءة (تفاوت) تبيّن أن الإنسان كلما نظر لخلق السماوات لم يجد تباعداً فيهما أو فرجة، وقراءة (تفوّت) بالتشديد تبيّن أنه يكرر ويسابق النظر ليجد أدنى عيب أو اختلاف أو اضطراب فما يجد إلا العجز عن أن يرى نقصاً في هذا الصنع البديع.



٢ ـ قال تعالى: ﴿فَٱعۡتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمۡ فَسُحۡقٗا لِّأَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾﴾ [الملك: ١١].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ الكسائي وأبو جعفر بضم الحاء (فَسُحُقاً).

(١٦٩) تفسير السعدي (٨٧٥/١).

(١٧٠) حجة القراءات (٧١٥/١).

(١٧١) الحجة (٣٤٩/١).

٢ ـ وقرأ الباقون بسكونها ﴿فَسُحْقًا﴾[١٧٢].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(سحق) السين والحاء والقاف أصلان: أحدهما البعد، والآخر إنهاك الشَيء حتى يُبلغ به إلى حال البِلَى. فالأوّل السُحْق، وهو البُعد، والأصل الثاني: سَحَقت الشيء أسحَقُهُ سَحقاً، والسَّحْق: الثوب البالي وأسحق الشَّيءُ، إذا انضمر وانضمّ. وأسحَقَ الضَّرعُ، إذا ذهب لبنُهُ وبَلِيَ[١٧٣]. (سحق) سَحَقَ الشيءَ يَسْحَقُه سَحْقاً، دقَّه أشد الدقّ، وقيل: السَّحْق الدقُّ الرقيق، وقيل هو الدقّ بعد الدقّ، والسُّحُق البُعْد وقد سَحُق الشيء بالضم فهو سَحِيق، أي: بعيد وسَحَقَه الله، وأسْحَقه الله أي: أبْعَدَه الله، وأسْحَقَه سُحْقاً وبُعداً وإنه لَبَعِيد سَحِيق[١٧٤].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

﴿فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَـٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾﴾ أي: عندما أقروا بما فعلوا من الذنوب استحقوا البعد عن رحمة الله ـ تعالى ـ فاستحقوا أن يكونوا في مكان بعيد في جهنم حيث يسحقون فيها.

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

الإسكان والضم لغتان في كل اسم على ثلاثة أحرف أوله مضموم، والإسكان هو الأصل، وهو لغة (تميم وأسد) والضم لمجانسة ضم الحروف، وهو لغة الحجازيين[١٧٥]. قال مكي (فسحقاً أي: ألزمهم الله سحقاً)[١٧٦].

---

(١٧٢) انظر: الكنز (٢٩٠)، والتيسير (١٧٢).

(١٧٣) انظر: معجم مقاييس اللغة (١٣٩/٣).

(١٧٤) انظر: لسان العرب (١٥٢/١٠).

(١٧٥) انظر: المغني (٣١١/٣).

(١٧٦) انظر: المرجع السابق (٣١٢/٣).

خامساً: الجمع بين القراءات:

بالجمع بين القراءتين يتبيّن أن: قراءة (سُحُقا) بضم الحاء تفيد البعد عن رحمة الله تعالى، أما قراءة ﴿فَسُحْقًا﴾ بالإسكان فتفيد إلزامهم مكاناً في جهنم بعيد، فلما بعُدوا عن رحمة الله أُلزموا المكان البعيد في جهنم.



١ ـ قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الملك: ٢٧].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ «يعقوب» (تَدْعُون) بإسكان الدال.

٢ ـ وقرأ بتشديدها مع فتحها ﴿تَدَّعُونَ﴾[١٧٧].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

قرأ أبو عمرو ﴿تَدَّعُونَ﴾ مثقلة، وفسره الحسن تَكْذبون من قولك تَدَّعي الباطل وتَدَّعي ما لا يكون تأويله في اللغة هذا الذي كنتم من أَجله تَدَّعُونَ الأَباطيلَ والأَكاذيبَ وقال الفراء: يجوز أَن يكون تَدَّعُون بمعنى تَدْعُون، ومن قرأَ تَدْعُون مخففة فهو من دَعَوْت أَدْعُو والمعنى: هذا الذي كنتم به تستعجلون وتَدْعُون الله بتَعْجيله، يعني قولهم: اللهم إن كان هذا هو الحَقَّ من عندك فأَمْطِر علينا حجارةً من السماء قال: ويجوز أَن يكون تَدَّعُون في الآية تَفْتَعِلُونَ من الدعاء وتَفْتَعِلون من الدَّعْوَى والاسم الدَّعْوى والدِّعْوة قال الليث: دَعا يَدْعُو دَعْوَةً ودُعاءً وادَّعَى يَدَّعي ادِّعاءً ودَعْوَى وفي نسبه دَعْوة أَي: دَعْوَى والدِّعْوة بكسر الدال ادِّعاءُ الوَلدِ الدَّعِيِّ غير أَبيه يقال دَعِيٌّ بيِّنُ الدِّعْوة والدِّعاوَة[١٧٨].

(١٧٧) التذكرة (٧٢٥) وانظر: الإتحاف (٥٥١).

(١٧٨) لسان العرب (٢٥٧/١٤).

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أي: لما قامت القيامة وشاهدها الكفار، ورأوا أن الأمر كان قريباً؛ لأن كل ما هو آتٍ آتٍ، وإن طال زمنه، فلما وقع ما كذبوا به ساءهم ذلك، لما يعلمون ما لهم هناك من الشر، أي: فأحاط بهم ذلك، وجاءهم من أمر الله ما لم يكن لهم في بال ولا حساب، ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ۝٤٧ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الزمر: ٤٧ - ٤٨]؛ ولهذا يقال لهم على وجه التقريع والتوبيخ: ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ﴾ أي: تستعجلون(١٧٩).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

ومن قرأ ﴿تَدَّعُونَ﴾ فقد جاء في التفسير (تكذِبُون). وتأويله في اللغة: هذا الذي كنتم من أجله تدَّعون الأباطيل والأكاذيب، أي: تدعون أنكم إذا متم وكنتم تراباً أنكم لا تخرجون. وقيل: معنى ﴿تَدَّعُونَ﴾ أي: تمنون. يقال: ادع علي ما شئت أي: تمن ما شئت(١٨٠).

خامساً: الجمع بين القراءات:

بالجمع بين القراءتين يتبيّن أن: قراءة التشديد ﴿تَدَّعُونَ﴾ والتخفيف (تَدْعُونَ) أفادتا أن الكفار لما أنكروا العذاب وزعموا عدم وقوعه تعجلوه بالدعاء والتمني زيادة في الجحود والإنكار.



٤ ـ **قال تعالى**: ﴿قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢٩﴾ [الملك: ٢٩].

---

(١٧٩) تفسير ابن كثير (١٨٢/٨).

(١٨٠) معاني القراءات (٤٩٨).

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ «الكسائي» بالياء (فَسَيَعْلَمُون).

٢ ـ وقرأ الباقون بالتاء ﴿فَسَتَعْلَمُونَ﴾[181].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

قوله تعالى: ﴿فَسَتَعْلَمُونَ﴾ يقرأ بالتاء على معنى المخاطبة وبالياء على معنى الغيبة[182].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

يأمر الله ـ تعالى ـ نبيه ﷺ بأن يقول للكفار: إن الذي أدعوكم إلى عبادته هو الرحمن الذي وسعت رحمته جميع خلقه، وقد آمنا به وحده، وعليه توكلنا، وعما قريب ستعلمون من منا الذي حاد عن طريق الهداية واتبع سبيل الغواية حين تتم لنا الغلبة عليكم، وتعلو كلمة الإسلام على كلمتكم[183].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قرأ الكسائي (فسيعلمون من هو) بالياء. وحجته أن ذكر الغيبة قد تقدم في قوله ﴿فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ فناسب القول بالياء، وقرأ الباقون ﴿فَسَتَعْلَمُونَ﴾ بالتاء أي: قل لهم وحجتهم قوله: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِيَ﴾ [الملك: ٢٨][184] فناسب ادعاءهم الباطل من قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الملك: ٢٧].

---

(١٨١) انظر: الكشف (٣٢٩)، وانظر: معاني القراءات (٤٩٩).

(١٨٢) الحجة (٣٥٠/١).

(١٨٣) المستنير (١٨٩/٣).

(١٨٤) حجة القراءات (٧١٦/١) وانظر: المغني (٣١٣/٣).

خامساً: الجمع بين القراءات:

بالجمع بين القراءتين يتبيّن أن: قراءة ﴿فَسَتَعْلَمُونَ﴾ بالتاء على معنى أن النبي ﷺ سيخبرهم في الدنيا أنهم في ضلال مبين، ويتبيَّن أن قراءة (فسيعلمون) بالياء أنهم سيعلمون في الآخرة أنهم كانوا في الدنيا في ضلال مبين. أو أنهم سيعلمون أنهم ضلوا الضلال المبين عندما يغلب الحق الباطل.



المبحث الخامس
عرض وتفسير لآيات سورة القلم
المتضمنة للقراءات القرآنية العشر

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: بين يدي السورة

المطلب الثاني: عرض وتفسير لآيات سورة القلم المتضمنة للقراءات العشر

ويشتمل على:

أولاً: القراءات

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات

خامساً: الجمع بين القراءات



المبحث الخامس
عرض وتفسير لآيات سورة القلم المتضمنة للقراءات العشر

المطلب الأول: بيـن يـدي السـورة:

سميت هذه السورة في معظم التفاسير على حكاية اللفظين الواقعين في أولها، أي: سورة هذا اللفظ، وهي مكية، قال ابن عطية: لا خلاف في ذلك بين أهل التأويل، ومعظم السورة نزل في الوليد بن المغيرة وأبي جهل. واتفق العادون على عدد آياتها اثنتين وخمسين. ومن أغراضها تحدي المعاندين بالتعجيز عن الإتيان بمثل سور القرآن، وهذا أول التحدي الواقع في القرآن، وفيها إشارة إلى التحدي بمعجزة الأمية، وإبطال مطاعن المشركين في النبي ﷺ وإثبات كمالاته في الدنيا والآخرة وهديه، وضلال معانديه وتثبيته. وتأتي السورة أيضاً بوصف أخلاق الداعية وما يجب أن يتحلى به الداعية من أخلاق، وتذكر السورة بالمقابل من كانت أخلاقه سيئة مثل أصحاب الجنة فلا يصح لأي داعية أن تكون أخلاقه سيئة، وعليه أن يقتدي بأخلاق الرسول ﷺ(١٨٥).

فمحور السورة يدور حول: التحدي بمعجزة الأمية، تأنيساً وتسلية للنبي ﷺ عما لقيه من أذى المشركين وإبطال مطاعنهم.

(١٨٥) التحرير والتنوير مجلد ١٢ (٢٩/٥٧ ـ ٥٩) بتصرف.

المطلب الثاني: عرض وتفسير لآيات سورة القلم المتضمنة للقراءات العشر:

١ ـ قال تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [القلم: ٣٢].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ «نافع وأبو عمرو وأبو جعفر» (يُبَدِّلَنا) بتشديد الدال وفتح الباء.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿يُبْدِلَنَا﴾ بتخفيف الدال مع سكون الباء[١٨٦].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(يُبَدِّلَنا): مضارع (بدَّل) الثلاثي مضعف العين. ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً﴾ [النحل: ١٠١] وتبَدَّل الشيءُ وتَبدل به واستبدله واستبدل به كُلَّهُ، أي: اتخذ منه بَدَلاً، وأَبْدَل الشيءَ من الشيء وبَدّله اتَخذَه منه بدلا[١٨٧] (يُبْدِلَنا): مضارع (أبدل) الثلاثي المزيد بهمزة[١٨٨] وروى أبو عمرو عن أبي العباس أنه قال: التبديل: تغير الصورة إلى صورة غيرها[١٨٩].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

﴿عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾﴾ فهم رجوا الله أن يبدلهم خيراً منها، ووعدوا أنهم سيرغبون إلى الله، ويلحون عليه في الدنيا، فإن كانوا كما قالوا، فالظاهر أن الله أبدلهم في الدنيا خيراً منها لأن من دعا الله صادقاً، ورغب إليه ورجاه، أعطاه سؤله[١٩٠].

---

(١٨٦) انظر: الإتحاف (٥٥٣)، انظر: الإرشادات (٤٧٣).

(١٨٧) لسان العرب (١١/٤٨).

(١٨٨) انظر: المغني (٢/٣٨٧).

(١٨٩) معاني القراءات (٢٧٣).

(١٩٠) تفسير السعدي (١/ ٨٨٠).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (يُبَدِّلَنا): أن الرجاء من الله أن يرزقهما بدل الجنة جنة أخرى مثلها. أما قراءة ﴿يُبْدِلَنَا﴾ فأفادت: بأنهم طلبوا بديل الجنة أفضل منها لأنهم علموا قدرة الله على كل شيء.

خامساً: الجمع بين القراءات:

بالجمع بين القراءات يتبيّن أن: قراءة ﴿يُبْدِلَنَا﴾ بيَّنت أن المبدل الذي رجوه من الله أفضل من الجنة التي ذهبت، أما قراءة (يُبَدِّلَنا): فهي تدل على الخوف الواقع والمفاجئ لهم فطلبوا فقط تبديل الجنة بجنة مثلها.



٢ ـ قال تعالى: ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَـٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾﴾ [القلم: ٥١].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ نافع وأبو جعفر بفتح الياء (لَيَزلقونك).

٢ ـ وقرأ الباقون بضمها ﴿لَيُزْلِقُونَكَ﴾[١٩١].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(زلق) الزاء واللام والقاف أصلٌ واحدٌ يدلُّ: على تزلُّج الشيء عن مقامِهِ، من ذلك الزَّلَق، والمَزْلَقَة والمَزْلَق: الموضع لا يُثْبَت عليه، فأمَّا قَولُه جلَّ ثناؤُه: ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَـٰرِهِمْ﴾ [القلم: ٥١]. فحقيقة معناه أنَّه مِنْ حِدّة نظرِهما حَسَداً، يكادون يُنحُونَك عن مكانِك وزَلَقَ الرَّجلُ رأسه:

---

(١٩١) انظر: النشر (٣٨٩/٢) والكشف عن وجوه القراءات السبع (٣٣٢/٢) ومعجم القراءات (٤٤/١٠).

حَلَقه[١٩٢]. قراءة ﴿لَيُزْلِقُونَكَ﴾: بالضم من أزلق وهذا فعل يتعدى إذا استعملته على فعَل - يفعُل بفتح العين في الماضي[١٩٣]. يقال أزلقه عن موضعه إذا نحاه[١٩٤]، (لَيَزْلِقُونَكَ): بفتح الياء من زلق[١٩٥]، يقال زلق عن موضعه إذا تنحى[١٩٦] والمعنى: يصرعونك[١٩٧].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ....﴾ أي: لم يدرك أعداؤه فيه إلا ما يسوؤهم، حتى إنهم حرصوا على أن يزلقوه بأبصارهم أي: يصيبوه بأعينهم، من حسدهم وغيظهم وحنقهم، هذا منتهى ما قدروا عليه من الأذى الفعلي، والله حافظه وناصره، وأما الأذى القولي، فيقولون فيه أقوالاً بحسب ما توحي إليهم قلوبهم، فيقولون تارة مجنون وتارة ساحر وتارة شاعر. قال تعالى ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ أي: وما هذا القرآن الكريم، والذكر الحكيم، إلا ذكر للعالمين، يتذكرون به مصالح دينهم ودنياهم[١٩٨].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

﴿لَيُزْلِقُونَكَ﴾ أَي: لَيُصِيبُونك بأعينهم فيزيلونك عن مقامك الذي جعله الله لك. وقرأَ أَهل المدينة لَيَزْلِقونك بفتح الياء من زَلَقْت. وسائرُ القراء قرؤوها بضم الياء لَيُزْلِقونك أَي: لَيَرْمون بك ويُزيلونك عن موضعك بأَبصارهم كما تقول كاد يَصْرَعُني شدَّةُ نظره. وقال القتيبي: أَراد أَنهم ينظرون إِليك إِذا قرأْت القرآن نظراً شديداً بالبغضاء يكاد يُسْقِطك[١٩٩].

---

(١٩٢) انظر: معجم مقاييس اللغة (٢١/٣ - ٢٢).
(١٩٣) انظر: الكشف (٣٣٢/٢).
(١٩٤) انظر: المغني (٣١٤/٣).
(١٩٥) انظر: الكشف (٣٣٢/٢).
(١٩٦) انظر: المغني (٣١٤/٣).
(١٩٧) انظر: حجة القراءات (٧١٨/١).
(١٩٨) تفسير السعدي (٨٨١/١).
(١٩٩) لسان العرب (١٤٤/١٠).

خامساً: الجمع بين القراءات:

بالجمع بين القراءات يتبيّن أن قراءة ﴿لَيُزْلِقُونَكَ﴾: بضم الياء تدل على أن الكفار من شدةِ إِبْغاضِهم لك وعداوتهم يكادون بنظرهم إِليك نظر البَغْضاء؛ فينحوك عن مقامك ويصرفونك عما أنت فيه، ويتبين من قراءة (لَيَزلقولك) بفتح الياء أنهم من بغضهم وشدة حسدهم وعدم قدرتهم على تنحيتك عن مقامك قاموا بالمداومة على ضربك بأبصارهم حتى تتنحى عما أنت عليه من كثرة مضايقتهم لك بعيونهم.



المبحث السادس
عرض وتفسير لآيات سورة الحاقة
المتضمنة للقراءات القرآنية العشر

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: بين يدي السورة

المطلب الثاني: عرض وتفسير لآيات سورة الحاقة المتضمنة للقراءات العشر

ويشتمل على:

أولاً: القراءات

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات

خامساً: الجمع بين القراءات



المبحث السادس
عرض وتفسير لآيات سورة الحاقة المتضمنة للقراءات العشر

المطلب الأول: بين يدي السورة:

سميت (سورة الحاقة) في عهد النبي ﷺ. وباسم (الحاقة) عنونت في المصاحف وكتب السنة وكتب التفسير، ووجه تسميتها (سورة الحاقة) وقوع هذه الكلمة في أولها ولم تقع في غيرها من سور القرآن، وهي مكية بالاتفاق، وقد عُدت هذه السورة السابعة والسبعين في عداد ترتيب النزول. نزلت بعد سورة تبارك وقبل سورة المعارج، واتفق العادون من أهل الأمصار على عد آيها إحدى وخمسين آية، ومن أغراضها تهويل يوم القيامة، وتهديد المكذبين بوقوعه، وتذكيرهم بما حل بالأمم التي كذبت به من عذاب في الدنيا ثم عذاب الآخرة وتهديد المكذبين برسل الله تعالى بالأمم التي أشركت وكذبت، ووصف أهوال من الجزاء وتفاوت الناس يومئذ فيه، ووصف فظاعة حال العقاب على الكفر وعلى نبذ شريعة الإسلام، والتنويه بالقرآن، وتنزيه الرسول ﷺ عن أن يكون غير رسول. وتنزيه الله تعالى عن أن يقر من يتقول عليه. وقدرة الله البالغة فلو كذب محمد ﷺ على الله أو افترى بعض القرآن لعاجله الله بالعقوبة، فكان كمن قطع وتينه، وهذا تصوير للهلاك بأفظع ما يفعله الملوك بمن يغضبون عليهم، وتثبيت الرسول ﷺ عن الزلل. وإنذار المشركين بتحقيق الوعيد الذي في القرآن. والتأكيد أن القرآن كله كلام الله ومنهجه وشرعه وليس بقول الكهنة والشعراء إنما هو قول رسول الله

الأمين المخلص في تبليغ الرسالة(٢٠٠). فمحور السورة يدور حول: وصف أهوال يوم القيامة، وتهديد المكذبين، وتثبيت الرسول ﷺ عن الوقوع في الزلل.

المطلب الثاني: عرض وتفسير لآيات سورة الحاقة المتضمنة للقراءات العشر:

١ ـ قال تعالى: ﴿وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ ۝٩﴾ [الحاقة: ٩].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ البصريان والكسائي بكسر القاف وفتح الباء و(وَمَنْ قِبَلَهُ).

٢ ـ وقرأ الباقون بفتح القاف وإسكان الباء ﴿وَمَن قَبْلَهُۥ﴾(٢٠١).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

قراءة ﴿وَمَن قَبْلَهُۥ﴾ أي: من تقدمه من الأمم الماضية، أما قراءة (وَمَنْ قِبَلَهُ) أي: من هو في جهته من أتباعه، لأن أصل (قِبَل) أن تستعمل لما ولي الشيء(٢٠٢).

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

أي: وكذلك غير هاتين الأمتين الطاغيتين عاد وثمود جاء غيرهم من الطغاة العتاة كفرعون مصر الذي أرسل الله إليه عبده ورسوله موسى ابن عمران ﷺ وأراه من الآيات البينات ما تيقنوا بها الحق ولكن جحدوا وكفروا

---

(٢٠٠) انظر: التحرير والتنوير المجلد ١٢ (١١٠/٢٩ ـ ١١١)، تفسير شحادة (٦٠٤٩/٢٩) بتصرف يسير.

(٢٠١) النشر (٣٨٩/٢).

(٢٠٢) انظر: المغني (٣١٥/٢)، والكشف (٣٣٣/٢).

ظلماً وعلواً وجاء من قبله من المكذبين، ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ﴾ أي: قرى قوم لوط، الجميع جاءوا ﴿بِٱلْخَاطِئَةِ﴾ أي: بالفعلة الطاغية وهي الكفر والتكذيب والظلم والمعاندة وما انضم إلى ذلك من أنواع الفواحش والفسوق(٢٠٣).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

حجة من قرأ (وَمَنْ قِبَلَهُ) لأن قبل لما ولي الشيء مما لم يتخلف عنه فهو يتبعه ويحف به، وحجة من قرأ ﴿وَمَن قَبْلَهُۥ﴾ من قبله من الأمم التي كفرت كما كفر(٢٠٤).

خامساً: الجمع بين القراءات:

بالجمع بين القراءتين يتبيّن أن: من قرأ (وَمَنْ قِبَلَهُ) فمعناه: وأتباعه وأشياعه. ومن قرأ ﴿وَمَن قَبْلَهُۥ﴾ فالمعنى: ومن تقدمه من عتاة الكفرة.



٢ـ **قال تعالى:** ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴿١٢﴾﴾ [الحاقة: ١٢].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ نافع بسكون الذال (أُذْنٌ).

٢ ـ وقرأ الباقون بضمها ﴿أُذُنٌ﴾(٢٠٥).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(أذن) الهمزة والذال والنون أصلان متقاربان في المعنى، متباعدان في اللفظ، أحدهما أُذُنُ كلِّ ذي أُذن، والآخر العِلْم. فأمّا التقارب فبالأُذُن يقع

(٢٠٣) تفسير السعدي (٨٨٢/١).

(٢٠٤) الحجة للقراء (٥٩/٤).

(٢٠٥) النشر (٢١٦/٢).

علم كلٌ مسموع[٢٠٦]، (أذن) أَذِنَ بالشيء إذْناً وأَذَناً وأَذانةً: عَلِم، وآذَنه الأَمرَ وآذَنه به أَعْلَمَه[٢٠٧].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ۝١٢﴾ أي: تعقلها أولو الألباب ويعرفون المقصود منها ووجه الآية بها، وهذا بخلاف أهل الإعراض والغفلة وأهل البلادة وعدم الفطنة فإنهم ليس لهم انتفاع بآيات الله لعدم وعيهم عن الله، وتفكرهم بآيات الله[٢٠٨].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قرأ نافع بإسكان الذال في كل القرآن كأنه استثقل ثلاث ضمات فسكن، وقرأ الباقون بضم الذال على أصل الكلمة، وذلك لقلة حروف الكلمة، والضم لمجانسة ضم الحرف الأول، وهما لغتان من لغات العرب[٢٠٩] وقال الزمخشري: «فإن قلت: لم قيل ﴿أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ۝١٢﴾ على التوحيد والتنكير؟ قلت: للإيذان بأن الوعاة فيهم قلة، ولتوبيخ الناس بقلة من يعي منهم، وللدلالة على أن الأذن الواحدة إذا وعت وعقلت عن الله تعالى فهي السواد الأعظم عند الله تعالى، وأن ما سواها لا يبالي بالة، وإن ملئوا ما بين الخافقين»[٢١٠].

خامساً: الجمع بين القراءات:

بالجمع بين القراءتين يتبيّن أن: من قرأ ﴿أُذُنٌ﴾ بالضم المصاحب

---

(٢٠٦) انظر: معجم مقاييس اللغة (٧٥/١).

(٢٠٧) انظر: لسان العرب (٩/١٣).

(٢٠٨) تفسير السعدي (٨٨٢/١).

(٢٠٩) انظر: حجة القراءات (٣١٩/١)، الكشف (٥٠٣/١)، والقراءات وأثرها في علوم العربية (١٨١/١).

(٢١٠) تفسير البحر المحيط (٣٢٢/٨).

للثقل، فيه إشارة بأن الوعاة فيهم قلة، ومن قرأ (أُذْنٌ) بالإسكان فيه إشارة على أن الأذن الواحدة إذا وعت وعقلت عن الله تعالى فهي تسد مسد السواد الأعظم عند الله تعالى، وأن ما سواها لا يبالي الله به وإن ملئوا ما بين الخافقين.

٣ ـ قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾﴾ [الحاقة: ١٨].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ حمزة وعلي وخلف بالياء على التذكير (لَا يَخْفَى).

٢ ـ وقرأ الباقون بالتاء على التأنيث ﴿تَخْفَىٰ﴾[٢١١].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(خفي) الخاء والفاء والياء أصلان متباينان متضادّان، فالأوّل السَّتْر، والثاني الإظهار. فالأوّل خَفِيَ الشَّيءُ يخفَى؛ وأخفيته، وهو في خِفْيَة وخَفاءٍ، إذا ستَرْتَه، ويقولون: بَرِحَ الخَفَاء، أي: وَضَحَ السِّرُّ وبدا، ويقال للرّجُل المستترِ مستخْفٍ[٢١٢].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ﴾ على الله ﴿لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ لا من أجسامكم وأجسادكم ولا من أعمالكم، فإن الله ـ تعالى ـ عالم الغيب والشهادة. ويحشر العباد حفاة عراة غرلاً، في أرض مستوية، يسمعهم الداعي، وينفذهم البصر، فحينئذ يجازيهم بما عملوا[٢١٣].

---

(٢١١) النشر (٢/٢١٦).

(٢١٢) معجم مقاييس اللغة (٢/٢٠٢).

(٢١٣) تفسير السعدي (١/٨٨٣).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

من قرأ ﴿لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾﴾ بالتاء لتأنيث الخافية وسقط السؤال، ومن قرأ بالياء فإنه يرده إلى أمر خاف أي: خفي، فلا تخفى منكم فعلة خافية[٢١٤]، وجاز تذكير الفعل وتأنيثه لأن تأنيث الفاعل وهو خافية غير حقيقي ومفصول من الفعل[٢١٥]، والوجه أن تذكيره من أجل أن الخافية يراد به مذكر، لأن التاء للمبالغة، والمعنى: لا يخفى منكم خاف، فلذلك ذكر الفعل. ويجوز أن تكون الخافية مؤنثة لكنه حسن تذكير فعلها للفصل بين الفعل وفاعله بقوله «منكم»، ولكون التأنيث غير حقيقي، ومن أنث فالوجه أن الفعل مسند إلى مؤنث، فلذلك ألحق علامة التأنيث[٢١٦].

خامساً: الجمع بين القراءات:

بالجمع بين القراءتين يتبيّن أن: من قرأ (لَا يَخْفَى) فالمعنى: أمر خافٍ الغرض منه المبالغة في التهديد، يعني تعرضون على من لا يخفى عليه شيء مما كان مخفياً منكم في الدنيا، وحال كانت تخفي في الدنيا بستر الله عليكم، فتظهر أحوال أهل العذاب فيظهر بذلك حزنهم وفضيحتهم، وفي هذا أعظم الزجر والوعيد وهو خوف الفضيحة، ومن قرأ (تخفي) فالمعنى: فعلة خافية من أفعال العباد، أي: لا تختبئ من الحساب نفس أي أحد، ولا يلتبس كافر بمؤمن، ولا بارٌّ بفاجر.

❊ ❊ ❊

٤ ـ ٥ ـ قال تعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [الحاقة: ٤١ ـ ٤٢].

---

(٢١٤) حجة القراءات (٧١٩/١).

(٢١٥) المغني (٣١٥/٢).

(٢١٦) الموضح (١٢٩١/٣ ـ ١٢٩٢).

أولاً: القراءات:

١ ـ أ ـ قرأ ابن كثير ويعقوب وهشام وابن ذكوان بخلفه (يؤمنون) بالياء.

ب ـ وقرأ الباقون بالتاء ﴿تُؤْمِنُونَ﴾.

٢ ـ أ ـ قرأ ابن كثير وهشام ويعقوب وابن ذكوان بخلفه بالياء (يَذَكَّرُونَ).

ب ـ وقرأ حفص وحمزة وعلي وخلف بالتاء وذال مخففة ﴿تَذَكَّرُونَ﴾.

ج ـ وقرأ شعبة ونافع وأبو عمرو وأبو جعفر بالتاء، وذال مشددة (تذَّكرون)[٢١٧].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

١ ـ (أمن) الهمزة والميم والنون أصلان متقاربان: أحدهما الأمانة التي هي ضدّ الخيانة، ومعناها سُكون القلب، والآخر التصديق، والمعنيان متدانيان[٢١٨]، والإيمانُ التصديقُ التهذيب وأَما الإيمانُ فهو مصدر آمَنَ يُؤْمِنُ إيماناً فهو مُؤْمِنٌ واتَّفق أَهلُ العلم من اللُّغَويّين وغيرهم أَن الإيمانَ معناه التصديق[٢١٩].

٢ ـ (ذكر) الذال والكاف والراء أصلان، فالمُذْكِر: التي وَلَدَتْ ذكراً. والأصل الآخر: ذَكَرْتُ الشيء، خلافُ نسِيتُه، ثم حمل عليه الذِّكر باللِّسان، ويقولون: اجعلْه منك على ذُكْرٍ، بضم الذال، أي لا تَنْسَه، والذِّكر: العَلاء والشَّرَف. وهو قياس الأصل، ويقال رجلٌ ذَكِرٌ وذكيرٌ، أي: جيِّد الذِّكر شَهْمٌ[٢٢٠].

---

(٢١٧) انظر: النشر (٢/٣٩٠) وانظر: المغني (٣١٦).
(٢١٨) انظر: معجم مقاييس اللغة (١/١٣٣).
(٢١٩) لسان العرب (١٣/٢١).
(٢٢٠) معجم مقاييس اللغة (٢/٢٥٨ ـ ٢٥٩).

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآيتين المتضمنتين للقراءات:

أثبت الله للرسول ﷺ الفضل على غيره من الرسل بوصف كريم، ونفى أن يكون شاعراً أو كاهناً بطريق الكناية عن قصد رداً لأقوالهم، وعطف ﴿وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ﴾ على جملة الخبر كي ينفي أن يكون قولَ شاعر، أو قول كاهن، عن تنزيه النبي ﷺ عن أن يكون شاعراً أو كاهناً، رداً لقولهم: هو شاعر أو هو كاهن، وإنما خُص هذان بالذكر دون قولهم: افتراه، أو هو مجنون، لأن الوصف بكريم كاف في نفي أن يكون مجنوناً أو كاذباً إذ ليس المجنون ولا الكاذب بكريم، فأما الشاعر والكاهن فقد كانا معدودين عندهم من أهل الشرف، والمعنى: ما هو قول شاعر ولا قول كاهن تلقاه من أحدهما ونسبَه إلى الله تعالى، و﴿قَلِيلًا﴾ في قوله: ﴿قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ - قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ مراد به انتفاء ذلك من أصله على طريقة التلميح القريب من التهكم. والمعنى: لا تؤمنون ولا تذكرون، أي: عندما تقولون هو شاعر وهو مجنون، فلذلك كان المخاطبون بالآية منتفياً عنهم التذكر والتدبر، وإذا بطل هذا وذاك بطل مدعاهم فحق إنه تنزيل من رب العالمين كما ادعاه الرسول الكريم ﷺ(٢٢١).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

من قرأ على الخطاب، فهو عطف على قوله: ﴿بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾﴾، ومن قرأ على المغايبة، سلك فيه مسلك الالتفات(٢٢٢). فحجة من قرأ بالياء «قليلا ما يؤمنون وقليلاً ما يذكرون» خبر عن غائبين كأنه قال: «قليلاً ما يؤمنون يا محمد»، وحجة من قرأ بالتاء «على الخطاب» وحجتهم قوله بعدها ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحاقة: ٤٧](٢٢٣).

---

(٢٢١) التحرير والتنوير - المجلد ١٢ (١٤٢/٢٩) بتصرف يسير.

(٢٢٢) انظر: تفسير الرازي (١٠٤/٣٠).

(٢٢٣) انظر: الحجة (٣٥١/١)، والموضح (١٢٩٣/٣).

خامساً: الجمع بين القراءات:

يتبيّن بالجمع بين القراءات أن: من قرأ بياء الغيبة، فلمناسبة قوله تعالى ﴿لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الحاقة: ٣٧]، ويشدد الذال في (يذَّكرون)، ومن قرأ بتاء الخطاب، فذلك لمناسبة قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الحاقة: ٣٨].



المبحث السابع
عرض وتفسير لآيات سورة المعارج
المتضمنة للقراءات القرآنية العشر

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: بين يدي السورة

المطلب الثاني: عرض وتفسير لآيات سورة المعارج المتضمنة للقراءات العشر

ويشتمل على:

أولاً: القراءات

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات

خامساً: الجمع بين القراءات



المبحث السابع
عرض وتفسير لآيات سورة المعارج المتضمنة للقراءات العشر

المطلب الأول: بين يدي السورة:

سميت هذه السورة في كتب السنة (سورة سأل سائل) وسميت في معظم المصاحف المشرقية والمغربية وفي معظم التفاسير (سورة المعارج) وهذه الأسماء مقتبسة من كلمات وقعت في أولها وأخصها بها جملة (سأل سائل) لأنها لم يرد مثلها في غيرها من سور القرآن، إلا أنها غلب عليها اسم (سورة المعارج) لأنه أخف، وهي مكية بالاتفاق، وهي السورة الثامنة والسبعون في عداد نزول سور القرآن، نزلت بعد سورة الحاقة، وقبل سورة النبأ، وعد جمهور الأمصار آيها أربعاً وأربعين، وعدها أهل الشام ثلاثاً وأربعين، وحوت من الأغراض: تهديد الكافرين بعذاب يوم القيامة وإثبات ذلك اليوم ووصف أهواله، ووصف شيء من جلال الله فيه وتهويل دار العذاب وهي جهنم، وذكر أسباب استحقاق عذابها، ومقابلة ذلك بأعمال المؤمنين التي أوجبت لهم دار الكرامة وهي أضداد صفات الكافرين وتثبيت النبي ﷺ، وتسليته على ما يلقاه من المشركين، ووصف كثير من خصال المسلمين التي بثها الإسلام فيهم وتحذير المشركين من استئصالهم وتبديلهم بخير منهم. وتعتبر السورة جولة من جولات المعركة الطويلة الشاقة التي تعتبر أشق من المعارك الحربية، فتارة يواجهها بما يشبه الطوفان، وتارة بما يشبه السياط اللاذعة،

وتارة بالأمل والرجاء(٢٢٤).

المطلب الثاني: عرض وتفسير لآيات سورة المعارج المتضمنة للقراءات العشر:

١ ـ قال تعالى: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾﴾ [المعارج: ٤].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ الكسائي بالياء على التذكير (يَعْرُج).

٢ ـ وقرأ الباقون بالتاء على التأنيث ﴿تَعْرُجُ﴾(٢٢٥).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(عرج) العين والراء والجيم ثلاثة أصول: الأوّل يدلُّ على ميْل ومَيَل، والآخر على عَدَد، والآخِر على سُموّ وارتقاء. فالعَرَج مصدر الأعْرج، ويقال منه: عَرِج يعرَج عَرَجاً، إذا صار أعرج. وقالوا: عَرِج يَعْرَجُ خِلْقة، وعَرَج يَعْرُج إذا مشى مِشية العُرْجان(٢٢٦). وقوله: ﴿تَعْرُجُ﴾ أي: تصعد يقال: عَرَج يَعْرُج عُرُوجاً. المَعارِج المَصاعِد والدَّرَج. قال قتادة: ذي المَعارج ذي الفواضل(٢٢٧).

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ أي: ذو العلو والجلال والعظمة، والتدبير

---

(٢٢٤) انظر: التحرير والتنوير المجلد ١٢ (١٥٣/٢٩ ـ ١٥٧) تفسير شحادة (٦٠٧٢/٢٩) بتصرف.

(٢٢٥) النشر (٣٩٠/٢).

(٢٢٦) انظر: معجم مقاييس اللغة (٣٠٢/٤).

(٢٢٧) انظر: لسان العرب (٣٢٠/٢).

لسائر الخلق، الذي تعرج إليه الملائكة بما دبرها على تدبيره، وتعرج إليه الروح، وهذا اسم جنس يشمل الأرواح كلها، برها وفاجرها، وهذا عند الوفاة، فأما الأبرار فتعرج أرواحهم إلى الله، فيؤذن لها من سماء إلى سماء، حتى تنتهي إلى السماء التي فيها الله ﷻ، فتُحَيِّي ربَّها وتسلم عليه، وتحظى بقربه، وتبتهج بالدنو منه، ويحصل لها منه الثناء والإكرام والبر والإعظام. وأما أرواح الفجار فتعرج، فإذا وصلت إلى السماء استأذنت فلم يؤذن لها، وأعيدت إلى الأرض. ثم ذكر المسافة التي تعرج إلى الله فيها الملائكة والأرواح وأنها تعرج في يوم بما يسر لها من الأسباب، وأعانها عليه من اللطافة والخفة وسرعة السير، مع أن تلك المسافة على السير المعتاد مقدار خمسين ألف سنة، من ابتداء العروج إلى وصولها ما حد لها، وما تنتهي إليه من الملأ الأعلى، فهذا المُلك العظيم، والعالَم الكبير، علويه وسفليه، جميعه قد تولى خلقه وتدبيره العلي الأعلى، فعلم أحوالهم الظاهرة والباطنة، وعلم مستقرهم ومستودعهم، وأوصلهم من رحمته وبره ورزقه، ما عمهم وشملهم وأجرى عليهم حكمه القدري، وحكمه الشرعي وحكمه الجزائي. فبؤساً لأقوام جهلوا عظمته، ولم يقدروه حق قدره، فاستعجلوا بالعذاب على وجه التعجيز والامتحان، وسبحان الحليم الذي أمهلهم وما أهملهم، وآذوه فصبر عليهم وعافاهم ورزقهم، فيكون هذا العروج والصعود في الدنيا، لأن السياق الأول يدل على هذا، ويحتمل أن هذا في يوم القيامة، وأن الله تبارك وتعالى يظهر لعباده في يوم القيامة من عظمته وجلاله وكبريائه، ما هو أكبر دليل على معرفته، مما يشاهدونه من عروج الأملاك والأرواح صاعدة ونازلة، بالتدابير الإلهية، والشؤون في الخليقة، في ذلك اليوم الذي مقداره خمسون ألف سنة من طوله وشدته، لكن الله تعالى يخففه على المؤمن[٢٢٨].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قرأ الكسائي (يَعرج) بالياء. وقرأ الباقون بتاء الجموع تُذكر إذا قَدّرت

(٢٢٨) تفسير السعدي (٨٨٥/١).

بها الجمع، وتؤنث إذا أُريد بها الجماعة نحو: قال الرجال، وقالت الرجال، فمن قرأ تعرج بالتاء فإنه ذهب إلى جماعة الملائكة ومن قرأ بالياء فإنه ذهب إلى جمع الملائكة[٢٢٩].

خامساً: الجمع بين القراءات:

يتبيّن بالجمع بين القراءات أن من قرأ ﴿تَعْرُجُ﴾ بالتاء أراد تأنيث جماعة الملائكة، ومن قرأ (يَعْرُجُ) فلتقدم فعل الجميع، وكلا الوجهين حسن حيث بين فعل المضارع حركة الملائكة الدؤوب والمتجددة في عروجها إلى السماء العلا.

❋ ❋ ❋

٢ ـ قال تعالى: ﴿وَلَا يَسْئَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴾ [المعارج: ١٠].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ أبو جعفر بضم الياء (وَلاَ يُسْأَلُ).

٢ ـ وقرأ الباقون بفتحها ﴿وَلَا يَسْئَلُ﴾[٢٣٠].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(سأل) سَأَلَ يَسْأَلُ سُؤَالاً، وسَآلَةً ومَسْأَلةً، وجمع المَسْأَلة: مَسائِلُ بالهمز، فإذا حذفوا الهمزة، قالوا: مَسَلَةٌ قال الزجاج: سُؤَالُهم سُؤَالُ توبيخ وتقرير؛ لإيجاب الحجة عليهم؛ لأَن الله جل ثناؤه عالم بأَعمالهم. قال ابن بري: سَأَلته الشيءَ بمعنى اسْتَعْطَيته إِياه[٢٣١].

---

(٢٢٩) انظر: حجة القراءات (٧٢١/١)، وانظر: معاني القراءات (٥٠٤).

(٢٣٠) النشر (٣٩٠/٢).

(٢٣١) انظر: لسان العرب (٣١٨/١١).

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

﴿وَلَا يَسْئَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾﴾ أي: يشاهد الحميم، وهو القريب حميمه، فلا يبقى في قلبه متسع لسؤال حميمه عن حاله، ولا فيما يتعلق بعشرتهم ومودتهم، ولا يهمه إلا نفسه(٢٣٢).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

(ولا يسأل) بضم الياء أي: لا يقال لحميم أين حميمك؟ أي: لا يطالب قريب بأن يحضر قريبه كما يفعل أهل الدنيا بأن يؤخذ الجار بالجار والحميم بالحميم لأنه لا جور هناك، أعلم أنك إذا بنيت الفعل للفاعل قلت سألت زيداً عن حميمه، فإذا بنيت الفعل للمفعول به قلت سئل زيد عن حميمه، وقد يحذف الجار فيصل الفعل إلى الاسم الذي كان مجروراً قبل حذف الجار فينتصب الاسم، فعلى هذا انتصاب قوله حميماً، وقرأ الباقون ﴿وَلَا يَسْئَلُ﴾ بفتح الياء لأنهم في شغل في أنفسهم عن أن يلقى قريب قريبه فكيف أن يسأل ألم تسمع قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ﴾ [الحج: ٢] وقوله: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾﴾ [عبس: ٣٤] فكيف يسألهم عن شيء وهو يفر منهم(٢٣٣).

خامساً: الجمع بين القراءات:

يتبيّن بالجمع بين القراءات أن من قرأ (ولا يُسأل) بضم الياء أي: لا يُسأل الحميم أين حميمك ليحضره من هول المشهد. ومن قرأ ﴿وَلَا يَسْئَلُ﴾ بالفتح أي: لا يسأل الحميمُ حميمَه عن حاله، من هول المشهد وشدته فانشغل بنفسه.



(٢٣٢) تفسير السعدي (١/٨٨٦).

(٢٣٣) انظر حجة القراءات (١/٧٢٢) الحجة للقراء (٤/٦٢).

٣ ـ قال تعالى: ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾﴾ [المعارج: ١١].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ نافع وعلي وأبو جعفر بفتح الميم (يَوْمَئِذٍ).

٢ ـ وقرأ الباقون بكسرها ﴿يَوْمِئِذٍ﴾[٢٣٤].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(يوم) الياء والواو والميم: كلمةٌ واحدة، هي اليَوم: الواحدُ من الأيّام، ثم يستعيرونه في الأمر العظيم ويقولون نِعْمَ فلانٌ في اليَوم إذا نَزَل[٢٣٥].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

﴿يَوْمَئِذٍ﴾ هو ﴿يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ﴿٨﴾﴾ فإن كان قوله: ﴿يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ﴾ متعلقاً بـ﴿يَوَدُّ﴾ فقوله: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ تأكيد لـ﴿يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ﴿٨﴾﴾ وإن كان متعلقاً بقوله: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [المعارج: ٤] فقوله: ﴿يَوْمِئِذٍ﴾ إفادة لكون ذلك اليوم هو يوم يود المجرم، لو يفتدي من العذاب بمن ذكر بعده[٢٣٦].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

﴿يَوْمِئِذٍ﴾ بكسر ميم (يومِ) مجروراً بإضافة ﴿عَذَابُ ٱللَّهِ﴾، وبفتح الميم على بنائه لإضافة (يومِ) إلى ﴿إذ﴾، وهي اسم غير متمكن والوجهان جائزان[٢٣٧].

---

(٢٣٤) النشر (٢/٢٨٩).

(٢٣٥) معجم مقاييس اللغة (٦/١٥٩).

(٢٣٦) تفسير السعدي (١/٨٨٦) وانظر: التحرير والتنوير المجلد ١٢ (٢٠/١٦٠).

(٢٣٧) انظر: حجة القراءات (١/٧٢٣) وانظر: تفسير الرازي (٣٠/ ١١٢) والتحرير والتنوير المجلد ١٢ (٢٠/١٦٠).

خامساً: الجمع بين القراءات:

من قرأ ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ بفتح الميم فلأنه مضاف إلى غير متمكن مضاف إلى إذ، وإذ مبهمة، ومعناه يوم يكون كذا، فلما كانت مبهمة؛ أضيف إليها، وبني المضاف إليها على الفتح. ومن قرأ (يَوْمِئِذٍ) بكسر الميم فعلى أصل الإضافة.

❋ ❋ ❋

٤ ـ قال تعالى: ﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾﴾ [المعارج: ١٦].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ حفص بالنصب ﴿نَزَّاعَةً﴾.

٢ ـ وقرأ الباقون بالرفع (نزاعةٌ)[٢٣٨].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(نزع) النون والزاي والعين أصلٌ صحيح يدلُّ على قَلْع شيء، ونَزَعْت الشيءَ من مكانِه نَزْعاً. والمِنْزَع: الشَّديد النَّزْع. ونَزَع عن الأمر نُزُوعاً: تركَه[٢٣٩].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

﴿إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾﴾ أي: للأعضاء الظاهرة والباطنة من شدة عذابها. تَدْعو إليها ﴿مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ ﴿١٨﴾﴾ أي: أدبر عن اتباع الحق وأعرض عنه، فليس له فيه غرض، وجمع الأموال بعضها فوق بعض وأوعاها، فلم ينفق منها، فإن النار تدعوهم إلى نفسها، وتستعد للالتهاب بهم[٢٤٠].

---

(٢٣٨) النشر (٢/٣٩٠).

(٢٣٩) معجم مقاييس اللغة (٥/٤١٥).

(٢٤٠) تفسير السعدي (١/٨٨٦).

رابعاً: الجمع بين القراءات:

يتبيّن بالجمع بين القراءات أن: من قرأ (نزاعةٌ) بالرفع فيدل على جمع نوعي العذاب فهي لظى ونزاعة للشوى، ومن قرأ ﴿نَزَّاعَةً﴾ بالنصب فهي حال مؤكدة لعملية نزع للأعضاء الظاهرة والباطنة من شدة عذابها.

٥ ـ قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [المعارج: ٣٢ ـ ٣٣].

أولاً: القراءات:

١ ـ أ ـ اقرأ ابن كثير بحذف الألف قبل التاء (لِأَمَانَتِهِمْ).

ب ـ وقرأ الباقون بإثباتها ﴿لِأَمَٰنَٰتِهِمْ﴾[(٢٤١)].

٢ ـ أ ـ قرأ حفص ويعقوب «بألف قبل التاء ﴿بِشَهَٰدَٰتِهِمْ﴾.

ب ـ وقرأ الباقون بحذفها (بِشَهَادَتِهِمْ)[(٢٤٢)].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

١ ـ (لِأَمَانَتِهِمْ) الهمزة والميم والنون أصلان متقاربان: أحدهما الأمانة التي هي ضدّ الخيانة، ومعناها سُكون القلب، والآخر التصدي[(٢٤٣)]. والأمانة عبارة عما إذا وجب لغيرك عليك من حق فأديت ذلك الحق إليه فهذا هو الأمانة[(٢٤٤)].

٢ ـ (بِشَهَادَاتِهِمْ): (الشهادة) الشين والهاء والدال أصلٌ يدلُّ على حضور وعلم وإعلام، لا يخرُج شيءٌ من فروعه عن الذي ذكرناه. يقال شَهد يشهد شهادةً. والمَشهد: محضر النّاس[(٢٤٥)].

---

(٢٤١) انظر: النشر (٣٢٨/٢).

(٢٤٢) انظر: النشر (٣٩١/٢).

(٢٤٣) لسان العرب مادة (أمن): (٢١/١٣).

(٢٤٤) انظر: تفسير الرازي (١١٣/١٠).

(٢٤٥) معجم مقاييس اللغة مادة (شهد): (٢٢١/٣).

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (٣٢)﴾ أي: لا يخلون بشيء من الأمانات التي يؤتمنون عليها، ولا ينقضون شيئاً من العهود التي يعقدونها على أنفسهم، والمراد: الجنس: ﴿وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ (٣٣)﴾ أي: يقيمونها على من كانت عليه من قريب أو بعيد، أو رفيع أو وضيع، ولا يكتمونها ولا يغيرونها[٢٤٦]، أكثر المفسرين قالوا: يعني الشهادات عند الحكام يقومون بها بالحق، ولا يكتمونها وهذه الشهادات من جملة الأمانات إلا أنه تعالى خصها من بينها إبانة لفضلها لأن في إقامتها إحياء الحقوق وفي تركها إبطالها وتضييعها، وروى عطاء عن ابن عباس قال: يريد الشهادة بأن الله واحد لا شريك له[٢٤٧].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قوله تعالى (لِأَمَانَتِهِمْ) يُقرأ بالتوحيد والجمع، فمن وحد استدل بقوله وعهدهم ولم يقل وعهودهم قال بعض أهل النحو: وجه الإفراد أنه مصدر، واسم جنس، والمراد الجنس فيقع على الكثرة وإن كان مفرداً في اللفظ ومن هذا قوله: ﴿كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾ [الأنعام: ١٠٨] فأفرد. ومن جمع استدل بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ﴾ [النساء: ٥٨]، والأمانات جمع أمانة، وأمانة مصدر ويجوز جمع المصدر إذا اختلفت أنواعه فالجمع لاختلاف الأمانات وكثرة ضروبها، لذلك حسن الجمع لهذا الاختلاف. والأمانة مصدر سمي به المفعول، ولذلك جُمع لأنه جعل اسماً خالصاً[٢٤٨]. (بِشَهَادَتِهِمْ) بالإفراد، قال الواحدي: والإفراد أولى لأنه مصدر كما سبق أنفاً في الأمانات، ومن جمع ذهب إلى اختلاف الشهادات، قال الفرّاء: ويدل على قراءة التوحيد قوله تعالى:

(٢٤٦) انظر: تفسير الرازي (٣٠/ ١١٤ ـ ١١٥) فتح القدير (٥/٤١٠).

(٢٤٧) انظر: تفسير الرازي (١٠/١١٢).

(٢٤٨) انظر: تفسير الرازي (١٠/١١٢) وحجة القراءات (١/٧٢٤) والحجة (١/٢٥٥) بتصرف يسير.

﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلشَّهَـٰدَةَ لِلَّهِ﴾ [الطلاق: ٢][٢٤٩].

خامساً: الجمع بين القراءات:

يتبيّن بالجمع بين القراءات أن: من قرأ (لِأَمَانَتِهِمْ) و(بِشَهَادَتِهِمْ) بالإفراد لأنه مصدر المراد منه جنس الأمانة والشهادة، ومن قرأ ﴿لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ﴾ و﴿بِشَهَـٰدَٰتِهِمْ﴾ بالجمع فلاختلاف الأمانات الشهادات وكثرة ضروبها.



٦ ـ قال تعالى: ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَـٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [المعارج: ٤٢].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ «أبو جعفر» بفتح الياء والقاف وسكون اللام دون ألف (يَلْقَوا).

٢ ـ وقرأ الباقون بضم الياء والقاف وفتح اللام والألف بعدها ﴿يُلَـٰقُوا۟﴾[٢٥٠].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(لقي) اللام والقاف والحرف المعتل أصولٌ ثلاثة: أحدها يدلُّ على عوَج، والآخر على توافِي شيئين[٢٥١]، من الملاقاة[٢٥٢].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟﴾ والخوض: الكلام الكثير، والمراد خوضهم

(٢٤٩) انظر: تفسير الرازي (٣٠/ ١١٦)، وفتح القدير (٥/٤١٠).

(٢٥٠) النشر (٢/٣٧٠).

(٢٥١) معجم مقاييس اللغة (٥/٢٦٠).

(٢٥٢) المستنير (٣/١٩٩).

في القرآن وشأن النبي ﷺ والمسلمين، واللعب: الهزل والهُزْء وهو لعبهم في تلقي الدعوة الإِسلامية وخروجهم عن حدود التعقل والجِدّ في الأمر لاستطارة رشدهم حسداً وغيظاً وحنقاً، فاتركهم يخوضوا بالأقوال الباطلة، والعقائد الفاسدة، ويلعبوا بدينهم، ويأكلوا ويشربوا، ويتمتعوا ﴿حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ﴾ وهو يوم القيامة فإن الله قد أعد لهم فيه من النكال والوبال ما هو عاقبة خوضهم ولعبهم[٢٥٣].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

من قرأ (يَلْقَوا) مضارع لقي الثلاثي. ومن قرأ ﴿يُلَٰقُوا۟﴾ على أنه مضارع لاقى على وزن فاعل من الملاقاة[٢٥٤]. أي: اتركهم يخوضوا بالأقوال الباطلة، والعقائد الفاسدة، ويلعبوا بدينهم، ويأكلوا ويشربوا، ويتمتعوا. حتى إذا جاء يوم القيامة فإنهم ستطول بهم ملاقاة العذاب الأكبر كما طال خوضهم ولعبهم في الدنيا ويلقوا مفاجآت ذلك النكال والوبال عاقبة لخوضهم ولعبهم.

خامساً: الجمع بين القراءات:

يتبيّن بالجمع بين القراءات أن: حجة من قرأ ﴿يُلَٰقُوا۟﴾ على معنى أن الكفار سيطول بهم المقام في الملاقاة وانتظار العذاب كما طال خوضهم ولعبهم في الدنيا. وحجة من قرأ (يَلْقَوا) فعلى معنى التجدد في مفاجآت العذاب النازل عليهم نكالاً ووبالاً عاقبة خوضهم ولعبهم.



٧ ـ قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [المعارج: ٤٣].

(٢٥٣) انظر: تفسير السعدي (٨٨٨/١) وانظر: فتح القدير (٤١٣/٥) والتحرير والتنوير المجلد ١٢ (١٨٢/٢٩).

(٢٥٤) انظر: المغني (٢٣٢/٣).

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ ابن عامر وحفص بضم النون والصاد ﴿نُصُبٍ﴾.

٢ ـ وقرأ الباقون بفتح النون وسكون الصاد (نَصْبٍ)[٢٥٥].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(نصب) النون والصاد والباء أصلٌ صحيح يدلُّ على إقامةِ شيءٍ في استواء، والنَّصْب: حجرٌ كانَ يُنصَب فيُعبَد، ويقال هو النُّصُب، وهو حجرٌ يُنصَب بين يدي الصَّنَم تصبُّ عليه دماءُ الذّبائح للأصنام، ويقول أهلُ العربيّة في الفتح هو النَّصْب، كأنَّ الكلمة تنتصِب في الفم انتصاباً[٢٥٦].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

قوله: ﴿يُوفِضُونَ﴾ قال: يستبقون، وعن قتادة: ﴿كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾: إلى علم يسعون. وعنه: ﴿كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾ قال: إلى عَلَم يوفضون، قال: يسعون، وقيل: إلى غاية يستبقون. وقيل: يُسرعون وقيل: يبتدرون[٢٥٧]. وذكر الشوكاني أن: النصب شبكة الصائد يسرع إليها عند وقوع الصيد فيها مخافة انفلاته، والخشوع الذلة والخضوع، أي: لا يرفعونها لما يتوقعونه من العذاب ﴿تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ أي: تغشاهم ذلة شديدة[٢٥٨].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قراءة الجمهور (نَصْبٍ) بفتح النون والنصب كل شيء نصب والمعنى كأنهم إلى علم لهم يستبقون، والقراءة الثانية: ﴿نُصُبٍ﴾ بضم النون والصاد، وفيه وجهان أحدهما: أن يكون النُصُب والنَّصْب كلاهما يكونان جمع نصب

(٢٥٥) النشر (٢/٣٩١).

(٢٥٦) انظر: معجم مقاييس اللغة (٥/٤٣٤).

(٢٥٧) الطبري مجلد ١٢ (٢٩/٢٤٣ ـ ٢٤٤) بتصرف.

(٢٥٨) انظر: فتح القدير (٥/٣٨٥).

كأُسْد وأُسُد جمع أَسَد، وثانيهما: أن يكون المراد من النصب الأنصاب وهي الأشياء التي تنصب فتعبد من دون الله كقوله: ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾ وقوله: ﴿يُوفِضُونَ﴾ يسرعون، ومعنى الآية على هذا الوجه: أنهم يوم يخرجون من الأجداث يسرعون إلى الداعي مستبقين كما كانوا يستبقون إلى أنصارهم(٢٥٩). فمن قرأ ﴿نُصُبٍ﴾: بضم النون والصاد، جمع (نَصْب) على وزن «فَعْل» بفتح الفاء وسكون العين، مثل: سَقْف ـ سُقُف، ومن قرأ (نَصْب) بفتح النون وإسكان الصاد، اسم مفرد، بمعنى المنصوب للعبادة(٢٦٠).

خامساً: الجمع بين القراءات:

يتبيّن بالجمع بين القراءات أن: من قرأ ﴿نُصُبٍ﴾ فالمراد الجمع وهي: الأنصاب التي تنصب فتعبد من دون الله، فيسارع كل واحد إلى نصبه يستلمه، ومن قرأ (نَصْبٍ) فهي مفرد نُصُب، وهو: شيء معين منصوب للعبادة يتسارعون في الإمساك به.



(٢٥٩) انظر: تفسير الرازي (٣٠/١١٧ ـ ١١٨).
(٢٦٠) المغني (٣/٣١٩).

المبحث الثامن
عرض وتفسير لآيات سورة نوح
المتضمنة للقراءات القرآنية العشر

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: بين يدي السورة

المطلب الثاني: عرض وتفسير لآيات سورة نوح المتضمنة للقراءات العشر

ويشتمل على:

أولاً: القراءات

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات

خامساً: الجمع بين القراءات



المبحث الثامن
عرض وتفسير لآيات سورة نوح المتضمنة للقراءات العشر

المطلب الأول: بين يدي السورة:

سميت هذه السورة في المصاحف وكتب التفسير (سورة إنا أرسلنا نوحاً)، وهي مكية بالاتفاق، وعُدت الثالثة والسبعين في ترتيب نزول السور، نزلت بعد نزول أربعين آية من سورة النحل وقبل سورة الطور، وعد العادون بالمدينة ومكة آيها ثلاثين آية، وعدها أهل البصرة والشام تسعاً وعشرين آية، وعدها أهل الكوفة ثمانياً وعشرين آية، وأعظم مقاصد السورة هو: ضرب المثل للمشركين بقوم نوح، وهم أول المشركين الذين سُلط عليهم عقاب في الدنيا، وهو الطوفان. وفي ذلك تمثيل لحال النبي ﷺ مع قومه بحالهم، وفيها تفصيل كثير من دعوة نوح ﷺ، ودعوة نوح على قومه بالاستئصال، وأشارت إلى الطوفان، ودعاء نوح بالمغفرة له وللمؤمنين وبالتبار للكافرين[٢٦١]، فعنيت السورة بغرس أصول العقيدة وتثبيت عناصر الإيمان، وإبطال عبادة الأصنام والأوثان والاستدلال على وجود الله ووحدانيته وقدرته[٢٦٢]. والسورة نموذج حي لمعاناة الرسل مع أقوامهم، وجهادهم في سبيل الدعوة، حيث مكث نوح مع قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً، وما

(٢٦١) التحرير والتنوير المجلد ١٢ (٢٩/١٨٥ ـ ١٨٦).

(٢٦٢) التفسير المنير (٢٩/١٣٣ ـ ١٣٤).

آمن معه إلا قليل، فكان عنادهم سبباً لهلاكهم(٢٦٣).

المطلب الثاني: عرض وتفسير لآيات سورة نوح المتضمنة للقراءات العشر:

١ ـ قال تعالى: ﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾﴾ [نوح: ٢١].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة وعلي ويعقوب وخلف بضم الواو الثانية وسكون اللام (وَوُلْدُهُ).

٢ ـ وقرأ الباقون بفتحهما ﴿وَوَلَدُهُۥٓ﴾(٢٦٤).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(ولد) الواو واللام والدال: أصلٌ صحيح، وهو دليل النَّجْل والنسْل، ثمَّ يقاس عليه غيرُه. من ذلك الوَلَد، وهو للواحد والجميع، ويقال للواحد وُلْدٌ أيضاً. والوَليدةُ الأنثى، والجمع ولائد. وتَولَّدَ الشّيءُ عن الشّيء: حَصَل عنه(٢٦٥).

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

﴿وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا﴾ أي: عصوا الرسول الناصح الدال على الخير، واتبعوا الملأ والأشراف الذين لم تزدهم أموالهم ولا أولادهم إلا خساراً أي: هلاكاً وتفويتاً للأرباح فكيف بمن انقاد لهم وأطاعهم(٢٦٦).

(٢٦٣) تفسير شحادة (٦٠٩٦/٢٩).
(٢٦٤) انظر: النشر (٣٩١/٢)، انظر: الإتحاف (٥٥٨).
(٢٦٥) معجم مقاييس اللغة (١٤٣/٦).
(٢٦٦) تفسير السعدي (٨٨٩/١).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قال الزجاج: الوَلد واحد، والوُلد بالضم جمع، مثل: أَسَد وأُسُد، وقال ابن أبي حماد: الولد بالضم ولد الولد، والولد بالفتح ولد الصلب، والوُلد بالضم يصلح للواحد وللجمع، والوَلد لا يصلح إلا للواحد(٢٦٧).

خامساً: الجمع بين القراءات:

يتبيّن بالجمع بين القراءات أن من قرأ (وَوُلْدُهُ) بالجمع فعلى معنى أن كثرة الأولاد لديهم أوصلتهم للخسارة باتباعهم وغرورهم، وأن من قرأ ﴿وَوَلَدُهُۥ﴾ بالإفراد فعلى معنى أن ولَده وَوَلد ولدِه أوصلوه للخسران.

❋ ❋ ❋

٢ـ قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا ﴿٢٣﴾﴾ [نوح: ٢٣].



أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ نافع وأبو جعفر بضم الواو (وُدّاً).

٢ ـ وقرأ الباقون بفتحها ﴿وَدّٗا﴾(٢٦٨).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(ود) الواو والدال: كلمةٌ تدلُّ على مَحَبَّةٍ. وَدِدْتُه: أحببته، ووَدِدْتُ أنَّ ذاك كان، إذا تمنَّيْتَه، أَوَدُّ فيهما جميعاً. وفي المحبَّة الوُدُّ، وفي التَّمنِّي الوَدَادة. وهو وَديدُ فلانٍ، أي: يُحِبُّه(٢٦٩).

(٢٦٧) حجة القراءات (٧٢٥/١) وانظر: المغني (٣٢١/٣).

(٢٦٨) انظر: النشر (٣٩١/٢) والإتحاف (٥٥٨).

(٢٦٩) معجم مقاييس اللغة (٧٥/٦).

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

﴿وَقَالُواْ﴾ لهم داعين إلى الشرك مزينين له: ﴿لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ﴾ فدعوهم إلى التعصب على ما هم عليه من الشرك، وأن لا يدعوا ما عليه آباؤهم الأقدمون، ثم عينوا آلهتهم فقالوا: ﴿وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ وهذه أسماء رجال صالحين لما ماتوا؛ زين الشيطان لقومهم أن يصوروا صورهم لينشطوا - بزعمهم - على الطاعة إذا رأوها، ثم طال الأمد، وجاء غير أولئك فقال لهم الشيطان: إن أسلافكم يعبدونهم، ويتوسلون بهم[٢٧٠].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قوله تعالى: ﴿وَدًّا﴾ يقرأ بفتح الواو والضم وهما لغتان في اسم الصنم، وقيل الضم في المحبة والفتح في اسم الصنم[٢٧١]. فأما ود فهو أول صنم معبود، سمي (وُدّاً) لودهم له، وكان بعد قوم نوح[٢٧٢]. (لَا تَذَرُنَّ وُدّاً) بفتح الواو وبضم الواو، قال الليث: ﴿وَدًّا﴾ بفتح الواو صنم كان لقوم نوح، وُد بالضم صنم لقريش، وبه سمي عمرو بن عبد وُد[٢٧٣]. قال أبو منصور: ﴿وَدًّا﴾ اسم صنم، وفيه لغتان: وَدُّ ووُدُّ «والوَد: الوتد، والوُد: المودة»[٢٧٤].

خامساً: الجمع بين القراءات:

بالجمع بين القراءات يتبيّن أن: من قرأ ﴿وَدًّا﴾ بالفتح أراد اسم الصنم المعبود الماثل أمام قريش كالوتد، ومن قرأ ﴿وُدًّا﴾ أراد حب الصنم المعبود لقوم نوح ومودته.

(٢٧٠) تفسير السعدي (٨٨٩/١).

(٢٧١) الحجة (٣٥٣/١).

(٢٧٢) المغني (٣٢١/٣).

(٢٧٣) تفسير الرازي (١٢٨/٣٠).

(٢٧٤) معاني القراءات (٥٠٧).

٣ ـ قال تعالى: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾﴾ [نوح: ٢٥].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ أبو عمرو (خَطَايَاهُمْ).

٢ ـ وقرأ الباقون بالجمع المؤنث السالم ﴿خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ﴾[٢٧٥].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

الخطأ: العدول عن الجهة، وذلك أضرب: أحدها: أن تريد غير ما تحسن إرادته فتفعله، وهذا هو الخطأ التام المأخوذ به الإنسان، يقال خطئ يخطأ، خطأ، وخطأ، فالخطيئة ههنا هي التي لا تكون عن قصد إلى فعله، ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ﴾ والجمع الخطيئات والخطايا، والخاطئ. قال الأموي: المخطئ من أراد الصواب فصار إلى غيره، والخاطئ من تعمد لما لا ينبغي[٢٧٦]. والخَطَأُ مهموز مقصور اسم من أَخْطَأْتُ خَطَأً وإِخْطاءً، قال: وخَطِئتُ خِطْأً بكسر الخاء مقصور إذا أثمت، والخَطِيئةُ الذَّنْبُ على عَمْدٍ، وقال الليث الخَطِيئةُ فَعيلة[٢٧٧].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُوا۟﴾ في اليم الذي أحاط بهم ﴿فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا﴾ فذهبت أجسادهم في الغرق وأرواحهم للنار والحرق، وهذا كله بسبب خطيئاتهم، التي أتاهم نبيهم نوح ينذرهم عنها، ويخبرهم بشؤمها ومغبتها، فرفضوا ما قال، حتى حل بهم النكال[٢٧٨].

---

(٢٧٥) انظر: النشر (٢/٣٩١)، والإتحاف (٥٥٨).

(٢٧٦) مفردات ألفاظ القرآن (١/٣٠٤).

(٢٧٧) لسان العرب (١/٦٥).

(٢٧٨) تفسير السعدي (١/٨٨٩).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

إجماع القراء على جمع السلامة، إلا أبا عمرو فإنه قرأه خطاياهم على جمع التكسير مثل: قضاياهم. وحجته أن الخطايا أكثر من الخطيئات، لأن جمع المؤنث بالتاء في الأغلب من كلام العرب أن يكون للقليل مثل: «نخلة ونخلات ـ وبقرة وبقرات» قال الأصمعي: كان أبو عمرو يقرأ خطاياهم، ويقول إن قوماً كفروا ألف سنة كانت لهم خطيئات لا بل خطايا يذهب أبو عمرو إلى أن التاء والألف للجمع القليل، وخطايا جمع التكسير وهو للتكثير، وحجته إجماع الجميع في قوله تعالى: ﴿نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَـٰيَـٰكُمْ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ٥٨][٢٧٩].

خامساً: الجمع بين القراءات:

بالجمع بين القراءات يتبيّن أن: من قرأ ﴿خَطَـٰيَـٰهُم﴾ فعلى جمع التكسير الكثير لأن الخطايا أكثر من الخطيئات، ومن قرأ ﴿خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ﴾ فعلى جمع المؤنث بالتاء، فالتاء والألف للجمع القليل.



(٢٧٩) انظر: الحجة (١/٣٥٣) وحجة القراءات (١/٧٢٦) والمغني (٣/٣٢٢).

الفصل الثاني
تفسير سورة (الجن) إلى آخر سورة (المرسلات)
من خلال القراءات القرآنية العشر

ويشتمل على ستة مباحث:

المبحث الأول: عرض وتفسير لآيات سورة الجن المتضمنة للقراءات العشر

المبحث الثاني: عرض وتفسير لآيات سورة المزمل المتضمنة للقراءات العشر

المبحث الثالث: عرض وتفسير لآيات سورة المدثر المتضمنة للقراءات العشر

المبحث الرابع: عرض وتفسير لآيات سورة القيامة المتضمنة للقراءات العشر

المبحث الخامس: عرض وتفسير لآيات سورة الإنسان المتضمنة للقراءات العشر

المبحث السادس: عرض وتفسير لآيات سورة المرسلات المتضمنة للقراءات العشر



المبحث الأول
عرض وتفسير لآيات سورة الجن
المتضمنة للقراءات القرآنية العشر

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: بين يدي السورة

المطلب الثاني: عرض وتفسير لآيات سورة الجن المتضمنة للقراءات العشر

ويشتمل على:

أولاً: القراءات

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات

خامساً: الجمع بين القراءات



المبحث الأول
عرض وتفسير لآيات سورة الجن المتضمنة للقراءات العشر

المطلب الأول: بين يدي السورة:

(سورة الجن) سميت في كتب التفسير (سورة الجن)[٢٨٠]، لتعلقها بأحوالهم[٢٨١]، واشتهرت على ألسنة المتعلمين في الكتاتيب (قل أوحي)، وهي مكية بالاتفاق، وقد عدت السورة الأربعين في نزول السور نزلت بعد الأعراف وقبل يس، واتفق أهل العدد على عد آيها ثمانياً وعشرين آية. من أهم أغراضها: إثبات كرامة للنبي ﷺ بأن دعوته بلغت إلى جنس الجن، وإبطال عبادة ما يعبد من الجن، وإبطال الكهانة وبلوغ علم الغيب إلى غير الرسل الذين يطلعهم الله على ما يشاء، وإثبات أن لله خلقاً يدعون الجن وأنهم أصناف منهم الصالحون ومنهم دون ذلك بمراتب، وتضليل الذين يقولون على الله ما لم يقله، والذين يعبدون الجن، والذين ينكرون البعث وأن الجن لا يفلتون من سلطان الله تعالى[٢٨٢]، هذه السورة تصحح كثيراً من المعلومات الخاطئة عن الجن، حيث كانوا يزعمون أن محمداً يتلقى ما يقوله عن الجن؛

(٢٨٠) انظر: التحرير والتنوير المجلد ١٢ (٢١٦/٢٩ ـ ٢١٧).

(٢٨١) التفسير المنير (١٥٥/٢٩).

(٢٨٢) انظر: التحرير والتنوير المجلد ١٢ (٢١٦/٢٩ ـ ٢١٧).

فتجيء الإجابة من الجن أنفسهم بتكذيبهم، وأنهم سمعوه من محمد ﷺ[283].

المطلب الثاني: عرض وتفسير لآيات سورة الجن المتضمنة للقراءات العشر:

قال تعالى:

١ - ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۝٣﴾ [الجن: ٣].

٢ - ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ۝٤﴾ [الجن: ٤].

٣ - ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۝٥﴾ [الجن: ٥].

٤ - ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الجن: ٦].

٥ - ﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّواْ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ۝٧﴾ [الجن: ٧].

٦ - ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ۝٨﴾ [الجن: ٨].

٧ - ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ﴾ [الجن: ٩].

٨ - ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الجن: ١٠].

٩ - ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ۝١١﴾ [الجن: ١١].

١٠ - ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ۝١٢﴾ [الجن: ١٢].

١١ - ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ [الجن: ١٣].

---

(٢٨٣) تفسير شحادة (٦١١٨/٢٩).

١٢ ـ ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَاسِطُونَ﴾ [الجن: ١٤].

أولاً: القراءات:

قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وخلف وحفص بفتح همزة ﴿وَأَنَّا﴾ في المواضع الاثنى عشر، ووافقهم أبو جعفر في ثلاثة مواطن منها، وهي: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَـٰلَىٰ ـ وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ ـ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ﴾.

وقرأ الباقون بكسرها في جميع المواطن في السورة[٢٨٤].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(أنّ) والهمزة والنون مضاعفة أصلٌ واحد، وهو صوتٌ بتوجّع. قال الخليل: تقول: أنّ الرجل يئِنّ أنيناً وأنّةً وأنّاً، وذلك صوتُه بتوجُّع[٢٨٥]. وهو حرف توكيد ونصب.

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآيات المتضمنة للقراءات:

﴿وَأَنَّهُۥ تَعَـٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾ أي: تعالت عظمته وتقدست أسماؤه، ﴿مَا ٱتَّخَذَ صَـٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ فعلموا من جد الله وعظمته، ما دلهم على بطلان من يزعم أن له صاحبة أو ولداً، لأن له العظمة والكمال في كل صفة كمال، واتخاذ الصاحبة والولد ينافي ذلك، لأنه يضاد كمال الغنى، ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾﴾ أي: قولاً جائراً عن الصواب، متعدياً للحد، وما حمله على ذلك إلا سفهه وضعف عقله، وإلا فلو كان رزيناً مطمئناً لعرف كيف يقول، ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾﴾ أي: كنا مغترين قبل ذلك، وغرنا القادة والرؤساء من الجن والإنس، فأحسنا بهم الظن، وظنناهم لا يتجرؤون الكذب على الله، فلذلك كنا قبل هذا على طريقهم، فاليوم إذ بان لنا الحق، رجعنا إليه، وانقدنا له، ولم نبال بقول أحد من

(٢٨٤) انظر: النشر (٢/٣٩٢).

(٢٨٥) معجم مقاييس اللغة (١/٣١).

الناس يعارض الهدى، ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾﴾ أي: كان الإنس يعبدون الجن ويستعيذون بهم عند المخاوف والإفزاع، فزاد الإنس الجن رهقاً أي: طغياناً وتكبراً لما رأوا الإنس يعبدونهم، ويستعيذون بهم، ويحتمل أن الضمير في زادوهم يرجع إلى الجن ضمير الواو، أي: زاد الجن الإنس ذعراً وتخويفاً لما رأوهم يستعيذون بهم ليلجئوهم إلى الاستعاذة بهم، فكان الإنسي إذا نزل بواد مخوف، قال: أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه. ﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾﴾ أي: فلما أنكروا البعث أقدموا على الشرك والطغيان. ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ﴾ أي: أتيناها واختبرناها، ﴿فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا﴾ عن الوصول إلى أرجائها، والدنو منها، ﴿وَشُهُبًا﴾ يرمى بها من استرق السمع، وهذا بخلاف عادتنا الأولى، فإنا كنا نتمكن من الوصول إلى خبر السماء، ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ﴾ فنتلقف من أخبار السماء ما شاء الله، ﴿فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ أي: مرصداً له، معداً لإتلافه وإحراقه، أي: وهذا له شأن عظيم، ونبأ جسيم، وجزموا أن الله تعالى أراد أن يحدث في الأرض حادثاً كبيراً، من خير أو شر، فلهذا قالوا: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾ أي: لا بد من هذا أو هذا، لأنهم رأوا الأمر تغير عليهم تغيراً أنكروه، فعرفوا بفطنتهم أن هذا الأمر يريده الله، ويحدثه في الأرض، وفي هذا بيان لأدبهم، إذ أضافوا الخير إلى الله تعالى، والشر حذفوا فاعله تأدباً مع الله. ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ أي: فساق وفجار وكفار، ﴿كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا﴾ أي: فرقاً متنوعة، وأهواء متفرقة، كل حزب بما لديهم فرحون. ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴿١٢﴾﴾ أي: وأنا في وقتنا الآن تبيّن لنا كمال قدرة الله وكمال عجزنا، وأن نواصينا بيد الله فلن نعجزه في الأرض ولن نعجزه إن هربنا وسعينا بأسباب الفرار والخروج عن قدرته، ولا ملجأ منه إلا إليه. ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ﴾ وهو القرآن الكريم، الهادي إلى الصراط المستقيم، وعرفنا هدايته وإرشاده، أثر في قلوبنا فـ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ﴾. ثم ذكروا ما يرغب المؤمن فقالوا: ﴿فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ﴾ إيماناً صادقاً ﴿فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾

أي: لا نقصاً ولا طغياناً ولا أذىً يلحقه، وإذا سلم من الشر حصل له الخير، فالإيمان سبب داع إلى حصول كل خير وانتفاء كل شر. ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ﴾ أي: الجائرون العادلون عن الصراط المستقيم. ﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا﴾ أي: أصابوا طريق الرشد، الموصل لهم إلى الجنة ونعيمها(٢٨٦).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

من قرأ بالكسر فإنه رد على قوله ﴿فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾ وقال: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾ ثم أتبع ذلك ما حسن أن يكون من قول الجن ثم يعترض كلام الله وهو قوله (وإنه كان رجال) وهذا مكسور(٢٨٧)، إذ يجب كسر همزة ﴿إِنَّ﴾ إذا حكيت بالقول(٢٨٨)، فالفتح بالعطف على قوله ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ﴾ والكسر بالعطف على قوله ﴿فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا﴾ فإذا إذا جاءت أن بعد الفاء التي في جواب الشرط كانت بالكسر لا غير(٢٨٩).

خامساً: الجمع بين القراءات:

يتبيّن من خلال القراءات أن: من قرأ ﴿إِنَّا﴾ بالكسر فقد حمله على كلام الجن، ومن قرأ بالفتح فقد حمله على كلام الوحي.

❋ ❋ ❋

١٣ ـ قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۝٥﴾ [الجن: ٥].

---

(٢٨٦) تفسير السعدي (١/٨٩٠ ـ ٨٩١).

(٢٨٧) حجة القراءات (١/٧٢٧).

(٢٨٨) التحرير والتنوير (١٢/٢٩/٢٢٢).

(٢٨٩) الحجة (١/٣٥٤).

أولاً: القراءات:

١ ـ (تقُول) قرأ يعقوب بفتح القاف والواو مشددة (تَقوّل).

٢ ـ وقرأ الباقون بضم القاف وإسكان الواو مخففة[٢٩٠].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(قول) القاف والواو واللام أصلٌ واحدٌ صحيحٌ يقلُّ كلمهُ، وهو القَول من النُّطق. يُقال: قَالَ يقول قَولاً. والمِقْوَل: اللِّسان. ورجل قُوَلةٌ وقَوَّالٌ: كثير القَول[٢٩١] (تقوّل) من التقوّل وهو نسبة كلام إلى من لم يقله وهو في معنى الكذب وأصله تتقول بتاءين فعلى هذه القراءة يكون ﴿كَذِبًا﴾ مصدراً مؤكداً لفعل (تَقَوَّلَ) لأنه مرادفه[٢٩٢].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۝٥﴾ يقول: قالوا: وأنا حسبنا أن لن تقول بنو آدم والجنّ على الله كذباً من القول، والظنّ هاهنا بمعنى الشك، والتقول لا يكون إلا كذباً، وإنما أنكر هؤلاء النفر من الجنّ أن تكون علمت أن أحداً يجترئ الكذب على الله، لما سمعت القرآن، لأنهم قبل أن يسمعوه وقبل أن يعلموا تكذيب الله للزاعمين أن لله صاحبة وولداً، وغير ذلك من معاني الكفر كانوا يحسبون أن إبليس صادق فيما يدعو بني آدم إليه من صنوف الكفر؛ فلما سمعوا القرآن أيقنوا أنه كان كاذباً في كلّ ذلك[٢٩٣].

---

(٢٩٠) انظر: النشر (٣٩٢/٢).

(٢٩١) معجم مقاييس اللغة (٤٢/٥).

(٢٩٢) التحرير والتنوير (٢٢٣/٢٩/١٢).

(٢٩٣) الطبري (مجلد ٢٦٢/١٢) انظر: أنوار التنزيل لناصر الدين أبو الخير البيضاوي (٣٩٨/١) وسأشير إليه بـ«تفسير البيضاوي».

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

(تقوّل) على وزن (تفعل) مضعف العين، والأصل أن تقول (تتقول) فحذفت إحدى التائين تخفيفاً. وهو مشتق من (التقول) وهو (الكذب) فيكون (كذباً) مفعول به (لتقول). (تقُول) مضارع قال من (القول) وعلى هذه القراءة يكون (كذباً) مصدراً مؤكداً لتقول لأن الكذب نوع من القول، أو صفة لمصدر محذوف، أي قولاً كذباً(٢٩٤)، وانتصب كذباً بتقول لأنه نوع من القول(٢٩٥).

خامساً: الجمع بين القراءات:

بالجمع بين القراءات يتبيّن أن: من قرأ (تَقَوَّلَ) أي: اختلق وتخرص القول الكذب، فقوّله ما لم يقل، فتكون ﴿كَذِبًا﴾ صفة التقول، والتقدير أن لن تقول الإنس والجن على الله قولاً كذباً، لأن التقوّل لا يكون إلا كذباً.

ومن قرأ ﴿تَقُولَ﴾ فهو على نوع من القول، فتكون ﴿كَذِبًا﴾ موضع تقولاً أي «نائب عن مفعول مطلق منصوب بالفتحة الظاهرة».



١٤ ـ **قال الله تعالى:** ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾﴾ [الجن: ١٧].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ «الكوفيون ويعقوب» بالياء ﴿يَسْلُكْهُ﴾.

٢ ـ وقرأ الباقون بالنون (نَسْلُكْهُ)(٢٩٦).

---

(٢٩٤) المغني (٣/٣٢٤).

(٢٩٥) الإتحاف (٥٥٩).

(٢٩٦) انظر: النشر (٢/٣٩٢).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(سلك) السين واللام والكاف أصلٌ يدلُّ على نفوذ شيءٌ في شيء، يقال سلكت الطَّريقَ أَسلُكه، وسَلكت الشيء في الشيء: أنفذْته[٢٩٧]. السُّلُوك مصدر سَلَكَ طريقاً وسَلَكَ المكانَ يَسْلُكه سَلْكاً وسُلُوكاً وسَلَكه غَيْرُه، وفيه وأَسْلكه إياه[٢٩٨].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

﴿وَمَن يُعۡرِضۡ عَن ذِكۡرِ رَبِّهِۦ يَسۡلُكۡهُ عَذَابٗا صَعَدٗا﴾، أي: ومن يُعرض عن ذكر ربه الذي ذكَّره به، وهو هذا القرآن؛ ومعناه: ومن يعرض عن استماع القرآن واستعماله، يسلكه الله عذاباً صعداً: يقول: يسلكه الله عذاباً شديداً شاقاً. أي مشقة من العذاب يصعد فيها[٢٩٩].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

فالحجة لمن قرأه بالياء أنه رده على قوله ﴿يَسۡلُكۡهُ﴾ ربه، وحجتهم أنه قرب من ذكر الله تعالى في قوله ﴿وَمَن يُعۡرِضۡ عَن ذِكۡرِ رَبِّهِۦ﴾ فأجروا الفعل على ما قرب منه إذ كان في سياقه وكان أقرب إلى الفعل من لفظ الجمع. والحجة لمن قرأه بالنون أنه أراد به إخبار الله تعالى عن نفسه، وحجتهم قوله قبلها ﴿لَأَسۡقَيۡنَٰهُم مَّآءً﴾ فأجروا الكلام على لفظ الجمع إذ كان في سياقه ليأتلف الكلام على نظام واحد. فانتقل من الغيبة للمتكلم[٣٠٠].

خامساً: الجمع بين القراءات:

بالجمع بين القراءات يتبيّن أن: من قرأ ﴿يَسۡلُكۡهُ﴾ بياء الغيبة، فجرياً

(٢٩٧) معجم مقاييس اللغة (٩٧/٣).

(٢٩٨) لسان العرب (٤٤٢/١٠).

(٢٩٩) الطبري (مجلد ٢٧٠/١٢).

(٣٠٠) انظر: الحجة (٣٥٤/١)، وحجة القراءات (٧٢٩/١)، والمغني (٣٢٤/٣).

على سياق الآية، والتقدير يسلكه ربه، ومن قرأ (نَسْلُكْهُ) بنون العظمة، فهو التفاتة من الغيبة لنون المتكلم، والتقدير نحن نسلكه العذاب الشاق.

١٥ ـ قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ يَدۡعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيۡهِ لِبَدٗا ١٩﴾ [الجن: ١٩].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ هشام بضم اللام وبكسرها (لُبداً) ﴿لِبَدٗا﴾.

٢ ـ وقرأ الباقون بكسرها ﴿لِبَدٗا﴾[٣٠١].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(لبد) اللام والباء والدال كلمةٌ صحيحة تدلُّ على تكرُّسِ الشَّيءِ بعضِه فوقَ بعض. وصار النَّاس عليه لُبَداً، إذا تجمَّعوا عليه. و(لُبَداً) أيضاً على وزن فُعَل، من ألبَدَ بالمكان، إذا أقام[٣٠٢].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ يَدۡعُوهُ﴾ أي: لما قام رسول الله ﷺ واجتهد في الدعوة إلى الله وحده مخالفاً للمشركين في عبادتهم الآلهة من دونه: كاد المشركون لتظاهرهم عليه وتعاونهم على عداوته يزدحمون عليه متراكمين، أي: كاد المشركون يكونون مثل: اللَبد متراصين مقتربين منه، وهو التفاف غيظ وغضب وهم بالأذى، كما يقال: تألبوا عليه[٣٠٣].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قرأ الجمهور: ﴿لِبَدٗا﴾ بكسر اللام وفتح الباء. وهشام بضم اللام وفتح

---

(٣٠١) انظر: النشر (٣٩٢/٢)، والكنز في القراءات العشر (٢٩٣).

(٣٠٢) معجم مقاييس اللغة (٢٢٨/٥ ـ ٢٢٩).

(٣٠٣) انظر: التحرير والتنوير المجلد (٢٤٢/٢٩/١٢)، الكشاف (١٢٩٤/٢) بتصرف يسير.

الباء (لُبَداً)، فعلى القراءة الأولى: متراكمين من ازدحامهم عليه لسماع القرآن منه، وعلى قراءة ضم اللام يكون المعنى كثيراً، كما في قوله: ﴿أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا﴾ وقيل المعنى: كاد المشركون يركب بعضهم بعضاً حرداً على النبيّ ﷺ، قال مجاهد: ﴿لِبَدًا﴾ أي: جماعات، وهو من تلبد الشيء على الشيء، أي: اجتمع(٣٠٤). فالحجة لمن كسر أنه جعله جمع «لِبدة ولِبد»، كما قالوا «قِربة وقِرب»، والحجة لمن ضم أنه جعله «لُبدة ولُبد»، كما قالوا «غُرفة وغُرف»، ومعناهما اجتماع الجن على أكتافه ﷺ لاستماع القرآن، وهو مأخوذ من الشعر المتكاثف بين كتفي الأسد(٣٠٥).

خامساً: الجمع بين القراءات:

بالجمع بين القراءات يتبيّن أن: من قرأ ﴿لِبَدًا﴾ بكسر اللام وفتح الباء، فالمعنى: أنه جعلهم متراكمين من ازدحامهم عليه ﷺ لسماع القرآن، ومن قرأ (لُبَداً) بضم اللام وفتح الباء.

فالمعنى: أنه جعلهم كُثراً أي: جماعات.

١٦ ـ قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾﴾ [الجن: ٢٠].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ عاصم وحمزة وأبو جعفر بضم القاف وسكون اللام ﴿قُلْ﴾.

٢ ـ وقرأ الباقون بفتحهما وألف بينهما (قَالَ)(٣٠٦).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

﴿قُلْ﴾: بضم القاف وسكون اللام على أنه فعل أمر، حملاً على ما

(٣٠٤) انظر: فتح القدير (٥/٤٣٣)، والحجة للقراء (٤/٧٠).
(٣٠٥) الحجة (١/٣٥٤)، وانظر: معاني القراءات (٥١٠).
(٣٠٦) انظر: النشر (٢/٣٩٢)، والكنز (٢١٩ ـ ٢٢٠).

أتى بعده من لفظ الأمر، والفاعل ضمير مستتر تقديره أنت والمراد به نبينا محمد ﷺ، (قَالَ): بفتح القاف واللام على أنه فعل ماضٍ، على لفظ الخبر والغيبة حملاً على ما قبله من الخبر والغيبة، والتقدير: لمّا قام عبدالله يدعوه قال إنما أدعو ربي ولا أشرك به أحداً وفاعل (قال) ضمير مستتر تقديره (هو) يعود على عبدالله والمراد به نبينا محمد ﷺ[٣٠٧].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

﴿قُلْ﴾ لهم يا أيها الرسول، مبيِّناً حقيقة ما تدعو إليه: ﴿إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا﴾ أي: أوحده وحده لا شريك له، وأخلع ما دونه من الأنداد والأوثان، وكل ما يتخذه المشركون من دونه[٣٠٨]. وسبب نزولها أن كفار قريش قالوا له: إنك جئت بأمر عظيم وقد عاديت الناس كلهم فارجع عن هذا فنحن نجيرك، فنزل قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾﴾ أي: لا أقدر أن أدفع عنكم ضراً ولا أسوق لكم خيراً، وقيل: ﴿لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا﴾ أي: كفراً ﴿وَلَا رَشَدًا﴾ أي: هدى، أي: إنما عليّ التبليغ، وقيل: الضر: العذاب، والرشد النعيم[٣٠٩].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قرأ الجمهور (قَالَ) بصيغة الماضي. وقرأه «حمزة وعاصم وأبو جعفر» ﴿قُلْ﴾ بدون ألف على صيغة الأمر، فتكون الجملة استئنافاً، والتقدير: أوحي إلي «أنه لما قام عبدالله» إلى آخره، قل إنما أدعو ربي، فهو من تمام ما أوحي به إليه، و﴿إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّي﴾، يفيد قصراً، أي: لا أدعو غيره، أي: لا أعبد غيره دونه، وعطف عليه ﴿وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا﴾ تأكيداً لمفهوم القصر[٣١٠].

---

(٣٠٧) انظر: الكشف (٣٤٢/٢)

(٣٠٨) تفسير السعدي (٨٩٠/١).

(٣٠٩) القرطبي (٢٠/١٩ ـ ٢١).

(٣١٠) التحرير والتنوير مجلد ١٢ (٢٤١/٢٩ ـ ٢٤٢).

خامساً: الجمع بين القراءات:

بالجمع بين القراءات يتبيّن أن: من قرأ (قَالَ) فعلى الخبر عن النبي ﷺ أن الله ﷻ لقنه أن يرد على الكافرين بما يتناسب مع طلباتهم، فاستجاب ﷺ لأمر ربه، وفي هذا تعليم للمسلمين في كل عصر وآن أن يسترشدوا بآيات الله ﷻ في الرد على تخرصات الكافرين والمجادلين بالباطل، وهذا أسلوب التفات بليغ، ومن قرأ ﴿قُلْ﴾ فعلى الأمر للنبي ﷺ أن يقول ذلك.

١٧ ـ قال الله تعالى: ﴿لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾﴾ [الجن: ٢٨].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ رويس بضم الياء (لِيُعْلَمَ).

٢ ـ وقرأ الباقون بفتحها ﴿لِّيَعْلَمَ﴾[٣١١].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(علم) العين واللام والميم أصلٌ صحيح واحد، يدلُّ على أثَرٍ بالشيء يتميَّزُ به عن غيره، من ذلك العَلامة، وهي معروفة، والعِلْم: نقيض الجهل، وتعلّمت الشَّيءَ، إذا أخذت علمَه، والعرب تقول: تعلّمْ أنّه كان كذا، بمعنى: اعلَمْ[٣١٢].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

﴿لِّيَعْلَمَ﴾ بذلك ﴿أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ بما جعله لهم من الأسباب، ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ أي: بما عندهم، وما أسروه وأعلنوه، ﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا﴾ أي: ليعلم محمد ﷺ أن الرسل قبله قد أبلغوا

(٣١١) انظر: النشر (٢/٣٩٢).

(٣١٢) انظر: معجم مقاييس اللغة (٤/١٠٩ ـ ١١٠).

الرسالة كما بلغ هو الرسالة، وليعلم الجن أن الرسل قد بلغوا ما نزل عليهم ولم يكونوا هم المبلغين باستراق السمع عليهم، ليعلم من كذب الرسل أن المرسلين قد بلغوا رسالات ربهم(٣١٣)، وذلك: أن الله أقام حول كل رسول من رسله حفظة من الملائكة يحفظونه من الشياطين فلا تسترق ما أوحى الله به، ليعلم الجن أنهم لن يستطيعوا أن يسترقوا السمع، وأن علم الله محيط بما عند الملائكة والرسل، لأنه من وحيه إليهم، وأنه على علم بعدد كل شيء(٣١٤).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

من قرأ (لِيُعْلَمَ) فبناه للمفعول على أنّ ﴿أَن قَدْ أَبْلَغُواْ﴾ نائب عن الفاعل، والفاعل المحذوف حذف للعلم به، أي: ليُعلِمَ الله أن قد أبلغوا. الواو واو الحال أو اعتراضية لأن مضمونها تذييل لجملة ﴿لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ أي: أحاط بجميع ما لدى الرسل من تبليغ وغيره، وأحاط بكل شيء مما عدا ذلك. والمعنى: لِيُعلِمَ الله ذلك علمَ مشاهدة، كما علمه الملائكة، وليعلمَ الرسُل أن ربهم قد أحاط علمه بما لديهم فيبلغوا رسالاته وأحاط بعدد كل شيء وعلمه فلم يخف عليه منه شيء وأحصى كل شيء في حال العدد فهو سبحانه المحصي المحيط العالم الحافظ لكل شيء(٣١٥).

خامساً: الجمع بين القراءات:

بالجمع بين القراءتين يتبيّن أن: محمداً ﷺ لا بد أن يعلم أن الرسل، وجبريل قبله قد أبلغوا الرسالات مثله، وليعلم الرسل، أن ربهم قد أحاط علمه بما لديهم فيبلغوا رسالاته، لأنه أحاط بعدد كل شيء وعَلِمَه، فلم يَخفَ عليه شيء.



(٣١٣) القرطبي (٢٤/١٩) بتصرف.
(٣١٤) انظر: تفسير السعدي (٨٩١/١)، المستنير (٢٠٩/٣).
(٣١٥) التحرير والتنوير (٢٥٢/٢٩/١٢)، القرطبي (٢٤/١٩)، والمغني (٣٢٧/٣) بتصرف.

المبحث الثاني
عرض وتفسير لآيات سورة المزمل
المتضمنة للقراءات القرآنية العشر

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: بين يدي السورة

المطلب الثاني: عرض وتفسير لآيات سورة المزمل المتضمنة للقراءات العشر

ويشتمل على:

أولاً: القراءات

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات

خامساً: الجمع بين القراءات



المبحث الثاني
عرض وتفسير لآيات سورة المزمل المتضمنة للقراءات العشر

المطلب الأول: بين يدي السورة:

(سورة المزمل) هي مكية كلها. وعدت آيها في عد أهل المدينة ثماني عشرة آية، وفي عد أهل البصرة تسع عشرة، وفي عد من عداهم عشرون. من أغراضها: الإشعار بملاطفة الله ﷻ رسوله ﷺ بندائه بوصفه بصفة تزمله، واشتملت على الأمر بقيام النبي ﷺ غالب الليل، والثناء على طائفة من المؤمنين حملوا أنفسهم على قيام الليل، وعلى تثبيت النبي ﷺ بتحمل إبلاغ الوحي، والأمر بإدامة إقامة الصلاة وأداء الزكاة وإعطاء الصدقات وبالحض للقيام، والتبليغ، وبأن يتوكل عليه، وبالإعراض عن تكذيب المشركين. ووعظهم مما حل بقوم فرعون لما كذبوا رسول الله إليهم، وذكرهم يوم القيامة بوصف أهواله، ونسخ قيام معظم الليل بالاكتفاء بقيام بعضه رعياً للأعذار الملازمة[٣١٦]، وخُتمت السورة بإعلان تخفيف القيام لصلة الليل عن الرسول ﷺ إلى مقدار الثلث وجعله الحد الأدنى رحمة به وبأمته ليتمكن هو وأصحابه من الراحة والتفرغ في النهار لشؤون الدعوة والتبليغ[٣١٧].

(٣١٦) انظر: القرطبي (٢٥/١٩)، فتح القدير (٤٤٠/٥)، التحرير والتنوير مجلد (٢٥٢/٢٩/١٢ ـ ٢٥٥).

(٣١٧) التفسير المنير (١٨٨/٢٩).

المطلب الثاني: عرض وتفسير لآيات سورة المزمل المتضمنة للقراءات العشر:

١ ـ قال الله تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ۝٦﴾ [المزمل: ٦].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ «أبو عمرو ـ وابن عامرٍ» (وِطَاءً) بكسر الواو وفتح الطاء والمدّ والهمز.

٢ ـ وقرأ «ابن كثير ونافع وعاصم وحمزة والكسائي» ﴿وَطْـًٔا﴾ بفتح الواو ساكنة الطاء مقصورة مهموزة[٣١٨].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

﴿وَطْـًٔا﴾ الواو والطاء والهمزة. كلمةٌ تدلُّ على تمهيدِ شيءٍ وتسهيله. ووطَّأْتُ له المكان[٣١٩]. ويقال هذه أَرضٌ مُسْتَوِيةٌ لا رِباءَ فيها ولا وِطَاءَ أي لا صُعُودَ فيها ولا انْخفاضَ. وِطَاءً بكسر الواو وفتح الطاء والمدّ والهمز من المُواطأَةِ والمُوافقةِ، وَطْأً بفتح الواو ساكنة الطاء مقصورة مهموزة، هي أَثْبَتُ قِياماً، وقال: بعضهم أَشَدُّ وَطْأً أَي: أَشَدُّ على المُصَلِّي من صلاةِ النهار لأَنَّ الليلَ للنوم والمعنى: أَنَّ سَمْعَه يُواطِئُ قَلْبَه وبَصَرَه ولِسانُه يُواطِئُ قَلْبَه وِطاءً يقال واطَأَني فلان على الأَمرِ: إِذا وافَقَكَ عليه، لا يشتغل القلبُ بغير ما اشْتَغَلَ به السمع[٣٢٠].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ﴾ أي: ساعاته وأوقاته، وناشئة الليل كل ما نشأ

(٣١٨) انظر: الإتحاف (٥٦١)، النشر (٣٩٣/٢) بتصرف.

(٣١٩) معجم مقاييس اللغة (١٢٠/٦).

(٣٢٠) انظر: لسان العرب (١٩٥/١).

منه، أي: حدث، فهو ناشئة، قال المفسرون: الليل كله ناشئة، والمراد أن ساعات الليل الناشئة، فاكتفى بالوصف عن الاسم الموصوف ﴿هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا﴾، فالمعنى على القراءة الأولى: أن الصلاة في ناشئة الليل أثقل على المصلي من صلاة النهار؛ لأن الليل للنوم. أي: أنها أثقل على المصلي من ساعات النهار، والمعنى على القراءة الثانية: أنها أشدّ مواطأة، أي: موافقة، من قولهم: واطأت فلاناً على كذا مواطأة ووطاء: إذا وافقته عليه. أي: أشد موافقة بين السمع والبصر، والقلب واللسان لانقطاع الأصوات والحركات فيها، وأشدّ استقامة واستمراراً على الصواب؛ لأن الأصوات فيها هادئة والدنيا ساكنة، فلا يضطرب على المصلي ما يقرؤه[٣٢١].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قرأ «أبو عمرو وابن عامر» (وِطَاءً)، وهو مصدر فاعلت، مفاعلة وفعالاً، تقول: واطأت فلاناً على كذا، مواطأة، ووطاء، أراد والله أعلم أن القراءة في الليل يواطئ فيها قلب المصلي، لسانه، وسمعه، على التفهم والأداء، والاستماع أكثر مما يتواطأ عليه بالنهار؛لأن الليل تنقطع فيه الأشغال، وتهدأ فيه الأصوات، والحركات. وقرأ الباقون أشد ﴿وَطْئًا﴾ أي: أثقل على المصلي من ساعات النهار، وهو من قولهم اشتدت على القوم وطأة سلطانهم، أي: ثقل عليهم ما يلزمهم ويأخذه منهم[٣٢٢]. فالحجة لمن مد: أنه جعله مصدر واطأ يواطىء مواطأة وطاء، ومعناه: يواطىء السمع القلب؛ لأن صلاة الليل أثقل من صلاة النهار، لما يغشي الإنسان من النعاس، ومعناه أشد مكابدة[٣٢٣].

---

(٣٢١) فتح القدير (٥/٤٤٤) بتصرف.

(٣٢٢) حجة القراءات (١/٧٣٠)، وانظر: الحجة للقراء (٤/٧١ ـ ٧٢)، وانظر: الكشف (٢/٣٤٤).

(٣٢٣) الحجة (١/٣٥٤).

خامساً: الجمع بين القراءات:

بالجمع بين القراءات يتبيّن أن: قيام الليلِ أَشَدُّ وَطْأً، وأثقل وأشد على المُصَلِّي من صلاةِ النهار؛ لأَنَّ الليلَ للنوم، ومع ذلك ففيه يُواطِئُ أي: يوافق، سَمْعُ القائم قَلْبَه وبَصَرَه، ولِسانُه يُواطِئُ قَلْبَه، وذلك مدعاة للفهم والتدبر، لانقطاع الأصوات، والحركات في الليل عن النهار. وفي ذلك دعوة للمسلمين لقيام الليل، لما فيه من الفوائد.

٢ ـ **قال الله تعالى**: ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ۝٩﴾ [المزمل: ٩].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ ابن عامر ويعقوب وحمزة والكسائي وخلف وأبو بكر بكسر الباء (رَبِّ).

٢ ـ وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وحفص وأبو جعفر بضم الباء ﴿رَبُّ﴾(٣٢٤).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(رب) الراء والباء يدلُّ على إصلاح الشيءِ والقيامُ عليه فالرّبُّ: المالكُ والخالقُ، والصَّاحب. والرّبُّ: المُصْلِح للشّيء، يقال رَبَّ فلانٌ ضَيعتَه، إذا قام على إصلاحها(٣٢٥).

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾ وهذا اسم جنس يشمل المشارق والمغارب كلها، فهو تعالى رب المشارق والمغارب، وما يكون فيها من الأنوار، وما

---

(٣٢٤) انظر: الإتحاف (٧٥٥)، السبعة في القراءات (٦٥٨/١)، النشر (٣٩٣/٢).

(٣٢٥) انظر: معجم مقاييس اللغة (٣٨١/٢).

هي مصلحة له من العالم العلوي والسفلي، فهو رب كل شيء وخالقه ومدبره، ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي: لا معبود إلا وجهه الأعلى، الذي يستحق أن يخص بالمحبة والتعظيم، والإجلال والتكريم، ولهذا قال: ﴿فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ أي: حافظاً ومدبراً لأمورك كلها، فلما أمره الله بالصلاة خصوصاً، وبالذكر عموماً، وذلك يحصل للعبد ملكة قوية في تحمل الأثقال، وفعل الثقيل من الأعمال، أمره بالصبر على ما يقول فيه المعاندون له ويسبونه ويسبون ما جاء به، وأن يمضي على أمر الله، لا يصده عنه صاد، ولا يرده راد، وأن يهجرهم هجراً جميلاً وهو الهجر حيث اقتضت المصلحة الهجر الذي لا أذية فيه، فيقابلهم بالهجر والإعراض عنهم وعن أقوالهم التي تؤذيه، وأمره بجدالهم بالتي هي أحسن[٣٢٦].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

﴿رَبُّ﴾ بالرفع يحتمل أمرين، أحدهما: أن يكون كما قال قبلها ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ﴾، قطعه من الأول، فقال: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ﴾: فيكون على هذا خبر ابتداء محذوف، والوجه الآخر: أن يرفعه بالابتداء، وخبره الجملة التي هي (لا إله إلا هو) ومن خفض فإنه عطفه على قوله قبله ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ﴾ فجعل ما بعده معطوفاً عليه إذ كان في سياقه[٣٢٧].

خامساً: الجمع بين القراءات:

من خلال القراءات يتبيّن أن: قراءة الخفض على أنها صفة لربك أو بدل أو بيان، وقراءة الرفع على الابتداء والخبر، الجملة من قوله ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ أو خبر مضمر أي: هو رب.

٣ ـ قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ﴾ [المزمل: ٢٠].

---

(٣٢٦) تفسير السعدي (١/٨٩٢).

(٣٢٧) حجة القراءات (١/٧٣١)، وانظر: الحجة للقراء (٤/٧٢)، والإتحاف (٥٦١).

أولاً: القراءات:

١ - قرأ هشام بسكون اللام (ثُلْثِي)، وقرأ الباقون بضمها ﴿ثُلُثَيِ﴾.

٢ - قرأ ابن كثير والكوفيون بفتح الفاء، والثاء الثانية، وضم الهاء بعدهما ﴿وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ﴾.

٣ - قرأ الباقون بكسر الفاء والثاء والهاء على الخفض (وَنِصْفِهِ وَثُلُثِهِ)[٣٢٨].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(ثلث) الثاء واللام والثاء كلمةٌ واحدة، وهي في العدد، يقال اثنانِ وثلاثة[٣٢٩]، المراد من قوله: ﴿أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ﴾ أقل منهما، وإنما استعير الأدنى وهو الأقرب للأقل لأن المسافة بين الشيئين إذا دنت قل ما بينهما من الأحياز وإذا بعدت كثر ذلك، ﴿وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ﴾ بالنصب والمعنى: أنك تقوم أقل من الثلثين وتقوم النصف (والثلث) (وَنِصْفِهِ وَثُلُثِهِ) بالجر أي: تقوم أقل من الثلثين والنصف والثلث[٣٣٠].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

ذكر الله في أول هذه السورة أنه أمر رسوله بقيام نصف الليل أو ثلثه أو ثلثيه، والأصل أن أمته أسوة له في الأحكام، وذكر في هذا الموضع، أنه امتثل ذلك هو وطائفة معه من المؤمنين، ولما كان تحرير الوقت المأمور به مشقة على الناس، أخبر أنه سهل عليهم في ذلك غاية التسهيل فقال: ﴿وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ﴾ أي: يعلم مقاديرهما وما يمضي منهما ويبقى.

﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحۡصُوهُ﴾ أي: لن تعرفوا مقداره من غير زيادة ولا نقص،

---

(٣٢٨) انظر: الإتحاف (٥٦١)، وانظر: النشر (٢/٢٩٣)، وانظر: السبعة في القراءات لأبي بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد التميمي البغدادي ابن مجاهد (١/٦٥٨).

(٣٢٩) معجم مقاييس اللغة (١/٣٨٥).

(٣٣٠) تفسير الرازي (٣٠/١٦٤).

لكون ذلك يستدعي انتباهاً وعناءً زائداً أي: فخفف عنكم، وأمركم بما تيسر عليكم، سواء زاد على المقدر أو نقص، ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْءَانِ﴾ أي: مما تعرفون ومما لا يشق عليكم، ولهذا كان المصلي بالليل مأموراً بالصلاة ما دام نشيطاً، فإذا فتر أو كسل أو نعس، فليسترح، ليأتي الصلاة بطمأنينة وراحة، ثم ذكر بعض الأسباب المناسبة للتخفيف...[٣٣١].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

١ ـ قرأ «هشام» (ثُلْثَيِ) بسكون اللام، وقرأ الباقون بالضم، والإسكان والضم لغتان في كل اسم على ثلاثة أحرف أوله مضموم: والإسكان هو الأصل، وهو لغة «تميم ـ أسد» والضم لمجانسة ضم الحرف الأول، وهو لغة «الحجازيين»[٣٣٢].

٢ ـ قرأ «نافع وابن عامر وأبو عمرو» (وَنِصْفِهِ وَثُلُثِهِ) بالكسر «حملوه على الجار أي: تقوم أدنى من نصفه ومن ثلثه والمعنى: في ذلك يكون على تأويل، إن ربك يعلم أنك تقوم أحياناً أدنى من ثلثي الليل وأحياناً أدنى من نصفه وأحياناً أدنى من ثلثه، غير عارف بالمقدار في ذلك التحديد، بدلالة قوله بعدها، علم أن لن تحصوه وقوله، والله يقدر الليل والنهار، فكأنه قال أنا أعلم من مقادير قيامك بالليل ما لا تعلمه من تحديد الساعات من آخر الليل. وقرأ الباقون بالنصب، بوقوع الفعل أي: يقوم نَصفَه وثَلثه وحجتهم في ذلك أن النصب أصح في النظر قال الله ـ تعالى ـ ﴿قُمِ الَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢﴾ أي: صل الليل إلا شيئاً يسيراً منه تنام فيه وهو الثلث والثلث يسير بالنسبة للثلثين، ثم قال نصفه أو انقص منه قليلاً أي: من الثلث قليلاً أي: نصفه أو أنقص من النصف قليلاً إلى الثلث أو زد على النصف إلى الثلثين، فإذا قرأت بالخفض كان معناه أنهم قد كانوا يقومون أقل من الثلث، وفي هذا مخالفة لما أمروا به، لأن الله تعالى قال: ﴿قُمِ الَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢

---

(٣٣١) تفسير السعدي (٨٩٤/١).

(٣٣٢) المغني (٣٢٩/٣).

﴿نِصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣﴾ إلى الثلث أو زد على الثلث ولم يأمرهم بأن ينقصوا من الثلث شيئاً[333]. قال أبو منصور: من قرأ ﴿وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ﴾ فهو تفسير مقدار قيامه؛ لأنه لما قال: ﴿أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ﴾ كان قوله ﴿وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ﴾ مبيناً لذلك الأدنى، ومن قرأ (وَنِصْفِهِ وَثُلُثِهِ) أي: تقوم أدنى من نصفه وثلثه[334].

خامساً: الجمع بين القراءات:

يتبيّن من خلال القراءات أن: قراءة ﴿ثُلُثَيِ﴾ بالضم، والإسكان، لغتان، والإسكان هو الأصل، وهو لغة تميم أسد والضم لغة الحجازيين. وأما قراءة ﴿وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ﴾ بالنصب والخفض، فهو بيان لمقدار القيام لمحمد ﷺ سواء الثلث أو النصف ـ على قراءة الفتح ـ أو أقل منهما ـ على قراءة الخفض، وفي ذلك: التخفيف تعليم لمحمد ﷺ وللأمة، ودعوة للقيام وفق المستطاع حتى لا يترك خير قيام الليل.



(٣٣٣) حجة القراءات (١/٧٣١ ـ ٧٣٢).

(٣٣٤) انظر: معاني القراءات (٥١٢).

المبحث الثالث
عرض وتفسير لآيات سورة المدثر
المتضمنة للقراءات القرآنية العشر

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: بين يدي السورة

المطلب الثاني: عرض وتفسير لآيات سورة المدثر المتضمنة للقراءات العشر

ويشتمل على:

أولاً: القراءات

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات

خامساً: الجمع بين القراءات



المبحث الثالث
عرض وتفسير لآيات سورة المدثر المتضمنة للقراءات العشر

المطلب الأول: بين يدي السورة:

سورة المدثر تسمى في كتب التفسير (سورة المدثر) وأريد بالمدثر النبي ﷺ موصوفاً بالحالة التي نودي بها، وهي مكية في قول الجميع وهي ست وخمسون آية، وهي ثانية السور نزولا[٣٣٥]. وسبب نزولها، كما روى البخاري قال: حَدَّثَنَا يَحْيَى حَدَّثَنَا وَكِيعٌ عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْمُبَارَكِ عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ سَأَلْتُ أَبَا سَلَمَةَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ أَوَّلِ مَا نَزَلَ مِنْ الْقُرْآنِ قَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١﴾ قُلْتُ: يَقُولُونَ ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١﴾ فَقَالَ أَبُو سَلَمَةَ: سَأَلْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما عَنْ ذَلِكَ، وَقُلْتُ لَهُ مِثْلَ الَّذِي قُلْتَ، فَقَالَ: جَابِرٌ لا أُحَدِّثُكَ إِلَّا مَا حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ قَالَ: جَاوَرْتُ بِحِرَاءٍ فَلَمَّا قَضَيْتُ جِوَارِي هَبَطْتُ فَنُودِيتُ فَنَظَرْتُ عَنْ يَمِينِي فَلَمْ أَرَ شَيْئاً وَنَظَرْتُ عَنْ شِمَالِي فَلَمْ أَرَ شَيْئاً وَنَظَرْتُ أَمَامِي فَلَمْ أَرَ شَيْئاً وَنَظَرْتُ خَلْفِي فَلَمْ أَرَ شَيْئاً فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَرَأَيْتُ شَيْئاً فَأَتَيْتُ خَدِيجَةَ فَقُلْتُ دَثِّرُونِي وَصُبُّوا عَلَيَّ مَاءً بَارِداً قَالَ فَدَثَّرُونِي وَصَبُّوا عَلَيَّ مَاءً بَارِداً قَالَ فَنَزَلَتْ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣﴾[٣٣٦].

(٣٣٥) انظر: التحرير والتنوير (مجلد ١٢ ـ ٢٩١/٢٩)، والقرطبي (٤٦/١٩).

(٣٣٦) صحيح البخاري كتاب التفسير باب تفسير سورة المدثر (١٨٧٤/٤) رقم (٤٦٣٨) وقد جاء بألفاظ كثيرة.

وأخرج مسلم في صحيحه قال: وَحَدَّثَنِي أَبُو الطَّاهِرِ أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ قَالَ: حَدَّثَنِي يُونُسُ قَالَ: قَالَ: ابْنُ شِهَابٍ أَخْبَرَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ الأَنْصَارِيَّ - وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ كَانَ يُحَدِّثُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ يُحَدِّثُ عَنْ فَتْرَةِ الْوَحْيِ - قَالَ فِي حَدِيثِهِ «فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي سَمِعْتُ صَوْتاً مِنَ السَّمَاءِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا الْمَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ جَالِساً عَلَى كُرْسِيٍّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ» قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «فَجُئِثْتُ[٣٣٧]، مِنْهُ فَرَقاً فَرَجَعْتُ فَقُلْتُ زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي. فَدَثَّرُونِي فَأَنْزَلَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥﴾ وَهِيَ الأَوْثَانُ قَالَ ثُمَّ تَتَابَعَ الْوَحْيُ»[٣٣٨]. وقد وقع في حديث جابر بن عبدالله في صحيح البخاري وجامع الترمذي من طريق ابن شهاب، أن نزول هذه السورة كان قبل أن تفرض الصلاة[٣٣٩]، **ومن أغراض السورة:** تكريم النبي ﷺ والأمر بإبلاغ دعوته، وإعلان وحدانية الله بالإلهية، والأمر بالتطهر الحسي، والمعنوي، ونبذ الأصنام، والإكثار من الصدقات، والأمر بالصبر، وإنذار المشركين بهول البعث، وتهديد من تصدى للطعن في القرآن، ووصف أهوال جهنم[٣٤٠]. وتمثل السورة حلقة من حلقات الكفاح النفسي، الذي كافحه القرآن للجاهلية وتصوراتها في قلوب قريش، كما كافح العناد والكيد، والإعراض الناشيء عن العمد بشتى الأساليب[٣٤١].

(٣٣٧) مادة (جأث) الجيم والهمزة والثاء كلمةٌ واحدة تدلُّ على الفَزَع، يقال جُئِثَ يُجْأَثُ، إذا أُفْزِعَ، معجم مقاييس اللغة (١/٥٠٠).

(٣٣٨) صحيح مسلم (١/٩٧) كتاب الإيمان، باب بَدْءِ الْوَحْيِ إِلَى رَسُولِ اللهِ - ﷺ - رقم (٤٢٥).

(٣٣٩) انظر: التحرير والتنوير (مجلد ١٢ - ٢٩/٢٩١ - ٢٩٣)، والقرطبي (١٩ - ٤٦) والدر المنثور (٨ - ٣٢٤) وفتح القدير (٥/٣٨٤).

(٣٤٠) انظر: التحرير والتنوير مجلد ١٢ - (٢٩/٢٩٢).

(٣٤١) تفسير شحادة (٦١٦٧).

المطلب الثاني: عرض وتفسير لآيات سورة المدثر المتضمنة للقراءات العشر:

١ ـ قال الله تعالى: ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۝٥﴾ [المدثر: ٥].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ «أبو جعفر ويعقوب وحفص» بضم راء ﴿وَالرُّجْزَ﴾.

٢ ـ وقرأ الباقون بكسرها (وَالرِّجْزَ)[٣٤٢].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(رجز) الراء والجيم والزاء أصلٌ يدلُّ على اضطرابٍ. من ذلك الرَّجَزُ: داءٌ يصيبُ الإبلَ في أعجازِها، فإذا ثارت النّاقةُ ارتعشَتْ فَخِذاها. فأما الرِّجْز الذي هو العذاب، والذي هو الصَّنَم، في قوله جلّ ثناؤه: ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۝٥﴾ [المدثر: ٥]، فذاك من باب الإبدال؛ لأن أصلَه السّينُ[٣٤٣].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۝٥﴾ يحتمل أن المراد بالرجز الأصنام والأوثان، التي عبدت مع الله، فأمره بتركها، والبراءة منها ومما نسب إليها من قول أو عمل، ويحتمل أن المراد بالرجز أعمال الشر كلها وأقواله، فيكون أمراً له بترك الذنوب، صغيرها وكبيرها، ظاهرها وباطنها، فيدخل في ذلك الشرك وما دونه[٣٤٤].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

وقرأ الجمهور: والرجز بكسر الراء، وهي لغة قريش، «وأبو جعفر

---

(٣٤٢) النشر (٢/٣٩٣).

(٣٤٣) معجم مقاييس اللغة (٢/٤٨٩ ـ ٤٩٠).

(٣٤٤) تفسير السعدي (١/٨٩٥).

وحفص»: بضمها فقيل: هما بمعنى واحد، يراد بهما الأصنام والأوثان. وقيل: الكسر للبين والنقائص والفجور، والضم لصنمين أساف ونائلة[٣٤٥]. والمعنى في الأمر: اثبت ودم على هجره، لأنه ﷺ كان بريئاً من[٣٤٦]. والرجز بالكسر يعني العذاب وحجتهم قوله ﴿لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ﴾ يعني العذاب[٣٤٧]. فمن كسر: أراد الشرك، ومن ضم: أراد اسم الصنمين أساف ونائلة[٣٤٨].

خامساً: الجمع بين القراءات:

يتبيّن من خلال القراءات أن: من قرأ بالكسر أراد الشرك، ومن قرأ بالضم أراد اسم الصنمين المعبودين من دون الله تعالى، والرجز يعني العذاب، فبالجمع بينهما يظهر أمر الله لنبيه ﷺ بالدعوة لهجر عبادة الأوثان، لأنها شرك، والتخويف من الشرك لأن مآله العذاب.

٢ـ قال الله تعالى: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾﴾ [المدثر: ٣٠].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ أبو جعفر بسكون عين (عَشْرَ).

٢ ـ وقرأ الباقون بفتحها ﴿عَشَرَ﴾[٣٤٩].

---

(٣٤٥) صَنَمٌ وضَعَهُ عَمْرو بنُ لُحَيٍّ على الصَّفا ونائِلَةُ على المَرْوَةِ وكانَ يُذْبَحُ عليهما تُجاهَ الكَعْبَةِ أو هُما إساف ابنُ عَمْرٍو ونائِلَةُ بِنْتُ سَهْلٍ فَجَرا في الكَعْبَةِ فَمُسِخا حَجَرَيْنِ؛ فَعَبَدَتْهُما قُرَيْشٌ وإساف بنُ أَنْمارٍ وابنُ نَهيكٍ أو نَهيكُ بنُ إسافٍ، القاموس المحيط (١ ـ ١٠٢٣).

(٣٤٦) انظر: تفسير البحر المحيط (٨/٣٧١)، وانظر: حجة القراءات (١/٧٣٣).

(٣٤٧) انظر: حجة القراءات (١/٧٣٣).

(٣٤٨) الحجة (١/٣٥٥).

(٣٤٩) الحجة (١/٣٥٥).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(عشر) العين والشين والراء أصلانِ صحيحان: أحدهما في عددٍ معلوم ثم يحمل عليه غيرُه، والآخَر يدلُّ على مداخَلةٍ ومُخالَطة[٣٥٠]، ومن العرب من يُسَكِّن العين فيقول أَحَدَ عْشَر وكذلك يُسَكِّنها إِلى تِسْعَةَ عْشَر إِلا اثني عَشَر؛ فإِن العين لا تسكن لسكون الأَلف والياء قبلها، وقال الأَخفش: إِنما سكَّنوا العين لمّا طال الاسم وكَثُرت حركاتُه[٣٥١]. والعرب تنصب ما بين أحد عشر إلى تسعة عشر في الخفض والرفع[٣٥٢].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾﴾ الظاهر مَلَكاً ألا ترى العرب وهم الفصحاء كيف فهموا منه ذلك فقد روى عن ابن عباس أنها لما نزلت عليها تسعة عشر، قال أبو جهل: لقريش ثكلتكم أمهاتكم أسمع أن ابن أبي كبشة يخبركم أن خزنة النار تسعة عشر وأنتم الدهم[٣٥٣]، أيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا برجل منهم، فقال له أبو الأشد بن أسيد بن كلدة الجمحي: وكان شديد البطش ـ أنا أكفيكم سبعة عشر ـ فاكفوني أنتم اثنين؛ فأنزل الله ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً﴾ أي: ما جعلناهم رجالاً من جنسكم يطاقون[٣٥٤].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قراءة أبي جعفر ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾﴾ على تقطيع فاعلان، قال ابن جني في المحتسب: والسبب أن الاسمين كاسم واحد، فكثرت الحركات، فأسكن أول الثاني للتخفيف، وجعل ذلك أمارة القوة اتصال أحد الاسمين

(٣٥٠) معجم مقاييس اللغة (٤/٣٢٤).
(٣٥١) لسان العرب (٤/٥٦٨).
(٣٥٢) معاني القرآن للفراء (٣/٢٠٣).
(٣٥٣) معاني القرآن للفراء (٣/٢٠٣).
(٣٥٤) روح المعاني (٢٩/١٢٦).

بصاحبه[٣٥٥]، وإسكان العين، كراهة توالي الحركات[٣٥٦]. وقرأ الجمهور ﴿عَشَرَ﴾ بفتح العين، وكره ذلك بعضهم من حيث الجمع بين ساكنين على غير حدهما، لكن في النشر أنه فصيح مسموع من العرب[٣٥٧]. وقال ابن عاشور: ولا التفات إلى إنكار هذه القراءة فإنها متواترة[٣٥٨].

خامساً: الجمع بين القراءات:

من خلال القراءات يتبيّن أن: قراءة ﴿عَشَرَ﴾ بالفتح تدل على أن التسعة عشر يسدوا مسد الكثير، وقراءة (عَشْرَ) بالإسكان، دليل قوتهم من خلال اتصال التسعة بالعشرة، واللغتان صحيحتان، والمعنى: أنه على جهنم ملائكة في العدد تسعة عشر لكن لديهم من القوة التي تسد مسد العدد الكثير لو تواجد مكانهم.

٣ ـ قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذۡ أَدۡبَرَ ﴿٣٣﴾﴾ [المدثر: ٣٣].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ نافع وحفص وحمزة ويعقوب وخلف بسكون الذال والدال وهمزة قطع مفتوحة قبلها ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذۡ أَدۡبَرَ﴾.

٢ ـ وقرأ الباقون بفتح الذال وألف بعدها وفتح الدال مع حذف الهمزة (وَاللَّيْلِ إِذَا دَبَرَ)[٣٥٩].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(دبر) الدال والباء والراء، أصل هذا الباب أنَّ جُلّه في قياسٍ واحد،

---

(٣٥٥) تفسير الرازي (١٧٩/٣٠).

(٣٥٦) تفسير البحر المحيط (٣٧٥/٨).

(٣٥٧) الإتحاف (٣٠٣).

(٣٥٨) انظر: التحرير والتنوير (مجلد ١٢ ـ ٣١٣/٢٩).

(٣٥٩) انظر: النشر (٣٩٣/٢)، والإتحاف (٥٦٢)، والكشف (٣٤٧/٢).

وهو آخِر الشَّيء وخَلْفُه خلافُ قُبُلِه. والدَّابر: التابع؛ يقال: دَبَرَ دُبُوراً. وعلى ذلك يفسَّر قوله جلَّ ثناؤُه: (وَاللَّيْلِ إِذ دَبَرَ) يقول: تَبع النَّهارَ. وَدَبَرَ بالقِمار، إذا ذَهَب به[٣٦٠].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

(وَاللَّيْلِ إِذ دَبَرَ) أي ولى، ويقال دَبر، وأَدبر، بمعنى واحد، أقسم تعالى بهذه الأشياء تشريفاً لها وتنبيهاً على ما يظهر بها وفيها من عجائب الله وقدرته، وقوام الوجود بإيجادها، إذا ظرف زمان مستقبل دَبر بفتح الدال، إذ ظرف زمان ماض، أَدبر رباعياً: إذا بالألف، أدبر بالهمز، وهو مناسب لقوله: ﴿إِذَآ أَسْفَرَ﴾[٣٦١].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قوله تعالى: ﴿وَالَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ﴾ يقرأ بإسكان الذال وقطع الألف بعدها، وبفتح الذال والوقوف على الألف بعدها، وحذف الهمزة من أدبر (وَاللَّيْلِ إِذَا دَبَرَ)، فالحجة لمن قرأه بقطع الألف أنه زاوج بذلك بين لفظ أدبر وأسفر، والحجة لمن حذف الهمزة أنه أراد به معنى ولى وذهب، والعرب تقول أدبر عني أي: ولى ودَبر، جاء خلفي، وقيل هما لغتان بمعنى واحد «أدبر ودبر» و«أقبل وقبل»[٣٦٢]، وإذ للزمن المستقبل، فهي بمعنى إذا، وهي بعد القسم للحال[٣٦٣]. قرأ نافع وحمزة وحفص ﴿وَالَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ﴾ وحجتهم قول الرسول ﷺ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى وَأَبُو كُرَيْبٍ وَابْنُ نُمَيْرٍ «وَاتَّفَقُوا في اللَّفْظِ» قَالَ يَحْيَى أَخْبَرَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ وَقَالَ ابْنُ نُمَيْرٍ حَدَّثَنَا أَبِي وَقَالَ أَبُو كُرَيْبٍ حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ جَمِيعاً عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ عَنْ

---

(٣٦٠) معجم مقاييس اللغة (٢/٣٢٤ ـ ٣٢٥).

(٣٦١) تفسير البحر المحيط (٨/٣٧٨).

(٣٦٢) الحجة (١/٣٥٥).

(٣٦٣) انظر: دراسات لأسلوب القرآن الكريم، لمحمد عضيمة (١/١٠٥).

عُمَرَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ «إذَا أَقْبَلَ اللَّيْلُ وَأَدْبَرَ النَّهَارُ وَغَابَتِ الشَّمْسُ فَقَدْ أَفْطَرَ الصَّائِمُ»(٣٦٤). وقرأ الباقون (وَاللَّيْلِ إِذَا دَبَرَ) وهما لغتان، يقال: دَبر الليل وأدبر، وكذلك قَبل الليل وأَقبل، دَبَر انقضى وأدبر ولى، إذا بالألف دبر بغير ألف لموافقة الحرف الذي يليه(٣٦٥).

خامساً: الجمع بين القراءات:

من خلال القراءات يتبيّن أن: من قرأ ﴿وَالَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ﴾ على أن إذ ظرف لما مضى من الزمان، وأدبر على وزن «أفعل» الرباعي، بمعنى «ولّى»، ومن قرأ (وَاللَّيْلِ إِذَا دَبَرَ) على أن إذا ظرف لما يستقبل من الزمان، ودَبَرَ على وزن «فَعَلَ» الثلاثي، بمعنى «انقضى» وكِلا اللفظين يبيّن القسم بالليل حال وجوده. وعند إدباره.

٤ ـ قال الله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ۝٥٠﴾ [المدثر: ٥٠].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ نافع وابن عامر وأبو جعفر بفتح الفاء (مُسْتَنْفَرَةٌ).

٢ ـ قرأ الباقون بكسرها ﴿مُّسْتَنفِرَةٌ﴾(٣٦٦).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(نفر) النون والفاء والراء: أصلٌ صحيح يدلُّ على تجافٍ وتباعد، ومنه نَفرُ الدّابَّةُ، وذلك تَجافِيهِ وتباعُدُه عن مكانِه ومَقرِّه(٣٦٧). واسْتَنْفَرَ الدابة كَنَفَّرَ

---

(٣٦٤) صحيح مسلم (١٣٢/٣) كتاب الصيام، باب بيان وقت انقضاء الصوم، رقم (٢٦١٢)، وصحيح البخاري (٦٩١/٢) كتاب الصيام، باب مَتَى يَحِلُّ فِطْرُ الصَّائِمِ رقم (١٨٥٣) بنحوه.

(٣٦٥) انظر: حجة القراءات (٧٣٣/١ ـ ٧٣٤).

(٣٦٦) انظر: النشر (٣٩٣/٢) والإتحاف (٥٦٢)، والكشف (٣٤٧/٢).

(٣٦٧) معجم مقاييس اللغة (٤٥٩/٥).

والإِنْفارُ عن الشيء والتَّنْفِيرُ عنه والاسْتِنْفارُ كلُّه بمعنى، والاسْتِنْفارُ أَيضاً النُّفُور، من قرأ ﴿مُّسْتَنفِرَةٌ﴾ بكسر الفاء فالمعنى: نافرة، ومن قرأ (مُسْتَنْفَرَةٌ) بفتح الفاء فمعناها مُنَفَّرَةٌ أي: مَذْعُورَةٌ[٣٦٨].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾﴾ حال من المستكن في ﴿مُعْرِضِينَ﴾ بطريق التداخل والحمر جمع حمار والمراد به كما قال ابن عباس: حمار الوحش؛ لأنه بينهم مثل بالنفار وشدة الفرار، ومستنفرة من استنفر بمعنى نفر كعجب واستعجب كما قيل والأحسن أن استفعل للمبالغة كان الحمر لشدة العدو تطلب النفار من نفسها والمعنى مشبهين بحمر نافرة جداً[٣٦٩].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قرأ نافع وابن عامر وأبو جعفر (مُسْتَنْفَرَةٌ) بفتح الفاء، أي: استنفرها مستنفر، أي: أنفرها، فهو من استنفره المتعدي بمعنى أنفره، وبناء الفعل للنائب يفيد الإجمال ثم التفصيل بقوله: ﴿فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾﴾، وقرأها الجمهور بكسر الفاء ﴿مُّسْتَنفِرَةٌ﴾، أي: استنفرت هي مثل: استجاب، فيكون جملة ﴿فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾﴾ بياناً لسبب نفورها[٣٧٠]. (والمستنفرة) الشديدة النفار كأنها تطلب النفار من نفوسها في جمعها له وحملها عليه، وبالفتح (مُسْتَنْفَرَةٌ): هي المنفرة المحمولة على النفار[٣٧١]، فالحجة لمن كسر أنه جعل الفعل لها فلا يجوز فتح الفاء ها هنا، لأن الفعل له ولم يفعل ذلك أحد به، والحجة لمن فتح أنه جعلهن مفعولاً بهن لم يسم فاعلهن[٣٧٢]، و(مُسْتَنْفَرَةٌ) بفتح الفاء مفعولة أي: مذعورة قال أهل المعاني: الفتح هو

---

(٣٦٨) انظر: لسان العرب (٥/٢٢٤).

(٣٦٩) روح المعاني (٢٩/١٣٤).

(٣٧٠) التحرير والتنوير المجلد ١٢ (١٥/٤٢٧).

(٣٧١) الكشاف (٢/١٣٠٧).

(٣٧٢) الكشاف (٢/١٣٠٧).

المختار بمعنى فُعل ذلك بها لأن أكثر ما تكلمت به العرب إذا جعلوا الفعل للحمر أن يقولوا نفرت ولا يكادون يقولون استنفرت إذا كانت هي الفاعلة، ويقولون استنفرت إذا فعل ذلك بها فهي مستنفرة فكأن القسورة استنفرتها أو الرامي، و﴿مُّسْتَنفِرَةٌ﴾ بالكسر: جعلوها فاعلة وحجتهم أن العرب تقول نفرت الحمر واستنفرت جميعاً بمعنى واحد[٣٧٣].

خامساً: الجمع بين القراءات:

من خلال القراءات يتبيّن أن: من قرأ (مُسْتَنْفَرَةٌ) بفتح الفاء «أي: استنفرها مستنفر فبنى الفعل للمجهول، وهذا يفيد الإجمال ثم التفصيل»، ومن قرأ ﴿مُّسْتَنفِرَةٌ﴾ بكسر الفاء «فعلى أنها استُنْفِرَت هي، فجعل الفعل لها»، فبالجمع بين القراءتين يتبيّن أن: الكفار بإعراضهم عن الدعوة ونفرتهم منها، عندما دعاهم النبي ﷺ كأنهم حُمُر وحشية نَفِرَت، فَنَفَّرَ بَعضُها بعضاً، فزاد عدوها، كأن هناك الأسد ـ الداعي ـ الصائد يريدها للخير الذي يدعو إليه، وهو الإسلام.

٥ ـ قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾﴾ [المدثر: ٥٦].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ نافع بالتاء (تَذْكُرُونَ).

٢ ـ وقرأ الباقون بالياء ﴿يَذْكُرُونَ﴾[٣٧٤].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(ذكر) الذال والكاف والراء أصلان، عنهما يتفرَّع كَلِمُ الباب، فالمُذْكِر: التي وَلَدَتْ ذكراً. والأصل الآخر: ذَكَرْتُ الشيء، خلافُ نسِيتُه،

---

(٣٧٣) حجة القراءات (٧٣٤/١).

(٣٧٤) انظر: النشر (٣٩٣/٢)، والإتحاف (٥٦٢)، والكشف (٣٤٨/٢).

ثم حمل عليه الذِّكر باللِّسان[٣٧٥].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ أي: ولا واحد منكم يذكر هذا القرآن، ولا غيره، في وقت من الأوقات ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ أي: الملك الأعظم الذي لا أمر لأحد معه، وهو صريح في أن فعل العبد من المشيئة، وما ينشأ عنها إنما هو بمشيئة الله[٣٧٦]، فإن مشيئته نافذة عامة، لا يخرج عنها حادث قليل ولا كثير، ففيها رد على القدرية، الذين لا يدخلون أفعال العباد تحت مشيئة الله، والجبرية الذين يزعمون أنه ليس للعبد مشيئة، ولا فعل حقيقة، وإنما هو مجبور على أفعاله، فأثبت تعالى للعباد مشيئة حقيقة وفعلاً، وجعل ذلك تابعاً لمشيئته، ﴿هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ أي: هو أهل أن يتقى ويعبد، لأنه الإله الذي لا تنبغي العبادة إلَّا له، وأهل أن يغفر لمن اتقاه واتبع رضاه[٣٧٧]. قال الواحدي: أهل أن يتقى عقابه ﴿وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ أهل أن يعمل بما يؤدي إلى مغفرته[٣٧٨].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

وقرأ نافع ويعقوب (تَذْكُرُونَ) بالتاء على الالتفات، وقرأه الجمهور بتحتية على الغيبة ﴿يَذْكُرُونَ﴾، فالمعنى أنهم يغلب عليهم الاستمرار على عدم الذكرى بهذه التذكرة إلَّا أن يشاء الله التوفيق لهم ويلطف بهم فيخلق انقلاباً في سجيّة من يشاء توفيقه واللطفَ به، وقد شاء الله ذلك فيمن آمنوا قبل نزول هذه الآية ومَن آمنوا بعد نزولها[٣٧٩]. و﴿يَذْكُرُونَ﴾ يقرأ بالياء إجماعاً إلا

---

(٣٧٥) معجم مقاييس اللغة (٣٥٨/٢).

(٣٧٦) معجم مقاييس اللغة (٣٥٨/٢).

(٣٧٧) تفسير السعدي (٨٩٨/١).

(٣٧٨) الوجيز (١١٥٢/١).

(٣٧٩) انظر: التحرير والتنوير (مجلد ١٢ ـ ٣١٣/٢٩).

ما تفرد به نافع من التاء على معنى الخطاب فأما تخفيفه فإجماع[٣٨٠]، وقراءة ﴿يَذَّكَّرُونَ﴾ بالياء: رداً على ما قبله[٣٨١].

خامساً: الجمع بين القراءات:

من خلال القراءات يتبيّن أن: من قرأ ﴿يَذَّكَّرُونَ﴾ فعلى الخطاب، حسب السياق السابق له، ومن قرأ (تَذْكُرُونَ) بالتاء فعلى الالتفات من الغيبة للمخاطب. والمعنى: قل لهم يا محمد ﷺ إنه يغلب عليكم الاستمرار على عدم الذكرى بهذا القرآن إلَّا أن يشاء الله التوفيق لكم، فَيَلْطُفَ بكم كما لَطَفَ بمن آمنوا، فتذكرون كما يذكرون. وفي ذلك تحريض بالتذكر والمسارعة لتقوى الله تعالى، والإقلاع عن الكفر.



(٣٨٠) انظر: الحجة (٣٥٦/١).

(٣٨١) انظر: حجة القراءات (٧٣٥/١).

المبحث الرابع
عرضوتفسير لآيات سورة القيامة
المتضمنة للقراءات القرآنية العشر

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: بيـن يـدي الـسـورة

المطلب الثاني: عرض وتفسير لآيات سورة القيامة المتضمنة للقراءات العشر

ويشتمل على:

أولاً: القراءات

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات

خامساً: الجمع بين القراءات



المبحث الرابع
عرض وتفسير لآيات سورة القيامة المتضمنة للقراءات العشر

المطلب الأول: بين يدي السورة:

عُنونت هذه السورة في المصاحف وكتب التفسير وكتب السنة بـ(سورة القيامة) لوقوع القسم بيوم القيامة في أولها، ولم يقسم به فيما نزل قبلها من السور، وهي مكية بالاتفاق، وعُدت الحادية والثلاثين في عِداد نزول سور القرآن، نزلت بعد سورة القارعة وقبل سورة الهمزة، وعدد آيها عند أهل العدد من معظم الأمصار تسعاً وثلاثين آية، وعدها أهل الكوفة أربعين. من أغراضها: أنها اشتملت على إثبات البعث، والتذكير بيوم القيامة وذكر أشراطه، وإثبات الجزاء على الأعمال التي عملها الناس في الدنيا، واختلاف أحوال أهل السعادة وأهل الشقاء وتكريم أهل السعادة، والتذكير بالموت وأنه أول مراحل الآخرة، وغير ذلك[٣٨٢]، ولما ذكر سبحانه الآخرة أول سورة المدثر وخوف منها بالتعبير بالناقور وما تبعه، ثم أعاد أمرها آخرها، وذكر التقوى التي هي أعظم أسباب النجاح، وكان الكفار يكذبون بها، وقد أقام عليها الكثير من الأدلة من أول القرآن، ثم جاءت سورة القيامة لتؤكد أمر

(٣٨٢) التحرير والتنوير (مجلد ١٢/٢٩/٣٣٦ - ٣٣٧).

الآخرة[٣٨٣]. وخُتمت السورة بإيراد الدليل الحسي الواقعي على إثبات الحشر والمعاد وهو بدء الخلق[٣٨٤]. وهذا هو محور السورة.

المطلب الثاني: عرض وتفسير لآيات سورة القيامة المتضمنة للقراءات العشر:

١ ـ قال الله تعالى: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۝١﴾ [القيامة: ١].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ ابن كثير بخلف عن البزي بحذف الألف (لأُقْسِمُ).

٢ ـ وقرأ الباقون بإثباتها ﴿لَآ أُقْسِمُ﴾[٣٨٥].

ثانياً: المعنى اللغوي، والتفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

﴿لَآ أُقْسِمُ﴾ (لا) صلةٌ، معناه: أقسم، وقيل: (لا) ردٌّ لإنكار المشركين البعث، صيغة لا أقسم[٣٨٦]، صيغة قسم، أُدخل حرف النفي على فعل ﴿أُقْسِمُ﴾ لقصد المبالغة في تحقيق حُرْمة المقسَم به بحيث يُوهِم للسامع أن المتكلم يهم أن يقسم به ثم يترك القسم مخافة الحنث بالمقسم به فيقول: لا أقسم به، أي: ولا أقسم بأعزَّ منه عندي[٣٨٧]. وقال بعض نحويي الكوفة: لا، رد لكلام قد مضى من كلام المشركين الذين كانوا ينكرون الجنة والنار، ثم ابتدئ القسم، فقيل: ﴿لَآ أُقْسِمُ﴾ فكل يمين قبلها رد كلام، فلا بد من تقديم لا قبلها، ليفرق بذلك بين اليمين التي تكون جحداً واليمين

(٣٨٣) نظم الدرر (٨/٢٤٢).

(٣٨٤) التفسير المنير (٢٩/٢٥٠).

(٣٨٥) انظر: النشر (٢/٢٨٢) والإتحاف (٥٦٣).

(٣٨٦) الوجيز (١/١٠٦٣).

(٣٨٧) التحرير والتنوير (مجلد ١٢/٢٩/٣٣٩).

التي تستأنف(٣٨٨).

ثالثاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قرأ ابن كثير (لأُقْسِمُ) يجعل اللام لام تأكيد المعنى أقسم بيوم القيامة كما تقول أقوم، ثم تدخل اللام فتقول لأقوم، وقرأ الباقون ﴿لَآ أُقْسِمُ﴾، واختلف النحويين في لا فقال بعضهم: لا صلة زائدة والتقدير أقسم بيوم القيامة ولا على قولهما صلة، وقال البعض: العرب لا تزيد لا في أول الكلمة ولكن لا في ها هنا رد لكلام كأنهم أنكروا البعث فقيل ليس الأمر على ما ذكرتم، أقسم بيوم القيامة(٣٨٩). فالحجة لمن مد أنه أراد دخول «لا» على أقسم، والحجة لمن قصر أنه جعلها لام التأكيد دخلت على أقسم(٣٩٠).

رابعاً: الجمع بين القراءات:

بالجمع بين القراءات يتبيّن أن: المقسم عليه لما كان منتفياً، جاز الإتيان بلا قبل القسم لتأكيد النفي، الذي زعموه، ودخول اللام بدون ألف على القسم لتأكيده أيضاً، وذلك في معرض الرد على ما يزعمه الجهلة من العباد من عدم بَعث الأجساد، من خلال كلام المشركين الذين كانوا ينكرون الجنة والنار، فقال مع كل ذلك الزعم (لأُقْسِمُ).

٢ ـ قال الله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣﴾ [القيامة: ٣].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة وأبو جعفر بفتح السين ﴿أَيَحْسَبُ﴾.

٢ ـ وقرأ الباقون بكسرها (أَيَحْسِبُ)(٣٩١).

---

(٣٨٨) انظر: أضواء البيان (١٨٧٤).

(٣٨٩) حجة القراءات (٧٣٥/١ ـ ٧٣٦) بتصرف يسير.

(٣٩٠) انظر: الحجة (٣٥٦/١ ـ ٣٥٧).

(٣٩١) انظر: النشر (٢٣٦/٢)، الإتحاف (٥٦٣).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(حسب) الحاء والسين والباء أصول أربعة:

فالأول: العدّ. تقول: حَسَبْتُ الشيءَ أحْسُبُه حَسْباً وحُسْباناً. ومن قياس الباب الحِسْبانُ الظنّ، وذلك أنَّه فرق بينه وبين العدّ بتغيير الحركة والتّصريف، الحَسَبُ الذي يُعَدُّ من الإنسان، قال أهل اللغة: معناه أن يعد آباءَ أشرافاً، احتسب فلانٌ ابنَه، إذا مات كبيراً، وذلك أنْ يَعُدّه في الأشياء المذخورة له عند الله تعالى. والثاني: الكِفاية، تقول شيء حِسَابٌ، أي كافٍ. والثالث: الحُسْبَانُ، وهي جمع حُسبانَةٍ، وهي الوِسادة الصغيرة. والرابع: الأحسب الذي ابيضَّت جِلدتُه من داءٍ ففسدت شَعرته، كأنَّه أبرص[٣٩٢] وكل فِعْل كان ماضِيه مكسوراً فإن مستقبله يأْتي مفتوح العين نحو عَلِمَ يعْلَم إلا أَربعةَ أَحرف جاءَت نوادر منها «حَسِبَ يَحْسِبُ» فإِنها جاءَت من السالم بالكسر والفتح ومن المعتل ما جاءَ ماضيه ومُسْتَقْبَلُه جميعاً[٣٩٣].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣﴾ المراد بالإنسان الجنس، وقيل: الإنسان الكافر، والهمزة للإنكار، ومعنى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ أن الشأن، أن لن نجمع عظامه بعد أن صارت رفاتاً، فنعيدها خلقاً جديداً، وذلك حسبان باطل، فإنا نجمعها[٣٩٤]، فنجعلها شيئاً واحداً كخفّ البعير، أو حافر الحمار، فكان لا يأخذ ما يأكل إلا بفيه كسائر البهائم، ولكنه فرق أصابع يديه يأخذ بها، ويتناول ويقبض إذا شاء ويبسط، فحسن خلقه[٣٩٥].

---

(٣٩٢) انظر: معجم مقاييس اللغة (٥٩/٢ ـ ٦١).

(٣٩٣) لسان العرب (٣١٤/١).

(٣٩٤) فتح القدير (٣٩٨/٥).

(٣٩٥) الطبري مجلد ١٢ (٣٢٨/٢٩ ـ ٣٢٩).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة ﴿أَيَحْسَبُ﴾ بفتح السين، وقرأ الباقون بالكسر (أَيَحْسِبُ)، وهما لغتان، وقال قوم: يحسِب بكسر السين من حَسِب، وقالوا: وقد جاءت كلمات على فعل يفعل، مثل: «حَسِب يَحْسَب»[٣٩٦]. ﴿أَيَحْسَبُ﴾ و(أَيَحْسِبُ)، مرجع القراءتين هو أصل الاشتقاق: فقراءة ﴿أَيَحْسَبُ﴾ من حسِب يحسَب، نحو: علِم يعلَم، وهي لغة تميم وقراءة (أَيَحْسِبُ) من (حسِب يحسِب)، نحو: (ورِث يرِث). وهي لغة أهل الحجاز[٣٩٧].

خامساً: الجمع بين القراءات:

بالجمع بين القراءتين يتبيّن: أسلوب التهكم من هذا الكافر المعاند المنكر للبعث، فيقول له الله تعالى: أعلمت من أحد أن لن تُجمعَ عظامُك، أم تظن ذلك ظناً بنيته على التخمين، فعلى كلا الأمرين، فالحسبان باطل، فجمعها مرة أخرى أيسر على الله لأن القادر على الإبداء قادر على الإعادة فهو على كل شيء قدير.

٣ ـ قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ۝٧﴾ [القيامة: ٧].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ نافع وأبو جعفر بفتح الراء (بَرَقَ).

٢ ـ وقرأ الباقون بكسرها ﴿بَرِقَ﴾[٣٩٨].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(برق) الباء والراء والقاف أصلانِ تتفرع الفروع منهما: أحدهما لمعانٌ

(٣٩٦) حجة القراءات (١٤٨/١).

(٣٩٧) انظر: الإتحاف (٢١٢)، المغني (٢٩٦/١).

(٣٩٨) انظر: النشر (٣٩٣/٢)، الكنز (٢٩٥).

الشيء؛ والآخر اجتماع السَّوادِ والبياضِ في الشيء. وما بَعْدَ ذلك فكلُّه مجازٌ ومحمولٌ على هذين الأصلين. أمّا الأول: فقال الخليل: البرق وَمِيضُ السَّحاب، يقال: بَرَقَ السَّحَابُ بَرْقاً وبَريقاً. قال: وأبْرَقَ أيضاً لغة. قال بعضهم: يقال بَرْقَة للمرّة الواحدة، إذا بَرَقَ، وبُرْقَة بالضم، إذا أردْتَ المقدار من البرق[٣٩٩]. قال الفراء: من قرأ (بَرَقَ): من البَريق، أي: شخَص، ومن قرأ ﴿بَرِقَ﴾ فمعناه فَزِع، ومن قرأ (بَرَقَ) يقول: فتح عينيه من الفزَع[٤٠٠]، وبرَقَ بصرُه أيضاً كذلك، والبَرَقُ أيضاً الفزع، يجوز كسر الراء وفتحها فالكسر بمعنى «الحَيْرة» والفتح بمعنى «البريق اللُّموع»[٤٠١].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ۝٧﴾ أيْ تحيرَ فزعاً من برقَ الرجلُ إذَا نظرَ إلى البرقِ فدُهشَ بصرُه، أو منَ البريقِ بمَعْنى لمعَ منْ شدةِ شخوصِه[٤٠٢].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قال الزجاج: ﴿بَرِقَ﴾ بكسر الراء يبرق برقاً إذا تحير، والأصل فيه أن يكثر الإنسان من النظر إلى لمعان البرق، فيؤثر ذلك في ناظره، ثم يستعمل ذلك في كل حيرة، وإن لم يكن هناك نظر إلى البرق، كما قالوا: قمر بصره إذا فسد من النظر إلى القمر، ثم استعير في الحيرة، وكذلك بعل الرجل في أمره، أي تحير ودهش، وأما (بَرَقَ) بفتح الراء، فهو من البريق، أي: لمع من شدة شخوصه[٤٠٣]. فالحجة لمن كسر أن الكسر لا يكون إلا في التحير، فأما الفتح فلا يكون إلا الضياء وظهوره كقولهم برق الصبح والبرق إذا لمعا وأضاءا، وقال أهل اللغة: (بَرِقَ) (بَرَقَ) فهما بمعنى واحد

---

(٣٩٩) معجم مقاييس اللغة (٢٢١/١).

(٤٠٠) انظر: معاني القرآن للفراء (١٦١/٥ ـ ١٦٥).

(٤٠١) انظر: لسان العرب (١٤/١٠).

(٤٠٢) انظر: لسان العرب (١٤/١٠).

(٤٠٣) انظر: لسان العرب (١٤/١٠).

وهو: تحير الناظر عند الموت، والعرب تقول لكل داخل برقة، أي: دهشة وحيرة(٤٠٤).

خامساً: الجمع بين القراءات:

بالجمع بين القراءات يتبيّن أن: المنكر لمّا قال: ﴿أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ على سبيل الاستهزاء قيل له: ﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ۝٧﴾ أي: لَمَع من شدة شخوصه ولمعانه عند الموت، أو عند معاينة أسباب الموت، والملائكة، وقرب الموت زالت عنك الشكوك، وتيقنت حينئذ أن الذي كنت عليه من إنكار البعث والقيامة خطأ، فحينئذ «بَرِقَ بَصَرُه» أي: فزع، واندهش، وتحير، فوقع الجواب: ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [إبراهيم: ٤١].

٤ ـ قال الله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ۝٢٠ وَتَذَرُونَ ٱلْآخِرَةَ ۝٢١﴾ [القيامة: ٢٠ ـ ٢١].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر ويعقوب (يُحِبُّونَ) بالياء، وقرأ الباقون بالتاء ﴿تُحِبُّونَ﴾.

٢ ـ قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر ويعقوب (وَيَذَرُونَ) بالياء، وقرأ الباقون بالتاء ﴿وَتَذَرُونَ﴾(٤٠٥).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

﴿تُحِبُّونَ﴾ من (حبب) الحُبُّ نَقِيضُ البُغْضِ والحُبُّ الودادُ والمَحَبَّةُ وكذلك الحِبُّ بالكسر(٤٠٦).

---

(٤٠٤) الحجة (٣٥٧/١).

(٤٠٥) انظر: النشر (٣٩٣/٢)، الكنز (٢٩٥).

(٤٠٦) لسان العرب (٢٨٩/١).

﴿وَتَذَرُونَ ٱلْآخِرَةَ ﴿٢١﴾﴾ تؤثرونها على الآخرة، فتذرون العمل لها[٤٠٧].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلْآخِرَةَ ﴿٢١﴾﴾ أي: هذا الذي أوجب لكم الغفلة والإعراض عن وعظ الله وتذكيره أنكم ﴿تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ﴾ وتسعون فيما يحصلها، وفي لذاتها وشهواتها، وتؤثرونها على الآخرة، فتذرون العمل لها، لأن الدنيا نعيمها ولذاتها عاجلة، والإنسان مولع بحب العاجل، والآخرة متأخر ما فيها من النعيم المقيم، فلذلك غفلتم عنها وتركتموها، كأنكم لم تخلقوا لها، وكأن هذه الدار هي دار القرار، التي تبذل فيها نفائس الأعمار، ويسعى لها آناء الليل والنهار، وبهذا انقلبت عليكم الحقيقة، وحصل من الخسار ما حصل، فلو آثرتم الآخرة على الدنيا، ونظرتم للعواقب نظر البصير العاقل لأنجحتم، وربحتم ربحاً لا خسار معه، وفزتم فوزاً لا شقاء يصحبه[٤٠٨].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

الحجة لمن قرأهما بالياء، أنه ردهما على معنى قوله: ﴿يُنَبَّؤُا ٱلْإِنسَٰنُ﴾ لأنه بمعنى الناس والحجة لمن قرأهما بالتاء أنه أراد، قل لهم يا محمد بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة[٤٠٩]. الباقية ثم وصف المؤمن والكافر على إثرها[٤١٠]، يقول أبو علي الفارسي: يحبون: أي: هم يحبون ويذرون، والتاء على: قل لهم: بل تحبون وتذرون[٤١١].

---

(٤٠٧) تفسير السعدي (٨٩٩/١).

(٤٠٨) تفسير السعدي (٨٩٩/١).

(٤٠٩) الحجة (٣٥٧/١).

(٤١٠) حجة القراءات (٧٣٧/١).

(٤١١) الحجة للقراء السبعة (٧٨/٤).

خامساً: الجمع بين القراءات:

من خلال القراءات يتبيّن: أنه على قراءة (يُحِبُّونَ) (وَيذَرُونَ) يكون الخطاب لهم تقريعاً وتوبيخاً فيكون الكلام عائداً إلى الإنسان لأنه بمعنى الناس، فيفيد الكثرة، وعلى قراءة (يُحِبُّونَ) (وَتَذَرُونَ) المعنى: قل لهم يا محمد ﷺ: بل تحبون الدنيا، وتتركون ﴿ٱلْآخِرَةَ﴾ فلا تعملون لها. وحينئذ يكون الكلام التفاتاً من الغيبة إلى الخطاب.

٥ ـ قال الله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾﴾ [القيامة: ٣٦].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة وأبو جعفر بفتح السين ﴿أَيَحْسَبُ﴾.

٢ ـ وقرأ الباقون بكسرها (أَيَحْسِبُ)(٤١٢).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات: سبق في المقطع السابق(٤١٣).

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾﴾ أي: معطلاً، لا يؤمر ولا ينهى، ولا يثاب ولا يعاقب؟ هذا حسبان باطل وظن بالله بغير ما يليق بحكمته(٤١٤).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات: سبق في المقطع السابق(٤١٥).

---

(٤١٢) انظر: النشر (٢/٢٣٦) الإتحاف (٥٦٣).

(٤١٣) انظر: ص١٦٦.

(٤١٤) تفسير السعدي (١/٩٠٠).

(٤١٥) انظر: ص١٦٧.

خامساً: الجمع بين القراءات:

بالجمع بين القراءتين يتبيّن: أسلوب التهكم من هذا الكافر المعاند المنكر للبعث فيقول له الله تعالى أعلمت من أحد أنك قد خُلقت هملاً، بدون أوامر وزواجر وحساب، أم تظن ذلك ظناً بنيته على التخمين، فعلى كلا الأمرين، فالحسبان باطل، فمعاذ الله أن يخلق الإنسان هملاً بدون رعاية وحساب. فهذا من حساب الكافر الباطل، الذي لا يليق بحكمة الله تعالى.

٦ ـ **قال الله تعالى**: ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾﴾ [القيامة: ٣٧].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ حفص ويعقوب ﴿يُمْنَىٰ﴾ بالياء.

٢ ـ وقرأ الباقون بالتاء (تُمْنَى)[٤١٦].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

معنى ﴿يُمْنَىٰ﴾: تراق. قال ابن عاشور: ولم يُذكر في كتب اللغة أن فعل: مَنَى أو أمْنَى يطلق بمعنى أراق سوى أن بعض أهل اللغة قال في تسمية (مِنى) التي بمكة إنها سميت كذلك لأنها تُراق بها دماء الهدي، ولم يبينوا هل هو فعل مجرد أو بهمزة التعدية[٤١٧].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

يقول تعالى ذكره: ألم يك هذا المنكر قدرة الله على إحيائه من بعد مماته، وإيجاده من بعد فنائه ﴿نُطْفَةً﴾ يعني: ماء قليلاً في صلب الرجل من منيّ[٤١٨].

---

(٤١٦) انظر: النشر (٢/٢٩٤).

(٤١٧) انظر: التحرير والتنوير مجلد ١٢ (٢٩/٣٦٧).

(٤١٨) الطبري مجلد ١٢ (٢٩/٣٥٢).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

وقرأ الجمهور (تُمْنَى) بالفوقية على أنه وصف لنطفة. وقرأه حفص ويعقوب بالتحتية ﴿يُمْنَىٰ﴾ على أنه وصف (مَنِيّ)[٤١٩]. و(تُمْنَى) بالتاء بمعنى: تمنى النطفة، و﴿يُمْنَىٰ﴾ بالياء، بمعنى: يمنى المنيّ[٤٢٠]. فمن قرأ ﴿يُمْنَىٰ﴾ فللفظ مني، ومن قرأ (تُمْنَى) بالتاء فللفظ نطفة[٤٢١]، رداً على المعنى[٤٢٢].

خامساً: الجمع بين القراءات:

من خلال القراءات يتبيّن أن: من قرأ (تُمْنَى) بتاء التأنيث فعلى معنى: أن الفاعل ضمير تقديره «هي»، أي: تمنى النطفة، ومن قرأ ﴿يُمْنَىٰ﴾ بياء التذكير، فعلى معنى: أن الفاعل ضمير تقديره «هو»، أي: بمعنى: يمنى المنيّ.



(٤١٩) التحرير والتنوير مجلد ١٢ (٣٦٨/٢٩).

(٤٢٠) انظر: الطبري مجلد ١٢ (٣٥٢/٢٩).

(٤٢١) التحرير والتنوير مجلد ١٢ (٣٦٨/٢٩).

(٤٢٢) الحجة (٣٥٨/١).

المبحث الخامس
عرض وتفسير لآيات سورة الإنسان
المتضمنة للقراءات القرآنية العشر

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: بين يدي السورة

المطلب الثاني: عرض وتفسير لآيات سورة الإنسان المتضمنة للقراءات العشر

ويشتمل على:

أولاً: القراءات

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات

خامساً: الجمع بين القراءات



المبحث الخامس
عرض وتفسير لآيات سورة الإنسان المتضمنة للقراءات العشر

المطلب الأول: بين يدي السورة:

سورة الإنسان سميت زمن الصحابة (سورة هل أتى على الإنسان)، عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقْرَأُ في الْجُمُعَةِ في صَلاَةِ الْفَجْرِ (الم* تَنْزِيلُ) السَّجْدَةَ وَ(هَلْ أَتَى عَلَى الإِنْسَانِ)(٤٢٣)، وتسمى (سورة الدهر) في كثير من المصاحف، وقال الخفاجي تسمى (سورة الأمشاج) لوقوع لفظ الأمشاج فيها ولم يقع في غيرها من القرآن، وذكر الطبرسي: أنها تسمى (سورة الأبرار) لأن فيها ذكر نعيم الأبرار، واختلف فيها فقيل: هي مكية وقيل: مدنية وقيل: بعضها مكي وبعضها مدني(٤٢٤)، يقول ابن عاشور: «والأصح أنها مكية فإن أسلوبها ومعانيها جارية على سنن السور المكية، وعدها جابر بن زيد الثامنة والتسعين في ترتيب نزول السور. وقال: نزلت بعد سورة الرحمن وقبل سورة الطلاق، وآيها إحدى وثلاثون. من أغراضها: التذكير بأن كل إنسان كُوِّن بعد أن لم يكن فكيف يُقضي باستحالة إعادة تكوينه بعد عدمه، وإثبات أن الإنسان محقوق بإفراد الله بالعبادة شكراً لخالقه

(٤٢٣) صحيح البخاري (٣٠٣/١): كتاب الجمعة، باب القراءة في الفجر رقم (٨٩١).
(٤٢٤) انظر: التحرير والتنوير مجلد (٣٦٩/٢٩/١٢ - ٣٧١) وتفسير القاسمي (٦٠٠٨/١٧).

ومحذر من الإشراك به، وإثبات الجزاء، وأدمج في خلال ذلك الامتنان على الناس بنعمة الإيجاد ونعمة الإدراك والامتنان بما أعطيه الإنسان من التمييز بين الخير والشر وإرشاده إلى الخير بواسطة الرسل، وتثبيت النبي ﷺ على القيام بأعباء الرسالة والصبر على ما يلحقه في ذلك والتحذير من أن يلين للكافرين والإشارة إلى أن الاصطفاء للرسالة نعمة عظيمة يستحق الله الشكر عليها، بالاضطلاع بها، والأمر بالإقبال على ذكر الله والصلاة في أوقات من النهار(٤٢٥)، ومن المقاصد التي اشتملت عليها السورة: خلق الإنسان، وجزاء الشاكرين والجاحدين، ووصف النار والجنة، وذكر المنة على الرسول ﷺ، والمنة على الخلق بإحكام خلقهم(٤٢٦). ومن المناسبة: أنه لما تقدم في آخر القيامة التهديد على مطلق التكذيب، وأن المرجع إلى الله وحده، والإنكار على من ظن أنه يترك سدى والاستدلال على البعث وتمام القدرة عليه، تلاه أول هذه بالاستفهام الإنكاري على ما يقطع معه بألا يترك سدى، فقال مفصلاً ما له سبحانه عليه من نعمة الإيجاد والإعداد والإمداد والإسعاد: ﴿هَلْ أَتَىٰ﴾ أي: بوجه من الوجوه ﴿عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾ أي: هذا النوع الذي شغله عما يراد به ويراد له لعظم مقداره في نفس الأمر الأنس بنفسه والإعجاب بظاهر حسه والنسيان لما بعد حلول رمسه(٤٢٧).

هذه السورة عجيبة الشأن على اختصارها فإن الله سبحانه ابتدأها بذكر كيفية خلق الإنسان من النطفة ذات الأمشاج والأخلاط إلى أن تمت خلقته وكملت صورته فأخرجه إنساناً سوياً سميعاً بصيراً ثم لما تكامل تمييزه وإدراكه هداه طريقي الخير والشر، وأنه بعد هذه الهداية، إما أن يشكر ربه، وإما أن يكفره(٤٢٨).

---

(٤٢٥) التحرير والتنوير مجلد (١٢/٢٩/٣٦٩ ـ ٣٧١) بتصرف يسير.

(٤٢٦) انظر : تفسير شحادة (٢٩/٦٢٢٢).

(٤٢٧) نظم الدرر (٨/٢٥٩).

(٤٢٨) رسالة في المعاني المستنبطة (١/٦٩).

المطلب الثاني: عرض وتفسير لآيات سورة الإنسان المتضمنة للقراءات العشر:

أولاً: القراءات:

١ ـ قال الله تعالى: ﴿عَلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوٓا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾﴾ [الإنسان: ٢١].

١ ـ قرأ نافع وحمزة وأبو جعفر (عَالِيْهِمْ) بسكون الياء مع كسر الهاء، وقرأ الباقون ﴿عَلِيَهُمْ﴾ بفتح الياء مع ضم الهاء.

٢ ـ قرأ نافع وأبو عمرو وابن عامر وحفص وأبو جعفر ويعقوب ﴿خُضْرٌ﴾ بالرفع، وقرأ الباقون (خُضْرٍ) بالخفض.

٣ ـ قرأ نافع وابن كثير وعاصم ﴿وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ بالرفع، وقرأ الباقون (وَإِسْتَبْرَقٍ) بالخفض[٤٢٩].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

١ ـ ﴿عَلِيَهُمْ﴾ قيل: عاليهم ظرف بمعنى فوقهم على أنه خبر مقدم وثياب مبتدأ مؤخر والجملة حال من الضمير المجرور في عاليهم فهي شرح لحال الأبرار المطوف عليهم[٤٣٠].

٢ ـ ﴿خُضْرٌ﴾: الخاء والضاد والراء أصلٌ واحد مستقيم، ومحمولٌ عليه. فالخُضرة من الألوان معروفة. والخَضْراء: السَّماء، لِلَونها، كما سُمِّيت الأرضُ الغَبراء. وكتيبةٌ خضراءُ، إذا كانت عِلْيَتُها سواد الحديد، وذلك أنّ كلَّ ما خالَفَ البياضَ فهو في حَيِّز السَّواد؛ فلذلك تداخلت هذه الصفاتُ، فيسمى الأسودُ أخضَر[٤٣١]. وقال الليث: الخَضِرُ ههنا الزرع الأَخضر وشَجَرَةٌ

(٤٢٩) انظر: النشر (٣٩٦/٢)، الإتحاف (٥٦٦).

(٤٣٠) انظر: روح المعاني (١٦٢/٢٩).

(٤٣١) معجم مقاييس اللغة (١٩٥/٢).

خَضْراءُ خَضِرَةٌ غضة وأَرض خَضِرَةٌ ويَخْضُورٌ كثيرة الخُضْرَةِ(٤٣٢).

٣ - ﴿وَإِسْتَبْرَقٌ﴾: قال الزجاج: في قوله تعالى ﴿عَلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ قال: هو الدِّيباج الصفيق الغليظ الحسَن قال: وهو اسم أَعجمي أَصله بالفارسية اسْتَقْره، ونقل من العجمية إلى العربية، كما سُمي الدِّيباجُ وهو منقول من الفارسية(٤٣٣).

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

﴿عَلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ﴾ أي: قد جللتهم ثياب السندس والإستبرق الأخضران، اللذان هما أجل أنواع الحرير، فالسندس: ما غلظ من الديباج، والإستبرق: ما رق منه. ﴿وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾ أي: حلوا في أيديهم أساور الفضة، ذكورهم وإناثهم، وهذا وعد وعدهم الله، وكان وعده مفعولاً لأنه لا أصدق منه قيلاً ولا حديثاً وقوله: ﴿وَسَقَنٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ أي: لا كدر فيه بوجه من الوجوه، مطهراً لما في بطونهم من كل أذى وقذى(٤٣٤).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قرأ نافع وحمزة (عَالِيْهِمْ) ساكنة الياء، وهي في موضع رفع على الابتداء وخبره ثياب سندس لأن العالي هو الثياب، ويكون المعنى عليهم ثياب من هذين النوعين ثياب سندس وإستبرق وأجود هذه الوجوه: قول أبي عمرو ومن معه: فرفع الخضر لأنه صفة مجموعة لموصوف مجموع فأتبع الخضر الذي هو جمع مرفوع الجمع المرفوع الذي هو ثياب، وأما (وَإِسْتَبْرَقٍ) فجر من حيث كان جنساً أضيف إليه الثياب كما أضيف إلى سندس فأضاف الثياب إلى الجنسين، كما تقول ثياب خز وكتان، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ وأما خفض خضر،

(٤٣٢) لسان العرب (٤/٢٤٣).

(٤٣٣) لسان العرب (١٠/٥).

(٤٣٤) تفسير السعدي (١/٩٠١).

وإستبرق بالرفع، فإنه أجرى الخضر وهو جمع على السندس، لما كان المعنى أن الثياب من هذا الجنس، وقرأ الباقون ﴿عَٰلِيَهُمْ﴾ بفتح الياء على الحال، قال الزجاج: نصب على الحال من شيئين أحدهما من الهاء والميم، المعنى: يطوف على الأبرار ولدان مخلدون، على الأبرار ثياب سندس، لأنه قد وصفت أحوالهم في الجنة، فيكون المعنى: يطوف عليهم في هذه الحال هؤلاء. فمن قرأ ﴿خُضْرٌ﴾ بالرفع فهو أحسن لأنه يكون نعتاً للثياب ولفظ الثياب لفظ الجمع وخضر لفظها لفظ الجمع، ومن قرأ (خُضْرٍ) فهو من نعت السندس، والسندس في المعنى راجع إلى الثياب، ومن قرأ ﴿وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ بالرفع فهو نسق على ثياب المعنى وعليهم إستبرق، ومن خفض فهو نسق على السندس وثياب إستبرق[٤٣٥]. فالحجة لمن فتح، أنه جعله ظرفاً من المكان لأن الثاني فيه غير الأول كما تقول: فوقك السقف وأمامك الخير، والحجة لمن أسكن أنه جعله اسماً وأراد به أن الأول هو الثاني كما تقول فوقك رأسك، وأمامك، وظهرك، فهذا فرق ما بين الظرف والاسم في هذا القبيل، وما أشبهه، فمن فتح الياء ضم الهاء ومن أسكنها كسر الهاء، فالحجة لمن رفع أنه جعل الخضر نعتاً للثياب وعطف الإستبرق عليها ودليله قوله ﴿وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا﴾ [الكهف: ٣١] على النعت، والحجة لمن خفض أنه جعل الخضر نعتاً للسندس، وجعل الإستبرق عطفاً على سندس وأصله بالعجمية (استبره) فعربته العرب فقالت إستبرق، وهو الديباج الغليظ[٤٣٦].

خامساً: الجمع بين القراءات:

بالجمع بين القراءات يتبيّن أن: من قرأ ﴿عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾﴾ بالرفع فالمعنى: يطوف على الأبرار ولدان مخلدون، وعلى الأبرار ثياب سندس، لأنه قد وصفت

(٤٣٥) حجة القراءات (٧٣٩/١ ـ ٧٤١)، انظر: الكشف (٣٥٤/٢ ـ ٣٥٥)، وانظر: الحجة للقراء (٨٥/٤ ـ ٨٨).

(٤٣٦) الحجة (٣٥٩/١)، انظر: فتح القدير (٤١٦/٥)، وانظر: معاني القراءات (٥١٩ ـ ٥٢٠).

أحوالهم في الجنة، فتكون ﴿خُضْرٌ﴾ ﴿وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ نعتاً للثياب ولفظ الثياب لفظ الجمع وخضر لفظها لفظ الجمع، ومن قرأ (خُضْرٍ) (وَإِسْتَبْرَقٍ) بالخفض فالمعنى: أن العالي هو الثياب، أي: عليهم ثياب من هذين النوعين ثياب سندس وإستبرق، فجعل الخضر نعتاً للسندس وجعل الإستبرق عطفاً على سندس.

٢ـ قال الله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾﴾ [الإنسان: ٣٠].

أولاً: القراءات:

١ - قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر (وَمَا يَشَاءُونَ) بالياء.

٢ - وقرأ الباقون بالتاء ﴿وَمَا تَشَآءُونَ﴾[٤٣٧].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

قال الجوهريّ: المَشِيئَة: الإرادة ومثله في المصباح والمُحكم وأَكثرُ المتكلِّمين لم يُفرِّقوا بينهما وإن كانتا في الأَصل مُختلِفَتَيْنِ فإنَّ المَشِيئَة في اللُّغة: الإيجاد والإرادة، وقالوا: كلُّ شَيْءٍ بشِيئَةِ الله تعالى بكسر الشين أَي: بمَشِيئَته[٤٣٨].

الفرق بين الإرادة والمشيئة: أن الإرادة تكون لما يتراخى وقته ولما لا يتراخى، والمشيئة لما لم يتراخ وقته، وقيل: الفرق بين الإرادة والمشيئة: والإرادة هي العزم على الفعل، أو الترك بعد تصور الغاية المترتبة عليه من خير، أو نفع، أو لذة ونحو ذلك. وهي أخص من المشيئة، لأنَّ المشيئة ابتداء العزم على الفعل، فنسبتها إلى الإرادة نسبة الضعف إلى القوة، والظن إلى الجزم[٤٣٩]. المعنى: وما تريدون أمراً من الأمور إلا بتقدير الله ومشيئته.

(٤٣٧) انظر: النشر (٣٩٦/٢) والكنز (٢٩٦).

(٤٣٨) تاج العروس (٨٣/١) مادة: «شوأ».

(٤٣٩) الفروق اللغوية (١٢٣).

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ فإن مشيئة الله نافذة، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ فله الحكمة في هداية المهتدي، وإضلال الضال ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحْمَتِهِۦ﴾ فيختصه بعنايته، ويوفقه لأسباب السعادة ويهديه لطرقها. ﴿وَٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الذين اختاروا الشقاء على الهدى ﴿أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا﴾ بظلمهم وعدوانهم(٤٤٠).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

من قرأ (وَمَا يَشَاءُونَ) بالياء، ردوه على قوله: ﴿وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ [الإنسان: ٢٧] و﴿نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ﴾ [الإنسان: ٢٨] فجعلوا قوله (وَمَا يَشَاءُونَ) خبراً عنهم إذ أتى في سياق الخبر عنهم ليأتلف الكلام على نظام واحد، وقرأ الباقون ﴿وَمَا تَشَآءُونَ﴾ بالتاء على الخطاب وإنما خاطبهم بذلك بعد انقضاء الخبر عنهم ولأن الخطاب يدخل فيه معنى الخبر فهو أوعب(٤٤١).

خامساً: الجمع بين القراءات:

من خلال القراءات يتبيّن أن: من قرأ ﴿وَمَا تَشَآءُونَ﴾ فعلى الخطاب، لأن الخطاب يدخل فيه معنى الخبر. ومن قرأ (وَمَا يَشَاءُونَ) فعلى الالتفات من الغيبة للخطاب، ردوه على قوله: ﴿وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ والمعنى: أي: لا يمكن لأي إنسان مهما كان أن يختار لنفسه شيئاً إلا إذا كان موافقاً لمشيئة الله تعالى.



(٤٤٠) تفسير السعدي (٩٠٣/١).

(٤٤١) حجة القراءات (٧٤١/١).

المبحث السادس
عرض وتفسير لآيات سورة المرسلات
المتضمنة للقراءات القرآنية العشر

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: بين يدي السورة

المطلب الثاني: عرض وتفسير لآيات سورة المرسلات المتضمنة للقراءات العشر

ويشتمل على:

أولاً: القراءات

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات

خامساً: الجمع بين القراءات

المبحث السادس
عرض وتفسير لآيات سورة المرسلات المتضمنة للقراءات العشر

المطلب الأول: بين يدي السورة:

سميت في عهد الصحابة (والمرسلات عرفا) فعن عبدالله بن مسعود - قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ مَعَ النبي ﷺ في غَارٍ بِمِنى، إِذْ نَزَلَ عَلَيْهِ (وَالْمُرْسَلاَتِ) وَإِنَّهُ لَيَتْلُوهَا، وَإِنِّي لأَتَلَقَّاهَا مِنْ فِيهِ، وَإِنَّ فَاهُ لَرَطْبٌ بِهَا، إِذْ وَثَبَتْ عَلَيْنَا حَيَّةٌ فَقَالَ النبي ﷺ: «اقْتُلُوهَا» فَابْتَدَرْنَاهَا، فَذَهَبَتْ، فَقَالَ النبي ﷺ: «وُقِيَتْ شَرَّكُمْ كَمَا وُقِيتُمْ شَرَّهَا»(٤٤٢)، وهي مكية عند جمهور المفسرين من السلف، وهي السورة الثالثة والثلاثون في عداد ترتيب نزول السور، وآيها خمسون، نزلت بعد سورة الهمزة، من أغراضها أنها: اشتملت على الاستدلال على وقوع البعث عقب فناء الدنيا، والاستدلال على إمكان إعادة الخلق، ووعد منكريه بعذاب الآخرة، ووصف أهواله والتعريض لهم بالعذاب في الدنيا، كما استؤصلت أمم مكذبة من قبل، ومقابلة ذلك بجزاء الكرامة للمؤمنين. وفيها المنة على الخلائق بنعمة الخلق والتكوين، وبيان عظمة الخالق وكمال قدرته، فهذه السورة قصيرة الآيات، عاصفة الملامح، شديدة الإيقاع، كأنها سياط لاذعة تلهب صدور المنكرين، وهي توقف القلب البشري وقفة المحاكمة الرهيبة، حيث تواجه بسيل من الاستفهامات والتهديدات، تنفذ إليه

(٤٤٢) البخاري (٢/٦٥٠) رقم (١٨٣٠).

كالسهام المسنونة[٤٤٣].

المطلب الثاني: عرض وتفسير لآيات سورة المرسلات المتضمنة للقراءات العشر:

١ ـ قال الله تعالى: ﴿عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ۝٦﴾ [المرسلات: ٦].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ روح (عُذُراً) بضم الذال، وقرأ الباقون ﴿عُذْرًا﴾ بالإسكان.

٢ ـ قرأ أبو عمرو وحفص وحمزة وعلي وخلف ﴿نُذْرًا﴾بسكون الذال، وقرأ الباقون (نُذُراً) بضمها[٤٤٤].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(عذر) العين والذال والراء بناء صحيح له فروعٌ كثيرة، فالعُذْر معروف، وهو رَوْم الإنسان إصلاحَ ما أُنكِرَ عليه بكلام. يُقال منه: عَذَرْتُه فأنا أَعْذِرُه عَذْراً، والاسم العُذْر. وتقول: عَذَرْتُه من فلان، أي لُمْتُه[٤٤٥]، وقوله ﷻ ﴿فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا ۝٥ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ۝٦﴾ فسره ثعلب فقال: العُذْرُ والنُّذْر واحد، قال اللحياني: وبعضهم يُثَقِّل، قال أبو جعفر: مَن ثَقَّل أراد ﴿عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ۝٦﴾ كما تقول (رُسُل في رُسْل) وقال الأَزهري: في قوله ﷻ ﴿عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ۝٦﴾ فيه قولان أَحدهما: أَن يكون معناه فالمُلْقِيات ذِكْراً للإِعْذار والإِنذار، والقول الثاني: أَنهما نُصِبَا على البدل من قوله ذِكْراً، وفيه وجه ثالث وهو أَن تنصِبَهما بقوله ذكراً، المعنى فالملقيات إِن ذَكَرَتْ عذراً أَو نذراً وهما اسمان يقومان مقام الإِعْذار والإِنْذار ويجوز تخفيفُهما وتثقيلُهما مع[٤٤٦]. (نذر)

---

(٤٤٣) التحرير والتنوير مجلد ١٢ (٤١٧/٢٩ ـ ٤١٩) بتصرف، انظر: تفسير شحادة (٦٢٤٤/٢٩ ـ ٦٨٤٨).

(٤٤٤) انظر: الكنز (٢٩٦)، وانظر: الإتحاف (٥٦٧).

(٤٤٥) معجم مقاييس اللغة (٢٥٣/٤).

(٤٤٦) انظر: لسان العرب (٥٤٥/٤).

النون والذال والراء كلمةٌ تدل على تخويف أو تخوُّف، منه الإنذار: الإبلاغ؛ ولا يكاد يكون إلَّا في التَّخويف[٤٤٧]. قال الزجاج: النُّذُر جمع نَذِير، وقوله ﷻ ﴿عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ۝٦﴾ قرئت (عُذُراً أو نُذُراً)، قال: معناهما المصدر وانتصابُهما على المفعول له المعنى، فالمُلْقِيات ذكراً للإعذارِ أَو الإِنذار[٤٤٨]، ويقال أَنذَرْته إِنذاراً والنُّذُر جمع النذِير[٤٤٩].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

وقوله: ﴿عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ۝٦﴾ يقول تعالى ذكره: فالملقيات ذكراً إلى الرسل إعذاراً من الله إلى خلقه، وإنذاراً منه لهم[٤٥٠]. فالعُذر: الإِعلام بقبول إيمان المؤمنين بعد الكفر، وتوبةِ التائبين بعد الذنب. والنّذُر: اسم مصدر أنذر، إذا حَذر[٤٥١].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قوله: ﴿عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ۝٦﴾ فيهما قراءتان التخفيف فلا نزاع في كونه مصدراً، والمعنى إعذاراً وإنذاراً، وأما التثقيل فزعم أبو عبيدة أنه جمع وليس بمصدر، والتثقيل والتخفيف لغتان[٤٥٢]. فالحجة لمن ضم أنه أراد جمع «عذير ونذير»، والحجة لمن أسكن الأولى وحرك الثانية أنه أتى باللغتين ليعلم جوازهما، وإجماعهم على تخفيف الأولى يوجب تخفيف الثانية[٤٥٣]، فأما التخفيف فأن يكون مصدراً مفرداً، تقول عذرته عذراً، كما تقول شغلته شغلاً وشكرته شكراً، وأما التثقيل فأن يكون (عذراً أو نذراً)

(٤٤٧) معجم مقاييس اللغة (٤١٤/٥).
(٤٤٨) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢٠٨/٥).
(٤٤٩) لسان العرب (٢٠٠/٥).
(٤٥٠) الطبري (مجلد ٣٨٢/١٢).
(٤٥١) التحرير والتنوير مجلد (٤٢٢/٢٩/١٢ ـ ٤٢٣).
(٤٥٢) تفسير الرازي مجلد ١٥ (٢٣٧/٣٠).
(٤٥٣) انظر: الحجة (٣٦٠/١).

جمع عذير ونذير تقول عذيري من فلان أي: اعذرني منه عذيراً ومن خفف عذراً وثقل نذراً جعل نذراً جمع نذير. قال الزجاج: «العذُر والعذْر» «والنذُر والنذْر» بمعنى واحد، ومعناهما المصدر(٤٥٤). قال أبو علي: ويجوز في النذير ضربان: أحدهما: أن يكون مصدراً، والآخر: أن يكون فعيلاً يرُاد به: المنذر(٤٥٥). والفرق بين الإنذار والتخويف: أن الإنذار تخويف مع إعلام موضع المخافة من قولك نذرت بالشيء إذا علمته فاستعددت له فإذا خوف الإنسان غيره وأعلمه حال ما يخوفه به فقد أنذره، وإن لم يعلمه ذلك لم يقل أنذره(٤٥٦).

خامساً: الجمع بين القراءات:

من خلال القراءات يتبيّن أن: من قرأ (عُذْراً أَوْ نُذْراً) بالضم والإسكان فهما لغتان، والضم لمجانسة ضم الحرف الأول، و﴿عُذْراً ـ نُذْراً﴾ مصدران ينتصبان على المفعول له، أو على البدل من (ذكرا) والمعنى: أعطيناكم إعذاراً وإنذاراً.

٢ـ قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ ﴿١١﴾﴾ [المرسلات: ١١].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ أبو عمرو بإبدال الهمزة واواً (وُقِّتَت) وشدد القاف.

٢ ـ وقرأ الباقون بالهمز ﴿أُقِّتَتْ﴾ وتشديد القاف.

٣ ـ وقرأ أبو جعفر بإبدال الهمزة واواً (وُقِتَت) بتخفيف القاف(٤٥٧).

---

(٤٥٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢٠٨/٥)، وانظر: معاني القراءات (٥٢١).

(٤٥٥) انظر: الحجة للقراء السبعة (٨٨/٤).

(٤٥٦) انظر: الفروق اللغوية (٢٤٢).

(٤٥٧) انظر: النشر (٢٩٦/٢ ـ ٢٩٧)، انظر: الإتحاف (٥٦٧)، انظر: الكنز (٢٩٦).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(وقت) الواو والقاف والتاء: أصلٌ يدلُّ على حَدِّ شيءٍ وكُنْهه في زمان وغيرِه. منه الوقْت: الزّمان المعلوم. والموقوت: الشَّيء المحدود. والمِيقاتُ: المصير للوَقْت. وقَتَ له كذا ووَقَّته، أي: حدَّده[٤٥٨]. فالتَّوْقِيتُ والتَّأْقِيتُ أَن يُجْعَل للشيءِ وَقْتٌ يختص به وهو بيانُ مقدار المُدَّة وتقول وقَّتَ الشيءَ يُوَقِّته ووَقَتَهُ يَقِتُه إِذا بَيَّنَ حَدَّه ثم اتُّسِعَ فيه فأُطْلِقَ على المكان فقيل للموضع مِيقاتٌ[٤٥٩].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

﴿وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ ﴿١١﴾﴾ يقول تعالى ذكره: وإذا الرسل أجلت للاجتماع لوقتها يوم القيامة[٤٦٠]. ومعنى توقيت الرسل: تبيين وقتها الذي يحضرون فيه للشهادة على أممهم. والتأجيل: من الأجل، كالتوقيت: من الوقت[٤٦١]، قال أبو علي «جعل لها يوم الدين والفصل وقتاً»[٤٦٢].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قال الفراء: «جُمِعَتْ لوقتها يوم القيامة، واجْتَمع القُرّاء على همزها»، وقرأَها أَبو جعفر المَدَنيُّ ﴿وُقِتَت﴾ خفيفة بالواو، وإِنما همزت لأَن الواو إِذا كانت أَولَ حرف وضُمَّتْ هُمِزت يقال: هذه أُجُوهٌ حسانٌ بالهمز، وذلك لأَن ضمة الواو ثقيلة، وأُقِّتَتْ لغة مثل: (وُجُوه وأُجُوه)[٤٦٣].

قال أبو عمرو: ﴿وقتت﴾ بالواو وتشديد القاف على الأصل، لأنها فعلت من الوقت، وأقتت بالألف، وحجتهم في ذلك خط المصاحف

---

(٤٥٨) معجم مقاييس اللغة (١٣١/٦).

(٤٥٩) لسان العرب (١٠٧/٢).

(٤٦٠) الطبري (مجلد ٢٩ ـ ٣٨٣/١٢).

(٤٦١) الطبري (مجلد ٢٩ ـ ٣٨٣/١٢).

(٤٦٢) الحجة للقراء (٩٠/٤).

(٤٦٣) لسان العرب (١٠٧/٢).

بالألف، فمن همز فإنه أبدل الهمزة من الواو[٤٦٤]. فالحجة لمن همز أنه استثقل الضمة على الواو فقلبها همزة كما يستثقلون كسرها فيقلبونها همزة في قولهم «وشاح وأشاح» والقلب شائع في كلامهم، والحجة لمن قرأ بالواو أنه أتى بالكلام على أصله لأن وزن وقتت «فعلت» من الوقت[٤٦٥]. قال الزجاج: «أُقِّتَتْ بالهمزة والواو معنى واحد»[٤٦٦].

خامساً: الجمع بين القراءات:

من خلال القراءات يتبيّن أن: من قرأ ﴿أُقِّتَتْ﴾ بالهمز والشدة فإن أصل المعنى من الوقت، ومن قرأ (وُقِتَت) فعلى الأصل، أي: جُعل لها وقت، لأن كل واو انضمت وكانت ضمتها لازمة فإنها تبدل على الاطراد، لأن الضمة من جنس الواو، فالجمع بينهما جمع مثلين ففيه الثقل، ولهذا كان كسر الياء ثقيلاً. والمراد بهذا التأقيت تحصيل الوقت وتكوينه، ولم يعين لأجل أن يذهب الوهم إلى كل جانب فيكون التهويل فيه أشد، فهو الوقت الذي يشاهدون فيه سائر أحوال القيامة.

٣ ـ قال الله تعالى: ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَـٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [المرسلات: ٢٣].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ نافع وعلي وأبو جعفر (فَقَدَّرْنَا) بتشديد الدال.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿فَقَدَرْنَا﴾ بالتخفيف[٤٦٧].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(قدر) القاف والدال والراء أصلٌ صحيح يدلُّ على مَبْلَغ الشَّيء وكُنهه

---

(٤٦٤) حجة القراءات (١/٧٤٢ ـ ٧٤٣).

(٤٦٥) انظر: الحجة (١/٣٦٠).

(٤٦٦) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥/٢٠٨).

(٤٦٧) انظر: النشر (٢/٢٩٧)، انظر: الإتحاف (٥٦٧)، انظر: الكنز (٢٩٦).

ونهايته. فالقدر: مبلغُ كلِّ شيء. يقال: قَدْرُه كذا، أي مبلغُه. وكذلك القَدَر. وقَدَرتُ الشّيءَ أَقْدِرُه وأَقْدُرُه من التقدير، وقدَّرته أُقَدِّره. والقَدْر: قضاء الله تعالى الأشياءَ على مبالغها ونهاياتها التي أرادَها لها، وهو القَدَرُ أيضاً(٤٦٨).

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

﴿فَقَدَرْنَا﴾، أي: قدرنا ودبرنا ذلك الجنين، في تلك الظلمات، ونقلناه من النطفة إلى العلقة، إلى المضغة، إلى أن جعله الله جسداً، ثم نفخ فيه الروح، ومنهم من يموت قبل ذلك ﴿فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ﴾ يعني بذلك نفسه المقدسة، حيث كان قدراً تابعاً للحكمة، موافقاً للحمد(٤٦٩).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

من قرأ ﴿فَقَدَرْنَا﴾ بالتخفيف، فحجتهم قوله ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ ولم يقل (المقدرون) فأجروا على لفظ ما جاوره، إذ لم يقم على التفريق بين اللفظين وكان المعنى فيه: فملكنا فنعم المالكون، فكان اللفظ يشاكل بعضه بعضاً في اللفظ والمعنى، ومن شدد (فَقَدَّرْنَا) فإنه أحب أن يجري على معنيين كل واحد منهما بخلاف الآخر، وذلك فقدرنا مرة بعد مرة، لأنه ذكر الخلق فقال: ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾﴾ فذلك منه فعل متردد فشدد إرادة تردد الفعل على سنن العربية، وقد أوضح هذا المعنى في تقدير خلق الإنسان بما أجمعوا فيه على التشديد، وهو قوله ﴿مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾﴾ فرد ما اختلفوا فيه إلى ما أجمعوا عليه أولى ثم قال ﴿فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ يعني القدرة على ذلك والملك، والأول من التقدير، والفائدة ها هنا فائدتان وإذا كانا بلفظ واحد كانت الفائدة واحدة ويجوز أن يعني بذلك معنى واحد، ويجمع ذلك المعنى بين اللغتين(٤٧٠)، فالحجة لمن خفف: أنه أتى بالفعل على ما أتى به اسم الفاعل بعده في قوله «القادرون» لأن وزن

---

(٤٦٨) معجم مقاييس اللغة (٥/٦٢).

(٤٦٩) تفسير السعدي (١/٩٠٤).

(٤٧٠) حجة القراءات (١/٧٤٣ ـ ٧٤٤)، انظر: الكشف (٢/٣٥٨).

اسم الفاعل من (فَعَل فاعل) ومن (أَفْعل مُفْعِل)، ومن (فَعَّل مُفَعّل)، ومن (فَعَل فَعِيل)، ومن (فَعَل فَعِل)، والحجة لمن شدد أنه أتى باللغتين معاً، ودليله قوله تعالى: ﴿فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا ﴿١٧﴾﴾ [الطّارق: ١٧] ولم يقل مهلهم، والعرب تقول: قدرت الشيء مخففاً بمعنى: قدرته مشدداً[٤٧١].

خامساً: الجمع بين القراءات:

بالجمع بين القراءات نجد أن: قراءة التشديد من التقدير، كأنه مرة بعد مرة، وقراءة التخفيف من القدرة، والمعنى: أن الله قَدِرَ على خلق الجنين، في تلك الظلمات، ونقله من النطفة إلى العلقة، إلى المضغة، إلى أن يجعله جسداً، ثم ينفخ فيه الروح، وَقَدَّرَ أموره من الرزق وغيره مرة بعد مرة، في بطن أمه، وهو جنين، وحين يخرج إلى الحياة ثم بعد ذلك إلى الممات.

٤ ـ قال الله تعالى: ﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلَٰثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾﴾ [المرسلات: ٣٠].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ رويس (انْطَلَقُوا) بفتح اللام.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿ٱنطَلِقُوٓاْ﴾ بكسرها[٤٧٢].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(طلق) الطاء واللام والقاف أصلٌ صحيحٌ مطّرد واحد، وهو يدلُّ على التَّخلية والإرسال. يقال انطلقَ الرّجل ينطلق انطلاقاً. ثمَّ ترجع الفروع إليه، تقول أَطْلَقْتهُ إطلاقاً[٤٧٣].

---

(٤٧١) الحجة (١/٣٦٠).

(٤٧٢) انظر: النشر (٢/٢٩٧)، انظر: الإتحاف (٥٦٧)، انظر: الكنز (٢٩٦).

(٤٧٣) معجم مقاييس اللغة (٣/٤٢٠).

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلّٖ ذِي ثَلَٰثِ شُعَبٖ ٣٠﴾ أي: إلى ظل نار جهنم، التي تتمايز في خلاله ثلاث شعب أي: قطع من النار أي: تتعاوره وتتناوبه وتجتمع به ﴿لَّا ظَلِيلٖ﴾ ذلك الظل، أي: لا راحة فيه ولا طمأنينة، ﴿وَلَا يُغۡنِي﴾ من مكث فيه ﴿مِنَ ٱللَّهَبِ﴾ بل اللهب قد أحاط به، يمنة ويسرة ومن كل جانب، كما قال تعالى: ﴿لَهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ ظُلَلٞ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحۡتِهِمۡ ظُلَلٞ﴾(٤٧٤).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قرأ الجمهور ﴿ٱنطَلِقُوٓاْ﴾ الثاني بكسر اللام مثل ﴿ٱنطَلِقُوٓاْ﴾ الأول، وقرأه رُوَيس عن يعقوب (انْطَلَقُوا) بفتح اللام على صيغة الفعل الماضي على معنى أنهم أُمروا بالانطلاق إلى النار فانطلقوا إلى دخانها وإنما لم يعطف بالفاء لقصد الاستئناف ليكون خبراً آخرَ عن حالهم(٤٧٥).

خامساً: الجمع بين القراءات:

بالجمع بين القراءات يتبيّن أن: قراءة (انْطَلَقُوا) على لفظ الماضي، أنهم انقادوا للأمر لأجل أنهم مضطرون إليه لا يستطيعون امتناعاً منه، و﴿ٱنطَلِقُوٓاْ﴾ على لفظ الأمر من خزنة النار للكفار للتوبيخ وللتقريع. والمعنى: أن الخزنة أمروهم بالانطلاق توبيخاً وتقريعاً لهم على تكذيبهم، فانطلقوا منقادين من هول المشهد لا يلوون على شيء، إذ الأمر هناك ممتثل قطعاً.

٥ ـ قال الله تعالى: ﴿كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٞ(٤٧٦) صُفۡرٞ ٣٣﴾ [المرسلات: ٣٣].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ رويس (جُمَالَتٌ) بضم الجيم وألف بعد اللام.

---

(٤٧٤) تفسير السعدي (٩٠٤/١).

(٤٧٥) التحرير والتنوير (مجلد ١٢ ـ ٤٣٥/٢٩).

(٤٧٦) من قرأ بالجمع وقف بالتاء، أما من قرأ بالإفراد فهم على أصولهم: فالكسائي يقف بالهاء. مع الإمالة. المغني (٣٤٣/٣).

٢ ـ قرأ حفص وحمزة والكسائي وخلف ﴿كَأَنَّهُ جِمَٰلَتٌ﴾ على الإفراد.

٣ ـ قرأ الباقون (جِمَالَاتٌ) بألف قبل التاء على الجمع[٤٧٧].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

قرأ رويس (جُمَالَتٌ) بضم الجيم وبألف بعد اللام وهي: الحبال الغليظة من حبال السفينة والباقون (جِمَالَات) بكسر الجيم مع الألف على الجمع، وهي الإبل إما جمعاً لجمالة القراءة الأولى أو لجمال فيكون جمع الجمع[٤٧٨].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

﴿إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾﴾ كأن الشرر الذي ترمي به جهنم كالقصر، جِمالات سود، وقالوا: (الصفر) في هذا الموضع، بمعنى السود قالوا: وإنما قيل لها صفر وهِي سود؛ لأن ألوان الإبل سود تضرب إلى الصفرة[٤٧٩]. وهذا يدل على أن النار مظلمة، لهبها وجمرها وشررها، وأنها سوداء، كريهة المرأى، شديدة الحرارة[٤٨٠].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قرأ حمزة والكسائي وحفص، (جِمَالَتٌ) بغير ألف جمع جمل، تقول جمل وجمال وجمالة وإنما تدخل الهاء توكيداً لتأنيث الجمع، كما تقول عمومة ونظيره، حجر وحجار وحجر وحجارة، وقرأ الباقون (جِمَالَاتٌ) فهو جمع الجمع[٤٨١]. فالحجة لمن قرأه (جِمَالَتٌ) بلفظ الواحد أنه عنده بمعنى

(٤٧٧) انظر: النشر (٢٩٧/٢)، انظر: الإتحاف (٥٦٧)، انظر: الكنز (٢٩٦).

(٤٧٨) انظر: الإتحاف (٥٦٧) انظر: من بديع لغة التنزيل للسامرائي (٣٠٣).

(٤٧٩) انظر: الطبري (مجلد ٢٩ ـ ٣٨٩/١٢).

(٤٨٠) تفسير السعدي (٩٠٤/١).

(٤٨١) حجة القراءات (٧٤٤/١).

الجمع لأنه منعوت بالجمع في قوله صفر، والحجة لمن قرأه (جِمَالَتٌ) أنه أراد به جمع الجمع كما قالوا رجال ورجالات[٤٨٢].

خامساً: الجمع بين القراءات:

بالجمع بين القراءات يتبيّن لنا أن: هناك صورة مروعة، للشرر المتتابع الشديد الذي ترمي به جهنم، فعلى قراءة الإفراد (جِمَالَتٌ) بغير ألف، شُبه الشرر بالجَمَل الأصفر كأنه اللهب الأسود وهو مقذوف بقوة وشدة متتابعة، وهذه صورة الشرر عند بداية القذف، وعلى قراءة الجمع مع الكسر (جِمَالَاتٌ) فهي صورة المشهد وقد تتابع الشرر المقذوف وازداد، وعلى قراءة ضم الجيم والجمع (جُمَالَتٌ)، فشبه الشرر بالجمالات السود لكثرتها، فمن كثرتها ومن قوة تتابعها وشدتها وتواصل امتدادها وارتفاعها، شُبهت بالحبال الغليظة الممتدة الطويلة من حبال السفينة، دلالة على تواصل العذاب.

٦ ـ **قال الله تعالى:** ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾﴾ [المرسلات: ٤١].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ ابن كثير وابن ذكوان وشعبة وحمزة والكسائي (وَعِيُونٍ) بكسر العين.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿وَعُيُونٍ﴾ بضمها[٤٨٣].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

العَيْنُ: يَنْبُوع الماء الذي يَنْبُع من الأَرض وعَينُ الرَّكِيَّة: مَفْجَرُ مائها ومَنْبَعُها[٤٨٤].

---

(٤٨٢) الحجة (١/٣٦٠).

(٤٨٣) انظر: الإتحاف (٥٦٨)، انظر: الكنز (٢٩٦).

(٤٨٤) لسان العرب (١٣/٢٩٨).

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ أي: للتكذيب، المتصفين بالتصديق في أقوالهم وأفعالهم وأعمالهم، ولا يكونون كذلك إلا بأدائهم الواجبات، وتركهم المحرمات. ﴿فِى ظِلَٰلٍ﴾ من كثرة الأشجار المتنوعة، الزاهية البهية. ﴿وَعُيُونٍ﴾ جارية من السلسبيل، والرحيق وغيرهما[٤٨٥].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾﴾ تقديره: إن المتقين في ظلال وشرب عيون أي: شرب ماء عيون[٤٨٦]. ومن قرأ (وَعِيُونٍ) بكسر العين فلمناسبة الياء، ومن قرأ ﴿وَعُيُونٍ﴾ بالضم فعلى الأصل[٤٨٧]. واختلاف الحركة لاختلاف ماء العيون، والله أعلم.

خامساً: الجمع بين القراءات:

بالجمع بين القراءات يتبيّن أن: عيون الماء مختلفة المشرب، والمذاق، للمتقين، ليتنعموا فيها.



(٤٨٥) تفسير السعدي (٩٠٥/١).

(٤٨٦) إعراب القرآن للزجاج (٦٥/١).

(٤٨٧) انظر: المغني (٣١١/٢).

الفصل الثالث
تفسير سورة (النبأ) إلى آخر سورة (الانشقاق)
من خلال القراءات القرآنية العشر

ويشتمل على سبعة مباحث:

المبحث الأول: عرض وتفسير لآيات سورة النبأ المتضمنة للقراءات العشر

المبحث الثاني: عرض وتفسير لآيات سورة النازعات المتضمنة للقراءات العشر

المبحث الثالث: عرض وتفسير لآيات سورة عبس المتضمنة للقراءات العشر

المبحث الرابع: عرض وتفسير لآيات سورة التكوير المتضمنة للقراءات العشر

المبحث الخامس: عرض وتفسير لآيات سورة الانفطار المتضمنة للقراءات العشر

المبحث السادس: عرض وتفسير لآيات سورة المطففين المتضمنة للقراءات العشر

المبحث السابع: عرض وتفسير لآيات سورة الانشقاق المتضمنة للقراءات العشر

المبحث الأول
عرض وتفسير لآيات سورة النبأ
المتضمنة للقراءات القرآنية العشر

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: بين يدي السورة

المطلب الثاني: عرض وتفسير لآيات سورة النبأ المتضمنة للقراءات العشر

ويشتمل على:

أولاً: القراءات

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات

خامساً: الجمع بين القراءات



المبحث الأول
عرض وتفسير لآيات سورة النبأ المتضمنة للقراءات العشر

المطلب الأول: بين يدي السورة:

هذا الجزء «عم» كله ومنه هذه السورة ذو طابع غالب سوره مكية فيما عدا سورتي «البينة والنصر» وكلها من قصار السور على تفاوت في القصر، والأهم من هذا هو طابعها الخاص الذي يجعلها وحدة على وجه التقريب في موضعها واتجاهها، وإيقاعها، وصورها وظلالها، وأسلوبها العام. إنها طرقات متوالية على الحس، طرقات عنيفة قوية عالية، وصيحات، صيحات بِنوّمٍ غارقين في النوم! نومهم ثقيل! أو بسكارى مخمورين ثقل حسهم الخُمار! أو بلاهين في سامر راقصين في ضجة وتصدية ومكاء! تتوالى على حسهم تلك الطرقات والصيحات المنبثقة من سور هذا الجزء كله بإيقاع واحد ونذير واحد: اصحوا استيقظوا، انظروا، تلفتوا، تفكروا. تدبروا إن هنالك إلهاً، وإن هنالك تدبيراً، وإن هنالك تقديراً، وإن هنالك ابتلاء، وإن هنالك تبعة، وإن هنالك حساباً، وإن هنالك جزاء، وإن هنالك عذاباً شديداً، ونعيماً كبيراً. اصحوا، استيقظوا، انظروا، تلفتوا، تفكروا، تدبروا. وهكذا مرة أخرى وثالثة ورابعة وخامسة وعاشرة. ومع الطرقات والصيحات يد قوية تهز النائمين المخمورين السادرين هزاً عنيفاً[٤٨٨]. سميت هذه السورة في

(٤٨٨) الظلال (٦/٣٨٠٠).

أكثر المصاحف وكتب التفسير وكتب السنة (سورة النبأ)، لوقوع كلمة (النبأ) في أولها، وفي صحيح البخاري (عم يتساءلون) وفي تفسير ابن عطية والكشاف (سورة عم يتساءلون)، وفي تفسير القرطبي سماها (سورة عم) أي: بدون زيادة (يتساءلون) تسمية لها بأول جملة فيها وتسمى (سورة التساؤل) لوقوع (يتساءلون) في أولها، وتسمى (سورة المعصرات) لقوله تعالى فيها ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾﴾. وعدت السورة الثمانين في ترتيب نزول السور، وعند جابر بن زيد نزلت بعد سورة المعارج، وقبل سورة النازعات، وعد آيها أصحاب العدد من أهل المدينة والشام والبصرة أربعين، وعدها أهل مكة وأهل الكوفة إحدى وأربعين آية. من أغراضها أنها اشتملت على وصف خوض المشركين في شأن القرآن وما جاء به مما يخالف معتقداتهم وإثبات البعث وتهديدهم على استهزائهم، وفيها إقامة الحجة على إمكان البعث، ووصف الأهوال الحاصلة عند البعث من عذاب الطاغين، مع مقابلة ذلك بوصف نعيم المؤمنين، ووصف يوم الحشر إنذاراً للذين جحدوا به(٤٨٩). فمحور السورة يدور حول: إثبات «عقيدة البعث» التي أنكرها المشركون. وإقامة الأدلة على قدرة الله المطلقة في الكون وأنه قادر على الخلق والإعادة، واتسمت السورة بإشاعة الجو المهول من تخويف وتهديد وإنذار لتتضح صورة يوم القيامة للناظر رأي العين.

المطلب الثاني: عرض وتفسير لآيات سورة النبأ المتضمنة للقراءات العشر:

١ ـ قال الله **تعالى**: ﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾﴾ [النبأ: ١٩].

---

(٤٨٩) انظر: التحرير والتنوير مجلد (١٢/٣٠/٥ ـ ٦) انظر: القرطبي (١٢٨/١٩) صحيح البخاري (١٨٨٠/٤) «باب تفسير سورة النبأ» الكشاف (١٣٢٠/٢).

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ الكوفيون ﴿وَفُتِحَتِ﴾ بتخفيف التاء.

٢ ـ وقرأ الباقون (وَفُتِّحَتِ) بتشديدها[٤٩٠].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(فتح) الفاء والتاء والحاء أصلٌ صحيح يدلُّ على خلافِ الإغلاق. يقال: فتحت البابَ، وغيرَه فتحاً[٤٩١]. الفَتْحُ: نقيض الإغلاق فَتَحه يَفْتَحه فَتْحاً وافْتَتَحه وفَتَّحه فانْفَتَحَ وتَفَتَّحَ: (وَفُتِّحَتِ) الأَبواب شُدِّد للكثرة فتَفَتَّحتْ[٤٩٢]، ﴿وَفُتِحَتِ﴾ بالتخفيف فعل ماضٍ مبني للمجهول من الفعل «فتح» (وَفُتِّحَتِ) بالتشديد فعل ماضٍ مبني للمجهول من الفعل «فتَّح»[٤٩٣].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ أَبۡوَٰبٗا﴾ تشققت[٤٩٤] فصدّعت، فكانت طُرقاً، وكانت من قبل شداداً لا فطور فيها ولا صدوع[٤٩٥]، حتى يكون فيها فتوح كالأبواب في الجدران. وقيل: ينقطع قطعاً صغاراً حتى تكون كالألواح، الأبواب المعهودة[٤٩٦]. أي: كثرت أبوابها لنزول الملائكة، كأنها ليست إلا أبواباً مفتحة[٤٩٧].

---

(٤٩٠) انظر: النشر (٣٦٥/٢)، الإتحاف (٥٦٩).

(٤٩١) معجم مقاييس اللغة (٤٦٩/٤).

(٤٩٢) لسان العرب (٥٣٦/٢).

(٤٩٣) انظر: الكشف (٢٤١/٢).

(٤٩٤) معاني القرآن وإعرابه (٢١٢/٥).

(٤٩٥) الطبري مجلد (٤٠٢/٣٠/١٢).

(٤٩٦) تفسير البحر المحيط (٤١٢/٨).

(٤٩٧) الكشاف (١٣٢٢/٢).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ۝١٩﴾ معطوف على ينفخ، وصيغة الماضي للدلالة على تحقق الوقوع، أي: فتحت لنزول الملائكة ﴿فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا﴾ وقيل معنى ﴿فُتِحَتِ﴾ قطعت فصارت قطعاً كالأبواب، وقيل: أبوابها طرقها، وقيل: تنحل وتتناثر حتى تصير فيها أبواب، وقيل: إن لكل عبد بابين في السماء: باب لرزقه، وباب لعمله، فإذا قامت القيامة انفتحت الأبواب المراد أنها صارت ذات أبواب كثيرة[٤٩٨]. والتشديد للتكثير ويقوي هذا قوله: ﴿مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ۝٥٠﴾ [ص: ٥٠] ومن قرأ بالتخفيف، فالتخفيف يكون للقليل والكثير[٤٩٩]، فالحجة لمن شدد أنه أراد تكرير الفعل لأن كل باب منها فتح، ودليله إجماعهم على التشديد في قوله ﴿وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ﴾ [يوسف: ٢٣] ﴿مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ۝٥٠﴾ [ص: ٥٠]، والحجة لمن خفف أنه دل بذلك على فتحها مرة واحدة فكان التخفيف أولى لأن الفعل لم يتردد ولم يكثر[٥٠٠].

خامساً: الجمع بين القراءات:

بالجمع بين القراءات يتبيّن أن: أبواب السماء تفتح أبوابها باباً باباً على قراءة التخفيف، فلما كثر الفتح للأبواب على قراءة التشديد، وفيه مبالغة: إما لكثرة الفتح، وإما لشدته، أصبحت السماء كأنها ليست إلا أبواباً مفتحة.

٢ ـ قال الله تعالى: ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ۝٢٣﴾ [النبأ: ٢٣].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ حمزة وروح (لَبِثِينَ) بغير ألف.

٢ ـ والباقون ﴿لَّٰبِثِينَ﴾ بألف بعد اللام[٥٠١].

---

(٤٩٨) فتح القدير (٥/٥١٤).

(٤٩٩) انظر: حجة القراءات (١/٧٤٥).

(٥٠٠) الحجة (١/٣١١).

(٥٠١) انظر: النشر (٢/٣٩٧)، الإتحاف (٥٦٩).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(لبث) اللام والباء والثاء حرف يدلُّ على تمكُّث. يقال: لَبِثَ بالمكان: أقام[٥٠٢]: اللَّبْث واللَّبَاثُ: المُكْثُ[٥٠٣].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

لم يبين الأحقاب هنا كم عددها، وهذه مسألة فناء النار، وعدم فنائها، وقيل: المراد بالأحقاب هنا جزء من الزمن لا كله، وهي الأحقاب الموصوف حالهم فيها لما بعدهم من كونهم لا يذوقون فيها، أي: في النار أحقاباً من الزمن، لا يذوقون برداً ولا شراباً إلا حميماً وغساقاً[٥٠٤]. ﴿لَّبِثِينَ فِيهَآ أَحۡقَابًا ﴿٢٣﴾﴾ أي: ماكثين في النار ما دامت الأحقاب وهي لا تنقطع فكلما مضى حقُبُ جاء حقُبُ، والحقب بضمتين: الدهر، والأحقاب الدهور، والحِقبة بالكسر: السنة والجمع حِقَب والحقب بالضم والسكون: ثمانون سنة، وقيل: أكثر من ذلك وأقل على ما يأتي والجمع أحقاب، والمعنى في الآية: لابثين فيها أحقاب الآخرة التي لا نهاية لها فحذف الآخرة لدلالة الكلام عليه، إذ في الكلام ذكر الآخرة، وقيل: الأحقاب وقت لشربهم الحميم والغساق فإذا انقضت فيكون لهم نوع آخر من العقاب[٥٠٥].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قال الزمخشري: في قوله: ﴿لَّبِثِينَ فِيهَآ أَحۡقَابًا ﴿٢٣﴾﴾ «لابثين» «ولبثين» واللبث أقوى، لأنّ اللابث من وجد منه اللبث، ولا يقال «لبث» إلا لمن شأنه اللبث، كالذي يجثم بالمكان لا يكاد ينفك منه[٥٠٦]،

(٥٠٢) معجم مقاييس اللغة (٥/٢٢٨).
(٥٠٣) لسان العرب (٢/١٨١).
(٥٠٤) أضواء البيان (١٨٩٢).
(٥٠٥) القرطبي (١٩/١٣٣ ـ ١٣٤).
(٥٠٦) الكشاف (٢/١٣٢٣).

(لابثين) بألف حجتهم مجيء المصدر علي اللبث[٥٠٧]، فالحجة لمن أثبت أنه أتى به على القياس كقولهم عالم وقادر والحجة لمن حذف أنه أتى به على وزن فرح وحذر ومعنى اللبث طول الإقامة[٥٠٨]، فمن قرأ «لابثين» على أنه اسم فاعل، ومن قرأ «لبثين» على أنه صفة مشبهة[٥٠٩].

خامساً: الجمع بين القراءات:

من خلال القراءات يتبيّن أن: من قرأ ﴿لَّبِثِينَ﴾ دل على طول المكث، من قرأ (لَبِثِينَ) دل على أنهم جاثمون ملازمون في المكان بدون فكاك عنه، والمعنى: أن المكان سيلازمونه على الديمومة بلا انقطاع.

٣ ـ قال الله تعالى: ﴿إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾﴾ [النبأ: ٢٥].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ حفص وحمزة وعلي وخلف ﴿وَغَسَّاقًا﴾ بتشديد السين.

٢ ـ وقرأ الباقون (وَغَسَاقاً) بتخفيفها[٥١٠].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(غسق) الغين والسين والقاف أصلٌ صحيح يدل على ظُلْمة، فالغَسَق: الظلمة والغاسِق: الليل. ويقال: غَسَقت عينُه: أظلمت، وأمّا الغَسَّاق الذي جاء في القرآن، فقال المفسِّرون: ما تقطَّرَ من جلود أهل النار[٥١١]. الغَسَاق

(٥٠٧) حجة القراءات (٧٤٥/١).

(٥٠٨) الحجة (٣٦١/١).

(٥٠٩) انظر: الكشف (٣٥٩/٢).

(٥١٠) انظر: النشر (٣٦١/٢)، وانظر: الإتحاف (٥٦٩).

(٥١١) معجم مقاييس اللغة (٤٢٥/٤).

والغَسَّاق المنتن البارد الشديد البرد الذي يُحْرِقُ من برده كإحراق الحميم[٥١٢].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

﴿إِلَّا حَمِيمًا﴾ أي: ماءً حاراً، يشوي وجوههم، ويقطع أمعاءهم، ﴿وَغَسَّاقًا﴾ وهو: صديد أهل النار، الذي هو في غاية النتن، وكراهة المذاق، وإنما استحقوا هذه العقوبات الفظيعة جزاء لهم ووفاقاً على ما عملوا من الأعمال الموصلة إليها، لم يظلمهم الله، ولكن ظلموا أنفسهم، ولهذا ذكر أعمالهم، التي استحقوا بها هذا الجزاء[٥١٣].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قوله تعالى: ﴿وَغَسَّاقًا﴾ يقرأ بتشديد السين (وَغَسَاقاً) وتخفيفها، وهما لغتان. وقيل: معناه شراب قاتل ببرده ونتنه، وقيل: ما يسيل من صديد أهل النار[٥١٤]. قال أبو علي: التخفيف أكثر، لأن فعالاً في الأسماء قليل[٥١٥]. (وَغَسَّاقاً) بالتشديد أي: سيال وهو فعال من غسق يغسق أي: ما يسيل من جلود أهل النار. وقرأ الباقون (وَغَسَاقاً) بالتخفيف، وحجتهم أنه اسم موضوع على هذا الوزن، مثل: عذاب وشراب ونكال، وفي التفسير أنه الشديد البرد[٥١٦].

خامساً: الجمع بين القراءات:

من خلال القراءات يتبيّن أن: من قرأ ﴿وَغَسَّاقًا﴾ بالتشديد أي: شديد السيولة، ومن قرأ (وَغَسَاقاً) بالتخفيف المنتن الذي يُحْرِقُ من برده كإحراق

(٥١٢) لسان العرب (٢٨٨/١٠).

(٥١٣) تفسير السعدي (٩٠٦/١).

(٥١٤) الحجة (٣٠٦/١).

(٥١٥) الحجة للقراء (٩٣/٤).

(٥١٦) انظر: حجة القراءات (٦١٥/١).

الحميم. وبالجمع بينهما يتبيّن أن: الشراب الذي يشربه الكافر شديد السيولة ومنتن الرائحة ويحرق كالحميم.

٤ـ قال الله تعالى: ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾﴾ [النبأ: ٣٥].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ الكسائي (كِذَاباً) بتخفيف الذال.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿كِذَّٰبًا﴾ بتشديدها[٥١٧].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(كذب) الكاف والذال والباء أصلٌ صحيح يدلُّ على خلاف الصِّدق، وتلخيصه أنَّه لا يبلُغ نهايةَ الكلامِ في الصِّدق[٥١٨]، الكَذِبُ نقيضُ الصِّدْقِ كَذَبَ يَكْذِبُ كَذِباً، وقال الفرَّاءُ: كان الكسائي يخفف؛لأنها مُقَيَّدَة بفِعْلٍ يُصَيِّرُها مصدراً ويُشَدِّدُ وكَذَّبُوا بآياتنا كِذَّاباً لأن كَذَّبُوا يُقَيِّدُ الكِذَّابَ، قالَ الجوهري: كِذَّاباً أَحد مصادر المشدَّد لأَن مصدره قد يجيءُ على التَّفْعِيلِ مثل التَّكْلِيم وعلى فِعَّالٍ مثل كِذَّاب وعلى تَفعِلَة مثل تَوْصِيَة وعلى مُفَعَّلٍ، مثل: ﴿وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ والتَّكاذُبُ مثل: التَّصادُق وتَكَذَّبُوا عليه زَعَمُوا أَنه كاذِبٌ، قال أَبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه: رَسُولٌ أَتاهم صادِقٌ فَتَكَذَّبُوا... عليه وقالُوا لَسْتَ فينا بماكِثِ[٥١٩].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

﴿وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾﴾، أي: كذبوا بها تكذيباً واضحاً صريحاً وجاءتهم البينات فعاندوها[٥٢٠].

---

(٥١٧) انظر: النشر (٣٩٧/٢)، وانظر: الإتحاف (٥٦٩).

(٥١٨) معجم مقاييس اللغة (١٦٧/٥).

(٥١٩) لسان العرب (٧٠٤/١).

(٥٢٠) تفسير السعدي (٩٠٦/١).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قرأ الكسائي (كِذَاباً) بالتخفيف، فأما الكذاب بالتخفيف فهو: مصدر كذب كذاباً مثل: كتبه كتاباً، وحسبه حساباً، قال الفراء: التخفيف كأنه والله أعلم لا يتكاذبون، وحجته في التخفيف، أن قوله: (لا يسمعون فيها لغواً ولا كِذَاباً) ليست بمقيدة بفعل يكون مصدراً له كما شدد قوله: ﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾﴾ لمجيء كذبوا، فقيدها بل هو مصدر صدر عن قوله كذب كذاباً، وقرأ الباقون ﴿كِذَّاباً﴾ بالتشديد، فهو مصدر كذَّب يُكَذِّبُ كِذَّاباً[٥٢١]، فالحجة لمن شدد أنه أراد المصدر من قوله وكذبوا وهو على وجهين تكذيباً وكذاباً فدليل الأولى قوله ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾، ودليل الثاني: ﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾﴾، والحجة لمن خفف أنه أراد المصدر من قولهم كاذبته ـ مكاذبة[٥٢٢] قال سيبويه: إنما كرهوا التضعيف فالتاء عوض من التضعيف والياء التي قبل الآخر كالألف في قوله: ﴿كِذَّابًا﴾ وحجتهم إجماع الجميع على قوله: ﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾﴾ فرد ما اختلفوا فيه، إلى ما أجمعوا عليه أولى[٥٢٣]. قال الألوسي: ﴿كِذَّابًا﴾ أي: تكذيباً مفرطاً وفعال بمعنى تفعيل في مصدر فعل مطرد شائع في كلام فصحاء العرب والتخفيف مصدر كذب مخففاً كذاباً بالتخفيف، مثل: كتب كتاباً فكذاباً بمعنى كذباً أو هو مصدر للفعل المذكور باعتبار تضمنه معنى كذب الثلاثي فإن تكذيبهم الحق الصريح يستلزم أنهم كاذبون وأياً ما كان يدل على كذبهم في تكذيبهم وجوز أن يكون بمعنى مكاذبة كقتال بمعنى مقاتلة فهو من باب المفاعلة على معنى أن كلاً منهم ومن المسلمين اعتقد كذب الآخر بتنزيل ترك الاعتقاد منزلة الفعل لا على معنى أن كلاً كذب الآخر حقيقة ويجوز أن تكون المفاعلة مجازاً مرسلاً بعلاقة اللزوم عن الجد والاجتهاد في الفعل ويحتمل الاستعارة فإنهم كانوا مبالغين في الكذب مبالغة

---

(٥٢١) انظر: حجة القراءات (٧٤٦/١ ـ ٧٤٧).

(٥٢٢) الحجة (٣٦١/١).

(٥٢٣) حجة القراءات (٧٤٦/١).

المغالبين فيه وعلى المعنيين كونه بمعنى الكذب وكونه بمعنى المكاذبة، يجوز أن يكون حالاً بمعنى: كاذبين أو مكاذبين، على اعتبار المشاركة وعدم اعتباره(٥٢٤).

خامساً: الجمع بين القراءات:

من خلال القراءات يتبيّن أن: من قرأ ﴿كِذَّابًا﴾ بالتشديد فهو مصدر كذّب يُكَذِّبُ كِذَّاباً أي: الإفراط في الكذب، ومن خفف أراد المصدر من قولهم كاذبته مكاذبة كقتال بمعنى مقاتلة، فهو من باب المفاعلة على معنى أن كلاً منهم ومن المسلمين اعتقد كذب الآخر بتنزيل ترك الاعتقاد منزلة الفعل لا على معنى أن كلاً كذب الآخر حقيقة. وبالجمع بينهما يتبيّن أن من إفراط الكفار بالكذب، اعتقدوا أن المسلمين على شاكلتهم يكذبون فيما يحدثوا عن محمد ﷺ.

٥ ـ قال الله تعالى: ﴿رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾﴾ [النبأ: ٣٧].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ ابن عامر والكوفيون ويعقوب ﴿رَّبِّ﴾ بكسر الباء وقرأ الباقون (رَبُّ) بضمها.

٢ ـ قرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ بكسر النون وقرأ الباقون (الرَّحْمَنُ) بضمها(٥٢٥).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(رب) الراء والباء يدلُّ على أُصولٍ، فالأول إصلاح الشيءِ والقيامُ عليه. فالرّبُّ: المالكُ والخالقُ، والصَّاحب، والرّبُّ: المُصْلِح للشّيء.

---

(٥٢٤) روح المعاني (١٦/٣٠).

(٥٢٥) انظر: النشر (٣٦١/٢)، وانظر: الإتحاف (٥٦٩)، الحجة للقراء (٩٣/٤).

يقال رَبَّ فلانٌ ضَيعتَه، إذا قام على إصلاحها. وهذا سقاء مربُوبٌ بالرُّبِّ[٥٢٦].

(رحم) الراء والحاء والميم أصلٌ واحدٌ يدلُّ على الرِّقّة والعطف والرأفة. يقال من ذلك رَحِمَه يَرْحَمُه، إذا رَقَّ له وتعطَّفَ عليه[٥٢٧]، والمَرْحَمَةُ مثله وقد رَحِمَهُ بالكسر رَحْمَةً ومَرْحَمَةً أيضاً وتَرَحَّمَ عليه وتَرَاحَمَ القوم رَحِمَ بعضهم بعضاً، والرَّحِمُ القرابة، والرَّحْمنُ الرَّحِيمُ اسمان مشتقان من الرحمة، ويجوز تكرير الاسمين إذا اختلف اشتقاقهما على وجه التأكيد كما يقال فلان جاد مجد إلا أن الرحمن اسم مختص بالله تعالى ولا يجوز أن يسمى به غيره ألا ترى أنه سبحانه وتعالى قال: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ﴾ [الإسراء: ١١٠]، فعادل به الاسم الذي لا يشركه فيه غيره[٥٢٨].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

أي: الذي أعطاهم هذه العطايا هو ربهم ﴿رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الذي خلقها ودبرها ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ الذي رحمته وسعت كل شيء، فرباهم ورحمهم، ولطف بهم، حتى أدركوا ما أدركوا ثم ذكر عظمته وملكه العظيم يوم القيامة، وأن جميع الخلق كلهم ذلك اليوم ساكتون لا يتكلمون و﴿لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾[٥٢٩]، ما بين السماوات والأرض يشمل ما في ذلك من المخلوقات العاقلة، أو المزعوم لها العقل مثل الأصنام، فيتوهم أن مِن تلك المخلوقات من يستطيع خطاب الله ومراجعته[٥٣٠]. قال مقاتل: لا يقدر الخلق على أن يكلموا الرب إلا بإذنه[٥٣١].

(٥٢٦) معجم مقاييس اللغة (٢/٣٨١).

(٥٢٧) معجم مقاييس اللغة (٢/٤٩٨).

(٥٢٨) مختار الصحاح (١/٢٦٧).

(٥٢٩) تفسير السعدي (١/٩٠٧).

(٥٣٠) انظر: التحرير والتنوير مجلد ١٢ (٣٠/ ٤٨ ـ ٤٩) حجة القراءات (١/٧٤٧).

(٥٣١) مفاتيح الأغاني في القراءات والمعاني لأبي العلاء الكرماني (٤٢٥).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قال ابن عاشور: «على قراءة رفع الاسمين فـ(رب) خبر مبتدأ محذوف هو ضميرٌ يعود على قوله: ﴿مِّن رَّبِّكَ﴾ على طريقة حذف المسند إليه حَذفاً سماه السكاكي حذْفاً لاتباع الاستعمال الوارد على تركه، أي: في المقام الذي يجري استعمال البلغاء فيه على حذف المسند إليه، وذلك إذا جرى في الكلام وصف ونحوه لموصوف ثم ورد ما يصلح أن يكون خبراً عنه أو أن يكون نعتاً له فيختار المتكلم أن يجعله خبراً لا نعتاً، فيقدر ضمير المنعوت ويأتي بخبر عنه وهو ما يسمى بالنعت المقطوع. والمعنى: إن ربك هو ربهم لأنه رب السماوات والأرض وما بينهما ولكن المشركين عبدوا غيره جهلاً وكفراً لنعمته، و﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿٣٧﴾﴾ خبر ثان وأما قراءة جر الاسمين فهي جارية على أن ﴿رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ نعت لـ﴿رَبِّكَ﴾ من قوله: ﴿جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ﴾ و﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿٣٧﴾﴾ نعت ثان[٥٣٢]. فحجة من رفع الاسمين أنه قطع الكلام مما قبله، ورفع «رباً» على الابتداء «والرحمن» الخبر، ثم استأنف «لا يملكون منه» وحجة من خفض الاسمين أنه أتبع الاسمين المخفوض قبلهما، وهو قوله (من ربك) على البدل. وحجة من خفض (رب السموات) ورفع (الرحمن) أنه أتبع (رب السموات) قوله (من ربك) على البدل، ثم استأنف (الرحمن) فرفعه على الابتداء، وجعل (لا يملكون) الخبر[٥٣٣]، قال أبو منصور: من قرأ (رَبُّ) بالرفع فعلى إضمار: هو رب السموات. (والرحمن) خبره. ومن قرأ (رَبِّ) فهو على التكرير لقوله ﴿مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾، وأما قراءة الكسائي (رَبِّ) خفضاً (الرَّحْمَنُ) رفعاً فإنه جعل الرب بدلاً من قوله (رَبِّكَ)، ورفع الرحمن على إضمار: هو الرحمنُ، على المدح[٥٣٤].

(٥٣٢) التحرير والتنوير مجلد ١٢ (٣٠/ ٤٨ ـ ٤٩).

(٥٣٣) الكشف (٢/٣٦٠).

(٥٣٤) معاني القراءات (٥٢٥).

خامساً: الجمع بين القراءات:

من خلال القراءات يتبيّن أن: من قرأ بالرفع فيكون (ربُّ السموات) مبتدأ، (الرَّحْمَنُ) خبره، أو صفته (ولا يملكون) خبره، وأما قراءة (الرَّحْمَنِ) بالجر: فعلى البدل من ربك، وأما وجه جر (رَبِّ)، ورفع (الرَّحْمَنِ) فجر الأول بالبدل من ربك، والثاني مرفوع بكونه مبتدأ وخبره لا يملكون، والمعنى: أن رب السموات هو الرحمن وهو المدبر والمربي لهما ولمن فيهما، هذا المدبر رحمن بالسماوات ومن فيهن، وهذه الرحمة جزاء دال على عظيم رحمته التي سبقت غضبه.



المبحث الثاني
عرض وتفسير لآيات سورة النازعات
المتضمنة للقراءات القرآنية العشر

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: بين يدي السورة

المطلب الثاني: عرض وتفسير لآيات سورة النازعات المتضمنة للقراءات العشر

ويشتمل على:

أولاً: القراءات

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات

خامساً: الجمع بين القراءات



المبحث الثاني
عرض وتفسير لآيات سورة النازعات المتضمنة للقراءات العشر

المطلب الأول: بين يدي السورة:

سميت في المصاحف وأكثر التفاسير (سورة النازعات). وعُنونت في كتاب التفسير من صحيح البخاري، وفي كثير من كتب المفسرين بسورة (والنازعات) بإثبات الواو على حكاية أول ألفاظها[٥٣٥]، وهي مكية بالاتفاق، وهي معدودة الحادية والثمانين في ترتيب النزول، نزلت بعد سورة النبأ، وقبل سورة الانفطار، وعدد آيها خمس وأربعون عند الجمهور، وعدها أهل الكوفة ستاً وأربعين آية، من أغراضها: أنها اشتملت على إثبات البعث والجزاء، وإبطال قول المشركين بتعذر الإحياء بعد انعدام الأجساد، وفيها بيان أن نكرانهم إياه منبعث عن طغيانهم، وفيها تسلية لرسول الله ﷺ، ثم انعطف الكلام فيها إلى الاستدلال على إمكان البعث بأن خلق العوالم وتدبير نظامه أعظم من إعادة الخلق، وأدمج في ذلك النظر إلى ما في خلق السماوات والأرض من دلائل على عظيم قدرة الله تعالى، وأنه إذا حل عالم الآخرة وانقرض عالم الدنيا، جاء الجزاء على الأعمال بالعقاب والثواب، وكشف عن شبهتهم في الإنكار باستبطائهم إياه[٥٣٦]. ومحور السورة يدور

(٥٣٥) انظر: صحيح البخاري (١٨٨١/٤) باب تفسير سورة ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ﴾.

(٥٣٦) التحرير والتنوير مجلد ١٢ (٥٩/٣٠ ـ ٦٠) بتصرف يسير.

حول: مشاهد يوم القيامة، وأهوالها، وعن المصير الأخير للمتقين، والمجرمين.

المطلب الثاني: عرض وتفسير لآيات سورة النازعات المتضمنة للقراءات العشر:

أولاً: القراءات:

١ ـ ٢ ـ قال الله تعالى: ﴿يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ۝١٠ أَءِذَا كُنَّا عِظَامًا نَّخِرَةً ۝١١﴾ [النازعات: ١٠ ـ ١١].

١ ـ ﴿أَءِنَّا﴾ ـ ﴿أَءِذَا﴾.

أ ـ قرأ نافع وابن عامر والكسائي ويعقوب بالاستفهام في ﴿أَءِنَّا﴾ وبالإخبار في ﴿أَءِذَا﴾.

ب ـ وقرأ أبو جعفر بالإخبار في ﴿أَءِنَّا﴾ والاستفهام في ﴿أَءِذَا﴾.

ج ـ وقرأ الباقون بالاستفهام في الموضعين(٥٣٧).

٢ ـ قرأ شعبة وحمزة وعلي ورويس وخلف (نَاخِرَةً) بألف بعد النون وقرأ الباقون بحذفها ﴿نَّخِرَةً﴾(٥٣٨).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

١ ـ (أَئِنَّا) ـ (أَئِذَا) (إنّ ـ أنّ) ينصبان الاسم ويرفعان الخبر والفرق بينهما، أنّ (إنّ) يكون ما بعدها جملة مستقلة و(أن) يكون ما بعدها في حكم مفرد يقع موقع مرفوع ومنصوب ومجرور نحو: أعجبني أنك تخرج وعلمت أنك تخرج وتعجبت من أنك تخرج(٥٣٩).

(٥٣٧) انظر: الإتحاف (٥٧٠).

(٥٣٨) انظر: النشر (٢/٣٩٧)، وانظر: الإتحاف (٥٧٠).

(٥٣٩) مفردات ألفاظ القرآن (١/٥٠).

٢ ـ (نخر) النون والخاء والراء أصلٌ صحيح يدلُّ على صوتٍ من الأصوات ثم يفرَّع منه[٥٤٠]، يُقَالُ: النَّاخِرَةُ وَالنَّخِرَةُ، سَوَاءٌ مِثْلُ: الطَّامِعِ وَالطَّمِعِ وَالْبَاخِلِ وَالْبَخِيلِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ النَّخِرَةُ الْبَالِيَةُ، وَالنَّاخِرَةُ الْعَظْمُ الْمُجَوَّفُ الَّذِي تَمُرُّ فِيهِ الرِّيحُ فَيَنْخَرُ كالنَّخير[٥٤١].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

﴿يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي ٱلْحَافِرَةِ ﴿١٠﴾ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً ﴿١١﴾﴾ يقول تعالى ذكره: يقول هؤلاء المكذّبون بالبعث من مشركي قريش إذا قيل لهم: إنكم مبعوثون من بعد الموت: أئنا لمردودون إلى حالنا الأولى قبل الممات، فراجعون أحياء كما كنا قبل هلكنا، وقبل مماتنا، وهو من قولهم: رجع فلان على حافرته: إذا رجع من حيث جاء[٥٤٢]، (ئِذَا كُنَّا عِظَاماً نَخِرَةً) أي: بالية فتاتاً[٥٤٣]، أي: أَئِذا كُنَّا عظاماً باليةً نُردُّ ونبعثُ مع كونِها أبعدَ شيءٍ من الحياةِ وقُرِئت: إذَا كُنَّا على الخبرِ أو إسقاطِ حرفِ الإنكارِ (قالوا) حكايةٌ لكفرٍ آخرَ لهم متفرع على كُفْرِهم السابقِ للإيذانِ بأنَّ صدورَ هذا الكفرِ عنهُم ليسَ بطريقِ الأطرادِ والاستمرارِ مثلَ كفرِهم السابقِ المستمرِّ صدورُه عنهُم في كافةِ أوقاتِهم حسبَما ينبىءُ عنهُ حكايتُه بصيغةِ المضارعِ، أيْ: قالُوا بطريق الاستهزاءِ مشيرينَ إلى ما أنكرُوه من الردة في الحافرةِ مشعرينَ بغايةِ بُعدِها من الوقوعِ[٥٤٤].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

١ ـ (أَئِنَّا) ـ (أَئِذَا) قُرِئت بالاستفهام، والخبر، فالحجة لمن استفهم ثانياً أنه جعله جواباً، فأعاد الاستفهام ثانياً، والعرب تترك ألف الاستفهام إذا

---

(٥٤٠) معجم مقاييس اللغة (٤٠٥/٥).

(٥٤١) لسان العرب (١٩٧/٥)، صحيح البخاري (١٨٨١/٤) باب تفسير سورة ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ﴾.

(٥٤٢) الطبري مجلد ١٢ (٤٢٦ ـ ٤٢٧).

(٥٤٣) تفسير السعدي (٩٠٨/١).

(٥٤٤) انظر: تفسير أبي السعود (٩٨/٩).

كان عليها دليل من أم، كقول أمرئ القيس:

تروح من الحي أم تبتكر ... وماذا يضيرك لو تنتظر

والحجة لمن قرأه بالإخبار، أنه اجتزأ بالأول من الثاني[٥٤٥]، قرأ «نافع وحفص» ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ﴾ [الأعراف: ٨١] بكسر الألف على الخبر[٥٤٦].

٢ - قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر (أَئِذَا كُنَّا عِظَاماً نَاخِرَةً) أي: بالية، كذا قال ابن عباس، وقيل: فارغة وقال آخرون: الناخرة العظم المجوف الذي تمر فيه الريح فتنخر وقالوا: النخرة البالية، وحجتهم في ذلك: أن رؤوس الآيات بالألف، نحو الحافرة والرادفة والراجفة والساهرة، فالألف أشبه بمجيء التنزيل وبرؤوس الآيات، وقرأ الباقون ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً ﴿١١﴾﴾ بغير ألف، وحجتهم في ذلك أن ما كان صفة منتظر لم يكن فهو بالألف، وما كان وقع فهو بغير ألف، قال اليزيدي: يقال: عظم نخر، وناخر، وقال أبو عمرو: نخرة وناخرة واحد، وكذا قال الفراء: مثل: الطامع والطمع[٥٤٧]، فالحجة لمن أثبت أنه أراد عظاماً عارية من اللحم مجوفة، والحجة لمن حذف أنه أراد بالية قد صارت تراباً[٥٤٨].

خامساً: الجمع بين القراءات:

بالجمع بين القراءات يتبيّن أن قراءة ﴿أَءِنَّا﴾ - ﴿أَءِذَا﴾ بالاستفهام تدل على أن الكفار من شدة خوفهم من المآل الذي ينتظرهم يستفهمون عن هذا اليوم الذي ينكرونه، كيف نرجع إلى حالنا الأول، وقد تحللت أجسامنا وصرنا عظاماً بالية فارغة، وهذه حال المضطرب الخائف أن يكون نظره نظر خاشع ذليل خاضع يترقب ما ينزل به من الأمور المهولة. وأما من قرأ على

(٥٤٥) الحجة (١/١٥٨).
(٥٤٦) حجة القراءات (١/٢٨٧).
(٥٤٧) حجة القراءات (١/٧٤٨).
(٥٤٨) الحجة (١/٣٦٢).

الخبر بالاستفهام في الأول، وبالإخبار في الثاني: فعلى أن الكافر يستفهم عن رده للحافرة إذا كان عظمه قد بلي. وأما من قرأ على الإخبار في الأول والاستفهام في الثاني: فعلى أن الكافر يستفهم كيف تبلى عظامه؟، ثم يرد للحافرة. ومن قرأ نخرة فعلى أن الكافر يستعظم أن يرد للحساب وقد بدأ النخر في العظام، ومن قرأ ناخرة فعلى أن الكافر يستعظم أن يُرد للحساب وقد فرغت العظام، ويسمع منها النخير لهبوب الريح فيه.

٣ ـ قال الله تعالى: ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾﴾ [النازعات: ١٨].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ نافع وابن كثير وأبو جعفر ويعقوب (تزَّكَّى) بتشديد الزاي.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿تَزَكَّىٰ﴾ بتخفيفها[٥٤٩].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

زَكَا ويَزْكُو زَكاءً وزَكْواً: (نَمَا كأَزْكَى وزَكَّاهُ الله تعالى وأزْكاهُ والرَّجلُ: صَلُحَ وتَنَعَّمَ فهو زكِيٌّ من أزْكياءَ. والزَّكاةُ: صَفْوَةُ الشيءِ وما أخْرَجْتَه من مالِكَ لتُطَهِّرَهُ به، والزَّكَا مَقْصوراً: الشَّفْعُ من العددِ[٥٥٠]. وتزكية الإنسان نفسه ضربان:

أحدهما: بالفعل، وهو محمود وإليه قصد بقوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾﴾ [الشمس: ٩]، وقوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾﴾ [الأعلى: ١٤].

والثاني: بالقول، كتزكية العدل غيره، وذلك مذموم أن يفعل الإنسان بنفسه، وقد نهى الله تعالى عنه فقال: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ [النجم: ٣٢]، ونهيه عن ذلك تأديب لقبح مدح الإنسان نفسه عقلاً وشرعاً، ولهذا قيل

---

(٥٤٩) انظر: النشر (٣٩٨/٢)، وانظر: الإتحاف (٥٧٠ ـ ٥٧١)، انظر: النشر (٣٩٨/٢)، انظر: المكرر (٤٨٧)، انظر: السبعة في القراءات (٦٧١/١)، انظر: التيسير (١٣٨/١).

(٥٥٠) القاموس المحيط (١٦٦٧/١).

لحكيم: ما الذي لا يحسن وإن كان حقاً؟ فقال: مدح الرجل نفسه[٥٥١].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

﴿فَقُلْ﴾ له: ﴿هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ﴾ أي: هل لك في خصلة حميدة، ومحمدة جميلة، يتنافس فيها أولو الألباب، وهي أن تزكي نفسك وتطهرها من دنس الكفر والطغيان، إلى الإيمان والعمل الصالح[٥٥٢].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قرأ نافع وابن كثير (تَزَّكَّى) بالتشديد، وقرأ الباقون ﴿تَزَكَّىٰ﴾ بالتخفيف، والأصل تتزكى، فمن ثقل أدغم التاء في الزاي ومن خفف حذف إحدى التاءين[٥٥٣].

ومعنى التخفيف ها هنا أن يكون زاكياً، ومعنى التشديد أن يتفعل من الزكاة، أي: يتصدق وموسى لا يدعو فرعون مع علمه بكفره إلى أن يتصدق ودليله قوله «أقتلت نفسا زاكية وزكية ولم يقل متزكية»[٥٥٤]. قال الألوسي: في ﴿هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ﴾ أي: هل لك ميل إلى أن تتزكى، فلك في موضع الخبر لمبتدأ محذوف وإلى أن تزكى متعلق بذلك المبتدأ المحذوف، وتزكى بحذف إحدى التاءين أي: تتطهر من دنس الكفر والطغيان[٥٥٥].

خامساً: الجمع بين القراءات:

من خلال القراءات يتبيّن أن: من قرأ (تَزَّكَّى) بالتشديد أراد تتزكى، فأدغم التاء في الزاي، والمعنى: على التدرج أي: هل لك ميل إلى التزكية.

---

(٥٥١) مفردات ألفاظ القرآن (٤٣٦/١ ـ ٤٣٧).

(٥٥٢) تفسير السعدي (٩٠٩/١).

(٥٥٣) حجة القراءات (٧٤٩/١).

(٥٥٤) الحجة (٣٦٢/١).

(٥٥٥) روح المعاني (٢٩/٣٠).

ومن قرأ ﴿تَزَكَّىٰ﴾ بالتخفيف حذف إحدى التاءين، والمعنى على القطع، أي: هل لك أن تفعل ما تصير به زاكياً، وتتطهر من دنس الكفر والطغيان، وذلك بجميع ما يتصل بالتوحيد والشرائع.



المبحث الثالث
عرض وتفسير لآيات سورة عبس
المتضمنة للقراءات القرآنية العشر

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: بين يدي السورة

المطلب الثاني: عرض وتفسير لآيات سورة عبس المتضمنة للقراءات العشر

ويشتمل على:

أولاً: القراءات

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات

خامساً: الجمع بين القراءات



المبحث الثالث
عرض وتفسير لآيات سورة عبس المتضمنة للقراءات العشر

المطلب الأول: بين يدي السورة:

سميت هذه السورة في المصاحف وكتب التفسير وكتب السنة (سورة عبس)، وهي مكية بالاتفاق، وعدت الرابعة والعشرين في ترتيب نزول السور، نزلت بعد سورة (والنجم)، وقبل سورة القدر، وعدد آيها عند العادين من أهل المدينة وأهل مكة وأهل الكوفة اثنان وأربعون، وعند أهل البصرة إحدى وأربعون، وعند أهل الشام أربعون، وهي أولى السور من أواسط المفصل، من أغراضها: تعليم رسول الله ﷺ الموازنة بين مراتب المصالح ووجوب الاستقراء لخفياتها؛ كي لا يفت الاهتمام بالمهم، والإشارة إلى اختلاف الحال بين المشركين المعرضين عن هدي الإسلام وبين المسلمين المقبلين على تتبع مواقعه، والتذكير بإكرام المؤمنين وسمو درجتهم عند الله تعالى، والثناء على القرآن وتعليمه لمن رغب في علمه، وانتقل من ذلك إلى وصف شدة الكفر من صناديد قريش بمكابرة الدعوة التي شغلت النبي ﷺ عن الالتفات إلى رغبة ابن أم مكتوم، والاستدلال على إثبات البعث وهو مما كان يدعوهم إليه حين حضور ابن أم مكتوم، وذلك كان من أعظم ما عني به القرآن من حيث إن إنكار البعث هو الأصل الأصيل في تصميم المشركين على وجوب الإعراض عن دعوة القرآن توهماً منهم بأنه يدعو إلى المحال، فاستدل عليهم بالخلق الذي خلقه الإنسان

واستدل بعده بإخراج النبات والأشجار من أرض ميتة، وأعقب الاستدلال بالإنذار بحلول الساعة والتحذير من أهوالها وبما يعقبها من ثواب المتقين وعقاب الجاحدين، والتذكير بنعمة الله على المنكرين عسى أن يشكروه، والتنويه بضعفاء المؤمنين وعلو قدرهم ووقوع الخير من نفوسهم والخشية وأنهم أعظم عند الله من أصحاب الغنى الذين فقدوا طهارة النفس وأنهم أحرياء بالتحقير والذم، وأنهم أصحاب الكفر والفجور(٥٥٦).

ومحور سورة عبس كمحور السور المكية، يدور حول شؤون العقيدة والرسالة، وقد تحدثت عن دلائل القدرة، والوحدانية في خلق الإنسان، والنبات، والطعام، وعن القيامة وأهوالها، وشدة ذلك اليوم العظيم.

المطلب الثاني: عرض وتفسير لآيات سورة عبس المتضمنة للقراءات العشر:

١ ـ قال الله تعالى: ﴿أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴿٤﴾﴾ [عبس: ٤].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ عاصم ﴿فَتَنفَعَهُ﴾ بفتح العين.

٢ ـ وقرأ الباقون (فَتَنْفَعُهُ) بضمها(٥٥٧).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(نفع) النون والفاء والعين: كلمة تدلُّ على خلاف الضَّرّ. ونَفَعَه ينفَعُه نَفْعاً ومَنفَعة(٥٥٨).

---

(٥٥٦) التحرير والتنوير مجلد (١٢/٣٠/١٠١ ـ ١٠٣) بتصرف.

(٥٥٧) انظر: النشر (٣٩٨/٢)، وانظر: الإتحاف (٥٧٢).

(٥٥٨) معجم مقاييس اللغة (٤٦٣/٥).

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

قوله: ﴿أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴿٤﴾﴾ يقول: أو يتذكّر فتنفعه الذكرى: يعني: يعتبر فينفعه الاعتبار والاتعاظ[٥٥٩]. وهذه فائدة كبيرة، هي المقصودة من بعثة الرسل، ووعظ الوعاظ، وتذكير المذكرين، فإقبالك على من جاء بنفسه مفتقراً لذلك منك، هو الأليق الواجب، وأما تصديك وتعرضك للغني المستغني الذي لا يسأل ولا يستفتي لعدم رغبته في الخير، مع تركك من هو أهم منه، فإنه لا ينبغي لك. فدل هذا على القاعدة المشهورة، أنه: (لا يترك أمر معلوم لأمر موهوم، ولا مصلحة متحققة لمصلحة متوهمة) وأنه ينبغي الإقبال على طالب العلم، المفتقر إليه، الحريص عليه أزيد من غيره[٥٦٠].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قرأ الجمهور: (فَتَنْفَعُهُ) بالرفع، عطفاً به على قوله: ﴿يَذَّكَّرُ﴾[٥٦١]، وقرأ «عاصم» ﴿فَتَنفَعَهُ﴾ بالنصب على جواب الترجي[٥٦٢].

خامساً: الجمع بين القراءات:

بالجمع بين القراءات يتبيّن أن: المعنى: على قراءة الرفع، لعله يزكى ولعله ينتفع بالذكرى. ومن نصب فالمعنى: أن يتذكر لتنفعه الذكرى.

٢ ـ قال الله تعالى: ﴿فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾﴾ [عبس: ٦].

(٥٥٩) الطبري مجلد ١٢ (٤٤٥).

(٥٦٠) تفسير السعدي (٩١٠/١).

(٥٦١) انظر: الحجة (٣١٥/١) الطبري مجلد ١٢ (٤٤٥) وانظر: معاني القرآن وإعرابه (٢٢٠/٥).

(٥٦٢) فتح القدير (٥٣٩/٥).

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ نافع وابن كثير وأبو جعفر (تَصَّدَّى) بتشديد الصاد.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿تَصَدَّىٰ﴾ بتخفيفها(٥٦٣).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

التصدي: أن يقابل الشيء مقابلة الصدى(٥٦٤)، المعنى: تقبل عليه وتتعرض له(٥٦٥). فُلانٌ يَتصَدَّى لفلانٍ، إنه مأْخُوذٌ من اتِّباعِهِ صَداه(٥٦٦).

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

﴿فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦﴾ أي: تتصدى وتتعرض بالإقبال عليه والاهتمام بإرشاده واستصلاحه وفيه مزيد تنفير له ﷺ عن مصاحبتهم، فإن الإقبال على المدبر مخل بالمروءة(٥٦٧).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قراءة (تَصَّدَّى) بتشديد الصاد، وهو فعل مضارع، على أن الأصل تتصدى، فقلبت التاء صاداً وأدغمت في التاء لقرب المخرج. وقراءة ﴿تَصَدَّىٰ﴾ بتخفيف الصاد على أن الأصل «تتصدى» فحذفت إحدى التاءين تخفيفاً(٥٦٨).

خامساً: الجمع بين القراءات:

بالجمع بين القراءات يتبيّن أن: من قرأ بالتشديد أراد (تتصدى)،

(٥٦٣) انظر: النشر (٢/٣٩٨) وانظر: الإتحاف (٥٧٢).
(٥٦٤) مفردات ألفاظ القرآن (١/٥٧٦).
(٥٦٥) الوجيز (١/١١٧٤).
(٥٦٦) لسان العرب (١٤/٤٥٣).
(٥٦٧) انظر: روح المعاني (٣٠/٤٠)، وانظر المغني (٣/٣٤٨).
(٥٦٨) روح المعاني (٣٠/٤٠ ـ ٤١).

فأدغم التاء في الصاد، والمعنى: على شدة الشغف أي: أطلق هنا على الإقبال الشديد من محمد ﷺ لأن يؤمن كفار مكة، وفي هذا مزيد تنفير له ﷺ عن الإقبال عليهم، والإصغاء إلى كلامهم. ومن قرأ بالتخفيف حذف إحدى التاءين، أي: أيّ شيء عليك في ألا يسلم، ولا يهتدي، فإنه ليس عليك إلَّا البلاغ، فلا تهتم بأمر من كان هكذا من الكفار، فليس عليك بأس في ألا يتزكى من تصدّيت له، وأقبلت عليه، فلا تتعرض بالإقبال عليه أكثر.

٣ ـ **قال الله تعالى:** ﴿أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾﴾ [عبس: ٢٥].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ عاصم وحمزة والكسائي وخلف ﴿أَنَّا﴾ بفتح الهمزة مطلقاً.

٢ ـ وقرأ رويس بفتحها في الوصل فقط.

٣ ـ وقرأ الباقون (إِنَّا) بكسرها مطلقاً[٥٦٩].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(إنّ، أنّ) ينصبان الاسم ويرفعان الخبر والفرق بينهما، (أنّ، إنّ) يكون ما بعدها جملة مستقلة و(أن) يكون ما بعدها في حكم مفرد يقع موقع مرفوع ومنصوب ومجرور نحو: أعجبني أنك تخرج وعلمت أنك تخرج، وتعجبت من أنك تخرج[٥٧٠].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

وقوله: ﴿أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾﴾ يقول: أنا أنزلنا الغيث من السماء إنزالاً وصببناه عليها صباً[٥٧١]، فقراءة (إِنَّا) بالكسر على الاستئناف وبالفتح على أنه بدل من طعامه، بدل اشتمال لكون نزول المطر سبباً لحصول

(٥٦٩) انظر: الإتحاف (٥٧٢).

(٥٧٠) مفردات ألفاظ القرآن (١/٥٠).

(٥٧١) الطبري مجلد ١٢ (٤٤٩).

الطعام فهو كالمشتمل عليه أو بتقدير لام العلة[٥٧٢].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قرأ عاصم وحمزة والكسائي وخلف بفتح الهمزة مطلقاً على تقدير لام العلة، أي: لأنا، وقيل بدل اشتمال من طعامه بمعنى: أن صب الماء سبب في إخراج الطعام، فهو مشتمل عليه. وقرأ الباقون بكسرها مطلقاً، على الاستفهام[٥٧٣]. قال ابن زنجلة: (إِنَّا) بالكسر على الاستئناف، ويكون ذلك تفسيراً للنظر إلى طعامه[٥٧٤]. قال الزجاج: من قرأ (إِنَّا) فعلى الابتداء والاستئناف، ومن قرأ (أَنَّا) فعلى البدل من الطعام، ويكون (إِنَّا) في موضع جر، المعنى: فلينظر الإنسان إلى أنا صببنا الماء صباً[٥٧٥]، وقال أبو علي الفارسي: من قرأ (إِنَّا) كان ذلك تفسيراً للنظر إلى طعامه، ومن قرأ (أَنَّا) فالمعنى على البدل، بدل اشتمال، لأن هذه الأشياء تشتمل على كون الطعام وحدوثه[٥٧٦].

خامساً: الجمع بين القراءات:

بالجمع بين القراءات يتبيّن أن: من قرأ (أَنَّا) بالفتح فعلى معنى: أن صب الماء سبب في إخراج الطعام وحدوثه، ومن قرأ (إِنَّا) بالكسر فعلى معنى: أن ذلك كان تفسيراً للنظر إلى طعامه، أي: فلينظر الإنسان كيف ﴿أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾﴾.



(٥٧٢) فتح القدير (٥/٥٤٢).

(٥٧٣) انظر: الإتحاف (٥٧٢).

(٥٧٤) حجة القراءات (١/٧٥٠).

(٥٧٥) معاني القرآن وإعرابه (٥/٢٢٢).

(٥٧٦) انظر: الحجة للقراء (٤/٩٩).

المبحث الرابع
عرض وتفسير لآيات سورة التكوير
المتضمنة للقراءات القرآنية العشر

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: بين يدي السورة

المطلب الثاني: عرض وتفسير لآيات سورة التكوير المتضمنة للقراءات العشر

ويشتمل على:

أولاً: القراءات

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات

خامساً: الجمع بين القراءات



المبحث الرابع
عرض وتفسير لآيات سورة التكوير المتضمنة للقراءات العشر

المطلب الأول: بين يدي السورة:

تسمى (سورة كورت) تسمية بحكاية لفظ وقع فيها، وهي مكية بالاتفاق، وهي معدودة السابعة في عداد نزول سور القرآن، نزلت بعد سورة الفاتحة، وقبل سورة الأعلى، وعدد آيها تسع وعشرون، من أغراضها: أنها اشتملت على تحقيق الجزاء صريحاً، وعلى إثبات البعث، واشتملت على وصف الأهوال التي تتقدمه، والتي تقع عقبه، وعلى التنويه بشأن القرآن الذي كذبوا به، لأنه توعدهم بالبعث زيادة لتحقيق وقوع البعث، إذ رموا النبي ﷺ بالجنون، والقرآن بأنه يأتيه به شيطان[٥٧٧]. فمحور السورة يعالج حقيقتين مهمتين من لوازم الإيمان:

الأولى: الإيمان بوقوع القيامة وما يصاحبها من انقلاب كوني هائل، يشمل الشمس، والنجوم، والبحار، والأرض والأنعام، والوحوش، كما يشمل البشر، ويهز الكون هزاً عنيفاً طويلاً.

والثانية: حقيقة الوحي والرسالة والتصديق بهما، حيث تُختم السورة بآيات تُبطل مزاعم المشركين حول وحي السماء لأمين الأرض ﷺ.

(٥٧٧) التحرير والتنوير مجلد (١٢/٣٠/١٣٩ ـ ١٤٠) بتصرف.

المطلب الثاني: عرض وتفسير لآيات سورة التكوير المتضمنة للقراءات العشر:

١ ـ قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦﴾ [التكوير: ٦].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب بخلف عن رويس (سُجِرَتْ) بتخفيف الجيم.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿سُجِّرَتْ﴾ بتشديدها[٥٧٨].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(سجر) السين والجيم والراء أصولٌ ثلاثة: المَلء، والمخالطة، والإيقاد.

فأمّا الملء، فمنه البحر المسجور، أي: المملوء[٥٧٩].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦﴾ أي: أوقدت فصارت ـ على عظمها ـ ناراً تتوقد[٥٨٠]. بأن تغيض مياهها وتظهر النار في مكانها، أو ملئت بتفجير بعضها إلى بعض، حتى يكون مالحها وعذبها بحراً واحداً، من سجر التنور إذا ملأه بالحطب ليحمي[٥٨١]. قال ابن الجوزي: «في المعنى ثلاثة أقوال: أحدها: أوقدت فاشتعلت ناراً، والثاني: يبست، والثالث: ملئت بأن صارت بحراً واحداً وكثر ماؤها»[٥٨٢].

---

(٥٧٨) انظر: النشر (٢/٣٩٨)، انظر: الإتحاف (٥٧٣)، انظر: غيث النفع (٦١٨).

(٥٧٩) معجم مقاييس اللغة (٣/١٣٤).

(٥٨٠) تفسير السعدي (١/٩١٢).

(٥٨١) روح المعاني (٣٠/٥٢).

(٥٨٢) زاد المسير في علم التفسير/عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي، وحيث يرد سأشير إليه بـ«زاد المسير» (٩/٣٩).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قرأ ابن كثير وأبو عمرو (سُجِرَتْ) بالتخفيف، حجتهما: قوله ﴿وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ۝٦﴾ ولم يقل المسجر، واعلم أن التخفيف يقع على القليل والكثير، نظير قوله: ﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ۝١٠﴾ ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤﴾ وهم جماعة وكذلك (سجرت)، وقرأ الباقون ﴿سُجِّرَتْ﴾ بالتشديد، وحجتهم قوله ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦﴾ ولو كان واحداً لكان تخفيفاً كما قال: ﴿وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ﴾ والعرب تقول: سَجَرْتُ التنور لا تقول غيره وسَجَّرت التنانير بالتشديد، ومعنى سجِّرت، أي: أفضى بعضها إلى بعض فصارت بحراً واحداً[٥٨٣] فالحجة لمن خفف: أنه أراد به ملئت مرة واحدة، ودليله قوله: ﴿وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ۝٦﴾ والحجة لمن شدد: أنه أراد أنها تفتح فيفضي بعضها إلى بعض فتصير بحراً واحداً[٥٨٤]، قال أبو علي الفارسي: وقراءة ابن عامر ورواية حفص ﴿سُجِّرَتْ﴾ فلأن الفعل مسند إلى ضمير كثرة فهو من باب ﴿وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ﴾ [يوسف: ٢٣][٥٨٥].

خامساً: الجمع بين القراءات:

بالجمع بين القراءات يتبيّن أن: البحار تتفجر يوم القيامة ناراً على بعضها البعض، فكأنها بحر واحد من شدة تداخلها في بعضها البعض، ومن شدة الغليان والفوران، فكأنه تنور سجرته ناراً.

٢ ـ قال الله تعالى: ﴿بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩﴾ [التكوير: ٩].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ أبو جعفر (قُتِّلَتْ) بتشديد التاء الأولى.

(٥٨٣) حجة القراءات (١/٧٥٠ ـ ٧٥١).

(٥٨٤) الحجة (١/٣٦٣).

(٥٨٥) الحجة للقراء (٤/١٠٠).

٢ - وقرأ ﴿قُتِلَتْ﴾ الباقون بالتخفيف(٥٨٦).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(قتل) القاف والتاء واللام أصلٌ صحيح يدلُّ على إذلالٍ وإماتةٍ، يقال: قتَلَهُ قَتْلاً، والقِتْلَة: الحالُ يُقْتَلُ عليها. والقَتْلة: المرّة الواحدة(٥٨٧). المُقاتَلَةُ القتال وقَاتَلَهُ قِتَالاً وقِتَالاً والمُقَاتِلةُ بكسر التاء القوم الذين يصلحون للقتال وأقْتَلَهُ عرضه للقتل وقُتِّلُوا تَقْتِيلاً شدد للكثرة(٥٨٨).

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

﴿بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩﴾ إشعار بأنه لا ذنب لها، فتقتل بسببه، بل الجرم على قاتلها. ولكن لعظم الجرم يتوجه السؤال إليها تبكيتاً لوائدها(٥٨٩). كانت المرأة في الجاهلية إذا حملت، فكان أوان ولادتها حفرت حفيرة، فتمخَّضت على رأس الحفيرة، فإن ولدت جارية رَمَتْ بها في الحفيرة، وإن ولدت غلاماً حبسته(٥٩٠). كان أهل الجاهلية يقتل أحدهم ابنته، ويغذو كلبه، فعاب الله ذلك عليهم(٥٩١).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

وقوله ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩﴾ بمعنى: سألت الموءودة الوائدين: بأي ذنب قتلوها(٥٩٢). وقرأ الجمهور ﴿قُتِلَتْ﴾ بالتخفيف مبنياً للمفعول، وقرأ أبو جعفر بالتشديد (قُتِّلَتْ) على التكثير(٥٩٣).

---

(٥٨٦) انظر: النشر (٣٩٨/٢)، انظر: الإتحاف (٥٧٣).
(٥٨٧) معجم مقاييس اللغة (٥٦/٥).
(٥٨٨) مختار الصحاح (٥٦٠/١).
(٥٨٩) أضواء البيان (١٩٠٤).
(٥٩٠) زاد المسير (٤٠/٩).
(٥٩١) الطبري مجلد (٤٦٤/١٢).
(٥٩٢) الطبري مجلد (٤٦٤/١٢).
(٥٩٣) فتح القدير (٥٤٩/٥).

خامساً: الجمع بين القراءات:

بالجمع بين القراءات يتبيّن أن: العرب لما كثر القتل ـ على قراءة التشديد ـ لبناتهم خشية العار وخوف الطعام. سألت كل واحدة منهن عن سبب قتلها على قراءة التخفيف.

٣ ـ قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ۝١٠﴾ [التكوير: ١٠].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ نافع وابن عامر وأبو جعفر ويعقوب ﴿نُشِرَتْ﴾ بتخفيف الشين.

٢ ـ وقرأ الباقون (نُشِّرَتْ) بتشديدها[٥٩٤].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(نشر) النون والشين والراء أصلٌ صحيح يدلُّ على فَتْحِ شيء وتشعُّبِه[٥٩٥]. ونَشَرَ الميت فهو نَاشِرٌ عاش بعد الموت، ومنه يوم النُّشُورِ وأنْشَرَهُ الله تعالى أحياه[٥٩٦]. والنَّشْر الحياة وأَنشر الله الريحَ أَحياها بعد موت[٥٩٧].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ۝١٠﴾، أي: صحف الأعمال، المشتملة على ما عمله العاملون من خير وشر، وقيل: نشرت، أي: فرقت بين أصحابها، فآخذ كتابه بيمينه، وآخذ كتابه بشماله، فتقع صحيفة المؤمن في يده في جنة عالية وتقع صحيفة الكافر في يده في سموم وحميم، أي: مكتوب فيها ذلك وهي صحف غير صحف الأعمال، (نُشِّرَتْ) بالتشديد للمبالغة في النشر

---

(٥٩٤) انظر: النشر (٢/٣٩٨)، انظر: الإتحاف (٥٧٣)، وانظر: عيث النفع (٤٩٢).

(٥٩٥) معجم مقاييس اللغة (٥/٤٣٠).

(٥٩٦) مختار الصحاح (١/٦٨٨).

(٥٩٧) لسان العرب (٥/٢٠٦).

بمعنييه أو لكثرة الصحف أو لشدة التطاير[598].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قرأ نافع وعاصم وأبو جعفر وابن عامر ويعقوب ﴿نُشِرَتْ﴾ بالتخفيف، وقرأ الباقون (نُشِّرَتْ) بالتشديد والمراد بالصحف: صحائف أعمال بني آدم تنشر للحساب[599]. فالحجة لمن شدد أنه أراد نشر كل صحيفة منها، فقد دام الفعل وتكرر، ودليله قوله: ﴿أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً﴾. والحجة لمن خفف أنه أراد نشرها مرة واحدة، ودليله قوله: ﴿فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ۝٣﴾[600].

خامساً: الجمع بين القراءات:

أفادت قراءة التخفيف ﴿نُشِرَتْ﴾: أن صحائف أعمال بني آدم تنشر للحساب مرة واحدة، فكل واحد تفتح صحيفته ليقرأها وحده ويسأل أمام الله وحيداً، وأفادت قراءة التشديد (نُشِّرَتْ)، التكرار لفتح الصحف بين يدي الله تعالى.

٤ ـ **قال الله تعالى**: ﴿وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ۝١٢﴾ [التكوير: ١٢].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ نافع وابن ذكوان وحفص وأبو جعفر ورويس ﴿سُعِّرَتْ﴾ بتشديد العين.

٢ ـ وقرأ الباقون (سُعِرَتْ) بتخفيفها[601].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(سعر) السين والعين والراء أصل واحدٌ يدل على اشتعال (الشيء)

---

(٥٩٨) انظر: روح المعاني (٣٠/٥٥)، وانظر: تفسير السعدي (١/٩١٢).

(٥٩٩) زاد المسير (٩/٤٠).

(٦٠٠) الحجة (١/٣٦٣ ـ ٣٦٤).

(٦٠١) انظر: النشر (٢/٣٩٨)، انظر: الإتحاف (٥٧٣)، وانظر: المكرر (٤٩٢).

واتّقاده وارتفاعه. من ذلك السعير سعير النار، واستعارها: توقُّدها[٦٠٢]. سَعَر النار والحرب هيّجها وألهبها (سُعِّرَتْ) مخففاً ومشدداً والتشديد للمبالغة، واسْتَعَرَتِ النار وتَسَعَّرَتْ توقدت والسَّعِيرُ النار[٦٠٣].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

﴿وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾﴾، أي: أوقد عليها فاستعرت، والتهبت التهاباً لم يكن لها قبل ذلك[٦٠٤]. فأوقدت لأعداء الله إيقاداً شديداً[٦٠٥].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قرأ الجمهور (سُعِرَتْ) بالتخفيف، وقرأ نافع وابن ذكوان وحفص ﴿سُعِّرَتْ﴾ بالتشديد، لأنها أوقدت مرة بعد مرة قال قتادة: سعرها غضب الله وخطايا بني آدم[٦٠٦]، و﴿سُعِّرَتْ﴾ بالتشديد أي: أوقدت مرة بعد مرة وحجتهم قوله: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء: ٩٧] فهذا يدل على كثرة الإيقاد، وحصول شيء بعد شيء منه، فحقه التشديد، وقرأ الباقون (سُعِرَتْ) بالتخفيف أي: أوقدت وحجتهم قوله: ﴿وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ٥٥][٦٠٧].

خامساً: الجمع بين القراءات:

بالجمع بين القراءات يتبيّن أن: الجحيم أوقدت مرة بعد مرة دلالة على كثرة التوقد، لكثرة أصحاب النار الوافدين إليها، ودوام التوقد لسعير

(٦٠٢) معجم مقاييس اللغة (٣/٧٥).

(٦٠٣) مختار الصحاح (١/٣٢٦).

(٦٠٤) تفسير السعدي (١/٩١٢).

(٦٠٥) فتح القدير (٥/٥٥٠).

(٦٠٦) فتح القدير (٥/٥٠٥).

(٦٠٧) حجة القراءات (١/٧٥١).

جهنم المستمر وشدته كأنه بحال واحدة(٦٠٨).

٥ـ قال الله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾﴾ [التكوير: ٢٤].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعلي ورويس (بِظَنِينٍ).

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿بِضَنِينٍ﴾(٦٠٩).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(ضن) الضاد والنون أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على بُخْلٍ بالشيء(٦١٠).

(ظن) الظاء والنون أصل صحيحٌ يدلُّ على معنيينِ مختلفين: يقين وشكّ(٦١١).

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾﴾، أي: وما هو على ما أوحاه الله إليه بمتهم يزيد فيه أو ينقص أو يكتم بعضه، بل هو ﷺ أمين أهل السماء وأهل الأرض، الذي بلغ رسالات ربه البلاغ المبين، فلم يشح بشيء منه، عن غني ولا فقير، ولا رئيس ولا مرءوس، ولا ذكر ولا أنثى، ولا حضري ولا بدوي، ولذلك بعثه الله في أمة أمية، جاهلة جهلاء، فلم يمت ﷺ حتى كانوا علماء ربانيين، وأحباراً متفرسين، إليهم الغاية في العلوم، وإليهم

---

(٦٠٨) قال أبو عبيد: نختار قراءة الظاء لأنهم لم يبخلوه بل كذبوه ولا مخالفة في الرسم إذ لا مخالفة بينهما إلا في تطويل رأس الظاء على الضاد قال: الجعبري وجه بضنين أنه رسم برأس معوجة وهو غير طرف فاحتمل القراءتين، وفي مصحف ابن مسعود بالظاء الإتحاف (٥٧٣).

(٦٠٩) انظر: النشر (٣٩٨/٢)، انظر: الإتحاف (٥٧٣)، وانظر: المكرر (٤٩٢).

(٦١٠) معجم مقاييس اللغة (٣٥٧/٣).

(٦١١) معجم مقاييس اللغة (٤٦٢/٣).

المنتهى في استخراج الدقائق والفهوم، وهم الأساتذة، وغيرهم قصاراً أن يكون من تلاميذهم[٦١٢].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي (بِظَنِينٍ)، بمعنى ما هو بمتهم على الوحي أنه من الله وليس محمد ﷺ متهماً، وقرأ الباقون ﴿بِضَنِينٍ﴾ بالضاد، أي: ببخيل، أي: لا يبخل محمد ﷺ بما آتاه الله من العلم والقرآن، ولكن يرشد ويعلم ويؤدي عن الله تعالى ما غاب عن المخلوقين واستتر مما أوحى الله ﷻ إليه وأعلمه به[٦١٣]. واختلف في (بِظَنِينٍ)، بالظاء: المشالة، وفعيل بمعنى مفعول، من ظننت فلاناً، أي: اتهمته، ويتعدى لواحد، أي: وما محمد على الغيب وهو ما يوحي الله إليه بمتهم أي لا يزيد فيه ولا ينقص منه ولا يحرف، والباقون بالضاد: بمعنى بخيل بما يأتيه من ربه، ﴿بِضَنِينٍ﴾ اسم فاعل من ضن بخل المرسوم بضنين بالضاد في الكل[٦١٤].

خامساً: الجمع بين القراءات:

بالجمع بين القراءات يتبيّن أن: الله ـ سبحانه ـ نفى عن نبيه الكريم تهمة الوهن والظن، فيما يبلغه للعباد من أمر الغيب والوحي، كما نفى عنه تهمة كتم أي شيء من الوحي، فأخبر أنه ما هو على الغيب بضنين. وذلك كله من أصول العقيدة يدلّ عليه العقل والنقل. الخلاف الحاصل في القراءتين: يلزم المكلف اعتقاد سلامة النبي ﷺ من أمرين: من الضن بالغيب، ومن الظن بالغيب، فهو لم يكتم شيئاً مما أوحي إليه، وكذلك لم يتلق ما تلقى ظاناً ولا واهماً، وإنما تلقاه بيقين وأداه بيقين. ولم يكن لأحد أن يدرك المعنيين جميعاً، دون مجيء التواتر بهذه القراءات الصحيحة.

(٦١٢) تفسير السعدي (٩١٢/١).

(٦١٣) انظر: حجة القراءات (٧٥٢/١)، الحجة (٣٦٤/١).

(٦١٤) الإتحاف (٥٧٣).

المبحث الخامس
عرض وتفسير لآيات سورة الانفطار
المتضمنة للقراءات القرآنية العشر

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: بين يدي السورة

المطلب الثاني: عرض وتفسير لآيات سورة الانفطار المتضمنة للقراءات العشر

ويشتمل على:

أولاً: القراءات

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات

خامساً: الجمع بين القراءات



المبحث الخامس
عرض وتفسير لآيات سورة الانفطار المتضمنة للقراءات العشر

المطلب الأول: بين يدي السورة:

سميت هذه السورة (سورة الانفطار) في المصاحف، وسميت في بعض التفاسير (سورة إذا السماء انفطرت)، ووجه التسمية وقوع جملة (إذا السماء انفطرت) في أولها فعرفت بها، وهي مكية بالاتفاق، وهي معدودة الثانية والثمانين في عداد نزول السور، نزلت بعد سورة النازعات وقبل سورة الانشقاق، وعدد آيها تسع عشرة آية، من أغراضها: أنها اشتملت على: إثبات البعث وذكر أهوال تتقدمه، وإيقاظ المشركين للنظر في الأمور التي صرفتهم عن الاعتراف بتوحيد الله تعالى، والنظر في دلائل وقوع البعث والجزاء، والإعلام بأن الأعمال محصاة، وبيان جزاء الأعمال خيرها وشرها، وإنذار الناس بأن لا يحسبوا شيئاً ينجيهم من جزاء الله إياهم على سيء أعمالهم(٦١٥). كما تتحدث عن الانقلاب الكوني في يوم القيامة، ثم تتحدث عن جحود الإنسان وكفره بأنعم الله تعالى، وذلك لأن الإنسان ينسى أن الملائكة تسجّل كل أعماله وأفعاله في كتاب يقرؤه يوم الحساب. ثم تبيّن أحوال الأبرار وأحوال الفجّار في ذلك اليوم العصيب وما يؤولون إليه من

(٦١٥) التحرير والتنوير المجلد ١٢ (١٦٩/٣٠ ـ ١٧٠) بتصرف.

نعيم أو جحيم[٦١٦]. فمحور السورة يدور حول عقيدة الإيمان بالبعث، والجزاء، وحال السعداء والأشقياء، حسب أعمالهم، لذلك تناسبت أوائل السورة مع أواخرها، كسابقتها، في وصف أهوال يوم القيامة وأحواله.

المطلب الثاني: عرض وتفسير لآيات سورة الانفطار المتضمنة للقراءات العشر:

١ ـ قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾﴾ [الانفطار: ٧].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ الكوفيون ﴿فَعَدَلَكَ﴾ بتخفيف الدال.

٢ ـ وقرأ الباقون بتشديدها (فَعَدَّلَكَ)[٦١٧].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(عدل) العين والدال واللام أصلان صحيحان، لكنَّهما متقابلان كالمتضادَّين: أحدُهما يدلُّ على استواء، والآخر يدلُّ على اعوجاج، العَدْل من النَّاس: المرضيّ المستوي الطّريقة، يقال: هذا عَدْلٌ، وهما عَدْلٌ. والعَدْل: الحكم بالاستواء[٦١٨]. العَدْلُ: ضِدُّ الجَوْرِ وما قامَ في النُّفوسِ أنه مُسْتَقيمٌ[٦١٩].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾﴾ عدلك بالتشديد، أي: صيرك معتدلاً

---

(٦١٦) تفسير شحادة (٦٣٨٠ ـ ٦٣٨٤) «أهداف ومقاصد السورة بتصرف».

(٦١٧) انظر: النشر (٣٩٩/٢)، انظر: الإتحاف (٥٧٥)، انظر: غيث النفع (٦٢٠)، انظر: المكرر (٤٩٤).

(٦١٨) معجم مقاييس اللغة (٢٤٦/٤).

(٦١٩) القاموس المحيط (١٣٣١/١ ـ ١٣٣٢).

متناسب الخلق من غير تفاوت فيه ونقل القفال عن بعضهم أن (عَدَل وعَدَّل) بمعنى واحد[٦٢٠]. ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ﴾ في أحسن تقويم؟ ﴿فَعَدَلَكَ﴾ وركبك تركيباً قويماً معتدلاً في أحسن الأشكال، وأجمل الهيئات، فهل يليق بك أن تكفر نعمة المنعم، أو تجحد إحسان المحسن؟. إن هذا إلا من جهلك وظلمك وعنادك وغشمك، فاحمد الله أن لم يجعل صورتك صورة كلب أو حمار، أو نحوهما من الحيوانات؛ فلهذا قال تعالى: ﴿فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾[٦٢١].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قرأ عاصم وحمزة والكسائي ﴿فَعَدَلَكَ﴾ بتخفيف الدال، أي: عدل بعض أعضائك ببعض، والباقون (فَعَدَّلَكَ) بتشديدها، أي: سوى خلقك وعدله وجعلك متناسب الأطراف[٦٢٢]، قال الفراء: من قرأ بالتخفيف فوجهه والله أعلم فصورك إلى أي صورة شاء، إما حسن، وإما قبيح، وإما طويل، وإما قصير، وقيل في صورة أب، في صورة عم، في صورة بعض القرابات، تشبيهاً، ومن قرأ بالتشديد فإنه أراد والله أعلم جعلك معتدلاً معدل الخلقة، وقال غيره عدل أعضاءك فلم تفضل يد على يد ولا رجل على رجل وعدل بك أن يجعلك حيواناً بهيماً[٦٢٣].

خامساً: الجمع بين القراءات:

بالجمع بين القراءات يتبيّن أن: الله تعالى يمن على الإنسان بأنه خلقه وعدَّل بعضَ أعضائه ببعض، وجعله متناسب الأطراف، معتدل الخلقة، وعدل به أن يجعله حيواناً بهيماً، فصوره إلى أي صورة شاء، إما حسن،

(٦٢٠) روح المعاني (٣٠/٦٤).
(٦٢١) تفسير السعدي (١/٩١٤).
(٦٢٢) انظر: الإتحاف (٥٧٥).
(٦٢٣) زاد المسير (٩/٤٨).

وإما قبيح، وإما طويل، وإما قصير، في صورة أب أو في صورة عم، أو في صورة بعض القرابات.

٢ ـ قال الله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ ﴿٩﴾﴾ [الانفطار: ٩].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ أبو جعفر (يُكَذِّبُونَ) بالياء.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿تُكَذِّبُونَ﴾ بالتاء[٦٢٤].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(كذب) الكاف والذال والباء أصلٌ صحيح يدلُّ على خلاف الصِّدق، وتلخيصه أنَّه لا يبلُغ نهايةَ الكلامِ في الصِّدق، من ذلك الكَذِب خِلاف الصِّدق كَذَب كَذِباً[٦٢٥].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ ﴿٩﴾﴾، أي: مع هذا الوعظ والتذكير، لا تزالون مستمرين على التكذيب بالجزاء. وأنتم لا بد أن تحاسبوا على ما عملتم، وقد أقام الله عليكم ملائكة كراماً يكتبون أقوالكم وأفعالكم ويعلمون أفعالكم، ودخل في هذا أفعال القلوب، وأفعال الجوارح، فاللائق بكم أن تكرموهم وتجلوهم وتحترموهم[٦٢٦] فلا تزعمون أنه غير كائن، ثم أعلمهم أن أعمالهم محفوظة[٦٢٧]، وهذا ردع عن الاغترار بكرم الله تعالى حتى لا يكون ذريعة إلى الكفر والمعاصي مع كونه موجباً للشكر[٦٢٨].

---

(٦٢٤) انظر: النشر (٣٩٩/٢) انظر: الإتحاف (٥٧٥ ـ ٦٢٠)، انظر: المكرر (٤٩٤).
(٦٢٥) معجم مقاييس اللغة (١٦٧/٥).
(٦٢٦) تفسير السعدي (٩١٤/١).
(٦٢٧) زاد المسير (٤٨/٩).
(٦٢٨) روح المعاني (٦٥/٣٠) بتصرف.

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قرأ «أبو جعفر» (يُكَذِّبُونَ) بالغيب وذلك على الالتفات من الخطاب إلى الغيبة، وقرأ الباقون ﴿تُكَذِّبُونَ﴾ بتاء الخطاب، جرياً على السياق، لأن ما قبله مقام خطاب[٦٢٩]. قال صاحب مجمع البيان: (يُكَذِّبُونَ) بالياء اخباراً عن الكفار و﴿تُكَذِّبُونَ﴾ بالتاء على خطابهم[٦٣٠].

خامساً: الجمع بين القراءات:

بالجمع بين القراءات يتبيّن أن: الكفار كذبوا بيوم الدين وهو يوم الحساب والجزاء، على قراءة (يكَذِّبُونَ) بالياء، فأخبر الله عنهم وبيّن أن تكذيبهم بيوم الدين لا رجعة لهم عنه، على قراءة (تُكَذِّبُونَ) بالتاء. لذلك أتبعه بقوله ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَـٰفِظِينَ ۝١٠﴾.

٣ ـ قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ۝١٩﴾ [الانفطار: ١٩].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب (يَوْمُ لا) بضم الميم.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿يَوْمَ لَا﴾ بفتحها[٦٣١].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(يوم) اليَوْمُ معروفٌ مِقدارُه من طلوع الشمس إلى غروبها والجمع أَيَامٌ لا يكسّر إلا على ذلك[٦٣٢].

(٦٢٩) انظر: المغني (٣٥٣/٣).

(٦٣٠) انظر: تفسير الطبرسي (٥٦/٣٠).

(٦٣١) انظر: النشر (٣٩٩/٢)، انظر: الإتحاف (٥٧٥)، انظر: غيث النفع (٦٢٠)، انظر: المكرر (٤٩٤).

(٦٣٢) لسان العرب (٦٤٩/١٢).

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾﴾ بيانٌ إجماليٌّ لشأن يوم الدينِ إثرَ إبهامِه؛ فإنَّ نفيَ إدرائِهم مشعرٌ بالوعد الكريم بالإدراءِ، فهذا يومَ لا يملكُ فيه نفسٌ من النفوسِ شيئاً من الأشياءِ. وبعد تفخيم أمرِ يومِ الدينِ وتشويقِه ﷺ إلى معرفتِه، قال اذكُر يومَ لا تملكُ نفسٌ ففيه من التهويل لذلك اليوم[٦٣٣]. قال ابن عاشور: التهويل مشعر بحصول ما يخافه المهوَّل لهم فاتبع ذلك بزيادة التهويل مع التيئيس من وجدان نصير أو معين[٦٣٤].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قرأ ابن كثير، وأبو عمرو برفع: «يوم» على أنه بدل من ﴿يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾، أو خبر مبتدأ محذوف مضمر أي: هو يوم، فالحجة لمن رفع أنه جعله بدلاً من اليوم الأول، وقرأ الباقون بفتحه على أنها فتحة إعراب بتقدير: أعني أو اذكر، فيكون مفعولاً به، والحجة لمن نصب أنه جعله ظرفاً للدين والجزاء أي: يدانون يوم لا تملك، أو مفعول به، أي: اذكر[٦٣٥].

خامساً: الجمع بين القراءات:

بالجمع بين القراءات يتبيّن أن: الله تعالى يقول لنبيه ﷺ اذكر يوم لا تملك نفس من النفوس لنفس أخرى شيئاً من النفع أو الضرّ ﴿وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ وحده، حيث لا يملك شيئاً من الأمر غيره كائناً ما كان، على قراءة النصب، هذا اليوم هو يوم لا يملك الله أحداً شيئاً من الأمور، كما ملكهم في الدنيا، على قراءة الرفع.

---

(٦٣٣) تفسير أبي السعود (١٢٣/٩) بتصرف.

(٦٣٤) التحرير والتنوير مجلد (١٢/٣٠/١٨٤).

(٦٣٥) فتح القدير (٥٦٠/٥)، وانظر: حجة القراءات (٧٥٣/١ ـ ٧٥٤)، انظر: الإتحاف (٥٧٥) وانظر: الحجة (٣٦٥/١).

المبحث السادس
عرض وتفسير لآيات سورة المطففين
المتضمنة للقراءات القرآنية العشر

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: بين يدي السورة

المطلب الثاني: عرض وتفسير لآيات سورة المطففين المتضمنة للقراءات العشر

ويشتمل على:

أولاً: القراءات

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات

خامساً: الجمع بين القراءات



المبحث السادس
عرض وتفسير لآيات سورة المطففين المتضمنة للقراءات العشر

المطلب الأول: بين يدي السورة:

سميت هذه السورة في كتب السنة وفي بعض التفاسير (سورة ويل للمطففين)، وكذلك ترجمها البخاري في كتاب التفسير من صحيحه[٦٣٦]، والترمذي في جامعه[٦٣٧]. وقد اختلف في كونها مكية أو مدنية، أو بعضها مكي وبعضها مدني، فعن ابن مسعود والضحاك ومقاتل في رواية عنه: أنها مكية وعن ابن عباس في الأصح عنه وعكرمة والحسن السدي ومقاتل في رواية أخرى عنه: أنها مدنية قال: وهي أول سورة نزلت بالمدينة، وعن ابن عباس في رواية عنه وقتادة: هي مدنية إلا ثماني آيات من آخرها من قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ﴾ إلى آخرها، وقال الكلبي وجابر بن زيد: نزلت بين مكة والمدينة، ومن اللطائف أن تكون نزلت بين مكة والمدينة؛ لأن التطفيف كان فاشياً في البلدين، نزلت بعد سورة العنكبوت، وقبل سورة البقرة، وعدد آيها ست وثلاثون، ومن أغراضها أنها: اشتملت على التحذير من التطفيف في الكيل والوزن، وتفظيعه؛ بأنه تحايل على أكل مال الناس في حال المعاملة، أخذاً، وإعطاء وأن ذلك مما سيحاسبون عليه يوم القيامة،

(٦٣٦) انظر: صحيح البخاري (١٨٨٢/٤) باب تفسير سورة ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١﴾.
(٦٣٧) انظر: سنن الترمذي (٤٣٣/٥) باب ومن سورة ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١﴾.

وتهويل ذلك اليوم؛ بأنه وقوف عند ربهم؛ ليفصل بينهم؛ وليجازيهم على أعمالهم، وأن الأعمال محصاة عند الله، ووعيد الذين يكذبون بيوم الجزاء، والذين يكذبون بأن القرآن منزل من عند الله، وقوبل حالهم بضده من حال الأبرار أهل الإيمان، ورفع درجاتهم، وإعلان كرامتهم بين الملائكة والمقربين، وذكر صور من نعيمهم، وانتقل من ذلك إلى وصف حال الفريقين في هذا العالم الزائل، إذ كان المشركون يسخرون من المؤمنين، ويلزمونهم ويستضعفونهم، وكيف انقلب الحال في العالم الأبدي(٦٣٨).

فمحور السورة يدور حول: الحرب على المطففين في الكيل والميزان، حيث بيّنت عقابهم في الآخرة؛ لأنهم لا يخافون الآخرة، ولا يفكرون في يوم وقوفهم بين يدي رب العالمين للحساب، وبينت مقابل هؤلاء أحوال الأبرار، والنعيم الذي يلاقونه يوم الحساب، وذلك لترغيبهم وترهيبهم. ثم خُتمت السورة ببيان موقف الفجّار وسخريتهم من عباد الله المؤمنين، وكيف سيكون جزاؤهم على كفرهم في الآخرة.

المطلب الثاني: عرض وتفسير لآيات سورة المطففين المتضمنة للقراءات العشر:

١ ـ قال الله تعالى: ﴿تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾﴾ [المطففين: ٢٤].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ أبو جعفر ويعقوب (تُعْرَفُ) بضم التاء وفتح الراء ورفع (نَضْرَةُ).

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿تَعۡرِفُ﴾ بفتح التاء وكسر الراء ونصب ﴿نَضۡرَةَ﴾(٦٣٩).

---

(٦٣٨) التحرير والتنوير مجلد ١٢ (١٨٧/٣٠ ـ ١٨٩) بتصرف.

(٦٣٩) انظر: النشر (٣٩٩/٢)، انظر: الكنز (٢٩٩)، انظر: الإتحاف (٥٧٦).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(عرف) العين والراء والفاء أصلان صحيحان، يدلُّ أحدُهما على تتابُع الشيء متَّصلاً بعضُه ببعض، والآخر على السكون والطُّمَأنينة[٦٤٠]. عَرَفَهُ يَعْرِفُهُ مَعْرِفَةً وعِرْفاناً وعِرْفَةً بالكسر وعِرِفَّاناً بكَسْرَتَيْنِ مَشَدَّدَةَ الفاءِ[٦٤١].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾﴾ فإن توالي اللذة والسرور يكسب الوجه نوراً وحسناً وبهجة[٦٤٢]. أي: إذا رأيتهم عرفت أنهم من أهل النعمة لما تراه في وجوههم من النور، قال عطاء: وذلك أن الله زاد في جمالهم وفي ألوانهم ما لا يصفه واصف[٦٤٣]، أي: بهجة النعيم ورونقه لنفي ما يوهمه سلب النوم من الضعف وتغير بهجة الوجه، كما في الدنيا[٦٤٤].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قال الشوكاني: قرأ الجمهور ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾﴾، وقرأ أبو جعفر ويعقوب (تُعْرَفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةُ النَّعِيم) على البناء للمفعول[٦٤٥]. قال ابن عاشور: ﴿تَعْرِفُ﴾ بصيغة الخطاب ونَصب ﴿نَضْرَةَ﴾ وهو خطاب لغير معين. أي: تعرف يا من يراهم. وقرأ أبو جعفر ويعقوب (تُعْرَفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةُ النَّعِيم) على البناء للمفعول. ومآل المعنيين واحد، إلا أن قراءة الجمهور جرت على الطريقة الخاصة في استعماله. وجرت قراءة أبي جعفر ويعقوب على الطريقة التي لا تختص به. والخطابُ بمثله في مقام وصف الأمور العظيمة طريقة عربية مشهورة، وهذه الجملة

---

(٦٤٠) معجم مقاييس اللغة (٢٨١/٤).

(٦٤١) القاموس المحيط (١٠٨٠/١).

(٦٤٢) تفسير السعدي (٩١٦/١).

(٦٤٣) فتح القدير (٥٦٨/٥).

(٦٤٤) انظر: روح المعاني (٧٥/٣٠).

(٦٤٥) فتح القدير (٥٦٨/٥)، روح المعاني (٧٥/٣٠)، معاني القراءات (٥٣٥)، تفسير الطبرسي (٦٨/٣٠).

خبر ثالث عن (الأبرارَ) أو حال ثانية له. والنضْرة: البهجة والحُسن، وإضافة ﴿نَضْرَةَ﴾ إلى ﴿ٱلنَّعِيمِ﴾ من إضافة المسبب إلى السبب، أي: النضرة، والبهجة التي تكون لوجه المسرور الراضي؛ إذ تبدو على وجهه ملامح السرور(٦٤٦).

خامساً: الجمع بين القراءات:

بالجمع بين القراءات يتبيّن أن: الناظر لأهل الجنة يعرف النعيم الذي هم فيه من خلال النظر إلى نضارة وجوههم، وكلما اقترب الرائي أكثر تَطْلُعُ عليه نضارةُ وجوهِ أهلِ الجنة؛ فكأنها من قوة نضارتها تخيم على الناظر، فَتُعَرِّفَ عن حالها الذي هي عليه مع أهل الجنة.

٢ ـ قال الله تعالى: ﴿خِتَـٰمُهُۥ مِسْكٌۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَـٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [المطففين: ٢٦].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ الكسائي (خَاتَمُهُ) بفتح الخاء والألف بعدها.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿خِتَـٰمُهُۥ﴾ بكسر الخاء والألف بعد التاء(٦٤٧).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(ختم) الخاء والتاء والميم أصلٌ واحد، وهو بُلوغ آخِرِ الشّيء. فأمّا الخَتْم، وهو الطَّبع على الشّيء، فذلك من الباب أيضاً؛ لأنّ الطَّبْع على الشيءِ لا يكون إلّا بعد بلوغ آخِره، في الأحراز(٦٤٨). خَتَمَهُ يَخْتِمُهُ طَبَعَهُ وعلى قَلْبِهِ: جَعَلَهُ لا يَفْهَمُ شيئاً(٦٤٩).

---

(٦٤٦) التحرير والتنوير المجلد (١٢/٣٠/٢٠٥).

(٦٤٧) انظر: النشر (٢/٣٩٩)، الكنز (٢٩٩)، الإتحاف (٥٧٦)، التيسير (١/١٣٩)، السبعة في القراءات (١/٦٧٦).

(٦٤٨) معجم مقاييس اللغة (٢/٢٤٥).

(٦٤٩) القاموس المحيط (١/١٤٢٠).

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

﴿مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ﴾، أي: مختومة أوانيه وأكوابه بالمسك، مكان الطين، وختمه اعتناءً به، وإظهاراً لكرامة شاربه، وكان ذلك بما هو على هيئة الطين ليكون على النهج المألوف، ويجوز أن يكون ذلك تمثيلاً لكمال نفاسته، وإلا فليس ثمة غبار ليصان عن ذلك بالختم عليه[٦٥٠]، أي: هي طيبة الريح، فإن ريحها في آخر شربهم، يختم لها بريح المسك[٦٥١].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قوله تعالى: ﴿خِتَٰمُهُۥ﴾ إجماع القراء فيه على كسر الخاء وكون التاء قبل الألف يراد به آخر شرابهم مسك، أي: مختوم بمسك، والختام اسم ما يطبع عليه الخاتم من كل مختوم عليه، إلا ما اختاره الكسائي، من فتح الخاء، وتأخير التاء مفتوحة بعد الألف، يريد به آخر الكأس التي يشربونها مسك كما تقول خاتمته مسك[٦٥٢]، وقرأ الباقون ﴿خِتَٰمُهُۥ﴾، وحجتهم: أن المعنى في ذلك آخره مسك، كأنه إذا شرب أحدهم الكأس؛ وجد آخر شرابه مسكاً، وختام كل شيء آخره، أي: آخر ما يجدونه رائحة المسك، وهو مصدر ختمه يختمه ختماً وختاماً. وحجة الكسائي: أن الخاتم الاسم، وهو الذي يُختم به الكأس، بدلالة قوله «قبلها يسقون من رحيق مختوم» ثم أخبر عن كيفيته فقال: مختوم بخاتم من مسك. قال الفراء: الخاتم والختام، متقاربان في المعنى إلا أن الخاتم الاسم، والختام المصدر[٦٥٣].

خامساً: الجمع بين القراءات:

بالجمع بين القراءات يتبيّن أن: قراءة ﴿خِتَٰمُهُۥ﴾، أي: أن شراب أهل

---

(٦٥٠) انظر: روح المعاني (٣٠/٧٤).

(٦٥١) انظر: الطبري مجلد ١٢ (٣٠/٤٩٨).

(٦٥٢) الحجة (١/٣٦٥ ـ ٣٦٦)، انظر: زاد المسير (٩/٥٩).

(٦٥٣) حجة القراءات (١/٧٥٤ ـ ٧٥٥)، انظر: الكشف عن وجوه القراءات (٢/٣٦٦)، فتح القدير (٥/٥٦٩).

الجنة هو الرحيق الذي نهاية طعمه المسك، وقراءة (خَاتَمُهُ)، أي: أن آنيته مختومة بخاتم من المسك أيضاً، وهذا من دلائل النعيم في الجنة.

٣ ـ قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾﴾ [المطففين: ٣١].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ حفص وأبو جعفر ﴿فَكِهِينَ﴾ بحذف الألف.

٢ ـ وقرأ الباقون (فَاكِهِينَ) بإثباتها بعد الفاء[٦٥٤].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(فكه): الفاء، والكاف، والهاء، أصلٌ صحيح يدلُّ على طِيب واستطابةٍ. الفاكهة: لأنَّها تُستَطابُ وتُستطرَف: والمُفاكهَة، وهي المُزاحة وما يُستحلَى من كلام[٦٥٥]. وفَكِهَ كفَرِحَ فَكَهاً وفَكاهَةً فهو فَكِهٌ وفاكِهٌ: طَيِّبُ النَّفْسِ ضَحُوكٌ[٦٥٦]، الفكه: الأشر البطر، والفاكه: الناعم المتنعم[٦٥٧].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

﴿وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ﴾ أي: المجرمون ورجعوا من مجالسهم ﴿إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ﴾ ملتذين باستخفافهم بالمؤمنين[٦٥٨]، وهذا من أعظم ما يكون من الاغترار، أنهم جمعوا بين غاية الإساءة والأمن في الدنيا، حتى كأنهم قد جاءهم كتاب من الله وعهد، أنهم من أهل السعادة، وقد حكموا لأنفسهم أنهم أهل الهدى، وأن المؤمنين ضالون، افتراء على الله، وتجرءوا على

---

(٦٥٤) انظر: النشر (٣٥٥/٢)، الكنز (٢٦٠)، الإتحاف (٥٧٦)، المكرر (٤٩٧)، التيسير (١٣٩/١)، السبعة في القراءات (٦٧٦/١).

(٦٥٥) معجم مقاييس اللغة (٤٤٦/٤).

(٦٥٦) القاموس المحيط (١٦١٤/١).

(٦٥٧) فتح القدير (٥٧٠/٥).

(٦٥٨) روح المعاني (٧٧/٣٠).

القول عليه بلا علم(٦٥٩).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قال الألوسي: قرأ الجمهور: (فَاكِهِينَ) بالألف قيل: هما بمعنى، وقيل: (فَكِهِينَ) أشرين وقيل: فرحين. (فَكِهِينَ) قيل: متفكهين، وقيل: ناعمين، وقيل: مادحين(٦٦٠). قال الفراء: ﴿وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾﴾ (فَاكِهِينَ) (فَكِهِينَ) لغتان مثل: (طمعين، وطامعين)، (وبخلين، وباخلين) ومعنى (فَاكِهِينَ) معجبين بما هم فيه يتفكهون بذكر أصحاب محمد ﷺ(٦٦١).

خامساً: الجمع بين القراءات:

من خلال القراءات يتبيّن أن: قراءة (فَاكِهِينَ)، أي: متنعمين بالدنيا، وقراءة (فَكِهِينَ) معجبين بحالهم فيها. وبالجمع بينهما يكون المعنى: أن أهل الكفر متنعمون بالأمور الدنيوية الزائلة، مشغولون بما هم فيه من الكفر، وقد أعجبهم ما هو عليه حالهم من الكفر والضلال.



(٦٥٩) تفسير السعدي (٩١٦/١).

(٦٦٠) روح المعاني (٧٧/٣٠).

(٦٦١) حجة القراءات (٧٥٥/١)، انظر: الحجة (٣٦٦/١ ـ ٧٥٥)، انظر: معاني القراءات (٥٣٥).

المبحث السابع
عرض وتفسير لآيات سورة الانشقاق
المتضمنة للقراءات القرآنية العشر

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: بين يدي السورة

المطلب الثاني: عرض وتفسير لآيات سورة الانشقاق المتضمنة للقراءات العشر

ويشتمل على:

أولاً: القراءات

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات

خامساً: الجمع بين القراءات



المبحث السابع
عرض وتفسير لآيات سورة الانشقاق المتضمنة للقراءات العشر

المطلب الأول: بين يدي السورة:

سميت في زمن الصحابة (سورة إذا السماء انشقت). وعنونها البخاري والترمذي كذلك[٦٦٢]، وهي مكية بالاتفاق، وقد عدت الثالثة والثمانين في تعداد نزول السور، نزلت بعد سورة الانفطار، وقبل سورة الروم، وآيها ثلاث وعشرون آية في البصري والشامي، وخمس وعشرون في غيرهما[٦٦٣]، من أغراضها انها: وصفت أشراط الساعة، ويوم البعث، واختلاف أحوال الخلق يومئذ بين أهل نعيم، وأهل شقاء[٦٦٤]. فمحور السورة يدور حول: أهوال يوم القيامة، وخلق الإنسان، وعقاب المشركين الذين كذبوا بالقرآن العظيم. وختمت السورة بتوبيخ شديد للمشركين على كفرهم بالله تعالى، مع وضوح الآيات على وحدانيته، وبشرتهم بالعذاب في الجحيم.

---

(٦٦٢) صحيح البخاري (١٨٨٤/٤)، كتاب التفسير باب تفسير سورة ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ۝١﴾، سنن الترمذي (٤٣٤/٥) باب ومن سورة ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ۝١﴾.

(٦٦٣) روح المعاني (٧٨/٣٠) باب ومن سورة ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ۝١﴾.

(٦٦٤) التحرير والتنوير مجلد (٢١٧/٣٠/١٢) بتصرف.

المطلب الثاني: عرض وتفسير لآيات سورة الإنشقاق المتضمنة للقراءات العشر:

١ ـ قال الله تعالى: ﴿وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾﴾ [الانشقاق: ١٢].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ نافع وابن كثير وابن عامر وعلي (ويُصَلّى) بضم الياء وفتح الصاد وتشديد اللام.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿وَيَصْلَىٰ﴾ بفتح الياء وسكون الصاد وتخفيف اللام[٦٦٥].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(صلى) الصاد واللام والحرف المعتل أصلان: أحدهما النار، والآخر جنسٌ من العبادة. فأمّا الأوّل فقولهم: صَلَيْتُ العُودَ بالنار، والصِّلاَء: ما يُصْطَلَى بِهِ وما يُذكَى به النَّار ويُوقَد[٦٦٦] وصَلَى اللَّحْمَ شَواهُ، صَلَيْتُ اللَّحْمَ بالتَّخفيفِ على وَجْهِ الصَلاحِ معناه شَوَيْته فأَمَّا أَصْلَيْتُه وصَلَّيْته فَعَلَى وجْهِ الفَسادِ والإِحْراق[٦٦٧]، صَلى اللَّحْمَ: ألقاهُ في النارِ للإحراق[٦٦٨].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

﴿وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾﴾ يقاسي حرها أو يدخلها، يُصَلّى بضم الياء وفتح الصاد واللام مشددة من التصلية، لقوله تعالى: ﴿وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾﴾ [الواقعة: ٩٤]، ويُصْلَى بضم الياء ساكن الصاد مخفف اللام مبنياً للمفعول

---

(٦٦٥) انظر: النشر (٣٩٩/٢) الكنز (٢٩٩)، الإتحاف (٥٧٧)، المكرر (٤٩٩)، التيسير (١٣٩/١)، السبعة في القراءات (٦٧٧/١).

(٦٦٦) معجم مقاييس اللغة (٣٠٠/٣).

(٦٦٧) لسان العرب (٤٦٤/١٤).

(٦٦٨) القاموس المحيط (١٦٨١/١).

من الْإِصْلَاءِ. لقوله تعالى: ﴿وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ﴾ [النساء: ١١٥][٦٦٩].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قرأ أبو عمرو وعاصم وحمزة ﴿وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾﴾ بفتح الياء وسكون الصاد أي: يصلى هو أي: يصير إلى النار، من صلى يصلى فهو صال، وحجتهم إجماع الجميع على قوله: ﴿ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾﴾ [الأعلى: ١٢] و﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾﴾ [الصافات: ١٦٣] فرد ما اختلفوا فيه إلى ما أجمعوا عليه أولى، ومعنى يصلى أي: أنه يقاسي حرها، من صليت النار أي: قاسيت حرها، وقرأ الباقون ويصلى بالتشديد، من قوله صليته أصليه تصلية، والمعنى: أن الملائكة يصلونه بحر النار وحجتهم: ﴿ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾﴾ [الحاقة: ٣١][٦٧٠]. فالحجة لمن شدد أنه أراد بذلك دوام العذاب عليهم ودليله ﴿وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾﴾ [الواقعة: ٩٤] لأن وزنها تفعلة وتفعلة لا تأتي إلا مصدراً، لفعلته بتشديد العين، والحجة لمن خفف أنه أخذه، من صلى يصلى فهو صال، ودليله قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾﴾ [الصّافات: ١٦٣][٦٧١].

خامساً: الجمع بين القراءات:

بالجمع بين القراءات يتبيّن أن: قراءة ﴿وَيَصْلَىٰ﴾ تفيد أن: الكافر يصير إلى النار فيقاسي حرها، وعلى قراءة (ويُصَلّى) أفادت بأن الملائكة يصلونه بحر النار، وذلك بدوام العذاب عليهم.

٢ ـ قال الله تعالى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾﴾ [الانشقاق: ١٩].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ ابن كثير وحمزة وعلي وخلف بفتح الباء (لَتَرْكَبَنَّ).

---

(٦٦٩) انظر: روح المعاني (٣٠/٨١).

(٦٧٠) حجة القراءات (١/ ٧٥٥ ـ ٧٥٦).

(٦٧١) الحجة (١/٣٦٦).

٢ ـ وقرأ الباقون بضمها ﴿لَتَرْكَبُنَّ﴾[٦٧٢].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(ركب) الراء والكاف والباء أصلٌ واحد مطّرد منقاس، وهو علُوُّ شيءٍ شيئاً[٦٧٣]. ورَكَّبَ الشيءَ وَضَعَ بَعضَه على بعضٍ وقد تَرَكَّبَ وتَراكَبَ، والرَّكِيبُ يكون اسماً للمُرَكَّبِ في الشيءِ[٦٧٤]. رَكِبَهُ كَسَمِعَه، رُكُوباً ومَرْكَباً: عَلاهُ كارْتَكَبَهُ[٦٧٥].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

﴿لَتَرْكَبُنَّ﴾، أي: أيها الناس ﴿طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾﴾، أي: أطواراً متعددة وأحوالاً متباينة، من النطفة إلى العلقة، إلى المضغة، إلى نفخ الروح، ثم يكون وليداً وطفلاً ثم مميزاً، ثم يجري عليه قلم التكليف، والأمر والنهي، ثم يموت بعد ذلك، ثم يبعث ويجازى بأعماله، فهذه الطبقات المختلفة الجارية على العبد، دالة على أن الله وحده هو المعبود، الموحد، المدبر لعباده بحكمته ورحمته وأن العبد فقير عاجز، تحت تدبير العزيز الرحيم، ومع هذا، فكثير من الناس لا يؤمنون[٦٧٦].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي (لَتَرْكَبَنَّ) بفتح الباء، أي: لتركبن يا محمد حالاً بعد حال، يذكر حالات النبي ﷺ من يوم أوحي إليه إلى يوم قبضه الله، وقد روي أيضاً: لتركبن يا محمد سماء بعد سماء يعني: في المعارج، وقال آخرون أي: لتصيرن الأمور حالاً بعد حال بتغيرها واختلاف

(٦٧٢) انظر: النشر (٢/٢٩٩).

(٦٧٣) معجم مقاييس اللغة (٢/٤٣٢).

(٦٧٤) لسان العرب (١/٤٢٨).

(٦٧٥) القاموس المحيط (١/١١٧).

(٦٧٦) تفسير السعدي (١/٩١٧).

الأزمان، يعني الشدة فالأمور فاعلة وتكون التاء لتأنيث الجمع. وقرأ الباقون ﴿لَتَرْكَبُنَّ﴾ برفع الباء، وحجتهم في ذلك أنه يخاطب الناس في ذلك لأنه ذكر من يؤتى كتابه بيمينه وبشماله ثم ذكر ركوبهم طبقاً عن طبق. ثم قال فما لهم لا يؤمنون المعنى: لتركبن حالاً بعد حال من إحياء وإماتة وبعث حتى تصيروا إلى الله. فالحجة لمن قرأه بالفتح، أنه أفرد النبي ﷺ بالخطاب وأراد به لتركبن يا محمد طبقاً من إطباق السماء بعد طبق ولترتقين حالاً بعد حال[٦٧٧]، قال الشوكاني: (لَتَرْكَبَنَّ) على أنه خطاب للواحد، وهو النبي ﷺ أو لكل من يصلح له، و﴿لَتَرْكَبُنَّ﴾ خطاباً للجمع، والنصب على أنه صفة لطبقاً، أي: طبقاً مجاوزاً لطبق. أو على الحال من ضمير لتركبن أي: مجاوزين أو مجاوزاً[٦٧٨].

خامساً: الجمع بين القراءات:

بالجمع بين القراءات يتبيّن أن: قراءة (لَتَرْكَبَنَّ) بالفتح، على أنه خطاب للواحد، وهو النبي ﷺ، وقراءة ﴿لَتَرْكَبُنَّ﴾ بالضم تفيد بأن النبي ﷺ وغيره سيركبون حالاً بعد حال بتغير الأزمان واختلافها.



(٦٧٧) حجة القراءات (٧٥٦/١) الحجة (٣٦٧/١) الحجة للقراء (١٠٨/٤ ـ ١٠٩).

(٦٧٨) فتح القدير (٥٧٧/٥).

الفصل الرابع
تفسير سورة (البروج) إلى آخر سورة (الناس)
من خلال القراءات القرآنية العشر

ويشتمل على ستة مباحث:

المبحث الأول: عرض وتفسير لآيات سورتي (البروج والطارق) المتضمنة للقراءات العشر

المبحث الثاني: عرض وتفسير لآيات سورتي (الأعلى والغاشية) المتضمنة للقراءات العشر

المبحث الثالث: عرض وتفسير لآيات سورتي (الفجر والبلد) المتضمنة للقراءات العشر

المبحث الرابع: عرض وتفسير لآيات سورتي (الشمس والليل) المتضمنة للقراءات العشر

المبحث الخامس: عرض وتفسير لآيات سورتي (القدر والبينة) المتضمنة للقراءات العشر

المبحث السادس: عرض وتفسير لآيات سورة (الشرح، والتكاثر، والهمزة، والمسد، والإخلاص) المتضمنة للقراءات العشر



المبحث الأول
عرض وتفسير لآيات سورتي (البروج والطارق) المتضمنة للقراءات القرآنية العشر

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: بين يدي السورة

أولاً: سورة البروج

ثانياً: سورة الطارق

المطلب الثاني: عرض وتفسير لآيات سورتي (البروج والطارق) المتضمنة للقراءات العشر

أولاً: سورة البروج

ثانياً: سورة الطارق

وتشتملان على:

أولاً: القراءات

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات

خامساً: الجمع بين القراءات



المبحث الأول
عرض وتفسير لآيات سورتي (البروج والطارق) المتضمنة للقراءات العشر

المطلب الأول: بين يدي السورة:

أولاً: سورة البروج:

سميت في المصاحف وكتب السنة وكتب التفسير (سورة البروج)، وهي مكية باتفاق ومعدودة السابعة والعشرين في تعداد نزول السور، نزلت بعد سورة (والشمس وضحاها) وسورة (التين)، وآيها اثنتان وعشرون آية. من أغراض هذه السورة أنها: ابتدئت بضرب المثل للذين فتنوا المسلمين بمكة؛ بأنهم مثل قوم فتنوا فريقاً ممن آمن بالله؛ فجعلوا أخدوداً من نار لتعذيبهم؛ ليكون المثل تثبيتاً للمسلمين وتصبيراً لهم على أذى المشركين وتذكيرهم بما جرى على سلفهم في الإيمان من شدة التعذيب الذي لم ينلهم مثله ولم يصدهم ذلك عن دينهم، وإشعار المسلمين بأن قوة الله عظيمة، فسيلقى المشركون جزاء صنيعهم، ويلقى المسلمون النعيم الأبدي، والنصر، والتعريض للمسلمين بكرامتهم عند الله تعالى، وضرب المثل بقوم فرعون، وبثمود، وكيف كانت عاقبة أمرهم[٦٧٩]. فمحور السورة يدور حول: قصة

(٦٧٩) التحرير والتنوير مجلد ١٢ (٢٣٦/٣٠ ـ ٢٣٧) بتصرف.

أصحاب الأخدود؛ لثبات العقيدة والإيمان، ثم ختمت السورة بقصة فرعون الطاغية الجبّار، وهذة القصة تناسب سياق الآيات من الحديث عن أصحاب الأخدود.

ثانياً: سورة الطارق:

سميت في كتب التفسير وكتب السنة وفي المصاحف (سورة الطارق) لوقوع هذا اللفظ في أولها. وهي سبع عشرة آية وهي مكية بالاتفاق نزلت قبل سنة عشر من البعثة. وعددها في ترتيب نزول السور السادسة والثلاثين. نزلت بعد سورة (لا أقسم بهذا البلد)، وقبل سورة (اقتربت الساعة) من أغراضها: إثبات إحصاء الأعمال، والجزاء على الأعمال، وإثبات إمكان البعث بنقض ما أحاله المشركون؛ ببيان إمكان إعادة الأجسام، وأدمج في ذلك التذكير بدقيق صنع الله وحكمته في خلق الإنسان، والتنويه بشأن القرآن، وصدق ما ذكر فيه من البعث؛ لأن إخبار القرآن به لما استبعدوه وموهوا على الناس بأن ما فيه غير صدق؛ وتهديد المشركين الذين ناوؤا المسلمين وتثبيت النبي ﷺ ووعده بأن الله منتصر له[٦٨٠]. فمحور السورة يدور حول: الإيمان بالبعث، وقد تعرضت أيضاً لخلق الزرع من ماء المطر، فكأنما هذه الآيات تثبت أن الخالق واحد لا شريك له لأن طريقة الخلق واحدة، خلق الإنسان من ماء، وخلق الزرع من ماء، ولو كان هناك آلهة متعددة لتعددت طرق الخلق والإيجاد، وقد ختمت السورة كما في السورة السابقة بالحديث عن القرآن العظيم معجزة رسولنا الكريم ﷺ وبيَان صدقه، وبيّنت إمهال الله تعالى للمكذبين بهذا القرآن.

(٦٨٠) التحرير والتنوير مجلد ١٢ (٣٠/٢٥٦ ـ ٢٥٧) بتصرف.

المطلب الثاني: عرض وتفسير لآيات سورتي البروج والطارق المتضمنة للقراءات العشر:

أولاً: سورة البروج:

١ ـ قال الله تعالى ﴿ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ ۝١٥﴾ [البروج: ١٥].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ حمزة وعلي وخلف (المَجِيدِ) بكسر الدال.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿ٱلۡمَجِيدُ﴾ بضمها[٦٨١].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(مجد) الميم والجيم والدال أصلٌ صحيح، يدلُّ على بلوغ النِّهاية، ولا يكون إلَّا في محمود، والمَجْد: بلوغ النِّهاية في الكَرَم. والله الماجد والمجيد، لا كَرَمَ فوق كرَمه[٦٨٢]. والمجيدُ فعيل منه للمبالغة، وقيل: هو الكريم المفضال، وقيل: إذا قارَن شَرَفُ الذاتِ حُسْنَ الفِعال سمي مَجْداً، وفعِيلٌ أَبلغ من فاعِل، والمَجْد في كلام العرب الشرف الواسع[٦٨٣]. المَجْدُ الكرم وقد مَجُدَ الرجل بالضم مَجْداً فهو مَجِيدٌ[٦٨٤].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

﴿ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ ۝١٥﴾، أي: صاحب العرش العظيم، الذي من عظمته، أنه وسع السماوات والأرض والكرسي، فهي بالنسبة إلى العرش كحلقة ملقاة في فلاة، بالنسبة لسائر الأرض، وخص الله العرش بالذكر

---

(٦٨١) انظر: النشر (٢٩١/٢)، الكنز في القراءات العشر (٣٠٠)، السبعة في القراءات (٦٧٨/١)، غيث النفع (٦٢٢).

(٦٨٢) معجم مقاييس اللغة (٢٩٧/٥).

(٦٨٣) انظر: لسان العرب (٣٩٥/٣).

(٦٨٤) مختار الصحاح (٦٤٢/١).

لعظمته، ولأنه أخص المخلوقات بالقرب منه تعالى، وهذا على قراءة الجر، يكون (المَجِيدِ) نعتا للعرش، وأما على قراءة الرفع، فـ(المَجِيدُ) نعت لله، والمجد سعة الأوصاف وعظمتها[685].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قرأ (حمزة والكسائي) (المَجِيدِ) بالخفض، وقرأ الباقون ﴿ٱلْمَجِيدُ﴾ بالرفع، جُعل صفة لـ«ذو» والمجد هو الشرف، فأسندوه إلى الله تعالى، إذ كان أولى أن يكون من أوصافه، ومن خفض فإنه جعله صفة للعرش، فوصف العرش بالكرم، كما وصفه بالمجد[686]. فالحجة لمن قرأه بالخفض أنه جعله وصفاً للعرش، ودليله قوله تعالى: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ﴾ [غافر: ١٥] والحجة لمن قرأه بالرفع، أنه جعله نعتاً لله ﷻ، مردوداً على قوله: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ۝١٤﴾ فأخره ليوافق رؤوس الآي[687]. فالمجيد على قراءة أهل الكوفة صفة للعرش، وعلى قراءة الجمهور صفة للمولى سبحانه، والمجد هو الشرف، وقد تحير علماء اللغة في الجزم بمرادف واحد للمجد، فتعددت أقوالهم في ذلك، ولكن أكثرهم على ما اختار أبو زرعة أنه الشرف[688].

خامساً: الجمع بين القراءات:

من خلال القراءات يتبيّن أن: قراءة (المَجِيدِ) بالخفض، أفادت صفة المجد للعرش، وقراءة ﴿ٱلْمَجِيدُ﴾ بالرفع أفادت صفة الشرف والمجد لله تعالى بأنه صاحب هذا العرش العظيم.

---

(٦٨٥) تفسير السعدي (٩١٨/١).

(٦٨٦) حجة القراءات (٧٥٧/١)، انظر: الكشف (٣٦٩/٢).

(٦٨٧) انظر: الحجة (٣٦٧/١) الحجة للقراء (١١٠/٤ ـ ١١١).

(٦٨٨) انظر: تقريب النشر لابن الجزري (١٨٦).

إذن: أفادت القراءتان: أن المجيد اسم من أسمائه ﷻ، وأن العرش يقال له: عرش مجيد، وذلك كله يعرف بالتواتر النقلي فقط.

٢ ـ قال الله تعالى: ﴿فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ۝٢٢﴾ [البروج: ٢٢].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ نافع (مَحْفُوظٌ) بضم الظاء.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿مَّحْفُوظٍ﴾ بكسرها[٦٨٩].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(حفظ) الحاء والفاء والظاء أصلٌ واحد يدلُّ على مراعاةِ الشيء، يقال حَفِظْتُ الشيءَ حِفْظاً. والغَضَبُ: الحفيظة؛ وذلك أنّ تلك الحالَ تدعو إلى مراعاة الشيء، يقال للغَضَب الإحفاظ؛ يقال أحفَظَنِي أي: أغضَبَني. والتحفظ: قلّة الغَفلة. والحِفاظ: المحافَظة على الأمور[٦٩٠]. حَفِظَ الشيء بالكسر حفظاً حرسه[٦٩١].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

﴿فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ۝٢٢﴾ من التغيير والزيادة والنقص، ومحفوظ من الشياطين، وهو: اللوح المحفوظ الذي قد أثبت الله فيه كل شيء، وهذا يدل على جلالة القرآن وجزالته، ورفعة قدره عند الله[٦٩٢]. قال أَبو إِسحق: أَي: القرآنُ في لوح محفوظ وهو أُمُّ الكتاب عند الله[٦٩٣].

---

(٦٨٩) انظر: النشر (٣٩٩/٢)، انظر: الكنز (٢٩٩)، انظر: الإتحاف (٥٧٨)، انظر: المكرر (٥٠١) التيسير (١٣٩/١)، انظر: إبراز المعاني (٧٢٢).

(٦٩٠) معجم مقاييس اللغة (٨٧/٢).

(٦٩١) مختار الصحاح (١٦٧/١).

(٦٩٢) تفسير السعدي (٩١٨/١).

(٦٩٣) لسان العرب (٤٤٠/٧).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قرأ نافع (مَحْفُوظٌ) بالرفع جعله نعتاً للقرآن، بل هو قرآن مجيد محفوظ في لوحه، قال: ومعنى حفظ القرآن أنه يؤمن من تحريفه وتبديله وتغييره[٦٩٤]. ﴿مَّحْفُوظٍ﴾ خفضاً على معنى: أن اللوح هو المنعوت بالحفظ، وإذا كان ذلك كذلك كان التأويل: في لوح محفوظ من الزيادة فيه، والنقصان منه عما أثبته الله فيه، (مَحْفُوظٌ) رفعاً، ردّاً على القرآن، على أنه من نعتِه وصفتِه، وكان معنى ذلك على قراءتهما: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾﴾ محفوظ من التغيير والتبديل في لوح[٦٩٥]. فالقرآن محفوظ في اللوح، واللوح محفوظ بأمر الله[٦٩٦]. يقول د. صبحي الصالح: إن القارئ الذي يظن أنه وقع على المعنى الألطف من خلال الحركة الإعرابية المناسبة، لا يسمح لنفسه إلا بخفض الفاصلة، فهي في نظره لازمة الخفض لا محالة[٦٩٧]، وأقول: كلا المعنيين يؤدي لمعنى لطيف لا سيما أن القراءتين متواترتان.

خامساً: الجمع بين القراءات:

أفادت قراءة ﴿مَّحْفُوظٍ﴾ خفضاً على معنى: أن اللوح هو المنعوت بالحفظ من الزيادة أو النقص. وأفادت قراءة (مَحْفُوظٌ) رفعاً، أن القرآن من نعتِه وصفتِه أنه محفوظ من التغيير والتبديل في اللوح، وتُظْهِر دلالة القراءتين أن اللوح محفوظ، وأن القرآن محفوظ في اللوح، وكلاها حكم غيبي يجب اعتقاده، طالما دلت عليه القراءات المتواترة.

---

(٦٩٤) حجة القراءات (٧٥٧/١).

(٦٩٥) الطبري مجلد ١٢ (٥٣١/٣٠).

(٦٩٦) القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني والأحكام الشرعية ـ لمحمد حبش ـ (١٢٥).

(٦٩٧) دراسات في فقه اللغة. د. صبحي الصالح (١٢١).

ثانياً: سورة الطارق:

١ـ قال الله تعالى: ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ۝٤﴾ [الطارق: ٤].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة وأبو جعفر ﴿لَّمَّا﴾ بتشديد الميم.

٢ ـ وقرأ الباقون (لَمَا) مخففة[٦٩٨].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(لما) لما تكون بمعنى لم في نفي الفعل المستقبل كقوله تعالى: ﴿بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ﴾ [ص: ٨].

وتكون بمعنى إلا، قال الله تعالى: ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ۝٤﴾، أي: إلا عليها[٦٩٩]، فاللام عند سيبويه والأكثرين لام الابتداء، أفادت مع إفادتها توكيد النسبة، وتخليص المضارع للحال؛ الفرق بين إن المخففة من الثقيلة، وإن النافية؛ ولهذا صارت لازمة بعد أن كانت جائزة[٧٠٠]. (ولَمَّا) بمَعْنى: إلَّا ما كلُّ نفسٍ إلا عليها حافظٌ مهيمنٌ رقيبٌ[٧٠١].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ۝٤﴾، أي: ما كل نفس كائنة في حال من الأحوال إلا في حال أن يكون عليها حافظ أي مهيمن ورقيب وهو الله ﷻ[٧٠٢].

---

(٦٩٨) انظر: النشر (٣٩٩/٢)، الكنز (٣٠٠)، الإتحاف (٥٧٩)، المكرر (٥٠٣)، غيث النفع (٦٢٢).

(٦٩٩) حروف المعاني (١١/١)، المستنير (٢٤٦/٣)، الوجوه والنظائر (٤٠٨)، شرح قطر الندى وبل الصدى للأنصاري (٥٧).

(٧٠٠) مغني اللبيب (٣٠٥/١).

(٧٠١) تفسير أبي السعود (١٤٠/٩).

(٧٠٢) روح المعاني (٩٦/٣٠).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قرأ (ابن عامر وعاصم وحمزة) (لَمَّا) بالتشديد أي: ما كل نفس إلا عليها حافظ، (إن) بمعنى ما، و(لمَّا) بمعنى إلا. وقرأ الباقون (لَمَا) بالتخفيف، و(ما) تكون زائدة على هذه القراءة، المعنى: (إن كل نفس لعليها حافظ)[٧٠٣]، على أن اللام جواب (إن) و(ما) التي بعدها صلة. وإذا كان ذلك كذلك لم يكن فيه تشديد[٧٠٤] فعند الكوفيين إن نافية كما سبق واللام بمعنى إلا وما زائدة، واللام هي الداخلة للفرق بين إن النافية، وإن المخففة[٧٠٥]، وفي قراءة التشديد، المعنى: (ما كل نفس إلا عليها حافظ)، فـ(إن) نافية و(لمَّ) بمعنى إلا[٧٠٦]. (لَمَّا) بتشديد الميم، هي لغة هذيل[٧٠٧].

خامساً: الجمع بين القراءات:

أفادت قراءة التخفيف: (إن كل نفس لعليها حافظ) وأفادت قراءة التشديد: (ما كل نفس إلا عليها حافظ). بالجمع بين القراءتين يتبيّن لنا: التأكيد على أن كل نفس عليها من الله حافظ. وقد تضمن المعنى زيادةً على إفادته تحقيق الحفظ من الله، إنذاراً للمشركين بأن الله رقيب عليهم وأنه سيجازيهم على أعمالهم.



(٧٠٣) حجة القراءات (٧٥٨/١).

(٧٠٤) الطبري (٣٥٣/٢٤).

(٧٠٥) روح المعاني (٩٦/٣٠).

(٧٠٦) موصل الطلاب إلى قواعد الإعراب (١٠٢/١).

(٧٠٧) الكشف والبيان للثعلبي (٦٩/١٤).

المبحث الثاني
عرض وتفسير لآيات سورتي (الأعلى والغاشية) المتضمنة للقراءات القرآنية العشر

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: بين يدي السورة

أولاً: سورة الأعلى

ثانياً: سورة الغاشية

المطلب الثاني: عرض وتفسير لآيات سورتي (الأعلى والغاشية) المتضمنة للقراءات العشر

أولاً: سورة الأعلى

ثانياً: سورة الغاشية

وتشتملان على:

أولاً: القراءات

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات

خامساً: الجمع بين القراءات

المبحث الثاني
عرض وتفسير لآيات سورتي (الأعلى والغاشية) المتضمنة للقراءات العشر

المطلب الأول: بين يدي السورة:

أولاً: سورة الأعلى:

هذه السورة وردت تسميتها في السنة سورة (سبح اسم ربك الأعلى)، وسمتها عائشة (سبح)[٧٠٨]، وسماها أكثر المفسرين وكتاب المصاحف (سورة الأعلى)؛ لوقوع صفة الأعلى فيها دون غيرها، وهي مكية في قول الجمهور، وعن الضحاك: أن السورة كلها مدنية، وهي معدودة الثامنة في ترتيب نزول السور، نزلت بعد سورة التكوير، وقبل سورة الليل، فهي من أوائل السور، وعدد آيها تسع عشرة آية باتفاق أهل العدد، من أغراضها: أنها اشتملت على تنزيه الله تعالى، والإشارة إلى وحدانيته لانفراده بخلق الإنسان، وخلق ما في الأرض مما فيه بقاؤه، وعلى تأييد النبي ﷺ وتثبيته على تلقي الوحي، وأن الله معطيه شريعة سمحة وكتاباً يتذكر به أهل النفوس الزكية، الذين يخشون ربهم، ويعرض عنهم أهل الشقاوة، الذين يؤثرون الحياة الدنيا ولا يعبئون بالحياة الأبدية، وأن ما أوحي إليه يصدقه ما في

(٧٠٨) انظر: صحيح البخاري (١٤٢٨/٣) باب مقدم النبي ﷺ وأصحابه المدينة، سنن الترمذي (٣٢٥/٢).

كتب الرسل من قبله، وذلك كله تهوين لما يلقاه من إعراض المشركين[٧٠٩]. محور السورة يعالج عدة مواضيع، هي: بعض صفات الله تبارك وتعالى، والوحي والقرآن الذي أنزل على الرسول ﷺ وتيسير حفظه عليه، وتعالج موضوع الموعظة الحسنة التي ينتفع بها أصحاب القلوب الحيّة وأهل الإيمان، واختتمت السورة ببيان فوز من طهّر نفسه من الذنوب والمعاصي والآثام وزكّى نفسه بصالح الأعمال وبيان أن الآخرة هي أبقى للإنسان من الدنيا الزائلة الفانية.

ثانياً: سورة الغاشية:

سميت في المصاحف والتفاسير (سورة الغاشية). وكذلك عنونها الترمذي في كتاب التفسير من جامعه لوقوع لفظ (الغاشية) في أولها[٧١٠]، وعنونها البخاري كذلك في صحيحه[٧١١]، وهي مكية بالاتفاق، وهي معدودة السابعة والستين في عداد نزول السور، نزلت بعد سورة الذاريات، وقبل سورة الكهف، وآياتها ست وعشرون، من أغراضها أنها: اشتملت على تهويل يوم القيامة وما فيه من العقاب، وتثبيت النبي ﷺ على الدعوة إلى الإسلام وأن لا يعبأ بإعراضهم، وأن وراءهم البعث فهم راجعون إلى الله وهو مجازيهم على كفرهم وإعراضهم[٧١٢]. فمحور السورة كشأن السورة المكيّة تناول موضوعين أساسيين:

الأول: القيامة وأهوالها وما يلقاه المؤمن من النعيم.

والثاني: عرض بعض الأدلة والبراهين على وحدانية الله ـ تعالى ـ وقدرته في الكون والخلق البديع، وختمت السورة بخطاب النبي ﷺ يا

---

(٧٠٩) التحرير والتنوير مجلد ١٢ (٢٧١/٣٠ ـ ٢٧٢) بتصرف.

(٧١٠) انظر: سنن الترمذي (٣٩٦/٢) باب ما جاء في القراءة في صلاة الجمعة.

(٧١١) انظر: صحيح البخاري (١٨٨٦/٤) باب تفسير سورة ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ۝١﴾.

(٧١٢) التحرير والتنوير مجلد (١٢/٣٠/ ٢٩٣ ـ ٢٩٥) بتصرف.

محمد بلغهم بآياتي، وعظهم بحججي وبلِّغهم رسالتي، فلست عليهم بمسلَّط، ولا أنت بجبار تحملهم على ما تريد، فدعهم وحكمي فيهم.

المطلب الثاني: عرض وتفسير لآيات سورتي الأعلى والغاشية المتضمنة للقراءات العشر:

أولاً: سورة الأعلى:

١ ـ قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾﴾ [الأعلى: ٣].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ الكسائي (قَدَرَ) بتخفيف الدال.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿قَدَّرَ﴾ بتشديدها[(٧١٣)].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(قدر) القاف والدال والراء أصلٌ صحيح يدلُّ على مَبْلَغ الشَّيء، وكُنهه، ونهايته. فالقدر: مبلغُ كلِّ شيء. يقال: قَدْرُه كذا، أي مبلغُه. وقَدَرتُ الشَّيءَ أَقْدِرُه وأَقْدُرُه من التقدير، وقدَّرته أُقَدِّره. والقَدْر: قضاء الله تعالى الأشياءَ على مبالغها ونهاياتها التي أرادَها لها، وهو القَدَرُ أيضاً[(٧١٤)] القَدَرُ القَضاء المُوَفَّقُ، يقال: قَدَّرَ الإِله كذا تقديراً، وإِذا وافق الشيءُ الشيءَ قلت: جاءه قَدَرُه[(٧١٥)].

---

(٧١٣) انظر: النشر (٣٩٩/٢ ـ ٤٠٠)، الكنز (٣٠٠)، الإتحاف (٥٨٠)، المكرر (٥٠٥)، التيسير (١٣٩/١)، السبعة في القراءات (٦٨٠/١).

(٧١٤) معجم مقاييس اللغة (٦٢/٥).

(٧١٥) لسان العرب (٧٤/٥).

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

﴿وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣﴾ أي: جعل الأشياء على مقادير مخصوصة في أجناسها وأنواعها وأفرادها وصفاتها وأفعالها وآجالها (فهدى) فوجه كل واحد منها إلى ما يصدر عنه وينبغي له طبعاً أو اختياراً، ويسره لما خُلق له بخلق الميول والإلهامات، ونصب الدلائل وإنزال الآيات، وقيل أي: والذي قدّر الخلق على ما خلقهم فيه من الصور، والهيئات وأجرى لهم أسباب معاشهم من الأرزاق والأقوات، هداهم إلى دينه ومعرفة توحيده بإظهار الدلالات والبينات(٧١٦).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قرأ الكسائي (قَدَرَ) بالتخفيف، من القدرة على جميع الأشياء، وقرأ الباقون ﴿قَدَّرَ﴾ بالتشديد، المعنى: قدر خلقه فهدى كل مخلوق إلى مصلحته، ويقال: هدى الذكر لمأتى الأنثى من سائر الحيوان، وحجتهم قوله: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢] وقد أجمعوا على تشديد هذا، فرد ما اختلفوا فيه إلى أما اجمعوا عليه أولى(٧١٧). والحجة لمن خفف أنه طابق بين اللفظين؛ فجعل قدر كهدى، وقيل: معناه فهدى وأضل فحذف أضل للدلالة ولموافقة رؤوس الآي(٧١٨).

خامساً: الجمع بين القراءات:

أفادت قراءة (قَدَرَ) بالتخفيف من قدرة الله ـ تعالى ـ على جميع الأشياء، وأفادت قراءة التشديد ﴿قَدَّرَ﴾ قدَّر خلقه فهدى كلاً إلى مصلحته، وبالجمع بينهما يتبيّن أن: الله تعالى قادر على كل شيء، ومن هذه القدرة المطلقة أنه هدى كل مخلوق لما يُصْلِحُ له حياته.

---

(٧١٦) انظر: روح المعاني (٣٠/١٠٤).

(٧١٧) حجة القراءات (١/٧٥٨ ـ ٧٥٩)، انظر: الكشف (٢/٣٧٠).

(٧١٨) الحجة (١/٣٦٨).

٢ ـ قال الله تعالى: ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ۝٨﴾ [الأعلى: ٨].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ أبو جعفر (لِلْيُسُرَى) بضم السين.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿لِلْيُسْرَىٰ﴾ بسكونها[٧١٩].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(يسر) الياء والسين والراء: أصلانِ يدلُّ أحدُهما على انفتاح شيءٍ وخِفّته، والآخرُ على عُضوٍ من الأعضاء. فالأول: اليُسْر: ضِدُّ العُسْر[٧٢٠] ويَسَّرَه هو سَهَّله، ووَسَّعَ عليه، وسَهَّلَ، والتيسير يكون في الخير، والشر، وقد يَسَّرَه الله لليُسرى أي: وفَّقه لها، أو سَنُهَيِّئُه للعَوْد إلى العمل الصالح[٧٢١].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ۝٨﴾ عطف على ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦﴾ للإيذان بقوة تمكينه ﷺ من اليسرى والتصرف فيها بحيث صار ذلك ملكة راسخة له كأنه ﷺ جبل عليها، أي: نوفقك توفيقاً مستمراً للطريقة اليسرى في كل باب من أبواب الدين، علماً، وتعليماً، واهتداء، وهداية، فيندرج فيه تيسير تلقي طريقي الوحي والإحاطة بما فيه من أحكام الشريعة السمحة، والنواميس الإلهية؛ مما يتعلق بتكميل نفسه الكريمة ﷺ وتكميل غيره[٧٢٢]. والأولى حمل الآية على العموم: أي: نوفقك للطريقة اليسرى في الدين والدنيا في كل أمر من أمورهما التي تتوجه إليك[٧٢٣].

(٧١٩) انظر: الكنز (٣٠٠)، المكرر (٥٠٥).

(٧٢٠) معجم مقاييس اللغة (١٥٥/٦).

(٧٢١) لسان العرب (٢٩٥/٥) بتصرف يسير.

(٧٢٢) روح المعاني (١٠٧/٣٠).

(٧٢٣) فتح القدير (٦٠١/٥).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

الإسكان والضم لغتان: والإسكان هو الأصل، والضم لمناسبة الحرف الذي قبل السين[٧٢٤]. وقيل كل اسم على ثلاثة أَحرف أَوله مضموم وأَوسطه ساكن فمن العرب من يُثَقِّلُه ومنهم من يخففه مثل: عُسْر وعُسُر، وحُلْم وحُلُم، والعُسْرةُ والمَعْسَرةُ والمَعْسُرةُ والعُسْرَى خلاف المَيْسَرة، وهي الأُمور التي تَعْسُر[٧٢٥].

خامساً: الجمع بين القراءات:

الملاحظ أن حرف السين من الحروف الرخوة، والرخاوة هي: جريان الصوت لعدم وجود عائق في الجهاز النطقي في أثناء مرور صوت السين، وهذا يشير إلى أن قراءة الإسكان في السين تدل على أن النبي ﷺ له الأمر الميسر، دون عائق. وحركة السين بالضم أقوى من السكون مع أن السكون يظهر صفة الرخاوة أكثر من الحركة؛ لكن الحركة تدل أن نسبة التقوى أكبر عند النبي ﷺ والله أعلم. من خلال الجمع تظهر الإشارة إلى ترغيب الله تعالى لزيادة التقوى والتي يبنى عليها زيادة السعة في الأمر؛ لِلَّذِي تداخل التقوى قلبه أكثر، وهذا على قراءة (لِلْيُسُرَى). ولا يعدم تيسر الأمر على قراءة ﴿لِلْيُسْرَىٰ﴾، كما لم يعدم قلبه من التقوى؛ لكن تيسير الأمر وقوته حسب قوة التقوى، وتمكنها في القلب.

٣ ـ قال الله تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾﴾ [الأعلى: ١٦].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ «أبو عمرو» (يُؤْثِرُونَ) بالياء.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿تُؤْثِرُونَ﴾ بالتاء[٧٢٦].

---

(٧٢٤) المغني (١/٢٣٤).

(٧٢٥) لسان العرب (٤/٥٦٣).

(٧٢٦) انظر: النشر (٢/٤٠٠) انظر: الكنز (٣٠٠)، انظر: الإتحاف (٥٨٠)، انظر: السبعة في القراءات (١/٦٨٠).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(أثر) الهمزة والثاء والراء، له ثلاثة أصول: تقديم الشيء، وذكر الشيء، ورسم الشيء الباقي. الأَثَرة، وجمع الأثير أُثَراءُ. قال الخليل: استأثر الله بفلانٍ، إذا مات وهو يُرجى له الجنّة[٧٢٧] الإِثْرُ أي: الخِيَرَةُ والإِيثارُ وكأَنَّ الإِثَرَ جمع الإِثْرَة وهي الأَثَرَة[٧٢٨].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾﴾ هذا إضراب عن كلام مقدر يدل عليه السياق، أي: لا تفعلون ذلك بل تؤثرون اللذات الفانية في الدنيا، قيل: والمراد بالآية الكفرة، والمراد بإيثار الحياة الدنيا، هو الرضا بها، والاطمئنان إليها، والإعراض عن الآخرة بالكلية، وقيل: المراد بها جميع الناس من مؤمن وكافر، والمراد بإيثارها ما هو أعم من ذلك مما لا يخلو عنه غالب الناس من تأثير جانب الدنيا على الآخرة، والتوجه إلى تحصيل منافعها، والاهتمام بها اهتماماً زائداً على اهتمامه بالطاعات[٧٢٩].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قرأ أبو عمرو (يُؤْثِرُونَ) بالياء. وحجته قوله: ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾﴾ [الأعلى: ١١]، أي: بل يؤثر. وقرأ الباقون (تُؤْثِرُونَ) بالتاء، أي: بل أنتم تؤثرون، وحجتهم أن في قراءة أبيّ (بل أنتم تؤثرون)[٧٣٠]. ـ وهي قراءة شاذة ـ قرأ الجمهور (تُؤْثِرُونَ) بالفوقية على الخطاب، على الالتفات من الغيبة إلى الخطاب، والمخاطبون هم الخلق الذين جبلوا على حب الدنيا،

(٧٢٧) معجم مقاييس اللغة (٥٣/١ ـ ٥٥).

(٧٢٨) لسان العرب (٥/٤).

(٧٢٩) فتح القدير (٦٠٢/٥).

(٧٣٠) حجة القراءات (٧٥٩/١).

وقرأ أبو عمرو (يُؤْثِرُونَ) بالتحتية، على الغيبة[٧٣١].

خامساً: الجمع بين القراءات:

أفادت قراءة (يُؤْثِرُونَ) بالياء، أي: أن الأشقى ومن شق طريقه قد آثر الحياة الدنيا على الآخرة؛ فسيصلى النار الكبرى، وأفادت قراءة ﴿تُؤْثِرُونَ﴾ بالتاء: بل أنتم تؤثرون عمل الدنيا على عمل الآخرة، فاحذروا أن تصابوا بما أصاب الأشقياء، لأن الدنيا أحضرت، وعجل لنا طعامها وشرابها ونساؤها ولذاتها وبهجتها، وأن الآخرة غيبت عنا وزويت، فأخذنا بالعاجل وتركنا الآجل.

ثانياً: سورة الغاشية:

١ ـ **قال الله تعالى:** ﴿تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾﴾ [الغاشية: ٤].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ أبو عمرو وشعبة ويعقوب (تُصْلَى) بضم التاء.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿تَصْلَىٰ﴾ بفتحه[٧٣٢].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(صَلَى) الصاد واللام والحرف المعتل أصلان: أحدهما النار وما أشبهها من الحُمَّى، والآخر جنسٌ من العبادة. فأمَّا الأوّل فقولهم: صَلَيْتُ العُودَ بالنار. والصَّلَى صَلَى النّار. واصطليتُ بالنَّار. والصِّلاَء: ما يُصْطَلَى بِهِ وما يُذكَى به النَّار ويُوقَد[٧٣٣] وصَلَى اللَّحْمَ شَواهُ، كأَنَّكَ تُرِيدُ الإحْرَاقَ،

---

(٧٣١) انظر: الكشف (٢/٢٧٠)، معاني القراءات (٥٤٠) فتح القدير (٥/٦٠٢).

(٧٣٢) انظر: النشر (٢/٤٠٠) انظر: الكنز (٣٠٠)، الإتحاف (٥٨١)، المكرر (٥٠٥)، التيسير (١/١٣٩)، انظر: السبعة في القراءات (١/٦٨٠)، غيث النفع (٦٢٣).

(٧٣٣) معجم مقاييس اللغة (٣/٣٠٠).

صَلَيْتُ اللَّحْمَ بالتَّخفيفِ على وَجْهِ الصَلاح معناه شَوَيْته فأمَّا أَصْلَيْتُه وصَلَّيْتُه فَعَلَى وجْهِ الفَسادِ والإحْراق[٧٣٤]، صَلى اللَّحْمَ: ألقاهُ في النارِ للإحراق، وأصْلاهُ النارَ وصَلاهُ إيَّاها، وفيها وعليها أي: أَدْخَلَهُ إيَّاها وأثْواهُ فيها[٧٣٥].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

﴿تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾﴾، أي: شديداً حرها، تحيط بهم من كل مكان[٧٣٦]، فهي متناهية في الحر، من حميت النار؛ إذا اشتد حرها[٧٣٧]. قال ابن عباس: (قد حميت فهي تتلظى على أعداء الله تعالى)[٧٣٨].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قرأ أبو عمرو وأبو بكر (تُصْلَى) بضم التاء، وحجتهما ذكرها اليزيدي فقال: كقوله بعدها ﴿تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ﴿٥﴾﴾ [الغاشية: ٥] فجعله اليزيدي بلفظ ما بعده، إذ أتى في سياقه ليأتلف الكلام على نظام. وقرأ الباقون ﴿تَصْلَىٰ﴾ بفتح التاء، وحجتهم أن الصلى مسند إليهم في كثير من القرآن مثل: قوله تعالى: ﴿يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٥﴾﴾ [الانفطار: ١٥] فرد ما اختلفوا فيه إلى ما أجمعوا عليه أولى[٧٣٩]. (تُصْلَى) بضم التاء من الفعل الرباعي، لم يسم فاعله، ويتعدى إلى مفعولين، أحدهما مضمر في الفعل، يعود على أصحاب الوجوه المذكورة، والثاني ناراً، و﴿تَصْلَىٰ﴾ بفتح التاء، من الفعل الثلاثي سمي فاعله يتعدى إلى مفعول واحد، والفاعل مضمر يعود على أصحاب الوجوه والمفعول ناراً[٧٤٠].

---

(٧٣٤) لسان العرب (١٤/٤٦٤).

(٧٣٥) القاموس المحيط (١/١٦٨١).

(٧٣٦) تفسير السعدي (١/٩٢١).

(٧٣٧) روح المعاني (٣٠/١١٢ - ١١٣).

(٧٣٨) زاد المسير (٩/٩٦).

(٧٣٩) حجة القراءات (١/٧٥٩)، انظر: روح المعاني (٣٠/١١٢ - ١١٣)، الحجة للقراء (٤/١١٥).

(٧٤٠) الكشف (٢/٢٧٠ - ٢٧١).

خامساً: الجمع بين القراءات:

أفادت قراءة ﴿تَصْلَىٰ﴾ بفتح التاء، أن وجوه الكفار ستلازم حر النار، وأفادت قراءة (تُصْلَى) بضم التاء، أن الكفار سيلقون في النار على وجوههم ليقاسوا عذابها ويذوقوا حرها. وبالجمع بين القراءات يتبيّن أن: الكفار سيلقون في النار؛ لتلازم وجوههم بحرِّها وعذابها.

٢ ـ قال الله تعالى: ﴿لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً ﴿١١﴾﴾ [الغاشية: ١١].

أولاً: القراءات:

١ ـ أ ـ قرأ نافع (لاَ تُسْمَعُ) بتاء مضمومة.

ب ـ قرأ أبو عمرو وابن كثير ورويس بياء مضمومة (لاَ يُسْمَعُ).

ج ـ وقرأ الباقون ﴿لَّا تَسْمَعُ﴾ بتاء مفتوحة.

٢ ـ أ ـ قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو ورويس (لاَغِيَةٌ) بالرفع.

ب ـ وقرأ الباقون ﴿لَٰغِيَةً﴾ بالنصب(٧٤١).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

١ ـ (سمع) السين والميم والعين أصلٌ واحدٌ، وهو إيناسُ الشيء بالأُذن(٧٤٢) السَّمْعُ حِسُّ الأذن، وقد سَمِعَه سَمْعاً وسِمْعاً وسَماعاً وسَماعةً وسَماعِيةً، السَّمْعُ المصدر والسِّمع الاسم والسَّمْعُ أَيضاً الأُذن والجمع أَسْماعٌ، والسَّمْعُ ما وَقَر في الأُذن من شيء تسمعه(٧٤٣).

(٧٤١) انظر: النشر (٢/٤٠٠)، الكنز (٣٠٠)، السبعة في القراءات (١/٦٨٠)، غيث النفع (٦٢٣)، إبراز المعاني (٧٢٢ ـ ٧٢٣).

(٧٤٢) معجم مقاييس اللغة (٣/١٠٢).

(٧٤٣) لسان العرب (٨/١٦٢).

٢ - (لغو) اللام والغين والحرف المعتل أصلانِ صحيحان، أحدهما يدلُّ على الشَّيءِ لا يُعتدُّ به، والآخَر على اللَّهَج بالشَّيء. فالأوَّل اللَّغو: ما لا يُعتَدُّ به من أولادِ الإبلِ في الدِّيَة[٧٤٤] اللَّغو واللَّغا السَّقَط وما لا يُعتدّ به من كلام وغيره ولا يُحصَل منه على فائدة[٧٤٥].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

﴿لَّا تَسۡمَعُ﴾ أي: في الجنة، وهذا خطاب لكل من يصلح للخطاب، وهو راجع للوجوه، على أن المراد بها أصحابها، لأن المراد بالوجوه أولاً حقيقتها وعند إرجاع الضمير إليها ثانياً أصحابها فهم الذين لا يسمعون ﴿فِيهَا لَٰغِيَةً﴾ أي: كلمة لغو وباطل، فضلاً عن الكلام المحرم، بل كلامهم كلام حسن نافع مشتمل على ذكر الله تعالى، وذكر نعمه المتواترة عليهم، وعلى الآداب المستحسنة بين المتعاشرين، الذي يسر القلوب، ويشرح الصدور، فهي مصدر بمعناه، ويجوز كونها صفة كلمة محذوفة على أنها للنسب، أي: كلمة ذات لغو[٧٤٦].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قرأ ابن كثير وأبو عمرو (لاَ يُسْمَعُ) بضم الياء (لاَغِيَةٌ) رفع على ما لم يسم فاعله، قالوا: لأن الخطاب ليس بمصروف إلى واحد؛ وإنما ذكروا (الاغية) مؤنثة، لأن تأنيث (الاغية) غير حقيقي، أي: لغو، قال: اليزيدي المعنى: لا يسمع فيها من أحد لاغية، وحجتهما أنها موافقة لإعراب رؤوس الآيات قبلها وبعدها، فجرى على ذلك. وقرأ نافع (لاَ تُسْمَعُ) بضم التاء فيها (لاَغِيَةٌ) رفع على ما لم يسم فاعله وأتت لا تسمع على لفظ اللاغية دون المعنى. وقرأ أهل الشام والكوفة ﴿لَّا تَسۡمَعُ﴾ بفتح التاء ﴿لَٰغِيَةً﴾ نصب،

---

(٧٤٤) معجم مقاييس اللغة (٥/٢٥٥).

(٧٤٥) لسان العرب (١٥/٢٥٠).

(٧٤٦) انظر: روح المعاني (٣٠/١١٥)، تفسير السعدي (١/٩٢١).

وحجتهم أنها تنصرف إلى وجهين: يجوز أن تسند السماع إلى الوجوه المذكورة؛ لأن ذلك أتى عقيب الخبر، والوجه الآخر أن يكون على مخاطبة النبي ﷺ فكأنه قال: لا تسمع يا محمد في الجنة لاغية[٧٤٧]. فالحجة لمن قرأه بالضم أنه طابق بذلك بين لفظه ولفظ قوله (يُسْقَى)، والحجة لمن فتح أنه أتى بالفعل على أصله وبناه لفاعله[٧٤٨].

خامساً: الجمع بين القراءات:

أفادت قراءة (لاَ يُسْمَعُ)، وبـ(لاَغِيَةٌ) بالرفع أي: لا يسمع فيها من أحد لاغية، فطابق بذلك بين لفظه ولفظ قوله ﴿يُسْقَىٰ﴾ [الرعد: ٤]، على أن الفاعل لم يسمّ، وأفادت قراءة ﴿لَّا تَسْمَعُ﴾ بالتاء، ﴿لَٰغِيَةً﴾ بالنصب، أي: لا تسمع أيها الناعم في الجنة لغواً، وهو الكلام الباطل. فكأنه قال: لا تسمع يا محمد ﷺ في الجنة باطلاً، كالذي احتملته من الكفار في الدنيا.

٣ ـ قال الله تعالى: ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾﴾ [الغاشية: ٢٢].

أولاً: القراءات:

١ ـ أ ـ قرأ هشام (بِمُسَيْطِرٍ) بالسين.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿بِمُصَيْطِرٍ﴾ بالصاد[٧٤٩].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

المُسَيطِر، وهو المتعهّد للشيء المتسلّط عليه[٧٥٠]. فإنه يقال: تسيطر فلان على كذا، وسيطر عليه: إذا أقام عليه قيام سطر، يقول: لست عليهم بقائم. واستعمال (المسيطر) هاهنا كاستعمال (القائم) في قوله: ﴿أَفَمَنْ هُوَ

(٧٤٧) حجة القراءات (٧٦٠/١)، الإتحاف (٥٨٠).

(٧٤٨) الحجة (٣٦/١).

(٧٤٩) انظر: النشر (٣٧٨/٢)، التيسير (١٣٩/١)، السبعة في القراءات (٦٨٠/١) غيث النفع (٦٢٣) إبراز المعاني (٧٢٢ ـ ٧٢٣).

(٧٥٠) معجم مقاييس اللغة (٧٣/٣).

قَآيِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد: ٣٣][٧٥١]، وتصيطر بالسين والصاد والأصل السين وكل سين بعدها طاء يجوز أن تقلب صاداً يقال سطر وصطر، وسَطَرَه أي: صرعه[٧٥٢].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

(لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ)، أي: ذكر الناس وعظهم، وأنذرهم وبشرهم، فإنك مبعوث لدعوة الخلق إلى الله وتذكيرهم، ولم تبعث مسيطراً عليهم، مسلطاً موكلاً بأعمالهم، فإذا قمت بما عليك، فلا عليك بعد ذلك لوم[٧٥٣]. والمصيطر والمسيطر، بالسين والصاد: المسلط على الشيء ليشرف عليه ويتعهد أحواله أي: لست عليهم بمصيطر حتى تكرههم على الإيمان[٧٥٤].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قرأ ابن كثير وحفص (بِمُصَيْطِرٍ) بالسين، وقرأ الباقون بالصاد، وتصيطر بالصاد والسين والأصل السين وكل سين بعدها طاء يجوز أن تقلب صاداً[٧٥٥]؛ فوجه قراءة السين، أنها الأصل، ولو كانت الصاد هي الأصل ما رجعت إلى السين، لأن الأقوى لا ينقل إلى الأضعف، وإنما ينقل الأضعف إلى الأقوى أبداً، والصاد، أقوى من السين، لما في الصاد من صفتي: الإطباق، والاستعلاء دون السين، ووجه قراءة الصاد، لأجل الطاء، وليعمل اللسان عملاً واحداً في الإطباق، والاستعلاء الموجودين في الصاد، والطاء[٧٥٦].

---

(٧٥١) مفردات ألفاظ القرآن (٤٧٦/١).

(٧٥٢) لسان العرب (٣٦٣/٤).

(٧٥٣) تفسير السعدي (٩٢٢/١).

(٧٥٤) فتح القدير (٦١٠/٥).

(٧٥٥) حجة القراءات (٦٨٤/١) الحجة (٣٦٩/١).

(٧٥٦) المغني (٢٦٧/٣).

خامساً: الجمع بين القراءات:

قراءة (بِمُصَيْطِرٍ) بالسين والصاد لغتان، والمصيطر والمسيطر، بالسين والصاد: المسلط على الشيء ليشرف عليه ويتعهد أحواله، ووجه قراءة السين، أنها الأصل، ووجه قراءة الصاد، لأجل الطاء، والمعنى: الأصل في الداعي أن يشرف على المدعو ويتعهد أحواله، حتى يوصله إلى الطريق القويم.



المبحث الثالث
عرض وتفسير لآيات سورتي (الفجر والبلد) المتضمنة للقراءات القرآنية العشر

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: بين يدي السورة

أولاً: سورة الفجر

ثانياً: سورة البلد

المطلب الثاني: عرض وتفسير لآيات سورتي (الفجر والبلد) المتضمنة للقراءات العشر

أولاً: سورة الفجر

ثانياً: سورة البلد

وتشتملان على:

أولاً: القراءات

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات

خامساً: الجمع بين القراءات

المبحث الثالث
عرض وتفسير لآيات سورتي (الفجر والبلد)
المتضمنة للقراءات العشر

المطلب الأول: بين يدي السورة:

أولاً: سورة الفجر:

مكية باتفاق، وقد عُدت العاشرة في عداد نزول السور، نزلت بعد سورة الليل، وقبل سورة الضحى، وعدد آيها اثنتان وثلاثون، عند أهل العدد بالمدينة. وهي ثلاثون عند أهل العدد بالكوفة والشام، وعند أهل البصرة تسع وعشرون، من أغراضها: أنها ضربت المثل لمشركي أهل مكة في إعراضهم عن قبول رسالة ربهم، بمثل عاد، وثمود، وقوم فرعون، وإنذارهم بعذاب الآخرة، وتثبيت النبي ﷺ مع وعده باضمحلال أعدائه، وإبطال غرور المشركين من أهل مكة؛ إذ يحسبون أن ما هم فيه من النعيم علامة على أن الله أكرمهم، وأن ما فيه المؤمنون من الخصاصة علامة على أن الله أهانهم، وفي السورة إشارات سريعة لمصارع الغابرين، وفي بعض المشاهد نداوة ورقة تبعث بالطمأنينة[٧٥٧] فمحور السورة يدور حول: بيان سنة الله تعالى في ابتلاء العباد بالخير، والشر، والغنى، والفقر، وطبيعة

---

(٧٥٧) التحرير والتنوير مجلد ١٢ (٣١١/٣٠ - ٣١٢) بتصرف، وانظر: مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه، لعدنان زرزور (٢٧٢).

النفس البشرية في حب المال، وبيان أهوال القيامة وشدائدها، وانقسام الخلائق إلى أشقياء في النار، أو سعداء في الجنة.

ثانياً: سورة البلد:

سميت هذه السورة في ترجمتها عن صحيح البخاري (سورة لا أقسم) وسميت في المصاحف وكتب التفسير (سورة البلد)، وهي مكية، وقد عدت الخامسة والثلاثين في عدد نزول السور، نزلت بعد سورة (ق)، وقبل سورة الطارق، وعدد آيها عشرون آية، من أغراضها: التنويه بمكة، وبمقام النبي ﷺ بها، وبركته فيها، وعلى أهلها والتنويه بأسلاف النبي ﷺ من سكانها الذين كانوا من الأنبياء مثل: إبراهيم، وإسماعيل، أو من أتباع الحنيفية، مثل: عدنان، ومضر. وإنكارهم البعث، وما كانوا عليه من التفاخر المبالغ فيه وما أهملوه من شكر النعمة على الحواس، ونعمة النطق، ونعمة الفكر، ونعمة الإرشاد، فلم يشكروا ذلك بالبذل في سبل الخير، وما فرطوا فيه من خصال الإيمان وأخلاقه[٧٥٨].

محور السورة: يدور حول بلد الله الحرام الذي يجب أن يكون آمناً، وفي هذا توبيخ للكفار على أنهم استحلوا حرمة المكان، وهي من الكبائر عند الله تعالى، ثم تناولت السورة كما هي حال السور المكية، أهوال يوم القيامة، والمصاعب التي يواجهها الإنسان، والتي لا يمكّنه من تجاوزها إلا عمله الصالح، واختتمت السورة بالتفريق بين المؤمنين والكفار في يوم القيامة ومآل كل منهم.

المطلب الثاني: عرض وتفسير لآيات سورتي (الفجر والبلد) المتضمنة للقراءات العشر:

أولاً: سورة الفجر:

١ ـ قال الله تعالى: ﴿وَٱلشَّفۡعِ وَٱلۡوَتۡرِ ۝٣﴾ [الفجر: ٣].

---

(٧٥٨) التحرير والتنوير مجلد ١٢ (٣٠/٣٤٥ ـ ٣٤٦) بتصرف، صحيح البخاري (١٨٨٦/٤) ٤٢٩.

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ حمزة وعلي وخلف (وَالوِتْرِ) بكسر الواو.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿وَٱلْوَتْرِ﴾ بفتحها[٧٥٩].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(وتر) الوِتْرُ والوَتْرُ الفَرْدُ أَو ما لم يَتَشَفَّعْ من العَدَدِ[٧٦٠]، الواو والتاء والراء: لم تَجِيءْ كلمُهُ على قياسٍ واحد، بل هي مفرداتٌ لا تتشابَه[٧٦١] والوِتر والوَتْر: الفرد[٧٦٢].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

(وَالشَّفْعِ وَالوَتْرِ) قال: الشفع: يوم النحر، والوَتر: يوم عرفة[٧٦٣] أي: الأشياءِ كلِّها شفعِها، ووترِها، أو شفعِ هذه الليالِي ووترِها[٧٦٤].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قرأ حمزة والكسائي: (وَالوِتْرِ)، بكسر الواو. وقرأ الباقون بالفتح، وهما لغتان مثل: الجَسر والجِسر[٧٦٥] فالحجة لمن كسر، أنه جعل الشفع الزوج، وهما: آدم وحواء، والوتر: الفرد وهو الله ﷻ، والحجة لمن فتح

---

(٧٥٩) انظر: النشر (٢/٤٠٠)، الكنز في القراءات العشر (٣٠١)، الإتحاف (٥٨٣)، المكرر (٥٠٩)، غيث النفع (٦٢٣)، إبراز المعاني (٧٢٣).

(٧٦٠) لسان العرب (٥/٢٧٣).

(٧٦١) معجم مقاييس اللغة (٦/٨٣).

(٧٦٢) معجم مقاييس اللغة (٦/٨٤).

(٧٦٣) الطبري (١٢/٥٦٢).

(٧٦٤) تفسير أبي السعود (٩/١٥٣).

(٧٦٥) حجة القراءات (١/٧٦١).

أنه طابق بين لفظ الشفع، ولفظ الوتر، وقيل: الفتح والكسر فيه إذا كان بمعنى الفرد[٧٦٦]. قال الشوكاني: «﴿وَٱلْوَتْرِ﴾ بفتح الواو، (وَالوِتْرِ) بكسرها، وهما لغتان والفتح: لغة قريش، وأهل الحجاز، والكسر: لغة تميم»[٧٦٧] الوتر بالفتح في العدد وبالكسر في الذحل[٧٦٨]، [٧٦٩] وهي لغة أَهل العالية، قال يونس: أَهل العالية يقولون: الوِتْرُ في العدد، والوَتْرُ في الذَّحْلِ، قال وتميم تقول وِتر بالكسر في العدد والذحل[٧٧٠].

خامساً: الجمع بين القراءات:

يتبيّن من خلال قراءة ﴿وَٱلْوَتْرِ﴾ على لغة قريش، وأهل الحجاز، بفتح الواو، أن القسم بالعدد، ومن خلال قراءة (وَالوِتْرِ) على لغة أَهل العالية، تستخدم في «الذحل» وهو الثأر. كأنهم كانوا يقسمون على الأخذ بالثأر عدداً بعدد.

٢ ـ قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾﴾ [الفجر: ١٦].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ ابن عامر وأبو جعفر بتشديد الدال (فَقَدَّرَ).

٢ ـ وقرأ الباقون بتخفيفها ﴿فَقَدَرَ﴾[٧٧١].

---

(٧٦٦) الحجة (١/٣٦٩).

(٧٦٧) انظر: فتح القدير (٥/٦١٣).

(٧٦٨) (ذحل) الذَّحْل الثأر وقيل طَلَبُ مكافأَة بجناية جُنِيَت عليك أَو عداوة أُتِيَتْ إِليك وقيل هو العداوة والحِقْد وجمعه أَذحال وذُحُول لسان العرب (١١/٢٥٦).

(٧٦٩) تفسير أبي السعود (٩/١٥٣).

(٧٧٠) انظر: لسان العرب (٥/٢٧٣).

(٧٧١) الحجة (١/٣٧٠).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(قدر) القاف والدال والراء أصلٌ صحيح يدلُّ على مَبْلَغ الشَّيء وكُنهه ونهايته، فالقدر: مبلغُ كلِّ شيء، يقال: قَدْرُه كذا، أي مبلغه، وكذلك القَدَر، وقَدَرتُ الشّيءَ أَقدِرُه وأَقْدُرُه من التقدير، وقدَّرته أُقَدِّره. والقَدْر: قضاء الله تعالى الأشياءَ على مبالغها ونهاياتها التي أرادَها لها، وهو القَدَرُ أيضاً[٧٧٢] قوله: ﴿وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ﴾ معنى فَقَدَر عليه، فَضَيَّق عليه[٧٧٣].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

(قدر عَلَيْهِ رِزْقُهُ) أي: ضيقه، فصار يقدر قوته لا يفضل منه[٧٧٤]، حسبما تقتضيهِ مشيئتُه المبنيةُ على الحكمِ البالغةِ[٧٧٥].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قرأ ابن عامر (فَقَدَّرَ) عليه بالتشديد، أي: ضَيَّقَ، وقرأ الباقون ﴿فَقَدَرَ﴾ بالتخفيف، وهو الاختيار، وحجتهم قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ [الإسراء:٣٠] وهما لغتان والمعنى: ضيق عليه رزقه ولم يوسعه له[٧٧٦] قال صاحب الكشف: قراءة التشديد على معنى التكثير[٧٧٧].

خامسا: الجمع بين القراءات:

أفادت قراءة (فَقَدَّرَ) بالتشديد: أي: ضَيَّقَ على معنى التكثير. وأفادت

---

(٧٧٢) معجم مقاييس اللغة (٥/٦٢).

(٧٧٣) لسان العرب (٥/٧٤).

(٧٧٤) تفسير السعدي (١/٩٢٣).

(٧٧٥) تفسير أبي السعود (٩/١٥٦).

(٧٧٦) حجة القراءات (١/٧٦١).

(٧٧٧) انظر: الكشف (٢/٣٧٢).

قراءة ﴿فَقَدَرَ﴾ بالتخفيف أي: ضَيَّقَ لا على معنى التكثير. فبالجمع بينهما يتبيّن أن: الله تعالى إذا ابتلى العبد فضيق عليه بأن جعله على مقدار البلغة، ولم يوسعه له، أو بسط له الرزق القليل، فلا يظن أن ذلك إهانة من الله تعالى له، بل هو ابتلاء منه سبحانه.

٣ ـ قال الله تعالى: ﴿كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾﴾ [الفجر: ١٧].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ أبو عمرو ويعقوب (يُكْرِمُونَ) بالياء.

٢ ـ وقرأ الباقون بالتاء ﴿تُكْرِمُونَ﴾[٧٧٨].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(كرم) الكاف والراء والميم أصلٌ صحيح له بابان: أحدهما شَرَفٌ[٧٧٩] في الشَّيء في نفسِه أو شرفٌ في خُلُق من الأخلاق[٧٨٠].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

بقوله (كَلا)، أي: ليس كل من نعمته في الدنيا فهو كريم علي، ولا كل من قدرت عليه رزقه فهو مهان لدي، وإنما الغنى والفقر، والسعة والضيق، ابتلاء من الله، وامتحان يمتحن به العباد، ليرى من يقوم له بالشكر والصبر، فيثيبه على ذلك الثواب الجزيل، ممن ليس كذلك فينقله إلى العذاب الوبيل، وأيضاً، فإن وقوف همة العبد عند مراد نفسه فقط، من ضعف الهمة، ولهذا لامهم الله على عدم اهتمامهم بأحوال الخلق المحتاجين، فقال: ﴿كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾﴾ الذي فقد أباه وكاسبه،

(٧٧٨) انظر: النشر (٢/٤٠٠) انظر: الكنز (٣٠١)، انظر: الإتحاف (٥٨٤) انظر: المكرر (٥٠٩)، انظر: غيث النفع (٦٢٤) انظر: إبراز المعاني (٧٢٣).

(٧٧٩) معجم مقاييس اللغة (١٧١/٥).

(٧٨٠) معجم مقاييس اللغة (١٧٢/٥).

واحتاج إلى جبر خاطره والإحسان إليه، فأنتم لا تكرمونه بل تهينونه، وهذا يدل على عدم الرحمة في قلوبكم، وعدم الرغبة في الخير[781].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قرأ أبو عمرو ويعقوب قوله تعالى: (يُكْرِمُونَ) بالياء، وحجته أنه أتى عقيب الخبر عن الناس؛ فأخرج الخبر عنهم، إذ أتى في سياق الخبر عنهم، ليأتلف الكلام على نظام واحد. وقرأ الباقون ﴿تُكْرِمُونَ﴾ بالتاء على المخاطبة، أي: قل لهم، وقالوا: إن المخاطبة بالتوبيخ أبلغ من الخبر، فجعل الكلام بلفظ الخطاب[782] فالحجة لمن قرأه بالياء أنه رده على ما قبله، والحجة لمن قرأه بالتاء أنه دل بذلك على أن النبي ﷺ خاطبهم به[783] قال صاحب الكشف: قراءة الياء على لفظ الغيبة؛ لتقدم ذكر الإنسان الذي هو اسم للجنس، يدل على الجمع بلفظه، فرجعت عليه الياءات لغيبته، وقراءة التاء على الخطاب[784].

خامساً: الجمع بين القراءات:

أفادت قراءة (يُكْرِمُونَ) بالياء على لفظ الغيبة، ليراد به الجنس والكثرة، وأفادت قراءة ﴿تُكْرِمُونَ﴾ بالتاء على الخطاب، أي: قل لهم يا محمد ﷺ ذلك، زيادة في توبيخهم لبخلهم.

٤ ـ قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾﴾ [الفجر: ١٨].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ أبو عمرو ويعقوب (وَلاَ يَحُضُّونَ) بالياء.

(٧٨١) تفسير السعدي (٩٢٣/١).

(٧٨٢) حجة القراءات (٧٦٢/١).

(٧٨٣) الحجة (٣٧٠/١ ـ ٣٧١).

(٧٨٤) انظر: الكشف (٣٧١/٢).

٢ ـ قرأ عاصم، وحمزة، والكسائي، وأبو جعفر ﴿وَلَا تَحَـٰٓضُّونَ﴾ بفتح حاء وألف بعدها تمد مشبعاً.

٣ ـ قرأ ابن كثير ونافع، وابن عامر (وَلاَ تَحَضُّونَ) الباقون بضم الحاء دون ألف[٧٨٥].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(حض) الحاء والضاد أصلان: أحدهما البَعْث على الشيء، والثاني القَرارُ المسْتَفِلُ[٧٨٦] الحَضُّ ضرْبٌ من الحثّ في السير والسوق، فمن قرأ تُحاضُّون فمعناه: تُحافِظون، ومن قرأ تَحاضُّون، فمعناه: يَحُضُّ بعضُكم بعضاً، ومن قرأ تَحُضُّون، فمعناه: تأمرون بإِطعامه وكذلك يحُضُّون[٧٨٧].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

﴿وَلَا تَحَـٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾﴾ أي: لا يحض بعضكم بعضاً على إطعام المحاويج من المساكين والفقراء، وذلك لأجل الشح على الدنيا ومحبتها الشديدة المتمكنة من القلوب[٧٨٨].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قرأ عاصم، وحمزة، والكسائي، وأبو جعفر ﴿وَلَا تَحَـٰٓضُّونَ﴾، بالألف أي: لا يحض بعضهم على ذلك بعضاً، وحجتهم قوله: ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ﴾ [البلد: ١٧] أي: أوصى بعضهم بعضاً، والأصل تتحاضون، فحذفت التاء الثانية للتاء الأولى[٧٨٩] فالحجة لمن قرأه بالياء أنه رده على ما

(٧٨٥) معجم القراءات (٤٢٧/١٠)، انظر: النشر (٤٠٠/٢)، انظر: الكنز (٣٠١)، انظر: الإتحاف (٥٨٤) انظر: المكرر (٥٠٩).

(٧٨٦) معجم مقاييس اللغة (١٣/٢).

(٧٨٧) لسان العرب (١٣٦/٧) مادة: (حضض).

(٧٨٨) تفسير السعدي (٩٢٣/١).

(٧٨٩) حجة القراءات (٧٦٢/١).

قبله، والحجة لمن قرأه بالتاء أنه دل بذلك على أن النبي ﷺ خاطبهم به[٧٩٠]. قال مكي بن أبي طالب: «قراءة الياء على لفظ الغيبة؛ لتقدم ذكر الإنسان الذي هو اسم للجنس، يدل على الجمع بلفظه، فرجعت عليه الياءات لغيبته، وقراءة التاء على الخطاب»[٧٩١]. قوله تعالى: (وَلاَ يحَضُّونَ) المفعول محذوف: أي: لا يحضون أحداً، أي: لا يحضون أنفسهم. ويقرأ: ﴿وَلَا تَحَٰٓضُّونَ﴾ وهو فعل لازم بمعنى: تتحاضون[٧٩٢].

خامساً: الجمع بين القراءات:

أفادت قراءة: (وَلاَ يحَضُّونَ) بالياء على لفظ الغيبة، ليراد به الجنس والكثرة، وأفادت قراءة ﴿وَلَا تَحَٰٓضُّونَ﴾ بالتاء على الخطاب، والمعنى: قل لهم يا محمد ﷺ بأنه لا يَحُض بعضُكم بعضاً على فعل الخير ـ وذلك توبيخاً لهم ـ ولا تأمرون بعضكم بإطعام المسكين، ولا تفعلون أنتم ذلك.

٥ ـ قال الله تعالى: ﴿وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكۡلٗا لَّمّٗا ١٩﴾ [الفجر: ١٩].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ أبو عمرو ويعقوب بالياء (وَيَأْكُلُونَ).

٢ ـ وقرأ الباقون (وَتَأْكُلُونَ) بالتاء[٧٩٣].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(أكل) الهمزة والكاف واللام بابٌ تكثر فُروعه، والأصل كلمة واحدة، ومعناها التنقُّص. قال الخليل: الأكل معروف والأَكْلَة مَرّة، والأُكلة اسمٌ كاللُّقمة. ويقال رجل أَكُولٌ كثير الأكل، قال أبو عُبيد:

(٧٩٠) الحجة (١/٣٧٠).

(٧٩١) انظر: الكشف (٢/٣٧١).

(٧٩٢) التبيان (٢/٢٨٦).

(٧٩٣) انظر: النشر (٢/٤٠٠)، الكنز في القراءات العشر (٣٠١)، الإتحاف (٥٨٤)، المكرر (٥٠٩)، غيث النفع (٦٢٤)، إبراز المعاني (٧٢٣).

الأَكَلة جمع آكل[٧٩٤] أَكَلْت الطعام أَكْلاً ومَأْكَلاً ابن سيده أَكَل الطعام يأْكُلُه أَكْلاً فهو آكل والجمع أَكَلة[٧٩٥].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

﴿وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ﴾، أي: المال المخلف ﴿أَكْلًا لَّمًّا﴾، أي: ذريعاً، لا تبقون على شيء منه[٧٩٦].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قرأ أبو عمرو ويعقوب قوله: (وَيَأْكُلُونَ) بالياء، وحجته أنه أتى عقيب الخبر عن الناس؛ فأخرج الخبر عنهم، إذ أتى في سياق الخبر عنهم، ليأتلف الكلام على نظام واحد، وقرأ الباقون بالتاء ﴿وَتَأْكُلُونَ﴾ على المخاطبة، أي: قل لهم. وقالوا: إن المخاطبة بالتوبيخ أبلغ من الخبر، فجعل الكلام بلفظ الخطاب[٧٩٧]. فالحجة لمن قرأه بالياء أنه رده على ما قبله، والحجة لمن قرأه بالتاء أنه دل بذلك على أن النبي ﷺ خاطبهم به[٧٩٨] قال مكي بن أبي طالب: «قراءة الياء على لفظ الغيبة؛ لتقدم ذكر الإنسان الذي هو اسم للجنس، يدل على الجمع بلفظه، فرجعت عليه الياءات لغيبته، وقراءة التاء على الخطاب[٧٩٩].

خامساً: الجمع بين القراءات:

أفادت قراءة (وَيَأْكُلُونَ) بالياء على لفظ الغيبة، ليراد به الجنس

---

(٧٩٤) معجم مقاييس اللغة (١/١٢٢).

(٧٩٥) لسان العرب (١١/١٩).

(٧٩٦) تفسير السعدي (١/٩٢٣).

(٧٩٧) حجة القراءات (١/٧٦٢).

(٧٩٨) الحجة (١/٣٧٠ ـ ٣٧١).

(٧٩٩) انظر: الكشف (٢/٣٧١).

والكثرة، وأفادت قراءة ﴿وَتَأْكُلُونَ﴾ بالتاء على الخطاب. والمعنى: قل لهم يا محمد ﷺ على جهة التوبيخ أنهم يأكلون مال المسكين، واليتيم، ولا يبقون منه شيئاً.

٦ ـ قال الله تعالى: ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾﴾ [الفجر: ٢٠].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ أبو عمرو ويعقوب بالياء (وَيُحِبُّونَ).

٢ ـ وقرأ الباقون بالتاء ﴿وَتُحِبُّونَ﴾[٨٠٠].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(حبب) الحُبُّ نَقِيضُ البُغْضِ والحُبُّ الودادُ والمَحَبَّةُ وكذلك الحِبُّ بالكسر، وقد قيل مُحَبٌّ على القِياس[٨٠١]، (حب) الحاء والباء أصول ثلاثة، أحدها اللزوم والثَّبات، والآخر الحَبّة من الشيء ذي الحَبّ، والثالث وصف القِصَر[٨٠٢] أمّا اللزوم فالحُبّ والمَحبّة، اشتقاقه من أحَبَّه إذا لزمه. والمُحِبّ: البعير الذي يَحْسِر فيلزمُ مكانَه[٨٠٣].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾﴾، أي: كثيراً شديداً[٨٠٤] يعني: أنهم يجمعون في أكلهم بين نصيبهم من الميراث ونصيب غيرهم، وقيل كانوا لا يورّثون النساء ولا الصبيان، ويأكلون تراثهم مع تراثهم[٨٠٥].

---

(٨٠٠) انظر: النشر (٢/٤٠٠)، الكنز (٣٠١)، الإتحاف (٥٨٤)، المكرر (٥٠٩)، غيث النفع (٦٢٤)، إبراز المعاني (٧٢٣).

(٨٠١) لسان العرب (١/٢٨٩).

(٨٠٢) معجم مقاييس اللغة (٢/٢٦).

(٨٠٣) معجم مقاييس اللغة (٢/٢٦).

(٨٠٤) تفسير السعدي (١/٩٢٣).

(٨٠٥) الكشاف (١٣٥٤).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قرأ أبو عمرو ويعقوب قوله: (وَيُحِبُّونَ) بالياء، وحجته أنه أتى عقيب الخبر عن الناس؛ فأخرج الخبر عنهم، إذ أتى في سياق الخبر عنهم، ليأتلف الكلام على نظام واحد. وقرأ الباقون بالتاء ﴿وَتُحِبُّونَ﴾ على المخاطبة، أي: قل لهم. وقالوا: إن المخاطبة بالتوبيخ أبلغ من الخبر، فجعل الكلام بلفظ الخطاب[٨٠٦] فالحجة لمن قرأه بالياء أنه رده على ما قبله، والحجة لمن قرأه بالتاء أنه دل بذلك على أن النبي ﷺ خاطبهم به[٨٠٧] قال مكي بن أبي طالب: «قراءة الياء على لفظ الغيبة؛ لتقدم ذكر الإنسان الذي هو اسم للجنس، يدل على الجمع بلفظه، فرجعت عليه الياءات لغيبته، وقراءة التاء على الخطاب»[٨٠٨].

خامساً: الجمع بين القراءات:

أفادت قراءة: (وَيُحِبُّونَ) بالياء على لفظ الغيبة، ليراد به الجنس والكثرة، وأفادت قراءة: ﴿وَتُحِبُّونَ﴾ بالتاء على الخطاب. والمعنى: قل لهم يا محمد ﷺ على جهة التوبيخ، أن حبهم الشديد للمال؛ هو المؤدي لأكلهم مال المسكين، واليتيم.

٧ ـ ٨ ـ قال الله تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾﴾ [الفجر: ٢٥ ـ ٢٦].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ الكسائي ويعقوب (يُعَذَّبُ) بفتح الذال، وقرأ الباقون ﴿يُعَذِّبُ﴾ بكسرهما.

---

(٨٠٦) حجة القراءات (٧٦٢/١).

(٨٠٧) الحجة (٣٧٠/١ ـ ٣٧١).

(٨٠٨) انظر: الكشف (٣٧١/٢).

٢ ـ قرأ الكسائي ويعقوب (وَلاَ يُوثَقُ) بفتح الثاء، وقرأ الباقون ﴿وَلَا يُوثِقُ﴾ بكسرهما[٨٠٩].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

١ ـ (عذب) العين والذال والباء أصلٌ صحيح، لكنّ كلماتِه لا تكاد تنقاس، ولا يمكن جمعُها إلى شيء واحد، فهو كالذي ذكرناه آنفاً في باب العين والذال والرّاء، وهذا يدلُّ على أنّ اللُّغة كلَّها ليست قياساً، لكنْ جُلَّها ومعظمُها[٨١٠]. حكى الخليل: عذَّبتُه تعذيباً، أي فَطَمتُه، وهذا من باب الامتناع مِن المأكل والمَشرَب، وبابٌ آخرُ لا يُشبِه الذي قبله: العَذاب، يقال منه: عذَّب تعذيباً. وناسٌ يقولون: أصل العَذاب الضَّرب[٨١١].

٢ ـ (وثق) الثِّقةُ مصدر قولك وَثِقَ به يَثِقُ بالكسر فيهما وثاقةً وثِقَةً ائتمنه وأنا واثِقٌ به وهو موثوق به وهي موثوقٌ بها وهم موثوق بهم[٨١٢] الواو والثاء والقاف كلمةٌ تدلُّ على عَقْدٍ وإحكام. ووثَّقت الشّيءَ: أحكَمْتُه، وناقةٌ موثَّقَة الخَلْق، والمِيثاق: العَهدُ المُحكَم، وهو ثِقَةٌ. وقد وَثِقْتُ به[٨١٣].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ﴾ لمن أهمل ذلك اليوم ونسي العمل له[٨١٤]، أي: يومَ إذْ يكونُ ما ذُكِرَ منَ الأحوالِ والأقوالِ. ﴿وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ﴾ الهاءُ لله تعالَى أيْ: لا يتولَّى عذابَ الله تعالَى، ووثاقَهُ أحدٌ سواهُ، إذِ الأمرُ كلُّه لهُ، أو للإنسانِ أي: لا يعذبُ أحدٌ من الزبانيةِ مثلَ ما يعذبونَهُ،

---

(٨٠٩) انظر: النشر (٢/٤٠٠)، انظر: الكنز (٣٠١)، انظر: المكرر (٥١٠)، انظر: غيث النفع (٦٢٥) انظر: إبراز المعاني (٧٢٣).

(٨١٠) معجم مقاييس اللغة (٤/٢٥٩).

(٨١١) معجم مقاييس اللغة (٤/٢٦٠).

(٨١٢) لسان العرب (١٠/٣٧١).

(٨١٣) معجم مقاييس اللغة (٦/٨٥).

(٨١٤) تفسير السعدي (١/٩٢٤).

ولا يُوثقُ بالسلاسلِ والأغلالِ مثلَ وثاقِه لتناهيهِ في الكفرِ والعناد[٨١٥]. فإنهم يقرنون بسلاسل من نار، ويسحبون على وجوههم في الحميم، ثم في النار يسجرون، فهذا جزاؤهم[٨١٦].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قرأ الكسائي (وَلاَ يُعَذَّبُ) بفتح الذال، (وَلاَ يُوثَقُ) بفتح الثاء، المعنى: لا يُعذَب أحد يوم القيامة، كما يُعذب الكافر، وقرأ الباقون ﴿لَّا يُعَذِّبُ﴾ بكسر الذال والثاء، المعنى: لا يعذب عذاب الله أحد، ولا يوثق وثاق الله أحد، أي: لا يعذب ولا يوثق أحد في الدنيا مثل عذاب ووثاق الله في الآخرة[٨١٧]، فالحجة لمن كسرهما أنه جعلهما فعلين لفاعل هو الله ﷻ ومعناه: لا يعذب عذاب الله أحد، ولا يوثق وثاق الله أحد، كما كانوا يعهدون في الدنيا، فالهاء كناية عن الله ﷻ في موضع خفض، والحجة لمن فتح أنه جعلهما فعلين لم يسم فاعلهما، ورفع أحداً؛ لأنه أقامه مقام الفاعل والهاء في موضع خفض لأنها للمعذب[٨١٨]. فعلى قراءة الجمهور ﴿يُعَذِّبُ﴾ - ﴿وَلَا يُوثِقُ﴾ مبنيين للفاعل، وللكسائي: (وَلاَيُعَذَّبُ) (وَلاَ يُوثَقُ) على البناء للمفعول فيهما؛ فيكون الضميران راجعين إلى الإنسان: أي: لا يعذب كعذاب ذلك الإنسان أحد، ولا يوثق كوثاقه أحد، والمراد بالإنسان الكافر، أي: لا يعذب من ليس بكافر كعذاب الكافر[٨١٩].

خامساً: الجمع بين القراءات:

بالجمع بين القراءات يتبيّن أن: المالك ليوم القيامة والمتصرف فيه، هو الله فقط، فلا يعذب الله أحداً كعذاب ذلك الكافر، ولا يوثق أحداً

---

(٨١٥) تفسير أبي السعود (١٤/٧).

(٨١٦) انظر: تفسير السعدي (٩٢٤/١).

(٨١٧) حجة القراءات (٧٦٣/١).

(٨١٨) الحجة (٣٧١/١).

(٨١٩) فتح القدير (٦٢٤/٥) وانظر: ص١٦٦.

كوثاقه، فلا يعذب من ليس بكافر كعذاب الكافر، فيومئذ لا يبلغ أحدٌ من الخلق كبلاغِ الله في العذابِ والوثاقِ.

ثانياً: سورة البلد:

١ـ قال الله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ۝٥﴾ [البلد: ٥].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة أبو جعفر ﴿أَيَحْسَبُ﴾ بفتح السين.

٢ ـ وقرأ الباقون (أَيَحْسِبُ) بكسرها[٨٢٠].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات: سبق بيانه[٨٢١].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

الضميرُ في قولِه تعالَى: ﴿أَيَحْسَبُ﴾ لبعضِهم الذي كانَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ يكابدُ منهمْ ما يكابدُ كالوليدِ بنِ المغيرةِ وأضرابِه وقيلَ: هُوَ أبُو الأشدِّ بنُ كَلَدةِ الجُمَحيُّ وكان شديدَ القوةِ مغتراً بقوتِه وكان يبسطُ له الأديمُ العكاظيُّ فيقومُ عليهِ ويقولُ منْ أزالَني عنْهُ فلَهُ كَذا فيجذبُهُ عشرةٌ فينقطعُ قطعاً ولا تزلُّ قدماهُ أيْ أيظنُّ هَذا القويُّ الماردُ المتضعفُ للمؤمنينَ ﴿أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ (أنْ) مخففةٌ منْ (أنَّ) واسمُهَا الذي هُو ضميرُ الشأنِ محذوفٌ أيْ أيحسبُ أنَّه لنْ يقدرَ عَلى الانتقامِ منهُ أحدٌ[٨٢٢].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات: سبق بيانه[٨٢٣].

---

(٨٢٠) انظر: النشر (٢/٤٠١)، الإتحاف (٥٨٥)، المكرر (٥١٢)، غيث النفع (٦٢٥).

(٨٢١) انظر: سورة القيامة ص(١٦٧).

(٨٢٢) تفسير أبي السعود (٩/١٦١).

(٨٢٣) سورة القيامة ص(١٦٦ ـ ١٦٧).

خامساً: الجمع بين القراءات:

بالجمع بين القراءتين يتبيّن أن: أسلوب التهكم من هذا الكافر المعاند المنكر للبعث واضح حيث يقول له الله تعالى: أعلمت من أحد أن لن يُقدر عليك، أم تظن ذلك ظناً بنيته على التخمين، فعلى كلا الأمرين، فحسبانك باطل؛ فلا تغرنك قوتك، فالذي خلقك وصورك قادر على إعادتك، فهو على كل شيء قدير.

١ ـ قال الله تعالى: ﴿يَقُولُ أَهۡلَكۡتُ مَالٗا لُّبَدًا ۝٦﴾ [البلد: ٦].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ أبو جعفر (لُبَّداً) بتشديد الباء.

٢ ـ وقرأ الباقون بتخفيفها ﴿لُّبَدًا﴾[٨٢٤].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(لبد) اللام والباء والدال كلمةٌ صحيحة تدلُّ على تكرُّس الشَّيءِ بعضِه فوقَ بعض، من ذلك اللِّبْد، وهو معروف، وتلبَّدت الأرضُ، ولبَّدها المطر[٨٢٥] وصار النَّاس عليه لُبَداً، إذا تجمَّعوا عليه، و(لُبَداً) أيضاً على وزن فُعَل[٨٢٦] لبَدَ بالمكان يَلْبُدُ لبُوداً ولَبِدَ لَبَداً وألْبَدَ أقام به ولَزِق فهو مُلْبِدٌ به ولَبِدَ بالأَرض وألْبَدَ بها إِذا لَزِمَها فأَقام، قال الفراء: اللُّبَد الكثير، وقرأَ أَبو جعفر (لُبَّداً)، مشدداً؛ فكأَنه أَراد مالاً لابداً[٨٢٧].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

﴿يَقُولُ أَهۡلَكۡتُ مَالٗا لُّبَدًا ۝٦﴾، أي: كثيراً، بعضه فوق بعض.

---

(٨٢٤) انظر: النشر (٤٠١/٢)، الكنز (٣٠٢)، الإتحاف (٥٨٥)، تحبير التيسير (٢٩٩).

(٨٢٥) معجم مقاييس اللغة (٢٢٨/٥).

(٨٢٦) معجم مقاييس اللغة (٢٢٩/٥).

(٨٢٧) لسان العرب (٣٨٥/٣).

وسمى الله تعالى الإنفاق في الشهوات والمعاصي إهلاكاً، لأنه لا ينتفع المنفق بما أنفق، ولا يعود عليه من إنفاقه إلا الندم والخسار والتعب والقلة، لا كمن أنفق في مرضاة الله في سبيل الخير، فإن هذا قد تاجر مع الله، وربح أضعاف أضعاف ما أنفق[٨٢٨].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قرأ الجمهور ﴿لُّبَدًا﴾ بضم اللام وفتح الباء، قال أبو عبيدة: لبد: فعل من التلبيد وهو المال الكثير بعضه على بعض، قال الفراء: واحدته لبدة والجمع لُبَد[٨٢٩]. وقرأ أبو جعفر (لُبَّداً) والمعنى: أيحسب أن لم يره أحد، أي: حين كان ينفق ما ينفق رئاء الناس، أو حرصاً على معاداته يعني: أن الله تعالى كان يراه وكان سبحانه عليه رقيباً فهو ﷻ يسأله عنه ويجازيه[٨٣٠].

خامساً: الجمع بين القراءات:

بالجمع بين القراءات يتبيّن أن من قرأ ﴿لُّبَدًا﴾ فالمعنى: أن هذا الكافر يزعم: أنه أهلك في عداوة محمد ﷺ مالاً كثيراً. ومن قرأ (لُبَّداً) بضم اللام وفتح الباء المشددة، فالمعنى: أنه من قدرته على تفريق المال - المتجمع لديه فوق بعضه متلبداً - في عداوته لمحمد ﷺ فلا يخاف فناءه من كثرة تجمعه لديه.

٢ - قال الله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ۝٧﴾ [البلد: ٧].

أولاً: القراءات:

١ - قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة أبو جعفر ﴿أَيَحْسَبُ﴾ بفتح السين.

(٨٢٨) تفسير السعدي (٩٢٤/١).

(٨٢٩) فتح القدير (٦٢٩/٥).

(٨٣٠) روح المعاني (١٣٦/٣٠).

٢ ـ وقرأ الباقون (أَيَحْسِبُ) بكسرها[٨٣١].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات: سبق بيانه[٨٣٢].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

قال الله متوعداً هذا الذي يفتخر بما أنفق في الشهوات: ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ۝٧﴾ أي: أيحسب في فعله هذا، أن الله لا يراه ويحاسبه على الصغير والكبير؟ بل قد رآه الله، وحفظ عليه أعماله، ووكل به الكرام الكاتبين، لكل ما عمله من خير وشر[٨٣٣].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات: سبق بيانه[٨٣٤].

خامساً: الجمع بين القراءات:

بالجمع بين القراءتين يتبيّن أن: أسلوب التهكم من هذا الكافر المعاند المنكر للبعث واضح حيث يقول له الله تعالى: أعلمت من أحد أن لن يراك أحد، أم تظن ذلك ظناً بنيته على التخمين، فعلى كلا الأمرين، فحسبانك باطل؛ فلا يغرنك حسبانك، فالبصير سبحانه على كل شيء قدير.

٣ ـ ٤ ـ قال الله تعالى: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ ۝١٣ أَوْ إِطْعَـٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ۝١٤﴾ [البلد: ١٣ ـ ١٤].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعلي (فَكَّ رَقَبَةً) بفتح الكاف والتاء، وقرأ الباقون ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ بضم الكاف وكسر التاء.

(٨٣١) انظر: النشر (٢/٤٠١)، الإتحاف (٥٨٥)، المكرر (٥١٢)، غيث النفع (٦٢٥).

(٨٣٢) انظر: سورة القيامة ص(١٦٧).

(٨٣٣) تفسير السعدي (١/٩٢٤).

(٨٣٤) انظر: سورة القيامة ص(١٦٦ ـ ١٦٧).

٢ ـ قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعلي بفتح الهمزة (أَطْعَمَ) وحذف الألف وفتح الميم دون تنوين فعل ماضٍ، وقرأ الباقون بكسر الهمزة ﴿إِطْعَٰمٌ﴾ وضم الميم والتنوين وألف قبلها مصدر[٨٣٥].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(فك) الفاء والكاف أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على تفتُّح وانفراج. من ذلك فَكَاك الرَّهْن، وهو فَتْحُه من الانغلاق، ويقال: فَكَكْتُ الشَّيءَ أفكُّه فكّاً. وسقط فلانٌ وانفكَّت قدمُه، أي: انفرجت[٨٣٦] (فكك) فَكَكْتُ الشيء فانْفَكَّ، وكذلك التفكك[٨٣٧].

(طعم) الطاء والعين والميم أصلٌ مطَّرد منقاسٌ في تذوُّقِ الشَّيء، يقال طَعِمْتُ الشيءَ طَعْماً، والطَّعام هو المأكول[٨٣٨]، والطَّعامُ اسمٌ جامعٌ لكل ما يُؤكَلُ[٨٣٩].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

(فَكُّ رَقَبَةٍ)، أي: فكها من الرق، بعتقها أو مساعدتها على أداء كتابتها، ومن باب أولى فكاك الأسير المسلم عند الكفار. ﴿أَوْ إِطْعَٰمٌ فِي يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ﴾، أي: مجاعة شديدة، بأن يطعم وقت الحاجة أشد الناس حاجة[٨٤٠].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي (فَكَّ رَقَبَةً) بفتح الكاف جعلوه فعلاً

(٨٣٥) انظر: النشر (٢/٤٠١)، الكنز (٣٠٢)، الإتحاف (٥٨٥) المكرر (٥١٢)، غيث النفع (٦٢٦)، انظر: إبراز المعاني (٧٢٤).

(٨٣٦) معجم مقاييس اللغة (٤/٤٣٣).

(٨٣٧) لسان العرب (١٠/٤٧٥).

(٨٣٨) معجم مقاييس اللغة (٣/٤١٠).

(٨٣٩) لسان العرب (١٢/٣٦٣).

(٨٤٠) تفسير السعدي (١/٩٢٤).

ماضياً، رقبة نصب مفعول بها، أو أطعم، نسق على فك، تقول العرب: فككت الأسير، والرهن: أفكه فكاً، فالمصدر على لفظ الماضي، قال أبو عمرو: وتصديقه قوله: (ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا) يقول: لما كان فك رقبة فعلاً؛ وجب أن يكون المعطوف عليه مثله، تقول: أفلا فعل، ثم قال: معناه فهلا فك رقبة، أو أطعم، فكان من الذين آمنوا، وقرأ الباقون ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾﴾ مضافاً أو إطعام بكسر الميم، قال بعض أهل النحو: من قال (فك رقبة) مضافاً، أو إطعام، المعنى: فيه ما أدراك ما اقتحام العقبة، لا بد من تقدير هذا المحذوف؛ لأنه لا يخلو من أن تقدر حذف المضاف، أو لا تقدره، فإن لم تقدره وتركت الكلام على ظاهره كان المعنى: العقبة فك رقبة، ولا تكون العقبة الفك، لأنه عين، والفك حدث، والخبر ينبغي أن يكون المتبدأ في المعنى، فإذا لم يستقم كان المضاف مراداً فيكون المعنى: اقتحام العقبة فك رقبة، أو إطعام، أي: اقتحامها أحد هذين، ومن قال فك رقبة، أو أطعم فإنه يجوز أن يكون ما ذكر من الفعل تفسيراً لاقتحام العقبة(٨٤١) قوله تعالى: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾﴾ يقرآن بالرفع لأنهما مصدران، فالأول: مضاف، فحذف التنوين منه، لمكان الاضافة، والثاني: مفرد فثبت التنوين فيه لمكان الإفراد، ويقرآن بالفتح على أنهما فعلان ماضيان، فالحجة لمن جعلهما مصدرين معناه عنده: فاقتحام العقبة وهي الصراط، فك رقبة أو إطعام في يوم ذي مسغبة وهي: المجاعة، والحجة لمن فتحهما أنه بناهما بناء الفعل الماضي، وجعل فاعلهما الإنسان المقدم ذكره، والرقبة واليتيم منصوبان بتعدي(٨٤٢).

خامساً: الجمع بين القراءات:

بالجمع بين القراءات يتبيّن أن: اقتحام العقبة: فك رُقبةٍ، أو إطعامٌ، من صاحب الإيمان. أما من انتفى عنه الإيمان؛ فلا فَكَّ رقبةً، ولا أطعم

(٨٤١) حجة القراءات (٧٦٤/١ ـ ٧٦٥)، معاني القرآن وإعرابه (٢٥٠/٥)، الكشف (٣٧٥/٢ ـ ٣٧٦).

(٨٤٢) الحجة (٣٧١/١).

يتيماً، أو مسكيناً، عند حاجة المحتاج إليه مع قدرته على ذلك؛ فلذلك لم يجز العقبة.

٥ ـ قال الله تعالى: ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌۢ ﴿٢٠﴾﴾ [البلد: ٢٠].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ حفص وأبو عمرو ويعقوب وحمزة وخلف ﴿مُّؤْصَدَةٌۢ﴾ بالهمزة.

٢ ـ وقرأ الباقون (مُوصَدَةٌ) بإبدال الهمزة واواً[٨٤٣].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(أصد) الهمزة والصاد والدال، شيء يشتمل على الشيء، يقولون للحظيرة أصيدةٌ[٨٤٤]، وأَصَدَ البابَ أطبقه كأَوْصَد إِذا أَغلقه، مؤصدة بالهمز أَي: مطبقة[٨٤٥].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌۢ ﴿٢٠﴾﴾، أي: مغلقة، في عمد ممددة، قد مدت من ورائها، لئلا تنفتح أبوابها، حتى يكونوا في ضيق وهم وشدة[٨٤٦].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قرأ أبو عمرو وحمزة وحفص ﴿مُّؤْصَدَةٌۢ﴾ بالهمز، وقرأ الباقون بغير

---

(٨٤٣) انظر: النشر (٢/٤٠٣)، الكنز (٣٠٤)، الإتحاف (٥٩٩)، المكرر (٥٣٨)، غيث النفع (٦٤٨)، إبراز المعاني (٧٢٤).

(٨٤٤) معجم مقاييس اللغة (١/١١٠).

(٨٤٥) انظر: لسان العرب (٣/٧٣)، مفردات ألفاظ القرآن (٢/٥١٨).

(٨٤٦) تفسير السعدي (١/٩٢٤).

همز، فمن همزه جعله مفعلة من آصدت الباب، أي: أطبقته، مثل: آمنت فاء الفعل همزة، تقول: آصد يؤصد إيصاداً، ومن ترك الهمز جعله من أوصد يوصد إيصاداً فاء الفعل واو، قال الكسائي: أوصدت الباب وآصدته إذا رددته[٨٤٧].

خامسا: الجمع بين القراءات:

أفادت قراءة (مؤصدة) شدةَ إطباق جهنم عليهم وملازمةَ العذاب واليأسَ من الإفلات منه كحال المساجين الذين أغلق عليهم باب السجن، فالهمزة تفيد الشدة، والآية تفيد المبالغة في العذاب، أما قراءة (موصدة) فأفادت أن أبواب جهنم هي المغلقة، لا جهنم بعينها، والمعنى أن: جهنم مطبقة أبوابها على الكفار من الداخل ومحيطة بهم من الخارج.



(٨٤٧) حجة القراءات (٧٦٦/١).

المبحث الرابع
عرض وتفسير لآيات سور (الشمس والليل)
المتضمنة للقراءات القرآنية العشر

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: بين يدي السورة

أولاً: سورة الشمس

ثانياً: سورة الليل

المطلب الثاني: عرض وتفسير لآيات سور (الشمس والليل) المتضمنة للقراءات العشر

أولاً: سورة الشمس

ثانياً: سورة الليل

وتشتملان على:

أولاً: القراءات

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات

خامساً: الجمع بين القراءات

المبحث الرابع
عرض وتفسير لآيات سورتي (الشمس والليل) المتضمنة للقراءات العشر

المطلب الأول: بين يدي السورة:

أولاً: سورة الشمس:

سميت هذه السورة في المصاحف وفي معظم كتب التفسير (سورة الشمس) بدون واو وكذلك عنونها الترمذي في جامعه بدون واو من جامع الترمذي[848] وعنونها البخاري سورة (والشمس وضحاها)[849]. وهي مكية بالاتفاق، وعدت السادسة والعشرين في عدد نزول السور، نزلت بعد سورة القدر، وقبل سورة البروج، وآياتها خمس عشرة آية في عدد جمهور الأمصار، وعدها أهل مكة ست عشرة آية، من أغراضها: تهديد المشركين بأنهم يوشك أن يصيبهم عذاب بإشراكهم، وتكذيبهم برسالة محمد ﷺ كما أصاب ثمود بإشراكهم، وعتوهم على رسول الله ﷺ إليهم الذي دعاهم إلى التوحيد وقدم لذلك تأكيد الخبر بالقسم بأشياء معظمة، وذكر من أحوالها ما هو دليل على بديع صنع الله تعالى الذي لا يشاركه فيه غيره، فهو دليل على

(848) سنن الترمذي (5/440) باب (ومن سورة والشمس وضحاها).

(849) صحيح البخاري (4/1886) باب تفسير سورة (والشمس وضحاها).

أنه المنفرد بالإلهية والذي لا يستحق غيره الإلهية، وخاصة أنه مطلع على أحوال النفوس ومراتبها في مسالك الهدى، والضلال، والسعادة، والشقاء(٨٥٠). محور السورة يدور حول: القسم العظيم على فلاح الإنسان إذا اتقى ربه، وهلاكه إذا عصاه، وما جبلت عليه النفس البشرية من الخير والشر، وأهمية تزكية هذه النفس لترقى بصاحبها إلى جنات النعيم، وبيان عقوبة من لم يزكِ نفسه، وقد تحدثت عن ربط ظواهر كونية ببعضها من الشمس والقمر إلى الليل والنهار والسماء والأرض، وأن كل المخلوقات في الكون الفسيح إنما سخّرت لأجل الإنسان فكأنما الإنسان هو المميز بين مخلوقات الله تعالى كلها، وعرضت السورة قصة ثمود الذين طغوا وعقروا الناقة فاستحقوا الهلاك والعذاب من الله تعالى كمثال على ذلك، وختمت السورة بالتأكيد على أن الآخرة لله تعالى.

ثانياً: سورة الليل:

سميت هذه السورة في معظم المصاحف وبعض كتب التفسير (سورة الليل) بدون واو وسميت في معظم كتب التفسير (سورة والليل) بإثبات الواو وعنونها البخاري والترمذي(٨٥١)، (سورة والليل إذا يغشى)، وهي مكية في قول الجمهور، وعدت التاسعة في عداد نزول السور، نزلت بعد سورة الأعلى، وقبل سورة الفجر، وهي إحدى وعشرون آية بإجماع. من أغراضها أنها: احتوت على بيان شرف المؤمنين، وفضائل أعمالهم ومذمة المشركين ومساويهم، وأن الله يهدي الناس إلى الخير، فهو يجزي المهتدين بخير الحياتين والضالين بعكس ذلك، وأنه أرسل رسوله ﷺ للتذكير بالله، وما عنده فينتفع من يخشى فيفلح ويصدف عن الذكرى من كان شقياً؛ فيكون جزاؤه النار الكبرى، وأولئك هم الذين صدهم عن التذكر؛ إيثار حب ما هم فيه في هذه الحياة، وأدمج في

---

(٨٥٠) التحرير والتنوير مجلد ١٢ (٣٠/٣٦٥ ـ ٣٦٦) بتصرف.

(٨٥١) انظر: صحيح البخاري (١٨٨٨/٤) باب تفسير سورة (والليل إذا يغشى). (الليل)، سنن الترمذي (٤٤٠/٥) باب (ومن سورة والليل إذا يغشى).

ذلك الإشارة إلى دلائل قدرة الله تعالى وبديع صنعه[852].

فمحور السورة يدور حول: سعي الإنسان وعمله، وعن نضاله في هذه الحياة ثم نهايته إلى النعيم أو إلى الجحيم، والتحذير من أن يغتر الإنسان بماله الذي لن يغني عنه شيئاً يوم القيامة. وخُتمت السورة بنموذج للمؤمن الصالح الذي ينفق أمواله في سبيل الله وابتغاء مرضاته وبيان جزائه.

المطلب الثاني: عرض وتفسير لآيات (سور الشمس والليل) المتضمنة للقراءات العشر:

أولاً: سورة الشمس:

١ ـ قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ﴿١٥﴾﴾ [الشمس: ١٥].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ نافع وابن عامر وأبو جعفر (فَلَا يَخَافُ) بالفاء مكان الواو.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿وَلَا يَخَافُ﴾ بالواو[853].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(ولا يخاف) بالواو والجملة حال، أي: فعل ذلك وهو لا يخاف، وقرئ بالفاء على أنها للعطف من غير مهلة، والضمير في سواها وعقباها للعقوبة، والله أعلم[854].

---

(٨٥٢) التحرير والتنوير مجلد ١٢ (٣٠/٣٧٧ ـ ٣٧٨) بتصرف، وانظر القرطبي (٢٠/٦١).

(٨٥٣) انظر: النشر (٢/٤٠١)، الكنز (٣٠٢)، إبراز المعاني (٧٢٤ ـ ٧٢٥)، المبسوط في القراءات العشر للأصبهاني (٢٨٥).

(٨٥٤) التبيان (٢/٢٨٧).

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

(فَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا) أي: تَبِعَتِها، وكيف يخاف من هو قاهر، لا يخرج عن قهره وتصرفه مخلوق، الحكيم في كل ما قضاه وشرعه(٨٥٥)، فلا يخاف عاقبتها وتَبِعَتِها كما يخاف سائر المعاقبين من الملوك(٨٥٦).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قرأ نافع وابن عامر (فَلَا يَخَافُ) بالفاء معناه: فدمدم عليهم ربهم فلا يخاف عقباها، أي: لا يخاف الله؛ لأن رب العزة لا يخاف شيئاً، وقرأ الباقون ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴿١٥﴾﴾ بالواو، والمعنى: إذ انبعث أشقاها لعقر الناقة وهو لا يخاف عقباها، أي: لا يخاف ما يكون من عاقبة فعله، ففاعل يخاف العاقبة، الضمير العائد على أشقاها(٨٥٧). من قرأ بالفاء فعلى مصاحف أهل المدينة والشام، ومن قرأ بالواو فعلى مصاحف أهل الكوفة ومكة والبصرة والفاء للعطف، والواو للحال(٨٥٨).

خامساً: الجمع بين القراءات:

أفادت قراءة (فَلَا يَخَافُ) أن الله لا يخاف شيئاً، مهما كانت عاقبته، وأفادت قراءة (وَلاَ يَخَافُ) أن الذي عقر الناقة لا يخاف ما يكون من عاقبة فعله، فبالجمع بينهما، يكون المعنى: أن الكافر عقر الناقة ولم يخف العاقبة من عقره للناقة، ولم يقدر الهلكة الواقعة عليه، ورب العزة سيدخله جهنم ولا يخاف من عاقبة إدخاله النار؛ وهو الاحتراق فيها.

---

(٨٥٥) تفسير السعدي (٩٢٦/١).

(٨٥٦) انظر: تفسير أبي السعود (١٦٥/٩).

(٨٥٧) حجة القراءات (٧٦٦/١).

(٨٥٨) انظر: الكشف (٢٨٢/٢).

ثانياً: سورة الليل:

١ ـ قال الله تعالى: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧﴾ [الليل: ٧].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ أبو جعفر (لِلْيُسُرَى) بضم السين.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿لِلْيُسْرَىٰ﴾ بسكونها[٨٥٩].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات: سبق بيانه[٨٦٠].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧﴾ أي: نسهل عليه أمره، ونجعله ميسراً له كل خير، ميسراً له ترك كل شر، لأنه أتى بأسباب التيسير، فيسر الله له ذلك[٨٦١] الإنفاق في سبيل الخير والعمل بالطاعة[٨٦٢].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات: سبق بيانه[٨٦٣].

خامساً: الجمع بين القراءات:

أفادت قراءة الإسكان: ﴿لِلْيُسْرَىٰ﴾ أن من أعطى واتقى، سييسر الله له أي عقبة خفيفة تعيق طريقه للجنة، وأفادت قراءة الضم (لِلْيُسُرَى) أن من أعطى واتقى، سييسر الله له أي عقبة شديدة تعيق طريقه للجنة؛ إذ إن مناسبة الحركات لمعنى اللفظ في الضمة هي أقوى الحركات فتكون للمعنى

---

(٨٥٩) انظر: النشر (٤٠١/٢)، الكنز (٣٠٢)، الإتحاف (٥٨٧)، المكرر (٥١٦).

(٨٦٠) انظر: سورة الطلاق (ص٣٨).

(٨٦١) تفسير السعدي (٩٢٦/١).

(٨٦٢) فتح القدير (٦٤٢/٥).

(٨٦٣) انظر: سورة الطلاق (ص٣٨).

الأقوى[٨٦٤]. بالجمع بينهما يتبيّن أن الله سييسر على المتقي العقبات التي تعيق طريق الجنة؛ فيجْعل دخوله للجنةَ سريعاً.

٢ ـ قال الله تعالى: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾ [الليل: ١٠].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ أبو جعفر بضم السين (لِلْعُسُرَى).

٢ ـ وقرأ الباقون بسكون السين ﴿لِلْعُسْرَىٰ﴾[٨٦٥].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات ـ العلاقة التفسيرية بين القراءات:

سبق بيانه[٨٦٦].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾، أي: للحالة العسرة، والخصال الذميمة، بأن يكون ميسراً للشر أينما كان، ومقيضاً له أفعال المعاصي[٨٦٧]. ونسهلها له حتى تتعسر عليه أسباب الخير والصلاح ويضعف عن فعلها فيؤديه ذلك إلى النار[٨٦٨]، وأصل التيسير من اليسر، بمعنى: السهولة، للدلالة على أن الجزاء الموعود معظمه يكون في الآخرة التي هي أمر منتظر متراخ، وقيل التيسير أولاً: بمعنى اللطف، وثانياً: بمعنى الخذلان[٨٦٩].

رابعاً: الجمع بين القراءات:

أفادت قراءة الإسكان: ﴿لِلْعُسْرَىٰ﴾ أن من بخل واستغنى، سييسر الله له

(٨٦٤) جلاء الأفهام (١٤٧/١).
(٨٦٥) انظر: النشر (٤٠١/٢)، الكنز (٣٠٢)، الإتحاف (٥٨٧)، المكرر (٥١٦).
(٨٦٦) انظر: سورة الطلاق (ص٣٨).
(٨٦٧) تفسير السعدي (٩٢٦/١).
(٨٦٨) فتح القدير (٦٤٢/٥).
(٨٦٩) روح المعاني (١٤٩/٣٠).

أي عقبة خفيفة تعيق طريقه للنار، وأفادت قراءة الضم (لِلْعُسُرَى) أن من بخل واستغنى، سييسر الله له العقبة الشديدة المعيقة طريقه للنار. بالجمع بينهما يتبيّن أن: الله سييسر على الكافر العقبات التي تعيق طريقه للنار؛ ليجْعل دخوله للنار سريعاً.



المبحث الخامس
عرض وتفسير لآيات سورتي (القدر والبينة) المتضمنة للقراءات القرآنية العشر

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: بين يدي السورة

المطلب الثاني: عرض وتفسير لآيات سورتي (القدر والبينة) المتضمنة للقراءات العشر

أولاً: سورة القدر

ثانياً: سورة البينة

المطلب الثاني: عرض وتفسير لآيات سورة (القدر والبينة) المتضمنة للقراءات العشر

وتشتملان على:

أولاً: القراءات

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات

خامساً: الجمع بين القراءات

المبحث الخامس
عرض وتفسير لآيات سورتي (القدر والبينة)
المتضمنة للقراءات العشر

المطلب الأول: بين يدي السورة:

أولاً: سورة القدر:

سميت هذه السورة في المصاحف والتفسير وكتب السنة (سورة القدر) وسماها أبو بكر الجصاص (سورة ليلة القدر)(٨٧٠)، وهي مكية في قول الجمهور، وقال الواقدي: «هي أول سورة نزلت بالمدينة»، وقد عدها جابر بن زيد الخامسة والعشرين في ترتيب نزول السور، نزلت بعد سورة عبس، وقبل سورة الشمس، فأما قول من قالوا: إنها مدنية فيقتضي أن تكون نزلت بعد المطففين، وقبل البقرة، آياتها خمس في العدد (المدني، البصري والكوفي) وست في العدد (المكي والشامي)، من أغراضها: التنويه بفضل القرآن وعظمته بإسناد إنزاله إلى الله تعالى، والرد على الذين جحدوا أن يكون القرآن منزلاً من الله تعالى، ورفع شأن الوقت الذي أنزل فيه، ونزول الملائكة في ليلة إنزاله، وتفضيل الليلة التي توافق ليلة إنزاله من كل عام(٨٧١). فمحور

(٨٧٠) أحكام القرآن للجصاص (٣٧٣/٥).

(٨٧١) التحرير والتنوير مجلد ١٢ (٤٥٥/٣٠ ـ ٤٥٦) بتصرف.

السورة يدور حول: بدء نزول القرآن الكريم، وفضل ليلة القدر على سائر الليالي والأيام والشهور.

ثانياً: سورة البينة:

وردت تسمية هذه السورة في كلام النبي ﷺ (لم يكن الذين كفروا) وعند البخاري ومسلم (لم يكن)[٨٧٢]، وسميت في أكثر المصاحف (سورة القيمة) وكذلك في بعض التفاسير، وسميت في بعض المصاحف (سورة البينة)، واختلف في أنها مكية أو مدنية قال ابن عطية: «الأشهر أنها مكية» وهو قول جمهور المفسرين، نزلت بعد سورة الطلاق وقبل سورة الحشر، وعدد آياتها ثمان عند الجمهور، وعدها أهل البصرة تسع آيات، من أغراضها: توبيخ المشركين وأهل الكتاب على تكذيبهم بالقرآن والرسول ﷺ، والتعجيب من تناقض حالهم إذ هم ينتظرون أن تأتيهم البينة، فلما أتتهم البينة كفروا بها، وتكذيبهم في ادعائهم أن الله أوجب عليهم التمسك بالأديان التي هم عليها، والتسجيل عليهم بأنهم شر البرية، والثناء على الذين آمنوا وعملوا الصالحات، ووعدهم بالنعيم الأبدي، ورضا الله عنهم، وإعطاؤه إياهم ما يرضيهم، وتخلل ذلك تنويه بالقرآن وفضله على غيره، باشتماله على ما في الكتب الإلهية التي جاء بها الرسول ﷺ من قبل وما فيه من فضل وزيادة[٨٧٣].

المطلب الثاني: عرض وتفسير لآيات سورتي (القدر والبينة) المتضمنة للقراءات العشر:

أولاً: سورة القدر:

١ ـ قال الله تعالى: ﴿سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ۝٥﴾ [القدر: ٥].

(٨٧٢) انظر: صحيح البخاري (١٨٩٦/٤) باب تفسير سورة (لم يكن) (البينة)، صحيح مسلم (٥٥٠/١) باب استحباب قراءة القرآن.

(٨٧٣) التحرير والتنوير مجلد ١٢ (٤٦٧/٣٠ ـ ٤٦٨) بتصرف.

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ الكسائي وخلف عن نفسه (مَطْلِعِ) بكسر اللام.

٢ ـ وقرأ الباقون بفتحها ﴿مَطْلَعِ﴾[(٨٧٤)].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(طلع) الطاء واللام والعين أصلٌ واحد صحيح، يدلُّ على ظهورٍ وبُروز، يقال طلعت الشمس طُلوعاً ومَطْلَعاً، والمَطْلِع: موضع طلوعها، قال الله تعالى: ﴿سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ۝٥﴾، فمن فتح اللام أراد المصدر، ومن كسر أراد الموضع الذي تطلعُ منه[(٨٧٥)]. طَلَعَتِ الشمس والقمر والفجر والنجوم تَطْلُعُ طُلُوعاً ومَطْلَعاً ومَطْلِعاً فهي طالِعةٌ، قال الفراء: «على مطلَع» هو أقوى في قياس العربية؛ لأَن المطلَع بالفتح هو الطلوع، والمطلِع بالكسر هو الموضع الذي تطلع منه[(٨٧٦)].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

﴿سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ۝٥﴾ أي: مبتداها من غروب الشمس ومنتهاها طلوع الفجر[(٨٧٧)].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قرأ الكسائي ﴿مَطْلَعِ﴾ بكسر اللام، وقرأ الباقون (مَطْلَع) بفتح اللام يعني طلوع الفجر وهو المصدر من طلعت الشمس مطلَعاً وطلوعاً،

---

(٨٧٤) انظر: النشر (٢/٤٠٣)، الكنز (٣٠٣)، الإتحاف (٥٩٢)، المكرر (٥٢٦)، غيث النفع (٦٤٢)، إبراز المعاني (٧٢٧).

(٨٧٥) معجم مقاييس اللغة (٣/٤١٩).

(٨٧٦) لسان العرب (٨/٢٣٥).

(٨٧٧) تفسير السعدي (١/٩٣١).

والمعنى: سلام هي حتى طلوعه، وإلى وقت طلوعه، وكل ما كان على فَعَل يفْعل، مثل: قَتَل يقتُل وطَلع يطلُع، فالمصدر والمكان على مَفعَل، بفتح العين، نحو: المَقْتَل والمَدْخَل. وحجة الكسائي: أن المطلع يكون الموضع الذي تطلع فيه ويكون بمعنى المصدر، قال الكسائي: من كسر اللام فإنه من طَلع يطلِع، واعلم أن كل ما كان من فَعَل يَفعِل بكسر العين فالموضع منه المفعِل، والمصدر منه مفعِل، تقول: جَلَسَ يَجْلِس مجلِساً، والموضع المجلِس[٨٧٨]، فالحجة لمن فتح أنه أراد بذلك المصدر، ومعناه: حتى طلوع الفجر. والحجة لمن كسر أنه أراد الاسم، أو الموضع[٨٧٩].

خامساً: الجمع بين القراءات:

بالجمع بين القراءات يتبيّن: أن ليلة القدر سلام هي، من أول الليل - بعد الغروب -، إلى وقت طلوع الفجر الصادق من مطلعه.

ثانياً: سورة البينة:

١ - قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ۝٧﴾ [البينة: ٧].

٢ - ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ ۝٦﴾ [البينة: ٦].

أولاً: القراءات:

١ - قرأ نافع وابن ذكوان (البَرِيئَةِ) بياء ساكنة مدية وهمزة مفتوحة بعدها فتمد الياء على المتصل.

٢ - وقرأ الباقون (البَرِيَّةِ) بياء مفتوحة مشددة[٨٨٠].

(٨٧٨) انظر: حجة القراءات (٧٦٨/١)، الكشف (٣٨٥/٢).

(٨٧٩) الحجة (٣٧٤/١).

(٨٨٠) انظر: النشر (٤٠٣/٢)، الكنز (٣٠٤)، الإتحاف (٥٩٣)، المكرر (٥٢٨)، غيث النفع (٦٤٢)، إبراز المعاني (٧٢٧ - ٧٢٨).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(برأ) فأما الباء والراء والهمزة فأصلان إليهما ترجع فُروع الباب: أحدهما الخَلْق، يقال بَرَأَ الله الخلقَ يَبْرَؤُهم بَرْءاً[٨٨١]. البَرِيَّةُ أيضاً الخَلْق بلا هَمْزٍ قالَ الفَرَّاءُ: هيَ مِنْ بَرَأَ الله الخَلْقَ أي خَلَقَهُم والبَرِيَّةُ الخَلْقُ وأَصْلُها الهمْزُ وقد ترَكَت العَرَبُ هَمْزَها ونظِيرهُ النبيُّ والذُّرِّيَّةُ، وأَهلُ مَكَّةَ يُخالِفُونَ غيرَهُم مِنَ العَرَب يَهْمِزُونَ (البريئةَ والنَّبيءَ والذَّرِّيئةَ) قالَ الفَرَّاءُ: وإذا أُخِذَت البَرِيَّةُ مِن البرَى وهو التُّراب فأَصلها غير الهمْزِ[٨٨٢].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآيتين المتضمنتين للقراءات:

﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ﴾ لأنهم عرفوا الحق وتركوه، وخسروا الدنيا والآخرة[٨٨٣].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ إشارة إليهم باعتبار اتصافهم بما هم فيه من القبائح المذكورة وما فيه من معنى البعد لبعد منزلتهم في الشر، أي: أولئك البعداء المذكورون ﴿هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ﴾، أي: الخليقة، وقيل: أي: البشر والمراد قيل: هم شر البرية أعمالاً، المعنى: أولئك هم شر البرية لا غيرهم من المؤمنين كما يزعمون[٨٨٤] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ﴾ لأنهم عبدوا الله وعرفوه، وفازوا بنعيم الدنيا والآخرة[٨٨٥].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قرأ نافع وابن عامر (البَرِيئَةِ) بالهمز، وحجتهما أنه: من برأ الله الخلق

---

(٨٨١) معجم مقاييس اللغة (١/٢٣٦).

(٨٨٢) لسان العرب (١/٣١).

(٨٨٣) تفسير السعدي (١/٩٣١).

(٨٨٤) روح المعاني (٣٠/٢٠٥).

(٨٨٥) تفسير السعدي (١/٩٣١).

يبرؤهم برءاً، والله البارئ والخلق يُبرؤون، والبريئة فعيلة بمعنى مفعولة كقولك: قتيل بمعنى مقتول، وقرأ الباقون ﴿ٱلْبَرِيَّةِ﴾ بغير همز، وهو من برأ الله الخلق، إلا أنهم خففوا الهمزة لكثرة الاستعمال، يقولون هذا خير البرية وشر البرية وإن كان الأصل الهمز(٨٨٦). قال أبو منصور: من همز (البَرِيئَةِ) جعلها من: برأ الله الخلق يبرؤهم، والله البارئ الخالق(٨٨٧). قال الفراء: وإن أخِذتْ من البَرَى كانت غير مهموزة، والبرى: التراب سمعت العرب تقول: بفيه البرى(٨٨٨).

خامساً: الجمع بين القراءات:

أفادت قراءة (البَرِيئَةِ) أن هؤلاء شر من برأهم الله، إن كانوا كافرين، وخير من برأهم الله، إن كانوا مؤمنين، وأفادت قراءة ﴿ٱلْبَرِيَّةِ﴾ أن هؤلاء شر من على التراب، إن كانوا كافرين، وخير من على التراب، إن كانوا مؤمنين.



(٨٨٦) حجة القراءات (٧٦٩/١).

(٨٨٧) معاني القراءات (٥٥٥)، وانظر: معاني القرآن وإعرابه (٢٦٧/٥).

(٨٨٨) معاني القرآن للفراء (٢٨٢/٣).

المبحث السادس

عرض وتفسير لآيات سورة (الشرح، التكاثر، الهمزة، المسد والإخلاص) المتضمنة للقراءات القرآنية العشر

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: بين يدي السورة

أولاً: سورة التكاثر

ثانياً: سورة الهمزة

ثالثاً: سورة المسد

رابعاً: سورة الإخلاص

المطلب الثاني: عرض وتفسير لآيات سورة (الشرح، التكاثر، الهمزة، المسد والإخلاص) المتضمنة للقراءات العشر

وتشتمل كل سورة على:

أولاً: القراءات

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات

خامساً: الجمع بين القراءات

المبحث السادس
عرض وتفسير لآيات سورة (الشرح، التكاثر، الهمزة، المسد والإخلاص) المتضمنة للقراءات العشر

المطلب الأول: بين يدي السورة:

أولاً: سورة الشرح:

سُميت في معظم التفاسير (سورة ألم نشرح)، وسميت في بعض التفاسير (سورة الشرح) وفي بعض التفاسير تسميتها (سورة الانشراح)، وقد عدت الثانية عشرة في عداد نزول السور نزلت بعد سورة الضحى بالاتفاق، وقبل سورة العصر، وعدد آيها ثمان، من أغراضها: أنها احتوت على ذكر عناية الله تعالى برسوله ﷺ بلطف الله له وإزالة الغم والحرج عنه وتفسير ما عسر عليه وتشريف قدره لينفس عنه، فمضمونها شبيه بأنه حجة على مضمون سورة الضحى تثبيتاً له بتذكيره سالف عنايته به، وهي مكية بالاتفاق. فمحور السورة يدور حول: الامتنان عليه ﷺ بفتح صدره، وتوسيعه حتى قام بالدعوة، وقدر على ما قدر عليه من حمل أعباء النبوّة، وحفظ الوحي[889].

(٨٨٩) التحرير والتنوير مجلد ١٢ (٣٠/٤٠٨) بتصرف.

ثانياً: سورة التكاثر:

سميت في معظم المصاحف ومعظم التفاسير (سورة التكاثر) وكذلك عنونها الترمذي في جامعه[٨٩٠]، وكذلك ترجمها البخاري في كتاب التفسير[٨٩١]، وهي مكية عند الجمهور، وقد عدت السادسة عشرة في ترتيب نزول السور، ونزلت بعد سورة الكوثر، وقبل سورة الماعون، بناء على أنها مكية، وعدد آيها ثمان، من أغراضها: أنها اشتملت على التوبيخ على اللهو عن النظر في دلائل القرآن، ودعوة الإسلام بإيثار المال، والتكاثر به، والتفاخر بالأسلاف، وعدم الإقلاع عن ذلك، إلى أن يصيروا في القبور كما صار من كان قبلهم، وحثتهم على التدبير فيما ينجيهم من الجحيم، لأنهم مبعوثون ومسؤولون عن إهمال شكر المنعم العظيم[٨٩٢]، فمحور السورة يدور حول: انشغال الناس بمغريات الحياة، وحطام الدنيا حتى يأتيهم الموت بغتة، ويقطع عنهم متعتهم، والوعيد لمن عاش لجسده، وتخلى عن عبادة الله الواحد؛ لأن نهاية هذه الأجساد إلى الموت؛ حيث تفنى الأجساد، وتصعد الأرواح إلى خالقها، والمطالبة بالتوازن بين متطلبات الجسد المادية ومتطلبات الروح من عبادات ومحافظة على الصلوات والاستغفار والتقرب إلى الله وطاعته.

ثالثاً: سورة الهمزة:

سميت هذه السورة في المصاحف ومعظم التفاسير (سورة الهمزة) بلام التعريف. وعنونها البخاري (سورة ويل لكل همزة)[٨٩٣]، وهي مكية بالاتفاق، وعدت الثانية والثلاثين في عداد نزول السور، نزلت بعد سورة القيامة، وقبل سورة المرسلات، وآيها تسع بالاتفاق، من أغراضها: أنها

(٨٩٠) سنن الترمذي (٤٤٦/٥) باب ومن سورة التكاثر.

(٨٩١) صحيح البخاري (١٨٩٨/٤) باب تفسير سورة (ألهاكم).

(٨٩٢) التحرير والتنوير مجلد ١٢ (٥١٧/٣٠ ـ ٥١٨) بتصرف.

(٨٩٣) صحيح البخاري (١٨٩٨/٤) باب تفسير سورة ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ﴾.

تعرضت لوعيد جماعة من المشركين، جعلوا همز المسلمين، ولمزهم ضرباً من ضروب أذاهم؛ طمعاً في أن يلجئهم الملل من أصناف الأذى إلى الانصراف عن الإسلام والرجوع إلى الشرك[٨٩٤]. فمحور السورة يدور: حول الذين يعيبون الناس، ويلمزونهم بالطعن والانتقاص منهم والسخرية، وذم الذين يكدّسون الثروات.

رابعاً: سورة المسد:

سميت هذه السورة في أكثر المصاحف (سورة تبت) وكذلك عنونها الترمذي في جامعه[٨٩٥]، وعنونها البخاري بسورة المسد[٨٩٦]، وهي مكية بالاتفاق، وعدت السادسة من السور نزولاً، نزلت بعد سورة الفاتحة، وقبل سورة التكوير، وعدد آيها خمس، من أغراضها: زجر أبي لهب على إساءته للنبي ﷺ ووعيده على ذلك، ووعيد امرأته على انتصارها لزوجها، وبغضها النبي ﷺ[٨٩٧]. فمحور السورة يدور حول: الوعيد لأبي لهب، وزوجه.

خامساً: سورة الإخلاص:

المشهور في تسميتها في عهد النبي ﷺ تسميتها سورة (قل هو الله أحد)، وتسمى سورة (الأساس)، (والتوحيد)، (والإخلاص)، (والنجاة) (والولاية) لأن من عرف الله بوحدانيته فهو من أوليائه المؤمنين الذين لا يتولون غير الله (والنسبة)، (والمعرفة)، (والمعوذة)، (والصمد) لأن هذا اللفظ خص بها (والأساس) لأنها أساس العقيدة الأسلامية (والمانعة)، (والمحضر) لأن الملائكة تحضر لاستماعها إذا قرئت (والمنفرة) لأن الشيطان ينفر عند قراءتها (والبراءة) لأنها تبرئ من الشرك (والمذكرة) لأنها تذكر خالص التوحيد الذي هو مودع في الفطرة (والنور)، (والأمان) لأن من

---

(٨٩٤) التحرير والتنوير مجلد ١٢ (٥٣٥/٣٠) بتصرف.

(٨٩٥) سنن الترمذي (٤٥٠/٥) باب ومن سورة تبت يدا.

(٨٩٦) انظر: صحيح البخاري (١٩٠١/٤) باب تفسير سورة ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾.

(٨٩٧) التحرير والتنوير مجلد ١٢ (٥٩٩/٣٠ ـ ٦٠٠) بتصرف.

اعتقد ما فيها أمن من العذاب، وهي مكية في قول الجمهور. وهي في عداد نزول السور: نزلت بعد سورة الناس، وقبل سورة النجم. وآياتها عند أهل العدد بالمدينة، والكوفة، والبصرة أربع، وعند أهل مكة والشام خمس. من أغراضها: إثبات وحدانية الله تعالى، وأنه لا يقصد في الحوائج غيره، وتنزيهه عن سمات النقص(٨٩٨). ومحور السورة يدور حول التوحيد الخالص لله، وعدم وجود الولد له سبحانه.

المطلب الثاني: عرض وتفسير لآيات سورة (الشرح، التكاثر، الهمزة، المسد والإخلاص) المتضمنة للقراءات العشر:

أولاً: سورة الشرح:

١ ـ **قال الله تعالى:** ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾ [الشرح: ٥ ـ ٦] سبق بيانه(٨٩٩).

ثانياً: سورة التكاثر:

١ ـ **قال الله تعالى:** ﴿لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦﴾ [التكاثر: ٦].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ ابن عامر والكسائي (لَتُرَوُنَّ) بضم التاء.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿لَتَرَوُنَّ﴾ بفتحها(٩٠٠).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

---

(٨٩٨) التحرير والتنوير مجلد ١٢ (٦٠٩/٣٠ ـ ٦١٢) بتصرف.

(٨٩٩) انظر: سورة الطلاق (ص٣٨).

(٩٠٠) انظر: (٤٠٣/٢)، الكنز (٣٠٤)، الإتحاف (٥٩٧)، المكرر (٥٣٥)، غيث النفع (٦٤٦)، انظر: إبراز المعاني (٧٢٨).

(رأي) الراء والهمزة والياء أصلٌ يدلُّ على نظرٍ وإبصارٍ بعينٍ أو بصيرة[٩٠١]. (رأي) الرُّؤيَة بالعَيْن تَتَعدَّى إلى مفعول واحد وبمعنى العِلْم تتعدَّى إلى مفعولين يقال رأى زيداً عالماً ورَأَى رَأْياً ورُؤْيَةً ورَاءَةً مثل راعَة[٩٠٢] الرُّؤْيَةُ: أي النَّظَرُ بالعَيْنِ وبالقَلْبِ[٩٠٣].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

﴿لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦﴾، أي: لتردن القيامة، فلترون الجحيم التي أعدها الله للكافرين[٩٠٤] فالناس مسؤولون يومئذ عن نعيمهم في الدنيا كيف نالوه، ولِمَ آثروه[٩٠٥].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قرأ الكسائي وابن عامر (لَتُرَوُنَّ) بضم التاء على ما لم يسم فاعله، ثم لترونها بالنصب، وقرأ الباقون ﴿لَتَرَوُنَّ﴾ بفتح التاء، أي: إنكم لترونها، وحجتهم إجماع الجميع على فتح التاء في قوله: «ثم لترونها» فرد ما اختلفوا فيه إلى ما أجمعوا عليه أولى، قال الفراء: إنما ضمت الواو لأن الأصل لتريون، فنقلوا فتحة الهمزة إلى الراء وحذفوا الهمزة تخفيفاً، ثم استثقلوا الضمة على الياء، فحذفوها فالتقى ساكنان الياء والواو، فأسقطوا الياء ثم التقى ساكنان الواو والنون فحركوا الواو لالتقاء الساكنين، وحولت إليها تلك الحركة التي كانت في الياء فحركت بها[٩٠٦]. فالحجة لمن فتح أنه دل بذلك على بناء الفعل لهم فجعلهم به فاعلين، والحجة لمن ضم أنه دل بذلك على بناء الفعل لما لم يسم فاعله[٩٠٧] (لَتُرَوُنَّ) بضم التاء من رأيته الشيء،

(٩٠١) معجم مقاييس اللغة (٤٧٢/٢).

(٩٠٢) لسان العرب (٢٩١/١٤).

(٩٠٣) القاموس المحيط (١٦٥٨/١).

(٩٠٤) تفسير السعدي (٩٣٣/١).

(٩٠٥) تفسير الثعالبي (٤٣٩/٤).

(٩٠٦) حجة القراءات (٧٧١/١ ـ ٧٧٢)، الكشف (٣٨٧/٢).

(٩٠٧) الحجة (٣٧٥/١).

أي: تحشرون إليها فترونها وعلى فتح التاء هي قراءة الجماعة أي لترون الجحيم بأبصاركم على البعد(٩٠٨).

خامساً: الجمع بين القراءات:

أفادت قراءة (لَتُرَوُنَّ) بضم التاء، أي: تحشرون إليها فترونها، وأفادت قراءة ﴿لَتَرَوُنَّ﴾ على فتح التاء، أي: لترون الجحيم بأبصاركم على البعد.

ثالثاً: سورة الهمزة:

١ ـ قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ۝٢﴾ [الهمزة: ٢].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ ابن عامر وحمزة وعلي وأبو جعفر ورح وخلف (جَمَّعَ) بتشديد الميم.

٢ ـ وقرأ الباقون بالتخفيف ﴿جَمَعَ﴾(٩٠٩).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(جمع) الجيم والميم والعين أصلٌ واحد، يدلُّ على تَضَامِّ الشَّيء. يقال جَمَعْتُ الشيءَ جَمْعاً(٩١٠) جَمَعَ الشيءَ عن تَفْرِقة يَجْمَعُه جَمْعاً وجَمَّعَه وأَجْمَعَه فاجتَمع(٩١١).

---

(٩٠٨) تفسير القرطبي (١٣٧/٢٠).

(٩٠٩) انظر: النشر (٤٠٣/٢)، الكنز (٣٠٤)، الإتحاف (٥٩٩)، المكرر (٥٣٨)، غيث النفع (٦٤٨)، إبراز المعاني (٧٢٨).

(٩١٠) معجم مقاييس اللغة (٤٧٩/١).

(٩١١) لسان العرب (٥٣/٨).

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

﴿ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ﴿٢﴾﴾، أي: جمع المال وضبط عدده وأحصاه. أو جمع ماله وقومه الذين ينصرونه(٩١٢).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي (جَمَّعَ) بالتشديد لتكرير الفعل؛ لأنه جمعه من ها هنا، وها هنا، لم يجمعه في يوم ولا يومين، ولا شهر ولا شهرين، ولا سنة ولا سنتين، وأخرى وهي أنه أتى عقيبه فعل مشدد، فشدد الميم إذ أتى في سياقه ليأتلف الكلام على نظام واحد، فشدد جمع لتشديد عدده، إذ لم يقل عده. وقرأ الباقون ﴿جَمَعَ﴾ بالتخفيف من جمعت جمعاً وحجتهم إجماع الجميع في قوله: ﴿خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [آل عمران: ١٥٧] فإلحاق ما اختلفوا فيه بما أجمعوا عليه أولى(٩١٣) فالحجة لمن شدد أنه أراد تكرار الفعل ومداومة الجمع، والحجة لمن خفف أنه أراد جمعاً واحداً لمال واحد(٩١٤)، قال الشوكاني: والتشديد في الكلمتين يدل على التكثير وهو جمع الشيء بعد الشيء وتعديده مرة بعد أخرى(٩١٥)، قال مكي بن أبي طالب: «من قرأ بالتشديد فعلى معنى التكثير، ومن قرأ بالتخفيف، فهذا يدل على جمعهم في أقرب الأوقات»(٩١٦).

خامساً: الجمع بين القراءات:

أفادة قراءة (جَمَعَ) بالتخفيف إرادة جمع المال في أسرع الأوقات وأقربها، بخلاف قراءة (جَمَّعَ) ففيها زيادة تشنيع على المشرك بصفتيه

---

(٩١٢) الكشاف (١٣٧٦).

(٩١٣) حجة القراءات (١/٧٧٢).

(٩١٤) الحجة (١/٣٧٥).

(٩١٥) فتح القدير (٥/٧٠٢).

(٩١٦) انظر: الكشف (٢/٣٨٩).

الذميمتين، صفة الحرص على المال، وجمعه من هاهنا وهاهنا، وبالجمع بينهما يتبيّن أن المشرك يحاول جمع المال في أسرع الأوقات وأقربها، دون النظر لجمعه من حلال أو حرام، من هنا أو من هناك.

٢ ـ قال الله تعالى: ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ۝٣﴾ [الهمزة: ٣].

ملاحظة: القراءات ـ المعنى اللغوي للقراءات ـ العلاقة التفسيرية بين القراءات: سبق بيانه[٩١٧].

التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

قوله تعالى: ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ۝٣﴾ بمعنى يخلده والمعنى يظن ماله مانعاً له من الموت فهو يعمل عمل من لا يظن أنه يموت[٩١٨].

الجمع بين القراءات:

بالجمع بين القراءتين يتبيَّن أن: أسلوب التهكم من هذا الكافر المعاند المنكر للبعث واضح حيث يقول له الله تعالى: أعلمت من أحد أن مالك سيخلدك، أم تظن ذلك ظناً بنيته على التخمين، فعلى كلا الأمرين، فحسبانك باطل؛ فلا يغرنك مالك، فستموت ثم تبعث، ثم تحاسب.

٣ ـ قال الله تعالى: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨﴾ [الهمزة: ٨].

أولاً: القراءات:

﴿مُّؤْصَدَةٌ﴾ و(مُوصَدَةٌ) سبق بيانه[٩١٩].

---

(٩١٧) انظر سورة القيامة (١٦٦ ـ ١٦٧).

(٩١٨) زاد المسير (٩/٢٢٩).

(٩١٩) انظر سورة البلد ص٣٢٣.

٤ ـ قال الله تعالى: ﴿فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةِۭ ۝٩﴾ [الهمزة: ٩].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ شعبة وحمزة وعلي وخلف (فِي عُمُدٍ) بضم العين والميم.

٢ ـ وقرأ الباقون بفتحهما ﴿فِي عَمَدٍ﴾[٩٢٠].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(عمد) العين والميم والدال أصلٌ كبير، فروعه كثيرة ترجع إلى معنى، وهو الاستقامة في الشيء، منتصباً أو ممتداً[٩٢١]، قوله تعالى: ﴿فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةِۭ ۝٩﴾، أي: في شِبْه أخبيةٍ من نار ممدودة[٩٢٢]. وتعمَّده واعتَمَده قصده والعمد المصدر منه، وعُمُدٍ وهي جمع عِماد وعَمَد وعُمد[٩٢٣].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

﴿فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةِۭ ۝٩﴾ حال: إما من ضمير (عليهم)، أي: في حال كونهم في عَمَد، أي: موثوقين في عمد كما يوثق المسجون المغلظ عليه من رجليه في فَلْقَة ذاتِ ثَقب يدخل في رجله أو في عنقه كالقرام، وإمّا حال من ضمير (إنها)، أي: أن النار الموقدة في عمد، أي: متوسطة عَمداً كما تكون نار الشواء إذ توضع عَمَد وتجعل النار تحتها تمثيلاً لأهلها بالشواء، و(فِي عُمُدٍ) بضمتين وهو جمع عمود، والعمود: خشبة غليظة مستطيلة. والممدَّدة: المجعولة طويلة جدًّا، وهو اسم مفعول من مدده، إذا بالغ في مده، أي: زاد فيه. وكل هذه الأوصاف تقوية لتمثيل شدة الإغلاظ

---

(٩٢٠) انظر: النشر (٤٠٣/٢)، الكنز (٣٠٤)، الإتحاف (٥٩٩)، المكرر (٥٣٨)، غيث النفع (٦٤٨)، إبراز المعاني (٧٢٨).

(٩٢١) معجم مقاييس اللغة (١٣٧/٤).

(٩٢٢) معجم مقاييس اللغة (١٣٩/٤).

(٩٢٣) لسان العرب (٣٠٢/٣).

عليهم بأقصى ما يبلغه الناس من الأحوال[٩٢٤].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر (فِي عُمُدٍ) بضم العين والميم، وقرأ الباقون ﴿فِي عَمَدٍ﴾ بنصبهما فمن ضم (فِي عُمُدٍ) فلأنه جمع عمود عُمُد نحو صبور وصُبرُ، ويقال: واحدها عماد، ومن قرأ ﴿فِي عَمَدٍ﴾ قالوا: واحدها عُمدة، وعَمدة، وعُمُد. قالوا: في جمع عَمُود عَمَد[٩٢٥].

خامساً: الجمع بين القراءات:

بالجمع بين القراءات يتبيّن أن: الكافر في جهنم موثوق في أعمدة كما يوثق المسجون المغلظ عليه من رجليه، والنار الموقدة متوسطة كما تكون نار الشواء إذ توضع مثل العمود الغليظ المستطيل المجعول طويلاً جدًا، هذه العمد أغلقت بها أبواب جهنم كنحو ما تغلق به الدروب، المعنى: إنها عليهم مؤصدة حال كونهم موثقين: في عمد ممدة مثل: المقاطر التي تُقطر فيها اللصوص، والعياذ بالله من ذلك.

رابعاً: سورة المسد:

١ ـ قال الله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾ [المسد: ١].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ ابن كثير (لَهْبٍ) بسكون الهاء.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿لَهَبٍ﴾ بفتحها[٩٢٦].

---

(٩٢٤) انظر: التحرير والتنوير مجلد ١٢ (٥٤١/٣٠ ـ ٥٤٢).

(٩٢٥) حجة القراءات (٧٣/١)، التحرير والتنوير مجلد ١٢ (٥٤١/٣٠ ـ ٥٤٢)، الكشف (٣٨٩/٢).

(٩٢٦) انظر: النشر (٤٠٤/٢)، الكنز (٣٠٦)، الإتحاف (٦٠٦)، المكرر (٥٤٩)، غيث النفع (٦٦٠)، إبراز المعاني (٧٢٩).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(لهب) اللام والهاء والباء أصلٌ صحيح، وهو ارتفاعُ لسان النَّار، ثم يقاسُ عليه ما يقاربه، من ذلك اللَّهب: لَهَب النَّار. تقول: التهبت التهاباً[٩٢٧]. اللَّهَبُ اشتعال النار إِذا خَلَصَ من الدُّخَانِ[٩٢٨]. واللَّهْبُ: وجهٌ من الجَبَل كالحائط لا يُسْتَطاعُ ارتقاؤه، وكذلك لِهْبُ أُفُق السَّماء. والجميعُ: اللُّهُوب واللِّهْبُ: الغُبارُ السّاطِعُ[٩٢٩].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾ أي: خسرت يداه، وشقى[٩٣٠]. وقيل: المراد باليدين نفسه وقد يعبر باليد عن النفس[٩٣١]. تكنية الله ﷻ لعبدالعزى بأبي لهب لما كان مصيره إلى نار ذات لهب كانت هذه الكنية أليق به وأوفق وهو بها أحق وأخلق[٩٣٢] ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣﴾، أي: ستحيط به النار من كل جانب[٩٣٣].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قرأ ابن كثير (تبت يدا أبي لهْب) ساكنة الهاء، وقرأ الباقون بفتح الهاء، وهما لغتان: كالشمَع، والشمْع، والنهَر، والنهْر، واتفاقهم على الفتح يدل على أنه أجود من الإسكان[٩٣٤]. يقول د. عبدالله الراجحي:

(٩٢٧) معجم مقاييس اللغة (١٣/٥).
(٩٢٨) لسان العرب (٧٤٣/١).
(٩٢٩) العين (٢٧٢/١).
(٩٣٠) تفسير السعدي (٩٣٦/١).
(٩٣١) فتح القدير (٧٢٨/٥).
(٩٣٢) زاد المعاد (٣٠٧/٢).
(٩٣٣) تفسير السعدي (٩٣٦/١).
(٩٣٤) حجة القراءات (٧٧٦/١).

الصامت[935] الحلقي يؤثر على الصامت الذي قبله فيحركه بالفتحة، لذلك القراء عدا ابن كثير يحركون الهاء، وذلك لأن الهاء حرف من الصوامت الحلقية[936].

خامساً: الجمع بين القراءات:

قراءة ﴿لَهَبٍ﴾ (لَهْبٍ) بالفتح والإسكان: لغتان من لغات العرب، لكن لما كانت يدا أبي لهب، يدا جهنمي؛ ناسب الفتحة لحركة اليدين مع لهب جهنم، وعندما تقف يداه من شدة حرق النار وعذابها، قف اللهب كوجه الجَبَل لا يُسْتَطاعُ ارتقاؤُه؛ لقوته وثباته، فناسب السكون.

٢ ـ قال الله تعالى: ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤﴾ [المسد: ٤].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ عاصم ﴿حَمَّالَةَ﴾ بالنصب.

٢ ـ وقرأ الباقون بالرفع (حَمَّالَةُ)[937].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(حمل) الحاء والميم واللام أصلٌ واحدٌ يدلُّ على إقلال الشيء، يقال: حَمَلْتُ الشيء أحمِلُه حَمْلاً. والحَمْل: ما كان في بطنٍ أو على رأس شجرٍ، يقال: امرأةٌ حامل وحاملة. فمن قال: حامل قال: هذا نعت لا يكون إلا للإناث، ومن قال: حاملة بناه على حَمَلَتْ فهي حاملة، والحِمْل: ما كان على ظهرٍ أو رأسٍ. والحَمَالة: أن يحمل الرجلُ ديةً ثم يسعى

---

(٩٣٥) هو الصوت الذي يتم نطقه من حيز ومخرج معين. انظر: مباحث في علم اللغة لنور الهدى ص١٠٢ بتصرف: الأصوات وظائفها للقمامي (ص٥٠).

(٩٣٦) انظر: اللهجات العربية في القراءات القرآنية للراجحي (١٣٠ ـ ١٣١).

(٩٣٧) انظر: النشر (٢/٤٠٤)، الكنز (٣٠٦)، الإتحاف (٦٠٦)، المكرر (٥٤٩)، غيث النفع (٦٦٠)، إبراز المعاني (٧٢٩).

عليها[٩٣٨] حَمَل الشيءَ يَحْمِله حَمْلاً وحُمْلاناً فهو مَحْمول وحَمِيل واحْتَمَله[٩٣٩].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ۝٤﴾ وكانت أيضاً شديدة الأذية لرسول الله ﷺ، تتعاون هي وزوجها على الإثم والعدوان، وتلقي الشر، وتسعى غاية ما تقدر عليه في أذية الرسول ﷺ، وتجمع على ظهرها من الأوزار بمنزلة من يجمع حطباً، قد أعد له في عنقه حبلاً (مِنْ مَسَدٍ) أي: من ليف، أو أنها: تحمل في النار الحطب على زوجها، متقلدة في عنقها حبلاً من مسد، وعلى كل، ففي هذه السورة، آية باهرة من آيات الله، فإن الله أنزل هذه السورة، وأبو لهب وامرأته لم يهلكا، وأخبر أنهما سيعذبان في النار ولا بد، ومن لازم ذلك أنهما لا يسلمان، فوقع كما أخبر عالم الغيب والشهادة[٩٤٠].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قرأ عاصم ﴿حَمَّالَةَ﴾ بالنصب على الذم لها، وقرأ الباقون (حَمَّالَةُ) بالرفع فمن رفع على أن يجعله وصفاً لقوله: (وَامْرَأَتُهُ)، وعلى الخبر أي: هي حمالة الحطب ويكون حبل من مسد خبراً بعد خبر[٩٤١]. فالحجة لمن رفع أنه جعله خبر الابتداء، والحجة لمن نصب أنه أراد الذم، والعرب تنصب بالذم، والمدح، والترحم، بإضمار، أعني، ومعناه: إنها كانت تمشي بالنميمة فذُمت بذلك[٩٤٢].

---

(٩٣٨) معجم مقاييس اللغة (٢/١٠٦).

(٩٣٩) لسان العرب (١١/١٧٤).

(٩٤٠) تفسير السعدي (١/٩٣٦).

(٩٤١) حجة القراءات (١/٧٧٧) وانظر: الكشف (٢/٣٩٢).

(٩٤٢) الحجة (١/٣٧٧).

خامساً: الجمع بين القراءات:

بالجمع بين القراءات يتبيّن: أنه لما كانت زوجة أبي لهب، شديدة الأذية لرسول الله ﷺ تتعاون هي وزوجها على الإثم والعدوان، ذمها الله على ذلك - على قراءة النصب - وجعلها مع زوجها تصلى النار ذات اللهب - على قراءة الضم - وزيادة في النكاية بها سيكون في جيدها حبل من مسد.

خامساً: سورة الإخلاص:

١- قال الله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص: ٤].

أولاً: القراءات:

١ - قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم، والكسائي (كُفُؤاً) مثقلاً مهموزاً.

٢ - قرأ حفص بضم الفاء والواو ﴿كُفُوًا﴾ مثقلاً بغير همز.

٣ - قرأ حمزة ويعقوب (كُفْؤا) مهموزاً مخففاً[٩٤٣].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(كفأ) الكاف والفاء والهمزة أصلانِ يدلُّ أحدُهما على التَّساوِي في الشَّيئين، ويدلُّ الآخر على المَيْل والإمالة والاعوجاج، فالأول: كافأت فلاناً، إذا قابلتَه بمثل صَنيعه، والكفء: المِثْل، قال الله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾[٩٤٤]، وقال الزجاج: في قوله تعالى «ولم يَكُنْ له كُفُؤاً أَحَدٌ» أَربعةُ أَوجه في القراءة: منها ثلاثة كُفُؤاً بضم الكاف والفاء، وكُفْأً بضم الكاف وإِسكان الفاء، وكِفْأً بكسر الكاف وسكون الفاء[٩٤٥]، وقد قرأَ

---

(٩٤٣) معاني القراءات (٥٧٠).

(٩٤٤) معجم مقاييس اللغة (١٨٩/٥).

(٩٤٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢٩٢/٥).

ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر والكسائي وعاصم (كُفُؤاً) مثقلاً مهموزاً، وقرأ حمزة «كُفْأً» بسكون الفاء مهموزاً وإذا وقف قرأ كُفَا بغير همز واختلف عن نافع فروي عنه «كُفُؤاً» مثل: أَبي عَمْرو وروي «كُفْأً» مثل: حمزة، والتَّكافُؤُ: الاسْتِواء[٩٤٦].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية المتضمنة للقراءات:

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ لا مثيل له في أسمائه ولا في أوصافه، ولا في أفعاله، تبارك وتعالى[٩٤٧].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قرأ حمزة وإسماعيل (كُفْؤاً) ساكنة الفاء، وقرأ الباقون (كُفُؤاً) بضم الفاء، وهما: لغتان. وقرأ حفص (كُفُواً) مضمومة الفاء مفتوحة الواو غير مهموزة أبدل من الهمزة واواً، والعرب تقول ليس لفلان كفو، ولا مثل، ولا نظير، والله ﷻ: لا نظير له ولا مثل[٩٤٨]. قوله تعالى ﴿كُفُوًا﴾ يقرأ بضم الكاف والفاء، والهمز وطرحه، وبضم الكاف واسكان الفاء والهمز[٩٤٩]. جاء في مجموع الفتاوى «الواو أقوى حروف العلة والضمة بعضها وهي أقوى الحركات لما فيها من الجمع وكونها آخراً فجعلت للجمع»[٩٥٠].

خامساً: الجمع بين القراءات:

من خلال القراءات لكلمة: (كُفْؤا) (كُفُؤاً) (كُفُواً). تظهر الاختلافات في الهمزة التي تفيد الصعوبة والشدة، والضمة، التي تفيد العلو والقوة،

(٩٤٦) لسان العرب (١/١٣٩).
(٩٤٧) انظر: تفسير السعدي (١/٩٣٧).
(٩٤٨) الحجة (١/٣٧٨).
(٩٤٩) الحجة (١/٣٧٨).
(٩٥٠) مجموع الفتاوى (١٦/٢٢٤).

والسكون، الذي يفيد الثبات. فيترتب على اختلاف القراءات كالتالي:

١ - يتبيّن من قراءة (كُفُواً) مهما استسهل المرء أو علا ليصل ليكون لله تعالى نداً فلن يكون.

٢ - يتبيّن من قراءة (كُفُؤاً) صعوبة العلو في ارتقاء الفكر أن لله نداً.

٣ - يتبيّن من قراءة (كُفْؤاً) ثبات الفكر وتوقفه أن يفكر مجرد التفكير أن لله نداً.

ملاحظة: سورة (الضحى - التين - العلق - الزلزلة - العاديات - القارعة - العصر - الفيل - قريش - الماعون - الكوثر - الكافرون - النصر - الفلق - الناس) لا توجد بها فرشيات للقراءات.

والحمد لله رب العالمين.



الفهارس



فهرس المصادر والمراجع

أولاً: حرف الهمزة

١. **القرآن الكريم.**

٢. **أساس البلاغة/** للزمخشري ـ دار صادر بيروت.

٣. **إعراب القرآن** ـ المنسوب للزجاج: الزجاج/ تحقيق ودراسة إبراهيم الأبياري ـ الهيئة العامة لشؤون المطابع ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٥م. «تراثنا».

٤. **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك/** أبو محمد عبدالله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبدالله بن هشام الأنصاري ـ الناشر: دار الجيل ـ بيروت ـ الطبعة الخامسة ١٩٧٩م.

٥. **الإبانة عن معاني القراءات/** مكي بن أبي طالب القيسي ـ تحقيق: د. محيي الدين رمضان: دار المأمون للتراث ـ دمشق، بيروت ـ ط الأولى ـ ١٩٧٩م.

٦. **إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر/** شهاب الدين الدمياطي الشهير بالبناء ـ وضع حواشيه: الشيخ أنس مهرة: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

٧. **أشهر المصطلحات في فن الأداء وعلم القراءات/** أحمد الحفيان ـ ويليه متن الدرة... للجزري، منشورات محمد علي بيضون ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت لبنان ـ ط١ ـ ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

٨. **إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع للشاطبي/** دار الكتب العلمية ـ تحقيق وتقديم: إبراهيم عطوه عوض.

٩. **الإتقان في علوم القرآن/** تأليف جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي ـ قدم له وعلق عليه الأستاذ: محمد شريف سكر ـ وراجعه: الأستاذ مصطفى القصاص: دار إحياء العلوم ـ بيروت، مكتبة المعارف، الرياض ـ الطبعة الثانية ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

١٠. **الأحرف السبعة ومنزلة القراءات منها/** حسن ضياء الدين عتر: دار البشائر الإسلامية ـ بيروت ـ ط الأولى ـ ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م.

١١. **الإرشادات الجلية في القراءات السبع من طريق الشاطبية/** الدكتور محمد سالم محيسن الأستاذ المشارك للدراسات اللغوية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة تخصص في القراءات وعلوم القرآن دكتور في الآداب العربية بمرتبة الشرف الأولى ـ الناشر: مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع: الاسكندرية ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

١٢. **أحكام القرآن** أحمد بن علي الرازي الجصاص أبو بكر ـ الناشر: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، ١٤٠٥هـ ـ تحقيق: محمد الصادق قمحاوي.

١٣. **الأعلام/** لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت ـ لبنان، الطبعة العاشرة ١٩٩٢م.

١٤. الأصوات ووظائفها/ د. محمد منصف القماطي ـ منشورات جامعة الفاتح ـ ط١ ـ ١٩٨٦م.

١٥. **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن/** محمد الأمين الشنقيطي: ضبطه وصححه وخرج آياته: الشيخ محمد عبدالعزيز الخالدي ـ منشورات: محمد علي بيضون ـ لنشر كتب السنة والجماعة ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الأولى ـ ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

١٦. **إعجاز القرآن والبلاغة النبوية/** مصطفى صادق الرافعي ـ دار الفكر العربي ـ المنصورة ـ ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.

١٧ ـ **البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريق الشاطبية والدرة/** عبدالفتاح القاضي: طبع على نفقة الإدارة المركزية للمعاهد الأزهرية ـ الأزهر ـ ط الأولى ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.

١٨. **البرهان في علوم القرآن/** محمد بن بهادر بن عبدالله الزركشي أبو عبدالله ـ دار المعرفة ـ بيروت، ١٣٩١هـ تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.

١٩. **البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة/** محمد بن يعقوب الفيروز أبادي ـ تحقيق: محمد المصري: جمعية إحياء التراث الإسلامي ـ الكويت ـ ط الأولى ـ ١٤٠٧هـ.

ثانياً: حرف الباء

١. **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**/ جلال الدين السيوطي ـ تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم: المكتبة العصرية ـ بيروت.

ثالثاً: حرف التاء

١. **تحبير التيسير في قراءات الأئمة العشر**/ للإمام المحقق: محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف الجزري ـ تحقيق وتعليق: أ ـ جمال الدين محمد شرف ـ الناشر: دار الصحابة للتراث ـ بطنطا.

٢. **تاج العروس من جواهر القاموس**/ محمد مرتضى الزبيدي: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع عند ابو نزار.

٣. **تفسير التحرير والتنوير**/ محمد الطاهر ابن عاشور: دار سحنون للنشر والتوزيع ـ تونس.

٤. **تفسير أبي السعود المسمى (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم)**/ أبو السعود محمد بن محمد العمادي: الناشر: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

٥. **تقريب النشر في القراءات العشر**/ لابن الجزري ـ تحقيق وتقديم: إبراهيم عطوه عوض ـ الناشر: دار الحديث ـ القاهرة ـ الطبعة الثالثة ١٩٩٦م ـ ١٤١٦هـ.

٦. **التلخيص في القراءات الثماني**/ للإمام أبي معشر عبدالكريم بن عبدالصمد الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ ـ دراسة وتحقيق: محمد حسن عقيل موسى ـ ط١ ـ ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

٧. **التعاريف ـ التوقيف على مهمات التعاريف**/ محمد عبدالرؤوف المناوي ـ الناشر: دار الفكر المعاصر، دار الفكر ـ بيروت، دمشق الطبعة الأولى ١٤١٠هـ تحقيق: د. محمد رضوان الداية الجزء الأول.

٨. **التفسير الكبير المسمى «البحر المحيط»**/ لأبي عبدالله، محمد بن يوسف بن حيان الأندلسي، الشهير بأبي حيان الأندلسي ـ وبهامشه النهر الماد وكتاب الدر اللقيط من البحر المحيط، ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ ط٢ ـ ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م.

٩. **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد** ـ أبو عمر يوسف بن عبدالله بن عبدالبر النمري ـ الناشر: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية ـ المغرب، ١٣٨٧هـ ـ تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبدالكبير البكري.

١٠. **تفسير الثعالبي المسمى (الجواهر الحسان في تفسير القرآن)**/ عبدالرحمن بن محمد ابن مخلوف الثعالبي: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت.

١١. **تفسير البيضاوي المسمى (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)**/ الإمام البيضاوي ـ تحقيق: عبدالقادر عرفات العشا حسونة: دار الفكر ـ بيروت ـ ١٩٩٦م.

١٢. **تفسير الخازن المسمى (لباب التأويل في معاني التنزيل)**/ علاء الدين علي ابن محمد بن إبراهيم الشهير بالخازن ـ ومعه تفسير البغوى المسمى معالم التنزيل للحسين بن مسعود الفراء البغوي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت لبنان ـ ط١ ـ ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

١٣. **تفسير الشعراوي** ـ خواطر فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي حول القرآن الكريم/ أخبار اليوم ـ قطاع الثقافة.

١٤. **تفسير الفخر الرازي المشهور بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب**/ فخر الدين الرازي: دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط الأولى ـ ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م.

١٥. **تفسير القاسمي المسمى (محاسن التأويل)**/ محمد جمال الدين القاسمي ـ تعليق وتخريج الآيات والأحاديث: محمد فؤاد عبدالباقي: دار إحياء الكتب العربية.

١٦. **تفسير القرآن العظيم**/ الحافظ ابن كثير ـ للمحقق: سامي بن محمد سلامة الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م الشاملة ٢.

١٧. **تفسير الجلالين**/ جلال الدين محمد بن أحمد المحلي ـ وجلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي ـ الناشر: دار الحديث ـ القاهرة ـ الطبعة الأولى.

١٨. **تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر** (الفاتحة، البقرة، آل عمران) رسالة ماجستير/ إعداد الباحث: عبدالله الملاحي، إشراف: د. مروان أبوراس ـ ٢٠٠٢م.

١٩. **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**/ د. وهبة الزحيلي: دار الفكر ـ دمشق ـ ط١ ـ ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

٢٠. **تفسير القرآن الكريم**/ للدكتور عبدالله شحادة ـ دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع.

٢١. **تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم**/ محمد بن أبي نصر فتوح بن عبدالله بن فتوح بن حميد بن يصل الأزدي الحميدي ـ دار النشر: مكتبة السنة ـ القاهرة ـ مصر ـ ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م ـ الطبعة: الأولى ـ تحقيق: الدكتورة: زبيدة محمد سعيد عبدالعزيز.

٢٢. **تفسير غريب القرآن/** أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة ـ تحقيق: السيد أحمد صقر: دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.

٢٣. **التفسير والمفسرون/** د. محمد حسين الذهبي ـ الناشر مكتبة وهبة ـ القاهرة ـ ط٨ ـ ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

٢٤. **التبيان في إعراب القرآن ـ العكبري/** لأبي البقاء محب الدين عبدالله بن أبي عبدالله الحسين بن أبي البقاء عبدالله بن الحسين العكبري ـ الناشر: إحياء الكتب العربية ـ تحقيق: علي محمد البجاوي عدد الأجزاء: ٢.

٢٥. **التبيان في تفسير غريب القرآن/** شهاب الدين أحمد بن محمد الهائم المصري ـ الناشر: دار الصحابة للتراث بطنطا ـ القاهرة ـ الطبعة الأولى، ١٩٩٢م ـ تحقيق: د. فتحي أنور الدابولي.

٢٦. **التيسير فى القراءات السبع/** الامام أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد بن عمرو الداني ـ دار النشر/ دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ ط٢ ـ ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.

٢٧. **كتاب التذكرة في القراءات/** الشيخ الحسن طاهر بن عبدالمنعم بن غلبون المقرئ ـ رضي الله عنه وأرضاه ـ تحقيق: دكتور عبدالفتاح بحيرى إبراهيم. الأستاذ بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ـ المجلد الأول ـ ط الأولى ـ ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

٢٨. تقريب النفع في القراءات السبع/ تأليف فريد العصر وتاج القراء بمصر الشيخ علي محمد الضباع، ملتقى أهل التفسير.

٢٩. القراءات الشاذة وتوجيهها النحوي/ للكتور محمود أحمد الصغير، ص: ١٧، ط١، دار الفكر، دمشق/ بيروت، عام ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م.

٣٠. **تقريب التهذيب/** أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ـ تحقيق: محمد عوامة: دار الرشيد ـ سوريا ـ ط الأولى ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

٣١. **تناسق الدرر في تناسب السور/** جلال الدين السيوطي ـ دراسة وتحقيق: عبدالقادر أحمد عطا: دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط١ ـ ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

٣٢. **تهذيب اللغة/** أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر الأزهري ـ تحقيق: محمد خفاجي ـ محمود العقدة: الدار المصرية والمؤسسة المصرية للتأليف والترجمة ـ القاهرة ـ ١٩٦٤م.

٣٢. **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان/** عبدالرحمن بن ناصر السعدي: تحقيق عبدالرحمن بن معلاّ اللُّويحق: مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ط الأولى ـ ٢٠٠٠م.

رابعاً: حرف الجيم

١. **جامع البيان في تفسير القرآن**/ ابن جرير الطبري: دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط٣ ـ ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

٢. **الجامع لأحكام القرآن**/ تفسير القرطبي لأبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ـ تقديم: هاني الحاج، حققه وخرج أحاديثه: عماد زكي البارودي ـ خيري سعيد: المكتبة التوفيقية.

٣. **الجامع الصحيح المختصر ـ صحيح البخاري**/ محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي ـ الناشر: دار ابن كثير، اليمامة ـ بيروت ـ الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م ـ تحقيق: د. مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة ـ جامعة دمشق.

٤. **جامع الرسائل**/ أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني أبو العباس ـ مصر ـ تحقيق: محمد رشاد رفيق سالم ـ رسالة في المعاني المستنبطة.

٥. **جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام**/ محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبدالله ـ الناشر: دار العروبة ـ الكويت ـ الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م ـ تحقيق: شعيب الأرناؤوط ـ عبدالقادر الأرناؤوط.

خامساً: حرف الحاء

١. **حروف المعاني**/ أبو القاسم عبدالرحمن بن اسحق الزجاجي ـ تحقيق: علي توفيق الحمد: مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ط الأولى ـ ١٩٨٤م.

٢. **حجة القراءات**/ أبو زرعة عبدالرحمن بن محمد بن زنجلة ـ تحقيق: سعيد الأفغاني: مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ط٢ ـ ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.

٣. **الحجة في القراءات السبع**/ الحسين بن أحمد بن خالويه أبو عبدالله ـ الناشر: دار الشروق ـ بيروت الطبعة الرابعة، ١٤٠١هـ ـ تحقيق: د. عبدالعال سالم مكرم.

٤. **الحجة للقراء السبعة**/ أبو علي الحسن بن عبدالغفار الفارسي ـ وضع حواشيه وعلق عليه: كامل مصطفى الهنداوي: دار الكتب العلمية ـ بيروت، لبنان ـ ط الأولى ـ ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م.

سادساً: حرف الدال

١. **دراسات في فقه اللغة**/ د. صبحي الصالح ـ ط٩ ـ دار العلم للملايين.

٢. **دراسات لأسلوب القرآن الكريم**/ لمحمد عبدالخالق عضيمة ـ دار الحديث ـ القاهرة.
٣. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون/ شهاب الدين أبي العباس بن يوسف بن محمد بن إبراهيم المعروف بالسمين الحلبي ـ تحقيق: أحمد محمد الخراط: دار القلم ـ دمشق ـ ط الأولى ـ ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.
٤. **الدر المنثور**/ جلال الدين السيوطي: دار الفكر ـ بيروت ـ ١٩٩٣م.

سابعاً: حرف الراء

١. **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**/ شهاب الدين محمود الألوسي: دار إحياء التراث العربي ـ.
٢. **رسالة في المعاني المستنبطة ـ جامع الرسائل**/ أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني أبو العباس ـ مصر ـ تحقيق: محمد رشاد رفيق سالم.

ثامناً: حرف الزاي

١. **زاد المسير في علم التفسير**/ عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي ـ الناشر: المكتب الإسلامي ـ بيروت ـ الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ.
٢. **زاد المعاد في هدي خير العباد**/ محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبدالله ـ الناشر: مؤسسة الرسالة ـ مكتبة المنار الإسلامية ـ بيروت ـ الكويت ـ الطبعة الرابعة عشر، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٦م ـ تحقيق: شعيب الأرناؤوط ـ عبدالقادر الأرناؤوط.

تاسعاً: حرف السين

١. **كتاب السبعة في القراءات**/ أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد التميمي البغدادي ـ ابن مجاهد ـ تحقيق: شوقي ضيف: دار المعارف ـ بمصر القاهرة. الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ.
٢. **سنن أبي داود**/ سليمان بن أشعث السجستاني ـ تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد: دار الفكر.
٣. **سنن البيهقي الكبرى**/ أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي ـ تحقيق: محمد عبدالقادر عطا ـ مكتبة دار الباز ـ مكة ـ ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

٤. **سنن الترمذي (الجامع الصحيح)**/ أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي ـ تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت. الأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها.

٥. **سنن النسائي الكتاب: سنن النسائي بشرح السيوطي وحاشية السندي**/ لأبي عبدالرحمن أحمد بن شعيب النسائي المحقق: مكتب تحقيق التراث الناشر: دار المعرفة ببيروت الطبعة: الخامسة ١٤٢٠هـ.

٦. **سير أعلام النبلاء**/ أبو عبدالله الذهبي ـ تحقيق: شعيب الأرناؤوط، محمد نعيم العرقسوسي: مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ط٩ ـ ١٤١٣هـ.

عاشراً: حرف الشين

١. **شرح طيبة النشر في القراءات العشر**/ لأبي القاسم محمد بن محمد بن محمد بن علي النويري ـ تقديم وتحقيق: الدكتور مجدي محمد سرور سعد باسلوم ـ منشورات: محمد علي بيضون ـ دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان ـ ط الأولى ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

٢. **شرح قطر الندى وبل الصدى**/ لأبي محمد عبدالله الأنصاري ومعه كتاب سبيل الهدى ـ دار الطلائع للنشر.

حادي عشر: حرف الصاد

١. **صحيح مسلم**/ الإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري ـ تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

٢. **صحيح مسلم بشرح النووي** / أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ ط٢ ـ ١٣٩٢هـ.

٣. **صفوة التفاسير**/ محمد علي الصابوني: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ ط الأولى ـ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.

ثاني عشر: حرف الطاء

١. **طبقات الحفاظ**/ جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي: دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط الأولى ـ ١٤٠٣هـ.

٢. **طبقات المفسرين**/ عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي ـ تحقيق: علي محمد عمر: مكتبة وهبة ـ القاهرة ـ ط الأولى ـ ١٣٩٦هـ.

ثالث عشر: حرف العين

١. **كتاب العين**/ لأبي عبدالرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي ـ الناشر: دار ومكتبة الهلال ـ تحقيق: د. مهدي المخزومي ـ د. إبراهيم السامرائي.

رابع عشر: حرف الغين

١. **غاية النهاية في طبقات القراء**/ شمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن الجزري: عني بنشره ج برجستراسر ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط١ ـ ١٩٣٢م.

٢. **غيث النفع في القراءات السبع**/ تأليف الشيخ علي النوري بن محمد السفاقسي ـ تحقيق: أحمد محمود الحفيان ـ منشورات محمد علي بيضون ـ دار الكتب العلمية بيروت لبنان ـ ط١ ـ ١٤٣٥هـ ـ ٢٠٠٤م.

خامس عشر: حرف الفاء

١. **الفائق في غريب الحديث**/ محمود بن عمر الزمخشري ـ تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم: دار المعرفة ـ بيروت ـ ط٢ ـ تحقيق: علي محمد البجاوي ـ محمد أبو الفضل إبراهيم.

٢. **فتح الباري شرح صحيح البخاري**/ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ـ تحقيق: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، الناشر: دار المعرفة ـ بيروت.

٣. **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**/ محمد بن علي الشوكاني.

٤. **في ظلال القرآن**/ سيد قطب: دار الشروق ـ بيروت، القاهرة ـ ط ٣٣ ـ ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤ م.

٥. **الفقه الإسلامي وأدلته**/ للدكتور وهبة الزحيلي/ دار الفكر ـ ط٣ ـ ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.

٦. **الفروق اللغوية**/ لأبي هلال للعسكري، حققه وعلق عليه ـ محمد إبراهيم سليم ـ دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع.

سادس عشر: حرف القاف

١. **القراءات أحكامها ومصدرها/** شعبان محمد إسماعيل: دار السلام للطباعة والنشر ـ ط٣ ـ جدة ـ السنة الثانية ـ ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٤م.

٢. **القراءات وأثرها في علوم العربية/** محمد سالم محيسن: دار الجيل ـ بيروت ـ ط الأولى ـ ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م.

٣. **القرءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني والأحكام الشرعية/** لمحمد حبش ـ دار الفكر دمشق ـ ط١ ـ ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م.

٤. **القاموس المحيط**: محمد بن يعقوب الفيروزآبادي.

سابع عشر: حرف الكاف

١. **الكنز في القراءات العشر/** للإمام عبدالله بن عبدالمؤمن ـ حققه وعلق عليه: أ ـ جمال الدين محمد شرف الناشر: دار الصحابة للتراث بطنطا.

٢. **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل/** أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ ـ ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

٣. **الكشف عن وجوه القراءات وعللها وحججها/** مكي بن أبي طالب القيسي ـ تحقيق: محيي الدين رمضان: مؤسسة الرسالة ـ ط٥ ـ ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

٤. **كتاب الكليات ـ لأبي البقاء الكفومي ـ معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**، تأليف: أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفومي، تحقيق: عدنان درويش ـ محمد المصري ـ دار النشر: مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

ثامن عشر: حرف اللام

١. **لسان العرب/** محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري «ابن منظور» الناشر: دار صادر ـ بيروت الطبعة الأولى عدد الأجزاء: ١٥ موافق للشاملة الثانية.

٢. **اللهجات العربية في القراءات القرآنية** ـ للدكتور ـ عبده الراجحي ـ مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض ـ ط١ ـ ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

تاسع عشر: حرف الميم

١. **مباحث في علوم القرآن**/ مناع القطان: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ـ الرياض ـ ط٣ ـ ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

٢. **مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي**/ د. نور الهدى لوشن ـ المكتبة الجامعية ـ الزرايطة ـ الإسكندرية.

٣. **مجمع البيان في تفسير القرآن**/ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي: دار مكتبة الحياة ـ بيروت ـ لبنان. طبعة جديدة ومصححة.

٤. **مجموع الفتاوى**/ أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني أبو العباس.

٥. **معجم القراءات**/ للدكتور عبداللطيف الخطيب ـ طباعة ونشر وتوزيع: دار سعد الدين دمشق ـ ط الأولى ـ ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م.

٦. مفتاح الأغاني في القراءات والمعاني/ لأبي العلاء الكرماني ـ دراسة وتحقيق: الدكتور عبدالكريم مصطفى مدلج ـ تقديم: الدكتور محسن عبدالحميد ـ طباعة ونشر دار ابن حزم ـ ط الأولى: ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

٧. **معجم حفاظ القرآن عبر التاريخ**/ د. محمد سالم محيسن، دار الجيل بيروت ـ ط١ ـ ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

٨. **معاني القرآن وإعرابه**/ للزجاج أبي إسحق إبراهيم بن السري ـ شرح وتحقيق: د. عبدالخليل عبده شبلي ـ خرج أحاديثه الأستاذ علي جمال الدين محمد الجزء الثاني ـ دار الحديث القاهرة ـ سنة الطبع ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٤م.

٩. **مشاهير علماء الأمصار**/ محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي ـ الناشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت، ـ ١٩٥٩م ـ تحقيق: م. فلايشهمر.

١٠. **من مواضيع سور القرآن الكريم**/ المعجزة والإعجاز في سورة النمل/ عبدالحميد محمود طهماز دار القلم ـ دار المنارة دمشق ـ بيروت ط الأولى ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

١١. من بديع لغة التنزيل/ د. ابراهيم السامرائي ـ مؤسسة الرسالة ـ دار الفرقان ـ ط١ ـ ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.

١٢. **مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه**/ الدكتور عدنان محمد زرزور ـ دار القلم ـ دار الشامية ـ دمشق ـ بيروت ـ ط٢ ـ ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

١٣. موصل الطلاب إلى قواعد الإعراب/ خالد بن عبدالله الأزهري ـ الناشر: مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ الطبعة الأولى، ١٩٩٦م ـ تحقيق: د. عبدالكريم مجاهد.

١٤. **معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية/** عمر رضا كحالة ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

١٥. مفردات ألفاظ القرآن/ الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني أبو القاسم ـ دار النشر/ دار القلم ـ دمشق.

١٦. **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز/** القاضي أبي محمد عبدالحق بن غالب بن عطية الأندلسي ـ تحقيق: عبدالسلام عبدالشافي محمد: دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط الأولى ـ ١٩٩٣م.

١٧. **المبسوط في القراءات العشر/** لأبي بكر أحمد الحسين بن مهران الأصبهاني ـ تحقيق وتعليق: جمال الدين محمد شرف ـ الناشر: دار الصحابة للتراث ـ بطنطا.

١٨. **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي/** أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي ـ الناشر: المكتبة العلمية ـ بيروت.

١٩. **مصحف الصحابة في القراءات العشر المتواترة** ـ من طريق الشاطبية والدرة ـ لفضيلة الشيخ جمال الدين محمد شرف، الناشر: دار الصحابة للتراث ـ بطنطا.

٢٠. **مختار الصحاح/** محمد بن أبي بكر الرازي ـ الناشر: مكتبة لبنان ناشرون ـ بيروت ـ الطبعة طبعة جديدة، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م تحقيق: محمود خاطر.

٢١. **المعجزة الكبرى (القرآن) نزوله ـ كتابته** ـ . . . لأبى زهرة ـ دار الفكر العربي.

٢٢. المكرر فيما تواتر من القراءات السبع وتحرر/ للإمام أبي حفص عمر بن قاسم بن محمد المصري الأنصاري المعروف بالنشار ـ تحقيق: أحمد محمود الحفيان ويليه موجز في ياءات الإضافة للمحقق، منشورات/ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ط١ ـ ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

٢٣. **المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز/** شهاب الدين عبدالرحمن بن اسماعيل ابن إبراهيم (المعروف أبو شامة المقدسي) ـ تحقيق: طيار آلتي قولاج: دار صادر ـ بيروت ـ ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م.

٢٤. **المستنير في تخريج القراءات من حيث اللغة والإعراب والتفسير/** د. محمد سالم محيسن: دار محيسن ـ ط٥ ـ ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

٢٥. **مسند أحمد بن حنبل/** الإمام أحمد بن حنبل الشيباني: المحقق: شعيب الأرناؤوط وآخرون ـ الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

٢٦. مشكل إعراب القرآن/ مكي بن أبي طالب القيسي ـ تحقيق: حاتم صالح الضامن: مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ط٤ ـ ١٩٨٨م.

٢٧. **معالم التنزيل المعروف بتفسير البغوي/** أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي [المتوفى ٥١٦هـ] ـ حققه وخرج أحاديثه محمد عبدالله النمر ـ عثمان جمعة ضميرية ـ سليمان مسلم الحرش ـ الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع ـ الطبعة: الرابعة، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

٢٨. **معاني القراءات/** أبو منصور الأزهري ـ تحقيق: أحمد فريد المزيدي: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط الأولى ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

٢٩. **معاني القرآن/** أبو زكريا الفراء: عالم الكتب ـ بيروت ـ ط٣ ـ ١٩٨٣م.

٣٠. **معاني القرآن وإعرابه/** أبو اسحاق إبراهيم بن السَّري الزجاج ـ تحقيق: د. عبدالجليل عبده شلبي: خرج أحاديثه: الأستاذ/ علي جمال الدين محمد ـ بيروت ـ دار الحديث القاهرة ـ.

٣١. **معترك الأقران في إعجاز القرآن/** الحافظ جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي ـ ضبط ـ أحمد شمس الدين: دار الكتب العلمية. ط١ ـ ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

٣٢. **معجم البلدان/** أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي ـ دار الفكر ـ بيروت.

٣٣. **مشكل إعراب القرآن/** د. مكي بن أبي طالب القيسي أبو محمد ـ الناشر: مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ تحقيق: د. حاتم صالح الضامن.

٣٤. **معجم مقاييس اللغة/** أبو الحسن ابن فارس ـ تحقيق: عبدالسلام محمد هارون: دار الفكر ـ بيروت ـ ط: ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

٣٥. **معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار/** محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبو عبدالله ـ الناشر: مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ط١ ـ ١٤٠٤هـ تحقيق: بشار عواد معروف، شعيب الأرناؤوط، صالح مهدي عباس.

٣٦. **المغني في توجيه القراءات العشر المتواترة/** محمد سالم محيسن: دار الجيل بيروت ـ مكتبة الكليات الأزهرية ـ ط٣ ـ ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

٣٧. **مفاتيح الأغاني في القراءات والمعاني**/ أبو العلاء الكرماني ـ دراسة وتحقيق: د. عبدالكريم مصطفى مدلج: دار ابن حزم ـ بيروت ـ ط الأولى ـ ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

٣٨. مناهل العرفان في علوم القرآن/ الشيخ محمد عبدالعظيم الزرقاني ـ تحقيق: مكتب البحوث والدراسات الناشر: دار الفكر ـ بيروت الطبعة الأولى، ١٩٩٦م عدد الأجزاء: ٢.

٣٩. **منجد المقرئين ومرشد الطالبين**/ ابن الجزري: مكتبة القدسي للنشر والتوزيع ـ القاهرة ـ ط١ ـ ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

٤٠. **منهج الإمام الطبري في القراءات في تفسيره** (رسالة ماجستير)/ إعداد: د. عبدالرحمن الجمل: إشراف: د. فضل عباس ـ ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

٤١. **الميسر في القراءات الأربع عشرة وبذيله أصول الميسر في القراءات الأربع عشرة وتراجم القراء الأربع عشر**/ محمد فهد خاروف: دار الكلم الطيب ـ دمشق، بيروت ـ ط الأولى ـ ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م.

عشرون: حرف النون

١. **النشر في القراءات العشر**/ الحافظ أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري ـ أشرف على تصحيحه ومراجعته للمرة الأخيرة حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الجليل/ علي محمد الضباع شيخ عموم المقارئ المصرية ـ دار الكتاب العربي.

٢. **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**/ برهان الدين البقاعي ـ خرج آياته وأحاديثه: عبدالرازق المهدي: دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الثانية ـ ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

واحد وعشرون: حرف الواو

١. **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**/ علي بن أحمد الواحدي أبو الحسن «تفسير الواحدي».

٢. **الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز**/ الإمام الشيخ أبي عبدالله الحسين بن محمد الدمغاني تقديم وتحقيق: عربي عبدالحميد علي منشورات: محمد علي بيضون لنشر كتب السنة والجماعة دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الأولى ـ ٢٠٠٣م ـ ١٤٢٤هـ.

كتب ومواقع إلكترونية:

١. **الاختلاف في القراءات القرآنية وأثره في اتساع المعاني/** إياد السامرائي: (شبكة المعلومات الدولية ـ شبكة التفسير والدراسات القرآنية www. Tafsir. net).

٢. **الكشف والبيان عن تفسير القرآن/** أبو اسحاق أحمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري: (شبكة المعلومات الدولية ـ شبكة التفسير والدراسات القرآنية www. Tafsir. net).

٣. **المعنى القرآني في ضوء اختلاف القراءات/** د. أحمد سعد الخطيب (شبكة المعلومات الدولية ـ شبكة التفسير والدراسات القرآنية www. Tafsir. net).

٤. **القراءات المتواترة الإصدار وأثرها في اللغة العربية والأحكام الشرعية والرسم القرآني/** د. محمد الحبش (شبكة المعلومات الدولية ـ شبكة التفسير والدراسات القرآنية www. Tafsir. net).

٥. **العناية بالقرآن الكريم وعلومه من بداية القرن الرابع الهجري إلى عصرنا الحاضر/** د. نبيل بن محمد آل إسماعيل (شبكة المعلومات الدولية ـ شبكة التفسير والدراسات القرآنية www. Tafsir. net).

٦. **لمسات بيانية في نصوص من التنزيل** ـ للدكتور/ فاضل صالح السامرائي/ أستاذ النحو في جامعة الشارقة (شبكة المعلومات الدولية ـ شبكة التفسير والدراسات القرآنية www. Tafsir. net).

٧. **أساس البلاغة للزمخشري** (شبكة المعلومات الدولية ـ شبكة التفسير والدراسات القرآنية ـ موقع الوراق http://www. alwarraq. com).

٨. **نزول القرآن الكريم والعناية به في عهد النبي ـ ﷺ ـ/** عبدالودود مقبول حنيف: موقع الإسلام (شبكة المعلومات الدولية ـ شبكة التفسير والدراسات القرآنية ـ http://www. al-islam. com).

٩. **تعجيل الندى بشرح قطر الندى،** عبدالله بن صالح الفوزان الأستاذ في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (www. alfuzan. islamlight. net).

١٠. **المدخل إلى علم القراءات/** محمد بن محمود حوا ـ **إعجاز القراءات القرآنية/** لصبري الأشوح، ط١، مكتبة وهبة القاهرة، ١٤١٩هـ نقلاً عن طبيعة الاختلاف بين القراء العشرة وبيان ما انفرد بقراءته كل منهم من خلال إعراب القرآن وتفسيره» رسالة جامعية من درجة التخصص العالي (ماجستير). (شبكة المعلومات الدولية ـ شبكة التفسير والدراسات القرآنية ـ موقع الوراق http://www. alwarraq. com).

١١. **تعريف بالأعلام الواردة في البداية والنهاية/** لابن كثير - موقع الإسلام (http://www. al-islam. com).

١٢. **التيسير في القراءات السبع المشهورة وتوجيهها، أبو سليمان** (شبكة المعلومات الدولية - شبكة التفسير والدراسات القرآنية www. Tafsir. net).

١٣. **القراءات القرآنية المتواترة وأعلامها**، عبدالحكيم أحمد أبو زيان (شبكة المعلومات الدولية - شبكة التفسير والدراسات القرآنية www. Tafsir. net).

١٤. **الإيضاح في علوم البلاغة/** لجلال الدين القزويني (شبكة المعلومات الدولية - http://www. alwarraq. com).

مكتبات إلكترونية مُساعِدة:

١. **مكتبة التفسير وعلوم القرآن.**

٢. **المكتبة الألفية للسنة النبوية.**

٣. **المكتبة الشاملة الإصدار (١ - ٢ - ٣)**



فهرست الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة

